منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسوعة الأنبا غريغوريوس

اللاهـــوت المقـــارن

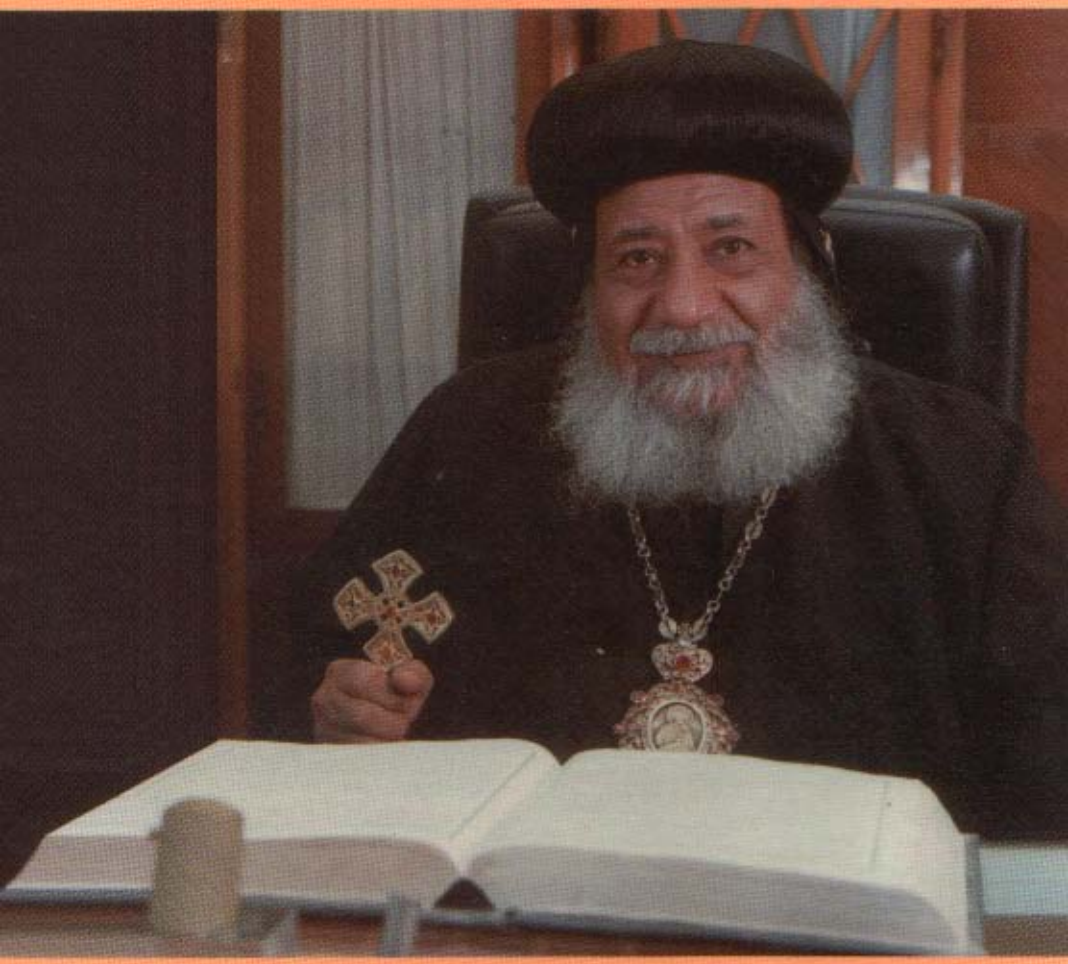

للمتنيح الأنبا غريغوريوس

أسقف عـام

للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية

والبحث العلمى

موسوعة الأنبا غريغوريوس

١ - اللاهوت المقارن

١ ـ مقدمة علم اللاهوت المقارن
٢ ـ الأبيونية
٣ ـ الأريوسية
٤ ـ الأبوليناريوسية
٥ ـ البيلاجية
٦ ـ النسطورية
٧ ـ الأوطاخية
٨ ـ القديس بطرس الرسول
٩ ـ طبيعة السيد المسيح
١٠ ـ الكنيسة والمجامع
١١ ـ أسئلة والإجابات عليها

بقلم
المتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمي

الكتاب : موسوعة الأنبا غريغوريوس ـ ١ ـ اللاهوت المقارن.

المؤلف : المتنيح الأنبا غريغوريوس.

إعداد : الإكليريكى منير عطية.

الناشر : مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس.

دير الأنبا رويس بالعباسية مصر ت: ٦٨٢٤٩٦٢ ـ ٤٨٨٢٥٢٢.

المطبعة : شركة الطباعة المصرية ت: العبور ٦١٠٠٥٨٩.

تصميم الغلاف : الفنان عادل لبيب.

تجمع : شركة فاين للطباعة والتوريدات ت: ٤٨٢٠٩٠٣

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠٣/٨٤٧٢

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف والناشر



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث



نيافة الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس

مقـــدمة

هذه مجموعة مذكرات فى اللاهوت المقارن، كتبها المتنيح الأنبا غريغـوريوس (الدكتور وهيب عطا الله جرجس) بعد تعيينه معيداً بالكلية الإكليريكية فى عام ١٩٤٤.

وقد أشار لذلك صاحب القداسة البابا شنودة الثالث، فى كلمة وداعه الأخير فى اكتوبر ٢٠٠١، فقال غبطته : « بدأ التدريس فى الكلية الإكليريكية، ودرس مواداً جديدة لم ينافس فيها أحداً... فكان يدرس اللاهوت الأدبى، وكان يدرس الفلسفة، وله مؤلف كبير فى اللاهوت الأدبى وفى الضمير والمسئولية الأدبية، وكان يدرس الفلسفة بكل أنواعها، درس الفلسفة الغربية، والفلسفة الشرقية، والفلسفة اليهودية والوجودية والاشتراكية وله كتب فى كل هذا، مع فلاسفة مدرسة الأسكندرية أيضاً مثل أثيناغوراس وبنتينوس ومن فلاسفة الغرب أغسطينوس، وفى نفس الوقت الذى درس فيه اللاهوت الأدبى والفلسفة، درس أيضاً اللاهوت المقارن، وبخاصة اللاهوت المقارن القديم، وله كتب فى الأبيونية، والأبوليناريوسية والنسطورية وغيرها.... ».

واستمرت تطبع هذه المذكرات بنظام الماستر، أى لا يزيد عدد الطبعة عن خمسمائة نسخة، ويعاد طبعها تباعاً حتى الآن.

ورأينا أن نعيد طباعتها بطريقة أفضل، بعد إعادة تجميعها وتبويبها فى مجلدات، مع إضافة الأسئلة المختلفة حول الموضوع وإجاباتها.

وسنفرد أجزاء منها لتضم سير من شخصيات الكتاب المقدس، ومن القديسين، وكذلك الدراسات الفلسفية وترجمة لحياة بعض الفلاسفة، وكذلك ستكون أجزاء للموضوعات الكنسية المتنوعة، والموضوعات العامة بعد تبويبها، بحيث تشمل أجزاء هذه الموسوعة كل كتابات المتنيح الأنبا غريغوريوس التى لم تنشر أو نفذت بعد نشرها.

وذلك لكى نوسع دائرة الإستفادة منها للجميع، كما نحمى هذا التراث من الضياع، ولتأخذ هذه المطبوعات رقم إيداع، لحماية هذه المطبوعات من النشر عن أى طريق آخر غير مكتبة الأنبا غريغوريوس، التى تكرم مشكوراً صاحب الغبطة والقداسة البابا شنودة الثالث، وخصص لها مكاناً، بالدور الثالث بمبنى الأنبا رويس بالبطريركية الجديدة بالعباسية.

ها نحن قد بذرنا البذرة الأولى، والرب وحده القادر أن ينميها، ويكلل مشروعنا هذا بالنجاح بصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث، أدام لنا الرب حياة قداسته، ومتعنا الرب برئاسته للكنيسة ولنا، أباً وراعياً، وحفظ الله قداسته بكل سلامة متمتعاً بكامل الصحة والعافية، ونفعنا الرب ببركة صلوات غبطته.

الإكليريكى منير عطية

إهـــــــداء

إلى القديس العظيم بطل الأرثوذكسية الأشهر

البابا أثناسيوس الرسولى

إليك يا سيدى البابا نهدى سلسلة المباحث اللاهوتية والعقائدية، لأنها من وحيك وإلهامك، وبفضل توجيهك وإرشادك، وثمرة لكفاحك وجهادك!

فيك رأينا أرثوذكسية الإيمان وأرثوذكسية السيرة معاً!

ومنك تعلمنا كيف يكون الوفاء للحق، والاستمساك بالتقوى، والحرص على وديعة الإيمان.

ولقد وهبك الرب عقلاً شاخصاً فى الإلهيات، فكان تعليمك سليماً كل السلامة، وكان تعبيرك دقيقاً غاية الدقة!

ولم يكن طريقك سهلاً ... كان قولك مؤذياً لمسامع المنحرفين، وكان شخصك ثقيلاً على أنفاسهم الفاسدة، فكرهوك ولعنوك ... ومع ذلك لم يقووا على أن يقاوموا النعمة الساكنة بجنانك، أو يناقضوا الحكمة الناطقة على لسانك!

أثاروا عليك حرباً شعواء وطاردوك ونفوك، ولكنك صمدت وقاومت وأخيراً غلبت ونجحت، لأن الحق الذى فيك أعظم من الباطل الذى فيهم !

لولاك يا سيدى البابا لكان الإيمان الذى عندنا غير الإيمان الذى تسلمته أنت من أسلافك أيها البطريرك الرسولى!

لهذا نحييك تحية للفضيلة فى شخصك، ونطأمن رأسنا أمام عظمة أبوتك، تقديراً لتاريخك، وإقتداء بسيرتك فى الإيمان، يا حامى الإيمان!

من ابنك

غريـغوريـــوس

باخوم المحرقى - وهيب عطا الله

مقـــــدمة

علم اللاهـــوت المقـــارن

علم اللاهوت المقارن

إن علم اللاهوت المقارن هو العلم الباحث فى الفرق المتباينة، التى ظهرت فى تاريخ الفكر المسيحى منذ نشأته. ومناقشة معتقداتها ومبادئها اللاهوتية مناقشة تهدف إلى إبراز الحقيقة المسيحية والبرهنة عليها. وبيان مدى انحراف المذاهب المعارضة، وابتعادها عن الإيمان الرسولى.

فعلم اللاهوت المقارن، علم جدلى، لا يكتفى بإظهار العقيدة المسيحية، وإقامة بنيانها على أساس متين من براهين العقل والنقل كما يفعل علم اللاهوت النظرى أو العقيدى، وإنما هو يعرض للمذاهب المسيحية التى ظهرت فى تاريخ الكنيسة، ويناقشها مناقشة جادة لتظهر ما فيها من حق ومن باطل، وبعبارة أخرى هو: علم الهرطقات المختلفة التى ظهرت فى تاريخ المسيحية، منذ نشأتها.

الهـــرطـقات

الهرطقات جمع هرطقة، وهى كلمة دخيلة على اللغة العربية من الكلمة اليونانية αἵρεσις وصفتها αἱρετικός والكلمة تعنى فى أصلها اللغوى «انتقاء» أو «انتخاب» أو «اختيار» لرأى ما مع تفضيله على غيره من آراء.

ثم تطورت الكلمة عند اليونان المتأخرين وعند كتاب الرومان، فأصبحت تستعمل للدلالة على مذهب من مذاهب الفلسفة أو مدرسة من مدارس الفكر، وأخذت الكلمة طريقها إلى الدين، فصارت تطلق على الفرق أو الطوائف الفكرية المختلفة فى داخل هذا الدين أو ذلك...

فى الكتاب المقدس:

فى العهد القديم

وقد استعملت الكلمة اليونانية فى العهد القديم فى أحد المعانى السالفة، ففى سفر التكوين ٤٩: ٥ بمعنى «اختيار». ευμεων καὶ Λευι ἄδελφοὶ συνετέλεσ

ἄδικἰαν ἔξ αἱρεσεως αὐτῶν

(شمعون ولاوى أخوان تعاونا على الظلم باختيارهما).

وفى سفر اللاويين ٢٢: ١٨، ٢١ بمعنى «تقدمة اختيارية».

κατὰ πὰσαν αἱρεσιν αὐτῶν ὅσα ἄν

προσένεγκωσι τῶ θεῶ εἰς ὁλοκαὐτωμα···

Κατά αἱρεσιν ἠ ἐν ταις ἑορταῖς ὑμῶν ἔκ

τῶν Βουκολίων ἢ ἐκ τῶν προβάτων

كل تقدمة اختيارية، يقربونها لله محرقة.

كل تقدمة اختيارية تقربونها فى احتفالاتكم من الماشية أو من الغنم.

وفى سفر المكابيين الأول ٨: ٢٠ بمعنى «رضى فريقين متعاهدين..»

ἐὰν δὲ μετὰ τοῦς λόγους τοὐτους

Βουλεὔσωνται οὗτοι καὶ οὗτοι προσθεῖναι

ἢ ἄφελετν, ποιήσονται ἐξ αἱρέσεως. αὐτῶν

(وإذا شاء هؤلاء أو أولئك أن يزيدوا على هذا الكلام أو يسقطوا منه فيفعلون برضى الفريقين)

فى العهد الجديد

تطور استعمال كلمة αἵρεσις فى العهد الجديد، فانحصر فى الدلالة على مذهب دينى لطائفة من الناس، تجمعهم مع آخرين رابطة بدين معين يتبعونه، ولكنهم يتميزون عنهم بآراء مغايرة أو تأويلات خاصة مخالفة ، تجعل منهم فرقة أو شيعة فى داخل الدين العام.

وبهذا أُطلقت هذه الكلمة αἵρεσις على كل من المذاهب اليهودية (١)

١ ـ أُطلقت على مذهب الصدوقيين: «شيعة الصدوقيين»

η αἵρεσις τῶ Σαδδουκαίων (أع ٥: ١٧)

٢ ـ أطلقت على مذهب الفريسيين...

Τινες τῶν ἀπό τῆς αἱρέσεως τῶν (أع ١٥: ٥)

φαρισαίων

«بعض الناس من شيعة الفريسيين»

κατὰ τὴν ἀκριβεστάτην αἱρεσιν τῆς (أع ٢٦: ٥)

ἠμετέρας θρησκίας ἔζησα φαρισαῖος

(١) ويوسيفوس المؤرخ اليهودى تكلم عن هذه المذاهب اليهودية مستعملاً اللفظة اليونانية αἵρεσις راجع الآثار القديمة لليهود Antiquities of the dows كتاب ١٣ فصل ٥ فقرة ٩، كتاب ١٨ فصل ١ فقرة ٢ و كتاب (حروب اليهود) كتاب ٢ فصل ٨ فقرة ٢.

(حسب مذهب ديانتنا الأدق قد عشت فريسياً)

٣ ـ بل أُطلقت كلمة αἵρεσις على الديانة المسيحية.

+ففى أع ٢٤ : ٥ يوصف القديس بولس الرسول بأنه « إمام شيعة «هرطقة» الناصريين ».

πρωτοστάτην τε τῆν τῶν Ναξωραίων

αἱρέσεως

+ وفى اع ٢٤ : ١٤ ، يقول القديس بولس الرسول للوالى : « حسب الطريق الذى يقولون له شيعة «هرطقة» هكذا أعبد إله آبائى »

Κατὰ τὴν ὁδὸν ἣν λέγουσιν αἵρεσιν οὕτως

λατρεύω τῶ πατρώω θεῶ

+ وفى أع ٢٨ : ٢٢ ، يقول وجوه اليهود فى رومية للقديس بولس عن ديانته: « لأنه معلوم عندنا من جهة هذا المذهب «الهرطقة» أنه يقاوم فى كل مكان »

Περὶ μὲν γάρ τῆς αἱρεσεως ταύτης

γνωστὸν ημῖν ἔστιν ὅτι πανταχοῦ

ἀντιλέγεται

على أنه يلاحظ فى النصوص الثلاثة الأخيرة جميعاً أن المسيحية عدت هرطقة فى نظر اليهود، فإما أن يكون استخدامها هنا بمعنى حسن أى باعتبار المسيحية (مذهباً) أو (مدرسة) أو (طائفة) مثلها مثل المذاهب اليهودية كالفريسيين والصدوقيين ... ومن إليهم... أو قد يكون لها هنا معنى سيىء، باعتبارها مذهباً مناوئاً، انحرف فى نظر اليهود عن جادة الصواب، وخرج عن الحق الإلهى.. وهو المعنى الذى تطورت إليه الكلمة اليونانية فيما بعد.

ومهما يكن من أمر.... فإن كلمة αἵρεσις قد استخدمت بمعناها السيئ هذا فى العهد الجديد نفسه...

فأحياناً تجئ مرادفة للشقاق الضار بسلامة الكنيسة، ولذلك عدت من أعمال الجسد، وفعاله الأثيمة التى تحرم صانعيها من ملكوت الله...

+ غلاطية ٥ : ١٩ ، ٢٠ :

φανερά δὲ ἐστιν τὰ ἔργα τῆς

σαρκός ἅτινά εστιν πρνεια ακαθαρια

ασέλγεια ειδωλολατρεῖα φαρμακία
ἔχθραι ἔρις, ζῆλος, συμοῖ ἔριθεῖαι,
διχοστασῖαι αιρεσεις.... Οἵτἄ τοιαῦτα
πρασσοντες Βασιλειαν θεου οὔ
κληρονομησουσιν.

« وأعمال الجسد ظاهرة، التى هى: زنى، نجاسة، دعارة، عبادة الأوثان، سحر، عداوة، خصام، غيرة، سخط، تحزبات، شقاق، بدع (هرطقات) ... إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله ».

١ كو ١١: ١٩ ἄκοὔω σχίσματα ἓν ὕμὶν ὕπἄρχειν,
καῖ μἒρος τι πιστεὔω δεῖ γαρ καῖ
αἳρἒσεις ἓν υμτν εἶναι ἳνα οἳ δοκιμοι
φανεροῖ γἓνωνται ἓν ὕμιν

« أسمع أنه توجد بينكم إنشقاقات، وأصدق بعض التصديق لأنه لابد أن يكون بينكم هرطقات أيضاً، ليكون المزكون ظاهرين بينكم ».

٢ بط ٢: ١ + Εγἓκνηντο δὲ καῖ φευδοπ ροφῆται ἓν
τῷ λαῷ, ὥς καῖ εν ὕμῖν εσονται
φευδοδιδἄσ καλοι, οἳτινες παρεισιν
αιρεσεις απωλειἄς

« وكما كان يوجد أيضاً فى الشعب أنبياء كذبة، كذلك سيكون فيكم (أيضاً) معلمون كذبة الذين يدسون هرطقات مهلكة ».

παρεισἄξουσιν αἳρἒσεις

وفى العصور الرسولية الأولى أخذ المعنى السيئ لكلمة αἳρεσεις يسود شيئاً فشيئاً، حتى أصبح تقريباً هو المعنى الأولى الذى يحضر إلى الذهن عند استخدام هذه الكلمة. فإذا ما

ذكرت هذه اللفظة، فهى للدلالة على التعليم الكاذب، المخالف للتعليم الرسولى وبامتداد الكنيسة ونمو سلطانها الروحى باعتبارها حامية الإيمان الرسولى، ومستودع العقيدة المسيحية القويمة، اشتدت البغضة لكل تعليم غريب عن تعليم الكنيسة وأصبحت الهرطقة شيئاً فشيئاً جريمة شنعاء يعد مؤسسها أو المنتمى إليها، عدواً لله، وللكنيسة المقدسة.

جاء فى رسالة مار أغناطيوس إلى أهل ترالل Tralles فقرة ٦ (ابتعدوا عن المائدة الغريبة، وأعنى بها الهرطقة). ذلك أن أولئك الناس يمزجون يسوع المسيح بتعاليمهم فقط ليكسبوا ثقتكم بحجج (بإدعاءات) كاذبة.. وكأنهم يعطون سماً ناقعاً لكنه ممزوج بعسل وخمر، حتى أن ضحاياهم من الأبرياء يأخذونه بسرور. فيشربون الموت مع لذة قاتلة فاحترسوا إذن من أمثال هؤلاء الناس)...

وقد ذهب بعض القديسين إلى أن يقتبل على نفسه كل إتهام فى أخلاقه إلا الاتهام بالهرطقة..

جاء فى بستان الرهبان: ... قيل عن القديس الكبير أنبا أغاثون، أن أناساً أتوا إليه لما سمعوا بعظم افرازه وكثرة دعته، وأرادوا أن يجربوه، فقالوا له: هل أنت أغاثون الذى نسمع عنك أنك متعظم؟ فقال لهم: نعم أنا هو، والأمر كما تقولون، فقالوا: أأنت أغاثون المهذار الكذاب؟، فقال: نعم أنا هو. فقالوا: أأنت أغاثون الهيراطيقى؟ فأجاب : لست بهراطيقى... فقالوا: لم تحملت كل ما قلناه لك، ولم تحتمل هذه الكلمة؟ فأجابهم: لأن أقوالكم الأولى احتسبتها ربحاً لنفسى، وباحتمالها أتقرب من الله. ولكن الهرطقة تبعدنى عنه وأنا لا أريد البعد عنه.

وهذا معناه أن القديس أغاثون كان يمكن أن يحتمل كل أنواع السباب والشتم إلا الهرطقة وحدها، فإن فى قبوله السب فضيلة مسيحية بينما أن فى قبوله الاتهام بالهرطقة تسليماً ورضى عن عداوته لله وللحق الإلهى...

أنواع الهرطقات

الهرطقات إجمالاً على نوعين: هرطقات روحية أخلاقية، وهرطقات لاهوتية إيمانية..

• الهرطقات الروحية الأخلاقية:

تعاليم مضادة للتقوى المسيحية، وتعدها الكنيسة إنحرافا عن طريق القداسة والجهاد القانونى، ومن بين الأمثلة عليها تعليم بلعام بن بعور، وقد عده السيد المسيح تعليماً رديئاً ضاراً، أشار إليه فى إنذاره إلى أسقف برغامس: « ولكن عندى عليك قليل، إن عندك هناك قوماً متمسكين بتعليم بلعام الذى كان يعلم بالاق أن يلقى معثرة أمام بنى إسرائيل أن يأكلوا ما ذبح للأوثان ويزنوا » (١) ويبدو أن بلعام وقد رشاه بالاق، أوعز إلى بالاق بأن خير واسطة للعنة الشعب الإسرائيلى هى إضلاله عن طريق الله وذلك بتأثير النساء. فعمل بالاق بهذه المشورة. ونجح فى إسقاط الشعب الإسرائيلى فى الزنى وعبادة الأوثان فغضب الله على شعبه... يقول الكتاب المقدس بعد أن أورد محاولة بالاق مع بلعام فى أن يلعن شعب إسرائيل « وأقام إسرائيل فى شطيم. وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب، فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن، فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن وتعلق إسرائيل ببعل فغور، فحمى غضب الرب على إسرائيل ». (٢)

وتكرر هذا المعنى فى السفر نفسه، بعد أن استبقى الإسرائيليون نساء المديانيين أحياء، فقال لهم موسى: « هل أبقيتم كل أنثى حية؟ إن هؤلاء كن لبنى إسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرب فى أمر فغور، فكان الوباء فى جماعة الرب » (٣).

وأشار إلى هذه الواقعة النبى هوشع فقال بلسان الرب: (رأيت آبائكم كباكورة على تينة فى أولها. أما هم فجاءوا إلى بعل فغور ونذروا أنفسهم للخزى، وصاروا رجساً كما أحبوا) (٤). فأشار إليها سفر المزامير بقوله : (وتعلقوا ببعل فغور وأكلوا ذبائح الموتى، وأغاظوه بأعمالهم فاقتحمهم الوباء) (٥)، كما إليها أشار مار بولس قائلاً: (ولا تزن كما زنى أناس منهم فسقط فى يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفاً) (٦).

ويقول القديس بطرس فى معرض حديثه عن بعض المعلمين الكذبة « قد تركوا الطريق المستقيم فظلوا تابعين طريق بلعام الذى أحب أجرة الإثم » (٧).

كذلك يقول القديس يهوذا الرسول عن الذين انحرفت أخلاقهم (ويل لهم لأنهم سلكوا طريق قايين وانصبوا إلى ضلالة بلعام لأجل أجرة) (٨).

---

(١) رؤ٢: ١٤.
(٢) عد ٢٥: ١-٣.
(٣) عد ٣١: ١٥، ١٦.
(٤) هو ٩: ١٠.
(٥) مز ١٠٦: ٢٨ و ٢٩
(٦) ١. كو ١٠: ٨.
(٧) ٢. بط ٢: ١٥.
(٨) يهوذا ١: ١١.

مجمع أورانج ORANGE
عام ٥٢٩م

أصدر هذا المجمع ٢٥ قانونا وقد قبل معظم تعليم أوغسطينوس، بل واستعاد الكثير جدا من كلماته وتعبيراته، أما سبق التعيين بالشر (وهو التعليم الذى لم يصرح به أوغسطينوس، ولو أنه يبدو متضمنا فى كثير من تعاليمه، وقد ألّح عليه كثير من أتباعه) فقد حرمه المجمع.

لقد رفض المجمع القضايا الآتية :

قانون (١) :

أن بذنب معصية آدم لم ينحط الإنسان كله (أى بالنظر إلى الجسم والنفس) وأن حرية نفسه ظلت كما هى، ولم يصبها ضرر، ولكن جسده فقط هو الذى خضع للفساد (١).

قانون (٢) :

إن مخالفة آدم أضرته هو فقط، ولم تضر بذريته وأن موت الجسد فقط وجريرة الخطيئة هى التى انتقلت من الإنسان الأول إلى جميع الجنس البشرى، وليست الخطيئة أيضا وموت النفس(٢).

قانون (٣) :

إن نعمة الله يمكن أن توهب استجابة لدعاء الإنسان، ولكن النعمة التى تأتى ليست هى بعينها النعمة التى طلبناها (٣).

قانون (٤) :

أنه لكى نتطهر من الخطيئة، يلزم أن إرادتنا Voluncas تسبق (إرادة) الله، وأنه ليس عن طريق انسكاب الروح القدس وعمله فينا، أننا نرغب فى أن نتطهر (من الخطيئة) (٤).

قانون (٥) :

إن ابتداء الإيمان وكذلك نموه بل ونفس الرغبة فى الاعتقاد... ليست عن طريق هبة النعمة... ولكنها هى (موجودة) فينا بالطبيعة (٥).

---

(١) حز ١٨ : ٢٠ ، رو ٦: ١٦ ، ٢. بط ٢ : ١٩.
(٢) رو ٥ : ١٢.
(٣) رو ١٠ : ٢٠ ، أش ٦٥ : ١
(٤) أمثال ٨ : ٣٥ (إن الإرادة مهيأة من قبل الرب) ـ الترجمة السبعينية فيلبى ٢ : ١٣.
(٥) فيلبى ١: ٦ ، ٢٩ ، أفس ٢ : ٨

وقال النبى موسى فى سفر التثنية (لا يدخل عمونى ولا مؤابى فى جماعة الرب، حتى الجيل العاشر لايدخل منهم أحد فى جماعة الرب إلى الأبد... لأنهم استأجروا عليك بلعام بن بعور من فتور آرام النهرين لكى يلعنك، ولكن لم يشأ الرب أن يسمح لبلعام) (١)

ومن الأمثلة على الهرطقات الروحية الأخلاقية، أيضاً بدعة النيقولاويين - أتباع نيقولاوس الشماس - الذى على قول اكليمنضس الأسكندرى أنه استحضر إمرأته أمام المؤمنين، وطلب إليهم أن يتخذها كل منهم خليلة له... وقد أفصح السيد المسيح عن كراهيته لهذه الهرطقة ... فقال لأسقف أفسس: (ولكن عندك هذا أنك تبغض أعمال النيقولاويين التى أبغضها أنا أيضاً) (٢) ... كما قال لأسقف برغامس: (هكذا عندك أنت أيضاً قوم متمسكون بتعاليم النيقولاويين الذى أبغضه فتب وإلا فإنى آتيك سريعاً وأحاربهم بسيف فمى) (٣).

* الهرطقات اللاهوتية الإيمانية:

فهى مبتدعات فى التعليم المسيحى، خلافاً للتسليم الرسولى فيما يتصل بجوهر الله وطبيعته، أو لاهوت الابن أو لاهوت الروح القدس، أو طبيعة المسيح ومشيئته وغيرها من مسائل العقيدة المسيحية، كأسرار الكنيسة، أو التقليد المقدس، أو شفاعة القديسين، وما يتصل بالآخرة كالدينونة والثواب والعقاب... ثم ما يتصل بالطقوس وترتيبات العبادة، كالقداسات، والأصوام، والأعياد، وإقامة المذابح والأحجبة والصور والأيقونات... إلى غيرها من مباشرات الكنيسة وترتيباتها...

---

(١) تث ٢٣: ٣-٥.
(٢) رؤ ٢: ٦
(٣) رؤ ٢: ١٥، ١٦.

أضرار الهرطقات

* أولاً: الهرطقات بدع فى الدين:

والبدع فى الدين غير البدع فى العلم، إذ لما كان العلم قائماً على مجهود العقل البشرى فى الكشف عن الظواهر الطبيعية وتأويلها، وكان العقل البشرى عاجزاً عن أن يصل إلى المعرفة التامة بحقيقة ما، مرة واحدة وفى وقت واحد، فكان لابد من أن تكون الجهود البشرية المتعاقبة فى الكشف عن ظاهرة طبيعية مكملة لبعضها البعض، وبالتالى كان اختلاف وجوه النظر وابتداع نظريات جديدة مخالفة للقديمة مفيداً فى العلم أيما فائدة، أما فى الدين فالأمر ليس كذلك، لأن الدين قائم على أساس ملهمات ومعلنات إلهية، ليس للعقل البشرى نصيب فى كشفها أو الوصول إليها. وإذا كان ذلك كذلك، فقد ترتب عليه أن يكون الدين مجموعة حقائق كاملة... معلنة من الله ولا حق للإنسان أن يغير فيها أو يعدل منها... فإذا ما تناولها الإنسان بعقله، فأبدع فيها شيئاً جديداً أخرجها عن أصولها الأولى، ولم يعد الدين بعد ديناً سماوياً تؤخذ قضاياه تسليماً وإيماناً ... وإنما استحال فى نظر المبتدعين وأتباعهم إلى فلسفة بشرية أو علم إنسانى يقبل الزيادة، كما يقبل النقص... ويصبح موضوعاً للتغيير والتعديل، ولما كانت حقائق الدين العظمى روحانية، وعالية على الطبيعة، فإن خضوعها لتأويلات العقل يجعلها أكثر من العلم عرضة لنظرات مختلفة متعارضة، يصعب الجمع بينها والحد من تفرقها وتباينها، وهذا يفسر سر المقاومة الشديدة التى تلقاها كل بدعة جديدة من جانب المتدينين، ورجال الدين، لأنها تعارض قضية أو أكثر من قضايا الإيمان...

فالشر الأول من شرور الهرطقات، إنها ثورة على الدين، وخروج عن أوضاعه الأصيلة، ومحاولة بشرية من شأنها أن تطبعه بطابع النقص الإنسانى...

على أن الدين فوق أنه حقائق إلهية، فإنه ظاهرة فردية ثم ظاهرة اجتماعية، وعلى ذلك فإن للهرطقات **أضراراً فردية وأضراراً اجتماعية**...

* ثانياً: الأضرار الفردية:

فهى الضربات التى تصيب من أحل لنفسه أن يزيد على أقوال الله أو ينقص منها، وهى الويلات التى تنتظر من جعل نفسه عدواً لله، ناقضاً للتعليم المقدس، ومن شق وحدة الكنيسة، وبلبل أفكار البسطاء، لقد جاءت نصوص الوحى صريحة فى أن الهرطقات مهلكة، ودينونتها أمام الله عظيمة...

جاء فى سفر الرؤيا: (إن كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة فى هذا الكتاب وإن كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة، ومن المكتوب فى هذا الكتاب) (١).

وجاء فى رسالة مار بولس إلى الغلاطيين: (يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح، ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما، كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضاً إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أناثيما) (٢).

وجاء فى الرسالة نفسها بصدد إزعاج المؤمنين بتعاليم غريبة وتحويلهم عن تعاليم الإنجيل الصحيحة (ولكن الذى يزعجكم سيحمل الدينونة أى من كان) (٣)

وجاء فى رسالة مار بولس الثانية إلى أهل كورنثوس (لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة، فعلة ماكرون مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح. ولا عجب، لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور، فليس عظيماً إن كان خدامه أيضاً يغيرون شكلهم كخدام للبر، الذين نهايتهم تكون حسب أعمالهم) (٤).

وجاء فى رسالة مار بطرس الثانية: (ولكن كان أيضاً فى الشعب أنبياء كذبة كما يكون فيكم أيضاً معلمون كذبة الذين يدسون بدع هلاك وإذ هم ينكرون الرب الذى اشتراهم يجلبون على أنفسهم هلاكاً سريعاً وسيتبع كثيرون تهلكاتهم... وهم فى الطمع يتجرون بكم بأقوال مصنعة الذين دينونتهم منذ القديم لا تتوانى وهلاكهم لا ينعس) (٥).

وجاء فى ذات الرسالة أيضاً: (واحسبوا أناة ربنا خلاصاً كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً بحسب الحكمة المعطاة له، كما فى الرسائل كلها، متكلماً فيها عن هذه الأمور التى فيها أشياء عسرة الفهم، يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقى الكتب أيضاً، لهلاك أنفسهم) (٦).

* **ثالثاً: الأضرار الاجتماعية..** فكثيرة نذكر منها:

١ - **انقسام المؤمنين وتفرق كلمتهم** وتمزيق وحدة كنيسة المسيح، ولابد أن ينجم عن الشقاق فتور المحبة بين المؤمنين، ونشوب المنازعات والمخاصمات بينهم، وكم جرت الهرطقات من بلايا حروب بين الناس فى أمة واحدة أو أكثر من أمة، ألم تكن الهرطقات مثار اضطهادات وعذابات لكثيرين.

---

(١) رؤ ٢٢: ١٨، ١٩.
(٢) غل ١: ٧ - ١٠.
(٣) غل ٥: ٢٠.
(٤) ٢. كو ١١: ١٣ - ١٥.
(٥) ٢. بط ٢: ١ - ٣.
(٦) ٢. بط ٣: ١٥، ١٦.

٢ ـ **ثم أن الهرطقات تصرف جهود الكنيسة** عن العناية بالمسائل الروحية والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية، إلى الدفاع عن القضايا اللاهوتية، فتهمل الكنيسة واجباتها نحو الخطاة وغير التائبين... كما تقصر فى حل مشكلات الفقر والحاجة بين جمهور المؤمنين..

٣ ـ **والهرطقات تعثر الضعفاء والبسطاء** وتجعل الكثيرين حيارى بين الآراء المتعارضة، وكثير من الناس يفقد ثقته بالعقيدة الدينية من أساسها، أو يجد فى الحرب القائمة بين أصحاب المذاهب الدينية، ما يبرر له أن ينأى بنفسه عن المسائل الدينية ومشكلاتها، وبهذا يسكن ضميره عندما يزعجه عن حياة الإثم والفجور...

٤ ـ **والهرطقات تعطل رسالة المسيح** وتمنعها عن الامتداد إلى غير المؤمنين .... لأنها من جهة تصرف الكنيسة عن جهودها التبشيرية، ولأنها من جهة أخرى تسيئ إلى سمعة التعليم المسيحى فى نظر غير المؤمنين، فليس شئ أضر على الدين أكثر من أن يظهر أتباعه مشتتين، لا يجمعهم فكر واحد ورأى واحد فيما يقولون ... قال الرسول بطرس عن المعلمين الكذبة أنهم بسببهم يجدف على طريق الحق (١) ... وقال السيد المسيح فى بيان أهمية الوحدة بالنسبة لرسالته فى العالم: «ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتنى» (٢).

ولهذا كان تخوف رسل المسيح من الهرطقات التى تمزق وحدة الكنيسة، قال القديس بولس: (ولكننى أطلب إليكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تقولوا جميعكم قولاً واحداً، ولا يكون بينكم انشقاقات بل كونوا كاملين فى فكر واحد ورأى واحد) (٣).

نفع الكنيسة من الهرطقات

الهرطقات شرور، لكن يشاء الله أن يخرج من الشر خيراً أو خيرات (من الآكل خرج أُكلٌ، ومن الجافى خرجت حلاوة) (٤) ... ومن هذه الخيرات أو البركات ما يلى:ـ

١ ـ إلتئام وحدة الكنيسة فى مجامع مسكونية لمقاومة الخطر المشترك:

وقد حدث ذلك فى كل مرة ظهرت بين المسيحيين بدعة أو هرطقة، فقد انعقد المجمع الرسولى الأول فى أورشليم نحو سنة ٥١م بسبب قوم انحدروا من اليهودية (وجعلوا يعلمون الأخوة أنه إن لم يختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا» (٥).

وانعقد المجمع المسكونى الأول فى نيقية سنة ٣٢٥م من ٣١٨ أسقفاً من أساقفة العالم المسيحى بأسره، لينظروا فى هرطقة آريوس الذى أنكر أزلية المسيح.

---

(١) ٢. بط ٢: ٢.
(٢) يو ١٧: ٢١.
(٣) ١. كو ١: ١٠.
(٤) قض ١٤: ١٤.
(٥) أع ١٥: ١.

وانعقد المجمع المسكونى الثانى فى القسطنطينية سنة ٣٨١م من مائة وخمسون أسقفاً من أساقفة العالم، ليحكموا فى هرطقة مقدونيوس الذى زعم أن الروح القدس مخلوق.

وانعقد المجمع المسكونى الثالث فى أفسس سنة ٤٣١م، من مائتى أسقف من أساقفة العالم للنظر فى هرطقة نسطور، الذى أنكر أن تسمى العذراء بوالدة الإله، بعد أن نادى بأن للسيد المسيح طبيعتين منفصلتين.

هذه المجامع المسكونية مظهر جميل من مظاهر وحدة الكنيسة الجامعة الرسولية، حيث يلتئم فيها رجال الكنيسة على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم تربط بينهم رابطة العقيدة والإيمان.

ولا شك أن المجامع بركة كبيرة فيها نفع كبير لكنيسة المسيح.

٢ - إيضاح الحقائق الإيمانية، وتحديدها فى صيغ دقيقة تصبح قوانين لبنى الإيمان:

فعندما يظهر تعليم جديد، يثير حوله كثيراً من الجدل والنقاش، فينبرى له من يقاومه ومن يدافع عنه. ومن اصطدام الأفكار تنبلج الحقائق وتتحدد المصطلحات. فمثلاً بدعة الذين قالوا للأخوة إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا.. أثارت ثائرة الرسل الذين اجتمعوا وتدارسوا فى الأمر طويلاً، وأسفر النقاش بينهم عن قرار حاسم أُبلغ إلى جميع الكنائس فى ألفاظ محددة « قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة، أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التى إن حفظتم أنفسكم منها فنعماً تفعلون » (١) ... وكذلك هرطقة أريوس جمعت الكنيسة على قانون الإيمان النيقوى (بالحقيقة نؤمن بإله واحد.. إلخ).

وهرطقة مقدنيوس اكملت قانون الإيمان: (نعم نؤمن بالروح القدس... إلخ) وهرطقة نسطور جاءت لنا بمقدمة قانون الإيمان (نعظمك يا أم النور الحقيقى ...) وبعبارة القداس (بالحقيقة أؤمن أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين) ... وهرطقة أوطاخى كانت سبباً فى عبارة القداس (وجعله «أى الجسد» واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير) ...

وبالإجمال فإنه لولا الهرطقات لما كانت الصيغ اللاهوتية الدقيقة التى توصلت الكنيسة إلى تحديدها، فإنها كانت ثمرة الجدل الطويل والبحث الذى أسهم فيه جميع المعنيين بمشاكل الإيمان.

---

(١) أع ١٥: ٢٨، ٢٩.

٣ ـ ظهور أبطال الإيمان:

قال الرسول بولس: (لأنه لابد أن تكون بينكم هرطقات أيضاً، ليكون المزكون ظاهرين) (١)، وهكذا القول يصدق جملة وتفصيلاً على جميع الهرطقات التى ظهرت فى تاريخ الكنيسة. فكل هرطقة أثارت بعض عظماء الإيمان، وألهبت قرائحهم فانبروا لمهاجمتها والدفاع عن الحقيقة الأرثوذكسية. واحتمال صنوف الآلام فى سبيلها. فلولا هرطقة أريوس لما كان جهاد أثناسيوس، ولولا بدعة نسطور لما كان كفاح كيرلس الأول الملقب بعمود الدين، على أن هذه الإثارة لا تكون قاصرة على كبار القادة، ولكنها تتعدى إلى جميع المهتمين بمسائل الإيمان، وهى كالامتحان عندما يظهر أصحاب العقيدة القويمة...

٤ ـ ازدياد ثروة الكنيسة الأدبية:

الردود التى كتبها آباء الكنيسة على الهرطقات المختلفة التى ظهرت فى أيامهم، كشفت عن حقائق وأجلت غوامض وشرحت مسائل وحلت مشكلات، ولما كانت هذه الشروح، والتأويلات والردود معالجة لم يكن مسبوقاً إليها قبل ظهور الهرطقات، فهى إذن عمل جديد أضاف إلى كتب الكنيسة ثروة أدبية جديدة. أصبحت تراثاً تعتز به الكنيسة وتحفظه ذخيرة لحاضرها ومستقبلها. على أن هذه الكتب قد كسبت فوق قيمتها اللاهوتية والفلسفية والجدلية، قيمة تاريخية، فهى وثائق ثمينة سجلت فيها الهرطقات والردود عليها، بالطريقة الحية التى كتبت بها فى وقتها، كما أنها تعطى صورة عن روح الكتبة وآباء الكنيسة وغيرتهم، ومدى اجتهادهم فى البحث والتخريج، وأمانتهم فى التفسير ومقدرتهم على الجدل والاقناع، وما هو أسلوبهم فى الدفاع، وكيف كانوا يسيرون بخطوات البرهان، وتسلسل الفكر، إلى غيرها من الأمور التى يجد الباحث فيها متعة ولذة..

هرطقة النيقولاويين

ورد اسم النيقولاويين مرتين فى سفر الرؤيا .. الأولى فى رسالة السيد المسيح إلى أسقف كنيسة أفسس، يمدحه فيها على بغضه لأعمال النيقولاويين (ولكن عندك هذا أنك تبغض أعمال النيقولاويين التى أبغضها أنا أيضاً) (٢).

والمرة الثانية ... فى رسالته إلى أسقف برغامس، وبخه فيها على تهاونه مع النيقولاويين (ولكن عندى عليك قليل: أن عندك هناك قوماً متمسكين بتعليم بلعام .. هكذا عندك أنت أيضاً قوم متمسكون بتعليم النيقولاويين الذى أبغضه، فتب وإلا فإنى آتيك سريعاً وأحاربهم بسيف فمى) (٣).

---

(١) ١. كو ١١: ١٨، ١٩.

(٢) رؤ ٢: ٦.

(٣) رؤ ٢: ١٤ ـ ١٦.

ومن هذين النصين يتبين أنه كان للنيقولاويين تعليم ثم أعمال يبغضها السيد المسيح، ولابد لمن كان مسيحياً أن يتجنبها ولمن كان راعياً أن يناهضها ويقاومها، وإلا جعل نفسه عدواً لله، وأصابه شر عظيم...

فَمَنْ هؤلاء النيقولاويين الذين اختصهم السيد المسيح، بهذه الإشارة الواضحة إلى فساد تعاليمهم وأعمالهم؟؟؟

يرى عدد كبير من المؤرخين ومن آباء الكنيسة ومن بينهم يوسابيوس صاحب كتاب تاريخ الكنيسة (١) (... أن النيقولاويين هم أتباع نيقولاوس أحد الشمامسة السبعة الذين وقع الاختيار عليهم فى الكنيسة الأولى ليقوموا على خدمة الموائد. وكان دخيلاً أنطاكيا) (٢).

وقد ذهب بعض العلماء من أمثال فيترنجا Vtringa فى العصور القديمة، وهنجستنبرج Hangstenberg فى العصور الحديثة، إلى أن النيقولاويين هم أتباع بلعام، استناداً إلى أن نيقولاوس باليونانية وبلعام بالعبرانية هما بمعنى واحد، لكن المسيح فى سفر الرؤيا يكلم أسقف برغامس عن مذهبين متميزين الواحد عن الآخر...

ثم ما هى تعاليم النيقولاويين وما هى أعمالهم؟

قيل أنهم أباحوا كل ما يذبح للأوثان، وشجعوا العبادة الوثنية ... كما اتهموا بانكارهم أن الله هو الذى خلق العالم، ونسبتهم عمل الخلق إلى قوى أخرى، كذلك نسب إليهم أنهم نادوا بمبدأ الاختلاط بالنساء، الاختلاط غير المقيد بالزوجية وأنهم كانوا يعيشون حياة خليعة مستهترة.

ويرى أبيفانيوس فى كتابه (الرد على الهراطقة) (٣) أن نيقولاوس كان متزوجاً بامرأة على جانب كبير من الجمال وكان هائماً بحبه لها. فلما أصبح مسيحياً وتعلم أن حياة العزوبية تقود إلى القداسة أكثر من حياة الزوجية، هجر زوجته واتفق معها على أن يعيشا مفترقين، ولكنهما عادا بعد حين وعدلا عن حياة الفرقة، واستأنفا حياتهما الزوجية معاً، إما لأنهما اقتنعا بأن افتراقهما كان خطأ، وإما لأنهما لم يقويا على أن يعيش الواحد منهما منفصلاً عن الآخر. فلما رأى نيقولاوس سلوكه منتقداً، أراد أن يبرر نفسه فأخذ ينادى بتعاليم مضادة للحق والطهارة... وأسلم ذاته لحياة الشر والخلاعة .. واقتدى به غيره ... فتكونت منه ومنهم طائفة تبعت تعاليمه وسيرته.

وأيد هذه الرواية بعض من آباء الكنيسة غير أبيفانيوس من أمثال إيريناوس (٤) وإيرونيموس وإيلاريوس وترتليانس واغريغوريوس النيسى واغريغوريوس الكبير...

---

(١) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة كتاب ٣ ف ٢٩.

(٢) أع ٦: ٥. (٣) كتاب ١ ف ٢.

(٤) الرد على الهراطقة ك ١: ف ٢٦، ف ٣.

ويرى القديس اكليمنضس الأسكندرى رواية أخرى (١) ... يقول:

(قيل أنه كان لهذا الرجل إمرأة صغيرة السن وجميلة، فلما وبخه الرسل ، بعد صعود المخلص، على غيرته عليها، أحضرها فى الوسط، وسمح لمن رغب فيها أن يتزوجها....

وقد قيل أنه فعل هذا طبقاً لمبدأ كان ينادى به وهو: يجب على الإنسان أن يذل الجسد One ought to abuse the flesh وفى الواقع أن أتباعه ساروا على منواله ومبادئه، فى كل شئ وبدون مناقشة، وارتكبوا الفسق بلا قيد، أما عنى أنا فإنى أفهم أن نيقولاوس لم يعاشر غير زوجته... كذلك فيما يتصل بأولاده، أن بناته كبرن وهن فى حالة البتولية، وابنه أيضاً احتفظ بعفته، أما أن حدث أنه أتى بزوجته التى كان يحبها ويغار عليها، وجعلها فى وسط الجميع أمام الرسل، كان ذلك منه جحوداً بأهوائه ، وكان ضبطه لنفسه فى مواجهة اللذات التى يسارع الناس بشوق إليها، هو الذى علمه أن يقول: أذل الجسد Abise the flesh لأننى أعتقد أنه طبقاً لأمر المخلص لم يشأ أن يخدم سيدين، اللذة، والرب، على أى حال يقولون أن متياس أيضاً قد علم هذا التعليم: أن يحارب الجسد وأن يذل، وأن لا يستسلم بأى نوع من أجل اللذة، بل أن تنمى النفس بالإيمان والمعرفة) (٢).

وسواء كان الخطأ خطأ نيقولاوس نفسه على رواية البعض .. أو خطأ تلاميذه وأتباعه على رواية البعض الآخر ... فإن النيقولاوية أصبحت مذهباً له أتباع، ومما يلفت النظر أن السيد المسيح لم يتكلم فى سفر الرؤيا عن نيقولاوس بل على النيقولاويين ... فقال: إنه يبغض أعمال النيقولاويين وأنه يبغض تعاليم النيقولاويين (٣) وكفى بشهادة مخلصنا دليلاً على شر النيقولاوية وفسادها، وبعد أتباعها عن جادة الحق الإلهى ... لهذا ناهضتها الكنيسة وقضت عليها نهائياً. لأن من رسالة الكنيسة أن تحمى المؤمنين من شر الهرطقات والهراطقة... وتعلن براءة تعليم المسيح من تعاليم الهراطقة.

---

(١) كتاب ٣ من المتفرقات STROMATA ف ٤.

(٢) أكليمنضس ... الموشيات... كتاب ٣: ف ٤: فقرة ٢٥ وما يليها.

(٣) رؤ٢: ٦، ١٥.

الأبيونيـــة

الأبيونية

EBIONISM

الأبيونية بدعة نادى بها فريق من اليهود الذين اعتنقوا المسيحية، لكنهم لم يشاءوا أن يتركوا الطقوس والعادات اليهودية التى فرضتها شريعة موسى فى العهد القديم... فهم طراز من المسيحيين المتهودين، جذبتهم المسيحية بتعاليمها، ومع ذلك ثقل عليهم أن يتخلصوا نهائياً عن طقوسهم القديمة التى تشبعوا بها وقتاً طويلاً. فنكصوا على أعقابهم، ولذلك جاءت مبادئهم خليطاً من المسيحية واليهودية...

فالأبيونيون، هم الخلفاء الروحيين لأولئك (الأخوة الكذبة) (١ كو ١١: ٢٦)، (غل ٢: ٤) الذين أقلقوا سلام الكنيسة فى انطاكية، وتعقبوا القديس بولس من مدينة إلى أخرى، عاملين على تعطيل رسالته، وهدم سلطته الرسولية، وأخذوا يعلموا المؤمنين على خلاف التعليم الرسولى، بأن المسيحيين لا يمكنهم أن يخلصوا إذا لم يختتنوا حسب الطقس الموسوى (أع ١٥: ١، ٢٤). وقد شكا الرسول منهم كثيراً لأنهم أرادوا أن يحولوا إنجيل المسيح (غل ١: ٧) وأقلقوا المؤمنين ليس فى أنطاكية فقط بل وفى غلاطية أيضاً (غل ٣: ١، ٥: ١٢)، ووصفهم الرسول بأنهم (متمردين، يتكلمون بالباطل، ويخدعون العقول ولاسيما الذين من الختان الذين يجب سد أفواههم، فإنهم يقلبون بيوتاً بجملتها معلمين ما لا يجب من أجل الربح القبيح) (تى ١: ١٠، ١١). كما سماهم مرة أخرى بـ (المدخلين خفية، الذين دخلوا اختلاساً ليتجسسوا حريتنا التى لنا فى المسيح كى يستعبدونا، الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة ليبقى عندكم حق الإنجيل) (غل ٢: ٤، ٥).

والأبيونية هرطقة ظهرت فى أيام المسيحية الأولى، لكنها لم تصبح مذهباً له أتباع، إلا فى أيام حكم الإمبراطور تراجان (٥٢ - ١١٧م) (١).

وقد ظن بعض المؤرخين أن الأبيونيين ينتسبون إلى زعيم اسمه أبيون، عاش فى القرن المسيحى الأول، بعد خراب مدينة أورشليم، وأنه نادى بتعاليم غريبة عن تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية، ولكن يبدو أن الأسم يدل على صفة لا على شخص، وإنه يرجع فى اشتقاقه إلى الكلمة العبرية אֶבְיוֹן و معناها (فقير) أو (مسكين) وجمعها بالعبرانية אֶבְיוֹנִים أى (فقراء) او (مساكين) ويحتمل أن يكون الأبيونيون أنفسهم هم الذين أطلقوا هذا الاسم على أنفسهم، لينالوا الطوبى التى اختصها السيد المسيح (بالمساكين) فى موعظته على الجبل، (مت ٥: ٣) غير أن الراجح أن يكون المسيحيون الأرثوذكسيون هم الذين

(1)Lightfoot (J. B.) Bissertations on the Apostolic Age'London, 1892 .p. 78.

سموهم بهذا الاسم، تحقيراً لشأنهم واستخفافاً بمبادئهم، كما يقال أحياناً عن المخطئ أو السيئ، فى مجال التحقير أو الرثاء أنه مسكين.

يقول العلامة أوريجينوس عنهم (أنهم مساكين.... وقد اشتق اسمهم من فقر أفكارهم، لأن أبيون تطلق بالعبرانية على الفقير).

Εβιωναῖοι, τὴς πτωχῆς διανοίας ἐπωνυμοῖ

Εβῖων, γάρ ὁ πτωχὸς παρ 'Εβραίοις

ὀνομάζεται

ويقول يوسابيوس القيصرى (أن المسيحيين الأولين أطلقوا على الأبيونيين هذا الأسم المناسب لأنهم كانوا يعتقدون فى المسيح معتقدات فقيرة وحقيرة.

ومهما يكن من أمر، فقد أصبح الأبيونيون، جماعة كبيرة العدد، انتشروا أولاً فى منطقة بيلا Pella، بل وفى فلسطين والأقطار المجاورة وامتدوا أيضاً إلى روما وإلى جميع مراكز الشتات...

وأقدم مرجع لنا فى مذهب الأبيونية والتعريف بمعتقداتها هو القديس يوستينوس الشهيد (١١٠ ـ ١٦٥م)، الذى ذكرهم وتكلم عن أخص مبادئهم، وقال أنهم مدارس فكرية ظهرت فى الكنيسة، وأنهم كانوا جماعات مختلفة، منهم من كان أكثر تشدداً وتزمتاً من غيره !!!

أما المتزمتون، فيحفظون السبت اليهودى والناموس الموسوى حفظاً حرفياً، وينادون بأن الختان ضرورى للخلاص، وأن الناموس القديم فرض على جميع المسيحيين، فيجب عليهم أن يتبعوه اتباعاً تاماً، ولذلك نظروا إلى المؤمنين من الأمم الذين رفضوا الخضوع للناموس القديم على أنهم نجسون، ويقولون أن الإيمان بالمسيح والعمل القائم على هذا الإيمان لا يكفى للخلاص (١)، إلا إذا التزم المؤمن فرائض الناموس القديم، ولما كان بولس الرسول يقول بزوال الناموس القديم، فقد كرهوه كرهاً شديداً واتهموه باتهامات مرة وقاسية، ووصفوه بأنه متمرد ومارق عن الناموس Legis apostata، وانكروا سلطانه ورفضوا رسائله، واكتفوا باستعمال النص العبرانى لإنجيل القديس متى، ولا يعيروا الأناجيل الأخرى أهمية تذكر...

أما عقيدتهم فى السيد المسيح فهى عقيدة هزيلة، فقد أنكروا لاهوته ولم يعترفوا بوجوده الإلهى قبل التجسد، ورفضوا أن يعتبروه اللوغوس أو كلمة الله وحكمته، كما انكروا ميلاده المعجزى من العذراء، واعتبروه إنساناً عادياً كسائر البشر، ولد حسب الطبيعة من يوسف

(١) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٧ فقرة ٢.

ومريم (١) ويقول يوسابيوس (٢) أن الأبيونيين تبعوا ثيودوسيوس الأفسسى Theodotion وأكويلا البنطى Aguila of Pontus وهما يهوديا الأصل آمنا بالمسيح، وقد ترجما كلمات النبى إشعياء، هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل (إش ٧: ١٤) بتغيير كلمة (العذراء) إلى كلمة (الفتاة) ... مع أن الترجمة السبعينية للكلمة العبرانية עַלְמָה هى ἡ παρθένος زاعمين أن السيد المسيح ولد من يوسف ومريم (٣)، أى ولد كما يولد سائر المخلوقين من زرع بشر، وكل امتيازه أن الله اختاره ليكون هو المسيا، وذلك نظراً لتقواه وخضوعه للناموس القديم خضوعاً تاماً، فقد نال المسيح البر تدريجياً كما يمكن أن يناله أى واحد آخر، وذلك بنموه فى الفضائل وطهارة الحياة، لكنه هو نفسه لم يكن عالماً بهذا الاختيار إلى يوم عماده، ففى ذلك اليوم فقط حل عليه روح الله ونال المواهب التى جعلت منه المسيا، ومن ثم بدأ عمله كنبى ومعلم ومسيا المنتظر، ورفض الأبيونيون الاعتقاد بأن المسيح خضع للموت أو للألم، واكتفوا بتعاليمه ومبادئه ومعجزاته، واعتقدوا فى مجيئه الثانى فى مجد ملكى، وأنه يعد لنفسه ولاتباعه ولا سيما من أتقياء اليهود ملكاً ألفياً فيه المجد وفيه السعادة، وهذا التعليم بالملك الألفى فيما يقولون مستقى من كتب العهد القديم (٤). جاء فى بعض كتبهم عن السيد المسيح (وسيقوم إنسان من زرعى). أى إنسان من بين اليهود، كشمس البر يعاشر ويخالط συμπορευόμενος بنى الناس فى وداعة وبر، وسوف لا يكون فيه إثم، وستنفتح السماء من فوقه، وتسكب الروح بركة الآب القدوس، (أى عند عماده) ... وهو سيسكب عليكم روح النعمة، وستكونون له أبناء فى الحق، وستسلكون فى وصاياه أولاً وآخراً... هذا الإنسان «يجدد ἀνακαινοποιοῦντα الناموس بقوة من الأعالى» وسيضطهده اليهود (خصوصاً سلالة لاوى) ويذبحونه كلص من دون أن يحسوا بجلاله. لهذا طرد إسرائيل وخربت أورشليم. إلى أن يتحنن الله عليها فى آخر الزمان ... وبعد ذلك ستخرب مملكة العدو ...). (٥)

وأما المعتدلون من الأبيونيون، فيحفظون ناموس العهد القديم لكنهم لا يرغبون فى فرضه على الجميع، ولا يتعصبون ضد الذين يرفضون الختان والسبت اليهودى وسائر طقوس العهد القديم، كما يفعل المتزمتون من الأبيونيين، إلا أنهم كانوا يحتفلون مع الأرثوذكسيين بيوم الأحد تذكاراً لقيامة المخلص، ولا يعترضون على آلام المسيا وموته، ولا ينكرون أن السيد المسيح ولد

---

(١) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٧ فقرة١، ٢.

(٢) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ك ٥ ف ٨ فقرة ١٠.

(٣) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٧ فقرة ١، ٢.

(٤) ايريناوس: الرد على الهرطقات، كتاب ١ فصل ٢٦ فقرة ٢.

(5)Testamenta. Jud. 24. Sceberg (r). History of Doctrines, Vol . I.

من العذراء بغير زواج، وإن كانوا ينكرون مع المتزمتين منهم وجود المسيح السابق قبل التجسد، باعتباره إلهاً وباعتباره اللوغوس كلمة الله وحكمته، كما أنهم لا ينكرون على القديس بولس أنه كان رسولاً حقيقياً، وإن كانوا ينكرون رسائله إنكاراً تاماً..

ويظهر أن هؤلاء الأبيونيين المعتدلين ظلوا معروفين إلى زمان القديس إيرونيموس (٣٤٢ ـ ٤٢٠م) لأنه هو الآخر تكلم عنهم باعتبارهم فرقة قائمة فى أيامه (١) وقال فى رسالة له إلى القديس أوغسطينوس: (ماذا أقول عن الأبيونيين الذين يدعون أنهم مسيحيون. أنهم أرادوا أن يكونوا يهوداً ومسيحيين فى وقت واحد، لكنهم ما استطاعوا أن يكونوا لا يهوداً ولا مسيحيين) (١١٢: ١٣) (٢).

ويهاجم القديس يوستينوس الأبيونيين المتشددين فى قوة ويعلن أنه لا خلاص لهم، لكنه يتسامح نوعاً ما مع الأبيونيين المعتدلين، ويدعوهم أخوة، ولو أنه يذكر أيضاً أن بعضاً من المسيحيين لا يقبلونهم ويأبون أن يسموهم أخوة. وأن الكنيسة فيما بعد قد فصلتهم من شركتها، كما فصلت الأبيونيين المتشددين من قبل.

ويجئ بعد يوستينوس، القديس إيريناوس (١٢٠/ ١٤٠ـ ٢٠٢م) وهو أول من ذكر الأبيونيين باسمهم ونسب إليهم مجمل ما رواه يوستينوس عنهم، ويضيف قائلا: إن اعتقادهم فى السيد المسيح يشبه اعتقاد كيرنثوس Cerinthus وكربوكراتس Carpocrates ، وأنه كان لهم اتجاه خاص فى تفسير أسفار الأنبياء، كما كانت لهم نزعة يهودية واضحة فى منهج حياتهم، وأنهم كانوا ينظرون إلى أورشليم على أنها بيت الله... (٣).

كذلك يذكرهم العلامة أوريجينوس (١٨٥ ـ ٢٥٤) فى كتابه الرد على كلسس Celsus قائلاً (هناك قوم يؤمنون بيسوع ويفتخرون لذلك بكونهم مسيحيين لكنهم يشاءون أن يسلكوا فى حياتهم طبقاً للناموس القديم كما يفعل اليهود، هؤلاء هم طائفة الأبيونيين بقسميها، وهم إما يقرون معنا بأن يسوع ولد من عذراء، أو ينكرون هذا ويعتقدون أنه ولد كما يولد أى كائن آخر بشرى آخر) (١) ويعود بعد ذلك فيقول (هناك بعض الفرق الهرطقية لا يقبلون رسائل الرسول

---

(1) Fisher (G. P.). History of christian Doctrine, 1949 P. 49.

(٢) يوسابيوس، تاريخ الكنيسة ـ كتاب ٣ فصل ٢٧ فقرة ٥ ولابيفانيوس أسقف قبرص (٣١٠ ـ ٤٠٣) عبارة مماثلة يتحدث فيها عن الأبيونيين فيقول: إنهم ليسوا مسيحيين ولا يهوداً ولا وثنيين ... إنهم يقفون فى منتصف الطريق فليسوا هم شيئاً (مذكوراً) راجع: Sceberg (R.) Hist. of doctrines, vol. I

(٣) ايريناوس: الرد على الهرطقات، كتاب ١ فصل ٢٦ فقرة ٢، قارن أيضاً نفس المرجع كتاب ٣ ف ٢١ فقرة ٢.

(٢) أوريجينوس، الرد على كلسس: كتاب ٥ فصل ٦١، قارن كتاب ٢ ف ١.

بولس مثل فرقتى الأبيونيين... فأولئك لا يعدون الرسول قديساً أو حكيماً، ولا يقرون عبارته القائلة (العالم قد صلب لى، وأنا للعالم) (١).

مما تقدم نتبين أن الأبيونيين، المتشددين منهم والمعتدلين يتفقون فى بعض المبادئ، ويختلفون فى بعضها الآخر.

فهم يتفقون معاً على الاعتراف بأن يسوع هو المسيا وعلى إنكار لاهوته، وعدم الاعتراف بوجوده السابق قبل التجسد، ويتفقون على ضرورة اتباع الناموس القديم اتباعاً حرفياً، وعلى رفض رسائل القديس بولس رفضاً تاماً.

ويختلفون فيما بينهم فى نظرتهم إلى ميلاد السيد المسيح، فبينما ينكر المتشددون منهم ميلاده المعجزى من عذراء بكر، ويعدونه ابناً بالطبيعة كان ثمرة الاختلاط الطبيعى بين يوسف ومريم، يتسامح المعتدلون من الأبيونيين، فلا يمانعون فى ميلاد المسيح بغير الطبيعة، من الروح القدس والعذراء مريم.

كذلك اختلفوا فيما بينهم فى أية هبات عالية عن الطبيعة كان المسيح مزوداً بها، وفى أى زمن منح هذه الهبات، أعند ولادته أم عند عماده!!!

واختلفوا أيضاً فى تقدير التزامات الناموس القديم، فالأبيونيون المتشددون قالوا بوجوب الخضوع للناموس خضوعاً تاماً وحرفياً، وكانوا يصرون على حفظ السبت اليهودى والختان وسائر الطقوس الموسوية، وبالغوا حتى اعتبروا الختان ضرورياً للخلاص واحتسبوا المؤمنين من الأمم نجسين، وقالوا أن الإيمان بالمسيح والعمل بمقتضى هذا الإيمان لا يكفى للخلاص، إذا لم يلتزم المؤمن بناموس العهد القديم. أما المعتدلون منهم فقد حفظوا الناموس، وحتموا على أنفسهم الختان والسبت اليهودى، ولكنهم لم يرغبوا فى فرض هذه المبادئ والالتزامات على غيرهم، ولم يتعصبوا ضد الذين أنكروها، ثم كانوا يقدسون يوم الأحد مثل الأرثوذكسيين.

وهناك فريق ثالث من الأبيونيين يمكن تسميتهم بالأبيونيين الأسينيين Essene ، أضافوا إلى المبادئ الأبيونية ميولاً غنوسية تتمثل فى التأملات التصوفية الإلهية (أو الثيوصوفية Theasophic speculation والنسكيات الصارمة Oscetism) ونحن نجد فى رسالة ماربولس إلى أهل كولوسى، إشارة واضحة إلى بعض مبادئ هذه الجماعة أو ما يشبهها، مما أقلق سلام الكنيسة فى كولوسى، حيث يقول (انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس، حسب أركان العالم، وليس حسب المسيح ... فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب من جهة عيد أو هلال أو سبت. التى هى ظل الأمور العتيدة، وأما الجسد فللمسيح... لا يخسركم أحد الجعالة راغباً فى التواضع وعبادة الملائكة... إذن إن كنتم قد متم

(١) أوريجينوس ـ الرد على كلس: كتاب ٥ فصل ٦٥.

مع المسيح عن أركان العالم. فلماذا كأنكم عائشون فى العالم تفرض عليكم فرائض، لا تمس، ولا تذق، ولا تجس التى هى جميعها للفناء فى الاستعمال حسب وصايا وتعاليم الناس، التى لها حكاية حكمة بعبادة نافلة وتواضع وقهر الجسد، ليس بقيمة ما من جهة إشباع البشرية) (كو ٢: ٨ - ٢٣).

وقد لاحظ المؤرخون التقارب الواضح بين مبادئ هذا الفريق من الأبيونيين ومبادئ المذهب اليهودى الأسينى، ولذلك كان من الطبيعى أن يكون للمذهب الأخير أثره على الأبيونيين فى المبادئ المشتركة بينهما. خاصة وقد لوحظ أيضاً أن المناطق التى ظهر فيها مذهبا الأبيونيين والأسينيين (١)، وهى مناطق شرق الأردن والبحر الميت، كما يقول ابيفانيوس، قريبة من المناطق التى انتشر فيها اليهود الأسينيون، وهذا لا ينفى بالطبع عمل مؤثرات أخرى أقوى أثراً، مؤثرات غنوسية أو شرقية. ذلك أن مذهب الأبيونيين الأسينيين قد اتخذ صوراً مختلفة فى أزمنة مختلفة مما يتبين معه أثر العوامل غير اليهودية فى تشكيل هذا المذهب وفى تطويره، وعلى ذلك لا نكون مجانبين للصواب إذا أطلقنا على هذا المذهب مذهب الأبيونية الأسينية أو الأبيونية الغنوسية تمييزاً له، عن الطراز المعروف، وهو الأبيونية الفريسية أو الأبيونية بالمعنى الدقيق...

ومما هو جدير بالذكر هنا، أن الأبيونيين الذين يذكرهم الآباء المتقدمون مثل إيريناوس وهيبوليتس هم من الطراز الفريسى. أما الأبيونيون الذين يذكرهم أبيفانوس فهم من الطراز الأسينى الغنوسى.

وإذا كانت الأبيونية الفريسية قد ورثت تعاليمها من الكنيسة اليهودية، فإن الأبيونية الأسينية هى ثمرة الخلط بين المسيحية والمذهب اليهودى الأسينى، وبعض المبادئ التصوفية الغنوسية والشرقية، وقد نمت هذه البدعة وترعرعت خارج فلسطين، بعد خراب مدينة أورشليم وتشتيت كنيسة أورشليم بواسطة منشور هادريان (٢) عندما استقر بعض المسيحيين اللاجئين بالقرب من مساكن الأسينيين. فانضم إلى المسيحية عدد كبير من اليهود الأسينيين، طعموا الكنيسة هناك بأفكارهم الخاصة، جاء فى كتاب دينى صادر من هذه المدرسة الأبيونية الأسينية (انتشر الإنجيل الحقيقى بعد خراب الأماكن المقدسة)...

ويبدو أن الأبيونية الفريسية التى تكلم عنها إيريناوس لم تلبث أن انطمست خصائصها فى الأبيونية الأسينية. وهذا يرجع على الخصوص إلى سيادة الانتاج الأدبى للأبيونيين الأسينيين. هذه الميزة التى أخذت أصولها من المذهب اليهودى الأسينى، الذى اشتهر تابعوه بميولهم التفكيرية وولعهم بالبحث والدرس.

---

(1) Lawar & Oulton, Eusebius Ecclesiastical History, vol. II p 227.

(2) Bethune - Baker. Early Hist. of Christian Doctrine P. 63 Nate 3.

فيعزى إلى هؤلاء الأبيونيين الأسينيين، أنهم وضعوا المؤلفات الأكليمنضية وجميعها بين أيدينا، وكتاب (الخساى) الذى لم تبق منه إلا ملاحظات متناثرة وعدداً كبيراً من كتب أخرى مفقودة، وتنسب إليهم صورة النسك التى رسمها هيجيسبوس Hegesippus (أحد علماء الكنيسة الأولين نحو عام ١٦٠م) للقديس يعقوب الرسول أخى الرب، وكذلك الصورة التى رسمها أكليمنضس فى كتابه المربى للقديس متى الرسول، حيث وصفه بأنه كان يعيش على الحبوب النقل والخضروات وأنه كان يأكل الأطعمة الحيوانية (١) hard - shelled fruits ويظهر أنه كانت لهم بالإضافة إلى إنتاجهم الأدبى حماسة تبشيرية عظيمة، وإلى هذه الحماسة يرجع الفضل فى تعريفنا بالكثير مما عرفناه عن مبادئ هذه الجماعة، وقد جاء السيبادس Alcibiades أحد مبشريهم إلى روما فى القرن الثالث نحو سنة ٢٢٢م، وهو من مدينة أباميا Apam, aea فى سوريا - جاء بكتاب مقدس يحمل اسم Elchasai أو Elxai ولهذا السبب فإنهم أحياناً يسمون بالخسائيين نسبة إلى هذا الكتاب. وقد نجح السيبادس فى مخادعة البابا الرومانى كالستس Callistus ولكن أسقف بورتوس Portus انبرى له وكشف عن خطأ مبادئه وانتصر عليه. وقد وقع الكتاب بين يدى هيبوليتوس Hippolytus (٢) الذى كتب عن الهرطقات ومنه استقينا أهم معلوماتنا عنه.

والكتاب يحتوى على رؤيا قيل أنها كتبت فى السنة الثالثة لحكم الإمبراطور تراجان أى نحو سنة ١٠٠م ولو إننا لا نستطيع أن نقطع بيقين إذا كان حقاً أنها ترجع إلى هذا التاريخ (٣) .

واسم الكتاب لفظ آرامى חֵילְכַסַי ومعناه كما فسره ابيفانيوس بحق، القوة الخفية δυναμις κεκαλυμμένη ويكتب باليونانية بصورة مختلفة على النحو الآتى: Ηλχασαι أو Ελκεσαι أو Ηλξαι ولاشك أن الصورة الأولى أصحها جميعاً وأقربها إلى اللفظ الآرامى، وهى الصورة التى نجدها فى كتاب الهرطقات لهيبوليتوس.

ومن المؤلفين (٤)، من يرى أن اسم الخساى هو اسم الرسول الإلهى الذى أبلغ الرؤيا، ومنهم من يقول أنه عنوان للكتاب فقط، إلا أن هيبوليتوس يرى أنه اسم الشخص الذى ظهرت له الرؤيا، وهو صاحب المذهب.

(١) اكليمنضس، المربى : كتاب ٢ فصل ١ فقرة ٧.

(٢) هيبوليتوس (دحض جميع الهرطقات) كتاب ٩ فصل ١٣ - ١٧.

(3)lightfoot, Dissertations.

(4) Epiphanius.

ومؤدى هذه الرؤيا (١)، أن ملاكاً هائلاً هبط من السماء وظهر فى حجم كبير لألخساى (٢) (يبلغ طوله ٩٦ ميلاً، وعرضه ١٦ ميلاً، ومن الكتف إلى الكتف ٢٤ ميلاً ، ويبلغ طول قدمه ١٤ ميلاً، وعرضها ٦ أميال، وارتفاعها ميلين (٣) هذا الملاك هو ابن الله، وهو ملاك مذكر، وكانت تصحبه ملاك أنثى ذات حجم كبير أيضاً هى الروح القدس، وقد سلم الملاك لألخساى هذا الكتاب فى أرض سيرى.

هذا الكتاب يشتمل على إعلانات جديدة، وفيه التعليم بمعمودية ثانية باسم الله العلىّ وابنه الملك العظيم، من أجل غفران الخطايا Καινηάφεσιςάμαρ - τιων. بدون استثناء أعظم الخطايا وهى الزنى، ومن أجل شفاء الجروح من عضة الكلاب المسعورة والأمراض الشديدة، وذلك بتغطيس المعمدين فى الماء والالتجاء إلى السماء والأرواح المقدسة ملائكة الصلاة وشجرة الزيتون والملح والأرض مع الوعد بترك الشر.

يقول يوسابيوس (٤) أن أوريجينوس ذكر هؤلاء الهراطقة فى خطاب عام عن المزمور الثانى والثمانين. ومما قاله عنهم أنهم أصدروا كتاباً زعموا أنه هبط عليهم من السماء ومن سمعه وآمن نال غفران خطاياه، غفراناً غير الغفران الذى منحه المسيح.

ويقول هيبوليتوس أن السبيادس Alcibiades أوصى (أن من تاب وسمع هذا الكتاب وأمن، نال بالمعمودية مغفرة خطاياه) ... ومن بين نصوص هذا الكتاب قوله (وأقول أيضاً لكم أيها الزناه .. أنه إذا رجعتم غفرت لكم خطاياكم... منذ الوقت الذى تسمعون فيه هذا الكتاب، وتتعمدون مرة ثانية وملابسكم عليكم...) (٥).

والمعروف عن الأبيونيين الأسينيين أنهم نادوا كما نادى الأبيونيون الفريسيون، بوجوب الختان واتباع الناموس القديم واعتباره جزءاً رئيسياً من المبادئ المسيحية. لكن الناموس عندهم. ليس هو الناموس عند الأبيونيين الفريسيين، فقد اقتطع الأبيونيون الأسينيون من الناموس كل العناصر التى لا توافقهم. فرفضوا أسفار الأنبياء بتمامها، كما أنكروا على الخصوص مبدأ الذبائح الدموية، وأدخلوا من عندياتهم بعض عادات وطقوس اظهروا اهتماماً كبيراً بها، منها الغسلات التطهيرية ومنها الامتناع عن الخمر وعن الأطعمة الحيوانية.

---

(1) Lightfoot, Dissertations.

(2) Lawlor & Oulton, Eusebius Ecclesiastical history vol, II. p. 226, seeberg (R.), ,Text - book of the History of Doctrine Vol. I p. 89, Hippolytus.

(٣) يوسابيوس، تاريخ الكنيسة: كتاب ٦ ف ٣٨.

(4) Hippolytus, Refutations of all Heresies, Book IX chap. 8

(5) Hippolytus, Refuctations of all Heresies, Book IX. Chap. 13 - 15 Lawlor & Oulton, Eusebius Ecclesiastical History, vol. II. p. 227. (Note on Book VI, 38).

ونظر الأبيونيين الأسينيون إلى المسيحية على أنها ارتداد إلى الديانة الأولى، وأعنى بها الموسوية الصميمة، قبل أن تفسدها الإضافات الغريبة، وعلى ذلك أنكروا أن سمّى الإنجيل بالعهد الجديد، ولما كان بولس الرسول يتكلم فى رسائله عن زوال العهد القديم وحلول العهد الجديد محله (عب ٧: ١٢، ١٨)، (غل ٣: ٢٤، ٢٥)، ويصف طقوس العهد القديم بأنها ظل الأمور العتيدة (كو ٢: ١٧) وأنها موضوعة إلى وقت الإصلاح (عب ٩: ١٠). وأنها رمز للوقت الحاضر (عب ٩: ٩)، ووصف الناموس بالعجز (رو ٨: ٣) ووصف قواعده بالأركان الضعيفة الفقيرة (غل ٤: ٩) وأنه لا نفع منها (عب ٧: ١٨) (غل ٥: ٦)، (٦: ١٥)، وصرح أن بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما (غل ٢: ١٦)، (رو ٣: ٢٨)، وأخذ يوبخ الذين يريدون أن يعودوا إليها من جديد (غل ٤: ١٠)، وأبان أ المسيح وسيط لعهد جديد (عب ٩: ١٥)، (١٢: ٢٤) وهو أفضل من العهد القديم (عب ٧: ٢٢)، (٨: ٦) لهذا كله كره الأبيونيون بولس الرسول كرهاً شديداً وأنكروا سلطانه الرسولى كما احتقروا رسائله، وبلغ من امتهانهم له ولكتاباته أنهم كانوا لا يقبلون ولا حتى مجرد اسمه، فإذا ذكروه صبوا عليه اللعنات والشتائم، وهذا يتضح من المؤلفات الروائية المنسوبة لإكليمنضس الرومانى والمعروفة بالإكليمنضيات.

وأما عقيدتهم فى السيد المسيح فهى كعقيدة الأبيونيين الفريسيين، قالوا أنه ولد كما يولد سائر الناس، فهم ينكرون ولادته من عذراء بغير زرع بشر، ولكنهم اختلفوا عن الأبيونيين الفريسيين، فى قولهم أن الكلمة أو حكمة الله قد تجسد أكثر من مرة، وأن المسيح هو آخر حلقة من سلسلة الأنبياء أو المسحاء الثمانية الذين أعلنوا الحق الإلهى، ومنهم آدم وإبراهيم وموسى، وعلى رأسهم السيد المسيح...

هذا، والأبيونيون الإسينيون لا يأكلون اللحم، ولا يشربون الخمر، ولهذا فإنهم يقدمون فى سر الأفخارستيا، الماء بدلاً من الخمر (١)، على عكس الأبيونيين الفريسيين الذين كانوا يصنعون الأفخارستيا بالخمر الصرف والفطير...

وعلى العموم، فإن الأبيونية الأسينية ذات اتجاه غنوسى واضح أو قل هى الغنوسية فى دائرة المذاهب المسيحية المتهودة (٢).

أما الإكليمنضيات المنسوبة إلى إكليمنض الحبر الرومانى، وهو فى حقيقتها من وضع الأبيونيين الأسينيين، فتتألف من كتابين معروفين هما المواعظ ثم الاعترافات.

---

(1) Epiph. H. 30. 16; 19. 3.

(2) Hippolytus, Refutations of all Heresies, B. IX. Chap. 13 ff. Eusebius, Eccles. History B. 6. 38. Epiph. H. 19 Seeberg (R.) History of Doctrine, Vol. I. p.

والمواعظ، كتاب لا يزال موجوداً باللغة اليونانية، وربما يرجع إلى منتصف القرن الثانى أو إلى النصف الثانى منه، ويتألف من عشرين عظة تجمع بينها وحدة التأليف (١).

فى هذا الكتاب يظهر سيمون الساحر، المبتدع الذى تتمثل فى شخصه كثير من الهرطقات المزعجة، ولهذا يدحض القديس بطرس أقواله ويحرم تعاليمه، ويلمح الكتاب إلى القديس بولس، وكأنه أحد المعلمين الكذبة الذين يندد بهم فى شخص سيمون، ومما يقوله القديس بطرس يوصى به سامعيه قوله: (تجنبوا أى رسول أو معلم أو نبى يعلم تعليماً لا يشابه أولاً تعليم يعقوب المسمى أخا ربى، والمؤتمن على رعاية كنيسة العبرانيين فى أورشليم، ولا يأتيكم بشهادات، وإلا فإن الشر الذى نازع الرب أربعين يوما ولم يغلبه، ينزل بعد ذلك على الأرض كالبرق من السماء، ويرسل إليكم داعية يقاومكم، كما حرض سيمون ضدنا ليعظ باسم ربنا ويزرع الضلال زاعماً أنه الحق، بينما إن الذى أرسلنا قال لنا: (كثيرون سيأتون إلىّ (٢) بثياب الحملان، لكنهم من داخل ذئاب خاطفة (٣)، ولا شك أن الكتاب يشير هنا بوضوح إلى رفض القديس بولس لرسائل التوصية (٤) كما يشير إلى المشهد الذى حدث فى الطريق إلى دمشق (٥).

وينسب فصل آخر من كتاب المواعظ إلى القديس بطرس: أنه قال بأن مجئ السيد المسيح لابد أن يسبق بظهور الدجال، والنبى الحقيقى ينبغى أن يسبق بالنبى الكذاب، ثم يطبق هذه القاعدة بالنسبة إليه وإلى سيمون، ويضيف قائلاً: لو كانوا قد عرفوه ἐγινώσκετο لما صدّقوه، ولكن لأنهم لم يعرفوه ἀγνοούμενος لهذا آمنوا به خطأ ... إنه الموت... لقد طلبوه كما لو كان مخلصاً ... إنه مخادع ... ومع ذلك سمعوا له كما لو كان يتكلم بالحق (٦). ويبدو أن الكاتب يستغل هنا كلمات القديس بولس فى مهاجمته له: (كمضلين ونحن صادقون، كمجهولين ونحن معروفون كمائتين وها نحن نحيا) (٧).

ونجد فى فصل ثالث من الكتاب، إشارة واضحة غاية الوضوح إلى رواية الرسول بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية عن النزاع القائم فى مدينة أنطاكية، حيث ينسب المؤلف إلى القديس

---

(١) وقد طبعها درسل Dresel فى جوتنجن Goettingen سنة ١٨٥٣ ثم De Lagardo فى ليبزج Leipzig سنة ١٨٦٥.

(٢) نص الآية كما جاء فى الإنجيل هو: احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة (مت ٧: ١٥).

(٣) كتاب المواعظ ١١: ٣٥ راجع أيضاً:

Lightfoot (J. B.Dissertations on the Apost, Age. P. 84, 85.).

(٤) (أفنبتدئ نمدح أنفسنا، أم لعلنا نحتاج كقوم رسائل توصية إليكم أو رسائل توصية منكم) ٢. كو ٣: ١.

(٥) أع ٩: ٣ـ ٩.

(٦) المواعظ ٢: ١٧ ـ ١٨ راجع أيضاً: Lightfoot, .Dissertations

(٧) ٢. كو ٦: ٨، ٩.

بطرس الرسول أنه قال لسيمون الساحر، « فإذا كنت إذن عرفت يسوع الذى نعرفه نحن وتحدثت إليه وأنت فى رؤيا، فقد غضب عليك يسوع كما يغضب على عدو، ولهذا تكلم معك فى رؤى وأحلام بل وفى إعلانات خارجية، أفهل يستطيع أحد أن يصبح حكيماً من تعليمه عن طريق الرؤى؟؟ فإذا قلت أنه يستطيع ذلك، فلماذا أقام المعلم معنا وتحدث إلينا سنة كاملة ونحن فى صحو (يقظة)؟ ثم كيف يمكن أن نصدقك فى هذا (الأمر)، أنك رأيت يسوع؟ كلا، إذ كيف يمكنك أن تراه، وأفكارك تعارض تعليمه؟ فلو أنك رأيته وتعلمت منه ساعة واحدة لأصبحت رسولاً، لذلك بشر بكلماته ، واشرح تعليمه، وأحبب رسله، ولا تحاربنى أنا رفيقه، لأنك قاومتنى وخاصمتنى ἐναντίος ἄνθἔστηκαςμα أنا الصخر المكين، أساس الكنيسة، فلو لم تكن خصماً لما طعنت فى تبشيرى، ولما افتريت علىّ حتى لا يصدقنى الناس، بينما إنى إنما أخبرت بما سمعته بنفسى شخصياً من الرب، كما لو كنت حقاً أنا الملوم (١) (Καταγνωσθἔντος) وأنت المقدر غاية التقدير، كلا إذا كنت أنت تدعونى ملوماً Κατεγνωσμἐνον فأنت تتهم الله الذى أظهر لى المسيح، وتهاجم من دعانى مباركاً فيما أعلن إلى (٢) (Τοῦ ἐπἰ ἄποκαλυψει μακαρισαντος με)

بهذه الروح اللاذعة سلب كاتب المواعظ من القديس بولس جميع انتصاراته التبشيرية وخلعها على خصمه المزعوم، ويمضى الكاتب فى هدم شخصية القديس بولس الرسولية، فيعتبر بطرس رسول الأمم بدلاً من بولس الرسول، وينسب إلى برنابا أنه زميل للقديس بطرس، ويقول أيضاً عن أكليمنض أنه تلميذ للقديس بطرس لا للقديس بولس.

وتلحق بكتاب المواعظ رسالة من القديس بطرس إلى القديس يعقوب الرسول تسمّى الاحتجاج δια-μαρτυρια لابد أن تكون من تأليف الأبيونيين الأسينيين، وإن لم تكن جزءاً من نفس الكتاب. ومن ثم تعد بينة أخرى على كراهيتهم للقدس بولس...

فى هذه الرسالة يستنكر القديس بطرس ما فعله الراجعون إلى الله من الأمم الذين رفضوا تعليمه الصحيح، وقبلوا تعليماً غبياً لا سند له من الشريعة، وهو من تعليم أعداء الإيمان.

Τοῦ ἐχθροῦ ἄνθρώπου ἄνομὸν τινα καὶ φλύαρωδη διδασκαλἰαν

(١) غل ٢: ١١، ١. يو ٣: ٢٠، ٢١، تث ٢٥: ١، أم ٢٨: ١١ سى ١٤: ٢، ١٩: ٥.
(٢) والإشارة هنا إلى ما جاء فى مت ١٦: ١٧.

ويجأر القديس بطرس بالشكوى من (أشخاص حاولوا بتأويلات ملتوية أن يفسدوا كلماته، وينسبون إليه أنه قال بزوال الناموس القديم مدعين أن هذه كانت عقيدته لكنه لم يكن يعلم بها جهاراً)..

+ + +

أما الاعترافات، فهى كتاب كامل، يعتقد أنه أحدث عهداً من المواعظ، ويقوم بعضه فيما يظهر على كتاب (المواعظ) أو على كتاب آخر أقدم عهداً، ربما كان الأصل الذى ترجع إليه (المواعظ) أو (الاعترافات) معاً، ويقوم بعضه الآخرعلى وثائق أخرى عرفت عن طريق الترجمة اللاتينية لروفينوس Rufinus الذى أحدث فى النص الأصلى تغييراً كبيراً...

ويلاحظ فى (الاعترافات) أنها عدلت عن النزعة المتشددة التى يتميز بها تعليم الأبيونيين الأسينيين فى كتاب المواعظ، وهدأت من الهجمات المرة والكلمات اللاذعة التى انهالت بها المواعظ - ولو تلميحاً - على القديس بولس الرسول، ولا ندرى إذا كانت هذه النغمة المعتدلة هى من فعل المؤلف الأصلى للكتاب أم من فعل المترجم روفينوس.

على أن فى الكتاب فقرة واحدة ربما أفلتت عن غفلة أو تركت عن عمد، إذ فيها إشارة إلى القديس بولس، وإن كانت شديدة الخفاء بحيث لا تبدو فيها إهانة واضحة له، ولذلك يعتقد أنها منقولة من كتاب آخر، لعله (سلم يعقوب).

ΑναΒαθμοι ΙακώΒου

ومؤدى هذه الفقرة أن عدواً Home quidam inimicus أثار شغباً ضد الرسل وهجم على القديس يعقوب، وأمسكه بيديه ورماه على سلم الهيكل، ولم يكف عن ضربه إلا بعد أن أيقن أنه مات، وحدث بعد ذلك أن علم الرسل سراً عن طريق غمالائيل أن هذا العدو inimicus ille home كان قد أرسله قيافا فى مهمة إلى دمشق ليضطهد الرسل ويقتلهم، ولكى يعتقل خصوصاً بطرس الذى اعتقد أنه هرب إلى هناك (١)، ويبدو أن لهجة الكتاب الأصلى كانت أكثر عنفاً وشدة فى الهجوم على القديس بولس، مما يظهر فى هذه الفقرة، لأن القديس أبيفانيوس يقرأ عن بولس فى كتاب (سلم يعقوب) الآنف الذكر (أنه كان من سلالة أمية، وأنه كان قادماً إلى أورشليم، راغباً فى أن يتزوج من ابنة الكاهن الأعظم، فتهود واختتن، ولما خاب أمله، ارتد عن اليهودية وأخذ يهاجم الفرائض الموسوية بشدة (٢).

ومن المبادئ الهامة التى اشتملت عليها كتب الأبيونيين قولهم أن الله هو الكل Τὸ πάν والمسيح قد صدر عن الله، وكذلك العالم صدر من الله، وهذا

---

(١) الاعترافات ١: ٧٠، ٧١ راجع Lightfoot, Dissertations p. 87.
(٢) أبيفانيوس: الهرطقات ٣٠ - ١٦.

الصدور يقتضى حدوث تغيير Τροπή فى الله (١). والله هو نفسه جسم σώμα وله شكل ظاهر σχῆμα (٢). وليس هناك غير إله واحد هو الذى خلق العالم، وهو القاضى العادل، والمسيح ابن الله لكنه ليس هو الله.

οὔτε ἑαυτον θεὸν εἶναι ἀνηγόρευσεν

لأن الله جوهر غير مولود، أما المسيح فمولود (٣).

والعالم يسير على مبدأ الازدواج Dualism والتنافر Antagonism وتوجد تبعاً لقانون التنافر مجموعتان من الأنبياء: المجموعة الأولى من الذكور والمجموعة الثانية من الإناث، وتتمثل الأولى فى آدم، والثانية فى حواء، ومن هذه المجموعة الأخيرة أو الأنثوية جاءت الأمم الوثنية واليهودية الكاذبة، ومنها تصدر الحروب وعبادة الأوثان والذبائح الدموية، أما النبى الحقيقى وهو المسيح أو آدم (فلما كان يتغير على الدوام منذ بدء العالم فى اسمه وشكله، فإنه يتدرج إلى أن يبلغ إلى الأزمنة المعينة. وإذ قد مسح من الله بفضل جهاده فإنه سيجد راحة إلى الأبد (٤)، هذا النبى الحقيقى قد علم الحق لاسيما فى آدم وموسى، وفوق الكل فى المسيح...

والإنسان حر مريد (وقد أوصى بالأمور التى تليق به أن يفكر فيها ويفعلها لذلك تخير ما يكون فى قدرتك)(٥)، وعلى ذلك، يجب علينا أن نتمم وصايا الله...

ولا ينتظر الأبيونيون الأسينيون ملكوتاً أرضياً ثيوكورانيا كما يفعل الأبيونيون الفريسيون.

وأما عن الطقوس (فالمواعظ) لا تذكر طقس الختان، بل أن الاعترافات لا تجيزه، غير أن فى الكتابين نصوصاً واضحة عن الغسلات التطهيرية (٦)، وعن الاكتفاء بالطعام النباتى دون الحيوانى (٧) وعن تحريم الزواج (٨)، وتحريم الذبائح الدموية (٩).

وظلت الهرطقة الأبيونية بأقسامها تقاوم كنيسة الله الأرثوذكسية بضعة قرون، ويبدو أنها تركزت فى شرق فلسطين.. فى نهاية القرن الرابع للميلاد، وإن انتشر بعض أتباعها فى كبرى مدائن الإمبراطورية، غير أن بقاءها لم يدم طويلاً بعد ذلك، فقد اختفت تقريباً فى نحو منتصف القرن الخامس واندمج أتباعها تدريجياً، إما فى الكنيسة المسيحية أو فى الكنيسة

---

(١) المواعظ ١٧: ٧. (٢) المواعظ ١٦: ١٥، ١٦.
(٣) المواعظ ٢: ١٥، ١٦، ١٧، ٣٣، ١٧: ٧، ٨، ٩، ٢٠: ٨.
(٤) المواعظ ٣: ٢٠، قارن الاعترافات ٢: ٢٢.
(٥) المواعظ ١١: ١١، ١٠: ٤ قارن المواعظ ٢: ٣٦، ٣: ٢٢، ٢٣، ٨: ٤٨.
(٦) المواعظ ٩: ٢٣، ١٠: ٢٦، الاعترافات ٤: ٣، ٥: ٣٦.
(٧) المواعظ ١٢: ٦، ١٥: ٧، ٨: ١٥، ١٤: ١..
(٨) المواعظ ٣: ٦٨ ـ الرسالة إلى القديس يعقوب ٧ ـ
(٩) المواعظ ٢: ٥٢، ٥٣: ٣ـ ٤٢.

لليهودية، وأغلب الظن أنهم اندمجوا أو امتصوا فى الكنيسة اليهودية، نظراً لأنهم كانوا أكثر التصاقاً بالناموس القديم منهم بشريعة السيد المسيح.

وهكذا ذهبت الأبيونية، كما ذهب غيرها من الهرطقات، التى ناوأت المسيحية، لقد حاولت الأبيونية أن تسلب المسيحية خصائصها العالمية وتردها إلى حدود اليهودية الضيقة فلم تفلح، لأن مبادئ المسيحية قوية راسخة، وهى من الصمود والثبات بحيث لا تستطيع الأبيونية وغيرالأبيونية أن تزعزعها أو تقاومها، أو تسلبها سلطانها الذى ملكت به على قلوب الكثيرين من كل شعوب العالم الذين استهوتهم بمبادئها الإلهية السامية، فوحدت بينهم فى جامعة الإيمان وانطوى تحت لوائها اليهود واليونان...

وظل المسيحيون الأرثوذكسيون على إيمانهم بلاهوت السيد المسيح، ومولده على غير الطبيعة من الروح القدس والبتول الطاهرة مريم العذراء، على الرغم من مزاعم الأبيونيين وترهاتهم، ولا زال الأرثوذكسيون يعتقدون فى الرب يسوع أنه المسيا وهو الأقنوم الثانى من الثالوث الأقدس، وهو كلمة الله الكائن فى الذات الإلهية منذ الأزل. وقد تجسد فى الزمان، وظهر بين الناس إنساناً مثلهم، وهو لم يزل قائماً فى السماء مع الآب والروح القدس، يتقبل ضروب العبادة والسجود من الملائكة والناس، وتألم ومات بالجسد، دون أن يفارق لاهوته ناسوته ومن دون أن يتألم لاهوته.

كذلك استمر المسيحيون الأرثوذكسيون على احترامهم للقديس بولس الرسول وتصديقهم بارساليته، وحقيقة دعوته بين رسل السيد المسيح، وأنه المعيّن لخدمة الإنجيل بين الأمم، وأنه لا يقل شيئاً عن سائر الرسل، بل لعله من أبرز الرسل وأعظمهم خطراً، تحتل سيرته ورسائله مكانة كبيرة فى التعليم المسيحى، وتقرأ رسائله فى كل قداس وفى كل خدمة كنسية أخرى، تقديراً لمعانيها وانتفاعا بما فيها، ويوصف الرسول بولس فى كتب الكنيسة بأنه لسان العطر، وفيلسوف المسيحية والناطق باسمها، فلم ينل منه هجوم الأبيونيين منالاً بل زاده جلالاً على جلال، وعرف المسيحيون الأرثوذكسيون قدره، وأحبوه وأكرموه، وأطلقوا اسمه على كنائسهم، وعلى أولادهم، تيمناً بشخصه، وتبركاً بحياته وتمثلاً بجهاده.

الأريوســـية

الأريوسية

عندما جاء القرن الرابع للميلاد، لم تكن العقيدة المسيحية قد تحددت فى مصطلحات ثابتة نهائية، ومع ذلك كان هناك تقليد واضح مستقر فيما يتصل بشخص ربنا يسوع المسيح.

وظلت الكنيسة المسيحية فى الثلاثة القرون الأولى تعانى الإضطهاد والتعذيب فلما تخلصت من نير الاضطهاد، وتنسمت الراحة من آلام الأعداء الظاهرين، وأصبحت الدولة مسيحية وحامية للديانة المسيحية، وقعت الكنيسة فريسة لآلام من طراز آخر، فقد كان عليها أن تجابه بعض الهرطقات التى قادها قوم مسيحيون، ولكنهم لم يكونوا مسيحيين كاملين. فقد أخذوا عن الوثنية وفلسفتها بعض أفكار لم يتحرروا منها، فخلطوها مع العقائد المسيحية الأصلية، وكونوا من هذا الخليط عقيدة جديدة، أزعجت الكنيسة وبلبلت أفكار المؤمنين بالمسيح ردحاً طويلاً من الزمن، وكأن الكنيسة لم تكد تحصل على السلام والخلاص من أعدائها الخارجيين، حتى اضطرب سلامها من جديد بفعل أعداء داخليين، هؤلاء الأعداء الأخيرون هم أريوس وأتباعه، الذين أرادوا أن يقحموا على ديانة المسيح عناصر من ديانات أخرى ومن مذاهب فلسفية وثنية، يلبسونها لباساً مسيحياً، ويصبونها فى قوالب مسيحية، وهى من المسيحية براء والمسيحية منها براء .... ومع ذلك يزعمون أنهم لم ينشئوا مذهباً جديداً، ولكن يكفى أنهم قدموا تفسيراً جديداً، تفسيراً يتعارض مع التفسير الذى رعاه التقليد الرسولى، وصانه منذ نشأة الكنيسة فى العصر المسيحى الأول...

أريوس وتعاليمه

ولعل أريوس فى مبدأ الأمر كان مسيحياً مخلصاً، قصد إلى أن يقدم تفسيراً مسيحياً ظنه التفسير الكامل لعقيدة المسيحيين فى المسيح. وكان يهدف إلى أن ينشئ نظرية فيما يختص بشخص المسيح، نظرية تخلو من الصعوبات التى تثيرها المفهومات السائدة فى عصره، وتحل المشكلات التى كانت تقف أمام أذهان بعض الناس فى زمانه، الذين كانت أذهانهم لا تزال وثنية على الرغم من مسيحيتهم ، ولكن أريوس أثبت أنه كان حقاً جاهلاً بالحقيقة المسيحية فى المسيح، وأنه كان فى حاجة ماسة إلى أن يتعلم التعليم الصحيح، قبل أن يزعم لنفسه الحق فى أن يعلّم أو يفسر كلمة الحق باستقامة...

وتنطوى النظرية الأريوسية على أن هناك الله، كما أن هناك ابن الله، ولكن القول بابن الله يجب ألا يمس وحدانية الله، فقد كان أريوس يتمسك أشد التمسك بفكرة الوحدانية. وكان يصر أولاً وقبل كل شئ على بساطة الله وعلى تفرده، وعلى أنه واحد وحدانية مطلقة كاملة، وأنه عال علواً تاماً وأنه بعيداً بعداً مطلقاً، وأنه لا يمكن معرفته ولا إدراكه، Inaccessible كما لا يمكن أن ينطق به، وأنه خفى وفى خفاء أزلى أبدى، وأن هناك هوة لا نهائية تفصل بينه وبين الناس.. ولقد أراد الله أن يخلق العالم، ولكنه بمقتضى طبيعته لا يمكنه أن يخلق الكون المادى

مباشرة، ولذلك فقد خلق اللوغوس لهذا الغرض بصفته إيناً له (وهذا هو السبب عند أريوس فى وجود الابن) وعلى ذلك فإن ابن الله موجود قبل الزمان وقبل العالم، بغير جسد، ومتميز عن الآب. فهو كائن متوسط بين الآب وبين العالم...

ويقول أريوس فى خطاب له إلى يوسيبيوس أسقف نيقوميديا Nicomedia وقد وصفه بأنه « زميله فى إتباعه مذهب لوقيان »، وأنه « الورع الحقيقى » εὐσεβής وقد أورد هذا الخطاب ثيودوريت (١) Theodoret.

« ونحن نقول، ونؤمن، وقد علمنا أن الابن ليس إلا مخلوقاً، كما أنه ليس بحال ما جزءاً من غير المخلوق، وأنه لم يحصل على وجوده من أية مادة، ولكنه بمشيئته وجد قبل الزمان وقبل الدهور كإله تام، مولود وغير متغير، وأنه قبل أن يولد أو يخلق أو ينتوى أو يؤسس، لم يكن موجوداً، إذ أنه ليس غيرمولود، أننا نضطهد لأننا نقول أن الابن له بداية، ولكن الله ليست له بداية... ولأننا نقول أنه من العدم، نقول هذا لأنه ليس جزءاً من الله ولا جزءاً من أى كائن جوهرى.

ولا شك أن هذه العبارة إشارة إلى الفكر التى تنطوى عليها كلمة ὁμοούσιος ومعناها من جوهر سابق على الآب والابن، أخذ كل من الآب والابن بنصيب مساو للآخر منه.

وقد بنى أريوس نظريته فى أن الابن مخلوق على فكرتين:

الأولى: لما كان المسيح تبعاً لتعاليم الإنجيل هو ابن الله، فهو متأخر فى الوجود عن الله....

وحجة أريوس فى هذا قائمة على أساس التشابه بين بنوة المسيح لله، وبين البنوة فى عالم الإنسان، فكما أنه فى عالم الإنسان يوجد الابن بعد والده فى الزمان. كذلك الحال فيما يتصل بالكلمة أو الابن، لم يكن الابن موجوداً ثم وجد بعد ذلك، فالآب أسبق من الابن فى الوجود، وعلى ذلك فهو متأخر عن الآب فى الوجود، وبالتالى فهو مخلوق من الآب.

الثانية: أن الآب متفرد تفرداً تاماً، كما أنه روحانى روحانية مطلقة، وهذه حقيقة لاهوتية يرى أريوس أنه يجب أن نحرص على عدم المساس بها:

(أ) وفى نظره أن فكرة الولادة لا تتفق مع روحانية الله وتفرده، لأن الولادة تقتضى المادية كما تقتضى الشهوة الجنسية وما يتبعها من إحساسات وهذه كلها صفات بشرية لا يليق أن تنسب إلى الله...

(ب) ثم أن الولادة تقتضى أيضاً نوعاً من التغير، بينما أن الله غير قابل للتغير على الإطلاق.

---

(١) فى كتابه تاريخ الكنيسة ١ : ٤ (٥).

(جـ) ثم أن الولادة تقتضى أيضاً وحدة الطبع أو الطبيعة بين الوالد والابن المولود منه، وهذا يهدم صفة التفرد التى يتصف الله بها... ومن صفة الألوهة عدم التوالد.

ولذلك يقول أريوس: لا يمكن أن يكون الابن قد وجد من أو عن جوهر الآب، وإنما وجد الابن بعملية خارجية محدودة، أو بفعل صادر عن إرادة الآب ... وعلى ذلك فقد كان الآب وحده هو الموجود أولاً، ثم بعد ذلك أوجد الابن من العدم ... وعمل الآب فى هذه الحالة هو فعل الخلق سواء بسواء،... وإذن فالابن (عند أريوس) مخلوق من الآب.

على أساس هاتين الحجتين أو الفكرتين بنى الأريوسيون نظريتهم فى عدم أزلية الابن، وأنه مخلوق، ولو أنهم يقولون بوجوده قبل الزمان وقبل جميع الخلائق، وأنه ليس كسائر الخلائق من حيث أن جميع الخلائق خلقت بواسطته بينما أنه هو قد خلق بطريق مباشر بفعل إرادة الآب، ولما كان مخلوقاً وخارجاً عن وجود الآب وكيانه، فلابد أن يكون خاضعاً للتغيير الذى تخضع له الكائنات المخلوقة. وإذن لابد أن يكون محدوداً فى قوته وحكمته ومعرفته !!! وهو ذو إرادة حرة، وذو طبيعة قابلة للتغير، كما أنه عرضة للخطأ الأخلاقى، وعلى ذلك فلا بد له من أن يعتمد على معونة النعمة، ولكنه استطاع أن يحيا بلا خطيئة بفضل صلاحه وتقواه وبتدريبه المتواصل لإرادته.

ولكن، على الرغم من أنه فى هذا كله هو أقل من الآب، إلا أنه مع ذلك هو ابن الله بالحقيقة، وله أن يعبد وأن يسجد له... وهو اللوغوس الذى لبس جسداً بنفس حية أو حيوانية... وهو الوسيط الذى خلق الكون كله بواسطته، ثم تجسد بعد ذلك فى شخص يسوع المسيح...

هذه هى النظرية التى سعى إليها أريوس، إلى أن يوفق بين التصورات الوثنية، والتصورات المسيحية فيما يتصل بالله وبالكون ... ويبدو لنا من هذا بوضوح أن يسوع فى نظر أريوس لم يكن إنساناً حقيقياً ولا إلهاً حقيقياً... ولقد ظهر هذا جلياً فى ذلك الوقت لبعض من أقدر قادة الفكر المسيحى وأبعدهم نظراً، وأحدهم ذكاء وبصيرة، ولكن تعليم الكنيسة لم يكن حتى ذلك الوقت قد تحدد على الدقة... حقاً أنه لم يكن تعليماً ملتبساً ... ولكنه كان على أى حال ينقصه التعبيرات والمصطلحات المحددة... ويبدو لكثيرين أن هذا النقص ساعد على ظهور البدعة الأريوسية، بالإضافة إلى بعض نصوص الكتاب المقدس التى بدا أنها تؤيد تلك البدعة..

نشأة النزاع الأريوسى وأسبابه

نشب النزاع الأريوسى فى مدينة الأسكندرية نحو عام ٣١٨م، وكان أريوس قسيساً لإحدى كنائس الأسكندرية، وكان ناسكاً وقوراً، واشتهر بعلمه ومهارته فى المنطق. وبدأ النقاش باعتراض، أثاره أريوس على خطاب ألقاه ألكسندروس أسقف الأسكندرية عن سر التثليث ... ويظهر أن ألكسندر ألح فى خطابه على وجود الابن مع الآب منذ الأزل، فاعترض أريوس على

هذه العبارة. وأصر على القول بأن الله وحده هو الأزلى، أما جميع الكائنات الأخرى بما فيها الابن لابد وأن تكون مخلوقة بفعل من أفعال الإرادة الإلهية .

ومذهب أريوس يمكن إرجاعه إلى مذهب لوسيان فى أنطاكية... ولوسيان هذا (وقد توفى سنة ٣١١ أو ٣١٢م) علم تعليماً مقارباً من تعليم بولس السموساطى، وهو أن الله واحد وأن اللوغوس الإلهى كائن مخلوق أرسل إلى العالم وقد اتخذ طبيعة بشرية من أجل أن يعلن الآب...

ولكى يقدم من شخصه مثالاً ونموذجاً للجنس البشرى ... وبفضل تقدمه شيئاً فشيئاً وبفضل مثابرته فى الفضيلة، بلغ حالة من الكمال لا يمكن تغييرها. ويظهر أن لوسيان قد جمع بين نظريات بعض الهراطقة القدامى فى المسيح، وبين بعض المذاهب الفلسفية المنتشرة فى الشرق مثل الأفلاطونية الجديدة، وذهب فى سبيل شرح آرائه إلى تفسير الكتب المقدسة تفسيراً حرفياً، وهو التفسير التقليدى الذى كان متبعاً فى كنيسة أنطاكية... ولما كان أريوس تلميذاً للوسيان، فقد ورث عن معلمه فكرته عن الله، وهى فكرة وثنية فى حقيقتها، نقلها لوسيان عن الأفلاطونية التى ترى الله كائناً سامياً، فائقاً، عالياً على المادة، منفرداً بالذات، لا يعبر عنه، ولذلك فهو فى حاجة إلى وسيط بينه وبين الكون المخلوق ، هذا الوسيط أو واسطة الخلق يجب أن يكون سابقاً فى وجوده على وجود الخليقة أو الكون، لكنه هو نفسه مخلوق، ولا يمكن أن يكون لله ابن بالمعنى الدقيق، إذ أن نسبة فعل الولادة إلى الله يقتضى أن تنسب إلى الألوهة صفة المشاعر الجسدانية وحركاتها، وهذا يجعل الله عرضة لقوانين الضرورة الميكانيكية... لأن الولادة γέννησις بالنسبة إلى الكائن الإلهى ليس لها معنى، إلا أنها فعل إرادى لهذا الكائن به يخلق ابناً من العدم، وليس لفظ « الولادة » إلا مرادفاً للفظ « الخلق »...

ولا شك أن هذا المذهب الذى يصور الله بهذه الصورة، هو فى حقيقته مذهب مؤلف من عناصر سابقة على المسيحية... إنه يعود بنا إلى الفكر الوثنى، وإلى تصور كائن مخلوق ليس هو بإله ولا هو بإنسان، إنه نصف إله يقف فى مركز متوسط بين الخالق وبين الكون، وهو ينطوى على مبدأ الشر بعينه، وفى هذا يقول القديس أثناسيوس « إن هذه الأفكار وثنية، Ελλήων ἴδια ταντα (١).

وينحصر مذهب أريوس فى الابن فى قضيتين:-

(أ) أن الابن ليس أزلياً مع الآب.

«إنه كان ولم يكن» ἦν ὁτεονκ ἦν

(ب) أن الابن كائن مخلوق ἔξοὐκ ὀντων ἐγὀνετο

خلق (ولد) ولم يكن له قبلاً وجود.

(١) مقالات القديس أثناسيوس فى الرد على الأريوسيين: المقال ١ : ١٨ ، قارن الخطبة ٣ : ١٥ ، ١٦ .

وإذا كان الابن على قول أريوس، مخلوقاً، فإنه ليس أزلياً مع الآب συναιδιος τῷ πατρὶ إنه لا يزيد عن كونه «قوة عظيمة» من قوى الله، شأنه شأن الجراد الذى وصفه النبى يوئيل (١) أنه يعتمد على «النعمة» grace وله طبيعة المخلوقين، قابل Capable للخطيئة، ولو أنه بلا خطيئة، وهو قابل أيضاً للتغير كما هو الحال فى سائر الخلائق. τρεπτὸς φύσει ὡς τὰ κτισματα هو فى جوهره essence غريب عن جوهر الله ξενος ἄλλότριος وليست له معرفة تامة، ولذلك لا يمكنه أن يعلن الآب، واتحاده بالله ليس إلا اتحاداً من نوع نسبى أو أدبى moral ، بمعنى انسجام إرادته مع إرادة الله، وخضوع إرادته لإرادة الله (٢). ولما كان المسيح فى نظر أريوس قابلاً للتغير τρεπτος فإن صلاحه ليس صلاحاً جوهرياً ذاتياً، وعلى ذلك فإن بنوته للآب جزاء لثباته ومثابرته وفقاً لسبق علم الله به .....

فالمسيح، مؤله بالمشاركة μετοχή ἐθεοποιήθη ثم أن الطبيعة الناسوتية التى اتخذها اللوغوس المخلوق، غير كاملة إذ المسيح المتجسد إذ كان نفساً عاقلة νοῦς بل أن يتخذ طبيعة الإنسان .... واتحد اللوغوس فى المسيح بجسم إنسان ونفس حيوانية ψυχή ἄλοχος (نفس غير ناطقة) ....

وهنا... يجدر بنا أن نشير إلى أن مذهب أريوس - فى هذه النقطة - قد اعتنقه فيما بعد أبوليناريوس.

---

(١) يؤ ٢: ٢٥ قارن أيضاً خطب أثناسيوس ضد الأريوسيين ١: ٥.

(٢) راجع مقالات أثناسيوس فى الرد على الأريوسيين، مقال ٣: ١٠.

تاريخ النزاع الأريوسى
حتى مجمع نيقية

بدأ أريوس يثير الإنتباه إلى مذهبه الجديد فى سنة ٣١٧، وحاول الكسندر بأسلوب ودى فى مبدأ الأمر أن يقنعه بالعدول عن رأيه، لكن أريوس أصر على موقفه، ولم تفلح معه كل أساليب الإقناع والجدل، فجمع البابا مجمع الكرازة المرقسية فى عام ٣٢١ وحكم المجمع برياسة البابا لكسندروس بتجريد أريوس من رتبته الكهنوتية. على أن أريوس وجد من يسانده فى مصر وخارج مصر، ولاسيما زملاؤه فى التلمذه من أتباع لوقيانوس، الذين كانوا يحتلون بعض مراكز القوة والنفوذ. وقد كسب على الخصوص تعضيد يوسبيوس أسقف العاصمة نيكوميديا، الذى كان يتمتع بمكانة كبيرة عند الإمبراطور، (وقد سجل ثيودوريت فى كتابه تاريخ الكنيسة نص خطاب أريوس إلى يوسبيوس أسقف نيكوميديا وكذلك كتاب يوسبيوس إلى باولينوس Paulinus أسقف صور) (١). وجمع يوسبيوس مجمعاً فى نيقوميديا، وأرسل من قبله رسائل إلى الأساقفة فى تعضيد أريوس... فأمال معه عدداً كبيراً منهم إلى الاعتقاد بأن أريوس حوكم ظلماً ... وبذلك تفاقمت المشكلة، وتعقدت، بصورة لم تكن متوقعة... وكان لابد لبابا الأسكندرية أن يدافع عن موقفه ويبرز الأسباب التى دعت المجمع الأسكندرى إلى تجريد أريوس من كهنوته، وأرسل الشماس أثناسيوس الذى صار فيما بعد خلفاً لالكسندروس إلى أساقفة العالم المسيحى، بتفصيلات قضية أريوس وأعمال المجمع الذى انعقد لمحاكمته فى الأسكندرية سنة ٣٢١، مذيلاً بتوقيعات الأساقفة الذين حضروا وأيدوا الحكم بتجريده (٢)، وقصد ألكسندروس بهذا أن يضع الحقائق أمام أساقفة العالم بأسره، إظهاراً لسلامة تصرفه، وعلم الإمبراطور قسطنطين بالمشكلة، وكان ميالاً إلى السلام، وإلى صيانة وحدة الكنيسة، وطلب إليه أن يتدخل، فأرسل خطاباً إلى البابا ألكسندروس سنة ٣٢٤ يدعوه إلى العمل على السلام، وذلك بإعادة أريوس إلى رتبته، وقد حمل هذا الخطاب هوسيوس أسقف قرطبة - أحد كبار مستشارى الإمبراطور - فرجع إليه هوسيوس يحمل تقريراً عن مسألة أريوس جعل الإمبراطور يغير وجهة نظره تماماً، فأرسل يوبخ أريوس على سوء تصرفه، ولكن هذا كله لم يكن كافياً لتهدئة المشاعر وفض المشكلة، فاقترح هوسيوس على الإمبراطور أن يأمر بعقد مجمع مسكونى عام، فانعقد فى السنة التالية أى سنة ٣٢٥ فى نيقية عاصمة بلاد بيثينيا Bitnynia بآسيا الصغرى على البحر الأسود - أو بحر البونتوس Ο πόντος = حرفياً: البحر ولكن اطلقت اصطلاحاً على البحر الأسود - من ٣١٨

---

(١) جزء ١ فصل ٤ راجع أيضاً ثيودوريت - تاريخ الكنيسة - جزء ١ فصل ٥، ٦.

(٢) هذا موضوع رسالة لأثناسيوس بعنوان «تجريد أريوس» Depositio Aru من بين كتابات أثناسيوس، وصفها Robbertson فى كلامه عن أثناسيوس، بالمجلد الرابع من مجموعة الآباء السابقين واللاحقين على مجمع نيقية، بأنها البذرة الأولى فى جميع كتابات أثناسيوس التى رد فيها على الأريوسية.

أسقفاً، وهذا العدد يبلغ نحو سدس عدد الأساقفة فى العالم كله، ودام إنعقاد المجمع نحو ٣ شهور....

مجمع نيقية

انعقد المجمع، ويبدو أن المشكلة الحقيقية التى انعقد من أجلها لم تكن واضحة تماماً فى أذهان الغالبية الكبرى من أعضائه، قال الأريوسيون أن المسيح إله وابن الله، وقالوا أيضاً بأنهم يعبدونه ويسجدون له، كما أبدوا ولاءاً شديداً لنصوص الكتاب المقدس، ولهذا بدا لأعضاء المجلس فى مبدأ الأمر أن تعليم الأريوسيين تعليم سليم فى جوهره، وإن كانت الألفاظ التى يستعملونها مخالفة لما جرى عليه التقليد فى كنيسة المسيح، ومع ذلك ليس من الضرورى إلزامهم باستخدام ألفاظ بعينها. كان هذا هو الاتجاه السائد أولاً عند أساقفة سوريا وآسيا الصغرى، وربما كانوا متأثرين على نوع ما بتعليم أوريجينوس كما فهموه، وكانوا يخشون غاية ما يخشون مذهب المونارکيين Monarchianism الذين كانوا ينادون فى القرن الثانى بأن المسيح إنسان كسائر الناس، حلت عليه حكمة الله بصورة لم يعرفها أى نبى أو رسول آخر، ولكنه ليس إلهاً، إذ لا يوجد إلى جانب الله إله آخر، ومذهب السابيليين أتباع سابيليوس المبتدع الذى أنكر التمايز بين الأقانيم فى الذات الإلهية، وزعم أن الله واحد ظهر فى صورة الآب مرة وفى صورة الابن مرة ثانية وفى صورة الروح القدس مرة ثالثة، وكان هذا الفريق من الأساقفة يرى وجوب إلتزام النصوص المقدسة، وعدم إضافة تحديدات جديدة، ولهذا كانوا يميلون إلى مناصرة أريوس وأصدقائه، ولم يروا أن الأريوسية قد إنحرفت إنحرافاً تاماً عن الإعتقاد التقليدى فى شخص السيد المسيح. والغريب أن يسمى هذا الفريق نفسه بالفريق المحافظ، وكأن المعارضين لأريوس كانوا هم المبتدعين. وليس بخاف أن الأريوسية هى التى ابتدعت تعليماً جديداً، وإلا فما سر هذه المشكلة التى أثارها أريوس والتى أزعج بها الكنيسة ما ينوف على خمسين سنة من الزمان. وعلى كل حال فقد وجد هذا الفريق زعيماً له فى شخص يوسبيوس أسقف قيصرية، وكان يتمتع باحترام كبير نظراً لعلمه الواسع ومعرفته الأدبية والتاريخية (١). كان يوسبيوس بلا منازع من أعلم الأساقفة، وأشهر كتاب الكنيسة فى زمانه، وكان اعتقاده يمثل التعليم المسيحى السائد فى زمانه عن التثليث وشخص السيد المسيح، لكنه كان يترجح بين المذهب القائل بأن الابن تابع للآب Subordinationism وبين مذهب سابيليوس Sabelianism وكان يفتقر إلى تحديدات أكثر دقة، وقد وصفه دورنر Dorner بحق أنه كان يتلون كالحرباء، فكان بذلك مرآه وصورة للمشاكل التى لم تجد لها حلاً فى زمانه، فكان النزاع الأريوسى هو الذى اضطر الناس إلى أن

---

(١) يوسبيوس القيصرى= ولد سنة ٢٦٠م وتوفى سنة ٣٤٠م، وهو من فلسطين وربما قيصرية بالذات، قضى حياته الأولى فى قيصرية، وكان صديقاً حميماً لقسيس لسمه بامفيليوس Pamphilius ترك له مجموعة كبيرة من الكتب.

يغوصوا إلى بحث هذه المشاكل العويصة، على أن يوسبيوس كان يعارض الأريوسية معارضة صريحة فى أهم المسائل.

كان يقول أن اللوغوس ليس مخلوقاً κτῖσμἄ كسائر المخلوقات، كما يزعم الأريوسيون، وكان يقول أنه لم يمر ثمت زمان لم يكن اللوغوس فيه موجوداً، ومع ذلك كان يوسبيوس يتكلم أحياناً عن الآب، على أنه سابق فى وجوده على وجود الابن .. وكان يصف الابن بأنه الموجود الثانى، والعلة الثانية، وهذا كله كاف لأن يقرب بينه وبين الأريوسية ... ولعل مناصرته للأريوسية ترجع أكثر ما ترجع إلى الصداقة الشخصية التى كانت تربط بينه وبين بعض الأريوسيين وإلى كراهيته العميقة لمذهب السابيليين... كما علم به Marcellus وغيره ... ولعله أيضاً رأى أن يتبع فى ذلك الوقت ما يمكن تسميته «سياسة الشمول» وقد أورد سقراط فى كتابه تاريخ الكنيسة جزء ٢ فصل ٢١ فقرات ليوسبيوس القيصرى ليثبت فيها أرثوذكسيته ضد الذين اتهموه بالأريوسية...

وكان من أكبر أنصار أريوس أسقفان مصريان: سكوندوس Secundus أسقف بتوليمايس Ptolemais (المنشية جنوب أخميم وشمال جرجا) وثيوناس Theonas أسقف مارماريكا Marmarica اللذين لم يعدلا عن رأيهما إلى النهاية، وكان يؤيدهم قلبياً ثلاثة أساقفة آخرون من تلاميذ لوقيانوس الأنطاكى وهم يوسبيوس أسقف نيقوميديا وثيوجنيس Theognis أسقف نيقية، وماريز Maris أسقف خلقيدونيا وبعض آخر وكان أشد خصوم الأريوسية قوة، ألكسندر باباً الأسكندرية وتلميذه أثناسيوس ، وكان ساعده الأيمن، وكذلك يوستاثيوس Eustcthius الأنطاكى، ومارسيلوس Marcellus أسقف أنقرا Ancyra وبعض الأساقفة الشرقيين، ومن بين أساقفة الغرب هوسيوس أسقف قرطبة الذى لعب فى هذا النزاع دوراً حاسماً، ولعل هوسيوس كان أشهر أساقفة الغرب وأعلاهم منزلة ... ولد فى سنة ٢٥٦ ورأس مجمع Elvira سنة ٣٠٦ ولهذا اختصه الإمبراطور قسطنطين ليكون مستشاره الخاص فى الشئون الكنسية، ولهذا يحتمل أن يكون هوسيوس هو الذى رأس مجمع نيقية، بعد أن افتتحه الإمبراطور قسطنطين بذلك الخطاب الذى سجله يوسبيوس فى كتابه .Vit Const، لقد حامى هوسيوس عن الإيمان الأرثوذكسى بالقول الشفاهى والفعل أكثر من التأليف، ومع ذلك فقد حفظ لنا القديس أثناسيوس، خطاباً كتبه هوسيوس فى آخر أيام حياته إلى الإمبراطور قونستانتوس Constantius يحثه فيه على أن يعدل عن سياسته فى حماية الأريوسيين واضطهاد خصومهم ...

ولم يكن هوسيوس وحده من أساقفة الغرب الذين حضروا المجمع، فقد مثل أفريقيا كسيليان Caecilian أسقف قرطاجنة، ومثل بلاد الغال نيكاسيوس Nicasius أسقف ديجون Dijon ، ومثل إيطاليا قسيسان رومانيان والأسقف مرقص مطران كالبريا Calabria ، ومثل بانونيا Pannonia دومنوس Domnus أسقف ستريدون Stridon.

الأريـوسيـة

لم يكن من السهل الوصول إلى إتفاق، حقاً أن الأريوسيين كانوا أقلية واضحة، وأن الأغلبية العظمى رفضت الألفاظ والتعبيرات التى أراد الأريوسيون استخدامها فى حرية واستهتار، فيما يتصل بربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، ولكن الشر قد تفاقم، والمشكلة قد تعقدت بحيث لم يعد مناسباً أن يكتفى فقط، بنفى المعانى التى استنبطها الأريوسيون والأفكار التى نادوا بها، كان على الكنيسة أن لا تكتفى بهذا، إذ أن الأريوسيين ذهبوا بعيداً فى إنكار لاهوت الابن الكلمة، بمشياً مع منطق نظريتهم فى أن الابن لم يكن موجوداً مع الآب منذ الأزل. لذلك كان لابد وأن تثبّت الكنيسة تعليمها فى أزلية الابن، وقيامه فى جوهر الآب منذ الأزل، بأسلوب إيجابى إلى جانب نفيها وإنكارها للتعليم الأريوسى.

ومن هنا نشأت صعوبة أكبر، لأن الغالبية العظمى من الأساقفة لم تكن ترحب باستخدام لفظ أو تعبير جديد، لم يحفظه التقليد أو يصفه التسليم الرسولى. وفى نفس الوقت أبدى الأريوسيون كامل استعدادهم لقبول أى تعبير أو لفظ يقترح من الكتاب المقدس، لتحديد العقيدة الإيمانية فى السيد المسيح. لأنهم كانوا يفهمونه ويؤولونه على طريقتهم الخاصة... وقد روى لنا المؤرخون الكثير عن أساليب الغمز واللمز والهمس المختلفة، التى حاول بها الأريوسيون ما أمكنهم أن يفلتوا من حكم المجمع بإدانتهم أو بحرمهم من الكنيسة، مع التشبث بموقفهم والثبات على آرائهم الفاسدة، وظل الموقف طويلاً على هذا النحو حتى تشجع الأريوسيون، وكتبوا بأنفسهم صيغة لقانون الإيمان كما يقترحونه على المجمع لإقراره، ولكن الأساقفة رفضوا إقرار الإيمان الأريوسى، ونهضوا ومزقوه إرباً إرباً بين صيحات الاستنكار والغضب الشديد. على ما يروى لنا ثيودوريت فى كتابه تاريخ الكنيسة (١).

وأخيراً قام يوسبيوس أسقف قيصرية وقرأ على المجمع صيغة الاعتراف، التى كانت تستخدم فى كنيسته عند التقدم إلى العماد المقدس، مؤملاً أن يكون فيها الغناء وأن يقرها المجمع ويعممها.. وقد أورد ثيودوريت هذه الصيغة فى كتابه تاريخ الكنيسة (٢) وذلك ضمن الرسالة التى أرسل بها يوسبيوس القيصرى إلى كنيسته يشرح لهم فيها سير أعمال المجمع فى نيقية، ووصف هذه الصيغة بأنها تتفق مع التقليد الذى قبله من أسلافه فى قاعدة كرسيه لفائدة الموعوظين والمتقدمين إلى العماد، كما يتفق أيضاً مع ما يعرفه هو شخصياً من الكتب المقدسة، ومع إعتقاده وتعليمه منذ أن أصبح قسيساً فأسقفاً، والمفهوم من رسالته إلى الكنيسة فى قيصرية، أن هذه الصيغة التى قرأها على المجمع فى نيقية هى بعينها الصيغة التى تستخدم فى سر العماد المقدس فى كنيسة قيصرية بل وربما فى كل فلسطين.. ولكن يبدو مع ذلك أنه عدل

---

(١) جزء ١ ف ٧.

(٢) جزء ١ ف ٨.

فيها بعض الشئ، بالإضافة أو الحذف أو التنقيح لبعض عباراتها... ومن بين ما جاء فى هذه الصيغة:

« نؤمن برب واحد يسوع المسيح. كلمة الله، إله من إله، نور من نور، حياة من حياة، الابن الوحيد الجنس υἱὸν μονογενῆ المولود البكر قبل كل الخليقة πρωτότοκον πάσης κτίσεως مولود من الآب قبل كل الدهور، به أيضاً كان كل شئ الذى من أجل خلاصنا تجسد σαρπω θεῖντα وعاش كإنسان بين الناس ἐν ἀνθρώποις πολιτενσ λχενον وتألم وقام ثانية فى اليوم الثالث، وصعد إلى الاب، وسيأتى ثانية فى مجده ليدين الأحياء والأموات »...

وقد أضاف يوسبيوس إلى هذه الصيغة توكيداً بوجود كل من الأقانيم الثلاثة (الآب حقاً هو الآب، والابن حقاً هو الابن، والروح القدس هو حقاً الروح القدس) وذلك بالإشارة إلى النص المذكور فى مت ٢٨: ١٩ القائل:

« وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس »، وذلك عمداً وقصداً حتى لا ينزلق أحد دون أن يدرى إلى ضلالة سابيليوس، وهو يهدف إلى إنكار بدعة أريوس ... وعلى كل حال فقد نص قانون مجمع نيقية على عبارات تنفى بدعة سابيليوس كما تنفى بدعة أريوس.

على أن هذه الصيغة التى عرضها يوسبيوس القيصرى على المجمع لقيت استحساناً من جميع أعضاء المجمع، غير أنها لم تكن حاسمة فى إنكار البدعة الأريوسية، أو لم تكن كافية لنفى المذهب الذى ذهب إليه أريوس وأتباعه... اقترح الإمبراطور، بناء على رأى بابا الأسكندرية وشماسه أثناسيوس ومن تبعهما، إضافة لفظ واحد هو هوموسيوس ὁμοούσιος ومعناه «من جوهر واحد» وقد استتبع إضافة هذا اللفظ تعديلات أخرى، كما أضيف إنكار صريح لأهم التعبيرات الأريوسية...

ومن أهم هذه التعديلات:

١) استبدال لفظ « الكلمة » λόγος بلفظ « الابن »، إذ رؤى أن لفظ الكلمة غامض نوعاً ما، وأن لفظ الابن أصرح وأبعد عن التأويل الأريوسى...

٢) حذف عبارة « المولود البكر قبل كل الخليقة πρωτῶτοις ον πάσης κτῖσεωει ثم عبارة « المولود من الآب قبل كل الدهور πρὸ πάντων τῶν ἀἰώνων ἐκ τοῦ πατρὸς γεγεννηυεῖνον

لأنهما قابلتان للتفسير الأريوسى.

٣) حذف عبارة «عاش كإنسان بين الناس» ἐν ἀνθρώπῠς πολιτευσάμενον لأنها عبارة غامضة ملتبسة، لا تعبر بوضوح عن الناسوت الحقيقى الذى اتخذه سيدنا.

أما العبارات التى ادخلت على قانون إيمان يوسبيوس القيصرى فهى:

١) ابن الله τον νεῦν τοῦ θεοῦ ثم، الابن الوحيد الجنس المولود من الآب λῦγον بدلاً من γεννηθῆγτα ἐκ τοῦ πᾰτρῦς μονογενη ثم، تأنس ἐνανθρωπ ἡσαντα . إلى هذا، فقد أضيفت ثلاث عبارات كاملة:

١) الذى هو من جوهر الاب.

٢) مولود غير مخلوق.

٣) من جوهر واحد مع الآب.

τουτἐστιν ἐκ τῆς οὐσἰας τοῦ πατρος,

γεννηθἐντα οὐ ποιηθεντα, ὁ μοοὔσοον τω

πατρι

وأخيراً، أقر المجمع قانون الإيمان فى صياغته النهائية، التى وضعتها لجنة مؤلفة من ثلاثة أعضاء من بينهم البابا ألكسندروس بابا الأسكندرية والشماس أثناسيوس.

وهنا نقف أمام بعض الصفات التى نص عليها قانون الإيمان النيقاوى فيما يتصل بالابن، وهو الأقنوم الثانى من الثالوث المقدس.

+ + +

المولود من الآب: أى من جوهر الآب ولفظ ἐκ τῆς ὂυσιᾰς τοῦ παπρὸς فى هذه العبارة οὐσια يعنى صميم وجود الآب، أى بالحرى صميم ذات الآب، عين جوهر الآب، والحق أن الكلمة تختلف فى مدلولها عن مدلول كلمة Substance فى الإنجليزية والفرنسية، أو كلمة الـ Substantia اللاتينية، وعن مدلول كلمة essentia باللاتينية أو essence بالإنجليزية أو الفرنسية، وحتى عن مدلول كلمة nature ... إن العبارة تهدف إلى توكيد الوحدة الجوهرية بين الآب والابن، بمعنى أن الابن هو من نفس كيان الآب وجوهره وطبيعته، وبعبارة أخرى أن الآب لا وجود له من غير الابن، والابن لا وجود له من غير الآب... ولا يمكن أن يتصور الآب

بمعزل عن الابن أو الابن بمعزل عن الآب .... وعلى ذلك فكما قال أثناسيوس أن هذه العبارة تفيد العلاقة الفريدة التى لا نظير لها بين الآب والابن، والتى لا يمكن أن تماثلها علاقة الله بالموجودات التى برأها الله، إذ لا يمكن أن يقال عن كائن ما غير الابن أنه من جوهر الآب وطبيعته، فالابن وحده هو الذى يمكن أن يقال عنه أنه من صميم جوهر الآب، وأنه غير مفترق ولا متميز ولا منفصل عن جوهر الآب...

نور من نور...

تشبه بنوة الابن للآب بولادة النور من النور.... وهنا نذكر التشبيه الذى يقال عادة وهو صدور الأشعة من الشمس ... وإن كانت الأشعة متميزة عن القرص، لكننا لا نستطيع أن نفصل بينها، كما لا نستطيع أن نتصور قرص الشمس من غير أشعة... ولا نستطيع أيضاً أن نتصور أسبقية فى الزمان للقرص على الأشعة الصادرة منه، هكذا الابن مولود من الآب، هو متميز عنه فى الأقنومية ... ولكننا لا يمكن أن نتصور الابن من دون الآب أو الآب من دون الابن، كما لا نستطيع أن نتصور لحظة واحدة فى الزمان كان فيها الآب كائناً ولم يكن الابن كائناً معه... إن الابن من جوهر الآب ... وبعبارة أخرى.. إن جوهر الابن هو بعينه جوهر الآب من غير افتراق ولا تمييز ... بل وإن الحياة التى فى الابن هى بعينها الحياة التى فى الآب، والوجود الذى للابن هو بعينه الوجود الذى للآب.. وكما أن أشعة الشمس لا تفارق القرص كذلك الابن لا يفارق الآب بل كائن معه منذ الأزل وإلى الأبد ... وكما أن النور الذى نراه على الأرض أو على جزء منها لم ينفصل عن النور الذى فى جلد السماء، كذلك الابن الكلمة الذى تجسد لأجل خلاصنا وحل بيننا ورأينا مجده، كان ولا يزال فى السماء وهو على الأرض.

إله حق من إله حق...

وهذه هى الحقيقة المسيحية من غير تشبيه ... ليس الابن مجرد انعكاس أو صورة للآب ... إنه إله حقيقى من إله حقيقى ... فهما أقنومان فى ألوهة واحدة... وألوهة الابن هى من نفس ألوهة الآب، من غير افتراق ولا تمييز فى جوهر الألوهة.. لأنهما وإن كانا أقنومين لكنهما إله واحد...

مولود غير مخلوق...

إن الابن مولود من الآب... ولكن ما أبعد الفرق بين مدلول كلمة الولادة هنا، ومدلولها فى عالم الإنسان أو فى عالم الحيوان. فالكلمة مولود من الآب لكنه مع ذلك كائن معه فى الذا ت

الإلهية منذ الأزل، بحيث لم تمر لحظة واحدة من الزمان كان فيها الآب موجوداً ولم يكن الابن قائماً معه فى الجوهر الإلهى... الابن إذن غير متخلف عن الآب فى الزمان ... فهو مساو له فى الأزلية والأبدية ... إن التخلف فى الزمان هو بالنسبة للولادات السائدة فى عالم المخلوقات، أما بالنسبة للابن الكلمة... فهو أزلى مع الآب... ولذلك فهو مولود من الآب كولادة النور من النور من غير إفتراق فى الزمان ... ولذلك فهو غير مخلوق.

واحد مع الآب فى الجوهر.... ὁμοούσιον τῷ πατρι ومعنى العبارة هو أن الابن مع الآب جوهر واحد.. إن جوهر الابن هو نفسه جوهر الآب. ولا يمكن أن نميز جوهرياً بين أقنومى الابن والآب، أو لا يمكن أن نعرف للابن جوهراً متميزاً عن جوهر الآب أو منفصلاً عنه أو مفترقاً عنه... على أن هذه العبارة فيما تؤكد وحدانية الجوهر تؤكد تميز الأقانيم، وهى بذلك تنفى فى وضوح بدعة سابيليوس الذى زعم أن الثالوث أقنوم واحد ظهر باسم الآب تارة، وباسم الابن تارة أخرى، وباسم الروح القدس تارة ثالثة... يقول القديس باسيليوس « هذا التعبير يصحح الخطأ الذى وقع فيه سابيليوس إذ ينفى وحدة الأقانيم τὴν ταοτοτητα της υποστάσεως ويتبين مفهوم الأقانيم بالمعنى الكامل.... لأن الشئ لا يكون هو نفسه واحداً فى الجوهر مع نفسه، وإنما يكون واحداً مع شئ آخر (١).

تجسد وتأنس....

تجسد σαρκωθἐντα بمعنى أنه صار جسداً، أو أصبح له كيان جسدى «طبقاً لقول الإنجيل » والكلمة صار جسداً ὁλογος لم تعد كافية لتوكيد ناسوتية السيد المسيح كاملة، المؤلفة من جسد ومن نفس ناطقة عاقلة... لذلك اقتضى الأمر أن يضاف إلى تعبير التجسد، تعبير آخر لإظهار كمال ناسوتية السيد، وهو ἐνανθρω πησαντα أى تأنس بمعنى أنه له المجد، اتخذ كل ما هو ضرورى للطبيعة البشرية، كل ما يجعل الإنسان إنساناً بالمعنى الكامل، أو بالحرى كل ما يؤلف الوجود العادى للإنسان.

وختم مجمع نيقية قانون الإيمان بقوله نعم نؤمن بالروح القدس. ثم أضاف بعد القانون حرماً هذا نصه:

---

(١) رسائل باسيليوس - رسالة ٥٢.

« .... وأما أولئك القائلون بأنه كان ثمة وقت لم يكن الابن فيه موجوداً، وأنه لم يكن موجوداً قبل أن يولد، وإنه وجد (جاء إلى الوجود) من العدم، أو يزعمون أن ابن الله من جوهر أو كيان مغاير لجوهر الآب وكيانه ἐξ ἑτέρας ὑποστάσεως ἢ οὐσίας أو أنه مخلوق أو قابل للتغير أو التبدل ἢ ἀλλοιωτὸν ἢ τρεπτόν فهؤلاء تحرمهم الكنيسة الجامعة ».

ولا شك أن المقصود بهذه العبارة حرم الأريوسيين .... لأن أريوس هو الذى قال أن الابن لم يكن موجوداً قبل أن يولد ... منكراً بذلك أزلية الابن ووجوده منذ الأزل ... وكأن مجمع نيقية يؤكد أزلية وجود الابن على الرغم من تلقيبه بالابن ... وذلك رداً على أريوس الذى قال حيث أنه هو الابن فلابد أن يكون له ابتداء...

ولذا يبدو أن هذا الحرم من المجمع النيقاوى المقدس... هو فى غاية الأهمية، نظراً لأنه بيّن لنا فى عبارات واضحة ليس فيها لبس أو غموض، ما هو التعليم الصحيح فيما يختص بالأقنوم الثانى ... كما أبان أيضاً نقطة الإنحراف فى البدعة الأريوسية.

ثم وقع على قانون الإيمان جميع الأساقفة الذين حضروا المجمع فيما عدا سيكوندوس Se-cundus، ثيوناس Theonas على ما يروى ثيودوريت، ولو أن المؤرخ سقراط يقول أن خمسة أساقفة امتنعوا عن التوقيع.

وصدر بعد ذلك قرار امبراطورى ينفى أريوس، وجميع الذين لم يقبلوا قرار مجمع نيقية، ولكن المشكلة الأريوسية لم تنته مع ذلك، وصارت لها ذيول أزعجت الكنيسة وقتاً طويلاً بعد مجمع نيقية.

منهج أريوس ومدرسته

لابد لنا هنا من أن نبحث منهج الأريوسيين فى التفكير بحثا علميا... لقد تلقى الأريوسيون الأوائل أكثر ثقافتهم فى مدرسة لوسيان Lucian بأنطاكية، حيث تعلموا أن يخضعوا علوم اللاهوت لعمليات التفكير الفيزيقى الرياضى... وأخذوا يوسعون المفهوم الأفلاطونى المجرد عن الله عن طريق الجدل الأرسطاليس Aristotelian Dialectic ، وتفسير الكتاب المقدس تفسيراً نقدياً Critical exegesis وقد سيطر المنهج والتفكير الأرسطالى على المدرسة، حتى لم يعد لفكرة الفداء(١) أى مكان، ولم يكن ثمة شىء إلا وخضع للمنطق القياسى Nothing was too magestic for a syllagistic formula وأخذ علم اللاهوت يتحول إلى فن Tecknology أى إلى علم بالمصطلحات والمواصفات الفنية... وبعبارة أخرى أصبح علما بما يمكن استنباطه فى القياس ومالا يمكن استنباطه... على أن يكون قائماً على أساس الكتاب المقدس»... فأريوس أقام حجته على أساس المعنى المنطقى الذى يقتضيه لفظ «الابن»... قال، لابد أن يكون الآب سابقاً على الابن أو أقدم منه فى الزمان... فكيف يمكن أن يكون لله ابن مولود γεννητός وغير مولود ἀγεννητός معاً؟

ولم يلبث هذا المنطق أن خان صاحبه وقاده إلى مجموعة متناقضات شنيعة واضحة التناقض، فمع أن النظرية الأريوسية تقتضى مثلاً أن ينظر إلى طبيعة الله على أنها طبيعة غامضة Mysterious ولا يمكن فهمها inscrutable حتى للابن نفسه، إلا أنهم قالوا: أن الألوهة يمكن أن تفهم فهما كاملاً بالتفكير المنطقى من جانب الإنسان... ثم أن أريوس بدأ يستخدم كلمة البنوة بمعناها المجازى، لكنه انتهى إلى حد إنكار أى نوع من البنوة الإلهية بمعناها الدقيق... وقد اعترف الأريوسيون المتأخرون بهذا الخطأ، فثبتوا على «إنكارهم» إمكان وصول العقل البشرى(٢) إلى الإحاطة بالكائن الإلهى The Divine Being

فمنهج أريوس كان محاولة لبحث غوامض علم اللاهوت وصياغتها على أساس عقلى صرف، مستعيناً فى ذلك بتشبيهات وطرق تفكير فيزيائية بحتة. وعنده أن المجرد «غير مولود (مخلوق)» το αγεννητὸν يساوى الطبيعة اللاهوتية θέτης ولم يكن لديه فكرة ما عن الحب أو الصفات والعلاقات الأخلاقية... ومن جهة أخرى، فإن القديس أثناسيوس لم يلح فى كتابه «الخطب orations على مسألة أكثر مما ألح على سخف وتفاهة التفكير فى

---

(1) Harnack, Dogmengesch`ii`pp. 185, 186, cp. Fair bairn, Christ in mod. Theol. p.62.ff.

(2) ὃ φάλλονται μεγάλως περὶ περίτον ἄσωμάτον σωμάτων ενθομοῦενοῖ

Athanasius, the orations i, 15, cp.ii.35- 36-, ii, 04 iii. 1, 63, 67.

أسرار الطبيعة الإلهية على نحو ما يفكر الإنسان فى الأمور الأرضية. قال القديس أثناسيوس: «إذا كانوا يتباحثون فيما يختص بإنسان ما، فدعهم يفكرون بهذا الأسلوب البشرى، سواء فى كلمته أو فى ابنه... أما إذا كانوا يتباحثون فيما يختص بالله خالقهم، فلا تدعهم بعد هذا يصيغون الأفكار البشرية بل الأفكار التى تعلو عن الطبيعة البشرية. ثم إنه ليس من الصواب أن نبحث فى «كيف» كون «الكلمة» من الله، أو كيف يكون هو بهاء الله أو كيف يحدث أن الله يلد، وكيف تكون طريقته فى الولادة... إذ لابد أن يخرج الإنسان عن نفسه، حتى يجترىء على بحث هذه المسائل، مادام يطلب أن يشرح فى ألفاظ مالا ينطق به، وما يختص بطبيعة الله نفسه، وما لا يعرفه إلا الله وابنه... ثم «أنهم يخطئون خطأ جسيماً فى قبول أفكار مادية عما ليس هو بمادى (١) فالاعتراض الأريوسى القائل بأن فكرة الولادة تتضمن التقسيم Division أو التغير muta-bility فى الله، يمكن أن يرد عليه، كما يرى القديس أثناسيوس بأنه يجب أن نبعد من أذهاننا نهائياً، أية فكرة مادية إذا ما تكلمنا عن جوهر اللاهوت.

كذلك كان الأريوسيون يستشهدون بالكتاب المقدس... وقد استعانوا بنصوص من العهد الجديد على الخصوص، واستغلوها كثيراً فى تأييد نظريتهم... وهى هذه النصوص التى تتضمن صفات إنسانية للمسيح المتجسد، لكنهم نسبوها أيضاً إلى الكلمة قبل التجسد... قال القديس غريغوريوس النيسى «أن مأربهم الخبيث من بحث المعتقدات ، هو محاولتهم أن يبينوا أن الأقوال التى نطق بها الرب من حيث ناسوته وهى تنم عن الضعف، قد صدرت عن لاهوته...»

لقد ساق الأريوسيون فى تأييد نظريتهم كل نصوص الكتاب المقدس التى تبدو أنها تتضمن إعتبار المسيح مخلوقاً، أو تنسب إليه وهو فى حالة التجسد، نقص المعرفة أو نمو المعرفة، أو الإعياء أو الحزن وغيرها من الإنفعالات أو الحالات النفسية والعقلية، والتى يبدو أنها تشير إلى خضوع الابن للآب... ومن بين هذه النصوص...

(١) لبيان وحدانية الله (تث ٦ : ٤، لو ١٨ : ١٩، يو ١٧ : ٣).

(٢) لبيان طبيعة البنوة (مز ٤٥ : ٨، مت ١٢ : ٢٨، ١. كو ١ : ٢٤).

(٣) لبيان خلقة اللوغوس (أم ٨ : ٢٢ (الترجمة السبعينية)، أع ٢ :٣٦، كو١ :١٥، عب ٣ : ٢).

(٤) لبيان نموه الأخلاقى وتطوره الأخلاقى προκοπή (لو ٢ : ٥٢، مت ٢٦ : ٣٩ وما يليها ، عب ٥ : ٧، ٨، ٩ فى ٢ : ٦ ـ ٩ وما بعدها، عب ١ : ٤).

(٥) لبيان إمكان تغيره το πρεπτόν ونقص المعرفة. (مر ١ : ٣٢، يو ١١ : ٣٤، ١٣ : ٣١).

---

(1) CP. Newman, A tn. Treatises, Vol. ii, p.43 (art. Arians CP. Greg. Naz. Grat. Theol. XXVII. 2, Sub fin.

(٦) لبيان أنه أقل من الآب (يو ١٤: ٢٨، مت ٢٧: ٤٦، (قارن) مت ١١: ٢٧، ٢٦: ٣٩، ٢٨: ١٨، يو ١٢: ٢٧، ١. كو ١٥: ٢٨).

وقد عنى أثناسيوس على الخصوص بدحض تفسيرهم وتأويلهم لتلك النصوص... كما أهتم بايراد نصوص أخرى تكمل وتساند تلك النصوص التى حرض الأريوسيون على ايرادها وابرازها دون غيرها...

ويلاحظ أنه قد صار من عادة الأريوسيين فيما بعد، أن يستعينوا فى تأييد آرائهم، بشهادات من كتّاب الكنيسة القدامى، ومنهم على الخصوص أوريجينوس وغريغوريوس صانع العجائب، وديونسيوس الأسكندرى، فزعموا أن أوريجينوس قال عن الابن أنه إله أو إله ثان δεύτερος θεός ، وليس هو الله نفسه αὐτὸ θεος أو حتى خير فى ذاته αὐτομγαθος ونسبوا إلى ديونيسيوس واغريغوريوس صانع العجائب أنهما قالا عن الابن أنه «مخلوق» وأضافوا إلى هذه الأقوال المزعومة أو المنحولة على هؤلاء الأعلام، أقوالاً أخرى لعلماء آخرين فى القرن الثالث، وزعموا أنها تظاهر المذهب الأريوسى.... والواقع أن المدرسة الانطاكية قد اقتطعت جزءاً من تعليم أوريجينوس، قاصدة تبسيط التعليم المسيحى ليكون فى زعمها منطقياً ومقبولاً للعقل.... فحذفت منه الاعتقاد فى أن الابن مولود منذ الأزل... ولعلّ الأريوسية كانت امتداداً طبيعياً، لتيار قوى سرى فى ثلاثة القرون الأولى للمسيحية، لتوكيد وحدانية الله وأقنومية الابن، ضدا لتعاليم الوثنيين والهراطقة التى ناؤت الكنيسة فى هذه الفترة من تاريخها.

إمتداد الأريوسية وإزدياد خطرها على الكنيسة

وإذا كانت الأريوسية قد حالفها النجاح، وإن كان نجاحاً إلى حين، فذلك يرجع إلى أسباب عامة: فقادتها الذين دافعوا عنها عرفوا فن الإعلان عن مبادئهم والعمل على نشرها وذيوعها بين الناس، وقدّموا عقيدتهم فى صورة مبسطة أمكن للناس قبولها فى سهولة ويسر... وقد ألف أريوس، فى مبدأ النزاع مجموعة من الأغانى الشعبية لهذا الغرض سميت ثاليات θαλειά «الوليمة الروحية»... وبهذه السهولة إنتشرت الأريوسية، وصارت خطراً يهدد وقار العقيدة وجلالها، إذ إندفعت الجماهير الجاهلة تبدى رأيها فى أعقد المسائل اللاهوتية وأبعدها عن متناول اللغة البشرية، واشتد الجدل واتسعت هوة الخلاف... وأصبح أضحوكة الناس فى المسارح والساحات، وصارت النساء والأطفال تسأل فى الطرقات والشوارع أسئلة بذيئة، قال القديس أثناسيوس «تأمل كيف أنهم مضوا إلى كل مكان يذيعون تعاليمهم الفاسدة، منذ أن اخترعوا هذه الهرطقة... بل وبعضهم كانوا ومازالوا إلى اليوم يلتقون بالأطفال

فى الشوارع، ويسألونهم أسئلة لم يستقوها ولا من الكتب المقدسة وإنما من فيض قلوبهم» (١)، فيسألونهم مثلاً «هل خلق الله من العدم من لم يكن موجوداً، أو أنه خلق من هو موجود بالفعل؟ وهل ولد الله من كان موجوداً، أو لم يكن موجوداً من قبل؟ هل هناك كائن واحد موجود بذاته، أو كائنان إثنان؟؟..... «ثم يقتربون أيضاً من النساء ويسألونهم أسئلة بذيئة كهذه: «هل كان لك ولد من قبل أن تلديه؟؟.. فإذا لم يكن لك ولد ، فهكذا ابن الله لم يكن موجوداً من قبل أن يولد » هؤلاء السفلة يجدون متعتهم فى أمثال هذه الدعايات التى يتبادلونها جاعلين طبيعة الله وكأنها مساوية لطبيعتهم... هؤلاء يجرأون على أن يسموا أنفسهم مسيحيين، وهم فى الآن نفسه يفعلون ما يفعله الوثنيون محاولين أن «يبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بصورة الإنسان الذى يفنى» (٢) ، لقد أزعجت الأريوسية الكنيسة وأقلقت راحتها، «فكانت منازعات فى كل مدينة وفى كل قرية بخصوص العقيدة الدينية وكان الشعب يراقب ثم ينقسم إلى شيع وأحزاب» (٣)، فكانت هناك «حرب مناقطة»، نشبت فى كل مكان، فى البلاط، وفى البيوت الخاصة، وفى الشوارع والطرقات العامة، وفى الحوانيت وفى الأسواق».

وفى المرحلة الثانية للنزاع الأريوسى، وهى المرحلة التى تلت مجمع نيقية، لعب البلاط الملكى دوراً كبيراً فى توجيهها، فبعد مجمع نيقية أصبح حزب يوسبيوس مجرد حزب دينوى يعتمد على رعاية الامبراطور. يقول القديس أثناسيوس فى هذا «لما كان تعليمهم مكروها من جميع الناس، فقد رأوا أنفسهم مضطرين بالتالى إلى أن يؤيدوا هرطقتهم ويسندوها بسلطة بشرية لئلا تتلاشى بالكلية، وحتى يقمعوا بهذه الوسيلة من لا يفهمون حججهم من بسطاء الشعب، فيؤمنون بمذهبهم تحت تأثير الخوف من السلطة الامبراطورية» (٤) ... ويقول بعض المؤرخين، اتفقت جميع المصادر على أن كل نجاح أحرزته الأريوسية بدأ بأوامر البلاط التى أصدرها لصالحها وتوقف بتوقفها» (٥).

All authorities are a greed that Arian Successes began and ended with Arian Command of the palace.

وكانت السياسة التى رسمها الحزب الأريوسى، هى السيطرة على جميع كراسى الأسقفيات الهامة باستخدام العنف الصريح أحياناً، والدسائس والحيل أحياناً أخرى. وقد نجحت هذه السياسة

---

(١) لو ٦: ٤٥.

(٢) رو ١: ٢٣، أثناسيوس: المقالات : مقال. : ف ٢٢

(3) Theodoret ap. Newman, Arians p. 452.

(٤) أثناسيوس : المقالات ـ مقال ١ ف ٤٣ . قارن نفس المرجع: مقال ٣ ف ٢٨ .

(5) Gwatkin, Studies of Arianism, P. 3.

نجاحاً تاماً فى بلاد الشرق. أما فى الغرب فلم يستطع الأريوسيون أن يحصلوا على أية سيطرة حقيقية...

ثم أن الأريوسية أخذت عن فلاسفة الوثنية تصورها لله تصوراً مجرداً Abstract وعالياً transcendental ومقابلتها بين الكائن المخلوق γενητόν وغير المخلوق ἀγένητον وإنكارها عملياً لكل إتصال بين الإنسان وبين الله، على أنها كانت مذهباً رائجاً بين الناس نظراً لأنها نادت بعبادة مخلوق هو نصف إله، ولا ننسى أن نفوذ الوثنية كان لا يزال قوياً جداً فى كل أنحاء الامبراطورية الرومانية، وكانت الوظائف الحكومية والجيش، والمحاكم مليئة بالوثنيين.... كذلك كان التعليم بين أيدى الناس أكثرهم وثنيون، بل ويمكن أن نقول أن المجتمع العام بأسره كان لا يزال مجتمعاً وثنياً، تسيطر عليه الأفكار الوثنية وليس للمسيحية فيه إلا نصيب ضئيل جداً، ويبدو أن ظهور الأريوسية فى مدينة الأسكندرية قبل غيرها، يعزى إلى أن الظروف والملابسات كانت أكثر ملائمة فى الأسكندرية، منها فى أية مدينة أخرى لظهور هذه الهرطقة أو هذه الصورة الجديدة من المسيحية الوثنية، وأخيراً يجدر بنا أن نلاحظ أثر اليهودية فى رواج الأريوسية، لأن العقلية اليهودية يمكنها أن تستسيغ الأفكار الأريوسية لما فيها من قوة الاعتقاد فى وحدانية الله، وإنكارها للاهوت السيد المسيح وتساهلها فى ميدان الأخلاق. ولذلك فإننا كثيراً ما نرى القديس أثناسيوس(١) يتهم الأريوسيين بالتهوّد ... ولئن كان هذا الإتهام مبالغاً فيه..... لأن الأريوسية تتعارض مع المبادىء الأساسية فى اليهودية، إلا أن فى هذا الإتهام شيئاً من الحق، نظراً لأن الأريوسية تبدى فى نتائجها الأخلاقية ميلا إلى اليهودية الفاسدة، التى كانت فى انطاكية وفى غيرها من البلاد مصدر إرتباك واضطراب للمسيحيين الناشئين....

أخطار الأريوسية ومضارها العقيدية

ينبه القديس أثناسيوس فى أكثر من موضع فى مؤلفاته إلى خمسة أخطار للأريوسية، وأضرارها على العقيدة الدينية....

من ذلك أن الأريوسية تنطوى على تصور الله تصوراً خاطئاً... وهى تقرر عبادة المخلوق، مما يتعارض مع أول مبدأ من مبادىء الإعتقاد بوجود الله.

يقول القديس أثناسيوس عن الابن الكلمة «لقد خدمته الملائكة خدمة تليق بمن هو ربهم وسيدهم» (٢)، وهم يعبدونه لا لأنه يعلوها فى مجده فحسب، ولكن لأنه يسمو عالياً جداً على جميع الخلائق، وعلى الملائكة أنفسهم، من حيث أنه هو ابن الله الوحيد، وابن لأبيه فى طبيعته

(١) الخطب، خطبة ٢ ف ١٧ قارن أيضاً نفس المرجع خطبة ١ ف ٨.

(٢) مت ٤: ١١.

وجوهره، فإذا كان الملائكة يعبدونه لأنه فقط مخلوق أعظم منهم جلالاً... فكل مخلوق آخر يعلو غيره فى مرتبته يصبح جديراً بعبادة من هو دونه، وأقل منه مرتبة... ولكن من المحقق أنه ليس مخلوق كائناً من كان، يليق أن يكون معبوداً لمخلوق آخر. إنما هذه العبادة، يليق بل يحتم تقديمها لله العظيم... رب السموات والأرض... لذلك فإن كورنيليوس عندما وقع عند قدمى القديس بطرس وسجد له، للوقت منعه الرسول من ذلك قائلاً: «أنا أيضاً إنسان» (١) كذلك القديس يوحنا عندما خرّ على الأرض ليسجد للملاك كما ورد فى سفر الرؤيا، منعه الملاك فى الحال، وقال له «أنظر لا تفعل، لأنى عبد معك ومع أخوتك الأنبياء والذين يحفظون أقوال هذا الكتاب... أسجد لله» (٢). فالملائكة الأطهار لا يجهلون أنهم أرفع جميع الخلائق ولكنهم يعلمون أيضاً أنهم مع ذلك لا يزيدون عن كونهم مخلوقات. ولا يمكنهم أن يدّعوا لأنفسهم حقاً فى أن يُعبدوا، وإنما فقط يجب عليهم هم أن يعبدوا الرب الإله... أما الرب (يسوع المسيح) فالملائكة تسجد له، إذ كتب عنه صريحاً «ولتسجد له كل ملائكة الله» (٣)... وكما يحدثنا أشعياء النبى بأن جميع الأمم تتعبد له، «شعب مصر، وتجارة كوش، والسبئيون ذوو القامة، إليك يعبرون، ولك يكونون، خلفك يمشون، بالقيود يمرون، ولك يسجدون، إليك يتضرعون قائلين فيك وحدك الله، وليس آخر. ليس إله» (٤).

وقد قبل الرب (يسوع المسيح) عبادة تلاميذه له، ومدحهم على ذلك بل وحثّهم على المداومة عليها قائلاً: «أنتم تدعوننى معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأننى أنا كذلك» (٥)، ولما قال له القديس توما «ربى وإلهى» (٦)، سمح له أن يستخدم معه هذه اللغة ولم يعنفه أو يوبخه على ذلك، بل بالأحرى وافقه على كلماته... أنه هو نفسه الذى يشير إليه المرتل (داود النبى) وسائر الأنبياء كثيراً، تحت اسم «رب الجنود» (٧) ورب الصباؤوت (٨)، وتفسيرها «رب القوات» (٩)، أنه هو الإله العظيم، إله الكل، الإله الحقيقى، والقادر على كل شىء، ولو أن هذه الأقوال قد تثير الأريوسيين، وتجعلهم يتميزون بالغضب إلى حد الجنون (١٠). ويقول القديس أثناسيوس فى خطبة أخرى «ومع أنه قد يقال أنه (الابن) يفوق فى المجد (جميع الخلائق)، ولكنه من حيث أصله ونشأته - وهو ما يعنينا أولاً - يستوى تماماً مع أى من خلائقه التى ظهرت إلى الوجود بفعل إرادته... فإذا كان الأمر كذلك، كما لاحظنا من قبل، فكيف يكون بعد ذلك هو ربّنا، وتكون جميع الخلائق فى كل مكان، عبيد له» (١١).

---

(١) أع ١٠: ٣٦.　(٢) رؤ ٢٢: ٩.　(٣) عب ١: ٦.　(٤) أش ٤٥: ١٤.

(٥) يو ١٣: ١٣.　(٦) يو ٢٠: ٢٨.　(٧) مز ٤٨: ٨.

(٨) الجنود أو القوات　Pl.of　צְבָאוֹת　Heb

(٩) مز ٢٤: ١٠.　(١٠) أثناسيوس: الخطب. خطبة ٢ ف ٢٣.　(١١) أثناسيوس: خطبة ٣ ف ٦٤.

وتنكر الأريوسية الوحى أو الإعلان الإلهى Divin revelation وترى أنه مستحيل، فالله، تبعاً للنظرة الأريوسية بعيداً عن الإنسان بعداً لانهائياً، وسيظل بالنسبة للإنسان سراً خفياً، لا يعبر عنه، ولا يمكن إدراكه، ولا معرفته كما أنه لا يمكن أن يقال عنه أنه يكلم ذاته، أو أنه يلد... إن الله وحدة بسيطة مجردة... هو العلّة الأولى بالنسبة إلى العالم... وهو مستقل عن الخليقة إستقلالا تاما، وبعيداً عن متناول القدرات البشرية بعداً تاماً...

وقد أستغل القديس أثناسيوس الرسولى هذه المسألة فى الرد على الأريوسيين... فقال: «إن جميع الكائنات مخلوقة.... وكذلك الابن على قول الأريوسيين مخلوق، ولكن الله الآب والله الابن كلاهما يؤكد لنا أنه ليس هناك كائن مصنوع أو مخلوق، أيا كان، بقادر على أن يكون له علم مباشر أو معرفة يقينية بطبيعة الآب الإلهية... وأن قوى جميع الأرواح المحدودة هى من الضيق بحيث أنها لا تستطيع أن تقتبل تلك الفكرة الهائلة، وهى من الضعف أيضاً بحيث لا تستطيع أن تحتملها... يقول الآب: «لا يقدر إنسان أن يرانى ويعيش» (١) ويقول الابن، «وليس أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن» (٢)... وعلى ذلك يلزم لخصومنا إما أن ينكروا أن الابن هو وحده الذى يدرك طبيعة الآب، ويعلنون أنهم لا يصدقونه عندما يقول لهم «ليس أحد رأى الآب إلا الذى من الله» (٣) وأنه «ليس أحد يعرف الآب إلا الابن»، وإما يلزمهم أن يقروا أن الابن لا يمكن أن يكون مخلوقا... ألم يكن هو (الابن) الابن الوحيد لله، بالمعنى الحرفى؟ ولماذا يكون مستحيلاً أبداً بالنسبة للكائنات الأخرى العاقلة أن تتوصل إلى معرفة صحيحة وكاملة بالآب؟ وكيف يكون إبناً بالمعنى الحرفى الدقيق إلا إذا كان حقاً هو من جوهر الآب بالذات.. إنى أرجو أن تغفر لى كثرة تكرارى نظرا لعظم خطورة هذا الموضوع... فإن إحلال ابن الله مكاناً بين مصنوعاته ومخلوقاته تجديف مريع، ومن الغباء والكفر أن يقال عنه «أنه مخلوق ولكن ليس ككل المخلوقات» وأن يقال عنه «أنه مصنوع ولكن ليس ككل المصنوعات، وأنه مولود ولكن ليس ككل المولودات»... إذ كيف لا يكون هو من بين تلك الأشياء، إذا كان حقاً ما يقولون من أنه لم يكن موجوداً قبل أن يولد؟ (٤).

ويرى الأريوسيون أن الابن لا يمكن أن تكون له أية معرفة جوهرية عن الآب. يقول أريوس فى ثاليته: إن الآب خفى (مستور) حتى عن الابن، فالكلمة لا يستطيع أن يرى أباه كامل الرؤية. أو يعرفه تمام المعرفة، لا بل إن الابن لا يعرف أيضاً حتى جوهره الخاص»...

يقول القديس أثناسيوس «ثم أن أريوس يجرؤ على القول بأن الكلمة ليس هو الإله الحقيقى، فعندما يسمى الكلمة الله، فهذا كلام رمزى فقط يشير إلى الامتيازات التى زوده الله بها. هكذا

(١) خر ٢٣: ٢٠. (٢) مت ١١: ٢٧. (٣) يو ٦: ٤٦.

(٤) أثناسيوس: الرد على الأريوسيين، خطبة ٢: ف ٢٢.

يقول أريوس. فكل ما يتصل بالابن متميز ومنفصل عن الآب. إذ الابن يتعلق بالمخلوقات سواء كانت من الأشياء أو من الأشخاص الذين هو واحد منهم، ويتمادى أريوس فيزعم بأساليب شيطانية أن الآب خفى (غير منظور) عن الابن، وأن الابن لا يستطيع أن يعرف الآب معرفة حقيقية كاملة. وعندما يقول أن الابن يعرفه ويراه فمعناه أنه يعرفه ويراه بقدر ما يمكنه أن يفعل ذلك، كما هو الحال تماماً بالنسبة لنا نحن الذين لا نستطيع أن ندرك الله إدراكاً كاملاً. وبهذا القصور يكون الابن ليس جاهلاً فقط بطبيعة الآب بل وبطبيعته هو أيضاً... فكيان وطبيعة كل من الآب والابن والروح القدس مختلفان عند كل منهم، عنهما عند الآخر اختلافاً كبيراً.. وطبيعة الكلمة ومجده لا علاقة لهما بطبيعة ومجد الآب والروح القدس... إن هذا الرجل الكافر يعلن بصراحة أن الابن كائن قائم بنفسه تماماً، وليست له شركة بطبيعة الآب. إن هذه الآراء مأخوذة من ذلك الكتاب الذى لا يستسيغه العقل، والذى يستوجب السخرية الذى كتبه أريوس (١).

وعلى ذلك فإنه نظراً لاستشراف الله وسموه وحطه الإنسان، حكم على الإنسان أن يظل إلى الأبد بعيداً عن الله» (٢).

والتعليم الأريوسى يهدم نظرية الفداء والكفارة... لأنه يقول بأنه لم يكن ثمت اتحاد حقيقى بين اللاهوت والناسوت، يقول أثناسيوس: إذا لم يكن الابن إلا مخلوقاً لزم أن يبقى الإنسان كما كان سابقاً خاضعاً للموت، لأنه لم يتحد بالله، وإذا كان اللوغوس مخلوقاً، وكانت هناك حاجة إلى وسيط بين الخالق والمخلوق، وكان الأخير عاجزاً عن أن يحتمل لمسة الله الملتهبة (غير الملطفة).

τῆς τοῦ πατρὸς ἄκρᾶτον χειρὸς

حينئذ يصبح اللوغوس نفسه فى حاجة إلى وسيط، وهذا الوسيط إلى ثان... وهكذا إلى مالانهاية εἰς ἄπειρον

يقول القديس أثناسيوس «إذا كان الابن مخلوقا فما كان يمكن أن يتم اتحادنا بالله، وبالتالى كان يبقى الإنسان ميتاً، فالمخلوق لا يملك القوة التى بها يصل نفسه أو غيره من المخلوقات بالله... والكائن المخلوق لا يقدر أن يخلص نفسه، فبالأولى لا يقدر أن يخلص مخلوقا آخر» (٣).

---

(١) أثناسيوس: الرد على الأريوسيين. خطبة ١ ف ٦.

(2) Dorner, Person of christ div. i. vol. ii. p. 240

(٣) أثناسيوس: الرد على الأريوسيين. خطبة ٢ ف ٦٩. راجع نفس المرجع خطبة ٢ ف ٢٦.

وفى كلمة واحدة، أن الوساطة تبعاً لنظرية أريوس تصبح مستحيلة... وأعظم ما يستطيع الإنسان أن يبلغ إليه هو النبوة الأدبية، لكنه لا يستطيع أن يحتمل الاتصال بالروح الإلهى أو بشخص الله... ولا يستطيع أن يكون شريكاً فى الطبيعة الإلهية... (١) إنما الإنسان، على قول أريوس أو تبعاً للنظرية الأريوسية، يقدر كما كان المسيح قادراً على «شركة النعمة» μετοχη χάριτος وينبغى أن يكتفى بأن يحاول - معتمد على ذاته - أن يتبع مثال المسيح... وعلى ذلك فإن الأريوسيين قد جعلوا مشكلتهم مستحيلة، إذ أهملوا أحوالها الروحية. لقد صار المسيح عند أريوس، على ما يقول جواتكن: «شاهداً لا على محبة الله، بل على هوة وراء قوة الله يجب عبورها... والوحى - تبعاً لهذه النظرية - اضحوكة والكفارة تعبير عقيم تافه، وعلى ذلك فقد مات المسيح عبثاً» (٢)... ولكن هل يمكن لمخلوق أن يمنح مصدر التقديس الذى لا يستطيع غيره أن يقدسه به، وهل يمكن لمخلوق أن يهب الحياة التى تستطيع هى دون غيرها أن تجدد المخلوق الذى فصل عن خالقه بفعل الخطية...

موقف الكنيسة من «الأريوسية»

لقد وجدت البدعة الأريوسية بعض التأييد فى مصر، ولكنها وجدت أرضاً خصبة فى فلسطين وسوريا حيث التقت أفكار أريوس بأفكار سابليوس التى كانت قد تفشت فى تلك البقاع... ومهما كان الأمر، فإن أعظم مؤيد للأريوسية هو يوسابيوس النيقوميدى.. فقد قبلها ودافع عنها مدفوعاً لا إيماناً بمبادئها فقط، ولكن بكراهيته وعداوته لأسقف الأسكندرية.. وقد عقد يوسابيوس هذا مجمعاً فى بيت عنيا، أيد فيه أريوس ومعتقداته. غير أن يوسابيوس القيصرى بذل جهده فى إيجاد حسن التفاهم بين أريوس وبين أسقفه الأسكندرى... ولما انتصر الملك قسطنطين على ليسينيوس Licinius ودانت له الامبراطورية سنة ٣٢٣، وجد نفسه مضطرا إلى أن يتدخل فى هذا النزاع الدينى، الذى أقلق كل مناطق الشرق فى الامبراطورية.... ولم يستطع أن يتغافل عن خطر هذا الاضطراب فى مصر وأثره من الناحية السياسية، ولذلك كتب للقديس الكسندر، ولأريوس يستحثهما على أن يكفا عن هذا النزاع «التافه»... «المشين»... حباً فى السلام. وقد حمل هذه الرسالة إلى الأسكندرية أسقف من الغرب اسمه هوسيوس الكوردوفى Hosius of Cordova، ويبدو أنه لم يكن وسيطاً محايداً فى هذا النزاع فلم تجد جهوده شيئاً، ويظهر أنه اتفق مع البابا الكسندروس على استمالة الملك قسطنطين إلى أن يدعو إلى عقد مجمع مسكونى عام. إنعقد هذا المجمع بالفعل فى نيقية فى يونيو ٣٢٥م.

---

(١) ٢. بط ١: ٤.

(2) Gwatkin, Studies of Ariaism, p. 26.

وهنا يجدر بنا أن نلاحظ أن آباء الكنيسة ومعلميها قد اعترضهم فى سبيل الدفاع عن الإيمان الأرثوذكسى صعوبات ثلاث، لم يكن من السهل عليهم تخطيها فى نزاعهم مع خصوم عنيدين لا يهدأون، خصوم لا إخلاص لهم ولا ضمير...

أولاً: كتمان وسرية العقائد المسيحية (disciplina arcani) :

وهذا مرده إلى سببين:

(١) أنه لم يكن قد وضع حتى ذلك الوقت قانون للإيمان معتمد من الكنيسة الجامعة الرسولية.

(٢) التوقير الشديد لحقائق الإيمان الموحى بها.

كان التعليم فى الكنيسة الأولى شفهياً... وكان إكتسابه إمتيازا عظيماً... وكان من نتيجة هذا التكتم إزدياد الإحترام العميق لأسرار الديانة المسيحية... ولم يبذل أحد جهداً فى تعميم المعتقدات المسيحية ونشرها بين الناس، فكانت معرفة الحقائق المسيحية إمتيازاً موقوفا على المعمدين وحدهم... إذ كان قانون الإيمان التقليدى traditio symboli عنصراً أساسياً فى طقس المعمودية عند الغربيين... حتى أن المؤرخ سوزومين Sozomen اعتذر عن سرد قانون الإيمان النيقوى فى تاريخه فقال: «لا يبعد أن يقع هذا الكتاب بين أيدى إناس غير مسيحيين» (١) ... ولربما كان للهيئات والجمعيات الدينية السرية فى العالم الوثنى أثر كبير على الكنيسة المسيحية.. ولكن لا شك أنه كان على المسيحية أن تصحح من ابتكارات الطبيعة البشرية الجاهلة، وتؤلف بينها وتكمل نقصها... ومهما يكن من أمر فإن مبدأ التعليم السرى لعب دوراً هاماً فى سياسة الكنيسة الأولى، وسلوكها العملى...

ثانياً : الاعتقاد بأن اللغة البشرية قاصرة عن أن تعبر تعبيراً كاملاً عن الحق الإلهى:

كان إتجاه آباء الكنيسة ومعلميها دائماً إلى مقاومة التفكير فى أسرار الإيمان العظمى. قالوا بقصور الفكر البشرى وعجز اللغة البشرية، ونبهوا إلى مزيد من الحذر، لاسيما بالنسبة إلى موضوع الولادة الإلهية. فاعترفوا بجهلهم فيه، واذعنوا إلى أن العقل البشرى محدود، وسلموا بالحقائق الموحى بها بدون فحص أو بحث فى كيفيتها... وقد نادى القديس أثناسيوس بهذا فى وضوح واعترض بشدة على إستعمال السؤال «كيف؟» فى بحث العلاقة بين الأقانيم الثالوثية، أو فيما يتعلق بكيفية الولادة الإلهية.. ويقول فى موضع آخر كلاما بهذا المعنى:

---

(1) Hibbert Lectutes, x, p. 293 note, Newman, Chap. 11, 1.

ونحن لا نملك أن نتعجب من الأريوسيين لأنهم إذا كانوا لا يسمعون للآب والابن، فكيف يقنعون أو يصدقون بشهادة القديسين، الذين يقول واحد منهم أن الكلمة هو «بهاء مجده ورسم جوهره» (١) ... وأن «المسيح»: «هو قوة الله وحكمه الله» (٢) ... ويقول غيره فى المزمور «عندك ينبوع الحياة ... بنورك نرى نوراً» (٣) ... وأيضاً «كلها بالحكمة صنعتها» (٤) ويقول الأنبياء: «وجاءت إليَّ كلمة الرب» (٥) ... ويقول القديس يوحنا «فى البدء كان الكلمة» (٦) ... ويقول القديس لوقا «سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معلمين وخداماً للكلمة» (٧) ... ويقول داود «أرسَل كلمته وشفاهم» (٨) ... إن جميع هذه النصوص تنقض من كل وجه البدعة الأريوسية من أساسها، وتؤيد التعليم بأزلية الابن مع الآب... وأنه قائم فى جوهر الآب... أفهل رأى أحد النور من دون بهائه، أو (رأى) صورة أو رسماً دقيقاً يختلف عن الأصل؟؟.. أو كيف لا يكون من الجنون المطبق أن يدور بخلد إنسان، أن الله كان وقتاً ما بلا كلمة أو بلا عقل أو بلا حكمة!!...؟ والكتاب المقدس يقدم لنا هذه الإيضاحات وهذه الأمثلة، نظراً إلى قصور الطبيعة البشرية عن أن تدرك الله... فعن طريق هذه الإيضاحات وهذه الأمثلة، يمكن أن نكوّن نحن فكرة ما بقدر الإمكان، ولو كانت غير واضحة وناقصة جداً» (٩).

وبمثل هذه اللغة تكلم كذلك القديس غريغوريوس النيسى عن سر الاتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت فى شخص ربنا يسوع المسيح.

ثالثاً: جمعت الكنيسة مجمعاً لتواجه التعاليم المحدثة التى نادى بها أريوس، بالتقليد العام فى الكنيسة الجامعة الرسولية:

وهذا هو نفس المنهج الذى اتبعه بطريقة غير رسمية كُتَّابٌ من أمثال ايريناوس وترتليانس، أما فى القرن الرابع فقد لبس هذا المنهج صورة جديدة وهى عقد مجمع مسكونى عام... وهنا يجدر بنا أن نلاحظ أن التقليد الذى سارت عليه الكنيسة منذ ابتدائها، قد ظهر واضحاً فى مجمع نيقية، وأخذ صورة محددة ومعتمدة رسمياً من الكنيسة... يقول القديس أثناسيوس: أما بالنسبة إلى

---

(١) عب ١: ٣.
(٢) ١ كو ١: ٢٤.
(٣) مز ٣٦: ٩.
(٤) مز ١٠٤: ٢٤.
(٥) أر ٢: ١.
(٦) يو ١: ١.
(٧) لو ١: ٢.
(٨) مز ١٠٧: ٢٠.
(٩) أثناسيوس: الرد على الأريوسيين، خطبة ٢ ف ٣٢.

الإيمان فلم يكتب الآباء قائلين «إنه يبدو حسناً» وإنما قالوا: هكذا تؤمن الكنيسة الجامعة «وعلى ذلك فقد صرحوا بالأساس الذى يقوم عليه اعتقادهم، لكى يبينوا أن آراءهم ليست جديدة، وإنما هى معتقدات رسولية، وأن ما كتبوه لم يكن من إختراعهم بل كان هو نفس التعليم الذى علم به الرسل (١).

مجمع نيقية: -

إنعقد سنة ٣٢٥ من ٤١٨ أسقفاً كان أكثرهم من كنائس الشرق، وعدد قليل من كنائس الغرب. وقد أناب أسقف روما قسيسين إثنين لحضور المجمع... ويرجح أن هوسيوس الكوردفى أو أسقف قرطبة هو الذى رأس المجمع. وقد وضع المجمع صيغة قانون الإيمان، وكان من الضرورى أن يؤلف قانون الإيمان، من مختلف دساتير الإيمان المعروفة فى الكنائس... وقد ألف أريوس وحزبه قانوناً للإيمان رفضه المجمع... كما قدم يوسبيوس القيصرى قانوناً يعبر عن إيمانه وإيمان الكنيسة التى يرعاها... وكان يوسابيوس هذا من أعلم أعضاء المجمع... وأكثرهم إلتصاقاً وإخلاصاً لأفكار أوريجينوس... وكان يعد أية محاولة لتحديد عقيدة التثليث المسيحى، بأدق مما فعل أوريجينوس بدعة وتعليماً جديداً لا يوافق هو عليه... ويتميز قانون الإيمان الذى وضعه يوسابيوس القيصرى بأنه مختصر، لكنه تخلص من المشكلة الحقيقية فى الموضوع، والتى أثارها أريوس والتى بسببها إنعقد مجمع نيقية، يشتمل على شىء لا يقبله أريوس بطريقته الخاصة.

ومن أهم ما جاء فيه:

«ونؤمن برب واحد يسوع المسيح، كلمة الله، إله من إله، نور من نور، حياة من حياة، ابن وحيد الجنس، بكر جميع الخلائق، مولود من الآب قبل كل الدهور، به كان كل شىء الذى من أجل خلاصنا تجسد...».

وعلى الرغم من أن أكثر أعضاء المجمع من الآباء المحافظين، قبلوا قانون إيمان يوسابيوس القيصرى، إلا أن القديس الكسندروس بابا الأسكندرية وتلميذه أثناسيوس وأتباعهما لم يقتنعوا بهذا القانون الموجز الذى لا يشتمل على إدانة صريحة للأريوسية... لذلك فقد وافقوا على قانون الإيمان القيصرى، ولكنهم أصروا على تعديله بحيث يتناول فى نوع من التفصيل رفضاً صريحاً للمبادىء الهرطقية التى نادى بها الأريوسيون... فاقترح الامبراطور بايعاز من هوسيوس أسقف

(1) A th.. de Syn. v. (A th. treatises, i. 68).

قرطبة، أن تضاف إلى القانون عبارة «الواحد فى الجوهر» ὁμοούσιος ومع ذلك كان لابد من تعديل بعض الصيغ والعبارات وشرحها فى تفصيل ووضوح... وقد ساهم أساقفة إنطاكية وأورشليم بعض المساهمة مع الوفد الأسكندرى فى وضع الصيغة النهائية لقانون الإيمان، ومن أهم التعديلات التى أحدثت، إحلال كلمة «الابن» بدلاً من «اللوغوس» فى المادة الثانية ثم تعريف كلمة γεγεννημενὸν بما هو أكثر منها دقة فى التعبير.

γεννηθὲντα ἒκ τοὒ παρὸς μονογενή

τοντἒστιν ἒκ της ουσἱας τοὒ πατρος

«الوحيد الجنس المولود من الآب» بمعنى أنه من جوهر الآب: ثم:

θεὸν ἄληθινὸν ἒκ θεοὒ ἄληθινοὒ γεννη

θἒντα οὒ ποσηθἒντα ὁμοοσσιον τωπατρι

«إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، واحد من الآب فى الجوهر».

ويلاحظ كيف قوبل فى العبارة الأخيرة مقابلة واضحة بين كلمتى الولادة و «الخلق» فى عبارة مولود غير مخلوق. وقد كان الأريوسيون يتعمدون الخلط بينهما... كما أن كلمة σαρκωθἒντα تجسد وهى كلمة غامضة قد فسرت بإضافة كلمة ἒνανθρωπ ἠσαντα تأنس إليها .... وأخيراً أضاف المجمع حروما تمنع التفسير الأريوسى لقانون الإيمان منعا باتا....

ولم يتفق المجمع على قانون الإيمان إلا بعد مناقشات حامية طويلة، وإعتراضات شديدة أثارها بعض الأعضاء فى مبدأ الأمر حول عبارة «واحد مع الآب فى الجوهر» ὁμοοὒσιος وعبارة «من جوهر الآب» ὒσἱας τὸν πατρος

وكان الامبراطور يتدخل أحياناً لتلطيف جو المناقشة... وأخيراً وافق المجمع ووقع أعضاؤه على قانون الايمان... ورأى يوسابيوس القيصرى أن يكتب لكنيسته رسالة يشرح فيها موقفه ويفسر فيها قرار المجمع... ثم قرر المجمع إدانة أريوس، وحكم عليه بالنفى، كما قرر أيضاً حرق جميع مؤلفاته، ووصم اتباعه منذ ذلك الحين بأنهم أعداء المسيح.

التعبير: «واحد فى الجوهر» أو «قائم فى ذات الجوهر» ὁμοοὒσιος

ونحن لا نعلم غير القليل مما حدث بالفعل فى مجمع نيقية... ولهذا لا يمكن أن نقطع بيقين كيف ظهرت كلمة ὁμοοὒσιος فى جو مناقشات المجمع... لم ترد فى رسالة

لكسندروس... فلا يبعد أن تكون قد جاءت على لسان أثناسيوس عند احتدام الجدل، وتحمس لها أوسيوس أسقف قرطبة، والامبراطور قسطنطين، فنحن نقرأ هذا التعبير فى خطب أثناسيوس فى الرد على الأريوسيين... فيقول : «إننا نؤكد أن الابن هو ابن الآب بالطبيعة والجوهر، وهو قائم مع الآب فى الجوهر الواحد. إنه حكمة الآب والابن الوحيد وهو كلمة الله الوحيد الحقيقى... فليس هو مصنوعا ولا مخلوقاً، وإنما هو مولود وهو كائن مع الآب فى جوهر واحد، لهذا نقول أنه الإله الحقيقى، حيث أنه كائن مع الآب فى جوهر واحد» (١).

وكان لابد أن تلقى كلمة ὁμοούσιος إعتراضات شديدة ليس فقط لأن هذه الكلمة قد رفضت سنة ٢٦٩، بمناسبة بدعة بولس السموساطى نظراً للإشكالات التى أثارها بولس، ولكن لأنها على الخصوص لم ترد فى الكتب المقدسة... وإستخدام تعبير لم يرد ذكره فى كتب الوحى أمر مستحدث وخطير.... وزيادة على ذلك، فإن كلمة ὁμοούσιος تنطوى على معنى من معانى هرطقة سابيليوس... إذ لما كان جوهر الله οὐσιος مساو لأقنومه أو لشخصه، فقد قيل أن ما هو قائم معه فى الجوهر ὁμοούσιος لابد أن يكون منطوياً فى جوهره كما هو الحال تماماً بالنسبة إلى الإنسان، إذ عقل الإنسان أو كلمته («اللوجوس: (λογος) هو جزء منه... وقال بعض آخر أن كلمة ὁμοούσιος لها معنى مادى.... وعلى هذا أنكر أريوس فى رسالته إلى البابا الكسندروس الفكرة التى عزاها هو نفسه إلى المانويين وهى: أن يكون المولود الإلهى جزأ كائناً مع الآب فى جوهر الله.

وعلى الرغم من هذه الإعتراضات ، فقد وجدت كلمة ὁμοούσιος أسباباً قوية تبرر إدخالها فى قانون الإيمان:

أولاً: لأن الضرورة كانت تدعو إلى استخدام هذه الكلمة... فلم يكن ثمت تعبير آخر أصلح من هذا التعبير لنفى الفكرة الأريوسية، ولحماية تعليم الكتب المقدسة من محاولات أريوس لإفساده... فالمعنى الرئيسى الذى تنطوى عليه كلمة ὁμοούσιος هو أن الابن ليس مخلوقاً... ولا يكفى لإيضاح هذه الحقيقة أن يقال أن الابن من الله ἐκ θεοῦ فقد يحتج أريوس بعبارة الرسول بولس فى رسالته الأولى إلى كورنثوس: «لنا إله واحد، الآب

---

(١) الرد على الأريوسيين، خطبة ١ ف ٩.

الذى منه جميع الأشياء» (١) ἐξοντἄ πἄντα ويزعم أن الابن هو أيضاً من بين «جميع الأشياء» Τἄ παντα كذلك لا يكفى أن يقال عن الابن أنه الصورة المطابقة ἄπαρἄλ λακτος ἐικών للآب. فقد يقال أيضاً عن الكائنات المخلوقة، أنها تماثل الله أو تشبهه بمعنى نسبى أو أدبى... لذلك فلا مفر من استخدام كلمة ὁμοούσιος لحماية تعليم الكتب المقدسة، الذى تسلمته الكنيسة عن طريق التقليد الشريف..... ولما كان أباء الكنيسة يخشون من استعمال ألفاظ ميتافيزيقية، خوفاً من إعاقة الإيمان المودع فى الكنيسة المقدسة.... لهذا فقد ألزمتهم الضرورة إلى إستخدام كلمة ὁμοούσιος التى تلخص التعليم المسيحى، وبذلك يقضون على تعاليم الهراطقة ويبينون أن الكلمة ليس مخلوقاً.

ثانياً: لأن السياق يحدد المعنى المقصود من كلمة ὁμοούσιος ولا سيما الحروم التى ألحقت بقانون الإيمان. فليس ثمت خطر من استخدام كلمة ὁμοούσιος ولا خوف من أن تستدعى إلى الأذهان شيئاً من أفكار سابيليوس المبتدع، مادامت كلمة ὁμοούσιος محمية بعبارات أخرى مثل «الابن الوحيد الجنس» بمعنى أنه من جوهر الآب μονογενή τούεστιν ἐκ τής ονσιας πατρος ثم أنه لا مجال أيضاً لأى تفسير أو تأويل مادى لكلمة ὁμοούσιος لأن الله روح، وهو واحد فى الجوهر، كما هو معروف.....

ثالثاً: أما أن كلمة ὁμοούσιος قد سبق أن رفضت بالفعل فى أنطاكية، فلأنه كان من الممكن أن يساء استخدامها وفهمها فى ذلك الوقت بطريق المغالطة. وقد شرح القديس أثناسيوس هذه المسألة شرحاً وافياً، وأبان حقيقة الموقف فى انطاكية... وقال أثناسيوس، أن أكبر معلمى الكنيسة من أمثال أوريجينوس وثيوغنوستوس Theognestus وديونسيوس، قد استعملوا هذه الكلمة ὁμοούσιος أو ما يقابلها تماماً، بالمعنى الذى تقبله الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية، أى بنية إثبات أن ابن الله هو ابن حقيقى، ولذلك فهو إله وغير مخلوق، ويوسابيوس القيصرى نفسه يصرح فى رسالته إلى كنيسة قيصرية بأن «بعض العلماء والمشاهير من قدامى الأساقفة والكتاب قد استخدموا هذا التعبير (٢) ὁμοούσιος

---

(١) ١. كو ٨ : ٦.

(٢) رسائل أثناسيوس ١ ف ٥٨، ٢ أنظر تحت ὁμοούσιος

وعلى ذلك فكلمة ὁμοούσιος استخدمت فى انطاكية واستخدمت فى نيقية... ولكن ليس بمعنى واحد eadem materia فقد استخدمها بولس الساموساطى بمعنى، ولكن أريوس رفض استخدامها بمعنى آخر...

وهكذا انتهى مجمع نيقية إلى إقرار قانون للإيمان وصفه القديس أثناسيوس الرسولى بأنه «يحمى الحق والتعبد للمسيح».

ἓκ δικοῦντες μὲν τὴν ἀλήθειαν καί τὴν εἰς χριστὸν εὔσεβειαν (١)

ولكن النصر الذى أحرزه المدافعون عن الإيمان فى مجمع نيقية، لم يكن نصرا نهائيا على الأريوسية، ولا نزعم أنه استطاع أن يقضى قضاءا تاما على المتاعب التى سببتها الأريوسية للكنيسة. لقد كانت الأريوسية ثورة على التعليم المسيحى فى أزلية الابن، لكن هذه الثورة لم تخمد فى سهولة ويسر، بل ظلت الكنيسة تجاهد ضدها بعد مجمع نيقية أيضا بنصف قرن من الزمان، كان مليئا بالأحداث الأليمة فى الشرق والغرب... وكاد الإيمان فى لاهوت المسيح أن يفنى، لو لم يهب الله للكنيسة القديس أثناسيوس الرسولى بابا الأسكندرية فى ذلك الوقت... فقد كان له من صفات الثبات والصمود والعناد فى الحق، ما كفل له الانتصار الحاسم، على أكبر بدعة كادت أن تمحو كيان الكنيسة المسيحية من كل الأرض. لقد حفظ الله أثناسيوس بعناية خاصة فلم يخطئ فى تعليمه ولا فى تعبيره، بصورة جعلت كل عبارة من أقواله تعبيرا سليما عن عقيدة الكنيسة الجامعة... وجميع الكنائس فى الشرق والغرب تعد أثناسيوس ليس أكبر معلميها فقط، بل وأيضا حامى الإيمان الرسولى... وقد أنصف من دعاه من المؤرخين بمؤسس المسيحية الثانى...

كان لأثناسيوس عقلية لاهوتية ممتازة جدا، ومقدرة غير عادية على ألا يغال فى الأنظار اللاهوتية من دون أن يزل عقله أو يخطئ لسانه أو قلمه... وفضلا عن هذا، فقد كانت له صفات روحانية تمشت بموازاة عجيبة مع عقليته اللاهوتية... فكان بهذا كله أبرز رجل من قديسى الكنيسة، توافرت لديه أرثوذكسية الحياة الروحية بقدر ما توافرت له أرثوذكسية العقيدة الدينية..

قال أحد اللاهوتيين من أساقفة الكنيسة الإنجليزية «احتاجت الكنيسة إلى تربية طويلة قبل أن تصبح جديرة بأن تفسر التعليم الرسولى الحقيقى... وقد أتيح لها ما لزمها من هذه التربية، بفضل الصراع الذى صارعته أكثر من قرنين مع الغنوسيين والأبيونيين والسابليين والأريوسيين، فليس الخلفاء الحقيقيون للرسل بهذا المعنى، هم آباء القرن الثانى. وإنما هم آباء القرنين الثالث والرابع... حقا إننا نجد فى شروح العصر النيقاوى مصطلحات فنية وتعريفات

---

(1) de Syn. Liv,

(تحديدات منهجية) لكن فكرة شخص (أو أقنوم) المسيح التى واجه بها القديس بولس اليهودية الغنوسية، هى فى صميمها وجوهرها الفكرة عينها التى عارض بها آباء هذه القرون المتأخرة، السابيلية والأريوسية فى عصرهم (١).

وبالإجمال لقد حاولت الأريوسية أن تخضع المسيحية للمنطق وللفلسفة ففشلت، وتحاول الأريوسية الجديدة ممثلة فى شهود يهوه ما حاولته أمها من قبل، ولكن الذى حفظ الكنيسة فى القديم سيحفظها إلى يوم يبعثون، وستفشل كل الجهود البشرية المستندة إلى حيل الشيطان وأساليبه، كما فشلت للهراطقة جهود من قبل... فويل للذين يجندون نفوسهم لمقاومة بيعة الله المقدسة... وطوبى للذين يحفظون الإيمان بلا تغيير ولا انحراف، ولا تطوير... والشيطان وإن أزعج الكنيسة ويزعجها إلى مجئ المسيح الثانى، لكنه لن ينتصر عليها... فالرب وليها حي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها.

النصوص
التى اعتمد عليها أريوس واتخذها أساسا لبدعته

أولا : نصوص لبيان وحدانية الله :

(١) «اسمع يا إسرائيل إن الرب إلهنا رب واحد» (٢)

هذا النص يدل على الوحدانية ولا يتعارض مع التثليث، والمسيحية الأرثوذكسية تؤمن بالوحدانية وتؤمن أيضا بالتثليث، ولا تعارض بين الوحدانية وبين التثليث.. لأن الوحدانية من جهة وأما التثليث من جهة أخرى..... الوحدانية فى الجوهر وفى الذات الإلهية، لأن الجوهر الإلهى واحد والذات الإلهية واحدة... وأما التثليث فتثليث فى الأقانيم... تثليث فى الصفات الإلهية وهى الصفات التى تقوم عليها الذات الإلهية... وبدونها تنعدم الذات الإلهية الواحدة... وهذا النص المقدس أورده السيد المسيح فى العهد الجديد كما هو للدلالة على الوحدانية... وهذا النص هو أحد النصوص التى استند إليها مجمع نيقية المسكونى سنة ٣٢٥م عندما قرر قانون الإيمان.

«نؤمن بإله واحد» وعندما قال أيضا «نؤمن برب واحد».

وإذا كان أريوس يورد هذا النص ليعارض به عقيدة الكنيسة المسيحية الأرثوذكسية فى التثليث وفى أزلية السيد المسيح له المجد، فهذا يدل فى نفس الوقت على سوء فهم أريوس للعقيدة المسيحية فى التوحيد والتثليث معا...

---

(١) الأسقف ليتفوت Lightfoot فى تفسيره الرساله إلى كولوسى ـ الطبعة ٧ ص ١٢٥.
(٢) تث ٦ : ٤.

(٢) «فقال له يسوع لماذا تدعونى صالحا إنه لا صالح إلا الله وحده» (١)

وهذا نص آخر يؤيد الوحدانية ولا يتعارض مع التثليث.. فالسيد المسيح عندما نطق بهذا القول القدسى، أراد به أن يستثير إيمان الشباب الحقيقى فى شخصه المبارك باعتباره الإله المتجسد... حيث أن الله فى حقيقته وجوهره غير منظور... ولكنه أصبح منظورا منذ التجسد الإلهى، والمسيح له المجد وهو الله منظور فى الجسد، أو هو الله وقد أصبح له كيان جسدى وصورة منظورة محسوسة، أو هو الله محتجبا فى الناسوت الظاهر للناس.

إن الشاب الغنى ابتدر حديثه للسيد له المجد بقوله أيها المعلم الصالح. والسيد المسيح يريد أن يستدرج الشاب إلى الإيمان الحقيقى بشخصه المبارك، فقال له «لماذا تدعونى صالحا، إنه لا صالح إلا الله وحده».

وكأنه يقول له : هل كان تلقيبك لى بأنى معلم صالح سخاءا فى التعبير، أم كان قولك صحيحا دقيقا يعبر عن عقيدة كامنة فى نفسك... فإذا كان قولك سخاءا فى التعبير... فهو قول خاطئ لأن الصلاح الكامل صفة يتفرد بها الله وحده... وإذا كان قولك صحيحا ودقيقا ويعبر عن عقيدة كامنة فى نفسك بأننى صالح فهو إقرار منك بأننى هذا الواحد الصالح... وبعبارة أخرى أننى هو الله الذى يتصف وحده بالصلاح.

والقول كله فى تعبير سيدنا وفادينا إشارة من كثير من إشاراته المقدسة التى أشار بها إلى لاهوته، لأن سيدنا وإن كان قد جاء محتجبا فى الناسوت وقد أخفى لاهوته عن الشيطان، لكنه من وقت لآخر كان يشير بالقول تارة وبالمثل تارة أخرى، وبالعمل تارة ثالثة إلى حقيقة لاهوته، على أنه كان يعود بعد كل قول أو مثل أو فعل يشير به إلى لاهوته، كان يعود إلى إخفاء لاهوته من جديد فى تصرف من تصرفات الضعف البشرى، كالجوع والعطش والتعب والنوم والصلاة الضارعة والألم الذى يدل على حقيقة ناسوته وكماله...

(٣) «وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك والذى أرسلته يسوع المسيح» (٢)

المعنى هنا أن المعرفة بالله هى الحياة الأبدية، ولن تكون كذلك إلا إذا كانت معرفة خصبة عميقة غنية حية ممتدة. ليست إذن مجرد معرفة نظرية سطحية ضحلة، لأن هذه الأخيرة ليست فى حقيقتها معرفة... ولعلها أقرب إلى الوهم من الحقيقة، والذى يعرف الله معرفة حقيقية باطنية عميقة، يكون حياً حياة لا يسودها الموت ولا يقوى عليها، وبذلك يكون قد دخل فى الأبدية وهو على الأرض... إذن هو حي... لكن لا حياة خارجية تافهة... وإنما هو حي حياة خصبة غنية نشطة فعالة قوية.

---

(١) لو١٨ : ١٩ (٢) يو١٧ : ٣.

سيدنا يؤكد أن معرفة الله... هى هذه الحياة الأبدية، والله هنا هو الآب الذى يعرفه اليهود لأنه أصل الوجود وهو أب البشر... وهو الكائن الأول... واجب الوجود... والعلة الأولى للوجود... فهو إذن إله حقيقى...

وأما يسوع المسيح... فهو الأقنوم الثانى متجسدا.. هو الكلمة فى الجسد... وهو الكائن منذ الأزل مع الآب وهو عقل الله وكلمته... لم تمر لحظة من الزمان كان فيها الآب ولم يكن الابن موجودا معه... ولكنه قد ظهر فى الزمان من أجل عمل الفداء... فالابن والآب هما جوهر واحد ولاهوت واحد، وهما مع الروح القدس ذات إلهية واحدة، ولا فارق بين الأقانيم إلا من حيث الاختصاص... والابن هو الذى تجسد، وإن كان الآب والروح القدس قد اشتركا معه فى عمل التجسد من حيث هما معه فى الذات الواحدة، وإن كان فعل التجسد مختصا بالكلمة.

والواو هنا لا تفيد الإنفصال ولا تفيد العطف وانما تفيد الإيضاح والتفسير... ونحن حينما نقول باسم الآب والابن والروح القدس، فلا نقصد الإنفصال بين الأقانيم. وإذا كان المسيح له المجد يناجى الآب ويقول : «أنت الإله الحقيقى وحدك»،... فلا يدل هذا على أن العبارة التالية وهى : «يسوع المسيح الذى أرسلته» إضافية، وإنما هى تفسيرية تمشيا مع المعرفة السابقة للإله الواحد كما كان يفهمها اليهود.

وأما الإرسال فليس معناه الإنفصال، أو أن الابن رسول على ما يفهمه المسلمون، وإنما الارسال هنا باطنى... فى داخل الوحدة الثالوثية... والإشارة إلى فعل التجسد الذى تم بتدبير الثالوث القدوس... ونظرا لأن الكلمة أصبح له كيان جسدى ظاهر أمام الناس فى ذلك الزمان، ولابد أن تفسر العلاقة بين الآب الذى يعرفه اليهود وبين الكلمة المتجسد.

فالكلمة مرسل بالمعنى الخاص للدلالة على فعل التجسد، وللدلالة على الكيان الجسدى الذى أصبح له على الأرض... ولكنه ليس رسولا بالمعنى الذى يفهمه المسلمون لأنه ليس مجرد إنسان... ولا هو نبيا أو رئيسا للأنبياء... ولكنه هو بعينه الكلمة مقيم السماء والأرض، الذى له تخر كل ركبة فى السموات وعلى الأرض وهو مع الآب والروح القدس الإله الحقيقى وحده الذى له السجود...

ثانياً : نصوص لبيان طبيعة البنوة :

(٤) «لذلك مسحك الله إلهك بدهن البهجة أفضل من رفقائك أو شركائك» (١)

إذا كان هذا المزمور مناجاة وصلاة للمسيح إلهنا، فهو مناجاة له من حيث هو متجسد لأن صاحب المزمور يشبهه بملك ممسوح بالدهن المقدس... وإذا كان المسيح هو الكلمة المتجسد فقد جمع فى شخصه الإلهى بين الإله والإنسان... ومن حيث لاهوته فهو شريك للآب والروح

---

(١) مز ٤٥ : ٧.

القدس فى الجوهر الإلهى والذات الإلهية... ومن حيث ناسوته فهو شريك للإنسان فى اللحم والدم وكل ما يتصل به... والكلمة المتجسد سمى مسيحا لأن الروح القدس انسكب عليه... فهو مسيح لأنه عين بمسحة الروح القدس ليكون نبيا وملكا وكاهنا وليكون فاديا للبشر، وإذن فمن هذه الجهة عومل كلمة الله المتجسد معاملة إنسان، لأنه اشترك مع الإنسان فى اللحم والدم... فحق لصاحب المزمور أن يكلمه بهذه الصفة، وأن يناجيه كملك ممسوح من الله... فالمسيح إله من حيث لاهوته... وكإنسان لاهوته هو إلهه...

(٥) «ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله» (١)

يبدو أن أريوس فهم من هذا النص الإلهى أن المسيح شئ آخر غير الروح القدس، وأنه لا قدرة له بغير الروح القدس على أن يخرج الشياطين... ولكن هذا خطأ فى الفهم، والمعنى أن المسيح له المجد أراد أن يؤكد سلطانه على إخراج الشياطين، وأراد فى نفس الوقت أن يؤكد لليهود أنه على الرغم من ذلك ليس هو إلها آخرا غير الإله الذى هم يعرفونه... لذلك لابد أن يبين تضامن الأقانيم الثلاثة معا لأنها قائمة معا وكائنة معا فى جوهر واحد، وهذا النص المقدس يشير بوضوح إلى الأقانيم الثلاثة... فالابن هو المتكلم... والروح القدس هو المشار إليه بروح الله... والآب وهو المشار إليه بالله... فهذا التعبير إذن تعبير للدلالة على أن عمل إخراج الشياطين، وإن كان بسلطان المسيح وهو الابن الظاهر فى الجسد لكنه بغير إنفصال عن الآب، والروح القدس.

(٦) «أما المدعوين من اليهود واليونانيين فالمسيح قوة الله وحكمة الله» (٢)

ما الذى يزعج شهود يهوه والأريوسيين من هذا النص !!!.. ربما يقولون أنه فى كلامه «قوة الله وحكمة الله» أنه يوجد تفريق بينه وبين الله، ولكن عندما يقول أن المسيح «قوة الله وحكمة الله»....

فأولا : يتكلم عن ربنا يسوع المسيح بعد التجسد، لأن لقب (يسوع) لقب من ألقاب الأقنوم الثانى بعد التجسد، فهو يقصد الله الذى أخذ صورة الإنسان... فعند قوله «يسوع المسيح حكمة الله وقوته» لا يقصد أنه افترق عن اللاهوت... ولكن يقصد أنه بعد التجسد وهو الله المتجسد صار حكمة لله، فالحكمة لها شواهدها... فلو قلنا هذا الرجل حكيم فمن أين عرفنا هذه الحكمة؟ الحكمة شئ روحى وعقلى... تصرفات الإنسان المنظور هى برهان حكمته غير المنظورة... أصبحت منظورة بكلامه وتصرفاته.. فالله غير المنظور الذى لم يره أحد ولا يقدر أن يراه، صار منظورا بأن اتخذ لنفسه جسدا ولكن لاهوته غير المنظور (منظور) لأنه مستتر فى الجسد...

---

(١) مت ١٢ : ٢٨ (٢) ١. كو ١ : ٢٤

فالمسيح لأنه صار منظورا وهو الله غير المنظور، أصبح حكمة الله لأن الحكمة المخفية ترى فى التصرفات... عندما يقول : «فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الله الكلمة»... فكيف كان الكلمة منذ البدء... وإن الكلمة هى برهان العقل غير المنظور... إننا نعرف مقدار عقل الرجل من أعماله وأقواله... فلولا أن عرفنا ذلك لما عرفنا أنه عاقل... فالعقل شئ غير منظور يرى فى الكلام... فالكلمة هى الفكرة متجسدة على اللسان من العقل، وإذا لم تتجسد لا تسمى كلمة بل فكرة فقط... فالله غير المنظور بطبيعته ولكنه صار منظورا بكلمته... من هنا المسيح هو الكلمة لأنه تجسد، والله هو العقل الذى لا يرى ولكن عندما صار منظورا فى المسيح صار مرئيا... فالمسيح كلمة الله لأن فيه رأينا العقل غير المنظور، لأن الكلمة وإن كانت تتجسد فى الزمان إلا أنها هى العقل قبل التجسد... من هنا فالكلمة وإن ظهرت فى الزمان إلا أن وجودها سابق على الزمان... فالمسيح وإن كان تجسده تم فى الزمان، إلا أن وجوده كان موجود قبل الزمان، وبعد التجسد مازال متصل مع الآب ومع الروح القدس اتصال أزلى... فهو الكلمة وهو العقل الإلهى...

وإن كان تجسد فى الزمان إلا أنه متصل بالوجود الإلهى منذ الأزل، فوجود الكلمة فى العقل الأزلى لا ينفى أزليته بعد التجسد...

فلو قال الكتاب «المسيح حكمة الله» لا نستطيع أن نتصور الله فى لحظة من الزمان كان الله فيها غير حكيم وغير عاقل... فالحكمة قائمة معه منذ الأزل، فليس هنا فصل بين المسيح والله، ولكن لبيان أن المسيح هو الذى ظهرت فيه حكمة الله غير المنظورة صارت منظورة فى المسيح، لأنه هو الذى أبرز هذه الحكمة لأنه جعلها قريبة من فهم الإنسان.

وعند قوله «المسيح قوة الله» نفس القياس... الله قوى وقوته ظاهرة فى الخلق... فمن أين نعرف قوته.. فكلما نقول أنه قوى وهو غير منظور، فكيف نقول ذلك إن لم نر خليقته، وصنعة الخلق هى خاصة بالأقنوم الثانى، عمل الخلق عمل خاص به «به أيضا عمل العالمين»، والمسيح ليبين أنه خالق عندما وجد المولود أعمى ليس له عينين، صنع من التفل طينا ووضع مكان عينيه... فهو شفى الأعمى وعميان كثيرين... ولكن أحيانا كان يقول لهم (أبصر- انفتح- بالتدريج) ولكن هنا الحادثة الوحيدة التى تؤكد أن هذا الإنسان لم يكن له عينين... فالمسيح فى هذه الحادثه عمل كما كان فى الخليقة «جبل الرب الإله الإنسان ترابا من الأرض» صنع هذه المعجزة بنفس الطريقة... فالخلق إذن صفة وعمل الأقنوم الثانى... والله يعد خالق للكون بالاقنوم الثانى. فلو مسكنا الإنسان نجد أنه لا يحب الله أو قريبه بالعقل، لأن العقل لا يناسبه الحب بل التفكير والتخطيط والتدبير، ولكن الحب بالعاطفة ومركز الحب والعاطفة هو القلب «حب الرب إلهك من كل قلبك» فالقلب مركز الحب... والعقل مركز التفكير... فعندما خلق الله العالم

فالخلق إنما تفكير وتدبير، ثم العمل والخلق ... فالصانع يفكر فى صورة الإنسان ذهنيا، ثم يعمل المطابقة بين ما فى ذهنه وما يريد صنعه... فعندما خلق الله الإنسان فكر فى الصورة التى تكون عليها قبل الخلق ولذا «صنع الإنسان على صورته».

فالعقل هو الخلاق والمدبر فهو العقل الإلهى والفكر والكلمة والحكمة وكل ذلك ألقاب للأقنوم الثانى، وعند قوله «المسيح قوة الله» ليس معناه الله حاجة والقوة حاجة أخرى. ولو حذفت القوة منه فماذا يبقى... قوة الله هو الله نفسه وهذه القوة تظهر فى الخلق، والخلق من صفات الأقنوم الثانى، فعندما يقول الكتاب «المسيح هو قوة الله» يقصد بأن الله وهو غير منظور صارت قوته وقدرته منظورة فى المسيح... فالمسيح قوة الله لأنه هو الله وقد صار منظورا....

ثالثاً : نصوص زعم أريوس أنها لبيان خلقة اللوغوس :

(٧) «الرب اقتنانى فى أول طريقه قبل ما عمله منذ البدء. من الأزل مسحت من الأول. من قبل أن كانت الأرض ولدت. حينما لم تكن الغمار... والينابيع الغزيرة المياه. قبل أن أقرت الجبال وقبل التلال ولدت، إذ كان لم يصنع الأرض بعد «ولا ما فى خارجها ولا مبدأ أتربة المسكونة، حين هيأ السموات كنت هناك، وحين رسم حدا حول وجه الغمر حيث ثبت الغيوم فى العلاء وقرر ينابيع غمر. حيث وضع للبحر رسمه. المياه لا تتعدى» (١).

استعان أريوس بهذا النص الذى رأى فيه إشارة إلى سيدنا يسوع المسيح، ورأى فيه ما يدل على خلقة الابن ولكن هذا النص عينه يخيب أمل أريوس فى الاعتماد عليه، فاذا كانت الحكمة المشار إليها هنا هى الحكمة الأزلية. فالرب اقتناها لا بمعنى أنه خلقها، ولكن بمعنى أنها كانت منذ الأزل ولاتزال قائمة وكائنة عنده، ولا يختلف هذا التعبير كثيرا عما يقوله القديس يوحنا فى إنجيله «فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله».

والبدء الذى يشير إليه سفر الأمثال هو البدء بعينه الذى يشير إليه إنجيل يوحنا، لأنه هو الأزل، والدليل على ذلك أن النص فى سفر الأمثال يقول مباشرة من الأزل مسحت من الأول من قبل أن كانت الأرض. والأول هنا هو الأزل والأزل ما لا بداية له فى الزمان. ولا يحيا فى الأزل إلا الله... لأن الله وحده هو الأزلى الذى لا بداية له... وهو وحده الألف والياء... فإذا كانت الحكمة التى يتكلم سفر الأمثال باسمها، يشار إلى أنها كائنة عند الله منذ الأزل.. فالمعنى من ذلك أن الابن قائم وكائن مع الآب منذ الأزل وإلى الأبد.

---

(١) أمثال ٨: ٢٢ – ٢٩، أنظر أيضا يشوع بن سيراخ ص ١ : ٤ – ٩.

وهذا النص يتكلم عن الحكمة الإلهية، وفى هذا إشارة إلى المسيح باعتبار أنه هو المقصود من هذه الحكمة... هذه الحكمة تتكلم... يقول شهود يهوه والأريوسيون مادام الرب يقول : الرب اقتنانى أول طريقه، فمعنى ذلك أن المسيح لم يكن أزليا لأنه قال «اقتنانى»، ولكن كلمة «اقتنانى» لا تعنى أن هذا الاقتناء كان حديثا، أو كان هناك فرق زمانى بين الله وبين حكمته، وليست «اقتنانى» بمعنى «أوجدنى» حاشا. لكن اقتنى هنا بمعنى حاز أو ملك أو أحرز... وذلك لأن الكلمة العبرانية «قينية» وهى مثل العربى بمعنى أحرز، ملك. حاز... هذا اللفظ نجده مثلا استخدمته حواء عندما ولدت قايين فقالت «قد اقتنيت رجلاً من عند الرب» لا بمعنى أن حواء خلقت قايين.. حاشا.. ولكن بمعنى أنه صار ابنها أى أحرزته... صار اسمه منسوباً إليها... صار ولدها ... وبالتالى ليس غريباً عنها ... وهذا اللفظ استخدمه أيضاً ابرآم (ابراهيم)، عندما كلمه ملكى صادق «مبارك ابرآم من الله العلى مالك السموات والأرض» فقال ابرآم رفعت يديّ إلى الرب الملك العلى «مالك» السموات والأرض وكلمة «مالك» هنا هى قينية بالعبرانية بمعنى «أحرز أو حاز» وعلى ذلك فعندما يقول الرب اقتنانى أول طريقه، أى أن الحكمة تقول أن الرب أحرزنى من الأول منذ الوقت الذى كان فيه الله نفسه إلهاً، اقتنانى من الأول أى منذ البدء بدون أى فرق زمانى ... ويلاحظ أن الترجمة العربية حرفية ... لكن المعنى واضح هنا تعنى أن الله حاز الحكمة منذ الابتداء .... منذ الأول .... منذ الأزل.. منذ أن كنت أنا إلها كانت الحكمة معى.. والحكمة قائمة معى ... يقول الرب إنى أحرزت الحكمة منذ البدء منذ بدء وجودى... على أن الله ليس له بدء لأنه موجود من الأزل، وبمعنى آخر أنه منذ أن كان لله وجود، الحكمة موجودة عنده ... وهذا يشير إلى قيام الحكمة مع الله ووجودها معه منذ البدء. أى أنه لم توجد لحظة من الزمان كان الله فيها موجوداً ولم تكن الحكمة موجودة معه ... وهذا حق لأننا لا نستطيع أن نتصور الله كلى الحكمة، كان لحظة من الزمان خاوياً من الحكمة، هذه العبارة إذن لا تزعجنا ولا تشككنا فى أزلية المسيح، لأن القرينة نفسها تدل على أن الحكمة (وهى الابن) موجودة منذ البدء مع الله موجودة منذ الأزل ... وهكذا يشير إلى أن الله حكيم منذ الأزل.. منذ بدء الوجود، وهذا عكس مفهوم الهراطقة لأنهم ظنوا أن كلمة اقتنانى تدل على أن الحكمة جاءت فيما بعد. لكن كلمة «أول طرقه» وضحت المعنى أن الحكمة قائمة مع الله منذ بدء الوجود، منذ كان الله هو البدء، فالحكمة كائنة معه ... وهكذا يطابق قول الإنجيلى القديس يوحنا «فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله» وقوله «الكلمة عند الله» هو كقول سفر الأمثال «الرب اقتنانى أول طرقه» فالكلمة أو العقل الإلهى والحكمة كانت عند الله منذ البدء أى فى البدء كان الكلمة، وقوله «عند الله» أى لم يكن وجود للكلمة فى مكان آخر، إنما كان عند الله منذ وجوده

تعالى، وكلمة «عند» لا تدل على المكانية لأن الله ليس له مكان، أى أن المكان خارج عن الوجود الإلهى لأن الله يملأ السموات والأرض وهو غير محدود.

ولتوكيد هذا المعنى يقول « قبل ما عمله منذ البدء » أى قبل الخليقة لأن الخليقة خلقت بالحكمة، الله هو خالقها لأنه هو الأول والخالق وخلق الكون بحكمة ... يقول قبل ما عمله منذ البدء ... أى قبل الخليقة أى الحكمة قائمة مع الله قبل الخليقة. بل هو الخالق الذى به خلق العالمين، قبل ما عمله منذ البدء. « من الأزل مسحت»، هذه جملة بدل جملة (بدل) أى توكيد لقوله منذ كان الله فى البدء منذ الأزل .... مسحت... وما هو الأزل؟ الأزل هو ما لا بداية له ... والأزل لاينسب لغير الله... لأن الإنسان مخلوق ومادام مخلوقاً فله إبتداء ومادام له إبتداء فليس أزلياً، بل الإنسان خالد أى لا يموت... قلت «خالد» ولم أقل «أبدى» الإنسان لا يموت ومع ذلك لا يتصف بالأبدية، لأن الله وحده هو الأبدى لأنه هو وحده الأزلى الذى لا بداية له ... والإنسان لم يكن أزلياً إذن لا يكون أبدياً ... فالصفتان «أبدى، أزلى» متلازمان وهذه ترجمة لمعنى كلمة يهوه، وبالعبرانى تعنى الأزلى الأبدى، أى السرمدى .... والإنسان لا يوصف بالسرمدية.

يقول هنا «منذ الأزل مسحت» وهذا الوصف الذى تتصف به الحكمة لا يمكن أن يتصف به إلا الله وحده... فمن هذا النص نفسه يتضح أن المسيح أى الحكمة قائم مع الله منذ الأزل، منذ البدء ، وإذن فهو يهدم مذهب الأريوسيين وشهود يهوه، الذين زعموا وظنوا أنه يؤيدهم، إذن لم تكن لحظة من الزمان كان فيها الله ولم تكن معه الحكمة ... لأن الحكمة لم تكن دخيلة على الله وجاءت عليه من خارج.. حاشا...

وقوله «مسحت» يعنى أن شخصاً مسحنى ... والمسحة، دائماً تعنى التعيين، والمسيح معناه «المعين لمهمة معينة » ... لما كان الملك أو النبى أو الكاهن يمسح أى عين من الله لكى يؤدى وظيفة .. فالحكمة هنا تقول «مسحت من الله» أى «عينت» لا بمعنى أن أحداً عينها ولكن بمعنى أن عمل الفداء، عمل الخلاص عمل الخلق هو من تخصص الأقنوم الثانى... وليس فى هذا التمايز بين اختصاصات الأقانيم غرابة. فالإنسان مثلاً يفكر بالعقل ويتأمل روحياً بالعقل ... لكنه يعطف ويحب ويتحنن أو يكره بالقلب... والإنسان هو هو بعينه لا ينقسم، لكن للعقل تخصص التفكير والمعرفة والعلم، وأما القلب فتخصص العاطفة والحب والحنو والرحمة والكراهية وما إلى ذلك..... والأقانيم خواص فى الذات الإلهية الواحدة ولكل أقنوم تخصص من دون إنقسام فى الذات الإلهية.. والأقنوم الثانى هو المختص بالخلق، لذلك طلى المسيح عينى المولود أعمى بالطين، ليبين أنه الخالق ويؤكد الرسول بولس أن الابن هو الذى عمل العالمين... فالمسيح

إذن هو الخالق .. لأن الخلق عمل العقل ... والصانع عندما يصنع شيئاً فإنه يصنعه وفقاً لصورة فى الذهن وطبقاً للصورة يعمل الصنعة ... والله خلق الإنسان طبقاً للصورة الموجودة فى العقل الإلهى والعقل الإلهى هو المسيح، لذلك فإن عمل الخلق هو من اختصاص الأقنوم الثانى ...

«عينه» أى منذ الأزل أنا معين لهذه المهمة .. لا بمعنى أن شخص عينني... الحكمة أو الابن قائم مع الآب منذ الأزل، أى أنه شريك الآب فى الأزلية، ولأن الآب لم يكن أعلى منه حتى يعطيه الأزلية والخلق والعمل، ولكن هو شريك مع الآب ... «من الأول» ... أى يؤكد ما قاله سابقاً يعنى منذ الأزل.

(٨) «فليعلم يقيناً جميع آل إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه رباً ومسيحاً» (١)

لقد ضل أريوس لأنه فهم من هذا النص أن يسوع المسيح مخلصنا لم يكن رباً ومسيحاً من قبل، وأن الله هو الذى جعله رباً ومسيحاً، ولكن الرسول الذى خطب فى جماهير اليهود قصد أن يخجل اليهود ويبين لهم مدى الجريمة التى ارتكبوها فى إنكارهم للمسيح، وفى ثورتهم عليه وفى صلبه وفى قتله.

فيسوع هذا الذى هم يعرفونه أنه هو الذى صلب ومات وقبر، هو الذى يكرز به الرسل فإنه قام من بين الأموات، وصعد إلى السموات وأرسل الروح المعزى كما وعد.. . فيسوع هذا لم تنته قصته بما فعل به اليهود، وإنما المصلوب هو بعينه المكروز به، أنه قام من بين الأموات وأنه هو الذى أرسل الروح القدس على التلاميذ الأطهار، وجعلهم قادرين على أن يتكلموا بلغات متنوعة بصورة معجزية دهشت لها الجماهير.

فيسوع المسيح إذن ليس ضعيفاً وإنما هو قوى وعظيم وجليل. وهو كذلك فى ذاته من حيث لاهوته، وإن كان قد ظهر فى الضعف من حيث ناسوته، فيسوع الذى هم يعرفونه فى صورة الجسد، ينبغى أن لا يبقى فى الصورة التى يعرفونها هم عنه. وإنما فى الصورة المجيدة التى ظهرت بقيامته وصعوده إلى السموات، وإرساله الروح المعزى وصنعه الآيات والعجائب على أيدى الرسل الأطهار، فالعبارة التى نطق بها الرسول هى تعبير يشرح التطور الذهنى، فى الصورة المفهومة عن المسيح له المجد، وهى صورة متغيرة تبعاً للمفهوم الذى صاحبها بالنسبة لليهود بصفة خاصة... وإلى الناس جميعاً بصفة عامة...

---

(١) أعمال ٢ : ٣٦.

ولفظ جعل لا يفيد أن يسوع المسيح له المجد.. قد تغير فى ذاته ... وإنما هو تعبير للدلالة على التطور الذهنى، فى الصورة التى كانت للمسيح بالنسبة لأذهان اليهود، إلى أن انتقلت إلى الصورة التى أصبحت له فى أذهان اليهود الذين آمنوا بالمسيح بمعجزة التكلم بالألسن.

(٩) «الذى هو صورة الله غير المنظورة وبكر كل خلق» (١)

والظاهر أن أريوس استعان بهذا النص لاسيما الجزء الأخير منه، لتأييد بدعته فى أن الابن مخلوق.. أما النص نفسه فلا يحتمل شيئاً من هذا، بل واضح من النص الدلالة على علاقة الابن بالآب، أو العلاقة بين الله غير المنظور وبين الله وقد صار منظوراً... وهو ما يؤكده إنجيل يوحنا «الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو خبر» ... وأما أن الابن هو بكر كل خلق فالمعنى أن الابن هو رأس الخليقة وسيدها ومبدئها، لأن به كان كل شئ وبغيره لم يكن شئ مما كان ولأن به عمل العالمين. وكلمة البكر تفيد الأول ... لأن الله هو الأول وهذا ورد كثيراً فى كتب الأقدمين من الفلاسفة وكبار المفكرين.

وقد استخدم هذا التعبير أكثر من مرة فى معنى الأول على الإطلاق ... من ذلك:

... إن السيد المسيح له المجد وصف بأنه بكر الراقدين بمعنى أنه أول الراقدين .. كما وصف بأنه البكر بين أخوة كثيرين، ولا شك أن البكر هنا تفيد الأول ... والأولية هنا هى أولية زمنية ... فالمسيح بكر كل خلق... بمعنى أول كل خلق... بمعنى أنه هو الأول الذى أنشأ الخلق...

(١٠) «الذى هو أمين لمن أقامه، كما كان موسى فى جميع بيته» (٢)

هذه الإقامة لا تتعارض بتاتاً مع أزلية المسيح له المجد من حيث لاهوته... لأن الإقامة هنا فى التعيين بالمسحة المقدسة، مسحة الروح القدس التى أخذها المسيح له المجد فى نهر الأردن، وبهذا صار فى مهمته الرسمية كمعين فى وظيفة الكهنوت، التى صارت له بطريقة رسمية علنية فى نهر الأردن ... ففى نهر الأردن كان حلول الروح القدس بالنسبة للمسيح معمودية، وميرون وكهنوت ... أما المسيح من حيث لاهوته فهو قائم وكائن مع الآب والروح القدس منذ الأزل وإلى الأبد...

---

(١) كولوسى ١: ١٥.

(٢) عبرانيين ٣: ٢.

رابعاً : نصوص لبيان نموه الأخلاقى وتطوره :

(١١) ،وكان يسوع يتقدم فى الحكمة والقامة (السن) عند الله والناس، (١)

فى هذا النص ينحصر الكلام عن مخلصنا على صفاته الناسوتية، دون اللاهوتية.. فمادام سيدنا وربنا قد اتخذ لاهوته ناسوتاً كاملاً.. واتحد به اتحاداً كاملاً بغير افتراق... فهذا الناسوت مادام حقيقياً فلابد أن ينمو ويكبر ويصير إلى قامة ملء الإنسان ... هذا من جهة... ومن جهة أخرى، فمادام سيدنا قد اتخذ لاهوته ناسوتاً كاملاً من جسد ونفس ناطقة، فالنفس الناطقة بصفتها نفساً إنسانية تنمو هى أيضاً فى المعرفة الطبيعية، كما تنمو نفس كل إنسان وتزداد فى المعرفة وفى الحكمة الإنسانية، بنمو القوى العاقلة وبازدياد الخبرات والمدركات الحسية، التى تنتقل إلى داخل النفس عن طريق الحواس حيث أن الحواس أبواب المعرفة الإنسانية.

ولا شك أن سيدنا يسوع المسيح له كمال المعرفة من حيث لاهوته، وهى معرفته الأزلية الأبدية وعلمه الذى لا يحد ولا يستقصى، ولكنه من حيث ناسوته له أيضاً معرفة إنسانية قابلة للنمو والازدياد بحسب القوة العاقلة الإنسانية فى النفس الإنسانية وبنمو المعرفة الحسية.. والخبرات البشرية .. والمسيح له المجد له أن يستغل معرفته اللاهوتية الأزلية الأبدية حينما يشاء، وله أيضاً أن يظهر هذه المعرفة تدبيراً وقصداً... وفى هذه الحالة الأخيرة يستغل معرفته الإنسانية... فلا تبدو أمام الناس إلا معرفة إنسانية عادية قابلة للنمو والتطور، بحسب القوة العاقلة وبحسب نمو المعرفة الحسية والخبرات البشرية...

(١٢) ،ثم تباعد قليلاً وخرّ على وجهه وهو يصلى قائلاً: إن كان يستطاع فلتعبر عنى هذه الكأس، لكن ليس كمشيئتى بل كمشيئتك،... ثم مضى ثانية وصلى قائلاً: إن كان لا يستطاع أن تعبر عنى هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك، (٢)

فإن كان يبدو من هذا النص أن هناك مشيئتين، مشيئة للمسيح له المجد ومشيئة للآب.. لكن الحق أن للمسيح مخلصنا مشيئة واحدة وهى مشيئة الآب ... ولكن كان لابد أن يظهر فى عمل الفداء كمال ناسوت المسيح، وأنه لم يأخذ جسداً خيالياً كما زعم أوطاخى وبعض الهراطقة، بل أن كلمة الله اتخذ له جسداً حقيقياً ذا نفس ناطقة.. ولابد ذهنياً أن نتصور أن تكون للناسوت مشيئة، وأمام هول الصليب وعظمة آلامه لابد للناسوت أن يرفض الألم إذا كان ناسوتاً حقيقياً، فسيدنا فى صلاته فى بستان جثسيمانى يعبر عن شدة آلامه الحقيقية، وكأنه يتمنى أن تعبر عنه

---

(١) لوقا ٢ : ٥٢

(٢) متى ٢٦ : ٣٩ ـ ٤٢.

كأس الألم أو كأس الصليب، ولكنه فى نفس الوقت هو يشاء أن يصلب من أجل البشر ليفديهم ويموت بديلاً عنهم لأنه كما قال: « ... من أجل هذه الساعة قد أتيت» ... فليس هناك فى الواقع مشيئة للمسيح تتعارض مع مشيئة للآب ، لكنه تعبير عن الآلام وأنها حقيقية، لدرجة أن الناسوت لو كان خلواً من اللاهوت لكان يتمنى أن تعبر عنه كأس الصليب، ويمكن أن نشبه هذه الحالة بموقف من المواقف يشعر فيه الإنسان برغبتين، هما حسب المنطق الشكلى والذهنى متعارضتان، ولكنهما من جهة الواقع لابد أن تخضع أحداهما للأخرى.. وإذا قال الإنسان أحياناً أريد هذا الأمر ... ولكنى لا أستطيع لأنه يتعارض مع رغبة أخرى أحترمها وأقدرها تقديراً يسمو عن تقديرى للرغبة الأولى ... فهذا التعبير تعبير فصيح لإظهار حقيقة وجود هاتين الرغبتين فى وقت واحد... وأنه يمكن للإنسان أن يميز بينهما تمييزاً ذهنياً فى نفسه ولكنه مع ذلك ... أخضع إحداهما للأخرى فى واقع الأمر... هذا الإخضاع هو أيضاً برغبته لأن تقديره للرغبة الأعلى يسمو على تقديره للرغبة الأدنى .. وبالإجمال فإن كان يبدو التعارض شكلاً بين الرغبتين فى المجال الذهنى البحت... لكن ليس بين الرغبتين تعارض فى مجال الواقع العملى.

وتطبيقاً لهذا نقول أن المسيح له المجد راغب فى خلاص البشرية.. وبالتالى فى إحتمال الآلام وكأس الصليب، ولكنه فى نفس الوقت ولأنه اتخذ ناسوتاً حقيقياً .. والناسوت لابد إذا كان ناسوتاً حقيقياً أن لا يرضى بالصليب والألم... ولابد أن يعبر عن رغبته فى الهرب من الألم، ولكن مع ذلك فالناسوت أيضاً يحتمل الألم برغبته فى سبيل الرغبة الأعلى وهى خلاص البشرية ... وهى فى نفس الوقت رغبة اللاهوت والناسوت معاً وليس بين الإثنين فى الواقع تعارض... لأن الناسوت ناسوت الكلمة متحداً به بغير افتراق ولا انفصال...

(١٣) «الذى فى أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه.. مع كونه إبناً تعلم الطاعة مما تألم به. وإذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى» (١)

والإشارة فى هذا النص المقدس إلى معركة بستان جثسيمانى، حيث جثى مخلصنا على ركبتيه وصار يصلى، وكان عرقه يتصبب مثل قطرات الدم مما يدل على عظم الآلام وشدة الحزن وقسوة الآلام النفسية وعنفها... قدم المسيح صلاة إلى الآب .. قدم كلمة الله بالجسد صلاة إلى الله الآب، وفى لاهوته كمال القدرة على أن يجنبه الألم، ولكنه فى نفس الوقت لا

---

(١) عبرانيين ٥: ٧ ـ ٩.

يمكنه أن يتعارض مع إرادته ومشيئته فى قبول موت الصليب لأنه من أجل الساعة قد أتى من السماء، ولا معنى الاجتياز ولا معنى لتجنب الصليب وهو قد جاء خصيصاً لهذا الغرض، على أن هذه الصلاة لم تكن محصورة فى تجنب آلام الصليب لكنها كانت تتجه إلى طلب قوة الاحتمال.. لأن الآلام كانت شديدة وكان يمكن أن تجهز هذه الآلام على ناسوت المسيح قبل أن يصلب .... ومعنى هذا أن الآلام النفسية التى عاناها المسيح له المجد فى بستان جثسيمانى، خاصة وأنه كان يعلم بكل ما سيأتى عليه... نقول أن هذه الآلام كانت شديدة لدرجة أنها كانت كافية لأن تضع حداً لحياة المسيح فى الجسد قبل أن يتمم عمل الفداء ... ولو كان هذا قد حصل لما كان عمل الفداء قد تم، ولا خلاص البشرية قد تحقق، بل تكون خطة الله وتدبيره فى خلاص الإنسان قد فشل، ويكون الشيطان قد نجح ويكون الله قد فشل.

كان إذن، لابد أن يحتمل المسيح آلامه آلام الصليب حتى النهاية، وكان لابد لحياة المسيح أن تطول واحتماله أن يمتد إلى أن يتمم عمل الخلاص، وهذا ما حدث فعلاً... فإن المسيح احتمل الآلام الشديدة جسدية كانت ونفسية بل وروحية، إلى أن تم صلبه ونكس الرأس وقال قد أكمل... ومع ذلك فلم تطل حياة المسيح فى الجسد كثيراً، بل مات بعد الصلب بثلاث ساعات فقط، مع أن أى مصلوب يموت بين ١٨ إلى ٢٤ ساعة نتيجة هبوط تدريجى فى القلب وتمزق بسيط فى شرايين الجسد والقلب... أما المسيح فصلب فى الثالثة ومات فى السادسة وكأنه مات فى ثلاث ساعات فقط، حتى أن الصالبين عندما أرادوا أن ينزلوا الأجساد من على الصليب نظراً لاستعدادات عيد الفصح ... رأوا أن يكسروا ساقى كل مصلوب من المصلوبين الثلاث حتى يموت، فينزلوه من على الصليب ويعودون إلى إجراءات عيد الفصح، وفعلاً كسروا ساقى الأول والثانى اللذين صلبا مع مخلصنا وهما اللص اليمين واللص الشمال، ولما جاءوا لفادينا وأرادوا أن يكسروا ساقيه كما كسروا ساقى اللصين اليمين والشمال وجدوه قد مات... فتعجبوا كقول الكتاب لأنه هكذا قد مات سريعاً، ولابد أن يكون الموت قد حدث نتيجة انفجار فى القلب، وفى هذا تمت نبوة النبى الإنجيلى فى المزمور التاسع والستين القائلة «العار قد كسر قلبى» (١) وكسر القلب هنا هو ما نسميه فى الطب الحديث انفجارات القلب أو انفجارات شرايين القلب ... وإذا كان الرسول فى رسالته إلى العبرانيين يشير إلى صراخ ودموع من جانب سيدنا، فالإشارة هنا إليه من حيث هو بديل عن الإنسان وفادى البشر وقد حمل صورة الإنسان. فالإشارة إليه من حيث ناسوته ولأنه أخذ ناسوتاً حقيقياً كاملاً، ولا يعيب سيدنا أن يصلى طالما أنه فى الجسد بل هو دليل

---

(١) مز ٦٩ : ٢٠

ناسوته الكامل، وليس صراخه ودموعه معناه أن لاهوته قد فارق ناسوته، وإنما معناه أنه لم يدع للاهوته أن يوقف عمل الناسوت وخصائصه... وصفات الناسوت كاملة ولكنه أحياناً مع وجود صفات اللاهوت يخفيها أو بتدبيره يمنع تدخلها لوقف عمل الناسوت ... بتدبيره أحياناً يدع عمل اللاهوت ظاهراً بحيث لا يكاد يظهر للناسوت من أثر، وذلك بمحض إرادته ومشيئته الواحدة، حيث أن لسيدنا مشيئة واحدة وطبيعة واحدة هى طبيعة اللاهوت والناسوت متحدان بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير، وكذلك جاز للكتاب أن يصف المسيح بالتقوى، وهذه التقوى من صفات الناسوت، كما جاز له أن يصف المسيح بالطاعة وهذه الطاعة من صفات المسيح الناسوتية، ولكنه فى طاعته لا يطيع لاهوتاً آخر غير لاهوته هو ذاته، لأن اللاهوت الذى فيه هو اللاهوت الذى يملأ السماء والأرض، هو لاهوت الإله وحده الحقيقى ... الله محب البشر واللاهوت الذى فيه هو لاهوت واحد الذى فى الآب والروح القدس... مجد واحد وقدرة واحدة وسرمدية واحدة للذات الإلهية الواحدة، أما قول الرسول بأنه سمع له ومعنى ذلك أنه استجيب إلى طلبه، لئلا تجهز الآلام عليه قبل أن يتم عمل الفداء، وفعلاً طالت حياته الجسدية على الأرض إلى أن تم عمل الصليب، وهذا معناه فى قول الكتاب «وإذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى». (١)

(١٤) «الذى إذا كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله .. لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس. وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب... لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكى يجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء وممن على الأرض وممن تحت الأرض .. ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب، لمجد الله الآب، (٢)

هذه النصوص من رسالة ماريولس إلى كنيسة فيلبى تبين لنا مقام المسيح الإلهى... فهو معادل لله الآب مساو له فى الربوبية والمجد والأزلية والأبدية وكل الكمالات الإلهية .. وهو التعبير الذى استند إليه آباء مجمع نيقية، حيث ورد فى قانون الإيمان عن ربنا يسوع المسيح أنه نور من نور إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق مساو للآب فى الجوهر (ὁμοούσιος) فمع أن أقنوم الابن متميز عن كل من

---

(١) عبرانيين ٥ : ٩

(٢) فيلبى ٢ : ٦ - ١١.

الأقنومين الآخرين فى الثالوث القدوس، إلا أن كل من الأقانيم مساو للآخر فى جميع الكمالات الإلهية .. فالأقانيم الثلاثة جوهر واحد، وكلها قائمة معاً فى الجوهر الواحد منذ الأزل وإلى الأبد.. وهذا هو التفسير الدقيق لكلمة ⲟⲙⲟⲟⲩⲥⲓⲟⲥ وقول الرسول لم يحسب خلسة، بمعنى أن هذه المساواة بين أقنوم الله الابن أو الله الكلمة وأقنوم الله الآب، ليست مغتصبة ولا مغتصبة وإنما هى مساواة طبيعية بين أقنومين فى جوهر واحد وذات إلهية واحدة...

ومعنى أن المسيح يسوع كما جاء فى عدد ٥ من نفس الإصحاح «كان فى صورة الله» إننا رأينا فى المسيح يسوع صفات الله الغير المنظور، لأنه كما يقول الإنجيل الله لم يره أحد قط ... الابن الوحيد فى حضن الآب هو خبر.

فأقنوم الابن هو من نفس جوهر أقنوم الآب وطبيعته، ولكنه اتخذ ناسوتاً وصار منظوراً فى الهيئة بين الناس، ولكن فيما هو ظاهر فى الجسد أعطانا صورة الله الآب الغير المنظور.

فالابن إذن هو أقنوم الكلمة وهو من حيث لاهوته مساو لأقنوم «الآب» فى الكمالات الإلهية، وهو من ذات طبع الآب والروح القدس ومن ذات الجوهر الإلهى، ولا فرق إلا فى أن أقنوم الابن أو الكلمة أخذ صورة البشر وظهر بها فى الهيئة كإنسان.. فمن رآه فى الجسد رأى فيه الله الغير المنظور فى صفاته وكمالاته الإلهية وقد أخلى الابن نفسه من مجد الكرامة الإلهية، حيث أنه أخذ صورة الناس وظهر فى الهيئة على الأرض، وحل فينا وبيننا لكن لم يخل السماء من وجوده، ففى نفس الوقت كان المسيح له المجد بلاهوته على الأرض وبلاهوته فى السماء.. وذلك يتضح من قوله ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء، فهو إذن لم يخل السماء من وجوده أو من لاهوته، لكنه أخلى ذاته بمعنى أنه تنازل وقبل صورة الناس واتخذ له جسداً من لحم ودم، متحداً بنفس ناطقة وصار بذلك متأنساً كالبشر وقد قبل صنوف العذاب والآلام والإهانات والصلب، وكل ما يقترن بطبيعة البشر فى ذلها وهوانها.. وقد صار فى شبه الناس لأنه وهو الله الكلمة أخذ جسداً إنسانياً ذا نفس ناطقة، وصار له كيان جسدى وصار له كل ما للبشر، كأنه واحد منهم مع أنه فى نفس الوقت خالقهم ويملأ بلاهوته السماء والأرض.

إذن ... هو فى شبه الناس لا بمعنى أنه اتخذ جسداً خيالياً، كلا.. وحاشا... لأنه أخذ واتخذ له جسداً حقيقياً، وإنما فى شبه الناس من حيث أنه وهو فى الجسد لم يكن فى حقيقته مجرد إنسان، وإنما كان فى جوهره الله الكلمة المتجسد.

فكلمة «شبه» هنا لا تعارض حقيقة الناسوت الذى اتخذه كلمة الله، ولا تؤيد ماذهب إليه أوطاخى الهرطوقى الذى أنكر حقيقة الناسوت، بادعائه أن الناسوت قد اندمج فى اللاهوت واختلط به وضاع فيه وامتص فيه كما تضيع أو تمتص نقطة من الخل فى المحيط، وإنما كلمة شبه هنا تنصرف إلى الدلالة على أن المسيح له المجد لم يكن مجرد إنسان وإنما كان فى حقيقته الله متجسداً... وقد تصرف فى الجسد تصرف إنسان وهو الإله فخضع ناسوته لكل ما يخضع له ناسوت البشر من أحوال، فيما عدا الخطيئة، ولم يسمح للاهوته أن يتدخل فيوقف أعمال الناسوت وصفاته... ولذلك سمح لنفسه أن يجوع وأن يعطش وأن ينام وأن يتألم ألما كاملا من غير تخفيف أو نقص، وقد أطاع وهو فى الجسد الشريعة التى أنزلها هو بنفسه على البشر، لأنه وهو واضع القانون أول من يحترم القانون الذى هو واضعه... ولذلك فإنه نظر إلى يوحنا لتعميده... ولما اعترض يوحنا قائلاً : أنا محتاج أن أعتمد منك، قال له السيد المسيح اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر... وعندما شفى الأبرص قال له اذهب أر نفسك للكاهن وقدم ما أمر به موسى... وكل ما أمرت به الشريعة أطاعه المسيح له المجد، وعمل به وباشر الطقوس كما رسمتها الشريعة وتمم الفصح بحسب ما أمر به موسى... وقد سار فى طاعة الشريعة حتى الموت... موت الصليب... لأن الشريعة نصت على أنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة... ولذلك جاء المسيح من السماء لكى يغفر بموته خطيئة الإنسان، ولولا الطاعة لأوامر الشريعة لما كان المسيح يجيئ ويصلب من أجل البشر، وربما يقال أنه فى مقدوره أن يغفر بدون عمل الصليب... ولكن هذا القول مستحيل لأن الحكم الذى أصدره الله على الإنسان الأول وفيه كل جنسه لا يمكن أن يسقط، وبالتالى لابد للإنسان أن يموت، ولا يمكن أن ينقل الموت عن الإنسان إلا إذا تم الموت بموت واحدا بديلا عن الإنسان... وكان هذا الواحد هو المسيح وهو الله متجسدا... أما قول الكتاب لذلك رفعه الله أيضا وأعطاه اسما فوق كل اسم، ليس معناه أن المسيح كان وضيعا فى تطوره وصعد إلى المجد كما يدعى أريوس... ويزعم أن فى هذا النص ما يدل على تطور فى المسيح من حالة إلى حالة، لكن هذا التطور لا وجود له من حيث لاهوت المسيح لأن اللاهوت لا يقبل التغيير ولا التطور ولا الارتقاء، وإنما لأن المسيح اتخذ صورة الناس وصار بازاء العدل الإلهى بديلا عن الإنسان، وقد مات ذبيحا وكان موته على الصليب ذبيحة «كفارة» عن البشر جميعا إلى الله الآب، وقد قبلت هذه الذبيحة وكان فيها الترضية الكافية لعدالة الله وللحكم الذى أصدره الله على الإنسان... ولما قبلت هذه الذبيحة قام المسيح من بين الأموات وصعد إلى السموات وجلس فى الأعالى فى أسمى مكان. وبذلك انتقل المسيح له المجد من الأرض التى فيها أهين وصلب ومات نيابة عن الإنسان إلى السماء... إلى قدس الأقداس الذى صعدت إليه ذبيحة المسيح الكفارية ذبيحة مقبوله من الله الآب .... فالرفعة المشار إليها هنا ليست رفعة من اللاهوت، لأن اللاهوت لا يقبل الرفع كما لا يقبل الخفض، وإنما الرفعة هنا بمعنى ارتقاء المسيح من الأرض إلى السماء، كما أنها تشير إلى أن المسيح صار بموته على

الصليب ذبيحة «كفارية» فدائية لخلاص البشر، وقد قبلت هذه الذبيحة ودخل بعدها إلى السماء، والمسيح بحق الخلاص الذى قدمه للبشر صار رأس الخليقة الجديدة، وتاجها ومخلصها وفاديها وملكا لملكوت السموات ورئيسا لجيش الخلاص، فصار اسمه هو الاسم الذى يطلق على المسيحيين الذين انضموا تحت لوائه ودخلوا فى سياج مملكته، وصاروا من أعضاء جسده السرى، وليس عند المسيحيين اسم يفتخرون به أعظم من اسم المسيح، ولولا قيامة المسيح وهى دليل إنتصاره على الموت بلاهوته وتحقيق خلاصه للبشر، لما كان للمسيح وجود ولا اسم يعرف إلى اليوم بين الناس... بل كان شأنه شأن أى إنسان عادى عاش ومات ودفن ولم تقم له قائمة... وبالإجمال فإنه يلزم أن نكون حذرين فى تفسير نصوص الكتب المقدسة بالنسبة للمسيح له المجد، فنميز بين النصوص التى تتناول الناسوت والنصوص التى تتناول اللاهوت، فكل نص ينسب إلى المسيح الجوع، العطش، النمو، التطور والانتقال من حالة إلى حالة، كلها نصوص تتناول الناسوت ولا تتعرض للاهوت الذى هو فى نفس الوقت متحد به، ومن بينها هذه النصوص التى وردت فى رسالة مار بولس إلى فيلبى الأصحاح الثانى التى استند إليها أريوس فى تأييد بدعته والتى تناولناها بالشرح منذ قليل..

١٥ ـ «صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسما أفضل منهم»(١):

مع أن هذا النص مرتبط بفقرة طويلة سبقته تشير إلى مقام المسيح اللاهوتى ومكانته وصفاته التى لا يمكن أن يتصف بها غير الله وحده، لكن أريوس فى حماقته اندفع ليتخذ من العبارة الأخيرة من هذه الفقرة منفصلة عن الفقرة كلها سندا لتأييد بدعته، متجاهلا المعانى العميقة التى تنطوى عليها النصوص السابقة على هذه العبارة الأخيرة، وهذه هى عادة الهراطقة وسقطتهم فى كل زمان ومكان، أنهم يقتطعون عبارة من بين السطور وينفردون بها بتأويل يخرجها عن قصدها السامى، وذلك بانتزاعها من سائر النصوص ونزعها من السياق العام... الأمر الذى يضر بسلامة التعليم القويم.

يبدأ الرسول الفقرة كلها وهى التى يبدأ الأصحاح الأول من رسالته إلى العبرانيين بها مستعرضا عمل الله فى الفداء.

«الله بعد ماكلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه، الذى جعله وارثا لكل شئ الذى به أيضا عمل العالمين، الذى هو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الأعالى، صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسما أفضل منهم» (عب١ : ١ ـ ٤).

فالرسول هنا يستعرض عناية الله بالإنسان وإهتمامه بأمر خلاصه وإرساله الأنبياء الكثيرين،

---

(١) العبرانيين ١ : ٤.

لتقويمه وتنبيهه ورعايته وتوجيه نظره إلى حاجته لخلاص أبدى بموت الفادى على الصليب، وبعد هذه الجهود المتلاحقة التى مهد الله بها لظهور المسيح فى الجسد... ظهر أقنوم الكلمة متجسداً فى شبه الناس... وصار له كيان جسدى معروف بين الناس.... وعلى الرغم من هذا الكيان الجسدى ومع أن المسيح ظهر كإنسان وأخضع ذاته لكل ما يخضع له الإنسان... لكن هو ذاته الكلمة مقيم السماء والأرض... الكلمة الذى كان منذ الأزل عند الله بل كان هو الله، وعندما تكلم المسيح في الجسد كان الله هو الذى يكلمنا فيه، لأنه هو ذاته صورة الله غير المنظور، وهو ابن الله لأننا رأينا فيه صفات الله غير المنظور وكمالاته. وليست هناك فى لغة البشر كلمة أكثر دلالة على المطابقة التامة من كلمة ابن... فالمسيح ابن الله لأن الصفات التى رأيناها فيه أيام جسده هى بعينها صفات الله غير المنظور... ولذلك قال لفيلبس حينما سأله أرنا الآب وكفانا... أنا معكم زمانا هذه مدته ولم تعرفنى يا فيلبس... الذى رآنى فقد رأى الآب، أنا والآب واحد... وفيما يوصف المسيح بأنه ابن الله لأن فيه تمام المطابقة بين الصفات والكمالات التى عرفناها فيه أيام جسده، وبين الصفات والكمالات التى يتصف بها الله الغير المنظور، يوصف المسيح أيضا بأنه الخالق الذى تم عمل الخلق والعالمين... وصفة الخلق لا يتصف بها غير الله وحده. وكما تفل الله على الأرض وصنع من التفل طينا ومن الطين خلق آدم الأول، هكذا تفل المسيح على الأرض وصنع من التفل طينا وطلى بالطين مكان العينين فى المولود الأعمى الذى لم تكن له عينان، دلالة على أنه هو الخالق الذى عمل العالمين، فصفة الخلق تنسب أيضا إلى المسيح وهى من صفات لاهوته... ومن صفات لاهوته أيضا المطابقة التامة الجوهرية بين أقنوم الكلمة والجوهر الإلهى، وبذلك وصف الرسول أقنوم الكلمة بالنسبة إلى اللاهوت بأنه رسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة مقدرته... وهذه عبارات تدل على تمام المطابقة بين أقنوم الابن وجوهر الثالوث القدوس، لأنه جوهر واحد وما يتصف به الثالوث يصدق على أقنوم الابن من حيث الصفات والكمالات الإلهية، ومن حيث هو الكلمة المتجسد فقد صنع لنفسه تطهيراً لخطايانا لأن من أجل هذا الغرض قد أتى الكلمة من السماء، متخذا ذات ناطقة واتحد بالناسوت الذى أخذه من مريم اتحادا كاملا بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير، وبموته فداء عن البشر، صار للبشر بموته غفران خطاياهم.

وبعد أن تمم عمل الخلاص وأكمله على الصليب صعد إلى السماء وجلس فى أسمى مكان فى الأعالى... هذا المكان الذى وصف بأنه يمين الله وهى عبارة مجازية يجب أنها لا تؤخذ بمعنى حرفى ولكن بالمعنى الأدبى... لأن الله ليس له يمين ولا شمال إذ أنه ليس محدوداً بالمكان، وإنما الجلوس عن اليمين معناه الجلوس فى أسمى مكان الكرامة... والمعنى بالإجمال أن المسيح جلس فى أسمى مقام فى الأعالى... وطبيعى أنه فى الجسد الذى صعد به صار فى مقام أعظم من مقام الملائكة، لأن له اسما أعظم من اسمهم فاسمه عجيبا مشيرا إلها قديراً أبا أبديا رئيس السلام، وكما قلنا، نقول أيضا، أنه يجب التفريق دائما بين ما ينسب إلى اللاهوت... وما ينسب

إلى الناسوت من صفات، لأن المسيح يملك فى طبيعته صفات اللاهوت والناسوت معا، من حيث أنه يجمع بين اللاهوت والناسوت فى طبيعة واحدة بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير، مع أن صفات الناسوت متميزة عن صفات اللاهوت... لكن ما ينسب إلى الناسوت يمكن أن ينسب إلى اللاهوت باعتبار أن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت اتحاد تام.

خامساً : نصوص لبيان إمكان تغيره ونقص معرفته:

(١٦) «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب» (١)

استعان أريوس بهذا النص للتدليل على أن الابن ناقص فى معرفته وبالتالى فإنه مخلوق...

ولكن هذه الصعوبة تحل على أساس أن السيد المسيح لا يعلم باليوم والساعة من حيث ناسوته، ولكنه يعلم بهما من حيث لاهوته... لأن العلم بالمستقبل وبالغيب المحجب صفة تختص باللاهوت وحده، وأما الناسوت فلا يعلم بشئ من دون وسائل التبليغ بالعلم، سواء كان ذلك عن طريق الناس أو من طريق الاستنباط والاستنتاج من المقدمات المعروفة، ومع ذلك ولأن اللاهوت فى المسيح متحد بناسوته اتحادا تاما... فالسيد المسيح إذاً يعلم اليوم والساعة.. يعلم لأنه إله متجسد ولاشك فى ذلك، ولاشك أيضا فى علمه اليوم والساعة لأنه باللاهوت الذى فيه يعلم الحاضر والماضى والمستقبل، والسيد المسيح يملك فى بعض الأحيان أن يعبر عن هذا العلم ويظهره... فكم من مرة نقرأ فى الإنجيل المقدس عن المسيح أنه يعلم الأفكار قبل أن تخرج إلى ألفاظ وكلمات... كما أنه يعلم بأمور حدثت وتحدث بعيداً عنه، من ذلك علمه بالحديث الذى جرى بين القديس بطرس الرسول تلميذه وبين المطالبين بالجباية، كيف أن سيدنا كلم بطرس عن الموضوع وعن التفصيلات قبل أن يكلمه بطرس، مما يدل على علمه بالأمور التى تحدث بعيدا عنه... وفى الإنجيل نقرأ أيضا أن السيد المسيح خرج من العلية إلى بستان جثسيمانى وهو يعلم كل ما سيأتى عليه، كما أنه علم كذلك بإنكار تلميذه بطرس له وهو الانكار الذى تم خارج دار رئيس الكهنة، ولكن سيدنا علم به من بعيد وهو بعيد عنه، وبعد القيامة علم بإنكار تلميذه توما وبقوله إن لم أضع أصبعى فى أثر المسامير وأضع يدى فى جنبه لا أومن، فظهر لتلاميذه فى الأحد التالى للقيامة وقال لتوما هات اصبعك وضعه فى جنبى ولاتكن غيرمؤمن بل مؤمناً، إذاً المسيح له المجد يعلم بكل ما جرى ويجرى وسيجرى، لكن هذا العلم يختص أولا وبالذات بلاهوته ولا يختص بناسوته ولو أن الناسوت متحد باللاهوت، وطبيعة هذا الاتحاد الكامل تقتضى أن يعلم الناسوت أيضا بما يعلمه اللاهوت، إلا أن العلم فى الناسوت مع ذلك ليس مختصا به ولا من صفاته الخاصة به، ولكنه بالنسبة للناسوت علم مفاض عليه من اللاهوت المتحد

---

(١) مر ١٣ : ٣٢.

به... وإذا كان سيدنا يشاء أحيانا أن يعبر عن صفة تختص بالناسوت فيسلب العلم عنه، فهذا نسلب إنما بناء على أن صفة العلم لا تختص ذاتيا بالناسوت.

وعلى سبيل المثال والإيضاح نقول أن المعلم الذى يصحح إجابات تلاميذه، يعلم بصفته كذلك بالناجح منهم والراسب ولكنه يمكنه أن ينكر على نفسه العلم بالناجح والراسب من التلاميذ، من حيث أن نظام المدرسة أو الكلية يقتضى أن لا يخبر المعلم تلاميذه بنتيجة الإمتحان قبل الموعد المحدد الذى تعينه إدارة الكلية، طبقا لتقاليد الإمتحانات ونظمها وترتيباتها ولأسباب أخرى كثيرة تضعها الكلية فى اعتبارها... والمثل على ذلك أيضا ما يجرى بالنسبة لبعض الشخصيات الكبيرة، التى قد تكون لها أكثر من صفة، فيمكنها أن تتصرف بصفة فى نفس الوقت تنكر على نفسها شيئا من جهة بينما لا تنكره من جهة أخرى، فرئيس الوزراء فى حكومة ما قد يكون وزيرا فى نفس الوقت، للداخلية أو للخارجية أو لهما معا ولغيرهما بحسب مقتضى صالح الدولة، فاذا وقع على قرار يختص بصفته وزيرا للخارجية فلا يجوز أن يوقع عليه كرئيس للوزراء أو كوزير لوزارة أخرى، وإذا وقع على قرار بصفته رئيسا للوزراء فلا يوقع عليه بصفته وزيرا للداخلية أو للخارجية...

وهكذا يمكن أن يكون لأى شخص آخر أكثر من صفة... فالمهندس أو الطبيب أو المحامى أو رجل الأعمال يمكنه أن يوقع على عقد بيته أو أى عقار يمتلكه وذلك لا بصفته موظفا بالحكومة ولكن بصفته الشخصية...

كما لا يجوز له أن يوقع على وثيقة رسمية حكومية بصفته الشخصية وإنما بصفته موظفا فى تلك الهيئة أو المؤسسة.

فهذان المثالان والأمثلة الكثيرة على أنه يمكن أن يكون للواحد أكثر من صفة، وعلى نفس القياس عليه أن يقال أن السيد المسيح له المجد يعلم باليوم والساعة من حيث لاهوته ولا يعلم بهما من حيث ناسوته... وعلى كل حال يعلم بهما حيث أن لاهوته وناسوته متحدان معا بغير افتراق ولا امتزاج ولا تغير ولا انفصال... والناسوت وإن لم تكن له صفة العلم بذاته ولكنه يعلم بصفة اتحاده باللاهوت الذى يفيض عليه العلم لأنه متحد به...

(١٧) «وقال أين وضعتموه. قالوا له يا سيد تعال وأنظر» (١)

وهذا نص أيضاً جاء به أريوس، ظنا منه أنه يمكنه أن يعتمد عليه فى إثبات أن المسيح لا يعلم بالمكان الذى دفن فيه لعازر، وهذا فى نظر أريوس يعد نقصا وبالتالى فهو مخلوق.

نقول أن المسيح له المجد يعلم بالقبر ومكانه... ولكن لا المعرفة الجسدية لأنه لم يذهب إلى القبر قبل ذلك، ولا معرفة له بمكانه من حيث ناسوته، ولكنه يعلم بالقبر طبعا ولاشك.. لأن

---

(١) يو ١١ : ٣٤.

لاهوته الذى يملأ السماء والأرض كفيل بأن يجعله يعرف أين هو... وإذا كان المسيح لإسمه السجود، علم بنثنائيل وقصته وهو طفل رضيع وضعته أمه فى تعريشة التينة إنقاذا له من عسكر هيرودس، الذين كانوا يدخلون البيوت ليقتلوا الأطفال الرضعان من ابن سنتين فما دون، بل وسيدنا يقول لنثنائيل حين إلتقى به أول مرة، قد رأيتك قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك... الأمر الذى انتبه إليه نثنائيل وقال على الفور : أنت ابن الله... فأجابه السيد قائلا : هل آمنت لأنى قلت لك أنى رأيتك تحت التينة، سوف ترى أعظم من هذا.

نقول إذا كان لسيدنا علم بهذه الحادثة بل وقد رأى نثنائيل كما صرح بفمه الطاهر، وكانت الرؤيا بلاهوته لأنها لم تكن بالناسوت، فبالأحرى يعلم سيدنا بالقبر من حيث لاهوته القائم فيه والمتحد بناسوته... ولكن هذه المعرفة ليست معرفة جسدية ولاتعتمد بالرؤية العينية بعين الجسد... ولا بالخبرة المادية، وإذا كان سيدنا يعلم بالقبر من حيث لاهوته ولا يعلم بموضعه من حيث ناسوته، فهو يشاء بتدبيره أن يبرز نفسه جاهلا بالمكان الذى دفن فيه لعازر، حتى يكشف صراحة عظمة المعجزة عندما تتم، وحتى لا يظن أحد من الناس أن هناك اتفاقا بين المسيح له المجد وبين عائلة لعازر... ثم أنه بهذا السؤال وجه نظرهم وحركتهم إلى متابعته وملازمته ومصاحبته إلى المكان الذى دفن فيه لعازر....

(١٨) «فلما خرج قال يسوع الآن تمجد ابن الانسان وتمجد الله فيه»(١)

هذا النص ليس فيه شئ مما يمكن لأريوس أن يتخذه على أن الابن مخلوق، لأن هذه العبارة التى نطق بها مخلصنا فى عليه صهيون وهو على المائدة مع تلاميذه... وبعد أن خرج يهوذا الأسخريوطى إلى حيث عقد الصفقة مع الكتبة والفريسيين ومع رؤساء الكهنة حتى يسلم لهم المسيح معلمهم وسيدهم.

فالواضح أن سيدنا إذ أُسلم للكتبة والفريسيين ورؤساء الكهنة... وهؤلاء أسلموه لبيلاطس ليسلمه للصلب.

والصلب هو العمل الفدائى الكفارى الذى تم فيه خلاص البشرية... كما تمفيه حكم الله على المسيح كبديل عن البشرية وفادٍ لها... وفى هذا كله تمجيد لله... وكأن موت المسيح له المجد هو فى نفس الوقت بركة وخير للبشرية... وخلاص للإنسانية من خطاياها... وبعبارة أخرى أن الله بعمل الفداء قد تمجد فى المسيح وهو بعينه الكلمة المتجسد...

---

(١) يو ١٣ : ٣١.

سادساً : نصوص زعم أريوس على أن المسيح أقل من الآب:

(١٩) «سمعتم أنى قلت لكم أنا أذهب ثم آتى إليكم، لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الآب لأن أبى أعظم منى» (١)

فى زعم أريوس، أن هذا نص صريح على أن المسيح له المجد، أقل من الآب... وإذن فهو مخلوق، ولكن قد ضل أريوس ضلالة بعيدة، لأنه على طريقة الهراطقة عزل جزءا من النص عن السياق العام... وبهذا أتلف المعنى كل الإتلاف.. وأضر بمغزى هذا الحديث المعزى... فإن سيدنا له المجد كان فى مجال تعزية تلاميذه عن مفارقته لهم... وكان فى مجال تهدئة مشاعرهم وتطييب خواطرهم وتطمينهم بعبارات مهدئة معزية.

فهو يقول لهم... سمعتم أنى قلت لكم أنا أذهب، لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الآب..

وفى مجال التعزية يطلب منهم أن يفرحوا ولا يحزنوا إذا فكروا فى الفارق بين ما هو عليه على الأرض من الذل والإهانة والعذاب، لاسيما أحداث الصليب وماتبعها ولازمها ولحقها من آلام وأحزان وأوجاع كثيرة، حتى قال مرة : نفسى حزينة جدا حتى الموت... وبين ما سيكون عليه بعد أن يصعد إلى السماء من مجد وكرامة، لأنه بعد الصعود جلس فى الأعالى وفى أسمى مكان فى السماء... هذا الفارق الضخم بينما كان عليه سيدنا من هوان، ومما سيصل إليه بالفعل بعد صعوده بالمجد... هو نقطة العزاء التى ركز عليها سيدنا حديثه حتى يهدأ من روع تلاميذه، الذين فزعوا لسماعهم عن خبر مفارقته لهم وذهابه عنهم... وإذن فالآب أعظم من الابن لا فى الجوهر ولكن فى الحالة... فالابن نزل إلى الأرض، وتجسد، وصلب وأهين، ومات... وأما الآب ففى المجد... والابن نفسه صعد إلى هذا المجد عينه الذى أخلى نفسه عنه فترة ما... نجد الآب إذن أعظم من الابن فى الحالة لا فى الجوهر، وكيف يكون الآب أعظم من الابن فى الجوهر .. أن هذا مستحيل لأن الآب قائم مع الابن والروح القدس فى جوهر واحد... ولا فرق بين الأقانيم لأنها متساوية الكرامة والمجد وجميع الكمالات الإلهية، وإن كانت متميزة فى الخواص لكن الذات واحدة، والجوهر الإلهى واحد.

وسيدنا نفسه يقول لفيلبس حينما سأله أرنا الآب وكفانا، أجاب المخلص بعتاب بقوله : أنا معكم زمانا هذه مدته ولم تعرفنى يا فيلبس؟ الذى رآنى فقد رأى الآب... أنا والآب واحد... إلى غيرها من النصوص الإلهية التى تبين أن الابن والآب جوهر واحد، وان الابن والآب والروح قائم فى الذات الواحدة. وأنه لا تمايز بتاتا بين الأقانيم فى الجوهر...

أما قوله : فالآب أعظم منى... فالعظمة هنا تنسحب على حالة الكرامة والمجد التى تركها

---

(١) يو ١٤ : ٢٨.

الابن بسبب التجسد وعاد إليها بعد قيامته وصعوده إلى السماء... وكمثل توضيحى يمكن أن نقول أن الأم التى سافر ولدها إلى بلد بعيد ليحصل على دراسة عليا، وعلى درجة علمية أكبر أو على منصب أرفع، إذا بكت على فراق ولدها وعزّاها أحد الناس عن هذا الفراق بقوله : لا تحزنى أيتها الأم فإن ولدك هناك أعظم منه هنا... فلا يفهم من هذا التعبير أن هذا الولد صار فى بلد أجنبى أعظم فى طبيعته وجوهره منه فى وطنه... ولكن معنى العبارة أن ابنها صار فى حالة أعظم من الحالة التى كان عليها فى وطنه... وهكذا يمكن أن يقال للأم التى فقدت ابنها بالموت أن ابنك قد صار إلى عالم أفضل، وأنه هناك أعظم منه هنا، وهذا تعبير للدلالة على أن حالة ابنها وهو فى العالم الآخر أعظم من حالته فى عالم الشقاء.

... والخلاصة... أن سيدنا حينما قال : إن أبى أعظم منى لم يكن كلامه فى مجال الإلهيات وإنما كان فى مجال العزاء.

لم يكن كلامه عن الجوهر الإلهى وإنما كان كلامه عن الفرق بين حالة الابن على الأرض وحالته فى السماء... هذا الفرق الذى ذكره للتلاميذ ليعزيهم عن مفارقته لهم.

(٢٠) «ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة... ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: ايلى ايلى لما شبقتنى أى إلهى إلهى لماذا تركتنى» (١)

هذا التعبير نطق به المسيح له المجد مرددا مطلع المزمور الثانى والعشرين... «إلهى إلهى لماذا تركتنى» وهو المزمور الذى نطق به النبى بروح النبوة، مفصلا أحداث الصليب كما لو كان حاضرا بنفسه ساعة إتمام الصلب... ولكن يبقى السؤال كما هو، لماذا يقول المسيح إلهى إلهى لماذا تركتنى؟ لأن هذه العبارة تثير صعوبتين الصعوبة الأولى : كيف يكلم المسيح الله ويناديه قائلا إلهى إلهى. والصعوبة الثانية : التى تثيرها هذه العبارة هى صعوبة الترك... فهل ترك اللاهوت الناسوت؟ !! وهذا التعبير يستند إليه أصحاب الطبيعتين من الرومانيين والخلقيدونيين بل والنساطرة أيضا.

أما الصعوبة الأولى... فنجيب أن المسيح له المجد وإن كان هو الله ظاهرا فى الجسد، لكنه يمكنه أن يخاطب لاهوت الآب أو اللاهوت المتحد به بقوله إلهى... وهو نفسه قال لمريم المجدلية بعد القيامة لم أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم. كذلك إن اللاهوت هو إله الناسوت وإن كان متحدا به، فالمسيح من حيث هو إنسان يمكنه أن يخاطب اللاهوت سواء لاهوت الآب وهو بعينه لاهوت الابن ولاهوت الروح القدس، وهو اللاهوت الحال به والمتحد به بقوله إلهى...

لأن سيدنا اتخذ له ناسوتا كاملا من جسد ومن نفس ناطقة، كما يقول النبى أعددت لى

---

(١) مت ٢٧ : ٤٦.

جسدا، وعلى هذا فناسوت المسيح ناسوت مخلوق وخالقه هو اللاهوت المتحد به... والذى يملأ السماء والأرض... فإذا خاطب اللاهوت فيخاطبه إلهى... ولا صعوبة هنا لأن الناسوت كامل وله كل الصفات الناسوتية.. والاتحاد بين اللاهوت والناسوت لم يبطل صفات الناسوت ولم يعطل صفات الناسوت وهو اتحاد بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغير.

... أما الصعوبة الثانية... فتحل على أساس أن الترك المشار إليه فى النص ليس تركا جوهريا وإنما هو ترك أدبى ... ونحن نؤمن أن آلام الصليب وقعت على الناسوت فيزيقيا وفى نفس الوقت وقعت على اللاهوت أدبيا... وإن لم يكن فيزيقيا... فمعنى العبارة إذن لماذا تركتنى للألم وهذا تعبير للدلالة على شدة الآلام التى احتملها المسيح له المجد، وأنها كانت آلاما حقيقية حتى دعته يصرخ من أجلها ويقول : لماذا تركتنى! كما قال من قبل : إن أمكن أن تعبر عنى هذه الكأس... ودليل أيضا على أن سيدنا أخذ ناسوتا حقيقيا. وليس كما زعم أوطاخى وبعض الهراطقة أنه كان ناسوتا خياليا، ويدل أيضا على أن الناسوت لازال بعد اتحاده باللاهوت ناسوتا كاملا محتفظا بكل صفاته ولم يبطل الاتحاد شيئا من صفات الناسوت... وهذا رد مناسب على أوطاخى الذى زعم أن الناسوت قد ضاع فى اللاهوت واختلط به وامتزج فيه وامتص فيه إمتصاصا كما يمتص أو تضيع نقطة من الخل فى المحيط.

فقوله إذن لماذا تركتنى، معناه أن الآلام شديدة ولذلك يعبر عن شدتها وقسوتها بالعبارة... لماذا تركتنى... لكنه كما قلنا ترك أدبى وليس تركا جوهريا... نقول لاتركا جوهريا لأنه لو أن اللاهوت فارق الناسوت مفارقة جوهرية وجودية، لكان معناه أن الفداء لم يتم وأن الصلب كان صلبا واقعا على الناسوت وحده ... ومن ثم... لا يكون للصلب قيمة «كفارية» أبدية «كالتى صارت له بالفعل... ولو ترك اللاهوت الناسوت تركا جوهريا وجوديا، لكان معناه أن الذى صلب من أجل البشر إنسان... فكيف يقول الكتاب عن دم المسيح أنه دم أزلى وأنه دم الله كما عبر الرسول بقوله كنيسة الله التى إقتناها بدمه... فإذا كان الدم موصوفا بأنه دم الله فكيف يجوز ذلك مالم يكن اللاهوت متحدا بالناسوت وقت الصلب أيضا!!

... إذن ... فاللاهوت لم يفارق الناسوت ولم يتركه جوهريا، وإنما تركه للألم بمعنى أن اللاهوت لم يتدخل به ليبطل آلام الصليب أو تخفف منها، وإنما توقف اللاهوت عن التدخل فوقعت الآلام كاملة على الناسوت من غير تخفيف وعلى قول النبى أشعياء :

«الرب وضع عليه إثم جميعنا».

ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين.

خطاب القديس أثناسيوس الرسولى
فى الرد على الأريوسية

١ ـ معلوم تماماً أن كل الهرطقات التى جانبت الحقيقة قد ابتدعت حماقة، وأن كفرها قد صار مشهودا للكل منذ زمن طويل. وسوف نرى جليا ويقينا أن مبتدعيها قد خرجوا منا كما كتب المغبوط يوحنا، والآن فإن آراء هؤلاء الناس ليست بعد متفقة معنا. ولهذا كما قال المخلص الذين لا يجمعون معى يفرقون مع الشيطان، ملاحظين الذين يختبئون ليزرعوا زوانهم الخاص زوان الهلاك، ويضموا إليهم الذين يهلكون، ولكن حيث أن إحدى هذه الهرطقات وآخرها وهى التى وكأنها تنبئ بضد المسيح هذه التى تسمى الأريوسية. مخالفة وشريرة رأت أن أخواتها السابقات قد أنكرت علانية، فترددت أن تنكشف وتسترت فى كلمات الكتاب المقدس، مثلها مثل أبيها الشيطان، وأقحمت نفسها الدخول إلى فردوس الكنيسة، ولأنها تبدو شبيهة بالمسيحية قد أضلت بعض أشخاص أن يفتكروا فكرا ضد المسيح، بإغراء من إختراعاتها لأنه ليس فيها شئ معقول، لكنها قد خدعت بعض الجهال الذين ليست لهم فقط آذان مخدوعة، بل وقد قبلوها وذاقوها كما فعلت حواء، هؤلاء رأوا فى جهلهم أن هذه الهرطقة جميلة، وأعلنوا أنها مقبولة وقد رأيت نفسى مضطرا، إلى أن أنفذ إلى مداخل هذه الهرطقة لأثبت مبلغ معارضتها للعقل، حتى أن البعيدين عنها يظلون على بعدهم عنها، والذين ضلوا بها يندمون وإذ يفتحون عيون قلوبهم يفهمون أن الظلام ليس كالنور والكذب ليس كالحقيقة، كذلك هرطقة الأريوسيين ليست خيرا، ولكن حتى الذين يدعون مسيحيين قد ضلوا بها ضلالا بعيداً، كأنهم لم يقرأوا الكتب المقدسة ولم يعرفوا المسيحية بتاتا ولا الإيمان الذى فيها.

٢ ـ أجل، أى مشابهة يرونها بين الهرطقة وبين الإيمان الصحيح، حتى يدعون جهلا أن هؤلاء الناس لم يقولوا شيئا رديئا؟ حقا كما لو أنهم جعلوا من قيافا (رجلا) مسيحيا، أو حسبوا يهوذا الخائن بين الرسل، أو كأنهم يقولون إن الذين قبلوا باراباس بدلا من المخلص لم يصنعوا شيئا رديئا، أو جعلوا من هيمينايس والاسكندر قوما علّموا الناس تعليما صحيحا ومن الرسول الذى تكلم ضدهما رجلا كاذبا، لكن مسيحيا لا يتحمل كلاما كهذا وليس من يقول إن من يصنع أمرا كهذا ملهم بالروح، لأن عندهم أريوس بدلا من المسيح مثل مانى عند المانويين، وبدلا من موسى وغيره من الرجال القديسين قد اكتشفوا من يسمى سوتاتيس Sotatés الذى يسخر منه اليونانيون الوثنيون أنفسهم، وابنة هيروديا : فإن أريوس حاكى النهج المخنث المنحل الذى نهجه الأول، فكتب هو أيضا ثاليات Thalies θαλεῖα وهى (أشعار ماجنة هزلية)، كما قلد عن الثانية رقصها، وكان يرقص ويلهو فيما هو يجدف على المسيح، بحيث أن الذين سقطوا فى هرطقته فقدوا العقل وصاروا يهذون حتى غيروا اسم «رب المجد» إلى شبه صورة إنسان فاسد، وبدلا من أن يسموا مسيحيين أصبحوا يسمون أريوسيين، وهذه علامة على كفرهم، والواقع أنهم

لا ينتحلون أعذارا. وعندما يلامون على أنهم لا يفترون على من ليس مثلهم حتى يثبتوا أنه بنفس الطريقة يسمون هم أنفسهم أريوسيين، فإذا كانوا لا يخجلون من اسمهم يمكنهم أن يسروا به، لكن لأنهم يخجلون منه لذلك يتعيرون أو أنهم مجتمعين يفرون من كفرهم. لأن الشعب «المسيحى» لم يتخذ أبدا اسم أساقفة، ولكن اسم الرب هذا الذى نؤمن به : إن الرسل المغبوطين كانوا معلمينا وخدام إنجيل المخلص ولم نأخذ اسمنا منهم، وإنما تبعا للمسيح نسمى نحن مسيحيين، فالذين يتخذون من آخر أصل الإيمان الذى يعتقدون فيه، فمنه والحالة هذه، يحملون الاسم، كأنهم أصبحوا ملكا له.

٣ ـ وعلى ذلك حيث أننا جميعا مسيحيون، ونسمى بالمسيح مسيحيين، فماركيون وهو مبتدع هرطقة، قد طرد قديما (من الكنيسة) وهؤلاء الذين بقوا مع هذا الذى طرد، ظلوا مسيحيين، هؤلاء الذين تبعوا ماركيون لا يسمون بعد مسيحيين، بل من ثم ماركيونيين وبالمثل فالنتينوس Valentin وباسيليدس Basilide ومانى وسيمون الساحر قد أعطوا نصيبا من اسمهم لمن تبعوهم، فالبعض سموا فالنتينيين والآخرون باسيليديين وغيرهم مانويين وهؤلاء سيمونيين وغيرهم فريجيين من فريجيا، والذين من نوفات نوفاتيين، وبالمثل أيضا مالاتيوس الذى طرده بطرس الأسقف والشهيد، سمى أتباعه لا مسيحيين بل ملاتيين وبالمثل أيضا عندما طرد المغبوط الكسندروس أريوس، فالذين بقوا مع الكسندر ظلوا مسيحيين، والذين خرجوا (من الكنيسة) مع أريوس تركوا لأتباع الكسندر اسم مخلصنا، وأما هم فتسموا من ذلك الوقت أريوسيين، وهذا هو الواقع أيضا بعد موت الكسندر، إن الذين دخلوا فى شركة مع أثناسيوس، الوارث لكرسيه، والذين أثناسيوس نفسه فى شركة معهم، يحرصون على نفس الصورة، فليس منهم من يتخذ اسمه من نفسه، ولا يتخذ أسمه من اسمهم. ولكن مرة أخرى إن الكل يحمل الاسم المألوف عند المسيحيين، لأنه مع أن لنا خلفاء لمعلمينا ومع أننا أصبحنا نحن مستمعين لهم كما هو تعليم المسيح الذى قبلناه منهم، إلا أننا لا نسمى إلا مسيحيين. أما بالنسبة للذين يتبعون الهراطقة، حتى لو كان لهم خلفاء كثيرون جدا، إلا أنهم يحملون على كل حال اسم مبتدع الهرطقة، إن أريوس قد مات، وكثيرون من أتباعه خلفوه، ومع ذلك فان من يتبعون تعليم أريوس يسمون أريوسيين، ولنا على ذلك برهان واضح : فمن كانوا هيلينيين، ولكنهم الآن قد جاءوا إلى الكنيسة تاركين خرافاتهم الهيلينية لا يتخذون اسم الذين يجحدونهم وإنما اسم المخلص. وبدأ الهيلينيون يسمون مسيحيين. والذين يذهبون إلى هذه (الهرطقات) أو كل الذين من الكنيسة ينضمون إلى الهرطقة، يتركون اسم المسيح، ومنذ ذلك الحين يسمون أريوسيين، حيث أنه ليس لهم بعد إيمان المسيح بل قد أصبحوا وارثين لحماقة أريوس.

٤ ـ كيف إذن يكونون مسيحيين، من ليسوا مسيحيين ولكن من أشياع أريوس؟ أو كيف يصبحون من الكنيسة الجامعة من زعزعوا الإيمان الرسولى، وجعلوا أنفسهم (مخترعين شرورا)

وأباطيل، وقد تركوا كلمات الكتب المقدسة (الإلهية) ودعو بثاليات أريوس وهى حكمة باطلة؟ وفى هذه الحالة يقال أنهم ينادون بهرطقة باطلة، ومما يدعو إلى الدهشة أن كثيرين من الكتاب وضعوا عددا من التصانيف والعظات على العهدين القديم والجديد، لكننا لم نجد عند أى منهم ثالية، ولا حتى عند الهيلينيين الكيسيين. لكن توجد فقط عند الذين يحفظون هذه (الأغانى) يرددونها فى الولائم مع التصفيق بالأيادى، والدعابات بين الأطفال ليضحكوا الآخرين. فهذا الأريوس الغريب لا يحاكى شيئا حسنا، بل وإنه يجهل أمور الكياسة، وقد سرق أمورا كثيرة من الهرطقات الأخرى فهو يحاكى دعايات سوتاتيس فقط.. فماذا كان عليه أن يفعل، حيث أنه أراد أن يرقص مخالفا للمخلص، إلا أن يفسر كلمات كفره الدنيئة الساقطة، باعضائه الواهنة الخامدة، حتى أنه طبقا لقول الحكمة : يعرف الإنسان من كلامه الذى يخرج منه، وهذا يكشف بالمثل ما فى نفس الكاتب من تخنث وما فى روحه من فساد، والواقع أن الشقى لم يفلت من نظرات الناس، لكنه بقدر ما تلوى كثيرا إلى أعلى وإلى أسفل على نحو الحية، قد سقط فى خطأ الفريسيين : الذين إذ أحبوا الظلم تظاهروا بأنهم يعتمدون على أنهم قد تهذبوا بكلمات الناموس، ويريدون أن ينكروا الرب المنتظر والذى جاء، يتظاهرون بذكر الله ولكنهم سقطوا فى التجديف إذ يقولون «لماذا وأنت إنسان، تجعل نفسك إلها» (١) وتقول «أنا والآب واحد» (٢) وبالمثل فإن أريوس الكاذب والسوتاتى يدعى أنه يتكلم عن الله، موردا أقوال الكتاب المقدس، لكنه مقتنع من كل وجه أنه أريوس الملحد الذى ينكر الابن، ويعده بين المخلوقات.

٥ ـ وهذه هى فاتحة الثالية الأريوسية، وترهاتها على نحو النساء، وطريقتهن : «بحسب إيمان مختارى الله، الذين لهم معرفة الله، الأطفال القديسين، الأبرار، الذين قبلوا روحا إلهيا مقدسا، هذا الذى تلقنته، أنا، ممن نالوا نصيبا من الحكمة الفرحين، المتعلمين من الله، والحكماء فى كل شئ. على أثرهم جئت سالكا فى الإيمان عينه، أنا الذى اختبأت (فى حبائلى؟) والذى تألمت كثيرا من أجل مجد الله. وإذ قد تعلمت من الله فإنى عرفت الحكمة والعلم».

أما عن الإنتقادات التى ابتدعها فى هذا (الكتاب) وهى إنتقادات معيبة جدا، ومليئة من الروائح الكريهة فهى :

«إن الله لم يكن دائما أبا، ولكن كان هناك وقت كان الله فيه وحده، ولم يكن أبا، وقد صار أبا فيما بعد. والابن لم يكن كائنا كل الزمان : من حيث أن كل شئ قد كان (قد خلق) (خرج) من العدم، وحيث أن كل الأشياء مخلوقة ومصنوعة، فكلمة الله نفسه كان و (قد خلق) من العدم وكان ثمت وقت لم يكن فيه موجودا، وأنه لم يكن كائنا قبل أن يوجد. لكن له أيضا إبتداء فى

---

(١) يوحنا ١٠ : ٣٣.

(٢) يوحنا ١٠ : ٣٠.

خلقته. لأنه يقول، كان الله موجودا وحده، ولكن لم يكن الكلمة أو الحكمة موجودا ثم عندما أراد أن يخلقنا صنع موجودا ما وسماه الكلمة، والابن، والحكمة، لكى يصنعنا بواسطته».

«وعلى ذلك هناك حكمتان، على قوله : الواحدة خاصة بالله وتوجد معه. والابن حيث أنه كان (قد خلق) فى هذه الحكمة بما أنه شريك معها، قد اتخذ فقط اسم الحكمة واسم الكلمة. لأنه، على قوله، «الحكمة» قد وجدت عن طريق حكمة الله، وبواسطة إرادة الله الحكيم. كذلك يقول أن هناك كلمة آخر فى الآب (غير) الابن وأنه لأن الابن يأخذ من هذا الكلمة، فالله بفضل النعمة أيضا سماه كذلك كلمة وابن. ثم أن هناك مغالطة مطابقة لهرطقتهم تظهر من كتاباتهم الأخرى: هناك كثير من القوى: الواحدة قوة الله وهى خاصة بالطبع، وهى سرمدية. والمسيح ليس قوة الله الحقيقية لكنه واحد من قوتين..... (وحتى الدودة ليست قوة فحسب لكنها هى ذاتها سميت عظيمة).

والقوى الأخرى متعددة ومشابهة للابن، عنها يتكلم داود عندما يرنم (قائلا) ... «رب القوات». والكلمة ذاته، عرضة للتغير بطبعه، شأنه فى ذلك شأننا جميعا. لكنه يظل خيرا صالحا بمحض إرادته طالما شاء هو ذلك. لكنه إذا أراد يقدر أن يتغير تماما مثلنا، حيث أنه من طبيعة خاضعة للتغير وهذا فى الواقع هو السبب فى أن الله وقد سبق فرأى أنه سيكون خيرا، أعطاه سلفا هذا المجد الذى كان سيكون له أيضا بسبب فضيلته، هكذا سبق الله فعلم بما صار عليه هو الآن».

٦ ـ وقد تجاسر أريوس على القول بأن الكلمة ليس إلها حقيقيا، وأنه وإن كان يسمى إلها لكنه ليس إلها على الحقيقة، إنه من قبل المشاركة فى النعمة، تسمى (الكلمة) باسم الله كما هو الحال بالنسبة لكل القوى الأخرى. وكما أن كل الموجودات غريبة فى جوهرها عن (جوهر) الله ومتباينة عنه، هكذا الكلمة غريب عن جوهر الآب وعن سرمديته، ومختلف عنه من كل وجه، وهو ينتمى على الخصوص إلى المصنوعات والمخلوقات، وهو واحد منها. وزيادة على ذلك فإن أريوس، وهو الوارث لسفاهة إبليس قد وضع ثاليته أن الآب يعلو على إدراك الابن، وأن الابن لا يستطيع أن يرى أباه أو أن يعرفه معرفة كاملة : فما يعرفه (الابن) ومايراه، يعرفه ويراه حسب ملكاته (قواه) الخاصة، كما أننا نحن أيضا نعرف (الأشياء) حسب قوانا الخاصة، والحق، عند أريوس، أن الابن لا يعرف الآب معرفة صحيحة فمقدرته على الفهم ناقصة. وليس ذلك فقط بل إن الابن نفسه لا يعرف أيضا جوهر ذاته. ويقول أريوس أن ذوات الآب والابن والروح القدس منفصلة بالطبيعة ومختلفة، ومتمايزة، ولا شركة بينها، وكما أعلن الابن نفسه إنها مختلفة تماما وإلى مالا نهاية له عن بعضها بعضا، فى جوهرها وفى مجدها. وعلى ذلك فالكلمة غريبة تماما عن الإثنين الأخرين، عن الآب وعن الروح القدس، من حيث المشابهة فى المجد، والمشابهة فى الذات. هذه العبارات نطق بها أريوس الكافر وأعلن أن الكلمة منفرد فى ذاته، وأن الابن ليس له أدنى شركة مع الآب. فهذه بعض الترهات التى توجد فى رسالة أريوس التى توجب السخرية.

٧ ـ فمن يسمع إذن مثل هذه الكلمات، ونغمة هذه الثالية، ولا يملك بحق وكل الحق، شعور الكره نحو أريوس الذى جعل من هذه الأمور الخطيرة، لهوا فى الأماكن العامة؟ ومن لا يرى أن (أريوس) لم يفعل إلا أن يتظاهر بأنه يدعو الله وأنه يتكلم عن الله كالحية التى أشارت على حواء؟ ومن يواصل القراءة ولا يرى كفره، كما خدعت الحية المرأة بحيلتها؟ ومن لا يندهش من هذه التجاديف؟ وكما يقول النبى «السماء قد ارتجفت» (١) والأرض قد ارتعدت لمخالفة الناموس. إن الشمس التى غضبت ولم ترض عن الإهانات التى لحقت بجسد سيدنا جميعا، الذى احتمل الآلام بإرادته عنا، فزاغت وسترت أشعتها، قد جعلت من هذا اليوم يوما لا شمس فيه، أما من جهة تجاديف أريوس فكيف لا تصاب الطبيعة البشرية كلها بالخرس، وكيف لا تطمس أذنيها، ولا تغلق عينيها، حتى لا تستطيع أن تسمع هذه الأشياء أو ترى من كتبها؟ والرب نفسه كيف لا يصرخ بحق على هؤلاء الزنادقة الجاحدين بجميله، ويقول ما سبق النبى هوشع فقاله: «ويل لهم لأنهم هربوا عنى، تبا لهم لأنهم أذنبوا إلىّ. أنا أفتديتهم وهم تكلموا علىّ بكذب» (٢) ويقول أيضا بعد ذلك بقليل : «وهم يفكرون علىّ بالشر يرتدون نحو العدم» (٣) والواقع أنهم إذ قد ارتدوا عن كلمة الله الكائن واختلقوا من لا وجود له قد سقطوا فى العدم. ولهذا فإن المجمع المسكونى قد طرد أريوس من الكنيسة لأنه تكلم بهذه الأمور وقطعه عن شركتها، فلم يؤيد (المجمع) كفره، ومنذ ذلك الحين حكم على خطأ أريوس بأنه هرطقة، هرطقة احتوت على شئ زاد على الهرطقات الأخرى، لأنها قد سميت أيضا مضادة للمسيح، واعتبرت منبئة بالدجال. وهو كما قلت سابقا، حكم صارم على الهرطقة الكافرة، يكفى ليقنع جميع الناس بالهرب منها. ومع ذلك، هناك أشخاص يقال إنهم مسيحيون، جهلا أو رياء، (يزعمون) أن الهرطقة ليست شرا مشكوكا فيها من جهة الحقيقة، ويسمون أتباعهم مسيحيين وإذن فلنمتحن هؤلاء بقدر طاقتنا ولنكشف شر الهرطقة فربما يخجلون ويهتدون، وينجون منها «كما من وجه الحية».

٨ ـ على ذلك، فلأن (أريوس) قد أودع ثاليته كثيرا من كلمات الكتب المقدسة، فجعلوا من تجاديفه مدائح من كل نوع، وقد شاهدوا أن يهود اليوم يقرأون الناموس والأنبياء، فهم أيضا لهذا السبب سينكرون المسيح معهم ثم سمعوا ما قيل إن المانويين أيضا يرددون (يتلون) بعض أجزاء من الأناجيل، سينكرون معهم الناموس والأنبياء. وإذا كانوا عن جهل يرسمون ويقولون أمثال هذه الجهالات، فيأخذون من الكتب المقدسة ما استخرجه الشيطان نفسه، مبتدع الهرطقات، بسبب نتانة خبثه، من الكتب المقدسة حتى يستروها، وإذ يزرع سمومه، ويخدع البسطاء وبهذا

---

(١) أرميا ٢ : ١٢.
(٢) هوشع ٧ : ١٣.
(٣) هوشع ٧ : ١٥ ، ١٦.

الأسلوب عينه خدع حواء، وأضل الهراطقة الآخرين وهكذا أيضا قد حرض الآن أريوس على الكلام، وعلى أن يقول لنفسه أنه نهض يقاوم الهرطقات حتى يخفى إدخال هرطقته الخاصة، ولكن على الرغم من ذلك لم يخف شره. لأنه لما كفر بكلمة الله تجرد فى الحال من كل الفضائل، وظهر للجميع أنه أنكر (الأقنومين) الآخرين أيضا، وأنه لا يفكر بشئ من الحق أبدا وأنه كان يتصنع. كيف يتكلم بالحق عن الآب من ينكر الابن الذى خبرنا عن الآب؟ أو كيف يفكر بالصواب عن الروح من يجدف على الكلمة الذى أرسل الروح؟ وكيف يؤمن به من إذا تكلم عن القيامة ينكر أن المسيح صار من أجلنا «البكر بين الأموات»؟ وكيف إذن ينكر ولادة الابن من الآب شرعا وحقا، ولا يخطأ أيضا فى مجيئة بالجسد؟ لأن اليهود قديما أنكروا الكلمة وقالوا «ليس لنا ملك إلا قيصر» فحرموا من كل شئ مرة واحدة، وتجردوا «من نور الصباح، ومن رائحة الزيت» ومن معرفة النبوة ومن الحق ذاته. والآن إنهم لا يفهمون شيئا، مثلهم مثل «من يمشى فى الظلمات. من فى الحق فهم مثل هذه الأمور أبدا؟ أو من أين أو ممن يفهم المتملقون ومأجورو الهراطقة مثل هذه الأمور؟ من كلمهم هكذا عندما تعمدوا؟ من قال لهم وإذا توقفتم عن «عبادة الخليقة» تعودون من جديد إلى عبادة من صنع وخلق؟ أو أنهم اعترفوا هم أيضا بأنهم سمعوا مثل هذه الأشياء لأول مرة، وأنهم لا ينكرون أن هذه الهرطقة غريبة ولم تأت من أباء الكنيسة. وما لا يأتى من الأباء هو ابتداع حديث وهو شئ آخر كما تكلم المغبوط بولس، فى الأيام الأخيرة سيرتد قوم عن الإيمان الصحيح تابعين أرواحا مضلة وتعاليم شياطين»(١) وانصرفوا عن الحق؟

٩ ـ لأننا نحن نأخذ من الكتب المقدسة ما يؤيد الإيمان التقوى، ونحن نضع «المصباح على المنارة» (٢)، قائلين: الابن بالطبيعة هو الابن الحقيقى والابن الخاص للآب، وهو يتصل على الخصوص بجوهره بذاته essence وحكمته، وهو الابن الوحيد والكلمة الحقيقى، وهو وحده من الله، ليس هو مخلوقا أو مصنوعا لكنه على وجه الدقة مولود من ذات essence جوهر الآب، فهو إله حقيقى، مساو فى الجوهر للآب الحقيقى. أما الموجودات الأخرى فقد قال عنها «أنا قلت، أنكم آلهة» ولها فقط هذه النعمة من الآب بمشاركة الكلمة عن طريق الروح. لأنه هو (الابن) رسم جوهر L'empreinte de la substanc الآب، نور من نور، قوة حقيقية وصورة حقيقية لذات جوهر الآب. وهذا أيضا ما قاله الرب «من رآنى فقد رأى أبى» أنه كائن فى كل الأوقات ولم يكن ثمت وقت لم يكن هو فيه موجودا. لأنه لما كان الآب أزليا، فكلمته كذلك أزلى، وحكمته. لكن ما الذى أتوا به إلينا فى ثالبتهم الفاسدة؟ أو ما الذى بدأوا بقراءته فيها محاكين مؤلفها... وما الذى

---

(١) ١. تيموثيوس ٤ : ١..

(٢) متى ٥ : ١٥.

أخذوه عنها غير هذا: «إن الله لم يكن دائما هو الآب بل أصبح كذلك فيما بعد، والابن لم يكن موجودا كل الزمان لأنه لم يوجد قبل أن يخلق. إنه ليس من الآب، لكنه هو نفسه تكون من العدم. هو لا يتصل على الدقة بجوهر الآب. انه مخلوق ومصنوع والمسيح ليس هو الإله الحقيقى. ولقد صار هو نفسه إلها بالمشاركة. إن الابن لا يعرف الآب معرفة تامة والابن لا يرى الآب رؤية كاملة. والكلمة لا يفهم الآب ولا يعرفه معرفة تامة. فكلمة الآب الحقيقى والوحيد ليس هو نفسه، لكنه بالاسم فقط قد تسمى الكلمة والحكمة، كما بالنعمة قد تسمى الابن والقدرة. إنه ليس كالآب لا يعتوره تغيير، لكن طبيعته متغيرة كالمخلوقات، ويعوزه الفهم ليعرف الآب معرفة كاملة». إن قولهم هذا هرطقة غريبة ليس لها حتى المظاهر، لكنها دائما تخترع القول على من هو كائن بأنه ليس كائنا، وليس لها أبدا إلا أن تقترح تحت ستار مديح. فإذا كان يطلب من أحد من الناس تعرض عليه قضيتان، قضية بإزائها يفضل الاعتقاد بأن كلماته تلائم الله؟ أو بالأحرى ما يقولونه هم أنفسهم، وهم المتعلقون بالكفر: ما هو الأليق بالتفكير من جهة الله؟ هل الكلمة هو الله؟ نحن نطالبكم: أجيبوا لأنه بهذا يعرف الجميع قضيتين: فما هو اللائق أن يقال؟ كان هناك وقت لم يكن فيه (الابن) موجودا «أو كان موجودا كل الزمان؟.... هل أنه لا يساوى الآب فى الجوهر أم أنه يساوى الآب ويتعلق به على وجه دقيق؟ هل أنه مخلوق أم أن الخلائق قد صنعت به؟ هل هو كلمة الآب أم أن هناك آخر خارجا عنه، وأنه بهذا الفعل الآخر وبحكمة أخرى قد خلق هو، وأنه هو وحده الذى يحمل اسم الكلمة والحكمة، وأنه يشارك فى هذه الحكمة الأخرى ويأتى بعدها؟

١٠ ـ من أين إذن هذه الأقوال التى يتكلم بها هذا الإنسان عن إله مبينا أن ربنا يسوع المسيح هو الله وابن الآب؟

إذا لم يكن المخلص هو الله، ولا الكلمة ولا الابن، فأنتم أحرارا أن تقولوا ما يرضيكم، مثلكم مثل الهلينيين واليهود الآن. **لكن إذا كان هو كلمة الله والابن الحقيقى وإلها (مولودا) من إله «ومبارك على الكل إلى الأبد»** (١). أليس يليق بتلك المزاعم أن تباد وتمحى، وكذلك الأقوال الأخرى وثالية الأريوسيين أيضا، باعتبارها صورة مليئة بالشر والكفر؟ إن من يقع بها (بهذه الثالية) لا يعرف أن «بقربها يهلك العمالقة، ويلتقون بفخاخ الجحيم»(٢) وهذا يعرفونه بأنفسهم ويخبئونه كما يفعل المخادعون. إنهم لا يجرؤون على مثل هذه الأقوال لكنهم يصرخون بأقوال غيرها تقرب منها. لأنهم إذا قالوها سيحتقرون. وإذا أقروا بها، ستتعبهم البراهين المستقاة من الكتب المقدسة. لهذا مثلهم فى الواقع مثل «أبناء هذا الدهر» (٣)، الذين

---

(١) رومية ٩ : ٥.
(٢) أمثال ٩ : ١٨.
(٣) لوقا ١٦ : ٨.

أضاءوا بالشر مصباحهم المزعوم بزيت «الزيتونة البرية» (١) وخوفا من أن ينطفئ سريعا كما قيل «نور الأشرار ينطفئ» (٢) فهم يخفونه، «تحت مكيال» (٣) الرياء، ويتكلمون عن أشياء أخرى، ويهددون إعتمادا على الأصدقاء وخوف قسطنس حتى أن الرياء والتوعدات تمنع الذين يأتون إليهم من أن يروا دنس الهرطقة. أفليس الهرطقة إذن جديرة بكل كراهية، حيث أنها لا تجد جرأة عند أخص أتباعها الذين يخفونها ويغذونها كحية؟ لأنهم من أين قد ابتدعوا هذه الأقوال المفلسة؟ وممن استقوا أمثال هذه الأمور التى يجرؤون على قولها؟ إنهم لم يستقوها من إنسان: فهم لا يستطيعون أن يذكروا اسم أحد سلمها إليهم. **فمن من بين الناس يونانيا كان أو بربريا يجرؤ على القول بأن الله مخلوق من المخلوقات، وأنه لم يكن موجودا قبل أن يخلق؟ أو من لا يؤمن بالله المسيح الذى إليه وجه الله الآب الكلام فقال «هذا هو ابنى الحبيب» (٤) مدعيا أنه ليس إبنا بل مخلوقا؟.**

إن الكتب المقدسة لا تعطيهم عذرا. إنها كثيرا ما تبين، وها نحن نبين الآن، إن هذه التعاليم غريبة عن الأقوال الإلهية. فلم يبق إذن إلا أن نقول إن هذه الحماقات مستقاة من الشيطان. إنه هو وحده الذى بذرها. على ذلك فلنقاومه، إنه هو الذى يجب علينا أن نصارعه، حتى إنه بمعونة الرب، وباعتياد قهر الشيطان وهزيمته يخجلون أن يروا من بذر الهرطقة فيهم قد أصابه الخرس، ثم يعلمون ولو بعد حين، أنهم كأريوسيين أصبحوا غير مسيحيين.

١١ ـ لقد قلتم وتؤكدون، بتحريض من الشيطان، إنه كان ثمت وقت لم يكن فيه الابن موجودا: وهذا هو اللباس الأول لحماقتكم الذى يجب أن تتجردوا عنه. فإذا كان هناك وقت لم يكن الابن فيه موجودا، قولوا ما هو أيها المجدفون والكافرون. فإذا قلتم أن الآب كان فيه موجودا، فانه تجديف أعظم، فلا يجوز أن يقال أنه كان هناك وقت الآب فيه موجودا دون الابن **لأنه موجود دائما، وحاضر الآن وكائن فى نفس الوقت مع الابن، وهو هو عينه الكائن**، والآب هو آب للابن. فإذا قلتم كان هناك زمن كان الابن فيه موجودا ولم يكن هو فيه موجودا، فالجواب أحمق، ولا معنى له فكيف يمكن أن يكون هو نفسه موجودا، وليس هو؟ لقد ارتبكتم الآن، ويلزمكم أن تقولوا أنه كائن ثمت زمن، مدة من الزمن، حيث لم يكن الكلمة موجودا، وهذا ما يدل عليه بالطبع تعبيركم «زمن». وما قلتموه كذلك فى كتاباتكم: أن الأبن لم يكن موجودا قبل أن يخلق هو نفس القول: إنه كان هناك وقت، لم يكن فيه موجودا: هذا وذاك يشير إلى وجود زمن سابق على الكلمة. فمن أين ابتدعتم هذا؟ ولم كالأمم «ارتججتم صلفا،

---

(١) رومية ١١ : ١٧.
(٢) أمثال ١٣ : ٩.
(٣) متى ٥ : ١٥.
(٤) متى ٣ : ١٧.

وتفكرتم بالأباطيل ضد الرب وضد مسيحه» (١)، فليس سفر من الكتب المقدسة يتكلم هكذا عن المخلص، **بل بالحرى تتكلم الكتب المقدسة دائما عن أزليته وعن أنه كائن مع الآب كل حين**: فى البدء كان الكلمة، وكان الكلمة عند الله، والكلمة كان هو الله» (٢) وسفر الرؤيا يتكلم على هذا النحو: «الكائن والذى كان والذى يأتى» (٣)، **فمن هذا الذى ينزع الأزلية عن الكائن «وعن الذى كان»** ؟ بهذا ناقض بولس اليهود إذ كتب فى رسالته إلى الرومانيين، يقول «منهم (أتى) المسيح حسب الجسد، الكائن على الكل، الإله المبارك فى الدهور» (٤)، ولافحام الهليينيين قال «لأن (كمالاته) غير المنظورة ترى منذ خلق العالم بواسطة أعماله، وقوته الأزلية ولاهوته» (٥) وبولس يبين «ما هى قوة الله «إذ يقول» المسيح قوة الله وحكمة الله». وإذ يتكلم هكذا فإنه لا يعين الآب، كما تهمسون كثيرا الواحد للآخر قائلا إن الآب هو قوته الأزلية الأبدية، ليس الأمر كذلك لأنه لم يقل «الله نفسه هو القوة، بل «له القوة» إنه واضح لعيون الجميع أنه ليس له هو نفسه لكن ليست قوة الله بعد. اقرأوا تتمة النص، واهتدوا إلى الرب والروح وسترون أن الإشارة تنطبق على الابن.

١٢ ـ والواقع أن القديس بولس إذ ذكر الخليقة، تناول أيضا على التوالى القوة الخالقة فى الخليقة وهى كلمة الله «هذا الذى به كان كل شئ». فإذا كانت الخليقة تكفى بمفردها وبذاتها، وبدون الابن، لمعرفة الله فلنحذر لئلا نزل، فنظن أيضا أن الخليقة قد صنعت بدون الابن. لكن إذا كانت بالابن مخلوقة وإذا كانت كل الأشياء تقوم فيه (٦)، فبالضرورة أن من يرى الخليقة يرى الكلمة الذى خلقها أيضا، وبه أيضا يبدأ أن يدرك الآب، وإذا كان كما يقول المخلص «ليس أحد يعرف الآب إلا الابن، ومن يعلن له الابن (٧)، وإذا كان فيلبس الذى قال له «أرنا الآب»(٨) لم يجبه قائلا انظر إلى الخليقة بل «أن من رآنى فقد رأى الآب» (٩)، فمن اللائق أن بولس الذى وبخ الهيلينيين، ملاحظا إنسجام الخليقة ونظام (الخليقة)، على أنهم لا يتأملون فى الكلمة الخالق الذى هو فى الخليقة، لأن المخلوقات تعلن عن خالقها، لكى بهذا يعرفكم بالإله الحقيقى، ويجعلكم تكفون عن عبادة المخلوقات، من اللائق أن يقول قدرته السرمدية ولاهوته(١٠)، حتى نستدل على الابن أن الكتبة القديسين الذين يقولون «الذى هو قبل الدهور» و«الذى به صنع الدهور» يبشرون بأن الابن موجود كل آن وجودا سرمديا، بما يؤيد لاهوته. لأن

---

(١) مزمور ٢ : ١.
(٢) يوحنا ١ : ١.
(٣) رؤيا ١ : ٨، ٤ : ٨.
(٤) رومية ٩ : ٥.
(٥) رومية ١ : ٢٠.
(٦) كولوسى ١ : ١٧.
(٧) متى ١١ : ٢٧.
(٨) يوحنا ١٤ : ٨.
(٩) يوحنا ١٤ : ٩.
(١٠) رومية ١ : ٢٥.

أشعياء يقول: «الله السرمدى الذى خلق أطراف الأرض» وسوسنة كانت تقول «الله السرمدى» وكتب باروخ «سأصرخ نحو السرمدى فى أيامى» وبعد قليل يقول «لأننى اترجى المخلص السرمدى وفرحا يأتينى من البار»

يقول الرسول أيضا فى رسالته إلى العبرانيين «هذا الذى هو إشعاع مجده ورسم جوهره» (١). وداؤد يغنى من جهته فى المزمور ٨٩ قائلا: «إن جلال الرب علينا» وفى النور سنعاين النور «**فمن هو عديم الفهم فيجادل فى أن الابن موجود فى كل حين؟**؟ من فى الواقع قد رأى النور خارجا عن البهاء والجلال، فيقول عن الابن «إنه كان وقت لم يكن الابن فيه موجودا إذ أنه لم يكن موجودا قبل أن يولد»؟ والكلمات التى يوجهها إلى الابن فى المزمور ١٤٤ «حكمك هو حكم كل الدهور» **لا تسمح بتاتا بتصوير لحظة لم يكن الكلمة فيها موجودا. لأنه إذا كان كل برهة تقاس فى الدهور، وإذا كان الكلمة ملكا وخالقا لكل الدهور وأنه لم تكن ثمة برهة قبله، فإنه من الجنون أن يقال أنه كان هناك وقت لم يكن الكلمة فيه موجودا وأن الابن جاء من العدم**. عندما قال الرب نفسه «أنا هو الحق» ولم يقل «إننى صنعت حقا بل أنه دائما يستعمل التعبير «أنا هو»، «أنا هو الراعى» «أنا هو النور» وأيضا «ألستم تدعوننى السيد والمعلم؟ حسنا تقولون لأننى «أنا هو» فمن يسمع من الله هذه الكلمة وإذا كان الحكمة، كلمة الآب هو الذى ينطق بها عن نفسه، فمن يتردد فى أنها الحق ولا يسلم مباشرة بأن «**أنا هو» تدل على سرمدية الابن وأنه لا بداية له وأنه سابق على كل الدهور؟**

١٣ - **والكتب المقدسة إذ تتكلم عن الابن، تنسب إليه السرمدية**. وأما العبارات التى يستعملها الأريوسيون «أنه لم يكن موجودا»، «قبل وعندما»، فهى الكلمات التى تستعملها الكتب المقدسة فيما يتصل بالمخلوقات.

عندما تكلم موسى عن خلقة عالمنا قال «وكل نبات الحقل، قبل أن يصير على الأرض، وكل عشب الحقل قبل أن ينبت، لأن الله لم يكن قد أسقط مطرا على الأرض، ولم يكن هناك إنسان ليعمل الأرض، وفى سفر التثنية» «عندما قسم العالى الأمم»، قال الرب بفمه «لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون بما قلته أنى أمضى إلى الآب، لأن أبى أعظم منى. والآن قد نبهتكم بهذا قبل أن يكون، حتى إذا صار هذا تؤمنون» (٢) وأما عن الخليقة فقد قال بفم سليمان: «قبل أن تكون الأرض، وقبل أن يخلق اللجج، قبل أن تنفجر ينابيع المياه، وقبل أن تتثبت الجبال، قبل التلال ولدنى» (٣)، «وقبل أن يكون ابراهيم أنا كائن» (٤) «وقال عن أرميا «قبلما صورتك فى البطن»

---

(١) عبرانيين ١ : ٣.
(٢) يوحنا ١٤ : ٢٨.
(٣) أمثال ٨ : ٢٤، ٢٥.
(٤) يوحنا ٨ : ٢٨.

عرفتك» (١) وداؤد يغنى قائلا: «يارب ملجأ كنت لنا جيلا فجيل يارب، قد كنت لنا ملجأ فى كل الأجيال من قبل أن تثبت الجبال وتخلق الأرض والكون، أنت كائن منذ الأزل، وإلى نهاية الدهور» (٢) وفى سفر دانيال «صرخت سوسنة بصوت عظيم وقالت: يا إله السماء الذى تعرف السرائر، والذى تعلم كل الأشياء قبل أن تكون»(٣) وعلى ذلك فالتعبيرات «لم يكن ثمة زمن» و «قبل أن يكون» و «متى»، وكل التعبيرات المماثلة، يليق أن تقال عن مخلوقات مصنوعة، ومكونة من العدم، لكنها جميعا غير «الكلمة» تأملوا. إن هذا ينطبق على المصنوعات، أما عن الابن فالكتب المقدسة تستخدم لفظ «دائما». **وعلى ذلك فإن الكلمة لم يخلق من العدم، وليس الكلمة أبدا واحدا من المخلوقات، لكنه صورة الآب، والكلمة الأزلى، ولم يكن ثمة زمن لم يكن هو فيه موجودا، لكنه كائن دواما، لأن النور أزلى كما أن إشعاعه أزلى، فلماذا إذن تفترضون أن هناك سنوات قبل الابن، ولماذا تجدفون على الكلمة (فتجعلونه يجئ) بعد سنوات، مع أنه هو عينه الذى صنع الدهور؟** وعلى العموم، كيف يكون ثمت زمن أو دهر لم يكن الكلمة قد ظهر فيه بعد، الكلمة الذى به كان كل شئ وبغيره لم يكن شئ مما كان، ولماذا بالإشارة إلى الأزمنة، لاتقولون بوضوح: كان هناك فسحة من الزمن، فيه لم يكن الكلمة قد وجد، لكنكم تخفون تعبير «زمن» لتخدعوا البسطاء، إنكم تخفون آرائكم بالتمام لكنكم حتى لو أخفيتموها، لايمكنكم أن تتجاهلوها: إنها أزمنة تعينونها إذ تقولون كان هناك وقت لم يكن هو فيه موجودا من قبل أن يولد.

١٤ ـ هذا وإنهم يمعنون فى سفاهتهم إذ يقولون إذاً لم يكن هناك وقت لم يكن الابن فيه غير موجود، وإذا كان الابن أزليا وكائنا مع الآب كل حين، فأنتم أيها الخصوم الحمقى (المجانين) لاتجعلون من الابن إبنا بعد بل أخا للآب، إذا قلنا فقط أن الابن كائن مع الآب منذ الأزل، وأنه ليس هو الابن، فإنهما يصيران بهذا وكأنهما ظهور أو صورة.

ولكن إذا قلنا عن الابن أنه أزلى، فنحن نقر أن الابن مولود من الآب، فكيف يمكن لمن ولد أن يدرك على أنه أخ لمن قد ولده ... وإذا كان إيماننا هو فى الآب والابن أفهل هناك أخوة مشتركة بينهما؟ ثم كيف يمكن أن يقال عن الكلمة أنه أخ لذاك الذى هو أبو الكلمة. ليس سر المشكلة هو الجهل، لأنهم هم أنفسهم يعرفون الحقيقة، إنما هو تعلل اليهود والناس الذين أرادوا ـ كما قال سليمان ـ «أن يجانبوا الحقيقة. لأن الآب والابن لم يولدا من مبدأ سابق على وجودهما، حتى يظن أنهما أخوان. إن الآب هو أصل الابن، ومصدر ولادته والآب هو الآب، وليس هو إبنا

---

(١) أرميا ١ : ٥.
(٢) مزمور ٩٠ : ١ - ٢.
(٣) دانيال ١٣ : ٤٢.

لأحد، والابن هو ابن وليس أخا. ولكن إذا كنتم تقولون أنه الابن الأزلى المولود من الآب، فحسنا تقولون، فإن جوهر الآب لم يكن أبدا غير كامل.

والابن لم يولد كما يولد الإنسان من إنسان، أى أنه يخرج إلى الوجود بعد أن يبدأ أبوه فى الوجود، إن الابن مولود من الله، ولما كان هو الابن الحقيقى لله الأزلى، فإنه موجود منذ الأزل. إن الولادة فى الزمان هى فى الواقع تختص بالناس، بسبب نقص طبيعتهم، لكن الابن المولود من الله أزلى بسبب الكمال الأزلى بطبيعته. فإذا لم يكن هو الابن وإنما كان مخلوقا وجد من العدم، كما قالوا أولا وتكلموا عن الابن كأنه مخلوق، فإنه يمكنهم أن يجأروا بحماقتهم بأنه كان هناك وقت لم يكن فيه الابن موجودا.

لكن إذا كان هو الابن، وهو ما يقوله الآب، وما تصيح به الكتب المقدسة أيضا، وإذا كانت حقيقة كونه الابن ليست شيئا آخر غير كونه مولودا من الآب، وإذا كان من ولد من الله هو كلمة الآب وحكمته وإشعاعه، فماذا ينبغى أن يقال إذا لم يكن غير ما يؤكدونه أنه كان هناك زمن لم يكن فيه الابن موجودا، وكأنهم لصوص، يسلبون، كلمة الله، ويتكلمون ضد الابن قائلين إنه كان زمنا ما بدون كلمته الحقيقى وحكمته الحقيقى، وأن النور كان وقتا ما بدون هذه الحكمة، وأن النبع كان جافا بدون ماء، وحتى إذا كانوا يتظاهرون بأنهم يخشون اللفظ «زمن ما» بسبب الملام الموجه إليهم ويقولون إن الابن كان كائنا قبل الدهور، فإنهم على الرغم من ذلك لا يستعفون من الملام حيث أنهم يقرون بأن هناك فترات من الزمن، يقولون أن الابن لم يكن موجودا فيها، وبذلك ينسبون إلى الله أنه كان بدون كلمته، وهم فى هذا يخطأون خطأ عظيما.

١٥ - وإذا كانوا من جهة أخرى يصرحون باسم «الإبن»، لأنهم لا يشاءون أن يلاموا جهارا من الجميع، لكنهم ينكرون انه الابن الحقيقى لذات الآب، بحجة أن هذه البنوة لا يمكن إلا أن تفترض التجزئة والتقسيم، فإنهم يقولون أن «الابن» ليس إلا مجرد اسم، ينكرون أنه الابن الحقيقى فكيف لا يضلون كثيرا، إذ يتصورون غير الجسدانى على نحو ما يتصورون الجسدانى وبسبب ضعف طبيعتهم الخاصة ينكرون ما يتعلق بطبيعة الله الخاصة؟ تأملوهم فإنهم إذ لا يفهمون كيف هو الله، وبأى صورة هو الآب، ينكرون الله أيضا، لأنهم، أى هؤلاء المجانين، يتصورون الابن مولودا من الآب، حسب قياساتهم. فإذا كانوا كذلك. وكانوا يرون أنه لا يمكن أن يكون لله ابن، فإنه يليق أن نرثى لهم. وأن نناقشهم، وأن نفحصهم لأنهم على الأقل يحسبون للعقل حسابا، ويحتكمون إليه.

فإذا كان الابن كما تزعمون قد ظهر من العدم، ولم يكن موجودا قبل أن يولد، فلابد حتما أن تكون ثمة نوع من المشاركة بسببها سمى إبنا، وإلها، وحكمة.

وهكذا تقوم كل الأقانيم الأخرى، وإذ هى مقدسة فهى ممجدة. وعلى ذلك ينبغى أن تقولوا، فيمن يشارك الابن لأن كل الأقانيم الأخرى تشارك فى الروح. فمن الذى يشارك الابن فيه على قولكم؟ أيشارك الروح؟ لكن بالأحرى أن يقال أن الروح هو الذى يأخذ من الابن؟ كما قال الابن نفسه (١) فمن غير المعقول أن يقال أن الابن يتقدس بالروح. فمن ثم أنه يشارك فى الآب: هذا ما يمكن أن يقال. وما يجب أن يصرح به. ولكن ما هى هذه المشاركة، أو من أين هى؟ فإذا كان الآب يدرك هذه المشاركة من الخارج فكأن الابن لا يشارك فى الآب، ولكن يشارك فى هذا الشئ الآتى من الخارج، وحينئذ لا يصبح الابن ولا حتى ثانيا للآب (الثانى بعد الآب)، ويصبح ذلك الشئ سابقا على الابن، فلا يقال فى هذه الحال عن الابن أنه ابن الآب، بل ابن لذلك الشئ، ويكون قد تسمى بابن الله من حيث مشاركته لذلك الشئ. وهذا محال وكفر حيث أن الآب يقول: «هذا هو ابنى الحبيب» (٢) كما أن الابن يقول عن الله أنه أبوه الحقيقى. فواضح إذن أن الذى يصنع فعل المشاركة ليس خارجا، لكنه من جوهر (ذات) الآب، فإذا كان شيئا آخر خارجا عن جوهر الابن، فإننا نلتقى بمجال آخر: أن هذا الشئ يصبح متوسطا (واسطة) بين الآب، وجوهر الابن، أو يصبح أحدا آخر.

١٦ ـ فقد ظهر إذن أن هاتين القضيتين مستحيلتان، ومضادتان للحقيقة، ولابد من القول أن من يجئ من جوهر الآب هو الابن، وهو ابن الآب بكل ما فى هذه الكلمة من معنى، لأن الكلام عن المشاركة فى الله، هو هو بعينه القول بالولادة. وما هو معنى التعبير، أنه «يلد» الابن؟ والحق أن جميع الأقانيم تشارك فى الابن، بنعمة الروح (القدس) الذى يظهر به. وهذا يبين بوضوح أن الابن نفسه لا يشارك فى شخص، وأن من يجئ من الآب بالمشاركة هو الابن، ونحن لا نعد كمشاركين فى الآب إلا بالمشاركة فى الابن مباشرة: وهذا ما كان يقوله بطرس «لكى تصيروا شركاء الطبيعة الإلهية» (٣). وكذلك قال الرسول «أما تعلمون أنكم هيكل الله» (٤) و«نحن هيكل الله الحى» (٥) ونحن نرى الآب، برؤيتنا الابن مباشرة، ذلك أن معرفة الآب هى بتوجيه الفكر نحو الابن، وإدراكه بالعقل لأن الابن هو الثمرة الحقيقية لجوهر الآب. فلا يقل أحد منكم أن المشاركة عارضة، أو أنها جزء من جوهر (ذات) الآب فقد قررتم واعترفتم بأن الله يتصل بذاته بالمشاركة، والاتصال بالمشاركة هو عينه الولادة فالابن المولود ليس عرضا أو جزءا من الجوهر السعيد. **وليس من غير الممكن قبول أن يكون لله ابن، من جوهره الحقيقى. ونحن حين نتكلم عن الابن، المولود، لا نعنى عرضا أو جزءا من جوهر الله، بل بالأحرى لنا هذا الإيمان بناء على معرفتنا بطبيعة الابن وهو ابن شرعى**

---

(١) يوحنا ١٦ : ١٥.
(٢) متى ٣ : ١٧.
(٣) ٢. بطرس ١ : ٤.
(٤) ١. كورنثوس ٣ : ١٦.
(٥) ١. كورنثوس ٦ : ١٦.

وحقيقى ووحيد لله. وليس أحد يستطيع أن يبارى فيما قررناه وأبناه، من أن المولود من جوهر الآب هو الابن، لكن يجب أن يكون واضحا لكل أحد أن الابن هو الحكمة، وهو كلمة الآب، فيه وبه صنع الآب وخلق كل الأشياء. والابن هو «بهاؤه»، فيه ينير الآب كل الأشياء، و «ينكشف لكل من يريد أن يعلن لهم» (١) إنه «رسم» الآب وصورته، فيه يرى ويعرف، ولهذا فإنه والآب واحد (٢)، لأن «من يراه يرى الآب أيضا» إنه المسيح، فيه افتدى (الآب) كل الأشياء، وخلق «الخليقة الجديدة» (٣). ولنقل أيضا، إذا كان هذا هو شأن الابن، فلا يليق، بل وأنه خطر جدا، أن يجعل من الابن مخلوقا جاء إلى الوجود من العدم. أو أن يقال أنه لم يكن موجودا قبل أن يولد. لأن من يتكلم على هذا النحو عما يخص جوهر الآب، فإنه يتناول الآب نفسه، بهذه التجاديف معتقدا فى الآب وفى ابنه المولود منه، إعتقادا حسب تصوره.

١٧ ـ هذا وحده يكفى لهدم الهرطقة الأريوسية، وبهذا أيضا يمكن أن نعرف ما فيها غريبا عن الإيمان، فإذا كان الله هو المبدع وهو الخالق، وإذا كان بالابن قد خلق مخلوقاته، وإذا لم يكن ممكنا أن نرى فى الموجودات غير مصنوعات خلقت بالابن، فكيف لا يكون تجديفا القول بأن الله خالق، وأن كلمته الخالق وحكمته لم يكن لهما وجود فى لحظة ما؟ الواقع أن هذا القول هو بعينه ذات الإنكار بأن الله خالق، إذا لم يكن كلمته الحقيقى خالقا ومولودا منه هو ذاته، أو إذا كان قد صدر عن جوهر خارج من جوهر الله أو إذا كان الذى يفعل الله بواسطته غريبا عن الله، ومخالفا لجوهره. وبعد ذلك يقولون لنا، أو بالحرى أنهم يكشفون لنا عن كفرهم بقولهم: كان هناك وقت لم يكن الابن فيه موجودا، وقولهم: قبل أن يولد. **لأنه إذا لم يكن الكلمة أزليا مع الآب، لم يكن الثالوث أزليا**، وإنما كان أولا وحده ثم بالاضافة أصبح ثالوث، ويتتابع الأزمنة، على قولهم، نمت وتكونت أسس معرفتنا باللاهوت.

ثم أيضا إذا لم يكن الابن هو الابن الحقيقى لجوهر الآب، أو إذا كان قد ظهر إلى الوجود من العدم، فالثالوث أيضا يكون **قد تكون من العدم، ويكون هناك ثمت وقت لم يكن الثالوث فيه موجودا، وإنما الوحدانية وحدها ويكون الثالوث تارة ناقصا وتارة كاملا**، ناقصا قبل أن يوجد الابن، كاملا عندما وجد. فمن ثم من ولد يعد مع الخالق، ومن لم يكن موجودا فى زمن ما، يمجده علم اللاهوت مع من هو كائن على الدوام، ويجعله شريكا له فى المجد. **بل هناك ما هو أخطر، أن يكون الثالوث متخالفا فى ذاته مؤلفا من طبائع ومن جواهر متباعدة متنافرة، وليس هذا إلا القول بأن للثالوث إبتداء.**

---

(١) متى ١١ : ٢٧، لوقا ١٠ : ٢٢.
(٢) يوحنا ١٠ : ٣٠.
(٣) ٢. كورنثوس ٥ : ١٧.

فما هو ذاك المعبود الذى لا يكون شبيها حتى بنفسه، والذى يتكامل بمضى الزمن، وأحيانا لا يكون كما هو الآن، وأحيانا يكون كما هو الآن؟ وإذن.... فالثالوث يقبل الاضافات.

وهكذا إلى ما لانهاية ،حيث أنه، تكون منذ الإبتداء بفعل الإضافة، وإذا كان يقبل الزيادة، فلا جدال أنه يقبل النقص أيضا: إذ من الواضح أن ما يزيد يمكن أيضا أن ينقص.

١٨ ـ وليس الأمر كذلك، حقا وكلا بيقين. فالثالوث لم يولد، لكنه أزلى. وهناك لاهوت واحد فى الثالوث، ومجد واحد فى الثالوث المقدس. ولكنكم تجرأون على تمزيق الثالوث إلى طبائع مختلفة.

ولما كان الآب أزليا، فإنكم تقولون عن الكلمة الكائن معه أنه كان وقت لم يكن فيه موجودا. وبينما أن الابن كائن مع الآب، تفكرون أنتم أن تباعدوا بينهما. إن الثالوث خالق وموجد: ألا تخشون إذن أن تجعلوا الابن نازلا إلى المجودات من العدم؟ ألا تخجلون من أن تجعلوا العبد مساويا لشرف الثالوث، وأن تضعوا الملك، رب الصباؤوت فى مرتبة الوضعاء؟ كفوا عن خلط مالا يختلط أو بالحرى ما لاوجود له، كما لو كان موجودا، مع ماله وجود، إن مثل هذا الكلام لا يجلب للرب المجد والكرامة، بل الخزى والعار: من لا يكرم الابن لا يكرم الآب (١) لأنه إذا كان اللاهوت كاملا فى الثالوث، وإذا كانت هذه هى العبادة الإلهية والحقيقة الوحيدة، وإذا كان هذا هو الخير وهذه هى الحقيقة فإن ذلك يجب أن يكون كذلك دائما لأن الخير والحق لايجيئان فضلة، كما أن كمال اللاهوت لا يكون بالإضافة، **وإذن لابد أن يكون ذلك أزليا**، أو إذا لم يكن أزليا، فإن الثالوث يجب أن يكون الآن كما هو الآن وأنتم لا تنكرون أن الثالوث كان موجودا منذ البدء، حتى لا يكون الآن لا وجود له.

ليس هناك مسيحى واحد يسيغ أمثال هذه الهرطقات : وهذا لا ينطبق إلا على الأمم الوثنيين الذين قالوا بتثليث له إبتداء، وجعلوه مساويا لما هو مخلوق. لأن ما يخلق، عرضة للنقص كما أنه يقبل الزيادة. **لكن إيمان المسيحيين يعرف الثالوث القدوس الذى لا يتغير وهو ثالوث كامل، ودائما باق كما هو، والإيمان المسيحى لا يزيد على الثالوث شيئا، ولا يرى أن الثالوث كان شيئا آخر غير ما هو الآن** : فأى فرض من هذين الإفتراضين هو فى الواقع كفر. كذلك الإيمان المسيحى يعرف الثالوث بدون أن يخلط بينه وبين الأشياء التى لها إبتداء، ويعبد الثالوث مراعيا وحدة اللاهوت التى لا تقبل الانقسام، والإيمان المسيحى يجافى تجاديف الأريوسيين، **إنه يقر ويعرف أن الابن كائن فى كل حين. لأن الآب أزلى، وكلمته أزلى كذلك**. ولنتناول هذه المسألة أيضا.

---

(١) يوحنا ٥ : ٢٣.

١٩ ـ إن الله هو، بل يدعى أيضا، «ينبوع الحكمة والحياة»، كما قال أرميا «تركونى أنا ينبوع المياه الحية» (١) وأيضا «كرسى مجد مرتفع هو مقدسنا، أيها الرب رجاء إسرائيل. كل الذين يتركونك يخزون، الحائدون عنى فى التراب يكتبون، لأنهم تركوا الرب ينبوع المياه الحية» (٢) وجاء فى (سفر) باروخ «إنك قد تركت ينبوع الحكمة»(٣) فإذا كان ذلك كذلك، فقد صار من المنطقى أنه لا الحياة ولا الحكمة غريبتان عن جوهر الينبوع، لكنهما يتعلقان به على وجه الدقة، وإنهما لم يكونا أبدا بلا وجود، وإنما كانا موجودين فى كل حين. وهما الابن الذى يقول «أنا هو الحياة»(٤) و «أنا الحكمة أسكن الذكاء «المشورة»(٥)، فكيف إذن لم ينطق كفرا من يقول إنه كان ثمة وقت لم يكن الابن فيه موجودا»؟ وهذا هو فى الواقع ذات القول: إن الينبوع كان فى وقت ما جافا، كان بلا حياة وبلا حكمة، وينبوع من هذا النوع ليس ينبوعا، إذ الينبوع لا يكون كذلك مالم ينبع منه شئ. ومن المحال أن يكون الأمر على غير ذلك يقول الله عن الذين «يصنعون إرادته» إنهم يصيرون «كنبع مياه لا تنقطع مياهه» (٦) كما فى القول إلى أشعياء النبى «وتشبع الرغبة فى نفسك وتنشط عظامك، فتصير كجنة حية وكنبع حياة لا تنقطع مياهه» (٦). إن هؤلاء المجدفين يجرأون على القول إن الله وهو الذى يدعى، بل هو بالفعل ينبوع الحكمة، كان زمنا ما عقيما ومحروما من حكمته الخاصة. لكن ما يقولونه كذب، والحقيقة تشهد بأن الله هو الينبوع الأزلى لحكمته الحقيقية. **فإذا كان الينبوع أزليا وجب أن تكون الحكمة كذلك أزلية**. لأنه بها كان كل شئ كما يغنى داود «لقد صنعتها جميعا بحكمتك» (٧) وقال سليمان «الرب بالحكمة أسس الأرض، وأقام السموات بالفهم» (٨) هذه الحكمة هى الكلمة، وبه ـ كما قال يوحنا ـ «كان كل شئ وبغيره لم يكن شئ مما كان» (٩) وهو المسيح «هناك إله واحد، الآب الذى منه (تجئ) جميع الأشياء، ونحن له، ورب واحد يسوع المسيح، الذى به جميع الأشياء. ونحن به» (١٠). فإذا «كانت به جميع الأشياء فليس هو معدودا بين (جميع الأشياء)» لأنه من يجرؤ على القول بأن من كانت به جميع الأشياء هو من بين تلك الأشياء. لابد وأن يتصور على هذا النحو أيضا، الله الذى منه جميع الأشياء، لكن إذا كان كل إنسان يرى هذا أمرا غير معقول إذ أن الله متميز عن جميع الأشياء، فكذلك الابن الوحيد القائم فى جوهر الآب، لابد أن يكون متميزا عن جميع الأشياء. فإذا لم يكن من بين جميع الأشياء، فليس صحيحا أن يقال: إنه كان ثمت وقت لم يكن الابن فيه موجودا، وانه لم يكن موجودا قبل أن يولد: لأن مثل هذه الأقوال تصدق

---

(١) أرميا ٢ : ١٣.
(٢) أرميا ١٧ : ١٢، ١٣.
(٣) باروخ ٣ : ١٢.
(٤) يوحنا ١٤ : ٦.
(٥) أمثال ٨ : ١٢.
(٦) أشعياء ٥٨ : ١١.
(٧) مزمور ١٠٤ : ٢٤.
(٨) أمثال ٣ : ١٩.
(٩) يوحنا ١ : ٣.
(١٠) ١ . كورنثوس ٨ : ٦.

على المخلوقات، لكن الابن يصدق عليه ما على الآب وهو ابن جوهره، وهو الكلمة وهو الحكمة، هذا ما يختص بالابن باعتبار العلاقة القائمة بينه وبين الآب، وهو ما يظهر الآب على الحقيقة، حيث أنه لا يمكن القول بأن الله كان وقتا ما بغير كلمته، أو أن الابن لم يكن وقتا ما موجودا، لأنه كيف يكون هو الابن إذا لم يكن من الآب؟ وكيف يكون هو الكلمة وهو الحكمة إذا لم يكن كائنا معه كل حين منذ الأزل وإلى الأبد؟

٢٠ - ومتى كان الله موجودا من دون أن يكون معه الابن الحقيقى؟ أو كيف يمكن أن يعتبر الابن الحقيقى غريبا ومن جوهر مخالف؟ لأن كل ما يماثل الأشياء المخلوقة ليست بينه وبين خالقه أية مشابهة، لكنه قد خلق بفعل خارج عن ذاته بفعل الكلمة وبفضله وإرادته، وعلى ذلك يمكن أن يتوقف عن الوجود فى أية لحظة إذا شاء خالقه ذلك: هذه هى طبيعة المخلوقات أما ما يختص بذات الآب، وهو كما بينا انه الابن كيف لا يحسب تهورا وتجديفا أن يقال أنه صار إلى الوجود من العدم، وأنه لم يكن موجودا قبل أن يولد، لكنه من حيث أنه قد وجد فيمكن ألا يبقى فى أية لحظة؟ فيجب ألا يكون هناك من يرى نقصا فى كمال جوهر الابن عن جوهر الآب. والواقع أن كل أحد يمكن أن يرى جليا خطأ هذه الهرطقة إذا فطن إلى أن الابن «صورة الآب» و «بهاؤه» و «رسمه» وأنه «الحق»: فالنور كائن إذا كان هو صورته وبهاؤه والجوهر قائم إذا كان هو رسمه الكامل، والآب كائن إذا كان الابن هو الحق، حتى إن من يتأملون معنى «الصورة» وصورة اللاهوت، يتحقق فى أية هوة سقط (الهراطقة) لأنه إذا لم يكن الابن موجودا قبل أن يولد فالحق لم يكن قائما فى الله كل حين لكن هذا محال، فإن الآب كائن والحق كان دائما كائنا فيه. والابن هو الذى يقول «أنا هو الحق»(١) وحيث أن الجوهر كائن فيلزم أن يكون رسمه وصورته كائنا فى كل حين: إن «الصورة» لم تتكون خارجا عن الله، لكن الله ذاته هو الذى ولدها، وإذ يرى نفسه فيها، وجد لذته فيها كما يقول الابن نفسه «كنت لذته» (٢). فمتى لم يرى الآب نفسه فى صورته؟ أو متى لم يجد لذته فيها، حتى يجرؤ قوم على القول أن الصورة جاءت من العدم، وأن الآب لم يجد لذة فى ذاته قبل أن توجد الصورة؟ وكيف يرى الصانع والخالق ذاته فى جوهر مخلوق ومصنوع؟ لأنه يلزم أن تكون الصورة قائمة مع أبيه.

٢١ - وإذن ... فلنتأمل أيضا من له علاقة بالآب حتى نتحقق أيضا إذا كانت الصورة هى صورته. الآب أزلى، خالد، قوى، نور، ملك، قادر على كل شئ، الله، الرب، خالق، مبدع. ينبغى أن يوجد كل هذا أيضا فى الصورة حتى أنه بحق «إن من رأى الابن يرى الآب

---

(١) يوحنا ١٤ : ٦.

(٢) أمثال ٨ : ٣٠.

أيضا،(١) . فإذا لم يكن ذلك كذلك، وإذا كان - على ما يريد الأريوسيين - الابن مخلوقا وليس أزليا، فليس هو إذن الصورة الحقيقية للآب. والآن إذ قد تجردوا من كل حياء فانهم لا يضيفون إلا أن حقيقة كون أن الابن سمى صورة لا تعد بعد برهانا على المماثلة فى الجوهر، لكنها مجرد اسم أعطى للابن لكن حتى فى هذه الحال، ياعدّو المسيح، ليس هناك صورة ولا رسم، فكيف يكتب إن من جاء من العدم هو نظير الخالق الذى يخلق من العدم إلى الوجود؟ أو كيف يمكن أن يكون العدم مساويا لمن هو كائن؟ إنه ينقصه إنه لم يكن موجودا دائما، وإنه ينتسب إلى الأشياء التى كان لها إبتداء. والأريوسيون الذين يريدون للابن أن يكون هكذا يخترعون لهذا أسبابا، ويقولون إذا كان الابن إبنا مولودا من الآب، وهو صورته، وإذا كان شبيها بالآب فى كل شئ، فالابن نفسه الذى ولد ينبغى هو أيضا أن يكون أبا لابن، ثم هذا الأخير أيضا ينبغى أيضا أن يلد، وهكذا إلى ما لانهاية: وهذا يبين أن من يولد يشابه الوالد الذى ولده. حقا إنكم «مبتدعون تجاديف» (٢)، وأعداء لله، الذين لكى لا يعترفوا أن الابن صورة الآب، يتصورون الآب على نحو ما يتصورون الكائنات الجسدية والترابية، ويفترون عليه فينسبون إليه الشقوق، والفيوض، والورودات. فإذا كان الابن مثله مثل إنسان، أى يمكن أن يأتى كما يأتى الانسان عن كائن مخلوق، حتى يصير الابن أيضا أبا لابن آخر، وهكذا دواليك فتزداد سلسلة التتابع، حسب زعم الأريوسيين إلى جمهور من الآلهة. لكن إذا لم يكن الله نظير الإنسان، ولا هو إنسانا، **فيجب أن لا نتصور الله على نحو ما نتصور الناس**. لأن البهائم والناس تتكاثر بالتتابع بعضها مع البعض الآخر، وبالتالى من مبدأ خالق، فمن ولد، وولد من أب مولود، يصبح هو أيضا أبا لآخر، ويملك فى نفسه هذه القوة التى ولد هو بها. وعلى ذلك، فإنهم لا يعرفون أبا بمعنى الكلمة، ولا إبنا بمعنى الكلمة، وصفة الآب وصفة الابن ليست مستقرة عندهم. فمن هو ابن، هو نفسه يصبح آبا، ومن هو ابن لهذا الآب يصبح أبا للمولود منه. **وليس الأمر كذلك بالنسبة للاهوت. ليس الله نظير الإنسان**. لأن الآب لم يأت من أب، وإذن فلا يلد آبا فيما بعد - والابن لم يأت من فيض عن الآب، ولم يولد من أب مولود، وعلى ذلك فلم يولد ولن يلد بقصد الايلاد. **فمن ثم، فإنه بالنسبة للاهوت وحده الآب هو آب بالمعنى الحقيقى والثابت بالنسبة لهما وحدهما أن الآب هو دائما آب، والابن دائما ابن.**

٢٢ - على ذلك، فإن من يبحث لم لا يكون الابن علة لابن، يبحث لم لم يكن للآب آب، لكن هاتين الفكرتين مستحيلتان، ومفعمتان كل كفر. **والواقع أيضا أن الآب هو دائما آب ولن يكون أبدا ابنا، وبالمثل الابن هو دائما ابن ولن يكون أبدا آبا**. وهكذا يتضح بأكثر جلاء أن الابن رسم الآب وصورته. دائم طالما هو كائن، ولا يتغير لكنه ثابت على الدوام. كما أن أباه ثابت، فإنه إذا تحول الآب، تتحول صورته كذلك : فما يحدث للآب، يحدث بالمثل

---

(١) يوحنا ١٤ : ٩. (٢) رومية ١ : ٣٠.

لصورته وبهائه، لكن إذا كان الآب لا يتغير ويبقى كما هو، فبالضرورة أن الصورة أيضا تبقى كما هى، ولا يدركها تغير. إن الابن هو من الآب: **فلن يكون هناك غير الابن، من هو من جوهر الآب**. وعلى ذلك فليس هناك مبرر عند هؤلاء الأغبياء (الأريوسيين) لاختلاق تلك الحجة، حتى ينزعوا عن الآب صورته ليسووا بين الابن وبين المخلوقات، إنهم جعلوا الابن فى عداد هذه الأشياء، وتصوروه على نحو ما يتصورون الأشياء التى هو خلقها، فهم على قول يوسيفوس قد أقصوا أنفسهم عن الحق. لقد ألفوا عبارات صغيرة مليئة بالخبث، نشروها فى المبدأ عندما أنشأوا هذه الهرطقة - ولا زال قوم منهم حتى اليوم يصنعون هذا، يتصلون بالأطفال فى السوق ويوجهون إليهم أسئلة، ليست موافقة للكتب المقدسة، وكأنها قئ خارج من «فضلة قلبهم»: هل يخلق من هو كائن ممن لم يكن أو ممن كان لم يزل موجودا؟ ومن يستطيع أن يخلق أمن كان ولا يزال موجودا أو من لم يكن موجودا؟ ثم إن المولود واحد أو أنهما إثنان فى واحد، والابن له حرية إرادته، وهو لا يتغير بفعل إرادته الخاصة حيث أن له طبيعة متغيرة. لأنه ليس كما لو كان حجرا، يبقى فى ذاته غير متحرك، بل إنهم قد تغلغلوا فى أوساط النساء، يكلمونهن بلغة نسائية شريرة: هل ولدت ولدا قبل أن تولدى؟ وكما إنك لم تلدى قبل أن تولدى كذلك ابن الله لم يكن موجودا قبل أن يولد. هذه هى أقوال هؤلاء البهلوانات، وألاعيب هؤلاء الأردياء الذين يسوون بين الله والناس. ولكننا نعلن أننا مسيحيون أما هم فأبدلوا صورة الله «بشبه صورة الناس الذين يفنون» (١)

٢٣ - كان يليق بنا أن لا نرد بشئ على مثل هذه الأقوال الغبية شديدة الغباء، والخالية تماما من كل صواب ولكن لئلا يظن أن فى هرطقتهم شيئا من الحقيقة، يجب، تمشيا على الأقل مع ما فعلناه ونفعله أن نفحصهم فى هذه النقطة أيضا لاسيما بسبب النساء اللائى يخدعونهن بسهولة. وحيث أنهم يتكلمون على هذا النحو كان يجب أن يسألوا بناء. هل يمكنك أن تبنى بغير مواد البناء؟ إذا كان ذلك لا يمكنك فالله أيضا ما كان يمكنه أن يخلق جميع الأشياء بدون أن تكون المادة تحت أمره. كذلك ينبغى أن يسألوا كل إنسان. هل يمكن أن توجد من غير مكان؟ إذا كان ذلك لا يمكنك فالله أيضا كائن فى مكان. حتى على الأقل يخجلهم الذين يسمعونهم يتكلمون على هذا النحو. أو لماذا إذا قيل لهم أن لله ابنا يحولون أنظارهم إلى بعضهم بعضا وينكرون الابن، بينما لو قيل لهم أنه يخلق ويعمل ألا يثيرون إعتراضا خاصا بالأعمال الإنسانية؟ كان ينبغى أن يتصوروا الناس فى الخليقة أيضا، وأن يتصوروا المادة تحت أمر الله حتى ينكروا أن الله هو الخالق ومن ثم يتمرغون فى أوحال المانوية. لكن إذا كانت فكرتنا عن الله تتجاوز فكرتنا عن الأشياء البشرية، فإنه يكفى أن نفهم ونعتقد ونعلم **أن الكلمة ليس مثلنا لكنه مثل الله وأنه يخلق ليس كما يخلق الناس، لكنه يخلق كما يخلق الله**. فمن الواضح أنه لا

---

(١) رومية ١ : ٢٣.

يلد كما يلد الناس لكنه يلد كما يلد الله لأن الله لا يحاكى الإنسان، بل بالحرى أن الناس بسبب أن الله هو الآب الذى هو وحده الآب الحقيقى للابن الحقيقى، يسمون هم أيضا أبناء لأولادهم، والواقع أن «منه تسمى كل عشيرة فى السموات وعلى الأرض» (١)، فإن لم نمتحن أقوالهم توهموا أنهم قالوا شيئا ذا معنى. لكننا عندما نفحصها منطقيا، يتبين لنا أنهم بما ينطقون يثيرون الضحك والسخرية.

٢٤ ـ لأن السؤال الأول الذى يضعونه، سؤال غبى ومبهم: فهم لا يبنون على أى أساس وضعوه حتى يتمكن من يسألونه من أن يجيب عليهم لكنهم يقولون بكل بساطة، من هو كائن، من ليس بكائن. فمن هو الكائن، ومن هو غير الكائن؟ هلموا فأجيبوا أيها الأريوسيون. أو بالحرى من هو هذا الكائن؟ وبماذا يسمى الكائن أو غير الكائن؟ لأنه يمكن أيضا أن من هو كائن يصنع من ليس بكائن ويصنع من هو كائن ومن كان لم يزل كائنا: البناء والصائغ والخزاف يصنعون، كل منهم حسب مهنته، مادة كانت بالفعل موجودة قبلهم، فيصنعون بها الأشياء التى يريدون صنعها. كذلك الله نفسه، إله جميع الكائنات أخذ ترابا من الأرض كان موجودا وقد خلقه، وخلق منه الإنسان، الأرض نفسها لم تكن موجودة أولا، ولكن الله خلقها بعد ذلك بواسطة كلمته الحقيقى. فإذا كانوا يصيغون سؤالهم هكذا فمن الواضح أن الخليقة لم تكن موجودة قبل أن تخلق، بينما أن البشر يستخدمون مادة موجودة، فبرهنتهم تبدو واهية ذلك لأن ما يحصل هو أحيانا ما هو كائن، وأحيانا ما ليس بكائن كما قلنا. أما إذا كانوا يتكلمون عن الله وعن كلمته، فيجب أن يضيفوا إلى سؤالهم ما ينقصه، ويضعونه على هذا الوضع: هل كان الله وهو كائن، وقتا ما بدون كلمة، ومن هو نور، هل كان بدون نور، وبالأحرى هل كان دائما الآب للكلمة؟ وأيضا هذا السؤال: الآب الذى هو كائن، هل خلق الكلمة الذى لم يكن موجودا أو بالحرى هل الكلمة وهو الابن الحقيقى لجوهر الآب، كائن مع الآب كل حين؟.

فمن يحتمل قولهم إن الله كان وقتا ما بغير كلمته؟... فليس ثمة إنسان يقبل أن يصغى إليهم وهم يناقشون قائلين إن الله لم يكن دائما آبا لكنه أصبح أبا فيما بعد، حتى يخترعوا القول أيضا أنه كان هناك وقت لم يكن الكلمة فيه موجودا، لكن زيادة على كل حججهم التى سبق فعارضناها يقول يوحنا «فى البدء كان الكلمة» (٢) وبولس يقول «الذى وهو بهاء مجده» (٣) و «الذى هو كائن على الكل، إلها مباركا إلى الأبد آمين» (٤).

٢٥ ـ كان يحسن بهم أن يصمتوا. لكن حيث أنهم لا يصمتون، فلكى نجيب على سؤالهم الوقح فلنمض الآن فى جرأة ندرس السؤال أريد أن أضعه. إنهم رأوا المحالات المترتبة على

---

(١) أفسس ٣ : ١٥.
(٢) يوحنا ١ : ١.
(٣) عبرانيين ١ : ٣.
(٤) رومية ٩ : ٥.

أقوالهم فافحموا، أنهم عدلوا عن مقاومتهم للحقيقة. والآن بعد الابتهال إلى الله أولا، فلنقترب منهم بهذه العبارات:

سؤال :

الله الذى هو كائن ألم يكن موجودا من قبل وهل جاء إلى الوجود، أو هل كان موجودا قبل أن يصدر إلى الوجود؟ هل صنع نفسه، أو لم يوجده شخص؟ وهل وجد من دون شخص سابق عليه؟ وهل ظهر مباغتة؟ هذا السؤال غير معقول. نعم غير معقول وليس سؤالا تجديفيا فقط لكنه سؤال شبيه بسؤالهم... إنهم مشحونون كفرا كاملا... فإذا كان من التجديف **والكفر أن يوضع مثل هذا السؤال فيما يختص بالله. فإنه كذلك من التجديف أن يوضع مثل هذا السؤال فيما يختص بكلمته.** ومع ذلك ينبغى أن يقال، للرد على سؤالهم المملوء جهلا وحماقة على هذا النحو: **إن الله كائن، وموجود وجودا أزليا وكما أن الآب كائن دائما فبهاؤه كذلك كائن وأزلى كذلك، وهو كلمته.** وأيضا إن الله الذى هو كائن عنده ومنه الكلمة الذى هو كائن أيضا، **والكلمة لم يصبح شيئا لم يكن هو عليه أولا، ولا كان الآب بدون الكلمة لحظة ما...**

فسؤالهم ليس قائما وليس ذلك بلا علة: لأنهم إذ ينكرون العقل ليس لهم هم عقل ولا فى سؤالهم عقل. كما لو أن واحدا وهو يرى الشمس يستعلم عن بهائها ويسأل: هل ما هو كائن انتج مالم يكن كائنا، أو لعله أنتج فيما كان كائنا بالفعل؟... إن من يسأل سؤالا كهذا يعد كأنه ليس له فكر ذكى، بل قد ضرب فى الغباء، لأن من صدر مباشرة عن مصدر النور يتصور النور خارجا ويسأل عنه «متى» «أين» «عندما» «إذا» حصل ذلك. بالمثل من يتصور الابن والآب على هذا النحو، ويضع فيما يتصل بالآب والابن أمثال هذه الأسئلة التى تدعو إلى الاحتقار، لأن الكلمة المولود من الآب، قد أدخل على الآب من الخارج وليس هو إبنا له بالطبيعة... وكأنهم يتكلمون عن مخلوق، إنه لم يكن موجودا قبل أن يولد. مع ذلك فليفهموا أن هناك جوابا على سؤالهم.

«إن الآب الكائن قد ولد الابن الذى كان ولم يزل موجودا لأن الكلمة صار جسدا»، والله قد خلق من هذا الذى كان ابنه، ابن الإنسان فى أواخر الدهور، على شرط ألا **يقولوا مع بولس الساموساطى إنه لم يكن موجودا قبل أن يصير إنسانا».**

(هكذا يكفى من جانبنا إجابة على سؤالهم الأول)

الأبوليناريوسية

بدعة أبوليناريوس

يبدو أن الكنيسة لم تكن قد توصلت إلى تحديد واضح لمعنى كلمة اقنوم فى الثالوث المقدس، ولهذا كان عليها أن تعانى مرحلة جديدة من مراحل النزاع الكنسى، حول مفهوم الأقانيم الإلهية وتمايزها عن بعضها فى الصفات والخواص. هذه المرحلة هى التى شغلتها بدعة أبوليناريوس.

وإذا كان للهرطقات من نفع للكنيسة فإنها أفادت فى إثارة أذهان الآباء الملهمين بالروح القدس، لتحديد قواعد الإيمان فيما يختص الثالوث القدوس وبشخص فادينا. فهو كامل الألوهة التامة كما أنه كامل الناسوتية التامة، ولئن كان مفهوما ومستقراً أن اللاهوت اتحد فى المسيح بناسوته اتحادا كاملاً تاماً، لكن يظهر أن مفهوم هذا الاتحاد بين اللاهوت والناسوت كان يعوقه شىء من الغموض فى أذهان البعض على الأقل، وكذلك مفهوم كلمة (طبيعة) وكلمة (أقنوم) . وهذا سر النقاش والجدل الذى أثير حول هذه المفاهيم فى القرن الخامس، والذى لعب أبوليناريوس فيه دوراً كبيراً.

كان أبوليناريوس أسقف لاوديكيا Laodicea فى النصف الأخير من القرن الرابع، وكان ابنا لناظر مدرسة Gramatista بيريتوس Berytus الذى أصبح فيما بعد قسيساً للاوديكيا.

وقد قام الأب بتأليف بعض الكتب المسيحية محاكاة للتواليف القديمة، عندما أصدر يوليانس Julian قوانين تربوية منعت المسيحيين من دراسة الأدب اليونانى واللاتينى القديم ومن تدريسه، وقد ساعد الابن أباه فى هذا العمل، وكتب يدافع عن المسيحية ضد يوليانس وبورفوريوس Porphyry وضد الهراطقة من أمثال أريوس ومارسيليوس Marcellus ، كما كتب تفاسير للكتب المقدسة ووضع أيضاً كتباً أخرى لم يبق منها غير شذرات أوردها فى إجاباته غريغوريوس النزينزى (رسالة ١٠١، ١٠٢) إلى كليدونيوس. ثم غريغوريوس النيسى.

Intirrheticus adv. A poll. and Ep. ad Theophilum. adv . A Poll., and Theodoret.

قارن أيضاً ابيفانيوس ضد الهراطقة Adv. Haer. 77 اثناسيوس : ضد ابوليناريوس contra Apoll. (الترجمة الإنجليزية ـ Bright, later treatises of st. Athanasius ويحتمل أنها لا تكون من تأليف أثناسيوس، انظر

Draseke, Zeitschriff. Wiss. scheft. Theologie 1895 pp.254 ff

ولكنها كتبت وقت أن كان الجدل فى أشد قوته، انظر أيضاً.

Theodoret fabuloe Hear IV U, vg II

ثم باسيليوس رسالة ٢٦٣ (وهي غامضة جدا) وكان ايرونيموس من بين تلاميذه فى سنة ٣٧٤، وكان فى مبدأ الأمر على اتفاق وعلى صداقة حارة مع أثناسيوس وباسيليوس، وذلك بسبب سعة علمه وتأييده للفريق المؤيد لمجمع نيقية بالنسبة للنزاع الأريوسى.

وقد حكم على تعليم أبوليناريوس، أو على تعليم يشبهه، فى مجمع عقد بالأسكندرية سنة ٣٦٢، ومع ذلك يبدو أن تعليم أبوليناريوس لم ينتشر أو يعرف على نطاق واسع إلا حوالى سنة ٣٧١، ولم يحرم أبوليناريوس من الكنيسة قبل سنة ٣٧٥، وقد تجدد حرمه فى عدة مجامع عقدت فى روما برياسة داماسوس فى ٣٧٧ ـ ٣٧٨، وفى المجمع المسكونى الثانى الذى انعقد فى القسطنطينية فى سنة ٣٨١م. وقد صدرت عدة مراسيم امبراطورية فى منع مذهب أبوليناريوس وصلواته العامة من ٣٨٨ ـ ٤٢٨م إلى أن قضى عليه نهائيا. وقد مات أبوليناريوس نحو سنة ٣٩٢م، انظر P. Schaff Art., Appollinarius.

هذا، ومن المحتمل أيضا أن يكون بعض تواليف أبوليناريوس، قد نسبها أتباعه عمدا إلى آباء الكنيسة الأرثوذكسية، بقصد ذيوعها وانتشارها، ومن آيات ذلك، رسالة نقدية من أقدم الرسائل النقدية الأدبية التى ظهرت فى هذا الصدد، كتبها ليونتيوس البيزنطى Leontius (٤٨٥ ـ ٥٤٣) وهو معاصر للامبراطور يوستنيان، وردت فى مجموعة Migne ٢/٨٦ ص ١٩٤٨، وهى دراسة نقدية للمؤلف الحقيقى للكتابات المنسوبة إلى غريغوريوس العجائبى ويوليوس وأثناسيوس، إذ أنها تحتوى على تعاليم مخالفة، وقد ذهب مؤلف الرسالة إلى أن هناك عبارا ت اشتملت عليها هذه الكتب وهى لأبوليناريوس بدليل أن تلاميذه دائما يستشهدون بها.

نقطة البدء فى بدعة أبوليناريوس ونظرياته الدينية

كان أبوليناريوس من أشد خصوم الأريوسية وأكثرهم حماسا لقانون الإيمان النيقاوى، ولعله ابتدع نظريته أو بدعته دفاعا عن الحقيقة الأرثوذكسية ضد الهرطقة الأريوسية وقد ساقه إلى ذلك باعثان:

الأول:

تعليم أريوس الذى نادى بامكانية التغير الأخلاقى عند المسيح، وأنه لهذا كان الكلمة قابل للنمو أو التطور الخلقى، وأنه عندما كان يفعل الخير كان يصنعه بإرادة حرة، كان يمكنها أيضا أن تختار فعل الشر، وعلى ذلك يكون الخلاص الذى صنعه المسيح عملا قام به كائن محدود، أقام ذاته مخلصا بفعل إرادته الحرة، ومن ثم فلا تكون كفارته خلاصا للجنس البشرى كله، إلا من قبيل إظهار إمكانية كسب هذا الخلاص. وليست هناك نفس بشرية واحدة يمكن أن تكون بريئة كل البراءة من وصمة الضعف البشرى.

هذا التعليم الذى نادى به أريوس وأتباعه كان مهينا للاهوت السيد المسيح، لهذا اندفع أبوليناريوس فى غيرة ملتهبة لتوكيد ألوهة المسيح الكاملة، وطهارته التامة من الخطيئة وذلك بمحض طبيعته الذاتية.

الثانى:

هو الخلط بين مدلولات الألفاظ من الوجهة اللاهوتية، رأى أبوليناريوس أن كلمة (طبيعة) وكلمة (اقنوم) بمعنى واحد. فإذا كان فى المسيح طبيعة لاهوتية كاملة وطبيعة ناسوتية كاملة اجتمعتا معا، فمعناه أن اقنومين اجتمعا معا فى المسيح. فإذا اجتمع فى المسيح لاهوت كامل، واجتمع فيه كل مكونات الناسوت، فان هاتين الطبيعتين الكاملتين يكونان اقنومين، إذ لايمكن أن يتألف أقنوم واحد من طبيعتين، وعلى ذلك يرى أبوليناريوس أن الرأى القائل باتحاد اللاهوت كاملاً بالناسوت كاملا، كلٍّين فى كلٍ واحد، رأى مستحيل. هذان هما الباعثان اللذان دفعا أبوليناريوس إلى نظريته التى قصد بها إبعاد المخاوف التى خلقتها البدعة الأريوسية.

لقد نادى أريوس بأنه كان فى المسيح إمكانية لإختيار الخير أو الشر، وحرية الإختيار تقوم فى العقل أو الروح أو النفس الإنسانية الناطقة العاقلة. والنفس الناطقة العاقلة هى العنصر الهام المسيطر على الطبيعة البشرية، المغروس فيها بالضرورة القدرة على عمل الشر، وبفضلها يكون النمو فى الخير أو الشر ممكنا. وزيادة على ذلك فإن هذه النفس هى التى بها يتميز شخص عن غيره، فهى مقر أو مركز قوة تقرير المصير، وهى القوة التى تتميز بها الشخصية الحقيقية لكل إنسان والتى تتكون بها شخصيته المستقلة عن كل إنسان آخر...

ولذلك رأى أبوليناريوس أنه إذا لم يكن للمسيح نفس إنسانية، فلا يكون ثمة مجال لممارسة حرية الإختيار لديه، ولا تكون له شخصية بشرية أو اقنوم بشرى ليتحد بالأقنوم الإلهى، بل يكون هناك الكلمة الإلهى وحده وهى القوة الوحيدة المسيطرة فى أقنوم المسيح المتجسد، وقد وجد أبوليناريوس فى هذا التفسير المخرج الوحيد من كل الصعوبات السابقة. قال أن المسيح بالحقيقة هو الله المتجسد. ولا يمكن أن يتم اتحاد حقيقى بين اللوغوس والنفس الإنسانية الناطقة، لأنه إما أن تحتفظ الطبيعة البشرية المتحدة بالطبيعة الإلهية بارادتها الخاصة واضحة متميزة، وفى هذه الحالة لايكون هناك اتحاد حقيقى بين اللاهوت والناسوت، أو أن تفقد النفس الناطقة حريتها وكأنها قد امتصت فى الطبيعة الإلهية، لذلك يرى أبوليناريوس أن اللوغوس يحتل مكان النفس الناطقة العاقلة، وقد اتخذ له جسما بشريا ونفسا حيوانية، وصار هو القوة المسيطرة والمبدأ السائد فى المسيح، وهو الذى يملأه، وهو الذى يحرك العناصر الإنسانية ويحييها بالحياة العليا الإلهية،

وبهذا حفظت الوحدة فى الاقنوم ولو أن الاقنوم لم يكن كله إلها ولا كان كله إنسانا بل مزيج(١) من الله والانسان.

οὔτε ἄγθρωπος ὅλος, ουτε θεὸς , ἀλλὰ

θεοῦ καὶ ανορωπου μιξις

وهذا يؤيد ما يقوله الكتاب المقدس أن (الكلمة صار جسدا)، وأن (الله ظهر فى الجسد) وقد قال القديس غريغوريوس النزينزى (رسالة ١٠١) أن الجسد هنا معناه الطبيعة البشرية من قبيل إطلاق الجزء على الكل. وعلى ذلك فان كلمة تجسد ἐνσδρκωσις

تعنى بالحقيقة تأنس ἐνανθρώπησις

ومما تجدر ملاحظته أن أبوليناريوس قد أنكر اقنومية الطبيعة الإنسانية ونادي بأن مركز الاقنومية هو فى الكلمة، ولذلك فإنه عندما قال هذه العبارة التى رددها البابا كيرلس الأول فيما بعد ونسبها أيضا إلى أثناسيوس الرسولى، «طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة».

μἶα φὔσις τοὔ θεοὔ λὸγου σεσαρκωμἐνη

فإنما كان يعنى الجسد باعتباره جزءا من الطبيعة التى وصفت بأنها واحدة، وربما كانت الطبيعة كما فهمها أبوليناريوس طبيعة جديدة، ومؤلفة بطريقة فريدة فى نوعها، بينما أن البابا كيرلس استعمل العبارة السالفة من دون أن يعنى بذلك طبيعة أخرى جديدة، لأنه يقول فى موضع آخر طبيعة واحدة من طبيعتين. ἐκ δὔο, φὔσἐὥν

(١) ان لفظ μἶξις بمعنى مزيج أو خليط كان مستعملاً من زمن طويل عند بعض آباء الكنيسة ومنهم ترتليانس Apol. 21 يقول انسان ممتزج بالله home des mixtus وكبريانوس II de idol. Vanit يقول الله ممتزج بالإنسان Deus comhomine miscetur ولاكتانتيوس Deus est et homo, ex utroque genere permixlus I net. iv. 13 وتكلم اورجينوس فى كتابه الرد على كلس contro cels عن اتحاد الطبيعتين كأنه منسوج أو محبوك συνυφαἶνεσθαι ثم θκρἀσις أو ἄνἄκρασις قارن ايضاً كتابه (المبادىء ٢ : ٦٣).

وكذلك ايريناوس فى كتابه الرد على الهراطقة ك ٣ ف ١٩ : ١ (edv. Haer 111, 19:1) وغيره إلى زمن اغريغوريوس النزينزى واغريغوريوس النيسى اللذين استعمل كل منهما σὔγκρἀσις ثم ἄνἄκρασις وهما يفيدان معنى يقترب من فكرة تحول الطبيعة الإنسانية إلى الإلهية (اوريجينوس فى نفس الموضع) ولو أنهما عبرا بصراحة عن ثنائية الطبيعتين (الله والإنسان).

θεὸς και ἄνθρωπὸς

وحتى اوغسطينوس أيضا قال (إن الإنسان موصول) وبعبارة أخرى (ممزوج) Commixtus بكلمة الله ليتمم وحدة الاقنوم. (de Trin. v30)

والخلاصة أن الذين عارضوا أبوليناريوس لم يستطيعوا أن يشرحوا كيفية الاتحاد (entirety) شرحا وافيا ولو أنهم قالوا بكمال اللاهوت والناسوت معا.

الإعتراضات على النظرية الأبوليناريوسية
وردود أبوليناريوس عليها

إن أهم ما يعترض به على أبوليناريوس أن النفس هى أهم عنصر فى الطبيعة البشرية، فأبوليناريوس بإنكاره وجود نفس بشرية فى اقنوم المسيح، قد سلب التجسد الالهى معناه وقيمته وجعله خيالاً لا حقيقة له، وإذا كان صحيحاً ما يقوله أبوليناريوس فستصبح أعظم المعتقدات المسيحية خطراً، وأعمقها أثراً، فى نفوس المسيحيين خيالات وأوهاماً، ولا يكون الله قد تجسد بالحقيقة وإنما يكون قد خلع لباس الجسد θεος σαρκοφορος (الله لبس جسداً) تماماً كما قال نسطور فيما بعد أن المسيح هو حامل الإله ἄνθρωπος θεοφὸρος ولو أن القديس اغناطيوس قد استعمل هو أيضاً عبارة المسيح لابس الجسد. σαρκοφὸρος (رسالته إلى ازمير) ثم أن الروح أو النفس التى كانت على قول أبوليناريوس مركز الخطيئة، هى فى حاجة إلى الفداء كحاجة النفس الدنيا فى الإنسان والبدن سواء بسواء. لأن الذى خطىء هو الذى يحتاج إلى الخلاص أكبر احتياج (١) يقول القديس غريغوريوس النزينزى فى رده المفحم على أبوليناريوس فى رسالته ١٠١ (إذا كان نصف آدم فقط هو الذى خطىء، فيمكن إذن أن يكون المسيح أيضاً قد اتخذ هذا النصف ليخلصه) وإذا لم يستطع المسيح أن يتخذ نفساً إنسانية بحجة أن النفس هى (تحت الحكم) بسبب الخطيئة، فبالأولى أن لا يكون المسيح قادراً على أن يتخذ جسماً بشرياً أيضاً، وبهذا يحرم النفس والجسم معا من الفداء، ويقول القديس غريغوريوس أيضاً فى رسالته ١٠٢ (أن أولئك الذين يلغون الناسوت والصورة التى فيه ينظفون خوارجنا فقط عن طريق اقنومهم الخيالى الجديد) ...

غير أن أبوليناريوس كان يؤمن من دون شك أن الاقنوم يتألف من عنصر إلهى ومن عنصر إنسانى، ولكن حيث أن اللوغوس كان هو نفسه النموذج الأعلى Archetype لجميع النفوس البشرية، فلا محل للاعتراض على نظريته. إن اللوغوس، تبعاً لرأى أبوليناريوس لم يحتل مكاناً خارجياً أو بعيداً بالنسبة إلى الإنسان، وإنما كان هو الطبيعة البشرية فى ذاتها وحقيقتها، فجميع النفوس البشرية كانت على نوع ما ظلالاً للوغوس، ولهذا فعندما صار اللوغوس نفسه موجوداً فى جسم إنسانى تحققت أعلى وأصدق صورة للوجود الإنسانى.

ومهما يكن من أمر، فإن أبوليناريوس أنكر وجود نفس إنسانية فى المسيح، وكان لابد للكنيسة من أن تعترض على هذا التعليم الذى شق ناسوت المسيح وألغى منه النفس الإنسانية لأن الكنيسة تعلم أن التجسد قد صار باتخاذ الكلمة طبيعة بشرية كاملة.

(١) انظر مثلاً ما يقوله أثناسيوس فى الرد على أبوليناريوس contra Appoll. ١:١٩

أما كيف جمع السيد المسيح بين ناسوتية كاملة وبين كونه بلا خطيئة، فقد تكلم عنه القديس أثناسيوس تفصيلاً في رده على أبوليناريوس كتاب contre. Apoll .2 وخلاصته أن الطبيعة البشرية التى اتخذها السيد المسيح هى الطبيعة التى صنعها الله وهى من دون خطيئة لأن الخطيئة من صنع الشيطان، قارن أيضاً ما يقوله غريغوريوس النيسى فى رسالته إلى أبوليناريوس Ep. adv. Apoll ولو أنه صار خطيئة ولعنة من أجلنا... ولبس ضعفنا إلا أنه لم يدع الخطيئة واللعنة والضعف المحيطة به من غير شفاء.. فكل ما هو ضعيف فى طبيعتنا، وقابل للموت، قد امتزج باللاهوت وأصبح على نحو اللاهوت) ...

ولقد أتهم أبوليناريوس، اتهمه غريغوريوس النزينزى وغريغوريوس النيسى(١) بأنه كان يعلم فعلاً بأن جسد الرب يسوع المسيح كان موجوداً من قبل التجسد، وتبعاً لذلك فإن جسد المسيح من جوهر سمائى، وأنه لم يتكون من العذراء مريم بل هو جزء من الجوهر الإلهى لبس المادة قال الرب (ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء) (يو ٣: ١٣)، وقد قيل أن أبوليناريوس فسر هذه الآية بأن المسيح كان هو ابن البشر قبل أن ينزل من السماء. وقد نزل من السماء، بجسده الذى كان له فى السماء وبذلك يكون جسد الرب يسوع فى نظر أبوليناريوس أزلياً، وهو مساو له فى الجوهر، وهذا التعليم فى الواقع هو بعينه التعليم القديم الذى نادى به الظاهريون Docetism وليس غير إحياء للتصوف الشرقى الذى ينكر أن يكون المسيح قد جاء فى الجسد (٢).

ولكن أبوليناريوس كتب بقلمه إلى الإمبراطور jovian يضحد بقوة التعليم الذى ينادى بأن جسد المسيح مساو لله فى الجوهر (وأنه نزل من السماء) وأنه لم يؤخذ حقيقة من العذراء، ويحرم هذا التعليم بشدة ويصفه بأنه تعليم غير سليم.

---

(١) لا يزال الأرمن المسيحيون يستعملون قانوناً للإيمان يلاحظ فيه أنه ينفى الأبوليناريوسية بعبارات واضحة جلية (نزل من السماء وتجسد، وتأنس، وولد من العذراء القديسة مريم بالروح القدس كاملاً. فقد اتخذ جسداً ونفساً وعقلاً وكل ما فى الإنسان (أو كل ما يكوّن الإنسان) بالحقيقة وليس ظاهراً... وصعد إلى السماء بذات الجسد، وجلس عن يمين الآب وسيأتى بذات الجسد، وقد أورد halm قانون الإيمان هذا باللغة اليونانية ص ١٥١ ومايليها.

- قارن أيضاً ص ١٣٧ وتكلم عنه hart فى كتابه Two Dissertation ص ١١٦ وما يليها باعتباره قانون إيمان كبادوكيا فى القرن الرابع للميلاد، وضع ربما نحو ٣٦٦ - ٣٦٩ فى طرسوس (حيث عرف تعليم أبوليناريوس فى لاوديكيا قبل أى مكان أخر بمعرفة Silvanus (معلم باسيليوس وديودروس) وأدخله باسيليوس فى كنائس كبادوكيا ومنها إلى كنائس أرمنيا (التى كان يكرس بطاركتها فى قيصرية عاصمة كبادوكيا إلى نهاية القرن الرابع حيث أن الكنيسة هناك تدين بنشأتها إلى كبادوكيا فى أوائل القرن الرابع)

- ولمعرفة الآراء الأخرى الخاصة لهذا القانون راجع. Hahn Appendix p. 154

(٢) انظر غريغوريوس النزينزى رسالة ١٠١، ٢٠٢، ثم St Bright, st leo on the Incarnation ص ٥١٨ .

وعلى ذلك فلابد. أن تكون هذه النظرية المنسوبة إليه استنتاجاً غير صحيح عن مذهبه الحقيقى، وربما يكون من خلق أتباعه الذين ذهبوا إلى أبعد مما ذهب معلمهم، وطبقوا على الطبيعة الجسدية بأسرها ما قاله أبوليناريوس عن الروح فقط (١)، ولربما كان هذا الاستنتاج هو مستنبطا من أراء أبوليناريوس نفسه وهو أن جسد الرب يسوع المسيح، ولو أنه مأخوذ حقاً من السيدة العذراء، إلا أنه يمكن أن يدعى مساوياً للكلمة فى الجوهر، وذلك بسبب اتحاده الوثيق به، مستنبطاً أيضاً من الاتصال الوثيق الذى أصر عليه أبوليناريوس، بين الطبيعة البشرية كلها، وبين اللوغوس الذى كان الواسطة التى بها خلقت أصلا، ومستنبطاً أيضاً من العبارات التى كان أبوليناريوس يستعملها من أمثال (الله ولد) و(الله مات) .. (إلهنا قد صلب)(٢) .

إن أمثال هذه العبارات وبالمعنى الذى استعملها فيه أبوليناريوس أثارت على الخصوص نظرة ديدورس Diodorus الطرسوسى وثيودوروسTheadorus. وهما قائدا الفكر الدينى فى مدرسة انطاكية فى نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس للميلاد، ولقد أثار هذان بدورهما ثائرة

---

(١) ومما تجدر ملاحظته على كل حال أن هيلارى Hilary of poitiers لم يتردد أن يستعمل فى رسالته عن التثليث de Trinitate (وكتبت نحو ٣٥٦ ـ ٣٥٩ فى آسيا الصغرى يشرح فيها تعليم الكنيسة ضد الأريوسية) عبارة الجسم السمائى corpus coeleste ويعنى بذلك جسم المسيح، وأن يقول عن جسده أنه من السماء caro illa de corlis est فصل ١٥، ١٠ : ٧٣ ويقول أن خلق النفس الإنسانية فى المسيح كان بالحقيقة من صنع اللوغوس (ويؤمن هيلارى بنظرية الخلق creationism فى نشأة النفوس) وأن مادة الجسم هى وحدها التى أخذها من أمه، لكن المادة هى فى مبدأ الأمر، كتلة لا شكل لها ولا تصبح جسماً إلا بفعل النفس الحية التى تعطى للمادة شكلها، وهذه النفس هى فى الحقيقة من خلقه، بحيث أنه كان هو الصانع conditor لجسده ipse corporis sui origo est ولهذا فإن أصله من السماء (وعلى كل حال فإنه يقول بكل وضوح أن مادة الجسم الأرضية أخذت من العذراء..)

ـ انظر الترجمة الإنجليزية لكتاب Dorner D.P.C. جزء ١ ف ٢ ص ٤٠٢ وما يليها...

(٢) ولعله بالنسبة إلى مثل هذه التعبيرات قد تكون المبدأ اللاهوتى المعروف.

Sommunicotis Idumatum ولو أن فكرة المبدأ عرض لها القديس أثناسيوس الرسولى، وشرحها شرحا وافياً فى كتابه (الخطب فى الرد على الأريوسيين) الخطبة ٣ ف ٣١ وكذلك تكلم عنها ترتليانس، وذلك قبل أبوليناريوس بزمن، ولقد رفض خصوم أبوليناريوس أن يربطوا آلام المسيح بطبيعته الإلهية، لذلك قال أتباع أبوليناريوس أن خصومهم يرون أن الذى صلب، ليس فى طبيعته شىء من اللاهوت، وعلى ذلك فإن رفضهم أن يربطوا آلام المسيح بالطبيعة الإلهية يتضمن القول بأقنومين ، أحدهما إنسانى والآخر إلهى، أحدهما هو الإنسان الذى يتألم ، والآخر هو الإله الذى لا يمكن أن يتألم على أن هذا الاستنتاج قد رفض على التو وتقررت العقيدة فى وضوح، أن فى المسيح اقنوماً واحداً جاز مختلف الخبرات والتجارب، بفضل طبيعته التى جمعت صفات اللاهوت والناسوت معا (انظر على الخصوص رد أثناسيوس على أبوليناريوس واغريغوريوس النيسى ٢٧، ٥٢، ٥٤).

الكنيسة، لجدل طويل دام سنوات عدة، وانتهى بالحكم الذى أصدره مجمع خلقدونية.

وقد قلنا من قبل أن خصوم أبوليناريوس، لم يستطيعوا أن يشرحوا جيداً كيفية الاتحاد بين اللاهوت والناسوت فى المسيح، فنحن نرى مثلاً غريغوريوس النيسى على الخصوص، كثيراً ما يستخدم عبارات تتضمن امتصاص الناسوت فى اللاهوت ، وملاشاة الصفات الخاصة بالطبيعة الإنسانية، فهو يقول فى رسالة له إلى أبوليناريوس(١).

«إن بكور الطبيعة البشرية التى اتخذها اللاهوت القادر على كل شىء، وكأنها على سبيل المثال نقطة من الخل امتزجت بالمحيط الذى لا نهاية له، هذه البكور التى للطبيعة البشرية هى فى اللاهوت، ولكن ليست لها صفاتها الخاصة بها، لأنه لو كان الأمر كذلك، لترتب عليه أن نتصور وجود إبنين. وإذا كان ذلك كذلك فقد انبنى عليه أن نتصور فى لاهوت الابن الذى لازمه، نتج عنه وجود طبيعة من نوع آخر لها خصائصها المميزة لها، وعلى هذا يكون ذلك الجزء ضعيفا أو قليل ، (حقير) أو فانيا أو زمنياً، أما الجزء الآخر فقوى وعظيم وغير قابل للفناء، وأزلى وأبدى...» معناه أن الطبيعة البشرية قد قهرتها الطبيعة الإلهية، حتى أنها لم تعد عنصراً ذا شأن فى كيان أقنوم الابن المتجسد. لاشك أن الكلمة اتخذ له طبيعة بشرية كاملة، ولكن الاتحاد بالمعنى الذى شرحه غريغوريوس هنا فى عبارته السالفة، لا يتفق مطلقاً مع أى وجود حقيقى للطبيعة البشرية وإلا فما هو الدور الذى يمكن أن تلعبه هذه الطبيعة البشرية فى هذه الخبرات ؟؟

وعلى كل حال، فإن عبارات لاهوتى عظيم كاغريغوريوس النيسى، كتلك التى أوردناها، ترينا إلى أى مدى كان يلزم أن تجتاز الكنيسة مرحلة أو مراحل من الصراع الفكرى، قبل أن تتوصل إلى تحديد دقيق للعقيدة الدينية، يمكن أن ينقل فى أمانة تامة الرأى القويم فيما يتصل بالسيد المسيح، ولابد أن نشير هنا إلى أن لغريغوريوس نفسه عبارات أخرى، يصحح بها تعبيراته التى أوردناها فى الفقرة التى اقتبسناها منه، والتى يظهر فيها غريغوريوس وكأنه أوطاخى قبل أوطاخى نفسه، ذلك مثلاً حين يسخر غريغوريوس النيسى بأبوليناريوس الذى ينسب للاهوت كل خبرات الاقنوم المتجسد، وحيث يعرف كلمة (مزيج) μιγμα التى يستعملها أبوليناريوس بأنها تعنى (كل الأشياء المفترفة فى الطبيعة)، ولذلك يبدو أنه كان لابد من ظهور نسطور ليلعب دورا فى هذا الموضوع، ولكى يثير اعتراضاته على أمثال هذه التعبيرات حتى تتوصل الكنيسة نهائياً - إلى حل حاسم وسليم فيما يتصل بالتعبير الدقيق الذى يترجم عن الاتحاد التام بين لاهوت المسيح وناسوته.

---

(١) مجموعة منى Migne مجلد ٤٥ صـ ١٢٧٦ Ep. adv. Apoll Migne xiv p.1276

النفس الإنسانية فى المسيح

إذا كان لابد أن يكون للتجسد معناه وقيمته، وإذا كان لابد من أن نؤمن بأنه كان لمخلصنا لاهوت كامل وناسوت كامل، فواضح أنه لابد أن يكون للمخلص نفس إنسانية، وكما لابد أن يكون له جسد كامل، إذا كان يقصد بالنفس كما هو الحال فيما نحن بصدده، ومن دون حاجة إلى تعريف أكثر دقة بحسب معلوماتنا الحديثة، العنصر الأسمى فى الطبيعة البشرية الذى يضبط ويحكم الأفكار والأفعال الإنسانية، هو العقل والفكر والروح والإرادة، بدونه تصبح طبيعة الإنسان كالحيوان سواء بسواء، والغريب أن واحدا من المعاصرين للسيد المسيح أو من خدام الإنجيل الأوائل لم يتطرق إليه أدنى شك فى هذه الحقيقة، ولكن بعض المفكرين فى العصور التالية تأملوا... فإذا الشر فى المادة وفى كل ما يتصل بالبدن، فوضعوا نظريات فى شخص المسيح تنفى عنه الطبيعة البشرية نفيا باتا، ومن ثم كان لابد لغيرهم ممن أرادوا أن يدافعوا عن حقيقة التجسد، من أن يوجهوا أكثر همهم إلى إبراز حقيقة الجسم الإنسانى وأعماله الطاهرة، وهذا الموقف أثار خصوما لهم وهم الغنوسيون الذين اعتقدوا بوجود النفس الإنسانية فى المسيح، ولكنهم أنكروا حقيقة الجسم البشرى، على أنه يبدو أنهم لم يفكروا فى التمييز بين النفس والبدن فى هذا الصدد (انظر Tert. de carne christi ف ١٠).

وقال الكتاب (والكلمة صار جسداً) يو ١ : ١٤ وهذه العبارة تناولها بالتفسير كل الذين اهتموا أن يشرحوا «سر التجسد» والعناصر التى يتألف منها السيد المسيح.. ورأوا فيها أبسط تعبير كتابى عن حقيقة التجسد، ثم التمايز القائم بين اللاهوت والناسوت فى المسيح و(الكلمة) تعبر عن اللاهوت و(الجسد) يعبر عن الناسوت. لأنه من الجسد تنشأ كل الصفات والخصائص الإنسانية فى المسيح، فالجسد يعبر فى نظر الذين يميلون إلى ابراز الطبيعة الناسوتية، مصدر أو علة جميع المشاعر والإحساسات والخبرات الإنسانية، ولذلك فإن الجسد هنا يكنى به عن الطبيعة البشرية بصفة عامة.

ولعل أول من تكلم بوضوح من آباء الكنيسة، عن وجود النفس الناطقة فى المسيح هو : ترتليانس. كان يقول ترتليانس أن الطبيعة الإنسانية تتألف من جسد ومن نفس عاقلة هى مبدأ الحياة والحركة فى الإنسان (١). هذه النفس هى جوهر الإنسان الحقيقى، فإن كان المسيح هو مخلص البشر فلابد أن يكون قد اتخذ نفساً من ذات النوع الخاص بالإنسان (٢).

وأما العلامة أوريجينوس فله نظرية فى الموضوع. فيقول فى كتاب المبادىء (٣). يستحيل على طبيعة الله أن تمتزج بجسم من دون وسيلة متوسطة (والنفس واسطة بين الله والجسد) على

---

(١) راجع كتابه فى النفس De A nima ٢٧، ٥١

(٢) قارن كتابه De canne christi ١١ وما يليها

(٣) المبادىء جز ٢ ف ٦ ف ٣، ٥.

أن النفس الإنسانية التى اتحد بها اللوغوس، هى النفس الوحيدة التى ظلت نقية وطاهرة كل الطهارة، وذلك بحرية اختيارها التى مارستها فى وجودها السابق على وجود البدن، ومهما يكن من خطأ نظرية أوريجينوس التى أخذها عن أفلاطون فى وجود النفس وجودا سابقاً على وجود العوالم فى بدء الخليقة، فإن أوريجينوس كان من أوائل المفكرين المسيحيين الذين تكلموا بوضوح عن أهمية الاعتراف بوجود نفس إنسانية فى المسيح. ولقد أبان أوريجينوس فى الفقرة المشار إليها من كتاب المبادىء، أن طبيعة النفس الناطقة فى المسيح هى من ذات طبيعة جميع النفوس الأخرى، وكان فى مقدورها أن تختار بين الخير والشر. غير أنها ملتصقة بالبر إلتصاقا شديداً من دون تحول أو افتراق، حتى أنها لا يمكن أن تتحول عنه أو تتغير.

إلا أن الأريوسيين أقروا بوجود نفس حيوانية فى المسيح ψυχη ἄλογος وانكروا النفس الناطقة (νοὺς πνεῦμα) واعتقدوا أن اللوغوس حل محل النفس الناطقة وبهذا نادوا بالنظرية التى قال بها أبوليناريوس فيما بعد. ولهذا فضل الأريوسيون أن يقال عن المسيح فى قانون الإيمان، تجسد (σαρκῶθεντα) من أن يقال عنه تأنس ενανθρώπησαντα وهو التعبير الذى أصر عليه الأرثوذكسيين، لأنهم رأوا أن كلمة (تأنس) تضطرهم إلى الاعتراف بوجود نفس عاقلة فى المسيح، إذ هم لا يستطيعون إنكار وجود نفس عاقلة فى الإنسان، يتميز بها عن سائر المخلوقات الأرضية، وقد أخذ أبوليناريوس عن الأريوسيين نظريتهم ودافع عنها فأصبحت نظريته هو أيضاً التى اشتهر بها بين الهراطقة.

المشيئة الإنسانية فى المسيح

لعل أعظم الفوائد التى جنتها الكنيسة الأرثوذكسية من وراء بدعة أبوليناريوس، هو وضوح الاعتقاد بكمال ناسوت المسيح، واشتمال هذا الناسوت على نفس إنسانية ناطقة عاقلة، على أن الاعتقاد بنفس إنسانية فى المسيح ينطوى أيضاً على الاعتقاد بمشيئة إنسانية فى المسيح، وإذا كانت للمسيح مشيئة بشرية، فمعناه أن المسيح كان عرضة للامتحان والتجربة من الناحية الأخلاقية، ولذلك كان ممكنا له أن يتقدم وينمو فى النعمة والفضيلة من جهة طبيعته الإنسانية. ولكن أبوليناريوس رأى فى الاعتراف بمشيئة إنسانية فى المسيح ما يعوق اتحاد اللوغوس اتحاداً شخصياً بالناسوت، لأنه من غير الممكن حسب قوله أن مشيئتين كاملتين موجودان معا.

أما آباء الكنيسة فيرون أن فى إنكار مشيئة أو إرادة إنسانية حرة فى المسيح، يقود إلى صعوبات ومشكلات لا يسهل التغلب عليها - يقول غريغوريوس النيسى (١)، إذا لم

---

(١) فى كتابه Antirrhet ص ٤٥.

تكن للنفس الإنسانية فى المسيح إرداة حرة للاختيار ولتقرير المصير، فلا تكون حياة السيد المسيح مثلاً أعلى، أو نموذجا أخلاقياً لنا، بل ولا يكون منها نفع للجنس البشرى.

ويرى غريغوريوس النزينزى (رسالة ١٠١: ٩) أن هناك بعض النقص فى العقل البشرى بالنسبة إلى العقل الإلهى، فعقلنا على ما يقول - كُلٌ كامل Τέλειον وتحكمه قوة ذات سلطة سامية أى أن فيه قوة ذات سلطة سامية ἡ γεμονικὸν تحكم النفس الحيوانية والبدن، هذه القوة هى بالنسبة لسائر القوى التى فينا، كاملة وذات سلطان، لكنها ليست كذلك بصفة مطلقة لأنها خادمة لله وخاضعة له، وهى بالنسبة له ناقصة بل وتابعة له، (فالتل مثلاً كامل فى ذاته لكنه ناقص بالنسبة إلى الجبل، وحبة الخردل كذلك بالنسبة إلى حبة الفاصوليا ولو أنها قد تكبر من حبة أخرى من نفس النوع) هكذا النفس الإنسانية أو العقل الإنسانى ناقص بالنسبة للاهوت المسيح، وبهذا تبطل مشكلة وجود كلّين كاملين معا فى اقنوم المسيح (العقل الإنسانى والإلهى) فالإرادتان أو المشيئتان يمكن أن يوجدا من دون أن تلغى إحداهما وجود الأخرى).

ولكن المسألة يجب أن تعالج لا بالنظر إلى وحدة الاقنوم فقط، بل وأيضاً بالنسبة إلى براءة الاقنوم من الخطيئة، فهى مشكلة أخلاقية وميتافيزيقية. هل يمكن أن يكون للسيد المسيح نفس إنسانية لها مشيئة إنسانية ومع ذلك يكون السيد المسيح بلا خطيئة. (χωρισ αναρτῖας)

وكيف يمكن أن يكون المسيح إنسانا كاملا وبدون خطيئة؟؟؟

درس القديس أثناسيوس هذه المسألة دراسة وافية فى رده على أبوليناريوس Adv. A pool (٢٢ ف ٦ وما يليها ف١: ١٧) قال: (إذا كان المسيح قد اتخذ طبيعة بشرية كاملة، فلابد أن كانت له أفكار بشرية، ولكن من المستحيل أن لا تكون هناك خطيئة فى الأفكار البشرية، فكيف يكون المسيح إذن بلا خطيئة ؟؟؟) والجواب الأرثوذكسى على هذا السؤال هو : أن الله ليس هو خالق الأفكار التى تقود إلى الخطيئة، والمسيح لا يربط ذاته إلا بما يصنعه هو.. لقد خلق آدم ناطقاً عاقلاً بطبيعته، حراً فى تفكيره بلا خبرة فى الشر لا يعرف إلا الخير، ولقد كان قادرا على أن يسقط فى الخطيئة لكنه كان مزودا بقوة لمقاومتها، والواقع أنه كان بريئاً منها، لكن الشيطان هو الذى بذر فى طبيعة الإنسان العاقلة الناطقة الأفكار التى تقود إلى الخطيئة، ومن ثم فقد أسس فى طبيعة الإنسان شريعة الخطيئة والموت معاً، لتسيطرا بسبب الفعل الخاطىء، وعلى هذا النحو أصبح مستحيلاً على تلك الطبيعة، وقد أخطأت بإرادتها وتعرضت لحكم الموت، أن ترتد إلى الحرية، لهذا فإن ابن الله اتخذ طبيعة الإنسان الداخلية كلها لا جزءا منها (إذ أن الخطيئة ليست جزءا منها، وإنما هى ميل نفثه الشيطان فيها)، وبطهارته المطلقة حرر طبيعة الإنسان من الخطيئة..

ولم يقنع الأريوسيون بهذا الجواب، بل قالوا أن الطبيعة التى اعتادت على الخطيئة وصارت تنتقل إليها الخطيئة، لا يمكن أن تكون بلا خطيئة وبعبارة أخرى قالوا: أن الطبيعة البشرية تلطخت بالخطيئة فطبيعة الإنسان الناطقة صارت عاجزة عن أن تتجنب الخطيئة، وعلى ذلك فلم تكن ثمة طبيعة إنسانية بريئة من الخطيئة يتخذها المسيح له. لقد صار فيها الميل إلى الخطيئة ولم يكن فى مقدور طبيعة المسيح الإنسانية أن تتجنب الخطيئة إلا بواسطة قوة اللاهوت القاهرة التى ألزمتها بذلك، هذه القوة القاهرة التى أبطلت فى الواقع حرية إراداتها.

والحق أن الخطيئة ليست من جوهر الناسوت، وأنه قد تحقق النصر على الخطيئة بواسطة الطبيعة البشرية عينها، التى انهزمت مرة بالخطيئة، لقد اجتاز المخلص جميع ألوان وأشكال التجارب، لأنه اتخذ لنفسه كل ما يجعله عرضة للتجارب، وقد انهزم الشيطان من أمامه، لا بفعل اللاهوت فقد كان الشيطان يجهل اللاهوت الذى فيه، ولكن بعمل الناسوت الذى طالما أغراه الشيطان ووجه إليه كل أعماله وحاربه فلم يجد الشيطان فيه الزرع القديم الذى زرع فى الإنسان. إن الذى اتخذه الكلمة هو شكل الإنسان كما خلق أولاً: جسد بدون شهوات جسدية وأفكار إنسانية، وعلى ذلك فالإرادة هى إرادة اللاهوت فقط ولقد كان للمسيح إرادة بشرية، ولكن جميع رغبات الطبيعة البشرية فى المسيح كانت فى إنسجام ووفاق مع إرادة الطبيعة الإلهية...

ومهما يكن من أمر، فإن أتباع أبوليناريوس قد أخطأوا إذ قالوا: أنه من المستحيل على الطبيعة البشرية التى قد استعبدت مرة أن تعتق من العبودية، لأنهم بهذا القول قد نسبوا العجز إلى الله والقوة إلى الشيطان...

وثمة سؤال آخر: إذا كانت الطبيعة الإنسانية التى اتخذها الكلمة لم تكن طبيعة ساقطة قادرة على أن تخطأ، حتى لو ظلت بريئة من الخطأ، فكيف يمكن للتجسد وللطاعة الكاملة من جانب الابن المتجسد، أن يحققا فداء الناس الساقطين؟؟ أفهل استطاعت أن تفعل شيئاً أكثر من أن تقدم مثالاً للإنسان قبل السقوط أو كما (يكون) لو لم يكن هناك سقوط؟ وكيف يمكن لمجرد مثل للإنسانية الطاهرة، مصونا تماماً من الخطيئة بسبب الاتحاد باللاهوت، كيف يمكن أن يخلص الناس الذين أصبحت طبيعتهم خاطئة بالفعل؟

يقول غريغوريوس النيسى(١): لأننا نقول أن الله الذى هو فى جوهره خال من المادة لا يرى كما أنه غير جسدانى، عندما اقترب زمن إتمام كل الأشياء، وذلك بفعل تدبير خاص تدبير حب نحو الناس، عندما بلغ الشر إلى أقصى مداه، حينئذ، لكى يحطم الخطيئة، امتزج معه الإنسانية، مثله مثل الشمس إذا سكنت فى كهف مظلم، فحضورها يبدد الظلام بفعل ضيائها، لأنه وإن كان قد وضع قذارتنا على نفسه، لكنه هو نفسه لم يتنجس بالدنس، وإنما هو ذاته يطهر

(١) فى كتاب Antirrhet ٢٦ مجموعة Migne مجلد ٤٥ ص ١١٨٠.

القذر، لأنه قيل أن النور أضاء فى الظلمة، لكن الظلمة لم تغلبه (١)، وهذا ما يحدث بالضبط فى حالة العلاج، عندما يؤتى بالدواء الشافى ليحمل على المرض، فإن المرض يستسلم ثم يزول، لكنه لا يتحول إلى فن العلاج.

ويقول غريغوريوس النيسى: أن طبيعة المسيح الناسوتية كانت تتقدم تحت تأثير الحكمة الإلهية المتحدة بها. ويذهب فى تفسير لوقا ٢٢ : ٤٢ (لتكن لا إرادتى بل إرادتك) إلى أنه كان فى المسيح إرادة بشرية، تجفل من الألم، وإرادة إلهية (ولو أن الإرادة الإلهية دائماً غالبة) وأن فيه الضعف البشرى كما فيه القوة الإلهية، فالرب يسوع قد اتخذ لنفسه (ضعفات الخوف البشرى) وبرهن على امتلاكه طبيعتنا وذلك بمشاركته فى إحساساتها (٢) .. ويقول غريغوريوس النيسى أيضاً: (أنه عظيم احتملنا طول أناته فلم يمنع طبيعتنا من مشاركته، مع أنها قد سقطت كنتيجة للخطيئة، ولكنه قبلها إليه ليعطيها حياة من جديد).

وهذا معناه أن الإرادة الإنسانية مع أنها قد سقطت، إلا أنها تستطيع بالاتحاد بالطبيعة الإلهية أن تبلغ إلى قوتها الحقيقية، وبهذا يمكن أن تحل المشكلة التى أثرناها فى مطلع هذا الفصل..

قانون الإيمان الأثناسيوسى(٢)

يظهر فى هذا القانون إهتمام واضح بالرد على بدعة أبوليناريوس، كما يتبين من بعض فقراته، فيما يلى نورد ما يفيدنا منها لمعالجة ما نحن بصدده، (نؤمن ونعترف بأن ربنا يسوع المسيح ابن الله)، هو إله وإنسان...

إله من جوهرالآب، مولود قبل كل الدهور، وإنسان من جوهر أمه، ولد فى العالم...

إله تام، وإنسان تام: من نفس ناطقة وجسد بشرى باق...

مساو للآب، من حيث لاهوته: وأقل من الآب من حيث ناسوته... الذى مع أنه إله وإنسان لكنه ليس مسيحين بل مسيح واحد..

واحد، لا بتحول اللاهوت إلى جسد، بل باتخاذ اللاهوت له ناسوتا (الناسوت واحد بالتمام، لا بخلط الجواهر بل بوحدة الأقنوم)...

---

(١) يبدو أن غريغوريوس النيسى قد فهم على هذا النحو الآية الواردة فى يو ١ : ٥ بينما استعمل كلمة (تغلبه) κατἐλαβεν بدلاً من (لم تدركه) ἀναλαμβάνω الواردة فى النص الإنجيلى.

(٢) قارن ما يقوله أثناسيوس فى تجسد الكلمة ورده على الأريوسيين ف ٢١.

(٢) هناك اعتقاد عام بين المؤرخين إلى أن هذا القانون ظهر أولاً فى جنوب بلاد الغال، وأنه عرف أولاً فى دير ليرينوم Lerinum الذى أسسه Honoratus ومن أبرز أعضائه Faustus و Vincent ثم Hi-lary اسقف أرليس.. Arles.

إذ كما أن النفس الناطقة والجسد إنسان واحد، هكذا الله والإنسان مسيح واحد.

ومما تجدر ملاحظته أن قانون الإيمان الأثناسيوسى:

أولاً: يعارض استحالة اللاهوت إلى الناسوت كما يعارض الخلط فى الجوهر (ومعناه خلط بين الله والإنسان) ولاشك أن المقصود هو الرد على أبوليناريوس وأتباعه الذين قالوا بذلك رغبة منهم فى تجنب القول باقنومين...

ثانياً: ينادى القانون بكمال اللاهوت والناسوت (الأول جوهره من نفس جوهر الآب، والثانى جوهره من نفس جوهر الأم). كما ينادى باتحاد اللاهوت للناسوت بحيث لا يكون ثمة اقنومان وإنما اقنوم واحد وطبيعة واحدة، هو الكائن الواحد بعينه، وهو الله وهو إنسان أيضاً، وبعبارة أخرى هو الإله المتجسد.

فالهدف الأساسى من قانون الإيمان الأثناسيوسى كما يبدو، هو إعلان الإعتقاد بجوهرين كاملين، اتحدا فى اقنوم واحد وطبيعة واحدة، وفى هذا رد واضح على بدعة أبوليناريوس.

الروح الإنسانية فى المسيح

- فللوقت شعر يسوع بروحه إنهم يفكرون هكذا فى نفوسهم (مرقس ٢: ٨).
- فتنهد (يسوع) بروحه. وقال: لماذا يطلب هذا الجيل آية (مرقس ٨: ١٢).
- فلما رآها يسوع تبكى .. انزعج بالروح واضطرب (حرك نفسه) (يوحنا ١١: ٣٣).
- ولما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد وقال الحق الحق أقول لكم أن واحداً منكم سيسلمنى. (يوحنا ١٣: ٢١).
- ونادى يسوع بصوت عظيم، وقال: يا أبتاه فى يديك استودع روحى. ولما قال هذا أسلم الروح (لوقا ٢٣: ٤٦).
- ونكس روحه وأسلم الروح (يوحنا ١٩: ٣٠).
- فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح (متى ٢٧: ٥٠).
- فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح (مرقس ١٥: ٣٧).

هرطقة بيلاجيوس

هرطقة بيلاجيوس

لم يظهر فى تاريخ المعتقدات المسيحية نظريات أشد تعارضا فيما بينها، من تلك النظريات التى نشأت فى القرن الخامس فيما يتصل بطبيعة الإنسان، والخطيئة والنعمة، وكان التعارض بينها فى أمور جوهرية وأساسية. ويبدو أن مرجع الإختلاف فيما بينها إلى إختلاف فى وجوه النظر، يرتد بدوره إلى إختلافات فردية بين المفكرين فى المزاج والخبرة وما إلى ذلك، فبعض الناس تميل بطبيعتها إلى التأويلات الطبيعية، والبعض الآخر يميل إلى التأويلات العالية عن الطبيعة، بعضهم يعلق أهمية كبرى على قدرة الإنسان الخيرة، والآخر يعلق هذه الأهمية على قدرة الإنسان الشريرة، وعجزه عن أن يحقق الخير بنفسه، هذان الإتجاهان يمكن أن نلاحظهما فى الفلسفات القديمة والديانات القديمة، ولكننا نراهما بوضوح عندما بدأ الناس يواجهون الوقائع التى ساقتهم إليها خبراتهم، على ضوء الكتاب المقدس.

فالإنسان يشعر بالخطيئة وبحاجته إلى قوة ليست منه لتخلصه من نفسه، وفى ذات الوقت يشعر أيضا بأنه يملك فى نفسه قدرة ينبغى عليه أن يستعملها. إنه يشعر بمسئوليته الشخصية، وفى نفس الوقت يشعر أيضا بأن هناك قوى لايمكنه مقاومتها تصطف ضده، فكيف يمكن للمسيحى أن يعبر عن تجربته بتعبير يتفق أو يتمشى مع التعاليم الإلهية التى عرفها؟؟؟

هذه المشكلة لم تعالج معالجة جادة قبل القديس أوغسطينوس، لقد أقر القديس بولس الرسول بوجود هذا التعارض، وذلك فى نصيحته التى وجهها إلى المسيحيين فى فيلبى (تمموا خلاصكم بخوف ورعدة لأن الله هو العامل فيكم)(١). لكن هذه العبارة لم تكن موضوعا لبحث أو مناقشة نظرية، ومع ذلك كان المسيحيون يؤمنون بحرية الإرادة وإرشاد النعمة جنبا إلى جنب، ليس من الناحية النظرية التفكرية فقط، بل ومن ناحية الحياة العملية أيضا. فكتبة العهد الجديد يقرون بوضوح أولا مقاصد النعمة الإلهية من جهة، وثانيا مقدرة الإنسان على أن يتمم مقاصد الله أو أن يخبيها من جهة أخرى. ولكن يحدث أحيانا أن يوجه معلموا الكنيسة إنتباها خاصا إلى فساد الطبيعة البشرية، وإلى التعارض بين النعمة والطبيعة، وإلى حاجتنا التامة وافتقارنا المطلق إلى النعمة الإلهية، وفى أحيان أخرى يميلون إلى مقاومة الذين يغالون فى إعطاء الأهمية كلها إلى النعمة الإلهية العالية عن الطبيعة. ومن هنا فإن علماء الكنيسة يعطون الأهمية خاصة للحرية البشرية، ولمقدرة الإنسان على أن يخلص نفسه، ولكنهم لم يوضحوا العلاقة بين حرية الإرادة وبين النعمة، ولم يبينوا حقيقة الخطيئة فى الفرد وطبيعتها وأصلها. فالمشكلة لم تكن لتثير إهتمام الكنيسة الجامعة، ولم تصبح ذات خطر يدعو إلى فصل حاسم من أصحاب السلطة الكنائسية، ولكن كانت هناك أراء فردية متنوعة، أبديت لحل بعض المسائل التى تتصل عن قريب بالمشكلة التى نحن بصددها. ومنها مسألة أصل النفس وآثار أو نتائج السقوط وما إلى ذلك... وربما يكون

---

(١) فى ٢: ١٢، ١٣.

من الخير أن نعرض في إيجاز للتفكير أو التعليم الذى كان منتشرا فى الكنيسة الأولى، خاصا بهذه الموضوعات قبل أن نخوض بالتفصيل فى المشكلة التى أثارها بيلاجيوس والتى عنى بها القديس أوغسطينوس عناية خاصة.

وكانت فى الكنيسة الأولى ثلاث نظريات فى أصل النفس وهى: نظرية وجود النفس، وجودا سابقا قبل حلولها فى البدن، ونظرية الخلق، ثم نظرية ولادة النفس مع الجسم.

والنظرية الأولى: نظرية وجود النفس وجودا سابقا قبل البدن... علم بها أوريجينوس قال: (إن جميع النفوس خلقت فى بدء الخليقة قبل خليقة العوالم، شأنها فى ذلك شأن الأرواح الملائكية، ثم أخطأت هذه النفوس إلا نفسا واحدة وهى النفس التى اتخذها الكلمة المتجسد، فقد ظلت طاهرة بريئة من الخطأ، ولذلك هبطت إلى الأجسام المادية عقابا لها على ضلالها، وعلى ذلك فهذا الوجود عملية تأديبية، إذا أتمتها النفس وعاشت متنقلة بين أجسام مادية كثيرة، عادت إلى حالتها الأصلية، أما الأجسام فتظهر فى الوجود عن طريق التكاثر الطبيعى الذى يجرى فى الطبيعة بالإسلوب العادى المألوف...

ويبدو أن هذه النظرية تحمل معها نظرية التناسخ أو التقمص μετεμψύχωσις (انتقال النفس من موجود إلى موجود آخر بعد الموت) ولكن فى دائرة الكائنات البشرية، كما تحمل معها نظرية التذكر، ἀνάμνησις ولكن أوريجينوس لم يستخدم أية نظرية من النظريتين الأخيرتين، ومهما يكن من أمر فمما لا شك فيه أنه أخذ نظريته الأساسية، نظرية وجود النفس وجودا سابقا على البدن، من أفلاطون، ولو أنه لايقول ذلك بل يسوق آيات الكتاب المقدس لتبريرها. ومن ذلك مثلا، ما جاء فى إنجيل القديس يوحنا (يا معلم من أخطأ، هذا أم أبواه حتى ولد أعمى؟)(١) ثم رواية سفر التكوين عن سقوط الروح المحدود والموجود مسبقا، من المجال الأعلى إلى المجال الأسفل، وهى فى نظر أوريجينوس رواية رمزية، وكذلك توقع التجديد المشار إليه فى رسالة مار بولس إلى رومية، وبالأخص فى قوله (لأن إنتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله)(٢)، هذا، وأوريجينوس يفسر اختيار يعقوب وتفضيله على عيسو، فى بعض مواضع من كتبه، بأن ذلك كان نتيجة لاستحقاق حصل عليه يعقوب فى مرحلة وجود سابق (٣).

فإذا أردنا أن نُقَيِّم هذه النظرية، نظرية وجود النفس وجودا سابقا على وجود البدن، قلنا، حقا أنها نظرية تكفل المسئولية الفردية، كما أنها تشرح سبب الخطيئة الأصلية، غير أنها تجعل القيمة كلها للنفس، فالنفس فيها هى الإنسان الحقيقى، أما الجسد فهو مجرد سجن مؤقت، وليس عنصرا

---

(١) يو ٩: ٣.　　(٢) رو ٨: ١٩.

(٣) قارن رومية ٩ ابتداء من آية ١١.

جوهريا من عنصرى بشريتنا، ثم أننا نرى فى هذه النظرية صورة للفردية، فكل نفس وحدة بذاتها، خلقت بأمر إلهى خاص، وليس لها علاقة بالنفوس الأخرى، وإذن، فليس ثمت خلق للجنس البشرى بأكمله، وليس هناك طبيعة بشرية مشتركة بين جميع الناس ولاتماسك فى النوع الإنسانى.

ويظهر من كتب أوريجينوس المتأخرة، التى وضعها فى أثناء وجوده بقيصرية، أنه عدل عن نظرية وجود النفس وجودا سابقا على البدن، واعتنق نظرية الكنيسة الجامعة فى الخطيئة الأصلية، واقتنع بالتالى بوجوب عماد الأطفال، ومما يجدر ذكره أن مجمع القسطنطينية الملتئم عام ٥٤٠م رفض نظرية أوريجينوس وشجبها.

والنظرية الثانية... هى النظرية الخلقية، وكانت هى النظرية السائدة بين الأباء الشرقيين، ونادى بها على الخصوص القديس أيرونيموس وإيلارى. قالوا أن كل نفس تخلق من الله خلقا جديدا ومباشرا من العدم De nihilo وذلك فى وقت الولادة، أو بعبارة أخرى عندما يبدأ وجود الفرد. ثم تتحد النفس بجسم ينحدر من الوالدين بعملية التوالد الطبيعية، ومما كتبه القديس ايرونيموس فى ذلك(١) (ان الله يخلق فى كل يوم نفوسا) مؤيدا قوله بما نطق به المسيح (أبى يعمل حتى الآن، وأنا أعمل)(٢) وبما جاء فى سفر المزامير (المصور قلوبهم جميعا)(٣) وبما قاله النبى زكريا (يقول الرب باسط السموات، مؤسس الأرض، وجامل روح الإنسان فى داخله)(٤). وأورد هذه النظرية أيضا إيلارى فى مقال له عن المزمور ٩٠ (٩١).

وتبعا لهذه النظرية يولد العنصر المادى من كل إنسان، عن طريق الإخصاب والتكاثر من طبيعة الإنسان الأول المادية، التى خلقت منذ بدء الخليقة، وعلى ذلك فإن طبيعة الإنسان الجسمانية واحدة فى جميع الناس وهى تمتد أو ترتد إلى فعل الخلق الأول، أما العنصر الروحى أو النفسى فخلق إلهى جديد. ومن ثم لابد أن يكون طاهرا، وعلى ذلك فمركز الشر هو فى الجسم وحده، ومعنى هذا أن الأطفال كما يقول أوغسطينوس قبل أن يرتكبوا أى خطأ فعلى، هم بلا خطيئة.

والنظرية الثالثة... هى نظرية ولادة النفس مع البدن.... وكانت هذه النظرية المقبولة شرقا وغربا، ومن أهم القائلين بها القديس غريغوريوس النيسى، كما دافع عنها ترتليان بحماس شديد. ومؤداها أن الإنسان الأول كان يحمل معه جرثومة الجنس البشرى كله... وكانت نفسه هى المصدر الأصلى لجميع النفس البشرية، وليست ضروب الإختلاف بين طبائع الناس الفردية غير تكيفات مختلفة لذلك الجوهر الواحد، وأعنى به الجوهر الروحى أو النفسى، فقد تم

---

(١) ad pammachium

(٢) يو ٥: ١٧.

(٣) مز ٣٣: ١٥.

(٤) زكريا ١٢: ١.

عمل الخلق كاملا ونهائيا فى اليوم السادس للخليقة، وكما يولد الجسم من أجسام الوالدين، كذلك تولد النفس من نفوس الوالدين، فالجسد والنفس يتكونان بالتوالد الطبيعي.

وتَبْنِى هذه النظرية صرحها على أساس تعليم القديس بولس الرسول، عن صلة الجنس البشرى بآدم الأول، وعن أصل الخطيئة كما جاء على الخصوص فى رسالته إلى كنيسة روما(١):

«من أجل ذلك، كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس... إذ أخطأ الجميع... فإنه حتى الناموس كانت الخطيئة فى العالم... لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى، وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدى آدم الذى هو مثال الآتى. ولكن ليس كالخطيئة هكذا أيضا الهبة، لأنه إن كان بخطيئة واحد مات الكثيرون... فبالأولى كثيرا نعمة الله والعطية بالنعمة... لأنه إن كان بخطيئة واحد قد ملك الموت بالواحد، فبالأولى كثيرا الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر، سيملكون فى الحياة بالواحد يسوع المسيح، فإذن كما بخطيئة واحد صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة ... هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة، لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة، هكذا أيضا بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبرارا».

وفى رسالته الأولى إلى الكنيسة فى كورنثوس (لأنه كما فى آدم يموت الجميع هكذا فى المسيح سيحيا الجميع) (٢)

وفى رسالته إلى الكنيسة فى أفسس (كنا بالطبيعة أبناء الغضب) (٣) وكما جاء أيضا فى المزامير (هأنذا بالإثم صورت، وبالخطية حبلت بى أمى) (٤).

هذه النظرية تفسر وحدة الجنس البشرى وإنتقال الخطية عن طريق الوالدين tradux animae tradux peccati - لقد فسدت الطبيعة البشرية بأسرها بفساد آدم الأول إذ هو أبو الجنس البشرى كله، وورثت الميل إلى الشر، وهذه هى الخطيئة الأصلية vitium originis وهى الوصمة أو الشائبة التى نزلت بالأصل، والتى بالضرورة تؤثر فى الذرية، إذ الكل يولدون وقد تلطخوا بها...

ولكن ثمة اعتراضات على هذه النظرية... منها ... أنها تجعل الإنسان محصلة للظروف السابقة، ولاتتيح مجالا للحرية الفردية، وتهويل النفس أو تجعلها مادية.

والمعروف، أن القديس أوغسطينوس كان أكبر من ساعد على رواج هذه النظرية وإنتشارها، ولو أنه لم يقل بها على نحو قاطع، ويظهر أن تعليمه عن الخطيئة وأصلها وإنتقالها، كان يختص بإنتقالها إلى النفس التى تخطئ، يقول القديس أوغسطينوس فى كتابه فى النفس

---

(١) رو٥: ١٢ - ١٩.
(٢) ١كو ١٥: ١٢.
(٣) أف ٢: ٣.
(٤) مز ٥٠ (٥١): ٥ قارن عب ٧: ١٠، تك ٥: ٣.

de Anima الجزء الأول، ردا على كتاب فينسينتوس فيكتور Vincentius Victor عن النظرية الخلقية أنه ليس ثمة نصوص تؤيد النظرية الخلقية، وكان يلح على القول بأنه ينبغى على كل من يعتقد بهذه النظرية - نظرية الخلق - أن يتجنب الأخطاء الأربعة التالية:

الأول: أن النفوس عندما تخلص، تصبح خاطئة لا بفعل منها بل بانبثاق ميل خاطئ فيها، فى اللحظة التى يولد الإنسان فيها.

الثانى: أن الأطفال مجردون من الخطيئة الأصلية، ولا حاجة لهم إلى المعمودية.

الثالث: أن النفوس قد أخطأت من قبل، وبهذا تحبس فى جسم خاطئ.

الرابع: أن نفوس الذين يموتون فى طفولتهم لاتعاقب إلا عن الخطايا التى كانت سترتكبها فيما بعد، لو أنها عاشت.

ويقول القديس أوغسطينوس أن جميع نصوص الكتب المقدسة تثبت أن الله هو خالق النفس البشرية وهو مانحها ومشكِّلها، ولكن كيف يكون ذلك؟ أيخلقها خلقا جديدا بنفخة منه أم بولادتها من الوالدين؟ إن النصوص لاتدلنا على رأى قاطع.

وقد تعرضت نظرية ولادة النفس مع البدن لهجوم عنيف فى العصور الوسطى، على أساس أنها تتعارض مع فكرة خلود النفس... ولأنها تهيول النفس أو تجعلها مادية، ولا تتمشى مع الإتجاه السائد فى الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) ... وهو أشد ميلا إلى الفكر اليونانى منه إلى الفكر اللاتينى.

هذه النظريات المختلفة تنطوى على مفاهيم مختلفة لعمل الكفارة أو الفداء. فالشر بحسب النظرية الأولى .... نظرية وجود النفس وجودا سابقا على وجود البدن.... هو سقطة من مرتبة الوجود الأعلى إلى مرتبة الوجود الأدنى، والكفارة فى هذه الحالة روحية... لكنها فردية شخصية، وهى تخليص النفوس الفردية... من أجسادها المادية التى حبست فيها. والشر بحسب النظرية الثانية... وهى النظرية الخلقية... مادى والكفارة تتعلق بالطبيعة الجسمانية وحدها، إلا إذا نظرنا إلى النفس على أنها هى أيضا قد فسدت لاتحادها بالبدن... وأما بحسب النظرية الثالثة... نظرية ولادة النفس مع ولادة البدن... فالشر وراثى فى الجسم والنفس على السواء، والكفارة فى هذه الحالة عمل خارق، وهو الخلق من جديد.

ومما هو جدير بالملاحظة أن النظرية الولادية، هى النظرية الوحيدة التى تؤيدها معلوماتنا الحديثة فى علم البيولوجيا، إذ يبدو مستحيلا أن نقسم الإنسان، فى أى مرحلة من مراحل وجوده إلى جسم ونفس، كما أنه يستحيل أيضا، أن نحدد اللحظة التى تبدأ فيها النفس وجودها.... إنهما واحد منذ إبتداء الحياة، وكلاهما مولود من الوالدين، وبعبارة أخرى: أن الإنسان كله يولد من الوالدين...

النظريات المختلفة فى سقوط الإنسان
ونتائج هذا السقوط

وبالمثل كانت هناك مفاهيم مختلفة منتشرة بين المسيحيين الأولين فيما يتصل بسقوط الإنسان ونتائج هذا السقوط. وعلى العموم، فإنه على الرغم من شدة الإحساس بالتعارض بين الواقع والمثل الأعلى، فقد كان يسود المسيحيين شعور بالتفاؤل بالنسبة إلى طبيعة الإنسان وإمكانياته. ولم يكن ثمة رأى قاطع بشأن الخطيئة وأصلها، حتى أن الغنوسيين، كانوا يردونها إما إلي الصانع Demiurge أو إلى المادة، ومع أن الخطيئة أمرها معروف عند جميع الناس، ولكن الناس لم يتنبهوا لها تنبها تاما إلا بعد أن عرفوا. كما هو الحال عند اليهود والمسيحيين. أنها إعتداء على قداسة الله، وقد عرفت فكرة الخطيئة على حقيقتها فى الوقت الذى عرفت فكرة الفداء، وفكرة الفداء تنطوى على إحساس بالخلاص من قوة غريبة، كما تنطوى فى نفس الوقت على إحساس بإمكانية البلوغ إلى الحياة الفضلى، التى يقود إليها هذا الخلاص، إنها كذلك تتضمن الاعتراف بفساد الطبيعة البشرية وسقوطها من حالة كان يمكنها فيها البلوغ إلى القداسة، وأنها فى حالتها الراهنة فى حاجة إلى ما يحرك قدراتها الفطرية حتى تتمكن من أن تستعيد الحالة التى فقدتها... وتتحقق بها.

وقصة السقوط كما ترويها أسفار موسى هى الأساس التاريخى الذى نعتمد عليه فى موضوع الخطيئة والفداء، ولكن بعض الآباء من أمثال ترتليانس فسرها تفسيرا حرفيا، وبعضا آخر أمثال أوريجينوس وايريناوس والغنوسيين يفسرها تفسيرا رمزيا، بينما أن القديس أوغسطينوس يفسرها تفسيرا حرفيا ورمزيا معا، فهى واقعة تاريخية ولكنها تنطوى على معانى رمزية، وأيا كان القول فقد اتفقوا جميعا على أن تجربة السقوط نفسها كانت تجربة حقيقية وكانت إغراء للشر، وأن مخالفة الوصية كانت سقوطا من حالة البراءة والطهارة، ترتبت عليه نكبات أحاقت بالجنس البشرى كله، نتيجتها الموت وسائر الشرور الطبيعية (١). ولو أن المعنى الروحى كان مقدما ومفضلا على المعنى الحرفى عند المفسرين من أمثال أوريجينوس الذى كتب على مفتاح أحد الفصول المقدسة هذه العبارة (إنفصال النفس عن الله، الذى نتج بسبب الخطيئة، يسمى الموت)(٢).

ومع ذلك فقد كانت الخطيئة الفردية أو الشخصية، تعد عملا من أعمال الإنسان وقد صدرت عن إرادة حرة. وبعبارة أخرى أنها تكرار و إعادة للخطيئة الآدمية الأولى، وليست نتيجة حتمية

---

(١) قارن ايريناوس فى كتابه (الرد على الهرطقة) جزء ٣ فصل ٢٣ وجزء ٥ فصل ١٥، ١٧، ٢٣.
(٢) أوريجينوس، تفسير رومية جزء ٦ فقرة ٦.

لها أو مجرد نتيجة لميل وراثى. ولا يعتبر سقوط الإنسان الأول نافيا لحرية الإرادة الإنسانية. فقدرة الإنسان على تقرير مصيره - وهى على ما كان ولايزال يعتقد أنها فطرية فى النفس الإنسانية - كانت عند الآباء للدليل على أن الإنسان صورة الله، ويلاحظ أن أباء الكنيسة الأولين والمدافعين عن الدين، حتى زمن ترتليان يشهدون بالاجماع أن الإنسان حر فى أن يختار لنفسه الخير أو الشر، ويقول يوستينوس الشهيد (إذا كان مقدرا على إنسان أن يكون خيرا، وعلى آخر أن يكون شريرا، فلا يكون الأول مستحقا للمديح ولا يكون الثانى مستحقا للوم. ثم إذا لم يكن فى مقدور الجنس البشرى بمحض إختياره، أن يجانب الشر ويختار الخير، فلا يكون مسئولا عن نتائج أفعاله مهما كانت)(١) ... ويقول أثيناغوراس (إن الله لم يخلقنا كالأغنام أو العجماوات، وعلى ذلك فليس من الطبيعى أن نريد الشر)(٢)، ويقول أوريجينوس فى الرد على كلسس (إذا انتفى الاختيار فى الفضيلة انتفت الفضيلة نفسها)(٣). وكما الحال بالنسبة إلى الخطيئة كذلك الحال أيضا بالنسبة إلى عمل الفداء، فللإنسان أن يلعب فيه دورا وأن يمارس حريته فى الاختيار. يقول أكليمنضس الأسكندرى (وكما يقدم الطبيب الصحة لمن يعملون معه من أجل صحتهم، هكذا الله يعطى الخلاص الأبدى لمن يعملون معه من أجل المعرفة والسلوك القويم)(٤). وكان هذا هو الرأى الذى تحمس له آباء الكنيسة، وأعنى به حرية الاختيار التى منحها الله لجميع الناس، ضدا لتعليم الغنوسيين الذين زعموا أن الخلاص من الخطيئة والحرية الأدبية هى لطبقة واحدة من الناس، هم الذين يسميهم الغنوسيين الروحانيين πνεῦματικοῖ وأن إنقسام الإنسان إلى عنصرين كان أمرا ضروريا فى تطور الوجود. وقال الغنوسيون: (إذا كان الإنسان الأول قد خلق كاملا، فكيف أمكنه أن يخطئ؟ وإذا كان قد خلق ناقصا، فالله نفسه هو مصدر الخطيئة) وأجاب اكليمنضس الأسكندرى على هذا الإشكال بأن الإنسان الأول لم يخلق كاملا، وإنما خلق وله مقدرة على أن يفعل الخطيئة.... لكن تهذيب هذه المقدرة يعتمد على الإنسان نفسه)(٥) ... وقال غيره من الآباء بأنه يجب التمييز بين الصورة εἰκών صورة الله التى خلق عليها الإنسان الأول، وهى القدرات والإمكانيات الأصلية التى منحت لآدم وهى لاتفنى، وبين شبه الله ὁμοίωσις τοῦ θεοῦ الذى يمكن أن يتحقق الإنسان به إذا استخدم تلك الإمكانيات والقدرات استخداما صحيحا وأحسن تنميتها، فالكمال إذن هو المثل الأعلى الذى يسعى الإنسان الصالح إلى اللحاق به، الإنسان الذى يتمتع بحرية الإرادة

---

(١) الدفاع ١ : ٤٣.
(٢) الدفاع ف ٣١.
(٣) أوريجينوس: الرد على كلسس ف٤، ف ٣.
(٤) اكليمنضس الأسكندرى المتنوعات جز ٧ ف ٧.
(٥) اكليمنضس الأسكندرى: المتنوعات جزء ٦ ف ١٢.

فأصل الشر مرجعه إذن إلى إرادة الإنسان، أو إلى عجز الإنسان عن أن يبلغ بامكانياته الفطرية إلى تحقيق المثل الأعلى، ويرى أكثر الآباء أنه يلزم لتحقيق المثل الأعلى مبدأ ثالث، وهو فى نوعه يفوق الطبيعة، وأعنى به الشركة مع الله، وبدون هذه الشركة أو هذا التعاون بين الإنسان وبين الله لايمكن للإنسان أن يدرك الكمال.

وترتليان هو أول من عالج مشكلة الخطيئة من خلال النظرة أو النظرية الولادية، نظرية ولادة النفس مع البدن، وهو أول من استخدم عبارة (الخطيئة الأصلية) Vitium originis ليصف بها الوصمة أو اللطخة أو الشائبة التى لحقت بطبيعة الإنسان منذ سقوطه الأول. فبينما أن طبيعته الحقيقية أو الأصلية خيرة، أمسى الشر له طبيعة ثانية، ولكن ترتليان لايرى أن الخطيئة الأصلية تنطوى على إثم أو ذنب. وفيما يتكلم عن وجوب إرجاء المعمودية يتساءل قائلا: (أى حاجة عند الأطفال الأبرياء إلى التعجيل بغفران الخطايا) (١) ومع أن ترتليانس يلح على فساد الإنسان الأخلاقى، نتيجة للخطيئة الموروثة وعلى حاجة الإنسان إلى نعمة الله ليحصل على خلاصه وفدائه، إلا أنه يعلّم بوضوح عن مقدرة النفس الفطرية على عشرة الله وشركته بفعل طبيعتها الخاصة) (٢).

أما أوريجينوس فتبعا لنظريته فى أصل النفوس البشرية. وأنها قد تلطخت بالإثم فى مرحلة من الوجود سابقة على وجودها فى العالم الحاضر. لاغرابة إذا كان يؤثر نظرية الخطيئة الأصلية ويؤيدها(٣)، ولكنه يؤيد حرية الاختيار أو حرية الإرادة، ويرى أن الإثم لاينشأ إلا عندما يسلم الإنسان نفسه للميول الشريرة(٤).

وقد يكون أن قوى الإنسان وقدراته الأخلاقية قد وهنت، ولكن جميع الآباء إلى زمن القديس أوغسطينوس اتفقوا على أن هذه القوى أو القدرات لم تفن. وبهذا علم أيضا القديس يوحنا ذهبى الفم....

ويرى القديس غريغوريوس النيسى: أن نعمة الإيمان لاتحلُ على جميع الناس بالسواء، وذلك مرده إلى حرية الإرادة فى الإنسان، فهى وحدها التى تفسر لنا هذه الحقيقة الواقعة. إن دعوة الله كما يقول القديس غريغوريوس(٥)، توجه إلى جميع الناس بدلالة واحدة، ولاتفرق بينهم كما

---

(١) ترتليانس: فى المعمودية de baptisme : ١٨.

(٢) راجع مثلا كتاب ترتليانس: فى النفس de Anima ٤٠، ٤١.

(٣) راجع كتابه فى المبادئ de principiis جزء ٣ ف ٥ ف ٤.

(٤) للمرجع السابق جزء ٣ ف ٢ ف ٢، جزء ٣ ف ٤، قارن أيضا القديس باسيليوس Hexhaem جزء ٣ ف ٥ بأجزاء ٦ ف ٧.

(٥) غريغوريوس النيسى: ٣، ٣١، قارن: ٢٩ (مجموعة) جزء ١٤ ص ١١٨٨.

حصل مثلا - بالنسبة إلى موهبة الألسنة - لكن ضابط الكل (بسبب فرط عنايته بالإنسان، سمح بأن يجعل أمرا تحت سلطتنا، بحيث فى مقدور كل واحد منا أن يسيطر عليه وهو الإرادة προαιρεσις وهو شئ لايمكن أن يستعبد، له القدرة على تقرير المصير من حيث هى متربعة فى حرية الفكر والعقل διάνοια . فإذا استخدمت القوة انعدم الاستحقاق وإذا ظلت الإرادة بغير مقدرة على الفعل، اختفت الفضيلة بالضرورة إذ تكون قد تكبلت بشلل ακινησια الإرادة.....) ومهما قيل فى أهمية الحاجة إلى إدخال مبدأ جديد فى الطبيعة البشرية، فهذا دليل عند القديس أوغسطينوس على أن الإنسان عاجز حتى أن يريد الخير والحق...

ويقول القديس أثناسيوس فى كتابه (فى تجسد الكلمة)، لقد سمح الإنسان للفساد أن ينفذ إلى طبيعته ووجوده، وقد انتقل إلى حالة الموت الأدبى أو الأخلاقى، فكان من الضرورى إذن أن يتحد عدم الفساد والحياة بتلك الطبيعة حتى يمكنها أن تشفى...

ويقول القديس أوغسطينوس: (إن كنيسة المسيح كانت تعلم دائما بالتعاليم التى علم بها، فإذا كان هناك قول من أقوال الآباء يبدو أنه يؤيد مفاهيم البدعة البلاجية، فلابد أن يكون قولا عابرا obiter dicta، ومن ثم يجب أن يرفض على التو النتائج التى يستخلصها البيلاجيون منها...).

pelagianis nondum litigantibus securius Loquebantur

تعليم القديس أوغسطينوس

الحق، أن القديس أوغسطينوس، هو أول من عالج بالبحث المسائل اللاهوتية الخاصة بالإنسان، وهى ما يسمونه فى علم اللاهوت (الأنثربولوجيا)، وقد توسع فيها بعد ذلك آباء الكنيسة نتيجة للخبرات والحاجات العملية. ونحن نرى أن فكرة الفداء تتضمن أول ما تتضمن الإحساس بالنقص الأخلاقى، والإحساس بالحرية الأخلاقية من جانب أولئك الذين يسعون فى أثر الخلاص، الحرية التى تقر أولا بذنبها وبأنها وسائط الفداء. وتبعا لقوة هذا الإحساس أو ذاك تبدو الديانة المسيحية إما على أنها خليقة جديدة أو عنصر جديد من عناصر الحياة، تغير الحياة بأسرها وتسمو بها، وإما على أنها قوة عليا تنادى بأفضل ما فى الطبيعة البشرية، وبتحريرها من العوائق التى تعوق تقدمها المنشود. فالذين يعانون من صدمة مفاجئة أو ينتقلون من شعور عميق بالإثم إلى الإحساس بالغفران والسلام يميلون بالطبع إلى الفكرة الأولى، بينما الذين يبلغون إلى الهدف تدريجيا فهم يؤيدون الفكرة الثانية، نظرا للوقائع التى يعرفونها هم باختباراتهم...

تلكما الفكرتان أو ذانكما الإتجاهان، يتمثلان فى القديس أوغسطينوس والمبتدع بيلاجيوس على التوالى، أما أوغسطينوس فقد وصفه دوبريسنيسيه de pressense بحق فى مقال له قائلا (لم يكن أوغسطينوس يستطيع أن يصنع من الخير نصفه أو من الشر نصفه، لقد إنقلب من شاب خليع إلى ناسك صارم، ومن الحرية الفكرية إلى أبرز صورة للسلطة، وكان أخلص نصل للأرثوذكسية فى زمانه)... وكان شاعرا على الخصوص بصعوبة الجهاد من أجل القداسة، وبالتعارض بين مايصدر عن الطبيعة إذا تركت لنفسها وابتعدت عن الله، وبين نتائج المبدأ الإلهى الجديد الذى تبلغ إليه طبيعة الإنسان عن طريق اتحادها بالمسيح، ومع أنه لايمكننا فى عجالة كهذه أن ننصف آراء مثل هذا المفكر العميق، إلا إننا نكتفى بأن نجمل أهم نقاط اشتملت عليها نظريته فيما يتصل بالطبيعة البشرية، والخطيئة والنعمة الإلهية.

فى الطبيعة البشرية:

أما فيما يتعلق بالطبيعة البشرية، فيعتقد أوغسطينوس أن آدم قد سقط سقوطا كاملا حتى أنه فقد القدرة على عمل الخير الروحى فقدانا تاما... وبعد ذلك لم يصر فى إمكانه أن (يريد) شيئا إلا الشر أو أن (يفعل) شيئا غير الشر، ذلك إذ أن الفعل يتبع دائما أقوى الدوافع، وهذا الدافع يمنح للإنسان إما من الله أو من الطبيعة، أما الطبيعة فقد فسدت، فلابد إذن أن يكون أقوى الدوافع شريرا دائما، ومتفوقا على عطية النعمة الإلهية، ولم تكن السقطة التى تردى فيها آدم مقصورة على آدم وحده، ففى آدم أخطأ الجميع وحكم على الجميع، قال الرسول: (بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت، هكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس بالذى جميعهم خطئوا

فيه)(١). ويقول القديس أوغسطينوس أن التقليد الكنسى يؤيد أيضا هذا التعليم، إذ أن طقس جحد الشيطان الذى تمارسه الكنيسة للمعمدين، بما فيهم الأطفال الرضعان يثبت اعتقاد الكنيسة الجامعة الرسولية فى انتشار الخطيئة الأصلية فى كل الجنس البشرى بسبب خطيئة آدم الأولى. إن آدم هو أصل الجنس البشرى. وقد تعدى وأفسد جميع ذريته. فالجنس البشرى كله يشاركه جريمته. وليس فى إمكانه مهما بذل من جهد خاص أن يفلت من العقوبة التى استحقها. أنه يشارك آدم فى جريمته لأنه كان موجودا فى آدم بالقوة (أو كان فى صلبه عندما أخطأ) وقد أخطأ الجنس بالفعل عندما أخطأ آدم ومن ثم فقدوا هبة البر الأصلى. ليس يمكن للجنس البشرى أن يسترد هذه الهبة والحياة المقدسة التى كانت له فى آدم قبل السقوط، إلا عن طريق قيامة جديدة حقيقية أو خلقة أخرى جديدة، من قبل النعمة الفائقة الطبيعة.

فى الخطيئة:

وأما فيما يتصل بالخطيئة، فأوغسطينوس يعتقد أن الطبيعة البشرية عندما خلقت أصلا كانت بريئة من الخطيئة. إنها خلقت لتكون فى شركة مع الله وقادرة على أن تتحقق بالغاية من وجودها. ولو أنها كانت قادرة أيضا على أن تخطئ، إن الخطيئة تتعارض مع ناموس الطبيعة البشرية وقانونها... ولكن منذ أن أخطأ الإنسان للمرة الأولى أمست الخطيئة كائنة فى كل إنسان، وأنها مرض يلتهم ويفْنِى الحياة الحقيقية فى كل إنسان. ولا سبيل إلى التغلب على هذا المرض إلا بعلاج جوهرى يتناول الطبيعة البشرية نفسها، وبعبارة أخرى لابد من أن يُعْطَى الإنسان حياة جديدة تغرس فيه من جديد.

فى النعمة:

وأما بالنسبة إلى النعمة الإلهية، فيرى أوغسطينوس أن هذه القوة المجددة للحياة، وهى فى الحقيقة هبة جديدة للحياة، هبة الله المجانية التى تجذب الناس إلى المسيح، وليس ثمة قوة بشرية تستطيع أن تخلص الإنسان من فساده الوراثى. إن الإنسان فى هذا كله لايعمل شيئا، مثله مثل الطفل الرضيع فى المعمودية، وعلى نوع ما يمكن أن يقال بحق أن الإرادة الإنسانية لاتلعب فى ذلك دورا على الاطلاق، فليس لها قدرة على أن تبدأ بعمل شئ، فإذا ما أعطيت الهبة الجديدة، فلا تستطيع الإرادة الإنسانية أن تقاوم هذه الهبة، ولكن هذا الكلام يحتاج إلى إيضاح حتى لانخطئ مقصود أوغسطينوس، إن ما يعنيه أوغسطينوس هو هذا: إن النعمة الممنوحة للإنسان

---

(١) رو ٥: ١٢، يلاحظ أن الترجمة البيروتية البروتستانتية قد أوردت هذا النص مبتورا فقالت: (وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع) ولكن النص اليونانى يؤيد الترجمة التى أوردناها نحن فى متن الموضوع.

هى عطية جديدة، وهى تجدد الإرادة الإنسانية، بكيفية تنطلق معها الإرادة حرة، لتختار لنفسها الخير وتتبعه من دون إنحراف... ثم إن النعمة الممنوحة لاتقاوم، بمعنى أن الإرادة وقد استردت حريتها الحقيقية، لم تعد لها رغبة فى مقاومة الخير.

بهذا المعنى يمكن أن نفهم صلاة أوغسطينوس أو مناجاته، التى دونها فى (إعترافاته)، والتى انزعج لها بيلاجيوس.

(ليس لى أبدا رجاء، إلا فى عظيم رحمتك، فامنح ما تأمر به، ومر بما تريد، إنك تتطلب منا العفة، وقد قال أحدهم «عندما علمت أنه لايمكن لأحد أن يكون عفيفا إلا إذا منحه الله العفة، كان هذا نفسه جزءا من الحكمة أن أعرف من الذى منح هذه العطية(١)، حقا إن العفة هى التى تربطنا معا وتردنا مرة أخرى إلى تلك الوحدة التى تشتتنا عنها إلى التعدد، لأن من أحب شيئا آخر معك فقد أحبك حبا قليلا جدا، وكذلك من أحب وليس من أجلك. أيها الحب الذى يضطرم دائما ولاينطفى مطلقا، أيتها المحبة، يا إلهى، اضرمنى، لقد أمرت بالعفة، فامنح ما تأمر به، ومر بما ترد) (٢).

ويقول أوغسطينوس فى مجال آخر:

(ونحن من جانبنا نؤكد أن إرادة الإنسان يسندها الله فى عمل البر، ففضلا عن أن الإنسان قد خلق مزودا بإرادة حرة، وفضلا عن التعليم الذى يوجهه إلى كيف ينبغى أن يعيش، فإنه أيضا ينال الروح القدس الذى به يتولد فى قلبه سرور وحب بذاك ولذلك الخير الأقصى الذى لايتغير، وأعنى به الله، وأنه لايزال يتولد إلى الآن، بينما هو يسير بالإيمان لا بالعيان، حتى أنه بهذه الحرارة وهى هبة مجانية يشتعل شوقا إلى الالتصاق بصانعه، ويحترق حنينا إلى أن ينال نصيبا من ذلك النور الحقيقى، حتى أنه من ذاك الذى أخذ عنه الوجود يمكنه أيضا أن يستقى سعادته، إن إرادة الإنسان الحرة لاتصلح إلا لأن تقوده إلى الخطيئة، إذا كان طريق الحق مختفيا عنه، فإذا اتضح له ما يجب أن يفعل وإلى أى شئ ينبغى أن يشتاق، بل وحتى فى هذه الحالة، إذا لم يشعر بالسرور والحب فى هذا، فلا يؤدى واجبه ولايتكفل به ولايدرك الحياة الصالحة، فلكى نبلغ إلى هذه الغاية ونحس بهذا الشعور تنسكب محبة الله فى قلوبنا، لا بفعل إرادتنا الحرة التى تنبثق من نفوسنا... ولكن .... بالروح القدس الذى أعطى لنا...)(٣).

ولسنا نجد بين أخص أفكار القديس أوغسطينوس ما هو أعظم وأخطر من فكرته عن الحرية الحقيقية، وأنها تفيد عدم المقدرة على الخطيئة، إن الإنسان لايكون حرا بالحقيقة إلا عندما

---

(١) سفر الحكمة ٨: ٢١.
(٢) الاعترافات جزء ١٠: ٤٠.
(٣) الروح والحرف.

لايكون ثمة شئ مما يمكن أن يؤذيه يقوى عليه مطلقا، وأعلي مراتب الفضيلة هى أن يصبح الخير للإنسان عادة مستقرة، وذلك عندما يشعر أنه لايشتهى الخطيئة، ولايقدر أن يصنعها، عند ذلك، وعند ذلك فقط يتمتع الإنسان بحرية الإرادة الحقيقية، ولعل أدق تعبير عبر به أوغسطينوس عن هذه الفكرة، جاء فى معرض حديثه عن السعادة الأبدية والسبت (الراحة) الدائم فى مدينة الله عندما يفقد الشر كل قوة على الإغراء.

ليس (لا) يلزم من هذا (١) أنه سوف لاتكون لهم حرية إرادة(٢) لأن الخطايا سوف لاتكون لها قوة على إغرائهم... كلا... إن الإرادة سيكون لها نصيب أكبر من الحرية الحقة، عندما تتحرر من متعة الخطيئة لتستمتع بالمتعة الباقية، متعة عدم الخطأ، لأن حرية الإرادة الأولى التى منحت للإنسان عندما خلق أولا مستقيما جعلته قادرا على أن لايخطئ، وقادرا أيضا على أن يخطئ، ومع ذلك فالإرادة الحرة الجديدة ستصبح قوية تماما، أكثر جدا مما كانت أولا، ذلك لأنها سوف لاتكون قادرة على أن تخطئ، وليس هذا بفضل إمكانيتها الطبيعية المجردة من معونة الله، بل بفضل عطية الله، لأن الله ذاته شئ، والشركة مع الله شئ آخر. إن الله بطبيعته لايستطيع أن يخطئ، لكن الذى يكون فى شركة مع الله ينال منه عدم القدرة على أن يخطئ... ولأن طبيعة الإنسان قد أخطأت عندما كان فى مقدورها أن تخطئ، فقد تحررت بفعل العطية من قبل النعمة، أوفر غنى من قبل، لتبلغ بها إلى تلك الحرية التى فيها لايمكنها أن تخطئ، وكما أن الخلود الأول الذى فقده آدم بالخطيئة، كان هو المقدرة على الإفلات من الموت، أو هو القدرة على عدم الموت Posse non mori وأما الخلود الجديد فسيكون عدم المقدرة على الموت non posse mori كذلك حرية الإرادة الأولى كانت هى المقدرة على اجتناب الخطيئة، أو هى القدرة على عدم الخطأ Posse non pecoare وأما الحرية الجديدة فهى عدم المقدرة على الخطأ non posse peccare.

وكما لايمكن أن نفقد الرغبة فى التقوى والاستقامة. حقا إننا عندما أخطأنا لم نحصل لا على التقوى ولا على السعادة... ولكننا عندما فقدنا السعادة لم نفقد الرغبة فيها... ولذلك اعتقد أنه لايصح أن يقال: أن الله نفسه ليس له إرادة حرة لأنه لايستطيع أن يخطئ (مدينة الله de Civitate dei جزء ٢٢ فصل ٣٠).

---

(١) السعادة الأبدية فى مدينة الله.

(٢) ليس معنى الحرية عند القديس أوغسطينوس حرية الاختيار المسئولة، وإنما حرية الفعل، بدون مانع أنه دائما يتكلم عن حرية الاختيار Liberum arbitrium ولكنه يعنى بها حرية الإرادة Libera volutas

ويضيف القديس أوغسطينوس إلى عطية (عدم المقدرة على عمل الخطيئة) التى وهبت للمؤمنين المبررين فى العهد الجديد، أننا أيضا منحنا (عطية الثبات فى حالة البرارة) ويقول فى مؤلفه (فى الفساد والنعمة) De cerreptione et gratia ف ٣٤ – ٣٨

(لقد خلق الإنسان مستقيما، فى حالة من الصلاح، وقد منح القدرة على عدم الخطأ posse non peccare والمقدرة على عدم الموت posse non mori والمقدرة على أن لايفقد تلك الحالة من الصلاح) ثم أنه بالإضافة إلى هذا منح أيضا (نعمة الثبات) ... لكنه، فى الواقع، لايثبت بفضل تلك المساعدة بل لأنه بدونها لايستطيع أن يثبت باختياره وإرادته، ومن جهة أخرى، فإن هبة الثبات التى منحت للقديسين المعينين (تعيينا سابقا) لملكوت الله من قبل نعمة الله. ليست هى الهبة التى منحت للإنسان الأول، إنها ذلك النوع من الهبات التى يجلب عطية المثابرة بالفعل ... والتى بدونها لايمكن للقديسين أن يثبتوا...

ولما كانوا فى الواقع لايثبتون إلا إذا كانوا (يقدرون) و (يريدون) أيضا، فإن إرادتهم تضطرم بالروح القدس حتى أنهم (يقدرون) ... فقط لأنهم (يريدون)، و(يريدون) لأن (الله يعمل فيهم حتى يريدوا) ... لأنهم إذا كانوا فى هذا الضعف الشديد فى الحياة الأخلاقية (وهو ضعف لابد منه... لكى تكمل القوة فى الضعف) وإذا تركوا فى هذا الضعف بدون عون من الله، الذى بدونه لايمكنهم أن يثبتوا، وإذا لم يعمل الله فيهم لكى (يريدوا) وهم فى وسط هذه الضعفات الكثيرة والشديدة، فإن إرادتهم نفسها تخور، ولايمكنهم أن يثبتوا.... فهم إما أن يفشلوا فى أن (يريدوا) بسبب ضعفهم، وإما أن إرادتهم تكون من الضعف بحيث لاتكفل لنفسها التحقق بشئ.

لذلك فقد منح ضعف الإرادة عونا حتى يمكن لإرادة الإنسان، أن تتأثر بفعل النعمة الإلهية بصورة ثابتة لاتقاوم، وحتى لاتفشل بسبب ضعفها أو يغلبها عدوا أيا كان، فإذا كانت إرادة الإنسان قد ضعفت وأصبحت لا قوة لها، وبالتالى فى حالة متواضعة من الصلاح، لكنها لاتزال ثابتة بقوة الله على تلك الحالة من الصلاح، بينما أن إرادة الإنسان الأول مع أنها كانت قوية وسليمة وقادرة على الاختيار وفى حالة من الصلاح أعظم. إلا أنها لم تثبت فى ذلك الصلاح، والسبب فى ذلك، أنه ولو أن معونة الله لم تكن معدومة، إلا أنها لم تكن تلك المعونة التى بدونها لايمكن للإرادة أن تثبت حتى ولو أرادت غير ذلك، ولم تكن تلك المعونة التى بها يعمل الله فى الإنسان حتى يريد (الخير). ولا شك أن الله منح الأقوياء أن يفعلوا مايريد هو، ولكنه احتفظ للضعفاء بعطية بها يريدون الخير ويرفضون تركه فيصرون على ذلك أعظم إصرار...

ويكتب القديس أوغسطينوس فى رسالته إلى هيلاريوس Hilarius عن تعليمه فى الحرية والنعمة قائلا:

٥ ـ «إن حرية الإرادة تفيد فى القيام بالأعمال الصالحة إذا نالت معونة من الله... وهذا يتأتى بالصلاة، وبالعمل بروح الاتضاع، أما إذا كان الإنسان محروما من النعمة الإلهية، وليس له معرفة عميقة بالشريعة، فلا يكون أبدا ثابتا وراسخا فى البر، بل يكون مضروبا بنفخة الكبرياء الوقحة المميتة ـ والصلاة الربية نفسها تعلمنا هذا، لأنه من العبث أن نصلى إلى الله ونقول (لاتدخلنا فى تجربة) إذا كان فى مقدورنا أن نحصل على مرغوبنا بدون عون منه».

٨ ـ «وكلما كانت هذه الإرادة الحرة Libera volutas صحيحة، كانت أكثر حرية، وكلما كانت خاضعة للرحمة الإلهية والنعمة الإلهية، كانت أكثر صحة، لأن الإرادة تصلى من أجل نفسها وتقول: قوّم خطواتى كقولك، ولايتسلط علىّ أى إثم»(١).

فكيف يمكن أن تكون الإرادة حرة إذا كانت تحت سلطان الإثم؟؟!! ولتلاحظ من الذى تبتهل إليه (النفس) من أجل أن تنجو من ذلك السلطان، إنها لاتقول (قوم خطواتى بحسب حرية الإختيار...الخ ولكن بحسب قولك...) وهذا القول صلاة لا وعد، اعتراف لا اعتقاد... إنه رغبة فى كمال الحرية، وليس زهوا بالمقدرة الشخصية.

١٠ـ «ولذلك لم تبطل حرية الإرادة voluntas لأنها أعينت... بل بالحرى أنها أعينت لأنها لم تبطل، لأن الذى يقول لله، (كن معينى) يقر بأنه يريد أن ينفذ ما أمره الله به، ولكنه يسأل العون ممن أمر حتى تكون له القدرة على تنفيذ هذا الأمر. فالإنسان (عندما علم أنه لايمكن لأحد أن يكون عفيفا، إلا إذا منحه الله العفة(٢). اقترب إلى الله وصلى إليه) ولاشك أنه اقترب إلى الله برغبته، وصلى إليه برغبته، وإلا فما كان ليصلى لو لم تكن له إرادة للصلاة. ولكن إذا لم يكن قد صلى... فهل كان لإرادته أن تأخذ قوة؟؟ وقد تكون له قوة قبل أن يصلى، ولكن بماذا تنفعه إذا لم يقدم الشكر نتيجة لتلك القوة ـ إلى ذاك الذى منه يطلب القوة التى لم ينلها بعد؟؟

إن النعمة سوف تساعدنا إذا لم نتكبر بسبب فضائلنا (غير مهتمين بالأمور العالية بل منقادين إلى المتضعين)(٣) إذا قدمنا شكرا من أجل مانقدر على عمله بالفعل، بينما نبتهل إلى الله برغبة شديدة (إرادة voluntas) من أجل تلك الأشياء التى ليس لنا قدرة عليها، وإذا أيدنا صلواتنا بأعمال الخير المثمرة، فنعطى حتى نعطَى ونغفر حتى يغفر لنا...

ولنا أن نتساءل بعد هذا، إذا كان الإنسان قد فقد القدرة على إصلاح النفس وتقرير المصير فقدانا تاما، وإذا كان الخلاص يعتمد إعتمادا كليا على هبة الله المجانية، فما الذى يفصل أو يحكم فى تصريف هذه الهبة؟؟

---

(١) مز ١١٨ و ١١٩ و١٣٣.

(٢) سفر الحكمة ٨: ٢١

(٣) رو ١٢: ١٦ Humilibus consentientes

وأجاب أوغسطينوس على هذا السؤال... بأن الاختلاف بين الناس فى نيلهم للنعمة الإلهية، يتوقف على أمر الله وتعيينه السابق الذى يحدد عدد المختارين الذين يحلون محل الملائكة الذين سقطوا، فإرادة الله ودعوته هى وحدها التى تفصل فى هذه المسألة، ذلك أن جميع الناس خطاة ومديونون، ولله الحق فى أن يتجاوز عن بعض الديون، ويطالب بوفاء بعضها الآخر، ونحن لانعرف سبب إختياره، لماذا تعطى هبة النعمة... وهى المبدأ الجديد الذى يسترد للناس حرية إرادتهم... لماذا تعطى هذه الهبة للبعض وتمنع عن غيرهم...

إنه بأمر الله.... وبدون اعتبار المستقبل أو للسلوك، يختار البعض كآنية رحمة Vasa mis-ericordiae لينالوا الفداء (وهذا هو الانتخاب السابق praedestinatio ، ويترك الآخرون للدينونة كآنية هلاك Vasa irae وهذا هو الرذل Reprobatio ، ولعل أوغسطينوس هنا يفسر أقوال القديس بولس الرسول فى رسالته إلى الكنيسة فى رومية (الإصحاح التاسع) فالأخيرون يهملون. أما الأولون فيبقون مؤمنين... بفعل عطية أخرى وهى هبة المثابرة والتى ينالون عن طريقها فيضا جديدا من النعمة... ومرة أخرى، إن هذا كله فوق متناول الإدراك البشرى... (لماذا يعطى لتقى من إثنين أن يثابر إلى النهاية... بينما لايعطى هذا للآخر، إنه أمر لايعرف لغير مشورات الله الخفية، ومع ذلك يجب على المؤمنين أن يوقنوا أن أحدهما من عداد من عينوا سابقا (للحياة) وليس كذلك الثانى... فالمشورات الإلهية عميقة، ومن المستحيل على الإنسان الجاهل أن يسبر غورها، ومهما يكن من أمر فليس فى أعمال الله وتدبيراته تعسف أو ظلم، فكل مايصدر عن الله فهو يصدر عن عدل وعن حب، وتحكمه مقاصد الله الأزلية...

وقد شرح القديس أوغسطينوس نظريته عن التعيين، وعن النعمة، فى رسالة له إلى سيكتوس sixtus القسيس الرومانى، يرجع تاريخها إلى سنة ٤١٧م أو سنة ٤١٨م، وفيها يقول أوغسطينوس: (إن هناك إرادة مطلقة... وهذه الإرادة المطلقة قد انتخبت من بين مجموعة من النفوس تستحق كلها الهلاك Massa Perditionis بسبب الخطيئة الأصلية (فضلا عن خطاياها التى ارتكبتها بالفعل) انتخبت عددا قليلا منها لتكون آنية للرحمة... بينما تركت الغالبية الكبرى لتكون آنية للغضب بغض النظر عن سلوكهم... إن مقاصد الله لايمكن أن تخيب، والنعمة، التى يمنحها لايمكن أن تقاوم ولايمكن أن تزول. إنها لابد أن تصل إلى غايتها ولايمكن أن تخيب... أما إقرار القديس بولس (أن الله يريد جميع الناس يخلصون) فيفسره القديس أوغسطينوس بمعنى أن الله لايحابى بالوجوه، وأن جميع الطبقات وجميع الأعمار وجميع أحوال النوع البشرى موجودة بين المختارين.

ويقول القديس أوغسطينوس فى (هبة الثبات De dono Perseverantiae ف:٣٥...

(هل يجرؤ أحد على القول بأن الله لم يسبق فيعلم بأولئك الذين يمنحهم الإيمان؟ وإذا كان قد سبق فعلم بذلك، فلا بد أنه سبق فعلم بجوده الذى تنازل به لخلاصنا. إن هذا ولا شئ غير هذا، هو سبق علم الله بالمصير المحتوم للقديسين، وأعنى به: علم الله السابق وتدبير جوده الذى يتحتم به خلاص كل من يخلص. أما الباقون فأين يتركهم قضاء الله العادل إلا بين جمهور الهالكين حيث ترك أهل صور وصيدا؟... ثم إنهم قد كانوا يؤمنون لو أنهم رأوا معجزات المسيح العجيبة، ولكنه لم يعط لهم أن يؤمنوا. ولهذا منعت عنهم وسائط الإيمان. من هذا يتضح أن بعض الناس يملكون فى عقولهم هبة الفهم وهى هبة إلهية بطبيعتها... يتقدمون بها نحو الإيمان، إذا سمعوا الكلمات أو رأوا العلامات التى تناسب أفهامهم، أما إذا لم يكونوا مفروزين - فى قضاء الله الأعلى - عن جمهور الهالكين، وذلك بفضل سبق اختيار النعمة فإنه لاتوافقهم تلك الكلمات أو تلك الأفعال... ومن جهة أخرى فقد ترك اليهود بين جمهور الهالكين نفسه لأنهم لم يستطيعوا أن يؤمنوا بالمعجزات التى أجريت أمام عيونهم... (أنه أعمى عيونهم وقسى قلوبهم حتى لاينظروا بعيونهم ويفهموا بقلوبهم، ويهتدوا فأشفيهم)(١)... ولكن أهل صور وصيدا لم تعم عيونهم، ولا قسيت قلوبهم، فقد كان يمكن أن يؤمنوا لو أنهم رأوا العجائب كما رآها اليهود، لكن مقدرتهم على الإيمان لم تنفعهم بشئ لأنهم لم ينتخبوا سابقا بمعرفة ذاك الذى لاتفهم أحكامه ولايمكن أن تعرف سبله.

ويعالج القديس أوغسطينوس العلاقة بين حرية الإرادة، والنعمة فى رسالة له إلى فيتاليس Vitalis(٢)

ولا سيما فى الفصل السادس منها حيث يلح على القول بأن النعمة لاتبطل حرية الإرادة، لأن النعمة هى التى تجعل الإرادة حرة لأن تختار وأن تفعل الصلاح والخير....

---

(١) أش ٦: ١٠، يو ١٢: ٤٠.

(٢) وهى الرسالة رقم ٢١٧ ووردت فى مجموعة منى مجلد ٣٣ ص ٩٧٨ وما بعدها.

النزاع البيلاجى

تعد هرطقة بيلاجيوس، رد فعل لمذهب أوغسطينوس، وللاتجاه الذى يمثله أوغسطينوس، فخبرات بيلاجيوس فى كل ظروف حياته كانت مختلفة تمام الإختلاف عن خبرات القديس أوغسطينوس... بل ويرى بيلاجيوس أن آراء أوغسطينوس مخالفة للكتاب المقدس ومضادة للأخلاق القويمة... وقيل... أن بيلاجيوس قد صدم صدمة عنيفة عندما اقتبس له أحد الأساقفة من كتاب الاعترافات الذى كان قد وضعه أوغسطينوس منذ زمن قصير، الصلاة المشهورة التى يقول أوغسطينوس فى مطلعها... هب ما أمرت، ومر بما تريد Da quod Jubes et Jube quod vis والتى يبدو أنها تلغى نصيب الإنسان فى شأن خلاصه... ولا شك أن وجهة نظر أوغسطينوس تختلف عن ذلك تماما. فما قصده القديس أوغسطينوس هو أن وصية الله الأساسية هى أن يؤمن الإنسان به... وأن الإيمان بالله هبة منه تعالى.. وأن الله بنعمته يستطيع أن يغير إرادات الناس حتى لو كانت مضادة لإرادته بالفعل، ويردها إلى الإيمان الذى يتطلبه تعالى.

وكان بيلاجيوس راهبا بريطانيا تقيا، وناسكا مدققا فى حياته الأخلاقية، فقد عاش كل حياته فى سلام وهدوء فى عزلة تامة فى ديره، حياة رتيبة منظمة فى داخل أسوار الدير، وقد مرت نفسه بتطور هادئ، من دون أن يجتاز بالجوانب المظلمة فى الحياة الإنسانية، ومن دون أن يغوص إلى أعماق الشر التى يمكن أن تنحط إليها الطبيعة البشرية، ولعله لم يدخل أيضا إلى تلك المصارعات والمجاهدات التى مر بها أوغسطينوس قبل أن يصبح قديسا، فبيلاجيوس يبنى أخلاقياته فى الواقع على خبرته وتجربته الخاصة، وهى خبرة أو تجربة يسودها التعقل والفطنة والاتزان، ولو أنه كان ينقصه أن يتجاوب ويتحاسس مع الإنفعالات البشرية التى يبدو وكأنه لم يشترك فيها، أما عن علمه وجده فقد بلغ فيهما شأوا بعيدا...

وهناك مسألة جديرة بالنظر... ذلك أن الإنتصار على الخطايا الجزئية شئ، وأما الإنتصار على الخطيئة نفسها فشئ آخر، والجهاد ضد الخطيئة الجزئية يقتضي اليقظة الدائمة، ومراقبة النفس مراقبة مستمرة، ثم أن ظهور الدوافع الشريرة يقتضى هذه المراقبة وتلك اليقظة... وليس أثر المثل الأخلاقية العليا واحدا على جميع الناس على اختلاف أمزجتهم وميولهم، فمن الناس من تقوده هذه المثل إلى فحص النفس فحصا عميقا، وإلى الحياة الروحية الباطنية، وإلى تحليل التعارض بين المثل الأعلي من الخارج وبين الواقع الداخلى تحليلا كاملا... فهم يشعرون بما يدعوهم إلى أن يزيلوا هذا التعارض وإلى إنكار نفوسهم، ليحققوا أنهم فى حاجة إلى قوة ليست منهم، وأما الآخرون فيشعرون بالنصر الذى أحرزوه على إغراءات الحواس، وبالنجاح الذى حققوه بالفعل فى ذلك الصراع الروحى... ولذلك قد يقودهم هذا إلى أن يثقوا فى مجهوداتهم الأخلاقية الخاصة، وإلى أن يظنوا أنهم قد وصلوا إلى نتائج خطيرة، بينما لايكون الشر قد استئصل من نفوسهم فعلا بالمعنى الصحيح...

أهم المبادئ التى نادى بها بيلاجيوس

لم يكن بيلاجيوس يرغب فى أن يؤلف مذهبا جديدا، وإنما يبدو أنه كان مهتما على الخصوص بمقاومة بعض الأخطاء العملية السائدة فى زمانه، لاسيما الميل إلى الروح العالمية وكانت خاصية بارزة فى حياة المسيحيين فى ذلك العصر... ولا شك أنه كان للحياة التى يحياها بيلاجيوس أكبر الأثر على تفكيره وآرائه.

ولعل أهم المبادئ التى نادى بها بيلاجيوس مبدآن:

أولا: أن الكمال ممكن للناس:

نادى بيلاجيوس بالتمييز بين ما هو ضرورى ومحتم praecepta ، وبين ماهو منسوب إليه ومنصوح به فقط Consilia من أجل البلوغ إلى الكمال الأعلى... فبالامتناع عما هو محال أو جائز يمكنك أن تصبح أهلا لجزاء أعظم... هناك درجات مختلفة للاستحقاق وللكمال المسيحى...

وقد أبدى بيلاجيوس عناية شديدة بدراسة الكتاب المقدس، وكان يصر ما أمكن على التفسير الحرفى للنصوص المقدسة... يقول: (إذا آثرت أن تفهم الوصايا الإلهية على أنها مجازية وأن تفرغها من كل قوتها، فإنك (بذلك تفتح للناس جميعا سبيلا للخطيئة).

إن السيد المسيح يوصينا بالكمال بقوله (فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل)(١) وهذا يكفى لأن يبرهن لنا على أن الكمال ممكن للناس، لأن الرب يعنى مايقول. وإذا كان قد أعطانا وصية فلابد أنه قبل أن يعطى الوصية أعطى القدرة على إتمامها... كذلك صرح الرسول القديس بولس للمسيحيين فى كولوسى بأن الغرض الذى قصد الله إليه من تدبير المصالحة بين الله وبينهم، (أن يحضرهم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه)(٢) ولايمكن أن نتصور أن الرسول فرض على أهل كولوسى أمرا مستحيلا...

ومن هنا أخذ بيلاجيوس ينتقد شرور عصره... وقد كان أكثر المسيحيين فى تلك الأيام يحيون حياة عالمية على ما أسلفنا، لقد استغلوا التمييز بين ماهو روحانى وما هو دنيوى لتبرير المستوى الأخلاقى الوضيع الذى انحطوا إليه، كما استغلوا فساد الطبيعة البشرية وضعفها بمثابة إعتذار عن حياة الخلاعة.

يقول بيلاجيوس فى رسالة له إلى ديمتريا: Ep ad Demetriadem ف١٦(٣):
(..بدلا من أن نعتبر وصايا ملكنا العظيم ميزة... نصرخ إلى الله عن كسل واستخفاف فى قلوبنا

---

(١) مت ٥: ٤٨.
(٢) كو ١: ٢٢.
(٣) مجموعة الآباء اللاتين مجلد ٣٣.

ونقول (هذا صعب جدا أو عسير، لانستطيع عمله... نحن لسنا إلا بشرا، ويعوقنا ضعف بشريتنا) ... أنه حمق أعمى وتجديف وقح، وكأننا ننسب إلى إله المعرفة جريمة جهل مضاعف، جهل بخليقته التى خلقها... وجهل بوصاياه التى أوصى بها... كما لو أنه نسى ضعف البشر مع أنهم خليقته... ووضع عليهم وصايا لايستطيعون إحتمالها، وكأننا فى نفس الوقت (غفر الله لنا!!) ننسب إلى الواحد البار الإثم، وإلى القدوس القسوة... أما أولا فلأننا نظن أنه سيدين الإنسان عن أمور لايستطيع الإنسان حيالها شيئا، وكأننا (وهنا التجديف) .. نرى الله ينشد تعذيبنا ولاينشد خلاصنا... وليس أحد يعرف مدى قوتنا أكثر ممن أعطانا تلك القوة... إنه لم يشأ أن يأمر بشئ مستحيل لأنه بار (وعادل) . وهو لايدين إنسانا عن أمر ليس فى مقدوره، لأنه قدوس) ...

ويمضى بيلاجيوس فيلح على أن الكتاب المقدس لايقبل عذر الذين يخطئون بزعم أنهم لايستطيعون أن يساعدوا نفوسهم، وإنما يتنصلون من المسئولية بحجة نقص أو إنعدام إرادتهم.

peccantes ubique crimine voluntatis gravant, non excusant necessitate naturae

إن الكتاب المقدس يتكلم دائما عن الخير والشر على السواء، باعتبار أنهما إختياريان، وقد أوضح بيلاجيوس أن إهتمامه بالدفاع عن صلاح الطبيعة البشرية يرجع إلى رغبته فى محاربة الفكرة القائلة أننا مسوقون نحو الشر بسبب نقص طبيعتنا، بينما أننا فى الواقع لانفعل الخير أو الشر....

هذه هى نظرية بيلاجيوس فى حرية الإرادة... إننا نملك القدرة على إختيار الخير أو الشر فى أية لحظة، وفى أى إتجاه نقصد إليه...

وفى أقواله فى الحرية: (إننا نميز بين أمور ثلاثة، ونسلكها فى ترتيب معين. فنضع القدرة أو الاستطاعة Posse فى المكان الأول، وحرية الإختيار velle فى المكان الثانى، والأمر الواقع esse فى المكان الثالث... أما القدرة أو الاستطاعة فننسبها إلى الطبيعة، وأما حرية الإختيار فنسبها إلى الإرادة، والأمر الواقع ننسبه إلى التحقيق الفعلى، أما الأولى، وأعنى بها القدرة أو الاستطاعة posse فتنسب بحق إلى الله الذى أنعم بها على خلقه، بينما إن حرية الاختيار velle والأمر الواقع esse فيختصان بالإنسان لأن مصدرهما هو إرادته، لهذا فإن مدح الإنسان يقوم على إرادته فى العمل الصالح، وعلى قيامه فعلا بهذا العمل، أو بالحرى أن هذا المدح يختص بالإنسان وبالله معا، لأن الله هو الذى منح الإنسان (القدرة) على أن يريد وعلى أن يعمل... كما أنه بفضل نعمته يساعد هذه (القدرة) نفسها. فإلى الله وحده يعزى أن تكون للإنسان هذه (القدرة) على أن يريد، وعلى أن يصنع أى عمل صالح... لهذا السبب - وهذا يلزم أن يقال مرارا... عندما نقول أنه فى قدرة الإنسان أن يكون بغير خطيئة فنحن حتى فى هذه

الحالة نحمد الله باقرارنا بفضله علينا، نتكلم عن الله وحده لأن المسألة لاتختص بحرية الاختيار Velle أو بالحاصل بالفعل esse ولكن بالقدرة posse وحدها فقط...

لقد كان جل إهتمام بيلاجيوس أن يقنع الناس، بأنه لا تنقصهم أية قوة لازمة لتتميم الشريعة الإلهية، وكان من رأيه أن أهم هدف، ينبغى أن تتجه إليه جميع المواعظ الأخلاقية، هو أن توضح للناس أنهم فى غير حاجة إلى قوى خارجه عن قدراتهم لتنفيذ وصايا الله، وأن تجعلهم يؤمنون بالقوة التى أنعم بها الخالق عليهم للوصول إلى جميع الغايات...

ويقول بيلاجيوس أنه هو شخصيا، كان يتبع هذا المنهج فى مواعظه... وكان دائما يستشهد بأمثلة من الفضيلة التى ظهرت بين الوثنيين، ليبرهن على كم تستطيع الطبيعة البشرية فى ذاتها وبدون عون من خارج أن تفعل من الصلاح والخير !! فإذا صنع الإنسان الشر، فلا تلام طبيعته على ذلك، بل الأحرى أن تلام إرادته... إن فى إمكان الإنسان أن يبلغ الكمال إذا أراد ذلك، وإذا استخدم قواه التى يملكها والتى منحه الله إياها. على أن المسيحيين يتمتعون فضلا عن المواهب الطبيعية التى يتمتع بها الناس جميعا... بمواهب خاصة... يمكن للطبيعة البشرية أن تحقق بها أعمالا أكثر صلاحا وخيرا.

والخلاصة... أن بيلاجيوس يُعلّم بحرية الإرادة، وقدرة الإنسان على الإختيار وتقرير المصير لنفسه، وهو فى هذا يعارض التعليم القائل بالنعمة الإلهية التى لا يمكن مقاومة فعلها، ويسبق علم الله بالمصير المحتوم... ويرى أن الإنسان يملك قوى ومواهب طبيعية منحه الله إياها، كافية بذاتها وبدون حاجة إلى النعمة أو إلى قوى تأتيه من خارج، لأن يبلغ بها إلى الكمال، الذى يتطلبه الله منه، وأن حرية الإرادة واستخدام الإنسان لقواه ومواهبه الطبيعية هو الذى يحدد مدى مسئوليته فى استسلامه لإغراءات الخطيئة أو إنتصاره عليها...

ثانياً : إنكار فساد الطبيعة البشرية بفعل انتشار خطيئة آدم الأولى إلى كل ذريته بالوراثة :

قاوم بيلاجيوس الإعتقاد بأن إنحطاط الإنسان الأخلاقى مرجعه إلى قضاء الله المحتوم، وكان يقول إن هذا الاعتقاد يشجع الفساد ويزيد رخاوة الإنسان وكسله عن عمل الفضيلة (ليست الخطيئة ولا الفضيلة مفطورة فينا... وإنما هذه وتلك تنمو باستخدام الحرية، ويحاسب عنها من يباشر هذه الحرية وحده...) كل ما هو صالح وكل ما هو شر (يفعل بنا) ولا يولد معنا، نحن لا نولد فى طور الكمال، وإنما نولد ولنا قدرة على الخير والشر، نولد بلا فضيلة ولا رذيلة أيضا، وليس فينا قبل عمل إرادتنا الخاصة غير ما أودعه الله فينا، وكل فرد شخصية أخلاقية فى ذاته بمعزل عن غيره... وقد زوده الخالق بالعقل والإرادة الحرة، والعلاقة الوحيدة التى تربط خطيئة آدم بخطيئة الناس هى العلاقة بين المثال ومحاكاته.

فبيلاجيوس لا يسلم بالخطيئة التى تنتشر أو تنتقل بالولادة Peccatum excatraduce ولكن النفس عنده تخلق من الله خلقا جديدا، فى نفس الوقت الذى يخلق فيه الجسد، ثم أنها طاهرة ولا تتدنس، ولقد منح الله جميع الناس المقدرة على أن يبلغوا إلى الكمال، كل ما هنالك أن عليهم أن يريدوا الكمال ويعملوا على تحقيقه، وإن انتشار الخطيئة فى العالم يرجع إلى التربية وإلى القدوة.

أما القديس أوغسطينوس فكان يعتقد إعتقادا قويا بترابط الجنس البشرى، ولذلك فإن خطيئة آدم قد أحدثت فى آدم تغييرا كبيرا شمل كل ذريته البشرية...

ويرى بيلاجيوس أن الأعمال هى نتائج إرادة Volition الإنسان، فالإنسان إذن مسئول عن هذه الأعمال فقط، وعلى ذلك فالخطيئة الوراثية مستحيلة، وعلى العكس من ذلك يقول القديس أوغسطينوس بترابط الجنس البشرى، ويرى أنه منذ سقوط الإنسان الأول أصبحت الخطيئة كائنة فى ميوله وطبيعته، بحيث تسبق كل فعل شعورى، لقد حدث التعدى الإرادى مرة واحدة، وذلك فى آدم، ولكن كل إنسان قد ورث منذ ذلك الوقت ميلا شريرا، وعلى ذلك فأفعاله لابد أن تكون بالضرورة شريرة. إن الخطيئة لم تنفصل أصلا عن الإرادة، ومع أن إرادة الفرد أمست معيبة ومقيدة بمعصية الإنسان الأول، إلا أن كل فرد مسئول مع ذلك عن خطيئته وعن فعله، وعلى ذلك فالأفعال الشريرة تصدر عن الميول، أو عن الطبيعة التى أمست شريرة بالفعل.

وإذن فقد أنكر بيلاجيوس حقيقتين :

أولا : أنكر ضرورة النعمة فائقة الطبيعة، التى تأتى مباشرة لمساعدة الإنسان فى أية خدمة حقيقية لله يقوم بها الإنسان.

ثانياً : أنكر إنتقال خطأ الطبيعة وفسادها، وإنتقال الموت الطبيعى إلى ذرية الإنسان الأول نتيجة لتعديه...

وهذا كله يتضح من التفاسير التى وضعها بيلاجيوس عن رسائل القديس بولس، وقد لفتت إنتباه الناس فى الفترة التى زار فيها روما، أى فى السنوات الأولى من القرن الخامس للميلاد(١).

مراحل النزاع البيلاجى

لم يكن بيلاجيوس ميالا إلى الجدل، ولكنه عندما كان فى روما قاد إلى الرهبانية محاميا يسمى كولستيوس Coelestius واعتنق كولستيوس آراء بيلاجيوس فى حماس شديد، ورغب فى الدفاع عنها والعمل على ذيوعها، والواقع أن كولستيوس لا بيلاجيوس هو السبب فى نشوب النزاع المعروف بالنزاع البيلاجى...

---

(١) انظر مجموعة ملى للآباء الذين كتبوا باللاتينية مجلد ٣٠ ص ٦٤٥ – ٩٠٢

هذا النزاع البيلاجى مر بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : (فى قرطاجنة) :

بدأت المرحلة الأولى للنزاع فى أفريقيا، كان بيلاجيوس يقوم برحلة إلى الشرق، وقد ترك روما ومعه كولستيوس سنة ٤٠٩م وبعد أن مكث وقتا فى جزيرة صقلية ذهب إلى قرطاجنة فى سنة ٤١١م، ولما غادر بيلاجيوس قرطاجنة بقى بها كولستيوس راغبا فى أن يسام قسيسا، ولكن سرت الشائعات بأن له آراء غريبة عقد بسببها مجمع فى قرطاجنة سنة ٤١٢م (وربما فى السنة السابقة عليها) وقد أتهم كولستيوس بست قضايا هرطقية...

مزاعم كولستيوس الهرطقية :

أولا : أن آدم خلق فانيا، وأنه كان سيموت سواء أخطأ أو لم يخطئ.

ثانياً : أن خطيئة آدم أضرته هو وحده، ولم تضر الجنس البشرى.

ثالثاً : أن الأطفال الصغار الذين يولدون فى العالم، يولدون فى الحالة التى كان عليها آدم الأول قبل السقوط.

رابعاً : أنه ليس بموت آدم أو سقوطه يموت الجنس البشرى كله، وليس بقيامة المسيح يقوم الجنس البشرى كله.

خامساً : أن الناموس كالإنجيل يؤدى إلى ملكوت السموات.

سادساً : أنه حتى قبل مجئ الرب يسوع، كان يوجد إناس أطهار من الخطيئة...

وفى بعض الروايات تدمج القضية الخامسة مع السادسة ويضاف بدلا من السادسة قضية جديدة، أن الأطفال الصغار ينعمون بالحياة الأبدية (إذا ماتوا) ولو كانوا غير معمدين...

كما ينسب إلى كولستيوس أنه نادى بقضايا أخرى منها :

- أنه يمكن للإنسان أن يكون بلا خطيئة، إذا شاء هو ذلك.

- أن الأغنياء الذين قبلوا العماد لا يطمأن إليهم فى عمل شئ من الخير يبدو أنهم قاموا به، إلا إذا كانوا قد تركوا كل ما يملكون، فبدون ذلك لا يستطيعون أن يدخلوا ملكوت السموات.

ولعل أهم هذه القضايا الست وأخطرها شأنا إثنتان :

الأولى : أن خطيئة آدم أضرت به وحده، ولم تضر الجنس البشرى.

ثانياً : أن الأطفال يولدون فى نفس الحالة التى كان عليها آدم قبل السقوط.

وقد رد كولستيوس على الإتهام الذى وجه إليه، بأن الأرثوذكس أنفسهم ليسوا على رأى فيما يتصل بولادة النفس، وما إذا كانت الخطيئة تورث أم لا، إن هذه المسألة ليست من قضايا الإيمان، ولذلك يجوز فيها النظر، وهى مفتوحة للمناقشة فى الكنيسة، ويكفى أنه قال بضرورة المعمودية، لكن أساقفة الكنيسة لم يقروا كولستيوس على دفاعه، ولما لم يشأن أن يرجع عن الآراء المنسوبة إليه، قطع من شركة الكنيسة، فلم يذعن كولستيوس لهذا الحكم واستغاث بكنيسته الوطنية، وذهب إلى أفسس وهناك رسم قسيسا كما أراد، وحدث بعد هذا مباشرة أن اطلع القديس أوغسطينوس على كتاب بيلاجيوس (فى الطبيعة de Natura ورد عليه أوغسطينوس فى مقالة أو نبذة عن الطبيعة والنعمة de Nature et Gratia وهى تحتوى على كل ما بقى من كتاب بيلاجيوس (فى الطبيعة) وكان أوغسطينوس قد وضع قبل هذا نبذته عن (الروح والحرف) de spiritu et litera

المرحلة الثانية : (فى فلسطين) :

وظهرت المرحلة الثانية من النزاع البيلاجى فى فلسطين، التى نزح إليها بيلاجيوس، وهناك وجد بيلاجيوس خصما عنيدا فى ايرونيموس الذى كان يؤيد القديس أوغسطينوس، وقد كتب يرد على البيلاجية (١) كما قاومها أيضا هناك أورسيوس Orosius القسيس الأسبانى الذى أرسله أوغسطينوس إلى بيت لحم ليصد تقدم المذهب البيلاجى، وفى عام ٤١٥ عقد مجمع فى أورشليم برياسة الأسقف يوحنا، استدعى فيه بيلاجيوس وسئل عن تعليمه، وروى أوروسيوس ما حدث فى مدينة قرطاجنة، وقال أن بيلاجيوس علم بأن الإنسان يمكنه إذا شاء أن يحيا بلا خطيئة، ويطيع الأوامر الإلهية، وأقر بيلاجيوس ولم ينكر أنه علم هذا التعليم... واستشهد بأمر الله إلى ابراهيم «وقال له أنا الله القدير اسلك أمامى وكن كاملا» وهذا يفترض افتراضا سابقا أن الكمال ممكن للإنسان، على أن بيلاجيوس صرح فى ردوده على الأسئلة التى كانت توجه إليه، بأنه لا ينفى معونة الله، ولكنه يؤمن بأن كل إنسان يسعى إلى التحقق بالكمال ينال من الله القوة بحيث يمكن أن يصير بدون أدنى خطيئة... كل ما هنالك أن بيلاجيوس يرى أن نعمة الله هى عون ضرورى للإنسان، لكنها مدد من خارج يساند الجهود التى يبذلها الإنسان بفعل إرادته هو، بينما أن النعمة كما علم بها القديس أوغسطينوس هى مبدأ للحياة خالق وفعال، وهى الخير المقيم فى طبيعة الإنسان، والذى يولد فيه حرية الإرادة التى فقدت فى الإنسان الطبيعى فقدانا تاما، فبيلاجيوس يرى أن النعمة ليست إنارة روحية باطنية، بل بالحرى أنها مجرد منبه خارجى يثير القوى الطبيعية فى الإنسان.

---

(١) من ذلك رسالته الموسومة adctes iphontem رساله ١٣٣ فى مجموعة Migne للآباء اللاتين مجلد ٢٢ ص ١١٤٧ وكذلك كتابه Dialogus Contra Pelagianos مجموعة Migne للآباء اللاتين، مجلد ٢٣ ص ٤٩٥ - ٥١٠).

وبعد عدة شهور أخرى من نفس السنة (٤١٥م) مثل بيلاجيوس أمام مجمع آخر فى ديوسبوليس Diospolis أوليدا (اللد) Lydda بفلسطين، ليرد على قائمة إتهامات إتهمه بها أسقفان من غالا وفرنسا سافرا إلى فلسطين... وقد استطاع بيلاجيوس أن يدافع عن نفسه فى المجمع، وأن يجيب على كثير من الإتهامات إجابات مرضية مقنعة، كما نفى عن نفسه بعض الإتهامات وقال إنها إتهامات لا أساس لها، لأنه لم يُعلّم بتلك التعاليم التى نسبت إليه. وزاد على ذلك بالقول بأنه يستنكر تلك التعاليم ويحرم كل من يعارض تعاليم الكنيسة الجامعة الرسولية.

وقال بيلاجيوس أنه يقر ويعترف بكل من النعمة الإلهية والحرية الإنسانية، وأنه إذ يقول (إن الإنسان يمكنه إذا شاء أن يصير بلا أدنى خطيئة...) فقوله هذا ينطبق على الإنسان التائب، إذ التائب يمكنه أن يحيا بلا خطيئة بفضل جهاده وبفضل نعمة الله، ولو أنه لا يخلو من إغراءات الخطيئة، فلما سمع منه المجمع هذا الإقرار رده إلى شركة الكنيسة.

المرحلة الثالثة : (الإلتجاء إلى روما) :

ولم تقف المسألة البيلاجية عند هذا الحد، ولم يقنع خصوم بيلاجيوس بقرار مجمع ديوسبوليس بفلسطين، وخصوصا خصومه فى شمال أفريقيا، وعقد مجمعان فى السنة التالية فى سنة ٤١٦، أحدهما فى قرطاجنه وكان مجمعا محليا، لم يحضره القديس أوغسطينوس، والآخر فى ميليف Mileve أو ميليوم Milewm حضره القديس أوغسطينوس (١)، وجدد كل من المجمعين الحكم على بيلاجيوس، وأبلغت القرارات إلى اينوسنت الأول Innocent أسقف روما، برجاء المعاونة فى وقف انتشار البدعة البيلاجية وتعاليمها الفاسدة، فأيد أسقف روما موقف المجمعين المحليين السالفين، وحكم أيضا بحرم بيلاجيوس وكولستيوس، ثم مات اينوسنت الأول مباشرة بعد ذلك، وخلفه زوسيموس Zosimus وشرح كولستوس إيمانه لزوسيموس شفاها، كما كتب بيلاجيوس إليه رسالة، هى فى الواقع رسالته إلى اينوسنت الأول أخذ يسرد فيها بالتفصيل إيمانه فى كل بند من بنود الإيمان، راجيا اسقف روما أن يتفضل فيصحح كل ما يراه مفتقرا فيها إلى التعبير السليم الدقيق، ومن بين ما قاله فى إعترافه (أننا نعترف أن لنا حرية إرادة، بمعنى أننا دائما فى حاجة إلى معونة الله، وقد خطئ الذين قالوا أن الإنسان لا يمكنه أن يتجنب الخطيئة، كما خطئ الذين قالوا أن الإنسان لا يمكنه أن يخطئ... لأن هؤلاء وأولئك ينفون حرية الإرادة، على السواء. وأيا كان القول، فنحن نقرر أن الإنسان يمكنه أن يخطئ، ويمكنه أيضا أن لا يخطئ (يقدر على أن يخطئ، ويقدر أيضا على أن لا يخطئ) ونعترف على الدوام أننا نملك حرية الإرادة، ولما وقف زوسيموس على اعتراف كل من كولستوس وبيلاجيوس رأى أنهما

(١) انظر الرسائل المجمعية فى رسائل القديس أوغسطينوس ١٧٥، ١٧٦ ـ مجموعة منى Migne مجلد ٣٣ ص ٧٥٨ وما بعدها.

سليما الإيمان، وكتب إلى أساقفة أفريقيا يلومهم على تسرعهم فى إدانة بيلاجيوس وكولستيوس (وكان ذلك فى سبتمبر سنة ٤١٧) ووصف زوسيموس خصوم بيلاجيوس وكولستيوس بأنهم مفترون وأشرار.

المرحلة الرابعة: الحكم النهائى فى مجامع عقدت بأفريقيا وروما:

وأسرع أساقفة أفريقيا إلى عقد مجمع فى أواخر سنة ٤١٧ أو أوائل سنة٤١٨، واحتجوا على موقف زوسيموس أسقف روما، وقالوا أن زوسيموس فهم المشكلة على غير وضعها الصحيح، وأنه كان يجب عليه أن يتمسك بالحكم الذى أصدره اينوسنت الأول، ضد كل من بيلاجيوس وكلستيوس حتى يعترف كل منهما اعترافا واضحا، بأننا نفتقر إلى عون من نعمة الله بيسوع المسيح فى أى عمل صالح، لا لندرك فقط ماهو صواب بل ولكى نقوم به بالفعل، حتى أننا بدون (هذا العون من نعمة الله) لا يمكننا أن نملك أى شئ صالح بالحقيقة أو مقدس، ولا أن نفكر فيه أو نتكلم عنه، فأجاب زوسيموس بأنه فحص الأمر فحصا تاما، ورد الوثائق إلى أساقفة أفريقيا ليتداولوا معا ويصلوا إلى إتفاق فيها، فعقد أساقفة أفريقيا مجمعا من ٢٠٠ أسقف فى قرطاجنة فى أبريل سنة ٤١٨، وأصدروا تسعة قوانين ضدا لتعليم بيلاجيوس، واجهوا فيها جميع الصيغ والتحديدات التى قال بها بيلاجيوس، وناقشوها بتفصيل وأصدروا بشأنها حروما، وقد نصوا فى قراراتهم على ضرورة المعمودية ضرورة تامة لتحقيق الميلاد الثانى، ولكى تلاشى فساد الطبيعة ووصمة الخطيئة المغروسة فيها، كما نصوا على وهنية (أو ضعف) الإرادة الإنسانية إذا كانت بغير عون من نعمة الله، وأننا فى حاجة أساسية وحيوية إلى النعمة، لنتمكن بها من إتمام وصايا الله، وبعد أن أصدر المجمع قراره وقوانينه، وأحكامه لم يستطع أحد من أصدقاء بيلاجيوس، أن يقاوم الأثر الذى أحدثه صدور هذه القرارات ضد بيلاجيوس وبدعته، بل وقد أمكن الحصول على أوامر إمبراطورية من قبل هونوريوس Honorius وثيئودوسيوس Theodosius ضد البيلاجيين بنفى بيلاجيوس وكولستيوس وأتباعهما، وقد اضطر أسقف روما أيضا أن يستأنف القضية من جديد، فاستدعى بيلاجيوس وكولستيوس، ولما لم يلبيا الدعوة حكم عليهما غيابيا وأصدر منشورا دوريا epistola tractoria يعلن فيه تأييده لرأى الأساقفة الأفريقيين، يأمر جميع الأساقفة الخاضعين لإدارته أن يوقعوا عليه. ورفض ثمانية عشر أسقفا منهم أن يوقعوا، فجردوا من وظائفهم ونفوا من كراسيهم، ولكن الأغلبية العظمى وقعت على هذا المنشور بتأييده...

ولما انعقد المجمع المسكونى الثالث، وهو مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م، أيد المجمع قرار الحرمان الذى وقع على بيلاجيوس، فى الوقت الذى أصدر قرارا بحرمان نسطوريوس، وسجل الحرمان على بيلاجيوس فى رسالة مجمعية إلى كوليستين Coelestine أسقف روما قال فيها المجمع، أن المجمع قرأ الحكم على بيلاجيوس وكولستيوس وأتباعهما وهو يصادق بالاجماع على هذا الحكم.

ولا نعرف بعد ذلك غير القليل عن بيلاجيوس بعد الحكم عليه بالحرمان، ويقال أنه مات فى فلسطين عندما بلغ السبعين من عمره أى نحو سنة ٤٤٠م. ولا نكاد نعرف شيئا يذكر أكثر مما ذكرنا عن كولستيوس.

قوانين مجمع قرطاجنة عام ٤١٧م

١ ـ من قال بأن آدم الإنسان الأول قد خلق قابلا للموت، سواء أخطأ أو لم يخطئ، وأنه كان سيموت بأسباب طبيعية لا بسبب الخطيئة، فليكن محروما.

٢ ـ من قال أن الأطفال المولودين حديثا لا يحتاجون إلى المعمودية، وأنهم يتعمدون لمغفرة الخطايا، ولكن ليس هناك خطيئة أصلية موروثة من آدم تغسل فى جرن المعمودية، وأن صيغة العماد التى تنص على (مغفرة الخطايا) تستعمل فى حالتهم بمعنى وهمى، لا بمعنى حقيقى، فليكن محروما...

٣ ـ من قال أن هناك فى ملكوت السموات، أو فى أى مكان آخر، موضعا متوسطا يحيا فيه سعداء الأطفال الذين يفارقون هذه الحياة غير معمدين، فليكن محروما.

٤ ـ من قال أن نعمة الله التى بها يتبرر الإنسان بواسطة يسوع المسيح ربنا، لا تفيد إلا فى غفران الخطايا التى ارتكبت بالفعل، وأنها لا تعين فى منع ارتكاب الخطايا، فليكن محروما.

٥ ـ من قال بأن هذه النعمة... تعيننا فقط لكى نتجنب الخطيئة على هذا النحو، وأن بها قد أعطينا عن طريق الوحى فهما لوصايا الله، حتى نتعلم ما يجب أن نجاهد من أجله وما يجب أن نتجنبه، ولكنها لا تمنحنا أيضا اللذة فى فعل ما عرفنا أنه خير، ولا القوة لفعله، فليكن محروما.

٦ ـ من قال أن نعمة التبرير، أعطيت لنا حتى يمكن أن نفعل بالنعمة ما أمرنا بفعله، بواسطة حرية الاختيار الممنوحة لنا، ولكن فى أكثر سهولة وأنه كان يمكننا أن نتمم تلك الوصايا بدون هبة النعمة ولو أنه ليس بتلك السهولة، فليكن محروما...

٧ ـ من قال أن كلمات الرسول القديس يوحنا (إن قلنا أن ليس فينا خطيئة فإنما نضل أنفسنا وليس الحق فينا) (١) يجب أن تؤخذ بمعنى أنه يجب أن نقول أننا خطاة عن اتضاع، وليس لأن ذلك حقيقى، فليكن محروما...

٨ ـ من قال أن القديسين إذ يرددون فى الصلاة الربية القول (اغفر لنا ما علينا) لا يقولون ذلك عن أنفسهم، لأن هذه الصلاة ليست ضرورية لهم، ولكنهم يقولونها عن آخرين من بين أهلهم من الخطاة، فليكن محروما.

٩ ـ من قال أن القديسين يقولون هذه الكلمات عن اتضاع لا لأنها حقيقية، فليكن محروما.

---

(١) ١. يوحنا ١: ٨.

أنصاف البيلاجيين

حاول فريق من الباحثين أن يقف موقفا وسطا بين أطراف، وأن يضع نظرية تختص بالطبيعة البشرية والخطيئة والنعمة، بحيث تكون أكثر تمشيا مع المفهومات الدينية المستقرة من المذهب البيلاجي، ولذلك سموا بأنصاف البيلاجيين ومنهم يوحنا كاسيان Casian ثم فاستوس Faustus of Rhegium وهما يمثلان عددا كبيرا من اكليروس بلاد الغال.

يوحنا كاسيان CASIAN

قضى كاسيان أكبر جزء من حياته فى دير، وذلك منذ أيام صباه، وكان صديقا حميما لذهبى الفم، وكان أحد المعجبين به، قضى سنوات فى القسطنطينية، وبعد ذلك أرسل نحو سنة ٤٠٥ فى بعثة إلى روما لينال تأييد اينوسنت، وربما بقى فى روما وقابل هناك بيلاجيوس، وقد عاد عند غزو القوطيين، واستقر نهائيا بالقرب من ماسيليا Massilia (الآن مارسيليا) حيث أسس هناك ديرين (للرجال والنساء) وربما صار رئيسا لأحدهما، وقد كرس هناك حياته للدرس والتأليف لسنوات طويلة، ووضع نظما وقوانين للرهبنة، كان لها أثر بعيد المدى على الرهبنة الغربية، دام مدة كبيرة، وقد اعتبرت مؤلفاته والمثل التى خطها للرهبان أعظم اعتبار فى كل العصور الوسطى، حتى صارت فى متناول الرهبان للاستعمال اليومى فى حياتهم الديرية، وقد تبع كثيرون مذهبه الذى كان يعلم به ويعرف بمذهب أنصاف البيلاجيين، وهو يقف فى منتصف الطريق بين الرأى الكنسى الأرثوذكسى وبين مذهب البيلاجيين بالمعنى الدقيق، ومما هو جدير بالذكر أن مذهب أنصاف البيلاجيين ينكر أهم الآراء البيلاجية.

كان كاسيان مدفوعا أولا وقبل كل شئ، بعاطفة روحية حارة واحساس عميق بمحبة الله، وكان دائما ينصح رهبانه بأنه لا قيمة على الاطلاق للطاعة الظاهرية للقانون بدون طهارة النية وتقديس الحياة الباطنية، وكان يعتقد أن لا سبيل إلى معرفة تعليم النعمة وفهمه إلا بإختيار حياة الطهارة.

وقد رفض يوحنا كاسيان مزاعم بيلاجيوس (التى وصفها بأنها فاسدة وضد الدين) كما رفض أيضا آراء أوغسطينوس، من ذلك أنه نادى ضدا لمذهب بيلاجيوس بفساد الطبيعة البشرية نتيجة للمعصية الأولى التى سقط فيها أبو الجنس البشرى، واقتنع بتعليم القديس أوغسطينوس فى النعمة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد كان كاسيان يعارض تمام المعارضة فى إنكار حرية الإرادة وقدرة الإنسان على أن يتصرف، ويفصل فى المشاكل التى تعرض أمامه فى الحياة، ويقول كاسيان هناك عاملان أساسيان فى تحديد الإرادة البشرية هما : إرادة الإنسان ذاتها ثم الروح القدس، وليس فى الإمكان تحديد العلاقة تماما بين الإرادة الحرة وبين النعمة، فليست ثمة قاعدة عامة يمكن تطبيقها فى كل الأحوال، وعلى جميع الناس، فأحيانا تكون الخطوة الأولى من جانب الإنسان، وأحيانا تكون من جانب الله، وقد تأخذ الطبيعة البشرية

الخطوة الأولى من جانبها هى، نحو اصلاحها ومن دون عون النعمة، فإذا لم تفعل كانت المواعظ وضروب الزجر والتوبيخ باطلة أو ظالمة، أما القول بالقضاء والقدر أو التعيين السابق، فينكره يوحنا كاسيان ويعتبره كفرا شنيعا أن يظن أحد أن الله لا يريد خلاص الكل (١).

فقرة (٨) :

(عندما يرى هو (الله) فينا أى بادرة لإرادة صالحة، ففى الحال ينيرها ويقويها ويثيرها للخلاص، وينمى تلك الإرادة الصالحة التى زرعها هو بنفسه أو يرى أنها انبثقت بمجهودنا الشخصى)..

فقرة (٩) :

(يشهد الرسول قائلا (لأن الإرادة حاضرة عندى، وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد) (٢) وذلك حتى يبين لنا بأجلى وضوح، أن بوادر الرغبات الصالحة (الإرادة الصالحة) تنشأ أحيانا بفضل تلك الطبيعة الطيبة nuturae bonum المفطورة فينا بعطية الخالق، ومع ذلك فإن هذه البوادر لا تبلغ إلى أعمال الفضيلة إلا إذا كان الرب يوجهها) إن أقصى ما يمكن أن يقال بحق، هو أن الله يعرف من قبل من الذى سيخلص praescientia وهنا يختلف يوحنا كاسيان عن أوغسطينوس إختلافا بعيدا، لأن كاسيان يربط فكرة النعمة بقصد ثابت لحب إلهى يمتد إلى جميع الناس، ويريد خلاص الجميع، بينما يرى أوغسطينوس أن الإنتخاب والرذل فعلان إلهيان(٣) غير مشروطين بشرط فى مقدور الأفراد المنتخبين أو المرذولين.

فقرة (١١) :

(إذا كنا نقول أن بوادر الإرادة الخيرة تنبت دائما بفضل نعمة الله، فماذا نقول عن إيمان زكا وتقوى اللص المصلوب اللذين اندفعا بقوة نحو ملكوت السموات مدفوعين برغبتهما الشديدة، ولقد سبقا تنبيهات الدعوة الخاصة التى وجهت إليهم ؟؟)

---

(١) جاء فى كتاب Collationes (وهو مجموعة مشاورات لرهبان مصريين عن النسك الحقيقى) كتبت نحو ٤٢٥ – ٤٢٨م، الثالثة منها - والثالثة عشر عن النعمة والإرادة الحرة، وقد اعترض عليها أوغسطينوس وبروسبير Prosper

De gratia dei et liber libero arbitrio contra collatorem

مجموعة Migne للآباء اللاتين مجلد ٥١ ص ٢١٣)، المحاضرة ١٣ ف ٧

Quomodo sine ingenti sacrilegio putandus est (Deus) non universaliter

cmmnos sed quosdam salvos fieri velle pro omnibus

(٢) رو ٧ : ١٨

(٣) قارن Augustimus, de praedestinatione sanatorum de done perseverantiae

فاوستوس (أسقف ريجيوم)
FAUSTUS

علّم فاوستوس بمثل ما علّم به يوحنا كاسيان، وهو من أعظم رهبان وأساقفة جنوب الغال، ولد فى بريطونى Britony أو ربما بريطانيا فى أوائل القرن الخامس، وترهب بدير ليرينوم Ler-inum وحاليا Lerins وأصبح ابتداء من نحو ٤٣٣م رئيسا له، وبعد ذلك أسقفا لريجيوم، وهى الآن ريز Riez فى بروفنس Provence وكانت له مكانة كبيرة نظرا لعلمه، وحياة النسك والقداسة التى كان يحياها، وأعماله التى تدل على تضحية بنفسه ونشاطه فى فعل الخير، وبلغ من شهرته فى تقواه أنه كان يدعى بلقب قديس، وصار له عيد يحتفل به على الرغم من نفوذ أوغسطينوس، وفى الوقت الحاضر يرفض المؤرخون الينسنيون Jansenists تلقيبه بالقديس، ولو أن اليسوعيين يدافعون عن حقه فى هذا اللقب، ومات فاوستوس فى نهاية القرن الخامس...

وكان فاوستوس نصيرا قويا لإيمان مجمع نيقية، ضدا للأريوسية، وهى ديانة الـ Visigoths الذين وقعت إيبارشيته تحت سلطانهم، ولهذا طرد من كرسيه، ومع ذلك لم يسلم من نقد بعض معاصريه له بسبب تعاليمه الخاصة بالإنسان، ومن نقد أشد منه وجهه إليه اللاهوتيين من الجيل الثانى، يرى فاوستوس أنه لا بيلاجيوس ولا أوغسطينوس علم التعليم الصحيح، فهو يحكم على بيلاجيوس بشدة ويعتبره هرطوقيا، وفى الوقت نفسه يبدى تخوفه من التعليم الذى ينكر أن يكون فى مقدور الإنسان أن يكون حرا فاعلا، فيصبح لذلك تعليما بالجبرية، ويحرم فاوستوس كل من يقول أن (إناء الغضب) لا يمكن أبدا أن يصير (إناء للكرامة)، أو أن المسيح لم يمت من أجل جميع الناس، أو أنه لا يريد أن جميع الناس يخلصون، أو يقول أن كل من هلك (سواء كان معمدا أو وثنيا كان يمكن أن يؤمن ولكنه لم يؤمن) سوف لا تتاح له فرصة للخلاص، وينادى فاوستوس بأنه لابد من الجهد البشرى، ولابد من تعاونه مع النعمة الإلهية (من له يعطى)، إن له القدرة، فينبغى أن يستخدمها، وأما التعليم بالقضاء، والقدر أو التعيين السابق فيعترض عليه فاوستوس بكل شدة وينكر غاية النكر الزعم بأى نوع من النعمة الخاصة أو الشخصية Gratia specialis personalis وهو الزعم الذى تنطوى عليه نظرية أوغسطينوس فى التعيين السابق أو القضاء والقدر، ولو أنه يتكلم فى نفس الوقت عن نعمة سابقة ذات طابع عام (١). ويبدو أنه لم يقصد بالقول بهذه النعمة السابقة أن يبين الحاجة إلى نعمة معينة تسبق فتعد القلب نحو التوبة وطلب الخلاص على نحو ما يقول أوغسطينوس، وكأنها شئ خارج بالكلية عن إرادة الإنسان، ولكنه يقصد بالأحرى نوعا من إيقاد الإرادة حتى يمكن أن تتعاون مع عمل الخلاص الذى لا يمكن إتمامه بنجاح إلا للنعمة الإلهية..

---

(١) لنظر رسالته إلى ليوسيداس Lucidus مجموعة منى Migne للآباء اللاتين مجلد ٥٣ ص٢٨٣.

وحدث أن قسيسا فى بلاد الغال اسمه ليوسيدس Lucidus أثارإشكالا بدفاعه عن النعمة السابقة وغيرها من آراء أوغسطينوس، فطلب ليونتيوس رئيس أساقفة ارلس Arles من فاوستوس أن يكتب فى هذا الموضوع، فكتب أولا رسالة إلى ليوسيدس وبعد ذلك كتب أيضا بحثا لنفس الغرض بعنوان (١)

"De gratia Dei et humanae mentis libero arbitrio"

ولما عقد مجمع أرلس Arles فى عام ٤٧٢ (٤٧٣) وصودق رسميا على كتاباته، ووقع عليها الأساقفة الحاضرون فى ذلك المجمع، كما وافقوا على ستة حروم ضد التعليم المتطرف من أى جانب من الجانبيين، وفى هذه الحروم يظهر التعليم المعروف بتعليم أنصاف البيلاجيين (٢)، فهم يحرمون آراء البيلاجيين الذين يزعمون أن الإنسان يولد بلا خطيئة، وأنه يمكنه أن يخلص بمجهوداته الخاصة وحدها من دون نعمة الله، ومن آرائهم المعارضة لمذهب البيلاجيين قولهم إذا استحق إنسان العماد، ودخل الإيمان الحقيقى بالمسيح، ثم سقط فى إغراءات الخطيئة وشهوات العالم فذلك مرجعة إلى ميل الخطيئة الأصلية، كذلك يرفضون حتى رأى المعتدلين القائلين بأن معرفة الله السابقة وليس تعيينه السابق ذات أثر على أفعاله وتصرفاته، ويؤكدون فى تصميم وفى قوة أن معرفة الله السابقة ليس لها أدنى أثر على انحدار الإنسان فى طريق الموت.

---

(١) أنظر مجموعة منى للآباء اللاتين - مجلد ٥٨ ص ٧٨٣، ومايليها.

(٢) أنظر كتاب Migne ص ٢١٧.

النعمة السابقة

«من فقرة فى رسالة القديس أوغسطينوس إلى فيتاليس Vitalis رسالة رقم ٣١٧ (٤٢٧)»

٣٠ ـ .... إذا كنتم ـ كما أميل إلى الاعتقاد فيكم ـ توافقوننا على احتساب أننا نؤدى واجبنا حينما نصلى إلى الله كما هى عادتنا ـ من أجل أولئك الذين يرفضون الإيمان حتى يرغبوا فى أن يؤمنوا، ومن أجل أولئك الذين يقاومون ويعارضون شريعته وتعاليمه حتى يؤمنوا به ويتبعوه ... إذا وافقتمونا على الاعتقاد بأننا نؤدى واجباتنا حينما نقدم الشكر لله ـ كعادتنا ـ من أجل هؤلاء الناس عندما يهتدون ... فأنتم لاشك مضطرون إلى الاعتراف بأن نعمة الله تسبق إرادات الناس Voluntates hominum dei gratia praeveniri وأن الله هو الذى يجعلهم يريدون الخير الذى كانوا يرفضونه، لأننا من الله نطلب هذا، ونحن نعلم أنه حق وعدل أن نشكر الله على صنيعه هذا...

قوانين مجمع أرليس ARLES (١)
نحو عام ٤٧٣م

حكم مجمع أرليس المنعقد نحو عام ٤٧٣م للنظر فى آراء أنصاف البيلاجيين من أمثال يوحنا كاسيان وفاوستوس أسقف ريجيوم، ببطلان القضايا الآتية:

١ ـ أن عمل الطاعة البشرية لا يقترن بنعمة الله.

٢ ـ أنه بعد سقوط الإنسان الأول قد زالت نهائيا حرية الإختيار ARBITRIUM VOL-UNTATIS

٣ ـ أن المسيح لم يذق الموت لخلاص جميع الناس.

٤ ـ أن معرفة الله السابقة تسوق الإنسان قهرا نحو الموت... أو أن أولئك الذين يهلكون، يهلكون طبقا لإرادة voluntas الله.

٥ ـ أن أى إنسان يخطئ بعد نيله المعمودية شرعا، يموت فى آدم (أى بالخطيئة الأصلية).

٦ ـ أنه من آدم إلى المسيح لم يخلص أحد من الأمم عند مجئ المسيح in adventum christi بنعمة الله الأولى (أى بقانون الطبيعة) وأنهم فقدوا حريتهم فى الإختيار فى أبيهم الأول.

٧ ـ أن البطاركة والأنبياء أو جميع أعاظم القديسين عاشوا فى الفردوس حتى قبل أزمنة الفداء.

وأصدر المجمع التصريح التالى:

«لابد من أن يقترن عمل الإنسان وسعية بنعمة الله، إن حرية الإرادة Libertatem vol-untatis عند الإنسان لم تفن، ولكنها وهنت وضعفت، إن من خلص هو فى خطر، ومن هلك يمكن أن يخلص».

تاريخ مذهب أنصاف البيلاجيين فى الأزمنة الأخيرة:

لقد ساد مذهب أنصاف البيلاجيين فى بلاد الغال بعض الوقت، ولكن لما انعقد مجمع أورانج Arausio Orango برياسة قيصريوس Caesarius أسقف أرليس Arles الذى كان رئيسا لدير ليرينوم Lerinum، ومجمع فالنس Valence سنة ٥٢٩(٢)، حكما بتأييد تعليم القديس

---

(١) مراجع: FAUSTUS OF RHEGIUM Ep. ad Lucidum, (473) P.L., vol, 1111, 683.
MANSI, J.D., Sacrorum Conciliorum nova et amplissima collectia - Venice, 1759, Vll. 1010.
BETTENSEN (HENRY), Documents of the Christian Church, oxford 1946. pp. 84,85.

(٢) يذكر أرنولد Arnold فى كتاب Caesarius von Arelato ص ٣٤٨ ملاحظة ١١٢٩ مجمع فالنس قبل مجمع أرليس.

أوغسطينوس باستثناء القول بالتعيين السابق نحو الشر، فلم يؤيداه (والحق أن القديس أوغسطينوس نفسه لم يعلّم به لفظا على الأقل)، وأيدا أيضا بعض القوانين التى أصدرتها روما وفقا لتعليم الكتب المقدسة، وآباء الكنيسة الأوائل (١)، ومن بينها أنهم يصرون بشدة على القول بأن الطبيعة البشرية عاجزة عن أن تبدر منها بادرة من أى نوع نحو الإيمان أو الصلاح، أو حتى أن تطلب العون الإلهى من دون نعمة الله، فمنح النعمة وقبولها أيضا يعتمد فقط على الخطوة الأولى من جانب الله، وقد أيّد بونيفاس Boniface أسقف روما قرارات مجمعى أورانج وفالنس فى السنة التالية أى فى سنة ٥٣٠م، وقد انتشرت مبادئ أنصاف البيلاجيين فى الغرب، ومنها نظرية الخطيئة الموروثة والشر الموروث. والقبول غير المؤكد نوعا ما لضرورة النعمة، كخطوة سابقة للحركات الأولى الطيبة فى الإنسان، والإيمان بمقدرة الإنسان على أن يساعد فى عمل النعمة الإلهية فى داخل النفس (التجديد المشترك، الانسان يشترك مع الله) - وقد أثيرت هذه المسألة فى العصور الوسطى مع شخصيات من أمثال بيده Bede وانسلم وبرنارد Bernard وهم يمثلون الإتجاه الأوغسطينى، وقد تجددت إثارتها فى أحدث صورة لها مع كلفن، وقد كان لوثر نفسه أوغسطينيا إلى حد ما، وكان يؤمن أن سقطة الإنسان غيّرت قداسته الأصلية إلى فساد مطلق... وقد تعرض الجنس البشرى كله للدينونة، لكن النعمة الإلهية التى لابد منها للتوبة، قد قدمت لجميع الناس بدون تفريق، ويمكن أيضا أن ترفض منهم، وحرية العمل مكفولة للإنسان ولذلك فهو مسئول، والتعيين السابق الوحيد الذى يمكن أن يقال به، يبنى على معرفة الله السابقة بالإيمان وطاعة الناس، ولهذا فإن الأوامر الإلهية بشرطية، ولا شك أن مجمع ترنت Trent لم يقرر تعليم أوغسطينوس، قرر مجمع ترنت أن إرادة الإنسان الحرة لاتكفى وحدها، وأنه بدون النعمة السابقة لايمكن أن يتبرر الإنسان، وبدون إلهامها ومساعدتها لا يستطيع أن يكون له إيمان أو رجاء أو محبة أو توبة، وقرر المجمع أيضا فى وضوح كاف، أن الإنسان نفسه يمكنه أن يشارك فى عملية الخلاص، يمكنه أن يقبل وأن يرفض إلهام الروح القدس وإرشاده، وأنه يفعل ذلك بحسب ميله الخاص وتعاونه.

لقد سببت سقطة الإنسان فقدانه لعطية النعمة الإلهية، التى منحت له أصلا وكان من نتيجتها الضعف والنقص، فضعفت حرية إرادته وانحرفت ولكنها لم تفقد ولم تفن... وعلى ذلك يعترف المجمع بالنعمة الواقية السابقة gratia praeveniens وبنعمة التعاون gratia co-operans وبمقدرة الإنسان على تقرير المصير.

وقرر مجمع ترنت أيضا، بعمومية النعمة وشمولها، وهذا ضد تعليم القضاء والقدر، وعندما حاول اليانسينت Jansenist أن يحيوا تعاليم القديس أوغسطينوس، رفضوا بكل شدة القول بالقضاء والقدر أو التعيين السابق.

---

(١) انظر قوانين مجمع أورانج فى كتاب Hahn ص ٢٢٠ - ٢٢٧ خصوصا قانون ٢٥ ص ٢٢٧.

مجمع أورانج ORANGE
عام ٥٢٩م

أصدر هذا المجمع ٢٥ قانونا وقد قبل معظم تعليم أوغسطينوس، بل واستعاد الكثير جدا من كلماته وتعبيراته، أما سبق التعيين بالشر (وهو التعليم الذى لم يصرح به أوغسطينوس، ولو أنه يبدو متضمنا فى كثير من تعاليمه، وقد ألّح عليه كثير من أتباعه) فقد حرمه المجمع.

لقد رفض المجمع القضايا الآتية :

قانون (١) :

أن بذنب معصية آدم لم ينحط الإنسان كله (أى بالنظر إلى الجسم والنفس) وأن حرية نفسه ظلت كما هى، ولم يصبها ضرر، ولكن جسده فقط هو الذى خضع للفساد (١).

قانون (٢) :

إن مخالفة آدم أضرته هو فقط، ولم تضر بذريته وأن موت الجسد فقط وجريرة الخطيئة هى التى انتقلت من الإنسان الأول إلى جميع الجنس البشرى، وليست الخطيئة أيضا وموت النفس(٢).

قانون (٣) :

إن نعمة الله يمكن أن توهب استجابة لدعاء الإنسان، ولكن النعمة التى تأتى ليست هى بعينها النعمة التى طلبناها (٣).

قانون (٤) :

أنه لكى نتطهر من الخطيئة، يلزم أن إرادتنا Voluncas تسبق (إرادة) الله، وأنه ليس عن طريق انسكاب الروح القدس وعمله فينا، أننا نرغب فى أن نتطهر (من الخطيئة) (٤).

قانون (٥) :

إن ابتداء الإيمان وكذلك نموه بل ونفس الرغبة فى الاعتقاد... ليست عن طريق هبة النعمة... ولكنها هى (موجودة) فينا بالطبيعة (٥).

---

(١) حز ١٨ : ٢٠ ، رو ٦: ١٦ ، ٢. بط ٢ : ١٩.
(٢) رو ٥ : ١٢.
(٣) رو ١٠ : ٢٠ ، أش ٦٥ : ١
(٤) أمثال ٨ : ٣٥ (إن الإرادة مهيأة من قبل الرب) ـ الترجمة السبعينية فيلبى ٢ : ١٣.
(٥) فيلبى ١: ٦ ، ٢٩ ، أفس ٢ : ٨

قانون (٦) :

إن الرحمة تمنح من السماء لنا نحن الذين بدون نعمة الله، نؤمن ونريد ونرغب، وإنه ليس عن طريق فعل الروح القدس أننا نؤمن ونرغب كما ينبغى (١).

قانون (٧) :

أنه بقوة الطبيعة نستطيع بحق أن نفكر وأن نختار كل ماهو خير... بدون إنارة الروح القدس(٢).

قانون (٨) :

إن بعض الناس يمكنهم أن ينالوا نعمة المعمودية عن طريق الرحمة، أما الآخرون فعن طريق حرية الإختيار (والتى لا شك أنها فسدت فى جميع الناس منذ السقوط)(٣).

وهناك قوانين أخرى أقل أهمية :

قانون (١٢) :

إن الله يحبنا على ما سنصير إليه بنعمته، ولا يحبنا كما نحن باستحقاقنا...

قانون (٢٥) :

حقا حقا إن هبة الله هى أن نحب الله... ولقد منحنا إياها حتى يكون محبوبا، وهو الذى يحب عندما لا يكون هو محبوبا، فلقد أحبنا عندما لم نكن نرضيه لكى يتولد فينا ما نرضيه(٤).

وهذه هى القضايا الإيجابية التى أصدرها مجمع أورانج :

أنه عن طريق خطيئة الإنسان الأول، إلتوت حرية الإختيار وضعفت، حتى لم يعد أى إنسان بعد ذلك قادرا على أن يحب الله كما ينبغى، أو يؤمن بالله أو يصنع شيئا صالحا من أجل الله، إلا إذا سبقته Praeveniret نعمة (٥) (رحمة الله) (٦).

ونحن نؤمن أيضا، وفقا لإيمان الكنيسة الجامعة، أن جميع المعمدين - بعد أن ينالوا النعمة عن طريق المعمودية - تكون لهم بمعونة المسيح ومعاضدته القوة والإلزام لتتميم كل ما يتصل بخلاص النفس إذا كانوا سيجاهدون بأمانة.

ونحن لسنا فقط لا نؤمن بأن بعض الناس قدر عليهم سابقا أن يصنعوا الشر بقوة الله، ولكننا نقول لهم بكل مقت:

«إذا كان هناك من يعتقد مثل هذا الإعتقاد... أنتم محرومون».

---

(١) ١. كورنثوس ٤ :٧.
(٢) يو ١٥ :٢ - ٥ ، ٢. كو ٣ :٥.
(٣) يو ٦ :٤ ، مت ١٦ :٢٧ ، ١. كو ١٢ :١٣.
(٤) رو ٥ :٥.
(٥) وتسمى لذلك (بالنعمة السابقة) ويقصد بها تلك الحركات العاملة، التى تتولد فينا بفعل الله دون فعلنا والتى تحركنا إلى عمل الخير، وأحيانا تسمى (بالنعمة العاملة) أو (النعمة المحركة).
(٦) فيلبى ١ :٦، ٢٩، أفسس ٢ :٨، ١. كو ٤ :٧، ١. كو ٧ :٢٥، يعقوب ١ :١٧، يو ٣ :٢٧.

النســـطوريـــة
المدارس اللاهوتية
فى الأسكندرية وأنطاكية

النسطورية
المدارس اللاهوتية فى الأسكندرية
وأنطاكية

لاشك أن هناك عوامل ثانوية الأهمية، إلى جانب العوامل الأساسية فى الخلافات العقيدية الإيمانية، يكون لها أثر فى تعقيد العلاقات وإساءتها بين الأطراف المتنازعة، ومن بين هذه العوامل الثانوية الخلافات الشخصية والكنسية التى تلعب دورها فى زيادة شقة الخلاف العقيدى، ثم الاختلافات فى الإتجاهات الفكرية الثابتة بين رجال من مدارس فكرية مختلفة، مما يطبع أثره على النزاع العقيدى القائم بين فريقين من رجال الدين.

ومن ذلك أن الطابع العام الذى أصبح يميز الإتجاه الفكرى فى الأسكندرية ومدرستها هو النظرة الصوفية، بينما أن إتجاه مدرسة انطاكية وأتباعها كان إتجاها عقليا ومنطقيا، ففى مسألة طبيعة السيد المسيح كان تفكير لاهوتيى مدرسة الأسكندرية متركزا بالأكثر فى لاهوت المسيح مع توكيد حقيقة الاتحاد بين لاهوت المسيح وناسوته اتحادا تاما، وقد عرّفوا هذا الاتحاد بأنه اتحاد سرى ولا يمكن إدراكه، بينما كان تفكير لاهوتيى مدرسة أنطاكية على العكس متركزا بالأكثر فى ناسوت المسيح أولا، فقد اهتموا كل الإهتمام بابراز كمال ناسوت المسيح.

وفى هذا السبيل مالوا إلى الفصل بين طبيعتين فى السيد المسيح، ولئن أقروا بالوحدة بينهما، لكنهم كانوا يلّحون على فكرة الإثنينية.

فكيرلس عمود الدين كان يقول عن المسيح أنه كائن مركب من الله والإنسان، ومع ذلك فهو أقنو م واحد بل وطبيعة واحدة.

وعلى العكس من ذلك نسطور كان يمثل إتجاه مدرسة أنطاكية فكان يرى فى المسيح إنسانا حمل طبيعة إلهية، أو هو اللوغوس مقترنا بطبيعة إنسانية - وبعبارة أخرى هو أقنومان وطبيعتان.

ديودورس وثيئودوروس

يمكن أن يقال أن الذى أنشأ تقاليد المدرسة الأنطاكية وثبتها هو العالم الكبير ديودوروس Dio-dorus الطرسوسى (توفى سنة ٣٩٤م)، وتلميذه الأشهر ثيودوروس، وهو بدوره أستاذ نسطور وربما كان هو المؤسس الحقيقى للمذهب النسطورى، وقد مثل فى حياته كما فى تعليمه روح المدرسة الانطاكية أحسن ما يكون التمثيل. ولد فى انطاكية من أسرة مشهورة سنة ٣٥٠م.

وكان تلميذا أيضا لفيلسوف سوفوسطائى مشهور هو ليبانوس Libanus (وهو من انطاكية أيضا)، وفى أثناء مدة تلمذته نشأت وترعرعت صداقته الطويلة مع تلميذ آخر لليبانوس، كسب

بفضل فصاحته وبلاغته لقب ذهبى الفم (وهو يوحنا الذى كان لابد أن يخلف أستاذه ليبانوس «لو لم يسرقه المسيحيون») وقد اندفع ثيودوروس فى حماس بالغ نحو الرهبنة وترك أستاذه ليبانوس إلى حياة النسك والمجاهدة فى الدير، ولكن لم تلبث حماسته أن بردت وحرارته أن فترت، فعاد فطمع فى الوظيفة وفى أمجاد الحياة العامة، بل ورغب أيضا فى الزواج، ولكن القديس يوحنا ذهبى الفم نجح فى إقناعه بالعدول عن ذلك، ورسم قسيسا فى الخامسة والثلاثين من عمره سنة ٣٨٣ بيد فلافيانوس Flavian أسقف انطاكية فكرس نفسه لمدة عشر سنوات لأعمال الرعاية التى تقتضيها وظيفته، مثابرا على التعليم والتأليف فى انطاكية أولا، ثم فى طرسوس Torsus بعد ذلك (نحو ٣٨٣ ـ ٣٩٣)، وفى هذه الأثناء كان قد بلغ شهرة عظيمة حتى أنه اختير أسقفا لموبسوستيا Mopsuestia فى كيليكيا Cilicia وقد أخذت شهرته كعالم ترتفع تدريجيا منذ هذا الوقت، إلى أن مات نحو سنة ٤٢٨م، «فى سلام الكنيسة وفى أعلى درجات الشهرة «متمتعا إلى النهاية بأحر عواطف الذهبى فمه، وأعظم تقدير واعتبار من جانب الامبراطور، وان عالما ممتازا كثيودورس بلغ شهرة بعيدة فى أيامه، حتى اعتبر عمودا للحق وشارحا للكتب المقدسة (١) مكرما كأسقف ورجل إدارى، يمكن لهذا كله أن يعد ممثلا محترما للفكر اللاهوتى فى الكنيسة الشرقية فى نهاية القرن الرابع. والملاحظ فى كتاباته وكانت موضع تقدير العلماء فى زمانه، باستثناء بعض منها، أنها تظهر مدى التطور الذى بلغه التعليم الخاص بشخص السيد المسيح. وقد تناول المجمع المسكونى هذه الكتابات بعد وفاة ثيودوروس، وحكم على تعليمه بالحرمان ولم يحكم عليه هو، كما حكم على تلميذه نسطور ـ الذى كان قد اختير بطريركا للقسطنطينية فى نفس السنة التى مات فيها ثيودوروس ـ لأنه عبر عن نفس الآراء التى نادى بها ثيودوروس أو ما يشبهها، ولكن بعد وفاته بنحو مائة عام حكم عليه كهيراطيقى وخارج على تعليم الكنيسة الجامعة الرسولية، وذلك فى مجمع عام عقد بالقسطنطينية فى سنة ٥٥٣. ومما يذكر أن قسيسا فى فيلادلفيا philadelphia قدم لمجمع أفسس سنة ٤٣١م صورة لإيمان

---

(١) قيل أنه وضع شروحا وتفاسير لسفر المزامير (تمتاز بأبحاثها الحرة فيما يتصل بالكاتب وتاريخ كتابة السفر) وأسفار أخرى من العهد القديم والعهد الجديد، لا يزال بعضها باقيا فى الترجمات السريانية واللاتينية إن لم يكن بأصلها باليونانى «ولكن لم يبق من الكثير منها إلا شذرات قليلة» (وقد أصبح ثيودوروس عند الكنيسة النسطورية السريانية الشرقية أعظم شارح وناقد للكتب المقدسة وقد ترجمت كتبه فورا إلى السريانية).

وإلى جانب هذه الشروح والتفاسير كتب عددا كبيرا من الرسائل العقيدية والجدلية، وكتب على الخصوص رسالة منها عن التجسد On the Incarnation بقيت منها شذرات (وقد كتب أحد خصومه بعد قرن من الزمان ردا عليها) انظر مجموعة Migne الآباء اليونانيين مجلد ٦٦ و ٨٦ ثم Leontius c. Nest et Eutych.iii 43. Swete, H.B. Swete,Theodore of Mopsuestia on the Minor Epistles on St. Paul, Appendix A. vol. ii pp. 293 ff.

واعتراف ثيئودوروس وقال إن النساطرة فى القسطنطينية أرسلوها إلى بعض الهراطقة فى ليديا Lydia ممن كانوا يرغبون فى الرجوع إلى الكنيسة الجامعة الرسولية، فقادوهم إلى أخطاء أشنع من تلك التى أرادوا أن يرتدوا عنها. انظر كتاب Hahn ٣٠٢ ـ ٣٠٨ وهذا الاعتراف اعتبره البابا كيرلس الأول ثم ماريوس ميركاتور Marius Mercator (مجموعة منى Migne للآباء اللاتين مجلد ٤٨ ص ٨٧٧) الاعتراف الرسمى للإيمان النسطورى.

ويمكن معرفة آراء ثيودوروس الخاصة مما تبقى لدينا من شذرات من كتابه «فى التجسد» ففى أطول شذره من تلك الشذرات (١) يدرس ثيئودوروس طبيعة سكنى أو حلول الله فى المسيح، يقول إنه من الواضح أن الله لا يحل فى جميع الناس لأنه قد وعد بهذا كامتياز للقديسين (لاويين ٢٦ : ١٢) . وقد رأى البعض أن السكنى المقصودة هنا هى سكنى «وجود» الله. فإذا كان ذلك كذلك فقد ترتب عليه أن يكون وجود الله محصورا فى دائرة من قال أنه يسكن فيهم، فإذا كان لهذه السكنى أو هذا الحلول أى دلالة خاصة، فيكون الله خارجا عن أى كائن آخر. وعلى كل حال فهذا مستحيل حيث أن الله غير متناه، حاضر فى كل مكان، ولا يمكن أن يحده مكان، فإذا كنا نقر أنه موجود فى كل مكان، فإننا باستخدام تعبير «الموجود» بهذا المعنى، يلزم أن نحول لكل شئ نصيبا من هذا الحلول أو هذه السكنى أيضا : لكل شئ وليس للناس فقط، بل وحتى للكائنات غير الناطقة، ولكل شئ ليست له نفس أو حياة. ولكن هذا محال، وعلى ذلك فمن الواضح أنه ينبغى أن لا نتكلم عن الحلول كما عن وجود الله. وآخرون وصفوا الحلول بأنه حلول النشاط أو القوة الفاعلة، قوة الله العاملة، لكن هذا الافتراض يثير أمامنا نفس الإشكال السابق. والسبيل الوحيد للتعبير عن الحقيقة هو استخدام لفظ المسّرة أو اللذة الصالحة أو الرضى، فسكنى الله هو سكنى الرضى الإلهى، إن الله يسر باتجاه بعض الناس، ولمسرته بهم وفيهم ولرضاه عليهم يسكن فيهم. أما بطبيعته فكما قلنا لا يمكن أن يحد أو يحصر، لأنه حاضر فى كل مكان. ولا ينطبق عليه أنه «قريب» أو «بعيد» أما بالمعنى الأخلاقى فيمكن أن يقال أنه قريب من البعض وبعيد من البعض الآخر، إنه مبتعد ومفترق من أولئك الذين ليست لهم علاقة بالطبيعة الإلهية.

والسكنى الإلهية تقوم فى أولئك الجديرين بها بسبب سجاياهم ومشاربهم الأخلاقية، وهناك درجات لهذه السكنى : فعند بعض الناس تكون أشد قربا من غيرهم، تبعا لشدة علاقتهم أو قلتها به. والسكنى فى الرسل هى تماما كالسكنى فى المسيح. لكن ثيودوروس يستنكر الفكرة القائلة بأن السكنى فى المسيح، يمكن مقارنتها فى درجتها بالسكنى فى القديسين، ويعد هذه الفكرة أقصى

---

(١) الشذرات الباقية جمعها وطبعها فريتش o.f. fritzsch سنة ١٨٤٧م ثم سويت H.B.Swete وهذه الفقرة مأخوذه من الجزء السابع من كتاب «فى التجسد» واقتبسها ليونتيوس Leontius (٤٨٥ ـ ٥٤٣) فى Nest.et Eutych ٣ : ٤٣ ـ (راجع مجموعة منى Migne للآباء اليونانيين مجلد ٨٦ ص ١٢٦٧ ـ ١٣٩٦ .

درجة فى الجنون لأنه أولا، كما يقول ثيودوروس، هو ابن الله وهذه الحقيقة ترفعه إلى مستوى آخر. ومعناها أن الله قد وحد معه تماما الإنسان الذى اتخذه، وأعده لينال معه كل الكرامة التى يشاركه فيها من يسكن فيه وهو ابنه بالطبيعة. وهكذا فان بنوة المسيح لله تدنيه إلى علاقة وثيقة بالله لا يشاركه فيها أحد آخر، لأنه يسكن فيه بدرجة فريدة لا نظير لها، وثانيا لأن هذه السكنى أيضا بدأت، تبعا لسبق علم الله، منذ بدء تكّون الناسوت فى رحم العذراء، وظهرت فى سرعة تمييزه بين الخير والشر، وإيثاره الخير دائما وكرهه للشر(١)، وفى كل هذا كان يلقى التعاون من جانب الكلمة الإلهى بحسب درجة ميله الطبيعى. (أما فى حالة القديسين فيجب أن يبرهنوا أولا على استحقاقهم لسكنى الله فيهم).

وهكذا ارتفع المسيح إلى أسمى درجة فى الفضيلة الكاملة، فقدم لنا فى شخصه المثل الأعلى الذى يجب أن نحتذ به للبلوغ إلى تلك الغاية، وثم ثالثا لأن الاتحاد الذى يتمتع به المسيح مع الله اتحاد لا يقبل الإنفكاك أو الإنحلال.

وهكذا يشرح ثيودوروس العلاقة بين اللاهوت والناسوت فى المسيح. ويتلخص مذهبه فى هذه النقطة كما يعرضه فى تفاسيره لرسائل القديس بولس فى العبارات الآتية :

«الكلمة الذى لايرى، ابن الله الوحيد أظهر نفسه فى يسوع الناصرى، ساكنا فى الإنسان واتحد به بغير انفصال. وعلى ذلك فالإنسان المسيح هو الصورة المنظورة للاهوت غير المنظور، وهو أيضا بسبب اتحاده بابن الله الحقيقى، له امتيازات البنوة الوحيدة حتى أنه يختص به أيضا لقب «ابن الله» ... ولكن إذا سئلنا، بأى معنى سكن الله فى الإنسان، ينبغى أن نجيب بأن ذلك قد تم بناء على إتجاه خاص نحوه، من إتجاه المسرة الكاملة. إن الله يملأ الكون بطبيعته غير المحدودة وجوهره غير المحصور بل هو الكل فى الكل، وهو فى المسيح يسكن فى اقنوم الكلمة، وذلك باتحاد أخلاقى كامل لانظير له، حتى أن الكلمة الإلهى والناسوت الذى اتخذه يعتبران دائما اقنوما واحدا.

وعلى ذلك فالإنسان الذى أصبح مسكنا لله الكلمة، قبل عند عماده سكنا آخر هو سكن الله

---

(١) ومع أن ثيودوروس كان يعارض أبوليناريوس فى إنكاره للحرية الأخلاقية فى المسيح، لكنه لم يكن يشأ أن تفهم الحرية على أنها حرية الاختيار، وإنما الحرية العليا عنده تقوم على الانسجام الذى لا يمكن تخيره بين الإرادة الإلهية والإرادة الإنسانية وهى نوع من الحرية تنفى عمليا كل خطيئة.

(أنظر Hefele, Councils مجلد ٣ صفحة ٥) (قارن ذلك برأى أوغسطينوس فى الإرادة الحرة بمعنى الحرية لعمله دائماً ما هو صواب).

الروح القدس، الذى بقوته صنع المعجزات، وبلغ إلى الكمال الأخلاقى، وتمم كل ما كان ضروريا لخلاص النوع البشرى (١).

أما فيما يتصل بالاتحاد بين اللاهوت والناسوت فلم يحجم ثيودوروس عن استخدام لفظ «توحيد واتحاد» ἕνωσις ولو أنه كثيرا ماكان يستعمل لفظا آخر يعنى «اتصال» أو «اقتران» συνάφεια أكثر مما يعنى «اتحاد». وكان يقول أنه مما لايليق على الاطلاق أن نتكلم عن امتزاج الطبيعتين، لأن كل منهما تحتفظ بخصائصها من غير انفكاك. «فالاتحاد» هو التعبير الدقيق الذى يعبر عن اجتماع الطبيعتين معا لتكّونا اقنوما واحدا، حتى أنه يمكن أن نقول صوابا عن اتحاد الطبيعتين «ليس هما بعد اقنومين وإنما اقنوم واحد» كما قال الرب فى حالة الرجل والمرأة «ليس هما بعد جسد واحد» ولا شك أن الطبيعتين متميزتان. لأنه كما فى حالة الزواج، كونه قد قيل عنهما جسد واحد لا يمنع أنهما إثنان بالعدد (فواضح أنهما واحد بأى معنى) هكذا فى الحالة التى نحن بصددها، وحدة الأقنوم لاتمنع اختلاف الطبيعتين (فكون الاقنوم واحدا لايمنع أن تكون الطبيعتين مختلفتين).

فهذا هو الواضح عندما ننظر إلى الطبيعتين كل على حدة، نقول أن طبيعة الكلمة الإلهى كاملة والأقنوم كامل، لأننا لا نستطيع أن نتكلم عن وجود متميز ὑπόστασις كأنه لاشخصية له.

ونقول أن الطبيعة الإنسانية كاملة، والاقنوم كامل كذلك، أما عندما ننظر إلى اقتران الأثنين فحينئذ نقول أن هناك اقنوما واحدا.

ولربما كان مفهوم الشخصية غير محدد على وجه دقيق، وربما كان الاختلاف بين كلمة «طبيعة» وكلمة «اقنوم» غير واضح أو غير حاسم، ولكن لاشك أن ثيودوروس يعنى أن ينادى بوجود طبيعة لاهوتية وطبيعة ناسوتية فى المسيح، وبوحدة اقنومه. أى أن الاقنوم الواحد يتألف

---

(١) Dr. Swote, Theodore of Mopsuestia on the Minor Epistles of st. Paul vol.1. p.p. 81 ff.

ويرى ثيودوروس أيضاً أنه بالنظر إلى شر الخطية ليس ما يدعو إلى تجسد فعلى للكلمة الأزلى، فإن إتحاد إنسان بالله اتحاداً لا يقبل الانفكاك بواسطة سكنى الكلمة سكنى دائماً يكفى للانتصار على الموت (نفس المرجع ص ٨٧). وهذا ما دعا ماريوس ميركاتور Marius Mercator إلى اتهام ثيودوروس بأنه كان من مؤسسى البدعة البيلاجية، وأنه قبل إليه يوليان وأساقفة إيطاليين آخرين كان قد نفاهم Zosimus من كراسيهم فى سنة ٤١٨م بسبب رفضهم الحكم على بيلاجيوس وكولستيوس ومع ذلك فإن ثيودوروس أذعن بعد ذلك للحكم على يوليان.

من الكلمة الإلهى (الله الكلمة) ومن الناسوت، وكل منهما كامل. والاقنوم الناتج من اتحاد الإثنين هو واحد.

ولما علم ثيودوروس أن بعض الناس ظنوا أن تعليمه يتضمن القول بابنين (فعنصر الناسوت فى المسيح هو ابن بمعنى، وعنصر اللاهوت - الله الكلمة - بالمعنى الدقيق).

استنكر ثيودوروس بصراحة هذا الاستنتاج، وأبان أن كل مقصوده هو القول بنمو وتقدم أخلاقى حر فى ناسوت المخلص، وأن يتفادى أخطاء البدعة الأبوليناريوسية.

ومن جملة تعاليمه قول (ثيودوروس) «واحد هو الإله الكلمة، وآخر هو المسيح الذى يتأثر بالأهواء النفسية والشهوات البدنية، ثم انفصل عن الشرور شيئا فشيئا. وبعد أن تبرر بأعماله وصار بلا لوم اعتمد كإنسان محض باسم الآب والابن والروح القدس فاقتبل فى عماده نعمة الروح القدس واستحق موهبة البنوة. فيسجد له - بمساواة الصورة الملكية - فى شخص الإله الكلمة. وبعد قيامته سار كاملا لا يخطئ.

وفى تفسيره للرسائل البولسية يقارن المسيح بأفلاطون ومانى وابيقورس ومرقيون، ويقول «فكما أن كلا من أولئك حين أعلن مبدأه جعل أتباعه يسمون باسمه «افلاطونيين» و «مانويين» ، «ابيقوريين» و «مرقيونيين» كذلك المسيح حين أعلن عقيدته دعى أتباعه مسيحيين (تاريخ ميخائيل الكبير ص ٢٣٧).

انظر كتاب تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية. تأليف سويريوس الجزء الثانى - بيروت ١٩٥٧ صفحة ٣٣.

نشأة النزاع النسطـــورى
نسطــور فى القسطنطينيـــة

تلك كانت التقاليد اللاهوتية التى نشأ فيها نسطور. والوسط الذى عاش فيه ومنه أخذ ثقافته. وقد ترهب فى دير يوبريبيوس Euprepius بالقرب من انطاكية، وهناك اكتسب شهرة كبيرة بسبب فصاحته وزهده، حتى اختير بطريركا للقسطنطينية، فذهب إليها فى سنة ٤٢٨م ومعه قسيسه أناستاسيوس Anastasius، وكان قسيسا بأنطاكية وهو من أتباع ثيودوروس والمعتنقين لنظرياته الدينية. وفى القسطنطينية بدأ نسطور يحمل حملة كبيرة على الهراطقة مما أثار عداوتهم له. ولكن يبدو أن قسيسه أناستاسيوس هو الذى أشعل الفتيل، على ما يقول المؤرخ سقراط(١). إذ أخذ يندد فى مواعظه بتلقيب مريم العذراء بوالدة الإله (٢) θεοτόκος ولم يكن هذا اللقب أمرا جديدا فى الكنيسة، فقد نص عليه فى الكتاب المقدس بعهديه. قال النبى أشعياء «لأنه يولد لنا ولد... ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا(٣)»، وما دام المولود إلها فوالدته تدعى بحق والدة الإله. وقالت اليصابات عند لقاء العذراء مريم، من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ، (٤) وأم الرب ووالدة الإله بمعنى واحد. ثم أن مريم العذراء دعيت فى مواضع كثيرة من العهد الجديد أم يسوع (٥). وليس ثمة فرق بين أم يسوع ووالدة الإله، مادام يسوع هو الله الظاهر فى الجسد (٦). وقد عرفت مريم بوالدة الإله فى الليتورجيات القديمة، كما ذكرها بهذا اللقب آباء الكنيسة الأوائل ومنهم أوريجينوس، والكسندر بابا الأسكندرية التاسع عشر، ويوسبيوس المؤرخ(٧)، والقديس أثناسيوس الرسولى(٨)، والقديس كيرلس الأول الملقب بعمود الدين(٩) وغيرهم. ومع ذلك نهض أناستاسيوس يعارض هذا الإجماع على هذه الحقيقة

---

(١) فى كتابه تاريخ الكنيسة ٧ : ٣٢. Genetrix.

(٢) وباليونانية θεοτόκος وباللاتينية deipara die genetrix ويترجمونها بوالدة الإله وأحيانا بأم الله، ولكن الترجمة الأولى أدق وأصح، لأن الكلمة اليونانية تعنى حرفيا «التى ولدت الله»، وهذا هو الفرق بينهما وبين μητηρ θεοῦ ومعناها «أم الله».

(٣) أش ٩ : ٦. (٤) لوقا ١ : ٤٣.

(٥) أع ١ : ١٤، مرقس ٣ : ٣١ ـ ٣٢، يو ١٩ : ٢٥، ٢٦.

(٦) ١ .تيمو ٣ : ١٦. (٧) فى كتابه تاريخ الكنيسة جزء ٥ ف٣.

(٨) فى خطبة ضد الأريوسيين خطبة ٣ف٣٣. (٩) فى كتابة .Cat ١٠ ـ ١٩.

اللاهوتيـة الواضحـة، ويقـول فـي خطبـة «لا يجـوز لأحـد أن يـدعـو مـريـم والـدة الالـه (θεοτῶκος) لأن مريم لم تكن إلا إمرأة، ومن المستحيل أن يولد الله من إمرأة» فأثار بأقواله هذه مشاعر المؤمنين، ومن ثم أصبح هذا اللقب شعارا يميز المؤمنين من الهراطقة.

وأيـد نسـطـور حملـة(١) قسيسـه أنـاسـتاسيـوس وقـال إن لقـب والـدة الإلـه (θεοτῶκος) له مذاق وثنى وهو يتعارض مع التعبيرات الواردة فى الكتب المقدسة، مثل «بلا أب ولا أم» ἀπάτωρ ἀμήτωρ الواردة فى الرسالة إلى العبرانيين ٧ : ٣ ويـقـول نسـطور أيضـا لقـد كانت مريم أماً للطبيعة الناسوتية فقط. إنما الله وحده هو ثيوتوكوس θεοτόκος وكل ما يمكن أن يقال عن مريم بحق أنها كانت مستودعا لله وأنها ولدت المسيح، فهى : θεοδῶχος أو والـــدة المسيـــح χριστοτῶκος فلقد كانت الطبيعتان الإلهية والإنسـانية مفترقتين بكل وضوح. إنما كان هناك اقتران أومصاحبه συνάφεια بينهما أو سكنى للاهوت فى الإنسان، نتج عنها اتحاد أخلاقى أو أدبى أو مشاركة عاطفية. ويقول نسطور صراحة «إنى أفصل بين الطبيعتين، أما الاحترام الذى أقدمه لهما فمتصل Separo naturas, sed conjugo reverention

ويتضح مما سبق أن الاتحاد الذى يقول به نسطور، هو اتحاد يمكن أن يوصف بحق بأنه اتحاد ميكانيكى، جمع فيه بين طبيعتين غير متجانستين ولا متوافقتين فى جوهرهما، وذلك بفعل قوة إلهية جبارة، فهو إذن ارتباط صناعى أكثر منه اتحاد حقيقى حى.

---

(١) لنسطور عظات لاتزال باقية فى الترجمة اللاتينية فى مؤلفات ماريوس ميركاتور Marius Mercator وهو إغريقى أرثوذكسى مدنى (علمانى) كان فى القسطنطينية فى زمن نسطور، وكان مهتما إهتماما بالغا بالنزاع القائم حول هذه الموضوعات. خمس من هذه العظات ضد تلقيب مريم بوالدة الإله adv. dei ge-netricem Mariam وأربع منها ضد هرطقة بيلاجيوس adv. haeresim pelagianam أما مؤلفات نسطور الأخرى فقد أبيدت، ولم يبق منها غير شذرات وردت كإقتباسات فى كتابات معارضية، مثلا فى أعمال مجمع أفسس وفى كتابات كيرلس الأسكندرى، خاصة كتبه الخمسة التى كتبها ضد تجديف نسطور، أما الأثنى عشر حرما التى كتبها نسطور ردا على حروم كيرلس الأول فلم تبق إلا فى ترجمة ماريوس السالف الذكر.

لقب والدة الإله θεοτόκος

إن تلقيب مريم بوالدة الإله هو تكريم لها هى جديرة به، وهو على ما أسلفنا يطابق نصوص الكتب المقدسة وأقوال الأباء. ولكن رفض نسطور لهذا اللقب ليس هو مجرد إهانة لمريم العذراء، أو سحب كرامة منها، وإنما يحمل معنى أبعد من هذا، ذلك أن لقب والدة الإله كما يظهر من التعبير اليونانى (θεοτόκος) يركز الإنتباه أولا على لاهوت المولود من العذراء أكثر مما يوجه النظر إلى كرامة العذراء نفسها، وهذا معناه أن المولود من مريم هو الإله المتأنس، وأن ابن الله لم يفقد بتأنسه شيئا من اللاهوت الذى كان له منذ الأزل، ثم إن هذا التعبير «والدة الإله θεοτόκος يوضح حقيقة أخرى، أن المولود من مريم لابد أن يكون له كل ما للإنسان. فناسوته حقيقى، وليس خيالا، وقد ولد وهو الإله المتأنس ولادة حقيقية، ولم تكن ولادته خيالية أو ظاهرية.

ولئن سميت مريم العذراء بأم الله μητὴρ θεοῦ وأم النور الحقيقى، كما جاء فى مقدمة قانون الإيمان النيقاوى، إلا أن التعبير «والدة الإله θεοτόκος ، أكثرها وضوحا فى بيان أن العذراء مريم حملت فى أحشائها الله المتأنس، وأنها ولدته أو خرج من بطنها، فهى إذن ليست أصلا للاهوت أو مصدرا له حاشا : إذ هى مخلوقة به، لكنها حملته ثم ولدته فهى بحق تدعى والدة الإله بهذا المعنى. وبهذا المعنى عينه تفهم الألقاب الأخرى مثل «أم الله» و «أم النور الحقيقى» وما إلى ذلك.

كيرلس الأسكندرى
ورفضه تعليم نسطـــــــور

لم يكن إذن رفض نسطور تلقيب العذراء بوالدة الإله إلا نتيجة لسوء إعتقاده فى السيد المسيح. ولو كان يعتقد فى المسيح أنه الإله المتأنس لما كان يعترض على لقب «والدة الإله» وهذا هو ماقاله البابا كيرلس الأول البابا الرابع والعشرون من باباوات الأسكندرية، أعظم لاهوتى زمانه، وهو أكبر خصوم نسطور والنسطورية، ولذلك لقب بكيرلس عمود الدين. وقال القديس كيرلس أن بعض الرهبان رفضوا أن يقولوا عن المسيح أنه هو الله، واعتبروه أداة أو واسطة للاهوت فقط، واتهم نسطور بأنه أنكر لاهوت المسيح. وفى عيد الفصح عام ٤٢٩م أصدر البابا كيرلس عرضا مفصلا لهذه المسألة، مظهرا مدى شر المذهب النسطورى، وأثار ثائرة الرهبان المصريين ورجال الإكليروس فى القسطنطينية، وسيدات البلاط الامبراطورى، وأخذ يكتب لنسطور برسائل تلتهب حمية وحرارة، يخطئه فيها لذهابه مذهبه الفاسد فى فهم طبيعة السيد المسيح، وفى أغسطس عام ٤٣١ عقد كلستينوس أسقف روما مجمعا أدان فيه نسطور كما عقد كيرلس بابا الأسكندرية مجمعا فى الأسكندرية أيّد فيه حكم مجمع روما، وأرسل القرار إلى القسطنطينية فى شهر نوفمبر من تلك السنة ٤٣١، مع رسالة مستفيضة وإثنى عشر حرما، وفيها حمل البابا كيرلس حملة كبيرة على المدرسة الأنطاكية بأسرها. عرفت هذه الرسالة بالرسالة الثالثة إلى نسطور(١)، كما عرفت أيضا بالرسالة المجمعية Epistola synodica وهى رسالة بالغة الأهمية فى عرض العقيدة الأرثوذكسية، وهى الأساس الذى تقوم عليه الحروم الإثنى عشر. وقد ردّ نسطور على الحروم بإثنى عشر حرما من قبله (٢).

حروم البابا كيرلس وردود نسطور عليها

هذه الحروم من كلا الطرفين تكشف بما فيه الكفاية من الوضوح عن نقط الخلاف بينهما :

١ ـ يؤكد البابا كيرلس أن عمانوئيل (الابن المتجسد)هو الإله بالحقيقة، ولهذا فإن القديسة العذراء هى والدة الاله θεοτόκος لأنها ولدت (باسلوب جسدى) كلمة الله الذى صار جسدا.

---

(١) وقد نشرها هيرتلى Heurtley فى كتابه de, Fide et symbolo ونشرها هن Hahn الحروم الإثنى عشر مع الترجمة اللاتينية التى نشرها ماريوس ميركاتو Marius Mercator ص ٣١٢ ـ ٣١٦ (وأما الترجمة الانجليزية فتوجد فى كتاب Hefele councils الجزء ٢ص ٣١ وما يليها.

(٢) لم تبق حروم نسطور الإثنى عشر إلا فى الترجمة اللاتينية التى نشرها ماريوس ميركاتور Marius Merca-tor كما نشرها أيضا Hahn فى كتابه صفحات ٣١٦ ـ ٣١٨.

ويجيب نسطور أن عمانوئيل يجوز أن يسمى الله الكلمة، بل بالأحرى «الله معنا» بمعنى أنه باتحاده بمكوناتنا التى أخذها من العذراء، سكن فى الطبيعة التى تشبه طبيعتنا، ولا يجوز للقديسة العذراء أن تسمى أم الله الكلمة، بل أم الذى هو عمانوئيل، ولا أن يقال عن الله الكلمة نفسه أنه تحول إلى الجسد الذى اتخذه لغرض إظهار لاهوته حتى يصير مولودا كإنسان.

٢ ـ ويؤكد البابا كيرلس أن كلمة الله الآب قد اتحد اقنوميا بالجسد، وهو مع جسده مسيح واحد ـ إله واحد بعينه وإنسان معا.

ويجيب نسطور بأن يحرم من يقول «فى شأن الاتصال الذى حدث بين كلمة الله والجسد، أن هناك إنتقالا قد حدث للجوهر الإلهى من مكان إلى مكان، وأن الجسد أصبح قادرا أن يحتوى الطبيعة الإلهية، وأن الطبيعة الإلهية اتحدت جزئيا بالجسد، أو من ينسب إلى الجسد امتدادا لانهائيا، حتى أنه يمكن أن يحتوى أو يقتبل الله، مع أن الطبيعة الإلهية لايمكن أن تحتويها حدود الجسد، ويقول أن الطبيعة نفسها هى الله والإنسان معا.

٣ ـ يحرم البابا كيرلس رأى أولئك الذين يقسمون المسيح الواحد إلى أقنومين بعد الاتحاد، ولايصلون بينهما إلا بنوع من اتصال مشرف أو بفعل قاهر من سلطة أو قوة، وليس بالحرى نتيجة توافق أو تركيب ينجم عنه اتحاد طبيعى.

ولكن نسطور يصر على أن المسيح الذى هو عمانوئيل لايجوز أن يدعى واحدا بالنظر إلى طبيعته، وإنما بالنظر إلى الاتصال بين الطبيعتين، وعلى أن هناك مركبا واحدا تألف من الجوهرين (جوهر الله الكلمة وجوهر الإنسان الذى اتخذه)، هو الابن، وأن الجوهرين لا يزالان يحتفظان بهذا التركيب من غير «اختلاط».

٤ ـ تشتمل الكتب المقدسة على أقوال قالها المسيح عن نفسه، وقالها آخرون عنه، بعضها على ما يظهر تنطبق عليه كإنسان، وبعضها ينطبق عليه باعتباره الكلمة. والبابا كيرلس يحرم منهج التفسير الذى يفصل هذه الأقوال إلى نوعين، وينسب كل نوع منها إلى شخص أو اقنوم كأنه مستقل أو منفصل عن الآخر.

أما نسطور فيجيب بأن المسيح من طبيعتين وإذا فهمنا هذه الأقوال كما لو كانت قد كتبت عن طبيعة واحدة، فكأننا ننسب إلى كلمة الله إحساسات وأهواء بشرية.

٥، ٦، ٧، ٨ ـ يعترض البابا كيرلس على تسمية المسيح بأنه إنسان حامل الله θεοφορος ἄνθρωπος بدلا من تسميته بالله الحقيقى والابن الواحد بالطبيعة، كما يعترض على تسمية الكلمة بإله المسيح أو رب المسيح. وينكر قول القائلين أن الكلمة الإلهى كان يعمل فى يسوع بصفته إنسانا، وأن مجد الابن الوحيد كان ينسب إليه كشئ غريب عنه،

كما يحرم من يقول أن الإنسان الذى اتخذه الكلمة الإلهى يجب أن يعبد ويمجد مع الكلمة الإلهى، وأنه مع الكلمة الإلهى يدعى الله، كأنه متميز عنه (ومختلف عما هو كائن فيه) ولكنه يقول أننا يجب أن نقدم لعمانوئيل عبادة واحدة وتمجيدا واحدا.

أما نسطور فيحرم من يقول أن ابن الله بعد اتخاذه الإنسان، صار واحدا بالطبيعة أو بالطبع. أو من يقول أن أحدا غير المسيح بعد التجسد يمكن أن يسمى باسم الله الكلمة. أو من يقول أن «صورة العبد» التى كانت مع الله الكلمة لم يكن لها ابتداء، أو أنها كانت غير مخلوقة شأنها شأن الله الكلمة بدلا من أن يقر أنها مخلوقة بواسطة الله الكلمة، باعتبار أنه ربها وخالقها وإلهها بالطبيعة.

ويقول نسطور أيضا لا يجوز لنا أن نقول أن الإنسان الذى خلق من العذراء هو الابن الوحيد الذى ولد من الآب قبل نجمة الصبح، ولو أنه معروف بلقب الابن الوحيد بسبب اتحاده بمن هو بحسب طبيعته الابن الوحيد للآب، وفيما يتصل بمسألة العبادة يجيب نسطور قائلا أن العبادة لا يمكن أن تقدم «لصورة العبد» ذاتها لأن «صورة العبد» لا تحترم إلا بفضل الشركة التى تصل بها وتربطها مع طبيعة الابن الوحيد التى هى مقدسة وسامية بطبيعتها.

٩ ـ يستنكر القديس كيرلس التعليم القائل أن الرب الواحد يسوع المسيح قَبِلَ مجدا من الروح واستخدم القوة التى له بواسطة الروح، باعتبارها ليست له وخارجة عنه، كما قَبِل أو أخذ من الروح قوة الفعل لإخراج الأرواح النجسة وصنع المعجزات على الناس، وينادى القديس كيرلس أن الروح التى بواسطتها صنع الرب يسوع المسيح هذه العلامات كانت روحه هو (وهذا ضد تعليم المدرسة الأنطاكية فيما يتصل بالروح القدس، وخاصة تعليم ثيودوروس).

أما نسطور فيحرم القائلين بأن الروح القدس مساو فى الجوهر «لصورة العبد» ولا يفسرون معجزات الشفاء وقوة إخراج الشياطين عن طريق الاتصال والاقتران الذى يوجد بين الروح والله الكلمة من نفس تصوّره.

١٠ ـ يحرم البابا كيرلس الرأى القائل بأنه لم يكن كلمة الله نفسه الذى أصبح رئيس كهنتنا ورسولنا وإنما «الإنسان الذى ولد من إمرأة» الذى ينظر إليه على إنفراد متميزا من «الكلمة» كما يحرم الرأى القائل بأن كلمة الله قَدّم الذبيحة عن نفسه وعنا.

أما نسطور فيقول أن رياسة الكهنوت والرسولية هى لعمانوئيل وليست للكلمة، وأن أجزاء القربان كان ينبغى أن تنسب إلى الذى وحّد كل على حدة، معينا ما لله لله ومالإنسان للإنسان، وهذا معناه فيما يبدو أن اللوغوس هو الذى يوحّد وأنه يقدم ذبيحة الناسوت الذى اتحد.

١٢,١١ ـ وفى الختام يطلب القديس كيرلس الاعتراف بأن جسد الرب محيى، وأنه يختص

بكلمة الله الآب. ولا يجوز أن يعتبر الجسد خاصا بأحد آخر ممن يقترن به فقط أو يتمتع بالسكنى الإلهية. إن جسد الرب محيى من حيث أنه أصبح جسد الكلمة، الذى له القدرة على أن يحيى جميع الكائنات، ويجب أن نعترف بأن كلمة الله تألم فى الجسد، وأنه صلب فى الجسد، وذاق الموت فى الجسد وأصبح البكر من بين الأموات.

أما نسطور فيصر على أن الجسد الذى اتحد مع كلمة الله، ليس محييا بأية خاصية فى طبيعته، وأن الله الكلمة لم يصر جسدا فيما يختص بجوهره، وأن آلام الجسد ينبغى ألا تنسب إلى كلمة الله والجسد الذى اتحد به، بدون تمييز بين درجات الشرف التى تتعلق بالطبائعْ المختلفة.

قيمة تلك الحروم

من الواضح فيما يتصل بجميع النقاط تقريبا التى تضمنتها تلك الحروم، أن كل فريق قد وضع فى صورة قائمة كل النتائج التى يمكن استخلاصها من تعليم الفريق الآخر، ولم يكن نسطور يجيب على حروم البابا كيرلس بالنفى المباشر إلا نادرا. كان دائما يتصور فى باطن كل فكرة سببا لرفضها على أنها فكرة باطلة، ولهذا كان يستنكرها. وكذلك الأمر فيما يتصل بحروم البابا كيرلس إذ يبدو أنها كانت تنصب على ما يمكن أن يستنبط من تعليم نسطور، أكثر مما كانت تنصب على تعبيرات نسطور نفسها. على أن حروم البابا كيرلس لاقت قبولا إجماعيا، ولو أن بعض هذه الحروم اتهم بالأبوليناريوسية، ولاسيما من جانب المدرسة الأنطاكية ولهذا عارضها على الخصوص يوحنا الأنطاكى وثيودوريت. وقد قرئت هذه الحروم مع الرسالة التى ذيلت فيها، فى مجمع أفسس، وصودق عليها ولكن لم يلتفت إليها فى مجمع خلقيدونيا.

رسالة البابا كيرلس

نسب إلى الرسالة الثانية للبابا كيرلس كثير من الاعتبار، وهى الرسالة المعروفة بالرسالة العقيدية، كتبها فى الشهور الأولى لسنة ٤٣٠م (١) وقد صادق عليها المجمعان. وفيها أخذ القديس كيرلس على نفسه مهمة شرح قانون الإيمان، وماذا يعنيه من أن كلمة الله تجسد وتأنس ومالا يعنيه.

أنه لايعنى أن هناك تغيرا فى طبيعة الكلمة، أو أنها تغيرت إلى إنسان ككل (جسدا ونفسا) وإنما بالحرى أن الكلمة وحّد نفسه أقنوميا مع جسد ذى نفس ناطقة، وقد صار إنسانا بصورة لاتوصف ولايمكن إدراكها، ودعى «ابن الإنسان» ليس لمجرد أنه أراد ذلك أو سر به ولا بمعنى

---

(١) وقد نشرها هيرتلى Heurtley كاملة فى كتابة De fide et symbolo ص ١٨٢ وما يليها، كما نشر الجزء الأكبر منها فى كتاب Hahn ص ٣١٠.

أنه قد لعب دورا فقط، ولكن بينما أن الطبيعتين اللتين اجتمعتا معا لتؤلفا وحدة، هما مختلفتان، تكّون منهما مسيح واحد وابن واحد. لكن الإختلاف بين الطبيعتين لم يزل بسبب الاتحاد، بل بالحرى أن اللاهوت والناسوت قد تلاقيا بصورة غريبة لا يعبر عنها ليؤلفا منهما اتحادا، وفعلا قد نتج لنا من اتحادهما الرب الواحد والابن الواحد يسوع المسيح. إنه بهذا المعنى قيل عنه أنه ولو أنه كائن قبل الدهور ومولود من الآب منذ الأزل إلا أن له مع هذا ميلادا بالجسد، حيث أنه من أجلنا ومن أجل خلاصنا قد اتخذ له طبيعة بشرية واتحد بها كاقنوم، وولد من إمرأة. وليس هذا معناه «أن إنسان عاديا ولد أولا من القديسة العذراء، وبعد ذلك نزل الكلمة عليه» ولكن معناه «حيث أن الاتحاد قد تم فى رحم العذراء نفسه، فقد قيل أنه ولد جسديا حيث أنه قد جعل ميلاد جسده ميلادا له».

وبالمثل يمكن أن نفسر كيف تألم وقام من بين الأموات، إن اللاهوت لايمكن أن يتألم من حيث أنه غير جسدانى. والكلمة الإلهى لم يقبل فى طبيعته (الإلهية)، الضرب أو ثقب المسامير، أو الجراحات الأخرى «ولكن حيث أن الجسد الذى أصبح جسده هو الذى احتمل هذه الأمور، فلذلك قيل انه هو نفسه قد تألم عنا. لأن الذى لا يمكن أن يتألم كان فى الجسد الذى كان يتألم «وعلى هذا النحو نقول أن كلمة الله بطبيعته خالد وغير فان، وهو الحياة وواهب الحياة». ولكن من حيث أن جسده هو الذى بنعمة الله قد ذاق الموت عن كل واحد، قيل عنه أنه هو نفسه قد احتمل ذلك الموت عنا، غير أنه طبعا لم يذق الموت فى طبيعته - فمن الجنون أن نقول بهذا أو حتى أن نفتكر فى هذا - ولكن (بمعنى) أن جسده قد ذاق الموت، وبالمثل فإن جسده هو الذى قام ولهذا قيل أن القيامة هى قيامته هو.

ولما كان اللوغوس واحدا تماما مع اللحم والبدن اللذين له، لهذا فنحن نعترف بمسيح واحد ورب واحد. ونعبده لأنه الواحد بعينه (وليس كما لو أننا نعبد إنسانا مع اللوغوس) ولا نجعل أى تفريق فى هذا الخصوص بين اللوغوس والناسوت، وإذا اعترض أحد على هذا الاتحاد الاقنومى وقال أنه لايمكن إدراكه أو أنه غير مستساغ، فإنه لا يستطيع أن يفلت من خطأ الكلام من «ابنين»، ولكن لايجوز أن يقسم الرب الواحد يسوع المسيح إلى ابنين، ثم أنه لامصلحة لنا فى الكلام بطريقة تشاؤمية عن اتحاد «أشخاص»، لأن الكتاب المقدس لم يقل أن اللوغوس قد وحد معه شخص الإنسان، بل قال أنه صار جسدا، وقوله أن الكلمة صار جسدا هو تماما القول بأنه أخذ دما ولحما كما نحن، أى أن الناسوت الذى أخذه كان غير شخص، أما كيفية الاتحاد ونتيجته فقد كانت شخصية ثم أنه ظل الله دائما، وولادته البشرية فى الزمان لم تنقص من ولادته الإلهية منذ الأزل، أنه جعل جسدنا جسده وولد من إمرأة كإنسان، ولم يفقد بهذا كونه هو الله وكونه مولودا من الله أبيه، فمع أنه اتخذ له جسدا لكنه ظل كما كان.

«ويقول القديس كيرلس أن الإيمان الذى علّم ويعلم به هو الإيمان الذى علمت وتعلم به الكنيسة دائما. فتعليمه هو تعليم الكنيسة بكل تدقيق. ويختم البابا كيرلس رسالته بشرح لاستعمال تعبير» والدة الإله θεοτόκος بهذا المعنى جرؤ الآباء القديسون على أن يتكلموا عن القديسة العذراء ويصفوها بأنها «والدة الإله»، θεοτόκος لابمعنى أن طبيعة اللوغوس أو لاهوته قد قبل من القديسة العذراء ابتداء وجوده، ولكن بمعنى أن الجسد المقدس قد ولد فيها واتخذ نفسا ناطقة.

وحيث أن اللوغوس قد اتحد بهذا الجسد اتحادا اقنوميا، فقد قيل أن اللوغوس قد ولد جسديا، ومعنى هذا أن العذراء هى والدة الإله لأنها ولدت الإله المتأنس، لا لأنها أصل اللاهوت أو مصدرا له.

تعليم الآباء القديم فى الكنيسة
خاصة بهذا الموضوع

لاشك أن القديس كيرلس كان محقا كل الحق فى استناده فى تعليمه إلى آباء الكنيسة، فقد كان يستعمل أحيانا ذات الألفاظ التى استعملها السابقون عليه من الآباء، من أمثال ترتليانس وأوريجينوس، وأثناسيوس الرسولى وهو أعظم معلمى الكنيسة بلا منازع.

فترتليانس فى رسالة له ضد براكسياس Praxeas يقول أن الله أزلى لايقبل التغير، ولا يمكن أن يتحول. فإن قبوله للتحول معناه أن يتوقف عن أن يكون إلها، لكن اللوغوس لم يتوقف عن أن يكون ماكانه قبلا، فإذا كان اللوغوس أصبح بالحقيقة جسدا بأية عملية من عمليات التشكل أو تغير الجوهر، فإن يسوع يصير على هذا جوهرا جديدا تكون من جوهرين، وكأنه نوع من مزيج أو خليط، فهو جوهر ثالث، ولكن ليس هناك فى الواقع نوع من المزج أو الخلط، إذ أن كل جوهر لازال محتفظا بخواصه، فمن كان ابن الله بالنظر إلى اللاهوت كان إنسانا وابن إنسان نظرا إلى الناسوت.

ويقول العلامة أوريجينوس «أن اللوغوس صار جسدا ومع ذلك بقى إلها كما كان»(١) ثم «إن ابن الله الذى به خلقت جميع الأشياء يسمى يسوع المسيح وابن الإنسان. فابن الله قيل أنه مات، ولكن بالنظر إلى تلك الطبيعة التى يمكن أن تقبل الموت، والذى أعلن عنه أنه يزمع أن يأتى فى مجد الله الآب مع الملائكة القديسين يسمى ابن الإنسان. ولهذا السبب، فإنه فى كل الكتب المقدسة تطبق المحمولات الإنسانية على الطبيعة الإلهية بل والطبيعة الإنسانية تزين بألقاب الكرامة الإلهية» (٢). ويقول أوريجينوس أيضا فى تفسيره للرسالة إلى الرومانيين Commen-tary on the Epistte to the Romans «أنه بسبب الاتحاد الذى لاينفك بين الكلمة والجسد، كل شئ يختص بالجسد ينسب أيضا إلى الكلمة وكل ما يختص بالكلمة يحمل على الجسد» (٣).

وكتب القديس أثناسيوس الرسولى فيما يختص بالآلام وسائر تجارب الطبيعة البشرية يقول : «لهذا السبب فإن صفات الجسد الخاصة كالجوع والعطش والتعب وما إليها مما هو فى إمكان الجسد تحمل عليه (أو توصف كأنها له) لأنه هو كان فيها، بينما من جهة أخرى، إن الأعمال الخاصة باللوغوس نفسه كإقامة الموتى، ورد البصر إلى الأعمى وشفاء المرأة النازفة الدم، قد صنعها بجسده. وقد احتمل اللوغوس ضعفات الجسد كأنها ضعفاته هو لأن الجسد كان جسده.

---

(١) كتاب المبادئ لأوريجينوس المقدمة ف٤.

(٢) كتاب المبادئ لأوريجينوس جزء ٢ ف ٦ ف ١٣.

(٣) أورد هذا النص المؤرخ هيفليه Hefele فى كتابه المجامع Councils جزء ٣ ص ٨.

والجسد خدم أعمال اللاهوت لأن اللاهوت كان فيه، إذ أن الجسد كان جسد الله، وعندما تألم الجسد لم يكن اللوغوس خارجا عنه، ولهذا فإن الآلام كانت آلامه هو، وعندما اجترح باسلوب إلهى أعمال ابيه لم يكن الجسد خارجا عنه. ولكن الرب صنعها فى الجسد نفسه (١).

ويقول فى موضع آخر «لأنه هو نفسه يسمح أن تحمل عليه الصفات الخاصة بالجسد، حتى يتبين أن الجسد لم يكن جسد غيره بل جسده هو عينه» (٢).

---

(١) أثناسيوس : الخطب ضد الأريوسيين : خطبة ٣ف ٣١ ـ ٣٣ قارن أيضا خطبة ٤ف ٦,٧.

(٢) De sent - Dionys : ٢٦ قارن أيضا. Epiphantus Ancorat 36 & 95.

Epiphanius, adu. Haer. 69:24, 42 ; 72 ; 23.

مجمع أفسس سنة ٤٣١
وانتصار البابا كيرلس

وقع الأمبراطور ثيئودوسيوس تحت تأثير نسطور، فاتهم القديس كيرلس بأنه يعمل على تعكير السلام وإثارة الشغب، فدعا باتفاق الأساقفة إلى مجمع مسكونى لمعالجة المسائل المختلف عليها، فانعقد فى أفسس فى أيام الخمسين المقدسة من السنة التالية أى فى سنة ٤٣١م.

وقد وصل إلى أفسس نسطور ومعه أساقفته، كما وصل إليها البابا كيرلس ومعه نحو خمسين أسقفا من أساقفته، وصلوا جميعا قبل الموعد المحدد لإنعقاد المجمع. وبعد بضعة أيام من عيد العنصرة كان قد وصل معظم الذين وجهت إليهم الدعوة للإجتماع. ومع ذلك لم تكن وصلت بعض الشخصيات الهامة : منهم يوحنا مطران انطاكية وأساقفة ايبارشيته فقد تأخروا فى الطريق، وكانوا قد أرسلوا كلمة أنهم قادمون على وجه السرعة ما أمكنهم ذلك. ويقال كما ذكر هيفيلية فى كتابه المجامع (١) . أن إثنين من الأساقفة من إيبارشية أنطاكية رويا أن يوحنا أمرهما أن يبلغا البابا كيرلس أن يعقد المجمع ولا ينتظر حضوره، مما دعا البعض إلى الإعتقاد أن المطران يوحنا لم يشأ أن يكون حاضرا إدانة نسطور، وهو قسيسه السابق وصديقه. ومع ذلك فإن الأسقفين الآنفى الذكر قد وقّعا بعد ذلك على احتجاج ضد أعمال البابا كيرلس فى مجمع أفسس، ومهما يكن من أمر، فالمعروف أن البابا كيرلس انتظر أياما كثيرة حتى يصل يوحنا وأساقفته فلم يصلوا، فاعتزم أن يفتتح المجمع، وفعلا عقد أول جلسة للمجمع فى صباح يوم ٢٢ يونيو سنة ٤٣١، على الرغم من اعتراض مندوب الأمبراطور ونحو سبعين أسقفا (منهم ثيودوريت Theodoret of cyrrhus) وعلى الرغم من رفض نسطور الظهور أمام المجمع. وقد دام انعقاد تلك الجلسة فى ذلك اليوم الأول من الصباح إلى المساء، استصدر المجمع فيها قرارا إجماعيا من مائتى أسقف بحرم نسطور. وقد تعرّض نسطور وأصدقاؤه لبعض أعمال العنف من جانب شعب مدينة «أفسس» ولكن حرس المندوب الأمبراطورى كانوا فى حماية نسطور وأتباعه، فأوقفوا امتداد وسائل العنف التى قام بها شعب المدينة، وحدث بعد ذلك بأيام أن وصل يوحنا الأنطاكى يصحبه أربعون أسقفا سوريا.

وفى الحال عقد مجمعا حكم فيه بتجريد البابا كيرلس وميمنون Memnon أسقف أفسس من درجاتهما الكهنوتية، بحجة عدم قانونية الاجراءات التى مضيا فيها. ولكن المجمع برياسة البابا كيرلس أخذ يوالى عقد جلساته، وحاول يوحنا الأنطاكى وأتباعه أن يكسبوا تأييد الأمبراطور لقرارهم، واتهموا البابا كيرلس بالآبوليناريوسية وبأعمال العنف والظلم. فقرر الأمبراطور اعتماد قرارى الفريقين. وعلى ذلك أمر باعتقال البابا كيرلس وميمنون أسقف أفسس ثم نسطور أيضا، وسجنهم جميعا وتم ذلك فى أوائل أغسطس من تلك السنة. وعاد الأمبراطور فاطلق سراح البابا كيرلس وميمنون الأفسسى، أما نسطور فظل حبيسا فى ديره القديم، دير يوبربيوس Euprepius وحل محله فى كرسيه أسقف جديد.

---

(١) مجلد ٣ ص ٤٥.

شروط الاتفاق بين البابا كيرلس والأنطاكيين
وثيقة الاتحاد

لم يقنع الأنطاكيون بما صارت إليه الأمور، وتدخل بعض الراغبين فى السلام للوصول إلى اتفاق بين الطرفين. وبعد بحث طويل اتفق على أن يرسل إلى الأسكندرية رسول يحمل معه صيغة لقانون إيمان جديد لعلها تنال رضى القديس كيرلس واستحسانه. وفعلا جاء الرسول إلى الأسكندرية وهو بولس أسقف ايميسا Emesa، وكان ذلك فى عام ٤٣٣ . وقد اشتملت الصيغة الجديدة على ما يأتى :

«لذلك نعترف بربنا يسوع المسيح ابن الله، الابن الوحيد. الإله التام والإنسان التام، وهو ذو نفس عاقلة وجسم : وهو مولود من أبيه من حيث لاهوته قبل الأجيال. ولكنه ولد فى الأيام الأخيرة من أجلنا ومن أجل خلاصنا، من مريم العذراء من حيث ناسوته : وهو مساو للآب فى الجوهر من حيث لاهوته، ومساو لنا من حيث ناسوته، فإنه قد تم اتحاد بين الطبيعتين، لهذا فنحن نعترف بمسيح واحد، ابن واحد، رب واحد، وتبعا لهذا الإعتقاد بالاتحاد من غير اختلاط، نعترف بالقديسة العذراء أنها والده الإله θεοτόκος ، لأن الله الكلمة قد تجسد وتأنس، وبنفس الاعتقاد قد وحّد مع ذاته الهيكل الذى قبله منها (من العذراء) ونحن نعلم، أن اللاهوتيين ينسبون بعض تعبيرات الإنجيليين والرسل فيما يختص بالرب، كأنها تشير بصفة عامة إلى أقنوم «شخص» واحد، ويخصصون تعبيرات أخرى بأنها تشير إلى طبيعتين، فما كان منها ذا طابع إلهى يشير إلى لاهوت المسيح، وأما الوضيعة منها فتشير إلى ناسوته».

والملاحظ فى هذه الصيغة الجديدة أنها توافق الأنطاكيين أكثر مما توافق رأى الأسكندرية، ولكنها اعترفت صراحة بتلقيب العذراء بوالدة الإله، كما استخدمت لفظة الاتحاد بدلا من اتصال أو اقتران أو مصاحبة وما إليها من تعبيرات.

وقبل البابا كيرلس هذه الصيغة وأدرجها فى جوابه، وقبل يوحنا الأنطاكى من جانبه الحكم الذى صدر بحرم نسطور، كما وافق على حرم «تعاليم نسطور الفاسدة» وزاد البابا كيرلس فدافع عن نفسه فى رسالته ضد الذين أساءوا فهم موقفه، أو تفهم عبارته، وقد سأل يوحنا الأنطاكى مساعدته فى منع الأفكار العقيمة القائلة بالخلط أو المزج بين اللوغوس والجسد، أو بأى نوع من التغير على الاطلاق فى الطبيعة الإلهية «إذ أن الطبيعة الإلهية تبقى دائما على ما كانت، ولايمكن أن تتغير».

عدم رضى الفريقين بهذه التحديدات

على أن ذلك الاتحاد لم يكن مرضيا لكل من الفريقين، وذهب بعض أتباع البابا كيرلس إلى

أنه قد أقر الأخطاء النسطورية، وآخرون أساءوا فهم المصطلحات والتعبيرات التى عبر بها كيرلس، ولكن آخرين ذهبوا إلى أبعد من هذا، فأنكروا صراحة التعليم الذى علم به كيرلس. أما البابا كيرلس فقد كتب عدة رسائل يشرح فيها معنى الاتحاد الذى يقول به بين اللاهوت والناسوت(١)، وقال إن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت اتحاد كامل من غير اختلاط بينهما. والخطأ الذى وقع فيه النساطرة هو أنهم لم يعترفوا باتحاد حقيقى بين اللاهوت والناسوت. ويقول كيرلس أننا لانجيز الفصل بين الطبيعتين، ونعلم فقط بالتمييز بينهما تمييزا ذهنيا. وفيما يتصل بالأفعال المنسوبة إلى السيد المسيح فى الكتب المقدسة، لانقول أن بعضها يختص فقط بكلمة الله وبعضها الآخر يختص فقط بابن الانسان، وإنما نقول أن بعضها يختص فقط باللاهوت والبعض الآخر يختص فقط بالناسوت. وهذه وتلك على السواء تنتسب إلى الابن الواحد بعينة.

فالبابا كيرلس يقر بكل وضوح بالتمييز بين اللاهوت والناسوت، ويصر على أنه ليس ثمة أى نوع من الاختلاط أو المزج بين اللاهوت والناسوت. ولو أنه يعود إلى التوكيد بأن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت اتحاد كامل تام، بحيث أن التمييز فى المسيح المتجسد بين لاهوته وناسوته تمييز ذهنى لا واقعى، وتمييز فى أذهاننا نحن لا فى شخص المسيح وأقنومه. وأن مركز الشخصية فى المسيح كان هو الكلمة الذى «ظل دائما على ما كان عليه» قبل التجسد.

هذا التعليم الذى علم به كيرلس ماكان للنساطرة أن يقبلوه، وظنوه تعليما يتعارض مع الاعتراف الكامل بناسوت المسيح.

مناحى القوة ومناحى الضعف
فى البدعة النسطورية

لعل قوة المذهب النسطورى تبدو أوضح ماتكون فى ادراكها الواضح لحقيقة ناسوت السيد المسيح. قالوا أن مخلص البشر اجتاز تجارب الحياة التى يجب أن يجتاز بها أى إنسان عادى، وإذن فلقد أدت النسطورية للكنيسة خدمة جلّى فى هذا السبيل، إذ أكدت كمال ناسوت الفادى، فقطعت الطريق أمام كل نظرية تنفى عمليا ناسوت المسيح وتهدم عمل الفداء من أساسه.

ولكن ما أعطته النسطورية بإحدى يديها انتزعته باليد الأخرى، ذلك أنها فشلت فشلا كاملا فى بيان أن لاهوت المسيح وناسوته قد اجتمعا معا فى اتحاد كامل من غير اختلاط ولا امتزاج

---

(١) منها رسالة إلى اكاكيوس وهى الرسالة رقم ٤٠ ورسالة إلى يولوجيوس Eulogius وهى الرسالة رقم ٤٤، ورسالة إلى فالريان وهى الرسالة رقم ٥٠، والرسالة إلى سكسوس Successus وهى الرسالة رقم ٤٥، راجع مجموعة منى Migne مجلد ٧٧ ص ١٨١ وما يليها ثم المجامع الهيفيلية جزء ٣ ص ٢٤٠ وما يليها.

ولا تغيير، اتحاد حيّ دائم لايقبل الانفكاك أو الانحلال. إن النسطورية قالت بنوع من الاتحاد، أو هو فى الحقيقة على حد تعبير نسطور هو اقتران أو مصاحبة أو ازدواج، وإذا كان يمكن أن يسمى اتحادا فهو اتحادا أدبى أو أخلاقى، أو بالحرى هو اتحاد خارجى، وليس اتحادا حقيقيا حيا ثابتا، هو اتحاد أقرب ما يكون إلى نوع من التآلف بين كائنين متميزين فى طبيعتهما وجوهرهما. ومن هنا فإن النسطورية قد أساءت إلى حقيقة التجسد وبالتالى إلى حقيقة الكفارة والفداء، فجعلت التجسد بلا معنى، وأفرغته من كل قيمته ومعناه. وإذا كان هدف التجسد هو الفداء، فقد جعلت الفداء أيضا بلا ثمر. لأن قيمة الفداء هى فى أن الذى مات عن البشر هو الإله المتأنس، ولاتصير له هذه القيمة إلا على أساس الاتحاد الكامل الحقيقى بين اللاهوت والناسوت، لقد قال النساطرة أن المسيح كان إلها وإنسانا معا. وكانت له خبرات الطبيعتين فآمنوا بطبيعتين فى المسيح اجتمعتا معا فى نوع من الازدراج كما قلنا. وبذلك فشلوا تماما فى إدراك فكرة أن الله صار إنسانا، وهو المعنى الذى أوضحه الإنجيل وفهمته الكنيسة الجامعة الرسولية، أن الله تنازل ليولد كإنسان، إتضع ليتخذ طبيعة بشرية، ويحيا حياة بشرية، ومن دون أن يفقد شيئا من ألوهيته. وفى هذا ينحصر معنى الاتحاد الحقيقى الذى لايقبل بحال ما نوعا من الإنحلال، بينما أن النساطرة فهموا المسألة منذ الابتداء على أساس استبعاد إمكانية الاتحاد بالمعنى الحقيقى، فلم يبلغوا أبدا إلى فهم حقيقى لمعنى التجسد.

هذا وإن إعتقاد النساطرة فى ربنا يسوع إعتقاد مهين للاهوته. ذلك أن المسيح عندهم هو فى الحقيقة «إنسان لابس الله» أو «إنسان ملتحف بالله». (ἄνθρωπος θεοφόρος) ذلك أن النساطرة يلحون دائما على ناسوت المسيح، ويعتبرون الناسوت هو نقطة البداية فى نظريتهم، فهم يعتبرون المسيح إنسانا اقترن الله به بطريقة أخرى غير الاتحاد الحقيقى، وبلغة أخرى هى اتصال أو مصاحبة συνάφεια وليست اتحادا ἕνωσις .

وعلى ذلك فأقنوم المسيح اقنوم مركب إنسان وإله. ابن الإنسان وابن الله، أى أن هناك ابنين فى أقنوم المسيح. فالمسيح الذى يعلمون به ليس هو الله اللابس الناسوت θεὸς ἄνθρωπο φόρος بل بالحرى الإنسان اللابس الله.

ἄνθρωπος θεοφόρος θἔοφορος ἄνθρωπος

وفى هذه الحالة يكون المسيح فى نظر النساطرة إنسانا أولا، ثم نال نعمة خاصة من الله، فسّر «الله به، وسكن فيه، فهو إنسان سكن الله فيه. ويمكن تفسير معتقدهم أيضا فى المسيح أنه θεοφόρος ανθρωπος بمعنى أنه الإنسان المحمول بالله أو الملهم بالله، ولو أن المعروف أن النساطرة فهموها بالمعنى الأول. وسواء فسرت العبارة بالمعنى الأول أو بالمعنى

الأخير، فالمسيح عندهم ليس هو الله المتأنس، وإنما هو إنسان ملتحف بالله أو ملهم بالله. فهو والحالة هذه لا يكاد يفترق كثيرا عن إنسان تقي أو قديس. ومن عبارات نسطور الكفرية والتي اقتبسها البابا كيرلس في مهاجمته للنسطورية قوله (١)، إني من أجل الذي حمل أوقِر المحمول، ومن أجل غير المرئي أعبد المرئي». وقوله (٢)، إن الذي رفع يسمى الله (يشارك في اسم الله) بمصاحبة الذي رفعه».

ومن هاتين العبارتين يتضح أنه ليس للمسيح في نظر النساطرة إلا دور سلبي، والفعل كله منسوب لله، مما يتبين معه أن المسيح في عقيدتهم ليس هو الله عينه.

ثم أن النساطرة وقعوا في خطأ جسيم لأنهم اعتقدوا أن اللوغوس اتخذ إنسانا، وفي هذه الحالة لا يكون العمل الكفاري للمسيح خلاصا للجنس البشري بأسره، وإنما يصير الخلاص لفرد واحد فقط.

وهذه هي النتيجة الوخيمة التي تسلم إليها بدعة نسطور وتعليمه الفاسد.

وهذا يقودنا إلى نقطة أخرى ذلك أن النساطرة يقولون بالجمع بين اللوغوس وإنسان في ثنائية صريحة، وهم على قول البابا كيرلس يقولون بأقنومين وبإبنين في مركب هو أقرب إلى مزيج أي خليط منه إلى اتحاد بالمعنى الدقيق.

بينما ينكر الأرثوذكسيون هذه الثنائية وينادون بالاتحاد بين اللاهوت والناسوت في أقنوم واحد وطبيعة واحدة، جمعت بين صفات وخصائص اللاهوت والناسوت معا على أن مركز الشخصية أو الأقنومية في الكلمة الذي كان هو الله وصار إنسانا هو في اللاهوت، لأن الناسوت غير مشخص، وعلى ذلك فالاقنوم الذي اتخذ أحوال الحياة الإنسانية وقبل الحد من حياته الإلهية لسبب تلك الأحوال الإنسانية، هو اقنوم اللاهوت الذي اتخذ الأحوال والخبرات والصفات الإنسانية فصارت أيضا أحواله وخبراته وصفاته.

---

(١) διά τὸν φοροῦντα, τῶν φορουμενον σέβομαι διά

(٢) τον ἄὁρατον προσκυνῶ τὸν ὁρώμενον
ὁ ληφθεις τῷ λαβόντι συγχρηματιζει θεὸς

قمع النسطورية وإخمادها فى نطاق الأمبراطورية

يبدو أن بطريرك أنطاكية رأى أنه لامفر من الإستعانة بالقوة المدنية لقهر النسطورية، وعلى ذلك نقل نسطور فى سنة ٤٣٥ من ديره ونفى إلى بترا Petra فى شبه جزيرة العرب، وبعد قليل نفى إلى بتوليمايس Ptolemais التى كان يرسل إليها أشر المجرمين، ويبدو أن نسطور كان لايزال حيا فى سنة ٤٣٩ عندما كتب سقراط كتابه، ويروى مخطوط قبطى عن حياة البابا ديوسقورس أن نسطور دعى لحضور مجمع خلقيدونيا فى سنة ٤٥١. ولانعلم على وجه الدقة متى وأين مات.

وقد أمر الأمبراطور بحرق جميع مؤلفاته، ولكن أتباعه عملوا بالأكثر على نشر مؤلفات ديودورس وثيودوروس، وترجموها إلى لغات أخرى (كالسريانية والأرمنية والفارسية) وخلع عدد كبير من أساقفتهم ونفوا من كراسيهم. وكانت نتيجة للإجراءات المشددة التى اتخذت مع النساطرة. أن قمعت البدعة النسطورية فى كل أنحاء الأمبراطورية، وقد وجدت وقتا ما ملجأ لها فى مدرسة أدسا Edessa ولكن لما أغلق الأمبراطور زينون هذه المدرسة اللاهوتية المشهورة فى سنة ٤٨٩ فقدت النسطورية آخر معقل لها فى الأمبراطورية.

الكنيسة النسطورية
(السـريانية الشرقيـة)

وضع الأساقفة النسطوريون المنفيون من كراسيهم أساس الكنيسة السريانية الشرقية كما سميت. وقد وجد النساطرة ملجأ لهم فى مدرسة أدسا Edessa التى امتدت شهرتها العظيمة أجيالا، واعتبرت أنها أعظم مركز أدبى للديانة المسيحية فى بلاد أرمينيا وسوريا وخالديا والفرس وكان رئيسها فى وقت انعقاد مجمع أفسس أى سنة ٤٣١م، هو ايباس Ibas وهو فارسى الجنس وتلميذ مخلص لثيودوروس اسقف مويسويستا Mopsuesta وبعد مجمع أفسس طرده الأسقف رابولاس Rabulas من وظيفته (علما أن رابولاس هذا كان هو نفسه نسطوريا قبل ذلك)، فنشر ترجمة مؤلفات ثيودوروس بين المسيحيين فى بلاد الفرس، وفى سنة ٤٣٥ اختير ايباس أسقفا لأديسا خلفا لرابولاس، فانتعشت النسطورية وازدهرت كثيرا، وأخيرا أغلق الأمبراطور زينون Zeno مدرسة أديسا فى سنة ٤٨٩م، ولكنها انتقلت إلى نيسيبيس Nisibis فازدهرت أكثر من أى وقت مضى، ذلك أن برسوماس Barsumas أسس هناك فى نيسيبيس مدرسة نسطورية، وقد نال النساطرة وحدهم دون جميع المسيحيين مساندة ملك الفرس. وعلى الرغم مما عاناه النساطرة من اضطهاد من وقت إلى آخر، فقد انتشرت مدارسهم وإرسالياتهم انتشارا سريعا فى بلاد الفرس والهند بل ووصلوا حتى إلى الصين، (حيث عثر اليسوعيون فى سينجانفو Singanfu على نقش مكتوب باللغتين الصينية والسريانية يروى قصة إرسالية نسطورية كانت تعمل هناك إلى سنة ٦٣٦م) وأخذت الكنيسة النسطورية تمتد فى نشاطها وقوتها إلى أن صارت فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر أكبر كنيسة مسيحية فى العالم، فكانت هى الكنيسة المسيحية فى الشرق الأقصى. وذلك يرجع إلى نشاطهم التربوى والتبشيرى، ولهم رئيس روحى هو البطريرك أو الكاثوليكوس وكان يقيم سابقا فى سلوكيا كتسيفون Seleucia ctephon وأصبح بعد ذلك يقيم فى بغداد ويخضع لرياسته نحو خمسة وعشرين مطرانا، وظل النساطرة يتمتعون بحماية الخلفاء لهم فى بغداد، وكانوا يشغلون المناصب الهامة فى الدولة، ولكن لما صار التتار فى الحكم، عانى النساطرة اضطهادا شديدا حتى غزا تيمورلنك البلاد فى القرن الرابع عشر فساد فيها الدمار، ومحا الكنيسة هناك تقريبا، ولم يبق منها إلا نفر قليل.

وعلى الرغم من الاضطهادات المريرة والآلام التى لاتصدق التى عاناها النساطرة، فلا يزال عدد منهم باقيا فى جبال كوردستان Kurdistan وسهولها (جزء منهم فى تركيا وجزء آخر فى ايران) ولم يكن الغربيون يعلمون عنهم شيئا قبل بعثة وادى الفرات سنة ١٨٣٥م.

وفى أوائل يناير (كانون الثانى) عام ١٩٥٨ أبدى بضعة آلاف من النساطرة بالعراق،

رغبتهم فى الإنضمام إلى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية برياسة غبطة ماراغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية. وسائر الشرق للسريان الأرثوذكس، وأعادوا الكرة فى ٢٩ أغسطس من تلك السنة، وكتبوا مضبطة رسمية موقعا عليها من زعمائهم، قدموها إلى نيافة مطران السريان الأرثوذكس فى الموصل بالعراق، كما قدموا صورة منها إلى وزارة الداخلية العراقية، وأخرى إلى متصرفة لواء الموصل يطلون فيها حقيقة إنضمامهم إلى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، وبعد أن كتب غبطة البطريرك السريانى إلى إخوته المطارنة يستشيرهم فى الأمر، قرر قبول أولئك النساطرة فى شركة الكنيسة، وأسس لهم إيبارشية خاصة بهم فى العراق، ورسم لهم مرشحهم شاليطا بن زبا مطرانا عليهم باسم إيشاوس شاليطا، وكان ذلك فى صباح الأحد ٢٣ نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ١٩٥٨.

ويقدر عدد النساطرة الذين إنضموا الى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية بخمسة عشر ألفا.

الأوطاخية

الأوطاخية

كان رجل يسمى أوطالخى أو بوطيخا εὐΤυχη وهو راهب مسن كان يشغل منصب أرشيمندريت ἄρχιμανδριτης أى رئيس دير خارج مدينة القسطنطينية، وكان يتمتع بمكانة كبيرة عند الامبراطور، شغل أوطاخى بالمشكلة اللاهوتية القائمة بين الأرثوذكسية من جانب، والنسطورية من جانب آخر. وكان هو نفسه عدوا لدودا للنسطورية أخذ يقاومها فى عنف، وفى غيرة جامحة حتى أدت به مقالاته فى مهاجمة النسطورية إلى أن يسقط هو فى بدعة جديدة على نقيض البدعة النسطورية، هذه البدعة الجديدة هى التى عرفت فى تاريخ الكنيسة بالبدعة الأوطاخية نسبة إلى أوطاخى.

أوطاخى أمام مجمع القسطنطينية المحلى (أو الإقليمى)

تحمس أوطاخى للبابا كيرلس بشدة، وتمسك فى قوة بعبارته المشهورة : (طبيعة واحدة بعد الاتحاد).

وكان يتهم بالنسطورية كل من يتحدث عن طبيعتين فى السيد المسيح. لذلك اتهمه يوسابيوس أسقف دوريليوم بأنه له ميولا أبوليناريوسية مع أن يوسابيوس كان صديقا حميما لأوطاخى وحليفا له فى الحرب ضد النسطورية. وقد انعقد مجمع فى القسطنطينية فى نوفمبر سنة ٤٤٨ من إثنين وثلاثين أسقفا، لمحاكمة أوطاخى لأنه مزج الطبيعتين، وقال باندماج الطبيعة الناسوتية فى الطبيعة اللاهوتية، فأثر بذلك على كثيرين من المؤمنين بتعليمه الفاسد. ورفض أوطاخى المرة تلو المرة أن يظهر أمام المجمع. وكان يجيب على الرسل الذين بعث بهم المجمع لدعوته إلى المثول أمامه بإجابات ملتوية، ولكنه امتثل أخيرا. فسأله المجمع (هل تقر بوجود طبيعتين حتى بعد التجسد، وأن المسيح مطابع لنا فى الجسد؟) فحاول أوطاخى أن يتملص من الإجابة على هذا السؤال إجابة مباشرة، ولكنه عاد وصرح أخيرا بأنه لم يسبق له قبل هذا الوقت أن استعمل مثل هذا التعبير، ولو أنه يسلم بأن العذراء التى أخذ منها السيد المسيح جسده مطابعة لنا، لكنه مع ذلك لايمانع فى أن يعتقد الأمر عينه فيما يتصل بجسد السيد المسيح إذا كان المجمع يطلب منه هذا الإقرار. على أن أوطاخى كان يعتقد فى الواقع بأن اللوغوس قد استوعب الطبيعة الناسوتية وابتلعها وحولها وألهها معه. وكأن الطبيعة الناسوتية بالنسبة إلى الطبيعة اللاهوتية بمثابة نقطة من الخل امتصها المحيط. ونقطة الخل فى هذا التشبيه هى كالناسوت، والمحيط يشبه اللاهوت، وعلى ذلك لم يعد جسد المسيح مطابعا لجسدنا، أى لم تعد طبيعته من طبيعة أجسادنا، بل أصبح جسده جسدا إلهيا، وأخيرا اضطر أوطاخى إلى أن يعترف

بأنه يعتقد بأن السيد المسيح من طبيعتين قبل الاتحاد، لكنه أصبح طبيعة واحدة بعد الاتحاد وهذه هى عبارته : (أقر بأن ربنا ولد من طبيعتين قبل الاتحاد، وأما بعد الاتحاد فاعترف بطبيعة واحدة).

ἐκ δύο φύσεως ρο τῆς ἑνώσεως μία φύσις μετά τήν ἕνωσιν

ولما طلب المجمع من أوطاخى أن يحرم وينكر جميع الآراء التى تعارض رأى المجمع، وهو (أن جسد المسيح مطابع لأجسادنا، وأنه من طبيعتين) أجاب أوطاخى بأنه فى إمكانه أن ينزل على إرادة المجمع، لكنه لم يجد عبارة المجمع هذه لا فى الكتب المقدسة ولا فى أقوال الآباء. ولذلك فإنه لا يستطيع أن ينطق بحرم ويحكم به بالحرمان على آباء الكنيسة أنفسهم. وأخذ أوطاخى يؤيد تعليمه بكتابات القديس أثناسيوس الرسولى، وكتابات القديس كيرلس عمود الدين قائلا : (إنهما يتكلمان عن طبيعتين قبل الاتحاد، أما بعد الاتحاد فيتكلمان عن طبيعة واحدة) ولكن من دون أن تتغير أو تتحول إحدى الطبيعتين إلى الأخرى... وبعد مناقشة طويلة تبين للمجمع أن أوطاخى يراوغه، وأنه لا يعتقد فى السيد المسيح الإعتقاد الأرثوذكسى الصحيح، وبناء على ذلك حكم المجمع بتجريد أوطاخى وإنزاله من درجته وحرمانه من الكنيسة...

ولم يرضخ أوطاخى لحكم المجمع بل تمسك برأيه وأصر على موقفه فى عناد... واستغل عطف الامبراطور عليه، وكتب إلى ليون أسقف روما فى عبارات التودد والاستعطاف ليكون إلى جانبه، فتريث ليون حتى يسمع الطرف الآخر، وبعد ذلك كتب أسقف روما كتابا إلى فلافيانوس أسقف القسطنطينية أثبت فيه إعتراضه على إنكار أوطاخى، ووعد بأنه سيكتب بتوجيهاته فى هذا الموضوع كاملة فيما بعد... أما الامبراطور فناصر أوطاخى، وطلب من فلافيانوس أن يكتب ردا على أوطاخى، فرد فلافيانوس على الامبراطور بكتاب فى ربيع ٤٤٩ يشرح فيه إعتقاده بميلادين للسيد المسيح ويقول : أنه (إله كامل وإنسان كامل .... واحد فى الجوهر مع الآب من حيث لاهوته وواحد فى الجوهر مع أمه من حيث ناسوته... لأنه بينما نعتقد فى المسيح أن له طبيعتين بعد التجسد من القديسة العذراء (مريم) وأنه منها تأنس نعترف بمسيح واحد وابن واحد (لله) ورب واحد، فى كيان واحد وأقنوم واحد، ونحن لا نرفض أن نتحدث عن طبيعة واحدة لله الكلمة، إذا كان المقصود بها طبيعة واحدة متجسدة ومتأنسة، بما أن ربنا يسوع المسيح هو الأقنوم الواحد بعينه من طبيعتين)... ويلاحظ هنا، أن فلافيانوس قد استخدم عبارة (طبيعة واحدة) مضيفا إليها ما أضافه البابا كيرلس نفسه بقوله : (طبيعة واحدة متجسدة)...

فى مجمع أفسس المسكونى الثانى

بعد هذا دعا الامبراطور ثيودوسيوس الثانى على عقد مجمع فى مدينة أفسس، ولم يكن ليون أسقف روما أو فلافيانوس أسقف القسطنطينية يرغبان فى عقد هذا المجمع، ومع ذلك فكان ليون يؤمل أنه سيكون فى إمكانه على الأقل أن يوجه قرارات المجمع، ولذلك أسرع فكتب خطابه الذى وعد به فلافيانوس من قبل، وهو الخطاب المشهور فى التاريخ بكتاب طوموس Tomoc لليون. أرخ ليون كتابه هذا فى ١٣ يونيو سنة ٤٤٩. وانعقد مجمع أفسس فى أغسطس من تلك السنة، برياسة البابا ديوسقورس وهو الخامس والعشرون من باباوات الأسكندرية، ومعه ١٣٥ من أساقفة المسكونة، ولم يحضر أسقف روما ولكنه أناب عنه ثلاثة من الكهنة، ولم يضع المجمع قواعد للإيمان، واكتفى بتثبيت قرارات المجامع المسكونية الثلاثة : نيقية والقسطنطينية وأفسس الأول، ومثل أوطاخى أمام المجمع وأقر بإيمان الكنيسة الجامعة الرسولية فأعاده المجمع إلى رتبته. ورفض المجمع أن يقرأ كتاب ليون وقرر حرمان فلافيانوس وآخرين وإعتبارهم نساطرة، فأغضب هذا التصرف أساقفة سوريا وبنطس وآسيا الصغرى، وأيدهم أسقف روما الذى سعى إلى عقد مجمع جديد. ولكنه لم ينجح فى ذلك إلا بعد أن توفى الامبراطور ثيئودوسيوس فى يوليو سنة ٤٥٠ وخلفه فى الحكم مرقيانوس وزوجته يوبخاريا...

مجمع خلقيدونية

وعقد المجمع الجديد فى خلقيدونية من ٦٣٠ أسقفا فى الفترة بين ٨ أكتوبر وأول نوفمبر سنة ٤٥١ م. وحضر البابا ديوسقوروس هذا المجمع لكن نواب أسقف روما اعترضوا على حضوره. فقاده مندوبو الامبراطور المسئولين عن حفظ النظام إلى مكان منعزل فجلس بعيدا عن الباقين. وقرأ المجمع ما تيسر قراءته من الوثائق والرسائل. ولما عرضوا لأحداث مجمع أفسس الثانى احتدم النقاش طويلا، وحدث بعد ذلك أن تنكر كثير من الأساقفة الذين وقعوا على قرارات مجمع أفسس الثانى لتوقيعاتهم ورجعوا عن آرائهم، واعترض ديوسقوروس قائلا : أن فلافيانوس قد حكم عليه مجمع أفسس بعدل، لأنه قال بطبيعتين بعد الاتحاد، بينما أن أقوال الآباء أثناسيوس واغريغوريوس وكيرلس تؤيد أننا لا نستطيع أن نتحدث بعد الاتحاد إلا عن طبيعة واحدة متجسدة للكلمة. ثم صاح ديوسقورس فى المجمع (لقد رفضت ورفض معى الآباء، ولكننى أحامى عن اعتقاد الآباء ولن أحيد عنه بحال)، وقال أنه يوافق على القول بأن السيد المسيح (من طبيعتين) ولا يوافق على أنه (طبيعتان) بعد الاتحاد، حيث أنه لا يمكن التحدث عن طبيعتين بعد الاتحاد.

وعقد مجمع خلقيدونية نحو ١٥ جلسة على قول بعض المؤرخين، وانتهى فى جلسته الأولى إلى إعادة فلافيانوس إلى كرسيه، وإلى إنزال ديوسقورس من درجته، وفى الجلسة الثانية ثبت المجمع قرارات مجمعى نيقية والقسطنطينية، وقرأ رسالة البابا كيرلس الثانية إلى نسطور، ورسالته إلى يوحنا الأنطاكى وأثبت تأييده لما جاء فيهما. ثم قرأ كتاب ليون أسقف روما إلى فلافيانوس فى ترجمته اليونانية، ومما تجدر ملاحظته أن الخطاب الأخير قوطع فى أكثر من موضع لأن بعض عباراته بدت لبعض الأساقفة أنها نسطورية، بينما صاح غيرهم أنها تعبيرات عن (إيمان الآباء والرسل) ... وفى الجلسة الثالثة وكانت بتاريخ ١٣ أكتوبر أعلن الحكم على ديوسقوروس وفى الجلسة الرابعة أعلن الحكم على أوطاخى والأوطاخيين، وفى الجلسة الخامسة وكانت بتاريخ ٢٢ أكتوبر اتفق المجمع على وضع صيغة للإيمان أنكر فيها آراء كل من البدعتين النسطورية والأوطاخية...

وقال المجمع فى مطلع قانونه أن فى قوانين مجمعى نيقية والقسطنطينية الكفاية، لولا أن قوما حاولوا أن يمحوا كرازةالحق وأن يفسدوا سر تجسد الرب... وأنكروا أن تلقب العذراء بوالدة الإله. ثم أن قوما آخرين قالوا بالامتزاج والاختلاط بين الطبيعتين، وباندماج الطبيعة الناسوتية فى الطبيعة اللاهوتية. لهذا فإن المجمع (يناهض أولئك الذين شقوا سر التجسد إلى إثنين، وينفى من شركة الأسرار المقدسة (أو من شركة محفل الكنيسة) الذين يجرؤون على القول بأن لاهوت الابن الوحيد قابلة للألم. ويقاوم الذين يتصورون أن هناك إختلاطا أو إمتزاجا بين الطبيعتين فى السيد المسيح، ويطرد الذين يعتقدون فى جهلهم أن شكل العبد الذى اتخذه المسيح منا هو من جوهر سمائى، أو من جوهر آخر غير جوهر طبيعتنا، ويحرم الذين يزعمون أن للرب طبيعتين قبل الاتحاد، وواحدة فقط بعد الاتحاد.

التعليم الذى علم به مجمع خلقيدونية

عرف هذا التعليم إصطلاحيا بالعبارة التالية :

ἀντιδόσις τῶν Ἰδιωμάτων

Communicatio idiomatun

ومعناه حرفيا (تبادل الصفات).

ومؤداه إصطلاحيا : فى المسيح أقنوم واحد، وطبيعتان، ومع أن : هاتين الطبيعتين قد اتحدتا بالحقيقة إتحادا سريا فى أقنوم واحد، لكنهما ظلتا متميزتين، وكل منهما احتفظت بخصائصها. وخصائص كل طبيعة منهما تختص بذات الأقنوم الواحد وتنسب بحق إليه... إنه يوجد فى نفس الوقت فى الطبيعة الإلهية وفى الطبيعة الإنسانية، إنه يحيا دائما فى الدائرتين معا. فالخبرات

الإلهية على وجه الدقة... والخبرات الإنسانية على وجه الدقة : هى جميعا خبراته... وهى خبراته بفضل طبيعتيه المختلفتين... مجموعة الخبرات الأولى هى خبراته لأنه أقنوم إلهى، ومجموعة الخبرات الثانية : هى كذلك خبراته لأنه أقنوم إنسانى... ثم أن الأقنوم الواحد بعينه له تسميات مختلفة تبعا للطبيعتين المختلفتين... فهو ابن الله بفضل الطبيعة الإلهية، وهو ابن الإنسان بفضل الطبيعة البشرية، وليس مهما الاسم الذى يدعى لأنه هو الأقنوم الواحد عينه الذى يشار إليه... ولذلك فإن الخبرات التى يتعرض لها الأقنوم الواحد بفضل طبيعته الإلهية يمكن أن تنسب إلى ابن الإنسان، وبالمثل الخبرات التى يتعرض لها بسبب طبيعته الإنسانية يمكن أن تنسب إلى ابن الله.

وعلى ذلك فالأقنوم الواحد بعينه يتصف بأسماء الطبيعتين وخصائصهما وخبراتهما.

وقد جاء فى تحديدات مجمع خلقيدونية ما نصه :

وعلى ذلك، فنحن - اقتفاء بالآباء القديسين - نعترف ونعلم بالإجماع، بالابن الواحد بعينه، ربنا يسوع المسيح، وهو كامل (تام) فى لاهوته، وفى وقت واحد كامل (تام) فى ناسوته، إله حقيقى وإنسان حقيقى، ثم هو ذو نفس ناطقة وبدن، وهو من ذات جوهر الآب من حيث لاهوته، وفى نفس الوقت من ذات جوهرنا من حيث ناسوته، وهو يشبهنا فى كل شئ ماعدا الخطيئة وحدها، وهو من حيث لاهوته، مولود من الآب قبل الدهور (الأجيال). ولكن من حيث ناسوته، من أجلنا ومن أجل خلاصنا، ولد فى الأيام الأخيرة من مريم العذراء والدة الإله، وهو بعينه المسيح بذاته، وابن (الله)، والرب، والابن الوحيد، الذى ينادى به فى طبيعتين بدون اختلاط ولا تغيير، ولا انقسام، ولا انفصال وأن الاختلاف بين الطبيعتين لم يتلاشى بسبب الاتحاد بحال ما... بل بالحرى أن الصفات الخاصة بكل طبيعة على حدة باقية ومجتمعة معا فى شخص واحد وأقنوم واحد - وليست كما لو كان منفصلا أو منقسما إلى طبيعتين. إنما هو ابن (الله) الواحد بذاته، والابن الوحيد، الله الكلمة، والرب، يسوع المسيح، كما علمنا (بذلك) أنبياء العهد القديم، و (كما علمنا) الرب يسوع المسيح، فيما يختص به، وكما سلم إلينا قانون الآباء.

بهذه العبارات، حدد مجمع خلقيدونية الإيمان المسيحى فى طبيعة السيد المسيح، مبينا فى قوة وصراحة رفضه التام للبدعة النسطورية والبدعة الأوطاخية. ولكنه وجه إهتمامه الأكبر نحو هدم البدعة الأوطاخية بالذات... فأوطاخى لم يقنع بالنصح الذى أسدى إليه بالعدول عن آرائه الفاسدة، ولم يحترم إيمان الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة الرسولية فى إخلاص وتقوى، ولكنه راوغ وتملص مرة أخرى من عهوده التى قطعها أمام مجمع أفسس المسكونى الثانى، وعاود سيرته الأولى مصرا على تعليمه الذى أزعج كنيسة المسيح.

كان أوطاخى يتذرع باستخدام عبارة البابا كيرلس : (طبيعة واحدة للكلمة متجسدة) .

μῖα φῦσις τοῦ θεοῦ Λόγου σεσαρκωμένη

ولكنه كان يحذف منها اللفظة الأخيرة (متجسدة) σεσαρκωμένη وهى اللفظة التى كان يلح عليها البابا كيرلس ترسيما لحقيقة ناسوت المسيح، فما يعلم به يوطيخا فى الواقع هو أن الطبيعة الناسوتية قد امتصت فى الطبيعة اللاهوتية وامتزجت بها، فهو يقول بامتزاج ισῦγχυσις الطبيعتين.

وعلى ذلك، فإن كان يوطيخا قد رفض الإذعان أمام مجمع القسطنطينية الإقليمى بأن المسيح واحد مثلا فى الجوهر (أو مساو لنا فى الجوهر ὅμοουσιος ηων من حيث ناسوته، فقد كان رفضه هذا من قبيل تحصيل الحاصل... لأنه فى الواقع كان ينكر حقيقة ناسوت سيدنا ودوامه... إنه أنكر بالفعل أن يكون ابن الله قد اتخذ طبيعتنا فى الحقيقة... وليس الاتحاد ἕνυσις إذن إرتقاء أو إعلاء لطبيعتنا الإنسانية، بل بالحرى أنه تغيير لها بالفعل، ويوطيخا (لم يزعم أنه أدرك سر التجسد، بل الأصح أنه كان يتباهى بمناداته بأنه سر لا يمكن إدراكه) ... ولذلك لم يستطع أن يكون له رأى واضح فى تكوين أقنوم السيد المسيح، وقد تطرف فى فهمه لمكانة لاهوت السيد، وحجب عنه ظل الطبيعة الناسوتية تماما، لدرجة أن هذه الطبيعة قد تكمشت فى نظره فأمست عدما أو بالحرى أنها اختفت إختفاءً تاما. وحتى لو اعترف لها يوطيخا بوجود بعد أن اتخذها اللوغوس، فلم ينظر إليها باعتبار أنها مطابعة لنا، وبعبارة أخرى فان جسد المسيح كما يراه يوطيخا ليس (جسد إنسان) ισῦμα

ولو أنه يمكن أن يسمى (جسدا إنسانيا) αγθρυπου σμηχιαθρῦ λνον بمعنى أن جوهر الناسوت قد توقف عن وجوده فى الكلمة الذى صار جسدا.

طوموس (أو مدرج) ليون

١٣ يونيو سنة ٤٤٩

لما كان لمدرج ليون أسقف روما أهمية تاريخية خاصة، لذلك رأينا أن نأتى هنا بأهم فقراته:

١ ـ (أنه (= يوطيخا) لم يتوصل إلى الاعتقاد الصحيح فيما يتعلق بتجسد كلمة الله، ولم تكن له الرغبة فى أن يطلب نور المعرفة بدراسة الكتاب المقدس دراسة دقيقة وشاملة. لكنه سمع على الأقل، وباذن صاغية، هذا الإعتراف الشائع والعام الذى يقر به كل جمهور المؤمنين إعتقادهم

بالله الآب القادر على كل شئ، وبيسوع المسيح ابنه الوحيد ربنا الذى ولد من الروح القدس ومن العذراء مريم، إذ أن هذه القضايا الثلاث تهدم جميع اختراعات الهراطقة على العموم. فالكل يؤمن أن الله قادر على كل شئ، إذ هو مولود، إله من إله، قادر على كل شئ من قادر على كل شئ، أزلى من أزلى، لا متأخرا عنه فى الزمان ولا أقل منه فى القدرة، ولا مغاير له فى المجد، ولا منقسم فى الجوهر، هذا الابن الوحيد عينه، الابن الأزلى من الآب الأزلى، ولد من الروح القدس ومن مريم العذراء، لكن هذا الميلاد الزمنى (= الذى تم فى الزمان) لم ينقص من الميلاد الأزلى الإلهى شيئا، ولم يضف إليه شيئا. إنه منح ذاته بالتمام لتجديد الإنسان الذى ضل، حتى ينتصر على الموت، وبقوته يهزم الشيطان الذى كان له سلطان الموت. إذ ما كنا (نحن) نستطيع أن نغلب منشئ الخطيئة والموت مالم يأخذ (ابن الله) طبيعتنا ويجعلها طبيعته، هذا الذى لم تقدر الخطيئة أن تدنسه ولا الموت أن يحتجزه تحت سلطانه، حيث أنه حبل به من الروح القدس فى رحم أمه العذراء التى احتفظت ببكارتها كاملة فى ميلاده كما فى حبلها به... هذا الميلاد المدهش الفريد، والفريد فى إدهاشه يجب ألا يفهم بمعنى أنه يبطل الخصائص المميزة للنوع (= لنوع الإنسان أو الجنس البشرى) بسبب هذا الأسلوب الجديد فى الخلق، لأنه حقا أن الروح القدس هو الذى أعطى القدسية للعذراء ولكنه أخذ من جسدها جسدا حقيقيا ذا نفس عاقلة.

٢ - وعلى ذلك فإن خواص كل طبيعة، وكل جوهر، ظلت محفوظة بكمالها واتحدت معا لتكون أقنوما (= شخصا) واحدا. لقد اتخذت (أو لبست) العظمة والاتضاع، والقوة والضعف، والأزلية والفداء. ولكى يوفى الدين الذى جلبناه على أنفسنا اتحدت الطبيعة التى لا تنتهك الطبيعة التى يمكن أن تتألم، حتى تنفذ شروط خلاصنا. فالإنسان يسوع المسيح وهو الوسيط الوحيد بعينه بين الله والناس، أمكنه أن يموت بالنسبة للواحد، ولن يمكنه أن يموت بالنسبة إلى الآخر.

وعلى ذلك، فقد ولد إله حقيقى فى طبيعة إنسان حقيقى، طبيعة كاملة وتامة، كاملة فى خواصه هو، وكاملة فى خواصنا نحن Touts in sius, totus in وأعنى بخواصنا تلك الخواص التى أوجدها الخالق فينا منذ الابتداء، والتى اتخذها هو لنفسه من أجل أن يحددها. إذ لم يكن فى المخلص أى أثر لتلك الخواص التى جلبها المخادع على طبيعتنا، وسمح لها الإنسان المخدوع أن تدخل إليه. ولا يظن أحد أنه باشتراكه فى ضعفاتنا البشرية أصبح شريكا لنا فى خطايانا. لقد اتخذ صورة عبد (ولكن) بدون وصمة الإثم، فشرف الخواص الإنسانية من دون أن ينتقص من الخواص الإلهية، لأنه (إذ أخلى نفسه) فقد جعل غير المرئى نفسه مرئيا، وأراد خالق الكل ورب

الكل أن يصير من بين الفانين، وكان هذا منه تنازلا صادرا عن حنان وليس عن عجز فى القدرة. وبناء على ذلك. فإن الذى تأنس ولم يزل فى صورة الله، صار إنسانا فى صورة العبد. فكل طبيعة احتفظت بخصائصها بلا نقصان. وكما أن صورة الله لم تبطل صورة العبد، فكذلك صورة العبد Firme servi لم تتلف صورة الله fara Dei

لقد اعتز الشيطان لأن الإنسان وقد خدع بمكره، قد حُرم من المواهب الإلهية وتجرد من عربون الخلود، فجلب على نفسه الحكم الصارم، حكم الموت، وقد وجد الشيطان لنفسه بعض العزاء فى محنته عندما صار له زميل فى الخطيئة، وقد اعتز الشيطان أيضا لأن الله غير مقاصده بالنسبة إلى الإنسان الذى كان قد خلقه فى حال من المجد والكرامة - فالعدل الإلهى يتطلب هذا التغيير - لهذا كانت الحاجة إلى تدبير من الله لتنفيذ خطته الخفية، ولتتميم قصده الأول، لمحبته لنا، بسر أشد خفاء. لأن الله لا يتغير ولا يمكن لإرادته أن تتجرد من الرحمة، ثم أن الإنسان الذى دُفع إلى الشر دفعا بحيلة الشيطان الشريرة، لا يمكن أن يهلك ضدا لمقاصد الله.

٣ - لذلك فإن ابن الله نزل من عرشه فى السماء ولكن من دون أن يترك مجد أبيه، ودخل إلى هذا العالم السفلى، وولد على نظام جديد، وبكيفية جديدة للميلاد، على نظام جديد لأنه وهو غير منظور فى طبيعته قد صار منظورا فى طبيعتنا، إنه لا يمكن إدراكه ولكنه أراد أن يكون مدركا، وهو كائن منذ الأزل وقبل الزمان لكنه بدأ أن يوجد فى الزمان... وبكيفية جديدة للميلاد حيث أن البكارة التى لم تنثلم، والتى لم تعرف شهوة الجسد هى التى قدمت مادة الجسد، فمن أمه أخذ الرب طبيعة ولم يأخذ خطيئة، لقد ولد يسوع المسيح من رحم عذراء بميلاد معجز، ومع ذلك فطبيعته ليست لذلك مغايرة لطبيعتنا لأنه هو إله حقيقى. وليس ثمت زيف فى هذه الوحدة حيث أن اتضاع الناسوت وعظمة اللاهوت تتناوبان (أو تتبادلان invicem sunt) وكما أن اللاهوت لم يتغير بسبب رحمته، كذلك الناسوت لم يبتلع بسبب جلال اللاهوت، وكل طبيعة (صورة الله وصورة العبد) تقوم بوظائفها الخاصة بها بالاشتراك مع الأخرى. فالكلمة يقوم بما يتصل بالكلمة، والجسد يقوم بما يتصل بالجسد. الواحدة متلألئة بالمعجزات والأخرى قابلة للإهانات، والكلمة لا ينقص عن مساواته الآب فى مجده. والجسد لا يتخلى عن طبيعة جنسنا. لأنه هو الأقنوم الواحد بعينه وهذه حقيقة ينبغى أن نصر عليها دائما - هو ابن الله بالحقيقة، وهو ابن الإنسان بالحقيقة... وعلى ذلك فالطبيعة التى تقول (أنا والآب واحد) لا تتصل بالطبيعة التى تقول (والآب أعظم منى)، فمع أن فى الرب يسوع المسيح أقنوما واحدا لإله وإنسان، لكن أصل الاحتقار الذى يشتركان فيه معا متميز عن أصل المجد الذى يشاركان فيه أيضا. لأنه منا أخذ الناسوت دون الآب، ومن الآب أخذ اللاهوت مساويا للآب...

تلك أهم العبارات التى اشتمل عليها طوموس ليون أسقف روما، ومنها نفهم، إصرار ليون على القول بأن فى المسيح طبيعتين متميزتين من بعد الاتحاد، وأن لكل طبيعة وظائفها الخاصة بها، والتى تعمل بالتناول أو بالتبادل مع الطبيعة الأخرى، كل منها طبقا لناموسها الخاص، والأقنوم هو مركز الشعور والفعل فى كائن هو إله وإنسان معا..

ويبدو أن مجمع خلقيدونية، أيد طوموس ليون فصادق فى قانونه الذى وضعه، على وجود طبيعتين فى المسيح بعد الاتحاد، وأنه له المجد إله تام وإنسان تام، وزاد المجمع حرم القائلين بطبيعة واحدة بعد الاتحاد...

أما الكنيسة المرقسية الأرثوذكسية فى أفريقيا وأسيا، وكذلك الكنائس السريانية الأرثوذكسية والأرمنية الأرثوذكسية، فلا تقر بطوموس ليون أسقف روما، ولا بما جاء فيه خاصا بطبيعة السيد المسيح، كما أنها لا تعترف بمجمع خلقيدونية ولا بما أصدره هذا المجمع من صيغ إيمانية. فسواء طوموس ليون أو مجمع خلقيدونية يقران بطبيعتين فى السيد المسيح، ويؤكد أن وجود الطبيعتين متميزتين بصفاتهما وخواصهما، وإنما تقومان بوظائفهما بالتبادل. ولكن الكنائس الأرثوذكسية المشار إليها لا تعترف هذا الاعتراف ولا تقر بطبيعتين بعد الاتحاد. وهى ترى أن فى القول بطبيعتين تعبيرا جريئا وخطيرا يقترب من تعبير الهراطقة النسطوريين. لأنه إذا كان ثمت اتحاد حقيقى فلا يمكن أن يكون هناك مجال للتحدث عن طبيعتين فى السيد المسيح.

ثم أن الكنائس الأرثوذكسية المذكورة آنفا، تنكر على أصحاب الطبيعتين قولهم بأن المسيح إله كامل وإنسان كامل معا، وترى أن هذا التعبير يسلم إلى القول بشخصين أو أقنومين فى السيد المسيح، وكذلك فإنها ترفض أمثال هذه التعبيرات المنحرفة، وتلتزم القول بأن السيد المسيح إله متأنس، وهى تذكر ولا تشاء أن تنسى عبارة الكتاب المقدس (والكلمة صار جسدا) (يو ١ : ١٤) أو (والكلمة تأنس) وهو تعبير واضح على أن الاتحاد الشريف ليس مجرد إجتماع لطبيعتين حتى ولو سمى هذا الإجتماع إتحادا عند الغربيين... فما دام القوم يصرون على القول بطبيعتين بعد الاتحاد، وعلى القول بأن السيد المسيح إله تام وإنسان تام معا، فهذه كلها تعبيرات تنكرها الكنيسة المرقسية الأسكندرية والكنائس السريانية والأرمنية الأرثوذكسية وتعتبر منطوية على ميول نسطورية.

على أننا، وإن قلنا بطبيعة واحدة فى السيد المسيح كما قال القديس أثناسيوس والقديس بولس، والقديس ثيئودوسيوس والقديس ساويرس الأنطاكى وغيرهم من علماء الكنيسة الأرثوذكسية، لكنها طبيعة واحدة جمعت صفات الطبيعتين معا، بغير إختلاط ولا إمتزاج ولا إستحالة أو تغيير، فلا اللاهوت اختلط بالناسوت أو امتزج به أو تحول إليه، ولا الناسوت اختلط باللاهوت أو امتزج به أو تحول إليه. وإنما هو نوع من الاتحاد العجيب الذى تفوق حقيقته كل تعبير إنسانى وكل تصور بشرى، وربما كان أقرب تمثيل أو تشبيه لهذا الاتحاد هو التشبيه الذى قدمه القديس

كيرلس، وهو اتحاد النار بالحديد أو الفحم. ففى هذا الاتحاد يلاحظ أن صفات النار باقية وصفات الحديد أو الفحم باقية، ولم يتبدل أيهما إلى الآخر... ولاشك أن هذا الاتحاد أفاد شيئا جديدا لم تفده النار بمفردها ولا الحديد أو الفحم بمفرده، وكذلك كانت الحاجة إلى أن يتأنس ابن الله من أجل عمل الفداء، الذى رأى الله بتدبيره أنه السبيل الأوحد للخلاص العجيب... وأما التشبيه باتحاد النفس والبدن فينبغى أن يؤخذ بحذر لأنه وإن كان يفيد معنى قيام الطبيعة البشرية الواحدة من جوهرين متميزين بطبعهما، لكنه تشبيه ناقص من حيث أن الاتحاد بين النفس والجسد ليس فى قوة الاتحاد بين لاهوت المسيح وناسوته، لأن اتحاد النفس والبدن قابل للانفصام بالموت، أما الاتحاد بين لاهوت المسيح وناسوته فاتحاد بلا مفارقة لحظة واحدة ولا طرفة عين، وسيظل كذلك إلى الأبد، إذ أن موت السيد المسيح بالجسد لم يقدر على أن يفصل بين لاهوته وناسوته لحظة واحدة، أو طرفة عين.

وعلى ذلك، فلا يعتذر أصحاب الطبيعتين عن تعبير الطبيعة الواحدة بزعم أن هذا التعبير تعبير يوطيخى، كلا فإنه أولا هو تعبير الآباء القديسين المعتبرين أعمدة من أمثال أثناسيوس وكيرلس ومن إليهما... ثم ما أبعد الفرق بين الطبيعة الواحدة كما تعلم بها الكنائس الشرقية وبين الطبيعة الواحدة كما يقول بها يوطيخا : فبينما يقول يوطيخا بإندماج الطبيعة الناسوتية وتلاشيها فى الطبيعة اللاهوتية، تقول كنيستنا بطبيعة واحدة لها صفات الطبيعتين، وتنكر أن يكون قد حدث بين اللاهوت والناسوت إختلاط أو امتزاج أو إستحالة أو تغيير.

ولا يعتذر اصحاب الطبيعتين عن تعبير الطبيعة الواحدة بزعم أن القول بطبيعة واحدة لها صفات الطبيعتين معناه القول بطبيعة ثالثة، كلا، فنحن ننكر القول بطبيعة ثالثة، لأن هذا القول يتضمن الاعتقاد بالامتزاج أو الاختلاط، ولكننا نؤكد أن هناك أمرا جديدا قد نجم عن الاتحاد الشريف لم يكن حادثا من قبل هو لقب الإله المتأنس أو هو السيد المسيح، فهذا اللقب الجديد لا يصح إطلاقه على الكلمة قبل التجسد بل هو اللقب الذى عرف به منذ يوم التجسد فقط...

وقصارى الكلام، أننا وإن كنا نؤمن بأن هناك أسبابا تاريخية قد باعدت بين الكنيستين الشرقية وشقيقتها الغربية بصدد هذا الموضوع، وأن كل فريق كان شديد الحذر من استعمال تعبير الفريق الآخر، خوفا من الوقوع فى هرطقة النساطرة من جانب أو هرطقة اليوطاخيين من جانب آخر، وهما هرطقتان على طرفى نقيض، وإن كنا نقر أيضا بأن هناك عوامل شخصية كان لها أثر لا ينكر فى تفاقم الخلاف، زيادة على حب الزعامة والرياسة الذى بدأ الرومانيين منذ زمن ليون أسقف روما المذكور سابقا، يروجون له بخلق تبريرات للرياسة الرومانية، وإلى هذا كله أضف تدخلات السلطة الحاكمة ولم تكن هذه السلطة فى هذا الخلاف على الحياد، بل كانت تتدخل بحسب الأحوال لتنصر فريقا على فريق، إما حرصا على استقرار الأمن فى اتحاد الأمبراطورية أو تشجيعا لشخص وإنتقاما من آخر..

وأخيرا وليس بآخر! لا ينسى ما ترتب على إثارة حفيظة بعض رجال الدين الذين أسقطوا من مراكزهم الكهنوتية حقا أو ظلما، سواء كانوا من الهراطقة أو من أتباعهم أو من ظن بهم ذلك، وقد انضم إلى هؤلاء وأولئك أناس من رجال الدين أو الدولة إنتصارا لقوم دون قوم، سواء عن حق أو عن باطل، عن إخلاص أو عن خبث، عن علم أو عن جهل...

على أننا، وإن أقررنا بهذا كله، لكننا لا نستطيع أن نعيد التاريخ من جديد، ولا أن نحيا الأحداث التى عاشها أجدادنا، ولا نزعم أننا يمكن أن نفكر بذات تفكيرهم أو نشعر بشعورهم، مهما بلغ من وقوفنا على مادة الخلاف وأسبابه اللاهوتية أو التاريخية...

فالخلاف عادة لا يقوم على أفكار مجردة من ظروفها وملابساتها، ولا يمكن أن يفهم على حقيقته بعيدا عن الجو الذى نشب فيه الخلاف، والأشخاص الذين لعبوا دورا فيه، ودرجة حرارتهم واستعدادهم للتفاهم والتلاقى، وعلى ذلك فنحن على الرغم من كل شئ نقدر الأسباب التى حدت بكل فريق إلى أن يتمسك بالتعبير الذى رآه صوابا، ولم يتسامح فى التحول عنه أو فى قبول غيره حرصا على الأمانة المسلمة، وحذرا من السقوط فى تعليم مغاير للتعليم الأرثوذكسى القويم.. وأما اليوم فقد أصبح كل فريق أكثر استعدادا من أى وقت مضى للاقتراب من الآخر، بعد أن تخلص الخلاف من جوه القديم وأصبح اليوم مجرد التعبير عن فكرة لاهوتية مجردة.

فصل فى معنى إخلاء المسيح ذاته

κένωσις

قال الرسول مار بولس «فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضا الذى أنه إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله، لكنه أخلى نفسه ἑαυτον εκεν ωσεν آخذا صورة عبد صائرا فى شبه الناس، وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب». في ٢ : ٥ – ٨.

وقال الرسول أيضا : (فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غنى επτώχευσεν πλούσιος ὤν لكى تستغنوا أنتم بفقره) «٢. كو ٨ : ٩». قارن «رو ٨ : ٣».

لاشك أن فكرة (الإخلاء) هنا تشير إلى ما تم فى سر التجسد : من كان هو الله صار إنسانا، غير المحدود وغير المتناهى تنازل ليصير محدودا على نوع ما، وليدخل إلى دائرة الحياة البشرية والخبرات البشرية. وبهذا يتنحى بمعنى ما، عن مباشرة لاهوته مباشرة كاملة تامة فى الوقت الذى لم يفارقه اللاهوت، وهى الحقيقة التى اشتملت عليها كل أسفار العهد الجديد، وإن كان مار بولس هو الذى يعزى إليه تعبير (الإخلاء) كما ورد فى رسالته إلى فيلبى «٢ : ٧».

فى هذا النص، يصرح مار بولس أن المسيح هو الله من حيث أصله وجوهره، وأحواله التى كان عليها كقوله (كان فى صورة الله) μορφη θεοῦ معادلا لله، ولكنه أراد أن يتنحى عن هذه الحياة لهذا أخلى نفسه واتخذ حياة الخدمة بكل ظروفها μορφήν δούλου λαβών وصار فى شبه البشر. وهذا عمل هام من أعمال الإخلاء، تتلوه مرحلة أخرى، لأنه إذ دخل فى الأحوال الخارجية للحياة البشرية καί σχήαχτι ἑυρεθεις ὡς ανθρωπος أذل نفسه، وصار عرضة للموت، الموت على الصليب، ومهما يكن معنى كلمة صورة μορφή على وجه الدقة، فالواضح أن العبارة تتضمن أن (صورة الله) μορφή ὅεοῦ هنا قد تركت، لكى تتخذ (صورة العبد) μορφή δούλου ولكى يحيا المسيح حياة إنسانية. ويختار بإرادته أن يصير محدودا، ويقبل هذه الحالة ثم يذل نفسه ويضعها إلى أقل مستوى، وذلك بالموت، وهو أمر معيب يبعث على الخجل فى عيون الناس...

ولم يقل ماربولس شيئاً عن طبيعة حصر الله لنفسه، ومدى هذا الحصر أو التحديد، ولكن من البين أن مار بولس يعتبر (الإخلاء) فعلا أخلاقيا من جانب الله. فعلا بإرادة حرة، إذلالا إراديا، وتسليما بالذات يبلغ مداه فى الموت على الصليب.

يقول إيريناوس فى كتابه الرد على الهرطقات (١) (لأنه كما صار إنسانا حتى يمكن أن يجرب، كذلك تماما كان هو الكلمة حتى يتمجد. فبينما كان يجرب ويصلب ويموت ظل اللوغوس ساكنا ήσυχά ζοντος τοῦ Λόγου وعندما كان غالبا ومحتملا وصانعا أعمال الرحمة وقائما (من بين الأموات) وصاعدا كان اللوغوس يساعد الناموس.

وهذا تعبير واضح صريح عن تصور اللاهوت أنه كان فى حالة سكون، أو توقف عن العمل أثناء الأعمال التى يقوم بها الناسوت والتجارب التى يجتازها. فإذا سمح للناسوت بالعمل امتنع اللاهوت عن مباشرة وظائفه، ولكنه فى الوقت نفسه موجود...

ويقول أوريجينوس فى كتابه الرد على كلسس (٢) أنه ولو أن الإخلاء مشروط بمحبة الله العظمى للبشر، لكن الغرض الخاص من الإخلاء هو تمكين البشر من إدراك المجد الإلهى، فالتجسد إذن هو إضعاف وإظلام للمجد الالهى.

ويقول (أن الذى نزل إلى البشر كان أصلا فى صورة الله - كان موجودا فى البدء كإله. ونظرا لحبه للبشر أخلى نفسه εν μορφή θεοῦ, ἑαυτόν ἐκενυσεν حتى يمكن أن يدركه البشر ὑπάνορμ ζυνδυνηθ وقد أذل نفسه وتنازل، صار جسدا وهو الذى لا يمكن التطلع إلى بهاء لاهوته، الذى يبهر البصر صار الكلام عنه فى صورة جسدية، حتى يمكن للذين يقبلونه على هذا النحو وبعد أن يسمو الكلمة بهم شيئا فشيئا يصبحون قادرين أيضا على أن يتألموا، ما يمكن أن أسميه باللاهوت الفطرى مشيرا إلى ما فى صورة الله السابقة الذكر..

Τήν προηγουμένην ἐν μορφή Θεώ ὕπηρχε

فى هاتين الجملتين تكلم أوريجينوس عن الإخلاء، ولكن الفصل الذى جاءت فيه هاتان الجملتان، كان ردا على اعتراض كلسس القائل أن التجسد يتضمن تغيرا فى كيان الله ويجعله عرضة للألم Πάθος ولذلك فإن أوريجينوس يرد على هذا الإعتراض بالإلحاح على استمرار وجود اللاهوت على الرغم من (الإخلاء) فعندما اتخذ الكلمة الإلهى الذى لا يموت جسدا فانيا ونفسا إنسانية لم يتعرض لأى تغيير أو تحول μεταπλασσω أو أى إنتقال من خير إلى شر أو من الطوباوية إلى عكسها، وإنما (ظل فى جوهره Τη οὐσία هو الكلمة ولذلك لم يتأثر بشئ مما يتأثر به الجسم والنفس)، وحتى الطبيب يمكن أن يلتقى بأمور مريعة وغير سارة ويتأثر بها، ولكن بينما أن الطبيب يقع فريسة للمرض، نجد أنه هو نفسه (أى الكلمة) لا يتأثر بالمرض بل يشفى جراحات نفوسنا...

---

(١) Adv. Haer جزء ٣ ف ١٩ ف ٣

(٢) Contra Cotsam جزء ٤ ف ١٥ ص ٢٦٢

ويبين هيلارى (١) فى كتابه (فى التثليث) كيف أنه أمكن لمن هو الله منذ البدء، ولا يتوقف عن أن يكون هو (الله)، أن يتخذ (صورة العبد) التى بها أطاع حتى الموت، فمن هو (فى صورة العبد) هو ذاته الشخص الذى هو (فى صورة الله). إن اتخاذ صورة العبد شئ، والبقاء فى صورة الله شئ آخر. الصورة الأولى : لا تتفق مع الصورة الثانية. والذى يبقى فى صورة الله لا يمكن أن يتخذ صورة العبد إلا بفعل رذله لنفسه Pur evacuationam suam (صورة الله تنفى الطاعة حتى الموت، وصورة العبد تنفى صورة الله).

فمن الواضح أنه هو بعينه ذات الأقنوم أو الشخص الذى أخلى ainanivit نفسه والذى اتخذ صورة العبد.

لذلك فان نبذ evacuatio الصورة أو الشكل لا يتضمن إلغاء الطبيعة لأن الذى ينبذ نفسه لا يفقد وجوده non caret esse والذى يتخذ صورة أخرى لا يزال موجودا manet فهو هو نفسه فى حالة النبذ وحالة الأخذ، لابد أن هناك سرا Sacramentum ولكن ليس هناك ما يمنع استمراره فى الوجود، عندما يرذل صورة ما، أو يمنع وجوده عندما يتخذ صورة أخرى. وعلى ذلك فإن ترك صورة الله غايته أن صورة العبد ممكنة. وليس غايته أن يجعل المسيح الذى كان فى صورة الله أن يتوقف عن أن يكون هو المسيح، لأنه ليس أحدا غير المسيح اتخذ صورة العبد. وتغيير الشكل habitus وهو (المنظر الخارجى) الذى يدل عليه الجسم، واتخاذ الناسوت لم يبطل اللاهوت الذى لازال باقيا...

وأما القديس كيرلس فيقول (٢) : (الابن الوحيد كلمة الله نفسه، الذى ولد من ذات جوهر الآب... الذى به كان كل شئ... نزل من أجل خلاصنا، وأذل نفسه إلى أن أنكر ذاته) εαυτον εἰς κενωσιν ولكنه يضيف قائلا : وولد إنسانا من إمرأة من دون أن يخلع (أو يفقد) ما كان عليه Οὐχὸμερ ην ἀποβεβληκιυς ومع أنه جاء مشاركا فى اللحم والدم إلا أنه ظل مع ذلك على ما كان عليه، Καιουτω μεμενηκυ κυϛοπερην أى الله فى طبيعته وحقيقته... لأنه لا يقبل التغير أو التبدل ويبقى دائما على ما هو، كما جاء فى الكنيسة المقدسة. وبينما كان منظورا وطفلا فى الأقماط، ومازال فى حضن العذراء التى ولدته، كان يملأ كل الخليقة، باعتباره الله، وجالس عن يمين الله الذى ولده (٣).

---

(١) de Trinitate lx 14, xi 48, 49 xii 6 Dorner, Doctrof the person of Christ Eng. Tr, div. 1 i i p. 405 f f.

(٢) فى رسالته ٣ إلى نسطور ad Nestorium

(٣) قارن أيضا خطاب كيرلس إلى يوحنا الانطاكى فى كتاب Hewrtly ص ٢١٢.

القديس بطرس الرسول
والحبر الرومانى
فى الكتاب المقدس، وتاريخ الكنيسة،
والمجامع المسكونية

THE ECUMENICAL COUNCIL
and
THE MINISTRY OF PETER.

القديس بطرس الرسول والحبر الرومانى

أولاً: هل كان القديس بطرس رئيساً للرسل؟

القديس بطرس أحد رسل المسيح الإثنى عشر. ولم يكن للرسل رئيساً.

وليس فى كلمات المسيح له المجد نص صريح أو ضمنى يخول للقديس بطرس أن يكون رئيساً للرسل.

أما إعتراف القديس بطرس المشهور «أنت هو المسيح ابن الله الحى» (متى ١٦: ١٦)، فقد سبقه إليه يوحنا المعمدان (يوحنا ١: ٣٤)، كما سبقه إليه نثنائيل الذى أصبح القديس برثولماوس أحد الإثنى عشر (يوحنا ١: ٤٩).

ثم أن إعتراف القديس بطرس لم ينفرد به هو، وإنما شاركه فيه سائر التلاميذ.. بل وآخرون من غير الإثنى عشر... من بينهم قائد المائة الذى أشرف على تنفيذ الحكم بالصلب (متى ٢٧: ٥٤)، والمولود الأعمى الذى رد إليه المسيح البصر (يوحنا ٩: ٣٥ ـ ٣٨).

كان القديس بطرس فى إعترافه معبراً عن إيمان سائر التلاميذ وقد تكلم أولاً وقبل الآخرين لأنه كان أكبرهم سناً. ولكبر السن كرامة خصوصاً فى الأزمنة القديمة.

وكان من عادة القديس بطرس أن يتكلم قبل غيره من الرسل الإثنى عشر. وهذا يرجع إما إلى تقاليد المجتمع التى تعطى لكبير السن حق التقدم فى الكلام والإنابة عن الآخرين... وإما إلى صفة خاصة فى الرسول بطرس تتميز بها شخصيته، وهى الإندفاع فى الكلام، وسرعة التصرف... وإما إلى الصفتين معاً.

الاستناد إلى قول المسيح لبطرس «وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يربط فى السماوات، وكل ما تحله على الأرض يحل فى السماوات» (متى ١٦: ١٩) لا يعطى القديس بطرس إمتيازاً خاصاً، لأن المسيح أعطى نفس هذا السلطان للرسل جميعاً سواء بسواء وبدون تفريق (متى ١٨: ١٨). وإذن لا يفهم من قول المسيح لبطرس «وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه...» على أنه سلطان ينفرد به القديس بطرس.. وإنما هذا هو سلطان الأسقفية الممنوح من المسيح للأسقف الذى يرعى الكنيسة المبنية على صخرة الإيمان بلاهوت المسيح، وأنه ابن الله الحى، كما صرح به القديس بطرس.

الاستناد إلى قول المسيح للقديس بطرس «وأنت متى إهتديت ثبت أخوتك...» (لو ٢٢: ٣٢) لا يبرر رياسة بطرس على سائر التلاميذ...

وإنما يشير إلى أن القديس بطرس، عندما يشك فى المسيح ويلعن ويحلف بأنه لا يعرفه... ثم يتوب راجعاً إلى إيمانه... سوف يكون بذلك التصرف وبعودته إلى الإخلاص لمعلمه، سبباً فى

تثبيت إخوته فى الإيمان، بدليل قول الرب له قبل ذلك مباشرة «سمعان سمعان هوذا الشيطان قد طلبكم ليغربلكم كما يغربل القمح، ولكنى دعوت لك ألا تفقد إيمانك وأنت متى إهتديت ثبت أخوتك».

الاستناد إلى قول المسيح لبطرس الرسول ثلاث مرات «أرع خرافى» لا يبرر الرياسة للقديس بطرس.. وإنما يشير إلى قبول المسيح لتوبة القديس بطرس، ورده مرة أخرى إلى رتبته الرسولية الأولى بعد أن فقد بإنكاره مركزه كرسول للمسيح بدليل أن المسيح ناداه باسمه القديم الذى كان معروفاً به قبل صيرورته رسولاً، وهو «سمعان بن يونا»... وبدليل الحزن الذى استولى على القديس بطرس عندما كرر المسيح له السؤال، يا سمعان بن يونا اتحبنى أكثر من هؤلاء مذكراً إياه بنكثه بوعده الذى وعد به معلمه قبل الصليب «إن شك فيك الجميع فأنا لن أشك أبداً.. إننى لو اضطررت أن أموت معك فلن أنكرك».. (متى ٢٦: ٣٣ ـ ٣٥).

الاستناد إلى قول المسيح لبطرس: «أنت بطرس وأنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى» (متى ١٦: ١٨) لا يستفاد منه أن القديس بطرس كان هو الصخرة التى بنى المسيح عليها كنيسته.

١ ـ لأن بطرس كإنسان لا يمكن أن يكون الصخرة، لأن الكتاب يقرر «ومن هو الصخرة غير إلهنا» (٢. صموئيل ٢٢: ٣٢)، (مزمور ١٨ «١٩»: ٣١)، (١. صموئيل ٢: ٣)، ويقول ماربولس الرسول «والصخرة كانت المسيح» (١. كورنثوس ١٠: ٤).

٢ ـ لأن الصخرة لا تتزعزع، بطرس الرسول تزعزع إيمانه بل وكاد يفقد إيمانه فى سيده حتى قال له «ولكنى دعوت لك ألا تفقد إيمانك» (لوقا ٢٢: ٣٢) وأنكر سيده.

ثم أنه تردد فى موقفه من قبول المؤمنين من بين الأمم حتى أن القديس بولس نسب إليه خطيئة الرياء فى الإيمان (غلاطية ٢: ١٣)، كما نسب إليه اللوم وقال «إنى قاومته وجهاً لوجه لأنه كان يستحق اللوم» (غلاطية ٢: ١١).

٣ ـ إن كلمة بطرس لا تفيد صخرة، بل هى «كيفا» بالسريانية و «كيفا» معناها «حجر» وفرق بين الحجر والصخرة.

وقال الرسول بطرس عن جميع المؤمنين «وكونوا أنتم أيضاً مبنيين كالحجارة الحية» (١. بطرس ٢: ٥).

كل ما يمكن أن يقال أن القديس بطرس كان من بين المعتبرين أنهم أعمدة (غلاطية ٢: ٩، ٢، ٦).

وأنه كان من بين الثلاثة الذين صحبوا معلمهم ليشهدوا إقامته لأبنة يايروس رئيس مجمع اليهود، وصحبوه على جبل التجلى، وكانوا بالقرب منه فى جهاده فى بستان جثيمانى.

لكن هذا لا يمنح القديس بطرس إمتيازه بالرياسة لأنه من بين ثلاثة، كان أحدهم يوحنا وهو يتصف وحده بأنه التلميذ الذى كان يسوع يحبه، وأنه التلميذ الذى كان يتكىء على صدره، وأن القديس بطرس كان يتوسط به لدى معلمه أحياناً، وأنه التلميذ الذى ائتمنه على أمه العذراء مريم، وهو صاحب الرؤيا العظيمة التى كشف بها المسيح عن مستقبل الكنيسة كله.

وإن كان يذكر الأول بين الرسل نظراً لسنه ولأسبقيته فى الدعوة الرسولية، لكن القديس بولس يذكره فى رسالته إلى غلاطية بعد يعقوب (غلاطية ٢ : ٩) مما يدل على أن هذه الأولية ليست إمتيازاً خاصاً بالكرامة، وبالتالى لا تفيد معنى الرياسة بكل ما تقتضيه الرياسة من سلطة، وحق مطلق وثابت ودائم للتقدم.

ثانياً: هل كان القديس بطرس هو المؤسس لكرسى روما:

إن مصادرنا التاريخية تدلنا على أن القديس بطرس ذهب إلى روما فى أواخر أيام حياته.

وأنه أيضاً استشهد فى روما فى عهد الأمبراطور نيرون، وأنه مات مصلوباً هناك.

وكنيستنا الأرثوذكسية تعيد لإستشهاد القديس بطرس والقديس بولس فى يوم واحد.

ومع ذلك فهناك من الأسباب التى تحدو كثيرين من المؤرخين واللاهوتيين إلى إعتبار القديس بولس، لا القديس بطرس، هو المؤسس الحقيقى لكنيسة روما.

والأدلة على ذلك كثيرة من سفر أعمال الرسل الذى يذكر علاقة القديس بولس بروما وأهلها، دون أن يشير إلى القديس بطرس بشىء فى صلته بروما. وعندما ذهب القديس بولس إلى روما فى أخريات أيامه لم يذكر كاتب السفر، القديس بطرس بين الذين استقبلوا القديس بولس فى رحلته الأخيرة إلى روما نحو سنة ٦٠م، ولم يذكر أيضاً شيئاً عن القديس بطرس فى كل المدة التى قضاها القديس بولس فى روما وهى مدة سنتين كاملتين (أعمال الرسل ٢٨ : ٣٠، ٣١). أنظر أيضاً (أعمال الرسل ١٩ : ٢١)، (٢٣ : ١١)، (٢٧ : ٢٣، ٢٤)، (٢٨ : ١٤، ١٦).

وكذلك عندما كتب القديس بولس رسالته إلى رومية - التى يرجعها المؤرخون وعلماء الكتاب المقدس إلى سنة ٥٧ ميلادية - لم يشر فيها بشىء إلى القديس بطرس، لا من قبل ولا من بعد، ولم يذكره لا فى مطلع الرسالة بين من أرسل إليهم رسالته، ولا فى نهاية الرسالة بين الكثيرين الذين ذكر أسماءهم إسماً إسماً وهو يهدى السلام إليهم...، ولم يذكر بتاتاً إسم القديس بطرس فى ثنايا الرسالة لا تصريحاً ولا تضمينا ولم يشر إليه إطلاقاً.

وإذا كنا نعلم أن القديس بولس اتخذ لنفسه مبدءاً فى الخدمة والكرازة وهو على حد تعبيره «وحرصت أن لا أبشر بالإنجيل فى موضع دعى فيه اسم المسيح لئلا أبنى على أساس غيرى» (رومية ١٥: ٢٠).

وأكد نفس المبدأ مرة أخرى فى رسالته الثانية إلى كورنثوس (١٠: ١٣ ـ ١٦) فإنه يصعب تصور أن روما قد بشر فيها القديس بولس قبل سنة ٥٧م.

لذلك نميل إلى الرأى القائل بأن القديس بطرس لم يذهب إلى روما إلا فى أواخر أيام حياته حيث مات هناك مصلوباً «فى أيام نيرون، مع القديس بولس الذى قطعت رأسه بالسيف نحو سنة ٦٢ أو ٦٣ ميلادية.

ثم أن كتابات الآباء فى العصور الأولى، خصوصاً الآباء الرسوليين، لا تشير بوضوح إلى القديس بطرس، كمؤسس لكرسى روما.

من ذلك رسالة اكليمنضس الرومانى إلى كنيسة كورنثوس والتى أُكتشفت فى سنة ٩٦ ميلادية، ففى هذه الرسالة يشار إلى القديس بطرس على أنه تحمل آلام الشهادة وإنتقل إلى المجد، كما يتحدث الكاتب بأكثر تفصيل عن القديس بولس، ولكنه لا يشير صراحة أو ضمناً إلى مركز خاص للقديس بطرس بالنسبة إلى كنيسة روما.

وبالمثل نجد الرسولين يُذْكَرَانِ فى رسالة القديس إغناطيوس إلى أهل رومية من دون أن ينسب إلى القديس بطرس وضع خاص كمؤسس لكرسى روما.

ثالثاً : هل لأسقف روما رياسة أو تقدم على جميع أساقفة العالم المسيحى؟

هذه قضية تفتقر إلى أساس دينى روحى لاهوتى لمساندتها.

يمكن أن يقال أنه نظراً لمكانة المدينة السياسية والثقافية والإجتماعية والدولية يعظم شأن الأسقف القائم بمسئوليتها الرعوية.

وهذه حقيقة تاريخية تأيدت على المستويين، العالمى والمحلى...

أما على المستوى المحلى... فقد أخذ ينمو نفوذ أسقف عاصمة الإقليم فى أى بلد على حساب نفوذ الأساقفة الآخرين فى نفس الإقليم... وذلك تبعاً لأهمية العاصمة المدينة التى يقيم فيها الملك أو الحاكم وأعضاء حكومته، ويدين لها بالخضوع حكام المقاطعات التابعة للإقليم. ولابد لأهمية العاصمة سياسيا وإقتصادياً وإجتماعياً وثقافياً أن يترك أثرها على أهميتها الدينية والروحية، فينمو تبعاً لهذا نفوذ أسقفها أكثر من الأساقفة الآخرين فى كل المقاطعات، وشيئاً فشيئاً يدينون له بالولاء والخضوع إذ يصير بالنسبة للجميع رمز وحدة الكنيسة فى الإقليم.

هكذا أمتد نفوذ أساقفة العواصم واعتبروا مقدمين على غيرهم، وشيئاً فشيئاً نما هذا التقدم فصار رياسة.

هذا إلى أن بعض العواصم أخذت كرامة خاصة، كرامة تاريخية على أساس دينى... فالمدن التى إنطلق إليها الرسل، وصارت من بعدهم كراسى رسولية أخذ نفوذها ينمو على أساس تاريخها وكرامتها الروحية. ولا ننسى هنا أن العواصم التى سميت فى القرون الأربعة الأولى كراسى رسولية كانت لها فى نفس الوقت أهميتها المدنية والسياسية، مثال ذلك أورشليم، وروما، والأسكندرية، وأنطاكية، ولحقت بها بعد ذلك القسطنطينية التى سميت بروما الجديدة بعد أن اتخذها الأمبراطور قسطنطين عاصمة ملكه.

وليس من شك فى أن تقدم أسقف العاصمة على غيره من الأساقفة لا يرجع إلى صفات شخصية، بقدر ما يرجع إلى المركز الذى يشغله باعتباره أسقف العاصمة ... وعلى قدر ما يكون شأن العاصمة من أهمية عالمية، تكون شهرة الأسقف الذى يشغل مركز راعيها، وتقدمه على الآخرين من الأساقفة، على الرغم من أنه قد يكون بين هؤلاء الأساقفة من يفضل أسقف العاصمة روحانية وتقوى وعلماً وحكمة...خاصة وأن أسقف العاصمة لم يكونوا يختارونه من بين الأساقفة، وإنما من بين الرهبان والكهنة والشمامسة كما يختار أى أسقف آخر.

واليوم ينظرون إلى أسقف اسطنبول وهى القسطنطينية القديمة - على أنه مقدم على جميع الأساقفة والبطاركة الذين يرأسون الكنائس الأرثوذكسية التى تتبع الطقس البيزنطى، على الرغم من أن المسيحيين الذين يتبعون البطريرك المسكونى فى اسطنبول لا يزيدون عن عشرة آلاف نسمة، بينما أن بطريرك موسكو وكل روسيا يتبعه نحو ٩٠ مليوناً...

إذن فأهمية البطريرك المسكونى فى اسطنبول، وتقدمه على عدد كبير من البطاركة الأرثوذكسيين الذين يتبعون الطقس البيزنطى، يرجع إلى أهمية اسطنبول أو القسطنطينية التاريخية بإعتبارها عاصمة الأمبراطورية الرومانية الشرقية منذ عهد قسطنطين.

على نفس القياس، نفهم مكانة أسقف روما فى زمن كانت فيه روما عاصمة الدولة الرومانية، أو قل عاصمة العالم بأسره... وظلت روما تتمتع بهذه المكانة قروناً طويلة هى القرون التى شهدت قيام الكنيسة المسيحية وازدهارها وإنتشارها حتى صارت ديانة عالمية إمتد نفوذها الروحى إلى العالم كله.

وحتى القسطنطينية عندما اتخذها قسطنطين قاعدة لملكه، أخذت لقب روما الجديدة مما يدل على أن روما كانت ولا زالت حتى بعد أن صارت القسطنطينية العاصمة الجديدة للأمبراطورية، تتمتع بمكانتها التاريخية وشهرة اسمها، ولذلك فإن القسطنطينية إستعارت اسم روما لعلها بذلك

تحتل شيئاً فشيئاً المكانة التى كانت لروما فى كل التاريخ العريض الذى إمتد مئات السنين.

هذا هو السبب الحقيقى الذى يفسر لنا تقدم أسقف روما على الصعيدين والمستويين العالمى والمحلى.

أما المحلى فلأن روما عاصمة إيطاليا، فكان لابد لأسقفها تبعاً لأهميتها كعاصمة أن يتقدم أساقفة كل إيطاليا ومقاطعاتها، ثم بعد ذلك مستعمراتها، ولذلك أخذ لقب «أسقف روما وبطريرك الغرب».

وأما العالمى، فكان لابد تبعاً لشهرة روما واتساع نفوذها السياسى، وتحكمها فى مصائر الملايين من البشر فى كل المسكونة - أن ينمو نفوذ أسقفها فيصير نفوذاً أدبياً عالمياً حتى لو لم يكن دائماً إدارياً..

يضاف إلى هذا أن أسقف روما، أخذ شيئاً فشيئاً نفوذه ينمو فيصير سلطاناً روحياً، تخضع له حكام وملوك وأباطرة، وفى عصور التقوى والإيمان تطغى قيمة الروح على المادة، وتزداد أهمية السلطة الدينية الروحية عن السلطة المدنية، ويصير الشعب كله بما فيه الحكام والملوك أنفسهم يدينون بالخضوع لسلطان الأسقف دينياً أولاً، ويأخذ نفوذ هذا السلطان فى الامتداد حتى يشمل الحياة الإجتماعية... وشيئاً فشيئاً يتقلص مع الأيام نفوذ السلطة المدنية، حتى يمسى ضئيلاً جداً وفى نطاق محدود. ولا يجد الملك نفسه مناصاً من أن يخضع لهذا السلطان وينحنى أمامه من أجل نجاح نفسه كمؤمن أولاً، ثم لكى ينجح فى حكم شعبه الذى يدين للسلطان الروحى للأسقف.

وتاريخ أوربا والغرب كله حافل بالأحداث والوقائع، التى يبرز فيه سلطان بابا روما لا روحياً فقط - فهذا أمر لا جدال فيه - وإنما إجتماعياً ومدنياً أيضاً، حتى شهدت أوربا صراعاً طويلاً بين النفوذ الروحى ممثلاً فى بابا روما، وبين النفوذ المدنى ممثلاً فى أباطرة إيطاليا، والبلاد الأخرى التى تخضع للنفوذ الروحى لبابا روما مثل ألمانيا والنمسا وغيرها من بلاد أوربا... وكان دائماً النفوذ الروحى يقوى على النفوذ المدنى، مما كان يضطر الأباطرة والملوك إلى الخضوع لبابا روما صاغرين، حتى لو كان ذلك على مضض منهم، وكانوا يضطرون أحياناً إلى تصرفات شكلية ظاهرية يبدون فيها خضوعهم لبابا روما، فيها ما فيها من إذلال لهم يكتمونه فى قلوبهم، كالإذلال التاريخى المعروف بإذلال قلعة كانوسا Canossa ، بشمال إيطاليا، تذلل فيه الأمبراطور هنرى الرابع أمبراطور ألمانيا (١٠٥٦ - ١١٠٦) أمام البابا غريغورى السابع لينتزع منه الحل لأن هذا الحل كان ضرورياً ليحفظ ملكه وسيادته فى ألمانيا.

ولا نعتقد أن هناك براهين دينية أصيلة تساند أسقف روما فى أسبقيته وتقدمه على غيره من أساقفة الغرب، أو أساقفة العالم المسيحى.

ولذلك، فإن ما يقال عادة عن رياسة القديس بطرس على سائر التلاميذ، هو من قبيل المحاولات الإنسانية العقلية لتبرير إتجاه إرادة الراغبون فى هذه الرياسة.

لأنه كما قلنا سابقا لا يوجد دليل حاسم صريح أو ضمنى من الكتاب المقدس سواء من الأناجيل أو سفر أعمال الرسل، أو من الرسائل يؤيد هذه الرياسة.

ولو قبل جدلاً أن يكون للقديس بطرس هذه الرياسة وهذا التقدم، فإن هذه الرياسة ترجع إلى صفات القديس بطرس الشخصية أو إلى كرامة سنه، فلماذا تمتد هذه الرياسة إلى خليفة القديس بطرس بالذات؟ ولماذا لا تكون مثلاً لخليفة القديس يوحنا الرسول، وهو الرسول الذى كان يسوع يحبه؟ ولماذا لا تكون للقديس يعقوب الكبير الذى مات شهيداً فى أورشليم مدينة إلهنا؟ ولماذا لا تكون لخليفة القديس يعقوب الصغير المعروف بأنه أخو الرب، والمسمى لعظمة تقواه وزهده بأنه يعقوب البار، ولا سيما أنه هو الذى أصبح أسقف أورشليم، وقد رأس المجمع الرسولى العظيم الذى إنعقد فى أورشليم من الآباء الرسل، وكان رأيه الذى أبداه فى مشكلة قبول الأمم هو القرار الذى اتخذه المجمع الرسولى سنة ٥١ أو ٥٢م.

هل تقر المسيحية وهى ديانة روحانية تصوفية امتيازات روحية على أساس غير روحى؟

ولماذا ينال خليفة القديس بطرس فى روما هذه الإمتيازات، ولا ينالها خليفة القديس بطرس فى أنطاكية؟

لقد قلت أن من المحقق أن يكون القديس بطرس قد مات شهيداً فى روما، وأن قبره فيها، ولكن ما لا يمكن إثباته بدليل قاطع، هو أن يكون القديس بطرس هو مؤسس كرسى روما، بينما أن من الثابت تاريخياً أن القديس بطرس هو مؤسس كرسى أنطاكية، فلماذا يكون خليفته فى روما مقدما على أساقفة العالم، ولا يتمتع خليفته فى أنطاكية بهذه الإمتيازات لو أن أساس هذا الإمتياز هو خلافة القديس بطرس روحياً فقط.

وقيل أيضاً أن القديس بطرس قام بزيارة كورنثوس وبعض المناطق الأخرى وأنه بشر بالإنجيل هناك، فلماذا لا يدعى أسقف كورنثوس أو أثينا أن يكون هو كذلك رئيساً ومقدماً على أساقفة العالم؟

وإذا كان موضوع الخلافة الأسقفية فى المكان هو أساس التقدم بين الأساقفة، فلماذا لا يكون أسقف أورشليم بالذات، هو الأسقف المقدم على جميع أساقفة العالم، لأنه أسقف المدينة المقدسة التى كرز فيها الراعى الصالح الذى بذل نفسه من أجل الخراف، ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع

المسيح، الذى وصفه القديس بطرس للمؤمنين بأنه «راعى نفوسكم وأسقفها» (رسالة القديس بطرس الأولى ٢ : ٢٥) ؟

إن كل ما يقال عن رياسة أسقف روما أساسه مدنى سياسى، وليس له أساس دينى واضح، إلا أن يكون مجرد تبريرات لإتجاه سياسى مدنى يبحث عن تكئة دينية.

فإذا قيل أن هناك أدلة تاريخية تثبت أنه كان لأسقف روما نفوذاً روحياً خارج نطاق إيبارشيته، فيلاحظ عموماً أن هذا النفوذ كان فى بعض الأحيان نفوذاً مشروعاً، وكان فى أحيان أخرى تجاوزا للحدود، وقد وجد هذا التجاوز من يصده ويعتبره خطأ وتعدياً من بابا روما على حدود غيره من الأساقفة.

أما الحالات التى كان نفوذ بابا روما خارج نطاق إيبارشيته، يعد عملاً رعائياً مشروعاً، فهى: ظروف الإضطهاد أو الضيق التى تعانيه كنيسة ما، خصوصاً إذا كان هذا الإضطهاد أو الضيق قد أطاح بأسقفها، فصارت بلا أسقف يرعاها ويهتم بشئون المؤمنين فيها، فالمحبة المسيحية تملى على أسقف روما كما على غيره من الأساقفة، أنه ينبرى للإهتمام بشئون الكنيسة المضطهدة، مبدياً مشاعر المحبة وما تقتضيه المحبة الصادقة، من تصرفات عملية للأخذ بيد تلك الكنيسة وتشجيعها والإهتمام بمصالحها.

من ذلك رسالة أسقف روما سوتير (١٦٦ ـ ١٧٤) التى وجهها إلى كنيسة كورنثوس، حيث كان المؤمنون يعانون ضيقاً شديداً فى الخنادق، فكتب أسقف روما يشجعهم بكلمات مقوية للإيمان، كما أرسل إليهم مساعدات مادية كان المؤمنون فى كورنثوس فى حاجة إليها.

ومن ذلك أيضاً ما يستفاد من كتاب ديونيسيوس أسقف كورنثوس حوالى ١٧٠م، إلى أهل رومية يمتدح أعمال البر التى صنعوها بإخوتهم، مشيراً إلى هذا التقليد الحميد الذى ساروا عليه بمساعدة كنائس عدة، وتقديم الخير لجميع الأخوة.

ومن هذا القبيل أيضاً، المجهود الذى بذله الأسقف الرومانى فيكتور (١٨٩ ـ ١٩٩) مستغلاً نفوذ صديقه القيصر Commodus Martius لتحرير المسيحيين الذين كانوا يعملون فى خنادق سردينيا، فهو عمل مسيحى يقدم خدمة مسيحية، لقوم هم فى حاجة إليها.

ونحن مدعوون لعمل الخير لجميع الناس لا سيما لأهل الإيمان. إن مثل هذه الأعمال الخيرة لا تخضع لحدود الإيبارشيات، وليست دليلاً على الرياسة بل هى برهان على المحبة العامة لجميع الناس.

وهناك سبب آخر يبيح لأسقف روما ولأى أسقف آخر، أن لا يتقيد بحدود إيبارشيته، وهو عندما يكون الإيمان فى خطر، أو تتهدده هرطقة ما أو إنحراف ما فى أية بقعة من بقاع

الأرض. فى هذه الحالة يمكن لأى أسقف أن يتكلم فى شئون الإيمان ولا يعترضه أحد...

هكذا كان ولا يزال هذا الحق مشروعاً لكل أسقف. من هنا كان تدخل بابا روما فى العصور الأولى، وبمناسبة بعض الهرطقات ، تدخلاً مشروعاً تقتضيه واجباته الأسقفية، فالأسقف خليفة للرسل وهو مرسل للعالم بأسر، كما قرر بذلك بحق المجمع الفاتيكانى الثانى.

وبهذا المنطق أجاب البابا كيرلس الأسكندرى فى القرن الخامس للميلاد، على نسطور بطريرك القسطنطينية عندما وجه إليه لوماً، لأنه تعرض فى خطابه الفصحى ٤٢٩م لبدعة نسطور ونددد بها وأظهر خطأها، فرد البابا الأسكندرى أنه لا يجوز لأسقف أن يتعدى حدود إيبارشيته إدارياً أو تنظيمياً، أما فى شئون الإيمان والعقيدة فليس للأسقف حدود. ومن حق كل أسقف بل من واجبه أن ينبرى للدفاع عن الإيمان المسيحى لأنه إيمان الكنيسة الجامعة الرسولية.

أما الحالات التى تجاوز فيها بابا روما حدود نطاق إيبارشيته، وكان هذا تجاوز غير مرغوب فيه من أساقفة آخرين، فهناك أمثلة عليها... وفى بعض الأحيان لم تمر هذه التجاوزات بسهولة، فوجدت من بعض الأساقفة رفضاً شديداً واحتجاجاً واضحاً، على الرغم مما كان يتصف به هؤلاء الأساقفة من تقوى وروحانية.

من ذلك ما كان من تصرف البابا فيكتور، الذى أصدر قراراً يلزم كنائس آسيا الصغرى، بتغيير ترتيبها فيما يختص بالإحتفال بعيد القيامة، وزاد على ذلك بمحاولة حرمان الكنائس الشرقية التى لا تخضع لهذا القرار... فقد وجد هذا التصرف معارضة شديدة من بوليكاربوس أسقف أفسس الذى كان يمارس ذلك الترتيب الشرقى، ورد على البابا فيكتور، بأنه وأساقفة آسيا الصغرى يمارسون الإحتفال بعيد القيامة طبقاً للتسليم الرسولى، وأنه هو نفسه أسقف، بل هو ثامن أسقف لمدينة أفسس من أسرة واحدة وأنه قد قرأ الكتاب المقدس كله، وأنه لا يخشى أى تهديد. وقد تدخل القديس إيريناوس أيضاً فى هذا الأمر، وكتب إلى البابا فيكتور يحذره من التدخل فى هذا الأمر... الذى ظل كذلك موضوع نزاع حتى أصدر فيه المجمع المسكونى الأول قراره الذى احترمه الكل. وهذا بينة على أهمية المجامع المسكونية، وأن سلطتها تفوق وتعلو سلطة أى أسقف آخر.

ومن هذا القبيل أيضاً الخلاف بين البابا الرومانى كورنيليوس ونوفاتيان Novatian فقد أحتكم الإثنان إلى البابا الأسكندرى ديونيسيوس، وهذا ذاته بينة على أن أسقف روما كان كغيره من أساقفة العالم، يراسل غيره من الأساقفة ليسأله رأيه فى قضية من قضايا الإيمان، أو فى مشكلة كنائسية دون أن يكون فى ذلك معنى من معانى الرياسة أو السيادة، وإنما طلب المشورة من أخ له نفس المسئولية كأسقف مسئول فى الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية.

وما لم تقتنع الأطراف المعنية كانت المجامع المسكونية هى الحل الأمثل الذى يضع حداً للخلاف، وكان حكمها هو الفيصل فى النزاع، ولم يكن لأسقف ما أن يجادل فى سلطة المجامع المسكونية، كمرجع أعلى يحتكم إليه الجميع على أنه صوت الروح القدس بعينه...

أى أسقف هو الأعظم فى ملكوت السماوات:

فإذا قيل أن الكنيسة الجامعة الرسولية لابد لها من راع واحد، يرأسها ويكون رمز وحدتها ويصير الوكيل عن المسيح فيها.

فإن الرسول بولس يتحدث عن وكلاء لا عن وكيل واحد (رسالة كورنثوس الأولى ٤ : ١) وكذلك القديس بطرس (رسالته الأولى ٤ : ١٠).

ولكل وكيل عمله ودائرة إختصاصه، فى نطاق الإيمان الواحد للكنيسة الجامعة الرسولية التى تمتد عبر الزمان وعبر المكان، لتكون هى جسد المسيح السوى ورأسها واحد غير منظور هو المسيح... أما الأساقفة فوكلاء عن الرأس الواحد غير المنظور.

فإذا أقتضى الأمر، أن يبت فى مسألة عامة تخص الإيمان كله، وتخص كيان كنيسة الله الواحدة، اجتمع الأساقفة فى مجمع الأساقفة، بحضور الكتاب المقدس كرمز منظور لحضور المسيح السرى بينهم، وإذا تكلموا فالروح القدس هو المتكلم فيهم كما وعدهم (لوقا ١٢ : ١٢) على غرار ما فعل الرسل فى أورشليم، فى أول مجمع رسولى عام عرفته الكنيسة المسيحية فى تاريخها، بصدد مشكلة المؤمنين من الأمم وهل يلتزمون بالتهود والختان وحفظ يوم السبت وشريعة العهد القديم...

ولو كان أباؤنا الرسل يعرفون أن القديس بطرس هو الرئيس الأعلى لهم، وأنه رمز وحدتهم الذى يتحدث وحده باسم المسيح، وأنه لو نطق هو لصمت الباقون صاغرين مطيعين لما عقدوا مجمعهم. فإنعقاد المجمع الرسولى فى أورشليم دليل على أن سلطة المجمع هى فوق سلطة القديس بطرس أو غيره من الآباء الرسل، ولذلك فإنهم بعد مناقشات طويلة سجلها الإصحاح الخامس عشر من سفر الأعمال، أصدروا قرارهم الرسولى ونسبته إلى الروح القدس وحده وإلى المجمع كله وكتبوا هكذا.

«فقد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر..» (أعمال ١٥ : ٢٨).

والغريب أن قرار المجمع الرسولى، قد حسم مشكلة كان القديس بطرس رأيه متردداً فيها، حتى وصفه القديس بولس بأنه فى ذلك كان مرائياً وقال عنه القديس بولس فى رسالته إلى غلاطية:

«ولكن لما قدم بطرس إلى أنطاكية قاومته وجهاً لوجه، لأنه كان يستحق اللوم، ذلك أنه قبل أن يقدم قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم، فلما قدموا توارى وتنحى خوفاً من أهل الختان. فجاراه سائر اليهود فى ريائه حتى أن برنابا إنقاد أيضاً إلى ريائهم. فلما رأيت أنهم لا يسيرون سيراً مستقيماً كما يقتضى حق الإنجيل قلت، لبطرس أمام الجميع: إن كنت أنت مع كونك يهودياً تعيش كالوثنيين لا كاليهود يتهودوا فكيف تلزم الأمم أن يتهوروا... الخ (غلاطية ٢ : ١١ ـ ٢١).

فإذا كان آباؤنا الرسل وهم أحياء، قد رأوا أن سلطة المجمع هى فوق سلطتهم كأفراد، وفوق سلطة كل منهم على إنفراد... وأن القرار الصادر منهم هو قرار الروح القدس نفسه، وهو حكم الله وأمره وسلطانه وقضاؤه.

«الله قائم فى مجمع الله. فى وسط الآلهة يقضى» (مزمور ٨١ «٨٢» : ١).

فهذا دليل للكنيسة أنه يوم تنشب مشكلة تتصل بالإيمان، فللمجامع المسكونية من جميع أساقفة العالم وبغير إمتياز لواحد على آخر، حق البت فى المشاكل بسلطان الروح القدس العامل فيهم... ولا تستأنف قرارات المجامع المسكونية لأسقف آخر، لأن سلطة المجامع هى فوق سلطة الأساقفة.

وليس غريباً أن نلاحظ أن القديس بطرس كان عضواً فى المجمع الرسولى العظيم، ولم يكن رئيساً له وكانت الرياسة لأسقف الإقليم هو القديس يعقوب الرسول، والمتأمل يجد أن ما ورد فى نص قرار المجمع، ورد بنصه فى كلمة القديس يعقوب التى ألقاها فى وسط المجمع.

ومن هنا نفهم أنه لم يكن للقديس بطرس فى العصر الرسولى نفسه، أى إمتياز عملى يرفعه فوق الرسل، بل كان واحداً من مجمع الأساقفة أو الرسل... وأن سلطة المجمع هى أعلى سلطة فى الكنيسة... وأن الرياسة للمجامع يمكن أن تكون لأسقف المدينة التى ينعقد فيها المجمع، أو يمكن أن تكون لأحد الأساقفة بإختيار الأساقفة أنفسهم، وتكون رياسته رياسة مؤقتة وبإختيار الأساقفة، ولا تعطيه هذه الرياسة المؤقتة حقوقاً خاصة فى فرض رأية، بل تكون رياسته تدبيراً مجمعياً يقتضيه التنظيم، وتيسير أبحاث المجمع ومناقشاته للوصول إلى رأى حاسم يعبر عن إيمان الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية.

تعليم كنيسة الأسكندرية
وأخواتها الكنائس الأرثوذكسية
الشرقية القديمة
فيما يختص
بطبيعة السيد المسيح

تعليم كنيسة الأسكندرية (١)
وأخواتها الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة
فيما يختص بطبيعة السيد المسيح

ثمة مسألتان جديرتان بالنظر، فيما يختص بكنيستنا القبطية الأرثوذكسية المرقسية الأسكندرية.

الأولى : أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كنيسة شديدة المحافظة والاستمساك بالتعاليم المسيحى القديم، والتقليد الرسولى الأول.

يمكن أن يقال بصفة عامة أن شعبنا القبطى من أعرق الشعوب تديناً، إن لم يكن أعرقها بالفعل، على ما يقول المؤرخ اليونانى هيرودوت. هذه الخاصية لازمتنا لامن اليوم الذى اعتنقنا فيه دين المسيح فقط، بل قبل ذلك بقرون طويلة، أعنى منذ بدأت الحضارة الأولى وقبل أن يبدأ التاريخ. فالشعور الدينى موروث فى شعبنا، وحبه يجرى فى عروقنا ودمائنا. ونحن لا نجرؤ على أن نغير فى عقائدنا الدينية كما سلمتها إلينا كنيستنا. ولقد نشأنا وتربينا على المحافظة على تعليمنا المسيحى، وعلى أن نسلمه إلى أولادنا والآتين بعدنا بدون أى تحوير أو تغيير، وعلى أن نتركه وديعة فى أيديهم فى صورته الأولى القديمة، طاهرا من كل زيادة أو نقص، طبقا لأمر ربنا فى سفر الرؤيا «ولكن تمسكوا بما هو عندكم إلى أن أجئ» (٢).

الثانية : أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كنيسة روحانية عميقة، أوهى كنيسة صوفية باطنية جوانية.

لقد جابه قادتها الروحانيون الفلسفة والفلاسفة، ومع ذلك عرفوا أن لا يخلطوا الدين بالفلسفة. فليس أخطر على ديانتنا من خلط الدين بالفلسفة. هذا الخلط هو أصل الهرطقة (٣) وإن أكثر الهراطقة (٤) بدأوا رجالا أتقياء ولكنهم خلطوا الدين بفلسفتهم الخاصة فضلوا وهرطقوا. على أن الفلسفة فى ذاتها نافعة، وهى هامة وضرورية لرجال الدين واللاهوتيين.

يجب على رجل الدين أن يدرس الفلسفة ويتعمق فى دراستها ليصبح على علم بأساليب الفلاسفة وطرق تفكيرهم، ومن ثم يكون أقدر على أن ينفذ إلى عقولهم فيقنعهم بحقائق الديانة

---

(١) الكلمة التى ألقاها المؤلف ممثلاً لوجهة نظر كنيسة الأسكندرية، فى المؤتمر العالمى الذى إنعقد بمدينة القدس القديمة فى المدة من ١٢ – ١٥ أبريل ١٩٥٩م (من ٤ – ٧ برمودة ١٦٧٥ ش).

(٢) الرؤيا ٢ : ٢٥

(٣) الهرطقة كلمة دخيلة على اللغة العربية من اللغة اليونانية، وهى تفيد فى أصلها اليونانى (مدرسة فكرية) ولكنها أمست تقال إصطلاحيا على كل مذهب دينى إنحرف عن المذهب الأرثوذكسى.

(٤) الهراطقة هم «الخوارج» على الكنيسة.

المسيحية. ولكن هناك فارق ضخم بين أن يقرأ رجل الدين الفلسفة ويناقش نظرياتها، وبين أن يتحول الدين عنده إلى فلسفة. ولعل من أكبر الأخطاء التى يقع فيها المفكرون أحياناً، أن يظنوا أن المصطلحات والتعبيرات الفلسفية قادرة على أن تنقل نقلا أمينا ودقيقا المعانى اللاهوتية. إن المصطلحات الفلسفية لا تصلح دائما أن تعبر تعبيرا صادقا، عما يريد الفلاسفة أنفسهم أن يبينوه، ولهذا يضطرون أحياناً لضيق اللغة، أن ينحتوا ألفاظا جديدة للتعبير عن المعانى الجديدة التى يقصدونها. وهناك فلاسفة آخرون يكتفون باستعمال الألفاظ المألوفة ولكن بمعانى أخرى جديدة مختلفة بعض الإختلاف، أو بعيدة كل البعد عن المعانى المعروفة. وإذا كان ذلك كذلك فيما يتصل بدائرة الفلسفة، أفلا يكون نفسه فيما يتصل بدائرة الدين والإلهيات؟ بل ألا يكون حرياً بالأكثر فى شئون ديانتنا، أن لا نعتمد فى فهم حقائقها واستيعاب معانيها على مصطلحات فلسفية وتعبيرات إنسانية، لاسيما إذا كانت هذه الحقائق تتعلق بالجوهر الإلهى أو الطبيعة الإلهية؟

إنى أجرؤ على أن أقرر أن الخلاف، كل الخلاف، بين الكاثوليك ومن يقول بقولهم من أصحاب الطبيعتين، كالبروتستانت وبعض الأرثوذكس الذين يعترفون بمجمع خلقيدونية من جانب، وبين القائلين بالطبيعة الواحدة فى السيد المسيح، وممن لا يؤمنون بقانونية مجمع خلقيدونية من جانب آخر - أقول إن الخلاف بين هؤلاء وأولئك خلاف فلسفى صرف، يقوم على أساس التعبير الصحيح الذى ينبغى أن يعبر به عن الاتحاد (ἕνωσις) الكائن بين لاهوت السيد المسيح وناسوته.

أما نحن فى الشرق، فإننا نتخوف كل التخوف، من استخدام مصطلحات فلسفية فى تعريف أو تحديد معنى أو حقيقة من الحقائق اللاهوتية. فالكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية (وهى كنيسة الأسكندرية والكنيستان السوريانية والأرمنية) تؤمن بلاهوت المسيح كما تؤمن أيضاً بناسوته. ولكن المسيح عندهم طبيعة واحدة مع ذلك. وقد يبدو فى هذا نوع من التناقض. ولكن على الرغم مما يبدو فى هذا من تناقض منطقى عقلى، إلا أن كنيستنا لا ترى فيه شيئا من التناقض لأنها تنظر إلى طبيعة السيد المسيح نظرة صوفية روحانية، يحل فيها كل ما يبدو أمام الفكر البشرى أنه متناقض عقلى أو فلسفى. فيها لا يسأل المسيحى لِم !؟ أو كيف ؟

إن فى ديانتنا أسراراً نؤمن بها ونقبلها بكل يقين وإيمان، لالشئ إلا لأنها قد أعلنت لنا من الله. ونحن نؤمن بها على الرغم من معارضتها لحواسنا ومناقضتها لعقلنا المادى، لالشئ إلا لأننا أيقنا أنها من الله. وكما نؤمن بوجود الله وأنه قادر على كل شئ، كذلك نؤمن بأسرار ديانتنا من دون أن نكون فى حاجة إلى أن نسأل. لِم؟! أو كيف؟ ولا شك أن العقل الفلسفى لا يستطيع أن يقبل هذا الإيمان الصوفى. ولكن العقل الفلسفى ليس فى الواقع عقلا روحيا على الحقيقة. إنه عقل لا يؤمن إلا بقدراته ومقاييسه وحدها. والديانة بالنسبة إلى العقل الفلسفى هى

علم، يمكن أن يوضع على قدم المساواة مع أى فرع آخر من فروع المعرفة الإنسانية. والعقل الفلسفى يحاول أن يخضع الديانة لذات المنهج العلمى الذى تخضع له كل فروع المعرفة المادية. ومن هنا فقد يدخل إلى الدين مناهج التحليل والتصنيف والاستنباط والاستقراء، وما إليها من أجل أن تجعله أكثر إساغة وقبولا للعقل الفلسفى.

وياللأسف، أننا لا نستطيع بهذا المنهج فى معالجة المسائل الدينية والحقائق اللاهوتية، أن نفهم روح الديانة. فعندما يتدخل العقل، تقف التجربة الروحية الصوفية، بل تختفى. إن لنا أن نستخدم عقولنا إلى حد معين، وحينئذ يجب أن يقف العقل ويسلم قياده للتجربة الروحية الصوفية.

الإيمان الأرثوذكسى فى طبيعة السيد المسيح

إن الإيمان الأرثوذكسى كما نعترف به فى كنيستنا هو أن ربنا يسوع المسيح كامل فى لاهوته، وكامل فى ناسوته. ومع ذلك لانجرؤ على القول إنه إله وإنسان معاً. لأن هذا التعبير ينطوى على معنى الانفصال بين اللاهوت والناسوت. وإنما نقول بالحرى أنه «الإله المتجسد» فاللاهوت والناسوت متحدان فيه اتحاداً تاماً فى الجوهر، وفى الأقنوم، وفى الطبيعة. ليس هناك انفصال أو افتراق بين اللاهوت والناسوت فى ربنا يسوع المسيح. بل أنه منذ اللحظة التى حل كلمة الله فى رحم السيدة العذراء، اتخذ الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس، من دمها، أى من دم العذراء، جسدا بشرياً ذا نفس إنسانية ناطقة عاقلة، واتحد بالناسوت الذى أخذه من القديسة مريم العذراء. فالمولود من القديسة مريم، إذن، هو الإله المتجسد، جوهر واحد، شخص واحد، أقنوم واحد، طبيعة واحدة. أو قل هو طبيعة واحدة من طبيعتين، وبعبارة أخرى يمكن أن نتكلم عن طبيعتين من قبل أن يتم الاتحاد، أما بعد الاتحاد فهناك طبيعة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين.

وعلى ذلك فالاتحاد الذى تقول به الكنائس الأرثوذكسية التى لاتعترف بمجمع خلقيدونية يختلف اختلافاً جوهرياً وأساسياً عن نوع الاتحاد الذى يقول به يوطيخا.

يقول يوطيخا إن ربنا يسوع المسيح طبيعة واحدة، ولكن على أساس أن ناسوت المسيح قد تلاشى تماماً فى لاهوته، اختلط به وانعدم فيه، مثله مثل نقطة الخل عندما تختلط بالمحيط. فيوطيخا ينكر فى الحقيقة ناسوت السيد المسيح إنكاراً تاماً.

وتقول الكنائس الأرثوذكسية التى لا تعترف بمجمع خلقيدونية، بأن السيد المسيح طبيعة واحدة تجتمع فيها الصفات والخصائص الإنسانية أو الناسوتية وجميع الصفات والخصائص اللاهوتية، بدون اختلاط، وبدون امتزاج، وبدون تغيير. وهذا هو الإيمان الذى يجهر به الكاهن فى القداس القبطى عندما يتلو الإعتراف الأخير وهو يحمل الصينية المقدسة على يديه، قائلا :

«آمين، آمين، آمين. أؤمن. أؤمن، وأعترف إلى النفس الأخير أن هذا هو الجسد المحيى الذى أخذه ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، (أخذه) من سيدتنا وملكتنا كلنا والدة الإله القديسة مريم، وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط، ولا امتزاج، ولا تغيير...

بالحقيقة أؤمن أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة أو طرفة عين».

وعلى ذلك فصفات اللاهوت باقية، وصفات الناسوت باقية، ولكن فى طبيعة واحدة.

«المسيح إذن من طبيعتين، ليس هو طبيعتين بعد الاتحاد» كما يقول البابا ديوسقورس. فلا اللاهوت امتزج بالناسوت ولا اختلط به، ولا استحال أحدهما إلى الآخر. إنما اللاهوت والناسوت قد اتحدا. ليس من قبيل الاجتماع أو المصاحبة (συνάφεια)، ولكنه إتحاد بالمعنى الحقيقى لكلمة اتحاد، وإذا كان اللاهوت والناسوت قد اتحدا فقد صارا واحداً، ولا مجال للقول بعد ذلك أن هناك طبيعتين، وإلا فلا يكون الاتحاد صحيحاً أو حقيقياً.

ولكن كيف صار هذا الاتحاد، أو كيف يكون لطبيعة السيد المسيح الواحدة صفات اللاهوت وصفات الناسوت معا بدون اختلاط وبدون امتزاج وبدون تغيير ؟ أو كيف يكون للسيد المسيح صفات الطبيعتين ولا تكون له الطبيعتان؟ هذا ما لا نعرف. إنه من الأسرار الإلهية، لا يمكن أن نفهمه أو نعيه أو نحتويه فى عقولنا. من هنا سمى فى الاصطلاح الكنسى بسر التجسد الإلهى. فنحن نؤمن بنوع من الاتحاد يفوق كل فهم بشرى وكل تصور.

قد تكون هذه مشكلة كبيرة بالنسبة للعقل الفلسفى أو للعقل المادى، وقد يكون فيها تناقض، وقد يكون فيها ما يتعارض مع قوانين العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية. كل هذا قد يكون صحيحاً، ولكننا هنا فى الشرق لانسأل كيف؟ ولماذا ؟، ولكننا نصدق ونؤمن بتجربة باطنية روحية صوفية عالية على كل منطق وعقل أن هذا أمر ممكن، ذلك لأن الله أراده، وإذا أراد الله شيئا فهو ممكن، وحتى لو كان هذا غير معقول للعقل المادى فإنه معقول للعقل الروحانى الذى لايعرف لقدرة الله حدوداً وهذا هو «الإيمان الذى بلا فحص» الذى يصرخ من أجله الكاهن القبطى فى خدمة القداس الإلهى.

قد نتكلم أحيانا عن الطبيعة اللاهوتية والطبيعة الناسوتية، لكن هذه التفرقة تفرقة ذهنية بحتة لا وجود لها فى الواقع بالنسبة للسيد المسيح، الإله المتأنس. ذلك أنه لم يحدث بتاتاً أن الناسوت واللاهوت كانا منفصلين أو مفترقين فى الخارج ثم اتحدا معاً بعد ذلك. إن ما حدث هو هذا : أن الأقنوم الثانى من اللاهوت القدوس نزل وحل فى أحشاء البتول مريم، وأخذ من لحمها ودمها جسداً ذا نفس إنسانية ناطقة عاقلة.

ولهذا أشار القديس يوحنا الإنجيلى بصريح العبارة ،والكلمة اتخذ جسداً، ((και ὁ Λὸγος σὰρξ ἐγἐνετο)) (١)

وليست هناك لفظة أقوى دلالة على الاتحاد الحقيقى الكامل من كلمة اتخذ ((ἐγἐνετο)) . أليست هذه الآية وحدها تدل دلالة قاطعة على أن المولود من مريم طبيعة واحدة، هى طبيعة الإله المتجسد ؟ ولو كان هناك معنى آخر، لما استعمل الوحى الإلهى كلمة ،اتخذ، ((ἐγἐνετο)) . فليست هناك إذن ثنائية فى طبيعة السيد المسيح، بل طبيعة واحدة. وهذا برهان واضح على صحة التعبير الذى تتمسك به الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية : أن هناك طبيعة واحدة للكلمة المتجسد أو للكلمة متجسدة.

(μια φὐσις τοὐ θεοὐ Λογοὐ σεσαρκωμἐνη).

والاتحاد بين اللاهوت والناسوت فى السيد المسيح يمكن تشبيهه بالاتحاد القائم بين النفس والبدن. فعلى الرغم من أن للنفس طبيعة مغايرة فى صفاتها ومميزاتها لطبيعة الجسم، لكننا نرى أن الإنسان طبيعة واحدة هى التى نسميها ،بالطبيعة البشرية، التى تجمع بين صفات روحانية وصفات مادية معاً.

ومع ذلك فهذا التشبيه ناقص لأن النفس تنفصل عن البدن بالموت. أما الاتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت فغير قابل للانفصال أو المفارقة لحظة واحدة أو طرفة عين. وقد يشبه الإتحاد بين اللاهوت والناسوت بالاتحاد القائم بين الفحم والنار، فى جمرة الفحم. ففى الجمرة صفات الإضاءة والإحراق، وفيها صفات المادية من كتلة ووزن وحجم.. الخ.

ومع ذلك فهذه المشابهات جميعها ناقصة ومعيبة. ولا يمكن مقارنتها بالاتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت. إنه سر لا يعبر عنه، يفوق العقول والأفهام البشرية.

ومرة أخرى نكرر القول إننا نؤمن بطبيعة واحدة. هذه الطبيعة ليست هى اللاهوت وحده، وليست هى الناسوت وحده. إنها طبيعة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين معاً، وبدون اختلاط وبدون امتزاج وبدون تغيير.

* * *

أما بعد، فيبدو أن الخلاف بين الكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية والكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية، مجرد خلاف فى التعبير، ذلك لأن كل فريق يقر بالاتحاد بين اللاهوت والناسوت.

وإنى أرى أن هذا صحيح إلى حد بعيد، وأن الخلاف بين الفريقين هو خلاف فى الحقيقة على التعبير الصحيح الذى ينبغى أن يعبر به المسيحيون عن إيمانهم بحقيقة الاتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت.

---

(١) يوحنا ١ : ١٤

ومع ذلك فلكنيستنا المرقسية الأرثوذكسية وللكنائس الأرثوذكسية الأخرى التى لاتقر بقانونية مجمع خلقيدونية أسباب تحدوها إلى أن تتمسك بالتعبير «طبيعة واحدة للكلمة المتجسد» (μια φύσις τοῦ θεοῦ Λογοῦ σεσαρκωμένη) أو «طبيعة واحدة من طبيعتين» أو «طبيعة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير». وهى الأسباب عينها التى ترفض من أجلها الإقرار بتعبير الغربيين «طبيعتان متحدتان»

هذه الأسباب يمكن تلخيصها فى النقاط الآتية :

أولا ـ ليس هناك نص إنجيلى واحد يدل بوضوح على أن للسيد المسيح طبيعتين بعد الاتحاد.

على العكس تماماً فان هذه النصوص المقدسة تساند التعبير «طبيعة واحدة لها صفات وخواص الطبيعتين» ونحن هنا نكتفى بإيراد بعض هذه النصوص على سبيل المثال فقط :

قال يوحنا الإنجيلى «والكلمة اتخذ جسداً» (١)، وهو تعبير كما رأينا (٢) يدل على الوحدة ولايدل على الأثنينية فى طبيعة السيد المسيح.

جاء فى سفر الرؤيا قول السيد عن نفسه «أنا هو الأول والآخر، والحى وقد كنت ميتاً، وها أنا حى إلى دهر الدهور، ولى مفاتيح الموت والجحيم» (٣). وهنا نلاحظ أن الضمير «أنا» فى هذه الفقرة لا يدل أبداً على الإثنينية، وإنما يدل بالحرى على الاتحاد الحقيقى، والطبيعة الواحدة. فالسيد المسيح هو بعينه الأول والآخر، وهو بعينه الحى. الذى كان ميتاً.

وهذا المعنى عينه يتضح أيضاً من قول السيد المسيح نفسه فى إنجيل يوحنا «ولم يصعد أحد إلى السماء إلا ذاك الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء» (٤).

فهو إذن بعينه فى السماء، وهو بعينه على الأرض، وهو ابن الله وابن الإنسان. هنا إذن هوية ووحدانية، وليست هنا رائحة الإثنينية، وإنما هو جوهر واحد، وأقنوم واحد، وطبيعة واحدة.

ويقول القديس بولس فى حديثه إلى الكهنة الذين اجتمعوا إليه فى مدينة أفسس «احترزوا إذن لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه» (٥).

---

(١)(يوحنا ١ : ١٤)

(٢) أنظر ص ٢٣١

(٣) (الرؤيا ١ : ١٧، ١٨)

(٤) (يوحنا ٣ : ١٣)

(٥) (أعمال ٢٠ : ٢٨)

فكيف أمكن للقديس بولس الرسول أن يقول عن الدم الذى أفتديت به الكنيسة أنه دم الله نفسه إذا كانت هناك ثنائية فى طبيعة السيد المسيح بأى معنى من المعانى ؟

والرسول بولس نفسه يقرر أيضاً فى رسالته الأولى إلى كنيسة الله التى فى كورنثوس قائلا «لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد» (١).

وعلى ذلك فالمخلص المصلوب هو رب المجد نفسه. مرة أخرى ليس هنا ثنائية فى الطبيعتين. وليست هنا طبيعتان، وإنما هى طبيعة واحدة هى طبيعة الله المتجسد.

وهذه الحقيقة عينها تتضح من نصوص أخرى كثيرة، منها ماورد فى رسالة القديس بولس الأولى إلى تلميذه الأسقف تيموثيوس «عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد» (٢). «المسيح يسوع... الذى إذ هو الكائن فى صورة الله لم يحسب مساواته لله خلسة أو غنيمة له. لكنه تخلى عن مجده واتخذ صورة العبد وصار فى شبه البشر، وظهر بهيئة إنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، الموت على الصليب» (٣).

وهناك فقرات أخرى كثيرة تؤيد القول بالطبيعة الواحدة نذكر منها (متى ٣: ١٧) ، (لوقا ١: ٤٤) ، (يوحنا ١: ١٨) ، (يوحنا ٣ : ١٦) ، (يوحنا ٨ : ٥٨)، (١. كورنثوس ٨ : ٦) ، (١. كورنثوس ١٠ : ٤ ، ٩) ، (غلاطية ٤: ٤) ، (أفسس ٤ : ٨ – ١١) ، (كولوسى ١: ١٥، ١٦) ، (كولوسى ٢ : ٩) ، (كولوسى ١: ١٥ – ١٦) (كولوسى ٢ : ٩) ، (تيطس ٣ : ١٣) ، (عبرانيين ١: ١ – ٣) ، (عبرانيين ٢: ٩، ١٠) (عبرانيين ١٣ : ٨).

ثانياً - إن التعبير القائل بطبيعتين متحدتين للسيد المسيح - وهو التعبير الذى تقول به الكنيسة الخلقيدونية - تعبير خطر لأنه يشتمل على معانى، أو على الأقل على احتمالات بمعانى، تتعارض مع حقائق ديانتنا المسيحية.

١ - إنه يتضمن الثنائية فى السيد المسيح. والثنائية نوع من الافتراق والإنفصال بين لاهوت السيد المسيح وناسوته. وإلا فلماذا تصر الكنائس الخلقيدونية على القول بطبيعتين متحدتين، ولايقولون بطبيعة واحدة للكلمة المتجسد ؟!

٢ - إن تعبير الكنائس الخلقيدونية القائل «بطبيعتين متحدتين» يحمل التصريح أن هناك طبيعتين للسيد المسيح، كانت مفترقتين ثم اجتمعتا معاً. وهذا يفتح السبيل للمذهب النسطورى بعينه، وهو المذهب الذى ترفضه الكنائس الخلقيدونية، نفسها رفضاً باتاً، وتعتبره هرطقة فاسدة.

---

(١) (١. كورنثوس ٢: ٨) (٢) (١. تيموثيوس ٣ : ١٦) (٣) (فيلبى ٢: ٦ – ٨)

٣ - إن تعبير (الطبيعتين المتحدتين) تعبير هادم لقضية الفداء والخلاص الذى قام به السيد المسيح من أجل الجنس البشرى.

لأنه إذا كانت للسيد المسيح طبيعتان بعد الاتحاد، فمن المنطقى أن عمل الفداء قام به جسد السيد المسيح، لأنه هو الذى وقع عليه الصلب. وعلى ذلك ففداء المسيح ليست له أى قوة على خلاص الجنس البشرى، إذ يكون الذى مات من أجل العالم هو إنسان فقط، مع أن الفداء يأخذ كل قيمته فى أن الذى صلب عنا هو بعينه الكلمة المتجسد. حقاً إن اللاهوت لم يتألم بآلام الصليب التى وقعت على ناسوت المسيح، ولكن اللاهوت هو الذى أعطى فعل الصلب قيمته اللانهائية لفداء جميع أفراد النوع الإنسانى.

إن التعبير «طبيعة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين» تعبير سليم ينقذ قضية الفداء من الإنهيار، بينما أن القول بطبيعتين متحدتين يقبل الإحتمال بأن الصلب كان صلبا لجسد يسوع المسيح فقط، ولم يكن صلباً للمسيح باعتباره الإله المتجسد، وهذا يفقد الخلاص كل قيمته التى يتعلق عليها فداء الجنس البشرى بأسره. وهو معنى تعارضه كل نصوص الكتاب المقدس التى تتكلم عن الفداء. ولسنا فى حاجة إلى أن نكرر مرة أخرى ما قاله الرسول القديس بولس من أن الدم الذى سفك لإفتداء البشرية هو دم الله عينه «كنيسة الله التى افتداها بدمه» (١).

٤ - إن تعبير المتحدتين لا يستطيع أن يفسر إعتقاد الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية، فى أن القديسة مريم والدة الإله ((θεοτόκος)).

لست أدرى كيف يستطيع الكاثوليك والأرثوذكس الخلقيدونيون، أن ينقذوا أو يبرروا إعتقادهم فى أن السيدة العذراء هى والدة الإله، إذا كانوا يصرون على القول بأن للسيد المسيح طبيعتين متحدتين ؟

أما التعبير القائل بطبيعة واحدة للكلمة المتجسد، فهو وحده الذى يمكن أن يفسر الإعتقاد فى أن العذراء والده الإله، من حيث أن الذى ولد من مريم هو الإله المتجسد. ولو كان فى المسيح طبيعتان لكانت العذراء **والدة الإنسان يسوع فقط**، ولا يصح تلقيبها بوالدة الإله، لأنها ليست أصلا للاهوت، فالقول بطبيعتين فى المسيح يسلم إلى الإعتقاد النسطورى الذى يؤيده البروتستانت بكافة نحلهم ومذاهبهم، وهو أن العذراء ليست والدة الإله، وإنما هى والدة الإنسان يسوع !!!

وبالإجمال فإن هذه هى أهم الأسباب التى من أجلها تتمسك الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية (وهى الكنيسة المرقسية الأسكندرية فى مصر وأثيوبيا وكل أفريقيا وفى الأردن

---

(١)(أعمال ٢٠ : ٢٨)

وفلسطين، والكنيسة السريانية الأرثوذكسية والكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية) بالتعبير التقليدى «طبيعة واحدة للكلمة المتجسد» (μια φύσις) الذى قال به آباء الكنيسة من أمثال أثناسيوس الرسولى، والبابا كيرلس الأول الملقب بعمود الدين، وترفض القول بطبيعتين متحدتين. وهى الأسباب عينها التى تحدو هذه الكنائس غير الخلقيدونية إلى رفض الإعتراف برسالة أو طوموس (τόμος) ليون أسقف روما، وبتحديدات مجمع خلقيدونية، لأن كلا من تلك الرسالة وهذه التحديدات تشتمل على القول صريحا بأن للسيد المسيح طبيعتين متحدتين، وهو التعبير الذى ينطوى على احتمالات خطيرة من الوجهة اللاهوتية كما أسلفنا.

هذا هو الوضع اليوم. الوضع الصحيح للمشكلة القائمة بين القائلين بالطبيعة الواحدة والقائلين بالطبيعتين، وهى مشكلة التعبير الصحيح الذى يجب أن يعبر به المسيحيون عن إعتقادهم فى لاهوت السيد المسيح وناسوته فى نفس الوقت.

ولاشك أن الكنائس الكاثوليكية والكنائس الأرثوذكسية التى تقر بمجمع خلقيدونية ليست نسطورية على الإطلاق. كما أن الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة التى لاتقر بمجمع خلقيدونية ليست بأوطاخية على الإطلاق.

لذلك فإننا لم نفقد الأمل فى أنه سيأتى إن شاء الله اليوم السعيد الذى يوفق فيه المسيحيون إلى التعبير الواحد الذى يترجم عن عقيدتهم فى طبيعة السيد المسيح.

ولاشك فى أننا فى حاجة ماسة إلى مجمع مسكونى عام يضع صيغة هذا التعبير الموحد. ولكن إلى أن تتحقق هذه الأمنية السعيدة يجب أن نرحب بالمؤتمرات، فإنها السبيل الوحيد بين اللاهوتيين فى الوقت الحاضر لتقريب وجوه النظر، وتصحيح الأفكار الخاطئة التى يحملها الغرب على الخصوص عن عقيدة الكنيسة المرقسية الأسكندرية والكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة، وإتهامها بالأوطاخية ذلك الإتهام الظالم الذى ليس له على الإطلاق سند من واقع.

فلنُصلِّ إلى الله من أعماق قلوبنا من أجل وحدة كنيسة المسيح، حتى يمكنها أن تحمل مشعل الحق الإلهى، وتكرز بإنجيل المسيح بغير عثرة، وتهدم صروح الشر، وتقاوم الإلحاد والمادية.

إن وحدة الكنيسة الجامعة الرسولية ليست فقط تطابق إرادة الله المقدسة، ولكنها الشرط الذى اشترطه السيد المسيح من أجل نشر رسالته بين غير المسيحيين، لأنه يقول «ولست أسأل من أجل هؤلاء (التلاميذ) فقط، بل أيضا من أجل الذين يؤمنون بى عن كلامهم، ليكونوا بأجمعهم واحداً كما أنك أنت أيها الآب فىّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا حتى يؤمن العالم أنك أنت أرسلتنى (١)

---

(١) يوحنا ١٧ : ٢٠، ٢١

الرد على مقال عن الأرثوذكسية (١)
للدكتور مجدى وهبة

كتب السيد الدكتور مجدى وهبة مقالا فى صفحة الرأى بجريدة الأهرام بتاريخ ٨ من أبريل ١٩٦١ مقالا عن الأرثوذكسية تحت عنوان «مفاهيم»، ذهب فيه إلى أن الأرثوذكسية ومعناها الإيمان الصحيح، أصبحت تطلق على الكنائس المسيحية الشرقية التى خرجت على المسيحية الغربية فى القرن الحادى عشر. وبذلك أنكر الدكتور مجدى على الكنائس الشرقية القديمة أرثوذكسيتها، ومن أهمها الكنيسة القبطية المرقسية الأرثوذكسية فى الإقليم المصرى والنوبة والسودان وأثيوبيا وكل أفريقيا والأردن وفلسطين، ومن بينها أيضا الكنيسة السريانية الأرثوذكسية فى الإقليم السورى، وبلاد الهند، ومن بينها كذلك الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية المنتشرة فى أرمينيا وبلاد أخرى كثيرة... علماً بأن هذه الكنائس الشرقية القديمة كانت تسمى أرثوذكسية قرونا طويلة قبل الكنائس الأرثوذكسية الأخرى التى خرجت على المسيحية الغربية فى القرن الحادى عشر وعلى رأسها كنائس القسطنطينية، واليونان وشرق أوربا وروسيا.. فكيف جاز للدكتور مجدى أن ينكر أرثوذكسية الكنيسة القبطية وزميلاتها الكنائس الأرثوذكسية القديمة؟! إنه ما من مؤرخ يستطيع أن يغفل الدور الكبير الذى قامت به كنيسة الأسكندرية (وهى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية) فى قيادة الفكر المسيحى نحو الإستمساك بالتعليم الأرثوذكسى القديم فيما يتصل بطبيعة السيد المسيح. وكان باباواتها بين عمالقة التاريخ من أمثال كيرلس الأسكندرى الأول الملقب بعمود الدين، وديوسقورس العظيم المعروف ببطل الأرثوذكسية، وذلك كان كله فى القرن الخامس لميلاد المسيح. وفى القرن الخامس حدث الإنشقاق الكبير بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية، بسبب مجمع خلقيدونيا الذى عقد عام ٤٥١م، فأصبحت كنائس الشرق تحت قيادة كنيسة الأسكندرية تعرف بالكنائس الأرثوذكسية، وكنائس الغرب تحت قيادة كنيسة روما وتعرف بالكنائس الكاثوليكية، إلى أن جاء القرن الحادى عشر حيث انفصلت كنائس القسطنطينية واليونان وشقيقاتها عن الكنيسة اللاتينية، وأصبحت هى الأخرى تعرف بالكنائس الأرثوذكسية إعلانا عن احتجاجها على تعليم كنيسة روما.

٢ ـ ويبدو جليا أن الدكتور مجدى وهبة قد استقى كل معلوماته فى مقالة عن «الأرثوذكسية» من مصادر غربية كاثوليكية، بدليل أنه عندما تكلم عن القبط والأرمن واليعاقبة (وهم السريان، أو السوريون الأرثوذكسيون) جعلهم سيادته فى صف واحد مع النساطرة!! والنساطرة على مانعلم هم أتباع نسطور الذى عدّ هرطوقيا وخارجا على التعليم المسيحى. قال سيادته بالحرف الواحد «فوصف المسيحيون الشرقيون أنفسهم بالأرثوذكسية ليميزوا بينهم وبين الكنيسة الغربية

---

(١) نشر بصفحة الرأى بجريدة الأهرام بتاريخ ٨ أبريل عام ١٩٦١

من جهة، والخارجين عليهم من المسيحيين الشرقيين أمثال الأرمن والقبط والنساطرة واليعاقبة من جهة أخرى. وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الطوائف المذكورة لاتزال تصف نفسها بالأرثوذكسية أيضاً!!!

إننا نحيل الدكتور مجدى وهبة على كتب التاريخ كما كتبه الشرقيون أيضا، فليس من الإنصاف للحقيقة أبداً أن يعتمد سيادته على الكتب التى تصور وجهة النظر الغربية وتشوه وجهة نظر الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة.

ومما يجدر ذكره هنا أن الإتجاه السائد الآن عند اللاهوتيين فى الكنائس اليونانية والروسية وشرق أوربا عامة، هو إلى تصحيح وجهة النظر التى عبر عنها الدكتور مجدى وهبة فى مقاله وإعتبارها وجهة نظر ظالمة فيها كثير من الحيف والتجنى على الكنائس الأرثوذكسية القديمة.

وأذكر هنا أيضاً أننى دعيت إلى إحدى المؤتمرات العالمية وقد انعقد بضاحية أبنْجدون Abingdon بالقرب من أوكسفورد بإنجلترا، وكان ذلك فى يوليو ١٩٥٤. وعرضت فى هذا المؤتمر وجهة نظر كنيسة الأسكندرية فى نقطة الخلاف الأساسية بين الكنائس الشرقية والغربية، ورددت فى كلمتى على جميع الأفكار الخاطئة التى اشتملت عليها كتب الغرب، وصححت الكثير من الظنون والأوهام التى يتهمنا بها الغرب. وقد لاقت الكلمة إستحسانا عجيباً وقوبلت بكثير من الدهشة، ووجه المؤتمرون إلىّ أسئلة وأجبت على جميع أسئلتهم. واعترف الكثيرون منهم بأننى غيرت وجهة نظرهم عن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية تغييرا أساسيا وعلق بعضهم تعليقات فيها تأييد وتقدير، ودارت مناقشات كثيرة. وانتهى المؤتمرون إلى أن أفضل طريق للتفريق بين الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة (وعلى رأسها كنيسة الأسكندرية القبطية وأتباعها والكنيسة السريانية الأرثوذكسية والكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية) وبين الكنائس الأرثوذكسية الأخرى (كاليونان والروس وشرق أوربا عامة) هو التفريق بينها على أساس إعترافها أو عدم إعترافها بمجمع خلقيدونيا. وعلى ذلك سميت الكنائس الشرقية القديمة بالكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية، وسميت كنائس اليونان وروسيا بالكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية.

٣ ـ وثمت دليل آخر على أن الدكتور مجدى يمثل وجهة النظر الغربية وهو قوله فى نفس المقال «ونقطة الخلاف تنحصر فى أن هذه الطوائف لا تعتقد بوجود طبيعتين للمسيح، طبيعة إلهية وأخرى بشرية بل له طبيعة إلهية واحدة، خلافاً لما قرره مجمع خلقيدونية لممثلى جميع الكنائس المسيحية سنة ٤٥١م» وهذا خطأ صريح وقع فيه الدكتور مجدى فإن الكنائس الأرثوذكسية الشرقية ـ وهى التى لا تعترف بمجمع خلقيدونية ـ تؤمن بطبيعة واحدة للسيد المسيح لها صفات اللاهوت والناسوت معاً. ليست إذن هذه الطبيعة الواحدة هى الطبيعة الإلهية كما يزعم الدكتور مجدى، لأن الذى يقول بذلك هو يوطيخا Eutyches وليست كنائس القبط والسوريين والأرمن. إن يوطيخا يعد فى نظر هذه الكنائس الأرثوذكسية هرطوقيا وخارجاً على

التعليم الأرثوذكسى لأنه قال بامتصاص الطبيعة الإلهية للناسوت، وملاشاة الناسوت فى اللاهوت كما تتلاشى نقطة من الخل فى المحيط. أما كنائس القبط والسوريين والأرمن ومن إليهم فيقولون بأن اللاهوت قد اتحد بالناسوت اتحاداً جوهرياً أقنومياً طبيعياً، ولكن من دون أن يختلط الناسوت باللاهوت أويمتزج فيه أو يتغير أحدهما إلى الآخر. فالاتحاد قائم بين اللاهوت والناسوت من غير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير. لأنه إذا كان هناك اتحاد حقيقى، فلا تكون هناك أثنينية، وإنما هناك طبيعة واحدة وأقنوم واحد فيه أو فيها صفات اللاهوت والناسوت معاً. وهذا هو الفارق الضخم بين العقيدة الأرثوذكسية كما يعلم بها آباء القبط والسريان والأرمن ومن إليهم، وبين المذهب الأوطاخى. وهو الفارق الجوهرى الأساسى الذى يغفله المؤرخون الغربيون لتشويه وجهة نظر الكنائس الأرثوذكسية القديمة. وللأسف فإن الدكتور مجدى وهبه تأثر بمؤلفى الغرب فى التأريخ لمسألة عقيدية دقيقة حساسة من دون أن يرجع إلى كتّاب الكنائس الشرقية القديمة وهم أقرب إليه لأنه يحيا معهم فى الشرق.

٤ ـ وأخيراً فليس صحيحا كذلك ماذهب إليه الدكتور مجدى وهبة فى خاتمة مقاله، قال سيادته «وفيما عدا نقطة الخلاف هذه فإن كل الطوائف الأرثوذكسية تدين بنفس معتقدات الكنيسة المسيحية فى صورتها الكاثوليكية إلا فى شئ واحد هو زعامة البابا وعصمته من الخطأ حينما يعظ بوصفه رئيسا للكنيسة». فالواقع أن الأرثوذكسيين بنوعيهم ـ سواء الذين لا يعترفون بمجمع خلقيدونية أو الذين يعترفون به ـ يختلفون مع الكاثوليك فى أمور أخرى غير عصمة بابا روما، ومنها على الخصوص موضوع إنبثاق الروح القدس. كما أن الأرثوذكسيين لا يقرون كذلك رياسة القديس بطرس على سائر التلاميذ، ولا وجود مطهر فى العالم الآخر، ولا بأن السيدة العذراء حبل بها من غير دنس الخطيئة الأصلية، هذا عدا إختلافات كثيرة فى أمور أخرى طقسية تتصل بمباشرات الكنيسة لامحل لذكرها هنا. ونحن نحيل الدكتور مجدى على الكتب اللاهوتية الخاصة بهذه الموضوعات، فإن فيها الإيضاح الوافى.

الكنيسة والمجامع

الكنيسة مؤسسة إلهية وسفارة سماوية

كلمة موجزة عن الكنيسة، أول شئ أحب أقوله عن الكنيسة فى مفهوم رسالتها، أن الكنيسة أولاً مؤسسة إلهية وسفارة سمائية، سفارة السماء إلى الأرض والكنيسة يجب فهم رسالتها على هذا النحو، إنها ليست مؤسسة ولا منظمة من المنظمات الإجتماعية مهما نظرنا إليها من وجهة نظر المجتمع لكنها فى طبيعة رسالتها سفارة السماء...

الكنيسة من فوق وليست من الأرض، الكنيسة أصلاً سفارة، والسفارة لا تنتمى إلى البلد الذى تقيم فيه، وإنما تنتمى إلى البلد الذى تمثله هذه السفارة، فالكنيسة أسسها المسيح الذى أتى من السماء وضم إليها أناساً من الأرض، وأصبحوا بطبيعة هذا الانضمام أعضاء السفارة السمائية، وانفصلوا بهذه التبعية عن الأرض وأصبحوا ملكاً للسماء...

الكنيسة ملكوت السموات على الأرض

وهذا معناه أن الكنيسة تسمى ملكوت السموات على الأرض، هناك الملكوت بمعنى المصير النهائى، الذى وعدنا الله به لو سرنا بحسب وصاياه، والذى يظهر فى قوله «تعالوا إلىّ يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم» (متى ٢٥: ٣٤)، لكن الكنيسة على الأرض تسمى بملكوت السموات، أى مملكة للسموات على الأرض وذلك حينما يقول مخلصنا «يشبه ملكوت السموات شبكة مطروحة فى البحر، وجامعة من كل نوع، فلما امتلأت أصعدوها على الشاطئ وجلسوا وجمعوا الجياد إلى أوعية، وأما الأردياء فطرحوها خارجاً..» (متى ١٣: ٤٧، ٤٨).

ولكن لا يعقل أن يكون فى الملكوت السماوى سمكاً رديئاً، لأن السماء لا يدخلها دنس ولا من يصنع رجساً، ولا من يحب الكذب أو يصنعه .. «لا تضلوا فإنه لا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون يرثون ملكوت السموات» .. أما قول المسيح له المجد يشبه ملكوت السموات خميرة أو حبة خردل أو لؤلؤة كثيرة الثمن أو شبكة، فالكلام هنا يتجه إلى الكنيسة فهى مملكة السماء على الأرض بمعنى سفارة السماء على الأرض.

والمسيحى عند العماد: يجحد الشيطان... وهذا معناه أن المُعمَد قبل أن ينزل إلى المعمودية يستنكر تبعيته لمملكة الشيطان، ويعلن إنضمامه لمملكة المسيح... والكاهن يستغرق نحو ساعة من الزمن فِي الصلوات يصارع فيها من أجل قطع هذا الكائن الجديد من مملكة الشيطان، وينفخ فى المُعمد قبل أن ينزل إلى جرن المعمودية ثلاث مرات، ويقول باسم يسوع المسيح آمرك أيها الروح النجس أن تخرج من هذا الإنسان، ويطالب المعمد أن يمد يده اليسرى

ويجحد الشيطان وكل أعماله، ثم يمد يده اليمنى ويتلو قانون الإيمان، ويعلن بذلك إنفصاله عن مملكة الشيطان وإنضمامه لمملكة المسيح، فبالمعمودية يصبح المعمد عضواً فى مملكة المسيح، والمسيح هو ملك هذه المملكة... ونحن من أتباعه. ومملكة المسيح ليست من هذا العالم، ولا تتعارض مع ممالك الأرض بل تسودها، فليس هناك تعارض أو تنازع إختصاصات بين مملكة المسيح وممالك الأرض لأن مملكة المسيح سماوية.. وهذا ليس معناه أننا بتبعيتنا لمملكة المسيح نخرج عن طاعة ملوك الأرض أو رؤسائها، ولكن من الوجهة الروحية قد إنفصلنا عن مملكة الشيطان، وأصبح المسيح لنا ملكاً والصليب لنا علماً ... إننا نرشم الصليب على جباهنا وعلى أيدينا ونرشم الصليب حينما نبدأ عملاً، وحينما نخدمه ونرشمه عند الصلاة وعند الأكل والنوم واليقظة ولبس الملابس لأن الصليب علامة المسيح، ويقول الإنجيل إنه فى اليوم الأخير « تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء » (مت ٢٤ : ٣٠) ومعناها علامة الصليب: **لأن الصليب علامة المسيح وهو بالتالى علامة المسيحى...**

إذن طبيعة الكنيسة إنها ليست منظمة بشرية أو إنسانية أو اجتماعية، مهما نظر الناس إليها من الوجهة المادية الخارجية الجسمانية، فهى فى أصولها منظمة إلهية.. هى شجرة جذورها فى السماء وجزعها وأوراقها وثمارها على الأرض... والكنيسة ليست جذورها من الأرض... أبداً... لأن المسيح جاء من السماء، وغزا الأرض حيث مملكة الشيطان، لأن الأرض صارت مملكة للشيطان ولذلك يقول مخلصنا عن الشيطان أنه «رئيس العالم» وإن الكنيسة سفارة السماء على الأرض وبطبيعة هذا النظام جاء المسيح ليؤسس الكنيسة، وانتزع من الشيطان، من اقتنصهم الشيطان لإرادته، وهذا سر كراهية الشيطان لعلامة الصليب لأن بالصليب تمت هزيمة الشيطان ونصرة المسيح عليه، لأن المسيح «سبا سبيا وأعطى الناس عطايا» (١ . تس ٤ : ٨)، وهذا السبى سباه المسيح بالصليب وأصبح للمسيح أتباع وأصبحت الكنيسة عدوة للشيطان. ويقول بولس الرسول «قد صلبت العالم لى وأنا للعالم» (غلا ٦ : ١٤) . وفى اليوم الذى تتنازل الكنيسة عن عبادتها للمسيح، وتبعيتها الصادقة لتعاليم المسيح، يوم ذلك يتلف كيان الكنيسة وتضيع مقوماتها وخصائصها وتفقد وجودها وكيانها الخاص، يوم تصير مهادنة بينها وبين العالم، لأنه كلما كان هناك تعارض بين العالم وبين الكنيسة، كان هذا علامة على صحة موقف الكنيسة كقوة إلهية تقف فى مواجهة الشيطان ومعارضته ... ولكن يوم أن تهادن الكنيسة الشيطان فهنا تعتبر الكنيسة قد فقدت خصائصها ومميزاتها.. إذن الكنيسة لا تحزن من المتاعب أو الاضطهادات بل هذا برهان على قوة الكنيسة وسلامة موقفها، وستقوى المتاعب الكنيسة كمؤسسة إلهية وسفارة الله على الأرض...

المسيح يقيم عنه نواباً لسياسة الكنيسة وتدبيرها

هذه الكنيسة التى أسسها المسيح لم يطل مقامه معها فى الأرض، ولم يرض المسيح أن يقيم إقامة منظورة مع الكنيسة بل اكتفى أن يسقى الكنيسة من دمه، وأن يجعل المؤمنين والغصون التى فيها تعيش على دمه وهذا هو معنى سر الأفخارستيا أو سر القربان...

من سر المعمودية نفهم أن الكنيسة شجرة سقيت من دم المسيح، وفى سر القربان نتحقق أن الكنيسة شجرة سقيت وتسقى من دم المسيح، وستظل الكنيسة دائماً تعيش على دم المسيح، نحيا وسوف نحيا كما قال «من يأكلنى يحيا بى» فنحن لا يكون لنا حياة إلا بالمسيح «لأن جسدى مأكل حقيقى ودمى مشرب حقيقى» (يو ٦ : ٥٥) وبهذه الكلمة (حقيقى) شجب المسيح كل المفهوم الرمزى وغير الرمزى... فالمسيح نزل من السماء ولن تكون لنا الحياة إلا به «من يأكلنى يحيا بى» (يو ٦ : ٥٧) إذن بدم المسيح سقيت الشجرة فنمت وبدمه تحيا الشجرة للأبد...

صعد المسيح للسماء وترك نيابة عنه بعضاً من بنى البشر، وشاء أن يقيم نيابة عنه إناساً من بنى البشر لا من الملائكة، بل من أبناء البشر أنفسهم وجعلهم عنه وكلاء وخلفاء، وأعطى لهؤلاء الوكلاء أن يقوموا مقامه فى كل ما يريده فى كنيسته، وأعطى لهم الحق أن يلجأ إليهم المؤمنون فى كل أمر يتعلق بخلاصهم، وفوض لهم السلطان ومنحهم كل الإمكانيات وأعطاهم المواهب والسلطة كاملة، ليتصرفوا كما يقول الرسول لتلميذه الأسقف تيموثاوس «هذا أكتبه إليك راجياً أن آتى إليك عن قرب ولكن إن كنت أبطئ... فلكى تعلم كيف يجب أن تتصرف فى بيت الله، الذى هو كنيسة الله الحى عمود الحق وقاعدته» (١ . تى ٣ : ١٤) والكنيسة فيها وكلاء فوضهم المسيح، أن يتصرفوا، وفوض للرسل أن يقيموا أشخاصاً مزودين بالروح القدس يقومون على الأمانة، وعلى توزيع هذه المواهب وكل عطايا الروح القدس على المؤمنين، وأعطى لهم سلطان القضاء والحكم... فوض المسيح الرسل ثم الأساقفة من بعدهم، ليكونوا بالنيابة عنه، وزودهم بمواهب الروح القدس ووعدهم، «ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر» (مت ٢٨ : ٢٠) وهذه المعّية ليست معّية ظاهرة مادية بل معنوية، بمعنى أنه أعطاهم المواهب والقدرات وأن كل ما يصنعونه يثبته من فوق «الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء وكل ما حللتموه على الأرض يكون محلولاً فى السماء» (مت ١٨ : ١٧ ـ ١٩).

والوكيل له تفويض وله سلطان أن يعمل باسم الأصيل، ولكن الوكيل أيضاً له حساب أمام الأصيل، له كرامة الوكيل لأنه ينوب عن الأصيل، ولكن لو تصرف الوكيل فى غير إختصاصه أو خرج عن حدوده المرسومة له كوكيل، يكون حسابه عسيراً أمام الأصيل الذى يقول له فى

اليوم الأخير: (قدم حساب وكالتك) وتعبير الوكيل تعبير كتابى فقد قال المسيح : «فمن هو الوكيل الأمين الحكيم الذى أقامه سيده على خدمه، ليعطيهم فى حينه ... طوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا ... الحق أقول لكم أنه يقيمه على جميع أمواله، ولكن إن قال ذلك العبد الردئ فى قلبه، أن سيدى يبطئ فى قدومه، فيبتدئ يضرب العبيد رفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى، يأتى سيد ذلك العبد ليشقه من وسطه، ويجعل نصيبه مع عديمى الإيمان هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (مت ٢٤: ٥٦ ـ ٥١) ..

ويقول الرسول «يجب على الأسقف كوكيل لله أن يكون بلا لوم» (تيطس ١: ٧) ويقول «فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله ثم يسأل فى الوكلاء لكى يوجد الإنسان أميناً» (١ . كو ٤: ١) .

وهناك إذن وكيل عدل ووكيل ظلم والله ليس بغافل لأنه سيحاسب الوكيل، ولكن الوكيل طالما أنه وكيل له نفوذ وسلطان التصرف فى حدود إختصاصه .

المســـيح
رأس الكنيسة غير المنظور
أما البابا البطريرك
فهو رأس الكنيسة المنظور

إذاً لم يعد المسيح رأس الكنيسة المنظور بل هو الآن رأسها غير المنظور، لأنه أقام وكلاء عنه وعلى رأسهم البابا أو البطريرك فى إقليم معين فيكون هو نائب المسيح ووكيل المسيح فى الإقليم، وله التصرف وسوف يحاسب عن تصرفه. يتصرف كوكيل ومرجع أعلى... ولكنه سيحاسب عن عمله كوكيل أمام الأصيل وهو الله فى يوم الدين...

قال المسيح لتلاميذه القديسين: «لا تدعو لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد الذى فى السموات» (متى ٢٣: ٩) قال المسيح هذا للرسل القديسين ولمن هم فى حكم الرسل وهم الباباوات البطاركة... فالبابا البطريرك ليس له أب على الأرض غير المسيح... إنه يدعو الأساقفة أخوة، ويدعو الكهنة أبناء، ولكنه لا يدعو أحداً أباً له لأن أباه واحد وهو المسيح، فإذا وجه البابا الخطاب للأسقف أو المطران يسميه «الأخ الروحى الحبيب» وإذا وجه الخطاب للقس أو القمص يسميه «الإبن المبارك» إذن البابا البطريرك هو رئيس الكنيسة المنظور وأما المسيح فرأسها غير المنظور.

المجامع المسكونية

وإذا حدثت فى الكنيسة أمور يجب أن تنظر، أو كانت هناك مشكلة تخرج عن نطاق الإقليم، وتهم الكنيسة الجامعة الرسولية كلها هنا ينعقد مجمع.. وأول من عقد المجامع هم الآباء الرسل...

نبتت فى الكنيسة الأولى مشكلة الراجعين إلى الله من الأمم... كان هناك أمم من غير اليهود ويهود أصبحوا مسيحيين ... فقال المسيحيون الذين كانوا من أصل يهودى، لابد للأمم أن يتهودوا قبل أن يصيروا مسيحيين، ولابد لهم من أن يحفظوا الناموس القديم.. فقال الأمم: إن هذا تصعيب واختلف الآباء الرسل أيضاً فى هذا، لذلك اجتمعوا فى أورشليم سنة ٥١م.. وهذا المجمع الرسولى العظيم والأول من نوعه، يرد ذكره فى إصحاح ١٥ من أعمال الرسل، وقد رأسه القديس يعقوب الرسول بن حلفا أو كلوبا المسمى بيعقوب الصغير أو يعقوب أخى الرب... فقد كان هذا الأسقف أسقفاً على أورشليم .. عقد المجمع الرسولى الأول برياسة القديس يعقوب أسقف أورشليم وتفاوض الرسل وتناقشوا ثم قرروا قراراً وقالوا فى صيغة القرار: « قد رأى الروح القدس ونحن لا نضع عليكم أيها الأمم ثقلاً آخر غير هذه الأشياء، الواجب أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا» (أع ١٥: ٢٨) لقد قرر الرسل فى هذا المجمع أن لا يلتزم المسيحى الأممى بالطقوس الموسوية القديمة بل أن المسيح فتح الباب للجميع دون التقيد بالدخول فى الدين اليهودى القديم وهنا حلت المشكلة...

إذن حينما تنبت مشكلة كبيرة فى الكنيسة على مستوى الكنيسة الجامعة الرسولية، فلا يبت فيها شخص واحد بل يعقد مجمع بمواصفات معينة... فالمجامع لها صفات ومواصفات خاصة، وبها تصبح هذه المجامع قانونية، ومن دون توافر هذه الشروط لا تكون المجامع المسكونية قانونية...

إذن حينما تكون هناك مشكلة على صعيد أعلى وأعظم من الأقليم، ينعقد مجمع من جميع أساقفة المسكونة ليبت فى هذه المشكلة ويصدر فيها قرار، كل كنيسة تكون ملزمة بهذا القرار، ويصير لقرار المجمع قوة الكتاب المقدس والتقليد المقدس..

الخلافة الرسولية... وسلطان الكنيسة المنظورة

إذن وكلاء المسيح ورسله ونوابه لهم حق التصرف فى الكنيسة، فى حدود السلطة الممنوحة لهم ممن أقامهم على هذه الوكالة .. وهو المسيح ... فهم أولاً صاروا مستودع أسرار الروح القدس، المستودع الذى تنصب فيه مواهب الروح القدس ومنها يوزعون على الآخرين، فيقيمون عنهم نواباً وخلفاء فيسرى عمل الروح القدس وتيار الروح القدس فى الآخرين من الأولين.. قال القديس بولس لتلميذه تيموثاؤس: « وما سمعته منى بشهود كثيرين أودعه إناساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً .. والرسول بولس الذى أقام تيموثاؤس، هو نفسه أقامه الآباء الرسل رسولاً وأعطوه يمين الشركة كواحد منهم، وهذا أمر غريب أن المسيح دعا بولس للخدمة، ومع ذلك لم يقمه رسولاً، ولكنه ترك هذه المهمة لوكلائه الذين أقامهم نيابة عنه يوزعون الأسرار ويقيمون الخلافة الرسولية..

فقد ظهر السيد المسيح لبولس أو شاول لينير بصيرته... قال بولس للمسيح: «ماذا تريد يا رب أن أفعل» فقال له المسيح «ادخل إلى المدينة وحينئذ يقال لك ماذا ينبغى أن تفعل» .. فالمسيح لم يقم بولس رسولاً بل قال له «ادخل إلى المدينة وحينئذ يقال لك ماذا ينبغى أن تفعل» وظهر المسيح فى رؤيا لحنانيا الرسول وقال له «اذهب إلى الزقاق الذى يقال له المستقيم واطلب فى بيت يهوذا رجلاً طرسوسياً اسمه شاول» (أع ٩ : ١١) .. إن المسيح لم يعمد شاول ولا أقامه رسولاً وإنما حنانيا هو الذى عمد شاول ليصبح مسيحياً أولاً، ولم يصبح رسولاً إلا بعد أن وضع الآباء أيديهم عليه، ويقول بولس «فإذا علم بالنعمة المعطاة لى يعقوب وصفا (بطرس) ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة أعطونى وبرنابا يمين الشركة» (غلاطية ٢ : ٩) وفى الإصحاح الثالث عشر من سفر الأعمال: «قال الروح القدس (للرسل) افرزوا لى برنابا وشاول (بولس) للعمل الذى دعوتهما إليه» (أع ١٣ : ٢) فمع أن بولس دعاه المسيح وقال عنه الروح القدس افرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه، لكن هذا لم يكن ليصبح بها شاول رسولاً لأنه لم يصبح رسولاً إلا بعد أن أرسل رسمياً من الكنيسة المنظورة يقول الكتاب «فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى وأطلقوهما».

إذاً فالإنسان حتى ولو كان نقياً ومدعوا من الله أو من الروح القدس لا يمكن أن يصير رسولاً رسمياً، أو كاهناً رسمياً إلا بعد إرساله رسمياً من الكنيسة، ووضع الأيدى عليه من قبل رؤساء الكنيسة المنظورة. فالمسيح الذى وضع سياسة الكنيسة وتدبيرها فى أيدى الرسل والأساقفة، وصعد السماء وتركها أمانة ووديعة فى أيديهم، لا يمكن أن ينقض نفسه ولا يمكن أن يهدم بيده نظاماً وترتيباً وضعه بنفسه.. يؤيد هذا أيضاً قصة كورنيليوس قائد المئة الوثنى الذى شهدت السماء بتقواه فظهر له ملاك يقول له: «صلواتك وصدقاتك صعدت تذكاراً أمام الله» (أع ١٠: ٣) لكن الملاك لم يزد عن ذلك ولم يتعد إختصاصه ليعمد كورنيليوس أو يهبه موهبة من مواهب الروح القدس على الرغم من اقتدار الملاك، لذلك أحاله الملاك إلى الكنيسة، أحاله إلى مار بطرس الرسول وقال له «والآن أرسل إلى يافا رجالاً واستدع سمعان الملقب بطرس وهو يقول لك ماذا ينبغى أن تفعل» (أع ١٠: ٥، ٦) وهنا حكمة الله حتى لا يتكبر كورنيليوس ويظن نفسه أنه فى غير حاجة إلى الكنيسة ولا رجالها، كما يحدث من بعض الناس الذين يشعرون أو يزعمون أنهم فى غنى عن الكنيسة وعن الكهنة، ويقول أنه يمكنه أن يتصل مباشرة بالله، وليس فى حاجة إلى رجال الكهنوت ليكونوا وسطاء بينه وبين الله. لذلك خضع كورنيليوس واستدعى القديس بطرس الرسول الذى أتى إليه وبشره وعمده هو وأهل بيته...

إذا رجال الكهنوت هم نواب المسيح، ولن يمكن لإنسان أن يخلص من غير رجال الكهنوت، وهذا هو ترتيب المسيح، لا خلاص خارج الكنيسة، رجال الكهنوت هم حكومة الكنيسة ومن يتمرد على الكنيسة وعلى الكهنوت فهو متمرد على قانون وترتيب المسيح.

ها هو إبراهيم أب الآباء وكان نقياً جداً بل كان خليل الله، لكنه لما قابل ملكى صادق خضع إبراهيم لملكى صادق لأن كهنوته أكبر من كهنوت إبراهيم، وقدم العشور له، وقال الرسول بولس فى رسالته إلى العبرانيين ص ٧ أن الأصغر يبارك من الأكبر، إذاً على الرغم من تقوى إبراهيم فقد خضع إبراهيم لملكى صادق ونال منه البركة لأنه كان كاهناً لله...

... لعلنا بهذا نكون قد أعطينا فكرة شاملة عن وظيفة الكنيسة ومهمتها فى العالم...

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسوعة الأنبا غريغوريوس

اللاهوت المقارن

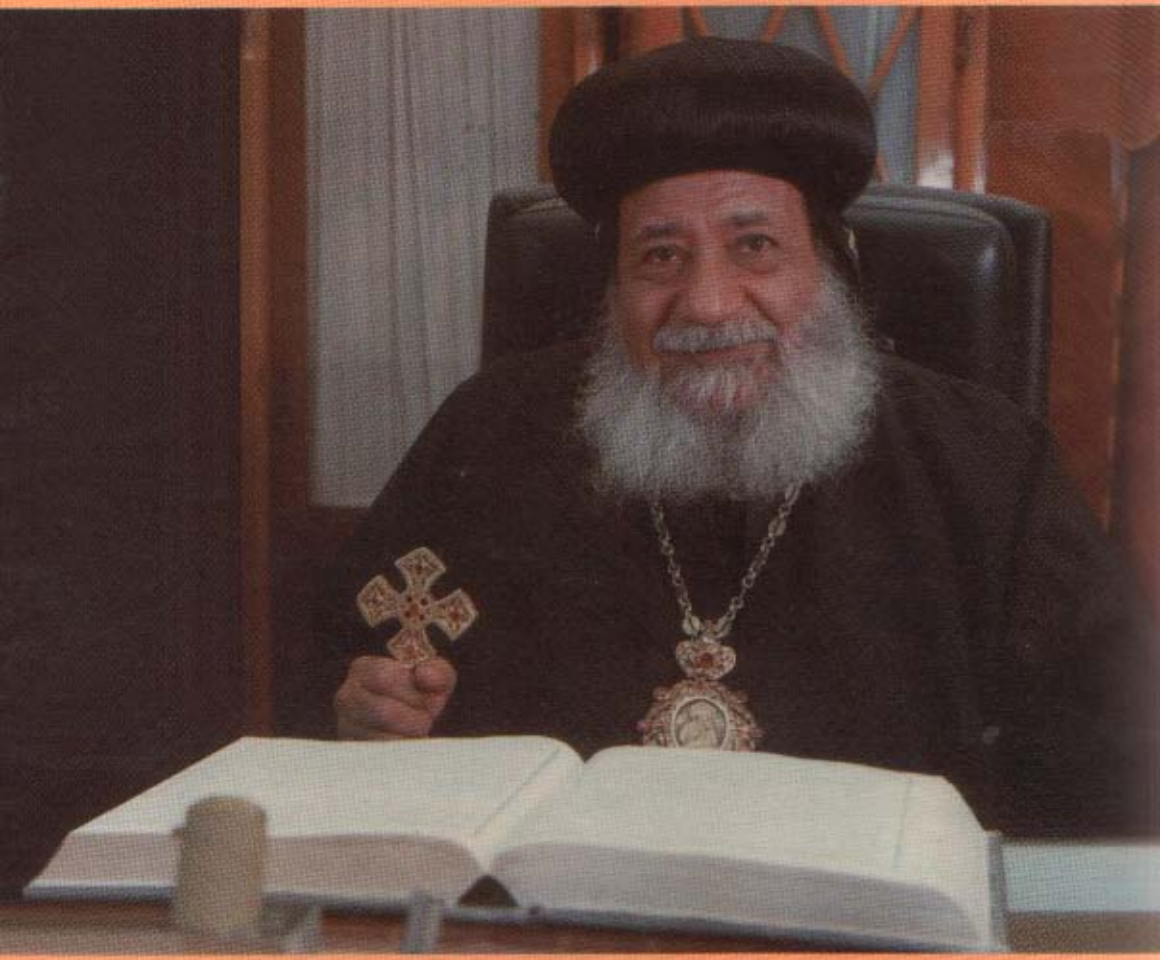

للمتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمي

١ ـ معمودية الأرثوذكس ومعمودية الكاثوليك

سؤال من أحد المسيحيين :

يقول: ما الفرق بين المعمودية فى الكنيسة الأرثوذكسية، وبين المعمودية فى الكنيسة (الرومانية) الكاثوليكية؟

الجواب :

هناك فارق واحد أساسى، وثمّت فروق أخرى فى الممارسات.

الفارق الأساسى هو فى صيغة قانون الإيمان، الذى بموجبه وعليه يتم التعميد. فالكنيسة الأرثوذكسية تلتزم بقانون الإيمان كما وضعه آباء الكنيسة فى مجمع نيقية، المجمع المسكونى الأول، فى سنة ٣٢٥م، وثبّته مجمع القسطنطينية، المجمع المسكونى الثانى فى سنة ٣٨١م، وفيه يقول المؤمن عن أقنوم الروح القدس: (نعم نؤمن بالروح القدس **المنبثق من الآب**)، وهى صيغة مأخوذة من قول المسيح له المجد (روح الحق **المنبثق من الآب**). (يوحنا ١٥: ٢٦).

أما الكنيسة الرومانية الكاثوليكية فقد أضافت على صيغة قانون الإيمان قولها (والابن)، فصارت صيغة قانون الإيمان عندهم (الروح القدس المنبثق من الآب **والابن**)، بحجة أن المسيح له المجد وعد تلاميذه بإرسال الروح القدس عليهم، بقوله (ومتى جاء المعزّى الذى **سأرسله أنا** إليكم) (يوحنا ١٥: ٢٦).

هذه الإضافة إلى صيغة قانون الإيمان، والتى عُرفت بمشكلة (**والابن** Filioque) **ترفضها الكنيسة الأرثوذكسية رفضاً باتاً**، سواء عائلة الكنائس الشرقية القديمة: وهى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، والكنيسة السريانية الأرثوذكسية، والكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية، فضلاً عن الكنيسة الأثيوبية الأرثوذكسية ـ أو عائلة الكنائس الشرقية البيزنطية المعروفة بالخلقيدونية وهى كنائس الروم، والروس ومن إليهم...

إن جميع تلك الكنائس الأرثوذكسية بشقيها: غير الخلقيدونية، والخلقيدونية، يرفضون إضافة (والابن) ويقولون إنه ليس من حقنا أن ننسب إلى الروح القدس أنه منبثق من الآب والابن، ففى هذه الإضافة خروج وعدم إلتزام بنص الإنجيل، وبالصيغة التى نطق بها رب المجد يسوع المسيح.

ثم إن فى هذه الإضافة (والابن) خلطاً بين مفهوم (الإنبثاق) ومفهوم (الإرسال). وهذا ليس من حقنا، خصوصاً وأنّ الموضوع يتصل بالطبيعة الإلهية التى تعلو عن تصوّرنا، ولا نستطيع أن نحيط بها أو ندركها، فهى أعلى من منالنا، ولابدّ لنا، **ولا مفرّ لنا، من أن نلتزم فى التعبير عنها بكلام الله ذاته عن طبيعته.**

هذا إلى أن (**الإنبثاق**) من الآب فعل (**أزلى**) أى أنّ الروح القدس ينبثق من الآب منذ الأزل. أما (**إرسال**) الروح القدس على التلاميذ فى يوم الخمسين فهو فعل (**زمنى**)، وعد به الآب، ثم تحقق فى يوم الخمسين لقيامة المسيح الرب من بين الأموات. قال المسيح له المجد (**وها أنا ذا أرسل إليكم ذلك الذى وعد به أبى، فامكثوا فى مدينة أورشليم إلى أن توشّحوا بقوة من الأعالى**) (لوقا ٢٤: ٤٩) وقال أيضاً: (أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق، لأننى إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّى. أما إذا مضيت فإنى أرسله إليكم) (يوحنا ١٦: ٧).

هذا إلى أنه من الخطورة بمكان عظيم، أن يكون فى تعليم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية أن الروح القدس ينبثق من الآب والابن، إذ أن هذا القول ينطوى ضمناً على وجود مصدرين فى الثالوث القدوس لإنبثاق الروح القدس: الآب والابن، الأمر الذى يؤدى إلى القول بالإثنينية فى الله الواحد، وهو أمر مرفوض فى المسيحية. فنحن نجاهر بقولنا (نؤمن بإله واحد) كما نقول بأن هناك **مصدراً واحداً للإلوهة فى الله** πηγή θεότητος هو الآب. فالروح القدس ينبثق من الآب.

وليس هناك أدنى شك فى أن آباء الكنيسة فى مجمع نيقية، كانوا على علم واسع ودقيق بتعليم الكتاب المقدس والتقليد الرسولى، ولم تغب عن بالهم النصوص الواردة فى الإنجيل عن (إرسال) موهبة الروح القدس من الآب والابن فى يوم الخمسين، ولكنهم كانوا حريصين على أن ينسبوا (**الإنبثاق**) للروح القدس من الآب، على ما نطق به المسيح له المجد، **لأن الإنبثاق فعل أزلى لا زمنى، أما إرسال موهبة الروح القدس فى يوم الخمسين فهو فعل زمنى** قد تم فى زمن محدّد، وهو يوم الخمسين.

وقد سارت الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة على هذا التعليم، حريصة على الإلتزام بنص الإنجيل، ونص مجمعىّ نيقية والقسطنطينية المسكونيين قروناً كثيرة. ومن الثابت تاريخياً أن إضافة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية قولها (والابن) إلى قانون الإيمان، **جاء متأخراً زمنياً، وكان سبباً رئيسياً فى إنشقاق مجموعة الكنائس الشرقية، المعروفة بالكنائس**

الأرثوذكسية البيزنطية الخلقيدونية، من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية منذ عام ١٠٥٤ لميلاد المسيح.

والمعروف أن البطريرك فوتيوس Photius بطريرك القسطنطينية المسكونى (٨١٠ - ٨٩٥)، هاجم إضافة (والابن) مهاجمة عنيفة، وفى منشور بطريركى أصدره سنة ٨٦٧م، شرح إعتراضاته اللاهوتية على تلك الإضافة الرومانية. وفى هذه السنة عينها عقد مجمعاً أصدر فيه قراراً **بشجب إضافة (والابن) إلى قانون الإيمان**، وحرم الحبر الرومانى.

وإلى اليوم تشكّل هذه القضية سبباً للإنفصال بين الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من جانب، وعائلة الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة ومعها عائلة الكنائس الخلقيدونية البيزنطية، من جانب آخر.

إنّ هذه الصيغة الإنجيلية التى صرّح بها المسيح له المجد، والتى نصّ عليها قانون الإيمان الأرثوذكسى الذى وضعته الكنيسة الجامعة الرسولية فى نيقية والقسطنطينية، **هى الصيغة التى نستخدمها فى سرّ العماد، والتى تشترطها الكنيسة على المتقدمين إلى المعمودية**، بإعترافهم بالإيمان المسيحى، الذى يؤهل المتقدم إلى العماد لقبول موهبة الروح القدس للميلاد الثانى.

أما إضافة (والابن) فتطعن صحة الإعتراف، وأرثوذكسية الإيمان، وتعوق عند الأرثوذكسيين قبول معمودية الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، التى بإضافتها (والابن) أحدثت فى صيغة الإيمان إضافة، جعلت الإعتراف بإله واحد مثلث الأقانيم بمفهوم مختلف على نوع ما، عن الإعتراف الذى تشترطه الكنيسة الأرثوذكسية لصحة العماد.

وهناك فارق آخر فى ممارسة المعمودية عند الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية، **هو أنّ الكاثوليك يؤخرون مسح أعضاء المعمّدين من الأطفال بالميرون، إلى سن الثانية عشرة؛ بينما أن الكنيسة الأرثوذكسية تباشر المسح بالميرون بعد خروج المعمّد من جرن المعمودية مباشرة**، وهذا يتفق مع تعليم المسيح له المجد، الذى قال: «إنّ الروح النجس إذا خرج من إنسان طاف بالقفار يلتمس راحة فلا يجد، وعندئذ يقول: سوف أرجع إلى دارى التى **بارحتها. فإذا جاء يجدها خالية مكنوسة مزيّنة. فيذهب ويأخذ معه سبعة أرواح آخرين أكثر منه شراً، وهناك يدخلون ويقيمون، فتكون أواخر ذلك الإنسان أسوأ من أوائله**» (متى ١٢: ٤٣ - ٤٥)، (لوقا ١١: ٢٤ - ٢٦). فلقد أبان مخلصنا يسوع المسيح أنّ الروح النجس إذا خرج من الإنسان،

يمكن أن يعود إليه مرة أخرى، وفى هذه الحالة لا يعود بمفرده بل (يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح آخرين أكثر منه شراً، وهناك يدخلون ويقيمون، فتكون أواخر ذلك الإنسان أسوأ من أوائله) وعلى ذلك **فإن تأخير منح سرّ المسحة بالميرون إلى ما بعد المعمودية بوقت، يعرّض الإنسان إلى عودة الروح النجس إليه مرة أخرى، ومعه أرواح آخرين أكثر منه شراً**. أما فى الكنيسة الأرثوذكسية، فينفخ الكاهن المعمّد ثلاث مرات فى وجه المعمّد، قبيل التغطيس فى جرن المعمودية، وهو يقول: اخرج أيها الروح النجس! ... فيخرج، وبعد التغطيس مباشرة، يسرع فيدهن أعضاء المعمّد فى ٣٦ موضعاً - وهى منافذ الروح إلى جسم الإنسان - تحسباً لإحتمال عودة الروح النجس إلى جسم الإنسان بعد خروجه منه، **وبهذا يغلق بالمسحة المقدسة على المنافذ ويحصّنها بالميرون، حتى لا يجد الروح النجس طريقاً إلى جسم الإنسان**. ولا شك أن منح المسحة المقدسة بعد الخروج مباشرة من جرن المعمودية هو التقليد السليم الذى يطابق تعليم المسيح له المجد.

* * *

وثمّت فروق أخرى بين المعمودية الأرثوذكسية والمعمودية عند الكاثوليك، فى ممارسة المعمودية: هى أن الكاثوليك يبيحون التعميد بالرش أو بالسكب، وتضاءل عندهم التعميد بالتغطيس. **أما الكنيسة الأرثوذكسية، فتتطلب التعميد بالتغطيس ثلاث غطسات فى الماء كاملة. على اسم الثالوث القدوس، الآب والابن والروح القدس، وعلى عدد الأيام الثلاثة التى قضاها المسيح له المجد فى القبر**، حيث أن المعمودية فى مفهومها الدقيق هى موت مع المسيح (فدُفِنّا معه فى المعمودية وشاركناه فى موته) (رومية ٦ : ٤).

ثم إن هناك ما يعرف فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية **بتعميد الجنين فى بطن أمه**. وهو أمر قبيح لا تقره كنيستنا الأرثوذكسية.

٢ ـ طبيعتين قبل الاتحاد (١)

الابن العزيز المبارك الراهب.....

سلام ومحبة وإعزاز ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، أرجو لكم موفور الصحة، والنمو في المعرفة والتقوى والروحانية.

شكراً على خطابكم، بل على روح المحبة والوفاء التى أملت عليكم ما كتبتموه ـ وأشكر الله من كل قلبى على غيرتكم الأرثوذكسية، التى إزدادت توهجاً بالسيرة الرهبانية.

وعلى الرغم من أن النصّ الكامل للاتفاقية، بين عائلتى الكنائس الأرثوذكسية القديمة والكنائس الخلقيدونية ليس أمامى، فإننى بضمير صالح أمام الله لا أقبل بالنسبة لكنائسنا الأرثوذكسية تعبير The double consubstantiality، إذا كان المقصود منها (ثنائية الجواهر)، والذى نذكره واضحاً للبابا ديوسقورس، أنه كان بصوت واضح يصرخ فى مجمع خلقيدونية قائلاً: **إننا نقر بطبيعتين قبل الاتحاد ـ أى قبل التجسد. أما بعد الاتحاد ـ أى بعد التجسد ـ فلا نقبل القول بطبيعتين، إنما هى طبيعة واحدة للكلمة المتجسد. فاللاهوت والناسوت اتحدا معاً فى المسيح اتحاد النار بالفحم فى جمر المجمرة.** إننا لا نستطيع أن نفصل بين النار والفحم بعد اتحادهما. وما دمنا نقول بالاتحاد ἕνωσις ـ فالاتحاد معناه إنهما صارا واحداً، ومادام واحداً فلا نقبل القول بالطبيعتين، لأن مجرد القول بالطبيعتين ولو لفظاً، معناه يتعارض تعارضاً أساسياً مع الاتحاد أو الوحدانية.

وإذا كانت الصياغة تحتفظ بالإثنينية، فالصياغة تنطوى على إنحراف باطنى عن معنى الاتحاد.

والسؤال القائم: هل اتحاد اللاهوت بالناسوت فى المسيح، هل هو اتحاد حقيقى أم هو جمع Combination ؟ وهو التعبير الذى قال به نسطور، الذى قال إن المسيح جمع بين اللاهوت والناسوت فى أقنوم واحد، كما تجمع نعمة الروح القدس بين الرجل والمرأة فى الزيجة ـ وهو التعبير الذى رفضه مجمع أفسس الأول والبابا كيرلس الأول، والذى كان ينطوى على إيمان ضعيف بلاهوت المسيح، والذى نما عند نسطور فجعله يقول صراحة (أنا لا أستطيع أن أسجد لطفل ابن ثلاثة شهور)، مستنكراً ما صنعه المجوس إذ سجدوا لابن الله فى المذود..... الأمر الذى عارضه البابا كيرلس الأول عمود الإيمان، والذى تطلب إنعقاد مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م، والذى جرد نسطور وأسقطه من جميع درجاته الكهنوتية، ثم نفاه الملك إلى أخميم، وأما أتباعه النساطرة فنفاهم إلى خارج الإمبراطورية الرومانية، فذهبوا إلى بلاد العرب...

---

(١)كتب فى ٢٥ من سبتمبر ١٩٩١م ـ ١٤ من توت ١٧٠٨ش.

إن تعبير The double consubstantiality معناه صراحة (ثنائية الجوهر)، فكيف نقبل نحن هذا التعبير؟ وكيف يقال عنا، وعلى ألسنتنا إننا نُقرّ achnowledge بثنائية الجوهر أو ازدواج الجوهر. إن الثنائية هى تعبير آخر يؤيد القول بالطبيعتين أو بالجوهرين أو الأقنومين؟ لست أفهم كيف يقال عن كنيستنا الأرثوذكسية إنها تقر بالثنائية الجوهرية؟

إننا نقر بالاتحاد Union ومعنى لفظ (الاتحاد) أن هناك جوهرين قبل الاتحاد، صارا (واحداً). أى أن لفظ (الاتحاد) يفيد الإثنينية قبل الاتحاد أى قبل التجسد، إذ هناك طبيعة الله ثم طبيعة الإنسان. فإذا كان (الاتحاد) حقيقياً، فلا معنى للنص على الإثنينية أو الإزدواجية بعد القول بالإتحاد. إن الإصرار على النص على الإزدواجية أو الإثنينية بعد القول بالاتحاد، يجبُّ وينفى ويلغى ويبطل حقيقة الاتحاد. إن كلمة الاتحاد كافية بها، وبها وحدها، على أن هناك طبيعتين أو جوهرين قبل الاتحاد. ثم اتحدا فصارا (واحداً) وهو التعبير الذى اصطلح عليه البابا كيرلس الأول ἕνωσις (الاتحاد).

ولعل هذا القدر يكفى الآن فى بيان إعتراضنا على القول بأننا نقر بالثنائية الجوهرية.

مع تحيات المحبة، نصلى أن يحفظ الله حياتكم ويقويكم فى مسيرتكم الرهبانية فى طريق صاعد وإلى الأمام.

الرب معكم،،،،،

٣ ـ موهبة التكلّم بالألسنة أو اللغات (١)

سؤال من الاين بشاى سيف حنا ـ البدارى ـ العقال البحرى

يقول: أرجو توضيح ظاهرة التكلم بألسنة، وهل هى مستمرة إلى اليوم؟

الجواب :

موهبة التكلم بالألسنة (أو الألسن) أو باللغات، هى من مواهب الروح القدس التى نزلت على تلاميذ المسيح ورسله القديسين، فى يوم الخمسين لقيامته المجيدة. فقد وعدهم المسيح له المجد بهذه الموهبة، قبيل صعوده إلى السماء، (يوحنا ١٤: ١٦، ٢٦)، (١٥: ٢٦)، (١٦: ٧)، (لوقا ٢٤: ٤٩)، (أعمال الرسل ١: ٤) ثم أوصاهم أن لا يبرحوا أورشليم بعد صعوده إلى السماء، بل أن ينتظروا تحقيق هذا الوعد.فلمّا صعد له المجد إلى السماء صعدوا إلى العلية أو القاعة العليا، التى أكل فيها المسيح الفصح مع تلاميذه وغسل أرجلهم، وأقاموا فيها مواظبين على الصلاة والطلبة بروح واحدة. وفى اليوم الخمسين للقيامة المجيدة ،وكانوا كلهم مجتمعين فى مكان واحد. وبغتة حدث صوت جاء من السماء كأنه دوىّ ريح عاصفة، وملأ كل البيت الذى كانوا موجودين فيه. وظهر لهم ما يشبه ألسنة من نار منقسمة، وحلّت على كل واحد منهم. فامتلأوا جميعاً من روح القدس، وطفقوا يتكلمون بلغات أخرى غير لغتهم، حسبما وهبهم الروح أن يجهروا بالكلام ، (أعمال الرسل ٢: ١ ـ ٤).

أما لماذا كانت هذه الموهبة، وما هو الهدف منها؟

نقول إنها موهبة التكلم باللغات، لتوصيل رسالة الخلاص، ودعوة الإنجيل للناس باللغة التى يتكلمون بها. وهو الهدف الطبيعى من كل لغة ومن كل لسان. فاللغة أو اللسان أداة التفاهم، ونقل المعرفة من إنسان إلى آخر.

ولمّا كان المسيح له المجد قد أمر تلاميذه أن يحملوا رسالته لكل الشعوب والأمم، وأن يكونوا له (شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض) (أعمال ١: ٨)، (لوقا ٢٤: ٤٧، ٤٨). ولما كان هؤلاء التلاميذ لا يعرفون كل اللغات، وأكثرهم لا يعرفون غير لغة بلدهم، فكيف يمكنهم أن يذهبوا إلى بلاد لا يعرفون لغتها، ويكرزون فيها بالإنجيل، ما لم يكونوا مالكين زمام اللغة التى يتحدثون بها إلى الناس؟ إن المعرفة العادية للغة بلد ما قد تكفى لفهم ما يقوله أهل البلد. أما الكرازة والتعليم والخطابة، فتقتضى أن يكون المتكلم قادراً على التعبير السليم، عن المعانى التى يريد أن ينقلها للناس. وهذا لا يتوافر بالكفاية إلا لمن ملك زمام اللغة.

---

(١)نشر بجريدة وطنى الأحد الموافق ٢١ من مايو ١٩٩٠م ـ ١٣ من بشنس ١٧٠٧ش.

إن المسيح له المجد طالب تلاميذه أن ينتقلوا بأنفسهم للبلاد فى كل المسكونة، وينقلوا بشرى الخلاص للناس فى بلاد الناس.

قال لتلاميذه بعد قيامته من بين الأموات: (فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به) (متى ٢٨ ١٩، ٢٠).

وجاء فى إنجيل ربنا يسوع المسيح للقديس مرقس (ثم قال لهم: اذهبوا إلى العالم أجمع، وبشّروا بالإنجيل كل الخليقة.. وبعد أن كلمهم الرب يسوع بهذا ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله. أما هم فانطلقوا وبشروا فى كل مكان، والرب يعمل معهم، ويثبت الكلمة بالآيات التى تتبعهم إلى أبد الآبدين) (مرقس ١٦: ١٥ ـ ٢٠).

وإذن لقد أمر المخلص تلاميذه أن لا يقبعوا فى أورشليم بعد قيامته المجيدة وصعوده إلى السماء، بل بالأحرى أن ينطلقوا إلى كل العالم، وأن يتلمذوا جميع الأمم وأن يعلموهم ما أوصاهم به، وأن يكرزوا بالإنجيل كل الخليقة فى العالم أجمع، فكيف يمكنهم أن يعملوا بوصية سيدهم، وأن يذهبوا إلى كل العالم، وأن يكرزوا بالإنجيل كل الخليقة، دون أن يكونوا مزوّدين بأدوات التبليغ والكرازة والتعليم، وهى اللغة أو اللغات التى بها يكرزون ويعلمون ويبشرون ويشهدون لسيدهم؟

وكيف يعرفون لغات البلاد التى يذهبون إليها ويكرزون فيها؟

لا مفرّ من أحد أمرين: إمّا أن يدرسوا هذه اللغات فى مدارس للغات، إذا وجدت ـ وهو أمر عسير خصوصاً بالنسبة لرجال كبار، ضعفت مع السنّ قابليتهم لتعلّم لغات جديدة، فضلاً عن أن تعلّم اللغات يقتضى سنوات طويلة، وسنوات حتى يمكن للدارس أن يتقدم فى معرفة اللغة والتكلم بها.

أو أن تُمنح لهم هذه المعرفة بموهبة علوية، تغنيهم عن دراسة اللغات فى مدارس للغات.

وهذا ما تم بالفعل، فقد مُنح الآباء الرسل القديسين، بعطية سمائية، القدرة على التكلم باللغات، وذلك بحلول الروح القدس عليهم. وهو ما أوضحه المسيح له المجد فى قوله لهم: «وينبغى أن يبشر باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا بين كل الأمم إبتداء من أورشليم. وأنتم شهود لذلك. **وها أناذا أرسل إليكم ذلك الذى وعد به أبى، فامكثوا فى مدينة أورشليم إلى أن تؤشحوا بقوة من الأعالى**» (لوقا ٢٤: ٤٧ ـ ٤٩).

ومكثوا فى أورشليم كأمر سيدهم، وعكفوا فى عليه صهيون، يصلون بنفس واحدة، من يوم صعود المسيح إلى السماء إلى يوم الخمسين، (وبغتة حدث صوت جاء من السماء كأنه دوىّ ريح عاصفة، وملأ كل البيت الذى كانوا موجودين فيه، وظهرت لهم علانية وبصورة جسمية ما يشبه ألسنة من نار منقسمة وحلّت على كل واحد منهم) (أعمال ٢: ١ ـ ٣). هذه الألسنة التى

ظهرت فى جو عاصف غير عادى، وصفه الوحى الإلهى فى سفر الأعمال بأنه (كأنه دوّى ريح عاصفة) (أعمال ٢ : ٢)، وذلك للتدليل على أنه عطية سمائية فوق الطبيعة، وزيادة فى التوكيد على سمو هذا المصدر، أن صاحب هذا الحلول العاصف (صوت جاء من السماء)، وإذن فهنا موهبة سمائية وعطية إلهية مصحوبة بكل مظاهر الإبهار التى تعلو على قدرات الإنسان الطبيعية ـ ثم إنّ هذه العطية تجسدت فى صورة ألسنة ـ والألسنة جمع لسان. والألسن أو الألسنة وصفت بأنها (تشبه ألسنة من نار)، وهذا للدلالة على طبيعتها الإلهية، فإن (إلهنا هو نار آكلة) (العبرانيين ١٢ : ٢٩)، فهى من نار ومن نور، وإذن فهى من طبيعة إلهية.

على أنها أيضاً ألسنة أو ألسن بجمع الكلمة، فلم تكن إذن لساناً واحداً وإنما هى ألسنة عدة أو كثيرة ، لأن الحاجة ماسّة إلى أن يتزود رسل المسيح وتلاميذه بالقدرة على التكلم بلغات عدة، حسب حاجة البلاد التى سيذهبون إليها، ولابد أن تعطى إحتياجات جميع الناس فى كل بلاد العالم، لأن الدعوة الإنجيلية لابدّ من تبليغها إلى كل بلاد المعمور. وهذا ما أنبأ عنه سفر المزامير (يوم ليوم يفيض قولاً وليل لليلٍ يبدى علماً. ليس قول ولا كلام. الذين لا يسمع صوتهم. فى الأرض كلها ذاع منطقهم . وإلى أقاصى المسكونة بلغت أقوالهم) (مزمور ١٨ : ٣، ٤)، (رومية ١٠ : ١٨).

وأما أنها ظهرت بشكل منظور (**ألسنة**) نزلت على رءوسهم، فهى إذن موهبة (**التكلم بلغات**)، بها أصبح رسل المسيح قادرين على أن يتكلموا بلغات أخرى غير لغتهم التى كانوا يتكلمونها فى بلدهم.

وأما أنها ظهرت (**منقسمة**) على كل منهم. فمعناه أن هناك **توزيعاً** لكل رسول، وتزويداً له بعدد من اللغات، التى سيحتاج إليها فى خدمته فى البلاد التى سيذهب إليها ليبشر بالمسيح.

ومن هنا نفهم لماذا ذهب القديس توما الرسول إلى بلاد الهند، وذهب القديس متى الرسول إلى بلاد الحبشة (أثيوبيا)، وذهب فيلبس الرسول إلى بلاد الفرس أو إيران ... وهكذا ذهب بطرس الرسول إلى بنطس وغلاطية وكبادوكية وآسيا الصغرى وروما.. وهكذا سائرالرسل القديسين. لم يكن ذهابهم إلى تلك البلد أو غيرها من تلقاء أنفسهم، بل بتدبير وتخطيط الحكيم الذى أرسلهم. (يوحنا ١٧ : ١٨)، (٢٠ : ٢١). ولهذا منحهم فى يوم الخمسين موهبة التكلم باللغات اللازمة لخدمتهم، فى البلاد التى شاء أن يرسلهم إليها (وكيف يبشرون إن لم يرسلوا؟) (رومية ١٠ : ١٥).

وإذن لقد تبيّن سر هذه الموهبة موهبة التكلم باللغات، من بين مواهب الروح القدس، وأنها موهبة خدمة للوصول إلى قلوب الناس وأذهانهم باللغة التى يفهمونها.

ولقد تجلت حكمة الله من هذه الموهبة فى يوم الخمسين، إذ كان قد تجمع لمناسبة عيد الفصح اليهودى وعيد الخمسين، وهو عيد الحصاد (الخروج ٢٣ : ١٦)، أو عيد الأسابيع

(الخروج ٣٤: ٢٢)، وهو أيضاً عيد (اليوبيل) الذى يُحتفل به كل خمسين سنة (اللاويين ٢٥: ١٠، ١١، ١٢) ـ نقول كانت هناك جماهير من يهود أتوا (من كل أمة تحت السماء) (أعمال ٢: ٥)، غير اليهود المقيمين فى أورشليم، وأعنى بهم اليهود المهاجرين إلى كل بلاد آسيا وأوربا وأفريقيا، ممن لطول إقامتهم فى بلاد المهجر صاروا يجهلون اللغة العبرانية، وهى لغة الهيكل الرسمية، مثلهم مثل المصريين المهاجرين إلى بلاد الغرب، وخصوصاً من ولدوا منهم فى انجلترا أو فرنسا أو إيطاليا أو ألمانيا أو كندا أو أمريكا أو إستراليا، ونشأوا وكبروا... فمع طول إقامتهم فى تلك البلاد خصوصاً بعد قرون طويلة من الزمان صاروا يجهلون اللغة العربية، كما هو الحال بالنسبة لليهود الذين هاجروا إلى بلاد آسيا وأوربا وأفريقيا وغيرها، فصاروا يجهلون اللغة العبرانية، أو على الأقل، لم تعد العبرانية بالنسبة لهم إلا لغة الطقوس الدينية، مثلها مثل اللاتينية الآن بالنسبة لشعوب أوربا.. وقد ذكر سفر الأعمال عن اليهود المتجمعين فى أورشليم يوم الخمسين، لأداء فريضة الحج أنهم كانوا من بلاد كثيرة (بارثيون، وماديّون، وعيلاميون، وسكان ما بين النهرين، واليهودية، وكبادوكيا، وبنطس، وآسيا، وفريجية، وبمفيلية، ومصر وأنحاء ليبيا القريبة من القيروان، والقادمون من روما المقيمون بيننا، يهوداً ومتهودين، وكريتيون، وعرب...) (أعمال ٢: ٩ ـ ١١) وهؤلاء المذكورون فقط من أربعة عشر قطراً، غير اليهود المواطنين وغير (القادمون من روما المقيمون بيننا، يهوداً ومتهودين). وهنا كانت المعجزة التى تجلّت فى يوم الخمسين، إذ أن الآباء الرسل تكلموا مع هذه الجماهير، بلغات البلاد التى أتوا منها، حتى نطق كل أولئك الآتين من كل أمة تحت السماء، مبهورين بعظمة المعجزة (لأن كلا منهم كان يسمعهم يتكلمون بلغته هو. وقد ذهلوا جميعا وتعجبوا قائلين بعضهم لبعض: ترى أليس كل هؤلاء الذين يتكلمون جليليين؟ فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته التى ولد فيها؟ منّا بارثيون وماديّون وعيلاميون، وسكان ما بين النهرين، واليهودية، وكبادوكية، وبنطس، وآسيا، وفريجية، وبمفيلية، ومصر، وأنحاء ليبيا القريبة من القيروان.. كريتيون وعرب، ونسمعهم يحدثون بجلائل أعمال الله بلغاتنا نحن. وقد تولتهم جميعاً الدهشة، وراحوا يقولون فى حيرة بعضهم لبعض: ما عسى أن يكون هذا؟ (أعمال الرسل ٢: ٦ ـ ١٢).

وإذن فالمعجزة كانت موهبة التكلم بألسنة وبلغات كثيرة غير لغة الرسل الأصلية، لغة أهل الجليل (أعمال ٢: ٧)، فالموهبة موهبة (تكلم باللغات)فهى فى ألسنة الرسل التى صارت قادرة على التكلم بلغات أخرى غير لغة الرسل الخاصة. وهنا نلاحظ قول جمهور الحجيج (لأن كلا منهم كان يسمعهم **يتكلمون** بلغته هو)، (فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته هو التى ولد فيها؟). (ونسمعهم يحدثون بجلائل أعمال الله بلغاتنا نحن). المعجزة إذن ليست فى آذان السامعين، وإنما فى ألسنة الرسل، الذين تكلموا باللغات. ولذلك كانت هذه الموهبة موهبة (تكلّم باللغات أو الألسن والألسنة).

وزيادة فى الإيضاح قال الكتاب المقدس (فوقف بطرس مع الأحد عشر، ورفع صوته وخاطبهم قائلاً:) (أعمال ٢ : ١٤)، وإذن لم يكن القديس بطرس الرسول هو وحده الذى تكلم مع جماهير اليهود المجتمعين فى أورشليم لأداء فريضة الحج، وإنما الإثنى عشر رسولاً جميعاً تكلموا فى هذا اليوم. فوقف بطرس الرسول، وتكلم مع مجموعة منهم. وتكلم معهم بلغتهم التى يفهمونها والتى (ولدوا فيها) . ووقف اندراوس الرسول مع مجموعة أخرى وتكلم معهم باللغة التى يفهمونها. وهكذا وقف يعقوب بن زبدى مع مجموعة ثالثة وتكلم معهم بلغتهم. ووقف يوحنا مع مجموعة رابعة. وفيلبس مع مجموعة خامسة، وبرثولماوس مع مجموعة سادسة. وتوما مع مجموعة سابعة. ومتى مع مجموعة ثامنة. ويعقوب بن حلفى مع مجموعة تاسعة. وتداوس مع مجموعة عاشرة. وسمعان القانوى مع مجموعة حادية عشرة. ومتياس مع مجموعة ثانية عشرة ... تماماً كما يحدث اليوم فى الجماعات السياحية، فإن لكل مجموعة دليلاً ومرشداً يتحدث معهم بلغتهم: الإنجليزية أو الفرنسية، أو الألمانية، أو الإيطالية، أو الروسية.. وهذا هو معنى الألسنة أو الألسن المنقسمة، التى نزلت على كل منهم لتجعله قادراً على أن يتكلم مع أهل لغة بلغتهم.

نعم إن سفر الأعمال سجل الحديث الذى ألقاه القديس بطرس الرسول بوصفه الأول بين الرسل (متى ١٠ : ٢) وهو أكبرهم سناً. ولم يجد حاجة إلى تسجيل أحاديث الرسل الآخرين، لأنها (ترجمة) لما قاله القديس بطرس، فالموضوع واحد وهو المسيح، وعمل الفداء ثم قيامته وصعوده إلى السماء، وطريق الخلاص بالإيمان. (فقال لهم بطرس: توبوا، وليعمّد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح، فتغفر خطاياكم وتنالوا موهبة الروح القدس، لأن الموعد إنما هو لكم ولأبنائكم ولكل البعيدين، ممّن يدعوهم الرب إلهنا جميعاً) (أعمال ٢ : ٣٨، ٣٩) .

وهذا هو معنى موهبة (الترجمة) التى أشار إليها الكتاب المقدس (١ . كورنثوس ١٤ : ٥، ١٣، ٢٦، ٢٨) . إنها إعادة لموضوع الدعوة بلغة أخرى لجمع من الناس، باللغة التى يعرفونها ويفهمونها ويتكلمون بها.

وتوكيداً على هذه الحقيقة، أن موهبة التكلم بالألسن هى موهبة (**التكلم باللغات**)، وأنها لخدمة الكرازة والدعوة المسيحية، وتبليغ رسالة الخلاص للناس باللغة التى يفهمونها، يقول الكتاب المقدس على لسان القديس بولس الرسول، الذى واجه بعض الناس فى مدينة كورنثوس، وكانوا قد أساءوا فهم هذه الموهبة، وأساءوا إستخدامها بصورة أضرّت بالرسالة المسيحية، وأمسوا ينطقون بأصوات لا معنى لها، مدّعين أنها لغة السمائيين أو لغة الملائكة وهى ليست فى حقيقتها غير هزْات عصبية، تحدث للمصابين بالصرع بمسّ من الجن. ولذلك كتب لهم الرسول يوبخهم ويسخر منهم ويقول (إذا أخرج البوق صوتاً مشوشاً، فمن يتأهب للقتال؟ وكذلك أنتم إن لم ينطق لسانكم بكلام مفهوم، فكيف يعرف أحد ما تقولون؟ ألا يذهب كلامكم فى الهواء؟ إن فى العالم أنواعاً كثيرة من اللغات ، وليس شئ منها بغير معنى. فإن كنت لا أعرف معنى اللغة أكون عند الناطق بها أعجمياً، ويكون الناطق بها أعجمياً عندى... وإلا فإن حمدت

الله بالروح، فكيف يمكن لمن لا يعرف، أن يجيب على شكرك قائلاً: (آمين)، وهو لا يعرف ما تقول؟.. أشكر الله إلهى على أننى أتكلم بلغات أخرى أكثر مما تتكلمون كلكم. ولكنى أوثر أن أقول وأنا فى الكنيسة خمس كلمات بعقلى، أُعلّم بها الآخرين على أن أقول عشرة آلاف كلمة بلغة غريبة لا يفهمها أحد. لا تكونوا أيها الإخوة أطفالاً فى أذهانكم، بل كونوا أطفالاً فى الشر، وأما فى أذهانكم فكونوا كاملى الرشد. إذن فاللغات الأخرى الغريبة آية لا للمؤمنين، بل لغير المؤمنين. وأما النبوءة فهى للمؤمنين لا لغير المؤمنين. فلو اجتمعت الكنيسة كلها وتكلم كل واحد فيها بلغة غريبة. فدخل قوم من غير العارفين أو غير مؤمنين، أفلا يقولون إنكم مجانين؟) (١ . كورنثوس ١٤: ٨ ـ ٢٣).

ويبقى بعد ذلك السؤال قائماً: هل موهبة التكلم بالألسن أو اللغات مستمرة إلى اليوم؟

نقول: نعم، إنها من مواهب الروح القدس، التى وعد بها المسيح له المجد، المؤمنين باسمه ليستعينوا بها فى طريق الخلاص، كلما دعت الحاجة إليها. قال: (اذهبوا إلى العالم أجمع، وبشروا بالإنجيل كل الخليقة. فمن آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن أدين. وستتبع المؤمنين هذه الآيات فيطردون الشياطين باسمى **ويتكلمون لغات جديدة**...) (مرقس ١٦: ١٥ ـ ١٧).

إن الله لا يخلف وعده. فقد وعد المؤمنين باسمه بأن يتكلموا لغات جديدة غير لغتهم، ولن يخلف الله بوعده. وعلى مدى التاريخ المسيحى تكلم المؤمنون المسيحيون بلغات، حسب حاجتهم إليها فى مسيرتهم المقدسة، وكلما اقتضتهم الضرورة إلى ذلك من أجل الخدمة المقدسة.

لقد شهد القديس بولس الرسول، والذى وُصف بأنه ثالث عشر رسل المسيح بأنه يتكلم بلغات كثيرة. وقال لأهل كورنثوس: (أشكر الله إلهىَ على أننى أتكلم بلغات أخرى أكثر مما تتكلمون كلكم) (١ . كورنثوس ١٤: ١٨).

وورد فى تاريخ الكنيسة عن القديس افرآم السريانى (٣٠٦ ـ ٣٧٣)، لما ذهب إلى القديس باسيليوس الكبير (نحو ٣٣٠ ـ ٣٧٩) رئيس أساقفة قيصرية كبدوقية، وكان كل منهما لا يعرف لغة الآخر ... فالقديس افرآم السريانى كان لا يعرف اليونانية، والقديس باسيليوس الكبير لا يعرف السريانية، فسألا الله معاً أن يهبهما موهبة التكلم بالألسن حتى يمكنهما أن يتفاهما، فاستجاب الله، وتكلم كل منهما مع الآخر وتعزيا بالتعزيات الروحية.

إنه (لا ندامة فى هبات الله ودعوته) (رومية ١١: ٢٩) (ليس الله إنساناً فيكذب، ولا كبنى البشر فيندم. أتراه يقول ولا يفعل، أو يتكلم كلاماً ولا يتممه) (العدد ٢٣: ١٩)، (لا يكذب ولا يندم لأنه ليس إنساناً فيندم) (١ . صموئيل ١٥: ٢٩).

على أن هذه الموهبة تمنح للمؤمنين بمقتضى الحاجة إليها فى الخدمة، ولتبليغ رسالة الخلاص، فهى للبنيان (١ . كورنثوس ١٤: ٢٦)، ولنشر المعرفة الروحية، ولخلاص النفوس.

٤ ـ يسوع المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين

سؤال : من السيد / اسحق اسطفانوس سابا

هل للسيد يسوع المسيح طبيعتان إلهية وبشرية. أو طبيعة واحدة، بعد أن امتزجت الطبيعتان فى السيد المسيح بعد التجسد؟

الجواب :

إن المسيحيين الأرثوذكسيين لا يقولون إن فى المسيح طبيعتين إلهية وبشرية، وإنما يقولون إن فى المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين، هذه الطبيعة الواحدة تجمع بين خصائص الطبيعتين الإلهية والإنسانية. إذن ليست الطبيعة الواحدة للمسيح هى طبيعة اللاهوت وحده، ولا هى طبيعة الناسوت وحده. إنما هى طبيعة واحدة جامعة أو قل مركبة، تجمع بين صفات اللاهوت وصفات الناسوت معاً، فى وحدة واحدة لا تقبل الإنقسام أو التفريق أو الفصل أو الإنفصام، هى وحدة جامعة.

وعلى الرغم من أن هذه الطبيعة، طبيعة الإله المتأنس، طبيعة مركبة من اللاهوت والناسوت، لكنها مع ذلك طبيعة واحدة، أو قل إنها بعد التجسد، وبعد اتحاد اللاهوت والناسوت فى سر التجسد، صارت طبيعة واحدة، لكن المسيحيين الأرثوذكسيين لا يقبلون القول بطبيعتين فى المسيح، لأنهم يرون فى هذا القول مناداة بالإثينية، أو بالإثنينية فى المسيح. وهم يفهمون المسيح أنه واحد، لا إثنان، واحد فى الأقنوم، وواحد فى الطبيعة. إن الإثنينية فى المسيح مرفوضة عند المسيحيين الأرثوذكسيين، لأنها نوع من النسطورية، وهو المذهب الهرطقى الذى إنعقد بسببه مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١، وقرر رفض النسطورية التى دعا إليها نسطور، لأنها تعلم بالإزدواج فى شخص المسيح، وكأنه مسيحان لا مسيح واحد. وقد حرم المجمع نسطور، وأسقطه من جميع درجاته الكهنوتية، وفرزوه من شركة الكنيسة، بمثابة مجدف على لاهوت المسيح.

قال آباء الكنيسة، وعلى رأسهم القديس البابا كيرلس الأول بطريرك الأسكندرية الرابع والعشرون، والذى لقبوه بعمود الإيمان، بأن المسيح إله متأنس، هو إله وهو أيضاً إنسان، ومع ذلك فهو واحد وليس إثنين. هو واحد، لكنه ليس لاهوتاً فقط، وليس ناسوتاً فقط. هو واحد، غير منقسم إلى طبيعتين. هو واحد، يجمع بين خصائص الطبيعتين، لكنه مع ذلك ليست له طبيعتان. طبيعة بعد الاتحاد هى طبيعة واحدة تجمع بين صفات الطبيعتين. فهى طبيعة جديدة جامعة، هى طبيعة الكلمة المتجسد. هذه الطبيعة الواحدة، جمعت بين اللاهوت والناسوت، لا

بطريق المصاحبة أو الأثنينية، بل عن طريق الاتحاد. هذا الاتحاد، ليس كما كان يقول نسطور، كاتحاد الرجل بالمرأة فى سر الزواج، كلا، لأن اتحاد الرجل بالمرأة إتحاد بالجسد وليس فى الروح، فقد قال المسيح «فيصير الإثنان (الرجل وزوجته) جسداً واحداً، فلا يكونان بعد إثنين إذن وإنما جسداً واحداً (متى ١٩: ٥، ٦)، (مرقس ١٠: ٨). إذ يبقى بعد الزواج شخصان: رجل وإمرأة هما جوهران، وشخصان، وأقنومان وطبيعتان، ينفصلان بالموت، وحتى لو عاشا معاً كل الحياة، فإن لكل منهما شخصيته، وكيانه، وطبيعته. وليس كذلك إتحاد اللاهوت بالناسوت فى المسيح. إننا بعد الاتحاد، أى بعد التجسد. لا نستطيع أن نتكلم فى المسيح عن طبيعتين، لأن القول بطبيعتين معناه إزدواج فى المسيح، وهذا مرفوض. لأن التجسد تم باتحاد حقيقى فى الجوهر، اتحاد كامل وتام. ولم يكن هذا الإتحاد اتحاداً بالعوض، ولا اتحاد إرادة أو مشيئة، أى ليس من نوع الاتحاد الذى يعرف عند الروحانيين باتحاد المشيئة أو اتحاد الإرادة. إنما الاتحاد بين اللاهوت والناسوت هو اتحاد فى الجوهر، أى لم يعد المسيح بعد التجسد جوهرين، وإنما هو جوهر واحد، وطبيعة واحدة، هى طبيعة الكلمة المتجسد، أو الله المتأنس.

هذا الاتحاد شبهه القديس كيرلس البابا الأسكندرى، باتحاد الروح والجسد، فى الإنسان، إن الروح تنزل من السماء ، وتتحد فى الرحم بجسد الجنين المتكون من الأب والأم، وبعد تسعة أشهر يخرج الجنين طفلاً، هو إنسان واحد فى جوهره، وواحد فى طبيعته. طبيعته ليست طبيعة الروح وحدها، وليست طبيعة الجسد وحده، لكنها طبيعة الإنسان، والإنسان بطبيعته روح متحدة بجسم، هذه الطبيعة واحدة، هى ناجمة عن اتحاد الروح بالجسد، لكنها طبيعة واحدة، هى الطبيعة البشرية، أو الطبيعة الإنسانية، التى تجمع فى صفاتها وخواصها، بين صفات الروح وصفات الجسم، لكنها مع ذلك طبيعة واحدة.

هذا التشبيه ساقه البابا كيرلس، لبيان حقيقة الاتحاد بين اللاهوت والناسوت فى المسيح، وأنه مسيح واحد، لا إثنان. ومع ذلك فهذا التشبيه قياس مع الفارق، لأن اتحاد اللاهوت بالناسوت فى المسيح، ليس له شبيه ولا مثال. إنه اتحاد أسمى وأرفع من اتحاد الروح والجسد فى الإنسان، لسبب بسيط: وهو أن اتحاد الروح بالجسد فى الإنسان، قابل للإنفصال بالموت. فعند الموت يرجع التراب إلى الأرض كما كان، وترجع الروح إلى الله الذى أعطاها (الجامعة ١٢: ٧). أما اتحاد اللاهوت بالناسوت فى المسيح، فلا يقبل الإنفصال. فإن لاهوت المسيح لم يفارق ناسوته بالموت لحظة واحدة ولا طرفة عين، بل ظل اللاهوت متحداً بكل من الروح والجسد بعد الموت، بدليل أن المسيح بعد موته، جرى من جنبه دم وماء (يوحنا ١٩: ٣٤). وهذا لا يحدث لميت. فقد كان جسد المسيح بعد موته حياً باللاهوت المتحد به.

وعندما نقول عن المسيح أنه طبيعة واحدة، فالاتحاد القائم بين لاهوته وناسوته، ليس بالاختلاط، ولا بالامتزاج، ولا بالتغيير، وإنما هو اتحاد فريد، ليس له نظير فى عالم الحسيات والموجودات المادية.

إن القول بالاختلاط مرفوض، فى شرح اتحاد لاهوت المسيح بناسوته. إن الاختلاط يجرى بين المواد التى من نوع الأجسام المادية، كاختلاط القمح بالشعير، أو اختلاط تبر الذهب بالتراب، أو اختلاط الفول بالقش. المادتان تجتمعان، ولكنهما لا تتحدان، بل كل مادة منهما يمكن بالتنقية فصل إحداهما عن الأخرى. وليس كذلك اتحاد اللاهوت بالناسوت فى المسيح.

وليس الاتحاد فى المسيح من قبيل الامتزاج، لأن الامتزاج يتم بين السوائل، كامتزاج الخل بالماء، أو الخمر بالماء. وبالامتزاج يفقد الخل أو الخمر شيئاً باختلاطه بالماء، فيصير الخمر أو الخل مخففاً بالماء. وليس كذلك اتحاد اللاهوت بالناسوت فى المسيح، لأن اللاهوت لم يفقد شيئاً باتحاده بالناسوت.

وليس الاتحاد فى المسيح بين لاهوت المسيح وناسوته من نوع الاتحاد الكيميائى بين المواد، كما يتحد الكبريت بالحديد اتحاداً كيميائياً، فينتج بالاتحاد مادة جديدة هى كبريتور الحديد، تختلف إختلافاً جوهرياً عن كل من الكبريت والحديد. إنها مادة جديدة، وتركيب جديد، وجوهر جديد، أحدث الاتحاد بين الكبريت والحديد تغييراً أساسياً وجوهرياً فى طبيعة المواد الأصلية. وليس كذلك اتحاد اللاهوت بالناسوت، فإن الاتحاد لم يغير من اللاهوت، ولم يغير من الناسوت، فاللاهوت ظل كما هو محتفظاً بخصائصه وصفاته، ولم يتغير أو يتبدل إلى الناسوت، ولا فقد شيئاً من خصائصه. وكذلك الناسوت ظل كما هو، محتفظاً بخصائصه وصفاته، ولم يتغير أو يتبدل إلى اللاهوت، ولا فقد شيئاً من خصائصه.

قال البابا كيرلس الأول، عمود الإيمان: إن الاتحاد بين لاهوت المسيح وناسوته، يمكن تشبيهه باتحاد النار والحديد. فإذا وضعنا قضيباً من حديد فى النار، إتحدت النار بالحديد، والحديد بالنار، وصارت طبيعة القضيب الملتهب بالنار، طبيعة تجمع بين خصائص النار، وخصائص الحديد معاً، لكن بدون اختلاط أو امتزاج أو تغيير. فلا النار اختلطت بالحديد، ولا امتزجت به، ولا تغيرت إليه، وإنما بقيت محتفظة بخصائصها وأهمها: التوهج والإحراق. وكذلك الحديد اتحد بالنار، لكنه لم يختلط بها، ولا امتزج بها، ولا تغير إليها، وإنما بقى الحديد محتفظاً بجميع خصائصه وهى الكتلة والوزن والحجم والثقل، والصلابة والامتداد، أى الطول والعرض والسمك...

لكن اتحاد النار بالحديد، أوجد طبيعة جديدة، هى طبيعة الحديد المتوهج بالنار، الذى يجمع بين خصائص الحديد والنار، جمعاً لا يقبل الإنفصال. فأنت لا تستطيع أن تمسك سكيناً، أو مقصا، تفصل به بين النار والحديد. إنه اتحاد لا يقبل الإنفصال .

قد يقال أن الحديد المتوهج بالنار، يقبل البرودة. وفى هذه الحال، يعود الحديد، حديداً من غير نار، والنار نفسها تفارق الحديد. وهنا نسارع بالقول، إن التشبيه الذى ساقه البابا كيرلس، تشبيه مأخوذ من عالم الحس والمادة. ومن هنا فلا يمكن أن ينطبق إنطباقاً كاملاً وتاماً، على اتحاد اللاهوت بالناسوت فى المسيح. إن التشبيهات دائماً تشبيهات ناقصة، ولا تكون كاملة من جميع الوجوه، فإذا قلنا أن فلاناً كالأسد، فوجه الشبه هو الشجاعة. ولكن فلاناً إنسان، أما الأسد فحيوان.

كذلك شبه البابا ديسقورس، اتحاد اللاهوت بالناسوت، باتحاد النار بالفحم فى المجمرة، فالجمر هو فحم متوهج بالنار، يجمع بين خصائص النار وهى: التوهج والاحراق، وبين خصائص الفحم: وهى الكتلة والوزن والحجم، وما إليها من خصائص المادة الكثيفة. هذا إلى أن هذا الاتحاد، لا يقبل الانفصال. فأنت لا تستطيع أن تمسك بآلة، تفصل بها بين الفحم وبين النار.

ولعل هذا هو المعنى الروحى الذى ينطوى عليه، ويشير إليه، تشبيه العذراء بالمجمرة، فى اللحن المعروف بلحن العذراء القائل: المجمرة الذهب هى العذراء، وعنبرها هو مخلصنا. ولدته، وخلصنا، وغفر لنا خطايانا.

وفى أيام الصوم المقدس، يقال اللحن على الصورة الآتية: «أنت هى المجمرة الذهب النقى، الحاملة جمر النار المبارك» وواضح من التشبيه الأخير: أن المجمرة هى العذراء، وأما جمر النار الذى حملته العذراء فهو المسيح. وكما تتحد النار بالفحم فى جمر النار، هكذا اتحد لاهوت المسيح بناسوته، إتحاداً بدون اختلاط، ولا امتزاج، ولا تغيير.

٥ ـ المانويون وليس المسيحيون (١)
هم الذين ينهَون عن الزواج ويحرِّمون أكل اللحوم

سؤال : من الابن ا.ح.ص ـ اطسا ـ الفيوم

يقول: عند قراءتى فى الكتاب المقدس وبالتحديد فى رسالة معلّمنا القديس بولس الرسول الأولى إلى تيموثيوس، فوجئت بكلام غريب (إن بعض الناس يرتدون عن الإيمان فى الأزمنةالأخيرة، ويتبعون أرواحاً مُضلّة وتعاليم شيطانية، لقوم مرائين كذابين كُويت ضمائرهم، ينهون عن الزواج وعن أنواع من الأطعمة، خلقها الله ليتناولها ويحمده عليها الذين آمنوا وعرفوا الحق) (١ . تيموثيوس ٤ : ١ ـ ٣) أفليس فى هذا النصّ المقدّس إدانة للرهبان والمتبتلين الذين يمتنعون عن الزواج؟

أو ليس فيه أيضاً إتهام صريح بخطأ الذين يصومون، فيمتنعون عن اللحوم ومستخرجاتها الحيوانية من الألبان والجبن والبيض وما إليها؟ إنى أرجو تفسيراً مقنعاً لهذا النص المقدس الذى أزعجنى وأقلقنى، والذى يستغله بعض الناس لمحاربة الرهبنة، ولمهاجمة الإمتناع عن اللحوم فى فترات الأصوام العامة.

الجواب :

كيف يمكن أن يتصور أحد أن يدين الوحى الإلهى طريق الرهبنة وحياة التبتل، بينما أن المسيح له المجد يصفها بأنها (طريق الكمال)؟

ألم يقل المسيح له المجد (أتريد أن تكون كاملاً؟ يعوزك شىء واحد: اذهب بع كل ماتملك وأعطه للفقراء، فتقتنى لك كنزاً فى السماء، وتعال اتبعنى واحمل الصليب) (مرقس ١٠ : ٢١)، (متى ١٩ : ٢١).

ولمّا قال له تلميذه سمعان بطرس (هانحن أُولاء قد تركنا كلّ شىء وتبعناك، فماذا عسى أن يكون نصيبنا؟ فقال لهم يسوع: الحقّ أقول لكم.... كل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات، أو أباً أو أماً أو زوجة أو أبناء، أو حقولاً من أجل اسمى، ومن أجل الإنجيل، إلا ويأخذ مائة ضعف ينالها الآن فى هذا الدهر، بيوتاً وإخوة وأخوات وأمهات وآباء وأبناء، وحقولاً مع إضطهادات. أما فى الدهر الآتى فحياة أبدية) (مرقس ١٠ : ٢٨ ـ ٣٠)، (متى ١٩ : ٢٧ ـ ٢٩)، (لوقا ١٨ : ٢٨ ـ ٣٠).

---

(١) نشر بجريدة وطنى فى الأحد الموافق ٣ من مارس ١٩٩٢م ـ ٢٤ من امشير ١٧٠٨ ش

وهنا نلاحظ أنه له المجد أحصى من بين تضحيات طريق الكمال، أن يترك الإنسان (الزوجة) أى حياة الزواج، ولكن لما تحدث عن نتائج هذا الترك، وما يجده السائرون فى طريق الكمال من العوض، قال إنه (يأخذ مائة ضعف ينالها الآن فى هذا الدهر، بيوتاً وإخوة وأخوات وأمهات وآباء وأبناء وحقولاً مع إضطهادات، **ولكنه لم يذكر الزوجة العوض عن الزوجة التى تركها من أجل الله ومن أجل الإنجيل.** والمعروف أن المتزوجين من الآباء الرسل مثل سمعان بطرس **رافقتهم زوجاتهم فى الخدمة، كأخت لا كزوجة.** قال الرسول بولس (أما لنا حق مثل سائر الرسل وإخوة الرب وبطرس، **أن نستصحب زوجة أختا** ϯⲥⲱⲛⲓ ⲛⲥⲉⲓⲣⲉ ؟) (١ . كورنثوس ٩ : ٥).

ألم يقل المسيح له المجد رداً على مقولة تلاميذه: خير للرجل ألا يتزوج.... (**ليس الجميع يقبلون هذا الكلام وإنما الموهبون فقط.** لأنه يوجد خصيان ولدوا على هذا النحو (خصيانا) من بطون أمهاتهم، ويوجد خصيان خصاهم الناس، **ويوجد خصيان خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السماوات.** فمن استطاع أن يَقْبَل فليَقْبَل (بفتح الياء وسكون القاف) (متى ١٩ : ١٠ ـ ١٢)؟

ففى تعليم المسيح إنه **يمكن للإنسان أن لا يتزوج حتى يحيا حياة مقدسة جسداً وروحاً، وهذا سبيل أفضل، للراغبين فى طريق الكمال، لكنه منهج إختيارى، لا يُقهر عليه، إنهم خصوا أنفسهم بالتسامى والإعلاء للغريزة الجنسية، ومن أجل ملكوت الله.** إنها موهبة يمنحها الله للراغبين فيها والساعين إليها من أجل حياة أفضل.

وفى هذا المعنى يقول الوحى الإلهى على فم النبى أشعياء (**لا يقل الخصىّ ها أنا شجرة يابسة.** لأنه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتى، ويختارون ما يسرّنى، ويتمسكون بعهدى، أنى أعطيهم فى بيتى وفى أسوارى نُصباً (بضم النون والصاد) **وأسما أفضل من البنين والبنات. أعطيهم اسما أبدياً لا ينقطع)** (أشعياء ٥٦ : ٣ ـ ٦).

وفى هذا المعنى جاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى كورنثوس، (**يحسن بالرجل أن لا يمسّ إمرأة**، ولكن، خوفاً من الزنى، فليكن لكل رجل إمرأته ولكل إمرأة زوجها... **وأقول لغير المتزوجين.. أنه يحسن بهم أن يظلوا مثلى (غير متزوجين)** ، فإذا لم يطيقوا العفاف فليتزوجوا. فالزواج أفضل من التحرُّق بالشهوة... **إن بين المتزوجة والعذراء فرقاً. فغير المتزوجة والعذراء، تهتم بما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً.** وأما المتزوجة فتهتم بأمور العالم وكيف ترضى زوجها) (١ . كورنثوس ٧ : ١ ـ ٣٤).

فالبتولية الطاهرة والعفة الكاملة هى طريق الكمال، وهى تقديس للجسد والروح فى حياة تعبّدية ملائكية، وفى خدمة رسولية، لكنها **إختيارية وليست جبرية (من استطاع أن يقبل فليقبل)** (متى ١٩: ١٢).

أما الذين أنبأ عنهم الكتاب المقدس بأنهم (ينهون عن الزواج) فهم أتباع بدعة مانى Mani ابن فاتك (٢١٥ ـ ٢٧٦)م، الذى ظهر فى القرن الثالث للميلاد. وقال (مانى) بمبدأين: **مبدأ** الخير ومبدأ الشر، النور والظلام، الله وديمون، ونادى **بتحريم الزواج**، والمناداة بأن الزواج نجاسة ودنس، وكذلك دعا إلى **تحريم أكل اللحوم** وبعض المأكولات الأخرى تحريماً قطعياً. وعنده أنّ من يتزوج ومن يأكل اللحوم فهو من أتباع إله الشر، ومصيره إلى جهنم والنار الأبدية.

لقد دعا (مانى) بن فاتك وأتباعه، إلى الاعتقاد بإلهين إثنين يتقاسمان الوجود: إله للخير، وإله للشر.

والناس عند (مانى) صدّيقون مختارون. Elect ثم سمّاعون Hearers ثم خُطاة. **أما** الصديقون المختارون فهم أتباعه بالقول والعمل، لا يتزوجون ولا يحاربون، **ولا يذبحون الحيوان. ولا يأكلونه، ولا يأكلون مستخرجاته من بيض وحليب وجبن، ولا يشربون الخمر**، بل يكتفون بالخبز والحبوب والبطيخ، لأنها كما يقول (مانى) من صنع إله النور، **وأما اللحوم ومستخرجاتها والخمر فهى من صنع إله الظلمة**. والصديقون المختارون تصعد نفوسهم فوراً إلى النعيم.

وأما السّماعون Hearers فيشتركون مع الصديقين المختارين فى جميع الشعائر، ولكنهم لا يقوون على سائر التكاليف. **فإذا تزوجوا فهم مجبرون على الاكتفاء بزوجة واحدة، وليجتهدوا أن لا يُعقبوا نسلاً**. وأن يحسنوا إلى الصدّيقين المختارين. والسمّاعون عند (مانى) تبقى نفوسهم بعد الموت فى العالم، ولكنها تدخل جسما آخر ثم آخر، وهكذا حتى تستقرّ فى جسم صديق، وبعد ذلك تصعد إلى النعيم.

وأمّا الخطاة عند (مانى) فهم أهل الأديان الأخرى، وهم يهلكون فى جهنم.

وعلى ذلك، فما جاء برسالة القديس بولس إلى تيموثيوس، **هو نُبوءة عن ظهور بدعة (مانى) بن فاتك ومن تبعه فى هرطقته.**

وواضح أنّ الكنيسة المسيحية مع دعوتها إلى شرف البتولية وكرامتها، ومدح الحياة الرهبانية النسكية ووصفها بأنها طريق الكمال، **لا تنهى عن الزواج ولا تمنعه، فالزواج فى**

الكنيسة المسيحية رباط إلهى وسرّ مقدس، واتحاد سماوىّ بين الرجل والمرأة بفعل الروح القدس، الذى يحل على العروسين ويجمع بينهما، وقد قال المسيح له المجد (فلا يكونان بعد إثنين إذن وإنما جسداً واحداً، ومن ثم فما جمعه الله لا يُفرِّقَنه الإنسان) (متى ١٩: ٦). ولذلك فإنه يباشر فى الكنيسة، وأمام الهيكل المقدس، ويعقده الكاهن وهو ملتحف بكامل ملابسه الكهنوتية، ممثلاً للسلطة الإلهية، فهو يباشر عملاً مقدساً، وإلهياً.

لقد قال الكتاب المقدس: **(ليكن الزواج مُكرّماً عند جميع الناس، وليكن فراش الزوجية طاهراً)** (العبرانيين ١٣: ٤)، ويقول أيضاً **(إنّ هذا السرّ لعظيم)** (أفسس ٥: ٣٢).

فالكنيسة المسيحية لا تنهى عن الزواج، بل تُقدسه وتكرمه، وتنادى به رابطة إلهية وسرّاً مقدساً. وأمّا فراش الزوجية فطاهر ويبرىء من الدنس.

أما الذين ينهون عن الزواج فهم مانى وأتباعه.

جاء فى **القانون ٥١ من قوانين الآباء الرسل:**

«أى أسقف أو قس أو شماس أو أى شخص آخر من السلك الكهنوتى، يمتنع عن الزيجة واللحم والخمر، ليس تنسكاً، بل لأنه يشمئز منها ويعتبرها نجسة، وقد نسى أن الله قد خلق كل الأشياء حسنة جداً، وأنه خلق الإنسان ذكراً وأنثى، فهو بمسلكه هذا يُجدّف على عمل الخليقة، **فليصلح أمره أو فليسقط ويُطرد من الكنيسة، وبمثل ذلك يعاقب العامىّ (من غير الإكليروس) أيضاً).**

وجاء فى **القانون الأول من قوانين مجمع غنغرة المكانى (المنعقد نحو ٣٦٥)م:**

(ليُبسَل (= ليُحرَم) كل. من لا يوقّر الزواج الشرعى).

وجاء فى **القانون التاسع** من قوانين مجمع غنغرة:

(إنّ كلّ من يبقى عازباً حافظاً العفة **وممتنعاً عن الزواج، لأنه يكرهه ويزدريه، وليس لما فى البتولية من جمال وقداسة فليكن مبسلا** (= محروماً)

كذلك القانون الخامس من قوانين الرسل، والقانون ١٤ والقانون ٢١ من قوانين مجمع غنغرة.

وأما الصوم فهو فضيلة وعبادة لله، فيمتنع العابد عن الطعام إمتناعاً تاماً، لفترة من الوقت قد تمتد إلى غروب الشمس، كما هو الحال فى الصوم الكبير، وقد

تقصّر إلى الساعة الثالثة بعد الظهر، بعدها يتناول الصائم طعامه من نباتات الأرض.

على أنّ الإمتناع فى فترة الأصوام عن اللحوم ومستخرجاتها الحيوانية، هو للحصول على الفوائد الروحية التى ينالها الصائم. فالكنيسة المسيحية فى دعوتها للصوم والإمتناع عن اللحوم ومستخرجاتها، فمن قبيل التنسك والعبادة، ولكنها لا تمنع أكل اللحوم ومستخرجات الألبان فى غير أوقات الصوم كما يفعل المانويون أتباع بدعة (مانى) بن فاتك.

ولذلك فإنه تمشياً مع هذا المبدأ، ورفضاً لبدعة (مانى) فى تحريم أكل اللحوم، نصّت القوانين الكنسية على حرم من يمتنع عن أكل اللحوم بدعوى أنها نجسة، أو أنها من صنع إله الظلمة أو الشر.

جاء فى القانون ٥٣ من قوانين الرسل:

(أى أسقف أو قس أو شماس لا يأكل فى أيام الأعياد لحما ولا يشرب خمرا، لا عن نُسكٍ، بل لأنه يشمئز منهما، فليسقط، لأن ضميره مكوىً، وصار معثرة لكثيرين).

كذلك القانون ١٤ من قوانين مجمع أنقرة (أنقيرة) فى سنة ٣١٤م، والقانون ٨٦ من قوانين القديس باسيليوس الكبير.

٦ ـ شروط الإنضمام للكنيسة القبطية الأرثوذكسية(١)

العزيز دكتور ج.ش.ج

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

رداً على خطاب سيادتكم بتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٩٧٣، وبه تستفسرون عن الإجراءات الكنسية الواجب إتباعها بالنسبة لعريس كاثوليكى، تقدم لخطبة كريمتكم الأرثوذكسية والزواج منها.

نفيد بأن كنيستنا الأرثوذكسية تشترط عند الزواج أن يكون العروسان أرثوذكسيين، يتمتعان بعضوية وبنوة الكنيسة الأرثوذكسية. فإذا كان أحدهما غير أرثوذكسى، وجب أن ينضم إلى الكنيسة الأرثوذكسية،

والإنضمام يقتضى **الإعتراف بالإيمان الأرثوذكسى** والاعتماد **بالمعمودية الأرثوذكسية وحسب الطقس الأرثوذكسى، والتناول من الأسرار المقدسة فى الكنيسة الأرثوذكسية**. كل هذا يتم كاملاً قبل إتمام الزواج، ولا يكفى الإنضمام دون التعميد والتثبيت بالميرون، لأنه طالما أنه لا يجوز حتى الآن تناول الأرثوذكسى فى كنيسة كاثوليكية والكاثوليكى فى كنيسة أرثوذكسية، فيجب أن يتمم العماد أرثوذكسياً على الإيمان الأرثوذكسى.

والحكمة فى هذا الإنضمام الرسمى الكامل الشامل، تشمل الناحيتين الروحية والقانونية.

أما من الناحية الروحية، فالحكمة هى إتفاق الزوجين إتفاقاً فى الإيمان والاعتقاد والفكر، وهذا أساسى جداً لفعاليات سر الزواج من جهة ولدعم روح التوافق الذهنى والنفسى والقلبى بين الزوجين، مما يبنى حياتهما الزوجية ويكفل لهما دوام الرابطة بينهما من جهة أخرى. فالإختلاف العقائدى يهدد مستقبلاً حياة الزوجين ويغذى أسباب الخلاف والشجار بينهما.

كذلك فإن إتفاق الزوجين عقائدياً وإيمانياً ذو أهمية قصوى بالنسبة لأولادهما، وتنشئة الأولاد على أساس واضح راسخ من الإيمان الواحد المشترك بين الأب والأم. أما الاختلاف العقائدى بين الوالدين فله مستقبلاً أسوأ الأثر فى تنشئة الأولاد الدينية، ويدع مجالاً لزعزعة الإيمان فى نفوس البراعم الناشئة، وتشتت أفكار الصغار بين مذهبين مختلفين للأب والأم.

أما من الناحية القانونية ـ فإن اتفاق الزوجين فى الاعتقاد وإنضمامهما رسمياً للكنيسة الأرثوذكسية، التى يجرى عقد الزواج فى ظل شريعتها، يحفظ للزوجين ولأولادهما منهما، كل

---

(١) كتب فى ٣١ من مايو ١٩٧٣م ـ ٢٣ من بشنس ١٦٨٩ش.

الحقوق القانونية والشرعية، فيما لو شجر مستقبلاً خلاف بين الزوجين.

وأن ما يجرى على مرآنا ومسمعنا كل يوم، من أحداث الخلافات الزوجية يزيدنا إيماناً بضرورة أن يكون الزوجان أرثوذكسيين عند الزواج.

وعلى الطرف غير الأرثوذكسى أن ينضم رسميا إنضماماً تاماً، شكلاً وموضوعاً، روحاً وطقساً، للكنيسة الأرثوذكسية. فالتساهل فى هذا الشرط الأساسى من شروط الزواج، يبدو فى مبدء الأمر خلقاً مسيحيا تبرره مقتضيات المحبة المسيحية بين الكنائس والمعتقدات، وتغرى عليه مشاعر المودة بين العروسين الراغبين فى إتمام الزواج على الرغم من كل العوائق... ولكن لا يلبث الزواج أن يتم، حتى تبدأ رواسب الإختلاف العقائدى المختفية تحت ستائر الرغبة المبدئية فى الزواج، أن تصعد إلى السطح شيئاً فشيئاً فتظهر بوضوح، ولكن بعد أن يصير من العسير علاجها.

ليس هذا الجواب عن كراهية أو عن تعصب، ولكن يجب أن تكون كل أمورنا فى محبة ووضوح وتدبر.

ونعمته تعالى تشملكم وبركته تحل عليكم، راجياً لكريمتكم الخير والتوفيق،

٧ ـ المعمودية الكاثوليكية(١)

الآب المحترم القمص م. القمص ع.

سلام ومحبة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

رداً على استفساركم بخصوص المعمودية الكاثوليكية وهل تعد فى نظر الكنيسة الأرثوذكسية مقبولة؟ وهل تعاد معمودية من يريد الإنضمام للكنيسة الأرثوذكسية؟

نقول: إن المعمودية الكاثوليكية قانونية فى داخل الكنيسة الكاثوليكية.

أما إذا أراد كاثوليكى الإنضمام للكنيسة الأرثوذكسية، فيلزم فى هذه الحالة عماده من جديد على الطقس الأرثوذكسى.

أولاً ـ لأن المعمودية دائماً تتوقف على الإيمان، والاعتراف بالإيمان الأرثوذكسى فى الله الواحد، أحدى الذات مثلث الأقانيم والصفات، وفى لاهوت المسيح وأنه فى طبيعة واحدة من طبيعتين، وفى الروح القدس وأنه منبثق من الآب... وغيرها من حقائق الإيمان الأرذوكسى.

لذلك يجب أن يكون قبول سّر العماد، على أساس قبول الحقائق الأرثوذكسية فى الإيمان.

ثانياً ـ إن الكنيسة الأرثوذكسية تشترط لصحة المعمودية أن يكون التعميد بالتغطيس، فضلاً عن مباشرة طقس جحد الشيطان وما يتبعه من صلوات ومراسم ودهن بالزيت فى مواضع محددة.

وقد لا يتوافر هذا كله أو بعضه على الأقل فى المعمودية الكاثوليكية...

فضماناً لصحة سّر المعمودية، يعمد من يريد الإنضمام للكنيسة الأرثوذكسية على الطقس الأرثوذكسى، وبيد الكاهن الأرثوذكسى.

ثالثاً ـ إن الإنضمام للكنيسة الأرثوذكسية لا يكون بوعد شفهى، ولا بكتابة طلب إنضمام.. هذا لا يكفى لصّحة الإنضمام. إنما الإنضمام الحق يتم بالمعمودية على الإيمان الأرثوذكسى. ومن دون هذا لا يكون الإنضمام حقيقياً.

ويتضح خطر الإنضمام الشكلى، فى حالة الزواج بين طرفين أحدهما أرثوذكسى والثانى كاثوليكى. فسريعاً ما يعود بعد إتمام الزواج كل منهما إلى عقيدته وكنيسته، وهذا يشكل خطورة على العلاقات الزوجية والأسرية، ويفتح أمام الأطفال المولودين فى ظل هذا الزواج أبواباً

---

(١) كتب فى ٢٤ من يونيه ١٩٨١م ـ ١٧ من بؤونه ١٦٩٧ ش.

للإنقسام العقائدى والفكرى، وبالتالى يخلق أسباباً للتنافر العاطفى بين أفراد الأسرة الواحدة.

وبالإضافة إلى هذا كله، يخلق سبيلاً لتطبيق الشريعة الإسلامية عند حدوث خلاف بين الزوجين.

لذلك وتفادياً لكل تلك المتاعب والنتائج التى تهدد سلام الأسرة، تشترط الكنيسة الأرثوذكسية أن يكون الزوجان عند عقد الزواج على إيمان واحد، وعضوين فى كنيسة واحدة، فإما أن يكون الإثنان أرثوذكسيين، أو الإثنان كاثوليكيين، وفى الحالة الأخيرة يتم زواجهما فى الكنيسة الكاثوليكية، وفى الحالة الأولى يتم زواجهما فى الكنيسة الأرثوذكسية.

وضماناً لصحة الإنضمام لابدّ من أن يعمد غير الأرثوذكسى فى الكنيسة الأرثوذكسية بمعرفة الكاهن الأرثوذكسى، وطبقاً لطقس الكنيسة الأرثوذكسية فى التعميد.

وما نقوله عن الأرثوذكسى، نقوله بالمثل سواء بسواء عن الكاثوليكى. فنحن لا نغضب إذا انضم أرثوذكسى إلى الكنيسة الكاثوليكية فأعيد عماده فى الكنيسة الكاثوليكية، ولا نعتبر هذا إهانة للكنيسة الأرثوذكسية، وإنما ضماناً لصحة إيمانه الكاثوليكى، وتفادياً للنتائج المتعبة التى تترتب مستقبلاً على عقد زواج بين إثنين أحدهما أرثوذكسى والأخر كاثوليكى، نتائج تهدد سلام الأسرة، وتؤدى إلى إنقسام فيها، مما يصدع وحدتها الروحية والإيمانية والعاطفية.

ولا ننسى فى ختام الأمر كله أن ننبه إلى أن التعميد فى الكنيسة الأرثوذكسية، يرتبط به منح سّر المسحة أو الميرون توا بعد الخروج مباشرة من جرن المعمودية. ولئن كان سر الميرون سراً قائماً بذاته، لكنه إجرائياً يتم بعد المعمودية مباشرة، وكأنه مع المعمودية عمل مكمل، وبهما معا يصير الإنسان مسيحيا.. بينما أن الكنيسة الكاثوليكية تؤخر منح سّر المسحة إلى أن يبلغ الطفل إثنتى عشرة سنة من عمره.

ولقد شرحنا هذه الحقائق بكل وضوح فى المحادثات الرسمية بين الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والكنيسة الرومانية الكاثوليكية - فى روما وفى القاهرة، وأصررنا على مبدأ إعادة المعموردية طبقاً للطقس الأرثوذكسى، لا إحتقاراً للمعمودية الكاثوليكية، ولكن ضماناً لقانونية المعمودية فى الكنيسة الأرثوذكسية، وتجنباً للنتائج التى تترتب على إختلاف مضمون ومحتويات الإيمان، فى حياة الأسرة.

ونعمة الرب تشملكم،،،،،

٨ ـ حول العماد والإكليل بالأروام والروس الأرثوذكس

سؤال :

١ ـ هل تعتمد كنيستنا عماد وإكليل الأروام الأرثوذكس والروس الأرثوذكس والأرمن الأرثوذكس، وهل يمكن لقبطى أرثوذكسى أن يتناول فى هذه الكنائس. إذا لم يكن فى البلدة التى يقيم فيها كنيسة قبطية ؟

الجواب :

أما الأرمن الأرثوذكس فهم من عائلة الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة، مثلهم مثل إخوتنا السريان الأرثوذكس، معموديتهم نقرها طبعا، وكذلك يمكن التناول من الأسرار المقدسة عندهم، بلا فارق.

أما الروم الأرثوذكس والروس الأرثوذكس ومن إليهم من عائلة الكنائس الخلقيدونية التى تتبع الطقس البيزنطى، فنحن نقبل معموديتهم لأن صيغة قانون الإيمان عندهم هى بعينها صيغة الإيمان عندنا، (وهم لايقبلون الإضافة التى أضافتها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وبسببها ولأسباب أخرى انسلخوا عن الكنيسة الغربية فى القرن الحادى عشر ١٠٥٤م).

ولكننا فى حالة إنضمام أحد الأروام البيزنطيين إلى كنيستنا القبطية الأرثوذكسية، نوجب دهنه بالميرون (المسحة المقدسة) فى ٣٦ موضعا بحسب طقس كنيستنا.

أى أننا لا نعيد معمودية الأروام والروس، وإنما نكتفى بمسح المنضم إلى كنيستنا منهم بالميرون.

أما عن التناول، فتناول القبطى الأرثوذكسى الأسرار المقدسة من عند الأرمن الأرثوذكس ممكن، ولا إشكال فيه. لأنهم من عائلة الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة.

٩ ـ موقف الكنيسة القبطية
من كنائس الطوائف المختلفة؟ (١)

الأب المحترم القس. م.

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح

رداً على خطابكم المرسل فى ٢ من نوفمبر لسنة ١٩٨٤م (٢٣ من بابه ١٧٠١ش)، بخصوص توضيح موقف الكنيسة القبطية من الطوائف المختلفة ـ الروم الأرثوذكس ـ الروم الكاثوليك، الأرمن،السريان الأرثوذكس والكاثوليك ـ اللاتين ـ الفرنسيسكان ـ الموارنة ـ الطوائف البروتستانتية المختلفة، من كافة النواحى العقائدية، والطقسية واللاهوتية، وجميع الجوانب الكنسية لتعريف أبناء الكنيسة ـ وخصوصا من جهة إتمام أى سر من أسرار الكنيسة المقدسة، لدى هذه الطوائف المذكورة، حيث أن كثيرين من أبناء الكنيسة القبطية يقومون بالزواج والتناول وممارسة الأسرار لديهم...

الجواب :

يسرنى أن أجيب :

أولاً : بأن السريان الأرثوذكس، ثم الأرمن الأرثوذكس هم من أتباع الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة التى تدخل كنيستنا القبطية الأرثوذكسية فى نطاقها وإطارها.

وعلى ذلك فإن بين كنيستنا القبطية الأرثوذكسية والكنيسة السريانية الأرثوذكسية، والكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية، شركة روحية إيمانية تجيز وتبيح شركة جميع أسرار الكنيسة لجميع أعضاء هذه الكنائس، ومنها سر التناول، وسر الزيجة، والكهنوت.. فضلا عن المعمودية والتوبة، ومسحة المرضى... أى أن السريانى والأرمنى يعامل معاملة القبطى بغير فارق.

ثانياً : أما الروم الأرثوذكس، فكنيستنا القبطية الأرثوذكسية تقبل اعتماد معموديتهم، لأن قانون الإيمان هو بعينه فى الكنيستين. ولكن كنيستنا تتطلب دهنهم بالميرون فى ٣٦ موضعا حسب طقس كنيستنا ـ هذا فى حالة إنضمام أحدهم إلى كنيستنا. وهذا يبيح له سرى التناول والزواج فى كنيستنا القبطية الأرثوذكسية.

ثالثاً: أما الروم الكاثوليك، والسريان الكاثوليك، واللاتين، والفرنسيسكان، والموارنة... فكل هذه الطوائف كاثوليكية، وتتبع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية.

---

(١) كتب بتاريخ ١٣ من ديسمبر ١٩٨٤م ـ ٤ من كيهك ١٧٠١ ش

وكنيستنا تحترم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بصفتها كنيسة رسولية، تؤمن وتمارس جميع الأسرار السبعة، إيمانيا وعقائديا ولاهوتيا وكنسيا.

أما إذا أراد أحد من أتباع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية (بمختلف طوائفها وطقوسها) **التناول أو الزواج** فى الكنيسة الأرثوذكسية، **فكنيستنا تشترط** فى هذه الحالة **العماد من جديد على أساس قانون الإيمان الأرثوذكسى وطبقا للطقس القبطى**. وغير خاف أن صيغة قانون الإيمان الأرثوذكسى، تختلف عنها صيغة قانون الإيمان فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من حيث إضافة **(والابن)** فى قضية انبثاق الروح القدس من الآب..

وعلى نفس الأساس، وبنفس الروح، وعلى ذات القياس، نحن من جانبنا لانغضب فى حالة إنضمام أرثوذكسى إلى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، بسبب التناول، أو الزواج، إذا طلبوا تعميده من جديد. **فليس فى الأمر، كما يظن، إهانة ولكنه ضمان لعدم الخلط، وما يعرف بالزواج المختلط، وما يثيره ويتخلف عنه من مشاكل رعوية وأسرية، ومايفتح المجال لتطبيق الشريعة الإسلامية عند حدوث خلاف بين الزوجين.**

إننا تفاديا لكل تلك النتائج الضارة روحيا وعائليا وإجتماعيا، وإتقاء لتطبيق الشريعة الإسلامية، تتطلب كنيستنا فى حالة إنضمام أحد من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لكنيستنا القبطية الأرثوذكسية، بغرض التناول من الأسرار المقدسة أو بغرض إتمام سر الزيجة.. أن يعمد من جديد على الإيمان الأرثوذكسى، والطقس الأرثوذكسى، ضمانا لصحة الإنضمام **ونحن لانمانع فى نفس الوقت أن تشترط الكنيسة الرومانية الكاثوليكية التعميد من جديد لإنسان قبطى فى حالة إنضمامه للكنيسة الرومانية الكاثوليكية سواء بسواء.**

رابعاً: أما البروتستانت بمختلف طوائفهم، فبالأحرى والأولى **أن لايُسمح لأى منهم بالتناول أو بالزواج عندنا، إلا بعد الانضمام التام للكنيسة الأرثوذكسية، إيمانيا وعقائديا وكنسيا وطقسيا.. وبالطبع لابد أن يعمد على الإيمان الأرثوذكسى وطبقا للطقس القبطى الأرثوذكسى، ويمسح بالميرون قبل أن يسمح له بالتناول من الأسرار المقدسة، وبالتالى بالتقدم إلى سر الزيجة**

ونعمة الرب تشملكم، ولعظمته تعالى الشكر دائما،،

١٠ ـ قانون الكنيسة الأرثوذكسية للمنضمين إليها (١)

الابنة م. ف

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح

ردا على الاستفسار المقدم منك إلينا بتاريخ ٣ فبراير ١٩٦٨ عن :

١ ـ الخطوات التى يفرضها قانون الكنيسة الأرثوذكسية القبطية والسريانية المتحدتين، على الراغبين فى الإنضمام إلى الكنيسة من الطوائف الأخرى.

٢ ـ وهل تحتم قوانين الكنيسة الأرثوذكسية موافقة المجلس الإكليريكى بقبول العضوية.

٣ ـ وهل يمكن أن يكتسب أى شخص صفة العضوية فى الكنيسة، وأن يُقبل طلب إنضمامه إليها خلال يومين من تاريخ إبداء رغبته، دون إتمام الطقوس وممارسة الشعائر ؟

نجيب على الاستفسارين الأول والثانى بما يلى :

لا يخفى أن الكنيستين القبطية الأرثوذكسية والسريانية الأرثوذكسية، شقيقتان متفقتان فى العقيدة الدينية، والكنيسة القبطية تذكر بطريرك الكنيسة السريانية فى القداس، كما تذكر الكنيسة السريانية بطريرك الكنيسة القبطية فى قداساتها.

أما إجراءات الإنضمام إلى الكنيسة من الطوائف الأخرى، فتتم عادة على الصورة الآتية.

أولاً ـ أن يكتب الراغب فى الإنضمام طلبا رسميا بذلك إلى قداسة البطريرك، أو إلى وكيل عام البطريركية، ويرفق بطلبه صورته الفوتوغرافية موقعا عليها بإمضائه أو ببصمته ورقم بطاقته الشخصية، ويدفع الرسم المقرر، وقد يخفف هذا الرسم أو يعفى منه إذا كان فقيرا.

ثانياً ـ يحيل قداسة البطريرك أو وكيل عام البطريركية، الطلب ومرفقاته إلى المجلس الإكليريكى الذى يعقد جلسة للنظر فى الموضوع، ويستدعى الطالب للمثول رسميا أمامه بخطاب مسجل بعلم الوصول قبل موعد الجلسة بوقت كاف.

ثالثاً ـ يفحص المجلس الإكليريكى فى جلسة بحضور طالب الإنضمام، الأسباب التى حدت بالطالب إلى تغيير مذهبه أو ملته، للتثبت من أن إنضمام الطالب هو عن عقيدة وإيمان، وأنه ليس بقصد الكيد أو النكاية فى زوجته أو أولاده، ولا يقصد التخلص من رابطة الزوجية أو تبعات عائلية، أو إلتزامات مالية حيال زوجته أو أولاده أو أسرته، ولا يقصد الإنتفاع المادى، ويتثبت من أن إنضمام الطالب هو عن معرفة بالعقيدة، وبالفارق بين المذهب الذى يريد تركه، والمذهب الذى يريد الإنضمام إليه، وشعور صادق منه بسمو المذهب الجديد.

---

(١) كتب فى ٩ من فبراير ١٩٦٨م ـ ٢٨ من طوبة ١٦٨٤ ش

رابعاً ـ يتثبت المجلس الإكليريكى من أن طالب الإنضمام متزوج أو غير متزوج. فإذا كان متزوجا فلا يقبل إنضمامه إلا ومعه زوجته، ضمانا لعدم إستغلال هذا الإنضمام من طرف واحد للنكاية فى الطرف الأخر، للحصول على الطلاق بالإرادة المنفردة.

خامساً ـ يكتب المجلس الإكليريكى خطابا رسميا مسجلا بعلم الوصول، إلى طائفة الطالب التى هو منها قبل الإنضمام، يسأل فيها المجلس الاكليريكى رئيس الطائفة، عما إذا الطالب (ويذكر اسمه كاملا وعنوانه ورقم بطاقته الشخصية) خال من الموانع الزوجية، ويحدد المجلس مدة لتلقى الرد فى غضونها. فإذا لم يرد رئيس الطائفة فى خلال هذه الفترة المحددة، طلب المجلس من الطالب أن يقدم إليه شهادة إدارية، موقعا عليها من إثنين من الموظفين، ومصدقا عليها من رئيس المصلحة أو الهيئة التابع لها هذان الموظفان.

سادساً ـ بعد هذا كله يحيل المجلس الإكليريكى طالب الإنضمام على كاهن يختاره الطالب، أو يعينه المجلس عند الإقتضاء لفحص الطالب ونياته، وسماع إعترافه وبحث أسباب إنضمامه ومعرفة سلامة نيته وصدق عقيدته، وأن هذا الإنضمام ليس بقصد النكاية ولا تخلصا من الرابطة الزوجية أو التبعات المالية أوالعائلية.

والمتبع عادة أن يكتب المجلس الإكليريكى خطابا رسميا، إلى الكاهن المختار ولابد للكاهن من أن يرد على كتاب المجلس بخطاب رسمى، يشهد فيه بقبول المهمة التى كلفه بها المجلس ويكون الخطاب مدونا عليه اسم الكنيسة التى يخدم فيها الكاهن ومختوما بختمها.

سابعا ـ يقوم الكاهن المعين بمهمته بسماع اعتراف طالب الإنضمام، وفحص نواياه وبعد التثبت من صدق عقيدته، وأنه ليست هناك موانع، يباشر له الكاهن المراسيم الدينية المقررة لطالب الإنضمام، ومنها تعميده إذا لم يكن قد سبق عماده عمادا قانونيا بحسب طقوس الكنيسة الأرثوذكسية، ومنها تقريبه من سر القربان المقدس.

ثامناً ـ بعد ذلك يتقدم الكاهن بخطاب رسمى إلى المجلس الإكليريكى، يقرر فيه أنه قام بمهمته الموكول إليه القيام بها، وأن طالب الإنضمام باشر جميع الطقوس والمراسم الدينية، وأنه قد انضم إلى عضوية الكنيسة، فيقرر المجلس الاكليريكى قبول عضوية وإنضمام الطالب.

ويتضح مما سبق أن الإنضمام الصحيح، يحتاج إلى فترة زمنية غير قليلة للقيام بجميع الخطوات اللازمة، للتحقق من صدق نية طالب الإنضمام وصحة عقيدته، وأن إنضمامه لا للنكاية أو الإنتفاع به كسلاح للتخلص من الرابطة الزوجية، أو المسئوليات العائلية أوالتبعات المالية الأسرية.

وأما عن الاستفسار الثالث الخاص بالمدة، وهل يمكن أن يكتسب أى شخص صفة العضوية فى الكنيسة، وأن يقبل طلب إنضمامه إليها خلال يومين من تاريخ إبداء رغبته، دون إتمام

الطقوس وممارسة الشعائر. فنجيب أنه من المستحيل أن يكفى مدة يومين لإكتساب شخص عضويته فى الكنيسة أو قبول إنضمامه إليها. إنها لا تكفى حتى للمرحلة الأولى من المراحل السابقة التى تكلمنا عنها، وواضح أن إجراء من هذا القبيل الذى تشيرين إليه فى خطابك، يبدو فيه جليا أنه تحايل واضح وسوء قصد.

ونعمة الرب تشملنا ولعظمته تعالى الشكر دائما.

١١ ـ الطوائف الرسولية والتصفيق بالأيدى (١)

الأب المحترم القس ب.م.ح.

سؤال :

ماذا يكون الرد على **طائفة الرسولية** من حيث أنهم يعتمدون فى تأدية الترانيم على **التصفيق بالأيدى** على قول المزمور «ياجميع الأمم صفقوا بأيديكم» ؟

الجواب :

إن التصفيق بالأيدى للرب، أمر مباح وجائز لأن المزمور يقول «ياجميع الأمم صفقوا بالأيادى» (مزمور ٤٦ (٤٧) : ١).

ولكن المزامير فى مواضع أخرى، تذكر بعض الآلات الموسيقية المعروفة فى زمانها، ومنها الصور، والرباب (الكنارة)، والعود، والدف، والأوتار، والمزمار، والصنوج بأنواعها (أنظر مزمور ١٥٠).

كما تذكر أيضا الأبواق (مزمور ٩٧ (٩٨) : ٦)

ولما كانت الأدوات الموسيقية هى آلات مصاحبة للترنيم، لذلك تختلف كما ونوعا من شعب إلى شعب ومن عصر إلى عصر، وتختلف كذلك تبعا لطبيعة الأنغام نفسها، لأن منها ما يتناسب معها ومنها ما قد يتنافر معها.

لذلك لا تستخدم كنيستنا جميع الآلات المذكورة فى المزامير، على الرغم من أنها تتلو المزمور الخمسين وتردده كثيرا منغما وملحنا فى آخر كل قداس، وذلك لأن موسيقانا القبطية لا تتمشى إلا مع آلات قليلة ومحدودة، وخصوصا الآلات التى لا تحدث مايعرف فى الموسيقى الحديثة بـ «الهارمونى» وكذلك يلاحظ فى الموسيقى البيزنطية عموما أنها أيضا صوتية لا آلية. فالكنائس البيزنطية ترتل مكتفية بالحنجرة البشرية دون الآلات الموسيقية.

والخلاصة أن التصفيق بالأيدى جائز من حيث المبدأ، ولكننا لا نتقيد إلا بما ينسجم فنيا مع موسيقانا القبطية.

* * *

على أن التصفيق بالأيدى ليس هو مشكلة مذهب الرسولية.. إنما هو زعمهم بأنهم يتكلمون بألسنة.

---

(١) كتب فى ٢٠ من أغسطس ١٩٧٤م ـ ١٤ من مسرى ١٦٩٠ ش

وعلى الرغم من أن التكلم بالألسنة موهبة من مواهب الروح القدس، لكن ما يصنعه الذين يسمون أنفسهم بالرسوليين أو الخمسينيين، ليس إلا هزات عصبية لا علاقة لها أصلا بموهبة التكلم بالألسنة. فهم يهذون بمقاطع كلمات وأصوات لا وجود لها فى لغة من اللغات الميتة أو الحية القديمة أو المعاصرة.

وليس كذلك صنع الرسل الأطهار الذين تكلموا بلغات معروفة هى لغات الناس الذين تكلموا معهم حتى قال الكتاب «لأن كل واحد كان يسمعهم **يتكلمون بلغته**. فبهت الجميع وتعجبوا قائلين بعضهم لبعض : أترى ليس جميع هؤلاء **المتكلمين جليليين فكيف نسمع نحن كل** واحد لغته التى ولد فيها : فرتيون وماديون وعيلاميون والساكنون مابين النهرين واليهودية وكبدوكية وبنتس وأسيا وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحى ليبية... والرومانيون... كريتيون وعرب. **نسمعهم يتكلمون بألسنتنا بعظائم الله**» (أعمال الرسل ٢ : ٦ - ١١).

وإذن فالموهبة التى نالها الرسل هى **موهبة كلام بألسنة مفهومة، ولم تكن مجرد رطانة وهزات عصبية تشنجية.**

ثم إن الكتاب يذكر أن كل واحد من الجمهور المجتمع فى يوم الخمسين كان يسمع الرسل **يتكلمون بلغته التى يعرفها ويتكلم بها**. (عدد ٦). ومرة أخرى فى عدد ٨ يقول : إن الجميع بهتوا وقالوا : **فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته التى ولد فيها**، ثم فى عدد ٩ يذكر الكتاب اللغات الكثيرة التى تكلم بها الرسل وهى اللغات التى كان يتكلم بها الناس الآتون إلى العيد من كافة أنحاء البلاد ويتكلمون بلغات البلاد التى جاءوا منها.

وأخيراً فى عدد ١١ - يكرر الكتاب قول جمهور الناس بعضهم لبعض عن الرسل «**نسمعهم يتكلمون بألسنتنا بعظائم الله** ؟ أى أن الناس كانوا يسمعون كلاما مفهوما بلغتهم التى يتكلمون بها، وسمعوا من الرسل بهذه اللغات كلاما يبرز عظمة الله.

فأين ما يصنعه الذين يسمون أنفسهم بالرسوليين أو الخمسينيين بما صنعه الآباء الرسل.

الفرق بين الإثنين هو الفرق بين الحق والباطل، أو الفرق بين عمل الله وعمل الشيطان.

نعم إن ما يصنعه من يسمون أنفسهم بالرسوليين أو الخمسنيين، لا يمكن أن يصدر عن الروح القدس، إنما هو إما دجل وشعوذة، وإما مس من الشيطان. ونوع من الصرع يصاب به أصحاب الأعصاب المهزوزة القابلة لمس الشياطين.

ونعمة الرب تشملكم.

١٢ - شهود يهوه وحقيقتهم

سؤال من السيد / نصيف مسيحة أيوب

قرأت فى سفر الخروج «قال الله أيضا لموسى هكذا تقول لبنى إسرائيل : يهوه إله أبائكم، إله ابراهيم، وإله اسحق، وإله يعقوب، أرسلنى إليكم. هذا اسمى إلى الأبد» (٣ : ١٥) وهكذا جاء اسم يهوه فى (سفر الخروج ٦ : ٢، ٣)، وفى (مزمور ٨٣ : ١٨)، وفى (أرميا ١٦ : ٢١)، (٣٣ : ٢) (عاموس ٤ : ١٣)، (٥ : ٨)، (٩ : ٦).

فهل لهذه التسمية علاقة بشهود يهوه ؟

الجواب :

علاقة جماعة «شهود يهوه» باسم الله تعالى «يهوه» هى علاقة اسمية، مثلهم فى ذلك مثل من يسمونه «عادل» أو «حليم» أو «حكيم» وقد يكون سلوكه على غير ما يدل اسمه.

إن (شهود يهوه) مذهب غير مسيحى، وهم أضداد للمسيح، وأعداء له، وينكرون أزليته، ولذلك اتخذوا اسمهم من اسم الله تعالى، كما أعلنه لموسى النبى، لأنهم لا يريدون أن يرتبطوا باسم المسيح، زعما منهم أنهم يعبدون إله العهد القديم. إنهم بتسمية ذواتهم بـ (شهود يهوه) يكشفون عن حقيقة إبتعادهم عن اسم المسيح الذى ينتسب إليه المسيحيون.

كما أنهم بهذه التسمية يعلنون أنهم يعودون القهقرى إلى اليهودية، رافضين مكاسب العهد الجديد فى المسيح.

إن هذه الجماعة تمثل بمبادئها وعقائدها وممارستها الإرتداد إلى اليهودية، ولذلك يرفضها جميع المسيحيين شرقا وغربا، ويسمونها «الأريوسية الجديدة». والأريوسية القديمة هى هرطقة أريوس الذى أنكر أزلية المسيح أو الابن، والذى حرمه المجمع المسكونى الأول الذى انعقد فى نيقية سنة ٣٢٥، واعتبره «يهوذا الاسخريوطى الجديد»، وقرر المجمع النيقاوى قانون الإيمان الأرثوذكسى الذى يردده جميع المسيحيين فى الشرق والغرب، فى صلواتهم العامة والخاصة، ومطلعه «بالحقيقة نؤمن بإله واحد».

لكن شهود يهوه، زادوا على أريوس القديم أنهم ينكرون أيضا الجزاء الأخروى - وبالإضافة إلى هذا هم أيضا صهاينة، ينادون بالصهيونية، التى مؤداها أن اليهود يحكمون العالم بأسره، ويكون جبل صهيون قاعدة حكمهم.

أما الأسم (يهوه) فهو لفظ عبرانى معناه «الدائم» أو «الأزلى الأبدى» أو «السرمدى» أو «السرمد» أو هو «الكائن الذى كان والدائم إلى الأبد» - وهو اسم الجلالة، والذات الإلهية.

ولقد اتخذت جماعة (شهود يهوه) شعارها، من قول الرب على يد أشعياء النبى «أنتم شهودى يقول الرب» (أشعياء ٤٣ : ١٠، ١٢) ، (٤٤ : ٨).

هذا من جهة الأسم. أما من جهة الواقع فيصدق عليهم قول الوحى الإلهى بفم الرسول بولس «وأما من جهة الإنجيل فهم أعداء» (رومية ١١ : ٢٨). «وهم أعداء صليب المسيح» (فيلبى ٣ : ١٨).

١٣ ـ الخمسينيون وظاهرة الإرتعاد

سؤال من السيد فوزى بقطر واصف

أرجو أن تتفضلوا نيافتكم بالإفادة برأيكم، حيث نطلبه لكى يكون ردا مفحما مقنعا قاطعا وكتابيا، عن موضوع إنتشار فئة الخمسينيين اليوم بشكل كبير، وظاهرة الإرتعاد بحجة الحلول للروح القدس، والتكلم أو الهذيان بكلام غير مفهوم، حيث أنها جذبت الكثيرين من البسطاء وراءها، نتيجة معاينة الإرتعاد والمناظر، والتصديق أنها مادامت خارجة عن الإرادة فتصبح من الروح القدس، لذلك أرجو التوضيح عن موقف الكتاب المقدس والعقيدة من ظاهرة الإرتعاد اللاإرادية هذه ؟

الجواب :

أما فئة الخمسينيين فهم جماعة حديثة كسائر الجماعات التى انحرفت عن التعليم المسيحى الأرثوذكسى السليم، المسلم مرة للقديسين (رسالة يهوذا ١ : ٣) ويذهب أتباعها إلى أن الآباء الرسل، صلّوا فحل الروح القدس عليهم فى يوم الخمسين لقيامة المسيح، وطفقوا يتكلمون بألسنة ولغات، وقياسا على الآباء الرسل، يرى أصحاب هذا المذهب أنهم هم أيضا يسألون الله فى طلب حلول الروح القدس عليهم، فيحل الروح عليهم فيتكلمون كالرسل بلغات، على أنهم فى الواقع لا يتكلمون بلغات حقيقية كالرسل (أعمال الرسل ٢ : ٤، ٦، ٨ – ١١، ٣٧) وإنما هم يهذون بمقاطع كلمات وأصوات وصرخات غير مفهومة، ولا تؤلف عبارات لها وجود فى عالم اللغات الميتة أو الحية، فيزعمون أن هذه الصرخات وهذا الهذيان هو لغة الملائكة، وبهذا يسقطون فيما سقط فيه بعض من استهوتهم هذه المظاهر الصبيانية من أهل كورنثوس، فكتب إليهم الرسول القديس بولس يلومهم ويسخر منهم قائلا : إذا دخل عاميون أو غير مؤمنين أفلا يقولون إنكم تهذون؟ أيها الأخوة لا تكونوا أولادا فى أذهانكم بل كونوا أولادا فى الشر. وأما فى الأذهان فكونوا كاملين (١. كورنثوس ١٤ : ٢٣، ٢٠).

وإذا أردتم الحقيقة وراء هذه المظاهر فهى هزات عصبية، يقع فريسة لها أصحاب الأعصاب الضعيفة المهزوزة التى لا تقوى على إحتمال الإنفعالات، عندما تشتد بهم بعض الفورات العاطفية. وأما الإرتعاد بالصورة التى تظهر منهم فى إجتماعاتهم فهو شبيه بإرتعاد المصروعين، ممن أصابتهم ضربة القمر فى رؤوس الأهلة (مزمور١٢٠ : ٦) أو أدركهم مس من الشيطان والجان والأرواح النجسة ممن ذكرهم الإنجيل (متى ٤ : ٢٤) ، (١٧ : ١٥) ، (مرقس ١ : ٢٦) ، (٩ : ٢٠، ٢٦) ، (لوقا٤ :٣٥) ، (٩ : ٣٩، ٤٢) وقد رأينا بعضا من هؤلاء الخمسينيين يتمرغ ويزبد ويخرج من فمه ريما، تماما كما حدثنا الإنجيل عن الصبى المصروع الذى حين يتملكه الروح كان يصرعه فى عنف فيزبد ويصر على أسنانه ويتصلب (مرقس ٩ : ١٦ ـ ٢٥)، ورأينا مثله فى دير قرية ميت دمسيس ممن يصيبهم الشهيد العظيم مارجرجس

بحربته فيطرد الشيطان منهم. ولذلك فنحن على يقين من أن تلك الهزات العصبية التى تصيب أولئك القوم لا علاقة لها بالروح القدس، وإنما هى حالات متفاوتة الدرجة من الصرع، وهو مرض يصيب بعض الناس ممن لهم إستعدادات جسمية وعصبية ونفسية، لهذه اللمسة الروحية التى لا صلة لها بالروح القدس، روح الله «لأن الله ليس إله تشويش بل إله سلام كما فى جميع كنائس القديسين» (١ . كورنثوس ١٤ : ٣٣) .

إن من الغريب عن تعليم المسيحية أن يقال عن ظاهرة الإرتعاد اللإرادية التى تنسب إلى أولئك الخمسينيين، إنها مادامت خارجة عن الإرادة فهى من الروح القدس. إن هذا التفسير والتأويل لا يمكن قبوله. فإذا كان هناك إرتعاد لإرادى فلماذا يكون مصدره الروح القدس، ولا يكون مصدره مرض من صرع أو من روح شرير؟ ألم يحدثنا الإنجيل عن المصروع من روح شرير أو نجس أنه كان يتعذب عذابا أليما، ويسقط على الأرض يتمرغ ويزبد (مرقس ٩ : ١٩) ؟

إنه لا الكتب المقدسة ولا كتب أباء الكنيسة ولا كتب التاريخ، حدثتنا عن مثل هذا الإرتعاد اللاإرادى كظاهرة روحية مقدسة. إن عشرات الألوف والملايين من القديسين ممن عاشوا للمسيح فى العالم، أو فى الصحارى أو فى الأديار، وممن بلغوا فى الحياة الروحية درجات سامية، لم يتحدثوا فى الكتب التى كتبوها بأيديهم أو فى نصائحهم التى نقلوها إلى تلاميذهم، عن هذا الإرتعاد اللاإرادى الذى صرنا نسمع عنه اليوم. وعلى قول الرسول القديس بولس إلى الذين انحرفوا من أهل كورنثوس مدعين الروحانية الكاذبة «أم منكم خرجت كلمة الله. أم إليكم وحدكم إنتهت. إن كان أحد يحسب نفسه نبيا أو روحيا فليعلم ما أكتبه إليكم أنه وصايا الرب ولكن أن يجهل أحد فليجهل... وليكن كل شئ بلياقة وبحسب ترتيب» (١ . كورنثوس ١٤ : ٣٦-٤٠) .

١٤ ـ الفرق بين الأقباط الأرثوذكس والإنجيليين (١)

الابنة العزيزة حنان غالى شاكر

سلام ونعمة وبركة

ردا على سؤالك **ما الفرق بين الأقباط الأرثوذكس، والإنجيليين البروتستانت من ناحية الأسرار المقدسة** ـ ومن ناحية القديسين ـ ومن ناحية أُمنا العذراء مريم أم النور.

أجيب أن الفروق أيتها الإبنة كبيرة. وإنه ليضيق بها خطاب. لقد تناولتها كتب كثيرة يمكنك الرجوع إليها فى مكتبة الكنيسة الإستعارية أو الشرائية.

فالبروتستانت الإنجيليون يقولون بسرّين فقط من بين الأسرار السبعة التى تُعلّم بها كنيستنا الأرثوذكسية. فالبروتستانت يعتقدون بسرّ المعمودية، وبسرّ الشكر (التناول). ومع ذلك فالمعمودية عندهم ليست سراً بالمفهوم الأرثوذكسى. إنّ المعمودية عندهم هى مجرد علامة ظاهرية على الإيمان. أما عندنا ففى المعمودية ينحدر الروح القدس على الماء، فيحوله إلى ماء نارى يطهر الإنسان من الخطيئة، فيخلق الإنسان الخليقة الجديدة ويولد من فوق الميلاد الثانى.

كذلك سرّ الشكر عندهم هو مجرد خبز وخمر. أما فى كنيستنا فنحن نؤمن أن الخبز ينتقل بالروح القدس إلى جسد المسيح، والخمر إلى دمه. وبهذا السرّ ينال الإنسان جسد المسيح متحدا بلاهوته للخلاص وغفران الخطايا الفعلية واليومية، كما ينال به الحياة الأبدية.

أما العذراء مريم فعندنا هى أم النور، وأم المخلص، ووالدة الإله، والدائمة البتولية، وهى الممتلئة نعمة، وهى الشفيعة المؤتمنة أمام ربنا يسوع المسيح. وليست كذلك عند البروتستانت.

هذه بعض الإجابة، ولكن يلزمك أن ترجعى إلى الكتب التى تستفيض فى شرح هذه الأمور.

ونعمة الرب تشملك،،،،

---

(١) كتب فى ٨ من أكتوبر ١٩٨٥م ـ ٢٨ من توت ١٧٠٢ ش.

١٥ ـ شهود يهوه مذهب غير مسيحى

سؤال من أحد القراء :

ما نصيحة نيافتكم فى معاملة شهود يهوه ؟

الجواب :

شهود يهوه مذهب غير مسيحى، وفى الحقيقة إنه مذهب يهودى صهيونى، يؤمن بالصهيونية، ويريد أن يرتد بالمسيحيين إلى اليهودية، وإلى الصهيونية، ولذلك فهو مذهب كفرى هدام ينكر لاهوت المسيح، وينكر التثليث المسيحى، وينكر أيضا الخلود، والجزاء الأخروى، ويدعو إلى العودة إلى اليهودية، وينادى أيضا بالصهيونية.

ولهذه الإعتبارات يرفض المسيحيون جميعاً إعتبار شهود يهوه مذهبا مسيحيا، ولهذا أيضا يرفض مجلس الكنائس العالمى أن يضم إلى عضويته شهود يهوه، لأنه يعتبرهم غير مسيحيين على الرغم من قولهم وإدعائهم أنهم مسيحيون.

وعلى ذلك يجب مقاومة مذهب شهود يهوه بكل قوة، ومحاربته بكل شدة، لأنه مذهب كفرى ضد لاهوت المسيح، وضد عقائد المسيحية العظمى، ثم أنه مذهب يهودى صهيونى.

والواجب على المسيحيين جميعا أن لا يقبلوا دعاة هذا المذهب فى بيوتهم، وأن لا يسمحوا بدخولهم إلى منازلهم، وأن يعملوا بنصيحة القديس يوحنا الرسول الحبيب الذى مع دعوته الملحة إلى المحبة، يوصى بالتشدد مع الهراطقة وعدم مخالطتهم.

يقول الرسول يوحنا الحبيب.

«كل من تعدى ولم يثبت فى تعليم المسيح، فليس له الله... إن كان أحد يأتيكم ولا يجئ بهذا التعليم، فلا تقبلوه فى البيت، ولا تقولوا له سلام لأن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة» (٢ . يوحنا : ٩ ـ ١١).

١٦ ـ الكنيسة والتحديات الفكرية (١)
منهج الإيمان ـ المنهج العلمى ـ الالحاد والشك

سؤال :

ما هو دور الكنيسة اليوم تجاه التحديات الفكرية؟

الجواب :

تُواجه الكنيسة المسيحية فى العالم الحاضر تحديات كثيرة، ومنها على الخصوص التحديّات الفكرية، وهى متعددة. وهذا أمر طبيعى، نظرا لإختلاف أفكار الناس، بقدر إختلاف أجناسهم وبيئاتهم وألوانهم ولغاتهم، وتباين ثقافاتهم وظروف حياتهم وخبراتهم، وتنوع تجاربهم ومؤثراتهم النفسية والإجتماعية. فأنت لن تجد إثنين من الناس تتطابق أفكارهم تماما حتى ولو كانا أخوين شقيقين من أب واحد وأم واحدة. قد يمكن أن تلمس توافقا ـ لا تطابقا ـ بين إثنين أو أكثر فى رأى، ومن هنا نجد فريقا من الناس ينضوون تحت مذهب فكرى بعينه، وفريقاً آخر من الناس ينتمون إلى مذهب فكرى آخر، من غير تقيد برابطة اللحم والدم. ومع ذلك توجد فروق فكرية بين أصحاب المذهب الواحد، ربما بعدد المنضوين تحت اسم المذهب الواحد، وإن كان حقا أنهم يضمهم جميعا فكر شامل جامع هو بمثابة مظلة كبرى تجعل منهم أسرة فكرية واحدة، وإن كان أعضاء هذه الأسرة يختلفون فى بعض الجزئيات فيما بينهم.

للخالق حكمته :

وللخالق العظيم حكمته العالية والبعيدة فى هذا التنوع والإختلاف بين الناس من مخلوقاته، لأن هذا التنوع صالح لإثراء الجنس البشرى بأفكار مختلفة تكمّل بعضها بعضا. ثم إن تنوعها يخلق حركة حيوية فى الأفكار، وحركة حيوية فى الجدل الفكرى، واحتداما فى الصراع الفكرى، يفيد فى تقدم النوع الإنسانى وتطوره إلى الأفضل، وهذا ما نلحظه على الخصوص فى تاريخ نشأة جميع العلوم، وتطورها. ولولا الإختلاف الفكرى لبقى كل فكر على صورته الأولية، ولم يتزحزح عنه إلى الأمام. وهذا أيضاً يُشكل فارقا أساسياً وجوهرياً بين عالم الإنسان وعالم الحيوان. فعالم الحيوان يتسم بالثبات والاستقرار فى غرائزه ودوافعه وتحركاته، بينما أن عالم الإنسان يتميز بالتغير الذى يؤدى إلى التطور وإلى التقدم، فى خط متحرك إلى الأمام.

---

(١) كتب فى ٢٩ من مايو ١٩٨٦م ـ ٢١ من بشنس ١٧٠٢ ش.

الدين لا يتغير. أما العلم فمتغير :

أمّا الكنيسة المسيحية، فتملك فضلاً عن الفكر البشرى، تراثا ضخماً أساسه سماوى إلهى، قوامه حقائق أزلية أبدية منزلة من السماء، معلنة للإنسان، عن طريق الأنبياء، بالروح القدس، روح الله. والأنبياء بشر من الناس لكنهم تميزوا عن غيرهم من الناس بالروحانية والصفاء والنقاء، فتأهلوا بذلك لأن يكونوا وسطاء روحيين، ينفخ فيهم الروح القدس، فيبوقون بصوت ليس هو صوتهم الخاص، وإنما هو صوت الله ناطقاً فيهم وبهم. وقد أيدهم الله بالمعجزات والآيات برهانا على صدق إرساليتهم، ومصداقية دعوتهم السمائية. وجاء بعد ذلك المسيح له المجد فثبت أقوالهم، وشرح ما غمض منها على الناس، وأضاف للشريعة معانى كانت غائبة عن فهم الناس، قيادةً وشعباً ومدّ آفاق تلك المفاهيم فصارت أكثر ملاءمة مع إحتياجات النفس البشرية التى تزايدت وعلت وارتفعت، فصارت الشريعة كما قدّمها المسيح فى العهد الجديد هى شريعة الكمال. قال له المجد (لا تظنّوا أنى جئت لأنقض الشريعة أو الأنبياء. **ما جئتُ لأنقض بل لأتمم**) (متى ٥ :١٧) وبعد أنّ أرسى قواعد شريعة الكمال، قال (**فكونوا إذن كاملين كما أنّ أباكم الّذى فى السّماوات كامل**) (متى ٥ :٤٨).

من هنا فإن الكنيسة المسيحية من حيث هى منظمة إلهية ملتزمة بشريعة الكمال السمائية، **فتعاليمها ثابتة، غير متغيرة**، وبالتالى لا تقبل التغير الذى تقبله العلوم. ذلك أن كل لون من ألوان المعرفة الإنسانية فى العلوم أو الفلسفة يبدأ من نظر الإنسان إلى ظواهر الوجود. ومن النظر ينشأ التفسير لظواهر الوجود. ولما كان نظر الإنسان محدوداً بالزمان والمكان، ومرتبطا بما يقع فى خبرته من أحداث، وما تنقله إليه حواسه الخمسة من معلومات، لأنها هى عنده أبواب المعرفة، فقد كان طبيعيا أن تختلف نظرة إنسان عن آخر لظاهرة بعينها، ويختلف كذلك عنه فى تفسيره لها، فى زمان عن آخر، وفى مكان عن آخر تبعا لفكره وخبرته وثقافته، وتبعاً أيضا لكفاءة حواسه ثم قدراته العقلية فى الإستقاء والاستنباط، والاستنتاج، والربط فى استخلاص القانون العام الذى يربط الظواهر فى صيغةٍ عامة.

وعلى ذلك فالتغير هو طابع المعرفة التى تبدأ بالنظر الحسى والنظر العقلى فى عالم الناس، وهو مسار لابدّ منه فى سبيل التطور والتقدم إلى الأفضل. ومن هنا كان تاريخ العلم والفلسفة حافلاً بالتغير والتطور والتقدم. **والتغير فى العلم والفلسفة خير، فيه ابتكار وإبداع وخلق، وارتقاء إلى معرفة أفضل وأكمل.**

أما الدين، فلأنه منزل من السماء، وقوامه الحق الإلهي معلناً للناس، فلا يجوز لأحد أن يغيّر فى حقائقه بإضافة أو بحذف، فكل تغيير فيه يتلفه ويفسده ويحيله إلى علم إنسانى أو فلسفة بشرية، وينزله من مرتبته السامية العالية بوصفه حقائق إلهية إلى مرتبة العلوم الإنسانية الوضعية التى تتسم بالنقص وبالتغيّر.

ومع ذلك يمكن للحقيقة الدينية الإلهية أن تجد تفسيرا أو تأويلاً يقربها لعقل الإنسان فى الزمان والمكان، فيزداد الإنسان فهماً لها، بعد أن صارت فى منسوبه ومتناوله، فيقوى إيمانه بها ويشتد تمسكه بأهدابها، ويرتبط بها قلبا وروحاً ونفساً، فتتحول إلى عقيدة إيمانية تنعقد عليها روحه، فلا يملك منها فكاكاً.

المسيحى يجمع بين الثابت والمتغير :

على أن المسيحىَ يجمع فى شخصه الثابت والمتغيّر معاً، من دون تعارض ومن غير تردد أو حيرة. ففى عقيدته الدينية هو ثابت لا يتحول ولا يتغير، ولكنه فى ميدان العلم والفلسفة يتغير بإزدياد معارفه. وهو يجمع فى قلبه وفكره بين الثوابت والمتغيرات من دون خلط بين الميدانين، ميدان الدين الذى يتسم بالثبات، وميدان العلم والفلسفة الذى يتسم بالتغير والتحرك إلى الأفضل والأكمل فى طريق صاعد وإلى الأمام.

ظاهرة رفض الدين :

أما التحديات الفكرية المعاصرة، فتبلغ ذُروتها فى رفض الدين من منطلق أنه يقوم على الغيبيّات، ويتطلب التسليم بالقوى غير المنظورة، وعلى رأسها الله، وهو الروح الأعظم، والعقل الأعظم، وأصل الوجود، كما أن الدين يتطلب الإيمان بالحياة بعد الموت، والجزاء الأُخروى والثواب والعقاب، والإيمان بالقيم الروحية والأخلاقية، وهى قيم أبدية.

ومن الناس من لا يقبل الغيبيات لأنه لا يراها بعينيه فى عالم مشبع بالماديات بكل صورها وأبعادها. ومنهم من يرى أن الغيبيات قضايا يفرضها رجال الدين على الناس فرضاً، وهو لا يقبل مالا يسيغه عقله، وما تنبئه به حواسه، فضلاً عن أنه يرى فى الدين سلطة تتعارض مع الحرية التى تقيدها السلطة، وهو يريد الحرية غير المقيدة بفروض وإلتزامات ومسلّمات.

الإلحاد :

وقد يتخذ الرفض للدين صورة الإلحاد، وإنكار الاعتقاد بوجود الله، والتحلل من كل روابط

الدين والعقيدة أو التشكيك فى المسلّمات الدينية، أو على الأقل اعتناق اللادينية ثم المذاهب المادية ومنها الشيوعية، والوجودية الملحدة وما إليها.

الإلحاد ليس بجديد :

وليس الإلحاد جديداً فى تاريخ الإنسانية. فمنذ القديم كان بين الناس من يقول : ليس إله، لأنه يجد فى وجود الله شكيمة تلجم حريته فى ارتكاب الشرور والمظالم، أو رادعاً له عن الإنغماس فى اللذات الحسية، والشهوات والأهواء البدنية والجسدية. جاء فى سفر المزامير (**قال الجاهل فى قلبه : ليس إله.** فسدوا ورجسوا بأعمالهم) (مزمور ١٣ : ١)، (٥٢ : ١).

ومن الناس من بلغ به غروره واعتداده بنفسه، وتجبّره وكبرياؤه، حتى أنكر الله من منطلق إحساسه بوجوده المادىّ، وإيمانه بذاتيته وإنيته. وربما كان هذا هو التعبير القديم عن مذهب الوجودية فى الزمن السحيق (قالوا بألسنتنا نتجبر. **إنّ شفاهنا منا، فمن هو ربنا) ؟** (مزمور ١١ : ٤).

ليس الإلحاد إذن جديداً. هو سبيل الهرب من كل إلتزام يفرضه الدين. إمّا لتحقيق شهوة أو مغنم، أو تعبير للتمرد على سلطة الدين ورجال الدين جريا وراء الحرية غير المقيّدة بآداب وقوانين الشريعة الإلهية.

الإلحاد غير الصريح ـ اللا أدرية :

وقد لا يكون الإلحاد صريحا عند بعض الناس، فقد يتخذ صورة أُخرى يتجنب بها صاحبها الدخول فى جدل عقلى أو دينى، فيقول : إنى لا أدرى.. هذه اللا أدرية هى صورة خفية من صور الإلحاد، أو هى محاولة للهرب من سلطة الدين من دون دخول فى حرب صريحة مع الدين ورجال الدين. وربما يكون فيها هرب أيضا من الضمير، وزجره وتوبيخه ولومه.

ليس ثمت إلحاد حقيقى :

والواقع أنه ليس ثمت إلحاد حقيقىّ. فما من إنسان يمكنه حقا ومن أعماق قلبه وشعوره، أن ينكر الله، أو يلغى عقله فيتجاهل ألوف البينات الصارخة على وجود الله، إذ أنه مهما أغلق عينيه حتى لا يرى آيات الله فى النبات والحيوان، والإنسان، وفى الشمس، والقمر، والنجوم، ونظام الكون والطبيعة المحكم الدقيق، ومهما صمّ أُذنيه عن أصوات الموجودات التى تتحدث بمجد خالقها وصانعها، ومهما أغلق كل حواسه، وأمات قلبه وشعوره وإحساسه فأنكر العلة الأولى لكل هذا الوجود الجميل فى نظامه الرائع البديع، الناطق بوجود العقل الأعظم الذى أوجده

وحفظه إلى اليوم، فإنه كيف يتسنّى له أن ينكر قوانين الطبيعة التى اكتشفها العلماء وصاغوها فى صيغ ثابتة، وصار العلم بها هو العلم الذى يدرسه طلاب العلم فى المدارس والجامعات، ثم هو العلم الذى يقوم عليه كل اختراع جديد لتسهيل حياة الإنسان وتذليل العقبات التى تعترض طريقه فى حياته المادية والروحية؟.

العلم يقدم فى كل يوم جديدا :

كيف يبلغ بالمدعين الإلحاد أو اللا أدرية، العناد القلبى حتى يغلقوا عيونهم ويصمّوا آذانهم عن عشرات الألوف من الأدلة الصارخة، التى بات العلماء يقدّمونها عن عظمة الخالق وحكمته فى كل ما خلق.. وفى كل يوم، وكل ساعة يكشف العلم عن جديد من أدلة دامغة على وجود إله حكيم عظيم، خلق الكون بكل ما فيه من كائنات كبيرة وصغيرة، ولم يخلقها فقط، ولكنه يحفظها ويحكمها بقوانين غاية فى الحتمية والدقة، ويضبط كل حركة فيها بإيقاع دقيق، ينفذ إلى أصغر جزء من المادة وهو الذرة التى لا ترى بالعين المجردة، وما يجرى فى داخلها من حركة الإلكترونات حول النواة، وحركة الفوتونات حول الإلكترونات ثم الإرسال والبث التليفزيونى فى الكون، وفيه تتجلّى عظمة الخالق الذى ربط الكون كله بقانون محكم، يخضع له كل الوجود مما ينطق صارخاً بعقل الواحد الأحد الذى ليس كمثله شئ، وهو العقل المهيمن على كل الوجود..

العلم يخدم الدين :

إنّ واحدا من الفلاسفة القدماء قال بحق (كلّما تقدّم علم التشريح إزداد الإنسان إيمانا بالله) وقد كان نيوتن مؤسس علم الطبيعة يمشى حاسر الرأس، فلمّا سُئل قال : إجلالاً لخالق الطبيعة ... ومن العلماء من أقر صاغرا بأنّ ما كشفناه وما عرفناه من علم لا يقاس بشئ إلى مالا نعرفه، والأقرب إلى الحق أن نقول ونقر إننا لم نعرف شيئا..

إن العلم الذى كان يتشدق به العلماء فى القرن الثالث عشر، عندما اكتشفوا المنهج التجريبىّ، صار اليوم يقدم فى كل يوم دليلاً جديداً، بل أدلة على وجود عقل جبّار خلق الكون ويحكمه بقوانين ثابتة لا تتخلف.

وفى عصر الفضاء، وقد استطاع الإنسان إستنادا إلى القوانين الطبيعية أن يقتحم الفضاء، إزداد عقله إتضاعا وإنبهارا بما فى الكون من أسرار وعلوم، تخرس كل لسان يتشدق بالإنكار للوجود الإلهى وحكمته اللانهائية.

إن الإلحاد لم تعد له أرضية يقف عليها. والملحد بالأمس يقف اليوم محكوما عليه من نفسه، بالحماقة والغباء والعناد وعمى القلب والبصيرة.

إنّ العلم الذى كان يُستغل فى الماضى تُكأة لإنكار الله واحتقار الدين، يُطأمن اليوم برأسه فى إتضاع وعبادة وسجود، لخالق الكون ومدبّره وحاكم الوجود وحافظه.

التحديات الحقيقية :

إنّ التحدّيات الفكرية التى تواجه الكنيسة اليوم قد انحسرت، وضاق فى الواقع نطاقها... فلم يعد هناك صراع جاد بين الإلحاد والإيمان، ومع ذلك فالتحديات الحقيقية التى ستواجه الكنيسة المسيحية فى السنوات الباقية من القرن العشرين، هى فى الصراع الذى سيحتدم بين أصحاب الأديان المعروفة بالأديان السماوية. وهذه هى المعركة القادمة، وموقعها على الخصوص هو الشرق الأوسط، ولا سيما بعد أن عاد اليهود إلى أرض فلسطين، وأسسوا لهم دولة إسرائيل التى تنازع عن وجودها وإستمراريتها.

١٧ ـ الحركة المسكونية الحديثة (١)

سؤال :

متى أسس مجلس الكنائس العالمى؟ وما هو دوره فى تحقيق الإحساس عند بعض المسيحيين بالحاجة إلى الوحدة الكاملة والحقيقية بين مختلف الكنائس؟

الإجابة :

فى مطلع هذا القرن، بدأ الإحساس عند بعضٍ من المسيحيين، بالحاجة إلى الوحدة الكاملة الحقيقية بين مختلف الكنائس، لتجمع كل المنظمات والمؤسسات المسيحية على إختلاف عقائدها ونظاماتها فى هيئة واحدة. وأخذ هذا الإحساس ينمو ويزداد وضوحا وقوة، ويسرى ويتحرك طولاً وعرضاً، فى الشرق والغرب، والشمال والجنوب، حتى شمل قطاعات أكثر عدداً.

وأخذ يصاحب هذا الإحساس بالحاجة إلى الوحدة المسيحية الشاملة، إحساسٌ آخر بإدانة أسباب الإفتراق والإنقسام والإنشقاق، مع الشعور بالأسى على الأزمنة التى ضاعت فى مناقشات ومساجلات، لم تؤدِ عند بعض الناس إلا إلى زيادة الخصومات، وما يلازمها ويتبعها من مشاعر الإحتقار والكراهية بين المسيحيين أفراداً وجماعات، فضلاً عن أنها عطلت رسالة المسيح عن العمل بنجاح، نظراً لما أحدثه الإنقسام بين المسيحيين من عثرة فى طريق الخلاص بالمسيح. ألم يقل المسيح له المجد (ليكونوا هم أيضا **فى وحدة فينا كى يؤمن العالم** بأنك أنت الذى أرسلتنى) (يوحنا ١٧ : ٢١)؟

ولقد نما الإحساس بالحاجة إلى الوحدة المسيحية الجامعة، فصار تياراً إزداد مع الأيام قوة ووضوحاً. وقد غذّاه وأنماه ما يواجهه المسيحيّون الأتقياء من تحديات للتقوى والدين، تحدّيات عنيفة غطّت بعنفها مساحات كبيرة من العالم الذى نعيشه، وقد تدفّقت هذه التحديات بسرعة وكأنها الفيضانات الكاسحة التى تجرف فى طريقها كل شئ فتصيره حطاماً.

ولم تكن هذه التحديات جديدة كل الجدّة. فقد كان لها وجود منذ كان الإنسان على سطح الأرض. وقد سجل الكتاب المقدس رغبة بعض الناس منذ القديم فى إنكار وجود الله، وبالتالى إنكار جميع العقائد الدينية والقيم الروحية والأخلاقية. جاء فى المزامير (قال الجاهل فى قلبه **ليس إله** : فسدوا ورجسوا رجاسة) (مزمور ١٣ : ١)، (٥٢ : ١)، (الشرير حسب تشامخ أنفه.. كل أفكاره **أنه لا إله**) (مزمور ١٠ : ٤).

على أنه مع طول الزمن وتعقّد المشاكل بين الأفراد والأمم، وتقدّم وسائط المواصلات،

---

(١) كتب فى ٣٠ من مايو ١٩٨٦م ـ ٢٢ من بشنس ١٧٠٢ش.

وازدياد وسائل الإعلام، ازدادت التحديات واشتدت، واتخذت مظهرين كبيرين وإن كان الإثنان يرجعان إلى أصل واحد، ويجمعهما هدف واحد.

المظهر الأول هو الإلحاد الصريح، وإنكار وجود الإله، والتمرد على الدين والعقيدة والاستهتار بكل المبادئ الدينية.

والمظهر الثانى هو الإباحية والفساد الأخلاقى، والتحلل عن كل القيم الروحية والأخلاقية.

هذه التحديات ضدّ العقائد الإيمانية فى مجملها، أو التى ضد القيم الروحية والأخلاقية، هى صور مختلفة للتيار الإلحادى اللادينى الذى زحف بكل جحافله، فجرف فى طريقه الشعوب والأمم فضلاً عن الأفراد. لقد لفت هذا التيار أنظار الأتقياء من المسيحيين إلى الخطر الجسيم الذى صار يهدد كيان الأديان بعامة، والدين المسيحى بخاصة، فهو الدين المتميز بعقائده التى تتطلب قدرا عاليا من الإيمان بما وراء المحسوس والمنظور، وبما يعلو على منسوب العقل البشرى - كما أنه يتطلب مستوى عاليا فى الأخلاق، ويحاسب الإنسان على الأفعال، وبواعث الأفعال، ويحض الإنسان على طلب الكمال فى كل شئ. فقد قال المسيح له المجد (فكونوا إذن كاملين كما أن أباكم الذى فى السماوات كامل) (متى ٥ : ٤٨)، (لوقا ٦ : ٣٦)، (كولوسى ١ : ٢٨)، (٤ : ١٢)، (يعقوب ١ : ٤)، (١ بطرس ١ : ١٥، ١٦).

* * *

بعد فترة طويلة من الزمن، شغلت نحوا من خمسة عشر قرنا، تطلع بعض الأتقياء من المسيحيين إلى وحدة مسيحية شاملة، تقف فى وجه التحديات التى تزايدت وتفاقمت، وعلت بموجها العاتى فغطّت الجبال فضلا عن الوديان، وصارت فيضانا يهدد الإنسانية كلها. قالوا إننا لا نتجاهل الخلافات بين الكنائس، ولكننا يجب منذ الآن أن نركّز إهتمامنا على ما يجمع بيننا لا على ما يفرقنا. وما يجمع بيننا كثير. وهو أولى بإهتمامنا لمواجهة التحديات التى أمامنا. فالإختلاف بين الكنائس المسيحية هو فى بعض التقاليد الكنسية. لكنّ هناك إتفاقا بين المسيحيين كلهم على العقائد المسيحية العظمى، وأخصّها : الإيمان بإله واحد، أحدىّ الذات مثلث الأقانيم والخاصيات.. والإيمان بالتجسد، وبعمل الفداء. فالمسيح هو الله وقد اتّخذ جسداً، ليقوم بعمل الخلاص بدلاً من الإنسان فهو وحده المخلّص والفادى، (وليس لأحد بغيره الخلاص) (أعمال الرسل ٤ : ١٢) - ثم الإيمان بالقيامة العامة والحياة بعد الموت، وبالجزاء الأخروى والمصير الأبدى.

فى كل تلك القضايا يتفق الجميع ولا خلاف بين المسيحيين فى هذه القضايا المسيحية

العظمى، ولا خلاف بينهم على الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد، وعلى أنه كتاب موحى به من الله وعلى أنه كتاب معصوم من الخطأ.

* * *

مجلس الكنائس العالمى

من هنا أدرك المسيحيون حاجتهم إلى أن يلتقوا معاً فى منظمة عالمية مسكونية لا تتجاهل الخلافات بين الكنائس، ولكنها تركّز على القضايا الكبرى التى تجمع بين المسيحيين، والتى تستحق أن تكون أساساً للوحدة الشاملة بينهم، فإذا اجتمعوا والتقوا فى ألفة ومحبة نظروا أولاً فيما يجمع بينهم، فازدادوا قوة، واكتشفوا جمال الوحدة المسيحية وأهميتها وضرورتها، وفوائدها فى دعم الكنائس الصغيرة، أفرادا وجماعات، وتعاونوا معاً على سدّ الثغرات وعلى حل المشكلات المادية والإجتماعية، ومنها مشاكل الفقر والمرض والجهل والتمييز العنصرى. ومن بعد هذا كله يمكنهم فى إطار هذه الوحدة العامة أن ينظروا فى الخلافات الكنائسية فى العوائد والتقاليد، لعلهم يتوصلون إلى اتفاق فيها يجمع بينهم فى سبيل تحقيق الوحدة المسيحية التامة، فتصير جميع الكنائس كنيسة واحدة، هى الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية.

هذه المنظمة العالمية التى أسسها الراغبون فى الوحدة العامة الشاملة لجميع المسيحيين هى ما يعرف بـ (مجلس الكنائس العالمى).

WORLD COUNCLL OF CHURCHES.

* * *

افتُتح مجلس الكنائس العالمى رسميا، فى الجمعية العامة التى انعقدت فى امستردام AMSTERDAM عاصمة هولندا، فى الفترة من الثانى والعشرين من أغسطس إلى الرابع من سبتمبر - ايلول لسنة ١٩٤٨. وقد كان هذا الميلاد الرسمى لمجلس الكنائس العالمى، مسبوقا إليه باجتماعات مسكونية سابقة على هذا التاريخ، وكانت تهدف إلى نوع من التعاون والوحدة بين الكنائس، ومنها على الخصوص: (مؤتمر الحياة المسيحية والعمل المسيحى) CHRISTIAN LIFE AND WORK الذى انعقد فى اكسفورد بانجلترا فى عام ١٩٣٧ - ثم (مؤتمر الإيمان والنظام أو (العقيدة والطقس الكنسى) FAITH AND ORDER الذى انعقد فى أدنبره EDINBURGH فى اسكتلندا فى سنة ١٩٣٧ أيضاً.

وقد كان المجلس يضم فى عضويته فى مبدأ الأمر الكنائس غير التقليدية، وهى الكنائس التى تسمّى بالبروتستانتية فى أوربا وأمريكا الشمالية، ومع ذلك لم تكن جميع الكنائس البروتستانتية تقبل الإنضام إليه. وحتى اليوم ومع إزدياد عدد الكنائس التى انضمت إليه، لا تزال بعض

الكنائس البروتستانتية ترفض الإنضمام إليه، لأنها ترى فى الحركة المسكونية ما يهدد خصوصيتها وكيانها الخاص، وهم يرون أن هذا المجلس العالمى يشجع الميوعة العقائدية، ويقضى شيئا فشيئا على التمايز بين الكنائس.

ولا يقبل مجلس الكنائس العالمي فى عضويته، أعضاء من مذهب السبتيين أو من مذهب شهود يهوه، لأنهم لا يحسبون فى عداد المسيحيين الذين يؤمنون بقضايا المسيحية العظمي.

ثم أخذ أعضاء مجلس الكنائس العالمى يسعون بإهتمام واضح، إلى ضم الكنائس الأرثوذكسية الشرقية إلى هذه المنظمة العالمية. ولما كانت الكنائس الأرثوذكسية مرتبطة بتقاليدها واحترام السلطة الكنسية، ولا تبيح لأعضائها ورجال الدين فيها أن ينضموا إلى هيئة ما، بدون موافقة السلطة الكنسية والمجمع الإكليريكي العام بها، فقد تدارست الكنائس الأرثوذكسية بمختلف مجامعها هذه الدعوة، وأخذت تنضم إلى مجلس الكنائس العالمى مع التحفظ بعدم الإلتزام بالقرارات التى يتخذها المجلس مالم توافق عليها مجامعها الإكليريكية العامة. ولقد إعترف مجلس الكنائس العالمي بهذا التحفظ فى دستوره، فقرارته هى توصيات، تنفذها الكنائس وفقاً لنظامها وقوانينها المجمعية.

ومع الإلتزام بهذه السياسة إزداد عدد الكنائس الأرثوذكسية المنضمة لمجلس الكنائس العالمى.

وبعد اجتماع (الجمعية العمومية) الثالثة لمجلس الكنائس العالمى الذى انعقد فى نيودلهى NEW DELHI بالهند عام ١٩٦١، صار مجلس الكنائس العالمى يضم عددا أكبر من (الكنائس البروتستانتية) بمختلف طوائفها، ومن (الكنائس الأرثوذكسية الشرقية التى تتبع الطقس البيزنطى)، ومن بينها كنائس اليونان، وروسيا، ورومانيا، وبلغاريا... ثم (الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة)، ومنها الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، والكنيسة السريانية الأرثوذكسية، والكنيسة الأثيوبية الأرثوذكسية، والكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية - وهى فى مجموعها تبلغ حتى اليوم مائتين وخمسين كنيسة من جميع القارات الخمس.

أما الكنيسة الرومانية الكاثوليكية فظلت فترة طويلة لا تعترف بمجلس الكنائس العالمى، ولكن بعد أن اطمأنت إلى أن قراراته ليست إلاّ توصيات تعمل بها الكنائس وفقا لنظامها وقوانينها، أخذت ترسل إلى مجلس الكنائس العالمى أعضاء يمثلونها، ولكن لا كأعضاء رسميين، بل بمثابة (مراقبين)، وشيئا فشيئا أخذ هؤلاء المراقبون وضعاً قريبا من الأعضاء الكاملين، فقد صار لهم الحق فى إبداء الرأى، وفى المداخلات فى اجتماعات اللجان الفرعية، وفى اجتماعات الجمعية العمومية، وخصوصا بعد (مجمع الفاتيكان الثانى) (١٩٦٢ - ١٩٦٥).

فروع للمجلس العالمى

وامتدت فعالية مجلس الكنائس العالمى، فصارت له فى بلاد مختلفة فروع أو لجان تمثله. وهو يتشكل من أعضاء الكنائس المختلفة الممثلة فى مجلس الكنائس العالمى. ففى مصر مثلاً، يوجد فرع لمجلس الكنائس العالمى يتألف من أعضاء من الكنائس الأرثوذكسية والبروتستانتية والكاثوليكية.

ولمجلس الكنائس العالمى لجان فرعية لها إجتماعاتها منها :

- لجنة الإيمان والنظام (العقيدة والطقس الكنسى) :

COMMISSION ON FAITH AND ORDER

وتجتمع مرة فى كل ٤ سنوات. وجُلُّ إهتماماتها النظر فى العقيدة والطقوس، ومحاولة التوصل إلى إتفاق فيما شجر بين الكنائس من إختلاف فيما بينهما، ولها دراسات حول المعمودية، ثم الخدمة وأشكالها ثم الزواج وما إلى ذلك.

- لجنة المشاركة الكنائسية فى التنمية :

COMMISSION ON THE CHURCHES' PARTICIPATION IN DEVELOPMENT.

- وحدة برنامج العدالة والخدمة :

PROGRAMME UNIT ON JUSTICE AND SERVICE.

- وحدة برنامج التربية والتجديد :

PROGRAMME UNIT EDUCATION AND RENEWAL.

ثانيـــاً

مجلس كنائس الشرق الأوسط

THE MIDDLE EAST COUNCIL OF CHURCHES

وعلى غرار مجلس الكنائس العالمى، تشكّل مجلس للكنائس التى يضمها الشرق الأوسط، وأخذ فى مبدأ الأمر اسم (مجلس كنائس الشرق الأدنى).

NEAR EAST COUNCIL OF CHURCHES

وكان يضم على الخصوص الكنائس البروتستانتية، وامتد فصار يضم أعضاء من الكنائس الأرثوذكسية.

ثم رُئى تمكينا لفعالياته أن يصاغ من جديد، فيشكل من أعضاء يمثلون رسميا الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة غير الخلقيدونية (أى الأرثوذكسية التى لا تعترف بمجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م)، وأعضاء يمثلون الكنائس الأرثوذكسية البيزنطية أو الخلقيدونية، وأعضاء يمثلون الكنائس البروتستانتية. وصار يسمّى (مجلس كنائس الشرق الأوسط) بدلا من مجلس كنائس الشرق الأدنى، وهى تسمية كان يبررها فى القديم النظرة الأوربية فى تقسيم الشرق إلى ما يعرف بالشرق الأدنى ثم الشرق الأقصى بالنسبة إلى شعوب أوربا.

وصار تمثيل العضوية فى (مجلس كنائس الشرق الأوسط) على أساس ثلاثى دقيق يعبّر عنه بالأرقام، فأصبح له رؤساء ثلاثة : أحدهما من أساقفة الكنائس الأرثوذكسية القديمة، والثانى من أساقفة كنائس الروم الشرقية الخلقيدونية، والثالث من قسوس الكنائس البروتستانتية.

وقد انعقد الإجتماع التأسيسى لمجلس كنائس الشرق الأوسط، فى نيقوسيا NICOSIA عاصمة قبرص، فى الفترة من ٢٨ إلى ٣٠ من مايو - ايار لسنة ١٩٧٤.

ويحدد دستور مجلس كنائس الشرق الأوسط أهداف المجلس فى خمسة :

١ - تقوية روح الشركة والوعى المسكونى بين الكنائس، حتى يمكن لكل كنيسة أن تشترك بالصلاة والدرس والعمل فى غنى التقاليد والاختبارات الروحية فى الكنائس الأخرى، وأن تصل لوحدة الكنيسة تلبية لإرادة الله.

٢ - تهيئة الطرق والوسائل للدراسة المشتركة الهادفة إلى تفهم التقاليد فى الكنائس الأخرى.

٣ - تقوية أسباب التعاون بين الكنائس للقيام برسالة الكنيسة.

٤ - القيام بالخدمات التى تعبّر عن إهتمام الكنائس المشترك بجميع الناس وتنسيقها.

٥ ـ أن يكون مرجعا إقليميا فى شركة الكنائس العالمية الشاملة، وأن يوطد ويدعم العلاقات مع مجلس الكنائس العالمى ومع المجالس الوطنية والإقليمية ومع جميع كنائس المنطقة والمنظمات المسكونية الأخرى.

وينص دستور مجلس كنائس الشرق الأوسط فى المادة الرابعة على أن دوائر المجلس هى :

أ ـ دائرة التربية المسيحية والدراسات اللاهوتية.

ب ـ دائرة التأليف والنشر والإعلام.

ج ـ دائرة الإيمان والشهادة.

د ـ دائرة العدالة والخدمة.

ولمجلس كنائس الشرق الأوسط جمعية عمومية THE GENERAL ASSEMBLY وهى صاحبة السلطة النهائية والأخيرة فى المجلس.

وللمجلس لجنة تنفيذية The Executive Committee وللمجلس أمين عام The General Secretary تنتخبه الجمعية العمومية بناء على توصية اللجنة التنفيذية لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد.

١٨ ـ هل حرم البابا ديسقورس لمجمع خلقيدونية سار اليوم على جميع الكاثوليك والأروام الأرثوذكس

سؤال من الأب الموقر القس ى. ع. :

رداً على خطابكم المؤرخ ١٢ / ١٠/ ١٩٧٩ وسؤالكم هل كل جماعة الكاثوليك والأروام الأرثوذكس، بل وجميع من يخالف العقيدة الأرثوذكسية، يعتبرون محرومين من الدخول إلى ملكوت السماوات وهم السواد الأعظم من العالم المسيحى فى المسكونة كلها، أو ما هو الحق بالنسبة للحرم الذى أصدره البابا ديسقورس على مجمع خلقيدونية وجميع المجتمعين؟

نجيب بأن حرم البابا ديسقورس لمجمع خلقيدونية «طوموس ليون» هو حرم للإيمان المنحرف والمتمسكين به، وحرم للصيغة الإيمانية التى قررها مجمع خلقيدونية، وطوموس ليون.

والحرم معناه فى هذه الحالة:

أولاً: حرم للإيمان المنحرف فى طبيعتين منفصلتين للمسيح الذى قال به نسطور، والذى رأى البابا ديسقورس أن مجمع خلقيدونية بقراره أيد فيه البدعة النسطورية.

ثانياً: إعلان بعدم موافقته، وعدم رضاه على ذلك الإيمان، وعلى تحديدات مجمع خلقيدونية.

لكن الحرم من هذا النوع لا يمتد إلى الحرمان من ملكوت السماوات إلا إذا أيده الرب من فوق، فهو القاضى الذى تستأنف إليه جميع القضايا والأحكام.

وحكم الديان العادل يكون بناء على محاكمة عادلة لكل فرد على حدة، تراعى فيها نيته ومعرفته وفهمه وظروفه، وملابسات فعله، وعلى ذلك لن يكون الحكم واحداً على كل الناس.

ثم أن كاثوليك العصور التالية بعد مجمع خلقيدونية وكذلك الأروام الأرثوذكس، ليسوا هم بعينهم أعضاء مجمع خلقيدونية الذين حرمهم البابا ديسقورس، ولا شك أن التحديدات التى يقولون بها اليوم تختلف عن التحديدات التى حرمها البابا ديسقورس فى مجمع خلقيدونية، وذلك بسبب اختلاف المفاهيم وتطورها مع الزمن، ومع ضروب المناقشات والمحادثات التى جرت منذ ذلك التاريخ.

والخلاصة:

أن الحرم الذى يصدره البابا فى زمن معين على مجمع أو على المجتمعين فيه هو:

أولاً: إعلان عن عدم رضاه على الصيغة الإيمانية التى قررها ذلك المجمع.

ثانياً: حرم للصيغة الإيمانية ذاتها.

ثالثاً: إعلان عن عدم الإعتراف بالمجمع وقراراته.

رابعاً: إن الحرم يتناول حكم الكنيسة على الأرض، ولكنه مرفوع إلى السماء - ولذلك فهو فى إنتظار الحكم النهائى بالنقض والإبرام أو بالتأييد.

خامساً: إن حكم السماء النهائى يكون يوم الحساب، ويكون لكل فرد على حدة، يحاكم محاكمة عادلة ينظر فيها القاضى العادل للفعل ذاته، وللفاعل بحسب نيته وقصده وعلمه، وما إلى ذلك من ظروف وملابسات كما يراها القاضى العادل، إله أرواح جميع البشر.

١٩ ـ مجمع القسطنطينية المسكونى

فى اليوم الأول من أمشير من سنة ٣٨١ لميلاد المسيح، انعقد المجمع المسكونى الثانى فى مدينة القسطنطينية (الآن استنبول) فى عهد الإمبراطور ثيئودوسيوس الكبير (٣٤٦ ـ ٣٩٥)م من مائة وخمسين أسقفاً من مختلف بلاد العالم يمثلون جميع كنائس المسكونة للنظر فى بدعة مقدونيوس Macedonius بطريرك القسطنطينية.

وكان من أبرز الأساقفة الذين حضروا هذا المجمع ، الأنبا تيموثيئوس الأول (٣٧٩ ـ ٣٨٥) م بابا الأسكندرية الثانى والعشرون، وكان له دور طليعى وقيادى فى إدارة المناقشات وفى مقارعة مقدونيوس ـ وفى مقدمة الحضور أيضاً الأنبا كيرلس بطريرك أورشليم، والأنبا بطرس بطريرك أنطاكية. وأما الأنبا داماسوس Damasus بابا روما (٣٦٦ ـ ٣٨٤) فدعى ولكنه لم يتمكن من الحضور، فأرسل نواباً عنه.

وفى عام ١٩٨١ ـ احتفل العالم المسيحى بمرور ستة عشر قرناً على هذا الحدث التاريخى، وهو انعقاد مجمع القسطنطينية المسكونى، الذى ثبت وأيد قرارات المجمع المسكونى الأول الذى انعقد فى نيقية سنة ٣٢٥م من ٣١٨ أسقفاً من أساقفة المسكونة للنظر فى بدعة أريوس القسيس الليبى ثم وضع ما يعرف بـ (قانون الإيمان) الذى يرتله اليوم وقوفاً كافة المسيحيين شرقاً وغرباً، ويرددون فيه «نؤمن بإله واحد» مثلث الأقانيم: الآب والابن والروح القدس، وأن الأقانيم الثلاثة خاصيات فى الذات الإلهية الواحدة، وليست أجزاء فيه، لأن الله واحد، ووحدانيته بسيطة لا تقبل التقسيم أو التجزئة . وأن المسيح وهو الله الكلمة قبل الزمان، اتخذ له فى الزمان جسداً من مريم العذراء ظهر فيه، وتمم به وفيه الحكم بالموت الذى كان قد أصدره الله على آدم وذريته. وبهذا الموت فى الصليب، كان المسيح هو الفادى الذى «ليس لأحد بغيره الخلاص» (أعمال ٤ : ١٢) . فالمسيح هو الله الكلمة (يوحنا ١ : ١)، ومن ثم فهو «الله الغير المنظور» (كولوسى ١ : ١٥) وقد صار منظوراً فى الجسد، فهو إذن «الله الظاهر فى الجسد» (١ . تيموثيئوس ٣ : ١٦)، وليس ميلاده من العذراء مريم غير «تجسد». أما وجوده فهو أزلى قبل الزمان (ميخا ٥ : ٢)، (متى ٢ : ٦)، «الأول قبل كل خليقة» (كولوسى ١ : ١٥)، (الرؤيا ٣ : ١٤) و«قبل كل الدهور».

وكان مجمع نيقية قد ختم قانون الإيمان بإله واحد أحد. مثلث الأقانيم الآب والابن والروح القدس، بقوله: «نعم نؤمن بالروح القدس» فرأى مجمع القسطنطينية بعد أن ثبت قانون الإيمان النيقاوى أن يضيف سبع عبارات، هى بنود تكميلية، فصارت خاتمة قانون الإيمان الذى أصبح يعرف بقانون الإيمان النيقاوى القسطنطينى على النحو التالى:

و(نؤمن) بالروح القدس الرب المحيى.

المنبثق من الآب.

نسجد له ونمجده مع الآب والابن،

الناطق فى الأنبياء

وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية،

ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا.

وننتظر قيامة الأموات، وحياة الدهر الآتى آمين.

وكان مقدونيوس قد أنكر لاهوت الروح القدس وزعم أنه مخلوق، فأثار بذلك ثائرة الآباء الأمناء على التراث المسيحى، الحارسين للإيمان الأرثوذكسى بإله واحد، فلزم مواجهته ومجادلته وإقناعه بالعدول عن تعليمه الفاسد، فإذا لم يقتنع اتخذوا قراراً بعزله، وتجريده من جميع درجاته الكهنوتية، وأعلنوا أن تعليمه تعليم شاذ وردئ، تعليم انحرف بعيداً عن التعليم المسيحى الأصيل.

وقد كان. وإذ أن بدعة مقدونيوس - وهو بطريرك العاصمة - قد أثارت إعتراضاً عاماً وشاملاً، من جانب أساقفة العالم المسيحى، فلم يجد الإمبراطور ثيئودوسيوس الكبير مفراً من ضرورة عقد مجمع مسكونى، من جميع كنائس المسكونة للنظر فى هذا التعليم الجديد الذى علم به مقدونيوس. فوافق على عقد هذا المجمع بناء على نصيحة الناصحين المخلصين. ولا بد أنه بصفته الإمبراطور خشى من أثر هذه البدعة على مملكته أن تنشق عنه بسبب تعليم جديد يدعو له بطريرك العاصمة.

فانعقد المجمع المسكونى فى مدينة القسطنطينية ذاتها، واجتمع الآباء الأساقفة وبينهم مقدونيوس وناقشوه رأيه، وقارعوه الحجة، وأثبتوا له من نصوص الكتاب المقدس والتراث

المسيحى، أن الروح القدس هو روح الله، أو هو الله ذاته، لأن «الله روح» (يوحنا ٤ : ٢٤)، (٢ . كورنثوس ٣ : ١٧) وهو (الروح الأعظم)، وهو لذلك «إله أرواح جميع البشر» (سفر العدد ١٦ : ٢٢)، (٢٧ : ١٦) لأن بيده تعالى «نفس كل حى، وروح كل بشر» (أيوب ١٢ : ١٠)، (دانيال ٥ : ٢٣)، وهو أيضاً «أبو الأرواح» (العبرانيين ١٢ : ٩)، بمعنى أنه أصلها أى (خالق الأرواح) وجابلها وصانعها (الجامعة ١٢ : ٧)، (أشعياء ٤٢ : ٥)، (٥٧ : ١٦)، (زكريا ١٢ : ١) .

الله إذن هو (الروح القدس)، و (الروح القدس) هو الله. ذلك لأنه بطبيعته الإلهية روح، بل هو «الروح» الأول - معرفاً بالألف واللام - لأن جميع الأرواح هى منه، فهو خالق الأرواح الملائكية والأرواح الآدمية، فهو إذن أبوها لأنه (الأصل) فيها، ومنه صارت وبه وجدت، إذ هو العلة الأولى لكى روح. وليس يمكن تفسير وجود الروح فى الإنسان أو فى الملائكة إلا بأن خالقها هو (الروح الأعظم) الذى أبدعها وأوجدها، وهو الله.

على أن الله هو الروح الكامل، الكلى الكمال ، فلا يشوبه نقص من أى نوع. ومن هنا فإنه (الروح القدس)، لأنه (قدوس)، والكلى القداسة (اللاويين ١٩ : ٢)، (أشعياء ٥٧ : ١٥)، (مزمور ١١٠ : ٩)، (لوقا ١ : ٤٩)، (١ . بطرس ١ : ١٥) .

وبما أن الله هو الروح القدس، والروح القدس هو الله، فالروح القدس (ليس مخلوقاً)، بل (هو الخالق) .

وإذن فالروح القدس ليس غريباً عن الله، وإنما هو (أقنوم الحياة الإلهية) .

ونحن نعلم أن (الله حى)، «حى أنا يقول الرب» (العدد ١٤ : ٢٨) «حى أنا يقول رب الجنود» (صفنيا ٢ : ٩)، وهو (الحى الأول) و«فيه كانت الحياة» (يوحنا ١ : ٤) و(الحى منذ الأزل) قبل الوجود، و«الحى إلى الأبد» (دانيال ٤ : ٣٤)، (١٢ : ٧)، و«الحى إلى أبد الآبدين» (الرؤيا ٤ : ٩، ١٠)، (١٠ : ٦) .

وإذن فالله روح، وهو حى فى ذاته وبذاته، لم يستمد حياته من كائن آخر، وإذن فهو (حى بروحه) . وعلى ذلك فالروح القدس هو الله الحى بروحه، وهو (أقنوم الحياة الإلهية) . والأقنوم خاصية فى الذات الإلهية. والأقانيم الثلاثة هى الخاصيات الثلاث الإلهية، التى بها تقوم الذات الإلهية، ومن دونها لا وجود للذات الإلهية.

ذلك أن أقنوم (الآب) هو خاصية (الوجود) الإلهى، لأن الله موجد الوجود، (أو أصل) الوجود. ولفظ (الآب) فى اللغات السامية والشرقية معناه (الأصل)، ومنها أخذت جميع اللغات. (فالآب) ليس جزءاً من الله، وإنما (الآب) هو الله ذاته لأنه هو (أصل) الوجود. فأقنوم (الآب) هو خاصية (الوجود) فى الله بإعتباره (أصل) الوجود.

و(الابن)، وهو (الكلمة)، هو (العقل) الإلهى. والعقل الإلهى ليس جزءاً من الله، ولكنه هو الله من حيث هو (العقل) الأعظم. فالعقل الإلهى خاصية فى الذات الإلهية لا يمكن أن يكون لله وجود بغيرها، ولا يمكن أن نتصور الله من دونها . وإلا كيف نفسر وجود الحكمة والعقل فى الكائنات العاقلة ما لم يكن الخالق ذاته الذى خلقها هو العلة الأولى العاقلة. ولما كان العقل غير منظور، ولكنه تجسد فى (الكلمة)، لذلك (فالكلمة) و (العقل) بمعنى واحد: أحدهما ظاهر والآخر غير ظاهر، لكنهما فى الحقيقة واحد. لذلك وصف الأقنوم الثانى فى الذات الإلهية بأنه (الكلمة) لأن العقل الإلهى قد تجسد فى المسيح. فالمسيح إذن ليس جزءاً من الله، لكنه الله ذاته: العقل والعاقل والمعقول لذاته، وقد تجسد . وهو بهذه الصفة يسمى (الابن) بمعنى أن من رآه فقد رأى الله الآب (يوحنا ١٤ : ٩).

و(الروح القدس) هو الله ذاته الحى بذاته أى بروحه، لأن الله روح. وإذن فالروح القدس ليس جزءاً من الله، إذ أن الله لا يتجزأ، ولكنه هو الله من حيث هو الحى الأول، وأصل الحياة، وباعث الحياة، ومبدئ الحياة.

وبعد، فهل يمكن أن يكون لله وجود من غير أقانيمه الثلاثة؟

هل يمكن أن يكون لله وجود، إذا لم تكن له خاصية الوجود أو أقنوم الوجود (وهو الآب) بإعتبار أنه تعالى. هو أصل الوجود؟

وهل يمكن أن يكون لله وجود إذا لم تكن له خاصية (العقل) أو أقنوم العقل (أو الكلمة) بإعتبار أنه تعالى هو العقل الأعظم؟

وهل يمكن أن يكون لله وجود، إذا لم تكن له خاصية الحياة أو أقنوم الحياة وهو (الروح القدس) بإعتبار أنه تعالى هو (الروح الأعظم).

فالأقانيم الإلهية الثلاثة هى الخاصيات الإلهية التى تقوم بها وعليها الذات الإلهية، ومن دونها لا وجود للذات الإلهية.

والأقانيم الإلهية الثلاثة هى إذن الخاصيات الذاتية التى يقوم عليها وبها كيان الذات الإلهية، وهى تتميز عن سائر الصفات الإلهية الكثيرة الحسنى.

والفرق بين الأقانيم أو الخاصيات الإلهية الثلاث، وسائر الصفات الإلهية الكثيرة: أن هذه الصفات الأخيرة يمكن أن نتصور الله بها أو بغيرها ، دون أن يتأثر بها الكيان الإلهى بزيادة أو بنقص. أما الأقانيم الإلهية الثلاثة فهى الخاصيات الذاتية التى تقوم بها وعليها الذات الإلهية، ومن دونها لا يمكن أن يكون لله وجود أو كيان. وهذا هو معنى الأقنوم أو الهيبوستاس Hypostasis (به وعليه تقوم الذات الإلهية الواحدة).

٢٠ ـ ما الذى يجعل المجامع مسكونية؟

أولاً: إجتماعها من أجل بحث قضايا مسكونية تعنى المسكونة كلها.

ثانياً: إجتماعها لبحث قضايا إيمانية عامة.

ثالثاً: أن يكون إلتئامها من أساقفة يمثلون كنائس المسكونة كلها، على أن يكون من بينهم رؤساء الكنائس الممثلة، أى البطاركة ومن هم فى حكمهم.

رابعاً: أن يضم ممثلوها جميع الكنائس الرسولية على الأقل، على أن يكون ذلك بتمثيل متكافئ من حيث عدد الأعضاء.

خامساً: أن لا يتدخل فى تقرير قضاياها سلطة زمنية.

سادساً: أن يتوافر لأعضائها كمال الحرية لإبداء الرأى من دون ضغط أو إكراه.

سابعاً: أن يكون التبليغ بعقد المجمع إلى جميع الكنائس الممثلة فى وقت واحد، وقبل إنعقاد المجمع بمدة كافية نحو سنتين على الأقل، مع توضيح الغرض من الإجتماع، وأسباب الإنعقاد، وتاريخ المسائل المعروضة، وما صدر بخصوصها من بيانات سابقة ووثائق، مع مسودة مقترحة لأعمال المجمع، تضعها لجنة من الخبراء واللاهوتيين والقانونيين تشكل لهذا الغرض، بتمثيل متكافئ من الكنائس المختلفة الأعضاء قبل موعد إنعقاد المجمع بستة شهور على الأقل.

ثامناً: أن يكون مكان إنعقاد الاجتماع فى بلدة بعيدة عن مراكز القوى الدينية أو المدنية، ويحسن أن يكون ذلك دير أو مكان هادئ بعيد عن الضوضاء، وعن الإتصال بالناس أو الصحافة وما إليها من وسائل براقة.

تاسعاً: أن يتحمل نفقات المجمع صندوق عام يجمع لهذا الغرض من كل المسكونة، حتى تتوافر الحيدة لأعضاء المجمع.

عاشراً: أن يتلو أعضاء المجمع فى يوم إلتئامهم صلاة مشتركة، يتعاهدون فيها على أن يستلهموا الروح القدس فى أقوالهم وأعمالهم، وأن يقضوا بالحق ويتوخوا خير الكنيسة الجامعة الرسولية، وأن يضعوا الكتاب المقدس أمامهم وأن يعلنوا إحترامهم لقرارات المجامع المسكونية السابقة المعترف بها من جميعهم.

حادى عشر: أن يصلوا مجتمعين القداس يومياً حسب طقس كل كنيسة من الكنائس الأعضاء.

ثانى عشر: أن يتكلم كل عضو من أعضاء المجمع بلغته الخاصة التى يجيدها، مع ترجمة فورية لها إلى جميع اللغات المستخدمة فى المجمع - وترجمة دقيقة مكتوبة توزع بعد ذلك على جميع أعضاء المجمع.

ثالث عشر: أن تشكل لجان بحث ودراسة فرعية لمختلف أعمال المجمع، يراعى فيها التمثيل المتكافئ للكنائس المختلفة الأعضاء، يعهد إليها بصياغة القرارات أو تعديلها أو تنقيحها وتبويبها وتصنيفها.

رابع عشر: أن لا يصدر قرار فى موضوع ما إلا بأغلبية ثلثى الأصوات على الأقل.

خامس عشر: أن يتوافر لأعضاء المجمع الوقت الكافى لدراسة الموضوعات المعروضة عليهم، بحيث لا يكون ضيق الوقت عاملاً من عوامل الضغط للإسراع فى إصدار القرارات.

سادس عشر: أن لا تتوالى الجلسات بشكل ضاغط، بحيث يتوافر للأعضاء الراحة الذهنية والعقلية والنفسية الكافية، لإبداء آراء ناضجة مدروسة، وبحيث يمكن أن يكون ثمت مجال للقاءات فردية ودية.

سابع عشر: يحذر المجمع أعضاءه من التكتلات الحزبية، والتجمعات على المستوى القومى أو الوطنى، مما يعطل رسالة المجمع المسكونى وقراراته التى ينبغى أن تتوخى الروح المسكونية التى تسود كنيسة الله فى الجامعة الرسولية.

ثامن عشر: لكل عضو حق إبداء الرأى فى الموضوع المعروض للمناقشة فى حدود عشرة دقائق، على أن يسجل رأيه مكتوباً من ثلاث صور، يقدم إحداها لأمانة سر المجمع قبل موعد إلقائها بثلاثة أيام على الأقل.

تاسع عشر: أخذ الأصوات فى موضوع ما، يجب أن يكون بطريق الاقتراع السرى.

عشرون: اللجنة الرياسية لتنظيم وإدارة أعمال المجمع وجلساته ومحاضره وقراراته، تشكل من إثنى عشر عضواً يختارون بتمثيل متكافئ من الكنائس المختلفة الأعضاء.

واحد وعشرون: أمين عام سر المجمع يختار من غير الإثنى عشر، على أن يكون من كنيسة عضو غير ممثلة فى اللجنة الرياسية.

ثانى وعشرون: كل قرار يتخذ بعد التصويت عليه فى صورته النهائية، يقرأ على جميع الأعضاء علناً فى جلسة رسمية بعد طبعه بالمطبعة، ويوقع عليه الأمين العام لسر المجمع ولجنة رياسة المجمع، ويوقع عليه بعد إعلانه رؤساء الكنائس المحلية أى البطاركة ومن فى حكمهم.

ثالث وعشرون: توزع نسخ كافية من هذه القرارات على جميع أعضاء المجمع.

رابع وعشرون: تشكل لجنة عمل لمتابعة وتنفيذ قرارات المجمع بعد إنفضاضه، يراعى فيها التمثيل المتكافئ من الكنائس المختلفة الأعضاء، لموالاة الإتصالات بكل جهات الإختصاص المسئولة، دينية ومدنية لتنفيذ قرارات المجمع وتتبع آثاره.

خامس وعشرون: أن تكون مطبعة حديثة بمختلف اللغات مخصصة لأعمال المجمع، وكذلك الحاسب الإلكترونى لإحصاء أصوات الموافقين وغير الموافقين على القرارات، ومكبرات الصوت، وأجهزة الترجمة الفورية، ووسائل التهوية، وكل ما يلزم توافره لتسهيل أعمال المجمع.

٢١ ـ ليأت ملكوتك (١)

سيدى صاحب الغبطة البطريرك والرئيس

نعم، هذا دعاؤنا فى الصلاة الربانية ، نردده كلما تلونا هذه الصلاة الربية فى كل يوم، ونحن نتجه أولاً وبالذات إلى المجئ الثانى حيث يملك المسيح بعد أن يكون قد أخضع جميع أعدائه تحت قدميه، ومع ديماس اللص اليمين نصلى: اذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك... و إذ يقول الرب يسوع أنا آتى سريعاً، نهتف فى شوق ولهفة ومع الرائى القديس يوحنا اللاهوتى: «نعم تعالَ أيها الرب يسوع» (الرؤيا ٢٢ : ٢٠).

ترى متى جاء المسيح فى مجده وملكه هل يجد الإيمان على الأرض، الإيمان المسلم مرة للقديسين (يه ٣) ؟ هل يجد كنيسته عروسه ثابتة على هذا الإيمان، المسلَّم منه ومن الرسل وديعة محفوظة بالروح القدس، تلبية وإطاعة لأمره «وإنما الذى عندكم تمسكوا به إلى أن أجئ» ؟ (الرؤيا ٢ : ٢٥).

هل يجد كنيسته جسماً واحداً سليماً، كُلاً واحداً صحيحاً، أم يجدها أشلاء مبعثرة وأعضاء مهشمة مقطعة ممزقة مفتتة، قد أُثخنت بجروح التقطيع والتمزيق والإنقسام؟

اسمعوا ، أيها الأخوة، قصة من تراثنا هى رؤيا رآها البابا القديس بطرس خاتم الشهداء ، السابع عشر من بطاركتنا فى القرن الثالث، وفى عهده ظهر أريوس الذى أنكر أزلية الابن مع الآب ـ رأى المسيح له المجد فى هيئة طفل فى الثانية عشرة من عمره، وثوبه مشقوق من أعلاه إلى أسفله، وعرف بالروح أنه هو الرب يسوع بعينه، فهتف قائلاً: من الذى شق ثوبك يا رب، فأجاب له المجد قائلاً: أريوس هو الذى شق ثوبى.

وثوبه هو كنيسته. وشقها أريوس بمعني أنه قسمها وشطرها ببدعته، فلم تبق بعد كُلا واحداً صحيحاً. وأما أن البابا رأى المسيح فى هيئة طفل فى الثانية عشرة من عمره، فلأن الكنيسة كانت ما تزال صبية صغيرة، فى جمال الصبا وبراءة الطفولة.

أيها الأخوة: إن إنقسام الكنيسة إلى مذاهب شق ثوب المسيح، وقسم جسم المسيح. وليس فى مقدورنا فى هذه العجالة أن نتتبع الأسباب اللاهوتية وغير اللاهوتية، من سياسية وإجتماعية وحضارية وتاريخية، لكننا نحس جميعاً بتيار حار من الروح القدس يدين الإنقسام وينشد

(١) ألقيت فى أحد المؤتمرات عن الوحدة بعد نوفمبر ١٩٧٨ م.

الوحدة، الوحدة فى الإيمان والرأى، وليست الوحدة فى النظام والشكل، طبقاً لما قاله الرسول القديس بولس يناشد كنيسة الله فى كورنثوس:

«أطلب إليكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تقولوا جميعكم قولاً واحدا، ولا يكون بينكم إنشقاقات، بل كونوا كاملين فى فكر واحد ورأى واحد... إلى أن يقول : هل انقسم المسيح؟» (١ . كورنثوس ١ : ١٠ ـ ١٣) .

لقد أضرّ الإنقسام رسالة المسيح إلى العالم. فقد قال له المجد «ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتنى» (يوحنا ١٧ : ٢١) . فعلى الرغم من التبشير والمبشرين ومن الكتب التى أغرقنا بها العالم، لكن رسالة المسيح معطلة والسبب أن الكنيسة ليست واحدة، لا يصدق عليها إنها الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية، كنيسة الله، جسم المسيح الواحد.

لقد صار الإنقسام نقطة ضعف المسيحية فى نظر غير المسيحيين، وتوقفت رسالة المسيح عن الامتداد وباتوا يقولون لقد فشلت المسيحية ، وفشل المسيح ـ نعم شتان بين المسيحية كلها شيع، وبينها وهى شعب غير منقسم.

أيها الأخوة إن هذه الرغبة فى الوحدة تجسدت فى تشكيل مجلس الكنائس العالمى، ومع ما حققه مجلس الكنائس العالمى من إنجازات فى التعاون المشترك بين كنائسنا المتفرقة، لكننا لم نتمكن بعد فى نطاق هذه المنظمة العالمية أن نحقق الوحدة الإيمانية المنشودة، وتبيّنا أن الطريق طويل جداً، وقد يأتى المسيح فى مجيئه الثانى قبل أن نتمكن فى المجلس العالمى من تحقيق وحدتنا فى الإيمان، قلنا، فلنبدأ بالخطوة الأولى، وهى الأسهل والأسرع.

أعنى الوحدة بين عائلتى الكنائس الأرثوذكسية ـ الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة، والكنائس الشرقية التى تتبع الطقس البيزنطى، أو كما اصطلحنا عليها إبتداء من سنة ١٩٥٤ الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية والكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية، وقد عقدت منذ هذا التاريخ إلى اليوم عدة مؤتمرات، وكان لمجلس الكنائس العالمى فضل تشجيع هذا اللقاء الثنائى بين عائلتى الكنائس الأرثوذكسية، ففى أروس بالدانيمرك تم لقاء فى أغسطس ١٩٦٤ ـ وأصدر بياناً جاء فيه:

« وفى دراستنا المشتركة لمجمع خلقيدونية وجدنا أن العبارة المشهورة التى استخدمها أبونا جميعاً فى المسيح أى القديس كيرلس «طبيعة واحدة للكلمة المتجسد »

ما تعنيه هو محور إهتمامنا المشترك بالنسبة لجوهر إيماننا الخاص بشخص المسيح، فقد وجدنا أنفسنا متفقين تماماً. والتعبيرات المختلفة التى تستعملها كل كنيسة تعبر عن الحق الواحد بعينه، لأننا نتفق معاً بدون تحفظ على رفض تعليم أوطيخا، وكذلك تعليم نسطور، وبذلك يصبح قبول أو رفض مجمع خلقيدونية لا يكون معناه قبول أى من الهرطقتين اللتين تشجبهما الكنيستان. وقد وجد الطرفان فى هذا المؤتمر أنهما يتبعان كأساس راسخ تعليم الكنيسة الواحدة غير المنقسمة عن المسيح كما عبر عنه القديس كيرلس».

وفى يوليو سنة ١٩٦٧ انعقد مؤتمر فى بريستول بانجلترا، وأصدر بياناً جاء فيه:

«اعتباراً من القرن الخامس استخدمنا صيغ مختلفة لنعترف بها، تعبر عن إيماننا الواحد فى الرب يسوع المسيح الإله الكامل والإنسان الكامل. منا من يؤكد على أن الطبيعتين والمشيئتين قد اتحدا أقنومياً فى الرب الواحد يسوع المسيح، والبعض الآخر منا يؤكد على طبيعة واحدة ومشيئة واحدة إلهية إنسانية متحدة فى المسيح نفسه، لكن على الرغم من هذا فكلا الجانبين يتكلمان عن اتحاد بدون إختلاط ولا تغيير ولا إنقسام ولا إنفصال. وهى الصفات الأربعة التى نراها فى تقليدنا المشترك. كلا الجانبين يؤكد على دوام اتحاد اللاهوت بالناسوت فى المسيح الواحد، بكل قدراتهما وخصائصهما الطبيعية. ولذلك فالذين يستخدمون اصطلاح «الطبيعتين» لا يجزئون أو يفصلون، والذين يقولون باصطلاح «الطبيعة الواحدة» لا يخلطون ولا يمزجون. ولذلك فالكلمات «بلا تجزؤ ولا إنفصال» التى يستخدمها الذين يقولون «بالطبيعتين» مع الكلمات «بدون تغيير ولا اختلاط» التى يستخدمها الذين يقولون «بالطبيعة الواحدة» يجب أن نؤكد أهميتها».

وفى أغسطس سنة ١٩٧٠ انعقد مجمع فى جنيفا سويسرا أصدر كذلك بياناً عرض لموضوع المجامع والحروم ومشاكل التنظيم الرعائى فى الكنيسة.

رأى أعضاء المؤتمر أن يؤكدوا من جديد ما اتفقوا عليه فى مؤتمر أروس بالدانيمرك سنة ١٩٦٢، ومؤتمر بريستول سنة ١٩٦٧، أنه على الرغم من الانفصال الذى دام خمسة عشر قرناً بين الكنائس الأرثوذكسية الشرقية، والكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة بسبب مجمع خلقيدونية فى سنة ٤٥٨، إلا أن الفريقين مع ذلك على اتفاق فى جوهر العقيدة المسيحية فيما يختص بلاهوت المسيح، وكل من الفريقين على احترام كامل للشروح اللاهوتية والتحديدات

الإيمانية التى قدمها القديس كيرلس بابا الأسكندرية، وأنهم جميعاً يتخذونه أباً ومعلماً للإيمان الأرثوذكسى، الذى لا يحيدون عنه وعنده يلتقون وإليه يحتكمون، فى حل الخلاف بين الكنائس التى تعترف بمجمع خلقيدونية والتى لا تعترف به... فكل من الفريقين يؤمن ويعلم بأن من كان وما زال متحداً بلاهوته مع الآب فى الجوهر، صار بتأنسه متحداً معنا فى إنسانيتنا، هذا المولود من الآب قبل كل الدهور، صار فى الأيام الأخيرة من أجلنا ومن أجل خلاصنا مولوداً من العذراء مريم، فالمسيح يسوع إله كامل، كما أنه ناسوت كامل وله كل خصائص اللاهوت وقدراته وكل خصائص الناسوت وقدراته، ومشيئة اللاهوت وعمل اللاهوت لم يبتلعا مشيئة الناسوت وعمل الناسوت ولا أبطلاهما، ولم يحدث بينهما تعارض وإنما المشيئتان والفعلان قد اتحدا معاً فى توافق تام بغير إنقسام أو إختلاط فالمشيئة والفعل هما دائماً مشيئة الكلمة المتجسد وفعله، واحد هو عمانوئيل هو إله وهو إنسان هو ربنا ومخلصنا الذى نعبده ونمجده ونسجد له ومع ذلك صار بيننا كواحد منا.

وفى يناير ١٩٧١ انعقد المؤتمر الرابع فى أديس أبابا ناقش فيه المؤتمر موضوع رفع الحروم.

وفى مارس ١٩٧٢ تم لقاء بين مندوبى الكنائس الأرثوذكسية بالشرق العربى - وذلك فى دير سيدة البلمند البطريركى.

وصدر بيان طويل جاء فيه: ألسنا جميعاً نردد قانون إيمان واحد مقرين ومعترفين بإله واحد، أحدى الذات مثلث الأقانيم والصفات، وبمسيح واحد، وبالروح القدس المنبثق من الآب، والفاعل فى أسرار الكنيسة السبعة، ونؤمن بالقيامة العامة والمجئ الثانى للدينونة والحساب،وبالجزاء الأخروى، والحياة فى الدهر الآتى.

ألسنا جميعاً نؤمن بلاهوت الابن الوحيد، الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس كلمة الله وحكمته وقوته، وهو بهاؤه ورسم جوهره، وأنه فى ملء الزمان تجسد وتأنس من أجلنا، ولأجل خلاصنا، وهو لم يزل الكائن مع الآب، والواحد معه فى الجوهر بغير إنفصال ولا افتراق ولا إنقسام ولا تجزئة ولا تغير؟

ألسنا جميعاً نعتقد بالفداء الذى قام به ابن الله بعد أن اتخذ لنفسه جسداً مطابعاً لجسدنا، جسداً حقيقياً ذا نفس ناطقة عاقلة، مشاركاً إيانا إنسانيتنا بغير خطيئة ولا دنس متحداً بنا فيها، بالجسد الذى أخذه من مريم العذراء بغير زرع بل بحلول الروح القدس عليها؟

ألسنا جميعاً نؤمن بأن ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا، يسوع المسيح هو ابن الله الوحيد من حيث لاهوته، وهو ابن الإنسان من حيث ناسوته، وأن فيه اتحد اللاهوت بالناسوت اتحاداً حقيقياً كاملاً تاماً، بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا تحوّل ولا إنفصال ولا إنقسام، وأنه وهو صورة الله الغير المنظور قد صار منظوراً فى الجسد، فهو الأزلى الأبدى الذى لا بداءة له ولا نهاية، ولا أول له ولا آخر، وهو بعينه الرب وقد قبل صورة العبد، فهو كامل فى لاهوته وكامل أيضاً فى ناسوته وفى شخصه المبارك اجتمعت كل خصائص اللاهوت وكل خصائص الناسوت معاً، باتحاد لا يعبر عنه اتحاد بغير إفتراق.

وفى نوفمبر ١٩٧٨ انعقد فى دير بندلى باليونان مؤتمر جاء فى آخر فقرة منه:

إننا نؤكد فى اجتماعنا هذا بيان اجتماع البلمند التاريخى وتوصياته، معبرين عن الاقتناع ذاته بأن مفهومنا للإيمان متطابق، وأنه آن الأوان لنقل المحادثات إلى المستوى الرسمى المسؤول فى كنائسنا المقدسة فى الشرق الأوسط.

وقالوا إننا نرفع توصياتنا إلى الرئاسات فى كنائسنا على يد وفد مؤلف من إثنين ممن حضروا الإجتماع ويحاول الوفد البحث فى إمكان تحقيقها.

كما أوصوا بأن ترسل وثائق البلمند سنة ١٩٧٢ مع وثائق اجتماع بندلى ١٩٧٨ إلى اللجنة الخاصة بالحوار مع الأرثوذكس غير الخلقيدونيين، التابعة للمؤتمر العام لكل الكنائس الأرثوذكسية، وأيضاً إلى اللجنة الخاصة بالكنائس الشرقية الأرثوذكسية غير الخلقيدونية فى الشرق الأوسط.

ليس هناك داعٍ بتاتاً لكثير من النقاش والجدل حول الموضوعات اللاهوتية.

أولاً: المهم وضع صيغة لاهوتية يقبلها الطرفان، مع محاولة تجنب المصطلحات الغامضة، التى دار حولها فى الماضى ولا يزال يدور فى الحاضر نقاش طويل، فى تحديد مفهومها كالطبيعة والأقنوم. صيغة تحدد فى تعبيرات بسيطة مقبولة أمام الكل، تبين اتحاد لاهوت المسيح بناسوته اتحاداً كاملاً تاماً، بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا إنفصال أو إنقسام. وتبين أن المسيح واحد كامل فى لاهوته كامل فى ناسوته وأنه هو الإله المتجسد، ولم يزل بتجسده إلهاً، وأنه الإله المتأنس، وأن الاتحاد قد تم منذ اللحظة الأولى للتجسد، وأنه لم تمر لحظة فى الزمان كان للناسوت وجود فى المسيح من غير لاهوته، وأن اللاهوت اتحد بالناسوت منذ اللحظة الأولى

لتكوّن الناسوت. وأن هذا الاتحاد بين اللاهوت والناسوت كان ولا زال قائماً وسيظل كذلك إلى الأبد بغير إفتراق ولا إنفصال ... وأن المسيح يحمل فى شخصه كل صفات اللاهوت والناسوت معاً بغير إفتراق، وأن كل ما ينسب إلى اللاهوت ينسب إلى المسيح، وأن كل ما ينسب إلى الناسوت ينسب إلى المسيح الإله المتجسد، بما يعرف بتبادل الخصائص والصفات وذلك لطبيعة الاتحاد التام القائم بين اللاهوت والناسوت.

ثانياً : إذا كان هناك اتفاق على المفهوم الدقيق لحقيقة الاتحاد بين اللاهوت والناسوت، لا بأس من أن يحتفظ كل فريق بالتعبيرات التقليدية التى يعبر بها عن هذا الاتحاد ، على أن يقدم باستمرار هذا المفهوم. وعلى أن يدين كل فريق المذهب النسطورى من جهة والمذهب الأوطاخى من جهة.

ثالثاً : على ضوء هذا المفهوم الجديد يمكن لكل فريق أن يقبل ما يشاء من قرارات المجامع السبعة ، وليس إلزام بإقرار الأربعة المجامع التى تلت مجمع أفسس سنة ٤٣١م.

رابعاً : الحروم التى وقعت فى الماضى على كل فريق، يمكن أن تترك بين يدى الله الذى يدين الأحياء والموتى، وترفع الحروم عمن يسلم بالصيغة الجديدة التى تقرها جميع الأطراف، معبرة عن إيمان الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة.

خامساً : تعرض هذه الصيغة على رؤساء الكنائس الخلقيدونية وغير الخلقيدونية، لإقرارها من المجامع المقدسة فى تلك الكنائس، تمهيداً لرفع الحروم وإعلان وحدة الإيمان الأرثوذكسى.

سادساً : ترفع من كتب الطقس النصوص التى تلعن وتحرم ليون بابا روما، وديوسقورس بابا الأسكندرية، وساويروس الأنطاكى بطريرك أنطاكية، ونستبدل بهذه الأسماء أريوس ومقدونيوس وأبوليناريوس وأوطاخى.

سابعاً : توضع كتب جديدة للتاريخ واللاهوت تنصف ديوسقورس الأسكندرى على ضوء الحقائق التاريخية والفهم السليم لموقفه اللاهوتى وتصحيح الاتهام الظالم له بالأوطاخية.

ثامناً : يعقد مجمع مسكونى من الكنائس التى تتبع الإيمان الأرثوذكسى، توضع لقراراته مسودة تضعها لجنة مشتركة من اللاهوتيين والقانونيين تمثل الكنائس الشرقية القديمة تنظر فى:

(١) القضايا الإيمانية التى عرضت لها أو لبعضها المجامع الأربعة التالية لمجمع أفسس سنة ٤٣١، والبت فيها على ضوء الإيمان المشترك وبروح العصر، وصياغتها بما يتمشى وإحتياجات الكنيسة فى الزمن الحاضر.

(٢) القضايا المعاصرة التى تواجه واقع الكنيسة فى الزمان.

تاسعاً : منعاً للحساسيات يمكن الاتفاق على مكانين أو أربعة أماكن - إثنين منها فى نطاق الكنائس الشرقية وإثنين منها فى نطاق الكنائس الشرقية القديمة، على أن يكون إنعقاد المجمع فيها دورياً وبالتناوب.

وأما رياسة المجمع فتكون بالتناوب والتبادل والتعادل بين رؤساء الكنائس الشرقية والشرقية القديمة وكذلك الأمر بالنسبة للسكرتير العام للمجمع.

عاشراً : بعد رفع الحروم وإعلان الاتحاد.

(١) يصير جميع المؤمنين والاكليروس خاضعين لبطريرك الإقليم مع إمكانية الاحتفاظ بشمامسة وكهنة وأساقفة لكل كنيسة بسبب فوارق اللغة والطقس.

(٢) الإعتراف بصحة جميع الأسرار الكنسية، وإعتبار كل مؤمن وكل شماس وكاهن وأسقف عضواً فى الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة الرسولية، وله كل الحقوق وعليه كل الإلتزامات والواجبات الإنجيلية والكنسية، طبقاً للإيمان الأرثوذكسى الواحد بغير تفريق بسبب الجنس أو اللون.

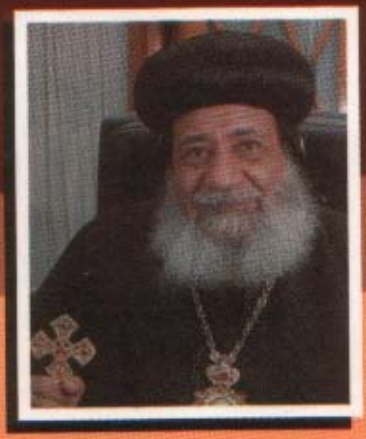

« حياة أنبا غريغوريوس تتلخص فى كلمتين « التكريس والعلم »... كانت الإكليريكية هى جزء من حياته ، وكان العلم يشغل كل وقته .. كان الأنبا غريغوريوس يتميز بالشمولية فى العلم ....

كان أنبا غريغوريوس عالماً ، إذا كتب يستفيض فى الكتابة حتى لاتعرف كم من المعلومات يقول ... كان كثير القراءة إلى حد بعيد ، وكان عميق الدراسة إلى حد بعيد .. له مئات من الآباء الكهنة كانوا أبناءه ، وأستقوا العلم على يديه ، والذى لم يستقى العلم على يديه إستقاه من كتبه ومؤلفاته ، وله عشرات من الكتب فى كل فنون العلوم الكنسية ، .. كان أيضاً إنساناً وطنياً يحب بلاده ويحب مصر . له معلومات كثيرة وكتب كثيرة فى الوطنية .. وعن سير القديسين ... هو موسوعة من المعلومات .

الأنبا غريغوريوس على الرغم من علمه الكبير جداً ، كان إنساناً بسيطاً يجمع بين البساطة فى النفسية والعمق فى العقلية .. هو مثل من الأمثلة التى لاتتكرر كثيراً فى العلم الكبير .. »

قداسة البابا شنوده الثالث

٢- فهرس الموضوعات

صفحة

مقدمة ٧

إهداء ٩

مقدمة علم اللاهوت المقارن ١١

الهرطقات ١٢

أنواع الهرطقات ١٧

أضرار الهرطقات ١٩

نفع الكنيسة من الهرطقات ٢١

هرطقة النيقولاويين ٢٣

الأبيونية ٣٧

الأريوسية ٤٣

أريوس وتعاليمه ٤٤

نشأة النزاع الأريوسى وأسبابه ٤٦

تاريخ النزاع الأريوسى حتى مجمع نيقية ٤٩

مجمع نيقية ٥٠

الأريوسية ٥٢

منهج أريوس ومدرسته ٥٨

إمتداد الأريوسية وازدياد خطرها على الكنيسة ٦٠

أخطار الأريوسية ومضارها العقيدية ٦٢

موقف الكنيسة من الأريوسية ٦٦

النصوص التى اعتمد عليها أريوس واتخذها أساسا لبدعته ٧٤

أولاً : نصوص لبيان وحدانية الله ٧٤

ثانياً : نصوص لبيان طبيعة البنوة ٧٦

ثالثاً : نصوص زعم أريوس أنها لبيان خلقة اللوغوس ٧٩
رابعاً : نصوص لبيان نموه الأخلاقى وتطوره ٨٤
خامساً : نصوص لبيان إمكان تغيره ونقص معرفته ٩٢
سادساً : نصوص زعم أريوس أن المسيح أقل من الآب ٩٥
خطاب القديس أثناسيوس فى الرد على الأريوسية ٩٨
الأبوليناريوسية ١١٩
بدعة أبوليناريوس ١٢٠
نقطة البدء فى بدعة أبوليناريوس ونظرياته الدينية ١٢١
الاعتراضات على النظرية الأبوليناريوسيه ١٢٤
النفس الإنسانية فى المسيح ١٢٨
المشيئة الإنسانية فى المسيح ١٢٩
هرطقة بيلاجيوس ١٣٥
النظريات المختلفة فى سقوط الإنسان ١٤١
تعليم القديس أوغسطينوس ١٤٥
فى الطبيعة البشرية ١٤٥
فى الخطيئة ١٤٦
فى النعمة ١٤٦
النزاع البيلاجى ١٥٣
أهم المبادئ التى نادى بها بيلاجيوس ١٥٤
أولا ـ أن الكمال ممكن للناس ١٥٤
ثانياً : إنكار فساد الطبيعة البشرية ١٥٦
مراحل النزاع البيلاجى ١٥٧
المرحلة الأولى : فى قرطاجنة ١٥٨

المرحلة الثانية : فى فلسطين ١٥٩
المرحلة الثالثة : الإلتجاء إلى روما ١٦٠
المرحلة الرابعة : الحكم النهائى فى مجامع عقدت بأفريقيا وروما ١٦١
قوانين مجمع قرطاجنة عام ٤١٧ م ١٦٢
أنصاف البيلاجيين ١٦٣
يوحنا كاسيان ١٦٣
فاوستوس ١٦٥
قوانين مجمع أرليس ١٦٨
مجمع أورانج عام ٥٢٩ م ١٧٠
النسطورية ١٧٣
المدارس اللاهوتية فى الأسكندرية وانطاكية ١٧٤
ديودوروس وثيئودوروس ١٧٤
نشأة النزاع النسطورى ١٨٠
لقب والدة الإله ١٨٢
كيرلس الأسكندرى ورفضه تعليم نسطور ١٨٣
حروم البابا كيرلس وردود نسطور عليها ١٨٣
قيمة تلك الحروم ١٨٦
رسالة البابا كيرلس ١٨٦
تعليم الآباء فى الكنيسة خاصة بهذا الموضوع ١٨٩
مجمع أفسس سنة ٤٣١ وانتصار البابا كيرلس ١٩١
شروط الاتفاق بين البابا كيرلس والإنطاكيين ١٩٢
وثيقة الاتحاد ١٩٢
عدم رضى الفريقين بهذه التحديدات ١٩٢

مناحى القوة ومناحى الضعف فى البدعة النسطورية ١٩٣
قمع النسطورية وإخمادها فى نطاق الامبراطورية ١٩٦
الكنيسة النسطورية السريانية الشرقية ١٩٧
الأوطاخية ١٩٩
أوطاخى أمام مجمع القسطنطينية المحلى ٢٠٠
فى مجمع أفسس المسكونى الثانى ٢٠٢
مجمع خلقيدونية ٢٠٢
التعليم الذى علم به مجمع خلقيدونية ٢٠٣
طوموس ليون ٢٠٥
فصل فى معنى إخلاء المسيح ذاته ٢١١
القديس بطرس الرسول والحبر الرومانى ٢١٥
أولا : هل كان القديس بطرس رئيسا للرسل ٢١٦
ثانيا : هل كان القديس بطرس هو المؤسس لكرسى روما ٢١٨
ثالثا : هل لأسقف روما رياسة أو تقدم على جميع الأساقفة ٢١٩
أى أسقف هو الأعظم فى ملكوت السموات ؟! ٢٢٥
تعليم كنيسة الأسكندرية وأخواتها...
فيما يختص بطبيعة السيد المسيح ٢٢٧
الإيمان الأرثوذكسى فى طبيعة السيد المسيح ٢٣٠
الرد على مقال عن الأرثوذكسية ٢٣٧
الكنيسة والمجامع ٢٤١
الكنيسة مؤسسة إلهية وسفارة سماوية ٢٤٢
الكنيسة ملكوت السموا ت على الأرض ٢٤٢
المسيح يقيم عنه نواباً لسياسة الكنيسة وتدبيرها ٢٤٤

المسيح رأس الكنيسة غير المنظور ٢٤٦
المجامع المسكونية ٢٤٦
الخلافة الرسولية.... وسلطان الكنيسة المنظورة ٢٤٧
أسئلة وإجابات عليها ٢٤٩
١ ـ معمودية الأرثوذكس ومعمودية الكاثوليك ٢٥٠
٢ ـ طبيعتين قبل الاتحاد ٢٥٤
٣ ـ موهبة التكلم بالألسنة أو اللغات ٢٥٦
٤ ـ يسوع المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين ٢٦٢
٥ ـ المانويون وليس المسيحيون هم الذين ينهون عن الزواج... ..... ٢٦٦
٦ ـ شروط الإنضمام للكنيسة الأرثوذكسية ٢٧١
٧ ـ المعمودية الكاثوليكية ٢٧٣
٨ ـ حول العماد والإكليل بالأروام والروس الأرثوذكس والكاثوليك ٢٧٥
٩ ـ موقف الكنيسة القبطية من كنائس الطوائف المختلفة ٢٧٦
١٠ ـ قانون الكنيسة الأرثوذكسية القبطية والسريانية للمنضمين إليها ٢٧٨
١١ ـ الطوائف الرسولية والتصفيق بالأيدى.. ..... ٢٨١
١٢ ـ شهود يهوه وحقيقتهم ٢٨٣
١٣ ـ الخمسينيون وظاهرة الإرتعاد ٢٨٥
١٤ ـ الفرق بين الأقباط الأرثوذكس والإنجيليين ٢٨٧
١٥ ـ شهود يهوه مذهب غير مسيحى ٢٨٨
١٦ ـ الكنيسة والتحديات الفكرية ٢٨٩
١٧ ـ الحركة المسكونية الحديثة ٢٩٥
١٨ ـ هل حرم البابا ديسقوروس لمجمع خلقيدونية سار اليوم ٣٠٢
١٩ ـ مجمع القسطنطينية المسكونى ٣٠٤

٢٠ ـ ما الذى يجعل المجامع مسكونية ٣٠٩
٢١ ـ ليأت ملكوتك ٣١٢
المراجع ٣١٩
الفهارس ٣٢٥
١ ـ فهرس النصوص المقتبسة من الكتاب المقدس ٣٢٥
٢ ـ فهرس الموضوعات ٣٣١

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسوعة الأنبا غريغوريوس

٢- اللاهـــوت الأدبـى

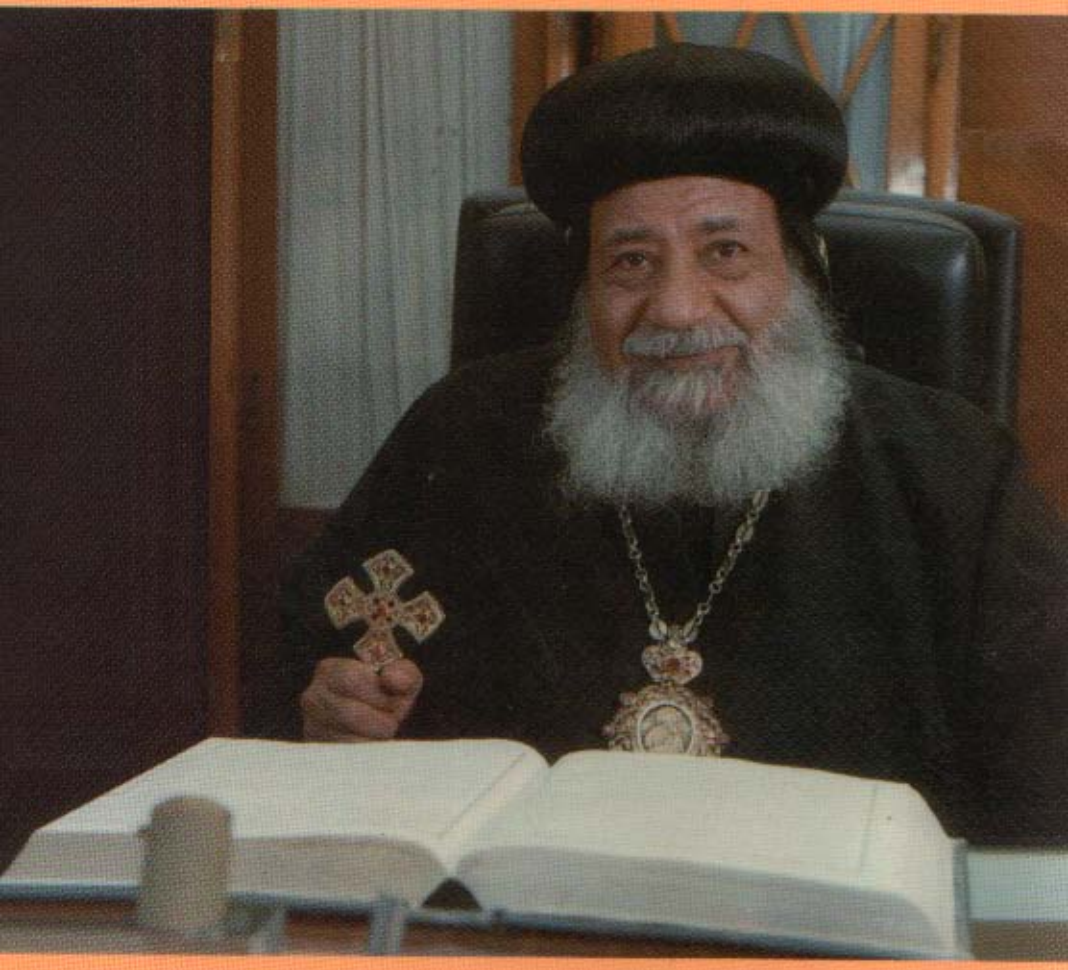

للمتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عـام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

في الذكرى السنوية الثانية

للعالم القديس المتنيح الأنبا غريغوريوس

موسوعة الأنبا غريغوريوس

٢ - اللاهوت الأدبى

بقلم

المتنيح الأنبا غريغوريوس

أسقف عام

للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية

والبحث العلمى

الكتاب : موسوعة الأنبا غريغوريوس ـ ٢ ـ اللاهوت الأدبى.

المؤلف : المتنيح الأنبا غريغوريوس.

إعداد : الإكليريكى منير عطية.

الناشر : مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس.

دير الأنبا رويس بالعباسية مصر ت: ٦٨٢٤٩٦٢ ـ ٤٨٨٢٥٢٢.

المطبعة : شركة الطباعة المصرية ت: العبور ٦١٠٠٥٨٩.

تصميم الغلاف : الفنان عادل لبيب.

الجمع : شركة فاين للطباعة والتوريدات ت: ٤٨٢٠٩٠٣

رقم الإيداع بدار الكتب : ١٥٣١٢/ ٢٠٠٣

حقوق الطبع محفوظة للناشر



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث



نيافة الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس

مقـــدمة

هذا هو الجزء الثانى من موسوعة الأنبا غريغوريوس ويحتوى على مجموعة مذكرات فى اللاهوت الأدبى، كتبها المتنيح الأنبا غريغـــوريوس (الدكتور وهيب عطا الله جرجس) بعد تعيينه معيداً بالكلية الإكليريكية فى عام ١٩٤٤.

وقد أشار لذلك صاحب القداسة البابا شنودة الثالث، فى كلمة وداعه الأخير فى اكتوبر ٢٠٠١، فقال غبطته : « بدأ التدريس فى الكلية الإكليريكية، ودرّس مواداً جديدة لم ينافس فيها أحداً... فكان يدرّس اللاهوت الأدبى، وكان يدرّس الفلسفة، وله مؤلف كبير فى اللاهوت الأدبى وفى الضمير والمسئولية الأدبية، وكان يدرّس الفلسفة بكل أنواعها، درس الفلسفة الغربية، والفلسفة الشرقية، والفلسفة اليهودية والوجودية والإشتراكية وله كتب فى كل هذا، مع فلاسفة مدرسة الأسكندرية أيضاً مثل أثيناغوراس وبنتينوس ومن فلاسفة الغرب أغسطينوس، وفى نفس الوقت الذى درّس فيه اللاهوت الأدبى والفلسفة، درّس أيضاً اللاهوت المقارن، وبخاصة اللاهوت المقارن القديم، وله كتب فى الأبيونية، والأبوليناريوسية والنسطورية وغيرها.... ».

واستمرت تطبع هذه المذكرات بنظام الماستر، أى لا يزيد عدد الطبعة عن خمسمائة نسخة، ويعاد طبعها تباعاً حتى الآن.

ورأينا أن نعيد طباعتها بطريقة أفضل، بعد إعادة تجميعها وتبويبها فى مجلدات، مع إضافة الأسئلة المختلفة حول الموضوع وإجاباتها.

وسنفرد أجزاء منها لتضم سير من شخصيات الكتاب المقدس، ومن القديسين، وكذلك الدراسات الفلسفية وترجمة لحياة بعض الفلاسفة، وكذلك ستكون أجزاء للموضوعات الكنسية المتنوعة، والموضوعات العامة بعد تبويبها، بحيث تشمل أجزاء هذه الموسوعة كل كتابات المتنيح الأنبا غريغوريوس التى لم تنشر أو نفذت بعد نشرها.

وذلك لكى نوسع دائرة الإستفادة منها للجميع، كما نحمى هذا التراث من الضياع، ولتأخذ هذه المطبوعات رقم إيداع، لحماية هذه المطبوعات من النشر عن أى طريق آخر غير مكتبة الأنبا غريغوريوس، التى تكرم مشكوراً صاحب الغبطة والقداسة البابا شنودة الثالث، وخصص لها مكاناً، بالدور الثالث بمبنى الأنبا رويس بالبطريركية الجديدة بالعباسية.

ها نحن قد بذرنا البذرة الأولى، والرب وحده القادر أن ينميها، ويكلل مشروعنا هذا بالنجاح بصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث، أدام لنا الرب حياة قداسته، ومتعنا الرب برئاسته للكنيسة ولنا، أباً وراعياً، وحفظ الله قداسته بكل سلامة متمتعاً بكامل الصحة والعافية، ونفعنا الرب ببركة صلوات غبطته.

الإكليريكى منير عطية

إهـــــــداء

إلى القديس العظيم بطل الأرثوذكسية الأشهر

البابا أثناسيوس الرسولى

إليك يا سيدى البابا نهدى سلسلة المباحث اللاهوتية والعقائدية، لأنها من وحيك وإلهامك، وبفضل توجيهك وإرشادك، وثمرة لكفاحك وجهادك!

فيك رأينا أرثوذكسية الإيمان وأرثوذكسية السيرة معاً!

ومنك تعلمنا كيف يكون الوفاء للحق، والاستمساك بالتقوى، والحرص على وديعة الإيمان.

ولقد وهبك الرب عقلاً شاخصاً فى الإلهيات، فكان تعليمك سليماً كل السلامة، وكان تعبيرك دقيقاً غاية الدقة!

ولم يكن طريقك سهلاً ... كان قولك مؤذياً لمسامع المنحرفين، وكان شخصك ثقيلاً على أنفاسهم الفاسدة، فكرهوك ولعنوك ... ومع ذلك لم يقووا على أن يقاوموا النعمة الساكنة بجنانك، أو يناقضوا الحكمة الناطقة على لسانك!

أثاروا عليك حرباً شعواء وطاردوك ونفوك، ولكنك صمدت وقاومت وأخيراً غلبت ونجحت، لأن الحق الذى فيك أعظم من الباطل الذى فيهم !

لولاك يا سيدى البابا لكان الإيمان الذى عندنا غير الإيمان الذى تسلمته أنت من أسلافك أيها البطريرك الرسولى!

لهذا نحييك تحية للفضيلة فى شخصك، ونطأمن رأسنا أمام عظمة أبوتك، تقديراً لتاريخك، وإقتداء بسيرتك فى الإيمان، يا حامى الإيمان!

من ابنك

غريـــغوريـــــوس

باخوم المحرقى - وهيب عطا الله

فهرس الموضوعات

مقدمة ٧
إهداء ٩
مقدمة فى علم اللاهوت الأدبى ١٠
تعريفه ١٠
الفرق بينه وبين علم الأخلاق ١٠
أهميته ١١
الشريعة الأدبية ١٢
الشريعة الطقسية ١٢
الشريعة السياسية ١٣
موقف المسيحية من شريعة العهد القديم ١٤
أقوال الرسل وتصرفاتهم ١٨
شريعة العهد الجديد مكملة لشريعة العهد القديم ١٩
الضمير ٢٩
متى ظهر الضمير فى الإنسان ٣٠
تعريف الضمير ٣١
الضمير فى اشتقاقه اللغوى ٣٢
الضمير فى تحليل لفظه ومدلوله ٣٣
ألقاب الضمير وأسماؤه ٣٤
وجود الضمير عند جميع الناس وفى مختلف مراحل العمر ٣٩
مصدر الضمير ٤٦
الضمير الأدبى والشعور النفسى ٤٨
تمايز الضمير الأدبى وتغايره ٥٠
١ ـ تغاير الضمير فى الفرد الواحد ٥٠
٢ ـ تغاير الضمير من فرد إلى فرد ٥٣
أسباب اختلاف الضمير ٥٥
٣ ـ تغير الضمير من أمة إلى أمة ٥٩

٤ ـ تغاير الضمير من جيل إلى جيل ٦١
تعليل هذا التطور وتفسيره ٦٣
النتائج التى نستخلصها من تمايز الضمير وتغايره ٧٢
الضمير فى عهد الشريعة ٧٣
الضمير فى نور المسيح ٧٤
عوامل ضعف الضمير ٨٦
١ ـ الإهمال ٨٦
٢ ـ المخالفة والعصيان ٨٧
٣ ـ الاستسلام للشهوات ٨٨
٤ ـ تقريب مسافة الفرق بين الحلال والحرام ٨٩
٥ ـ التأمل فى الأمثلة الشريرة والصفات الرديئة ٩٠
عوامل نمو الضمير ٩٢
١ ـ الطاعة لصوت الضمير ٩٢
٢ ـ ازدياد المعرفة ٩٢
٣ ـ التأمل فى أفعالنا وأقوالنا قبل وبعد حدوثها ٩٣
٤ـ التأمل فى الفضيلة والفضلاء ٩٤
٥ ـ ممارسة الفضائل وأفعال الخير والبر ٩٥
مهمة الضمير ووظيفته : ٩٧
أ ـ قبل الفعل .. مرشد ودليل ٩٧
ب ـ أثناء الفعل ... شاهد ورقيب ٩٨
جـ ـ بعد الفعل.. . قاضى وحكيم ٩٨
سلطان الضمير ٩٩
حقيقة الضمير ١٠١
عناصر الضمير ١١٤
أولاً: العنصر العقلى ١١٤
ثانياً: العنصر الشعورى أو العاطفى ١١٥
أ ـ عواطف تتصل بأفعالنا قبل حدوثها ١١٦
ب ـ عواطف تتصل بأفعالنا بعد حدوثها ١١٨

جـ ـ عواطف تتصل بأفعال الآخرين ١٣٢
ثالثاً: العنصر الإرادى أو الفعال ١٣٥
المسئولية الأدبية ١٤١
مناط المسئولية ١٤٢
أولاً: بالنسبة للفاعل ١٤٢
١ ـ من حيث أنه كائن عاقل ١٤٢
٢ ـ من حيث أنه كائن حر ١٤٣
٣ ـ من حيث هو مريد ١٤٣
ثانياً: بالنسبة للفعل ،أى من حيث قوامه الأدبى، ١٤٧
مفارقات المسئولية ١٤٩
أولاً: الظروف الشخصية ١٤٩
أ ـ الفاعل: (من؟) ١٤٩
١ ـ سن الفاعل ١٤٩
٢ ـ جنس الفاعل ١٥٠
٣ ـ بنية الفاعل واستعداده الجسمانى ١٥٠
٤ ـ الفاعل فى مستواه الذهنى أو الفكرى ١٥٢
٥ ـ الفاعل من حيث استعداده النفسى ١٥٢
٦ ـ الفاعل وديانته ١٥٣
٧ ـ الفاعل من حيث حصانته المادية ١٥٣
٨ ـ الفاعل من حيث مكانته الأدبية ١٥٤
٩ ـ الفاعل من حيث مكانته العلمية ١٥٥
١٠ ـ الفاعل ومكانته الاجتماعية ١٥٧
ب ـ كيفية الفعل: (كيف؟) ١٥٧
جـ ـ أسباب الفعل: (لِم؟) ١٦١
د ـ المفعول به (لِمَنْ؟) ١٦٢
١ ـ طبيعة المفعول به ١٦٢
٢ ـ سن المفعول به ١٦٤
٣ ـ جنس المفعول به ١٦٤

٤ ـ ديانة المفعول به ١٦٥
٥ ـ المفعول به وحصانته المادية ١٦٥
٦ ـ المركز المالى للمفعول به ١٦٦
٧ ـ المفعول به ومركزه الروحى ١٦٦
٨ ـ المفعول به ومركز القرابة ١٦٧
٩ ـ المفعول به ومركزه الأدبى ١٦٩
١٠ ـ المفعول به ومركزه الاجتماعى ١٦٩
١١ ـ المفعول به واستعداده الجسمانى ١٦٩
١٢ ـ المفعول به واستعداده النفسانى ١٦٩
١٣ ـ المفعول به واستعداده العقلى ١٧٠
هـ ـ الفعل: (ماذا؟) ١٧٠
١ ـ من حيث حقيقته ١٧٠
٢ ـ من حيث نتيجته ١٧١
٣ ـ من حيث كيفيته ١٧١
و ـ المكان: (أين؟) ١٧٢
ز ـ الزمان: (متى؟) ١٧٣
الضمير المستقيم أو الصالح ١٧٥
الضمير الضال ١٧٦
الضمير بين ظلمة الشك ونور اليقين ١٨١
الضمير الضيق أو الموسوس ١٩٠
الضمير الواسع ١٩٨
الضمير بين الاحتمال واليقين ١٩٩
الوصايا العشر بين العهدين ٢٠٣
الوصايا العشر ٢١١
العهد الجديد متمم للعهد القديم ٢١٨
خطأ الفصل بين العهد القديم والعهد الجديد ٢٢٥
الربط بين العهد القديم والعهد الجديد فى الكنيسة الأرثوذكسية ٢٢٥
١ ـ فى الصلوات ٢٢٦

٢ ـ فى الطقوس ٢٢٦
٣ ـ التتميم بمعنى مد المعنى إلى أبعاده كلها ٢٢٨
لا تقتل ٢٢٨
لا تزن ٢٣٠
لا تحنث ٢٣٣
الوصية الأولى: «أنا الرب إلهك الذى أخرجك...» ٢٣٦
تأملات فى الوصية الأولى ٢٥٤
عقيدة التوحيد ٢٥٤
التوحيد والتثليث ٢٦٨
الناحية الروحية للوصية الأولى ٢٧٧
الله متكلنا الوحيد ٢٧٩
عدم اللجوء لغير الله بالصلاة والعبادة ٢٨٢
النذور ٢٨٣
موضوعات وإجابات على أسئلة ٢٨٩
١ ـ شريعة الله الأدبية ٢٩٠
٢ ـ سيناء الباطنية ٢٩٢
٣ ـ شريعة سيناء ٢٩٥
٤ ـ أنا هو الرب إلهك ٢٩٨
٥ ـ أنا هو الرب إلهك (٢) ٣٠١
٦ ـ الزنى الروحى ٣٠٤
٧ ـ الله اسمه يهوه ٣٠٦
٨ ـ الله هو بدء الوجود وليس له بداءة ٣١٠
٩ ـ من الذى قام بخلق العالم؟ ٣١٢
١٠ ـ هل لله وجود فى جهنم؟ ٣١٤
١١ ـ هل يندم الله؟ ٣١٥
١٢ ـ لماذا خلق الله الإنسان؟ هل خلقه للعذاب؟ ٣١٨
١٣ ـ فعل السحر ٣٢١
١٤ ـ ما هو أساس موضوع البسْلة؟ ٣٢٦

١٥ ـ قوانين الكنيسة تمنع منعاً باتاً اللجوء إلى السحرة ٣٢٨
١٦ ـ إن السحر يقوى على غير المحصنين بالصلوات والأسرار ٣٣٠
١٧ ـ لا تنزعج من فعل السحر ٣٣٢
١٨ ـ السحر يبطل بالصلوات المقدسة ٣٣٣
١٩ ـ أحذرك من استخدام كتاب «دلال الدلال» ٣٣٤
٢٠ ـ استعمال البخور فى المنازل ٣٣٦
٢١ ـ السبب فى متاعبك من معاكسات الأرواح الشريرة ٣٣٧
٢٢ ـ حرب من العالم السفلى ٣٣٨
٢٣ ـ نحذركم من الذهاب إلى السحرة ٣٣٩
٢٤ ـ حقيقة الشبح الأسود ٣٤٠
٢٥ ـ حقيقة ما يقال عن (المخاوين للشياطين) ٣٤١
٢٦ ـ صور أشخاص تطارده ٣٤٤
٢٧ ـ هذه المتاعب من معاكسات الأرواح الشريرة ٣٤٦
٢٨ ـ معاكسات الشيطان والانتصار عليها ٣٥٠
٢٩ ـ هل قراءة الكف علم؟ ٣٥٢
٣٠ ـ القسمة والنصيب ٣٥٥
٣١ ـ هل الزواج قسمة ونصيب؟ ٣٦٣
٣٢ ـ هل الرزق قسمة ونصيب أم شطارة؟ ٣٦٦
٣٣ ـ قبول الظلم لرجل الدين أفضل ٣٦٩
٣٤ ـ الرأى المسيحى فى طريقة ذبح الحيوانات ٣٧٠
٣٥ ـ حرية النفس البشرية ٣٧٢
الفهارس ٣٨٧
١ ـ فهرس النصوص المقتبسة من الكتاب المقدس ٣٨٧
٢ ـ فهرس الموضوعات ٣٩٥

مقدمة فى اللاهوت الأدبى

علم اللاهوت الأدبى

تعريفه:

اللاهوت الأدبى هو هذا الفرع من علوم اللاهوت الباحث فى الآداب والأخلاق التى ينبغى أن يلتزم بها المؤمن المسيحى فى حياته الخاصة والعامة، فى علاقته بالله، وصلته بالناس فهو يبحث فى الفضيلة والرذيلة، فى الخير والشر، فى الجائز وغير الجائز وفقاً لتعاليم الديانة المسيحية، ويشرح موقف المسيحية إزاء كل مشكلة من المشاكل الأخلاقية التى تقف بإزاء الفرد فى المجتمع.

الفرق بينه وبين علم الأخلاق:

يلتقى اللاهوت الأدبى مع علم الأخلاق، والفلسفة الأخلاقية، فى أن هذه العلوم جميعاً تبحث فى الأخلاق والآداب التى يجب أن يتحلى بها الإنسان، فى شخصه، ونحو غيره من الناس، إلا أن علم الأخلاق يبنى قواعده على مبادئ الشريعة الطبيعية التى يجدها الإنسان فى نفسه ويدعمها بأقوال الأخلاقيين وخبراتهم، من جميع الناس على إختلاف عقائدهم ودياناتهم، فعلم الأخلاق يبحث الأخلاق العامة التى اصطلح عليها فى جميع الديانات والمذاهب، ولا يدخل فى التفصيلات التى يقتضيها النظر فى كل ديانة على حدة.

وليس كذلك علم اللاهوت الأدبى، فإنه علم مسيحى يصدر على مسلمات علم اللاهوت النظرى المسيحى فى وجود الله وطبيعته وصفاته، وسمو الديانة المسيحية على غيرها من الديانات، وإن الكتاب المقدس هو الكتاب الموحى به من الله، كما أنه لا يكتفى بالنظرة الأخلاقية العامة فى الفضائل والرذائل وحل مشكلات الحياة الأدبية، وإنما يمتد إلى بيان الشريعة المسيحية وأحكامها ويدخل فى تفصيلات ليحدد موقف المسيحية بإزاء مشاكل الفرد ومشاكل المجتمع فى دائرة الأخلاق والآداب، وعلى ذلك فإنه يستعين بالنصوص المقدسة من الكتاب المقدس ويؤيدها بأقوال الشراح من علماء الكنيسة المسيحية وآبائها وقديسيها، فهو علم مسيحى له طابعه الذى يميزه عن علم الأخلاق العام وعن علوم الأخلاق فى الديانات غير المسيحية.

ولما كانت ثمت نفحات روحية خاصة تختلف بإختلاف العقيدة الدينية، وكانت هناك فروق بين المذاهب المسيحية فى بعض العقائد الدينية، فإن اللاهوت الأدبى الأرثوذكسى يختلف قليلاً أو كثيراً عن اللاهوت الأدبى الكاثوليكى واللاهوت الأدبى البروتستانتى، فى بعض الإتجاهات العامة أو فى بعض التفصيلات التى يجب على الباحث أن لا يهملها فى حسابه.

أهميته :

لا غنى للمسيحى عن اللاهوت الأدبى الذى يشرح له الشريعة المسيحية ويحدد موقفها من الأفكار أو الأقوال أو الأعمال التى يبديها أو يقوم بها هو أو غيره من الناس فى المجتمع ليعرف صوابها من خطئها، وخيرها من شرها، وهى معرفة ضرورية لمن يريد أن يقتاد حياة روحية سليمة لخير المجتمع وخيره هو فى الحياتين الحاضرة والآتية...

على أن علم اللاهوت الأدبى لازم كذلك وبصفة خاصة للكاهن بوصفه معلماً للفضيلة يستعين به فى مواعظه العامة وتوجيهاته الخاصة لتلاميذه فى سر الاعتراف.

والاعتراف طب روحانى فيه شكوى وفيه علاج، والمريض إذا أحسن الشكوى أعان الطبيب على تشخيص الداء، وبالتالى على وصف العلاج، ولما كان بعض المرضى لا يجيد الشكوى، وقد يخفى أو ينسى أموراً لها أهميتها فى خطة العلاج، فإن المريض قد يضلل الطبيب فى علاج مثل هذه الأمراض الباطنية المستورة، فالطبيب الماهر هو الذى يجيد الإصغاء لشكوى المريض ثم يجيد فن السؤال الذى به يتعقب أصل الداء قبل أن يصف الدواء، وفضلاً عن ذلك يجب أن يكون قادراً على أن يجيب إجابة صحيحة على الأسئلة التى يوجهها إليه مريضه أو تلميذه فى كرسى الاعتراف، وعلى ذلك يجب أن يتوافر فى المرشد صفات خاصة بدونها لا يصلح لمهمته فى علاج النفوس وتطبيبها منها:

أولاً: أن يكون مشهوداً له بالفضيلة والقداسة.

ثانياً: أن يكون عالماً بالشريعة متفقهاً فيها.

ثالثاً: أن يكون رجلاً محنكاً خبيراً بأدواء النفس وعلاجها.

رابعاً: أن يكون فى سن الوقار، لا يقل عمره عن الخمسين.

ومع أن جميع الأسرار المقدسة قائمة على استحقاقات السيد المسيح، ولا يتوقف فعلها على صلاح الكاهن أو طلاحه، لكن سر الاعتراف بالذات يرتبط بشخص الكاهن، لا من حيث سلطان السر فى الحل والغفران، بل من حيث العلاج الذى يتوقف على أهلية الكاهن للقيام بمهمة المرشد فى سر الاعتراف.

لهذا كله كان اللاهوت الأدبى ضرورياً للكاهن المرشد، وكان لزاماً على طلبة العلوم اللاهوتية الذين يتأهلون للرعاية أن يدرسوا هذا العلم ويتفقهوا فيه لعلهم يصبحون أكثر قدرة على مباشرة مسئوليات الرعاية الفردية فى سر الاعتراف عندما يقبلون دعوة الكهنوت الشريفة...

وإذا كان اللاهوت الأدبى يصدر فى بحوثه عن شريعة الله تعالى المسطورة فى الوحى الإلهى، فقد تعين علينا أن ندرس هذه الشريعة المقدسة التى أعلنها الله وأمر بها بطريقة علنية لأول مرة إلى موسى النبى، الذى أبلغها بدوره إلى الأمة الإسرائيلية، وسجلها فى الكتاب المقدس، ولهذا سميت الشريعة «شريعة موسى»، وسميت أسفار موسى الخمسة بأسفار الشريعة أو «التوراة» ...

أما هذه الشريعة الإلهية والناموس السماوى، فقد تضمن أموراً كثيرة وتناول نواحى متعددة يمكن أن نجملها فى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الشريعة الأدبية:

ويشمل الأوامر الخاصة بعبادته تعالى، والآداب التى يلتزم بها الإنسان نحو جلاله تعالى، ثم الآداب التى يجب أن يتجمل بها نحو غيره من الناس، وهذا القسم من الشريعة هو ما يعرف «بالشريعة الأدبية» ... وهى الهيكل العظمى لعلم اللاهوت الأدبى، ونجدها مسطورة على الخصوص فى الإصحاح العشرين من سفر الخروج ومفصلة فى سفر التثنية....

القسم الثانى: الشريعة الطقسية:

وهو الخاص بالطقوس والترتيبات المتعلقة بشئون العبادة: من حيث المكان وكيفية بنائه وتصميمه الداخلى والخارجى، وما يقرب فيه من بخور وذبائح وقرابين ومن هم المقربون، وما هو إختصاص الكهنة ورئيس الكهنة وباقى اللاويين، وما هو أسلوب إختيارهم للكهنوت، وشروط هذا الإختيار ، ثم أنواع الذبائح التى يقدمها الشعب والكهنة، وما هى الظروف والشروط التى تراعى فى تقديم هذه الذبائح ... ثم الأحكام التى يجب مراعاتها فى المأكل والملبس والمسكن، وما هى الحيوانات الطاهرة والحيوانات غير الطاهرة، وما هى شروط التطهير، ثم أنواع القرابين والبكور والعشور والنذور ثم الأصوام المفروضة والأعياد المقدسة.

وقد استغرق هذا القسم من الشريعة ما بقى من سفر الخروج ، أى إبتداء من الإصحاح الرابع والعشرين حتى الأربعين، ثم سفر اللاويين بأكمله، وجزءاً كبيراً من سفر العدد ثم التثنية بعد ذلك، ولما كان هذا القسم خاصاً بالطقوس فإنه يسمى «الشريعة الطقسية» ...

القسم الثالث: الشريعة السياسية:

وهى التى تنظم السياسة الداخلية والسياسة الخارجية، أما السياسة الخارجية فهى العلاقات التى تربط الشعب الإسرائيلى أو شعب الله بغيره من شعوب الأرض، والروح التى يجب أن تسود هذه العلاقات، وأما السياسة الداخلية فتشتمل على علاقات الأفراد ببعضهم البعض فى داخل الأمة الإسرائيلية، وتبحث فى الهيئة الحاكمة وكيفية تأليفها ثم المعاملات المدنية من بيع وشراء وإيداع وإعارة وقرض ورهن وعقد، ثم الأحوال الشخصية وتتضمن عقد الزواج. وشروط إختيار الزوجة، ودرجات القرابة، وعدد الزوجات التى يجوز أن تكون فى عصمة الرجل ، والطلاق وأحكامه وشروطه وموانعه، والمواريث وكيفية توزيعها ... ثم يشتمل هذا القسم من الشريعة أيضاً على العقوبات التى يجب تطبيقها على أفراد الأمة الإسرائيلية عند مخالفتهم لأوامر الله، أو عندما يسيئون معاملة بعضهم بعضاً، وهى إما عقوبات مباشرة كالأمراض والأوبئة والمجاعات والسقوط فى أيدى الأعداء والنفى والسبى، أو عقوبات غير مباشرة وتتناول العقوبات التأديبية كالجلد، والعقوبات الجسمانية كالقتل والرجم، والعقوبات المادية كالتعويضات المالية أو التعويضات الكفارية، أو التعويضات العينية...

هذه الشريعة السياسية نجدها واضحة فى سفر الخروج، إبتداء من الفصل الحادى والعشرين، ويبدأ بهذه العبارة «.... وهذه هى الأحكام التى تضع أمامهم»... وقد استغرقت ثلاثة فصول من سفر الخروج كما توسع فيها موسى النبى فى سفر التثنية..

موقف المسيحية من شريعة العهد القديم

يمكننا بعد ذلك أن نتساءل عن السبب الذى من أجله ندرس هذه الشرائع فى علم اللاهوت المسيحى، أليست هى شرائع خاصة بالأمة الإسرائيلية فلماذا يدرسها المسيحيون؟؟ وإذا كانت شرائع أمر الله بها فى العهد القديم، فما وجه الحاجة إليها فى العهد الجديد؟؟.. هنا يجدر بنا أن نميط اللثام عن حقيقة مسيحية هامة.. يجهلها الكثيرون على الخصوص رجال الشيع البروتستانتية ومن تأثر بهم.. وهى أن المسيحية ليست ديانة جديدة كل الجدة ولا هى ديانة قامت على أنقاض الديانة اليهودية، وإنما المسيحية هى هى بذاتها الديانة اليهودية ولكن فى صورة كاملة، والديانة اليهودية هى هى بعينها الديانة المسيحية ولكن فى صورة مجملة ... ليست إذن الديانتان متعارضتين أو متناقضتين ... فإله العهد القديم هو إله العهد الجديد، ويستحيل أن يأمر الله فى المسيحية بما يناقض اليهودية.. إذ هى شريعة الله وليست شريعة إنسان.. والله لا يتغير ولا يتبدل، السماء والأرض تزولان وكلمة من كلامه لا تزول... هذا الموقف هو الذى أعلنه السيد المسيح بقوله: «لا تظنوا إنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء.. ما جئت لأنقض بل لأكمل» (١) ... وهذا التعليم هو الذى يجب أن نتوسع فى فهمه فنرى ما يؤيده من تصرفات ربنا يسوع المسيح وتصرفات رسله الأطهار من بعده ... وهذا ما حدا بالمسيحيين أن يضموا العهد الجديد إلى العهد القديم فى كتاب واحد يؤمنون به كله... ويعتبرون أنفسهم ملزمين بالشريعتين معاً...

أما عن السيد المسيح... فها هو تعالى يطبق فى حياته الخاصة على الأرض جميع أحكام الشريعة القديمة... فيسمح بأن يختتن فى اليوم الثامن لمولده، وأن تقدم أمه العذراء الطاهرة ما أمرت به الشريعة لتطهيرها، زوجى يمام أو فرخى حمام، فإن قيل هذا ما أجراه غيره له ولم يجره هو بنفسه، نقول، وفضلاً عن ذلك أنه تقدم إلى يوحنا المعمدان وهو فى الثلاثين من عمره بالجسد ليعتمد من يوحنا، فلما اعتذر يوحنا بأن السيد فى غير حاجة إلى العماد، أجاب المخلص وقال: «اسمح الآن... لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر» حينئذ سمح له.... (٢)

ولما صعد السيد على الجبل وكان هناك أربعين يوماً يجرب من إبليس، ما كان يجيب على الشيطان بنصوص من عنده، مع أنه رب النطق والكلام، وكان فى مقدوره أن يجيب بأفصح مما ورد فى العهد القديم على لسان موسى وغيره من الأنبياء، لكنه آثر أن يستعين بالنصوص القديمة ليبين موقفه من الشريعة القديمة فهى لا زالت شريعتنا فى العهد الجديد كما كانت فى العهد القديم نستعين بنصوصها ونرتب أعمالنا وفقاً لأحكامها ....

---

(١) مت ٥: ١٧. (٢) مت ٣: ١٥.

وهكذا جاوب الأبرص بعد أن شفاه «إذهب أر نفسك للكاهن، وقدم القربان الذى أمر به موسى شهادة لهم» (١)

ولسنا ننسى إقتباساته الكثيرة من أسفار موسى والأنبياء وكيف كان يقول لمن يسأله عن صلاح يعمله ليرث به الحياة الأبدية: «إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا، قال له أية الوصايا، فقال يسوع: لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك، وأحب قريبك كنفسك» (٢) وقد كانت هى الوصايا التى احتوتها شريعة العهد القديم...

وماذا نقول أيضاً لتأييد هذه النظرية الهامة؟؟ أنقول أنه كان يحث اليهود قائلاً: فتشوا الكتب (٣) أو أنه كان ينبههم مراراً بقوله: «أفما قرأتم ما قيل من قبل الله» (٤) بل انظر إلى تصرفاته إزاء الأعياد اليهودية وإزاء الفصح اليهودى وكيف تممه بجميع طقوسه ومراسيمه... ما كان منها بحسب شريعة موسى، وما أضافه اليهود إليها بعد موسى، ولقد تمم جميع الطقوس والتسابيح التى كان التقليد يقضى بتلاوتها عقب الفصح: «ثم سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون» (٥).

هذا وإن السيد المسيح لم يأمر فقط بإحترام شريعة العهد القديم فحسب، ولكنه أمّن أيضاً على تعاليم الكتبة والفريسيين وأمر تلاميذه بالخضوع لأحكامها : «قال الإنجيلى: حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً: على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون... فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا» (٦).

ولا يعترض صدق هذه القضية، ما نراه من موقف السيد المسيح فى عظته على الجبل حيال شريعة العهد القديم، مما قد يحمل فى ظاهره على أن السيد المسيح أتى بشريعة جديدة مخالفة فى حقيقتها لشريعة العهد القديم، على أننا لا نستطيع أن ننكر أن نظرة عابرة غيرفاحصة يمكن أن تسلم إلى هذه النتيجة، فنحن نقرأ فى أكثر من موضع قوله الربانى: سمعتم أنه قيل للقدماء... وأما أنا فأقول لكم، ولكننا عندما نتأمل ملياً فيما عناه السيد المسيح بقوله هذا، يمكن أن نستنتج أنه تكلم بما يكمّل تلك الشريعة لا بما ينقضها....

---

(١) مت ٨: ٤.
(٢) مت ١٩: ١٧ ـ ٢٠.
(٣) يو ٥: ٣٩.
(٤) مت ٢٢: ٣١.
(٥) مت ٢٩: ٣٠.
(٦) مت ٢٣: ١ ـ ٣.

خذ مثلاً قوله، له المجد: «سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث، بل أوف للرب أقسامك، وأما أنا فأقول لكم: لا تحلفوا البتة ...بل ليكن كلامكم نعم نعم ... لا لا.. وما زاد على ذلك فهو من الشرير» (١).

فهل ما أمر به السيد المسيح يتناقض مع ما جاءت به الشريعة القديمة؟؟ قد يكون هناك تناقض لو أن الشريعة القديمة قالت لا تحنث... فقال السيد المسيح: احنث ... أو لا تف.. أما أن يقول: لا تحلفوا... فهذا النهى هو عن الحلف لا عن الوفاء... أما عن الوفاء فهو يطالب به بدليل قوله: ليكن كلامكم نعم نعم لا لا، أى أنه لم يتعرض لنقض الشريعة القديمة، بل جاء لينبه لشئ آخر لم يلتفت إليه القدماء، أو لم يكن من المناسب أن يعرفه الشعب قديماً، ولكنه يستطيع أن يعرفه الآن... قال الله قديماً: لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً ، لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً (٢) ...وقال أيضاً فى سفر اللاويين: «ولا تحلفوا باسمى بالكذب، فتدنس اسم إلهك، أنا الرب» (٣).

وقال كذلك فى سفر العدد: «إذا نذر رجل نذراً للرب، أو أقسم قسماً أن يلزم نفسه بلازم، فلا ينقض كلامه» (٤) ... وقال النبى موسى مفسراً هذه الوصية فى سفر التثنية: «إذا نذرت نذراً للرب إلهك فلا تؤخر وفاءه، لأن الرب إلهك يطلبه منك فتكون عليك خطية، ولكن إذا امتنعت أن تنذر لا تكون عليك خطية، ما خرج من شفتيك احفظ واعمل كما نذرت للرب إلهك تبرعاً كما تكلم فمك» (٥).

وإذن فالوصية الثالثة تطالب الإنسان أن يفى بقسمه، وأن لا يحلف باسم الله كذباً وباطلاً، فهى لم تمنع عن القسم بل منعت عن عدم الوفاء بالقسم، أما السيد المسيح فلم يبح خلف الوعود، بل أراد أن يجل الاسم الكريم عن الترديد الباطل، وإقحامه في المعاملات والمكالمات، وهذا يوافق نص شريعة سيدنا «لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً» والكلام منصب على النطق بالباطل، فإذن ليس بين الشريعتين أدنى تناقض أو تعارض ومع ذلك فقد أتى السيد بجديد» ....

كان القسم فى العهد القديم نوعاً من التعبد لله، وكان الله يوجبه فى العهد القديم لضرورة ملحة، فقد كان مستواهم الخلقى ضعيفاً، وكانوا على صلة القرب بأمم تُقْسم بمعبوداتها،

---

(١) مت ٥: ٣٣ ـ ٣٧.
(٢) خر ٢٠: ٧، تث ٥: ١١.
(٣) لا ١٩: ١٢.
(٤) عدد ٣٠: ٢.
(٥) تث ٢٣: ٢١ ـ ٢٣.

فكان لابد أن يطالب النبى موسى شعب إسرائيل، بأن يقسموا بالله علامة تعبدهم لله دون سائر آلهة الأمم، ثم لكى يصدقوا، خوفاً من الغضب الذى ينهال عليهم لو حلفوا بالكذب، ولذلك ورد فى سفر الخروج: إذا أعطى إنسان صاحبه حماراً أو ثوراً أو شاه أو بهيمة ما للحفظ، فمات أو انكسر أو نهب وليس ناظر، فيمين الرب تكون بينهما، هل لم يمد يده إلى ملك صاحبه؟» (١) وقال بشأن المرأة المتهمة بالخيانة الزوجية: «ويستحلف الكاهن المرأة» (٢) ... وقال فى إعتبار القسم بالله عبادة: «فاحترز لئلا تنسى الرب الذى أخرجك من أرض مصر، من بيت العبودية، الرب إلهك تتقى وإياه تعبد، وبإسمه تحلف» (٣).

وقال أيضاً: الرب إلهك تتقى، إياه تعبد، وبه تلتصق، وبه تحلف (٤) وعنه قال صاحب المزمور... أما الملك فيفرح بالله، يفتخر كل من يحلف به (٥) وجاء فى سفر أشعياء بذاتى أقسمت، خرج من فمى الصدق، كلمة لا ترجع، أنه لى تجثو كل ركبة، يحلف كل لسان (٦).

كانت هذه هى الأسباب التى أوجبت القسم فى بنى إسرائيل، ولكن عندما جاء السيد المسيح كان ذهن الشعب قد ارتقى واستمساكهم بعبادة الله أصبح عظيماً، فلا خوف عليهم من عبادة الأوثان، ومن ناحية أخرى، فإن علماء اليهود أباحوا استعمال القسم بالله، لا فيما يتصل بالأمور الخطيرة التى أبانتها الشريعة، بل فى أى أمر آخر حتى لو كان تافهاً صغيراً، وأباحوا أن يحلف الناس بالله حتى فى المقامرات والمفاسد والشرور، فلم يجد السيد المسيح بداً من أن يمنع القسم الذى أفسد اليهود غاياته، ولا سيما وأن الحاجة إلى إباحة القسم فى العهد القديم قد أبطلت فى العهد الجديد، لذلك قال «لا تحلفوا البتة» ....

على أننا يجب أن نلاحظ مع ذلك بأن شريعة السيد المسيح، لم تخرج مطلقاً عن معنى شريعة سينا «لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً» فهى هى بعينها شريعة العهد القديم، ولكن وقد فهمت بمعنى أرقى من المعنى الذى ذهب إلى فهمه علماء وأفراد الأمة اليهودية...

وما نقوله عن هذه الوصية وموقف السيد المسيح منها نقوله أيضاً عن جميع الوصايا الأخرى، ولذلك فقد حدد موقفه فى مطلع كلامه بهذا النص القدسى: لا تظنوا إنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل فإنى الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء

---

(١) خر ٢٢: ١٠، ١١ ـ عب ٦: ١٦.
(٢) عدد ٥: ١٩.
(٣) تث ٦: ١٣.
(٤) تث ١٠: ٢٠.
(٥) مز ٦٣: ١١.
(٦) إش ٤٥: ٢٣ راجع أيضاً (إش ٦٥: ١٦).

والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا، يدعى أصغر فى ملكوت السموات، وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت السموات، فإنى أقول لكم إنكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات» (١) .... ولا شك فى أن هذا كله مصداق لما تنبأ به إشعياء النبى قديماً عن السيد المسيح بقوله: الرب قد سر من أجل بره يعظم الشريعة ويكرمها» (٢).

فكل ما قاله الرب يسوع المسيح لم يكن فيه أدنى مخالفة للشريعة القديمة، ولقد كان يحرص له المجد على تبيان هذه الحقيقة دائماً... فعندما يقول: «كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم.... » يعقب على ذلك بقوله: «لأن هذا هو الناموس والأنبياء» (٣) وقال فى مرة أخرى: تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل أفكارك هذه هى عظمى الوصايا وأولها والثانية التى تشبهها أن تحب قريبك كنفسك بهاتين الوصيتين، تعلق الناموس كله والأنبياء (٤) ... فكأنه جاء مفسراً وموضحاً للناموس ومبيناً ما تقتضيه وصايا العهد القديم...

أقوال الرسل وتصرفاتهم

أما أقوال الرسل الأطهار وتصرفاتهم، فقد جروا فيها على أثر معلمهم وسيدهم.. قال القديس بولس الرسول فى رسالته إلى كنيسة رومية «أفنبطل الناموس بالإيمان... حاشا.... بل نثبت الناموس (٥) ... إذن الناموس مقدس، والوصية مقدسة وعادلة وصالحة (٦) .... ثم يقول أيضاً فى رسالته الأولى إلى تلميذه الأسقف تيموثيئوس «ولكننا نعلم أن الناموس صالح، إن كان أحد يستعمله ناموسياً» (٧) ... وهذا كله يقتضى احترام الناموس القديم واعتبار الشريعة الجديدة مثبتة ومؤيدة به.... ولقد رأى الرسول أن فى المحبة المسيحية تكميلاً للناموس القديم فقال: «لا تكونوا مديونين لأحد بشئ إلا بأن يحب بعضكم بعضاً، لأن من أحب غيره، فقد أكمل الناموس، لأن لا تزن لا تقتل لا تسرق (لا تشهد بالزور) لا تشته وإن كانت وصية أخرى هى مجموعة فى هذه الكلمة ... أن تحب قريبك كنفسك ..... المحبة لا تصنع شراً للقريب، فالمحبة هى تكميل الناموس (٨) وقال أيضاً... إن كل الناموس فى كلمة واحدة يكمل .... تحب قريبك كنفسك» (٩).

(١)مت ٥: ١٧ ـ ٢٠، لو ١٦: ١٧.
(٢) إش ٤٢: ٢١.
(٣)مت ٧: ١٢.
(٤)مت ٢٢: ٣٧ ـ ٤٠.
(٥) رو ٣: ٣١.
(٦) رو ٧: ١٢.
(٧)١. تى ١: ٨.
(٨)رو ١٣: ٨ ـ ١٠.
(٩)غل ٥: ١٤ راجع أيضاً ١. تى ١: ٥، يع ٢: ٨.

وليس أدل على نظرة الرسل إلى الناموس الموسوى بهذه التجلة، من أنهم وهم رسل العهد الجديد كانوا يدخلون الهيكل فى أوقات العبادة (١) ...حيث نقرأ عن القديسين بطرس ويوحنا وبولس أنهم دخلوا الهيكل بقصد العبادة، يؤيد هذا أيضاً ما ورد عنهم فى الإصحاح الثانى: «وكانوا (أى الرسل وجماعة المؤمنين) كل يوم يواظبون فى الهيكل بنفس واحدة » (٢).

فلم يجد الرسول مانعاً من التعبد فى الهيكل ذلك أن الهيكل بيت الله، ولو لم يُطْرَد الرسل من الهيكل، ويمنعوا رسمياً من إذاعة تعليم المسيح لظلوا يعبدون ويجتمعون مع المؤمنين فى الهيكل المقدس، ولإستحال الهيكل نفسه إلى كنيسة مسيحية، وكل ما هناك أن تحدث بعض التعديلات فى الطقوس ونظام البناء، لكن الهيكل ظل موضعاً مقدساً فى نظر الرسل، وهكذا الشأن فيما يتعلق بجميع الوصايا والأوامر القديمة...

ليس إذن فى شريعة العهد الجديد ما يتعارض وشريعة العهد القديم، وأن تصرفات السيد المسيح ورسله الأطهار فضلاً عن أقوال الرب وأقوال رسله من بعده، تبين عن احترام كامل لهذه الشريعة القديمة، فنحن إذن نؤمن بالعهدين، ونعتبر الشريعتين ونقدس الكتابين، ونقول أن المسيحية لم تنقض اليهودية، بل كملت ما لم يستطع اليهود لقصورهم وعجزهم أن يكملوه، ووضحت لهم ما كان مبهماً عليهم، وفسرت لهم ما أشكل عليهم وأبانت عن مفهومات جديدة لم يستطع اليهود أن يتوصلوا إليها، وحددت على وجه الدقة ما اختلط عليه رأيهم...

شريعة العهد الجديد مكملة لشريعة العهد القديم:

فإذا كانت المسيحية مكملة لليهودية ... وكانت شريعة العهد الجديد متممة لشريعة العهد القديم، فيجمل بنا أن نعرف مدى هذا التكميل أو التتميم...

أما بالنسبة لشريعة العهد القديم فقد كانت شريعة مناسبة وملائمة للشعب اليهودى... وهو بعد فى طفولة الإيمان وجهالة المعرفة ... فكان لابد من ربطه بقيود غاية فى الدقة والصرامة، نظراً لمجاورته لشعوب وثنية، ربما يتأثر بمعتقداتها وطقوسها ... كما أنه شعب لم يبلغ بعد من المعرفة الروحية والكمال الدينى، ما يمكن معه أن تكون له شريعة غير الشريعة التى أعطيت له على نوع ما، ولكنه لم يستطع أن يوغل كثيراً فى فهم مراجعها وإدراك سعة محتوياتها وبعيد غاياتها...

---

(١) أع ٣: ١، أع ٢١: ٢٦.

(٢) أع ٢: ٤٦.

الناموس إذن كما يقول الرسول، مقدس وصالح، ومع ذلك فهو بمثابة القائد والمرشد إلى المسيح... فما هو إذن (عمل) الشريعة ؟؟ لقد أضيفت إلى الوعد بسبب المخالفات .. إلى أن تأتى الذرية التى وعد بها (لإبراهيم) وقد أعطى عن طريق ملائكة وتدخل وسيط ... فهل كانت الشريعة ضد وعود الله؟؟؟ كلا البتة... إذ لو كانت الشريعة التى أعطيت قد استطاعت أن تعطى الحياة، لكان حقاً أن البر بالشريعة، ولكن قبل أن يجئ الإيمان كنا (كما لو كان) مغلقاً علينا تحت رقابة الشريعة (فى انتظار) الإيمان الذى سوف يعلن... وإذن فقد كانت الشريعة مرشدة لنا (تقودنا) إلى المسيح حتى نصير بالإيمان أبراراً...

فلما جاء الإيمان (صرنا فى غير حاجة) بعد إلى هذا المرشد، لأنكم جميعاً أبناء الله بإيمانكم بيسوع المسيح... إذ أنكم جميعاً يا من اصطبغتم فى المسيح قد تسربلتم بالمسيح (١).

والشريعة أيضاً، وصى على قاصر، والقاصر أو الطفل ... هو الشعب المختار قبل مجئ الفادى، وطالما كان الوارث طفل (قاصر) فهو لا يختلف فى شئ عن العبد مع أنه رب الجميع، بل يظل تحت أوصياء ووكلاء (وقوامين)، هكذا نحن أيضاً لما كنّا أطفالاً (قاصرين) كنا مستعبدين لأفكار العالم الأولية، فلما تم الزمان أرسل الله ابنه فولد من عذراء وخضع للشريعة كيما يفتدى (يشترى من جديد) الذين (كانوا) تحت الشريعة، ولكى ننال التبنى، ثم لأنكم أبناء لذلك أرسل الله إلى قلوبكم روح ابنه صارخاً أبا (أى) الآب. لهذا فلست بعد عبداً بل (أنت) ابن وإذن (فأنت) وريث الله بالمسيح (بواسطة المسيح)، ولما كنتم قديماً لا تعرفون الله كنتم تعبدون الآلهة التى ليست بطبيعتها آلهة، أما الآن وقد عرفتم الله، أو بالحرى أن الله قد عرفكم، فكيف ترتدّون ثانية إلى هذه الأركان الواهنة الفقيرة، وتريدون أن تخضعوا لها من جديد، (٢).

ومؤدى هذا كله أن الشريعة القديمة وما حوته من طقوس ورسوم، كانت موقوتة بظهور المسيح المنتظر الذى كانت الرموز تشير إليه والطقوس تقوم عليه، بنظرة بعيدة إلى مستقبل الخلاص الذى نلناه بدمه المسفوك وجسده الذبيح عن حياة العالم، فكأن الشريعة القديمة كانت ترنو ببصرها إلى المخلص العظيم، ولم تكن فى حقيقتها غير قائد إلى حين، ومرشد يدل على الإيمان بالمسيح، ولذلك يقول الرسول : «لأن غاية الناموس هى المسيح» (٣) ويقول القديس لوقا الإنجيلى: «كان الناموس والأنبياء إلى يوحنا» (٤) أى إلى زمن يوحنا المعمدان فقط، أما بالمسيح فقد بدأ عهد جديد عهد الإيمان والكمال المسيحى...

---

(١) غل ٣: ١٩ ـ ٢٧.
(٢) غل٤: ١ ـ ٩.
(٣) رو ١٠: ٤.
(٤) لو ١٦: ١٦.

فإذا كانت الشريعة القديمة مؤدية بنا إلى المسيح أو إلى شريعة العهد الجديد، فليس بين الشريعتين تناقض... لأن شريعة المسيح مكملة لشريعة موسى، وشريعة موسى خادمة لشريعة المسيح... وكلتاهما تقومان على مبدأ واحد وتلتقيان فى مركز واحد، أما المبدأ الواحد: فهو حاجة البشر إلى فادى ومخلص، يكون بموته وسفك دمه فداء الناس وخلاصهم ... وأما المركز الواحد فهو يسوع المسيح مخلص العالم، وكل ما بين الشريعتين فرق من هذه الجهة أن شريعة العهد القديم ترنو بنظرها إلى المسيح الآتى، أما شريعة العهد الجديد فتقوم على أساس المسيح الذى أتى... فكان لابد فى شريعة موسى من طقوس تشير إلى مجئ المسيح وخلاصه العتيد، حتى إذا جاء المسيح لم تعد ثمة حاجة إلى تلك الطقوس المشيرة الرامزة...

لا مشاحة إذن، فى تغيير وتبديل يدرك الشريعة القديمة حتى تصبح ملائمة للعهد الجديد، تغيير وتبديل نرى فيه فرقاً بين شريعة ممهدة وشريعة نهائية أو بين شريعة مفتقرة إلى مخلص، وشريعة كاملة به...

أما الشريعةالطقسية فقد أصابها تحوير وتغيير، لأن شريعة قد أمرت بطقوس تشير إلى مخلص آت، لابد أن تتغير طقوسها عندما يأتى هذا المخلص المرموز إليه بتلك الطقوس، وتتبدل بطقوس تشير إلى المخلص وقد أتى، فتذكرنا بفدائه وخلاصه وتعيد إلى قلوبنا وأفكارنا ذكرى عمله العظيم، بفاعلية سرية يفعل فيها روح القدس فيكسبها قوة، تشركنا فى إستحقاقات الفداء وبركات المسيح الذى خلصنا وافتدانا، فإذا أردت بياناً ففى شريعة العهد القديم طقوس فى ذبائح ومحرقات تقدم من حيوانات يهرق دمها، ليكون تكفيراً وتطهيراً ... ولكن كيف سيكون الحيوان والطير شفيعاً فى الإنسان؟؟ !!... وكيف يقتبل الله دم الطير بديلاً عن دم الإنسان كيما يرضى عن الإنسان ؟؟ !! وكيف تقوى دماء التيوس والعجول على تطهير قلب الإنسان؟؟ هذه أسئلة لن نجد لها حلاً، إذا نظرنا إلى دماء الحيوان فى ذاتها، أما إذا افتكرنا فيما ترمز إليه الحيوانات وتشير إليه الدماء المسفوكة، عرفنا أن قوة الذبائح قائمة فى الذبيح الأكبر الذى تشير إليه كل تلك الطقوس... فى المسيح يسوع ربنا... فأى عقل يتصور أن يكون ثمة وجود لذبائح من الطير أو الحيوان بعد أن ظهر الذبيح الأعظم؟؟؟ إذن فقد بطلت هذه الذبائح الحيوانية فتبدلت بذبيحة المسيح وذبيحة المسيح واحدة على الصليب، لا تتكرر، وإنما يتكرر فينا فعلها كلما تقدمنا إلى طقوس أخرى قامت على أساسها وبها ننال استحقاقات تلك الذبيحة الطاهرة، أما هذه الطقوس فهى أسرار الكنيسة السبعة، هى طقوس للعهد الجديد صارت بديلة بطقوس العهد القديم .. إذ هى

تقوم على عمل المسيح ... الذى أتى ... ولكنها مع ذلك طقوس ذات فاعلية حقيقية ينسكب فيها روح القدس... فننال فيها بركات الخلاص واستحقاقات دم المسيح المسفوك مرة على عود الصليب .. . إذ أنه فى ذبيحة الصليب كان التكفير والرضى، وإنما فى أسرار الكنيسة ننال استحقاق هذا التكفير كلما تقدمنا إلى هذه الأسرار، لأن المسيح فى غير حاجة إلى أن يموت عن العالم مرة أخرى، بل هذه الأسرار تشتمل على بركات الفداء إلى أبد الآباد دون حاجة إلى موت المسيح مرة ثانية... ومهما يكن من أمر، فنحن نقرر أن طقوس الذبائح القديمة قد أبدلت بطقوس الأسرار المقدسة القائمة على أساس ذبيحة المسيح الحقيقية، ولم يعد ثمة وجود للكهنوت القديم اللاوى وطقوسه ... وهى قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات مختلفة وفرائض جسدية فقط موضوعة إلى وقت الاصلاح (١) ... فتغير وأبدل بكهنوت المسيح القائم على أساس تقديم جسده ودمه ذبيحاً عن حياةالعالم....

فى العهد الجديد إذن... ذبيحة كما كان فى العهد القديم ذبائح، ولكن نوع الذبيحة قد تبدل... ولو إن جوهر الذبيحة باق ... ولابد فى العهد الجديد من مذبح وطقوس بذبيحة المسيح التى فى كل مرة نتقدم إليها ننال ما نلناه من بركات الصليب... غفراناً لخطايانا وتطهيراً لنفوسنا، فضلاً عن بركات وعد لنا بها فى هذا السر، سر الاستحالة والتناول ... هى ثباتنا فى شخصه كالأغصان فى الكرمة، فننال به الحياة الحقيقية أو الحياة الأبدية ....

وثمة طقوس لم تكن فى العهد القديم رمزاً إلى شئ ... كالصلاة والصوم والبخور ... فليس بد من بقائها فى العهد الجديد، وإن كانت هنا تكتسب قوة أخرى، ونعمة أخرى، وتتخذ فى بقائها صورة أخرى تلائم روح العهد الجديد، فالبخور أصبح عبادة ترتفع إلى السماء محمولاً مع صلوات القديسين فى أيدى الملائكة وكهنة السماء (٢) بعد أن كان تقرباً إلى قدس الأقداس الأرضى، والصلاة غدت فى عهد المسيح فرصة تأمل فى آلامه وقيامته وصارت فى سبعة أوقات بعد أن كانت ثلاثاً ... والصوم أصبح غنياً بمناسبات العهد الجديد بعد أن كان قائماً على ذكريات محدودة ملائمة للعهد القديم، وهى ذكريات ضيقات أرضية جسدانية... وهكذا بالنسبة لسائر الطقوس فى العهد الجديد كالأعياد وما إليها... إنها اكتسبت مناسبات أخرى أقوى وأعظم وأشد صلة بالروح منها بالجسد، مناسبات عهد البر والخلاص الأبدى...

---

(١)عب ٩: ١٠.

(٢) رؤ ٥: ٨، ٨: ٣.

الإتمام والتكميل فى الشريعة لم يكن فى جوهرها .... بل فى صورتها... ففكرة الذبيحة، وفكرة الصوم أو الصلاة أو البخور أو الأعياد، باقية كما هى فى جوهرها وصميمها... وأما التغير فقد أصاب الصورة فقط، لتكون ملائمة للعهد الجديد وبركاته .... فالشريعتان واحد فى الجوهر، وأما التكميل ففى شئ آخر.. هو لباس ومظهر للجوهر.. والجوهر هو غاية الشريعتين الواحدة...

وأما الشريعة الأدبية ... فقد مر بنا أنها أُكملت فى شريعة العهد الجديد.... وإذ ذاك قدمنا بـ «القسم» مثلاً لهذا النوع من التكميل، وأما هنا فسنتناول مثالين آخرين من الشريعة الأدبية، حتى نتبين إلى أى مدى تعتبر شريعة العهد الجديد مكملة لشريعة العهد القديم....

ويقول السيد المسيح، قد سمعتم أنه قيل للأولين: «لا تقتل، ومن قتل يكون مستوجب للقضاء (١) وأما أنا فأقول لكم: إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجباً للقضاء، ومن قاله لأخيه رقاً (٢) يكون مستوجباً للمجمع (٣) ومن قاله لأخيه يا أحمق يكون مستوجباً نار جهنم، فإذا قدمت قربانك على المذبح وتذكرت هناك أن بينك وبين أخيك موجدة (٤) فاترك قربانك هناك قدام المذبح، واذهب أولاً اصطلح مع أخيك، وحينئذ تعال وقدم قربانك، كن متفاهماً (٥) مع خصمك سريعاً مادمت معه فى الطريق، لئلا يسلمك الخصم إلى القاضى ويسلمك القاضى إلى الشرطى فتلقى فى السجن، الحق أقول لك إنك لا تخرج من هناك حتى تؤدى الفلس الأخير....» (٦).

هذا نص فيه مقارنة بين شريعتين، شريعة تنهى عن القتل فقط، وشريعة تنهى لا عن القتل فحسب، بل وحتى عن الغضب والكلمات التى تهيج السخط، وهى إلى جانب هذا تطالب بالعمل على الصلح وسيادة السلام بين الأفراد المتخاصمين، منذرة بأن النزاع والحقد يقودان حتماً إلى النار الأبدية...

ليس بين النصين تناقض ... هذا واضح غاية الوضوح، ويمكن أن نفهم التوافق بينهما على قياس ما أوردناه بخصوص «القسم» عندما عالجنا «موقف المسيحية من شريعة العهد القديم»...

---

(١) حكم. دينونة (النص العبرانى) بيت الدين.
(٢) النص العبرانى والسوريانى... أي باطل أو فارغ أو سفيه (٢ . صم ٦ : ٢٠) . نسخة ابن العسال . وهى كلمة تقال للتحقير.
(٣) أو مجلس الحكم (النص العبرانى واليونانى) السنهدريم.
(٤) خطأ أو غلطاً أو خلافاً أو لوماً (نسخة ابن العسال) إن أخاك واجد عليك. (النص اليونانى) إن أخاك عنده شئ عليك .
(٥) النص اليونانى . حسن الفهم.
(٦) راجع العهد الجديد البشائر الأربعة. ترجمة المدرسة الإكليريكية (مت ٥ : ٢١ ـ ٢٦) .

إذ يكون ثمة وجود للتناقض لو أن السيد المسيح عارض الشريعة القديمة فقال : «وأما أنا فأقول لكم بل اقتلوا، أما أنه نهانا حتى عن الغضب والحقد.. فهذا توافق وإتمام للشرع القديم، ولكننا إذا أردنا هنا أن نتبين مدى هذا الإتمام، فعلينا أن ندرس حدود الوصية فى العهد القديم ثم حدودها فى العهد الجديد.

أما فى العهد القديم فقد كان القتل هو الإعدام أو إراقة الدم أو الذبح، أو بعبارة أدق هو ما يفضى إلى الموت ونزع الحياة من الفرد، كما قتل قايين هابيل (١) ...وكما قتل موسى الرجل المصرى (٢) أو كما قتل داؤد جليات (٣)، لكن السيد المسيح أراد أن يوسع من مفهوم القتل، فجعله شاملاً للبواعث عليه، كالغضب والنزاع والحقد والكيد والشتم والسباب وإثارة الشعور، بإعتبارها مولدة للقتل وعلّة له، وكيف ينهى عن القتل ولا ينهى عن الأسباب الموجبة له والداعية إليه؟؟؟... أو كيف يعنى بالنتائج ويهمل المقدمات التى تفضى عادة إلى هذه النتائج؟؟..

أجل لقد أشار الأنبياء فى القديم إلى نوع من القتل يختلف عن القتل بالسيف أو الأحجار، فقال سليمان الحكيم «لأن إرتداد الحمقى يقتلهم» (٤)... وقال أيضاً: «شهوة الكسلان تقتله» (٥) ثم ... قال عن المرأة الأجنبية «أنها طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء» (٦) وهو لا يقصد فى هذا قتلاً بالسيف أو قتلاً مباشراً... كذلك أشعياء النبى يقول متنبئاً «قتلاك ليس هم قتلى السيف ولا موتى الحرب» (٧) ... ويندب أرميا شعبه ويقول: «يا ليت رأسى ماء وعينى ينبوع دموع، فأبكى نهاراً وليلاً، قتلى بنت شعبى» (٨) ... ولما يصف الأشرار يقول: «لسانهم سهم قتال يتكلم بالغش، بفمه يكلم صاحبه بسلام وفى قلبه يضع له كميناً، أفما أعاقبهم على هذه يقول الرب، أم لا تنتقم نفسى من أمة كهذه» (٩).

أدرك الأنبياء هنا أن القتل ليس هو إزهاق النفس وإنتزاع الحياة بطريقة مباشرة، كما يفعل السفاحون أو الجند فى ساحات القتال، فأبانوا أن الحماقة والكسل والمرأة الأجنبية بل والخديعة والمكر وسائر أنواع الفجور كلها قاتلة أو تقود إلى القتل... لكن يجب أن نلاحظ هنا ملاحظتين:

الأولى: أن هذا الفهم توصل إليه الأنبياء والحكماء فيما بعد أن مرت الأمة الإسرائيلية بإختبارات وتجارب عدة، أما الشريعة فى أسفار التوراة فلم يرد فيها هذا المعنى، أو بالحرى أن الوصية كما فهمها الشعب اليهودى كانت نهياً عن القتل المباشر...

(١) تك ٤: ٨.
(٢) خر ٢: ١٢.
(٣) ١. صم ١٧: ٥٠.
(٤) أم ١: ٣٢.
(٥) أم ٣٢: ٢٥.
(٦) أم ٧: ٢٦.
(٧) إش ٢٢: ٢.
(٨) أر ٩: ١.
(٩) أر ٩: ٨، ٩.

والثانية: أن تلك الأسباب التى تؤول إلى القتل من حماقة وجهل وكسل وخداع، لا تخرج فى الغالب عن أسباب تدعو إلى القتل المادى، أى أن المعنى يتجه على الخصوص إلى هلاك الجسد...

أما السيد المسيح ، فمدّ من آفاق الوصية وكشف عن مضمونها المستور، وتحدث فى أسلوب واضح أن من يتسبب فى إغاظة غيره، بالسب أو الشتم أو الإهانة مهما صغرت، يكون مستحقاً ومستوجباً لعقوبة النار الأبدية.. وإذن فهذه الإغاظة نوع من القتل، ولو أنه قتل نفسانى، فيه ألم للمهان ووجع لقلبه ودوس لشعوره وحزن لروحه وهمّ لنفسه وتعب لفكره وعقله ... وهذا النوع من القتل يؤول حتماً إلى شعور بصغارة النفس وهدم للصحة وإجهاد للفكر واجهاد للنفس ، وربما قادت الإهانة إلى توليد الحقد والضغينة والكراهية فى المهان نحو المهين.. وهذا قتل لروحه وإهانة للفضيلة فى نفسه، وربما كان فى الإهانة تشهير بالمهان وضياع لسمعته وصيته بين الناس، وهذا قتل أدبى...

فكأن القتل فى العهد الجديد ليس هو القتل المادى فحسب ... وإنما هناك ثلاثة أنواع أخرى من القتل: **قتل نفسانى ... قتل روحى ...وقتل أدبى...**

ويدخل فى دائرة القتل النفسى، السّب والتعيير والخداع والمكر والثلب والافتراء، والحسد والحقد والبغضة وما إليها، من فعال وصفات تتلف نفوس المتصفين بها ونفوس الذين تبدو نحوهم، ولقد جمع الرسول هذه الصفات فى عبارة يصف بها الأشرار، «مشحونين حسداً وقتلاً وخصاماً وسكراً وسوءاً، نمامين مفترين مبغضين لله ثالبين مدعين، مبتدعين شروراً، غير طائعين للوالدين، بلا فهم ولا عهد ولا حنو ولا رضى ولا رحمة» (١) وعنى الرسول يوحنا بأن يصف البغضة بأنها قتل فقال «كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس، وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه» (٢) ... إذ البغضة على وجه الخصوص رذيلة مرة، هى أساس الحقد والحسد والنميمة والافتراء والشتم، فضلاً عن أنها هى بذاتها قد لا تؤدى إلى قتل النفس فحسب باعتبارها مصدراً لشرور تقتل نفس الكاره والمكروه - بل إلى القتل المادى أيضاً كما فعل قايين بهابيل...

ويدخل ضمن دائرة القتل الروحى إهمال الروح والإهتمام بالجسد، والإسراف فى الشهوات والمسرات العالمية التى تتلف حياة الإنسان روحياً ... ولذا يقول القديس بولس عن الخطيئة: «الخطيئة وهى متخذة فرصة بالوصية خدعتنى بها وقتلتنى» (٣) وكما نقول عن الخاطئ أنه قتل روحياً لنفسه، كذلك نقول عن كل أمرئ يدعو غيره ويحضه على الخطيئة أو أن يكون

---

(١) رو ١: ٢٩.

(٢) ١. يو ٣: ١٥.

(٣) رو ٧: ١١.

عثرة له، بأنه قتل غيره قتلاً روحياً، والعثرة إما أن تكون بالسلوك العملى أو تكون بالكلام أو بالتشجيع، وبهذا المعنى يقول السيد عن إبليس: «ذاك كان قتالاً للناس من البدء» (١).

ويدخل فى حدود القتل الأدبى: التشهير والذم، والعمل على إشاعة الشر عن شخص، أو العمل على فصله من عمله وقطع رزقه، وما إلى ذلك...

ألست ترى من هذا كله أن القتل فى العهد المسيحى أصبح يمتد إلى غير معناه المادى؟؟ ثم أن النهى فى كلام السيد المسيح، ليس هو عن هلاك الجسد فقط، بل عن قتل النفس وإهلاكها، لأن قول الإنسان لأخيه (رقاً أو أحمق) ليس فيه قتل للجسد وإنما أثره الواضح يمتد إلى النفس، وتدليلاً على عناية السيد بالنفس كان يقول لليهود: «أيحل فعل الخير فى السبت أم فعل الشر، أن تخلص نفس أم أن تقتل» (٢)

هنا نستطيع أن نقول أن شريعة العهد الجديد أكملت شريعة العهد القديم فى القتل، ومع أنها أتت بإيضاحات جديدة، لكن هذه الإيضاحات لم تبدل الوصية ذاتها، فهى باقية على ما هى عليه فى حقيقتها وجوهرها بل وفى نصها أيضاً. وأما التعديل فكان في نطاق مفهوماتها وأنواعها...

وهكذا نفهم الفرق بين الشريعتين فيما يختص بالزنى ... قال السيد له المجد «سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن .. وأما أنا فأقول لكم أن كل من ينظر إلى إمرأة ليشتهيها فقد زنى (٣) بها فى قلبه» (٤).

ولم يأت المخلص هنا بوصية جديدة، فلا زال النهى عن الزنى قائماً، وإنما الفرق بين الشريعتين هو أن الزنى فى العهد القديم قد فسره اليهود وفهموه على أنه إرتكاب الفحشاء، باتصال جنسى غير مشروع بين رجل وإمرأة، وأما الزنى فى شريعة الفضل والكمال فقد يكون زنى بالقلب وليس زنى بالجسد ، فالنظرة الشريرة التى تصحبها الشهوة الشريرة تولد إحساساً شريراً، يقود إلى ارتكاب الشر فى القلب بمعية التصورات والأفكار والتأملات الشريرة...

التغير إذن لا فى جوهر الوصية، بل فى شكلها وحدودها، وبالإجمال ففيما يتصل بالشريعة الأدبية أو الوصايا العشر، لم يحدث فيها المعلم الأكبر تغييراً يتناول الجوهر، أى أنه بعبارة أوضح، لم يبدلها بوصايا أخرى، بل أبقاها كما هى بلفظها وحقيقة معناها ... وإن كان قد كشف عن غوامضها ومبهماتها، وما كان منها مستوراً عن الشعب القديم.

---

(١) يو ٨: ٤٤.

(٢) مر ٣: ٤ حسب ترجمة المدرسة الإكليريكية، تخلص نفس أو قتل، أو إحياء نفس أو قتلها حسب ترجمة بيروت.

(٣) مت ٥: ٢٧، ٢٨.

(٤) النسخة القبطية تقول: أتم زناه.

كذلك الحال فى الشريعة السياسية.. بنوعيها خارجية وداخلية، فقد كانت ضيقة ومحدودة، نظراً لأن الشعب اليهودى كان هو الشعب المختار، الذى يجب أن يحتفظ بكيانه فلا يختلط بشعوب أخرى إلا فى حدود وقيود، فلما جاء المسيح المنتظر، وكان به خلاص اليهود والأمم، أصبحوا فيه جميعاً واحداً بإيمانهم به وباصطباغهم فيه بالمعمودية المقدسة، فامتدت حدود الشعب المختار وأصبحت سياسته الخارجية سياسة أرحب وأوسع، كما أنها قد ربحت من الشريعة الأدبية فى مفهوماتها الجديدة، ما أعان هذه السياسة وجعلها أنسب لشعب أدركه نور المسيح....

أما السياسة الداخلية، فلم يدركها من التغيير أكثر مما أدرك السياسة الخارجية، فمن حيث «الهيئة الحاكمة» أوصى السيد بالخضوع لها، وعدم مقاومتها وبتقديم واجبات الإكرام نحوها، فقال: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» (١) ... وقال القديس بولس: «فتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة لأنه ليس سلطان إلا من الله، والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله، حتى أن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة... فاعطوا الجميع حقوقهم، الجزية لمن له الجزية، الجباية لمن له الجباية، والخوف لمن له الخوف والإكرام لمن له الإكرام» (٢).

وأما فى المعاملات، فقد جعلها تقوم على أساس المحبة، وأوصى بالتسامح فيما كان يوجب النزاع والخصومة، فقال: «سمعتم أنه قيل عين بعين، وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم، لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن، فحوّل له الآخر، ومن أراد أن يقاضيك ليأخذ ثوبك فاترك له رداءك، ومن سخرك ميلاً فاذهب معه إثنين ... من سألك فاعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده» (٣) ... وليس هذا تحدياً للشريعة القديمة بل هو ارتفاع بالنفس إلى ما هو فوق المباح، فهو تقدم فى مراتب الفضيلة، وحل المنازعات بروح المحبة والتسامح، لا بروح التقاضى والقانون، «قد سمعتم أنه قيل تحب صديقك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم، أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم وصلوا عن الذين يطردونكم، لكى تكونوا بنى أبيكم الذى فى السموات، فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين، فإنكم إن أحببتم الذين يحبونكم فما هو أجركم، إذ العشارون أيضاً يفعلون كذلك، وإن سلمتم على أخوتكم فقط فأى فضل تفعلون إذ الوثنيين أيضاً يفعلون كذلك، فكونوا إذن أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات كامل» (٤)...

---

(١) مت ٢٢: ٢١.
(٢) رو ١٣: ١ ـ ٧.
(٣) مت ٥: ٣٨ ـ ٤٢.
(٤) مت ٥: ٤٣ ـ ٤٨ (الترجمة الإكليريكية).

وأما فى الأحوال الشخصية من زواج وطلاق، فقال: «قيل من طلّق إمرأته فليعطها كتاب طلاق، وأما أنا فأقول لكم، إن من يطلق إمرأته بغير علة زنى، فقد جعلها تزنى، ومن يتزوج بمطلقة يزنى» (١).

ثم قال أيضاً: «أما قرأتم أنه من البدء خلقهما ذكراً وأنثى» وقال: «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته ويصير الإثنان جسداً واحداً، فليس هما إثنين بعد بل جسد واحد، والذى جمعه الله لا يفرقه إنسان» (٢).

وأما العقوبات، فقد صارت عقوبات روحية: «وإن أخطأ إليك أخوك فاذهب وحدك وعاتبه بينك وبينه، فإن سمع منك فقد ربحت أخاك، وإن لم يسمع منك فخذ معك أيضاً واحداً أو إثنين، لكى تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة، وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة، وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كوثنى وعشار، الحق أقول لكم إن ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات وما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السموات» (٣).

وفى إيجاز، إن الشريعة السياسية تتوقف أحكامها على الشريعتين الطقسية والأدبية، ولما كانت الشريعة السياسية فى العهد القديم قد ترتبت فى حدود مرسومة قضت بها ظروف الأمة اليهودية، وكانت موافقة لطقوسها وآدابها، فإن التغيير الذى يدرك هذه الشريعة السياسية فى العهد الجديد يكون نابعاً لما أدرك طقوسها وآدابها من تغيير. وهو تغيير فى الشكل لا فى الجوهر...

يجب إذن أن نفطن إلى وحدة الشريعتين، هذه الوحدة الجوهرية، التى يسرى تيارها بين العهدين... ليس فى هذا إتهام أو إنكار لمهمة الشريعة المسيحية، ولكنه بيان لحقيقة هذه المهمة وأنها تتفق فى صميمها مع أصول الشريعة الموسوية...

لو فطن اليهود إلى هذه الفكرة لأحسّوا من نحونا بشعور الأخوة والوفاق، ولأدركوا أننا فيهم وهم فينا.... وإننا معاً واحد، وأمكن أن نتفق على ما اختلفنا فيه....

ولو أدرك البروتستانت هذه الفكرة، لعرفوا أن روحهم بعيدة عن روح الله، لأنهم يحاولون أن يفصلوا بين العهدين بفاصل لا يمكن عبوره، ويزعمون أنهم كلما ابتعدوا عن روح العهد القديم، فقد أصبحوا قريبين إلى الله وإلى روح العهد الجديد، حتى ليخيل إلى كل من يقرأ كتبهم ويستمع إلى أقوالهم أو يحضراجتماعاتهم، أنهم يدينون بدين لا يتصل عن قرب أو عن بعد بدين إسرائيل ...

لقد أدركت الكنيسة الأرثوذكسية هذا الإتصال الروحى بين العهدين، وهو اتصال ينبئ عن وحدة الأصل والروح ، ويتنبأ بيوم الاتحاد الكامل.

(١) مت ٥: ٣١، ٣٢. (٢) مت ١٩: ٤ ـ ٦.
(٣) مت ١٨: ١٥ ـ ١٨.

الضمـــــــير

الضميـر

هبطت الشريعة المكتوبة على جبل سيناء، ولكن بعد عشرات المئات من السنين من خلقة آدم، فهل عاش الناس قبل ذلك الزمان بلا ناموس؟

الحق أن الشريعة المكتوبة لم تكن إلا... إظهاراً لشريعة أخرى مكتوبة فى قلوب البشر، شريعة طبعها الله فى أذهان الناس وبموجبها كانوا يسيرون. وهى الشريعة الطبيعية أو الضمير. إنها شريعة لم يتلقها الإنسان من سلطة أبوية أو مدرسية أو حكومية. وإنما وجدها فى أعماق نفسه، تكشف له عن الحق والواجب، تأمره أن يفعل الخير وتنهاه عن ارتكاب الشر. تحدثه بأن الصدق فضيلة وأن الكذب رذيلة، فإن هو فعل الخير شجعته أثناء فعله ومدحته وحكمت له بالثواب بعد الفعل، أما إذا عمل الشر فإنها تثبطه فيحس بالضيق فى أثناء الفعل ، ثم بالألم ووخز الضمير بعد الفعل....

متى ظهر الضمير فى الإنسان:

وإذا أردنا أن نبحث عن الزمن الذى طبع الله فيه هذه الشريعة فينا، فربما لا نستطيع أن نهتدى إلى معرفته على وجه الدقة، ولكن الأمر الذى لا مريّة فيه أن هذه الشريعة قديمة قدم الإنسان نفسه، فنحن نقرأ أنها شريعة الإنسان الأول (آدم) وشريعة آبائنا من بعده قبل أن يظهر موسى بآلاف السنين....

ولكن فى أى مرحلة من مراحل حياة آدم ظهر الضمير الإنسانى؟؟؟..... لنا فى ذلك **ثلاث احتمالات**...

الأول: أن يكون الضمير قد خلق مع النفس البشرية، وحينئذ يكون الضمير قوة من قوى النفس أو ملكة من ملكاتها، وجد بوجودها ويشاركها فى خلودها.

الثانى: أن يكون الضمير قد خلق فى الإنسان بعد سقوطه فى الخطيئة، وكأنه تعويض عما أصابه من ظلمة أدركت عقله وقلبه، فأصبح الضمير نوراً لنفسه وهدى يقوده للتمييز بين الخير والشر.

الثالث: أن يكون الضمير قوة تولدت فى باطنه بمجرد أكله من شجرة معرفة الخير والشر، وحينئذ يكون الضمير عطية من مراحم الله بالإنسان حتى لا يتركه بدون هاد ودليل، خاصة وسيتم طرده من الجنة وحرمانه من تجليات العلى وظهوراته. وربما يجد هذا الاحتمال سنداً له

فى أن تسمى الشجرة التى أكل منها آدم بشجرة معرفة الخير والشر (١) .. وفى قول الرب بعد المخالفة بالأكل من الشجرة: «هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر... فأخرجه الرب الإله من جنة عدن» (٢).

ومهما يكن من شئ فالضمير قديم فى الإنسان، ويرجع فى تاريخه إلى حياة الإنسان الأول آدم، حيث ظهر فيه وفى حواء عند المعصية «فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان» (٣)... وقد حكم عليهما فشعرا بالخزى والخجل واضطرا إلى الهرب والإختفاء بين الأشجار. «وسمعا صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وإمرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم، وقال له: أين أنت؟؟ فقال: سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت ... فقال: من أعلمك أنك عريان؟؟ هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها» (٤).

تعريف الضمير:

الضمير لفظة تستعمل عادة فى أربعة معان على الأقل، تختلف بعضها إختلافاً واضحاً.

١) بمعنى **العقل** وهو يتأمل الأحكام الأخلاقية يصدرها على سلوك الإنسان، وهذا يقتضى معرفة ما بالمبادئ الأخلاقية العامة، ثم تطبيقاً لهذه المبادئ على الموقف الخاص الذى نكون بصدده.

٢) يمكن أن نعبر عنه فى صيغة أدق «**الشعور الأخلاقى**» **Moral consciousness** أى القدرة العامة على الحكم الأخلاقى، وهى ما يتميز به الإنسان عن الحيوان، وبهذا المعنى يقال أن الإنسان يمتاز عن الحيوان بالضمير...

٣) بمعنى **الإحساس المباشر** **Immediate Feeling** دون حاجة إلى بحث أو جدل أو نظر إلى اعتبارات مختلفة، بأن هذا الفعل أو ذاك صواب أو خطأ.

٤) بمعنى «**صوت الله فينا**» **The voice of God within us** أى أن الله يعلن عن إرادته فى تدبير سلوكنا، إما بإحساس خلقى نحسّه، أو بحكم نحكم به على مسألة من مسائل الأخلاق...

---

(١) تك ٢: ٩.
(٢) تك ٣: ٢٢، ٢٣.
(٣) تك ٣: ٧.
(٤) تك ٣: ١١

وقد عرفه القديس أوغسطينوس أنه رسم الحكمة الإلهية: رسم به البارى منذ الأزل كل ما ينبغى فعله أو تركه للخليقة الناطقة، لكى تتحرك إلى غايتها وترغبها بواسطة الأعمال...

ونستطيع نحن أن نعرفه إجمالاً بأنه صوت الله فى باطن الإنسان، يهتف فيه بالحق ويدعوه إلى الواجب وينهره عن الشر والعصيان. بموجبه يميز الإنسان بين خير يجب أن يتبع، وبين شر يجب أن يجتنب، به يعرف الله ويعبده، ويكرم الوالدين، ويقدس الواجب ويهوى الفضيلة، وبه أيضاً يمقت الكذب والغدر والخيانة ويكره الرذيلة. فهو إذن عنصر الشعور الأدبى فينا، أو هو عين النفس ترى بها الخير والشر، كما يستعين الجسم بالعين الظاهرة فى التمييز بين المحسوسات الخارجية أى أنه البصيرة فى مقابل الباصرة...

الضمير فى اشتقاقه اللغوى:

* الضمير **فى اللغة العربية** هو «**السر والخاطر**» وقد اشتق من أضمر يضمر بمعنى أخفى أو ستر، فالضمير ما يكون خافياً فى النفس مستوراً عن عيون الناس (١).

* أما **فى اللغة اللاتينية** فالكلمة التى تقابل الضمير هى Conscientia وهى كلمة مؤلفة من con وأصلها cum بمعنى مع، ثم Scientia **بمعنى علم أو معرفة**، فالكلمة كلها معناها المعرفة المشتركة بين شخص وشخص آخر.

* وأما **فى اللغة الإنجليزية** conscience **فهو الملكة أو القوة أو المبدأ الباطنى** الذى يعيّن فى الشخص طابع أعماله وأغراضه وميوله، أو هو الملكة الأخلاقية أو الحاسة الأخلاقية.

* ويعرفوه فى موضع آخر بأنه «**الإحساس الخلقى بالصواب والخطأ .. بالخير والبراءة أو بالشر والإثم**»، أو بأنه «**المعرفة الباطنية، أو المعرفة الذاتية أو الحكم الأخلاقى أو الإحساس بالواجب...**»

* **وفى اللغة الفرنسية** تطلق لفظة conscience على معنيين متقاربين أحدهما فلسفى ميتافيزيقى والآخر أخلاقى، وإذا كان المعنى الإشتقاقى للكلمة الفرنسية هو «المعرفة التى نكونها

(١) راجع الفوائد الدرية فى اللغتين العربية والفرنسية (بيروت عام ١٨٩٦، ثم مختار الصحاح، ثم دائرة معارف القرن العشرين تأليف محمد فريد وجدى مجلد (٥).

عن الأشياء، (١) فإن معناها الفلسفى أو الميتافيزيقى هو **الشعور الباطنى**، الذى يكون لنا عن الأشياء من دون أن نتقبل فكرة عنه من مؤثر خارجى (عن نفوسنا) . فنحن نشعر شعوراً باطناً بوجودنا وبأفكارنا وبحريتنا، دون أن يوحى إلينا أحد ما بفكرة ما....

* **أما المعنى الأخلاقى** وهو ما يمكن أن نترجمه بلفظة **الضمير** على وجه الدقة فهو الشعور الباطنى بما هو خير وبما هو شر... هو (شعور باطنى) بالأشياء التى نحكم بخيرها من دون تفكير، كما لو بالغريزة أو العاطفة، هذه العاطفة هى التى تكّون الضمير. فالضمير إذن يعتبر بحق حساً باطناً.

* **وفى اليونانية والقبطية** (٢) συνείδησις وهو القوة البديهية التى ترى الخير وتميزه، أو هو شعور قائم ثابت يشهد على سلوك الإنسان...

الضمير فى تحليل لفظه ومدلوله:

هذا الاشتقاق اللغوى، مفاده أن الضمير أمر باطن خفى مستور، قوامه تمييز بديهى بين الخير والشر، وحقيقته إستعداد طبيعى ندرك به غاية طبيعتنا الناطقة ونتجه إليها بميل من إرادتنا. هو ملكة فى النفس الناطقة تشرف بها النفس على إقرار النظام الأدبى فى حياتنا العملية (٣) أو هو صفة جوهرية فى طبيعة النفس الإنسانية، أو وظيفة من وظائفها تحكم به على موافقة الفعل البشرى أو عدم موافقته، لمبدأ أو أكثر من المبادئ الأولية العملية فى الطبيعة الإنسانية وهى مبادئ بديهية ، بيئية بذاتها، تسلم بها النفس يقيناً من غير إفتقار إلى برهان أو دليل ، ولو تسليماً غامضاً خالياً من معرفة الأسباب والأسانيد.

ولو أردنا أن نحلل هذا الحكم، أو نتبين المراحل التى مرت بها النفس سراعاً فانتهت إليه، لقيناها ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

تجد النفس ذاتها إستعداداً طبيعياً نحو إرادة الخير وتجنب الشر، فكما أن هناك قضايا بديهية (مثلاً: الكلّى أكبر من الجزئّي) يصدق بها العقل بذاته ودون حاجة إلى برهان ، كذلك نجد فى نفوسنا قضايا أولية بديهية للحياة العملية، بينة بذاتها وواضحة أمام النفس بحيث هى فى غنى عن التدليل والتسبب....

---

(1) La consaissance au' on prend des objets.

(٢) بالقبطية من أصل يونانى ⲥⲩⲛⲉⲓⲇⲏⲥⲓⲥ أو ⲥⲉⲛⲉⲧⲉⲥⲓⲥ – ⲥⲉⲛⲉⲇⲉⲥⲓⲥ ضمير، ذمة، سريرة، نية....

(٣) ويعرفه بعض المفكرين جرياً على منهج Kant بأنه حكم للعقل العملى بخيرية فعل أو شريته.

هذا الإستعداد الطبيعى الذى ندرك به إدراكاً يقينياً مباشراً أن الخير يجب أن يتبع، وأن الشر يجب أن يجتنب، هو ما يمكن تسميته بملكة المبادئ العملية ويطلقون عليها لفظة Synderesis وهى كلمة يونانية تفيد الحفظ والرسوخ ويقابلها فى الفرنسية Syndérese ولكنها فى هذه اللغة تتخذ معنى تبكيت الضمير Remords de conscience ولذا قد نتوسع فنطلق على هذه الملكة أو هذا الاستعداد اسم «الضمير» ..

المرحلة الثانية :

مرحلة إدراك ومعرفة لحقيقة الفعل - هل هو خير أو شر - معرفة لا يطلب فيها أن تكون يقينية حتى لو كانت غامضة مبهمة ...

ولما كانت هذه المعرفة تتوقف على ثقافتنا وبيئاتنا وعاداتنا وتقاليدنا، فإنها تختلف فى فرد عنها فى آخر. هذه المرحلة هى مرحلة المعرفة الأدبية أو الأخلاقية. وقد ندعوها الضمير، وبهذا المعنى نقول بإختلاف ضمائر الأفراد، أو إختلاف الضمير من فرد إلى آخر على نحو ما أثبتناه من قبل ...

أما المرحلة الأخيرة:

فهى مرحلة استنتاج وتطبيق، فيها نستنبط أن هذا الفعل الذى ندرك بمعرفتنا الأدبية أنه خير أو شر، يجب أن يفعل أو يجتنب بما لنا من ملكة إستعداد طبيعية، تدعونا إلى اتباع الخير وإجتناب الشر، وهذا هو الحكم الأخلاقى، أو هو الضمير، بالمعنى المحدود لكلمة الضمير باعتباره فعلاً من أفعال النفس أو وظيفة من وظائفها نطابق به أو بها بين مبادئ شريعتنا الأدبية الطبيعية وبين أفعالنا البشرية، على أنها مطابقة باطنية مستترة خفية مضمرة فيها إلزام ولها قوة وسلطان على بلوغ ما تصبو إليه النفس الناطقة بميل طبيعى لإدراك غاية طبيعتنا الناطقة.

ألقاب الضمير وأسماؤه

هذا الصوت الباطنى الملحف فى ندائه قد تطلق عليه أسماء متباينة وألقاب متغايرة لكنها لا تختلف فى المعنى التى تنطوى عليه والغرض الذى ترمى إليه ...

(١) **شريعة أدبية:** فقد دعاه بعض الفلاسفة بذلك، لأنه يدعو إلى إلتزام الواجبات والآداب التى يجب أن يتأدب بها الإنسان إزاء الله، فيستجلب بها رضاه ويحقق سلامة نفسه وخير المجتمع. قال الفيلسوف الألمانى كانت: «شيئان يملآن نفسى روعة وإعجابا، لا يفتآن يتجددان: هما السماء ذات النجوم فوق رؤوسنا ، والشريعة الأدبية فى داخلنا».

(٢) **سيناء داخلية:** ولا شك أن المشابهة واضحة بين جبل سيناء، الذى أعلنت من فوقه شريعة السماء، وبين هذه السلطة الباطنية التى تعلن صاحبها إرادة الله وصوت السماء. وكل الفرق بينهما أن الأولى ظاهرية والثانية داخلية...

(٣) **الضمير:** أما علماء الأخلاق فيسمونه الضمير، ذلك لأنه صوت مضمر خفى باطنى مستور لا يشعر به غير صاحبه. ولعل هذه التسمية الأخيرة هى أشهر جميع الأسماء والألقاب، التى عرف بها هذا الصوت الباطنى على مجرى التاريخ الإنسانى، ولذلك اتبعها علماء الأخلاق الذين يدرسون الأخلاق الإنسانية على إختلاف صورها... وبيئاتها... واتبعها أيضاً الكتاب المقدس فى كثير جداً من النصوص التى وردت فى الأسفار المقدسة ... قال الرسول بصدد وجوب الخضوع للسلطان: «لذلك يلزم أن يخضع له ليس بسبب الغضب فقط بل أيضاً بسبب الضمير» (١).

(٤) **الشريعة الطبيعية:** وكما عبر الوحى عن هذا الهاتف الباطنى بلفظة الضمير، كذلك ذكره فى بعض المواضع باسم الشريعة الطبيعية أو بالشريعة المكتوبة على قلوب الناس، فقال الرسول بولس فى رسالته إلى رومية فى معرض حديثه عن الأمم، أنهم : «يظهرون العمل بالشريعة مكتوباً على قلوبهم» (٢) فمن حيث أن الضمير مشرّع للإنسان يبصره بطريق الخير وينكبه سبيل الشر، فهو شريعة، ولما كان مطبوعاً فى النفس منذ القديم، فهو أيضاً طبيعى وليس مكتسباً، ولهذا ولذلك يسمى شريعة طبيعية.

وقد جاء فى القاموس المحيط: أن الشريعة فعيلة من شرع وهو فى اللغة: البيان والظهور، ويقال شرع له كذا أى جعله طريقاً ومذهباً، وفى الإصطلاح: **الشريعة بمعنى المفعول:** ما سنّه الله لعباده من السنن والأحكام، **وبمعنى الفاعل:** الائتمار بإلتزام العبودية وبما سنّه الله...

---

(١) رو ١٣: ٥ راجع أيضاً يشوع بن سيراخ (١٤: ١، ٢)، (٢٠: ٢٣) ثم أعمال (٢٣: ١)، (٢٤: ١٦).
كورنثوس الأولى (٨: ٧)، (١٠: ١٢)، (١٠: ٢٥، ٢٧ـ ٢٩).
وكورنثوس الثانية (١: ١٢)، (٤: ٢)، (٥: ١١).
تيموثيوس الأولى (١: ٥، ١٩)، (٣: ٩)، (٤: ٢).
العبرانيين (٩: ٩)، (٩: ١٣، ١٤)، (١٠: ١٢)، (١٠: ٢٢)، (١٣: ١٨).
بطرس الأولى (٢: ١٩)، (٣: ١٦)، (٣: ٢١).

(٢)راجع النسخة العربية للكتاب المقدس المطبوع فى لندن بمعرفة وليم واطس ـ عن طبعة رومية.

وقد عرف بعضهم الشريعة بأنها القاعدة المثالية التى ينبغى أن تنطبق عليها الأشياء، طبيعية كانت أو صناعية أو أدبية، وعلى ذلك تتباين الشرائع فيقال: شرائع طبيعية، وشرائع صناعية، وشرائع أدبية..

والضمير بهذا المعنى شريعة، لأنه قاعدة للأفعال البشرية مقياسها الذى تميز به درجة خيرها أو شرها. وهذه الشريعة طبيعية لأنها نور طبيعى فطره الله فينا لندرك به الخير والشر، فهو نظام أدبى طبيعى وضعه من جعل للأفلاك ناموساً لا تتعداه ونظاماً لا تتخطاه، ولما كان الخير والشر يتوقفان على طبيعة الأفعال نفسها وليس لسبب خارج عنها، فالشريعة المدبرة لهذه الأفعال والمميزة بين الخير والشر تدعى بحق شريعة طبيعية....

* * *

قلنا أن الخير والشر يتوقفان على طبيعة الأفعال نفسها، إذ الخير خير فى ذاته لا لأن الله أمر به، ولا لأن الناس استحسنوا أو اتفقوا على أنه خير، والشر شر فى ذاته لا لأن الله نهى عنه أو لأن المجتمع نفر منه واستقبحه. ذلك أن كل ما له طبيعة يجب أن تكون له أفعال ملائمة لتلك الطبيعة، فإذا كان للإنسان طبيعة، وهذا أمر لا شك فيه، فلابد أن تكون له أفعال تلائم هذه الطبيعة، وإذا كانت طبيعة الإنسان طبيعة ناطقة فالخير ما وافق الطبيعة، والشر ما كان على خلاف ما يقتضيه العقل والمنطق.

(أ) أما الناس فلا دخل لإرادتهم لأنهم كيف يمكنهم أن يتفقوا على الخير والشر على الرغم من إختلاف بيئاتهم وجنسياتهم ولغاتهم وديانتهم وتنوع ثقافاتهم وعصورهم؟؟ وكيف يمكن أن نعقل هذا الاتفاق فى هذا الأمر - مع أنهم يختلفون فى أمور كثيرة - لو لم يكن هذا الذى اتفقوا عليه، واضحاً بيّناً جلياً فى ذاته بحيث يراه المرء ولا يستطيع أن ينكره. فالخير خير إذن فى ذاته ولا دخل لإرادة الناس فى ذلك....

(ب) وليست الشريعة السماوية أو الكتب المقدسة هى التى جعلت الخير خيراً والشر شراً. والحق أن الشريعة الإلهية أمرت بالخير لأنه خير فى ذاته ، ونهت عن الشر لأنه شر فى ذاته. ذلك أن العقل فى الإنسان سابق على تقييده بشريعة الوحى. ولو أن الخير ما أمر به الله والشر ما أنهى عنه، لأمكن أن يقال أن السرقة والخيانة والفسق كان يمكن أن تصبح أموراً خيرة لو جعلها الله كذلك. وحينئذ يكون الله تعالى قد أقام الشريعة على أساس إستبدادى مطلق وليس على أساس طبيعة الأشياء نفسها، وهذا أمر باطل بديهياً لأن الله تعالى خلق الكائنات وجعل لكل

طبيعة صفات وخواص تلائمها ملائمة ذاتية، وبهذا تكون الأمور الملائمة لمقتضيات هذه الطبيعة خيراً لها، أما ما ينافرها فيكون شراً لها. ولذلك تشبع الطبيعة وتقنع بخيرها الطبيعى ولا تستريح بالكلية إلا إذا إلتقت به أو غنمته....

قال النبى موسى فى سفر التثنية: « فالآن يا إسرائيل ماذا يطلب منك الرب إلهك إلا أن تتقى الرب إلهك لتسلك فى كل طرقه ، وتحبه وتعبد الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك.. وتحفظ وصايا الرب وفرائضه التى أنا أوصيك بها اليوم لخيرك» (١)

هذا ولو كانت الشريعة الإلهية هى مصدر التفريق بين الخير والشر، لكان الناس يجهلون الفرق بينهما ما لم يتلقوا من الله أمراً صريحاً بذلك. والحال أن الناس قد استطاعوا - دون شريعة مكتوبة - أن يعرفوا الخير والشر، وأن يميزوا بينهما، وقد اعتبروا الخير وانهوا عن الشر...

ولو أن الشرع هو الذى أوجب بعض الأمور ونهى عن بعضها الآخر، فماذا يكون نصيب تلك الفعال التى ليست خيراً فى ذاتها ولا شراً فى ذاتها، كالتأليف والتصوير والتنزه والكلام وما إلى ذلك؟؟ ... وماذا يكون الشأن فى أفعال أخرى حسنة فى ذاتها، لكنها ليست واجبة كالزهد والنسك والتبتل، أو أخرى قبيحة فى ذاتها لكن الشريعة لم تنه عنها كالتزين والتنعم وما إليهما؟؟ أفهل تحكم عليها بالخير، أو الشر من وجهة نظر الشريعة، وهى لم تقيدها بأمر أو نهى أو تحكم عليها بنوع آخر من التمييز البديهى الذى نجده فى جميع الناس وهو الضمير أو الشريعة الطبيعية؟؟؟...

وإذن فالخير خير بطبعه... لما فيه من ملائمة ذاتية لطبيعة الخليقة الناطقة، والشر شر بطبيعته لما فى الشر من منافرة ذاتية لهذه الطبيعة (الناطقة)، وليس مرجع هذا التمييز لحكم الناس أو لمطلق شريعة الله. على أننا - هنا - نتكلم عن الطبيعة الإنسانية بما كانت عليه من طهر وسلامة لا بما طرأ عليها من فساد وإنحراف...

وقد يسمى الهاتف الباطنى شريعة طبيعية، لأنه يوجه الإنسان لإدراك ومعرفة غايته الطبيعية، أى غاية طبيعته الناطقة العاقلة، والوسائل التى تتحقق بها هذه الغاية، وإلى توجيه إرادته إليها وتجنب ما يعوقها عنها....

---

(١) تث ١٠: ١٢، ١٣.

ذلك أن الله تعالى خلق الكائنات لغاية حكيمة، ولابد أن يوفر لها الوسائط التى تبلغ بها إلى هذه الغاية حيث أنه حكيم، قدوس، قادر على كل شئ فيوجد فيها ميلاً يندفع بها نحو غايتها، وعلى ذلك فالإنسان أيضاً لابد أن يوجد فيه هذا الميل لإدراك غايته الطبيعية، وإلا كان أقل مرتبة من سائر الكائنات، وهذا الميل المتجه نحو الغاية الطبيعية هو الذى نسميه بالشريعة الطبيعية...

ولما كانت غايتنا الطبيعية هى معرفة الله أو هى الله بوصفه خيرنا الأعظم... فالخير إذن ... ما يقربنا إلى الله.... والشر .... ما يفصلنا عنه أو ينفرنا منه..، ولذا تنتعش النفس لأداء الواجب وتمتعض لإرتكاب الشر، إذ هى تحس بقربها من الله أو بعدها عنه كلما فعلت فعلاً يؤدى بها إلى غايتها أو يصرفها ويعوقها عنها، **ويقول توما الأكوينى**: «و أما الشريعة الطبيعية فليست شيئاً آخر سوى نور فى العقل مفاض من لدن الله، به يعرف الإنسان ما ينبغى عليه فعله وما ينبغى تجنبه ... وقد أعطى الله الإنسان هذا النور وهذه الشريعة عند خلقه إياه».

وعلى هذا يمكن أن يقال: أن الطبيعة الإنسانية شريعة لنفسها، أو على حد تعبير القديس بولس الرسول: الإنسان شريعة نفسه، أى أن التمييز بين الخير والشر مطبوع فى النفس الإنسانية وكأنه شريعة يتقيد بالعمل وفقاً لمقتضياتها. يقول الرسول أن: «الأمم الذين ليس عندهم الناموس إذا عملوا بالطبيعة بما هو فى الناموس، فهؤلاء وإن لم يكن عندهم الناموس فهم ناموس لأنفسهم» (١)

النظام الأدبى فى حياة الإنسان:

وبالإجمال ... فالشريعة الطبيعية هى الشريعة التى تفرض على الإنسان أن يوجه أفعاله توجيهاً صحيحاً تتحقق به غايته، أو هى الشريعة التى تشرف على تحقيق النظام الأدبى فى حياة الإنسان - والنظام الأدبى بمقتضى ترتيب الأفعال الإنسانية فى علاقة الإنسان مع الله من جهة، ومع نفسه من جهة أخرى، ومع الأغيار من جهة ثالثة، ومع سائر الخلائق الجمادية والنباتية والحيوانية من جهة رابعة، بما يتوافر معه الإنسجام والتوافق فى النفس الإنسانية نتيجة تحقيق الغاية الطبيعية للإنسان، وهى غاية طبيعته الناطقة العاقلة...

(١) **علاقة الإنسان مع الله**... هى علاقة المعلول بعلّته الأولى، فالله هو الخالق للإنسان ومكوّنه، ومن هنا فله عليه بالطبيعة واجب التعبد والشكران، والحب والاعتراف بوجوده

(١) رو ٢: ٤.

وآلائه ونعمائه وكمال صفاته، وأنه الخير الأسمى والغاية القصوى التى يجب أن يتجه إليها الإنسان....

(٢) **علاقة الإنسان مع نفسه**... تتضح فيما تشتمل عليه النفس الإنسانية من قوى وملكات، ولن يتم التوافق والسعادة فى نفس الإنسان إلا بتنظيم هذه الملكات والقوى، بحيث تخضع القوى الشهوية والغضبية للقوى العاقلة، وتدبر القوى العليا مختلف القوى المتوسطة والسفلى (على حد تعبير الفلاسفة وبالأخص أفلاطون الفيلسوف اليونانى الوثنى)...

(٣) **وعلاقة الإنسان مع غيره من الناس**... علاقة إحترام لحرياتهم، وعلاقة تعاون تتحقق به الغاية الطبيعية من المجتمع الإنسانى من جهة، والغاية الطبيعية التى يصبو إليها الفرد الإنسانى من جهة أخرى، وهى هذه الغاية التى يحددها القانون الطبيعى.

«كل ما لا تريد أن يفعله غيرك بك... فلا تفعله أنت بغيرك» (١).

(٤) **علاقة الإنسان بغيره من المخلوقات غير الناطقة**... من جمادات ونباتات وحيوانات، علاقة تدبير وتصرف بالقدر الذى يستعين به الإنسان للوصول إلى غايته الطبيعية، فهى علاقة مشابهة بينه وبين الله فى صلته بما دونه من خلائق وموجودات...

وعلى كل حال فسواء سمى هذا الصوت الباطنى بالضمير أو الشريعة الأدبية أو بسيناء الداخلية، أو بالشريعة الطبيعية، فهو نداء وشعور وإنذار وحكم يسكن نفس الإنسان يراقب أفكاره وأقواله وأعماله، فإما أن تكون ملائمة بحق مباشرتها... أو واجبة يحتم فعلها، أو مخالفة يلزم تجنبها....

وجود الضمير عند جميع الناس، وفى مختلف مراحل العمر:

يستطيع الإنسان أن يميز تمييزاً واضحاً بين الخير والشر. وهو يرى أن الخير يفترق عن الشر إفتراقاً وجودياً، وليس ذهنياً إعتبارياً فحسب... وكما أنه يدرك بعض الحقائق النظرية بدون حاجته إلى البرهنة عليها لما تتصف به من وضوح وبداهة، كذلك يجد فى نفسه قضايا عملية بديهية واضحة يصدق بها دون نقاش أو جدال، فيدرك أن عبادة الله وإكرام الوالدين والأمانة والصدق فضائل، وأن القتل والفجور والفسق والسرقة والخيانة رذائل، وأن الخير يجب أن يتبع

---

(١) أورده كذلك طوبيا (راجع طو ٤: ١٦) وأورده السيد المسيح بصيغة أرحب وأغنى «وكما تريدون أن يفعل الناس بكم، فكذلك افعلوا أنتم أيضاً بهم» (لو ٦: ٣١)، (مت ٧: ١٢).

والشر يجب أن يجتنب، كل هذه القضايا تتبين أمام النفس واضحة جلية بحيث لا تستطيع أن تنكرها ، ولا يمكن أن تشك فيها شكاً جدياً، وإنما تجد ذاتها ملزمة بها بإعتبارها ضرورة مطلقة **ولذلك يقول أرسطو: «إن من يشكون فى وجوب عبادة الآلهة وإكرام الوالدين يفتقرون إلى العقوبات لا إلى البراهين»**، ومعناه أن الشك فى هذه الأمور البديهية لا سبيل إليه، أما الذين يبدو أنهم يشكون فيها فالواقع أنهم لا يشكون وإنما هم يغالطون، وفى هذه الحالة يجب أن ينزل بهم عقاب صارم يردهم عن غيّهم....

ليس إذن ثمة إنسان - يليق به هذا اللفظ الرفيع - إلاّ ويشعر فى أعماق نفسه بهذا الإستعداد الطبيعى أو التمييز البديهى بين الخير والشر، أو ما يسمونه - كما أسلفنا - ملكة المبادئ العملية ، وكما أن رؤية الأشياء تقتضى وجود حاسة أو عضو البصر، وكذا القدرة على التمييز بين الأصوات دليل على وجود حاسة السمع فى الإنسان، هكذا التمييز البديهى بين الخير والشر أثر يدل على مؤثر، ومعلول يدل على علة وجوده، وهى الضمير أو الشريعة الطبيعية.

إنه تمييز بديهى ومع ذلك فهو تمييز مطلق عام، يوجد عند جميع الناس على إختلاف بيئاتهم وجنسياتهم ولغاتهم وديانـاتهم، ومهما تباينت عصورهم وثقافاتهم وطبيعة بلادهم ومراحل أعمارهم وديانـاتهم، فجميع الناس قاطبة يميزون بين الخير والشر، وهم يرضون عن نفوسهم إذا صنعت خيراً ويوبخونها إن فعلت شراً ويقابلون الخيِّرين بالحب والإعجاب، والأشرار بالنفور والمقت...

ودليل على إجماع البشر على الخير والشر، أنك تجدهما (أى لفظتى الخير والشر) فى كل لغة من لغات العالم، بل وإذا تأملنا القوانين والشرائع الوضعية التى تسير عليها هذه الشعوب والأمم، لوجدنا أنها قد امتدحت الفضيلة وذمت الرذيلة ودعت إلى الخير والواجب، ونهت عن الجريمة والشر، ولألفيت أن هناك أموراً متفقة وأصولاً عامة مشتركة تشهد بما طبع فى نفوس الناس طرا، من تمييز بديهى بين الخير والشر.

نعم... قد يكون هناك إختلاف بين أمة وأمة فى تشريعاتها الخلقية وقوانينها الأدبية، لكن هذا الإختلاف لا يتعدى التطبيقات والتفصيلات والنتائج البعيدة، التى تستخلص من الأصول العامة والمبادئ الكلية، وهى أصول واحدة ومبادئ متفقة، وقد يطيش العقل فى التطبيق وإن كان الأصل ثابتاً مقرراً... ففى كل زمان ومكان يميز الناس بين الخير والشر ويفرقون بين الحلال والحرام، وهم يشعرون أن هذا التفريق وذلك التمييز هو من الوضوح والجلاء والشمول والثبات،

بحيث أنهم يستندون إليه فى الخطب والمقالات وكل دعوة إلى فكرة صالحة أو عمل نبيل، ومن هنا فإنك تجد كلمة «الضمير» معروفة فى جميع لغات العالم الإنسانى، مألوفة لدى مسمع كل بشر فى المعمورة، بل ونجد أموراً بعينها محرمة كالقتل والسرقة والزنى والكذب، وأخرى محتومة كالتعبد للإله والبر بالوالدين والصدق والعفة وما إلى ذلك من أوامر ونواهى نصت عليها الشريعة المكتوبة، التى لم تكن فى حقيقة أمرها غير تعبير مسطور عن المبادئ العامة والقوانين الأدبية غير المكتوبة، التى نجدها فى بواطن نفوسنا دون أن تتغير بتغير البيئات أو تختلف بإختلاف العصور.

ولقد ترجم سقراط ذلك الفيلسوف اليونانى الوثنى الذى لم يعرف شريعة موسى، عن هذا الشعور الداخلى والهاتف الباطنى، الذى كان يدعوه إلى الخير وينهاه عن الشر بسلطان رهيب كان يخافه سقراط. **فقال: أنه شعور عام يوجد عند جميع الخلق، وقد سماه «القوانين غير المكتوبة»** تمييزاً لها عن القوانين المكتوبة وهى قوانين الدولة، وقال عنها، أنها تفرض نفسها على الناس بالقوة، وتوجد فى كل مكان، ولا تتغير بتغير البيئات، ولما سئل عمن وضع هذه القوانين غير المكتوبة ... قال : أعتقد أن الآلهة هم الذين وضعوها من أجل البشر. وأن الذين ينكرون القوانين التى وضعتها الآلهة يتعرضون لعقاب لا يملكون إتقاء شره، ولكن الكثيرين ممن يخالفون ما تقضى به القوانين التى يضعها البشر، يستطيعون الهرب من عقابها بالإختفاء أو بمقاومتها.

ويقول الفيلسوف الإنجليزى دافيد هيوم D. Hume : **«يتوقف الحكم الأخير على أعمالنا سواء كانت محمودة أم مرذولة، على إحساس أو شعور (عام) داخلى... يتمتع به مختلف الأجناس والأنواع...».**

وبهذا المعنى تحدث أيضاً **الفيلسوف الفرنسى جان جاك روسو فقال: «ألق بنظرك على مختلف الشعوب والأمم، وقلب صفحات تاريخها وأساطير ماضيها، إرتباطها جميعاً بمبدأ عام واحد على الرغم من إختلاف عاداتها وتباين أخلاقها»**، فالشعوب بأسرها تدرك الخير والشر، ألم تقذف الوثنية بآلهة فظاظ الأكباد قساة القلوب، لم يرضها إلا سفك الدماء والتمتع بالدنئ من الشهوات؟؟؟ ألم تهبط الرذيلة من سماء الوثنية متوجة بسلطة دينية إلهية؟ ولكن مع كل ذلك (فقد) وجدت الوثنية فى قلب الإنسان غريزة أدبية تمجها وتتحداها .. فنالت زهادة (عفّة) الفيلسوف زينو حظوى لدى قوم تمرغوا فى عبادة (جوبيتر) الخليعة وقامت لكرشيا Lucretia تعبد فى عفّة الآلهة (الزهراء) الفاسقة، وبالإجمال كان صوت «الضمير»

المقدس أقوى من أصوات آلهة الوثنية فحبس الناس طغمات الشر والإثم وراء حدود الأرض، فلا يتعدى الفساد سماء الوثنية المجرمة...

يؤيد ذلك ما يقوله الوحى المقدس عن الأمم التى ليست لها شريعة إلهية مسطورة... إنهم «يظهرون عمل الناموس مكتوباً فى قلوبهم وضميرهم شاهد وأفكارهم تشكو وتحتج فيما بينها» (١) أى أن جميع الأمم الإنسانية تتمتع بهذه المحكمة الداخلية حتى لو لم تكن لها شريعة مكتوبة سماوية أو بشرية...

الضمير موجود فى جميع الناس:

إن الضمير موجود فى جميع الناس مهما إختلف الزمان والمكان، وكذلك يوجد فى الإنسان فى جميع مراحل حياته على الأرض، فالضمير فى الطفل وفى الشاب وفى الكهل وفى الشيخ وفى الهرم، ولعله مما لا يحتاج إلى بيان أن الشباب والرجال والكهول والشيوخ ذو ضمائر تختلف قوة وضعفاً، ولكن آثار الضمير فى حياتهم مما لا يختلف فيه إثنان، أما الأطفال فيبدون أمامنا أنهم خلو من الضمير، فهم يحتاجون إلى بعض من عنايتنا فى هذا البحث ...

والأطفال حقاً أنهم صغار، وحقاً أنه لم يكتمل نضوجهم الذهنى مما يترتب عليه عدم ظهور الضمير بمعناه الكامل، لكن هناك فرق بين عدم ظهور الضمير وبين عدم وجوده، إذ الطفل لم تتفتح قوى نفسه بعد، أو على الأقل ليس يجد فى عالمه الصغير ما يثير كوامن قواه النفسية بقدر ما يتسنى ذلك للشاب أو الكهل والشيخ.. فتظل غرائزه وميوله كامنة حتى يتهيأ لها جسمه وعقله وشعوره، وحتى تستثيرها عوامل المجتمع ثم منبهاته ومثيراته الخارجية....

هذا الطفل مزود منذ مولده بغرائز أدبية تنمو تحت تأثير البيئة والثقافة واكتمال عقله وحساسيته وجسمه، وتأخذ فى النمو والتقدم ويظهر أثرها واضحاً فى سلوكه وتصرفاته... وهى قابلة أثناء هذا كله وبعد هذا كله للصقل والتربية والتهذيب، ولن تقف قابليتها لهذا التقدم المطرد مادام له فى الحياة وجود...

وليس أدل على وجود الضمير أو هذه الغريزة الأدبية - على حد تعبير بعض الفلاسفة وعلماء التربية - من أن الأطفال ينقادون لنداءاتها حتى لو لم يتلقوا كلمة واحدة من واحد أو مرب، على شرط أن يكونوا بعيدين أيضاً عن المؤثرات الضارة، وبعبارة أوضح، لو أخذنا طفلاً رضيعاً من

---

(١) رو ٢: ١٥.

بين ذراعي أمه، ونقلناه إلى بيئة بعيدة عن كل بشر يلقنه أو يرشده، فإنه ينشأ وفي نفسه شعور الحنين نحو إله يعبده، ولو إتصل بالبشر بعد ذلك لكان سلوكه معهم ينطوي في صميمه وجوهره على مبادئ الخير والواجب، وإن كان يفتقر إلى كثير من التهذيب ليطابق بين المبادئ والأصول الخلقية العامة وبين الحالات الجزئية التي يلتقي بها في المجتمع....

ويدل على وجود الضمير في الأطفال أيضاً أنهم لا يناقشوننا صحة المبادئ والنصائح الأخلاقية التي نأمرهم بها، مع أنهم يسألوننا عن أمور أخرى كثيرة بدافع من غريزة حب الإستطلاع، وهذا لا يفسره إلا موافقة هذه المبادئ الأخلاقية لإستعداد طبيعي مطبوع في نفوسهم أو هو الشريعة الطبيعية، فلو أنك قلت لطفل ما «أن الصدق فضيلة والكذب رذيلة» قبل منك ذلك ولم يرفضه أو يناقشه، بينما لو قلت له «أن الصدق شر والكذب خير، أو اكذب ولا تصدق» لوقف منك ذاهلاً مبهوتاً معتقداً أنك تمزح أو تسخر به. فالطفل يشعر شعوراً طبيعياً وفطرياً وتلقائياً بأن هناك أموراً بعينها خير يجب فعلها، وأموراً أخرى شر يجب إجتنابها، أي أن في الأطفال ضمائر تأمر وتنهى...

ويدل على وجود الضمير في الأطفال أيضاً ذلك الخجل الذي يحسه الأطفال عندما يرتكبون أموراً شائنة أو معيبة أو غير لائقة، أو عندما يخالفون قاعدة من قواعد الدين أو نصيحة من نصائح الوالدين أو المربين، فإنهم يتألمون.. ويتوجعون ... ويلحظون تقريع ضمائرهم لهم... حتى لو كانت المخالفة تجري في معزل عن عيون الناظرين...

قيل أن طفلاً اشتهى أن يأكل كعكة في الصوم المقدس... وكان قد عرف وتعلم عن والديه تقديس الصوم، فسأل أمه أن تأذن له بأكلها فتعطف قلب الأم ورقّ لطفلها وقالت: «لا بأس إذا أكلت هذه الكعكة على أن تجدد بعد ذلك صومك».. فرد الطفل يده ثانية وكأنه لم يقنع بسماح أمه له ثم قال: «أنه سيمضي إلى الكنيسة ويصلي ليسمح له الرب بكسر صومه من أجل هذه الكعكة»... ومضى وفعل ثم رجع وأكل الكعكة ولكنه ندم جداً، ثم فتشت عنه أمه فرأته في ركن من أركان البيت يبكي... فقالت: «ما بالك تبكي يا صغيري؟؟...» قال: «لأني كسرت الصوم»... فقالت: «أو لم تسأل الرب ؟؟...» فظل الطفل يبكي لأنه لم يجد لضميره مقنعاً....

كما يدل على وجود الضمير في الطفل أيضاً ذلك الإرتباك الذي يستولي عليه حينما يرتكب خطأ، كأن يكذب في سرد قصة أو واقعة يعتقد هو أنه كاذب فيها، فهذا الإرتباك بيّنة في ذاته على أن الطفل يرتكب أمراً ضد طبعه أو يمثل دوراً لا ينسجم مع نداء نفسه ... (على شرط أن يكون الطفل في حالة إطمئنان فلا يخشى عقاب من يكلمه) ... فكأن في الطفل هاتفاً وصوتاً

يناديه أن يلتزم الصدق، ولكن الطفل يريد أن يكذب لتحقيق مصلحته. ولما كان الصوت يناديه وهو يتكلم فلذلك يرتبك ويضطرب لأنه يعجز أن يوفق بين نداء الضمير ونداء المصلحة الوقتية...

كفاية الضمير:

الضمير فى الإنسان نور وهدى يرشد إلى الحق والعدل والخير، ولكن طالما كان حراً من كل قيد، سليماً من كل مرض، إذ الضمير يفسد بالخطيئة وسوء النيّة والقصد، وحينئذ يكون بمثابة المعيار أو الميزان الذى إختل فلم يعد صالحاً للوزن الصحيح والقياس الدقيق، أليس حقاً أنه بتفاقم الشر فى الناس تمرض ضمائرهم وتفسد؟؟؟ لقد شهد الوحى بذلك فقال: «كل شئ طاهر للطاهرين، وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شئ طاهراً، وإنما على العكس قد تنجس ذهنهم كما تنجس ضميرهم (١) ، ... كما شهد أيضاً عن الأشرار أنهم: «يجدفون على ما يعلمون ، وأما ما يعرفونه من طبعهم كالحيوانات العجم... ففى ذلك يفسدون أنفسهم» (٢).

يقول الرسول:

«يقول الروح (القدس) صريحاً أن قوماً يرتدون عن الإيمان فى الأزمنة الأخيرة ويصغون إلى أرواح الضلال وإلى تعاليم الشياطين، مرائين ينطقون بالكذب وضمائرهم ملتوية ويمتنعون عن الزواج وعن أكل أطعمة خلقها الله» (٣).

فالضمير وهو المشرع الطبيعى فينا قد يفسد ويختل ويتنجس، فلا يصلح فى الأشرار أن يكون مرشدهم الأوحد الذى يعصمهم سبيل الخطأ والضلال...

ومع ذلك فهو هاد، أمين للأفاضل والأبرار، وقد يكون كافياً بذاته ليرشدهم إلى الحق والخير، وها هو تاريخ البشر حافل بكثير من الأفاضل ظهروا على مسرح البشرية، وكانوا فيها دعاة فضل وبر استطاعوا أن يكافحوا ضلالات عصرهم الفكرية والخلقية، دون أن يكون لهم من مشير أو مرشد غير هذا الهاتف الداخلى الذى استهدوه فهداهم واسترشدوه فأرشدهم...

من هؤلاء... هابيل وشيث وأخنوخ ونوح وأيوب وإبراهيم واسحق ويعقوب ويوسف ... الذين أرضوا الرب وعبدوه بقلب سليم، ملتزمين الطاعة عائشين فى الطهر والعفاف، منكرين للشهوات المحرمة، بيد أنهم لم يفعلوا الخير أو يكبحوا جماح نفوسهم بناء على شريعة مكتوبة ووحى

---

(١) تى ١: ١٥. (٢) يه : ١٠.

(٣) ١. تى ٤: ١، ٢، ٣ راجع أيضاً فى الضمير أو الذهن الفاسد (رو ١: ٢٨)، (١. تى ٦: ٥)، (٢. تى ٣: ٨)، (تى ١: ١٦).

مسطور، بل كان وحى الضمير يقودهم وشريعة الطبع تهديهم. فلما أصغوا لندائها ولم يعصوا أمرها قويت شوكتها وغدوا بها كاملين وقديسين....

وهكذا الحال بالنسبة لبعض عظماء الوثنية وفلاسفتها الأفاضل... من أمثال: سقراط الذى يمكن أن نعتبره بمثابة نبى للوثنية... فلقد كان الرجل يصدر فى أفكاره وأعماله عن هاتف غير هاتف البيئة أو الثقافة المعاصرة والروح السائدة، وكان يشهد هو نفسه بأن صوتاً عميقاً وهاتفاً باطنياً كان يناديه من أعماق نفسه بما يجب عليه أن يفعله، ولذا كان فى صفاته عالياً نبيلاً كريم الخلق هادئ النفس وحليماً، وكان يعتقد بإله واحد فى بيئة كانت تؤمن بتعدد الآلهة، ونادى بخلود النفس والجزاء الأخروى، ووجوب عمل الخير للناس جميعاً أصدقاء وأعداء، بل واعتبر الأعداء أخوة لنا فى الإنسانية قد ساء تصرفهم وطاش حكمهم... إلى غيرها من المبادئ الخلقية التى ما كان لمثل سقراط أن يصل إليها فى وسط ينكرها ولا يمكن أن يعقلها إلا إذا كان لسقراط معلم آخر غير البيئة ... لكن سقراط لم يستق شيئاً من ذلك عن كتاب أو معلم سابق وإنما استقاه جميعاً .... كما يقول هو نفسه من وحى نفسه ومن نداء ضميره وشريعته غير المكتوبة....

ليس حقاً، إذن أن ننكر على الضمير كفايته للإرشاد والتعليم، وأنه يمكنه بذاته ودون مرشد آخر، أن يعرف الإنسان كيف يسلك وكيف يعيش بالبر والخير أمام الله والناس، لو وجد من الإنسان أذناً صاغية وقلباً واعياً وسلوكاً موافقاً لنداءاته وتوجيهاته...

وعلى ذلك فالأمم الذين لا شريعة لهم، يجدون من ضمائرهم شريعة طبيعية، ولما كانت شريعتهم هذه تكفى لهدايتهم إلى الحياة الطاهرة الموافقة لإرادة الله، فهم لذلك بلا عذر إذا أخطأوا وتدنسوا بالشر، وإذن فسيدانون ولكن بموجب قانونهم الطبيعى لا بناموس الشريعة المكتوبة .. «فكل الذين خطئوا بدون الناموس فبدون الناموس يهلكون ... وكل الذين خطئوا فى الناموس فبالناموس يدانون» (١).

---

(١) رو٢: ١٢.

مصدر الضمير

إذا كان لكل معلول علّة، فلابد للإنسان أن يتساءل عن مصدر هذا الصوت الداخلى، ولا مشاحة فى أنه يمكن أن يفترض لذلك عدّة فروض: فما هو مصدر الضمير:

١ ـ هل هو الإنسان نفسه:

أجل ... ربما يكون مصدر الضمير، الإنسان نفسه... ولكن كيف يكون الإنسان آمراً ومأموراً معاً... وكيف يكون الإنسان مشرعاً لنفسه؟؟؟ وإذا كان الأمر كذلك فلماذا نشهد فى النفس حرباً ونضالاً، بين النفس التى تريد أمراً ما... وبين هذا الهاتف الذى ينهاها عنه، فلو كان منها.... فكيف لا تملك حق إسكاته... وما بالها تخشى حسابه وعقابه؟؟؟..

ليس الضمير إذن يرجع إلى الإنسان، وإنما هو حكم ورقيب على الإنسان يمدحه إن فعل خيراً ويعاقبه إن صنع شراً.. فما هو مصدره؟؟؟

٢ ـ هل هو الوالدين أو المربين:

ولكن ماذا نقول فى هذا الإفتراض وقد تبيّنا من قبل بأدلة قاطعة أن الأطفال ذووا ضمائر لم يتلقوها عن طريق التربية وتعليم الوالدين أو المربين، بل هى مفطورة فيهم كنفوسهم ومطبوعة على قلوبهم منذ وجودهم، وإن التربية لاحقة لا سابقة على الضمير الأدبى...

٣ ـ هل هو المجتمع:

أما أن يكون المجتمع مصدر الضمير، فهذا إفتراض باطل... لأن الإنسان قد يسلك وفقاً لضميره حتى لو كان بمعزل عن عيون الناس...وقد يرى الناس رأياً ولكننا قد اكتشفنا أو عرفنا ما يخالفه، فلن ترضى لنا ضمائرنا أن ننساق وراء الرأى العام بل قد نقف ضده ... ونحارب عن رأينا وتلهبنا ضمائرنا حمية على الدفاع عن المبدأ السليم، مهماً احتملنا فى سبيله من ضروب الآلام والإضطهاد، فلو كان الضمير من الناس لإنسقنا لكل ما يقوله الناس، ولما كان هناك معنى للفضائل التى نمارسها دون أن يرانا الناس...

٤ ـ هل هو القوانين الوضعية:

فإذا قيل أن مصدره القوانين الوضعية، قلنا أنها قوانين محدودة بالنسبة للقانون الأدبى ... إذ القانون الوضعى لا يحاكمنا إلاّ عن الأخطاء الواضحة التى تجتمع الأدلة الخارجية على نسبتها إلينا، أما القانون الأدبى وهو الضمير فيراقبنا على حركات قلوبنا ... وخطرات أفكارنا .. وهو لا

ينتظر إقامة الدليل الخارجي، وإنما يكفيه الملاحظة الباطنية... فكيف للقانون الوضعى المحدود أن يكون مصدراً للقانون الأدبى، أليس حقاً أن يقال أن القوانين الوضعية هى التى تعد تعبيراً وترجمة عن القوانين الباطنية غير المكتوبة؟؟؟

على أن هناك فروقاً دقيقة أخرى بين القانون الوضعى... والقانون الأدبى... منها:

(١) أن القانون الوضعى قابل للتغيير والتبديل من حيث أنه موضوع لفئة خاصة وبيئة خاصة، ومن حيث أن واضعه يجوز أن يخطئ لأنه ذو عقل بشرى محدود، أما القانون الأدبى فهو قانون ثابت غير متغير، شأنه فى ذلك شأن القانون الطبيعى فى إطراده وعدم تخلفه، وذلك لأنه لم يصنعه إنسان، ولا يناسب فئة خاصة أو بيئة خاصة، بل هو قائم فى طبيعة الإنسان الناطقة، ويصلح بل يطابق ويوافق جميع الناس فى كل الأزمنة وفى كل الأماكن، وعلى إختلاف الجنسيات والديانات واللغات والثقافات.

(٢) إن القانون الوضعى تشرف على تطبيقه وتنفيذه سلطة خارجية هى سلطة الحكومات، بينما القانون الأدبى لا يدعو إلى إحترامه غير الضمير الأدبى، وهو سلطة باطنية لا تحمل السيف أو النار أو العقوبات المادية...

(٣) إن القانون الوضعى ينظر إلى النتائج الظاهرة للمخالفات، ولا يتطلع إلى الباعث الباطنى إلا إذا كان له نتيجة خارجية، بينما القانون الأدبى يعنى أول ما يعنى بالبواعث الباطنية ـ الدافعة منها والغائبة ـ بل ربما تؤدى بواعث شريرة إلى نتائج صالحة، ومع ذلك يدين البواعث الشريرة غاضاً الطرف عن النتائج التى لا تكاد تعنيه إلا فى مرتبة تالية...

(٤) والقانون الوضعى يعاقب ولكنه لا يكافئ، أما القانون الأدبى فيتسع للعقاب ثم الثواب فيقدح على الشر، ويمدح على الخير....

(٥) والقانون الوضعى يقى المجتمع من المجرمين ... أما القانون الأدبى فيُكون أناساً كاملين لا يعنون فقط بالحدود الدنيا للأخلاق، بل يسعون بالأحرى لإدراك الكمال...

لا مفر إذن من أن يكون مصدر الضمير أعلى من الإنسان والمجتمع والقوانين الوضعية، لابد أن يكون الله مصدره، إذ أن كل شريعة تستلزم التكليف، ثم التكليف يقتضى توقيع العقوبة عند المخالفة، وبالتالى يقتضى من يتولى تطبيق هذه العقوبة، وهذا المتولى لن يكون الإنسان نفسه،

لأنه عندئذ لا يخشى نفسه، ولن يكون الناس لأن سلطانه باطنى ولا قدرة للناس على ذلك، فلابد أن يكون الله، والله وحده ...

ومن جهة أخرى نقول... إن الضمير شريعة، وكل شريعة لابد لها من مشرع، ولما كانت هذه الشريعة مطلقة عامة، فيجب أن يكون المشرع متصفاً بالعموم والإطلاق (إذ ليس شئ فى المعلول إلاّ ويلزم ضرورة أن يكون فى العلة) وليس كائن يتصف بالعموم والإطلاق غير الله... **فالله مصدر الضمير وموجده بمثابة رقيب وحارس ومرشد ودليل... ويقول الوحى: «نفس الإنسان سراج الرب، يفتش كل مخادع البطن» (١).**

ولقد اعترف بهذه الحقيقة فلاسفة الرواق فقالوا فى أخلاقياتهم: «اسع وراء الفضيلة، اصغ إلى صوت الضمير، لأن الضمير نوع من أنواع الألوهية الداخلية - شعاع من الألوهية فى داخل المرء - وربما كان وراءه كائن عظيم، وحتى إن لم يكن، فعليك أن تصغى إلى نداء هذا الصوت..».

ولذلك اتخذ اللاهوتيون وعلماء الدين من هذا الضمير - الذى يثير حرباً شديدة على النفس أو يمنحها إطراءاً وثناءاً - دليلاً على وجود الله. قال العلامة بورودون: «أن ضمائرنا قد شهدت لنا بوجود الله قبل أن تكشفه لنا عقولنا، فالله هو الكائن الذى لا يُدرك ولا يُوصف ومع هذا فهو ضرورى».

الضمير الأدبى والشعور النفسى

إذا كان الشعور النفسى هو المعرفة التأليفية أو التركيبية لأحوالنا النفسية وظواهرها، ومايعرض لنا فى أعماق نفوسنا من ضروب الإحساسات والإنفعالات والشهوات. ونسجها فى نظام واحد وإضافتها إلى ذات مشخصة هى منها بمثابة المركز الذى تصدر عنه، فإن الضمير الأدبى هو الذى يحكم على هذه الأحوال ويقيّمها مبيّناً ما فيها من خير وشر، وبناء على مثل أعلى يترسمّه وغاية سامية يقصد إليها... ويفرض على النفس أن تصل إليها بسلطان لا تملك مناقشته أو مخالفته...

الاختلاف بين الضمير الأدبى والشعور النفسى:

١ - فالشعور النفسى هو جماع الأحوال المختلفة التى تتناوب النفس الإنسانية، **بينما الضمير الأدبى يختلف عنه فى تركيبه وتعقيده، لأنه يتألف من عناصر مختلفة هى**

(١) أم ٢٠: ٢٧.

الغريزة والعاطفة والعقل والإرادة، وهى التى ينظمها ذلك التقسيم الذى أشرنا إليه آنفاً.. وهو العنصر العقلى والعنصر العاطفى.. والعنصر الإرادى أو الفعّال...

٢ ـ وبينما **الشعور النفسى ليس إلا مجرد شاهد عيان**، يشهد ما يختلف على نفوسنا من أفعال، **نجد الضمير بمثابة المشرع** الذى يشرع للنفس ما يجب عليها أن تفعله مميزاً بين الأفعال ودوافع الأفعال، كما أنه بمثابة القاضى الذى يحكم على الأفعال من ناحية خيريتها وشريتها ويحكم على الفاعل بأنه مستحق الثواب إن كان مصيباً، أو مستحق العقاب إن كان معيباً...

وإذن فالشعور النفسى يوقفنا على ما هو كائن فى نفوسنا، بينما الضمير الأدبى يوقفنا على ما ينبغى أن نكون عليه أو نصير إليه، محركا إيانا لبلوغ مثل أعلى وغاية نبيلة يحتم علينا بلوغها ...فكأن الشعور النفسى لا يقوم بغير عمل المشاهدة، أما الضمير فيزيد عنه بالحكم ودفع الإرادة...

٣ ـ وثمة فرق... ثالث... بين الشعور النفسى والضمير الأدبى.. هو أن **الشعور النفسى أضيق نطاقاً من الضمير الأدبى**، الأول، لا يكاد يمتد عمله إلى غير نفس صاحبه، بينما تمتد أحكام الضمير إلى اشباهنا ونظائرنا، فيحكم الضمير على الناس كما يحكم على نفس صاحبه، وقد اتضح لنا فيما مضى أن عواطف التقدير وعواطف التحقير هى التى تتولد فى الضمير من نحو أفعال الآخرين ومايجرى على ألسنتهم من أقوال ومايعبرون عنه من أفكار ..

٤ ـ ويتبقى بعد ذلك كله فرق... رابع وأخير هو أن **الشعور النفسى خط مشترك بين الإنسان والحيوان**، وإن كان لا يوجد فى الحيوان إلا فى صورة تلقائية بسيطة، بينما يوجد فى الإنسان بصورة أوضح وأرقى..

٥ ـ هذا، وبينما **يظهر الشعور النفسى فى أول عهدنا بالحياة** وهو يعمل باستمرار، **نلاحظ فى الضمير أنه يتأخر فى ظهوره** كما أنه لا يعمل دائماً...

حقيقة ... إن الضمير موجود فى الأطفال لكنه لا يظهر فى الرضعان منذ أول عهدهم بالحياة، أى أن الشعور النفسى يكون أسبق إلى الظهور فى حياة الطفل من الضمير الأدبى، وبينما الشعور النفسى لا يتوقف عمله وإلا توقفت الحياة، إلا أن الضمير الأدبى يمكن أن يضعف ويمكن أن يتعطل أو يختل عنصر من عناصره أو أكثر. كما رأينا فى حالة المجانين أو صغار الأطفال الذين يتعطل فيهم العنصر العقلى، أو حالة السكيرين والمدمنين الخمر أو المخدرات،

الذين فقدوا الحساسية أو العنصر العاطفى، أو فى حالة المترددين المصابين بفقدان الإرادة، أو بتعطيل العنصر الإرادى، كيف اختفى الضمير وتعطل عن عمله بفقدان أحد هذه العناصر الثلاثة ...

على أن الضمير الأدبى وإن كان يقوم بعمل عقلى بالإضافة إلى عمله العاطفى وعمله الإرادى، لكنه مع ذلك يختلف عن عمله العقلى البحت، حقاً إن العنصر العقلى فى الضمير يقوم بفعل التمييز بين الخير والشر، وهو عمل يمكن أن يقوم به العقل فى الإنسان، لكن العنصر العقلى فى الضمير يميز بين الأفعال تمييزاً غريزياً تلقائياً، وكأنه نور فطرى يبصرنا ويهدينا، أو هو نوع من الكشف الباطنى أو المعاينة المباشرة لقوانين لم نضعها نحن ولم نكتشفها نحن، بحيث أن التفكير أحياناً يسبغ عليها نوعاً من الظلمة والغموض فلا تكاد تبين...

تمايز الضمير الأدبى وتغايره

وإن كان الضمير هو شعاعة الألوهة فى الإنسان، لكنه مع ذلك قابل للتغيير والتبدل وعرضة للتحول والإنحراف، ويخضع لعوامل تزيده إرهافاً أو أخرى تحد من شوكته، ومن هنا فإن ضمائر الخلق ليست واحدة، بل متغايرة بإختلاف الأفراد وتغاير الأزمنة والعصور والبيئات، بل هى مختلفة فى الفرد الواحد بإختلاف مراحل حياته...

(١) تغاير الضمير فى الفرد الواحد:

وليس فى ذلك عجب، بل كل فرد يعرف نفسه حقاً، متأملاً ما يختلف عليها من أفكار وأحكام ومشاعر وعادات، وما يدركها من تحول وتطور، يشهد بأن أحكام ضميره على الأفعال أصابها، ولا شك، نوع من التطور والتغيير إن لم يكن كل التطور والتغيير، فكثير من الأمور كان يبدو لنا فى وقت ما أنه خير وأنه واجب، ولكنه أصبح يبدو لنا فى وقت آخر أنه شر وإثم.. هذا التغيير والاختلاف لا يجرى كيفما اتفق ولكنه يخضع لأسباب وعوامل توجهه وتحدده ...

أ - العامل الأول: السن:

فأما أول هذه العوامل فهو السن، الفرق بين السنين يحدث فرقاً فى أحكام الضمير، فما يبدو فى الطفولة خيراً يجب إتباعه قد يبدو فى الرجولة أو الكهولة صغارة فى النفس وحطّة فى الخلق وشراً يجب هجرانه... وكل هذا ولا شك قد أدركه هذا النوع من التغيير فى حياته بإختلاف السنين...

ولكن ما الذى يجعل للسن وتغايره هذا الأثر الواضح فى الضمير؟؟؟ إن الضمير وهو يتألف من عناصر ثلاثة، يدركه ما يدرك هذه العناصر أو بعضها من تحول أو إنقلاب: فالعنصر العقلى يتطور تبعاً للمعلومات والمعارف الجديدة التى يكتسبها بتقدم السنين، والعنصر العاطفى يتطور تبعاً لما يدرك العاطفة من ألوان التغيير فى مراحل العمر المختلفة...

فالشفقة التى لا تكاد تظهر فى الطفل الصغير، تتضح فى الشاب وتزداد فى الرجل، ولكنها تكاد تمتلك الكهل أو الشيخ، والعنصر الإرادى يخضع أيضاً لتغاير السنين: فإرادة الإنسان فى الطفولة، غيرها فى الشباب غيرها فى الرجولة غيرها فى الكهولة غيرها فى الشيخوخة ... فهى فى الطفل لكنها غامضة سريعة التحول، أما فى الشاب والرجل... فهى أقوى فيهما أكثر من أى مرحلة أخرى، لكنها فى الكهولة تفقد من عنفها وتكاد تنحل فى طور الشيخوخة...

فإذا كانت عناصر الضمير جيمعاً يدركها التطور تبعاً للسنين، فمن الطبيعى أن تتغير أحكام الضمير تبعاً لهذا التغير...

ب ـ العامل الثانى: التجربة:

والعامل الثانى من عوامل الإختلاف والتغير هو «التجربة»!!!... نعم التجربة ... فمن يقول أن الناس متفقون فى تجاربهم وخبراتهم؟ إن ما مر علىّ من أحداث فى الحياة يختلف عما مر على غيرى منها، وإذن ما استخلصته من عبر منها يختلف عما استخلصه غيرى من تجاربه، وتبعاً لذلك يختلف حكمى على الأفعال الخلقية عن حكمه عليها...

جـ ـ العامل الثالث: البيئة:

والبيئة ... أيضاً ... عامل ثالث، والبيئة بأنواعها المختلفة عائلية كانت أو ثقافية أو إجتماعية .. والبيئة العائلية تشمل الأسرة والمنزل الذى ترعرع فيه المرء، والبيئة الثقافية هى المدارس التى نشأ فيها... والكتب والمجلات التى قرأها والأساتذة الذين درس عليهم... والبيئة الإجتماعية تشمل العصر الذى ظهر فيه، والأصدقاء الذين عاشرهم، والأفكار السائدة والإتجاهات المتسلطة فى المجتمع. والنظام السياسى الذى يسود المجتمع، وطبيعة البلد ونوعه وتربته ومدى ثقافته وتطوره ورقيّه وصلته بغيره من البلاد...

كل هذه الإختلافات بين البيئات تنشئ فروقاً لا حصر لها بين الأفراد، وتنشئ فروقاً لا حصر لها بين ضمائر الأفراد...

وكما كانت عناصر الضمير الخلقى الثلاثة متغيرة تبعاً للسن، وتبعاً لتغيرها تغيرت أحكام الضمير، كذلك التجربة وكذلك البيئة: عاملان يؤثران أشد تأثير فى كل عنصر من هذه العناصر، ولعل العنصر العقلى هو أول ما يتأثر بهذه العوامل، فيتأثر بالتالى كل من العنصرين الآخرين، لأن المجرب يحمل ضميره خبرات تنأى به عن الخطأ الذى كان يرتكبه الضمير قبلاً بجهل وعدم معرفة، كما أن من يعيش فى أسرة خلقية تمتدح الخير وتذم الشر، وفى مجتمع راق اكتمل أسباب الحضارة الحقّة، وقرأ كتباً خلقية وأدبية تمجد الفضيلة وتسخر من الرذيلة ... يختلف عن من يعيش فى أسرة خليعة مستهترة ومجتمع سقيم، ولا يقرأ إلا الكتب الرخيصة المبتذلة ولا يسمع إلاّ الأغانى القبيحة السمجة...

د ـ العامل الرابع: التغذية:

ويمكن أن نضيف إلى تلك العوامل الثلاثة عاملاً رابعاً... وهو التغذية .. ومن الغريب فى الواقع أن تكون ثمة علاقة بين الغذاء وبين الضمير... بيد أننا نعنى بالغذاء ما يقوى النفس والجسد ... فالغذاء إذن غذاء مادى أو غذاء عقلى أو غذاء روحى، ولعله من الواضح جداً أن يكون للغذاء العقلى أثره فى الضمير لأن هذا الأثر يظهر فى العنصر العقلى أولاً...وكذلك الغذاء الروحى يظهر أثره أولاً على العنصر العاطفى، ولكن كيف يكون للغذاء المادى من طعام وشراب أثر فى الضمير؟؟ أجل فإن كان الغذاء الصحى شرطاً للجسم السليم، وكان العقل السليم فى الجسم السليم، فقد تأثرت إذن أحكام الضمير تبعاً لإختلاف العنصر العقلى بإختلاف التغذية.. فإما أن يكون العقل أكثر أو أقل نشاطاً، وإما أن يكون أكثر أو أقل إستعداداً لإقتبال المعارف والإفادة منها... هذا هو أثر الغذاء المادى على العنصر العقلى، وأما أثره على العنصر العاطفى فيتضح لا من حيث أن العنصر العاطفى، يتغير بتغير العنصر العقلى، ولكن أيضاً من أن حقنة من الكافيين أو المورفين تكفى لتهدئة ما يستشعره المجرمون من وخزات الضمير، أو تجعل من القاضى القاسى رجلاً أشد ما يكون تسامحاً فيما يرتكبه هو أو غيره من الأخطاء...

وما قلناه عن العنصر العقلى والعنصر العاطفى، يمكن أن نقوله عن أثر الغذاء المادى فى العنصر الإرادى، وربما كانت أكلة ثقيلة أو حقنة خاصة أو شدة الجوع... عللاً لتبدل الإرادة القوية إلى إرادة خائرة... فإذا كان الضمير مطالباً بأن يصدر فى هذه الحالة أحكاماً فلاشك أنها مختلفة عما يصدره فى حالة أخرى يكون فيها الجهاز الهضمى أو الدموى سليماً...

وهذا يؤدى بنا إلى القول **بأن الصحة أيضاً بالتبعية يكون لها أثر من آثار الإختلاف فى الضمير** ... ذلك أن الصحة الجسدية وهى خاضعة لنصيب الإنسان من الهواء والماء والغذاء والراحة والنوم ... وكذلك الصحة العقلية وهى خاضعة لسلامة عقله من الأمراض العقلية ومن الإضطرابات الجسمانية والعصبية، وكذلك الصحة النفسية وهى خاضعة لسلامة نفسيته وشخصيته من الإنحرافات والأمراض النفسية .. هذه الصحة ... فى مظاهرها الثلاثة يمكن أن تدخل تحت عامل التغذية، ويمكن أن تستقل عنه لتصبح عاملاً خامساً يحدث تغييراً عميقاً فى عناصر الضمير الثلاثة معاً...

أرأيت إذن أن الضمير فى الفرد خاضع لهذه العوامل جميعاً ... فلا تعجب إذا رأيت تغيراً فى آراء الناس وأحكامهم بين حين وآخر.. وليس من علاج يمكن أن تقدمه إلى نفس مضطربة قبل أن تعرف هذه العوامل، ومدى تأثيرها كلها أو بعضها فى ضمير الفرد وأحكامه على الخير والشر...

(٢) تغاير الضمير من فرد إلى فرد:

وإذا كان الإنسان نفسه يختلف فى طور عنه فى آخر، فإن إختلاف فرد عن فرد آخر يكون أكثر وضوحاً وأبعد عن الغموض والإبهام، وتبعاً لإختلاف الأفراد تختلف ضمائرهم، وعلى ذلك فضمائر الأفراد متباينة متغايرة يمكن أن نقسمها أربعة أنواع:

١) ضمائر ضالة جاهلة، أو فاقدة...

٢) ضمائر مرنة واسعة...

٣) ضمائر ضيقة موسوسة أو مضطربة...

٤) ضمائر مستقيمة سليمة صالحة...

١) **الضمائر الضالة الجاهلة**... هى الضمائر التى لا تستطيع أن تميز بين الحرام والحلال فى مسائل غاية فى الخطورة والأهمية.. فقد فقدت القدرة على التمييز بعد أن فقدت المعرفة التى تقودها إلى هذا التمييز، وقد تفقد كل نوع من التوجع أو الإكتراث للشر، فتسمى ضمائر فاقدة ويسمى صاحبها مفقود الضمير أو بلا ضمير ..

على أن الضمائر الضالة Erronées قد تكون فى ضلالها معذورة.. وقد تكون غير معذورة non coupapble ou coupable فهى معذورة إذا لم يكن فى مقدورها أن تجتنب

الخطأ inviniciblement erronée وهى غير معذورة إذا كان فى استطاعتها أن تجتنب الخطأ viciblement erronée.

٢) **الضمائر الواسعة**... وهى ضمائر أفراد مستهترين يشربون الإثم كالماء، وهم أقدر ما يكون على أن يخلقوا لأنفسهم أنواعاً من المعاذير معللين أخطاءهم تعليلات تدل على مهارة وعلى ذكاء ،لكنها تبريرات يعلمون هم أنفسهم أنها خاطئة أو كاذبة .. لكنهم مع ذلك يبنون براءة نفوسهم أمام نفوسهم وأمام الأغيار .. بل هم قادرون كذلك على خلق المعاذير لغيرهم حين يخطئ هذا الغير أو يأثم، فضمائرهم تتسع لترحب بالأخطاء التى هى بالحقيقة أخطاء، ولكنها فى عرفهم أموراً صالحة أو على الأقل دعت إليها الحاجة فهى مناسبة .. فهى إذن ضمائر تشعر بالخطأ حين لا يكون هناك صالح أو غرض خاص.. وعن هذا يقول الكتاب المقدس: «الإنسان الخاطئ يجانب التوبيخ، ويجد حججاً توافق مبتغاه» (١).

وقد يتسع الضمير ويضيق حسب الحاجة، وفى هذه الحالة يجوز أن نطلق عليه اسم الضمير الفريسى... نسبة إلى الفريسيين الذين يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل...

٣) **الضمائر الضيقة**.. وعلى النقيض من الضمائر الواسعة توجد **ضمائر ضيقة** كل الضيق، لا تكاد تبيح لنفسها شيئاً، ولا تكاد تستريح إلى شئ (٢) هى قلقة مضطربة مترددة تعبث بها الأوهام والوساوس والأهجاس، فليس من تصرف تقدم عليه إلا وترى فيه إثماً أو شراً، وعلى الأقل تحس نحوه بنوع من القلق وعدم الإرتياح ، هى إذن فى شك دائم وقلق متصل وحيرة متواصلة ... وهى فى هذا كله لا يرضيها شئ.. ولا تقتنع بشئ ولا تطمئن إلى نصيحة ناصح أو مشورة مرشد أو كاهن، ويقول بوتافنتورا «يجب الحذر من الضمير الواسع جداً ومن الضمير الضيق جدا، لأن الأول: يولد الجسارة، والثانى: يولد اليأس، ثم أن الأول عادة يعلن الشر خيراً ، والثانى على العكس يعلن الخير شراً... كذلك الأول: يُخلص من يستوجب الهلاك، وأما الثانى فعلى العكس يهلك من يستوجب الخلاص...»

٤) **الضمائر السليمة القوية**: ولكن فى مقابل هؤلاء جميعاً، توجد **ضمائر سليمة قوية** (٣) مستقيمة، حساسة، تستطيع أن تميز فى سهولة ويسر ... كما فى ثقة ويقين ودقة ... بين الخير والشر أو بين المشروع والممنوع، ويمكنه أن يزن الأعمال ويقدر مسئوليتها بالضبط...

(١) يشوع بن سيراخ ٣٣ : ٢١ .
(٢) قد يعرف هذا النوع من الضمائر بالضمير الموسوس.
(٣) ويعرف هذا النوع أيضاً بالضمير الصالح.

ولعل الفارق الجوهرى الوحيد بين الأنواع الثلاثة الأولى وبين هذا النوع الأخير، أن تلك ضمائر منحرفة، وهذا ضمير سوى سليم، تلك قد اختل فيها عنصر أو أكثر من عناصر الضمير الأدبى .. أما هذا ففيه العناصر الثلاثة موفورة الصحة والسلامة، فوق أنها مؤتلفة منسّقة منسجمة، ففى الضمير الجاهل الضال، قد اختل العنصر العقلى، وفى الضمير الواسع قد اختل العنصر العاطفى، وفى الضمير الضيق الموسوس قد اختل العنصر الإرادى...

أسباب اختلاف الضمير:

أما الأسباب التى نعلل بها إختلاف الضمير بين الأفراد، فهى إختلال قد أدرك أحد العناصر الثلاثة كما أسلفنا، وكانت العلة فيه واحد أو أكثر من العوامل الآتية....

العامل الأول: الإختلاف بين الأفراد فى نصيبهم من العقل:

فالعقل وإن كان حقاً مشاعاً للكل، لكن عقول الناس متباينة، فمنهم الذكى العبقرى ومنهم الغبى ... ومنهم قوى الذاكرة، ومنهم ضعيف الذاكرة، منهم واسع الفكر، ومنهم ضيق الفكر، منهم صاحب الخيال الواسع ومنهم ضحل الخيال، منهم العاقل ناضج الفكر.. ومنهم سقيم الرأى قصير النظر، منهم العادى فى تفكيره ومنهم الشاذ الغريب ... منهم المتزن ومنهم المجنون وهكذا... توجد بين كل طرفين من هذه الأطراف ما لا حد له من فروق وإختلافات بين عقول الناس، مما يترتب عليه من إختلاف الضمائر بين الأفراد...

ولقد وفق علماء النفس إلى أن هناك علاقة مطردة بين الذكاء وحسن الخلق أو يقظة الضمير.. ومن ذلك ما يقوله بعضهم من أن: أغبياء الأطفال أكثر من أذكيائهم عرضة للإجرام وللفساد الخلقى. إذا تشابهت بيئاتهم المنزلية...

العامل الثانى: اختلاف الناس فى الحساسية:

وكما يختلف الناس فى عقولهم يختلفون أيضاً فى مدى حساسيتهم.. فليسوا على مرتبة واحدة فى هذه الناحية، لأن صاحب الحساسية المرهفة لابد أن يكون ضميره مرهفاً أكثر من صاحب الحساسية المتبلدة.

العامل الثالث: الإختلاف فى الإرادة:

وكذلك الأمر فى الإرادة، فالناس يتوزعون حيث الإرادة، إلى صاحب الإرادة القوية والعزيمة الماضية، وإلى صاحب الإرادة الخائرة، وبين هذا وذلك فروق بين الإرادات بعدد الأفراد وطبيعى أن الاختلاف بين الإرادات يتبعه إختلاف بين ضمائر الأفراد...

العامل الرابع: الإختلاف فى التربية والتعليم:

وليس مرادنا هنا أن نتحدث عن أثر التربية فى ضمير الفرد، وإنما يعنينا أن نبين أن الأثر الذى تطبعه التربية السليمة يختلف عن الأثر الذى تحدثه التربية السيئة، وأن من يتربى تربية قويمة عالية، ينشأ صاحب ضمير سليم، بخلاف من يتربى تربية سقيمة مريضة فإنه ينشأ ذا ضمير مريض منحرف.. أجل ... فالتربية المريضة إما أن تقود إلى بلبلة الفكر واضطراب الذهن فينشأ ضمير الفرد ضالاً جهولاً، وإما أن تقتل العواطف النبيلة والإحساسات الراقية فيصبح الضمير واسعاً، أو أنها تضعف الإرادة وتبلد العزيمة فيصبح الضمير متردداً موسوساً، أما صاحب التربية السليمة فهو صاحب الضمير السليم أيضاً، لأن التربية الحقة تقود إلى صفاء الذهن وتهذيب العاطفة وتنمية الإرادة وقوة العزيمة..

ولعلنا نعتبر التربية ناحية من نواحى البيئة، **إذا اعتبرنا البيئة عاملاً خامساً** من عوامل الإختلاف بين ضمائر الناس، وليس من الغرابة فى شئ أن تكون البيئة وما يسودها من آراء وأفكار، وما تمتدحه وما تذمه له أثره الفعال فى نفسية الفرد الذى يعيش فيها وضميره، ولما كانت البيئات مختلفة، فلابد أن يكون الأثر الذى تتركه هذه البيئات فى ضمائر الأفراد مختلفاً كذلك، وهذا معناه أن الفرد يعتبر إلى حد كبير صورة للوسط الذى يعيش فيه، وما من إنسان استطاع أن يقاوم كل أثر من آثار بيئته، أو تمكن من أن يخلص نفسه من العناصر العامة التى تسود بيئته...

على أن البيئة السياسية والنظام الذى ينتمى إليه الفرد، يوجه ضميره فى إتجاه يختلف عن الإتجاه، الذى يتخذه ضمير شخص آخر يعيش فى بيئة لها نظام سياسى آخر، فإذا كان الفرد ينتمى مثلاً إلى الطبقة الأرستقراطية فسوف يجد لنفسه أموراً محللة، قد يحرمها ضمير من ينتسب إلى طبقة ديموقراطية، فإذا نشأ المرء فى بلد مستبد فلن يهتز ضميره بحوادث الظلم والإستبداد، كما يهتز بها ضمير إنسان يعيش فى بلد هادئ عادل، لأن الضمير يمكن أن يتخدّر بالضربات المتواترة ... فيصبح ما كان غريباً عليه، مألوفاً لديه بحكم العادة والألفة...

على أن بعض هذه العوامل وراثى وبعضها بيئى.. فالعقل والشعور والإرادة كلها أمور وراثية، أما الثقافة والتعليم والنظم السياسية فعوامل بيئية، وكلا الوراثة والبيئة يؤثران فى حياة الفرد تأثيراً مغايراً لتأثيرهما فى الآخر، حتى لينتج أن جميع الناس مختلفون متباينون مهما كانت درجة التباين والإختلاف ضيئلة أو كبيرة...

ذلك أن الناس يرثون عن أسلافهم الصفات الرئيسية المشتركة، كالشكل والسحنة والصفات العقلية والشعور والإرادة والصفات الخلقية أيضاً.. بيد أن الوراثة لا تكون نقلاً للصفات نفسها بل للاستعدادات فقط... حتى لقد قال العلماء المحدثون: «إن الوارث إنما يرث إستعدادات فقط» ... كذلك للأجناس البشرية خصائص قومية تنتقل بالوراثة من جيل إلى جيل ، وهى هذه الخصائص التى تجعلك تحكم ما إذا كان الرجل شرقياً أو غربياً، يابانياً أو مصرياً أو إنجليزياً أو ألمانياً، خصائص جسمية وعقلية وخلقية...

ولعله من باب الفائدة أن نقول أن لهذه الوراثة قوانين وأسساً بيولوجية، فالإنسان لا يرث من أبيه فقط بل يرث من أمه كذلك.... وقد تكون صفاتها متناقضة، ثم أن هناك من الصفات ما يبرز فى الولد، ولم يكن واضحاً فى الوالدين بل فى أحد الجدود، ومن الأمثلة على ذلك أب مصاب بعمى الألوان فلم تظهر هذه العاهة فى بناته الإناث بل فى أولاد بناته الذكور فقط، وقل مثل ذلك من الخصائص العقلية والخلقية...

غير أنه لا نرث من آبائنا وجدودنا إلا إستعدادات فقط، ولو أننا وجدنا ظروفاً مواتية من البيئة الخارجية، عائلية وثقافية وإجتماعية، فإن هذه الإستعدادات قد تنمو وتقوى وترقى، أو أنها تجد بيئة مخالفة مغايرة فتخنق هذه الإستعدادات وتقتلها، ومن هنا فقد يرث بعض الأبناء إستعداداً عاطفياً فينشأ أحدهم فناناً، وينشأ الثانى مصوراً، والثالث شاعراً ،والرابع خطيباً أو واعظاً، والخامس سكيراً، وذلك أنهم ورثوا إستعداداً واحداً ولكنهم اختلفوا فى نسبة ما ورثوه فى البيئة التى أحاطت بكل منهم...

فالإنسان إذن تتفاعل فى شخصه عوامل البيئة وعوامل الوراثة، غير أن الإنسان ليس كائناً قابلاً، وإنما هو الكائن الوحيد بين المخلوقات الأرضية الذى يستطيع بما أوتى من عقل ومن إرادة، أن يقاوم العوامل الوراثية أو يوقف من أثرها على حياته، وأن يضعف أيضاً من أثر البيئة على نفسه، بخلق بيئة جديدة عن طريق الفكر والثقافة أو بأن ينتقل هو إلى هذه البيئة الجديدة ....

وحقاً أن بعض العلماء وعلى رأسهم فرنسيس جالتون Galton وكارل بيرسون Peaeson يذهبون إلى أن الوراثة هى العامل الأكبر، أو هى العامل الوحيد فى تكوين شخصية الإنسان فقالوا: « بالوراثة يتحدد فى الإنسان نوع نفسه من يوم ولادته، وبها تصاغ أخلاقه وبها تحدد بنيته وبها يعين مقدار عقله، وأهم ما يساعد على رقى النوع الإنسانى هو إصلاح الوراثة

بإصلاح الإنتخاب بين الزوجين ومنع التوالد بين من لا يصلحون للإنتاج طبيعياً أو خلقياً.. بينما ذهب غيرهم إلى أن البيئة هى العامل الأهم فى حياة الشخص، وإنه يمكن عن طريق البيئة الصالحة أن نعدل من آثار الوراثة، ويعتقد هذا الفريق أن كثيرين من الفلاسفة ورجال الفضيلة، ما كان لهم أن يصيروا هكذا لو لم يجدوا بيئة صالحة، وإن كثيرين من الفسقة والمجرمين لم يكن لغير البيئة من أثر أفعل فى حياتهم... وأن البيئة الفاسدة هى التى جعلتهم مجرمين...

وكلا الفريقين مصيب فيما أثبت، مخطئ فيما نفى، فلسنا ننكر أثر البيئة فى حياة الفرد لكنها لا تستطيع أن تخلق من الأبله فيلسوفاً، وليس يعقل أن يحصل بالفعل أن شاباً مولوداً من عائلة شريرة، ومن والدين فاسدين يكون مستعداً للفضيلة كشاب ولد من والدين طاهرين، ومن عائلة شريفة نبيلة ذات أخلاق عالية راقية، فالعوامل الوراثية لها قيمتها، ولكن من نواحى العظمة فى الإنسان أنه ليس مقيداً بالوراثة إلى درجة ميئسة، بل أن البيئة يمكن أن تقف فى سبيل الوراثة فتعطل من أثرها فى حياته، لذلك يمكن أن نؤمل خيراً عن طريق التربية وخلق بيئة ثقافية واجتماعية صالحة وهذا طريق مأمون ومضمون ومؤكد...

وإذن فالوراثة والبيئة يعملان معاً على تكوين الشخص فى جسمه وعقله وخلقه، وما أصدق قول بعضهم أنهما كالمضروب والمضروب فيه إذا كان أحدهما صفراً فالناتج صفراً، ويتضاعف أحدهما بالآخر... أو على قول الشاعر العربى:

رأيت العقل عقلين ... مطبوع ومصنوع
ولا ينفع مصنوع ... إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس ... وضوء الشمس ممنوع

وعلى الجملة فإن الإنسان يمكن أن يكون رباً لفعله مسئولاً عن عمله، إذا تحكم فى الوراثة وفى البيئة ... وإنه لمستطيع ذلك إذا حرص مجتمعه على أن يصون النسل بتهيئة أبوين فاضلين طاهرين قويين ومجتمع ثقافى ومدرس صالح، وجو فكرى راق ورأى عام مستنير وتيارات اجتماعية قوية، فإذا نشأ الأولاد فتكون لديهم استعدادات للنبل والفضل، وشعور إنسانى راق وضمير أدبى طاهر مستقيم، تعمل البيئة المدرسية والإجتماعية على تهذيبها ونموها وتطهيرها من شوائب الخبث والشر، فإذا ابتلى الشاب بإستعدادات وراثية يائسة رديئة، فلا ييأس بل البيئة كفيلة بأن تقاوم الآثار الضارة وأن تستبدلها بفواعل جديدة نافعة...

* * *

وكأن الضمير إذن مرآة تنعكس عليها جميع المؤثرات التى تفعل فى حياة الناس، وكأنه بإختلاف الناس فى عقولهم وحساسيتهم وإرادتهم وتربيتهم وبيئتهم ونظامهم الاجتماعى أو السياسى تختلف ضمائرهم أيضاً، أو كأن الضمير فى كل واحد يكون ملائماً لنوع الحياة التى يحياها كل واحد. وإذا كان الضمير يمكن أن يتأثر إلى هذا المدى البعيد ... أفلا يمكن أن يغلق عليه أى أن يحجب عليه بستار العماية والضلال؟

نعم إن ذلك ممكن حين تسوء تربية الفرد حتى يصل إلى ما يعرف بإنقطاع الحاسة الخلقية أو ما يسمونه بالعماية الخلقية.. وفيها يسير الضمير فى طريق عكسى، يستشعره لذة كبرى فى المحذورات والممنوعات، وقد يصل إلى هذه الحالة من يصاب بضربة قوية على الجمجمة، على أنه يمكن أن تعود إليه سلامة ضميره إذا ما أجريت له عملية الترينة trépan.

(٣) تغير الضمير من أمة إلى أمة:

وما أعجب التباين الذى يلاحظ فى أحكام الأمم المختلفة على فعل بعينه: تراه أمّة ما صواباً يجب فعله، وتراه غيرها خطأ يجب تركه... تلك بحكم ضميرها على فعل بذاته أنه خير، وهذه عليه بأنه شر، ولقد أتحفنا العلماء والباحثون بطائفة من الأحكام المتغايرة على أفعال معيّنة، فإذا هى متناقضة غير متفقة بين أمة وأمة...

فبينما يطمح سكان الجزر فى فيجى إلى القتل وإلى سفك الدماء، نجد الهنود الجبليين يروضون أنفسهم على الفضائل والكمالات الخلقية، كالإستقامة والأمانة ونسيان الإساءة وفعل الخير والمعروف، أولئك تبيح لهم ضمائرهم أشر أنواع الجريمة، وهى لا تبيحها فقط ولكنها تطمح إليها وتطمع فيها كما لو كانت أفعال مجد وبطولة وشجاعة وإقدام، بينما قد وصل الهنود الجبليون إلى الشعور بأن الفضيلة خير وأن الرذيلة شر، وليس ذلك فقط بل يجب عليهم أن يروضوا نفوسهم ويقتادوها إلى الفضائل الجميلة وضروب الخير والأمانة والبر والمعروف.

وهناك بعض الأمم تأخذ أطفالها منذ نعومة أظافرهم بمبادئ الفضيلة والخير والواجب، وتنهاهم عن الإثم وجرائم الأخلاق، فإذا ارتكب أحدهم جريمة ما، كجريمة الخيانة أو السرقة أو الإتلاف فإنها تعاقبه وتفرض عليه إلتزامات بدنية أو مادية.... أو تحكم عليه بالحبس وأحياناً بالقتل والإعدام لكن أمماً أخرى تذهب إلى النقيض من ذلك تماماً، فقد ورد فى شريعة الألواح الإثنى عشر Lois des XII وهى أساس التشريع الرومانى فى العصور القديمة، ما ينص على وجوب معاقبة الطفل الذى سرق فى حالة واحدة فقط وهى: « إذا قُبض عليه وفى يده الشئ

المسروق Vol manifest » أما إذا استطاع أن يسرق دون أن يُقبض عليه أحد فى أثناء ارتكابه لجريمة السرقة، فإنه لا يعاقب على ذلك حتى لو اتضح أنه قد سرق، بل أنه يكافأ على مهارته، فكأن الطفل السارق لا يعاقب لأنه قد سرق بل لأنه أخفق فى إخفاء جريمته، فإذا استطاع أن يسرق دون أن يعلم به أحد، فإنه بطل يستحق المكافأة وهو كفء فيما بعد لأن يكون رجل الدولة.

وبينما تعنى بعض الأمم بأطفالها أصحاء كانوا أو مرضى، وتبذل عناية خاصة بهؤلاء المرضى، فتنشئ لهم المستشفيات والملاجئ ودور التربية، فضلاً عن أن أمهاتهم يظهرون نحوهم أنواع العطف والحنان والرعاية، بل قد تأسست فى هذه الأمم هيئات خصيصاً للعناية بالطفولة ورعايتها. ينال فيها المرضى منهم مجهوداً وعناية خاصة - نقول، بينما يحدث هذا فى بعض الأمم نلاحظ بعضها الآخر كالأمة اليونانية فى تاريخها القديم... كيف كانت الأم لدى ولادة طفلها تغرقه فى برميل من الخمر - فإن كان قوياً عاش وكان مستحقاً للحياة، فإذا مات تخلصت أمه من إبن نحيل مريض سقيم ضعيف لا يصلح للحياة، بل وقد كانت الأم فى بعض الأحيان تطرح إبنها المريض على الجبال ليكون مأكلاً للوحوش الكاسرة، أو كانت تسلمه إلى من يصوب إلى قلبه ضربة أو سهماً يفصل بينه وبين الحياة...

هذا، وقد تختلف الأمم فى واجب الأبناء نحو آبائهم، فبعض الأمم كالأمة الإسرائيلية توجب إحترام الابن لأبيه، فإذا شتمه أو سبه حكم عليه بالرجم والقتل، وكذلك إذا شتم أمه أو سبها أو ضربها فإنه قتلاً يُقتل، هكذا حرصت الأمة اليهودية على تقديس مبدأ الطاعة والإكرام نحو الآباء والأمهات، لكن فى العالم أمماً أخرى تبيح بسلطة القانون أن يقتلوا أمهاتهم، إذا كانت أمهاتهم قد حاولن ضربهم فقط... وهذا ما يجرى عليه الحال فى بلاد الزولو فى أفريقيا...

وبينما توصى بعض الأمم بعناية الأبناء بآبائهم وإكرامهم، ولا سيما فى شيخوختهم ومرضهم، نلاحظ أن قبائل الدامارا فى الجنوب الغربى من أفريقيا، لا يتورع الأبناء فيها عن قتل آبائهم المرضى، وكل الذين تقدمت بهم السن، أو كانوا لا نفع منهم، بل وتذهب بعض القبائل المتوحشة إلى مذهب أفظع، فتأكل اللحوم البشرية، بينما لا يخطر هذا على بال أمم أخرى، بل إذا سمعت به فإنها تستفظعه وتعتبره وحشية لا إنسانية...

هذا كله معناه فيما يبدو ، أن الأمم ليست على اتفاق فيما يتصل بمبادئ الأخلاق ومعايير الفضيلة، وإن الضمير ليس واحداً فى جميع الأمم، بل قد يسمح بأمر ما فى أمة، ويحرم فى أمة أخرى...

ولهذا يقول الفيلسوف مونتانى Montaigne أنه لا يمكن أن يوجد قانون يمكن مراعاته من كل الناس، وأن العادات والأخلاق تتغير بتغير الزمان والمكان، وإلا فماذا عسى أن تكون هذه الطيبة التى كانت تعد كذلك بالأمس، والتى لن تكون كذلك فى الغد... والتى تستحيل إلى جريمة إذا ماعبر الإنسان النهر، وإذن يمكن أن تكون للحق حدود من الجبال، وأن يصبح هذا الحق باطل فيما وراء هذه الجبال...

وإذا كان هذا ما يذهب إليه الفيلسوف المشكك، فقد ذهب إلى مثله الفيلسوف بسكال أيضاً فقال: ليس ثمة شئ من العدل أو الظلم إلاّ وتتغير صفته بتغير الأقاليم وإختلافها، فارتفاع القطب ثلاث درجات، من شأنه أن يقلب التشريع رأساً على عقب، وأن للقانون أوقاته، كما أن دخول زحل فى برج الأسد دليل على حدوث جريمة، فما أعجب العدل الذى يحد بقناة...

ويقول بعض الكتاب المحدثين: أن المؤرخين من عهد بعيد أبانوا ما للأقاليم وسائر الأشياء الجغرافية من عظم التأثير فى رقى الشعوب، فالجبال وطول الشواطئ فى بلاد اليونان والهضاب السبع فى رومة، والشتاء القارس والليل الذى لا يحتمل فى جرينلند، والشمس المحرقة والحر الشديد فى أفريقيا، والحقول الخصبة فى أمريكا، استغرقت من المؤلفات فصولاً لبيان تأثيرها فى حال السكان، - ولو أنك غيرت بيئة الاسكيميين ببيئة سكان نيوانجلند، أو غيرت بيئة البريطانى ببيئة الأثيوبى، لشاهدت تغيراً فى الأخلاق كبيراً، وإنا لنستطيع أن نقول: إن مكان ولادة الإنسان ليحدد - إلى درجة ما - كثيراً من صفاته، أعالم أم حالم، أكسلان أم مُجد، أمتوحش أم متمدين،....

(٤) تغاير الضمير من جيل إلى جيل:

ومن ذا ينكر تغير المعتقدات الخلقية على مختلف أحقاب التاريخ ومراحله، فالأمة اليونانية قد مرّت بهذا الاختيار، ومن يطالع الإلياذة والأوديسة يحكم على الفروق الواسعة بين المثل العليا التى كان يراها اليونان فى مختلف عصورهم، والتى تمثلها أبطال هاتين الملحمتين، فما كان يترسمه بطل ما من أبطالهم فى جيل، لم يكن متفقاً، فى مبادئ الخلق، مع ما يترسمه بطل آخر فى جيل آخر....

وهكذا الشأن فى الأمة الفرنسية.. فمعتقداتها الخلقية فى الوقت الحاضر، غيرها فى العصر الذى تمخض عن الثورة، غيرها فى العصور الوسطى....

والحق أن هذا يصدق على كل أمة تقريباً، ولسنا نستطيع أن ننكر ما أدركنا نحن فى القرن العشرين، من تطور فى ضميرنا الجمعىّ ومعتقداتنا الخلقية ومثلنا العليا، بحيث أصبح ضميرنا يختلف إختلافاً كبيراً أو إختلافاً ما، عن أى جيل من الأجيال السابقة علينا.

فلقد كان الإنسان فى أول عهده لا يعنى بغير نفسه، ثم بدأ فكره يتسع فأدرك أن حياته فى عشيرته وبعشيرته، ومن ثم صار يدافع عن العشيرة ويعمل لخيرها مؤمناً أنه خير لنفسه، فإذا به يمتد إلى أفق أوسع فيرى وجوب العمل لخير القبيلة، التى تضم مجموعة من العشائر القريبة إلى عشيرته، ولكنه فى الآن نفسه يرى أنه غير ملتزم بشئ إزاء القبيلة الأخرى، إذ أن قبيلته هى عالمه الجدير بالبقاء، فلا خطأ عليه فى أن يقتل أو يسرق أو يسئ إلى القبيلة الأخرى، بل وكانت العلاقات بين هذه القبائل كما يروى الرحالة هى علاقات عداء على الغالب، ومما رواه بعض المؤرخين أن بعض قبائل أفريقيا يعاقبون بالموت منهم من يسرق شيئاً من أحد أفراد قبيلته، ولكنه يمنح مكافأة إذا سرق من قبيلة أخرى إعجاباً به و تشجيعاً له...

ثم ارتقى الناس وصاروا يتطلعون إلى الأمة التى تتألف من جميع القبائل التى تجمع بينها بيئة واحدة، بإعتبارها كتلة بشرية واحدة يشعرون نحوها بإلتزامات، ولكنهم لازالوا ينظرون إلى الأمم الأخرى نظرة عداء، ويعتبرونهم أمماً وحشية تفصل بينهم وبينها فروق وامتيازات شتى، وكان هذا على أظهر ما يكون فى أمتى «اليهود واليونان».. فاليهود يعتقدون أنهم هم شعب الله المختار، وأنهم أصحاب المواعيد والاشتراع، أرضهم مركز العالم وأورشليم عاصمة مملكتهم، هى أقدس بقعة فى الوجود، وأنه لايحق لفرد من أمة أخرى أن ينال من إمتيازاتهم، بل لقد كانوا يحرمون الربا فيما بينهم، ولكنهم كانوا يجيزونه فيما بينهم وبين الأجانب، وكان يعتقدون أن السماء وقف على أبناء إبراهيم وموسى وإسرائيل، وكذلك كان الحال عند اليونان، يعتبرون غير اليونان برابرة ومتوحشين، وكانوا لا يتخذون من اليونان عبيداً، بل من هؤلاء المتوحشين والبرابرة، وحتى أرسطو وهو أكبر فلاسفتهم لم يستطع أن يتخلص من هذا الإعتقاد وكان يقول عن الأرقاء أنهم «حيوانات مستأنسة لها عقل»، وكان إذن يضعهم فى مرتبة غير مرتبة اليونانيين، ومن شدة تعصبهم خيّل إليهم أن أعلى جبل فى العالم هو جبلهم المسمى أوليمبوس مع أنه لا يزيد فى إرتفاعه عن ٩٧٠٠ قدم .. وأنه مسكن الآلهة!!!

وعلى الرغم من أنه لايزال عند كثير من الأمم بقايا هذه الإعتقادات التى تجعل من كل أمة سيدة لجميع الأمم، ولا زالت نظرة الأمة إلى غيرها من الأمم نظرة العداء، لكننا نلاحظ موجة

أعمق تسرى بين الناس فى جميع الدول، تريد أن تجعل من الجنس البشرى كله أمة ودولة واحدة متحدة، ولعل القوانين الدولية والمؤتمرات الدولية والاتفاقيات الدولية بعض مظاهر هذه الوحدة، التى تريد أن تسود العالم الإنسانى بأكمله ... ولكن بعض الفلاسفة وكبار المفكرين يريدون شيئاً آخر أعمق من مؤتمرات دولية، يريدون أن يصبح العالم كله كتلة واحدة، تحكمه دولة واحدة ويتكلم لغة واحدة وتكون له ثقافة واحدة، ولاشك أن هذه نظرة تدل على مدى الرقى الذى وصلت إليه نظرة الإنسان إلى أخيه الإنسان مهما اختلفت الجنسية واللغة والدين والبيئة ... وشتان إذن بين نظرة الإستعباد الأولى، وبين نظرة الإخاء والمساواة والحرية التى نتطلع بها إلى بعضنا البعض، والتى - وعلى الرغم من بعض الشذوذ الذى يكتنفها - تبشر بمستقبل سعيد فى عالم العلاقات الإنسانية...

إن هذه النظرة الإنسانية الواسعة سوف تقضى على الحروب والمخاصمات بين الأمم، وستجعل من البشر أخوة متحابين لا أعداء متنابذين، وستقتل التعصب الجنسى واللغوى، وتجعل الناس أكثر تفاهماً وأكثر إستعداداً للتفكير العالمى، لا التفكير الوطنى الأنانى...

هذا هو التطور الذى أدرك الإنسان فى نظرته إلى العالم، فمن العشيرة إلى القبيلة، إلى الأمة، إلى إعتبار العالم كله وحدة متماسكة، وهو برهان على ما يدرك الإنسان من تطور بين جيل وجيل...

وإنك لواجد هذا التطور قد أدركنا أيضاً فى كثير من التفاصيل، وإذا شئت فقارن بين عصور كان الملك فيها يستبد فى أحكامه، وليس مرد لقوله، وبين عصرنا الذى ترى فيه الملك مقيداً برأى السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، بل وقد استحال إلى أن يكون رمزاً للدولة يملك ولا يحكم، ثم قارن أيضاً بين عصور ما كان للإنسان فيها رأى إزاء الحكام، وما كان يستطيع أن يناقش أو يعارض، وبين عصر أصبح للصحافة فيه سلطان عجيب، وصار ممكناً لكل فرد أن يعبر عن رأيه، بل وأن ينتقد الحكومة وأن يناقش الآراء العامة دون أن تمنعه السلطة، أو تقف فى وجهه.. ألا حقاً أن التطور أدركنا وهو لا يزال يدركنا كلما إنتقلنا من جيل إلى جيل....

تعليل هذا التطور وتفسيره :

حقاً وإن إختلف الضمير وتغيرت أحكامه من فرد إلى فرد، ومن أمة إلى أمة ومن جيل إلى جيل، أو حتى فى الفرد الواحد من مرحلة إلى مرحلة من تاريخ حياته، ولكن هذا الإختلاف يجب ألا يساء فهمه فينظر إليه كما لو كان إختلافاً فى الأصول الخلقية، وعليه فواجبنا نحن أيضاً

أن نقف فى طريق الشكاك، الذين يتخذون من هذا الإختلاف حجة لإنكار الضمير وعدم الأخذ بأحكامه....

وليست الصعوبة فى تفسير ما يعرض للضمير من تطور بين الأفراد، أو ما يعرض له ضمير الفرد، فذلك موقوف على ما يصيب عناصر الضمير من تقدم أو تطور، نظراً للسن، والتجربة، والبيئة، والتغذية، والصحة، والتربية إلى آخر تلك العوامل التى تحدثنا عنها فى حينها، وإنما ربما تكون ثمة صعوبة فى تعليل تغاير الضمير من أمة إلى أمة أو تطوره من جيل إلى جيل...

ففى اختلافه بين الأمم هذا الإختلاف العظيم، الذى فيه نرى شعباً يقدس المبارزة والصراع ويبيح تعذيب أسرى الحرب والتمثيل بجثث الموتى، وشعباً يعتبر هذه الفعال شروراً وأموراً شائنة هدامة، نقول أن هذا الإختلاف وغيره مما ذكرناه وما لم نذكره، ليس إختلافاً فى الجوهر، وإنما هو إختلاف فى الشكل، أو بالحرى ليس هو إختلافاً فى الروح وإن كان إختلافاً فى المادة، فشعب الدامارا الذى كان يبيح قتل الأبناء لآبائهم المرضى، أو الذين بلغوا من العمر عتياً، ليس يختلف فى شعوره وضميره عن أى أمة تنادى بإكرام الوالدين والعمل على ما فيه خيرهما، إذ إنهم لا يقتلون والديهم قسوة منهم عليهم، ولا تبرماً بهم، وإنما لكى يخلصوا والديهم أو يريحوهم من الآلام التى يعانونها فى مرضهم أو شيخوختهم، فكأنهم يقصدون إلى خير الوالدين وإلى عدم إهانتهم ببقائهم فى الحياة معذبين مهانين...

وكذلك الحال فى الشعوب التى ترنو إلى القتل وتطمح إلى سفك الدماء، فإنها لا تفعل ذلك إلا إعتقاداً منها بأن الخير كل الخير لهذه الجماعة، هو فى تقتيل العاملين على هدم الجماعة وتدميرها بشرورهم أو مسلكهم الشاذ...

وأما الفرق بين أم تعنى بطفلها صحيحاً كان أو مريضاً، وبين أم تقذف به إلى اليم أو على أحد الجبال أو فى برميل من الخل، فليس فرقاً فى الشعور بواجب الأمومة، وإنما الفرق هو فى الطريقة التى تراها الأم مناسبة لأداء هذا الواجب، فالطفل المريض فى عرف الأم ذات الثقافة اليونانية هو عذاب لنفسه وللمجتمع الذى يعيش فيه، ولأولاده من بعده إذا أصبح رب أسرة مستقبلا، فلكى تخلصه من نفسه وتخلص المجتمع وأحفاده منه تقتله فى مهده، لا بقسوة وعنف، بل وهى متألمة لألمه ولألمها فى فقدانه، ولكنها فضلت خير المجتمع وخير الأجيال على الإصغاء لعاطفة حسية تجر عليها وعلى ولدها وعلى أمتها مساوئ صحية وخلقية لا نهاية ولا حدّ لأثرها...

أما التشريع الرومانى الذى يكافئ الطفل إذا نجح فى إخفاء سرقته، فليس دليلاً على أن الأمة

الرومانية فقدت ضميرها، أو أن الضمير ليس له فى هذه الأمة وجود، وإنما التشريع ينص على أن مرتكب جريمة السرقة يجب معاقبته حتى لو كان طفلاً، وهذا دليل على أن الضمير لم يبح السرقة، ولم يعتبرها حلالاً وإلا لما أوجب عليها العقاب، أما مكافأته للطفل الذى أخفى جريمته، فذلك نظراً لالتصاقه بصفة أخرى يراها الشعب الرومانى صفة نافعة فى الحروب، وهى المهارة فى التخفى والتستر، مما يحقق النجاح فى الخطط الحربية، فطفل هذا شأنه يصلح فى مستقبل أمره للحرب، وتحقيق مصلحة الجماعة التى ينتسب إليها، والحق إن إمتداح مثل هذا الطفل لا يختلف عن إعجابنا أحياناً بالمجرمين وساسة العالم وقادته، فنحن ينصب إعجابنا لا على قسوتهم وتجبرهم وشرهم ومكرهم، ولكنه ينصب على بطولتهم ومثابرتهم وجهادهم فى سبيل تحقيق مآربهم، وليس يختلف عن إعجابنا بمهارة بعض اللصوص وبطولة بعض الأشرار، وهو لا يختلف عما نسلكه أحياناً حيال أطفالنا الذين قد يرتكبون أخطاء كبيرة أو صغيرة، ولكننا قد نعفو عنهم إذا اعترفوا صادقين بجريمتهم، حتى نشجعهم على الصدق والإعتراف بالخطأ والشجاعة، فيبدو لقصير النظر إننا نكافئهم على شرهم، والحق أننا نكافئهم على شجاعتهم....

وقل مثل هذا، فيما تقصد إليه الكنيسة المقدسة من عرضها على أبنائها قصة أبطال وبطلات فى العفة والغيرة وقداسة السيرة، كيهوديت أو أستير أو راحاب أو غيرهن من القديسات، فإن القديسين والقديسات قد لا تخلو تصرفاتهم من أنواع من الحيلة أو الكذب، ولكن الكنيسة لا تذكر لنا هذا حتى نتعلم من القديسين الحيلة أو الكذب، ولكن لكى نعرف إلى أى مدى بلغ حب هؤلاء القديسين للفضيلة والإيمان والعفاف... إنهم يحتالون لصيانة هذه الفضائل أو لصيانة نفوسهم من الشرور التى تعرض أمامهم ... فيجب أن نلتفت إلى عمق الرغبة فى الفضيلة، قبل أن نلتفت إلى ما قد يكون فى تصرفهم من خدعة أو كذبة غير مضرة، فنحن نمجد القديسين إذن بذكر سيرهم أمام المؤمنين، لا لنمجد الكذب أو الخداع ولا لأننا نبيحهما، ولكن لنشجع صفات أخرى عظيمة تحلى بها هؤلاء القديسون الأطهار...

ولكن كيف نفسر حالة تلك الأمة التى تبيح شرائعها للأبناء أن يقتلوا أمهاتهم إذا حاولت الأم أن تضرب ابنها؟؟؟ عجيب حقاً أن يحصل هذا ولكن القانون لا يحتمه بل يبيحه فقط، هذا وضمير كل فرد يختلف عن الآخر تبعاً لعقله وحساسيته، فقد يصل فهم الولد وضمور حساسيته إلى قتل أمه دون أن يكون هذا دليلاً على فقدان الأمـــة لضميرها، أما لماذا تبيح قوانين هذه

الأمة هذه الجسارة، فإنما يرجع ذلك إلى ظروف خاصة بتلك الأمة، كأن ترى أن الأمهات اللواتى يضربن أولادهن ينشئنهم على الخوف والجبانة، أو قد يصل ضرب أمهات تلك البلاد إلى حد إيذاء الأولاد إيذاءاً دائماً، فيترك فى أولادهم عاهات، ولذلك تسن الأمة أو الدولة هذا التشريع لتجبر الأمهات على عدم إيذاء أولادهن، أو ضربهم بما يترتب عليه مضار بعيدة المدى فى حياة الأمة كلها.

وربما كان ذلك علة تتعلل بها هذه الأمة، وهى تقصد إلى قتل النساء واستبقاء الذكور نظراً لفقر تلك الأمة وعدمها من جهة، وحاجتها إلى الرجال فى الحروب من جهة أخرى، وربما كان ذلك نتيجة لسوء نظرة هذه الأمة إلى المرأة، وإعتبارها أحط مرتبة من الرجال، بحيث لا يجوز أن تتعدى على الرجال بضرب حتى لو كان هو ابنها...

وربما كان سلوك الأمة اليونانية حيال خطيئة الزنى، أعجب وأغرب من سلوك هذه الأمة نحو جريمة قتل الفتيان لأمهاتهم، ذلك أن كان فى أثينا هيكل يسمى هيكل الزهرة، وفيه فتيات قد أوقفن أنفسهن على الزنى، حقيقة أن هذا التصرف يدل على إنحطاط عظيم فى مستوى الأخلاق، ويدل على خمول الضمير وتخدره، ولكنه لا يعتبر دليلاً على عدم وجود الضمير إطلاقاً، فهذه الأمة لم تبح الزنى كلية، ولكنها أباحته فى قيود خاصة وهى أن يكون فى داخل الهيكل، وبقصد العبادة تبعاً لإنحطاط تصور ذلك الشعب فى فكرته عن الآلهة، ومع ذلك فالزنى فى ذاته لم يكن شيئاً يرضى عنه الضمير اليونانى، إذن الضمير موجود وإن كانت الخطيئة أرادت أن تقنعه بأن الزنى مباح فى هذه القيود الدينية.

ليست إذن هذه الإختلافات بين ضمائر الأمم، إختلافات عميقة غائرة إلى المنابع والأصول الأخلاقية، وإنما هى ترجع إلى ما تطبعه ظروف الجماعة أو الأمة على العنصر العقلى فى ضميرها من مؤثرات، وليست هى إختلافات فى المبادئ المجردة بل فى التطبيقات والتفصيلات، فما من أمة تعتبر القتل فى ذاته أو الفسق فى ذاته أو السرقة فى ذاتها أموراً صالحة، وإنما قد يبيحها ضميرها نظراً لبعض الاعتبارات والضرورات، ولسنا نريد أن نحكم على هذه الإعتبارات من حيث وجاهتها أو عدم وجاهتها، ولكننا نريد أن نستنتج من هذا كله أن أية أمة لا تصدر فى أحكامها عن ضمير يستحل الشر فى ذاته، وإنما هى، تبعاً لعقليتها ومبلغ حساسيتها وطبيعة بيئتها وثقافتها وتقاليدها وعاداتها، ترى العمل بالمبدأ القائل: «إن الضرورات تبيح المحظورات»...

إذن، فمن وراء هذه الإختلافات تسطع حقيقة واحدة: هى أن القتل والفسق والكذب والسرقة والخيانة أمور شريرة فى ذاتها، وإن الرحمة والعدالة والطهارة والصدق والأمانة أمور صالحة فى ذاتها ... تلك ممنوعة فى ذاتها وهذه مشروعة فى ذاتها.... **وليست هذه الحقيقة الواحدة سوى الضمير الأدبى** ... هذه السلطة الأدبية الآمرة الناهية، مرشدة الأفراد والجماعات....

ويقول الفيلسوف الرومانى الشهير شيشرون... أن هناك قانوناً أساسياً واحداً ثابتاً أدبياً شاملاً لكل شئ، يوافق العقل والطبيعة ويحملنا على اتباع الواجب وتجنب الظلم...

* * *

فإذا أردنا بعد هذا أن نعلل اختلاف الضمير من جيل إلى جيل، كان علينا أن نلاحظ أولاً: هذه الأزمات الخطيرة التى تمر بها الأمة أو الأمم ... والتى يكون من شأنها هذا التحول والتبدل الذى يصيب الأفكار الخلقية، وهو تحول فى الحقيقة مفاجئ وعنيف، على أنه مع ذلك كان نتيجة لعمل بطئ كان يسرى سرياناً خفياً فى فكر الأمة أو الأمم، ثم اكتمل نضوجه فظهر دفعة واحدة وقفز إلى الوجود بطفرة، ولعل أوضح صورة لهذا التحول ما نشاهده فى الإنقلابات السياسية والثورات الإجتماعية، التى أدركت أمة ما من الأمم، والتى أحدثت أثراً عميقاً غائراً لا فى هذه الأمة وحدها بل وربما فى جميع الأمم الإنسانية، فتغيرت القيم الخلقية وتبدلت المثل العليا فى الفضائل والآداب، وأصبح أبناء الجيل حانقين على معتقدات السابقين مستخفين بآرائهم...

ومن يطالع الأوديسة والإلياذة يقف على ما أدرك الأمة اليونانية من تطور فى معتقداتها الأخلاقية، **كانت البطولة هى القوة** وكان «أخيل» بطل الإلياذة يتمثل فيه إعتقاد اليونان فى القوة أنها الحق، حتى لو كانت قوة غاشمة تبيح السلب والنهب، **ولكنها أصبحت عند «إبليس» بطل الأوديسة شيئاً آخر غير القوة، هى الحزم والعزم، أو الحيلة والدهاء والمكر، أو الروية، أو العقل ثم تتبدل البطولة فى نظر اليونان، فإذا هى أمر أرقى وأسمى، هى ضبط النفس.... فمن قوة الجسم إلى فطنة العقل... إلى عظمة النفس... أو بالحرى من القوة المادية إلى القوة المعنوية والروحية...**

وعلى هذه القاعدة، تطورت فكرة التقرب للآلهة أو التضحية، فقد كانت فى أول عهدها تضحية مادية، قيمتها فى كمها وكيفها... فى كثرتها العددية أو فى حسنها وجمالها وحسن منظرها، أو فيما أنفق صاحبها فى سبيل الحصول عليها من مال، ثم أصبحت تضحية معنوية، قيمتها لا فيما تساوى من تقدير مادى أو مالى، بل فيما إنطوت عليه نفس مقدمها من نيّة سليمة أو نيّة خبيثة، وها هوذا أحد أغنياء تساليا، فيما يروى فورفيوس، يتقدم إلى الآلهة وقربانه بين يديه، مائة جاموسة قرنها من ذهب، بينما يلقى فقير معدوم بقبضة من دقيق فى اللهب الذى كان يشتعل فى معبد أبولون، وما أغرب وقع كلمات الكهنة على مسامع الغنى والفقير والناس أجمعين، إن الفقير أقرب إلى الله بقربانه من ذلك الغنى الموسر، ذلك أن الفقير انطوى على نفس طيبة وعلى نية صافية نقيّة، وليس كذلك الغنى، فضلاً عن أن الفقير أعطى بنفس سخية راغبة فى العطاء والتقرب إلى الله، بينما الغنى أعطى بنفس طامعة فى المجد والفخار، كما أن الفقير قدم ما قدم وهو فقير معوز، بينما الغنى أعطى ما أعطى مما يفضل عنه، وما أشبه هذه القصة الجميلة بقصة المرأة الأرملة ذات الفلسين ... «وتطلع (السيد المسيح) فرأى الأغنياء يلقون قرابينهم فى الخزانة. ورأى أيضاً أرملة مسكينة ألقت هناك فلسين.. فقال: «بالحق أقول لكم... إن هذه الأرملة الفقيرة ألقت أكثر من الجميع، لأن هؤلاء من فضلتهم ألقوا فى قرابين الله، وأما هذه فمن أعوازها ألقت كل المعيشة التى لها»... (١)

فالتضحية إذن تضحية معنوية تتوقف على نيّة المضحى ونقاء سريرته، كما تتوقف على ما احتمله المضحى من ألم ومن حرمان فُرض عليه أو فرضه هو على نفسه، ولم تعد بعد، تلك التضحية المادية التى تقيّم بالكم والمقدار وما احتمله المضحى فى سبيلها من بذل وإنفاق...

سيطرة العرف على الإنسان:

ثم انظر إلى الناس فى بدء عهدهم ولم يكن يسيطر عليهم غير العرف، فقد كانوا يخشونه قبل كل شئ آخر، ويصدرون فى أقوالهم وأعمالهم عن وحيه، ثم فإذا بهم يسطرون القوانين الوضعية ويقيسون الناس بإزائها وهى خطوة أكثر تنظيماً، ولكنهم فى الآن نفسه يجدون القانون الوضعى أضيق نطاقاً من القانون الخلقى، فيصير هذا أسمى فى اعتبارهم من القانون الوضعى، ولكنهم بمضى الزمان تتعقد حاجاتهم وتتشابك واجباتهم، فيختلط عليهم معرفة الواجب فى دقة وإحكام، فيضطرون إلى أن يبحثوا فكرة الواجب فى ذاتها، بغض النظر عن ملابساتها، حتى يمكنهم من بعد ذلك أن يحددوا واجبهم فى موقف معين. بمعنى أن رجلاً يشتغل فى المجتمع بوصفه قاضياً يحكم بين الناس، أخطأ أبوه أو أخوه أو ابنه وتعدى قوانين البلاد، فهو الآن أمام واجبين،

---

(١) لو ٢١: ١ - ٤.

واجبه نحو العدالة يقتضيه أن يحكم على قريبه بالعقاب الذى نص عليه القانون، ولكن عليه واجباً آخر نحو أبيه أو أخيه أو ابنه أن يخدمه ويحنّ إليه ويعمل على إنقاذه، فسيختلط الواجبان إذن، وقد يضحى الرجل بواجبه نحو العدالة إزاء شعوره بالواجب نحو قريبه، وهذا ما يميل إليه بطبعه لأن العاطفة الحسّية أقرب إلى تفكيره وتصوره من العاطفة المثالية، أما إذا فحصنا الواجبات وأرجعناها لأصولها وفقاً لدراسة علمية أمينة، فسيتضح لنا أن الواجب لخير المجتمع أولى من الواجب لخير الفرد أو القريب، لأن الخير العام يُقدّم على الخير الخاص....

كذلك تطور المقياس الخلقى من العرف إلى الإستقلال الفكرى، أما العرف فهو عادات الأمة ومجرياتها فى أساليب طعامها وشرابها ولباسها وأعيادها ومواسمها واحتفالاتها، ونظام أفراحها ومآتمها، وللعرف سلطان على أفراد الأمة لأنهم ينشأون عليه، ولم يكن لهم سلطان فى وضعه لأنهم وجدوه قائماً عندما خرجوا إلى هذا الوجود، ولذا تراهم لا يملكون مقاومة العرف أو الخروج عليه وإلا تعرضوا لسخط الناس وازدراء الرأى العام بهم، فمن يبتدع لذاته زياً خاصاً أو طريقة مغايرة لعرف الأمة فى المآتم والأفراح، يقع تحت طائلة المذمة والإنتقادات المرة اللاذعة...

ومهما تكلمنا عن سلطان العرف على الناس، فى العصور الحديثة، فإنه لن يقاس بشئ إزاء ما كان له من سلطان على البشر فى أقدم العصور، أو حتى على كثير من القبائل المتأخرة غير المتحضرة، والتى تمثل إلى حد بعيد الإنسانية فى أقدم عهودها، كقبائل الهنود الحمر فى استراليا وأمريكا الشمالية، نعم... ليس لشعوب هذه الأمم القديمة أو القبائل البدائية المعاصرة مكان لأى فرد فيها بأن يغاير العرف، فلابد له، مختاراً أو مضطراً - من أن يخضع لمصطلحات أمته أو قبيلته، فإذا حاول الخروج عليها تألب المجتمع عليه واحتقره، وقد يصل الأمر بالأمة إلى أن تتخلص منه بالنفى أو القتل، لأنها تجد فى المخالفة لعرفها تمرداً عليها ومقاومة لها.....

وحقاً أن الخضوع للعرف خضوع فى الآن نفسه للقيم الخلقية، التى يحرص المجتمع عليها صيانة لوجوده واحتفاظاً بكيانه، ولذا فكان العرف عامل عظيم ودعامة متينة من دعائم الأخلاق، لكن ليس كل ما يأمر العرف باتباعه صالحاً دوماً أو نافعاً حقاً ، فإن هناك عادات ضارة وخاطئة يأمر بها العرف، ويجد الناس أنفسهم مقيدين بالخضوع لها، كوأد البنات عند العرب، أو ختان البنات فى إقليم الصعيد على الخصوص فى مصر، ولو أن الناس ظلوا خانعين لهذه العادات المنحطة الضارة، لظل الناس منحطين فى مستواهم الخلقى وتفكيرهم الأدبى، ولظلت الأفكار الراقية بمعزل عنهم كما كان الشأن فى فكرة التعليم عموماً وتعليم البنت على الخصوص، إذ كان العرف يرى فى ذلك إفساداً للأخلاق وإتلافاً للآداب...

ولقد بلغ من سلطان العرف على الناس فى عهد بداوتهم، إنهم كانوا مندمجين فى قبائلهم ومجتمعاتهم، حتى لم يكن الواحد فيهم يفكر فى أنه شخص له كيانه الخاص أو له رأيه الخاص، بل كل حديثه عن قبيلته أو أمته كما نقرأ أمثلة لذلك فى أشعار العرب فى عصور الجاهلية (مثلاً فى معلقة عمرو بن كلثوم) فالفرد إذن لا يستطيع أن يبدى رأياً مستقلاً بل هو مستحسن ما تستحسنه قبيلته ويستقبح ما تستقبحه، فكأنه إذن قطعة من قبيلته يتبعها فى كل إمتداداتها وتقلصاتها...

فلما إرتقى الناس بدأوا يدركون رويداً رويدا ما فى هذا الإنقياد الأعمى من خطأ، وبدأ بعض العباقرة يتحدّون بعض التقاليد الإجتماعية، ولئن كانوا يعانون فى مبدأ الأمر مقاومة، لكنه بعد حين يشتد ساعدهم وينضم إليهم أفراداً ومجموعات، وبذا يتغير الرأى وينقلب العرف ويتطور التفكير الخلقى، ويشعر الفرد بأن من حقه أن يرى وأن يفكر.

وإذن فقد تطور التفكير إبتداء من العرف إلى فكرة القانون الوضعى، بل إلى تغليب القانون الأخلاقى، ثم إلى المبادىء والقواعد التى تنبنى عليها الأخلاق ومختلف الواجبات...

وتطور أيضاً من نظرة إلى الأعمال الظاهرة.. إلى أخرى.. لإكتشاف البواعث الباطنية والنوايا الداخلية...

وتطور كذلك من عادات تصلح لبيئة محدودة، إلى مبادىء وقواعد عامة تصلح لجميع الناس فى جميع البيئات فى جميع العصور...

وكأن الأفكار الخلقية قد تغيرت وتبدلت، فصار المرء يحكم على الأشياء لا نظراً لقيمتها المادية، بل بناء على ما يراه هو فى طوايا نفسه، أى أنه قد تطور شيئاً فشيئاً فأصبح يعنى بالباطن لا بالظاهر، وأصبح يستمد قانونه من ذات نفسه، وبموجب هذا القانون الباطنى يمكنه أن يُقيِّم لا أفعاله فحسب، بل أفعال الآخرين وتصرفاتهم، وأيضاً كل شىء يراه أو يصل إليه من الحياة الإجتماعية أو الحياة الخارجية عموماً، وبهذا قد شعر الإنسان أن لذاته قيمة وأن هذه الذات مستقلة عن العالم الخارجى، وأنه ليس وسيلة للحكومة أو الدولة أو المجتمع بل هو غاية فى ذاته، وإذا كان لكل فرد هذه القيمة، وأن هذه القيمة ليست منحة لواحد دون آخر، فالناس جميعاً سواسيه ويجب أن يعاملوا بعضهم بعض بالمساواة، أو يجب على الحكومة أو الدولة أو المجتمع أن يعاملهم جميعاً على قدم المساواة، ومن هنا فقد أدرك الناس معنى العدالة ومعنى المساواة الإجتماعية، بعد أن أدركوا معنى الكرامة الشخصية والقيمة الذاتية، التى هى من حق كل إنسان من حيث هو كائن عاقل حر مريد...

ولما كانت العدالة والمساواة والكرامة الشخصية، يجب أن يرتب الناس علاقاتهم على أساسها، كان لابد أن يشعر المرء بالرحمة والإشفاق نحو الذين قد حرموا من هذه الإمتيازات الطبيعية، وأصبح سبيل لإظهار الكرم وعواطف المحبة والإيثار نحو الآخرين... وإذن فقد إرتقى الانسان من مرتبة الإثرة والأنانية إلى مرتبة أخرى... فيها إيثار لنفسه ولغيره... ثم إرتقى إلى أن أصبح يفضل خير غيره أحياناً على خير نفسه.. وهذه مرتبة الإيثار الخالص...

أليس هذا كله معناه أن الأفكار الخلقية فى الأمم الإنسانية يدركها التطور والتحول من جيل إلى جيل... انظر إلى الإنسان وقد كان يقّيم الأمور بتقييمات ظاهرية بحتة مادية خالصة، فإذا به يرقى حتى يدرك قيمة ذاته... ويتخذ من أحكامه الباطنية مقياسا يقيس به جميع الفعال والتصرفات الصادرة عن ذاته أو عن ذوات غيره... وإذ بهذه الأحكام الباطنية والأفكار الخلقية تسمو وترتقى حتى تبلغ أعلى مرتبة من الكمال... وهكذا تقدمت الجماعات الإنسانية من حقبة إلى حقبة.. ورقت أخلاقها ولانت وأصبحت تشعر أن المعاملة الحسنة العادلة هى من حق كل فرد يتمتع بالوجود كإنسان، ولسنا نستطيع أن نتنبأ بما ستكون عليه أخلاق الأمم الآتية بعدنا، غير أننا نستطيع أن نستبشر بما ستكون عليه هذه الأخلاق من سموّ ورقىّ ، يعلوان قيمة وقدراً عما أدركته الإنسانية فى ماضيها البعيد أو حتى القريب، إذ الأمم كالأفراد كلما مرت عليها خبرات وأزمات، ربحت لذاتها ومن ذاتها مبادىء وأفكار جديدة أو على الأقل أكثر ملائمة وأوفر نصيباً من الصحة والإنضباط، وهى تتحول بفعل النظم والتربية والتعليم إلى ما يسمونه بالأخلاق العامة أو العادات العامة...

نعم.. قد تمر بالأمة أو الأمم فترات إنحطاط وتقهقر.. وذلك يرجع إلى إهمالها العناية بثقافتها وتربيتها والشعور بحريتها وكرامتها، ونسيانها قدر ما أصابت من قيم خلقية وإجتماعية، فإذا تقدمت وسائل التثقيف والتربية وإذا عرف كل فرد من أفراد الأمة والإنسانية قدر نفسه، وبذل من قوة إرادته ما يبلغه إلى مايصبو إليه من مثل عليا، فإن التقدم والترقى يجدان سبيلهما إلى هذه الأمة أو إلى الإنسانية عامة...

على أنه قد حرصنا على القول بأن التقدم الخلقى هو فى الأفكار الخلقية فحسب... ولكننا لا نستطيع أن نقول أنه فى الحياة الخلقية ذاتها.. لأن الحياة الأخلاقية تقوم على النيّة الخيّرة، وعلى الجهد الذى يبذله الفرد أو الجماعة فى سبيل الرقى، ولسنا نستطيع أن ندّعى بأن نيتنا أسلم وأطهر من نيات أسلافنا، أو أننا نبذل مجهودا أكبر من المجهود الذى كان يبذله الأقدمون فى سبيل تقويم نفوسهم، وما أشبه الفرق بين الأمة فى جيل، وبينها فى جيل آخر وقد أدركها فيه

تطور وتقدم فى الأفكار الخلقية، بالفرق بين رجل وقد كان طفلاً لا يستطيع أن يقذف الكرة إلاّ إلي مستوى خاص، وبينه وقد أصبح رجلاً يمكنه أن يقذف بها فى العلو إلى مستوى أعلى... وكما أننا لا نستطيع أن نقول، أن الطفل كان أقل من الرجل رغبة فى الإرتفاع بالكرة إلى أعلى مسافة يمكن أن ترتفع إليها الكرة، وكما أننا لا نستطيع كذلك أن نحكم بأن الطفل بذل من الجهد فى سبيل قذف الكرة ما يقل عما بذله الرجل، كذلك لا نستطيع أن نحكم على أمة أنها أقل رغبة أو نيّة لإدراك الكمال منها فى جيل آخر، أو أنها أقل جهداً فى سبيل تحقيق هذه الرغبة وتنفيذ هذه النيّة، لقد كان اليونان يرغبون فى البطولة فى أول عهدهم، كما أنهم قصدوا هذه البطولة فى سائر عصورهم، ولكنهم كانوا يفهمون البطولة فى عصر على غير المعنى الذى يفهمونها عليه فى عصر آخر، فقد فهموها أولاً على أنها بطولة مادية، ثم فهموها على أنها بطولة فكرية، وأخيراً على أنها بطولة نفسانية أو معنوية، فالبطولة نفسها لم تتبدل فى حقيقتها وجوهرها عند اليونان، وإنما تبدلت فى معناها الذى لبسته خلال العصور، أو بعبارة أخرى أن الذى تبدل من البطولة هو مادتها وليست روحها أو صورتها، وقد يخضع هذا التبدل والتحول لعوامل المنفعة أو العادة أو العرف أو التقاليد أو مستوى الثقافة ومدى إتساع الفكرة، لكنه تحول فى التطبيقات لا فى المبادىء الأخلاقية...

النتائج التى نستخلصها من تمايز الضمير وتغايره:

هذا العرض لإختلافات الضمير من فرد إلى فرد ومن أمة إلى أمة.. وفى الفرد الواحد من مرحلة إلى مرحلة.. وفى الأمة الواحدة من جيل إلى جيل.. ليس عرضا لتغيرات فحسب، وإنما هو ينطوى على قواعد عامة وعبرات هامة، يمكن أن نفيد معها بعد فراغنا من هذا العرض...

الدرس الأول : أو العبرة الأولى: أن الضمير ليس معصوماً من الخطأ.. فقد رأينا هذا الضمير يبيح فى بعض الأحيان أمورا لا يبيحها فى أحيان أخرى، وقد يستحسن فى بعض البلاد فعالاً يستقبحها فى بلاد أخرى. ورأينا أيضاً أن هذا الإختلاف يرجع إلى محتويات العقل ومدى الحساسية وقوة الإرادة، ومستوى الأفكار الخلقية وقدر الثقافة وضروب التربية والتعليم. وإذن فالضمير وإن كان هادياً حقاً لكنه مع ذلك ليس مرشداً معصوماً من الزلل، فقد يحكم فى مسألة ما على قدر معرفة الإنسان عنها، ولكنه لا يستطيع أن يتخطى حدود هذه المعرفة إلى الحقيقة ذاتها، ولا يمكنه أن يهدينا إلى سلوك يعتبر سلوكاً صالحاً لكل عصر، فهو هاد لكنه مؤقت يوجهنا بقدر مالنا من علم وعرفان...

هذا.. ولما كان الضمير يخضع لمؤثرات تضعفه وتخدره وقد توقف عمله أو تعطله، فلم يعد إذن لهذا الإنسان هذا القائد الذى يهدى فقد أصبح مريضاً معلولاً، وقد إختلت أحكامه على الخير والشر...

لهذا وذلك لا يمكن أن نركن إلى الضمير - فى كل شىء - كأنه القائد الأمين أو كأنه المرشد الوحيد، فمادام الضمير غير معصوم من الخطأ، فلسنا نطمئن إذن إلى حكمه دواماً، بل يجب أن نضيف إليه محكماً آخر ليخبر الأفعال التى حكم هو عليها بالصواب أو الخطأ، بالخير أو الشر، أجل إن الضمير قد يكفى لهداية البعض، ولكنه ليس يكفى لهداية الكل، قد يكون قائداً أميناً نزيها بالنسبة لذوى الضمائر السليمة.. المستقيمة، والذين قد أصابوا نصيب وافر من العقل والعاطفة والإرادة، وألفوا من مجموعها وحدة مؤتلفة متكافئة القوى، ولكنه لا يكون كذلك لذوى الضمائر السقيمة المنحرفة، وحتى أولئك من ذوى الضمائر السليمة يجب ألا يغتروا بنفوسهم، فيظنوا أن أحكامهم صحيحة دائماً، مع أنها قد تصلح لهدايتهم فى هذا الوقت ولكنها لابد أن تتغير تبعاً لما يجب أن يزودوا نفوسهم به من معارف وخبرات...

لهذا إهتدى سقراط ولم يهتد غيره ممن كانوا يعيشون معه فى عصر واحد، ولكن هدايته كانت على كل حال مناسبة لما حصله من هذه المعارف والخبرات، ولو كان فى غير عصره لهداه ضميره هذا السليم إلى نواحى أخرى لم يستطع أن يهتدى إليها...

ولهذا أيضاً.. دعت الحاجة إلى شريعة أخرى غير الشريعة الطبيعية أو الضمير، لتزود الضمير بالمعرفة الإلهية الكاملة، ولكى تقيد الزلل والوقوع فى الخطأ إذا غفلت قواه عن الإدراك والتمييز، ولكى تعوض ما طرأ عليه من نقص وفساد نتيجة ألفته للشر والعصيان..

هذا هو الفرق إذن بين الشعوب الوثنية والشعوب ذات الشرائع السماوية، تلك ليس لها غير ضميرها شاهداً وحكماً... أما الشعوب صاحبة الشريعة السماوية فلها حكم آخر فوق هذا الحكم غير المعصوم (وهو الضمير)... **لها شريعة مكتوبة تعصم هذا الضمير من الخطأ فى أحكامه**... وتوضح ما أبهم عليه وأشكل، وتزيده نوراً على نور بعد أن فقد هذا النور الأخير شدة ضيائه وقوة بهائه...

الضمير فى عهد الشريعة:

جاءت الشريعة الأدبية فى العهد القديم... تقول للإنسان لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم الوالدين. اعبد الله واسمع لوصاياه.. والواقع أن هذه الوصايا ليست جديدة البتة، وإنما هى تكرار وإعادة لما طبع أولاً فى النفس البشرية، ولكن لما رأى الله أن معالم هذا الطبع قد

أوشكت أن تمحى، خط عليها مرة ثانية ليبرزها ويعيدها إلى الوضوح الذى كان لها منذ القديم، منذ أن كان الإنسان طاهراً مستقيماً، ومنذ أن كان ميزان نفسه حساساً دقيقاً، ومنذ أن كان ضميره عفا سليماً، وقد قال القديس يوحنا ذهبى الفم: «إن الله تعالى قد تقدم فى إبتداء خلقه العالم، ورسم فى قلوب البشر ناموساً طبيعياً أى نور ومعرفة ترشد الإنسان إلى ما ينبغى له فعله، ولكن لما رأى تعالى أن كثرة الخطايا والإدمان عليها، قد أبطلا من قلوب البشر تلك السنة الطبيعية التى بها كانوا يهتدون إلى معرفة الخير وتمييز الشر، شاء بجودته غير المتناهية أن يمنحهم شريعة مكتتبة لكى يجدد بها رسم الناموس الطبيعى فى قلوبهم...

وليس مقصوداً هنا أن نبطل عمل الضمير أو نحتقر همساته، بل على العكس نريد أن نبين أن هذه الهمسات لا تكفى لأنها قد تضعف وقد تفتر وتخمد فيجب أن نقابلها بالضوء الأعظم، ضوء الشريعة المكتوبة وحينئذ نعرف الحقيقة فتستنير بها ضمائرنا، وتصير أكثر يقظة وأرفع إحساساً، فالشريعة إذن عون للضمير يستعين بها على ضعف الطبيعة وظلام الجهالة والضلال، وهكذا نطمئن إلى أحكام الضمير وهمساته فبعد أن كانت هذه الهمسات موضع شكٍّ لما نحن فيه من جهالة ونقص، أصبحت هذه الهمسات ذات سلطان لا يتناوله الشك من جانب، لأنها قد اعتمدت على إعلانات الشريعة الواضحة، ولهذا يجد الضمير فرصة للقيام بعمله بنشاط أكبر وقوة أعظم..

الضمير فى نور المسيح:

والضمير فى نور المسيح **أكثر تمييزاً وأغزر مادة وأرهف حسا وأقوى إرادة**، مما كان عليه فى ضوء الشريعة المكتوبة أو بغير الشريعة المكتوبة، وذلك لأن .. السيد المسيح. ، قد وسع من معانى الشريعة المكتوبة وأوضح مبهماتها وغوامضها، ونقل حدودها العليا، فجعلها كمًّا لا يرتقب ولا يُدرك، لأنه كلما جد المسيحى فى أثره جرى الكمال أمامه... أو أدرك هو أنه بعيد من الكمال المرتجى، فلم يعد القتل قاصرا على نوعه المادى، ولكنه قد يكون مادياً وقد يكون أدبياً أو نفسياً أو روحياً، لم يبق الزنى هو إرتكاب الفحشاء فى الظاهر، ولكن تعداه إلى إتجاه النفس إليه فى الباطن، وهكذا قل فى سائر الوصايا المكتوبة أنها غدت فى نور المسيح أوسع معنى وأرحب مغزى وأبعد مدى...

على أن الضمير قد اكتسب فى نور المسيح قوة أخرى.. وذلك **بمواهب الروح القدس** ففى سر المعمودية نلنا التبنى والتبرير والفداء.. وأصبحنا معتقين من عبودية الخطية والإثم، **فاستنارت أذهاننا ورقت قساوة قلوبنا** التى إرتفعت عنها غباوة الخطيئة القديمة أصلية كانت أو فعلية، ونجت من عقوبة أبدية وسلطان الشيطان وتضليله، وفى سر الميرون حصلنا على

ختم موهبة الروح القدس وصرنا مثبتين فى الروح مجندين ومسلحين ضد إغراءات الخطيئة وسلطان الشيطان.

يقول الرسول فى ذلك: «فلندن بقلب صادق وإيمان كامل وقد طهر الرش قلوبنا من دنس الضمير وغسل الماء النقى أجسادنا» (١).

«لأنه إن كان دم تيوس وثيران ورماد عجلة يرش على المنجسين فيقدسهم لتطهير أجسادهم، فكم بالأحرى دم المسيح الذى بالروح الأزلى قرّب نفسه لله بلا عيب، يطهر ضمائركم من الأعمال الميتة لتخدموا الله الحى» (٢).

وأصبح الروح القدس ساكناً فينا يشفع فينا بأنات لا ينطق بها، وقد صار فينا مبعث سرور وبر وعزاء وفرح وسلام(٣)، ومحركاً نحو الفضيلة والكمال هو يرشدنا إلى الحق (٤) لأنه روح الحق الذى من عند الآب ينبثق، وهو يعلمنا كل شىء ويذكرنا بكل ما تعلمناه من الله، (٥) ولسنا فى حاجة أن يعلمنا أحد عن الله، بل نحن قد تعلمنا من الله بفضل هذه المسحة القدسيّة التى مسحنا بها (٦) فأصبحنا بها مسحاء وشركاء الروح القدس والطبيعة الإلهية، كما أنه يخبرنا بأمور آتية (٧)، ويبكتنا عن خطايانا(٨)...

وقد عبر الرسول بولس عن هذه الإمتيازات التى نلناها بسّرى المعمودية والميرون فى رسالته إلى العبرانيين بقوله: «فلندع إذن كلام البداءة فى المسيح، ولنأت إلى الكمال من غير أن نضع أيضاً أساس التوبة من الأعمال الميتة، الإيمان بالله، وتعليم المعموديات، وضع الأيدى، وقيامة الأموات، والدينونة الأبدية وهذا سنصنعه إن أذن الله، لأن الذين قد استنيروا مرة، وذاقوا الموهبة السماوية، وصاروا شركاء الروح القدس، وذاقوا كلمة الله الطيبة وقوات الدهر الآتى، ثم سقطوا فلا يمكنهم أن يتجددوا ثانية للتوبة صالبين لأنفسهم ابن الله ثانية ومشهرين إياه» (٩)

فقد أبان الرسول فعل سّرى المعمودية ووضع اليد (الميرون) بأننا فى المعمودية ننال إستحقاقات صلب المسيح، وبالميرون نصير شركاء الروح القدس أى أننا فى سر العماد ننال الفداء والتبرير، وفى الميرون التقديس والتثبيت.

ولذا فإن الإنسان لا ينال هذين السرّين أكثر من مرة واحدة. لأن المسيح لم يصلب، ولم يشهر به إلاّ مرّة واحدة...

(١) عب ١٠: ٢٢ (٢) عب ٩: ١٣، ١٤ (٣) يو ١٥: ٢٦، رو ١٤: ١٧
(٤) يو ١٦: ١٣ (٥) يو ١٤: ٢٦ (٦) يو ٢: ٢٧
(٧) يو ١٦: ١٣ (٨) يو ١٦: ٨ ـ ١١ (٩) عب ٦: ١ ـ ٦

وهكذا يتضح لنا أننا بنوال هذين السرين العظيمين، نفوز بالإستنارة وذوق المواهب السماوية والاستمتاع بشركة الروح القدس، وهذا معناه أن نور الضمير يزداد إشراقاً بسرّى المعمودية والميرون. ولذلك فإن من يسقط ويرفض هذا النور الوضّاح، فلن يكون له سبيل إلى التوبة، لا من قبل نفسه التى قد عميت ولا من قبل الله الذى قد يرفض توبته حتى لو سعى إليها بدموع (١).

* * *

ما أبعد الفرق إذن بين الضمير فى العهد القديم.. والضمير فى العهد الجديد، أو ما أعظم الكسب الذى أحرزه الضمير فى العهد الجديد عن طريق الأسرار المقدسة القائمة على دم الفادى المسيح، قال الرسول عن العهد القديم: «هو مثال للوقت الحاضر الذى يُقرب فيه قرابين وذبائح غير قادره على أن تعطى الكمال من جهة الضمير للذى يخدم» (٢) وإلا كان يكُف عن تقديمها، حتى أن هؤلاء الذين كانوا يقدمون هذه الخدمة، إذا كانوا قد طهروا مرّة، لا يكون ضميرهم مثقلاً بعد بالخطايا» (٣)

والدرس الثانى: الذى نتعلمه مما سبق أن الضمير لا يعصمنا من الوقوع فى الخطأ.. فالضمير وإن كان مرشداً لكنه لا يرشدنا إلى الصواب دائماً، فقد يخطىء أحياناً متأثراً بشتى المؤثرات من ميول وشهوات... وتقاليد وعادات... فضلاً عن البيئات والثقافات... إلى غيرها من المؤثرات الداخلية والخارجية، والتى قد رأينا كيف يتأثر الضمير بها فيما يصدره على الأفكار والأقوال والأعمال من أحكام وتقديرات. ومادام الضمير يخضع لهذه العوامل ويتأثر بها، فلسنا نستطيع أن نسلم له القياد دائماً، بل يجب أن نتريث ونتروى لئلا تكون أحكامه ناقصة فى تحليلها أو متأثرة بفكرة سابقة أو عادة أو ميل أو شهوة، وإلا فماذا نقول عن أشخاص يرتكبون شروراً دون أن تؤنبهم على ذلك ضمائرهم، أو على الأقل دون أن يكون لهذا التأنيب أثر واضح فى تصرفاتهم...

الواقع... أننا كثيراً ما نخطىء، وقد نكون حسنى النيّة فى أخطائنا وضمائرنا هى التى أرشدتنا، ولذلك لا تؤنبنا، ومع ذلك فقد وقعنا فى الخطأ جهلاً منا وضلالاً ونسياناً، فلو كان الضمير مرشداً أميناً على الدوام، لما وقعنا فى خطأ على الإطلاق ولكن إذا كان الضمير يتأثر كان قد إنتهبه سيزينه بأفخر التحف ويرد الآنية المقدسة أضعافاً، ويؤدى النفقات المفروضةقدس من الخطأ لأنه لا يمكن أن يعلم كل شىء، ولا يمكن أن يتنبأ بكل شىء، مهما تكن نيّتنا سليمة ومقاصدنا عالية رفيعة...

(١) عب ١٢: ١٧ (٢) عب ٩: ٩ (٣) عب ١٠: ٢

كثيرون من الناس يتصرفون بوحى ضمائرهم فإذا خطَّأهم غيرهم، قالوا لم نخطىء لأن ضميرنا هو الذى أرشدنا.. فليعلم هؤلاء إذن أن الضمير لا يعصم الإنسان من الخطأ.. فهو يتصرف ويحكم فيما يملك، ولكنه قد يغير من حكمه لو اطّلع على حيثيات جديدة.

ومهما بلغ الضمير من شدة الإرهاف ودقة الإحساس، ومهما كان من شأن هذا الإحساس وذلك الإرهاف فى حياة المسيحى، الذى اقتبل سرّى المعمودية والميرون، وواظب على سرّى التوبة والتناول وسائر الرياضات والعبادات، من صلوات وأصوام وتأملات وقراءات، فإن المسيحى بعد هذا كله لا يصبح معصوماً من الخطأ فى كل ما يصدر عنه، لأن الله لن يعطينا عطية ليحرمنا من الأخرى، فإن وهبنا الأسرار للنمو فى الفضيلة وطريق الكمال، فكيف يحرمنا من نعمة الحرية والإرادة الحرّة المختارة... إن الأسرار تعين الضمير وتقويه ولكنها لا تعصم الإنسان من الوقوع فى الخطأ.. وإلا فكيف تفسر الأخطاء التى وقع فيها المسيحيون ويقعون فيها كل يوم... والهرطقات والتعاليم المضلة التى روج لها قوم مسيحيون قد بلغوا من التقوى بنصيب، وكيف تفسر التنهدات التى تنبعث من نفوس القديسين وقد شعروا أنهم خطاة ناقصون؟؟.. إلا بأن هذا الضمير لم يستطع على أى حال أن يعصمهم من الوقوع فى الخطأ..

فليحذر كل إمرىء.. وليحذر رجل الدين بالأخص من أن يظن نفسه أنه قد بلغ العصمة وأدرك الكمال.. وأن كل ما يراه ضميره ويصدر عنه إنما هو طهر كله أو صحيح كله... فهناك من العوامل مالا حصر له، داخلية وخارجية يتأثر به ضمير الإنسان، بعض مشعور به، وبعضه غير مشعور به... وهذا وذلك يكيف أحكام الضمير وإلزاماته...

قال الرسول: «وأما أنا فأقل شىء عندى أن يحكم فىّ منكم أو من يوم بشر، بل أنا أيضاً لا أحكم فى نفسى.. فإنى لست أشعر بشىء فى ضميرى لكننى لست مبرراً بذلك، فأما الذى يحكم فى فهو الرب» (١).

فأى فكرة أو حكم يصدر عن ضميرك، يجب أن تخضعه لمقاييس الصحة أو مقياس الكمال، يجب أن تقابل بين هذا الحكم، وبين نصوص الكتاب المقدس وأقوال القديسين المشهود لهم بالورع والحكمة والعمق، فالحق واحد والحقيقة ليست متناقضة، والروح القدس لن يهدى برأيين متعارضين، الوحدة فى الرأى والوحدة فى الفكر، والوحدة فى المعتقد، والوحدة فى النظرة إلى

---

(١) ١. كو ٤: ٣، ٤

الكمال، هى المقياس الأعلى الذى يجب أن نترسمه فى كل شىء.. الوحدة، نعم الوحدة هى المقياس، والكتاب المقدس فى مختلف نصوصه وفى متنوع أسفاره خاضع لهذه الوحدة، ويجب أن يخضع المفسرون لنصوصه، للوحدة السارية بين أسفاره وللوحدة السارية بين أقواله من جهة، وبين ما سلمه الرسل وخلفاؤهم من جهة أخرى، والتقليد أيضاً خاضع لهذه الوحدة، والمجامع المقدسة خاضعة لهذه الوحدة، فكل كتاب يزعم أنه مقدس ولا يخضع للوحدة العامة فهو كتاب مزور منتحل، وكل تقليد يخرج عن هذه الوحدة فهو تقليد دخيل، وكل مجمع يتحدى هذه الوحدة فهو مجمع باطل...

والضمير أيضاً لا يعصمنا من الخطأ.. إذا فسدت نياتنا، وإلتوت مقاصدنا، فهو سلطة باطنية، لكن المرء يستطيع أن يتحداها ويخرج على أوامرها، حقاً أنه سلطة رهيبة جليلة لكنه لا يقهرنا على فعل ما يرتئيه، نعم قد يؤنبنا ويوبخنا ويحكم علينا، ولكنه لا يقيد حريتنا ولا يسلب إرادتنا...

ويقول بعض المفكرين: «الضمير قاض عادل ضعيف، والضعف واقف فى سبيل تنفيذ أحكامه..»

وهذا يفسر ما يصرح به الناس من أقوال وما يذهبون إليه من أفكار، وما يقومون به من أعمال لا ترضى عنها جميعاً ضمائرهم، وهم يكلفون نفوسهم مشقة كبيرة فى إقناع هذه الضمائر بالأدلة والبراهين، ومن هنا فإن ما يلجأ إليه الملحدون من مقاومة لله، وما يحاولونه من جهود للبرهنة على عدم وجود إله، يعد عند المؤمنين دليلاً على أن ضمائرهم توحى إليهم بوجود الله، وهم يحاولون أن يسكتوا هذه الضمائر بإقناعها بالأدلة والبراهين، ولكنهم قد يفلحون إلى حين مع أنهم فى كثير من الأحيان لا يفلحون، وكثيرون منهم قد إعترفوا فى نهاية المعركة بأنهم خاسرون ونادمون على ما كانوا يفعلون ويفتكرون...

ومن بين هؤلاء عالم يقال له شميل.. اضطر أن يعترف وهو على فراش الموت بأنه كان أحمق عندما كان ينكر وجود الله، وأنه وهو على أبواب الأبدية يقر بالله والأبدية والخلود.» وقد وقفت الليدى هوب وهى إحدى شريفات الإنكليز، وإمرأة تقية، وسط مؤتمر نورثفيلد الدينى بأمريكا، وذكرت حادثة شاهدتها بعينها وقد نقلتها عنها جريدة (المراقب الممتحن) الأمريكية وهى:

«... فى ذات عصر يوم خريفى جميل الطقس، طُلب منى أن أدخل وأجلس مع الأستاذ تشارلس دارون، وكان كلما يقع نظرى على ذلك الوجه.. ازداد إعتقاداً بأنه سيكون زينة أكاديميتنا الملوكية، فلما دخلت عليه وجدته جالساً على فراشه، ولابساً قفطاناً ارجوانياً مزركشاً

ومزيناً بألوان جميلة، وحوله المخدات الحريرية تسنده، وكان يشخص ببصره إلى الغابات وحقول الحنطة، فسّر عندما دخلت عليه، وأشار بيده الواحدة إلى النافذة التى كان ينظر منها إلى ذلك المنظر البديع، بينما كان يمسك باليد الأخرى الكتاب المقدس الذى كان يطالع فيه على الدوام مدة ملازمته الفراش، فلما جلست بجانب فراشه ابتدرته بالسؤال... ماذا تقرأ يا أستاذ؟ فأجابنى : «العبرانيين ، وهو السفر الملوكى ألا ترينه سفرا ملوكيا وعظيماً بالحق؟؟ ثم وضع أصبعه على بعض الأعداد، وأخذ يقرأ ويشرح، فأشرت إلى بعض أفكار الناس من الإصحاحات الأولى من سفر التكوين، فظهر عليه الملل والضجر، وحرك أصابعه بسرعة وإنفعال، وقال بصوته الحزين الآسف... لما كنت صغيراً لم يكن لى فكر خاص، فنبذت عنى كل المباحثات والأسئلة والظنون، وكنت أتعجب كل الوقت من كل شيء.. ولزيادة دهشتى إنطلقت أفكارى هذه، كالنار بين الناس وسرعان ما كونوا منها ديناً غير دينى.. ثم صمت ونطق بجمل مختصرة عن قداسة الله وعظمة الكتاب المقدس، وهو ينظر إلى الكتاب الذى بيده ويشير إليه.. ثم قال فجأة : لى بيت صيفى فى تلك الحديقة يسع نحو ٣٠ رجلاً، أنه هنالك أمامنا.. ثم أشار بأصبعه نحوه.. وقال : أرغب إليك من كل قلبى أن تذهبى إليه وتعقدى فيه إجتماعاً دينياً، لأنى أعرف أنك تعقدين إجتماعات دينية فى القرى لقراءة الكتاب المقدس، فآمل أنك غداً بعد الظهر تعقدين إجتماعاً للعمال، الذين يشتغلون هناك، والمستأجرين والقاطنين فى تلك الجهة والجيران أيضاً، فهل تعدينى أنك تفعلين هذا، فقلت.. هل أخاطبهم عن ... فقاطعنى بسرعة وقال بصوت واضح.. عن يسوع المسيح.. ثم خفض صوته وقال وعن خلاصه، أليس هذا هو أفضل موضوع، ثم أريد أن ترتلى معهم بعض الترانيم، وأن تقدمى لهم على الآلة الموسيقية التى تخصك.. وراعنى لمعان وجهه والإرتياح الذى بدى عليه عندما قال هذه الكلمات.. ثم أردف.. إذا إبتدأت بالإجتماع الساعة الثالثة بعد الظهر، فإن النافذة ستكون مفتوحة، وتأكدى أنى أشترك معكم. فى الترتيل.(١)

وهذا هو عين ما سطره الوحى فى سفر المكابيين الثانى عن انطيوكس الذى خيل له بزهوه الذى لم يبلغ إليه إنسان، أنه يحكم على أمواج البحر، ويجعل قمم الجبال فى كفة الميزان وكان يزين له أنه يمس كواكب السماء... فقد استشاط غضباً على اليهود وأزمع أن يوقع بهم شرا مستطيرا.. «فأمر سائق عجلته بأن يجد فى السير بغير إنقطاع، وقد حل به القضاء من السماء.. فإنه قال فى تجبره:.. لآتين أورشليم ولأجعلنها مدفناً لليهود لكن الرب إله إسرائيل، البصير بكل

---

(١) راجع كتاب «بحث فى حقيقة الإيمان، للقمص إبراهيم لوقا.. مطبعة اليقظة سنة ١٩٢٢.. المحاضرة الثالثة.. ص ١٦٠، ١٦١، ١٦٢.

شيء، ضربه ضربة معضلة غير منظورة، فإنه لم يفرغ من كلامه ذاك حتى أخذه داء فى أحشائه لا دواء له ومغص أليم فى جوفه.. وكان ذلك عين العدل فى حقه لأنه عذب أحشاء كثيرين بالآلام المتنوعة الغريبة.. لكنه لم يكن ليكف عن عتيه وإنما بقى صدره ممتلئاً من الكبرياء ينفث نار الحنق على اليهود، ويحث على الإسراع فى السير، حتى أنه من شدة الجرى سقط من عجلته، فترضضت بتلك السقطة الهائلة جميع أعضاء جسمه، فأصبح مصروعاً على الأرض محمولاً فى محفّة شهادة للجميع بقدرة الله الجليلة... حتى كانت الديدان تنبع من جسد ذلك المنافق، ولحمه يتساقط وهو حى بالآلام والأوجاع، وصار الجيش كله يكره نتن رائحته، حتى.. لم يكن أحداً يطيق حمله لشدة رائحته التى لا تحتمل، فلما رأى نفسه فى تلك الحال من تمزق جسمه، أخذ ينزل عن كبريائه المفرطة ويتعقل الحق، إذ كانت الأوجاع تزداد فيه على الساعات بالضربة الإلهية.. حتى أنه هو نفسه أمسى لا يطيق نتنه، فقال: حق على الإنسان أن يخضع لله، وأن لا يحمله الكبر، وهو فانٍ، على أن يحسب نفسه معادلاً لله... وكان ذلك الفاجر يتضرع إلى الرب، لكن الرب لم يرحمه من بعد.. ونذر أن المدينة المقدسة التى كان يقصدها حثيثا ليمحو آثارها ويجعلها مدفناً.. سيجعلها حرة.. وأن اليهود الذين كان قد قضى عليهم بأن لا يدفنوا بل يلقوا مع أطفالهم للطيور والوحوش سيساويهم جميعاً بالآثيينين. وأن الهيكل المقدس الذى كان قد إنتهبه سيزينه بأفخر التحف ويرد الآنية المقدسة أضعافاً، ويؤدى النفقات المفروضة للذبائح من دخله الخاص، بل إنه هو نفسه يتهود ويطوف كل معمور فى الأرض ينادى بقدرة الله، وإذ لم تسكن آلامه، لأن قضاء الله العادل كان قد حل عليه، قنط من نفسه وكتب إلى اليهود رسالة فى معنى التوسل.. وهذه صورتها: «من انطيوكس الملك القائد إلى رعايا اليهود الأفاضل.. السلام الكثير والعافية والغبطة.. إذا كنتم فى سلامة وكان أولادكم وكل شيء لكم على ما تحبون، فإنى أشكر الله شكراً جزيلاً.. أما أنا فرجائى منوط بالسماء.. وبعد، فإنى منذ اعتللت لم أزل أذكركم بالمودّة ناوياً لكم الكرامة والخير، فإنى فى إيابى من نواحى فارس، أصابنى داء شديد، فرأيت من الواجب أن أصرف العناية إلى مصلحة الجميع.. ليس لأنى قانط من نفسى، فإن لى رجاءً وثيقاً أن أتخلص من علتى»(١).

وأقرب إلى هذه الواقعة الأخيرة، حادثة نبوخذ نصر ملك بابل، وقد كان يتمشى على قصر مملكة بابل ويقول بعجب وكبر: «أليست هذه بابل العظيمة التى بنيتها لبيت الملك بقوة إقتدارى ولجلال مجدى، والكلمة بعد فى فم الملك، وقع صوت من السماء، قائلاً: لك يقولون يا نبوخذ نصر الملك، أن الملك قد زال عنك، ويطردونك من بين الناس، وتكون سكْنَاك مع حيوان البر،

(١) سفر المكابيين الثانى فصل ٩ ابتداء من عدد ١ ـ ٢٢

ويطعمونك العشب كالثيران، فتمضى عليك سبعة أزمنة، حتى تعلم أن العلى يتسلط على ملك البشر، ويجعل له من يشاء.. فى تلك الساعة، تم الأمر على نبوخذ نصر، فطرد من بين الناس وأكل العشب كالثيران، وابتل جسمه بندى السماء، حتى طال شعره كريش النسور وأظفاره مثل مخالب الطيور، وعند إنتهاء الأيام، أنا نبوخذ نصر: رفعت عينى إلى السماء فرجع إلىّ عقلى، وباركت العلى.. وسبحت وحمدت الحى إلى الأبد، الذى سلطانه سلطان أبدى وملكوته إلى دور فدور.. وحسبت جميع سكان الأرض كلا شىء.. وهو يفعل كما يشاء فى جند السماء وسكان الأرض ولا يوجد من يمنع يده أو يقول ماذا تفعل: فى ذلك الوقت، رجع إلىّ عقلى، وعاد إلىّ جلال مملكتى ومجدى وبهائى وطلبنى مشيرى وعظمائى، وتثبت على مملكتى وازدادت لى عظمة كثيرة، فالآن أنا نبوخذ نصر، أسبح، وأعظم، وأحمد ملك السماء الذى كل أعماله حق وطرقه عدل، ومن يسلك بالكبرياء فهو قادر على أن يذله، (١).

هذه الوقائع وأمثالها كثيرة، توضح لنا أن المرء قد يتحدى أوامر الضمير ويخرج عنها، على الرغم من قوتها وهيبتها، وأن التوبة عن الشرور تقوم فى الواقع على تأنيب الضمير، بحيث أنه لا يمكن أن نفسر التوبة أى الندامة على الخطأ ومايستشعره الإنسان من ألم مضر نتيجة إرتكاب هذا الخطأ إلاّ بوجود هذا الهاتف الباطنى الذى ندعوه الضمير..

وإذن فمن المستطاع على أى حال أن نسكت صوت الضمير، وأن نفعل على غير ما يريد الضمير، «قال القديس أوغسطينوس بهذا المعنى: «... أن الله سبحانه وتعالى. نصب فى قلب الإنسان ديواناً، وجعل فيه العقل قاضياً.. والضمير مدعياً، والفكر شاهداً، وكتب بأصبعه العزيزة على صحائف القلب آيات وجوده تعالى، ووحدانيته وأزليته وتكوينه العالم وعنايته به، فالضمير يقيم الدعوى على الإنسان مبيناً إلتزامات الشريعة مميزاً بين الحلال والحرام، بين الخير والشر، موضحاً أن هذا الفعل الذى يقدم عليه الإنسان خير يجب أن يتبع أو شر يجب أن يجتنب، وأن نية الإنسان فيه خيّرة، أو شريرة، ولكن العقل الذى يصرف شئون الحياة كلها قد يقبل دعوى الضمير أو يرفضها، تبعاً لمصلحة الإنسان ووفقاً لخيره المادى أو الخارجى، وعلى هذا يفعل الإنسان الفعل على الرغم من صوت الضمير، وهنا يحتج الضمير ويغضب، ولا يكف عن توبيخاته وتقريعاته، التى تظل تقوى كلما اكتشف الضمير سبباً جديداً يحتج به على سوء تصرف الإنسان، ثم ينتصب فى موقف القضاء ليحكم على الفعل وعلى صاحبه بالشر والنقصان، الضمير إذن لا يعصمنا من الخطأ، بل ينبهنا إلى الخطأ على ما فى حيازة الإنسان من معرفة وخبرة.

---

(١) دانيال ٤: ٢٧ ـ ٣٤

والدرس الثالث: الذى نستخلصه من إختلاف الضمير.. هو أن فساد الضمير فى فرد أو أمة ليس دليلاً على فساده فى جميع الأفراد أو جميع الأمم... فمن الخطأ أن نعمم الحكم ونذهب فى الإستنتاج إلى درجة تدنو بنا من اليأس فى ميدان المعتقدات الخلقية أو من الشك الهدام، الذى ننكر معه وجود هذه السلطة المقدسة الباطنية وهى الضمير، على أننا نقصد حقاً هنا فقدان الضمير إرهافه ودقة ثورته للأخطاء وعدم قيامه بوظيفته أتم القيام.. وهذا يرجع دون شك إلى مؤثرات البيئة والعادات السائدة والإتجاهات الإجتماعية الغالبة، وإلى الثقافة والعصر وما إلى ذلك... فهذا كله من شأنه أن يفعل فى الضمير فعلاً شديداً، فلابد أن تكون أحكامه على الأفعال الإنسانية متأثرة بهذه العوامل. ولئن كان حقاً أن الضمير فى بعض الأفراد الممتازين يمكنه أن يخرج على البيئة، وأن يحتج على المعتقدات والأفكار الخلقية التى تسود المجتمع، لكن هذا الخروج أو الإحتجاج ليس يخلو ناحية من نواحيه من التأثر بهذه العوامل البيئية. وإن كان فى سائر النواحى أو فى بعضها يبدو للناس أنه خروج واضح وإحتجاج عنيف..

هذا وأن ما يظهر من تصرفات بعض الأشخاص من مقاومة لبيئتهم ومناهضة لأفكار وأفعال الوسط الذى يحيون فيه.. وإن دل على شىء فإنما يدل أولاً وبالذات على أن الضمير ليس مجرد عادات وتقاليد بيئية، بل هو سلطة يمكن أن تقف فى وجه المجتمع، وتخرج على رأى البيئة متنكرة للمعتقدات الشعبية السائدة والأفكار الخلقية الغالبة. فالضمير إذن سلطة والضمير إذن له وجود مهما كان من شأن فساده فى فرد أو أفراد، فى أمة أو فى أمم...

والدرس الرابع: هو أن الضمير وإن لم يكن معصوماً من الخطأ فى بيان الواجبات الجزئية، لكنه معصوم من الخطأ فى تقرير مبدأ الواجب العام.

ومهما يكن من شأن هذه الإختلافات فى ضمائر الأفراد والأمم، فإن الشريعة الطبيعية فى ذاتها واحدة، والضمير فى جوهره وصميم مضمونه واحد لا يتبدل ولا يتغير بتغير الأفراد أو البيئات أو العصور، ذلك أن الشريعة الطبيعية أو الضمير يقوم بإقرار النظام الأدبى فى حياة الإنسان، بما يتفق وتحقيق غايته الطبيعية، فطالما أن الإنسان إنسان وطالما أن الشريعة تشرف على إقرار النظام الأدبى الذى يلائم الطبيعة الإنسانية من حيث هى طبيعة ناطقة عاقلة، فهذه الشريعة لا يعتورها تغيير على الإطلاق وإنما التغيير يتناول النتائج البعيدة والتطبيقات والجزئيات..

فليكن أن أمة ما تعبد الشمس أو القمر أو النجوم، وأن غيرها تبخر للحيوان أو التماثيل أو الأحجار، وأخرى تدين للهوام والحشرات، ولكنها جميعاً تدرك بطبيعتها أن هناك إلهاً وأن على

الإنسان نحو هذا الإله واجب التعبد والخضوع والإكرام، إليه نسأل، ومنه نطلب وإياه نشكر ونعظم ونبارك..

وليكن أن أمة ما تبيح القتل أو السرقة أو الزنى.. بينما تعارضها أمة أخرى فى ذلك كل المعارضة.. ولكن ليس يغرب عن بالنا أن الأمة التى أباحت هذه الجريمة لم تبحها إباحة تامة، بل أباحتها فى قيود وحدود معلومة قصت بها منفعة هذه الأمة أو شهواتها، ولكنها مع ذلك قضت بتحريمها فى غير هذه الحدود المعلومة..

فالشر المباح ليس هو الشر المطلق بل شر جزئى محدود مقيد مشروط.. وإذن فعلى الرغم من الإختلاف فى الجزئيات، هناك إتفاق فى المبدأ العام من تمييز بين الخير والشر.. ومن أن الخير يجب أن يقصد إليه الإنسان، فقد نختلف على مادة الخير والشر وتبقى الصورة واحدة، وقد نختلف على ماهية هذا الخير، ولكننا متفقون جميعاً على إحترام الخير فى ذاته وعلى كراهية الشر فى ذاته..

الضمير إذن قد يكون عرضة للخطأ فى إيضاح واجباتنا، ولكنه معصوم من الخطأ فى التنبيه على الخير المطلق والدعوة إلى الواجب بمعناه العام. ليس الضمير إذن مجموعة آراء قابلة للتغير على الدوام، وإنما الضمير يستند على الرغم من شتى الظروف والملابسات التى تؤثر عليه، إلى مبدأ واحد، ثابت مستقر فى الطبيعة البشرية ليس يقبل أدنى نوع من التغيير فى طبيعته وحقيقته، وهو مبدأ الخير العام والواجب المطلق.

أما أن الضمير يختلف فى بيان الجزئيات، فلأنه معرض لأن يمرض، وإذا مرض فشأنه شأن العين التى ترمد فلا تكاد تبصر على غير الحقيقة، أو كما فى حالة الإصابة بعمى الألوان Colour blindness ترى بعض الألوان ولا ترى بعضها الآخر، وبهذا لا ترى الشىء على حقيقته، أو كما تراه عين سليمة، وكأن هذا الإختلاف أو بالحرى هذا الإنحراف فى الضمير لا يشككنا فى حقيقة وجود الضمير.

والدرس الخامس: هو.. أن نتريث فى أحكامنا على التصرفات والفعال حتى نتحقق من البواعث الخلقية والملابسات الثقافية والبيئية والإجتماعية التى دعت إلى تلك التصرفات والفعال.

رأينا إختلافاً بين ضمائر الأفراد والأمم، وتبينّا أن الضمير قد يختلف من فرد إلى فرد، ومن أمة إلى أمة ومن جيل إلى جيل، وعرفنا أن هذا الإختلاف ليس فى المبادىء والأصول العامة، بل فى التطبيقات والجزئيات. وأن بواعث الخير قد لا تكون فى أمة تبيح القتل أو النهب بأقل منها فى أمة ترذلهما وتقبحهما وإنما الإختلاف نجم عن عوامل بيئية أو ثقافية أو إجتماعية أو إقتصادية أو سياسية، تحكمت على ضمير الفرد أو الجماعة فجعلتها تسلك هذا السلوك أو ذلك،

ليس هذا معناه أن من يبيح النهب أو السرقة أو القتل أو الزنى، يترك لحال سبيله يفعل ما يشاء دون أن ندرك أنه بالفعل قد ارتكب شرا محرماً، وأما مرادنا هنا أن نوسع صدرنا، فلا نحكم عاجلاً بسوء نية الفاعل وشر غايته ومقصده، بل يجب أن نتبين الأسباب والدوافع التى دفعت بالفرد أو الأمة إلى إرتكاب هذا المحظور، فإذا تحققنا من أنها دوافع خيرة، أو أن الأفعال قد صدرت عن نية سليمة وقصد صالح.. فحينئذ لا يمكن أن نحكم على صاحب الفعل بمثل ما نحكم عليه لو أنه كان سيء النية أو خبيث القصد والغاية..

بهذا التريث نعدل فى أحكامنا على الناس وفعالهم، وبه أيضاً يزداد يقيننا بوجود الضمير كسلطة باطنية وهاتف داخلى سماوى. ويقوى إيماننا فى حقيقة القواعد الخلقية والمعتقدات العامة المتصلة بالواجبات والآداب..

لقد حرم القدماء الربا وأباحه المحدثون، ولكن هؤلاء وأولئك لم يخرجوا على المبدأ الطبيعى العام الذى يستهد به الضمير فى إرشاده وهمسه، فإذا كان هذا المبدأ الطبيعى العام يقرر بأنه: «ليس للفرد أن يثرى على حساب غيره».. وكان الربا عن القدامى إثراء للمعير على حساب المستعير.. لذلك فالربا بالنسبة لهم وبالنسبة لكل من يستعمل هذا النوع من الربا، أمر محروم وفعل ذميم قبيح لا يليق بالفضلاء أن يفعلوه. وإذا كان الربا عند المحدثين هو «الأرباح التى تعود على صاحب المال، نتيجة إستغلال بعض الناس أو الهيئات العامة لمال هذا الإنسان دون أن يكون هذا الربح خسرانا لأحد، أو إختلاسا وسلباً لأموال شخص أو أشخاص، فهو فى هذه الحالة مشروع مباح لاغضاضه فيه، لأنه يتفق والمبدأ القائل «ليس لأحد أن يثرى على حساب غيره».. القرض فى الحالة الأولى قرض استهلاك... وفى الثانية قرض إنتاج... فالربح فى الأولى على حساب المقترض، إذ المقترض قد دفعته الحاجة أو العوز إلى القرض، أما فى الحالة الثانية، فالقرض ليس سدا لنقص إنما إستغلال لمال المقرض فى عمل منتج سيعود بالأرباح على كثيرين، ولن يكون على حساب أحد.. إذ صندوق التوفير أو البنوك والمصارف التى نودع فيها أموالنا وتستغلها فى أعمال هامة مربحة، ولعل تفكيرنا فى هذا العدد الضخم من الموظفين وما يتقاضونه من مرتبات وأجور، يشعرنا بما لهذا العمل من فوائد تعود على عدد كبير من الناس، إذ تكون سبيلاً لكسب معاشهم وقوت عيالهم، فالربح الذى نتقاضاه من البنوك والشركات ليس ربحاً لأموال عاطلة كما فى حالة الإستهلاك، بل هو ربح لأموال قد استثمرت ولم يعد من استثمارها ضرر بأحد، بل على العكس قد استفاد الكل دون أن يخسر أحد، فما من شك أن الفرق بعيد والبون واسع بين الربا فى قرض الإستهلاك والربا فى قرض الإنتاج، ذلك شر ونقص وقسوة، وهذا خير وكمال ورحمة، على أنه إذا كان أحد فى العصر الحديث يعامل أخاه فى الإنسانية بالربا وهو يعلم أن القرض قرض استهلاك فيجب أن يحذر ويجب أن يتقى الله ويرحم أخاه،

فالضمير الحى لا يقتبل هذا الإثراء على حساب الغير، أو لا يرضى عن كسب فيه للغير خسران ومضره ...

علينا إذن أن نرى ونمعن التفكير فيما يعرض لنا من سلوك الناس وتصرفهم، قبل أن نحكم باسم الضمير على خيريتهم، أو نزعم أنهم خرجوا على قوانين الحق والواجب أو إرادة الخير ومبادىء الأخلاق وأحكام الضمير، فربما انطوت أفعالهم على مبدأ الخير، وقد يصدرون عن نية سليمة وضمير ليس أقل صلاحاً من ضمائر الذين حكمنا عليهم بالخير والفضل لأول وهلة.

يجب ألا نتعصب لمذهبنا فى الخير.. بل أن نمتلىء رأفة ورحمة فى أحكامنا على الغير، فليتسع صدرنا لمن يخالفنا المنهج أو السبيل، فربما كان هذا الغير مصيبا فى رأيه، عادلاً فى حكمه سليماً فى ضميره، وربما استفدنا منه فعدلنا عن سلوكنا بعد أن اقتنعنا بصواب رأيه وحسن اتجاهه. وربما اتضح لنا أنه مخطىء فى اسلوبه لا فى قصده.. وحينئذ نستطيع أن نشرح له السبيل الأمين والطريق المستقيم بعد أن اطمأنت نفوسنا إلى صلاح ضميره وخلوص نيته وبراءة طويته..

هكذا يمكن أن نكسب الناس ونربحهم إلى جانب الخير والحق، وهكذا نستطيع أن نفيدهم ونبنيهم ونصلح من عوجهم ونردهم عن طريق ضلالهم فنخلصهم من الشر والموت، ونعيدهم أصدقاء لنا فى الفكر الصحيح والعمل الصالح بعد أن كانوا له ولنا أعداء ألداء أو خصوماً أشداء.

هذا هو الفرق بين الكاهن الناجح والكاهن الفاشل فى سر الإعتراف، فإن ذاك يدرك بثاقب بصره أنه يجب عليه أن يصغى للمعترف ويستمع إلى شكواه بصبر وأناة، محاولاً أن يتحقق فى الأسباب والبواعث وأن يتعرف إلى الدوافع والملابسات، التى دفعت أو أحاطت بالخطيئة أو الأثم قبل أن يحكم على الفاعل بمدى مسئوليته ونوع خطيئته.. فهذا التريث فى الحكم بعد سماع أقوال المعترف، وبعد فحص نيته واستكشافها واستخبارها يبرىء الحكم على نوع الخطيئة، من الخطأ الناجم عن التسرع والإندفاع بأحكام طائشة تدعو المعترف إلى فقد الثقة بمرشده وتضاعف من حمل خطيئته، وربما قادته إلى اليأس والفشل، بل والتريث فيه خير للمعترف من حيث أن الكاهن المتريث يستطيع أن يشخص الداء بدقة، ثم من بعد ذلك يمكنه أن يصف الدواء الملائم للداء، فلا يُطمئن مريضاً يرى أنه مشرف على الهلاك ولا يتهاون معه فى خطأ جسيم، وكذلك من الجهة المقابلة لا يصور له حالته، بما يدعوه إلى القنوط، يجب أن يقرر العلاج وفقاً لما تستدعيه حالة المريض، فيزن نفسه بميزان حق، إذ الكاهن بمثابة الوزّان الذى يملك ميزان الفضيلة والشريعة، فيقيس به أعمال المعترفين فيوقفهم على حقيقة ذواتهم، أو هو بمثابة المرآة

العاكسة التى ترينا على وجه دقيق حالة من يقف أمامها، فيعرف فيها مالم يكن له سبيل إلى معرفته بنفسه...

ومهما يكن من شيء.. فالكاهن أحوج ما يكون إلى هذا الخُلق الرزين... خُلق التريث وعدم التعجل والحكم البطيء في مباشرة سر الإعتراف وفي سائر خدماته...

والدرس السادس: هو أن الضمير كسائر ملكات الإنسان قابل للضعف كما أنه قابل للنمو، فما هى عوامل الضعف؟

عوامل ضعف الضمير

(١) الإهمال:

كل ملكة في الإنسان إذا أهملها ضعفت واضمحلت، وهذه قاعدة تشمل الحواس والأعضاء الظاهرة، كما أنها تشمل الملكات الذهنية والفضائل الخلقية، فالعضو الذى تهمله ولا تحركه يضعف ويموت، وقد قيل عن نوع من الأسماك، أصاب بيئته ظلام دامس فلم يمضى زمن حتى أصبح السمك لا يرى وذلك أن البصر فيه أمسى بلا عمل، فضعف وذهب ضياؤه، كذلك الميول والإتجاهات الذهنية، فمن كان ميالاً للشعر والأدب ولكنه أهمل في نفسه هذا الميل أو هذا الإستعداد فإنه يندثر ويزول، وقد قيل عن دارون أنه كان كلفا بالشعر في صباه، فلما أهمل هذا الميل ولم يغذه بالقراءة والإستعمال فنى استعداده، ولم يعد فى آخر حياته يشعر نحوه بأى إحساس أو ميل، وقد أدرك علماء الإجتماع أن العامل الذى يشتغل فى نوع بذاته من أنواع العمل ولا يبدله، يصبح بعد ذلك وبحكم العادة والألفة آلياً لا يبذل فيه تفكير، ومن ثم يصاب العامل ببلادة الذهن وييوسة التفكير، ولذا يرى العلماء فى العصر الحديث وجوب تحديد وتقليل ساعات العمل بما يسمح للعامل أن يطالع وأن يقرأ الكتب والمجلات والجرائد فتعمل على تنشيط ذهنه وتقوية ملكاته الفكرية.

وهكذا يرى الرياضيون أن عضلة الساعد مثلاً إذا مرنت أسبوعاً فإنها تقوى، فإذا أهملتها أسبوعاً فإنها تضعف بنسبة أكبر جداً مما أصابها من قوة فى أسبوع مرانها..

والأمر أن الضمير كما فى جميع ملكات الإنسان وأعضائه الظاهرة والباطنة، إذا أهمله ولم يعن به ولم يعمل على تهذيبه ونموه أصابه الذبول والضعف، ويكفى لذلك أن لا نكترث بالأخلاق ومبادىء الفضيلة، أو أن نغفل العامل الأخلاقى فى أى فعل من الأخلاق مرة أو مرات، ويكفى كذلك أن نهزأ بالفضلاء ونحتقر من يسلك فى أموره بدقة، أو أن نسر بالأشرار والناقصين إذا بدا منهم فعل فيه جرأة أو مقدرة أو كفاءة، ونغض الطرف عما اشتمل عليه الفعل

من أفكار أو وسائل أو حركات غير أخلاقية، يكفى أن نتجاهل المعايير الأخلاقية ونفعل كل ما يخطر لبالنا أو يحضنا الغير عليه، أو تدعونا الظروف إليه دون أن نسائل نفوسنا عن مدى موافقة الفعل للضمير الحى المتيقظ، أو دون أن نعنى بمحاسبة نفوسنا أو دون أن نهتم أو نشعر بوجود هذا الضمير، يكفى أن نشك فى سلطان الضمير وصوته، دون أن نسعى فى إزالة هذا الشك، وفى كلمة واحدة يكفى أن لا نلتفت إلى بواطن نفوسنا لنرى إذا كان الفعل خيراً أو شرا.

هذه صفة تقود المتصفين بها إلى أن يفعلوا الشر بلا اكتراث أو إهتمام، وكلما تقدموا فى السن ازداد وهن الضمير وضعفه حتى يغدو خاملا مريضاً بلا عمل، أو هو أشل عاجز عجزا فاضحاً عن الحركة أو عن أن يشعر على الأقل بوجوده.

هذه سوسة الأخلاق، تفرغ نفوسنا من كل عقل وتمييز فى عالم الأخلاق، يتولد عن بقائها الاستهتار أو الاستباحة والتجديف على الروح القدس الذى لا غفران له،لا فى العالم الحاضر ولا فى الآتى قال الكتاب: «ملاحظين لئلا يخيب أحد من نعمة الله.. لئلا يكون أحد مستبيحاً كعيسو الذى لأجل أكلة واحدة باع بكوريته، فإنكم تعلمون أنه أيضاً بعد ذلك لما أراد أن يرث البركة رُفض إذ لم يجد للتوبة مكاناً مع أنه طلبها بدموع» (١).

(٢) المخالفة والعصيان:

إذا هتف الضمير فى الباطن ولم يجد من صاحبه ملبياً ومجيباً، أو إذا تكلم فلم يجد المرء مذعناً لأمره، لا يزال يقرعه ويوبخه، ولكنه بمداومة المخالفة يخبو صوته ويضعف. ولذا تجد بعضاً من الناس يرتكبون شروراً وهم لا يشعرون بوخز ضمائرهم لهم، فتعجب لهم وتسأل كيف يستمرئون الخطيئة ويشربونها سهلة مستساغة كالماء وهم يضحكون ويقهقهون كما لو كانوا لم يفعلوا شيئاً ذا بال «هل خزوا لأنهم عملوا رجسا.. بل لم يخزوا خزياً ولم يعرفوا الخجل، ولذلك يسقطون» (٢).

هؤلاء لو تتبعنا مراحل حياتهم لوجدنا أنهم لم ينزلقوا إلى الدرك الأسفل بوثبة واحدة، بل لقد هووا رويداً رويداً وذلك لأنهم خالفوا الضمير وعصوه لأول مرة ثم فعلوا الشر بعينه مرة ثانية، واستلذوه وربما اكتشفوا مبررا يدعوهم لإرتكابه فلا يؤنبهم ضميرهم كثيراً، وهكذا كلما ارتكبوا الشر كلما خفت صوت الضمير وضعف.

وكأن الضمير فى هذه الحالة شبيه بخاتم فى اليد، يكون ضيقا فى مبدأ الأمر، فإذا أكثر لابسه من إخراجه وإدخاله فى الإصبع تتكيف به أنسجة الأصبع، فيصير سهل الإنزلاق، ولقد يصل الأمر أحياناً بالخاتم أن يسقط من تلقاء ذاته بعد أن كان ضيقاً وشديد التضييق على اليد.

---

(١) عب ١٢: ١٥ ـ ١٧ (٢) أر ٦: ١٥

يقول القديس بولس : «فأوصيكم وأناشدكم فى الرب أن لا تسلكوا فيما بعد كما يسلك الأمم ببطل بصائرهم الذين اظلم فهمهم وتغربوا عن حياة الله لأجل الجهل الذى فيهم بسبب عمى قلوبهم. الذين لفقدهم كل حس، أسلموا أنفسهم إلى القهر لإرتكاب كل نجاسة بفرط الطمع» (١).

فمن يحس بوخز فى الضمير على أمر ما، يجب ألا يحتقر هذا الوخز أو يعصاه لأن المخالفة أو العصيان تكسر من حدة شوكته وتوهن من قوته وتطفىء من شعلته وما أنسب أن نذكر هنا قول السيد المسيح: ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت مكيال، بل يضعونه على المنارة فيضىء لجميع الذين فى البيت» (٢).

يقول بالى: «يجب أن يكون الضمير قائدنا ومرشدنا فى جميع أحوالنا وظروفنا فمن وسط همس الضمير يتكلم الروح فإذا وضع الإنسان اصبعه فى أذنه وأبى أن يسمع لصوت ضميره أصابه صمم فلا يسمع صوت روحه».

(٣) الإستسلام للشهوات:

للشهوة إغراء وفتنة، تدفع النفس إلى إرتكاب الشرور والأخطاء ولكن المرء فى غالب الأحيان لا يشعر بأنه يرتكب محظوراً، لأن الخطيئة تسلك سبيلها إلى النفس فى خطوات وئيدة خافتة حتى لا توقظ الضمير. فإذا كان الإنسان مطواعا لنفسه يحقق لها كل مشتهياتها ورغباتها حتى لو لم يظهر فى هذه الرغبات والشهوات شىء يأباه الضمير وينهى عنه - فإنه سيندفع فى سبيل الخطأ دون أن يشعر، بل ربما يشعر ولكن فى نهاية المرحلة، وقد يوخزه الضمير أحياناً، ولكن فى أحيان أخرى وعند بعض الأشخاص، يعرف أنه أخطأ ولكنها معرفة بغير شعور أليم، وذلك أن الشهوات النفسانية قد أضعفت من شوكة الضمير. فألانتها وصيّرتها رخوة بلا يبوسة أو دقة أو حرارة.

وبعبارة أخرى، هذا هو الفتور الروحى الذى ينزلق إليه الشخص ولا يدرى له سبباً، يعرف أنه مخطىء ولكنه لا يقوى على النهوض من شره إذ ليست فيه كراهة للشر ولا عزيمة على مناهضته وقد يعرف مواطن الضعف فى نفسه ولكنه لا يشعر بشعور التوبة، وذلك أن استرساله فى سبيل الشهوات قد أشبع نفسه وملأها، فغدا الضمير مثقلاً باللذائذ والشهوات العالمية، ومن ثم ضعيفا عن أن ينبه إلى الشر أو يحرك إلى الخير عزيمة الإنسان.

لذا يخشى الفضلاء من الإسراف فى المأكل والمشرب والملبس ومن تحقيق ما تشتهيه النفس بالنظر والسمع واللمس وسائر الحواس، فيقمعون أجسادهم ويروضون نفوسهم على القناعة

(١) أف ٤: ١٧ - ١٩ (٢) مت ٥: ١٥

والإكتفاء بل وأحياناً على الزهد والتقشف والنسك، وغرضهم من ذلك كله حرمان النفس من شهواتها حتى لا تنحل حياتهم وتفتر عزيمتهم نحو الفضيلة والخير، وبذلك يبقى الضمير مرهفا وصارماً وشديداً، وكلما إزداد فيهم قمع الشهوات إزداد فيهم إرهاف الضمير وصرامته، وكأنه فى هذه الحالة يشبه النبات الذى يكون أولاً رخوا ورخصا، فإذا جففت الشمس رطوبته بحرارتها وضيقت الأرض عليه من تحت، قوى عوده واشتد وتبدلت ليونته بقسوة وحدة.

قال الرسول فى الشهوانيين.. أنهم «مستهزئون يسلكون بالنفاق بحسب شهواتهم.. هؤلاء هم المعتزلون بأنفسهم.. نفسانيون لا روح لهم»(١) «سالكين فى الدعارة والشهوات وإدمان الخمر والبطر والمنادمات وعبادة الأوثان المحرمة، الأمر الذى فيه يستغربون أنكم لستم تركضون معهم إلى فيض هذه الخلاعة عينها مجدفين» (٢) «مملوئين من كل إثم وزنا وشر وطمع وخبث مشحونين حسداً وقتلا وخصاما ومكرا وسوءا، نمامين مفترين مبغضين لله ثالبين متعظمين مدعين مبتدعين شروراً، غير طائعين للوالدين.... «الذين إذ عرفوا حكم الله إن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت، لا يفعلونها فقط بل أيضاً يسرون بالذين يعملون» (٣).

لذلك كله ينصح ابن سيراخ قائلاً: «لا تكون تابعاً لشهواتك بل عاص أهوائك، فإنك إن أبحت لنفسك الرضى بالشهوة، جعلتك شماتة لأعدائك، لا تتلذذ بكثرة المآدب، ولا تلزم نفسك الإنفاق عليها» (٤)

(٤) تقريب مسافة الفرق بين الحلال والحرام:

إذا عرف الشخص الفرق بين الحلال والحرام ولكنه آثر الحرام، محاولا أن يهون من شأن المخالفة، وأن يهون من شأن المنافع المترتبة عليها، أصبحت الفضيلة فى نظره كالرذيلة والخير كأنه الشر، ولم يعد للتقابل بينهما صدى عميق فى شعوره وضميره، وبذا يستحيل الضمير إلى شعور غامض عاجز عن التمييز بين الحلال والحرام، ويصير واهنا عن أن يصدر حكما صائباً على الفعال الإنسانية.

خذ مثلاً لذلك.. رجلا يريد أن يسرق مالا، أو أن يقتبل رشوة من شخص، فإنه يحاول أن يفهم الرشوة على معنى آخر يهون من شرها ويظهر نفعها.. فيقتبلها على أنها هدية لتدعيم روح الصداقة والمودة وتبادل الإحساس والشعور، وأنه يجب أن يقتبلها لكى لا يصدم شعور مقدمها به وأنه سوف لا يأخذها لنفسه بل لأولاده أو زوجته، أو يغدق بها على شخص أو أشخاص فقراء

(١) يه : ١٨ ، ١٩ (٢) ١. بط ٤: ٣، ٤

(٣) رو ١: ٢٩ ـ ٣٢ (٤) يشوع بن سيراخ ١٨: ٣٠ ـ ٣٢

يستحقونها، وبهذا تنقلب الرشوة لا إلى أمر حلال فقط... بل إلى عمل لائق يؤدى منافع جلى، فلو أنه فهم الرشوة على أنها رشوة، لبقيت فى نظره شرا وإثماً، أما أنها تصبح هدية فقد اقتربت بذلك مسافة الفرق بين الحرام والحلال، وإذا اعتاد الضمير ذلك، أصبح ضميراً متسعا، ضعيفاً لا يفزع من الشر...

(٥) التأمل فى الأمثلة الشريرة والصفات الرديئة:

ما أبعد أثر التأمل فى حياة الإنسان... فإن نظرة عميقة غائرة لا ترتد خائبة، بل أنها لتطبع فى مخيلة صاحبها صورة واضحة قوية تصبح عوناً للخير أو الشر فى داخل الإنسان... فالمتأمل فى صورة قبيحة أو فى سلوك رديء.. يهيج الشهوات... ويثير الغرائز.. ويحرك الدوافع البهيمية والميول الوضعية. ولذا كانت صحبة الأشرار وقراءة الكتب والمجلات الفاسدة، عاملاً أكبر فى أن يتخدر بها الضمير فيألفها ويفقد شعوره نحوها، فينظر إليها نظرة عادية وقد تصبح نظرة عين راضية..

فالأصدقاء والمعاشرون لنا هؤلاء الذين نستمع لكلماتهم ونشهد حركاتهم وايماءاتهم ونظراتهم ونتأمل تصرفاتهم، لسوف نتأثر بالشر الذى فيهم مهما كانت عشرتنا لهم بتحفظ وحرص، ومهما حاولنا تجنبهم فى طباعهم، فإن هذا يؤدى إلى غرس أفكارهم وميولهم وطباعهم فينا.. فإذا بنا نألف الشر والكلمات القبيحة والمظاهر الفاسدة.. والتصرفات الشائنة. ويأتى الوقت الذى نتطلع فيه إليها بغير اكتراث، وننسى شعور الإستياء والمقت الذى كنا نقابلها به قبلا.. يقول الكتاب «من لمس القبر توسخ، ومن قارن المتكبر أشبهه»(١).

كذلك الكتب والمجلات الساقطة.. فإن ما ترسمه لنا من قصص إجرامية، ومن روايات دنسة مخجلة ومن صور مبتذلة، تطبع فى نفوسنا صفات الجريمة والدنس دون أن نشعر، حتى يستوى الشر الذى دخل إلينا خلسة مع الشر الذى كان خارجاً عنا، وحينئذ ينعدم فينا الحماس نحو الفضيلة ويتبدل إلى فتور نصفه عادة بأنه خلو من التعصب..

ولقد صور لنا الشاعر بوب Pope الإنجليزى صورة الإنهيار فى ضمير الإنسان بتطلعه إلى المثل الشريرة والصفات الرديئة بقوله:

الرذيلة وحش مريع

يكفى أن يراها الإنسان فيبغضها

ولكن إذا تكرر منظرها أمامنا نحتملها فنرثى لها.. فنعتنقها

---

(١) يش بن سيراخ ١٣: ١

وحش مخيف ضرنى فى منظر

كيف الحياة على يدى عزريلا

إن الرذيلة وحشنا طول المدى

إن كنت تنظر تخاف مثيلاً

لكن إذا أكثرت من نظر تر

نفسا تحن وذللت تذليلا

ثمت تجود بالوصال وبالهوى

فتضم وحشا ترتئيه جليلا

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم

فأقم عليهم مأتما وعويلا

ومما يقوله الشاعر العربى فى عدوى الأخلاق الشريرة وأن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة كقول الرسول بولس:

ولاتجلس إلى أهل الدنايا فإن خلائق السفهاء تعدى

وقول شاعر آخر:

وما ينفع الجرباء قرب صحيحة إليها، ولكن الصحيحة تجرب

الضمير إذن ملكة أو قوة غير ثابتة.. بل هى متغيرة متحولة تبعاً لعوامل النماء أو عوامل الذبول.. وقد رأينا كيف أن الإهمال، ثم المخالفة والعصيان لأوامر الضمير ثم الإستسلام للشهوات، ثم تقريب مسافة الفرق بين الحلال والحرام، ثم التأمل فى الأمثلة الشريرة والصفات الرديئة، تفسد الضمير وتكسر من شوكته، فلنتكلم عن عوامل النمو..

(٧) والدرس السابع أن الضمير قابل للنمو:

إن الضمير يرقى وينمو، يقوى إذا اجتمعت له عوامل النمو، وهذه العوامل كثيرة نذكر منها...

عوامل نمو الضمير

(١) الطاعة لصوت الضمير:

إذا لم نسترسل فى ميولنا وأهوائنا، وأنصتنا فى حزم وحكمة لصوت الخير فينا، سُرّت ضمائرنا، وانتعشت وتقوت وتشجعت ومضت فى سبيل مهمتها الجليلة تنبهنا إلى كل شيء ، فإذا أصغينا أيضاً وأطعنا نداءها بنصيب وافر من عزيمتنا وإرادتنا، كافأتنا أيضاً بتوجيهاتها السامية وأرشدتنا إلى واجباتنا بدقة أكبر، وهكذا كلما أطعنا ونفذنا مشورة المرشد الباطنى، ازداد إرهافا وقدرة على التمييز، وبيان مختلف الواجبات مهما دقت وقلت، فإذا بنا فى كل يوم ننمو فى شعورنا بالواجب ونزداد إحساساً بهمسات الضمير، أو يزداد الضمير فينا إحساساً وإنتباهاً.

وكأن الضمير بمثابة صديق مخلص نصوح، عرف فيك أنك تولى نصائحه إنتباها وعناية، وأنك تعمل بكل ما يشير عليك به، فيفرح بهذا التقدير منك ولن يبخل عليك بنصح بل أنه يجِدُّ فى مهمته ويتشجع فى آداء رسالته.

(٢) إزدياد المعرفة:

بإطراد المعرفة يقوى الشعور، فإذا ازدادت معارفنا واتسعت خبرتنا وكثرت معلوماتنا، كان هذا كله عوناً لضمائرنا حتى يقوى إحساسنا نحو الخير وكرهنا للشر، فبعض الناس يتكلمون بما لا يعلمون فيخطئون، فإذا اطلعوا على حيثيات جديدة ومعارف جديدة أدركوا خطأهم وصار ضميرهم يوبخهم... مع أنه لم يكن ينخسهم قبلا، وذلك لأنه كان جاهلاً، فأصبح عارفا... إذن فالمعرفة عامل من عوامل نمو الضمير وإرتقائه...

وهذا التقدم فى المعرفة سبيله القراءة فى الكتب الخُلقية أو الدينية والأدبية النافعة، ثم الإستماع إلى عظات أو محاضرات أخلاقية رفيعة، أو الوجود فى حضرة ندوة من ذوى الخلق الكريم، أو الإلتصاق بمرشد روحى نوقفه على تصرفاتنا ودقائق أفعالنا وخطراتنا، أو يكون هو أيضاً رقيباً علينا يلاحظنا فيرشدنا ويعلّمنا، فنتنبه إلى أمور نجهلها أو إلى ما قد يترتب عليه من نتائج خطيرة فى الآجل أو العاجل..

ولعلنا هنا ندرك الحكمة من العبادة الجمهورية حيث يستمع الناس إلى فصول وعظات من رجال الدين، ينمو بها ضمير الإنسان ويحن إلى الخير وفعل الفضيلة، وكذلك يلجأ إلى هذا الإسلوب الأباء فى وصيتهم للأبناء.. كما فعل داود مع ابنه سليمان وكما فعل طوبيا مع ولده... فتصبح هذه الوصايا قلادة فى عنق الإبن.. يذكرها بعد وفاة أبيه فتلهب شعوره نحو المثل الأعلى.. ينمو بها ضميره..

(٣) التأمل فى أفعالنا وأقوالنا قبل وبعد حدوثها:

ليس هناك بين أفعال الناس أرقى ولا أسمى من الوجهة الإنسانية أكثر من فعل التأمل، إذ هو الفعل الذى يختص بالإنسان وبه وحده يرقي على الحيوان، فإذا لم يتوافر لآدمى، كان فى سلوكه حيوانيا لا إنسانياً...

وإننا لنستطيع أن نقاوم أهوائنا.. ونعدل من غرائزنا ونعلو بميولنا ونزعاتنا بالتأمل وحده.. فبه نسيطر على عوامل البيئة والوراثة والعادة، وبه يمكن أن نتوجه إلى حيث نقصد دون أن توجد قوة فطرية أو مكتسبة تقوى علينا أو تستطيع مغالبتنا، وهذا هو سر الإنسان...

فإذا كنا نبغى لنفوسنا تقدما ورقياً وسموا فى الأخلاق وعلوا فى الشعور، فنحن نستطيع ذلك بالتأمل قبل كل عمل وبعده.. إذ التروى والتريث وإستشارة المرء لضميره، يعينه على أن يأمن مواطن الذلل... ولقد كان بعض الفضلاء يقول أنه إذا كان واثقاً من أمر.. فإنه يتثبت منه ويراجع نفسه بإزائه عشرين مرة أخرى، فهذا التداول الباطنى يكشف عن نواحى الصواب والخطأ ويبين عن مشروعية الفعل ومحروميته...

أما بعد الفعل.. فكراً كان أو قولاً أو عملا.. فإن المرء يمكنه أن يتأمل أيضاً ليحكم على نفسه بالصواب أو الخطأ، ثم ليعرف أسباب الخطأ أو وجوه الصواب...

على كل حال، إن هذه الملاحظة أو المراقبة والمحاسبة المستمرة للنفس من شأنها أن تجعل الضمير يقظاً وشديد اليقظة.. وكما أن الإنسان إذا وضع فى نفسه أن يستيقظ فى ساعة معينة فى الصباح الباكر، فإنه يستيقظ عادة من تلقاء ذاته فى نفس اللحظة التى قوى شعوره فيها بضرورة الإستيقاظ لسبب قهرى، ولا سيما إذا تكرر منه ذلك فى عدة مرات حتى أصبح عادة مرعية، هكذا الضمير أو الشعور الأدبى يصبح بالتأمل مع المراقبة والمحاسبة، منبها صارخاً وصوتا قويا مدويا، يوقظ وينبه كل الحواس والمشاعر.. ويجعل المرء شديد الحرص من أن يزل، ووافر الإنتباه إلى أدنى خطيئة أو شر...

وهذا المقام - مقام المحاسبة والمراقبة - هو الذى يصل إليه الأتقياء والقديسين.. ولقد عرفنا به الرسول القديس بولس إذ قال للمؤمنين: «لكن، عظوا أنفسكم فى كل يوم، مادام الوقت يدعى اليوم لئلا يقسوا أحدكم بغرور الخطيئة»(١)

وهكذا نادى الفيثاغوريون من بين الفلاسفة القدماء بأن على المرء قبل أن يلجأ إلى فراشه أن يراجع أعماله ويحاسب نفسه: فيم أخطأت وفيم أصبت.. ولم أخطأت..؟

---

(١) عب ٣: ١٣

ويقول يشوع بن سيراخ: «ما أحسن إبداءك الندامة إذا وبخت، فإنك تجتنب الخطيئة الإختيارية» (١)

وبهذا يكون توبيخ النفس للنفس أو توبيخ الآخرين لنا وإنتقادهم لأعمالنا نافعاً لنا كل النفع، إذا وطدنا فى أنفسنا أننا نبغى لها الكمال إذ سوف ننتبه إلى نقائصنا وتشتد رقابتنا لأقوالنا وأفكارنا حتى نعتاد ذلك إلى أن نكف عن الخطيئة بإرادتنا..

ويقول يشوع بن سيراخ أيضاً: «يابنى إن خطئت فلا تزد، بل استغفر عما سلف من الخطأ» (٢) وبهذا أضاف إلى ضرورة محاسبة النفس استغفارها على الخطأ الذى صدر عنها...

(٤) التأمل فى الفضيلة والفضلاء:

إنه لخير المرء أن يتأمل الفضيلة، من أن تظهر أمامه شر الرذيلة، فإن الشر يعدى الشعور ويؤذيه، وإنما التأمل فى الصفات الطيبة يشبع النفس من الخير، ويرضيها ويقويها ويمنحها بساطة، ويترك فيها أثرا يدفعها نحو المثل الأعلى الذى تصبو إليه لأنها إلتقت به وعرفته...

ولذا يقول الرسول «ولا تشاكلوا (تشابهوا، تماثلوا) هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» .(٣)

ولكم تكون مقابلة رجل فاضل وارتسام محياه على مخيلاتنا، وإلتقاء نظراته بنظراتنا أفعل فى نفوسنا من توبيخ وزجر ووعظ وتأنيب...

ويقول ابن سيراخ «من مقت التوبيخ فهو فى أثر الخاطىء، ومن اتقى الرب يتوب بقلبه» (٤).

ذلك لأن الفضيلة ذات أثر فى النفس، فهى توبيخ للنفس، وهى أيضاً نور يضىء، والضمير الواهن الضعيف يجد من سير الفضلاء ما يوقظه ويدعوه إلى العمل الصالح...

وكما أن صحبة الأشرار وقراءة الكتب الفاسدة تتلف الضمير وتفسده، هكذا الصحبة البارة والكتب النافعة تبنى النفس... وتغنى الضمير.. إذ التأمل الصالح ينقل صورة المثل الذى نحتذيه إلى دواخلنا وأعماقنا فنستحيل إليها أو تدخل هى إلينا...

ولذا ينصحنا الأنبياء والرسل دوما بأن نتخذ من القديسين أمثلة تقوى بهم ضمائرنا...

يقول ماريولس: «اذكروا مدبريكم الذين كلموكم بكلمة الله، تأملوا فى عاقبة تصرفهم واقتدوا بإيمانهم» (٥)

---

(١) يش بن سيراخ ٤:٢٠ (٢) يش بن سيراخ ١:٢١ (٣) رو ٢:١٢

(٤) يش بن سيراخ ٧:٢١ (٥) عب ٧:١٣

وعلى قول الشاعر:

إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

ويقول ابن سيراخ.. «قف فى جماعة الشيوخ، ومن كان حكيماً فلازمه ارغب أن تسمع كل حديث إلهى.. ولا تهمل أمثال التعقل وإن رأيت عاقلاً فابتكر إليه، ولتطأ قدمك درج بابه، ترو فى أوامر الرب، وفى وصاياه تأمل كل حين، فهو يثبت قلبك، وينيلك ما تتمناه من الحكمة». (١)

وليس كالمسيحية دين يجعل المثل الأعلى للإنسان فى الله: «فكونوا إذن، كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات (هو) كامل»(٢) وهذا معناه أن يفضى إلى اطراد فى نمو الضمير، غير محدود لأن الله غير محدود، يقول الرسول: أما نحن جميعاً فننظر بوجه مكشوف كما فى المرآه مجد الرب، فنتحول إلى تلك الصورة بعينها من مجد إلى مجد كما يكون من الرب الروح (٣).

(٥) ممارسة الفضائل وأفعال الخير والبر:

ربما يكون عجيباً أن يقال بأن ممارسة الفضيلة تأتى للضمير بخير، ولكن هذا ليس بعجيب إذا أدركنا أن فعل الخير سيولد الميل إليه (الخير)، أو يقويه بما يحصل عنه من اللذة والسرور المصاحبين له، والإختيار خير شاهد على ذلك، فمن يفعل خيرا أو يصنع برا بفقير سيكتشف كم هو فعل حميد... وكم تسبب عنه من أثر نافع، وكم شعر بالسعادة فى أدائه، وبذا يزداد إقتناعاً به وحبا له وميلا إلى تكراره.. ومن الجهة المقابلة.. لقد أمكنه أن يعرف مدى الآثار الرديئة الناجمة عن إهمال الخير مثلاً أو ارتكاب الظلم والقسوة، وإذن فمن هنا ينمو ضميره فى إحساسه وشعوره، ويصير أكثر استعداداً لأن يثور على الشر ويتحمس للخير والمعروف... فالعمل يولد الشعور.. كما أن الشعور يولد العمل ويدفع إليه..

قوانين البلاد والرأى العام فى الأمة:

إذا أيدت قوانين البلاد أحكام الضمائر وتولت الهيئة التنفيذية معاقبة المجرمين، وكان لهذه الأمة رأى عام موجه نحو الخير، كانت هذه كلها عوناً للضمير ليسير فى طريقه بغير عثار...

إن بعض الدول لا تعنى بالخُلق، والرأى العام فى كثير من الأحيان يتبلد، لتصير الشرور مستساغة، وقد تصبح مقبولة وموافقة ومرغوبة فيها، وحينئذ لا يستطيع الضمير أن ينمو فى بيئة كهذه، بل ربما يستمرىء الشر ويستحل الحرام...

لكن إذا وجد من الدولة ومن الرأى العام إستنكارا للتصرفات الطائشة للفرد، فإنه يتنبه

---

(١) يش بن سيراخ ٦: ٣٥ ـ ٣٧ (٢) مت ٥: ٤٨ (٣) ٢ ـ كو ٣: ١٨

ويتوبخ، وقد يصلح من تصرفه لكى لا يقع تحت طائلة اللوم أو العقاب...

وليس معنى هذا أن للقانون الوضعى أو الرأى العام سلطاناً على جميع ضمائر الناس، إذ أن القانون الوضعى لا ينبهنا إلا للأمور الواضحة التى نص عليها فى مواده، والرأى العام متقلب، وقد يقف أحياناً ذووا الضمائر الحية ليقاوموا قانوناً فاسداً، أو ليناهضوا مفاسد العصر التى يرتضيها الرأى العام...

ومع ذلك فللقانون الوضعى وللرأى العام أثر فى تصرفات بعض الناس من ذوى النفسيات الصغيرة، الذين قد يأتيهم الوازع من خارج فيوقظ وازع الضمير الذى قد تخدر وتخثر، وأقول يوقظه ولا أقول يخلقه..

ومن من الناس يرضى ضميره بالضعف ولا يرضى له بالقوة؟؟... إنما الناس جميعاً يرغبون فى أن تكون صفاتهم فاضلة.. وأن يقال عن ضمائرهم.. أنها حية. حتى لقد قيل: «أن جهنم مرصوفة بالأمانى الطيبة، ولكن.. أيمكن أن يفوز شخص بمناله دون أن يبذل جهداً؟؟؟.. وبذل الجهد كما نعلم فيه قهر للنفس ومحاولة للوصول إلى غرض..

وهذا كله يحتاج إلى جهد من إرادتنا.. فكلما جدت عزائمنا.. وصدقت رغباتنا وقويت إرادتنا.. استطعنا أن نصل إلى المثل الأعلى الذى نترسمه...

أجل... فالطاعة للضمير وعدم الإستسلام للشهوات ومحاولة الإنتباه الإرادى إلى بواطن نفوسنا لنتأمل بواعث الخير فينا ودوافع الشر.. ثم محاسبة النفس ومراقبتها بدقة على كل ما يصدر عنها من فكر وقول وعمل، ومحاولة تجنب المعاشرات الرديئة والكتب الساقطة وإبدالها بصحبة خيرة وكتب مفيدة.. كل هذا يستلزم منا مجهوداً مزدوجاً لمقاومة الأهواء الضارة، وإكتساب الصفات والعادات الصالحة...

والحقيقة... إنه لا قيمة لفهم عوامل إضعاف الضمير، مالم تكن هناك إرادة لمجانبتها، كما لا نفع من بيان عوامل إنمائه، إلا إذا توافرت الإرادة للعمل بها وتنفيذها.. فالإرادة إذن هى التى تفرق بين ضمير يرقى وينمو؛ وبين ضمير راكد جامد، فمن يريد أن يصير كاملاً فعليه أن يهذب إرادته على الحق والخير والواجب..

مهمة الضمير ووظيفته

يقوم الضمير فى الإنسان بمهمة الدليل والمرشد الذى يبصرنا بما يجب أن نفعل من الخير أو نجتنب من الشر. ثم بمهمة القاضى أو الحكم على أفعالنا وأفعال أشباهنا فيقومها ويقدرها من ناحية الخير تارة ومن ناحية الشر تارة أخرى ويقوم ثالثة بمهمة الشاهد والرقيب على تصرفاتنا.

على أنه يمكن أن نرتب عمل الضمير فى قيامه بمهمته المثلثة نظراً لزمن الفعل على النحو التالى:

أ ـ قبل الفعل .. مرشد ودليل:

والفعل إما أن يكون خيراً فى ذاته كفعل الرحمة، أو شرا فى ذاته كفعل السرقة، أو مجردا ذاته كفعل التأليف، أو التنزه. فإذا رأيت فقيراً أو متألماً بأى نوع من الألم أرشدنى الضمير إلى فعل الرحمة وأوجبه علىّ. وإذا سنحت أمامى فرصة لأختلس فيها نقوداً لأكوّن لنفسى ثروة بغير حق، نهانى الضمير عن الفعل ودلّنى على أنه شر وإثم. أما فعل التأليف أو فعل التريض والتنزه فليس خيراً فى ذاته ولا هو شر فى ذاته وإنما الخير فيه تابع للقصد والغاية فى الفاعل، وكذلك الشر. ولذلك حكم الضمير فيه متوقف على ظروف الفعل ولواحقه لا على موضوعه النوعى، فإما يصبح خيراً يأذن الضمير بفعله وإما يصير شراً فينهى عنه، وفى هذا يقول توما الأكوينى(١): «قد يتفق أن يكون موضوع الفعل لا يتضمن شيئاً يختص بنظام العقل، كما هو أخذ قشة من الأرض أو الذهاب إلى الحقل.. فمثل هذه الأفعال هى باعتبار نوعها مستوية بين الحسن والقبح Indifférent (٢) ثم قال: لما كان شأن النطق الترتيب كان أن الفعل الصادر عن العقل المرّوى المختار إن لم يكن مرتباً إلى الغاية الواجبة فهو من أجل ذلك مناف للعقل ،ومكتسٍ طبيعة الشر، وإما أن رتب إلى الغاية الواجبة فهو منطبق على نظام العقل ومن ثم فله طبيعة الخير. ولكن الفعل من الضرورة أن يكون إما مرتباً إلى الغاية الواجبة أو لا مرتباً. فإذن من الضرورة أن كل فعل يصدر عن عقل الإنسان المرويّ المختار إذا اعتبر فى الشخص المفرد يكون (ذلك الفعل) إما حسناً وإما قبيحاً». (٣)

ولما كان الضمير للإنسان مرشداً ودليلاً، وجب على العاقل أن يلجأ إليه ويتبصر بندائه فهو خير هادٍ للمرء، يرشده إلى الطريق الأمين. يقول يشوع بن سيراخ: «أعقد المشورة مع القلب، فإنه ليس لك مشير أنصح منه، لأن نفس الرجل قد تخبر بالحق أكثر من سبعة رقباء يرقبون من موضع عال. وفى كل هذه تضرع إلى العلّى ليهديك بالحق فى الطريق المستقيم». (٤)

---

(١) توما الأكوينى فيلسوف مسيحى ممتاز ويعتبر عند الغربيين من أعظم القديسين.

(٢) الخلاصة اللاهوتية ف ٨ س ١٨ من جزء ١ من ف ٢

(٣) الخلاصة اللاهوتية ف٩

(٤) يش بن سيراخ ٣٧: ١٧ ـ ١٩

ب ـ أثناء الفعل.. شاهد ورقيب:

يرشد الضمير إلى الخير قبل الفعل، لكنه لا يقف أثناء الفعل مكتوفا بل يقوم بمهمة الشاهد لما يخطر على الفكر من أفكار خيرة أو شريرة، أو على اللسان من كلمات موافقة أو باطلة، أو لما يفعله الإنسان من خيرات وشرور، حتى يستطيع من بعد أن يقوم بمهمة القاضى. وهو كما يشاهد الأفعال يشاهد أيضاً البواعث عليها ومدى الإرادة الخيّرة والشريرة فيها: «لأنه من هو هذا الذى يعرف ما فى الإنسان، إلاّ إذا كان هو روح الإنسان الذى فيه» (١).

على أن الضمير يؤدى هذه المهمة بطريقة إيجابية. فليس هو مجرد شاهد على الحياد، بل أنه يبعث للنفس أثناء الفعل بتهديداته أو تشجيعاته، فيحس المرء بالإنقباض والضيق أثناء الفعل الذميم، وبالإرتياح والسرور أثناء الفعل الحسن. ومن الأمثلة على الحالة الأولى قول الرسول عن الأمم الذين أفسدوا سبيلهم «أن ضميرهم يشهد عليهم بل وأفكارهم تشتكيهم وتحتج عليهم»(٢). ومن الأمثلة على الحالة المقابلة قول الرسول عن نفسه: «أقول الحق فى المسيح، ولا أكذب، وضميرى (فى ذلك) يشهد لى (بصوت) الروح القدس»(٣) ثم قوله: «إن ما نفخر به هو الشهادة التى يؤديها لنا ضميرنا، بأننا قد تصرفنا فى العالم، ولا سيما من جهتكم، ببساطة وإخلاص أمام الله، وليس بحكمة جسدانية بل بنعمة الله»(٤).

ونظراً لما لمهمة الشهادة التى يؤديها الضمير من الأهمية، فقد ذهب البعض إلى تعريف الضمير بأنه «شعور باطنى يشهد به المرء لنفسه بما صنع من خير ومن شر» (٥).

ج ـ بعد الفعل.. قاضٍ وحكم:

فإذا أنجز الإنسان فعله انقلب الضمير حكما عليه وقاضياً: فيحكم على الفعل، هل هو خير فى ذاته أم شر، ثم على نيّة الفاعل، أى هل فعل الفاعل بقصد خير وهل كان ينتوى الخير نحو الغير، ثم يحكم كذلك على خيرية الوسائط التى استخدمها الفاعل للوصول إلى هذا الخير المقصود.

والحق أن الضمير خير قاضٍ نزيه يحكم لا على أفعالنا الظاهرة فحسب، بل على دخائل نفوسنا ونوايانا. ويتطلب خير الوسيلة كما يتطلب خير الغاية، ولذا يقول الفرنسيون: «ضميرنا قاضينا» notre conscience est notre juge ويقول بعض المفكرين «لى من ضميرى محكمة تقضى بالعدل علىّ، وتقينى العقاب إن كنت ذا برارة، وتحرمنى الثواب إن كنت من المجرمين».

ولعل مهمة الضمير هذه أجلّ وأعم من مهمتيه الآخرين، أما أنها أجلّ فلأن أثرها فينا أعظم وأخطر، فعليها يترتب الجزاء الذى نلتقيه من الضمير، وهو جزاء تهابه النفس وتخشاه: فإما

---

(١) ١. كو٢: ١١ (٢) رو٢: ١٥ (٣) رو٩: ١
(٤) ٢. كو١: ١٢ (٥) القاموس الشهير للاروس

يمدحنا الضمير إذا فعلنا الخير فنسر ونفرح، وإما يقدح علينا إن فعلنا شراً فنتألم ونتوجع من لذعاته ووخزاته.

أما أنها مهمة أعم من المهمتين السابقتين فلأنه يستطيع أن يقضى علينا، وليس علينا فقط بل وعلى الآخرين أيضاً، فيمدحهم ويثيبهم إذا أحسنوا، ويذمهم إذا أساءوا.. نعم! يمكن للضمير بوصفه (مرشداً ودليلا) أن يرشد الآخرين كما يرشد الإنسان نفسه - وهذا ما يقوم به ضمير المرشد الروحى أو الكاهن - ولكنه لا يستطيع أن يرشد إلاّ من يطلب الإرشاد (١) ولكنه كقاضٍ يستطيع أن يحكم على كل فعل صدر، من أى إنسان هل هو خير أم شر.

سلطان الضمير

ما أرهب صوت الضمير عندما يهمس فى بواطننا، إنه صوت الروح فينا يناديا بالخير والفضيلة، وقد نجد أمامنا إغراءات كثيرة تجذب حواسنا معها، فنميل إليها لنرتكب الشر ولكننا نسمع صوت الضمير هادئاً رزيناً يقول: «لا تفعل فهذا شر»، وقد لا نقنع لأن إغراء الشهوة عظيم ونحاول أن نخرس هذا الصوت فلا نستطيع، نقدم له الدليل فى أثر الدليل وعقلنا يطاوعنا فى إنتحال المبررات والأسباب، أما الضمير فيركلها جميعاً بكلمة واحدة ثابتة لأنه فى غير حاجة إلى التدليل على صحة رسالته. وحينئذ نحاول من جديد أن نقيم البراهين والأسانيد لنفعل ما ينهانا عنه الضمير، ونحن نشعر فى كل هذا أنه لا قيمة لكل محاولاتنا مالم يأذن لنا الضمير بأن نفعل.

للضمير إذن سلطان على نفوسنا، سلطان كامل مستقر ثابت لا يناقش فيه أحد، يمتاز بالرهبة والقوة والعزة، ومع أنه لا يوقع علينا عقوبة مادية بل كل جزائه روحى أدبى، إلا أننا نخشاه أكثر مما نخشى سطوة المادة ونحترم صوته كما نحترم صوت الله، وهذا دليل على روحانية الإنسان إذ ونحن بشر حسيّون نخاف ماليس بحسىّ، ودليل على أن هناك وجوداً روحانياً غير الوجود المادى، وهو وجود واقعىّ حىّ فعّال، ودليل على أن هناك سلطة وراء العالم المادىّ تراقب أفعالنا وتملك أن توقع علينا الثواب أو العقاب.

ولقد يمكن أن نرى فى الضمير سلطة مثلثة: تشريعية وتنفيذية وقضائية:

أ - السلطة التشريعية:

تُشرّع لنا، وتبصرنا بالخير والشر فتقول إن البر بالوالدين، والرحمة بالفقراء والمتألمين، والوفاء بالوعد، خيرات واجبة علينا ومحتومة، كما أن الخيانة والقسوة والخداع شرور مرذولة.

---

(١) لسنا نعنى بالإرشاد هنا الوعظ والتعليم العام، وإنما الإرشاد الذى نقصده هو النصح الخاص الذى يقدمه المرشد الروحى لمن يسأله كيف يسلك بصدد تصرف خاص.

ب - السلطة التنفيذية:

ومهمتها التنفيذ والتطبيق، فتقول مثلاً «يجب أن تدفع لهذا الفقير، أو تصنع بهذا المسكين رحمة لأن الرحمة خير والخير يجب أن يفعل، أو حذار من أن تغدر بهذا الشخص لأن الغدر بالناس شر، والشر يجب أن يجتنب.

وهنا يبدو لنا الفرق بين عمل السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية، فتلك تصنع الخير المطلق، وهذه تعّين واجب النفس إزاء عمل ما فى لحظة ما، فالبر بالفقراء خير ولكنه قد لا يصبح كذلك إذا لم يكن الباعث إليه حب الخير لذاته، فالضمير يعيّن الخير الجزئى الذى يدخل فى نطاق الخير العام أو الخير المطلق.

ج - السلطة القضائية:

ومهمتها الحكم باستحقاق الثواب أو العقاب، ولقد لقبها بعض المفكرين «بمحكمة الضمير» كما لقب « كنط» السلطة التنفيذية « بالأمر القاطع»... أرأيت إذن كيف أن تقسيم السلطات فى الدولة إلى تشريعية وتنفيذية وقضائية، ليس إلاّ. إنعكاساً لعمل الضمير على صفحة المجتمع!!!

حقيقة الضمير

ما هو هذا الضمير الأدبى، وما هى حقيقته؟؟

لقد ذهب الفلاسفة وعلماء الأخلاق مذاهب شتى فى تحليل هذا الصوت الباطنى ونحن نريد أن نستعرض هذه الآراء حتى يمكن أن نحكم على أيّها بالصحة وأيّها بالبطلان.

(١) **أما أصحاب المذهب العقلى** Intellectualisme من أمثال جان فردريك هربارت Herbart وفنت Vwndt فيرون أن العاطفة الخلقية ليست إلاّ أثرا من آثار تمثل العقل "Le representation. de l'esprit" والأحكام أو الإستدلالات التى يوحى بها هذا التمثل، أو أن الناس يلاحظون نتائج الأفعال فيحكمون بخيرها أو شرها. فالتجارب التى يمر بها الناس يقفون منها على أن تصرفا ما بعينه، ينتج شرا فهو شر، وأن غيره ينتج خيراً فهو خير، والعقل الإنسانى يمكنه أن يقوم بهذا الإستنتاج أو الاستدلال ، ويرى كانت Kant أن الضمير حدس(١) عقلى intuituion de la raison غير أن العقل عند «كانت» عقل نظرى خالص، وعقل عملى خالص، أما العقل النظرى فيتناول عالم الظواهر، وأما العقل العملى فهو الحدس الذى به ندرك العلاقة بين ما نحن إياه، وبين ما يجب أن نكون عليه، أو بين شخصيتنا الواقعية وبين شخصيتنا المثالية، وعلى ذلك فالضمير ملكة عقلية أصيلة فى الشخصية الإنسانية غير أنها حدس للعقل العملى وليس حدسا للعقل النظرى.

(٢) **المذهب العاطفى**: وعلى النقيض من ذلك تماماً يقف أصحاب المذهب العاطفى sentimentalisme وهم يرون أن الضمير ليس حدسا للعقل على الإطلاق، وإنما هو حدس للقلب فحسب، فالضمير عندهم أشبه ما يكون بغريزة أدبية أو عاطفة خلقية، لا أكثر ولا أقل.

وقد أخذ بهذا المذهب الفيلسوف الفرنسى جان جاك روسو J.J. Rousseau ويرى أن الضمير غريزة إلهية مفطورة فينا، وهمساته فينا عواطف وليست أحكاما، وأن إهمال هذه الغريزة المقدسة هو علّة ما نقع فيه من أخطاء وما نرتكبه فى الحياة من شرور. وليست هذه الغريزة الأدبية الإلهية منحة لقوم دون آخرين، بل هى غريزة مفطورة فينا يحملها كل منا فى أعماق نفسه، وهذا ما يحدو بالفيلسوف الفرنسى أن يجعل من الضمير شيئاً أشبه ما يكون بالغريزة التى لا تخطىء أبداً.

---

(١) الحدس نوع من الإدراك المباشر للنتائج بلا مقدمات. أو نوع من الإلهام العلمى المباشر ينبثق فى أعماق النفس الإنسانية، من دون أن يتلقاه الإنسان عن طريق آخر، أو دون أن يصل إليه بطريق البرهنة العادية.

هو نوع من المعرفة يتولد أو يهبط على النفس البشرية من غير مقدمات تسلم (تؤدى) إليه. أو من غير المصادر العلمية المعروفة - فلم ينتج من أثر المعرفة الحسية أو عن طريق التعليم من الغير.

وها هى كلمات روسو فى كتابه «اميل أو فى التربية» الذى أصدره سنة ١٧٦٢م Emile ou de l'Education فى الفصل المرسوم بـ «الضمير»: «... إنما أجد (قواعد السلوك) فى أعماق قلبى وقد كتبتها الطبيعة بحروف لا تمحى.. ليس لى أن أستشير غير نفسى فيما أريد أن أفعل: فكل ما أشعر أنه خير فهو خير. وكل ما أشعر أنه شر فهو شر. الضمير هو خير المرشدين جميعاً... الضمير هو صوت النفس (الروح)، والشهوات هى صوت الجسد. وهل من العجب أن تتعارض عادة هاتان اللغتان؟ وحينئذ فإلى أى منها يجب أن نصغى؟ إن العقل يضلنا فى أكثر الأحايين... لكن الضمير لا يضلنا قط. إنه القائد الأمين للإنسان وهو فى الروح كالغريزة فى الجسم. من يتبعه يخضع للطبيعة ولا يخشى الضلال».

«كل مبادىء الأخلاق التى نحكم بها على أفعالنا، هى فى أحكامنا التى نجدها فى بواطن نفوسنا...

«يوجد إذن فى أعماق نفوسنا مبدأ فطرى للعدالة والفضيلة، نحكم به - على الرغم من معتقداتنا الخلقية - على أفعالنا وأفعال غيرنا - بالخير أو بالشر، هذا المبدأ هو الذى أسميه الضمير.

«... أيها الضمير، أيها الضمير، الغريزة الإلهية والصوت الخالد السماوى، أيها القائد الذى يُطمأن إليه (فى قيادة) كائن جاهل محدود، لكنه ذكى وحر، أيها الحكم المعصوم فى الخير والشر، الذى يجعل الإنسان شبيها بالله!.. أنت هو الذى تسمو بطبيعته وخلقية أفعاله - بدونك لا أشعر بشىء فى نفسى يسمو بها عن مستوى الحيوان، إلا هذه المزّية التافهة التى تقودنى من ضلال إلى ضلال، بمعونة فهم لا ضابط له وعقل بلا قاعدة أو قانون».

«أن القانون الطبيعى الذى يوحى به الضمير للإنسان، يكفى بذاته وليس ثمة حاجة إلى وحى آخر».

"...Je les (regles pour ma conduite) trouve au fond de mon coeur écrites par la nature en caractères ineffaçables Je n'ai qu'a`me consulter sur ce que je veux faire: tout ce que je sens être bien est bien, tout ce que je sens être mal est mal. Le meilleur de tous les casuistes est la conscience; ....La conscience est la voix de l'ame, les passions sont la voix du corps. Est-il étonnant que souvent ces deux langages se contredisent? et alors lequel faut-il écouter? Trop souvent la raison nous trompe, et nous n'avons que trop acquis..: mais la coinscience ne trompe jamais; elle est la vrai guide de l'homme; elle est à l'ame ce que l'instinct est au conps; qui la suit obéit à la nature et ne craint point de s'égarer..

Toute la moralité de nos actions est dans le jugement que nous en portons nous-mêmes...

"... Il est donc au fond des âmes un principe inné de justice et de vertu, sur lequel, malgré nos propres maximes, nous jugeons nos ections et celles d'autrui, comme bonnes ou mauvaises, et c'est â ce principe que je donne le nom de conscience.

".... Conscience! conscience! instinet divin, immortelle et celeste voix: guide assuré d'un être ignorant et borné, mais intelligent et libre; juge infaillible du bien et du mal, qui rend l'homme semblable à Dieu! c'est toi qui fais l'ecellence de sa nature et la mortalité de ses actions; sans toi je ne sens rien en moi qui m'élève au-dessus des bêtes, que le triste privilège de m'égarer d'erreurs en erreurs, a l'aide d'un entendement sans règle et d'une raison sans principe..(livre IV. 170)

(La loi naturelle révélée á l'homme par sa sonscience se suffit á elle-mêm; point n'est besoin d'une autre révélation.)

فالعقل ليس هو الحَكَم عند روسو لأنه قد ينتهى إلى نتائج منطقية ومع ذلك نميل إلى رفضها بشعورنا وفطرتنا، فما الذى يدعونا إلى الإصغاء لنداء العقل وحده؟ ولقد ذهب روسو إلى أبعد من هذا فقال: ما أحرانا أن نطرح العقل ونكتفى بالشعور والقلب.

«ولقد شاع بين الفلاسفة أنفسهم أنه منذ ظهور رجال العلم اختفى أصحاب الشرف» إن التعليم يكسب الإنسان فطنة وذكاء ولكنه لا يجعل منه نبيلا فاضلاً: «وإننى لأصرح فى يقين أن التفكير مناقض لطبيعة الإنسان، وأن الرجل المفكر حيوان سافل»...

وفى طريق روسو، مضى كثيرون من أمثال جاكوبى الفيلسوف الألمانى، وبسكال الفيلسوف الفرنسى، وقد رأوا ضرورة إلقاء السمع إلى الطبيعة، لأن العقل لا يستطيع أن يظهرنا فى وضوح وجلاء على الخير والشر.

(٣) مذهب الحاسة الخلقية: وهناك فريق ثالث من الفلاسفة لعلّة أقرب إلى فريق العاطفيين منه إلى فريق العقليين، يرى أن ذلك الهاتف الباطنى الذى يهتف فى نفوسنا بما يجب أن نفعله ويميز بين الخير والشر، إنما هو فعل حاسة سادسة غير الحواس الخمس، منحناها كما منحنا العين لنبصر بها والأذن لنسمع بها ونميّز بين المرئيات والمسموعات، حاسة خلقية أدبية:

فطرنا عليها منذ بداية الخليقة، وكما أننا نميز بين الحلو والمر بحاسة الذوق، هكذا نميّز بين الخير والشر بحاسة خلقيّة نسميها الضمير، فالخير ما يلائمها والشر ما يعارضها وينافيها كما يقول ريد Reid (فى القرن الثامن عشر) وليس للعقل أو التجربة مدخل فى ذلك. وقد ذهب بعض علماء الهيئة إلى أن موضع هذه الحاسة يأتى من نواتىء الجمجمة، وقال سميث أن ما أوجد فينا هزة ميل فهو خير، وما ولّد فينا اشمئزازاً ونفورا فهو شر، وقال غيره إنها حاسة روحانية لا آلية تختلف عن العقل، يندفع بها الإنسان بلا روية أو تفكير.

وبينما يرى هذا الفريق من الفلاسفة من أمثال شافتسبرى وهاتشسون Hutcheson (من رجال القرنين السابع عشر والثامن عشر) أن هذه الحاسة مفطورة فينا منذ الخليقة، يرى هوبز وهلفتيوس وهلباخ أنها نتيجة التلقين والتربية والتعليم. ويقول سبنسر (من فلاسفة القرن التاسع عشر) أنها نتيجة من نتائج الملاءمة البطيئة بين الجنس البشرى وبين ما تهيأ له من ظروف الحياة وأحوالها خلال العصور...

ومما يقوله سبنسر ومن إليه أن الحيوانات منها الضعيف ومنها القوى، وهى تتنازع على البقاء، حتى يهلك الضعيف ويبقى القوى الذى يستحق البقاء لأنه استطاع أن يغالب عوامل الفناء، هذا القانون الطبيعى فى الكائنات الحية يسمى بالإنتخاب الطبيعى، أى أن الطبيعة بذاتها تقوم بدور إنتخاب الأصلح ليبقى، وتنازع الحيوانات فى سبيل حياتها يسمونه تنازع البقاء، ثم بقاء الأصلح، أما العناصر الباقية فلأنها قوية فتورث صفاتها لأبنائها وهو ما يسمى بالوراثة.

وكذلك الحال فى الأخلاق والمبادىء التى يعتنقها الناس، فإن المثل العليا تصطرع مع بعضها اصطراعا حتى تتم الغلبة والظفر لواحد منها على الآخر، فيسود وينتشر رويدا رويدا حتى يعم الناس جميعاً ويصبح قاعدة ثابتة ومبدأ مستقراً، وما ذلك إلاّ لأنه وجد شخصية قوية خرجت على العرف الإجتماعى بمبدأ مغاير، ولم تعبأ بهزؤ المجتمع، وأخذت تدعو لرأيها فى قوة وصبر حتى كسبت فى جانبها نفراً، وهكذا إلى أن يتم لها الفوز أخيراً بأن يقتنع الجميع بصحة هذا المبدأ.

وكما أن الكائن الحى يتطور ويرتقى تبعا للبيئة والظروف المحيطة به، إذ لابد له من أن يتكيف مع البيئة لكيما يتمكن من البقاء، هكذا الأخلاق أيضاً فى نظر الارتقائين لا تبقى على حال واحدة بل لابد من أن تتطور وترتقى من أخلاق ساذجة إلى أخلاق راقية تتفق مع البيئات والعصور التى تتوالى على الإنسانية، وكما أن التطور فى الحيوان لا يتم إلاّ تدريجياً بحيث لا نكاد نعرف البدء فيه أو نقطة الإنتهاء، كذلك فى الأخلاق ترتقى تدريجياً... والوراثة كفيلة بأن تورث الأبناء صفات الآباء فيسهل التحول.

ويرى دارون (من رجال القرن التاسع عشر) أنها ثمرة التجارب التى مرّ بها أسلافنا فأصبحت عادة انتقلت إلينا عن طريق الوراثة. ففى كل جماعة إنسانية سلطة يتولى زمامها رجال السياسة أو الدين: أمرت بأشياء ونهت عن غيرها بناء على ما رأته فى الأولى من نفع، وما فى الثانية من ضرّ، فكانت تمتدح الأولى وتذم الثانية معتمدة فى ذلك على أنواع الجزاء من الثواب أو العقاب، وأصبح الناس يطمعون فى الثواب أو يخشون العقاب، فيقبلون على الأولى وينفرون من الثانية حتى اعتادوا ذلك وألفوه، فصاروا يحكمون على الأفعال بالخير أو الشر بناء على تلك العادة التى تأصلت فى نفوسهم دون أن يقفوا على أصلها ومصدرها، وربما كانت الإختلافات بين الشعوب فى أفكارها ومعتقداتها الخلقية على إختلاف الزمان والمكان هى أقوى دعامة يستند إليها أصحاب المذهب التجريبى (ويشمل الإتجاه الثالث والأخير من مذهب الحاسة الخلقية) كما أنهم يزعمون أن الأخلاق منعدمة عند الأمم المتوحشة، وأن فكرة الواجب لا وجود لها فى أمة تفتقر إلى السلطة.

هذه هى النظرات المختلفة التى تطلع الفلاسفة من خلالها إلى الضمير الأدبى أو الخلقى، وكلها كما ترى نظريات مختلفة متناقضة لا يمكن أن تكون جميعها صحيحة.

(١) **فالعقليون** : وقد أكدوا سلطان العقل فى تصرفات الإنسان، أنكروا أثر القلب أو العاطفة فى توجيه الفكر أو فى توجيه الحياة بتمامها، مع أن الإنسان ليس عقلا بحتا يصدر فى أفعاله وتصرفاته ونظراته للحياة عن استدلالات منطقية صرفة لا تؤثر عليها الإنفعالات والعواطف والشهوات. وما أصدق قول ليبنتز Leibnz الفيلسوف الألمانى «لو عارضت الهندسة شهواتنا ومصالحنا بقدر ما تعارضها الأصول الأخلاقية لأنكرنا حقائقها على الرغم من براهين أقليدس وارشميدس، ولقلنا أنها أوهام وقياسات فاسدة».

ولو كان الضمير - فيما يرى هربارت وڤنت - ليس إلاّ تمثل للعقل،فما سرّ هذا النزاع الذى قد ينشأ بيننا وبين نفوسنا إزاء فعل ما يبيحه العقل ولا يرضاه الضمير، وقد يوفق العقل أعظم توفيق فى خلق أسباب ومبررات تبيح الفعل وتجوزه، بينما يظل الهاتف الباطنى يأمرنا بسلطان رهيب بأن نمتنع عن الفعل مهما كانت الأسباب معقولة؟.

حقاً لقد أصاب روسو فى قوله: «أن العقل كثيراً ما يخدعنا ويقودنا إلى الخطأ والضلال» ولو كان العقل هو الضمير لكان الفلاسفة وعباقرة المفكرين هم أكبر الناس حظا من هذا الضمير، والواقع أن ذلك ليس بقاعدة صحيحة، بل ربما اكتسب الفيلسوف من سعة عقله فطنة وقدرة على ارتكاب الشر بمهارة تخفى عن ذوى العقول الساذجة، ولكنها تنافى الضمير الحىّ، فليس الضمير إذن هو العقل، وان كان الضمير يحتوى على عنصر عقلى قوامه الأفكار والمعتقدات الخلقية.

أما التمييز الذى قال به (كانت) بين عقل نظرى يفكر ويعلل ويستنتج ويتذكر، وبين عقل عملى يتناول الحياة الأخلاقية، فهو تمييز من شأنه أن يجعل العقل عقلين فى نظر البعض، أو عقلاً واحدا ذا وجهين عند البعض الآخر. وفى الحالة الأولى يكون كل من العقلين النظرى والعملى - حدسىّ وبديهى وعام وضرورى، إلاّ أن لكل منهما مصدراً فى النفس الإنسانية يتميز عن مصدر الآخر، أما إذا كان العقلان - النظرى والعملى - عقلا واحدا ذا وجهين، فحينئذ يكون الضمير شكلاً من أشكال العقل، ويكون الإختلاف بين العقل النظرى والعقل العملى على نحو ما تختلف وظيفتان لقوة واحدة، أى أن العقلين فى هذا التفسير - جوهرهما واحد وإن اختلفا فى العمل والوظيفة والتطبيق، والواقع أن أصول العقلين واحدة، وليس العقل النظرى إلاّ عبارة عن العقل عاملاً على تحقيق النظام فى الفكر والتجربة، كما أن العقل العملى هو العقل بعينه عاملا على إقرار النظام فى الحياة الإنسانية، وكل ما هنالك من فرق، أن النظام فى العالم الخارجى محقق فى ذاته، وما على العقل إلاّ أن يكتشف هذا النظام، أما فى الحياة الإنسانية فلا يتحقق فيها النظام إلاّ بمجهود العقل.

ومهما يكن من شىء فإن (كانت) عقلّى مغال فى النزعة العقلية، بحيث لم يجعل للقلب أو للعاطفة مدخلاً فى تصرفات الإنسان وأفعاله، وما يقال عن كانت ينسحب أيضا على هربارت وڤنت وأصحاب المذهب العقلى. وليس الخطأ عندهم فى تنظيم العقل للحياة الإنسانية وإنما الخطأ فى أن يصبح العقل كل شىء فى الحياة الأخلاقية.

يجب إذن أن يكون للعقل نصيب فى تكوين الضمير وتنظيم أفكارنا الخلقية ودعمها بالمبادىء العقلية. ولكن يجب أيضاً أن يترك العقل للعاطفة والغريزة والتجارب ميداناً لتأليف الضمير وتكوينه.

(٢) **المذهب العاطفى**: قد وقع أصحابه فى خطأ شبيه بالخطأ الذى سقط فيه العقليون، فقد ألغوا عمل العقل واحتقروا التفكير وجعلوا الأخلاق تقوم على دعامة العاطفة، وبذلك جعلوا الضمير أشبه ما يكون بالغريزة أو الشعور أو هو الشعور. وكذلك القائلون بمذهب الحاسة الخلقية الذين جعلوا الضمير نوعا من الإحساس الباطنى والشعور الوقتى، الذى يحسه المرء أو يشعر به شعوراً تلقائياً حيال بعض الأفعال، فيحكم عليها بالخير والشر تبعاً لما يشعر به نحوها من إحساس الملاءمة أو النفرة، فقد أنكر هؤلاء وأولئك دور العقل وجعلوا الإنسان أقرب ما يكون إلى الحيوان لا يفكر فيما يجرى على لسانه من أقوال وما يصدر عنه من أفعال. ألا يقول بسكال نفسه، وهو من العاطفيين مع ذلك، بأن الإنسان قد خلق ليفكر وأن كل كرامته وكل أحقيته وكل واجبه فى أن يفكر كما ينبغى؟ فكيف لا يكون للعقل نصيب وافر فى حياة هذا الكائن العاقل، وإذا كان حقاً أن الإنسان يشعر نحو بعض الأفعال بشعور الإرتياح ونحو بعضها الآخر بشعور النفرة وعدم

الإرتياح، فهذا الشعور هو فى الواقع لاحق لما يصدره الإنسان على الأفعال من أحكام بالخير أو بالشر. والدليل على ذلك أنه قد يقف جامدا إزاء بعض الأفعال لأنه لم يكوّن عنها فكرة واضحة وحكما يطمئن إليه. أجل قد يبدو للمرء فى بعض الأحيان أنه لم يصطنع التفكير والرّوية، ومع ذلك قد أحس بشعور خاص نحو هذا الفعل أو ذاك، ولكن ذلك ليس معناه أن العقل كان على الحياد أو أن العاطفة وحدها هى التى تؤلف الضمير الخلقى، إذ أن العقل لابد أن يحكم وأن يميز ولكن قد تكون الأدلة على صواب الفعل أو خطئه أدلة غامضة أو مبهمة، ولذلك يظن الإنسان أن العقل معطل وأن الحاسة الخلقية وحدها هى التى تبيّن خير الفعل من شرّه، ومع ذلك فهذه الأحكام التى تصدر عن العاطفة أو الشعور - عندما تكون الأدّلة العقلية مبهمة غامضة - فى الغالب تكون أحكاماً مشوهة أو غير صحيحة، أو على الأقل غير مضبوطة تفتقر إلى الدقة والإحكام، ولذلك تكون أحكام المتحمسين وغير المتزنين هوجاء حمقاء، ولو تريث المتسرعون فى أحكامهم ونظّموا عواطفهم ومشاعرهم وحدّوا من غلوائها بما يقتضيه العقل والإتزان، لعصموا أنفسهم من كثير من الأخطاء يقعون فيها وهم فى غليان العاطفة وهيجان الشعور. ومن يدرى، فربما كان الإحساس أو الشعور يتحرك نحو الأفعال قياسا على أفعال أخرى، بينها وبين تلك وجه أو أكثر من وجوه الشبه فيندفع الإنسان بشعوره إلى الحكم عليها بأحكام مماثلة لأحكامه السابقة قبل أن يفسح للعقل سبيل البحث والتفكير، أو لأن هذا الفعل قد أصبح ملائما أو غير ملائم - وفقاً للعرف والتقاليد الدينية والأوضاع الإجتماعية - فهو يتصرف تبعاً لما طبع فى نفسه من شعور نحو هذه الأفعال. نعم، قد يكون شعورا بحتا خالياً من التأمل العقلى والبحث الفكرى، لكنه لم يصبح شعوراً إلاّ بعد أن حكم العقل - بناء على ما سلّم به أخذا عن المجتمع أو الدين - بأنه خير أو شر وربما بناء على تجربة ذاتية أو إجتماعية سابقة.

وإذن فليكن أن العاطفة أو الشعور عنصر من عناصر الضمير الأدبى، أما أن يكون الضمير مجرد عاطفة، فهذا إنكار صريح وتحد صارخ لعمل العقل، وأثر التجربة الفردية والإجتماعية فى حياة الإنسان الخلقية.

(٣) **المذهب التجريبى أو مذهب التطور:** والذى يفهم الضمير على أنه من إنتاج التربية أو من إنتاج التجربة أو أن السلطة السياسية أو الدينية أو الإجتماعية، عموماً هى التى كونت من مجموع التجارب والخبرات التى مرت بها الإنسانية خلال العصور، ما تأصل فى الطبيعة الإنسانية وأصبح عادة ورثناها ودعوناها الضمير. وهنا نجابه المذهب التجريبى.

(أ) لكن هل حقاً أن التربية تخلق الضمير؟ كلا.. إن التربية لم ولن تكون خلقاً لمعدومات، بل هى تهذيب وصقل لأصول موجودة، ولكنها على صورة ساذجة تحتاج إلى إعلاء وترقية، وليس من ينكر أثر التربية فى تهذيب الضمير وصقله، ولكن الذى ننكره أن تخلق التربية

الضمير الأدبى، وهاهم علماء التربية أنفسهم يعترفون بأن فى طبيعة الطفل استعدادات لهذه التربية وسابقة على التربية، وأنهم يقومون بتربية الأطفال على أساس هذه الاستعدادات الفطرية السابقة، وأن الطفل لو نشأ بعيداً عن والديه وبعيداً عن كل مؤثرات تربوية وإجتماعية، فإنه ينشأ نشأة تدل على أن فى نفسه أصولاً أخلاقية يتفق فيها مع جميع الناس قاطبة، مما يدل على أن هذه الأصول الخلقية ليست من فعل التربية ولا بفضل الوالدين أو المجتمع. وقد ذهب علماء النفس إلى أن النزعة الخلقية أو الدينية قاصرة على الإنسان دون الحيوان، وإلى أن أساسها فطرى غريزى يسمو ويرقى بسمو الإنسان ورقيه.

ولو كان الضمير من خلق التربية لكان معناه أن الإنسان الأول كان بلا ضمير، ولكان معناه أيضاً أننا نحن أكثر تمتعاً بالضمير من السابقين. وهذا مالا يمكن لأحد أن يزعمه.

ولو كان الضمير من خلق التربية لما أمكن أن تكون ثمت مبادىء عامة، وإنما تكون المبادىء متناقضة متغيرة تبعا لآراء المربين، ولكننا نلاحظ أن هناك مبادىء عامة واحدة وأصولاً أخلاقية واحدة.

ولو كان الضمير من خلق التربية لكان المتمردون على التربية بلا ضمير والحال غير هذا.

ولو كان الضمير من خلق التربية لإفترضنا أولاً: وجود مربين حاصلين على الضمير الذى ينقلونه إلى تلاميذهم، وسواء كان مطبوعاً فى نفوسهم أو أنهم تسلموه من سلطة سابقة، هى سلطة الوالدين أو المجتمع أو المربين السابقين. وأيا كان القول فالضمير سابق على التربية لا لاحق بها.

(ب) ولو كان الضمير يرتد إلى تجارب السابقين وقد تجمدت فى الجهاز الآلى بفعل الإعادة والتكرار، لكان الضمير فينا خيراً مما فى آبائنا وجدودنا. ولكان الأسبقون بلا حكم وبلا تمييز بين الخير والشر، وهو ادعاء كاذب ووهم باطل، فنحن حقاً أرقى من أسلافنا فى أفكارنا الخلقية. ولكن فرق بين الأفكار الخلقية وبين الحياة الخلقية، فلقد كانوا يميزون بين الخير والشر، ولو أن الخير عندهم قد يتخذ معنى يختلف عن المعنى الذى يتخذه عندنا اليوم.

ولو كان حقاً ما يقوله التجريبيون من أن التمييز بين الخير والشر هو محض تأثيرات عصبية ناجمة عن تجارب السابقين التى تجمعت فينا بفعل العادة، لكانت هذه التأثيرات مختلطة مضطربة، يصعب بل يستحيل أن ترتبط معا لتؤلف مبدأ الواجب الواحد، ولكُنا نحن أعجز من أن نعلل بها أمورا يحكم العقل السليم بصحتها وصوابها ودقّتها. أليست تأثيرات عصبية مادية، فمن لها بقوة الإدراك والمعرفة، وكيف يمكن أن تكيف الأفكار والأقوال والتصرفات ثم تهتز بما يلائمها جميعاً، وهى على ما هى عليه من تغير واختلاف وفروق دقيقة، أو كيف يمكنها أن تميز

بين الفضيلة والرذيلة بدون مرشد أو عقل، يفسر لها كل فكرة وقول وعمل ومدى مخالفته للخلق أو موافقته له؟؟؟... إن العقل لا يستسيغ أن يكون الحس الآلى الأعمى هو مرشد الإنسان وقائده..

ولو كان هذا الحسّ الآلى هو الذى يعيّن خير الفعل وشره بهذا النوع من الإهتزازات العصبية، لما كان ثمة داع على الإطلاق لأن يتأمل المرء مبادىء الفضيلة ويقهر نفسه عليها، ويقاوم نزعاته ورغباته البهيمية فى سبيل الخضوع لمبدأ الواجب.. ولما كانت هناك أى فائدة من جهود الأخلاقيين ورجال الدين والفضيلة، حينما يدعون إلى الخير وينهون عن الشر، مادامت الأخلاق مركوزة فى طبيعتهم وقد استحالت إلى تأثيرات عصبية وحركات آلية جسمانية بحتة، ولو صحّ أن نفرق بين رجل خيّر ورجل شرير، إذ يصبح الجميع مسيّرين بموجب هذه الأمور الغريزية التى لا مفرّ لهم من الخضوع لها، وليس لهم من سبيل إلى مقاومتها والخروج على إرادتها وقوة سيادتها. مع أننا فى الواقع نميّز بين خير وشر، ونجد أفراداً خيّرين وغيرهم أشرارا، ولا زلنا نتأثر بالدعوة إلى الخير والواجب والحملة على الشر والأثم، ولازال رجال الفضيلة مؤمنين بقيمة دعوتهم وثمرة جهودهم، ولا زال الناس يتغيرون ويتحولون كلما اتضح لهم أمر جديد لم يكونوا ينتبهون إليه، أو كلما شعروا بواجبهم الذى تحركهم إليه رغبة دائبة دائمة ملحة نحو الخير والمعروف.

هذا وأن الشعور نفسه الذى يتولد فينا إزاء بعض الأفعال، هو نفسه محل لحكمنا عليه بالخير والشر مما يدل على أنه شعور لاحق لا سابق لفعل الإدراك والتمييز، ومن العجيب حقاً أن يصدر عن الحس الآلى تمييز بين خير وشر، إن الحس الآلى يمكن أن يميز بين لون أبيض ولون أسود أو بين جسم خشن وجسم ناعم، أو بين صوت أجش وصوت رخيم أو بين طعم حلو وطعم مر، أو بين رائحة ذكية ورائحة كريهة، ولكنه لا يستطيع أن يميز بين الفضيلة والرذيلة لأن الفرق بينهما فرق معنوىّ يقوم على أساس إدراك لغاية الإنسان الطبيعية والوسائط التى تحقق هذه الغاية، وهذا الإدراك للغاية لا يتم فى حس آلى أعمى بل بملكة المعرفة الأصيلة فى الإنسان وهى العقل. ولذا فإن الحيوان لا يدرك الفرق بين الخير والشر، ولا نستطيع أن نصفه بالفضيلة أو الرذيلة أو ننسب إليه استحقاق الثواب أو العقاب على الخير أو الشر.

ثم إننا نقول عن الشخص أنه فاضل أو خيّر، إذا كان بالحقيقة يدرك الفرق بين الخير والشر، ثم تخيّر الخير واتبعه وكان فى إمكانه أن يفعل الشر ثم امتنع عن فعله، وهذا معناه أنه متصف بالمعرفة من جهة وبحريّة الفعل من جهة أخرى، ولذا نقول أنه مستحق الثواب أو العقاب لأنه قد فعل بمحض حريته واختياره بعد أن عرف الفرق بين الخير والشر، أجل إن الضمير يأمرنا

بالواجب بضرورة ملزمة، غير أنها ضرورة عملية وليست نظرية وضرورة مطلقة وليست مشروطة أو مقيّدة، كما أنها ضرورة أدبية وليست طبيعية، إذ الحيوانات غير الناطقة تندفع نحو غايتها بضرورة حتمية لا مفرّ من وقوعها. فهى ضرورة طبيعية. أما الكائنات الناطقة فيلزمها أن تميل من تلقاء نفسها إلى غايتها وفقاً لما تقتضيه الشريعة، ولذلك فالضرورة فى النواطق أدبية وليست طبيعية. أى أن الكائنات الناطقة وإن وجب عليها أن تفعل ما تقتضيه طبيعتها بالطاعة للشريعة، لكنها حرّة مختارة يمكنها أن تفعل ويمكنها أن تهمل، أفهل تستطيع هذه الحاسة الآلية أن تدرك خير الفعل من شره، وهل يمكنها أن تحدد مدى مسئولية الفاعل دون أن تعرف مدى إختياره فى الفعل، وهل لها أن تعرف مدى هذا الإختيار دون العقل؟؟ أفليس هذا القول - بالحاسة الأدبية الآلية - هراء، وهل تستطيع الحاسة الخلقية وهى محض إهتزازات مادية أن تعقد هذه المناقشة العنيفة وهذه المحاكمة الصارمة التى يقوم بها الضمير؟؟.. إن فى الضمير عناصر عقلية لا يسهل بل يستحيل تفسيرها بإهتزازات جسمية من حاسة آلية.

وإذا كان حقاً ما يقولونه من أن الجسم يتحرك أو يهتز بالخير أو الشر، فهذه الحركة لا يفسرها ولا يميزها غير المعنى الذى يصاحبها، فهى إذن لاحقة بالمعرفة العقلية لا سابقة عليها، وإلاّ فهل تستطيع هذه الحركة أن تفسر لنا فعل الرحمة مثلاً - إن كان حباً للخير فى ذاته ، أو طمعاً فى الشهرة وذيوع الصيت بين الناس؟ أو هل يمكن أن تشرح لنا الفرق بين من يسرق ليرحم ويحسن، وبين من يكّد ويعمل ثم يرحم ويحسن؟ أليس حقاً أن هذا التمييز بين الأفعال ودوافع الأفعال ووسائط الأفعال يجرى بموجب ملكة عاقلة دراكة؟ أيمكن أن نسلب من العقل عملاً من صميم أعماله لنمنحه لحركات جسمية مادية بحتة؟ ولِم نأبى الوضع السليم وهو الوضع الطبيعى: أن تكون هذه الحركات نتيجة لإدراكنا وتمييزنا الفرق بين الخير والشر؟؟؟

ومهما قال الفلاسفة من أن هذا الحس الأدبى له من البداهة والعموم والثبات ما يحملهم على أن يحسبوه شيئاً آخر غير هذا العقل المتقلب، فإننا نحن لا نستنتج من صفات هذا الشعور إلاّ أنه تمييز بديهى بين الخير والشر، واستعداد فطرى نحو الخير الطبيعى لوجودنا وطبيعتنا الناطقة العاقلة، وأنه مرتبط بمبدأ واحد قد أودع فينا من الله بمثابة نور طبيعى، بموجبه ندرك الفرق بين الخير والشر وأن الخير يجب أن يتبع والشر يجب أن يجتنب، ولو أن مادة هذا الواجب تختلف بحسب معرفة الإنسان ومدى ثقافته وعادات بيئته، وهذا يفضى بنا إلى القول أن هذا الشعور الباطنى الذى نسميه الضمير ليس هو العقل، وليس هو الغريزة، وليس هو الحس الآلى الأعمى، وإنما هو شعور يستهدى العقل ويستضىء بنوره.

(ج) ولو كان الضمير أو التمييز بين الخير والشر يرجع إلى سلطة بشرية، فكيف استطاعت هذه السلطة البشرية المحدودة أن تكون مصدر تمييز بديهى، يوجد عند جميع الناس فى مختلف البيئات ومختلف العصور؟ ولماذا نرى السلطات تتغيّر وتتبدّل والتمييز بين الخير والشر باق يتسّم بالوضوح والجلاء ولا يعتوره التغيير والتبديل؟؟ ألا نستبين من ذلك أن هذا التمييز البديهى بين الخير والشر سابق فى وجوده على هذه السلطات الإنسانية وهذه الشرائع البشرية المتغيرة المحدودة؟؟؟...

وهل حقاً أن التمييز بين الخير والشر يقوم على أساس سلطة أمرت ببعض الأمور فأصبحت خيرا، ونهت عن بعضها فأصبحت شرا، لكن إذا كان الأمر كذلك، فلم نقول عن الشريعة أنها عادلة أو ظالمة، صالحة أو فاسدة، أو كيف نصف الشريعة بالحسن أو القبح بالخير أو الشر، فكأننا نقيسها على الخير فنحكم بمطابقتها أو مغايرتها له، أى أن الخير والشر سابقان على الشرائع الوضعية، وأن التمييز بين الخير والشر هو أساس الحكم على الشرائع بالحسن أو القبح، وهذا لايكون إلاّ إذا كان هذا التمييز سابقا فى وجوده على ما وضعه الناس من شرائع وما سنّوه من قوانين.

ذلك إلى أن النظم السياسية أو الدينية أو الإجتماعية لم تفرض على الناس قهراً وإجباراً، وإنما قد رضيت عنها أولاً الجماعات الإنسانية، ووجدت فيها ما يسد فراغاً شعرت به فى محيطها، أى أنها نظم معبرة عن رغبات الناس الذين وضعت لأجلهم. ثم قامت السلطة بهذا التعبير وبمهمة التطبيق والتنفيذ، فكأن السلطة لم تخلق الضمير بل هى مرآة تنعكس عليها أخلاق الجماعة وضميرها، أى أن الضمير سابق على السلطة وليس من خلقها.

ودليلك على ذلك أن السلطة إذا لم تقم بمهمة التعبير عن ضمير الجماعة التى تمثلها خير قيام، فإن الجماعة تتمرد على هذه السلطة تمرداً مستمراً. ولن ترضى بهذه السلطة حتى تعدل من سياستها وخطتها ومبادئها، وإلاّ فإنها تبدى عليها سخطها وإستياءها. وليست الثورات والإنقلابات الإجتماعية إلاّ صورة واضحة من هذا السخط الذى يبدو من ضمير الجماعة نحو السلطة التى تتحدى مهمة التعبير عن ضمير الأمة، على أنه لا فرق فى ذلك بين سلطة قوية مستبّدة وسلطة ضعيفة مستكينة، فإن الضمير الإنسانى والإجتماعى أقوى وأعظم من أية سلطة إنسانية أخرى، فلن يرضيه شىء إلاّ الحق، ولن يقنع بما يخالف أحكامه، ولو اختفى فى شخص فإنه يظهر فى شخص آخر، ولن يصمت حتى يتبدل العالم الخارجى إلى ما يصبو إليه وما يبتغيه، هنالك وهنالك فقط يكون التوافق والإنسجام.

ولو كانت السلطة هى التى خلقت الضمير لظلّ الضمير طوع هذه السلطة إلى الأبد. ولكن المشاهد أن هذه السلطات الدينية والسياسية والإجتماعية تتبدّل وتتغير باطراد تبعاً لما يدرك الأمة فى حاجاتها الأدبية والمعنوية من تبدل وتغير وتطور، ومع ذلك يتبقى حكم الضمير واحدا (أن الخير يجب أن يتبع، والشر يجب أن يجتنب) فالديانات تتغير فى الجماعات الإنسانية، فقد تحولت كثير من الأمم من الوثنية إلى المسيحية مثلاً. وتبعاً لذلك تغيرت السلطة وتغيرت أيضاً أحكامها، فصارت تناصر المسيحية وتؤيدها وقد كانت قبلا تقاومها وتناهضها. وهذا دليل على أن السلطة السياسية والسلطة الإجتماعية والسلطة الدينية، الأولى لم تقو على أن تقهر الضمير الإنسانى وأن تغلبه على أمره وأن تجعله يسلم بلا قيد ولا شرط بقوة السلاح أو قوة المجتمع أو قوة الدين القديم.. وهكذا النظم السياسية وما يدركها من تطور دليل على ما نحن بصدده، فقد تتغير الحكومة من ملكية مستبدة إلى ديمقراطية أو جمهورية كما حدث ذلك فى فرنسا مثلاً وايطاليا أخيراً، وهذا معناه أن السلطة تعدلت وفقاً لما يتطلبه ضمير الأمة، وكذلك الاتجاهات الإجتماعية تتغير، فليس من فكرة إجتماعية سادت المجتمع إلى الأبد، بل تظل سيادتها مادام الناس يعترفون لها بهذه السيادة. فإذا تمرّدوا عليها وهنت قوتها وأصابها ما أصاب إخوانها من ضعف وذبول وإنحلال.

ولو كانت السلطات مرجع الخير والشر، لكان الخير خاضعاً دوماً لإرادة المشرعين، ولأصبحت الشرور فضائل مقدّسة والفضائل قبائح مرذولة، وفى هذا يقول شيشرون «لو أن الحقوق قوامها بأوامر الشعب ومراسيم الأمراء والرؤساء وأحكام القضاة، لكان كل من السرقة والزنى وغيرهما من الشرور حقوقاً (وعدلا) إذا صادفت رضى الشعب واستقر عليها رأى الأمة». والواقع أن لا، فالضمير لا يخضع للسلطة إلاّ إذا كانت السلطة معبّرة عن إرادته، ولكنه إذا تبيّن منها تمردا وعصيانا، نزع ثقته منها وأوسعها نقداً وتقريعاً حتى تئوب إلى رشدها، أو نزعها عن عرشها.

أرأيت إذن إلى أن الضمير الأدبى هو السابق فى وجوده على هذه السلطات، وأن السلطات لا تقوى على مغالبته والسيطرة عليه إلاّ إذا قبل هو هذه السيطرة لما فيها من محاسن التنظيم والتفسير والإيضاح، والإثابة والعقاب، وأنه لن يقف من هذه السلطة موقف الخضوع ولكنه يرقب حركاتها على وقع همساته وينقدها ويزنها بميزانه ويعيرها بمعياره، فإذا أجادت مهمة التعبير عنه أعلن رضاءه عليها وإعجابه بها وخلع عليها سلطاناً جديداً يجعلها أكثر رهبة وأعظم قوة وإقتداراً، وإذا انحرفت عن هذه المهمة تألب عليها وناصبها العداء. فإما أن ترجع خاضعة مقهورة إلى خطتها التى رسمها هو لها فى الماضى أو يرسمها فى الحاضر، وإما أن يظل هو قلقا

وفى قلقه وإضطرابه زلزلة لكيانها لأنه كالقاعدة والأساس لبنيان شامخ، إذا تزعزع الأساس تزعزع البنيان معه لأن قيامه به وثباته فيه، فالضمير إذن هو أساس السلطة، والسلطة هى لسان الضمير والحارس الذى أقامه الملك على باب بيته ليذود عنه بالسيف والنار.

ومن كل ما تقدم يتبين لنا أن الضمير الأدبى شىء آخر غير العقل وغير الشعور وغير السلطة وغير الغريزة، هو ملكة معقدة مركبة تتألف من العقل ومن الشعور أو العاطفة ومن السلطة الذاتية أو الإرادة. فليس الضمير على قول العقليين عقلاً صرفا، ولا هو على قول العاطفيين عاطفة صرفة، كما أنه لا يخلو من عنصر إرادى فعال، يؤكد كيان الذات ويحقق المعرفة والميل فى الواقع الخارجى. وإذن فالضمير استعداد طبيعى وتمييز بديهى بين الخير والشر ينبثق فيه قدر من العقل فينيره وقدر من العاطفة فيثيره وقدر من الإرادة فيوجهه ويديره.

عناصر الضمير

عناصر الضمير ثلاثة كما أسلفنا: **عنصر عقلى** قوامه الأفكار والمعانى التى تشتمل عليها أحكام الضمير، **وعنصر عاطفى** يتمثل فى المشاعر والعواطف المصاحبة لأفكارنا وأقوالنا وأعمالنا، سواء كانت هذه المصاحبة سابقة لها أو ملازمة لها أو لاحقة بها، ثم **عنصر إرادى** أو فعال هو هذه البواعث الدافعة إلى الفعل والمحركة على العمل، تنهانا عن الشر وتدفعنا إلى الخير.

على أن هذه العناصر الثلاثة تؤلف معاً وحدة متسقة، ولئن كنا سنضطر إلى الكلام عنها الواحد بعد الآخر، غير أن ذلك لتسهيل الدراسة فقط، وإنما فى واقع الأمر ليس بين هذه العناصر فصل، إذ الضمير كل لا يتجزأ ووحدة غير منقسمة لأنها وحدة روحية غير مادية.

أولاً: العنصر العقلى:

ما أكثر الدوافع والأسباب التى تجتمع حول النفس عندما تكون بصدد فعل ما من الأفعال الإنسانية والأدبية، ولكن العنصر العقلى فى الضمير يبحث هذه الدوافع جميعها، ويقارن بينهما ثم يبرز الدافع الحقيقى إلى الفعل ويرتب من بعده الدوافع الثانوية الأخرى، وأخيراً يحكم على هذا الدافع أو ذلك ويقومه من ناحية الخير والشر، فيرى أنه خير يستحق أن يفعل أو شر يحرم فعله، فإذا فعل المرء وفق أحكام الضمير أو خلافا لها، قضى الضمير على الفاعل بما يستحقه وقدّم العنصر العقلى حيثيات هذا الحكم ليكون الفاعل على بيّنة منها.

فكأن الضمير مشرع وقاض، وعمل العنصر العقلى أنه يفتش ويفحص ويميز ليكشف الدافع الحقيقى الذى يوجد فى أغوار النفس الإنسانية، والذى قد يخفى عن عيون الناس ويقيس هذا الدافع إلى قياس الخير ليرى مدى صلاح الباعث من شره، حتى إذا فعل الفاعل وانقلب الضمير إلى قاض أمكن للعنصر العقلى فى الضمير أن يشرح للنفس أسباب هذا الحكم أو القضاء.

خذ أمثلة لتنوع الدوافع فعل السرقة: فقد يسرق الإنسان سبباً للعوز أو حباً فى النكاية والغدر أو ليرحم مسكيناً أو ليدبر شئون عياله أو ليغتنى ويثرى وما إلى ذلك.. فيناقش الضمير النفس ويستعرض الدافع أو الدوافع التى تتذرع بها لفعل السرقة، ويبيّن لها مدى مخالفة هذه الدوافع للخير والواجب، ثم يصدر على الفعل والدافع إليه حكما يعتبر شريعة للنفس تلتزم به وإلاّ تعد شريرة إذا لم تطع.

وقد يتصدق الشخص حباً فى الخير أو رحمة بالمسكين أو إتماماً لمطالب الشريعة أو حباً فى الظهور والشهرة أو طمعاً فى منفعة مقبلة، أو طلباً لأن يأسر الشخص فيستغله لمصلحة فى وقت ما، وهكذا.. فالضمير يرى الرحمة خيراً ولكنه يناقش الدوافع فإذا كانت خيّرة أوجب الرحمة،

وإذا كانت شريرة حكم على فساد الدوافع فقط، أما إذا تذرع الإنسان بدافع خيّر وقد كان يبطن دافعاً آخر، فخير من يكتشف هذه المغالطة هو العنصر العقلى فى الضمير فيظهره على حقيقته ويحكم عليه بالشر وعلى فاعله بالشر والنفاق معا.

ولما كان الضمير يناقش النفس ويحاسبها ويحكم عليها ويضيق عليها بإلتزام الخير، لذا يشعر الأشرار بشعور الكراهية للضمير الذى يريدون أن يتخلصوا من إفتاءاته فلا يستطيعون، يقول شكسبير على لسان هاملت وقد كان يريد أن يقتل عمه «فضمائرنا هى التى تنزع شجاعتنا عنا وتلبسنا لباس الجبن فتّحول لون عزمنا الطبيعى إلى إصفرار القلق، فنرجع عما نكون قد عزمنا عليه من عمل خطير هام ونفقد قوة التنفيذ».. ويقول أيضاً (شكسبير) فى رواية ريتشارد الثالث على لسان سفاح أراد قتل الكونت كلارنس «دعنى وهذا (أى الضمير) فما أشد خطره، فهو يقودنى إلى الجبن، لا أستطيع السرقة ومع ذلك يتهمنى، لا أستطيع الحلف زورا ومع ذلك يعرض بى، ويل لى من هذا الروح الخجول الثائر بين أضلعى، يجعلنى أُرَدُ نقوداً كنت عثرت عليها فأصبحت لا أملك شروى نقير».. يقول أيضاً (شكسبير) على لسان بروتس بعد أن أوغر صدره كاسيوس على قتل يوليوس قيصر..» منذ أن أوغر (كاسيوس) صدرى، وأنا لم أنم ليلى.. تمر مدة خطرة ليخرج الفكر إلى حيز العمل، فتنتابنى فيها هواجس لم أعهدها إلاّ فى الرؤى. حرب طاحنة بين العقل الراجح والضمير الناصح، وكأن الإنسان أمة تلتهب أحشاؤها بنيران ثورة بين أبنائها».

ثم أن الضمير مشرع وقاض لأفعال غيرنا، نشرع لتلاميذنا وأبنائنا فنرشدهم إلى الخير والشر، ونبصرهم بالدوافع الخيرة، فإذا اتضح لنا بإعترافهم أو من حركاتهم دوافع شريرة أبنّا لهم شرها، فإذا فطوا حكمنا على أشخاصهم. وإذن فالمعلم أو المرشد أو الكاهن يشرع للناس ويقضى عليهم أو لهم بما يوحى إليه العنصر العقلى من الضمير.

هذا هو الضمير أو العنصر العقلى الذى يجب أن نلجأ إليه محتكمين لنعرف الحق الذى تطمئن إليه الروح يقول السيد المسيح «ولماذا لا تحكمون بالحق من قبل نفوسكم» (لو ١٢ : ٥٧).

ثانياً: العنصر الشعورى أو العاطفى:

يصدر العنصر العقلى أحكاماً على الأفعال ودوافع الأفعال، ولكن الفاعل لا يلبث إزاء هذه الأحكام فاترا جامداً بل يشعر بإحساسات وعواطف، تختلف قوة وضعفاً أو ظهوراً وخفاء لكنها على كل حال تكون مصاحبة للفعل ومتسببة به، وهى تكون قبل الفعل غيرها بعد الفعل، وكما أننا نشعر بهذه العواطف إزاء أفعالنا. كذلك نشعر بعواطف أخرى نحو أفعال غيرنا. هذه

العواطف والشعورات المختلفة تعرف عادة باسم العواطف والمشاعر الخلقية تميزا لها عن العواطف النفسانية من حب وكراهية...

(أ) عواطف تتصل بأفعالنا قبل حدوثها:

عاطفة التكليف والإلزام:

ويسمى الضمير فى هذه الحالة بالضمير السابق Conscience antécédénte من حيث أنه يسبق الفعل ويحكم عليه قبل حدوثه ويلزم الفاعل به محملاً إياه تبعة الفعل.

هذه العاطفة أو هذا الشعور نحس بها عندما نكون بصدد فعل ما، فيتكلم الضمير فينا بصوت باطنى لكنه واضح وقوى: نشعر أنه يجيب جيداً على حاجات متأصلة فى طبيعتنا الإنسانية، لذا نجد نفوسنا تؤمن بحقيقة هذا الصوت ولا تملك أن تناقشه مناقشة جديّة، فهو ذو هيبة وسلطان عليها، وهى تعترف له بسيادته عليها، ووجوب خضوعها له حتى لو لم تخضع له بالفعل فى موقف أو بضع مواقف. وإذن فنحن نشعر أننا ملزمون بشريعة الضمير، مكلفون بالعمل بإيحاءاته وتوجيهاته ولذا تسمى هذه العاطفة بعاطفة التكليف أو الإلزام.

ألا ترى أننا قد نضطر أحياناً إلى التضحية بكثير من المغانم الماديّة فى سبيل إرضاء الضمير الذى يكلفنا بهذه التضحية؟ بل أليس هذا الشعور بالتكليف هو سر أعمال البطولة والإقدام التى قام ويقوم بها الأبطال ومشاهير الرجال فى مختلف العصور والأجيال.

إن العقل يحكم بأن الغنى أفضل من الفقر، لكن ذوى الضمائر الحيّة يأبون الغنى إذا جاء عن غير طريق الحلال، وكم من الفرص عرضت أمام الفضلاء كان يمكنهم أن يصيروا فيها أغنياء مثرين، لكنهم ضحوا بالكسب المادىّ طاعة لضمائرهم التى ألزمتهم بالحق والأمانة والشرف.

ذلك إلى أن الخيرين لا يرفضون مالا يجيئهم عن الظلم أو الخيانة فقط، بل هم أيضاً يبذلون مما لهم إرضاء للضمير وقياماً بتكليفه. أليس حقاً من العجيب أن نرى رجلاً أو سيدة يجود على فقير أو يساهم فى عمل خيرى، يكلفه مالا كان يمكنه أن يستمتع هو به ولكنه يدفعه ويجد ذاته مضطرا من قبل ضميره إلى دفعه. فالكنائس ودور العبادة والملاجىء والمستشفيات والمستوصفات وأحياناً المدارس، كل هذه المنشآت قد أقامها الناس بإلزام ضمائرهم لسد العوز أو الجهل أو المرض.

وإذا تفكرنا فيما يقوم به بعض العلماء أو الأطباء أو المحامين أو المهندسين أو الصنّاع الذين يبذلون قصارى جهدهم فى عمل الخير، لا بالمال فحسب بل بالجهد الفنّى أيضاً دون أن يطمعوا

فى مال بل حباً فى الخير لذاته، نؤمن بسلطان الضمير على النفوس النبيلة لأنها تضحى بالمال والوقت والجهد والصحة وأحياناً الكرامة والمنصب، وليس هناك إغراء مادى يشجع على هذه التضحيات ولكنها إلزامات الضمير الحى.

ترى.. ماذا يكون فى العالم من خير بين الناس لو اختفى هذا الضمير؟؟ نعم... فما أشد إغراءات المادة والشهوات الباطلة على قلوب الناس، ومع ذلك تجد النفس تجاهد لتنتصر على الشر فيها، وفى الوسط الذى يحيط بها، ثم تجاهد لتصنع الخير والبر لحياتها وحياة البشر الذين تعرفهم والذين لا تعرفهم، فهل كان يمكن أن تكون ثمة فضيلة أو عمل بر وخير ومعروف بنيّة خالصة طاهرة من كل غرض، لو لم يوجد هذا الهاتف الباطنى الذى ندعوه الضمير؟؟؟

بلى... أيها الصوت الإلهى والخالد السماوى، أنت لسان الحق فى قلب الخلق، أنت مصدر الفضل ومرجع الجود، أب المروءة وشاكم الرذيلة، قوة الشجاعة ودافق الشهامة، ما أكثر الذين وضعوا حياتهم فى خدمة المبادىء أو فى خدمة النفوس فدافعوا عن الحق ونشروا الفضيلة وقاوموا شرور عصرهم ومفاسدها، أو عزوا الحزانى وكفكفوا دموع اليتامى وشجعوا اليائسين وساعدوا البائسين وردّوا الضالين وثبتوا الشاكين وصنعوا الخير لجميع الناس، ولم يكونوا فى هذا كله يرجون خيرا من أحد ولا طمعوا فى كلمة شكران وتقدير، ولا نالوا غير الإضطهاد والعنت، لقد تمرمرت حياتهم وتوجعت جسومهم بالجوع والعرى والتعذيب، وأخيراً لقد مات أكثرهم بأشنع ميتات وأرهقت دماؤهم بشتى صنوف الآلام، فهل كانوا حمقى لأنهم باعوا رضى الناس فى سبيل رضاك؟؟؟

الحق أنهم نبلاء ولذا نفثت فيهم بنصيب وافر وألزمتهم بأن يحملوا رسالتك فحملوها، ولم يطيقوا حياة بغير رضاك، لذا فلن يمكن أن نتصور نوعاً من الخير فى الوجود لو كان جميع الناس بلا ضمير، ولذا نؤمن أن إلزامات الضمير هى مصدر كل نبل وشرف وشجاعة وبطولة وتضحية، وبالإجمال هى علّة كل عمل صالح.

يقول الرسول فى بيان الجهاد الذى يقوم به بغير طمع ولا غرض غير رضى الله وضميره «لأنه ليس فى وعظنا تضليل أو غش أو باعث غير شريف، ولكن إذ أن الله حسبنا أهلاً لأن يفوض إلينا (مهمة التبشير) بالإنجيل. لهذا نتكلم، ليس لكى نرضى الناس وإنما (لنرضى) الله الذى يمتحن قلوبنا. ولذا لم نفه قط بكلمة ملق واحدة كما تعلمون، ولم يحركنا أى باعث للطمع - والله شاهد (على ذلك) - كما أننا لم نطلب مجداً من الناس، لا منكم ولا من غيركم. ومع أنه

كان فى مقدورنا - كرسل ليسوع المسيح - أن نطالبكم (بمعاشنا) .. إلا أننا ترفقنا بكم كما تشفق المرضعة على أولادها» (١) .

ويقول فى إلزام الضمير لنا بخضوعنا للملك: «لذا يلزم له الخضوع لا خوفاً من عقابه فقط، وإنما بسبب الضمير أيضاً» (٢) .

ويقول أيضاً فى إلزام الضمير باحتمال الآلام: «أيها الخدّام، كونوا خاضعين لسادتكم بكل خشية، ليس للأخيار العادلين فقط بل وللشرسين أيضاً. لأنه حسن أمام الله أن يحتمل الإنسان سوء المعاملة وهو متألم ومظلوم، بباعث من ضميره» (٣) .

(ب) عواطف تتصل بأفعالنا بعد حدوثها: (٤)

(١) عاطفة الرضى الأدبى: Sentiment de Aatisfaction

هذه عاطفة سارة تتحرك فينا عندما نتغلب على شهواتنا وعلى ما فينا من كسل وخمول ونزق وحبّ للظهور، أو عندما نقوم بواجبنا بأمانة ونزاهة أو عندما نقدم على عمل نبيل فيه بذل وإقدام وتضحية. إنها نوع من السرور الممتاز واللذة المعنوية التى تتميز فى نوعها عن كل لذة مادية، بل هى نوع من العجب المشروع، نحس معه بزيادة قيمتنا الإنسانية وأننا أصبحنا خيراً مما كنا عليه، وأننا لو أردنا أن نقايس بين هذا الشعور وبين شعورنا فى حالة الكسب والغنم المادى، لوجدنا أن الأول يفضل الثانى ويسمو عليه ولا يكاد يقترب إليه، لأنه من طراز رفيع يعلو على كل القيم المادية.

ولكن شعور الرضى شىء آخر فوق هذا كله، هو ثواب جزيل ومع أنه باطنى لكن النفس تعزه وتفخر به أعظم من كل ثواب آخر، ولذا يقول الرسول يوحنا: «يا أحبائى، إذا لم تحكم علينا قلوبنا (إذا لم تبكتنا ضمائرنا)، فإن لنا ثقة أكيدة فى الله» (٥) ويقول الرسول بولس «إن ما نفخر به هو الشهادة التى يؤديها (لنا) ضميرنا، بأننا قد تصرفنا فى العالم، ولا سيما من جهتكم ببساطة وإخلاص أمام الله، وليس بحكمة جسدانية بل بنعمة الله» (٦) . ويقول أيضاً : «لأننى لا أشعر بأننى مذنب فى شىء» (٧) .

---

(١) ١ . تس ٢ : ٣ - ٧ (٢) رو ١٣ : ٥ (٣) ١ . بط ٢ : ١٨ ، ١٩

(٤) ويسمى الضمير حينئذ بالضمير اللاحق. (٥) ١ . يو ٣ : ٢١

(٦) ٢ . كو ١ : ١٢ (٧) ١ . كو ٤ : ٤

هذا الشعور بالرضى، رضى النفس على النفس، وطمأنينة القلب لعدم الإثم، هو الذى يفسر لنا استعداد الفضلاء والقديسين لمقابلة صنوف العذاب برضى، أو على الأقل كيف أن كثيرين من الأبرار يستقبلون ساعة الموت بثغر باسم وأسارير منفرجة. بل ويفسر لنا علّة هدوء الفضلاء فى كلامهم ونظراتهم وحركاتهم بينما أن الأشرار والخطاة مضطربون منزعجون متبرمون ساخطون غاضبون.

كل سعادة غير سعادة الضمير الصالح ناقصة مبتورة باطلة زائلة تافهة...

فإن السعادة غير الظهور وغير الثراء وغير الترف

ولكنها فى نواحى الضمير إذا هو باللؤم لم يكتنف

قال بعض الفضلاء، « لا سعادة تعدل راحة الضمير» وقال غيره « قد يكون العمل بأيدينا ولكن ضمائرنا مستريحة »ويقول ابن سيراخ « رب إنسان يمنعه إقلاله عن الخطيئة، وفى راحته لا ينخسه ضميره»(١)

فطوبى لمن لا يبكته قلبه على خطيئة، طوبى لمن يُرضى ضميره فيقول ما قاله أيوب الصديق: «تمسكت ببرى لا أرخيه، قلبى لا يعيّر يوماً من أيامى»(٢). فعلى قدر ما نؤدى واجبنا بإخلاص، ونضبط نفوسنا عن نزواتها، وعلى قدر ما ندخل السعادة فى قلوب المنكوبين والمتألمين فنصنع خيراً لهم وللناس أجمعين، بقدر ذلك تنبثق السعادة الحقيقية فى نفوسنا هذه السعادة التى هى عربون السعادة السمائية لأنها غير مادية، والتى تؤكد لنا أن هناك إلها يشرف على تحقيق العدالة بين الناس، وأنه وإن كنا لا نرى العدل مستتبا على الأرض بوجه شامل إلاّ أن هناك عالماً آخر، روحياً لا مادياً، هو عالم الحق والخير والعدل الذى نرى صورة له فى بواطن نفوسنا، فى ضمائرنا...

(٢) تبكيت الضمير أو الندم: Sentiment de Malaise

يقول الوحى: «الذى يخطئ إلى نفسه يندم»(٣) الندم شعور أليم يتملك النفس عندما تأثم، وهو عقاب صارم مُرٌّ على مخالفة أحكام الضمير، ولن يكون فى الدنيا عذاب يعدل عذاب الضمير، ولقد يرى بعض المجرمين أن تسليم نفسه للقضاء بعض ما يريح ضميره فيفعل، وقد يرى غيرهم أن ينتحر تخلصا من نار هذا الوجع النفسى فيفعل...

(١) يش بن سيراخ: ٢٠: ٢٣ (٢) أى ٢٧: ٦ (٣) يش بن سيرخ ١٩ : ٦.

ولابّد لنا فى تعريف الندم من تمييزه عن الخجل والأسف والحسرة، والشعور بالتوبة، وهى مشاعر قد تختلط بالندم عادة فيعسر أحياناً تمييزه عنها. أما **الخجل** فهو شعور بالخسّة والدناءة والقلة يحس به المرء فيصغر أمام نفسه، حينما يرى نفسه قد فعل أمرا لا يليق بقدره أمام الله والناس أو حين يشعر أنه أقل من غيره (١). وقد عرفه أول من عرفه آدم.. عندما أخطأ وسمع هو وحواء «صوت الرب الإله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار، فإختبأ آدم وإمرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له : أين أنت؟ فقال : سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فإختبأت»(٢) مع أنهما لم يعرفا الخجل إلاّ بعد الخطيئة فقد «كانا كلاهما عريانين آدم وإمرأته وهما لا يخجلان» (٣) وقد أحس هرون بهذا الخجل حينما وقف أمام أخيه موسى ليجيب عن جريمة صنعه العجل الذهبى، ونحن نستطيع أن نلحظ هذا الشعور بكل وضوح فى إعتذار هرون بقوله «لا يحمَ غضب سيّدى، أنت تعرف الشعب أنه فى شر، فقالوا لى اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر، لا نعلم ماذا أصابه. فقلت لهم : من له ذهب فلينزعه ويعطنى، فطرحته فى النار، فخرج هذا العجل» (٤). فلقد شعر بصغارته أمام موسى ومع أنه أكبر من موسى سنا إلاّ أنه كان يكلمه بإستعطاف وإحترام «لا يحمَ غضب سيدى» ثم أنه فى روايته يحاول أن يسرع فى سردها لما تولاه من الخزى والخجل «فطرحته فى النار فخرج هذا العجل».

ويقول الحكيم سليمان «الحكماء يرثون مجدا، والحمقى يحملون هوانا» (٥)، ويقول «الصديق يبغض كلام الكذب، والشرير يخزى ويخجل» (٦) ويخاطب النبى حزقيال مدينة أورشليم «فاحملى أيضا خزيك.. فاخجلى أنت أيضا وإحملى عارك.. لكى تحملى عارك وتخزى من كل ما فعلت.. فتتذكرين طرقك وتخجلين.. لكى تتذكرى فتخزى ولا تفتحى فاك بعد بسبب خزيك» (٧) . ويقول القديس بولس لأهل رومية : «فماذا ربحتم إذن من الأمور التى تخجلون منها الآن. لأن نهايتها (هى) الموت.» (٨).

---

(١) قد يكون الخجل بسبب نقص فى الصحة أو فى الجمال أو فى القوة البدنية أو فى العلم وما إلى ذلك، وبالإجمال فى كل شئ يشعر الإنسان بنقصه فيه، حين يقيس نفسه بإزاء شخص أو أشخاص امتلكوا نصيبا وافرا من تلك الأشياء.

(٢) تك ٣ : ٨ ـ ١٠. (٣) تك ٢ : ٢٥. (٤) خر ٣٢ : ٢٣ ، ٢٤.
(٥) أم ٣ : ٣٥. (٦) أم ١٣ : ٥. (٧) حز ١٦ : ٥٢ ـ ٦٣. (٨) رو ٦ : ٢١.

ويختلف الشعور بالخجل عن الندم، فى أن الخجل شعور بالنقص والقصور عن إدراك المثل الأعلى، أو إحساس بأنه أقل من غيره فضلا أو علما أو حكمة أو إنتاجا أو ذكاء أو مقدرة أو كفاءة، بينما الندم شعور بالألم نتيجة ارتكاب خطأ أو اثم. وإذن فالخجل أعمّ من الندم لأنه لا يقتصر على الخطأ الإيجابى أى الإثم بل يمتد إلى الشعور بنقص المؤهلات الطبيعية أو صغر المجهود الإنتاجى، فإذا كانت المؤهلات الطبيعية فلا إثم فى ضعفها، وإذا كان المجهود الإنتاجى فنقصه شر سلبى وليس إيجابياً كالقتل والفساد والجحود.

ومع ذلك قد يجتمع الخجل والندم معا، وقد يتطور أحدهما إلى الآخر، وعلى كل حال. فعقاب الضمير هو ما يهبط على قلب المخطئ من وجع باطنى ممض أو هو الندم وليس الخجل..

وكذلك **الأسف والحسرة** لا يتولدان كما يتولد الندم من الشعور بالمخالفة وارتكاب الإثم، بل هما نوع من التوجع على فقدان فرصة سنحت لكسب مادىّ أو أدبى أو إجتماعى، وفى هذا المعنى يقول فاجيه Faguet «إذا غابت عنك أو ضاعت منك فرصة كنت تستطيع فيها أن تؤسس ثروة فإنك تأسف لذلك وتتحسر من أجله. وأنت إذا أسست ثروة مصطنعا فى تأسيسها وسائل دنيئة وأفعالا شائنة فإنك لا تلوم نفسك دائما على اصطناع هذه الوسائل، ولكن بعض الناس يلومون أنفسهم عليها إذا اصطنعوها ويشعرون نحو أنفسهم بالخَسه والدناءة، وهذا هو تبكيت الضمير وشعور الإنسان بكراهيته لنفسه ونفرته من نفسه وإزدرائه لنفسه، على حين أن الأسف والحسرة regret ليس إلاّ شعور الإنسان بالرثاء لنفسه والشفقة على نفسه، ناهيك بأن الأسف أو الحسرة ليس خلوا من الروعة، وبأن تبكيت الضمير أو لومه فيه مرارة ولوعة، اللهم إلا فى بعض اللذات القوية العنيفة التى يستشعرها الإنسان».

أما **الشعور بالتوبة** فهو ليس شعورا بالألم من خطأ ارتكبه صاحبه فحسب، بل هو أيضا تقبل الإنسان لآلامه ونتائج أفعاله بلا تذمر أو تململ ثم شعوره بأنه مستحق لها جزاء مخالفته لأوامر الضمير مع تثبيت العزم على إصلاح الخطأ وتعديل السلوك. فكأن الشعور بالتوبة أوسع مدلولا من تبكيت الضمير، فهو يشمل التبكيت بما فيه من ألم ويزيد عليه بالشعور بإستحقاق الألم وبالعزم على تجديد السيرة وتقويم الحياة.(١).

---

(١) ربما كان هذا هو شعور فرعون مبدئيا على الأقل، عندما قال بعد ضربة البرد : «أخطأت هذه المرة. الرب هو البار، وأنا وشعبى الأشرار» (خر ٩ : ٢٧).

وكما قلنا سابقا فى الخجل، نقول هنا أيضا أنه قد يجتمع شعور أو أكثر من هذه الشعورات الأليمة فى واقعة نفسية واحدة لكنها مع ذلك شعورات مستقلة..

أمثلة فى الكتاب المقدس على عاطفة الندم

وإن لنا فى الكتاب المقدس أمثلة كثيرة على عاطفة الندم نذكر منها مايلى :

أخوة يوسف : فقد باعوه بعد أن طرحوه فى الجب وقد تخلصوا منه ومن سؤال والدهم عنه بذبحهم الجدى وتلطيخ ثوب يوسف بدمه، ومع ذلك لم يتخلصوا من آلام الضمير فقد ظلوا ذاكرين خطيتهم سنوات طويلة، وكلما رأوا ضيقا أحسوا أنه جزاء لسوء تصرفهم مع أخيهم يوسف. فلما وقعوا فى مصر فى قبضة يوسف «قالوا بعضهم لبعض : حقا إننا مذنبون إلى أخينا الذى رأينا ضيقة نفسه لما استرحمنا ولم نسمع. لذلك جاءت علينا هذه الضيقة فأجابهم رأوبين قائلا : ألم أكلمكم قائلا : لا تأثموا بالولد وأنتم لم تسمعوا، فهوذا دمه يطلب» (١) وهو نقاش لا محل له بعد مضى ثلاث عشرة سنة وفى أرض مصر إلا لأن ضمائرهم تبكتهم على الدوام، ولا تكاد تجد موقفا مناسبا حتى تقرعهم وتوبخهم.

وفرعون ملك مصر : قد تيقظ ضميره واعترف بخطئه قائلا : «أخطأت هذه المرة، الرب هو البار وأنا وشعبى الأشرار» (٢) «فدعا فرعون موسى وهرون مسرعا، وقال «أخطأت إلى الرب إلهكما وإليكما، والآن اصفحا عن خطيتى هذه المرة فقط» (٣) ولاشك أن الإعتراف بالخطأ هو نتيجة للندم.

وداود النبى : تملك من شاول الذى كان يطارده فقطع طرف جبته فقط : «وكان بعد ذلك أن قلب داود ضربه (بكته ضميره) على قطعه طرف جبة شاول فقال لرجاله : حاشا لى من قبل الرب أن أعمل هذا الأمر بسيدى بمسيح الرب فأمد يدى إليه لأنه مسيح الرب هو» (٤).

وقال الكتاب أيضا عن داود «وضرب داود قلبه بعد ماعدّ الشعب فقال داود للرب : لقد أخطأت جدا فى مافعلت. والآن يارب ازل إثم عبدك لأنى انحمقت جدا» (٥).

---

(١) تك ٤٢ : ٢١، ٢٢ (٢) خر ٩ : ٢٧

(٣) خر ١٠ : ١٦، ١٧ (٤) ١. صم ٢٤ : ٤ – ٧

(٥) ٢. صم ٢٤ : ١٠ راجع أيضا ٢. صم ١٢ : ١٣، مز ٣٢ : ٥، مز ٥١ : ٤ ، أم ٢٨ : ١٣

وأنطيوكس الملك : وقد كان ملكا عاتيا جبارا أذل بنى إسرائيل وأساء إليهم فأدركه الفشل فى جميع حروبه ،فدعا جميع أصحابه وقال لهم : لقد شرد النوم عن عينى وسقط قلبى من الكرب. فقلت فى نفسى إلى أى بلاء صرت وما أعظم اللجة التى أنا فيها بعد أن كنت مسرورا ومحبوبا فى سلطانى، إنى لأتذكر المساوئ التى صنعتها فى أورشليم وكيف أخذت كل آنية الذهب والفضة التى كانت فيها، وأرسلت لإبادة سكان يهوذا بغير سبب، فأنا أعلم بأنى لأجل ذلك أصابتنى هذه البلايا، وها أنا أهلك بكمد شديد فى أرض غريبة، (١).

وفى حادثة المرأة الزانية : جاءوا بها إلى السيد المسيح ليصدر حكمه عليها: «أما يسوع، فقد انحنى (إلى الأرض) وكان يكتب بأصبعه على الأرض، ولما ظلوا يسألونه انتصب وقال لهم: من كان منكم بدون خطيئة فليرشقها بالحجر أولا ثم انحنى أيضا وكان يكتب على الأرض، فلما سمعوا (هذا) وشعروا بتبكيت ضمائرهم خرجوا الواحد بعد الآخر إبتداء من الأكبرين حتى الآخرين» (٢).

ويطرس الرسول : الذى أنكر سيده وحلف بقسم أنه لا يعرفه : «وفى الحال بينما هو يتكلم صاح الديك، فإلتفت الرب ونظر إلى بطرس فتذكر بطرس كلام الرب، كيف قال له قبل أن يصيح الديك ستنكرنى ثلاث مرات، فحينئذ خرج بطرس وبكى بكاءا مراً» (٣).

وفى يوم الخمسين وعظ القديس بطرس جمهور اليهود : «فلما سمعوا (هذه الأمور) عملت **الندامة** فى قلوبهم، وقالوا لبطرس وللرسل الآخرين، فماذا نعمل أيها الرجال الأخوة؟ فقال لهم بطرس، فلتتحولوا وليصطبغ كل منكم باسم يسوع المسيح، فتحصلوا على غفران الخطايا وتقبلوا الموهبة من الروح القدس» (٤).

ثم يهوذا الاسخريوطى : وقد كان تلميذا للمخلص، فلما رأى أنه خان سيده من أجل قبضة من الفضة بكته ضميره جدا حتى انتحر تخلصا من عذاب ممض كان يعانيه قال الكتاب «ثم إن يهوذا الذى خانه، ندم لما رأى أنه حكم عليه، ورد الثلاثين قطعة من الفضة لرؤساء الكهنة والشيوخ، قائلا : إنى أخطأت إذ خنت الدم البرئ أما هم فقالوا : وماذا يعنينا، تدبر أنت (فى ذلك) وحينئذ بعد أن طرح القطع الفضية فى الهيكل، مضى وخنق نفسه». (٥)

---

(١) ١. مكابيين ٦ : ١٠ – ١٣ (٢) يو ٨ : ٦ – ٩ (٣) لو ٢٢ : ٦٠ – ٦٢

(٤) أع ٢ : ٣٧، ٣٨ راجع زك ١٢ : ١٠، لو ٣: ١٠، أع ٩ : ٦، أع ١٦ : ٣٠، ١. يو ٣ : ٢٠

(٥) مت ٢٧ : ٣ – ٥. راجع لو ٩ : ٧، مت ١٤ : ١، مر ٦ : ١٤

وقد روى أحد القسوس مرة أنه قد عثر المنقبون فى الحفريات على جمجمة لميت بجوار الكاتدرائية، وكان فى الجمجمة مسمار، فتناولها القسيس بيده وأخذ يقلب فيها وسأل إذا كان أحد يعلم عن هذه الجمجمة شيئا، فقال أحد الواقفين على الفور : إنها لرجل مسن مات منذ بضع سنوات فجأة وقد تزوجت إمرأته توا عقب وفاته وهى لاتزال حية باقية، وأخيرا إلتقى القسيس بالمرأة فلما واجهها بالجمجمة امتقع فى الحال لونها وعلته صفرة شبيهة بصفرة الموت، ثم اعترفت بأنها قاتلة زوجها وأنها منذ ذلك الحين لم تجد راحة لا بالليل ولا بالنهار من هول جريمتها ومن شدة تأنيب ضميرها لها، على الرغم من أنها تزوجت بعد قتلها زوجها ظنا منها أن الزواج يسعدها، وهنا يصدق ما يقوله شاتوبريان Chateaubriand «يمزق النمر فريسته وينام ويقتل الرجل أخاه ويأرق».

وفى رواية هملت التى كتبها شكسبير نقرأ صورة أخرى لتبكيت الضمير، صورة رجل قتل أخاه ملك الدانيمرك واغتصب عرشه واقترن بزوجته، ولكن هاملت ابن الملك المقتول أمر بتمثيل جريمة قتل أمام الملك والملكة وسائر رجال القصر، وحينئذ انزعج الملك واضطرب وقام من عرشه وخرج من حجرته إذ كان ضميره يبكته بشده، وكان يقول : «بالشناعة جرمى، فقد صعدت رائحته إلى السماء، ولقد استحق اللعنة الأولى التى انصبت على قاتل الإنسان الأول لأخيه الإنسان. قاتل أخى!. ويلى لا أستطيع أن أصلى رغم ماأبذل من الجهد، كأن خطيتى تثنى عزمى فأقف لا أتحرك وقفة رجل يتجاذبه شاغلان يثبطان عمله»...

قيل كذلك عن مجرم سجين اتهم زملاءه المسجونين بأنهم يقرعونه بقولهم له : يا مذنب... يامذنب، وبعد فحص دعواه تبين أن ذلك النداء لم يكن غير صوت الضمير يوبخه على فعله الأثيم، وهكذا قيل أيضا عن أحد السفاحين أنه كان يسمع صوت المقتول قائلا له : لماذا قتلتنى ؟ ولم يكن غير صوت ضميره يحتج عليه مبكتا.

بل قيل كذلك أن بعض اللصوص دخلوا بيتا حيث رأوا صورا معلقة بالجدران، فلم يقووا على تنفيذ مأربهم إلا بعد أن قلبوا الصور على وجوهها، لأنهم رأوا فى عيونها ما أفزعهم عن إرتكاب جريمة السرقة، والحق أن توبيخات الضمير المرهبة هى التى ملأت قلوبهم خوفا وهلعا فصاروا يجزعون حتى من عيون صور معلقة جامدة لا حياة فيها.

وما أروع ما كتبه الشاعر الفرنسى فيكتور هوجو مصورا تبكيت الضمير لقايين بعد أن قتل أخاه هابيل، تصويرا شعريا ممتازا فى قصيدة عصماء ترجمها الأستاذ ابراهيم عبد الفادى نثرا ثم شعرا ونشرها فى مجلة اليقظة لصاحبها القمص ابراهيم لوقا :

«وتاه قايين شريدا بعياله المرتدين جلود العجماوات، وطاف ينشد مختبأ يندس فيه بعيدا من وجه غضب الله الذى حلّ عليه، وسار وهو أشعث الرأس، مربد البدن من قارس البرد، وزمهرير العواصف، وأمعن فى ضلاله وتيهه حتى أرخى الليل سدوله، فإذا الجميع فى سفح جبل، ينبسط أمامه سهل مترامى الأطراف وكان الإعياء قد أخذ مأخذه من إمرأته وولده، فاستوقفوه قائلين : دعنا نبيت الليلة فى هذه الأرض.. ورقد الكل فى أكناف الحضيض، وغلبهم الكرى، واستغرقوا فى الأحلام، إلا قايين فقد بات أرِقا متململا، تطوف برأسه روائع الأخيله، وتحوطه أهوال الرؤى والأشباح... ورفع بصره إلى السماء وكان الظلام حالكا، فرأى عينا عظيمة متوقدة، تخرق أستار الدجى الكثيفة، وتحدق إليه فى شدة وغضب فذعر... وقال : لا أزال قريبا...

وهب فأيقظ أولاده الأبرياء من لذيذ نومهم، وأهاب بإمرأته المنهوكة ثم أستأنف الهرب، وضرب فى الآفاق شريدا، حاملا معه الكآبه والحزن والخوف الشديد.

وسار ثلاثين نهارا، وأسرى ثلاثين ليله، وهو محتبس اللسان، شاحب اللون، يرتعد من كل حركة، ويبالغ فى التستر من كل إنسان، غير ملتفت إلى شئ ولا مبال بتعب إمرأته وأولاده وأحفاده، لا يطمئن إلى الراحة، ولا يزور الكرى جفنيه حتى انتهى بهم المطاف، وألقوا عصا التسيار، بعد الأين والكلال، وسط رمال منبسطة، على شاطئ البحر فى بلاد أشور.

وهناك ظن نفسه فى مأمن حريز، وناجى نفسه بأنه قد ابتعد عن العين الشديدة التى تحدق به، والأشباح التى تترصده، وقال حسبنا السير، ولننزل فى هذه البقعة فقد بلغنا حد الدنيا.

ولكنه لم يكد يستقر حتى أبصر تلك العين ثابتة فى موضعها الأول من السماء الداجية، متطلعة إليه فى حنق، من قلب ذلك الأفق القريب البعيد فاضطرب... وتناوشته مخالب الهول السوداء، فصرخ بملء فيه.. خبئونى.. خبئونى...

وكان أولاده يتفرسون فى وجهه المنقبض، وجسمه المرتجف، والكل قد وضعوا أصابعهم فوق شفاههم رهبة لذلك العتل، فلا يستطيعون ركزا...

وقال قايين ليابال - وهو أبو ساكنى الخيام، فى البوادى والرمال - هلّم فأرسل على ستائر مضاربك، ففعل يابال ما أمر به قايين، وأقام لمضربه جدراً من شعر فكانت معرضة لتصفيق الرياح وهزيزها، فشد أطنابها، ومكنها بأثقال الرصاص، حذر أن يزعج أباه دوى خفوقها...

وإذ ذاك وقفت عليه صلة - إحدى حفيداته - فسألته : أظنك لا ترى بعد شيئا يا أبى؟؟

فأجابها التعيس : بلى يابنيتى.. إن تلك العين لاتزال تجاه بصرى. ترمقنى...

فهب حينئذ يوبال ـ أول الحضريين، وأبو كل عازف بالكنارة والمزمار ـ وقال لقايين : أنا أستطيع أن أجعل سدا بينك وبين هذا المحذور الوبيل... ثم أنشأ سورا عاليا من الشبه (النحاس الأصفر) وخبأ الشقى وراءه، ولكن ذلك القاتل لم يفده استتاره وراء السور شيئا، إذ لم يلبث أن هتف وجلا : إن تلك العين لاتزال تجاه بصرى، ترمقنى بنظراتها الثابتة الحادة...

فثارت الحمية فى رأس أخنوخ ـ أحد أحفاده ـ فقال : الرأى عندى أن نصنع نطاقا هائلا من الأبراج لا تستطيع قوة ـ مهما عظمت ـ أن تمسه، أو تدنو منه... حقا.. لنبنين له حصنا حصينا، ولنحكمن بناءه، ولنوصدن أبوابه حتى تصبح فى داخل السرب آمنا ناعم البال.

وقوبل رأى اخنوخ بالاستحسان من الجميع، وخاصة توبال ـ أبو الصياقلة والحدادين ـ فأنشأ مدينة عظيمة تفوق قوة البشر، وبينما كان توبال يبذل قصارى جهده فى إحكام بنيانها، وتوطيد أركانها، كان اخوته فى السهل المجاور يطردون أبناء أنوش، وكل من يعثرون عليه من سلالة شيث، وكانوا يسملون عيون المارة إنتقاما من العيون، ويرشقون نجم الليل بالسهام.. تلبية لداعى الظنون...

وتمت المدينة الهائلة، وكانت الحجارة الصلبة فى أسوارها وأبراجها، بدل نسيج الشعر فى جدران الخيمة، ووثقت حجارتها الضخمة بربط متينه من الحديد حتى صارت وكأنها من مدن الجحيم.. وكان ظل أبراجها يمد أوراق الظلام على ماحولها من السهول، وكانت أسوارها فى ضخامة الأوتاد، ونقشوا على بابها هذه الكلمات : «محظور على الله أن يدخل».

وانتهوا من صنع أبوابها ومغاليقها، وأرقدوا ذلك الأب التاعس فى قلبها داخل برج مكين، فأقام فيه مضطرب البال، مشترك الخواطر، فعادت حفيدته صلة تقف عليه، وتسأله فى سخريتها الرنانة، متصنعة الخوف والإرتجاف : هل اختفت العين يا أبى؟ فأجاب : كلا.. إنها ما برحت مكانها.. ولقد عزمت على إتخاد نفق تحت الأرض، اعتزل فيه، بحيث لا أَرَى، ولا أُرى...

واحتفروا له الذى أراد، فسّر به، وأوى إليه محتجباً عن الأنظار.. تحت الظلمة الدامسة، ولكنه لم يكد يجلس إلى كرسيه منفرداً بنفسه، حتى سدوا عليه الأبواب، تلازمه العين التى تحدق إليه وهو فى رمسه...» (١)

---

(١) مجلة اليقظة سنة ١٢ عدد ٥ ص ٣٩٤ – ٣٩٦

أما القصيدة الشعرية، أو بالحرى، الترجمة الشعرية فهى :

تاه بين الصحارى كالحمل ... يرتدى - مع ولده - جلد الحمل
شعره يكسوه، لكن لم يزل ... شاعرا بالقر يضنيه الوجل
إن ذا قايين سفاك الدما

رام من وجه العلى أن يهربا ... فغدا يطوى الفيافى مغضبا
وضياء الشمس حيّا المغربا ... خيم الليل على تلك الربا
والشقى الوغد أضحى مرغما

وصل التائه وهو فى سغب ... نحو واد واسع يحوى الكرب
شكت الأولاد والأم الوصب ... وأرادوا راحة بعد النصب
رقدوا فى ظل ذيّاك الحمى

أما قايين فهاجته الفكر ... لم ينم، بل قام يشكو من سهر
ورأى وجه السماوات اعتكر ... فى الدجى عين تشع كالقمر
حدقت فيه، فأمسى فى عمى

قال فى رعب: أرانى فى الجوار ... ما لهذى العين ترمينى بنار
دنت الساعة هيا للفرار ... أيقظ النيّام هجرا للديار
وطوى البيد لهيفا مضرما

ضرب الأرض حثيثا فى المسير ... راغبا ألا يرى وجه القدير
قلبه ينهشه دود الضمير ... لامعز لا مجير لا نصير
أحر بالقاتل ألا يرحما

سار أياما طوالا فى اكتئاب ... وهو مذعور، فلا يبدى جواب
من نسيم الصبح يُمسى فى اضطراب ... قلبه ينتابه مر العذاب
وتراه سائرا لن يحجما

قاده تسياره نحو كثيب ... عند شطا البحر، والقلب كئيب
قال : فلنمكث هنا، مامن رقيب ... هذا حد الأرض يكفينا نجوت
فلنقم بالأمن فى هذا الحمى

ولدن قام بهاتيك الربوع أبصر العين وقد شاء الرجوع
صار مرعويا وأمسى في خشوع في سكون الليل يضنيه الهجوع

قلبه يرجف من ذكر الدما

صاح: ويلاه .. استروني من غضب هذه العين فلا أخشى العطب
وبنوه قد رأوا الجد اضطرب فغدوا يقضون من ذاك العجب

وينادى بعضهم بعضا : لم ؟؟

فاستعان بابنه يابل من قد غدا أبا لمن رام السكن
في قلوب البيد يغذون اللبن ضمن بيت الشعر قاموا بالأمن

ضيفهم مازال يلقى مكرما

قال : «بالله اردأوا عني سهام هذه العين لأضحى في سلام
سدلوا من دونه - بين الخيام حاجزا يخفق في قلب الظلام

جعلوه ثابتا مستحكما

بنته سلا أتت عند السحر ومحياها مضئ كالقمر
ثم نادت: جد : هل تشكو سهر بعد؟ هل تنظر للعين أثر

قال : مازالت تريش الأسهما

بعد ذا تويل وافاهم يقول - وبنوه في القرى دقوا الطبول -
«قد أقمت حاجزا بين الطلول بل جدارا من نحاس لا يزول»

بات قايين حذاه مؤلما

صاح: «هاك العين مازالت ترى خرقت حتى النحاس الأصفرا
هاك تنظر نحوى شذرا وايصا بي... من يعزيني ترى؟

لم أزل أُلفَى شقيا معدما

قال أخنوخ : «علينا بالقصور نجعل الأبراج سورا تلو سور
فلنشيد بلدة من ذى الصخور ولنقم حصنا فلا يدنو جسور

فيه يلقى الجد عيشا أنعما

عندها توبل قايين أشاد بلدة فيحاء قد ساوت بلاد
رُفِعَت جدرانها مثل العماد في مبانيها لقد تاه العباد
عانقت فيها القصور الأنجما

بينما توبل يبني في الديار كان إخوانه يحمون الجوار
يطفئون نور عيني كل مار ولدن ودعت الشمس النهار
صوبوا نحو النجوم الأسهما

ولد شيث وأنوش طاردوا عوض الخيمة قام الجلمد
فقصورا وحصونا شيدوا وبناءً بحديد وطدوا
وحكت تلك الربى جهنما

والحصون نشرت فوق السهول ظلها فامتد مابين الطلول
شابهت جدرانها عرضا وطول راسيات من جبال لاتزول
رأسها ينطح أكباد السما

وعلى الباب ترى هذا الشعار : «لا دخول للعليّ في ذى الديار»
بعد ان أنهوا فنون الإختبار وضع الجسد بحرص ووقار
ضمن حصن شاهق كى يسلما

قام قايين بوجه مرعب وأتت سلاً فنادت : «يا أبى
هل توارت عنك عين الغضب؟» قال : لا، مابرحت تحدق بى
قد تجرعت لذاك العلقما

قال: «تحت الأرض قد طاب السكن فيه ألفى ناعم البال كمن
رام أن ينجو من شر المحن طلب الوحدة كى يلقى الأمن
علّ قلب الأرض يخفى المجرما

حفروا قبرا أتى طبق المرام أنزلوا قايين فيها بإهتمام
فغدا كرسيه ضمن الظلام وإذا بالعين قد راشت سهام
طعنت فى الرمس سفاك الدما (١)

---

(١) راجع مجلة اليقظة للقمص إبراهيم لوقا ـ السنة ١٤ عدد ٥ صـ ٣٨٧ – صـ ٣٩٠

ولعل أوضح نص مسطور بروح الوحى، يؤيد مانحن بصدده الآن، هو ماكتبه الحكيم سليمان فى الفصل السابع عشر من سفر الحكمة، حيث يوصف المصريين وهم يطاردون الإسرائيليين :

«لما توهم المجرمون أنهم يتسلطون على الأمة القديسة، إذا هم ملقون فى أسر الظلمة وقيود الليل الطويل، محبوسون تحت سقوفهم منفيون عن العناية الأبدية. وإذ حسبوا أنهم مستترون فى خطاياهم الخفية، فرق بينهم ستر النسيان المظلم وهم فى رعب شديد تقلقهم الأخيلة. ولم تكن الأكنة التى لبثوا فيها لتقيهم من الذعر، فقد كانت أصوات قاصفة تدوى من حولهم، وأشباح مكفهرة تتراءى أمام وجوههم الكاسفة. ولم يكن فى قوة النار مهما اشتدت أن تأتى بضياء، ولا فى بريق النجوم أن ينير ذلك الليل المدلهم. وإنما كانت تلمع لهم بغتة نيران مخيفة، فيرتعدون من ذلك المنظر المبهم ويتوهمون مايظهر لهم أهول مما هو.. فإنهم وإن لم يصبهم شئ هائل، كان مرور الوحوش وفحيح الأفاعى يدحرهم فيهلكون من الخوف ويتوقون حتى الهواء الذى لا محيد عنه. لأن الخبث ملازم للجبن، فهو يقضى على نفسه بشهادته، ولقلق **الضمير** لايزال متخيلا الضربات. فإن الخوف إنما هو ترك المدد الذى من العقل وإنتظار المدد من الداخل أضعف، ولذلك تحسب مجلبة العذاب المجهولة أشد. فالذين ناموا تلك النومة فى ذلك الليل الذى لا يطاق الوارد من أخادير الجحيم الفظيعة. كانوا تارة تقتحمهم الأخيلة وتارة تنحل قواهم من إنخلاع قلوبهم لما غشيهم من مفاجأة الخوف الغير المتوقع... إذ جميعهم كانوا مقيدين بسلسلة واحدة من الظلام، فدوى الريح وأغاريد الطيور على الأغصان الملتفة، وصوت المياه المندفعة بقوة وقعقعة الحجارة المتدحرجة، وركض الحيوانات الذى لا يرى، وزئير الوحوش الضارية والصدى المتردد فى بطون الجبال. كل ذلك كان يذيبهم من الخوف، وبينما كان سائر العالم يضيئه نور ساطع ويتعاطى أعماله بغير مانع، كان أولئك منفردين فى ظل ليل مدلهم مشاكل لما سيغشاهم من الظلمة، لكنهم كانوا على أنفسهم أثقل من الظلمة» (١).

حقا لقد صدق بولنار واتكنز حينما قال : «الضمير الخاطئ يخاف حيث لا خوف، ويفتكر أن فى كل غصن دبا».

هذه هى العاطفة الأليمة التى يولدها الضمير فى نفس الإنسان عقب الفعل الأثيم، لكنها شعور يختلف قوة وضعفا من فرد إلى آخر، كما أن مدة الوخز قد تطول وقد تقصر، ويرجع الإختلاف فى وخز الضمير من حيث قوته أو شدته ومن حيث مدته إلى أسباب، منها :

---

(١) الحكمة ١٧ : ١ – ٢٠

أولاً : شناعة الجرم : فكلما عظم الجرم عظمت آلام الضمير تبعا له. فليس من يقتل أو يزنى كمن يحلف أو يخلف بوعده. كما أن من يقتل شخصا أحسن إليه ليس كمن يقتل رجلا غدر به أو أساء إليه. فإذا كان الخطأ أو الإثم يختلف فى نوعه ونظرا لملابساته وظروفه، فإنه لذلك يشتد وخز الضمير أو يضعف، يطول أو يقصر.

ثانياً : الصورة التى يبدو بها الإثم أو الجرم أمام النفس : فقد يبدو فعل ما أمام إنسان على غير مايبدو به أمام آخر، أو قد يبدو كذلك أمام النفس ذاتها فى فترتين مختلفتين أو ظرفين متباينين، فلابّد أن يتميز الوخز فى الحالين.

ثالثاً : ارتكاب الإثم لأول مرة : فمن يرتكب خطأ للمرة الأولى ليس كمن يرتكبه ثانية أو ثالثة إذ يكون الشعور بالمخالفة فى المرة الأولى أعمق، وكلما تكرر الفعل بردت حدة الشعور وخف وخز الضمير. وكأن الضمير بمثابة شوكة حادة تتحرك فى النفس الإنسانية، لكنها لكثرة الإحتكاك بها تثلم فتقل قوة وخزها. أو يمكن أن نشبه الضمير هنا بالميزان الذى يزن الأفعال الإنسانية ويقدرها، وكما أن بعض الموازين كالميزان المعتاد مثلا، يتأثر بالأوزان الصغيرة كأجزاء الرطل والأوقية، بينما أن بعضها الآخر كالميزان القبان لا يتأثر بالأرطال والأقات، ولكن بعضها الثالث كميزان الذهب يتأثر بما لا يستطيع الحس الظاهر أن يميزه فى وضوح، كذلك تختلف ضمائر الناس : فمنهم من لا يفزع إلا لأخطاء من نوع خاص، وبينما تجد بعض الناس لا ينزعجون لمثل هذه الأخطاء بل يستحلون ما هو أفظع منها، ولاتكاد توخزهم ضمائرهم إلا على الجرائم الكبرى، تجد فريقا آخر من الناس من ذوى الضمائر الحساسة المرهفة يتألمون مرّ الألم لخطأ أو سهو لايكاد يشعر به ذوو الضمائر الأخرى، وقد يطول شعورهم بالألم مدة طويلة، فالإختلاف بين الأبرار والأشرار والفجار، كالإختلاف بين موازين الذهب فالمعتاد فالقبان...

ومهما يكن من شئ فإن أثقل التضحيات أخف من أصغر وخز الضمير كما يقول شارل بابى، لهذا يبكى الناس عندما يشعرون بوخز الضمير، وكأنه يلهب دم القلب نارا فيغلى ثم يصعد بخارا يجتمع فى المآقى دمعا يسيل دليلاً على الندم، وقد يمكن أن يجد الإنسان مفلتا من كل شئ إلا هذا الصوت السماوى الرهيب الذى يسلب من الخاطئ سلام نفسه ويرده إلى طاعته بقهر وجبر وسلطان، فأقر الناس بسلطته وسلّموا له وجعلوه مرشداً ودليلا بل مشرعا وقاضيا، يرجعون إليه قبل أن يرجعوا إلى أحد. إذ قد أدركوا أنه صوت الحق لا يداهن ولا يرائى ولا يرتشى أو يحابى.

يقول يشوع بن سيراخ : «طوبى للرجل الذى لم يَزِلّ بفيه، ولم ينخسه الندم على الخطيئة. طوبى لمن لم يَقْضِ عليه ضميره، ولم يسقط من رجائه» (١)

ويقول أيضاً «ما أحسن إبداءك الندامة إذا وُبِّخت فإنك بذلك تجتنب الخطيئة الإختارية» (٢)

(جـ) عواطف تتصل بأفعال الآخرين :

قلنا إن الضمير يحكم لا على أفعال الإنسان فحسب بل على أفعال غيره أيضا، فيقول إنها خير أو شر، وعلى الفاعلين بأنهم أخيار أو أشرار، على أن هذا الحكم كذلك يكون مصحوبا عادة بشواعر وجدانية وعواطف خلقية، فيشعر نحو الفضلاء بشعور يختلف عن شعوره نحو الأشرار، وعلى ذلك فالعواطف التى تتصل بأفعال الآخرين تتفرع على نوعين :

(١) شعور التقدير - أو عاطفة الإحترام

إزاء الفضلاء الخيرين نشعر بأننا مضطرون بضرورة باطنية إلى توقيرهم وإجلالهم، وهو شعور حتمى تفرضه علينا ضمائرنا فرضا، وكأنه مكافأة عادلة نحس أننا مطالبون بتقديمها لمن احترموا ضمائرنا فاتبعوا مبادئ الأخلاق السامية. هو إذن ضريبة أدبية وتحية روحية نشعر بأننا ملتزمون بها نحو الفاضلين لأنها من حقهم يقول الرسول : «وعلى ذلك فإذ نحن نعلم (أى) خوف (يجب أن يكون فينا من) الله، نسعى جهدنا أن نقنع الناس (به). (وهوذا) الله عالم بنا واعتقد أنكم أنتم أيضا تعرفوننا فى ضمائركم» (٣)

وهذا الاحترام أو الشعور بالاحترام يتميز ببعض مميزات رئيسية :

أولا : يتجه إلى الأشخاص وإلى الأشخاص وحدهم : فنحن لا نحترم النبات أو الحيوان وإنما نحترم الناس، ذلك أن مانحس به من ميل نحو نبات أو حيوان هو مايمكن أن يسمى الإنعطاف، لكنه لا يسمى بالاحترام، إذ الاحترام شعور نقفه على أفراد أو أشخاص من مملكة الإنسان.

فإذا كنا نحترم أمورا أخرى كالقوانين والتقاليد والعرف والسلطة الدينية أو الإجتماعية أو الأعياد، فالواقع أن الاحترام يتجه إليها لا من حيث هى ألفاظ أو أشياء، بل من حيث هى رموز عن كائنات حرة عاقلة مشخصة.

---

(١) يش بن سيراخ ١٤ : ١، ٢ (٢) يشوع بن سيراخ ٢٠ : ٤

(٣) ٢. كو ٥ : ١١

ثانيا : يتجه إلى السمو الأخلاقى وحده : وبهذا يتميز الاحترام عن الإعجاب، فلقد نعجب بالذكاء والمهارة والبطولة والشهامة وبعد النظر وإحكام الخطط، أو بقوة الخيال ودقة التعبير وجمال الأسلوب وروعة الفن أو التصوير، ولكن الإعجاب قد يتجه إلى السمو الفكرى أو العملى بغض النظر عن إتصاله بالسمو الخلقى. وبعبارة أوضح أننا قد نعجب بلص بارع أمكنه أن يسلب مال الآخرين بطريقة غير عادية، فنمدح فيه الذكاء والمهارة وخفة الحركة، ولكننا مع ذلك لا نحترمه ولانجله، لأن الإحترام يتجه إلى السمو الأخلاقى فحسب. يقول الفيلسوف الألمانى (كانت) إن نفسى تشعر - سواء أردت أو لم أرد - بالميل إلى سيّد متواضع من أهل المدن، أى فيه الأخلاق الفاضلة قد وصلت إلى درجة لا أراها فى نفسى.

ثالثا : يكون مصحوبا بشعور الإفتراق والتمايز الخلقى بيننا وبين من نشعر نحوهم بالإحترام : فمن يحترم شخصا يحس بالضيق وعدم الرضى على نفسه بازائه مع شعور بالافتراق والإختلاف بين نفسه وبين من يحترمه، وهذا هو ما يميز الإحترام عن الحب، لأن الحب ميل أو إنجذاب نحو شخص يقوم على أساس نوع من التوافق والإنسجام بين المحب والمحبوب، أما الإحترام فهو ضرب من الخشية والهيبة، وممن شعروا به، هيرودس الملك نحو النبى يوحنا الصابغ : «لأن هيرودس كان يهاب يوحنا، ولكن هذه الهيبة ليس مبعثها أن يوحنا أعظم من هيرودس فى المادة، أى الثروة والمنصب والسلطة، وإنما مبعثها شعور بالفارق الخلقى بينهما، ولذا يقول الوحى «كان يهاب يوحنا، عالما أنه رجل بار وقديس» (١) ويقول الرسول بولس أيضا «ولكننا قد طرحنا عنا الأمور المخزية التى تصنع فى الخفاء غير سالكين بمكر قط ولا مفسدين كلمة الله، وإنما بإظهار الحق صرنا محترمين عند ضمائر جميع الناس أمام الله» (٢).

(٢) شعور التحقير، أو عاطفة الإزدراء :

وهل يمكن أن نرى القاتل أو الزانى أو المندفع أو الغضوب الأحمق، دون أن يتحرك شعورنا نحوه بعاطفة تكافئ شره. نعم إن المسيحية توصينا أن نرفق بالخطاة وأن نحتمل ضعفاتهم. لكن الشعور بالرفق هو رثاء لا تقدير، أى هو أقرب إلى الإزدراء، ولو أنه إزدراء للشر نفسه مصحوبا بعطف على شخص الشرير لأنه ضعف أمام الخطيئة.

---

(١) مر ٦ : ٢٠ (٢) ٢ . كو ٤ : ٢

ومهما قيل من أن المسيحية ترقى شعورنا نحو الأشرار، لكننا نشعر مع ذلك بأنه لا كرامة لهم فى نفوسنا ولا إكبار، وإذا كان هذا هو شعور المسيحيين فإن شعور الناس أجمعين - بإعتبار أن الضمير ملكة فى نفوس الناس طرا - لا يملك نحو الخطاة غير الزراية والإحتقار، وفى هذا يقول الشاعر :

إذ أنت لم تعرف لنفسك حقها هوانا بها، كانت على الناس أهونا

وهذا الشعور هو الذى تملك على عزريا الكاهن نحو عزيا الملك، الذى لما رأى أنه تشدد «ارتفع قلبه إلى الهلاك، وخان الرب إلهه، ودخل هيكل الرب ليوقد على مذبح البخور. ودخل وراءه عزريا الكاهن ومعه ثمانون من كهنة الرب بنى اليأس، وقاوموا عزيا الملك وقالوا له : ليس لك ياعزيا أن توقد للرب بل للكهنة بنى هرون المقدسين للإيقاد. اخرج من المقدس لأنك خنت، وليس لك من كرامة من عند الرب الإله» (١) «فالتفت نحوه عزريا هو الكاهن الرأس وكل الكهنة وإذا هو أبرص فى جبهته، فطردوه من هناك» (٢)

ثم يقول النبى داود : «احتقرت كل الضالين عن وصاياك» (٣)

ويقول الحكيم سليمان : «إذا جاء الشرير جاء الإحتقار أيضاً» (٤)

ويقول النبى أرميا : «قد أخطأت أورشليم خطية.. كل مكرميها يحتقرونها» (٥)

ويقول النبى ملاخى بلسان الله : أما أنتم فحدتم عن الطريق وأعثرتم كثيرين بالشريعة.. فأنا أيضا صيرتكم محتقرين ودنيئين عند كل الشعب، كما أنكم لم تحفظوا طرقى بل جابيتم فى الشريعة (٦)

«المؤدب الأمم ألا يبكت» (٧)

«وكان صراخ الشعب ونسائهم عظيما على أخوتهم اليهود. فغضبت جدا حين سمعت صراخهم وهذا الكلام. فشاورت قلبى فىّ وبكّت العظماء والولاة، وقلت لهم إنكم تأخذون الربا كل واحد من أخيه، وأقمت عليهم جماعة عظيمة. وقلت لهم : نحن اشترينا إخوتنا اليهود الذين بيعوا

---

(١) ٢. أى ٢٦ : ١٦ - ١٨
(٢) ٢. أى ٢٦ : ٢٠
(٣) مز ١١٩ : ١١٨
(٤) أم ١٨ : ٣
(٥) مرا ١ : ٨
(٦) ملا ٢ : ٨، ٩
(٧) مز ٩٤ : ١٠

للأمم حسب طاقتنا، وأنتم أيضا تبيعون أخوتكم فيباعون لنا، فسكتوا ولم يجدوا جوابا، وقلت ليس حسنا الأمر الذى تعلمونه، أما تسيرون بخوف إلهنا بسبب تعيير الأمم أعدائنا. وأنا أيضا وأخوتى وغلمانى أقرضناهم فضه وقمحا، فلنترك هذا الربا، ردوا لهم هذا اليوم حقولهم وكرومهم وزيتونهم وبيوتهم.. فقالوا نرد ولا نطلب منهم» (١)

ولقد بدا هذا الشعور فى مار بولس نحو حنانيا رئيس الكهنة عندما قال «سيضربك الله أيها الحائط المبيض، أفأنت جالس تحكم علّى حسب الناموس، وأنت تأمر بضربى مخالفا للناموس» (٢)

وهو عين ما أنذر به السيد المسيح تلاميذه قائلا : «أنتم ملح الأرض، فإذا فسد الملح فبماذا يملّح، لا يصلح بعد لشئ إلا لأن يطرح خارجا، وتدوسه الناس» (٣)

أما السيد المسيح فهو وحده الذى لم يصنع شيئا يعاب عليه وقد قال : «من منكم يبكتنى على خطية» (٤)

ألا ليت الخطأة والأشرار يتعقلون فيدركون أن الخطية تجلب على نفوسهم عارا وخزيا. فلقد نقصت قيمتهم الإنسانية وضاعت كرامتهم وسلبت هيبتهم وصاروا زراية وهزءا للناس أجمعين لا فى الدار الحاضرة فقط بل وفى العالم الآتى أيضا، يقول النبى دانيال : «وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون : هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للإزدراء الأبدى» (٥)

أما أن الفضلاء يكرّمون والأشرار يحقّرون، فهذا الشعور المزدوج ذو الحدين صادر عن الضمير، وهو كنائب عن الله فى الإنسان، وكصورة مطابقة لطبيعة الله المنصفة العادلة، يحقق الوعد الكريم والمبدأ الرهيب : «أكرم الذين يكرمونني، والذين يحتقرونني يصغرون» (٦)

ثالثا : العنصر الإرادى أو الفعال

وثمة عنصر ثالث يشتمل عليه الضمير الأدبى غير العنصر العقلى والعنصر العاطفى أو الشعورى، وهذا العنصر الثالث هو العنصر الإرادى أو الفعال، ذلك أننا لا نحكم أو نتفعل فحسب إزاء مايصدر عنا أو عن غيرنا من أفكار وأقوال وأفعال، وإنما نحن نتحرك ونفعل وفقا لهذه الأحكام التى يصدرها الضمير ومجاوبة للإنفعالات والعواطف التى يثيرها فينا، فنندفع أولا بشكل تلقائى ثم لا نلبث أن نسير فى أفعالنا بشكل إرادى، تكون الإرادة فينا هى الفاعلة.

---

(١) نح ٥ : ١ – ١٢
(٢) أع ٢٣ : ٢، ٣
(٣) مت ٥ : ١٣
(٤) يو ٨ : ٤٦
(٥) دا ١٢ : ٢
(٦) ١. صم ٢ : ٣٠

على أن العنصر الإرادى فى الضمير لا يقل خطرا ولا ينقص أثرا عن العنصرين الآخرين، بل العنصر الإرادى هو العنصر الفعال أو المنفذ للأحكام بدفق ودفع. بحيث أن الأحكام والمشاعر تصبح بدونه معطلة عن الظهور والعمل المباشر المجدى لتحقيق الحكم والشعور. فقد نحكم بأن هناك فرقا بين مانحن إياه وبين مايجب أن نكونه، ثم يصحب هذا الحكم ميل ورغبة قوية ملحة نحو المثل الأعلى والغاية القصوى التى يجب أن نصل إليها. ولكننا لا نستطيع أن نحقق هذا المثل أو ندرك هذه الغاية أو حتى أن نقترب إليها. إلا بعون العنصر الإرادى فى الضمير، حتى لقد قال بعض المفكرين : «ميزان الرجل إرادته، فإذا أردت أن تصير رجل، هذب إرادتك».

والحق أننا عندما نقول عن رجل أنه خيّر، فنحن نعنى من ذلك أولا : أن هذا الرجل يعرف الخير، وثانيا : أنه يحبه ويميل إليه، وثالثا : أنه يفعله أو يروض نفسه على فعله. وهذا الترويض أو الفعل، هو من عمل الإرادة، أو من إختصاص العنصر الإرادى فى الضمير.

فلما كان هذا العنصر الإرادى هو الذى يخرج الأحكام والعواطف إلى عالم الواقع الحى، كان هو العنصر الأهم فى تكوين شخصية الإنسان، لأنه بدونه تصبح الأحكام معطلة والعواطف مجرد رغبات لا قوة لها فى تهذيب النفس أو فى خدمة المجموع. ولذلك انصرف بعد المفكرين إلى فهم الضمير بعنصره الإرادى، فقال ادجاركينيه Edgar Quinet : «كن ضميرا Sois une conscience، ويقول يشوع بن سيراخ : «فى كل أعمالك اقتد بضميرك، فهذا هو حفظ الوصايا» (١) وبهذا المعنى يستحيل الضمير إلى إرادة محركة نحو الفضيلة والخير.

وحدة عناصر الضمير وائتلافها

وإذا كان حقا أن الضمير الأدبى يشتمل على عناصر ثلاثة : لكن هذه العناصر تؤلف معا وحدة متسقة مؤتلفة، إذ ليس فى الضمير تجزئة ولا تقطيع وإنما الضمير وحدة بلا أجزاء، وحدة كاملة لا يوجد فيها فصل بين عنصر وعنصر لأنها وحدة روحية عقلية غير مادية.

ومع ذلك فهذه الوحدة ليست متساوية دوما. ذلك لأن أحد العناصر قد يضعف أو يغلب فيها على العنصرين الآخرين، فمن الناس من لا يعرفون واجباتهم وإن كانوا ذوى إرادة، ومنهم من يعرفها لكنهم لا يقوون على مغالبة الكسل والخمول، ومنهم من يعرف واجبه وله نصيب من الإرادة يمكنه به أن يحقق وينفذ لكنه لا يحب واجبه ولا يميل إليه، ففى الفريق الأول ضعف

---

(١) يش بن سيراخ ٣٢ : ٢٧

العنصر العقلى، وفى الثانى العنصر الفعال، وفى الثالث العنصر العاطفى، لكن هذه العناصر موجودة معا وان إختلفت فى درجة قوتها ووضوحها.

١) ويبلغ من اتحاد هذه العناصر وإتصالها ببعضها إتصالا ملتحما أنه إذا أصاب واحدا من هذه العناصر اضطراب شديد أو توقف عن النمو، فإنه يترتب على ذلك عدم ظهور الضمير أو إختفاؤه.

(١) فإذا تغيب **العنصر العقلى** اختفى الضمير، فالحيوانات والأطفال الرضع بل وهؤلاء الذين اظلمت عقولهم إظلاما تاما، ليس لهم ضمير بالمعنى الكامل لكلمة الضمير، وذلك لتغيب العنصر العقلى أو عدم توفره.

(٢) واذا تغيب **العنصر العاطفى** اختفى كذلك الضمير، فالمدمنون على الخمر والمسكر يتبلد فيهم الشعور والحساسية. فيفقدون العاطفة على الرغم مما قد يكون لهم من فطنة وذكاء. ولذا يفقدون شعورهم بكرامتهم وشعورهم بكرامة غيرهم، وتنعدم فيهم عواطف التضحية والإيثار Altruism (e) ثم إيثار الغير من أجل الذات l'egoaltruism (e) (١).

كذلك الصدمات الإنفعالية والآلام النفسية الحادة التى تتمرمر بها النفوس الضعيفة قد تؤدى بها إلى فقد الشعور وتخدير الضمير. فيبدو أنهم بغير إحساس كما لو كانوا قد فقدوا ضمائرهم بالكلية. وكما أن الإبتهاج والرضى والسرور تزيد الضمير دقة وإرهافا. كذلك الحزن الشديد والقلق النفسى يخلفان وراءهما بلادة الشعور التى تؤدى حتما إلى إختفاء الضمير.

---

(١) مما يروى عن أثر الخمور فى تبليد الشعور وتخدير الضمير، أن رجلا تعلق بالخمر حتى صار من العسير عليه أن يقوم بمهام وظيفته فأقيل منها، وصار فى عوز إلى القوت الضرورى ومع ذلك لم يستطع أن يطلق الخمر فساءت حالة زوجه من فرط ما ألم بها من حزن وسقم فماتت وخلفت له إبنة صغيرة، لم يكن لها عائل غيره، ولكنه إلتفت إلى شهوة نفسه وأهمل إبنته فمرضت ولم يعن بها فماتت، وسمع الكاهن بقصة الرجل ومضى إليه بصحبة بعض الأتقياء فوجدوا ابنته جثة هامدة وليس لوالدها إحساس أو شعور نحو إبنته الوحيدة، فتحركت أحشاؤهم واشتروا لها كفنا أدرجوها فيه وحذاء أبيض لرجليها، ثم اغلقوا عليهما الباب ليعودوا إليهما بعد زمان ليدفنوا هذه الطفلة البائسة. ولما عادوا لم يجدوا أباها إلى جوارها، ثم دفنوها وعادوا يفتشون عليه فوجوده بالخمارة، فدهشوا لبلادة شعوره، ولما كان الرجل لا يملك شيئا سألوا صاحب الحان كيف ابتاع منه الخمر قال : إنه قدم إلى حذاء صغيرا أبيض ليشرب بثمنه خمرا، فإزداد استنكارهم لفظاعة الحادث عندما عرفوا وتحققوا أنه حذاء البنية الصغيرة، إنتزعه من قدميها فى وحشية حيوانية بغير مبالاة ولا شعور.

(٣) وإذا تغيب **العنصر الإرادى** إختفى الضمير أيضا، وهذا ما نلاحظه عند المصابين بفقدان الإرادة، هؤلاء الذين لا يقوون على مغالبة الحيرة والتردد، فلا يستطيعون أن يجمعوا أمرهم على رأى أو عمل فى مبدأ الأمر ثم يستفحل الداء فيستحيل إلى فقدان الإرادة فقدانا تاما، هؤلاء يصدرون فى أفعالهم عن نفسية قد إختل توازنها وإختفى فيها مقياس الخير والشر، وكأنها سفينة فقدت بوصلتها، فصارت تخبط فى الماء بلا جدوى، جاهلة بمسيرها ومصيرها.

٢) ويبلغ أيضا من إتحاد هذه العناصر الثلاثة أن أى نمو يدرك واحدا منها يتناول الضمير كله فى وحدته.

(١) فإذا نما **العنصر العقلى** نما الضمير وتغير فى جميع عناصره، ألسنا نغضب أحيانا أو نفزع من أمر كنا نعده قبلا مشروعا ومقبولا، نعم.. فإذا استنارت عقولنا بأفكار جديدة واطلعنا على معلومات أخرى، تغير شعورنا وإندفعت إرادتنا فى هذا الإتجاه الجديد. وهذا يصدق مثلا على رجل كالقديس بولس الرسول فقد كان قبلا يؤمن بدين إسرائيل ويشعر أنه دين السماء، ولذا عندما قامت المسيحية بدعوة جديدة حسبها بدعة تريد أن تقضى على دين الله، فجرد لها لسانه ويده ومضى يضطهد كنيسة الله بإفراط ويتلفها. ثم أنار المسيح بصيرته فعرف أنه جاهل بالحق، فتغيرت فكرته عن الدين الجديد وتغير شعوره من نحوه ومضى يدافع عنه باخلاص فالضمير قد تحول بتحول عنصر من عناصره، وهو العنصر العقلى.

(٢) كذلك يفعل **العنصر العاطفى** بالعنصر العقلى أو بالضمير، فبقدرما يتفتح القلب ويصفو وينقى من أدران الشر والخطيئة، يصفو العقل أيضا ويستمتع بإشراق وغناء، وكلما سمت مشاعر المرء وإحساساته وأصبح فاضلا نبيلا رحيما، إرتقى بذلك فكره وعقله وأصبح أكثر قدرة على النفاذ والإيغال فى فهم الحقائق وإدراك مكوناتها، وأمكنه أن يدلى بآراء أكثر سدادا فى الأمور الخلقية والأدبية ماكان ليدلى بها أو بمثلها لو لم يرق شعوره وإحساسه.

(٣) كما أن **العنصر الإرادى** كذلك يؤثر ويفعل فى الضمير أو فى عنصريه الآخرين، بحيث أن مايدركه من نمو ينتقل إلى الضمير كله، فمن يروض نفسه على فعل الخير والمعروف ويأخذ ذاته بإلتزام قوانين الخلق والدين يزداد إعتقادا وإيمانا بالخير والفضيلة والخلق، ويصبح مقتنعا ومتحمسا لهذه جميعا، لأن شعوره أيضا يتأثر بفعل الخير كما أن عقله تأثر كذلك، فيصير محبا للخير والفضل كلفا بهما وشغوفا وميالا إليهما ميلا شعوريا. وكأنه بتغير العنصر الإرادى ونموه. ينمو العنصر العقلى فيمكنه أن يقيّم الخير تقويما صحيحا سليما بدرجة أكبر مما كانت له قبل تقوية العنصر الإرادى، كما أن الشعور يرقى فيضطرم الحب نحو الخير ويزداد المرء تعلقا

به، بل ويغدو الضمير أكثر إحساسا بالخطأ وأشد شعورا بالصغائر والسهوات، ومن ثم يقول القديس بولس الرسول : «من أجل ذلك أسعى ليكون لى دوما الضمير الذى لا يبكتنى أمام الله و(أمام) الناس» (١)

إذن يمكن أن يختلف ضمير الفيلسوف عن ضمير الخطيب وعن ضمير القائد، إذ يغلب فى الفيلسوف العنصر العقلى، وفى الخطيب العنصر العاطفى، وفى القائد العنصر الإرادى، لكن كلا من هذه الضمائر يشتمل على العنصرين الآخرين ولو بنسبة أقل، كما أن كل ضمير من هذه الثلاثة يكون فى العادة قويا مرهفا، أما الفيلسوف فلسعة عقله ووفرة ذكائه، وأما الخطيب فلرقة شعوره ودقة إحساسه، وأما القائد فلصرامة عزيمته وقوة إرادته.

فإذا أمكن للفرد أن ينمى عقله ويرهف حسه ويهذب إرادته، فيعنى بهذه النواحى الثلاث معا، فإن ضميره يربح من هذه العناية ربحا عظيما، ويصبح ضميرا من نوع ممتاز يصلح للإرشاد وللحكم الصائب على أفعال النفس وأفعال الغير.

والحق أن من يروم لنفسه ضميرا سليما غير منحرف، يجب أن يكون اهتمامه بتغذية عناصره جميعا، فهذا هو الضمير الصالح الكامل لأنه متكامل، جامع لمقوماته على منهج متعادل وفى وحدة متسقة مندمجة.

---

(١) أع ٢٤ : ٢٦

المسئولية الأدبية
مناط المسئولية

مناط المسئولية

أولا : بالنسبة للفاعل :

لا يسأل عن أفعاله غير كائن عاقل حرّ مريد.

(١) أما من حيث أنه كائن عاقل :

فلأن الكائنات غير العاقلة لا تسأل عن أفعالها. فإذا هبت الرياح والأعاصير قوية فأغرقت السفن فى البحار أو اقتلعت الأشجار. وإذا نزلت الأمطار غزيرة فأتلفت النبات وأهلكت الحيوان، وإذا كان النسيم بليلا والهواء عليلا فأنعش النفوس، فلا يجوز أن نصدر على الرياح أو الأمطار أو النسيم حكما بخير أو شر.

كذلك الحيوان إذا تأذى أو انتفع به الإنسان فلا يصح أو يحق أن يسأل عن خير أو شر.

نعم يجوز أن نصف مايصدر عن الكائنات غير العاقلة بالنفع أو الضرّ، فنقول أنه فعل نافع أو ضار، أما الحكم بالخير والشر فلا يحق إلا على «كائن عاقل».

ويجرى مجرى الجماد والنبات والحيوان بعض الأناسىّ الذين فقدوا عقولهم فقدانا تاما، أو إلى حين. فالمجنون والأبله والمعتوه والمصاب بأى نوع من أنواع الجنون إذا صدر عنه فعل ما أثيم أو ضار فليس مسئولا عن فعله مسئولية أدبية لا أمام ضميره (إذ ليس للمجنون فى الواقع ضمير) ولا أمام ضمائر الأغيار لأنه ليس نظيرهم ينعم بالعقل الذى به ينعمون حتى يمكن أن يحاسب كما يحاسبون.

وإذا كان على المجنون عقاب، فالحكم يصدر على أفعاله التى أحدثت له الجنون، إذا كان حقا هو السبب فى هذا الجنون، كأن يكون جنونه من فرط التأمل والتفكير، أو من الإفراط فى الهم والحزن أو من كثرة الإجهاد العصبى من غير أن يضطره إليه أحد.

ويجرى مجرى الجنون حالات أخرى يفقد فيها صاحبها سلطان عقله الواعى إلى حين كما فى حالتى السكر والغضب الشديد، غير أن السكير مسئول لا عن سكره فقط بل عن كل ما يبدو منه قولا وعملا، إذ أن الإنسان فى السكر الشديد هو بعينه الإنسان فى حقيقة أمره، بل هو كما هو فى شخصيته الحقة ونفسيته الباطنية التى كان يحاول أن يخفيها بالتحفظ والحرص تحت رقابة العقل الواعى، فلما فقد رقابة العقل ظهرت خفايا نفسه بوضوح.

وإذا قيل هذا عن السكير فهو يقال أيضا بالأولى عن الإنسان فى حالة الغضب الشديد، فإنه مسئولا أدبيا عن الغضب ومانجم عنه، ولعلّ أول وخير دليل على هذه المسئولية الوقوع فى حالة الندم المرير بعد أن تهدأ سورة الغضب.

(٢) من حيث هو كائن حر :

الإنسان إذن هو الكائن الوحيد بين المخلوقات الأرضية الذى يكون مسئولا أدبيا لأنه كائن عاقل، بيد أن هذه المسئولية لا تقع عليه إلا بوصفه كائنا حرا مناط فعله بيده، وإلا فإذا لم يكن حرا فلا سبيل إلى عقاب أو ثواب. وحقا أن الإنسان يتأثر بالعوامل الوراثية والعوامل البيئية، غير أن هذه التأثيرات لا تلغى شعوره بالمسئولية لأنه يحس إذا كذب أو اختلس أنه كان فى وسعه ومقدوره ألا يفعل. وإنه فعل ذلك بإختياره وإرادته، وشعوره بالمسئولية يتجلى أيضا فى إحساسه بالندم بعد إرتكاب الفعل الأثيم، ولو لم يكن يشعر بأنه كان حرا مختارا لما كان هناك موضع للندم.

وإذا كان الأمر كذلك، فالإنسان لا يُسأل إلا عن الأعمال التى لإرادته فيها مدخل، أما أنه طويل أو قصير، نحيف أو بدين، مستقيم أو أعوج، جميل أو قبيح، أبيض أو أسود، سليم أو مريض. فهذا كله خارج عن إرادته وإختياره فلا مسئولية له فيه..

وإذا كان جهازه الهضمى أو التنفسى أو العصبى يقوم بعمله بنشاط أو بضعف، وإذا كان قلبه ينبض بإنتظام أو بغير إنتظام، فما علاقة الصحة البدنية بالصحة الخُلقية أو الأدبية إلا بقدر مايكون هو سببا لإعتلال صحته بإهماله إياها أو ما إلى ذلك.

كما لا يُسأل الإنسان عن ملكاته الذهنية أو مواهبه الشخصية مادام تقدمها أو تأخرها يرجع إلى عوامل غير إرادية، ومادام هو لايستطيع أن يغالب هذه العوامل بطريق إرادى، ولا محل للحكم عليه بالخير إذا كان بطبيعته ذكيا أو قوى الذاكرة أو واسع الخيال أو سريع البديهة، ولا موجب للحكم عليه بالشر إذا كان بفطرته غبيا ضعيف الذاكرة ضحل الخيال بطئ التفكير.

(٣) من حيث هو مريد :

إذا قلنا «كائن حر» فنحن نعنى أنه رب أفعاله، وإذا قلنا «مريد» فنعنى أنه «ذو غرض أو قصد» إذ الإنسان يصدر فى أفعاله عن غرض يتجه إليه أو قصد يرمى إليه.

وإذا كان ذلك كذلك فقد انبنى عليه أن كل فعل يقصد إليه الإنسان يكون مسئولا عنه وتقل مسئوليته فيه كلما قل شعوره بالغرض منه.

(أ) **إرادة مجردة**.. فالجندى الذى يحمل مكتوبا بإعدام شخص، ليس مسئولا أبدا عن إيذاء هذا الشخص أو إلحاق الضرر به.. كذلك الممرضة التى تقدم للمريض دواء أخطأ الطبيب فى النصح به، أو الصيدلى فى تركيبه، ليست مسئولة عن موت المريض أو استفحال دائه. وبالمثل إذا كان المكتوب لخير الشخص والدواء لشفاء المريض فلا جزاء للجندى أو للممرضة طالما أن إرادتهما فى صنع الخير مجردة.

هكذا أيضا الجلاد الذى يؤمر بتنفيذ الحكم على مجرم بالإعدام ليس مسئولا عن فعله. والقاضى الذى يحكم بأمانة وعدل وبناء على نصوص القانون ليس مسئولا عن الشر الذى يقع على المجرم وعائلته. والجندى فى ساحة القتال لا جريرة عليه فى قتله واحدا أو أكثر من جنود الأعداء، لأنه ينفذ أمرا صدر من حكومته وأمته على الحكومة والأمة المعادية. والأستاذ الذى يحكم برسوب طالب يستحق الرسوب، لا يسأل عن الشر أو الشرور التى قد تنجم عن هذا الحكم فجميع هؤلاء أصحاب إرادة مجردة فى الأفعال الصادرة منهم.

(ب) **إرادة غير نافذة**.. ومن يقصد خيرا أو شرا ولكنه لا يفعله لعائق خارج عن إرادته فمسئوليته كذلك حسب قصده، فقد سر الله من قصد داود الذى أظهره فى بناء بيت الله وعد له ذلك عملا صالحا وإن كان لم يتمه (١). وسر الله من ابراهيم لأنه قصد أن يقدم ابنه اسحق ذبيحة كأمر الله. وإن كان لم يذبحه بالفعل لتدخل ملاك الرب من السماء (٢). ومن قصد أن يقتل شخصا أو يسرق بيتا فتعرض له من أوقفه عند حده، فقد قصد شرا وإن لم يتم بالفعل فهو مسئول عن سوء قصده.

(جـ) **إرادة مغايرة للنتيجة**.. وقد يترتب على الفعل نتائج مغايرة أو مضادة لقصد الفاعل فقد يكون القصد صالحا وينجم عن الفعل شر أو شرور، وقد يكون القصد رديئا ويصدر عنه خير.

---

(١) فقال الرب لداود «من أجل أنه كان فى قلبك أن تبنى بيتا لإسمى، قد أحسنت بكونه فى قلبك. إلا أنك أنت لا تبنى البيت بل ابنك الخارج من صلبك».. (١. مل ٨ : ١٨).

(٢) تك ٢٢ : ١٠ – ١٣.

ولكن المسئولية تتجه أولا وبالذات إلى النية أو القصد، هب أن طبيبا أعطى المريض دواء قتله به وهو يقصد شفاءه، أو هب أن شابا حمل شيخا من موضعه لينقذه من لفح الحر أو من قر البرد فسقط من بين يديه ومات أو ترضض جسده. أو أن شخصا إنبرى للدفاع عن مظلوم لدى ظالم فما كان من الظالم إلا أن إزداد قسوة على المظلوم، وهذا عين ما أصاب الإسرائيليين بعد أن دخل موسى قصر فرعون يطالبه بإطلاق حرية الشعب الإسرائيلى. (١) فى كل هذه الحالات كان الغرض خيرا، أما النتائج فكانت شرا. نعم لا مسئولية على هؤلاء جميعا من حيث القصد، ولكن ربما كانوا مسئولين إلى حد ما عن النتائج الشريرة إذا بدا منهم إهمال أو سوء تقدير للعواقب.

وعلى العكس من ذلك، من قصد بأحد شرا فأدركه خيرا كأخوة يوسف الذين باعوه قاصدين أن يتخلصوا منه ومن أحلامه، فجاء إلى مصر وصار وزيرا ومخلّصا لهم وللعالم من الجوع، أو كما قال هو لهم : «أنتم قصدتم بى شرا وأما الله فقصد بى خيرا.. ليحيى شعبا كبيرا» (٢) أو كيهوذا الإسخريوطى الذى سلم سيده من أجل أجرة(٣) فتم بتسليمه خلاص العالم.. فالمسئولية واقعة عليهم نظرا لقصدهم الأثيم، إذ الخير لم يكن منهم بل من الله الذى حول له الشر إلى خير..

(د) إرادة غير مشعور بها.. وإذا كان الأمر كذلك من جهة أعمال جاءت مغايرة لقصد فاعلها، فما هو مدى مسئولية الفرد فى أعمال صدرت عنه، ولكن فى غفلة من إرادته كالأفعال التى تصدر عن نائم أو عن نسيان أو عن اشتغال بشاغل أو عن عادة..

١ ـ فبعض الناس ينامون ثم يحلمون وفى أحلامهم يقومون بأمور قد تكون مفيدة أو ضارة، كمن يقتل أو يسرق أو يضرب أو يزنى أو كمن يقوم بالليل فينجز عمله أو يصلى أو يغلى مشروبا لمريض من أهله، دون أن يكون فى حالة يقظة تشعر بأنه فعل ما فعل فى حالة إرادية كاملة.

حقا إنه غير مسئول مسئولية رجل ارتكب هذه الأمور فى اليقظة، ولكنه مسئول مع ذلك لأنه لو لم يكن يفكر فى هذه الأمور، ولو لم يكن ميالا إليها شغوفا بها، لكان يستيقظ حتما قبل قيامه بها، لأنها ضد ميوله ونزعاته وهو ما يقرره علماء النفس، فهو إذن مسئول عنها لأنه يريدها ويهواها ويسر بها ولو سرورا باطنا أو غير مشعور به.

---

(١) خر ٥ : ١ – ٢٣ (٢) تك ٥٠ : ٢٠ (٣) مت ٢٣ : ٣

٢ ـ وهكذا من ينسى واجبا أو يهمل عملا نيط به أو يخلف فى وعد ارتبط به أو نذر نذرا ونسى أن يوفيه. هو فى الحقيقة مسئول من حيث أن النسيان دليل على ميل باطنى إلى عدم القيام بالعمل، ومن حيث هو عدم إهتمام أو إكتراث به، ومن حيث أنه لم يعوّد نفسه على التفكير فى واجباته والوعود التى ارتبط بها، ومن حيث أنه لم يعالج داء النسيان لديه بتقوية ذاكرته أو على الأقل بأن يسجل مايخشى نسيانه فى مذكرة خاصة.

٣ ـ كذلك من يشغل بأمر فينشغل به عن القيام بآخر مسئول عن إهماله لأنه دليل على عدم إهتمامه بالأمر الذى أغفله، وعلى أنه لم يرتب نفسه ومشاغله بحيث يعمل كل شئ فى وقته.

٤ ـ وأيضا من يعتاد عادة صالحة فيتحرك نحو الخير مدفوعا بها، أو من اعتاد عادة رديئة فصنع الشر منقادا بعادته، مسئول عن أفعاله الصالحة والرديئة وهو مستحق للثواب أو العقاب عن أفعاله لأنه لم يعتد الفعل إلا لأنه مال إليه وفعله بتكرار (إذ العادة ميل متكرر). فمن إعتاد أن يصلى أو يصوم أو يرحم المسكين أو يستيقظ مبكرا لإنجاز عمله، أو من إعتاد الحلم وطول الأناة والصبر والإحتمال والكرم أو اللطف والكياسة مستحق الثواب. لأنه وإن كان الآن يفعل هذه الأمور بغير مجهود كبير، إلا أن له فضل تعويد نفسه عليها بإطالة التفكير فيها والميل إليها وترويض نفسه عليها.

كذلك من يعتاد التدخين أو تعاطى المشروبات الروحية أو أحد المكيفات أو المخدرات، ثم وجد نفسه مضطرا إلى تعاطيها فى زمن ما، أو كان تعوده عليها سببا فى تعطيله عن أداء فضيلة الصوم أو سببا فى ثورته وغضبه وعدم إحتماله، لا يجديه الإعتذار بأن هذه عادة وأنه فعل ما فعل مقهورا ومدفوعا بسلطان العادة فهو مسئول عن تكوين هذه العادة وعن خضوعه لها، وعن إهماله نفسه حتى تأصلت فيها مثل هذه العادة، وعن عدم بذل مجهود إيجابى إرادى فى مقاومتها وإستئصالها وأن يحل محلها عادة صالحة تكون بديلة لها.

(هـ) إرادة متجهة نحو خير لاحق.. فمن فعل الخير تقديرا لشخص كلفه به أو خضوعا لأمر صدر إليه من كبير، أو حبا فى خير مادى أو أدبى أو طمعا فى جزاء، لايثاب كمن فعله حبا فيه لذاته، ومن ارتكب شرا وهو مرغم عليه، أو طمعا فى ربح وعد به، لايعاقب كمن فعل الشر مدفوعا إليه بميل من ذاته. فمن يجتهد فى إلحاق شخص بعمل خوفا من لوم صديق عاتبه

أو خضوعًا لأمر صدر من رئيس (كما فعل هامان بمردخاى) أو حبا فى كسب أو ربح أو شهرة، ليس كمن يسعى لتوظيفه قصدا فى صنع الخير لذاته. كذلك الخادم الذى يهدد بتقديم السم لسيده أو يغرى على ذلك بمال ليس كمن يفعل ذلك كرها فى سيده أو حبا فى الإيذاء لذاته.

والخلاصة أنه بإزاء الأفعال الإنسانية لابد لنا من أن نسأل فيها عن قصد فاعلها. هل كان ينتوى بها شرا أو خيرا، فهذه النية الشريرة أو الخيرة هى مناط المسئولية فى أفعال الكائن العاقل الحر المريد..

من حيث السن.. يعتبر المرء مسئولا عن سلوكه أمام ضميره وأمام الله متى أدرك السن التى يستطيع فيها أن يكون ولىّ أفعاله قادرا على توجيه أفعاله بإرادة حرة مختارة نحو الغاية الطبيعية لكيانه العاقل وما يلائم جوهر نفسه الناطقة الخالدة.

ليست هذه السن هى مايصطلحون على تسميته بسن البلوغ. فالواقع أنه قبل أن يدرك المرء سن البلوغ يجد فى نفسه مبادئ الحياة العملية حاضرة عنده، فلا يكون جاهلا بالمبادئ الكلية العامة للشريعة الطبيعية الأدبية، بل يكون لديه من الإستعداد الطبيعى ما يستطيع به أن يقتنع بوجاهة هذه المبادئ وصوابها وصدق لهجتها، وأن يستخلص بطبيعته مايؤيد به حق هذه الشريعة وصدق ندائها، فيدرك بذلك ضرورتها ولزومها للحياة السليمة المتسقة التى تتجه صوب غايتها الطبيعية إتجاها مستقيما لا عوج فيه ولا إنحراف.

فى هذه السن التى يمكن أن يصبح فيها الصبى فاعلا أدبيا، يكون مسئولا عن أقواله، وأفكاره وأفعاله أمام ضميره، بحيث أنه يعتبر مخطئا ومستحقا للعقوبة إن خرج على حدود الشريعة الأدبية الطبيعية ومستلزماتها، وليس له حينئذ من عذر ولا حجة يتبرر بها أمام الضمير. وبالتالى فهو مسئول أمام الله حيث أنه قد حكم عليه ضميره بموجب المبادئ الطبيعية الأساسية التى يدركها حق الإدراك، فلا سبيل له فيها إلى معذرة أو تبرير.

ثانيا : بالنسبة للفعل ،أى من حيث قوامه الأدبى، :

قوام الفعل الأدبى هو كل مايلزم ضرورة لكيان الفعل وحقيقة وجوده بحيث إذا زاد عليه شئ أو نقص منه شئ أصبح فعلا أدبيا آخر، ففعل السرقة مثلا يقوم فى سلب مال الغير، سواء كان فكرة أو شيئا، عن غير رضاه. وإذا لم يكن المال مال الغير كأن يكون مال الشخص نفسه فلا

يمكن أن نقول عن هذا الفعل أنه سرقة.. كالمال المسروق من زوج سكير لا يعرف حقوق زوجته وأولاده، فإن أخذه منه على غير علمه وبالتالى على غير رضاه لا يعد سرقة، لأنه حق زوجته وأولاده رد إليهم. وبالمثل سلب العبرانيين للمصريين (١) لا يعد سرقة، لأنهم استردوا بأمر الله - وهو القاضى بينهم وبين المصريين - أجورهم المغصوبةمن المصريين الذين استخدموهم بلا مقابل (٢) وكذلك الحال لو اختل الشرط الثانى، فإن من يأخذ مال الغير برضاه فلا يكون سارقا. وإذن فلابد من توفر الشرطين معا. ولايمكن أن يكون لفعل ما قوام فعل السرقة إلا بهذين القيدين اللذين يتعين بهما ضرورة كيان الفعل وقوامه.

وفعل الصدقة لا يعتبر هكذا إلا إذا كان بذلا لمال المحسن فى سبيل ذوى الحاجة حبا فى الخير لذاته. فلو كان عطاء من مال غيره أو كان على قهر وإضطرار أو طمعا فى مدح وطلبا لمجد، لم يكن فى هذه الحال أو تلك صدقة، وإنما يصبح شيئا آخر يختلف فى طبيعته وقوامه الأدبى عن فعل الصدقة.

ثم إن الفعل يتقوّم لا نظرا لأشراطه وقيوده فقط بل أيضا نظرا لموافقته أو عدم موافقته لغاية طبيعية، لابد من أن تكون ملائمة للفعل من حيث هو فعل أدبى لكائن ناطق عاقل، فالصدقة وهى بذل وعطاء إختيارى تلائم غاية المحسن الطبيعية لأنها تعاون مع أفراد المجتمع الإنسانى من جهة، ولأنها عمل يقربنا إلى الله غايتنا القصوى من جهة أخرى. أما فعل السرقة فلا يوافق هذه الغاية لأنه يؤدى إلى النفور من جهة، ولأنه من جهة أخرى يبعدنا عن الله بقدر ما يبعدنا عن إرادته.

وعلى ذلك فلابد فى تقويمنا للفعل الأدبى من أن نستعرض شروطه وقيوده التى بها يتألف كيانه وفاعليته، ثم نربط هذه الشروط بغاية الفعل الطبيعية، وهل هى موافقة أو غير موافقة لطبيعة الإنسان الناطقة. حينئذ يمكننا أن نتحقق من صواب الإسم الذى نطلقه على الفعل، ومن أنه فعل ملائم أو غير ملائم، فنحكم عليه بالخير أو الشر وعلى فاعله بالمدح أو القدح.

---

(١) خر (٣: ٢٢)، (١١: ٢، ٣)، (١٢: ٣٥، ٣٦).

(٢) خر (١: ١١- ١٣- ١٤)، (٣: ٧)

مفارقات المسئولية

يختلف الحكم المترتب على الفعل بحسب ظروف الفعل نفسه.. وظروف الفعل هى لواحقه التابعة له تبعية ذات أثر ومعنى، فهى للفعل كاللون والطعم والرائحة أى أنها كالأعراض بالنسبة لجوهر الفعل، لا يقوم بها كيانه ومع ذلك فهى متصلة بهذا الكيان تؤثر فيه تأثيرا ما بحيث قد يصبح الفعل ملائما أو غير ملائم تبعا لهذه الظروف التى يتأثر بها كيان الفعل..

هذه الظروف شخصية أو زمانية أو مكانية، وها نحن أولا نتحدث بنوع من التفصيل عن كل منها.

أما الظروف الشخصية فمنها مايتعلق بالفاعل ومنها ما يتعلق بالمفعول به ومنها ما يتعلق بالفعل، وفيما يتصل بالفاعل لابد أن نتناول كيفية الفعل ثم أسباب الفعل.

وأما فى الظروف الزمانية فنتناول زمان الفعل وفى الظروف المكانية مكان الفعل..

أولا : الظروف الشخصية :

(أ) الفاعل : (من ؟)

يجب قبل الحكم على الفعل وقبل أن نحدد مسئولية الضمير فى الفعل، ومدى هذه المسئولية، من أن نجيب على الأسئلة الآتية التى تتصل بالفاعل.

١ ـ سن الفاعل :

هل الفاعل طفل أم شاب أم شيخ؟ فإن الطفل الذى يكذب مسئوليته ليست كمسئولية الشاب أو الشيخ، إذ الطفل قد يكذب جهلا، أو ربما من فرط خياله الجامح، وهو غير مسئول أدبيا لأنه لم يستوف سن التمييز الأدبى. ومسئولية الشيخ الذى يزنى أعظم من مسئولية الشاب، إذ الشيخ أكبر سنا فهو أرجح عقلا وأهدأ طبعا وأسكن مزاجا وأكثر إتزانا وحكمة. يقول يشوع بن سيراخ «ثلاثة تبغضهم نفسى وتمقت حياتهم : الفقير المتكبر، والغنى الكذاب، والشيخ الزانى الفاقد الفهم» (١) فإن قام الشاب بأمر نبيل وحفظ عفافه بطهر، وجب مدحه وتشجيعه أكثر من الشيخ، وإن ارتكب الشيخ أمرا شائنا وجب ذمه وتوبيخه أكثر من الشاب.

---

(١) يش بن سيراخ ٢٥ : ٣، ٤

٢ ـ جنس الفاعل :

هل الفاعل ذكر أم أنثى فإن مسئولية الذكر فى بعض الجرائم أعظم من مسئولية الأنثى، كما أن مسئولية الأنثى فى بعضها الآخر أكبر وأفدح.

فالمرأة إن قتلت أعظم جرما من الرجل إذا قتل، وبالتالى فهى أكثر إستحقاقا للعقوبة لأنها كانت أكثر خروجا عن طبعها. وكذلك إذا زنت لأنها متمتعة بحصانة طبيعية وإجتماعية (١) أكثر من الحصانة التى يتمتع بها الرجل.

والرجل إن جبن وخاف وانثنى عن رأى سديد ومبدأ صالح تكون مسئوليته فى هذا كله أكبر من مسئولية المرأة، ولذلك كان عقاب آدم صارما مع أنه لم يكن البادئ بالخطأ وقال لآدم : «لأنك سمعت لقول إمرأتك وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلا لا تأكل منها، ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكا وحسكا تنبت لك وتأكل عشب الحقل..» (٢) ولذلك أيضا كانت القديسة دميانه أولى بالمديح والثناء من أبيها الذى جحد وأنكر المسيح.

٣ ـ بنية الفاعل واستعداده الجسمانى :

هل الفاعل قوىّ أم ضعيف ؟ ماهو مدى إستعداده الجسمانى أو تركيبه وإستعداده التشريحى والفسيولوجى نحو هذا النوع أو ذاك من الجريمة ؟

إن الأقوياء الأشداء أكثر إستعدادا للغضب والقتل وربما الزنى من الضعفاء الهزيلين لأنهم يحتفظون فى جسومهم بطاقة أكبر مما تلزم لحاجتها الطبيعية، فهم أميل إلى صرفها وإخراجها فى نشاط خارجى. وعلى هذا الأساس تقوم فكرة الصوم.. فهى رياضة روحية نقصد بها إلى إذلال الجسم وإخضاعه، فضلا عن الحد من تغذيته حتى لا تتوفر له من الغذاء طاقة كبيرة قد لا يقوى الإنسان على حسن توجيهها.

هذا وقد نجد من الوجهة التشريحية إناسا قد اختل فيهم عضو أو جزء من عضو مما يؤدى قطعا إلى إختلال فى عمل العضو أو إفراز الغدد، فيترتب عليه إستعداد أكبر لنوع خاص من الجرائم. فضربة شديدة على الجمجمة قد تحدث فيها بروزا يؤدى إلى شذوذ فى التفكير والسلوك.

---

(١) حصانة المرأة الطبيعية غشاء البكارة فيها، ثم إستعدادها الطبيعى لظهور معالم الجريمة بإستعدادها للحمل، وحصانتها الإجتماعية وجودها فى كنف والديها وإخوتها أو زوجها أو أولادها، ولأنها عادة تقضى أكثر وقتها بالمنزل وهو بيئة أسلم من الشارع أو مكان العمل بالنسبة للرجل.

(٢) تك ٣ : ١٧ ، ١٨ .

كما أن الفروق الجنسية التشريحية بين الذكور أو بين الإناث قد تحدث أنواعا كثيرة مما يعرف بإنحرافات الغريزة الجنسية، فقد يميل الذكر إلى الذكر أو الأنثى إلى أنثى، وقد يتخذ الذكر دور الأنثى فى الحالة الأولى، وقد تتخذ الأنثى دور الذكر فى الحالة الثانية، من حيث الميل الجنسى، ولامشاحة فى أن هذه الإستعدادات الجسمانية القائمة على أسس بنائية تشريحية أو فسيولوجية، يكون لها أثر فى إحداث مانسميه بالجرائم، وعلى كل حال لابد من بحث هذه الأمور لتحديد مسئولية المخطئ.

ولذلك يرى علماء المدرسة الإيطالية فى علم الإجتماع أن المجرمين الحقيقيين مزودون بإستعداد فطرى خاص للقيام بنوع معين من الجريمة : فمن الناس من زوّد بإستعداد فطرى للزنا، ومنهم من زوّد بإستعداد فطرى للقتل، وغيرهم لقطع الطرق، وغيرهم للسرقة.. وأن هذا الإستعداد الفطرى يتمثل فى ميول نفسية، يمكن للراسخين فى علم النفس الجنائى أن يكشفوا عنها. كما يتمثل فى علامات جسمانية تظهر فى أكثر أعضاء الجسم، يستطيع الراسخون فى علوم التشريح والفسيولوجيا أن يتبينوها عن طريق تجاربهم واختباراتهم.

وقد ألّف العلامة الإيطالى لمبروزو Lambroso فى تأييد هذه النظرية مؤلفين عظيمين : أحدهما فى «الرجل المجرم» والثانى فى «المرأة المجرمة» بيّن فيهما ما يمتاز به المجرمون فى شتى أنواع الجريمة من صفات نفسية وأشكال جسمية تظهر فى شكل العيون والأنف وتركيب الجمجمة ونسبة تقاطيع الوجه وغير ذلك.

وليس معنى هذا أن جميع الخطاة والمجرمين مزودون بهذا الإستعداد الفطرى للجريمة، فهناك من يرتكب الجريمة على سبيل المصادفة أو على سبيل العادة، أو بناء على نقص فى التربية أو فساد فى البيئة العائلية أو الإجتماعية، ولكن هؤلاء جميعا يعدون عند أصحاب هذه النظرية بأشباه المجرمين وليسوا بمجرمين على الحقيقة.

وقد اقترح علماء المدرسة الإيطالية على رجال القضاء أن يعالج أمثال هؤلاء المجرمين المزودين بإستعدادات فطرية للجريمة، بمختلف وسائل الطب النفسى والبدنى وفعلا فقد كان لهذه النظرية أثر واضح فيما أدخل من تعديلات على قوانين العقوبات فى الوقت الحاضر، وبفضلها اتجهت العناية نحو المجرمين، وأخذ القضاء يوجه أحكامه نحو إصلاح المجرم وتهذيبه بعد أن كان يتجه نحو تعذيبه، وقد أنشئت الإصلاحيات للأحداث والمشردين ومعتادى الإجرام، وتغيرت نظم السجون واقتربت إلى أن تكون بيوتا للتأديب والتهذيب والإصلاح.

٤ ـ الفاعل فى مستواه الذهنى أو الفكرى :

هل الفاعل عاقل أو مجنون؟ وإن كان عاقلا، فهل هو عبقرى أو عادى أو غبى ؟ وهل هو قوى الذاكرة أو ضعيف الذاكرة ؟ هل هو حاضر البديهة أم بليد الذهن وبطئ التفكير ؟ هل هو وضاء الفكر صافى الذهن أم هو ضيق الأفق مظلم التفكير ؟

كل هذه أسئلة يجب أن يجيب المرء عليها قبل أن يحكم باسم الضمير على صاحب الفعل بالجزاء المناسب. فكلما كان مستواه العقلى عاليا وملكاته الفكرية ممتازة أصبح أكثر مسئولية عن فعله، وأصبح أكثر إستحقاقا للعقوبة إذا أساء الفعل. فإن كان مستواه الفكرى ضعيفا وقد أتى بفعل جميل كان أكثر إستحقاقا من العبقرى للمديح والثناء والتشجيع.

ولقد رأينا أن ضمير الإنسان يزداد إرهافا وظهورا إذا كان يتمتع بعقلية ذكية وبديهة حاضرة، وأحكامه على الأفعال والأقوال أكثر صوابا وأوفر دقة وإحكاما، كما رأينا أيضا أن الأغبياء والبلهاء والحمقى أكثر إستعدادا للجريمة، وأن نسبة المجرمين بين الأغبياء أعظم إلى قدر كبير منها بين الأذكياء أو العباقرة.

لابد إذن من أن ندخل فى حسابنا عامل الذكاء والمستوى الذهنى لنحدد على وجه سليم عادل مسئولية الفاعل وإستحقاقه للثواب أو العقاب.

٥ ـ الفاعل من حيث إستعداده النفسى :

لكل شخص إستعداد نفسى خاص هو مجموع ميوله ونزعاته، ومجموع طباعه ونوع مزاجه وإتجاهاته الشعورية والعاطفية.

هذه العوامل النفسية الباطنية بعضها فطرى وبعضها مكتسب، وهذه وتلك تؤثر فى سلوك الفرد وتفكيره. وحقا إن علم النفس الحديث قد أضعف من تأثير الجانب الفطرى فى حياة الإنسان، مبينا أن الإنسان يستطيع أن يسيطر على كل هذه النزعات والميول والطباع والعواطف، فيحولها إلى إتجاه آخر، لكن ذلك لايتم إلا بمعونة من إرادتنا. فكلما كانت لنا إرادة قوية استطعنا مغالبة الإتجاهات الجامحة، وأمكننا أن نستغل هذه العوامل بما يبنى شخصيتنا بناء قويما. وإذن فالإرادة هى الموجه الأكبر والسيد الأعظم على مملكة الأفعال الإنسانية.

ولما كان الناس يختلفون فى إرادتهم فلابد أن يظهر أثر هذه العوامل النفسية فى حياتهم. وعلى ذلك يجب أن نعترف بما لهذه العوامل الباطنية من تأثير على السلوك، وربما كانت هذه

العوامل الباطنية هى التى تفسر لنا تلك الأخطاء التى نقع فيها ونسميها أخطاء غير إرادية، وكما أنها فى حياة البعض غيرها فى حياة غيرهم. فالمرشد الصالح يجب أن يدخل فى إعتباره هذه العوامل الباطنية عندما يشخص حالة الخاطئ وحينما يقدم له العلاج، وقبل أن يحدد مدى مسئولية الفاعل فى فعله خيرا كان أو شرا.

٦ ـ الفاعل وديانته :

ماهى ديانة الفاعل التى يرتب أفعاله إزاء مطالبها؟ هل هى اليهودية أم المسيحية أم الإسلام أم الوثنية ؟ ماهو كتابه المقدس؟ وماهو مذهبه أو رأيه فى ديانته ؟. هل هو مؤمن بهذا الدين؟ أو هل هو ثائر ضد هذا الدين ؟ أو ماهو مقياس إيمانه واعتقاده ؟

لابد أن نسأل عن هذا الأمر أيضا لأنه لا يمكن أن يطالب الإنسان أمام ضميره أو أمام ضمائر الأغيار بما لا يعتقد به أو لايعرفه. فاليهودى والمسيحى والمسلم والوثنى يجب أن يُسأل عن إتباعه أحكام دينه الذى يسلمّ به ولا يُسأل عن غيره، لأن كل من أخطأ بدون الناموس، فبدون الناموس يهلك وكل من أخطئ فى الناموس، فبالناموس يدان (١). هكذا فى المسيحية نفسها لا يعاتبنا الضمير إلا على أساس المبدأ الذى نعتنقه ونثق من كل قلوبنا أنه المبدأ القويم.

وليس هذا مؤداه أن يقف العارفون بالحق عن تبليغه إلى الجاهلين به، وإنما معناه أن الجاهلين بالحق عن بساطة وسلامة قلب لاتحكم عليهم ضمائرهم بشئ من العتب أو اللوم على مخالفة شئ يجهلونه وفى حالة جهلهم إياه فلابد للكاهن أو المرشد أن يتحقق من ديانة الشخص ومذهبه ليعرف مدى مسئوليته فى الخطأ الذى وقع فيه، فقد كان شاول يضطهد كنيسة الله بافراط ويتلفها ولكنه فعل فى جهل بعدم إيمان، وإنما فى بساطة وإخلاص.

٧ ـ الفاعل من حيث حصانته المادية :

هل للفاعل حصانة مادية تكفى لوقايته من الشر الذى وقع فيه؟.. فإن من يسرق وهو غنى شرّ ممن يسرق وهو فقير، ولذلك فمسئوليته أعظم وعقابه أشد. فإذا عف الفقير عن الخيانة أو السرقة واحتمل ألم الحرمان فى نزاهة وأمانة فإنه خير وأفضل ممن يعف عن السلب وهو غنى، إذ الغنى يتمتع بحصانة مادية من شأنها أن تقيه أو تعوقه عن السلب، بعكس الفقير الذى قد يجد من الإغراء المادى مثيرا نحو السرقة والخيانة. كما أن من يزنى وهو متزوج أكبر جرما ممن

---

(١) رو ٢ : ١٢

يزنى وهو أعزب، فذاك محصن بحصن الزواج وهذا أعزل من هذا السلاح، ولذلك يستحق قصاصا أوفر وحكما أشد صرامة. أما الأعزب الذى يصون نفسه طاهرا على الرغم من إغراءات الشهوة ومثيرات الخطيئة فهو أفضل من المتزوج الذى يصون نفسه عن هذه الإغراءات، لأن هذا لم يحتاج إلى قدر من الجهد فى صيانة نفسه لأنه متزوج، قدر الجهد الذى بذله الأعزب. ولذلك فما أعظم الفرق بين موقف يوسف الشاب العفيف الأعزب، وموقف داود الرجل المتزوج.

فإن سقط شخصان فى خطيئة الزنى، أحدهما أعزب والآخر متزوج وجب على المتزوج أن يعتبر نفسه أفدح خطأ وأكثر إستحقاقا للعقوبة، ووجب على الكاهن أو المرشد أن يفرق فى تحديد مسئولية كل منهما، أمام الضمير وأمام الشريعة.

والمرأة التى تسقط فى خطيئة الزنا، إذا كانت فى عصمة رجل ولاسيما إذا كان لها أولاد، شر من إمرأة تسقط وهى فى غير هذه الحصانة المادية.

قالت الشريعة : «ولكن إن... لم توجد عذرة للفتاة، يخرجون الفتاة إلى باب بيت أبيها، ويرجمها رجال مدينتها بالحجارة حتى تموت لأنها عملت قباحة فى إسرائيل بزناها فى بيت أبيها، فتنزع الشر من وسطك».

«إذا وجد رجل مضطجعا مع إمرأة زوجة بعل، يقتل الإثنان : الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة، فتنزع الشر من إسرائيل» (١).

كذلك من ينكر الإيمان ويجحد المسيح وهو فى زمن السلم، ليس كمن ينكره وهو فى وقت الضيق أو زمان الإضطهاد، أولهما شر من الآخر.

٨ ـ الفاعل من حيث مكانته الأدبية :

هل الفاعل رجل مشهور بالفضل والتقى أم هو رجل عادى أو رجل شرير؟ وهل هو علمانى أم هو رجل من طغمة الإكليروس. وفى أى درجة من درجات الكهنوت؟ هل هو شماس أم قسيس أم أسقف ؟ وإذا كان فى درجة الشماسية ففى أى مرتبة من مراتبها، هل هو نائب شماس أو شماس أو رئيس للشمامسة؟ وإن كان قسيسا فما هى درجته؟ وإن كان أسقفا فهل هو أسقف أو مطران أو بطريرك ؟

---

(١) تث ٢٢ : ٢٠ – ٢٢

كلّما ارتقى المرء فى درجات الكهنوت كانت مسئوليته الأدبية أكبر، لأنه أقيم على وزنات أكثر، وتصبح خطيئة المخالفة أفظع وأجسم، وكلّما كان الشخص فى درجة من الفضيلة والكمال كان سقوطه فى الخطأ، أولى جدا بعناية المرشد أو الكاهن لأنه بإرتفاع الإنسان فى مركزه الأدبى ترتفع مسئوليته الأدبية.

ثم هل هو فى طغمة الرهبنة أم لا ؟ فهذه الطغمة الجليلة قد اختارت لنفسها حياة تقتضى زهدا ونسكا وتقشفا وعزلة وإعتكافا، ووفرة تعبد وإتضاع وإحتقار للمظاهر الخارجية. يجب ألا يسوّى أمام محكمة الضمير بين خطأ وقع فيه إثنان : أحدهما يضعه الشرع فى مرتبة أدبية أعلى وأسمى من رفيقه، ويجب أن تختلف العقوبة أو التأديب المفروض على كل منهما، وأن يفرق فى تقدير مسئولية كل منهما..

جاء فى التوراة أن من يزنى يُقتل، رجلا كان أو إمرأة. (١) أما إذا كانت الزانية إبنة لكاهن فقال الله فيها «وإذا تدنست إبنة كاهن بالزنى، فقد دنست أباها، بالنار تحرق» (٢) وقال السيد المسيح «أنتم ملح الأرض، فإن فسد الملح (فقد طعمه) فبماذا يملّح، إنه لا يصلح لشئ إلا لأن يطرح خارجا ويدوسه الناس بأقدامهم» (٣)

٩ ـ الفاعل من حيث مكانته العلمية :

هل الفاعل عالم بالشريعة أو جاهل بها ؟

فمن العدالة أن يحاسب الإنسان على قدر درجته من العلم والعرفان، ولذا يقول السيد المسيح : «أما ذلك العبد الذى يعلم إرادة سيده، ولم يستعد ولا صنع بحسب إرادته، فسيضرب كثيرا، والذى لا يعلم ويصنع ما يستوجب به الضرب فسيضرب قليلا. وكل من أعطى كثيرا يطالب بكثير، ومن استودع كثيرا يطلب منه أكثر» (٤)

وعلى أساس هذا المبدأ صلى المسيح عن صالبيه : «فقال يسوع ياأبتِ اغفر لهم لأنهم لا يعلمون مايفعلون» (٥). وكان يقول «أتيت أنا دينونة للعالم حتى يبصر العميان ويعمى المبصرون. فسمع قوم من الفريسيين الذين كانوا معه. وقالوا له : ألعلنا نحن أيضا عميان. فقال لهم يسوع : لو كنتم عميانا لما كانت لكم خطية، والآن تقولون إننا نبصر فخطيتكم باقية» (٦).

---

(١) خر ٢٢ : ٢١، لا ٢٠ : ١٠ – ٢٠ ، تث ٢٢ : ٢٢ (٢) لا ٢١ : ٩ (٣) مت ٥ : ١٣

(٤) لو ١٢ : ٤٧، ٤٨ (٥) لو ٢٣ : ٣٤ (٦) يو ٩ : ٣٩ – ٤١

وقال : «ولكنهم سيفعلون بكم هذا كله من أجل اسمى، لأنهم لايعرفون الذى أرسلنى. لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية. أما الآن فليس لهم عذر فى خطيتهم.. لو لم أكن قد عملت فيهم الأعمال التى لم يعملها آخر، لما كانت لهم خطية. أما الآن فقد رأونى وأبغضونى وأبى أيضا» (١).

ويقول الرسول : «لأن غضب الله معلن من السماء على كل كفر وتعدٍ من الناس الذين يحجزون الحق بالباطل، بما أنه ظهر لهم أن معرفة الله ممكنة لهم وقد أظهر الله لهم (ذلك)، فإن (كمالات الله) غير المنظورة، أى قدرته السرمدية وألوهته، تُرى منذ خلق العالم مرأى العيان عند التأمل فى مصنوعاته، وعلى ذلك فلا عذر لهم إذ هم عرفوا الله (ومع ذلك) لم يمجدوه بوصفه الله ولم يشكروه بل ضلوا فى أفكار عقيمة واظلّم قلبهم وفقد الفطنة» (٢).

ويقول الرسول أيضا عن نفسه : «(أنا) الذى كنت قبلا مجدفا ومضطهدا، وإنسانا طاغيا، ولكننى قد رحمت لأننى صنعت (ذلك) بجهل (لما كنت) كافرا» (٣)

ويقول ماربطرس الرسول عن المرتدين : «لأنه كان خيرا لهم أن لا يعرفوا طريق البر، من أنهم، بعد أن عرفوه، يرتدون عن الوصية المقدسة التى سلّمت لهم» (٤)

ويقول ماريعقوب الرسول : «وعلى ذلك يخطئ من يعرف أن يعمل الخير ولا يعمله» (٥)

وإذن فمن يخطئ وهو يعلم ليس كمن يخطئ وهو يجهل، فهو فضلا عن أنه مسئول عن الخطأ الذى ارتكبه فإنه بعلمه أصبح مشهورا وقدوة ومثالا لكثيرين. فسقطته فى الخطيئة ليست كسقطة الجاهل لأنه سيعثر كثيرين ويشكك فى الفضيلة نفوس الذين يتمثلون به ويتعلمون منه.

ولكن حذار من أن تظن أن الجهل بالشريعة خير من العلم بها، فإن الجاهل مسئول عن جهالته إذا كان فى مقدوره أن يطلب العلم ولم يطلبه ويجد فى إثره : يقول الحكيم سليمان : «أيضا كون النفس بلا معرفة ليس حسنا» (٦)

---

(١) يو ١٥ : ٢١ – ٢٤ (٢) رو ١ : ١٨ – ٢١
(٣) ١ . تى ١ : ١٣ (٤) ٢ . بط ٢ : ٢١
(٥) يع ٤ : ١٧ (٦) أم ١٩ : ٢

ومع ذلك فإذا أخطأ الإنسان جهلا منه ثم علم بخطئه أصبح مطالبا بالإستغفار والتوبة والكفارة، فمع أنه مسئول إلى هذا الحدّ لكنه أقل مسئولية من العالم إذا أخطأ. والتأديب الذى يستحقه أقل مما يستحقه العالم، وإذن يجب أن نفرق بين خطيئة من عالم وخطيئة من جاهل.

١٠ ـ الفاعل ومكانته الإجتماعية :

من هو الفاعل وماهو مركزه الإجتماعى ؟ هل هو رئيس أو مرؤوس. هل هو زعيم أم تابع، أهو قائد أم جندى، وهل هو ملك أم مملوك، سيد أو مسود، ماهو مدى شهرته وذيوع صيته بين الناس؟ ماهو مدى تأثيره فى المجتمع الإنسانى ؟

فبقدر مايكون الإنسان رفيعا ومرموقا من كثيرين وصاحب سلطان ونفوذ وسيادة ومنصب، بقدر مايكون مسئولا عن أفعاله وتصرفه. ولن يمكن لضمير حىّ أن يسوّى بينه وبين من يعلوه أو يدنوه فى المرتبة، فكلما ارتفع المرء فى منصبه أو مركزه الإجتماعى أو الدينى أو السياسى كان سلوكه أعمق أثرا فى حياة الأفراد، وعلى ذلك فهو أكثر مسئولية من غيره عن أفعاله ومدى موافقتها للخير والواجب.

«وكان بنو عالى بنى بليعال (أو لؤماء) . لم يعرفوا الرب. ولا حق الكهنة من الشعب، كلما ذبح رجل ذبيحة يجئ غلام الكاهن عند طبخ اللحم ومنشال ذو ثلاثة أسنان بيده. فيضرب فى المرحضة (أو الوثية) أو المرجل أو المقلى أو القدر. وكل مايصعد به المنشل يأخذه الكاهن لنفسه. هكذا كانوا يفعلون بجميع إسرائيل الآتين إلى هناك فى شيلوه. كذلك قبل مايحرقون الشحم، يأتى غلام الكاهن، ويقول للرجل الذابح : اعطِ لحما ليشوى للكاهن، فإنه لا يأخذ منك لحما مطبوخا بل نيئا، فيقول له الرجل : ليحرقوا أولا الشحم ثم خذ ماتشتهيه نفسك. فيقول له : لا بل الآن تعطى وإلا فآخذ غصبا. فكانت خطية الغلمان عظيمة جدا أمام الرب، لأن الناس استهانوا تقدمة الرب» (١)

(ب) كيفية الفعل : (كيف ؟)

كيف فعل الفاعل ؟ هل كان فعله بالفكر أو القول أو العمل، أى هل كان فعله باطنيا أم ظاهريا خارجيا، وبعبارة أخرى، هل كان فعله ذهنيا أم واقعيا. فإن الخطأ بالفعل شر من الخطأ بالفكر، لا من حيث النية والقصد، ولكن من حيث نتيجة الفعل وأثرها الظاهرى وإنتقاله من شخص واحد

---

(١) ١. صموئيل ٢ : ١٢ – ١٧

إلى كثيرين فمن يشتهى إمرأة بفكره فقد زنى بها فى قلبه، ولكن إن زنى بها بالفعل فقد دنس عفته وعفتها وصار عثرة لآخرين، وربما جرت فعلته إلى نتائج شخصية وعائلية وإجتماعية بعيدة المدى وعظيمة الأثر.

فإذا كان الفعل ذهنيا أو واقعيا، فهل كان فيه **مرغما مجبورا أو حرا مختارا**، جاء فى شريعة الله أن الفتاة المخطوبة إذا زنى بها رجل دون أن تصرخ أو تستغيث أى كان ذلك منها بمحض رضاها، فإنها ترجم مع من زنى بها يموتا معا، أما إن كان الرجل قد قهرها على ذلك وقد استغاثت وصرخت فلم يغثها إنسان، فالرجل يقتل وحده، أما الفتاة فيعفى عنها لأنها لم تفعل بإرادتها (١).

وإذا كان الفعل باطنيا أو ظاهريا، فهل كان فعله **سهوا أم عمدا، بإنتباه أو بغير إنتباه**. فإن من يفعل عمدا وإنتباها، أعظم مسئولية ممن يفعل سهوا وبغير إنتباه سواء فى الخير أو الشر. ويقول السيد الرب : «من ضرب إنسان فمات يقتل قتلا، ولكن الذى لم يتعمد بل أوقع الله فى يده، فأنا أجعل لك مكانا يهرب إليه» (٢).

وإذا كان الفعل ذهنيا أو واقعيا، فهل كان فعله **ببساطة قلب أم كان خبثا وغدرا** ؟ «وإذا بغى إنسان على صاحبه ليقتله بغدر، فمن عند مذبحى تأخذه للموت» (٣). وكأن إلتجاءه إلى مدينة الملجأ لا يفيده شيئا، بل وحتى إذا إستغاث ممسكا بقرون المذبح فإن الشريعة لاتبرئه لأنه قتل بغدر.

وإذا كان الفعل ذهنيا أو واقعيا، فهل كان الفاعل **جاهلا بالنتائج المترتبة على فعله أم كان عالما بها** ؟ أو ببعض منها على الأقل ؟ فإذا كذب إنسان فى موقف ما إعتقادا منه أنه لا ينتج عن كذبه سوى فائدة أو بضع فوائد، فإن التأديب الذى يستحقه عن خطئه أقل من تأديب يستحقه لو أنه كان عارفا بالنتائج المترتبة على هذا الكذب أو بعضها، فإنه هنا أكثر مسئولية وأولى بالإدانة والعقوبة، والأمر كذلك إذا كان الفعل خيرا فإن من يفعله علما بنتائجه الخيرة أولى بالثناء ممن يفعله جهلا بها.

---

(١) تث ٢٢ : ٢٣ – ٢٧

(٢) خر ٢١ : ١٢، ١٣

(٣) خر ٢١ : ١٤

وإذا كان فعلا ذهنيا أو واقعيا، فهل فعله الفاعل **بلذة أو بتململ وضجر**؟ فإن اللذة فى الفعل تجعله أوفر إستحقاقا للجزاء. فمن يتصدق بفرح وسرور يكون حظه من القرب إلى الله وحظه من تقدير الضمير السليم أعظم وأجل من حظ من يتصدق وهو متضجر متململ متذمر، ولذلك يقول «المعطى المسرور يحبه الله» (١) «طوبى للرجل المتقى الرب المسرور جدا بوصاياه» (٢) هذا من جهة الخير، وأما من جهة الشر فإن من يفعل بلذة أكثر استحقاقا للعقاب ممن يفعل بضجر. وهؤلاء هم الذين نعتهم الوحى بأنهم «الذين مع أنهم عرفوا أن حكم الله هو أن الذين يرتكبون مثل هذه الأمور يستوجبون الموت، فإنهم لا يرتكبونها فقط بل يستحسنون الذين يرتكبونها أيضا» (٣) وفيهم يقول النبى «ليرتد إلى الوراء وليخز الذين يسرون بأذيتى» (٤). «الذى يتلذذ بالشر يلحقه الوصم» (٥).

وإذا كان فعل ذهنيا أو واقعيا فهل فعل **فى الخفاء أو علانية** فإن من يفعل وهو يخشى الناس أقل مرتبة فى شره ممن يفعل وهو لايخشى أحدا، أو ممن يفعل فخورا أمام الخلق بما فعل «لأن الشرير يفتخر بشهوات نفسه» (٦).

وأمّا من يفعل الخير سرا فهو أجدر بالجزاء الصالح ممن يفعل أمام الناس... فالأول أعمق إيمانا بالله وأكثر زهدا بمديح الناس وإطرائهم. «وأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك» (٧).

وإذا كان قد فعل، فهل فعل **بوحى نفسه أم بالإشتراك مع غيره**، فإن من يشترك فى مؤامرة يتقاسم معه الآخرون مسئولية الجريمة، وكذلك من يفعل الخير بمفرده يستأثر بجزائه دون غيره. وقد ورد فى التاريخ أن المعلم ابراهيم الجوهرى عاتب المعلّم فانوس أمام غبطة البابا البطريرك لأنه استأثر بالسعى فى إخراج قبطى مسجون ولم يشركه معه، فنال الأجر عنه بمفرده، ففصل البابا الأسكندرى فى هذه الخصومة النبيلة وقال : المعلم فانوس اخرجه من السجن فعلى المعلم ابراهيم أن يوجد له عملاً.

وإذا كان قد فعل ذهنيا أو واقعيا، فهل فعل **بمفرده أو أشرك معه غيره**، فإن من يفعل بنفسه أقل مسئولية ممن يحرض غيره على أن يشترك معه فى فعل الجريمة فإنه لم يخطئ

---

(١) ٢. كو ٩ : ٧ راجع أيضا خر ٢٥ : ٢ ، ٣٥ : ٥ ، (أم ١١ : ٢٥)، (رو ١٢ : ٨)

(٢) مز ١١٢ : ١ (٣) رو ١ : ٣٢

(٤) مز ٤٠ : ١٤ (٥) يش بن سيراخ ١٩ : ٥، ٦

(٦) مز ١٠ : ٣ (٧) مت ٦ : ٦، ١٨

بنفسه فقط بل دعا غيره إلى الخطأ، فصار عثرة وهلاكا لنفسه ولغيره معا، فمن يمضى إلى دور القصف والخلاعة، ويصطحب معه آخرين، أو من يسكر بالخمر ثم يسقى غيره، يصيبه ويلان : ويل لشره، وويل مركب بعدد الذين أغراهم على الشر. قال الكتاب : «ويل لمن يسقى صاحبه.. مسكرا». (١) كذلك من يبتدع تعليما جديدا فى الدين ويضل كثيرين. هؤلاء هم «المعلمون الكذبة الذين سيدسون بدع مضرة (مهلكة).. سيجلبون على أنفسهم هلاكا مباغتا، وسيتبع كثيرون (تعاليمهم) المهلكة، وبسببهم سيجدف على طريق الحق.. ولكن الحكم الذى (قدر) لهم منذ زمان طويل، لا يتوانى، وهلاكهم لا ينعس» (٢).

على العكس من ذلك، من يتبع الخير لنفسه ليس كمن يدعو الآخرين إليه، فهذا قد ربح خيرا مضاعفا ولابد أن يكون جزاؤه كبيرا. قال النبى دانيال : «والفاهمون يضيئون كضياء الجلد، والذين ردوا كثيرين (يضيئون) كالكواكب إلى أبد الدهور» (٣). هذا هو حكم السماء بالعدل وهو حكم الضمير السليم الحى.

وإذا كان قد فعل ذهنيا أو واقعيا، فهل فعل **بصراحة أم بتغرير وخداع** ؟ فمن يقتل وهو يخدع ويداهن شر جدا ممن يقتل مظهرا عداوته وخصومته، فهذا قتل فقط ولكن ذاك ارتكب شرورا كثيرة منها : القتل والكذب والخداع والمكر والرياء والمداهنة والخيانة. ولعل أبشع صورة لهذه الجريمة النكراء نراها فى يهوذا الاسخريوطى التلميذ الخائن، وقد عبر السيد المسيح عن هول جريمته بقوله : «أبقبلة تسلم ابن الإنسان» ؟ ثم فى أهود بن جيرا البنياميني «فأرسل بنو إسرائيل بيده هدية لعجلون ملك موآب، فعمل أهود لنفسه سيفا ذا حدين طوله ذراع وتقلده تحت ثيابه على فخذه اليمنى، وقدم الهدية لعجلون ملك موآب.. وقال لى كلام سرّ إليك أيها الملك، فقال : صه، وخرج من عنده جميع الواقفين لديه.. فمد أهود يده اليسرى وأخذ السيف عن فخذه اليمنى وضربه فى بطنه» (٤)

ثم فى ياعيل إمرأة جابر القينى التى استقبلت سيسرا وطمأنته وغطته بعد أن سقته فلما تثقل بالنوم «أخذت وتد الخيمة.. وضربت الوتد فى صدغه فنفذ إلى الأرض» (٥) ثم فى يوآب الذى مال بأبنير «إلى وسط الباب ليكلمه سرا وضربه هناك فى بطنه فمات» (٦)

---

(١) حب ٢ : ١٥ (٢) ٢. بط ٢ : ١ - ٣ (٣) دا ١٢ : ٣
(٤) قض ٣ : ١٢ - ٢٥ (٥) قض ٤ : ٢١ (٦) ٢. صم ٣ : ٢٧

وإذا كان قد فعل ذهنيا أو واقعيا فهل فعل **بطريق مباشر أو غير مباشر** ؟ هل قتل بنفسه أو استأجر آخر، وهل قتل بضربة من يده أو قصمة من فمه أو استخدم فى ذلك سما أو آلة قاتلة، وهل كان ذلك منه برفق أم بقسوة وتجبر؟ أليس واضحا أن من يقتل بنفسه شر ممن يقتل بوسيط، ومن يقتل بقسوة وعنف وتجبر شرّ ممن يقتل بنوع من الرفق؟ ثم ما أبعد الفرق بين من يقتل فيقضى على الحياة، وبين من يقتل فيشنع أو يمثل بالقتيل أشنع تمثيل كأن يمزقه ويقطعه إربا إربا، ولاسيما إذا كان يرتكب جريمته وهو هادئ أو وهو يغنى كما ذكر عن بعض كبار المجرمين.

فإن كان الفعل خيرا، فإن من يفعل بنفسه خير ممن يفعل بواسطة. فمن يرحم فقيرا أو يعين محتاجا ويتقدم إلى خدمة غيره بنفسه،أكثر إستحقاقا للمدح والثواب ممن يأمر أو يكلف غيره بذلك، لأن الأول بذل من ذاته وضحّى بنفسه ووقته وجهده، أما الثانى فاكتفى بالأمر والتصريح. ومن هذا القبيل مافعله السيد المسيح الذى خلص العالم بنفسه لابوسيط آخر.

(جـ) أسباب الفعل : (لِمَ ؟)

ماهى الأسباب التى حملت الفاعل على الفعل؟ أو ماهى الدوافع التى أثارته فاندفع بها إلى الفعل؟ فمن الناس من يقتل دفاعا عن نفسه لأن لصا أو عدوا هاجمه وأراد أن يقتله أو يسلبه شيئا، ومنهم من يقتل دفاعا عن شرفه لأنه رأى شخصا يراود إمرأته أويخونه فيها. فقتله أو قتلها أو قتلهما معا، ومنهم من يقتل ردا لفعل مسئ إليه كمن يقتل قاتل أخيه أو قريبه، أو كمن يسب ويشتم من أغاظه وآذاه، أو كمن يدبر مؤامرة أو يذيع مذمة شخص تفوق عليه حسدا منه. فمن يقتل أو يسئ دفاعا عن نفسه أو دفاعا عن شرفه أهون شرا ممن يقتل غدرا أو إنتقاما أو حسدا.

كذلك هناك من يزنى بدفع من صديق أو مجاراة له أو إنسياقا لبيئة من إخوان أشرار، وهناك من يزنى إثر اغراء عارض للخطيئة من جانب فتاة أو إمرأة فاجرة أو متهتكة أمالته إليها أو راودته عن نفسها.

وهناك من يسرق دفعا لألم الجوع فيه أو فى أولاده، أو من يسرق إشتهاء لشئ يملكه آخر، أو حسدا له، أو من يسرق طمعا فى الغنى أو الثروة، أو من يسرق ليعين شخصا أو قريبا له.

وهناك من يحلف تبريرا لنفسه فى أمر يستحق التبرير، وهناك من يحلف لغير داع ولكن على سبيل العادة.

وعلى كل حال يجب على الكاهن أو المرشد أن يتبين السبب الدافع إلى الفعل قبل أن يحكم على الفاعل ومدى مسئوليته فى الفعل. فكثيرا مايغير الدافع قيمة الفعل. فمن يتصدق إرضاء لنزعة السيطرة أو إرضاء لحب الشهرة وذيوع الصيت بين الناس، أو مجاراة لغيره أو خجلا منه أو تخلصا من إلحاح المسكين أو إلحاح القائم بالأعمال الخيرية، لا يمكن أن يعتبر رحيما على الإطلاق. وليس من العدالة فى الحكم، أو من وحى ضمير حر سليم أن يسوّى بين إنسان كهذا وإنسان آخر يتصدق بدافع من العطف والرثاء للمسكين، أو بدافع من الوفاء لله أو للكنيسة أو بدافع من الشعور بآلام المتألمين وإغاثة أعضاء المسيح المبلوين بالفقر والعدم.

فى كل فعل، خير أو شر، يجب أن نبحث عن الدوافع والأسباب التى حركت الفاعل لتحدد مدى مسئوليته فى الفعل الصادر عنه ذهنيا كان أو واقعيا.

(د) المفعول به (لِمَنْ ؟)

كذلك ينبغى أن نجيب على الأسئلة الآتية فيما يتصل بالمفعول به قبل أن نحدد مدى مسئولية الفاعل.

(١) طبيعة المفعول به :

هل هو الله أم الملاك أم الإنسان ؟ فإن من يجدف على الله أو ينكر أقوال الوحى أو يحارب الكنيسة أو يقاوم أعمال الله شر ممن يخطئ إلى إنسان بقدر مايسمو الله فى طبيعته عن الإنسان.. ومن يقدم على هذا الشر العظيم يعرض ذاته لعقاب لا يملك اتقاء شره.. قال السيد المسيح : «ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها، بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم» (١).

وقال الرسول : «مخيف هو الوقوع بين يدى الله الحى» (٢).. لهذا كانت جريمة آدم غير محدودة فى جسارتها لأنها فعلت ضد طبيعة الله غير المحدودة، وهذا هو سر الفداء المجيد.

فإذا كان المُساءُ إليه الملاك، كان الخطأ جسيما بقدر طبيعة الملاك الروحانية والتى هى أسمى من طبيعة الإنسان. من أجل هذا قال الحكيم الجامعة : «ولاتقل قدام الملاك أنه سهو، لماذا

---

(١) مت ١٠ : ٢٨، لو ١٢ : ٤، ٥

(٢) عب ١٠ : ٣١

يغضب الله على قولك ويفسد (يخرب) عمل يديك» (١) .. ومن الأمثلة على ذلك ما جاء عن الملاكين اللذين نزلا ببيت لوط. «وقبلما اضطجعا أحاط بالبيت رجال المدينة ورجال سدوم من الحدث إلى الشيخ، كل الشعب من أقصاها (أو عن آخره) فنادوا لوطا وقالوا له :أاين الرجلان اللذان دخلا إليك الليلة. أخرجهما إلينا لنعرفهما، فخرج إليهم لوط إلى الباب وأغلق الباب وراءه، وقال : لا تفعلوا شرا يا إخوتى، هوذا لى ابنتان لم تعرفا رجلا أخرجهما إليكم فافعلوا بهما كما يحسن فى عيونكم. وأما هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئا لأنهما قد دخلا تحت ظل سقفى. فقالوا أبعد إلى هناك، ثم قالوا جاء هذا الإنسان ليتغرب وهو يحكم حكما. الآن نفعل بك شر أكثر منهما، فألحوا على الرجل لوط جدا وتقدموا ليكسروا الباب. فمدّ الرجلان أيديهما وأدخلا لوط إليهما إلى البيت وأغلقا الباب، وأما الرجال الذين على باب البيت فضرباهم بالعمى من الصغير إلى الكبير، فعجزوا عن أن يجدوا الباب» .. (٢) ومن الأمثلة على ذلك أيضا ما أصاب زكريا لأنه أخطأ فلم يصدق قول الملاك : فأجاب الملاك وقال له : «أنا جبرائيل الواقف أمام الله وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا. وها أنت تكون صامتا فلا تستطيع الكلام إلى اليوم الذى يكون فيه هذا لأنك لم تؤمن بأقوالى هذه التى ستتم فى حينها» (٣) .

كذلك من يزنى ببهيمة أحط ممن يزنى ببشر، فهذه خطيئة تدل على منتهى الإهانة للطبع الآدمى وعلى منتهى الإنحطاط فى التفكير الجنسى وعلى سوء استخدام الغرائز والميول الجنسية. وعلى كل حال، فهذه الحالة لا يصل إليها إلا أصحاب الإنحرافات الجنسية. قالت الشريعة : «وإذا جعل رجل مضجعه مع بهيمة فإنه يقتل والبهيمة تميتونها. وإذا اقتربت إمرأة إلى بهيمة لنزائها تميت المرأة والبهيمة. إنها يقتلان، دمهما عليهما» (٤) «إنه فاحشة» (٥) .

أرأيت إذن إلى أن طبيعة المفعول به إلهية كانت أو ملائكية أو بشرية أو حيوانية يكون لها قيمة فى تقدير مدى مسئولية الفاعل فى جريمته، فسمو الطبيعة أو إنحطاطها عن الإنسان يزيد من قيمة الجرم، لأنه فى الحالة الأولى يدل على جسارة المخطئ وفساد قلبه، وفى الحالة الثانية يدل على إنحطاط تصوره ووضاعة خلقه وشخصه ونزوله إلى درك أحط من درك الحيوان الذى لا يقترب إلا إلى حيوان من جنسه ومن طبعه!!!

---

(١) جا ٥ : ٦ (٢) تك ١٩ : ١ – ١١ (٣) لو ١ : ١٩ ، ٢٠

(٤) لا ٢٠ : ١٥، ١٦ (٥) خر ٢٢ : ١٩ ، لا ١٨ : ٢٣ ، تث ٢٧ : ٢١

(٢) سن المفعول به :

هل المفعول به يكبر الفاعل أو يصغره ؟ فإن من يخطئ إلى شخص يصغره أو يستوى معه فى سنه ليس كمن يخطئ إلى شخص يكبره، ومن يخطئ إلى ولد ليس كمن يخطئ إلى رجل أو شيخ. فكلما كان المفعول به متقدما فى السن كان الخطأ فى حقه جسيما واستوجب عقابا جسيما.

فإذا كذبت على شيخ أو أهنته أو ضربته أو شتمته كان خطأك أعظم مما لو صدر منك ضد شاب أو ولد، هكذا إذا أحسنت إلى شيخ فتأدبت فى محضره أو تحدثت إليه بما يليق بسنه، أو اعنته ليجلس أو يقف أو يصل إلى مكانه، وإذا قدمت إليه طعاما أو شرابا أو أحسنت إليه برحمة أو قضيت له أربه كان فعلك هذا بشيخ متهدم أحق بالجزاء الصالح مما لو كان مع شاب أو رجل.

كذلك من يرى طفلا تائها فيحنو عليه ويطعمه ويأويه ويبلغه أهله أكثر إستحقاقا للثواب ممن يفعل هذا مع شاب أو رجل. ومع ذلك فقد يختلف هذا الحكم بالنسبة لفعل آخر يكون ضد ولد شرا مما لو كان ضد رجل، كمن يخدع ولدا ساذجا سأله عن أمر فأرشده إليه خطأ فهلك أو مات بسببه، فإنه فعل شرا مما لو خدع شابا أو رجلا له من عقله ما يمكن به إلى حد ما أن يجنب نفسه الهلاك. ومهما يكن من أمر. فإن المسئولية تختلف وفقا لسن المفعول به.

(٣) جنس المفعول به :

هل المفعول به **ذكر أو أنثى** ؟

فمن يضرب إمرأة أو يشتمها أو يظلمها يكون مستحقا لعقوبة أكثر ممن يضرب أو يهين أو يشتم أو يظلم رجلا، لأن المرأة أكثر رقة وشعورا وأولى بالعطف وحسن المعاملة، فمن يقسو عليها شر ممن يقسو على رجل، أما من يفعل خيرا بإمرأة فيريحها أو ينشط لمساعدتها أو يرحمها ويعينها، يكون أكثر إستحقاقا للثواب ممن يفعل خيرا مع رجل لأن المرأة أكثر إستحقاقا للعطف عن الرجل.

ومن يتلف رجلا فيعتدى على عفافه شر ممن يفسد عفة إمرأة لأنه لا يتورع عن إفساد إمرأة أيضا من بلغ به الشبق إلى معاملة الرجال معاملة النساء، فمضاجعة الذكور شر عظيم وهى أبلغ فى الجريمة من خطيئة الزنى. قال الله ،وإذا اضجع رجل مع ذكر اضطجاع إمرأة، فقد فعلا

كلاهما رجسا إنهما يقتلان دمهما عليهما» (١) وإذ يعدد الرسول خطايا الأمم الكبرى ومدى شناعة جرائمهم يقول : «وكذلك الذكور أيضا تاركين الإستعمال الطبيعى للمرأة اشتعلوا فى شهوتهم مع بعضهم بعضا، فاعلين الفحشاء ذكورا بذكور، وقد حصلوا فى نفوسهم على الجزاء الذى يستوجبونه بالنسبة لضلالهم» (٢).

فإذا تعدت المرأة حدودها ونزعت برقع حيائها وتجاسرت على الرجل، كانت أحق بالعقوبة من إمرأة شريرة لا تجسر على ذلك. قالت الشريعة الموسوية : «إذا تخاصم رجلان بعضهما بعضا، رجل وأخوه، وتقدمت إمرأة أحدهما لكى تخلص رجلها من يد ضاربه، ومدت يدها وأمسكت بعورته، فاقطع يدها ولا تشفق عينك» (٣)

(٤) ديانة المفعول به :

هل المفعول به مسيحى أو غير مسيحى، مؤمن أو غير مؤمن ؟

فمن يخدع غير مؤمن شر ممن يخدع مؤمنا لأنه أتلف الإيمان فى نظر البعيدين وكان عثرة فى سبيل خلاصهم، أما من يبر ويسعى لخير واحد من غير المؤمنين فقد صنع فعلا جميلا، وتصرفه يدل على استعداد للخير عظيم، وعلى أنه بسلوكه يريد أن يسبى شعور غير المؤمنين، فعمله يمجد المسيح ويعمل على ذيوع فضائل المسيحيين بين غير المؤمنين ومثل هذا يستحق تشجيعا على عمله.

(٥) المفعول به وحصانته المادية :

إن من يخطئ إلى فتاة فى رعاية زوج أو أب، شر ممن يخطئ إلى فتاة بغير زوج أو أب أو أخ. ومن يخطئ إليها وهى تأبى، شر ممن يخطئ إلى فتاة ترضى ذلك لأن رغبته فى الشر قويت حتى إنه سعى وبذل جهدا فى قهرها على الخطأ على الرغم من إرادتها.

قالت الشريعة : «وإذا وجد رجل مضطجعا مع إمرأة زوجة بعل يقتل الإثنان الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة، فتنزع الشر من إسرائيل».

---

(١) لا ٢٠ : ١٣، لا ١٨ : ٢٢، ١. كو ٦ : ٩، ١. تى ١ : ١٠

(٢) رو ١ : ٢٧

(٣) تث ٢٥ : ١١، ١٢

«إذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة فأمسكها واضطجع معها، فوُجدا، يعطى الرجل الذى اضطجع معها لأبى الفتاة خمسين من الفضة، وتكون هى له زوجة من أجل أنه قد أذلها، لا يقدر أن يطلقها كل أيامه» (١). أما من ينجو من فخ فتاة أرادت أن يصنع بها شرا فهو خير ألف مرة ممن ينجو من الإثم لعائق خارجى.

(٦) المركز المالى للمفعول به :

من يسرق من فقير شر ممن يسرق من غنى، لأن الفقير معوز ومحتاج، والسرقة من الفقير إختلاس وسلب لضروريات حياته، فهى جريمة تدل على نذالة وعلى إنعدام الشعور الإنسانى فى مرتكبها.

ومن يحترم فقيرا ويكرمه ويكلمه بأدب ولياقة خير ممن يحترم غنيا، لأن من يفعل ذلك هو فى الحقيقة نبيل شريف لا يهاب الغنى لغناه ولا يحتقر الفقير لفقره. وإنما له مقاييس أخرى باطنية أعمق وأغور من المقاييس المادية، ولهذا فثوابه أعظم.

(٧) المفعول به ومركزه الروحى :

إن الذى يعتدى أو يسئ إلى سمعة الكاهن شر ممن يسئ إلى سمعة العامىّ (أحد أفراد الشعب) لأن الكاهن ذو مركز روحى أرفع من مركز العامى (العلمانى) فالشخص الذى يهينه أكثر درجة فى رذيلة الإستهتار، إذ هو بالطبع لن يتورع عن إهانة العامى فضلا عن الكاهن، ولأنه يوجد أشخاص يشتمون الآخرين ولكنهم يوقرون الكهنة فهم أقل شرا من الأولين.

كذلك من يسرق أموال الكنيسة شر ممن يسرق مال أحد آخر، ومن يلعن القديسين (كهنة أو غير كهنة) شر جدا ممن يلعن الأشرار أو على الأقل عامة الناس، لأنه لا يمكن أن يصل إلى هذه الحالة إلا بعد أن يكون قد ملك عليه الشر والخبث فأصبح له طبيعة ثانية، كما أن من يكذب على الكاهن ليس كمن يكذب على غير الكاهن. ففى هذه الجريمة وقع حنانيا وزوجته سفيرة إذ إختلسا من ثمن الحقل وكذبا على الرسول القديس بطرس. «فقال بطرس (له) : ياحنانيا، لِمَ استولى الشيطان على قلبك لتكذب على الروح القدس وتختلس (جزءا) من ثمن الحقل. فإذا

---

(١) تث ٢٢ : ٢٢ ، ٢٨ ، ٢٩ ، خر ٢٢ : ١٦ ، ١٧

احتفظت به أما كان بقى لك، وإذ بعته أما كان فى حيازتك (أن تحتفظ بثمنه) فكيف أمكن أن ينفذ هذا (الأمر) إلى قلبك ؟ إنك لم تكذب على الناس بل على الله» (١).

أما من يحتمل تصرفات الأشرار معه بصبر فهو مستحق للثواب أكثر ممن يعايش قديسين لا يستمع منهم أشياء تثير الحقد أو الغيظ أو الغضب.

(٨) المفعول به ومركز القرابة :

فمن يزنى بقريبة له شر ممن يزنى بغريبة، لأنه نجس قريبته وأساء إلى عائلته. وإذا كان الزواج وهو مقدس لا يحلّ بين ذوى القربى فى بعض الحدود، فكيف لا يكون خطأ الزنى بالقريبة أعظم ؟؟

وكلّما كانت القرابة شديدة كان الخطأ أعظم، ذلك أنه يدل على سوء نظرة صاحبه وعلى فساد سريرته وإيغاله فى الأفكار الشريرة، وعلى خيانة لعمه أو خاله أو قريبه فى إبنته أو إمرأته.

قالت الشريعة : «وإذا زنى رجل مع إمرأة، فإذا زنى مع إمرأة قريبة فإنه يقتل الزانى والزانية، وإذا اضطجع رجل مع إمرأة أبيه فقد كشف عورة أبيه، إنهما يقتلان كلاهما، دمهما عليهما. وإذا اضطجع رجل مع كنته، فإنها يقتلان كلاهما، قد فعلا فاحشة، دمهما عليهما.. وإذا اتخذ رجل إمرأة وأمها فذلك رذيلة. بالنار يحرقونه وإياهما لكى لا يكون رذيلة بينكم. وإذا أخذ رجل اخته بنت أبيه أو بنت أمه ورأى عورتها ورأت هى عورته، فذلك عار. يقطعان أمام أعين بنى شعبهما، قد كشف عورة أخته، يحمل ذنبه.. عورة أخت أمك أو أخت أبيك لا تكشف. أنه قد عرّى قريبته، يحملان ذنبهما، وإذا اضطجع رجل مع إمرأة عمّه فقد كشف عورة عمّه، يحملان ذنبهما، يموتان عقيمين، وإذا أخذ رجل إمرأة أخيه فذلك نجاسة، قد كشف عورة أخيه، يكونان عقيمين» (٢) «ملعون من يضطجع مع إمرأة أبيه لأنه يكشف ذيل أبيه.. ملعون من يضطجع مع أخته بنت أبيه أو بنت أمه.. ملعون من يضطجع مع حماته» (٣).

---

(١) أع ٥ : ٣، ٤

(٢) لا ٢٠ : ٩ – ٢١

(٣) تث ٢٧ : ٢٠، ٢٢، ٢٣، تك ٣٥ : ٢٢، لا ١٨ : ٨– ١٨، تث ٢٢ : ٣٠، أر ٥ : ٨ ، حز ١٨ : ١١ ، حز ٢٢ : ١١ ، عا ٢ : ٧. يو ٨ : ٤، ٥ ، ١. كو ٥ : ١

ويجرى مجرى القرابة الجسدية، القرابات الروحية كالأشابين فى المعمودية والزواج وما إلى ذلك من علاقات الصداقة، فإن من يكسر قدسية هذه الروابط ليس كمن يزنى مع من لا تربطه روابط روحية شرعية أو إعتبارية.

كذلك المرأة التى تدبر مؤامرة لفضيحة زوجها أو أبيها أو أخيها أو قريبها، أو تشهر بأحد منهم شر من إمرأة تضر بغير زوجها أو قريبها، لأنها حينئذ تكون إمرأة داعر غير مبالية ومستهترة متمردة وليست مؤذية فقط.

ومن يسّب أباه أو يضربه شّر ممن يسئ إلى شخص آخر لأن من يسئ إلى والديه اللذين ربياه وبذلا من أجله حياتهما لن يتورع عن إهانة أى شخص آخر، وهى مرتبة لن يصل إليها غير الأشرار الشرسين. قالت الشريعة القديمة: «كل إنسان سّب أباه أو أمه فإنه يقتل، قد سّب أباه أو أمه، دمه عليه» (١) «ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا.. ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلا» (٢) .. «ملعون من يستخف بأبيه أو أمه» (٣) «إذا كان لرجل ابن معاند ومارد لا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ويؤدبانه فلا يسمع لهما، يمسكه أبوه وأمه ويأتيان به إلى شيوخ مدينته وإلى باب مكانه ويقولان لشيوخ مدينته، إبننا هذا معاند ومارد لا يسمع لقولنا وهو مسرف وسكير، فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت، فتنزع الشر من بينكم ويسمع كل إسرائيل ويخافون» (٤) .. «من سّب أباه أو أمه ينطفئ سراجه فى حدقة الظلام» (٥)

أما من يحسن إلى غريب ويلاطفه ويكرمه ويعينه ويخدمه ويحتمله فهو مستحق لثواب أكثر ممن يحسن إلى قريبه فقط، ذلك أن الإهتمام بالقريب أمر طبيعى (٦) أما العناية بالغريب فدليل على التمكن فى فضيلة المحبة ودليل على رقة الشعور والشهامة والنبل والميل إلى الإحسان والمعروف.

يجب إذن على المرشد أو الكاهن أن يتحقق من نسبة المفعول به إلى الفاعل من حيث القرابة الجسدية والروحية ودرجة هذه القرابة، قبل أن يحكم على الفاعل وقبل أن يحدد مدى مسئوليته فى فعله.

---

(١) لا ٢٠: ٩
(٢) خر ٢١: ١٥، ١٧
(٣) تث ٢٧: ١٦
(٤) تث ٢١: ١٨ – ٢١
(٥) أم ٢٠: ٢٠، خر ٢٠: ١٢، لا ١٩: ٣، مت ١٥: ٤
(٦) ١ . تى ١٥: ٨

(٩) المفعول به ومركزه الأدبى: إن من يسب أو يشتم أو يهين شخصا يحترمه الناس لفضله أو حسن سلوكه أو علو نفسه أو صالح أعماله شر ممن يهين رجلا عاديا، ذلك لأنه أهان فى شخصه جميع المعجبين به، فقد صار إذن مخالفا وعدوا لكثيرين وللفضيلة ذاتها.

وأما من يسلك بنزاهة وشرف وهمة عالية مع إنسان عادى فهو أفضل ممن لا يسلك كذلك إلا مع ذوى المركز الأدبى الرفيع خوفا منهم أو إجلالا لهم أو إنسياقا مع شعور الناس نحوهم، لأن من يصنع الخير للجميع حتى لو لم يكونوا من ذوى المركز الأدبى فقد دل على أصالة فى الفضل وعمق إيمان بالكمال الخلقى مع جميع الناس..

(١٠) المفعول به ومركزه الإجتماعى: هل المفعول به يحتل مركزا ساميا فى المجتمع؟ هل هو رئيس أم مرؤوس؟ فكلما كان المركز الإجتماعى رفيعا كان شر المعتدى أكبر لأنه برهان على القحة والجسارة والمخالفة وسؤ الأدب وسلاطة اللسان والتمرد وعدم الخضوع للرؤساء.

وعلى العكس من ذلك إذا كان المرء رقيقا مع مرؤسيه صادقا فى وعوده لهم، يبذل جهده فى تحسين حالهم والعطف عليهم والإهتمام بشئونهم المادية والأدبية، عاملا على تدبير وحل مشاكلهم والإنصات إلى شكواهم، فهو مستحق للأجر أكثر مما لو كان جهده منصرفا إلى إرضاء رؤسائه لأنه حينئذ يكون الخير الذى يعمله ليس حبا للخير لذاته بل هيبة للرؤساء وطمعا فى حسن مقابلتهم لصنيعه..

(١١) المفعول به واستعداده الجسمانى: من الناس القوى والضعيف، صحيح البدن أو سقيمه، فإذا قسا الرئيس على السقيم وطالبه بما يطالب به الصحيح القوى، أو إذا عامل السيّد خادمه العليل بمعاملة شاذة فضربه أو منعه من الرقاد، وأخذ قسط من الراحة أو طالبه بإنجاز عمل لا يقوى عليه، فهو شر من رجل يقسو على مرؤوس صحيح البدن.

وأما من يصنع خيرا بسقيم أو عليل فهو خير ممن يصنعه بسليم لأنه إذ ذاك لا يكون فضيلة واحدة بل عدة فضائل مجتمعة.. أى الخير والرحمة واللطف والإحسان والإغاثة والإحتمال.. الخ ومثاله ما فعل قائد المائة بعبده المريض. (١)

(١٢) المفعول به واستعداده النفسانى: من الناس الحليم ومنهم الأحمق ومنهم رقيق الإحساس ومنهم بليد الشعور، فلو أنك جرحت شعور الحساس لكان شرك أعظم مما لو فعلت ذلك

---

(١) لو٧: ١ – ١٠

نحو البليد، إذ الحساس كان يمكنك أن تبلغه قصدك بالتلميح أو بقسمات الوجه ونظرات العيون دون الحاجة إلى التصريح أو التوبيخ بألفاظ جافية نابية.

أما الذى يستطيع أن يتفاهم مع الأحمق ويمكنه أن يؤثر عليه ويحمله على أمر، فهذا أفضل ممن يمكنه أن يتفاهم فقط مع رجل حليم واسع الصدر حكيم.

(١٣) **المفعول به واستعداده العقلى**: ومن الناس الذكى ومنهم الغبى، فإذا ضقت ذرعا بإيصال فكرة ما إلى الذكّى، فهذا يدل على ضيق صدرك. وليس خطأك كخطأ رجل قد ضاق صدره عن إحتمال غبى.

أما إذا احتملت الغبّى وأطلت أناتك عليه واستطعت أن تبلغه الحق الذى فى نفسك حتى فهمه وأجاده، كان استحقاقك الثواب أكبر لأن إحتمالك وصبرك عظيم ولن ينال هذا الثواب شخص وصل إلى نفس النتيجة مع شخص ذكى.

(هـ) الفعل .. (ماذا) ؟

يجب كذلك أن نفحص الفعل ذاته من حيث حقيقته، ثم من حيث نتيجته وأخيرا من حيث كيفيته.

(١) من حيث حقيقته:

أ - **الصورية**: ما هو الفعل وما هى حقيقته وإلى أى مدى يعتبر موافقا أو مخالفا للوصية الأولى أو الثانية أو الثالثة.. إلى العاشرة. وهل نُصّ على الفعل فى الوحى المسطور سواء بالأمر به أو النهى عنه أم أنه يدخل ضمن نطاق الفعل المنصوص عنه (كالقتل والحسد) ؟ وهل الفعل فضيلة أو رذيلة أصلية أم فضيلة أو رذيلة فرعية (كعبادة الله فى الحالة الأولى والأنانية فى الثانية) ؟ وهل يعد الفعل موافقا أو مخالفا لوصية ما من وصايا الشريعة الأدبية، أو يعتبر إتماما أو خروجا على اللياقة وأداب الكمال (كالكذب فى الحالة الأولى والهزل فى الثانية) ؟ وهل الفعل يبدو خيرا أو شرا بصورة يقينية أم بصورة محتملة ؟ وهل هو فضيلة أو رذيلة حقيقية أم فضيلة أو رذيلة وهمية ؟. ثم هل الفعل خير أو شر إيجابى (كالرحمة فى الحالة الأولى، والقتل فى الحالة الثانية) ؟ أم هو خير أو شر سلبى (مثل نسيان الإساءة فى الأولى، وإهمال الواجب فى الثانية). وأخيرا هل الفعل يوافق أو يضاد القانون الطبيعى أم القانون الإلهى (الكتابى أو الكنسى) أم القانون أو النظام الإجتماعى ؟.

ب - **النوعية**: هل الفعل فضيلة أو رذيلة مباشرة أم غير مباشرة، مقصودة لذاتها أم ناجمة عن فعل آخر - (كالتجديف على المسيح باللسان، أو بالسلوك المشين)؟ وهل الفعل فضيلة أو رذيلة أولى أو فضيلة أو رذيلة متكررة؟؟ وهل هو فضيلة أو رذيلة إيمانية أم فضيلة أو رذيلة سلوكية؟؟ (فإنكار لاهوت المسيح رذيلة إيمانية، ولكن الطمع رذيلة سلوكية)، وهل الفعل فضيلة أو رذيلة مبتدعة أم فضيلة أو رذيلة جارية؟ (فاستخدام الحيوانات كالقردة مثلا فى السرقة رذيلة مبتدعة فى الأيام الأخيرة بالنسبة للسبل الجارية).

وهل الفعل خطيئة تفريط أو إفراط؟ (فإهمال الصلاة تفريط والإهتمام برضى الناس إفراط).

وهل الفعل خطيئة عنادية أو ضلالية؟ (والخطيئة الضلالية هى ما ارتكبت بجهل وبغير معرفة، وأما العنادية فهى ما ارتكبت عن علم ودراية واقتناع بشّرها. الأولى عرضية، والثانية مميتة).

ثم هل الفعل فضيلة أو رذيلة كاملة أم ناقصة. فإشتهاء الفعل فضيلة أو رذيلة ناقصة؟ ولكن إتمامه فضيلة أو رذيلة كاملة وفى هذا يقول الرسول: «فإذا حبلت الشهوة ولدت خطيئة، وإذا كملت الخطيئةأنتجت موتا» (١)

(٢) **من حيث نتيجته**: هل الفعل - خيرا كان أم شرا - بسيط أو مركب، واحد أو متعدد؟ (والفعل البسيط كالكذب العقيم، والفعل المركب كنظرة داود الشريرة التى أدت إلى إرتكابه خطيئة الزنى بإمرأة أوريا، ثم قتل أوريا نفسه، وما ينطوى عليه قتل أوريا من ظلم وغدر وخيانة وخداع.. الخ

وهل الفعل - خيرا كان أو شرا - مفيد أو مضّر بالفاعل أو بغيره؟ (فإن الزنى بالفكر يضر بصاحبه أو بفاعله، أما الزنى بالفعل فيضر بالفاعل وبغيره أيضا).

وهل الفعل - خيرا كان أو شرا - مفيد أو مضر لواحد أو لكثيرين؟ (فإن شتم رجل أو أهين فالشر واقع على شخصه، أما إذا قتل رجل متزوج منجب فإن الفعل أضر لا بفرد واحد بل بأفراد كثيرين، هم زوجته وأولاده).

(٣) **من حيث كيفيته**: هل الفعل - خيرا كان أو شرا - كان فعلا ذاتيا أو خارجيا، أى هل صدر الفعل نتيجة إختمار أو نتيجة إغراءات ودوافع خارجية؟ (فالرحمة من تلقاء النفس فعل ذاتى، أما الرحمة إنسياقا لأفعال الغير أو تمشيا معهم ومجاراة لهم فعل خارجى).

---

(١) يع ١: ١٥.

هل الفعل نفسانى أو جسدى أو نفسى جسدى؟ أى هل الفعل صدر عن النفس أم عن الجسد أم عن النفس والجسد معا؟ (فالصفح أو الكراهية فعل نفسانى، والقتل غير العمد فعل جسدانى، والقتل العمدى فعلا نفسانى جسدانى) وهل الفعل - خيرا كان أو شرا - شوقى أو عرضى؟ (فالحسد فعل شوقى بينما الحلف - على الأخص بالنسبة للمعتادين عليه فعل عرضى).

هل الفعل بحسن نية أو بسوء نية؟ (فإهانة شخص لآخر قد تكون بحسن نية إذا كانت توجيه عبارة أو لفظ فى غير موضعه. ولكن الغدر والخبث فعل بسوء نية).

هل الفعل - خيرا كان أو شرا - صدر بجهد أو بغير جهد. (فالصوم النسكى فعل بجهد ولكن الصدقة عن سعة فعل بغير جهد).

هل الفعل - خيرا كان أو شرا - صنع فى الخفاء أو فى العلانية؟

هل الفعل - خيرا كان أو شرا - صنع بالفكر. أو بالقول أو بالعمل؟

فإذا ما تساءلنا على هذا النحو المتقدم، اتضح لنا أن الأفعال الأدبية ليست واحدة وإنما هى تختلف عن بعضها، بحيث إن حكمنا على أى فعل لا يكون صائبا ما لم نتحقق منه ومن نتائجه والملابسات التى أحاطت به، فضلا عن إرتباطه بطبيعة الحال، بالفاعل والمفعول به، وسائر الظروف الشخصية التى تكلمنا عنها، والظروف الزمانية والمكانية التى ستتكلم عنها فيما يلى.

(٦) المكان: (أين)؟

لبعض المواضع قدسية وحرمة يجب مراعاتها ولذا فإن الجريمة التى ترتكب فى هذه المواضع جريمة نكراء تفوق فى شناعتها وجسامتها وثقل وزرها على الجريمة التى ترتكب فى غير هذه الأماكن المقدسة. فمن يزنى بمنازل الأفاضل أو مواضع القديسين أو فى الكنائس أو دور العبادة أو الهياكل أو الأديرة، ليس كمن يزنى فى بيوت الدعارة وأماكن الفسق والفجور.

قال الكتاب عن أولاد عالى: «وشاخ عالى جدا، وسمع بكل ما عمله بنوه بجميع إسرائيل وبأنهم كانوا يضاجعون النساء المجتمعات فى باب خيمة الإجتماع، فقال لهم لماذا تعملون مثل هذه الأمور، لأنى أسمع بأموركم الخبيثة من جميع هذا الشعب. لا يابنى لأنه ليس حسنا الخبر الذى أسمع. تجعلون شعب الرب يتعدون. إذا أخطأ إنسان إلى إنسان يدينه الله، فإن أخطأ إنسان إلى الرب فمن يصلّى من أجله، ولم يسمعوا لصوت أبيهم..»

وجاء رجل الله إلى عالى وقال له: «هكذا يقول الرب.. هوذا تأتى أيام أقطع فيها ذراعك وذراع بيت أبيك.. وهذه لك علامة تأتى على إبنيك حفنى وفينحاس، فى يوم واحد يموتان كلاهما.. وأقيم لنفسى كاهنا أمينا يعمل حسب ما بقلبى ونفسى، وأبنى له بيتا أمينا فيسير أمام مسيحى كل الأيام» (١)

«فقال الرب لصموئيل هوذا أنا فاعل أمراً فى إسرائيل، كل من سمع به تطن أذناه، فى ذلك اليوم أقيم على عالى كلّ ما تكلمت به على بيته. ابتدئ وأكمّل وقد أخبرته بأنى أقضى على بيته إلى الأبد من أجل الشر الذى يعلم أن بنيه قد أوجبوا به اللعنة على أنفسهم ولم يردعهم. ولذلك أقسمت لبيت عالى أنه لا يكفر عن شر بيت عالى بذبيحة أو بتقدمة إلى الأبد» (٢).

وهكذا من يسرق أو يختلس أو يظلم أو يكذب أو يشتم أو يجدّف أو يسكر فى المواضع المقدسة ليس كمن يفعل ذلك فى مكان آخر. ولذا تغيّظ الرب ونهض بقوة عظيمة يقاوم الشرور التى كانت ترتكب فى الهيكل المقدس قائلا: «بيتى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة للصوص» (٣) وقد أوصى رجال الله بوجوب الحرص على كرامة الأماكن الطاهرة كالأديرة والكنائس والهياكل ومن أقوال القديس الأنبا شنودة «لا تنجسوا بيوت الله وهياكله ولا تملأوها من الزوانى».

(٧) الزمان: (متى؟)

يجب على المرشد أن يتحقق أيضا من زمان الفعل، فإن هناك أزمنة معينة قد خصها الشرع بعناية شديدة، واعتبر الخطأ فيها أفدح وأعظم مما لو ارتكب فى أزمنة غيرها، نظرا لقدسية هذه الأيام وجلال المعانى التى ارتبطت بها مثل أيام الأصوام والآحاد والأعياد السيدية وأعياد الملائكة والقديسين، فإن من يزنى أو يظلم أو يخاصم أو يقتل فى هذه الأيام متغافلا عن كرامتها وقدسيتها متلهيا بالشر والحقد والفساد عن التأمل فى مناسبات وحوادث هذه الأيام العظيمة، هو فى الحقيقة شر ممن يصنع هذه الأمور فى غير هذه الأيام وهو أولى بتأديبات أشد لينتبه إلى عظم شره.

وإذا كانت الشريعة اليهودية والمسيحية تحّذر من الإتصالات الجنسية المشروعة فى أيام الأصوام والأعياد السيدية كأيام الآحاد مثلا والليالى التى يشرع المؤمن فى التناول فى نهارها، فكم إذن تكون جريمة من يقدم فيها على الشر غير المشروع؟

(١) ١. صم ٢: ٢٢ ـ ٣٦ (٢) ١. صم ٣: ١١ – ١٤

(٣) مت ٢١: ١٣، أر ٧: ١١

كذلك منعت الشريعة من الإتصال بالمرأة فى وقت أو زمان طمثها سواء كان إتصالا مشروعا أو غير مشروع، لأسباب روحية وأخرى صحّية وتناسلية.

«ولا تقترب من إمرأة فى نجاسة طمثها، لتكشف عورتها» (١)

«واذا اضطجع رجل مع إمرأة طامث وكشف عورتها، وعرى ينبوعها وكشفت هى ينبوع دمها، يقطعان كلاهما من شعبهما» (٢).

«والإنسان الذى كان بارا وفعل حقا وعدلا.. ولم يرفع عينيه إلى أصنام بيت إسرائيل ولم ينجس إمرأة قريبه ولم يقرب إمرأة طامثا» (٣).

«فيك كشف الإنسان عورة أبيه، فيك أذلوا المتنجسة بطمثها» (٤).

---

(١) لا ١٨: ١٩
(٢) لا ٢٠: ١٨
(٣) حز ١٨: ٦
(٤) حز ٢٢: ١٠

الضمير المستقيم أو الصالح

الضمير المستقيم هو الذى يرشد إلى الحق فى وضوح ويقين، بل يمكنه أن يميز فى دقة بين مختلف واجباتنا ويستطيع أن يحدد الخير والشر فى أصغر الأمور شأنا، وكأنه ميزان الذهب فى دقته وحساسيته.

وهو ضمير مستقيم لا من حيث أنه سليم صريح مخلص فقط، بل من حيث أنه أيضا يرشد إلى الحقيقة ذاتها، فلا هو ضيّق مغال ولا هو واسع مسرف، ومن ثَمّ فهو ضمير صالح.

«فتفرس بولس فى المجمع وقال، يا أخوتى، إننى عشت إلى هذا اليوم بكل **ضمير صالح** أمام الله» (١).

«لهذا أيضا أسعى ليكون دائما **ضميرى بلا لوم** أمام الله و(أمام) الناس» (٢).

«لأننا لا نحرّف كلمة الله قط كما (يفعل) الكثيرون، وإنما نتكلم بإخلاص كما من قبل الله وأمام حضرة الله فى المسيح» (٣)

«فإن غاية الوصية هى المحبة (الصادرة) من قلب طاهر، **وضمير صالح**، وإيمان خالص» (٤).

«إن ما أوصيك به، يا ابنى تيموثيوس، طبقا للنبوءات التى قيلت سابقة عليك، هو أن تقوم بواجبك فى هذه الحرب الصالحة محافظا على إيمانك **وضميرك الصالح**» (٥)

«وبالمثل يجب أن يكون الشمامسة وقورين، وألاّ يكونوا ذوى لسانين.. بل يحفظون سرّ الإيمان **بضمير طاهر**» (٦).

«إنى أقدم الشكر إلى الله الذى أخدمه **بضمير طاهر**، كما كان يفعل آبائى» (٧).

«صلوا من أجلنا (عنّا)، لأننا موقنون أن لنا **ضميرا صالحا**، إذ أننا نرغب فى أن نتصرف فى كل شئ (تصرّفا) حسنا» (٨).

وإنما قدّسوا الرب (إلهكم) فى قلوبكم وكونوا دائما على استعداد أن تجيبوا (تردّوا) على كل الذين يسألونكم سبب الرجاء الذى فيكم فى وداعة واحتشام، ولكم **ضمير صالح**، حتى إن الذين يعيبون سلوككم الصالح فى المسيح يخزون مما أشاعوه عنكم كما لو كنتم فاعلى شرّ» (٩).

(فلك نوح) الذى يقابل الآن أو يرمز إلى المعمودية التى تخلصنا: وليست هى تطهيرا من أدناس الجسد، وإنما (هى) الإرتباط **بضمير صالح** أمام الله بقيامة يسوع المسيح» (١٠).

---

(١) أع ٢٣: ١
(٢) أع ٢٤: ١٦
(٣) ٢. كو ٢: ١٧
(٤) ١. تى ١: ٥
(٥) ١. تى ١: ١٨، ١٩.
(٦) ١. تى ٣: ٨، ٩
(٧) ٢. تى ١: ٣
(٨) عب ١٣: ١٨
(٩) ١. بط ٣: ١٥، ١٦
(١٠) ١. بط ٣: ٢١

الضمير الضّال

فالضمير إما أن يكون مستقيما صالحا طاهرا يرشد إلى الحق إرشادا صحيحا وسليما دقيقا وحينئذ يجب على الإنسان أن يسمع له وأن يعمل بإرشاده.

وإما أن يكون ضميرا ضالا (١) وفى ضلاله هذا قد يكون معذورا (٢)، وقد يكون غير معذور (٣) فهو معذور إذا لم يكن فى مقدوره أن يجتنب الخطأ (٤)، ويكون غير معذور إذا كان فى استطاعته أن يجتنب الخطأ ولم يفعل (٥).

ومثال الحالة الأولى، رجل فى أواسط أفريقيا لا يعرف عن شريعة المسيح شيئا، وليس فى استطاعته أن يعرف عنها شيئا لأنه فى بيئة منعزلة عن العالم المسيحى والثقافة المسيحية، فلا يمكن لمثل هذا أن يُسأل عن تطبيق مبدأ مسيحى مادام جاهلا به جهلا لا يستطيع منه خلاصا.

ومثال الحالة الثانية عالم يهودى أو مسلم فى بيئة يمكنه أن يعرف فيها سواء بالقراءة والإطلاع، أو بالبحث والإستقصاء شيئا عن دين المسيح أو شريعته، ولكنه لا يفعل ثم هو يفسّر العقائد المسيحية ويناقشها ويحاول أن يفندها أو يدحضها.

فالضمير فى الحالة الأولى ضلاله عن جهل، ولذلك فهو معذور فى ضلاله ومن ثم يمكن أن يثوب إلى رشده ويرجع عن ضلاله بالتوبة والتكفير عن إثمه:

(١) **الضمير الضال عن جهل**: قال السيد المسيح لتلاميذه: «بل تأتى ساعة يظن كل من يقتلكم أنّه قدّم ذبيحة لله. وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولم يعرفونى أنا» (٦)

وقال القديس بطرس الرسول للشعب اليهودى: «والآن، يا أخوتى، أنى أعلم أنكم فعلتم (ما فعلتم (بالمسيح) جهلا منكم، كما فعل مدبروكم.. فتوبوا إذن وتحوّلوا لكى تمحى خطاياكم» (٧)

وقال الكتاب المقدس: «وكانت كلمة الله تنتشر، ويتزايد جدا عدد التلاميذ فى أورشليم، كما أن جمهورا كبيرا من الكهنة كانوا يطيعون الإيمان» (٨)

وقال القديس بولس الرسول يصف جهل ضلالة: «وحقا أننى كنت أعتقد أنه لم يعد ثمة شئ ينبغى أن أفعله ضدا لاسم يسوع الناصرى» (٩)

---

(١) يسمونه بالفرنسية conscience erronée
(٢) Uncoup able
(٣) coupable
(٤) invinciblement érronée
(٥) vinciblement érronée
(٦) يو ١٦: ٢، ٣
(٧) أع ٣: ١٧ – ١٩
(٨) أع ٦: ٧
(٩) أع ٢٦: ٩

وقال الله تعالى للقديس بولس ليَرد به الضالين عن جهل: «لأنى قد ظهرت لك لأقيمك خادما وشاهدا.. منقذا إياك من هذا الشعب ومن الأمم الذين أرسلك الآن إليهم لتفتح عيونهم ولتنقلهم من الظلام إلى النور، ومن سلطان الشيطان إلى الله، حتى أنه بالإيمان (الذى يكون لهم) فيّ، ينالون غفران خطاياهم و(يشاركون فى) ميراث القديسين» (١).

وقال مار بولس عن اليهود: «يا أخوتى، إن رغبة (دعاء) قلبى وابتهالى إلى الله من أجل الإسرائيليين: أن يخلصوا، لأننى أشهد أن لهم غيرة لله، ولكن (هذه الغيرة) هى بدون معرفة»(٢)

ويقول القديس بولس أيضا عن ضلال الذين صلبوا المسيح بجهلهم «ولكننا نعلن حكمة الله (التى كانت) سرّا، أى أمرا مخفيا كان الله قد أعده قبل الدهور لمجدنا، (الحكمة) التى لم يعرفها أحد من عظماء هذا العالم، لأنهم لو كانوا عرفوها لما كانوا قد صلبوا رب المجد» (٣).

(٢) الضمير الضال عن علم: وأما الضمير الضال الذى كان يمكنه أن يجتنب الخطأ ومع ذلك قد سقط فيه عن علم فلا عذر له فى هذا السقوط، لأنه مصرّ على ضلاله:

قال السيّد المسيح يفرق بين المصرّ على خطئه وبين من يرجع عن غيّه إذا علم به واستنار فيه:

«من أجل هذا أكلمهم بأمثال، لأنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون ولا يفقهون، لتتم عليهم نبوءة أشعياء القائلة: تسمعون سمعا ولا تفقهون ونظرا تنظرون ولا تبصرون، لأنه قد غلظ قلب هذا الشعب وثقلت آذانهم عن السماع، وأغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفقهوا بقلوبهم، ويرجعوا فأشفيهم. أما أنتم فطوبى لعيونكم، لأنها تبصر، ولآذانكم لأنها تسمع» (٤)

على أن صاحب الضمير الضال مسئول عن ضلاله سواء كان ذلك عن علم أو بغير علم، ومع ذلك فهناك تفرقة واضحة بين من يضل فيصر على ضلاله وبين من يسهو ثم يعلم بخطئه، فالأول مرفوض لأنه ازدرى بالشريعة والثانى يصفح عنه بعد أن يكفر عن خطئه.

(أ) حكم الشريعة فى الضلال عن علم أو الضلال المتعمد

«وإذا أخطأ أحد، وسمع صوت حلف وهو شاهد يبصر أو يعرف فإن لم يخبر به حمل ذنبه»(٥)

---

(١) أع ٢٦: ١٦ – ١٨ (٢) رو ١٠: ١، ٢ (٣) ١. كو ٢: ٨
(٤) مت ١٣: ١٣ – ١٦ (٥) لا ٥: ١

«وأما النفس التى تعمل بيد رفيعة من الوطنيين أو من الغرباء، فهى تزدرى بالرب فتقطع تلك النفس من بين شعبها لأنها احتقرت كلام الرب ونقضت وصيّته، قطعا تقطع تلك النفس، ذنبها عليه» (١).

«والرجل الذى يعمل بطغيان فلا يسمع للكاهن الواقف هناك ليخدم الرب إلهك، أو للقاضى، يُقتل ذلك الرجل، فتنزع الشر من إسرائيل فيسمع جميع الشعب ويخافون ولا يطغون بعد» (٢)

«فكانوا يهزأون برسل الله ورذلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائهم حتى ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء» (٣).

«أيضا من المتكبرين احفظ عبدك فلا يتسلطوا علىّ، حينئذ أكون كاملا وأتبرأ من ذنب عظيم» (٤).

«من ازدرى بالكلمة يخرب نفسه» (٥).

«لأنه من غير الممكن لأولئك الذين قد استنيروا مرة، وذاقوا الموهبة السماوية وأصبحوا شركاء الروح القدس واستطابوا كلمة الله الصالحة، وقوات الدهر الآتى، إذا عادوا وسقطوا، أن يقدّموا للتوبة من جديد» (٦).

«لأنه إذا أخطأنا بإرادتنا (باختيارنا) بعد أن قبلنا معرفة الحق، لم تبق لنا بعد ذبيحة عن الخطايا» (٧).

(ب) حكم الشريعة فى السهوات (الخطايا بغير علم)

«فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة. فجاء الله إلى أبيمالك فى حلم الليل وقال له: ها أنت ميت من أجل المرأة التى أخذتها فإنها متزوجة ببعل، ولكن لم يكن أبيمالك قد اقترب إليها. فقال ياسيد أأمة بارة تقتل. ألم يقل هو لى أنها أختى وهى أيضا نفسها قالت هو أخى. بسلامة قلبى ونقاوة يدى فعلت هذا. فقال له الله فى الحلم أنا أيضا علمت أنك بسلامة قلبك فعلت هذا، وأنا أيضا أمسكتك عن أن تخطئ إلىّ، لذلك لم أدعك تمسها. فالآن ردّ إمرأة الرجل فإنه نبىّ فيصلّى

---

(١) عدد ١٥: ٣٠، ٣١
(٢) تث ١٧: ١٢، ١٣
(٣) ٢. أى ٣٦: ١٦
(٤) مز ١٩: ١٣
(٥) أم ١٣: ١٣
(٦) عب ٦: ٤ – ٦
(٧) عب ١٠: ٢٦

لأجلك فتحيا، وإن كنت لست تردّها، فاعلم أنك موتا تموت أنت وكل من لك.. فأخذ أبيمالك غنما وبقرا وعبيدا وإماء وأعطاها لإبراهيم، وردّ إليه سارة إمرأته» (١).

«إذا أخطأت نفس سهوا (فى شئ) من جميع مناهى الرب التى لا ينبغى عملها وعملت واحدة منها. إن كان الكاهن الممسوح يخطئ لإثم الشعب يقرب عن خطيته التى أخطأ ثورا ابن بقر صحيحا للرب ذبيحة خطية...» (٢).

«وإن سها كل جماعة إسرائيل، وأخفى أمر عن أعين المجمع، وعملوا واحدا من جميع مناهى الرب التى لا ينبغى عملها وأثموا، ثم عرفت الخطية التى أخطأوا بها، يقرب المجمع ثورا ابن بقر ذبيحة خطية..» (٣).

«إذا أخطأ رئيس وعمل بسهو واحدة من جميع مناهى الرب إلهه التى لا ينبغى عملها وأثم، ثم أُعلم بخطيته التى أخطأ بها، يأتى بقربانه تيسا من المعز ذكرا صحيحا...» (٤)

«وإن أخطأ أحد من عامة الأرض سهوا بعمله واحدة من مناهى الرب التى لا ينبغى عملها وأثم، ثم أُعلم بخطيته التى أخطأ بها، يأتى بقربانه عنزا من المعز أنثى صحيحة عن خطيته التى أخطأ.. وإن أتى بقربانه من الضأن ذبيحة خطية يأتى بها أنثى صحيحة» (٥).

«وإذا مس أحد شيئا نجسا جثة وحش نجس، أو جثة بهيمة نجسة أو جثة دبيب نجس، وأخفى عنه، فهو نجس ومذنب. أو إذا مسّ نجاسة إنسان من جميع نجاساته التى يتنجس بها، وأخفى عنه، ثم علم، فهو مذنب. أو إذا حلف أحد مفترطا بشفتيه للإساءة أو للإحسان من جميع ما يفترط به الإنسان فى اليمين.. وأخفى عنه، ثم علم، فهو مذنب فى شئ من ذلك. فإن كان يذنب فى شئ من هذه، يقّر بما قد أخطأ به، ويأتى إلى الرب بذبيحة لإثمه عن خطيتة التى أخطأ بها أنثى من الأغنام: نعجة أو عنزا من المعز ذبيحة خطية فيكفر عنه الكاهن من خطيته، وإن لم تنل يده كفاية لشاة، فيأتى بذبيحة لإثمة الذى أخطأ به يمامتين أو فرخى حمام إلى الرب، أحدهما ذبيحة خطية والآخر محرقة.. وإن لم تنل يده يمامتين أو فرخى حمام فيأتى بقربانه عما أخطأ به عشر الإيفه من دقيق قربان خطية، لا يضع عليه زيتا ولا يجعل عليه لبانا

---

(١) تك ٢٠: ٢ – ١٤
(٢) لا ٤: ٢ – ١٢
(٣) لا ٤: ١٣ – ٢١
(٤) لا ٤: ٢٢ – ٢٦
(٥) لا ٤: ٢٧ – ٣٥

لأنه قربان خطية.. فيكفر عنه الكاهن من خطيته التى أخطأ بها فى واحدة من ذلك فيصفح عنه» (١).

«و.. إذا خان أحد خيانة وأخطأ سهوا فى أقداس الرب، يأتى إلى الرب بذبيحة لإثمه: كبشا صحيحا من الغنم بتقويمك من شواقل فضة على شاقل القدس ذبيحة إثم. ويعوّض عما أخطأ به من القدس ويزيد عليه خُمْسَهُ ويدفعه إلى الكاهن، فيكفر الكاهن عنه بكبش الإثم فيصفح عنه» (٢).

«وإذا أخطأ أحد وعمل واحدة من جميع مناهى الرب التى لا ينبغى عملها، ولم يعلم، كان مذنبا وحمل ذنبه، فيأتى بكبش صحيح من الغنم بتقويمك ذبيحة إثم إلى الكاهن، فيكفر عنه الكاهن من سهوه الذى سها وهو لا يعلم فيصفح عنه» (٣)

«وإذا سهوتم ولم تعملوا جميع هذه الوصايا التى كلّم بها الرب موسى،... فإن عمل خفية عن أعين الجماعة سهوا، يعمل كل الجماعة ثورا واحدا ابن بقر محرقة لرائحة سرور للرب مع تقدمته وسكيبه كالعادة وتيسا واحدا من المعز ذبيحة خطية.. فيكفر الكاهن عن كل جماعة بنى إسرائيل فيصفح عنهم، لأنه كان سهوا. فإذا أتوا بقربانهم وقودا للرب وبذبيحة خطيتهم أمام الرب لأجل سهوهم، يصفح عن كل جماعة بنى إسرائيل، والغريب النازل بينهم لأنه حدث لجميع الشعب بسهو.

وإن أخطأت نفس واحدة سهوا، تقرب عنزا حولية ذبيحة خطية، فيكفر الكاهن عن النفس التى سهت عندما أخطأت بسهو أمام الرب للتكفير عنها فيصفح عنها. للوطنى فى بنى إسرائيل وللغريب النازل بينهم تكون شريعة واحدة، للعامل بسهو» (٤)

«فتعينون لأنفسكم مدنا تكون مدن ملجأ ليهرب إليها القاتل الذى قتل نفسا سهوا لبنى إسرائيل وللغريب وللمستوطن فى وسطهم تكون هذه الست المدن للملجأ لكى يهرب إليها كل من قتل نفسا سهوا» (٥).

«السهوات من يشعر بها. من الخطايا المستترة أبرئنى» (٦)

«ولا تقل أمام الملاك أنه سهو، لماذا يغضب الله على قولك ويفسد عمل يديك» (٧).

---

(١) لا ٥: ٢ – ١٣ (٢) لا ٥: ١٤ – ١٦ (٣) لا ٥: ١٧ – ١٨
(٤) عدد ١٥: ٢٢ – ٢٩ (٥) عدد ٣٦: ١١، ١٥ (٦) مز ١٩: ١٢
(٧) جا ٥: ٦، تك ٤٣: ١٢، جا ١٠: ٥

الضمـــــــــير

بين ظلمة الشك ونور اليقين

الإرادة قوة صماء عمياء بكماء تفتقر إلى الضمير تستوحيه وتستهديه، ولكن الضمير قد يكون واثقا من حقيقة الفعل وصوابه فيمكن أن يصدر عليه حكما بالخير أو بالشر، وهو مطمئن واثق بصحة أحكامه وعدالة إجرائه سواء كان حكمه صحيحا أو غير صحيح فى ذاته. ويسمى الضمير فى هذه الحالة بالضمير الموقن أو الضمير الواثق.

لكنه فى أحيان أخرى تتنازعه عوامل الشك والريبة، فيقف حائرا لا يدرى أين مواضع الحق من الباطل والخير من الشر، ويسّمى حينئذ بالضمير الشاك أو الضمير المرتاب.

أفهل ينتزع الضمير من بين شكوكه رأيا كيفما اتفق ويسلك بموجبه حتى يخرج من الحيرة والارتباك؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل يجرى هذا الإختيار على غير قاعدة أو أساس؟ وهل هذا أسلوب أو منهج يخلو أو ينجو من التبعة أو المسئولية؟

إن الضمير إذا كان على يقين من حكمه - حتى لو كان على ضلال - فلا جُناح عليه إذا هو أرشد الإنسان إلى الفعل، ولا جناح على الإنسان أن يفعل وفقا لضميره قال الرسول: «سعيد من لا يلوم نفسه على شئ يراه فى نفسه صوابا» (١)، فمن يكذب معتقدا أنه يصنع خيرا لقريبه بانقاذه من شر يصيبه. قد أطاع صوت ضميره وقد فعل خيرا على الرغم من أنه ارتكب شرا بجهله وهو الكذب. ومن اعتقد فى يوم الخميس أنه الجمعة ومع ذلك أفطر فيه (فيما عدا الأعياد السيدية الكبرى وأيام الخمسين) فقد أخطأ لأنه فعل ضد ضميره، وأما من اعتقد فى يوم الأربعاء أنه الثلاثاء ثم أفطر فيه، لم يخطئ ضد ضميره وإنما أخطأ ضد الشريعة. والخطأ ضد الضمير أعظم من الخطأ ضد الشريعة لأن الضمير هو القاعدة القريبة للحياة الأخلاقية.

وإذن فعلى الإنسان أن يخضع لضميره فى كل ما يأمره به أو ينهاه عنه مادام الضمير واثقا من صواب حكمه. بل يجب على الإنسان ألا يخرج عن اقتناع ضميره أبدا لأن خروجه على الضمير حتى لو كان موافقا للصواب فى ذاته فإنه يعد مخالفة لمقياس الخير والشر فى الإنسان وهو ما يدان عليه. هذا وإنه لن يثاب على مخالفته ولو كان فى ذلك موافقا للحق فى ذاته. لأنه عندما فعل لم يفعل إبتغاء للحقيقة بل مخالفا لوحى الضمير وإرشاده طلبا لمنفعة أو إنسياقا وراء إستحسان أحد أو بعض من الناس. خذ لذلك مثلا:

---

(١) رو ١٤: ٢٢

شاب محب لله يميل إلى العبادة وضرورة التقشف. كان يصوم جميع الأصوام التى فرضتها الكنيسة. ومن بينها الأربعاء والجمعة من كل أسبوع ولم يكن قد وصل إلى علمه أن أيام الخمسين المقدسة يحرم فيها الصوم لأنها أيام إبتهاج بالقيامة المجيدة لمخلص العالم. لذلك أصرّ على الصوم. ومع أن بعضا من أفراد عائلته نصحوه بترك الصوم فى أيام الخمسين إلا أنه ظن ذلك منهم إشفاقا عليه قياسا على ماضى تصرفاتهم فى محاولة منعه عن الصوم. فظل يصوم دون أن يكون فى قلبه شك من جهة صحة مسلكه. إلى أن افتقده الكاهن فى بيته، ولما طرح أفراد المنزل هذه المسألة على الكاهن، أجاب: بأن الكنيسة قد منعت الصوم والتذلل فى هذه الأيام منعا باتا. فأصغى الفتى إلى كلمات الكاهن، وأقر بجهله ولم يعد إلى الصوم فى هذه الأيام وصار يعتبر الصوم فيها خطأ. وأخذ يحذر نظائره الجاهلين بقوانين الكنيسة من أن يرتكبوا هذا الأمر المحظور.

فهذا الشاب لم يقصد سوى الفضيلة بصومه. ولقد كان ضميره يدعوه إلى الصوم بإلحاح تقديسا لأمر الكنيسة وإتماما للفضيلة وتعبدا لله. ولئن كان حقا أنه على ضلال فى مباشرة الصوم فى أيام الخمسين المقدسة، إلا أنه لم يكن لضميره دراية بذلك. وإنما كان هو مقتنعا بحسب ضميره بوجوب الصوم. أما تحذير أهل البيت له، فلم يكن كافيا لضميره من حيث عدم الوثوق بعلمهم أو بصدق مشورتهم. فلا قيمة لتحذيرهم عنده لأنه كان مقتنعا تمام الإقتناع ولم يتطرق إليه شك فى وجوب الصوم. لذلك، فلا خطأ عليه فى صومه حتى الساعة التى أعلمه فيها الأب الكاهن بخطأ الصوم فى أيام الخمسين. ولو هو أحلّ صومه عن غير إقتناع إنسياقا لرأى أهل بيته أو خوفا من هزؤهم به أو فشلا من مقاومتهم، لكان إفطاره خطأ، لأنه إذ ذاك يكون قد فعل بغير رضى ضميره .. لو كان خطر لباله شك ما فى صواب فعله أو أرشده ضميره إلى وجوب استشارة الكاهن ولم يفعل بل أصر على الفعل رغما عن الشك، لكان تصرفه خطأ. وفى هذا يقول الرسول «ولكن من يشك (إذا كان يجوز له أن يأكل لحما)، يكون مدينا لو أنه أكل (منه)، لأنه لم يأكل منه بإيمان، وكل مالا (يفعل) بإيمان فهو خطية» (١).

ومع ذلك لا ننسى أن ننبه إلى إن الشاب وإن كان لم يخطئ بالنسبة لضميره إلاّ أنه أخطأ بالنسبة للشريعة التى كان يجهلها، وعلى ذلك يتحتم عليه بعد أن علم بخطئه أن يعترف به على الكاهن بإعتباره خطأ صدر منه «بغير معرفة» كما يحصل عادة فيما لو أخطأ بعض الناس

(١) رو ١٤: ٢٣.

وتعدى على قانون من قوانين الدولة على غير علم منه، فإنه لابد أن يعتذر عن فعله أو تعديه فينال البراءة والصفح من ذوى السلطة العشرفين على تطبيق قوانين البلاد.

وها هو شاول الطرسوسى يضطهد المؤمنين بالمسيح، وهو يعلم أن دين المسيح بدعة باطلة تناوئ دين اليهود أو دين السماء.

وما كان شاول يشك أبدا فى صواب مسلكه إلى أن أنار الله ذهنه وعرف حقيقة دين المسيح بإعتباره مكملا لدين إسرائيل. وحينئذ بدأ يتحول ويجاهر بخطأ تصرفاته الأولى، وأخذ يدعو اليهود والأمم إلى الدين المسيحى معترفا بضلاله الأول ونادما على معاملته القاسية لجمهور المسيحيين.

أما أنه كان مقتنعا فى مبدأ الأمر بأنه على حق فى اضطهاده للمسيحيين، وأن ذلك من فيض غيرته لله، فهذا ما يتضح من قوله لليهود: «أنا (رجل) يهودى، ولدت فى طرسوس بكيليكية، ولكننى نشأت فى هذه المدينة (أورشليم) عند قدمى غمالائيل، وتهذبت على المنهج الأدق (فى مراعاة) شريعة أبائنا، وكنت غيورا لله، كما أنتم (غيورون) جميعكم اليوم. وقد اضطهدت هذا المذهب حتى الموت، وأوثقت كثيرين من الرجال والنساء وأودعتهم السجن، كما يشهد لى (بذلك) رئيس الكهنة وكل مجمع الشيوخ» (١). وقوله: «إذا كان أحد يعتقد أن له ما يرتكن عليه فى الجسد. فإن لى أنا أيضا بالأكثر، (أنا الذى) ختنت فى اليوم الثامن، من جنس إسرائيل، من قبيلة بنيامين، عبرانى من (سلالة) العبرانيين، فريسى فيما يتصل بالناموس، ومن جهة الغيرة قد اضطهدت الكنيسة» (٢).

وأما أنه ندم على سوء معاملته للمسيحيين، فهذا ما يبدو من تصريحاته فى أكثر من موضع. فهو يقول فى رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس: «وبعدهم جميعا، ظهر لى أيضا كما للسقط، لأننى أصغر الرسل، بل ولست مستحقا لأن أدعى رسولا لأننى اضطهدت كنيسة الله» (٣). ويقول فى رسالته الأولى إلى تلميذه الأسقف تيموثيوس: «وإنى أشكر يسوع المسيح، ربنا الذى قوانى، لأنه حسبنى أمينا إذ أقامنى فى الخدمة. أنا الذى كنت قبلا مجدفا ومضطهدا وطاغيا، ولكننى قد رحمت لأننى فعلت (هذا) بجهل لما كنت كافرا، وقد فاضت علىّ نعمة ربنا مع

(١) أع ٢٢: ٣ – ٥

(٢) فى ٣: ٥، ٦ راجع أيضا أع ٨: ٣، أع ٩: ١ – ٣، ١٣، أع ٢٦: ١٠ – ١٨، غل ١: ١٣، ١٤

(٣) ١ كو ١٥: ٩

الإيمان والمحبة التى فى يسوع المسيح. هذه الكلمة مؤكدة وجديرة بأن تُقبل بكامل اليقين، وهى: أن يسوع المسيح قد جاء إلى العالم ليخلّص الخطاة الذين أنا أولهم. ولكننى رحمت لكى يظهر يسوع المسيح فىّ أولا حنانا كاملا، ويتخذنى مثالا للذين سيؤمنون به فتكون لهم الحياة الأبدية» (١).

وأما أنه مخلص فى تحوله فهو ما يتضح من قوله للملك: «من ثم أيها الملك اغريباس، لم أقاوم الرؤيا السماوية» (٢).

* * *

فإذا كان الإنسان فى حال الريب أو الشك فى حقيقة الحكم على الفعل، بمعنى أنه لم يتوفر له الإقتناع التام بأن الفعل خير أو شر، سواء من الوجهة النظرية أو من الوجهة العملية. وعدم الإقتناع من الوجهة النظرية معناه أن تشك فى حقيقة الفعل مجردا عن الظروف والملابسات أى بغض النظر عن العمل. أما عدم الإقتناع بحقيقة الفعل من الوجهة العملية فمعناه أن تشك فى حقيقة الفعل عند الإقدام على العمل، أى مع وجود الظروف والملابسات الراهنة التى تحيط بالفعل. نقول، أن الإنسان فى حالة عدم توفر الإقتناع التام بحقيقة الفعل يصير فى موقف من إثنين:

(١) إما أن لا يقوم أمام الشخص أى دليل يمكن أن يستند إليه فى إثبات خيرية الفعل أو شريته، أى أن يكون كلا الطرفين خاليا من الحجج. وبعبارة أخرى يكون الإنسان فى حالة غموض تام لا يتبين منه أى وجه للحقيقة. وهذا يرجع إلى جهل الفاعل جهلا مطبقا بالفعل وحقيقته كما لو كان أميا أو بدائيا، أو كان الفعل متعلقا لا بالمبادئ الطبيعية المفطورة فينا بل ببعض النتائج البعيدة، وهو ما يسمى بالشك السلبى.

(٢) وإما أن يكون للفعل منافع ومضار، ووجوه للحكم عليه بالخير ووجوه أخرى للحكم عليه بالشر، والإنسان فى حيرة من أمر هذه الوجوه لا يستطيع أن يفصل أو يميز بينها ليخلص إلى حكم واضح صريح فيها.

- ومثال الحالة الأولى، حالة الجهل المطبق والغموض التام، شاب صغير أعطاه صديقه سيجارا ليدخن نظيره وهو بين زمرة من أصدقاء يدخنون. فإذا كان الشاب الصغير لا يعلم عن التدخين أخير هو أم شر، ولم يسبق له أن فكّر فى هذا الأمر وليس فى مقدوره أن يصل بشخصه

---

(١) ١. تى ١: ١٢ - ١٦ (٢) أع ٢٦: ١٩

إلى حلّ لهذا الإشكال، فإنه - إذا كان معنيا بأن يوجه سلوكه على مقياس الخير والشر- يصير فى حيرة من أمره، فيتساءل: هل هو خير؟ ولكنه لا يجد أمامه دليلا ينهض على خيرية الفعل. أو هل هو شر؟ ولكنه أيضا لا يعرف له وجها من وجوه الشر. فكيف يجب أن يتصرف فى هذا الموقف تصرفا لائقا:

أولا : يجب أن يتوقف عن الفعل، طالما أنه لم يصل بعد إلى حكم فيه. فإذا هو فعل فى حيرته فقد أساء الفعل لأنه حينئذ يكون قد أراد الخير والشر معا، كمن يشك فى هل استيقظ ليلا وشرب، يجب أن يمتنع عن التناول فى الصباح.

ثانيا : يجب أن يستشير غيره ممن يثق فى معرفته وخبرته وفضيلته. وحبذا لو كان لكل شخص، مرشد خبير عالم فاضل يلجأ إليه فى حل مثل هذه الإشكالات الأدبية، وإلا فإنه مقصر فى دفع حيرة الشك ويكون مسئولا عن كل ما ينتج عن هذا التقصير. يقول يشوع بن سيراخ «لا تعمل شيئا عن غير مشورة، فلا تندم على عملك» (١). ويقول الحكيم سليمان «طريق الجاهل مستقيمة فى عينيه. أما سامع المشورة فهو حكيم» (٢).

ثالثا : إذا اضطر إلى الفعل ولم يكن ثمة وقت لإستشارة المرشد ومعرفة رأيه، يمكن للشخص أن يراجع ضميره ليرى ما إذا كان فى الفعل وجها ولو واحدا من وجوه الشر فإذا لم يتبين فى الفعل إثما جاز له فعله حتى لو لم ير فيه خيرا. أما إذا رأى فيه شرا وجب عليه أن يتوقف عن الفعل حتى لو رأى فيه وجوها للنفع. والشر الذى يجب أن يتوقف بسببه الفعل هو شر الباعث الدافعى أو الباعث الغائى أو شر الوسيلة أو شر النتيجة بالنسبة للفاعل أو المفعول به أو بالنسبة للمجتمع. على أنه أيضا هو الشر فى ذاته قياسا على مبدأ الخير لا قياسا على مبدأ النفع أو الفائدة.

فإذا لم ير فى الفعل خيرا ولا شرا جاز له أن يختار أيهما ولو بغير دليل مرجح ولا خطأ يلزمه، إذا لم يفعل بمعرفة أو بإرادة ومع ذلك فالراغبون فى الكمال يصلّون أولا قبل الفعل، ويسألون الله أن يصلح من أخطائهم ويعصمهم شر العثار.

* * *

فإذا كان للفعل وجوه للخير ووجوه للشر، ونشأت الحيرة من عدم إمكان الإنتهاء إلى حكم صريح مريح، وكانت الضرورة تدعو إلى الفعل، وجب القيام بالفعل نظرا لما فيه من الخير فقط، مع محاولة اجتناب وجوه الشر ووقف حركاتها.

---

(١) يش بن سيراخ ٣٢: ٢٤ (٢) أم ١٢: ١٥

فالمرء الذى يجد أمامه فرصة لعمل الخير أمام الناس، وهو يعلم أنه سينال مجدا منهم، وهو راغب فى هذا المجد، أفهل يجب أن يتوقف عن الإحسان أو عمل الخير نظرا لأن الدافع غير نبيل؟ حقا إن الإمتناع عن الفعل سيقف فى سبيل شهوة النفس إلى المجد والشهرة ولكنه سيمنع الخير عن مستحقيه. فإذا كان فى إمكانه أن يحقق الإحسان والخير خفية بأن يحاول الإتصال بالمسكين بطريقة سرّية، فقد فعل عملا جليلا. وإلا إذا كان يخشى من أن الفرصة ستفلت من بين يديه أو من أن يضرب مثلا سيئا للمحيطين به فى عدم تشجيع الأعمال الخيرية، فيمكنه أن يعطى حتى لو كان شعوره الباطنى آثما. وبذلك يكون قد فعل خيرا وإن كان الدافع شرا. فالفعل غير لائق بالثواب لأن الدافع إليه لم يكن حب الخير لذاته.. ومع ذلك يجب أن يفعل الإنسان حتى لا يكون بإمتناعه عن الخير عثرة فى سبيل الغير. ولكن يجب عليه أيضا أن يصحح من نيته ويطهر من قصده إلى أن يأتى زمن يعتاد فيه أن يصنع الخير لذاته بغض النظر عن تطلع الناس إليه. ولقد روى عن القديسة سارة إنها كانت تقول: اصنع الخير ولو لطلب المديح من الناس، فسيأتى الوقت الذى فيه تصنع الخير حبا فى الخير لذاته.

هنا فى هذا المثال رأينا وجوب القيام بالفعل نظرا لأن الفعل فى ذاته خير وهو فعل الرحمة، على الرغم من أن الدافع إليه شرير.

فإذا كانت النتيجة شرا، كمن يرى شخصا يستجدى فيرق لحاله ويمنحه صدقة وهو لا يستحقها فيشجعه على الكسل وعدم العمل وهو شر، فالفعل فى ذاته خير والباعث عليه خير ولكن النتيجة شر. فإذا لم يعلم المحسن بخداع من يطلب الرحمة فإنه يجب أن يصغى لصوت ضميره ويقدم له الرحمة، وإذا علم بأنه مخادع وجب أن لا يحسن إليه بل إلى شخص آخر يستحق الرحمة.

* * *

فإذا كانت الوسيلة للخير شرا، فماذا تصنع؟؟

مثال ذلك: قد يجد المرء نفسه أحيانا مضطرا إلى الكذب لكى ينقذ غيره من شر، فهل يجوز له الكذب؟ أو كيف يخرج الضمير من هذه الحيرة؟

أولا: يجب على المرء أن يبحث فى هذه المسألة ليجد مفلتا لها من غير أن يتذرع لها بشر أو بوسيلة خاطئة كالكذب، على شرط أن لا يغفل فكرة الخير (أى إنقاذ الغير) من حسابه.

ثانيا: فإذا لم يستطع كان عليه أن يتحقق ثانيا من أن الخير للغير سيكون مضمونا بهذه الوسيلة (الكذب).

ثالثا : يجب أيضا أن تكون ميوله ومشاعره خيّرة كلها، فهو يريد الخير بكل قلبه ثم هو يكره الكذب أيضا ولا يلجأ إليه من أجل إنقاذ نفسه أبدا، بل هو يستعمله فى هذه الحالات الإستثنائية حبا فى الخير للآخرين.

رابعا : يجب كذلك أن يفكر فى النتائج التى تنجم عن فعل الكذب. هل هناك أضرار تتصل بالفضيلة أو بنفوس الأشخاص، وهل يمكن أن نتفادى جميع هذه الأضرار، ولو فى وقت آخر (كأن يحاول أن يتصل بالمكذوب عليه بعد أن تهدأ ثورة غضبه ثم يشرح له أسباب اضطراره للكذب، وحقيقة المسألة) ؟ وهل هذه الأضرار الخلقية الناجمة عن الكذب تقاس بشئ إلى جانب الأضرار الناجمة عن هلاك الشخص الذى يريد له الخير، فإذا كان المكذوب عليه شريرا جدا بحيث لا يبالى بخير أو بشر وكان فاسدا من عدة وجوه فلن يكون الضرر الذى يصيبه بالكذب عليه شيئا بالقياس إلى هلاك شخص لاسيما إذا كان عظيما أو نافعا أو بارا فاضلا.

فإذا نظر المرء إلى هذه الاعتبارات جميعا، وأجاب على هذه الأسئلة بنزاهة، ثم وجد بعد ذلك نفسه مضطرا إلى الكذب حبا فى خلاص غيره، - وجب عليه أن يفعل وفقا لما يمليه عليه ضميره، ولكن يجب عليه أيضا أن يراعى:

إن الضرورة لم تجعل الكذب خيرا ولا مباحا، فهو قد ارتكب خيرا وشرا معا، ولكن الخير أعظم من شر الكذب.. والله سيكافئه عن الخير الذى انتواه وصنعه، ثم أن رغبة الخير ستشفع فى خطأ الكذب ذلك لأن اضطراره إلي الكذب آسفا وعلى غير رضاه هو دليل على عظيم ميله نحو الخير ورغبته فيه وحبّه للغير هذا الحّب الذى يدعوه لأن يضايق شعوره بالكذب. مثله فى ذلك مثل القديس بولس الرسول الذى دعاه فرط حبّه لليهود إلى أن يتمنى لنفسه شرا من أجل خيرهم فيقول: «لأننى كنت أرغب أنا نفسى أن أكون محروما من قبل المسيح من أجل أخوتى (الذين هم) أقربائى بالجسد» (١).

وثمة قصص تقدمها لنا الكنيسة عن شهدائها البواسل وقد كذب بعضهم كالعذارى احتيالا على صيانة عفافهم من أن تعبث به شهوات الملوك والرؤساء، فلئن عرضت على مسامعنا أمثال هذه الوقائع الحية فما قصدت أن تقدم لنا أمثلة فى الكذب، ولا طلبت إلينا أن نتمثل بالكذب الذى اضطروا إليه بل أرادت أن تبين لنا إلى أى مدى بلغ الحرص على العفاف واستعذاب الموت فى سبيل الثبات على المبدأ وحّب الفضيلة.

---

(١) رو ٩ : ٣

وإذن يجب أن يراعى فى كل فعل أن يكون هو فى ذاته خيرا أو مطابقا للشريعة الإلهية، وأن يكون الباعث عليه خيرا (ونحن نعنى أولا الباعث الدافعى ثم الباعث الغائى)، ثم الوسيلة يجب أيضا أن تكون خيّرة، وكذلك النتائج التى تعود على الفاعل والمفعول به، وعلى الأشخاص الآخرين فى المجتمع ممن تختلف قرابتهم للفاعل والمفعول به.

ومهما يكن من أمر، فعند الشك يجب أن نتوقف عن العمل إلى أن يتحول الشك إلى يقين لأن من يفعل وهو فى حالة شك فقد أخطأ لأنه أراد الخير ونقيضه معا، وعلى قدر ما يرى فى الفعل من شر يحسب شرا له إن فعل.

قال الرسول: «إنى عالم وموقن من قبل الرب يسوع أنه ليس طعام نجسا بذاته، وإنما الذى يعتقد فى شئ أنه نجس، (فهذا الشئ) قد تنجس به» (١).

وقال أيضا «واحد يعتقد أنه يمكنه أن يأكل من كل شئ، وأما الضعيف (فى إيمانه) فلا يأكل إلاّ بقولا» (٢)

وقال : «كلوا من كل ما يباع فى الملحمة، دون أن تفحصوا فيه من أجل الضمير»(٣).

وقال كذلك «كل شئ طاهر للطاهرين، وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شئ طاهرا، وإنما على العكس، قد تنجس ذهنهم كما تنجس أيضا ضميرهم» (٤).

وقال الرسول «هل لك إيمان؟ فلتدّخره فى نفسك أمام الله. سعيد من لا يلوم نفسه على شئ يراه فى نفسه صوابا. ولكن من يشك (إذا كان يجوز له أن يأكل لحما)، يكون مدينا لو أنه أكل (منه)، لأنه لم يأكل منه بإيمان، وكل مالا يفعل بإيمان فهو خطيئة» (٥).

ثم يجب أن نتوقف عن الفعل لا من أجل الشك الذى ينتابنا فى ضمائرنا، بل وأيضا من أجل الشك الذى ينتاب ضمائر أخوتنا، فالمسيحية تقتضينا أن لا نهتم بنفوسنا فحسب بل وبنفوس الآخرين كذلك.

---

(١) رو ١٤: ١٤

(٢) رو ١٤: ٢

(٣) ١. كو ١٠: ٢٥

(٤) تى ١: ١٥ راجع كذلك مت ١٥: ١، أع ١٠: ١٥، رو ١٤: ٢٠.

(٥) رو ١٤: ٢٢، ٢٣

«لا تهدم عمل الله بسبب اللحم، حقا إن جميع الأشياء طاهرة، ولكن يخطئ من يأكل فيعثر (غيره)» (١).

«نعلم أن الوثن ليس شيئا فى العالم، وأنه لا يوجد غير إله واحد، ولكن ليس الجميع يعلمون هذا، لأن البعض من حيث أن اعتقادهم فى الوثن لا يزال قائما إلى الآن فهم يأكلون كما من شئ ضحّى للوثن. ولما كان ضميرهم ضعيفا فإنه يتنجس بهذا.. لأنه إن رآك أحد (منهم) يامن له علم جالسا إلى مائدة فى هيكل الأوثان، أفلا يتشجع ضمير من هو ضعيف، فيأكل مما قرب للأوثان؟ فيهلك بمعرفتك (بعلمك) أخوك الضعيف الذى مات المسيح من أجله. وهكذا إذ تخطئون إلى أخوتكم وتجرحون ضميرهم، وهو ضعيف تخطئون إلى المسيح. من أجل هذا، إذا كان ما آكله يعثر أخى فلن آكل لحما على الإطلاق لكى لا أعثر أخى» (٢).

«وإذا دعاكم أحد من غير المؤمنين للأكل وأنتم تريدون أن تذهبوا، فكلوا ما يوضع أمامكم دون أن تفحصوا فيه من جهة الضمير. ولكن إن قال لكم أحد (الناس) أن هذا قرّب للأوثان، فلا تأكلوا منه من أجل الذى حذركم (منه) و(من أجل الضمير) لأن الأرض وكلّ ما تحتويه للرب. وأقول الضمير، لا ضميرك أنت ولكن ضمير الغير، لأنه لماذا يحكم فى حرّيتى بضمير الغير؟.. اسلكوا بحيث لا تسببوا عثرة لا لليهود ولا لليونانيين ولا لكنيسة الله» (٣).

غير أن الشك يجب ألا يطول عهده لأن الحياة لا تحتمل إرجاء. وإذن يجب على كل حال أن نلجأ إلى ضمائرنا ونوقف الفعل أمامها، ونفحص حقيقته فى ذاته ثم بواعثه ووسائله وغاياته ونتائجه. فإذا إنتهينا إلى حكم ووجدنا به مخرجا من الشك الذى إنتابنا، وجب أن نفعل وفقا لهذا الإرشاد الباطنى.

وإن لم يقو هذا البحث أو الفحص على إزالة الشك، كان لنا أن نلجأ إلى مرشد ثقة يقنعنا ويطمئنا. فإذا لم نجد فى كلماته ما يقنع وجب علينا أن نلجأ إلى غيره. على أن لا يكون مبعث ترددنا وإختلافنا إلى كثرة من المرشدين هو تخلّصنا من تأديب صارم نستحقه أو محاولة فرارنا من واجب ألزمنا المرشد القيام به. كما يجب ألا يكون ذلك مصدره قلق أو وسوسة، فإن الوسوسة حالة مرضية لا سوية فيها لا يجد الموسوس مقنعا له فى كلام المرشدين جميعا.

ومع ذلك، فالقاعدة العامة أن ضمائرنا لا تلتزم بشئ من غير إقتناع كامل بوجوب القيام به. بيد أن الإقتناع حالة نفسية يتوقف الإعتراف بها على مدى إخلاص الشخص ونشدانه للحقيقة.

---

(١) رو ١٤: ٢٠ (٣) ١. كو ١٠: ٢٧ – ٣٢

(٢) ١. كو ٨: ٤ – ١٣

الضمير الضيق أو الموسوس

أولا: تعريفه هو نوع من الضمير المنحرف يتوهم إثما حيث ليس إثم ويخشى ما ليس بخطيئة كأنه خطيئة، أو قد تكون خطيئة عرضية فيحسبها خطيئة مميتة.

ثانيا: علامة الوسوسة : يمكن أن نستدل على الضمير الموسوس بالدلائل الآتية، إذا رأى الشخص أو مرشده أنها صفات مستقرة تلازمه كطبيعة ثابته.

(١) **العناد** : وصلابة الرأى وعدم الخضوع لرأى المرشد، وإنما يصرّ متشبثا على خطأ الفعل على الرغم من أن مرشده أبان له عدم خطئه، ومع ذلك يصعب عليه أن يقتنع بأنه مصاب بالوسوسة.

(٢) **الحيرة والإرتباك والقلق المستمر** : فلا يكاد يثبت على رأى أو يطمئن إلى إرشاد أو حكم، لا من قبل نفسه ولا من قبل مرشده، ولذا تجده يستشير كثيرين ولن يستريح إلى حكم أحد منهم بل يظل قلقا متحيرا على الدوام، وبدلا من أن تكون المشورة هدى لذوى الضمائر السليمة، تصبح لهذا الضمير الموسوس علة حيرة أكبر.

(٣) **العبوسة المستمرة** : لغير داع ولدرجة متجاوزة الحد، ثم النظرة المتشائمة إلى الحياة، والأفكار القاتمة الحزينة. لأن صاحب هذا الضمير يكون فى فزع وتخوّف شديد قبل وبعد كل فكر وقول وعمل، لأنه يتوهم فيه إثما إن لم يكن من حيث الموضوع فى ذاته فمن حيث الظروف واللواحق والملابسات التى أحاطت به.

(٤) **إعادة الإعتراف، بخطأ سبق له أن إعترف به**: لا لأنه نسى أو لأنه أغفل شيئا لم يكشفه لمرشده أو لأنه لم يتيقن من مباشرة الإعتراف به، بل لعدم ثقته فى مغفرة خطاياه، ولعدم إطمئنانه إلى حكم مرشده.

فالوسوسة فى صميمها، حالة من القلق أكثر منها ضلال أو خطأ فى الحكم، وهذا القلق أو الإضطراب، إذا توخينا الدقة فى التعبير، لا يتعلق بالحياة العقلية، وبالتالى لا يختص بالضمير بعد. فهى بالحرّى أوهام فى المخيلة، نتيجة ثوران أو هيجان فى الحساسية.

ثالثاً: مضار الوسوسة الوسوسة حالة مرضية لا سوية، هى داء وبيل يجرّ على صاحبه أو المبتلى به أضرارا خطيرة وعواقب وخيمة وهلاك للروح والنفس والجسم. فأضرار الوسوسة روحية، ونفسية وعقلية وبدنية.

أ- : المضار الروحية :

(١) **فقدان السلام** : إذ الوسوسة فيها القلق، والحيرة، وعدم الإستقرار وفقدان السلام والطمأنينة. وبذا يكون المصاب بها معذّبا، وبدلا من أن يكون الخير مصدر هنائه يصبح مبعث آلامه وشقائه.

(٢) **فقدان الرجاء** : أن الموسوس فى عذاب متصل، ولن يجد فى نفسه أو فى مرشده ما يدعوه لأن يطمئن. ولمّا كان الإنسان لا يمكنه أن يبقى طويلا على حالة عدم الثبات والإستقرار، فإن هذه الحالة لابد أن تسلمه إلى اليأس من نفسه، أولا: إذ يرى ذاته قاصرا عن إلتزام الفضيلة والصلاح، ثانيا : اليأس من رحمة الله تعالى لأنه لا يستطيع أن يتصور الله متسعا فى مراحمه حتى يحتمل كل أخطائه وتعدياته.

وكأن الوسوسة تنطوى على الشك وتسلم إلى فقدان الرجاء فى الله، وهو شّر روحى عظيم يكفل الإنحدار فى مهاوى الرذيلة. فالموسوس فى مرارة نفسه يضيق ذرعا بالشريعة التى جلبت عليه كل هذه الأحزان، فيركن إلى الإباحية والإستهتار تخلصا من هذا القلق المتصل وإمتدادا لحالة اليأس التى صار إليها، وقد ينكر وجود الله والحياة المقبلة بما فيها من حساب وثواب وعقاب، ويشرع فى مهاجمة الدين والأخلاق متهما الفضلاء بالنفاق والرياء. وهو يفعل ذلك كله يأسا من الدين الذى أشقاه أو إنتقاما من الفضيلة التى أثقلت كاهله بمطالبها فتمرد عليها، أو تجاهلا منه للقوة الروحية والحياة الأبدية لكيما يفسح لنفسه سبيل الشر والفساد بعد أن ضل طريق البر والرشاد.

وقد عرفنا من هذا الصنف كثيرين، عاشوا زمانا موسوسين فما لبثوا أن انقلبوا أشرارا مفسدين وملحدين عنيدين.

(٣) **فقدان كل أسباب التقدم أو النمو الروحى** : لن يرجى من الموسوس تقدم فى الروح أو نمو فى الفضيلة، لأنه مضطرب قلق، كل همه منحصر فى كيف يجتنب الإثم، لا يستفيد من نصيحة ناصح أو إرشاد مرشد، إذ هو متكبر لا يقنع بمشورة من أحد. وصلاته جدلية ضحلة، لا عمق فيها، لأنها ثمرة ذهن شارد وعقل زائغ وقد تسلم الوسوسة إلى الكبرياء وإلى الأنانية ومحبة الذات.

ب – المضار النفسية والعقلية :

(١) إن الوسوسة قلق للنفس واضطراب للشعور وهّم للقلب وغّم للفؤاد ولذا فإن المصاب بها يصير حزينا عابسا، لا يجد بابا للسرور أو الهدوء النفسى. بل كثيرا ما يقع فريسة للضيق والحصر النفسى، وإنه ليكون متشائما متبرما بالحياة، لا يكاد يرضى بشئ، يكره الناس، بل يبغض نفسه أيضا، «لأن كل أيامه أحزان وعمله غّم، أيضا بالليل لا يستريح قلبه» (١)

(٢) ثم أن الوسوسة، بما تسببه من مشغولية الفكر، تجعل صاحبها شارد الذهن مبلبل العقل، عاجزا عن التفكير الهادئ العميق المستطيل، سريع التقلب، لا يكاد يثبت على حال، وقد يصاب بالجنون.

(٣) والوسوسة تؤدى إلى الفزع والجبن وفقدان صفات الشجاعة والجرأة لأن من يصاب بها يعتاد الخوف والهلع والتوقف المستمر، بسبب ما يتوهمه من الخطأ فى كل فعل وقول وفكر.

(٤) كذلك المبتلى بالوسوسة رجل عاطل عن التفكير المجدى، والعمل المثمر، والقول النافع، ويخشى الإتجاهات الجديدة، ولن يصلح بحالة لزعامة أوقيادة، لأنه لن يكون سريع البديهة، حاضر الذهن، بعيد الأفق، واسع الحيلة، وهى الصفات التى يجب أن تتوافر للزعيم، والقائد، والمفكر.

(٥) هذا وإن المصاب بالوسوسة شخص عنيد، لا يقنع برأى، ولا يخضع لقول من ناصح، ولن يفيد ولن يستفيد، بل سيظل وحيدا فى رأيه، مكروها من الناس، لا يصلح لعشرة أو صداقة وربما يعطى صورة سيئة، ومثالا رديئا للأخلاق والدين. فيجعل الدين فى نظر الناس، مصدر قلق وحيرة وحزن وألم وهّم، بدلا من أن يكون مبعث راحة وعزاء وسلام.

جـ- المضار البدنية : وليس بخاف ما يحدثه القلق والفزع والغم الشديد بصحة الإنسان. إنها تفعل فى الجسم فعل السم الزعاف: لأنها توهن القوة، وتتلف البنية، وتفسد الدم، وتشل نشاط الأعضاء، ترهق الأعصاب، وتنهك الأنسجة، وتهّد كيان البدن. وهذا أمر نستطيع أن نلحظه بسهولة فى المصابين بالوسوسة: فصحتهم معتلة وأجهزتهم مختلة، قال الحكيم «الغم فى قلب الرجل يحنيه» (٢).

---

(١) جا ٢ : ٢٣ (٢) أم ١٢ : ٢٥

رابعاً: أسباب الوسوسة: هذه الأسباب: إما طبيعة أو ميتافيزيقية (عالية عن الطبيعة).

أولا: الأسباب الطبيعية: والطبيعية منها الفطرية، ومنها المكتسبة.

(أ) الفطرية : والأسباب الفطرية:

(١) أحوال موجودة فى طبع الموسوس منذ الإبتداء، بناء على استعداد خُلق به. وهى أحوال مرضية، عضوية، وراثية، كما فى حالة تهيج عصبى شديد، وحالات الأنيميا Anémia وفقر الدم أو الأنيميا المخية. أعراضها : خيال خصب فوق الحاجة، حساسية متسلطة، رقة سابقة لأوانها، مغالاة فى عادة الملاحظة الباطنة، ضعف فى الحكم.

(٢) المصابون بالماليخوليا Melancholia (المرض السوداوى) وهو من الأمراض التى يعتقد أنها مجبولة فى طبيعة من يبتلى بها. ويلاحظ فيمن يكون عرضة لهذا المرض أنه أنانى مرهف الحس، مضطرب مغال فى استبطان نفسه، سريعا ما ييأس ويفشل لأقل ما يدرك حياته من مشكلات. ومن أعراض هذا المرض: الخوف والقلق، واللوم الذاتى، والكآبة العميقة، والتشاؤم، والتذبذب والتردد، واليأس، وطلب الموت بإلحاح، وقد ينتحر المصاب به تخلصا مما هو فيه من قلق وبؤس (١).

(٣) ضعف العقل، فإذا كان العقل ضعيفا لم يقو على التمييز ووزن الأفعال والأقوال وزناً صحيحا سليماً، يمكنه - على أساسه - أن يقدر قيمة الخطأ فلا يقع فريسة للأوهام والهلوسات والتصورات الباطلة.

(٤) ضعف الإرادة، نعم فبعض الناس قد فقدوا إرادتهم، أى أنهم أصيبوا بمرض فقدان الإرادة، فأصبحوا مترددين، والتردد هو عجز الشخص عن أن يجزم أمره أو يجمع نفسه على رأى ما، ولذا يدركه القلق والحيرة والإضطراب.

(ب) الأسباب الطبيعية المكتسبة:

(١) المغالاة فى التخوف من الخطأ: إذا بالغ الشخص فى تخوّفه من الشر، تولاه الفزع من كل مايؤدى إلى الخطأ من قرب أو من بعد. ولذا فهو دائم التفكير فى كل حركة أو

---

(١) راجع «شفاء النفس» للدكتور يوسف مراد القاهرة ١٩٤٣ ص ٦١

قول، وهذا ما يعرقل حياته عن كل صلاح وتقدم، بل إنه سيفشل حتما ويرجع القهقرى وفقا لقانون الجهد المعكوس (١).

وعلى كل فإن هذه المبالغة فى التخوف تسبب الإضطراب والقلق والحيرة والتردد، وما إلى ذلك من عناصر الوسوسة.

(٢) محاولة تبرئة نفسه من كل خطأ وشبه خطأ: فقد تتسبب الوسوسة عن روح غطرسة وكبرياء تتملك الموسوس فيحاول تبرئة شخصه من كل خطأ يلام عليه فى القول والفكر والفعل، ولمّا كان ذلك فى غير مقدوره، فلا مناص من أن تدركه الوساوس والأوهام، وأنواع التخوف والإضطراب. وقد تبدو كبرياء الموسوس فى محاولته الحصول - فى كل شئ - على اليقين الذى ينتفى منه كل نوع من الشك.

(٣) معاشرة الموسوسين : للأمراض الروحية والنفسية عدوى كما هو الحال فى الأسقام البدنية وكما أن الخوف إذا استولى على فرد قد ينتقل منه إلى آخر، كذلك الوسوسة وتوهم الخطأ فيما لا خطأ فيه قد تؤثر على فرد بمعاشرة من يبتلى بها.

هذه المعاشرة قد تكون مصاحبة لصديق، أو ملازمة لكتب ومؤلفات المتزمتين، أو متابعة لمرشدين متشددين أو مصابين بالوسوسة.

---

(١) قانون الجهد المعكوس Law of Reversed Effort يراد بهذا القانون أن الذى يتعلم ركوب الدراجة مثلا إذا رأى فى طريقه حجرا فإن كل محاولاته لتجنب الإصطدام بالحجر تذهب هباء، وإنما تؤدى إلى عكس ما يريد، فجهوده التى يبذلها فى محاولة تفادى الخطر وعدم الإصطدام بالحجر، لا تفلح إلاّ فى توجيه الدراجة للإصطدام بالحجر.

وتفسير هذه الحالة الغريبة: أن الحجر جذب انتباه الشخص، وأثار إنفعاله، فخضع لإيحاء مرجعه إلى الخوف من الإصطدام بالحجر، وقوى أثر الإيحاء فى نفسه حتى أيقن من حتمية وقوعه، فتوجهت نفسه وحركاته نحوه، حتى اصطدم به.

وليست هذه الواقعة، كما يقول بودون Baudouin خير مثال يمكن أن ينطبق على جميع العقبات التى تصادفنا فى الحياة، وهو يعرّفه بقوله: عندما تحتل العقل فكرة ما، إلى حد أن تثير فيه إيحاء ما، فإن كل الجهود يبذلها المرء شاعرا واعيا ليجتنب نفسه أثر هذا الإيحاء، لا تحقق النتيجة المطلوبة منها، ولكنها فى الواقع تجرى على عكس رغبات المرء الشعورية، وتميل هذه الجهود إلى توكيد الإيحاء وتقويته.

ويعرّفه وليم برون W. Brown بتعريف أخر، هذا نصّه: «كلما حاولت أن أقوم بعمل، قد أوحى إلى بأنى عاجز عن القيام به، كلّما أخفقت محاولتى، ولكنى إذا حوّلت ذهنى عن الفكرة الموحى بها إلىّ، فإنى أستطيع أن أفعل ما أشاء».

فالعقل بعد الإيحاء يكون فى حالة تنويم مغناطيسى أو حالة إنقسام مؤقت للشخصية، نشأت عن قوة الخيال، وتسلط الخوف الشديد عن عدم القدرة على مواجهة الموقف وإمكان التغلب عليه.

(٤) كراهية الناس : وكما تكون معاشرة المبتلين بالوسوسة سببا للإصابة بها، كذلك يتعرض لها هؤلاء الذين يكرهون مخالطة الناس ويحبون الإنطواء على نفوسهم، فإنهم يجدون من عزلتهم فرصة للتفكير والإمعان فى التفكير فيما يتصل بحركات نفوسهم وحالاتهم الشعورية، مما قد ينشأ عن المغالاة فيه، هذه الحالة التى نسميها بالوسوسة.

(٥) نقص فى الثقة بمراحم الله: فيشك فى إمكان مغفرة خطاياه ومن ثم يتولاه الحزن والقلق واليأس.

الأسباب الميتافيزيقية أو العالية عن الطبيعة:

(١) تخلى العناية الإلهية: إن تخلت العناية الإلهية عن شخص صار كأعمى فقد النور أو كسفينة تخبط فى البحر بلا هدى، فلن يجد سبيلا لنفسه يسلكه آمنا من الزلل، فيضطرب متحيرا.

وإذا تخلت العناية عن شخص، فذلك لأنه أهمل نفسه أو أهمل وسائط النعمة وطريق الخلاص، أو أنه قد بالغ فى المعصية حتى تقسى بها قلبه، أو لأنه قد ظن فى نفسه أنه فى غير حاجة إلى عناية الله. وربما يكون هذا التخلى لزمن محدود بقصد التأديب كما كان الحال بالنسبة إلى نبوخذ نصر، وقد يكون مدى الحياة أو البقية الباقية من العمر، كما حدث مع شاول.

(٢) حِيَل وطُرق الشياطين : فإذا تملك الشيطان على شخص لأنه سلّم نفسه لإرادته أو لأن نعمة العلىّ تخلّت عنه، فإنه يشرع فى إزعاج المتسلط عليه بخلق أوهام فى فكره، وإظهار شناعة خطيئته بصورة بشعة، أو بتذكيره بعظيم العقاب الذى يستحقه، وحشد ذهنه بصور وأفكار متنوعة عن جهنم والعذاب الذى سيلاقيه، وربما يطرحه فى اليأس من خطاياه ومن إمكان نوال الغفران عنها.

وهذا يفعله الشيطان ليجعل الشخص فى حيرة من أمره، وفى خوف وفزع وقلق ويأس وقنوط وطلب مستمر للموت، وقد ينهى أجل حياته بيده، فينتحر.

خامساً: علاج الوسوسة: المرشد فى سر الإعتراف، هو الطبيب الروحانى الذى يجب عليه أن يعالج هذا الداء الذى يهلك نفوس المصابين به.

وأول ما ينبغى على المرشد، هو أن يفحص حالة المعترف جيدا لئلا يتسرع فى حكمه على المعترف، فيظن أنه موسوس وهو ليس كذلك، بل إن ضميره حىّ ينخسه بشدة على خطيئته.

لابّد من أن يلاحظ المرشد ما إذا كان المعترف محقا فى قلقه واضطرابه وألمه، أم أنه متوهم ولغير داع. وهذا يكون بالنظر إلى عدة إعترافات، لاحظ فيها المرشد أن المعترف عنيد، متردد، متقلب، حائر، متشكك، متشائم، يائس.

وإذن فعلى المرشد، أى الكاهن المعّرف، أن يكون مهتما بالخاطئ المعترف، دقيق الملاحظة، قوىّ الذاكرة، طويل الأناة، حليما، بطئ الحكم.

يقول إبن سيراخ «لا تنمّ قبل أن تفحص . تفهّم أولا ثم وبخ، لا تجاوب قبل أن تسمع، ولا تعترض حديث أحد قبل تمامه» (١).

ثانيا - يلزم المرشد أن يفحص أيضا سبب الوسوسة ونوعها: هل هى تتصل بالأفكار الشريرة، أم بالفعال والتصرفات، أم بالإعترافات، إذ أن كل حالة تقتضى علاجا من نوع خاص.

أما من وجهة **الافكار الشريرة**، وتواردها على الفكر (العقل) فيجب أن يبين المرشد للمعترف أن الخطأ هو فى قبولها والتلذذ بها، لا فى مجرد ورودها على الخاطر، وقد قال شيخ: إنه ليس كلما تحركت الأفكار الشريرة علينا نحسب ذلك خطيئة علينا، بل إذا نحن قبلناها وعملنا بها كتبت علينا خطيئة. ويقول المثل الصينى: «إنك لا تستطيع أن تمنع الطيور من أن تحلق فوق رأسك، ولكنك تستطيع أن تمنعها من أن تعشش فى شعرك».

وأما الأفعال التى يتوهم المعترف خطأها، فيجب أن يعرفه مرشده أن لا يعتبرها شريرة إلا إذا كان الخطأ فيها واضحا أمام نفسه، وما لم يكن قد سقط فى الإثم فعلا. وإذن فيمكنه أن يفعل كل ما لا يظهر له واضحا ويقينا إنه خطأ. فإذا قصّر فى أمر لم يكن فى مقدوره أن يتلافاه، فهو معذور ولا جناح عليه فيه، فالمقيد أو المسجون أو المريض لا يمكنه مثلا أن يحضر خدمة القداس الإلهى، أو أن يتناول من الأسرار المقّدسة، أو أن يخدم أحد، وعلى ذلك فإعتقاده بأنه مخطئ فى عدم قيامه بهذا كله أو بعضه، لا يجعله مخطئا أو مسئولا.

وأما من حيث **الاعترافات** فإن بعض الموسوسين لا يطمئن إلى اعترافه السابق، ولذا فإنه يردده على مسامع الكاهن مرة أو مرات. فعلى المرشد أن يطمئنه من جهة غفران خطاياه عما سبق وإعترف به وأن يمنعه من الإعتراف بخطأ قد إعترف به فى مرة سابقة، إلاّ إذا كان قد سقط فى الخطيئة عينها مرة أخرى، أو أنه قد ارتكب الفعل ثم أهمل أو نسى أن يعترف به فى المرة الأولى، فحينئذ فقط يسمح له الكاهن بترديده بشعور التوبة الصادقة.

---

(١) يش بن سيراخ ١١: ٧، ٨

ثالثا : يجب على المرشد أن يقف من المعترف موقف العطف فى غير ضعف، والحزم فى غير عنف، فإذا قبل منه إرشاده إنتفع به، وإلاّ فإن المرشد يجب أن يقنع (المعترف الموسوس) بوجوب الطاعة والخضوع له ولنصائحه من أجل خلاص نفسه. إذ لمّا كانت الوسوسة مرضا، اقتضى علاجها بوسائل قد لا تبدو للمعترف أنها مناسبة، ولكنها مع ذلك نافعة له، ومن ذلك أن الكاهن يجب أن يمنع تلميذه من الإعتراف بالأفكار التى لم يرتضها، والأعمال التى لم يأثم فيها إثما واضحا، والأمور التى سبق له أن إعترف بها، فإذا لم يطع وجب أن يبكته، ويوبخه، ويعرفه قيمة الطاعة، مذكرا إياه بأن الطاعة للكاهن طاعة لله نفسه، إذ قال السيد المسيح «من أطاعكم فقد أطاعنى، ومن احتقركم فقد احتقرنى» (١) «وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كوثنى وعشار»(٢).

المعترف : إن الموسوسين هم فى الغالب المسئولون عن سوء تطّور أو تفاقم أحوالهم، لأنهم لا يرتضون أن يستخدموا، بطريقة ثابتة منظمة وسائل العلاج التى تعرض عليهم أو ترسم لهم، لأنه كما أن علاج المريض بالمرض الجسدانى يقتضى إستعداد المريض للعلاج وقيامه بتنفيذ إرادة الطبيب ونصائحه، هكذا فى الطب الروحانى، يجب أن يركن المريض لمرشده، ويقتبل نصائحه بإقتناع، ويقابلها بعميق الثقة والإتضاع ويقاوم وساوسه، ولا يلتفت إليها، ولا يسترسل فى فحص نفسه وتأمل ذاته، عالما أن اصراره على عدم الطاعة لمرشده سيكون سببا فى استفحال دائه وإزدياد قلقه وإضطرابه، كالمريض الذى يرفض الدواء فليس يرجى له شفاء وإنما المرض يقتله رويدا رويدا حتى يقضى على حياته بالتمام.

عليه أيضا، أن يصلّى معتمدا على نعمة الله، لا على برّه الذاتى ممتلئا من الرجاء الوطيد فى رأفة الله ومحبته، ملاحظا ومراعيا على الخصوص الأسس العامة والقواعد الرئيسية التى يجب أن يلتزمها الفعل الخلقى.

ثم يجب أن يقاوم الفراغ والتعطل عن العمل ما أمكن، لكى ينشغل عن وساوسه إلى ما هو أجدى وأنفع لبناء نفسه.

وأخيرا، فليعرض نفسه على طبيب ماهر، إذا لزم الأمر، إذ قد رأينا أن الوسوسة قد تتسبب أحيانا عن أمراض عضوية، وهناك من الضيق أو الحصر النفسى ما يرجع إلى إجهاد عصبى أو إرهاف فى الحس، أعراض يمكن علاجها بوسائل طبيعية بحتة.

---

(١) لو ١٠: ١٦ (٢) مت ١٨: ١٧

الضمير الواسع

الضمير الواسع، على نقيض الضمير الضيق أو الموسوس، يحكم بجواز مالا يجوز أو هو متساهل يستهين بالخطأ، ولا يراه إلاّ فى المخالفات الجسيمة، ومن ثم فإنه يحاول تبرير الخطأ واختلاق الحجج التى بها يؤيده أو يجوزه.

ويندرج تحت هذا النوع من الضمير، الضمير المخدّر أو النائم أو الفاقد أو المعدوم أو الميت، وهو ضمير يستخف بالآثام الكبيرة والشرور العظيمة ولا يحس أو يشعر بوخز عليها.

ويندرج تحته أيضا، الضمير الفريسى، وهو ضمير يتسع ويضيق حسب الحاجة، فيتسع للكبائر ويضيق عن الصغائر، أو يكون على الأقل واسعا أحيانا ضيقا أحيانا أخرى. ويسّمى بالفريسى نظرا أو نسبة إلى الفريسيين الذين وصفهم سيدنا بأنهم يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل، الذين يعشرون النعنع والشبث والكمون ويتركون أثقل الوصايا: الحق والرحمة والإيمان. (١)

مضار الضمير الواسع: الضمير الواسع يؤدى بصاحبه إلى أن يستمرئ الشر، ويلتذ بالخطيئة، ويفقد كل إحساس نحو الإثم، فيقتبله كما يشرب الماء (٢).

والضمير الواسع يولّد قساوة القلب والتجبر، إذ يفقد صاحبه العواطف والمشاعر والوجدانات، ويصير ظالما، بل إنه يسبب لصاحبه عمى العقل، فيفقد القدرة على التمييز.

وذو الضمير الواسع قريب إلى الهلاك. قال السيد المسيح «ادخلوا من الباب الضيق، لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك، وكثيرون هم الذين يدخلون منه» (٣) ويقول الرسول «ولكنك بقساوتك وقلبك غير النادم، تذخر لنفسك الغضب ليوم الغضب، وإعلان قضاء الله العادل» (٤).

أسباب الضمير الواسع :

(١) إهمال الصلاة، وفتور القلب.

(٢) المعاشرات الرديئة وإطالة التأمل فى الأمور القبيحة والأمثلة الشريرة والكلمات المبتذلة فبهذا يألف الضمير الخطيئة ولا يعود ينزعج لها.

(٣) الإستهانة بالفضيلة أو الرذيلة، ومخالفة الضمير.

(٤) مباشرة الشر نفسه، فإن الضمير يبكتنا عليه لأول مرة، فإذا فعلناها ثانية قل قدحه عليه، وهكذا حتى يتسع الضمير ولا يشعر نحو الخطأ بأى إمتعاض.

---

(١) مت ٢٣ (٢) أى ١٥: ١٦ راجع أيضا أى ٣٤: ٧، أم ١٩: ٢٨، أى ٢٠: ١٢، ١٣

(٣) مت ٧: ١٣ (٤) رو ٢: ٥

(٥) الإنهماك فى الملذات فإنه يضعف قوة النفس، ويصيبها بالرخاوة واللين ويخدر الشعور، ويقتل الإحساسات النبيلة والعواطف الراقية.

علاج الضمير الواسع:

(١) الفرار من المعاشرات الشريرة، والكتب الساقطة والأماكن الضارة.

(٢) القراءة ومداومة الإطلاع فى الكتب الخلقية النافعة. ومعاشرة الأبرار والصديقين لترقية الشعور وتنبيه الضمير الذى خدرته الخطيئة.

(٣) المواظبة على الصلاة بإتضاع والتعبد لله بالتسابيح والأصوام.

(٤) التأمل فى العواقب والنتائج لكل فعل جميل وقبيح.

(٥) محاولة تذكر الموت والدينونة والحساب على الدوام. يقول يشوع بن سيراخ: «فى جميع أعمالك اذكر أواخرك فلن تخطئ إلى الأبد» (١).

(٦) مباشرة الأسرار كالتوبة، والتناول، ومسحة المرضى.

قضية عامة: صاحب الضمير الواسع قد يخلو من مسئولية الفعل، إذا لم يفعل خلافا لضميره، ولكنه مسئول مع ذلك عن إهماله ضميره إلى هذه الدرجة التى أوصلته إلى أن يجيز لنفسه ما لا يجوز.

الضمير بين الإحتمال واليقين

إذا كنا نبغى إدراك غاية خلاصية، فلابدّ أن تكون الوسيلة إليها خيرة ومشروعة على نحو مؤكد ويقينى، إذ أن إحتمال الخير فيها لا يكفى وقد يعطل عن تحصيل الغاية المنشودة. فأسرار الكنيسة وهى ينابيع الخلاص لا يجوز مباشرتها على غير النحو الذى وضعه المسيح فى شريعته وسلّمته لنا الكنيسة. وكل محاولة شخصية، تنحرف عن الشريعة فى الشكل أو الموضوع، ولو كانت فى نظر صاحبها محتملة ومقبولة، تهدّد سلامة السر، وقد تعطل المرء عن نوال الخلاص.

وهكذا يجب فى سائر الأمور التى يتوقف عليها خلاص النفس ومصيرها الأبدى، كالإيمان بالله وبالدينونة وبالحياة الآخرة، أن لا نرتكن على أحكام محتملة مطلقا، وإنما يجب أن نسعى لنبنى طرق خلاصنا على أسس يقينية مؤكدة ثابتة لا ينفذ إليها الإحتمال من بين يديها ولا من خلفها.

وليس ذلك فقط بل كل ما يحتمل أن يؤدى إلى هلاك النفس، يجب أن نحجم عنه حتى نتبين على وجه يقينى أنه لا يعطلها عن الخلاص.

(١) يش بن سيراخ ٧: ٤٠

كذلك فيما يتصل بحياتنا على الأرض، لا يجوز أن نقدم على أمر يحتمل فيه أذى لنفوسنا أو نفوس الآخرين: فى الروح أو فى العقل، أو فى البدن:

فلو أن طبيبا رأى مريضا فألفاه يئن متوجعا، وظن أن يريحه بدواء يقضى على حياته، لكان الطبيب متعديا بل جانيا وقاتلا، لأن بقاء روح المريض، فيه احتمال بإمكان شفائه، ولو بمعجزة إلهية. فليس له أن يقدم على أمر يحتمل أن يكون شرا.

ولو أن صيّادا رأى شبحا من بعيد، ولم يستطع أن يميزه أحيوان أم إنسان، أو قل ترجح لديه أنه حيوان. فلا يجوز له أن يصوّب السهم نحوه، مادام هناك احتمال لديه - ولو ضعيف - بأنه إنسان.

يجب إذن أن تركز ضمائرنا على يقينية كاملة فى كل أمر يكون الإحتمال فيه خطرا على حياتنا أو حياة الآخرين، من جهة الأرض أو من جهة السماء، وفى هذا ينبغى أن نلتزم الشريعة فى نصّها وفى روحها، بما يتفق عليه جمهور الشّراح والمفسرين المعتبرين فى الكنيسة. فإذا لم يتوفر لنا اليقين وجب أن نتوقف عن الفعل، وإلاّ فإننا نأثم طالما أن هناك إحتمالا بالرأى المضاد. أما إذا كان الإحتمال خارجا عن حدود الفعل، فلا عبرة به: كسائق سيارة عمومية يحتمل أن يدوس إنسانا، ولكن لابّد له من الخروج بسيارته، فإذا هو وجد ذاته فى المأزق عينه، ثم حاول بكل قدرته أن يتجنبه، ومع ذلك فقد مات المدوس، فلا جريرة له فى ذلك من حيث خروجه بسيارته مع إحتمال إصابة أحد، إلاّ إذا كان يعلم أن بسيارته عيبا ولم يصلحه.

هذا فيما يتعلق بضرورات الخلاص أو الحياة - روحية كانت أو جسدية. أما فيما عدا هذه الحدود، فإن الشخص قد يجوز له أن يفعل ما يبدو أو ما يظنه صوابا، على شرط أن لا يكون فعله ضد الإيمان، وعلى شرط أن لا يشك فى صواب فعله، وعلى شرط أن لا يرى فى هذا الفعل شرا أو شبه شر.

أما **أولا** : فيقول القديس أوغسطينوس «ما لا يثبت أنه ضد الإيمان أو الآداب، فحقه أن يعد مجردا «أى أنه يجوز أن يفعل مادام لا يخالف قاعدة مشهورة من قواعد الإيمان، ويقول بعض اللاهوتيين: «يمكن أن يكتفى الفرد برأيه مطمئنا إليه، إذا لم يكن معارضا لقضية أكيدة أو شهادة معتبرة».

أما **ثانيا** : فلأن الرسول يقول «سعيد من لا يلوم نفسه على شئ يراه فى نفسه صوابا وكل ما لا (يفعل) بإيمان فهو خطيئة» (١). فكل أمر نفعله، ونحن فى شك من صحته أو صوابه، نخطئ فى فعله، لأننا بهذا نكون قد انتوينا الخير والشر معا، أى أننا على كل حال قد انتوينا الشر

---

(١) رو ١٤: ٢٢، ٢٣

فى فعله، وانتواء الشر إثم لا محالة، فإذا لم يكون انتواء للشر، فهو إهمال وإستهتار بإلتزام قواعد الخير، وهذا أيضا شر. يقول الرسول: «... إن البعض، تبعا لفكرتهم عن الوثن، يأكلون كما لو كانت الذبيحة قربانا للوثن. ولمّا كان ضميرهم ضعيفا فإنه يتنجس» (١).

أما **ثالثا** : فلأن الفاعل إذا رأى في الفعل شرا أوشبه شر، ومع ذلك أقدم على الفعل كان اقدامه على الشر عن علم، فهو غير معذور، أما إذا كان الفاعل جاهلا بشر الفعل جهلا يتعذر عليه اجتنابه، فليس للشرع إلزام عليه، أى أنه يجوز له أن يفعل دون أن يعد فى ذلك مخالفا لضميره، ولو كان فعله مخالفا للشريعة فى ذاتها. يقول توما الأكوينى من فلاسفة الغرب المسيحيين «ليس يرتبط الفرد بوصية ما لم يكن يعرفها» ولكن - على العكس من ذلك - إذا هو فعل على غير ما يبدو له، كان مخالفا لضميره حتى لو كان فعله مطابقا للشريعة فى ذاتها لأن الضمير هو القاعدة القريبة للفعل الأخلاقى».

وعلى ذلك، فلا يحلّ لفرد أن يفعل بغير اقتناع، أو محمولا برأى غيره (فى كل أعمالك اقتد بضميرك)، حتى لو كان هذا الغير هو الكاهن أو المرشد فى سر الإعتراف، إلاّ إذا كان الأمر واضحا فى الشريعة، أما إذا كان أمرا ليس للشريعة فيه قول صريح، فليس للكاهن أن يجبر تلميذه على ضرورة الإنقياد لرأيه، إذا كان تلميذه مقتنعا تمام الإقتناع برأى يخالف رأيه، ويراه الكاهن رأيا محتملا «وأما هذا الضعيف فى الإيمان، فخذوه برفق دون خصام أو نزاع. فالواحد يعتقد أنه يمكنه أن يأكل من كل شئ، وأما الضعيف (فى الإيمان) فلا يأكل إلاّ بقولا» (٢)

على أن هناك أمورا يجوز أن يباشرها الإنسان لأن الشريعة لا تمنعها، ومع ذلك فإذا باشرها فعلا تسبّب عنها ضرر أو شر أو عثرة لواحد أو أكثر، من الناس، ولذلك يقول الرسول: «إذا كنت بأكلك شيئا من اللحم (الطعام) تحزن أخاك، فأنت لا تسلك بعد حسب المحبة. لا تهلك بطعامك شخصا مات المسيح من أجله.. فلنسع إذن فيما يبلغ بنا إلى السلام وإلى بنيان بعضنا بعضا، لا تهدم عمل الله من أجل الطعام. حقا إن كل الأشياء طاهرة، لكن (هناك) خطيئة على من يأكل فيعثر غيره. وإنه لخير أن لا تأكل لحما، ولا تشرب خمرا، وأن تمتنع عن كل ما يمكن أن يوقع (يسقط) أخاك أو يعثره أو يضعفه» (٣).

ويقول أيضا «يحل لى أن أستمتع بكل الأشياء، ولكن ليس حسنا أن أفعل ذلك دائما»(٤) ويقول : «لكن إحذروا لئلا تكون هذه الحرية التى تنعمون بها، عثرة للضعفاء بصورة ما، لأنه إن رآك أحد (منهم) يامن له علم، جالسا إلى مائدة فى هيكل للأوثان أفلا يتشجع ضمير من هو

---

(١) ١. كو٨ : ٧ (٢) رو١٤ : ١، ٢

(٣) رو١٤ : ١٥، ١٩ـ ٢١ (٤) ١. كو٦ : ١٢

ضعيف، فيأكل مما قرّب للأوثان؟ فيهلك بمعرفتك (بعلمك) أخوك الضعيف الذى مات المسيح من أجله. وهكذا إذ تخطئون إلى أخوتكم وتجرحون ضميرهم، وهو ضعيف، تخطئون إلى المسيح. من أجل هذا، إذا كان ما آكله يعثر أخى، فلن آكل لحما على الإطلاق لكى لا أعثر أخى»(١).

ثم يقول: «يحل لى (أن استمتع) بكل الأشياء، ولكن ليس حسنا أن (أفعل) ذلك دائما. يحلّ لى أن (أستمتع) بكل الأشياء، ولكن ليست كل الأشياء تبنى، فلا يسع الشخص لمنفعته الخاصة، وإنما يجب أن يسعى كل شخص (أيضا) لمنفعة غيره. كلوا من كل ما يباع فى الملحمة دون أن تفحصوا فيه من أجل الضمير، لأن للرب الأرض وكل ما تشتمل عليه. فإذا دعاكم أحد من غير المؤمنين للأكل، وأنتم تريدون أن تذهبوا، فكلوا من كل ما يوضع أمامكم دون أن تفحصوا فيه من جهة الضمير. ولكن إن قال لكم أحد (الناس) أن هذا قُرِّب للأوثان، فلا تأكلوا منه من أجل الذى حذركم منه ومن أجل الضمير.. وأقول «الضمير، لا ضميرك أنت بل (ولكن) ضمير الغير.. اسلكوا بحيث لا تسببوا عثرة لا لليهود ولا لليونانيين ولا لكنيسة الله، كما أرضى أنا أيضا الجميع فى كل شئ فلا أسعى مطلقا إلى منفعتى الخاصة بل إلى منفعة الكثيرين لكيما يخلصوا»(٢).

وإذن فالضمير لا يلتزم بشريعة يجهلها أو بشريعة مشكوك فيها. وكل شخص يجوز له أن يفعل ما يبدو له صوابا إذا لم يكن فى الشريعة ما يمنعه، وإذا لم ير فيه شرا، وإذا لم يدركه الشك فى صواب فعله.

* * *

أما فيما يتصل بأحكامنا على الآخرين، فيلاحظ:

أنه يجب أن لا نحكم على شخص بعقوبة إعتمادا على احتمال وقوع الشر منه، وإنما يجب أن نتثبت من ذلك حتى نصير متيقنين من إرتكابه الإثم، وإلا فلا تجوز عليه حكومة. مثال ذلك من يحكم بأن يوحنا المعمدان سقط فى خطيئة الشك فى شخصية المسيح، ارتكانا على احتمال وقوع الخطأ من يوحنا من حيث أنه بشر وجميع البشر قد أخطأوا !!

لا يجوز أن يحكم الكاهن أو المرشد بأن شخصا ما قد ارتكب خطأ مالم يتضح له يقينا أنه تعّدى أمرا إلهيا على نحو يقينى. أما الإحتمال فلا يكفى لتحميل التلميذ ثقل الخطيئة أو عقوبتها، ويقول بعض اللاهوتيين «إن المباحثة التى بها يتداول: هل يوجد خطأ مميت؟ فهذه يكون الحكم فيها مخطرا جدا، ما لم يوجد بذلك نص صريح من الكتاب المقدس أو قوانين الكنيسة، أو برهان واضح».

---

(١) ١. كو ٨: ٩ - ١٣ (٢) ١. كو ١٠: ٢٣-٣٣

الوصايا العشر

بين العهدين

الوصايا العشر بين العهدين (١)

أولا نبدأ بتعريف علم اللاهوت

علم اللاهوت

كلمة اللاهوت مشتقة من اسم الذات العليا من اسم الله، وعلم اللاهوت هو العلم الباحث فى الله، غير أن البحث فى الله له جوانب متعددة.

١- علم اللاهوت العقائدى :

إذا تناول البحث فى الله العقائد الإيمانية، وعلى رأس هذه العقائد الوجود الإلهى، والذات الإلهية، والصفات التى تتصف بها الذات الإلهية، الصفات الذاتية والصفات النسبية، وما يتصل بالآخرة، الحياة الأخرى، وما يتصل بالإنسان، نفسه وتركيبه، كما يتضح من عقائدنا الإيمانية، ومركزه فى الكون، ونسبته إلى الوجود، وخلاص الإنسان، ومشكلة الخلاص. هذه كلها من فروع علم اللاهوت العقائدى. مانسميه بالسيكولوجى أى الخلاص، أما مايتصل بمصير الإنسان بعد الموت نسمية الاستاتولوجى، وهى علوم الآخرة، أو مصير الإنسان بعد الموت، المهم أن البحث فى الله إذا تناول العقائد الإيمانية، فهنا فى هذه الحالة نسميه باللاهوت العقائدى، وهو يميز عما يعرف باللاهوت النظرى.

٢- علم اللاهوت النظرى :

واللاهوت النظرى يتناول العقائد الإيمانية دون أن يستند فى إثباتها ومناقشتها، إلى نصوص الكتاب المقدس، إنما يستند إلى النظر العقلى دون الإعتماد على الأدلة الكتابية أو الإنجيلية أو النقلية (النصوص المنقولة من الكتب المقدسة ومن كتب الكنيسة) فاللاهوت النظرى هو الذى يعتمد فى إثبات الحقائق والعقائد الإلهية، على النظر العقلى، وهنا مدخل الفلسفة فى علم اللاهوت، وهذا يشير إلى التطور الذى صار بالنسبة للمباحث الدينية. وهنا نذكر فضل مدرسة الأسكندرية اللاهوتية، كما يسجل جميع الذين أرّخوا للمدرسة اللاهوتية فى الأسكندرية أن علماء مدرسة الأسكندرية هم الذين أسسوا علم اللاهوت، لأنه فى البداءة كانت الدراسات الدينية، فى المدرسة الدينية، مدرسة الأسكندرية التى أنشأها مرقس الرسول، وأقام لها يسطس رئيسا لها، هذه المدرسة كانت فى مبدأ الأمر تُدَرس أو تناقش المسائل الدينية بطريقة تلقينية، كما جاءت فى

---

(١) مجموعة محاضرات ألقيت لطلبة قسم اللاهوت بالقاعة المرقسية بالأنبا رويس فى العام الدراسى ١٩٨٤/٨٣، مفرغة من شرائط كاسيت.

الكتب المقدسة، دون أن يتناول الدارس النظر العقلى فى هذه العقائد الإيمانية، ولكن حدث بعد قليل أنه انضم إلى المسيحية، فلاسفة ومفكرون أفذاذ فى زمانهم، وبدخول هؤلاء الفلاسفة إلى الدين المسيحى صنعوا نقطة تحول، لأنه فى مبدأ الأمر، الناس لا يجذبهم الإعتماد لإثبات الحقائق الدينية على الكتاب المقدس، أو على النصوص النقلية، خصوصا وأن مدرسة الأسكندرية اللاهوتية كانت مضطرة إلى أن تدخل فى مساجلات ومناقشات مع المفكرين فى ذلك الوقت، وأكثر هؤلاء المفكرين كانوا غير مسيحيين، فكان لابد للمسيحية، من أجل أن تغذو العقل الإنسانى، أن تقدم حقائقها الإيمانية باسلوب نظرى، بعيداً عن النصوص، وقد تطور هذا النظر وهذا البحث وهو إثبات الحقائق الدينية بأدلة عقلية، مثل إثبات الوجود الإلهى، وإثبات الصفات التى يتصف بها الذات الإلهية، وأيضا شرح موضوع الأقانيم، وما إلى ذلك من حقائق دينية، حتى إثبات الخلود بالنسبة للإنسان، وإثبات القيامة، والرد على الإعتراضات، التى كان يثيرها المفكرون فى ذلك الوقت، ضد حقيقة قيامة الموتى، التى تبدو لهم فى ذلك الوقت غير معقولة، وغير مقبولة، بل ومرفوضة من الوجهة العلمية، على أساس أن الجسد يتحلل إلى عناصره الأولية، ويتحول إلى التراب، فكيف يمكن أنّ يصدق أن يقوم الإنسان من جديد، بعد أن يكون قد تحلل، فكان على المسيحيين أن يثبتوا هذه الحقائق الدينية بأدلة عقلية، وهذا ما صنعه أثيناغوراس الذى كتب كتابا فى قيامة الأجساد، وكان كلامة كلاما عقلانيا، ولم يستند إلى الكتاب المقدس فى الكلام عن قيامة الأجساد، وكذلك هناك مجالات أخرى، لإستخدام العقل فى الردود على كثير من الإعتراضات، التى يعترض بها العقل الإنسانى على الحقائق الدينية المسيحية. هذا الفرع من فروع علم اللاهوت، نسميه اللاهوت النظرى. وهو لا يختلف عن اللاهوت العقائدى، إلا من جهة الأساليب ومستندات اللاهوت العقائدى دائما هو الكتاب المقدس، والنصوص النقلية، أما مستندات اللاهوت النظرى، فكلها مستندات عقلية، والنظر العقلى. أما من جهة الفحوى والمضمون للاهوت العقائدى فهو نفس الفحوى والمضمون للاهوت النظرى وهو إثبات العقائد الإلهية.

٣- علم اللاهوت المقارن :

ويدخل فى دائرة علم اللاهوت المقارن مقارنة الدين المسيحى بغيره من الأديان المعروفة، سواء كانت القديمة التى انقرضت، أو القائمة فى الزمان وفى المكان، لابد أن يكون هناك بحث ودراسة، للأديان القائمة، وبيان فضل الديانة المسيحية أو سموها على الأديان الأخرى.

واللاهوت المقارن له شقان الشق الأول، هو الدخول فى بحث مقارنة الأديان الخارجة عن الديانة المسيحية، وشق أخر لمقارنة المدارس الدينية الأخرى، لأنه على طول تاريخ الديانة المسيحية، حدث إنحرافات فى العقائد الإيمانية، وهذه الإنحرافات تحدث عنها الرسل أنفسهم، فى العصر الأول، فنجد شكوى الآباء الرسل باستمرار من الذين خرجوا عن الإيمان، كما يقول الرسول يوحنا «منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا» والقديس بولس الرسول كثيرا ما يشكو من المعلمين الكذبة، الذين دخلوا خلسة ليتجسسوا حريتنا فى المسيح، وكما يقول «من بعد ذهابى يدخل بينكم ذئاب خاطفة لا تشفق على الرعية»، وكذلك يقول: «تجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذى أخذه منا» أو كما يقول «إنى اتعجب أيها الغلاطيون الأغبياء أنكم تنتقلون هكذا سريعا، بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ليس هو آخر، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوكم عن إنجيل المسيح» وحتى فى سفر الرؤيا سيدنا له المجد يكلم أساقفة آسيا الصغرى ويقول لبعضهم «إن عندك قوم متمسكين بتعليم النيقولاويين الذى أنا أبغضه» والقديس بطرس الرسول أيضا فى رسائله يشير، إلى معلمين كذبة يدسون بدع الهلاك، الذين دينونتهم منذ القديم لا تتوانى وهلاكهم لا ينعس، ويوحنا الرسول فى بعض رسائله يشير إلى هؤلاء الذين يقولوا بتعليم آخر، يقول «من لا يجئ بهذا التعليم فلا تقبلوه فى البيت، ولا تقولوا له سلام، لأن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة»، وكان فى زمانه بعض الناس انكروا أن المسيح جاء بالجسد، إلى آخر هذه الأشياء التى نجدها فى العصر الرسولى الأول، كذلك فى العصور الرسولية التالية مثل أريوس، والمانوية، وأيضا نسطور، وأوطاخى، ومن إليهم، وفى القرن الحادى عشر بعض الأخطاء التى وقعت فيها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بإضافة مثلا كلمة «والابن» فى قانون الإيمان: «الروح القدس المنبثق من الآب» أضافوا كلمة «والابن» . وكذلك مزاعمهم أن الكنيسة مبنية على بطرس الرسول، وبالتالى مبنية على بابا روما، وفكرة المطهر، وفكرة صكوك الغفران، وهى الفروق التى أصبحت مع الزمن بين الكنيسة الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية، ووصلنا فى القرن الثالث عشر إلى مارتن لوثر، الذى ثار على الكنيسة، وعمل إنشقاق جديد كبير، هذا الإنشاق لم يكتفى بأراء مارتن لوثر التى يسمونها المذهب اللوثارى أو الكنيسة اللوثارية، وإنما فتح مارتن لوثر بإعتراضه على كنيسة روما، الطريق أمام مذاهب أخرى، وفى زمن مارتن لوثر أصبح هناك أربعة مذاهب.

وفيما بعد إزدادت هذه المذاهب فأصبحت مذاهب كثيرة جدا، فيما يعرف بالكنائس الحرة، مثل البلموس والأخوة، الرخويين، والمبتعدين، مذاهب كثيرة وصلت مع الأسى والأسف نحو ١٠٠٠ مذهب من المذاهب البروتستانتية، وفى بلدنا هنا يوجد ٢٩ مذهب بروتستانتى، تضمها المؤسسة التى يسموها الطوائف الإنجيلية.

المهم فرع علم اللاهوت الباحث فى مقارنة الأديان، ينقسم إلى شقين، الشق الأول مقارنة المسيحية بغيرها من الأديان المعروفة، مثل اليهودية، ومثل الاسلام، وهى الأديان الكبيرة، ولكن يوجد شق ثانى وهو تعليم الكنيسة الأرثوذكسية، بإزاء بعض الهرطقات، أو المذاهب المختلفة، التى ظهرت على مدى التاريخ، إبتداءا من العصر الرسولى الأول، وبسببها الكنيسة أطلقت على نفسها اسم الأرثوذكسية، لكى تميز نفسها وتعاليمها، عن التعاليم الأخرى التى يعلم بها معلمون آخرون. الذين خرجوا منها ونسميهم بالهراطقة أو الخوارج، وتعبير الخوارج تعبير عربى سليم قيل أيضا على المذاهب الأخرى.

٤ – علم اللاهوت الطقسى:

إذا تناول العلم الباحث فى الله موضوع العبادة وطرائق العبادة وأسلوب العبادة فهذا هو اللاهوت الطقسى الذى يبحث فى تركيبات العبادة ونظمها، بحسب ما أمر الله، وبحسب ما نجده فى الكتاب المقدس، فمثلا رسم الله لموسى النبى كيف يبنى خيمة الإجتماع طولها وعرضها وتقسيمها الداخلى، وطريقة البناء ومكونات هذه الخيمة، وأيضا الطرائق: الصلاة والعبادة والسجود، والوقوف، وأيضا أن يكون هناك ما نسميه بالقبلة التى يتجه إليها المصلى، وهى عند المسيحيين الشرق، ولكن كانت عند اليهود فى العهد القديم هى الهيكل «أسجد أمام هيكل قدسك» لأنه عندما يكون الإنسان بعيداً عن أورشليم، فى بلاد أخرى، مثل العراق أو أى بلد آخر، كان المصلى مثل دانيال أو غيره، يتجه فى الصلاة نحو هيكل أورشليم.

الأصوام أيضا التى رسمتها الكتب المقدسة، والأعياد وتنظيم الأعياد، وإختيار الأيام... وأيضا فكرة المذبح، المبنى، وكيف يدشن، والكاهن ودرجات الكهنوت، والفرق بين إختصاصات الشماس، وكان يسمى لاوى فى العهد القديم، والكاهن ورئيس الكهنة... إلى آخر هذه الأمور التى تتناول العبادات وطرائق العبادات، والنظم والترتيبات، وكيفية تقديم الذبيحة، وأنواع الذبائح ذبيحة الإثم، وذبيحة الخطيئة، وذبيحة السلامة، والمحرقة. كل هذه تفاصيل تحدث عنها الكتاب المقدس هذا هو اللاهوت الطقسى.

لكن عندما دخلنا فى العهد الجديد، حدثت تغييرات، أو تكميل، فأصبحت لنا فى العهد الجديد طقوس جديدة، وأيضا هذه الطقوس أساسها الكتاب المقدس أو العهد الجديد، أو تعليم المسيح، أو تعليم الرسل، الذين جاءوا بعد ذلك.

المهم هذا الفرع الباحث فى العبادات، وفى الطقوس مستندا إلى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، هو ما نسميه باللاهوت الطقسى.

٥- علم اللاهوت التشريعى أو القضائى :

فإذا تناول العلم الباحث فى الله موضوع سياسة الكنيسة كمجموعة، سياستها فى تركيبها الداخلى، فى علاقات المؤمنين بعضهم مع بعض، مثلا موضوع الزواج، علاقة الرجل بالمرأة، وكيفية الزواج، والمحارم وهى موانع الزواج بمعنى أن الإنسان لا يتزوج من صلة قرابة معينة، كيفية الزواج والخطبه، والعقد، وأيضا موضوع الطلاق، فى العهد القديم كان له حدود معينة، هذا الموضوع يتصل بالأحوال الشخصية مثل الزواج والطلاق، وكذلك الإرث والوصية، ثم المحاكمات فى حالات المخالفات، عقائديا أو من جهة الآداب على الأوضاع الدينية فما هو الحكم عليه، وكيف يحاكم، وما هى الأحكام التى تصدر؟ وهذه الأحكام مرتبة بحسب الدرجة، هذه الأمور نسميها اللاهوت القضائى أو التشريعى .

٦- علم اللاهوت الأدبى :

إذا تناولنا الأخلاقيات، والأخلاقيات بشقيها، أخلاقيات الإنسان نحو الله، وأخلاقيات الإنسان نحو الناس، وهذا ما نسميه بالآداب، ولذلك يسمى هذا الفرع باللاهوت الأدبى، لأنه ينظم الآداب التى يلتزم بها الإنسان نحو الله من جهة، ونحو الناس من جهة أخرى. وهذا فرع من فروع علم اللاهوت الأدبى، ولكن لماذا نسميه اللاهوت الأدبى؟ لأن هذه الآداب ليست من تفكير فلسفى، أو إنسانى، إنما موجودة فى الكتب المقدسة ومنصوص عليها بما يسمى بالشريعة الإلهية.

وهذه الشريعة الإلهية بدأت بما نسميه بالوصايا العشر، وهذه الوصايا العشر أمر الله بها فى العهد القديم، كتبها بأصبعه على لوحين، لوح مكتوب عليه أربع وصايا وهى تنظيم علاقة الإنسان بالله خالقه. واللوح الثانى عليه ست وصايا وهى تنظم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، إبتداء من أبيه وأمه إلى الآخرين. فهذا ما نسميه بالوصايا العشر، وهذه الوصايا ليست من اكتشاف الإنسان، لذلك نسميها علم اللاهوت الأدبى لأن الله هو الذى أمر بها، وهنا نفرق ما بين علم اللاهوت الأدبى، وعلم الأخلاق. وهو ما يسمى بالفلسفة الأخلاقية، وهذا العلم يدرس فى المدارس فى بعض الأحيان. يدرسوا المبادئ العامة المتفق عليها عند جميع الناس مثل الأمانة، الصدق، الطهارة، العفة، الإعتدال، إلى آخر الصفات التى يكرّمها جميع الناس، هذه الآداب لا تستند إلى الكتاب المقدس أو غيره من الكتب، إنه علم إنسانى عام. ويتفرع من هذا ما يسمى فى اللغة الحديثة، بقواعد الإتيكيت، وهو الإلتزام بالآداب الإجتماعية فى وليمة أو على

مائدة، كيف يبدأ الأكل وكيف ينتهى، الآداب التى ينبغى أن يراعيها فى علاقته بالناس، كل هذه المسائل نسميها اتيكيت، وهى عبارة عن آداب إجتماعية، هذه الآداب أصبحت مواضعات إجتماعية ولو أن أصولها دينية إنما تحولت إلى مواضعات إجتماعية، بحيث أصبحت مثل اللغة، يتعلمها الطفل بالنقل عن أبيه وأمه دون أن يدرسها، ويتعلمها من المجتمع نفسه وقاموسه يكون الأول كلمة واحدة ثم كلمتين ثم ثلاثة وأربعة وكل هذا بالتلقين أو يتلقفها من المجتمع هذا ما نسميه بالآداب الإجتماعية ومن هنا نجد الفرق ما بين الشعوب وبعضها البعض، لأنه أصبحت هناك تقاليد لكل الشعوب مثل الشعب المصرى، الشعب الإنجليزى، الشعب الفرنسى... إلى آخره، هذه الشعوب لها اتيكيت وفيه اتفاق عام إنسانى على هذه الآداب أو القواعد الإجتماعية، ولكن هناك فروق فردية ومتغيرات من شعب إلى آخر. وهنا نفرق بين علم اللاهوت الأدبى وبين علم الأخلاق لأن علم الأخلاق يتناول القواعد العامة دون أن يسندها إلى الكتاب المقدس، بينما علم اللاهوت الأدبى يتناول نفس هذه المبادئ وغيرها ولكن مستندا إلى نصوص الكتب المقدسة.

هذا هو إختصاص علم اللاهوت الأدبى، أنه يهتم بالأخلاقيات، سواء أكان علاقة الإنسان بالله، أو علاقة الإنسان بالآخرين، سواء كانوا أعضاء الأسرة، الأب والأم والأخوة والأخوات، أو فى خارج هذه الدائرة أى فى الدائرة الإنسانية بصفة عامة. لكن كل شئ مبنى على الكتاب المقدس. وينسب إلى موسى النبى أنه أقدم من كتب أسفار الكتاب المقدس، وينسب إليه أنه كتب الأسفار الخمس الأولى التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية. ويعد سفر أيوب ، ولو أنه فى ترتيبه فى الكتاب المقدس يكون متأخرا مع الأسفار التى نسميها الأسفار الحكمية لكنه يعد أقدم من موسى، ويعد معاصرا لإبراهيم جد موسى، لكن هناك مئات السنين ما بين إبراهيم وما بين موسى ولذلك يمكن أن يعتبر سفر أيوب أقدم الأسفار جميعا، لكن هناك فترة سابقة من آدم حتى أيوب وموسى، هذه الفترة لم تكن فيها كتب مقدسة مكتوبة. فكان الإعتماد فى ذلك على الوحى غير المكتوب.

ماهو الوحى غير المكتوب؟

هو ديانة آدم الأول، عندما نقول الديانة اليهودية، والديانة المسيحية، هذا التقسيم من وجهة نظر إجتماعية، نظرة تاريخية، نظرة الباحث الإجتماعى حينما يتناول فترات التاريخ فيقول الديانة الموسوية، والديانة المسيحية، لكن من الناحية الروحية والدينية واللاهوتية لا نوافق على هذا التقسيم إلا من وجهة تاريخية بحته، لأنه ليس هناك ديانة للمسيح فلم يأتى المسيح بديانة

جديدة، لا يوجد ما يسمى الديانة المسيحية بالمعنى الحقيقى للكلمة، المسيح لم يزعم أنه أتى بدين جديد، ولاموسى زعم أنه أتى بدين جديد، إنما المؤرخين وضعوا هذا التصنيف التاريخى، فموسى لم يأتى بدين، فقد وجد الدين من قبل أن يأتى، كل ماهنالك أن هناك إعلانات له إما لتفسير أشياء قديمة، أو تثبيتها أو إيضاحها، أو تشريعات للعصور التى سبقت، ولذلك فإن الديانة الحقيقية هى ديانة آدم الأول، حتى الديانة المسيحية نسميها ديانة آدم الأول، وحتى سيدنا له المجد عندما تكلم فى موضوع الطلاق، أجابهم «من البدء لم يكن هكذا لأن الله خلقهم ذكرا وأنثى» فردنا إلى آدم وقال من البدء لم يكن هكذا، فردنا إلى البدء، معنى ذلك أن المسيح لم يزعم أنه أتى بدين جديد، ولا موسى زعم أنه أتى بدين جديد، فهذا التقسيم الذى نقرأ عنه فى الكتب التاريخية، يعتبر نظرة تاريخية لحقبة معينة على مدى التاريخ إنما فى الواقع ليس هناك ما نسميه بالديانة اليهودية بالمعنى الحقيقى للكلمة، ولا الديانة المسيحية بالمعني الحقيقي ، هى ديانة واحدة. ولذلك تجد جميع الديانات إذا استخدمنا هذا التعبير الإجتماعى، لها أصول عامة واحدة، وقمنا بعمل بحث فى هذا الموضوع ووضحنا أن كل المبادئ الموجودة فى الكنيسة المسيحية، أو الديانة اليهودية، نجد نظائرها موجودة فى الشعوب الوثنية، وفى الفترة السابقة على موسى النبى، مثل فكرة الصلاة، فكرة الصوم، فكرة الأعياد، فكرة مكان معين يخصص للعبادة، فكرة أن هذا المكان يدشن، فكرة أن هناك قبلة يتجه إليها الإنسان، فكرة الأعياد، فكرة الكاهن والذبيحة والكهنوت، فكرة الصلاة على الراقدين، فكرة الصلاة على المتزوجين، فكرة الحج إلى أماكن معينة، كل هذه أصولها العامة واحدة فى جميع الأديان، مما يدل على أنه كانت هناك ديانة واحدة أصيلة وهى ديانة أبونا آدم الأول، آدم كان نبيا وأوحى إليه، فتلقى آدم وحده كيف يعبد الله، هناك حقائق لاهوتية تتصل بالعقائد الإيمانية بلاشك أنها أوحيت لآدم، وآدم كان عنده الوحى، واضح جداً إن ربنا عهد إلى آدم أن يسمى الكائنات والحيوانات والجمادات بأسمائها، والله لم يراجع آدم بكل ما سمى به آدم الحيوانات والطيور، فقد أيدها الله ولم يحدث مرة واحدة أن الله راجع آدم وقال له: لا .. أنت أخطأت، لأنه سبق فأعطاه السلطان أن يكون ظل الله على الأرض يشبهه ولا يساويه، وأنه عن طريق آدم تلقت البشرية العلوم الإلهية الأولى، ومن آدم مثلا عرف مبدأ الذبيحة، لأن أول من قدم ذبيحة كان آدم، ومن جلد هذه الذبيحة صنع الله ملابس وألبس آدم وحواء، وسترعورتهما، فأول من قدم الذبيحة هو آدم، وأول كاهن هو آدم، وأول نبى هو آدم، لأن النبى معناه ينبئ، وحتى كلمة «لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويرتبط بزوجته» هذا الكلام كان يمكن أن لا يقال فى الكتاب المقدس، لو لم يكن آدم قاله بروح النبوءة على مستقبل الأيام، فإذن هناك وحى، هناك وحى قبل موسى، لم يكن موسى أول من أوحى إليه، طبعا من الواضح أن أبونا ابراهيم كان يتلقى من الله وحى، وكان يأمره ويقول له اعمل كذا وكذا، وكان الله يظهر لإبراهيم فى شكل ثلاثة رجال وكان ابراهيم يكلمهم،

فظهر الله له عندما قال له «اخرج من أرضك ومن عشيرتك إلى الأرض التى أريد»، وعندما كلمه أن يقدم ابنه اسحق ذبيحة، هذه لفتات صغيرة تبين أن ابراهيم كان يتلقى من الله وحى. إذن لم يكن موسى وحده هو الذى تلقى الشريعة، إنما آدم و ابراهيم و هابيل أيضاً. كل هؤلاء الآباء العظام الذين يسمونهم بطاركة، (كلمة بطريرك معناها رئيس أباء) البطاركة ابراهيم، اسحق، يعقوب، موسى، داود، حتى أننا نجد فى العهد الجديد، يقول ورئيس الآباء داود، فهؤلاء أيضا تلقوا وحياً من الله، وبالوحى كتب سفر المزامير كله وهو جزء من الكتاب المقدس، وهذه المزامير نفسها كان يرتل بها فى الكنيسة اليهودية، وأدخل داود النبى نظام الموسيقى، وأيضا تقسيم الكهنة إلى ٢٤ فرقة وكل فرقة يكون لها وقت من أوقات العبادة، كل هذه التنظيمات تدل على أن الوحى الإلهى لم يكن فقط لموسى وإنما لآدم أولا، وبعد ذلك للبارزين من أولاد آدم.

الوصايا العشر

ما نسميه بالوصايا العشر جاءت واضحة فى الإصحاح العشرين من سفر الخروج، عندما تجلى الرب بهيئته العظيمة، وبجلاله على جبل حوريب فى سيناء.

وسلم الوصايا العشر لموسى النبى على لوحين من الحجر، مكتوبة بأصبع الله، ولكن مع بالغ الأسى والأسف أن اللوحين حطمهما موسى وهو نازل من على الجبل، عندما رأى أن الشعب ضل وصنعوا لأنفسهم عجلا من ذهب وعبدوه، وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أخرجتك من أرض مصر، فموسى النبى بحرارة روحية غضب جدا، فقد صوابه، فرمى اللوحين فانكسرا وتحطما، ومرة أخرى صعد موسى الجبل وسلم الوصايا العشر.

الوصايا العشر مكتوبة على لوحين، اللوح الأول فيه أربع وصايا، الوصايا التى يلتزم بها الإنسان نحو الله، واللوح الثانى عليه ست وصايا وهى الوصايا التى يلتزم بها الإنسان نحو الناس الآخرين خارجا عن ذاته.

الوصية الأولى:

فى وصايا اللوح الأول، الوصية الأولى «أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامى».

معروف أن الوصية الأولى تدعو إلى عبادة الإله الواحد، وهذا الإله الواحد مُعرّف، حتى لا يتوه بنى إسرائيل فى معرفة من هو الإله الواحد، الذى أخرجهم من أرض مصر بيد شديدة، وذراع ممدودة، «أنا الرب إلهك، (يعرف نفسه) «أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر

من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامى، كلمة «الرب» هنا فى الواقع هى يهوه، و «يهوه» هو الإسم الشخصى لله، لأن الله ليس الإسم الشخصى، «الله» فى اللغة العربية من «إله»، «يأله» بمعنى ما حيّر العقل، فكلمة الله أو ألوهيم فى الكتاب المقدس، اسم نوع، وليس اسم شخص، موسى جرؤ علي أن يسأل الله فقال له عندما يسألنى الشعب من الذى قال لك أن تخرج فبماذا أجيب فمن أنت؟ فقال له أنا يهوه، و«يهوه» كلمة عبرانية تفيد «أنا الكائن الدائم، الماضى والحاضر والمستقبل»، يهوه من فعل «أهيه» فعل الكينونة، وهو الفعل المضارع، كلمة يكون، و فى العربية عندما نقول الكائن، معناها الذى هو كائن دائما، كائن فى الماضى وكائن فى الحاضر، وكائن فى المستقبل. ولذلك فى العهد الجديد فى سفر الرؤيا نقول «الله هو الكائن والذى كان والذى يأتى»، وفى القداس الغريغورى عندما نوجه الكلام لله نقول: «أيها الكائن الذى كان، الدائم إلى الأبد» فهذا مأخوذ من كلمة يهوه بالعبرانى معناها الكائن الدائم، الدائم هو الله ومعناه الكائن دائما، الكائن باستمرار، وكما قال سيدنا له المجد لليهود فى يوحنا ٨ عدد ٥٨: «الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن». فهنا كلمة الكائن والكائن دائما هو الله، هذا معنى كلمة يهوه. ولكن لما كان هذا الإسم هو إسم الذات الإلهية، فاليهود فيما بعد أصبحوا يتورعون من أن ينطقوا اسم يهوه، بإعتباره أنه الإسم الذى لا ينطق به، لذلك نقول فى القداس «الذى لا ينطق به» بمعنى أن لسان الإنسان لا يمكن أن يكون فى درجة الطهارة، أو درجة الإستحقاق أن ينطق بالإسم الإلهى ذاته. حتى فى اللغة العربية فى بعض الأحيان، بدلا من أن يقول الله دائما باستمرار فلئلا يبتذل هذا الإسم العظيم، يقولوا اسم الجلالة، واسم الجلالة معناه واحد وهو الله، فهنا اليهود تأدبا من أن ينطقوا باسم الله المشخص «يهوه»، كانوا ينطقوا «أدوناى»، أمامه كلمة يهوه لكن ينطق أدوناى، وأدوناى معناها الرب أو السيد بالعبرانى، ينطق الإسم نطقا خلاف المقروء، لأن القارئ يرى أنه ليس أهلا أن ينطق بإسم الذات الإلهية، لأن هذا هو الإسم الذى لا ينطق به، وكان النساخ اليهود عندما كان ينسخ، ويكتب اسم يهوه، لابد أن يغير الريشة، أو سن الريشة. وهذا علامة إجلال، ولابد أن يعتدل فى جلسته، لأنه يكتب اسم ربنا، فليس من الأدب أن يكتب الإسم الإلهى وهو مائل بجذعه نحو اليمين أو اليسار أو يكون متكئا، فكان يعتدل فى جلسته، فإسم ربنا متميز، كل ذلك علامة التقدير والإحترام وحتى لا يبتذل اسم الله، فكلمة «أنا الرب إلهك» عندما تبحث عنها فى الكتاب المقدس فى الأصل العبرانى تجدها يهوه ولكن أصبح لا ينطق بها، ولذلك نجد اللغة الإنجليزية، يقول (THE LORD) إنما الفرنسية يقول (L'ÉTERNEL) و(L'ÉTERNEL) معناها الأزلى الأبدى وهو يهوه، لأن يهوه معناها الكائن دائما، أى الأزلى الأبدى، أو السرمدى ، ففى الوصية الأولى يقول «أنا هو الرب إلهك» وهنا

(الرب ـ ثم إلهك) . فيه إزدواج، الرب وإله، هنا تخصيص إلهك حتى لا يختلط فى ذهن اليهود أو بنى إسرائيل هذا الإله بآلهة أخرى، كان يعبدها شعوب أخرى، الرب هنا يهوه وإلهك الإله الذى تعبده، ليس عبثا أن يكون فيه إزدواجية فى التعبير، «الرب وإلهك» هذه مقصودة كلمة أنا هو الرب، وأنا يهوه، وإلهك، تمييزا عن الآلهة الأخرى كما يقول فى موضع آخر «للرب إلهك تتقى وإياه تعبد. وباسمه تحلف»، تتقى هنا بمعنى تخافه، تتقى غضبه، تتقى من التقوى، ومن هنا كلمة التقوى فى اللغة العربية معناها أنه يتقى غضب الإله.

للرب إلهك تتقى وإياه تعبد، وكلمة إياه هنا تخصيص حتى لا يعبد إله آخر من الآلهة الأخرى، وباسمه تحلف، وهذا هو السبب فى العهد القديم أن أبيح الحلف والقسم، على أساس أنه علامة تعبد لهذا الإله، كان القسم مباح فى العهد القديم، وسنرى عندما نصل إلى الوصية الثالثة أن القسم كان مباح كعلامة تبعية للإله، فهناك ضرورة من أجلها أباح الكتاب المقدس أو أباح ربنا بل أمر بأن يكون هناك قسم بالإله وحلف باسمه، علامة تعبد، وعلامة تبعية لهذا الإله وأنه لا يعرف غيره وكما نقول حتى فى القداس: «أننا لا نعرف إله آخر سواك» فأنا هو الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر، من بيت العبودية لا يكون لك آلهة أخرى أمامى، وهنا إشارة إلى تعدد الآلهة الذى كان معروفا فى ذلك الوقت وفى ذلك الزمان.

الوصية الثانية :

الوصية الثانية من وصايا اللوح الأول: «**لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صنما** صورة ما فى السموات من فوق» هذا هو النطق بحسب النص العبرانى، وفى بعض الترجمات «ولا صورة» ولكن هى «لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صنما صورة ما فى السموات من فوق» لأن الأصنام لما عملت، عملت لكى تكون صورة، ما فى السموات، مثل قدماء المصريين عبدوا العجل أبيس، لم يعبدوا العجل ذاته، فهم لم يكونوا بهذه الدرجة من العقلية حتى يعبدوا عجل، لم يكونوا بهذا المستوى المنخفض حتى يعبدوا حيوان، ولكن اعتقدوا أن هذا العجل فيه قوة إلهية، أودع فيه الله قوة معينة، فهم عبدوا هذه القوة الموجودة بالثور ومعروف أن الثور رمز القوة. حتى أنه من وقت طويل كان الإعلان عن «الكينا» يصور ثور شايل الأرض كلها وما عليها، لأجل ذلك يقولون أن الدنيا كلها على قرن ثور، هذه صورة لأن الثور أقوى البهائم، وهذا هو السبب فى أن رأس الكاروبيم من أربعة أوجه، فالوجه الأول شبه أسد، والوجه الثانى شبه الثور، والوجه الثالث شبه النسر، والرابع شبه إنسان. ربنا سيد الطبيعة، والطبيعة فيها وحوش، والأسد يعد ملك

الوحوش، وفيها بهائم وهى الحيوانات الهادئة، وملك هذه البهائم هو الثور، وفيها طيور والنسرهو ملك الطيور، وفيها الإنسان، فالله هو سيد الطبيعة كلها، فقدم وسيلة إيضاح لسيادته على الكون كله، والكاروبيم هم حملة العرش يعطون صورة عن سيادة الرب على الطبيعة، لذلك كل واحد منهم له رأس، والرأس لها أربعة أوجه، صعب جدا أن الرأس لها أربعة أوجه، من ناحية شبه أسد، ومن ناحية ثانية شبه ثور ومن ناحية ثالثة شبه إنسان ورابعة شبه نسر.

فعندما عبدوا قدماء المصريين العجل أبيس لم يكونوا بلهاء بالصورة التى نحقرهم بها، خصوصا أبناء الجيل الحاضر عندما يتكلموا عن الوثنية بإحتقار، كيف يعبد الإنسان عجل؟ لم يعبدوا العجل كحيوان، إنما عبدوا القوة الإلهية التى يجسدها هذا الكائن. وهكذا أيضا عندما عبدوا النيل، وعندما عبدوا الجعران، الجعران يمثل حشرة لكن رأوا فيه رمزا للإله، لأنهم وجدوه يدحرج بيضته أمام الشمس، فوجدوا فى هذه الحركة معنى الأزلية والأبدية، الله أزلى أبدى لابداءة له ولا نهاية له، ولأجل ذلك الجعران فى مصر القديمة كان اسمه (خبر) وأصبح فى القبطى (شوبى) وشوبى معناها الكائن، الكائن دائما فكيف يعبد قدماء المصريين حشرة اسمها الجعران؟ لأ .. إنهم لم يعبدوا الجعران فى ذاته، إنما رأوا فى الجعران شيئا يشير إلى القوة الإلهية غير المنظورة، لأن الله غير منظور، إنما بعض صفاته تتجسد فى حيوانات، فاحترموا هذه الحيوانات على أساس أن فيها صفة من صفات الإله، نقول أيضاً أن قدماء المصريين عبدوا البقرة، هذه هى النظرة السطحية فى الموضوع، إنما هم رأوا فى البقرة أنها حلوب، فرأوا فيها فكرة الخصوبة والنماء، وأن منها نأخذ اللبن وأن اللبن حياة الأطفال وحياة الكبار. فالفكرة أن الإله غير منظور ولكن له صفات كثيرة، فوجدوا فى بعض الكائنات صفات تمثل صفات الله، فإحترام هذا الحيوان هنا عبادة، ولكن ليس بمعنى العبادة للإله الواحد، ولكن رأوا فيه شيئا من القوة الإلهية أو صفة من صفات الإله فأكرموه.

نعود هنا للنص العبرانى «**لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صنما** صورة ما فى السموات من فوق» كلمة الصورة التى يتخذها البروتستانت لكى يمنعوا مبدأ الصور فى الكنائس، لكن فى الآية صورة ما فى السموات أى التمثال نفسه، فالمقصود هنا صنع التماثيل التى هى صورة ما فى السماء أو فى الأرض، «صورة ما فى السموات من فوق وما فى الأرض من تحت»، وهى الحيوانات والدواب، «وما فى الماء من تحت الأرض» مثل التمساح، وقد عبد وكانوا يسموه الإله (سبك).

فعبادة هذه الحيوانات ليست لذاتها ولكن لأنهم أحسوا أن فيها تجسيد للإله أو لصفة من صفات الإله.

المهم هنا كلمة صورة كما جاءت فى اللغة العبرانية ليست كما يظن الناس أو يفهموها ويستغلوها من أجل مبدأ إنكار وجود الصور فى الكنيسة. لأنه يقول «لا تصنع لك **تمثالا منحوتا ولا صنما** صورة ما فى السموات»، لم يقل ولا صورة.. لا.. قال: **ولاتمثالا** صورة ما فى السموات من فوق وما فى الأرض من تحت وما تحت الأرض، وهى التماثيل والأصنام التى تعد صورة السمائيات أو صورة الأرضيات أو صورة الأسماك والتماسيح إلى آخره.

«لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور. أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع من مبغضى وأصنع إحسانا إلى ألوف من محبى وحافظى وصاياى».

الوصية الثالثة :

الوصية الثالثة من وصايا اللوح الأول «لا تنطق باسم إلهك باطلا لأن الرب لا يبرئ من نطق بإسمه باطلا».

الوصية الرابعة :

الوصية الرابعة هى آخر وصية فى اللوح الأول «اذكر يوم السبت لتقدسه» وهنا السبت معناه يوم الراحة، لأن كلمة سبت باللغة العبرانية تنطق «سباق» وهى تعنى راحة الأسبوع.

فالوصية الرابعة أذكر يوم السبت لتقدسه، لا تصنع عملا ما لا أنت ولا إبنك ولا إبنتك ولا أمتك ولا أجيرك الذى فى داخل أبوابك، لأن الرب فى ستة أيام صنع السموات والأرض واستراح فى اليوم السابع لذلك آمرك أن تقدس يوم السبت.

الوصية الخامسة :

اللوح الثانى يحمل الست وصايا الأخرى، التى تُعَين ما يلتزم به الإنسان نحو الناس. أول وصية فى اللوح الثانى أكرم أباك وأمك وهى تعد الوصية الخامسة لكنها الأولى فى اللوح الثانى، «أكرم أباك وأمك لكى تطول أيام حياتك التى يعطيك الرب إلهك إياها على الأرض».

الوصية السادسة ... إلى العاشرة :

الوصية السادسة وتعتبر الثانية فى اللوح الثانى «لا تقتل» السابعة «لا تزنى»، الثامنة «لا تسرق»، التاسعة «لا تشهد على قريبك شهادة زور»، العاشرة «لا تشتهى إمرأة قريبك ولا بيته ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك»، وهى الوصية السادسة من اللوح الثانى.

هذه الوصايا معروف أنها جاءت فى الإصحاح العشرين من سفر الخروج وهى كما قلنا لا تعد وصايا جديدة لأنها كانت معروفة من أيام آدم الأول، ولا شك أنه إبتداء من آدم حتى موسى كانوا يتبعون هذه الوصايا، بالتلقين من الأب للإبن وهذا ما يسمى بالتقليد.

التقليد :

التقليد هو عبارة عن المسلمات أو الأشياء المسلمة إينا عن أب، أو خلفا عن سلف، أو حفيدا عن جد وهذا ما يسمى بالتقليد، وهناك فرق بين التقليد، والتقليد بمعنى المحاكاة. فى اللغة العربية أحيانا يقول فلان يقلد كذا بمعنى يحاكيه، لكن فى اللغات القديمة هناك كلمتين مختلفتين، فالتقليد فى اليونانية Παραδοσις يعنى شيئا يعطى أو يسلم من يد إلى يد ولذلك يسمى تقليد أو يسمى تسليم، يقول بولس الرسول «لقد تسلمت من الرب ما قد سلمتكم أنه فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزا..»، تسلمت من الرب فهنا كلمة تسليم فى اللغة العربية بمعنى تقليد ولكن مع التفريق بين التقليد بهذا المعنى وهو المسلمات أو الأشياء التى تسلم من جيل إلى جيل والمحاكاة وهى تقليد آخر بمعنى يحاكيه، وفى اللغات الأخرى كلمة التقليد فى اللاتينى تيرادسيو، ومنها جاءت كلمة (TRADITION) بالإنجليزى أو (TRADITION) بالفرنساوى، وهى غير كلمة المحاكاة، المحاكاة نسميها بالإنجليزى (IMITATION) إذن هناك كلمتين منفصلتين.

ففى العهد السابق على موسى النبى كان هناك نفس الوصايا العشر معروفة، لأن أبونا آدم وأولاده، كلهم حتى عهد موسى كانوا يسيرون على هذه الشريعة ولذلك نجد بشر غير مسيحيين وغير يهود وغير مسلمين من الشعوب التى نسميها وثنية عندهم مبدأ عبادة الإله، وعندهم مبدأ إحترام يوم معين، وعندهم مبدأ إكرام الوالدين ويعلموا أن القتل خطأ وحرام، والسرقة خطأ، والزنا خطأ، وشهادة الزور، كل هذه مبادئ نسميها «الشريعة الطبيعية» مطبوعة فى قلب الإنسان وهى التى نسميها الضمير، لأن الضمير عبارة عن الشريعة الإلهية، والضمير بمعنى أضمر يضمر، أو أبطن يبطن. وكلمة الضمير مكتوبة فى جميع لغات العالم غير مخصصة لشعب معين أو دين معين، كل بشر عنده كلمة ضمير، فإذن هناك المبادئ الأخلاقية موجودة فى قلب كل إنسان، لأنه خلق على صورة الله وعلى مثاله، فوجودها فى موسى النبى أو فى الوصايا العشر ليس معناها أنها بدأت من هنا. إنها بدأت من أيام أبونا آدم، وكل الجنس البشرى قبل موسى كان يعلمها، وأيضا حتى اليوم نجد الشعوب التى لا تعرف شيئا عن موسى، أو غير موسى، ولاكتاب مقدس... ولا غيره يكرم والديه ويعرف أن القتل خطأ والسرقة خطأ وأن الزنا خطأ، وهذه هى الشريعة الطبيعية.

إذن الوصايا العشر موجودة فى البشر جميعا، لذلك فى العهد المسيحى نجد سيدنا له المجد لا يحتاج أبدا أن يقول مبادئ جديدة، حتى أنه لما سئل: ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ قال كيف تقرأ، أى كيف تقرأ فى الشريعة، وقال له احفظ الوصايا، حتى أن الشاب أجاب هذه حفظتها منذ حداثتى، فسيدنا لم يراجعه فى هذا بل قال له يعوزك شئ واحد اذهب وبع كل مالك ووزعه على الفقراء.

إذن الوصايا العشر وصايا ليست قاصرة على اليهود، أو ما نسميه العهد القديم. إنما هذه الوصايا موجوده فى العهد الجديد. وسيدنا المسيح أشار إليها كثيرا بطريقة تلقائية، فقد جمعها فى مبدأين وقال «أن تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك» هذه هى الوصية الأولى والوصية الثانية مثلها «تحب قريبك كنفسك» بهاتين الوصيتين تتعلق الشريعة كلها وكتب الأنبياء. المسيح نفسه يقول أنه بهاتين الوصيتين تتعلق الشريعة والناموس كله والأنبياء، إذن ليست وصايا جديدة ولكنه لخص الوصايا العشر فى وصيتين.

الوصايا الأربع الأولى التى فى اللوح الأول، لخصها المسيح فى «أن تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك».

الوصايا الست الثانية لخصها فى كلمة واحدة «أن تحب قريبك كنفسك» لأنه إذا كان الإنسان يحب الله لا يمكن أن يعبد إله آخر. ولا ينطق باسمه باطلا ولا يهمل اليوم المقدس بل يعتبره يوم الرب ويحترمه، وإذا كان يحب قريبه فمن غير المعقول أن يهين أمه أو أبوه فإذن المحبة تنطوى على إكرام الوالدين، وإذا كنت أحب أحدا لا يمكن أن أقتله لأن القتل معناه بغضة، وقبل أن يقتل الإنسان يبغض أخاه. لكن إذا كانت هناك محبة فطبيعى لا يقتل. وإذا كان هناك حب أيضا لا يكون هناك زنا، لأن الزنا فيه أنانية . ولا يكون هناك سرقة ومن غير المعقول أنى أحب أحد وأشهد عليه شهادة زور، أو أحب أحد واشتهى ما يملك، بل إنى احترم ملكيته لهذا الشئ، ويستحيل أنى أتعدى عليه لأنى أحبه. فإذن وجدنا أن سيدنا له المجد لخص العشر وصايا فى وصيتين. وفيما بعد جاء بولس الرسول وجمع الوصيتين فى وصية واحدة حيث قال «أما غاية الوصية فهى المحبة. من قلب طاهر وضمير بلا رياء» لأن فى هذه الآية تحب الرب إلهك من كل قلبك، وتحب قريبك كنفسك. فأصبحت المحبة هى القاسم المشترك التى تجمع الآيتين.

العهد الجديد متمم للعهد القديم

قلنا أنه ليس هناك من جهة الواقع ما يسمى بالديانات، هناك ديانة واحدة، لأن الديانة هى عبارة عن الروابط التى تربط الإنسان بخالقه، الديانة من دَان يُدين، أو من دَنَى يَدنو، فدنى يدنو بمعنى اقترب، فالقواعد التى تنظم هذه القرابة أو إقتراب الإنسان بالله تسمى ديانة، ودان يدين بمعنى حكم يحكم أى العلاقات التى تحكم بين الإنسان وبين خالقه ونحو الناس، فباللغات الأجنبية نقول (RELIGION) والكلمة اللاتينية (RELIGO) ربط ثانية، وكلمة (RELIGION) أو الكلمة اللاتينية نفسها، تفيد معنى الروابط التى تربط الإنسان من جهة وخالقه من جهة أخرى. فإذا أردنا الدقة ليست هناك ديانات، لأن هناك ديانة واحدة بدأت بأبونا آدم الأول، وبعد ذلك الأنبياء، فلما جاء عصر موسى أراد الله أن يصحح بعض المفاهيم، التى خطئ فيها بعض أولاد آدم من طول المدة أو لسبب إنحرافات معينة، فجاء موسى ليصحح هذه الإنحرافات أو يحددها. نتيجة سوء الفهم أو سوء التطبيق وهذا ما لاحظناه، عندما كان المسيح له المجد، يلوم الكتبة والفريسيين فى تفسيرهم النصوص المقدسة، ودائما كان يدعو إلى تصحيح الفهم أو إلى إيضاح أمور فهموها بمعنى ضيق فيعطيهم المعنى الأعمق، بدون أن يقول أنه جاء بجديد. وحتى عندما قال وصية جديدة، هذه الوصية الجديدة بناها على القديم، لأن المسيح له المجد جمع العشر وصايا فى وصيتين، فالأربع نواهى الأولى جمعها المسيح فى وصية إيجابية فقال «أن تحب الرب إلهك...» الأربع فى وصية واحدة، فالمسيح لا يُعِد أتى بشريعة جديدة وإنما أعطى وصية إيجابية لأن الإنسان عندما يحب يمتنع عن أن يصنع شيئا يغضب الله بل إن الحب يدعوه أن يعمل ما هو أكثر من إتقاء غضب الإله، ومن أن يخالف أمره، إنما الحب يدفعه إلى أن يعمل أعمالا أخرى إيجابية، فالحب يعطى شحنة عاطفية تدفع الإنسان إلى كثير من أعمال البذل والتضحية، بذل الجهد وبذل المال وبذل الحياة، وأن يهلك حياته فى سبيل إرضاء الله.

كذلك فيما يتصل بوصايا اللوح الثانى وأولها أكرم أباك وأمك لكى تطول أيام حياتك على الأرض، وصحيح أن الوصية الخامسة إيجابية أكرم أباك وأمك، إنما الوصايا التى تليها كلها ناهية لا تقتل لا تزنى لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشتهى بيت قريبك ولا إمرأته، جمعها السيد المسيح فى وصية واحدة لأن الحب يجعل الإنسان لا يؤذى غيره، ففرق أن يكرم الإنسان أباه وأمه كواجب، وبين أن يحب أبوه وأمه، فالإكرام تعبير عن الحب. ودليل على أن الإكرام نفسه شحنة وقوة، بحيث أن الإنسان يتجه نحو الإكرام بوسائل مختلفة، فكلمة الحب هنا أقوى، فمن

جهة جمعت الوصايا الست الثانية كلها فى وصية واحدة، لكن هذا الجمع ليس مجرد أنه جمع النواهى إنما أضاف إليها شحنة عاطفية تجعل الإنسان مستعدا للبذل والتضحية فى سبيل تنفيذ هذه الوصايا.

إنى لم آت لأنقض بل لأكمل:

إن المسيح له المجد قال صراحة إنى لم آت لأنقض أو لأهدم الشريعة والأنبياء أو أقوال الأنبياء، لم آت لأنقض بل لأكمل. لم آت لأنقض وأعمل شريعة جديدة، بل إنما أتيت لا لأنقض بل لأتمم، وهنا التتميم له معنيان :

أولا: التتميم بمعنى التنفيذ:

أ ـ فى شخصه :

المسيح نفذ ما أمرت به الشريعة فى نفسه أولا، لأنه هو كإنسان وكصورة آدم الثانى لم يجعل نفسه فوق الشريعة، إنما جعل نفسه تحت الشريعة، فى كل شئ خضع المسيح تماما للشريعة، ومادام هو خاضع للشريعة فكيف ينقضها؟ فهو نفذها فى كل شئ. فى الصلاة، وفى الصوم، كما ذهب إلى الكتّاب وهو صغير، وتعلم درس الكتاب المقدس... وكان يذهب كل سنة فى عيد الفصح مع أبويه إلى الهيكل، لأن موضوع الحج كان مهما بالنسبة لليهود فى كل سنة، أما بالنسبة للمسيحيين فإذا لم نذهب أورشليم أو القدس هذا لا يحرمنا من الأبدية لسبب عدم قدرتنا على زيارتها، إنما تعتبر شئ مفيد لكى نتعلم، نأخذ مادة روحية تساعدنا على النمو الروحانى، وهى غير حتمية بالنسبة لإخواننا المسلمين، الحج يكفى مرة واحدة فى الحياة إلا إذا أضاف إليها مرة ثانية أو ثالثة أو رابعة تعد فضيلة زائدة إنما يكفى مرة واحدة. أما اليهودى فكان الحج بالنسبة له ضرورى سنويا فى عيد الفصح، لأجل ذلك كان الزحام على أشده. فبالنسبة لليهودى مفروض فى عيد الفصح أن يذهب إلى أورشليم لأنه لايوجد غير مكان واحد ينبغى فيه السجود وهو أورشليم كما كانت الشريعة تتطلب هذا. وكان كل سنة سيدنا له المجد ينفذ هذا الكلام، لا يوجد شئ فى الشريعة إلا ونفذها المسيح. حتى الإضافات فى عملية الفصح التى أضافوها الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى بوحى من الله مثل تلاوة بعض المزامير، وأيضا شرب أربعة كؤوس من الخمر، هذه الإضافات احترمها المسيح تماما، فلما مارس الفصح اليهودى ولاسيما السنة الأخيرة، مارسها ليس طبقا لما وضعه النبى موسى فقط، وإنما أيضا حسب ما أضافه الأنبياء الذين أتوا بعد ذلك، وفى كلام سيدنا له المجد عبارة فى غاية الأهمية تدل على منهجه ونظرته إلى هذه الأمور، قال: «على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوه

لكم افعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، كلمة كرسى موسى مثل كرسى الأستاذية فى الجامعات، وكذلك فى الكنيسة، فهناك كرسى البطريرك أو كرسى الأسقف، لا بمعنى الكرسى الخشب وإنما المسئولية، هنا الكرسى بمعنى مركز المسئولية، فالمسيح نفسه قال على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون، وهنا إشارة إلى الوضع وإلى المسئولية فكل ما قالوه لكم افعلوه.

إذن المسيح احترم ليس فقط الشريعة فى عهد موسى، ولكن حتى الإضافات الأخرى التى أضافها الأنبياء من أمثال داود النبى، وداود من ضمن التنظيمات أنه نظم الترنيم وتقسيم الكهنوت إلى ٢٤ فرقة... الخ فالكنيسة ككائن حى متطور يمكن أن تحصل فيها إضافات، بشروط أن تكون هذه الإضافات بمعرفة أشخاص موكلين من الله وهذا ما نسميه بالتقليد الرسولى، ولذلك نحن نحترم هذه التقاليد والتعاليم اللى وضعها آباء متأخرون على الرسل، مثل القديس باسيليوس والقديس غريغوريوس والقديس يوحنا ذهبى الفم والقديس كيرلس والقديس أثناسيوس الرسولى، وهؤلاء آباء غير عاديين، هم آباء فى درجة الرسل من جهة الروحانية ومن جهة السلطان، فالكنيسة ككائن حى تقبل إضافات على مدى التاريخ، بشرط أن تكون هذه الإضافات جاءت بسلطة إلهية أيضا. لأن الكنيسة ليست كائن متحجر، وهذا رد غير مباشر لمن يقول أن الأصوام لم تكن كذلك فى العصر الرسولى، فلنفرض أنه حصلت إضافات فنحن لا نستطيع أن نتحلل من إحترام ما رسمه الآباء الروحانيون، وآباء موكول إليهم ولهم السلطان من الله أن يرتبوا الكنيسة، فبولس الرسول يقول لتيموثيوس «الأمور الباقية فعندما آجئ أرتبها»، فهناك ترتيبات رتبها الآباء الرسل ورتبها الآباء الذين جاءوا بعد الرسل أيضا.

قانون الإيمان لم يكن موجود فى الكتاب المقدس، إنما وضعه آباء مجمع نيقية، وعلى الخصوص أثناسيوس الرسولى، قانون الإيمان كل حرف فيه يستند إلى نصوص الكتاب المقدس، و له إحترامه عند جميع المسيحيين شرقا وغربا، ولذلك نتلوه واقفين إحتراما لهذا القانون لأنه يحدد العقيدة، وهكذا أيضا فيما يتصل بالقداس وفيما يتصل بكل صلوات الكنيسة المرتبة فى المعمودية، فى الميرون، فى الزواج، فى الرسامات الكهنوتية، فى مسحة المرضى، هذه الأشياء أصولها واحدة، لكن حدثت إضافات فى تاريخ معين وإلى مدى معين وهى إضافات الآباء المعتبرين أعمدة، القديسين الكبار عمالقة الروح، ونحن لا ننكر أنه حصل إضافة، لكن هذه الإضافة لها إحترامها، فسيدنا له المجد نفسه احترم كإنسان الشريعة وما قاله موسى، وكذلك احترم أيضا ما جاء بعد موسى، قال : «وعلى كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون، فكل ما قالوه لكم افعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا». وبهذا أعطى المسيح له المجد الشرعية

للإضافات التى حدثت بعد موسى، ولكن فى التطبيق كان المسيح يصحح بعض الأشياء، مثل ما اخترعوه الكتبة والفريسيون، أن الإنسان ممكن يتحلل من إكرام والديه. بأنه يقدم الإكرام للهيكل، كان الكتبة والفريسيين ينفذوا هذه الأشياء من أنفسهم، ولهذا يقول لهم «أبطلتم وصية الله». وكانت هذه النقاط هى السبب لتدخل المسيح وتصحيح بعض مفاهيم أو تصحيح تطبيق الشريعة، لأن الشريعة فى ذاتها احترمها المسيح، احترم موسى، احترم ما قبل موسى، وقال فى موضوع الزواج لم يكن من البدء هكذا.... إذا كان موسى قد سمح لكم بالطلاق فمن أجل قساوة قلوبكم، وهنا الفرق بين «شرع» وبين «سمح»، فمع شر البشرية قرر شئ من السماح، وما سمح به ليس هو الأصول، أو الوضع الحقيقى، لكن المسيح بالإضافة التى صنعها كان يرد الموضوع إلى الوضع القديم، إذن المسيح فيما يتصل بالشريعة السابقة على ظهوره فى الجسد، قال «لم أنقض بل لأكمل»، ولذلك هو كمثل أعلى للإنسان بصفته آدم الثانى نفذ وخضع. السيدة العذراء حملت المسيح فى اليوم الأربعين لميلاده وذهبت لتقدم ما أمرت به الشريعة عن تطهيرها، العذراء كانت طاهرة، وطاهرة الأطهار وعذراء العذارى، إنما هذا يدل على مدى إهتمام المسيح ومدى إهتمام العهد الجديد بإحترام الشريعة القديمة، فالمسيح نفذها على نفسه، فلا يوجد شئ واحد نستطيع أن نقول أن المسيح أعفى نفسه منه. حتى عندما جاء يوحنا، رغم أن العماد بالنسبة لوقت يوحنا لم يكن من الشريعة القديمة، ولا يوجد فى الشريعة أن الإنسان لابد أن يتعمد بالتوبة، ثم إن المسيح ليس فى حاجة إلى التوبة، ومع ذلك لما جاء إلى يوحنا قال له «اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر» ويوحنا الرجل المختص بهذا الموضوع، قال له أنت غير محتاج إلى هذا...» فيوحنا صاحب الحق فى أن يقول هذا صح وهذا خطأ لأنه نبى من الله، صاحب الحق نفسه المختص قال له أنت فى غير حاجة إلى هذا بل أنا المحتاج أن اعتمد منك، ولكن السيد المسيح قال له اسمح الآن هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر، فالسيد المسيح لم يستثنى نفسه من الشريعة.

ب : فى تعليمه:

وأيضا فى تعليمه بالنسبة للآخرين كان ينادى وكان يحض على إحترام الشريعة، فلما شفى الإنسان من البرص، مع العلم بأنه هو الذى أجرى الشفاء قال له إذهب أر نفسك للكاهن، وقدم عن تطهيرك ما أمر به موسى، لم يقل بحسب ما أمر الله به ولكنه قال ما أمر به موسى، اذهب أر نفسك للكاهن؟! أى كاهن؟! أنت هو رئيس الكهنوت كله، لا.. لم يسمح المسيح لنفسه أبدا بأن ينقض، لا بالنسبة له، ولا بالنسبة للآخرين أيضا. لم يشجع أحدا على أن يخالف الشريعة أو ينقضها أو يتساهل أو يتسيب فى إحترامه للشريعة. بل أمره اذهب أر نفسك للكاهن وقدم عن

تطهيرك ما أمر به موسى، وفى موضع آخر ما أمرت به الشريعة، لأن موسى لم يأمر من نفسه، لأن موسى كان شخص نبى موحى له من قبل الله، فعندما نقول شريعة موسى فى الكتاب المقدس، كلمة شريعة موسى هنا ليس معناها أن موسى شرع؟ لا إنما على لسانه أو عن طريقه، كذلك عندما نقول هيكل سليمان ليس معنى ذلك أن سليمان يعبد. أنا أقول هذا الكلام لأن هناك بعض الناس يقولون لماذا يسمى هذا الصوم صوم الرسل؟ أنتم تصوموا للرسل، لماذا سمى صوم العذراء؟ أنتم تصوموا للعذراء، لا... نسميه صوم الرسل لأن الرسل هم الذين صاموا، فسمى من بعدهم بذلك، ونقول صوم العذراء لأنه ينتهى بعيد صعود جسدها إلى السماء، فنحن لا نصوم للعذراء كما لو كانت العذراء إلها... وهكذا عندما نقول عيد الرسل، وعندما نقول كنيسة مار جرجس، أو كنيسة العذراء، هكذا عندما نقول شريعة موسى، المسيح نفسه استخدم هذا التعبير، موسى كان وضعه وضع الوسيط بين الله وبين الناس، من خلاله، لأنه هو الذى كان يصعد فوق الجبل وهو الذى كان يبلغ الرسالة فسميت الشريعة بشريعة موسى، ولم يكن هناك أى حساسيات لهذا التعبير، ولا اعتبر هذا التعبير يتعارض مع ربنا أو يغضب الله، أن يقال عن الشريعة شريعة موسى، المسيح نفسه نطق وقال شريعة موسى. وهكذا فيما يتصل بهيكل سليمان، لا يوجد أى حساسية فى الكتاب المقدس، ولم يغضب الله لأن الهيكل سمى هيكل سليمان، سمى هيكل سليمان لا لأن سليمان بيعبد فى هذا المكان، ولكن لأن سليمان هو الذى بنى الهيكل فنسب إليه، وعندما نقول إنجيل يوحنا، ليس معناه أن صاحبه هو يوحنا ، لا... إنه إنجيل المسيح بحسب ما كتبه يوحنا، إنجيل متى أى بحسب ما كتبه متى، هو إنجيل المسيح، المسيح قال: «توبوا وآمنوا بالإنجيل» ولم يكن فى يده إنجيل، كلمة آمنوا بالإنجيل أين الإنجيل؟ المسيح هو الإنجيل، الإنجيل لم يكن كتب بعد إنما المسيح نفسه هو الإنجيل، هو البشارة، البشارة المفرحة بشارة الله للإنسان. الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء كلمنا بإبنه، فالمسيح هو الكلام، هو البشارة، فقال توبوا وآمنوا بالإنجيل ولم يكن هناك إنجيل مكتوب، ونحن عندما نقول إنجيل يوحنا ليس معناه أن يوحنا هو المنشئ لهذا الإنجيل... لا، ولذلك فى القبطى أو فى اليونانى نقول كاتا أى بحسب ما كتبه يوحنا، إنما هو إنجيل ربنا يسوع المسيح بحسب ما كتبه متى، بحسب ما كتبه مرقس، بحسب ما كتبه لوقا، ولكن لماذا الإختلاف بين الأناجيل، لأن كل واحد تناول المسيح من زاوية معينة، وهى الطريقة التكاملية، مثلما تأخذ صورة لواحد من الأمام تظهر شكله من الأمام، لو أضفت إليهما صورة من الجنب اليمين، وصورة أخرى من ناحية الشمال، وصورة أخرى لظهره، وبهذه الطريقة تأخذ أربع صور فتصبح الصورة متكاملة، وتظهر أوضح مما لو أخذتها من زاوية واحدة.

فإنجيل متى لكى يبرهن لليهود أن المسيح جاء طبقا للأنبياء، ولذلك هو الإنجيل الذى ورد فيه ٤٥ نبوءة، يقول كما جاء بالنبى القائل، لكى يطمئن اليهود، أن كل الذى حدث قاله الأنبياء، فالمسيح كان تطبيقا لما قاله الأنبياء.

ولأن إنجيل مرقس كُتب للرومان، والرومان لا يعرفون العهد القديم، فلم يكن هناك داعى أن يأتى بنصوص، ويقول كما جاء... إنما صور لهم المسيح فى صورة القائد، يهاجم فينتصر، وهنا الهجوم فى التعليم وفى الكلام، عندما تحدوه اليهود كان المسيح، يرد هذا التحدى، وكان يسكتهم، هذه صورة المنتصر التى تستثير الرومان.

إنجيل لوقا أبرز النواحى الإنسانية فى المسيح، العطف، الحنان، البكاء، يصور المسيح فى صورة المتعاطف مع البشر، «بكى على أورشليم» هذه لم يقلها إنجيل آخر، «تحنن على المرأة» أرملة نايين التى مات وحيدها يقول تحنن عليها، وقال «لها لا تبكى»، هذه الحادثة لم ترد إلا فى إنجيل لوقا، لأن إنجيل لوقا يصور المسيح أو يقدم المسيح فى صورة المشترك مع البشرية فى آلامها، فالناحية الإنسانية فى المسيح وفى العواطف وفى المشاعر وفى المشاركة الوجدانية، هذه الناحية استثارت اليونان لأن اليونان كانوا أهل أدب وهذه الناحية تجذبهم فى المسيح.

إنجيل يوحنا إهتم بإبراز لاهوت المسيح بالذات، لأنه كان هناك إناس لهم آراء مختلفة، فى من هو المسيح؟ ولذلك أورد المعجزات التى لها الدلالة اللاهوتية، والتى لم يردها إنجيل آخر، وفى الآخر قال «هناك أشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع لم تكتب فى هذا الكتاب، ولكن هذه كتبت لكى تؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكى تكون لكم إن آمنتم الحياة الأبدية باسمه» وهنا أبرز الناحية الإيمانية، ولذلك لم يهتم بأن يتكلم عن ميلاد المسيح من العذراء وقصة الرعاة وما إلى ذلك، لأن الرسل الآخرين تناولوها، لكن هو أراد أن يبرز الوجود الإلهى للمسيح سابقا على التجسد، ولذلك قال فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله، وفى عدد ١٤ يقول «والكلمة اتخذ جسدا»، تكلم عن التجسد ولكن لم يذكر بالتفصيل قصة الميلاد مثل إنجيل متى أو إنجيل لوقا، لم يذكرها يوحنا ليس إهمالا لها، ولا لأن الرسل الآخرين تناولوها، ولكن لأنه يريد أن يقدم المسيح كإله سابقا على التجسد، أن المسيح موجود قبل أن يولد من العذراء، فكينونة المسيح ووجوده السابق على ميلاده يبين أن ميلاده هو التجسد، وليس ميلاده كميلاد أى طفل آخر، لأن أى طفل إذا ولد فقد وجد، وليس له وجود سابق على ولادته، إنما المسيح شئ آخر، المسيح كان كائنا قبل أن يولد من العذراء مريم، إذن ميلاده هو تجسد، هذا هو السبب أن كنيستنا فى ليلة عيد الميلاد لا تقرأ فصل الرعاة، ولا تقرأ فصل الميلاد، ففى رفع بخور باكر تقرأ «فى البدء

كان الكلمة والكلمة اتخذ جسدا»، وفى إنجيل القداس: «وإذا مجوس من المشرق...» متى ٢ وقالوا أين هو المولود ملك اليهود. إنما قصة الرعاة وقصة الميلاد تقرأ فى البرمون وهو اليوم السابق على عيد الميلاد لماذا؟ لكى تبرهن الكنيسة لشعبها أن المسيح ولد لا بمعنى وجد. لا... المسيح له وجود سابق على الميلاد، إنما نحن نحتفل بتجسده، وأنه ملك وأنه ولد ملكا، والمجوس يقولون أين هو المولود ملك اليهود فإننا رأينا نجمه فى المشرق فأتينا لنسجد له.

وهذا هو السبب فى وجود أربعة أناجيل؟ لأن كل منهما تعطى صورة، وهذه الصورة تتكامل مع بعضها البعض، فى زوايا متنوعة.

ومن هنا أيضا ليس الإنجيل إنجيل يوحنا ولا إنجيل مرقس ولا إنجيل متى ولكن بحسب ما كتبه متى ولإبراز صورة معينة، إنما الإنجيل هو إنجيل المسيح.

هذا كله يبين أيضا أن المسيح له المجد على الرغم من أنه صاحب الشريعة ولكنه نسبها إلى موسى، لم يكن هناك أى حساسية، ولا أى شعور أن موسى أخذ مجد ربنا كما يقول إخوانا البروتستانت، أبدا ليس هذا فى الوجود الإلهى. أبدا، ولا هذا سيغير من موسى... لا.

خطأ الفصل بين العهد القديم والعهد الجديد

بينا أننا فى العهد الجديد ملتزمون بشريعة العهد القديم وأن هذه التفرقة بين عهد قديم وعهد جديد خصوصا فيما يتصل باللاهوت الأدبى، تفرقة خاطئة، لأن واضع الشريعة هو الله. والله هو رب العهدين القديم والجديد، والله لا يتعارض ولا يتناقض مع نفسه، فإذا كان هو واضع الشريعة فلا نتساءل، ولا يجوز لنا أن نتساءل ونقول أن هذا فى العهد القديم، وبناء عليه نحن غير ملتزمين به. هذا خطأ لأن العهد الجديد لا ينسخ العهد القديم، لا يوجد عندنا مبدأ النسخ، فالعهد القديم مع العهد الجديد كتاب واحد، ولذلك فالكنيسة الأرثوذكسية تضم العهدين معا فى كتاب واحد. فمن الخطأ أن تفصل حتى فى مجلد الكتاب المقدس بين عهد قديم وعهد جديد. حتى لا يتبادر إلى ذهن بعض الناس أننا فى العهد الجديد، ملتزمين فقط بالعهد الجديد، لأن هذا الفهم الخاطئ هو الذى قاد بعض الناس أن ينقدوا المسيحية بقولهم أن المسيحية ليست فيها شريعة. هذا الكلام نسمعه ويكتب كنقد للديانة المسيحية فى بعض كتابات غير المسيحيين، وأيضا يوجه لنا هذا السؤال ويقال هذا الكلام كما لو كانت المسيحية ناقصة التشريع.

الحقيقة إن هذا الفهم ناتج من عملية الفصل بين العهد القديم والعهد الجديد، والحقيقة أن هذا مرجعه إلى التعليم البروتستانتى، الذى يلح باستمرار على العهد الجديد وعدم الإلتزام بالعهد القديم، وحتى فى المناقشات والأحاديث عندما تقول له شئ يقول لك لا.. هذا كلام فى العهد القديم، الحقيقة، غير المسيحيون معذورون إذا نقدوا الشريعة المسيحية من هذه الوجهة، هذه فكرة تسربت إليهم أن كتاب المسيحيين هو العهد الجديد فقط، وهذا مرجعه إلى فكرة الفصل فى الكتاب المقدس بين عهد قديم وعهد جديد، والعهد الجديد يطبع منفصل، وأن العهد القديم يعد كتاب تاريخى، أو مرحلة قديمة، ونجد بعض الناس غير المسيحيين يبيح لنفسه أن يشتم العهد القديم أو التوراة، ولا يعتقد أنه بهذا يجرح شعور المسيحيين، لأنه تسرب إليه فكر أن العهد القديم ليس كتاب المسيحيين، وإنما هو كتاب اليهود، وعلى الرغم من أن بعض هؤلاء الناس تكون مشاعرهم طيبة نحو المسيحيين، لكن لأنه دخل فى عقله أن العهد القديم كتاب اليهود، فإذا أهان العهد القديم أو شتمه لا يحس أن هذه الإهانة موجهة إلى المسيحيين، وهذا خطأ كبير.

الربط بين العهد القديم والعهد الجديد فى الكنيسة الأرثوذكسية:

فى كنيستنا الأرثوذكسية بإستمرار العهد القديم والعهد الجديد معا، ليس فقط الطبع، وإنما فى صلواتها ، وفى طقوسها.

١) فى الصلوات :

إذا قرأنا الإنجيل نجد نص من المزامير، يربط ما بين الكتاب المقدس فى عهديه القديم والجديد، وفى الصوم الكبير لأنه يوجد وقت أطول، فهناك قراءات من الكتاب المقدس من العهد القديم، قراءات من الأنبياء، وواضح هذا أكثر فى أسبوع الآلام، فتجد بإستمرار فى كل ساعة من ساعات البصخة، النبوات تقرأ أولا من جميع أسفار الكتاب المقدس، وبعد ذلك تقرأ الأناجيل، وقبل الإنجيل يقرأ المزمور، فكنيستنا الأرثوذكسية لا توجد فيها هذه التفرقة بتاتا، وبإستمرار يقرأ العهد القديم مع العهد الجديد.

٢) فى الطقوس :

كذلك فى الطقوس الأخرى مثلا فى صلوات اللقان تجد قراءات كثيرة من العهد القديم، قبل أن يقرأ البولس والإنجيل، وفى طقس تدشين الكنائس تتلى فيه نحو ٧٠٠ قراءة من الكتاب المقدس تقريبا، الجزء الأكبر منها من العهد القديم وكذلك فى سائر طقوسنا، فنظرة الكنيسة الأرثوذكسية إلى العهد الجديد أنه كما قال مخلصنا مكمل للعهد القديم.

وهذه التفرقة التى وجدت بين العهد الجديد والعهد القديم لم يُعلّم بها المسيح. لا يوجد شئ اسمه عهد قديم وعهد جديد، وهذا تفسير لمقولة السيد المسيح الواضحة «لا تظنوا» وكلمة لا تظنوا هنا، يفترض فعلا أن هناك ظن خاطئ، و يعمل على تصحيحه، فيقول «لا تظنوا أنى جئت لأنقض أو لأهدم الناموس أو الأنبياء ماجئت لأنقض بل لأتمم»، فأولا بين أن هناك ظنا خاطئا من الممكن أن يتبادر فى أذهان الناس، أنه مادام جاء المسيح فى العهد الجديد أن العهد القديم قد انتهى، وأصبح مرحلة تاريخية قديمة، وأن العهد الجديد نسخ العهد القديم. فيقول بصراحة وبوضوح «لا تظنوا أننى جئت لأنقض أو لأهدم الناموس والأنبياء ما جئت لأنقض بل لأتمم» وكلمة أتمم كما قلنا لها شقان الشق الأول أنه التنفيذ، وهذا التنفيذ له أيضا شقان تنفيذ شريعة العهد القديم، الشريعة التى كانت على يد موسى النبى، وأيضا الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى، هؤلاء وأولئك نفذ المسيح تعاليمهم أولا فى نفسه، ثم فى غيره، فاحترم هذه الشريعة، ولا يوجد أى تصرف فى حياة المسيح، منذ تجسده يتعارض مع ما أمرت به الشريعة، و لم يستثن المسيح نفسه أبدا، من أى مبدأ أو قاعدة من القواعد التى أمرت بها الشريعة، إنما احترمها ونفذها منذ تجسده وفى طفولته أيضا، وهذا هو المبدأ الأرثوذكسى، أن فى تاريخ الكنيسة يمكن أن يحدث ما نسميه بالإضافات من قبل الله، والذى أضافه أنبياء أو من فى حكم الأنبياء فتحترم إضافاتهم على أنها من الله تماما. طالما أن ما يقوله هذا النبى من الله و يضاف إلى القديم، فالإضافة هى

التى تصنع التراث، ما هو التراث؟ هو مجموعة القواعد القديمة مضافا إليها إضافات جديدة، طالما أن هذه الإضافات نحن مطمئنون إلى أن واضعها هم أنبياء أو رسل، ومن هم فى حكم الرسل، ولذلك توجد باستمرار فكرة المجمع، إن المسيح أعطى لمجمع الآباء الرسل السلطة، ففى متى ١٦ :١٩ قال لبطرس «ما تربطه على الأرض يربط فى السموات»، إنما فى متى ١٨ عدد ١٨ تكلم عن السلطان الجماعى، الذى أعطاه للآباء الرسل مجتمعين، وهذا هو الذى يصنع ما يسمى بالمجمع، «ماتربطونه على الأرض يربط فى السموات وماتحلونه على الأرض يحل فى السماوات» هذا مبدأ الربط والحل، وهذا غير مبدأ مغفرة الخطايا، الذى قاله المسيح لتلاميذه بعد قيامته من بين الأموات حيث نفخ فى وجوههم وقال لهم: «من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم ومن أمسكتم عليهم خطاياهم تمسك عليهم». لاحظوا أن مبدأ الربط الذى بنسميه الحل والعقد المذكور فى إنجيل متى. أعم أو أكثر عمومية وشمولية من السلطان الذى منحه لرسله بعد قيامته فى مغفرة الخطايا. لأن كلمة ما تربطونه على الأرض يربط فى السموات وما تحلونه على الأرض يحل فى السموات، معناه السلطان الذى منحه الله للكنيسة للتقنين والتشريع، أى أن الكنيسة من حقها من خلال المجمع أن تقنن، أن تضع شريعة، أن تضع لوائح. لنفرض أن هناك أمور لم تكن موجوده وواضحة فى عصر من العصور، لكن ظهرت مشاكل جديدة فى الكنيسة، فيجب أن الكنيسة تقف بإزائها، مثلا المشاكل العقائدية التى ظهرت، مثل بدعة أريوس، بدعة نسطور، هذه البدع استجدت وربنا أعطى للكنيسة الحق، بل الواجب أن تقود المؤمنين، وتقول الرأى الإلهى المتصل بالمشكلة، مشكلة العصر، ولا يكفى أن نقول الإنجيل قال كذا...، إنما يمكن بروح الإنجيل وإمتداد لتعليم الإنجيل نضع صور جديدة، لنعالج مشكلة ذلك العصر، ولذلك يعتبر قانون الإيمان الغير موجود بنصه فى الكتاب المقدس، ولكننا نستطيع أن نرجع كل كلمة فيه إلى نصوص الكتاب المقدس، فالصيغ الإيمانية: بالحقيقة نؤمن بإله واحد الله الآب ضابط الكل... أو نعظمك يا أم النور الحقيقى، أو «السلام لك» إلى آخر هذه النصوص غير موجودة فى الإنجيل بهذه الصورة، إنما وضعتها المجامع المقدسة، مقدمة قانون الإيمان وضعها مجمع أفسس الأول، الذى رأسه البابا كيرلس الأول عمود الإيمان التى فيها «نعظمك يا أم النور الحقيقى إلى آخره...» فكل هذه الصيغ الإيمانية، وأن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين، والرسائل العقائدية التى وضعها البابا كيرلس الأول عمود الإيمان، والتى اعتبرت دستور الإيمان المسيحى، والعقيدة المسيحية فى شرح طبيعة السيد المسيح. هذه المسائل أصبحت لها قوتها وشرعيتها، وأصبحت مقدسة، فالذى وضع قانون الإيمان آباء الكنيسة الذين أخذوا الدرجة الرسولية الأولى وهى درجة الأسقفية، فهذه الإضافات لابد منها فى تاريخ الكنيسة، لأنه تستجد

أمور تزيد من مشاكل العصر، ولابد أن يكون للكنيسة موقف فيها، ولا يعد هذا تزايدا إنما هذا من صميم تقنين المسيح للكنيسة، وما تربطونه على الأرض يربط فى السماوات وما تحلونه على الأرض يحل فى السماوات، وهذا التقنين والتشريع، الذى تقوم عليه شرعيا المجامع، مثل ما جاء فى سفر المزامير المزمور ٨٠ «الله قائم فى مجمع الآلهة يقضى» وهنا كلمة «الآلهة» بمعنى كما قال الله لموسى «جعلتك إلها لفرعون»، هنا إلها بمعنى قاضيا وسيدا، وهرون يكون نبيك، وبهذا المعنى وصفت الدسقولية الأسقف بأنه إله، بالمعنى الصغير الذى قيل لموسى النبى، الله قائم فى مجمع الآلهة يقضى، هذا يعطى الشرعية للمجامع المقدسة، ولذلك عندما يعقد المجمع، من تقليده أن يضع الكتاب المقدس فى وسط الكنيسة، لأن هذا المجمع مجمع إلهى، لذلك يوصف بأنه مقدس.

وتنفيذ السيد المسيح للشريعة شمل أيضا أمورا أخرى، منها أنه مكتوب أن المسيح جاء أساسا لأجل عمل الفداء، ليكون الذبيحة والحمل الذى يرفع خطيئة العالم، فمجيئه تتميم للشريعة، لأن الشريعة أمرت أنه لابد أن تكون هناك ذبيحة، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة، فمجيئه من السماء، وما صاحب هذا المجئ من الآلام والمتاعب والمضايقات والإضطهاد وتنفيذ عملية الصلب نفسها، كل هذه الأمور كانت تتميما للشريعة، وكانت تنفيذا لها، فتتميم عمل الفداء تتميما لما أمرت به الشريعة، وهو أنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة، وأنه لا غفران لآدم ولا بنى آدم إلا بتنفيذ الأمر الإلهى، أنه موتا تموت، ولكى يرفع عنه هذا الموت، فلابد أن يكون هناك بديلا، والمسيح جاء بديلا عن آدم الأول، وعن الجنس البشرى، لكى يأخذ فى جسده الحكم الذى حكم به الله على آدم وعلى الجنس البشرى.

ثانيا: التتميم بمعنى مد المعنى إلى أبعاده كلها:

من ناحية اللاهوت التشريعات التى قالها السيد المسيح تبدو ظاهريا كأن المسيح أتى بتعليم جديد، والواقع أن السيد المسيح وسع المفهوم لنفس الشريعة القديمة ومد آفاقها، التى كانت مخفية أو غير معروفة فى العهد القديم، وظنوا أن مفهوم الشريعة قاصر على هذا المفهوم الضيق المحدود، فالمسيح من دون أن يغير الشريعة، بين الأبعاد التى لم يكن اليهود يفهمونها، من دون أن يكون فى هذا إضافة لشريعة جديدة.

لا تقتل :

فمثلا يقول السيد المسيح : «سمعت أنه قيل للأولين لا تقتل ومن قتل يكون مستوجبا للموت وأما أنا فأقول لكم إن كل من غضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الموت»... كلمة «أما أنا»

يرى من التعبير كما لو كان المسيح يقول كلام غير موجود فى العهد القديم. طبعا لا.. متى يكون المسيح نقض العهد القديم؟ لو قال سمعتم أنه قيل للأولين لا تقتل أما أنا فأقول لكم اقتلوا، فى هذه الحالة كان يعد أنه نقض، لكنه يقول سمعتم أنه قيل للأولين لا تقتل ومن قتل يكون مستوجبا للموت أما أنا فأقول لكم أن كل من غضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم، على الرغم أن شكل العبارة قد يوهم أو قد يظن الذى يسمعها أن المسيح أضرب عما قبلها، مثل ما قال يشوع بن نون «اختاروا اليوم لأنفسكم من تعبدون إن كان البعل أو.... أما أنا وبيتى فنعبد الرب» ليس بهذا المعنى كلمة أما أنا للسيد المسيح هنا، ليس فقط لا تقتل، لكن أنا أقول لك أكثر من هذا، لأن مفهوم القتل ليس فقط إزهاق روح الإنسان، كما أن هناك أخطاء تؤدى إلى القتل يجب أن لا تكون فيكم مثل الغضب لأن الغضب أبو القتل، والقتل نتيجة الغضب، إذن الغضب أصل للقتل، فالمسيح عندما يقول «أما أنا فأقول لكم إن كل من غضب على أخيه باطلا...» رجع إلى الأصول قبل القتل يكون الغضب، فأراد أن يمنع الإنسان من الغضب الباطل، لأنه يوجد غضب مقدس، لكنه يتكلم هنا عن الغضب الأحمق أو الغضب الغير مبنى على أساس، وكنوع من التسرع والإندفاع بدلا من التريث، أو الغضب الغير مؤيد بالحق وهذا هو الغضب الباطل. من غضب على أخيه باطلا أى ليس له حق فى هذا الغضب، فأنا لا أمنعكم عن القتل فقط ولكنى أردكم إلى البعد الأعمق وهو الغضب الذى يؤدى إلى القتل، من هنا نفهم أن المسيح لم ينقض ما قالته الشريعة إنما وضح أشياء لم تكن واضحة فى أذهان الناس، إنما هى موجودة فى الشريعة، كما أن السيد المسيح مد أفاق المفهوم للشريعة فلم يصبح مفهوم القتل هو فقط إزهاق روح الإنسان لأن القتل أنواع، فهناك القتل الجسدى، وهناك قتل روحى، وقتل معنوى، فأنت عندما تسوء سمعة إنسان أو تذيع عنه أمور تضر بسمعته ويترتب على هذا أن تهدر كرامته بين الناس بذلك تكون قتلته، ففى بعض الأحيان يكون هذا النوع من القتل أبشع من قتله بسكين، هناك أنواع من القتل المعنوى أعظم وأشد فتكا فى بعض الأحيان، عندما يجرح واحد آخر بكلمة، وهذا الجرح يمسه من الداخل لدرجة أن الواحد يقول له ليتك كنت قتلتنى بسكين، وفعلا حتى من الناحية المادية أحيانا تقود الإهانة إلى قتل الإنسان، أنا أعرف إنسان جرح شعوره فعمى ثم مات، وفيه بعض شخصيات مهمة فى المجتمع، قتلته كلمة بالمعنى المادى للكلمة، وجرحته جرح عميق فأدت إلى أنه يمرض، وهناك اليوم كثير من الأمراض، أوضح من أى وقت آخر فى التاريخ يسموها الأمراض (PSYCHOSOMATIC) أمراض نفس جسمانية، وتبين أن الإنسان يمرض بالنفس قبل أن يمرض بالجسد. مثلا هناك موقف مثير أحدث لواحد مرض السكر، وهناك آخر حدث له شلل فى الحال، وواحد يقع ميت فى الحال، على حسب

درجة الإحتمال، وحسب درجة المقاومة، فالقتل ليس فقط القتل بالمعنى المادى. المفهوم القديم، الذى كان فى أذهان بعض اليهود، إنما هناك قتل معنوى، وهناك قتل روحى، عندما يضلل إنسان آخر ويقوده أن يرتكب خطيئة، وتقوده الخطيئة إلى الهلاك الأبدى، فتشجيع شخص على أن يرتكب خطيئة، هذا نوع من القتل الروحى، مثل ما قلنا أنه حتى هذا القتل المعنوى والقتل الأدبى أيضا، يقود إلى قتل مادى. وهنا كلام سيدنا له المجد، إذن المسيح لم ينقض الشريعة، عندما يقول «أما أنا فأقول لكم...» لا يفهم من هذا أن المسيح نقض الشريعة، نقض الشريعة لو قال سمعتم أنه قيل للأولين لا تقتل، أما أنا فأقول لكم اقتلوا ... وهذا لم يحدث ولكن بالعكس مد أبعاد ومفهومات القتل، إلى نطاق لم يكن اليهود فى ذلك الوقت يفهموه. فإذن المسيح فى تشريعه الجديد، من الناحية الأدبية فى الواقع أنه لم يضع شرعا جديدا، وإنما قدم مفهوما أوسع من المفهوم الذى كان فى أذهان اليهود فى ذلك الوقت، فى تفسيرهم للشريعة فأرشدهم للتفسير الصحيح والتفسير البعيد المدى والأبعاد، الذى لم يلتفتوا إليه، والذى يجهلوه أو يتجاهلوه، وتوكيدا لهذا أن المسيح فى العهد الجديد، عندما سئل ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ قال له احفظ الوصايا، والمسيح بذلك بين أنه تمم الشريعة.

لا تزنى :

كذلك فيما يتصل بشريعة الزنى، قال: «سمعتم أنه قيل للأولين لا تزنى أما أنا فأقول لكم أن كل من نظر إلى إمرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه» قطعا لا يوجد تعارض، إنما ردنا المسيح إلى بعد لم يكن اليهود يلتفتون إليه، وهو أن عملية الزنى قبل أن تظهر خارجيا تنبع داخليا بالشهوة. وهذه الشهوة تعتبر زنى بالفعل، فعملية الإشتهاء والزنى فى القلب تكون عملية زنى حقيقية، حقاً أنه لا يوجد طرف ثانى جسديا، كما يحدث فى عملية الزنا «إرتكاب الفحشاء»، إنما لأن الشخص عندما يشتهى، عملية الإشتهاء نفسها تحرك معها نفسه من الداخل، ويترتب على هذا الإشتهاء، إفرازات هرمونية وهى بعينها نفس الإفرازات التى تفرز فى حالة الزنى الفعلى، أو إرتكاب الفحشاء، ويصير هذا الإنسان زانى فى داخل نفسه بكل ما يجرى فى الزنى خارجيا، يجرى فيه داخليا، الفكر، العاطفة، الشهوة، والشهوة إذا حبلت تلد خطيئة، والخطيئة إذا كملت تنتج موتا. ولذلك قال رب المجد إن كل من نظر لإمرأة ليشتهيها، وهنا كلمة «ليشتهيها» يبين أنه ليس كل نظرة، هناك نظرة بسيطة لا تحمل معنى الإشتهاء، فالخطأ ليس فى العضو نفسه، ليس فى العين، وإنما فيما وراء العين، ولذلك قال المسيح أنه هناك ما يسمى بالنظرة البسيطة، «إذا كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرا، وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلما»،

فهناك فرق بين نظرة ونظرة، لكن إذا وُجدت النظرة الشريرة لذلك قال إن كل من نظر إلى إمرأة ليشتهيها، هنا يبين أن النظرة مدفوعة للشهوة، أو الهدف الشهوة، من أجل أن يشتهيها، لأنه نظر إليها نظرة غير بسيطة غير عادية، وإنما نظر إليها بقصد الإشتهاء «فقد زنى بها فى قلبه» هنا عملية زنا حقيقية، وهنا كلمة «قد» فى اللغة العربية تفيد التحقيق، أى قد تحقق الفعل، تحقق فعل الزنى، وهذا ينطبق على الرجل وينطبق على المرأة، أيضا المرأة لو نظرت إلى رجل لتشتهيه فقد زنت به فى قلبها هذا ما يعرف بزنى القلب، وأن الزنى فى القلب هو بالضبط مثل الزنى مع شخص آخر، ويترتب على هذا الزنى نتائج، من أجل ذلك قال عنها الكتاب المقدس أو الرسول بولس بأن الإنسان يخطئ إلى جسده، فعندما يكون هناك عملية زنى فى القلب تكون الخطيئة، والخطيئة هنا ليست فقط أمام الله لمخالفة الوصية، وهى وصية الطهارة، إنما أيضا خطأ إلى جسده، لأن هذه الشهوة والزنى يدمر الجسد، لأنه يحدث بسببه إحتراق للأعصاب وللجهاز العصبى، وهذا الإستهلاك تدمير للجسد، ومن هنا فإن ما يعرف بالعادة السرية، التى يقع فيها الشباب هى عملية زنى، وإن كانت بالفكر وبالجسد، حتى لو لم يكن هناك طرف آخر، لأن الطرف الآخر ممكن أن يكون صورة خيالية، ثم يكون هناك تدميرا للجسد، لأن طاقة عصبية تنصرف، هناك هرمونات تفرز، وإفراز هذه الهرمونات إستهلاك لقواه الطبيعية، وهى بعينها غذاء العقل، وهذا هو الجمال، أننا نعلم أن هرمون الجنس هو غذاء للعقل، ولذلك الشخص الذى يستهلك هذا الهرمون فى الإشتهاء، وفى العادة السرية، وفى الزنى يستهلك قوته العصبية، ويترتب عليه ضعف الذاكرة، الخمول الفكرى، فقد القدرة على التركيز والإنتباه والأنيميا، الأنيميا المخية، وأنيميا العيون، ويصاب بضعف فى العيون، وضعف فى الأذان، لأن العين والأذن تعتمد على الأعصاب، فهذا يستهلك طاقة عصبية شديدة، فيترتب عليه أن العيون تتأذى فيضعف البصر، الأذان تتأذى فيضعف السمع، لأن الطاقات استهلكت، والعقل نفسه يستهلك ويضعف، وأنا أعرف بعض من الشباب يذكر هذا، أنه فى الإبتدائى كان ترتيبه الأول، ثم عرف فكرة العادة السرية، والنتيجة أنه بعد ذلك أصبح متخلف، وغير قادر على المذاكرة، وغير قادر على التركيز وضعفت ذاكرته، وابتدأ يسقط، هذا شئ طبيعى جدا جدا، وهذا معروف فى الطبيعة أن هذه الطاقة، يكون فيها إستهلاك، ولذلك من المعروف أن كلب الصيد يمنع عن المعاشرات الجنسية، حتى تكون عنده القدرة على الجرى، لأنه إذا صرفت طاقته فى الجنس، تضعف قدرته على الجرى، وأيضاً حصان السباق، يمنع من العلاقات الجنسية، حتى يكون محتفظاً بالطاقة فيمكنه أن يجرى، والطبيعى فى الإنسان أن هذه الطاقة إذا استهلكت، فإن هذا الإستهلاك يضر أعضاء أخرى فى الإنسان، وخصوصا الجهاز العصبى، ولذلك أعجبنى مرة تعبير قرأته من

سنوات طويلة، ربما من ٣٠ سنة تعبير يقول فيه صاحبه، أنه على الإنسان أن ينظر إلى الجهاز التناسلى نظرته إلى قدس الأقداس. وفعلا قدس أقداس جسم الإنسان هو هذا الجهاز التناسلى، لأنه به يخلق كائنات جديدة، وهى الأولاد، فهذه الطاقة تعطى من أجل أن يكون هناك عطاء، حتى أن الإنسان يعطى هذا العطاء لإيجاد مخلوقات جديدة، ولذلك فإن الكلمة، «أب» بالقبطى هى «يوت» فى الإنثرولوجى، اللفظ نفسه يفيد بمعنى الخلق، الأب خالق ولذلك الكلمة العربية يقول فلان أنجب، فالإنجاب هنا فيه معنى الخلق، لأن الرجل يعطى، وهذا العطاء تحمله المرأة، المرأة تحمل بينما الرجل هو الذى يوجد، يوجد بمعنى كلمة الأب هنا، ولذلك فى اللغة العربية كلمة أب، بمعنى الأصل فى اللغات السامية، فهنا فيه عملية إنجاب. فعندما يستهلك الجهاز العصبى فى الناحية الجنسية، ويترتب عليه إيذاء الجهاز العصبى، يترتب بالتالى ضعف قدرة الإنسان على الإنجاب، وإذا ضعفت هذه القدرة بالتالى يضعف النسل، اليوم يقال أن التدخين يضر بذور الرجل، لأن النيكوتين يضر هذه البذور، فيترتب عليه فى بعض الحالات أن الرجال يصابوا بالعقم، وآخرين يمكن أن ينجب وتنحل قوته بعد وقت ضئيل، وآخر قد يكون أقوى وقد يستمر أكثر ولكن نسله يكون ضعيف لأن البذور ضعيفة، فرأس مال الأطفال يكون ضعيف، ولذلك يكون فيه تخلف، فيكون الطفل ضعيف المناعة ضد الأمراض، أو عنده تخلف عقلى، فإذن هذا الجهاز التناسلى هو فعلا قدس أقداس الإنسان، وكما قلنا أن هذه الهرمونات الجنسية غذاء للعقل، فإذا استهلكت تضعف القوى العقلية ولذلك قد يكون النوابغ عادة بسبب أنهم عملوا (SUBLIMATION) إعلاء للناحية الجنسية، فانصرفت الطاقة الجنسية إلى العقل، فأصبحوا قادرين بعقولهم على أن يعملوا، وعندهم قدرة أكثر من غيرهم على العمل، وعلى المثابرة، وعلى الإخصاب، من أجل ذلك نقول لأولادنا الذين يستهلكون هذه الطاقة فى العادة السرية، هذه العادة السرية هى الزنى، بكل معنى كلمة زنى، والأمر الثانى أن نتائجها فظيعة جدا على العقل، وعلى الصحة، وعلى الأولاد، وعلى العيون، وعلى الأعضاء، وعلى كل الجهاز العصبى، ويقال هذا الكلام فى بعض الكتب التى تتناول هذه النواحى، الطاقة العصبية التى تصرف مرة واحدة فيما نسميه العادة السرية، تعد أضعاف أضعاف الطاقة العصبية التى تصرف فى حياة الزواج السليمة، فضلا عن أن الإنسان الذى أخذ على العادة السرية قبل الزواج، قد تستمر معه فى غالب الأحيان بعد الزواج، ويصبح غير قادر على الإشباع العادى.

إذن يتبين لنا أن الزنى فى المفهوم المسيحى، ليس هو إرتكاب الفحشاء بالمعنى العادى بين رجل وإمرأة، إنما كشف المسيح أن هناك نوعا آخر من الزنى، وقال فقد زنى، وهنا زنى حقيقى، فقد زنى بها فى قلبه، هذه عملية زنا، وهذا طبعا من الناحية التشريعية أو القانونية فتحت لنا طريق، لما يعرف بما هو فى حكم الزنا، ففيما يتصل بحق الطلاق، أنه إذا كانت هناك خيانة زوجية فيجوز الطلاق، لأن الزنى نجاسه، وهذه النجاسة تتعارض مع قداسة الله، فالله جمع بين الرجل والمرأة فى الزواج فأصبح الله طرف ثالث، ما أزوجه الله أو ما جمعه الله لا ينبغى أن يفرقه إنسان. فى سر الزيجة المسيحى دخل الله طرف ثالث، وهو الذى جمع بين الرجل والمرأة، فلو حدث خطية زنا فكيف فى هذا الزنا تبقى العلاقة المقدسة بلا تعارض مع القداسة الإلهية. هل يبقى الله فى هذا الزواج، هل الله يقبل الزنى، الله قدوس والزنا نجاسة، هناك تعارض بين قداسة الله وبين هذه العملية التى دخلت، وهذا هو السبب الذى ذكره المسيح له المجد للطلاق أو التطليق، أو إمكانية الطلاق، أو إمكانية ما يعرف بحل العلاقة الزوجية، فنقول أن العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة لا تنحل، هذا مبدأ عام بإعتبار أن الله جمع بينهما، لكن المسيح بين أنه من الممكن أن تنحل إذا وجدت النجاسة، فهذه النجاسة لأنها تتعارض مع القداسة الإلهية فاعتبرت سبب واضح جدا يبيح الطلاق فى المسيحية.

لكن هناك زنى أيضا فى القلب فهذا الزنا الذى فى القلب، هل يمكن أن يدخل كسبب يبيح الطلاق؟ لأن الزنا فى التشريع المسيحى الذى تشير إليه لائحة المجالس الملية، أن الطلاق لا يباح إلا لعله الزنا، وما هو فى حكم الزنا، فما هى الأمور التى يمكن أن تعتبر فى حكم الزنا؟ وقالوا المرأة مرتبطة بالناموس طالما زوجها حى، فإن مات فهى حرة، وهناك ما هو فى حكم الموت، ويعتبر أن الإنسان إذا اعتنق دينا آخر، أن هذا فى حكم الموت، وبناء عليه ممكن أن الطرف المضار باعتناق الطرف الآخر لدين آخر، يباح له أن يطلق هذا الطرف وأن يتزوج. على أساس أن هذا الإنسان قد مات عن المسيح.

لا تحنث :

وهكذا فيما يتصل بموضوع الحنث يقول رب المجد «سمعتم أنه قيل للأولين لا تحنث بل أوفى للرب أقسامك»، لا تحنث أى لا تخلف قسمك، إذا أقسمت أو وعدت، فلا تحنث بالوعد، أما «أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة، لابالسماء لأنها كرسى الله، ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه، ولا بشعر رأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء...»

هل هنا تعارض؟ هل المسيح قال احنثوا، كلمة «أما أنا فأقول لكم ... قد يبدو أن المسيح جاء بتعليم يختلف عن التعليم القديم، لكن عندما نفحص الموضوع نجد أن كلام المسيح متمم ومنفذ، لأن لا تحنث معناها إذا حلف الإنسان فلابد أن ينفذ، بل أوفى للرب أقسامك، أما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة، فى العهد القديم سمح للشخص بأن يحلف، أما فى العهد الجديد قال لا..، وكلمة سمح مثل ما قلنا فى مجالات أخرى، ليس معناه أن ربنا أمر أن يحلف الإنسان، لكن يسمح بأن يحلف الإنسان، وقال «الرب إلهك تعبد وإياه تتقى وباسمه تحلف»، هنا أبيح الحلف فى العهد القديم على أساس أنه علامة تعبد لله، علامة تبعية، لأنه كانت هناك آلهة أخرى كثيرة، فعندما أمر اليهودى أو الذى من نسل إبراهيم أن يحلف بإله إسرائيل، يصير هذا الحلف برهان على تبعيته لهذا الإله، وعدم تعبده لإله آخر. قد أبيح فى العهد القديم القسم، ولكنه لم يكن أمر، الأمر كان لا تنطق باسم إلهك باطلا، لأن الرب إلهك لا يبرئ من نطق باسمه باطلا، إنما كلمة الحلف سماح وليس أمر، قال للرب إلهك تعبد وإياه تتقى وباسمه تحلف. لأن الحلف بإله معين دليل تعبد هذا الإنسان لهذا الإله، وتبعيته لهذا الإله. غير أن هذا الموضوع قد أسئ استخدامه، أو هذا السماح أبتذل، فصار الإنسان يحلف باسم الله على أمور تافهة، وهذا فيه إبتذال للإسم الإلهى العظيم، أنه يستشهد به فى مسألة لا يستحق أن يستشهد فيها باسم ربنا، قد تكون هذه المسألة تافهة، قد تكون شريرة، الحلفان معناه إشهاد باسم الله يعنى يستشهد بالله، أو يقول أمام الله هذا حدث، فيستحضر الله أو يستشهد بالله، فلا يليق أن يستشهد بالله فى أمور تافهة. فأراد الله أن ينهى هذه الإباحة، ويوضع لهذا السماح الذى أبتذل حلا، ووصل لهذه المرحلة فقال «لا تحلفوا البتة»، وهذا لا يتعارض مع الكلام القديم، لأن الكلام القديم كان عبارة عن سماح وليس كلام أمر، أما الأمر فلا تنطق باسم الرب إلهك باطلا. وقد يقول قائل لماذا يحلف الله؟ «يقول أقسم الرب ولن يندم»، أقول له ربنا يقسم لأن القسم دليل القدرة بما يقسم به، ولذلك قال لا تحلف بالسماء لأنها كرسى الله ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه، ولا برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء، فواضح أن سبب عدم القسم أن الإنسان لا يملك ما يقسم به، إنما الله يملك. الأمر الثانى أنه هل كل شئ يعمله الله مسموح لى أن أعمله؟، لأن الله سيد، لذلك يوصف الله فى بعض الكتب أنه متكبر، بمعنى أنه كبير، إنما لماذا يعد الكبرياء للإنسان خطأ، أو خطيئة، لأنه بالكبرياء يأخذ صفة ليست له. فمن هنا كان خطأ الكبرياء بالنسبة للإنسان لأنه يأخذ صفة الله، كذلك فيما يتصل بالقسم أنا لا أقسم، لأن الله يقسم ويملك، إنما أنا الإنسان لا أملك، وهناك سؤال هل يجوز القسم أمام المحكمة؟، والكتاب يقول «لا تحلفوا البتة بل ليكن كلامكم نعم نعم ولا لا، ومازاد على ذلك فهو من الشرير». أجاب آباء الكنيسة على هذا السؤال

فقالوا إن الموعظة على الجبل، هى المعاملات لا المحاكمات، أى المبادئ، مثلا كلمة لا تدينوا لكى لا تدانوا، هذا فى المعاملات، الإنسان مع زميله الإنسان، لكن أليس من حق القاضى أن يدين؟ أليس من حق الأب أن يدين ابنه؟ أليس من حق الرئيس أن يدين مرؤسيه؟ أليس من حق الملك أو رئيس الدولة أن يدين؟ من حقه طبعا وإلا صارت الدنيا فوضى، والكتاب المقدس قال إن الملك لا يفعل شئ عبثا، فأباح للملك أن يحمل سيفا للإنتقام من فاعل الشر، فكلمة لا تحلفوا البتة، ليس معناها أنها تجب القسم بصفة عامة، لا.. تجب القسم فى المعاملات. أنا لا أدين غيرى إنما إذا كنت فى مكان القاضى، لابد أن أدين وإلا لا أصلح أن أكون قاضيا، أكون قد قصرت فى الواجب، كأب يجب أن أدين ابنى، كرئيس يجب أن أدين المرؤوس، فهذه الأمور المشروعة، لكن الزميل مع زميله، أو واحد لا يدين من هو فوقه، فلا أدين الرئيس، ولا أدين القاضى، إلى آخره... إنما أدين من هو تحت مسئوليتى، وإن لم أعرف أكون أنا مخطئ ولا أصلح. إذن كلام المسيح ينبغى أن يفهم فى الموعظة على الجبل على أنه للمعاملات، وهذا هو السبب أن الرسول بولس قال إن نهاية كل شئ فى أى متاجرة هى القسم. وسيدنا له المجد لما قال له رئيس الكهنة استحلفك بالله الحى، أن تقول لنا هل أنت المسيح؟ أجاب وقال له نعم أنا هو كقولك؟ فهذا الإستحلاف فى المواقف الكبيرة، خصوصا إذا كان القصد منها إظهار حق معين، فأنا لا اتعلل بأنى ممنوع من أن أقسم، بينما يكون الموقف يحتاج إلى هذا القسم لتبرئة إنسان مظلوم فى مجال القضاء، خصوصا فى القضايا الجنائية وما إليها من القضايا التى تستحق، إنما إذا كان الإنسان فى أمر خاص أو شئ شخصى قال لا.. أنا لن أحلف، لأنه هو تنازل عن حاجة مادية، يعنى مكسب مادى، أو شئ مادى، فقالوا له اقسم قال لا.. أنا لن أقسم، فتنازل عن هذا الكسب المادى هذا إنسان له أجره، إنما فى المواقف الكبيرة التى فيها الإنسان يطلب منه أن يشهد للحق، ليبين براءة إنسان مظلوم، أو يبين خطأ إنسان أمام القضاء، حتى يقتص القضاء من المجرم، هذا أمر ليس مشروع فقط، بل واجب، وقد طلب إلينا فى أكثر من مجال قضائيا أن نتكلم عن رأى المسيحية فيما يتصل بالقسم، فقلنا هذا إننا لابد أن نفرق كتعاليم الكنيسة بين القسم فى المعاملات التى يجوز فيها الإنسان أن يتنازل خصوصا إذا كان حق شخصى، يكون له أجره. كثير من آباء الكنيسة تنازلوا عن حق خاص، من أجل أن لا يقسم فكان لهم أجرهم، إنما فى موقف القضاء التى فيها يطلب الإنسان لكى يشهد بالحق، وهذا الحق له أهميته وضرورته الحيوية بالنسبة لإنسان، وبالنسبة للقضية، خصوصا القضايا الجنائية وما إليها. فالقسم ليس جائز فقط ولكن واجب أيضا.

الوصية الأولى

(أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر، من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى)

هذه هى الوصية الأولى ويضمنها الرب تعالى أمرين أولهما : أعماله وصنيعه بشعبه، وكيف أظهر لهم بهذه الأعمال وهذا الصنيع قوته وإقتداره، وثانيهما نهى، يوجهه الرب إلى شعبه أن لا يتخذوا معبودا سواه.

أولاً :

(١) أن الله إذ يُذكِّر الشعب الإسرائيلى بما فعله معه يرمى لا إلى الزهو والفخر اللذين ليس الرب فى حاجة إليهما، ولكنه يقصد إلى تذكير عبيده بما هم عرضة لأن ينسوه ..... فالإنسان دائماً ينسى ولا يذكر، وسريعاً ما ينقلب بشره نحو من أحسن إليه، ولذلك فإن النبى داود كان يناجى نفسه قائلا (باركى يا نفسى الرب ولا تنس كل حسناته) (١).

(٢) وفى ذكر صنيع الرب ما يستثير الهمم ويستنهض العزائم **نحو حب الله وتمجيده.** فهو بهذه الكلمة الصغيرة يشير إلى الشدائد التى عاناها بنو إسرائيل قبل خروجهم من مصر، والعبودية التى مروا بها، والأسر والإستعباد والذل والإضطهاد الذى شكوا منه وصرخوا إلى الله بسببه. ثم هو مذكرهم بفرعون الذى قاومهم وكيف أنزل الرب به الضربات العشر حتى أذل كبرياءه وقهره وتمجد بواسطته فى جميع المسكونة وأمام عيون المصريين والإسرائيليين. ثم هو يذكرهم بعنايته الفائقة لهم وكيف عالهم أربعين سنة فى البرية وأطعمهم المن والسلوى وسقاهم ماء من الصخرة وحفظهم ولم تبل ثيابهم، ولم تنهرء أحذيتهم، حملهم (على أجنحة النسور) حتى أتى بهم إلى أرض تفيض لبنا وعسلا.

(٣) وإننا وإن كنا نفيد من الآية كمسيحيين ما أفادة الإسرائيليون من هذه الذكريات المجيدة، التى نعظم من أجلها الرب ونبارك اسمه، لكننا نعلم إلى جانب هذا أن الآية **تذكرنا بعبودية الشيطان** التى ظللنا وظل العالم كله خاضعا لذلها، حتى جاء الرب من السماء وأنقذنا من سلطانها وسطوتها ووهبنا بنعمة الإيمان وسر المعمودية المقدسة أن نصبح أولادا له، ونتكر الفجور والخطيئة فنحن (الذين رحمنا من الخطية كيف نعيش بعد فيها). أما أننا أولاد الله فهذا يؤيده قوله (وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنين باسمه الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله) (٢).

---

(١) مز ١٠٣ : ٢.

(٢) يوحنا ١ : ١٢، ١٣.

ونحن نؤمن فوق هذا جميعه، أنه وإن كان العالم الحاضر (قد وضع فى الشرير) وأننا فى ضيق الجسد وعناء الصراع القائم بيننا وبين الخطيئة، لكن الرب سوف ينقذنا من هذه الضيقة (من أرض مصر من بيت العبودية) إلى كنعان السمائية إذا خرجنا من المعركة ظافرين منتصرين.

ثانياً : -

أما قوله (لا يكن لك آلهة أخرى أمامى) فهذا النص يتضمن أيضاً مبدأ لاهوتيا وتعليما روحياً.

(١) **أما المبدأ اللاهوتى فهو القول بالوحدانية** .. فنحن كشعب الله وكمن يريدون أن يخضعوا لأقوال الله، لانعبد إلا إلها واحدا. وفى هذا التعليم نفترق عن الوثنيين الذين يعبدون آلهة كثيرة. فمن الوثنيين من يعبد إلهين هؤلاء هم المعتقدين بالإثنينية، والمثل على ذلك أهل فارس الذين عبدوا إلها للخير وإلها للشر. ولذلك نرى الله قد رد على الإثنينية يوم أن قال (أنا مصور النور وخالق الظلمة. صانع السلام وخالق الشر... أنا الرب صانع كل هذه) (١).

ومن الوثنيين أيضاً من يؤمن بأكثر من إلهين وهؤلاء هم المشركون. وقد حدثنا التاريخ عن اليونان الذين عبدوا تسعة وتسعين إلها، وقبيل ظهور المسيح مخلصنا رأى الأمبراطور حلما كان دافعا لهم أن يبنوا مذبحاً جديدا لإله جديد، ولما كانوا يجهلون هذا الإله كتبوا على المذبح أنه (لإله مجهول)، وقد كان هذا المذبح هو الذى أشار إليه القديس بولس الرسول حين وقف فى وسط أريوس باغوس وصاح فى القوم وقال (أيها الرجال الأثينيون أراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيراً لأننى بينما كنت أجتاز وأنظر إلى معبوداتكم وجدت أيضا مذبحا مكتوباً عليه لإله مجهول فالذى تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادى لكم به) (٢).

والعبادة الوثنية تجلت فى أشكال مختلفة، قد عبد الوثنيون الأصنام والأوثان، ومنهم من عبد النجوم والكواكب كأهل حاران ومنهم من عبد الملوك والرؤساء كما فعل البطالمة، ومنهم من عبد الحيوانات كما فعل المصريون. وهكذا آلهه الوثنيون البحار والأنهار والأشجار والأحجار وصلّوا وعبدوا (وأبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى، والطيور والدواب والزحافات، لذلك أسلمهم الله أيضاً فى شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم الذين استبدلوا حق الله بالكذب واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق الذى هو مبارك إلى الأبد آمين) (٣).

---

(١) إشعياء ٤٥ : ٧.

(٢) أعمال ١٧ : ٢٢ - ٢٤.

(٣) رومية ١ : ٢٣ - ٢٥.

فإن كان الله يأمرنا بعبادته دون سواه فهو بذلك ينهانا عن عبادات الأمم الكثيرة، وغير خاف ما فى هذه العبادات من السخف، وما فى النهى من حكمة بالغة، لأن عبادة آلهة كثيرة من شأنها أن تجعل القلب فى حيرة مترددا فى العمل على إرضاء أى منها. وفى هذه الحيرة وقع الملك قسطنطين يوم أحب أن يستعين بإله منها لينتصر به على عدوه، ولولا أن أرشده الإله الحقيقى وحده أن يسترشد به لا بسواه، ومما يزيد الأمر خطورة أن هذه الآلهة المتعددة لم تكن فى ميولها متوافقة، بل كما كان عند اليونان عدم توافق بين هذه الآلهة فكان بعضها طاهرا وبعضها الآخر شريرا دنسا... ناهيك عما فى عبادة آلهة شريرة من إفساح مجال الشر للعابدين، لأن آلهة هذه حالها من الشر، تستريح لفعل الشر وترضى به وتغرى أتباعها عليه. ولقد كان هؤلاء الوثنيون يقولون فيما ورد إلينا من مخلفات أشعارهم أن الآلهة تتشاحن وتتضارب وتحارب بعضها بعضا، بل وكانت طقوس عبادات تلك الآلهة تقوم على ارتكاب الجرائم والموبقات والشرور والمفاسد، من هذا كله يتبين حكمة الله التى منعتنا عن اتخاذ آلهة أخرى غيره، حتى لا تتعلق قلوبنا بغير إله واحد، « لأنه وإن وجد ما يسمى آلهة سواء كان فى السماء أو على الأرض كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون، لكن لنا إله واحد الآب الذى منه جميع الأشياء ونحن له» (١).

هذا، وإن كنا كمسيحيين نعبد إلها واحدا لاغير ... لكننا (**نعبد إلها واحدا فى ثالوث وثالوثا فى وحدانية**) على حد تعبير القديس أثناسيوس الرسولى، ومعناه أننا نؤمن بإله واحد مثلث الأقانيم، وهذه هى خلاصة تعليم التثليث والتوحيد تتركز فيما نبدأ ونختم به جميع أعمالنا (باسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد).

هذا هو إلهنا القدوس (كائن بوجوده، ناطق بكلمته، حى بروحه) ويهمنا أن نذكر تفسيرا لهذا التعليم سمى بقانون الإيمان لأثناسيوس الرسولى يقول فيه :

(كل من يروم أن يخلص يتحتم عليه أولا وقبل كل شئ أن يحفظ الإيمان ومن لا يحفظه بأكمله ومن غير تعديل فيه، يموت موتاً أبدياً، وهذا الإيمان هو أن نعبد إلها واحدا فى ثالوث، وثالوثا فى وحدانية من غير إختلاط فى الأقانيم ولا تقسيم فى الذات، لأن اقنوم الآب هو غير اقنوم الإبن، وغير اقنوم الروح القدس ولكن الآب والإبن والروح القدس ليسوا إلا إلها واحدا ومجدا واحدا وعظمة أبدية واحدة).

(هذا هو الآب وهذا هو الإبن وهذا هو الروح القدس... فالآب غير مخلوق والإبن غير مخلوق والروح القدس غير مخلوق.. والآب غير محدود والإبن غير محدود والروح القدس غير محدود.. والآب سرمدى والإبن سرمدى والروح القدس سرمدى.. ومع ذلك فهم ليسوا ثلاثة

---

(١) ١. كورنثوس ٨ : ٥.

سرمديين بل سرمدى واحد ... ولا هم ثلاثة غير مخلوقين ولا ثلاثة غير محدودين بل غير مخلوق واحد وغير محدود واحد).

(كذلك الآب قادر على كل شئ، والإبن قادر على كل شئ، والروح القدس قادر على كل شئ... ومع ذلك فهم ليسوا ثلاثة قادرين على كل شئ بل واحد. كما أن الآب هو الله والإبن هو الله والروح القدس هو الله فليسوا ثلاثة آلهة بل إله واحد، ثم أن الآب هو رب والإبن هو رب والروح القدس هو رب وليسوا مع ذلك ثلاثة أرباب بل رب واحد، إذ أن الديانة المسيحية الحقيقية تأمرنا بأن نعترف بأن كلا من الأقانيم على حدة هو إله ورب... وتنهانا عن أن نقول ثلاثة آلهة وثلاثة أرباب.

(ولم يكن الآب مكونا بيد شخص آخر ولا مصنوعا ولا مخلوقاً ولا مولودا منه، قد أتى الإبن من الآب وحده فلم يكن مصنوعاً ولا مخلوقا بل مولوداً، وأتى الروح القدس من الآب ولم يكن مصنوعاً ولا مخلوقاً ولا مولوداً).

(فيوجد إذن آب واحد لا ثلاثة آباء، وابن واحد لا ثلاثة أبناء، وروح قدس واحد لا ثلاثة. وليس فى الثالوث أقنوم أسبق من الآخر ولا أكبر منه بل أن الأقانيم الثلاثة كلها سرمدية معا ومتساوية معاً).

وما أوفقها خاتمة لهذا الحديث ذكرها الوحى الإلهى على لسان القديس يوحنا الرسول إذ قال (فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد) (١).

(٢) هذا هو المبدأ اللاهوتى الذى تضمنه نهى الرب القائل (لايكن لك آلهة أخرى أمامى)... **أما التعليم الروحى** فيشمل أمورا عدة أهمها :

* **أن نحب الله حبا فائقاً لا يدانيه حب** ... ومحبته تعالى ينبغى أن تكون من أعماق النفس ومن كل القدرة، ومن قرارة الفكر، أى كما قال تعالى بفمه القدوس (تحب الرب إلهك من كل قلبك، من كل نفسك، من كل فكرك) ومحبته يجب أن لا يشاركه فيها أى من البشر، فلا الأباء أو الأمهات، ولا البنون أو البنات، ولا الأخوة أو الأخوات، لا الزوجات أو الشهوات، ولا الأموال أو الأعمال، بل ولا أى شئ فى الوجود مهما كبر أو صغر، علا أو حقر، كل محبة بإزاء محبة الله ينبغى أن تحسب كراهية وبغضة لعظم الفرق بينهما.

---

(١) ١. يو ٥ :٧.

وهذا بالضبط هو المعنى الذى أراده المخلص لما قال : (إن كان أحد يأتى إلىّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده، واخوته حتى نفسه أيضا، فلا يقدر أن يكون لى تلميذا) (١) وعن حب الله قال مخلصنا (من أحب أبا أو أما أكثر منى فلا يستحقنى، ومن أحب إبنا أو إبنة أكثر منى فلا يستحقنى) (٢) وقديماً كان ابراهيم يحب اسحق حبا جما لأنه ابنه وحيده الحبيب وابن شيخوخته، ومع ذلك لما سأله الرب ابنه ذبيحة لم يتوان بل بكرّ باكرا جداً وقدمه كإرادة الله ... وهذا يدل على منتهى الحب لله بل ويدل على أن محبته لله كانت أعظم من محبته لولده... ولذلك أسمعه الرب شهادته من السماء قائلا (الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك إبنك وحيدك عنى) (٣).

وهذا التعليم الروحى يتضمن فوق هذا **أن نتخذه تعالى متكلنا الوحيد**، فلا ينبغى أن نتكل على الإنسان مطلقا لأنه ينسى، ولأنه يعد ولا يفى، يتكلم ولا يصدق... أما الله (فليس إنسانا فيكذب ولا ابن إنسان فيندم، هل يقول ولا يفعل، أو يتكلم ولا يفى) (٤).

والإنسان متقلب، متغير لا يكاد يثبت على حال، أما الله فهو (الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران) (٥) والانسان حتى لو ظل أمينا مخلصا وفيا صادقا بارا فإنه عرضة للموت والفناء، وهنا يقول النبى (لا تتكلموا على الرؤساء ولا على ابن آدم حيث لا خلاص عنده، تخرج روحه فيعود إلى ترابه، فى ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره) (٦).

فلا تخدعك وعود البشر ولا توكيداتهم، بل اعلم أنهم من نفوسهم لا يستطيعون شيئا، فلو شاء الله أن ينجح مقاصدك واعترضك بشر لا ينجح عراقيلهم، ولو شاء ذلك الفشل وساعدك البشر لا تفلح معونتهم... فالله هو الوحيد الذى تستطيع أن تتكل عليه بكل إطمئنان، وعلى ذلك فإن (كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبى الأنوار) (٧).

هذا ما أراده المسيح له المجد يوم نهى تلاميذه عن أن يتخذوا لهم أبا أو معلما على الأرض فقال (ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السماوات، ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح) (٨)، فالمسيح هنا لم يقصد بذلك أن ينهانا، عن اتخاذ الكهنة آباء روحيين، لأنه لو أُخذ كلام المسيح حرفيا لما جاز لنا أن ندعو الوالدين أباء، هذا ما لا يمكن أن يذهب إليه المسيح ولن يقره كتابنا المقدس الذى يوصينا بطاعة الوالدين وإكرامهم بل ومن عبث

---

(١) لو ١٤ : ٢٦.
(٢) متى ١٠ : ٢٧.
(٣) تك ٢٢ : ١٢.
(٤) عدد ٢٣ : ١٩.
(٥) يعقوب ١ : ١٧.
(٦) مز ١٤٦ : ٣، ٤.
(٧) يعقوب ١ : ١٧.
(٨) متى ٢٣ : ٩، ١٠.

القول أن نعمد إلى إثبات اعتراف المسيح بهذه الأبوة الجسدية، ولكننا مع ذلك نرى أنفسنا مضطرين إلى أن نذكر قوله المشهور (فإن كنتم وأنتم أشرارا تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى أبوكم الذى فى السموات يهب خيرات للذين يسألونه) (١).

هذا عن الأبوه الجسدية، **أما عن الأبوة الروحية** فكان يكفينا فيها أن نقول أن المشابهة بين ما يقوم به الوالد، وبين ما يقوم به الكاهن، مشابهة من شأنها أن تجعل من الجائز أن يدعى الكاهن أبا ولكن أبا روحيا، فإن كان الوالد يسمى أبا لأنه هو الذى ولد ذلك الإبن، كذلك الكاهن هو أب لأنه ولده بالماء والروح أى بالمعمودية ... فإن قال أن المعمد مولود من الله قلت لك بالمثل أن الخالق أو الوالد الحقيقى لهذا الولد هو الله، ومع ذلك فإن هذا لم يمنع من تلقيب الواسطة التى تجلى بها هذا الخلق والدا، كذلك يجوز تلقيب الكاهن أبا، وإن كان الوالد منوطا به الإهتمام بولده من ناحية تربوية وتغذيته والإنفاق عليه، كذلك الكاهن منوط به الإهتمام بروحه وتغذيته بكلمة الله الحية والأسرار المقدسة.

نقول كانت تكفينا هذه المشابهة لتأييد القول بالأبوة الروحية التى هى أسمى من الأبوة الجسدية بمقدار ما سمت الروح عن الجسد، ومع ذلك فنحن نذكر أن كتابنا المقدس احتوى على نصوص كثيرة تثبت ما نقول، ومن يريد الإقتناع يكفيه قول القديس يوحنا الرسول للمؤمنين وهو البتول الذى ليس له أولاد (يا أولادى لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق) (٢).

هذا كله عن الأبوة بنوعيها جسدية كانت أم روحية، أما عن المعلمين فيتحدث الكتاب عنهم بكل صراحة، وعن وجودهم فى الكنيسة بقوله (فوضع الله أناسا فى الكنيسة أولاً رسلا وثانياً أنبياء ثالثاً معلمين) (٣).

وإذن فالمسيح له المجد لم يعن بقوله عن الآباء والمعلمين أن ينفى بذلك وجودهم وعملهم فى الكنيسة، ولكنه يريد من الرسل الأطهار ومن جميع المؤمنين أن لا يتخذوا من بين البشر أبا يتكلون عليه كل الإتكال، فيهملون الآب السماوى وأن لا يتخذوا من المعلمين آلهة معصومين من الخطأ فى تعليمهم، إذ المسيح هو المعلم الوحيد الذى يخلو تعليمه من كل خطأ وزلل، بل وتعليمه هو المشبع المروى للنفوس والأرواح.

وذلك التعليم الروحى يتضمن علاوة على ما قدمنا **أن لا نلتجئ لغير الله بالصلاة أو العبادة** لأنه مكتوب (للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد) (٤). وذلك لأن الصلاة دليل حاجتنا إلى الله. وهى ليست كذلك فحسب بل إنها شركة ولذة وسعادة ومحبة ورفقه وعشرة مع الله،

---

(١) متى ٧ : ١١.
(٢) ١. يوحنا ٣ : ١٨.
(٣) ١. كورنثوس ١٢ : ٢٨.
(٤) متى ٤ : ١٠.

هى رفع الإحساس والمشاعر لتكون مع الله... لله وحده يجب أن تقدم الصلاة والصوم والصدقة. فإذا ما فعلنا ذلك وجب أن تكون غايتنا لا نيل مجد من الناس بل محبة فى الله وطاعة لأوامره... وإذا نحن قصدنا مجدا من الناس كنا فى ذلك عبدة للناس وهذا هو ما ينهانا الله عنه بقوله (لا يكن لك آلهة أخرى أمامى) وعبادتنا لله تعالى تقوم بتكريس وتخصيص كل ما فينا من عقل وحواس لجلاله تعالى، فلا نكتفى فقط بأن نحنى أعضاءنا الظاهرة، ونسجد أمامه على أقدامنا ولكن لابد أيضا من التأمل العقلى، وحصر الذهن، وانسكاب الروح، وخشوع القلب، وتذلل النفس. كما لا يحسن الإكتفاء بهذه الأخيرة دون تلك، بل يجب أن نعبده بأرواحنا وأجسادنا ونفوسنا. فعبادة الروح بلا جسد، وعبادة الجسد بلا روح، كلاهما ناقصة، فكما أن الله خالق الروح وله عليها واجب العبادة، كذلك هو خالق الجسد، وله عليه واجب التذلل والخضوع، وبالإجمال يجب أن يكون كل شئ فينا ملكا لمن اشترانا وفدانا بدمه. فلنكن مستأسرين كل فكر وفعل لطاعة المسيح إلهنا. ومما سبق نرى حاجتنا إلى الطقوس فديانة بلا طقوس ديانة لا تليق ببشر ولا بملائكة لأن الملائكة يعبدون الله بطقوس معينة. فهم يسجدون ويخرون أمام الحىّ إلى أبد الآبدين. كما نقرأ ذلك كثيراً فى سفر الرؤيا، لذلك فمن ينادى بهذا الفكر يدّعى للبشر ماليس بهم (فمجدوا الله فى أرواحكم وأجسادكم التى هى لله).

(١) وإذا قلنا أن الله هو وحده الذى يحق له العبادة والصلاة والسجود، فلا يليق بنا أن نفهم **صلة الكنيسة بالقديسين المنتقلين على هذا النحو**، فإن دعوناهم فإنما ندعوهم ليتضرعوا إلى الرب من أجلنا، كما أنهم فى حاجة إلى صلوات الكنيسة إلى الرب من أجلهم، وإذن فالصلة بيننا وبينهم صلة المحبة المتبادلة، وهذه الصلة ليست غير الصلاة لكننا نصر دائما على أنهم مخلوقون مثلنا. غير أن الفارق بيننا وبينهم هو فى أن هؤلاء فى دار البقاء قد انتصروا، أما نحن فما زلنا فى ميدان الوغى محاربين، وواضح أنه ليست لهم فى ذواتهم قوة على أن يساعدونا، إنما هى صلواتهم المقبولة أمام الله هى التى تستدر لنا الرحمة والعون. فحينما نستغيث بالله ذاكرين أسماءهم فالرب يستجيب لنا إكراما لهم ...

(٢) هذا، **والنذور** إن قدمت بأسمائهم فليس على إعتبار أنها مقدمة لهم لأنهم أرواح لا تحتاج إلى عطايا مادية، فوق أنهم مخلوقون ممجدون.

وإنما نحن نقدم النذور بأسمائهم لأن الرب يسر جداً بهذا : إذ أن إكرام قديسيه إكرام له، كما أن اعتبارنا لهم اعتبارا للفضيلة التى تحلّوا بها، فضلا عن أن ذكر أسمائهم على أفواهنا ما يستثير فى نفوسنا العمل بسيرتهم ووفق مبادئهم...

ومسرّة الرب بتقديم النذور بأسماء القديسين يوضحه قوله تعالى (من يقبلكم يقبلنى، ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى، من يقبل نبيا بإسم نبى فأجر نبى يأخذ، ومن يقبل بارا بإسم بار فأجر

بار يأخذ، ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ فالحق أقول لكم أنه لا يضيع أجره) (١).

(٣) وما نقوله عن النذور **يقال عن اطلاق أسماء الملائكة والقديسين** على الكنائس... فنحن لا نعبد الملائكة ولا القديسين، بل الرب الذى أحبنا وغسلنا من خطايانا.

وأما إطلاقنا أسماء الملائكة والقديسين على الكنائس فلأغراض معينة ولحكمة سامية هى إكرامهم كما أسلفنا لما فى هذا من إرضاء الله ذاته (أكرم الذين يكرموننى) ولما يعود علينا من الفائدة من ذكراهم، بل ولما فى هذا المبدأ من تشجيع للمؤمنين على حياة الفضيلة بمكافأة أبرارها وقديسيها وتقدير الفضيلة فيهم.

وإذا كنا نرى الحكومات تطلق على الشوارع أسماء عظماء الناس لهذه الأغراض... أى تمجيدا للفضيلة وإحياء لذكرى الأبطال والعظماء المبرزين، أفتكون الكنيسة أقل تقديرا للفضيلة والفضلاء من أهل العالم؟

هذا، وإن فى إطلاق أسماء الملائكة والقديسين على الكنائس ما يميز كنيسة عن غيرها، فإذا كان فى بلدة ما، أكثر من كنيسة واحدة، وكانت إحداها تسمى كنيسة السيدة العذراء، وأخرى كنيسة مارجرجس فإن هذا يفيد فى التفرقة بين الكنيستين...

وإذا كان من عادات الأباء فى العصور الأولى عصور الشهداء أن يبنى فوق جثمان الشهيد كنيسة، أو أن يدفن الشهيد فى الكنيسة، كان من الطبيعى إذن أن تسمى الكنيسة بإسم هذا الشهيد أو القديس.

هكذا بنيت الكنائس على أسماء الملائكة والقديسين منذ العصور الأولى، وظلت الكنيسة إلى الآن وستظل إلى منتهى الدهور متمسكة بهذا التقليد القديم. وإن ما نراه فى تمسك الكاثوليك والأسقفيين وهم من غير أبناء كنيستنا بهذا التقليد، ما يفسر لنا أنه من السهل أن يقتنع الجميع بصحة وجهة نظر الكنيسة.

لقد قيل عن الشريعة أنها شريعة موسى، وعن الإنجيل أنه إنجيل متى، وعن الهيكل أنه هيكل سليمان، ومع ذلك لم يقل أحد أن فى هذه التسمية ما يضاد مشيئة الله.

---

(١) متى ١٠ : ٤٠ - ٤٢.

فالله هو صاحب الشريعة، وهو الموحى بالإنجيل وهو رب الهيكل، لكن الشريعة سميت بشريعة موسى لأن موسى هو الذى تلقاها من الله. والإنجيل سمى بإنجيل متى، أو مرقس. الخ لأن القديس متى أو القديس مرقس هو الذى كتبه مسوقا من الروح القدس، وسمى الهيكل هيكل سليمان لأن سليمان هو الذى بناه... وإذن فمن كتاب الله نفسه يتضح لنا أن الله سر بهذه الأشياء، ولم يجد فيها ما ينافى إرادته ومشيئته، فلا فرق عند الله بين أن نسمى الشريعة شريعة الله أو شريعة موسى لأن المعنى يستقيم فى كلتا الحالتين... هكذا لا فرق بين أن تسمى الكنيسة كنيسة الله أو كنيسة الملاك أو كنيسة القديس...، فالله هو المعبود الوحيد فى جميع الكنائس ومن يريد التحقق فليدخل كنائسنا جميعا. فألفاظ العبادة والنظم والطقوس والترتيبات كلها واحدة فى جميع الكنائس، مما يؤيد أن ليس فى هذه التسمية ما يغير من العبادة المتحدة فى جميع كنائسنا.

وإذن فليس فى إطلاق أسماء الملائكة والقديسين على الكنائس ما يضاد الوصية الأولى القائلة: (لا يكن لك آلهة أخرى أمامى) مادام الله هو المعبود الوحيد وما دامت أسماء الملائكة والقديسين للذكر والإكرام والإقتداء لا للعبادة أو التأليه...

(٤) كذلك يجب أن لا نظن أن **إطلاق أسماء العذراء والرسل على بعض الأصوام** مناقضا للوصية الأولى التى تمنع أن نتخذ غير الله معبودا. فالأصل فى هذه التسمية هو أن صوم العذراء ينتهى بعيد صعود جسدها الطاهر إلى السماء بعد وفاتها... وأنه الصوم الذى صامه رسل المسيح ليكشف الرب لهم عن سر إختفاء جسدها بعد أن دفنوها بأيديهم، فبعد أن صاموا هذه المدة أظهر لهم الرب الجسد ثانياً محمولاً بين أيدى الملائكة. وهذا خلاف المرة الأولى التى رآه فيها القديس توما الرسول وحده.

وبالمثل صوم الرسل، فقد سمى باسمهم لأنهم هم الذين صاموا بعد حلول الروح القدس عليهم إتماما لقول الرب (ستأتى أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون فى تلك الأيام) (١).

وإلى هذا الصوم أشار القديس لوقا فى سفر الأعمال (٢)، ولذلك نجد الكنيسة تبدأ صوم الرسل فى اليوم التالى لعيد حلول الروح القدس فى يوم الخمسين.

---

(١) مر ٢ : ٢٠.

(٢) أعمال ١٣ : ٢، أعمال ٢٧ : ٩.

لسنا نقصد هنا إثبات الصوم، فهذا ما يحتاج إلى بحث منفرد ، وإنما مقصدنا أن نبين أن هذين الصومين، صوم العذراء وصوم الرسل قد نسبا إلى العذراء والرسل لا لأننا نصوم للعذراء أو الرسل، فهذا ما ننكره ونصر على إنكاره، ولكن الأول ينتهى بعيد العذراء، والثانى لأن الرسل هم أول من صاموه.

ولطالما يحتج البروتستانت على الصوم بهذا الإعتراض الواهى إذ يقولون أننا لا يمكن أن نصوم مثلكم أيها الأقباط للعذراء والرسل لأنهم بشر مثلنا... ونحن لا نجد فى هذا الإعتراض إلا جهلا بالتعاليم المستقيمة التى تعلم بها كنيستنا، فهم لم يدرسوا المسألة إلا بنظرة سطحية، ومن ثم يحتجون بلا مبرر، ولو كان صوم الرسل معناه أننا نصوم للرسل، وصوم العذراء، اننا نصوم للعذراء، فماذا يكون إذن معنى صوم الميلاد؟ أو الصوم المقدس؟ أو صوم الأربعاء والجمعة، أو صوم نينوى، أو صوم البرمون؟

والخلاصة أنه ليس فى إطلاق أسماء العذراء والرسل على بعض الأصوام ما يتنافى مع الوصية الأولى.

(٥) وما قلناه عن الأصوام نقوله عن أعياد القديسين والملائكة، فنحن نحتفل علاوة على الأربعة عشر عيدا السيدية الكبرى والصغرى، بأعياد أخرى للعذراء الطاهرة والرسل القديسين، والشهداء الأبرار، والأعياد هى دون شك، نوع من العبادة يقدم لله تعالى بالتهليل والفرح بالرب، نظرا للبركات الوفيرة التى منحها لنا فى مناسبات هذه الأعياد، هذا فيما يختص بالأعياد السيدية، أما الأعياد الخاصة بالملائكة، والعذراء، والرسل والشهداء فهى ليست عبادة مقدمة لهم، ولكنها عبادة مقدمة لله تعالى، وليست أسماء الملائكة أو القديسين فى هذه الأعياد إلا لذكراهم، والتأمل فى قداستهم وطهارة سيرتهم حتى نتمثل بهم فيتمجد الله فى أعمالنا كما تمجد فى أعمالهم.

وإذا كان المسيح له المجد قد أوصى خيرا بالمرأة التى سكبت على رأسه قارورة الطيب قائلا: (الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل فى كل العالم يخبر أيضا بما فعلته هذه تذكارا لها)(١). فكم وكم يكون أولى بهذه الذكرى، وهذا التخبير من لم يسكبوا من أجل المسيح طيبا، بل دماءهم بعد أن ذاقوا من أجل اسمه أقصى وأمر أنواع العذاب؟ وهل يفعل فى أعياد القديسين إلا ما أوصى به الرب؟

---

(١) متى ٢٦ : ١٣.

فإن تاريخ حياتهم يتلى على جمهور المؤمنين فى الكنيسة وكذلك تنشد بعض الترانيم لهذه المناسبة.

وليس فى هذا إلا كل خير وبركة لنفوس العابدين. وإذن فلسنا فى حاجة إلى القول بأن هذا الأمر لا يتنافى مع الوصية الأولى، بل على العكس أنه ينسجم معها ويؤيدها، لأن المسيح لما قال: (ليرى الناس أعمالكم الصالحة أعقب ذلك بقوله(فيمجدوا أباكم الذى فى السموات) (١).

(٦) وهكذا يبدو أمام بعض الناس منافيا للوصية الأولى، **ما يقدم لرؤساء الكهنة، وعلى مدافن الأبرار، وأمام صورهم من إطلاق البخور**، والإنحناء أو السجود، ولكن أليس من الحق أننا قد ننحنى أو نسجد أمام الملوك والرؤساء والعظماء ونخاطبهم بكلمات الخضوع والخشوع داعين إياهم سادة مبجلين، واضعين ذواتنا لهم عبيدا مطيعين، ومع ذلك لا نفكر إطلاقا فى أن ما نفعله لهؤلاء من ضروب السجود والتبجيل يتنافى مع عبادتنا لله؟ بل إذا إعترض علينا بذلك أجبنا، أن هناك فارقا ضخما بين السجود الذى نقدمه للملوك والسجود الذى ندين به لله. فالسجود أمام الملوك والعظماء هو سجود الإحترام والإكبار وهذا يختلف إختلافا عظيما عن السجود لله وهو سجود العبادة والتأليه.

إننى أقول للملك أو للرئيس: إنى عبدك، وأقول لله نفس الكلمات بعينها، ومع ذلك فالعبارتان تختلفان : فإن الأولى تعبر عن الخضوع والإكرام للرؤساء الذين أمر الله نفسه بإكرامهم (الإكرام لمن له الإكرام) (٢) أما الثانية فتدل على روح التعبد للخالق العظيم.

أما إن قيل أن دانيال رفض السجود أمام الملك، وكذلك مردخاى أمام هامان وكذلك رفض القديس بطرس الرسول سجود كورنيليوس أمامه، ورفض القديسان بولس وبرنابا تصرف شعب لسترة معهما بالذبح لهما، فالسبب فى كل هذه الحوادث واحد لا غير، هو أن هذا السجود فى تلك الحالات كان للعبادة لا للإكرام، وحاشا لهؤلاء القديسين أن يطيقوا رؤية الناس يقدمون لهم، أو لغيرهم من البشر سجود العبادة بإعتبارهم آلهة، ولكى تثق بصحة ما نقوله راجع .. (٣).

---

(١) متى ٥ : ١٦.

(٢) رو ١٣ : ٧.

(٣) دانيال ٦ : ٧، ١١، ١٢، ثم أستير ١٣ : ١٤، ثم أعمال ١٠ : ٢٥، ٢٦ و ١٤ : ١١ ـ ١٥.

وبينما كان يمتنع القديسون عن السجود التعبدى لغير الله، كانوا مع ذلك يسجدون أمام الرؤساء والعظماء إكراما لهم وإجلالا، فلقد سجد إبراهيم أمام شعب الأرض (١)، وسجد يعقوب إلى الأرض سبع مرات حتى اقترب إلى أخيه عيسو (٢)، وسجد ناثان النبى للملك داود على وجهه إلى الأرض (٣)، وسجد أيضا سليمان الحكيم أمام أمه (٤)، إذن ليس فى سجود الإحترام أمام الرؤساء والقديسين، ما يتنافى مع الوصية الأولى القائلة (لا يكن لك آلهة أخرى أمامى).

قلنا، أن فى نهى الرب عن إتخاذ آلهة أخرى أمامه مبدأن أحدهما : لاهوتى، والآخر روحى، وقلنا أيضا أن هذا التعليم الروحى يتضمن أن نحب الله حبا فائقاً لا يدانيه حب، وأن نتكل عليه وحده دون سواه بكل قلوبنا، وأن نتخذه المعبود الوحيد الذى نتجه إليه بصلواتنا وأصوامنا وصدقاتنا. والآن نستطيع أن نضيف إلى ما تقدم تعليما جديداً يتضمنه هذا التعليم الروحى الذى نستفيده من قوله تعالى : (لا يكن لك آلهة أخرى أمامى) أما هذا التعليم فهو أن **لا نلتجئ لغيره فى سؤال أو طلب، ولا نلتمس من طريق آخر معرفة الأمور المستقبلة.**

فالبشر فى مختلف العصور قد لجأوا إلى طرق كثيرة معوجة، إلتمسوا منها معرفة الغيب المحجب، منها ما يعتمد على قوة الشيطان، ومنها ما يعتمد على نظريات علمية، ومنها ما ليس له نصيب من هذا أو ذاك... بل هو محض إدعاء وإفتراء لتضليل العقول وإيهام النفوس.

ولا يفوتنا بصدد هذه الوصية الأولى، أن نعرض فى إيجاز لبعض هذه السبل الملتوية التى سلك فيها الناس منافين لأوامر الله تعالى.

أولاً أما الوسائل التى يعتمدون فيها على قوة الشيطان، وحيله المضلة الخداعة فهى كثيرة وسنقصر الحديث عن السحر، والعرافة، فحسب ...

(١) السحر : -

هو إجراء أمور تستثير الإعجاب فتبدو أمام الآخرين عسيرة أو مستحيلة بالنسبة لهم، وقد ذكر الكتاب المقدس السحرة مرارا عدة، فذكرهم فى حوادث ملوك بابل فى سفر دانيال، حيث أن الملوك يدعون السحرة والمنجمين ليكشفوا لهم عما خفى عليهم، فأمر الملك بأن يستدعى

---

(١) تكوين ٢٣ : ١٢.
(٢) تكوين ٣٣ : ٣.
(٣) ١. الملوك ١ : ٢٣.
(٤) ١. الملوك ٢ : ١٩.

المجوس والسحرة والعرافون والكلدانيون ليخبروا الملك بأحلامه (١). هذا ماقيل عن نبوخذ نصر الملك وكذلك قيل عن بيلشاصر عندما رأى كتابة على الحائط (فصرخ الملك بشدة لإدخال السحرة والكلدانيين والمنجمين) (٢) وكما كان السحر منتشرا فى بابل، كذلك كان شأنه عظيما فى مصر التى اشتهرت بسحرها العظيم أيام موسى النبى الكليم، فدعا فرعون أيضا الحكماء والسحرة ففعل عرافوا مصر أيضا بسحرهم كذلك وطرحوا كل واحد عصاه، فصارت العصى ثعابين ولكن عصا هرون ابتلعت عصيهم (٣).

وقد جابهت المسيحية أبان ظهورها أعمال السحر وغيره، فلما آمن الناس بدين المسيح ورجعوا إلى الله بكل قلوبهم (كان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع، وحسبوا أثمانها فوجدوها خمسين ألفا من الفضة) (٤).

ومن السحرة الذين ذكرت أسماؤهم فى العهد الجديد، سيمون : (وكان قبلا فى المدينة رجل اسمه سيمون يستعمل السحر ويدهش شعب السامرة قائلاً : أنه شئ عظيم، وكان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير قائلين : هذا هو قوة الله العظيمة وكانوا يتبعونه لكونهم قد إندهشوا زمانا طويلا بسحره) (٥).

ومن السحرة أيضا عليم الساحر، أو باريشوع هذا الذى قاوم الرسولين بولس وبرنابا طالبا أن يفسد الوالى سرجيوس عن الإيمان. (وأما شاول الذى هو بولس أيضا فامتلأ من الروح القدس وشخص إليه وقال أيها الممتلئ كل غش وكل خبث، يا ابن ابليس، يا عدو كل بر، ألا تزال تفسد سبل الله المستقيمة؟ فالآن هوذا يد الرب عليك فتكون أعمى لا تبصر الشمس إلى حين... ففى الحال سقط عليه ضباب وظلمة، فجعل يدور ملتمسا من يقوده بيده. فالوالى حينئذ لما رأى ما جرى آمن مندهشاً من تعليم الرب) (٦).

ومن الأهمية بمكان، أن نعرف يقينا أن السحرة يعتمدون على قوة الشيطان الذى يبغى تضليل البشر وإفساد أذهانهم عن طلب طريق الرب. ونحن لا ننكر قوة الشيطان فقد دعاه الكتاب (إله هذا الدهر) ودعاه الرب (رئيس هذا العالم) وإنما الذى ننكره ونرفض التسليم به هو

---

(١) دانيال ٢ : ١، ٢ (٢) دانيال ٥ : ٧. (٣) خر ٧ : ١١، ١٢.

(٤) أعمال ١٩ : ١٩. (٥) أعمال ٨ : ٩. (٦) أعمال ١٣ : ٩ ـ ١٢.

إلتجاؤنا وإحتماؤنا كمؤمنين بقوة الشيطان، تاركين قوة الله، وناسين أن إبليس عدو نفوسنا، وأنه لا يبغى لنا خيرا حتى لو بدا لنا فى بعض الأحيان ذلك.

وقد جاء فى تاريخ الكنيسة عن سيمون الساحر هذا الذى آمن مندهشا من تعليم الرب، أنه ندم وارتد عن الإيمان، وذهب إلى رومة وهناك أضل الناس بسحره حتى حسبوه إلها وعملوا له صورة وعبدوها. وأراد مرة أن يصعد إلى السماء على مرأى من ملك روسيا وعظمائها وشعبها، فدعا الشياطين فحملوه وصعدوا به عاليا، فصاحت الجموع قائلة عظيمة قدرة سيمون. وكان القديس بطرس الرسول أحد المشاهدين، فجثا على ركبتيه وصلى لله حتى يبطل قوة الشيطان، فلما أراد سيمون النزول ثانياً بالتدريج تركته الشياطين وهربت من قوة الصلاة... فهوى سيمون على الأرض وترضض جسده، وإنكسرت ساقاه، فحمله تلاميذه إلى بيت قريب... أما هو فلفرط خجله لم يرد أن يظهر ثانية بين الناس فصعد إلى السطح وألقى بنفسه على الأرض فمات... وهكذا يضلل الشيطان البشر عن طريق قوته السحرية، ولكنه ضعيف أمام قوة الله وضعيف عن المؤمنين المعتمدين على قوة الله.

وغيرة الرب على شعبه فى أن يصونهم من الضلال دفعته إلى أن يصدر أمرا ضد السحرة فقد أمر بغير إشفاق (لا تدع ساحرة تعيش) (١)، وقد عرف المؤمنون بالمسيح أن السحر يتنافى مع طاعة أوامر الله ولذلك (كان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع) (٢).

(٢) العرافة :

فيقصد بها معرفة الغيب المحجب، ويُعرف أصحاب هذه الطريقة بالعرافين، وهم يتبعون فى سبيل ذلك طرقا مختلفة كثيرة، منها ما يعرف لدى المطلعين على هذه الأمور (بالمندل) وبه يستدعون الشياطين صراحة للإخبار، كما أن من العرافين من يستدعى الشياطين بالرمل والودع، أو نوى البلح، أو القهوة وغير ذلك.

وقد دعا الكتاب المقدس هؤلاء العرافين، (أصحاب الجن أو التوابع) على أن هناك إختلافا بين أصحاب الجن، وبين التوابع : فأصحاب الجن يجمعون الشياطين حينما يريدون، بينما التوابع تتبعهم شياطينهم بإستمرار، فهم لا يحتاجون إلى إستدعائهم فى وقت دون آخر، وقد قال

---

(١) خر ٢٢ : ١٨.

(٢) أعمال ١٩ : ١٩.

بعضهم (أن أصحاب التابعة هو من معه روح تنبئه بما فوق الطبيعة من الأمور فتتكلم من إبطه أو صدره بصوت عميق).

وقد شهد الوحى الإلهى صراحة عن هؤلاء العرافين، وكيف أن مصدر معرفتهم إنما هو الشيطان، فهو (قد إقتنصهم لإرادته)، وهم قد استخدموه للتضليل والريح الباطل.

ومن ذلك، ما جاء عن عرافة بمدينة فيلبى: (وحدث بينما كنا ذاهبين إلى الصلاة، أن جارية بها روح عرافة استقبلتنا، وكانت تُكسب مواليها مكسبا كثيراً بعرافتها، هذه اتبعت بولس وإيانا وصرخت قائلة: هؤلاء الناس هم عبيد الله الحى الذين ينادون لكم بطريق الخلاص، وكانت تفعل هذا أياماً كثيرة، فضجر بولس وإلتفت إلى الروح وقال: أنا آمرك باسم ربنا يسوع المسيح أن تخرج منها فخرج فى تلك الساعة، فلما رأى مواليها أنه قد خرج رجاء مكسبهم أمسكوا بولس وسيلا وجروهما إلى السوق إلى الحكام) (١).

ومن ذلك نفهم، أن العرافين ترافقهم أرواح الشياطين لتخبرهم فتبعد الناس عن طريق الحق والحياة، وقد يقال أن العرافة كانت تشهد للناس عن طريق الخلاص، فنقول أن الشيطان أحيانا يصرخ بالحق فيجعل الناس يثقون به فيمعن فى تضليلهم، ولذلك فإنه لما اعترف بالمسيح وقال له (أنت قدوس الله) انتهره يسوع قائلا: (اخرس واخرج منه) (٢).

ومرة أخرى، نقرأ عن عرافة لجأ إليها شاول الملك ليسألها فقال له عبيده هوذا إمرأة صاحبة جان فى عيون دور، فتنكر شاول ولبس ثيابا أخرى وذهب هو ورجلان معه، وجاءوا إلى المرأة ليلا وقال: (اعرفى لى بالجان وإصعدى لى من أقول لك). فقالت له المرأة: (هوذا أنت تعلم ما فعل شاول كيف قطع أصحاب الجان والتوابع من الأرض فلماذا تصنع شركا لنفسى لتميتها؟) فحلف شاول بالرب قائلاً (حى هو الرب أنه لا يلحقك إثم فى هذا الأمر)... فقالت المرأة: (من أصعد لك) فقال (إصعدى لى صموئيل).. فلما رأت المرأة صموئيل، صرخت بصوت عظيم، وكلمت المرأة شاول قائلة: (لماذا خدعتنى وأنت شاول) فقال لها الملك (لا تخافى، فماذا رأيت؟) فقالت المرأة لشاول (رأيت آلهة يصعدون من الأرض) فقال لها (ما هى صورته؟) فقالت (رجل شيخ صاعد وهو مغطى بجبة)... فعلم شاول أنه صموئيل فخر على وجهه إلى الأرض وسجد...» (٣).

---

(١) أع ١٦: ١٨ (٢) لو ٤: ٣٥. (٣) ١. صموئيل ٢٨: ٧ ـ ١٤.

وقد يسأل سائل كيف ينهى الرب عن العرافة، وفى الآن نفسه يسمح لنبيه صموئيل أن يأتى بناء على عمل العرافة، فيكون للشيطان سلطان على أولاد الله فيصعدهم ويأتى بهم حسب إرادته؟ والحق إننا لو راجعنا النص بدقة وفحص، لا نستطيع أن نجد فيه أية عبارة يشتم منها أن النبى قد جاء بناء على عمل العرافة أو بعد تلاوة تعاويذها، بل أن الواضح أن النبى صموئيل ظهر قبل أن تقوم المرأة بأعمال عرافتها... وأما السبب الذى من أجله أراد الله أن يظهر صموئيل عن هذا الطريق وحده أى عن طريق العرافة، فهو أنه أراد أن يسجل على شاول هذه الخطيئة العظيمة، خطيئة إلتجائه إلى إمرأة عرافة مخالفا لأوامر الله الذى نهى نهيا باتا عن هذه الأمور. فظهور صموئيل لشاول على هذه الصورة أقسى تقريع وتأنيب لشاول على هذه المخالفة الصريحة... والدليل على هذا أن الله أوضح أن فعلة شاول هذه استحقت غضب الله تعالى ورفضه نهائياً فقال الوحى : (فمات شاول بخيانته التى بها خان الرب، من أجل كلام الرب الذى لم يحفظه وأيضا لأجل طلبه إلى الجان للسؤال، ولم يسأل من الرب فأماته وحول المملكة إلى داود بن يسى) ... وقد أعلن الرب إستياءه العظيم من الإلتجاء إلى العرافين لا فى هذه الحادثة فقط، ولكننا فى غير موضع واحد من الكتاب المقدس نجد أوامر مشددة وصريحة تنذر بالويل والثبور وعظائم الأمور لأولئك الذين يعتدون على شريعة الله بطلبهم وسؤالهم من الجان وتوابعه...

من ذلك ما جاء فى سفر اللاويين، (لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم أنا الرب إلهكم) (١) ... (النفس التى تلتفت إلى الجان وإلى التوابع لتزنى وراءهم أجعل وجهى ضد تلك النفس وأقطعها من شعبها) (٢) ... (وإذا كان فى رجل أو إمرأة جان أو تابعة، فإنه يقتل، بالحجارة يرجمونه، دمه عليه) (٣).

وأخيرا، فإن سفر التثنية أيضا... قد حدد موقف شعب الله من السحر والعرافة وما إليهما بقوله :

(متى دخلت الأرض التى يعطيك الرب إلهك، لاتتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم لا يوجد فيك من يجيز إبنه أو إبنته فى النار **ولا من يعرف عرافة، ولا عائف ولا متفائل، ولا ساحر ولا من يرقى رقية، ولا من يسأل جانا أو تابعة ولا من يستشير الموتى**، لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب، وبسبب هذه الأرجاس، إلهك طاردهم من أمامك، تكون كاملا لدى الرب إلهك... إن هؤلاء الأمم الذين تخلفهم يسمعون للعائفين والعرافين، وأما أنت فلم يسمح لك الرب إلهك هكذا) (٤).

---

(١) اللاويين ١٩ : ٣١.
(٢) اللاويين ٢٠ : ٦.
(٣) اللاويين ٢٠ : ٢٧.
(٤) التثنية ١٨ : ٩ ـ ١٤.

أيا ليت الذين يلتفتون إلى السحر والعرافة، يستمعون إلى صوت الله (أنا الرب إلهك، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى...)

أما الوسائل العلمية التى يستخدمها البشر فى سبيل معرفة الأمور المستقبلة فكثيرة كذلك: منها (**التنويم المغناطيسى**).

ولكن هل يمكن أن يعتبر التنويم المغناطيسى أداة لكشف المستقبلات، إننا لن نستطيع أن نجيب على هذا السؤال قبل أن نعرض للغاية الأساسية للتنويم المغناطيسى.

للإنسان رغبات مكبوتة، يميل إلى تحقيقها، ولكنها تتنافى مع ما نهى الله عنه، أو مع ما تواضع الناس عليه من قوانين وعادات، وهذه العقد النفسية أو الرغبات المكبوتة حينما يشتد الضغط عليها، ولا تجد منفذا لها بتغيير الفكر، وتجديد الذهن، قد تؤدى فى أحيان كثيرة إلى اضطرابات عصبية وأمراض عقلية، نتيجة الصراع الداخلى العنيف بين الميل إلى تحقيق هذه الرغبات وبين الميل إلى احترام المبادئ السامية التى تتعارض مع هذه الرغبات.

وقد اهتدى علماء النفس إلى بعض الطرق النفسية التى بها يخلصون هؤلاء المرضى من أتعابهم وآلامهم، ومن هذه الطرق : التحليل النفسى والتنويم المغناطيسى...

وفى التنويم المغناطيسى، يشترط أن يكون المُنَوِّم أقوى إرادة من المُنوم، حتى يغلبه بشخصيته فتنعدم شخصيةالمنوم أو المريض أمام المنوم وحينئذ يصبح المريض خاضعا مطيعا لإيحاءات المنوم وأوامره، بحيث إن أوحى إليه أنه ملك، فسريعاً ما تعلوه مهابة الملوك، وإن قدم إليه تفاحة مثلا وقال له إنها بصل، فهو لا يشك أنها بصل، وهكذا ...

فعن طريق الإيحاء يستطيع المنوم أن يؤثر فى المريض أو المنوم كيفما يشاء، والمريض لا يقاوم ولا يناقش بل يصدق ويؤمن ويعمل بما يأمره أو يوحى به إليه المنوم.

هكذا يرى علماء النفس، أن المنوم يمكنه أن يوحى إلى المريض بمرض عصبى أو عقلى نتيجة صراع الرغبات المكبوتة فى العقل الباطن، أنه قد شفى، فيشفى، وبذلك يتخلص المريض من آلامه النفسية، وإضطراباته العصبية.

ومع ذلك، فقد اعترض بعض علماء النفس على التنويم المغناطيسى بعدة إعتراضات وجيهه منها: أن التنويم المغناطيسى لا يصلح علاجا لكل الأمراض النفسية، ومنها أنه لا يستأصل المرض بل كثيرا ما يتوهم المريض عن طريق الإيحاء أنه شفى، ولكن سرعان ما يعود إليه المرض ثانية، فضلا عن أن علماء آخرين ينسبون إليه مضار كثيرة وعيوبا للفرد والمجتمع مما لا نستطيع أن نتوسع فيه الآن...

وعلى الرغم من وجاهة هذه الإعتراضات وغيرها، فإن التنويم المغناطيسى عند القائلين به ليس إلا وسيلة من وسائل الشفاء من الأمراض العصبية.

وإذا كان علماء النفس يقرون أن المنوم لا يستطيع أن يفعل شيئاً إلا ما يوحى به إليه المنوم، فإنهم يصرون أيضاً على أن التنويم لا يمكن أن يكون وسيلة للكشف عن المستقبلات **فلا يستطيع المنوم المغناطيسى بالطرق العلمية البحتة أن يعرف الخفيات**، ومعنى هذا أن الإلتجاء إلى المنومين لمعرفة أسئلة الإمتحان أو الأشياء المفقودة أو نجاح مسألة ما أو فشلها أو كل ما يتصل بالمستقبل عن قريب أو بعيد كل هذا ليس من علم النفس فى شئ.

وثمت فريق أكثر عددا وأوفر اتباعا من الفريقين السابقين، وهو فريق **الدجالين**... وهم قوم مضلون، يريدون أن يرتزقوا، فيموهون على عقول البسطاء والدهماء، أنهم سحرة أو عرافون أو منجمون، وهم فى الواقع ليسوا كذلك، ومن وقت إلى آخر نسمع أو نقرأ أن رجال الحكومة قد قبضوا على رجال أو نساء من الدجالين وزجوهم فى أعماق السجون، ولكن بعد أن يكون ضعفاء العقول قد خسروا خسرانا مبينا وأضاعوا وقتهم وأموالهم، عثروا و تعدوا تعديا صريحا على الله، إذ حولوا وجوههم عنه وداسوا شريعته، ولم يعبأوا بإنذاره ووعيده، فأدركوا ياهؤلاء (أنا الرب إلهك... لا يكن لك آلهة أخرى أمامى).

لست أفهم سببا تعجل لأجله الحوادث، فنكشف عن الغيب المحجب، ما لك والغد، هب أن فى الغد شرا، فلماذا تقضى على هناء اليوم بالتفكير فى شر الغد؟ وهب أن فى الغد خيرا، فلماذا تنقص من هناء الغد، بإختلاسه لليوم.

المؤمن الحقيقى لا يعنيه الإهتمام بالغد، إذ هو يقابل الشر والخير على السواء، مادام يعتقد أنهما زائلان، بكل هدوء وإتزان فهو لا يحسب لهما كل هذا الحساب، ولا يهتز أمامهما مهما كانا.

إنه يريد أن يفكر فى يومه، وفيم يجب أن يقضيه؟ ثم إذا إنتهى اليوم يلقى نظره فاحصة على ماضيه فيم أخطأ، وفيم أصاب، ولن يهدأ له بال حتى يطمئن إلى تصفيه الحساب.

وماذا يعنيه من الغد وهو لا يملك الغد. أين الإيمان إذن؟ وأين الإتكال على الله؟ أليس من الخير، أن نعمل الخير مادمنا نؤمن بالله، وهذا الإيمان بالله ألا يطمئنا على مستقبلنا مادمنا نعتقد بعنايته وصحبته، ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معا للخير للذين يحبون الله (١) (ملقين كل همكم عليه لأنه هو يعتنى بكم) (٢).

ربى وإلهى... أليست هى عبارة حلوة ورخيمة (أنا الرب إلهك... لا يكن لك آلهة أخرى أمامى) أجل إن آذان الأتقياء تستعذبها وقلوب الصديقين تتأملها. لست أريد أن أنساها لئلا أنساك، ولست أستطيع أن أنساك، وإن كانت ميول الجسد تتمنى أن أنساك، ولكن حتى لو نسيت وتناسيت فلا تنسانى، بل فى كل حين علمنى وفهمنى ونبهنى، ومن أعماق الضمير كلمنى وذكرنى :

«أنا الرب إلهك... لا يكن لك آلهة أخرى أمامى»

---

(١) رو ٨: ٢٨.　　١. بطرس ٥ : ٣.

تأملات فى الوصية الأولى (١)

عقيدة التوحيد

وإذا قال الرب فى الوصية الأولى من الوصايا العشر «أنا هو الرب إلهك لا يكن لك آلهة أخرى تجاهى» كما جاء فى سفرى الخروج والتثنية، فكأن قوله تعالى دعوة صريحة إلى التوحيد ورفض التعدد ورفض الشرك وإنكار القول بأكثر من إله واحد.

وحقا إن النص المقدس فيما ينهى عن تعدد الآلهة أثبت بقوله «لا يكن لك آلهة أخرى تجاهى» أن هناك عددا من آلهة، لكنه يقول بالنص على هذه الصورة ليشير بالتحديد إلى إنحرافات الشعوب والأمم وأخطاء الأفراد الذين عبدوا إلهين أو ثلاثة، أو أكثر من ثلاثة.

نعم إن التعبد لأكثر من إله إنحراف وضلال وفساد، ولابد أن الإنسان الأول آدم عرف الله الخالق ولم يعرف غير إله واحد، أما تعدد الآلهة فقد عرفه الناس فى أزمنة لاحقة، وفى فترات الفتور الدينى حدث إسترخاء من الناحية الدينية، فحدث أن الناس اتجهوا إلى مصادر أخرى واعتبروها آلهة، لأنهم رأوا لها فضل، مثل النيل فى مصر، كان القدماء المصريين يعرفون الإله الواحد، ولكن لأن الماء حياة الإنسان وحياة النبات وحياة الحيوان، فكانوا يعتبروا أن النيل ينبع من عند الله الأكبر، فعبدوا النيل كإله، لكنه ليس الإله الأكبر، الله الأكبر لا أحد يراه لكنه يعبر عن نفسه وعن وجوده بكائنات أخرى يلمس الإنسان بها عطاء الله، مثلما عبدوا البقرة، فمن غير المعقول أنهم عبدوا البقرة كالإله الأكبر، لكن لأن البقرة تعطى لبن واللبن مهم للأطفال فوجدوا فيها عطاء الله من خلال هذه البقرة، ولأن الثور رمز القوة بين الحيوانات، فكانوا يقولون الدنيا كلها على رأس ثور، وجدوا فى الثور قوة الله تتجلى فى هذا الحيوان، الله هو غير المنظور إنما يعبر عنه برمز، كذلك عندما عبدوا الجعران كإله، فمن غير المعقول أن قدماء المصريين وصلوا إلى أن يعبدوا الجعران الصغير، إنما وجدوا فيه رمزا من الرموز الإلهية، لاحظوا أن الجعران يحرك بيضته عند غروب الشمس، بحركة دائرية، فوجدوا فيها رمز للأزلية والأبدية، ولذلك كلمة جعران فى مصر القديمة هو ختن أى شوبى بالقبطى وشوبى معناها يكون، الكائن دائما، فهنا غير معقول أن يعبدوا الجعران كالإله الأكبر، إنما وجدوا فيه رمز لبعض صفات الإله، لأن الله غير منظور، طبعا من الجائز أن يكون الشعب الجاهل تربى فى هذه الأشياء

---

(١) مجموعة محاضرات ألقيت لطلبة قسم اللاهوت - العام الدراسى ١٩٩٢/١٩٩٣م - مفرغة من شرائط كاسيت - ولكثرة المعلومات الموجودة بها رأينا نشرها للاستفادة.

وإلتصق بها أكثر، لكن الأصول الدينية القديمة لم تكن كذلك، فتعدد الآلهة يعد إنحراف وفساد، الإنسان الأول آدم عرف الله خالقه ولم يعرف غير الإله الواحد، أما تعدد الآلهة فقد عرفه الناس فى أزمنة لاحقة، وفى فترات فتور وفى تحلل روحى أو جهل أو ضلال أو فساد أخلاقى، فإذا جاء نبى يدعوهم إلى عبادة الإله الواحد وكان ينكر عليهم التعدد والشرك والقول بأكثر من إله، فكان البعض يستجيب لحركة التصحيح التى يقودها النبى المرسل من عند الله، وكان البعض الآخر يرفض هذه الدعوة المقدسة، ويتعصب لرأيه القديم، ويثور على النبى ويتهمه بالزيف والضلال ويقاوم دعوته التى تصل أحيانا إلى قتل النبى وإهدار دمه، وهذا حدث فى بعض العصور.

وقد قال المسيح له المجد أنهم أبناء قتلة الأنبياء، وقال موجها خطابه إلى أورشليم «يا أورشليم يا أورشليم ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها» لذلك فإن نصوص الكتاب المقدس تشهد كيف كان الأنبياء المرسلين إلى بنى إسرائيل يحذرون هذا الشعب من العودة إلى عبادة آلهة أخرى لم يعرفها آدم ولم يعرفها أولاده القديسون. من أمثال هابيل واخنوخ ومتوشالح ولوط وابراهيم واسحق ويعقوب، ويدعونهم بغير هوادة إلى الإعتصام بمبدأ التوحيد لإنكار الشرك والتعدد.

فإذا كان الأمر كذلك فيما يتصل ببنى إسرائيل وهم آنذاك الشعب المختار، والذى نسب الله ذاته إليهم ودعى أسمه عليهم فصاروا يسمون بشعب الله، فإن الشعوب الأخرى تردت إلى الأعماق فى ضلالة التعدد، والشرك، ولذلك سميت بالأمم الوثنية لأنها اتخذت الأوثان أو الأصنام آلهة وتعبدت لها، ومن كثرتها صارت تلك الآلهة كثيرة وقد بلغت أحيانا عشرات فى كل أمة وشعب، فارتفع رقم الآلهة إلى المئات إذا نظرنا إلى الأمم جميعها بنظرة عامة كلية، حتى عندما كتب بعض آباء الكنيسة فى القرون المسيحية الأولى يقولون إن آلهة الأمم الوثنية كانت من الكثرة بحيث يخطأها العد والحصر، فقد كان لكل قبيلة إله، ولكل عشيرة ولكل أسرة أو عائلة وربما للقبيلة والعشيرة والأسرة أكثر من إله واحد، وقد كانت هذه الآلهة فى السموات أو على الأرض أو ما وراء السماوات والأرض، لذلك قال الله «صورة ما مما فى السموات» مثل الكواكب التى عبدت كآلهة. ومن الناس من عبدوا مظاهر الطبيعة مثل النار أو الرعد أو البرق، فمثلا فى وسط أفريقيا عبدوا النار، وهناك بعض الناس اعتبروا أن النار أصل الوجود. وآخرين قالوا الهواء، والبعض الآخر قالوا الماء.

ومنهم من خاف وحوش الأرض فعبدها، ليتقى غضبها، ففى بلاد الهند المعابد مملوءة أشكال حيوانات وثعابين، حيات وعقارب، لماذا عبدوها؟ لأنهم وجدوا أنها تستطيع أن تعمل شئ، فأرادوا أن يتقوا غضبها بتقديم ذبائح إرضاءا لها. ومنهم من عبدوا التنانين العظام أو الأفاعى أو التماسيح، وبعضهم أيضا الحشرات والهوام، ومنهم من بهرتهم بعض صفات الجمال أو القوة فى أنواع من النباتات، فمنهم من عبد الشجرة ومنهم من عبد ثور أو بقرة أو كبش أو قرد أو غير ذلك.

فمن الناس من عبدوا السماء أو الأرض أو القمر أو الهواء ومنهم من عبدوا النجوم أو الكواكب لأنه كان هناك إعتقاد أن هذه الكواكب ليست فارغة وإنما فيها كائنات حية. وهذه ما يسموها عبادة الصابئة أو الصابئين وهم عبدة الكواكب، ومنها زحل فى مصر وكانوا يعيدوا له ١٢ هاتور وهذا هو السبب فى وجود عيدين للملاك ميخائيل، فنحن عادة نعيد للقديسين إما عيد إستشهاده أو عيد نياحته، لا يوجد غير السيدة العذراء نعيد لها بعيد ميلادها، إنما الملاك ميخائيل لماذا نعيد له عيدين؟ ليس له إستشهاد ولا نياحة، فأساس العيدين كان موجود فى مصر القديمة قبل المسيحية، ١٢ هاتور كان عيد زحل الذى آمنوا به أنه إله وقدسوه، وهنا أود أن أقول أن قدماء المصريين كان عندهم كائنات أخرى يعتبرونها مقدسة لكن ليست هى الإله الكبير أو الإله الأوحد، فهم آمنوا بالتوحيد لكن مع وجود آلهة صغيرة.

المهم البابا ألكسندروس الـ ١٩ قبل أثناسيوس مباشرة وجد أنه من الصعب أن يلغى عيد زحل لأنه عيد شعبى كبير جداً، فبنى كنيسة باسم الملاك ميخائيل، رئيس جند الرب ودشنها فى هذا اليوم، وعمل عملية إبدال فصار عيد الملاك ميخائيل بدلا من زحل، ليحول أذهان المصريين بدون أن يلغى العيد فيموت تدريجيا، وهذا ما حدث بالنسبة لليوم ٢٥ ديسمبر، لماذا الغربيين يعيدوا بعيد الميلاد ٢٥ ديسمبر؟ السبب الأساسى أن ٢٥ ديسمبر كان عيد موجود اسمه عيد مترا، عيد تحول الشمس، الشمس تتحول فى هذا اليوم وكان عيد شعبى كبير جداً، وكان الناس متمسكين به فلما دخلت المسيحية قالوا بتبديله بدلا من إلغائه، على أساس أن المسيح هو شمس البر والشفاء فى أجنحتها، فعملوا عملية إبدال، هذا هو الذكاء الروحى للآباء.

أما ١٢ بؤونه كان أيضا عيد الفيضان، كان يعتقد أن إله الينابيع فى زمن التحاريق يشفق على المصريين فيذهب إلى المنابع وينفخ، فإذا نفخ تصعد النفخة إلى فوق فتنزل مطر أو يسموها عيد النقطة، أول نقطة تنزل ويبدأ بعد ذلك الفيضان، هذا العيد كان موجوداً فى مصر القديمة، ولكنهم أرادوا أن يبدلوه بعيد الملاك ميخائيل.

فكلمة إله عند قدماء المصريين، ليس معناها الإله الكبير وإنما إله بمعنى شخصية قوية، كما نقول فلان إله الطب أى مقتدر فى مهنته وكما يقول الله لموسى «جعلتك إلها لفرعون» ربنا هو الذى يقول لموسى هذا الكلام، فهنا كلمة إله ليست بمعنى الإله الكبير، لأن المصريين القدماء عرفوا التوحيد، ونحن عندنا فى المسيحية القديسين الكبار يتحولوا إلى آلهة صغيرة طبعا بعد إنتقالهم، لأن عندهم قدرات وإمكانيات كبيرة جداً أكبر مما كانوا على الأرض. ونحن نرى معجزات وأعمال مار جرجس وأبى سيفين وباقى القديسين.

على هذا النحو تعددت الآلهة عند الشعوب وصار يشار إليها بالكثير، فيقال عنها آلهة بالجمع، على الرغم من أن آدم أبا الجنس البشرى كان يعْرِف الإله الواحد وحده، ولم يكن يعرف غير الله الواحد، جاء فى سفر التثنية لا تسيروا وراء آلهة الأمم التى حولكم، ولربما ينبع سر هذا التعدد فى الآلهة، إلى أن الجماعات البشرية المتفرقة رأت كل جماعة منها أن هناك قوة وراء الطبيعة تمثلت فيها قوة الإله، وذلك تبعا لظروف كل جماعة وما أحاطها فى بيئتها من مظاهر الطبيعة الخيرة أو المرعبة، فعبدتها تعبيرا عن إمتنانها أو شكرها أو خوفا منها. وإتقاء لشرها أو غضبها، ولكن الجماعة البشرية الأخرى رأت فى قوة أخرى من قوى الطبيعة ما تمثلت فيها قوة الإله العظيم فعبدتها.

ونحن نستطيع أن نلحظ هذا التطور فى مفهوم الله عند اليونان، فقد كانت قبل توحدها فى أمة واحدة مجموعة بلاد، وكان لكل بلد منها إله أو أكثر من إله، كما كانت لكل مدينة حكومتها، فلما توحدت بلاد اليونان فى أمة واحدة، كان لابد لها أن تبقى فترة من الزمن، على إحترام جميع الآلهة التى عبدتها البلاد والمدن المتفرقة قبل توحدها. وأخذ واحد من هذه الآلهة يبرز سلطانه على حساب الآلهة الأخرى، وكان هذا الإله عند اليونان أسمه زيوس، وهو كبير الآلهة، فلما اعتنق اليونان دين المسيح ودخلوا بهذا فى التوحيد، صار الله عندهم هو زيوس أو ثيئوس THEOS، ولا شك أن ثيئوس أو الله عند اليونان بعد أن اعتنقوا المسيحية لم يعد بالمفهوم الوثنى القديم، بل بمفهوم مسيحى أضافته المسيحية بتعاليمها التى تنأى بعيدا عن المفهوم الوثنى العتيق، بما لله فى المسيحية من صفات وكمالات إلهية سامية.

وهكذا يمكن أن نتابع فى كل شعب وفى كل لغة تطور مفهوم الإله، بإعتباره القوة العظمى التى تحكم الكون.

وهذا يشرح لنا لماذا يسمى الله عند اليونان ثيئوس وأما عند اللاتين فقد تطور اللفظ من ثيئوس إلى DEUS عند الفرنسيين، أى أن DEUS عند الفرنسيين هو بعينه زيوس كبير الآلهة عند اليونان.

أما عند الإنجليز والألمان فاللفظ الدال على الله أخذ مساراً آخر حسب الإشتقاقات اللغوية، الله هو GOD بالإنجليزى أو GOTT بالألمانى على أساس أن الله هو الخير الأعظم.

كذلك تجد عند العرب قبل الإسلام كان هناك ثلاثة آلهة اللات ومنات وعزا، وكلمة الله بالعربى تترجم أيضا إلى اللات، ومن هنا جاءت كلمة «الله أكبر» أى أكبر من الآخرين، إنا الإسم يختلف بحسب الأيدولوجى الخاص بالشعب، ففى اللغات التعبير يختلف لكن هو تعبير عن القوة التى تحكم الكون.

ويمكن على هذا المنهج أن نتابع التطور اللغوى واللفظى لكلمة الله لكل شعب ولكل أمة وكل لغة من لغات العالم، فالمعروف أن لفظ الله ليس واحد عند الجميع وإن كان المفهوم واحد عند الجميع أن الله. هو القوى العظمى، نسميها الله نسميها GOD، نسميها DIEU، نسميها THEOS، أسماء لكن المهم أنه يوجد إيمان فى البشرية بقوة عظمى تحكم الكون.

«أنا هو الرب إلهك لا يكن لك آلهة أخرى تجاهى» هذه جاءت فى سفر الخروج أصحاح ٢٠: ٢، ٣ وأيضا فى سفر التثنية اصحاح ٥: ٦، ٧ كلمة تثنية أى تثنية الاشتراع، ويلاحظ أن فى سفر التثنية يكرر المعانى التى جاءت قبل ذلك، فموسى النبى كان على أهبة الموت، فقص لبنى إسرائيل لثانى مرة ما حدث، لذلك سمى بالتثنية، فتجد للكلام كله الذى جاء فى التكوين والخروج إعادة مرة ثانية بأسلوب آخر، وهذا معنى كلمة سفر التثنية. ويسمى سفر التثنية الاشتراع أو الشريعة.

فكان قول الرب تعالى «أنا الرب إلهك لا يكون لك آلهة أخرى تجاهى» كأن قوله **دعوة صريحة إلى التوحيد ونهى عن التعدد والشرك**، ورفض القول بأكثر من إله واحد، لا يكن لك آلهة أخرى تجاهى، هنا يقرر مبدأ التوحيد، وأن هناك إله واحد لا يصح أبدا أن يكون للإنسان أكثر من إله، وأباء الكنيسة بناء على هذا يقولون «بالحقيقة نؤمن بإله واحد» فى قانون الإيمان، الذى ترتله جميع الكنائس شرقا وغربا، خصوصا إبتداء من مجمع نيقية، لأن مجمع نيقية هو الذى وضع صيغة قانون الإيمان، أول كلمة بالحقيقة نؤمن بإله واحد، القضية الأولى، ليس لنا إله آخر سواك، اسمك القدوس هو الذى نؤمن به، بهذه العبارة افتتح أباء الكنيسة قانون الإيمان الذى يردده المسيحيون جميعا فى صلواتهم الخاصة والعامة ويتلونه فى كل خدمة دينية،

فى المعمودية وفى الزواج وفى كل قداس وفى الرسامات الكهنوتية، وفى مسحة المرضى، وفى كل صلاة من الصلوات السبع اليومية «سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك» باكرا ونهارا وعشية يرنمونه ترنيما فى السر والعلن منذ القديم واليوم وإلى الأبد.

والمسيحيون يؤمنون وينادون بأن الله واحد أحد، كلمة واحد تعنى ليس أكثر من واحد، كلمة أحد تعنى متفرد، لا يوجد غيره، واحد أحد ولا يمكن إلاّ أن يكون واحدا، مثلما قال أنا الأول وأنا الآخر، أنا الألف وأنا الياء، أنا البداية وأنا النهاية، أنا البدء الذى لا بداءة له، فلا يمكن إلاّ أن يكون الله واحدا، وحتى فى سفر أشعياء يقول: «لم يصور قبلى» وهذه القضية تكلم فيها فلاسفة وقالوا لا يمكن إلاّ أن يكون الله وحده، حتى الأفلاطونيين يقولون الله الأول ومن بعده سائر الوجود.

فإذا كان هناك أكثر من إله فما هو عمل هذا الآخر؟ وما هو اختصاصه؟ وإذا كان الله غير محدود وغير متناهى فلا مجال لإله آخر، لأن وجود هذا الآخر يتعارض مع صفة الله باللانهائية، إذا كان الله يتصف باللانهائية واللا محدودية، ووجوده فى كل مكان ولا يخلو منه مكان، وعندئذ كيف ولماذا وأين يوجد الإله الآخر؟ وهل هو فى الكون أم خارج الكون؟ فإذا كان فى الكون فهل هو فى كل مكان فى الكون؟ أم فى مكان دون مكان، فإذا كان فى كل مكان فهو شريك مع الله فى وجوده، وبذلك يصبح وجود الواحد منهما فضلة زائدة مع الآخر، فإذا كان الآخر فى مكان دون مكان، هذا معناه أيضا أن كل منهما محدود فى المكان، وهذا يتعارض مع كونه الإله الحقيقى، ثم إذا كان الله قادرا على كل شئ، فلماذا يكون هناك إله آخر ما هو عمله، وما هو إختصاصه؟ هل يأخذ هذا الآخر من إختصاص الله، مع وجود هذا الإله الآخر يكون الله غير قادر على كل شئ، أو يكون قادرا على أشياء دون أشياء، لأن هذه الأشياء تدخل فى إختصاص الإله الآخر المزعوم، وهكذا يمكن منطقيا وعقليا رفض القول بأكثر من إله واحد، ليس فقط من نصوص الكتاب المقدس، وإنما منطقيا وعقليا يمكن رفض القول بأكثر من إله واحد وإعتباره أمرا محالا، لأنه غير مقبول عقلا.

وقد كتب آباء الكنيسة إلى الوثنيين وهم الأمم القديمة، يثبتون لهم بالدليل العقلى أن الله واحد ولا يمكن إلا أن يكون واحدا. وأن القول بأكثر من إله أمر لا يحتمله العقل، هذا غير نصوص الكتب المقدسة، وهذا ما قالوه الفلاسفة، بالعقل يصل الإنسان إلى أن الله واحد، فكان لابد لآباء الكنيسة أن يكتبوا للوثنيين مدافعين عن عقيدة التوحيد، بالدليل العقلى والمنطقى والفلسفى ولا يكتفون بالأدلة النقلية المقتبسة من نصوص الكتب المقدسة، لأن الوثنيين لم يكونوا يؤمنون

بإلهام الكتب المقدسة، فلم يتوقف آباء الكنيسة فى إثبات وحدانية الإله بأدلة من العقل لإفحام الذين لا يؤمنون بغير العقل.

ولقد وجد الفيثاغوريون أتباع فيثاغوروس المعروف بالهندسة والرياضة الذين أقاموا فلسفتهم على العدد، أن الفلسفة الفيثاغورية تقوم على العدد دليلا على وحدانية الله فى العدد واحد، إثنين جاءت من واحد، وكذلك ٣ والعشرة عبارة عن واحد وعلى يمينها صفر... الخ فكل شئ قائم على الواحد، مما يدل على أن الوجود كله قائم على الواحد، الله هو الواحد ولا يوجد قبل الواحد رقم آخر، وكل رقم آخر بعد الواحد هو مركب من الواحد، فإذا إنتقلنا إلى العدد ١٠ فهو أيضا مركب من الواحد وعلى يمينه صفر حتى نصل إلى المليون.. الخ فإذن الواحد هو أصل الوجود. لذلك معروف فى الفلسفة اليونانية أن فيثاغورس نادى بأن الله واحد، ولا يمكن إلا أن يكون الله واحدا، وهو أصل الوجود وعليه يقوم كل شئ، ومنه يتركب ويتكون كل موجود ولا يوجد قبل الواحد شئ. وإذن فالواحد هوالله والله واحد ولا يمكن إلا أن يكون واحدا ولا يوجد غير إله واحد، وأضاف المسيحيون إلى الأدلة العقلية والمنطقية التى واجهوا بها الوثنيين من غير المؤمنين بالكتب المقدسة، أدلة أخرى اقتبسوها من الوحى الإلهى فى أسفارهم المقدسة، وكانوا يدرسونها للمؤمنين من المسيحيين ولغيرالمسيحيين، وممن يسألونهم عن أسانيدهم فى إعتقادهم بوحدانية الإله. ونحن فى كتاب موجز الإعتقاد فى وحدانية الإله قلنا هذا الكلام، هذا الكتاب قدمناه لكثيرين من غير المسيحيين ليفهموا بالضبط عقيدتنا بالإله الواحد.

وإلى جانب الأدلة العقلية والمنطقية هناك أدلة من الكتاب المقدس، نصوص واضحة صريحة فى كل الكتاب المقدس على أن المسيحيين يعتقدون بإله واحد.

فمن هذه النصوص فى التثنية ٤: ٣٥ «الرب هو الإله ليس آخر سواه».

التثنية ٤ : ٣٩ «الرب هو الإله فى السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل ليس سواه».

وتثنية ٦ : ٤ «الرب إلهنا رب واحد»

وسفر التثنية ٣٢ : ١٢ «الرب وحده وليس معه إله».

وفى التثنية ٣٢ : ٣٩ «أنا أنا هو وليس إله معى».

فالكتاب المقدس ينطق فى كل أسفاره بمبدأ الوحدانية.

فى صموئيل الأول ٢ : ٢ «لأنه ليس غيرك».

فى صموئيل الأول ٧ : ٣ يقول «وأعدوا قلوبكم للرب واعبدوه وحده».

فى صموئيل الثانى إصحاح ٧ : ٢٢ يقول «قد عظمت أيها الرب لأنه ليس مثلك وليس إله غيرك».

وفى صموئيل الثانى ٢٢ : ٣٢ «لأنه من هو إله غير الرب».

وفى سفر ملوك الأول «الرب هو الله وليس آخر».

وملوك الثانى ١٩ : ١٥ «أيها الرب أنت هو الإله وحدك».

فى سفر ملوك الثانى ١٩ : ١٩ «أنت الرب الإله وحدك».

فى أخبار الأيام الأولى ١٧ : ٢٠ «يارب ليس مثلك، ولا إله غيرك».

فى سفر نحميا ٩ : ٦ يقول «أنت هو الرب وحدك، أنت صنعت السموات وسماء السماوات وكل جندها، والأرض وكل ما عليها والبحار وكل ما فيها وأنت تحييها كلها وجند السماء لك تسجد» سماء السماوات التى فيها العرش الإلهى التى قال عنها المسيح فى يوحنا ٣ : ١٣ «مامن أحد صعد إلى السماء إلا ذاك الذى نزل من السماء» والذى جاء عنها فى العبرانيين عندما صعد المسيح «دخل إلى السماء عينها» السماء عينها المقصود بها سماء السماوات.

وفى سفر طوبيا يقول «إنك أنت الإله الواحد فى الأرض كلها».

فى سفر طوبيا ١٣ : ٤ «لا إله قادرا على كل شئ سواك».

سفر يهوديت يقول «وسجدوا لإله السماء الواحد».

وفى يهوديت ٩ : ١٩ «إنك أنت الإله وليس آخر سواك».

وفى سفر أيوب يقول «الباسط السماوات وحده» هو الله.

وفى سفر أيوب ٣١ : ١٥ يقول «وواحد كوننا فى الرحم» أى الذى خلقنا.

فى مزمور ١٧ : ٣١ يقول «لأنه من هو إله غير الرب» هذا لتوكيد وحدانية الله.

مزمور ٧١ : ٢٠ «من مثلك يا الله».

مزمور ٨٣ : ١٨ «إنك اسمك يهوه وحدك العلى»، يهوه هو الكائن، الأزلى الأبدى، وهى الكلمة العبرانية التى قالها ربنا لموسى.

مزمور ٨٦ : ١٠ «عظيم أنت، أنت الله وحدك».

مزمور ٨٠ : ٢ «منذ الأزل إلى الأبد أنت الله».

مزمور ١٤٨ : ١٣ «فليسبحوا اسم الرب لأنه تعالى اسمه وحده».

ثم فى سفر الحكمة ١٢ : ١٣ «ليس إله إلا أنت».

وسفر الحكمة ١٤ : ٢١ «الاسم الذى لا يشرك فيه أحد»، أى لا يوجد أحد آخر يشترك معك فى هذا الإسم.

وفى يشوع بن سيراخ ٣٦ : ٥ «لا إله إلا أنت يارب».

يشوع بن سيراخ ٣٦ : ١٩ «أنك أنت الرب إله الدهور»، أى إلى الأبد.

فى سفر أشعياء ٣٧ : ١٦ يقول «يارب الجنود أنت هو الإله وحدك».

أشعياء ٣٧ : ٢٠ «أنك أنت الرب وحدك».

كل هذا توكيد لوحدانية الله.

فى سفر أشعياء ٤١ : ٤ «أنا الرب أنا الأول والآخر، أنا هو»، وكلمة الآخر «تعنى الأزلى الأبدى.

أشعياء ٤٢ : ٨ يقول «أنا الرب هذا أسمى ومجدى لا أعطيه لآخر».

أشعياء ٤٣ : ١٠ «إنى أنا هو لم يكون إله قبلى ولا إله بعدى».

كل هذا توكيد للوحدانية وهذا لكى يعالج أفكار كانت موجودة فى العالم الوثنى، وذلك نفيا للإعتقاد فى أكثر من إله.

أشعياء ٤٣ : ١١ يقول «أنا أنا الرب وليس غيرى».

أشعياء ٤٤ : ٦ «أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيرى».

أشعياء ٤٤ : ٨ «هل يوجد إله غيرى»، يتحدى، هل يوجد إله غيرى.

أشعياء ٤٤ : ٢٤ «أنا الرب صانع كل شئ، ناشر السماوات وحدى باسط الأرض من معى».

أشعياء ٤٥ : ٥ يقول «أنا الرب وليس آخر ولا إله سواى».

أشعياء ٤٥ : ٦ «أنه ليس غيرى أنا الرب وليس آخر».

أشعياء ٤٥ : ١٤ «الله وليس آخر ليس إله غيره».

أشعياء ٤٥ : ١٨ «خالق السماوات هو الله مصور الأرض وصانعها أنا الرب وليس آخر».

أشعياء ٤٥ : ٢١ «أنا الرب ولا إله آخر غيرى وليس سواى».

أشعياء ٤٥ : ٢٢ «إلتفتوا إلىّ واخلصوا فإنى أنا الله وليس آخر»، كثيرة جداً النصوص فى سفر أشعياء بالذات لأنه كان يعالج إعتقادات كانت موجودة فى ذلك الوقت.

أشعياء ٤٦ : ٩ «لأنى أنا الله وليس آخر، أنا الله وليس مثلى».

أشعياء ٤٨ : ١٢ «أنا هو، أنا الأول وأنا الآخر».

أرميا ١٠ : ٦ «أنه لا نظير لك يارب».

أرميا ٢٣ : ٢٤ «ألست مالئ السموات والأرض يقول الرب»، أى لا يوجد مكان لكائن آخر. أنا أملأ السموات والأرض.

فى نبوءة باروخ تلميذ أرميا ٣ : ٣١ «هذا هو إلهنا ولا يعتبر إزاءه آخر».

فى سفر هوشع ١٣ : ٤ يقول «فلست تعرف إله غيرى وليس مخلص سواى».

فى سفر ملاخى ٢ : ١ «أليس إله واحد خلقنا».

هذه النصوص تبين بوضوح أن الله واحد وأنه لا يمكن إلا أن يكون الله واحدا، وسنرى نصوص أيضا من العهد الجديد تشهد بوحدانية الله.

فالله عندما قال فى الوصية الأولى «أنا الرب إلهك لا يكن لك آلهة أخرى تجاهى» كان قوله تعالى دعوة صريحة إلى التوحيد ونفى للتعدد ورفض الشرك، وإنكار القول بأكثر من إله واحد. وتوكيدا لمبدأ التوحيد، وإصرارا على قول الإله الواحد، شاء الرب الإله أن ينسب إلى ذاته ماكان بعض الناس ينسبونه إلى إله الشر. كنوع من أنواع التوكيد أنه لا يوجد إلا إله واحد، لإعتقاد البعض فى إلهين، إله للخير وإله للشر، فهناك بعض النصوص ينسب الله إلى نفسه أنه هو صانع الشر، ليس بمعنى أنه هو أصل للشر وإنما لكى ينفى وجود إله آخر للشر، فإذا كان الشيطان هو إله الشر، فالذى خلقه هو الله، فتوكيدا لمبدأ التوحيد وإصرارا على قول الإله الواحد، شاء الرب الإله أن ينسب إلى ذاته ماكان بعض الناس ينسبونه إلى إله الشر. فقد كان الفرس والمجوسية والمانويون يعتقدون بإلهين إله للخير وإله للشر، وقالوا إن الخير يصدر عن إله الخير، وأما الشر فيصدر عن إله آخر هو إله الشر. وفى زعم هؤلاء القائلين بالإثنينية إنهم استطاعوا بهذه العقيدة أن يفسروا وجود الشر، كما أمكنهم أن يشرحوا سر التعارض والصراع القديم بين الخير وبين الشر. لكن الله رفض هذا التعليم وأنكر على القائلين بإلهين، زعمهم بوجود إله آخر غير الله الواحد، حتى لو كان وجود هذا الإله الآخر لتفسير وجود الشر فى الكون. فإن كان الشر موجودا ولابد للشر من أصل، لكنه لا يحدث من إله أزلى يستوى مع الله تعالى فى الأزلية والقدرة وعلمه وسائر صفاته، ولكن الشر يحدث من كائنات أخرى مخلوقة من الله تعالى. إنحرفت عن غايتها وضلت طريقها وأساءت فسقطت فى الغواية والفساد. هذه الكائنات سواء من ملائكة سقطوا وصاروا شياطين أو من بشر انحرفوا عن الطريق السوى، لكن هؤلاء وأولئك خلائق، ومخلوقات لم يكونوا موجودين مع الله منذ الأزل، وليس عندهم قوة الله وعلمه، لذلك فليس ثمة نسبة بينهم وبين الله إلا نسبة المخلوق إلى الخالق. وإذن هم ليسوا آلهة مع الله تعالى، الله وحده هو الإله، وأما الأشرار سواء من بين الملائكة أو البشر هم مخلوقات استمدوا من الله وجودهم، ثم انحرفوا عن الغاية الوجودية وسقطوا فى الغواية والضلال، لهذا وتوكيدا على هذه الحقيقة وبيانا لوحدانية الإله وأنه وحده هو الله ولا شريك له، قال تعالى أنا الرب وليس آخر، لا إله سواى، ليس غيرى، أنا مبدع النور وخالق الظلمة، يبين أنه هو الأصل فى الوجود، صانع السلام وخالق الشر، ليس بمعنى أنه هو أصل الشر ولكن لأنه خالق الكائنات التى أصبحت شريرة فقال، «أنا الرب صانع كل هذا» وقال أيضا «الرب هو أيضا حكيم فيجلب الشر، ولا يبطل كلامه» وقال كذلك «أم يكون فى المدينة شر ولم يفعله الرب» وهنا الله يقصد ما نسميه الشر الطبيعى مثل الزلازل وتقلبات الطبيعة.... الخ **فالشر نوعان الأول : الشر الطبيعى وهو الكوارث الكونية.**

والبلايا الطبيعية مثل الطوفان الذى أغرق الناس والبهائم فى أيام نوح عقابا على شرور أفعالهم، ومثل النار التى نزلت على أهل سدوم وعمورة، والزلزال الذى نزل بأرض قورح وأبيرام وداثان الذين تمردوا على موسى وهرون ففتحت الأرض فاها فابتلعتهم أحياء.

أما الشرالثانى : الشر الأخلاقى وهذا لا يصنعه الله لأنه لا يمكن أن يكون الله العلة الأولى للشر الأخلاقى. لكن هذا الشر يصدر عن خلائق مثل الملائكة الأشرار وهم الشياطين، كما يصدر عن البشر الأشرار. لكن الله لا يمكن أن يكون هو العلة الأولى للشر الأخلاقى، ولما كان الله هو الخالق للأشرار وهو الذى منحهم الحرية ليفعلوا مايشاءون، فيمكن أن يعتبر الله مسئولا عن الشر الأخلاقى. الحارس للكون، بهذا المعنى، أى بالنظر إلى أنه الخالق، ثم لأنه يسمح بوقوع الشر الأخلاقى، بمعنى أن واحداً مثلا يقتل أو يسرق أو يزنى، طبعا لا يمكن أن يكون الله هو الذى أمر بهذا، إنما بإعتباره حاكم الكون كان يمكن أن يمنع، فكونه سمح بأن القاتل يقتل والزانى يزنى والسارق يسرق ليس معناه أنه يقصد ذلك، إنما سياسته سياسة الحرية، خلق الكائنات حرة، فالشر الأخلاقى من فعل هذه الكائنات، كان يمكن لله أن يمنع الشخص من أن ينفذ القتل أو السرقة، الشياطين عندما أرادوا أن يدخلوا فى قطيع الخنازير قالوا له ائذن لنا أن ندخل فى قطيع الخنازير ثم يقول فأذن لهم. ليس معنى ذلك أنه يريد هذا، إذا كان يحدث شر فى الدنيا فلا نتصور أن الله يريد هذا، إنما سياسته سياسة الحرية فيسمح به، والملائكة كائنات حرة عاقلة مريدة مسؤولة، مريدة أى عندها إرادة، حرة أى تستطيع أن تعمل أو لا تعمل، وهذا ما قالوه بعض الفلاسفة، الإنسان هو الحيوان الوحيد الذى يقدر أن يخطئ، أى عنده حرية أن يخطئ، لكن الحيوانات والحشرات الأخرى لا تخطئ أبدا الأسد، النمر، الضبع، الحمام، اليمامة، الصرصار، العقرب، الثعبان، كلها لا تخطئ أبدا، هو ينفذ حسب طبيعته. فهى تحكمها طبيعتها فلا يوجد عليها مسئولية، العقرب إذا لدغت إنسان أو الحية ليست عليها مسئولية، لأنها تعمل شئ من طبيعتها لأنه نوع من أنواع الدفاع، عندما تدوس على العقرب فهو يدافع عن نفسه، فما نسميه بسم العقرب ليس هو سم، ولكنه دم العقرب فى حالة إنفعال، مثل الإنسان عندما يغضب فالدم يتعكر، ولو أخذت حقنة دم منه وهو فى حالة الغضب وحقنوها لكائن ضعيف يموت. فكذلك العقرب ما نسميه بسم العقرب ليس سم بالمعنى السيئ للكلمة.

فالله لا يمكن أن يكون العلة الأولى للشر الأخلاقى، لكن هذا الشر يصدر عن الخلائق مثل الملائكة الأشرار وهم الشياطين، كما يصدر عن البشر الأشرار. ولما كان هو الخالق للأشرار وهو الذى منحهم الحرية ليفعلوا ما يشاءون، فيمكن أن يعتبر الله مسئولا عن الشر

الأخلاقى. على أساس أنه خالق هذه الكائنات، بهذا المعنى أى بالنظر إلى أنه الخالق ثم لأنه يسمح بوقوع الشر الأخلاقى، وفى قدرته أن يمنعه ولكن سياسته هى الحرية، يقول لا تقتل فيحمل الإنسان المسئولية، بهذا المعنى يصير الله تعالى مسئولا عن الشر بنوعيه، الشر الطبيعى وهو الكوارث والأعاصير والزلازل والبراكين ثم الشر الأخلاقى الذى لا يصدر عن الله مباشرة، لكنه يصدر عن الخلائق التى خلقها الله وهم الشياطين والبشر. ومهما يكن الأمر فإن الله تعالى هو الإله وحده وليس له شريكا ولا نظيرا له وليس كمثله شئ، هو الواحد والوحيد والمتفرد بالألوهة هو واحد أحد. كلمة أحد تعنى متفرد لا يوجد غيره، كلمة واحد تعنى رقم واحد، الواحد هو ضد التعدد، هنا نذكر نصوص فى العهد الجديد تثبت وحدانية الإله :

قال الإنجيل المقدس فى مت ٤ : ١٠ «للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد».

وجاء أيضاً فى إنجيل مرقس ٢ : ٧ وإنجيل لوقا ٥ : ٢١ «من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله الواحد وحده»

والمسيح قال مرة ثانية فى رده على الشاب الذى قال «ماذا أفعل لأرث الحياة الأبدية» قال له «أيها المعلم الصالح» فقال له «ليس الصالح إلا واحد هو الله» فى بعض الترجمات يقول «صالحا» لأ.. يمكن أن نقول عن البشر أنه صالح، لكن الصالح بالألف واللام لله وحده، وهذه موجودة فى النص القبطى، ليس الصالح إلا واحد هو الله، الصالح بالألف واللام وهو الله.

وفى إنجيل مرقس ١٢ : ٢٩ يقول «إن الرب إلهنا هو رب واحد».

وفى إنجيل مرقس ١٢ : ٣٢ «إن الله واحد وليس آخر سواه»

وفى يوحنا ٥ : ٤٤ «كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون المجد بعضكم من بعض وأما المجد الذى من الله الواحد وحده فلا تبتغونه»، هذا كلام المسيح.

وفى يوحنا ١٧ : ٣ يقول «وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك».

وفى رومية ٣ : ٣٠ «لأن الله واحد».

وفى رومية ١٠ : ١٢ يقول «للجميع رب واحد».

وفى كورنثوس الأولى ٨ : ٤ يقول «لا إله إلا واحد».

وكورنثوس الأولى ٨ : ٦ يقول «لنا إله واحد».

وفى كورنثوس الأولى ١٢ : ٦ يقول «الله واحد الذى يعمل الكل فى الكل».

فى غلاطيه ٣ : ٢٠ «الله واحد».

وفى أفسس ٤ : ٦ يقول «واحد هو الله أبو الكل الذى هو فوق الكل. واحد هو الله».

وفى تسالونيكى الأولى ١ : ٩ يقول «اهتديتم إلى الله وتركتم الأوثان لتعبدوا الله الحى الحقيقى».

فى تيموثيئوس الأولى ١ : ١٧ يقول «ولك مجد الدهور الذى لا يفنى ولا يرى، الله وحده له الإكرام والمجد إلى دهر الدهور».

كل النصوص تؤكد الإعتقاد فى الإله أنه واحد.

وفى تيموثيئوس الأولى ٢ : ٥ يقول «إن الله واحد».

وفى رسالة القديس يعقوب ٢ : ١٩ «أنت مؤمن أن الله واحد فقد أصبت، والشياطين أيضا يؤمنون ويرتعبون» أى يؤمنون بالإله الواحد.

فى يعقوب ٤ : ١٢ «واحد هو واضع الشريعة وهو الله، الذى يقدر أن يخلص ويهلك».

وفى رسالة القديس يهوذا يقول «للإله الوحيد مخلصنا المجد والعظمة والعزة والسلطان قبل كل زمان والآن وإلى جميع الدهور».

وفى سفر الجليان أو الرؤيا ١ : ٨ يقول «أنا هو الألف والياء، البداءة والنهاية، يقول الرب الإله».

وأيضا فى سفر الجليان أو الرؤيا ١ : ١٧ «أنا هو الأول والآخر» أى الأزلى الأبدى».

التوحيد والتثليث

تكلمنا عن «أنا الرب إلهك لا يكن لك آلهة أخرى تجاهى» وقلنا إن هذه دعوة إلى التوحيد، وبالإختصار التوحيد المسيحى لا يتعارض مع التثليث لأن التوحيد بالنسبة للذات الإلهية، هو ضد فكرة التعدد، فالله واحد ولكن الأقانيم ثلاثة، الأقانيم ليست ذوات، الأقانيم هى خصائص فى الذات الإلهية الواحدة. فهنا لا يوجد تعارض بين التوحيد والتثليث. على أساس أن الله واحد فى الذات إنما التثليث فى الأقانيم. نحن نوضح ثلاثه مفاهيم، **الله من حيث هو أصل الوجود**، لأن كلمة الآب كلمة شرقية يقصد بها الأصل.

الله أيضا هو العقل الأعظم لأنه إذا كنا نحن كائنات عاقلة والملائكة كائنات عاقلة، فلابد أن الله خالق العقول يكون هو العقل الأعظم، العقل طبعا مفهوم إنه هو القدرة على الخلق، لذلك سمى الله الكلمة أو الخالق بالعقل الإلهى. ومن هنا جاءت كلمة اللوغوس، اللوغوس فى اليونانية معناها العقل الإلهى ظاهرا فى الكون، فالله هو العقل الأعظم لكن لا أستطيع أن أقول أن العقل منفصل عن الذات، أبدا الذات نفسها عقل، **كذلك الله هو الحى الأعظم**، أو الحى القيوم الذى يقوم عليه الوجود، الذى قال عنه الكتاب المقدس : فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس، والتى عبر عنها المسيح له المجد عندما قال لمرثا : «أنا القيامة وأنا الحياة» أى هو رب الحياة وأصل الحياة، ولذلك نجد الكلمة التى قالها بطرس الرسول فى الإصحاح الثالث من سفر الأعمال.

يقول : ورئيس الحياة قتلتموه، هنا رئيس الحياة أو رأس الحياة هو مبدئ الحياة، أصل الحياة، هو أصلها فهو الحى الأول والحى القيوم.

فإذن كونه الذات والعقل والروح ليسوا ثلاثة آلهة، لا يوجد إنفصال أبدا، هى ذات عاقلة حية، ونفس الإنسان لأنه على صورة الله ومثاله يتميز بها، كل إنسان ذات عاقلة حية، ومع ذلك واحد، ولذلك لكى يوضح الأباء عقيدة التوحيد ضربوا مثلا بالإنسان وقالوا لنقرب المفهوم الإلهى لذهن الإنسان، أن الإنسان ذات حية عاقلة، وقالوا أيضا بمثل آخر هو الشمس، الشمس منها يتولد النور وهو غير منفصل عن الشمس، منذ أن كانت الشمس شمسا منها النور، وكذلك الحرارة التى تنبثق من الشمس، وهى غير منفصلة عن الشمس، هذه الأمثلة التى يقدمها أباء الكنيسة للتوضيح ولتقريب الحقيقة الإلهية، لأن اللغة البشرية مثل ما قال القديس غريغوريوس، إن هذا الموضوع لم تتناوله اللغة البشرية من أى جانب إلا وجرحته، بمعنى أن

التعبيرات البشرية ناقصة ولذلك قالوا دائما أن الله لا يُدْرَك، لا يعبر عنه، ومن هنا جاءت كلمة لا ينطق به، كل هذا تعبير، وهذا هو الذى جعل لاهوت مدرسة الأسكندرية سليم لأنهم دائما كانوا يعقلوا التعبيرات، ولكنهم كانوا يقولون أن الحقيقة أعلى من مبادئ الإنسان، إنما نحن نقدم أمثلة توضيحية، لكن الحقيقة أعلى، لذلك موضوع التوحيد والتثليث فى كنيسة الأسكندرية يسمونه سر التوحيد والتثليث، سر، أعطوه كلمة سر لكى يبينوا أن الحقيقة فيها أشياء أخرى خفية عن متناول الإنسان.

المهم هنا أن الصفات أو الخصائص الأخرى ليست ذوات، وحتى كلمة أقانيم جمع أقنوم، وهى كلمة سريانية وليست عربية، تسمى فى اليونانية «هيبو ستاسيس» و«ستاسيس» تعنى القيامة وكلمة «هيبو» تعنى ما تحت القيامة، بمعنى الذات الإلهية تقوم على الخصائص الثلاثة فلكى يكون واضحا فى أذهاننا كمسيحيين، ولكى نشرح هذا الموضوع لغير المسيحيين نحن نؤمن بإله واحد، لذلك نقول فى قانون الإيمان بالحقيقة نؤمن بإله واحد، والتثليث لا يتعارض مع التوحيد، على أساس أن التثليث تثليث أقانيم هيبوستاسيس وليس تثليث ذوات.

عندما يقول «أنا الرب إلهك لايكن لك آلهة أخرى أمامى» يمنع تعدد الآلهة، لكن يمكن أن ينسحب هذا الكلام على غير الآلهة بالمفهوم الوثنى. بمعنى أنت كإنسان من الناحية الروحية متعبدا لله وحده، لكن هناك أحيانا كائنات أخرى لها مقام عالى فى المجتمع هذه أيضا تحترس من أن تعتبرها آلهة مثل الله، حاشا.. ولذلك هناك حكمة قالها بعض أباء الكنيسة، كن عبدا خاصا لسيد واحد، هناك من الناس ما نسميهم السادة، سواء كانو من الناحية المدنية مثل رجال الدولة، الملك، رئيس الجمهورية، لهم الاحترام كما قال الكتاب المقدس : أعطوا الجميع حقوقهم الإكرام لمن له الإكرام، أو حتى رجل الدين إن كان أسقف له احترامه نعم، لكن ليس إله أو لا يحل محل الله. لا.. ولذلك عندما يتعارض هذا السيد أو هذا الإنسان سواء كان من الناحية المدنية أو الدينية مع الله، أنا كإنسان.. أرفض هذا الإله الآخر، أعطيه إحترامه لكن لا يأخذ مركز الله ذاته، مثلا نقول فى الدسقولية عن الأسقف وطبعا المطران والبطريرك، هذا إلهكم على الأرض، لكن ليس إله هنا بمعنى الله، ولكن مثل ما قال ربنا لموسى جعلتك إلها لفرعون، هنا إله مثل ما نقول عن فلان عندما نبغ جدا فى الطب نقول إله الطب، بمعنى إنسان متميز وبارز، وتقدم وأخذ خبرة فى الطب فأصبح مرجع كبير جدا، الله بالعربى نقول الله بالألف واللام، هناك فرق بين إله وبين الله، الله فيه ال هنا وهى أداة التعريف، واحد فقط هو الله، فيما

عدا ذلك ممكن نقول إله، فكذلك حتى من الناحية الدينية عندما نقول فى الدسقولية عن الأسقف أو المطران أو البطريرك هذا إلهكم على الأرض، بمعنى أنه إنسان متميز وقاضى، وألجأ إليه فى أمور معينة لكن ليس معناه أنه هو الله بالألف واللام، حاشا..

كذلك سيدنا له المجد عندما قال لاتقدرون أن تخدموا الله والمال، فى بعض الأحيان يمكن أن يهتم الواحد خصوصا فى الوقت الحاضر بالمال، لذلك قال لا تقدرون أن تخدموا الله والمال. لذلك أنت عبد الواحد، المال مع أهميته لكنه لا يحتل أبدا مكان الله، بل تحت قدميك، ولذلك هناك تعبير لطيف جدا ذكر فى سفر الأعمال عن المسيحيين الأوائل، يقول : كانوا يبيعوا ممتلكاتهم ويضعونها عند أقدامهم، ما معنى تحت أقدامهم ؟ يعنى يضع الإنسان المال، تحت رجليه، فلابد أنا كإنسان متدين أو كإنسان مسيحى، يكون مركز المال بالنسبة لى تحت رجلى. استخدمه لكن لا يكون إلهى، لكى لا يجعلنى هذا الإله أسرق أو أظلم، هذه خطايا تسببها محبة المال، ومثل ماقال الكتاب المقدس محبة المال أصل لكل الشرور الذى إذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان. فيمكن لمحبة المال أن تبقى إله للإنسان، إنما أنا كمسيحى بمسيرتى نحو السماء، ومع تقديرى قيمة المال لن يقدر أن يكون إله لى. وبالتالى لا يباح أبدا للمسيحى أن يظلم أو يرتكب خطأ، بسبب جمع المال.

كذلك هناك أشخاص آخرين أحيانا نحبهم جدا فى الأسرة مثلا، لكن يجب أن لا يكون هذا الشخص مكان الله، غير لازم أبدا فى مسيرتنا نحو السماء، أن نتخذ أى شخص آخر أيا كانت مكانته أو أهميته، إن كان كبيرا أو صغيرا أن يكون هو الله بالألف واللام، إنما نعطيه الإحترام ولذلك قال أكرم أباك وأمك لكى تطول أيام حياتك، وكذلك يقول فى مكان آخر إن كان أحد لا يبغض أباه وأمه وحتى نفسه لايقدر أن يكون لى تلميذا، طبعا ربنا الذى يوصى بالمحبة، لكن عند بعض الناس يصبح التعلق بشخص معين مشكلة، فكلمة إن كان أحد لا يبغض، أى عندما تكون علاقته بهذا الإنسان تهدد علاقته بربنا لأ...، كلمة يبغض هنا ليست بمعنى الكراهية بالمعنى المفهوم، إنما بالنسبة للقياس، لذلك قال من أحب أبا أو أما أكثر منى فلا يستحقنى.

بالإختصار أنه فى علاقتنا بالآخرين خصوصا الأسرة أو لأشخاص معينين، قد تكون صداقة أيضا مثل ماكان بين داود النبى ويوناثان، فمن الممكن أن يتعلق إنسان بصديق سواء كان فى العائلة أو خارج العائلة، يتعلق به وتصير محبته له كبيرة جدا، لكن لو فرضنا أن هذا الصديق ستؤدى صداقته إلى أنك أنت تقع فى الخطأ، هنا ينبغى أن تقطع علاقتك بهذا الصديق، لذلك

يقول إن أعثرتك عينك فاقلعها، ليس المقصود العين الجسدية لأ هذا خطأ، سمعان الدباغ عندما قلع عينه أخطأ، ولكن لأنه هو رجل بسيط فهم أن هذا هو المطلوب فعمل، هو قديس من هذه الناحية من حيث نيته، لكن العمل الذى عمله من الناحية اللاهوتية خطأ، ليس المقصود أن الإنسان يقلع عينه وآخر يقطع رجله وما إلى ذلك. لكن المقصود إذا كان هناك شخص غالى عليك مثل عينك مثل ما يقول فلان هذا عينى اليمين فإذا كان هذا الإنسان هو السبب فى تعطيلك عن مسيرة السماء اقطع علاقتك به، أو إذا كان هذا الشخص تعتمد عليه بمثابة اليد أو الرجل، ولكن هذا الإنسان يكون خطرا على علاقتك بالإله الواحد لأ.. اقطع صلتك بهذا الإنسان، وهذا هو السبب أن المسيح قال من أحب أبا أو أما أكثر منى فلا يستحقنى، من أحب إبنا أو إبنة أكثر منى فلا يستحقنى، وقال إن كان أحد لا يبغض حتى نفسه، بمعنى أنه إذا كانت محبة الذات ستؤدى إلى أن تهتز علاقتى بربنا لأ.... لابد للإنسان أن يبغض حتى نفسه، طبعا المسيح بصيغة الحب يقول : بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إذا كان حبكم بعضكم لبعض. إنما يوم أن تتعارض محبتى لهذا الإنسان مع محبتى لربنا ينبغى أن أختار واحد الله أو الإنسان، لا تقدرون أن تخدموا الله والمال، فهنا يقول، إن كان أحد لايبغض أباه وأمه وزوجته...، ولذلك قال بطرس «قد تركنا كل شئ وتبعناك» (لو ١٨ : ٢٨).

المقصود هنا ليس كراهية على المستوى العادى، لكن عندما تتعارض محبتى لهذا الإنسان سواء قريب أو صديق، مع محبتى للإله، ينبغى أن أفضل محبة ربنا وأقطع صلتى بهذا الإنسان لأنها تهدد علاقتى بسيدى الواحد الأحد وهو الله.

استكمالا لحديثنا فى تأملنا فى قول الله «أنا هو الرب إلهك لا يكن لك آلهة أخرى تجاهى بينا كيف أن الإعتقاد بالتوحيد أن الله واحد، وفى المسيحية نقول إن الله واحد فى ثلاثة أقانيم الآب والأبن والروح القدس، وليس هناك تعارض ولا تناقض بين القول بالتوحيد والقول بالتثليث، لأن القول بالتوحيد هو من جهة أن الله واحد ولا يتعدد، وهذا ضد القول بتعدد الآلهة أو بالإثنينية. أما التثليث فهو تثليث أقانيم، الأقانيم هى الخصائص الذاتية التى تقوم عليها الذات الإلهية. فالله وحده هو الآب بإعتباره أنه أصل الوجود، ليس الآب جزءا من الله، حاشا، هو نفسه الله وهو ذاته الروح القدس لأنه أبو الأرواح وأصل الأرواح، كما جاء فى سفرى اللاويين والعدد «الله أبو الأرواح» بمعنى أصل الأرواح، لأن الملائكة أرواح كما يقول الكتاب المقدس ولكل إنسان روح، فمن هو أصل الأرواح؟ الله. فليس الروح القدس جزء من الله فالله هو ذاته الآب وهو ذاته الروح

القدس، وهو ذاته الابن عندما اتخذ جسدا ونزل إلى العالم مثل النور من الشمس وفى الشمس قائم ومن الشمس يصل إلى الأرض. فلا يوجد إنفصال، فالله حينما ظهر على الأرض فهو الابن، الابن لا بمعنى الولادة كما فى عالم الإنسان والحيوان، إنما الله الغير منظور صار منظورا فى المسيح، فالمسيح ابن الله بهذا المعنى، عظيم سر التقوى الله ظهر، فالمسيح ليس جزءا من الذات إنما هو الله ذاته وقد لبس جسدا، وظهر فى الهيئة كإنسان، كما جاء فى الرسالة إلى فيلبى ورسالة أفسس، غير المنظور صار منظورا. ولأن به تم الخلق فسمى بالكلمة، فالكلمة أو الابن أو المسيح هذه مسميات للذات الإلهية وقد نزل، لذلك عندما سأل فيلبس المسيح : أرنا الآب وكفانا، قال له أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى يا فيلبس، من رآنى فقد رأى الآب. وفى نفس الإصحاح لو كنتم عرفتم الآب لعرفتمونى ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه. كلمة وقد رأيتموه، وقد.. هنا للتحقيق. قد رأيتموه، أين ؟ الله ذاته غير منظور لكن ظهر فى المسيح، الآب هو ذاته الله وهو ذاته الكلمة وهو ذاته الروح القدس، لا يوجد أقسام فى الذات الإلهية. الله واحد إنما كلمة أقانيم أو هيبوستاسيس أى خصائص ذاتية تقوم عليها الذات الإلهية، لأنه من دون أن يكون الله هو أصل الوجود فلا وجود له. فكونه الآب هذه صفة ذاتية أو خاصية ذاتية لا يمكن أن نتصور الله كائن من دون أن نتصور أنه أصل الوجود، ولا يمكن أن نتصور الله إلا من حيث أنه هو الروح الأعظم. لأنه خالق الأرواح. وأصل الأرواح، وهو الكلمة لأن به كان كل شئ وبغيره لم يكن شئ مما كان. ومثل ما أن العقل الإلهى يتجسد فى الكلمة، لأن العقل قوة غير منظورة ولذلك عندما صنع معجزة المولود الأعمى تفل على الأرض وصنع من التفل طينا وطمس به عينى المولود أعمى. هذا الرجل لم تكن له فى مقلتيه عينان، أى كانت العيون نفسها غير موجودة فخلق له من الطين، وعندما يقول الكتاب نحن الطين وأنت جابلنا، بهذه الصورة خلق الله آدم جبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ فيه، فبنفس الصورة أراد أن يبين المسيح وسيلة إيضاح أنه الخالق، فخلق له عينان من التراب أو من الطين. وحتى الكتب الأخرى تقول يخلق من الطين طيرا، هذه المسألة لا يمكن أن يتصف بها نبى أبدا، فالخلق هو الإيجاد من العدم. هذه القضية شرحت فى قانون الإيمان وهذا كان بسبب الخطأ الذى فهمه أريوس، هذا الرجل الذى أساء الفهم، عندما قرأ الكتاب المقدس يقول عن المسيح ابن الله، فاستنبط من هذا التعبير اللفظى ما يستنبطه غير المسيحيين اليوم، أن المسيح أتى فى الزمن من بعد الله. فبين أن هناك أسبقية فى الزمان، أراد أن يفسر كلمة ابن الله بمعنى أن الله يلد، لكن هنا البنوة ليست هى

البنوة كما فى عالم الإنسان، هذه القضية التى أزعجت الكنيسة بسبب البدعة الأريوسية نحو ٥٠ سنة، وحاليا يجددها الناس الذين يعرفون باسم شهود يهوه. وشهود يهوه هى الأريوسية الجديدة.

والحقيقة ربنا شاء أن يكون أثناسيوس الرسولى هو الرجل المناسب الذى أرسلته العناية الإلهية، ليقف ويصحح هذه المفاهيم الخاطئة، وتحمل فى سبيل توكيد وتثبيت هذه العقيدة فى حقيقة أن الابن مع الآب منذ الأزل، ومع الروح القدس منذ الأزل، وليس هناك أسبقية فى الزمن، تحمل الكثير من الإضطهاد ونفى ٥ مرات من كرسيه، غير بعض المتاعب وأتهم اتهامات مختلفة. المهم مجمع نيقية ثبت العقيدة بما عرف بقانون الإيمان الذى يردده المسيحيون شرقا وغربا. فى الصلاة الخاصة وفى الصلاة العامة وهو نتيجة المناقشات ونتيجة تصحيح للفهم الخاطئ، فنقول بالحقيقة نؤمن بإله واحد الله الآب ضابط الكل خالق السماء والأرض ما يرى ومالايرى،.. إلى آخر هذا النص. ولكن أثناسيوس الرسولى عمل صياغة أو تعبيرات لشرح نفس قانون الإيمان، يوضح معنى الألفاظ ومعنى العبارات، ولو أن أثناسيوس الرسولى يعتبر الواضع الأساسى لقانون الإيمان الذى نردده والذى أقره مجمع نيقية، إنما هو أيضا له صيغة لا تختلف ولا تتعارض فى جوهرها عن صيغة قانون الإيمان، إنما تشرح وتؤكد فيقول «كل من يروم أن يخلص» فهنا يتكلم عن الخلاص الأبدى طبعا، «يتحتم أولا وقبل كل شئ، أن يحفظ الإيمان» وهنا ما نسميه بأرثوذكسية الإيمان. أو الإيمان القويم، أرثو كلمة يونانية معناها القويم أو المستقيم. «الإيمان القويم» هوإعتقاد ثم سيرة مطابقة للإعتقاد، ولذلك فإن الإيمان الأرثوذكسى له وجهان أرثوذكسية الإيمان وأرثوذكسية السيرة. لكى يكون الإيمان سليم، الإعتقاد نفسه لابد أن يكون سليم وأيضا سلوك الإنسان. وهذه مهمة الحقيقة فى حياتنا، أن نعرف أن الأرثوذكسية لها هذان الوجهان معا أرثوذكسية الإيمان وأرثوذكسية السيرة، والسيرة هى السلوك، من الناحية الأخلاقية الروحية، بمعنى لو أن الإنسان انحرف فى روحياته لا يخلص حتى لو كانت عقيدته سليمة. لذلك الأرثوذكسية التى تؤدى إلى الخلاص أو التى بها يخلص الإنسان، هى أرثوذكسية الإيمان وأرثوذكسية السيرة. كل من يروم أن يخلص يتحتم عليه أولا وقبل كل شئ أن يحفظ الإيمان، كلمة الحفظ هنا بمعنى الصيانة، يقول الرسول لتلميذه تيموثاؤس : «ياتيموثاؤس احفظ الوديعة» كلمة احفظ الوديعة ليس مجرد التلاوة ولكن الصيانة، المحافظة على الشئ بمعنى حمايته من أى شئ يهاجمه أو يخربه، هنا يقول أثناسيوس الرسولى

«كل من يروم أن يخلص يتحتم عليه أولا وقبل كل شئ أن يحفظ الإيمان ومن لا يحفظه بأكمله ومن غير تعديل فيه يموت موتا أبديا» فالحفظ لا يكون جزئى أو معظمه لا. بأكمله، من لا يحفظه بأكمله ومن غير تعديل فيه، أى ليس لك يا إنسان أن تعدل، لابد أن تأخذ الإيمان كاملا كما تسلمته وديعة، كل من لا يحفظه بأكمله من غير تعديل فيه يموت موتا أبديا يعنى ليس له خلاص. ما هو الإيمان الذى يتكلم عنه؟ هو «أن نعبد إلها واحدا فى ثالوث وثالوث فى وحدانية».

واحد من حيث لا يوجد تعدد، الله واحد نؤمن بإله واحد، أما الثالوث فهو ثالوث الخصائص وهو الذات الإلهية والعقل الأعظم والروح الأعظم. هذا الإيمان هو «أن نعبد إلها واحدا فى ثالوث وثالوث فى وحدانية من غير إختلاط أقانيم ولا تقسيم فى الذات، والآب ليس هو جزء من الله، هو الله من حيث هو أصل الوجود، والله هو الروح القدس، والروح القدس ليس جزء فى الذات الإلهية هو نفسه الروح القدس من حيث هو أصل الأرواح وأبو الأرواح، وهو ذاته الكلمة لأنه هو الذى تجسد لأنه هو العقل الإلهى ظهر فسمى بالكلمة، فالكلمة ليس جزء من الله، عظيم سر التقوى الله ظهر، من غير تقسيم فى الذات ومن غير إختلاط فى الخصائص، لا نخلط بين خاصية وأخرى، الله أصل الوجود هذه خاصية، هذا غير أنه أبو الأرواح وأصل الأرواح، غير أنه الكلمة الذى به خلق العالم. لا يوجد خلط فى الأقانيم أو الخصائص، نعبد إلها واحدا فى ثالوث، وثالوثا فى وحدانية من غير إختلاط فى الأقانيم ولا تقسيم فى الذات. هذا قيمة قانون أثناسيوس الرسولى، وهو شرح لقانون الإيمان ولكن بتعبيرات أخرى لكن تشرح نفس القضايا، تاريخيا عندما اجتمع المجمع والبابا ألكسندروس الـ ١٩ طلب وجود أثناسيوس فى المجمع، كان وقتها أثناسيوس شماس والمجمع مجمع أساقفة، فالبابا قال أنه من المهم وجود أثناسيوس، لأنه كان له خبرة، وكان يذهب من مكان لمكان ويناقش أريوس وغير أريوس فله أهمية فى وجوده، الأمر الثانى بعد المناقشة، أرادوا وضع صيغة كلفوا ثلاثة فى وضع الصيغة الأساسية التى يدرسها المجمع ويقرها. فكان أثناسيوس أحد الثلاثة المهمين الذين وضعوا الصيغة التى أقرها المجمع، وهى صيغة قانون الإيمان التى نقولها اليوم. لكن أقول أن أثناسيوس الرسولى له قانون عرف باسم أثناسيوس، غير قانون مجمع نيقية لكن لا يوجد تعارض، مثل ما رأينا يقول «كل من يروم أن يخلص، يتحتم عليه أولا وقبل كل شئ أن يحفظ الإيمان، ومن لا يحفظه بأكمله من غير

تعديل فيه يموت موتا أبديا. وهذا الإيمان هو أن نعبد إلها واحدا فى ثالوث وثالوث فى وحدانية من غير تقسيم الذات ومن غير إختلاط فى الأقانيم، ولكن الآب والإبن والروح القدس ليسوا إلا إلها واحدا. ومجدا واحدا وعظمة أبدية واحدة، أقنوم الآب غير أقنوم الابن. غير أقنوم الروح القدس، ولكن الآب والابن والروح القدس ليسوا إلا إلها واحدا، ومجدا واحد وعظمة أبدية واحدة هذا هو الآب وهذا هو الابن وهذا هو الروح القدس، فالآب غير مخلوق والابن غير مخلوق والروح القدس غير مخلوق، كان هناك مذهب فى الأسكندرية اسمه مذهب الأفلاطونية المحدثة، صاحب المذهب اسمه أفلوطين، وأفلوطين غير أفلاطون. فمذهب الأفلاطونية المحدثة كان يقول إن الله هو الأول ولكى يخلق الوجود خلق كائنا به خلق الوجود، هذا كلام أفلوطين. ونفس المعنى أخذه أريوس وقال أن الله خلق الابن لكى يخلق به الوجود. من هنا تكون أسبقية فى الوجود بين الآب وبين الابن، هذا المذهب الفلسفى قال أن الله مستشرق على المادة، إستشراق على المادة بمعنى أن الله أجَل من أن يتصل بالمادة. فهذا الإستشراق جعله يخلق كائن متوسط هو الذى يقوم بالخلق. هذا هو المعنى الذى أخذه أريوس. نقلا عن أفلوطين، لذلك أثناسيوس الرسولى فى بعض كتاباته قال إن أراء أريوس وثنية وأخذها من أفلوطين.

فهنا كلام أثناسيوس الرسولى فى شرحه لقانون الإيمان «هذا هو الآب وهذا هو الابن وهذا هو الروح القدس، فالآب غير مخلوق والابن غير مخلوق والروح القدس غير مخلوق، والآب غير محدود والابن غير محدود والروح القدس غير محدود» ليبين أنه فى الصفات لا يوجد فرق ولكن فى الخصائص يوجد فرق، فخاصية الذات الإلهية أن الله أصل الوجود غير خاصية أنه هو الروح الأعظم، غير خاصية أنه الخالق، مثلا فى عالم الإنسان، لكى تحل تمرين هندسة أو حساب تحلها بالفكر، لكن عندما تعبر عن محبتك لإنسان أو محبتك لله تحب الله من القلب، الأشياء العقلية هى مثلا من الذهن، أما العاطفة والحب هذه وظيفة أخرى فى الإنسان من القلب. لكن الإنسان واحد، «والآب سرمرى والابن سرمدى والروح القدس سرمدى ومع ذلك فليسوا ثلاثة سرمديين بل سرمدى واحد» صحيح ميزنا هنا بين الآب والابن والروح القدس، لكن هذه الثلاثة أقانيم ذات واحدة، ليسوا ثلاثة غير مخلوقين ولا ثلاثة غير محدودين بل غير مخلوق واحد وغير محدود واحد. كذلك «الآب قادر على كل شئ والابن قادر على كل شئ والروح القدس قادر على كل شئ ومع ذلك فهم ليسوا ثلاثة قادرين على كل شئ بل واحد».

،كما أن الآب هو الله والابن هو الله والروح القدس هو الله فليسوا ثلاثة آلهة بل إله واحد، ثم إن الآب هو رب والإبن هو رب والروح القدس هو رب وليسوا مع ذلك ثلاثة أرباب بل رب واحد، ولم يكن الآب مكوناً بيد شخص آخر ولا مصنوعاً ولا مخلوقاً ولا مولوداً منه وقد أتى الابن من الآب وحده ولم يكن مصنوعاً ولا مخلوقاً بل مولوداً ، ولادة النور من الشمس. وأتى الروح القدس من الآب وهو الانبثاق، مثل الدفء من الشمس، فالشمس مثلاً منها النور ومنها الدفء أو الحرارة، والدفء غير النور، هذه خاصية وهذه خاصية أخرى، لكن الإثنين من الشمس لا يوجد هنا ثلاثة ذوات لأن النور من الشمس ولكنه كائن فى الشمس والدفء أو الحرارة من الشمس، لكن الدفء غير النور، كلنا نحس أن الحرارة متميزة عن النور، النور ينور ولكن الحرارة تعطى الدفء. لذلك أباء الكنيسة قالوا إن الذات الإلهية صعب علينا أن ندخل فيها ونتكلم عنها، لأنها أعلى من منال الإنسان، وقالوا أن الله لا يعبر عنه، لكننا مضطرين أن نتخذ وسائل إيضاح للتقريب ، لكن المعنى الحقيقى أعلى من منال الإنسان. ولذلك أباء كنيسة الأسكندرية كانوا يقولون دائماً سر التوحيد والتثليث، لأن فيه سر، وهذا ما يميز لاهوت مدرسة الأسكندرية عن لاهوت مدرسة أنطاكية، التى خلقت لنا كل الهرطقات فى الخمسة قرون الأولى. لأنهم أخضعوا الدين أو اللاهوتيات للمنطق الاستقراميسى، يعنى كذا تساوى كذا، لكن مدرسة الأسكندرية استخدموا الفلسفة واستخدموا اللغة البشرية لذلك أضافوا كلمة سر، ليبينوا أن هناك شيئاً آخر وأعمق وأعلى من أن ينالها العقل البشرى، فقالوا سر التوحيد وقالوا سر التجسد، هذا لاهوت مدرسة الأسكندرية، كيف يمكن مثلاً نملة تحت قدميك تدرك ما فى عقلك أنت يا إنسان، هذا الذى بين النملة وبين الإنسان، لكن الذى بين الإنسان وبين الله أعلى وأعظم من الذى بين النملة بالنسبة للإنسان، لذلك نقول أن لاهوت مدرسة الأسكندرية كان يتميز بقولهم إننا نستخدم اللغة ونستخدم الفلسفة، لكن لا نظن أنها تعطى المعانى الحقيقية، لأن المعنى أعلى وأعمق من أن تعبر عنه اللغة البشرية، لذلك أضافوا كلمة سر ليغطوا بها نقص الإنسان عن أن يسبر غيب الله، وهناك تعبير نجده فى القداس الغريغورى الذى ترجموه «الله غير المفحوص»، يمكن باللغة العربية أن نقول «الذى لا تدرك أعماقه، هذه الخاصية المهمة فى لاهوت مدرسة الأسكندرية والتى عصمت أبائنا الرسل فى الأسكندرية من الوقوع فى الأخطاء والهرطقات التى وقع فيها علماء مدرسة أنطاكية، لايوجد غير القديس ساويرس الأنطاكى فى القرن السادس الميلادى، الذى ربط مدرسة أنطاكية أو الكنيسة السريانية بالكنيسة الأسكندرية، وإعترافاً بفضل هذا الرجل نضعه فى المجمع قبل أثناسيوس وقبل ديسقوروس، تحية لهذا الرجل الذى صالح ما بين لاهوت مدرسة الأسكندرية ومدرسة أنطاكية، لأنه قبل ذلك كان إتجاه مدرسة انطاكية هو

الذى خلق الهرطقات فى الخمسة قرون الأولى. لكن ساويرس الأنطاكى رفض كل هذه الأشياء ونفى عندنا وعاش فى بلادنا ودفن فى دير الزجاج. الست سنوات الأخيرة من حياته قضاها فى مصر، وله قصة جميلة عندما نفاه الأمبراطور جوستنيان بسبب تمسكه بالإيمان الأرثوذكسى ضد الأريوسية، وضد المبادىء الأخرى الهرطقية، فجاء بلادنا وعاش فى مصر وكان يتخفى فى ملابس عادية كأنه راهب بسيط، ففى يوم من الأيام دخل كنيسة وحضر القداس، وكان الكاهن قد أستبرأ الحمل ويصلى القداس، وظهر ملاك للكاهن وقال له كيف ترفع القرابين والبطريرك موجود، فأجاب أين هو يا سيدى؟ فأشار إليه فذهب الكاهن وعمل له مطانية وطلب إليه أن يصلى القداس. هذه قصة جميلة من القصص التى تشير إلى إعتراف السماء به، وهذه موجوده فى تقليدنا الكنسى، فهذا الرجل كنوع من التحية والتكريم نذكره فى المجمع قبل أثناسيوس وقبل ديسقورس، لماذا؟ لأنه هو الذى صالح بين لاهوت مدرسة الأسكندرية ومدرسة أنطاكية، وكنوع من أنواع الإعتراف بفضله الذى أدى إلى توحيد الكنيستين، وأصبحا من ذلك التاريخ كنيسة واحدة، وأصبح التقليد أن يذكر بطريرك الأقباط عند السريان، وبطريرك السريان يذكر عند الأقباط. تعبير عن الوحدة الإيمانية التى صارت بين الإثنين.

قيمة لاهوت مدرسة الأسكندرية أنه كان يستخدم الألفاظ، ولكن يعترف أن هذه الألفاظ ضعيفة عن أن تؤدى المعنى الحقيقى الكامل. فيقولون إن الله لا يعبر عنه، لا ينطق به، إنما نحن مضطرين أن نكتفى باللغة، لكن لابد أن نعترف بأن اللغة البشرية أقل، لأنها قوالب والمعانى أعمق وأعلى من أن توضع فى هذه القوالب، فأضافوا كلمة سر لكى يبرهنوا على أنهم مدققين فى التعبير. لكن تبقى الحقيقة أعمق وأعلى من منطق الإنسان.

فيوجد إذن آب واحد لا ثلاثة آباء وابن واحد لا ثلاثة أبناء وروح القدس واحد لا ثلاثة. وليس فى الثالوث أقنوم أسبق من الآخر، أو أكبر منه بل إن الأقانيم الثلاثة كلها سرمدية معاً ومتساوية معاً وما أوفقها خاتمة لهذا الحديث أن نذكر ما قاله الوحى الإلهى على لسان القديس يوحنا الرسول: «إذ قال فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد».

هذا هو المبدأ اللاهوتى الذى تضمنه نهى الرب القائل لا يكن لك آلهة أخرى أمامى.

الناحية الروحية للوصية الأولى

أما التعليم الروحى فيشمل أمور عدة، أهمها من الناحية الروحية **أن نحب الله حباً فائقاً لا يدانيه حب**، ومحبته تعالى ينبغى أن تكون من أعماق النفس ومن كل القدرة ومن قرارة

الفكر. أى كما قال تعالى بفمه القدوس «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك» ومحبته يجب أن لا يشاركه فيها أى من البشر، فلا الأباء أو الأمهات ولا البنون أو البنات ولا الأخوة أو الأخوات ولا الزوجات، ولا الأموال ولا الأعمال ولا أى شيء فى الوجود، مهما كبر أو صغر، عظم أو حقر، **كل محبة بإزاء محبة الله ينبغى أن تحسب كراهية وبغضة لعظمة الفرق بينهما**، «إن كان أحد لا يبغض أباه وأمه حتى نفسه لا يقدر أن يكون لى تلميذاً» بمعنى أنه فى المواقف التى فيها محبة الأب أو الأم تهدد محبتنا لله ينبغى أن نبغض هذه المحبة، وهذا الذى حدث مع الشهداء مثلاً، القديسة دميانه أبوها كان يجرى وراءها يريد أن يقطعها، وهكذا القديسة بربارا، وهكذا يمكن أن يكون الأب أو الأم عائق، لكن فى هذه الحالة يكون إمتحان بالنسبة للإنسان، هل يؤثر الإنسان محبة الأب على محبة الله؟ فى الأحوال التى فيها على الإنسان أن يختار بين إثنين، فى هذه الحالة يجب إختيار واحد، فى الحالات التى فيه يصعب الجمع بين إثنين. هنا امتحان قاسى للإنسان، وإذا كان حقاً يحب الله ينبغى أن يضحى بمحبته لأبيه وأمه وإبنه وإبنته. لذلك قال من أحب أباً أو أماً أكثر منى فلا يستحقنى، من أحب إبن أو إبنة أكثر منى فلا يستحقنى. عندما تطغى محبة القريب على محبة الإنسان لله، أو يكون هذا القريب عثرة وعقبة فى سبيل تمسك الإنسان بالإيمان، ففى هذه الحالة يكون إمتحانا قاسياً وهنا يظهر حقيقة الإيمان والحب الإلهى، إذا كان الإنسان يؤثر محبة الله على محبته لأبيه وأمه، فيجب أن يضحى بهذه المحبة بالأب والأم والأخ والأخت والزوجة وما إلى ذلك. وهنا معنى كلمة إن كان أحد لا يبغض أباه وأمه حتى نفسه لا يقدر أن يكون لى تلميذاً. عندما تحدثه نفسه أو تعطله أو تعوقه، وعندما يكون هناك شهوة أو رغبة أو خوف من أن يفقد مركزه أو منصبه فى سبيل الإيمان بالمسيح، هنا نفسه تصبح عدوة له، فإن كان أحد لا يبغض حتى نفسه لا يقدر أن يكون لى تلميذاً.

فهنا من جهة المبدأ أن نحب الله حباً فائقاً لا يدانيه حب، يقول الرسول «لا ملائكة ولا رؤساء ملائكة تستطيع أن تفصلنى عن محبة الله التى فى المسيح» طبعاً يمكن تطبيقها على الشياطين لأنهم كانوا ملائكة. الرسول يريد أن يقول محبة الله ينبغى أن تكون أقوى من كل نوع من العلاقات الإنسانية مهما كانت هذه العلاقات قوية. فإن كان لك أحد تعتمد عليه أو تستند إليه، بمثابة اليد أو الرجل ولكن يكون عائق عن خلاصك الأبدى، فلابد أن تكون على استعداد أن تقطع هذا العضو عنك، أى تقطع علاقتك بهذا الإنسان. مثل ما حدث لأبونا إبراهيم ولوط، لوط إبن أخوه لكن حدثت مشاكل وقال له يا أخى لا تكن مخاصمة بينى وبينك، ولا بين رعاتى ورعاتك إن ذهبت شمالاً فأنا يميناً وإن يميناً فأنا شمالاً، قطع العلاقات هنا فى هذه الحالة يجعل

المحبة تسود بينهم وبين بعض، وفعلاً عندما لوط اختار أرض سدوم، وطغى عليه خمسة ملوك، وسمع إبراهيم أخذ رجاله ٣١٨ مثل مجمع نيقية وذهب وخلص أخوه ثم رجع لمكانه. المهم كلمة إن أعثرتك عينك فاقلعها، إن أعثرتك يدك أو رجلك اقطعها، تعنى إن كان لك أحد سواء كان قرابة جسدية أو قرابة معنوية، لكن هذا الإنسان يكون سبب فقدانك لخلاصك الأبدى، لا...، محبتك لله ينبغى أن تسمو على كل عاطفة أخرى، وإنك أنت مع حزن شديد تقطع علاقتك بهذا الإنسان الذى يعطلك عن الأبدية. وهذا فى الحقيقة القرار الحكيم الذى ينبغى أن يتخذه الإنسان فى بعض الأحيان من أجل خلاصه الأبدى. والذى أخذناه من مبادىء المسيح نفسه، قديماً كان إبراهيم يحب اسحق حباً جما، لأنه إبنه الوحيد الحبيب وإبن شيخوخته، ومع ذلك لما سأله الرب أن يقدم إبنه ذبيحة لم يتوان. الحقيقة موضوع قاسى جداً جداً، أى واحد فينا يضع نفسه محل إبراهيم، خذ إبنك وحيدك الذى تحبه اسحق وقدمه لى محرقة. وإبراهيم لم يعترض بل قام باكراً وسار ثلاثة أيام حتى رأى المكان، لذلك الله قال له لما رأيت محبتك وأنك لم تمنع ابنك وحيدك عنى، فإنى بالبركة أباركك وبالكثرة أكثر نسلك، ونحن فى مسيرتنا نحو السماء، لنا رفقاء مسيرة تحدث لنا مواقف من هذا القبيل، شىء غالى عليك جداً ومع ذلك يطلب منك أنك تضحى به. ياترى تقبل أم لا، خصوصاً الموقف الذى فيه إمتحان، إمتحان لما فى قلبك نحو الله، وهذا ما صنعوه القديسون والشهداء، وكل الناس الذين وصلوا إلى الروحانية العالية كان عندهم الله أغلى من كل شىء. فكلمة لا يكن لك آخرين يكونوا بالنسبة لك آلهة. هنا إمتحان عندما تكون هناك مواقف على الإنسان فيها أن يختار، صعب هذا الإختيار ولكن إمتحان قاسى على الإنسان أن يفاضل بين محبته لله وبين محبته لهذا الإنسان، سواء كان قرابة جسدية أو قرابة معنوية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى، كلمة آلهة تعنى أشخاص آخرين لهم مقام الآلهة عندك. فعندما سأل الله إبراهيم لم يتوان بل بكر باكراً جداً وقدمه كإرادة الله، وهذا يدل على منتهى الحب بل يدل على أن محبته لله أعظم من محبته لولده. لذلك أسمعه الرب هذه الشهادة، الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك إبنك وحيدك عنى، لذلك فإنى بالبركة أباركك وبالكثرة أكثر نسلك.

الله متكلنا الوحيد:

هذا التعبير الروحى يتضمن فوق هذا أن نتخذه تعالى متكلنا الوحيد، ولا ينبغى أن نتكل على إنسان مطلقاً، لأن هذا الإنسان ينسى ولأنه قد يعِد ولا يفى، يتكلم ولا يصدق، أما الله فليس إنسان فيكذب ولا إبن إنسان فيندم. أو يتكلم ولا يفى، ولا إنسان متقلقل متغير لا يكاد يثبت على حال، أما الله فهو الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران. والإنسان حتى لو ظل أميناً مخلصاً وفياً صادقاً مرة فإنه عرضة للموت والفناء. فهنا يقول النبى داود مز ١٤٦: ٣، ٤ «لا تتكلوا على

الرؤساء ولا على ابن آدم حيث لا خلاص عنده، تخرج روحه فيعود إلى ترابه فى ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره، فلا تخدعك وعود البشر ولا توكيداتهم، بل اعلم أنهم من نفوسهم لا يستطيعون شيئاً، فلو شاء الله أن ينجح مقاصدك واعترضك بشر لا تنجح عراقيلهم، ولو شاء لك الفشل وساعدك البشر لا تفلح معهم، فالله هو الوحيد الذى نستطيع أن نتكل عليه بل نطمئن. بعد ذلك فإن كل عطية صالحة وكل موهبة تامة فهى من فوق نازلة من عند أبى الأنوار. هذا ما أراده المسيح له المجد يوم نهى تلاميذه عن أن يتخذوا لهم أبا أو معلماً على الأرض، فقال: «لا تدعوا لكم أبا على الأرض، لأن أباكم واحد فى السموات ولا تدعوا لكم معلمين لأن معلمكم واحد المسيح»، كلمة لا تدعوا لكم أبا على الأرض، ليس المقصود بها أن الإنسان إذا كان رجل دين ينكر علاقته بأبيه الجسدى أو ينكر صلته. إنما معناه أنه لا يصير المرجع الذى يلتجأ إليه الأباء الرسل ومن هم فى حكم الرسل فى تصرفاتهم. أو فى تفسير أو تطبيق قاعدة روحية أو مبدأ روحانى لا.. أنت رسول للمسيح لم يعد الأب الجسدى هو الإنسان الذى ترجع إليه فى تفسير الوصايا الإلهية. كلمة لا تدعوا لكم أباً على الأرض ليس معنى هذا أن الإنسان يتنكر لعلاقة القرابة، إنما لا يصير الأب الجسدى المرجع. مرجعك أصبح هو المسيح على إعتبار أنه يكلم الأباء الرسل، ليس معنى ذلك أن الخدام أو الكهنة يتنكروا للعلاقات الجسدية للوالد والوالدة ومن إليهم من الأقارب. وإلا أصبح الإنسان خلع الأدب الواجب نحو هؤلاء، الرسول يقول للأسقف تيموثيئوس عظ الشيوخ كأباء وعظ العجائز كأمهات، أى بإحترام السن، ولو أنه أسقف لكن يحترم الأباء الشيوخ المدنيين كأباء لهم كرامتهم، لكن لا يرجع إليهم ويعتبرهم فى التعليم الدينى هم المرجع، لا تدعوا لكم أبا على الأرض، الخطأ الذى لا يفهموه بعض الناس خصوصاً الخوارج عن الكنيسة الأرثوذكسية، أن هذا الكلام موجه إلى الرسل، ليس إلى عامة المؤمنين. إلى الرسل رجال الكهنوت، إنما من جهة أى أب أو أم بالنسبة لعامة الناس طبعاً لهم إحترام، فكلمة لا تدع لكم أباً على الأرض التى يعترضن بعض الناس عليها لكى ينكروا القول للكاهن يا أبى، لابد أن يفهموا أن هذا الكلام موجه ليس لعامة الناس ولكن إلى الرسل ومن فى حكم الرسل، بمعنى إنه لا يكون له شخص يعد المرجع الأعلى الذى يرجع إليه فى تفسير أو فى أى تصرف دينى، خصوصاً إذا كانت هناك أوامر واضحة فى الكتب المقدسة أو من الشيوخ رأساً. هناك بعض الناس يتخذوا هذا الكلام ويقولون لماذا يسمى الكاهن أب؟ ونحن نعرف أن الأباء الرسل استخدموا كلمة الأب، خصوصاً رسالة القديس يوحنا أيها الأبناء، يا أبنائى، فهنا لابد أن نفرق ونميز بين الآباء الرسل ومن هم فى حكم الرسل، بمعنى أنهم لا يتخذوا شخصاً آخر كمرجع أعلى، وهذا لا ينقص من إحترامنا لأبائنا وأمهاتنا. وإذا كنا نسمى الكاهن أب لأنه عن طريقه تتم الولادة

الروحية، ولذلك نسمى الوالد أب لأنه عن طريقه تتم الولادة الأولى، فالكاهن الذى عن طريقه تتم الولادة الثانية التى هى من الماء والروح. فيحق له أن يسمى أب، هنا كلمة أباء روحانيين كلمة صح، لا تتعارض أبداً مع كلام المسيح، لا تتخذوا لكم أباً على الأرض. هذا تصحيح للأفكار التى يأخذها بعض الناس الخوارج عن الكنيسة الأرثوذكسية، لينكروا بها فكرة الأبوة الروحية، وهذه الأبوة الروحية مقررة فى الكتب المقدسة، مثلاً عندما يقول يوحنا الرسول يا أولادى لا تحبوا بالكلام أو باللسان بل بالعمل والحق، يا أولادى من الناحيتين من ناحية السن يكون أب بهذا المعنى، ومن الناحية الروحية سواء أكان الإنسان الذى عن طريقه تتم الولادة الثانية وهى المعمودية، أو الأبوة الروحية فى سائر الأسرار، مثل الكاهن وهو يعقد الزواج أو يقدم سر القربان وسائر الأسرار الكنسية، البطريرك أو المطران الذى يرسم قسيس فعن طريقه يتم حلول الروح القدس أو موهبة الروح القدس، فبهذا يصير أب له فهنا الأبوة شريعة، لكن نؤكد مرة أخرى أن كلام المسيح هنا للأباء الرسل لكى لا يتخذوا لهم أباً بمعنى يصير المرجع الأعلى لهم، المرجع المسيح وحده، حتى لا يقع فى خطأ فى التعليم أو التفسير.

هذا التعليم الروحى يتضمن كما قلنا أن نتخذ الله تعالى متكلنا الوحيد. فلا ينبغى أن نتكل على إنسان مطلقاً، كما يقول ملعون من يتكل على ذراع بشر، وكثير جداً يحدث أن الإنسان يتمسك بشخص ولكن هذا الإنسان يخونه، والخيانة موجودة فى تاريخ الإنسانية، مثل يهوذا الإسخريوطى الذى خان سيده فى مقابل مبلغ زهيد من المال. قال لهم ماذا تعطونى وأنا أسلمه لكم؟ واحد مثل بطرس الرسول الذى قال : إن شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبداً، مع إن سيدنا أنذره قائلاً أنه قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات، ويبلغ الأمر أن بطرس الرسول الذى كان من أخلص تلاميذ المسيح، أن ينكر المسيح أمام جارية وأمام الناس عدد من المرات، ويقول أنا لا أعرف هذا الرجل، أو يلعن ولهذا السبب عندما نظر له المسيح وقت المحاكمة خرج وبكى بكاء مرا، كيف يحدث هذا لبطرس الرسول؟ ضعف، فأنا كإنسان سائر فى طريق السماء لما أتكل على إنسان هذه خيبة، لأن هذا الإنسان يمكن أن يخون، ويمكن أيضاً أن يوصلنا للهلاك، لكن يجب أن يكون إتكالنا على الله. هذا أحد المعانى الروحية التى تخرج من قول الكتاب المقدس أنا هو الرب إلهك لا يكن لك آلهة أخرى تجاهى، ولذلك قال الآباء الرسل له نحن قد تركنا كل شىء وتبعناك، فقال لهم ليس أحد ترك أباً أو أماً أو أخاً أو أختاً أو زوجة من أجلى إلا ويأخذ مائة ضعف. ماذا تعنى ترك أباً أو أماً؟ تعنى فى سبيل الأمانة لسيده قد يضطر بقطع علاقته مع الأب أو الأم أو أى إنسان أخر. عندما يجد أن هذا الإنسان عثرة أو عائق عن تبعيته لسيده. ليكون الله هو المعبود الوحيد الذى يتطلع إليه الإنسان السائر فى طريق السماء. والله هو

الوحيد الذى نستطيع أن نتكل عليه بكل إطمئنان، وعلى ذلك فإن كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبى الأنوار.

عدم اللجوء لغير الله بالصلاة والعبادة:

من التعليم الروحى من الوصية الأولى أن لا نلتجىء لغير الله بالصلاة أو العبادة. لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد.

فالصلاة دليل حاجتنا إلى الله، وهى ليست كذلك فحسب بل هى شركة ولذة وسعادة ومحبة وعشرة مع الله، هى رفع الإحساس والمشاعر لتكون مع الله، فإلى الله وحده يجب أن تقدم الصلاة، أما إستشفاعنا بالقديسين لطلب المعونة هى إستغاثة، فعندما نستشفع بالقديسين لا نصلى إليهم، بمعنى أن يكونوا هم إتكالنا، لا.. حاشا فالصلاة هى لله وحده، إن كنا نستغيث بالقديسين كنوع من أنواع طلب المعونة ومساعدتهم لنا، كمثل أن يستعين الإنسان بصديق أو مهندس أو طبيب ليساعده، ليس معنى ذلك أنهم أصبحوا آلهة لأ.. طبعاً.. فلجؤئنا للقديسين إستغاثة وطلب معونة أما عبادتنا لله تعالى تقوم على تقديس كل مافينا من عقل وحواس لجلاله تعالى. فلا نكتفى فقط بأن نحنى أعضائنا الظاهرة كالسجود والمطانيات. ولكن لابد أيضاً من التأمل العقلى وحصر الذهن وإنسكاب الروح وخضوع القلب وتذلل النفس، يجب أن نعبده بأرواحنا، ونفوسنا، وعبادة الروح بلا جسد وعبادة الجسد بلا روح كلاهما ناقصة، فكما أن الله خالق الروح له عليها واجب العبادة، فهو خالق الجسد وله عليه واجب التذلل، فكون أننا نسجد إلى الأرض يجب أن لا نكتفى بهذا، أرواحنا تسجد بالتأمل الباطنى، والخضوع الداخلى، وأيضاً أجسادنا تجثو، فعندما يعبد الإنسان الله يعبده بكل كيانه جسداً وعقلاً وذهناً. فبالإجمال يجب أن يكون كل شىء فينا ملكاً لمن إشترانا وفدانا بدمه. فلنكن مستأثرين كل فكر وفعل لطاعة المسيح إلهنا.

ومما سبق نرى حاجتنا إلى الطقوس فديانة بلا طقوس ديانة لا تليق ببشر ولا بملائكة، لأن الملائكة يعبدون الله بطقوس معينة، فكون السيرافيم يسبحون ويقولون قدوس قدوس هذه طقوس معينة. والطقوس هى عبارة عن نظام. فيجب أن يكون هناك طقوس ليكون هناك نظام فى العبادة. كيف يصلوا، كيف يبنوا بيوت العبادة.

فهنا الديانة لابد أن يكون فيها طقوس، وهو النظام، فعندما أراد سيدنا أن يوزع الخمس خبزات، أمر أن يجلسوا على الأرض خمسين خمسين ومائة مائة. فكأنه أمر بالنظام، فالنظام لا يتعارض، أقول هذا الكلام لأن إخواننا البروتستانت خصوصاً فى الأجيال الماضية كانوا يهزأون بالطقوس، ويقولون هذه أشياء عملوها بشر، ويحتقروها وكانوا يفتخرون أنهم لا يوجد عندهم طقوس، مع العلم أن عندهم طقوس، ولا يعترفون بالطقوس الخاصة بنا. لأنهم يشكوا أن هذه

ترتيبات قديمة، لكن عندنا الأدلة والبراهين على أن هذه الطقوس ترتيبات قديمة وأن الله أمر بها، وأن الآباء المعتبرين أعمدة هم الذين ثبتوها. ومن خلال الكتاب المقدس والدسقولية وكتب الكنيسة تجد أن هذه الطقوس لها أصول قديمة، ولها ترتيبات معينة، فهي ليست إختراع، نحن فى المسيحية الأرثوذكسية بالذات نسير حسب نظام، وهذا النظام رسمه ربنا، وأيضاً الآباء الرسل المخولين من قبل المسيح أن يعملوا هذا النظام، فلما قال المسيح أى بيت دخلتموه فأقيموا فيه إلى أن تخرجوا هذا هو ترتيب. ولذلك فإن البيوت التى ذهب إليها الآباء الرسل وأقاموا فيها تحولت إلى كنائس وهذا ترتيب. فوجود الطقوس لا تتعارض مع عبادتنا بل بالعكس تتمشى معها، لأنها ترتيب إلهى.

فديانة بلا طقوس ديانة لا تليق ببشر ولا بملائكة، لأن الملائكة يعبدون الله بطقوس معينة، يسجدون ويخرون أمام الحى إلى أبد الآبدين كما جاء فى سفر الرؤيا. والكتاب يقول: مجدوا الله فى أرواحكم وأجسادكم التى هى لله.

وإذا قلنا إن الله وحده الذى يحق له العبادة والصلاة والسجود، فليس معنى ذلك أن لا نستغيث بالقديسين، نجد البروتستانت يقولون من موسى؟ ومن إيليا؟ الصلاة لربنا، إنهم يشوهوا فكرة الإستغاثة بالقديسين، نحن لا نصلى لهؤلاء القديسين، نحن نستغيث بهم، نستعين بهم، يساعدونا كما نستعين فى الأرض ببعضنا البعض. عندما يكون إنسان متميز فى موهبة معينة الواحد فينا يلجأ إليه، هناك مساعدات الناس للناس بعضهم لبعض. إنما الحقيقة أن البروتستانت يشوهوا علاقتنا بالقديسين، كأنها علاقة لجوء إلى إله آخر، حاشا....لا يوجد تعارض أبداً، فإننا إذا دعوناهم فإننا ندعوهم ليتضرعوا إلى الرب من أجلنا. كما أنهم فى حاجة إلى صلوات الكنيسة إلى الرب من أجلهم. ولذلك نذكرهم ونترحم عليهم. ففى الترحيم فى القداس نتذكرهم ومع ذلك نقول لسنا أهلاً أن نتشفع فى طوباوية أولئك القديسين بل هم الواقفون أمامك، شفاعة القديسين غير شفاعة المسيح، شفاعة المسيح شفاعة كفارية هو المخلص وحده، إنما شفاعة القديسين هذه توسلات.

النـــذور :

عندما نقدم نذوراً بأسماء القديسين، ليس معنى ذلك أننا نقدمها لهم لأنهم أرواح لا تحتاج إلى عطايا مادية، فوق أنهم مخلوقون محدودون، إنما نحن نقدم النذور بأسمائهم لأن الرب يسر جداً بهذا، لأن إكرام القديسين إكراماً له. كما أن إعتبارنا لهم اعتباراً للفضيلة التى تحلوا بها، فضلاً عن أن فى ذكر أسمائهم على أفواهنا ما يفيد نفوسنا فى العمل بسيرتهم ووفق مبادئهم.

فمسرة الرب فى تقديم النذور بأسماء القديسين، حيث قول المسيح من يقبلكم يقبلنى ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى. من يقبل نبياً بإسم نبى فأجر نبى يأخذ، من يقبل باراً بإسم بار فأجر بار يأخذ، وما نقوله عن النذور يقال عن إطلاق أسماء الملائكة والقديسين على الكنائس، فنحن لا نعبد الملائكة ولا القديسين بل نعبد الرب الذى أحبنا وغسلنا من خطايانا، وأما إطلاقنا أسماء الملائكة والقديسين على الكنائس فلأغراض معينة ولحكمة سامية هى إكرامهم، وفى هذا إرضاء لله ذاته. «أكرم الذى يكرموننى والذى يحتقروننى يصغرون».

ولما يعود علينا بالفائدة من إكرام، بل ولما فى هذا المبدأ من تشجيع المؤمنين على حياة الفضيلة، عندما نكرم القديسين فهذا وفاءاً منا لهؤلاء الناس، الذين بذلوا وضحوا، وفى نفس الوقت تشجيع للشباب المبتدئين فى حياة الفضيلة، أن يتمثلوا بهؤلاء القديسين، كما قال الرسول تمثلوا بى كما أنا بالمسيح «أنظروا إلى نهاية سيرتهم وتمثلوا بإيمانهم، فإطلاق أسماء الملائكة والقديسين على الكنائس فهو أيضاً لكى يميز كل كنيسة عن غيرها، فإذا كانت فى البلد أكثر من كنيسة واحدة، وكانت واحدة تسمى باسم كنيسة العذراء، وأخرى تسمى كنيسة مارجرجس، فهذا يفيد فى التفرقة ما بين الكنيستين. لكن فى كل الأحوال العبادة واحدة، فى كلا الكنيستين، أقصى ما فيها عندما نقول أكسيوس بنذكر اسم القديس، لكن العبادة واحدة والقداس واحد والصلاة واحدة. فإذا كان من عادات الأباء فى العصور الأولى، عصور الشهداء أن يبنى فوق جثمان الشهيد كنيسة، أو أن يدفن الشهيد فى الكنيسة، كان من الطبيعى إذن أن تسمى الكنيسة باسم هذا الشهيد، المعروف إن القديس مارجرجس كان فلسطينى، فعندما دفن بعد إستشهاده أقيمت على جسده كنيسة باسم مارجرجس، فأصبح تقليد فى المسيحية أن رفات القديسين تبنى عليها الكنائس، لكن ليس بمعنى أن يعبد فى هذا المكان، إنما كنوع من أنواع التكريم لهذا القديس، كنوع من التخليد والوفاء، وفى نفس الوقت يكون فيه نوع من التمييز بين الكنائس وبعضها البعض.

هكذا بنيت الكنائس على أسماء الملائكة والقديسين منذ العصور الأولى، وظلت الكنيسةإلى الآن وستظل إلى منتهى الدهور متمسكة بهذا التقليد القديم، وإن ما نراه بتمسك الكاثوليك والأسقفيين وهم من غير أبناء كنيستنا بهذا التقليد، ما يفسر لنا أنه من السهل أن يقتنع الجميع بصحة وجهة نظر الكنيسة الأرثوذكسية.

لقد قيل عن الشريعة أنها شريعة موسى، حتى فى الكتاب المقدس تجد كلمة شريعة موسى، بمعنى إنه على فمه أعلن الله هذه الشريعة، فهو واسطة التبليغ، لكن تسميتها شريعة موسى ليس

لأن موسى هو صاحب الشريعة، صاحب الشريعة هو الله ولكن تبليغ الشريعة كان عن طريق موسى. وعن الإنجيل نقول إنجيل متى، إنجيل مرقس، إنجيل لوقا، الإنجيل هو إنجيل الله وما فيه أخبار الله نفسه والكرازة باسم ربنا لكن متى الرسول كتب هذا الإنجيل من زاوية معينة. فنقول الإنجيل بحسب ما كتب متى محمولاً من الروح القدس، فعمل الروح القدس هنا إرشاد، فالروح القدس يحرك الكاتب لأن يكتب ثم يعطيه المعانى التى يكتبها، ثم يعصمه أو يهيمن عليه حتى لا يخطىء فى المعلومات التى يقدمها.

الله هو صاحب الشريعة وهو الموحى بالإنجيل وهو رب الهيكل، فعندما نقول هيكل سليمان ليس معناه أن سليمان بيعبد، إنما لأن سليمان بنى هذا الهيكل .

ومن كتاب الله نفسه يتضح لنا أن الله سر بهذه الأشياء، ولم يجد فيها ما ينافى إرادته ومشيئته كما يزعم إخواننا البروتستانت. فلا فرق عند الله بين أن تسمى الشريعة شريعة الله أو شريعة موسى، وحتى المسيح نفسه كثيراً جداً يقول شريعة موسى لأن المعنى يستقيم فى تلك الحالتين. هكذا لا فرق بين أن تسمى الكنيسة كنيسة الله أو كنيسة الملاك أو كنيسة القديس فلان. فالله هو المعبود الوحيد فى جميع الكنائس، ومن يريد التحقق فليدخل كنائسنا جميعاً، وألفاظ العبادة والنظم والطقوس والترتيبات كلها واحدة فى جميع الكنائس، مما يؤيد أنه ليس فى هذه التسمية ما يغير من العبادة المتحدة فى جميع الكنائس.

وإذن فليس فى إطلاق أسماء الملائكة والقديسين على الكنائس ما يضاد الوصية الأولى القائلة «لا يكن لك آلهة أخرى تجاهى» مادام الله هو المعبود الوحيد ومادامت أسماء الملائكة القديسين هى للذكر والإكرام والإقتداء، لا للعبادة أو التأليه.

كذلك يجب أن لا يظن أن إطلاق أسماء العذراء والرسل على بعض الأصوام مناقضة للوصية الأولى التى تمنع أن نتخذ غير الله معبودا. فالأصل فى هذه التسمية هو أن صوم العذراء ينتهى بعيد صعود جسدها الطاهر إلى السماء بعد وفاتها، أو أن الصوم الذى صامه رسل المسيح ليكشف الرب لهم عن سر إختفاء جسدها بعد أن دفنوها بأيديهم. فبعد أن صاموا هذه المدة أظهر لهم الرب الجسد ثانية محمولاً بين أيدى الملائكة. وهذا خلاف المرة الأولى التى رآها توما الرسول.

وبالمثل صوم الرسل سمى بإسمهم لأنهم هم الذين صاموا بعد حلول الروح القدس عليهم، إتماماً لقول الرب ستأتى أيام حينما يرفع العريس عنهم فحينئذ سيصومون فى تلك الأيام. وإلى هذا الصوم أشار القديس لوقا فى سفر الأعمال، ولذلك نجد الكنيسة تبدأ صوم الرسل فى اليوم

التالى لعيد حلول الروح القدس فى يوم الخمسين. وهذا يوضح أننا يجب أن نصوم لأننا أمام التجارب وأمام الآلام نحتاج إلى الصوم كنوع من العبادة.

لسنا نقصد هنا إثبات الصوم فهذا يحتاج إلى بحث منفرد، إنما مقصدنا أن نبين أن هذين الصومين صوم العذراء وصوم الرسل قد نسب إلى العذراء والرسل لا لأننا نصوم إلى العذراء والرسل، فهذا ما ننكره ونصر على إنكاره، ولكن لأن الأول ينتهى بعيد العذراء والثانى لأن الرسل هم أول من صاموه.

ولطالما يحتج البروتستانت على الصوم فى هذا الإعتراض الواهى، إذ يقولون أننا لا يمكن أن نصوم مثلكم للعذراء والرسل لأنهم بشر مثلنا، ونحن لا نجد فى هذا الإعتراض إلاّ جهلا بالتعاليم المستقيمة التى تعلم بها كنيستنا. فهم لم يدرسوا المسألة إلاّ بنظرة سطحية ومن ثم يحتجون بلا مبرر، وإن كان صوم الرسل معناه أن نصوم للرسل وصوم العذراء أننا نصوم للعذراء، فماذا يكون إذن معنى صوم الميلاد؟ أو الصوم المقدس أو صوم الأربعاء والجمعة، أو صوم يونان أو صوم البرامون، فلا يوجد فى اطلاق أسماء العذراء والرسل على بعض الأصوام ما يتنافى مع الوصية الأولى. وما نقوله عن الأصوام نقوله على أعياد القديسين والملائكة، فنحن نحتفل علاوة على الأربعة عشر عيدا السيدية الكبرى والصغرى بأعياد أخرى للعذراء الطاهرة سبعة أعياد، وأضيف معهم عيد ظهورها فى الزيتون. فى ٢ أبريل أو ٢٤ برمهات. فالأعياد هى دون شك نوع من العبادة يقدم لله تعالى بالتهليل والفرح للرب، نظرا للبركات الوفيرة التى منحها لنا فى مناسبات هذه الأعياد.

هذا فيما يختص بالأعياد السيدية، أما الأعياد الخاصة بالملائكة، عندما نعيد عيد الملاك ١٢ هاتور و١٢ بؤونة أو عيد الملاك جبرائيل ورافائيل أو أعياد القديسين مثلاً، عيد مارجرجس أو عيد مارمينا وهكذا. فالأعياد الأخرى الخاصة بالملائكة أو العذراء والرسل والشهداء فهى ليست عبادة لهم، لا.. حاشا لكنها عبادة مقدمة لله تعالى وليست أسماء الملائكة أو القديسين فى هذه الأعياد إلاّ لذكراهم، والتأمل فى قداستهم وطهارة سيرتهم حتى نتمثل بهم، فيتمجد الله فى أعمالنا كما يتمجد فى أعمالهم.

وإذا كان المسيح له المجد قد أوصى خيرا بالمرأة التى سكبت على رجليه قارورة الطيب، قائلاً الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل فى كل العالم، يخبر أيضاً بما فعلته هذه المرأة إحياءاً لذكرها، فيكون أولى بهذه الذكرى من لم يسكبوا من أجل المسيح طيباً بل دمائهم، بعد أن ذاقوا من أجل اسمه أقسى أنواع العذاب ومعنى ذلك أنه واجب علينا أن نذكر القديسين ولا نشعر أن

هذا يتعارض مع عبادتنا لله، هذا نوع من أنواع الوفاء للذين سكبوا حياتهم من أجل المسيح. وهل يفعل فى أعياد القديسين إلاّ ما أوصى به الرب، فإن تاريخ حياتهم يتلى أمام جمهور المؤمنين فى الكنيسة، وكذلك ننشد بعض الترانيم بهذه المناسبة. ليس فى هذا إلاّ كل خير وبركة فى نفوس العابدين، وإذاً فلسنا فى حاجة إلى القول بأن هذا الأمر لا يتنافى مع الوصية الأولى، بل على العكس أنه ينسجم معها ويؤيدها، الذكصولوجيات التى تقال مثلاً فى صوم الميلاد، فيها تمجيد للعذراء لكن هذا التمجيد لا يتعارض مع عبادتنا لله، إنما نوع من التكريم لوالدة الإله التى لا يوجد أحد مثلهاعلى طول التاريخ، ولا الأباء الرسل الذين خدموا المسيح أعطوا قدر ما أعطت العذراء، حقيقة احتملت كثيرا جداً جداً فهى خادمة سر التجسد رقم واحد بلا منازع، فإكرامنا لها. والذكصولوجيات والتماجيد لا يتعارض مع عبادتنا لله. بالعكس يبرز العبادة لله، لأننا نتغنى بأعمال الله مع هؤلاء القديسين، وهذا يزيدنا تقوى ونحس بأرواحنا فى إنتعاش. فلا يوجد تعارض، بل ليس فى هذا إلاّ كل خير وبركة فى نفوس العابدين، وإذن فلسنا فى حاجة إلى القول بأن هذا الأمر لا يتنافى مع الوصية الأولى بل على العكس أنه ينسجم معها ويؤيدها، لأن المسيح عندما قال: ليرى الناس أعمالكم الصالحة أعقب ذلك بقوله فيمجدوا أباكم الذى فى السموات.

وهكذا يبدوا أمام بعض الناس منافيا للوصية الأولى، ما يقدم لرؤساء الكهنة وأمام صور القديسين من إطلاق البخور والإنحناء أو السجود، ولكن أليس من الحق، قد ننحنى ونسجد أمام الملوك والرؤساء العظماء ونخاطبهم بكلمات الخضوع والخشوع داعين إياهم سادة مبجلين، ومع ذلك لا ننكر إطلاقاً فى أن ما نفعله مع هؤلاء من ضروب السجود والتبجيل يتنافى مع عبادتنا لله. بل إذا اعترض علينا بذلك، أجبنا أن هناك فارقاً ضخماً بين السجود الذى نقدمه للملوك والسجود الذى ندين به لله. فالسجود أمام الملوك والعظماء سجود الإحترام، وهذا يختلف إختلافاً عظيماً عن السجود لله.

ورد فى الكتاب المقدس أن سليمان لما دخلت عليه أمه سجد لها، سجد لأمه وهو الملك، وأجلسها على يمينه قبل أن يجلس هو. هذا أدب وإحترام، إنما لا يتعارض أبداً مع العبادة لله.

فالإنسان منا قد يقول للملك أو للرئيس إنى عبدك، وأقول لله نفس الكلمات بعينها، ومع ذلك فالعبارتان مختلفتان، فالأولى تعبر عن الخضوع والإكرام للرؤساء الذين أمر الله بإكرامهم، الإكرام لمن له الإكرام، أما الثانية فتدل على روح التعبد للخالق العظيم. لا يوجد تعارض أبداً بين السجود لله وإحترام الرؤساء سواء كانوا مدنيين أو روحانيين.

إما إذا قيل أن دانيال رفض السجود أمام الملك، وكذلك مردخاى أمام هامان، وكذلك القديس بطرس الرسول رفض سجود كورنيليوس أمامه، ورفض القديسان بولس وبرنابا تصرف شعب لسترة نحوهما، فالسبب فى كل هذه الأحوال أن هذا السجود فى تلك الحالات كان للعبادة لا للإكرام. وهذا ما حدث عندما ظهر الملاك ليوحنا فى سفر الرؤيا. فيوحنا اعتقد أنه المسيح فسجد له. فقال له: لا تفعل لأنى أنا عبد مثلك. فحاشا لبعض القديسين أن يطيقوا رؤية الناس أن يقدموا لهم أو لغيرهم من البشر سجود العبادة بإعتبارهم آلهة.

فبينما كان يمتنع القديسون عن السجود التعبدى لغير الله، كانوا مع ذلك يسجدون أمام الرؤساء، مثل أبونا إبراهيم سجد أمام أهل الأرض عندما أراد أن يشترى حقل عفرون ليدفن زوجته ساره، طبعاً سجود إحترام. وسجد يعقوب سبع مرات حتى إقترب من أخيه عيسو، هذا بعد مارجع يعقوب بعد أن قضى عشرين سنة بعيداً عن بيت أبوه، وسجد ناثان أيضاً للملك داود وهو نبى، وسليمان الحكيم أمام أمه، إذن ليس فى سجود الإحترام أمام الرؤساء والقديسين أو تقديم البخور أمام صور القديسين ليس فيها ما يتنافى مع الوصية الأولى القائلة لا تجعل لك آلهة أخرى تجاهى.

وعندما يُقبَل الإنسان منا يد الأب والأم والجد والجدة، هذه آداب ونوع من التكريم.

فهذا التعليم يتضمن أن نحب الله حباً فائقاً لا يجانبه حبا، وأن نتكل عليه وحده دون سواه بكل قلوبنا، وأن نتخذه المعبود الوحيد الذى نلتجأ إليه بصلواتنا وأصوامنا وصدقاتنا. وأن لا نلجأ إلى غيره بسؤال أو طلب ولا نلتمس عن طريق آخر معرفة الأمور المستقبلة. فالبشر فى كل العصور لجأوا إلى طرق كثيرة معوجة، إلتمسوا منها المعرفة، منهم من اعتمد على قوة الشيطان، ومنهم من إعتمد على نظريات علمية، ومنهم من اعتمد على من ليس لهم نصيب فى هذا أو ذاك بل هو مجرد محض إدعاء وكذب وإفتراء. ولا نستطيع أن نضيف إلى ما تقدم تعليماً جديداً يتضمنه هذا التعليم، الذى نستفيد من قوله تعالى «لا يكن لك آلهة أخرى أمامى».

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسوعة الأنبا غريغوريوس

٢- اللاهـــوت الأدبى

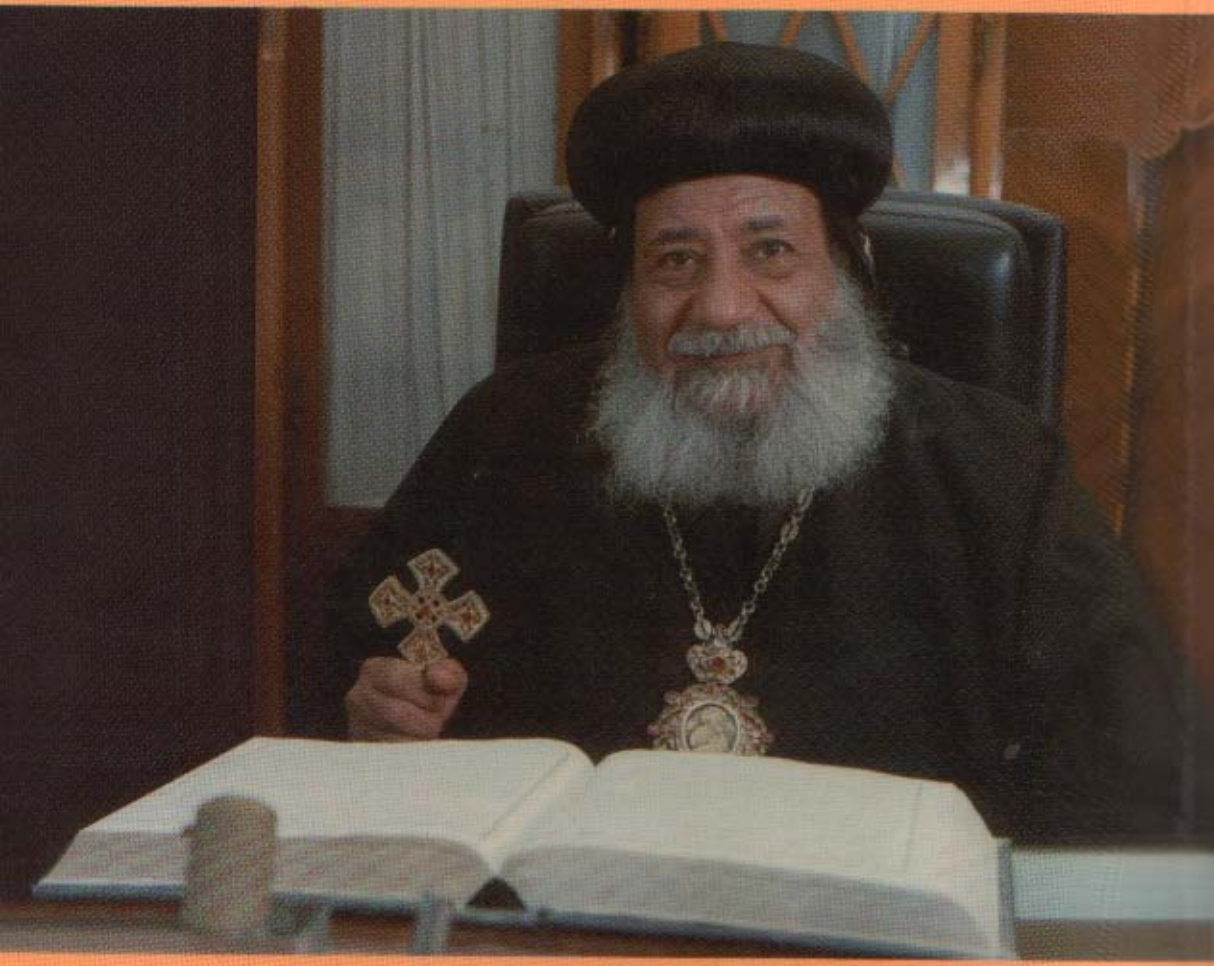

للمتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

موضوعات

وإجابات على أسئلة

١ ـ شريعة الله الأدبية

خلق الله البشر جميعا مزودين بشريعة طبيعية مطبوعة على قلوبهم، يميزون بها بين الخير والشر، شريعة تأمرهم بالخير وتنهاهم عن الشر، شريعة تفرز فى أعماقهم أفعالاً يمدحونها عن أفعال أخرى يذمونها، أفعالا يمجدونها عن أفعال يحتقرونها، أفعالا يحبونها فى نفوسهم وفى الأغيار، عن أفعال يكرهونها ويستقبحونها فى نفوسهم وفى الأغيار، أفعالاً يشعرون فى دواخلهم أنه يجب عليهم ويليق بهم أن يعملوها، فإذا عملوها رضوا عن أنفسهم، عن أفعال يشعرون فى دواخلهم أنه يجب عليهم ويليق بهم أن يتجنبوها ويمتنعوا عنها، فإذا صنعوها لاموا أنفسهم واحتقروا ذواتهم.

هذه الشريعة الأدبية، والإلهية، والطبيعية، والمغروزة والمغروسة فى قلوب الناس وفى دواخلهم، والتى يجدونها فى أنفسهم منذ بدء عهدهم بالحياة، خلْقيا وتلقائيا وبديهيا، ولا يتلقونها من الوالدين أو من المعلمين، لعلها من الشجرة التى وصفها الكتاب المقدس أنها «شجرة معرفة الخير والشر» (التكوين ٢ : ٩، ١٧)

أفهلا نفهم من هذا أن الإنسان قبل أن يأكل من الثمرة المنهىّ عنها كان لا يعرف الشر، لأن فكره كان طاهراً ومقدساً، وكان يفعل الخير بطبيعته دون أن يعرف له ضداً ونقيضاً، وأنه كان يعرف غايته ويتجه إليها بأفعاله ولم يعرف أن ينحرف عنها أو كيف ينحرف عنها، فلما أكل من الثمرة المنهىّ عنها عرف الفرق بين الإستقامة والعوج، بين الخير وضدّه، مثله فى ذلك مثل طفل برئ فى المرحلة الأولية من حياته، يتصرف تلقائيا وغريزيا ولا يعرف للشر معنى، لا بالنية ولا بالتصور... أى أن آدم الإنسان الأول كان طاهرا ونقيا فى فكره وجسمه، فى عقله وبدنه، فى روحه وفى جسده، ولم يعرف الشر ولا كان للشر فيه مدخل لا بالنية ولا بالتصور (التكوين ٦ : ٥)، ولكنه كان كله خيراً، وكله طهراً، وكله قداسة، وكله نقاء، وكانت شحنة الخير فيه تملأ كل كيانه وتفيض عنه، فلم يكن للشر من سبيل إليه ولا منفذ لديه.

فلما أكل من الثمرة المنهى عنها، بردت حميته، وإنطفأت شعلته، وخمدت شحنته، فاقتحم الشر مجاله، ووجد سبيله إليه، ومنذ تلك اللحظة عرف أن هناك شراً إلى جانب الخير، وصار أمامه وفى حضرته، وفى كيانه، شيئان متميزان، ضدان أو متناقضان، فتنبه إلى مفترق بين طريقين، وكان مضطراً أن يتفكر، وأن يتعقل، وأن يتبصّر، وأن يدرك الفرق بينهما، ثم لم يلبث أن وجد لكل طريق ما يبرره، وصار لكل طريق إغراءاته وجاذبياته، وبالتالى عرف معنى الحيرة فى المفاضلة بين طريق وطريق، ودخل، أو أدخل نفسه، فى حرب وصراع ونزاع وقتال،

وصار عليه أن يختار، وأن يتحمل مسئولية إختياره. فاكتشف أنه حرّ، وأنه كائن مريد، وأن مناط أمره بيده، وأنه صانع القرار، وصانع المصير.

وإذن فبالأكل من الثمرة المنهّى عنها، إنتقل الإنسان إلى مرحلة أخرى مغايرة. وبعبارة أخرى كان الأكل من الثمرة المنهىّ عنها نقطة تحوّل فى حياة الإنسان الأول، فقد كان أولاً يعمل الخير ولا يعرف الشر، فكان يتصرف بتلقائية خيّرة، والخير يملأ كل حياته، ويتدفق منه كما يتدفق الماء سيلا جارفاً لا يعرف له ضدا أو نقيض أو مقاومة. أما بعد الأكل من الثمرة المحرمة فقد صار شيئا آخر. لقد توقف السيل، وظهر لتيار الماء تيار آخر مضاد، وتحوّل بذلك السيل إلى دوامة، وصار آدم فى عمق هذه الدوامة يتجاذبه تياران متعارضان، ومع كل تيار قوىّ إنبثقت تيارات أخرى ضعيفة لم تلبث أن إنتظمت فى صفين متعارضين، فى إتجاهات بعضها رأسى وبعضها أفقى، وبعضها فيما بين الإثنين، فتشعبت أمام آدم الطرق، ووقع فريسة لجاذبيات مختلفة غير متساوية، وبذلك دخل العذاب إلى نفسه، والشقاء إلى قلبه، والتعاسة إلى حسّه، ولم يعد ذلك السعيد السائر فى اتجاه واحد دافق، وإنما استحال إلى مخلوق تعيس، منقسم مفتت، نفسه مبعثرة، وذاته متناثرة إلى أشلاء.

عرف الإنسان إذن الشر كما عرف الخير، وانفتحت عيناه على الفرق بينهما، وصار «عارفاً الخير والشر» (التكوين ٣: ٥)

هذه المعرفة، «معرفة الخير والشر»، تولدت فى الإنسان الأول، بعد أن أكل من الثمرة المنهىّ عنها، ولكنها، صارت بفضل الله، خيراً نسبياً له بالنظر إلى حالته الجديدة التى أمسى فيها، لأنها أصبحت له القبس الضئيل، البديل عن النور الأصيل، به يمكنه أن يعرف التعارض والإختلاف، وإن كان متروكا له أن يصنع القرار بالإختيار، بفعل من إرادته الحرّة. وهذا هو الضمير.

٢ - سيناء الباطنية

أول وصية أمر الله بها «أنا هو الرب إلهك... لا يكن لك آلهة أخرى تجاهى» (سفر الخروج٢٠: ٢، ٣). وقد كانت هى الوصية الأولى من الوصايا العشر التى وهبها الله للناس على يد نبيه الكليم موسى العظيم ورئيس الأنبياء، مكتوبة على لوحين من حجر، عرفا دائماً باسم «لوحى العهد» (التثنية ٩: ٩)، (العبرانيين ٩: ٩) لأن عليها كتب الله عهده المقدس وسجّله على الحجر عهدا أبديا لا يمحى.

والحق أن الوصايا العشر جميعها لم تكن جديدة فى مضمونها العام، على ضمير الإنسان، فقد عرفها الإنسان منذ الإبتداء، وعاش آدم وبنوه من بعده، من قبل النبى موسى، مئات السنين، تحكمهم شريعة إلهية غير مكتوبة بقلم على ألواح من حجر، لكنها مطبوعة فى قلوبهم فيما يعرف بالشريعة الطبيعية، أو الضمير. وبموجب هذه الشريعة الطبيعية، المغروزة فى قلب كل بشر، يميز الإنسان تلقائيا بين الخير والشر، ويدرك بحاسة مطبوعة فيه أن هناك خيرا، وأن هناك شراً، ويدرك بشعور باطنى أن الخير جميل يجب عليه أن يصنعه، وأن الشر ردئ يجب عليه أن يتجنبه. فإن صنع الخير رضى عن نفسه، وإن صنع الشر حزن وندم، وأنحى على نفسه باللائمة، وهو ما يعرف بتبكيت الضمير.

والضمير فى لغة العرب، من فعل (أضمر، يضمر) أى أخفى يخفى، أو أبطن يبطن. فالضمير إذن (معرفة الخير والشر)، معرفة طبيعية تلقائية لا يتلقنها الإنسان من أب أو أم ولا من معلم أو مرشد، وإنما هو حاسة أخلاقية طبيعية بها يميز الإنسان بين الخير والشر، كما يميز بحاسة النظر بين الألوان، وبحاسة السمع بين الأصوات، وبحاسة الشم بين الروائح، وبحاسة الذوق بين الطعوم، وبحاسة اللمس بين الأجسام. لكن الضمير ليس هو مجرد حاسة معرفة للخير والشر، وإنما هو بالإضافة إلى ذلك، محكمة باطنية تصدر على الإنسان نفسه حكما له أو عليه، فإذا هو أحسن الفعل مدحه وأثنى عليه، وإذا هو أساء الفعل ذمّه وأدانه.

وفى اللغة اليونانية Syneidesis وفى اللاتينية Conscientia - وفى الإنجليزية والفرنسية وغيرها من اللغات الأوربية يسمّى الضمير Conscience أى المعرفة العامة المشتركة عند جميع الناس، بالخير والشر. على أن هذه المعرفة المشتركة بين الناس جميعا على إختلاف أجناسهم وألوانهم وأزمانهم ليست مجرد معرفة عقلية نظرية، ولكنها مصحوبة بحاسة وجدانية شعورية، تشتمل على الرضى والإرتياح إذا كان الفعل خيراً، كما تشتمل على عدم الإرتياح إذا كان الفعل شرا، وفضلاً عن ذلك، فتلك المعرفة الوجدانية لها جانب نزوعى يأمر ويحكم، فيأمر بالخير

وينهى عن الشر بسلطان أعلى من الذات، وأعلى من العقل، فإذا صنع الإنسان الفعل، أصدر الضمير حكمه على الفاعل بالثواب أو بالعقاب. فالضمير إذن ليس مجرد حاسة بموجبها يميز الإنسان بين الخير والشر بمعرفة عقلية، لكنه كذلك محكمة باطنية ذات سلطان فى إصدار الأحكام على الإنسان، بأنه أصاب أو أخطأ، فإذا أصاب فهو مستحق للثواب، وإذا أخطأ فهو مستحق للعقاب.

هذا الضمير هو ما يسميه علماء الأخلاق بالحاسة الأخلاقية. لكنّ كانط KANT الفيلسوف الألمانى - ويسمونه فى تاريخ الفلسفة بقطب الفلسفة الحديثة فى مقابل أرسطو قطب الفلسفة اليونانية القديمة - يقول إن العقل عند الإنسان عقلان: عقل نظرى، وعقل عملى، أو بالأحرى هو عقل واحد له جانبان: فإذا تناول النظر فى الحسابيات والهندسيات والطبيعيات وما إليها فهو العقل النظرى، أما إذا تناول أمور الأخلاق وشئون السلوك الإنسانى من خير ومن شر فهو العقل العملى. وعلى ذلك فما يسميه علماء الأخلاق بالضمير، يسميه كانط بالعقل العملى.

والفرق بين العقل النظرى والعقل العملى (أو الضمير) يبدو واضحاً حينما تعرض على إنسان فقير فرصة مواتية يمكنه فيها أن يسرق ليصير غنياً دون أن يراه أحد، فيقع فى صراع. فعقله النظرى يفتيه بأن الغنى أفضل من الفقر، بينما الضمير أو العقل العملى ينذره بأن الفقر مع الشرف أفضل من الغنى مع السرقة، فيؤثر أن يبقى فقيراً نبيلا شريفا أمينا على أن يمسى لصاً غنياً، وكما يقول شكسبير على لسان هاملت: إن ضمائرنا تجعلنا جبناء. وليس قوله هذا قدحا أو ذما للضمير، لكنه على العكس بيان لأخلاقية الضمير الذى يشكم الإنسان عن فعل أشياء يراها بعقله النظرى مقبولة مساغة، فيها كسب مادىّ أو نفع جسدى أو تحقيق لرغبة أو شهوة أو نزوة من نزوات النفس الحيوانية.

هذا الضمير أو العقل العملى أو الحاسة الأخلاقية موجود فى كل إنسان من دون إستثناء، سواء كان متحضرا أو متأخرا، سواء تلقى تعليما من الوالدين والمعلمين، أو لم يتلق من التعليم شيئا، ولهذا لم تخل منه لغة من اللغات الحديثة أو القديمة.. هو شريعة الإنسان الأدبية الباطنية التى تحكم أقواله وأفكاره وأفعاله، وكأنها جبل سيناء فى قلبه، من فوقه يسمع صوتا أعلى من ذاته، وأسمى من نفسه وفكره وعقله، يكلمه بسلطان هو من سلطان الله خالقه، ولذلك يمكن أن يسّمى الضمير أحيانا باسم (سيناء الباطنية).

هذا الصوت الداخلى يأمر الإنسان بعبادة الإله، واحترامه واحترام وصاياه، وأن لا يحلف باسمه كاذباً، وأن يحترم والديه ويكرمهما، وينهاه عن القتل، والسرقة، والزنى والفسق، والكذب، والخيانة وسلب ما للغير وما إلى ذلك من أفعال شر تضر بالقريب.

ويبدو أن الإنسان أهمل الحاسة الأخلاقية فضعفت فيه، ولم تعد فى وضوحها وقوتها كما كانت أولا، فرأى الله أن يجدد العهد بها، ويؤكد عليها، ويذكر الإنسان بها، ويرده إلى العمل بها، فأمرَ عبده موسى بأن يتلقاها من جديد مكتوبة بأصبع الله على حجر (الخروج ٢٤: ١٢)، (٣١: ١٨)، (٣٢: ١٥، ١٦)، (٣٤: ١)، وبالملائكة عن يد وسيط (غلاطية ٣: ١٩)

ليست إذن شريعة موسى فى الوصايا العشر، هى من وضع النبى موسى، بل هى وصايا الله إليه وإلى جميع الناس.. تلقاها موسى على الجبل رسالة يبلغها إلى الناس. وليس له فضل فيها إلا فضل النبى الأمين، الذى أكرمه الله بأن جعله رسولاً إلى الناس يسمع القول من الله ويبلغه إلى الناس، فهو نبّى ووسيط، وفى هذا شرفه وكرامته وإمتيازه على الناس جميعاً، علما بأن الله يختار أنبياءه ورسله من أفضل خلقه، عبادة وتقوى وأمانة، وأصدقهم حساً، وأكثرهم لياقة بمهمتهم السامية، ورسالتهم العالية.

قال الله تعالى على اللوح الأول (سفر الخروج ٢٠: ١ ـ ١١).

١ ـ أنا هو الرب إلهك... لا يكن لك آلهة أخرى تجاهى.

٢ ـ لا تصنع لك تمثالاً منحوتا ولا صنماً، صورة شئ مما فى السماء من فوق ولا مما فى الأرض من أسفل ولا مما فى المياه من تحت الأرض. لا تسجد لهنّ ولا تعبدهن. لأنى أنا الرب إلهك إله غيور، أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع من مبغضى، واصنع رحمة إلى ألوف من محبىّ وحافظى وصاياى.

٣ ـ لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً، لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا.

٤ ـ أذكر يوم السبت (الراحة) لتقدّسه. فى ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك. لا تصنع فيه عملاً ما لك أنت وإبنك وإبنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذى فى داخل أبوابك، لأن الرب فى ستة أيام صنع السماوات والأرض والبحر وجميع ما فيها. وفى اليوم السابع استراح. ولذلك بارك الرب يوم السبت وقدّسه.

وقال الله على اللوح الثانى (سفر الخروج ٢٠: ١٢ ـ ١٧)

٥ ـ أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك.

٦ ـ لا تقتل.

٧ ـ لا تزنِ.

٨ ـ لا تسرق.

٩ ـ لا تشهد على قريبك شهادة زور.

١٠ ـ لا تشته بيت قريبك. لا تشته إمرأة قريبك، ولا عبده ولا أمته، ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك.

٣ - شريعة سيناء

عندما خلق الله الإنسان، خلقه على صورته ومثاله، فكان فى أحسن صورة، وأكمل تكوين روحانى، وأجمل صفاء نفسى، وأرقى إدراك ذهنى وعقلى، وكان يعرف الخير، ولا يعرف الشر. كان ذهنه يعرف الغاية من وجوده، وكان هو بكل كيانه يعمل نحو التحقق بهذه الغاية. كان سعيدا السعادة كلها، وكان كل كيانه منتشيا بهذه السعادة. كانت نفسه وحدة واحدة، وكل قدراته تعمل معاً فى تمام التوافق والإنسجام، ولم يكن بينها إنقسام. كان يعمل الخير وحده، والبّر وحده، والصالح وحده، كان ملاكا طاهرا روحاً وجسداً، وكان جسده مطيعا لروحه، وفى تعاون وإنسجام معها، كان الجسد فيه مع الروح طبيعة واحدة، ومشيئة واحدة. ولم يكن يدرى أن له ميولاً هيولية، أو رغبات ترابية، أو شهوات حسية، أو نزوات مادية أو أهواء أرضية، ولم يكن يعرف الشر لأنه كان فى قداسة الملائكة الصالحين، وفى براءة الأطفال الطاهرين (التثنية ١ : ٣٩) كان له إتجاه واحد، إتجاه الخير الذى خلق فيه، وخلق من أجله.

كان آدم، أو الإنسان الأول، يحيا (فى الروح) (سفر الرؤيا ١ : ١٠) مع إنه أيضا كان فى الجسد، لكنه كقول القديس بولس الرسول «أعرف إنسانا فى المسيح... أفى الجسد، لست أعلم، أم خارج الجسد، لست أعلم، الله يعلم...» (٢ . كورنثوس ١٢ : ٢، ٣)

فلما خالف آدم ربه، وأكل من ثمر الشجرة المنهّى عنها، عرف الشر، وأمسى «عارفاً الخير والشر» (التكوين ٥، ٢٢) . ولذلك كانت الشجرة التى أكل منها تسمّى «الشجرة التى فى وسط الجنة» (التكوين ٣ : ٣) فلما أكل منها صارت تعرف «بشجرة معرفة الخير والشر» (التكوين٢ : ٩، ١٧)

إن من رحمة الله بالإنسان أنه عندما خالف ربه لم يتركه فى الضياع والضلال، بل جعل له الشر خيراً، وعّوضه عما فقده من النور العظيم بنور المعرفة الضئيل، وصار له فى باطنه (الضمير) يرشده إلى الخير، وينهاه عن الشر، ويحذره منه. وللضمير سلطان على النفس البشرية بحيث لا يملك الإنسان إسكاته

ومع ذلك، ومع إزدياد خبرة الإنسان، أمكنه على نوع ما، أن يتذرع بالحيلة والدهاء على تخدير الضمير، وذلك بإلباس الخطيئة لباس الفضيلة حتى لا يتنبه الضمير فيقرّع الإنسان عليها. وقد لعب (العقل) دورا بارعاً فى هذا السبيل، فكان يصور (الغش) أحيانا على أنه إغاثة للملهوف، (والكذب) على أنه نجدة لضعيف لخلاصه من عدو شرير، (والرشوة) على أنها هدية، (والغضب) على أنه نصرة للحق ودفاع عن المظلوم، (والزنى) على أنه لمسة حنان أو

حب، أو عطف، أو رغبة فى الإنسال والذرية.... وهكذا... وشيئا فشيئا صار الإنسان يستمرئ الخطيئة ويعطف عليها، ويستسيغها ويجد لها تبريرا يقبله العقل، وشيئا فشيئا، ومع ما للخطيئة من إغراءاتها وجاذبياتها، إنحاز العقل إليها، وصار بذكائه ينتحل لها الأعذار، ويدافع عنها.

وتقلص عمل الضمير، بتضليل العقل له، وتفتيقه بالذكاء، أسبابا قادرة على أن تخدر الضمير، فلا يثور لها، ولا يستيقظ من أجلها، فيخمد أو يتجمد أو يتخدر، ويصمت، أو ينام، فلا يقاوم الخطيئة، بل يدعها تمر دون أن يمنعها

ورأى الله ما صنعه العقل بالإنسان، وكيف أنه استطاع أن يفسد الضمير أو يتلفه، ولئن كان لم يقتله تماما فى جميع الناس، لكنه تمكن على الأقل من أن يضعف شوكته، ويفسد أحكامه. فلم يعد ذلك الحكَم الفيصل المعصوم من الخطأ. ونتيجة لذلك فسد الإنسان «فقال الرب لا يدين روحى فى الإنسان إلى الأبد لزيغانه، هو بشر... ورأى الرب أن شرّ الإنسان قد كثر فى الأرض، وأن كل تصوّر أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض، وتأسف فى قلبه. فقال الرب أمحو الإنسان الذى خلقته عن وجه الأرض، الإنسان مع البهائم والدبابات وطيور السماء، لأنى حزنت على خلقى لهم» (التكوين ٦: ٣ - ٧)

إذن فما دام ضمير الإنسان قد فسد، ولم يعد معصوماً من الخطأ، وأمسى قابلاً للضعف والتخدر، وإساغة الخطيئة وتبريرها، ولم تبق له حدته وشدته وقوته... فقد صارت الحاجة ماسة إلى شريعة أخرى مكتوبة على ألواح حجرية، لا تقبل المحو.

«وقال الرب لموسى: اصعد إليّ إلى الجبل، وأقم هناك، حتى أعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى كتبتها لتعليمهم» (الخروج ٢٤: ١٢) «ولما فرغ من مخاطبة موسى على طور سيناء رفع إليه لوحى الشهادة، لوحين من حجر، مكتوبين باصبع الله» (الخروج ٣١: ١٨) «واللوحان هما صنعة الله، والكتابة هى كتابة الله منقوشة على اللوحين» (الخروج ٣٢: ١٦) «فكتب على اللوحين كلمات العهد، الكلمات العشر» (الخروج ٣٤: ٢٨)

تلكم هى الوصايا العشر كتبها الله بنفسه على لوحين من الحجر، وسلمهما لموسى النبى، لتكون شريعة مكتوبة، منقوشة لا يملك الإنسان أن يغيرها أو يبدلها أو يعدّلها أو يمحوها، ولا يستطيع بذكائه أن يحتال عليها، فيحرفها بالتأويل المعوج والتفسير الخاطئ، مدفوعا بالهوى الفاسد، والنية الشريرة، والقصد الأثيم.

قال القديس يوحنا ذهبى الفم «إن الله تعالى قد تقدم فى إبتداء خلقة العالم، ورسم فى قلوب بنى البشر، ناموسا طبيعيا، أى نورا ومعرفة ترشد الإنسان إلى ما ينبغى له فعله. ولكن لما رأى

الله تعالى أن كثرة الخطايا والإدمان عليها، قد أبطلا من قلوب البشر تلك السُنّة الطبيعية، التى بها كانوا يهتدون إلى معرفة الخير وتمييز الشر، شاء بجودته غير المتناهية، أن يمنحهم شريعة مكتتبة، لكى يجدد بها رسم الناموس الطبيعى فى قلوبهم».

فشريعة سيناء، أو كما تسّمى أحيانا «شريعة موسى» ليست فى الواقع شريعة جديدة. إنها بعينها شريعة الضمير، أو الشريعة الطبيعية المرسومة طبيعيا على قلب الإنسان منذ الإبتداء، وبها عرف الخير والشر، وميز بينهما... ولكن بسبب فساد البشر، وتحايلهم ودهائهم، أفسدوها وأتلفوها، وأفقدوها حدتها وقوتها، فأراد الله أن يبرزها من جديد فى صورة لا تقبل المحو. هى نسخة أخرى من تلك النسخة التى بهتت وتلفت، وامّحت بعض حروفها، نسخة ظاهرة واضحة يمكن، بالرجوع والإحتكام إليها، أن نصحح من أخطاء النسخة الأولى وما اعتورها مع الأيام من تلف أو محو أو ضعف.

هذه الشريعة الموسوية، شريعة سيناء، أو الشريعة التى تلقاها النبى موسى على جبل سيناء على لوحين من الحجر، اشتملت على عشر وصايا، أربع منها تنظم علاقة الإنسان بالله تعالى، وهى وصايا اللوح الأول، وست منها تنظم علاقة الإنسان بغيره من الناس، وهى وصايا اللوح الثانى. واللوحان عرفا بأنهما «لوحا العهد» (التثنية ٩ : ٩)، (العبرانيين ٩ : ٤).

٤ ـ أنا هو الرب إلهك

يبدأ الرب الإله فى الوصية الأولى من الوصايا العشر بأن يعرف ذاته لشعبه، وللمؤمنين به، ولكل من ارتضى أن يتأدب بآدابه، ويتعلم شريعته، ويحفظ وصاياه .... بهذه الكلمات القدسية جعل الرب بداءة وصاياه العشر، ناطقة بالتعريف بشخصه الإلهى بوصفه واضع الشريعة، ومؤسسها، والمعلن بها..

«أنا هو الرب إلهك».. أنا هو المتكلم، والموصى، والمعلّم، والآمر الناهى.. أنا هو صاحب الشريعة،... الشريعة شريعتى.. وليست شريعة موسى نبيى الذى أرسلته بها.. فليس موسى **إلاّ** رسولا من قبلى، لكنه ليس هو صاحب الشريعة... هو حامل الرسالة، أما أنا فصاحب الرسالة... موسى هو الرسول، أما أنا فإنى المرسل... أنا هو الرب.. أما موسى فهو العبد... أنا هو **الخالق** لموسى وغير موسى... أما موسى فهو المخلوق الذى أرسلته ليحمل رسالتى التى أمرته بتوصيلها لشعبى وللناس أجمعين..

وقد كان من المهم أن يعلن الرب عن ذاته فى مطلع الوصية الأولى من الوصايا العشر، أنه هو المتكلم بذاته... وأن الوصية وصيته هو... والكلام هو منشئه.. والأمر هو أمره... وليس هو أمر موسى الكليم... حتى يتبين الناس قمة الأهمية فى الوصية... فيقبلونها بالإحترام والطاعة والتقديس والتهيب والإجلال وغيرها من واجبات العبادة للذات الإلهية، طالما أن الله هو المتكلم بذاته... وليس من شك فى أن هناك فارقا كبيرا بين أن يكون الله هو الموصى والآمر... وبين أن يكون أحد من الناس، ولو كان نبيا لله...

«أنا هو الرب إلهك...» جميل أن الرب الإله يتكلم عن نفسه ويصف ذاته بقوله «أنا».. معلنا أنه «ذات» وأنه «شخص» وأنه «كيان واحد أحد»... كيان مفرد متفرد... ومن هذا يتضح أن «القوة العليا» المهيمنة على الكون وكل الوجود... «ذات» و«ذات مشخصة»... وليست غموضا تائها ضائعا فى الوجود كما هى عند البعض... وليست كما يزعم فلاسفة (وحدة الوجود) أن الله فى الكون، والكون فى الله، شئ واحد... أو كما يقول أصحاب مذهب (الصدور) أن الكون صدر عن الله لا بالخلق، بل بالتمدد... فالله تمدّد، وبفضل هذا التمدد كان الكون... وأنه لابدّ فى النهاية من أن يتراجع الكون، ويتقلص ويدخل فى الله بالكيفية التى خرج بها منه أو صدر عنه...

إن الكتاب المقدس يعلمنا أن الله «ذات»... و «الذات الإلهية» متفرده... وأن الله ليس كمثله شئ... وأن الكون وكل الوجود مخلوق من الله... فليس الإنسان صادرا عن الله، كما لو كان قطعة من كيانه وطبيعته... وإنما الله أوجد الإنسان بفعل (الخلق) لا بفعل (الصدور)... فالإنسان

لم يكن موجودا مع الله منذ الأزل... ثم شاء الله أن (يخلق) الإنسان، فأنشأه وأوجده، ومنحه الوجود... وكما ورد فى القداس الإلهى «مما لم يكن كونت الإنسان» فالله هو الكائن الأول، وهو (الواجب الوجود)، و(العلة الأولى)، ولم يكن إنسان أو كائن ما موجودا مع الله... ثم فى الزمان الذى أراده الله.. شاء أن يخلق الإنسان، فخلقه، لا بالتمدد، ولا بالصدور، ولا بالإنبثاق عنه... بل خلقه بفعل (الخلق)... أى أن الإنسان لم يكن موجودا منذ الأزل.. ثم أوجده الله فى الزمان... وإذن فالله ليس مجرد (صانع) للعالم كما قال أفلاطون، بل هو (خالق)... والفرق بين الصانع والخالق، هو أن الصانع يصنع من مادة موجودة وجودا سابقا على عملية الصنع.. أما الخالق فهو الذى ينشئ من العدم... أى من لا شئ..

«أنا هو الرب إلهك»... ثم أن قوله تعالى (أنا) يشير به إلى تفرده، وإلى وحدانيته.. نعم أن الله هنا يعلن عن وحدانيته... وهذه هى الحقيقة العظمى عن الله... أنه واحد، لا شريك له... وأنه ليس هناك إله آخر يتقاسم معه الوجود.. إنما الله هو الكائن الواحد الأحد..

«إننى أنا هو، ولا إله معى» (التثنية ٣٢: ٣٩) «أنا الأول، وأنا الآخر، ولا إله غيرى» (أشعياء ٤٤: ٦)، «أنا الرب، وليس آخر، ولا إله سواى» (أشعياء ٤٥: ٥)، «أنا الرب، ولا إله غيرى... ليس سواى» (أشعياء ٤٥: ٢١) «فإنى أنا الله وليس آخر، أنا الإله، وليس مثلى» (إشعياء ٤٦: ٩)، «لا إله غير واحد» (١. كورنثوس ٨: ٤).

«أنا هو الرب إلهك»... وقوله «هو» ليس مجرد تعريف بذاته، لكنه بقوله «أنا هو» يشير إلى أنه (الكائن دائما) وبإستمرار.. (هو) ضمير يدل على الكينونة الدائمة، وبالتالى على أنه (الدائم)... أو «الذى هو كائن، وكان، ويأتى» (الرؤيا ١: ٤، ٨)، (٤: ٨)، (١١: ١٧)، (١٦: ٥) أى الكائن الآن، والكائن فى الماضى، والكائن فى المستقبل، أو كما جاء فى القداس الإلهى «أيها الكائن الذى كان، والدائم إلى الأبد» إى إنه بعبارة موجزة أنه (الأزلى الأبدى) أو (السرمدى) أو (السرمد)

«أنا هو الرب إلهك»... وأما قوله «أنا هو الرب» فمعناه أنى أنا (السيد) وليس غيرى.. أنا ربّك، وسيّدك، وخالقك... أنا رب نعمتك، وصاحب الفضل فى وجودك،.. وأنا سيّدك، وحاكمك... لولاى لما كنت أنت.. فأنا خالقك وصانعك،.. وبيدى نسمة أنفك.. أنا أحييك وأميتك... وأنا المهيمن على كيانك....

على أن مقالة «الرب» هنا، هى الترجمة العربية لاسم صاحب الجلالة الإلهية «يهوه» وهو الإسم المشخص الذى أعلنه الرب أول ما أعلنه لموسى النبى فى العليقة، عندما سأل النبى موسى

الله عن أسمه «قال موسى لله: ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل، فأقول لهم: إله أبائكم أرسلنى إليكم- فإن قالوا لى: ما أسمه، فماذا أقول لهم؟... فقال الله لموسى: هكذا تقول لبنى إسرائيل يهوه إله أبائكم... أرسلنى إليكم. هذا اسمى إلى الأبد» (الخروج ٣: ١٣ - ١٥) وقال النبى فى المزمور «إنك اسمك يهوه وحدك» (مزمور ٨٢: ١٨).

وأما «يهوه» بالعبرانية فمعناه «الكائن دائما» أو «الدائم» أى أنه الكائن منذ الأزل، وإلى الأبد... أى «الأزلى الأبدى».

وعلى ذلك فكلما وردت كلمة «الرب» فى الكتاب المقدس، فى ترجمته العربية، فالمقابل العبرانى لها هو «يهوه» أى «الدائم» أو «الأزلى الأبدى» وفى الترجمة الفرنسية يقابلها (L'ETERNEL). أى الأزلى الأبدى أو السرمد.

«أنا هو الرب إلهك»... أما قوله تعالى «أنا... إلهك» فهو «تخصيص» بعد التعميم... بمعنى أننى لست فقط ربا وسيدا للعالم وللكون ولكل الوجود... إنما أيضا أنا إلهك أنت... هناك رباط ورابطة بينى أنا الله، وبينك أنت... فأنا لك، وأنت لى.. إنى أريدك أن تكون لى.. وأن تعرف أنك أنت لى.. لا يكفى أن تعترف بى كإله للكون، وسيّد للطبيعة، وخالق للوجود،... وإنما أريدك أن تدرك أننى إلهك أنت بالتخصيص.. فبينى وبينك علاقة خاصة.. اسمى يدعى عليك... وأنت منسوب إلىّ..

فى مبدأ الأمر، حيث أعطيت الوصية لموسى النبى ولبنى إسرائيل... كان قول الله «أنا هو الرب إلهك...» تعنى أن الله إختار بنى إسرائيل لينالوا شرف إنتسابهم إلى الله تعالى، كأنهم الشعب المختار... غير أن العبارة تمتد إلى ما هو أوسع نطاقا من بنى إسرائيل... وبخاصة بعد أن تمرد بنو إسرائيل على الله، وصاروا عبيدا عاقين.. فلم يعد بنو إسرائيل هم أولاده بالجسد (رومية ٩: ٤، ٥) بل صار بنو إسرائيل هم أولاده بالروح. قال الكتاب المقدس «فليس اليهودى من كان يهوديا فى الظاهر،.... ولكن اليهودى من كان يهوديا فى الباطن، والختان هو ختان القلب بالروح... ومدحه ليس من الناس بل من الله» (رومية ٢: ٢٨، ٢٩) ولم يعد إسرائيل فى العهد الجديد (العبرانيين ٨: ٨) هو إسرائيل بمعناه العنصرى القديم (١. كونثوس ١٠: ١٨) من حيث هم جنس ولون، ولكنه شعب الله المؤمنون به من كل أمة وشعب وجنس ولسان. فإسرائيل الجديد هو (الكنيسة الجامعة الرسولية) بكل ما تضمه «جامعة الإيمان المسيحى» من شعوب وأمم وأجناس...

٥ ـ أنا هو الرب إلهك (٢)

أنا هو الرب إلهك، وليس غيرى إله... إنى أُعرِّفك بذاتى لأنك جاهل وغفول.. لئلا تتخذ لك إلها آخر، أو تتردد بين آلهة أخرى متعددة، فتضل وتضرب فى الضلال بعيدا إن لم أنبهك... إن لم أذكرك، فإنك إنسان كثير النسيان.

إن هذه الوصية الأولى من الوصايا العشر، أعطيت أول ما أعطيت، وبهذه الصياغة، إلى بنى إسرائيل، وكانت هى على رأس جميع الوصايا، وهى مطلع وصايا اللوح الأول من لوحى العهد...

وعلى الرغم من أن بنى إسرائيل، هم أبناء إبراهيم الذى اصطفاه الله من بين جميع أهله وعشيرته، وأمره أن يعتزلهم، ويترك مقامه بينهم ويرحل بعيدا عنهم إلى مكان قصىّ، ويحيا فيه حياة غربة، ساكنا فى خيام... على الرغم من أن بنى إسرائيل، وهم بنو إبرهيم، قد رعاهم الله وشملهم بعناية خاصة، وجعلهم شعبه المختار وجعل اسمه عليهم، وصنع معهم معجزات كثيرة، برهن لهم بها على أنه الإله الواحد وحده وليس غيره إله، وأنه وحده القادر على كل شئ، وأنه صانع الخيرات، الإله كلىّ الجودة والخيّرية، الكامل، والرحيم، والعادل، والحق، والقوى، والجبار، والقدوس، وأنه الأزلى الأبدى السرمدى، وأنه الملك والمالك لكل الوجود، والخالق والصانع، والحافظ والمعتنى والراعى، والساهر الذى لا ينام، وأن شيئا ما لا يحدث على الأرض وفى كل الكون، من غير علمه، ومن غير إذنه... نقول على الرغم من أن الله كشف لبنى اسرائيل خصوصا عن ذاته وعن صفاته، وبرهن لهم على قوته وإقتداره، وأنه واجب الوجود، وكلى العدل وكلى القداسة... إلاّ إنهم نسوه، ونسوا صفاته، ونسوا وصاياه... وعن هذا عاتبهم مرارا وتكرارا... واشتد عتابه عليهم... فأمسى غضبا وسخطا ورجزا... وكان لابّد أخيرا أن ينذر بعقاب شديد...

جاء في سفر التثنية من أسفار التوراه «إنصتى أيتها السماوات فأتكلم، ولتستمع الأرض لأقوال فمى... هو الصخر الكامل الصنيع. أن جميع سبله عدل. إله أمانة لا جور فيه، صديق وعادل هو... جيل أعوج ملتو. أبهذا تكافئ الرب ياشعبا غبيا غير حكيم. أليس أنه هو أبوك ومالكك، الذى فطرك وأبدعك... أغاروه بالأجانب، وأسخطوه بالأرجاس. ذبحوا لأوثان ليست الله، ولآلهة لم يعرفوها، حديثة طرأت عن كثب لم تتقها آباؤكم. الصخر الذى ولدك تركته، والإله الذى أنشأك نسيته..» (التثنية ٣٢: ١ ـ ٢٠)

وجاء فى سفر المزامير «لم يحفظوا عهد الله، وأبوا السلوك فى شريعته. ونسوا أعماله ومعجزاته التى أراهم...» (مزمور ٧٧: ١٠، ١١)، وأيضاً «اسرعوا فنسوا أعماله...» (مزمور ١٠٦: ١٣) «نسوا الله مخلّصهم...» (١٠٦: ٢١)

وقال الرب على أفواه الأنبياء الكبار والصغار «أما شعبى فقد نسينى....» (أرميا ٢: ٣٢)، (١٨: ١٥) «قد نسى إسرائيل صانعه» (هوشع ٨: ١٤) «لما رعوا شبعوا. شبعوا وارتفعت قلوبهم. لذلك نسونى» هوشع (١٣: ٦)، (٢: ١٣)، (٤: ٦)، (إشعياء ١٧: ١٠)، (٥١: ١٣)، (أرميا ١٣: ٢٥)، (حزقيال ٢٢: ١٢)، (١ . صموئيل ١٢: ٩)، (التثنية ٨: ١٩)، (أمثال ٢: ١٧).

وكان نتيجة طبيعية لهذا النسيان، أن بنى إسرائيل لم ينسوا فقط الرب إلههم، وإنما أيضا نسوا شريعته، وأهملوها، وكسروا وصاياه (مزمور ١١٩: ١٣٩).

لهذا كان أمرا ضروريا أن يعالج الرب فى الوصية الأولى مرض النسيان فى الإنسان، نسيانه لله بارئه وصانعه، ونسيانه لوصاياه. فقال فى مطلع الوصية الأولى «أنا هو الرب إلهك...» أذكرنى ولا تنسانى... أذكر نعمتى عليك... وأذكر أننى أنا الرب خالقك وحافظك...

قالت التوراه لبنى إسرائيل «إنما أحترس، وأحتفظ لنفسك جدا، كيلا تنسى الأمور التى رأتها عيناك، ولا تزول من قلبك كل أيام حياتك، بل علّمها بنيك وبنى بنيك.... فاحذروا لأنفسكم من أن تنسوا عهد الرب إلهكم الذى قطعه معكم، فتصنعوا لكم تمثالا منحوتا صورة لشئ ما، مما نهاك عنه الرب إلهك» (التثنية ٤: ٩ ـ ٢٣) وقالتْ إحذر أن تنسى الرب إلهك ولا تحفظ وصاياه وأحكامه ورسومه التى أنا آمرك بها» (التثنية ٨: ١١) «فمتى أراحك الرب إلهك من جميع أعدائك... لا تنس» (التثنية ٢٥: ١٩) وقال الله «يا ابنى لا تنس شريعتى، وليرع قلبك وصاياى» (الأمثال ٣: ١) «اقتن الحكمة. إقتن الفهم. لا تنس، ولا تعرض عن كلمات فمى» (٤: ٥).

فإذا نسى الإنسان خالقه ونسى وصاياه وأهملها، فلهذا النسيان عقابه...

وعقابه أولا أن الله يتخلى بعنايته عن الذين ينسونه، فتلحق بهم نتائج خطاياهم، ويحصدون ثمار شرورهم وتعدياتهم.

يقول الرب «... لذلك هائنذا أنساكم نسيانا، وأرفضكم من أمام وجهى... وأجعل عليكم عارا أبديا، وخزيا أبديا لن ينسى» (أرميا ٢٣: ٣٩، ٤٠) «أنسى الرب فى صهيون العيد والسبت، ونبذ بسخط غضبه، الملك والكاهن» (مراثى أرميا ٢: ٦) «قد هلك شعبى من عدم المعرفة. فبما أنك رفضت المعرفة أرفضك أنا... وبما أنك نسيت شريعة إلهك فأنا أيضا أنسى بنيك» (هوشع ٤: ٦)،

«كذلك تكون سبل كل من ينسى الله، ورجاء الفاجر يخيب» (أيوب ٨: ١٣) «أفهموا هذا يا أيها الذين نسوا الله، لئلا أفترسكم ولا منقذ» (مزمور ٤٩: ٢٢)، (٤١: ٩).

وثانيا، فإن من ينسى الله وشريعته، ينساه الله إلى الأبد، ويطرحه فى أرض النسيان (مزمور ٨٧: ١٢)، وليست أرض النسيان إلاّ الجحيم، فى العالم السفلى. يقول الكتاب المقدس «ليرجع المنافقون إلى الجحيم، وكل الأمم الذين نسوا الله» (مزمور ٩: ١٧)، (عاموس ٨: ٧).

من أجل هذا يلفت الرب نظر الإنسان حتى لا ينسى الله، ولا ينسى شريعته، ويذكره بذاته وهو يأمره فى الوصية الأولى.. أنا هو الرب إلهك.... «اذكر، ولا تنس... لا تنسانى أنا الرب إلهك... فإن هذا النسيان يقودك إلى الضلال، ومن ثَم إلى الدمار فى الدنيا، والهلاك فى الآخره..

ولهذا السبب، فإن القديسين والروحانيين يخشون النسيان... ويحاربونه ويقاومونه... بالتذكرة والتذكر والمراجعة والتهجد، والهذيذ الدائم فى أعمال الله... فى صلواتهم، وفى أحاديثهم مع أنفسهم، ومع الأغيار من بنى الناس.

يقول النبى داود فى صلواته وتسابيحه ومزاميره «باركى يانفسى الرب. وكل ما فى باطنى ليبارك إسمه القدوس. باركى يانفسى الرب، ولا تنسى كل حسناته» (مزمور ١٠٢: ١، ٢).

ويقول معترفا بفضل الله خالقه «ومانسيناك ولا نكثنا فى عهدك» (مزمور ٤٣: ١٧) «إنى لا أنسى أوامرك إلى الأبد، لأنك بها أحييتنى» (مزمور ١١٩: ٩٣)، (١١٩: ١٦، ٦١، ٨٣، ١٠٩، ١٤١، ١٥٣، ١٧٦).

٦ ـ الزنى الروحى (١)

سؤال :

من الابن الدكتور عوض الله يوسف عوض الله.. مستشفى بنها التعليمى

يقول جاء فى سفر هوشع النبى قوله: (أول ما كلّم الرب هوشع قال الرب لهوشع اذهب خذ لنفسك إمرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب) (هوشع ١ : ٢) ثم يعقب قائلا: إنّ عقلى يرفض وقلبى لا يقبل أن ينصح الله بنيه بأن يتخذ إمرأة زنى وأولاد زنى، فما هو تفسير ذلك؟

الجواب :

أنتَ على حق فى أن عقلك لا يقبل أن ينصح الله نبيهً أن يأخذ لنفسه إمرأة زنى، إذا كان الزّنى المقصود هو الفجور وارتكاب الفحشاء بالمعنى العام للكلمة، وهو أن تخون المرأة زوجها، وتتعلق برجل بعلاقة جنسية مع غير رجلها، علاقة غير شرعية.

أما الحقيقة فهو أن الزّنى المقصود فى القول الإلهى فى سفر هوشع، **هو الزِنّى بمعناه الروحى، وهو عبادة إله آخر غير الله الواحد الأحد.** فالذين يعبدون غير الله تعالى، هم زناة بهذا المعنى، لأنهم تركوا عبادة الإله الحقيقى وتعلّقوا بعبادة إله آخر، فسقطوا فى خطيئة الخيانة العظمى. فالنفس البشرية المخلوقة على صورة الله، وهى فى حقيقة وجودها نازلة من السماء من عند الله الذى نفخها فى الإنسان (وجبلِ الرب الإله آدم ترابا من الأرض، ونفخ فى أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية) (التكوين ٢ : ٧) إذا انحرفت هذه النفس، وعرفت إلها آخر غير الإله الذى خلقها فقد صارت لإله آخر غير خالقها، ومن ثم فهى زانية كالمرأة التى تركت رجلها وتعلقت برجل آخر. وبهذا المعنى جاء قول المزمور (من لي فى السماء، وعلى الأرض لم أبغِ معك أحداً... نصيبى الله إلى الدهر. الذين يتباعدون عنك يهلكون. وتهلك **كل من يزنى عنك**. أما أنا فالإقتراب إلى الله حسن لى) (مزمور ٧٢: ٢٦ ـ ٢٨).

وإذن **فمن زنى عن الله** هو من بَعُدَ أو ابتعدَ عنه وتعلّق بأحد آخر، غير الله الواحد الأحد.

وبهذا المعنى الروحى جاء فى سفر الخروج (لا تسجد لإله آخر... لأن الربَّ اسمه الغيور. إنه إله غيور. احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض (الكنعانيين والحثيين من شعوب فلسطين) **فيزنون وراء آلهتهم** ويذبحون لآلهتهم.. أو تأخذ من بناتهم لبنيك **فتزنى بناتهم وراء آلهتهن**، ويجعلن بنيك **يزنون وراء آلهتهن)** (الخروج ٣٤: ١٤ ـ ١٦)

---

(١) كتب فى ٢١ من مارس ـ اذار لسنة ١٩٩٢م ـ ١٢ من برمهات لسنة ١٧٠٨ش.

وأوحى الرب لبنى إسرائيل على فم النبى موسى (ولا يذبحوا ذبائحهم بعد للشياطين **الذين هم يزنون وراءها**) (اللاويين ١٧: ٧)

وجاء فى سفر القضاة (وفعل بنو إسرائيل الشرَّ فى عينى الرب وعبدوا البعليم. وتركوا الرب إله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الربَّ.... ولقضاتهم أيضا لم يسمعوا **بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها**) (القضاة ٢: ١١ ـ ١٧).

وجاء فى سفر نبوءة إرميا (إذا سرّح الرجل إمرأته فانطلقت من عنده وصارت لرجل آخر.. ألا تتنجس تلك الأرض نجاسة. أما **أنت يا إسرائيل فقد زنيت** مع أخلاء كثيرين (بعبارة آلهة أخرى) **ونجّست الأرض بزناك**... فإرجعي إلىّ يقول الربُّ.... حقا إنه كما تخون المرأة قرينها هكذا **خنتمونى يابيت إسرائيل**، يقول الربُّ) (إرميا ٣: ١ ـ ٢٠)

(وقال الربّ لى فى أيام يوشيا الملك. هل رأيت ما فعلت العاصية إسرائيل وكيف انطلقت إلى كل جبل عال... **وزنت هناك**. وبعد أن صنعت ذلك كله، قلت ارجعى إلىّ، فلم ترجع. فرأت أختها الخائنة يهوذا. فرأيت أنه لأجل كل الأسباب **إذا زنت العاصية إسرائيل** فطلقتها، ودفعت إليها كتاب الطلاق. فلم تخف الخائنة يهوذا أختها، **بل ذهبت وزنت هى أيضا**، وكان من هوان **زناها** أنها نجّست الأرض **وزنت مع الحجر ومع الخشب** (بعبادة آلهة الأوثان من حجر ومن الخشب....) (أرميا ٣: ٦ ـ ٩)

وجاء فى سفر حزقيال قول الرب (والناجون منكم يذكروننى بين الأُمم الذين يُسبون إليهم إذا **كسرت قلبهم الزّانى الذى خادعنى وعيونهم الزانية وراء أصنامهم**) (حزقيال ٦: ٩)

انظر فى هذا **المعنى الروحى للزنى، وهو عبادة إله آخر غير الله الحّى الواحد الأحد وحده**، النصوص التالية:

(اللاويين ٢٠: ٥، ٦)، (العدد ١٥: ٣٩)، (التثنية ٣١: ١٦)، (٣٢: ١٥ ـ ١٧)، (يشوع٢٤: ١٤)، (المزمور ١٠٥: ٣٩)، (إشعياء ١: ٢١)، (إرميا ٢: ١٣، ٢٠، ٢٨)، (٥: ١١)، (حزقيال ١٦: ٢٠ ـ ٢٦)، (٢٠: ٣٠)، (٢٣: ٣، ٥، ٨، ١١)، (هوشع ٣: ١)، (يعقوب ٤: ٤)

ولعل فى هذا الإيضاح أن يكون فيه الردّ على السيد **أحمد ديدات** الذى اتّخذ هذا النص سلاحاً يطعن به الكتاب المقدّس لأنه أساء الفهم.

٧ ـ الله اسمه يهوه

جاءنا السؤال التالى من شخص لم يشأ أن يذكر اسمه، يقول:

يوجد فى الإنجيل نص يقول (الله الذى اسمه يهوه) فما هو تفسير يهوه ؟

الجواب :

هذا الاسم قد ورد أولاً فى التوراة، وعلى الدقة فى الإصحاح الثالث من سفر الخروج، عندما ظهر الله تعالى لنبيه موسى فى العليقة وأمره بأن يخرج الشعب الإسرائيلى من مصر ،فقال موسى لله: ها أنا سائر إلى بنى إسرائيل فأقول لهم: إله آبائكم أرسلنى إليكم. فإن قالوا لى ما اسمه، فماذا أقول لهم؟ فقال الله لموسى: أنا هو الكائن الذى يكون (أهيه الذى أهيه) . وقال هكذا تقول لبنى إسرائيل: الكائن (أهيه) أرسلنى إليكم. وقال الله لموسى ثانية: هكذا تقول لبنى إسرائيل: **يهوه** إله آبائكم، إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم. هذا اسمى إلى الأبد. وهذا ذكرى إلى دور فدور، (الخروج ٣: ١٣ ـ ١٥) . وكلم الله موسى مرة أخرى ،وقال له : أنا الرب، أنا الذى تجليت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأنى الإله القادر على كل شئ. وأما **اسمى يهوه**، فلم أعلنه لهم، (الخروج ٦: ٢، ٣) .

وجاء هذا الإسم أيضاً فى سفر المزامير، فيقول المرنم: ،ويعلموا أنك أنت وحدك **اسمك يهوه**، العلى على كل الأرض، (مزمور ٨٢: ١٨) .

كما جاء فى سفر أرمياء ،فلذلك هأنذا أعرفهم هذه المرة، أعرفهم يدى وجبروتى، فيعرفون أن **اسمى يهوه**، (أرميا ١٦: ٢١) ، ،هكذا قال الرب صانعها، الرب مصورها، ليثبتها، **يهوه اسمه**، (أرميا ٣٣: ٢) .

ويقول النبى هوشع ،والرب إله الجنود، **يهوه اسمه**، (هوشع ١٢: ٥) .

ويقول عاموس النبى: ،فإنه هو الذى صنع الجبال وخلق الريح وأخبر الإنسان ما هو فكره، الذى يجعل الفجر ظلاماً ويمشى على مشارف الأرض، **يهوه إله الجنود اسمه**، (عاموس ٤: ١٣) ، ،الذى صنع الثريا والجبار، ويحول ظل الموت صبحاً، ويظلم النهار كالليل، الذى يدعو مياه البحر ويصبها على وجه الأرض، **يهوه اسمه**، (عاموس ٥: ٨) ،الذى بنى فى السماء علاليه، وأسس على الأرض قبته، الذى يدعو مياه البحر ويصبها على وجه الأرض، **يهوه اسمه**، (عاموس ٩: ٦) .

ويقول الرب الإله فى سفر ملاخى ،**فإنى أنا يهوه**، لا أتغير، (ملاخى ٣: ٦) ، انظر أيضاً النص العبرانى فى (الخروج ١٧: ١٦) حيث يرد أسم الله هكذا (يهوشوع) .

وأحياناً يرد الاسم «يهوه» مسبوقاً ب «ياه» الصيغة المختصرة للاسم يهوه كما يقول فى سفر أشعياء: «هوذا الله خلاصى فأطمئن ولا أرتعب، لأن **ياه يهوه** قوتى وترنيمتى، وقد صار لى خلاصاً» (إشعياء ١٢: ٢)، وأحياناً أخرى يرد مقتصراً على «ياه» فقط بنفس المعنى كقوله «توكلوا على الرب إلى الأبد، لأن فى **ياه الرب** صخر الدهور» (إشعياء ٢٦: ٤).

هذا الاسم المقدس، يهوه وهو اسم الله تعالى، معناه الحرفى «الكائن الدائم الوجود، أنا هو الكائن، أهيه الذى أهيه (Ahieh asher Ahieh) «أكون الذى أكون» (الخروج ٣: ١٤). فاسم الله «يهوه» مشتق من فعل الكينونة منسوباً إلى الثالوث الغائب (أنا هو الذى يكون، أنا هو الكائن). أو «الكائن دائماً» أو «الكائن فى كل زمان» فى الماضى والحاضر والمستقبل، أو الكائن أمساً واليوم وإلى الأبد» (العبرانيين ١٣: ٨) أو «الكائن الذى كان والذى سيأتى» (الرؤيا ١: ٤، ٨)، (٤: ٨)، (١١: ١٧)، (١٦: ٥). أو كما يعبر القداس الإلهى «الكائن الذى كان، الدائم إلى الأبد» (القداس الغريغورى).

والاسم «يهوه» (أى الكائن) مشتق فى الحقيقة من الفعل العبرانى الذى يفيد الكينونة. وفعل الكينونة فى جميع اللغات هو الفعل الدال على الديمومة والإستمرار، لأنه يمتد إلى الماضى وإلى الحاضر وإلى المستقبل. وعلى ذلك فاسم الله «يهوه» يمكن أن يترجم إلى العربية ب «الكائن» أو ب «الدائم» كما يمكن تبعاً لهذا الفهم أن يترجم ب «الأزلى الذى لا بداءة له، الأبدى الذى لا نهاية له» أى «السرمدى» أو «السرمد». ويلاحظ أن الترجمة الفرنسية للكتاب المقدس تقرأ L' Eternel فى كل مرة يرد فيها اسم (**يهوه**) بالعبرانية، وهى الكلمة الفرنسية التى تدل على الأزلية والأبدية معاً، ولا يتصف بها إلا الله وحده، لأنه وحده الأزلى الأبدى السرمدى.

وقد عبر الوحى عن هذه الكينونة الدائمة المستمرة بالنسبة لله فى أكثر من موضع فقال «فى البدء، كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة هو» (يوحنا ١: ١)، ولما قال المسيح - له المجد - لليهود «لقد تهلل أبوكم ابراهيم مشتهياً بأن يرى يومى، وقد رأى وفرح، فقال له اليهود: إنك لم تبلغ الخمسين بعد، أفرأيت إبراهيم؟ قال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم: قبل أن يكون ابراهيم، أنا كائن» (يوحنا ٨: ٥٦ - ٥٨). فالكينونة المقصودة هنا هى الكينونة الأزلية الأبدية التى لا تنسب لغير الله. ولذلك «رفعوا حجارة ليرجموه» (يوحنا ٨: ٥٩) لأنهم ظنوه مجدفاً ينسب إلى نفسه ما لا يجوز أن ينسب إلا إلى الله وحده، لأن الله وحده هو «**الكائن**» لأنه وحده هو «**يهوه**».

ومع أن اسم «يهوه» قد ورد فى العهد القديم ٦٨٢٣ مرة فى النسخة العبرانية، إلا أن اليهود اتجهوا فيما بعد إلى توقير الاسم المقدس بحيث كانوا يكتبونه ولا ينطقونه، وإنما يقرأونه:

أدوناى (١) Adonia بمعنى «الرب» أو «السيد»، ويقصدون الله ذاته. وهذا نوع من الأدب اللائق باسم صاحب الجلالة القدوس، ورهبة منه، وخوفاً من أن يبتذل الاسم المقدس فى أفواههم، ولئلا يستخدم فى السحر (٢) وما إليه مما يُعدّ إهانة لله وشراً. وأحياناً كانوا يقرأونه «هاشم» (٣) (Hashem) أى «الاسم» ويعنون بذلك **الاسم المقدس**، وهو **اسم الله** تعالى. ويقولون أن الملائكة نفسها لا يجوز لها أن تنطق **بالاسم يهوه**. (٤).

ويقول فيلون الفيلسوف اليهودى (٥): «**الاسم يهوه** لا يجوز أن ينطق به إلا الذين تطهرت بالحكمة آذانهم وألسنتهم، وبشرط أن يسمعوه وينطقوا به فى مكان طاهر»، وهو يعنى بذلك الكهنة فى الهيكل المقدس، ويقول فيلون أيضاً تعقيباً على النص الوارد فى سفر اللاويين «كل من سب إلهه يحمل خطيئته» (٦) (اللاويين ٢٤ : ١٥): «إذا كان هناك أحد، لا أقول أنه يجدف على رب الناس والآلهة، بل يجرؤ فقط على أن ينطق باسمه فى وقت غير مناسب، فليتوقع الموت».

ويذكر التلمود الأورشليمى أن النطق بالاسم المقدس كان مشروعاً لرئيس الكهنة فى احتفالات يوم الكفارة. (٧). (سفر اللاويين ١٦ : ٢٩ ـ ٣٤)، (٣٣ : ٢٦ـ ٣٢). ويزيد التلمود البابيلونى فيقول أن اليهود امتنعوا عن أن يلفظوا الاسم المقدس، بل والكهنة أيضاً لم يعودوا ينطقون به حتى فى تلاوة البركة، (٨) فى زمن سمعان البار نحو سنة ٢٧٠ ق. م. ويقول يوسيفوس المؤرخ اليهودى فى كتابه «تاريخ اليهود» أنه يعرف النطق الصحيح للاسم المقدس لكنه يعفى نفسه من النطق به لأنه أمر غير مشروع. ويقول صراحة فى صدد كلامه عن النبى موسى «عند ذلك

---

(1) Biblical Encyclopaedia, Vol, III, c. 3320.

(2) Encyclopaedia Britanica, Vol, xv, P. 311 B.

(3) The Jewish Encyclopaedia, Vol. VII, P. 88 A.

(4) J. Gardner, Faiths of the world, Vol. II, P. 210, B.

(5) Philo, Vita Mosis, iii, II (ii _ 114),; ibid, iii, 27 (ii _ 206).

(٦) سفر اللاويين (٢٤ : ١٥).

(٧) سفر اللاويين (١٦ : ٢٩ ـ ٣٤)، (٣٣ : ٢٦ ـ ٣٢). وكان الكاهن الأعظم ينطق باسم «يهوه» عشر مرات فى صلوات هذا اليوم. أما فى الأجيال المتأخرة فصار ينطق بالاسم المقدس بصوت منخفض جداً حتى كان لا يسمع فى وسط دوى أصوات الكهنة.

(٨) وتعرف بالبركة الكهنوتية ونصها «يباركك الرب ويحرسك، يضئ الرب بوجهه عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه نحوك ويمنحك سلاماً» (سفر العدد ٦ : ٢٣ ـ ٢٦) وكان الكهنة يباركون بها الشعب بعد تقديم الذبيحة اليومية العادية.

أعلن الله له اسمه المقدس الذى لم يكن قد كشف قط للناس من قبل، والذى لا يحل لى أن أنطق به» (١).

وذهب بعضهم Abba Shaul نحو سنة ١٣٠ إلى نفى السعادة الأبدية عن كل من يجرؤ فينطق بالاسم المقدس بحروفه. (٢)

وهكذا أخذ يقل تدريجياً عند اليهود النطق بالاسم «يهوه» إحتراماً وتوقيراً له، وكانوا يلفظونه كما قلنا «أدوناى» بمعنى «السيد» أو الرب. ويلاحظ وضوح هذا الإتجاه فى الأجيال المتأخرة، حتى **أن علماء اليهود عندما ترجموا الكتاب المقدس من العبرانية إلى اليونانية الترجمة المشهورة بالترجمة السبعينية فى عام ٢٨٢ ق. م. لمنفعة اليهود المقيمين فى مصر، فى زمن بطليموس فيلادلفيوس كتبوا (ὁ κῦριος) أى «الرب» فى مقابل «يهوه» العبرانية، التى تعنى حرفياً «الكائن دائماً» أو «الدائم»، ولم يجرؤوا على أن يوردوا اسم الله «يهوه»، لا بلفظه ولا بمعناه الدقيق.** (٣).

وليس استطراداً أن نشير هنا إلى أن كلمة (الرب) فى الترجمات العربية للكتاب المقدس، تقابل كلمة «يهوه» العبرانية معنى لا لفظاً (٤). **وكثيراً ما نلتقى فى أسفار العهد القديم ولا سيما فى أسفار الأنبياء بتعبير «يقول السيد» أو «يقول الرب» أو «قال السيد الرب»،** (٥) **وكلها تترجم بوضوح «يهوه» العبرانية. وبهذا المعنى وردت كلمة رب فى تحية أليصابات للسيدة العذراء مريم عندما نطقت بالروح القدس. وقالت لها: «من أين لى هذا الشرف أن تأتى أم ربى إلىّ»** (٦) **(لوقا ١ : ٤٣)**. وهو أحد النصوص المقدسة التى تستند إليها الكنيسة الأرثوذكسية، فى تلقيب السيدة العذراء **بوالدة الإله**، لا بمعنى أن مريم أصل اللاهوت، معاذ الله، ولكن **لأن المولود منها هو يهوه بعينه** قد حل فى أحشائها واتحد بالناسوت الذى كونه منها، وظهر منها **الإله المتأنس أو يهوه المتجسد.**

(١) تاريخ اليهود الجزء الثانى، فصل ١٢ فقرة ٤. (Antiquities of the Jews)

(2) Biblical Encycl. Vol. III, c. 3321, n, I. D.H. Weir, Jehovah, in the Imperial Bible Dictionary, Vol. 3 - 4 .P. 211, B.

(٣) نفس المراجع، وذات المواضع.

(٤) وبالمثل فى الترجمات القبطية ترد ⲡⲭⲟⲉⲓⲥ (ὁ κύριος) π بدلاً من «يهوه» وفى الترجمات الإنجليزية ترد The lord وفى الترجمات الفرنسية Le Seigneur وفى الألمانية Der herr، وفى الإيطالى il Signore إلخ...

(٥) مثلاً حزقيال ١٧ : ٢٢.

(٦) (لوقا ١ : ٤٣)، انظر أيضاً (لوقا ٢ : ١١)، (أعمال ١٠ : ٣٦)، (رومية ١٠ : ١٢).

٨ ـ الله هو بدء الوجود وليس له بداءة

سؤال من السيد/ مجدى صبرى ذكرى ـ شبرا:

ما هو الدليل على أن الله هو البداية؟ وكيف يمكن أن أتصور أن الله لم يكن قبله شئ؟ وكيف ذلك وكل شئ لابد له من موجد أى بداية؟ فإن كان هناك شئ قبل الله، فلعله العدم. فمن هذا الذى يسيطر على العدم؟ وما هو الدليل على أنه لم يكن شئ قبل الله؟ هل لمجرد قوله: أنا هو البداية والنهاية؟ فإذا لم يكن عدم فما هو؟

الجواب :

حسناً تقول أن كل شئ لابد له من موجد. فإذا كان ذلك كذلك فلابد للكون العظيم من موجد وهو الخالق لكل الوجود. هذا الموجد والخالق، لابد أن يكون هو الكائن الأول الذى أوجد غيره، ولم يوجده أحد. وبعبارة أخرى هو الخالق غير المخلوق، لأنه لو كان مخلوقاً أو أوجده غيره لم يكن هو الله، بل لصار مخلوقاً من كائن كان قبله فى الوجود. وإذا كان العدم كما تقول موجوداً قبل الله، فيكون الله إذن مخلوقاً، وإذا كان الله مخلوقاً، فلابد له من خالق، وبالتالى لا يكون هذا المخلوق هو الله، بل الخالق وحده هو الله. فالله تعالى يتفرد بأنه هو الخالق الذى خلق غيره ولم يخلقه أحد إذ لو كان خلقه أحد، فلا يكون هو الخالق بل يكون مخلوقاً، ويكون الذى خلقه هو الله. إذن لابد أن يكون فى سلسلة الخلق من كائن هو أسبق على كل الوجود، هو الخالق لما بعده ولا يسبقه فى الوجود أحد.

خذ مثلاً لذلك القطار الذى يتكون من عدد من العربات والمقطورات. فإذا نظرت إلى إحدى المقطورات، ولتكن المقطورة الأخيرة تجد أنها مربوطة بمقطورة أخرى تجرها فى إتجاه القاطرة، وهذه الثانية تجرها مقطورة ثالثة فى إتجاه القاطرة والثالثة تجرها الرابعة، وهكذا إلى الأخيرة وهى القاطرة. أما القاطرة فهى التى تجر غيرها، ولا تجرها قاطرة أخرى، وإلا لما سميت قاطرة، إذ القاطرة تجر غيرها ولا يجرها غيرها، وإلا صارت مقطورة لا قاطرة. إذن لابد فى سلسلة العربات من عربة أولى هى وحدها القاطرة لجميع المقطورات، على هذا القياس لابد فى سلسلة الموجودات والمخلوقات من خالق واحد لها، يكون وحده هو الخالق لغيره، فإذا كان مخلوقاً فلا يكون هو الخالق، وإنما الذى خلقه هو وحده الخالق. ولذلك فإن هذا الخالق الواحد يسمى بالأول والأزلى، والذى ليس له بداءة، كما يسمى بواجب الوجود، أى الذى وجوده واجب وضرورى لتفسير الوجود وعلى قول أحد الفلاسفة: لو لم يكن الله موجوداً، لكان يجب أن يوجد

لتفسير الوجود. فلا يمكن إذن تفسير الوجود إلا بكائن أول، وجوده أزلى، وليس له بداءة، وهو الذى أوجد غيره ولم يوجده أحد.

أما قولك إن كان هناك شئ قبل وجود الله، فلعله العدم، فمردود عليه بأن العدم ليس موجوداً، وإنما هو إنتفاء للوجود. فإذا كان العدم - على قولك - موجوداً قبل وجود الله، فكأن العدم هو الذى أوجد الوجود، أى أن العدم يصبح خالقاً للوجود، وهذا محال. ثم كيف لله أن يصير موجوداً بعد العدم؟ إن هذا المنطق يؤدى إلى افتراض أن الله مخلوق، فإذا كان مخلوقاً، فلابد له من خالق. ولا يسمى فى هذه الحالة «الله» بالألف واللام بل الخالق له يكون هو الله، أى لابد أن يكون هناك على رأس سلسلة الوجود، واحد فقط ولا غير سواه هو الخالق وحده، ولم يسبقه فى الوجود أحد. وهذا معنى إنه ليس له بداءة أى ليس له أول، وليس له بدء، وإنما هو ذاته البداءة، وهو وحده الأول، وهو البدء، وهو البادئ لكل موجود، والمبدئ لكل الوجود.

يقول الله تعالى على فم إشعياء النبى.

«إنى أنا هو. قبلى لم يصور إله» (إشعياء ٤٣: ١٠).

«من فعل وصنع داعياً الأجيال من البدء. أنا الرب الأول» (إشعياء ٤١: ٤).

«هكذا يقول الرب.. أنا الأول.. ولا إله غيرى» (إشعياء ٤٤: ٦).

«أنا هو، أنا الأول.. ويدى أسست الأرض ويمينى نشرت السماوات» (إشعياء ٤٨: ١٢).

ويقول الوحى الإلهى أيضاً:

«فى البدء كان الكلمة» (يوحنا ١: ١).

«الذى هو البداءة» (كولوسى ١: ١٨).

«أنا هو الألف، البداءة.. يقول الرب الكائن» (الرؤيا ١: ٨).

«أنا هو الألف.. الأول» (الرؤيا ١: ١١).

«أنا هو الأول» (الرؤيا ١: ١٧).

«أنا هو الألف.. البداءة» (الرؤيا ٢١: ٦).

«أنا الألف.. البداءة .. الأول» (الرؤيا ٢٢: ١٣).

٩ - من الذى قام بخلق العالم ؟ (١)

لئن كان الله واحداً فى جوهره إلا أن أقانيم الثالوث القدوس متمايزة فى العمل. فإذا كان الآب قد أراد خلق العالم، فإن الابن هو الذى قام بعملية الخلق، والروح القدس هو الذى بث الحياة فى المادة.

ودليلك على ذلك أن نصوص الكتاب المقدس واضحة فى إجماعها على نسبة الخلق للابن أو الكلمة (اللوجوس) أو الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس.. وأنها إذا نسبت الخلق إلى الآب فبوصفه الإرادة أو المشيئة ولكنها تعود فتنسب عملية الخلق بالفعل إلى الأقنوم الثانى أى الابن.

من ذلك قول القديس يوحنا الإنجيلى «فى البدء كان الكلمة (اللوجوس) ... كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان .. كان فى العالم، وكون العالم به » (يوحنا ١: ١، ٣، ١٠).

وقول القديس بولس فى رسالته الأولى إلى كورنثوس «لنا إله واحد هو الآب، الذى منه كل شئ ونحن له، ورب واحد وهو يسوع المسيح الذى به كل شئ، ونحن به» (١ . كورنثوس ٨: ٦) فالآب هو أصل الوجود أو هو الأصل الذى خلق الوجود.

وقول القديس بولس أيضاً فى رسالته إلى أفسس «لى أنا أصغر القديسين جميعاً أعطيت هذه النعمة: أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح الذى لا يستقصى. وأنير الجميع فى ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع **بيسوع المسيح**» (أفسس ٣: ٨، ٩).

وليس صحيحاً ما ذهب إليه الأريوسيون (أتباع مذهب أريوس الذى أنكر لاهوت المسيح) من أن مثل الآب والابن والروح القدس كمثل النجار والقدوم والمكان (٢)، فالآب فى فعل الخلق هو العلة الفاعلية كالنجار فى صنع الكرسى، والابن هو العلة الآلية كالقدوم التى بها يصنع الكرسى، والروح القدس هو كالمكان والزمان الذى صنع فيهما الكرسى. فإن هذا التصوير المادى فيه تفريق بين الأقانيم فى الجوهر، وزعم بأن كلا من الأقانيم الثلاثة كيان أو جوهر فى ذاته منفصل عن الآخر. وحينئذ لا تكون المسيحية هذه الديانة التى تقول بوحدانية الله بل يكون شأنها شأن كل ديانة وثنية تنادى بالتعدد والتكثر، وهو فضلاً عن ذلك كله يتناقض عقلاً مع الاعتقاد الصحيح بوجود إله، لأن فكرة الله فى ذاتها تقتضى الوحدانية وبدونها لا يمكن تفسير أصل الوجود ومعرفة العلة الأولى فى الخلق.

---

(١) مقال نشر بمجلة (مدارس الأحد) السنة الثالثة العدد الثانى (مايو لسنة ١٩٤٩) صفحة ٣٣، ٣٤.
(٢) هو مثل ذكره الأريوسيون بالفعل.

وإنما معنى أن الله خلق الجميع بيسوع المسيح، هو على غرار قولك «أننى حللت المشكلة بالفكر» فليس الفكر شيئاً منفصلاً عن شخصك بل هو طابع شخصيتك الإنسانية، وبه وحده نتميز عن الحيوان وبدونه لا يصدق عليك أن تكون إنساناً. كما أن الفكر فى هذا المثال وإن كان يتصف بصفة يبرز بها عن كيانك الوجودى لكنه مع ذلك يكوّن مع هذا الوجود طبيعتك الحقيقية وشخصيتك الواحدة، بحيث أنه به تصبح أنت. وبإنعدامه تنعدم أنت. هكذا الابن بالنسبة للآب فى عملية الخلق: هو حكمة الله أو هو عقل الله، أو هو فكره وبصيرته التى بها رأى الوجود. وليس الروح القدس فى عملية الخلق إلا «القدرة» التى أخرج بها الصورة إلى الفعل.

ويقول القديس بولس أيضاً فى رسالته إلى كولوسى: «الذى لنا به **الفداء بدمه** غفران الخطايا، الذى هو صورة الله غير المنظور.. فإنه فيه خلق كل شئ مما فى السموات ومما على الأرض ما يرى وما لا يرى.. كل شئ به وله قد خلق» (كولوسى ١ : ١٤ـ ١٦) ولاشك أنه يعنى بذلك الأقنوم الثانى أو الابن لأنه هو الذى قام بالفداء.

وقول القديس بولس أيضاً فى رسالته إلى العبرانيين: أن الله، بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً ... كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى «**ابنه**» .. الذى به أيضاً أنشأ العالمين (العبرانيين ١ : ١).

وهكذا ذهب شراح المسيحية الأولون فى نسبة الخلق إلى الابن فيقول الفيلسوف المسيحى أثيناغوراس: لكن «ابن الله» هو «كلمة الآب» فى الصورة والفعل، لأنه على مثاله وبه قد صنعت جميع الأشياء.. الابن هو المولود الأول من الله لا بمعنى أن الله أوجده ـ إذ الكلمة قائم فى الله ذاته منذ البدء والله هوالعقل (١) السرمدى الكائن مع الكلمة منذ الأزل ـ بل بمعنى أن الابن.. هو الصورة والقوة الفاعلة لجميع الأشياء المادية» (الدفاع عن المسيحيين ـ فصل ١٠).

من كل هذه النصوص يتضح الإعتقاد الأرثوذكسى فى الأقنوم الثانى أو الابن أنه هو الذى خلق أو هو «الله الخالق» متمماً إرادة الآب.

---

(١) إذا كان الآب هو الوجود فالابن هو الفكرأو الحكمة أو العقل لهذا الوجود. وإذا كان الآب هو العقل فالابن هو كلمة العقل (مولودة منه بغير إنفصال).

١٠ ـ هل لله وجود فى جهنم ؟ (١)

سؤال من يوسف مينا يوسف النحراوى ـ شبراخيت ـ البحيرة.

يقول: نحن نؤمن أن الله موجود فى كل مكان وفى كل زمان، فهل الله موجود فى جهنم؟

الجواب :

الله كائن بوجوده فى كل مكان، ولا يخلو منه مكان، أى أنه كائن بوجوده فى السماء والأرض وكل الكون وجميع الأكوان. وإذن فوجوده يشمل الملكوت السمائى حيث العرش الإلهى، ويشمل الفردوس، المقر المؤقت للأرواح السعيدة، كما يشمل الجحيم، المقر المؤقت للأرواح الشقية، وكذلك جهنم حيث النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته (متى ٢٥ : ٤١)، (مرقس ٩ : ٤٣، ٤٥، ٤٧).

على أن وجود الله فى جهنم هو من قبيل إمتداد نفوذه كسيد لكل الوجود. ولو قلنا أن جهنم تخلو من الوجود الإلهى لكان معنى هذا أن وجود الله قاصر على مكان دون مكان، وبالتالى لا يكون الله غير محدود فى الوجود، وهذا يتعارض مع صفة من صفات الكمال فى الله وهى أنه غير محدود، ولامتناه.

ولماذا نخشى من القول أن لله وجوداً فى جهنم؟ هل سينقص هذا الوجود فى جهنم من سعادة الله؟ حاشا!

هل إذا أشرقت الشمس بأشعتها على كل الأرض، وكان فى جزء من الأرض روث وزبل وقذر، واشتعلت فى هذا كله نار محرقة، فهل نخشى على الشمس أن تتدنس بقذر الروث والزبل؟ وهل نخشى على الشمس من النار المحرقة المشتعلة فى الروث والزبل؟ هل ستتأذى الشمس أو أشعتها أو حرارتها بالروث أوهل تتأثر الشمس بالنار المشتعلة فى الروث أو الزبل؟ هل هذه النار ستنقص من حرارة الشمس أو ضوئها؟ فإن كانت الشمس لن تتأثر لا بالروث أو بالزبل ولا بالنار التى يحترق بها الروث والزبل، فبالأحرى الوجود الإلهى الشامل لكل مكان، لن يتأذى ولن يتأثر بزيادة أو بنقص فى جهنم.

إن امتداد النفوذ الإلهى والحضرة الإلهية يشمل كل الوجود وكل الخليقة.

على أننا من زاوية روحية أو أخلاقية نقول أحياناً أن الله ليس فى هذا المكان (الدنس أو النجس). لكن **يجب ألا يحمل هذا التعبير على معنى حقيقى وجودى من حيث اللاهوت الإلهى، وإنما يجب أن يحمل على معنى روحى وأخلاقى**، تعبيراً عن عدم رضى الله عن الدنس والنجاسة والمكان الدنس والنجس.

وإذن إذا قلنا أحياناً أن الله ليس فى هذا المكان أو ذاك، فهذا تعبير روحى وأخلاقى، ولكنه ليس تعبيراً صحيحاً من الوجهة الوجودية. **فإن الله كائن بوجوده فى كل مكان ولا يخلو منه مكان.**

---

(١) كتب فى يوم الجمعة ١٠ أكتوبر ـ تشرين أول ١٩٨٠م ـ ٣٠ توت ١٦٩٧ش.

١١ - هل يندم الله ؟ (١)

سؤال من الابن نبيل جاد الله إبراهيم - منبال - مطاى.

يقول إنه ترد فى الكتاب المقدس نصوص تنسب الندم إلى الله، فالرجاء تفسير وتوضيح معنى هذا الندم؟

من هذه النصوص قول الكتاب المقدس:

«وبسط الملاك يده على أورشليم ليدمّرها، **فندم الرب على الشر**، وقال للملاك المهلك الشعب: كفى فكفّ الآن يدك» (٢ . صموئيل ٢٤ : ١٦).

- «وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً: إنى قد **ندمت** على إقامتى شاول ملكاً، لأنه مال عن إتّباعى ولم يقم كلامى، فشق على صموئيل، وصرخ إلى الرب الليل كله» (١ . صموئيل ١٥ : ١١).

«فتضرع موسى إلى الرب إلهه، وقال: يا ربِ لِمَ يضطرم غضبك على شعبك الذين أخرجتهم من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة، ولِم يقول المصريون إنهم أخرجهم من ههنا بكيد ليقتلهم فيما بين الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض. ارجع عن شدة غضبك، **واندم** على الشر بشعبك، واذكر إبراهيم وإسحق وإسرائيل عبيدك... **فندم** الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه» (سفر الخروج ٣٢ : ١١ - ١٤).

بينما أن الكتاب المقدس فى مواضع أخرى ينفى عن الله الندم. من ذلك قوله: «ليس الله إنساناً فيكذب، **ولا كبنى البشر فيندم**. أتراه يقول ولا يفعل، أو يتكلم كلاماً ولا يتممه» ؟ (سفر العدد ٢٣ : ١٩).

«فإن بهاء إسرائيل لا يكذب ولا يندم. **لأنه ليس إنساناً فيندم**» (١ . صموئيل ١٥ : ٢٩).

الجواب :

اعلم أيها الابن **أن الله لا يندم كما يندم الإنسان**. فإن الندم فى الإنسان مردّه إلى جهل الإنسان وقصور علمه، فيندم لأنه لم تأت النتائج كما كان يتوقعها، أو كما كانت فى حسبانه. **وليس الله كالإنسان فى ذلك**. فإنه كقول الكتاب المقدس «**معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله**» (أعمال الرسل ١٥ : ١٨). ويقول الله تعالى: «**من أعلم بهذه منذ القديم وأخبر بها منذ زمان**، ؟ **أليس إياى أنا الرب**، فإنه ليس آخر، لا إله غيرى» (إشعياء ٤٥ : ٢١).

---

(١) كتب فى ٢٤ أبريل ١٩٨٧م - ١٦ برمودة ١٧٠٣ ش.

ثم إن الله لا ينفعل بالندم كما ينفعل الإنسان، لأن الانفعال ضعف. أما الله فهو «**القادر على كل شيء**» (التكوين ٤٨: ٣) «القادر بقوته العاملة فينا أن يفعل أكثر جداً مما نطلبه أو نتصوره» (أفسس ٣: ٢٠).

وهو يقول صراحة «**ليس الله إنساناً فيكذب، ولا كبنى البشر فيندم**. أتراه يقول ولا يفعل، أو يتكلم كلاماً ولا يتممه» (سفر العدد ٢٣: ١٩) «فإن بهاء إسرائيل لا يكذب **ولا يندم، لأنه ليس إنساناً فيندم**» (١. صموئيل ١٥: ٢٩).

كما يقول «أنا الرب تكلمتُ.. أفعل . لا أهمل ولا أرثى، ولا أندم» (حزقيال ٢٤: ١٤).

وإذن **فالله تعالى لا يندم كما يندم الإنسان**، لأن الندم فى الإنسان دليل جهله وعدم علمه، ودليل ضعفه. أما الله فهو يجلّ عن الجهل ويجلّ عن الضعف.

إذن لماذا ينسب الكتاب المقدس فى بعض المواضع، **الندم** إلى الله؟

لابد أن نذكر أنه لما كان الكتاب المقدس هو رسالة الله إلى الإنسان، فكان لابد أن يستعمل فى مخاطبة الإنسان لغة يفهمها الإنسان. وإلا لكان الله يكلّم الإنسان بلغة لا يفهمها، فكيف يتعامل الله مع الإنسان بغير لغة الإنسان؟

وهذا هو السبب فى أننا نجد نصوصاً كثيرة فى الكتاب المقدس، ينسب الله فيها إلى ذاته ما هو مألوف لدى الإنسان، فينسب إلى الله قبل التجسد أن له عينين، وأذنين، ويدين ورجلين، وأنفاً وقلباً وجناحين. كما لو كان الله إنساناً وهذا ما يعرف فى علم اللاهوت بمنهج (**تشبيه الله بالإنسان**) Anthropomorphism وذلك لكى تصل المعانى الإلهية إلى الإنسان بلغة قريبة إلى فهم الإنسان.

من ذلك:

«**عين الرب** على خائفيه» (مزمور ٣٢: ١٨).

«لكن الله يحط المقتدرين بقوته.. إلا أن **عينيه** على طرقهم» (أيوب ٢٤: ٢٢، ٢٣).

«**رأتنى عيناك** جنيناً» (مزمور ١٣٨: ١٦).

«قدست هذا البيت.. وتكون **عيناى وقلبى** هناك كل الأيام» (١. الملوك ٩: ٣).

«أمل إلىّ **أذنك** سريعاً أنقذنى» (مزمور ٣٠: ٢).

«وصياح الحصادين قد دخل إلى **أذنى رب الجنود**» (يعقوب ٥: ٤).

«حىّ أنا يقول السيد الرب إنى **بيد** قوية **وذراع** ممدودة. وبسخط مسكوب أملك عليكم» (حزقيال ٢٠: ٣٣).

«**يداك** كونتانى وصنعتانى» (أيوب ١٠: ٨)، (مزمور ١١٩: ٧٣).

«**يداى** أنا نشرتا السماوات وأنا أمرت جميع جندها» (إشعياء ٤٥: ١٢).

«أنت الإله الصانع المعجزات.. افتديت **بذراعك** شعبك» (مزمور ٧٦: ١٥، ١٦).

«برى قريب، وخلاصى قد برز، **وذراعاى** يقضيان للشعوب» (إشعياء ٥١: ٥).

«طأطأ السماوات ونزل، وضباب تحت **رجليه**» (مزمور ١٨: ٩).

«طريقه والسحاب غبار **رجليه**» (ناحوم ١: ٣).

«يا ابن آدم. هذا مكان كرسىّ، ومكان باطن **قدمىّ**» (حزقيال ٤٣: ٧).

«أما **وجهى** فلا تستطيع أن تراه لأنه لا يرانى إنسان ويعيش» (الخروج ٣٣: ٢٠).

«لماذا تحجب **وجهك** وتحسبنى عدواً لك» (أيوب ١٣: ٢٤).

«هؤلاء دخان فى **أنفى**» (إشعياء ٦٥: ٥).

«يقول الرب إن غضبى يصعد فى **أنفى**» (حزقيال ٣٨: ١٨).

«لأن **فمه** هو قد أمر» (إشعياء ٣٤: ١٦).

«صعد دخان من **أنفه**، ونار من **فمه** أكلت» (مزمور ١٧: ٨).

«احتمى بستر **جناحيك**» (مزمور ٦٠: ٤).

«احفظنى مثل حدقة العين، بظل **جناحيك** استرنى» (مزمور ١٦: ٨).

كل تلك نصوص **يشبّه الله فيها بالإنسان** وكأن له عينين، وأذنين، ويدين، ورجلين، ووجها، وأنفاً، وفماً، وجناحين، وقلباً...

وعلى ذلك فإذا كان الكتاب المقدس ينسب إلى الله أنه ندم، فهو من قبيل تشبيه الله بالإنسان للدلالة على أن الله **غير راضٍ عن الإنسان الذى ضل وغوى، وعوّج طريقه**.

فالندم إذا نسبه الكتاب المقدس إلى الله، **فمعناه أن الإنسان إذا اعوّج عن طريق الاستقامةّ والعدل، فلابد أن يتغير موقف الله منه، فتتبدل رأفته إلى عقاب. وليس هذا معناه أن الله فى ذاته قد تغير، إنما التغير هو من جانب الإنسان، وبالتالى يتغير حكم الله عليه**، لأن الله عادل، والعدل الإلهى يقتضى أن يجزى البشر على حسب أفعالهم، وينيل الإنسان على حسب سبيله (أيوب ٣٤: ١١)، «كل واحد على حسب أعماله» (الرؤيا ٢٢: ١٢).

١٢ ـ لماذا خلق الله الإنسان؟
هل خلقه للعذاب؟ (١)

سؤال من الابن نادر. راشد ـ القاهرة.

لماذا يترك الله الإنسان يعيش فى الأرض ـ ولماذا يخلقه أصلاً، مع علم الله السابق بمصير هذا الإنسان، ويعلم أن هذا الشخص سيصبح خاطئاً ومصيره النار الأبدية؟ أيخلقه للعذاب؟ مع ملاحظة أننى لا أقصد آدم بل أقصد الإنسان الحالى؟

الجواب :

اعلم أيها الابن أن الله خلق الإنسان لخير الإنسان نفسه، لأن الوجود خير من العدم. فالله هو الخير الأعظم، ولذلك يسمى عند الإنجليز، وعند الألمان God أو Gott فالكلمة الإنجليزية God وهو اسم الله فى الإنجليزية مشتقة من الكلمة الإنجليزية Goodness أى (الخيرية ـ الجودة ـ الجودة ـ الطيبة ـ الصلاح) وكذلك كلمة Gutt باللغة الألمانية مشتقة من الكلمة Gute أى الخيرية ـ الجودة.

نعم، إن الله لم يخلق الإنسان لهدف يعود على الله نفسه، إذ أن الله فى غنى عن الإنسان وعن كل كائن آخر. ولكنه لأنه الخير الأعظم، وهو السعيد سعادة لا تستقصى، فرأى من منطلق جودته وخيرته أن يخلق الإنسان ليستمتع معه بهذه السعادة الدائمة.

ألا ترى إلى أن الإنسان منّا إذا كان سعيداً أو غنياً، فإنه إذا كان خيراً فإنه يُسعده أن يَسعد معه غيره من الناس، وإذا رأى غيره سعيداً فإنه يفرح بسعادته ـ وإذا أمكنه أن يخفف آلام إنسان مريض أو شقى أو فقير أحسّ بسعادة غامرة لأنه صنع خيراً، وبصنعه الخير وتخفيف آلام المتألمين يشعر بأن وجوده له معنى، وأن حياته لها قيمة؟

أليس لأن الله خلق الإنسان له قدرات وإمكانات يُمكنه بها أن يخلق وأن يبتكر وأن ينشئ شيئاً جديداً، لذلك يحس الإنسان منا بقيمته ومعنى وجوده كلما نجح فى أن يصنع شيئاً لم يكن موجوداً؟

فمن أين أتى هذا الدافع عند الإنسان لأن يصنع الخير، وأن يجاهد ويبذل قصارى جهده بتوظيف إمكاناته وقدراته، لأن يخلق شيئاً جديداً، وأن يبتكر وينشئ ويبتدع مخترعات فضلاً عن إبتكاره للمعنويات والمفهومات والمبادئ السامية الراقية التى تعمل على تقدم الإنسانية كلها...؟

---

(١) كتب فى ١٣ من مارس ـ اذار لسنة ١٩٩١م ـ ٤ من برمهات لسنة ١٧٠٧ش.

نقول من أين أتى للإنسان هذا السمو الروحانى، حتى أنه يفرح بخلق أشياء وكائنات جديدة، وإبتكار وسائل جديدة لتسهيل حياته وحيوات الآخرين بالمستجدات والمستحدثات والمخترعات ...؟ أليس هذا الذى فى الإنسان هو من خلق الله فى الإنسان، الذى أوجد فيه هذه الحوافز والدوافع للخلق والإبتكار، واللذات العقلية والروحانية والأخلاقية التى تسعده وتسعد الآخرين وكل الوجود....؟

وإذا تأملت قول الكتاب المقدس فى سفر التكوين إن الأرض عندما خلقها الله فى البدء «كانت خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة» (التكوين ١: ١، ٢) ولماذا خلق الأرض خربة وخالية؟ أليس لكى يعيّن للإنسان وظيفته التى خلقه الله من أجلها، وهى أن يعمّر الأرض ويملأها من المصنوعات فيسعد بذلك، حينما يشهد عمله فى الأرض وأنه أمكنه بالجهد والعمل أن يستغل مواهبه وإمكاناته الممنوحة له فى تعمير الأرض وتذليل الصعوبات التى كان يواجهها الإنسان فى نشأته، وأن يسخر الأرض والحيوانات والنباتات وكل الموجودات لخدمته وخدمة أبنائه الذين ولدهم وأوجدهم وأسعدهم؟ لاشك أن العمل إذا أثمر يرفع قيمة الإنسان العامل ويُسعده، ويجعل حياته أكثر سهولة ويسراً.

ألا ترى إلى أن الإنسان استطاع فعلاً أن يثبت الحكمة الإلهية من وجوده بما حققه من تقدم علمى وبما اكتشفه من قوانين الطبيعة التى استغلها للبناء والتعمير والتنمية والإنشاء، بحيث نرى اليوم، ونحن فى نهاية القرن العشرين البون الواسع والفارق الضخم بين إمكانيات الإنسان القديم فى سذاجته وحياته الجافة بين الأدغال وفى الصحارى، وبين ما حققه الإنسان من إنجازات واختراعات وصناعات متطورة وأجهزة طبيعية وميكانيكية وكهربائية وألكترونية فضلاً عن امتداد الحضارة فى مجالاتها المادية والفكرية والجمالية والمعنوية والروحية والعقلانية؟

ألا يقودنا التأمل فى كل هذا إلى أن نشكر الله الذى خلقنا لنعمل معه فى تعمير الكون ونشاركه فى الخلق بالوزنات العقلية والحسية والروحية التى وهبنا إياها لنصنع بها الخير لنا ولكل الوجود...؟

ألا ترى إلى أن الله بخلق الإنسان قد شرفه بأن يكون الخالق الصغير بأمر الخالق الأعظم ووهبه الإمكانات والهبات التى كلما وظفها ومارسها أثمرت بين يديه جديداً وجديداً إلى مالا نهاية له؟

نعم حقاً إنه خلقنا من منطلق محبته، ومن منطلق خيريته وجودته ليسعدنا بوجوده معنا ووجودنا معه، عاملين مرضاته، نخلق ونعمّر ونملأ الأرض والوجود أثماراً صالحة ولإمتداد ملكوته....

إنه خلقنا من منطلق محبته لأنه صانع الخيرات، ولقد أحبّنا من قبل أن يخلقنا ولهذا خلقنا «ونعيمى مع بنى البشر» (سفر الأمثال ٨: ٣١) و «بالناس مسرته» (لوقا ٢: ١٤).

«لأننا نحن عمله، مخلوقين فى المسيح يسوع للأعمال الصالحة التى سبق الله فأعدّها لنا لنسلك فيها» (أفسس ٢: ١٠).

أما الشقاء فى حياة الإنسان، فهو الإنسان الذى يجلبه على نفسه باختياره وليس بإرادة الله، فإن الله أراد للإنسان الخير، ويريده له دائماً، ولذلك فإن الله يفرح بالأبرار الذين يشكرون، ويمجّدون الله فى حياتهم، ويعملون مرضاته ويمارسون مهمة وجودهم بالعمل، والجهاد، فيثمرون ثمراً صالحاً، ويمدون آفاق الخير فى الكون، ومن ثمّ فإن الله يكافئهم بالخير. وبعد نهاية رحلة حياتهم فى الأرض ينقلهم إلى الحياة الأفضل والأجمل. فنجاحهم فى حياتهم الأرضية هنا فى الدنيا يزكيهم ويرشحهم للإنتقال إلى المرحلة الثانية من مراحل وجودهم الذى سيمتد لحياة الأبد مع الله، فى سعادة دائمة «وهذا هو الوعد الذى وعدنا هو به الحياة الأبدية» (١ . يوحنا ٢: ٢٥).

فما أسعد الإنسان الذى يعى بالحكمة والفهم معنى وجوده فى الدنيا، وما أحكمه إذا فهم الغرض الحكيم الذى من أجله خلقه الله فى هذه الحياة، فإن الله أراد له الخير والسعادة الدائمة، ليحيا معه تعالى إلى الأبد.

١٣ ـ فعل السحر

سؤال من أحد القراء طلب أن لا يذكر اسمه منعاً للإحراج ـ يقول: ما هو الحل فى مشكلة من يتعرض لأعمال سحرية معتادة من إناس برعوا فى سحرهم إلى إيذاء غيرهم من رباطات السحر وتسليط الأرواح الشريرة عليهم. إن كاتب هذه السطور تعرض لهذه المشكلة. وقد أثر ذلك على شئون حياته، فمن معاكسات خفية فى نتيجة دراسته، وفى مشروع زواجه، وفى العمل، حتى إن كل خطوة أو مشروع ينوى القيام به ينتهى إلى عكس ما قصده أو إلى طريق مسدود، رغم الجهد الصادق الذى يبذله فلم يتحقق له أمله فى النجاح المقصود، ولا فى الزواج، ولا تقدم يذكر فى أعماله. ويرجع ذلك إلى خلاف حدث بين والده وبين أحد الذين برعوا فى السحر منذ زمن بعيد (منتصف الأربعينات، وبالتحديد عام ١٩٤٤). فاستخدم الذى برع فى السحر مهارته فى معاكسة والده ومعاكسة ابنه كاتب هذه السطور.

ثم يتساءل قائلاً: إن الشريعة الإلهية تحرم اللجوء إلى الوسائل الشائعة لإزالة الأعمال السحرية، فما هو الحل المشروع لإزالة هذه المعاكسات السحرية؟ ألتمس ارشادى إلى رجل قد أعطى من الله هبة إزالة الأعمال السحرية بالطرق المشروعة المقبولة من الله. فإنى لا أجد لى خلاصاً من هذه الحالة التى لا تسرّ صديقاً ولا عدواً.

الجواب :

لعلك تعرف جيداً أن السحرة وسطاء الشيطان وعملاؤه. فالشيطان وهو عدوّنا والمشتكى على جنسنا (الرؤيا ١٢ : ١٠) والذى يجول ملتمساً الإضرار بنا (١ . بطرس ٥ : ٨)، استطاع أن يستميل لطريقه بعضاً من الناس، أغراهم على أن ينضموا إلى جيشه فى مقابل تحقيق نفع لهم مادى أو جسدى، وهو يتعامل معهم، وهم يتعاملون معه. والسحر ليس جديداً، فمنذ القديم كان السحر، وكان السحرة، ومنذ القديم منع الله التعامل مع السحرة، وقال الله لبنى إسرائيل على يد النبى موسى الكليم «لا يوجد فيك.. من يعرف عرافة، ... ولا ساحر، ولا من يرقى رقية، ولا من يسأل جانا أو تابعة، .... لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب» (التثنية ١٨ : ١٠ ـ ١٢) «لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم أنا الرب إلهكم» (اللاويين ١٩ : ٣١). وفى قوانين الكنيسة نصوص تمنع اللجوء إلى السحرة، ولو لفك السحر وإبطاله، وتعده كخطيئة عبادة الأوثان، وهى أيضاً جريمة الخيانة العظمى، لأنها الإحتماء بعدو الله.

ومن خطابك يتبين أنك تعرف ذلك جيداً، ولكنك تريد أن ننصح لك بطريقة مشروعة، تقرّها الشريعة للخلاص من نتائج الأعمال السحرية التى برع فيها الذين أرادوا الإضرار بوالدك وبك أنت أيضاً بصفتك ابنه.

وإنى أوكد لك أن أثر السحر على الإنسان، يختلف من واحد إلى آخر على قدر ما فى الإنسان من قوة مضادة. ومثلنا فى ذلك اثنان يتصارعان، فالغلبة عادة للأقوى فيهما. ومثلنا فى ذلك أيضاً فى التنويم المغناطيسى. فالمنوّم لا يستطيع أن يتغلب على آخر لينومه إلا إذا كان أقوى منه، بحيث لو كان الآخر أقوى من المنوّم، أو يعارض المنوّم أو يقاومه فلا يستطيع المنوّم أن يجعله ينام. وقياساً على ذلك أقول: لو كنت وحدك أمام قوة السحر الشيطانى، ولم تكن مدرعاً ومسلحاً بأسلحة روحية قوية يمكن للسحر أن يقوى عليك. أما إذا كنت مسلحاً بالأسلحة الروحية فيمكنك بها أن تغلب، وتنتصر، فتندحر قوة السحر أمامك، تماماً كما لو ضربك أحد بسلاح من عنده وكنت أنت لابساً الدرع الواقى فسلاح خصمك أو عدوك يرتد خائباً ولن يؤذيك.

واعلم أيها الابن أن الله لم يتركنا مجردين من أسلحة روحية يمكننا بها إذا تنبهنا لها ولفاعليتها، وإذا استخدمناها الإستخدام الصحيح أن «نطفئ سهام الشرير الملتهبة ناراً» (أفسس ٦: ١٦)، وأن نصد بها كل سحر وكل رقية وكل عمل من أعمال الشيطان.

فليس عبثاً رسم الله للمؤمنين سرّ المعمودية، الذى به ندخل فى عضوية المملكة السماوية، وبه يُطرد الشيطان من أبداننا، بعد أن كان قبل المعمودية يسكن أبداننا كما يسكن صاحب البيت فى بيته، وكان من حقه وسلطانه أن يدخل بدن الإنسان وقلبه وعقله، متى شاء، ويخرج متى شاء، بإعتباره المالك للبيت. فإنه منذ أن طُرد الشيطان من السماء صار هو «رئيس هذا العالم» (يوحنا ١٢: ٣١)، (١٤: ٣٠)، (١٦: ١١). فلما نزل الله الكلمة إلى العالم بالتجسد، (يوحنا ١: ١٤) وأراد أن يغزو مملكة الشيطان فى هذا العالم، وينشئ لذاته ملكاً ومملكة (لوقا ١٩: ١٢) يكونها من أولئك الذين اقتنصهم الشيطان لإرادته (٢. تيموثيئوس ٢: ٢٦)، رسم المسيح لنا سرّ المعمودية (متى ٢٨: ١٩) لتكون الباب الذى ندخل منه إلى مملكة المسيح الجديدة على الأرض. واشترط للداخلين فيها وبها إعلان الإيمان بالمسيح (مرقس ١٦: ١٦) ورفض الشيطان وجحده علناً، وطرده من حياة المسيحى ومن بدنه قبل دخوله إلى جرن المعمودية - وفى مياه المعمودية تنحدر بالصلوات قوة الروح القدس لتغسل الإنسان من خطاياه السالفة (أعمال الرسل ٢٢: ١٦) فيولد الميلاد الثانى (تيطس ٣: ٥). فالميلاد الأول من الأب و الأم، والميلاد الثانى من الماء والروح القدس (يوحنا ٣: ٥)، وبعد خروج المؤمن المعمّد من جرن المعمودية يمسح المعمد على الفور بمسحة الروح القدس (١. يوحنا ٢: ٢٧)، بدهن الميرون فى ست وثلاثين موضعاً من بدنه، حتى تتحصن المنافذ التى منها يدخل الروح النجس إلى الإنسان، فيمتنع على الروح

النجس بعد الدهن بالميرون أن يدخل مرة أخرى إلى بدن المسيحى وجسمه، بشرط أن يعمل على صيانة الأسلحة التى لا تصدأ ، وهذا يتم بممارسة العبادات من صلوات وأصوام وتأملات ومراقبة النفس ومحاسبتها، والتقرب من المائدة الربانية.

إذا حافظ المسيحى، على أسلحته وصانها بالعبادات والرياضات الروحية، فلن يمكن للسحر أو أعمال الشيطان والسحرة أن تقوى عليه، إنما ترتد أسلحة الشيطان خائبة فاشلة ..

يروى السنكسار تحت اليوم الحادى والعشرين من شهر توت القبطى خبر شاب تولع بمحبة فتاة جميلة اسمها يوستينه (أى عادلة) وكانت عذراء عفيفة نذرت نفسها وحياتها للمسيح. وحاول الشاب أن يغريها بالمال، وبغير ذلك من أساليب الإغراء ليتزوجها فلم يفلح، وهددها وتوعدها فلم ينجح. وأخيراً علم بأن هناك بمدينة أنطاكية ساحراً شهيراً يسمى كبريانوس (أى المزهر أو المشرق) يمكنه أن يلين عزيمة الفتاة بسحره، فذهب إليه، وسأله إذا كان يستطيع أن يعمل شيئاً ليميل قلب الفتاة إليه، فوعده ببلوغ مرامه، وبذل جهده بسحره فلم ينجح فقد كان كلما أرسل إلى الفتاة قوة من قوى الشيطان وجدوها واقفة تصلى، فيعودون خائبين. ولما رأى كبريانوس أنه عجز عن التأثير على الفتاة، دعا الشياطين وقال لهم: إن لم تحضروا لى يوستينه اعتنقت المسيحية، فابتكر الشيطان حيلة بأن أمر أحد جنوده أن يتزيا بزىّ يوستينه ويظهر فى صورتها ويأتيه، ثم أعلم كبريانوس مسبقاً بمجيئها، ففرح كبريانوس وظل يرقبها وإذا بالشيطان المتشبه بها قد دخل إليه، فتهلل كبريانوس ونهض ليعانقها، ومن شدة ابتهاجه بها أخذ يردد: مرحباً بسيدة النساء يوستينه. فعند ذكر اسمها فقط تبددّ الشيطان المتشبه بها، وصار كالدخان، وانحل وأمسى كلا شئ. فأيقن كبريانوس بطلان قوة السحر الأسود أمام ذكر اسم يوستينه، فقام للوقت وأحرق كتب السحر، وذهب ونال العماد من بطريرك أنطاكية ثم فى الوقت المناسب ألبسه البطريرك شكل الرهبنة ورسمه شماساً فقسيساً، وأخيراً رسموه أسقفاً على قرطاجنة فى سنة ٢٤٨م . أما القديسة يوستينه فأقاموها رئيسة على دير الراهبات هناك بأنطاكية.

وعلى ذلك فإذا كنتَ قد نلتَ فعاليات سر المعمودية، ونلتَ المسحة المقدسة بالميرون، وواظبت على الصلوات والوسائط الروحية فلن يغلبك السحر الأسود.

وإنى أذكّرك بأن خوفك من السحر ونتائجه ببعض المظاهر التى لاحظتها فى تعطيلك فى دراستك أو فى مشروع الزواج أو العمل، خلق فيك إيحاء أضعف من مقاومتك. وهكذا كان ودائماً يصنع الخوف بالإنسان.

إن الخوف هو عدو آخر شرير يضر بصحة الإنسان النفسية والعصبية والبدنية، وهو **الآفة** العظيمة وراء جميع الأمراض النفسية.

وقالوا فى بيان أثر الخوف على الإنسان نفسياً وذهنياً وعصبياً، أن وباء أصاب بلدة ما، **فمات** فيها من مات بالوباء، فرأى أحد النساك العباد ملاكاً مرّ به، فسأله عن سبب مجيئه، فقال إننى أتيت لأتسلم أرواح الموتى وهم خمسة آلاف. وفى عودته من البلدة إلتقى به العابد وسأله عن عدد الذين ماتوا فقال: خمسين ألفا ... فتعجب العابد وقال للملاك: كيف للملاك أن يكذب، **ألم** تقل لى إنك ستقبض أرواح خمسة آلاف، فكيف تقول الآن إنهم خمسون ألفاً؟ فقال الملاك: إنهم حقاً كما قلت لك: إن الوبأ قتل خمسة آلاف، ولكن الخوف قتل خمسة وأربعين ألفاً.. انظر كتاب (عش سليماً بغير مرض ـ للدكتور إبراهيم فهيم)، (اقرأ ٤٠٥ صفحة ١٥).

لذلك فإن الخوف، فى الدائرة الروحية، يعد خطيئة، لأن الخوف ضد الإيمان، «وبدون الإيمان لا يمكن إرضاء الله» (العبرانيين ١١: ٦) ومن هنا فإننا فى صلوات القداس تعلمنا أن نصلى قائلين «لكى بقلب طاهر .. وإيمان بلا رياء.. ورجاء ثابت، نجرؤ بدالة وبغير **خوف** أن نطلب إليك يا الله الآب القدوس السماوى..» بل ويقول الكتاب المقدس «وأما **الخائفون** وغير المؤمنين... والسحرة ... نصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت، الذى هو الموت الثانى» (سفر الرؤيا ٢١: ٨).

إن شدة خوفك من السحر، ونتائجه قد أضعف مقاومتك، وصار الخوف بالنسبة لك سبب إيحاء ضار. ويقول علماء النفس إن هناك من بين القوانين المؤثرة فى النفس ما يعرف بقانون (الجهد المعكوس) فالمبتدئ مثلاً فى تعلم ركوب الدراجة، متى رأى فى طريقه حجراً كبيراً، فإنه يخشى الاصطدام به.. ولما كان مبتدئاً والمبتدئ يتهدده الشعور بالخوف، فالخوف يتملكه ويحتل فكره الأمر الذى يؤدى به إلى الإصطدام بالحجر، بدلاً من الإبتعاد عنه.. وعند العوام مثل يرددونه (الذى يخاف من العفريت، يظهر له العفريت).

لذلك أقول لك أيها الابن. مادمت محصناً بالأسرار المقدسة وبالصلوات والعبادات، فلا تخف .. من السحر، فالسحر لا يقوى عليك.

وقد تكون الظواهر التى لاحظتها من حيث المعاكسات الخفية فى نتائج دراستك وفى مشروع زواجك، وفى العمل، مردها لأسباب أخرى غير السحر.. وهذه الأسباب ما أكثرها، بعضها منك، وبعضها من آخرين من الناس... وبعضها من الشيطان والأرواح المضادة، من دون سحر. ولكن علمك بأن هناك من برع فى معاكستكم بالسحر أضفى على هذه المعاكسات حجماً أكبر من

حجمها الحقيقى، وبدلاً من أن تبحث عن أسباب أخرى، تركز فكرك فى سبب واحد هو السحر، فصار عندك هو السبب الواحد والوحيد، مع أنه يمكن أن تكون ثمت أسباب متعددة.

والخلاصة أنك كمسيحى سلاحك ضد السحر، هو الوسائط الروحية والإيمان، وطرد الخوف، والإستغاثة بالله وبقوته.

أضف إلى ذلك استدعاء أحد شيوخ الكهنة فى منزلك ليصلى ما يعرف بصلوات تبريك البيوت (هى غير صلوات القنديل أو مسحة المرضى) ثم يرش الماء المصلى عليه فى كل غرفات المنزل لطرد الأرواح الشريرة التى قد تكون ساكنة فى البيت، ولتشرب أنت أيضاً وأهل بيتك من هذا الماء.

ولك أن تستحضر إلى بيتك من الماء المصلى عليه فى الكنيسة ومنه الماء المقدس والمدشن فى صلوات قداس اللقان (فى مناسبات عيد الغطاس - وخميس العهد - وعيد الرسل).

ولا غنى لك بعد ذلك عن صلوات المزامير فى البيت، فإنها ذات فعالية - وأخيراً كن قوى القلب لا تخف من شئ، واسمع عبارة المسيح له المجد التى كان يرددها لتلاميذه «اطمئنوا، أنا هو لا تخافوا» (متى ١٤: ٢٧)، (مرقس ٦: ٥٠)، (يوحنا ٦: ٢٠) «لماذا أنتم خائفون يا قليلى الإيمان؟»، (متى ٨: ٢٦)، (مرقس ٤: ٤٠)، وقل مع صاحب المزامير «على الله توكلت فلا أخاف» (مزمور ٥٥: ٤، ١١) «الرب لى فلا أخاف» (مزمور ١١٧: ٦) «الرب معين لى فلا أخاف» (العبرانيين ١٣: ٦).

١٤ ـ ما هو أساس موضوع البسلة؟ (١)

العزيز الإبن السيد / نصيف القمص لوقا ـ شارع البحر ـ اسنا

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

يسرني ردا على خطابكم المؤرخ ١٩٨٤/١١/٦ أن أجيب بالآتي:

السؤال الأول

ما هو اساس موضوع (البَسْلة) التى تُعمل على البحر ليلا أو باكرا بإيقاد بعض النار وتخطيها (والذى يخطيها هو الإنسان الذى أصابته رجفة أو خضة) ورش بعض الحبوب من القمح أو الذرة الرفيعة أو..... مع ملاحظة أنه من شروط هذه البَسْلة لا يرشم فيها علامة الصليب ولا تذكر فيها البسملة إطلاقاً. وإذا استخدمت فيها البسملة أو رشم علامة الصليب تصبح ٣) ويقول أيضاً «وإله السلام سيسحق الشيطان تحت ولم

وسؤالى الآن ما هوأساس هذه البَسْلةَ، هل هى جذور مسيحية أم فرعونية أو.... ؟

الجواب :

إن هذه البَسْلة التى تذكرونها هى إجراء سحرى، **والسحر نوع من عبادة الشيطان، ويعتبر فى كنيستنا أفظع وأبشع من عبادة الأوثان.**

ويكفى للتدليل على أن هذه البَسْلة عمل من السحر، وأنها تنتمى إلى عالم الشيطان وقواته الشريرة، أنه يشترط فيها لتكون ناجحة أو تؤدى إلى الغرض منها كما يقولون، أن الذى يتخطاها يتحتم عليه أن لا يرسم الصليب، ولا يذكر البسملة اى اسم الله أو اسم المسيح أو اسم الصليب.

هذه البَسْلة إذن طريق خاطىء، لا يسمح المسيحى السائر فى طريق السماء لنفسه أن يسلك فيه، وإلاّ كان كمن يسلّم نفسه للشيطان، وهو طريق محفوف بالمتاعب. فمن يستخدمه لابدّ أن تتعقد أموره أخيراً حتى لو رأى فى مبدأ الأمر، أنه استفاد من هذه البسلة بعض الفائدة. **إنها عمل من أعمال الشيطان. وما السحرة، العاملون بالسحر إلاّ عملاء للشيطان.**

إننا نحذر أبناء الكنيسة من هذا الطريق الخاطىء، فإنه يجر إلى عداوة الله أخيرا، وإلى الخروج من حظيرة الإيمان بالله إلى حظيرة عدو الله.

ونحن لا نعتقد أن البَسْلة من تراث مصر القديمة أو الفرعونية، وهى بالصورة التى شرحتموها فهى من تعليم الشيطان، وعملائه السحرة، وهى رجس من الشيطان.

---

(١) كتب فى ١٧ من نوفمبر ـ تشرين ثان لسنة ١٩٨٤م ـ ٨ من هاتور لسنة ١٧٠١ش.

السؤال الثانى

سمعت كثيراً وسئلت أكثر إذا كان إنسان قد نالته رجفة أو فزع من أمر ما أو منظر مرعب أو.... وكان تأثير هذه الرجفة أنه أصيب بنوبات إغماء وأحياناً يلمسه روح شرير من شدة الرجفة، فيقولون أن هذا الإنسان لو مارس سرّ التناول قبل أن يقوم بعمل قنديل بعد الرجفة، فإن سرّ التناول يُثبّت هذه الرجفة، وذلك لأنه لم يقم بعمل قنديل خلال الثلاثة الأيام التالية للرجفة وخصوصاً عندما تكون شديدة ـ فكيف يكون هذا والسرّ يعطى حياة أبدية؟

والسؤال هو : هل حقيقةً التناول يُثّبت الخضة أو الرجفة؟

الجواب :

هناك إحتمال أن ينتهز الشيطان أو الأرواح النجسة فرصة الرجفة إذا كانت شديدة فينفذ إلى جسد الإنسان إذا ارتعش إرتعاشاً شديداً إهتز معه كيانه هزاً عنيفاً، لا سيما إذا لم يكن قد مُسح بعد المعمودية (إذا كان مسيحياً) بالمسحة المقدسة (وهى الميرون) فى ٣٦ ست وثلاثين موضعاً من جسده كما رسمت الكنيسة المقدسة بإرشاد وتعليم الروح القدس.

فإذا دخل فى هذا الإنسان شيطان أو روح نجس، فلا يجوز له أن يتقرب بعد ذلك من الأسرار المقدسة حتى لو طلب هو ذلك، لأن من دخل الشيطان أو الروح النجس إلى جسده يُمسى محكوماً بالشيطان فكيف يجوز له أن يتقرب إلى الأسرار المقدسة؟

ألم يقل الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول: «فمن أكل من هذا الخبز أو شرب من كأس الرب بدون إستحقاق (أى لم يكن أهلاً لهما) يكون مجرما (أى مذنباً) إلى جسد الرب ودمه... فمن يأكل ويشرب بدون إستحقاق غير مميز جسد الرب يأكل ويشرب دينونة لنفسه. ولذلك فيكم كثيرون من الضعفاء والمرضى، وكثيرون يرقدون» (١ . كورنثوس ١١ : ٢٧ ـ ٣٠).

وهذا معناه أن من به شيطان أو روح نجس ويتقدم مع ذلك إلى الأسرار المقدسة، **فإنه يُمسى مجرّماً إلى جسد الرب وإلى دمه لأنه غير مستحق لهذا الشرف، لأن معه وفيه الشيطان عدو الله ـ ثم أنه بدلاً من الخير الذى يظنه له الذين يقربونه أو ينصحونه بالتقرب من الأسرار المقدسة، ينال لعنة وشراً بل ويُضرب من السرّ المقدس ضربات الغضب الإلهى فى روحه ونفسه وبدنه.**

ونعمة الرب تشملكم،،،،،

١٥ ـ قوانين الكنيسة تمنع منعاً باتاً اللجوء إلى السحرة

الإبنة العزيزة س . م

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع، أرجو لكِ الصحة الروحية والنفسية والبدنية.

رداً على خطابك أيتها الإبنة، نقول إنه من الخطأ استدعاؤكم لشخص أراد أن يحضِّر لكم (أرواح سفلية) على حد قولك، واعلمى أيتها الإبنة أنّ استحضار أرواح سفلية يتم بفعل النجاسة، وهذه خطيئة مضاعفة. لستُ أعرف كيف سمحتِ لهذا الأمر، وما هى الضرورة لذلك؟، واعلمى أنّ قوانين الكنيسة تمنع منعاً باتاً اللجوء إلى السحرة، لأنهم عملاء للشيطان، وتعتبر اللجوء إلى السحرة حتى بحجة إبطال الأعمال السحرية، شراً من عبادة الأوثان وهذا لا يليق أبداً بالمسيحيين.

إنّنا ننصح لكم أيتها الإبنة بإستدعاء أحد شيوخ الكهنة للصلاة فى بيتكم الصلاة التى تُعرف بصلاة (تبريك البيوت) فيصلّى الكاهن على ماء فيتقدّس الماء وينثره الكاهن عليكم وفى كل أنحاء البيت وجميع الغرفات والأنحاء، لطرد الأرواح الشريرة التى قد تكون رابضة أو ساكنة بالبيت ـ وصلاة (تبريك البيوت) يعرفها الكهنة وهى غير صلاة (مسحة المرضى) . وياحبذا لو أنّ (صلاة تبريك البيوت)، يمارسها الكاهن فى بيتكم أكثر من مرة. ليكن ٣ مرات على مدى بضعة أيام.

أما أنتِ أيتها الإبنة، فواظبى على أداء الصلوات السبعة النهارية والليلية، ويمكن أن تكتفى بمزمور أو إثنين من كل صلاة مع بعض القطع والصلوات الأخرى موزعة على ساعات اليوم ـ ولابدّ أن تقرأى فى الكتاب المقدس إصحاحاً يومياً بإنتظام وليكن بصوت مرتفع قليلاً لتمنعى شرود ذهنك، ويحسن أن تقرأى فى بعض الكتب الروحية ولو بضع صفحات كل يوم ـ على أن تكون كتباً موثوقاً بها.

ويلزمك أيتها الإبنة أن تتقدّمى إلى سرّ التناول من المائدة الربانية **بإنتظام**، مع ممارسة التوبة اليومية، والإعتراف لله على يد الكاهن أب الإعتراف، ويكون شيخاً ولا يكون راهباً، والإستعداد للتناول بطهارة الرّوح، والفكر، والجسم.

وعند النوم، أغسلى وجهك، ولا تتأخرى عن الساعة ١١ مساء. وليكن نومك على جانبك الأيمن، وضعى يدك أو كفك تحت صدغك. وأثناء النوم رددّى في صمتٍ صلاة قصيرة (يارب يسوع المسيح أرحمنى واحفظنى وأعنِّى)، أو مزمور ٢٦ من صلاة باكر (الربّ نورى وخلاصى ممن أخاف).

وليكن فى حـــجـــرة نومك بعض الضـــوء الخـــافت ـ أى تجنّبى النوم فى الظلام الدامس ـ واحرصى على أن تنامى بعد العشاء بساعتين مثلاً، فلا تكون معدتك مكدّسة بالطعام عند النوم. ومرة أخرى ليكن نومك على جانبك اليمين مثلاً، وتجنبّى النوم على ظهرك.

ونعمة الرب تشملك،،،،،

١٦ ـ إن السحر يقوى على غير المحصنين بالصلوات والأسرار

الإبنة / ن . أ

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، أرجو لك ولشقيقتك موفور الصحة وكل التوفيق، وللأسرة جميعاً.

شكراً لك أيتها الإبنة على إهتمامك بأختك، وبأمر زواجها، على أننى لا أؤيدك فى إستنتاجك وإستنتاج الوالدة كما تقولين، أنّ تأخرها فى الزواج هو بسبب عمل سحرى. فهناك عديد من الأسباب الأخرى فى تأخر أى فتاة عن الزواج. منها ما يرجع إليها، فقد يتقدم أحد الشباب، ولا تراه هى الشخص المناسب. أو قد تؤجل هى أمر الزواج لأسباب شخصية أو عائلية، أو لعدم إستقرارها فى دراستها العلمية ثم أيضاً بسبب العمل المناسب، وبالمثل يقال بالنسبة للشاب أو الفتى، هناك عديد من الأسباب ـ ولا سيما فى زماننا الحاضر ـ تدعو الشاب إلى التردد أو التأخر أو تغيير رأيه... لماذا تتجهون إلى تعليل تأخر شقيقتك إلى السحر والعمل وما إلى ذلك؟

واعلمى أيتها الإبنة أنه إذا كان الإنسان المسيحى مُحَصَّنًا بالصوات، والتناول من الأسرار المقدسة بإستحقاق، فلا يقوى عليه السحر. إن السحر يقوى على غير المحصّنين بالصلوات والأسرار المقدسة.

إننى أحذركم من الإلتجاء إلى السحرة، حتى ولو لفكّ العمل السحرى. إنّ السحرة هم عملاء الشيطان فى الأرض، والإلتجاء إليهم إلتجاء إلى أعداء الله. ولذلك فإن اللجوء إلى السحرة، يعد أشر من عبادة الأوثان كما تقرر القوانين الكنسية.

إنّ ما ننصح به هو إستدعاء الكاهن فى البيت ليصلى صلاة (تبريك البيوت) وصلاة تبريك البيوت هى غير صلاة القنديل. فيصلى الكاهن على وعاء من الماء ـ صلاة تبريك البيوت، وبعد تقديس المياه يرشها على أعضاء الأسرة، ويرش الماء أيضاً فى كل الحجرات. هذه الصلاة ذات فعالية ضد الشيطان وأعمال السحر. فهى صلاة طاردة للأرواح الشريرة التى قد تكون ساكنة فى البيت، ومبطلة للسحر ـ والأعمال السحرية..

ويمكن بل يَحْسُن أن تُمارس صلاة تبريك البيوت، أكثر من مرة على مدد متقاربة أو متباعدة..

هذا إلى جانب الصلاة على رأس كل أعضاء الأسرة.

إنّ الإحتماء بالله وبوسائط الخلاص فى الكنيسة هى سلاح المسيحيين ضد أعمال الشياطين ومنها أعمال السحر وما إليها.

وأخيراً نصلّى وندعو للإبنة شقيقتك بالتوفيق فى زواج سعيد، يسعدها ويسعد بها أيضاً من يتزوجها لتكوين أسرة مسيحية مثالية.

ونعمة الرب تشملكم،،،،،

١٧ ـ لا تنزعج من فعل السحر(١)

الإبن العزيز فى المسيح خ. ع ـ أبو تيج

سلام ومحبة وبركة ـ

لا تنزعج كثيراً من جهة العمل السحرى ولا تقلق. إنه يمكن أن يضعف شيئاً فشيئاً ثم يبطل. إنك بمفردك يمكن أن يقوى عليك العمل السحرى، إنما إذا كنت محصّناً بوسائط الخلاص فإنه يضعف أمامك لأنك لست وحدك.

صلِ أنت أولاً ـ ثم استدعِ أحد الكهنة يصلى على رؤوسكم، ويصلّى على ماء، وترشونه فى أنحاء البيت، واحملوا أيضاً إلى البيت من ماء (اللقان) الذى تدشّن فى خميس العهد لأن فيه قوة ضد كل سحر وكل عمل شيطانى.

ثمّ إذا لم تكن هناك خطيئة مانعة تقدموا إلى المائدة الربانية.

بهذا كله تغلبون قوة الشيطان وقوة السحر. لا تقلق. كل مشكلة لها حل. والمشكلات الروحية تحل بالحلول الروحانية.

ونحن نصلّى من أجلكم، ونطلب بركة الرب عليكم وأن يسحق قوة الشيطان تحت أقدامكم

الرب معكم،،، ونعمته تشملكم،،،،

١٨ ـ السحر يُبطل بالصلوات المقدّسة (١)

الأبن خ.ع.ـ أبو تيج.

سلام ومحبة وبركة

لا تخف من السحر. فإنك بالصلوات وممارسة الأسرار المقدسة يمكنك أن تبطل قوته، صلواتكم أنتم، وصلوات الكنيسة، والكهنة.

خذ ماء مصلّى عليه فى الكنيسة، ويحسن أن يكون حاضراً أثناء القداس، ورشه فى بيتك، وأشرب منه، واغتسل به ـ فالسحر يبطل بنعمة الله.

واطلب أحد شيوخ الكهنة يصلّى فى بيتك على ماء صوات تبريك البيوت، ويرشه فى البيت، فيبطل عمل السحر بقوة الله.

حماكم الله منه، الرب يباركم ويدفع عنكم كل شر، ويبطل كل أعمال الشيطان،،،

١٩ ـ أحذرك من إستخدام كتاب (١)
«دلاد الدلال»

الإبن العزيز ع. س. ح ـ ميت يعيش ـ ميت غمر

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

رداً على سؤالكم الوارد فى خطابكم بخصوص كتاب «دلال الدلال للمزامير الكبار» وما قيل لكم من أنه يمكن عن طريق هذا الكتاب تحضير خدّام واستخدامهم للإضرار بأشخاص وإيذائهم ممن يشاء الإنسان أن يصيبهم بضرر، أو تحقيق طلب يريده لنفسه.

أفيد بأنه من الخطورة الكبيرة إستخدام هذا الكتاب ـ حتى لو كان ذلك بتلاوة المزامير ـ لتحضير خدّام وإستخدامهم لتحقيق رغبة فى الإيذاء أو النفع، فإن إستخدام مثل هذه الوسائط يتيح فرصة للشيطان وجنوده أن يظهروا لهذا الشخص، ويوهموه أنهم ملائكة أخيار.

قلت إن هذا الطريق خطر جداً، ويفتح هوة سحيقة للضلال والإضلال والتعامل مع الأرواح الشريرة المنخفضة والدخول فى علاقات معها ـ ويتحول هذا الإنسان إلى عميل من عملاء الشيطان وكل جنوده.

إنه لا يجوز لنا أن نصلّى بنيّة ظهور ملاك أو خادم لنستعمله فى خدمة أغراضنا. إننا بالصلاة نستغيث بالله وبملائكته وقديسيه، دون أن يكون ذلك بهدف ظهور خادم أو ملاك. فإن مجرد وجود هذه النيّة تتلف الصلاة وتحولّها من إستغاثة بالله والأرواح العالية إلى إستعانة بالأرواح المضلّة والساقطة والمنخفضة لنحقق عن طريقها مقاصد معيّنة.

إن الصلاة لله المقصود منها دعم الصلة بين الإنسان وخالقه، والإستغاثة به فى طلب معونته تعالى، ولكننا نترك لله أن يستجيب حسب مشيئته بما يراه فى محكم تدبيره مناسباً ونافعاً لنا، مما يتفق مع إرادته الصالحة لخيرنا وخير جميع الناس.

إننى أحذرك أيها الإبن من أن تدخل فى طريق دلال الدلال وما إلى ذلك، ومن تحضير الخدام، فإنهم عادة خدّام من مستويات منخفضة. إن الخدام والملائكة الصالحين «أرواح مرسلة للعتيدين أن يرثوا الخلاص» وهم لا يأتون إلاّ فى حدود إختصاصاتهم المكلفين بها كخدام لملك الملوك، إنما الخدام القديسون لا يأتمرون بأمر البشر. واذكر قول الوحى الإلهى «وأرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء» (١ . كورنثوس ١٤ : ٣٢) أى أن الأرواح المقدسة لا تخضع إلاّ لمن يفوقها، وبناء عليه تخضع لأمره.

---

(١) كتب فى ١٩ يونية ١٩٨٤م ـ ١٢ بؤونه ١٧٠٠ ش.

أما نحن فمسموح لنا أن نستغيث بالله وملائكته. ولكن ما أبعد الفرق بين الإستغاثة وبين التحضير. الإستغاثة تكون من الصغير نحو الكبير. أما التحضير فيكون من الكبير للصغير. وعلى ذلك فمن يطلب ظهور خادم ليحقق له مقاصده، فلابدّ أن يكون هذا الخادم أقل من مستوى الطالب حتى إنه يأتمر بأمره وطبعاً لا يكون أقل من مستوى الطالب إلاّ روح شرير أو روح منخفض.

لهذا أرجو أن تُطلّق هذا الفكر طلاقاً بائناً. ولا تسمح لنفسك أن تدخل فى هذا المضمار، فإنه يفتح لك ميدان تجارب شيطانية أنت فى غنى عنها.

ثم نحن لا نطلب كمسيحيين شراً أو إيذاء لأحد. إننا نطلب الخير لكل أحد.

وعلى وجه العموم، إذا كان لنا طلب، نضعه أمام الله، ونترك لله أن يستجيب بما يراه حسب مشيئته.

ونعمة الرب تشملكم،،،،

٢٠ - إستعمال البخور فى المنازل(١)

العزيز الإبن/ نبيل عزيز عطا الله

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

رداً على سؤالكم عن إستعمال البخور فى المنازل نقول إنّ الكاهن يستخدم البخور فى صلوات مسحة المرضى، صلوات القنديل فى المنزل، وهذا أمر طبيعى ومقبول، لأنه ضرب من العبادة لله، وملازم للصلاة.

ولما كان السحرة يستخدمون البخور فى المنازل إرضاءً للشياطين، وتعبداً وإسترضاءً لهم، وإستجلاباً لمعوناتهم.

لذلك لا يَستَحبُّ الأقباط منذ القديم أن يستخدم الذين لا يحملون إحدى الدرجات الكهنوتية، تصعيد البخور فى المنازل، توقياً من تدخلات الشياطين والأرواح النجسة الذين يتطلبون حرق البخور، تعبداً للشياطين وتحضيراً لهم فى الأعمال السحرية، لأنّ السحرة هم عملاء للشياطين فى الأرض.

لذلك، وتحسباً للخلط بين التبخير لله، والتبخير للشيطان، وتوقيا من حضور الشياطين والأرواح النجسة، يُكتفى بأن يقصر تصعيد البخور فى المنازل لأصحاب الدرجات الكهنوتية، كما هو الحال فى ممارسة سرّ مسحة المرضى، القنديل، وما إليه من الخدمات الروحية الكنسية التى يمارسها أصحاب الدرجات الكهنوتية. وهذا أسلم عاقبة وأكثر ضماناً.

٢١ ـ السبب فى متاعبك من معاكسات الأرواح الشريرة (١)

العزيز الشاب / ج . ت .

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

قرأت خطابك الذى يعبر عن متاعبك من معاكسات الأرواح الشريرة.

ويبدو لنا أنه ربما يكون السبب المباشر فى هذه المتاعب أنك إستسلمت وقتاً ما للأفكار الشيطانية والحروب الجنسية، فطمعت فيك تلك الأرواح النجسة، وأرادت أن تنشىء علاقة معك. لقد سمحت لفكرك وقلبك أن يجتر كثيراً هذه الأفكار، لذلك تسلطت عليك أشباح من أرواح منخفضة. وإن لجوءك إلى السحرة بقصد طردها، يجعلك تحت سلطانها حتى لو لم يظهر ذلك. ونصيحتى إليك:

(١) أن تهرب من المثيرات، والتفكير فى الجنس وكل ما يهيج جهازك التناسلى.

(٢) أن ترش البيت ولا سيما حجرة النوم بماء مصلى عليه.

(٣) أن يكون هناك ترتيل فى البيت. فالألحان الكنسية والمدائح والأنغام الروحانية تنعش النفس، وتطرد الأرواح الشريرة.

(٤) أن تستشفع بالعذراء وبالشهداء من أمثال الشهيد مارجرجس، ومارمينا العجائبى، فيكونوا فى عونك، ويطردون عنك الشياطين والأرواح النجسة.

(٥) كن ثابتاً، لا تتزعزع، ولا تخف.

ونعمة الرب تشملك،،،

٢٢ ـ حرب من العالم السفلى

سؤال : من السيد ج.ت.ى

يقول أنه طالب بالثانوية العامة وقد رسب فى العام الماضى، ومتاعبه بدأت منذ أربع سنوات. فقد كان يسير فى الطريق، فأحس بيد ضربته ثلاث ضربات ولكنه لم يبصر احداً، ومضت سنتان على هذه الواقعة وفى السنة الثالثة بدأ يحس وهو نائم ليلاً بإنسانة تضغط على حنجرته وتسبب له مضايقات كثيرة، فينهض من نومه صارخاً صراخاً عالياً فيستيقظ على صراخه أهل بيته. وينهضوا مذعورين، مما أوقعه فى حرج كبير.

وقد تطورت هذه الحالة، حتى صار يعانى من ضغط هذه الإنسانة على جسمه وهو مستيقظ، وفى كامل وعيه، ولا تختفى عنه إلاّ عندما يصرخ مستغيثاً بأهل بيته.

ومرة رأى نفسه وقد نزل إلى ما تحت الأرض وأبصر ثلاث بنات أخذن يغرينه على البقاء معهن تحت الأرض، وهن يرينه مبانى كثيرة، ويقلن له أن بقاءك معنا أفضل لك ، وأتفقن معاً على إثارته ليخطىء معهن، فرفض أن يصنع هذا الشر العظيم. وفى إحدى الليالى شعر بإحداهن تجاوره فى الفراش، ونهض من فراشه فى حالة عجز عن النطق والكلام، ومتاعب أخرى كثيرة مماثلة. وقد لجأ إلى بعض السحرة للخلاص من هذا العذاب فعملوا له حجاباً، ولكنه لم يستفد شيئاً، ثم يقول : إنى أسأل أن تعينونى برأيكم وتنصحونى بما أصنع؟

الجواب :

قرأت خطابك الذى يعبر عن متاعبك من معاكسات الأرواح الشريرة.

ويبدو لنا أنه ربما يكون السبب المباشر فى هذه المتاعب إنك استسلمت وقتاً ما للأفكار الشيطانية والحروب الجنسية، فطمعت فيك تلك الأرواح النجسة، وأرادت أن تنشىء علاقة معك. لقد سمحت لفكرك وقلبك أن يجتر كثيراً هذه الأفكار، لذلك تسلطت عليك أشباح من أرواح منخفضة، وأن لجوءك إلى السحرة بقصد طردها، يجعلك تحت سلطانها حتى لو لم يظهر لك ذلك. ونصيحتى إليك:

(١) أن تهرب من المثيرات، والتفكير فى الجنس وكل ما يهيج جهازك التناسلى

(٢) أن ترش البيت ولا سيما حجرة النوم بماء مصلى عليه

(٣) أن يكون هناك ترتيل فى البيت. فالألحان الكنسية والمدائح والأنغام الروحانية تنعش النفس، وتطرد الأرواح الشريرة.

(٤) أن تستشفع بالعذراء وبالشهداء من أمثال الشهيد مارجرجس، ومارمينا العجائبى، فيكونوا فى عونك، ويطردوا عنك الشياطين والأرواح النجسة.

(٥) كن ثابتاً، لا تتزعزع، ولا تخف.

ونعمة الرب تشملك.

٢٣ ـ نحذركم من الذهاب إلى السحرة

الأبن / م. ج. ص ـ بنى مزار

سلام ونعمة من ربنا يسوع المسيح.

بخصوص الأخ المريض، والذى قيل لكم فيه أنه قد لبسه روح شرير، وقد عرضتموه على أطباء نفسيين على قولكم، يحتاج الآن إلى مواصلة الصلاة عليه من كهنة شيوخ، صلوات طويلة ـ وإياكم أن تلجأوا إلى السحرة، فإنهم عملاء الشيطان، ولا إلى أشخاص عاديين من المسيحيين أو غيرهم. إنما **الكهنة وحدهم** فإنّ المسيح له المجد وهب هذا السلطان **للكهنة** المزوّدين بسرّ الكهنوت.

قال الإنجيل «ثم دعا تلاميذه الإثنى عشر **وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يُخرجوها ويشفوا كلّ مرضٍ وكل ضُعف**» (متى ١٠: ١)، (مرقس ٣: ١٥)، (مرقس ٦: ٧)، (لوقا ٩: ١).

واعلم أيها الإبن أن بعض الأرواح الشريرة عنيدة ومتمردة ولكن لا تيأسوا، الأمر يحتاج إلى مواصلة الصلاة مرات ومرات بلا يأس.

إنما نُحذّركم من الذهاب إلى السحرة، أو إلى غير الكهنة الشيوخ المتعبّدين.

ونعمة الرب تشملكم جميعاً،،،،

٢٤ ـ حقيقة الشبح الأسود

سؤال من الآنسة ع. ن. ب.

تقول أنه قبيل وفاة الأب ببضع ساعات رأت إبنته وهى تستذكر دروسها فى نحو الساعة الثانية بعد منتصف الليل، شبحاً أسود يدور وراءها، وكلما إلتفتت نحوه يختفى، ولكن ظل الشبح يدور وراءها مما أفزعها جداً، فنهضت تصلى وتبكى فى صلاتها، وتولاها شعور غريب وكانت خائفة وأعادت الصلاة بين الحين والحين حتى الساعة السادسة والنصف، وإختفى الشبح بعد ذلك ولم تعد إلى رؤيته. ولكن والدها توفى بعد بضع ساعات . فهى تسأل عن هذا الشبح الأسود وهل هو ملاك الموت، أم هو روح شرير؟ ولماذا ظهر فى تلك الساعة المتأخرة من الليل، ولماذا إختفى بعد الصلاة علماً بأن والدها كما تقول رجل تقى يخاف الله، ولقد رآه أفراد أسرته بعد وفاته فى مناظر سعيدة منيرة تدل على أن مصيره سعيد بين أرواح القديسين؟

الجواب :

الشبح الأسود الذى رأته الأبنه يدور حولها ليس له علاقة بالأب. فالأب كما وصفته إبنته، وكما اتضح من الرؤى والمناظر المنيرة السعيدة التى رآه فيها أفراد أسرته، كان من الأتقياء، وقد استراح بوفاته، ومضى إلى مواضع النياح والراحة التى للأبرار والصديقين.

أما الشبح الأسود والذى طردته الصلاة فقد يكون روحاً شريرة لم تجد لها سبيلاً عند الأب القديس، فحامت حول الإبنة لعلها تجد طريقها إليها. ولكن الإبنة نهضت وصلّت عددا من المرات، واستعانت بالسماء فلم يجد الروح الشرير مفرا له إلا بالهرب. يقول الوحى الإلهى «اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو. فقاوموه راسخين فى الإيمان» (١ . بطرس ٥: ٨ ، ٩).

اطمئنى أيتها الإبنة فإن الروح الشرير لا مجال له عند الأبرار والقديسين. لقد خرج ولم يؤذك بشر، وهذا دليل على أنه لا قوة له على المفديين بدم المسيح الذين يحاربونه ويغلبونه بدم الحمل وبكلمة شهادتهم (سفر الرؤيا ١٢: ١١). ويقول الوحى الإلهى : «ولكننا فى هذه جميعها يعظم إنتصارنا بالذى أحبنا». (رومية ٨: ٣٧) ويقول أيضاً «وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً» (رومية ١٦: ٢٠).

٢٥ ـ حقيقة ما يقال عن (المخاوين للشياطين)(١)

العزيز المعلّم ج. ى.

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح

رداً على خطابكم المؤرخ ٤ من يناير لسنة ١٩٨٦ واستفساركم عن حقيقة ما يقال عن (المخاوين للشياطين) وما يزعمونه من العلاقات الجنسية التى يرتبط بها بعض الناس من الرجال والنساء.

الجواب :

إن التعليل لهذه الظاهرة فى حياة عدد من الناس، فيرجع فيما نعلم إلى خيالات شيطانية، سفلية.

والخيالات الشيطانية، هى التى يشار إليها أحياناً فى الكتب الكنسية: ففى تحليل صلاة نصف الليل للكهنة يرد القول:

(أبطل عنا يارب، وعن سائر شعبك، كل الأحلام **والخيالات والهواجس الشيطانية**)

وفى تحليل صلاة الغروب من صلوات الساعات (الأجبية) يقول المصلّى (... ونجنا من حيل المضاد، وأبطل سائر فخاخة المنصوبة لنا. وهب لنا فى هذه الليلة المقبلة سلامة بغير ألم ولا قلق ولا تعب، **ولا خيال**، لنجتازها أيضاً بسلام **وعفاف**).

جاء فى سفر إشعياء النبى (ويكون صوتك **كخيال من الأرض** ويشقشق قولك من التراب) (إشعياء ٢٩ : ٤).

وجاء فى سفر أيوب قوله (**الأخيلة ترتعد من تحت المياه وسكانها**) (أيوب ٢٦ : ٥).

وفى سفر المزامير (أفلعلك للأموات تصنع عجائب **أم الأخيلة تقوم تمجدك**) (مزمور ٨٨ : ١٠).

وفى سفر الأمثال يتحدث عن المرأة الأجنبية وهى المرأة التى لا يحل للرجل معاشرتها (لأن بيتها يسوخ إلى الموت وسبلها **إلى الأخيلة**) (الأمثال ٢ : ١٨).

(المياه المسروقة حلوة، وخبز الخفية لذيذ. ولا يعلم أن **الأخيلة** هناك، **وأن ندماءها فى أعماق الجحيم**) (الأمثال ٩ : ١٨).

(**الرجل الضال عن طريق المعرفة يسكن بين جماعة الأخيلة**) (الأمثال ٢١ : ١٦)

---

(١) كتب فى ٢٦ من فبراير ١٩٨٦ م ـ ١٩ من أمشير ١٧٠٢ ش.

وجاء فى سفر الحكمة (وإذ حسبوا أنهم مستترون فى **خطاياهم الخفية**.. وهم فى رعب شديد **تقلقهم الأخيلة**) (الحكمة ١٧: ٣).

«فالذين ناموا تلك النومة فى ذلك الليل الذى لا يطاق الوارد من أخادير الجحيم الفظيعة، كانوا تارة تقتحمهم **الأخيلة** وتارة تنحل قواهم من إنخلاع قلوبهم لما غشيهم» (الحكمة ١٧: ١٣، ١٤).

(حينئذ بلبلتهم بغتة **أخيلة** الأحلام بلبلة شديدة وغشيتهم أهوال مفاجئة) (الحكمة ١٨ : ١٧).

(الجحيم من أسفل مهتزة لك، لإستقبال قدومك، منهضة لك **الأخيلة** جميعَ فحول الأرض) (إشعياء ١٤: ٩).

(هم أموات لا يحيون. **أخيلة** لا تقوم، لذلك عاقبت وأهلكتهم وأبدت كل ذكرهم) (إشعياء ٢٦: ١٤).

(تحيا أمواتك تقوم الجثث. استيقظوا ترنموا يا سكان التراب، لأن طلك طل أعشاب، والأرض **تُسقِطُ الأخيلة**) (إشعياء ٢٦: ١٩).

وإذن فهناك الأخيلة، والأخيلة جمع خيال فما هى الأخيلة؟:

هى أشباح تظهر للإنسان بأشكال كائنات تتعامل معه بحيث يراها بعينيه ويسمع صوتها بأذنيه، وقد تلمسه ويلمسها ويحس بها إحساساً شبيهاً بإحساسه بالكائنات ذات الكيان المادى الملموس، وقد لا يستطيع أن يتبين أنها أشباح أو خيالات إلاّ عندما تختفى أشكالها من أمام عينيه فجأة.

والأشباح أيضاً هى أشكال لأشخاص تُعرف وتُنظر بالعين ممدودة طولاً وعرضاً.

ولقد روى الإنجيل عن السيد المسيح له المجد أنه عندما ذهب إلى تلاميذه فى السفينة فى الهزيع الرابع من الليل (فلما رآه تلاميذه ماشياً على البحر اضطربوا قائلين: **إنه شبح**، وصرخوا من الخوف) (متى ١٤: ٢٥، ٢٦)، (مرقس ٦: ٤٨، ٤٩) أنظر أيضاً وإقرأ (لوقا ٢٤: ٣٦ - ٣٩).

هذه الخيالات والأشباح، منها الخيّر ومنها الشرير. فالملائكة القديسون يظهرون أحياناً للناس فى أشكال جسمانية ليبلغوهم رسالة من السماء كمثل ما ظهر الملاك جبرائيل لزكريا الكاهن (قائماً على يمين مذبح البخور فى الهيكل، فاضطرب زكريا حين رآه واستولى عليه الخوف) (لوقا ١: ١١، ١٢).

وكمثل ما ظهر الملاك جبرائيل للعذراء القديسة مريم ودخل إليها حيث هى. ودخوله إليها يشرح الصورة الجسمية التى ظهر بها الملاك مع أنه فى طبيعته روح. يقول الإنجيل (فدخل الملاك إليها، وقال لها (السلام لك أيتها الممتلئة نعمة... فلما رأته إضطربت من قوله.... فقال الملاك لها: لا تخافى يا مريم...) (لوقا ١ : ٣٦ ـ ٣٨).

وكمثل ما ظهر الرب لإبراهيم الخليل فى شكل إنسان عند بلوطات ممرا (التكوين ١٨ : ١) ومعه الملاكان. وأما الملاكان فبعد ذلك ذهبا إلى لوط فى سدوم، ونزلا عنده ضيفين فى هيئة رجلين (التكوين ١٩ : ١ ـ ٣).

كذلك الشياطين يمكن أن تظهر بهيئة جسمية للإنسان، فيراها ويسمع صوتها، وقد تجرؤ عليه فتلمسه.

قال الرسول بولس (الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور، فليس عظيماً إن كان خدّامه أيضاً يغيرون شكلهم) (٢ . كورنثوس ١١ : ١٤).

وفى تاريخ الرهبنة، وتاريخ الكنيسة، وسير الآباء الروحانيين، كثير من هذه الظهورات الشيطانية والخيالات التى تظهر لهم فى أشكال جسمية يرونها بعيونهم ويسمعونها بآذانهم، وأحياناً تلمسهم وقد تلطمهم كما قال القديس بولس الرسول صراحة (ملاك الشيطان ليلطمنى) (٢ . كورنثوس ١٢ : ٧).

كما نقرأ فى سيرة القديس أنطونيوس، كما كتبها القديس أثناسيوس الرسولى، كيف أن الشياطين والأرواح النجسة كانت تحاربه وتزأر عليه وتضربه، كما كانت تظهر له تحاربه فى هيئة إمرأة.

فمن يدعونهم بـ (المخاوين للشياطين) هم قوم باعوا أنفسهم للشيطان وجنوده، وأسلموا أنفسهم بإرادتهم لإرادته، إشباعاً لشهواتهم وإنسياقاً لهواهم، وتصادقوا معه ليحققوا رغباتهم الجسدية، فليس مستبعداً أن يظهر لهم هو وجنوده فى خيالات وأشكال جسمانية، فتظهر للرجل فى هيئة إمرأة، وللمرأة فى هيئة رجل.

وإن أى إنسان يمكنه بتخيلاته الخاصة، إذا كان شهوانياً بالفكر والقلب، أن يعيش وقتا ما، فيما يسمونه بأحلام اليقظة، ويمارس الجنس بالفكر والقلب والبدن، تماماً كما يمارسه فى الواقع المادى سواء بسواء.

ونعمة الرب تشملكم،،،،

٢٦ ـ صور أشخاص تطارده

سؤال من السيد / ع. ح.ح

رداً على خطابكم غير المؤرخ بتاريخ بخصوص ما يتصور لكم من أشخاص يطاردونك، وأفكار تشد إنتباهك بعيداً عن دراستك.

نجيب بأن هذه الحالة قد تكون نتيجة لشعورك بالألم النفسى الشديد عندما أصيب شقيقك بمرض، فيبدو أن شعورك إندمج معه فى عمق، وشاركته فيه مشاركة غاصت إلى أعماق وجدانك فتولاك الفزع الشديد عليه، وإنتقل ذلك إليك بفاعلية الإندماج الذى إندمجته معه، فصار فيك فزع أيضاً على نفسك أن يحدث لك ما حدث له، وربما اهتزت نفسك إهتزازاً شديداً بهذا الخوف، وتأثرت به أعصابك، وصار الخوف يتمثل لك فى صور أشخاص يتعقبونك ويطاردونك، وترتب على ذلك أن صار إنتباهك مشدوداً بسبب هذه المخاوف، فابتعدت عن مراجعة دروسك.

وقد كان من الخطأ الجسيم لجوؤك إلى السحرة فنحن المسيحيين يحرم علينا التعامل مع السحرة أعداء الله، وهم عملاء الشيطان، ولسوف ينكشف لك أن هذا الطريق محفوف بالمخاطر والمتاعب.

ونصيحتى إليك :

أولاً ـ أن تستغفر الله على خطيئة إلتجائك إلى السحرة، وهم عملة الشيطان، وأن تقاطع السحرة مقاطعة تامة.

ثانياً ـ أن تصلّى إلى الله وتطلب معونته، وأن تعترف بخطاياك إلى الله على يد كاهن تتخذه أميناً لأسرارك، وطبيباً لك تكشف له نفسك، ولا تمنع عنه دواخل ذاتك وتتقدم حسب إرشاده إلى سرّ التناول.

ثالثاً ـ أن توقد فى حجرة نومك قنديلاً أو ما أشبه، فلا تنام فى الظلام.

رابعاً ـ استدع أحد الكهنة ليقيم لكم صلاة فى البيت، ويرش البيت كله، جميع حجراته بالماء المصلّى عليه، وذلك لطرد ما عساه أن يكون فى البيت من أرواح نجسة .

خامساً ـ اطلب من بعض الكهنة أن يصلّى على رأسك صلوات من وقت إلى آخر. فالصلاة نافعة لتهدئة النفس والأعصاب. وكثيرون من علماء النفس يعتبرونها أفضل علاج للأمراض النفسية.

سادساً ـ باشر الترنيم والترتيل بنفسك. فللألحان الروحية فعاليات لتهدئة النفس وتسكين الأعصاب الثائرة، وطرد الشياطين والأرواح الشريرة، وجذب الأرواح الملائكية والأرواح المقدسة.

سابعاً ـ ردد بين وقت وآخر كلما شعرت بالخوف المزمور ٢٦ «الرب نورى وخلاصى ممن أخاف الرب عاضد حياتى ممن أجزع...» والمزمور ٩٠ «الساكن فى عون العلى يستريح فى ظل إله السماء...»

٢٧ ـ هذه المتاعب من معاكسات الأرواح الشريرة

سؤال من السيد / ص . أ . ص

يقول : إنى أعانى من ظاهرة غريبة، بدأت عندى بإحساس يخامره الشك فى أن الآخرين يقرأون أفكارى، ثم تطور الأمر إلى أننى صرت أسمع فى غرفة نومى أصواتاً تنطق أحياناً بأغانى مبتذلة وكلمات بذيئة. ويصحب هذا إحساس بتيار كهربائى ضعيف يبدأ من عند قدمى وينتقل شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى الحنجرة، فأحس بعد ذلك بإختناق وبقبضة على الحبال الصوتية ويتحكم فيها بالضم والفصل، وتطور الحال معى فصرت أسمع أصواتاً من خلال حنجرتى وعن طريق استخدام حبالى الصوتية. فأرى بنفسى واسمع أصواتا تتكلم من حنجرتى بينما أنا صامت ساكن، ويحدث لى أحياناً شلل فى المخ ومراكز التفكير، وأسمع أحياناً تهديدات وإنذارات وتوعدات بتدمير حياتى ـ ثم إنتقلت إلى حال جديد فصرت أرى على الحائط، وفى فضاء الحجرة أفلاماً ملّونة ـ وبلغ الأمر بى أن صارت الأصوات تتكلم على لسانى، ومن غير إرادتى، كلاماً سبب لى متاعب وأوقفنى مواقف محرجة مع رؤسائى ومع شخصيات أخرى محترمة، والواقع إنى فى عذاب وآلام، أحس أحياناً بألآم فى الزور ـ وضغط على القفص الصدرى ومنطقة البطن وجميع مفاصلى، فإذا بمفاصلى تتفكك وأعصابى ترتجف لساعات. وأسمع فى أذنّى ثرثرة وشوشرة متواصلة بالليل والنهار. ولقد تدهورت صحتى وأمسيت غير قادر على النوم ولا على تركيز الإنتباه والتفكير، ولا على التذكر، إنى الآن أرجو رحمة الله علىّ، وأطلب المشورة وحلاً لمشكلتى التى تعقدت وساءت بسببها صحتى حتى صرت مثل هيكل عظمى، كما إنى فقدت فرص العمل وصرت أيضاً فى ضنك شديد على الرغم من دراساتى فى مصر وفى الخارج مدة تزيد على العشرين عاماً.

الجواب :

لقد قرأنا خطابك بإمعان، وتأثرنا بالغ التأثر لآلامك. ويبدو لنا:

أولاً ـ أن هذه الآلام حقيقية، ولست مبالغاً فيها، وهى ليست فى أكثرها أوهاماً. لكننا نعزوها إلى معاكسات ومحاربات من الشياطين والأرواح النجسة.

ثانياً ـ ربما أن تكون أنت فى وقت ما قد تعاملت بصورة ما مع هذه الأرواح الشريرة، بقصد ساذج أو بقصد الاضرار، ولربما دخلت فى تجربة مع السحر والسحرة، أو مع العرافة والعرافين وكلّهم عملة مع الشياطين والأرواح النجسة والشريرة، وقد تكون قد أقحمت ذاتك فى هذه الدائرة سواء بقصد الدراسة أو بالإشتراك مع غيرك من هواة هذا الطريق المؤدى إلى الهلاك... ويكون

هذا هو السرّ الحقيقى وراء متاعبك، إنك أعطيت سبيلاً للأرواح الشريرة أن تجرؤ عليك وأن تسيطر على فكرك وبالتالى على جسدك.

ثالثاً - ربما أن تكون أنت قد استهواك هذا الطريق وإستمرأته وسمحت لنفسك أن تمتد فيه - ولو بالفكر - وحتى تصل إلى نتيجة ما وقد يكون إنك استملحت ذلك الطريق، ورغبت فيه، أو إقتنعت به على الأقل، وقد يكون غمرك به إحساس سار بأنك توصلت إلى كشف جديد، أو حصلت على موهبة خاصة غير عادية، بدت لك أنها موهبة نافعة، إذا صقلتها وأنميتها بلغت بك مرحلة يمكنك فيها أن تعرف أمور غيرك، وتستطيع أيضاً التأثير فيهم والتغلب عليهم.

إننا هنا نذكر لك بعض الإحتمالات ونترك لك مراجعة نفسك لعلك تقف بنفسك على الأسباب الجذرية التى جعلت هذه الأرواح الشريرة والنجسة تتجاسر عليك، وتستغلك، وتسيطر على فكرك ثم على جسدك.

والمعروف عند الخبراء الروحانيين أن الشياطين والقوات الشريرة، تجول حولنا وتحاول أن تنال منا، ولكن الكتاب المقدس ينبهنا قائلاً: «أصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو. فقاوموه راسخين فى الإيمان، عالمين أن نفس هذه الآلام تجرى على إخوتكم الذين فى العالم» (١ . بطرس ٥: ٨، ٩) ويقول الوحى الإلهى أيضاً «فإخضعوا إذن لله، وقاوموا إبليس فيهرب منكم. اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم. طهروا أيديكم أيها الخطأة ونقوا قلوبكم يا ذوى الرأيين» (يعقوب ٤: ٧، ٨) ويقول كذلك «استمع فأخبرك من هم الذين يستطيع الشيطان أن يقوى عليهم... الذين ... يتفرغون لشهوتهم كالفرس والبغل اللذين لا فهم لهما، أولئك للشيطان عليهم سلطان» (طوبيا ٦: ١٦، ١٧).

رابعاً - اعلم أن لكل داء دواء، ولكل مرض علاجاً، ولكل مشكلة حلاً. وثق تماماً أن لمشكلتك حلاً، بعضه على الأقل فى يدك أنت.

إن مشكلتك كما يبدو من تفاصيل خطابك، جذورها روحية قبل أن تكون عصبية أو عقلية. وكثيراً ما تكون الأمراض العصبية والعقلية متسببة عن أمراض روحية سابقة. والإنسان روح قبل أن يكون جسداً، أو هو روح ساكنة فى جسد. فإذا مرضت الروح مرض الجسد تبعاً لها. ومع مرض الروح يمرض الذهن وتمرض الأعصاب ويمرض كل كيان الإنسان.

قد يقال لك أنك مريض فى أعصابك، وأن علاجك هو فى الصدمات الكهربائية فى المخ، أو فى حبوب مهدئة مخدرة... ولكننا نعتقد أن وراء هذا كله مرضاً روحياً، والمرض الروحى لا تفيده الصدمات الكهربائية، ولا تقضى عليه الحبوب المهدئة والمنومة، والمخدرة، وهذه كما

يقول علماء الطب لها أخطارها على القلب فضلاً عن أنها ليست علاجاً جذرياً... المرض الروحى يظل صامدا متمنعاً ما لم تشف الروح أولاً...

وشفاء الروح والنفس هو بتصحيح مسارها، وذلك يكون بإعلان توبة صادقة بإيمان من القلب، ومرارة فى الروح ، وعزم صادق على تصحيح المسار، وأن يبدأ الإنسان فى طريق الخلاص.

لذلك أنصح لك أيها العزيز بأن تطرح نفسك أولاً أمام الله، وتطلب منه العفو والخلاص، وأن تختلى بنفسك، تراجع حياتك، وتحاسب ذاتك، وتحاكمها، وتعرف أخطاءك وخطاياك.

ثم بعد هذا ابحث عن كاهن شيخ وقديس، اكشف له ذاتك وإعترف للرب وإليه، بكل ماضيك، تقيأ ماضيك تسترح، واعلم أن الإعتراف على يد الكاهن برهان على صدق توبتك، وأنك حقاً تريد الخلاص. والإعتراف السليم هو شكوى النفس من النفس... لا تشكو غيرك، وإنما عليك أن تشكو نفسك، ولا تبرر ذاتك ـ ولا تدافع عن تصرفاتك، ولا تتملق ذاتك، ولا تداهنها، ولا تتحيز لها، وإنما كن صارماً على ذاتك وأنت تعترف.

وعلاجك هو فى توبتك، وعلاجك هو فى الصلاة الهادئة العميقة،... صلاتك أنت أولاً، لأنها برهان رغبتك فى الخلاص، ثم صلوات الكاهن الشيخ القديس على رأسك.... دعه يرفع الصليب على رأسك ويصلّى، ويستحدر قوة الله على رأسك ومنها على جسمك.... واطلب أن يكون ذلك على مرات.. وقد يحتاج الأمر إلى عدد من المرات، فى كل مرة يشحنك بالصلاة بقوة علوية تطرد منك سلطان الأرواح الشريرة التى تصادقت معك وتجاسرت عليك، وربما عقدت معك عهداً، وربما رابطت فيك أو بالقرب من قلبك وعقلك، وربما تلامست معك، ولمست شيئاً منك، أو ربما ربطت شيئاً فيك... فبقدر ما تلامست معك تحتاج إلى جهد مضاعف لطردها عنك، وذلك يقتضى رغبتك الصادقة فى الخلاص ثم صلوات الكاهن الشيخ على رأسك، بعد أن تكون قد إتخذته لك أباً لذمتك، وطبيباً روحياً يرشدك ويعالجك. ولا تنسى أخيراً أن تتردد على أماكن القديسين الكبار من أمثال الشهيد مارجرجس المعروف بسلطانه الروحى على الشياطين والأرواح النجسة، فإن ترددك على هذه الأماكن الطاهرة ينفعك، ويزودك بسلاح من نار.

وأخيراً، ننصح لك بأن لا تقترب من القربان المقدس إلاّ بعد أن تكون قد تخلّصت من سلطان الأرواح الشريرة عليك، لئلا يصيبك ما هو أسوأ.

وأما من جهة الغذاء، فيناسبك أن تتجنب أكل المقليات بأنواعها فإنها ضارة بمن هو فى مثل حالتك، وتجنب المشروبات المثيرة مثل القهوة والشاى والكوكاكولا، وسائر المكيفات... وأقبل

على المأكولات الغنية بالفوسفور، ومنها البيض المسلوق، والسمك (مسلوقاً أو مشوياً) ، واللبن بكافة صوره... ثم الفاكهة بأنواعها، والخضروات النيئة الطازجة بأنواعها... وعسل النحل، والعسل الأسود وغير ذلك من المأكولات الطبيعية، وبصورتها الطبيعية أو القريبة من الطبيعة.

هذه بعض نصائح وتوجيهات فى الموضوع. ولكننا لا نهمل أن نلح على ضرورة الكاهن الشيخ والقديس، وأهميته كطبيب روحى يدرس الداء، ويصف الدواء.

٢٨ ـ معاكسات الشيطان والإنتصار عليها (١)

العزيز الإبن / م. ر ـ نقادة

سلام وبركة من ربنا يسوع المسيح.

ردا على استفساركم خاصا بمعاكسات الشيطان أقول إن الشيطان يمكن أن يعاكس أولاد الله وأن يحاربهم وهذا أمر طبيعى لأنه شرير. على أن محاربته للقديسين تكون من الخارج إذا كانوا منتصرين من الداخل، أى أنه يثير فى طريقهم معاكسات ومضايقات وعقبات ويهيج عليهم إناسا يحاربونهم ويضايقونهم ويعاكسونهم. وقد قال الرسول بولس «فلذلك قصدنا القدوم إليكم وقصدته أنا بولس مرة بل مرتين فعاقنا الشيطان» (١ . تسالونيكى ٢ : ١٨).

فإذا كنت واثقا أنك فى دراستك قد أديت واجبك كاملا فقد يكون فشلك بفعل معاكسات من الشيطان.

ونحن لا ننصح للإنتصار على أعمال الشيطان إلا بوسائط الخلاص المقررة فى كنيستنا الأرثوذكسية، وهى الصلوات ولاسيما المزامير فإنها ذات فعالية كبيرة ثم بالتناول المتواتر بحيث لا يتأخر الإنسان عن التناول بحال ما أكثر من أربعين يوما.

وننصح بإستدعاء الكاهن من وقت إلى آخر ليقيم فى البيت صلوات مأخوذة من طقس اللقان مع الأواشى ويصلى على ماء كثير يشرب جزء منه، ويرش جزء منه فى كل البيت ويستحم بالجزء الباقى، ويتكرر هذا عددا من المرات فى سبعة أيام مثلا، وتصلى أنت بالمزامير يوميا فى البيت صلوات الساعات (الأجبية) وتتلو خصوصا عددا من المرات فى كل صباح وكل مساء مزمور ٩١ (الساكن فى عون العلى يستريح فى ظل إله السماء) ـ مزمور ٢٦ (الرب نورى وخلاصى ممن أخاف) ومزمور ٨٥ (أمل يارب أذنك واسمعنى).

وأما علم الغيب الذى تسأل عنه فهو عندنا فى الكنيسة الأرثوذكسية ممكن بفعل موهبة النبوءة التى يمنحها الروح القدس ويولدها سر الميرون فى بعض المؤمنين الذين ينمون موهبة الروح القدس التى فيهم بوسائط الخلاص من صلوات وأصوام وقراءات وتأملات وفحص مستمر للضمير ومواظبة على الإعتراف والتناول فتضرم هذه الوسائط فعاليات الروح القدس فى سر الميرون الذى نالوه فيولد فيهم موهبة النبوءة طبقا لقول المسيح له المجد عن عمل الروح القدس «ويخبركم بأمور آتية» (يوحنا ١٦ : ١٣).

---

(١) كتب فى ٢٦ سبتمبر ١٩٧١م ـ ١٥ توت ١٦٨٨ش.

أما الذين يتكلمون عن علم الغيب خارجا عن الكنيسة المقدسة وفعاليات الروح القدس فى سر الميرون، فمعرفة الغيب التى لأولئك الناس فهى غالبا نوع من العرافة عن طريق أرواح الشياطين أو الأرواح الشريرة التى تتخذ من بعض الناس وسطاء لها تتعامل معهم ومع الناس عن طريقهم وبواسطتهم.

ونصيحتى إليك أن لا تلجأ لوسائط العرافة وما إليها من وسائل غير سليمة ولا تطمئن إليها. ولا أنصح لك أيضاً أن تلجأ إلى من يتبعون الطوائف المنحرفة عن الإيمان الأرثوذكسى الذين تشير إليهم فى خطابك من أمثال الخمسينيين والبليموث وغيرهم ممن يمكن أن يكونوا وسطاء لأرواح شريرة أو مضلة.

يقول الرسول يوحنا «امتحنوا الأرواح (لتروا) هل هى من عند الله» (١ . يوحنا ٤ : ١) ويقول الرسول بولس «امتحنوا كل شئ وتمسكوا بما هو حسن» (١ . تسالونيكى ٥ : ٢١)

ونعمة الرب تشملكم.

٢٩ ـ هل قراءة الكف علم ؟ (١)

سؤال : من ع . ح . و ـ مصر الجديدة

ما الرأى فى الذين يدّعون معرفة الغيب وقراءة الطالع عن طريق الكف والفنجان والكوتشينه. وهل قراءة الكف من العلوم المعترف بها أم أنها دجل ونصب؟ أرجو توضيح تلك الأمور حتى يطمئن قلبى ويزول عنى القلق الذى أعيشه بسبب معرفتى لبعض الأحداث التى سوف تحدث لى من أمراض تفقدنى حياتى.

الجواب :

فى كل أمر فى دنيا البشر، حق وباطل، صدق وزيف. والحق والباطل.. والصدق والزيف يتعايشان فى دنيانا. وعلى الإنسان أن يتبين الحق من الباطل، والصدق من الزيف..

وفى الإنسان الواحد خير وشر، ولابد من جهد مقصود لإفراز الخير من الشر، والحق من الباطل..

وما تسمعه أنت عن إنسان يدعى معرفة الغيب والطالع أو قراءة الكف، هو خبر. وكل خبر يحتمل الصدق والكذب. ولابد من التحقيق العلمى لفرز الصدق من الكذب، والحق من الباطل.

ومَحكُ الحق فى عالم الناس هو الواقع القائم على قوانين الطبيعة. ولما كان خالق الناس هو الخالق للطبيعة والوجود، فالتوافق قائم بين الناس وبين قوانين الطبيعة. وقوانين الطبيعة هى البرهان الساطع على وجود الله الواحد الأحد. نعم إن قوانين الطبيعة هى التى تصرخ فينا أن للطبيعة خالقاً، كلىّ الحكمة وكلى الجودة والخيرية. إن قوانين الطبيعة تقودنا وترشدنا، إلى القدرة العليا التى أبدعت هذا الكون، بنظام غاية فى الإحكام والدقة. **وما نسميه بالمعجزات ليس خرقا لقوانين الطبيعة، لكنها تجرى وتحدث وفقاً لقانون ونظام على مستوى آخر، لا يتعارض مع قوانين الطبيعة، فالمعجزات والخوارق تخضع لقانون ونظام محكم ودقيق، ولكنه ينتمى إلى عالم (ماوراء الطبيعة) المنظورة للإنسان.**

وسواء قوانين الطبيعة أو المعجزات، هذه وتلك كلها تنادى بل تصرخ معلنة وجود القوة الإلهية العظمى التى أبدعت الوجود من العدم، وهى تهيمن عليه، وهو ما نسميه بالعناية الإلهية التى لا تغفل ولا تنام. فالله الواحد وحده هو حاكم الكون ومدبره، وراعيه بالحكمة، وهو الروحُ الأعظم، والعقل الأعظم، والموجود بذاته.

---

(١) كتب فى ٢٤ مارس ١٩٩٢م ـ ١٥ برمهات ١٧٠٨ش.

وربما يقول صاحب السؤال، وما علاقة هذا الكلام بموضوع السؤال عن معرفة الطالع والغيب وقراءة الكف ؟

نقول إن من منطلق إيماننا بحكمة الخالق البديع، الموجد، وقد رسم للطبيعة قوانينها، يمكن أن نستدل من الأثر على المؤثر. فكل فعل وكل حدث فى الوجود له سبب أو علة. وكل فعل له رد فعل مساوٍ له فى القوة، ومضاد له فى الإتجاه.

وبموجب هذا القانون الطبيعى، الذى هو حق دائماً، وهو ثابت ولايتخلف، يكون كل عمل بل وكل إحساس وكل شعور وكل عاطفة وكل مايحدث للإنسان لابد أن يترك أثراً على المخ، وعلى كل البدن، وعلى العظام وعلى الجلد وعلى الأحشاء وعلى الأعضاء الداخلية، وعلى الدم وعلى اللعاب، وعلى إفرازات الجسم، ومنها العرق والبول والنفَس وغير ذلك.

فإذا كان ذلك كذلك **فإن قراءة الكف علم**، مثله فى ذلك مثل كل مكتوب على الحجر أو على الورق بأى قلم، وبأى لغة ولسان، **ومن أهل العلم من يمكنه أن يقرأ المكتوب على كف الإنسان.**

نعم، ذلك لأن كل مايحدث للإنسان، ماديا كان أو نفسيا، لابد أن يترك أثره على يده وعلى مخه وعلى أعضاء بدنه الخارجية، والداخلية. وهذا الأثر يبقى ولا يزول، ويمكن لمن يجيد قراءة لغة اليد، أن يقرأ ما انطبع عليها من آثار.

ألا ترى أنك إذا جُرحتَ يترك الجُرحُ أثراً يبقى حتى بعد الشفاء التام ولا يزول.

من هنا يمكن أن يقال إن قراءة الكف علم، لكنه علم بالأثر الذى تتركه أحداث الحياة على اليد، من حيث أن كل مايقع للإنسان من أحداث بل ومن إنفعالات ينطبع أثره على يده، وعلى المخ وعلى أعضاء بدنه الخارجية والداخلية.

ويمكن بالتالى لمن يعرف لغة هذه الخطوط والآثار أن ينبئ بهذه الأحداث الماضية والحاضرة، من منطلق القاعدة العامة، أن الأثر يدِل على المؤثر.

قلنا إنه يمكن لمن يجيد قراءة المكتوب والمحفور على الكف أن يخبر بما على يد الإنسان الآخر من علامات حياته الحاضرة والماضية. **أما المستقبل، فالإنباء عنه غير ممكن إلا من قبيل الإحتمالات التى قد تصدق وقد لا تصدق، وقد يصدق بعضها ولا يصدق بعضها الآخر. وما يصدق منها هو محض استنباط واستقراء بناء على قراءة الحاضر والماضى.**

نعم ذلك أن الحاضر والماضى هو أمر وقع وقد تم بالفعل. أما المستقبل فهو مجهول، **وليس لبشر أن ينبئ فى يقين عن حتمية وقوعه**، لأن الإنسان كائن عاقل مفكر، ومن ثم فمستقبل حياته قابل للتغير، ولا يتبع الحاضر والماضى دائماً. وهذا هو الفارق العظيم بين الإنسان وبين الحيوانات العجماوات والحشرات، فإن هذه تحكمها الغريزة، وتصرفاتها تخضع للحتمية المطلقة فى طبيعتها. وليس كذلك الإنسان. فالإنسان لا يخضع للحتمية المطلقة لأنه كائن متغير، يتغير بالفكر، والمعرفة والإرادة، والمشيئة، **إلى صور مختلفة ليس من السهل التنبؤ بها إلا من قبيل الإحتمالات**، ومد الخطوط على الحاضر والماضى.

والخلاصة إن علم الكف يمكن أن يصدق القارئ فيه بالنسبة للحاضر والماضى فقط، وأما عن المستقبل فليس لبشر، من غير الأنبياء، أن يعلمه. فإذا أنبأ عنه فهو من قبيل الإحتمال فقط.

٣٠ ـ القسمة والنصيب

سؤال من الإبن ع . ف.. ـ قلوصنا ـ المنيا.

هل يوجد قسمة ونصيب؟ إنه سؤال يتردد على ألسنة الكثير من البشر، ويؤدى إلى قلق الأغلبية. أرجو إثبات هذا الأمر بالأدلة المقنعة ؟

الجواب :

إن الجواب على هذا السؤال يتوقف على المعنى فى ذهن صاحب السؤال ففى اللغة يقولون : قسّم الشئ أى جزأه وفرقه.

أما **النصيب** فهو **الحظ**، أو هو الحصّة من الشئ. فيقول أحدهم : **هذا نصيبى أى حظى.**

على أن عامة الناس يستخدمون هذا التعبير ليتنصّلوا به من مسئوليتهم فى كل ما يقع لهم من أحداث، ولينتحلوا لأنفسهم العذر فى أى نوع من الفشل يصيبهم، وذلك ليريحوا ضمائرهم، وليتهربوا من معرفة الأسباب الحقيقية للأحداث، وبهذا التعبير يلقون المسئولية كلها على القدر أو الأقدار. وعندهم أن الله هو الذى يرسم كل شئ، وليس للإنسان أى دور فى كل ما يحدث، وعندهم أن الله هو الذى وزع على الناس أرزاقهم، فجعل هذا الإنسان غنياً، وجعل غيره فقيراً. وبناء على هذه العقيدة الساذجة لا يمكن للإنسان الفقير أن يغير من حاله، لأن الله أراد له الفقر. ومن هو الإنسان الذى يستطيع أن يقف ضد إرادة الله. وعندهم أنه لا جدوى من الجهاد والكفاح والنضال والعمل، فمادام الله قسم لإنسان الفقر، فسيظل فقيرا مهما صنع لأن الله فى زعمهم أراد له الفقر.

هذا هو المفهوم المريض الذى يسيطر على تصرفات التواكليين من الناس، الكسالى عن العمل والجهاد، والذين يتهرّبون من مسئوليتهم ملقين بالمسئولية كلها على الله. أما هم فشأنهم شأن الحيوانات العجماوات وسائر الحشرات، مسيّرون لا مخيّرون، لا يملكون من أمرهم شيئا.

ولسان حالهم قول الشاعر العربى :

إن حظّى كدقيق ... بين شوك بذروه

ثم قالوا لحفاةٍ ... يوم ريح إجمعوه

صعب الأمر عليهم ... قلت يا قوم اتركوه

إن من أشقاه ربى ... كيف أنتم تسعدوه

الرزق المقسوم

هذا هو المفهوم السائد عند من يُسيطر عليهم الإيمان بمذاهب (**القدرية**) ، **فالرزق** مقسوم من الله، قَدر الله على الإنسان رزقه وحكم به عليه، فلا سبيل عندهم للإنسان أن يعدل أو يغير ماحكم الله به عليه. ومعنى هذا أن الله عند المؤمنين بالقدرية قد وزَّع الأرزاق على الناس، وقسمها عليهم، سواء عملوا أم لم يعملوا. وإذا لم يعملوا فرزقهم يأتيهم من عند الله، فلا حاجة لهم إلى السعى والجهاد وإذا عملوا فلن يغيروا بالعمل شيئا، لايزيدون من رزقهم لأن الله أمر لهم برزق حدده لهم، فرزقهم محدود بما قسم الله لهم.

العمر المحدود والمحدد

ولم تقف عدوى هذه العقيدة عند هذا الحد، وإنما تعدت إلى القول بالعمر المحدود. فالعمر عند هذا الفريق من الناس المؤمنين بالقدرية محدود بل ومحدَّد، ولن يستطيع الإنسان أن يزيد على عمره الذى حدده الله له يوما ولا ساعة. ومن ثم فلا جدوى من الوقاية، ولا فائدة من العلاج، ولا قيمة للطب والأطباء.

ثم، وتبعا لمنطق هؤلاء القدريين، لا فائدة من النظافة، ولا جدوى من مراعاة قواعد الصحة البدنية، ولا تبرير لدراسة العلوم الطبية، فهى دراسة لا نفع منها، ولا فائدة فيها...

ومادام العمر محدودا ومحددا، بحيث لا يزيد ساعة عما هو مقسوم ومقدَّر، فلا جدوى من قواعد المرور، ولاداعى للإلتزام بأى نظام للمرور تضعه الدولة أو قلم المرور، فإن هذا النظام لن يمنع موت إنسان فى اللحظة التى قُدِّر عليه أن يموت فيها.

الزواج المقسوم

ولقد سرى سم هذه النظرية القاتلة، نظرية (**القدرية**) بهذا المفهوم السقيم العقيم إلى الرابطة الزوجية. فالزواج عند المؤمنين بالقدرية قسمة ونصيب، فالزواج الناجح قدر من الله، والزواج الفاشل قدر من الله. ولايد للإنسان فى إختيار شريكه أو قرينه، لكن الله هو الذى حكم على الرجل أن يتزوج بهذه المرأة، وحكم على المرأة أن تتزوج بهذا الرجل. لقد ساقهما القدر إلى هذا المصير المحتوم الذى لا خيار لأحدهما فيه، ولا يملك هو أو هى أن يُعدِّل منه أو يغير من قدره. فعليه أن يرضخ للقدَر ويستكين لحكم الله. فإذا كان هذا الزواج فاشلاً فالمسئولية كلها على القدر أو على الله. ومن ثم فلا مفر من أن يشتم الواحد منهم القدر الأعمى، وبالتالى أن يُجدف على الله وينسب إليه الظلم لأنه أراد له الشر والشقاء وقدّره عليه.

القول بالقدرية يهدم حرية الإنسان

إن القائلين بالقدرية يوهمون أنفسهم بأنهم بهذا الفكر الشرير يثبتون ويؤكدون إيمانهم بالله القادر على كل شئ فى مقابل الملحدين والكافرين الذين ينكرون وجود الله. وتزداد غلواؤهم فينسبون إلى الله كل شئ، وفى سبيل ذلك يبطلون ويلغون كل ما هو من الإنسان. ولولا أن الإنسان عندهم له كيانه المادى الظاهر لأنكروا أيضا وجود الإنسان.

والحقيقة أن مبدأ القدرية للذى يتستر عند القائلين به بعباءة الإيمان بالله، يخفى رغبتهم الحقيقية فى إلغاء حرية الإختيار فى الإنسان، تهربا من مسئوليتهم فى كل شر يعملونه أو يحدث فى الأرض، وهو منهج ينتهجونه هربا من لذعات الضمير وتنصلا من كل جهد أو عمل يجب أن يبذله الإنسان لتحقيق الخير العام أو الخاص، أو توقيا من الشر العام أو الخاص.

إن مبدأ القدرية يحصر الشر فى الله وحده ويجعله علّة أولى للشر. وفى سبيل تنصلهم من كل نوع من المسئولية المادية والأدبية والروحية، ينكرون دورالإنسان، ويحكمون على أنفسهم بأنهم كائنات لا حرية لهم فى شئ، وإنما هم كالحيوانات العجماوات بل أحط من الحشرات.

فإن الحيوانات العجماوات والحشرات، وإن كان معروفا عنها أن الله يقوتها ويرزقها طعامها، (متى ٦: ٢٦)، مع ذلك، فإنها تسعى وتتحرك وتعمل بنشاط وبغير ملل، نهارا وليلاً، لكى تحصل على قوتها وقوت صغارها. فالحمام واليمام والغربان والعصافير وكل الدواجن وسائر الطيور، الأليفة منها والجوارح الكواسر، فضلاً عن البهائم والوحوش، بل والدبيب وسائر الحشرات والفراش والهوام، كلها تطير فى الهواء، وتنتقل من شجرة إلى شجرة، ومن مكان إلى آخر، وتجرى على الأرض، وتشق طريقها بين الصخور، ولاتكف عن السعى فى سبيل الحصول على قوتها، ووفقا لسعيها وتعبها وجهادها تحصل على طعامها وطعام صغارها نتيجة لعملها المتواصل، فكيف يستسيغون أن ينسبوا إلى القدر أو إلى الله أنه قسم لكل إنسان رزقه، فلا يقدر أن يزيد على ما قسمه الله له. وبهذا يشجعون أنفسهم وسائر الناس على التقاعس والتكاسل عن العمل بحجة الرزق المحدود والمقسوم.

جاء فى الكتاب المقدس (**اذهب إلى النملة أيها الكسلان تأمل طرقها وكن حكيما. إنها ليس لها قائد ولا مدبر ولا حاكم. وتُعِدُّ فى الصيف طعامها وتجمع فى الحصاد أكلها. إلى متى ترقد أيها الكسلان. متى تنهض من نومك. قليل نوم بعد قليل نعاس، وطىّ اليدين قليلاً للرقاد، فيأتى عوزك كساع وفاقتك** كرجل متسلح. **لكن إذا كنت مُجِداً يفيض حصادك فيض الينبوع، والفاقة تنصرف عنك**)

(سفر الأمثال ٦ : ٦ – ١١) ويقول أيضا (الكسل يُلقى فى سُبَات والنفس المتراخية تجوع) (الأمثال ١٩ : ١٥) ثم يقول (**إنى مررت بحقل الكسلان وبكرم الإنسان الفاقد اللب. فإذا الشوك قد علاه كله، وقد غطى العوسج وجهه وجدار حجارته انهدم...** قليل من الوسن. قليل من النوم. طىّ اليدين قليلاً للرقاد، فيأتى عوزك كساعٍ وفاقتك كرجل متسلح) (الأمثال ٢٤ : ٣٠ – ٣٤).

ألمْ يرَ هؤلاء القائلون بالرزق المقسوم، المجدّين من شعوب الأرض، **وكيف تحول الفقراء منهم والمعدمون إلى أغنياء وموسرين**، عندما آمنوا أنهم بكفاحهم وجهادهم وعملهم المتواصل يمكنهم أن يحوّلوا فقرهم إلى غنى، فأغنوا أنفسهم وفاض غناهم على الأغيار بما صنعوا من مشروعات منتجة جلبت على أوطانهم خيراً وبركة، وتحقق لهم ولبلادهم بالكفاح والعمل الخير والإزدهار.

إن مبدأ القدرية مبدأ مدمر وهدام، ولو أخذت به أمة ما، لرجعت القهقرى إلى الوراء، وصارت فى مؤخرة الشعوب، ولو آمن به الشباب لشلت حركتهم عن النمو والتقدم والإزدهار

لقد حض الكتاب المقدس الناس على العمل والكفاح ومواصلة الجهاد فى سبيل تحقيق الخير والإنتاج، وأنه بالعمل والجهاد يتحقق للإنسان السيادة، وأما بالكسل والتراخى فلا يحصد غير الذلة والهوان. فيقول (**أيدى المجدّين تسود، واليد الوانية تخدم تحت الجزية. الرخاوة لا تمسك صيداً أما ثروة الإنسان الكريمة فهى الاجتهاد**) (الأمثال ١٢ : ٢٤، ٢٧).

ولقد أرانا المسيح له المجد فى مثل الوزنات أن من يتوانى عن العمل والجهاد يستحق غضب الله لأنه لم يستثمر ما أعطاه الله من مواهب. فقال للعبد الخامل المتوانى عن العمل والجهاد بأقصى الجهد (أيها العبدُ الشرير والكسلان) ثم قال (**أما العبد غير النافع فاطرحوه فى الظلمة الخارجية**. هناك يكون البكاء والصرير على الأسنان) (متى ٢٥ : ١٨ – ٣٠)، (لوقا ١٩ : ٢٠ – ٢٦).

ويقول المبدأ الإلهى (**إن من لايريد أن يعمل، فلا يحق له أن يأكل**) (٢. تسالونيكى ٣ : ١٠).

العمر محدود ولكنه غير محدد

وأما القول بأن العمر محدود، وأن الإنسان أيامه محدودة وعدد شهوره معينة عند الله، وأن الله عين أجله فلا يتجاوزه ولا يتعداه (أيوب ١٤ : ٥) وأن الأجل فى يد الله (مزمور ٣٠ : ١٥)، وأن الأجل أمر لابد منه (الحكمة ١٩ : ٤) ، (١٥ : ٩)، فليس معناه ما يفهمه القائلون بالقدرية من أن عمر كل إنسان محدّد بقضاء من الله وقَدَرٍ منه. نعم إن العمر محدود لأننا فى عالم المحدود، وليس إنسان يحيا فى الأرض إلى الأبد ولا يرى الموت (مزمور ٨٨ : ٤٨). وهذه قضية عامة شاملة للبشر جميعاً. **وأما بالنسبة لكل فرد على حدة، فعمره وإن كان معلوما لدى الله بسبق علمه، يتوقف فى طوله ومداه على قوانين طبيعية**، منها قانون الوراثة من الأبوين والجدود، ومنها قوانين أخرى كثيرة يسوس الله الكون والناس بها. وللإنسان أن يخضع لهذه القوانين وله أن يتمرد عليها أو يتحداها، **فإذا تمرد عليها لابد أن يكون رد فعلها عليه بتقصير عمره وأجله. حقا إن الإنسان لا يملك أن يطيل حياته أكثر مما تحتمله طاقته التى وُلد بها من أبويه بحسب قانون الوراثة وقانون الولادة، ولكنه يملك أن يُقصِّر أيامه بأن يقتل نفسه بالشر أو بالجهل.** ولذلك يقول الكتاب المقدس (**لاتكن شريرا كثيرا، ولا تكن جاهلاً. لماذا تموت فى غير وقتك**) (سفر الجامعة ٧ : ١٧) وإذن **فالإنسان يملك أن يقصر عمره بالشر أو بالجهل.** فإذا كانت طاقته التى ولد بها تحتمل أن يعيش بها إلى سن كبيرة أو صغيرة، **فإنه يمكن أن يعجل بوفاته قبل تلك السن إذا قتل نفسه بيده أو إذا سلك طريق الشر، أو إذا دمّر نفسه وحياته وأهلك بدنه بالعادات الضارة أو بتعاطى التدخين والمسكرات وخطايا النجاسة وما إليها من أمور مهلكة تهدم صحته وتعجّل بموته قبل الأوان.**

ويقول الكتاب المقدس : (لا تغاروا على الموت فى ضلال حياتكم، **ولا تجلُبوا عليكم الهلاك بأعمال أيديكم. إذ ليس الموت من صنع الله، ولا هلاك الأحياء يسُره.** لأنه إنما خلق الجميع للبقاء، فمواليد العالم إنما كُوِّنت معافاة. وليس فيها سم مهلك ولا ولاية للجحيم على الأرض. لأن البر خالد. **لكن المنافقين هم استدعوا الموت بأيديهم وأقوالهم.** ظنوه حليفا لهم، فاضمحلوا، وإنما عاهدوه لأنهم أهل أن يكونوا من حزبه) (سفر الحكمة ١ : ١٢ – ١٦).

الزواج فعل إختيارى

وأما الذين يقولون أن الزواج قسمة ونصيب، متعللين بقول الكتاب المقدس (البيت والثروة ميراث من الآباء. **أما الزوجة المتعقلة فمن عند الرب)** (سفر الأمثال ١٩ : ١٤) فهم يخطئون الفهم والتأويل، ويتنصّلون من مسئوليتهم فى إختيار الزوجة.

فإذا كانت الزوجة المتعقلة أو العاقلة من عند الرب، أفهل يكون معنى هذا أن الزواج الناجح قدر من الله، والزواج الفاشل قدر من الله ؟

هل يفهمون من قول الكتاب المقدس **(الزوجة المتعقلة أو العاقلة من عند الرب)** أن الله هو الذى حكم على كل رجل بأن يتزوج إمرأة بعينها وحكم على كل إمرأة أن تتزوج برجل بعينه ؟

وما قولهم فى المرأة غير المتعقلة أو غير العاقلة فهل هى أيضا من عند الرب ؟

كيف يصل الأمر عند بعض الناس أن ينكروا حريتهم فى إختيار الزوجة إلى هذا الحد، حتى يتنصلوا من مسئوليتهم فى هذا الإختيار مع أن كل رجل يعلم أنه بكامل حريته يختار المرأة التى يستحسنها هو متأثرا بجمالها أو أناقتها ورشاقتها، أو لحسبها ونسبها، أو لثروتها، أو لسمو أخلاقها... أو ما إلى ذلك من أسباب عنده مبرراتها فى هذا الإختيار.

إن الزوجة فى الواقع لا يرسلها الله إليه من كوكب آخر، وإنما هى عادة من أرضه. وقد تكون من أهله وبلده التى عاش فيها، فرأى المرأة واستحسنها، وقد تكون زميلة له فى الدراسة رآها فأحبها، وقد تكون زميلة له فى العمل، أو قد تكون جارة له فى الشارع الذى يسكنه أو فى البيت الذى يقطنه. فإختياره للزوجة عملية شخصية بحتة، لا قهر فيها ولا إلزام، ولا جبر، فهو الذى يطلب يدها بناء على استحسانه لها ومعرفته بها، وهو يعلم أنه يمكنه أن يرفضها، وأن يعدل عن رأيه فيها، وأن يتجه إلى إختيار غيرها إذا اتضحت له أسباب تجعله يؤثر هذه عن تلك، فإذا تزوج بهذه أو بتلك واتضح له أنه أخطأ الإختيار تولاه الندم. والندم دليل شعوره بحريته فى الإختيار. ولذلك يعمد إلى تصحيح هذا الخطأ بأن يطلب الإنفصال عن زوجته بحجة أو بأخرى، وقد يصل إلى غرضه.

ولو كان الزواج قسمة ونصيبا من الله لما أمكن لرجل أن يغير قدره أو قسمته بالطلاق أو الإنفصال أو بغير ذلك من وسائل يعلم أنه حر فى إختيارها.

والواقع أنه ما من رجل فشل فى زواجه يقتنع فى أعماق نفسه بأن الزواج قسمة ونصيب من الله، بدليل أنه يعترض ويحتج ولا يتوقف عن محاولة الخلاص من زوجته إلا إذا رأى نفسه عاجزا عن الخلاص من هذه الزوجة. عندئذ فقط يحاول أن يقنع نفسه ويغالط ذاته بالقول إن (الزواج قسمة ونصيب) ولو أنه وجد وسيلة للخلاص لنسى هذا القول وأنكره وجحده، وقال لمن يخاطبه به : إن هذه المقولة كاذبة، إنى لا أؤمن بها ولا أقبلها. وإذا زعم له أحد أن هذه قسمته من الله لما تورع عن أن يجدف على الله ويتهم الله بأنه قد ظلمه.

إن قول الكتاب المقدس المرأة المتعقلة من عند الرب معناه **أن التعقل فى المرأة هبة من عند الرب.** وهذا قول حق، **فإن العقل عطية من الله للإنسان** وما أسعد الإنسان المتعقل الذى يسلك بالعقل ولا يندفع وراء نزواته وشهواته بغير عقال يربطه ويرده إلى السلوك المستقيم.

إن هذا القول الإلهى هو لكى **يحض كل رجل على أن يتطلب فى المرأة التى يختارها لتكون له زوجة أن تكون عاقلة.**

لكن ليس معنى قوله (المرأة المتعقلة من الرب) أن كل إمرأة عاقلة أو غير عاقلة تُساق على الرغم منها لتتزوج برجل بعينه على الرغم من إرادتها وعلى الرغم من إرادته.

والخلاصة

أولاً : إن قول بعض الناس من المؤمنين بمبدأ القدرية، إن كل شئ مقسوم على الإنسان ولا يملك أن يختار غيره قول يتعارض تعارضاً جذريا مع مبدأ حرية الإختيار والمسئولية التى تعلم بها ديانتنا المسيحية وكتابنا المقدس.

جاء فى الكتاب المقدس (**لأن الخاطئ لم يرسله الرب**. إنما ينطق بالحمد ذو الحكمة، والرب ينجحه. **لا تقل إنما إبتعادى عنها (عن الحكمة) من الرب، بل امتنع عن عمل ما يبغضه. لا تقل هو أضلنى** فإنه لا حاجة له فى الرجل الخاطئ... **هو صنع الإنسان فى البدء وتركه فى يد اختياره. وأضاف إلى ذلك وصاياه وأوامره. فإن شئت حفظت الوصايا ووفيت مرضاته. وعرض لك النار والماء فتمد يدك إلى ماشئت. الحياة والموت أمام الإنسان فما أعجبه يُعطى له.** إن حكمة الرب عظيمة. هو شديد القدرة ويرى كل شئ. وعيناه إلى الذين يتقونه ويعلم كل أعمال الإنسان. **لم يُوصِ أحداً أن ينافق، ولا أذِن لأحد أن يخطأ.** لأنه لا يحب كثرة البنين الكفرة الذين لا خير فيهم) (سفر يشوع بن سيراخ ١٥ : ١٠ - ٢٢) وجاء فيه أيضا (**أربعة تصدر من القلب : الخير والشر، والحياة والموت.** والمتسلط على هذه فى كل حين هو اللسان) (٣٧ : ٢١).

ثانيا ـ إنها مقولة يكذبها الواقع العملى فى العديد من الحالات التى يفشل فيها الزواج، نتيجة لسوء الإختيار.

ثالثا ـ إنه قول لا يصلح لتفسير عشرات ومئات الزواجات التى تتم تحقيقاً لشهوة أو جريا وراء نزوة، أو طمعا فى ثروة، وما إلى ذلك من بواعث جسدية أو مادية لا يمكن أن يكون الله مسئولا عنها أو له يد فيها.

رابعا ـ إنه قول يتمثل فيه التنصل من المسئولية والهرب من التبعات المترتبة على حق الفرد فى الإختيار.

جاء فى الكتاب المقدس (خلق الرب الإنسان من الأرض.. جعل لهم وقتا وأياما معدودة، وآتاهم سلطاناً على كل ما فيها، وألبسهم قوة بحسب طبيعتهم وصنعهم على صورته.. خلق منه عونا بإزائه، **وأعطاهم إختيارا** ولسانا وعينين وأذنين **وقلبا يتفكر**. وملأهم من معرفة الحكمة، **وأراهم الخير والشر**. وقال لهم : **احترزوا من كل ظلم**. وأوصاهم كل واحد فى حق القريب... **وبعد ذلك يقوم ويجازيهم، يجازيهم جزاءهم على رؤوسهم.. فتب إلى الرب وأقلع عن الخطايا**. تضرع أمام وجهه وأقلل من العثرات. ارجع إلى العلى، وأعرض عن الإثم، وأبغض الرجس أشد البغض) (سفر يشوع بن سيراخ ١٧ : ١ – ٢٣).

ومع ذلك، وبدلاً من أن يلوم الإنسان نفسه ينحى باللائمة على الله، مما يقوده إلى التجديف على الله، وإتهام بالله بالظلم، وبالتالى يمتلئ قلب هذا الإنسان بالكراهية لله والحقد عليه. مما يوقعه فى مجموعة خطايا مميتة تؤدى به إلى الهلاك الأبدى.

ومهما يكن من أمر فنحن نرفض تماما أن يكون الزواج (قسمة ونصيب) بالمعنى الذى يريده بعض الناس المتمذهبين بمذهب القدرية ليتنصلوا من مسئوليتهم فى إختيار الزوجة أو الزوج، وتهَرُبا من أوامر ووصايا الكتب المقدسة التى تأمر الناس أن يحترموا حريتهم الممنوحة لهم من الله، وأن يحسنوا توظيفها فيما ينفعهم لحاضرهم ومستقبلهم، الزمنى والأبدى.

٣١ ـ هل الزواج قسمة ونصيب ؟

سؤال من السيد ى . ب .. منفلوط.

يقول إننى بدأت فى تأليف كتاب بعنوان (هل الزواج قسمة ونصيب ؟) ويهمنى فى هذا المضمار أن أكتب رأى سيادتكم فى هذا المؤلف ؟

الجواب :

رداً على خطابكم بتاريخ ١٩٧٩/٧/٢١ واستفساركم عما إذا كان الزواج (قسمة ونصيب) على ما تقول العامة

نجيب بأن هذا القول (الزواج قسمة ونصيب) ليس تعليما إنجيليا أو مسيحياً، ولا يصلح أن يكون مبدأ عاما ثابتا فى جميع الأحوال، وفى كل زمان ومكان ويبدو لنا أنه (تعميم) (Generalisation) لحالة أو على الأكثر ـ لبضع حالات فردية، ولكنه قطعا ليس قاعدة، أو حكما شاملا، أو مبدأ عاما لجميع الناس.

وهنا ينبغى أن نستوضح المقصود من قول العامة (الزواج قسمة ونصيب).

١ ـ ما المقصود من القسمة والنصيب ؟

هل القسمة فى هذا القول يقصد بها أنها قسمة مرسومة من الله، وأنها نصيب محدد مقرر فى السماء قبل أن يتم على الأرض ؟

أم المقصود من (القسمة والنصيب) أن يكون هذا الزواج أو ذاك بحكم من القدر الأعمى كما يقولون ؟

وهنا نتساءل أيضاً : ما هو (القدر) فى رأى القائلين بهذه المقولة ؟

نحن كمسيحيين نؤمن بحرية الإختيار، وأن الإنسان حر مخير، مناط أمره بيده. وهو الذى يصنع مصيره. ولذلك فإنه مسئول عن تصرفاته وهو سيحاسب عنها، لأنه بوصفه حرا صنع الفعل غير مجبور. ودليل حريته فى الزواج وغيره هذه الحيرة التى يجد فيها نفسه عندما يكون بصدد إختياره لزوجة.

نعم، فى حالة واحدة يمكن أن يكون له نصيب فى الزواج، وقسمة، لو أنه لجأ إلى الله بالصلاة الحارة وطلب بإتضاع ورغبة صادقة فى الإختيار الإلهى، مشورة الله، فيرتشد بالله، ويجد الإستجابة لصلاته براحة وسعادة فى القلب تملأ كل جوانح النفس والروح من نحو شخص

يرسله الله فى طريقه، ثم يلتقى ببيّنات عملية واضحة يطمئن بها إلى صحة هذا الإختيار. وهذا هو معنى قول الكتاب المقدس.

«البيت والثروة ميراث من الآباء. أما الزوجة المتعقلة فمن عند الرب» (أمثال ١٩ : ١٤).

إذن ليست كل زوجة من عند الرب. إنما الزوجة المتعقلة فهى من عند الرب. ولا تكون من نصيب رجل إلا إذا كان هذا الرجل يطلب فى زوجته أن تكون عاقلة وأن تكون فيها مخافة الله وتقواه.

إن الله يتدخل فى مثل هذه الأمور على سبيل المعجزة، أى بناء على صلاة وطلب، وبشرط أن تكون هناك رغبة صادقة فى معرفة إرادة الله.

وبعبارة أخرى أن الله يتدخل، ويجعل هذا من نصيب ذاك إذا كان كل منهما برغبته الصادقة يسقط رغبته لله، وبإرادته ومشيئته يسقط أمام الله إرادته ومشيئته. وفيما عدا هذا، فالأمر متروك لحرية الإنسان ورغبته وإختياره، والأمثلة أمامنا، فى الواقع الحىّ، صارخة تتكلم بنفسها عن نفسها.

فالرجل عادة يختار إمرأة يستحسنها متأثرا بجمالها أو أناقتها، أو حسبها ونسبها، أو ثروتها أو... ما إلى ذلك من مقاييس.

ولو كان الزواج قسمة من الله ونصيبا منه، فلماذا تفشل بعض الزواجات، ويندم الإنسان على زواجه، ويحاول أن يتخلص من هذا الزواج بالطلاق أو بغير ذلك من تصرفات خاطئة ؟.

أن شعوره بالندم بعد تتميم الزواج بفترة دليل على إحساسه بمسئوليته فى هذا الإختيار.

ثم أن سعيه للطلاق، وحصوله عليه أحيانا وإحتياله عليه دليل على حريته فى الإختيار وشعوره بأنه فى قدرته أن يتخلص من هذا الزواج ويبطل نتائجه.

وإلا إذا كان الزواج قسمة ونصيبا من الله، لما أمكن لرجل أن يغير قدره أو قسمته بالطلاق أو بغيره من وسائل يرى أنه حرّ فى إختيارها.

وأحسب أنه لا يرتضى رجل فشل فى زواجه وندم عليه، بقوله (الزواج قسمة ونصيب). ونعتقد أنه ما من رجل يقول ذلك إلا إذا رأى نفسه عاجزا عن الخلاص من هذا الزواج. عندئذ يقنع نفسه ويغالط ذاته بالقول (الزواج قسمة ونصيب) ولو أنه وجد وسيلة للخلاص، لنسى هذا القول وأنكره وجحد به، وقال لمن يخاطبه به : أنه قول كاذب لا أؤمن به، ولا أقبله.

وإذا زعم له أحد أن هذه قسمته من الله لما تورع أن يجدف على الله ويتهمه بالظلم.

والخلاصة أن قول العامة (الزواج قسمة ونصيب)

أولا ـ ليس مبدأ عاما، ولا هو قاعدة، لكنه قول قد ينطبق على حالة أو بضع حالات.

ثانياً ـ أنه قول فيه تعميم، ولهذا فله نتائجه الخطيرة فى حياة المجتمع، وهو قول ضار، ومضلل للشباب.

ثالثا ـ أنه قول يتعارض مع مبدأ حرية الإختيار والمسئولية التى تعلم بها ديانتنا المسيحية

رابعا ـ أنه قول يكذبه الواقع فى العديد من الحالات التى يفشل فيها الزواج، ويتولى الزوج والزوجة الندم.

خامسا ـ أنه قول يلغى مسئولية الإنسان فى الإختيار، ويعلق المسئولية على الله عندما يكون هناك فشل، وبالتالى يقود إلى التجديف على الله، وإتهام الله بالظلم، ويملأ القلب حقدا على الله وكراهية لله، وإحساسا بأن الله عدو له.

سادسا ـ أنه قول لا يمكن أن يفسر عشرات الألوف من الزواجات التى تتم تحقيقا لشهوة أو جريا وراء نزوة، أو طمعا فى ثروة، وما إلى ذلك من إندفاعات وبواعث جسدية أو مادية لا يمكن أن يكون الله مسئولا عنها، أو له يد فيها.

سابعا ـ أنه قول، يتمثل فيه التنصل من تبعة المسئولية فى إختيار الطرف الثانى. والهرب من مشاعر الندم وتبكيت الضمير.

٣٢ ـ هل الرزق قسمة ونصيب أم شطارة ؟

سؤال من السيد صليب حناللة الملاخ ـ سوهاج

هل الرزق قسمة ونصيب، أو هو شطارة ؟

الجواب :

القاعدة العامة أن الرزق بركة من الله (١ . صموئيل ٢ : ٧) ، (أمثال ١٠ : ٢٢) . لكن الله، وهو صانع الخيرات، يتطلب من الإنسان العمل والكفاح والنضال. على أنه يلزم مع العمل والجهاد صبر وصمود وأمانة، كما يلزم أن يتصف الإنسان بالحكمة والفهم والعقل والرأى السديد.

إن النجاح والتوفيق فى الرزق كما فى كل مناحى الحياة الروحية والعلمية والمادية، هما من الله وهما نتيجة ومحصلة لمجموعة عوامل إنسانية يجب احترامها وتقديرها والعمل بها.

على أن كثيرين ممن ينظرون للأمور نظرة سطحية تستهويهم وتشد إنتباههم بعض المواقف والحوادث العرضية السريعة، فيندفعون إلى أحكام مبتسرة متعجلة، فينسبون النجاح إلى صفة واحدة أو عامل واحد، ويهملون النظر إلى العوامل الأخرى التى لابد أن يكون لها جميعا عملها فى كل نجاح حقيقى ودائم.

ونتيجة لهذا الإندفاع المتعجل فى النظر إلى الأمور، وتسبيبها وتفسيرها وتأويلها، يسرعون فى القول بأن هذا النجاح أو ذاك يرجع إلى القدر. وعندهم أن القَدَر أعمى أو معصوب العينين، يخبط يمينا أو شمالا بغير بصيرة وبغير منطق إلا منطق التحكم فى مصائر الناس. ومن المحزن أن ترى هذا الفريق من القائلين بالقدرية، يؤمن أن هذا القدر هو الله، أو من الله. وعلى ذلك فإن الله عند القدريين هو هذه القوة الغاشمة التى تتحكم فى مصائر الناس من دون احترام للقيم الأخلاقية والأبدية. ومن ثم فهم يبيحون لأنفسهم أن ينظروا إلى القدر نظرة إلى قوة ظالمة، لا عدل عندها ولاعقل ولا روح ولا أخلاق، وبالتالى فلا مانع عندهم أن يَشْتِموا القدر ويسخطوا عليه... والحق أن هؤلاء القدريين يجدفون على الله حتى لو زعموا أنهم مؤمنون بالله.

وفى يقيننا أن كلمة (القدر) ومثيلاتها من الكلمات الغامضة ومنها (القسمة) و (النصيب) هى مجرد تعبيرات مبهمة وكأنها رقعة أو بطاقة شبيهة بكلمات (الحساسية) التى يستعملها الأطباء إسما لكل مرض أو عرض لمرض يجهلون أسبابه الحقيقية.

أما نحن فلا نؤمن بالقدرية ولا بالقسمة والنصيب وأمثال هذه التعبيرات التى تتردد على أفواه العامة من بين الناس، ممن يأخذون أمور الحياة مأخذا سطحيا، ولا يريدون أن يكلفوا أنفسهم مشقة إستعماقها وسبر أغوارها، والبحث عن أسبابها الحقيقية، ودوافعها ومبرراتها، واستقصاء قوانين الحياة، بمنهج علمى روحى لتفسيرها وربط المقدمات بالنتائج والعلة بالمعلول.

قال المسيح له المجد فى وجوب العمل وبعد النظر :

«فمثل من سمع أقوالى هذه وعمل بها كمثل رجل حكيم بنى بيته على الصخر، ثم هطل المطر وجرت الأنهار، وهبت الرياح، ولطمت ذلك البيت فلم يسقط، لأنه كان مؤسسا على الصخر. ومثل من سمع أقوالى هذه ولم يعمل بها كمثل رجل غبّى بنى بيته على الرمل، ثم هطل المطر وجرت الأنهار، وهبت الرياح ولطمت ذلك البيت فسقط، وكان سقوطه عظيماً» (متى ٧: ٢٤ – ٢٧).

وجاء فى سفر الأمثال للحكيم سليمان فى وجوب العمل والجهاد، واستنكار الكسل والتراخى : «إنى مررت بحقل الكسلان، وبكرم الرجل الناقص الفهم. فإذا الشوك قد علاه كله وقد غطىّ العوسج وجهه وجدار حجارته قد انهدم. ثم نظرت ووجهت قلبى، ورأيت وقبلت تعليما. قليل من الوسن بعد نعاس قليل. وطىّ اليدين قليلا للرقاد. فيأتى فقرك كعداء وعوزك كغاز» (الأمثال ٣٤ : ٣٠ – ٣٤).

ويقول أيضا «لا تعط عينيك نوما، ولا أجفانك نعاسا... اذهب إلى النملة أيها الكسلان. تأمل طرقها وكن حكيما. إنها ليس لها قائد، ولا عريف ولا حاكم. وتعد فى الصيف طعامها وتجمع فى الحصاد أكلها. إلى متى تنام أيها الكسلان. متى تنهض من نومك. قليل من الوسن بعد قليل نعاس. وطىّ اليدين قليلا للرقاد، فيأتى فقرك كساع وعوزك كغاز» (الأمثال ٦ : ٤ – ١١).

ويقول كذلك «العامل بيد رخوة يفتقر. أما يد المجتهدين فتغنى... من يجمع فى الصيف فهو ابن عاقل. ومن ينام فى الحصاد فهو ابن مخز.. كالخل للأسنان وكالدخان للعينين كذلك الكسلان...» (أمثال ١٠ : ٤، ٢٦).

ويقول «أيدى المجتهدين تسود. أما الرخوة فتكون تحت الجزية.. الرخاوة لا تمسك صيدا. أما ثروة الإنسان الكريمة فهى الإجتهاد» (أمثال ١٢ : ٢٤، ٢٧) انظر أيضاً (أمثال ١٣ : ٤) ، (١٩ : ١٥) ، (٢٠ : ٤) ، (٢١ : ٥).

ويقول المسيح له المجد فى مدح العمل والكفاح والجهاد إن أبى حتى الآن يعمل، وأنا أيضا أعمل، (يوحنا ٥ : ١٧).

ويقول الرسول القديس بولس «ونتعب عاملين بأيدينا» (١ . كورنثوس ٤ : ١٢) . «كنا نشتغل بتعب وكد ليلا ونهارا لئلا نثقل على أحد منكم... لكى نعطيكم أنفسنا قدوة حتى تتمثلوا بنا. فإننا أيضاً حين كنا عندكم وصّيناكم بهذا أنه إن كان أحد لا يريد أن يعمل، فلا يأكل أيضاً» (٢ . تسالونيكى ٣ : ٨ – ١٠) انظر أيضا (أعمال ١٨ : ٣)، (٢٠ : ٣٤) ، (٢ . كورنثوس ١١ : ٩) ، (١ . تسالونيكى ٢ : ٩).

والخلاصة أن الرزق الكثير أو القليل يرجع إلى عدد من عوامل وأسباب لا إلى عامل واحد. وعلى كل حال، فالقانون العام هو قانون العمل والكفاح والنضال مع فضائل الأمانة والنزاهة والمثابرة والصمود... فإذا ماتوافر هذا كله فالنجاح والتوفيق حليف المجاهدين المجتهدين طبقا للمبدأ الإلهى «وإنما يحصد الإنسان ما يزرع» (غلاطية ٦ : ٧)، على أن يضع الإنسان فى إعتباره أن من يسلك بالإستقامة مع الثبات فى الجهاد والعمل، فالله لا يهمله ولا يقاومه بل يسانده ويعينه ضد قوات الشر المضادة، ذلك لأن الله «لا يمنع الخيرات عن السالكين بالكمال» (مزمور ٨٣ : ١١) فإن الله صانع الخيرات، وهو كلى الجودة والصلاح.

٣٣ ـ قبول الظلم لرجل الدين أفضل (١)

عزيزى الأخ والأب الموقر القس ب.ب

المسيح قام ـ بالحقيقة قام

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح أرجو لكم وللسيدة قرينتكم موفور الصحة والعافية والقوة.

وصلنى مع الشكر مكتوبكم الكريم مفعماً بمشاعر المودة الصادقة والمحبة الصافية، وتمنياتكم المخلصة وتهنئتكم الرقيقة بسلامة العودة بمشيئة الله الآب ومسرته.

ولقد تأثرت كثيراً من خطابكم، وتألمت بما وصفتموه وما عبرتم عنه بلغة مثيرة واسلوب آخاذ بمجامع القلب على أنى أشفق عليكم بما قد يترتب على شكواكم أو دعواكم أمام القضاء، فإن الرئاسة الدينية قد تعتبر هذا التصرف الذى اضطررتم إليه حسب تعبيركم استعداء ضدها.

إنى أنصح بوقف هذا الإجراء، وعدم التمادى فيه، نظرا لما ستخسرونه من ورائه حتى لو كان لإسترداد حقوقكم المادية.

إن قبول الظلم بالنسبة لرجل الدين، أفضل من حق الدفاع عن النفس.

،ظلم أما هو فتذلل،

الرب يتولى بنعمته تدبيركم إلى ما فيه الخير وإليكم قبلات محبتى وإعزازى وأصدق تمنياتى.

٣٤ ـ الرأى المسيحى فى طريقة ذبح الحيوانات(١)

السيد الدكتور محمد رشاد شعلان

رئيس مجلس إدارة

الشركة المصرية للحوم والدواجن والتوريدات الغذائية

تحية طيبة وبعد ـ

ردا على خطاب سيادتكم المؤرخ ٢/من فبراير لسنة ١٩٨٥ بخصوص الرأى المسيحى فى طريقة ذبح الحيوانات.

يسرنى الإفادة

بأن المسيحية من حيث المبدأ والعقيدة **لا تبيح أكل دم الحيوان أو شربه، وتعد أكل الدم أو شربه خطيئة كبيرة، وفعلاً محرّما يستوجب العقاب الأبدى والزمنى، ومن يرتكبه يعد مقطوعا من شركة الإيمان المسيحى والكنيسة.**

جاء فى سفر التكوين قول الله تعالى (إنّ لحما بحياته دمه لا تأكلوه) (٩ : ٤) والمعنى أنه **محرم على الإنسان أن يأكل اللحم الحىّ وبه دمه.**

وجاء فى سفر اللاويين، السفر الثالث من أسفار الكتاب المقدس، قوله تعالى : (وأى إنسان ... أكل دما أجعل وجهى ضدّ النفس الآكلة الدم، وأقطعها من بين شعبها. لأن نفس الجسد هى فى الدم... **لا يأكل أحد منكم دماً** لأن نفس كل جسد هى دمه، هو بنفسه... **لا تأكلوا دم جسد ما**، إذ نفس كل جسد هى دمه، فكل من أكله يقطع) (١٧ : ١٠ ـ ١٤).

(لا تأكلوا شيئا من الدم) (٣ : ١٧).

(كل دم لا تأكلوه فى جميع مساكنكم من الطير والبهائم) (٧ : ٢٦)، (لا تأكلوا بالدم) (١٩ : ٢٦)، (١. صموئيل ١٤ : ٣٣).

وجاء فى سفر التثنية، خامس أسفار الكتاب المقدس، : (**وأما الدم فلا تأكله، بل أرقه على الأرض كالماء ... إياك أن تأكل الدم**، فإنه نفس، فلا تأكل النفس مع اللحم) (١٢ : ١٦، ٢٣) (**وأما دمه فلا تأكله لكن تريقه على الأرض كالماء**) (١٥ : ٢٣).

وجاء فى سفر أعمال الرسل : (أن تمتنعوا مما ذبح للأصنام، **ومن الدم** والمخنوق) (١٥ : ٢٠، ٢٩).

---

(١) كتب فى ٣ من فبراير ـ شباط لسنة ١٩٨٥م.

والمعنى من كل ذلك أنّ المسيحية لا تبيح أكل اللحم الحىّ الذى به الدم ولا تبيح أكل الدم، وإنما تأمر بأن يراق دم الحيوان على الأرض، ولا يبقى منه شئ بجسم الحيوان. وعلة ذلك أساسا أنّ دم الحيوان به كل خصائصه وكل قوته وشهوته. إنّ المسيحية أباحت أكل لحوم الحيوانات من غير أن يكون مع اللحم دمه.

وعلى ذلك فالمسيحية :

(١) **لا تبيح بل تحرّم أكل الحيوان المخنوق**، الذى لا يراق دمه.

(٢) **لا تبيح بل تحرّم أكل الجيفة** (سفر الخروج ٢٢ : ٣١)، (سفر اللاويين ١٧ : ١٥)، (٢٢ : ٨).

(٣) **لا تبيح بل تحرّم أكل الدم.**

وبناء عليه فإذا كان ذبح الحيوانات المستوردة من الخارج يتم على هذا النحو- كما جاء بخطابكم : ضرب الحيوان بمسدس فى رأسه قبل ذبحه يخترق الجبهة فتتهتك الجبهة ثم يتم تدمير خلايا المخ بإبرة، ينتج عنه خلل فى عمل الأجهزة الحساسة بالجسم، يسقط بعدها الحيوان على الفور ثم يتم الذبح بحيث تنقص بذلك كمية الدم المسفوك من الحيوان ويبقى داخل اللحم، ويبررون هذه الوسائل بأنها لكفالة الرأفة بالحيوان حيث أنّ الذبح العادى المتبع فى مصر يؤلم الحيوان.

- نقول **إن هذه الوسائل المتبعة فى ذبح الحيوانات المستوردة من الخارج لا تقرها المسيحية لأنها لا تكفل إراقة دم الحيوان إراقة تامة، بل تكفل بقاء شئ من الدم فى جسم الحيوان الذبيح.** ولما كان أكل الدم ممنوعا ومحرّما فنحن لا نقر من وجهة نظرنا المسيحى الذبح على هذا النحو، ونعده من الممنوعات المحرمات.

أما الرفق بالحيوان عند ذبحه فهو مطلوب، ولكن الرفق يتوافر بذبح الحيوان **بسكين حادة وفى الموضع الذى يكفل جزّه على نحو عاجل فلا تطول مدة ألمه، وهو عادة عند الرقبة** حيث يتم كسر النخاع الشوكى فيتم الذبح بحيث يصفى دم الحيوان تماما، ولا يبقى من دمه شئ فى لحمه قبل شيه أو طبخه.

هذا، ولابدّ من التريث والإنتظار للتأكد من موت الحيوان عند ذبحه قبل شيه أو طبخه.

والله ولىّ التوفيق،،،،،

٣٥ ـ حرية النفس البشرية (١)

عندما نتكلم عن الحرية. ما الذى نفهمه من كلمة الحرية. طبعا هى قدرة الإنسان على أن يفعل ما يريد وكما يختار، وقدرته على أن لا يفعل ما لا يريد أن يفعله، هى القدرة على أن يختار الإنسان ما يشاء عندما يكون فى إمكانه أن يفعل، وأن لا يفعل بحسب شأنه وإختياره دون ضغط أو كره، من دون أن يتدخل فى حريته كائن آخر ومن هنا نقول أن هناك :

١ ـ **حرية الرأى** وهى أن يرى الإنسان ما يشاء وأن يعتقد ما يشاء، ولا يُلزمه أحد فى عقيدته بشئ.

٢ ـ **وحرية التفكير** وهى أن يفكر الإنسان كما يشاء، ولا يوجد ما ومن يمنعه عن التفكير فى أى إتجاه يمكن أن يتجه إليه الفكر البشرى.

٣ ـ **حرية التعبير** أى أن للإنسان أن يعبر أى تعبير يراه مناسبا وملائما لتفكيره أو لإعتقاده أو لرأيه.

هذا هو المفهوم من كلمة الحرية : الحرية هى أن يصنع الإنسان ما يشاء وأن يكون فى مقدوره أن يفعل أو لا يفعل بحسب رأيه وإختياره دون أن يكون لأحد دخل ما فى هذا كله.

ومن هنا أيضا نفهم معنى الحرية لا بالنسبة للإنسان نفسه فى حكمه على الأمور بل بالنسبة لغيره فنقول أن هناك ما يسمى.

٤ ـ **حرية الموطن** بمعنى أن الإنسان طالما هو فى وطنه فمن حقه أن يحيا فى هذا الوطن بكرامته كإنسان، ومن حق المواطنين عموما فى هذا الوطن أن يعيشوا فيه بكرامتهم ولهم فيه كامل الحقوق، وليس لبلد آخر أن يعتدى على حرية المواطن. كما أن لهذا البلد ولكل واحد من هذا البلد الحرية أيضا فى أن يسكن فى وطنه الخاص، دون أن يكون لأحد آخر من وطن آخر حق التدخل فى حرية المواطن.

٥ ـ **حرية السكن** فلكل إنسان أن يسكن فى المكان الذى يختاره لنفسه طالما أن إمكانياته تسمح له بهذا. وفى حرية السكن يستطيع الإنسان أن يعمل ما يشاء فى حدود هذا السكن، وليس لجاره أو لأى فرد آخر أن يتدخل فى مسكن هذا الإنسان أو يضايقه بنوع ما فى حريته، لكل إنسان فى الوطن أو فى العالم عموما الحق فى أن يسكن فى المكان الذى يشاؤه... وأيضا تكون له حريته الكاملة فى هذا السكن وليس لفرد آخر أن يعتدى على حرية الآخر فى مسكنه.

---

(١) محاضرة ألقيت فى مؤتمر للتربية الدينية المسيحية فى فبراير ١٩٧٠م.

٦ ـ **حرية الطعام** : للإنسان أن يأكل ما يشاء ولا حق لكائن من كان أن يفرض على الإنسان من دون إرادته أن يأكل من طعام معين دون طعام آخر. نعم فى بعض الأحيان قد يتدخل الطبيب فينصح مريضا أن يتناول طعاما خاصا لإنقاذ حياته، ولكن الطبيب لا يفعل هذا بالكره، أو بالجبر أو من دون إختيار المريض نفسه، فالطبيب ينصح وللمريض كامل الحرية فى أن يتبع نصيحة الطبيب أو يرفضها، فى هذه الأمور وفى غيرها يتضح معنى الحرية.

الحرية عقيدة : هذه المجالات التى قدمناها هى مجرد أمثلة على معنى الحرية كما نفهمه أو كما نحدده، ومع ذلك فالحرية فى مفهومها الإجتماعى تكون مقيدة فللإنسان حقوق ولكنه كفرد فى المجتمع ليس له أن يتخطى هذه الحدود، لأنه لو تخطاها اعتدى على حرية غيره، فنحن كبشر لكل منا دائرة وله أن يجرى فيها، ولكن إن خرج عن هذه الدائرة يعتدى على دائرة إنسان آخر.

والمجموع البشرى مجموعة دوائر متماسة، ودوائرنا فى المجتمع البشرى ليست دوائر منفصلة، بل كل واحد له دائرة ولكن هذه الدوائر متماسة، لأن كل واحد فينا مرتبط بشخص أو أكثر من شخص وفى الواقع نستطيع أن نقول أن كل واحد متصل بالعالم كله، وبالمعنى الأوسع نستطيع أن نقول أن كل فرد منا متصل لا بالعالم المنظور فقط إنما بالعالم غير المنظور أيضا، فكل تصرف يتصرفه الفرد منا لابد أن يؤثر هذا التصرف على أبيه أو أمه أو اخته أو أولاده أو زوجته أو أصدقائه وجيرانه ـ وليس أحد معزولا عن غيره من الناس. كل إنسان له دائرة وله أن يجرى ويفعل ما يشاء داخل هذه الدائرة. وطالما أنه لا يتخطى حدود هذه الدائرة فلا يوجد شخص يجرؤ بحق أن يعارضه طالما أنه يجرى فى داخل دائرته الخاصة. ولكن يحدث فى بعض الأحيان أن الإنسان منا يتوسع فى مفهوم الحرية فيخرج من دائرته دون أن يعلم أنه فى اللحظة التى فيها يخرج عن دائرته يكون قد دخل فى دائرة إنسان آخر، وفى هذه الحالة لا يكون إلا معتديا لا يستطيع هذا الإنسان أن يقول أنا حر، أفعل ما أشاء فى العالم كله، أنت حر فى دائرتك لا أحد يستطيع أن يناقشك فى حقوقك التى تدخل فى دائرة اختصاصك، ولكن بما أننا دوائر متماسة، وبما أن هناك كائنات أخرى تعيش معنا فى الحياة فلا يمكن أن أفهم الحرية بأن يصنع الإنسان ما يشاء فى الكون، ولابد أن تفهم الحرية بهذا المفهوم المحدود، لى دائرة أجرى فيها ما أشاء، ولكن لو تخطيت حدود هذه الدائرة أكون قد تعديت على دوائر أخرى، وفى هذه الحالة يكون هذا الآخر قد أُعتدى عليه وأصبح غير حر، بسبب أنى تخطيت حدود غيرى فيصير غيرى غير حر. وهذا هو الذى نشتكى منه أحيانا، يقول أنا إنسان مظلوم فيشكو غيره من الناس على أساس أن واحدا إعتدى عليه. وعلى نفس القاعدة كما تشكو أنت من واحد آخر لأنه اعتدى عليك، كذلك هذا الآخر من حقه أن يشكو منك إذ أنت اعتديت على دائرته ـ هنا يجب أن نفهم الحرية أنها حرية مقيدة، لكل إنسان دائرة ولكن هذه الدائرة تمس دوائر أخرى، فمن ثم يجب أن

نفهم أن لنا حدودا وأنه فى نطاق هذه الحدود يمكن أن نتصرف، ولكن يوم أن نخرج عن هذا النطاق نعتدى على حريات الآخرين.

وهذا ما يحدث على سبيل المثال فى حرية الملبس مثلا، صحيح أنا حر أن ألبس ما أشاء، ولكن فى المجتمع البشرى طبعا سأشعر فى وقت أن هناك حدودا معينة إذا خرجت عنها أكون قد اعتديت على حريات الآخرين، فالمجتمع له أوضاعه. صحيح أن الإنسان حر أن يلبس ما يشاء ولكن فى حدود معينة، ولا يستطيع الإنسان أن يفترض أن الناس غير موجودين، فهناك فرق بين أن يكون الإنسان فى الحمام حيث يخلع أو يلبس، وأن يكون فى الشارع حيث يجب أن يراعى حريته والمثل العام يقول كل ما يعجبك وإلبس ما يعجب الناس.

كذلك هناك فيما يختص **بحرية العمل** على سبيل المثال، كل إنسان منا مسئول عن عمل ما من الأعمال له أن يتصرف فى حدود مسئوليته وإختصاصه، ولكن لابد أن يفهم ما هى حدود هذا الإختصاص وإلا يكون قد خرج عن دائرته إلى دائرة أخرى، فالرئيس له اختصاص والمرؤوس له اختصاص فإذا تصرف المرؤوس فى حدود وفى نطاق وظيفته واختصاصه لا يلام على هذا، بل فى كثير من الأحيان يتطلب المجتمع من كل شخص منا فى حدود دائرته أن يكون مرنا، والمرونة هى قدرة الفرد على أن يتصرف التصرف المناسب غير المقيد بحدود ضيقة، فللإنسان له أن يتصرف ولكن فى حدود معينة، ويوم أن يخرج الإنسان عن هذه الحدود يدخل فى دائرة إنسان آخر، قد يدخل فى إختصاص الرئيس وحينئذ تحدث المشكلة وينشأ النزاع بين الرئيس والمرؤوس. والرئيس هنا حجته أن هذا المرؤوس خرج عن دائرته وتعدى إختصاصات الرئيس. وقد يحدث هذا بالنسبة للزملاء فلكل زميل له عمل وله إختصاص وليس لزميل أن يتعدى إختصاص زميله.

ونستطيع أن نتوسع فى ذلك فى نطاق الهيئات، فتجد هيئة معينة لها برنامج للعمل ولها أهداف وأغراض، ولها أن تتحرك بكامل حريتها وبموجب قانونها، ولكن قد يحدث فى بعض الأحيان أن هذه الهيئة تخرج عن دائرتها وتعتدى على هيئة أخرى، ومن هنا يحدث النزاع بين هذه الهيئات ويقتضى الأمر إلى وجود سلطة عليا تفصل فى الخصومة بين هذه الهيئة وتلك الهيئة، كالخلاف الذى ينشأ بين الأشخاص كذلك الذى يحدث بين الهيئات على الإختصاصات، بل ينشأ أيضا بين الدول فيما يعرف بالحدود، فكل دولة وكل مملكة وكل إقليم له حدود، وعندما تعتدى الدولة المجاورة على هذه الدولة، فى هذه الحالة تصرخ الدولة المعتدى عليها وتبيح لنفسها فى هذه الحالة أن تهاجم، وهذا الهجوم يكون هجوما دفاعيا عن حدودها كما يحدث بين كل دولتين متجاورتين، قد تحدث بينهما الخصومة على الحدود وكل هذا مرجعه إلى نوع من المغالاة فى نظرة الدولة إلى الحرية. دولة تنظر إلى نفسها على أنها حرة من حيث

أنها تمد رجلها فى غير دائرتها، ومن هنا يحدث الإعتداء والشكوى هذا هو ما يعرف بالإختصاصات واحترام الإختصاصات، كل فرد له إختصاص وفى هذا الإختصاص حريته. ولكن ليس معنى حرية الفرد فى إختصاصه أن يعتدى على إختصاص غيره.

ننتقل إلى نقطة أخرى **وهى الحرية بالنسبة للكون**. الإنسان منا كفرد فى هذا الكون الواسع المترامى الأطراف هل هو حر بالنسبة إلى الكون؟ هناك حرية لكنها أيضا حرية مقيدة، لك حرية فى أن تتمتع بالهواء والشمس والنبات وبالحيوان وتستغل كل ما فى الكون مما يملكه ويدخل فى إختصاص الإنسان ودائرة حريته، ولك أن تغلق الباب فتمنع الهواء عن نفسك، ولك أن تفتح الأبواب والنوافذ كما تشاء ولك أن تمشى فى الشمس أو فى الظل كما تشاء، ولك أن تأكل من النبات أو تشترى، ولك أن تركب الدابة وتنزل عنها. فى كل هذا لك الحرية ولكن إلى أى مدى؟ هل تستطيع أن تغير الربيع إلى الصيف أو الشتاء إلى صيف؟ أو تغير نظام الكون والشمس والزوابع والأمطار والرياح وما إلى ذلك، أو تغير لونك من أسود إلى أبيض أو إلى العكس؟

ففى أمور كثيرة يمكن أن يكون الإنسان فيها حرا وأمور أخرى كثيرة أيضا لا يستطيع فيها الإنسان أن يكون حرا، لأنها ليست دائرته هو وإنما دائرة الخالق ودائرة صاحب الكون الذى يرتب الكون، فنظام الكون يسير فى حتمية تامة. فأنا لا أستطيع أن أغير نظام الكون. وهذا لا يعنى أننى لست حرا، وإنما أنا حر فى دائرة معينة ولكن هناك رئيس الرؤساء وإله الآلهة. إذا كان الإنسان فعلا إلها صغيراً فإن الله أو كبير الآلهة أو سيد الآلهة هو نفسه له حقوق وله إختصاصات وله دائرة وليس فى مقدور الإنسان أن يتخطى إلى هذه الدائرة.

أيضاً هناك **الحرية بالنسبة لقوانين الطبيعة** فقانون مثلا كقانون الوراثة ماذا يفعل فيه الإنسان؟ إن الإنسان يرث صفات معينة عن أبيه وعن أمه وعن جدوده بنسب معينه معروفة فى قوانين الوراثة، فهذه القوانين ماذا يعمل الإنسان فيها؟ إنه يستطيع أن يستعملها أو يتعامل معها ولكن هل يستطيع أن يغيرها؟ إنه لا يستطيع، ولكن هذا ليس معناه أنه مسير فى هذا الكون، إن له دائرة وله حرية من بعض الوجوه، ولكن فى نواحى أخرى كقوانين الطبيعة يخضع الإنسان لقوانين أعلى من منسوبه هو، هذه تدخل فى دائرة الإله الأكبر الذى هو صاحب الكون الذى ينظم الكون باسلوب رآه مناسبا لحفظ الكون.

قصدت من هذه المقدمة إذا شئتم أن نبين المفهوم الذى ينبغى أن نتواضع عليه، أن نفهمه للحرية، لأنه مع الأسف الشديد إن هذا المفهموم أحيانا نخطئ فى قبوله أو تحديده، فلابد أن نعترف أن مفهوم الحرية هو أن يصنع الإنسان ما يشاء وأن تكون فى مقدوره أن يصنع ما يشاء، ويكون فى مقدوره ألا يصنع ما لا يشاء أن يصنع، هذا المفهوم ليس مطلقا وإنما مقيد كما ذكرنا.

الحرية الأدبية - حرية الفعل الأدبى :-

قلنا أن الإنسان لا يستطيع أن يتحكم فى لونه أو طوله أو عرضه، لأن طوله أو عرضه يخضع لقوانين الوراثة، وبالنسبة إلى قوانين الوراثة يمكن أن يكون للإنسان بعض الحرية فى التصرف ولكنها محدودة، فيمكن للواحد مثلا أن يلعب ألعابا رياضية فيزيد بها إرتفاعه إلى حد ما، ولكن لا يقدر أن يزداد طوله بدوره إلى ما لا نهاية، وكذلك يمكن أن يتحكم فى السمنة والنحافة ولكن إلى حد ما، لكنه لا يقدر أن يتحكم فى الزوابع والأمطار وغيرها من القوانين.

إن جميع القوانين التى نحن نعرفها يمكن أن يستغلها الإنسان، ويمكن على نوع ما أن يتكيف معها، ولكن دائرة التكيف أيضا محدودة، على أن هناك دائرة متروكة لنا قيود حرية الفعل الأدبى، يعنى أن أكون خيرا أو شريرا هذه مسألتى أنا ، أن أكون عادلا أو ظالما أو متسامحا أو حقودا هذه أيضاً دائرتى أنا، **إن دائرة الفعل الأدبى هى للإنسان ومتروكة له كلها**، وهذا هو الموضوع الأساسى لحديثنا فى هذه الساعة. حرية الفعل الأدبى أن يصنع الإنسان من جهة الغير ما شاء، فالمسألة هنا متروكة له والحرية هى كرامة الإنسان العاقل، فالله عندما خلق الحيوان خلقه مقيدا فكلنا نرى أن الحيوان يتصرف نفس التصرف الذى يتصرفه حيوان آخر إذا كان من نفس الفصيلة، فالحصان والحمار والكلب والأسد والقط والبعوضة والذبابة.. كل حيوان أو طائر إذا كان من نفس الفصيلة يتصرف نفس التصرف المرسوم ولا مجال للخطأ عند الحيوان - كذلك لا نستطيع أن نقول عن الحصان أنه أخطأ أو أصاب ولا نقول عن الكلب أنه أصاب أو أخطأ، أى لا نحكم على الحيوان لا بالصواب ولا بالخطأ وذلك لأنه محكوم بالغريزة أنه لا يمكنه أن يتصرف على غير ذلك، ولذلك أيضا فليس للحيوان جزاء أخروى أى لا ثواب ولا عقاب، صحيح أنه كما يقول علماء النفس - إن الغرائز قابلة للتكيف ولكن التكيف شئ والحرية شئ آخر، والدليل على ذلك أن مقدرة الحيوان على التكيف أمام الظروف موجودة عند كل حيوان آخر بنفس الدرجة بدون أى إختلاف، فالفأر إذا هوجم يجرى وإذا وجد مخبأ أو منفذا خرج منه، فإذن الحيوان عندما يهاجم يستطيع أن يتصرف بالهرب ولكن هذا ليس معناه الحرية. وإنما كما يقول علماء النفس هى مقدرة الحيوان على التكيف أمام الظروف التى تواجهه.. هذا التكيف موجود أيضا فى طبيعته.

وإذن الحيوان مقيد بالغريزة فى كل تصرفاته، وكل حيوان يتصرف تصرف الآخر. إنما الإنسان وحده كما يقول بعض الفلاسفة، هو الحيوان الوحيد أو الكائن الحى الوحيد الذى يستطيع أن يخطئ. ولماذا يخطئ الإنسان؟ لأنه حر أن يفعل أو لا يفعل، هذا هو مفهوم الحرية، فالإنسان حر يقرر أن يخطئ ويقرر أن يصيب ولماذا عنده حرية؟ لأنه كائن عاقل فبدلا من أن تتحكم فيه الغريزة التحكم المطلق كما تتحكم فى الحيوان زوده الله بطاقة أخرى فوق الغريزة وفى العقل الذى به يحكم الغريزة فإذن العقل والحرية متلازمان، فالكائنات الحرة عاقلة لذلك فهى حرة ولذلك أيضاً يوجد من الملائكة ملائكة صالحون وملائكة أشرار؟ إذن الحرية هى كرامة الإنسان العاقل.

وهنا يسأل الإنسان لماذا بعض الناس يتمنون أن لا يكونوا عاقلين؟ فيقول بعضهم ياليتنى كنت حديداً أو نحاساً ويقول لماذا لم يخلقنى ربى كالحيوانات وذلك تهرب من المسئولية، لأن المسئولية قاسية شديدة ويتبعها الألم، فهناك إناس تحب أن تهرب من المسئولية لذلك لا يريدون الحرية وهو لا يعلم أن الحرية هى كرامة الإنسان العاقل، إذن أنا حر لأن الله يريد أن يجعلنى فى أسمى صورة لكى أكون مثل ربنا، فالله خلق الإنسان على صورته ومثاله، فكما أن الله حر يفعل ما يشاء فى خير السماء بسكان الأرض ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل؟ هكذا أعطى الإنسان حرية، فالإنسان له أن يفعل وله أن لا يفعل خاصة فى دائرة الفعل الأدبى، يمكنه أن يصنع الخير وأن يصنع الشر وهذا بمحض حريته لأنه منح العقل كمرشد وكشاف، لأنه ما دامت الغريزة لا تحكمه فلابد أن يعلّمه الكشاف، وهذا الكشاف هو العقل لكى يرى به الأمور ويحكم به بين الأمور المتخالفة.

والدليل على أن الإنسان هو هو ١ - **أولاً شعور الإنسان بالحرية**، أن كل واحد يناشد أنه حر وعندما ترى إنساناً يتحداك تقول له أنا حر. حتى الناس الذين ينكرون الحرية عندما تمر بهم أزمة يقول لغيره أنا حر أقبل أو لا أقبل، وكلنا نحس أن الحرية شئ ثمين جدا حتى لو أنكرناها في بعض الأحيان. والإنسان لا ينكر الحرية إلا عندما يريد التخلى عن المسئولية، ويريد أن يحمّل المسئولية على غيره يقول ليس هذا الأمر بإرادتى وإنما على الرغم منى، إن الله هو الذى صنع هذا، أو أن الظروف التى اضطرتنى لذلك، والحق أن هذا القول هو دائماً نوع من الهرب من المسئولية، أنه يريد أن يتخلص من المسئولية فإذا سئل شخص عمن كسر الكوب يقول أن الكوب هو الذى وقع منى، أى أن الغلطة هى غلطة الكوب، الكوب هو الذى انكسر وليس أنا الذى كسرته، هذا نوع من الهرب من المسئولية أنه يحيل المسئولية على غيره، وإذا لم يجد الغير فإنه يحيل المسئولية على الظروف، وإذا لم يجد الظروف يقول ربنا عمل كده، وأحيانا يقول الشيطان عمل كده، وقد يكون الشيطان بريئاً من هذا الإتهام، صحيح أن الشيطان يمكن أن يغلبنى أحياناً، لكن لماذا لا أكون أنا هو الذى ضليت وانحرفت من تلقاء ذاتى، لكن هذه هى طريقة الإنسان لكى يهرب من المسئولية يحيل الخطأ على غيره. ولكن فى مناسبات أخرى عندما تتحدى أحدا يريد أن يقهرك على أمر وأنت لا تريده، فستضطر أن تنفس عن ذلك وتنفجر وتقول أنا حر أقبل هذا الأمر أو لا أقبل، ولا يوجد كائن على الأرض يملك أن يقهرنى على ذلك وأحيانا يعلم الإنسان أن نتيجة ذلك ضرر عليه ومع ذلك يصيح ويقول «أنا حر» فلا شك أننا كلنا نحس أننا أحرار كلنا، مهما حاولنا أن نتنصل فى بعض الأحيان من مسئولية الحرية لكن فى أمور أخرى كثيرة الإنسان نفسه يقر أنه حر.

٢ - **والدليل أيضاً على أن الإنسان حر هو شعوره بالندم** عندما يعمل الإنسان عملا غير مناسبا ويتبين أنه خطأ ولو بينه وبين نفسه يندم، إن **شعور الإنسان بالندم** دليل

على اعتقاده بأنه حر. لأنه لو كان الإنسان منا غير حر فلماذا يندم؟ وإن الندم معناه أننى أشعر أنه كان فى إمكانى أن أتصرف ولكنى لم أتصرف، أو كان فى إمكانى أن أفعل ولم أفعل ولذلك أنا أندم. والندم غير الأسف، فقد تأسف على فرصة ضاعت عليك، أنك تأسف على عدم حضور حفلة لم تعلم بموعدها، أو يتعارض موعدها مع وقتك أو موعد آخر فتأسف لذلك لكنك لا تندم، لأنك شاعر أنه لم يكن فى إمكانك أن تحضر هذه الحفلة. فلا تندم على فعل إلا إذا أنت شعرت فى قرارة نفسك أنك أنت مدان فيه. الندم هو إدانة النفس للنفس والندم إذن دليل الحرية. كلنا نندم ومن منا ينكر أنه يندم فى بعض الأحيان؟ فالندم معناه أننى فعلا حر وأنه كان فى مقدورى أن أتصرف ولم أتصرف أو كان فى مقدرى أن أمنع نفسى عن الشر ولم أمنعها لذلك يؤنبنى ضميرى، وما هو الضمير؟ هو المحكمة الباطنية، الضمير ينتصب حكما، وأنا لا أستطيع أن أقول لا، قد أقول للناس من خارج أننى معذور، لكن أمام الضمير لا أستطيع، إن الضمير يلزمنى بحكمه فاحترم حكمه وأشعر أنه صادق... وعندما يقول لى ضميرى أنك أخطأت لا أستطيع أن أناقش مناقشة جادة بل أخضع لحكمه. وأشعر أنه على حق، وأن له سلطانا أن يلومنى، إذن الندم دليل الحرية. وكل إنسان يندم، فكل إنسان حر ولولا الحرية ما كان الإنسان يندم.

٣ - **ودليل الحرية أيضا أنك تلوم غيرك** - وتقول أن فلانا غلطان، فأنت يمكن أن تحكم على تصرفات الآخرين، وتقول أن هذا مصيب وذاك مخطئ، حتى أبوك أو أخوك أو صديقك يمكن أن تقول أنه مخطئ، فقد تحكم على شخص بأنه أخطأ هذا دليل على أنك تشعر أنه كان فى مقدوره أن لا يخطئ فأخطأ وبناء عليه فهو ملوم.

٤ - **ودليل حرية الإنسان** أنه يستطيع أن **يغير تصرفاته**، فلو كان الإنسان غير حر لما كان فى مقدوره أبدا أن يغير تصرفاته، ولكن الذى يحدث أن الواحد منا يستطيع أن يغير تصرفاته عندما يقتنع أن هذا التصرف خطأ وأنه ينبغى أن يغيره. ونحن فى تجربتنا البشرية من الطفولة إلى الآن. وإلى نهاية الحياة نعرف أننا عندما نقتنع بتصرف معين يستطيع الواحد أن يغير تصرفه.

وهذا دليل الحرية عندما نقتنع مثلا أن التدخين خطأ نستطيع أن نقلع عنه، وإن كان البعض يحتج أنه لا يستطيع، فهذا مرده إلى ضعف إرادته ولكن هناك إناس ممن لهم الإرادة القوية يمكنهم أن يقلعوا عن أى عادة من العادات. كذلك تستطيع أن تغير علاقتك بالآخرين، فالحب والكراهية تستطيع أن تبدلهما، فإذا كنت تحب واحدا ثم قيل لك أن هذا يكيد لك أو يصنع لك مقالب، تجد أن شعورك قد تغير من نحوه وبالتالى تصرفك يتغير بإزائه، ويتحول الحب إلى كراهية، والعكس أيضا يمكن أن تتغير الكراهية إلى حب **فقابلية الإنسان للتغير دليل حريته**.

ولذلك التوبة ممكنة كانت ولا زالت ممكنة فى حياة الإنسان هل هى مستحيلة، لا هناك أمثلة لا حصر لها عن أشخاص خطاة وأشرار ومجرمين وفاسدين تحولوا إلى قديسين وإلى أطهار، إذن التوبة ممكنة وقد حصلت فى تاريخ البشرية ولا زالت تحدث فى كل يوم وما دامت التوبة ممكنة **فإذن الإنسان حر ولو لم يكن حرا لما كانت التوبة ممكنة.**

وهنا كانت مهمة الوعظ ومهمة الإرشاد ومهمة التعليم، إننا نفهم جلال مهمة التعليم، وجلال مهمة المعلم قائمة على أساس أنه يستطيع أن يصنع شيئا. يستطيع أن يقوم الناشئة ويستطيع أن يعدل من تصرفات الناشئة والشباب، لذلك يظهر جلال هذه المهمة وشرفها، لذلك كلما وجد المعلم الصالح والمعلم المُعد الإعداد العظيم لمهمته، كلما تغيرت الأمة بأسرها وتغير الوطن والشباب والرجال والأمة كلها والمجتمع. لذلك فإن التساهل فى إختيار المعلم خسارة شديدة للأمة كلها، وكلما تساهلنا فى شروط المعلم كان فى ذلك خسران عظيم جدا فى الناحية التربوية كلها، ليس فقط من الناحية العلمية والإجتماعية والعقلية وإنما أيضا من الناحية الأخلاقية والروحية.

وهكذا الوعظ للكبار والإرشاد والتوجيه فى مجال الإصلاح الدينى والإجتماعى عند قادة الفكر من أى نوع وعند الفلاسفة والمفكرين والعلماء فى مجال القادة الذين يوجهون المجتمع أو الهيئات المختلفة لو لم يكن الإنسان حرا لكانت جهود هؤلاء عبثا فى عبث، فلا يمكن للوعظ وللإرشاد والإصلاح الإجتماعى قيمة أو معنى ما دام الإنسان غير حر، فأى تبرير يمكن أن يقدم لمهمة المعلم أو المرشد أو المعلم الإجتماعى أو القادة فى مختلف مجالات القيادات؟ ما جدوى هذا كله إذا كان الإنسان غير حر، ولكن لأن الإنسان حر لذلك يظهر عمل وتوجية وثمار المعلمين والمرشدين والقادة.

هذه الأعمال وهذه الإختصاصات وهذا الجهد من شأنه أن يرفع روح الإنسان المعنوية حينما يرى أنه يستطيع فعلا أن يصنع شيئاً فى المجتمع، ويستطيع أن يعدل وأن يقوم وأن يغرس الفضيلة فى نفوس الناشئة، ولو لم يكن الإنسان حرا لكان كل هذا لا جدوى منه ولا فائدة فيه ويكون عبثا فى عبث، ومضيعة للوقت، ولا فائدة لا فى قراءة، ولا فى درس ولا فى توجيه ولا فى عمل ، ولا فى شئ من هذا كله. وهذا هو الفرق بين الإنسان والحيوان، إن الخروف أو الجمل أو الكلب يعيش فى قطيع لذلك لا فائدة منه لجنسه ولا تقدم، فمن وقت أن عرف الحصان إلى الآن باق كما هو، والنمل من يوم أن كتب فرجيل وهو من أقدم ما كتب الإنسان فى وصف صفات النمل وخصائصه، من ذلك الوقت إلى الآن لم يتطور النمل أو يتقدم أو يتغير، ولم يتغير الخروف أو النحل أو اليمام، إنما الإنسان تغير تغيرات كبيرة، والإنسان اكتسب معارف وعلوم صنعت فارقا كبيراً بين جيل وجيل، إن الموتى لو استيقظوا الآن ورأوا ما أحرزه الإنسان فى

النصف الثانى من القرن العشرين لقالوا ما هذا كله؟ وأنت نفسك تحس أنك يوم أن كنت طفلا غيرك وأنت شاب فى ربيع الحياة، وغيرك وأنت رجل وغيرك وأنت كهل. الواحد منا يحس فى حياته الخاصة بالتطور والتغير فى الفكر والعمل، فكم من أفكار كثيرة كانت قديمة وواضحة وكنت مؤمنا بها، من بعد ذلك تركتها وغيرتها وإنقلبت عندك إلى ما هو ضدها، هذا يرجع إلى هذه الميزة للإنسان عن الحيوان، وإلى مقدرة الإنسان على أن يغير فى نفسه شيئا، وأن يغير المجتمع، ليس هذا فى الحيوان أبدا ولا فى الطيور وليس فى شئ غير الإنسان، ولأن الإنسان فى مقدوره أن ينقل خبراته ومعارفه إلى غيره من الناس، وفى مقدوره أن يصنع شيئا، وأن فى عالم الحيوان لا يوجد حيوان واحد استطاع أن يخدم جيله من فصيلته أو غير فصيلته أى خدمة وإنما كل شئ باق كما هو.

ثم لماذا يتساوى إنسان مع غيره فى الظروف والبيئة ومع ذلك يختلف عنه فى السلوك. أخوان من بطن واحدة ويعيشان فى بيت واحد وقد يتساوى إنسانان فى الظروف وفى البيئة وفى أشياء كثيرة ومع ذلك يختلفان فى السلوك : واحد خير والثانى شرير، واحد صالح والثانى طالح، فما هو السبب مع ثبات الظروف.. **إذن هذا يرجع إلى ما للإنسان من نصيب من الحرية** هى التى تستطيع أن تصنع هذا الفارق على الرغم من تساوى الظروف، وهذا نجده فى الكتاب المقدس يقول «انظر قد جعلت اليوم قدامك الحياة والموت والخير والشر أشهد عليكم اليوم السماء والأرض قد جعلت قدامك الحياة والموت، والبركة واللعنة. فاختر الحياة لكى تحيا أنت ونسلك» (التثنية ٣٠ : ١٥ ـ ١٦) لماذا تضطرنى إلى هذا، لماذا أختار أنا؟ نعم فإنى أنا خلقتك عظيما خلقتك كريما، خلقتك على صورتى ومثالى، شرفتك بالحرية، لذلك تركت الأمر بين يديك لتصنع أنت نفسك، وتصنع أنت مستقبلك، أما أنا فإنى أنصحك وفى آخر الأيام يمكن أن أكافئك ويمكن أن أعاقبك لأنى تركتك حرا لكى تختار ما تشاء.

ومرة أخرى يقول يشوع بن نون فى التوارة «فالآن اخشوا الرب واعبدوه بكمال وأمانة... إن ساء فى أعينكم أن تعبدوا الرب فاختاروا لأنفسكم اليوم من تعبدون... وأما أنا وبيتى فنعبد الرب» هذا هو اختيارى أما اخترتم «فأجاب الشعب وقالوا حاشا لنا أن نترك الرب لنعبد آلهة أخرى... فقال للشعب «ولا تقدرون أن تعبدوا الرب لأنه إله قدوس وإله غيور هو لا يغفر ذنوبكم وخطاياكم... فقال الشعب ليشوع لا بل الرب نعبد. فقال لهم يشوع أنتم شهود على أنفسكم إنكم قد اخترتم لأنفسكم الرب لتعبدوه فقالوا نحن شهود» (يشوع ٢٤ : ١٤ ـ ٢٢) أى أن المسألة كانت مطروحة للإختيار.

وفى سفر الجامعة يقول «افرح أيها الشاب فى حداثتك وليسرك قلبك فى أيام شبابك واسلك فى طرق قلبك وبمرأى عينيك واعلم أنه على هذه الأمور كلها يأتى بك الله إلى الدينونة» (الجامعة ١١ : ٩، ١٠).

مرة ثانية يقول ربنا «هل مرة أسر بموت الشرير يقول السيد الرب إلا برجوعه عن طرقه فيحيا» (حزقيال ١٨ : ٢٣) إن الرب لا يريد أن نبقى فى الشر إنما يفرح أكثر برجوع الإنسان عن طريق الشر فيحيا، إذن المسألة متروكة لنا. الله لا يلزم ولا يجبر ولا يقدر على الإنسان ثم يقول «لأنى لا أسر بموت من يموت يقول السيد الرب فارجعوا واحيوا» (حزقيال ١٨ : ٣٢) ويقول أيضا «حى أنا يقول السيد الرب إنى لا أسر بموت الشرير بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا. ارجعوا عن طرقكم الرديئة فلماذا تموتون يا بيت إسرائيل. ارجعوا ارجعوا» هذه نصيحة لا بالإجبار ولا بالإلزام ولا بالكره ولا بالضغط، ولكن نصيحة أنتم إذا رجعتم ستحيون وإن لم ترجعوا ستموتون. الله ينصح ويبين أن أمام الإنسان الحياة والموت وله أن يختار ما يشاء.

وفى سفر زكريا يقول «قل لهم يا زكريا هكذا قال رب الجنود ارجعوا إلىَّ يقول الرب فأرجع إليكم يقول رب الجنود» (زكريا ١٤ : ٣) إن للإنسان حرية وأن فى مقدوره أن يرجع وإلا لم يكن الله يطلب منه هذا. الله يطلب لأنه يعلم أن هذا فى مقدور الإنسان أن يفعل.

ثم أن سيدنا له المجد يخاطب أورشليم ويقول لها «يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم من مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا» (لوقا ١٣ : ٣٤ ، ٣٥) ... ولم تريدوا... أنا أردت وأنتم لم تريدوا... هذا معناه أنه يمكن أن يكون هناك تعارض بين إرادة الله وإرادة الإنسان. ومعناه أيضا أن الله لم يلزم أورشليم بشئ، وإنما تركها لحريتها، فلما لم ترد لم يكرهها ولم يلزمها بشئ، إنما تركها «هوذا بيتكم يترك لكم خرابا» (انظر أيضا متى ٢٣ : ٣٧، ٣٨)وأيضا عندما ذهب مخلصنا إلى الرجل المفلوج المطروح على بركة بيت حسدا ٣٨ سنة يقول الإنجيل «هذا رآه يسوع مضطجعا وعلم أن له زمانا كثيرا فقال له أتريد أن تبرأ» (يوحنا ٥ : ٦) يارب ألا ترى أن لى ٣٨ سنة أنت أعلم وأنت تعرف... وهل هذا سؤال تسأله لى، فأنت تعرف.. لا.. حتى الشفاء لا يفرضه الرب فرضا على الإنسان. الله يسأل الانسان إذا كان يريد. ولابد للإنسان أن يقول أريد... هذا برهان الحرية.

وفى سفر الرؤيا ٣ : ٢٠ يقول الرب «ها أنا واقف على الباب أقرع إن سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه» فإذا لم يفتح هو أنا لا أدخل.. أرأيتم أكثر من هذا دليلا على احترام حرية الإنسان؟... الله يقول «أنا واقف على الباب أقرع إن فتح لى أحد...» يعنى أن المفتاح من الداخل.. المسيح لا يمكن أن يقحم نفسه... للإنسان كمال الحرية. وسفر نشيد الأناشيد يعطينا المداعبة اللطيفة التى ما بين النفس الإنسانية وما بين عريسها وهو أن المسيح له المجد يقول أن العريس ظل يقرع على الباب قائلا «إفتحى لى يا إختى يا حبيبتى يا حمامتى يا كاملتى» (٥ : ٢) والنفس من الداخل تقول له أنا غسلت رجلىّ فكيف أوسخهما.. إنها

اعتذرت.. هل فتح العريس الباب بالقوة؟ أبدا.. وبعد قليل يقول الكتاب بلسان النفس «فتحت لحبيبى لكن حبيبى تحول وعبر» ٥ : ٦ فتحركت أحشاؤها من الداخل وقامت أنها ندمت وقالت فتحت الباب ولكنه تحول وعبر وطلبته فما وجدته دعوته فما أجابنى (٥ : ٦) هذه النصوص التى فيها النفس البشرية ظلت تعبة ومتحيرة. لأن العريس لم يستطع أبدا أن يقحم نفسه ويدخل على الرغم من إرادة النفس. وهذا دليل إحترام المسيح لحرية الإنسان.

يقول أيضا «من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن» (مرقس ١٦ : ١٦) أى المسألة هى مسألة من يؤمن ومن لا يؤمن .. هناك حرية ولكن هناك أيضا مسئولية. ويقول مار بطرس الرسول «لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ لكنه يتأنى علينا وهو لا يشاء أن يهلك إناس، بل أن يقبل الجميع إلى التوبة» (٢ . بطرس ٣ : ٩) يعنى أن مشيئة الله ليست فى هلاك الإنسان ولكن فى خلاصه ومع ذلك لا يجبره على ذلك.

نقطة أخيرة: سؤال نسأل فيه عادة لأن هذا السؤال متصل بهذه القضية الكبيرة - هذا السؤال ورد فى رومية ٩ : ٩ - ٢٣ نص يفهم منه بعض الناس أن الله يرحم من يرحم ويقسى من يشاء والله هو الذى اختار... أحب يعقوب وأبغض عيسو «لأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلا خيرا أو شرا لكى يثبت قصد الله بحسب الإختيار لا من قبل الأعمال بل من قبل الذى يدعو. قيل لها أن الكبير يستعبد للصغير كما كتب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو فماذا نقول ألعل عند الله ظلما حاشا. لأنه يقول لموسى إنى أرحم من أرحم. أتراءف على من أتراءف فإذا ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل الله الذى يرحم لأنه يقول الكتاب لفرعون إنى لهذا بعينه أقمتك لكى أظهر فيك قوتى ولكى ينادى باسمى فى كل الأرض. فإذا هو يرحم من يشاء ويقسى من يشاء فستقول لى لماذا يلوم بعد لأن من يقاوم مشيئته بل من أنت أيها الإنسان الذى تجاوب الله... ألعل الجبلة تقول لجابلها لماذا صنعتنى هكذا»..

هذا هو النص الذى يبدو كأنه مشكل بالنسبة لنا. أو صعوبة فى فهمه ويجد فيه الناس الذين يفتشون عن شئ يهربون به من المسئولية.. يجدون هذا النص تكئة للهرب من المسئولية... وأن يحملوا الله المسئولية كلها، يقولون أن الله يريد ذلك ويرغب فى ذلك وربنا عمل ذلك. فبالإيجاز أريد أن أقول أنه منطقيا (مع ترك النص الآن) هل تعقل أن الله يظلم... هل يعقل أن الكتاب المقدس يقول لنا أن الله يظلم... طبعا حاشا، الله لا يظلم، ثم ما الداعى أن الله يحابى؟ هل هو خائف منا؟ وما الداعى أن يميز الله بين واحد وآخر كلنا جبلته. وكلنا أولاده. ما الذى يميز الواحد فينا عن الآخر لا شئ.. الله فى غنى عنى وعنك، وفى غنى عن الكل، لماذا يحابى إذن فلانا ويظلم فلانا، لماذا؟ هو أبو الخليقة كلها، وسيد البشر جميعا، إذن لا يمكن أن يدخل فى حسابك

بتاتا ان الله يظلمك... فما معنى ذلك؟ ما هذا؟ ربنا يريد أن يقول لنا أنه يعرف معرفة سابقة أحوالنا... الله يعرف المستقبل كما يعرف الحاضر، الإنسان منا لأنه محدود ينظر فيفكر فى هذه الفكرة التى هو محصور فيها واسمها الحاضر. ثم أن الفكرة التى أنا تركتها قبل ذلك بدقيقة واحدة أو نصف دقيقة أو ثانية أصبحت فى الماضى لأنى لا أفكر فيها الآن، ليست هى فى بؤرة الشعور كما يقولون فى علم النفس، والشئ الذى بعد ما أنتهى سأفكر فيه، هذا بالنسبة لى هو المستقبل، فهذا التقسيم بين ما هو حاضر ومستقبل هو بالنسبة لى أنا وبالنسبة لك أنت، لأن العقل البشرى محدود وصغير ولا يستطيع أن يفكر فى شيئين فى وقت واحد. فالذى يفكر فيه الآن اسمه الحاضر، والذى كان يفكر فيه من مدة وذهب إلى حاشية الشعور... هذا ما نسميه بالماضى. والشئ الذى سيأتى بعد ما انتهى من الذى أنا فيه، والذى فى بؤرة شعورى نسميه المستقبل وهذا مرجعه إلى أن الإنسان عقله محدود وصغير ولا يستطع أن يعى ويدرك ويحيط، بأكثر من شئ واحد فى وقت واحد... أما الله فما الداعى أن يكون بالنسبة له ماضى وحاضر ومستقبل، الله بالنسبة له لا يوجد حاضر أو ماضى أو مستقبل كل شئ أمامه.. والله يحيط بكل شئ فالمستقبل كالحاضر وكالماضى، لا فرق عند الله، لذلك يعلم الله ما سيحدث بالنسبة لى أنا... أما بالنسبة لى فسيحدث لكنه بالنسبة لله كل شئ منظور ومرئى ومعروف فيعقوب معروف عند الله قبل أن يولد - الذى أنا أسميه المستقبل معروف عند الله ماذا سوف يكون، ومعروف أمام الله من عيسو، ولذلك قال لها «فى بطنك توأمان ومن أحشائك يفترق شعبان شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد لصغير» ولم يقل لها أنا أستعبده، قال لها كبير يستعبد لصغير، ولم يقل أنا حكمت عليه بالإستعباد، هذا نوع من الاخبار بالنسبة لنا أخبار بالمستقبل ولكن بالنسبة لله هو فى علمه تعالى منذ الإبتداء، إذن الله يعلم، بناء عليه إذا أشار الكتاب المقدس إلى شئ من هذا القبيل فهذا ليس معناه أن الله يريد ذلك، حاشا أن ننسب إلى الله التعسف والتحكم بغير سبب، أنت لا تقبل على نفسك هذا أن تتعسف أو يتهمك أحد بالتعسف، أن تُتهم بأنك تعطى تلميذا على حساب تلميذ آخر، وضع أنت لا تقبله.. لا تقبل ذلك وتعتبرها رذيلة فكيف تقبلها على الله؟ لو كنت ناظر مدرسة وتتهم بالتعسف أو التمييز لمدرس ضد مدرس آخر أو لتلميذ، أنت لا تقبلها على نفسك وتعتبر إنها مهانة لا تليق بك. لو كنت قاضيا فهل تقبل على كرامتك أنك لا تفصل فى الأمور بالحق؟؟ هل تقبل؟؟كذلك الأمر فى دائرة العلم إن العالم الحق لا يقبل... لا يقبل أبدا أن تتحكم فيه الأفكار السابقة، لذلك يحاول دائما أن يكون موضوعيا... لذلك نقول هذه صفات العلماء الحقيقيين أنهم لا يضعوا تحيزات أو أشياء شخصية فى الموضوع، ومعروف فى علم المنطق ما يسمى بالمغالطات، ومن ضمن المغالطات ما يسمونه بالحجة الشخصية فأنت لا تقبل وليس من كرامتك، ولا تسمح لنفسك ولا غيرك أن

يتهمك... إذن فكيف تقبل أن الله كلى العدل وكلى الصلاح ويريدنا أن نكون على أحسن صورة، كيف تقبل. وكيف تعقل أن الله يظلم وكيف تعقل أن الله يتحكم. الله عندما يرحم واحد ولا يرحم الآخر هذا ليس مرجعه إلى التعسف أو التحكم، وإنما إلى إستحقاق هذا الشخص... لكن الله يعرف هذا سابقا لذلك يرحم لأن فلانا يستحق الرحمة. أحببت يعقوب وأبغضت عيسو، أحبه لأنه رأى سابقا أعماله، وأبغض عيسو لأنه رأى سابقا أعماله. فأنت أيضا أحيانا تنظر من الشباك فتجد شخصا قادماً فهل نأتى نحن ونقول لك أنك أنت الذى أتيت به. أبداً أنت رأيته فقط وأتيت تقول لنا أن هناك شخصا قادما... فلا يلوم أحد عليك، ولا يأتى الناس ويلومون أن المسئولية عن القائمين بالأرصاد عندما يقولون أنه سيحدث كسوف فى الشمس، أو خسوف فى القمر، لا يقولون أن الدكتور فلان أو الأستاذ فلان هو الذى أتى لنا بكسوف الشمس أو خسوف القمر ثم يحاكمونه؟.. هذا يكون غير معقول أنك أنت تعتبر أن مدير المرصد هو الذى أعلن فى الصحف أنه سيحدث كذا وكذا أنه هو المسئول عن هذا. إنه استطاع أن يعرف نتيجة المنظار الذى ينظر فيه فاستطاع أن يرى الأشياء المستقبلة. هكذا الله لا يمكن ولا يعقل أن الله يتحكم، من جهة صفات الكمال التى فيه، وأنه ليس عنده داع إلى هذا. ولكن كل ما هناك أن الله يرى الأشياء قبل أن تحدث بالنسبة لنا، ولكنها حاضره بالنسبة له، الذى يستطيع أن يقول إننى أحببت يعقوب وأبغضت عيسو. لأنه رأى أن أفعال يعقوب تستحق الحب ،وكان يعقوب إنسانا كاملا يسكن الخيام، ... ورأى أفعال عيسو فأبغضه من أجلها، ونفس الكتاب يقول عن عيسو ، «كيف فتش عيسو وفحصت مخابئة» (عوبديا : ٦) من الذى فحص من الذى عرف مخابئة؟ أنه الله، فأنت قد لا تعرف قصة عيسو بالضبط لكن الله فاحص الأعماق والكلى يعرف أعماق عيسو. وأيضا فى عوبديا : ١٠ «من أجل ظلمك لأخيك يعقوب يغشاك الخزى وتنقرض إلى الأبد» من أجل ظلمك أى أنه ينسب إلى عيسو الظلم وأن له أعمالا فعلها عيسو تستحق من أجلها أن يغشاه الظلم وأن ينقرض إلى الأبد.

وجاء فى رسالة مار بولس الرسول إلى العبرانيين «ملاحظين لئلا يخيب أحد من نعمة الله.. لئلا يكون واحدا مستبيحا كعيسو الذى لأجل أكلة واحدة باع بكوريته» (١٢ : ١٥، ١٦) وإذن الله لم يظلم عيسو وإنما أعطانا قبل الأوان صورة لما سيفعله عيسو، وليس هذا تحكما ولا جبرا ولا ضغطا، ولكن الله بعلمه السابق يعرف الأمور التى ستحدث بالنسبة للإنسان كأنها حاضرة وكأنها حادثة.

ثم يقول «ألعل الجبلة تقول لجابلها لما صنعتنى هكذا؟» ما معنى هذا الكلام؟؟ يعنى أن الإنسان يتجاوز حدوده فى الإعتراض على الله. كثيرا ما يقول الواحد لماذا يعمل الرب ذلك وكثيرا ما يتطاول الإنسان ويقول إن الله ظالم. ألا ترى إن بعض الناس يوجهون الكلام إلى الله

ويقولون أنت لا ترى (مش شايف) ؟ هذا هو ما يناقشة بولس الرسول وكأنه يقول للإنسان اسكت ولا تتكلم، حرام، عيب، خطيئة، ألعل الجبلة تقول لجابلها لماذا صنعتنى هكذا؟ هذا ما نسميه بالبرهان الإسكاتى، ماذا يعنى الإسكات؟ يعنى أنه عندما تجد شخصا صغيرا معلوماته ضحلة وتافهة ولا يعلم القصة من أولها، ويأتى ليعترض عليك اعتراضا تافها تقول له أنت تسكت ، اللى أعمله أنا أعمله، أنا الرئيس، وفى بعض الأحيان يصعب عليك أن تشرح لكل واحد ما تفعله، أو أن تجيب على كل من يسألك، هناك أسئلة تافهة، وهناك إعتراضات تافهة يصعب الإجابة عليها لأنها تضيع الوقت، فتضطر أن تسكت هذا الإنسان، وتقول له اسكت أنت، أنا أعرف ما أعمل، لكن هذا ليس معناه أنك أنت فعلا تصنع شيئا ضد العدل، أو أنك تقر بنفسك أنك تصنع شيئا ضد الخير، لكن معناه أنك تريد أن تسكت الشخص لأنك تعتقد أنه يعترض بسوء أدب فأنت تسكته متضايقا من سوء أدبه، لكن هذا ليس معناه أنك عندما تقول أنى أفعل ما أشاء أنك تظلم، أو ترضى لنفسك أن تظلم أو ترضى لنفسك أن تصنع الشر. فأنت تقول أنا أفعل ما أشاء لتعطى لنفسك الحق فى أن تكون حرا غير مقيد التصرف ولكنك باطنيا مقيد، مقيد بالفضيلة... وباطنيا مقيد بالإلتزامات الأدبية. هكذا الله... الله لا يقدر أن يكذب ولا يقدر أن ينكر نفسه، وكلمة لا يقدر هنا لا تعنى ضعفا ولكن لأن هذا الشئ يتعارض مع كمالات الله. عندما أقول إن واحد منكم لا يمكن أن يكذب، فهل هذا ينسب الضعف إليه؟ كلا بل أنا أصفه وصفا جميلا وهذا مدح له، ومعنى ذلك أن طباعه لا تسمح له بالكذب فهذا شرف له، فلما ترى أن الله لا يقدر أن يكذب أو ينكر نفسه فلا يعتبر هذا ضعفا بالنسبة لله. إن الله لا يقدر أن يظلم ولا يمكن أن يظلم لأنه هو العادل الأول والأعظم، وكلى العدالة أى العادل إلى ما لا نهاية، فلتطمئن أن الله لا يمكن أن يظلم فاصمت ولا تعترض ولا تسأل هذه الأسئلة... لأن وضع نفس السؤال مهين وطريقة السؤال غير لائقة، فهذا هو البرهان الإسكاتى. يقول الرسول بولس اسكت أنت. أنت جبلة، أنت طين، من أنت لكى تعترض على الله، لكن ليس معناه أن الله يظلم، أبدا، لذلك لم يقل أرحم من أرحم، وأظلم من أظلم لم يحدث هذا إطلاقا، وإنما قال ارحم من ارحم أتراءف على من أتراءف، لم يقل أنا اظلم، وبعد ذلك تقول إنه يقسى قلب فرعون. نعم هذه التقسية ليس معناها أن الله هو الذى أدخل القسوة إلى قلب فرعون، ولكن معناها أن الله تركه بنفس بغير نعمة، فهو قد جف من نفسه، إن الشمس تذيب الشمع وتصلب الطين على ما قال يوحنا ذهبى الفم، النعمة بعض الناس يقبلونها فتذيبهم وبعض الناس يرفضونها، ويرفضون عمل الله لذلك يتقسون، فالقسوة أو التقسى هو من الإنسان نفسه ونتيجة لتصرفه وعمل الإنسان نفسه. وهو الذى يختار لنفسه هذا.

إنما الله يظل يلح على الإنسان ثم يتركه، وإذا تركه وتخلت نعمته عنه فهو من قبل نفسه يتقسى، ومن قبل العوامل المختلفة الأخرى مثل أصدقاء السوء الذى يساعدونه على الشر، ثم

خصائصة الشخصية تساعده، والشياطين أيضا يساعدونه، والأشرار الذين مثله يساعدونه، فيملأوا ذهنه بالأفكار الشريرة ويملأون عقله لأنه رفض مشورة الله. والله عندما يرفض إنسانا يتركه ويتخلى عنه، وذلك لأنه أولا ظل يقرع على الباب فلما لم يجد فائدة يتركه. فالله يترك الإنسان لكن ليس معنى هذا الترك أن الله يقسى أحد بالفعل، ولكن لأن فعل الترك يجعله يتقسى، فالله ينسب إلى نفسه هذا لكى يبين أن حتى الشر الذى يحدث على الأرض فإنما هو بسماح من الله، لأنه جعل الإنسان حرا فإنه يصنع ما يشاء، فالله مسئول مسئولية غير مباشرة عن الشر - أى الله لا يمكن أن يكون علة أولى للشر، وإنما الله علة ثانية للشر، فإذا قتل واحد آخر فالله لا يمكن أن يكون عله أولى فى ذلك، لأن الله لا يمكنه أن يكون هو الذى أمر بأن يقتل الإنسان أخاه، بل بالعكس أن الله هو الذى قال لا تقتل، لكن لأن الله يريد الإنسان حرا فكونه ترك الإنسان ليقتل، وكان يمكن أن يمنعه من أن يقتل، فيعنى هذا أن الأمر قد تم بإذنه وليس بإرادته - لذلك اعتبر الله نفسه ليبين أنه هو وحده ضابط الكون، ولكى لا يأتى قوم ينادون بإله ثان - لأنه حتى الشر الذى يحدث فى الكون هو بإذنه تعالى وليس بإرادته، لذلك ينسب الله إلى نفسه الشر أحيانا، ويقول مرة هل تحدث بليه فى المدينة والله لم يصنعها؟ وحاشا على الله أن يكون هو الصانع الأول للبلية، إنما لأن البلية تحدث فى الكون الذى الله ضابطه ومالكه، وكان يمكن أن يمنعه ولم يمنعه فلذلك اعتبر نفسه علة ثانية للشر، ولكى يظل الله وحده هو الإله وليس غيره.

ويقول القديس أوغسطينوس الله يجازى عن الخير بخير لأنه عادل، ويجازى عن الشر بخير لأنه صالح، ولكن لا يجازى عن الخير بشر، لأن هذا ينافى عدله وصلاحه، فهو يفرح بالخير الذى تعمله ولا يمكن أن يظلم الله الإنسان، لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة على ما يقول الرسول بولس.

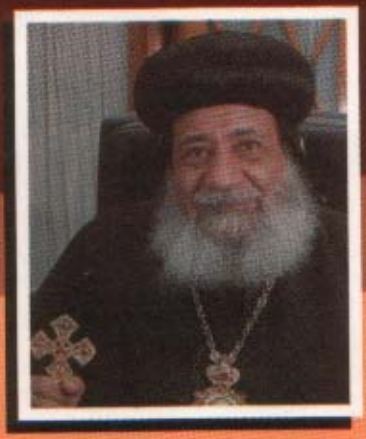

« حياة أنبا غريغوريوس تتلخص فى كلمتين « التكريس والعلم »... كانت الإكليريكية هى جزء من حياته ، وكان العلم يشغل كل وقته .. كان الأنبا غريغوريوس يتميز بالشمولية فى العلم ....

كان أنبا غريغوريوس عالماً ، إذا كتب يستفيض فى الكتابة حتى لاتعرف كم من المعلومات يقول ... كان كثير القراءة إلى حد بعيد ، وكان عميق الدراسة إلى حد بعيد .. له مئات من الآباء الكهنة كانوا أبناءه ، وأستقوا العلم على يديه ، والذى لم يستقى العلم على يديه إستقاه من كتبه ومؤلفاته ، وله عشرات من الكتب فى كل فنون العلوم الكنسية ، .. كان أيضاً إنساناً وطنياً يحب بلاده ويحب مصر . له معلومات كثيرة وكتب كثيرة فى الوطنية .. وعن سير القديسين ... هو موسوعة من المعلومات .

الأنبا غريغوريوس على الرغم من علمه الكبير جداً ، كان إنساناً بسيطاً يجمع بين البساطة فى النفسية والعمق فى العقلية .. هو مثل من الأمثلة التى لاتتكرر كثيراً فى العلم الكبير .. »

قداسة البابا شنوده الثالث

فهرس الموضوعات

مقدمة ٧
إهداء ٩
مقدمة فى علم اللاهوت الأدبى ١٠
تعريفه ١٠
الفرق بينه وبين علم الأخلاق ١٠
أهميته ١١
الشريعة الأدبية ١٢
الشريعة الطقسية ١٢
الشريعة السياسية ١٣
موقف المسيحية من شريعة العهد القديم ١٤
أقوال الرسل وتصرفاتهم ١٨
شريعة العهد الجديد مكملة لشريعة العهد القديم ١٩
الضمير ٢٩
متى ظهر الضمير فى الإنسان ٣٠
تعريف الضمير ٣١
الضمير فى اشتقاقه اللغوى ٣٢
الضمير فى تحليل لفظه ومدلوله ٣٣
ألقاب الضمير وأسماؤه ٣٤
وجود الضمير عند جميع الناس وفى مختلف مراحل العمر ٣٩
مصدر الضمير ٤٦
الضمير الأدبى والشعور النفسى ٤٨
تمايز الضمير الأدبى وتغايره ٥٠
١ ـ تغاير الضمير فى الفرد الواحد ٥٠
٢ ـ تغاير الضمير من فرد إلى فرد ٥٣
أسباب اختلاف الضمير ٥٥
٣ ـ تغير الضمير من أمة إلى أمة ٥٩

٤ ـ تغاير الضمير من جيل إلى جيل ٦١
تعليل هذا التطور وتفسيره ٦٣
النتائج التى نستخلصها من تمايز الضمير وتغايره ٧٢
الضمير فى عهد الشريعة ٧٣
الضمير فى نور المسيح ٧٤
عوامل ضعف الضمير ٨٦
١ ـ الإهمال ٨٦
٢ ـ المخالفة والعصيان ٨٧
٣ ـ الاستسلام للشهوات ٨٨
٤ ـ تقريب مسافة الفرق بين الحلال والحرام ٨٩
٥ ـ التأمل فى الأمثلة الشريرة والصفات الرديئة ٩٠
عوامل نمو الضمير ٩٢
١ ـ الطاعة لصوت الضمير ٩٢
٢ ـ ازدياد المعرفة ٩٢
٣ ـ التأمل فى أفعالنا وأقوالنا قبل وبعد حدوثها ٩٣
٤ـ التأمل فى الفضيلة والفضلاء ٩٤
٥ ـ ممارسة الفضائل وأفعال الخير والبر ٩٥
مهمة الضمير ووظيفته : ٩٧
أ ـ قبل الفعل .. مرشد ودليل ٩٧
ب ـ أثناء الفعل ... شاهد ورقيب ٩٨
جـ ـ بعد الفعل.. . قاضى وحكيم ٩٨
سلطان الضمير ٩٩
حقيقة الضمير ١٠١
عناصر الضمير ١١٤
أولاً: العنصر العقلى ١١٤
ثانياً: العنصر الشعورى أو العاطفى ١١٥
أ ـ عواطف تتصل بأفعالنا قبل حدوثها ١١٦
ب ـ عواطف تتصل بأفعالنا بعد حدوثها ١١٨

جـ ـ عواطف تتصل بأفعال الآخرين ١٣٢
ثالثاً: العنصر الإرادى أو الفعال ١٣٥
المسئولية الأدبية ١٤١
مناط المسئولية ١٤٢
أولاً: بالنسبة للفاعل ١٤٢
١ ـ من حيث أنه كائن عاقل ١٤٢
٢ ـ من حيث أنه كائن حر ١٤٣
٣ ـ من حيث هو مريد ١٤٣
ثانياً: بالنسبة للفعل ،أى من حيث قوامه الأدبى، ١٤٧
مفارقات المسئولية ١٤٩
أولاً: الظروف الشخصية ١٤٩
أ ـ الفاعل: (من؟) ١٤٩
١ ـ سن الفاعل ١٤٩
٢ ـ جنس الفاعل ١٥٠
٣ ـ بنية الفاعل واستعداده الجسمانى ١٥٠
٤ ـ الفاعل فى مستواه الذهنى أو الفكرى ١٥٢
٥ ـ الفاعل من حيث استعداده النفسى ١٥٢
٦ ـ الفاعل وديانته ١٥٣
٧ ـ الفاعل من حيث حصانته المادية ١٥٣
٨ ـ الفاعل من حيث مكانته الأدبية ١٥٤
٩ ـ الفاعل من حيث مكانته العلمية ١٥٥
١٠ ـ الفاعل ومكانته الاجتماعية ١٥٧
ب ـ كيفية الفعل: (كيف؟) ١٥٧
جـ ـ أسباب الفعل: (لِم؟) ١٦١
د ـ المفعول به (لِمَنْ؟) ١٦٢
١ ـ طبيعة المفعول به ١٦٢
٢ ـ سن المفعول به ١٦٤
٣ ـ جنس المفعول به ١٦٤

٤ ـ ديانة المفعول به ١٦٥
٥ ـ المفعول به وحصانته المادية ١٦٥
٦ ـ المركز المالى للمفعول به ١٦٦
٧ ـ المفعول به ومركزه الروحى ١٦٦
٨ ـ المفعول به ومركز القرابة ١٦٧
٩ ـ المفعول به ومركزه الأدبى ١٦٩
١٠ ـ المفعول به ومركزه الاجتماعى ١٦٩
١١ ـ المفعول به واستعداده الجسمانى ١٦٩
١٢ ـ المفعول به واستعداده النفسانى ١٦٩
١٣ ـ المفعول به واستعداده العقلى ١٧٠
هـ ـ الفعل: (ماذا؟) ١٧٠
١ ـ من حيث حقيقته ١٧٠
٢ ـ من حيث نتيجته ١٧١
٣ ـ من حيث كيفيته ١٧١
و ـ المكان: (أين؟) ١٧٢
ز ـ الزمان: (متى؟) ١٧٣
الضمير المستقيم أو الصالح ١٧٥
الضمير الضال ١٧٦
الضمير بين ظلمة الشك ونور اليقين ١٨١
الضمير الضيق أو الموسوس ١٩٠
الضمير الواسع ١٩٨
الضمير بين الاحتمال واليقين ١٩٩
الوصايا العشر بين العهدين ٢٠٣
الوصايا العشر ٢١١
العهد الجديد متمم للعهد القديم ٢١٨
خطأ الفصل بين العهد القديم والعهد الجديد ٢٢٥
الربط بين العهد القديم والعهد الجديد فى الكنيسة الأرثوذكسية ٢٢٥
١ ـ فى الصلوات ٢٢٦

٢ ـ فى الطقوس ٢٢٦
٣ ـ التتميم بمعنى مد المعنى إلى أبعاده كلها ٢٢٨
لا تقتل ٢٢٨
لا تزن ٢٣٠
لا تحنث ٢٣٣
الوصية الأولى: «أنا الرب إلهك الذى أخرجك...» ٢٣٦
تأملات فى الوصية الأولى ٢٥٤
عقيدة التوحيد ٢٥٤
التوحيد والتثليث ٢٦٨
الناحية الروحية للوصية الأولى ٢٧٧
الله متكلنا الوحيد ٢٧٩
عدم اللجوء لغير الله بالصلاة والعبادة ٢٨٢
النذور ٢٨٣
موضوعات وإجابات على أسئلة ٢٨٩
١ ـ شريعة الله الأدبية ٢٩٠
٢ ـ سيناء الباطنية ٢٩٢
٣ ـ شريعة سيناء ٢٩٥
٤ ـ أنا هو الرب إلهك ٢٩٨
٥ ـ أنا هو الرب إلهك (٢) ٣٠١
٦ ـ الزنى الروحى ٣٠٤
٧ ـ الله اسمه يهوه ٣٠٦
٨ ـ الله هو بدء الوجود وليس له بداءة ٣١٠
٩ ـ من الذى قام بخلق العالم؟ ٣١٢
١٠ ـ هل لله وجود فى جهنم؟ ٣١٤
١١ ـ هل يندم الله؟ ٣١٥
١٢ ـ لماذا خلق الله الإنسان؟ هل خلقه للعذاب؟ ٣١٨
١٣ ـ فعل السحر ٣٢١
١٤ ـ ما هو أساس موضوع البسْلة؟ ٣٢٦

١٥ ـ قوانين الكنيسة تمنع منعاً باتاً اللجوء إلى السحرة ٣٢٨
١٦ ـ إن السحر يقوى على غير المحصنين بالصلوات والأسرار ٣٣٠
١٧ ـ لا تنزعج من فعل السحر ٣٣٢
١٨ ـ السحر يبطل بالصلوات المقدسة ٣٣٣
١٩ ـ أحذرك من استخدام كتاب «دلال الدلال» ٣٣٤
٢٠ ـ استعمال البخور فى المنازل ٣٣٦
٢١ ـ السبب فى متاعبك من معاكسات الأرواح الشريرة ٣٣٧
٢٢ ـ حرب من العالم السفلى ٣٣٨
٢٣ ـ نحذركم من الذهاب إلى السحرة ٣٣٩
٢٤ ـ حقيقة الشبح الأسود ٣٤٠
٢٥ ـ حقيقة ما يقال عن (المخاوين للشياطين) ٣٤١
٢٦ ـ صور أشخاص تطارده ٣٤٤
٢٧ ـ هذه المتاعب من معاكسات الأرواح الشريرة ٣٤٦
٢٨ ـ معاكسات الشيطان والانتصار عليها ٣٥٠
٢٩ ـ هل قراءة الكف علم؟ ٣٥٢
٣٠ ـ القسمة والنصيب ٣٥٥
٣١ ـ هل الزواج قسمة ونصيب؟ ٣٦٣
٣٢ ـ هل الرزق قسمة ونصيب أم شطارة؟ ٣٦٦
٣٣ ـ قبول الظلم لرجل الدين أفضل ٣٦٩
٣٤ ـ الرأى المسيحى فى طريقة ذبح الحيوانات ٣٧٠
٣٥ ـ حرية النفس البشرية ٣٧٢
الفهارس ٣٨٧
١ ـ فهرس النصوص المقتبسة من الكتاب المقدس ٣٨٧
٢ ـ فهرس الموضوعات ٣٩٥

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسوعة الأنبا غريغوريوس

٣ـ الرهبنة القبطية وأشهر رجالها

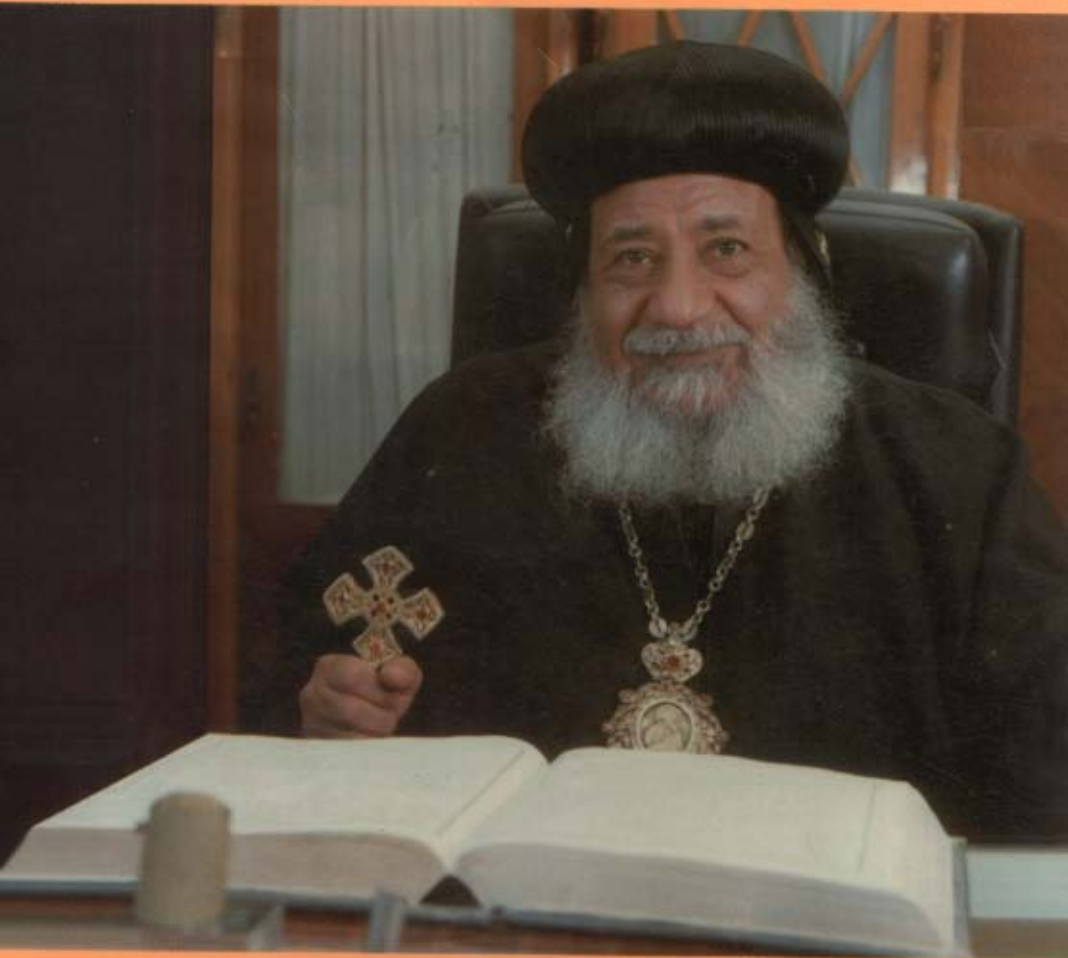

للمتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمي

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسـوعة الأنبا غريغوريوس

في الذكرى السنوية الثانية

للعالم القديس المتنيح الأنبا غريغوريوس

٣ - الرهبنة القبطية وأشهر رجالها

بقلم

المتنيح الأنبا غريغوريوس

أسقف عام

للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية

والبحث العلمي

٢٢ اكتوبر ٢٠٠٣م

بابه ١٧٢٠ ش

الكتاب : موسوعة الأنبا غريغوريوس ـ ٣ ـ الرهبنة القبطية.

المؤلف : المتنيح الأنبا غريغوريوس.

إعداد : الإكليريكى منير عطية.

الناشر : مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس.

دير الأنبا رويس بالعباسية مصر ت: ٦٨٢٤٩٦٢ ـ ٤٨٨٢٥٢٢.

المطبعة : شركة الطباعة المصرية ت: العبور ٦١٠٠٥٨٩.

تصميم الغلاف : الفنان عادل لبيب.

الجمع : شركة فاين للطباعة والتوريدات ت: ٤٨٢٠٩٠٣

رقم الإيداع بدار الكتب : ١٧٠٠٣ / ٢٠٠٣

حقوق الطبع محفوظة للناشر



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث



نيافة الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس

إهداء

إلى القديس العظيم بطل الأرثوذكسية الأشهر

البابا أثناسيوس الرسولى

إليك يا سيدى البابا نهدى سلسلة المباحث اللاهوتية والعقائدية، لأنها من وحيك وإلهامك، وبفضل توجيهك وإرشادك، وثمرة لكفاحك وجهادك.!

فيك رأينا أرثوذكسية الإيمان وأرثوذكسية السيرة معاً!

ومنك تعلمنا كيف يكون الوفاء للحق، والإستمساك بالتقوى، والحرص على وديعة الإيمان.

ولقد وهبك الرب عقلاً شاخصاً فى الإلهيات، فكان تعليمك سليماً كل السلامة، وكان تعبيرك دقيقاً غاية الدقة!

ولم يكن طريقك سهلاً.. كان قولك مؤذياً لمسامع المنحرفين، وكان شخصك ثقيلاً على أنفاسهم الفاسدة، فكرهوك ولعنوك.. ومع ذلك لم يقووا على أن يقاوموا النعمة الساكنة بجنانك، أو يناقضوا الحكمة الناطقة على لسانك!

أثاروا عليك حرباً شعواء وطاردوك ونفوك، ولكنك صمدت وقاومت وأخيراً غلبت ونجحت، لأن الحق الذى فيك أعظم من الباطل الذى فيهم!

لولاك يا سيدى البابا لكان الإيمان الذى عندنا غير الإيمان الذى تسلمته أنت من أسلافك أيها البطريرك الرسولى!

لهذا نحييك تحية للفضيلة فى شخصك، ونطأمن رأسنا أمام عظمة أبوتك، تقديراً لتاريخك، واقتداء بسيرتك فى الإيمان، يا حامى الإيمان!

من إبنك

غريغوريـــوس

باخوم المحرقى - وهيب عطا الله

٢- فهرس الموضوعات

صفحة

إهداء ٧

فلسفة الحياة الرهبانية ٨

١ - مبدأ التخبئة ١٠

٢ - مبدأ التجرد ١٣

٣ - مبدأ نذر البتولية ١٧

٤ - مبدأ معرفة النفس ١٩

٥ - مبدأ التحكم وضبط النفس ٢١

الفرق بين الرهبنة المسيحية والرهبنة الوثنية ٢٢

خبرات لبعض الرهبان ولكنها ليست نماذج ٢٥

٦ - مبدأ الاعتزال ٢٧

التطور النفسى والروحى للراهب - مقامات الرهبنة السبعة ٣١

مفهوم الموت للراهب ٣١

الرهبنة نقطة تحول ٣٢

أولا : تلميذ رهبنة ٣٣

ثانيا : راهب مبتدئ ٣٣

ثالثا : العابد ٣٤

رابعا : الناسك ٣٤

خامسا : المتوحد ٣٦

سادسا : السياحة ٣٧

أ - السياحة الجسدية ٣٧

ب - السياحة الروحية ٣٧

سابعا : الرؤية الإلهية (الثيئوريا) ٣٨

الرهبنة هى الوصول إلى الأصول ٤٢

القصد من الرياضات الروحية ٤٢

لماذا صلاة الموتى على الراهب ٤٤

في الكنيسة طرازين من الأباء ٤٤
الوصول إلى الأصول ٤٦
هل الرهبنة ابداع مصرى ؟ ٥٠
عناصر الرهبانية الثلاثة ٥١
نظم الرهبانية ٥٥
درجات الرهبانية ٥٧
فضل الرهبنة على العالم ونفع الرهبان لغيرهم من الناس ٥٨
الرهبنة وغايتها ٦٠
مفهوم الرهبنة ٦٠
ماهية هذه الدعوة ٦٠
غاية الرهبنة ٦١
الرهبنة القبطية ٦٥
التوحد ٦٧
رهبان الأقباط كرزوا بالإنجيل فى بريطانيا وايرلندا ٦٩
أشهر رجال الرهبانية ٧٣
الأنبا بولا السائح ٧٣
الأنبا انطونيوس المصرى أبو الرهبان ٧٥
تأملات فى حياة القديس أنطونيوس ٧٨
تكريم القديس انطونيوس ٨٩
الأنبا باخوم المعروف بأبى الشركة ١٠٠
القديس مقاريوس الكبير ١٠٣
الأنبا شنوده رئيس المتوحدين ١١٥

فلسفة الحياة الرهبانية (١)

الحق أن الرهبنة عندما نتأملها نجدها فى الحقيقة فلسفة أو حكمة عظيمة، ومن دونها تفقد المسيحية قوتها وعمقها، فالرهبنة هى التى تعطى للديانة المسيحية أبعادها العميقة، ولذلك نستطيع أن نلاحظ الفرق بين الروحانية الأرثوذكسية التى تختلف إختلافاً جذرياً عن الروحانية البروتستانتية، فالروحانية البروتستانتية قائمة على أساس مفاهيم أفقية، الإنسان عند البروتستانت إنسان سمع عظه فتاب وخلص، وفى اليوم الثانى يتحول إلى مخلص للعالم، تجده مدفوع أنه يعظ ويتكلم ويحدث الآخرين بكم صنع الله به ورحمه، بالأمس كان إنسان خاطىء واليوم يتحدث كيف أنه تاب وكيف أنه خلص، ويتكلم بحماسة بالغة، يكلم الناس أنهم لابد أن يرجعوا لله.

هذا المفهوم مفهوم ضحل، ولا يمكن أبداً أن يصلح لحياة روحية ثابتة قوية عميقة تستمر طويلاً، إنما الروحانية الأرثوذكسية قائمة أساساً على مبدأ، أولاً أن التعليم الإلهى يلقى فى باطن الإنسان كأنه بذرة وهذه البذرة تدفن، تدفن فى تربة القلب ويلزمها وقت كافى تظل فيه مخفية مستورة عن عيون الناس، وربما فى الظلام، والظلام ضرورى جداً لحياة النبتة لأنه جزء من مكوناتها، وواسطة لابد منها، لكى تنمو هذه النبتة لابد أن تختفى فى الأرض مدة، وأن تكون مستورة فى الظلام لا يرى أحد منها شيئاً، وبعد قليل تظهر على سطح الأرض صغيرة، ثم تنمو نمواً بطيئاً وئيداً قليلاً، وتحتاج إلى وسائط صيانة من الحشرات أو من الحيوانات أو من الصقيع أو من العوامل الطبيعية التى ممكن أن تحرقها. فإذا توافر لها عوامل الصيانة تنمو نمواً طبيعياً وتأخذ وقت حتى تؤدى إلى نتيجة وإلى ثمر.

وهذه فى الواقع هى سياسة ربنا فى الطبيعة، قصة يقطينة يونان التى كانت بنت ليلة، وأخذت بنت ليلة، هذه قصة غير طبيعية، وأراد الله منها أن يعطى ليونان درس لكى يقول له أن هذه اليقطينة.. أنت حزنت عليها مع أنها بنت ليلة كانت وبنت ليلة أخذت، فكيف لا أحزن على نينوى المدينة العظيمة.

فاليقطينة كانت مجرد وسيلة إيضاح وقصد الله بها أن يقدمها درس ليونان ليتعلم منه شيئاً، إنما الواقع فى الطبيعة ليس كذلك. فإننا نجد أى نبته فى الدنيا لابد أن يمر عليها هذه المرحلة التى تكاد أن تكون قاعدة، وهى أن البذرة ترمى فى الأرض وتدفن وتختبىء، وبعد ذلك توجد وسائط تنمية، مثل الهواء والحرارة والضوء والأملاح المعدنية، وتأخذ نسب معينةمن الكربون

---

(١) محاضرة ألقيت لرهبان دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون - مساء الإثنين الموافق ٢ يوليو ١٩٧٩م الموافق ٢٥ بؤونه ١٦٩٥ ش - نقلاً عن شريط كاسيت.

ومن السكر ومن المنجنيز، ومن كافة الأملاح الموجودة فى الأرض بقدر ما يلزمها، وتنمو قليلاً قليلاًوتحتاج إلى عامل زمنى، ولا يمكن تجاهل الزمن. إلى جانب وسائط التنمية التى أيضاً لابد منها ووسائط الصيانة التى لابد منها ضد العوامل الطبيعية وضد الحيوانات والحشرات التى يمكن أن تقتلعها.

إذا كفلنا لهذه النبتة هذا فنكفل لها النمو الطبيعى، وكل شىء ينمو فى الطبيعة طبيعياً يكون تاجح النجاح الحقيقى، طريقة ربنا فى الطبيعة طريقة بطيئة لكنها ناضجة، يوجد ألماظ طبيعى ويوجد ألماظ صناعى، الألماظ الطبيعى يتكون فى وقت طويل جداً، يقولوا ملايين السنين لكى يتكون ألماظ طبيعى، لأنه أصلاً نبات وهذا النبات أندفن فى الأرض، فمع الظلام والدفء وعدد السنين يحرق ويتفحم مع ملايين السنين والحرارة وعدم الضوء يتبلور ويتحول إلى ألماظ، لذلك إذا وجدت قطعة ألماظ طبيعى فهذه ثمنها غالى جداً جداً بملايين الجنيهات، لكن الألماظ الصناعى ثمنه رخيص بقروش، ففى الحياة الروحية نفس القاعدة، لأن هذا هو أسلوب ربنا. السرعة لا تأتى بنتيجة، هناك قوانين فى الطبيعة، مثل ما يوجد قوانين فى الطبيعة بالنسبة للنبات يوجد قوانين طبيعية بالنسبة للحياة الروحية، لابد أن تبدأ بقانون وتسير بقانون توجد قاعدة للحياة الروحية، والآباء الروحانيين الذين تعلمنا منهم وسبقونا فى الحياة الروحية لهم خبرات طويلة المدى، وعرفوا الخطأ من الصواب وعرفوا أنه توجد طريقة غلط وطريقة صحيحة للحياة الروحية، وهم الذين علمونا ووضعوا أمامنا القواعد بناء على خبرات سابقة كلفتهم متاعب كثيرة، كلفتهم أحياناً صحتهم وكلفتهم حروب، فالنصائح التى يعلموها لنا ثمينة لأنها نتيجة خبرات طويلة، ولذلك نحن اليوم لا يصح أن نبتدى من الصفر إنما نبتدى كأبناء عرفنا نصائح الأباء، فمن هذه النصائح نتعلم، نأخذ هذه النصائح ونبنى عليها، وهذا هو الفرق بين واحد له أصل وواحد ليس له أصل، الكنيسة الأرثوذكسية بتعلم أننا لنا أصول، والأصول هى الآباء الذين سبقونا، نحن نحترمهم ونحترم خبراتهم ونقدرهم ولا ندوسهم بأقدامنا ولا ندوس نصائحهم، فهؤلاء الأباء علمونا أن طريق الفضيلة طريق بطئ وطريق طويل، وطريق له طول وعرض وعمق على مايقول الرسول بولس، وأن الإنسان ليس بسهولة أنه بالأمس كان خاطىء وشرير واليوم يصبح مخلص للعالم! لا هذا كلام غير منطقى وغير معقول وكلام ضحل وتافه، وطبعاً كل واحد يمشى فى هذا الطريق أكيد أن روحانيته كاذبة ومبنية على أساس خاطىء مهما ظهر أن هذا الإنسان له بريق، ويمكنه أن يتكلم ويمكنه أن يعظ ويمكنه أن يجيب بآيات ونصوص فى الكتب المقدسة، ويمكنه أن يدلل ويملأ الدنيا كلام مواعظ أو كتابات، لكن هذا كله بالنسبة للأباء الذين تعلمنا منهم الذين رسموا أمامنا الطريق مئات السنين، هذا كله طريق خاطىء وطريق تافه

وطريق سطحى وطريق لا يؤدى إلى فهم عميق إلى الحياة الروحية وطريق مسدود، ولذلك معظم هؤلاء الناس يصيحوا على المداخل فقط، يعملوا مظاهرة وهم على المداخل، إنما لا يقدروا أن يدخلوا للداخل لا يوجد عندهم وقت ولا أعصاب ولاإستعداد نفسى للدخول للعمق فيكتفوا مثل الأطفال الصغار أن يستمروا على الشاطئ لأنهم لا يعرفوا العوم، فيستمروا على الشاطئ يهيصوا ويطرطشوا الماء على بعض، هذا بالضبط فى الحياة الروحية الذين يصنعوه الناس السطحيين الذين لا توجد عندهم أى خبرة، أكثر من أنه كان بالأمس سمع عظة وتأثر بها، فيفتكر فى نفسه أنه دخل إلى الكمال، ولما يعظ، يعظ من فوق فيخرج كلام فيه إدانة للآخرين، ويتصور أن كل الناس فى ظلام وهو وحده الذى فى النور وهذه هى الروحانية البروتستانتية كلها مبنية على الكبرياء ومبنية على الضحالة.

١- مبدأ التخبئة:

نحن تعلمنا من أبائنا، أننا عندما نبدأ لابد أن نبدأ على ما وصل إليه السابقون، و نبدأ ببطء وندخل دخول عميق، نسير على المبدأ الذى نسميه مبدأ التخبئة، ومبدأ التخبئة هذا هو الذى تكلم عنه المسيح وقال إن النبتة تدفن فى الأرض ثم تنمو والناس نيام، جميل جداً هذا التعبير ،والناس نيام، أى أن الناس لا يدرون به، أما الشخص الذى أحاط نفسه وأضفى على نفسه جو بحيث الناس يتطلعوا إليه، هذا الإنسان لن ينمو إلى الأمام، يظل قزم فى الحياة الروحية إذا تطلع الناس إليه، وبوصوله فى أول الطريق وأصبح منظور، لن يكبر ولن ينمو وسيظل قميئ طول عمره. كثير من الناس على هذه الصورة إنما الناس المباركين الذين ينمون والناس نيام عنهم، هؤلاء هم المغبوطين لأنهم أصحاب النفس الطويل الذين لا يدرى الناس بهم وهم ينمون نمواً طبيعياً، نمو غير مفتعل.

فالمبدأ الأول الذى تعلمناه من الأباء والذى نستشفه من كتب الأباء مبدأ التخبئة، أن الإنسان لا يجعل الآخرين يلتفوا حوله وينظروا إليه نظرة خاصة ينال بها نوع من التحية والإكرام والمدح والثناء، وأنتم خير العارفين بما قرأتموه فى كتب الرهبنة كيف أن بعض الرهبان كان فى بعض الأحيان يرتكب بعض أعمال العبط، أو يقوم بتصرفات لينتقده الناس وكل ذلك ليحول أنظار الناس عنه. يقولوا عبيط، يقوم بتصرفات يجعل غيره يقول أنه شرير أو لا يفهم، ويكون هو أحسن باطنياً من حقيقته الظاهرية أى يخبئ النعمة التى فى قلبه يظلل عليها، هذه هى سياسة التخبئة التى سار عليها الأباء، لم يحاول أحد منهم أنه يظهر بمظهر معين، أو يضفى على نفسه صورة جميلة بل يمكن أحياناً يعمل أعمالاً عكسية. داود النبى يقول: «خبأت كلامك فى قلبى لكى لا أخطئ إليك» فمبدأ التخبئة مبدأ موجود فى الكتاب المقدس، وطبعاً مبنى أيضاً على ما

قاله السيد المسيح ومبنى أيضاً على الخبرات الطويلة فى الحياة الروحية، أنا أتصور مثلاً على سبيل المثال أن السيد المسيح نفسه هو النموذج الأعلى للراهب.

وعندما ننظر إلى حياة المسيح له المجد نجد أيضاً أنها سارت على مبدأ التخبئة: فمثلاً وهو صغير كان لا يتكلم كثيراً ولم يصنع معجزات إلا فيما ندر، وفيما تقتضيه الضرورة، وحتى عندما كان فى مصر وهو طفل صغير، وكانت أمه تمر بالمنازل تطلب طعام وشراب، وأحياناً تبكى بدموعها عندما يطردها الناس أو يغلقوا الأبواب فى وجهها وفى الآخر يتحرك أحياناً لما تصل الحالة لهذا الحد فيلاطفها ويكفكف دموعها، ويعمل بصابعه على الأرض فتنفجرعين ماء مثل ما حدث فى المطرية وأيضاً فى سمنود، وبالقرب من الزقازيق أيضاً عند تل بسطا، كل هذا السيد المسيح لم يصنعه منذ الإبتداء، إنما فى الآخر خالص عندما يجد أن العذراء حالتها سيئة جداً ومتألمة فيتدخل فى الآخر.

فالسيد المسيح فى طفولته كل شئ ماشى ببطء وبهدوء وبدون إفتعال وبدون تسرع، كذلك حتى بعد ما بلغ سن الثلاثين، وخدمته نفسها امتدت وبدأ طبيعى أنه لازم يظهر تجد أنه كان يسير على مبدأ التخبئة، فكان يخفى لاهوته فى ناسوته وعندما يعمل أى عمل من أعمال القوة كان يتبعه بعمل من أعمال الضعف، فمثلاً عندما حل الروح القدس فى نهر الأردن والمجد العظيم الذى ظهر والآب يتكلم والروح القدس نازل عليه، بعد ذلك مباشرة يذهب إلى البرية ويسمح للجوع أن يصيبه ويجعله ضعيفاً لدرجة أن الشيطان يجرؤ ويقول له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً، ونجده مرة نائم على وسادة فى السفينة ويعرض نفسه لكل أنواع الضعف من جوع، من عطش من ألم، ومرة يبكى كما بكى على قبر لعازر وكما بكى على أورشليم، يتعب كإنسان ويجلس على البئر، كل مظاهر الضعف وهذه المظاهر هى التى كانت تشكك الشيطان فيه.

أباء الرهبنة على وجه الخصوص كانوا يتخذوا أيضاً نفس الطريق من الناحية الروحية، عندما يجد نفسه منتعش روحياً لا يهلل أو يعمل أى مظهر من المظاهر التى تدل على الروحنة أو التى تكشف روحانيته، بل يمكن أن يعمل عمل عكسى لكى لا يلفت النظر إلى الخبرات الروحية العميقة التى وصل إليها. وفيه بعض الأباء كان لا يرضى إذا رأى رؤى. وكثيراً ما كان يرى الرؤى. أن يتحدث عن هذه الرؤى خوفاً من أن يلفت النظر إليه فينال كرامة له، وبعضهم كان يقبل الإهانة ويقبل الإتهام الظالم، يتهم ظلماً فيقبل الإتهام الظالم أو يشتم فيقبل الشتيمة ولا يرضى أن يرد عليها لكى يبقى مدة طويلة فى حالة الإتهام والناس تنظر إليه نظرة الإحتقار. مثل القديس أبو مقار لما أتهم أنه زنى بإمراة، قبل هذا الإتهام ولم يدافع عن نفسه، والولد عندما

اتولد أعطى له ولما كبر كان يقول كد يا مقاره فإن لك ولداً، ولم يحاول أبداً أن يدفع الإتهام عن نفسه، ولما كشف الأمر واعترفت هذه الفتاه ببراءة القديس أبو مقار حضر الناس ليعتذروا ويعملوا ميطانية له، فخاف من هذا المجد فهرب من المكان وذهب إلى مكان آخر. فالرهبان الأوائل الكبار كانوا يعملوا تصرفات من هذا القبيل، يخافوا من أن يتحدث عن الرؤى أو الكشوف التى يروها من جهة، وأيضاً لا يمانع أن يقبل الظلم ويقبل الإتهام الظالم ويقبل الإحتقارحتى نفسيته تتذل، وهذا الذل ينفعه، وأنتم تعرفون القصة المذكورة عن الأنبا أغاثون لما حضر له مجموعة من الشبان وقالوا له أنت أغاثون الكذاب؟ قال لهم أنا هو، أنت أغاثون اللص؟ قال لهم أنا هو، أنت أغاثون الزانى؟ قال لهم أنا هو. واستمروا يشتموا فيه شتائم كثيرة جداً أنت أغاثون كذا كذا كذا كل شتيمة قبلها، وفى الآخر قالوا له أنت أغاثون الهرطوقى؟ قال لهم لا.. قالوا له لماذا أنت قبلت كل الإتهامات فيما عدا الإتهام بالهرطقة، قال لهم أنا من جهة إنى كذاب، كذاب لا أقدر أقول لا... لا يخلو الأمر إنى أنا كذاب، وحرامى نعم أنا حرامى لأنى أسرق حقوق ربنا فهذا الكلام ينطبق علىّ لا أقدر أن أنكره، زانى نعم قد يكون أحب قلبى شىء آخر أكثر من الله (الزنى الروحى)، أى شىء نعم، وفى الوقت نفسه يمكن لما أقبل هذا الكلام ربنا يرحمنى ويغطى خطاياى إذا قبلت هذا، إنما كونى أقبل أن أكون هرطوقياً معناه إنى قبلت أن أكون عدواً لله وأنا لا أقبل هذا.

فالأباء كانوا ينفذون مبدأ التخبئة، وأنه لا يحاول أن يضفى على نفسه أى مظهر من المظاهر التى تلفت النظر إليه، وتضعه موضع التمجيد والتكريم والتحية والإعزاز والمدح وما إليها هرباً من هذه الحالة، ولكى يقدر أن ينمو باطنياً لأنه يخاف أن صيته يجعل الشياطين تقوم عليه وتزود عليه الحرب، ولكن عندما يبقى إنسان مغمور يقدر ينمو فى هدوء وفى سكون.

فالرهبنة مبادئها مأخوذة من الإنجيل، هناك إناس وخصوصاً البروتستانت ومن يدور فى فلكهم يقولوا من أين هذا الكلام؟ نقول لهم طريق الكمال موجود فى الإنجيل. السيد المسيح قال هذا «إن أردت أن تكون كاملاً، فاذهب وبع كل مالك ووزعه على الفقراء وتعالى اتبعنى حاملاً الصليب».

فمن هنا جاءت كلمة طريق الكمال، عندما نقول الرهبنة طريق الكمال ليس معناها أن الراهب أصبح كاملاً ! لا.. هو يسير فى طريق الكمال، إنما مثل ما قال بولس الرسول لا أقول إنى أنا بلغت إلى الكمال إنما أسعى لعلى أبلغ، فعندما الإنسان يترهبن ليس معنى ذلك أنه وصل إلى الكمال! لا.. إنما معناها أنه وضع رجله على الطريق الذى يبلغ به إلى الكمال. قريباً كان يوجد راهب اسمه أبونا عبد المسيح المقارى وتنيح فى القريب، كان فى بلد اسمها المناهرة، هذا الرجل كان من هذا النوع الذى يسيرعلى مبدأ التخبئة، أكيد أن هذا الإنسان كان فى درجة

السواح بدرجة عالية جداً، مستوى غير عادى هذا الرجل إنما كان من هذا الطراز الذى يضفى على نفسه تصرفات معينة ليخبىء الحالة التى هو فيها، لدرجة أنه يقول أنا عاوز أتزوج ويعمل تصرفات غير عادية والأولاد يجروا وراءه يضربوه بالطوب ويشتموه، ولكن كان أكيد فيه هناك أمور كثيرة بينت وكشفت أنه هو كان إنسان غير عادى أى على مستوى رهبانى غير عادى، كان عميق جداً جداً بدون أن يدرى به أحد وكان يضفى على نفسه صورة عكسية، ليس كل الرهبان عملوا هذا لكن نقول لأى درجة كان مبدأ التخبئة موجود، ليس من الضرورى أن كل واحد يعمل هذا.

سيدنا له المجد نفسه، لما تجلى على جبل التجلى أوصى تلاميذه أنهم لا يقولوا لأحد، هذه تعطينا فكرة عن مبدأ التخبئة، حتى الرؤى والمكاشفات الروحانية، بولس الرسول عندما اضطر أن يدافع عن نفسه، كشف بعض من المكاشفات الروحانية، أولاً لم ينسبها إلى نفسه فقال أعرف إنساناً قبل ١٤ سنة وهو يقصد نفسه، الأمر الثانى يقول لهم ألزمتمونى... لماذا؟ لأن هناك إناس من الأخوة الكذبة كانوا يذهبوا وراءه فى كل مكان ويقولوا أنه رجل كذاب وليس رسول للمسيح، وبهذه الطريقة ضيعوا كل الخدمة التى قام بها، وكثير من الناس رجعت بعد ما صاروا مسيحيين رجعوا مرة أخرى إلى اليهودية أو إلى الوثنية، لدرجة أنه قال لأهل غلاطية أيها الغلاطيون الأغبياء من رقاكم، من سحركم... ياليت الذين يقلقونكم يقطعون أيضاً، فاضطر أن يدافع ليس عن نفسه الحقيقة ولكن ليرد الناس إلى المسيح مرة أخرى.

٢- مبدأ التجرد:

أخذ هذا المبدأ من قول السيد المسيح «إن أردت أن تكون كاملاً، فاذهب وبع كل مالك ووزعه على الفقراء، وتعال اتبعنى حاملاً الصليب». وطبعاً المسيحية لا تطالب كل واحد مسيحى أن يبيع كل مايملك ويترك كل شىء ويتبع المسيح بالطريقة التى قال عنها السيد المسيح، قال هذا الطريق لمن يطلبون طريق الكمال. وطبعاً الأباء الرسل ساروا فى هذا الطريق، إن الواحد يترك كل شىء ويتبع المسيح، أو يبيع كل شىء، هذا هو الفقر الإختيارى وهو شرط من شروط الرهبنة، إختيار الفقر، وما هى أهمية الفقر فى حياة الكمال؟ لماذا الواحد يختار حياة الفقر؟ فالغنى أفضل من الفقر، فكلما يكون الإنسان غنى يستطيع أن يقوم بمشروعات كثيرة تخدم الفقراء ويصنع بها الخير للناس، لماذا تتطلب الرهبنة الفقر الإختيارى لدرجة أنه يبيع كل شىء، مثلاً أنبا أنطونيوس كان عنده ٣٠٠ فدان يقولون أنها من أجود الأراضى فى الصعيد، فباعها كلها لماذا؟ الأنبا بولا حدث بينه وبين زوج أخته كلام على الميراث فترك كل شىء، هناك أشخاص كانوا أولاد ملوك تركوا كل شىء مثل مكسيموس ودوماديوس أو مثل أرسانيوس

معلم أولاد الملوك. هناك أشخاص كانوا ملوك فعلاً مثل إيلارية التى سميت بإسم الراهب إيلارى، وناس كثيرين كانوا مقتدرين وكانوا يقدروا أن يعيشوا حياة غنية جداً وتركوا هذه الحياة، اختاروا حياة الفقر، لماذا لا يأخذ معه بعض أمواله للدير؟! الرهبنة تشترط أنه يدخل الدير بلا شيء، وهذا الكلام مبنى على حكمة أولاً كونه يختار الفقر هى فضيلة التجرد، لأنه يحتاج إلى هذه الفضيلة نفسياً وروحياً، فكرة التجرد، ماذا يعنى التجرد؟ يعنى التخلص من الإرتباط، التخلص من التعلق بالمادة، هذا هو التجرد فى معناه الحقيقى، التجرد معناه التخلص من الإرتباط بالمادة. فكونه يبيع كل شيءوبعد ما كان رجل غنى يصبح لا يملك شيء، هذا مطلوب لأن هذا هو البرهان الحقيقى على أنه اختار هذا التجرد، فيه حاجه جميلة فى داود، داود النبى مرة اشتهى أن يشرب ماء وعطش جداً، فقال من يسقينى ماءاً من بيت لحم؟ فعنده ثلاث رجال أقوياء ومن أجل أن يحضروا له ماء، لابد أن يعدوا على محله الفلسطينيين ويمروا من معسكرهم وكان هذا يعرضهم للخطر وللموت، فهؤلاء الأبطال الثلاثة غامروا بحياتهم وذهبوا وأحضروا الماء من بئر بيت لحم، وبعد ما أحضروا الماء صعب عليه هذا الأمروقال كيف أشرب ماء عبارة عن دم هؤلاء الرجال الثلاثة، لأنهم كان يمكن أن يموتوا فى سبيل هذه الشهوة. لا.. أنا اسكبها للرب، وسكب الماء على الأرض، هل الله يشرب الماء؟ ويقول أسكبها للرب؟ ثم يسكبها على الأرض!! لأن نيته من الداخل أن يعطيها لربنا.

فهنا فكرة التجرد مبنية على أساس أنه هو ترك كل شيء من أجل ربنا، هذا نوع من العبادة وهو إمتحان صعب، ولكن كونه يغامر ويجرد نفسه هذا التجرد دليل على صدق عبادته وعلى صدق نيته فى أنه يكون لله، النواحى المادية يبقى لها أثر فى النفس البشرية ولها تعلقات، فكون الواحد يقسو على نفسه هذه القسوة هذا يدل على أنه فعلاً راغب صدقاً وحقاً فى أنه يمشى فى طريق ربنا بدون مبالاه بأى شيء آخر. وفى نفس الوقت هذا دليل على إيمانه المطلق بالله أنه يبيع كل شيء ويظل فقير، وهذا طبعاً إمتحان لمحبته لربنا وإمتحان لإيمانه بربنا إنه لن يفشل إذا كان فقير، ولا يوجد شيء يذل النفس مثل الفقر، فيصير إنسان متواضع لا يملك شيئاً ويعيش مع الرهبان الآخرين فقيراً مثلهم، ليس له ماضى، الماضى إنتهى، واحد مثلهم يعيش معيشتهم، ولماذا لا يعطى للدير وقد يكون الدير فى حاجة إلى هذا المال؟ حتى لا يدخل ويكون له فضل على الذين فى الدير. أو يكون هذا نوع من أنواع التأثير على رئيس الدير، وحتى لا يكون له دالة فى الدير، ويستطيع أن يحكم كما يقول:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان احسان

مثل الإنسان الذى يتبرع للكنيسة ويعلن اسمه، المتبرع فلان الفلانى فطبعاً من حقه أن يعطى

مكان محترم فى الكنيسة، ومن حقه أيضاً يبقى له كلمة عند الكاهن، وكلمة محترمة والكاهن يعطى له إعتبار، فبهذه الطريقة الحقيقة بيسبى الكنيسة، فالرهبنة منعت إن واحد راهب مهما كان عنده، وحتى لو كان الدير فى حاجة إلى هذا، أنه يأتى بشىء مما يملكه ويعطيه للدير لئلا تصبح له دالة بسبب هذا المال، ويطمع فى مركز ممتاز أو يطمع فى معاملة خاصة نتيجة ما قدمه للدير أو يصبح فى يوم من الأيام صاحب فضل على الدير، فى القديم أيضاً كان عندما يبنوا كنيسة يرفضوا رفضاً باتاً أن الكنيسة يبنيها رجل واحد، مهما كان هذا الرجل غنى، لماذا؟ حتى لا تصبح الكنيسة ملكه، وهو الذى بناها مثل الكنائس التى يبنيها بعض الأغنياء لكى تكون مقبرة له، خلاص هذه كنيستهم يقدروا يفتحوها ويقفلوها مثل ما يريدون، ويقدروا أن يتحكموا فيها ويحضروا الكاهن الذين يريدوه ويعطوه المرتب الذين يريدوه والقسيس يكون خاضع لهم. مرفوض هذا المبدأ فى الكنيسة إن رجل واحد أو سيدة تبنى كنيسة، حتى لو كان قادراً على هذا لازم كل الشعب يساهم، كل إنسان يساهم لأن هذا بيت ربنا ولابد أن يكون الكل يساهم فيه، وكان زمان حتى الملك لا يتبرع ببناء الكنيسة كلها، لكن كان يشترك فى عملية البناء، الملك المسيحى كان يشيل طوب، ومن هنا جاء مبدأ وضع حجر الأساس، ما هو مبدأ وضع حجر الأساس؟ عندما يقولوا الملك أو رئيس الجمهورية وضع الحجر، فكرتها كانت فى الأصل إن الملك أو رئيس الجمهورية إذا كان مسيحى ويحب أن يساهم فى الكنيسة لا يبنى الكنيسة كلها، مع قدرته على أن يبنى الكنيسة، لكن لأنه لو بناها تصبح كنيسة الملك وله اليد الطولى فيها، وله اليد العليا ويقدر يفتحها ويغلقها كما يريد ويصبح الشعب ليس له حق، يصبح الشعب ضيف فى هذه الكنيسة، هذا المبدأ مرفوض من جهة المسيحية، ولكن يساهم مع الكل، هكذا مرفوض إن الراهب يدخل بشىء إلى الدير لئلا يظن أو تصبح له دالة أو يترتب على هذا أن يطمع فى أن يكون له بالنسبة للمبلغ الذى دفعه دالة أو مركز خاص، أو يعامل معاملة معينة، وبهذا يسبى رئيس الدير أو المسئولين فى الدير حتى أنهم يمالئوه أو يحابوه أو يعاملوه لا كمعاملة الرهبان الآخرين، فهذا مرفوض حتى يدخل الدير بإتضاع ولا يملك شيئاً ويصير مركزه مثل مركز الباقين كلهم.

وفى نفس الوقت هذا أساس للمبدأ الذى اتخذته الرهبنة أن الراهب يأكل من تعبه، فجميع الرهبان لابد أن يعطوا حتى لا يأكل الراهب خبز الكسل، وهو المبدأ الذى قاله الرسول بولس فى تسالونيكى الثانية اصحاح ٣ عدد ١٠ «من لا يريد أن يعمل فينبغى أن لا يأكل» فهو مبدأ رسولى، فطالب الرهبنة لابد أن يدخل الدير متجرداً لكى يخضع لناموس الدير، ويشتغل ويعمل والعائد من عمله يعيش منه، وأيضاً الفائض من هذا يعود للدير كله، مثله مثل باقى اخوته الرهبان.

فبهذا يبدو أن مبدأ التجرد مبدأ رهبانى وهو تطبيق لما قاله السيد المسيح يبيع كل مايملك. هذا هو التطبيق العملى للآيه.

ومبدأ التجرد هذا يزداد وينمو عند بعض الرهبان خصوصاً من يصلوا إلى درجة السياحة، فالسائح يصل إلى درجة مرتفعة من التجرد بحيث أنه يتجرد نهائياً من الإرتباط بالقنية، فيصير لا يملك شيء، ليس له كوب، أو طبق، أو ملعقة، ليس له شئ إطلاقاً وهذا ما يسموه «التجرد المطلق» ، لا يوجد له قلاية، أو غرفة، أو مكان، وهذا ما قاله الكتاب المقدس على ابن الإنسان أنه ليس له مكان أين يسند رأسه، ولذلك نجد السائح ينتقل من مكان إلى مكان ولا يأسف على مكان،وهذا ما يسموه التطبيق العملى لما قاله الرسول «تائهين فى البرارى» وهى حالة «تائهين فى البرارى والجبال وشقوق الأرض» ونحن نردد هذه العبارة فى قسمة الصوم الكبير لكن نضيف إليها كلمة من أجل محبتهم فى الملك المسيح. لكن التعبير فى الأصل مأخوذ من رسائل بولس الرسول، وهذا الكلام قاله عن المكابيين وهم أتباع يهوذا المكابى وهى الحركة الدينية اليهودية لتطهير الهيكل التى تزعمها يهوذا المكابى، ولكن فى سبيل هذه الحركة احتمل المكابيون صنوفاً من العذاب والآلام. وفترة المكابيين تبدأ من ١٥٠ قبل الميلاد أى بعد عصر ملاخى النبى، فالمكابيين هم الذين قصدهم بولس الرسول عندما قال «تائهين فى البرارى والجبال وشقوق الأرض» ففى الرهبنة يعتبر الرهبان أن هذه الحياة هى التى ينبغى أن يحيوها «تائهين» ، هذا التيه يكون بالنسبة للسواح أو الدرجة التى يسموها درجة السياحة، من هو السائح؟ هو الذى يترك الدير ويسيح فى البرية، والسياحة هى التجرد بالمعنيين، أولاً تجرد بمعنى الإنحلال والتخلص من كل نوع من أنواع الإقتناء، فلا يصير له شيء إطلاقاً، لا يملك شيئاً ويمارس عملياً أنه لا يملك شيئاً، حتى لا يكون له شئ يعتز به. ولا أى شيء متعلق به ولا شيء يأسف عليه، إذا وجد أو إذا فقد لا يأسف على شيء، لأنه تجرد منه تجردا تاما، فلكى يمارس عملية التجرد التام يصير ليس له شيء، أى لا يقول هذا لى، وهذا أيضاً نابع من التعليم الرسولى للأباء الرسل والمسيحيين الأوائل كما جاء فى سفر الأعمال إصحاح ٢ ، وإصحاح ٤ ، أنه لم يكن أحد يقول عن شيء أنه يخصه. بل كان كل شيء بينهم مشتركاً، ولذلك الحياة الإشتراكية أصبحت محصورة اليوم فى الرهبنة لأنه أصبح صعب فى المجتمع الخارجى أن يحيا الحياة الإشتراكية كما عاشها الرسل ، فالحقيقة الرهبنة اليوم هى الممارسة العملية للإشتراكية المسيحية، أو نقدر أن نقول أن الإشتراكية المسيحية التى نادى بها الأباء الرسل الأوائل أو التى عاش بها المسيحيون الأوائل لن تمتد، وأنها إنحصرت اليوم فى حياة الرهبان ونحن نقول هذا الكلام فى المحيط الخارجى، نقول أن مبدأ الإشتراكية اليوم مطبق عندنا فى المسيحية ولكن فى داخل الرهبنة.

٣- مبدأ نذر التبتل:

مبدأ التفرغ والإنقطاع والتبتل، حتى فى اللغة العربية كلمة تبتل تفيد معنى انقطع، فالمتبتل هو الشخص الذى انقطع لناحية معينة، تفرغ لها وأعطاها حياته، ومن هنا مبدأ عدم الزواج بالنسبة للراهب لأنه تفرغ لناحية أخرى، لأن الزواج ليس خطيئة، الزواج أيضاً يبنى أسر ويبنى المجتمع، لا نقدر أن نحكم على الناس المتزوجين هذا الحكم الظالم. هل المتزوجين أشرار ونحن أفضل منهم؟ لا.. إنما الفكرة أن التبتل مبنى على أساس الإنقطاع، الإنقطاع لله والتفرغ لله، انقطع لله وتفرغ لخدمته لأنه مثل ما قال الكتاب المقدس أن بين الزوجة والعذراء فرقاً، غير المتزوجة تهتم فيما للرب كى تكون مقدسة جسداً وروحاً، أما المتزوجة فتهتم فيما للعالم كيف ترضى رجلها.

إن الحياة الزوجية أيضاً فيها تضحية إن الإنسان يلتفت لزميله ورفيقه ويعمل على إرضائه، هذا الإرضاء مطلوب لحياة إثنين يسيران معاً وهذه فضيلة أن يلتفت الواحد لغيره ويهتم بغيره.

فكون الواحد يكون متزوج، وهذا الزواج يقتضيه أنه يرضى الطرف الآخر، هذه فضيلة مفروضة، لكن الإنسان الذى يسير فى طريق إن أردت أن تكون كاملاً، طامع فى شىء أكثر من هذا، يستخسر الوقت ويستخسر الطاقة التى يصرفها فى سبيل إرضاء الزوجة أو فى سبيل إرضاء الآخرين، ويحس أن فترة الحياة قصيرة لا تتحمل أن يعطى هذه الحياة أو يقتطع منها لبيته أو لأسرته، فيريد أن يعطيها كلها لربنا ويريد أن يحرق كله، ويصير قربان كله، هذه الكلمة قالها أوريجينوس بطريقة لطيفة جداً، عندنا ما يعرف فى الكتاب المقدس بذبيحة السلامة، ذبيحة السلامة تقدم عندما يشفى مريض، أو يعود من سفر فيقوم بعمل ذبيحة السلامة، ذبيحة السلامة هذه تنقسم إلى أربعة أجزاء، جزء يحرق لربنا على المذبح، والجزء الثانى من حق الكاهن أن يأخذه، والجزء الثالث يوزع على الفقراء والمساكين، والجزء الرابع يأخذه صاحب الذبيحة نفسه ليأكل منه هو وأولاده هذه اسمها ذبيحة السلامة.

لكن هناك ذبيحة أخرى اسمها المحرقة، المحرقة ذبيحة عندما تذبح تحرق كلها لربنا، لا يبقى منها شىء لا لكاهن ولا لفقراء ولا لصاحب الذبيحة، كلها تحرق من فوقها لتحتها بالنار لله.

فأوريجينوس يقول أن الناس المتبتلين مثل ذبيحة المحرقة يقدم ذاته كلها لربنا، فلا يبقى قطعة من حياته أو من مجهوده أو من فكره أو من أعصابه لا لزوجة ولا لأولاد ولا لأحد آخر أبداً، بل يبقى كله لربنا محرقة.

فمن هنا جاءت قيمة التبتل، فنحن لسنا ضد الزواج مثل ما يزعم البروتستانت يقولون أن بولس الرسول يقول فى تيموثيوس الثانية أنه فى آخر الأيام يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين موصومة ضمائرهم يمنعون عن الزواج وعن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر، يقولوا هذا ما يصنعه الأرثوذكس الرهبان بيمنعوا الزواج؟ لا.. نحن لا نمنع الزواج بل بالعكس نحن عندنا الزواج سر مقدس ورابطة إلهية، لكن موضوع الرهبنة، إن أردت أن تكون كاملاً، هذا موضوع إختيارى وغير مفروض على أحد. بل أحياناً نفس الراهب إذا وجد نفسه بعد مدة غير قادر أن يكمل يريد أن يتزوج، الكنيسة لا تمنعه عن الزواج لكن بيعد كسر نذر، ارتبط مع ربنا بنذر فكسر النذر، فالزواج بالنسبة له خطأ ليس لأن الزواج خطيئة، ولكن لأنه نذره نذراً مع ربنا، ولكن إذا اقتضى الأمر أنه يتزوج يأخذ قانون ويتزوج. مفيش مانع، فهنا مفيش مانع من الزواج، إنما المسألة إن أردت أن تكون كاملاً فهذا طريق الذين يريدون الكمال، يريد أن يتبتل لله، يريد أن ينقطع لله، يريد أن يتفرغ لله، يريد أن يكون مقدساً جسداً وروحاً، يريد أن يكون محرقة كاملة لا يبقى منه شىء لأحد لا لزوجة ولا لأولاد ولا لأحد كله لله، وأمواله يوزعها.

فالرهبنة بنيت على مبدأ التبتل، والتبتل فهم فى مبدأ الأمر على أنه عدم الزواج، ولو أن المفهوم العميق للتبتل هو الإنقطاع التام، لكن يتبعه أن الإنسان فى سبيل هذا التبتل والإنقطاع لا يتزوج، فعدم الزواج جزء من عملية التبتل لكن ليست هى كل التبتل، التبتل معناه أنه ينقطع ويتفرغ لله كلية ويكون مقدساً جسداً وروحاً، فالرهبنة فيها مبدأ النذر، فيه نذر أى فيه إرتباط مع الله أى وعد أو كلمة شرف، يقول لربنا أنا أعطيتك حياتى كلها.

والتبتل لغوياً يفيد الإنقطاع، التبتل ليس فقط عدم الزواج، لكن عدم الزواج جزء من عملية التبتل، ولكن هناك أشخاص آخرين ليسوا فى الأصل متبتلين قد يكونوا متزوجين قبل ذلك وهم المترملين، من الممكن المترمل الذى سبق له الزواج أن يترهبن، وممكن يدخل الحياة الرهبانية بنفس الدرجة، ولو أنه أصلاً لم يكن بتولاً إنما ممكن أنه يصل إلى التبتل بمعنى أن روحه تتنقى وتتصفى وتلمع وتبرق وتصل إلى الطهارة وإلى النقاء، بل وأضيف إلى هذا أيضاً ليس فقط المترملين الأطهار، ولكن لو فرضنا أن هناك إنسان سار فى طريق الخطيئة أو النجاسة أو العلاقات المحرمة والزنى، يمكن لهذا الإنسان الذى كان خاطىء ونجس وفاسق، ولكنه تاب توبة صادقة توبة نصوح، ممكن أن يدخل فى الرهبنة وممكن يبلغ فى الرهبنة مراتب روحية عالية، وعندنا فى تاريخ الرهبنة حياة أشخاص لم يكونوا أطهاراً فى مبدأ الأمر ولكنهم تابوا، ولعل من بين الأسماء أوغسطينوس الذى كان فى يوم من الأيام يقول، أنا مستحيل لا يمكن يمر على يوم

من الأيام ممكن أكون مسيحى، لأن المسيحية تتطلب مثالية فى الأخلاق، لا يمكن أبداً أن أصل إليها فى يوم من الأيام، فكان يقطع قطعاً جازماً أن بينه وبين المسيحية فاصل أساسى لأنها تتطلب مثالية لا يقدر عليها، ولكن أمكن بعد أن تاب أوغسطينوس أن يمارس الحياة الرهبانية ويدخل فى أعماقها إلى مستويات عالية جعلته من الخالدين فى تاريخ الكنيسة وفى تاريخ المسيحية، وسيظل أوغسطينوس مثلاً ونموذج للتوبة، التوبة الصادقة الروحانية التى لم تترك أثراً فى نفسه بحيث أنها تشوب بتوليتة، بل أشرقت نفسه بالنور والتقوى وبالروحانية كما لو لم يكن أخطأ فيما قبل.

٤ـ مبدأ معرفة النفس:

فى طريق الزهد والنسك والسكون والصمت والبعد عن الضجيج وعن الكلام مع الناس والوجود فى وسط العالم، يمكن للإنسان من جهة أن يدخل إلى أعماق نفسه ليفحصها ويدرسها ويعرفها، مثل ما قال سقراط أعرف نفسك بنفسك، وهو فى الواقع سقراط لم يقل هذا الكلام إنما أصلاً وجده مكتوباً على معبد أبوللو فى دلف فى بلاد اليونان، فوجد هذه الحكمة مكتوبة على الأثار «أعرف نفسك بنفسك» فأخذ هذه العبارة وجعلها أساساً لفلسفته.

فمبدأ معرفة النفس للنفس مبدأ رهبانى، وكل نوع من الرهبنة مسيحية أو غير مسيحية لابد أن يكون فيها معرفة النفس، والسبيل إلى هذا بإستبطان النفس والدخول إلى النفس، وهذا الدخول يقتضى الهدوء ويقتضى السكون ويقتضى الصمت الطويل ويقتضى البعد بعيداً عن حياة العالم، ربما نعود إلى هذا فيما بعد، إنما المهم هنا نقط إلتقاء مابين الرهبنة الهندية والوثنية بصفة عامة والرهبنة المسيحية.

إنما الفرق الأساسى الكبير هو أن الرهبنة الوثنية تقوم على مبدأ تعذيب الجسد على أساس أن الجسد مركز الخطيئة وسبب الخطيئة، ووسائط تعذيب الجسد تكون كثيرة، وهذا عرف أيضاً فى التصوف اليهودى، فى الأسكندرية هناك متصوفه يهود أو رهبان يهود ساروا على هذا المبدأ مبدأ تعذيب الجسد، والتعذيب كان يقتضى أن يضرب جسده ضربات كثيرة ويجرح جسده ويقطع فى جسده تقطيعاً لكى يتألم، وهذا الألم فى تفكيرهم أنه يهدىء من ثورة الجسد وهى نداءات الغرائز وإشتعال الجسد بالشهوة.

فمبدأ تعذيب الجسد مبدأ لا نقره فى المسيحية، لأنه فى الواقع الجسد ليس هو أساس الخطيئة، وهذه نظرة تختلف فيها المسيحية إختلافاً جذرياً فى موضوع الخطيئة، فلو كان الإنسان جسد بلا روح لما كان يخطىء، مثل الحيوان أو مثل النبات، فإذا أكل سيأكل بالقدر الذى يحتاجه الجسد، وحينما يأخذ الجسد حاجته تنطفىء رغبته فى المزيد ولا يمكن للجسد أن يطلب المزيد. فعند

النبات مثلاً الموز يزرع بجوار الفول السودانى بجوار البصل بجوار الثوم بجوار البرتقال بجوار البلح، الفجل، الكرات، أى نبات يأخذ نصيبه من ذرات الأوكسجين والأيدروجين والكربون والسكر والأملاح المعدنية التى فى التربة، ويأخذ نصيبه من الضوء ومن الحرارة ومن الماء على قدر ما هو فى حاجة إليه، ولا يمكن أن يزيد على الرغم من غنى الطبيعة من حوله فيأخذ حاجته فقط بحسب تركيبه الجزيىء أو الذرى وبعد ذلك يتوقف تماماً عن أن يأخذ المزيد.

ونلاحظ هذا أيضاً فى الحيوان، الكتكوت يشرب الماء على قدر إحتياجه وبعد ذلك يكف، حتى لو ضربته، وقل هذا فى الحمار، وقل هذا فى الأسد وفى الحمامة وفى اليمامة وفى العصفور وفى أى كائن، لا يمكن أبداً أن يأكل أكثر مما يحتاجه جسده وبعد ذلك يقف مباشرة، وحتى معروف هذا أيضاً من الناحية الجنسية فعند الحيوان إذا حملت الإنثى لا يمكن أن يقترب إليها ذكر حتى لو ضربت، فلو كان الإنسان مجرد حيوان، أقصد جسداً بغير روح كانت الغريزة تحكمه فيتوقف. يأخذ حاجته من الطعام على قدر إحتياجه ويقف، أى تنطفىء رغبته فى المزيد من أى نوع آخر من الطعام أو الشراب، لكن الإنسان بيطلب المزيد ومثل ما قال سيدنا له المجد «الذى يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً»، السبب طبعاً يرجع إلى أن الإنسان مفكر وعنده ذاكرة والذاكرة من صفات الروح، فلما يأكل التفاحة مثلاً أو البرتقاله يشعر فى أثناء الأكل ولو أن الأكل مقصود به أن يسد إحتياج الجسد، أن هناك لذة مصاحبة لأكل التفاحة أو البرتقاله أو البصلة أو الفجل أو ما إلى ذلك، هذه اللذة تسكن فى ذاكرة الإنسان وتعاوده الحاجة أنه يريد أن يأكل تفاحة ثانية أو ثالثة، لا لأن جسده فى حاجة إليها، ولكن من أجل اللذة التى حصل عليها فى المرة الأولى. فلولا الفكر الذى احتفظ بذكريات هذه اللذة المصاحبة فى المرة الأولى لما كان الإنسان يطلب المزيد بما يدمر صحته الروحية والجسدية والنفسية. أكيد من ضمن الأسباب التى تدمر صحة الجسد، أن الإنسان يأخذ أكثر من حاجته، ولذلك العلماء يقولوا أن الحيوانات معروف أن لها عمر معين، وعادة هذا العمر لا يزيد ولا ينقص، فمعروف أن الذبابة تعيش ١٥ يوم، الأسد يعيش ٣٠ سنة كل حيوان معروف تقريباً مدى عمره إلا الإنسان، وكذلك فى النباتات وفى الفواكه كل حاجة لها عمر معين معروف ولا يتغير إلا إذا كان هناك حوادث طبيعية مثل الصقيع أو نواحى أخرى تتلف النباتات، لكن الإنسان تجد عمره يتغير لدرجة أنه لو توأم من بطن واحدة مع ذلك يحدث إختلاف فى السن بينهما، وذلك بسبب الأخطاء التى يخطئها الإنسان ضد جسده، وبسبب أنه يأخذ أكثر من إحتياجه فى الطعام، وفى الشراب وفى سائر الشهوات والرغبات والأرضيات والميول.

إذن ما هو السبب فى الخطيئة؟ ليس الجسد هو أساس الخطيئة، الخطيئة مصدرها الروح الإنسانية التى نسيت مركزها بالنسبة لله، والتى تبنت الشهوات الجسدية وأصبحت تسعى إليها أكثر مما يسعى إليها الجسد وأصبحت تستغل الجسد وتملى إرادتها على الجسد لطلب المزيد.

٥- مبدأ التحكم وضبط النفس:

الحقيقة الفضيلة المسيحية تكون مبنية على مبدأ التحكم وضبط النفس، الضبط هو ما يسمى بالعفاف، وما هو العفاف؟ هو الضبط، مبدأ الضبط إن الواحد يأخذ بقدر ثم يعف عن أن يأخذ المزيد، فالعفاف هو مبدأ ضبط النفس، وهذا الضبط لابد أن يأتى من جانب العقل والروح العاقلة فى الإنسان، ولذلك يعد الصوم للإنسان إحدى الوسائط التى تساعده على ضبط النفس، ولذلك الرهبان والمسيحيين بعامة يمارسوا فضيلة الصوم لأن الصوم هو الواسطة التى بها تقوى الإرادة والتى يصل بها الإنسان إلى العفة، وإلى أن يحكم رغباته بقوة إرادة، وتعد غريزة الطعام هى غريزة الحياة الأولى، أول وأقوى وأعظم غرائز الإنسان وأشدها أثراً عليه، غريزة الطعام هى غريزة الحياة الأولى ولذلك تعد سائر الغرائز تابعة أو أقل مرتبة فى حياة الإنسان من غريزة الحياة الأولى، فهى أقوى من غريزة الجنس، ومن غريزة الأبوة والأمومة، وعندكم كلام أرميا النبى ،أيادى الأمهات الحنائن طبخن أولادهن، أى أن الأم وهى فى حالة جوع شديدة جداً اضطرت أنها تطبخ ولدها لتأكله، ومذكور أيضاً فى سفر الملوك، قصة الأم التى طبخت ابنها فى أثناء الحصار الشديد على مدينة أورشليم وعلى مملكة يهوذا.

ومذكور أيضاً فى التاريخ فى أيام حصار تيطس الأمبراطور أو القائد الرومانى لمدينة أورشليم، أن وصلت المسألة بأن الناس ومن ضمنهم النساء كانوا يطبخوا أولادهم الصغار ويأكلوهم من شدة الجوع. أى أن الجوع قاتل لهذه الدرجة.

فالصوم يروض أقوى الغرائز كيف؟ يكون أمامك الطعام وتمنع نفسك عنه تحت فكرة معينة سواء كانت هذه الفكرة إرضاء لله أو طاعة للشريعة أو الوصول إلى مقامات روحية عالية، المهم أن الإنسان يكون أمامه طعام يمنع نفسه عنه وهذا المنع يكون بالإرادة، فيعد هذا أول تدريب وأقوى تدريب للإرادة، وإذا نجح فى هذا التدريب بالتالى ينجح فى التداريب الأخرى، أى ينجح فى السيطرة على الغرائز الأخرى، على غريزة الغضب، على غريزة الجنس، على غريزة الأنانية وما إلى ذلك. إنما العكس ليس صحيح، فإذا انهزم الإنسان أمام غريزة الطعام فممكن أن ينهزم بالتالى أمام جميع الغرائز الأخرى.

الفرق بين الرهبنة المسيحية والرهبنة الوثنية:

إن الرهبنة فى المسيحية قائمة على ضبط النفس، ضبط بالإرادة ومن القوة العاقلة التى تشكم الرغبات والشهوات والميول والنزوات وما إليها.

وبناء على كلام السيد المسيح. الخطيئة من القلب لأن من القلب تصدر الأفكار الشريرة، من القلب يصدر الزنى والقتل والسرقة وما إليها. فكون الإنسان يعذب جسده أو يقتل عضو من أعضاء جسده هذا لا يحل المشكلة أبداً. وإلا كان معنى ذلك أن العميان يكونوا أطهار أو يكونوا أنقياء من الخطيئة لأن عيونهم مقفولة أو الطرش أو ما إلى ذلك. لكن ممكن جداً يكون الإنسان أعمى ومع ذلك الخطيئة فى قلبه، ممكن يكون أطرش والخطيئة فى قلبه، لو فرضنا إن واحد أعثرته عينه أو يده أو رجله وقطع اليد أو قطع الرجل فهذا ليس حل للمشكلة، وهذا ردنا على إخوانا المسلمين التى تقول شريعتهم بقطع يد السارق عقاباً له، فهذا ليس حل لمشكلة الخطيئة، الحل فى القلب قبل أن يكون فى الأعضاء. وهذه هى النقطة الأولى أو **الفرق الأول** ما بين الرهبنة الوثنية والرهبنة المسيحية **وهو مبدأ تعذيب الجسد عند الوثنيين على أساس الجسد أصل الخطيئة**. إنما نحن عندنا الضبط ضبط الروح وضبط الجسد بالقوة العاقلة التى فى الإنسان.

الفرق الثانى الجوهرى بين الرهبنة الوثنية والرهبنة المسيحية **أن الرهبنة الوثنية قائمة على أساس وسائط طبيعية، بينما أن الرهبنة المسيحية تقوم على أساس وسائط طبيعية وفوق الطبيعة**، أى تضيف إلى الوسائط الطبيعية وسائط فوق الطبيعة، الوسائط الطبيعية وهى الهدوء والصمت والسكون والتأمل والاستبطان الباطنى وما إليها، لأن النفس البشرية سواء أكانت مسيحية أو يهودية أو وثنية مخلوقة على صورة الله، فالتأمل والصمت والهدوء والسكون ممكن أن يحقق لهذه النفس البشرية مستوى روحى فوق المستوى العادى. جاجارين الذى كان أول رائد للفضاء قال لنا ولو أنه رجل رسمياً ملحد، على خبرات معينة تدل على أن النفس البشرية بالوسائط الطبيعية ممكن أن تصل إلى مستوى روحى، وإن كانت المسيحية تقدم لنا وسائل أخرى مضافة ممكن أن ترفع الإنسان فوق المستوى الطبيعى إلى مستوى أعلى من الطبيعة، فجاجارين قال أنه باعتباره أول رائد للفضاء فلما أرادوا أن يدربوه على الحالة التى سيكون عليها فى الفضاء البعيد، الظلام الدامس والسكون المطلق أو السكون التام فلكى لا يفزع نفسياً عندما يطلع فوق أخذوا يدربوه على الأرض لكى عندما يصل هناك يكون ألف هذه الصورة، فوضعوه فى غرفة أو قاعة من الفولاذ وهو الصلب لكى يتوافر له الظلام الدامس والسكون الشديد، طبعاً كانوا يوفروا له الأوكسجين فى القاعة وأيضاً الطعام والشراب بما

يلائمه. طبعاً دربوه أن يستمر ساعة أو ساعتين أو ثلاثة فى اليوم، ثم يوم ثم يومين ثم أسبوع ثم أسابيع على بعضها أو شهور على بعضها، فقال لما توافر له الصمت الشديد لمدة طويلة، وهى الشهور التى على بعضها مع الظلام الحالك، يقول أن ذاكرته قويت جداً وبدأ يتذكر أشياء عمره ما تذكرها فى حياته، ويقول بدأت أتذكر حياتى كأنها فيلم سينمائى يتحرك منذ بداءة نزولى على الأرض. وطبعاً هذه حقيقة معروفة أنه ما يمر بالنفس البشرية من أفكار ومن عواطف ومشاعر وإنفعالات وأيضاً من أعمال ومن خبرات، كل هذه الأشياء تترسم فى النفس البشرية وترسم على العقل الإنسانى، واليوم يقولوا إن هذه الأشياء ترسم ليس فقط على المخ ولكن حتى على العظام والأيدى والأرجل وكف الإنسان وبناء عليه علم الكف قائم على هذه القاعدة، واليوم يقدروا من أرجل الإنسان أن يتابعوا الأمراض وحالته النفسية، المهم أن العقل الإنسانى كل شىء يرسم عليه، لما يكسروا جمجمة الإنسان بعد موته يجدوا فرق بين جمجمة العالم وبين الجاهل أو جمجمة الشخص كبير السن الذى عنده خبرات أكثر من الشاب الصغير. إن كل شىء يرسم على العقل الإنسانى ويحفر مجارى، المهم أن جاجارين يقول أنه مع الظلام الدامس ومع السكون الشديد، لأن النور يشتت الانتباه، ولذلك المعابد المصرية القديمة دائماً أكثر مكان مظلم هو قدس الأقداس، والكنائس القبطية فى مصر القديمة والأديرة كانت دائماً تبقى دامسة ولا يوجد إلا فتحات أو طاقات عليا وعادة يضعوا عليها من الزجاج الملون حتى لا يدخل الضوء الساطع، وبهذه المناسبة الحقيقة من الخطأ أن نضع على المذبح كهرباء، هذه الكهرباء مزعجة للكاهن وتشتت إنتباهه، ولا تساعد على تركيز الإنتباه ولا تساعد على الخشوع وعلى تجميع الأفكار فى الصلاة.

فججارين يقول أنه عندما صارالصمت الشديد والسكون الشديد ذاكرته قويت وبدأ يتذكر حياته من أولها فى تسلسل تاريخى لأحداث حياته، دقيقة بعد دقيقة وساعة بعد أخرى ويوم بعد آخر بترتيب تاريخى وأيضاً كانت نفسه مثل ما قال تنفعل بنفس الإنفعال الذى كانت تنفعل به نفسه بحسب السن أو بحسب الحدث الذى يتذكره.

طبعاً الحقيقة شىء جميل أن يصدر ذلك من شخص ملحد، وفى الوقت نفسه تؤيد أن النفس البشرية لها أعماق أعماق عميقة جداً، وأنه فعلاً لو الإنسان يهدأ ويسكن ويصمت ممكن تحيا فيه الأمور الماضية ويتذكرها ويفهم نفسه على حقيقتها، وهذا الفهم للنفس على حقيقتها هو الذى يساعد الشخص على أنه يعرف نفسه ولا يكون مغرور فى نفسه، يعرف نقط القوة ويعرف نقط الضعف، يعرف ماضيه ويمكن أن يبنى على أساس الماضى الحاضر والمستقبل.

هذه النقطة فى الواقع من فلسفة الرهبنة، الإختبار الذى قاله جاجارين هو الرهبنة عند كل الناس، هذه نقطة سواء كان عند المسيحيين أو المسلمين أو اليهود أو الوثنيين، النفس البشرية التى خلقت على صورة الله سواء كانت وثنية أو مسيحية أو يهودية، فهذه النفس البشرية المخلوقة على صورة الله عندما تتاح لها ظروف أو يعطى لها الهدوء والسكون والصمت والظلام يساعدها على أنها تفهم نفسها على حقيقتها، ثم يمكن أن يتقدم الإنسان فى الحياة الروحية ويمكن أيضاً أن يتلامس مع القوة الإلهية، هذا من حيث المعرفة الطبيعية، لأن الذى يعوق الإنسان أو الروح البشرية عن هذا التلامس مع القوة الإلهية، وعن الأخذ من القوة الإلهية ومن إشعاع القوة الإلهية على رأس الإنسان، هو اشتغال العقل الواعى بالمثيرات التى تشتت الانتباه، فكلما وفر الإنسان لنفسه هذا الهدوء كلما نفذت أشعة القوة العليا للكون إليه، وهذا خصوصاً يكون عن طريق الرأس. ولذلك رأس الإنسان رأسية، فالحيوان الذى يسير على أربعة رأسه لتحت، وهذا هو السبب فى أن كل أنواع البركة توضع الأيدى على الرأس، بالذات الرأس، فى غاية الأهمية الرأس لأنها نقطة الإتصال بين القوة العليا وبين الإنسان.

فقوة الله العليا الموجودة فى الكون، الإنسان جزء من الكون ويأخذ من هذه القوة العليا، فيحدث هذا التماس ولكن لابد أن يكون الإنسان فى وضع معين يساعد على سهولة التوصيل، والوضع المعين الذى يساعد على سهولة التوصيل هو الهدوء والسكون والصمت والتأمل وما إليها، هذه الوسائط الطبيعية، فممكن جداً أنك تجد واحد وثنى غير مسيحى ويكلمك عن هذه الصلة التى بين الله أو القوى العليا وبينه، واحد مسلم، واحد يهودى ويكلمك عن هذه العلاقة، ويكلمك عما يعرف بالإشراق، الإشراق هو أن قلبه ينور بنوع من المعرفة، وهذا الإشراق نتيجة أو نوع من إنعكاس المعرفة فى القلب مباشرة. وهذا النور يمكن أن ينبثق فى النفس البشرية لو أن النفس البشريةكانت فى صورة طبيعية غير مفتعلة، وهذا الإشراق يتكلم عنه الهنود، ويتكلم عنه الوثنيون، ويتكلم عنه المسلمون، ليس فقط فى المسيحية، ولكن الفرق أن فى المسيحية الوسائط الطبيعية والوسائط فوق الطبيعة. الفرق أن الرهبنة الوثنية أو غيرها قائمة على أساس طبيعى، والرهبنة المسيحية قائمة على أساس طبيعى ثم أساس فوق الطبيعة، ما هو الأساس فوق الطبيعة؟ هى الأسرار المقدسة، فواعيل الروح القدس، وأيضاً وسائط النعمة التى بها يستدر الإنسان أو يستمطر الإنسان مواهب عالية على الطبيعة، لكى تنزل وتساعد القوة الطبيعية فى الإنسان، ولذلك من الممكن أن المسيحى أو الراهب المسيحى يصل إلى أضعاف أضعاف ما يصل إليه الراهب الهندى أو الوثنى الذى لا يوجد عنده وسائط الخلاص أو الأسرار المقدسة، لا يوجد عنده الوسائط التى تقدمها المسيحية بإعتبارها نعم أخرى إضافية فوق الطبيعة، تنزل وتنحدر على الإنسان من خلال المواهب، مواهب الروح القدس عن طريق استحقاقات المسيح الكفارية.

هنا الفرق ما بين الإثنين أولاً على أساس أن الفلسفة الهندية تقوم على أساس تعذيب الجسد أما فى المسيحية تقوم على أساس ضبط أو التحكم فى الروح وفى الجسد معاً بالقوة العاقلة. النقطة الثانية أن الرهبنة الوثنية أو الهندية تقوم على وسائط طبيعية وهى تهيئة الهدوء والسكون والصمت والظلام للنفس البشرية فيتوافر لها التفاعل والتعامل والتلامس ما بين القوة العليا وما بين الإنسان، أما فى المسيحية بالإضافة إلى هذه الوسائط جميعها، لأن نفس الرهبنة يتوافر فيها الهدوء والصمت والسكون والاستبطان والتأمل الباطنى، لكن بالإضافة إلى هذا هناك وسائط أخرى خلاصية قائمة على استحقاقات المسيح الكفارية وفواعل الروح القدس عن طريق الأسرار المقدسة تعطى نعمة إضافية أو وسائط ثانية إضافية فوق الطبيعة بالإضافة إلى الوسائط الطبيعية.

خبرات لبعض الرهبان ولكنها ليست نماذج:

هناك لبعض الرهبان خبرات مروا بها ولكنها ليست بالضرورة تكون نموذج للرهبنة، بمعنى ليس كل شىء جاء فى بستان الرهبان يصير تعليمى، لأن هناك أشياء شخصية جداً، على سبيل المثال يوجد بعض قصص ليست بالضرورة فى بستان الرهبان نفسه، لكن فى حياة الرهبنة، مثلاً القديس سمعان العمودى فى مبدأ حياته عندما كان صغير سنه ١٦ سنة، ربط نفسه بحبل ليف على وسطه فعندما كان يعمل ميطانيات كان الحبل ينغرز فيه حتى تعب وسطه من الميطانيات، وحدثت تقيحات كثيرة والدم كان ينزل منها، وهو أخذ الأمر على أنه إحتمال آلام الرهبنة من أجل المسيح، وفى يوم من الأيام أب الدير لاحظ عليه علامات العبوسه فأشفق عليه وقال له أنا أرى أنك أنت مغالى وأنت سنك صغير، وطريق الأباء ينصحوا الشاب الصغير أنه لازم يتدرج وأنه لا يمارس أعمال النسك الزائدة التى لا تحتملها قوته وهذا ما قاله سليمان الحكيم «لا تكن باراً بزيادة» أى أكثر مما تحتمل قوتك، فكان واقف صامت أمام أب الدير، وفى أثناء كلام أب الدير له لاحظ أن هناك دم ينزل من تحت جلبابه، فرفع الجلباب فوجد وسطه مقطوع والحبل الليف اللحم إلتف حوله ورأى التقيحات، أريد أن أقول أن هذه القصة قصة رجل قديس، لكن هذا التصرف ليس مطلوب، لا أستطيع أن أقدم هذا التصرف كتصرف نموذجى ليتعلم منه الرهبان، يربطوا وسطهم بحبل ليف ويقطعوا جسمهم، أعنى هناك تصرفات حصلت من بعض الأباء الرهبان، هى فى ذاتها تدل على فضيلة لأنه عملها من أجل الفضيلة، ولكن لا أعتبرها نموذج فى الرهبنة وأعلم بها، وأقول أن لابد للراهب أن يعمل كذلك، هذا خطأ، أو مثلاً يقولوا الراهب الفلانى لم يستحم كل أيام حياته، لا أقول أن مبدأ عدم الإستحمام مبدأ صحيح، طبعاً

لا .. المفروض الجسم يكون مفتوح المسام، فالإستحمام مطلوب، إنما ثقافة هذا الراهب فى هذا الوقت ظن أنه بهذه الطريقة يرضى الله.

وأنا أريد أن أقول شيء فيما يتصل بالرهبنة مهمة جداً فى التفريق ما بين الرهبنة الوثنية كما كانت عند الهنود والرهبنة المسيحية.

الرهبنة الوثنية كانت قائمة على مبدأ التعذيب، تعذيب الجسد لأن الجسد أساس الخطيئة، أما مبدأ الرهبنة المسيحية مبنى على ضبط الجسد، ضبط الروح والجسد، ضبط وليس تعذيب، إنما التعذيب مبدأ وثنى قائم على أساس أن الجسد أصل الخطيئة، نحن فى المسيحية لا نعتبر الجسد أصل الخطيئة، لأن القيادة فى يد الروح، ما علينا على كل حال مبدأ الرهبنة المسيحى غير قائم على مبدأ التعذيب. لكن يوجد من الأباء الرهبان مَن عذبوا أنفسهم مثل الجماعة العموديين، سمعان العمودى وغيره كان يسكن فى عمود ويرفع رجله كام سنة أو يرفع يده كام سنة، هؤلاء ليسوا معلمين فى الرهبنة لا أستطيع أن أقول إن الراهب لابد أن يعمل مثلهم. نحن فى الكنيسة نفرق ما بين القديسين وما بين الأباء وما بين المعلمين، فليس كل واحد عمل شيء الواحد يعمل مثله، المعلمين قلائل فى الكنيسة الذين أخذوا لقب معلم، مثل أثناسيوس أو ديسقوروس أو كيرلس الخ... هؤلاء معلمين، وأيضاً هناك ناس قديسين ولكن ليسوا معلمين، بمعنى لا آخذ تصرفهم قدوة، فمثلاً سمعان الخراز قلع عينه بالمخراز، هذا العمل يدل على طيبة..، وعلى أنه فهم أن المسيح يريد هذا فعمل الذى طلبه المسيح، فبلا شك أن هذا يدل على قداسة من هذه الزاوية، لكن العمل فى ذاته خطأ والتفسير خطأ ولذلك عندما أوريجينوس عمل مثل هذا الخطأ لابد أن يشلح من الكنيسة، لأن أوريجينوس علَّامة، فعندما يعمل شيء ألوف وملايين من الناس تتبعه فيها، لكن سمعان الخراز لن يتأثر به أحد، إنما عندما أُعلم فى الكنيسة لا يصح أن أقول قصة سمعان الخراز دون أن أعمل عليها التحفظ، لئلا يترتب على هذا واحد يقلع عينه، نحن لا نريد الناس تقلع عيونها، «إن أعثرتك عينك فإقلعها وإلقها عنك» ليس بهذا المعنى إطلاقاً، وإلا كان يبقى الإنسان الأعمى طاهر، قلع العين لا يحل المشكلة، لأن مصدر الخطيئة مثل ما قال السيد المسيح من القلب تصدر الأفكار الشريرة، الزنا.. وكل الخطايا من القلب، لكن الرجل لأنه رجل بسيط فى المعرفة، فالقصة عندما تمر علينا فى تاريخ الكنيسة أو تقال للناس لابد أن يكون هناك شرح، فهى تبرهن على أن الرجل كان من البساطة بحيث أنه فهم أن المسيح يريد ذلك فطبق ما قاله السيد المسيح بطريقة خاطئة، فهو قديس من أجل إستعداده أن يطبق ما أراده المسيح، لكن التصرف فى ذاته خطأ لذلك آباء الإسكيم نصحوا مع الخبرة الطويلة أن الواحد لا يدخل فى النسك مرة واحدة لابد أن يتدرج، مبدأ التدرج، ولابد أن يكون فيه مرشد لكى يمنعوا الإنسان

الناشىء أن يسير بحسب تدبيره هو أو بحسب رأيه الخاص أو بحسب استحسانه، وقالوا لابد أن يخضع لمرشد سبقه فى الطريق وأخذ خبرات، وتعلم من أخطاء، سواء من أخطائه هو أو من أخطاء الآخرين. لذلك لابد من مبدأ التدرج، وهذا مبدأ من مبادىء الرهبانية المعروفة، ليس كل الذى تجده فى الكتب أو فى بعضها فى سير الرهبان تصلح أن تكون نموذجية يقتدى بها، من الجائز أن يأخذ منها مبدأ مثلاً بساطة الشخص، أو روحانيته أو صموده أو احتماله، أو إستعداده بأن يموت من أجل المسيح، لكن التصرف فى ذاته لازم يخضع لمقياس آخر للتفسير السليم وهو تفسير معلمى الكنيسة إذا كان هذا التصرف صح أو لا.

٦- مبدأ الإعتزال:

مبدأ إعتزال العالم للتعبد، وهذا خط أساسى فى حياة الرهبنة وهو إعتزال العالم للتعبد، وفلسفة الإعتزال موجودة على نوع ما فى الكتاب المقدس عندما قال الله لإبراهيم «أخرج من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك» وكانت الأرض التى أراه إياها أرضاً صحراء جرداء، أقام فيها إبراهيم فى خيام، بينما أن لوط اختار لنفسه الأرض الخضراء، وكانت النتيجة أن لوط تعذب بخطايا الناس الموجودين فى الأرض الخضراء. وإبراهيم الذى عاش فى الأرض الصحراء نما فى الحياة الروحية نمواً عالياً فأصبح خليل الله، ما أبعد الفرق بين المستوى الروحى الذى كان لإبراهيم والمستوى الروحى الذى كان للوط، ولا شك أن البيئة التى أحاطت بإبراهيم ساعدته على أن يصل إلى هذه الروحانية التى لم يصل إليها لوط بسبب الصخب والضجيج والخطايا المحيطة به.

فيه مبدأ يقول: «طوبى للذين فى النار ولم يحترقوا» وهذا المبدأ يساء إستغلاله، ويستخدم تبريراً بأن الإنسان يبقى وسط الخطيئة، ويقولوا له ممكن أنك أنت تبقى وسط الخطيئة ومع ذلك لا تخطىء، فيه فرق بين واحد ظروفه تقتضى غصب عنه أن يكون موجود فى هذا الوسط فيضطر يصارع، وبين واحد آخر يمكن أن يخرج من هذا المكان حتى لا يقضى معظم جهده العصبى فى المقاومة للمؤثرات البيئية يهرب من هذه البيئة إلى بيئة أخرى أسهل، ليست أسهل من ناحية الفضيلة ولكن أسهل فى أنه يقدر أن يتقدم بدلاً من أن يضيع وقته وجهده وأعصابه فى المقاومة، يتخذ هذا الجهد وهذا الوقت وهذه الأعصاب فى خطوات أمامية، ومن الممكن أن يقطع مع هذه السهولة خطوات أبعد مدى مما يقطعه الإنسان الذى وضع نفسه فى البيئة الشريرة، وترك نفسه فى هذه البيئة ويقول أنا أحافظ على نفسى. صحيح ممكن أن يحافظ على نفسه ولو أنه قليلاً أن ينجح، ولكن يكون أفضل إذا أمكنه أن يخرج كلية من المكان، لأن المكان

والبيئة لها أثر عليه، قطعاً ولا شك لم يوجد بعد هذا الكائن الذى يقدر أن يزعم أن البيئة لا تؤثر عليه أى نوع من الأثر، صحيح الأثر يختلف فى الدرجة، لكن لابد للبيئة من أن يكون لها أثرها.

فكون الإنسان يخرج من البيئة إلى بيئة أخرى لا يكون فيها هذه الحرب العنيفة التى يواجهها يكون من الحكمة، من الحكمة له ومما يساعده أن ينمو أن يترك هذه البيئة.

هناك نقد خاطىء للحياة الرهبانية يقولوا أن الرهبنة هروب من الخطيئة، من قال أن الرهبنة هروب من الخطيئة؟ هى هروب فى الواقع كمرحلة أولى، هروب من البيئة التى يمكن أن تعطل الإنسان عن النمو، فبدلاً من أن يصارع يكون عنده فرصه أوسع أنه يمتد إلى الأمام ويقطع مرحلة إلى الأمام بدل أن يقضى كل وقته فى الصراع.

فمبدأ الإعتزال مبدأ أولاً موجود فى الكتاب المقدس، وصحيح أن السيد المسيح عاش فى وسط العالم، ولكن لأن المسيح كان لابد أن يعيش وسط العالم لأنه جاء من أجل رسالة مهمة، ومع ذلك اعتزل أربعين يوماً قبل أن يبدأ الخدمة، لكن عموماً نحن نجد فى الكتاب المقدس طرازين من الناس. طراز الراهب، وطراز الخادم، طراز الراهب مثل إيليا وأليشع فإيليا النبى استمر طول وقته على الجبل أو فى البرية وكان ينزل إلى العالم ليؤدى رسالة، ولذلك مظهر إيليا كان مظهر الراهب تماماً، شعره أبيض لابس ملابس قصيرة وغير مهتم بمظهره، وصفوه فى الكتاب المقدس بهذه الأوصاف التى تدل على أنه مثل أنبا نوفر وأنبا بولا وما إليهم من النساك، فى أكله وفى شربه وفى ملبسه وفى تبتله، وإنقطاعه وفى حياة التعبد وفى كل شىء وأليشع أيضاً كان فى الجبال وكان له خادم اسمه جيحزى، ولذلك أمكن لأليشع أن يصل لمراحل عالية، لأن حياة الجبال وحياة الهدوء وحياة السكون وفرت له هذه الحالة وكلنا نتذكر لما جاء جيحزى يصرخ ويقول لأليشع أن جيش ملك أرام أحاط بالجبل من كل ناحية ألوف من العساكر ومن الجنود محيطين بنا، كانوا يريدون أن يأخذوا أليشع لأنه كان يخبرملك إسرائيل بالأمور وبالخطط التى يعملها ملك أرام وهو فى مخدع فراشه، وبكل بساطة أليشع يقول: يارب افتح عينى الغلام فيرى، ياسلام على هذه العظمة الروحية، لا يصلى من أجل نفسه لأنه هو مفتوح العينين. إنما يقول افتح يارب عينى الغلام فيرى، ففتح الرب عينى الغلام، فتح العينين هذه نضع تحتها خطوط ماذا يعنى بفتح عينيه؟ عينيه كانت مفتوحة، نظره ٦على ٦ ، افتح يارب عينى الغلام فيرى، ماذا يرى؟ يرى الاهتزازات الأخرى التى لا تراها العين البشرية المجردة التى ترى لمدى محدد، فأليشع وصل إلى هذه المرحلة بالطرق الروحانية، بطريق التعبد، ويخيل إلى أنه لولا أن

أليشع توافر له السكون والعبادة والصمت فى هذا المكان البعيد عن الضوضاء والضجيج ما كان يصل إلى هذه الروحانية العالية التى فيها تتكشف له هذه الأمور العالية.

فلذلك يعد أليشع إلى جانب إيليا فى العهد القديم يمثلان طراز الرهبان، وفى العهد الجديد يمكن أن نرى يوحنا المعمدان يمثل طراز الراهب، الذى يقال عنه «وكان فى البرارى إلى يوم ظهوره لإسرائيل» من يوم أن كان عمره سنة أو بضعة شهور يوم أن هرب به أبوه إلى الهيكل هرباً من هيرودس الملك وجنوده وصرخ إلى الله يقول له أليس هذا هو الولد الذى وعدتنى به والذى أعطيتنى إياه وأنا رجل شيخ، هم يطلبوه الآن، فخطفه ملاك الرب وذهب به إلى البرية، فلما لم يجد جند هيرودس الولد الذى يبحثوا عنه ضربوا زكريا وأماتوه، ولذلك المسيح له المجد قال لهم سيأتى عليكم كل دم برىء سفكتموه على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن براخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح.

المهم أن الكتاب يقول «وكان فى البرارى إلى يوم ظهوره لإسرائيل» طبعاً ظهر لإسرائيل فى سن الـ ٣٠، فكل هذه المدة عاشها فى البرية، ومع ذلك بعد الـ ٣٠ يوحنا المعمدان لم ينزل إلى العالم، يقول «وكانت تخرج إليه الجماهير» أى أنهم هم الذين يخرجوا إليه، لذلك يوحنا المعمدان كان يمثل أيضاً فى العهد الجديد طراز الراهب. الذى يقيم فى البرارى معتزلاً، وكان يقال عن سيدنا له المجد «وكان يعتزل فى البرارى ويصلى» (لوقا ٦: ١٦).

أما طراز الخادم مثل سيدنا له المجد الذى جاء من أجل رسالة، ولابد أن يكون فى العالم من أجل هذه الرسالة، ولكن مع هذا أعطانا صورة أنه حتى الخادم يحتاج إلى أن يعتزل فى البرية فترة معينة وينزل، وحتى عندما ينزل كان يلزم تلاميذه أن يذهبوا إلى البرية، وأحياناً يلزم تلاميذه أن يسبقوه إلى العبر ويذهب ليقضى الصلاة فى الجبل بمفرده، يعرفنا أن حتى طراز الخادم وهو فى العالم يحتاج إلى فترات الهدوء والإعتزال فى البرية من وقت إلى آخر.

ومن نفس الطراز ممكن أن نعتبر بولس الرسول، لأنه بعد أن دعاه المسيح الدعوة المعروفة، ذهب إلى صحراء العرب التى فى جنوب أرض فلسطين وقضى فيها ثلاث سنين بعد الدعوة المقدسة، وفى أغلب الظن أن إشارته إلى الرؤى الروحانية كلمة آتى إلى مناظر الرب وإعلاناته أعرف إنساناً قبل ١٤ سنة فى المسيح أفى الجسد لست أعلم أم خارج الجسد لست أعلم، الله يعلم أختطف هذا إلى السماء الثالثة، أختطف إلى الفردوس، وسمع أشياء لا ينطق بها ولا يصوغ لإنسان أن يتكلم بها. فى الغالب أن تكون هذه الرؤى رآها فى الوقت الذى كان فيه فى الصحراء بعد أن دعاه المسيح الدعوة المقدسة، وقبل أن يخرج إلى الخدمة، احتاج إلى هذا الهدوء لمدة ثلاث سنين، وكذلك أشار إلى هذه الرؤى أيضاً يوحنا المعمدان عندما قال أنا لم أكن أعرفه ولكن

الذى أرسلنى قال لى الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه هو الذى يعمد بالروح القدس ونار، كلمة أنا لم أكن أعرفه، تعنى لا توجد أى معرفة جسدية عيانيه بينه وبين المسيح، فأول مرة يلتقى به فى نهر الأردن لذلك قال لم أكن أعرفه، بل كرر هذا الكلام مرتين فى إنجيل يوحنا (١: ٣١، ٣٣) يقول يوحنا المعمدان وأنا لم أكن أعرفه، لكن ليظهر لإسرائيل، ثم رجع ثانية وقال لم أكن أعرفه لكن الذى أرسلنى قال لى الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه، فكلمة الذى أرسلنى قال لى، متى هذا؟ متى كانت هذه الإرساليه، ومتى قال له الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه؟ مما يدل على أن يوحنا لابد فى البرية وفى الصحراء وفى حياة الهدوء صارت له المكاشفات الروحانية، وهذه فائدة من فوائد حياة الإعتزال التى يسعى إليها الرهبان، أنه ليس فقط الإعتزال مفيد من أجل أن يعرف ذاته ومن أجل أن يقوم ذاته، ومن أجل أن يعد ذاته للحياة الأبدية، ولكن أيضاً لأن يصل إلى هذه المكاشفات الروحانية بحيث يصير العالم الآخر مكشوفاً بالنسبة له، وهذه ما تسمى بحالة الثيئوريا، ثيئوريا كلمة يونانية معناها الرؤيا، ثيئو من الله ثيئوس، معناها يرى الله، فالرؤيا الإلهية أو الرؤيا الطوبانية، وكذلك مرقس الرسول (ثيئوريموس) الذى نسميه ناظر الإله.

فمبدأ إعتزال العالم ليس خطأ، أحياناً يصوره البعض أنه هروب من الخطيئة، هو فى الواقع ليس هروب من الخطيئة إنما هروب من المثيرات بقدر الإمكان، وهروب من البيئة التى تساعد على إمتداد الخطيئة وإنتشارها فى حياة الإنسان، وهذا أمر محمود فى ذاته لأن الإنسان بدل من أن يعيش يصارع بينه وبين البيئة هذه المصارعة لا تعطيه فرصة للإمتداد، فالهروب من البيئة يعطيه هذه الفرصة.

الأمر الثانى أنه فعلاً الإعتزال يتوافر فيه المكاشفات الروحانية نتيجة إمتداد الحياة الروحية، والإنسان يصل إلى ما يعرف بالإتحاد بالله، غير أن هذا الإتحاد إتحاد إرادة ومشيئة وليس إتحاد طبيعة.

التطور النفسى والروحى للراهب ـ مقامات الرهبنة السبعة (١)

مفهوم الموت للراهب:

يفهمون الناس الموت بالنسبة للراهب «مات عن العالم» بمعنى الموت عن الشهوات والرغبات، وهذا المفهوم خاطىء، لأن الموت عن الشهوات ينطبق على كل الناس وليس على الرهبان فقط، ففعل الإماته عن العالم والشهوات ينطبق على الكل، فالرسول يقول «فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه» (رو ٦ : ٨) . ونحن فى صلاة الساعة التاسعة نصلى فنقول «أمت حواسنا الجسمانية»، وهذه الصلاة لا يصليها الرهبان فقط بل كل الناس. ويقول الرسول أيضاً: «أميتوا أعضاءكم التى على الأرض، الزنا، النجاسة، الهوى.... » (كو ٣:٥) .

ولكن الموت بالنسبة للراهب فله مفهوم آخر واضح، فعندما يصلى على الراهب صلاة الموتى، يكون القصد الأساسى أن يحتسب أن هذا الراهب انتقل إلى الأحضان الأبدية إنتقال فعلى، يعيش فى العالم وكأنه فى العالم الآخر، فهو يشعر تماماً بأنه ترك العالم بكل معنى الترك. وهذا هو المفهوم الرهبانى القديم الذى عبر عنه الأنبا أنطونيوس أبو الرهبان، أن الرهبنة هى الخروج من العالم، وأن الراهب لا يعود إلى العالم، هذا هو المعنى الأصيل للرهبنة، يموت عن العالم بمعنى الإعتزال عنه، مبدأ الإعتزال أو البعد، هذا هو المقصود بالموت لكى يحيا فى مجتمع جديد هو مجتمع الملائكة والقديسين والعالم الغير المنظور، لذلك الأنبا أنطونيوس هو صاحب الكلمة المنسوبة إليه «أن الراهب مثل السمكة إذا خرج من الماء يموت». وهو نفسه لا يعزى إليه أنه نزل إلى العالم إلا مرتين، المرة الأولى: كانت هناك ضرورة لينزل لأنه كان هناك استشهاد للمسيحيين، فأراد أن يثبّت المسيحيين، والمرة الثانية: للجهاد ضد الأريوسية أثناء تعب واضطهاد القديس أثناسيوس الرسولى، فجاء أنطونيوس ليُثبت الناس فى الإيمان كبديل لأثناسيوس.

فالموت بالنسبة للراهب المقصود به هو العزلة التامة، أنه فعلاً يبعد ويعتزل، وبالإرادة يعتبر نفسه إنتقل إلى العالم الآخر وأنه يحيا حياة الملائكة، ويخدم خدمة الملائكة، ولذلك يقولوا «الرهبان ملائكة أرضيون وبشر سمائيون». فالصلاة على الراقدين بالنسبة للراهب معناها أنه يعيش ميتاً عن العالم، لذلك قالوا لأحد الرهبان «أبوك مات» لكى يحضر ويرثه فأجاب «ميت لا يرث ميت»، وعندما قالوا لآخر «أبوك مات أجاب صه أبى لا يموت» قاصداً بذلك أبوه السماوى.

---

(١) محاضرة فى دير القديس باخوم. بحاجر ادفو ـ مساء الأحد ١٣/١/١٩٨٠م ـ ٤ طوبة ١٦٩٦ش.

وإجابة على سؤال بكنيسة القديس يوحنا الحبيب بنجع حمادى فى ٢٧/١١/١٩٧٥ . نقلاً عن أشرطة كاسيت.

الرهبنة نقطة تحول:

الرهبنة الحقيقة أنا بأعتبرها نقطة تطور، أنا مفهومى للإنسان أنه كائن يكتسب خبرات وتعاليم، وهذا الإكتساب يزيد بتقدمه فى السن من الطفولة حتى قبل دخوله الرهبنة، وقد يكون فى هذا الإكتساب شيء من الخطأ فى بداية السن، ومع التقدم فى الخبرات يصحح هذه الأخطاء بعلمه وخبراته ويشذب ويهذب مما يكتسبه وتصير خبراته هى محصلة حياته.

فبالرهبنة الإنسان لا يستطيع أن يلغى كل خبراته فى الحياة قبل الرهبنة، وخاصة إذا كانت خبرات طيبة، وليس كل ماضى الإنسان سيء، فبالرهبنة يحدث تطور للراهب، أقصد تطور نفسى وذهنى وروحى، فإحدى أهداف الرهبنة الأساسية هى معرفة النفس، لكى يعرف أخطاؤه ونقط الضعف الموجودة عنده، لكى يستطيع أن يصححها بخبرات جديدة وبالمعارف الجديدة وبالنور الجديد الذى اكتسبه من الحياة الجديدة فى الرهبنة الذى ينور طريقه، يدخل إلى نفسه ويعرف ما فيها من قوة ومن ضعف، ثم يتقدم فى النمو فى خط صاعد متقدماً إلى الأمام.

هل من السهل أن الإنسان يلغى الماضى؟ بالطبع الرهبنة حياة جديدة وفهم جديد، ونقطة تحول جديدة، ممكن تكون تصحيح لأفكار قد تكون قديمة، لأن الماضى يحمل أشياء طيبة كثيرة جداً، وخاصه بالنسبة لطالب الرهبنة، مؤكد كان طفل نشأ فى بيئة يذهب إلى الكنيسة ويطيع والديه، مواظب على الصلاة والصوم والاعتراف والتناول، هذا الشاب دخل حياة الرهبنة، حياة جديدة كل الجدة، لكن هذا الماضى مشرف لأنه كان يسير فى طريق السماء ولو مات كان سيدخل السماء، فبالنسبة لهؤلاء عندما يدخلون الرهبنة، فالرهبنة بالنسبة له لا تكون إلغاء للماضى، ولكن تكون تطور جديد له، فيها نمو وإرتقاء وتطور فى خط صاعد إلى الأمام.

بالعكس قد يكون الماضى هو السبب فى الدخول إلى الرهبنة، فقبل أن يأتى الأنبا أرسانيوس إلى الرهبنة، كانت هناك عوامل نفسية روحية هى التى شدته إلى الرهبنة منها الزهد، زهد فى العالم وزهد فى المنصب وزهد فى المجد، فالزهد كان سابق على الرهبنة وهو الذى شده إليها، فالرهبنة طريق خاص، طريق التعبد وطريق الرياضات الروحانية العالية الذى يفترض اعتزال العالم للتعبد فى الهدوء والسكون الذى يسمح له بالصلاة بغير إنقطاع والإنحصار فى الله، والرهبنة أساساً تطور فى خط صاعد.

أولاً: تلميذ رهبنة:

ويسمى بستوس pistos Πιστος أى مؤمن حالياً يسموه العلمانى، والحقيقة أن هذا التعبير غير سليم، إنما بستوس تعنى مؤمن ـ الأخ المؤمن الذى هو تحت الرهبنة ويكون تحت

الإختبار ليختبره أباء الدير ويروا مدى محبته لله وللرهبنة ومدى طاعته واتضاعه، ويوكل إليه فى هذه الفترة بعض أعمال الخدمات بالدير ويكون تحت الملاحظة والمراقبة والتوجيه المستمر لمعرفة مدى إمكانياته وقدرته على تحمل الحياة الرهبانية، وهل هو يصلح لهذا الطريق؟.

كما أنها تكون فترة لهذا التلميذ ذاته ليختبر فيها نفسه ومدى قدرته على الصمود والسلوك فى هذا الطريق وهل هو يصلح لهذا الطريق؟، واشترطوا مدة معينة وأخر مرة تم تحديدها بثلاثة سنوات تقريباً فى عهد البابا يؤنس التاسع عشر.

ثانياً: راهب مبتدىء:

هو الشخص الذى أعطى النذور الأولية للرهبنة ويصلوا عليه صلاة الموتى ويلبس شكل الرهبنة، وهى القلنسوة والمنطقة، وتحدد له متطلبات من الناحية الروحية، منها أنه يصلى الصلوات السبعة اليومية، إلى جانب القراءات فى الكتاب المقدس والأصوام والميطانيات ٣٠٠ ميطانية، هذا إلى جانب إشتراكه فى الصلوات العامة مع الرهبان، وفى النظام الباخومى يتطلب من الراهب المبتدىء أن يشغل بثلاث نواحى:

أولاً: الصلاة ثانياً: الدراسة ثالثاً: العمل اليدوى

ويحدد له نصيبه من العمل اليدوى بحيث يكون أكثر من الصلاة وأكثر من الدراسة، خوفاً عليه أن يفشل أو يصاب بالملل، أو يصاب بالفشل. حتى الأنبا أنطونيوس يقال أنه فى بداية رهبنته علمه الملاك وقال له «شويه تصلى وشويه تجدل الخوص، بل أكثر من ذلك وضع قوانين لذلك «أن الراهب الذى لا يعمل يطرد من الدير» وحدد نوع من التنظيم فى هذا الموضوع بحيث يكون هناك حدود لكل شىء.

ونحن فى الوقت الحاضر، الراهب المبتدىء أيضاً يعطى مسئوليات بدنية أكثر من نصيبه فى الصلاة وفى القراءة.

المهم أن وقت الراهب يكون مقسم على هذه النواحى الثلاثة، على أن يكون نصيب العمل اليدوى أكثر من نصيبه فى الصلاة والقراءة. وكل ذلك تحت إرشاد أى تحت توجيه مدبر أو مرشد يتولى المسئولية عنه ويتعهده بإرشاداته الخاصة، وكانت الأديرة القديمة فى الماضى من الناحية الروحية لهم مدبر واحد. وبعد ذلك سموه أب اعتراف، فأصبح للدير أب اعتراف واحد، وكان يوصف بأنه راهب روحانى واتجاهاته سليمة، وكان شيخ مختبر ومقيم فى الدير بصفة دائمة ورئاسة الدير مطمئنة إليه. وكان ذلك يؤدى إلى عدم وجود إنقسامات فكرية لأن المدبر واحد، لأن كثرة المدبرين تعطى إختلافات فكرية بينهم فتؤدى إلى إنقسامات فكرية فى الدير.

+ وهذه الفكرة تدعونى باستمرار بأنى أدعو أن يكون للأسرة أب إعتراف واحد للأب والأم والأولاد، لأن تعدد أباء الاعتراف لأسرة واحده، لا يخدم وحدة الأسرة بل أيضاً يضر أضرار بالغة، مهما قيل عن صلاحية أباء الاعتراف.

وكان الأب المدبر فى الدير يؤخذ رأيه عن مصير أى راهب من حيث الرسامة أو غيره.

ثالثاً: العابد:

العابد عادة حسب التطور النفسى والتطور الروحى بدأ يشعر بسعادة ولذة أكثر فى إطالة الصلاة، ووصل إلى هذه الدرجة بتطور منطقى طبيعى وبدون قفزات، ولكن خطوة خطوة وتحت إشراف أب الاعتراف أصبح فى إمكانه أن يعطى وقت أطول للصلاة. فيصبح فى إمكانه أن يستمر وجوده فى القلاية أحياناً يوم كامل أو أيام، وأحياناً يستمر أسبوع كامل لا يخرج من قلايته، ومع ذلك يشعر أنه يحيا فى نعيم وتتحول القلاية بالنسبة له إلى فردوس النعيم، لأنه عرف كيف يستغل وقته بدرجه جيدة جداً، وذلك لأن تقدمه كان تقدم تدريجى وبتطور طبيعى، وينصح الأباء أنه بدون هذا التطور المنطقى تتحول القلاية بالنسبة للراهب إلى جحيم، لذلك لابد من التطور التدريجى البطىء وتحت إشراف وتدبير.

يصل الراهب العابد إلى درجة أنه يقضى أوقات طويلة فى الصلاة دون أن يحدث له ملل، ودون أن تحدث له نكسة.

إذن هذا الراهب العابد، يكون عنده وقت للدراسة أيضاً بجوار وقت العبادة، وبطبيعة الحال يكون عكوفه فى القلاية وقت أطول، فى الوقت الذى يقل عمله الجماعى فى الدير، وبالتدريج يدخل بصورة أكبر فى الصلاة التى بلا إنقطاع. يصلى فى اليوم ٧٢ مزمور إلى جانب القطع وكذلك يضرب ٣٠٠ ميطانية، والأصوام والقراءات فى الكتاب المقدس والكتب الدينية، وفترات العبادة تطول أكثر ويتقدم فى العبادة من حيث الكم ومن حيث الكيف.

رابعاً: الناسك:

كلمة ناسك كلمة يونانية معناها إسقيطس ومنها جاءت كلمة اسقيط، وأول ما قيلت قيلت عن أبو مقار لذلك قالوا إسقيط مقاريوس.

مرحلة النسك، هو أن الراهب ما يزال موجود فى الدير، ولكن يأخذ الأسكيم الذى من مقتضياته أنه يصلى الـ ١٥٠ مزمور والتسبحة، ويضرب ٥٠٠ ميطانية فى اليوم، وكذلك يقل فى الكلام بقدر الإمكان، بحيث لا يتجاوز ما يتكلم به ٧ كلمات ويمتنع عن أكل اللحوم، والطعام الرهبنة الغربية أخذت منا مبدأ الصمت وطبقوها فى بعض الرهبنات مثل رهبنة الكارمليت.

وكلمة الكارمليت مأخوذة من جبل الكارمل جبل إيليا، والذى ما يزال موجود الآن فى بلاد فلسطين، وهو بعيد عن أورشليم، والكارمليين أخذوا مبدأ يسموه مبدأ الصمت الكامل complete salons أو salons complete . ولا يسمحوا إلا للرئيس أو أحد آخر يتعامل مع الناس الذين يأتون من خارج، أن يتجاوز الـ ٧ كلمات إلى ما هو أكثر بحسب مقتضيات الخدمة، كنقطة إتصال ما بين الدير وخارج الدير، وأيضاً يوجد الرهبان الذين يسمون tarpest هؤلاء أيضاً مارسوا الصمت إلى جانب إمتناعهم عن أكل اللحوم وسمحوا بأكل السمك.

الراهب الناسك يلبس ما يعرف بالإسكيم، ومن الناحية الشكلية الإسكيم يكون فيه ١٢ صليب. ويمارس التسبحة ليس فى الكنيسة فقط ولكن فى القلاية. ويشغل كل وقته وبنظام فينتقل من المزامير إلى الميطانيات إلى التسبحة إلى قراءة الكتاب المقدس إلى قراءة الكتب الروحية، فيصير لا يوجد عنده وقت إطلاقاً لأن كل وقته مشغول، وهذا يعطيه الإحساس أن اليوم يمر عليه بسرعة وسهولة.

فى هذه المرحلة الأكل يقل أيضاً، ويبتدأ أن لا يكون عنده رغبة إلى شيء معين أو لذة معينة أو طعام من نوع معين، فيحتقر كل هذه الأشياء ويقل إهتمامه بشكلية الطبخ ويصبح أى أكل فى صورته البسيطة يقنع به. ولا يهتم بالكمية، أقل كمية تكفيه ونوع واحد يكفى.

وبعض الرهبان يكتفى بأكلة واحدة فى اليوم، بدون تفريق بين أيام الصوم وأيام الفطار، طبعاً فيه رهبان نموا فى الصوم فكانوا يصوموا أيام، الأنبا موسى الأسود وقت أن كان لص كان يأكل خروف فى الأكلة وكان يشرب زقين من الخمر، وعندما ترهبن أراد أن يصوم صوم الرهبان فلم يسمح له أب الدير، فأمر أنه يقطع جزء من جزع شجرة، ويوزن كل يوم ويعطى طعام على قدر وزنه، وطبعاً هذا الجزء من الشجرة يجف كل يوم عن اليوم السابق، وبذلك يقل الطعام تدريجياً، ومن رحمة أب الدير به لم ينزله إلى درجة الحرمان مرة واحدة حتى لا يضار جسدياً أو روحياً، حتى جاء الوقت الذى كان فيه القديس الأنبا موسى يصوم إنقطاعى، وبدأ يزود فترات الإنقطاع حتى وصل أنه كان يصوم أسبوع بأكمله وأحياناً أسبوعين، والقديس أبو مقار كان يصوم أربعين يوم، وكذلك مقاريوس الأسكندرى، كان يقال أن أبو مقار كان لا يأكل إلا يوم السبت نوع من الأوراق الخضراء مثل الخص، كل هذه الأصوام لم يصلوا إليها إلا بالتدريج خطوة خطوة. حتى لو كان فيه شاب راهب ويقسو على نفسه بالصوم كانوا يحذروه من الغرور، لذلك كان لابد أن الراهب يسيرعلى مبدأ، هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى يسير بالتدرج، وهنا أهمية الشيخ المختبر الذى عنده معرفة فى قيادة النفوس، فى أن يقود تلميذه قيادة ناجحة مفلحة لا تضره لاجسدياً وصحياً، أو روحياً بأن يصاب بضربة يمينية أو بضربة شمالية.

وكان أيضاً يقلل من الشراب ويقلل أيضاً من النوم ليدخل فى مراحل الصفاء، وهى السيطرة الكاملة على الجسد وإعطاء الروح المجالات الواسعة الخاصة بها.

خامساً: المتوحد:

المتوحد مر بهذه المراحل السابقة جميعاً، فترك مرحلة العبادة إلى ما هو أقوى منها، وترك مرحلة النسك إلى ما هو أبعد منها، فتزداد درجة العبادة عنده ثم يغلق على نفسه سواء أكان داخل الدير، أو خارج الدير فى مغارة أو قلاية أو صومعة بعيدة عن الدير ويعيش متوحداً، قد تمرعليه شهوراً لا يرى فيها إنساناً، وأحياناً يعيش داخل الديرعشرات السنوات لا يرى فيها باب الدير، وأحياناً يترك الدير نهائياً إلى ما يعرف بالبرية الجوانية.

مرحلة المتوحد هى مرحلة الراهب على الحقيقة واسمها موناخوس Μοναχος

بالقبطى واليونانى وموناخوس معناها واحد أو متوحد، وهو المعنى القبطى القديم والمعروف للرهبنة، وهو رهبنة التوحد أو طريق التوحد. ونظام الأنبا باخوميوس هو نظام الشركة كان المقصود منه أنه طريق متوسط يؤدى إلى حياة التوحد، هو نظام يساعد الراهب خطوة خطوة وحتى يوصله إلى حياة التوحد. وهذا المتوحد يلبس المنطقة والإسكيم وهى كلمة يونانية وهذا الإسكيم من ١٢ صليب وله إلتزامات روحية منها ضرب ٥٠٠ ميطانية ويقنع بالقليل من الطعام وتزيد فترات الإنقطاع ويقلل من الكلام بقدر الإمكان حتى يعطى فرصة للتأمل الباطنى، ويصلى ١٥٠ مزمور يقسمها على اليوم كله، ويقنع بالقليل جداً من الطعام ومن الشراب، ويمكن أن يكتفى بالأعشاب التى يجدها فى الجبال، كالأنبا بولا الذى كان يعيش على البلح ونصف رغيف يومياً، فيكتفى بالأكل على صورته الطبيعية كما يجده فى الطبيعة، لأنه لا يوجد عنده وقت ليضيعه فى الطبخ، وعادة لا يصل هذه المرحلة إلا بعد سن الخمسين، وإذا أراد أحد الرهبان الصغار أن يدخل هذه الدرجة، يخاف عليه المرشدين الكبار المختبرين، ويمنعوه خوفاً أن يصاب بالغرور، وحتى يصل إلى درجة النضج حتى لا يتعثر ويرجع إلى الوراء.

يمكن لهذا المتوحد أن تقل الدراسة والعمل اليدوى عنده، ولكن الجزء الأكبر من وقته منصرف إلى التعبد.

سادساً: السياحة:

وهى تنقسم إلى مرحلتين: (أ) السياحة الجسدية:

ومعنى السياحة الجسدية، أى أن الراهب يصل إلى درجة من التطور الروحى أن لا يرتبط بقنيه أو بمكان، فمن كثرة زهده صار لا يحس أبداً أنه يملك شىء معين، فيعيش التجرد من

القنيه والمكان، ويفقد بالتدريج إحساسه أو إهتمامه بالإقتناء، ويغالى فى ذلك بحيث لا يكون له شىء إطلاقاً خاص به، كوب أو طبق أو قلاية أو مكان أو أى شىء اطلاقاً.

أنا رأيت فى دير الأنبا أنطونيوس راهب، سمعت أخيراً أنه تنيح، كان اسمه أبونا يسطس، هذا الراهب قلايته لا تجد فيها شىء إطلاقاً، جالس على الأرض، لا كرسى ولا باب ولا كوب ولا طبق ولا صورة، ولا سجادة، فكان مثل أيوب الصديق بعد التجارب، ومنظرغريب جداً، راهب فى القرن العشرين ويمارس هذه الحياة القاسية، لا يملك شىء، أنا رأيت القلاية لا يوجد بها شىء إطلاقاً. هذا النوع هو السياحة التى تنحل فيه الارتباط بالإقتناء، وليست له رغبة إطلاقاً فى أن يقتنى شىء، ويدوس على هذه الناحية، ويتطور فيها حتى يصبح ليس له شىء، لا يهمه أن يملك أو أن يأخذ أو لا يأخذ، وتموت فيه هذه الناحية بهذه الصورة، كذلك لا يكون له إرتباط إطلاقاً بالمكان، ولذلك يسيح بمعنى يتحرك فى أى مكان ويمارس ما قاله بولس الرسول عن المكابيين «تائهين فى البرارى والجبال، وفى جلود غنم وجلود ماعز معتازين مكروبين....». هؤلاء الرهبان يمارسوا درجة هذه السياحة عملياً، بمعنى أنه يتيه فى البرية فلا يرتبط بالبقاء فى مكان معين، إنما يترك هذا المكان إلى آخر ثم إلى غيره، حتى لا يشعر أبداً أن هناك شىء يشده إلى مكان معين أو رابطة تربطه بمكان، طبعاً هذه قسوة شديدة جداً جداً على الطبيعة البشرية، ولا يمكن أن يصلوا إليها الأباء مرة واحدة، فهى تحتاج إلى جهاد روحى ليتغلب على غريزة التملك الموجودة فيه ولابد من تطور باطنى مع زمن طويل، ولذلك يقال أن الرهبان فى هذه الدرجة عادة يكونوا عاشوا فى التوحد لا يقل عن ٥٠ سنة، طبعاً جايز تلاقى أمثلة من بعض السواح أقل من ذلك مثل الأنبا ميصائيل وغيره.

إذن السواح يكونوا من الشيوخ الذين انحلت منهم رابطة القنية ورابطة المكان، هذا من الناحية الجسدية.

(ب) السياحة الروحية:

أما المعنى الآخر من السياحة فهو السياحة الروحية، وهو أنه من كثرة روح العبادة أو التعبد يصير الراهب فى حالة شخوص فى الله، أى فى تأملات مستمرة فى الله، أى يصبح ذهنه سائح، أى خارج عن الدنيا، وعن العالم الحاضر إلى عالم آخر، العالم العقلانى والعالم الروحانى والعالم السماوى، عالم الملائكة والقديسين، فيصبح التأمل العقلى والتأمل الفكرى والروحى يشغلوا أكثر وقته، فكأنه فى العالم وهو ليس فى العالم، وذلك لأن ذهنه وعقله يكون مشدود خارج نطاق الحياة المادية. فيسيح بين التأملات والمفاهيم الروحية العالية الراقية، التى ترفعه على مستوى

الحياة الحاضرة، وهذه لا يصل إليها الراهب إلا بعد خبرات طويلة وتمرس ومران، وتصل به إلى هذا النوع من التأمل العالى لكى يصل إلى المرحلة السابعة مرحلة الثيئوريا.

سابعاً: الرؤية الإلهية (الثيئوريا).

الثيئوريا أى الرؤية فى الله أو ناظر الله، فترتفع روحانية الراهب **وتملأ الروح جسمه، ويتعدى نشاط الروح هذا الجسد**، كما يخرج النورمن جسم اللمبة، وهذه المرحلة توصف بمرحلة الإتحاد.

وهى مرحلة متصلة بالمرحلة السابقة، أو هى إمتداد وتطور لها، فيحدث ما نسميه بالثيئوريا وهى من كلمة ثيئوس وهى الله، وهى الرؤية الإلهية أو الرؤية الطوبانية والسائح فى هذه المرحلة يصل إلى مرحلة ما يمكن أن نسميه الإتحاد بينه وبين الله، وهذا الإتحاد ليس إتحاد طبيعة، إنما إتحاد إرادة ومشيئة، بمعنى أنه لا يصير الإنسان واحداً مع الله فى الطبيعة لأن هذا مستحيل، ولكن الإتحاد هنا بمعنى أنه تصبح إرادة الله إرادة الراهب ومشيئة الله مشيئة الراهب، وينعدم الفارق بين المشيئة الإلهية ومشيئة الراهب، أو إرادة الله وإرادة الراهب، فلا يوجد إختلاف أو تعارض بين إرادة الله وإرادة الراهب. أو بلغه أخرى **تسقط عن الراهب كل رغبة شخصية أو كل شهوة، ولا أقصد الشهوات العامة لأن الراهب المفروض أنه ارتفع فوقها، إنما الشهوة بمعنى حتى الشهوات الصالحة يسقطها أمام الإرادة الإلهية**، فيصير لا إرادة له غير إرادة الله، فبإرادته يسقط إرادته فى إرادة الله وبمشيئته يسلم لله مشيئته، هذه حالات قال عنها القديس اغسطينوس «مر بما تريد وافعل ما تأمر به» أى أصبح ليس له رغبة خاصة فى شىء إنما يسقط هذه الرغبة أمام إرادة الله.

وهنا يكون هذا الراهب وصل إلى ما عبر عنه بولس الرسول «لا أحيا أنا، بل المسيح يحيا فى» وهذه المرحلة يسموها مرحلة الفناء والبقاء بعد الفناء، والفناء أى أن الراهب يفنى عن ذاته فتنعدم الذاتية والآنية عنده وبذلك يصل إلى البقاء، فلا يبقى هو بل المسيح يبقى فيه.

فى هذه المرحلة وهى مرحلة الإتحاد بالله تصير له المناظر الروحية والرؤى الطوبانية، وهذا ما قال عنه بولس الرسول «آتى إلى مناظر الرب وإعلاناته، أعرف إنساناً فى الجسد لست أعلم، خارج الجسد لست أعلم اختطف هذا إلى السماء الثالثة، واختطف إلى الفردوس، وسمع أشياء لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن ينطق بها، وفى مرة أخرى يقول «أخذت فى غيبة، فما هى الغيبة؟ هو عدم الإحساس بوجوده الجسدانى على الأرض فيحدث له إختطاف وإنجذاب

روحانى، أى أن روحه رغم أنها مرتبطة بالجسد، وكأنها خرجت منه تنظر المناظر الروحانية والرؤى الطوبانية فى السماء. وهو بذلك يصل إلى حالة فيها لا يشعر الراهب بجسده، فيحدث له إختطاف عقلى أو إنجذاب فكرى، لدرجة أنه يصير مشدود تماماً فلا يدرى بجسده حياً كان أو ميتاً، فلو مر إنسان أمامه لا يراه، لو حدث صوت لا يسمعه، يصير عاجزاً عن السماع، وهذه المرحلة وصل إليها بعض الأباء الذين وصلوا إلى مرحلة السياحة المتأخرة، وهذا ما عبر عنه يوحنا الرسول «كنت فى الروح فى يوم الرب» ماذا تعنى كنت فى الروح؟ تعنى أنه كان غرقان فى الروح، الإمتصاص فى الروح أو الروحنه، نفس الجسد يتروحن أى تسقط عنه كل متطلباته ويصير الإنسان كأنه روح بلاجسد. ما أسهل أن نقول هذا الكلام، ولكن لكى يصل الراهب إلى هذه المرحلة، لابد من كثير من المجاهدات الطويلة والصبر والنسك حتى يتحول الجسد من طبيعته الترابية وميوله الأرضية، إلى روح من حيث طهارته ونقاوته وصفاءه، ومن حيث قدرته على أن يستشف ما وراء المادة وعلى أن يعاين الله.

وهذا لا يحدث إلا بعد الصفاء الشديد الذى به تنير نفسه من الداخل إنارة باطنية كبيرة جداً، ويصبح له كشاف داخلى يستطيع أن يكشف له زوايا نفسه وضعفاتها، وفى نفس الوقت يستطيع أن يكشف مستقبل الأمور كما قال سيدنا له المجد «إن الروح القدس يذكركم بكل ما قلته لكم، ويعلمكم كل شىء، ويخبركم بأمور آتيه» فبالنسبة للماضى يذكر وبالنسبة للحاضر يعلم وبالنسبة للمستقبل يخبر بأمور آتيه، هؤلاء الناس يوصلوا إلى هذه المرحلة التى فيها الكشاف الداخلى، أو عمل الميرون أو مسحة الروح القدس، تصير لامعة جداً وقوية جداً بفضل العبادات والرياضات الروحية، وهذه ما يسموها حالة الإنارة الباطنية. وهنا السياحة بالمعنى الروحى، ثم يدخل فى مجمع القديسين بعد أن ترك المجمع الكبير فى العالم، ودخل فى مجمع الرهبان، ثم يدخل مجمع القديسين فى العالم الآخر والسواح الموجودين فى أماكن متشعبة.

هؤلاء العمالقة يصلوا لناحية أخرى، وهى إنعدام العداوة بينه وبين الوحوش، فلا تؤذيه الوحوش، ولا تفترسه، وهذا بعكس المبتدئين ذو القامة الروحية البسيطة، عندما يحاولوا أن يحاكوا هؤلاء العمالقة، ويخرجوا فى البرارى تأكلهم الوحوش، هذا إلى جوار أنه يصيبهم الأمراض للإنتقال المفاجىء من حياة العالم إلى حياة الصحراء القاسية فى الحر والبرد وخلافه، هذا إلى جانب أن هذا يحتاج تدريب كثير، ولذلك الأنبا باخوميوس وضع نظام الشركة رحمة بهؤلاء المبتدئين، ولأنه من الصعب أن ينتقل الإنسان فجأة من المجتمع الكبير إلى حياة التوحد المطلق، التى عاش فيها قلة من الرهبان الممتازين مثل الأنبا أنطونيوس والأنبا بولا أول السواح

والأنبا باخوميوس والأنبا شنوده رئيس المتوحدين، والأنبا بيشوى وأبو مقار وما إليهم من كبار الروحانيين والقديس مرقس ونسميه ناظر الإله وكذلك الأنبا رويس ويسموه الثيوفينوس أو أنبا فريج، الحقيقة كانت حياته عجيبة الشكل، رجل يبيع الملح ولكن كان له خبرات طويلة فى الحياة الروحية بحيث أنه فعلاً تصير له المكاشفات الروحية كبيرة جداً، ويحدث له إختطاف، وهذا الإختطاف من صفات الرهبان المتوحدين السواح، الذين يحدث لهم ليس فقط إختطاف عقلى بل أيضاً اختطاف جسدى، لأن أجسادهم تكون خفيفة، والروح تكون مسيطرة على الجسد، فتستطيع أن تنقل الجسد طبعاً هذا مع الإرادة الإلهية والصلوات، كما حدث مع فيلبس الرسول الذى وجد فى أشدود، وكما حدث مع حبقوق النبى الذى اختطف إلى دانيال النبى بالأكل الذى أعده حبقوق ليأكل منه دانيال، هذا الإختطاف موجود فى الكتاب المقدس، وموجود فى حياة القديسين والروحانيين الذى يحدث لهم إختطاف، خصوصاً عندما يكونوا محتاجين إلى التناول من الأسرار المقدسة، وربما يكونوا فى البرية الجوانية فيختطفوا إلى الكنائس المهجورة أو الكنائس القديمة الموجودة تحت المساجد، وفى غير الأوقات العادية ويعملوا القداسات ويتناولوا.

الأنبا شنوده رئيس المتوحدين كانت له مكاشفات روحانية غير عادية، يوجد مخطوط عن حياته بقلم تلميذه ويصا، وكان يخرج الأنبا شنوده إلى مغارة بعيدة عن الدير ويعيش فيها فترات طويلة وكان يوصى ويصا، لو أى أحد طلبنى لا تحضر لى اتركنى فى وحدتى، وفى مرة بعد ما غادر الأنبا شنوده الدير حضر جماعة من ايطاليا وبلاد الغرب، وطلبوا أن يقابلوا الأنبا شنوده للضرورة، فقال لهم ويصا غير ممكن، وهم أيضاً قالوا غير ممكن نرجع بدون أن نراه، نحن حضرنا من مسافة بعيدة والأمر يحتاج له وبعضهم بكى، واستمروا عدة أيام ولما ويصا رأى هذا الوضع اضطر أن يذهب للأنبا شنوده وهو خائف من غضبه عليه، ولما وصل المغارة لم يستطع أن يدخل عليه، فابتدأ يدورحول المغارة، وفى أثناء دورانه حول المغارة رأى من إحدى فتحات المغارة نور غير عادى، فانجذب للرؤية فرأى مناظر روحانية جميلة جداً، رأى إيليا النبى وأليشع وكثير من القديسين وملائكة كثيرة، وسمع محادثات على مستوى غير عادى، ونسى نفسه ونسى المهمة التى حضر من أجلها. وبعدما اختفت المناظر ذهب إلى باب المغارة وقال للأنبا شنوده أغابى، والأنبا شنوده غضب عليه وقال له لماذا حضرت؟ فعمل ميطانية واستسمحه وقال سامحنى... وفى النهاية قبل الأنبا شنوده الإعتذار، وفى أثناء العودة قال له يا معلمى أنا أتيحت لى أن أرى هذه المناظر الروحانية ماهذه؟ فزجره الأنبا شنوده وقال له لماذا تنظر، فقال

له يا معلمى أنا كنت خايف منك وكنت أدور حول المغارة فوجدت الفتحة، فوصاه أن لا يقول لأحد. وقال له، هذه أشياء يرسلها لنا الله للتعزية والتقوية والتشجيع، وهم راجعين نظر سلم من الأرض إلى السماء شبيه بسلم يعقوب، وشاف معلمه الأنبا شنوده صعد فوق السلم فصعد وراءه، فلما صعد رأى ما يسمى بكنيسة الأبكار، ووجد قداس ورأى القديس بولس الرسول يقرأ البولس وبطرس الرسول يقرأ الكاثوليكون ومتى الرسول يقرأ الإنجيل، المخطوط يقول هذا، وتناولوا من الأسرار المقدسة وأعطوا الأنبا شنوده تفاحة والأنبا ويصا تفاحة. لا نعرف هذه التفاحة من أى نوع، المهم فعلاً شيء غير سهل إن الواحد يقسو على نفسه بهذه الصورة ويعيش هذه الحياة المملوءة شظف وضيق وتعب وموت إلا إذا كان فيها هذا النعيم.

الرهبنة هى الوصول إلى الأصول(١)

طريق الرهبنة هو الطريق الصاعد إلى الله. فالراهب مع الرياضات الروحية حسب المستويات التى تكلموا عنها الأباء الروحانيين، الصوم من جهة وخصوصاً الصوم بحكمة والصوم بتدرج، وليس بإفتعال لأن كل شيء بالإفتعال تكون نتيجته غير حسنة.

عن طريق الصوم وعن طريق التأملات والرياضات العليا، ورفع العقل كما نقول فى القداس ارفعوا عقولكم، رفع العقل المستمر والتأمل والشخوص المستمر فى الله وفى الحياة الروحانية، وفى الصورة التى خلقنا عليها، كثرة التأمل فى هذه الصورة تجعل الصورة تنطبع فى القلب، ثم يزداد الربط ما بين الإنسان وبين هذه الصورة، وكلما نظر الإنسان إلى الله وكانت الكاميرا فى يده جيدة ومضبوطة، وقادر على التحكم فى الكاميرا بأعصاب هادئة وغير مشدودة، كلما انطبعت الصورة فى القلب واضحة تماماً.

فنحن كبشر خلقنا على صورة الله ومثاله، ولكن صورتنا بالخطيئة فسدت، فلم نعد فى نفس الصورة التى خلقنا الله عليها، فالعبادة فى العهد الجديد والرياضات الروحية القصد منها أنها تردنا مرة ثانية إلى الصورة الأصلية التى خلقنا عليها، وفى هذه الحالة صورة الله تنطبع فينا وتصير هناك مطابقة إلى حد ما بين الإنسان وبين الله.

القصد من الرياضات الروحية:

القصد من الرياضات الروحية هى الوصول إلى هذه المطابقة بين الإنسان والله، لأننا مدعوين إلى الكمال «كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل»، «ونظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة» لذلك يعوزنا أن يحملق الإنسان طويلاً فى الله لأجل أن تنطبع صورته، يحملق ولا يهتز ولا ينحرف بنظره يميناً أو شمالاً حتى تخرج الصورة مضبوطة، وبهذه الطريقة نصل للعلاقة المباشرة بين الإنسان بالحق المستقيم الذى يربط الإنسان بالله مباشرة.

الحقيقة هذا هو هدف الرهبنة الأصلى كما فهمه أباء الرهبنة الذين يسموهم أباء الإسكيم، فالرهبنة ليست هرباً من الخطيئة، أو هرباً من مسئوليات الحياة أو مسئوليات الزواج أو مسئوليات الأولاد أو مسئوليات الوظيفة، أو نتيجة فشل فى العلاقات الإجتماعية مع الناس ومع الرؤساء أو مع الزملاء أو مع المرءوسين. لأنه لو حدث شيء من ذلك يصبح هذا الإنسان مريض نفسياً،

---

(١) حديث مع رهبان دير مارمينا العجائبى يوم ١٩٧٧/١١/٢٩ ـ نقلاً عن شريط كاسيت.

ومع الأسف يحدث فى بعض الأحيان أو فى كثير من الأحيان،واحد يكون مريض نفسياً ولا يستطيع أن يضبط علاقته مع الناس بنجاح، فيقول أنا أصل دعوتى هى دعوة للرهبنة، وكل هذا التأويل خاطىء لأن هذا الإنسان مريض وليس علاجه أن يسلك فى طريق الرهبنة، لم يقل أحد أن الرهبنة ملاذاً لكل من يهرب من المواجهة مع المجتمع، إنما الرهبنة هدفها الأكبر هو مطاردة المثل الأعلى للحصول عليه، الجرى وراء المثل الأعلى، محاولة الوصول إلى الكمال وإلى القداسة التى نحن مدعوين لها. هؤلاء الأشخاص المدعوين يروا أن الكلام مع الناس يعطلهم، وأنه لو عمل فى أى وظيفة من وظائف العالم ستأخذ وقته وجهده، فيفضل أن يعطى وقته كله لله.

والحقيقة لو الإنسان حسب عمره ومقدار ما قدمه لله، سيجد وقت محدود وقليل جداً، فالإنسان مثلاً عمره ٧٠ أو ٨٠ سنة، عندما أعمل حسابى الوقت الذى أصرفه فى الوظيفة وفى علاقاتى مع الناس سأجد أنه لا يتبقى شىء، أنا مرة زمان أيام الشباب المبكر كنت ٣٥ سنة، أتذكر أنى أنا كنت أسير فى شارع اسمه عبد العزيز بجوارالعتبة، فوجدت محل موبيليا ولفت نظرى يافطة كبيرة، مكتوب عليها هل تعلم أنك تقضى نصف حياتك على السرير؟ الرجل بيعمل إعلان عن السرير، أنا فى الحقيقة انزعجت، نص حياتى على السرير، ولكن لما فكرت لقيت إن أكثر من النص، ومعروف فى كل العالم أن فى فترة الشباب المفروض أن ينام فى حدود ٨ ساعات، وعندما نحسب أيام الطفولة وأيام المرض ولا يخلو حياة الإنسان من مرض، وأيام الشيخوخة، قد يصل ما ينامه الإنسان أكثر من ١٥ ساعة يومياً، فتصور إنك أنت عندما تصل فى السن ٧٠ سنة تجد أنك نمت أكثر من ٤٠ سنة من الـ ٧٠ سنة، أو ربما تصل إلى ٥٠ سنة. ماذا يبقى لك من عمرك؟ ٢٠ سنة تقضى منها فى الأكل والإعداد له والعمل والعلاقات مع الناس والراحة، ماذا يتبقى لله ؟ ماذا يتبقى لبناء الحياة الروحية التى عليها يتوقف الحياة الأبدية؟ مصير الإنسان فى الحياة الأخرى يتوقف على حياتنا! فإخوانا العقلاء منا أو الروحيين رأوا أنه من الأفضل أن يصرف الباقى من حياته لله، فيعطى حياته ووقته وأعصابه وفكره للرب.

فالهدف الأساسى للرهبنة كما فهمونا الروحانيين، الذين شقوا الطريق قبلنا، هدفهم ليس هدف سلبى مجرد كراهية الناس!! لو كانت الرهبنة للراهب هروب من مسئوليات الحياة أو فشل فتصير هذه حالة مرضية، وتظل هذه الحالة مختفية وكامنة فى الشخص مدة وجوده داخل الدير، حتى يخرج من الدير ويجد الإيثارات القديمة، وهؤلاء هم الأشخاص الذين بهم تشقى الكنيسة، عندما يجىء وقت من الأوقات ويكونوا فى الرئاسات الكهنوتية، أمثال هؤلاء الأشخاص الذين أصلاً كانوا مرضى، وكانوا يحتاجوا إلى العلاج فلم يجدوا العلاج، وهربوا إلى طريق الرهبنة واختفت

هذه الأمراض فيهم مؤقتاً، وظنوا أن هذا الإختفاء المؤقت معناه أنهم وصلوا إلى حالة روحانية عالية، بعد أن أصبحوا فى الرهبنة، فيقولوا نحن الآن أصبحنا روحانيين، وعندما يرجعوا إلى العالم يظهر فيهم أعراض المرض من جديد، إذن لابد أن الإنسان يفحص نفسه قبل أن يدخل الرهبنة، لماذا أنا داخل الرهبنة؟ هل داخل الرهبنة هرباً من الزواج ؟ هل داخل الرهبنة هرباً من تبعات الأولاد؟ هل هرباً من العلاقات الإجتماعية؟ هل أنا اخترت الرهبنة لأنها طريق الكمال؟ لكى أقضى حياتى الباقية كلها مع ربنا، لكى أدخر وأهيىء نفسى للحياة الأبدية. الإنسان عندما يكون مسافر إلى الخارج، يستمر فترة قبل السفر يجهز نفسه لهذه الرحلة، فالحقيقة هذا السؤال يلح على فكرنا، نحن كلنا مسافرين، ما الذى صنعناه إستعداداً لهذه الرحلة؟ لذلك الأباء الروحانيين وضعوا أرجلهم على بداية الطريق بالرهبنة، وبمجرد فحصهم وجدوا أن نيتهم بقصد الرهبنة طاهرة وأنهم يهدفوا إلى الكمال، فابتدأوا يستعدوا ويجهزوا أنفسهم للرحلة.

لماذا صلاة الموتى على الراهب:

وأول خطوة فى طريق الرهبنة هو الموت، الموت إرادياً ومعنوياً، ومن هنا جاءت فكرة أن يصلوا عليهم صلاة الموتى، وهو ليس طقس ظاهرى، وإنما رغبة الشخص أن يعتبر نفسه أنه بدخوله للرهبنة قد انتقل للحياة الأخرى، لكن لماذا الراهب يصلوا عليه صلاة الموتى؟ أعتقد أنه السبب الأساسى وراء هذا الطقس، هو أولاً أن الراهب وضع فى ذهنه أنه مات فعلاً بمعنى دخل إلى العالم الآخر. فأصبحت صلته الخارجية بالعالم انتهت، وأنه دخل فى الحياة الأخرى، وأنه يجهز نفسه لهذه العملية، فالصلاة على الموتى معناها أنه دخل فعلاً إلى العالم الآخر، فالدخول فى الرهبنة معناها دخول فى العالم الآخر، ولذلك الرهبنة فى واقع الأمر من جهة هى مطاردة للكمال والجرى وراء القداسة، وأيضاً دخول فى العالم الآخر، وهذا يحتاج لقطع الصلة بالعالم وعدم العودة إليه، ومن هنا جاءت فكرة أنبا أنطونيوس عندما قال أن الراهب إذا نزل إلى العالم مثل السمكة التى تخرج من البحر تموت، فحياة السمكة أن تكون فى الماء، طالما هى فى الماء تظل حية تتحرك، لو خرجت من هذا الماء تموت. هذا الكلام الذى قاله الأنبا أنطونيوس كان حريص عليه جداً ، ولذلك الأنبا أنطونيوس لم ينزل إلى العالم إلا ثلاثة مرات لمهمة، ورجع بعدها مباشرة.

فى الكنيسة طرازين من الأباء:

الحقيقة فكر الرهبنة القبطية الأصيل هو أن الواحد يدخل فى الرياضات الروحية، للوصول إلى المراقى العالية التى وصل إليها الأباء العظام الكبار، ولكن إذا رجع الإنسان إلى العالم يصير الدير بالنسبة له خلوة، فكل خادم يحتاج للخلوة، لكن فرق بين أن تكون الخلوة مجرد خلوة

للتنشيط الروحى، يعود بعدها الإنسان إلى العمل وإلى الخدمة، وبين أن تكون الخلوة منهج للراهب فى الحياة. فى الرهبنة القبطية الأصيلة، الرهبنة أو البقاء فى الدير أو فى الصومعة هو المنهج، ولذلك عندنا طرازين من الرجال، طراز الذين دخلوا فى الصحراء لفترة معينة، ورجعوا إلى الخدمة مرة أخرى فى العالم، هؤلاء هم طراز الخدام لكن ليسوا طراز الرهبان، وعلى رأس هؤلاء سيدنا له المجد، المسيح، لأنه لم يكن ممكناً للمسيح وقد جاء إلى العالم من أجل رساله أن يبقى فى الصحراء، فذهب إلى الصحراء أو إلى الجبل ٤٠ يوم، لذلك أصبح تقليد فى الكنيسة أن الخادم الكاهن بعد رسامته، يذهب إلى الدير مثلما ذهب المسيح بعد حلول الروح القدس، واستمر ٤٠ يوم ونسميها الخلوة الأربعينية، بولس الرسول لم يكن ممكناً أن يكون راهب !! لأنه رسول والرسول لابد أن يخدم فى وسط العالم، إنما ذهب إلى صحراء العرب التى فى جنوب فلسطين التى سماها العربية واستمر هناك ٣ سنين وهذه المدة هى التى رأى فيها المناظر الروحانية، لكن هناك طراز آخر هو طراز إيليا وأليشع ويوحنا المعمدان، هذا طريق الرهبان، إيليا طول وقته فى الجبل لا ينزل إلا ليؤدى رسالة بتكليف من الله، ينزل يقول لآخاب كلمتين ويرجع مرة أخرى، إنما حياته بإستمرار أمام الله، لذلك يقول «حى هو الرب الذى أنا واقف أمامه» تعبير عميق جداً، وأليشع النبى طول وقته فى الجبل ينزل ليؤدى رسالة، ولذلك أليشع النبى بسبب هذه الروحانية العالية التى بلغها فى الجبل كان مكشوف العينين، يوحنا المعمدان يقول «وكان فى البرارى إلى يوم ظهوره لإسرائيل» ويوم أن ظهر لإسرائيل لم ينزل هو إلى العالم، ولكن الجماهيركانت تذهب إليه، يقول «كانوا يخرجون إليه» لكن نزل يوم أن أمر هيرودس أن يقبض عليه ويوضع فى السجن، نزل بالقوة.

الكنيسة محتاجة إلى هذين الطرازين والإثنين يكملا بعض، ليسا ضداً لبعض، والكنيسة فى حاجة إلى هؤلاء وإلى أولئك، وأنا أضرب مثل لأبين الفرق بين الأثنين وكيف أن الأثنين يكملا بعضاً، بالعالِم والمعلِم، فنحن فى المدرسة نحتاج إلى المعلم، المعلم هو الذى يشرح الدرس، وعنده موهبة خاصة كيف يشرح الدرس ويقرب الدرس للتلاميذ، إنما المعلم أو المدرس قبل شرح الدرس يحتاج تحضير للدرس، فيقرأ الدرس من كتاب أو كتب كتبها علماء، والعلماء يحتاجوا البعد عن العالم والوجود الإنسانى والعكوف على العلم مثل نيوتن وداروِن، وكيف كانا منفصلين إنفصالاً كلياً عن العلاقات الإجتماعية. فيه قصة تذكر عن نيوتن أنه كان من كثرة إندماجه فى الدراسات فى المعمل أو فى المكان الذى يعمل فيه أنه كان ينسى أن يأكل أو يشرب، لدرجة أن زوجته دخلت عليه مرة ليفطر، فأحضرت له بيضه ليفطر بها، وأحضرت له وابور سبرتو وكسرولة ليسلق البيضة، وتركته، فمن كثرة مشغوليته وضع الساعة فى الكسرولة على النار،

وترك البيضة واستمر فى عمله، وبعد فترة طويلة حضرت زوجته لترفع بقايا البيضة فوجدت الساعة فى الكسرولة والماء يغلى، هذا يعطى الفرق بين العالِم والمعلم، العالم إنسان يعكف على العلم وعلى الدرس وعلى العمل فى المعمل لكى يصل إلى الأصول، وليس إلى المعرفة العامة، إلى أصول المعرفة، لذلك يتوصلوا إلى نظريات ويتوصلوا إلى قوانين، ويتوصلوا إلى كشوف وإلى اختراعات وإلى حقائق يأخذها الناس من طراز المعلمين ليشرحوها للناس فى الخارج.

المجتمع لابد له من هذا ولابد له من ذاك، نحن لا نحتقر هذا ولا نحتقر ذاك، لابد للعالم من العلماء ولابد للعالم من المعلمين، الإثنين يكملا بعض لكن لا نقدر أن نقول أنه يجب أن كل الناس يكونوا معلمين، هناك بعض الناس يقولون «الرهبان دفنوا أنفسهم» مثل موسهيم المؤرخ البروتستانتى كتب تعليق على الأنبا أنطونيوس سخيف جداً «يقول عاش عيشه لا تليق إلا بالحيوان» يتكلم بهذا الكلام على الأنبا أنطونيوس، الذى الأرض وما عليها لا تستحق وطأة من قدم الأنبا أنطونيوس كما قالوا الأباء. بعض الناس يقولوا دفنوا أنفسهم ماذا استفاد، الرجل الذى دفن نفسه (الأنبا أنطونيوس) نحن حتى الآن نعيش على خبرات هذا الرجل، وعلى العمق الروحانى الذى وصل إليه، وهكذا آخرون من الأباء العظام. فهناك من تكون دعوته أن يكون عالم وآخر دعوته أن يكون معلم، ولكن نادراً أن الإنسان يجمع مابين الإثنين.

الوصول إلى الأصول:

فكرة الرهبنة أساساً هى فكرة الوصول إلى الأصول الدينية، ولذلك الكتب أو الخبرات التى كتبوها كبار الرهبان، سواء كتبوها أو نقلوها شفهياً لتلاميذهم والذين عاشوا عليها وكانت بالنسبة لهم تراث، تراث وتقليد تسلموه وعاشوا عليه وأنفاس تنسموها وانتعشت بها حياتهم، هؤلاء الناس قبل أن يكتبوا شىء أو يتتلمذ عليهم أحد وصلوا إلى أصول المعرفة الروحية، ولذلك هؤلاء الناس وصلوا إلى يقينية دينية لاتقدر قوة أنها تنزعها منهم لأنهم وصلوا إلى الجذور، وأصبح الدين عندهم لم يبنى على معلومات سمعوها من فلان أو غيره أو قرأوها فى كتاب، ولكنهم كما قال عنهم بولس الرسول دخلوا إلى الطول والعرض والعمق، معرفة المسيح لها طول ولها عرض ولها عمق، هناك أشخاص تقف على المشارف من الخارج «لكن هناك أشخاص يدخلوا إلى الطول وإلى العرض وإلى العمق، ليصلوا إلى ما يعرف بالقامة الكاملة للمسيح لأنه المثل الأعلى لنا، لا ليعرف عن المسيح، أو يعرف المسيح، أو لكى يعرف عن الحياة الروحية، لكن لكى يدخل فى الحياة الروحية الدخول الحقيقى ويدخل الدين إلى أعماق نفسه، يدخل مع الدم ومع الشرايين ومع الأعصاب، ويصبح الدين كيانه ويصبح طبيعته ولا تستطيع بأى حال من الأحوال أن تفصل الدين أو الحياة الروحية عنه، ويصبح هو الدين والدين هو، وهذا هو المفروض الحقيقة أن

يكون فى رجل الدين، ما هو رجل الدين؟ هو الدين، أنظر إلى رجل الدين وأقول هذا هو الدين، لأنه حدث إندماج بينه وبين الدين، فأصبح الدين بالنسبه له طبيعته، وعندما أحب أن أعرف الدين أنظرلرجل الدين، لأن الدين بدون رجال الدين يصير شيء مجرد، والناس لا يفهمون الدين مجردا عن رجال الدين، الدين حاجة ظاهرة لكن لا يمكن أن تظهر للناس إلا متجسدة فى رجل الدين. ويقال عن قس بن ساعده أنه كان أسقف، وكان أحد الشعراء المسيحيين يشرب الخمر، وكان هذا الأسقف كبير السن، وكان يناقش الشاعر بشدة وأخذ ينهره وخاصه بعد أن كلمه عدة مرات، ولم يستجب الشاعر للنصيحة، وكان يمسك عصا فرفعها ليضرب الأسقف، فجرى الأسقف فرآه الناس يجرى فقالوا «أرجل شيخ يجرى!! هذا هو الدين»، لم يقولوا رجل الدين بل قالوا هو الدين، فيجب ألا يكون هناك فصل بين الدين ورجل الدين، مفروض أن رجل الدين يكون هو الدين أنظر له أتعلم منه، عيونه تكلمنى عن الدين، صوته يكلمنى عن الدين، خطوته تكلمنى عن الدين، كل شيء فيه يكلمنى عن الدين، هو الدين متجسداً، فالحقيقة الرهبنة فى عمقها، معناها تحويل هذا الشخص (الراهب) من كثرة إندماجة فى الحياة الروحية وعكوفة عليها وتفرغه وإنقطاعه وامتصاصه لها، من كثرة هذا الإمتصاص يصبح هو والدين طبيعة واحدة، ويصبح هو الدين وهو رجل الدين. والإنسان ينظر إليه ويقول هذا هو الدين، كان هناك شخص أمريكى غنى، والدين بالنسبة له ظاهرة إجتماعية، فقال أنا أقوم برحلة أدرس فيها ظاهرة الدين، فالرجل مجرد باحث أو رحالة، رجل غنى مليونير وعنده وقت فقام برحلة حول العالم كله وكتب عن الرحلة ثلاث مجلدات، وكتب جملة قالها فى آخر الكتاب قال «أنا وجدت الدين ظاهرة، وفى كثير من الأماكن إسماً على غير مسمى، ولكنى وجدته فى صعيد مصر» كان من تدبير الله أنه رأى الأنبا إبرآم أسقف الفيوم، لذلك قال أنه وجد الدين فى صعيد مصر، وقصد الأنبا إبرآم بالذات. لأنه كان الذى ينظر له يقول هو الدين، مرة أخرى واحد كاتب انجليزى اسمه leader كتب كتاب بعنوان the modern sons of the faros (أبناء الفراعين المحدثين) قصد بهم الأقباط، فى آخر الكتاب كتب فصل بأكمله عن القديس الأنبا إبرآم اسقف الفيوم، ويقول أنى قابلت فى فرنسا إمرأه قالت لى أن هناك أسقف فى مصر يحيا الحياة الرسولية على أصولها هو الأنبا أبرأم. فيقول اشتقت أن أحضر إلى مصر وأقابل الأنبا إبرآم، وعلى طريقته الغربية بعد وصوله مصر، طلب من الأقباط خصوصاً الذين يعرفوا إنجليزى أنهم يهيئوا له فرصة هذا اللقاء، ولكن الأقباط تملصوا من ذلك، لأن أنبا إبرآم كان رجل بسيط وفى بساطته لا يعطى الصورة الجميلة الموجودة عند رجال الدين فى أوربا للأساقفة والمطارنة والباباوات، وجدوا المطرانية قذرة، والأثاث فيها هالك فقالوا نحن سنفضح أنفسنا، وكان معروف فى زمن أنبا إبرآم أهل الفيوم كانوا متضايقين جداً من حياة الأنبا إبرآم، اليوم نحن نمجد الأنبا إبرآم، لكن

وقت أن كان الأنبا إبرآم موجود، كان كثير من الناس تخجل منه، وكان هناك أشخاص تشتكى منه، واشتكوه للأنبا كيرلس الخامس إلى آخره، المهم قال الرجل أنا أحسست أن الأقباط يتملصوا، ففهم الرجل بإحساسه، أنهم لا يودون أن يأخذ ميعاد، فقال بطريقتى الخاصة أنا ذهبت ودخلت على الرجل أنا وزوجتى، يقول وجدته «جالسا على دكة خشبية وتحت منه فروة، لكنى وجدته جالسا على عرش الروحانية، انظر التعبير، جالسا على عرش الروحانية، الرجل الغلبان الذى يجلس على دكة خشبية، يقول وأنا داخل عليه وجدته جالسا على عرش الروحانية، ثم يقول أنا وزوجتى ركعنا أمامه ليصلى علينا، فصلى علينا صلاة لا أعرف منها شيئا، هل هى بالقبطية أو بالعربية، فصلى علينا صلاة طويلة ولكنى أنا أحسست أنى أخذت شيئا ما، ما هو .... أنا لا أفهمه، لكنى شعرت نفسيا وروحيا أنى أخذت الشيء الذى يسموه البركة، بينما أنى لم أفهم كلمة مما يقوله، وخرج الرجل يشعر بإحساس عميق جدا قربه إلى الله وقربه إلى الحياة الروحية.

أنا أود أن أقول أن فكرة الرهبنة أساسا، هى أن الإنسان يندمج فى الله مثل ما قال ماراسحق «الإنحلال عن الكل للاتحاد بالواحد» فالواحد من كثرة ما أعطى وقته يندمج هذا الإندماج الذى يقود إلى أنه يمتص الإلهيات ويمتص الروحانيات وتدخل فى نسيج جسمه كله، لو أردنا أن نضرب مثلا نقول يصير مثل الحبر الذى يدخل فى النشافة، يدخل فى نسيجها لو أردت تمسحه لا يمكن، لا يوجد أى أستيكة تقدر تطلع الحبر الذى دخل داخل نسيج النشافة، الأستيكة تقطع النشافة لكن لا يمكن تطلع الحبر.

فهؤلاء الناس يدخلوا الحياة الروحية ويندمجوا فيها وتدخل هى فيهم، وتصبح من طبيعتهم وعندما تنظر إليه تجد نظرته روحية، تجد إشعاعات خارجة منه، من دون أن يتكلم، طاقة مغناطيسية تجذب كل الناس الذين يقعوا فى المجال المغناطيسى الخاص به، كان هيرودس يهاب يوحنا، هيرودس الملك الكبير يهاب يوحنا، ويوحنا لا صاحب عزة ولا صاحب سعادة ولا صاحب أسلحة، رجل غلبان وفقير، يلبس منطقة من جلد على حقويه،لكن هيرودس الذى قتل ابنه وقتل أخوه وقتل أخته، واغتصب زوجة أخوه فيلبس وهو حى، هذا الرجل الطاغية السفاح يهاب يوحنا، عالما أنه رجل بار وقديس، ضريبة القديسين على الناس، الهيبة الروحانية، لا نقصد الهيبة التى يمكن للواحد أن يخضع للرئيس لكن قد لا يحترمه، هنا الفرق بين الخضوع والإحترام، فرق بين هذه الهيبة التى كان يحسها هيرودس وهو رجل طاغية ويشعر بها نحو يوحنا، وبين أى نوع آخر من الخضوع الذى يخضع به أى واحد لرئيسه، لأنه دائما الإحترام يتجه إلى الفضيلة التى يجدها الإنسان فى هذا الشخص ولا يجدها فى نفسه، فكان هيرودس يهاب يوحنا.

الجماعة الروحانيين الذين يرغبون فى الوصول إلى الأصول، فى المعرفة الروحية ويتعمقوها لا لكى يتكلموا عنها ولكن لكى يشبعوا ويرتوا، ولذلك يعيشوا فى سعادة روحية وفكرية، السعادة التى عبر عنها أرسطو وسماها اللذة العقلية، هؤلاء الناس يعيشوا فى سعادة على الأرض، يعيشوا فى السماء وهم على الأرض. يعيشوا فى السماء ليس لأجل المناظر الروحانية التى يروها، ولكن لأجل اللذات الروحانية. القديس غريغوريوس الثيولوغوس عندما ترك مسئولياته وذهب للرهبنة وعاش فى المغارة مع الحيات والعقارب والثعابين يقول: «لو علم الذين ضايقونى أية لذات أعيش فيها لعلموا أن بمضايقتهم لى خدمونى» انظر بدلاً من أن يسخط ويتضايق ويجلس يتذكر الآلام والمضايقات التى قابلها من هؤلاء الناس، يقول لو علم الذين ضايقونى أية لذات أعيش فيها، لو علموا أن بمضايقتهم لى خدمونى.

ففلسفة الرهبنة وعمق الرهبنة هنا أنه يدخل هذه الأعماق ويعرف الأصول أو يدخل إلى الأصول، يدخل إلى الطول والعرض والعمق، هو نفسه سيحس بسعادة ولذة لا يعبر عنها، لذة روحانية عقلية تفوق أى شعور آخر باللذة، وبعد ذلك يبقى هو راسخ فى الإيمان وراسخ فى العقيدة وراسخ فى المعرفة الروحية ويبقى عقله وفكره وحواسه كلها معلقة فى السماء، يعيش فى السماء وهو على الأرض، فيوم أن ينحل منه الجسد لا يصنع معه فرق أبدا، لا عنده فرق بين الموت وبين الحياة، لأن مثل ما قال الرسول الموت ربح، أمثال هؤلاء لا يفرقون بين الموت والحياة، إنعدم هذا الفارق، ولذلك ساعة الموت أو ما يسمى بالموت بالنسبة لهم تبقى وجوههم مشرقة وفرحين وسعداء، لأن عيونهم مكشوفة وشايفين ما هو فوق وما هو تحت وما حولهم، ويحضر القديسين والملائكة والعذراء يأخذونهم فى موكب عظيم، فيكون الواحد وهو على الأرض مواطن فى السماء لأنه أخذ جنسية السماء وهو على الأرض، عنده تأشيرة الخروج وتأشيرة الدخول جاهزة فى جيبه، ويستطيع أن يسافر فى أى وقت، لا أحد يستطيع أن يمنعه، الطريق سهل أمامه.

هل الرهبنة إبداع مصرى؟

الرهبنة - الرَهبانِيّة - الرُهبانِيّة

نظام تعبدى خاص لمجموعة من الناس ارتضيت لنفسها أن تعيش فى عزله عن ضوضاء الحياة العامة وصخبها، كلفاً بالهدوء الذى يتيح لها التأمل، وفحص الضمير، ومحاسبة النفس، والصلاة العميقة الطويلة، والتعبد بغير شاغل أو عائق. وبهذا يبلغ العابد تدريجياً إلى مقامات روحانية عالية، فتنكشف روحه على مستويات ومفاهيم عميقة، ما كان له أن يتوصل إليها من غير تلك العزلة الخصيبة، وذلك السكون المنتج الفعال.

معنى كلمة راهب.

ولعل التعبير العربى (**رُهبان**) وهو جمع (**راهب**) مشتق من **الرهبة**، أو الجزع الذى يتولى ذلك الطراز من العباد عندما يدخل فى مرحلة فحص الضمير، وامتحان النفس ومعرفتها على حقيقتها، وخصوصاً عندما يصل إلى بعض الإشراق الباطنى، ويشرف على مرحلة الشخوص فى الأنوار العلية، **فتتولاه (رهبه) وجزع**. ومن آيات ذلك ما قاله أحد الأنبياء (فقلت ويل لى قد هلكت لأنى رجل دنس الشفتين وأنا مقيم بين شعب دنسى الشفاه، **لأن عينى قد رأتا الملك رب الجنود**) (إشعياء ٦: ٥). أى أن الراهب خائف الله، وهذا الخوف يدعوه أن يجمل نفسه بالفضائل ويدعوه أن يعطى لهذه الناحية أهمية حتى أنه يكرس حياته لها وينعزل، فى مكان نائى بعيد لكى يحيا حياة معينة فيها يصحح أخطاؤه ويبنى حياته بناءاً روحياً يتناسب مع إنسان خائف الله.

على أن التعبير القبطى غير العربى الذى يستخدم للدلاله على الراهب هو ⲙⲟⲛⲁⲭⲟⲥ (موناخوس) من اليونانية μοναχός ومنه اشتقت الكلمة اللاتينية monáchus ، والكلمة الانجليزية monk والكلمة الفرنسية moine والألمانية Mónch وغيرها فى اللغات الأخرى، وكلها بمعنى(**المتوحد**) أى المنفرد بنفسه، ذلك لأن الراهب بالمعنى الدقيق هو (**المتوحد**) الذى **اعتزل الناس ليحيا منفرداً** من غير زوجة وأولاد، وبعيداً عن المجتمع الكبير ليتهيأ له الوقت الكافى **لينمو باطنياً وروحياً**، فالمعنى الأساسى لكلمة الراهب، هو الإنسان الذى يحيا فريداً فى عزلة عن العالم، فى مكان يهدأ فيه إلى نفسه ويدخل إلى أعماق نفسه، يربى نفسه تربية معينة، ويعتبر أنه يريد أن يحيا فى السماء وهو على الأرض، وأيضاً أن يخدم الله خدمة الملائكة وهى الخدمة التعبدية. مثله فى ذلك مثل العالم أو الباحث الذى يعتزل الناس والأهل

ويعكف على الدرس والبحث عكوفاً متصلاً، فيبلغ إلى أصول العلم، ويكتشف نظريات وقوانين ما كان يمكنه أن يتوصل إليها لو أنه لم ينعزل فى معمله أو مكتبه باحثاً ومنقباً.

ومع أن العزلة عن الناس عسيرة على الكثيرين، بل تبدو عند بعض الناس مستحيلة حتى لقد قال أرسطو الفيلسوف (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م) لا يمكن لأحد من الناس أن يعيش بعيداً عن المجتمع إلا من كان دون الطبيعة البشرية أو فوق مستواها.

هناك فرق بين التبتل مع وجود الإنسان فى العالم، وبين إعتزال العالم، وهو الفرق فى الحقيقة بين التبتل وبين الرهبنة، الرهبنة هى إعتزال العالم، يترك المجتمع الكبير ويذهب إلى المجتمع الصغير وهو مجتمع الدير، وأحياناً بعد ما يبلغ مرحلة العابد والناسك والمتوحد يترك أيضاً الدير ويسكن فى مغارة بمفرده ليمارس حياة التعبد والوحدة. هذه هى الثلاث العناصر الأساسية فى حياة الراهب.

لكن تاريخ الرهبنة من جهة، وتاريخ العلم من جهة أخرى، أثبتا:

(١) **أن هذه العزلة ممكنة لقلة ممتازة من الناس** قد ارتفعت فوق السلوك البشرى، وسمت بغرائزها فوق مستوى الإنسان العادى.

(٢) **أن هذه العزلة ضرورية** أيضاً للبلوغ إلى المستويات الروحانية والعلمية الرفيعة.

(٣) ثم هى **عزلة نافعة للمجتمع الإنسانى الكبير**، ففيها خير عظيم هو فى نهاية الأمر عائد على المجتمع أو المجموع الإنسانى كله.

عناصر الرهبانية الثلاثة

اولاً ـ اعتزال العالم للتعبد:

فالرهبنة عزلة عن الناس وعكوف على الصلاة العميقة بلا إنقطاع والعبادة الحارة والقراءة والدرس والتأمل.

ليست الرهبانية إذن كما يظنها بعض الناس هرباً من مسئوليات الحياة العامة، أو فراراً من مواجهة المواقف الإنفعالية بنجاح سوى، وليست هى نوعاً من السلوك السلبى، وإلا كانت سلوكاً مرضياً.

إن الرهبانية الحقة ليست شيئاً من هذا كله. **إنها تفرغ للتعبد وإنقطاع للرياضات الروحية والعقلانية، وانصراف للتأمل والدرس والتصوف وخلود إلى السكون**

الخصيب، والوجود الدائم فى حضرة الله، والشخوص فيه، والاتحاد به بوصفه المحبوب الأول والمعشوق الأول.

ثانياً ـ نذر التبتل لله:

والرهبنة كما تقتضى العزلة عن الناس فى صحراء أو فى دير أو فى صومعه (جبل أو مكان مرتفع يسكنه الراهب أو المتعبد قصد الانفراد) **تقتضى نذر التبتل لله.**

والبُتولَةُ أو البتُولِّية هى حياة العُزبَة أو العُزوبَة الأختيارية مدى الحياة، فيؤثر الراغب فيها عدم الزواج، لا هرباً من مسئوليات الزواج، وتبعات الزوجة (أو الزوج) والأولاد، ولا كراهية للمرأة (أو للرجل) والأولاد، ولكن إيثاراً منه أو منها لحياة أفضل، كلفاً بالعفة والعفاف وإنصرافاً إلى الإهتمام الكلى بخدمة الله وعبادته على نحو خدمة الملائكة وعبادتهم لله، **ولكى يكون مقدساً كله نفساً وروحاً وجسداً.** فالرهبنة ليست مجرد العزوبة أو ترك الزواج، **إنما هى التبتل مع طهارة الروح والجسد.**

والبتول على الحقيقة هو من اتسعت نظرته إلى الأسرة، فلم يعد يشغل نفسه بالأسرة بمعناها الضيق المحدود المكون من زوجة وأولاد، وإنما هو من وهب حياته لله وليكون فى خدمة الأسرة البشرية بمعناها الواسع الكبير، خدمة المجموع الإنسانى كله فيما هو يخدم الله بعبادته، خدمة الملائكة القديسين فى السماء وعلى الأرض.

ولا معنى لادّعاء بعض الناس أن فى البتولية قضاء على الجنس البشرى، لأنه من الواضح أنها طريق لقله من الناس لا لجميع الناس. وقد قال السيد المسيح له المجد (ليس الجميع يقبلون هذا الكلام، وإنما الموهبون فقط) (متى ١٩: ١١).

على أنه ينبغى أن نضيف هنا أنه يمكن أيضاً **لمن ترمل أن يصير راهباً إذا أراد،** بشرط أن يبقى بغير زواج، بل يمكن كذلك لمن تزوج وقرينه حى أن يصير راهباً بشرط موافقة قرينه على ذلك، مثل الأنبا أمونيوس صاحب الرهبنة المعروفة برهبنة أمون كان متزوج الزواج البتولى ١٨ سنة قبل الرهبنة. فيذهب الرجل إلى دير للرجال، وتذهب المرأة إلى ديرللنساء. **ومن دون هذه الموافقة بين الطرفين لا يجوز شرعاً لأحد الطرفين أن يترك الآخر.**

ثالثاً ـ اختيار الفقرُ طوعاً أو عن طواعية:

وأما اختيار الفقر فعن طواعية محبة فى الله جل اسمه، نتيجة طبيعية لمن زهد زُخرُفَ الحياة الدنيا وصدف عن أباطيلها، وارتضى أن يزيل من طريقه محبة المال التى تعيق المتعلقين بها

عن طريق الله، وتريك حياتهم فلا يقدرون أن ينصرفوا إلى الله انصرافاً تاماً. لهذا اشترطت قوانين الرهبنة أن يؤثر الراغب فى الرهبنة حياة الفقر الاختيارى، حتى يقنع بحياة الكفاف ويعيش من عمل يديه. فإذا كان له عقار باعه ووزع ثمنه على الفقراء والمساكين قبل أن يعتزل فى الدير. وإذا كان له مال أنفقه فى وجوه الخير عملاً بقول السيد المسيح له المجد (**إن أردت أن تكون كاملاً** فأذهب وبع ما تملك وأعط الفقراء، فتقتنى لك كنز فى السماء وتعال أتبعنى) (متى ١٩: ٢١). ومن هنا سميت الرهبنة بـ (**طريق الكمال**).

وقد نصت قوانين الرهبنة على أن الراهب إذا توافر له بعض المال من تعب يديه، فإن هذا المال يصير ملكاً للدير (أو للكنيسة) من بعد حياته، إذ الراهب قد مات عن العالم بإيثاره واختياره. **ومن كان ميتاً لا يرث ولا يورث، ولا يملك لنفسه شيئاً**. إنه قد وهب حياته كلها لله، فلا يليق بمن وهب أثمن ما لديه، وهو حياته، أن يتعلق بالتافه الزائل. وقد قيل مرة لراهب إن قريباً له غنياً قد مات فله أن يرثه، فأجاب قائله متسائلاً: (ومتى مات؟) فقال له: منذ سنه. فقال الراهب: لكنى أنا قد مت عن العالم منذ سنوات طويلة، فكيف لميت أن يرث ميتاً؟...

وليس صحيحاً ما يزعمه بعض الناس أحياناً، من أن الرهبنة طريق الذين لجأوا إلى الدير هرباً من أكلاف الحياة، أو لكى يتخلصوا من دفع الضرائب. فتاريخ الرهبنة الطويل ينبئنا عن كثيرين منهم كانوا من ذوى الثراء وفى أسمى المناصب،ومع ذلك زهدوا فى الثراء والمناصب الرفيعة وآثروا الفقر مع التعبد.

ويكفى أن نذكر على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، **القديس أنطونيوس الكبير** المسمى بأبى الرهبان (٢٥١ ـ ٣٥٦)م فقد كان غنياً، يملك أكثر من ثلاثمائة فدان من أجود الأراضى فى الصعيد فى قمن العروس، باعها ووزع ثمنها على الفقراء ثم اعتزل فى الصحراء يصلى ويتعبد ، بعد أن سمع فى الكنيسة قول المسيح له المجد فى الإنجيل (**إن أردت أن تكون كاملاً** فاذهب وبع ما تملك وأعط الفقراء، فتقتنى لك كنزاً فى السماء وتعال اتبعنى) (متى ١٩:٢١).

والقديس باخوم أو باخوميوس ⲡⲁϧⲱⲙ (٢٨٨ ـ ٣٤٨) أبو الشركة هو أيضاً كان قائداً فى الجيش اعتزل منصبه الكبير وترهب.

والقديس أرسانيوس الكبير ARSENIUS (٣٩٤ ـ ٤٤٥)م والمعروف بأنه معلم أولاد الملوك كان ابن أحد قضاة روما، مثقفاً بالثقافتين اليونانية والرومانية وعين أستاذاً لابنى الأمبراطور ثيئودوسيوس الكبير (٣٧٩ ـ ٣٩٥)م هونوريوس HONORIUS واركاديوس ARCADIUS ، وكان يحيا فى قصر الأمبراطور حياة ترف ونعيم، وصار من أكابر مملكته،

وكان إذا ركب الملك يركب ارسانيوس على مقربة منه، وصار لأرسانيوس عبيد وخدم، وكان له ألف غلام من ذوى المناطق الموشاة بالذهب، وكان يجلس وينام على البرفير والحرير... لكنه زهد فى كل مظاهر الترف والنعيم، وآثر طريق الكمال، وجاء إلى مصر، إلى إسقيط وبرية القديس مقاريوس فى وادى النطرون، وتتلمذ على يد القديس مقاريوس، وصار راهباً عابداً.

والقديسان مكسيموس وأخوه دوماديوس، كانا ابنى الأمبراطور الرومانى فالنتينيانوس VALENTINIANUS الأول (٣٢١ ـ ٣٧٥م)، وكان أبوهما فى أوج مجده وقوته يوم أن تركا قصر أبيهما وجاءا إلى مصر، مؤثرين حياة التعبد والسكون فى صحراء مصر ـ فى وادى النطرون، وبعد حياتهما صار الدير يعرف باسمهما وهو الذى يدعى دير البراموس Παρωμαιος أى الرومانيان مكسيموس ودوماديوس.

والقديس مارمينا العجائبى (٢٨٥ ـ ٣٠٩)م كان ابناً لحاكم مريوط (فى محافظة البحيرة على بحيرة مريوط) فى أوج مجدها وعظمتها.

والقديس (كاراس) السائح كان شقيق الملك ثيئودوسيوس الكبير (٣٤٩ ـ ٣٩٥) ترهب فى برية شيهيت بوادى النطرون.

والقديسة الشهيدة دميانه فى عهد ديوقليديانوس Diocletianus (٢٨٤ ـ ٣٠٥) فى القرن الثالث كان أبوها حاكماً لإقليم البرلّس والزعفرانه ووادى السيسبان، والفرما بسيناء).

والقديس يوحنا صاحب الإنجيل الذهب كان ابناً لملك.

والقديسة ايلارية ابنة الامبراطور زينون zenon (٤٧٤ ـ ٤٩١) وقد ترهبت فى زمن القديس مقاريوس فى صومعة منفردة بوادى النطرون بعد أن تزيت بزى الرجال واتخذت اسم الراهب (ايلارى).

وغير هؤلاء وأولئك كثيرون ممن كانوا أغنياء وعظماء **تركوا كل شىء، وآثروا حياة النسك وسكنوا فى البرارى وشقوق الأرض وفى المغارات، حباً فى الوحدة والهدوء والتأمل والسكون.**

تلك هى عناصر الرهبنة: (١) **الاعتزال عن صخب الحياة وضجيجها** فى صحراء أو فى دير أو فى مغارة أو صومعة بقصد التعبد فى سكون وهدوء...

(٢) **ونذر التبتل لله.** (٣) **واختيار الفقر طواعية** وعن رضى قلبى زهداً وحباً فى الله.

ولكن هناك عنصر رابع ولكنه عنصر إضافى وهو **مبدأ الطاعة**، يدخل الدير وعنده طاعة كاملة للرئاسة فى الدير أو القائمين على الدير، بحيث أنه لا يدخل ليقترح، إنما يدخل ليخضع لنظام معين أى يكون خاضع تمام الخضوع للنظام الموجود فى الدير.

الرهبنة لا تُعلم ولكن الرهبنة استعداد داخلى وهذا الاستعداد ينمو بإستمرار. هذا الإستعداد يجده الإنسان فى نفسه مثل المواهب، فيجد الإنسان عنده إستعداد طبيعى للرهبنة، فيجد عنده هذا الميل واضح فى حياته، الذى ينمو حتى يصل لمرحلة فيها يشعر تماماً أنه يكون سعيد تمام السعادة لو أنه خرج من العالم، وعاش هذه الحياة، نوع من الفرح القلبى الداخلى يصل لمرحلة الإمتلاء بالروح. أى أنه يمتلىء بمحبة هذا الطريق بحيث أنه لا يبقى فراغ فى نفسه لشىء آخر، ولا يكون عنده أى إغراء للطريق الآخر، فتصير نفسه صادقة تماماً عن طريق الزواج وطريق الحياة فى العالم، ويكون ميالاً بسعادة باطنية إلى حياة الرهبنة ولا يكون مدفوع لها بعامل خارجى، إنما مدفوع لها بعامل باطنى وهذه هى علامات الدعوة.

نُظُم الرهبانية

أولاً - نظام العُبَّاد المتوحدين:

وهم يعيشون متفرقين فى الصحارى والجبال، يحيا كل منهم فى مغارة أو كهف متبعاً نظاماً خاصاً به فى صلاته وصومه وعبادته وتأملاته.

وهذا هو النظام الأول الذى سار عليه الرهبان الأوائل ومن أشهر من عرفوا به، الأنبا بولا السائح، والأنبا أنطونيوس، وكل كبار الرهبان، ومنهم الأنبا بلامون، والأنبا شنوده المعروف برئيس المتوحدين فى القرن الرابع والخامس، ثم الأنبا باخوم أو باخوميوس وهو واضع نظام الشركة بالنسبة للرهبان الذين تبعوه، عاش هو نفسه على نظام العباد المتوحدين، وكانت له مغارته الخاصة بعيدة عن الدير.

ويتألف من مجموعة المغارات المتناثرة ما يعرف **بالدير**. ولم يكن يضم هذه المغارات آنذاك سور واحد، وإنما كان الأنبا أو أب الدير أو رئيسه يتفقد أولاده الرهبان واحداً واحداً يرشدهم ويوجههم، ويسأل عن سلامتهم، ويجيب على أسئلتهم والدير بهذا المعنى يسمى monastère - Monastery μοναστήριον Монастиріон - ومعناه المكان الذى يضم مجموعة مغارات متناثرة، كل منها وحدة - μονα μόνα -μονή مستقلة قائمة بذاتها.

ثانيا ـ نظام الشركة أو الرهبانية الاشتراكية:

وهو نظام يحيا تبعاً له **مجموعة من الرهبان حياة اشتراكية، ويخضعون لنظام صارم دقيق موحد: فى يقظتهم، ونومهم، وصلواتهم، وأصوامهم، وطعامهم، واجتماعاتهم، وعملهم. إنهم يعيشون معاً**، وكل منهم عضو فى هذا المجتمع الاشتراكى التعاونى، له حقوق وعليه التزامات. ولا يسمح لأحد أن يخرج من النظام العام المرسوم. ومن يخرج عليه توقع عليه عقوبة صارمة رادعة. ولكل منهم عمله بحسب ميله واستعداده وفقاً لاحتياجات الدير وناموسه. وللدير وظائف فنية وأخرى إدارية يعهد بها للأكفاء القادرين. وعلى الباقين أن يحترموا النظام ويخضعوا لكل صاحب اختصاص، ويتعاونوا معه.

هذا النظام التعاونى الاشتراكى وضع قوانينه **الأنبا باخوم** (نحو ٣٤٦)م، وقد عُرف باسمه، ولذلك سمى الأنبا باخوم بـ (أبى الشركة) Coenobitic Christian monasticism fellowship, Communion, associdion, partnership κοινωνια

والحق أن هذا النظام مشتق من **الاشتراكية المسيحية** التى ظهرت واضحة فى الكنيسة المسيحية الأولى كما جاء فى سفر أعمال الرسل: **(وكان جميع الذين آمنوا متضامنين وكان كل مالديهم مشتركاً بينهم...)** (وكان جماعة المؤمنين قلباً واحداً وروحاً واحدة، **فلم يكن أى منهم يقول إن شيئاً من أمواله يخصه وحده، بل كان كل شىء مشتركاً بينهم...** فلم يكن فيهم أحد محتاجاً، لأن كل الذين كانوا يملكون حقولاً أو بيوتاً كانوا يبيعونها، ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أقدام الرسل، فيوزعون لكل واحد قدر احتياجه) (أعمال الرسل ٢: ٤٤)، (٤: ٣٢، ٣٣).

وهذا النظام الاشتراكى، أو نظام الشركة هو النظام **الذى تسير عليه الآن جميع الأديرة فى مصر، وهو النظام الذى اقتبسه منها الأديرة فى كل بلاد الغرب**، ويسمى الدير بموجب هذا النظام Cloitre - das Kloster - Colister وهو نظام أسهل وأيسر من نظام التوحد الذى سار ويسير عليه كبار العباد والنساك والسواح، وهو يمثل **طريقاً وسطاً** بين الحياة العامة فى العالم، وحياة التوحد المطلق، كما يعد ممراً بين الحياتين يسهل معه للراغب فى حياة التوحد المطلق أن يتدرج إليها تدرجاً طبيعياً من دون افتعال أو عنت ومشقة... وإن أكثر المتوحدين صاروا يبدأون بنظام الشركة قبل أن ينتهوا إلى نظام التوحد. فالراهب يبدأ حياته فى مجتمع الدير على النظام الاشتراكى، ويمكنه بعد فترة من الزمان تحت قيادة مرشد حكيم، أن يترك هذا النظام وينفرد فى مغارة متوحداً على نظام النساك والمتوحدين.

درجات الرهبانية

والرهبنة طريق طويل يبدأ بالرغبة الملحة فى طريق الكمال ويهدف فى نهايته إلى (الاتحاد بالله).

والراغب فى الطريق يسير فى جهاد منظم تحت إرشاد معلم فى الفضيلة وشيخ للطريق، يتدرج به من خطوة إلى خطوة تختلف مدتها وفقاً لاستعداد الراهب، ومدى طاعته وتنفيذه لتعليمات مرشده ودرجة جده واجتهاده.

فيبدأ فى مرحلة (تلميذ للرهبنة) πιστος pistos أى (مؤمن) وفى الغرب يسمى no-vice ثم ينتقل منها إلى ٢- (راهب) ثم ٣- (عابد) ثم ٤- (ناسك) ثم ٥- (متوحد) ثم ٦- (سائح)، ٧. وأخيراً يبلغ إلى مقام (الرؤيا الطوبانية) وهى مرحلة الشخوص فى الله والاتحاد به وتسمى (الثيوُرية) θεωρία (تجلى الله الخالق للعابد المتوحد)، وبالإنجليزية تسمى Beatific vision وبالفرنسية Vision Béatifique.

هذه الدرجات الرهبانية أو المراحل أو المقامات السبعة قد يبلغها الراغب فيها إلى نهايتها فى حياته، **وهى الاتحاد بالله اتحاداً روحياً لا كيانياً، بمعنى أن تسقط عنه رغباته ورغائبه تماماً، فتصير إرادة الله هى إرادته، وهذه هى درجة الفناء والبقاء بعد الفناء، فتفنى عنه أنيته، ويحيا الله فيه، ويتحد به اتحاد إرادة ومشيئة.** وقد يبلغ الراهب بعضاً منها فقط فى حياته حسب استعداده ودرجة جهاده فى الفضيلة وحياة التأمل.

تلك كلمة موجزة عن الرهبنة المصريةوهى تعبدية، وعناصرها الثلاثة، ثم نظمها الثلاثة، وأخيراً درجاتها ومقاماتها السبعة.

فضل الرهبانية على العالم

ونفع الرهبان لغيرهم من الناس

ولا نظن أن الرهبان قوم أنانيون، اندفعوا إلى معيشة الصحراء من أجل خلاص نفوسهم. فلئن كان خلاص النفس ثميناً فى ذاته بل هو أثمن من كل شيء آخر عند الحكيم البصير «فإنه ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أم ماذا يعطى الإنسان فداء عن نفسه»(١) .لكن السعى لخلاص النفس من خطاياها وتحريرها من شهواتها ممكن فى وسط العالم أيضاً. وكثيرون من المؤمنين عاشوا فى العالم ونالوا خلاص نفوسهم وتكلموا فى الإيمان وصاروا قديسين. فالرهبانية هدفها الأعظم هو حياة التعبد والصلاة الدائمة، والعكوف على القراءة والتأمل والسمو الروحانى.

ولقد يبدو أن الراهب لا نفع منه للعالم، ولكن الراهب الحقيقى نافع جداً لنفسه وللعالم.

١- فهو **بصلاته** يرفع غضب الله عن الناس لأن صلاة البار تقتدر كثيراً فى فعلها (٢) ولأن «صلاة المستقيمين مرضاته» (٣) .

٢- **وبسيرته الطاهرة** يمجد الله ويقدم للناس مثلاً صالحاً ونموذجاً نافعاً. وكم من الناس فى العالم قد انتفع بحياة بعض الرهبان القديسين فى العالم. ويكفى أن نذكر على سبيل المثال أوغسطينوس الذى كان فى أفريقيا وايطاليا رجلاً ماجناً وشريراً، ولكنه بفضل سيرة القديس أنطونيوس الذى كان فى صحراء مصر، انجذب إلى حياة التوبة والفضيلة وصار فيما بعد اسقفاً قديساً من أعظم أساقفة الكنيسة وأنفعهم. إن القديس أنطونيوس جذب بسيرته ملايين الناس إلى حياة التقوى والعفاف والقداسة. وكذلك فعل الكثيرون من الرهبان أيضاً فى زمانهم وبعد زمانهم.

٣- والراهب أيضاً ينفع المؤمنين **بتعاليمه وخبراته الروحية** حين ينطلقون إليه، كما كانت الجماهير تخرج إلى يوحنا المعمدان فى البرية وتطلب نصيحته وإرشاده(٤) . كانت هى تخرج إليه فى البرية ولم يكن هو يأتى إليها. وكذلك فعل القديس أنطونيوس والقديس باخوم، والقديس برسوم، والقديس مكاريوس، وغيرهم من كبار الرهبان، فقد وعظوا كل من لجأ إليهم، وعادوا إلى العالم منتفعين ونافعين لأنفسهم وعائلاتهم وأوطانهم، وللعالم كله. وكثيرون عشقوا حياتهم ورغبوا فى سيرتهم ، فباعوا كل شيء وصاروا قديسين، ونافعين للكنيسة كلها. إن كبار الرهبان قد أعدوا جيشاً من الرهبان القديسين نفعوا الرهبنة ونفعوا الكنيسة ونفعوا العالم. ويالها من مهمة عظيمة ورسالة مفيدة.

---

(١) (متى ١٦: ٢٦) ، (مرقس ٨: ٣٦، ٣٧) ، (لوقا ٩: ٢٥)

(٢) يعقوب ٥: ١٦ (٣) الأمثال ١٥: ٨ (٤) متى ٣: ٥

٤ـ والراهب ينفع المؤمنين **بتواليفه التى يضعها** فى حياته أو يتركها بعد مماته. والراهب القديس إذا كتب فكتاباته فيها خبرات عميقة ودروس ثمينة نافعة، لأنها ثمرة تأمل عميق فى الكتاب المقدس والحياة الروحية، ونتيجة تجارب كثيرة. وما أكثر ما ترك الرهبان من كتب قيمة وتواليف نافعة قوية صارت هدى لكثيرين، ولا زالت الكنيسة إلى اليوم تستفيد من ثمرات أقلام الرهبان. وفى عصور قديمة نقل كثير من مؤلفات رهباننا إلى بلاد الغرب، وصارت تؤلف جزءاً من مكتبات الغرب ولا تكاد مكتبة هامة فى إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا والنمسا وهولندا وروسيا والولايات المتحدة وغيرها من بلاد الغرب والشرق، تخلو من مخطوطات قبطية وضعها رهبان من القبط.

٥ـ والرهبان عند الاقتضاء يتركون عزلتهم ويعودون إلى العالم **لأداء مهمة روحية أو رسالة هامة لفرد أو لشعب.** ففى كل العصور كان بعض الرهبان القديسين يترك خلوته وينزل إلى العالم لينذر ملكاً أو رئيساً، أو ليقود فرداً إلى التوبة ويعود بعد ذلك إلى ديره.

٦ـ وفى عصور الاضطهاد كان بعض الرهبان ينزلون ليثبتوا الناس فى إيمانهم، أو ليدافعوا عن حقيقة إيمانية، أو ليقاوموا هرطقة أو تعليماً فاسداً، كما فعل القديس أنطونيوس الذى نزل إلى العالم ليثبت الناس فى إيمانهم فى زمان الاضطهاد إبان ظهور هرطقة آريوس، وكما فعل القديس شنودة رئيس المتوحدين الذى رافق البابا كيرلس الأول عمود الدين إلى أفسس فى آسيا الصغرى (وهى الآن تركيا) لمقاومة بدعة نسطور الذى قال بطبيعتين منفصلتين للسيد المسيح.

٧ـ وقد تفتقر الكنيسة إلى القادة الروحيين كالأساقفة والمطارنة والبطاركة، فإذا لم تجد من بين الخدام فى العالم من يصلح لهذه القيادة، لجأت إلى الرهبان القديسين فى الأديرة. ومع أن بعضهم كان يرفض ذلك فى حزم وقوة، لكن بعضهم الآخر اضطر تحت إلحاح الإكليروس والشعب إلى قبول هذه المسئولية، فكانوا يأتون به إلى العالم ويرسمونه أسقفاً أو مطراناً أو بطريركاً. وتاريخ الكنيسة حافل بأسماء الكثيرين من الرهبان الذين صاروا قادة روحيين للكنيسة. وقد اشتهر بعضهم بالزهد والورع وصنع المعجزات، واشتهر بعضهم بالحكمة والتبصر، وبعضهم بالعلم الواسع، وبعضهم بالرعاية الصالحة والافتقاد والإصلاح.

فالرهبانية كانت ولا زالت قوة روحانية وراء الكنيسة تسندها بصلواتها وضراعاتها، وتمدها بالمباحث الروحية والتقوية والعقيدية والطقسية، وبالخبرات العميقة، وعند الإقتضاء برجالها الذين قادوها فى أوقات متباينه فكانوا على العموم متميزين بالتقوى والوقار والإيمان القويم. والأديرة كانت ولا زالت معاقل هامة لروحانية المسيحية وعلومها.

الرهبنة وغايتها(١)

مفهوم الرهبنة:

الرهبنة دعوة والدعوة معناها نداء والنداء هنا من الله، وعلى الرغم من ذلك معروف أن الرهبنة دعوة إختيارية أى ليس فيها إلزام، دعوة حرة للإنسان أن يقبلها وللإنسان أن يرفضها، الإنسان يميل إلى الخير ومحبة للخير، لأنه مخلوق على صورة الله وفيه جوهرة. وهى الروح الإنسانية التى هى قبس من الإلوهة فى داخل الإنسان، فهذه الروح إذا خلى بينها وبين نفسها تختار الخير، لأنها على صورة الله والله كله خير وهو الخير المحض، والخير الكلى والخير الكامل، فالإنسان لأنه مخلوق على صورة الله فإذا خلى بينه وبين ذاته فيختار الخير. ودعوة الرهبنة نداء للخير، وهى فى الواقع أساساً هى دعوة إلى الاتحاد بالله، ولعلكم تتذكروا ماراسحق عندما يقول فى تعريف الرهبنة، أنها دعوة للإنحلال عن الكل والإتحاد بالواحد، ينحل الراهب عن كل شىء ليتحد بالواحد والواحد هو الله، إذن يمكن أن نقول أن دعوة الرهبنة دعوة عميقة فى جذور النفس البشرية، مادامت هى دعوة إلى الإتحاد بالله، والإتحاد بالله غايه النفس البشرية، فإذن هى دعوة فى أصولها العميقة تستجيب لها النفس البشرية بطبيعتها، مالم يكن هناك عائق، والعائق هو العامل الخارجى، ولكن دعوة الرهبنة بإعتبارها اتحاد بالله دعوة تستجيب لها النفس البشرية بطبيعتها. ولكن مع ذلك إنها دعوة إختيارية لأن الإنسان حر، يملك أن يقبل ويملك أن يرفض. والعوائق هى رغبات، وميول، ونزعات، وشهوات، تشوش صفاء النفس وتحرمها من الرؤيا التى بها ترى الله، وهذه العوائق درجاتها متفاوتة بالنسبة للناس، فهذه العوائق بالنسبة لواحد ضعيفة ولآخر قوية وهكذا... إنما إذا تغلبت الدعوة الإلهية على هذه العوائق فالنفس البشرية تستجيب، وحينئذ نقول أن هذا الإنسان عنده دعوة للرهبنة.

ماهية هذه الدعوة:

هذه الدعوة من الله، ولكن ليس من الضرورى أن تكون هذه الدعوة بصوت يسمعه من الله، إنما يكفى أن تكون رؤيته الباطنية من الوضوح، بحيث تقوى على أن تغطى على الشهوات والرغبات المعطلة للصفاء النفسى، فإذا وجد الإنسان باطنيا أن هذه الرغبة فى الإتحاد بالله، ولهذا النعيم ولهذه السعادة الباطنية، بحيث أن تكون هذه الرغبة من الوضوح فتصير الأمور الخانقة صغيرة وحقيرة، وهنا نقول أن هذا الإنسان عنده دعوة إلى الرهبنة واضحة وقوية. فهنا نقول ليس من الضرورى أن الشخص يتلقى فى دعوة الرهبنة صوت واضح، مثل حلم خاص أو

(١) محاضرة ألقيت بدير الأنبا صموئيل المعترف بجبل القلمون فى ١٦من مايو سنة ١٩٧٧م - نقلاً عن شريط كاسيت.

رؤيا، فيها الله أو ملاك من السماء أو أحد من القديسين يظهر له ويقول له ترهبن، إنما يكفى أنه عندما يدخل لباطن نفسه يجد استعداده لهدف الإتحاد بالله واضح أمامه، ولا يجد عقبات أو عوائق تعوقه عن الرؤيا وتعوقه عن الهدف وهو الإتحاد بالله. فالمسألة مسألة إستعداداً باطنياً ورؤيا داخلية أو نوع من العاطفة القوية الواضحة، والرغبة الشديدة فى الإتحاد بالله وفى العشرة الإلهية، وفى أن الإنسان يدخل فى هذه السعادة وهذه اللذة العقلية الروحية، وفى بعض الأحيان الإنسان قد يحلم أحلام وقد يرى رؤى، ومع ذلك ينبغى أن يتروى ولا يندفع، فالأحلام فى بعض الأحيان قد تكون صوت إلهى، ولكن ليس فى كل الأحيان، فقد تكون أشياء من أعماق النفس البشرية تظهر على هيئة أحلام، فالإنسان الروحانى يتريث، فقد يحتاج هذا الإنسان إلى شىء يدعم هذا الحلم، بحيث يقدر أن يعرف أن هذا الحلم من الله أو لا... إذا العلاقة الأولى للدعوة إلى الرهبنة هى الراحة الباطنية والسعادة الداخلية، والرؤيا الباطنية التى يحس فيها الإنسان أن دعوته فى هذا الإتجاه، وأن راحته فى هذا الإتجاه، ثم بعد ذلك تأتى العلاقات الخارجية الأخرى، كالأحلام أو الرؤى أو الصوت الذى قد يتلقاه الإنسان من كائن آخر، سواء أكان أب الإعتراف أو كاهن راهب أو صديق، أو نتيجة أحداث معينة فى حياته.

أقول هذا.. لأن الرهبنة ما لم تكن الشحنة الروحية الدافعة لها، شحنة عميقة وقوية وواضحة، وتملأ فراغ النفس البشرية، قد يتعثر الإنسان وقد يضعف فيما بعد، لبعض الظروف التى قد يتعرض لها. فلكى يتحمل متاعب الحياة الرهبانية ومسئولياتها وتبعياتها، ويسير بنجاح مضطرد فى تصاعد وترقى مستمر، لحياته الروحية ولإدراكاته الروحية والداخلية، لابد أن تكون هناك شحنه روحية قوية راسخة، وعمق روحانى وأصالة روحية، وأن يكون هناك جبهة عريضة فى النفس البشرية، تساعد الإنسان على أن يقدر فيما بعد أن يتحمل متاعب الرهبنة، التى قد تأتى له فى المستقبل دون أن يرجع إلى الوراء.

غاية الرهبنة:

الهدف الأساسى هو الإتحاد بالله، والشخوص فى الله، والرؤيا الطوبانية، وبعض أباء الرهبنة العظام وصلوا للمرحلة التى فيها تحققت لهم الرؤيا الطوبانية، ويشير لهذا ماريولس الرسول عندما قال «آتى إلى مناظر الرب وإعلاناته» ثم قال «أعرف إنسان أفى الجسد أم خارج الجسد لست أعلم، اختطف إلى السماء الثالثة اختطف إلى الفردوس وسمع أشياء لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن ينطق بها». عيون هؤلاء الناس ترى وراء المنظور، ترتفع قلوبهم فتعيش فى الحضرة الإلهية، إيليا النبى كان من هذا الطراز، طراز الراهب الحق، بتولاً وكان ناسكاً وكان صواماً أى كثير الأصوام وكان يسكن الجبال وله عبارة رائعة كان يستخدمها، العبارة هى

«حي هو الرب الذى أنا واقف أمامه» كان يحس ويشعر أنه يقف أمام الله، هذه العبارة أقوى من عبارة داود النبى «جعلت الرب أمامى فى كل حين لأنه عن يمينى فلا أتزعزع»، إنما كلمة إيليا النبى كلمة جبارة تدل على أن الرجل وصل إلى مرحلة روحانية مرتفعة، بحيث أنه كان يرى الله أمامه دائماً، وأنه هو واقف قدام الله، وكذلك أليشع النبى كان راهب وكان متبتل واختار الفقر. وكان لا عمل له إلا العبادة وكان يسكن الجبال. وكان أليشع أيضاً مفتوح العينين، ولما جيحزى ارتعبت فرائصه عندما رأى جيش ملك آرام وصرخ إلى أليشع، صلى أليشع إلى الله من أجل جيحزى وقال: يارب افتح عينى الغلام فيرى، ففتح الرب عينى الغلام فرأى وصرخ قائلاً: «إن الذين معنا أكثر من الذين علينا». افتح يارب عينى الغلام فيرى، أليشع لم يصلى إذن من أجل نفسه ولا طلب أن ربنا ينقذه من الأعداء عندما عرف بقدومهم. وكان مطمئن القلب جداً وهادىء النفس ولم يصلى من أجل نفسه وإنما صلى من أجل جيحزى، وصلاته كانت عجيبة افتح يارب عينى الغلام فيرى. إذن أليشع نفسه كانت عينيه مفتوحتان وكان يرى، وإنما كان يصلى من أجل جيحزى لكى يرى ما يراه أليشع.

إن أمثال هؤلاء الرهبان المرتفعة حياتهم، كانت عيونهم مكشوفة مثل ما قال النبى بلعام بن باعور المفتوح العينين «أراه ولكن ليس الآن أبصره ولكن ليس قريباً» وكان يقصد بهذا رؤيته للسيد المسيح، قبل أن يتجسد المسيح بآلاف السنين، هنا كلمة أراه وأبصره، هذه الرؤيا وهذا الإبصار لأشياء بعيدة وغير منظورة، هذا يذكرنا بتلميذى عمواس لما يقول عنهم الكتاب عندما كسر لهما الخبز السيد المسيح فيقول «فإنفتحت أعينهما» وهما لم يكونا عميان ولكنهما مبصرين، ولكن الكتاب المقدس يوجهنا إلى نوع آخر من إنفتاح العينين، بمعنى أن الإنسان يرى غير ما يراه بالعينين المجردتين، هذه الرؤيا تكون محجوبة عنه، ولكنها تكشف يوم أن يصل إلى مرحلة معينة من مراحل النمو الروحانى، نفس العينان كان لهما مدى معين، يمتد هذا المدى إلى شىء أبعد فيستطيع أن يرى ما لم يكن قد رآه من قبل.

إن هدف الرهبنة عند الأباء العظام هو الرؤيا الإلهية. وهو الهدف الأساسى للرهبنة، قد يكون هناك أهداف أولية للرهبنة، كالهرب من العالم، أو السعى لخلاص النفس... الخ ولكن الهدف الأساسى هو الرؤيا الإلهية، وهذه لا نصل إليها إلا حينما يحدث تطابق بين صورتنا وبين صورة الله، الله عندما خلقنا خلقنا على صورته، أى هناك تشابه بيننا وبين الله.

عندما يقول لنا المسيح: «كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل» معنى الكمال أن تكون هناك مطابقة تامة بيننا وبين الله فى الكمال، بحيث نصير صورة مصغرة للكمال الإلهى، وهذا هو الهدف الكبير، وهذا لا يأتى إلا بالشخوص الكامل والمستمر فى الله،

وهذا يحتاج مجهود ضخم جداً يحفظ للإنسان أرثوذكسيته، وتطلعه إلى البؤرة (الله) بحيث لا ينظر يميناً ولا شمالاً ولا شرقاً ولا غرباً. الشخوص المستمر فى الله من شأنه أنه يجعل صورة الإنسان واضحة فى مطابقتها لله.

إذاً هدف الراهب من الرهبنة هو أن تكون صورته بقدر الإمكان قريبة إلى الأصل وواضحة تمام الوضوح، فالرهبنة المثالية هدفها الواحد الوحيد هو الرؤيا الإلهية، ولتحقيق هذه الرؤيا تحقيق المطابقة بين الروح الإنسانية وبين الله بقدر الإمكان، بحيث يرى الله فى النفس، كما نتطلع إلى كوب الماء بعد أن يهدأ فيصير الماء فى صفاء بحيث أن الإنسان يمكنه أن يرى صورته فى هذا الماء، عندما يهتز الماء لعامل أو لآخر مثل ما يحدث عندما ينظر الشخص على سطح ماء البحر، فإذا جاءت موجة تختفى الصورة، ولذلك يجب أن يكون الصفاء، باعتبار أن الصفاء هو الذى يحقق الرؤيا، ومن دون هذا الصفاء لا تكون الرؤيا، وقبل الصفاء لابد من السكون، وهنا قيمة السكون الذى يتكلم عنه كبار الرهبان، والمقصود بالسكون سكون النفس وسكون الجسد، والإثنين لا بديل عنهما والإثنين كلا منهما كالفاعل والمفعول فيه، أو كالضارب والمضروب فيه، لا غنى للواحد عن الآخر، سكون الجسد لازم لسكون النفس، وسكون النفس لازم لسكون الجسد، وسكون النفس يتحقق بتسكين النفس، وتسكين النفس معناه القدرة على إلغاء الصخب والضجيج والأصوات المعارضة التى فى النفس، كيف نصل إلى هذه المرحلة التى ينجح فيها الإنسان فى تسكين النفس، بحيث يتوافر للنفس السكون فلا يزعج السكون صخب وضجيج وشغب. تعبير الشغب نجده فى كتابات الأباء، فى بعض الآلات مثل الريكوردر تسمع أصوات خشخشه، هذه الخشخشة تمنع أنك تسمع الصوت بصورة حسنة، وأنت محتاج أن تسمع صوت الله صافى، وهذا لا يأتى إلا بالتسكين.

فى الروحانية العالية يتكلموا عن هذا التسكين، وهو القدرة أو النمو الروحانى الذى يساعد الإنسان بالتدريج، أنه يعرف كيف يصمت هذا الشغب وهذا الضجيج، وهذه الأصوات المزعجة، كيف يمكن للإنسان أن يصمتها أو أن يسكتها، وأن لا تعوقه هذه الأصوات عن الإستماع إلى الحسيس، لأن صوت الله يكون فى الحسيس بالنسبة للناس الروحانيين، ففى الشىء الهامس الصامت يسمع صوت الله يتكلم فى باطن الإنسان. حياة الناس من طراز الأنبياء أو كبار الروحانيين يسمعوا صوت الله هامساً فى الحسيس يكلمهم، يستطيعوا من طول تمرسهم أن يميزوا هذا الصوت على الرغم من أنه فى الحسيس، بحيث يمكنهم أن يعرفوا هذا الصوت متميزاً عن أى صوت آخر. كيف يستطيع الإنسان أن يصل للمرحلة التى فيها يقدر أن يسكت هذه الأصوات وهذا الشغب، وهذا الضجيج وهذه الأصوات الثانوية؟ كيف يصمتها؟ حتى يتمكن أن يسمع

الصوت الخافت الهامس الذى يأتيه مع حفيف الشجر ومع ريح النهار، ويميزه أنه صوت الله كيف هذا..؟ مسألة ليست من السهل أن الإنسان يشرحها كما يشرح أى نظرية علمية، ويضعها على السبورة ويتكلم فيها بمنطق عقلى أو بتسلسل البرهان، هؤلاء الناس تمرسوا على هذا النوع من الجهاد، ولذلك يقولوا أن مثل هذه الحياة تحتاج إلى وقت طويل مع فضيلة الثبات والمثابرة. لذلك الرهبنة وقتها طويل يبدأ ولا ينتهى، ولها نقطة بداءه ولكن ليس لها نقطة نهاية، طريق الرهبنة لا ينتهى إلا بالموت، طريق الرهبنة طريق متواصل إلى ما بعد الموت، هو طريق إلى الأبدية، دائرة أبدية، عملية نمو مستمر، هناك كلمة قالها يوحنا الرسول فى رسالته الأولى تفيد هذا المعنى قال «يا أولادى نحن الآن أولاد الله ولم نتبين بعد ماذا سنكون، غير أننا نعلم أننا سنكون مثله لأننا سنراه كما هو»، وهذا يحتاج إلى المثابرة حتى أن الإنسان لا ينجذب لمناظر أخرى تشده أو تحول حدقة عينه إلى منظر آخر، فيحتاج إلى مثابرة وصمود وصبر وإصرار مستمر وهذا هو معنى الجهاد الرهبانى.

الجهاد الرهبانى ليس معناه أننا نجاهد ضد الخطيئة لأن هذا مفروض فى حياة كل إنسان مسيحى. إنما الرهبنة أسمى من أن يكون هدفها الجهاد ضد الخطيئة..، ولكن هدفها الحقيقى هو الصمود والمثابرة والثبات حتى نصل إلى الرؤيا الطوبانية التى بها تتحقق سعادتنا حينما نتحد الإتحاد الكامل بيننا وبين الله.

الرهبنة القبطية

من مفاخر الأقباط بالإضافة إلى تاريخهم ولغتهم وشهدائهم ومدرستهم اللاهوتية رهبنتهم، التى برزوا فيها جداً حتى أصبحت أديرتهم موئل الروحانية السامية والصوفية الجوانية الباطنية، وظهر فيها قادة الرهبنة الكبار من أمثال القديسين بولا، وأنطونيوس، وباخوميوس أب الشركة، وأبو مقار، والأنبا بيشوى، والأنبا يوحنس كامى، والأنبا شنوده رئيس المتوحدين، والأنبا صموئيل المعترف، وغيرهم ممن زينوا الرهبنة بتعليمهم وسيرتهم. وكانت الأديرة تضم أعداداً كبيرة من الراغبين فى الرياضات الروحية والتوحد المطلق، والإتحاد بالله. وقد قصد إلى الصحراوات المصرية المشوّقون إلى متابعة هذه الحياة الصوفية السامية من كافة أنحاء مصر، وسوريا، وأثيوبيا، وليبيا، بل جاء إليها آخرون من أوروبا - ولم يكونوا جميعاً من الطبقات الفقيرة أو الوسطى فقط، بل كان منهم أيضاً شخصيات من العائلات الغنية، منهم أرسانيوس معلم أولاد الملوك، ومنهم أيضاً مكسيموس ودوماديوس إبنا الامبراطور فالانتنيان الأول (٣٦٤ - ٣٧٥) م.

ولقد ازدهرت الرهبنة فى مصر أولا، ومنها انتشرت إلى بلاد الغرب بعد ذلك.

الأنبا باخوميوس: (٢٨٨- ٤٠٥)م.

وهو واضع نظام حياة الشركة أو الإشتراكية الرهبانية. سَنّ للرهبان قوانين لتنظيم حياتهم الروحية ونشاطهم العملى فى الدير، يصلون معاً، ويأكلون معاً، ويعملون معاً. كما أدخل الصناعات ومختلف الفنون والحرف ليشغل أوقات الرهبان، ويفيد الدير من نتائج جهودهم الفكرية واليدوية. وأقام لكل جماعة رئيساً. وأقام على الأديرة جميعها رئيساً عاماً. وقد تأثر الغرب المسيحى بطريقة الأنبا باخوميوس وأدخلوا نظامه إلى أديرتهم.

الأديرة القبطية:

انتشرت حركة الديرية فى مصر، وقصد إلى الأديرة عدد كبير من الخلق، كانوا أحياناً بمثابة جيش كبير يخضع لرئاسة بصيرة حازمة. وكان رئيس كل دير «هو الأنبا» ⲁⲃⲃⲁ أو هو أبو الرهبان يقتدون بسيرته، ويرتشدون بتوجيهه ويلجأون إليه فى حل مشاكلهم الروحية. وكان رئيس الدير يعيش بين الرهبان يعلمهم ويرشدهم ويراقب سير حياتهم.

وبلغ عدد هذه الأديرة بضع مئات فى الصحراء الغربية وفى الصحراء الشرقية أو صحراء العرب، وقد أقفرمعظم هذه الأديرة وأمست مناطق أثرية يقصد إليها الحجاج للصلاة والتماس البركة. وتقام فيها الصلاة فى مناسبات خاصة بمعرفة كهنة يعينون من قبل الرئاسة الدينية لهذا الغرض. ولم يبق من الأديرة العامرة بالرهبان إلا تسعة للرجال وخمسة للنساء. وأديرة الرجال المأهولة بالرهبان، أربعة منها فى الصحراء الغربية فى المنطقة المسماه بوادى النطرون على نحو منتصف الطريق الصحراوى الواصل بين القاهرة والأسكندرية، وهى: **دير القديس**

مقاريوس، ودير السيدة العذراء المعروف بالبراموس، ودير الأنبا بيشوى، ودير السيدة العذراء الشهير بالسريان - **ثم دير مارمينا العجائبى بصحراء مريوط** وإثنان منها فى الصحراء الشرقية وهما: **دير القديس أنطونيوس** ويقع فى سفح جبل القلزم، من بين سلسلة جبال القلالة القبلية، فى أسفل رابية عالية تطل على البحر الأحمر وعلى جبال سيناء، وتزيد مساحته عن ثمانية عشر فداناً - **ودير القديس الأنبا بولا** وهو على مسيرة يومين من دير القديس الأنبا أنطونيوس ولا يزيد فى مساحته الآن عن خمسة أفدنة، ودير ثامن فى جبل بقرب أسيوط يسمى **بالدير المحرق** وهو أكبر الأديرة وأقدمها، ودير آخر فى جبل القلمون بالقرب من مغاغة يعرف **بدير الأنبا صموئيل المعترف**.

هذه الأديرة كانت فى مبدأ الأمر قلالى متفرقة للرهبان، وبسبب غارات البدو والبربر أقيمت لها أسوار تضمها - والقلالى جمع قلاية وفى الأصل ترجع إلى الكلمة اليونانية Κέλλα ومنها أخذت الكلمة اللاتينية cella ثم الإنجليزية cell والفرنسية cellule .

هذه الأديرة التسعة تضم فى مجموعها عدداً من الرهبان يبلغ الآن نحو ٥٠٠ «خمسمائة» راهب.

وقد أضيف حديثاً (١) إلى هذه الأديرة التسعة ديران آخران، هما قديمان ولكن أخذ يسكنهما منذ سنوات عدد من الرهبان الشبان: **دير القديس مارجرجس بالرزيقات** خارج مدينة أرمنت، **ودير الأنبا باخوم بحاجر ادفو.**

وللنساء ستة أديرة (٢) تختص بهن هى: ١- دير باسم السيدة العذراء بحارة زويلة بالقاهرة. ٢- دير آخر باسم مارجرجس بحارة زويلة. ٣- دير الأمير تادرس بحارة الروم. ٤- دير أبى سيفين بمصر القديمة. ٥- دير مارجرجس بمصر القديمة. ٦- دير القديسة دميانه ببرارى بلقاس.

وهناك قلة نادرة من النساك المتوحدين يعيشون فرادى ومتفرقين فى مغارات بالجبال عيشة التوحد المطلق بصورة تبدو غريبة وخيالية، لأنهم يحيون حياة خشنة جافة صارمة - فيقنعون بالقليل جداً من الطعام والنوم، ويصرفون الوقت كله فى الصلوات والتأملات العالية.

---

(١) بعد كتابة هذا المقال أضيف عشرة أديرة أخرى للرهبان وهى دير السيدة العذراء بجبل أخميم ودير الأنبا أنطونيوس بصحراء كاليفورنيا ودير القديس مارجرجس بالخطاطبة ودير الأنبا شنوده رئيس المتوحدين بسوهاج ودير الأنبا أنطونيوس والأنبا موسى الأسود بالخرطوم ودير الأنبا باخوميوس المعروف بالشايب فى الأقصر ودير الأنبا شنوده فى ميلانو ودير الأنبا أنطونيوس بالأراضى المقدسة ودير الملاك غبريال بجبل النقلون بالفيوم ودير مارمينا العجائبى بأبنوب.

(٢) أضيف أيضاً دير مارجرجس للراهبات بأورشليم، ومعظم هذه الأديرة لها فروع على الساحل الشمالى وفى الخطاطبة.

التوحد (١)

النفس الإنسانية التى خلقت على صورة الله ومثاله تحن إلى الله وتهفو إلى الشخوص فيه. ولن تجد لها راحة حقيقية بعيداً عنه. وهذا هو سر القلق الذى ينتابنا كثيراً على الرغم من توافر جميع أسباب الحياة الناعمة، فإذا شردت النفس عن مصدرها وأصل وجودها، أدركها الفزع والضيق. فتجرى فى غباوة نحو مصادر المتعة المادية فلا تشبع بها. فتظل مع ذلك جوعى وعطشى حتى تعثر بما يوقظها ويردها إلى الله، فتعود إليها خصوبتها وسعادتها.

لذلك رأينا كثيرين ينصرفون عن الحياة الإجتماعية وما يلازمها من صخب وضجيج ينزع سلام نفوسهم ويحرمها الهدوء الذى يردها إلى الله، فيهرعون إلى البيد والقفار بعيداً عن العمران، مرحبين بشظف العيش وخشونة الحياة. سعياً وراء الهدوء وإبتغاء للصفاء الذى لابد منه لمن يريد أن يكتشف النفس ويعرفها على حقيقتها، ومن ثم يبنيها فى الفضيلة ويبنى علاقتها بالله على أساس سليم من معرفة سليمة. قال المسيح له المجد «من أهلك نفسه من أجلى يجدها»، وقال أيضاً «من أحب نفسه فإنه يهلكها. ومن أبغض نفسه فى هذا العالم، فإنه يحفظها للحياة الأبدية».

هذه هى فلسفة التوحد فى الرهبنة. والرهبنة الحقيقية «توحد». ومعناه أن يعتزل الإنسان العالم إلى مكان قصى يحيا فيه منفرداً، وينقطع للعبادة والتهجد كل أيام الحياة، قانعاً بالقليل من الطعام البسيط واللباس الخشن، والقليل من النوم.

ومعنى هذا كما قلنا أن الرهبنة فى أصلها وحقيقتها هى حياة التوحد، والعزلة التامة عن العالم. وبرهان ذلك هو سلوك رواد الرهبنة الأوائل فى صدر المسيحية من أمثال القديسين بولا وأنطونيوس ومكاريوس وبيشوى وشنوده رئيس المتوحدين وصموئيل المعترف وغيرهم كثيرون. والذى يقصد إلى أديرتهم فى أعماق الصحارى، يمكنه أن يحكم بسهولة على نية أولئك الأبرار فى تمام الإعتزال، وشدة تصميمهم على التوحد المطلق. ورأينا البعض منهم كلما تقدمت به السن وإزداد حباً فى السكون، دخل فى جوف الصحراء مسافة أبعد، لأنه ذاق جمال الوحدة وخبر لذاتها العقلية والروحية، فزاد إيغالا فى البعد عن الناس وعن العالم.

وحتى نظام الأنبا باخوميوس والمعروف بنظام الشركة الرهبانية والذى يقضى بأن يعيش الرهبان معاً عيشة مشتركة: يصلون معاً ويأكلون معاً ويعملون معاً، أقول حتى هذا النظام الجماعى لم يكن مقصوداً إليه لذاته كنظام رهبانى بالمعنى الدقيق. وإنما هو خطوة متوسطة

---

(١) نشر بجريدة وطنى الأحد الموافق ٨ مايو ١٩٦٠م - ٣٠ برمودة ١٦٧٦

يتدرب بها الراهب الناشيء على الإنتقال تدريجياً من الحياة الإجتماعية فى العالم إلى حياة التوحد المطلق خارج نطاق الدير. إذ الحياة الإشتراكية داخل أسوار الدير حياة إجتماعية فى نطاق محدود وفى بيئة مختارة.

ومع ذلك فللراهب أوقات ينفرد فيها فى قلايته أو صومعته من غيرأن يزعجه أحد. وبالتدريج، وتحت إشراف مرشده الروحى وتوجيهه تقل الفترات التى يجتمع فيها الراهب بزملائه من الرهبان وتزداد الفترات التى يخلو فيها إلى نفسه. وهكذا يتدرج شيئاً فشيئاً حتى يستأذن أخيراً فى الإنطلاق نهائياً من حياة الشركة إلى التوحد التام فى مغارة فى أحد الجبال أو التلال المجاورة أو البعيدة، كما فعل كثير من النساك فى شتى العصور، وكما فعل فى أيامنا القس المتوحد (وهو الآن البابا كيرلس السادس) الذى اعتزل دير البراموس واستقر أخيراً فى طاحونة بجبل المقطم، وكما فعل أيضاً الأب عبد المسيح الأثيوبى الذى يسكن الآن على مسافة بعيدة من دير البراموس بوادى النطرون.

ولما كان الإنسان إجتماعياً بطبعه، فإن حياة التوحد شاقة على طبع الراهب ولن يقبل عليها إلا راهب شحنت حياته بالتقوى وحب العبادة والتأمل، وأصبحت الصلاة لذة له وسعادة. ولئن كان المتوحد ينعزل تدريجياً عن المجتمع المنظور، فإنه يدخل تدريجياً أيضاً فى المجتمع غير المنظور، مجتمع القديسين والملائكة فى حضرة الله قدوس القديسين.

وفى طريق الكمال الرهبانى يتدرج الراغب فى حياة الرهبنة من تلميذ إلى راهب إلى عابد إلى ناسك إلى متوحد إلى سائح إلى متحد بالله.

إن الرهبنة فلسفة روحانية عميقة لا يقبلها جميع الناس، ولكن الذين «وهب لهم» فقط. والرهبنة طريق خاص ومنهج خاص للحياة الروحية الباطنية لا يستسيغه الكل. ولا يفهمه الكل. وقليلون جداً من الذين ساروا فى هذا الطريق أمكنهم أن يصلوا فيه إلى نهايته، هؤلاء الذين ذاقوا فضائل «التوحد».

رهبان الأقباط كرزوا بالإنجيل فى بريطانيا وايرلندا ونقلوا إليهما حضارتهم

على الرغم من إعتزاز الأقباط ببلدهم مصر، وافتخارهم بالإنتماء إليها، وارتباطهم بأرضها الغالية، وعطائهم لها وفيها، فإنهم لم يبخلوا بعطائهم لغير مصر كلما شعروا بحاجة شعوب العالم إلى خدماتهم. فمن أقباط مصر من رحلوا إلى بلاد العالم المتفرقة ومنها بلاد أفريقيا ومن بينها ليبيا ونيجيريا، وأثيوبيا، والنوبة، والسودان، ووسط أفريقيا وجنوبها وشمالها.

ومن علماء الأقباط من رحل وخدم فى بعض بلاد آسيا ومنها فلسطين، والشام، وبلاد الهند، وجنوب الجزيرة العربية.

ومنهم من ذهب إلى جزيرة قبرص وغيرها من جزر البحر الأبيض المتوسط وأقاموا فيها حضارة.

ومن الرهبان الأقباط من رحل أيضاً إلى شواطئ فرنسا الجنوبية ومرسيليا، وأسبانيا، ومنهم من ذهب إلى بلجيكا وألمانيا وسويسرا وإيطاليا. وكانوا نواة الأديرة التى أقيمت هناك على نظام الأديرة المصرية.

وهناك من بشروا باسم المسيح وهدوا إلى الإيمان المسيحى الأرثوذكسى كثيرين.

يقول المؤرخ الإنجليزى المشهور ستانلى لين بول فى كتابة , Stanley Lane - Poole Cairo - sketches of its history, Monuments and social life , (London , 1898), pp. 203 - 4 «إننا لا نعلم بعد مبلغ ما ندين به نحن، هنا فى الجزر البريطانية، لأولئك النساك القدامى. فمن المحتمل جداً، بل أكثر من المحتمل، أن نكون مدينين لهم بكرازة الإنجيل لأول مرة فى إنجلترا، إذ أنه حتى زمن مجئ القديس أوغسطينوس (إلى انجلترا) كان النظام الرهبانى السائد هو النظام المصرى».

ويقول ليدويش Ledwich إن تصميم الكنائس فى بلدة جلاستونبرى Glastonbury مقتبس من الكنائس المصرية.

كذلك كينيث مايلدنبرجر Kenneth Mildenberger فى كتابه: Unity of Cynewulf's Christ in the light of iconography, in speculum, XXIII, no. 3 (July, 1948), 426. 32 أوضح تأثير الإيقونات القبطية على الفن الرهبانى والحضارة الدينية فى نورثومبرلاند Northumberland بإنجلترا، وبهذا زودنا دون أن يقصد بدليل جديد على توكيد التأثير المصرى فى بريطانيا وإيرلندا عن طريق الأقباط الذين ذهبوا إلى هناك، وهو التفسير الوحيد لمعنى أثبته ميلدنبرجر (انظر كتاب ـ الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية «تاريخ المسيحية الشرقية، A His- tory of Eastern Christianity لندن، ١٩٦٨ صفحة ٥٤، ٥٥.

ويقول المؤرخ ستانلى لين بول «وهناك ما هو أعظم أهمية وهو أن المسيحية الإيرلندية - وهى العامل العظيم فى تحضر الشعوب الشمالية فى أوائل العصور الوسطى كانت إبنة للكنيسة المصرية. إن سبعة من الرهبان المصريين مدفونون فى صحراء أولديت Disert Uldith».

«وفى طقوس ايرلندا وعمارتها فى أقدم عصورها، الكثير مما يذكرنا بالآثار المسيحية الأقدم عهداً فى مصر. وكلنا يعلم أن الصناعات اليدوية التى قام بها الرهبان الإيرلنديون فى القرنين التاسع والعاشر فاقت فى روعتها كل ما يمكن أن نجده فى أى مكان آخر فى كل أوربا. وإذا كانت الزخارف البيزنطية الشكل، وزخرفة المخطوطات بالذهب والفضة والألوان الساطعة، فى جمال منقطع لا يضارع، يرجع إلى تأثير مصرى نقله الأقباط إلى ايرلندا، كان علينا الكثير مما نشكر الأقباط من أجله، أكثر مما كنا نتصور من قبل».

ويروى ليدويش Ledwich فى كتابه «آثار ايرلندا» Antiquities of Ireland الطبعة الثانية صفحتى ٨٨، ٨٩ إن جالية مصرية استقرت فى جزيرة ليرين Lerins بالبحر الأبيض المتوسط بالقرب من شاطئ فرنسا الجنوبى، وتبعد قليلاً عن بلدة نيس Nice وأنهم أنشأوا فى سنة ٤٠٠ لميلاد المسيح ديراً على نظام القديس باخوميوس أب الشركة. وما لبث أن صار مشهوراً كمركز رهبانى كبير. وقد ترهب فيه القديس باتريك St. Patrick قديس ايرلندا وشفيعها ومؤسس كنيستها، الذى استعان هو نفسه برهبان من القبط فى تأسيس أديرة بإيرلندا، وقد خرب دير ليرين أثناء الثورة الفرنسية ثم جدد فى عام ١٨٥٩ للميلاد.

وعلى الرغم من عدم وجود صحارى فى ايرلندا سميت الأديرة هناك إلى اليوم بالصحارى.

ومنها صحراء مارتن وصحراء أولاى Ullaigh.

وقد ورد فى مخطوط صلوات قديم محفوظ بالأكاديمية الملكية الايرلندية بمدينة دبلن Dublin عاصمة ايرلندا الجنوبية هذا الإبتهال: «إنى أبتهل إلى سبعة الرهبان المصريين (المدفونين) فى صحراء أولاى Ullaigh أن يكونوا فى عونى، بيسوع المسيح» وقد ورد هذا النص فى كتاب وارن عن «قداس وطقوس الكنيسة السيلتية» Warren, Liturgy and ritual of the celtic church p. 56 .

ويبدو أنه كان لرهبان دير العذراء بالمحرق على الخصوص، نصيب واضح فى هذا العمل الكرازى، فقد ورد فى ليتورجية قديمة «اذكر يا رب عبيدك رهبان دير المحرق الذين هدونا إلى الإيمان».

وفى المكتبة الأهلية فى باريس Bibliotheque nationale de Paris دليل للرهبان الأيرلنديين الذين كانوا يحجون إلى مصر لزيارة الرهبان والأديرة المصرية، ولاسيما برية

الإسقيط فى وادى النطرون. ويذكر بعض المؤرخين أن أفواج الحجاج من ايرلندا كانت تتوافد بكثرة على مصرحتى الربع الأول من القرن الرابع عشر (انظر كتاب من تاريخ القبط - من مطبوعات جمعية مارمينا العجائبى - الرسالة الخامسة صفحتى ١٥، ٧٩).

ويذكر ألفريد بتلر A. J. butler فى كتابه «كنائس مصر القبطية القديمة» Ancient coptic churches of Egypt أن مسيحى ايرلندا تأثروا فى عمارة كنائسهم وأديرتهم بعمارة الكنائس القبطية القديمة، فبدلاً من بناء كنائس كبيرة متسعة، بنوا عدداً من كنائس صغيرة متجاورة يحيط بها سور يضم مبانى رهبانية، غرفات وحجرات ومطابخ وإلى غير ذلك - ثم يلاحظ أيضاً أن الايرلنديين استعاروا من الأقباط نوع القباء الذى يسقفون به صحن الكنيسة والهيكل وهو من طراز سقف العربات Wagon vault الذى ليس له نظير فى كل بلاد الغرب المسيحى فيما عدا ايرلندا.

وقد ذكر مرقس سميكة باشا فى كتابه «دليل المتحف القبطى وأهم الكنائس والأديرة الأثرية - الجزء الثانى، أنه شاهد بمكتبة بودليان Bodleian Library باكسفورد كتابين خطيين أحدهما باللغة الايرلندية والثانى بالقبطية - معروضين للمقارنة جنباً إلى جنب - بينهما شبه عظيم فى نوع الزخارف المستعملة فى تزيينها» (صفحة ١٥٧).

ومن آيات التشابه الشديد بين الفن الدينى فى ايرلندا والفن القبطى دلائل كثيرة تبرهن على تأثير الفن القبطى على الفن الايرلندى.

من ذلك نوع المراوح المستخدمة فى القداس والطقوس الدينية الايرلندية والتى لم يكن لها وجود فى كل أوربا إلاّ فى زمن متأخر.

كذلك يذكر وارن Warren فى كتابه «القداس والطقوس فى الكنيسة السيلتية» أنه وجدت فى أوائل القرن السادس فى ايرلندا «علب معدنية من البرونز أو الفضة المزيّنة بنقوش بارزة، تحتوى على نسخ من الأناجيل، أو مخطوطات أخرى، على طراز العلب القبطية المستخدمة فى مصر. ومن أروع الأمثلة على ذلك كتاب أرماغ Book of Armach وكتاب المزامير لكولومبا Psalter of St. Columba المحفوظ الآن فى الأكاديمية الملكية الايرلندية، وكتاب ديما ماك ناثى Book of Dimma Mac nathi ثم أيضاً ميوساش Miosach المحفوظ الآن فى كلية سان كولومبا فى رائفارنام Rathfarnham كذلك كتاب الخولاجى المعروف Stowe missal وجدت له علبة يرجع صنعها إلى القرن الحادى عشر، وهى بينة واضحة على الصلة الوثيقة بين الكنيسة الايرلندية والفن الشرقى القبطى.

ويبين وارن Warren فى كتابه المشار إليه أن الأجراس اليدوية كانت مستخدمة فى كنائس بريطانيا وايرلندا منذ القرن السادس، وقد كان هذا الجرس اليدوى من شارات الشرف للأسقف الايرلندى تقدم له عند تكريسه أسقفاً، وما زال هذا النوع من الأجراس اليدوية الذى كان يستعمله القديس باتريك أسقف ايرلندا الشهير محفوظاً فى دبلن Dublin، هذه الأجراس لم تكن فى غير بريطانيا وايرلندا من بلاد أوربا بينما كانت مستعملة فى مصر. ولقد تطورت هذه الأجراس فى الغرب وصارت تدق عند رفع خبز القربان المقدس. وليس لنا دليل على استخدامها لهذا الغرض فى الكنائس الغربية على ما يقول (وارن) قبل القرن الحادى عشر، بينما كان وجود الأجراس معروفاً فى مصر قبل ايرلندا وكل أوربا بعدة قرون، غير أن الأجراس المستعملة فى الكنيسة القبطية أجراس صامتة لا تحدث صوتاً إلاّ إذا ضربت بقضيب صغير من الحديد، وهى المعروفة الآن بالترينتو Trianto.

ومن دلائل تأثر الطقوس الدينية الايرلندية بطقوس الكنيسة المصرية، الثوب الكهنوتى (التونية) الذى كان يلبسه الكهنة فى ايرلندا فى العصور القديمة، فكان متأثراً فى بساطة تطريزه ولونه المختار وهو الأبيض، بالتونية التى كان ومازال يرتديها كهنة مصر من الأقباط.

كذلك انفرد أساقفة ايرلندا عن أساقفة أوربا فى الغرب، بحمل (التاج) فوق رؤوسهم بينما غيرهم من أساقفة أوربا كانوا يلبسون التاج المعروف عند الغربيين بشكله المدبب والمسمى بـ (الميتر Mitre, Miter). ويذكر (وارن) فى كتابه صورة منحوتة على الحجر لأسقف ايرلندى يحمل على رأسه التاج، فى نقش ضئيل البروز Bas relief قديم جداً، فى مقصورة متهدمة فى وادى جيلندالو Glendalough كما يذكرون أن القديس سامبسون Sampson وهو من القرن السادس رأى فى منامه ثلاثة أساقفة عظماء مزينين بتيجان ذهبية.

كل هذه دلائل وبينات تشهد بآثار للكنيسة القبطية فى بريطانيا وايرلندا فضلاً عن فرنسا وبلجيكا وسويسرا وإيطاليا واسبانيا وألمانيا وغيرها من بلاد أوربا..

لقد بشروا بالإنجيل هناك، واهتدت بكرازتهم شعوب أوربا، إلى الإيمان بالمسيح، وتركوا على الآثار والطقوس والفنون المختلفة بصماتهم ونقلوا مع الدين وطقوسه الحضارة المسيحية القبطية.

هذه الحقيقة التاريخية مفرحة ومشجعة وترفع معنوياتنا، وتحقنا بمصل واقٍ ضد الخوف والضعف والقنوط واليأس، وتبصر شعبنا بماضٍ تليد وكفاح مجيد، أفدنا به غيرنا من شعوب العالم، فلم نكن أنانيين ولا متقوقعين ولا مستكينين، وإنما كانت فينا حياة دفقناها حارة فى شرايين غيرنا من الشعوب.

أشهر رجال الرهبانية (١)

ليس فى الإمكان أن نثبت سجلاً بأسماء الرهبان من الرجال والنساء الذين سلكوا هذا الطريق، فقد بلغوا الملايين حتى لقد قال الرحالة والمؤرخون «ليست السماء غنية بنجومها غنى برّية مصر برهبانها» ممن كانوا يعيشون متفرقين أو جماعات. فلا أقل من أن نذكر لك بعضاً من أئمتهم، وكبار شيوخهم الذين قادوا الملايين منهم فى هذا الطريق الملائكى، وهم الذين يسمونهم «بآباء الإسكيم» والإسكيم هو الشكل الرهبانى الخاص الذى لا يرتديه إلاّ كبار النسّاك المجاهدين .

الأنبا بولا السائح:

قيل أنه أول النسّاك المتوحدين فى صحراء مصر الشرقية. وكان من طيبة (وهى الأقصر) فى صعيد مصر، دخل مدارس الفلاسفة وتعلّم اللغتين القبطية واليونانية، ومات والداه عندما بلغ الخامسة عشرة من عمره فنازعه زوج شقيقته فى المال والعقار الذى تركه والداه.

وقيل أنه فى أثناء هذا النزاع خرج إلى الطريق فرأى ميتاً يشيعه الناس إلى مقره الأخير، فتأمل فى معنى الحياة، وسأل أحد الناسِ وهوِ متأثر وكأنه يعظ نفسه «هل حمل هذا الميت إلى قبره مالاً أو عقاراً؟» فأجابه محدثه «ومنْ من الناس يحمل إلى القبر معه شيئاً؟» فسمع بولا هذا الجواب، وكأنه صوت من السماء. وفرح لأنّه وجد فيه حلاً للنزاع القائم بينه وبين زوج شقيقته ومضى للتو، بعد أن ترك كل شئ، ليختلى فى مكان منعزل فى الصحراء الشرقية، ووجد مغارة بالقرب من عين ماء ونخلة. فسكن المغارة مصلياً وكان يستقى من عين الماء ويأكل بلحاً من ثمر النخلة حتى بلغ من العمر ثلاثاً وأربعين سنة.

وقيل أن الأنبا بولا كان يعتزم فى مبدأ الأمر أن يعود إلى العالم بعد فترة من الزمان، ولكنه بعد أن ذاق لذات الحياة الروحية ونعيم الوحدة والسكون والعشرة المقدسة مع الله عدل عن فكره، وآثر البقاء فى الصحراء بل زاد على ذلك بأن دخل البريّة الجوّانية. وقد قال هو نفسه «إن الظروف هيأت لى طريق الفضيلة».

إن ذلك القديس بولا أخفى نفسه ولكن الله شاء أن يشهره ليعلم الناس فضله. ذلك أن القديس أنطونيوس الملقب بأبى الرهبان كان قد اعتزل هو الآخر فى البرية للتعبد، ولم يعلم أحدهما بالآخر. فلما أن بلغ الأنبا أنطونيوس التسعين من عمره أعلمه الرب بصوت من السماء أنه قد تقدّمه فى هذه البرية رجل فاضل، فاشتاق القديس أنطونيوس من كل قلبه إلى رؤية الأنبا بولا، فسافر يومين وليلة وهو لا يكف عن الصلاة طالباً من الله الإرشاد، وأخيراً رأى وحشاً فتعقبه. ولما خيّم الظلام بحث عن مكان قريب يأوى إليه، فصادف مغارة ولمح فى داخلها نور سراج،

---

(١) مقال بخط يد نيافته.

فعلم أنه قد وجد ضالته المنشودة. وأخذ يقرع باب المغارة ولكن الأنبا بولا لم يفتح له، فصار يبكى ويقول إنى واثق أنك تعلم من أنا، ومن أين جئت ولماذا أتيت؟ وسوف لا أبرح هذا المكان حتى أبصرك فهل يمكنك يا من قبلت الحيوانات أن تطردنى أنا الإنسان؟ وبعد وقت فتح له القديس ثم تعانقا وسلم كل منهما على الآخر باسمه كأنه يعرفه من زمن، ثم جلسا يتحدثان ويتسامران. وسأل القديس بولا عن أهل العالم عندما تركه أنطونيوس فأجابه بما يعرف.

وحلّق غراب فوق رأسيهما ونزل وترك لهما رغيف خبز. فقال الأنبا بولا: مبارك الرب الإله الذى لا ينسى عبيده بل يتعهدهم بمراحمه. إن لى ستين سنة والغراب يأتينى فى كل يوم بنصف رغيف خبز. وأما اليوم فقد أحضر لنا رغيفاً كاملاً وهذا من أجلك أنت أيضاً.

وقال الأنبا بولا لزميله القديس: لقد عرفتُ منذ زمن أنك تسكن البرية، وقد وعدنى الله بأنك ستزورنى وتوارينى التراب. والآن قد جاء الوقت الذى انطلق فيه من هذا العالم. وها أنا اطلب إليك أن تعود إلى ديرك وتوافينى بالرداء الذى دفعه إليك البابا أثناسيوس الرسولى لكى توارينى به. فبكى أنطونيوس متأثراً من هذا الوداع، ولكنه أطاع رغبة الشيخ القديس، وعاد إلى الدير بعد أن تبارك من القديس ورجع بالرداء المطلوب. وعندما اقترب من مغارة الأنبا بولا شاهد عدداً كبيراً من الملائكة فى الفضاء يرتلون وبينهم نفس البار الأنبا بولا. ولما دخل المغارة اعترته حيرة لأنه رأى جسد القديس جاثياً على ركبتيه ويداه مبسوطتان ورأسه مرتفع وكأنه يصلى. فجثا بجانبه يصلى. ولما لم يسمعه يتأوه أو يتنهد حسب عادته تأمله فتحقق أن الجسد بلا روح. وألبسه الثوب، وقام ليواريه التراب، ولكنه تبين أنه فى حاجة إلى أدوات للحفر. فأرسل الرب له أسدين أقبلا عليه، فرسم لهما على الأرض حدود القبرفجعلا يحفران حتى أعدا له القبر فدفن فيه القديس وواراه التراب وصرف الأسدين، وعاد هو إلى ديره بعد أن أخذ معه ثوب الأنبا بولا المنسوج من أوراق النخيل، وصار يرتديه فى الأعياد والمواسم المقدسة تبركاً بالقديس، وكانت حياة الأنبا بولا نحو ١١٣ سنة، امتدت بين سنة ٢٢٨ وسنة ٣٤٢م.

وقد قال أحد الآباء القديسين معقباً على حياة هذا الراهب السائح وموبخاً الأغنياء المترفين «إنى أسأل الأغنياء الذين لا يعرفون كمية ثرواتهم لزيادتها (لكثرتها) والذين يسكنون المنازل الفسيحة المزينة بكل أنواع الزينة والزخرفة: ما الذى أعوز هذا الشيخ الذى تعرّى من كل غنى؟ ها أنتم تشربون فى كؤوس من ذهب وفضة وهذا بولا كان يطفئ عطشه بكف يده. أنتم تلبسون البز والبرفير وهذا كان يرتدى ثوباً من النخيل. غير أن الأمر سوف لا يدوم على هذا الحال.. فها إن السماوات قد انفتحت لبولا المسكين، وأما أنتم فستهبطون مع جميع كنوزكم إلى الهاوية. وهو قبر فى لحد ليقوم للمجد، وأما أنتم فتدفنون فى قبور من الرخام والمرمر لتحترقوا إلى الأبد».

الأنبا أنطونيوس المصرى أبو الرهبان

نال هذا القديس هذا اللقب بجدارة، لا لأنه كان أول من اعتزل العالم طلباً للتعبد فقد سبقه كثيرون، أخذ هو نفسه عنهم وتعلّم منهم، وكان يختلف إليهم ليقتبس منهم فضائلهم وينتفع من خبراتهم. لكنه هو نفسه صار أباً لمئات حذوا حذوه واقتدوا بسيرته واتخذوه لهم معلماً وقائداً، وكان ذلك فى حياته وأيضاً بعد وفاته. وفى حياته تبعوه بالمئات والألوف التفوا حوله واتخذوه لهم مرشداً وأباً ومعلماً وإماماً للطريق، وكان هو يفتقدهم ويتحدث إليهم مشجعاً وهادياً، وكان يجيبهم على أسئلتهم ويحل مشكلاتهم، ويرسم لهم طريق الحياة الناجحة. لذلك سُمّى «بأبى الرهبان».

لم يكن فقيراً قصد إلى الرهبانية هرباً من مسئوليات الحياة، بل كان غنياً ورث عن أبويه أكثر من ثلثمائة فدان من أجود الأراضى فى بلدته **قمن العروس** بمركز الواسطى بمحافظة بنى سويف ولكنه كان متديناً تديناً عميقاً، تلقنه عن والديه وكان يواظب على حضور القدّاس واجتماعات الكنيسة، فلما توفى والداه وكان قد بلغ نحو العشرين من عمره، وتركا له العقار والأموال، ولم يكن له غير أخته التى تصغره سناً، أخذ يفكر فيما صنعه الرسل الذين تركوا كل شئ وتبعوا المخلّص. وحدث أن دخل الكنيسة وسمع فى إنجيل القدّاس رب المجد يقول «إن كنت تريد أن تكون كاملاً فاذهب وبع كل شئ لك واعطه للمساكين فيكون لك كنز فى السماء، وتعال اتبعنى». فحسب هذا القول الإلهى رسالة شخصية له. ولما خرج من الكنيسة اعتزم أن يبيع أملاكه ويوزعها على الفقراء. وفعلاً فعل. ولم يبقِ إلا قليلاً من المال احتجزه لشقيقته. ودخل الكنيسة فى يوم آخر وسمع إنجيل القداس يقول «فلا تهتموا للغد، لأن الغد يهتّم بما لنفسه» (متى ٦: ٣٤) فمضى ووزّع ما تبقى من المال وأودع شقيقته فى بيت للعذارى اللائى نذرن أنفسهن للعفة الكاملة، واعتزل هو نفسه فى مكان هادئ خارج بلدته. وكان كلما سمع عن ناسك صالح كان يمضى إليه لينتفع بخبرته وتجاربه ويتعلم عنه أكبر فضيلة فيه. ويقول القديس أثناسيوس الرسولى الذى كتب لنا سيرته وكان يصب له الماء على يديه كابن له: «إن القديس أنطونيوس كان يأخذ عن أحد النساك صبره وإحتماله وطول أناته، ويأخذ عن غيره محبته وعن ثالث وداعته وسماحته ويأخذ عن ناسك رابع حكمته وعن الخامس إحتقاره للمدح والمجد الباطل وهكذا، وكأنه يجمع باقة من زهور مختارة ليزيّن بها نفسه بالفضائل».

عاش القديس الصغير سعيداً بهذه الحياة الحرّة الطليقة من قيود المادة، ومغتبطاً بعشرة العباد والنسّاك الذين باعوا أباطيل الدنيا واشتروا بها «اللؤلؤة الكثيرة الثمن»، وصاروا فى قمة الحرّية وعلى قول القديس أوغسطينوس «جلست على قمة العالم عندما وجدت نفسى حراً من كل رغبة

مادية، ولكنّ القديس الشاب لم تَخْلُ حياته من حروب الأفكار، فكان الشيطان تارة يوبخه على بيعه مقتنياته، وتارة يرغبه فى العودة إلى حياة العالم. وتارة يصوّر له مناظر مغرية ليفسد عفته، وأخرى يصوّر له فى عزلته مناظر مخيفة من حيوانات ضارية. ولكنه قد انتصر عليها جميعاً بالصلاة والصوم ورسم علامة الصليب. وكلما حلّ به الخوف كان يردد قول النبى فى المزمور «الرب نورى وخلاصى فممن أخاف، الرب عاضد حياتى فممن أفزع. عندما يقترب منى الأشرار ليأكلوا لحمى، مضايقى وأعدائى عثروا وسقطوا. وإن يحاربنى جيش فلن يخاف قلبى..» (مز ٢٦: ١، ٣) وكان الرب يبدد مخاوفه ويزيل أوجاعه. ومرة صرخ إلى الرب وقال: أين كنت يا ربى وسيّدى، ولماذا لم تبدد مخاوفى فى مبدأ الأمر. فسمع صوتاً من السماء يقول: «لقد كنت قريباً منك، ولم أشأ أن أظهر لك ذاتى، لأنى أردت أن أشاهد قتالك للأفكار ولعدو الخير. ولقد انتصرت، فسأكون معك دائماً وأعضدك».

ولما تحقق القديس لذّات الحياة النسكية وجمال الوحدة والسكون، رغب فى المزيد منها، فترك مكانه إلى أعماق البرّية الداخلية، وهناك وجد برجاً مهجوراً من أيام الفراعنة، كانت تسكنه الوحوش والحشرات، فلم يجفل القديس منها، وإنما دخل البرج بكل رباطة جأش، والغريب أن واحداً منها لم يؤذه بشر، وإنما أخذت تتفرق فى أرجاء البرية الواسعة وأخلت له المكان فسكن فيه سنوات. وعلم بفضائله الكثيرون فقصدوا إليه لينتفعوا بتعاليمه ويتباركوا به، ولكنه كان يرفض الخروج إليهم مصراً على الاعتكاف والوحدة، وكانوا هم لا يفارقون المكان ولو لكى يسمعوا نغم صلاته وترنيمه من بعيد. وكان هو فى أحيان قليلة يجد نفسه مضطرا تحت إلحاحهم إلى الخروج إليهم. وقد منحه الله مواهب كثيرة لشفاء المرضى وإخراج الشياطين. فزاد إقبال الناس عليه واشتدت أشواق البعض إلى أن يصيروا له تلاميذ. ولما بلغ الخامسة والخمسين وكانت قد مضت له فى مكانه الأخير عشرون سنة، خرج ملبياً رغبة الكثيرين فى حياة الرهبانية والنسك وأقاموا صوامعهم من حوله ووضع لهم نظاماً روحياً، يتدرج بهم فى حياة الفضيلة وكان يفتقدهم بين وقت وآخر، ثم يعتزل عنهم، وبعد وقت يعود إليهم. وعلّمهم أيضاً أن يشتغلوا بأيديهم ويزرعوا الأرض ويفلحوها فتحولت الصحراء بعد قليل إلى أرض خضراء مزهرة بالثمار.

وذاع صيت فضيلته فى الشرق والغرب، وقصد إليه كثيرون وتتلمذوا على يديه. وجاء إليه فلاسفة من الشرق والغرب يناقشونه ويباحثونه، وكان يدهشهم بمنطقه البسيط، فيشعرون بسموّ شخصيته وقوة حجّته. وقد راسله قسطنطين أحد ملوك الروم فتباطأ عن الردّ، فذهل تلاميذه من الرهبان فقال لهم بكل هدوء واتزان: أتطربون لأن ملكاً من الأرض يكتب لنا وهو إنسان مثلنا، ولا تعجبون بالحرّى لأن الله كتب لنا شريعته وفوق ذلك خاطبنا فى ابنه يسوع المسيح وهو كلمة الله المتجسد؟

ولما ألحوا عليه بالرد كتب للملك يعظه بكلمات قوّية من غير مداهنة، ولا تملّق حتى هابه الملك وأرسل يطلب صلواته وبركاته.

ولمّا ثار الاضطهاد فى زمانه وسمع ببلوى المسيحيين نزل ومعه عدد من شيوخ الرهبان إلى مدينة الأسكندرية، يشدّد إيمان الشعب بالمسيح وقصد إلى السجون يثير المسيحيين أن يتمسكوا بدينهم، وكان يجتمع بالمحكوم عليهم بالأشغال الشاقّة يرغبهم فى الاحتمال والصبر من أجل الحياة الأبدية، بل وكان يمضى إلى المحاكم ويدافع عن المسيحيين المتهمين ظلماً. وكان فى هذا كله يعرّض نفسه للأخطار. وكان هو شخصياً لا يبالى بحياته، بل كان فعلاً راغباً فى أن يموت شهيداً من أجل المسيح. ومع ذلك شاء الله أن ينجو من الموت لأن حياته كانت ألزم لأولاده وتلاميذه، وعاد إلى ديره بسلام يواصل رياضاته الروحية.

ونزل مرة أخرى إلى العالم عندما علم بخبر بدعة الأريوسيين، الذين زعموا أن المسيح مخلوق، وكان القديس أثناسيوس بابا الأسكندرية قد نفى من كرسيه، بسبب استمساكه بالإيمان الأرثوذكسى فى لاهوت السيد المسيح. فرأى الأنبا أنطونيوس أن الضرورة تلزمه بأن يثبت إيمان المسيحيين، فى غياب راعيهم الأكبر، فأخذ معه عدداً من شيوخ الرهبان وذهب إلى الأسكندرية، وصار يتنقل بين الناس واعظاً ومعلّماً، ومدافعاً عن الإيمان، ومبطلاً حجج الأريوسيين وتعليمهم الفاسدة المنحرفة. فانتفع المسيحيون بوعظه، وازداد المخلصون استمساكاً بإيمان آبائهم. وعاد بعد ذلك القديس أنطونيوس ورهبانه إلى ديرهم مرة أخرى.

إن من العسير أن نسجّل كل فضائل هذا القديس الذى شهدت عنه السماء مرة، أن الأرض وما عليها لا تستحق وطأة من قدمه، والذى حاربته الشياطين بألوان مختلفة من الحروب ولكنه انتصر عليها. هذا الرجل الذى جذب الملايين إلى الهداية، بصلواته وتعاليمه وسيرته العطرة وقدوته الصالحة، وقد علّم بالمثال أكثر من الكلام «عن زوال الحياة الدنيا، واحتقار أباطيل العالم، وأهمية السعى لخلاص النفس من خطاياها، ولذّات الحياة العقلية الروحانية، ولفت العيون إلى قيمة الحياة الأبدية».

ولقد انتفع بسيرته الشرق والغرب، وأسسوا الأديرة إقتداء بما فعل، وقال مؤلفو الغرب عن سيرته «هذه السيرة قد خلقت أثراً قوياً فى كل أنحاء العالم، وهى التى أوقدت شعلة الرغبة النسكية فى روما وفى كل الغرب» وقالت عنه دائرة المعارف البريطانية «أنه أبو الرهبنة المسيحية».

ومع شظف الحياة التى عاشها، ومع أنه لم يأكل اللحوم قط، فقد كان يأكل مرة فى اليوم وأحياناً مرة فى كل يومين، أو ثلاثة أو أربعة، ومع أن طعامه كان بسيطاً، لكنه لم يمرض فى حياته قط، وعاش إلى أن بلغ ١٠٥ سنوات وقد علم بأمر موته فودّع أبناءه الرهبان وضمّ رجليه وأسلم الروح وعلائم الرضى والسرور تعلو وجهه الملائكى فى الثانى والعشرين من طوبة سنة ٣٥٦م أما مولده فكان فى سنة ٢٥١م.

تأملات فى حياة القديس أنطونيوس (١)

نطالع جزءاً من الإصحاح العاشر من سفر نبوءة دانيال النبى بركاته علينا آمين.

«فى السنة الثالثة لكورش ملك فارس كُشف أمر لدانيال الذى سمى باسم بلطشاصر، والأمر حق والجهاد عظيم وفهم الأمر وله معرفة الرؤيا، فى تلك الأيام أنا دانيال كنت نائحاً ثلاثة أسابيع أيام، لم آكل طعاماً شهياً ولم يدخل فى فمى لحم ولا خمر ولم أدّهن حتى تمت ثلاثة أسابيع أيام. وفى اليوم الرابع والعشرين من الشهر الأول إذ كنت على جانب النهر العظيم هو دجلة، رفعت عينى ونظرت فإذا برجل لابس كتاناً وحقواه متمنطقان بذهب أوفاز، وجسمه كالزبرجد، ووجه كمنظر البرق، وعيناه كمصباحى نار وذراعاه ورجلاه كعين النحاس المصقول وصوت كلامه كصوت جمهور. فرأيت أنا دانيال الرؤيا وحدى والرجال الذين كانوا معى لم يروا الرؤيا، لكن وقع عليهم ارتعاب عظيم فهربوا ليختبئوا، فبقيت أنا وحدى ورأيت هذه الرؤيا العظيمة، ولم تبقى فىّ قوة ونضارتى تحولت فىّ إلى فساد ولم أضبط قوة، وسمعت صوت كلامه، ولما سمعت صوت كلامه كنت مسبخاً علىٍ وجهى ووجهى إلى الأرض، وإذا بيد لمستنى وأقامتنى مرتجفاً على ركبتى وعلى كفّ يدى، وقال لى يا دانيال أيها الرجل المحبوب افهم الكلام الذى أكلمك به، وقم على مقامك لأنى الآن أرسلت إليك. ولما تكلم معى بهذا الكلام قمت مرتعداً، فقال لى لا تخف يا دانيال لأنه من اليوم الأول الذى فيه جعلت قلبك للفهم ولإذلال نفسك قدام إلهك، سمع كلامك وأنا أتيت لأجل كلامك. ورئيس مملكة فارس وقف مقابلى واحداً وعشرين يوماً، وهوذا ميخائيل واحد من الرؤساء الأولين جاء لإعانتى، وأنا أبقيت هناك عند ملوك فارس، وجئت لأفهمك ما يصيب شعبك فى الأيام الأخيرة لأن الرؤيا إلى أيام بعد. فلما تكلم معى بمثل هذا الكلام جعلت وجهى إلى الأرض وصمدت، وهوذا كشبه بنى آدم لمس شفتى ففتحت فمى وتكلمت وقلت للواقف أمامى يا سيدى بالرؤيا انقلبت علىّ أوجاعى فما ضبطت قوة، فكيف يستطيع عبد سيدى هذا أن يتكلم مع سيدى هذا وأنا فحالاً لم تثبت فىّ قوة ولم تبقى فىّ نسمة، فعاد ولمسنى كمنظر إنسان وقوانى وقال لا تخف أيها الرجل المحبوب سلام لك. تشدد تقو. ولما كلمنى تقويت وقلت ليتكلم سيدى لأنك قويتنى، فقال هل عرفت لماذا جئت إليك. فالآن ارجع وأحارب رئيس فارس فإذا خرجت هوذا رئيس اليونان يأتى، ولكنى أخبرك بالمرسوم فى كتاب الحق ولا أحد يتمسك معى على هؤلاء إلا ميخائيل رئيسكم». مجداً للثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس.

أيها الأخوة والأبناء، فى هذا المساء المبارك وبمناسبة عيد القديس العظيم أبى الرهبان الأنبا أنطونيوس، يمكن أن يكون موضوعنا تأملات فى حياة الأنبا أنطونيوس.

(١) محاضرة بكنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا - مساء الأحد ٢٧ يناير ١٩٨٠م - ١٨ طوبة ١٦٩٦ ش - نقلاً عن شريط كاسيت.

أولاً : صلاة بلا إنقطاع:

وأول ما يثيرنا فى الرجل أنه كان رجل صلاة بلا إنقطاع، وكانت خدمته لله هى صلاته، والغريب أن كثيرين من الناس يفهمون الخدمة على أنها خدمة وعظ وإرشاد وتعليم، وانحصر مفهوم الخدمة عند الكثيرين بهذا المعنى، وغاب عنهم أن هناك خدمة لله من طراز آخر، هذه الخدمة ما نسميها بخدمة الملائكة.

وخدمة الملائكة لله تقوم على أساس أنهم واقفون أمام العرش، واقفون على خدمة رب العرش يقول الملاك جبرائيل أو غبريال وهو أحد الرؤساء السبعة الواقفين أمام العرش، أو كما سماهم سفر الرؤيا سبعة أرواح أمام عرشه، أو كما قال الملاك رافائيل لطوبيا: أنا رافائيل أحد السبعة الواقفين أمام الله.

جبرائيل حينما أتى من السماء ليبشر زكريا يقول له: أنا جبرائيل الواقف أمام الله، فخدمة الملائكة، خدمة الوقوف أمام الله فى حضرته استعداداً لتنفيذ كلمته، خدمة الملائكة خدمة العبادة، حتى الملائكة الحراس المكلفين بحراسة الأطفال، يقول عنهم رب المجد أن ملائكتهم ينظرون فى كل حين وجه أبى فى السموات، حتى الملائكة الحراس المكلفون بالحراسة، خدمتهم الأساسية أنهم واقفون أمام الله ينظرون إليه، يشخصون بأبصارهم إليه، يركزون كل إهتمامهم فى حضرته، وفى لمح البصر ينزلون من السماء ليحرسوا الأطفال ويعينوهم فى وقت الحاجة، ثم يعودون فى لمح البصر إلى مقرهم الأصيل أمام الحضرة الإلهية، هذه هى خدمة الملائكة. خدمة الوقوف فى الحضرة الإلهية، لماذا يغيب عن أذهاننا أن هناك خدمة لله غير خدمة الناس، وهذه الخدمة فى الحضرة الإلهية قوامها الوقوف أمام الله وعبادته، والشخوص فيه والتطلع إليه، هذه هى خدمة الملائكة.

والرهبنة فى صميمها هى خدمة الملائكة بين البشر، الرهبنة فى رسالتها الحقيقية كما فهمها أباء الرهبنة العظام، من أمثال القديس أنطونيوس، والأنبا بولا، والأنبا بيشوى، والأنبا مقار، والأنبا شنودة، والأنبا باخوم، كل أباء الإسكيم الذين رسموا طريق الرهبنة وساروا أمامنا، هؤلاء فهموا الرهبنة فى صميمها على أنها خدمة الملائكة، خدمة الواقفين أمام الله، خدمة الصلاة التى بلا إنقطاع.

وهذا التعبير الجميل الوقوف أمام الله كان دائماً فى فم إيليا النبى، إيليا الذى عاش راهباً بكل معنى كلمة الرهبنة، لأنه كان متبتلاً منقطعاً لخدمة الله، وكان يلبس على حقويه منطقة من جلد، وكان زاهداً فى طعامه وشرابه ولباسه، كان إيليا يقول: حىٌ الرب الذى أنا واقف أمامه، كان إيليا يرى نفسه أنه واقف أمام الله وأنه فى حضرته دائماً وأنه قائم على خدمته، وكانت

خدمة إيليا هى خدمة الصلاة التى بلا إنقطاع فى جبل الكرمل، فى الجبال والبرارى والقفار كان إيليا هذا الطراز من الرهبان الذى عمله الأول والأساسى هو الصلاة، خدمة الملائكة الوقوف أمام الله، وهكذا كان يوحنا المعمدان الذى أقام فى البرارى إلى يوم ظهوره لإسرائيل، وكان الناس يخرجون إليه، أما هو فكان مقيماً فى الصحراء والناس هى التى كانت تخرج إليه، ولكن بعد ثلاثين سنة على الأقل من حياة نسكية عنيفة، لأن يوحنا اختطفه ملاك الرب من يدى أبيه زكريا وأتى به إلى البرية، لأن جند هيرودس ذهبوا إلى بيت زكريا يطلبون أن يقتلوا ابنه، لأنه كان ينطبق عليه قرار هيرودس بقتل الأطفال الصغار من ابن سنتين فما أقل، دخل الجند بيت زكريا ليقتلوا طفله فقال لهم زكريا بمرارة وحزن أُسلمه إليكم من المكان الذى أخذته، فذهب وهو شيخ يجرى ويوحنا على كتفيه طفلاً رضيعاً، وهناك فى الهيكل أمسك بقرون المذبح وهو يصرخ ويقول: هذا هو الابن الذى أعطيتنى إياه يطلبون أن يقتلوه، فاختطفه ملاك الرب وذهب به إلى البرية، فلما لم يجد الجند طفله ليقتلوه حسب الأوامر الصادرة إليهم، قتلوا أباه زكريا، وهنا قال المسيح له المجد «يأتى عليكم كل دم ذكى سفكتموه على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن براخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح».

عاش يوحنا طفلاً رضيعاً فى البرية والقفار، يشرب من لبن الغزلان إلى أن كبر وصار طعامه من النبات الذى ينبت فى الأرض الجرداء وعسل النحل، وكان يلبس منطقة من جلد على حقويه فى صورة الراهب الناسك العابد كل زمانه الذى قضاه فى البرية، والرسالة التى تلقاها يوحنا من الله تلقاها وهو فى البرية، ولذلك يقول عن المسيح أنا لم أكن أعرفه، لم تكن بينى وبينه معرفة بالعين سابقة لأنى ما رأيته بعينى رأسى، أنا لم أكن أعرفه، ولكن الذى أرسلنى قال لى الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً على رأسه، هذا هو الذى يعمد بالروح القدس وبالنار، لاحظوا قوله، الذى أرسلنى قال لى، متى تمت هذه الإرسالية؟ ومتى سمع يوحنا هذا الصوت يبلغه الرسالة؟ الذى أرسلنى قال لى الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً على رأسه هذا هو الذى يعمد بالروح القدس والنار، وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله.

يوحنا تلقى الرسالة فى البرية فى الصحراء القاحلة فى هذا المكان النائى فى الجبال، وهو أنسب مكان يمكن أن يتلقى فيه الإنسان رسالة من السماء، حيث يتوافر له الصفاء ويتوافر له الهدوء والسكون، يمكنه أن يسمع فيه صوت الله، ولكن حيث الضجيج وحيث الأصوات العالية، حيث القلق وحيث السجس وحيث الإضطراب يتعذر جداً أن يسمع الإنسان فيه صوت الله.

من أجل هذا رأينا أولئك الروحانيين الذين يريدون أن يحيوا حياة كاملة مع الله، وأن يتحدوا به إتحاداً كاملاً، خرجوا من العالم، حكموا على أنفسهم بالموت الإرادى، ماتوا بمعنى كل الكلمة،

ليست الإماتة فقط بمعنى إماتة الشهوات والرغبات وأعمال الطياشة وميول الجسد، ولكن أيضاً بالخروج الكامل من المجتمع العريض.

وهذه هى رسالة الرهبنة خروج من العالم، بالمعنيين الروحى والجسدى، بالمعنيين الأدبى والمادى، خروج من العالم خروجاً تاماً كاملاً، وكأن الإنسان قد دخل بالموت إلى ما بعد الموت، استعجل الإنطلاق والدخول إلى العالم الآخر وهو فى هذا العالم، ولذلك كان التعبير والمصطلح السائد بين الرهبان: إذا اضطر أن يعود إلى العالم يقول نزلت إلى العالم، وحينما يذهب إلى الصحراء يقولوا صعدت، صعدت إلى الجبل، إلى البرية، ليس هذا الكلام معناه فقط بالمعنى الجغرافى أو المادى، أو الحرفى أو الخارجى للكلمة، باعتبار أن الجبال أماكن عالية بالنسبة إلى الوادى، ولكن هنا معنى روحى أيضاً صعد إلى الجبل لأنه خرج من هذا العالم الواطى المنخفض إلى العالم الأعلى والأسمى بالروحانية السامية، حيث يقف الراهب أمام الله وقوفاً دائماً، كأنه وقوف الملائكة فى حضرة الله أمام عرشه المقدس. وإذا أُضطر أن يرجع إلى العالم فى مهمة كما كان إيليا يعود إلى العالم أحياناً، فكان يقول نزلت إلى العالم، هذا هو النزول لا بمعناه الحرفى فقط المادى الجغرافى، ولكن أيضاً بمعناه الروحانى والأدبى والعقلانى نزول إلى العالم، لأن الرهبنة الحقيقية ترفع إحساسات الإنسان إلى فوق، ترفع عقله إلى فوق، ترفع مشاعره إلى فوق تجعله يعلو، يعلو فوق الوجود المادى إلى الحضرة الإلهية، إلى الوجود أمام العرش السماوى واقفاً أمامه فى خدمة الملائكة.

عندما نقرأ فى الأسفار المقدسة عن الملائكة الذين يسمون بالكاروبيم أو الشيروبيم والسيرافيم، عندما نقرأ عنهم فى سفر حزقيال، وفى سفر الرؤيا وفى سفر إشعياء والمزامير وفى غير ذلك من الأسفار المقدسة، نقرأ عن الكاروبيم والسيرافيم أنهم أرقى طغمة من طغمات الملائكة، وهم أقرب الملائكة إلى العرش الإلهى، الكاروبيم والسيرافيم من طغمة واحدة، لكن الكاروبيم وظيفتهم أنهم قائمون تحت العرش يحملون عرش الله، ويمثلون المركبة الإلهية من تحت العرش الإلهى، الجالس فوق الكاروبيم، الله يجلس فوق الكاروبيم، حينما نقرأ فى سفر حزقيال يقول: أن الملائكة الكاروبيم وهم من نور ونار واقفون وقفة إنسان، وفوق رؤوس هؤلاء الملائكة مقبب مثل البللور الهائل، وفوق المقبب شبه عرش، له شكل قوس قزح، بألوانه السبعة، وفوق العرش شبه منظر إنسان وهو رب العرش يسوع المسيح، الإله فى صورة إنسان، هؤلاء الملائكة واقفون تحت العرش يحملون العرش، وحيثما ذهب الرب كان الكاروبيم يذهب معه حاملاً عرشه، يقول ركب على كاروب وطار، ما هى خدمة الكاروبيم، ما هو عملهم؟ واقفون أمام العرش وتحت العرش، من يوم الخليقة وإلى الآن الكاروبيم واقفون تحت العرش، هذه هى خدمة الملائكة، الوقوف أمام

العرش ولذلك يحملون لقب حراس العرش، لا بمعنى أن الله فى حاجة إلى حراسة هذه الملائكة، ولكن لكى يخلق لهذه الكائنات التى خلقها وظيفة تتشرف بها، تصبح لها كرامة أنها تصلح بأن تكون هى الحراس الواقفون أمام العرش، وذكر سفر التكوين أن الكاروبيم أقيم أمام شجرة الحياة، لحراسة طريق شجرة الحياة، حتى لا يقترب الإنسان الذى سقط من شجرة الحياة فيأكل ويحيا إلى الأبد، وشجرة الحياة هى المسيح، والكاروبيم واقفون لحراسة طريق شجرة الحياة حتى يطردوا من الحضرة الإلهية كل إنسان ساقط فى الخطيئة، لا يليق أن يقترب إلى شجرة الحياة حتى لا يأكل فيحيا إلى الأبد، بعد أن حكم على نفسه بالموت بسقوطه فى الخطيئة. **والسيرافيم** من نفس الطغمة لكنهم حول العرش يطيرون ويسبحون، ويقول الواحد منهم قبالة الآخر «قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء السموات والأرض»، ملائكته كل عملهم أنهم يطيرون حول العرش بستة أجنحة، بإثنين يغطون وجوههم من بهاء الجالس على العرش، مع أنهم من نور ومن نار، لكن العرش أعظم من أن - يستطيعوا على الرغم من طبيعتهم العظيمة - أن يتطلعوا إليه، لذلك يغطون وجوههم بإثنين، وهذا هو السبب لماذا فى مقدمة القداس، عندما نذكر سيرة الملائكة أمام العرش، الكاهن يحمل لفافة فى وضع المثلث ويضعها أمام عينيه، كوسيلة إيضاح يمثل الملائكة السيرافيم الذين أيضاً يغطون ويسترون وجوههم أمام العرش الإلهى، على الرغم من أنهم من نور ومن نار، وبإثنين يسترون أرجلهم ويطيرون بإثنين، وينادى الواحد قبالة الآخر، سيمفونية، ترتيلة، أنشودة دائمة خالدة « قدوس قدوس قدوس، رب الجنود مجده ملء السموات والأرض» وسواء الكاروبيم والسيرافيم هؤلاء وأولئك أعلى رتب الملائكة ما هى خدمتهم؟ خدمتهم أنهم واقفون أمام الله فى حضرته، منذ يوم الخليقة واقفون على خدمته لا يجلسون ولا يستريحون بطريقة متواصلة واقفون فى حضرته يصلون، يقفون على خدمته، يعملون بكلمته، لا عمل لهم إلا أنهم واقفون أمام الله، يسبحونه ويرتلون لاسمه ويباركونه ويشكرونه ويحمدونهم ويصلون إليه عن نفوسهم وعن كل الخليقة أيضاً.

هذه خدمة الرهبان، القديس الأنبا أنطونيوس أبو الرهبان، عاش حياة فيها هذا النوع من الإنقطاع للخدمة، خدمة الملائكة لا خدمة البشر، الوقوف أمام الله طوال الوقت وقوفاً مستمراً، سجوداً مستمراً، خشوعاً مستمراً، لا يوما ولا أيام ولا شهراً ولا شهور ولا سنة ولا سنوات، طوال حياته عاش الأنبا أنطونيوس واقفاً أمام الله مصلياً، ليست هذه خدمة قليلة، قد ينظر البعض لها باحتقار ويقول إيه يعنى، وفيه واحد مؤرخ بروتستانتى اسمه موسهايم(Moshaime) يقول عن الأنبا أنطونيوس «عاش عيشة لا تليق إلا بالحيوان» الأنبا أنطونيوس عاش عيشة الحيوانات!! وذلك لأن مفهوم الخدمة عند حضرته لابد أن تكون الخدمة كلام والخدمة وعظ والخدمة تعليم، لكن غاب عن ذهنه أن هناك خدمة أخرى أرقى، خدمة مريم التى اختارت النصيب الصالح،

التى جلست عند قدمى يسوع المسيح لتسمع كلامه، فطوبها أكثر مما طوب مرثا، وقال لها يا مرثا تضطربين لأمور كثيرة، الحاجة إلى واحد، فاختارت مريم النصيب الصالح الذى لن ينزع منها إلى الأبد.

هذه خدمة الأنبا أنطونيوس والخدمة التى رسم بها طريق الرهبنة، الرهبنة بمفهومها القبطى الأصيل، الرهبنة بمفهومها الروحانى الأصيل الصحيح الحقيقى أنها خدمة الملائكة، صحيح أن الأنبا أنطونيوس نزل فى شيخوخته مرتين إلى العالم لمهمة سريعة اقتضاها الموقف الصعب، نزل مرة فى أيام الإضطهاد، ليثبت المؤمنين الذين يقتلون من أجل المسيح، ولكنه عاد سريعاً، ومرة أخرى فى أيام المتاعب التى لحقت بالقديس أثناسيوس الرسولى من أريوس والأريوسيين، وكان الأنبا أثناسيوس الرأس الوحيد الواقف يدافع عن الإيمان ضد جحافل الظلمة، ضد السلطة المدنية وضد كثيرين من الشعوب، ضد اليهود والوثنيين والذين انحازوا إلى أريوس فى بدعته التى قاوم بها لاهوت المسيح، اضطر الأنبا أنطونيوس فى وقت كان أثناسيوس الرسولى منفياً، اضطر أن ينزل ليثبت المؤمنين على الإيمان الأرثوذكسى بلاهوت المسيح، وبعد ذلك كان يعود مباشرة لمواصلة خدمة الملائكة، ولذلك كان الأنبا أنطونيوس يقول: إن الراهب مثله مثل السمكة التى حياتها فى الماء وبالماء، فإذا خرجت من الماء ماتت، وحياة الراهب هو فى شخوصه الدائم أمام الحضرة الإلهية، فى مواصلة الصلاة التى بلا انقطاع.

أيها الأخوة والأبناء قصدت من هذا أن تتأملوا فى هذا المعنى، أن لا تحتقروا الصلاة ولا تظنوا أن الخدمة فقط بالطريقة البروتستانتية هى خدمة الوعظ والإرشاد، وإن كان هذا لازماً للكنيسة، لكن لا تحتقروا خدمة الصلاة، فإنها أيضاً خدمة الملائكة، خدمة العبادة، هذا نوع آخر من الخدمة لا تحتقروه، ونحن الذين فى العالم سواء منا الخدام أو المخدومين فى حاجة على الأقل إلى نصيب من خدمة الملائكة، إذا لم يكن فى مقدورك كإنسان أن تحيا حياة الراهب وأن تخدم الله خدمة الملائكة، فلا أقل من أن تحتاج من وقت إلى آخر أن تعطى جزء من وقتك للعبادة وتعطيه للخدمة، خدمة الملائكة، بل فى كل يوم أيضاً تحتاج إلى جزء من هذا اليوم تخدم فيه الله خدمة الملائكة، حينما تستيقظ مبكراً أول ما تستطيع أن تعمله فى الخدمة أن تقف أمام الله وقفة الملائكة تصلى، تعبده، ليس فقط لكى تأخذ قوة، ولكن لكى تؤدى أمام الله واجب العبادة، كعبد أمام سيده، كخادم أمام ربه، كمخلوق أمام خالقه، عليك واجب العبادة، واجب الشكر، واجب أن ترفع عقلك وأن تقف أمامه وتباركه وتشكره وتحمده، وتبرهن على أنك خادم لسيدك وعلى أنك عبد أمام ربك، وعلى أنك مخلوق أمام خالقه يؤدى أول ما يؤدى واجب العبادة والشكر.

ثانياً : فضيلة الكفاح والثبات الدائم:

ممكن أن نلتفت فى الأنبا أنطونيوس إلى فضيلة أخرى.

الأنبا أنطونيوس عندما نقرأ سيرته نقرأ سيرة رجل مكافح ومناضل فى الحياة الروحية، نقرأ سيرة محارب، حارب حروباً كثيرة. هذه قد تغيب عن أذهان السطحيين من الناس، الذين يأخذون الدين مأخذاً سطحياً خارجياً، لا يعرفون أن هناك حروب من العالم غير المنظور، الأنبا أنطونيوس كشفت عن عينيه حروب الشياطين وحيلهم بصورة تغيب عن أذهاننا نحن، ففى مرة «يقول أبصرت فخاخ الشيطان منصوبة على كل الأرض» أبصرها رآها بكشف روحانى، برؤيا باطنية، أبصرت فخاخ الشيطان منصوبة على كل الأرض، «فتنهدت وقلت من يفلت من هذه يا رب، لأن الفخاخ محكمة، من يفلت منها، فجائنى صوت من السماء يقول المتواضعون يفلتون منها» فى كفاحه الباطنى رأى حروباً ودخل فى معركة حقيقية مع الشيطان وكل قواته الشريرة، يوجد أشخاص يقولون أين الشيطان؟ وعنده حق لأن الشيطان لا يستخدم معه الحيل الخفية إنما أشياء بسيطة ممكن أن لايدرى بها، لأنه غير واقع فى حالة حرب معه، أو لأنه من أولاده تحت سلطانه فلايحاربه إلا أذا رأى منه علامة تمرد، يبتدئ يرفع بعض أسلحته ضده إذا رآه قد تمرد، لكن فيما عدا ذلك مادام هو يسير تحت سياسة الشيطان أبيه مثل ما قال المسيح حينما كان يكلم اليهود أبوكم هو أبليس، لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم، لكن أبوكم هو إبليس.

فهناك أشخاص لا يحسون بحرب الشيطان، لأن الشيطان فى هدنة معهم، هم يعيشون تحت لوائه فلا يرفع ضدهم سلاح، ولذلك أغلبهم فى بعض الأحيان يقولون أين الشيطان؟ هناك ناس تنكر وجود الشيطان، لكن الأنبا أنطونيوس دخل فى معركة حقيقية مع الشيطان وكان الشيطان يحاربه مواجهة وبأساليب واضحة، ولذلك فإنه من غير المستحب للمبتدئين من الناس أن يقرأوا سيرة الأنبا أنطونيوس، لئلا يتولاهم الرعب والخوف لأن هذا مستوى عالى، فالصغار ليس من مصلحتهم أنهم يقرأوا سيرة الأنبا أنطونيوس فى كفاحه مع الشياطين، لذلك نحن نتكلم عن الموضوع بدون تفاصيل لأن التفاصيل نفسها مرعبة.

المهم الخلاصة أن الأنبا أنطونيوس دخل فى حرب حقيقية مع الشيطان، ومع كل قوات الشيطان بأساليب واضحة علانية جهارية، ليس فقط بحيل، وفخاخ، وإنما بالمواجهة، وهذا يريكم أن الأنبا أنطونيوس وصل إلى مقام روحى عالى، حتى أنه كان فى مكان القيادة، ولذلك كان يدخل مع الشيطان قائد أمام قائد، لذلك الشيطان عندما كان يحاربه، كان لا يحاربه الحروب العادية البسيطة، إنما كان يحاربه حروب القادة، حروب القيادة التى ليس لأحد فى المستوى العادى أن يدركها أو يضعها فى ذهنه.

ولكى تأخذ فى ذهنك نوع الحروب الشيطانية، نحن قرأنا اليوم من سفر دانيال والإصحاح العاشر، جزء صغير يرينا شيئاً من العالم غير المنظور والحروب التى تجرى وراء المنظور، والتى قال عنها بولس الرسول إن حربنا ليست مع دم ولحم بل مع أجناد الشر الروحية فى السماويات، الكلام الذى قرأناه اليوم من الإصحاح العاشر من سفر دانيال يقول إن دانيال وهو عملاق من عمالقة الروح، هذا الرجل القديس العظيم بين الأنبياء الذى أخذ من الله لقب «دانيال أيها الرجل المحبوب» لا يوجد فى كل أسفار العهد القديم أحد نال من الله هذا اللقب، ثلاث مرات يأتى الملاك من السماء يقول له: «دانيال أيها الرجل المحبوب» هذا الرجل الذى شهد الله عنه هذه الشهادة، يقول أنا دانيال كنت نائحاً ثلاثة أسابيع أيام أصلى لم آكل شيئاً، لم آكل لحماً ولا شربت خمراً، ظل صائماً ثلاثة أسابيع أيام يصلى، فى اليوم الواحد والعشرين جاء له الملاك جبرائيل قال له «دانيال أيها الرجل المحبوب» منذ اليوم الأول الذى فيه أذللت نفسك سمعت صلاتك وأنا أتيت لأجل صلاتك، من اليوم الأول بينما جاء الملاك فى اليوم الواحد والعشرين. أين كان الملاك هذه المدة الواحد وعشرين يوماً؟ يقول الملاك رئيس مملكة فارس قاومنى واحداً وعشرين يوماً، إلى أن جاء ميخائيل الرئيس، تصوروا قدرة الشيطان المعين رئيساً لمملكة فارس من قبل إبليس، له قدرة أن يعطل رئيس الملائكة جبرائيل، يعطله فى السماء لكى لا ينزل إلى دانيال، حتى دانيال يكف عن الصلاة ويتعب ويمل، ولكن إصرار دانيال على مواصلة الصلاة واللجاجة والإلحاح هز السماء، فنزل ميخائيل رئيس الملائكة وأعان جبرائيل ضد الشيطان المعين رئيساً لمملكة فارس، وبهذا استطاع جبرائيل أن يأتى إلى دانيال ويبشره بإستجابة صلاته.

هذه صورة توضح فكرة عن الحروب الخفية وجبروت الشيطان وكل قواته خصوصاً فى مملكة الأرض، لأنه رئيس هذا العالم كما قال المسيح، يوقف جبرائيل، وقف مقابلى، قاومنى ٢١ يوماً، هذا ليس إبليس، ولكنه رئيس مملكة فارس المعين من قبل إبليس، يعنى شيطان أقل درجة من إبليس، لذلك الذى ذهب يحارب المسيح له المجد على جبل التجلى كان إبليس نفسه، إنما الشيطان منظم تحت منه قوات بدرجات تنازلية مثل ما نقول فى الجيش، فيه فريق، فيه لواء، فيه عميد، فيه عقيد، فيه مقدم، إلى آخر هذه الدرجات إلى عسكرى. الشيطان رئيس طغمة، وهذه الطغمة ملايين الملايين، ولكن درجات ودرجات ودرجات، وكما أنه متفرغ ولا يوجد عنده عمل آخر لا يأكل ولا يشرب ولا يوجد لديه مشغولية أخرى، ولا ينام، كل عمله المقاوم ضد الله، العنيد لأن إبليس معناها (دياڤلوس) العنيد والمقاوم، سماه القديس بولس «إله هذا الدهر» مثل ما قال سيدنا له المجد رئيس هذا العالم، هذا الإبليس منظم وتحت منه قوات مختلفة، عندما يكون واحد بسيط يرسل له شيطان صغير. «عندما يترقى هذا الإنسان فى الحياة الروحية يقيل

هذا الشيطان ويعين له درجة أعلى، فإذا لم يستطع هذا أن ينزل هذا القديس ويسقطه، لأنه يواصل الحياة الروحية إلى الأمام، فالشيطان يقيل هذا المعين له ويعين له آخر أقوى منه وهكذا، لذلك كل ما تقدم الإنسان فى الحياة الروحية يعين له شيطان أقوى، حتى أنه مرة يقولوا «... مثل شيطان الأنبا بولا، لماذا شيطان الأنبا بولا!! لازم يكون شيطان الأنبا بولا شيطان كبير جداً.

فشياطين القديسين أقوياء، كبار لماذا؟ لأن القديسين فى درجة مرتفعة. حالياً لما يكون مثلاً أمريكا تريد أن تؤدب بلد صغيرة مثل قطر أو دبى، هذه الفتافيت الصغيرة، افتكر إذا كان أمريكا أو روسيا باعتبارهما دول كبيرة، لا تحتاج أنها تخرج المخزون من الأسلحة العظيمة!! أبداً ، لكن عندما تدخل أمريكا وروسيا فى صراع كبير مع بعض، فى هذه الحالة هنا تطلع الأسلحة العظيمة النووية الهيدروجينية والصواريخ عابرة القارات وما إلى ذلك، لكن لا أتصور أنه لما تدخل هذه الدولة الكبيرة فى صراع مع دولة صغيرة لا تحتاج إلى هذه الأسلحة الضخمة.

هكذا حروبنا نحن مع الشياطين، الناس الصغار إما وقع بطبيعة الحال فلا يحتاج إلى حرب، ولكن إذا تمرد يوماً من الأيام على الشيطان، فلكى يخضعه يرسل له غفير أو يرسل له عسكرى صغير، لكن عندما يكبر فى الفضيلة يعين له شيطان أكبر منه.

لذلك نقول أن الأنبا أنطونيوس دخل فى حروب مع الشيطان حروب حقيقية، واضحة ظاهرة علانية بأسلحة كان يراها، وكان الشيطان يظهر أمامه ظهوراً علانية، لا نقول هذا الكلام لكى تتضايقوا أو تخافوا، ولكن هذا حقيقة لابد أن تكشف أمام المؤمنين، أن هناك حروباً روحية وأن هذه الحروب أكثرها خفى يدخل فى دائرة العالم غير المنظور، ولكن الإنسان الروحانى هل يرجع إلى الوراء، هل يتراجع، هل يخاف، هل يستسلم من كثرة الخوف؟ لكن طراز الأنبا أنطونيوس لم يكن طراز الخائفين المرتعبين لأنه يؤمن، «أنا عالم بمن آمنت وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى إلى ذلك اليوم» لا يخاف، لا يستسلم، يرفع السلاح محارباً واستطاع الأنبا أنطونيوس بنعمة الله وبالصبر وبالمجاهدات، بالمجاهدات الروحية المتواصلة وبالثبات، بالثبات لا بالتراجع ولا بالاستسلام، بالثبات، بفضيلة الثبات فى الله استطاع أن يواجه وأن ينتصر أخيراً، ويعلم الآخرين طريق الانتصار على الشيطان.

من هنا كان الأنبا أنطونيوس عملاقاً فى روحانيته، ليس هو من المستوى السطحى، ولذلك نحن فى حاجة إلى خبرات مثل هذا الرجل، قد لا يحتاجها البسطاء من الناس، قد لا يحتاجها السطحيون، قد لا يحتاجها الذين حروبهم صغيرة، لكن يحتاجها الذين لهم حروب أعمق وأعظم، هؤلاء يحتاجون أن يتتلمذوا على القديس الأنبا أنطونيوس، لأنه خاض معارك ومعارك حقيقية وروحانية من طراز عظيم.

وهنا الفرق بين الناس العاديين والناس الذين من طراز الأنبا أنطونيوس، الإنسان العادى يقول أنا غير محتاج لهذا كله، لماذا هذا كله؟ طبعاً هذا طراز الإنسان العادى الذى لا يريد أن يكافح، لا يوجد أمامه أشياء عالية يسعى إليها، الهدف الخاص به صغير مجرد أنه يريد أن ينجح، يريد فقط الشهادة الإبتدائية، لا يريد أن يترقى أكثر من ذلك، ، طموحه ضيق، لا يطمح فى درجات عالية، لكن الأنبا أنطونيوس كان ذلك الطراز من العباد الذى يطمع فى مستوى عالى وراقى جداً، ولذلك وصل إلى خبرات روحية عظيمة يتتلمذ الكبار عليها ليتعلموا منه.

وهنا بعض الناس يقول ما الذى نستفيده من الرهبنة لماذا كل هذا؟ ما الذى أفادوه هؤلاء الرهبان؟ الفوائد التى استفدناها من الرهبان من طراز الأنبا أنطونيوس والأنبا بولا والأنبا بيشوى والأنبا شنودة رئيس المتوحدين وأبو مقار والأنبا باخوم لباس الإسكيم الكبار، فوائد جزيلة كونت تراث، تراث روحانى نصرف منه قدر ما نصرف، يكفى حاجات الكنيسة وحاجات العباد وحاجات المحاربين لأنهم وجدوا من بينهم بشراً من هذا الطراز، الذى حارب تلك الحروب الكبيرة واستطاع أن ينتصر، ولذلك الذى يريد أن يعرف، يتتلمذ على الأنبا أنطونيوس والأنبا بولا وأمثال هؤلاء العظماء.

هؤلاء الذين دفنوا أنفسهم كما يظن بعض السطحيين من الناس، دفنوا أنفسهم صحيح من الخارج، لكنهم غرقوا فى أعماق الحياة الروحية، دفنوا أنفسهم لكن دفنوا أنفسهم فى عمق المعرفة الروحية، وبذلك استطاعوا أن يغترفوا، دخلوا إلى الأعماق فاستطاعوا أن يحصلوا على ما لا يمكن من الناس السطحيين أن يحصلوا عليه، هؤلاء الذين يقنعون بالصدوف، يجمع الصدف والزلط الذى من الخارج أما الأعماق والكنوز، الذهب المصهور من الداخل، الذهب تحت الأرض، يحتاج الإنسان أن يدخل إلى تحت ويدفن نفسه، هذا هو الدفن، إن حبة الحنطة تظل وحدها حتى تدفن فإذا دفنت وماتت تأتى بثمر كثير. وقد أتى الأنبا أنطونيوس بثمر كثير، لا لنفسه فقط وإنما للكنيسة كلها، لشعب الله، لكل محارب فى الحياة الروحية ولكل مناضل.

فضيلة الأنبا أنطونيوس كانت فضيلة الثبات، عدم التزعزع وعدم الإستكانة، المواصلة، المجاهدة، الكفاح الدائم، الحروب بغير توقف.

ومن هنا نتعلم من أبينا، هذا أبونا ونحن أبنائه، نتعلم منه كيف يكون الثبات، أن لا نستكين للخطيئة، أجد شاب يقول غير قادر، غير قادر!! عيب عليك، غير قادر تبطل سيجارة، غير قادر تبطل كأس من الخمر، غير قادر تبطل العادة السرية، يقول غير قادر، ماذا تطلب من الكاهن كيف يساعدك؟ أنت لابد أن تكافح، لابد أنت الذى تجاهد، لا تقول غير قادر، لماذا لا تقدر، من يقدر أن يساعدك؟ إذا كنت أنت تقول عن نفسك غير قادر. والمسيح يقول «كل شئ مستطاع

لدى المؤمن، إن كنت تؤمن فكل شئ مستطاع لدى المؤمن. والرسول بولس يقول «أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى». كلمة غير قادر كلمة عيب، عيب إنسان يسير فى طريق السماء يقول غير قادر، هذا معناه أنك أنت محتاج إلى الصوم، إلى تقوية الإرادة إلى العزم الصادق، إلى الإصرار، إلى المكافحة، إلى الثبات، إلى مواصلة الجهاد، إنما تقول غير قادر!! ستخسر المعركة، لا أحد يستطيع أن يساعدك، ممكن يساعدك بالصلاة، حتى الله لا يقدر أن يساعدك، «لأن الله الذى خلقك بدونك لا يقدر أن يخلصك بدونك». كما قال القديس أوغسطينوس، لابد من دورك أنت فى الكفاح والنضال، خذ الأنبا أنطونيوس مثالاً فى الرجل الجبار الذى لا يقول أنا لا أستطيع، لأ.. أستطيع كل شئ... يحارب ولا يرخى السلاح من يده، يواصل الحرب إلى أن ينتصر فى معركة بعد معركة، إلى أن ينتصر النصر النهائى، وحينئذ يكلل لماذا؟ لأنه تعب، لكن تقول غير قادر، تريد أن يعطيك أحد القوة، لا يكون لك أجر، إنما متى يكون لك الأجر إذا كافحت، إذا تعبت الكتاب يقول «كل يأخذ أجرته حسب تعبه»، إذا تعبت كثيراً تأخذ أجر، لكن لا تتعب وتذهب للكاهن، أو لأب الاعتراف وتقول له غير قادر، كلمة لا أقدر إلى أين تصل بك، لابد أن تقدر، لابد أن تكافح، لابد أن تواصل الجهاد لابد أن تهزم الشيطان، لابد أن تثبت ولا تستسلم.

نعمة ربنا يسوع المسيح تباركك جميعاً وله الإكرام والمجد إلى الأبد أمين.

تكريم القديس أنطونيوس (١)

منذ نيف وخمسمائة عام، وحياة أنطونيوس قديس الصحراء، تلهم خيال جميع الفنانين الكتاب. فنحن نجد أثره واضحاً فى المدرسة البيزنطية عند ألمع المصورين مثل فيلاسكويز Vèlasquez وأشهر الرسامين مثل بول سيزام Paul Cèzame . كما نجد أثره عند أخصب الكتاب خيالاً مثل فلوبير Flaubert وعند أبرع المؤلفين من ذوى الأسلوب الممتاز من أمثال أناتول فرانس Anatole France . وفى كل مكان فى عالم الفن، فى النقش، أو فى النحت، يظهر القديس أنطونيوس بقامته النحيلة ولحيته الكبيرة وشعره الطويل، وسترته التى من جلد الماعز. عائشاً بين رمال ذهبية تظللها الأيخرة البنفسجية، تحت سماء ملونة بلون اللآلئ الرمادية أمام مغارة فى داخلها صليب كبير من الخشب، وفى خارجها نخلة قديمة إلتوى عودها بفعل رياح الصحراء فانحنت على لجة من الماء.

وخير من كتب حياة قديسنا هو بلا ريب القديس أثناسيوس أسقف الأسكندرية الغيور، الذى عرف أنطونيوس معرفة شخصية. ففى كتابه «حياة القديس أنطونيوس» ترك لنا وصفاً أصيلاً لشخصية هذا الناسك الكبير، وعلى الخصوص لحياته الغريبة الأطوار، التى امتدت إلى أكثر من مائة عام، وهذه الحياة لا تؤلف فقط أول رواية عن حياة قديس، ولكنها أيضاً أول ترجمة لحياة لم تكتف بسرد مبسط للوقائع، وإنما ألقت ضوءاً شاملاً يظهر الطوايا الخفية فى نفس بطل روايته.

وحتى نكون عادلين وغير متحيزين، يجب أن نعترف ونقرر بأن المؤلف لم يكن متأثراً بطائفة دينية خاصة، لأن القديس أثناسيوس يحدثنا بنفس اليقين والإيمان عن قصص القديس ومعجزاته ورؤاه المقدسة، كما يحدثنا عن أسماء الأماكن والأشخاص الذين عاشوا فى ذلك العصر، وقد وجد خيال الكاتب فلوبير الخصيب فى هذا المؤلف الصغير، مادة للإفاضة فى كتابه عن الحروب الروحية التى عاناها القديس أنطونيوس، حيث يعيد إلى أذهاننا المأساة الأبدية وهى مأساة أساسية فى كل نفس بشرية، مأساة الصراع بين الشهوات الجسدية والزهد الروحانى.

وفى هذا العام، فى ١٧ يناير ١٩٥٦، يكون قد مر ١٦٠٠ عاماً منذ أن لفظ القديس أنطونيوس، ناسك الإسقيط أنفاسه الأخيرة.

مات أنطونيوس عندما بلغ الخامسة بعد المائة. وكان لا يزال محتفظاً بكامل حيويته، ولم ينذر بموته مرض أو إعتلال فى صحته. ففى ذات يوم كان أنطونيوس يعمل فى حقله، والمنجل مازال فى يده وهو متأهب لجمع الحصاد. سمع صوتاً يقول له، أنطونيوس «هذه الغلة هى آخر ما

(١) تلخيص لمقال Le Culte de St, Antoine نقله عن الفرنسية الدكتور وهيب عطا الله (نيافة الأنبا غريغوريوس) ونشر بمجلة معهد الدراسات القبطية ١٩٥٨م.

ستخزنه، ففهم أنطونيوس أن الله قد دعاه وأن الموت لن يلبث أن يخترمه، كالسحب المتلاحقة فوق الصحراء شبيهة بلباب ذؤابة عظيمة اقتلعها نسيم المساء.

هذه الحياة ، حياة الزهد والتضحية، الحياة العجيبة اللامعة، التى انقضى ثلثاها فى الوحدة المطلقة، كانت قد أدركت نهايتها.

ومن الواضح أنه بالنسبة لأهل زماننا، الذين يحيون فى عصر من السرعة الجنونية التفاهة المزعجة، ويعتقدون أن العمل ضرورى لبناء مملكة المسيح يسوع، لا يكادون يفهمون أنه يمكن لإنسان أن يعيش فترة طويلة من الزمن كهذه، فى عزلة تامة، بعيداً عن العالم المضطرب. أما الذين يعرفون الروح القبطية، ويعرفون أنها روح تأملية من أعلى طراز، فيسهل عليهم أن يدركوا أن مائة سنة من حياة هذا المتوحد أو من حياة أبطال الصحراء، مائة سنة يحيونها فى الله ليست إلا يوماً واحداً، (نعم ليست إلا) يوماً واحداً من الأبدية.

ويمكن تقريب هذا المدرك، إلى أحدث مدرك علمى لظاهرة الزمان. فإبتداء من بيرجسون Bergson لم يعد مستساغاً أن يقاس الزمن بالمقياس الرياضى الدقيق، إذ أنه أصبح مبدأ باطنياً وسيكولوجياً. فهو والحالة هذه لا يعتمد فى تطوره على الساعات أو على التقاويم، بل أنه يبلغ استدامته تبعاً لحدة الحياة الإنسانية الباطنية.

ولما شعر أنطونيوس بدنو الساعة التى كانت ستفترق فيها نفسه من جسده، أرسل مكاريوس وأماناس. تلميذيه المختارين، إلى أولاده المحبوبين، ليقولا لهم أن يعجلوا بالحضور إذا كانوا يرغبون فى أن يروه للمرة الأخيرة. فحضر إليه عدد كبير تجاوز ما كان يتوقعه، إذ قد لبى دعوته جميع سكان الصحراء، فخرج إليه الزهاد من بين صخورهم البرونزية وقد علاها مسحوق ذهبى غاية فى الدقة حتى لقد اختلط بإهتزازات الضوء، واستقل نساك النيل مراكبهم الثقيلة المغطاة بالمظلات فعبروا النهر الملئ بالبردى، كذلك سارع إليه المتوحدون فى صحراء نيتريا، والمتوحدون فى صحراء الإسقيط الذين كانوا يعيشون فى عزلة تامة لم تطأها قدم، ويسترشدون فى الليل بضوء النجوم، هرع نحوه الجميع صغاراً وكباراً، جاءوا ليحيوا هذا البطل الجليل، وينالون بركته المقدسة.

ولقد رقد أنطونيوس فى اليوم السابع عشر من يناير سنة ٣٥٦ لميلاد المسيح وكان متمدداً على الأرض عارياً، وشعره الأبيض يغطى ساقيه النحيلتين وكأنهما عكازتان وكان لمعان أسنانه العاجية اللون متبايناً مع سمرة جلده الأدكن الذى بدأت يد الهلاك تمتد إليه. أما محجرا عينيه فامتلآ ظلاماً. ولكن هناك فى العمق، فى عمق أعماق محجرى عينيه، سطعت الشعلتان اللتان تضيئان كأنهما مصباحا القبر يهتزان إلى الأبد. ومات أنطونيوس الناسك، أبو أقباط اليوم.

وفى الربيع التالى حين اخضرت الأرض من جديد حول مغارته، ونما القمح واكتمل نموه، لم يعرف أحد أين مقره، إلا أن إكرامه لم يلبث أن انتشر، وذاع فى الشرق كأنه شعلة نار سرت فى الهشيم فى ليالى الصيف.

ومنذ القرن الخامس أخذ إكرام القديس أنطونيوس فى الشرق ينتشر، وقد أدخله القديس بامبو فى فلسطين، والقديس بامبو هو أحد مشاهير المتوحدين فى صحراء نيتريا، نفى إلى قيصرية فلسطين بأمر الأمبراطور الأريوسى فالنس، ثم انتشر إكرام أنطونيوس فى جميع صوامع الرهبان. وكان القديس بوثيموس يستقبل الكثيرين من رهبان مصر المنفيين مع القديس بامبو Pambon وقد أوصى تلاميذه قبل موته أن يحتفلوا فى كنيسته إحتفالاً مهيباً بعيد القديس أنطونيوس.

وبعد مائة سنة من موت هذا البطريرك، شاع الإحتفال بذكراه لا فى مصر وحدها، بل أيضاً فى فلسطين وفى الشرق الأوسط، وفى بلاد العرب حيث يتضمن كتاب سير الشهداء لإيرونيموس. وكتاب سير لشهداء البرية سيرته ويذكران أن عيده يقع فى ١٧ يناير.

فماذا أصاب رفات القديس أنطونيوس بعد موته ؟ لقد ظلت رفاته مختفية حتى سنة ٥٣٢م، وفى هذا التاريخ نقلها يوستنيان من الصحراء إلى كنيسة القديس يوحنا المعمدان فى الأسكندرية، التى بنيت مكان السرابيوم. هذا المبنى الذى عده أميان مارسيلان منقطع النظير فى العالم.

وبقى جثمان القديس أنطونيوس ١٧٢ سنة فى هذه المدينة التى شبهها هيروديان فى عظمتها وفخامتها «برومية القياصرة».

وفى عام ٦٠٤ فى أيام حكم الأمبراطور يوستنيان الثانى عندما أصبح العرب سادة مصر نقل جثمان القديس أنطونيوس إلى القسطنطينية. هناك أوفى جاسلان سيد شاتونيف دالبُنك نذر والده جويوم لوكورنو، ثم مضى يبحث عن جثمان الناسك العظيم، وفاز بالحصول عليه من الأمبراطور ديوجينوس أو من اليكسس كومين مقابل الخدمات التى قدمها له بمساعدته إياه ضد العرب الذين هددوا العاصمة.

ويروى التاريخ أن جاسلان فى عودته إلى فرنسا، وقف عند كاجلياري Cagliari فى سردينيا، وترك رأس القديس أنطونيوس فى هذه المدينة ثم أودع هذا الرأس فيما بعد فى كنيسة المستشفى القديم المنسوب إلى القديس أنطونيوس فى كاجلياري. وفى سنة ١٩٤٣ ضربت الكنيسة بالقنابل فتدمرت تدميراً تاماً، ولكن عثر على الرأس سليماً فى وسط الخرائب.

ومع ذلك، فإنصافاً للحقيقة، ينبغى أن أقول أننى لم أجد أى برهان أو أية وثيقة دامغة تؤكد هذه القصة، أنها تقليد لا شك مقبول ولكنه لا يستند إلى أى دليل تاريخى.

فلما وصل جاسلان إلى فرنسا أودع الكنز الثمين فى كنيسة دى لاموت سانت ديديه، وبدأ فى سنة ١٠٨٠ يضع أساسات كنيسة كبيرة خصصت لتأوى العظام المقدسة، ثم خلفه قريبه جويجى ديدية، وورث ممتلكاته فأكمل المشروع فى هذه البلاد، حيث الضباب يخيم فى صبيحات الربيع على الوديان المتعرجة وكأنه وشاح أبيض.

ولقد حدثنا لاجييه Lagier فى كتابه «زيارة إلى كنيسة القديس أنطونيوس» من هذه الواقعة عندما مر بدوفينيه فى طريقه إلى مجمع كلير مونت Clermont بدعوة من البابا أوربان الثامن، أن البابا تنازل فى احتفال كبير عن قطعة الأرض اللازمة لهذا المشروع التقوى، ودعا جماعة من رهبان بنيديكت فى مونتماجور بالقرب من أرل، ليؤسسوا فيها ديراً وليرعوا الوديعة المقدسة، وليشرفوا على بناء الكنيسة، وأصدر البابا براءة باباوية معلناً موافقته على الإلتماسات بشأن العمل الذى ساهم فيه سريعاً أهل الدوفينيه ومعهم الأمراء وشعوب العالم بأسره.

وفى نفس الوقت، شرعت النار المقدسة، أو نار القديس أنطونيوس فى تدميرها لفرنسا من جديد. وسارع كل مصاب من كل جهة إلى طلب الشفاء بالقرب من رفات القديس أنطونيوس. وكان عدد هذا الجمهور من البؤساء كبيراً. والمعروف أن نبيلاً شريفاً من دوفينيه اسمه جاستون يشاع إنتسابه إلى أنيرون وابنه جيرين وضعا نفسهما فى خدمتهم ثم إنضم إليهما سبعة رجال كرام آخرون. وهؤلاء وأولئك أسسوا النظام المشهور بإخوان الصدقة أو رهبانية أنطونيوس. وأخذ عددهم يتزايد بسرعة. وأصبح لهم بعد قليل بيوت فى كل أوربا وآسيا. وجمعوا فى مستشفياتهم كل الأشقياء الذين ابتلاهم الوباء من كل مكان. واعتنوا بهم.

وواصل رهبان القديس بنيديكت، فى هذا الوقت بناء الكنيسة التى جاء البابا كاليكست، رئيس أساقفة فيينا سابقاً ليدشنها بنفسه، وقد قدس الأبنية الأولى (عام ١١١٩). وتعرف أيضاً على جثمان القديس أنطونيوس الذى وجده كاملاً فوضعه فى صندوق من خشب السرو مهدى من جويجز رئيس دير شارتريز ديز ايكوج الذى صنعه بنفسه.

ومنذ منتصف القرن الثانى عشر قامت مشكلات بين رهبان القديس بنيديكت بالدير واخوان الصدقة إنتهت بطرد رهبان القديس بنيديكت (عام ١٢٩٢) وإقامة دير لرهبانية أنطونيوس بمعرفة البابا بونيفاس الثامن (١٠ يونيو ١٢٩٧).

وواصل رهبان القديس أنطونيوس جمهورهم فى بناء الكنيسة الكبيرة من غير أن يتوقفوا عن العناية بالبؤساء الذين مستهم النار المقدسة واستمرت أخويتهم حتى سنة ١٧٧٥ وفى تلك السنة ضربهم الوزير ليومينيه ضربة اضطرتهم إلى أن يتحدوا مع فرسان مالطة. على أن فرسان مالطة لم يبقوا بدير القديس أنطونيوس، أو بقوا به زمناً قليلاً ثم تنازلوا عنه لراهبات صغيرات

من أخويتهم. إلا أن الثورة شتتهن واستولت على ممتلكات الدير وعلى المبانى، وباعت الممتلكات فى عام ١٧٩٣ إلى أفراد متنوعين: وباعت الثانية فى عام ١٧٩٧ إلى جوزيف فليرى جوبييه المنتدب لدى الهيئة التشريعية والذى تنازل هو نفسه فيما بعد إلى أفراد متنوعين.

على أن إكرام القديس أنطونيوس لم يقتصر على دوفينيه Douphinè حول الكنيسة الكبيرة كنيسة رهبان أنطونيوس. بل امتدت شهرته أيضاً إلى فلاندر Flandre وبيكاردى Picardi وعلى الخصوص فى أرتوا Artois.

ومن عام ١٨٧٠ إلى عام ١٩١٤ دهش زوار «سوق ليل» من كوخ القديس أنطونيوس «الذى تضمن مختلف الصور لحياة الناسك القديس، ومحاربات الشيطان له. وبدأ الشيطان فى صورة ملكة سبا وقد جاءت إلى القديس مرتدية أفخر زينتها وقد تثقلت يداها بالخواتم. وانتهت بأظافر غاية فى الدقة، حتى كأن أطراف أصابعها أشبه ما تكون بالإبر، كما يقول فلوبير.

ويشاهد القديس أنطونيوس فى كثير من كنائس شمال فرنسا، واقفاً وعلى كل من جانبيه خنزير يحمل فى عنقه جرساً صغيراً «ويرى الكتاب القدامى فى هذا صورة للشيطان الذى انتصر القديس عليه انتصارات رائعة، أو تذكار لخنزير صغير مسكين عليل شفاه القديس أنطونيوس. وقد يكون من البساطة بمكان أن نرى فى هذه الصورة تذكاراً تاريخياً صرفاً. فإن رهبان أنطونيوس كانوا يربون الخنازير للصرف على مستشفياتهم: وكانت هذه الحيوانات تهيم فى شوارع المدينة بحثاً عن طعامهم. وكان لإنتساب هذه الخنازير إلى مستشفى القديس أنطونيوس أثر بعيد هو أن السكان كانوا يحسنون معاملتها. وكانت سرقة أحد هذه الحيوانات تعد إعتداء على شئ مقدس. بل لقد كانت هذه الحيوانات تدخل البيوت ولا يجرؤ أحد على طردها، وكان يقدم لها طعام وافر إكراماً للقديس. غير أن حركة هذه الحيوانات فى الشوارع كانت سبباً فى كثير من الحوادث فقد سقط مرة جواد فمات راكبه، لأن أحد هذه الخنازير وقع بين أرجل الجواد.

فصدر أمر يمنع تجول هذه الحيوانات، ولكن رأفة بالفقراء استثنى من هذا الأمر خنازير المستشفى. على أنه لضمان هذا الإمتياز تحتم أن تحمل هذه الخنازير أجراسا صغيرة فى أعناقها. فكان صوت هذه الأجراس الصغيرة، ينبه فى نفس الوقت ربات البيوت إلى أن يضعن على أعتابهن الفضلات التى تسمن بها هذه الحيوانات.ومن هذه العادة نشأة بعض العبارات الشائعة: من إصابة شر غير متوقع، قيل عنه فى ايطاليا «ربما سرق خنزير للقديس أنطونيوس، كما يقال عن الدساس الذى يسترق السمع عن أشخاص مختلفين أو عمن يبحث عن أكلات طيبة «إنه يذهب من باب إلى باب كخنزير القديس أنطونيوس».

ولقد بلغ إكرام القديس أنطونيوس فى الغرب حداً بعيداً، إبتدأ من القرن الحادى عشر. فكان الناس يستغيثون به للخلاص لا من النار المقدسة وحدها. بل ومن مختلف الشرور المماثلة لهذه الأمراض المعدية. فكانوا يسألون الشفاء من حمو الجلد وورمه ومن الأمراض الجلدية المختلفة، ومن الجرب والحكة، وفساد الدم، والطاعون، وإرتخاء العروق والدمامل ومن قبيل المماثلة بالنار المقدسة كانوا يستغيثون به أيضاً ضد الحرائق، وضد نار جهنم.

كذلك ذاع بين ملتزمى الأراضى والفلاحين، ورعاة الخنازير أن يضعوا خنازيرهم تحت حمايته، واستغاثوا به ضد جوائح القمل والأمراض الأخرى التى كانت تفتك بقطعانهم. كما أن صناع القفافيز والجزارين والنساجين استحسنوا أن يضعوا ذواتهم تحت حماية قديس يشفى البهائم والناس معاً من الأمراض الجلدية. والأغلب أنه كان من قبيل سوء الفهم أن اتخذ القصابون وباعة اللحوم والمتجرون بالخنازير شفيعهم قديساً اشتهر بأنه حام للخنازير.

ومما هو أصعب تفسيراً أن يتخذ باعة الحلوى والجنود المسلحون بالبنادق القديمة فى ريمس Remis هم أيضاً القديس أنطونيوس حامياً لهم. أما صانعوا السلال فاعتقدوا أنهم وجدوا فى القديس حامياً وقدوة، فقد كان يجدل السعف والحصير على غرار بولس الناسك وفرض هذا العمل على تلاميذه. أما دقاقو الأجراس فقد رأوا أن الجرس الصغير الذى تكلمنا عنه خول لهم الحق فى أن يتخذوا القديس أنطونيوس شفيعاً، بينما ظن الحفارون أن أنطونيوس حفر القبر لبولس (بولا) الناسك مع أن الضريح قد احتفره أسدان من آساد الصحراء.

ولنلاحظ أيضاً أن القديس أنطونيوس هو الحامى لعدد كبير من جماعات التائبين فى أواسط فرنسا، نظراً لأفعال التوبة التى كان يباشرها مدى سنوات طويلة فى برية الإسقيط.

وهكذا تتيقنون أن الرب قد حقق للقديس الناسك ما كان قد وعده به من أنه سيمجده فى العالم بأسره.

ولم يقتصر هذا التمجيد على الصلوات والتأملات، فى سيرة القديس الناسك الذى عاش فى الصحراء، ولم يكن له ما يقطع حبل تأملاته غير الشمس التى تصعد كل يوم إلى الأفق، وغير سحائب الرمال التى تثور فى الماء وكأنها أستار كبيرة تسدل ظلمة الليل. بل يظهر هذا التمجيد أيضاً عند الرسامين والكتاب.

ولو أننا ابتدأنا بالفن المثالى الذى انتشر مع نشأة المسيحية، ومررنا بالنحت الرومانى، والنقش الغوطى فى جميع مراحله، ثم سايرنا عصر النهضة فى بدئه وفى وسطه وفى نهايته حتى وصلنا إلى النقش الحديث، وما بعد الحديث فلن نجد عصراً أو حركة أو مدرسة إلا ويبدو فيها التأثر بالطابع الأنطونى.

والغالبية العظمى من كبار الفنانين، وعلى الخصوص فى القرن الرابع عشر قد أضفوا على القديس كثيراً جداً من تأويلاتهم الخاصة، فنحتوه فى الحجر، وصوروه على النسيج، ونقشوه على النحاس الأصفر، ورسموه على أرضية ذهبية أو صوروه فى مناظر وزخارف أوربية أو فلمنكية. وكانت كل الوسائل سبيلهم، فالفرشاة والإبرة، واللون والخط، والضوء والظل، كل هذه الوسائل ساعدت على إظهار صورته أروع أثراً وأسطع حقيقة. والفنانون جميعاً سواء أكانوا إيطاليين أو أسبانيين أو هولنديين أو فلمنكيين أو فرنسيين أو ألمان أو غيرهم من أساتذة الفن قد بذلوا جهدهم فى أن يخلقوا بخيالهم الغنى صورة لهذا الوجه المجهول، وهذه الشخصية الخفية الخاصة بقديس النسك والتقشف.

ولقد أبدع الأخوان هوبرت Hobert. وجان فان إيك Jan Van Eyck اللذان ينسب إليهما اختراع التصوير بالزيت فى القرن الخامس عشر، إذ قد نشرا من أجل بنيان المؤمنين، كتاباً رائعاً من الصور الملونة بالألوان الزاهية الفاخرة جداً، فى لوحات روافد مذبح غاند الكبير، ويشغل القديس أنطونيوس أحد المصاريع وهو مندمج فى مجموعة من النساك، تفانى وإياهم فى عبارة روحية عميقة للحمل الإلهى.

كذلك رسم لوكاس فان ليدن Lucas Van Leyden الأستاذ الكبير للنهضة الهولندية، صورة للقديس أنطونيوس أثناء مقابلته للقديس بولس الطيبى.

وماذا تقول عن فيكتور البيزى Victor de pise وهو أحد الذين مهدوا الطريق لإنبثاق النهضة فى إيطاليا الشمالية وقد صور القديس أنطونيوس على إحدى لوحاته الشهيرة، وبينتوريكيو أستاذ مدرسة الظلال فى القرن الخامس عشر، وفيرونيز آخر تلامذة تينتورية مؤسس المدرسة البندقية، وريبيرا المتصوف الأيبيرى الإيطالى ومؤسس مدرسة نابولى، وجويدو ريني رسام المدرسة الإيطالية التحيزية الغربية - هؤلاء جميعاً عملوا على أن يصوروا جبار الصحراء بألوان قاتمة أو باهرة.

أما فى أسبانيا فقد جاء مشاهير الرسامين فى القرن السابع عشر بتأويل شخصى للتقليد وهم: زورباران أستاذ الصورة النسكية والتأملات، وفيلا وفيلاسكيز الذى رسم لوحة رائعة يمكن رؤيتها للآن فى مدريد، بين فيها الفضاء الفسيح والقديس أنطونيوس فى زيارته للقديس بولس (بولا)، ثم ألبرت دورر الذى بلغ بالفن الفلنكى ذروة الكمال وقد صور قديس الصحراء المصرية على أنه الرمز الصادق الخالد للزهد وللجهاد الروحى، وقد جعل من مسقط رأسه نورمبرج أرضية للصورة، وحتى لوسيان كراناش الذى رسم الصور الطبيعية الوحيدة المعروفة للوثر، صور هو أيضاً أبا الرهبنة فى حال الصلاة والتأمل.

مع ذلك فإن أبلغ أعمال الفن أثراً وأعظمها قوة، وأشدها واقعية، بحسب التقاليد الأنطونية هى التى تعالج الحروب الروحية التى خاض غمارها القديس أنطونيوس.

ويرجع تاريخ أحد هذه الصور إلى القرن الحادى عشر، حين بلغ النحت الرومانى أعلى درجاته، فى دير فيزيلاى الشهير الواقع فى منطقة أيون بفرنسا، تظهر صورة القديس أنطونيوس على تاج أحد الأعمدة فى الكنيسة، منتصراً على الشيطان: أنه واقف تحيط به شياطين شرسة متحجرة وهو صادق لا يقهر ولا يتزعزع، يعبر وجهه عن الهدوء الظافر، ظفر المتوحد المعتمد على الله، ويلاحظ فى هذا المجهود البدائى، أن مأساة التجارب الروحية تجرى فى حالة جامدة، ليس لأن المادة المستعملة تحتم هذا الجمود فقط، ولكن لتأثر الفنان بالأسلوب السائد فى ذلك العصر.

ولم يتمكن الفن من أن يتحرر من التقليد بالشكليات، التى فرضتها العصور الوسطى إلا فى القرن الخامس عشر، وحينذاك بدا هذا الموضوع فى حرية الحركة والإنفعالات المثيرة.

ولم يتخلص الفنانون من هذه التقاليد البالية فقط ولكن وعيهم تيقظ أيضاً، فأحسوا بالطبيعة ومن ثم نقلوها بما فيها من جمال وإنفعالات ورؤى.

وفى هذا العصر ظهر أستاذ للواقعية، أستاذ تفهم نفسية أنطونيوس وقد عذبتها التجارب الشيطانية، ولم يكن هذا الأستاذ غير جيروم بوش ابن هولاندة (أو فلاندر) حيث يتوفر الطعام والشراب، فيجعل من الصوم والرياضات الروحية عملاً أكثر مشقة. وهكذا قامت المعركة عينها بين الترف والزهد، وبين الخير والشر فمزقت حياة الرسام. فكل من جيروم بوش والقديس أنطونيوس رأى هذا الخير وهذا الشر فى صورة اللحم والدم، وفى شكل الحيوانات، لذلك ظهر الشيطان لجيروم بوش تارة فى صور مخلوقات هائلة مخيفة، وطوراً تحت أشكال مثيرة عجيبة.

ولم يكن النصيب الذى ساهم به بوش فى التقليد الأنطونى مجرد مجهود لفنان كبير من المدرسة الفلنكية يعالج موضوعه، لكنه أيضاً إبداع رجل عاش بقلبه وروحه، وهو يشقى ويصارع التجارب التى خاضها الناسك الكبير نفسه، فينطبق عليه ما قاله بودلير عن نفسه «ليس القديس فقط بل العبقرى أيضا له شيطان يجب عليه أن يقاتله».

ولهذا السبب، فإن هذا الرسام الكبير وقد افتتن برؤيا مألوفة، قد خصص عشرة من أروع صوره للقديس أنطونيوس تحيط به الشياطين بشفاه غليظة، ولها ضحكة تشبه صوت الحيات ذات الرنين.

على أن هذا التصوير الواقعى الذى بدأه جيروم بوش، قد اغتنى وتطور بفضل مواطنه بيتر الصغير أو بريجل جهنم الذى جعل من الحرب الروحية مأساة عامة، تلعب دورها فى نفس الإنسان كما تلعبه فى الحياة الخارجية، وفى الطبيعة وفى العالم بأسره. ولما كان بيتر بروجل قد تعلم فى مدرسة والده، فقد اعتادت عينه منذ الطفولة على رؤية الناس والأشياء على واقعيتها. وزاد بروجل على جميع الواقعيين أنه فطن إلى أن هناك إزدواجاً فى الطبيعة كما فى كل كائن بشرى. لقد رأى العالم فى حسنه وتعدد ألوانه، ولجهه الغرارة، كما رأى المتكالبين على الشهوات فى مغالاة متطرفة. والخراب المفجع الذى يكمن لها يوماً، رأى الصدور التى ترتفع، والأظافر

التى تستطيل، والأسنان التى تصر، واللحوم التى تنفرم، والطيور الهائمة التى تنهنه نهنهة الأطفال أو تضحك ضحك السيدات العجائز.

ويلاحظ فى لوحات بروجل أنها لا تأخذ عن الطبيعة زخرفتها فحسب، بل أنها تأخذ دوراً فعالاً فى المآسى التى تجرى فى نفس الناسك المغبوط. وليست الشياطين مجرد أشباح أو زوار من عالم آخر. إنما هى زرع ينبت فى تربة، أنها خليط من الهولانديين والأبالسة، بينما يكتفى دورر بأن يصور الوجه الحزين للقديس أنطونيوس المصرى فى منظر من مناظر نورمبرج، يتناول بروجل التاريخ القديم الذى انبسطت صحائفه فى الصحراء، ويضعه فى إطار هولندى.

على أن بروجل وبوش لم يكونا الوحيدين فى عصرهما اللذين أدخلا الواقعية فى تصويرهما على حروب القديس أنطونيوس الروحية. ففى إيطاليا عالج بارينتينو نفس الموضوع، وكذلك فعل الفنانان العظيمان شواينجاوير وجرونيفالد فى ألمانيا فنقش شواينجاوير حروب القديس أنطونيوس بطابع خاص سر له ميشيل آنجلو إلى حد أنه نقله عنه، ولكن على طريقته الخاصة، فقد أبرز التعارض القائم بين أهل جهنم والإنسان الذى انتصر عليهم بفضل عزيمته فى الزهد. ففى هلوسة هذا الكابوس، حيث رأس ميت يتوجها الورود على جسم إمرأة ناصعة البياض، ومن حولها الشياطين يقفزون ويطيرون وينفخون النار من أنوفهم، ويضربون أجنحتهم بذيل ضارب إلى الخضرة، بينما يشاهد القديس أنطونيوس معانقاً الصليب وهو فى مغارة تضيئها لهب الجحيم.

أما المصور ماتياس جرونيفا الذى اقترب أعظم الاقتراب من فهمنا الحديث للتصوير فقد تخطى معاصريه، واقتحم المشكلة من زاوية قريبة جداً من فكرنا وإحساسنا الحاضر، فهو لم يقنع بتصوير العناصر الخارجية للمأساة. وإنما عبر أيضاً عن العامل الداخلى والعامل السيكولوجى، وقد أعد لوحاته للمذبح الرئيسى فى ايزينهايم نزولاً على رغبة دير على النظام الأنطونى ١٥١٦، وقد كرس فى يوم عيد القديس أنطونيوس أى فى ١٧ يناير، وأن لوحات روافد مذبح جرونفالد تمثل الزهد من وجهتيه الأساسيتين: المجاهدة والظافرة. ولأول مرة يبدو الناسك العظيم وقد اجتاحه الفزع الشديد، ونفذ إلى أعمق أعماق نفسه ونظرات الإستغاثة والعجز وإشارات يده فى وهن اليأس، وبالجملة فإن هيئته تفصح عن الرعب الذى لا يوصف، من هول الحرب الروحية التى يكاد أن يخر فيها صريعاً. أما اللوحة المقابلة فعلى العكس من الأولى إذ أنها تبين بوضوح تام السلام الهادئ، السلام الشاعرى الذى يغمر القديسين أنطونيوس وبولس (بولا)، وهما يرقبان أثناء الصلاة والتأمل رغيف الخبز الذى يجئ به إليهما الغراب ليستعيدوا قوتهما.

إلا أن الصور التى تبلغ بالتجارب الروحية للمغبوط أنطونيوس مبلغ الغرابة والشذوذ، هى بلا منازع صور تنيير وجاك كالوه. فلتنيير صور شيطانية وسط الخرائب والقبور، فى أشكال وحوش حقيقية وحيوانات شرسة، فى حين أن كالوه قد طبع مبتكراته بعبقريته الخاصة، فى نقوشه على النحاس لأطياف وخيالات مفترسة، كتلك التى صورها بروجل.

ولئن كانت فنون التصوير والنقش والنحت، قد نقلت إلينا إكرام القديس أنطونيوس فيمكننا أن نقول أيضاً أن كتب الأدب متأثرة كذلك فى الغالب بسيرة القديس أنطونيوس وحروبه الروحية.

ففى عام ١٨٤٥ بينما كان فلوبير يزور رواق قصر بالبى فى جنوه، وقف مذهولاً أمام صورة لحروب روحية التى صورها بروجل. ولم يكن الإنفعال الذى استحوذ عليه فأوقفه مسمراً فى مكانه ساعات عدة، لم يكن هذا من سحر الإنتاج الفنى الرفيع على نفس إنسانية فحسب، بل كان الفتنة التي استهوت إنساناً وجد نفسه وجهاً لوجه أمام مصيره.

وبعد عودته إلى فرنسا بقليل، اشترى لوحة لكالوه على نسق لوحة بروجل وعلقها فى غرفة عمله فى بلدة كرواسيه حيث ظلت معلقة إلى يوم وفاته. وأمام هذه الصورة المحفورة كتب فلوبير كتابه الشهير عن تجارب القديس أنطونيوس وقد واصل العمل فيه مدى ثمانية عشر شهراً ليلاً ونهاراً بحماس مستميت خول له الحق أن يكتب للويس كوليه فى ٣ يناير ١٨٥٣ يقول «أيها الزمن السعيد زمن القديس أنطونيوس. أين أنت لقد كتبت ما كتبت بكل جوارحى جميعاً».

ثم أوقف عمله ليبدأ «مدام بوفارى» وما كاد يفرغ من روايته العظيمة هذه حتى عاد إلى حروب القديس أنطونيوس يصبها فى قالب مختلف، قالب أحسن. ففى هذا الوقت قام برحلة إلى مصر، لأنه أراد أن يزور الأماكن التى كان الناسك العظيم يصارع فيه المجرب. وبعد رحلته إلى القسطنطينية كتب رواية جديدة لمأساته التاريخية. ولكنه لم يقنع بهذا فدرس المئات من المصادر ثم أبرز فى آخر كتاب له عن القديس أنطونيوس الأزمة الفكرية والخلقية التى أقلقت النفس الإنسانية فى أواخر أيام الوثنية. إنها دراما عميقة جداً رحيبة للغاية فى آن واحد، لأنه من وراء الأساليب الخطابية المجردة وأزيز الخطايا الكبرى تتمثل الإنسانية بأسرها. ونفس المتوحد إذا تركت لنفسها فإنها تجتاز بالضرورة وبصفة ثابتة، السبع الدرجات المنطقية للشر: الأولى الكبرياء فالبخل، فالحسد، فالغضب، فالشراهة، فالكسل وأخيراً الترف، فالإلهام الذى استقاه الروائى الكبير من مصور القرن السادس عشر، نقله فى تأليفه إلى الفنانين المحدثين، ولقد وجد كل من الفن والأدب بفضل هذا الإيحاء مصدراً لخصوبة عجيبة. فكان لمؤلف فلوبير أثر عميق على عدد كبير من الفنانين الفرنسيين من بينهم فيليسيان رويس وسيزان، وعلى الخصوص هنرى ريفيير الذى كان لأنسجته الأربعين المكرسة لحروب القديس أنطونيوس فضل إحياء الموضوعات الأنطونية فى الأدب الحديث.

وكان ريفيير عضواً فى جماعة «القط الأسود» ونجحت هذه الجماعة من فنانى مون مارتر فى أن تؤلف تجارب جديدة للقديس أنطونيوس، وقد صور ريفيير وأصدقاؤه القديس الناسك لا على أرضية هولندية أو أمام مدينة نورمبرج ولكن فى مقاهى باريس أو على طرقات هذه العاصمة العظيمة.

وصور ريفيير وكذلك رويس، الشيطان فى زى المساء بين الأوصاف التى صورا بها مغريات المدينة الكبيرة. كما أن زولا نفسه صور لنا أسواق باريس وأبان لنا الفجر القرمزى، جبال الفاكهة

والخضروات. وجثث البهائم المذبوحة منذ زمن قليل، وكل هذه الأشياء التى يحبها أهل باريس وهى عندهم مصدر للإغراء. وبديهى أنه أظهر لنا بعد ذلك أرصفة باريس بكل مغرياتها التى يمكن تخيلها وما يتبعها من صنوف الخلاعة فى تفصيلات دقيقة، نساء بأرداف ضخمة وشعور طويلة مموجة، أطرافها طائرة فى الهواء كالنسوة اللائى صورهن موشا فى نهاية القرن التاسع عشر. ثم لا أنسى أناتول فرانس مؤلف تاييس الذى تأثر حتى الأعماق بتوبة القديس أنطونيوس، ولما كان كاتبنا المتشكك طفلاً، لم يكن له من مطمع إلا فى أن يصبح قديساً تائباً، قديساً غائصاً فى أعماق الإسقيط.

وهلا علمتم ماذا صنع أناتول فرانس مؤلف «دكان شواء الملكة بيدوك» و«الآلهة عطش» أى نعم أناتول فرانس؟ أنه شق الكرسى الأبوى ليستخرج منه الشعر الذى أراد أن يجعل منه مسحاً له!

يمكنكم إذن أن تتيقنوا من أن إكرام القديس أنطونيوس كان ولا زال حياً، ليس فقط فى جميع الطقوس وفى جميع الكنائس بل وفى جميع الفنون والآداب أيضاً.

هذا هو السبب فى أننا لا نستطيع أن نمر فى صمت على الذكرى السادسة عشرة المئوية، لوفاة هذا القديس العظيم، الذى بعد أن جابة الحروب من كل نوع، وبعد أن ارتعب أمام التماسيح التى لها أقدام كأقدام التيس الجبلى، والبوم التى لها أذناب كذنب الحية، والخنازير التى لها خطم كخطم النمر، والمعيز التى لها مؤخر كمؤخر الحمار، والضفادع المغطاة بالشعر كأنها دببة، وبعد أن أحاطت به لذات الترف وإغراءات الشهوة، وبعد أن رأى الصحراء ترتجف من صوت الرقصات الشيطانية، أوصى تلاميذه قبل أن يغمض عينيه، أن لا يحنطوا جسده «إنه طقس طالما شجبته» قال القديس أنطونيوس.

بعد ذلك أحس القديس أنطونيوس بنبضات قلبه تبطئ فى هدوء وتخفت فى رقة وعذوبة، وكأنها ينبوع ماء ينضب، أو صدى لا يلبث أن يتلاشى، وبعدها رقد القديس أنطونيوس.

ومن ثم رأى السموات تنفتح قليلاً، على شبه خيمة ترتفع ستائرها، أو سحب من ذهب تتبدد فى أشكال حلزونية كبيرة، فتكشف عن فردوس النعيم، وفى وسطه تماماً يشع يسوع المسيح فى بهاء جماله، وقد جاء ليقطف أنطونيوس زهرة الصحراء ويغرسه فى جنات الفردوس.

واليوم فى عزلة وادى النطرون أو فى القحط المضئ بجبال القلزم، يعيش تلاميذ القديس العظيم أنطونيوس. وتلاميذه هم أيضاً قد نذروا أنفسهم للرب سيد الطبيعة، فوهبوا أنفسهم لعبادة حارة، لأنهم لا يصلون إلى الله فقط ولا يكرموه فحسب، ولا يبتهلون إليه من أجل هذا العالم الثائر، فقط، لكنهم أيضاً قد سلموا أجسادهم للرياضات الروحية، وأرواحهم للتأملات.

هؤلاء الرجال هم أبطال، لأن حياتهم كحياة القديس أنطونيوس استشهاد حقيقى.

الأنبا باخوم المعروف بأبى الشركة

فى اليوم الرابع عشر من شهر بشنس القبطى ويوافق عادة الثانى والعشرين من شهر مايو- أيار انتقل الأنبا باخوم أبو الشركة إلى عالم البقاء والخلود.

والأنبا باخوم هو واضع نظام الإشتراكية التعاونية فى الحياة الرهبانية، وهو صاحب فكرة التصنيع فى الأديرة المصرية، وهو الذى وجّه الرهبنة وجهة جديدة لم تُعرف من قبله، وعنه أخذها الرهبان فى كل العالم شرقاً وغرباً.

رأى القديس باخوم (أو باخوميوس كما يسمّيه اليونان)، واسمه بالقبطية Ⲡⲁⲭⲱⲙ Pakhom أى «النسر»، أن حياة التوحّد المطلق فيها قسوة بالغة، ولا يقوى عليها إلاّ نفر قليل من الناس، لكنّ الراغبين فى حياة الكمال أكثر عدداً، وهم يحتاجون إلى قيادة وإلى توجيه. فجمع الكثيرين ممن تبعوا سيرته، ووضع لهم نظاماً عاماً مشتركاً للحياة الروحية، ورتّب لهم قواعد يخضعون لها فى طاعة تامة فيما يتصل بعبادتهم وأكلهم ونومهم. وفرض لهم مواعيد محددة، **فهم يُصلّون معاً ويأكلون على مائدة واحدة فى وقت واحد . ولهم أوقات للعمل. وقد اهتم القديس باخوم بمبدأ العمل وأكبر من شأنه، واعتبره ضرورة على كل راهب بحيث كان يطرد الراهب الكسول من الدير، ولا يجعل له نصيباً فى مجتمعه الجديد.** وبلغ من حزم هذا القديس وإصراره على إلتزام الراهب لواجباته فى طاعة تامة وفى حدود النظام المرسوم له، أنه كان يعاقب كل راهب يخرج على النظام حتى لو كان ذلك بقصد حسن أو حتى إذا أنتج هذا الخروج على النظام خيراً مادياً للدير. وكان يرى أنّ الخضوع للنظام ولأوامر الرئيس فضيلة كبيرة، لأنّ فيها قهراً للنفس ومقاومة لرغباتها وأهوائها، كما أنّ فيها إتضاعاً وخضوعاً لازمين لنجاح كل مجتمع صغيراً كان أو كبيراً.

وبذلك أحال الأنبا باخوم الرهبنة إلى نوع من **العسكرية الروحية**، ووضع لها قوانين ونظماً، وكان الرهبان يقيمون فى بيوت بحسب الحرف التى كانوا يمارسونها قبل الرهبنة، فكان للخبازين بيت، ولصانعى الفخار بيت، وللنسّاجين بيت. وكان القديس يقيم لكل دير رئيساً ووكيلاً، ويقيم للأديرة جميعها رئيساً عاماً ووكيلاً وأميناً، وقد اتّخذ من أحد الأديرة فى (فاو)، على الضفة اليمنى من النيل مقابل هور، قاعدة لحكومته الديرية وإدارة جميع الأديرة التابعة له فى الصعيد. وكان يجمع جميع الرهبان فى هذا الدير مرة كل سنة، وذلك فى عيد رأس السنة القبطية، وكان يعيّن فى هذا العيد الوظائف للسنة الجديدة. وقد تشرّف القديس باخوم بزيارة البابا أثناسيوس الرسولى فى ديره المعروف بدير طابانا. وقد استقبله الأنبا باخوم استقبالاً حاراً وهو يعلم أنه يستقبل حامى الإيمان القويم.

مولده، وكيف اهتدى إلى المسيحية:

ولد باخوم من أبوين وثنيين غنيين فى إقليم إسنا فى نحو سنة ٢٨٨ لميلاد المسيح ويبدو أنه منذ طفولته شعر بإحتقار شديد للديانة الوثنية، على الرغم من أنّ والديه كانا يرغّبانه فيها ويصحبانه معهما إلى المعابد والهياكل الوثنية. ويقال أنه دخل مرة مع والديه إلى معبد الوثن فاحتقر الآلهة، ولذلك غضب الكاهن الوثنى وقال عنه إنه سيصير عدواً لديانته ثم طرده من الهيكل.

وفى سن العشرين من عمره انتظم باخوم فى سلك الجندية، وذهب تحت قيادة القائد قسطنطين فى حملة لإخضاع الحبشة. وفى الطريق جاع الجند وعطشوا فخرج للقائهم أهل القرية وأكرموهم إكراماً فائقاً، فدهش باخوم من تصرف الأهالى وسأل عن سرّ هذا الصنيع، فقيل له إنهم مسيحيون، وديانتهم تأمرهم بإكرام الغرباء والإحسان إليهم. فوقع ذلك منه موقعاً حسناً، وشعر بسموّ الديانة المسيحية. ويروى المؤرخون عنه أنه صلّى فى تلك الليلة صلاة قال فيها «إنّى أعاهدك على أن أعبدك وأحفظ وصاياك كلّ أيام حياتى إذا نظرتَ إلىّ برحمتك وعرّفتنى بلاهوتك».

وقال عنه المؤرخون إنّ من العوامل التى جذبته إلى المسيحية صبر الشهداء على احتمال العذاب القاسى الذى فرضه عليهم (دقلديانوس).

فلما عاد من الحرب صمّم على أن يدرس المسيحية فانخرط فى سلك الموعوظين، وفى الليلة التى كان سينال فيها سرّ المعمودية المقدّس، رأى أنّ يده اليمنى ممتدة نحو السماء، وإذا الندى يستحيل فى يده إلى تفاحة، وكان صوت من السماء يناديه أن يحتفظ بالنعمة العظيمة التى سيقتبلها من الرب يسوع.

وبعد العماد سار فى طريق الفضيلة واشتهى حياة العزلة والتعبّد، فتتلمذ لعابد قديس متوحد اسمه (بلامون). ومع أنّ الناسك صرفه عنه فى مبدأ الأمر منذراً إياه بأن طريق النسك وعر وصعب، إلاّ أنّ باخوم كان راغباً فى حياة التعبد من كلّ قلبه. وسأل الشيخ فى ضراعة أن يقبله، فقبله. ولم يلبث أن حذا حذو معلّمه. ولم يطل الأمد بمعلّمه، إذ توفى بعد سنوات، ولكن تلميذه صار بعد هذه السنين قادراً على أن يسير بمفرده، بل قادراً على أن يقود الكثيرين الذين تبعوا سيرته.

وعلى الرغم من أن الأنبا باخوميوس هو واضع نظام الرهبنة الإشتراكية، إلاّ أنه هو نفسه كان يميل إلى التوحّد المطلق، وكان يرى أن نظام الشركة لابدّ منه للمبتدئين ولغير القادرين

على التوحّد. ولذلك كان هو يعتزل فى مغارة يُقيم فيها أياماً طويلة ثم يعود ليفتقد أولاده الرهبان ليعلم أحوالهم ويوجههم.

مواهبه الروحية:

وللأنبا باخوم فى وحدته مناظر روحانية كان يتمتع بها، وله أيضاً رؤى عن مستقبل الرهبنة، ومستقبل الكنيسة. وكان عندما يُصلّى يبكى بدموع كثيرة من أجل رهبانه، ومن أجل الناس الذين فى العالم. وقد ذكر تلاميذه عنه فى سيرة حياته أنّ الدموع حفرت على خديه مجريين واضحين تركا أثرهما على جلد وجهه.

وكان يقصد إليه أناس من مختلف بلاد العالم لينتفعوا بتجاربه ومواعظه. ومرة جاءه راهب من روما لا يعرف القبطية. فحزن (باخوم) لعائق اللغة بينه وبين هذا الضيف الغريب. فصلّى لله وقال: أنت تعلم يا ربّ أننى لا أعرف اللغات، ولذلك فإننى لا أستطيع أن أفيد الآتين إلىّ من الناطقين باللغات الأخرى. فإما أن تمنحنى معرفة لغة من يقدم إلىّ حتى ينتفع بالإرشاد، أو تمنعه من القدوم إلىّ. فسمع الرب لصلاته فصار قادراً على أن يستمع إلى شكوى الراهب الرومانى ويجيبه بما ينفعه، وهذه هى موهبة التكلّم بالألسنة واللغات، وهى من مواهب الروح القدس.

وفاته:

شعر القديس باخوم بدنوّ أجله فعيّن بدلاً منه أحد تلاميذه ويسمى (بترونيوس)، ولكنه مات بعد تعيينه بقليل، ثم عيّن من بعده تلميذاً آخر اسمه (هوريسيوس). وكان من المتوقع أن يقيم أحبّ تلاميذه إليه وأخلصهم له وهو (تادرس). ولكنّ باخوم لم يشأ أن يسند إليه الرياسة على الرغم من ثقته وثقة جميع الرهبان فيه. ولعله فعل ذلك إشفاقاً عليه ورحمة به، أو لأنه رأى الرياسة ثقلاً على تادرس قد لا يقوى على إحتماله، أو قد تعطل نموّه الروحانى فى الفضيلة. ومما يدل على ثقة باخوم فى تلميذه تادرس أنه عهد إليه بدفن جسده، وطلب إليه أن يحتفظ به سراً من كل أحد آخر. وانتقل القديس العظيم إلى الأخدار السماوية فى نحو ٤٠٥ لميلاد المسيح.

القديس مقاريوس الكبير

من ٣٠١ - ٣٩١ م

يعرف هذا القديس بمكاريوس المصرى تمييزاً له عن آخر يعرف بمكاريوس الأسكندرى أو الأسكندرانى، وثالث يعرف باسم مقاريوس الأسقف - فالثلاثة من كبار الرهبان، ويذكرون معاً باسم «ثلاثة المقارات القديسين».

والمعروف عن القديس مقاريوس المصرى أنه الأشهر بين الثلاثة، ولذلك يسمى بمقاريوس الكبير - (أو أبو مقار)، وهو صاحب الدير العظيم المنسوب لأسمه (دير أبو مقار)، ويعد من أقدم أديرة وادى النطرون (١) فى الصحراء الغربية جنوبى الأسكندرية، أو بالقرب من كيلو ٩٢ فى الطريق الصحراوى بين القاهرة والأسكندرية.

والقديس مقاريوس المصرى (أو أبو مقار) هو أول من سكن من الرهبان وادى النطرون، ولذلك يعد «أباً» لرهبان وادى النطرون جميعاً، وصار الوادى كله ينسب إليه، فيسمى «برية مقاريوس» أو «إسقيط مقاريوس». وكلمة (أسقيط) ترجع إلى الكلمة اليونانية التى تقبّطت ἀσκήτης بمعنى (الناسك)، فأصبحت البرية كلها منسوبة إلى الناسك مقاريوس المصرى.

ومقاريوس المصرى هو المنشىء للنظام الرهبانى النسكى الذى انتشر بفضله فى كل وادى النطرون. ومن هنا فمقاريوس المصرى هو المؤسس الحقيقى لجميع أديرة وادى النطرون. وجميع الرهبان فى هذا الوادى هم من تلاميذه، عشقوا الحياة الرهبانية بسببه وتتلمذوا عليه متمثلين به، فكان لهم جميعاً هو الأب والراعى والمثل الأعلى والقدوة والمثال والأمثولة. وبفضله تجمع الرهبان فى حياته وكانوا أعداداً كبيرة يقدرون فى التاريخ بعشرات الألوف.

وكما سمّى القديس أنطونيوس المصرى بـ (أبو جميع الرهبان) فى الصعيد، صار القديس مقاريوس المصرى يعرف بـ (أبو جميع رهبان وادى النطرون أو نيتريا).

والقديس مقاريوس المصرى هو ذاته تلميذ القديس أنطونيوس المصرى، فقد بدأ حياته معه وأخذ عنه، وتتلمذ عليه، ونال بركته، وهو الذى ألبسه اسكيم (٢) الرهبنة قبل أن يذهب شمالاً

---

(١) منخفض بقرب الدلتا غرباً فى صحراء ليبيا عرف منذ القديم بوجود النطرون والملح، ولذلك سمى فى عصر البطالمة بـ «حقل الملح».

(٢) اسكيم الرهبنة هو (شكل) الرهبنة - وهى كلمة يونانية تقبّطت σχῆμα فمن ينذر نفسه للحياة الرهبانية يلبسه أب الدير الزى الخاص بالراهب. وهو الجبة أو الثوب من الصوف، ومنطقة من الجلد مطرزة بالصلبان يتزر بها فى وسطه، ثم قلنسوّه مطرزة بالصلبان، يغطى بها رأسه.

ليكون مؤسس رهبنة نيتريا أو وادى النطرون. وفارق السن بين الراهبين القديسين هو خمسون سنة، فقد كان القديس أنطونيوس شيخاً عندما عرفه مقاريوس وتتلمذ عليه، ولذلك كان مقاريوس إمتداداً لشخصية معلمه أنطونيوس فى تقواه ونسكه وزهده، وصبره الطويل على نسكيات العبادة من صوم إنقطاعى طويل وعنيف، وصلاة بلا إنقطاع، وتدريبات شديدة على أنواع الإماتات الحسية، والسيطرة على الميول الجسدية، والشهوات البدنية، والرغبات المادية، والارتباطات والعلاقات الأرضية، والإرتفاع فوق الأنانية والذاتية ومحبة القنية أو التملك، بل وفوق الأنية والفردانية والتسامى فوق ضروب الإنفعالات من غضب ولذة، وتأثر بالمدح أو الذم وإحساس بالكرامة الشخصية، وهى صورة من صور الذاتية والأنية، وذلك للإندماج فى الروحانية الصافية، نتيجة الشخوص فى الله شخوصاً دائماً، وبلوغ ما يعرف بالفناء والبقاء بعد الفناء، فيفنى الراهب العابد العاشق لله عن ذاته ولكن مع ذلك يبقى، ولكن لا يبقى فى ذاته ولذاته، وإنما يبقى فى الله ولله، وهى هذه التدريبات التى يمارس فيها العابد الناسك ممارسة عملية باطنية جوانية العبارة الإنجيلية «لأنى مت.. لأحيا لله. مع المسيح صلبت، فما أنا أحيا بعد، بل المسيح يحيا فىّ. وإذا كنت أحيا الآن فى الجسد، فحياتى هى فى الإيمان». (غلاطية ٢: ١٩، ٢٠).

ولد القديس مقاريوس المصرى فى سنة ٣٠١ م فى بلدة (شبشير) إحدى بلاد المنوفية (وهى قريبة من منوف) وتسمى الآن شبشير اطملاى. ولد من أبوين مسيحيين تقيين، أب كان قسيساً اشتهر بالورع والفضيلة والعطف والبر بالفقراء وأصحاب الحاجات اسمه إبراهيم، وأم طيبة تقية ممدوحة السيرة فى بلدتها أسمها سارة، وكانا لسنوات ليس لهما ولد، وحدث أن اعتدى بعض اللصوص على منزلهما وسلبوهما كل ممتلكاتهما، لكن الله لم يتركهما، وفى إحدى الليالى رأى القسيس فى منامه النبى إبراهيم الخليل يعزيه عما فقده من مقتنيات، ويبشره بأن إمراته ستحبل وتلد إبناً صالحاً وسيكون له شأن عظيم، وسيشيع ذكره فى كل مكان ويكون أباً روحياً ومرشداً لكثيرين، وقائداً لعباد يخدمون الله على نحو خدمة ملائكة السماء، يقومون على عبادة خالقهم آناء الليل وأطراف النهار، عبادة متواصلة بغير إنقطاع، وقال له إبراهيم الخليل أنه يسمى ولده بإسم (مقار) أو مكاريوس ومعناه «سعيد» أو «مبارك»، لأنه سيكون سعيداً بروحانيته وبرعاية الله له، وسيسعد الآخرين بحسن إرشاده وتوجيهه.

وتحقق وعد الله، فحبلت سارة وولدت مقاريوس، وتربى الطفل فى مخافة الله، وكبر وصار يساعد أباه فى خدمة الحقول والمزارع. وبارك الله مقاريوس وأبويه، وتبدل فقر العائلة إلى خير وبركة، وصار للعائلة غنم وماشية وخيرات كثيرة، وأخذوا يحسنون منها ويتصدقون على الفقراء

والمساكين، وإزدادت محبة الناس لهم. وأما مقاريوس فقد نال رضاء أهل البلدة جميعاً، فأتوا به إلى الأسقف فرسمه شماساً (قارئاً) فى الكنيسة للفصول المقدسة، ولم يكتفوا بهذا، بل أراد الكهنة والشعب أن يرسموه قسيساً ليقوم بالخدمة الدينية فى سلك الكهنوت، ولكن قبل أن يرسم قسيساً كان لابد أن يتزوج. فلا زواج بعد الرسامة، وهنا أجمع الكهنة والشعب على ضرورة زواجه من إمرأة، وكذلك ألح الأبوان عليه بالزواج شأن كل الوالدين الذين يسرهما أن يريا ولدهما له زوجة وأسرة. أما هو فأبى بشدة واعتذر بعدم رغبته فى الزواج، وإعتزامه على التبتل والعفة الكاملة وأن يكون مقدساً لله روحاً وجسداً. ولكن أحداً لم يصغ لرغبته فألزموه بالزواج وعقدوا له على إمرأة فاضلة من أهل بلدته، فرضخ للأمر على مضض، ولكنه لم يقترب إليها ولم يمسها بل لم ينظر إليها.. واستأذن أباه بعد أيام قلائل فى أن يمضى بجمال أبيه مع الأجراء يحملون النطرون من جبل النطرون إلى مصر، وقد صار يقوم بهذا العمل مراراً مع الجمالين حتى عرف هو نفسه بين أهل قريته باسم «مقاريوس الجمال». وفى إحدى الليالى، وكان نازلاً بالجبل مع الجمالين، وكان متعباً فنام، ورأى فى منامه كائناً نورانياً يقول له: إن الله يقول لك إننى أعطيك هذا الجبل ميراثاً لك، وسيكون لك بنون روحانيين ينقطعون لعبادتى... ثم قال له: انهض الآن من نومك، وامض بسلام إلى موضعك.. فاستيقظ مبهوراً، مذهولاً، وبدا عليه الشرود فى الفكر، فسأله رفاقه وأصحابه عما أصابه، فلم يجيبهم بشىء، وبعد ثلاثة أيام من الرؤيا رجع من جبل النطرون إلى بيته فوجد زوجته مريضة بحمى شديدة، وما لبثت حتى ماتت وهى بتول طاهرة.

أما مقاريوس، فقد ظل فى بلده يعمل بنشاط ليعول أسرته. وكان أبوه قد طعن فى السن، وصار مقاريوس يخدم أباه فى شيخوخته، كما كان فى نفس الوقت يوزع الصدقات على الفقراء ويخدم الأرامل والأيتام حتى أحبه جميع الناس، ولم يعد أحد من أسرته أو من أهل قريته يحدثه فى موضوع زواجه، وكان يقضى فى المساء وقتاً طويلاً فى الصلاة والعبادة، فالعبادة كانت له لذة ومتعة ونعيماً.

فلما توفى أبوه، لاحظت أمه العجوز أنه قد بدأ يوزع كل ما يملك على الفقراء وأصحاب الحاجات، فلامته أمه على ذلك، وقالت له: ما هذا الذى تصنعه يا ولدى؟ إنك إذا بددت كل مالك صرت محتاجاً لآخرين، وأنت لا تزال بعد شاباً، فلم يسفه نصيحة أمه ولم يحزن قلبها، بل وافقها، وقال لها: سأعمل بنصيحتك، ولا أعصِ لك أمراً...

وبعد ستة أشهر ماتت أمه فدفنها إلى جوار أبيه.. وأقبل العيد، فأولم وليمة دعا إليها الفقراء ترحماً على أبيه وأمه.

قصد مقاريوس بعد ذلك إلى راهب متوحد بالقرب من قريته. وبات عنده فى صومعته. ورأى المتوحد، وهو يصلى، رؤيا جميلة... رأى مقاريوس وجموعاً من الرهبان محدقه به،

وكلهم يضيئون وعلى أكتافهم أجنحة كالطيور.. ففهم الراهب المتوحد مغزى هذه الرؤيا... ثم بارك المتوحد الشاب مقاريوس، وصرفه من عنده، وقال له: ما اعتزمت عليه سر فيه، فإن دعوتك هى من الله. فمضى مقاريوس وفرق كل ما بقى معه من ماله ومقتنياته على الفقراء والمساكين، ثم ذهب فسكن فى صومعة خارج القرية متعبداً فى هدوء وسكون.

على أن أهل قريته لم يتركوه فى هدوء، وإنما رغبوا فى رسامته قسيساً ليخدمهم، فحملوه على الرغم منه وساقوه إلى أسقفهم، فرسمه قسيساً... وروى مقاريوس فيما بعد أنه آثر الوحدة على الخدمة، قال «وإذ لم أوثر أن أتقلد هذه الرتبة (القسيسية) هربت إلى مكان آخر».

وبينما هو يصلى ظهر له ملاك من السماء بنور عظيم وأرشده إلى المكان الذى يستقر فيه، وقاده بيده فسار مسيرة يومين أو يزيد إلى أن جاء به إلى برية وادى النطرون. ولما طلب مقاريوس من الملاك أن يعين له المكان الذى يحفر فيه مغارته ليتعبد فيها، قال له الملاك: ها هى كل البرية أمامك... فحفر له مغارة فى الصخر.. لم يلبث حتى تركها لغيره ممن بدأوا يتوافدون عليه... هكذا تعددت المغارات والصوامع بكثرة عدد الذين أقبلوا عليه يطلبون إرشاده، ويسيرون مسيرته.

وسمع بسيرة القديس الأنبا أنطونيوس المصرى فى الجبل الشرقى بالقرب من البحر الأحمر، واشتهى أن يلتقى به، وفعلاً سار إليه على قدميه ليسترشد به. ولما وصل إلى المكان قبله الأنبا أنطونيوس، ولم يوار نفسه عنه، بل فرح وقبل رأسه، وكان قد علم مسبقاً بالروح بمجيئه إليه، كما علم بإستقامة قلبه، فشجعه على حياة العزلة والروحانية والعبادة الحارة، ولما طلب إليه مقاريوس أن يقيم عنده، ذكره بأن يلزم المكان الذى أرشده إليه الملاك لأن له فى هذا المكان رسالة ليصير أباً ومرشداً وإماماً لكثيرين. وقال له الأنبا أنطونيوس «فليصر كل واحد منا فى الموضع الذى دعاه الرب إليه». فأطاع مقاريوس نصيحة الأنبا أنطونيوس، ولكنه أقام عنده أياماً، كاشفه بما فى قلبه، وسأله التوجيه والإرشاد كمعلم كبير سبقه فى ميدان الجهاد الروحانى مع النفس، ومع القوات الروحية المضادة من الشياطين والأرواح النجسة، فأجابه على أسئلته ورسم له طريق العبادة، وعلّمه أن للحياة الرهبانية مقاماتها فى سلّم صاعد، وعلى العابد أن يكون متزناً رصيناً، ولا يكون عجولاً، وأن يبدأ الطريق من أوله، ولا يقفز إلى مقام أعلى من مقامه إلا إذا أقام فى المقام الأدنى وقتاً كافياً،وقد شبع منه وارتوى، وبلغ فيه النضج وصار مالكاً فيه لنفسه وعلى يقين من نفسه، لئلا يجمح ويجنح إلى الغرور والصلف فيرتد ويسقط ويفشل، وهكذا أخذ الأنبا أنطونيوس يزوده بنصائح من خبراته الطويلة، ويهديه إلى سبيل النصرة والغلبة على حروب النفس وحروب الجسد، وعلى حروب الشياطين، ثم ألبسه اسكيم الرهبنة، وصرفه

من عنده بسلام ليذهب إلى المكان الذى أرشده الملاك إليه، ليصبح فيه قائداً ومرشداً ومعلماً ومدبراً لحياة الكثيرين، ممن يقصدونه ليتعلموا منه طريق النمو الروحانى، للوصول إلى مقام «المشاهد الطوباوية» والاتحاد بالله بعد طريق طويل شاق، فى إماتة الميول والرغبات الحسية والإنفعالات البشرية، حتى تسقط عن العابد كل رغبة ذاتية، وتصبح إرادة الله هى إرادته ومشيئة الله هى مشيئته، وهو مقام الفناء، والبقاء بعد الفناء.

وعاد القديس مقاريوس إلى برية وادى النطرون، وأخذ يمارس ضروب العبادة والتقشف كما علمه الأنبا أنطونيوس، وكما أرشده روح التقوى التى تملكته وكأنه لم يخلق إلا لعبادة الله، ولم يكن له من مثل أعلى يحتذيه إلا خدمة الملائكة فى السماء، الواقفين أمام عرش الله يعبدونه ويخدمونه منذ بدء الخليقة.

والواقع أن هذا هو المفهوم الحقيقى للرهبنة المصرية... فالراهب عابد لله وحده، وخادم واقف على خدمة سيده طوال حياته، وقد رغب فى أن يكون كالملاك فى السماء. ومن هنا سمّى الرهبان بـ «ملائكة أرضيين»، أو «بشر سمائيين» وسميت الرهبنة بخدمة الملائكة، و«طريق الكمال».

وفى البرية واصل مقاريوس الجهاد الروحانى، فكان يجاهد الشيطان عن نفسه، بالصلوات الدائمة والأصوام الطويلة، والهذيذ فى المزامير والتسابيح وأقوال الكتب المقدسة. وتحقق له الصفاء الروحانى، والشفافية ووصل إلى مقام الثيئورية (أى المكاشفات والرؤى الإلهية).. ووهبه الله موهبة شفاء المرضى، فكان يصلى عليهم ويدهنهم بزيت فيبرأون، وشهد عنه القديس أنطونيوس بقوله «إن الأب مقاريوس أعطاه الله نعمة الشفاء» ثم وهبه الله أيضاً بعد كل تلك المجاهدات الروحانية سلطاناً على إخراج الشياطين والأرواح النجسة من المجانين والمصروعين، وذلك بالصلاةعليهم ودهنهم بالزيت المصلى عليه، وكذلك بصلواته كان يبطل قوة السحر والأعمال السحرية الشيطانية، ويعود الإنسان سليماً معافى وقد نجا وتخلص من أثر السحر وأعمال السحر على روحه ونفسه وجسده.

ووهبه الله موهبة النبوءة، فصار يخبر بأمور آتية...

وبسبب سيرته ومواهبه الكثيرة أقبل إليه إناس كثيرون، قصدوا إلى البرية وتتلمذوا عليه، هذا غير أعداد كبيرة ممن قصدوا إليه من أهل العالم لينتفعوا به ويستفيدوا من صلواته وبركاته.

وشاء الله أن يقصد إليه إناس لا من مصر وحدها، فى شمالها وجنوبها،بل قصد إليه كثيرون من بلاد أخرى خارجية ممن سمعوا عنه: من فلسطين والشام ومن بلاد السودان والنوبة وكل

أقاليم أفريقيا، بل أيضاً من ايطاليا واسبانيا وآسيا الصغرى وغيرها. وممن قصدوا إليه إبنا الملك فالنتينيانوس الأول قيصر الغرب (٣٦٤ ـ ٣٧٥) وهما مكسيموس ودوماديوس، وإليهما ينتسب دير البراموس وهو أقدم دير بناه القديس مقاريوس ـ وتعد كنيسة دير البراموس لهذا، أقدم كنيسة بنيت فى برية مقاريوس ـ وكلمة البراموس كلمة قبطية Παρωμεος أى «الخاص بالروم ـ أو الرومانيين» فكان حقاً نوراً وهاجاً أضاء فى ظلمات الليل. وجذب برائحته الزكية وسيرته العطرة ومواهبه الروحانية، المئات والألوف وعشرات الألوف، فتحولت بسببه الصحراء القاحلة إلى دوحة فيحاء تآوت تحت أغصانها جماعات بشرية من كل شعب وأمة تحت السماء، وهربت منها الشياطين والأرواح المقدسة وأصبحت موئلا للملائكة والأرواح المقدسة، وصارت تسمع فى جنباتها الترانيم والتسابيح والأغانى الروحية والصلوات بغير إنقطاع.

وعلى غير ما يتوقعه الناس، وعلى غير ما يستدل من المنطق البشرى، فإن الرجل الذى أخفى نفسه فى أعماق الصحراء طلباً للهدوء والسكون والعبادة الصامتة، صار الرجل ، على غير ما كان يرجو هو نفسه أن يكون، شهيراً وعلماً عالياً على ربوة، معروفاً ومرموقاً. وأصبح الرجل الذى هرب من الخدمة بين الناس خادماً للناس على أروع وأعمق وأسمى ما تكون الخدمة للناس.

إن سيرة القديس مقاريوس ومن قبله سيرة القديس أنطونيوس كشفت عن حقيقة إنسانية، أن من يبدأ خدمته بين الناس بخدمة الناس، قد يتحول إلى زعيم شعبى يحبه الناس ويمدحونه ويكرمونه... أما الذى يبدأ خدمته بخدمة الله، فى عبادة صامته خفية، وبهذه العبادة يصفو ويتطهر من بواعثه الشخصية ودوافعه الذاتية، وبها يرتفع ويسمو فوق كل إنفعال، يتحول بالتدريج ودون أن يشعر إلى خادم لجميع الناس، ولكن خدمته للناس فى هذه الحالة ستكون فى إطار خدمته لله بروحانية صافية وتكون خدمته بغير هوى، خدمة للخير فى ذاته، وهذا هو أرقى مقام للخدمة بين الناس، بعد أن تكون قد أصبحت خدمة لله، ومن أجل الله ومن أجل خير القريب ويكون الإنسان قد صار فى خدمته شبيهاً بالله ذاته والله صانع الخيرات، أو هو على ما يسميه ارسطو «هو الخير الأعظم» وربما لهذا يسمى بالإنجليزية God اللفظ المشتق من Good وبالألمانية Gott المشتق من Gute أى الخير ـ أو الجودة.

وفى سنة ٣٧٥ م نفى القديس مقاريوس المصرى ومعه القديس مقاريوس الأسكندرانى وآخرون، من قادة الرهبان وأئمتهم إلى جزيرة بأعلى الصعيد قيل أنها جزيرة فيلى، فى زمن الأمبراطور ـ أريوسى العقيدة ـ فالنس أو والس Valens الذى أمر بإضطهاد الأرثوذكس فى كل أنحاء مصر، فزحف لوكيوس الأريوسى ومعه رئيس الجند وفرق كثيرة من الجند، إلى كل أديرة

مصر، وقبضوا على مقاريوس المصرى وآخرين، من كبار الرهبان وأرسلوهم إلى جزيرة فيلى التى تغمرها المستنقعات، وكان كل سكان تلك الجزيرة وثنيين يعبدون الأوثان، فما أن رسا الرهبان على الجزيرة حتى ذهبت إليهم إبنة كاهن الجزيرة الوثنى وكان بها شيطان وأخذت تصيح قائلة: من أين أتيتم إلينا يا خدام الله العظيم؟ فانتهر القديس مقاريوس الشيطان فيها، فعادت سليمة العقل، وللحال اعتنق أبواها المسيحية وكل أهل بيتها، وكل سكان الجزيرة، وحوّلوا المعبد الوثنى إلى كنيسة مسيحية. ولما علم لوكيوس بذلك حزن حزناً شديداً، ثم أرسل أوامر سرية بإرجاع القديس مقاريوس وزميله الأسكندرانى والآخرين إلى محل إقامتهم فى البرية، فعادوا نحو سنة ٣٧٦م.

وفاة القديس مقاريوس

وبلغ القديس مقاريوس من العمر عتيا. وعاش أكثر من تسعين سنة وقيل أنه عاش نحو ٩٧ عاما، وهزل وضعف من كثرة النسك والجهاد الروحى، وأصيب بحمى شديدة، وكان ينام على حصيرة وبات عاجزاً عن النهوض من مكانه، واجتمع حوله أولاده الرهبان، فأخذ يوصيهم بمواصلة الثبات فى الفضيلة ومداومة الصلاة بغير إنقطاع، وقال لهم وهو يودعهم أنه لم يؤخر عنهم شيئاً من الفوائد، وأعطاهم من خبراته وإهتمامه، كل ما كان يملك أن يعطيه، فحزنوا جميعاً وبكوا إذ أدركوا أنه أشرف على نهاية حياته.

وفى تلك الليلة بينما هو يصلى ظهر له إثنان منيران عليهما سحنة روحانية وسعادة وإشراق، وسألاه إذا كان يعرفهما فعرف أحدهما وهو القديس أنطونيوس الكبير، وعرفه القديس أنطونيوس بالآخر الذى يرافقه وقال عنه «أنه الأب باخوم» وهو المعروف بالأنبا باخوم أبى الشركة، وهو مؤسس النظام الرهبانى الديرى المعروف بنظام الشركة أو الحياة المشتركة (١) وأعلماه أن رحلة حياته على الأرض هى فى نهايتها، وأنه سيلحق بهما بعد تسعة أيام.

وفعلاً فى الليلة الثامنة لظهور القديسين أنطونيوس وباخوم ظهر له الملاك ومعه جموع من الروحانيين من القديسين، ودعاه إلى الخروج من الجسد، وقال له: إن هؤلاء كلهم ينتظرونك. عند ذاك أسلم القديس مقاريوس روحه بيد الملاك، وكانت وفاته فى السابع والعشرين من شهر

---

(١) نظام الشركة أنشأه الأنبا باخوم ليكون طريقاً وسطاً بين حياة العالم فى المجتمع الكبير وبين حياة التوحد المطلق. فقد رأى الأنبا باخوم أن حياة التوحد المطلق لمشقتها تصعب على المبتدئين فى حياة الرهبنة، وقد تؤدى بهم إلى الفشل فضلاً عما يتعرضون له من مشاق وصعوبات أضرت بصحة الكثيرين. فرأى إنشاء نظام الشركة، وهو حياة إجتماعية لا إنفرادية ، لرهبان مبتدئين يصلون معاً، ويعملون معاً، ويأكلون معاً، ويسكنون معاً، ولهم فى حياتهم المشتركة نظام دقيق، فى اليقظة والنوم، والعمل،والأكل.. ومحظور على أحد منهم أن ينفرد بسيرة =

برمهات القبطى سنة ١٠٨ للشهداء، فبكاه من كان حاضراً وفاته من أولاده، وسمع الباقون فاجتمعوا فى الكنيسة وصلوا عليه، وتباركوا من جسده وقبلوه. وبعد أن دفنوه انصرفوا كل واحد إلى صومعته، وخلفه فى المسئولية العامة تلميذه بفنوتيوس أو ببنوده (= عبد الله) وتعيد الكنيسة القبطية لوفاة القديس مقاريوس فى السابع والعشرين من الشهر القبطى ويوافق الخامس من أبريل - نيسان.

ولما علم أهل قريته شبشير عقدوا النية على أن يحملوا جسده إلى بلدتهم... فانتظروا زماناً وأتوا سراً إلى برية القديس مقاريوس، وتمكنوا من سرقة جسده، وحملوه إلى قريتهم بفرح كبير، وبنوا كنيسة فى الجانب الغربى من القرية، ووضعوا جسد القديس مقاريوس إلى جانب المذبح.

مقالات ورسائل القديس مقاريوس

وإلى مواعظ القديس مقاريوس الشفوية ونصائحة وتوجيهاته التى أودعها صدور تلاميذه وأولاده الروحيين فقد كتب باللغة القبطية أكثر من خمسين رسالة فى موضوعات دينية متفرقة، وقد قام موريل بترجمتها إلى الفرنسية وطبعها فى باريس بالفرنسية سنة ١٥٥٩م. وله أيضاً سبع رسائل لاهوتية طبعت بالفرنسية فى مدينة تولوز بفرنسا سنة ١٦٨٤م. ونشر أرنولد ترجمة ألمانية لجميع مؤلفات هذا القديس سنة ١٧٠٢ وأعاد كاسيدان طبعها سنة ١٨١٩ ولهذه المواعظ ترجمة عربية. طبعت بمطبعة عين شمس سنة ١٩٠١م.

من أقوال القديس مقاريوس المصرى

قال القديس مقاريوس فى بيان التسامى فوق الإنفعالات: «إذا ما تقبلت التحقير كالإكرام، واللوم كالمديح، والفقر كالثراء، فإنك لا تموت».

وسأله أحد الناس: ياأبى، قل لى كلمة لأحيا. فقال له القديس مقاريوس المصرى اذهب إلى المقابر، واشتم الموتى فذهب وشتمهم ورجمهم بالحجارة ورجع فأخبر الشيخ بأنه قد فعل هكذا.

= حياته، ومن يخرج على النظام المرسوم يطرد من الدير - وبعد العمل اليدوى من مقومات نظام الشركة.. وكان التصنيع من أبرز خصائص النظام الديرى الباخومى. وكان بين الرهبان خبازون، وبناءون، ونجارون، وزراع، ودباغون، وحدّادون، وصناع لسائر الحرف اللازمة ومنها صناعة الأسبتة والخيرزان والصناعات الجلدية وتجليد الكتب، والزخارف، والحياكة، وتطعيم أحجبة الكنائس وما إلى ذلك...

ويتبين نظام الشركة بالأكثر عند مقارنته بنظام الرهبنه الأنطونى، الذى بموجبه يحيا كل راهب منفرداً فى صومعة أو مغارة، له نظامه الخاص المستقل فى عبادته وأكله ونومه. ومهمة أب الدير أن يطوف بالرهبان من وقت إلى آخر للإرشاد والتوجيه، ولكن من دون أن يجمعهم فى حياة مشتركة أو مجتمع واحد.

فقال له القديس: هل قالوا لك شيئاً؟ فأجابه الأخ: لا.. فقال له الشيخ القديس: امض غداً وامدحهم وقل لهم يا قديسون، يا أبرار... فمضى الأخ ومدحهم، وعاد فقال للشيخ: لقد مدحتهم. فقال له الشيخ: وهل أجابوك بشيء؟ فقال: لا.. فقال له الشيخ: «ها أنت ترى أنك مدحتهم فلم يقولوا لك شيئاً، وشتمتهم فلم يردوا لك جواباً. فلتكن أنت هكذا أيضاً. إذا رغبت فى أن تحيا، كن ميتاً، حتى أنك لا تهتم بشتيمة الناس ولا بمديحهم، لأن الميت لا يحس بكرامة ولا بإهانة، وبذلك تستطيع أن تحيا».

وقال القديس مقاريوس «أن الإنسان الذى يأسف على فقد شيء منه ليس كاملاً بعد. إن كنا قد أمرنا أن نرفض أنفسنا وأجسادنا، فكم بالحرى المقتنيات؟ إن الشياطين تحترق بهذه الفضيلة وأمثالها. عندما يرون إنساناً غير ملتفت إلى الأشياء وليس بمتأسف عليها إذا فقدها. إذا رأى الشياطين إنساناً قد شتم أو أهين أو خسر شيئاً، ولم يغتم بل احتمل بصبر وجلد، فإنها ترتاع منه، لأنها تعتقد وتعلم أنه قد سلك فى طريق الله».

«كل فضيلة مرتبطة بالأخرى مثل سلسلة روحية، فالصلاة مرتبطة بالمحبة، والمحبة بالفرح، والفرح بالوداعة، والوداعة بالتواضع، والتواضع بالخدمة، والخدمة بالرجاء، والرجاء بالإيمان، والإيمان بالطاعة، والطاعة بالبساطة. وكذلك من الجهة الأخرى فإن الرذائل مرتبط أحدها بالآخر. فالبغضة مرتبط بالغضب، والغضب بالكبرياء، والكبرياء بالمجد الباطل، والمجد الباطل بعدم الإيمان، وعدم الإيمان بقساوة القلب، وقساوة القلب بالإهمال، والإهمال بالكسل، والكسل بالضجر، والضجر بعدم الصبر، وعدم الصبر بمحبة اللذة. وباقى أجزاء الرذيلة هى بالمثل متعلقة بعضها ببعض، كما أنه من الجهة الصالحة فإن الفضائل متعلقة بعضها ببعض ومرتبطة معاً».

كنائس باسم القديس مقاريوس المصرى

١ـ إلى جانب الدير المعروف بدير (أبو مقار) وما يشتمل عليه من كنائس وكان به فى وقت ما ١٢ كنيسة عندما كان يسكنه نحو ألف راهب ـ نذكر كنيسة الأنبا مقار تلاصق السور البحرى للدير وهى الكنيسة الكبرى وبها ثلاثة هياكل.

٢ـ كنيسة (أبو مقار) ـ فى مصر القديمة أو بالفسطاط أو بابليون.

٣ـ كنيسة (أبو مقار) بدير الخندق بالقاهرة كانت موجودة فى القرن الثانى عشر وأوائل الثالث عشر وكانت ملاصقة لباب الدير، وقد أعطاها القبط للأرمن فى عهد بطريركية البابا كيرلس الثانى وهو السابع والستون فى عداد البطاركة.

٤- كنيسة القديس (أبو مقار) بدير مدافن يقع فوق تل عال جنوبى أبو تيج ببضع مئات من الأمتار، وقد ذكرت فى كتاب الخطط المقريزية جزء ٨ صفحة ١٩ .

٥- كنيسة (أبو مقار) ببلدة البياضية بمركز البدارى بمحافظة أسيوط.

٦- كنيسة (أبو مقار) فى العزبة التابعة لدير (أبو مقار) ببلدة اتريس مركز امبابة، مديرية الجيزة بالعزبة الغربية - بنيت سنة ١٨٧٢ .

٧- كنيسة (أبو مقار) بدير العذراء المعروف بدير جبل الطير فى الجبل الشرقى مقابل سمالوط، وتوجد فوق كنيسة العذراء الأثرية بالدير ويرجع تاريخها إلى سنة ١٨٨٩م.

٨- كنيسة (أبو مقار) بالبلينا، بنيت قبل سنة ١٩٣١م.

٩- كنيسة (أبو مقار) ببلدة شنشور مركز الباجور بالمنوفية - افتتحت سنة ١٩٥٩ .

مـــــــراجـــــــع

+ السنكسار ـ الصادق الأمين فى أخبار القديسين.

+ سير الثلاثة مقارات القديسين ـ تقديم دير السريان، ١٩٦٢.

+ تاريخ البطاركة للأنبا ساويرس بن المقفع.

+ مخطوطة رقم ٢٧٨ بدير السريان.

+ مخطوطة رقم ٢٧٩.

+ مخطوطة رقم ٢٨٠.

+ مخطوطة رقم ٢٨٦ ميامر.

+ مخطوطة رقم ٢٩٠ ميامر بدير السريان.

وتضم سيرة القديس مقاريوس كما رواها أنبا سرابيون أسقف تميوس.

+ مختصر تاريخ الأمة القبطية فى عصرى الوثنية والمسيحية لواضعة سليم سليمان ـ الجزء الأول ـ القاهرة ١٩١٤.

+ الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة تأليف الأسقف إيسيذوروس ـ الجزء الأول.

+ تاريخ الكنيسة القبطية تأليف منسى القمص القاهرة ١٩٢٤.

+ قصة الكنيسة القبطية ـ تأليف إيريس حبيب المصرى ـ صفحة ٢٥٧ ـ ٢٦٦.

+ الرهبنة القبطية فى عصر القديس أنبا مقار ـ الأب متى المسكين ـ ١٩٧٢.

+ عظات القديس أنبا مقاريوس المصرى.

وهو يحتوى على خمسين عظة روحية وتفسيرية ـ القاهرة ١٩٥١.

+ وادى النطرون ورهبانه وأديرته ـ للأمير عمر طوسون القاهرة ـ ١٩٣٥.

+ تحفة السائلين فى ذكر أديرة رهبان المصريين، تأليف القمص عبد المسيح صليب المسعودى، القاهرة ١٩٢٤.

+ دراسات فى تاريخ الرهبانية والديرية المصرية مع دراسة مقارنة لرهبنة وادى النطرون، تأليف الدكتور حكيم أمين ـ القاهرة ١٩٦٣.

+ أديرة وادى النطرون ـ للدكتور منير شكرى، الأسكندرية ١٩٦٣.

+ الأديرة المصرية العامرة، تأليف القمص صموئيل تاوضروس السريانى، القاهرة ١٩٦٨.

+ تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر وآثارهما الإنسانية على العالم ـ تأليف دكتور رءوف حبيب، ١٩٧٩.

مـــــراجـــــع

* SOCRATES, ECCLESIASTICAL HISTORY.

* SOZOMENUS ECCLESIASTICAL HISTORY.

* THEODORET, ECCLESIASTICAL HISTORY.

* PARADISE OF THE FATHERS ed. BY BUDGE,.

* LAUSIAC HISTORY by PALLADIUS; Cambridge (Eng.) 1907.

* EVELYN WHITE, THE Monasteries of The Wadi Natrun.

* LES Saints dÉGYPTE , par R.P. PAUL CHENEAU, DÓRLEANS, Jerusalem, 1923, Tome I, P. 117 - 138.

* The Saints of EGYPT by DE LACY O'LEARY, London 1937 P. 182 - 184.

* The Story of the COPTS by IRIS HABIB EL MASRI Cairo, 1956.

*SOCIOLOGICAL and MORAL STUDIES IN THE FIELD OF MONASTICISM, by Dr. FARAG ROFAIL FARAG, LEIDEN, 1964.

الأنبا شنودة رئيس المتوحدين

الأنبا شنودة رئيس المتوحدين عملاقاً من عمالقة الروحانية فى القرن الخامس للميلاد، كان جبارا من جبابرة الروح، وكانت له روح إيليا وقوته، ولد بقرية شندويل بجرجا، ومن طفولته المبكرة ظهرت عبقريته الروحية، حتى وهو فى السابعة من عمره، كان يذهب وراء والده فى رعاية الغنم، كان يختبىء فيفتش عنه أبوه فيجده منزوياً فى مكان يصلّى، وفى السابعة من عمره رأى أبوه هذا الطفل الصغير حينما كان يصلى كانت أصابعه تضىء بالنور فأدرك أن هذا الطفل ليس عادياً، وإنما عبقريته الروحية ظهرت فى هذا السن المبكر، علامة على أن هذا فى كبره سينمو أكثر فأكثر، حتى يصبح نوراً وهاجاً لكثيرين، وفعلاً كبر الأنبا شنودة وأصبح شيئاً كبيرا بالنسبة لأعداد عديدة من الناس، وسمى بأرشيمندريت، والمعنى الحرفى لأرشيمندريت معناه رئيس دير من ثلاثة مئة راهب، لكن الأنبا شنودة صار ديره المعروف بالدير الأبيض بالقرب من سوهاج، وكان يضم عشرات الألوف من الرهبان، بعضهم سلكوا طريق الرهبنة الإشتراكية لكن بعضاً آخر سلك طريق التوحد المطلق، وصار هو رئيساً للمتوحدين، وكان أحيانا يترك ديره طلباً للوحدة، ويقيم على الرهبان واحداً من أكبرهم وأقربهم إلى قلبه، وأكثر من يطمئن إليه فى قيادة الرهبان، وكان هو يمضى فى خلوة، فى بعض الأحيان قد تطول هذه الخلوة إلى خمس سنوات، كان يعكف فيها على الصلاة المستديمة الصلاة التى بلا إنقطاع، ومن شدة عنفه فى الصلاة وعمق صلواته الطويلة، أنه كان إذا أقبل أسبوع الآلام كان يقف للصلاة معلقاً يديه فى الهواء بمثال الصليب، وكان يستمر على هذا الوضع طويلاً ليعيش آلام الصليب، حتى قالوا عنه أنه كان يصلب نفسه على هذا الوضع ساعات وأيام، ليعيش فى عمق المشاعر وليحس بآلام الصليب وبآلام المسيح، كان طرازاً من الرجال ومن الرهبان نادر المثال، ولقد أدرك خاله بيجال بالروح القدس مستقبل هذا الإنسان، فحينما حمله أبوه وهو طفلاً إلى خاله بيجال وكان من كبار الرهبان المتوحدين، أخذه إليه لينال بركته، فما كان من الراهب المتوحد بيجال خال هذا الولد الصغير شنودة، إلا أن حمل يد الصبى ووضعها على رأسه، وكأنه يطلب بركة هذا الطفل لنفسه، وتنبأ قائلاً أنه سيصير أبا لجمهور كثير من الرهبان، لكنه لم يصر أبا للرهبان وحدهم ولا للمتوحدين فحسب، ولكن للملايين من الأقباط فى مصر كلها، ولمئات وألوف من الأجانب الذين وردوا إلى بلادنا خصيصاً، لينالوا بركة هذا الإنسان بعد أن سمعوا شيئاً عن قصة حياته، ومن بين مايروى عن جموع الأجانب التى كانت تأتى إليه لتنال بركته، وليصلى من أجلهم، أن جاءه جماعة من بلاد إيطاليا، وكان فى هذا الوقت قد طلب إلى تلميذه ويصا، أنه سيترك الدير إلى خلوة طويلة، وأمره قائلاً لا تأتى إلىّ فى مكانى بل اتركنى هادئاً، ومهما يكن من أمر مهما حدث تصرف ولا تحاول أن تأتى إلى، قد أعطيتك أمراً فلا تخالف، وكان الرجل شديداً وحازماً وقوياً فلم يملك تلميذه ويصا إلا أن صدع للأمر، وذهب الأنبا شنودة إلى خلوته إلى مغارته فى مكان قصى عن الدير، وفى هذه الأثناء جاء ضيوف أجانب من

إيطاليا، وطلبوا أن يقابلوا الأنبا شنودة ليتالوا بركته، فأخبرهم تلميذه ويصا بأن معلمه ليس فى الدير وأنه فى خلوته، فألحوا فى طلبه وقالوا لقد جئنا من بلادنا خصيصاً ونرجو أن لا نرجع خائبين، فأعلمهم ويصا بوصية معلمه وأنه كان متشدداً فى الأمر، وأنه لا يستطيع أبداً أن يخالف أمر معلمه، فألحوا بشدة وقالوا له لا يمكن أن نغادر إلى بلادنا مالم نحظى برؤية الأنبا شنودة، لأننا قد أتينا خصيصاً، ورجوه فى إلحاح أن يذهب إليه فقال لا أستطيع، قالوا متى يعود؟ قال لا أعلم، فأخذوا يلحون جداً إلى أن ضاق الأنبا ويصا، ضاق بالأمر جداً ولم يعلم ماذا يصنع وكان فى حيرة من موقفين موقف المعلم المتشدد والذى أمره بإلحاح مهما يحدث أن لا يأتى إليه فى خلوته، وبين إلحاح هؤلاء القوم الأجانب الذين أتوا من مكان بعيد وطامعين فى أن يروا الأنبا شنودة وأن يحظوا ببركته وبصلواته، وإصرارهم أن لا ينطلقون مالم يروا الأنبا شنودة بالذات، وبقوا فى الدير أياماً كثيرة وبإلحاح متواصل وأخيراً اضطر تلميذه ويصا أن يحاول أن يذهب إليه فى قلايته بعيداً عن الدير، وعندما وصل إلى المغارة أصبح متردد وخائف، خائف أن ينال غضبه مادام أعطى له أمراً وأمراً مشدداً، وفى أثناء تردده أخذ يدور حول المغارة وهو خائف، وفى أثناء الدوران حول المغارة رأى فتحة فى المغارة ومن هذه الفتحة رأى معلمه ومعه كائنات روحانية من قديسين ومن ملائكة، إناس نورانيين، فبهت الأنبا ويصا من هذه الرؤيا ونسى نفسه فى هذا المنظر الروحانى الجميل، وانسحب وراء هذه المناظر الروحانية إلى أن إختفى المنظر، وبعد ذلك فى إستحياء شديد قرع على باب المغارة وهو يقول أغابى، وهى الكلمة التى اعتاد الرهبان أن يستخدموها حينما يريدون أن يدخلوا إلى قلاية راهب آخر، أغابى أى اصنع معى محبة، واسمح لى بالدخول ، وأخيراً سمح له الأنبا شنودة فدخل إلى القلاية، فابتدره قائلاً لماذا جئت؟ ألم أقل لك لا تحضر ، قال له يا معلمى يوجد ضيوف أجانب جاءوا من إيطاليا، وألحوا إلحاحات طويلة، وأنا قلت لهم أنا لا أقدرأبداً أن أخالف كلام معلمى، وقد شدد على بعدم المجىء، ولكن ألحوا إلحاحات طويلة، وبكوا أمامى بالدموع، وقالوا من غير المعقول أن نحضر من البلاد البعيدة ونرجع خائبين، وظلوا على هذه الحال أياماً طويلة حتى ضجرت من إلحاحهم، وأضطررت أن آتى إليك، فقبل الأنبا شنودة أن ينزل مع ويصا إلى الدير ليلتقى بهؤلاء الضيوف الأجانب، وفى الطريق قال له ويصا اسمح يا معلمى وقل لى من الذين كانوا معك فى المغارة، ففى مبدء الأمر وبروح الإتضاع أراد أن يخبىء عن تلميذه ويصا أمر هذه المناظر الروحانية، ولكن لما علم أن تلميذه ويصا أمكنه أن يرى من فتحة المغارة معلمه مع جمهور من الروحانيين ومن القديسين، فالأنبا شنودة شرح لتلميذه قائلاً هذه رؤى يرسلها لنا الرب للتعزية وللتشدد وللتقوية، ولكن آمرك بأن هذا الذى رأيته لا تتحدث به إلى يوم مماتى، وفعلاً كتم هذا التلميذ الأمين هذه المناظر إلى مابعد وفاة معلمه، كان هذا الرجل كما قلنا عملاقاً من عمالقة الروحانية فى صلواته، وفى أصوامه، وفى كل عباداته، وكانت له روح إيليا وقوته فى جبروته وغضبه على المخالفات والتعديات التى يتعدى بها الخطاة على وصايا الله، ولذلك كان يفتح الدير فى

بعض المناسبات للجمهور وكثير من الناس كانوا يقبلوا إلى الدير خصوصاً فى مناسبات الأصوام والأعياد، وكان الأنبا شنودة بروحانيته يعظ ويعلم وكانت مواعظه مليئة بالروحانية وبالقوة، وبلغ من أثر مواعظه على الأقباط فى ذلك الوقت، أن أثر الأنبا شنودة كان حتى على اللغة القبطية نفسها، التى كان الأقباط يتكلمونها، كان الأنبا شنودة من اخميم، وكانت اللهجة القبطية التى يتكلم بها هى اللهجة الإخميمية، وهى إحدى لهجات اللغة القبطية الخمسة التى سيطرت على هذا الإقليم، أقول بلغ من أثر الأنبا شنودة على الجماهير أن اللهجة الإخميمية سادت مصر كلها خمسة قرون متوالية، من القرن الخامس إلى القرن العاشر للميلاد، سيطرت اللهجة الإخميمية على مصر كلها وعلى الأدب القبطى، وعلى لغة التخاطب، وهذا يدل على مدى الأثر الذى أحدثه الأنبا شنودة لا على الرهبان وحدهم، وإنما على كل أقباط مصر، وكان معروفاً بحرارته وقوته، هناك فى الدير الأبيض بالقرب من سوهاج، يوجد مكان اسمه «المسخوطة» والمسخوطة هذه إمرأة، إمرأة ساقطة انتهزت فرصة إقبال عددا كبيرا من الشعب إلى الدير، ليستمع إلى المواعظ فاندست بين الناس كما يندس أمثالها فى أعياد القديسين إلى اليوم، لتسقط فى حبائلها أشخاصاً لتمضى معهم وبهم إلى الجحيم، فعلم الأنبا شنودة بأمرها وواجهها بخطاياها، ولما رآها طرازا من الأشرار مصرا على خطيئته متولعاً بالشهوة، غضب عليها وسخطها، فامتصها الحجر وصارت صلبة كالحجر كإمرأة لوط، وكل من يذهب إلى الدير يرى هذا المكان ويرى هذه المسخوطة، ويذكر لعنة الله وغضبه على النجاسة وعلى النجسين، كان الأنبا شنودة بروح إيليا وبقوته، وكان إيليا كما تعلمون مشهوراً بحرارته، وأنه كان يتولع بالغيرة الإلهية، وهذا التولع كان ناراً، نارا محرقة على الأشرار، ونحن نعلم أنه كم من مرة سخط إيليا على بعض القادة الذين كان يرسلهم آخاب، ويقولوا له يارجل الله الملك يقول أنزل، فيقول لهم «إن كنت أنا رجل الله فلتنزل ناراً من السماء فتأكلك أنت والذين معك» فكانت تنزل ناراً من السماء وتحرق القائد والعسكر الذين تحت قيادته، ونذكر مواقف إيليا مع آخاب عندما قال له «كما لحست الكلاب دم نابوت اليزرعيلى تلحس الكلاب دمك أنت أيضاً» وحدث ما كان ينذر به إيليا آخاب، ونحن نذكر إيليا وما صنعه بأنبياء البعل وكيف أنه بعد أن فشلوا فى أن ينزلوا ناراً من السماء فتأكل الذبيحة التى قدموها كبرهان على صدق إلههم، ورفع هو صلاته إلى الله وقال له استجبنى يارب استجبنى فنزلت نار من السماء وأكلت المحرقة ولحست المياه التى حول المحرقة، وبعد ذلك قال امسكوا أنبياء البعل واقتلوهم فقتلوهم، وكانوا نحو أربعة مئة وخمسين من كهنة البعل من كهنة الأصنام، كان إيليا مشهوراً بأنه نارى، نارى فى غيرته، ولذلك حينما أختطف إلى السماء، نزلت مركبة من نار ورفعته إلى السماء وظل إيليا بلا موت إلى يومنا هذا لأن له رسالة، احتجزه الرب من أجلها، رسالة فى آخر الأيام حينما يظهر المسيح الدجال، فسينزل إيليا وهو محتجز الآن فى السماء، لأنه طراز نارى ورجل جبار، يحتجز لمواقف القوة، فسينزل إيليا لأن الحاجة إليه وإلى روحه القوية، لأنه لا يوجد أصلح منه ليواجه المسيح الدجال، هذا هو الأنبا شنودة الذى أتى بروح إيليا وبقوته،

كان هذا هو الطراز من الرهبان الأقوياء الأشداء الذى لا يتساهل، وكان نارا على الأشرار والمفسدين وعلى الخطيئة، فإذا غضب فويل لمن يقع عليه هذا الغضب، حتى اليوم فى الصعيد عندما يروا عقرب يقولوا ارصدها يا أنبا شنودة، إلى اليوم وتقف العقرب فى الحال، معروف هذا الرجل بصرامته، صرامة الراهب العنيف، الذى كان عنيفاً على نفسه، حتى أنه كان كما قلنا فى اسبوع الآلام، كان يصلب نفسه ليعيش مع آلام المسيح روحا وجسدا، هذا الرجل العنيف أراد أن يصطحبه البابا كيرلس الأول فى المجمع العظيم الذى انعقد فى مدينة أفسس سنة ٤٣١ ميلادية انعقد مجمع أفسس الأول، ويسمى بالمجمع المسكونى الثالث الذى انعقد بسبب بدعة نسطور بطريرك القسطنطينية، الذى أنكر أن تسمى العذراء بوالدة الإله، وكان هذا ينطوى فى ذات الوقت على سوء إعتقاده فى لاهوت المسيح، ونادى بطبيعتين منفصلتين فى المسيح، وقال حقاً يأتى المسيح الإثنان الإله والإنسان، الأول مبهر بالمعجزات والثانى ملقى للإهانات، فجعل المسيح إثنين بدلاً من واحد، وكانت هذه البدعة الشنيعة التى فصلت بين لاهوت المسيح وبين ناسوته وبين الطبيعة اللاهوتية وبين الطبيعة الناسوتية، أدت بنسطور إلى أن يعتبر المسيح ولد كإنسان، وقال أنا لا أسجد لطفل ابن ثلاثة شهور، لأنه ينكر ما صنعه المجوس الذين سجدوا لمولود بيت لحم وقدموا له هداياهم، بهذه الهرطقة الشنيعة سقط نسطور، وانبرى له البابا كيرلس الأول عامود الإيمان القديس، الذى الآن يحترمه ويجله جميع المسيحيين فى الشرق والغرب، لأنه استطاع بقوة حجته وبقداسة سيرته، وبمثابرته واحتماله لكل صنوف المتاعب، فى سبيل معارضة بطريرك المدينة العظمى القسطنطينية، التى كانت عاصمة الدولة البيزنطية فى ذلك الوقت، تعرض لكثير من المتاعب، ولكنه واصل كفاحه وجهاده، من أجل إثبات أنه ليس فى المسيح طبيعتين منفصلتين، وليس المسيح إثنين إنما اتحد لاهوت المسيح بناسوته فى طبيعة واحدة، فهو طبيعة واحدة من طبيعتين، طبيعة واحدة، طبيعة الإله المتجسد، ولا نستطيع أن نفصل بين لاهوت المسيح وبين ناسوته، فإذا فصلنا بين اللاهوت والناسوت كان هو الخطر على تدبير الفداء، لأنه يكون حينئذ الذى صلب من أجلنا إنساناً، والإنسان لا يكاد يفدى إلا واحدا، ولكن كل قيمة الفداء أن الإله اتحد بإنسانيتنا حتى يكون دم المسيح دما ثميناً، له القيمة الأبدية قيمة الله نفسه، وفى هذا يكفى جميع البشر، فالمفارقة بين اللاهوت والناسوت خطرا على قيمة الفداء، لذلك كانت المشكلة صعبة وخطيرة على الإيمان المسيحى، لأنها تهدد لا إيماننا فقط بلاهوت المسيح، وإنما تهدد خلاص الإنسان وتهدد تدبير الفداء، وتهدد كيان المسيحية كلها، ولذلك بعد سنوات من كفاح ونضال وكتابات متواصلة كان يرسلها بابا الأسكندرية كيرلس الأول تقرر أن يعقد مجمع فى أفسس فى كنيسة العذراء بمدينة أفسس، وإجتمع مئتان من أساقفة العالم لدراسة هذا الخطر، الذى نادى به نسطور، وثبت الآباء العقيدة وأيدوا موقف البابا كيرلس ورسالته العقائدية المشهورة، التى حدد بها إيماننا فى طبيعة المسيح، فى أنها طبيعة الإله المتجسد، وأنه لا يمكن أن يفصل بين لاهوت المسيح وبين ناسوته، وخطر هذا الفصل على

إيماننا بلاهوت المسيح وبالخلاص وبالعمل الكفارى الذى قام به المسيح، وبالتالى أثبت أيضاً فى استحقاق العذراء فى أن تسمى بوالدة الإله، والدة الإله لا بمعنى أنها أصل للاهوت حاشا، ولكن لأن الإله حل فى أحشائها واتحد بالإنسانية التى كونها من لحمها ومن دمها، وخرج من أحشائها الإله المتجسد، فبهذا المعنى صارت العذراء مستحقة بأن تسمى والدة الإله، كما دعتها أليصابات حينما قالت من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ، ووضع البابا كيرلس مقدمة قانون الإيمان نعظمك يا أم النور الحقيقى، ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله، وأقر المجمع الرسالة العقائدية التى وضعها البابا كيرلس الأول، واعتبرها رسالة معبرة عن الإيمان المسيحى، وأنها الرسالة الأرثوذكسية الدقيقة، التى تعبر فى أمانة وفى دقة عن عقيدتنا فى الإله المتجسد، وفى أن العذراء والدة الإله، وناقشوا نسطور ولما وجدوه متمسكاً بكفره حكم المجمع بإسقاطه من جميع درجاته الكهنوتية، وحكم الأمبراطور بناء على قرار المجمع بنفيه إلى إخميم، نفى نسطور إلى إخميم والناس يتسائلون لماذا إخميم بالذات؟! لأنها المكان الوحيد الذى لا يستطيع نسطور أن يصنع فيه شيئاً، لأنه فى أى مكان آخر قد يمكن أن يبث فيه سموم أفكاره، إلا اخميم حيث الأنبا شنودة هذا العملاق الروحانى، بوجوده يصير نسطور الذى كان بطريركاً للقسطنطينية كالقشة لا يساوى شيئاً، ولا يستطيع أن يؤثر على شعبنا، نفى إلى اخميم، وأصيب بعد ذلك بسرطان فى لسانه ومات نسطور شر ميتة، ودفن فى إخميم وبعد دفنه كان كل من يمر على قبره يرمى عليه حجراً، وأهل المدينة كانوا يحملون إلى هذا القبر أوساخاً وقاذورات، إلى أن أصبح على قبره تل يسمى حتى الآن بتل نسطور ، من يذهب إلى اخميم يسأل عن تل نسطور، وأما النساطرة أتباع نسطور فقد نفوا إلى خارج حدود الأمبراطورية الرومانية، فاستقروا فى بلاد العرب، وكانت لهم فى بلاد العرب أديرة، ومن بين هذه الأديرة النسطورية كان بحيرة الراهب النسطورى، الذى كانت له علاقة بمحمد نبى الإسلام، وهذه حقيقة مقررة ومعروفة فى الكتب والمراجع الإسلامية نفسها، فبعض الناس قالوا للبابا كيرلس الأول، لماذا تأخذ الأنبا شنودة مجمع أفسس؟ هل الأنبا شنودة رجل يفهم فى اللاهوتيات، لماذا تأخذه أو تصحبه معك إلى مجمع أفسس؟ حيث الأساقفة والعلماء، الذين يتناظرون فى الأمور اللاهوتية، ماذا يفهم هذا الراهب البسيط الذى لا يعرف اليونانية التى كانوا يتكلمون بها فى المجامع، لأنها اللغة العالمية فى ذلك الوقت، الأنبا شنودة لم يكن يعرف إلا القبطية الإخميمية، وكان متشدداً فى كلامه باللغة القبطية، حتى أنه ماكان يسمح لنفسه أن يستخدم كلمة واحدة يونانية فى داخل اللغة القبطية، فماذا يفهم الأنبا شنودة؟ فكان رد البابا كيرلس الأول أنا غير محتاج له فى المناقشات اللاهوتية، ولكن أنا محتاج لبركته، محتاج لصلواته أن يسندنى وأن يعيننى بصلواته التى يرفعها إلى الله، وفعلاً ذهب الأنبا شنودة ولم يشارك فى المناقشات اللاهوتية، ولكنه بصلواته وطلباته وضراعته ساند البابا كيرلس مساندة عجيبة، وانتصر البابا كيرلس وانتصر الإيمان الأرثوذكسى، ومما يرويه التاريخ أن البابا كيرلس وهو فى طريق العودة، وكانت وقتها المراكب شراعية، لم تكن توجد بعد المراكب البخارية،

وكانت المراكب نادرة نظراً لصعوبة السفر فى البحار، فلما رجع البابا كيرلس ومعه عدد كبير من الأساقفة والكهنة، وآخرين مما كانوا ذهبوا من تلقاء أنفسهم ليشهدوا المجمع المهم، فمع الزحام البابا كيرلس عندما دخل المركب وامتلأت، وبعد أن سارت المركب فى طريقهما إلى الأسكندرية، بعد أن تحركت المركب قليلاً تذكر الأنبا كيرلس الأنبا شنودة، فأخذ يبحث عنه وسط الناس، وبينما هو يفتش عنه إذ بالأنبا شنودة الذى لم يجد مركبا ولا مكاناً فى المركب، خطفته سحابة من السماء وكلم البابا كيرلس قائلاً، ها أنا يا أبى... وحدثت فى هذه اللحظة مناجاة روحية بين بابا الأسكندرية وبين الأنبا شنودة وهو على السحاب. هذا هو الأنبا شنودة فى روحانيته وفى تقواه، خدم الكنيسة وساندها بصلواته العميقة وشخصيته النارية، وغيرته المتقدة، كان من طراز إيليا ومن قوته، هذا هو الأنبا شنودة الذى من تأثر الأقباط به، صارت لهجة اخميم هى اللهجة الرسمية لمصر كلها خمسة قرون متوالية من القرن الخامس إلى القرن العاشر للميلاد، أما معجزاته التى أجراها الله على يديه، فهى عشرات ومئات من الأشفية ومن إخراج الشياطين أجراها الله على يديه وعشرات من الأمثلة عن غضبه إذا غضب وما يصيب الأشخاص عندما يقع عليهم غضب هذا الإنسان التقى القديس فكان يحل بهم غضب الله، نحن نحتفل اليوم فى السابع من أبيب من كل عام بذكرى نياحة هذا القديس، الذى صعدت روحه إلى خالقها وبارئها طاهرة نقية مقدسة صافية، عاش فى السماء وهو على الأرض فكان صديقاً للقديسين، لذلك لم يكن غريباً عليهم حينما ذهب إلى هناك، كان له هناك سحابة من أصدقاؤه، ومن قديسين من أعلى طراز، لم يكن هذا الإنسان كاهناً، فكان الأنبا شنودة كطراز الرهبان العظام الأوائل، الذين لم يقبلوا أن يساموا كهنة، حتى لا يخلط بين الرهبنة كطريق للعبادة وبين الكهنوت كطريق للخدمة، فكانوا عنيفين على هذا الفصل الواضح بين الكهنوت وبين الرهبنة، فكان كالأنبا أنطونيوس وكالأنبا بولا وكالأنبا باخوميوس وكالأنبا بيشوى وغيرهم، من عمالقة الرهبنة الذين فرضوا فرضاً على تلاميذهم أن لا يقبلوا الكهنوت مدى الحياة، حتى يحفظوا للرهبنة صفائها وهدفها الواضح، أنها لن تكون طريقاً للخدمة الكهنوتية، وإنما كطريق الملائكة كطريق السماء، طريق العبادة البحتة حتى لا يندس فيها إناس مما يريدون أن يصلوا إلى الكهنوت عن طريقها، كان الأنبا شنودة من طراز هؤلاء الرهبان الأوائل الذين نسميهم بأباء الإسكيم، الذين حرصوا على أن يحيوا كل حياتهم للعبادة وحدها، فى طريق التصوف البحت حتى يكونوا هم وتلاميذهم نموذجاً للنفس الراغبة فى العبادة وحدها، كطريق ملائكى يؤهل صاحبه لهذه الخدمة، خدمة الملائكة، أو كما يسمون فى المصطلح الكنسى الرهبان ملائكة أرضيون أو بشر سماويون، كان هذا هو الأنبا شنودة فى سيرته المقدسة فى يومه العظيم نرسل إليه تحياتنا، نبعث إليه برجائنا أن يصلى من أجلنا، وأن يذكر الكنيسة المجاهدة فى صراعها، لكى يعين المجاهدين ويبارك المناضلين المكافحين، أصحاب المبادىء والقيم الذين يصرون أن يكونوا دائماً لمبادئهم مخلصين إلى النفس الأخير.

كلمات عن الرهبنة (١)

+ (الرهبان) فهموا عن الله، وساروا إلى الله، وأعرضوا عما سوى الله، خرقت الحجب أنوارهم، وجالت حول العرش أسرارهم، وجلّت عند ذى العرش أخطارهم، وعميت عما دون العرش أبصارهم، فهم أجسام روحانيون، وفى الأرض سماويون، ومع الخلق ربانيون، سكوت نظار، غيب حضار، ملوك تحت أطمار. (التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذى ص ٤).

+ تركوا الدنيا فخرجوا عن الأوطان، وهجروا الأخدان (الأصدقاء)، وساحوا فى البلاد، وأجاعوا الأكباد، وأعروا الأجساد (التعرف ص ٥).

+ (الراهب) من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر (الحقائق الروحية) وانقطع إلى الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمدر (الطين) (التعرف ص ٩).

+ من لوازم الرهبنة : قلة الكلام، قلة المنام، قلة الطعام.

+ الوحدة هى ذلك البحر الذى يتصاعد منه الماء، فينعقد سحابا ويهبط أفكاراً من حين إلى حين.

الوحدة هى المحجر الروحى... الذى لا غنى عنه لكل صاحب رسالة عقلية أو دينية (فيكتور هيجو).

الوحدة هى الصفحة البيضاء التى يرسم عليها الإنسان مشاهد الطبيعة وخلجات الحياة.

مقال هام عن الرهبنة والتوحد بعنوان خطاب من مرشد روحانى حول حياة الكمال المسيحى - بمجلة مدارس الأحد سنة ١٦ عدد ٤ (مايو ١٩٦٢ - برمودة ١٦٣٨ صفحة ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٣.

---

(١) كلمات عن الرهبنة جمعها نيافته بمعرفته.

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسوعة الأنبا غريغوريوس

٣- الرهبنة القبطية وأشهر رجالها

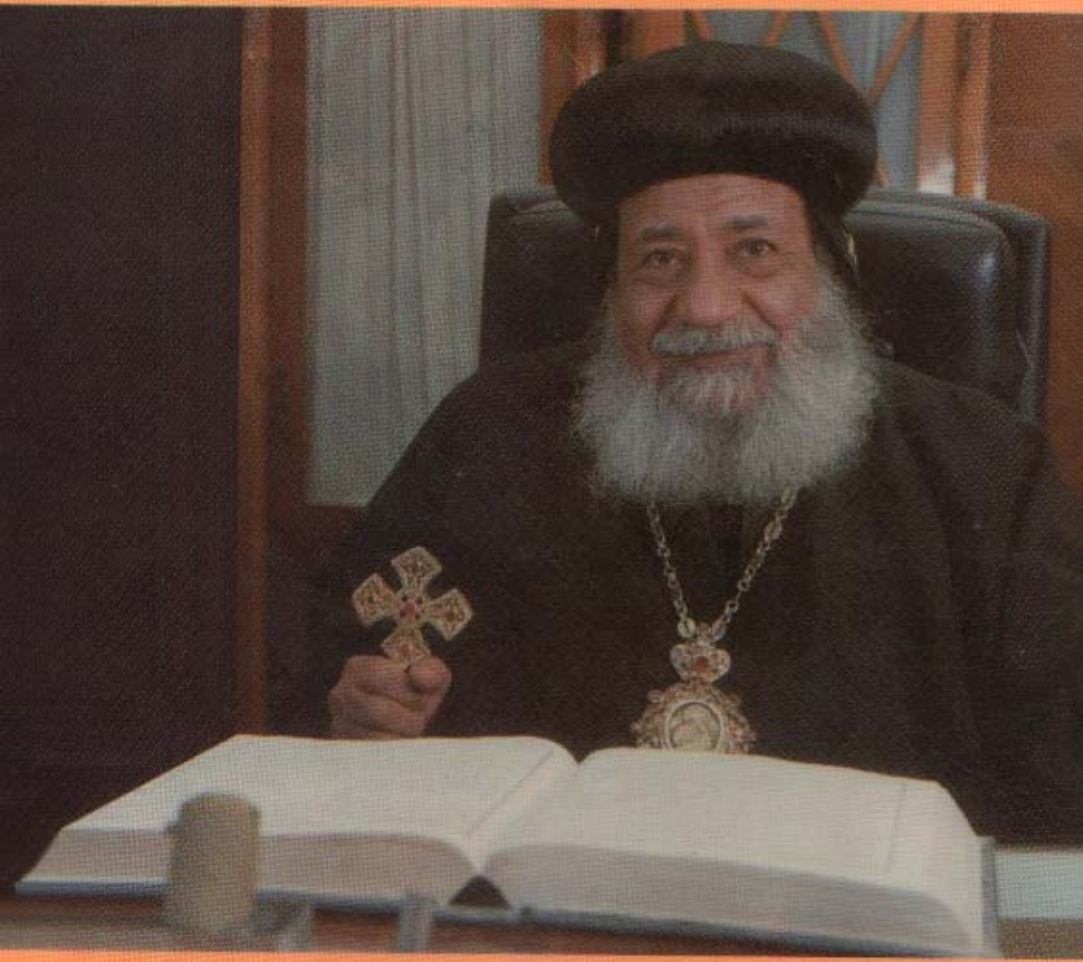

للمتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمي

أسـئلة
والإجـابـات عليـها

١ ـ النظام الأنطونى والنظام الباخومى (١)

سؤال : ماهو الفرق بين النظام الأنطونى والنظام الباخومى فى الرهبنة؟

الجواب :

النظام الأنطونى : هو نظام التوحد Μοναςτηριον بالمعنى الدقيق، نحن نسمى الدير منيستريون كنوع من أنواع التجاوز، لكن هذه تسمية أنطونية، والنظام الأنطونى كل راهب يعيش بمفرده، لا يوجد حياة جماعية، وكان الأنبا أنطونيوس الأب الأكبر يمر على كل راهب ويعطى له إرشاداته وتوجيهه، ويجيب على أسئلته ويحل له كل الإشكالات الشخصية، لم يكن هناك أسوار تحيط بالرهبان، الأسوار ظهرت فى عهد الأمبراطور زينون بعد رهبنة القديسة إيلارية.

النظام الباخومى : يسمى نظام الشركة Κοινωνια Coenobitic- ، نظام الحياة الجماعية، إن الرهبان يصلوا معاً، ويأكلوا معا ويشتغلوا معاً، لدرجة أن الأنبا باخوميوس عمل تصنيف فكان هناك بيت للخبازين وبيت للحدادين، وبيت للبنائين، وجعل الرهبان الذين فى مهن متقاربة يعيشوا معاً. ومن هنا جاءت فكرة الأجراس فى الأديرة، لتجمع الرهبان عند العمل أو الأكل، وجاءت فكرة القراية أو المقرأة التى يوضع عليها الكتاب الذى يقرأ منه أثناء الأكل، لكى لا تنشغل عقولهم بأفكار خارجية تفسد عقولهم، هذا النظام موجود الآن فى الأديرة الغربية.

وكان من ضمن المبادىء الباخومية التى أغفلناها اليوم فى أديرتنا، أنه يضع الرهبان المبتدئين كل ثلاثة معاً، وكان يرى أن الرهبان الثلاثة يشجعوا بعض ويقووا بعض ويسندوا بعض، حتى يحدث إشباع على نوع ما للغريزة الطبيعية، لأن الإنسان صعب أن يتغلب على الغريزة الإجتماعية أو الشعور الإجتماعى، وهذا الكلام قاله أرسطو: الإنسان كائن اجتماعى (سماه حيوان إجتماعى) فلا يمكن أن يحيا الإنسان فى غير مجتمع إلا إذا كان فوق الطبيعة أو تحت الطبيعة، فالإنسان اجتماعى بطبيعته فكونه ينتقل فجأة من المجتمع الكبير إلى التوحد المطلق، هذه قسوة غير طبيعيه وتؤدى عادة إلى الفشل.

فالأنبا باخوميوس كان يرى أن الثلاثة رهبان معا أفضل، يكون بينهما صداقة ويُصلُوا معا، ويراقبوا بعض ولو أخطأ أحدهم يلفت نظره الثانى، وتحدث بينهم نوع من المناقشة الروحية الطبيعية التى تفيدهم.

---

(١) إجابة على سؤال بدير القديس باخوم بحاجر ادفو فى مساء الأحد ١٣/ ١/ ١٩٨٠م ـ ٤ طوبه ١٦٩٦ ش. نقلاً عن شريط كاسيت

والرهبنة لم تكن موجودة بالشكل المعروف إلا إبتداء من الأنبا باخوميوس، فأصبح هناك شكل معين، وحتى الراهبات أيضاً، أخت الأنبا باخوميوس هى التى أقامت نظام الراهبات، قبل ذلك كان هناك مايسمى نظام خورس العذارى فى الكنيسة، والسيدة العذراء هى التى بدأت نظام الخورس، وتبعها بعد ذلك عذارى أخرى، وكانت تصلى معهم وكانت رائدة لهم، وكان يعرف بعذارى جبل الزيتون، وفى الدسقولية تجد هذا الكلام عن خورس العذارى.

٢ ـ حياة الراهب داخل القلاية (١)

سؤال :

نريد فكرة عن حياة الراهب داخل القلاية وكيف ينظم وقته فيها؟ وإذا إنتاب الراهب الملل مع طول المدة فكيف يدفعه عنه؟

الجواب :

الحقيقة الراهب المفروض أنه يقضى وقته بين ثلاثة أشياء، أى يقسم وقته بين ثلاثة إتجاهات:

(١) العبادة أو التعبد.

(٢) الدرس : القراءة والدراسة فى الكتب المقدسة وأيضاً الكتب الأخرى النافعة والمفيدة.

(٣) العمل اليدوى.

وهناك تحذيرات خصوصاً أنبا باخوميوس أب الشركة يقول الراهب الذى يعمل يحاربه شيطان واحد والراهب الذى لا يعمل يحاربه شياطين كثيرة.

من هنا كان مبدأ الحياة الإشتراكية، وأن الرهبان يعملوا معاً.

والحقيقة منعا من الملل الراهب يقسم وقته بين هذه الإتجاهات.

وأيضاً هناك تحذيرات من أن الراهب لا يعيش حياة الكسل، وينصح الأباء أنه يجب أن الراهب لا يسمح لنفسه بدقيقة واحدة بلا عمل، سواء كان عبادة أو دراسة أو عمل يدوى. إنما تختلف المسألة من واحد إلى آخر، فنجد بالنسبة للمبتدئين المفروض أن العمل يكون أكثر من العبادة ومن الدراسة، أى أن النشاط الجسمانى يكون أكثر، وطبعاً الأباء ينصحوا بهذا لئلا يصيب الإنسان الملل. وكلنا نعلم قصة أن الملاك ظهر للأنبا انطونيوس وعرفه لكى يغلب الملل أنه يصلى جزء من الوقت ويشتغل فى الجزء الآخر بحيث لا يعطى وقت للأفكار.

ففعلاً مفروض أن الراهب يملأ وقته كله بما هو نافع، والنافع هنا مثل ماقلنا النشاط الجسمانى وأيضاً العبادة وأيضاً الدراسة.

وتختلف نسب هذه النشاطات الثلاثة حسب درجات الرهبنة أو مقامات الرهبنة السبعة، لذلك نصيب الراهب من هذه الثلاثة أشياء يختلف حسب التطور الروحى للراهب.

---

(١) حديث إلى رهبان دير القديس الأنبا صموئيل المعترف فى يناير ١٩٩٠م نقلاً عن شريط كاسيت.

كما أن الراهب المبتدىء لا يقدر أن يكون عنده الطاقة الروحية التى يحس بها لذة الصلاة ساعات متواصلة، كما يحسها المتقدمين، وهذا هو السبب أنه فى تقليد الرهبنة يعطوا للمبتدئين أعمال المجمع، من أجل المبدأ الذى قاله الأنبا باخوميوس الراهب الذى يشتغل يحاربه شيطان واحد والذى لا يشتغل يحاربه شياطين عدة، وهذا هو السبب أن أنبا باخوميوس عمل نظام الشركة على أساس أنه مرحلة متوسطة بين حياة الإنسان فى العالم (المجتمع الكبير) وبين التوحد المطلق وهو المفروض أن يكون آخر شىء يصل إليه الراهب، فلابد أن يكون نصيب الإنسان المبتدىء فى الرهبنة من العمل اليدوى أكثر من نصيبه الذى يعطى للصلاة والدرس.

٣ ـ هل هناك سواح الآن؟ (١)

سؤال :

هل هناك سواح الآن؟

الجواب :

نعم: يوجد أشخاص رأوا خارج دير المحرق دير آخر مخفى عن الأنظار، غير ظاهر للكل، لكن فيه ناس شافوا فعلاً سواح، فطبعاً هناك سواح؟ نعم، ومن وقت لآخر نلتقى ببعض أشخاص فى مناسبات معينة، يدل على أنه فيه بعض الناس فى مرحلة السياحة فى البرية الجوانية، لكن فيه هناك أشخاص بيلتقوا بالسواح.

وأريد أن أقول. أن هناك أشخاص يروا فى فترات معينة وفى كنائس مغلقة رهبان سواح، فمثلاً يروى الأنبا لوكاس مطران منفلوط وابنوب وكان أصلاً من دير المحرق قبل أن يرسم أسقفاً، عن أبونا ميخائيل البحيرى وكان رجل روحانى جداً وفى درجة السياحة، وكان أب اعتراف الدير كله، وتنيح سنة ١٩٢٢ وكان كبير السن. مع النسك ومع الشيخوخة وهذا فى كتاب خليفة الأنبا ابرام. ويقصد به الأب ميخائيل البحيرى، فيقول إنى أنا لاحظت أن أبونا ميخائيل دخل الكنيسة وخرج عدة مرات وهذا على غير عادته فلفت نظرنا، فيقول أنا كنت خالع الجزمة فمشيت وراءه فوجدته طلع خارج الكنيسة الأثرية بالدير المحرق على سلم كان يؤدى إلى كنيسة للأحباش ـ ولكن سنة ٣٦ وجدوا منهاخطورة على الكنيسة الأثرية فهدمت ـ فوجدته يتكلم مع واحد راهب غريب عن الدير،.

ورواية أخرى قصها الرهبان، أنهم يصلوا يومياً قداس فى الكنيسة الأثرية حسب التقليد، ففى الساعة ٢ بعد منتصف الليل تبدأ التسبحة وتأخذ ساعتين وبعد ذلك رفع الحمل وبعد ذلك القداس، فابتداء من ١,٣٠ الرهبان ابتدأوا يتحركوا نحو الكنيسة، الكنيسة لها باب يقفل بمفتاح خشب وسهل جداً فتحه، وعادة بمجرد فتحه الباب يفتح بدون أى مجهود، فقال الآباء الرهبان إننا بعد أن فتحنا الباب بالمفتاح، وجدنا صعوبة فى فتح الباب وكأن قوة صادة من الداخل مانعة من فتح الباب، حاولوا كلهم ففشلوا ولم يحدث هذا الأمر من قبل، فذهبوا للأسقف الأنبا باخوميوس الأول وقتها وقالوا له الباب لا يفتح قال: غريبة كيف؟ قالوا، إننا نحس أن قوة ضاغطة من الداخل، فقال لهم أحضروا أبونا ميخائيل البحيرى، فلما حضر قال له الأسقف اذهب افتح الباب يا أبونا ميخائيل، فذهب ووضع يده على الباب وقال اتفتح يا مبارك فاتفتح، الرهبان قالوا إننا سمعنا صوت أرجل كانت خلف الباب. فكيف تفسر هذا؟ طبعاً لاشك كانت أرجل السواح.

الخلاصة إن فيه سواح؟ لا نقدر أن نقول أن هذا الباب أغلق أبداً.

---

(١) فى دير القديس الأنبا صموئيل المعترف فى يناير ١٩٩٠م ـ نقلاً عن شريط كاسيت.

٤ - هل يوجد سواح من العلمانيين؟

سؤال : هل يمكن أن يكون سواح من العلمانيين؟

الجواب :

ممكن فى بعض الأحيان، يكون فيه ناس طيبين من العلمانيين، وقلوبهم رقيقة ويكون عندهم جلاء بصرى ويروا رؤى. مثلاً الأنبا رويس ، كان رجل يبيع الملح، لم يكن راهباً ولم يكن كاهناً، إنما وصل لدرجة السياحة.

فالسواح موجودين وهذا الطريق لا يمكن أن يغلق أبداً أبداً، سيظل بإستمرار لأن الروحانية طريق مفتوح، فلماذا يكون فى القديم ولا يكون الآن؟ ما هو العائق؟ العائق فى الإنسان نفسه، لكن من جهة الإمكانية موجودة.

٥ - هل الرهبنة طريق التوبة؟ (١)

سؤال : هل الرهبنة هى طريق التوبة؟

الجواب :

هى فُهمت على أنها طريق التوبة، ولكن ليس على أساس أن أى واحد يسير فى طريق الخطية فيسمع كلمة وعظ فيقول أتوب فأترهبن؟ لا..لا.. كلمة الرهبنة طريق التوبة بمعنى أن ممارسات العبادة التى يمارسها الراهب فى حياة الرهبنة، من شأنها أنها تعطيه التوبة اليومية عن أخطائه كل يوم، بمعنى أنه يحاسب النفس ويتوب عن الأخطاء التى يشعر بها كل يوم، لكن إنسان ضال وتائه وبعيد عن ربنا ثم يسمع كلمة أو عظة وأثرت فيه وفكر أنه يتوب فيذهب للرهبنة!!؟ مستحيل طبعاً لأنه ممكن جداً لا يصلح للرهبنة.

٦ - حياة البتولية (٢)

سؤال :

كلام بولس الرسول فى كورنثوس الأولى ٧ الواضح أنه بيدفع الناس دفعا إلى طريق الرهبنة؟

الجواب :

لا.. لا.. ليس طريق الرهبنة، بولس الرسول لا يقول الرهبنة، هو يتكلم عن البتولية ونحن قلنا أن هناك فرق بين البتولية والرهبنة، البتولية معناها أن الإنسان يعيش ٣٠، ٤٠ سنة، ٥٠ سنة، ٧٠ سنة، ٨٠ سنة الحياة قصيرة، فالإنسان إذا كان فى إمكانه وعنده دعوة وعنده إستعداد وعنده إحتمال، أن يعيش متبتل ويكرس روحه وجسده وعقله وذهنه وأعصابه وكل قدرته فى الحياة هذا يكون أفضل، إنما لا يكون على الرغم منه، لازم بإختياره. لذلك قال الرسول من تزوج يفعل حسنا بدلا من أن يعيش البتولية مع التحرق.

---

(١)، (٢) فى دير القديس الأنبا صموئيل المعترف فى يناير ١٩٩٠م - نقلاً عن شريط كاسيت.

٧ ـ هل الرهبنة نتيجة أمر إلهى فى الكتاب المقدس (١)

سؤال :

هل هناك أمر إلهى فى العهد الجديد أو العهد القديم للرهبنة؟

الجواب :

الكلام عن الرهبنة هو الذى قاله السيد المسيح له المجد: «إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع كل مالك ووزعه على الفقراء وتعال اتبعنى» مرقس ١٠ : ٢١، متى ١٩ : ٢١، إن أردت أن تكون كاملاً لذلك يسمى طريق الرهبنة طريق الكمال. على أساس أن فيه تطبيق لهذا المعنى، وهذا هو الذى سار عليه الأنبا أنطونيوس عندما ذهب إلى الكنيسة، وسمع الإنجيل يقول هذا الكلام، قال لابد أن أنفذ هذا الكلام فباع أملاكه ووزعها على الفقراء وترك العالم وذهب للتعبد فى الصحراء.

أما كلام بولس الرسول ليس عن الرهبنة ولكن كلامه عن التبتل.

ومتى ١٩ عن التبتل أيضاً لما قال «خصوا أنفسهم من أجل ملكوت الله». التبتل أحد مقومات الرهبنة، أحد مقومات الرهبنة هو التبتل. إنما الرهبنة فيها غير التبتل فكرة الإعتزال، وفكرة الفقر الإختيارى وهذه موجودة فى الآية التى قالها المسيح «إن أردت أن تكون كاملاً اذهب بع كل مالك واعط الفقراء.. وتعال اتبعنى حاملاً الصليب» (مرقس ١٠ : ٢١).

إذن الرهبنة حمل الصليب؟

نعم حمل الصليب، لأن فيها معاناة وفيها جهاد وفيها الإنسان يصلب شهواته، يقف ضد رغباته، فطبعاً فيها صلب وفيها معاناة، وكونه يقطع العلاقات أو يضحى بعلاقاته مع الأسرة ومع العائلة، مفيش شك أن هذه معاناة ليست قليلة، طبعاً الإنسان إجتماعى بطبعة مثل ماقال أرسطو، لا يقدر الإنسان يحيا بعيداً عن المجتمع إلا إذ كان فوق الطبيعة البشرية أو تحت الطبيعة البشرية، فليس من السهل إن الواحد يعتزل أقربائه أو أصدقائه، يحيا بعيداً، فهذه تعد تضحية ومعاناة، وكونه يستغنى عن إحتياجاته المادية ويعيش فقير هذه أيضاً معاناة، وكونه يذهب إلى مكان نائى لا يعرف ما يصيبه فى هذا المكان هذه أيضاً معاناة، وكونه يقف ضد رغباته وحتى ضد الحاجات المباحة مثل الأكل والشرب، أكيد إن الراهب وخصوصاً المتوحد لا يوجد عنده الإمكانيات، من الطعام والشراب والمسكن والملبس وما إلى ذلك مثل إمكانيات الإنسان الموجود فى العالم. أحياناً فيه بعض الرهبان لا يملك إلا ثوب واحد وقد يكون ممزق، مثلاً يوحنا المعمدان كان يلبس وبر الإبل ومنطقة من جلد على حقويه، فهذه معاناة إن الواحد يكون له ثوب واحد

---

(١) فى دير القديس الأنبا صموئيل فى يناير ١٩٩٠م ـ نقلاً عن شريط كاسيت.

وتكون له ظروف قاسية بهذا الشكل، وفيه بعض الرهبان المتوحدين تدخل فى قلايته لا تجد أى شىء، أبدا، فطبعاً هذه معاناة ليست قليلة، فلما المسيح يقول «يحمل صليبه» واضح من هنا أن المقصود بحمل الصليب كل أنواع المعاناة التى يعانيها الراهب، سواء فيما يتصل بصلب الشهوات أو الرغبات حتى المباح منها وهو مثلاً موضوع الأكل والشرب والمسكن واللباس وحاجات مثل ذلك مباحه، لكن كونه يقسو على نفسه حتى أنه يستغنى حتى عن الضروريات، أو يأخذ منها القليل جداً، وكونه يخرج من وسط أهله وعشيرته ويستغنى عن وظيفته وعن عمله كل هذا معاناة. كونه يختار الفقر طبعاً كل هذا معاناة.

٨ - التكريس والرهبنة (١)

سؤال :

هل يوجد علاقة بين التكريس للخدمة فى العالم وبين الرهبنة؟

الجواب :

فيه علاقة، فيه علاقة بتعتبر غالباً شبيهه بخدمة مريم وخدمة مرثا، دائماً يصطلح على إن خدمة مريم التى فضلت أنها تجلس عند قدمى المسيح وتسمع كلامه وتستفيد من هذا الكلام، أنها تعد رمز للحياة الرهبانية التى فيها يترك الواحد كل شىء ويكون مخصص حياته كلها لهذا التعبد.

خدمة مرثا بترمز إلى حياة الخدمة فى العالم، طبعاً خدمة ضرورية ومفيدة، إنما نوع آخر من الحياة، لا تعد ضد حياة مريم، إنما تعد مكملة لها ولكن من زاوية أخرى والإثنين يكملا بعض.

فيه مدح لإختيار مريم هنا؟

نعم فيه مدح، على أساس نوع من أنواع التفضيل، لكن مرثا عملها له قيمته. أنا أريد أن أقول أن هناك فرق بين خدمة العالم والمعلّم، العالم هو الشخص الذى يقبع فى مكانه ويحاول أن يدخل إلى أعماق العلم والمعرفة، ويضع مؤلفات وكتب أو كشوف علمية.

ولكن المعلّم يأخذ ماعمله العالم ويقدمه للناس أو للتلامذه، فالمعلم بيعتمد على العالم، لأن العالم بيعد الكتب، التى يأخذها المعلم وينقلها للطلبة، العملين مع بعض مكملين لبعض. والإثنين عملهم مفيد، لكن هذا من زاوية والآخر من زاوية أخرى. لكن لا يوجد تعارض بين الأثنين، فالشخص بيكون عنده إستعداد أن يكون معلم أفضل من أن يكون عالم، وهناك آخرين ليس

(١) فى دير القديس الأنبا صموئيل فى يناير ١٩٩٠م - نقلاً عن شريط كاسيت.

عندهم إستعداد أن يكونوا علماء أكثر من أن يكونوا معلمين، كلنا رأينا مثلاً فى المدارس، أمثلة من الأساتذة تجده فى ذاته كويس جداً جداً، لكن لا يستطيع أن يشرح جيدا. لا يوجد عنده مقدرة على الشرح ولا مقدرة على ضبط الفصل. إنما مثلاً عنده فهم أو ذكاء أو قدرة علمية، أتذكر أيام ثانوى كان عندنا مدرس أول رياضة، هذا الرجل من سوء حظ الفصل كان هو مدرس الفصل، وكان أكثر أساتذة الرياضة نبوغاً لدرجة المسائل أو التمارين التى يعجز عنها الأساتذة بلمحة سريعة يستطيع حلها، فهو كان معروف فعلاً أنه الأستاذ الأول، إنما لا يعرف أن يشرح أبداً إطلاقاً ، كان وجوده أو عدمه فى الحصة سواء، . على الرغم من أنه هو مدرس أول رياضة. فيه واحد آخر كان أقل منه كفاءة فيما يتصل بالقدرة العقلية إنما كان عظيم جداً كمعلم، عاوز أقول هذه موهبة وهذه موهبة أخرى، الإثنين ليسا ضد بعض لكن الإثنين يكملا بعض، لكن المفروض كل واحد يرى أين موهبته، هذا هو الفرق بين العالِم والمعلِّم، كذلك المفروض أن يكون هناك فرق بين مريم ومرثا، وبين الخدمة التى يسموها خدمة الملائكة التى هى التعبد الخالص، وهى اجترار الحياة الروحية والدخول إلى أعماقها، ثم المعلمين فى الكنيسة الذين يأخذوا الخبرات الروحية التى وصل إليها كبار هؤلاء الناس المتصوفة، ويأخذوا من ثمرات هذه الحياة الروحية العالية ويقدموها للناس فى الكنيسة، بينما هؤلاء الناس دفنوا أنفسهم فى أماكن بعيدة وحصلوا على خبرات روحية، هذه الخبرات الروحية ظهرت منهم فى حياة تلاميذهم من جهة وفى الكتب التى وضعوها من جهة أخرى. تجد مثلاً واحد مثل الأنبا أنطونيوس، الأنبا بولا، الأنبا بيشوى، الأنبا شنوده رئيس المتوحدين، أبو مقار غيره غيره غيره، كل هؤلاء العمالقة تركوا تلاميذ من ورائهم من القديسين، ثم تركوا سيرة حية كلنا عايشين عليها لغاية اليوم، ثم تركوا كتب لأن خبراتهم كتبت فى كتب ومؤلفات موجودة فى مخطوطات الآن بالأديرة ويقرأها الرهبان أو غيرهم لينتفعوا بها.

٩ ـ هل الرهبنة هروب من الحياة؟ (١)

سؤال :

هل الرهبنة هروب من الحياة؟

الجواب :

كلمة رهبنة فى العربى من رهب يرهب، أو جزع يجزع فحالة الرهبنة هى حالة الجزع، وهى مخافة الله حينما ترتسم فى نفس الإنسان. فالراهب هو الإنسان الذى بإرادته يرغب أن يحيا حياة الملائكة على الأرض، وهى حياة الصلاة التى بلا إنقطاع، بدلاً أن يعطى جزء من حياته لله، يقول لماذا لا أعطى حياتى كلها لله؟ السيد المسيح له المجد قال إن أردت أن تكون كاملاً اذهب وبع كل ماتملك ووزعه على الفقراء وتعال اتبعنى حاملاً الصليب، وهذا هو السبب الذى يقولوا من أجله أن الرهبنة طريق الكمال، لأن المسيح قال إن أردت أن تكون كاملاً اذهب وبع كل ماتملك، لكن الرهبنة الحقيقية ليست هربا من الحياة، ولا هربا من إلتزامات الحياة الزوجية أبداً، مثل هذا الإنسان لا يكون راهباً أبداً على الحقيقة، وإنما يكون إنسان هارب من نفسه وهارب من مسئولياته، إنما الراهب ليس هو الإنسان الفاشل، الراهب الحقيقى هو إنسان يطمع فى أن يحيا مع الله مقدسا جسداً وروحاً، وبدلا من أن يعطى جزء من وقته لربنا يعطى وقته كله لربنا ويعطى أعصابه وجهده مثل خدمة الملائكة، الكاروبيم الآن هم حملة العرش، ماهى خدمتهم؟ واقفين طول الوقت من يوم خلقتهم حتى الآن، واقفين طول الوقت رافعين وحاملين العرش الإلهى، تصور من يوم الخليقة حتى اليوم، من يوم ماخلق الله النور اليوم الأول، الخلقة الأولى، الملائكة واقفين لم يتعبوا من الوقوف، إنه واقف أمام الله، هذه الوقفة وقفة التعبد، الملاك جبرائيل لما ظهر لزكريا قال له: أنا جبرائيل الواقف أمام الله، لذلك الرهبان يريدون أن يعيشوا حياة الوقوف أمام الله وهى خدمة الملائكة، لذلك إيليا النبى وهو راهب بكل معنى الرهبنة يقول: حى الرب الذى أنا واقف أمامه، هذا يعنى أن إيليا النبى كانت حياته كلها حياة التعبد واقف أمام الله، وماكان ينزل إلى العالم إلا ليؤدى رسالة، ليبلغ رسالة الله مثلاً إلى الملك آخاب وإلى غيره ولكن على الرغم من ذلك كان يعود مرة أخرى لحياة الوقوف مع الله.

فالرهبنة الحقيقية ليست هرباً من العالم ولا هرباً من مسئوليات الحياة الزوجية، إنما الرهبنة الحقيقية هى حياة الوقوف أمام الله، والصلاة التى بلا إنقطاع، عندنا فى الكتاب المقدس ذبيحة السلامة وتوجد ذبيحة المحرقة، ذبيحة السلامة، عندما يكون أحد مريض ثم شفى فلكى يشكر الله يقدم ذبيحة شكر لله، أو كان مسافر ورجع بالسلامة فيقدم ذبيحة شكر لله، أو كان فى ضيقة

---

(١) محاضرة بكنيسة السيدة العذراء بادفو فى مساء السبت ١٢ يناير ١٩٨٠م نقلاً عن شريط كاسيت.

وتخلص من هذه الضيقة يقدم هذه الذبيحة، هذه الذبيحة ذبيحة السلامة، كان بعضها يحرق على المذبح بالنار، وجزء منها يأخذه الكهنة كنصيب لهم، لأنهم ليس لهم نصيب من أهل العالم إلا هذا النصيب، وجزء يوزع على الفقراء والمساكين، والجزء الرابع يأخذه مقدم الذبيحة ليأكل منه هو وإمرأته وأولاده ليفرحوا معاً.

فذبيحة السلامة تجزأ إلى أربعة أجزاء الله له ربع والكهنة لهم ربع والفقراء والمساكين لهم ربع، ومقدم الذبيحة مع إمرأته وأولاده لهم ربع. إنما ذبيحة المحرقة، كلها تحرق لله بالنار، لا يبقى منها شيء لكاهن ولا للفقراء أو المساكين أو مقدم الذبيحة، إنما كلها تحرق لله عبادة له، العلامة أوريجينوس يقول هذا هو الفرق بين ما يعطى جزءا من حياته لله مثل سائر المؤمنين، وبين المتبتل أو المنقطع، لأن فى ذلك الوقت لم يكن يوجد طريق الرهبنة بالطريق المعروف الآن، فقال المتبتلون أو المنقطعون بالتبتل والبتولية لله، مثل ذبيحة المحرقة، كما قال الرسول بولس يكون مقدساً جسداً وروحا، أى مدشنا لا يبقى منه شيء لأحد من البشر إنما كله لله.

هذا هو معنى الرهبنة بالمفهوم الدقيق.

١٠ ـ الرهبنة أم الخدمة (١)

سؤال :

ما رأى قداستكم فى إنسان خادم يريد الرهبنة، ولكن البلد فى إحتياج كبير إليه. هل يرسم كاهن؟ وهل الرهبنة أفضل أم الخدمة فى الكنيسة؟

الجواب :

الرهبنة موهبة وإستعداد، والخدمة موهبة وإستعداد. وهما ليسا ضد بعض، بل يكملا بعض. لكن المهم أن الواحد يعرف استعداده وأهليته. إنما الحقيقة أن الإنسانية بصفة عامة فى حاجة إلى مختلف أنواع المواهب. كل موهبة تكمل الأخرى لكن كلمة هذه أفضل أو لا، هذا نافع أو لا.. هذا خطأ، هذا طريق وهذا طريق ولكن الإثنين ليسا ضد بعض ولكنهما يكملا بعض.

ونحن بصفة عامة كمبدأ عام معروف أن المسيحية ترى أن البتولية أفضل من الزواج. لأن البتولية معناها أن الإنسان يعطى حياته كلها، ويركز كل إهتمامه ويفرغ كل طاقاته النفسية والفكرية والعقلية والعصبية والجسدية لله وحده، بحيث أن الواحد يصير كله محرقة لله لا يبقى منه شىء لنفسه ولا لأسرته بل كله لله. مثل الفرق فى العهد القديم ما بين المحرقة وذبيحة السلامة. طبعاً كمبدأ عام البتولية طريق أفضل وخاصة إذا صاحب البتولية الرهبنة. ومعنى الرهبنة إختيار الفقر وإعتزال العالم للتعبد، لأنه جائز أن الراهب لا يكون بتول، فممكن أن يكون سبق له الزواج، وأراد بعد ذلك أن يترهب، إنما المهم فى الرهبنة اعتزال العالم للتعبد وإختيار الفقر. فإذا صحب نذر البتولية الرهبنة أى إلى جانب نذر التبتل كان هناك اعتزال عن العالم للتعبد واختيار الفقر هذا يكون أفضل، فالرهبنة هى إعطاء الحياة كلها لله وإعطاء الوقت كله. لأن الخدام المتبتلين المقيمين فى العالم هناك جزء كبير من وقتهم يعطى للخدمة طبعاً هذا عمل مقدس. لكن خدمة الرهبان من طراز آخر بنسميه خدمة الملائكة. كما أن الملائكة وقوف أمام العرش الإلهى ليلاً ونهارا يسبحونه، كذلك الرهبان أيضاً، وهذه فلسفة الرهبنة الأصيلة أن الراهب الذى يترك العالم ويتفرغ تفرغاً تاماً لحياة الصلاة التى بلا إنقطاع، التى قال عنها الرسول بولس فى رسالته الثانية إلى تسالونيكى، الصلاة التى بلا إنقطاع، هذه فلسفة الرهبنة للوصول إلى مراحل الروحانية العالية التى تنتهى بما يعرف بالإتحاد بالله، وإلى ما يعرف بالرؤيا الطوبانية والشخوص التام فى الله، والفناء المطلق فى الله، فيصير الإنسان لا وجود له فى ذاته، إنما وجوده فى الله، ينحل عن الكل ليصبح متحداً بالواحد، وهذا طريق يحتاج وقت طويل

---

(١) إجابة على سؤال بكنيسة القديس يوحنا الحبيب بنجع حمادى فى مساء الثلاثاء ٢٥ / ١١/ ١٩٧٥م ـ ١٥ هاتور ١٦٩٢ ش ـ نقلاً عن شريط كاسيت.

ويحتاج رياضات مستمرة حتى يرتفع الإنسان شيئاً فشيئاً فوق المادة وفوق الجسد، إلى أن يصل إلى المراقى الروحانية العالية السامية التى فيها يصير شبيهاً بالملائكة. لاشك أن هذا الطريق أفضل كثيراً. لأنه يحدث تطهير كامل لكافة القوى والطاقات الإنسانية والحصول على الشفافية العالية، التى فيها تنعدم الذات إنعداماً يكاد يكون تاماً، وهذه هى فلسفة الرهبنة العالية. هذه هى القضية العامة. ولكنى لا أستطيع أن أقول أيهما أفضل الزواج أو التبتل أو الرهبنة لهذا الإنسان، لأنه لابد للنظر إلى استعداد هذا الإنسان وإلى قدرته وإلى إمكاناته، فما يصلح لهذا قد لا يصلح لذاك، ممكن جداً أن يكون الزواج لشخص أصلح بالنسبة له، ويمكن أن يعطى طاقات للخدمة الإلهية أفضل مما لو أنه تبتل وعاش فى تحرق، هنا لا تصلح له البتولية لأنه سيعيش معذباً وتتبعثر طاقاته الحيوية فى ضبطه لقواه، شخص آخر لو أنه تزوج لكان الزواج بالنسبة له يعطله عن الحياة التى يميل إليها ويرغب فيها، بل وأحياناً يكون الزواج بالنسبة لبعض الناس مشكلة، فقد يشقى المرأة التى يتزوجها. والعكس أيضاً بالنسبة للمرأة.

إذن ليست البتولية أفضل من الزواج بالنسبة لكل واحد. لهذا الإنسان أحسن. فقد تكون أفضل لإنسان، ولكن لإنسان آخر أفضل أن يتزوج من أن يتبتل ، لأن لكل واحد استعداده وميوله وإمكانياته، فما يصلح لهذا قد لا يصلح لذاك.

أما من جهة الخدمة. فنقول أن الرهبنة طريق وهناك من يصلح لهذا الطريق، وهذا الطريق نافع ومفيد للكنيسة. لأن الرهبان يعطوا شحنات روحانية عالية، ويصلوا إلى خبرات روحية، هذه الخبرات الروحية تشحن الكنيسة بالروحانية، وتسند الكنيسة بالروحانية وتعطى قوة للكنيسة عن طريق صلوات هؤلاء الأباء وحياتهم المقدسة، إن أمثال هؤلاء الناس يشفعوا فى البشر ويمكن لولا وجودهم لكان غضب الله ينزل على البشرية. مثل ما قاله ربنا لأبونا إبراهيم «إن وجد هناك خمسون باراً فى المدينة أصفح عن المكان كله من أجلهم» فوجود الأبرار فى وسط الناس فى العالم يشفع فى العالم.

فالرهبان قوم نافعون بل سميهم ملائكة أرضيون أو بشر سمائيون، وليس كل الناس يصلحوا للرهبنة، لكن لا نقول لأن الراهب يعيش فى الدير وبعيد عن العالم فلذلك لا نستفيد منه شيء، لا.. نحن نستفيد من الراهب من صلواته ومن شحناته الروحية العالية بالسيرة المقدسة العطرة التى تعيش عليها الكنيسة مئات السنين، نحن حتى اليوم نردد سيرة القديس الأنبا أنطونيوس، والأنبا بولا والأنبا باخوميوس والأنبا بيشوى، فسيرة هؤلاء الرهبان سيرة عطرة نافعة ورائحة ذكية تعيش عليها الكنيسة أجيال.

إذا خدمة الرهبنة نافعة، وأيضاً الخدمة فى العالم نافعة . الإثنين يكملا بعض. نحن ككنيسة محتاجين إلى الإثنين معاً، وهذا طريق وذاك طريق ولا نستطيع أن نقول أيهما أفضل، لأنه كما قال الرسول كل واحد بحسب دعوته.

أما الشخص الذى يريد أن يعرف ماهو الأفضل له شخصياً، الرهبنة أو الخدمة فى العالم، فهذا يحتاج أن يدرس الشخص نفسه، قبل أن يعلن عن ذلك لأسرته وأفراد عائلته، ويسترشد بمن لهم خبرة، وأولهم أباء الإعتراف ممن يكونوا نافعين فى هذه الإستشارة وذلك قبل أن يقرر نهائياً، إذا كان يصلح لأن يعيش راهباً أو يعيش خادماً فى العالم.

١١ ـ القوانين والنظم الرهبانية

سؤال :

القوانين والنظم الرهبانية هل وضعها مؤسسو الرهبنة بحسب عقولهم البشرية وخبرتهم أم بإرشاد الروح القدس؟

الجواب :

أولاً: يجب أن نفرق تفرقة واضحة بين قوانين الكنيسة التى تسرى على جميع المؤمنين بما فيهم رجال الدين ـ وبين قوانين الرهبنة، وهى قوانين وضعت لتنظيم الحياة الرهبانية لمجموعة من الناس ارتضت إختيارياً أن تحيا حياة التبتل مع إعتزال العالم للتعبد فى الصحارى والجبال.

وعلى ذلك فليس كل مؤمن ملتزماً بقوانين الرهبنة إنما يلتزم بقوانين الرهبنة فئة خاصة من بين المؤمنين.

ثانياً: المفروض فى قوانين الرهبنة أنها لا تتعارض مع قوانين الكنيسة، فالراهب كأى مؤمن لا يجوز له أن يكسر قانوناً من قوانين الكنيسة. ولا يجوز أن يكون فى قوانين الرهبنة أى قانون يتعارض مع قوانين الكنيسة.

ثالثاً: أن قوانين الرهبنة تقوم أساساً على تنظيم حياة الرهبان فى داخل مجتمعهم الخاص حتى يتوافر للراهب الحياة الرهبانية السليمة التى تبلغ به إلى غايات الرهبنة السامية.

وهذه القوانين لا تخرج فى مجملها عن تنظيم حياة الراهب الخاصة من صلاة ومطانيات إلى صوم إلى إعتراف وفحص للضمير ومراعاة الصمت والسكون وتناول من الأسرار المقدسة، إلى الزىّ الذى يرتديه والعمل اليدوى الذى يقوم به، وساعات النوم التى ينامها، ومكان إقامته الخاص وسياسة التدرج التى يجب أن يسير عليها فى صلواته وأصوامه واعتكافه... وعلاقته بمجمع الدير.

ولا شك أن هذه القوانين مقتبسة أصولها من الكتاب المقدس، ومن خبرات كبار الروحانيين الذين وصلوا إلى مستويات روحانية مرتفعة رآها فيهم تلاميذهم والذين أخذوا عنهم... ولما توطدت هذه المبادىء والأسس بالتجربة العملية وضعت كدستور مكتوب، مثل قوانين الأنبا باخوم أبى الشركة وقوانين الأنبا شنودة رئيس المتوحدين...

إن مثل هذه القوانين الرهبانية مثل اللوائح التى تضعها المؤسسات والهيئات الإجتماعية المختلفة، وهى لا تختلف ولا تتعارض مع قوانين الدولة ودستورها، ولكنها فى مجموعها تحدد أهداف الهيئة أو المؤسسة وتنظم وسائط بلوغها لتلك الأهداف، كما تنظم علاقات أعضائها بعضهم ببعض، وعلاقتهم بالدولة، وبغيرهم من الناس، وبالهيئات والمؤسسات الأخرى فى المجتمع الخاص، وربما فى المجتمع الدولى أيضاً.

١٢ ـ الرهبنة ليست طريقك (١)

العزيز السيد / .....

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، أرجو وأُصلّى أن يحفظك الربّ، ويباركك، ويعينك فى جهادك لتبلغ إلى حياة الإنتصار والغلبة، فى مسيرة القديسين.

رداً على خطابك ننصح لك بأن تهدأ ولا تنفعل، ولا تيأس من مواصلة الجهاد الروحى، فإنك مع الصمود والثبات، والتفاؤل، والإيمان ستصل إن شاء الله إلى حياة أفضل.

وأعلم أنّ الفضيلة تقوم على تكوين عادات صالحة والعادة ميل متكرر.

فأنت تصلى دائماً، صلوات الساعات، وهذا جميل وتقرأ الكتاب المقدس بانتظام، وبذهن صاحى وقلب مفتوح..

وتمارس التوبة بإنتظام عن خطاياك اليومية، وتخضع لتدبير كاهن تشكو له نفسك، وتعمل بنصائحه وتوجيهاته، وتقرأ فى بعض الكتب الدينية بإنتظام، وتحاسب نفسك على تصرفاتك، وتراقب أفكارك وإحساساتك ولا تتنحّل من المسئولية، عندما تخطىء فى أمر مع نفسك أو مع الأغيار من الأقارب والأصحاب، والبعيدين.

أما ترددك بين الرهبنة والزواج، فيبدو من خطابك أن الرهبنة ليست طريقك الآن، مادمت تشكو حرب الأفكار والشهوة.. عليك أن تمتحن نفسك إذا كنت تحب البتولية الدائمة، محبة فيها لذاتها.. بدون ذلك ننصح بأن ترجىء الرهبنة، ولربما يكون الزواج هو المناسب لك.

إنّ سنك مناسب للزواج، فلا تعذّب نفسك بالرهبنة. احفظ نفسك طاهرا، وتزوّج. واهرب من الشهوات الشبابية ومن مداخلها، ومارس الصوم الإنقطاعى إلى الثالثة بعد الظهر على الأقل. وتناول المأكولات النباتية من الخضروات والفاكهة. وتجنب المقليات بالزيت المقدوح. وفى أيام الإفطار أقلل من أكل اللحوم ومن المأكولات المثيرة مثل المخللات والشطة، واهرب من الأماكن التى تذكرك بالخطيئة والشهوة الرديئة، ولا تسمح لنفسك بالعادة السرّية، فإنها نجاسة وزنى فضلاً عن أنها مدمّرة للجهاز العصبى وللمخ والذاكرة، وتتسبب فى الأنيميا الجسدية والأنيميا المخية..

كن متفائلاً ولا تتشاءم. واعلم أنّ الله أب رحيم يتوق إلى توبتك، وإلى صلاحك. لكنه يترك لك أن تظهر إرادتك للخير. هو يراقبك وعينه عليك، ولكنه ليس من سياسته أن يقهرك أو يغصبك على طريق الخير والفضيلة. إنه يعطيك الفرصة لتختار أنت لنفسك طريق البر، حتى

(١) كتب فى ٢٩ من نوفمبر ١٩٩٠ ـ ٢٠ من هاتور ١٧٠٧ ش.

يكون لك الجزاء الصالح عن جهادك وصبرك وعن ثباتك في الفضيلة وطريق الخير.

اطلب دائماً معونة الله، واعلم أنّ الله لا يخذلك. كن صادقاً وأميناً معه، وكن صادقاً مع نفسك. ولا تخدع نفسك. عندما تخطىء استغفر ولا تكابر أو تغالط. «كن أميناً حتى الممات، فأعطيك إكليل الحياة».

ونعمة الرب تشملك

١٣ ـ اترك الرهبنة فوراً من أجل خلاصك (١)

العزيز الراهب / .....

سلام ومحبة من ربنا يسوع المسيح.

وصلتنى خطاباتكم التى تعبرون بها عن متاعبكم الروحية والنفسية. وعندى أنه من الخير لكم أن تستأذنوا أب الإعتراف، ثم رئيس الدير فى ترك الرهبنة الآن والخروج من الدير، ثم الزواج بإمرأة صالحة. «فإن التزوج خير من التحرق».

لقد كان ينبغى التريث قبل الرهبنة. ومع ذلك فإذا اكتشف الإنسان أنه لا يصلح للطريق، فخير له من أجل خلاص نفسه، ومن أجل أن لا يخسر أبديته وحياته الآخرة أن يعود إلى حياة المجتمع. ليست الرهبنة هى وحدها طريق الخلاص. إن الزواج طريق أفضل لمن ليست له دعوة الرهبنة. ولا يخفى عليك أن الزواج سرّ مقدس، فلا تتهاون من أجل خلاص نفسك أن تترك الرهبنة فوراً، وتخرج إلى العالم وتبحث عن زوجة. ليس هذا عيباً. فإن آخرين تركوا الرهبنة لمّا تبينوا أنهم أخطأوا الطريق وأن الطريق لا يصلح لهم.

فإذا كنت قبل الرهبنة موظفاً أو عاملاً فيمكنك أن تعود إلى العمل. وإن كنت طالباً فيمكنك أن تعود إلى إكمال دراستك.

أما أن تقول أن الإنتحار خير لك من أن تعود إلى العالم، فأنت بهذه الكبرياء وهذا العناد تدمر نفسك وتهلك روحك وتبدد قوتك العصبية.

اسمع للنصيحة، وعد إلى العمل أو إلى الدراسة وتزوج، ولا تكابر ببقائك راهباً.

وأما عن العمل، فيمكنك أن تعود إلى بلدتك، أو يمكنك بعد الزواج أن تهاجر إلى بلد عربى مثل الكويت أو العراق أو غيرهما.

ونعمة الرب تشملكم، وقوته تسندك.

---

(١) كتب فى ١٨ من سبتمبر ١٩٨١م ـ ٨ من توت ١٦٩٨ ش.

١٤ ـ واجبات المتقدم للرهبنة

الابن المبارك .....

نعمة وبركة وسلام يسوع المسيح.

وصلنا خطابكم الذى أظهرتم فيه رغبتكم للرهبنة، وهى رغبة طيبة إذا كانت ناتجة عن محبة خالصة لرب المجد، ونية صادقة فى الوجود بين يدى الله طول الوقت، والحياة فى عبادات تقوية من كل القلب والفكر والقدرات، وممارسة الصلاة بغير إنقطاع.

من هنا كان يجب على المتقدم للرهبنة أن يكون له معرفة دينية، ويحيا فى حياة التقوى والصلاح، وليس مرتبطاً بالزيجة، وقادراً على حياة البتولية والعفة الكاملة، وله شهادة حسنة من الناس، كما أنه يجب أن يكون ملماً بالقراءة والكتابة حتى يستطيع أن يدرس كلمة الله، كما يشترط فيه أن يكون أدى الخدمة العسكرية أو حصل على إعفاء منها، ويجب أيضاً إستشارة أب الإعتراف وأن تحصل على تزكية منه.

أما أديرتنا المأهولة بالرهبان فهى:

١ ـ الدير المحرق بجبل قسقام بأسيوط بالقرب من القوصية.

٢ ـ دير الأنبا بولا ببوش ببنى سويف.

٣ ـ دير الأنبا أنطونيوس ببوش ببنى سويف.

٤ ـ دير السيدة العذراء (البرموس) بوادى النطرون.

٥ ـ دير السيدة العذراء (السريان) بوادى النطرون.

٦ ـ دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون.

٧ـ دير أبو مقار بوادى النطرون.

٨ ـ دير مارمينا بصحراء مريوط.

٩ ـ دير الأنبا صموئيل بجبل القلمون بمغاغة.

والإنسان الراغب فى الرهبنة يستطيع أن يحيا الحياة المرضية لله فى أى دير منها، ولك أن تختار ما شئت ومن الأفضل أن تستشر أب إعترافك فى ذلك.

مع دعائنا بالبركة أن يدبر الله حياتك لمشيئته.

ونعمة الرب تشملنا.

---

(١) كتب فى ١٨ من ديسمبر ١٩٧٢م ـ ٩ من كيهك ١٦٨٩ ش.

١٥ ـ امتحن نفسك أولاً

العزيز الابن / .....

سلام ونعمة ودعاء وبركة من ربنا يسوع المسيح.، راجياً ومصلياً أن يحفظ الله حياتك فى ملء الصحة وأن يهبك التوفيق والنجاح.

قرأت خطابك، ومنه وقفت على رغبتك منذ زمن فى أن تهب حياتك كلها لله راهباً عابداً، ولكنك فى حيرة لم تتخذ بعد قرارك فى الأمر، وتسألنا النصيحة.

نقول جميل أن تكون لك الرغبة فى حياة الرهبنة، وهذه الرغبة عميقة وثابتة، لكنك لازلت، متردداً فى اتخاذ القرار.

ولما كانت الرهبنة هى نذر التبتل لله، وإختيار الفقر عن طواعية، وإعتزال العالم للتعبد.

فأول ما ننصح لك به أن تتريث فى إتخاذ القرار بالنذر، مالم تكن مطمئناً إلى أن رغبتك فى الرهبنة هى رغبة كاملة مائة فى المائة، لأنه «أن لا تَنذِر خير من أن تَنْذِرْ ولا توفى» (الجامعة ٥: ٥)

وعليك أن تمتحن صدق رغبتك فى حياة (البتولية)، وهل هى رغبة صادقة وكاملة حتى لا يعاودك الندم، أو الرغبة فى الزواج، «فإذا لم يطيقوا العفاف فليتزوجوا، فالزواج خير من التحرُّق بالشهوة» (١ . كورنثوس ٧: ٩).

على أن تكون رغبتك فى البتولية فى ذاتها ولذاتها، أى أن تكون عن محبة للبتولية ذاتها، وليس هربا من مسئولية الزواج، أو لأى سبب آخر.

وعليك أيضاً أن تمتحن صدق رغبتك فى حياة (الإعتزال) عن الناس، الأقرباء والأصدقاء، أهل تكون سعيداً فى حياة الهدوء والسكون، والتأمل، حتى لا تعاودك الرغبة فى الحياة الإجتماعية، والإلتصاق بالناس.

إنّ قرارك بخصوص هذين الموضوعين (البتولية، والإعتزال) ينبغى أن تخبزه وتعجنه فى داخل نفسك، ولا تناقشة مع أحد من الأهل أو الأصدقاء، ولا تخبر به أحداً.

فإذا صنعتَ القرار، فلا تتردد، وأحزم أمرك ولا تستشر لحما ولادما «فلا تتأخر عن الوفاء بنذرك» (الجامعة ٥: ٤).

---

(١) كتب فى ٢٢ من ديسمبر ١٩٩٣م ـ ١٣ من كيهك ١٧١٠ش.

وامتحن ذاتك أولاً وأنت فى العالم، وفى بيتك ثم اذهب إلى بعض الأديرة فى خلوات روحية لمدة أسبوع أو أكثر وامتحن نفسك إذا كان هذا النوع من الحياة يروق لك، وهل هذا الطريق يصلح لك، وأنت تصلح له؟

لابّد من امتحان النفس قبل أن تنذر النذر الكبير، ولابّد أن يكون القرار من داخل نفسك، فأنت صاحب القرار، ولا يفرضه آخرون عليك، ولا تناقشه مع أحد آخر.

ونعمة الرب تشملك،

١٦ ـ أنصح لكِ الآن أن تؤجلى النذر (١)

سؤال من الإبنة/ .....

أرغب فى الرهبنة وسألنى أحد الخدام يريد أن يرتبط بى فأجبته أنى مخطوبة، فهل هذا إنكار للسيد المسيح؟

الجواب :

إن إجابتك على الخادم صحيحة، ولا خطأ فيها وليست فيها إنكار للسيد المسيح.

ثم إن إجابتك هى الإجابة الحكيمة .لأنه لو كانت لك ميول رهبانية، فليس مستحباً أن تتحدثى بهذه الميول إلى أحد إطلاقاً إلا لأب إعترافك. اكتميها الآن عن والديك وأهل بيتك. وامتحنيها أمام الله بالصلاة ولكن لا تبوحى بها لأحد الآن إطلاقاً.

ثم لا تنسى أنك صغيرة عن السن التى فيها تنذر البنت نفسها للمسيح. لا تنذرى نفسك إلا بعد أن تصلى إلى قرار نهائى فى الموضوع، لئلا يتغير فكرك، وحينئذ تصيرى فى حيرة من أمر هذا النذر الذى قيدت نفسك به، فإنه سيكون وعداً أمام الله. ولذلك أنصح لك الآن أن تؤجلى النذر إلى الوقت الذى يمكنك فيه أن تقررى الموضوع، وأنتِ واثقة بنعمة الله من نفسك وأنك ستوفين النذر لأنه «أن لا تنذر خير من أن تنذر ولا تفى».

الرب يباركك، ونعمته تعالى فلتشملك لكى تحيى روحا وجسداً، طاهرة عفيفة مقدسة.

١٧ ـ ترددك علَى الأديرة أمر نافع لك (٢)

الأبن / .....

نعمة وبركة وسلام.

رداً على خطابك أقول : نعم من الممكن أن تتردد على الأديرة حتى يأتى موعد خدمتك العسكرية، وبعد أداء خدمتك تعود إلى الدير. وفى هذه الفترة تمتحن رغبتك وتدرب نفسك لتتبيّن ما إذا كان حقاً أن طريق الرهبنة يصلح لك، وأنت تصلح له.

على أننى أوصيك أن لا تسرع بالنذر، فإن سنّك صغير. ويليق بك أن تتريث وتصلّى وتمتحن نفسك، قبل أن تنذر، لأنه (خير أن لا تنذر من أن تنذر ولا تفى)

أما ترددك على الأديرة فهو أمر نافع لك

ونعمة الرب تشملك،،،

---

(١) كتب فى ١٢ من مارس ١٩٨٤م ـ ٣من برمهات ١٧٠٠ش.

(٢) كتب فى ١٦ من نوفمبر ١٩٨٨م ـ ٧ من هاتور ١٧٠٥ش.

١٨ ـ تردد مبدئياً على الأديرة (١)

العزيز الابن / .....

سلام ومحبة وبركة ـ

رداً على خطابك أيها الابن، ألاحظ أنك ملتهب بمحبة الحياة الرهبانية ـ وهذا إتجاه جميل. كما يبدو من خطابك أنك تقصد إلى الرهبنة فى ذاتها، وليس هرباً من الإلتزامات الإجتماعية والعلاقات الأسرية والواجبات المادية ـ وهذا جميل جداً.

فلا بأس أن تتردد مبدئياً على الأديرة لفترات قصيرة لممارسة العبادة بقدر ما يسمح وقتك.

ولكنى أنصح لك أن تتمم أولاً دراستك الثانوية والعليا. وهذا كله يعطيك فرصة للتهيئة الروحية للرهبنة الكاملة بعد أن تكون قد فرغت من دراساتك العلمية حتى تتفرغ بعد قبول النذور الرهبانية لحياة (الصلاة التى بلا إنقطاع) . (١ . تسالونيكى ٥ : ١٧) وللعكوف على القراءة الحرة مع الدرس، ثم العمل اليدوى.

وعليك أن تصلّى منذ الآن بهدوء وبغير إنفعال تطلب الإرشاد، والفهم ومعرفة نفسك على حقيقتها، والتحقق من إستعداداتك لحياة الرهبنة، وهى حياة الكمال المسيحى، إلى أن يمتلىء قلبك بمحبة هذا الطريق إمتلاءً تاماً، ويعزف قلبك عزوفاً تاماً عن محبة العالم وإغراءاته.

ونعمة الرب تشملكم،،،

١٩ ـ امتحن صدق رغبتك (١)

العزيز الابن / .....

سلام ومحبة وبركة ـ

رداً على خطابك أيها الابن، أشكر الله على أنَكَ حسب قولك، قد عدلَت عن طريق الخطيئة، وتبتَ عن خطاياك، وتمارس العبادة والقراءة فى الكتاب المقدّس، والتقرّب من الأسرار المقدسة.

وبالإضافة إلى هذا، ترغب فى أن تصير راهباً، وهذا إتجاه جميل ورغبة طيبة ـ

على أنك ـ كما عرفتُ من خطابك أنك لا تزال طالباً فى السنة الأولى من دبلوم الصنائع وأنك تبلغ من العمر ثمانى عشرة سنة.

وعلى ذلك يحسن أن تتم دراستك أولاً، وتحصل على شهادتك العلمية، فنحن فى عصر العلم.

ثمّ إنّ سِنك صغير على طريق الرهبنة.

ولما كانت الرهبنة دعوة خاصة، فلابدّ أن يمتحن الشاب نفسه قبل أن يقرر نذر حياته للرهبنة، لأنه على مايقول الكتاب المقدّس (أن لا تَنذِرُ خير من أن تنذر ولا تفى) (الجامعة٥: ٥).

ولذلك ننصح لك بأن تتريث طويلاً قبل أن تقرر ذهابك إلى الديرِ، كراهب، لئلا تكتشف بعد حين أنك أسرعت فى إتخاذ القرار، ثم تندم بعد ذلك على أنك اتخذت طريقاً غير طريقك.

على أنّك فى أثناء ذلك، أى فى فترة التلمذة الآن يمكنك أن تمارس العبادة. وأنِ تحفظ شبابك طاهراً، وأن تسلك بالقداسة، وأن تهرب من النجاسة ومن كل عادة شريرة يتنجّس بها القلب أو الفكر أو الجسم.

وعليك فى أثناء مسيرتك الروحية أن تجيب على سؤالين، مهمين ـ

الأول ـ هل أنتَ تعشق حياة البتولية الكاملة؟ وقد امتلأ قلبك بمحبة البتولية فى ذاتها ولذاتها، وهل تستطيع أن تثق فى صدق رغبتك أن تحيا بتولاً مدى الحياة، ولا تعاودك الأشواق لحياة الزواج؟

إنّ من يريد الرهبنة ينبغى أن يكون صادق النية فى أن يحيا بتولاً، وأن لا يكون متردداً بين الرغبة فى البتولية والرغبة فى الزواج ـ حتى لا ينقسم على ذاته، ويصير معذباً بين جاذبيتين كل منهما تشدّه إليها.

---

(١) كتب فى ٩ من أبريل ١٩٩١م ـ ١ من برموده ١٧٠٧ش.

الثانى ـ على الرّاغب فى الرهبنة أن يمتحن صدق رغبته فى حياة الوحدة أو الديرية، فلا تعذّبه أشواقه للحياة الإجتماعية.

والخلاصة : تَمَهَّل فى اتّخاذ القرار النهائى، وأكمل الآن دراستك وفى أثناء ذلك عليك أن تمتحن نفسك جيداً قبل أن تقدم على قرار الرهبنة.

ونعمة الرب تشملك،،،،

٢٠ ـ شرط الرهبنة الأساسى صدق الرغبة مع عدم التردد (١)

الإبنة / .....

سلام ونعمة وبركة ـ

إجابة على خطابك نفيد بأن الرهبنة شرطها الأساسى هو صدق رغبتك فى الرهبنة وعدم التردد.

وليس صحيحاً ما قيل لكِ أن الأديرة تتطلب شهادة عليا

ولعلّ تزكية أب الإعتراف هى الشهادة الأهم لإقناع الأم الرئيسة، بالإضافة إلى الانطباع الذى تتركينه على روحها ونفسها، من تأثير شخصيتك، ونظرتها إليك، وما إذا كانت تستريح لك،

نسأل الرب أن يدبر حياتك وأن يرشدك،،،،

٢١ ـ تمتحنين نفسك فى محبتك للبتولية فى ذاتها ولذاتها (١)

الإبنة العزيزة الأنسة/ .....

سلام لكِ أيتها الإبنة ودعاء إلى الله أن يحفظ شبابك طاهراً ومقدساً.

جميل أيتها الإبنة أن يتجه قلبك إلى الرهبنة وإلى حياة البتولية الكاملة.

أنت الآن فى الصف الثانوى التجارى، ولابدّ أن تتممى دراستك. وفى هذه الأثناء تمتحنين نفسك فى محبتك للبتولية فى ذاتها ولذاتها، بحيث لا تقدمين على نذر الرهبنة إلاّ وأنت متشبعة تماماً بمحبة البتولية ،لأنه أن لا تنذر خير من أن تنذر ولا تفى، (الجامعة ٥: ٥) لابدّ أن تكون رغبتك فى البتولية الدائمة كاملة، حتى لا تندمى على هذا القرار والنذر.

وفى هذه الفترة ننصح لك بالقراءة فى الكتاب المقدس والصلاة فى مواعيدها ثم القراءة فى سيرة الراهبات القديسات حتى يمتلىء قلبك بعزيمة صادقة، وبغير تردد.

الرب يعينك ويقويك، ويشد أزرك.

ونعمته تشملك،

٢٢ ـ لا تهمل واجبك المقدس (١)

سؤال من العزيز الدكتور/ .....

هل هناك إمكانية التفرغ للدراسات الروحية، والانقطاع لخدمة الرب يسوع وحده والتعبد فى أحد الأديرة علماً بأنى متزوج؟

الجواب :

حيث أنك مرتبط برباط الزيجة المقدس ولك أولاد منها، فلا يجوز لك أن تترك زوجتك، كما لا يجوز لك أن تترك أولادك، وتذهب إلى الدير.

إن قوانين الرهبنة لا تبيح مبدئياً للمتزوج أن يذهب للدير من غير رأى زوجته، لأنه مرتبط بها برباط مقدّس والكتاب المقدس يقول بوضوح (أنت مرتبط بإمرأة فلا تطلب الإنفصال) (١. كورنثوس ٧: ٢٧).

ثمّ وأنتَ أب لأبناء لا يجوز لك أن تترك أولادك بحجة الرهبنة والتفرغ للعبادة فى الأديرة. إن أولادك مسئوليتك الكبرى، فإذا تخليت عنهم أو تركتهم لزوجتك، فتكون قد أهملت فى واجبك المقدس. فلا يحلّ لك هذا، إلاّ إذا كبروا وأتموا تعليمهم، واستقروا فى حياتهم، وارتفعت بالتالى مسئوليتك عنهم ببلوغهم الإستقرار والإستقلال عن والديهم.

ولا أنسى أن أذكرك أنّ من الخطأ أن تبقى زوجتك فى السعودية، وأنت بعيد عنها. يجب أن تكون أنت وزوجتك معاً، ولا تنفصل عنها بحجة العمل، مهما كان السبب، وإلاّ فلماذا الزواج؟

أرجو فوراً العمل على أن تكون مع زوجتك وأولادك وتستردوا وجودكم معاً.

أما عن سؤالكم بخصوص مكتبتكم الروحية التى تعتزون بها والتى تريدون أن تضيفوا إليها جديداً. فهذا أمر جميل، نشجعكم عليه. وأرجو أن تشارككم زوجتكم وأولادكم فى الإستفادة الروحية من القراءة والدرس. على أن يحتلّ الكتاب المقدّس أولاً وبالذات موضع الصدارة، فتقرأوا، ولو فصلاً واحداً، كل يوم وبإنتظام، ثم بعد ذلك الكتب الروحية الأخرى والتاريخية والعقائدية والطقسية.

جميل أيها الإبن استمساكك بالدين والتقوى والروحانية، ومع ذلك يجب أن لا يشغلك هذا كله عن الإهتمام بحياتك الزوجية وأولادك، وعملك كطبيب وجراح، فهو خدمة إنسانية ودينية. ولعلّ الطب من أسمى المهام الإنسانية، ونحن ننصح بأن يكون فى حياتك تنسيق بين صلواتك وقراءاتك وقيامك بالمهام العملية كطبيب وجراح.

---

(١) كتب فى ٥ من فبراير ١٩٨٩ ـ ٢٨ من طوبه ١٧٠٥ ش.

ومن أروع الأمثلة القديمة، دانيال النبى، فإنه كان فى قمة روحية شامخة حتى كانت تكشف له الأسرار، وقد قيل عنه من الأمم أنه كانت معه روح الآلهة القدوسين.. ومع ذلك كان يقوم بعمله فى الدولة بمثابة وزير أو رئيس للوزراء - واستطاع أن يجمع جمعاً عادلاً وبغير خلل بين حياته التعبدية وحياته العملية كرجل دولة مسئول.

ولذلك فنحن ننصح لك بالمثل، خصوصاً وأن عملك كطبيب يؤهلك لأن تخدم الله فى الناس خدمة إنسانية بروح التقوى والتعبّد.

أما عن استفساركم ما إذا كنا نقر لجوءكم إلى أخذ مشورة الرب فى الهيكل وبعد التناول. فإننا ننصح بوضع المشكلة أمام الله، ولكننا لا نقر من حيث المبدأ الاحتكام إلى مايسمونه بالقرعة الهيكلية.... إننا نصلّى ، ولكننا لا نتطلب الإستجابة بالأحلام والرؤى... إننا نصلّى... ثمّ نستخدم ماوهبنا الله من عقل وقلب.. وأخيراً نبحث أين راحة القلب، على أن يكون المؤمن دائماً مخلصاً فى طلب الحقيقة، وأن يعدل عن تصرفه لو اتضح له أن تصرفه خاطىء.. دائماً يجب أن يكون الإخلاص رائد المؤمن السائر فى طريق السماء، وأن يكون ملتمساً للحق، كما يتضح له بحسب المقاييس الموهوبة له فى العقل والقلب، خصوصاً ونحن المسيحيين قد مسحنا بعد المعمودية بمسحة الميرون، فنحن - مع الإخلاص ومحبة الحق - يمكن أن نجد فى القلب إرشاد الروح القدس.

وإننى مع محبتى، أرجو مصلياً أن تواصل جهادك الروحى ولا تيأس، ولا تتراجع بسبب ما تجده أحياناً من مضايقات وإضطهادات، فلعلّ هذه المضايقات تشحذ همتك الروحية أكثر مما لو كانت حياتك سهلة ومن غير صعوبات (ادعنى فى وقت الضيق أنقذك فتمجدنى) (مزمور ٥٠: ١٥).

فليباركك الرب، ويحفظك وزوجتك وأولادك فى موفور النعمة والصحة روحياً ونفسياً وجسدياً.

ولتشملكم نعمة ربنا يسوع المسيح،،،،،،

٢٣ ـ لا أنصح لك بالخروج من الدير بقصد التلمذة على أحد (١)

الابن العزيز الراهب / .....

سلام ومحبة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

أرجو لك نمواً فى النعمة، فى طريق الكمال الرهبانى. وصلنى مكتوبك. وإجابة على تساؤلك أفيد.

بأننى لا أنصح لك بالخروج من الدير، بقصد التلمذة على أحد، فإن من اختار طريق الرهبنة يجد بين الرهبان فى الأديرة من يتتلمذ عليه. فهذا طريق أفضل. على أننى بسبب الأمر الذى ذكرته فى خطابك أرى أن تشكوه إلى قداسة البابا، فقد يرى نقلك إلى دير آخر.

جميل أن تطيع الأمر الصادر إليك من أمين الدير للقيام ببعض الأعمال اليدوية أو الجسمانية. ولا تتذمر إذا تغير بالنسبة لك نوع العمل، وذلك لتأخذ بركة الطاعة والاتضاع. فضلاً عن أنه قد يكون فى التغيير مصلحة لك، فإن الحياة النمطية قد تسبب الملل. أما التغيير فله نفعه.

واعلم أن الراهب يقضى وقته ويصرفه بالتوزيع بين ثلاثة أعمال رئيسية ـ

(١) العمل اليدوى والجسمانى (٢) الصلاة والعبادة

(٣) القراءة والدرس.

ويختلف نصيب الراهب من هذه الأعمال الثلاثة بحسب سنه الرهبانى. فالعمل الجسمانى ينبغى أن يكون زائداً بالنسبة للراهب المبتدىء حتى لا يصاب بالملل. ثم أن الراهب ينبغى أن لا يترك نفسه دقيقة واحدة فى فراغ. ولذلك يقول أباء الإسكيم: «الراهب الذى يشتغل يحاربه شيطان واحد، ولكن الذى لا يشتغل تحاربه شياطين كثيرة».

لذلك أرجو أن تملأ وقتك، إما بالصلاة أو القراءة والدرس أو بالعمل اليدوى والجسمانى.

جميل أن تقرأ فى الكتاب المقدس كثيراً، ولكن يجب أن تكون القراءة بنظام، وبمنهج، وينبغى أن تقرأ تفسيراً للنصوص التى يصعب عليك فهمها.

كذلك تخيّر عددا من الكتب الروحية والعقائدية والطقسية والتاريخية والتفسيرية والتعليمية فتكون قراءتك منوعة، ولا تكون من صنف واحد، حتى تكون ثقافتك الروحية ثقافة منّوعة ومتكاملة.

---

(١) كتب فى ١٣ من مايو ١٩٨٠م ـ ٥ من بشنس ١٦٩٦ش.

ويحسن أن تدون فى كراسة الفوائد التى تجنيها من قراءتك.

يجب أن تؤدى صلواتك فى مواعيدها وأوقاتها. وللراهب المبتدىء أن يصلى بالأجبية، ويضيف مايرى إضافته من طلبات خاصة وتأملات ومذكرات.

أما الأصوام، فيكفى الآن بالنسبة لك أصوامنا العامة. ومن جهة النسك فيها، فتدرج فى النسك تحت إشراف أب كبير.

والآن أسأل لك النعمة والبركة على حياتك.

٢٤ ـ يجب أن ترجىء الرهبنة، أسرتك فى حاجة إليك (١)

سؤال : أرغب رغبة قوية فى الرهبنة ووالدى متوفى ووالدتى وإخوتى فى حاجة إلىّ فماذا أصنع؟

الجواب :

ردا على خطابك بخصوص رغبتك القوية فى الرهبنة أجيب بأنه طالما أنّ والدتك فى حاجة إليك، وأخوك طالب بالصف الثانى ثانوى صنائع، والثانى بالصف الأول الإعدادى، فالأفضل إرجاء الرهبنة الآن، لأنّ أسرتك فى حاجة إليك. ومع ذلك يمكنك أن تعيش الرهبنة وأنت تعمل من أجل إعالة أسرتك. فتحفظ بتوليتك طاهرة، وتمارس صلواتك كاملة فى البيت، وتقرأ الكتاب المقدس والكتب الأخرى الروحية. كذلك صنع القديس يوحنا ذهبى الفم، فإنه مع رغبته الواضحة فى الرهبنة، بكى لبكاء والدته الأرملة التى قالت له : لمن تتركنى ياولدى؟ وفعلاً أرجأ الرهبنة حتى توافرت له الظروف الملائمة. ومع ذلك عاش بتولاً طاهراً فى البيت، وكان يذهب لعمله ويعود إلى البيت يمارس صلواته الحارة، وقراءاته فى الكتاب المقدس وكتب الكنيسة.

ونعمة الرب تشملكم،،،،

---

(١) كتب فى ١٠ من يونيه ١٩٨٨م ـ ٣ من بؤونه ١٧٠٤ ش.

٢٥ - يبدو أن طريق الرهبنة ليس طريقك (١)

سؤال : أرغب فى الرهبنة ولكنى مستعبد للعادة السرية؟

الجواب :

رداً على خطابكم أرى أنّ الأمر واضح ولا يحتاج إلى تردد.

اتْرُكْ موضوع الرهبنة، وتزوج. فإنه يبدو واضحاً أن طريق الرهبنة ليس طريقك، على الرغم من أنك أبديت رغبتك فى ذلك، وعلى الرغم من أنك أسرعت ونذرت نفسك.

فإذا كنتَ قد وقعت فى العادة السرية، واستعبدت ذاتك لها. فلا تغصبْ نفسك على طريق ليس هو طريقك، ولو أنك أصررت على الرهبنة مع ذلك، فإنك تكون قد سلكتَ طريقاً صعباً، يمكن أن يؤدى بك إلى أن تنقسم على نفسك.

ثمّ كيف تترك والديك، وخصوصاً والدتك المريضة وهى فى حاجة إليك.

إنّ قوانين الرهبنة تمنع من يريد الرهبنة ووالديه فى حاجة إليه.

هذا وأنت نفسك لو دخلتَ الرهبنة سوف يؤنبك ضميرك، وسوف تعانى القلق وعذاب الضمير ربما كل أيام حياتك.

مادمتَ اتجهتَ إلى الزواج، فتمم مشروعك فهو طريق أنسب كثيراً بالنسبة لك.

على أننى أريد أن أؤكد لك أنّ العادة السرية ضارة بصحتك، وهى تدمّر جهازك العصبى وتسبب لك الأنيميا وضعف العيون وضعف الذاكرة، وتضعف قوتك على التركيز العقلى والذهنى، ومالم تمنعها منذ الآن منعاً باتاً، ستدخل معك إلى حياتك الزوجية لأنها عادة، وستشقى بهذا نفسك وزوجتك.

يجب أن تمتنع عن هذه العادة المدّمره فوراً، وأن تكرهها من كل قلبك، فقد دمّرت حياة الكثيرين، وقال أحد الشباب إنها قادته إلى الجنون لأنها أكبر مدمر للجهاز العصبى.

أوقفها فوراً، ولا تسمح لنفسك بعد اليوم أن تسقط فيها ولو مرة واحدة، حتى تحتفظ بحيويتك وقوتك التى ستمنحها لأولادك من صلبك.

الرب الإله يدبر حياتك، وليشملك بنعمته.

---

(١) كتب فى ١٤ أكتوبر ١٩٨٨ م - ٤ من بابه ١٧٠٥ ش.

٢٦ ـ هل ينضم إلى سلك الرهبنة؟

سؤال : من السيد / .....

لى ميل شديد إلى الرهبنة وأقرأ كثيراً فيها وفى سير القديسين ، ولكن والديّ يعترضون فماذا أصنع؟

الجواب :

رداً على خطابكم غير المؤرخ بخصوص الرهبنة، وميلكم إليها بكل جوارحكم بعد قراءة فيها، وفى سير القديسين.

وحيث أن رغبتكم قوية واضحة، فلا بأس من تحقيق أمنيتكم، بعد موافقة أب الإعتراف.

أما بخصوص الأسرة، فمن الطبيعى أن يعترضوا على ذلك. ولكن ينبغى أن تجيب بنفسك على سؤال مهم: هل أهلك من أعضاء أسرتك الخاصة فى حاجة إليك للإنفاق عليهم؟ فإذا كان أهلك فى غنى عن مساعدتك المادية لهم، وإذا لم تكن أنت الإبن الوحيد لوالديك، وترى أنهم لا يضارون ولا يضامون برهبنتك، فيمكنك التوجه إلى الدير.

أما إذا كان والداك وأسرتك فى حاجة إليك، فأرجىء الموضوع الآن إلى أن يتهيأ لك الجوّ.

واعلم أن الرهبنة تبدأ بتبتل القلب والروح والجسم فى العالم. فيمكنك أن تحيا حياة الراهب، بالصلاة والقراءة والعبادة، وعدم الإختلاط بالعالم خارج حدود عملك، إلى أن تتمكن من الإنطلاق التام، واعلم أن القديس ذهبى الفم وغيره أيضاً ترهبنوا فى وقت متأخر بسبب ارتباطاتهم العائلية، ومع ذلك عاشوا حياة الرهبنة فى العالم حتى تهيأ لهم الجو كاملاً.

ونعمة الرب تشملكم.

٢٧ ـ ننصح لك مرة أخرى أن ترجئ فكرة الرهبنة الآن (١)

سؤال من العزيز الابن / .....

نبتت عندى فكرة الإلتحاق بالكلية الإكليريكية، ولكن قلبى يتجه نحو الرهبنة، فأى الطريقين أسلك؟

الجواب :

سلام لك أيها الشاب الطموح، ودعاء إلى الله أن يحفظ شبابك طاهرا، وأن يهدى خطواتك إلى طريق الفضيلة والكمال.

يبدو من خطابك أنك عصاميّ، وأنك مجاهد. فعلى الرغم من فقر والديك لكنك اكتسبت علما ومهارة وصناعة. وجميل أنك تتقدم وتتطور وتنمو فى المعرفة وفى كسب مهارات جديدة عملية ونظرية.

وأجمل من هذا كله أنك قد عرفت طريق الدين والكنيسة، وتقرأ الكتاب المقدس وكتب الكنيسة وكتبا أخرى دينية وروحية، تشدك إليها محبة واضحة نحو المعرفة الدينية ورغبة فى الخدمة.

ولقد نبتت عندك فكرة الإلتحاق بالكلية الإكليريكية بعد الحصول على شهادة إتمام الدراسة الثانوية. ولكن قلبك اتجه نحو الرهبنة أيضا. وأنت فى حيرة أى الإتجاهين تتجه، خصوصا وقد خطبت فتاة وتواعدتما على الزواج.

ويبدو لنا أنه ينبغى التريث من جهة الفكر الرهبانى، لأنه ما لم يمتلئ قلبك به تماما بحيث لا يصير مجال لشئ آخر يحتل شيئا من عاطفتك، فلا تسرع إلى نذر البتولية وبالتالى إلى الرهبنة، خصوصا وقد كانت لك ضعفاتك. وإن كنت قد صرت إلى حال أفضل وأحسن، لكن مازلت على قولك تضعف أحيانا. ولو من قبيل العادة.

لذلك ننصح لك مرة أخرى أن ترجئ فكرة الرهبنة الآن، وتعطى لنفسك وقتا لإمتحان نفسك واختيار مدى صلاحيتك لهذا الطريق. ولكن فى ذات الوقت يمكنك أن تلتحق بالكلية الإكليريكية ما دامت هذه رغبتك، ولسوف تكتشف أثناء التلمذة بالإكليريكية أو بعد حصولك على شهادتها النهائية، إذا كنت تصلح أكثر لطريق الخدمة فى العالم، أم تصلح لطريق الرهبنة بالإعتزال فى الدير. وفى هذه الأثناء زوّد معارفك بالقراءة فى الكتب الدينية، وعلى رأسها الكتاب المقدس، فتقرأ فيه يوميا إصحاحا على الأقل. ويمكنك أن تزيد عن إصحاح فى أيام العطلات. ثم هيئ نفسك بالقراءة والصلاة وممارسة التوبة اليومية، والإعتراف والتناول من الأسرار المقدسة، فيزداد فى قلبك النور، وإشراقات الروح القدس فيرشدك، ويعلّمك ويخبرك بأمور آتية.

ونعمة الرب تشملك،،،

---

(١) كتب فى ٢٧ من مايو ١٩٨٥م ـ ١٩ من بشنس ١٧٠١ ش.

٢٨ ـ ننصح بإرجاء الرهبنة إذا كان والدك فى حاجة إليك (١)

سؤال من الابن / .....

أتممت دراستى وأديت الخدمة العسكرية، ولى رغبة فى الرهبنة ولكن ظروف الأسرة تحتاج إلى مساعدتى ماديا ماذا أفعل؟

الجواب :

أنت شماس وخادم بالكنيسة، تشتاق إلى حياة أعمق مع المسيح، وترغب فى أن تعطى حياتك كلها لله، وأن تدخل الحياة الأبدية وأنت على الأرض.

هذا جميل. ومادامت هذه رغبتك، فإنه يمكنك الحصول عليها، على أن تكون مستعداً أن تتحمل كل شئ فى سبيل رغبتك الجميلة والنبيلة.

أنت تريد أن تسلك طريق الرهبنة بعد أن أتممت دراستك، وبعد أن أديتَ الخدمة العسكرية وبتقدير (قدوة حسنة)، ولكن يفهم من خطابك أن والديك فى حاجة إليك، ويريدا منك أن تسافر إلى بلد عربى آخر، لكى تحصل على مال وفير يمكنكم به أن تتغلبوا على صعوبات المعيشة، ويتوافر لكم الكفاية لتغطية نفقات المعيشة من سكن وإقامة.

من هنا ولهذا السبب، وإذا كان والداك فى حاجة إليك ماديا، فواجبك أن ترعى حياتهما وترجئ أمر الرهبنة فى أحد الأديرة حتى تتهيأ لك الظروف المناسبة. والإرجاء ليس معناه الإلغاء. إنما معناه ترك التنفيذ إلى الوقت المناسب، حتى لا تتسرع باتخاذ خطوة تندم عليها مستقبلاً. وفى نفس الوقت يمكنك أن تحيا حياة الفضيلة والعبادة الصادقة، وأنت فى العمل، من أجل لقمة العيش لك ولوالديك، وذلك بالإهتمام بالصلاة والصوم والقراءة فى الكتاب المقدس والكتب الروحية، وممارسة التوبة اليومية والتناول من الأسرار المقدسة، والإسهام فى أعمال الخير والرحمة بالفقراء والأيتام، وذلك إلى أن تجد الفرصة المناسبة والمتاحة لإعتزال العالم فى أحد الأديرة ـ وحينذاك تكون أكثر فهما لنفسك وإستعداداتك وصلاحيتك لهذه الحياة النسكية.

وإذا كان والداك وظروفك لاتسمح لك بالسفر إلى العراق كما تقول فى خطابك، فيمكنك أن تعمل ببلد آخر مثل الكويت أو السعودية أو غيرهما

ونعمة الرب تشملكم،،،

---

(١) كتب فى ١ من ديسمبر ١٩٨٧م ـ ٢١ من هاتور ١٧٠٤ش.

٢٩ - نرى إرجاء النذر حتى تكون واثقا من نفسك تماماً (١)

العزيز الإبن / .....

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، أرجو لك أيها الإبن موفور الصحة وكل التوفيق.

واضح من خطابك رغبتك العارمة فى حياة الرهبنة، وحبك الجارف للعذراء القديسة مريم والأنبا يوحنس كاما ودير السريان، وترددك على الدير وأشواقك الملتهبة للإنضمام لسلك الرهبنة، بصورة تدل بكل الوضوح على صدق رغبتك فى طريق الرهبنة، وأنك تقصد إلى الرهبنة فى ذاتها كطريق للتعبد والروحانية العالية.

ولكنك كشاب يحاربك من وقت إلى آخر فكر الزواج.

كذلك، ولما كانت الرهبنة نذر التبتل لله مع إختيار الفقر طوعا، وإعتزال العالم للتعبد، نرى إرجاء النذر حتى تكون واثقا من نفسك تماماً، «لأنه أن لا تنذر خير من أن تنذر ولا تفى»، وحتى لا يعاودك الندم والشوق إلى حياة الزيجة.

وننصح بأن تمتحن نفسك فترة ما فى موضوعين أساسيين :

(١) حبك للبتولية فى ذاتها، ولذاتها. وأن تكون رغبتك فيها بغير تردد. أى يجب أن تكون رغبتك فيها مائة فى المائة أما أقل من ذلك، فيمكن أن تفتح لك مدخلاً للحروب الشبابية.

(٢) حبك للوحدة، والديرية، ولا تحاربك الرغبة فى الحياة الإجتماعية فى العالم.

فإذا وجدتَ نفسك ثابتاً وغير متردد وغير متزعزع، فامضِ فى طريق الرهبنة الناجحة.

صلِّ إذن، وتردد على الدير، وامتحن نفسك، فإذا وجدت راحة قلبك فى الرهبنة، فسر على بركة الله، ونعمته تعالى فلتشملك.

---

(١) كتب فى عيد نياحة القديس أثناسيوس الرسولى ١٥ من مايو ١٩٩١م - ٧ من بشنس ١٧٠٧ ش.

٣٠ ـ مواصلة التلمذة هى فرصة الراهب الذى لا يتوقف عن الدرس

الابن العزيز والأب المحترم الراهب.....

عندك فرصة ثمينة لا تقدر بثمن للإمتلاء روحيا وذهنيا وعلمياً فى الدير ـ بالقراءة والكتابة والترجمة مع صقل إستعداداتك اللغوية، فى اليونانية والانجليزية، والعبرية والعربية والقبطية، فضلاً عن الكتب الأخرى فى علوم الفلك وعلم النفس، والاجتماع وإنى أعرف أن مكتبة الدير غنية جداً بالكتب، القديمة والحديثة. ليتك تنظم وقتك بحيث تستخرج من المكتبة مثلاً سبعة كتب فى موضوعات مختلفة، أحدها فى الرُّوحيات والنسكيات، وآخر فى تفسير الكتاب المقدس، وثالث فى اللاهوتيات والعقائد، ورابع فى الطقوس، وخامس فى العلاقة بين العلم والدين ـ فى الچيولوچيا والطبيعيات... وسادس فى العلوم الإنسانية ـ وسابع فى اللغات، فضلاً عن نص الكتاب المقدس باللغات اليونانية والإنجليزية والقبطية... الخ إن وقت الراهب ثمين.. ويجب أن يستغله فى بناء شخصيته الروحية والعلمية، فإنّ الأديرة كانت دائما وفى كل العالم أفضل المراكز العلمية التى نشأت فى أحضانها الجامعات، أقول إنّ مواصلة التلمذة على مستويات أعلى هى فرصة الراهب الذى لا يتوقف عن الدرس والتعلّم حتى لو كان سنه كبيراً.

إننى أغبط الرّاهب الذى يُعطى وقته للعبادة وللدرس معاً فضلاً عن العمل اليدوى، لأنه بهذه المجالات الثلاثة ينمو ويعلو كالعمارة العالية إلى أن يبلغ علوها السماء.

«واختارت مريم النصيب الصالح الذى لن ينزع منها إلى الأبد»، «فإنّ الحاجة إلى قليل أو إلى واحد».

أشكرك على خطابك الذى أثار ذاكرتى، وإنى أرجو الله أن تعيش وتحيا فى نعيم السّعادة الروحية، التى ينعم بها أكثر من غيره ، الراهب الذى وهب حياته، ونذر ذاته، لحياة التأمل، أرجو أن تفرح بالطريق الذى اخترته لنفسك، وأن تستغل وقتك فلا يضيع منك، فى أشياء أقل قيمة.

إنّ قلبى معك، ومع محبتى، أُصلى أن يحفظ الله حياتك، ويبارك وقتك، ويقوى جهادك، ويقبل منك صلواتك وعن الكنيسة كلها.

الرب معك، ومع جميعنا، ولأسمه المبارك المجد.

٣١- ليس للرهبنة سن معينة للرجال

الابن العزيز / .....

سلام ومحبة ودعاء وبركة من ربنا يسوع المسيح أرجو لكم موفور الصحة وكل التوفيق

قرأت خطابكم غير المؤرخ بتاريخ، وفيه إتجاه واضح نحو الرهبنة، وأن هذا الإتجاه قديم، وهو ينمو فيكم ولا يخبو، وقد قضيتم فترات خلوة كثيرة بجميع الأديرة ولكن - وقد هاجر أو سافر جميع أخوتكم الخمسة إلى بلاد أوربا،وأنت الآن تقيم مع والديك وهما كبيران أو متقدمان فى السن، أعطاك الرب بركة خدمتهما، وقد نصح لك أب إعترافك أن تبقى مع أبيك وأمك إلى أن يفتح لك الرب باب أحد الأديرة للرهبنة.

وأنت تخشى - على قولك - أن العمر يمرّ وقد يرفض الدير إلتحاقك به كطالب رهبنة.

وإنى أطمئنك أنه ليس هناك بالنسبة للرجال سن معينة أو محددة - وما سمعته بالنسبة للسن فهو عن البنات. والسبب فى ذلك أن رئيسة الدير قد تعترض على رهبنة البنت خوفاً من أن يكون سبب رهبنتها هو عدم توفيقها إلى الإرتباط بزوج.

أما بالنسبة للرجال فليس هناك سنّ معينة، بل كلّما تقدمت السن كان الطريق أوضح - وإنى عرفت فى الأديرة رهباناً، دخلوا الرهبنة فى سن المعاش.

فأنت يمكنك مادمتَ معتزماً على الرهبنة أن تدخل الدير الذى تريده فى أى سن.

ونحن ننصح لك إذا كانت ظروفك العائلية تتطلب كما نصحك أب إعترافك، أن تعتبر نفسك راهباً منذ الآن. وتمارس الصلاة فى أوقاتها السبعة والأصوام وأنت فى البيت، وتحيا راهباً بالروح والذهن والجسد، وقد سبق للقديس يوحنا ذهبى الفم أن رغب فى الإعتكاف بالدير، وكانت أمه أرملة ، فترجته بدموع أن لا يتركها، فاستجاب لرغبتها، حتى فارقت الحياة، وعند ذاك اعتكف بالدير. وقوانين الرهبنة تنص صراحة على ذلك: إذا كان لإنسان قريب، أبوه أو أمه فى حاجة إليه، فلا يجوز له أن يتركه ويذهب للدير.

وعلى ذلك وبناء على نصيحة أب اعترافك، اعتبر نفسك راهباً وعش راهباً نذر البتولية لذاتها وفى ذاتها، ومارِس قوانين الرهبنة فى الصلوات والأصوام، فى البيت والعمل، ولاتتردد من حيث السن.

وكن مطمئنا ضميريا، والرب الإله يعينك ويقويك ونعمته تشملك.

ولعظمته تعالى الشكر دائما،،،

٣٢- لماذا كانت الرهبنة طريق الكمال(١)

سؤال من الإبنة العزيزة الآنسة / .....

لماذا كانت الرهبنة طريق الكمال، فى حين أن الخدمة فى العالم أجدى للكنيسة وللناس من طريق الرهبنة، الذى يلجأ إليه الإنسان طلبا لخلاص نفسه فقط، ثم أن من يترهب لا يستطيع الناس الإتصال به لينتفعوا به، بينما تكون فائدته أكثر لو بقى فى العالم متبتلا ومكرسا حياته لله وللخدمة؟

الجواب :

إذا كانت الرهبنة طريق الكمال فالتعبير مأخوذ من كلمات الرب يسوع، كما قال للشاب الغنى «إذا أردت أن تكون **كاملا**، فاذهب وبع مالك واعط للفقراء، فتقتنى لك كنزا فى السماء وتعال اتبعنى» (متى ١٩: ٢١)، (مرقس ١٠: ٢١) (لوقا ١٨: ٢٢).

وفى هذا النص يتضح أن طريق الكمال يقتضى أولا - **التجرد التام من القنية** ببيع الإنسان جميع مايملك ويعطيه للفقراء. ثانيا - **التبعية التامة الكلية للمسيح** وهذا واضح أنه يقتضى الرهبنة لأنها فى جوهرها - تجرد عام من الملكية، وإعطاء الحياة كلها للمسيح. ومن غير الرهبنة لا يستطيع الإنسان أن يكون كله للمسيح، ولا يقدر أن يتجرد تجردا تاما من القنية... حتى رجال الدين المتزوجون أصحاب العائلات لا يمكنهم التجرد التام الذى يتحدث عنه المسيح، لأنه يلزمه لأولاده وأسرته أن يمتلك ويقتنى شيئا ولو محدوداً، حتى يمكنه أن يضطلع بمسئولياته العائلية كرب أسرة تتألف منه ومن زوجته وأولاده، وما يعوزهم من ضرورات الحياة من طعام وشراب ولباس ومسكن وتعليم ونفقات أخرى...

ولقد فهم القديس الأنبا أنطونيوس كلمات المسيح عندما ذهب إلى الكنيسة وسمع الإنجيل، فلما أراد أن يترجمها عملياً ويمارسها فعلاً لم يجد بدا من الرهبنة، فباع أملاكه، واطمأن على مصير أخته ووزع مايملك على الفقراء، واعتزل العالم للتعبد المطلق، بحيث يعطى لاجزءاً من وقته بل كل وقته للعبادة، فيكون كملائكة السماء الذين يقفون أمام الله دائما ينظرون إلى وجهه. يلاحظ فى هذا الصدد قول جبرائيل الملاك لرئيس الكهنة زكريا والد يوحنا المعمدان «أنا جبرائيل الواقف أمام الله» (لوقا ١: ١٩) يوافق هذا ويقابله قول إيليا النبى وقد كان راهبا بكل معنى الكلمة - متبتلا يسكن الجبال: «حيٌ هو رب الجنود الذى أنا واقف أمامه» (الملوك الأول ١٨: ١٥)، (١٧: ١)

---

(١) كتب فى ١٨ من أغسطس ١٩٧٤م - ١٢من مسرى ١٦٩٠ش.

فخدمة الرهبان هى خدمة الملائكة، ولذلك قالوا فى بعض كتب البيعة «الرهبان ملائكة أرضيون وبشر سمائيون».

وعلى الرغم من أن حياة الرهبنة هى حياة التأمل «والصلاة بغير إنقطاع» (الرسالة الأولى إلى تسالونيكى ٥: ١٧) فإنها مغبوطة لذلك، وتعد الحياة عينها التى مدحها الرب بصفة خاصة فى مريم أخت لعازر، التى جلست عند قدمى رب المجد، وتركت أختها تخدم حتى تذمرت أختها وشكتها للرب، ومع ذلك مدح السيد مريم وقال «الحاجة إلى واحد فاختارت مريم النصيب الصالح الذى لن ينزع منها» (لوقا ١٠: ٤٢)، وهى تعد أكثر كمالاً من حياة الخدمة، أو أكثر غبطة منها.

هذا ليس معناه أن الفرق بين حياة التأمل وحياة الخدمة كالفرق بين الخير والشر، حاشا لكن معناه أن حياة التأمل أكثر مجداً من حياة الخدمة لماذا؟

لأن حياة التأمل أكثر مشقة وصعوبة، ولا يقدر عليها إلا قلة قليلة من الناس، قادرون على ضبط الفكر والحواس، ولا يغلبها الملل أو الكسل، عن هذا الطراز من الحياة الباطنية التى لا تتوافر إلا لمن لهم خصوبة روحية غير عادية... هذه الخصوبة التى تغلب الملل والرتابة.

ثم إن هذه الحياة التأملية مستحيلة، إلا لمن كان لهم عمق ونصيب كبير من غنى المحبة الإلهية، هذا الغنى الذى يجعلهم يستعذبون حياة الصلاة بغير إنقطاع ويستزيدون منها كلما تقدموا، وتصير الصلاة لهم ألذ من الطعام والشراب، بل أقوى من الرغبة فى النوم، حتى أن بعضهم كان يتعمد ينقص ساعات نومه، ويتحايل على منع النوم حتى يتوافر له وقت أطول للصلاة التى بلا إنقطاع.

ثم أن حياة التأمل طريق أكمل للمعرفة الإلهية، فما أبعد الفرق فى مدى المعرفة التى يتوصل إليها من ينقطع طوال نهاره وليله لهذه الكرامة ويتبتل لهذه الغاية، مكرسا كل حواسه وطاقاته ووقته لهذا الأمر الواحد الوحيد، ومبعداً عن ذهنه كل الشواغل الأخرى... أقول ماأبعد الفرق بين ما يتوصل إليه الراهب المنقطع، وبين ما يتوصل إليه الإنسان الموجود فى العالم فى صخب الحياة وضجيجها بين المشاغل المختلفة الهامة والتافهة؟

إذا كان التلميذ المجتهد يعكف فى بيته على مكتبه لا سيما قبيل الإمتحانات وأثناءها مكرسا كل جهده ووقته،طارحا عنه كل المشغوليات الأخرى مضحيا بالخروج وبمتعة الصداقات والحفلات والإجتماعات واللقاءات فى سبيل إتقان دراساته.

وكذلك يفعل العلماء على الحقيقة الذين ينزوون فى مكتباتهم أو معاملهم، عن كل نشاط إجتماعى حتى يوفروا جهودهم ووقتهم لأبحاثهم.

فعلى هذا القياس نفهم فلسفة الرهبنة أنها إنقطاع لطراز من المعرفة، هى المعرفة الإلهية التى يتطلب الغوص فيها والدخول إلى مداخلها الأبعد غوراً، تبتلا وإنقطاعا وتهدجا ومواصلة للتأمل بغير إنقطاع، وصبرا على تركيز الإنتباه، وعلى استبعاد كل الشواغل للوصول إلى الهدف الواحد.

لهذا كانت الرهبنة طريق الكمال لأنها الطريق الأشق، ولا يقوى عليها إلا قلة من الناس لهم قوة إرادة وصلابة على هذا النوع الشاق من الحياة الصعبة والاستمرار فيه وعدم الرجوع عنه، وقال الرب «ليس الجميع يقبلون هذا الكلام وإنما الموهوبون فقط... فمن استطاع أن يقبل فليقبل» (متى ١٩: ١١، ١٢).

ومع ذلك يوجد الذين دخلوا الطريق الصعب ولم يستطيعوا الإستمرار فيه ففشلوا أو تحولوا عنه إلى طريق أسهل...

هذا ويبدو لمن ينظر إلى الأمور نظرة خارجية غير فاحصة أن طريق الخدمة فى العالم أفضل بالنسبة إلى الكنيسة.

ولاشك أن طريق الخدمة فى العالم ضرورى، لكنه محدود فى أثره بالنسبة لطريق الرهبنة التامة. محدود أولا فى نتائجه المباشرة للخادم. فالخادم المنشغل بالآخرين ليس له الوقت الكافى للنمو فى الفضيلة والمعرفة والخبرات الروحية التأملية بالنسبة إلى الراهب.

وكذلك بالنسبة للنتائج التى تعود على الكنيسة فى المدى البعيد، أقول إن أثار حياة الراهب الصالح على الكنيسة وفيرة وغنية وتمتد إلى أجيال وأجيال... لقد دفن الأنبا أنطونيوس نفسه كما يقول البروتستانت مشوهين مسلكه، ولكنه هذا الذى دفن نفسه كان كحبة الخردل التى دفنت وماتت، ولكنها بعد وقت صارت شجرة كبيرة حتى أن طيور السماء تآوت تحت أغصانها.. لقد كان صدى سيرة القديس أنطونيوس عبيراً عطر المسكونة شرقاوغربا..وأثره لا يمكن التحدث عنه بحال لأنه أعظم جدا مما يستطيع إنسان أن يحده.

الخلاصة:

إن الفرق بين الراهب والخادم فى العالم كالفرق بين العَالِم والمُعلم. إن المعلم نافع ووجوده ضرورى لمنفعة التلاميذ، ولكن العالم أكثر نفعا إذا نظرنا إلى أثره البعيد للأجيال كلها..

إن عمل كل منهما يكمل الآخر، ولكن يجب أن نكرم عمل العالم لأنه لا يقوى عليه إلا قلة موهوبة من الناس... إن الذين يمكنهم أن يكونوا معلمين... أكثر جدا بما لا يقاس عن الذين يمكنهم أن يكونوا علماء، لأن الحياة الثانية أشق من الأولى...

٣٣- لا يسمح لك بالرهبنة بدون موافقة زوجتك (١)

العزيز الإبن / .....

أما عن موضوع الرهبنة، فحيث أنك متزوج فأنت مرتبط بإمرأة ، فلايُسمح لك بالرهبنة بدون موافقة زوجتك. على أن تقرر هى أيضا الرهبنة فتذهب إلى دير للنساء. هذا ما كان دائما يفعله كل من يرغب فى الرهبنة من المتزوجين. هذا المبدأ مقرر فى الكتاب المقدس وفى تعاليم الآباء القديسين . «**لاتفارق المرأة رجلها**. وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة، أو لتصالح رجلها. ولا يترك الرجل زوجته» (١ . كورنثوس ٧: ١٠، ١١) «**أنت مرتبط بإمرأة فلا تطلب الإنفصال**» (١ . كورنثوس ٧: ٢٧)

وكذلك قوانين الرهبنة تنص على أنه لا يجوز لرجل متزوج أن يترهب إلا بموافقة زوجته، على أن تكون هى راغبة فى الرهبنة لا مضطرة، وإلا فإن هذا الفصل يعرض كلا من المرأة والرجل للخطيئة والإثم...

٣٤- لا تيأسى إذا كنتِ حقا راغبة فى حياة الرهبنة (٢)

الإبنة العزيزة / .....

سلام أيتها الإبنة ودعاء إلى الله أن يحفظ شبابك طاهراً، وأن ينعم عليك بالصحة والبركة على حياتك.

قرأتُ خطابك، الذى شرحتِ فيه رغبتك فى الرهبنة، ولكنك لم تُقبلى بعد فى أحد أديرة البنات بحجة أنه ليس هناك مكان.. وقد عرفتِ من أُخريات أنه قيل لهم ذلك.. فلا تيأسى إذا كنتِ حقاً راغبة رغبة صادقة فى حياة الرهبنة..

واعلمى أيتها الإبنة أنك مادمتِ راغبة فى حياة البتولية رغبة صادقة، فستتحقّق أمنيتك هذه، فتشجعى ولا ترددى ولاتيأسى. إنّ الرب بنعمته كفيل بأن يفرح بك وبرغبتك وسيعينك على هذا. فقط، إفحصى نفسك جيداً، حتى لا تكون رغبتك فى الرهبنة بسبب تخوفك من الزواج ومسئوليات الزواج ومتاعب الزواج. أما إذا كنتِ تعشقين حياة البتولية لذاتها، وليس لسبب آخر، فلسوف تتحقق أمنيتك، إن شاء الله.

ونعمة الرب تشملك.

---

(١) كتب فى ١٠ من أغسطس ١٩٨٧م - ٤من مسرى ١٧٠٣ش.

(٢) كتب فى ٩ من مارس ١٩٩١م - ٣٠من أمشير ١٧٠٧ش.

٣٥- أب إعترافكِ يوجهك إلى الرهبنة ويزكيك (١)

العزيزة الآنسة / .....

سلام وبركة

ردا على خطابك بخصوص رغبتك فى الرهبنة أجيب بأنه ينبغى أن تعرضى أولا رغبتك على أب إعترافك، فهو يرشدك أولا ثم يزكيك لرئيسة الدير، إن الأفضل أن يكون أب إعترافك هو الذى يوجهك إلى الرهبنة ويكتب للرئيسة تزكية، وسيكون لهذه التزكية إحترامها.

ونعمة الرب تشملك،،،

٣٦- هل يمكن لبروتستانتى أن يترهبن فى الدير؟(١)

سؤال من السيد / .....

يقول أننا سبق أن أجبنا على سؤال سابق لراغب فى الرهبنة أن يستشير أب إعترافه، ثم يحمل منه خطاب تزكية إلى رئاسة الدير- فما هى نصيحتنا له إذا كان هو أيضا يرغب فى الرهبنة علما بأنه قبطى بروتستانتى وهو يسأل أولا- هل يجوز له أن يترهب، أم أن الرهبنة قاصرة على الأقباط الأرثوذكس وحدهم، وثانيا- ما هى الإجراءات التى يتخذها لتحقيق رغبته فى دخول الدير؟

الجواب :

الرهبنة ليست قاصرة على الأقباط الأرثوذكس. الرهبنة إتجاه نفسى وروحى، يمكن أن يتجه إليه أى إنسان من كل دين، ومن كل جنس ولون من حيث هو إنسان خلقه الله على صورته ومثاله. الرهبنة طريق تعبّدى ومنهج يهب به الإنسان نفسه للعبادة منقطعا متبتلا لها، مشغولا بحياته الروحية الخالصة، مجاهدا فى بناء حياته الباطنية، بناءً كاملا، ناظرا بإهتمام إلى حياته بعد الموت، ساعيا للخلاص من خطاياه ومن كل مايعيقه عن الخلاص الأبدى، فيحظى بفردوس النعيم وملكوت السماوات.

لذلك رأينا على مدى التاريخ رهبانا من بين بنى إسرائيل، ولعل من أبرزهم من بين الأنبياء المعروفين إيليا النبى، وأليشع النبى ثم يوحنا المعمدان. ومن بين الفرق اليهودية أيضا الأسينيون (المتنطسون) الذين كانوا يسكنون الصحارى والجبال متبتلين لايتزوجون، يتعبدون صائمين قانعين بشظف العيش.

وفى مصر قبل المسيحية، سلك بعض المصريين مسلك الرهبان فى الصحارى المصرية متبتلين متعبدين كان بعضهم من الوثنيين، وكان بعضهم من اليهود.

وكذلك قل عن رهبان من الهنود وغيرهم من شعوب آسيا ومنهم البراهمة والبوذيين،

والخلاصة أن الرهبنة منهج تعبدى، وليست دينا، وهى مفتوحة للجميع.

أما الأديرة، فهى منظمات لها قواعد ونظم وقوانين، وهى تشترط فى الداخلين إليها شروطا تكفل للمنضمين إليها وحدة الفكر والعقيدة والمنهج، ليتوافروا على العبادة بروح واحدة للجماعة كلها. فالرهبان فى أى دير يؤلفون مجتمعا، ويشترط لهذا المجتمع ضمانا لقيامه واستمراره

---

(١) كتب فى ٧ من اكتوبر ١٩٨٠م- ٢٧ من توت ١٦٩٧ش.

الخضوع لنظام وقواعد يرتضيها الجميع، وهى عادة مرسومة ومعروفة ويعرفها كل من ينضم للجماعة قبل أن ينضم إليها.

وللأرثوذكسيين فى مصر عدد من الأديرة فى صحارى مصر غربها وشرقها، شمالها وجنوبها. والمعمورة منها أحد عشر ديرا للرجال.

وحيث أنك راغب فى الرهبنة فنحن ننصح لك بأن تطلب مقابلة نيافة الأنبا..... وهو رئيس دير..... فهو يوجهك بما يحقق رغبتك.

٣٧- هل يفى بنذر حياته للرهبنة ؟

سؤال من السيد/ .....

يقول أنه شفى من مرض شديد وطويل بدأ بحمى روماتيزمية وانتهى به إلى الشلل الكلى. وبينما كان هو وأهله فى يأس تام من الشفاء صلّى إلى الله بحرارة، ونذر نفسه لله إذا شفاه، فتجلت له العذراء أم النور فى حلم، وأمرته بأن ينهض ويمضى إلى الكنيسة، فاستيقظ مبهورا وقد تم شفاؤه تماما، والتحق بعمل يعول به نفسه وأسرته لمدة أربع سنوات. ثم تذكر نذره ووعده بأن يهب حياته لله راهبا، وهو يسأل النصيحة.

الجواب :

ردا على خطابك نفيدك بأن المعجزة التى صنعتها معك العذراء القديسة مريم أم النور، معجزة حقيقية وباهرة. ونحن نمجد الله معك على هذا العمل الإلهى والنعمة السماوية التى شملتك.

وحيث أنك، على قولك، نذرت حياتك لله، وتريد الرهبنة، فنحن ننصح لك بالآتى:

أولا : عليك أن تعرض رغبتك هذه على الكاهن أبى ذمتك، المطلع على أسرارك، وهو أول من يقدم لك النصيحة والمشورة المناسبة، وهو الذى يشير عليك بناء على معرفته بتطورك النفسى والروحى إذا كانت الرهبنة تصلح لك، وأنت تصلح لها.

ثانيا : ينبغى أن تعرض نفسك على طبيب إخصائى فى القلب والأعصاب. وبعد الكشف عليك جيدا وعمل الفحوص والأبحاث اللازمة يعطيك تقريرا طبيا عن حالتك الصحية الحالية. وبناء عليه يمكن التأكد من صلاحية الحياة الديرية والرهبانية لصحتك بعد أن تم شفاؤك منذ أربع سنوات.

ثالثا : ينبغى أن تراعى صوالح أسرتك قبل الرهبنة، فقد قلت فى خطابك أنك إلتحقت بعمل بعد شفائك من مرضك لتعول إخوتك وأسرتك. واعلم أن قوانين الرهبنة لاتسمح لمن يعول أسرة، أن ينتظم فى سلك الرهبان طالما أن أهله أو بعض أهله يحتاجون إلى وجوده معهم كعائل لهم.

رابعا : بعد هذا يمكن للكاهن أبى ذمتك وإعترافك أن يزكيك لرئيس الدير. فشهادة الكاهن أبى الإعتراف مهمة ومحترمة أمام رئاسة الدير.

٣٨ ـ هل يذهب فورا إلى الدير ؟

سؤال من الإبن .....

الجواب :

إن الرهبنة دعوة مقدسة، لكنها ليست سهلة. هى نذر التبتل إلى الله مع إختيار الفقر طوعا وإعتزال العالم للتعبد.

ولكى تتأكد من إستعدادك لحياة التبتل ينبغى أن تفحص ضميرك بصدق، هل أنت تصلح لحياة التبتل كل أيام الحياة، ولا تندم على ذلك ؟

إن من الأفضل أن تنتظر قليلا للتأكد من صدق رغبتك واستعدادك لهذا النوع من الحياة الخاصة حتى لا تقع فى الندم، أو الإشتياق إلى الزواج.

ثانياً ـ هل أنت مستعد أن تحيا فى دير ولا تمل من وجودك فى الدير، بعيدا عن أهلك وعشيرتك ؟

ثالثاً ـ هل أنت مرتبط بواجب عائلى نحو اخوتك الصغار، أو أن والدك يمكنه أن ينفق على العائلة ولا يحتاج إلى وجودك إلى جواره لمساعدته ؟

هذه الأسئلة ينبغى أن تجيب عليها بأمانة وصدق. ونصح لك أن تبدأ بأن تتردد على بعض الأديرة، أديرة الصعيد، ومن بينها دير المحرق بالقرب من أسيوط، أو دير الأنبا صموئيل بالقرب من مغاغة أو دير الأنبا أنطونيوس أو الأنبا بولا ـ وتعرض رغبتك على رئيس الدير وتعمل بنصيحته. ومادام نيافة رئيس الدير قد طلب منك العمل فترة ما، فلا بأس من الطاعة وهذا نافع لك. على كل حال يجب أن تتردد على بعض تلك الأديرة لإمتحان نفسك ورغبتك وأخذ مشورة رئيس الدير.

٣٩ ـ هل يترك دراسته ويترهب؟ (١)

سؤال من .....

يقول أنه طالب بإحدى الكليات الجامعية يبلغ من العمر ١٩ سنه، راوده فكر الرهبنة منذ حداثته، ويلح عليه الآن هذا الفكر، ويرغب فى ترك دراسته بالكلية ليذهب توا إلى الدير. ويطلب النصيحة ؟

الجواب :

إننا ننصح لك بإتمام دراستك أولاً قبل الرهبنة. وعليك أن تستشير الكاهن أباك فى الإعتراف ليساعدك على فهم ذاتك. ولا داعى للإسراع والتعجل فإنك مازلت صغير السن عن نذر التبتل وإعتزال العالم. وقد تكون عليك إلتزامات عائلية حيال والديك وإخوتك. ينبغى أن تتريث قبل أن تتخذ قرارا فى الموضوع.

٤٠ ـ لا تعارض بين الرهبنة والحياة الزوجية المثمرة

سؤال من الإبن .....

يقول : فى إحدى العظات التى سمعتها من أحد الكهنة، علمت أن الإنسان خلقه الله كى يؤدى رسالة معيّنة هى الحفاظ على النوع وتعمير الأرض. لكن الرهبنة هى ترك العالم وترك الجسد وشهواته والذهاب لله وحده. وهذه تعتبر من أقصى درجات الإيمان فى المسيحية. فلو قلنا أن المسيحيين كلهم يترهبنون كى يصلوا إلى أعلى الدرجات الروحية، فهم بذلك يتركون العالم إذن، ويتخلون عن رسالتهم التى هى تعمير الأرض، وبهذا يعملون على إفناء روحهم وإفناء الإنسان، أى تحديد موتهم بنفسهم، فكيف هذا؟ وهل ما قاله الكاهن الذى ألقى العظة يتعارض مع الرهبنة؟

الجواب :

لا تعارض بين الرهبنة فى مفهومها الأصيل والدقيق، وبين الحياة الزوجية المثمرة للبنين والبنات لحفظ النوع. إنهما على خط واحد، وإن كان أحدهما أبعد وأكثر إمتدادا من الآخر، فى الروحانية وقداسة الجسد والروح (١ . كورنثوس ٧ : ٣٢- ٣٤) . لكنهما ليسا متناقضين أو متعارضين كما يبدو.

فالرهبنة هى زواج روحانى بين النفس وبين المسيح. النفس هى العروس، والمسيح هو العريس. وكما أن الرجل والمرأة يتحدان بسرّ الزيجة فيصيران جسداً واحداً، **هكذا تتّحد النفس الإنسانية بالمسيح إتّحاداً روحانيا، يصل بالنفس إلى أن تصبح مع المسيح إرادة واحدة ومشيئة واحدة ـ عندما يصل الإنسان الرُّوحانى إلى (مقام الفناء والبقاء بعد الفناء)** ـ فتتعلق النفس بالمسيح فى وجدٍ وحب عميق، حتى تفنى النفس فى المسيح وتصير إلى حالة من الاتحاد الروحى التى وصفها الرسول بولس بقوله (مع المسيح صلبت، **فما أنا أحيا بعدُ، بل إنّما المسيح يحيا فىّ**. وإذا كنت أحيا الآن فى الجسد، فحياتى هى فى الإيمان بابن الله الذى أحبّنى وضحّى بنفسه من أجلى) (غلاطية ٢ : ٢٠).

بيد أنّ طريق الرهبنة طريقٌ خاص، ولا يقدر عليه جميع الناس. وهو وإن كان طريقاً مفتوحاً للجميع، لكن لا يقبل عليه ولا يقوى عليه عادة إلاّ قلة من الناس، ممن لهم إستعداد له. **فهو يصعب على الغالبية، ولا يميل إليه ميلاً صادقا إلاّ من كانت قلوبهم ملينة بمحبة المسيح، إمتلاءً تاما،** بحيث تتجه كل عاطفتهم نحوه، فلا يكون فى القلب فراغ يشغله أحد آخر أو شئ آخر. وبعبارة أُخرى يصبح القلب كله للمسيح، مشغولاً كله

بالمسيح، وبالتالى تنطفئ منه كل رغبة أو شهوة أو ميل أو عاطفة تتعارض مع محبته للمسيح. وليس معنى هذا أن الراهب يكره ماعدا المسيح، إنما معناه أنّ محبته للمسيح تملك عليه كيانه، فيصير المسيح هو الأول، مكانته فى أعماق القلب، وفى بؤرة الشعور. ومن أجل المسيح يحب الناس، الأقارب والأباعد، ويخدمهم، من أجل سيده المسيح، لا لينال شيئا لنفسه من وراء خدمته لهم، وإنما من فيض حبه لسيّده المسيح يصير قلبه عامراً بمحبة الناس الذين خلقهم الله على صورته، فإذا عصوا سيّده وأغضبوه بتصرفاتهم، كان هو دائما إلى جانب سيّده ضدّ كل من يغضب سيّده.

هذه المحبة الخاصة جدا فى هؤلاء القلة من الناس هى التى تدفعهم إلى أن يُعطوا حياتهم كلها لسيدهم. فهم يعشقون البتولية لذاتها، ويتركون سكناهم وسط الناس فى العالم، ويقصدون إلى الصحراء ليعيشوا كل حياتهم لسيّدهم، ينقطعون لعبادته، متبتّلين له، فلا يتزوجون ولا ينسلون. لا يتزوجون قرينا من بين الناس، إنما يتزوجون المسيح ذلك الزواج الروحى، فى شخوص دائم لله، يتوجهون بكل عاطفة الحب عندهم نحو الواحد الأحد. وكما قال بعض كبار الروحانيين يصف الحياة الرهبانية بأنها (الإنحلال عن الكل (كل أحد، وكل شئ) للاتّحاد بالواحد) - والواحد هو الله أو هو المسيح.

قلنا إن هذه الحياة الرهبانية طريق مفتوح للقادرين عليه، الراغبين فيه، والمؤهلين له بالحب والإرادة وصفاء النفس وطهارة القصد والنية.

قال المسيح له المجد فى بيان خصوصية هذا الطريق وأنه لا يُقبل إليه، ولا يسلكه، إلا الذين يرتضونه ويحبونه ويميلون بكل قلبهم إليه، ويؤثرونه عن طريق الزواج وولادة الأولاد. قال العليم بما فى ذات الصدور: (**ليس الجميع يقبلون هذا الكلام**، وإنمّا الموهوبون فقط، لأنه يوجد خصيان ولدوا على هذا النحو من بطون أمهاتهم، **ويوجد خصيان خصاهم الناس، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السماوات. فمن استطاع أن يقبل فليقبل**) (متى ١٩ : ١١، ١٢).

وقال عنه الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول (وأقول **لغير المتزوجين وللأرامل، أنه خير لهم أن يبقوا مثلى، فإذا لم يطيقوا العفاف فليتزوّجوا، فالزواج أفضل من التحرُّق بالشّهوة**) (١ . كورنثوس ٧ : ٨، ٩).

وإذن فطالما أن طريق الرهبنة طريق خاص، لا يقبله ولا يقبل عليه إلاّ من له رغبة فيه كاملة وإستعداد له، فلا مجال لإفتراض أن جميع المسيحيين يترهبون، فهذا الإفتراض لن يكون يوما صحيحا، ولن يصير حقيقة واقعة، لأنه مهما أقبل على الرهبنة أناس، يعشقون هذا النوع من

الحياة فإنه ستبقى الأكثرية العظمى ترغب فى الزواج وولادة الأولاد. ولعلك تعلم أنّ نمو السكان فى تزايد مستمر، ولقد ذهب العالم الإقتصادى الإنجليزى مالثوس MALTHUS (١٧٦٦ - ١٨٣٤)م فى كتاب له عن (محاولة النظر فى التناسل) إلى أنّ عدد السكان يتزايد بمتوالية هندسية، وأنه يتضاعف كل ٢٥ سنة. ولذلك فإنه على الرغم من وجود رهبان فى كل بلاد المسكونة، وعلى الرغم من أنه كان ومازال عدد من الناس فى كل أمة لا يتزوجون لسبب أو لآخر، فالحقيقة الواقعة أنّ عدد الناس الأحياء فى كل وقت فى تزايد مستمر. وعلى الرغم من الحروب التى يموت بها الملايين وعلى الرغم من أعداد كثيرة من البشر يموتون بسبب الأوبئة والأمراض المختلفة، فضلاً عن أعداد كثيرة يموتون بحوادث الطائرات، والقطارات والسيارات وجنوح السفن فى البحار - ومن يحترقون ويهلكون بسبب الزلازل والبراكين وما إليها من كوارث الطبيعة... نقول على الرغم من كل ذلك، فالعلماء يتحدثون اليوم عن الإنفجار السكّانى الذى يهدد البشرية والمعمورة كلها.

ولعلّك بعد ذلك كله قد اقتنعتَ أنّ الرهبنة - وهى طريق خاص للقادرين عليه - لن تقضى على العمران، بل لعلّ فيها بعض العلاج للإنفجار السكانى. أو قل، إنه بها يتحقق بعض التوازن فى أعداد الناس التى تتزايد تزايدا مستمراً بغير توقف.

٤١ ـ لا تجوز لك الرهبنة فى الدير ووالداك المريضان ليس لهما من يرعاهما غيرك (١)

سؤال من الإبن .....

يقول إنى أريد أن أدخل فى الرهبنة، ولكن لى أب وأم مريضان، فهل إذا بقيت فى العالم لخدمة أبى وأمى حتى لا يتعرضان للإهانة، فهل يعتبر سلوكى هذا محبة للأب والأم أكثر من محبتى للمسيح، وبالتالى فلا أستحق المسيح ؟ ألم يقل المسيح إنّ من أحب أباً أو أُما أكثر منى فلا يستحقنى ؟

الجواب :

اعلم أيها الإبن أنه لا يجوز للإبن أن يترك أباه وأمه المريضين، وهما فى حاجة إليه، ثم يذهب بعيدا عنهما إلى الدير.

إنّ قوانين الرهبنة لا تجيز للابن أن يترهب ووالداه مريضان وفى حاجة إلى رعايته لهما. لو كان لك شقيق أو أخ يمكن أن يرعاهما، جاز لك أن تتركهما تحت رعايته. أما فى غير ذلك، فلا يليق بك أن تهملهما. إن رعاية الابن لوالديه أو أحدهما واجب أولىّ وأساسى، وهو يدخل فى نطاق الوصية الخامسة من الوصايا العشر «أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك فى الأرض، التى يعطيك الرّب إلهك» (الخروج ٢٠ : ١٢)، (التثنية ٥ : ١٦) ، (متى ١٥ : ٤) ، (١٩ : ١٩) ، (مرقس ٧ : ١٠) ، (١٠ : ١٩) ، (لوقا ١٨ : ٢٠) ، (أفسس ٦ : ٢).

وجاء فى الرسالة إلى القديس تيموثيوس «إذا كانت أرملة لها بنون أو حفدة، فليتعلّموا أوّلاً أن يتقوا الله فى أهل بيتهم وأن يفوا ماعليهم لوالديهم، لأن هذا صالح ومقبول أمام الله... وإذا كان أحد لا يعتنى بذويه، ولا سيما بأهل بيته، فقد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن» (١. تيموثيوس ٥ : ٤ – ٨) ويقول أيضا «وإذا كان لمؤمن أو مؤمنة أرامل فليساعدهنّ ولا يثقل على الكنيسة حتى يمكنها أن تساعد هى الأرامل اللواتى هنّ بالحقيقة أرامل» (١. تيموثيوس ٥ : ١٦).

وجاء فى سيرة القديس يوحنا ذهبى الفم (٣٤٧ – ٤٠٧) م أنه اشتاق لحياة الوحدة والرهبنة، وكانت أمه لاتزال حيّة وكانت أرملة، فرجته أن لا يتركها وحيدة وهى أرملة، فقبل رجاء أمه وعاش فى العالم يخدم أمه ويرعاها حتى فارقت الحياة، وعندئذ، أى بعد أن توفيت والدته، ذهب وترهب... وهكذا صنع كثيرون من الأتقياء الملتزمين بمسئوليات عائلية.

---

(١) كتب فى ٧ من أبريل ١٩٩٣م ـ ٢٩ من برمهات ١٧٠٩ش.

أما قول المسيح له المجد «من أحبَّ أباه أو أُمَّه أكثر منّى فلا يستحقنى» (متى ١٠ : ٣٧) فهو عندما يكون الأب أو الأم عائقاً للابن أو الإبنة عن تبعيتهما للمسيح أو الإيمان بالمسيح، كما هو الحال فى عصور الإضطهاد، مثلما حدث مثلاً للقديسة برباره التى قتلها أبوها لإيمانها بالمسيح (انظر السنكسار تحت ٨ ـ كيهك) ومثلما حدث لإبنة خال الشهيد مارجرجس الأسكندرى التى لم يرض لها أبوها، وهو وثنى، أن تؤمن بالمسيح، فأمر بقطع رأسها. ونالت إكليل الشهادة (انظر السنكسار تحت اليوم السابع من هاتور).

هنا فى مثل هذه المواقف الدقيقة التى يقف فيها المؤمن أمام خيارين عليه أن يختار أحدهما: إما أن يؤمن بالمسيح ويتحمل فى سبيل إيمانه غضب أهله، وإما أن يخضع لأمر والده أو والدته، إنه يقف أمام إمتحان صعب، وعليه أن يختار إمّا المسيح وفى سبيل ذلك عليه أن يحتمل اضطهاد والديه ورفضهما له، وإما أن يرفض المسيح طاعة لوالديه. هنا يكون عليه أن يقرر إما المسيح وإما والداه، لأنه فى مثل هذه المواقف الإيمانية لا يمكن أن يجمع الإنسان بين محبته للمسيح ومحبته لوالديه. لذلك يكون من واجبه إخلاصا لدينه، ووفاء للمسيح أن يرفض طاعة والديه. وبهذا نفهم قول المسيح له المجد «من أحب أباه أو أُمه أكثر منى فلا يستحقنى» (مت ١٠ : ٣٧) أو قوله «من يأتى إلىّ ولا يبغض أباه وأمه... لا يستطيع أن يكون لى تلميذاً» (لوقا ١٤ : ٢٦).

٤٢ ـ قيمة حياتنا الرهبانية فى عصرنا

سؤال من الأب المحترم يوسف مظلوم صاحب ورئيس تحرير جريدة لميساجى. «قيمة حياتنا الرهبانية فى عصرنا هذا... وهل الأجدى الآن الصلاة وحدها أم العمل وحده... أم الإثنين معا.... وكيف التوفيق بينهما فى عالم كله تناقض ؟

الجواب :

ليست الحياة الرهبانية صلاة من غير عمل. حقا إن الرهبانية فى مفهومها السليم هى حياة «الصلاة بغير إنقطاع» (١ . تسالونيكى ٥ : ١٧) ولكن الصلاة بغير إنقطاع، لم تفهم على أنها مجرد تسبيح وتأمل وإبتهال وتضرع، وإنما فهمت دائما ومنذ الإبتداء على أنها صلاة مصحوبة بعنصرين آخرين : هما الدرس، ثم العمل، أى أن الراهب يوزع ساعات يومه بين الصلاة والدرس والعمل. ولما كانت الرهبنة الحقيقية قوامها الصلاة، فإن الدرس أيضا درس مع الصلاة، ولتدعيم الصلاة، وليكون مادة للصلاة، وموضوعا لها. فالمعرفة عند الراهب ليست غاية فى ذاتها وإنما هى وسيلة لتنشيط العلاقة الروحية بين الراهب وبين الله. كذلك العمل ضرورى للراهب، لأنه ثمرة قريبة لروح الصلاة. فالعمل للراهب يوقظ حاسيته الروحية ويثيره للصلاة، كما يعطيه مجالا عمليا لممارسة نتائج الصلاة، بعمل يدوى وبدنى وجسمانى يقوم به. وقد قال الكتاب المقدس «وأن تحرصوا على أن تكونوا هادئين، وتمارسوا أموركم الخاصة، وتشتغلوا بأيديكم أنتم» (١ . تسالونيكى ٤ : ١١) وقال أيضا «إن كان أحد لا يريد أن يعمل، فليس له أن يأكل» (٢ . تسالونيكى ٣ : ١٠).

ولذلك نصت قوانين الرهبنة على أن الراهب الذى لا يعمل، يطرد من الدير. وقد عرفت أديرتنا التصنيع، وساد فيها العمل اليدوى والجسمانى فضلا عن الفكرى، فكانت الأديرة ولا زالت مجالا لأعمال الزرع والفلاحة، كما كانت ولا زالت مجالا للصناعات اليدوية والحرف والفنون، وكذلك كانت ولا زالت دورا للدرس وزيادة المعرفة والتأليف والبحث العلمى.

والفرق بين العمل بالنسبة للراهب، والعمل بالنسبة للإنسان المقيم فى العالم، أن العمل بالنسبة للراهب مصحوب بالصلوات والعبادة، وعمل مدفوع بنية الخدمة لله، وبروح الإحساس الكامل بالواجب. فهو عمل لا لتحصيل لقمة العيش ولا لنيل المدح من الناس، ولا لكى يترتب عليه الترقى فى الوظائف والمراتب والدرجات الإجتماعية والمالية، وإنما هو عمل نقى من كل تلك البواعث. إنه عمل كله من أجل الله، ولأجل الواجب المقدس، ومن أجل الدير ومجموع الرهبان، إذ أن عائد عمل الراهب لا يعود إليه، وإنما يعود إلى الدير..

على أنه من الخطأ أن يقال أن من الخير أن يترك الراهب عبادته وصلواته فى الدير لأجل العمل فى العالم بحجة أن العالم فى حاجة إليه. لأن عكوف الراهب على وحدته فى مكان بعيد عن الضوضاء والضجيج فى العالم، يتيح له فرصة ثمينة لحياة هادئة ينصرف فيها للعبادة والدرس، فى عمق لا يتوافر لمن يكون فى العالم، مثله فى ذلك مثل العالم الذى يصدف عن الإجتماعات بالناس واللقاءات بالناس، قابعا فى مكتبه أو معمله أو مرسمه منصرفا بكل حواسه إلى عمله، فيتوفر على إجادته وإتقانه والبلوغ به إلى الكمال. إن الرهبنة وإن كانت فلسفة روحانية تسمو بالراهب كإنسان وترفعه إلى مستوى رفيع من التقوى والعبادة والعلم والمعرفة، لكنها فى نفس الوقت تبنى المجتمع الإنسانى بما يجنيه المجتمع من حياة الرهبان الأفاضل من مثل عليا فى الفضيلة، ومن تواليف ودراسات نافعة.

٤٣ ـ الكاهن هو الذى يمنحك الحلّ من نذر الرهبنة (١)

سؤال من الإبن .....

يقول إننى نذرت نفسى أن أكون راهبا ثمّ حدث بعد ذلك أن أُعجبت بإحدى البنات المشتركات فى الكورال، من حيث الأخلاق والأدب، والجمال، وتحوّل الإعجاب إلى حب فما الحل لمشكلتى مع نذر الرهبنة ؟

الجواب :

نعم إنّ الرهبنة نذر. ولذلك فإنّ من الخطأ أن ينذر شاب الرهبنة قبل أن يطمئن تماما إلى صدق عزيمته على حياة البتولية الطاهرة، فإنه كما يقول الكتاب المقدّس «إذا نذرت نذراً لله فلا تتأخر عن الوفاء به.. أن لا تنذر خير من أن تنذر ولا توفى» (الجامعة ٥ : ٤، ٥).

أما وقد أُعجبتَ بالفتاة وتعلّق قلبك بمحبتها، فنحن ننصح لك أن تتحرر من نذر الرهبنة والبتولية، على يد الكاهن المرشد وأب الإعتراف. فالكاهن هو الممثل للسلطة الإلهية، وهو من سلطانه أن يمنحك الحلّ الكهنوتى من نذر الرهبنة، ولكن من بعد أن تمارس التأديب الكنسى الذى تأمر به الكنيسة لمن يكسر نذرا، وليكن مثلاً الصوم ليوم أو أكثر من يوم مع الصلاة والمطانيات مع بعض أعمال الرحمة والعطاء للفقراء أو كما يأمرك به الكاهن المسئول.

٤٤ ـ النذر السابق على الرهبنة (١)

الابن .....

سلام ومحبة ونعمة وبركة

ردا على سؤال الأخ الراهب عن النذر الذى نذره الراهب وهو فى العالم وقبل أن يلبس شكل الرهبنة بالدير، فهل هو مطالب بالنذر الذى نذره قبل الرهبنة؟ علما بأنه نسى هذا النذر حاليا ؟

الجواب :

نجيب بأنه من حيث المبدأ كان يجب الوفاء بالنذر قبل دخول الدير. وإذا كان المفروض فيمن يترهب أن يبيع كل ما يملك ويعطيه للفقراء قبل أن يتبع المسيح فى طريق الكمال، ويحمل الصليب معه (مرقس ١٠ : ٢١)، (متى ١٩ : ٢١) ، (لوقا ١٨ : ٢٢) فبالأحرى يجب وفاء النذر قبل دخول الرهبنة.

أما وقد لبس الراهب شكل الرهبنة وقدّم نذور الرهبنة، فمن الممكن ـ إذا تيسر له ذلك ـ أن يوفى بنذوره من نصيبه الذى يوزعونه على رهبان الدير.

فإذا لم يتيسر ذلك للراهب، فيمكن إعتبار نذره السابق على الرهبنة داخلاً فى نطاق النذر الكبير لحياته كلها للمسيح. على أنه يجب الإفصاح بهذا الأمر لأب إعترافه، فينال الحلّ عن النذر السابق، وحتى لا يتصرف من غير تدبير مرشده الروحى.

---

(١) كتب فى ٢١ من أغسطس ١٩٨٦م ـ ١٥ من مسرى ١٧٠٢ش.

٤٥ ـ هل يتخذ الراهب أبا لذمّته غير رئيس الدير (١)

سؤال من أحد الرهبان :

راهب لا يثق فى أب إعترافه لأسباب كثيرة، علما بأن هذا الأب هو رئيس الدير الذى يجبر ويلزم الرهبان على الإعتراف عليه، بينما أنه لا توجد فى الراهب أدنى ثقة فى هذا الأب الرئيس أو محبة متبادلة أو شعور بأبوته، فهل يجوز للراهب أن يتخذ راهبا آخر ليكون أب إعترافه على الحقيقة، مع إحتفاظه بعلاقته بالأب الرئيس الذى يمكن أن يجلس معه جلسة روحية عامة ؟

الجواب :

أقول : نعم إن هذا جائز، بل هو الواجب، أى يجب أن يتخذ الراهب أباً لذمته كاهنا راهبا يضع فيه ثقته.

فالأصل فى الإعتراف أن يكون لله على يد شيخ روحانى عالم بالشريعة.

بل أقول إن من الخطأ أن يكون رئيس الدير هو أب إعتراف للرهبان، فإنه لا يليق بتاتا، روحيا ورهبانيا، أن يجمع رئيس الدير بين الرئاسة وبين أن يكون أبا لذمة الرهبان. إن الجمع بين الأمرين فتح لأبواب شرور كثيرة، منها : النفاق والرياء والكذب والخداع والخوف والتجسّس والتحيّز، والإذلال.. إلى غيرها من شرور أخرى كثيرة تتعارض جذريا مع كل القيم الروحية والرهبانية.

وعلى ذلك فإننا ننصح للراهب بأن يتخذ أبا لذمته شيخا يثق فى روحانيته وعلمه وحسن تدبيره ـ على أنه لا بأس من أن يتخذ الراهب من الرئيس مرشداً يستشيره فى شئون روحية عامة.

هذا إلى أنه لا داعى بتاتا أن يأخذ حلاً من الرئيس بذلك. فمن حق الراهب أن يتخذ أب إعترافه شيخا متميزا بالروحانية والعلم وحسن التدبير، ولا حجر على حريته فى ذلك، ولا داعى لإستئذان الرئيس فى ذلك، لما يسببه ذلك من حساسية ومن حرج.

ونعمة الرب تشملكم،،،

---

(١) كتب فى ٢١ من أغسطس ١٩٨٦م ـ ١٥ من مسرى ١٧٠٢ش.

٤٦ - لا يجوز إطلاقا الإعتراف على الرهبان

سؤال من فتاة

الجواب :

إجابة على سؤالك بعد أن قرأت خطابك أفيدك بالآتى :

إن من الخطأ الإعتراف على الرهبان. إن الراهب يعترف على الراهب. وفيما عدا هذا ليس للراهب أن يسمع إعتراف العلمانيين، لا الرجال ولا النساء.

إن كنيستنا الأرثوذكسية بها النظامان : نظام الكهنة المتزوجين ثم نظام الرهبان. **وأباء الإعتراف لجمهور المؤمنين فى العالم هم عادة من الكهنة المتزوجين.** أما الرهبان فإذا خدموا فى الكنيسة أو فى العالم فيعفون من سماع الإعترافات ومن إفتقاد المؤمنين فى البيوت. وفيما عدا الإعترافات وزيارة البيوت، يمكن للراهب الكاهن أن يباشر الصلوات والقداسات.

لقد تكلمنا كثيرا، وكتبنا أيضا فى هذا الموضوع : **إن الإعتراف يجب أن يكون على كاهن الرعية وكاهن الرعية هو الكاهن المتزوج.**

اتخذى لك أب إعتراف لا من الرهبان، فهذا لا يجوز إطلاقا، ولكن ينبغى أن يكون شيخا معروفا بروحانيته وبعلمه وبحذقه فى فن قيادة النفوس.

٤٧ - لا يبدأ التوحد إلا تدريجيا

الابن.....

سلام ونعمة وبركة

ردا على سؤالكم كيف كان الأنبا بولا وهو أول السواح يمارس سرّى الإعتراف والتناول طوال فترة توحده فى جبل القلزم، حيث أنه ذكر عنه أنه لم ير خلال هذه الفترة إنسانا ماخلا الأنبا أنطونيوس.

نجيب بأن أمثال هؤلاء الرهبان المتوحدين عموما، لا يبدأ التوحد إلاّ تدريجيا. ففى مبدأ الأمر يكون تحت تدبير كاهن ثم يعتكف فى مكان بعيد عن العمران، لكنه يكون أيضا على مقربة من الكنيسة، ومن الماء ومن مصادر الغذاء الجسدانى. والمعروف فى تاريخ الأنبا بولا بالذات، وكذلك الأنبا أنطونيوس أنه فى مبدأ الأمر كان إعتكاف الواحد منهما فى مكان قريب من النيل، حتى يأخذ منه نصيبه من الماء - وكذلك يروى التاريخ عن القديس الأنبا سمعان الملقب بالأنبا هيدرا الأصوانى أنه كان يراه الناس من وقت إلى آخر يحمل جرة من الماء يملؤها من النيل ماء، ثم يذهب بها إلى صومعته أو قلايته.

فإذا كان يقال إنه لم ير إنسانا - فهذا للدلالة على إعتزاله الإختلاط بالناس، وإعتزاله مجتمع الناس.

إن الأنبا بولا وأمثاله من المتوحدين لابدّ أنه فى مبدأ الأمر كان يذهب إلى أقرب كنيسة مجاورة متخفياً، لا يختلط بالناس ولا يتحدث مع أحد، يدخل الكنيسة ويحضر القداس ويتناول من الأسرار المقدسة ثم يخرج عائدا إلى مكانه فى تدريب صمت وعدم الإختلاط بالناس.

وكذلك شأنه بالنسبة للماء والغذاء، فإنه لا يدخل البرية الجوانية إلاّ بعد فترة طويلة، وبعد أن يكون عرف طريقة للحصول على الماء ثم على نوع من الغذاء - فالأنبا بولا وجد نخلة، ومنها كان يأخذ غذاءه من البلح. أما الخبز فكان يذهب بنفسه ليحصل عليه من مكان قريب أو بعيد، وأخيرا أعد له الرب غرابا يأتى إليه بنصف رغيف فى كل يوم.

وقد ورد فى تاريخ (الأب العظيم فى القديسين العابد المجاهد إبراهيم المتوحد) وكان متوحدا فى مغارة لمدة ست عشرة سنة لكنه (كان يقصد الدير فى كل سنتين أو ثلاث سنوات لتناول الأسرار المقدسة) (السنكسار تحت اليوم الثلاثين من شهر بابه).

وفى الأزمنة القريبة لا يقطع الراهب المتوحد صلته بالدير، فهو يتردد على الدير فى أوقات، لحضور القداس والتناول، ولأخذ نصيب من الطعام يكفيه لأيام، ثم يذهب إلى صومعته فى مكان بعيد، متعبدًا على حدة، ولكنه من وقت إلى آخر يعود إلى الدير للتموين الروحى والجسدى.

وبعد أن يبلغ الراهب المتوحد مرحلة متقدمة فى الوحدة، يتعرف على رهبان متوحدين من أمثاله، تجمعه بهم صلة محبة - يتعزون روحيا بلقائهم معاً، وقد يقصدون معاً إلى كنيسة قريبة أو بعيدة لحضور القداس والتناول من الأسرار المقدسة. وإذا كانت الكنيسة بعيدة، يحدث لهم إختطاف بالجسد. والإختطاف بالجسد ظاهرة روحية مألوفة فى حياة الرهبان المتوحدين المعروفين بالسواح.

والإختطاف بالجسد ظاهرة واردة فى الكتاب المقدس وفى كتب الكنيسة.

ففى الكتاب المقدس نقرأ فى سفر أعمال الرسل عن القديس فيلبس أنه بعد أن عمّد الوزير الحبشى، (خطف روح الرب فيلبس) ونقله من غزة إلى أشدود (أعمال الرسل ٨ : ٢٦ – ٤٠).

وكذلك حدث إختطاف بالجسد للنبى حبقوق وهو فى فلسطين (فأخذ ملاك الرب بجمّته وحمله بشعر رأسه. ووضعه فى بابل عند الجب) وذهب به إلى النبى دانيال عند جب الأسود فى بابل فى العراق، (ورد ملاك الرب حبقوق من ساعته إلى موضعه) فى فلسطين (دانيال ١٤ : ٣٢ – ٣٨).

٤٨ ـ شروط من يرغب فى الرهبنة (١)

العزيز الإبن .....

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح

ردا على خطابكم واستفساركم عن الرهبنة، ننصح بأنه يُشترط فى من يرغب حياة الرهبنة :

أولاً ـ أن يكون مُحباً وعاشقا للبتولية، لذاتها، وفى ذاتها، وأن تكون محبته للبتولية ثابتة، وغير مترددة. لأن الرهبنة نذر إختيارى، (وخير للإنسان أن لا ينذر من أن ينذر ولا يفى) (الجامعة ٥ : ٥).

لذلك يجب أن يتثبت طالب الرهبنة من صدق رغبته فى البتولية لذاتها، وفى ذاتها، وأن يتريث، ولا يتسرع بالنذر قبل أن يطمئن إلى نجاحه فى حياة الطهارة روحاً وفكراً وجسداً.

فإذا كان متردداً، فالزواج أصلح له، (لأن الزواج أصلح من التحرّق) (١ . كورنثوس ٧ : ٩).

ثانياً ـ على طالب الرهبنة أن يتثبّت من محبته للوحدة أى إعتزال العالم للتعبّد.

لأن الرهبنة فى تعريفها هى نذر التبتل لله، مع إختيار الفقر طوعا، وإعتزال العالم للتعبد.

فإذا لم يكن طالب الرهبنة يُحب الوحدة، ويعرف أن يستغل وقته، ويملأه بكل ما يبنى الشخصية الروحية من عبادة، ودرس فى الكتب، يمكن أن يحاربه الملل، أو الرغبة فى الحياة الإجتماعية.

لذلك يلزم أن يتثبّت طالب الرهبنة من إستيفاء شروط الحياة الرهبانية ومقوماتها، قبل أن يسرع بالنذر، حتى لا يعاوده الندم.

ونعمة الرب تشملكم،،،

---

(١) كتب فى ١٣ من اكتوبر١٩٩٢م ـ ٣ من بابه ١٧٠٩ش.

٤٩ ـ يراوده فكر الرهبنة (١)

سؤال من السيد .....

يقول أن فكر الرهبنة يراوده، وقد تردد فى مبدأ الأمر، ولكنه يجد ميله يزداد قوة، وطريقه إليها يشتد وضوحا. وهو مع ذلك يطلب الإرشاد قبل أن ينضم بالفعل إلى سلك الرهبان

الجواب :

قرأت خطابك، وفهمت مشاعرك وإحساساتك ويبدو واضحا من عرضك لتطورك الروحى والنفسى أن دعوة الرهبنة ملّحة عليك بصورة جلية.

لذلك مادامت الدعوة فى هذا الوضوح، فاستجب لها، مصليا بملء الخضوع أن تسير فى طريق الكمال بغير عوج أو إلتواء.

وليكن مثلك الأعلى السيد المسيح، وكبار لباس الإسكيم، ولا تلتفت يمينا أو شمالا لترى بشرا من الأحياء، ولا تدع سلوك شخص أو أشخاص يعثرك أو يحوّل فكرك عن التطلع شاخصا إلى الرب يسوع المسيح مثلنا الأعلى الحقيقى، وقدوتنا الكاملة.

واعلم أن طريق الرهبنة يتمثل فى نقطتين أساسيتين :

أولاً ـ البتولية الدائمة مدى الحياة.

ثانيا ـ الوحدة والإنفراد والعزلة عن العالم.

وعليك أن تسأل ذاتك : هل أصلح حقا للبتولية الدائمة، وهل هى طريقى، أم هى طريق أسير فيه بتغصب من أجل غرض آخر. ينبغى أن تكون البتولية مقصودا إليها لذاتها، وليست وسيلة لغرض آخر حتى لو كان هو الخدمة ـ ينبغى أن تكون البتولية هدف الراهب فى ذاتها، وأن تبدو أمام عينى قلبه مجيدة لذاتها، وشريفة لذاتها، ومحبوبة لذاتها.

ثانيا ـ هل تراك سعيدا فى الوحدة. وهل إذا قضيت وقتك كله فى غرفة لا تخرج منها يوما أو أكثر من يوم، هل ستملأ وقتك كله بما يفيد روحك ونفسك؟ أم أنك تشعر بالضيق من الوحدة؟ ثم إذا كانت الوحدة والإنفراد فى الدير أو فى مغارة هى لك كل الحياة، هل ستكون بها سعيداً ؟ عليك أن تمتحن ذاتك حتى لا تندم على الطريق فيما بعد، وفيما لو أنك بقيت فى الدير ؟

---

(١) كتب فى ٥ من يونيه ١٩٧٩م ـ ٢٨ من بشنس ١٦٩٥ش.

واعلم أيضاً أن الراهب ينبغى أن يوزع وقته بين ثلاثة مهام أساسية.

الأولى ـ الصلاة والعبادة.

الثانية ـ القراءة والدرس.

الثالثة ـ العمل اليدوى.

ويختلف نصيب الراهب من كل تلك المهام بحسب تطوره النفسى، فيكون العمل اليدوى أكثر بالنسبة للمبتدئ ويزداد الوقت المخصص للصلاة وللدرس كلما تقدم الراهب فى حياة الرهبنة.

وينبغى أن لا يترك الراهب دقيقة واحدة من وقته بلا عمل فى أى من تلك المهام الثلاثة، بحيث لا يكون فى حياته فراغ. يقول الآباء، آباء الإسكيم أن الراهب الذى يشتغل يحاربه شيطان واحد، والذى لا يشتغل تحاربه شياطين كثيرة.

ويقولون : أن عقل الكسلان معمل للشيطان.

فإذا سرت فى طريق الرهبنة، فانشد الكمال. اطلب أن تدخل إلى أعماقها ولا تكتفى بسطحيات الأمور. عش فى الداخل أكثر من الخارج ولكن لا تفتعل الأمور. كن طبيعيا، وليكن نموك طبيعيا. فلا تندفع بفورات العاطفة، ولكن اضبطها بالعقل والحكمة، وروح الصلاة والتريث.

٥٠ ـ الرهبنة نذر التبتل واعتزال العالم للتعبد

سؤال من الإبن .....

يقول إنى شاب فى المرحلة الثانوية ولى إشتياق لحياة الرهبنة ولى بعض الأسئلة :

١ ـ ما هى السن التى أبدأ فيها فى التفكير فى الرهبنة ؟

٢ ـ ما هى تصرفاتى المناسبة ؟

الجواب :

جاء فى بعض المصادر أنه من المستحسن أن لا تقل سن الراغب فى الرهبنة عن الثانية والعشرين، علما بأنّ مفهوم الرهبنة هو :

١ ـ نذر التبتل لله. ٢ ـ إختيار الفقر عن طواعيه. ٣ ـ إعتزال العالم للتعبد.

هذه هى الأركان الثلاثة للرهبنة.

ويضاف إليها ركن رابع هو الطاعة والخضوع لتدبير أب الدير.

وللإجابة على أسئلتك الأخرى.

ننصح بأن تتمم دراستك العلمية قبل دخول الدير، وفى هذه الأثناء تحافظ على طهارتك، وتمتحن نفسك إذا كنت قادراً على أن تحفظ بتوليتك، وأن تكون محبتك للبتولية، هى فى ذاتها ولذاتها، وليس لهدف آخر، أى لا يكون هدفك الحقيقى الحصول على درجة كهنوتية، ولابد أن تمتحن ذاتك قبل أن تنذر الرهبنة لئلا يتعقبك الندم على عدم الزواج. فالرهبنة نذر التبتل «وأن لا تنذر خير من أن تنذر ولا تفى» (الجامعة ٥ : ٥).

فإذا كنت متردداً، أو كانت رغبتك فى البتولية أقل من مائة فى المائة، فلا تسرع بنذر الرهبنة أو البتولية قبل أن تكون واثقا من نفسك حتى لا تندم فيما بعد، كما جاء فى الكتاب المقدس «فإذا لم يطيقوا العفاف فليتزوجوا، لأن الزواج خير من التحرق بالشهوة» (١ . كورنثوس ٧ : ٩).

كذلك ننصحك، قبل أن ترتبط بنذر الرهبنة أن تتردد على بعض الأديرة فى خلوات روحية لبضعة أيام لترى ما إذا كان طريق الرهبنة يصلح لك، وأنت تصلح له..

وعلى العموم يجب أن تتريث وقتا كافيا قبل أن تقرر نذر الرهبنة.

ثم إنه يتضح من خطابك أنك تبغى التبشير فى البلاد التى لم تصلها المسيحية على قولك. ولهذا يلزم أن تتجه للتلمذة والإلتحاق بالكلية الإكليريكية لتحصل على المؤهلات اللاهوتية التى تتمكن بها من الخدمة، وأن ترجئ الرهبنة إلى وقت آخر.

---

(١) كتب فى ٢١ من أغسطس ١٩٨٦م ـ ١٥ من مسرى ١٧٠٢ش.

كلمات عن الرهبنة (١)

+ (الرهبان) فهموا عن الله، وساروا إلى الله، وأعرضوا عما سوى الله، خرقت الحجب أنوارهم، وجالت حول العرش أسرارهم، وجلّت عند ذى العرش أخطارهم، وعميت عما دون العرش أبصارهم، فهم أجسام روحانيون، وفى الأرض سماويون، ومع الخلق ربانيون، سكوت نظار، غيب حضار، ملوك تحت أطمار. (التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذى ص ٤).

+ تركوا الدنيا فخرجوا عن الأوطان، وهجروا الأخدان (الأصدقاء)، وساحوا فى البلاد، وأجاعوا الأكباد، وأعروا الأجساد (التعرف ص ٥).

+ (الراهب) من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر (الحقائق الروحية) وانقطع إلى الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمدر (الطين) (التعرف ص ٩).

+ من لوازم الرهبنة : قلة الكلام، قلة المنام، قلة الطعام.

+ الوحدة هى ذلك البحر الذى يتصاعد منه الماء، فينعقد سحابا ويهبط أفكاراً من حين إلى حين.

الوحدة هى المحجر الروحى... الذى لا غنى عنه لكل صاحب رسالة عقلية أو دينية (فيكتور هيجو).

الوحدة هى الصفحة البيضاء التى يرسم عليها الإنسان مشاهد الطبيعة وخلجات الحياة.

مقال هام عن الرهبنة والتوحد بعنوان خطاب من مرشد روحانى حول حياة الكمال المسيحى - بمجلة مدارس الأحد سنة ١٦ عدد ٤ (مايو ١٩٦٢ - برمودة ١٦٣٨ صفحة ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٣.

---

(١) كلمات عن الرهبنة جمعها نيافته بمعرفته.

٢- فهرس الموضوعات

صفحة

إهداء ٧

فلسفة الحياة الرهبانية ٨

١ - مبدأ التخبئة ١٠

٢ - مبدأ التجرد ١٣

٣ - مبدأ نذر البتولية ١٧

٤ - مبدأ معرفة النفس ١٩

٥ - مبدأ التحكم وضبط النفس ٢١

الفرق بين الرهبنة المسيحية والرهبنة الوثنية ٢٢

خبرات لبعض الرهبان ولكنها ليست نماذج ٢٥

٦ - مبدأ الاعتزال ٢٧

التطور النفسى والروحى للراهب - مقامات الرهبنة السبعة ٣١

مفهوم الموت للراهب ٣١

الرهبنة نقطة تحول ٣٢

أولا : تلميذ رهبنة ٣٣

ثانيا : راهب مبتدئ ٣٣

ثالثا : العابد ٣٤

رابعا : الناسك ٣٤

خامسا : المتوحد ٣٦

سادسا : السياحة ٣٧

أ - السياحة الجسدية ٣٧

ب - السياحة الروحية ٣٧

سابعا : الرؤية الإلهية (الثيئوريا) ٣٨

الرهبنة هى الوصول إلى الأصول ٤٢

القصد من الرياضات الروحية ٤٢

لماذا صلاة الموتى على الراهب ٤٤

فى الكنيسة طرازين من الأباء ٤٤
الوصول إلى الأصول ٤٦
هل الرهبنة ابداع مصرى ؟ ٥٠
عناصر الرهبانية الثلاثة ٥١
نظم الرهبانية ٥٥
درجات الرهبانية ٥٧
فضل الرهبنة على العالم ونفع الرهبان لغيرهم من الناس ٥٨
الرهبنة وغايتها ٦٠
مفهوم الرهبنة ٦٠
ماهية هذه الدعوة ٦٠
غاية الرهبنة ٦١
الرهبنة القبطية ٦٥
التوحد ٦٧
رهبان الأقباط كرزوا بالإنجيل فى بريطانيا وايرلندا ٦٩
أشهر رجال الرهبانية ٧٣
الأنبا بولا السائح ٧٣
الأنبا انطونيوس المصرى أبو الرهبان ٧٥
تأملات فى حياة القديس أنطونيوس ٧٨
تكريم القديس انطونيوس ٨٩
الأنبا باخوم المعروف بأبى الشركة ١٠٠
القديس مقاريوس الكبير ١٠٣
الأنبا شنوده رئيس المتوحدين ١١٥
الأسئلة والإجابات عليها : ١٢١
١ ـ النظام الأنطونى والنظام الباخومى ١٢٢
٢ ـ حياة الراهب داخل القلاية ١٢٤
٣ ـ هل هناك سواح الآن ؟ ١٢٦

٤ ـ هل يوجد سواح من العلمانيين ؟ ١٢٧
٥ ـ هل الرهبنة طريق التوبة ؟ ١٢٧
٦ ـ حياة البتولية ١٢٧
٧ ـ هل الرهبنة نتيجة أمر إلهى فى الكتاب المقدس ؟ ١٢٨
٨ ـ التكريس والرهبنة ١٢٩
٩ ـ هل الرهبنة هروب من الحياة ؟ ١٣١
١٠ ـ الرهبنة أم الخدمة ١٣٣
١١ـ القوانين والنظم الرهبانية ١٣٦
١٢ ـ الرهبنة ليست طريقك ١٣٧
١٣ ـ اترك الرهبنة فورا من أجل خلاصك ١٣٩
١٤ ـ واجبات المتقدم للرهبنة ١٤٠
١٥ ـ امتحن نفسك أولا ١٤١
١٦ ـ أنصح لكِ الآن أن تؤجلى النذر ١٤٣
١٧ ـ ترددك على الأديرة أمر نافع ١٤٣
١٨ ـ تردد مبدئيا على الأديرة ١٤٤
١٩ ـ امتحن صدق رغبتك ١٤٥
٢٠ ـ شرط الرهبنة الأساسى صدق الرغبة مع عدم التردد ١٤٦
٢١ ـ تمتحنين نفسك فى محبتك للبتولية فى ذاتها ولذاتها ١٤٧
٢٢ ـ لا تهمل واجبك المقدس ١٤٨
٢٣ ـ لا أنصح لك بالخروج من الدير بقصد التلمذة على أحد ١٥٠
٢٤ ـ يجب أن ترجئ الرهبنة، أسرتك فى حاجة إليك ١٥١
٢٥ ـ يبدو أن طريق الرهبنة ليس طريقك ١٥٢
٢٦ ـ هل ينضم إلى سلك الرهبنة ؟ ١٥٣
٢٧ ـ ننصح لك مرة أخرى أن ترجئ فكرة الرهبنة الآن ١٥٤
٢٨ ـ ننصح بإرجاء الرهبنة ١٥٥
٢٩ ـ نرى إرجاء النذر حتى تكون واثقا تماما ١٥٦

٣٠ ـ مواصلة التلمذة هى فرصة الراهب الذى لا يتوقف عن الدرس ١٥٧
٣١ ـ ليس للرهبنة سن معينة للرجال ١٥٨
٣٢ ـ لماذا كانت الرهبنة طريق الكمال ؟ ١٥٩
٣٣ ـ لا يسمح لك بالرهبنة بدون موافقة زوجتك ١٦٢
٣٤ ـ لا تيأسى إذا كنت حقا راغبة فى حياة الرهبنة ١٦٢
٣٥ ـ أب اعترافك يوجهك إلى الرهبنة ويزكيك ١٦٣
٣٦ ـ هل يمكن لبروتستانتى أن يترهبن ؟ ١٦٤
٣٧ ـ هل يفى بنذر حياته للرهبنة ؟ ١٦٦
٣٨ ـ هل يذهب فوراً إلى الدير ؟ ١٦٧
٣٩ ـ هل يترك دراسته ويترهب ؟ ١٦٨
٤٠ ـ لا تعارض بين الرهبنة والحياة الزوجية المثمرة ١٦٩
٤١ ـ لا تجوز لك الرهبنة فى الدير ١٧٢
٤٢ ـ قيمة حياتنا الرهبانية فى عصرنا ١٧٤
٤٣ ـ الكاهن هو الذى يمنحك الحل من نذر الرهبنة ١٧٦
٤٤ ـ النذر السابق على الرهبنة ١٧٧
٤٥ ـ هل يتخذ الراهب أبا لذمته غير رئيس الدير؟ ١٧٨
٤٦ ـ لا يجوز إطلاقا الإعتراف على الرهبان ١٧٩
٤٧ ـ لا يبدأ التوحد إلا تدريجيا ١٨٠
٤٨ ـ شروط من يرغب فى الرهبنة ١٨٢
٤٩ ـ يراوده فكر الرهبنة ١٨٣
٥٠ ـ الرهبنة نذر التبتل واعتزال العالم للتعبد ١٨٥
كلمات عن الرهبنة ١٨٦
الفهارس ١٨٧
١ ـ فهرس النصوص المقتبسة من الكتاب المقدس ١٨٧
٢ ـ فهرس الموضوعات ١٨٩

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسوعة الأنبا غريغوريوس

الدراسات الفلسفية

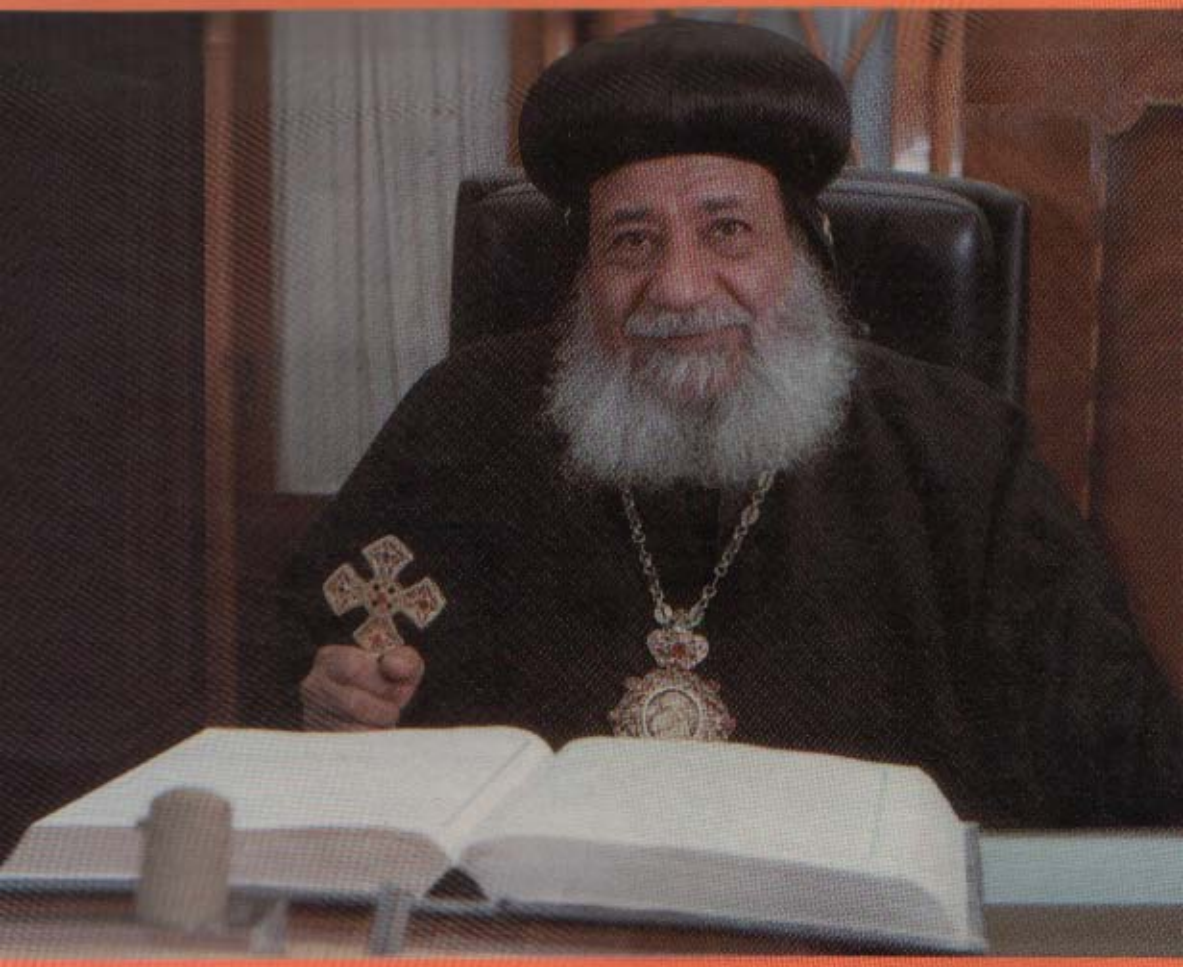

للمتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمي

موسوعة الأنبا غريغوريوس

٤ - فى الدراسات الفلسفية

بقلم

المتنيح الأنبا غريغوريوس

أسقف عام

للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية

والبحث العلمى

الكتاب : موسوعة الأنبا غريغوريوس ـ ٤ ـ دراسات فلسفية.

المؤلف : المتنيح الأنبا غريغوريوس.

إعداد : الإكليريكى منير عطية.

الناشر : مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس.

دير الأنبا رويس بالعباسية مصر ت: ٦٨٢٤٩٦٢ ـ ٤٨٨٢٥٢٢

المطبعة : شركة الطباعة المصرية ت: العبور ٦١٠٠٥٨٩

تصميم الغلاف : الفنان عادل لبيب.

الجمع : شركة فاين للطباعة والتوريدات ت: ٤٨٢٠٩٠٣

رقم الإيداع بدار الكتب : ١٩٩٦/٢٠٠٤

حقوق الطبع محفوظة لمكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث



نيافة الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس

مقـــدمة

هذه مجموعة مذكرات فى الدراسات الفلسفية، كتبها المتنيح الأنبا غريغـــوريوس (الدكتور وهيب عطا الله جرجس) بعد تعيينه معيداً بالكلية الإكليريكية فى عام ١٩٤٤.

وقد أشار لذلك صاحب القداسة البابا شنودة الثالث، فى كلمة وداعه الأخير فى اكتوبر ٢٠٠١، فقال غبطته : « بدأ التدريس فى الكلية الإكليريكية، ودرس مواداً جديدة لم ينافس فيها أحداً... فكان يدرس اللاهوت الأدبى، وكان يدرس الفلسفة، وله مؤلف كبير فى اللاهوت الأدبى وفى الضمير والمسئولية الأدبية، **وكان يدرس الفلسفة بكل أنواعها، درس الفلسفة الغربية، والفلسفة الشرقية، والفلسفة اليهودية والوجودية والاشتراكية وله كتب فى كل هذا، مع فلاسفة مدرسة الأسكندرية أيضاً مثل أثيناغوراس وبنتينوس ومن فلاسفة الغرب أغسطينوس**، وفى نفس الوقت الذى درس فيه اللاهوت الأدبى والفلسفة، درس أيضاً اللاهوت المقارن، وبخاصة اللاهوت المقارن القديم، وله كتب فى الأبيونية، والأبوليناريوسية والنسطورية وغيرها.....».

واستمرت تطبع هذه المذكرات بنظام الماستر، أى لا يزيد عدد الطبعة عن خمسمائة نسخة، ويعاد طبعها تباعاً حتى الآن.

ورأينا أن نعيد طباعتها بطريقة أفضل، بعد إعادة تجميعها وتبويبها فى مجلدات، مع إضافة الأسئلة المختلفة حول الموضوع وإجاباتها.

وسنفرد أجزاء منها لتضم سير من شخصيات الكتاب المقدس، ومن القديسين، وكذلك الدراسات الفلسفية وترجمة لحياة بعض الفلاسفة، وكذلك ستكون أجزاء للموضوعات الكنسية المتنوعة، والموضوعات العامة بعد تبويبها، بحيث تشمل أجزاء هذه الموسوعة كل كتابات المتنيح الأنبا غريغوريوس التى لم تنشر أو نفذت بعد نشرها.

وذلك لكى نوسع دائرة الإستفادة منها للجميع، كما نحمى هذا التراث من الضياع، ولتأخذ هذه المطبوعات رقم إيداع، لحماية هذه المطبوعات من النشر عن أى طريق آخر غير مكتبة الأنبا غريغوريوس، التى تكرم مشكوراً صاحب الغبطة والقداسة البابا شنودة الثالث، وخصص لها مكاناً، بالدور الثالث بمبنى الأنبا رويس بالبطريركية الجديدة بالعباسية.

ها نحن قد بذرنا البذرة الأولى، والرب وحده القادر أن ينميها، ويكلل مشروعنا هذا بالنجاح بصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث، أدام لنا الرب حياة قداسته، ومتعنا الرب برئاسته للكنيسة ولنا، أباً وراعياً، وحفظ الله قداسته بكل سلامة متمتعاً بكامل الصحة والعافية، ونفعنا الرب ببركة صلوات غبطته.

الإكليريكى منير عطية

الفلسفة المسيحية الشرقية

مقدمة

نظرة عامة إلى الفلسفة

إذا كانت الفلسفة هى محبة الحكمة Φιλοσοφία وإذا كانت الحكمة تبتغى رأياً صحيحاً فى الكون ومبدع الكون، وتريد أن تتعرف إلى حقيقة الوجود ومركز الإنسان فى الكون، فإن الفلسفة هى محاولة الإنسان الذى ينشد الحقيقة فيما يتعلق بالله والكون والنفس البشرية وقوانين الخلق ومعايير الفضيلة، ونظام المجتمع الصالح. لكن الفلسفة لا تزعم يوماً من الأيام أنها قد أدركت الحقيقة، أو أنها أمسكت بناصية اليقين فهى بحث دائب لا ينقطع ، ومجهود متواصل لا يهن ولا يقف، وليس ذلك معناه أن لا سبيل إلى إدراك الحق وبلوغ اليقين، وليس معناه أن الحقيقة وهم أو خيال لا وجود لها، بل معناه أن الوصول إلى هذه الحقيقة صعب المنال، وأنه مهما أدركنا من حقائق فستظل الحقيقة العليا بعيدة عن منسوب الإنسان وعالية عن إدراكه ومناله.

ولعل السبب فى أن الفلسفة ليست إلا محاولة قد تكون صائبة وقد تكون خائبة، هو أن الفلسفة تعتمد على العقل والتفكير، - ولما كان عقل الإنسان محدوداً قاصراً لا يستطيع أن يدرك الحقيقة كلها مهما كان جباراً ذا قدرة نافذة وذكاء فائق، ولا يمكنه أن يحيط بها من جميع نواحيها، فإننا لا نستطيع أن نركن إلى فلسفة بعينها، ومن الخطأ أن نطمئن إلى آراء فيلسوف دون آخر، وإذن يجب أن لا نتعصب لرأى بذاته ظانين أنه الحقيقة، بل يجب على من يدرس الفلسفة أو من يطلب الحقيقة، أن يرحب بكل رأى مهما كان شاذاً وغريباً . وأن يدرس كل قول يكون جديداً أو عجيباً، ويعمل عقله فى هذه الآراء وينقدها ويمحصها ليخلص منها إلى الرأى الصائب، الذى ينظر إلى جميع نواحى المشكلة بقدر الإمكان، فإذا اتضح له فيما بعد أنه قد أهمل ناحية أخرى، فليجعل لها اعتباراً. وهكذا يتقدم الفكر ويتطور الذهن فى فهمه للحقيقة الغامضة.

ومهما يكن من شئ، فإن عقول الخلق متباينة، ولذا تكون آراؤهم فى كثير من الأحيان متضاربة متعارضة، أو على الأقل غير متوافقة أو متفقة، ونحن لسنا فى حاجة إلى تعليل هذه الظاهرة الواقعة، فمن الواضح أن الناس مختلفون فى ملكاتهم العقلية، وأنهم على غير درجة واحدة من الذكاء الفطرى أو سائر الملكات العقلية من تفكير وتخيل وتذكر وتعليل واستنتاج، فضلاً عن عوامل الوراثة والبيئة المنزلية والعائلية والإجتماعية، بل وعوامل التربية والثقافة وطبيعة الدراسة والروح الإجتماعية السائدة فى العصر، ومدى الرقى والنهوض الذى أدركه الشعب الذى ينتمى إليه... إلى آخر تلك العوامل التى يكون لها دون شك، تأثير بعيد المدى فى تكوين شخصية الإنسان، وطبع تفكيره بطابع خاص يتميز به عن سائر الناس أجمعين، ثم يجب

أن لا ننسى كذلك تأثير التجارب الإنفعالية التى مر بها المفكر، والصدمات النفسية التى أصابته من بيئته أو من الأشخاص المتصلين به، أو مدى التشجيع الذى أصابه أو الاضطهاد الذى لحقه وتأذى به.

يجب إذن على الباحث فى تاريخ الفلسفة أن يعتبر كل هذه العوامل، حتى يكون على بينة من المؤثرات المختلفة التى أثرت على تفكير كل فيلسوف، ولكى يستطيع من بعيد أن يعدل أو يدرك السبب فى تضارب الفلاسفة فى النتائج التى انتهت إليها بحوثهم، وحينئذ لا يروعه هذا التناقض أو الاختلاف، مادام قد عرف أن نقطة البدء عند كل فيلسوف ليست واحدة، وأن نقطة البدء هذه، قد عملت على تكوينها عوامل مختلفة: منها المواهب الطبيعية والملكات الخلقية، ومنها البيئة عائلية كانت أو ثقافية أو إجتماعية ومنها العوامل النفسية والتجارب الإنفعالية والأمزجة والميول والنزعات.

وإذن، فيحق لنا أن ننبه إلى أن الفيلسوف ليس عقلاً محضاً أو مفكراً بحتاً، وإنما هو إنسان: يخضع لما يخضع له الناس فى الحياة، ويتأثر بما يتأثرون به فيها من خير وشر، أى أن للعوامل النفسية والوجدانات والعادات أثراً فى توجيه فكره وقيادة ذهنه، وإن كان أثر التفكير عند الفيلسوف أقوى من أثر العوامل النفسية.

فإذا كان الأمر كذلك، وكان الفكر محدوداً لا يحيط بجميع نواحى المشكلات، وكان الفلاسفة مختلفين فى أفكارهم التوجيهية، أو نقطة البدء فى فلسفاتهم، ومختلفين كذلك فى أسلوب تفكيرهم ومنهج بحوثهم، ومختلفين بالتالى فى نتائج تفكيرهم وحاصل فلسفتهم، فلا سبيل إذن للوصول إلى حقيقة واحدة، أو إلى الحقيقة المطلقة...

رجال الدين والفلسفة

الفلسفة محبة الحكمة، فسقراط يوم وصفوه بالحكيم تواضع وقال: لست حكيماً وإنما محب للحكمة، ومن هنا جاءت كلمة فيلسوف وهى يونانية تتألف من مقطعين φίλος أى محب، ثم σοφία ومعناه حكمة.

فإذا كانت الفلسفة محبة للحكمة فهل يعقل أن تناهضها المسيحية!!!

إن الدين يطرى الحكمة ويغبط الحكماء ويلح علينا أن نسأل الحكمة ونجد فى أثرها، وليس أدل على ذلك من قول الحكيم سليمان: «طوبى للإنسان الذى يجد الحكمة وللرجل الذى ينال الفهم، لأن تجارتها خير من تجارة الفضة وربحها خير من الذهب الخالص هى أثمن من اللآلئ، وكل جواهرك لا تساويها، فى يمينها طول أيام، وفى يسارها الغنى والمجد، طرقها طرق نعم وكل مسالكها سلام، هى شجرة حياة لممسكيها والمتمسك بها مغبوط» (١) وقد كرس لها سليمان سفراً بتمامه دعاه باسمها وهو «سفر الحكمة».

والحكمة نوعان: نظرية وعملية ، أما النظرية فهى كمال المعرفة، وأما العملية فهى حسن تصريف الأمور، أو هى حسن السلوك، وكلا النوعين مرغوب فيه من الله بل ومطلوب ولا سيما لرجال الدين، قال الحكيم: «اقتن الحكمة، اقتن الفهم.. لا تتركها فتحفظك، أحببها فتصونك، الحكمة هى الرأس، اقتن الحكمة، وبكل مقتناك اقتن الفهم، ارفعها فتعليك، تمجدك إذا اعتنقتها، تعطى رأسك إكليل نعمة، تاج جمال تمنحك» (٢) هذا عن الحكمة النظرية، أما عن الحكمة العملية فقد مدح السيد وكيل الظلم إذ بحكمة صنع (٣) وقال: «كونوا حكماء كالحيات» (٤) وقال الحكيم سليمان: «ورابح النفوس حكيم» (٥) وقال الرسول «اسلكوا بحكمة من جهة الذين هم من خارج» (٦)، وقال الحكيم: «السالك بحكمة هو ينجو» (٧)، وقال ماريعقوب «من هو حكيم وعالم بينكم، فليرِ أعماله بالتصرف الحسن» (٨).

وكم كان يسر إلهنا بطالبى الحكمة فقال لسليمان: «من أجل أنك سألت لنفسك حكمة ومعرفة تحكم بهما على شعبى.. قد أعطيتك حكمة» (٩).

---

(١) أم ٣: ١٣ ـ ١٨، أم ٨: ١١.
(٢) أم ٤: ٤ ـ ٨، أم ٢٣: ٢٣.
(٣) لو ١٦: ٨.
(٤) مت ١٠: ١٦.
(٥) أم ١١: ٣٠.
(٦) كو ٤: ٥.
(٧) أم ٢٨: ٢٦.
(٨) يع ٣: ١٣.
(٩) ٢. أى ١: ١٠ ـ ١٢

«وأعطى الله سليمان حكمة وفهما كثيراً جداً ورحبة قلب كالرمل الذى على شاطئ البحر، وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بنى المشرق، وكل حكمة مصر، وكان أحكم من جميع الناس، من إيثان.. وكان صيته فى جميع الأمم حواليه، وتكلم بثلاثة آلاف مثل، وكانت نشائده ألفاً وخمسمائة، وتكلم عن الأشجار من الأرز الذى فى لبنان إلى الزوفا النابت فى الحائط، وتكلم عن البهائم وعن الطير وعن الدبيب وعن السمك، وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان» (١) .. ولقد اتخذ الرسول يعقوب من هذه الواقعة عبرة فأنشد يقول: «إن كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله» (٢) لأن عنده الحكمة والقدرة، له المشورة والفطنة» (٣) .. «والله يؤتى الإنسان الصالح قدامه، حكمة ومعرفة» (٤) .

فإذا كانت الحكمة من الله، وقد وهبها لسليمان وموسى ودانيال ويوسف وبولس (٥) وإذا كان رجال الدين تعوزهم هذه الحكمة وقد وعدهم السيد المسيح بقوله: «أنا أعطيكم فماً وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها» (٦) وإذا كان يشترط فى المنتخب للخدمة الدينية أن يكون «مملوءاً من الروح القدس وحكمة» (٧) فكيف تفسر قول الحكيم: «فى كثرة الحكمة كثرة الغم» (٨) وقول الرسول: «اختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء» (٩) وقوله: «لا يخدعن أحد نفسه، إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر فليصر جاهلاً لكى يصير حكيماً ، لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله، لأنه مكتوب الآخذ الحكماء بمكرهم وأيضاً الرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة» (١٠) .

هنا لابد أن نفرق بين نوعين من الحكمة: بين حكمة الله وحكمة الناس، أما الحكمة الإنسانية فهى هذه الحكمة الأرضية النفسانية الشهوانية الجسدانية التى توجهها النزوات الطائشة والرغبات الجامحة. لعل الحكماء قد استغلوا فيها عقولهم ولكنهم قد أساءوا هذا الاستغلال، فانحرفت بهم عقولهم فانزلقوا إلى مهاوى الرذيلة والفساد، إذ أن بعض الفلاسفة والحكماء قد اغتروا بعقولهم فظنوا أنهم قادرون بالعقل وحده على أن يصلوا إلى كل نوع من الحقيقة، حتى هذه الحقيقة التى لا يمكن أن تلحق بها عقولهم، فحدث أن طاش سهمهم، ولكنهم فى غرورهم لم يحسوا بخيبتهم فظلوا مكابرين مدعين وقد أنكروا حقائق العالم الآخر، زعماً منهم أن ذلك لا يوافق العقل ولا يطابقه، وبعض آخر من الفلاسفة أوالحكماء كانوا أشراراً أو ميالين إلى الشر، فاظلمت عقولهم

(١) ١. مل ٤: ٢٩ ـ ٣٤.
(٢) يع ١: ٥.
(٣) أى ١٢: ٣.
(٤) جا ٢: ٢٦.
(٥) راجع (دا ١: ١٧)، (٥: ١٤)، (أع٧: ١٠)، (خر ٣١: ٣)، (٢. بط ٣: ١٥).
(٦) لو ٢١: ١٥.
(٧) أع ٦: ٣.
(٨) جا ١: ١٨.
(٩) ١. كو ١: ٢٧.
(١٠) ١. كو٣: ١٨ ـ ٢٠.

الغبية وانكروا الفضيلة ونادوا باللذة العاجلة أو اللذة الآجلة، وبالاستمتاع بالشهوات وإطلاق العنان للغرائز والميول المنحطة وخدعوا بذلك أهل عصرهم، ولذا يقول الرسول: «تنبهوا لئلا يغركم أحد بالفلسفة وبحيل باطلة» (١).

ليس معنى ذلك أن جميع الفلاسفة والحكماء نبذوا الإلهيات ومبادئ الأخلاق، بل أن بعضاً منهم فقط ممن ارتأوا لعقولهم فوق ما ينبغي، أو ممن فتشوا لنفوسهم عن سبيل رحب يوسع لهم كل هواياتهم ولذاتهم. وهذا هو الفريق الذى لم يستطع أن يدرك الله إدراكاً صحيحاً، أو يصل إلى مبادئ الأخلاق فشوشوا على الناس وأغلقوا عليهم، فلم يستطيعوا أن يدركوا الله بعقولهم ولذا لم يجد رسل المسيح داعياً أن يكلموا الناس عن طريق الفلسفة والعقل، لئلا يحسب الناس دين المسيح مذهباً جديداً من المذاهب الفلسفية التى ألفوها، فيهرعون إلى بحثها بالعقل ويتركون قلوبهم بعيدة عن تذوق جمالها وفائدتها بالإيمان، قال الرسول أنه يبشر بالمسيح «لا بحكمة كلام لئلا يتعطل صليب المسيح. فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله. لأنه مكتوب سأبيد حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء. أين الحكيم، أين الكاتب، أين مباحث هذا الدهر؟ ألم يجهل الله حكمة هذا العالم، لأنه إذ كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة، استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة؛ لأن اليهود يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة، ولكننا نحن نكرز بالمسيح قوة الله وحكمة الله، لأن جهالة الله أحكم من الناس وضعف الله أقوى من الناس» (٢)

ومع أن القديس بولس الرسول قد درس الفلسفة لقيمة «فلسفة اليونان» وكان يمكنه أن يشعر بقيمة هذه الفلسفة، لكنه آثر أن يترك البرهنة على تعاليم المسيحية بأدلة عقلية فلسفية لأنه يؤمن أن الروح القدس يستطيع أن يقنع القلوب، بسلطان أقوى من الأدلة الفلسفية التى هى أضعف من أن تدعم أفكار الله العالية عن عقول الناس، ولذا يشرح منهجه فى البشارة مقارناً بين حكمة الناس وحكمة الله قائلاً: «وأنا لما أتيت إليكم أيها الأخوة (بكورنثوس فى بلاد اليونان) أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة منادياً لكم بشهادة الله، لأنى لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً.. وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة (الإنسانية) المقنع بل ببرهان الروح والقوة، لكى لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله» .. «لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين، ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر ولا من عظماء هذا الدهر الذين يبطلون، بل نتكلم بحكمة الله فى سر، الحكمة المكتومة التى سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا، التى لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر، لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد، بل كما هو مكتوب ما لم تر عين ولم

---

(١) كو ٢: ٨.

(٢) ١. كو ١: ١٧ ـ ٢٥.

تسمع إذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه، فأعلنه الله لنا نحن بروحه لأن الروح يفحص كل شئ حتى أعماق الله... ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله، التى نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل بما يعلمه الروح القدس... لأنه من عرف فكر الرب فيعلمه » (١).

فحكمة الناس من الأرض وحكمة الله من السماء، وحكمة الناس متغطرسة مدعية متطاولة وحكمة الله عالية ساكنة متضعة، حكمة الناس قاصرة وحكمة الله كاملة، ويقول الرسول القديس يعقوب «ليست هذه الحكمة (الإنسانية) نازلة من فوق بل هى أرضية نفسانية شيطانية، لأنه حيث الغيرة والتحزب هناك التشويش وكل أمر ردئ، وأما الحكمة التى من فوق فهى أولاً طاهرة ثم مسالمة مترفقة مذعنة مملوءة رحمة وأثماراً صالحة عديمة الريب والرياء » (٢) .. «وهى (أى حكمة الله) لا تلج النفس الساعية بالمكر، ولا تحل فى الجسد المسترق للخطيئة» (٣).

ولئن كان حقاً أن الفلسفة لم تستطع أن ترشد الإنسانية إلى الحقيقة الكاملة المطلقة، ولم تقو على أن تهديها إلى سبيل الكمال الخلقى، ولا إلى السعادة الحقة التى ينشدها الإنسان باستقرار الفكر وسلام النفس، إلا أن الفلسفة فى ذاتها من حيث هى طلب ومحبة للحكمة، ومن حيث هى منهج عقلى يثير التأمل والتفكير، لا يعارضها الدين ولا يأباها، وإنما هو على العكس يرحب بها ويشجعها.

ومهما قيل من أن رجل الدين لا يفتقر إلى الفلسفة فى تخليص الناس من ريقة شرورهم أو فى ربط قلوبهم بالسماء، وتحقيق نزوع نفوسهم إلى الخير والكمال والسعادة والبر، غير أنه من الخير - مع ذلك - أن يدرس رجال الدين الفلسفة وأن يتفقهوا فيها وأن يلموا بكل كبيرة فيها وصغيرة...

---

(١) ١ كو٢: ١ - ١٦.
(٢) يع ٣: ١٥ - ١٧.
(٣) حك ١: ٤.

لماَ يدرس رجال الدين الفلسفة ؟

أولاً: لأن الفلسفة أرقى المعارف البشرية

يجب على رجل الدين أن يكلم الناس بلغتهم حتى يمكنه أن يصل إليهم ويبكتهم، وأن يصلوا إليه ويفهموا حقائق الدين العالية عن عقولهم والبعيدة عن تفكيرهم وشعورهم، وكما أنك لا تستطيع أن تكلم الفرنسيين أو الإنجليز أوالألمان أو الطليان إلا إذا درست اللغة التى يتكلمون بها، حتى لا تكون أعجمياً لديهم وحتى تفهمهم ويفهموك، هكذا للمعارف والعلوم البشرية أهميتها فى الدين كأهمية اللغة فى كيفية التبليغ والتوصيل. وبالأخص العلوم والمعارف العصرية أى التى يتداولها ويتعارف بها أهل العصر.

فكلما كان رجل الدين ملماً بعلوم عصره، كان أقدر على نقل أفكاره ومعتقدات الدين إلى عقول الناس بطريقة قريبة إلى تفكيرهم وشعورهم، ولذلك كان على رجل الدين أن يبذل قصارى جهده فى تزويد عقله بكل الثقافات والعلوم العصرية، فستكون له خير أداة لنجاح مهمته بين الناس.

ذلك إلى أن تفسير الكتب المقدسة وشرح العقائد والعلوم اللاهوتية، فضلاً عن التاريخ الدينى أو الكنسى، تستلزم أن يلم رجال الدين بالعلوم الطبيعية والإنسانية (من طبيعة ونبات وحيوان وتشريح ووظائف الأعضاء، وتاريخ وجغرافيا وجيولوجيا، وفلك وطب وأدب وسياسة واجتماع ونفس ... إلخ) (ثم باللغات الحية والميتة....) .

ولما كان الإلمام التام بكل هذه العلوم معاً، متعذراً بل ومستحيلاً على رجل الدين الذى يجب أن يكون متضلعاً أولاً وبالذات وقبل كل شئ آخر بالعلوم الروحية والعقائد الدينية، بعد أن ينقطع للتعبد والصلاة والتجارب الروحية، لذلك فلا مندوحة له من أن يكتفى ببعض المعارف والعلوم، على أن يكون هذا البعض هو الأهم الذى لا غنى عنه والذى يفضل غيره ويأتى فى الترتيب قبله.

ولما كانت الفلسفة تعد أرقى جميع المعارف والعلوم، فالإلمام بها أولى من غيرها وإن كان لا يغنى عن غيرها.

أما أنها أرقى العلوم فلأنها تستأثر بأرقى الملكات الفكرية، ثم لأنها دراسة للفكر نفسه الذى تقوم عليه جميع العلوم البشرية، وهى بحث فى الأفكار الرئيسية والمبادئ العامة دون التفاصيل المادية التى تبحث فيها العلوم المختلفة. ولذا فدراسة الفلسفة تغنى إلى حد كبير عن دراسة الكثير من العلوم، أو يمكن على الأقل أن نقول أنها تسهل البحث فى جميع العلوم، إذ هى أشق وأرهق

للفكر من هذه العلوم، ومن ثم فمن يدرسها يمكنه فى يسر وسهولة أن يدرس غيرها من العلوم، مع أن العكس ليس بصحيح.

هذا والفلسفة كما يُعرِّفها الفيلسوف الإنجليزى سبنسر هى جماع جميع العلوم، إذ الفلسفة تركيب للمعارف الإنسانية، وهى تركيب يكتمل ويتوثق بتقدم العلوم الفرعية التى تجمعها الفلسفة فى أحضانها، فكأن دراسة الفلسفة دراسة للتركيب العام لجميع العلوم، ولذا فهى أخصب وأغنى للفكر العام وأنسب لقادة الفكر من دراسة سائر العلوم، ولو أنها دراسة أيضاً وفى الآن نفسه للمبادئ العامة لجميع العلوم.

ثانياً: لأن دراسة الفلسفة نافعة للعقل

ليس بين جميع العلوم ما يعود بالنفع على العقل نفسه مثل الفلسفة، ورجل الدين بوصفه مفكراً بل قائداً للفكر يرحب بهذه الفوائد الجليلة:

(١) الفلسفة تصقل العقل:

بدراسة الفلسفة يمرن العقل على حل المشكلات وفك الغوامض والمبهمات، فيسهل عليه التفكير فى سائر الأمور العويصة، فيصبح أكثر استعداداً وأقدر على الاستنتاج والتعليل والقياس، ومثل العقل فى ذلك مثل قطعة من الخشب فيها بروزات ونتوءات، ولكن بكثرة حكها والضغط عليها والمرور على سطحها بآلة النجار (الفارة) يتم صقلها وتختفى نتوءاتها ويصبح من الممكن أن يمر عليها المرء بيده، دون أن تجرح أو تخدش لأنها غدت ناعمة الملمس، هكذا يصقل العقل بمرانه على التفكير وكثرة اشتغاله بمسائل الفلسفة ومعضلاتها.

(٢) تمكن العقل من التفكير العميق:

الفلسفة فى ذاتها تفكير عميق متواصل، وهى تستأثر بأسمى ملكات العقل وتستغلها أرقى نوع من الاستغلال، وتجهدها أعظم إجهاد مما يحصل معه المرء على فوائد فكرية جلّى، إذ يزداد كل يوم قدرة على التفكير العميق والبحث العنيف الشاق، فى مجالات المدركات العقلية المجردة عن العوارض الحسية. إذ قد مرن على التفكير فى نظائرها. وبهذا يتأهب الباحث لدراسة اللاهوت، ولذا كان طلبة المدرسة الإكليريكية الأولى بمدينة الأسكندرية يدرسون الفلسفة قبل اللاهوت.

(٣) تكسب العقل دقة فى البحث:

وكما تمتاز الفلسفة بالعمق تمتاز كذلك بالدقة، فالمنطق وهو أول علوم الفلسفة يعنى بتحديد الألفاظ والمدركات، وكذلك تاريخ الفلسفة بما يقدمه من مذاهب فلسفية متباينة لم تختلف عن بعضها إلا يسيراً فى نقطة البدء، ثم اتسعت شقة الخلاف بينها حتى أصبحت متعارضة

جد التعارض، بل ومحاولة الفلاسفة إستعمال أو خلق مصطلحات فلسفية خاصة للتعبير عن معانى فكرية معينة، مصطلحات قد تكون متقاربة فى لفظها، من شأنه أن يعود العقل خاصية الحذر والدقة والتوقف عن الحكم، والتثبت من كل خطوة قبل الإنتقال إلى غيرها، وعدم الخلط بين الألفاظ، والدقة فى تخير الألفاظ الموافقة للمعانى تخيراً جامعاً مانعاً، فلا يكون اللفظ أوسع من المعنى ولا أضيق منه.

وإذا كان للفيلسوف الحق أن يتحلى بهذه الفضائل العقلية، التى بدونها لن يستحق لفظ الفيلسوف، فإن رجل الدين كذلك بوصفه مفكراً فى أعوص المسائل وأرفعها، تلزمه هذه الدقة وسائر الفضائل الفلسفية الأخرى، حتى يكون دقيقاً فى لفظه سليماً فى قوله وحكمه، يمكن أن يتناول الناس عباراته فيفهمون مقصوده على وجه الدقة. فليس يصلح للقيادة فى الفكر إلا رجل يقول ما يقصد ويقصد ما يقول، واضح الفكر سليم العبارة، فإذا بحث مشكلة لاهوتية عرضها عرض المفكر الرصين المتريث، الذى لن ينتقل من فكرة قبل أن يسلم ما قبلها لما بعدها، وبذا تكون بحوثه وافية شافية ومقنعة كافية.

(٤) تُكوّن أو تربى ملكة النقد الصحيح:

فالصراع الفكرى الذى يقوم بين الفلاسفة على شتى المسائل العقلية، وما ينشأ بينهم من نواحى الإتفاق أو الإختلاف، يلزم الفكر ويرفعه على أن لا يتقبل أى مذهب أو رأى قبولاً سهلاً، وإنما يزن كل فكرة فيه ليرى ما فيها من صواب ومن خطأ، وهذا هو النقد الصحيح الذى يتوافر بنصيب عظيم للفلاسفة أو دارسى الفلسفة.

ورجل الدين يعوزه أن يكون ناقداً لا ناقلاً، ومهمته تقتضيه أن يقرأ كل شئ ليفحصه حتى يستفيد من خيره ويطرح شره، ولكيما يرشد أفراد رعيته إلى مواطن القوة والضعف فى المؤلفات التى يقرأونها فيجنبهم العثار والضلال، ويقتادهم إلى الحق والصدق والصواب.

(٥) ترشده إلى اكتشاف المغالطات:

الأغاليط أو المغالطات باب من أبواب علم المنطق وهو فرع من فروع الفلسفة. ودراستها تفقه المرء فى سبيل كشف الأخطاء والأغاليط التى يسقط الناس فيها سواء فى كتاباتهم أو أقوالهم. فلا يفحم بكل قياس ولا ينخدع بظاهر القول.

وما أشد حاجة رجل الدين إلى هذه الفلسفة التى تكون له خير عون على كشف الأغاليط التى يقع فيها خصوم الحق المكابرون، فإن لم يكن أوسع حيلة منهم، وأقدر على إظهار تفاهة أدلتهم وفضح أساليب هجومهم ودفاعهم لا يمكنه أن يظفر بهم. ففى علم اللاهوت الجدلى يفتقر اللاهوتى إلى الفلسفة ليقنع ويفحم ويرد ويدفع.

ثالثاً: لأن دراسة الفلسفة نافعة للدين

أما نفع الفلسفة للدين فيتضح من جهتين:

(١) تؤكد حقائق الدين فى ذهن رجل الدين:

قد يكون الدين عند بعض المؤمنين حقائق عالية لا يستطاع فهمها ولا يمكن التوصل إلى فهمهما، وهم لذلك ضعيفوا الإعتقاد واهنا الإيمان، لا يكاد يعترضهم فى دينهم إنسان حتى يعتورهم الشك ويزعجهم الريب. لكن رجل الدين الفيلسوف، قد ثبت الدين عنده بأدلة من العقل والنقل، ولذا فهو راسخ الاعتقاد قادر على الثبات أمام عواطف الشكوك، وليس هناك من قضية إيمانية إلا وقد فهمها بعقله، وهضمها بقلبه وارتكزت فى نفسه بأسلوب واضح متميز منتظم. فالدين لديه إذن قد استحال إلى حقيقة إنسانية، يستطيع أن يبرهن عليه بأدلة معقولة بعد أن كان ديناً عالياً من سلطة آمن بها مقهوراً.

والدين فى نظر الكثيرين ضد الفلسفة، والفلسفة خصم للدين، أما عند رجل الدين الذى درس الفلسفة، فقد صارت هذه الخصومة المزعومة لا مبرر لها، ولم يعد ينزعج بما يشنه خصوم الدين من براهين وأسانيد، فقد اطمأن إلى الدين ورسخه عقائده فى قلبه بأدلة من العقل والنقل، وبالإجمال فعلى قدر ما تبدو الفلسفة عند العوام عدوة للدين، تصبح عند رجل الدين الفيلسوف، خادمة للدين...

(٢) تطمئن الناس على الدين:

والناس بإزاء الفلسفة فريقان: فريق جهل الفلسفة، ومع ذلك فهو متخوف على الدين من الفلسفة، بما يصل إلى سمعه من خصوم الدين، من أن عباقرة المفكرين رفضوا مبادئ الدين، فإذا درس علماء الدين آراء الفلاسفة ومذاهب الفلسفة، وإذ يرى الناس أن دراسة الفلسفة لم تزعزع إيمان المتدينين، يتشجعون ويطمئنون إلى الدين ويتحققون من أنه لا خوف عليه من الفلسفة، فيزدادون به إيماناً وثقة ورسوخاً...

والفريق الآخر فريق الفلاسفة أو دارسى الفلسفة الذين قد بهرتهم الفلسفة وصاروا بها مغرورين، واعتقدوا أن جهالة رجال الدين بالفلسفة هى التى صيرتهم متدينين، وكأنهم يشعرون أن رجل الدين إذا تفلسف تزعزعت أسس إيمانه، ولكن إذ درس رجل الدين الفلسفة استطاع أن يصد المتغطرسين والمدعين، وأمكنه عن طريق الفلسفة أن يبرهن على صحة الحقائق الإيمانية، فينكص أولئك على أعقابهم وترتد سهامهم فى نحرهم فلا يفتئتون على الدين ورجاله...

ولئن كان حقاً أن القديس بولس الرسول لم يرد أن يكلم الناس عن المسيح بأدلة الفلسفة، لئلا تستحيل ديانة المسيح إلى مذهب فلسفى، ولئلا تختفى قوة الروح القدس فى إقناع القلوب وإشباع النفوس، إلا أننا لا ننسى مطلقاً أن القديس بولس كان دارساً للفلسفة وقد تأثر جد التأثير بالمنهج الفلسفى، فكتاباته تمتاز بالأسلوب الفلسفى الرائع، وهو ما حدا بالكثيرين من المؤرخين وعلماء التاريخ الفلسفى إلى أن يعدو الرسول بولس فيلسوفاً عظيماً، بل لقد لقبوه بفيلسوف المسيحية. ولم يكن لأحد أن ينكر هذه القضية، وقد اعترف بها زميله وشريكه فى الخدمة الرسولية القديس بطرس، حينما قال فى خاتمة رسالته الثانية:

«.... وثقوا أن أناة ربنا (هى) لخلاصكم، كما كتب إليكم أيضاً أخونا الحبيب بولس، بحسب الحكمة التى وهبت له، وهكذا (فعل) فى جميع رسائله حيث تكلم عن هذه الأمور التى توجد فيها أشياء يعسر فهمها، يعوجها الجهال وغير الراسخين كسائر الكتب فيهلكون نفوسهم» (١).

لهذا اختاره الرب الإله ليكون كارزاً باسمه بين الأمم حتى يكون له إناءً مختاراً يحمل اسمه بين أمم وملوك وبنى إسرائيل (٢) فصار رسول الأمم كما أن مار بطرس كان رسول الختان (٣). ولما كان دارساً لفلسفة الأمم أمكنه أن يفهمهم ويعرف أفكارهم، كما أمكنه أن يكلمهم بمنهجهم وأسلوبهم ولغة عقولهم. خذ مثلاً لذلك ما ورد عنه فى سفر الأعمال: «فقابله قوم من الفلاسفة الأبيكوريين والرواقيين، وقال بعضهم ترى ماذا يريد هذا المهذار أن يقول، وبعض أنه يظهر منادياً بآلهة غريبة، لأنه كان يبشرهم بيسوع والقيامة، فأخذوه وذهبوا به إلى أريوس باغوس قائلين: هل يمكننا أن نعرف ما هو هذا التعليم الجديد الذى تتكلم به، لأنك تأتى إلى مسامعنا بأمور غريبة فنريد أن نعلم ما عسى أن تكون هذه، أما الأثينيون أجمعون والغرباء المستوطنون فلا يتفرغون لشئ آخر إلا أن يتكلموا أو يسمعوا شيئاً حديثاً».

فوقف بولس فى وسط أريوس باغوس وقال: أيها الرجال الأثينيون أراكم من كل وجه وكأنكم متدينون كثيراً، لأننى بينما كنت أجتاز وانظر إلى معبوداتكم، وجدت أيضاً مذبحاً مكتوباً عليه: لإله مجهول، فالذى تتقونه وأنتم تجهلونه، هذا أنا أنادى لكم به، الإله الذى خلق العالم وكل ما فيه، هذا هو رب السماء والأرض لا يسكن فى هياكل مصنوعة بالأيادى، ولا يخدم بأيادى الناس كأنه محتاج إلى شئ، إذ هو يعطى الجميع حياة ونفساً وكل شئ، وصنع من دم واحد كل أمة من الناس، يسكنون على وجه الأرض وحتم بالأوقات المعينة وبحدود مسكنهم، لكى يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه، فيجدوه مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيداً، لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد

---

(١) ٢. بط ٣: ١٥، ١٦.

(٢) أع ٩: ١٥.

(٣) غل ٢: ٨، ٩.

كما قال بعض شعرائكم أيضاً لأننا أيضاً ذريته، فإذ نحن ذرية الله لا ينبغى أن نظن أن اللاهوت شبيه بذهب أو فضة أو حجر نقش صناعة واختراع إنسان، فالله الآن يأمر جميع الناس فى كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل، لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل.. ولكن إناساً التصقوا به وآمنوا، منهم ديونيسيوس الأريوباغى وإمرأة اسمها دامرس وآخرون معهما» (١).

أفهل كان يمكن أن يكون الرسول موفقاً فى رسالته كل هذا التوفيق، فى وسط بيئة تموج بالفلسفة والفلاسفة لو لم يكن دارساً للفلسفة، وهل كان يمكن أن يثقوا فى شخصه ويطمئنوا إلى رأيه، لو لم يحدثهم بطريقة عقلية بحتة وبأسلوب فلسفى محض، يظهر فيه علمه باتجاهاتهم الفكرية وأقوال علمائهم وفلاسفتهم؟؟

حقاً إننا نؤمن بالوحى للرسل والأنبياء، ولكننا نعلم كذلك أن الوحى ترك لكل نبى ورسول أسلوبه الخاص، ليعبر به عن أفكار صادقة مقدسة كاملة. وهذه الحرية فى الأسلوب هى التى تبرر لرجال الدين دراسة الفلسفة، لتكون أسلوباً سامياً من أساليب التبليغ فى الكتابة أو الكلام.

وإذن فدراسة الفلسفة خير للدين ورجاله .. ولكن رجال الدين ليسوا رجال فلسفة فقط بل هم رجال وحى أيضاً، يصلحون بالوحى أخطاء العقل، ويكملون الحقيقة الإنسانية بالحقيقة الإلهية، فهم مؤمنون بالعقل فى غير غرور، وبالدين فى غير كسل، ولو كان رجال الدين فلاسفة، وفلاسفة العالم متدينين، لأدرك الناس جميعاً الطريق والحق والحياة...

---

(١) أع ١٧: ١٨ - ٣٤.

الفلسفة المسيحية الشرقية

١ - الديانة المسيحية والمذاهب الفلسفية

لما جاءت المسيحية، ووجدت فى طريقها هذه الفلسفات المتناقضات، والمحاولات المتباينات المتعارضات التى بذلها الذهن الإنسانى لعله يدرك الحقيقة ولم يدركها، كان عليها أن تتخذ موقفاً منها. أما الناس فى ذلك الزمان، فقد ملت نفوسهم هذا التعارض، وتعبوا من السير وراء هؤلاء القادة المتنابذين، وكان هذا الشعور قد ملك على الناس مشاعرهم، ولم يقتصر على العامة الذين يضيقون ذرعاً بهذا الاختلاف بل قد تعداه إلى الفلاسفة أنفسهم، بوصفهم بشراً يسعون لعلهم يدركون الحقيقة المنشودة...

وفى هذه الفترة التى ترقبت فيها نفوس المفكرين والفلاسفة من الوثنيين، ظهور الحقيقة، وتمنت خلاصها من هذا القلق الغامض الذى عذبها طوال العصور، كانت نفوس اليهود تنتظر هى الأخرى، المخلص الذى وعدت به الأنبياء، ومن هنا فإن القديس اكليمنضس الأسكندرى يرى فى الفلاسفة أنبياء للوثنية، كما كان موسى وإشعياء وأرمياء وغيرهم أنبياء لليهودية ، فكان العالم كله، يمر بأزمة نفسية قبيل مجئ السيد المسيح، هى أزمة الفشل والخيبة من تعاليم الفلاسفة والأنبياء، أو هى أزمة الأمل فى المخلص الأكبر، والحكيم الأعظم الذى يرشد الضالين إلى نور الحق المبين..

أما المسيحية فهى المبادئ السامية، التى تفوق فى جمالها وطهارتها وسموها ورفعتها كل تعاليم الفلاسفة السابقين، وهى ترتفع فوق كل تناقض وتضارب يقع فيه خصوم العقول المتنابذين، كما أنها الديانة التى أعلنت من الحقائق الإلهية والسماوية، ما أشبع حاجة النفس البشرية الطامحة إلى الحقيقة، التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها. فأحست النفوس بأنها المبادئ التى كانوا ينشدونها ويفتشون عنها فلا يجدونها، ومجدوا الله وشكروه الذى اعتنى بالإنسان.

فلما أقرّ الخلق بعجزهم، أدركهم لطف الخالق، فتنازل بذاته ليعرفهم الحق الذى يرجونه ويترجونه. ولقد أحس الفلاسفة أنفسهم بما فى تعاليم المسيحية من سمو ورفعة وسلطان وقوة، حتى أن البعض منهم قام يناهضها ويقاومها، والبعض الآخر كان مخلصاً للحق، فآمن بها وأخضع نفسه لفعل تأثيرها وسلطانها، ولم يغمض عينيه عن نورها الباهر، أما البعض الذى ناهضها، فمنهم من ارتد سهمه إلى نحره، وبينما يفتش الكتاب المقدس ليبرهن على نقصه وتفاهته، إذا بالكتاب المقدس يأسره بفعله السحرى، فينتهى به الأمر إلى أن يؤمن بالكتاب ودين

الكتاب ورب الكتاب، ومن هذا الفريق أثيناغوراس الأثيني وقد كان فيلسوفاً وثنياً، فأصبح فيلسوفاً مسيحياً، يناهض الوثنية ويناصر المسيحية، وهناك بعض آخر ناهض المسيحية مجرداً دونها قلبه ولسانه، ساخراً بتعاليمها ومبادئها كما فعل الفيلسوف كلسس، ولكنه وجد من دحره مغلوباً مهزوماً، مظهراً عظمة المسيحية وجمالها، وهو العلامة أوريجينوس فربحت المسيحية بهذه المناورة أنصاراً كثيرين، وازداد ضوء لمعانها وظهرت حقيقة بهائها.

وإذن فلم تكن المسيحية مذهباً جديداً كمبادئ الفلاسفة السابقين أو مذاهبهم، فقد امتازت بأنها فلسفة عامة تشبع رغبة نفوس الخلق جميعاً، أغنياء أو فقراء، عامة كانوا أو فلاسفة، ولم تكن ديناً لفيلسوف بعينه، ولكنها دين كل فيلسوف يريد الحق ويفتش عنه كضالة مفقودة أو منشودة، ولم تكن مذهباً يقود الفكر وحده، وإنما كانت ولا زالت منهجاً للحياة المتزنة المنسجمة والشخصية الكاملة المتكاملة، أجل فقد أرضت الفكر واقنعت العقل، وأشبعت النفس، ولولا أنها أرضت العقل لما اعتنقها الفلاسفة العباقرة والمفكرون الأفذاذ...

أرأيت إذن .. إن المسيحية دين ترضى العقل وتقنعه، فليست هي ديانة الجهل والغباء، وهي لا تطالب المرء أن يلغي عقله وينكر فكره، ولا هي تحتقر التفكير وتهزأ بالفلسفة، أما قرأت أن مؤسس المسيحية الأعظم قد أعجب بذلك الشاب الذي استفاد من كلامه له «فلما رأى يسوع أنه أجاب بعقل، قال له: لست بعيداً عن ملكوت الله» (١). ولقد كان يؤنب تلاميذه حين لا يستخدمون عقولهم في فهم مقصوده، وكان يقول لهم موبخاً: «كيف لا تفهمون» (٢).

فالديانة المسيحية، ديانة معقولة، وإن كانت تسمو عن العقل، هي لا تناقض الفكر ولا تتحدى قوانين المنطق والعقل، وهي تطلب من أتباعها أن يمتحنوا كل شئ ويتمسكوا بالحسن، وليس من شك في أن الامتحان والفحص عمل من أعمال العقل، فكأن المسيحية تتطلب تدخل العقل في شئون الدين، وأننا قبل أن نؤمن يجب أن نقتنع بوجوب الإيمان، ولذا يقول توما الأكويني: «لو لم ير العقل أنه يجب عليه أن يؤمن لما كان يؤمن»، ويقول القديس أوغسطينوس: «إني لا أؤمن إن لم أر ما يحملني على الإيمان» ويقول مرة أخرى: «معاذ الله أن يكون خضوعنا لما يعلمه الإيمان حائلاً دون إلتماس علّة الإيمان، لأننا لولا العقل لما استطعنا أن نؤمن».

---

(١) مر ١٢: ٣٤.

(٢) مت ١٦: ١١.

٢- الصلة بين الفلسفة واللاهوت

هل يمكن أن تكون هناك علاقة بين الفلسفة وبين اللاهوت، وما هى هذه العلاقة وما هو مداها، وهل يمكن أن تكون ثمة فلسفة مسيحية؟؟

الحق.... أن هناك إختلافاً بين الفلسفة واللاهوت سواء فى نقطة البدء أو فى منهج البرهنة، إذ أن **نقطة البدء** فى اللاهوت هى النقطة النهائية فى الفلسفة، فحيث تنتهى الفلسفة يبدأ اللاهوت، أى أن اللاهوت يبدأ من الله وينتهى بالمخلوقات، بينما الفلسفة تبدأ من الآثار والمعلولات وتنتهى إلى الله وهو المؤثر الأكبر والعلّة الأولى. وبعبارة أخرى أن اللاهوت يبدأ من المعقول وينتهى إلى المحسوس، أما الفلسفة فتنتقل من المحسوس إلى المعقول...

هذا من حيث نقطة البدء .. أما من حيث **منهج البرهنة** أو طريقة البرهنة فإن اللاهوت يتخذ مقدماته من النقل أو النصوص الواردة فى الكتب المقدسة أو كتب الآباء بينما الفلسفة تتخذ مقدماتها من العقل، وهى مبادئ ضرورية بديهية يسلم بها صريح العقل بلا منازع أو معارض، فالفلسفة لا تعتمد على نقل ولا تستند إلى نص، بل تهيب بسلطان العقل وحده.

فإذا كان هذا هو مدى الاختلاف بين الفلسفة واللاهوت، فكيف نصل بينهما، وكيف نستعين بهما للوصول إلى الحقيقة وما هو نصيب كل منها فى خدمة قضية الحق..

لقد أجاب المفكرون عن هذا السؤال إجابات مختلفة، ويمكن أن نوزع هذه الإجابات على ثلاثة أقسام.

القسم الأول: فريق القائلين بوجوب الإقتصارعلى العقل ورفض الإيمان أو النقل. فالعقل هو معيار الحقيقة الأوحد، ولسنا نستطيع أن نسلم بمعيار آخر للحقيقة يمكن أن نثق فيه أو نطمئن إليه، فما يحكم به العقل هو الصحيح وهو الحق، وما يخرج عن هذه الدائرة فليس بحقيقة، وحتى لو كان فيه حق أو شبه حق، فلا مندوحة لنا من أن ننكره لأن العقل لم يهتد إليه، وهذا هو فريق العقليين والمغالين فى النزعة العقلية...

والقسم الثانى: على النقيض من ذلك تماماً، أى الإيمانيين، يقولون بوجوب الاقتصار على الإيمان فقط وأن لا ندع فرصة لعمل العقل وإلا قادنا إلى الزيغ وإلى الضلال.

١ - فمن ذا الذى ينكر أن العقل قاصر وشديد القصور عن إدراك الحقيقة وأنه يتخبط فى طرقاتها فتارة يصيب وتارة يخطئ، ولكنه فى النهاية عاجز عن أن يدرك الحقيقة فى أقصى حدودها، ومن جميع نواحيها..

٢ - ثم كيف نثق بالعقل وها هم الفلاسفة العقليون أنفسهم قد اضطروا فأقروا صاغرين بأن منهجهم منهج احتمالى لا يقينى، وأنهم، وإن كانوا لا يَسلمون بغير هذا المنهج العقلى حتى لو كان احتمالياً، لكنهم يعترفون فى نهاية الأمر أن الحقيقة بعيدة المنال وأنها لا يمكن أن تخضع لمعاييرنا ومقاييسنا..

٣ - ثم كيف نثق بالعقل أيضاً بعد أن تحققنا اختلاف الفلاسفة الذين اتخذوا العقل هادياً لهم فى جميع مباحثهم حتى ضاعت الحقيقة فى ثنايا الخلافات المذهبية، إننا لا نستطيع أن نركن إلى العقل نظراً لهذه الاعتبارات جميعها..

٤ - والناس ليسوا على قدم المساواة فى مقدرتهم العقلية ولا هم قادرون جميعاً على الإيغال فى الأنظار الفلسفية والبراهين النظرية، فكأن المنهج العقلى منهج قاصر على فريق دون فريق، وكأن الوصول إلى الحق وقف على قوم دون قوم، مع أن جميع الخلق قاطبة يريدون أن يتعرفوا الحقيقة وأن يدركوها.... أما الإيمان فيمكن أن يكون من حق الناس جميعاً، وإذن فمنهجه منهج يمكن أن يسير عليه الناس جميعاً بلا تمييز أو تفريق .. وما دام الأمر كذلك فهو أسلم من منهج العقل لإدراك الحقيقة...

هكذا نرى الإيمانيين والعقليين، يقفون من بعضهم بعضاً موقف النقيض من النقيض، ولكن ألا يمكننا مع ذلك أن نلتمس بين الفريقين صلحاً؟؟؟

الواقع، أن هذا هو الموقف الذى وقفه الفريق الثالث أوالقسم الثالث.

القسم الثالث: من المفكرين ولعله خير موقف يصلح لمن ينشد الحقيقة الكاملة، قال بهذا الرأى فلاسفة المسيحية العظام، الذين رأوا أن العقل حقاً لا يستطيع أن يدرك الحقيقة الكاملة، ولا يمكن أن ينتهى إلى الحقيقة الواحدة التى يطمئن إليها الكائن الإنسانى، ولكن هذا لا يكون أبداً معناه أن نلغى العقل وأن ننكر وجوده، أو أن ننكر عليه حقه فى البحث وقدرته على الاشتغال بالأفكار والمشكلات التى تقف أمام الفكر الإنسانى.. إذن .. فقد أصاب الإيمانيون فى قولهم بقصور العقل وعجزه، ولكنهم خطئوا فى مغالاتهم فى تصوير هذا القصور وذهابهم إلى تعطيل عمل العقل وإنكار حقه فى البحث وحل المشكلات وإيضاح المعميات...

كذلك العقليون قد خطئوا، وأصابوا.. خطئوا فى اعتقادهم أن العقل هو معيار الحقيقة الوحيدة، وأصابوا فى تشكيكهم فى الحقيقة التى ينتهى إليها هذا العقل، وقولهم أنها حقيقة جزئية وليست الحقيقة المطلقة، ولكن ما داموا يقرون بأن منهجهم احتمالى فلم ينكرون منهجاً آخر قد يكون معيناً لهم فى تبديل الاحتمال باليقين والوثوق؟؟

وإذن ... فلا غنى لنا لا عن العقل ولا عن الإيمان، ولكن يجب أن نحدد الميدان الذى يجب أن يشتغل فيه العقل ولا يتعداه.. والميدان الذى يمكن للإيمان أن يقوم فيه بمهمة الإرشاد...

إن العقل لا يستطيع أن يدرك الله إلا إبتداء من المحسوس، والحس لا يستطيع أن يدرك ماهية المعقول الصرف وهوالله، فالعقل إذن لا يمكن أن يتوصل إلى إدراك ماهية الله، وجوهره، وطبيعته، فهذه أمور بعيدة عن مناله، وكل ما يستطيعه العقل هو أن يبرهن على أن الله موجود، اعتماداً على ما تقدمه له الحواس من موجودات يراها ويلمسها، فيقر أن المعلول لابد له من علة،

وبهذا يمكنه أن يتوصل إلى حقيقة وجود الله،ولكنه لا يستطيع أن ينتقل إلى أبعد من هذا الحد، أو لا يمكنه أن يتعدى هذا الميدان، وحينئذ عليه أن يسلم القيادة للإيمان فيعرفه ما لم يعرف، ويعلمه ما لم يعلم. وكأن الإيمان أو النقل مكمل للعقل ومعين للعقل ليبلغ به ما لم يستطع أن يبلغه بمحض قواه...

النقل إذن هو الأخذ بيد العقل ليغوص إلى أعماق الحقيقة، التى لم يستطع العقل أن يدرك منها إلا وجودها وخطوطها فقط، ولكن العقل أيضاً بدوره يقوم للنقل بخدمات جليلة، حتى تصبح الحقيقة حقيقة إنسانية يؤمن بها الإنسان العاقل ويمكن أن يتفهمها ويناضل عنها... ولذلك يقول القديس أوغسطينوس عبارته المشهورة:

«العقل يسبق الإيمان، والإيمان يسبق العقل ، وأنى أؤمن لكى أتعقل».

(١) فقبل أن يؤمن الإنسان لابد له من أن يقتنع الإنسان بوجوب الإيمان. وهذا ما عناه القديس أوغسطينوس أيضاً عندما قال: «إنى لا أؤمن إن لم أر ما يحملنى على الإيمان» أو عندما قال «معاذ الله أن يكون خضوعنا لما يعلمه الإيمان حائلاً دون إلتماس علة الإيمان، لأننا لولا العقل لما استطعنا أن نؤمن»..

(٢) فضلاً عن أن فى العالم أدياناً كثيرة، تتعارض مع بعضها البعض، ولا يمكن لإنسان عاقل أن يؤمن بواحد منها قبل أن يتفحصها جميعاً، ثم يميز بينها ويحكم فى نهاية بحثه بأن واحداً منها هو الدين الحق وحينئذ وبعد هذا الفحص العقلى يستطيع فقط أن يؤمن بهذا الدين ويسلم له قيادة حياته، ولا شك أن الفحص والتمييز من أعمال العقل لا من أعمال الإيمان...

(٣) ثم أن الإنسان قبل أن يؤمن بهذا الدين أو ذاك، لابد أن يؤمن أولاً بفكرة الإله الذى أوحى بهذا الدين، وكيف يؤمن بالله قبل أن يقتنع بوجوده، أى لابد له من البرهنة على وجود الله، ولقد كان هذا هو الطريق الذى قاد الكثيرين من الفلاسفة والمفكرين إلى الاعتقاد والإيمان بوجود الله، وهم هذا الفريق الذى يعتمد على العقل وحده فى البلوغ إلى الحقائق، ومع ذلك فقد استطاعوا أن يقولوا بوجود الله. ومعنى هذا أن العقل يقود إلى الاعتراف بوجود الله.....

وإذن فأول خدمة يستطيع العقل أن يقدمها للنقل، أنه يقود الإنسان إلى الإيمان والاعتراف للنقل الصحيح بواجب الخضوع والتسليم. وهذا ما قصد إلى بيانه القديس أوغسطينوس فى قوله «العقل يسبق الإيمان» بل هذا هو جواب اللاهوتيين على سؤال الملحدين وغير المؤمنين الذين لا يسلمون بوحى أو نقل أو دين: إن العقل يستطيع أن يبرهن على وجود الله، ويمكنه بأدلة نظرية بحته أن يصل إلى هذه العقيدة الجليلة...

وأما الخدمة الثانية التى يقدمها العقل للإيمان، فهى تالية لخطوة الإيمان، فالإيمان يقدم لنا حقائق كثيرة غامضة وعالية . والإنسان يعوزه أن يفهم هذه الحقائق وأن يقترب إليها. هنا

يتدخل العقل ليقدم للإنسان هذه المعونة، فبالعقل نفسر الإيمان ونشرحه ونحل غوامضه ومعمياته ومشاكله، وبالعقل يمكن أن نتفهم الإيمان ونقترب إلى الحقيقة الغامضة بالأمثلة والإيضاحات المحسوسة، أو وسائل الإيضاح المختلفة حتى تصبح الحقيقة الإيمانية حقيقة معقولة مفهومة، موطدة فى النفس راسخة لا تقوى الشكوك على مصارعتها ومغالبتها، ويمكن للنفس أن تجيب على كل ما يقف أمامها من إعتراضات ومناقضات تريد أن تنال من الدين أو أن تنزله من عرشه.

فالعقل إذن يتفهم حقائق الإيمان.. وهذا هو قول القديس أوغسطينوس «الإيمان يسبق العقل».. وهو ما يميز الإيمان الساذج عن الإيمان المتعقل، ذلك غامض ضعيف ضحل، وهذا واضح متميز قوى عميق ثابت راسخ....

على أن للعقل مدخلاً ثالثاً فى شئون الدين والإيمان ... وهذه هى **الخدمة الثالثة** التى يقدمها للنقل: وهى أن العقل يناضل عن الإيمان. فالدين بالنسبة لغير المؤمنين سلطة لا يعترفون لها بوجود، ولا هم يؤمنون بما ترتكن إليه من وحى أو كتاب مقدس، فكيف يستطيع المؤمن أن يثبت أمام هجمات الخصوم، وكيف يمكن أن يبرهن على صحة الدين بما يقنع أولئك أو على الأقل بما يسكتهم؟؟؟

أيفيد فى ذلك استناده إلى الشعور والضمير؟؟ وهل يقنعهم أن يورد لهم من نصوص الكتاب وأقوال العلماء والقديسين؟ إن الضمير لا يكفى، ونصوص الكتاب لا قيمة لها فى نظرهم.. وأما العقل فخير من يتقدم للنضال والحرب فى هذا الميدان وهو وحده الذى يستطيع أن يجيبهم وأن ينجح فى مهمته، فلا هم يرفضونه لأنهم يعترفون بوجوده ولا ينكرون عليه حقه فى البرهنة والتدليل، كما أنه لا يعتمد فى هذا البحث على أدلة من وحى أو نقل، بل على ما يجده فى قوانينه من قواعد وأسانيد، ولقد أفلح رجال الكنيسة الأوائل من أمثال بنتينوس وأكليمنضس وأوريجينوس وأثيناغوراس وأثناسيوس وغيرهم.. فى إفحام الوثنيين والرد على إتهاماتهم واعتراضاتهم.. وفى إثبات بطلان الديانة الوثنية وتفاهة فلاسفتها. لأنهم كانوا يعتمدون فى هذا الدفاع على العقل، وبهذا صمت من الفلاسفة من صمت وآمن بالمسيح من آمن.. ولم يعودوا يقوون على مناقضة هذه الديانة السماوية...

ليس الإيمان إذن ضد العقل.. ولا العقل ضد الإيمان وإنما العقل نافع للإنسان .. والإيمان مكمل للعقل.. ليس العقل هادماً للدين .. ولكنه خادم للدين.. وليس الدين حطّة للعقل ... لأنه مقدّم لخدمة العقل... إذ الإيمان والوحى للإنسان لا للحيوان .. بل الإيمان هو الذى يقرب للعقل ما لا يستطيع هو أن يقترب إليه.. ويحيل ما فوق العقل إلى ما يناسب العقل، وهذا هو ما يعنيه القديس أوغسطينوس بقوله: «وإنى أؤمن لكى أتعقل».

مدرسة الأسكندرية اللاهوتية
أو المدرسة الإكليريكية الأسكندرية

أزهرت المسيحية فى مصر قبل أن تزهر فى أى بلد آخر، وقد أثمرت نتائج باهرة قبل أن يستقيم عودها فى بلاد الغرب، قبل المصريون دين المسيح أحسن القبول، وتمكنت العقيدة من نفوسهم حتى أمكنهم أن يردوا على خصومهم فى الدين، ويبرهنوا على سوء تعاليمهم بما أعجز كل لسان وأقنع كل مخلص وضال، والفضل الأكبر فى هذا كله يرجع لنفوس المصريين وما كانوا يتصفون به من ولع بالدين وحب للحق وثبات على المبدأ ورسوخ فى الرأى، هذا وثمة عامل آخر له أعظم دور فى حياة الكنيسة المرقسية وهو المدرسة الإكليريكية الأسكندرية.

ولما كان أساتذة الإكليريكية الأسكندرية هم فلاسفة المسيحية الأوائل، الذين تتلمذ على أيديهم واغترف من بحور علومهم مفكروا الغرب المسيحيين، كان علينا أن نعنى أولاً بفلاسفة القبط ولا سيما وهم أقرب إلى روحنا الشرقى، وأولى من فلاسفة آخرين بعناية رجال الإكليريكية الحاضرة.

مبررات وجودها:

واجهت المسيحية فى مصر ظروفاً خاصة، تختلف نوعاً ما عن الظروف التى واجهتها فى أى بلد آخر، وقد كانت بعض هذه الظروف مواتية لنجاح المسيحية وامتدادها وانتشارها فى البلاد طولاً وعرضاً، ولكن كانت هناك أيضاً ظروف مضادة، وقفت فى سبيل هذه الديانة الفتية الناشئة، وجعلت مهمة مار مرقس الرسول وأتباعه من بعده، مهمة صعبة شاقة محفوفة بالأعاصير والزوابع والرياح المضادة.

أما الظروف المواتية فقد كانت الاعتقادات الدينية التى كان يؤمن بها المصريون القدماء. والتى تلتقى فى خطوطها العريضة مع الاعتقادات والمبادئ التى تدعو إليها المسيحية، فالاعتقاد بإله واحد لم يكن غريباً على مصر القديمة وكذلك الاعتقاد فى الثالوث، وإن كان الثالوث المصرى القديم ثالوث آلهة، وليس ثالوث أقانيم أو صفات للذات الإلهية الواحدة كما تنادى المسيحية، وكذلك الاعتقاد بتجسد الإله، وفى خلود الإنسان بعد الموت. وإن كان المصريون القدماء اشترطوا للخلود بقاء جسم الإنسان وعدم إنحلاله وفنائه، وهذا هو سر عنايتهم بالتحنيط، فلم يكونوا يتصورون إمكانية القيامة للأجساد بعد فنائها وإنحلالها.

تلك بعض الظروف المواتية التى ساعدت على قبول المصريين للديانة المسيحية قبولاً حسناً، بنفس الحماسة والحرارة الروحية التى كانوا يقابلون بها معتقداتهم القديمة، وإن كانوا وجدوا فى

المسيحية ديانة تسمو وتعلو على ديانتهم الأولى، وتجيب على أسئلتهم الحائرة، وتحلّ مشكلاتهم الفكرية والروحية والاجتماعية بصورة تعلو على ديانتهم الوثنية، وإلاّ لما كانوا قد تحوّلوا إلى دين جديد برضاهم واختيارهم مع ما اشتهروا به من حب المحافظة على القديم.

أما الظروف المضادة والمعاكسة فهى أيضاً نابعة من عاطفتهم الدينية التى تربطهم بماضيهم، واعتزازهم بديانتهم القديمة وأمجادها وأثرها العميق فى حياتهم، وقد وجد رجال الدين، خصوصاً فى الديانة الجديدة، دعوة تتحدى عقيدتهم فى الأوثان والأصنام وتعدد الآلهة، وتحنيط الجثث بتلك العناية الضخمة التى تميزت بها الديانة القديمة التى كانت تنادى بالخلود، ولكنها لا تتصور إمكانية القيامة لأجساد أصابها التحلل والفساد.

وكانت الديانة الوثنية قد استقرت قروناً وعشرات القرون، ووجدت فى الفلاسفة والمفكرين من يدافعون عن معتقداتها ويبررون مبادئها. فلما ظهرت المسيحية بدعوتها إلى قيامة الأجساد، كانت دعوتها مثاراً لنقد العلماء والمفكرين، فسخروا من عقائد المسيحية، ورأوا فيها ديانة خرافية تنادى بما لا يقبله العقل، ويتعارض مع قوانين الطبيعة وحقائق العلم كما كانت معروفة عندهم. قالوا كيف يمكن للجسد بعد أن ارتد إلى عناصره الأولية، وتبدد فى الأرض ودخلت ذراته فى تركيب النبات، وهذه بدورها أكلها الحيوان والإنسان وأصبحت من مكوّنات جسده، كيف يمكن بعد ما أصاب هذه الذرات من اندماج فى حياة كائن جديد أن تأتلف من جديد، وتقوم الأجساد بعد فنائها وذبولها وتبدد جزئياتها؟؟ ثم ماذا يكون مصير الجسد الذى أكله السمك فى البحار، أو الذى احترق فى النار، فتحوّل إلى رماد، أو أكلته طيور السماء؟! وماذا يكون مصير الأجساد التى تذهب بعض أشلائها إلى مكان، وبعض أشلائها إلى مكان آخر كما يحدث عند نقل جثة بفعل حيوان أو بفعل إنسان؟

تلك أسباب جعلت علماء الوثنية القديمة وفلاسفتها، يرون أن ديانة المسيح ديانة هزيلة ضعيفة، لا تستطيع أن تقف صامدة أمام الحقائق المادية التى يقول بها منطق العلم والفكر والواقع الملموس.

ثم أن دعوة المسيحية إلى الزهد واحتقار أباطيل العالم، والقناعة فيما يتصل بالطعام والشراب واللباس والمسكن، ودعوتها إلى المحبة العامة لجميع الناس، وإلى التسامح والغفران، ودعوتها إلى الإيثار الخالص ودعوتها إلى العفة الكاملة وإلى الكمال - كل هذه المبادئ الروحية الأخلاقية جاءت بها المسيحية، فكانت ثورة على القيم الأخلاقية السائدة، وبدت للمفكرين أنها خيالية غير معقولة ولا مقبولة، وحسبوها دعوة إلى الاستضعاف والاستكانة، ووجدوا مجالاً خصباً لنقدها والسخرية منها والاستهزاء بها.

لهذه الأسباب وغيرها لم يكن سهلاً على المسيحية أن تمتد فى بلد كهذا، وقد كانت مصر، وخصوصاً مدينة الأسكندرية قاعدة العالم المثقف فى ذلك الزمان. لم تكن لا أثينا ولا روما ولا مدينة أخرى فى كل العالم، فى نفس الدرجة التى كانت عليها الأسكندرية فى الوقت الذى دخلها مارمرقس الرسول. كانت مدينة مفتوحة للوافدين والعائدين من كل إقليم، وكانت مستقراً للفلاسفة والعلماء، وعباقرة المفكرين فى كل ميدان من ميادين الفكر والبحث، وكان بها المتحف القديم، وكانت بها مكتبة الأسكندرية الضخمة التى جمعت عشرات الألوف من الكتب ولفائف البردى، وكانت بها حركة نشاط لتجميع وترجمة الكتب من جميع اللغات المعروفة، وكان بها أكبر علماء الفلك والطبيعيات، وكانت بها مدارس الفلسفة من كل لون، كان بها الرواقيون والأبيقوريون والشكاك، والأفلاطونيون المحدثون ، وكان بها جالية كبيرة من اليونان، وجالية ضخمة من اليهود المقيمين فيها من أزمنة طويلة. وكانت المحافل العلمية منتشرة، وكانت تجرى بين العلماء والفلاسفة مساجلات ومناقشات وحوار، ولم يكن الناس مهيأين ليقبلوا فكرة أو دعوة لفكرة ما، مالم يكن هناك اقتناع بها بعد بحث ونقاش وجدل.

لهذا كانت الضرورة تدعو إلى أن تكون إلى جانب الكنيسة، مدرسة للتعليم المسيحى لتستطيع أن تجابه الصراع الفكرى الذى لا مفرّ منه أمام ديانة جديدة، تهاجمها حملات فكرية قوية من خصوم أشداء.

إن مارمرقس الرسول نفسه عندما دخل مدينة الأسكندرية، شعر بأن مهمته صعبة فى هذا البلد، فأخذ يتمشى فى المدينة طولاً وعرضاً، وهو يصلى لأنه لا يعلم كيف يبدأ، إلى أن تمزق حذاؤه، فمال إلى إسكافى ليصلحه.

ولهذا رأى بالروح القدس أنه لا سبيل إلى مساندة المسيحية الناشئة ودعمها، لتواجه التحدى الذى كان لا مفرّ من مواجهته، إلاّ بإنشاء مدرسة للتعليم المسيحى.

أولاً: لتثبيت إيمان المؤمنين بديانتهم، وتجيب على أسئلتهم.

ثانياً: لتكون مجالاً للراغبين فى استعماق عقائدها ومناقشة مبادئها على مستوى العلماء والفلاسفة الذين يهاجمونها.

ثالثاً: لتزويد الكنيسة بقيادات روحية وفكرية قادرة على إشباع احتياجات المؤمنين، والرد على مزاعم العلماء والفلاسفة وإتهاماتهم وتحدياتهم.

مؤسس الإكليريكية ومديروها

يمتد تاريخ هذه المدرسة المسيحية الأولى إلى العصر الرسولى الأول، فمؤسسها هو القديس مرقس الإنجيلى الرسول كاروز الديار المصرية، الذى أدرك بثاقب رأيه أنه لا سبيل إلى نشر المسيحية وتدعيم تعاليمها إلا إذا أنشأ مدرسة لاهوتية، تشرح التعليم المسيحى وتثبته فى أذهان المؤمنين وتعرف به الوثنيين، وتقوم بمناهضة الوثنية فى بلد يموج بكبار الفلاسفة وعباقرة المفكرين. ثم أسند رياسة هذه المدرسة لخلفه القديس إنيانوس، وقد تولى إدارتها فى أواخر سنى القديس مرقس، وفى عهد الأساقفة الأربعة الذين خلفوه القديس يسطس. فلما اعتلى يسطس (الأسقف السادس) كرسى مار مرقس أصبح أومانيوس مديراً لها. ثم ارتقى أومانيوس هذا إلى الكرسى الرسولى (وهو السابع من أساقفة الأسكندرية)، فأدار المدرسة القديس مركيانوس الذى أصبح فيما بعد الأسقف الثامن على الكرسى الأسكندرى. أما فى أيام البابا ديمتريوس الكرام فقد تعاقب على إدارتها ثلاثة من كبار الفلاسفة هم على التوالى بنتينوس وتلميذه الشهير أكليمنضس المعروف بأكليمنضس الأسكندرى ثم العلامة أوريجينوس، وقد جاء بعده آخرون مثل ياروكلاس (الذى أصبح البابا ١٣) وهو أول من سمى بابا فى الشرق والغرب، ثم ديونيسيوس (وأصبح البابا ١٤)، ثم ثيئوغوست، ثم بطرس (وأصبح فيما بعد البابا ١٧) المعروف بخاتم الشهداء، ثم بيروس (١)، ثم أرخلاوس (وقد أصبح فيما بعد البابا ١٨) فى أيام حبرية البابا ثاؤنا. ثم بطرس فى عهد البابا أرخلاوس، ثم سرابيون (٢) فى عهد القديس أثناسيوس الرسولى البابا العشرون، ثم مقار السياسى فى عهد القديس أثناسيوس الرسولى. وغير هؤلاء نذكر ديديموس الضرير، ثم رودون فى عهد البابا كيرلس الأول الملقب بعمود الدين.

آثار طلبتها وخريجيها وأساتذتها

أقبل على المدرسة طلبة من قصاد العلم والمعرفة، وهم أولاد أبناء الكنيسة البررة، الذين هاموا حباً فى الله وتاقوا إلى أن يقضوا حياتهم كلها فى خدمة الكنيسة فى تعبد ودرس وبحث، ليتأهبوا للقيام بالرسالة فى أكبر نطاق حتى يمتد ملكوت المسيح وتتسع رقعة الخلاص الأبدى.

لم يكن الدرس معطلاً لهم عن ممارسة العبادات وضروب الرياضات، فكانوا يصلون ويقرأون ويصومون، ولقد بلغ من زهدهم ونسكهم أنهم لم يكونوا يتناولون الطعام غير مرة فى اليوم عند

---

(١) كان بيروس كاهناً ورعاً زاهداً ناسكاً فصيح اللسان واضح البيان، حتى لقبه البابا بطرس السابع عشر وخاتم الشهداء بأوريجينوس الصغير، وقد تتلمذ له كثيرون أشهرهم بمفيليوس البيروتى، ولقد ظهر بيروس حوالى عام ٢٨٢ م بطلاً مغواراً إبان إضطهاد الأمبراطور فاليريان قيصر.

(٢) سرابيون صديق وفى للبابا أثناسيوس الرسولى. وكان عالماً كبيراً وكاتباً نحريراً، وقد وثق به البابا فأرسله مع آخرين إلى القيصر قسطنطين الكبير.

المساء، طعاماً يتألف من خبز وملح فحسب (١) . أما عن طهرهم وقدسية حياتهم فقد كان عجيباً أن يجمع عدد كبير من الشباب، على نذر التبتل لله طوعا تمشياً مع دعوة المسيحية إلى البتولية، باعتبارها طريقاً أفضل وأسمى للقادرين على ضبط أنفسهم، مع إختيار الفقر والتنازل عن الملكية الخاصة، إذ كانوا يعيشون عيشة مشتركة وينفقون بحسب حاجة كل واحد منهم، على ما سار عليه الأمر فى عهد الرسل، فى جو مشبع بالود الصحيح والحب العميق والسلام المسيحى الكامل.

وإلى جانب التقوى كان شغلهم بالعلم كثيراً، وكانوا يناظرون غيرهم من أبناء المدرسة الوثنية الأولى التى أنشأها بطليموس الأول ملك مصر، وقد كانت تشتغل بالفلسفة ومذاهبها، وعلوم الطب والكيمياء، والطبيعة، والحساب.

المدرسة الوثنية:

كانت المدرسة الوثنية بالأسكندرية على مستوى علمى رفيع، بل كانت فى زمانها أشهر مدرسة فى الشرق، أنشأها بطليموس الأول ملك مصر بل أول ملوك البطالمة (٣٢٢ ـ ٢٨٥ ق. م)، وهو أحد قواد الأسكندر العظام الذين تقاسموا بعد وفاته (سنة ٣٢٢ ق. م) امبراطوريته الواسعة، فاستولى بطليموس الأول على عرش مصر واتخذ من الأسكندرية قاعدة حكمه، وإذ أراد إغرقة مصر، جعل من الأسكندرية مدينة إغريقية لحماً ودماً. فأنشأ المدرسة الوثنية فى الأسكندرية ورعاها رعاية كبيرة، حتى صارت منارة عالية لكل بلاد مصر والشرق، وحلت بذلك محل جامعة عين شمس القديمة، التى شعت أنوارها على العالم القديم مدة تزيد على ثلاثة آلاف عام، واحتلت مكانها وصارت جامعة الأسكندرية هى منارة العلم بالأسكندرية لبضعة قرون. وقد زودها بطليموس بمكتبة ضخمة، وضمّ إليها ما أمكنه الحصول عليه من كتب ومن لفائف البردى، حتى بلغ عدد هذه الكتب واللفائف نحوا من مائتى ألف على قول بعض المؤرخين، أو أربعمائة ألف على قول غيرهم، أو نحو نصف مليون لفافة وكتاب على قول بعض ثالث.

وجاء بطليموس الثانى المسمى بفيلادلفيوس (٢٨٥ ـ ٢٤٦ ق. م)، وتمم خطة سلفه الأول وزاد عليها، فكلف مانيثون الكاهن المصرى المشهور الذى قسّم تاريخ مصر إلى أسرات، بأن يكتب تاريخ مصر باللغة اليونانية، فتمكن بفضل معرفته باللغة المصرية القديمة واللغة اليونانية، من كتابة التاريخ المصرى معتمداً على الوثائق المحفوظة بعين شمس، وما أمكنه الحصول عليه

(١) ويقال عن بعضهم أنهم كانوا يصومون ثلاثة أيام أو خمسة لا يأكلون شيئاً، فقد كانوا جميعاً زاهدين فى أباطيل العالم، كما حدثنا المؤرخون المسيحيون وفيلون الفيلسوف اليهودى.

من وثائق تاريخية أخرى. وقد أودع بطليموس الثانى هذا التاريخ مكتبة الأسكندرية الكبرى، هذا إلى أن بطليموس هذا هو الذى كتب لأليعازر رئيس كهنة اليهود بأورشليم، وطلب إليه إرسال علماء من اليهود يجيدون اللغتين العبرية واليونانية، ليترجموا العهد القديم إلى لغة اليونان لمنفعة اليهود بالأسكندرية، الذين صاروا يجهلون لغة بلادهم العبرانية. وفعلاً أرسل أليعازر إثنين وسبعين عالماً - كان من بينهم سمعان الشيخ الذى جاء ذكره فى الإنجيل المقدس (١) - وترجموا العهد القديم إلى اليونانية سنة ٢٨٢ ق. م. الترجمة المشهورة التى عرفت بالترجمة السبعينية. وقد ضمت هذه الترجمة إلى مكتبة الأسكندرية، فصارت كسباً جديداً للأدب اليونانى. وهذا يرينا مدى إهتمام البطالمة وعنايتهم بتشجيع العلم والأدب، وما بذلوه من جهد ومال فى سبيل تدعيم مكتبة الأسكندرية، بضمّ كل ما أمكنهم ضمه إليها من كتب ولفائف البردى، بلغتهم اليونانية أو باللغات الأخرى، مع محاولة ترجمة ما يمكن ترجمته إلى اليونانية.

وأضاف بطليموس الثالث المعروف باسم ايوارجيتس (٢٤٦ - ٢٢١ ق. م)، فضلاً جديداً بأن أصدر أمراً يقضى بأن كل مسافر ينزل إلى مدينة الأسكندرية عليه أن يسلّم أى كتب توجد بين متاعه لضمها إلى المكتبة .. على أن يعطى نسخة رسمية بدلاً منها، وأخذ يستعير من مكتبة أثينا كل كتاب ذى قيمة لنسخه وإيداع المنسوخة مكتبة الأسكندرية ، وفى مقابل ذلك كان يدفع ضماناً لكل كتاب يستعيره مبلغاً يقدر بنحو ٦٠,٠٠٠ ستين ألف جنيه. وكان أحياناً يخسر الضمان فى مقابل إحتفاظه بالكتاب الأصلى، مع إرسال منسوخة منه إلى مكتبة أثينا.

وكانت المدرسة الوثنية الأسكندرية بمكتبتها الضخمة تشتغل بالفلسفة ومذاهبها، وبعلوم الطب والطبيعة والكيمياء والفلك والحساب والهندسة والتاريخ والجغرافيا والموسيقى واللغات، فكانت جامعة للفلسفة والعلوم الطبيعية والإنسانية.

وكان من بين علمائها (أى علماء المدرسة الوثنية) أثيناغوراس وكلوديوس بطليموس مؤلف كتاب المجسطى (٢)، وآشيستوس مؤلف كتاب «محادثات الفلسفة» (٣)، ثم كيرون الذى كتب

---

(١) إنجيل القديس لوقا ٢ : ٢٥ - ٣٥.

(٢) كلوديوس بطليموس عالم جغرافى وفلكى ماهر، ولد بالفرما نحو سنة ١٤٠ م، تخرج من المدرسة الرياضية بمدينة الأسكندرية، ومن بين مؤلفاته كتاب الألحان الموسيقية وجدول يحتوى على أرصاد فلكية عن كسوف الشمس وخسوف القمر لمدة ٨٠٠ عام مضت قبل عهد بطليموس، ويقال أنه أتم هذه الأرصاد الفلكية فى بابل وآشور، ثم أكملها فى بابليون مصر كما يظهر من أسماء أماكن خطوط الطول والعرض التى ذكرها، وقد ذهب بطليموس إلى أن الأرض ثابتة فى الفضاء وهو الإتجاه الذى عارضه وأثبت فساده كوبرنيكوس العالم البولونى (١٤٧٣ - ١٥٤٣).

(٣) ويقال أن اسمه أثينوبوس، ويظهر أنه ألف كثيراً لكن لم يبق له غير كتاب (محادثات الفلاسفة) وفيه وصف رائع لحالة الهيئة الإجتماعية فى مدينة الأسكندرية فى عهده.

عن تاريخ القبط وملوكهم وكهنتهم كتاباً لم يصل إلينا منه مع الأسف شيئاً مطلقاً، والفيلسوف كلسوس الأبيقورى (١) وأمونيوس السقاص، ويوليوس بولوكوس (٢) مؤلف المحاورات (٣).

وليس من شك فى أن تفوق المدرسة الإكليريكية على المدرسة الوثنية كان أبلغ دليل على سمو التعليم المسيحى ورفعته، لأن الفلاسفة الوثنيين أنفسهم مع طول باعهم فى البحث وسعة الاطلاع، وواسع حيلتهم ووفرة ذكائهم لم يقووا على مغالبة القوة التى جذبتهم إلى المسيحية. أجل لقد حاول هؤلاء الفلاسفة فى مبدأ الأمر أن يقوضوا أركان الدين الجديد ولكنهم قد ارتدوا أخيراً خائبين. فآمن منهم الفيلسوف الأسكندرى أثيناغوراس وانضم إلى المدرسة الإكليريكية، وأصبح واحداً من أساتذتها الكبار بعد أن كان يجد فى مناهضتها واكتشاف نقائص الدين المسيحى، وكذلك الحال مع أمونيوس السقاص الفيلسوف الأسكندرى أيضاً، الذى ولد فى أواسط القرن الثانى ومات سنة ٢٤١م والذى درس الفلسفة الأفلاطونية وأسس المدرسة الوثنية الفلسفية فى أواخر القرن الثانى لمقاومة الدين المسيحى، فإنه أيضاً تنصر وقيل فى بعض المصادر أنه نشأ مسيحياً ثم ارتد إلى الوثنية اليونانية وألف فى المسيحية كتباً كثيرة، لم يبق منها غير كتاب «اتفاق البشائر الأربعة».

انتصار المدرسة المسيحية:

وعلى الرغم من هذا المستوى العلمى العالى الذى بلغته جامعة الأسكندرية الوثنية، بفضل رعاية الملوك البطالمة وتشجيعهم لهذه الجامعة، والإنفاق عليها وعلى مكتبتها الشهيرة، وعلى الرغم من مكانة الفلاسفة والعلماء الذين كانوا يقودون الحركة العلمية بها، وعلى الرغم مما وضعوه من كتب، فإن المدرسة المسيحية الناشئة أخذت تنمو شيئاً فشيئاً ويزداد إقبال الطلاب عليها، وأمكنها أن تجتذب عدداً محترماً من أساتذة المدرسة الوثنية نفسها، بعد طول جدل ومناقشات ومناظرات. ومن بين هؤلاء البارزين أثيناغوراس Athenagoras الفيلسوف الذى كان يشغل مركزاً كبيراً فى المتحف Museion والمكتبة، وكان هو نفسه رئيساً لمدرسة فلسفية تعلم الفلسفة على نهج الأفلاطونية الجديدة، وكان صاحب مذهب جديد فى الفلسفة وهو مذهب

---

(١) ويلفظ اسمه أحياناً (شلسوس أو سلسوس) وقد اشتهر فى ذلك الزمن برسالة له ضد الديانة المسيحية، ولكن هذه الرسالة أيضا قد فقدت، ولم يبق منها إلا ما ورد فى كتب أوريجينوس عندما رد عليها. وقد كان أبيقوريا يرى أن العالم نشأ بالصدفة ولا علاقة لله به، وأن النفس ليست خالدة وأن الغاية القصوى هى اللذات الحسية.

(٢) كان يوليوس بولوكوس من أهل النقد الشفاهى.

(٣) مؤلف كتاب المحاورات اشتهر فى أيام الأمبراطور كومودوس لوكيانوس، وكان سكرتيراً أو كاتب يد الوالى الرومانى.

«التخير» Eclectism(e). هذا الفيلسوف الكبير كان من بين المفكرين الذين هزأوا بالمسيحية وانبرى لمهاجمتها فى حماسة بالغة. وقد رأى لكى يفند مبادئها أن يقرأ أولاً الإنجيل، ليثبت ما فيه من تناقض داخلى بين أجزائه، ويظهر ما فيه من مبادئ خرافية خيالية تتعارض مع قوانين العقل والمنطق، ومع ما وصل إليه العلم من حقائق وكشوف. ولكنه إذ أخذ يقرأ الكتاب المقدس لم يستطع أن يغالب القوة الروحية التى كانت تجذبه إليه، وما كاد ينتهى من قراءته حتى وجد نفسه مؤمناً بكل ما جاء به. وبدلاً من أن يكتب كتاباً ينقد به دين المسيح كتب كتاباً آخراً يدافع به عن دين المسيح، هو المعروف برسالة الدفاع عن المسيحيين:

πρεσβεία περὶ τῶν χριστιανῶν وجهه فى سنة ١٧٦/ ١٧٧ م إلى الإمبراطور مرقس أوريليوس أنطونيوس Marcus Aurelius Antonius (١٦١ - ١٨٠ م) وابنه كومودوس Commodus. فكان أثيناغوراس بهذا شبيهاً ببولس الرسول الذى هاجم المسيحية طورا، ثم عاد يخدمها ويكرز بها ويدافع عنها بنفس الحماسة التى كان يطاردها بها. وقد نال أثيناغوراس سرّ العماد، وصار معلماً فى المدرسة المسيحية وظل وهو معلم يرتدى زىّ الفلاسفة Pallium وقد وضع رسالة أخرى بعد ذلك عن قيامة الأجساد *περὶ ἀναστάσεως νεκρῶν* برهن بها بأدلة عقلية وفلسفية إمكانية القيامة كما تعلم بها المسيحية. ويعزى لأثيناغوراس أنه أول معلم فرئيس للمدرسة المسيحية، كان له فضل توجيه المنهج الدراسى توجيهاً جديداً لإشباع عقول الباحثين فى أمور الدين بالمنهج الفلسفى، وكأنه أول من وضع أول لبنة فى بناء صرح علم اللاهوت المسيحى بالمعنى الذى عرف به فيما بعد.

ومن بين الفلاسفة البارزين الذين اجتذبتهم المدرسة المسيحية، أمونيوس السقاص (١) الفيلسوف الأسكندرى المشهور (١٧٤ - ٢٤٢م). والذى كان يعلم الفلسفة الأفلاطونية وعنه أخذ أفلوطين Plotinus (٢٠٥ - ٢٧٠)م فلسفته الأفلاطونية الجديدة Neo - platonism(e) هذا الفيلسوف تحوّل إلى المسيحية، وكتب فيها كتباً عدة، لم يبق منها إلا كتاب «اتفاق البشائر الأربعة».

وكذلك جذبت المدرسة المسيحية كلسوس (Celsus) الفيلسوف الأبيقورى العنيد الذى كتب كتاباً يهزأ فيه بالمسيحية ويسخر بعقائدها وأخلاقياتها، فانبرى له العلامة أوريجينوس رئيس المدرسة المسيحية، وفنّد آراءه وبرهن على تفاهتها مبرزاً سمو الديانة المسيحية. فكان كتاب

---

(١)كلمة السقاص *σάκκα* ترجع إلى اللفظة اليونانية *σακκί* ومعناها «كيس» وهى تشير إلى صناعته القديمة (العتالة) ومعنى اسمه الحمّال، أو الشيال لأنه كان حمالاً قبل إشتغاله بالفلسفة. وقد تتلمذ عليه كثيرون وأشهرهم أفلوطين (٢٠٥ - ٢٧٠م).

أوريجينوس «الرد على كلسس» Contra Celsum رداً مفحماً أفاد المسيحيين والوثنيين، واقتنع به كلسوس نفسه فتنصّر، وكتب هو الآخر فى المسيحية كتباً.

ومن بين البارزين الذين كسبتهم المدرسة اللاهوتية المسيحية بنتينوس Pantaenus الذى صار فيما بعد من أبرز رؤساء هذه المدرسة، حتى اقترن تاريخه بتاريخها وصار كل منهما علماً على الآخر. هذا أيضاً كان فيلسوفاً رواقياً مرموقاً، وقد آمن بدين المسيح، على يد أثيناغوراس على الأرجح، وهو الذى أشرف على ترجمة العهد الجديد من اللغة اليونانية إلى اللغة القبطية وهى الترجمة القبطية الشهيرة، التى يزداد فى كل يوم إيمان العلماء بقيمتها التاريخية والعلمية ودقتها اللغوية بحيث يجد فيها علماء النقد Biblical Criticism لا مجرد ترجمة دقيقة، بل نصاً يستوى فى قيمته مع النص اليونانى الحاضر، ويقول عنها اليونان إذا فقدنا النص اليونانى فلا نستطيع أن نعتمد إلا على الترجمة القبطية. وفضلاً عن ذلك فقد قام بنتينوس بتفسير جميع أسفار الكتاب المقدس، من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا حتى وصفه الآباء ومنهم تلميذه الشهير اكليمنضس الأسكندرى، وخليفته فى رياسة المدرسة اللاهوتية بأنه «مفسر كلمة الله». ومع بالغ الأسف لم يبق من كتبه شئ إلا بضع فقرات اقتبسها اكليمنضس الأسكندرى فى بعض كتبه التى وصلت إلينا. وبنتينوس هو المعلم الذى وصفه اكليمنضس الأسكندرى بأنه من «أعظم الأساتذة وأكملهم» وأنه «اختلف إلى علماء كثيرين ولكنه لم يجد راحته إلا فيه» وقد وصف مقابلته له بأنها كانت الأخيرة بالنسبة لغيره من الفلاسفة، لكنها كانت الأولى من حيث قوتها، وكان دائماً يستعين بأقواله ويصفها بأنها «لسان القفل فى كل مؤلفاته» أى أنه يعتبرها «فيصل الحق» و«الكلمة النهائية» التى تحسم كل خلاف.

واكليمنضس الأسكندرى (١٥٠ ـ ٢١٥م) نفسه كان أيضاً وثنياً وكانت أمور كثيرة تحيره، وأسئلة ملحة تبحث فى عقله عن جواب، واختلف إلى فلاسفة كثيرين منهم فلاسفة فى بلاد اليونان، وفى إيطاليا وفى سوريا ومصر وغيرها، ولكنه وجد فى بنتينوس رئيس المدرسة اللاهوتية المسيحية بالأسكندرية الأستاذ الأكبر، الذى أراحه أكثر من كل فيلسوف ومعلم آخر وعلى يديه آمن بالمسيح، وانضم أيضاً إلى المدرسة اللاهوتية وصار بها تلميذاً فمعلماً. وأخيراً لما سافر أستاذه بنتينوس إلى بلاد الهند ليكرز فيها باسم المسيح بناء على طلب وفد من الهنود، شخصوا إلى القديس ديمتريوس بطريرك الأسكندرية الذى سامه قسيساً وأرسله إلى هناك. واضطر اكليمنضس أن يحمل شعلة المدرسة اللاهوتية ويحلّ محل أستاذه بنتينوس فى رياستها مدة عشر سنوات من (١٩٠ ـ ٢٠٠م). ولما عاد أستاذه أخلى منصبه له إلى أن توفى نحو ٢٠٣م، وحينئذ استقل اكليمنضس برياسة المدرسة إلى أن اضطر فى زمن اضطهاد الأمبراطور ساويرس Septimus Severus (١٩٣ ـ ٢١١م) إلى مغادرتها، فتركها لخليفته وتلميذه الأشهر العلامة أوريجينوس Ὠριγένης (١٨٥ ـ ٢٥٤م) الذى حمل الرسالة وهو شاب يافع لم يتخط

الثمانية عشر ربيعاً من عمره، فحملها بكفاءة ممتازة وعبقرية نادرة يتيمة، جعلته أشهر لاهوتى فى الشرق والغرب لعدة قرون خلت ولعدة قرون تلت.

هذا النشاط الضخم الذى قامت به المدرسة اللاهوتية المسيحية حتى جذبت إليها عدداً كبيراً من الطلبة، بل من علماء المدرسة الوثنية نفسها، أزعج القائمين على هذه المدرسة، وأثارهم للعمل لعلهم إذا لم يفلحوا فى القضاء على المسيحية ومدرستها اللاهوتية، فلا أقل من أن يوقفوا من نجاحها ويعطلوا تقدمها الساحق، فيحتفظوا بكيان مدرستهم وبعلمائهم فيها، فشمروا عن ساعد العمل بهمة لا تعرف الكلل وأخذوا يؤلفون ويترجمون، وكان لهم جيش صغير من الكتبة يتألف من فرقتين: فرقة أولى من أصحاب القلم السريع، يكتبون بالاختزال ما يمليه عليهم المؤلفون الأحياء، وفرقة ثانية من أصحاب الخطوط الجميلة ينسخون على مهل ما يكتبه أصحاب القلم السريع، وكل ما أمكن العثور عليه من كتب المؤلفين والفلاسفة والعلماء الوثنيين القدامى، بقصد القيام بحركة فكرية شاملة لإنتشار الثقافة الوثنية، والقضاء على الثقافة المسيحية التى تقودها المدرسة اللاهوتية بالأسكندرية.

وعلى الرغم من هذه الجهود الجبارة، فقد تضاءلت الوثنية وانتشرت المسيحية (١) ولقد أثرت المدرسة الإكليريكية لا إلى الأسكندرية وحدها، بل إلى جميع أنحاء مصر وسائر ربوع الكرازة المرقسية، التى اتسعت رقعتها كذلك بفضل جهود الخريجين والأساتذة الذين كانوا يقومون برحلات إلى الأقطار الأخرى لنشر الدين المسيحى، أو لتثبيت المؤمنين هناك كما فعل الفيلسوف الشهير بنتينوس أحد أساتذة الإكليريكية ومديريها، إذ سافر إلى بلاد الهند مبعوثاً من قبل البابا ديمتريوس الكرام، كذلك فعل العلامة أوريجينوس وغيره، ولقد تطلعت الكنيسة إلى خريجى هذه المدرسة بنظرة التقدير، فقد أولتهم ثقة غالية حتى كان باباوات الكرسى الرسولى يختارون عادة من مديريها وأساتذتها، نظراً لما كانوا عليه من ورع وعلم، وكان مركز مدير الإكليريكية يعد تالياً لمنصب الكرسى البطريركى اجتماعياً ودينياً إن لم يكن كنسياً، فالأسقف السادس (القديس يسطس) والأسقف السابع (القديس أومانيوس) والأسقف الثامن (القديس مرقوروس «مركيانوس») والبابا الثالث عشر (القديس ياروكلاس) والبابا ديونيسيوس (البابا الرابع عشر)والبابا السابع عشر (القديس بطرس خاتم الشهداء) والبابا الثامن عشر (القديس أرخيلاوس أو أرشيلا) كل هؤلاء كانوا مديرين للإكليريكية قبل أن يعتلوا كرسى الكرازة الرسولية.

فضلاً عن أن القديس الكسندروس (البابا التاسع عشر) والقديس أثناسيوس الرسولى (البابا العشرين)، والقديس تيموثيئوس الأول (البابا الثانى والعشرين)، والقديس كيرلس عمود الدين

(١)يقال أن المدرسة الوثنية قد بلغت أوج مجدها فى حكم الملك يوليانس الجاحد ٣٦١ ـ ٣٦٣ ثم أخذت تنحدر عن عزها رويداً إلى أن اندثرت فى أيام القيصر يوستنيانوس سنة ٥٣٩ م. أما رؤساء هذه المدرسة فهم: أمونيوس ثم بلوتينوس، ثم بورفيروس ثم جامبليك، ثم بروكلوس، ثم داماسوس.

(البابا الرابع والعشرين)، والقديس ديوسقورس (البابا الخامس والعشرين) كل هؤلاء على الأقل قد ثبت قطعاً أنهم من خريجى المدرسة اللاهوتية أو الإكليريكية الأسكندرية.

وإذن فقد كان الأساتذة والخريجون موضع ثقة الكنيسة بل وعمدة رأيها وقادة الفكر فيها، وكانوا لعلو كعبهم وتضلعهم فى العلوم اللاهوتية والفلسفية، حجة الكنيسة الجامعة الرسولية، فإذا فصل باباوات الكرسى الأسكندرى فى أمر، كان هو الرأى الذى تخضع له جميع كنائس المعمورة.

وكان هذا فى الواقع سرّ قوة كنيسة الأسكندرية فى القرون الخمسة الأولى، وسرّ شهرة باباواتها وبطاركتها، ، وكان قولهم هو فيصل الحق الذى يقطع حجة كل خطيب. ولذلك كانوا يبرزون عادة فى المجامع المسكونية، وكانوا يختارون غالباً لرياستها أو قيادتها. وكانت المجامع المسكونية تؤيد تصرفات باباوات الأسكندرية وتثبت رسائلهم وقراراتهم المحلية، وتوصى باتباعها فى الكنيسة الجامعة. من ذلك ما فعله مجمع نيقية فيما يتصل بمشكلة عيد الفصح وإعادة معمودية الهراطقة، وقد خوّل المجمع المسكونى لبابا الأسكندرية أن يحدد عيد الفصح، ويبلغ موعده لجميع كنائس المعمورة وقد أقرّ أساقفة العالم المسيحى ما رآه البابا أثناسيوس الرسولى بالنسبة لعمل الميرون المقدس، وعهدوا إليه بعمله وتوزيعه عليهم، وظل الأمر كذلك زمناً كان البابا الأسكندرى حجة المسكونة كلها، ولذلك كسب على ممر التاريخ فى تلك القرون الخمسة الأولى لقب «حامى الإيمان» و«قاضى المسكونة» و« ثالث عشر رسل المسيح» ، و«العظيم فى البطاركة». ذلك أن باباوات الأسكندرية كانوا يؤخذون عادة من رؤساء المدرسة اللاهوتية وأساتذتها، وكان يختلف إلى المدرسة كثيرون من طلاب المعرفة والعلم من أبناء الكنائس الأخرى فى بلاد العالم، فإذا تخرج هؤلاء وصاروا أساقفة وكهنة فى بلادهم، كانوا يرسلون إلى باباوات الأسكندرية يستفتونهم فى مسائل الإيمان والعقيدة وشئون الطقوس والأوضاع الكنسية، كما يستشير التلميذ أستاذه، فصارت لبابا الأسكندرية شهرته كأستاذ الأساقفة ومعلّم البطاركة، وقاضى المسكونة.

جاء فى دائرة المعارف للبستانى تأييداً لهذه القضية: وللوقوف على أهمية التعاليم المسيحية فى الأسكندرية، ينبغى إمعان النظر فى تأليف القديس بطرس البطريرك وتأليف خلفه القديس اسكندر، وتأليف القديس أثناسيوس أشهر أخصام آريوس، وتأليف القديس غريغوريوس النزينزى وبوليوس الأفريقى المؤرخ المعتبر، وايسخيوس صاحب القاموس اليونانى النفيس، والقديس مكاريوس الملقب بالشاب وكان تقياً متقشفاً، ونولتس باثيليس صاحب القصيدة المسماة ذيونيسياكة، وديديموس معلم التعليم المسيحى والقديس كيرلس البطريرك الخطيب الفصيح، وسينسيوس تلميذ ايباتيا الشهيرة، وأسقف بتولمايس فى مصر، وزد على هؤلاء الفطاحل جماعة من المؤلفين يعتبرون فى الغالب وثنيين من حيث نسق تأليفهم، مع أنهم كانوا على دين النصرانية، وقد انتشرت هذه المدرسة (الاكليريكية) بالعلم أكثر من كل المدارس النصرانية التى أنشئت فى القرون الأولى للميلاد، لأن العلوم كانت على درجة لا ريب لوجودها فى وسط ديانة

يهودية مستندة إلى الفلسفة، ومدارس يونانية أو مصرية مستندة إلى النظامات العمومية وأرتقة أريوس وهى دقيقة تميل إليها القلوب، ومقاومين أشداء أقلقوا الكنيسة فى أزمانها الأولى وهم الغنوسطيون أى أهل التواليد. واعتنى علماء تلك المدرسة بأن يعرضوا الدين المسيحى على الناس عرضاً تعمقوا فى البحث عنه، وذلك ما سماه القديس أكليمنضس الأسكندرى الغنوسطية الحقيقية المضادة للغنوسطية الأرتقية، التى انتحلت هذا الاسم زوراً، وبعد أن عرضوا الإيمان المسيحى على ذلك المنوال، ألفوا تآليف شتى لتفسير التوراة (أطلب أوريجينوس) ونبذا خصوصية فى قواعد الاعتقاد والقانون الوجيز المكمل المنسوب إلى القديس أثناسيوس، وكل الارتقات المشهورة ولا سيما أرتقات الألفيين، وسابيليوس وأريوس ونسطور وأوطيخا والغنوسطيين صادفت مقاومين أشداء فى المدرسة المسيحية. نعم أن أوريجينوس أحد أكابر علمائها سقط فى بعض أغلاط إلا أنه نقض أعظم منها كثيراً، ولنا بذلك مزيد فخر (١).

وذاع صيت الاكليريكية فكان يقصد إليها الطلبة من كل حدب وصوب، إذ أنها صارت المرجع الأعلى للثقافة الأرثوذكسية فى العالم بأسره. نعم كان فى بعض البلاد المسيحية مدارس إكليريكية (٢) ولكنها لم تكن شيئاً مذكوراً إزاء إكليريكية الأسكندرية، ولذا فإن أبناء الغرب والشرق كانوا يحجون إليها، بل وليس أدل على عظمة الإكليريكية من أن طلبة الدين فى بلاد العالم الأخرى (٣) إذا فرغوا من دراساتهم الدينية هناك كانوا يقصدون إلى الأسكندرية ليتزودوا من بحار علومها اللاهوتية العليا، وقد وضع الأمبراطور ثيئودوسيوس قانوناً بأن التلميذ الذى يهرب من هذه المدرسة يعد كافراً وزنديقاً.

إلى هذه الدرجة بلغ إعجاب العالم كله بالإكليريكية، ولن تجد مؤرخاً أو كاتباً مهما يكن مذهبه إلا ويطرى هذه المدرسة ويعدها أعظم مدرسة مسيحية فى العصور الرسولية الأولى، سواء فى منهج دراستها أو مكانة أساتذتها وخريجيها. قالت دائرة المعارف الفرنسية «هذه المدرسة هى أول من أدخل علم اللاهوت التفسيرى المجازى وعلم اللاهوت الفائق الطبيعة.. ولا توجد مدرسة تشبه هذه المدرسة إلا مدرسة قيصرية التى أنشأها العلامة أوريجانوس الأسكندرى بعد خروجه من الأسكندرية...»

---

(١) دائرة المعارف للبستانى ـ المجلد الثالث ص ٥٨٧.

(٢) فى أفسس وأزمير وروما وأنطاكية وقيصرية والرها ونيسيس وسلوقية. ويقول موسهيم أنه أقيمت فى القرن الأول مدارس عليا فى المدن الكبيرة حيث كان يدرس فيها الشبان، ولا سيما الطالبون بأن يكونوا معلمين للجمهور ويتعلمون كل نوع من العلوم العالمية والدينية. والرسل أنفسهم أقاموا مدارس كهذه وأمروا الآخرين بأن يقيموا مدارس، يتعلم فيها الشباب الذين كرسوا أنفسهم لهذه الوظيفة المقدسة كل ما يلزم أن يؤهلهم لها بلياقة (٢. تى ٢: ٢) والقديس يوحنا فى أفسس وبوليكاربوس فى أزمير أقاما مدارس كهذه. وكان أشهر هذه المدارس فى الأيام المتأخرة مدرسة الأسكندرية التى كانت تسمى المدرسة الكاتشيسس (أى تعليم قواعد الإيمان بالسؤال والجواب) وقيل أن مرقس أنشأها. (تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة للعلامة يوحنا لورنس فان موسهيم ـ بيروت ١٨٧٥: كتاب ١ قرن ١ قسم ٢ ف ٣: ٧).

(٣) من بين هؤلاء القديس غريغوريوس الثيئولوغوس (الناطق بالإلهيات).

وقال المؤرخ موسهيم البروتستانتى: من الأسباب التى أدت إلى تقدم الديانة المسيحية، ترجمة الكتب المقدسة إلى لغات عدة، وكان أول من ترجم وفسر الكتب المقدسة هم علماء مدرسة الأسكندرية.

ولما كانت مدرسة الأسكندرية اللاهوتية تعد أعظم مدرسة لاهوتية، لذلك كان كثير من خريجى المدارس اللاهوتية فى البلاد الأخرى، يقصدون إليها للتزود من ثقافتها اللاهوتية الواسعة. من بين هؤلاء القديس اغريغوريوس الثيئولوغوس (الناطق بالإلهيات) (٣٢٩ - ٣٨٩م)، والقديس باسيليوس الكبير (٣٣٠ - ٣٧٩م) والقديس يوحنا ذهبى الفم (٣٤٧ - ٤٠٧م) والقديس ايرونيموس (٣٤٢ - ٤٢٠م) والمؤرخ روفينوس (٣٤٥ - ٤١٠).

هذا ومن أهم أعمال المدرسة اللاهوتية غير ما ذكرنا، هو أن علماءها قدّموا أول ترجمة أمينة دقيقة للعهد الجديد من اللغة اليونانية إلى اللغة القبطية، وهى هذه الترجمة التى أشرف عليها بنتينوس رئيس المدرسة وساعده فيها القديس اكليمنضس.

وعلماء مدرسة الأسكندرية اللاهوتية هم أول من فسروا الكتب المقدسة، وأول من وضعوا قواعد التفسير، وأول من أدخل المنهج الفلسفى فى سياق تقديم الحقائق الدينية، أى أنهم أول من وضعوا أسس علم اللاهوت، ولا ننسى أن نذكر المجهود الضخم الذى قام به العلاّمة أوريجينوس فى دراسة نصوص الكتاب المقدس ومقارنتها فى ترجماتها المختلفة، التى كانت معروفة فى ذلك الوقت بالعبرانية واليونانية. ومن بين ثمرات جهوده الكتاب المعروف بالهيكسابلا Hexapla وهو يجمع بين ستة نصوص للعهد القديم باللغات العبرانية واليونانية، صفها فى أعمدة متجاورة للدرس والمقارنة بينها... إلى غيرها من الدراسات الكتابية التى عكف عليها نحو ثمانية وعشرين عاماً قضاها فى درس متواصل بالنهار والليل ومعه تلاميذه، وكان على قوله يسهر إلى ساعة متأخرة فى الليل، ويقول فى موضع آخر أنه وتلاميذه لم يكن لهم وقت للعشاء. وهذا يدل على مدى الجهد المضنى الذى كان يبذله هذا العلامة العبقرى فى الإنتاج الروحى المسيحى.

هذا إلى ما لا يمكن إحصاؤه من كتب فى اللاهوتيات والتقويات، وكل ما يتصل بالعقائد الدينية والطقوس الكنسية والقوانين الروحية والأدبية والطقسية، والردود على الفلاسفة والهراطقة، فى عشرات بل ومئات من الكتب، حتى ذكر القديس أبيفانيوس أن لأوريجينوس وحده أكثر من ستة آلاف كتاب، غير ما كتبه غيره من أمثال بنتينوس، الذى فسّر جميع أسفار الكتاب المقدس واكليمنضس الأسكندرى الذى وضع بدوره كتباً كثيرة وردّ على هرطقات الغنوسيين، ودافع عن دور الفلسفة وأهميتها فى التمهيد للتعليم المسيحى، وغير ما كتبه العلاّمة ديديموس الضرير فى شرح الكتب المقدسة وإيضاح التعليم المسيحى.

منهج الدراسة وروحها

بدأ أساتذة الوثنية الأعلام نظير كلسس Celsus وبورفيروس Porphyry يدرسون الكتب المقدسة المسيحية تمهيداً لنقدها وتفنيدها، ثم أخذوا - فى مهارة ودقة - يكشفون عن المشكلات العلمية فى أسفار العهد القديم، وعن ما يروه من تناقض تنطوى عليه أسفار العهد الجديد. ومن ثم فقد تناقش علماء المدرستين وتناظروا، وكان هذا التناظر والنقاش مصدر خير للدين المسيحى، فأتاح لفلاسفة المسيحية فرصة مناسبة لبيان حقيقة التوافق بين أسفار الكتاب المقدس، فضلاً عن حل الإشكالات العلمية التى أثارها خصوم المسيحية ضد العهد القديم على وجه الخصوص.

ومع أن التعليم المسيحى كان يلقن فى معظم البلاد المسيحية على غير طريقة منهجية، يقوم بها الأسقف أو القسيس، إلا أنه قد أحرز فى مدينة الأسكندرية تقدماً هائلاً، فلم يكد ينتصف القرن الثانى للميلاد حتى كان للإكليريكية منهج علمى منظم.

لقد كانت الإكليريكية فى عهدها الأول مدرسة دينية مسيحية، تعنى بشرح التعليم المسيحى وتلقينه على طريقة السؤال والجواب، ولما كان المتقدمون إلى المدرسة اللاهوتية لا يجمعهم هدف واحد، لهذا انقسم الطلاب - وهم من الجنسين ذكوراً وإناثاً - إلى ثلاثة أقسام أو مجموعات: **فريق كان وثنياً يفتش عن الحق أين هو.. وفريق كان وثنياً ثم آمن بدين المسيح، ولكنه لم ينل سر العماد بعد**، ولهذا يدرس ليتأهب لمعرفة أصول الإيمان المسيحى، حتى إذا نجح فى الاختبار قدم إلى العماد فى الوقت المناسب (١). **ثم أخيراً فريق كان مسيحياً ولكنه يريد أن يتعمق** فى درس العقائد والحقائق الإيمانية، فيزداد فيها رسوخاً حتى يتمكن من الخدمة فى الكنيسة المقدسة والعمل على ذيوع الديانة المسيحية فيكون واسطة لخلاص نفوس البعيدين.

الفريق الأول: الطلاب الوثنيين:

الذين يفتشون عن الحق أين هو، ولم يهتدوا بعد إليه.

تبعاً لهذا التقسيم كان لابد للمنهج الدراسى أن يتكيف حسب مستوى طلبة القسم وحسب احتياجهم، وحسب الهدف الذى يريدون تحقيقه من إلتحاقهم بالمدرسة. فقسم الوثنيين الذين يفتشون عن الحق أين هو يلزمهم تعريف واضح بالمسيحية فى خطوطها العامة الأساسية وعقائدها العظمى مع مقارنتها بغيرها من الديانات السماوية والبشرية.

---

(١) ويقال فى بعض المصادر أن المدرسة أُنشئت فى بادئ الأمر لهذا القصد.

الفريق الثانى: وثنيين أمنوا بالمسيح:

وهم قسم الموعوظين الذين آمنوا بالمسيح ولم ينالوا العماد بعد، تلزمهم شروح للكتب المقدسة وتفسير لها وإيضاحات للعقائد المسيحية، وبيان واف للواجبات المسيحية وأهلية المؤمن لقبول المعمودية المقدسة وسائر الأسرار الخلاصية وأهمية هذه الأسرار ومعناها وقيمتها ومغزاها. لأن دراسة هذه العلوم ضرورية لشرح العلوم الدينية وحلّ المشكلات التى تنشب بينها وبين العلوم الطبيعية وأيضاً تلزمهم دراسات فى التعليم المسيحى لمعرفة أصول الإيمان ، فإذا ثبت نجاحهم فيما درسوه وتعلّموه، قدّموا إلى المعمودية المقدسة. ويمكن أن يقال أن هذا القسم يعد أقدم جميع أقسام المدرسة، وهو الذى أُنشئت من أجله.

الفريق الثالث: إعداد الخدام من الطلبة المسيحيين:

الذين يريدون أن يتعمقوا فى فهم العقائد والحقائق الإيمانية المسيحية، ليزدادوا فيها إيماناً، ويزداد إيمانهم بها رسوخاً، ولكى يتمكنوا من إقناع غيرهم والتبشير بالمسيحية لغير المؤمنين.وهذا القسم هو قسم الإعداد لخدمة الكنيسة، وتكوين القيادات الرعائية فيها. وهو القسم الذى يكاد ينحصر فيه عمل المدارس اللاهوتية اليوم ومن بينها المدرسة اللاهوتية الإكليريكية القائمة اليوم بالقاهرة، إمتداداً للمدرسة اللاهوتية الأسكندرية.

ولكن المدرسة عنيت فيما بعد بإدخال علوم وثقافات أخرى دعت إليها حاجة العصر، فكانت المدرسة اللاهوتية على حد تعبير أحد مؤرخى الفلسفة جامعة علمية عالمية إلى جانب المدرسة الإكليريكية، فقد أُدخلت فيها علوم الطب والكيمياء والطبيعة والحساب والهندسة والفلك والجغرافيا والتاريخ والموسيقى واللغات.

بيد أنه لم تكن لها فى بادئ الأمر أبنية أو عمارة خاصة بهذا الغرض، بل كان المعلم يقوم بتدريس تلامذته فى بيته الخاص، وقد كان العلامة أوريجينوس يشتغل إلى ساعة متأخرة من الليل فى تعليم التلاميذ وإعطاء الإرشادات اللازمة بحسب حاجة كل منهم، ولم يكن قد أقر لها حتى هذه اللحظة منهج ثابت أو تصنيف واضح للعلوم كما أصبح لها بعد قرن من الزمان، فقد كان الأستاذ يترك لحريته فيعلم طلبته كما تتهيأ له الظروف، أو كما توحى إليه طبيعته الخاصة أو حاجة الطلاب وظروفهم.

إلا أن المقرر العام أو بالحرى السياق العام الذى كان يتبع فى المدرسة، يمكن لحسن الحظ أن نتحدث عنه اليوم بشئ كبير من الدقة وكمال التفاصيل، فالتلاميذ الذين كانوا يعجزون عن متابعة الدرس بعمق وتفصيل، كانوا يقتصرون على معرفة حقائق الإيمان، مضافاً إليها

الشروحات والتفسيرات والإيضاحات المناسبة أو اللازمة. أما الآخرون فقد نقل إلينا العلامة أوريجينوس أنهم كانوا يدرسون بطريقة جدلية. وهم الذين يعدوا للخدمة.

وقد أوضح لنا مقصود هذه العبارة أحد تلامذته ممن كانوا يتمتعون بثقته وحبه وهو غريغوريوس العجائبى فقال: إن الدراسة بالنسبة لهؤلاء الشغوفين بالدرس كانت على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة العلوم ، فيها يدرسون الهندسة ووظائف الأعضاء (الفسيولوجيا) والفلك. وهى علوم يربح الدارس من ورائها تقوية وتنمية لملكات الاستدلال والملاحظة الدقيقة والنظام.

المرحلة الثانية: مرحلة الفلسفة ، وفيها يدرسون كتابات ومؤلفات جميع الشعراء اللاهوتيين وجميع الفلاسفة ما عدا الملاحدة الأبيقوريين ويفسرونها ويناقشونها.

والمرحلة الثالثة والأخيرة: .... مرحلة العلوم اللاهوتية ، آخر مرحلة وأهمها، والمنهج الجدلى فى دراسة اللاهوت هو منهج المناقشة لا منهج التلقين والأخذ، فإذا أراد الأستاذ مثلاً أن يبين حاجة الناس إلى الوحى، تقدم أولاً فأظهر نقص المذاهب الإنسانية والمحاولات البشرية وتناقضها، وحينئذ يبين أن النور الباهت الذى أضاء عقول الفلاسفة من أمثال أفلاطون وأرسطو لم يكن إلا قبساً ضيئل بالنسبة إلى كمال الإشراق ووضوح الضياء فى الديانة المسيحية.

على أن فلاسفة المسيحية - ولا سيما اكليمنضس الأسكندرى وأوريجينوس - ما كانوا ينظرون إلى الفكر اليونانى نظرة احتقار وازدراء وإنما على العكس قد نظروا إلى عقول أساتذة المدرسة الهلينية بإعجاب عظيم، ثم نفثوا هذه الروح عينها فى تلاميذتهم من بعدهم. ولكنهم - على كل حال - قد كانوا مفتقرين إلى الوحى النبوى.

ثم لقد بلغت الفلسفة ذروتها فى الأخلاق، وهنا يبدو التعليم الجدلى فى أقصى معناه: فكان يطلب من التلميذ أن يجئ بتعريف لكلمة أو لفظة من الألفاظ التى تستند إليها الأخلاق، كلفظة «الخير» أو «الشر» أو «العدالة» أو «القانون» ومن ثم يصبح هذا التعريف موضوعاً لدراسة أعمق مصوغة على طريقة السؤال والجواب، وفى سياق هذه المناقشات الممتعة تتضح الإتجاهات الخاطئة وتنجلى الحقيقة فتتغير الآراء السابقة وتفتضح الجهالة، وبها يضطرم الحب نحو الحقيقة حتى يستحيل إلى هوى.

والحق أن المنهج الذى كان يتبع فى المدرسة الإكليريكية لم يكن يختلف اختلافاً جوهرياً عن المنهج المتبع فى المدرسة الوثنية، ومع ذلك فقد كان للمدرسة المسيحية طابع خاص، يميزها

بكل وضوح عن المدرسة الوثنية، وهو ما يبدو من قوة الفضيلة وتأصلها فى نفوس أساتذة الإكليريكية وطلبتها، فقد كانوا جميعاً مثلاً عالياً يحتذى فى سمو الأخلاق ورفعة النفس وطهارة الحياة والعفاف وكمال السيرة، الأمر الذى كان يطمح إليه الوثنيين فلا يستطيعون إليه سبيلاً، ورأى الوثنيون أيضاً أن الفضيلة فى المسيحية ليست دراسة نظرية فحسب، وإنما كانت تتجلى فى الحياة العملية وقوة للتصرف وحسن السلوك، وكانوا يرون فى الأساتذة والطلبة مغناطيسية سرية وجاذبية شخصية خفية تدعو كل من يراهم أن ينهج نهجهم ويدين بدينهم.

وربما لا نستطيع أن نقطع فيما إذا كان هناك أسلوب أو منهج للتعليم المسيحى، أعظم من هذا المنهج الذى نجده فى مؤلفات المعلمين والفلاسفة المسيحيين فى نهاية القرن الثانى بعد المسيح. ومهما يكن من شئ فقد كان لهذا المنهج أثر واضح فى بيان ضلالات الوثنية وإظهار سمو الديانة المسيحية، والرد على جميع الإعتراضات التى يثيرها الخصوم ضدها، مما أدى إلى هجران الوثنيين لوثنيتهم وثبات المؤمنين على مسيحيتهم، ووقوفهم على أسرارها وحقائقها السامية العالية.

فازت الكنيسة إذن على الوثنية أعظم فوز، وقد كان فوزاً قاهراً ساحقاً، صارت به الكنيسة ذلك الكائن الذى ينمو حتى شمل بكيانه كل شئ فلم يعد للوثنية بقاء، وقد امتلكت علوم الوثنية ومعارفها فصارت تحت أمرتها وتصرفها، وقد استغلتها أحسن إستغلال، فبرزت فى التعليم السليم الصحيح والخلق المسيحى القويم.

كل هذا كان للكنيسة لأن المدرسة الإكليريكية كانت فى أوج مجدها وفخر عزها.

إكليريكية الأسكندرية
فى عصـــــر اضمحلالهـــــا

آه يا للأسف!!! بل وأيضاً يا للأسف!!! عصفت بالمدرسة الإكليريكية عاتيات الزمان، ولم يتح لها البقاء الذى كان يرجى لها.. فقد شاء لها الله أن تتوقف عن رسالتها الجليلة، فبعد أن كانت زاهرة بالعلوم، وبعد أن كانت ملجأ الوافدين المقبلين على العلم، والشغوفين بالثقافة من جميع أصقاع المسكونة، ضعف الإقبال عليها وأصابها الذبول والإنحلال، والأرجح أن العامل الأول على اضمحلالها لم يكن باطنياً بل كان ظاهـرياً خـارجيـاً. فقد قـرأنا أن العـلامة «رودن Rhodon » - وهو آخر مدير للإكليريكية نقلها من مدينة الأسكندرية إلى بلدة صيدا فى إقليم بامفيليا. ولسنا نعرف السبب الذى حدا به إلى ذلك، غير أنه من المؤكد أن هذا النقل قد أضر بالمدرسة إضراراً بليغاً، فكان سبباً مباشراً لقلة الإقبال عليها وتناقص عدد طلبتها، وظلت حالها تسوء رويداً رويداً حتى القرن الخامس، الذى تصدّعت فيه وحدة الكنيسة الجامعة الرسولية إلى شرقية وغربية، فتشتت تلامذتها وأفل نجمها أفولا عجيباً. وهكذا اندكت معالم تلك المدرسة العظيمة وأسدل الستار على أرفع معهد للعلم والثقافة المسيحية فى المعمورة.

والأمر الذى لا مندوحة عنه أن الخلافات العقائدية التى نشبت فى أعقاب مجمع خلقيدونيا سنة ٤٥١م، والتى جعلت الدولة البيزنطية تضغط بكل ثقلها على الأقباط فى مصر، ليقبلوا طوموس ليون أسقف روما وتحديدات مجمع خلقيدونيا، وما كان يلحق بمن يعترض على الطوموس ومجمع خلقيدونيا من عذاب واضطهاد، هو الذى شتت تلاميذ المدرسة اللاهوتية وأساتذتها، فرجع إلى بلاده من رجع وهرب من هرب. وأما الباقون من الراغبين فى استمرار الدرس والبحث، فقد وجدوا فى دير أبو مقار الملاذ الأمين، والمكان الهادئ الذى يناسب رغبتهم، فى مواصلة الدرس فى هدوء. ولذلك أصبح دير أبو مقار هو خليفة المدرسة اللاهوتية بالأسكندرية بضعة قرون تلت، ولعل هذا هو السبب فى أن أكثر البطاركة الذين اختيروا من بين الرهبان قد أخذوا من هذا الدير بالذات بعد غلق المدرسة اللاهوتية بالأسكندرية، فمن الرهبان اختير بعد القرن الخامس، أربعة وثمانون بطريركاً كان ٢٤ منهم من دير أبو مقار، وهى أكبر نسبة أخذت من بين رهبان جميع الأديرة الأخرى على كثرة عددها.

فلما خمدت حياة تلك المدرسة وخبا ضوؤها الساطع وانطفأ نورها الوضاح، أصاب الكنيسة المرقسية ضعف وذبول، فلم يعد لباباواتها ما كان لهم فى العصور المسيحية الأولى من الثقافة اللاهوتية التى تمكنهم من قيادة الرأى المسيحى بالعالم كله، فتدهورت مكانة الكنيسة.

فعاد القبط يتأملون فى مجدهم الغابر وأخذوا يقارنون بين ما كانوا عليه وما صاروا إليه، فأدركوا أن إهمال الثقافة اللاهوتية جريمة لا تغتفر فى حق الكنيسة، وأنه لا سبيل إلى رفعة الكنيسة والنهوض بها إلى الكمال والمجد التليد، إلا بإنشاء أو بالحرى إعادة الإكليريكية الأولى، وبدأوا من جديد يشعرون بالحكمة السامية التى حدت بالرسول العظيم القديس مرقس الرسول إلى إنشاء مدرسة لاهوتية لتكون سنداً للعقيدة وحصناً للإيمان الرسولى.

تجددت عزائمهم وفكر أبو الإصلاح القبطى البابا كيرلس الرابع، فى إنشاء إكليريكية أخرى تكون على غرار الإكليريكية الأسكندرية، ولكن لم يمد الله فى عمره حتى يحقق هذه الأمنية، فأتاحها فرصة مباركة لخلفة القديس كيرلس الخامس الذى عهد بإدارتها للعلامة الإيغومانوس فيلوثيئوس إبراهيم، وقد كان عالماً لاهوتياً شهيراً. ومع ذلك لم يطل الأمد بهذه النبتة الصغيرة أكثر من بضعة شهور. ولكن الرب شاء لها الحياة من جديد على يد المرحوم يوسف بك منقريوس فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٩٣م (سنة ١٦١٠ ش) . ومنذ ذلك الوقت تناضل عن وجودها وكيانها، ومع أنها كانت إسعافاً للكنيسة أنقذتها من شرور كثيرة، ومن الجهالة التى كادت تخيم عليها. إلا أنها لا زالت محتاجة إلى العمل الجدى المتواصل، لتكمل العمل العظيم الذى بدأته أمها الأولى، وهى لا شك واصلة إلى بغيتها بقدرة الله وصلوات القديسين.

ونحن إذ ندرس الفلسفة المسيحية الشرقية أو فلاسفة القبط بالأسكندرية لا يسعنا إلا أن نقف أمام بعض الشخصيات وقفات قد تطول وقد تقصر.

الفلسفة المسيحية الغربية

الفلسفة المسيحية

جاءت المسيحية إلى العالم ديانة موحى بها من الله، وقدّمها السيد المسيح لا على أنها مذهب فلسفى مجرد، بل لتكون عقيدة للفداء.. والخلاص..، وأرسل المسيح رسله إلى العالم لا ليشغلوا كراسى الأستاذية فى مدارسه وجامعاته، وإنما ليبشروا الناس بالإنجيل. كانت المسيحية إذن هى الطريق.. وهى السبيل الذى يتعين على الإنسان أن يسلكه ليصل إلى الله.. ولم تكن مذهبا جديدا من مذاهب الفكر أتى ليضاف إلى المذاهب والمدارس الفلسفية القديمة... وعكف رسل المسيح على هداية الناس إلى الإيمان، وإرشادهم إلى طريق الحياة الفضلى، ولم تكن بغيتهم أن يبتدعوا للناس مذهبا جديدا يشغل أذهانهم وعقولهم، على نمط المذاهب الفلسفية المعروفة فى زمانهم أو قبل زمانهم.. ولم تحدثنا الكتب المقدسة إلاّ فيما ندر عن تصدى الرسل ومجابهتهم للفلاسفة اليونانيين بالمعنى الأكاديمى الدقيق...

ومع ذلك، فإن المسيحية عندما امتدت جذورها وتأصلت، أثارت الريبة والكراهية لا من جانب اليهود والسلطات السياسية فقط، بل وأيضا من جانب المفكرين والكتّاب والوثنيين، وحقا أن بعض الحملات التى صوّبت ضد المسيحية، لم يكن مردها إلاّ إلى الجهل أو الشك الساذج أو الخوف من المجهول أو التمويه، ومع ذلك فقد كانت هناك حملات أخرى على مستويات نظرية وأسس فلسفية... وكان على المسيحية بالطبع أن تواجه هذه الحملات.. وهذا معناه أنه كان لابد لها أيضا من أن تستخدم الحجج الفلسفية إلى جانب الحجج اللاهوتية، لإثبات وجودها والدفاع عن مبادئه، ومن هنا كانت العناصر الفلسفية التى نجدها فى كتابات آباء الكنيسة والمدافعين الأولين عن الدين المسيحى. ولكن من الواضح أننا لا نتوقع أن تؤلف هذه العناصر مذهبا فلسفيا كاملا، حيث أن الباعث الأول عند هؤلاء الكتاب كان باعثا دينيا وهو الدفاع عن الإيمان. فلما توطدت أركان المسيحية وصارت مشهودة، وأصبح فى قدرة علماء الكنيسة أن ينشروا الفكر والمعرفة، إزداد الإتجاه الفلسفى وضوحا لاسيما عندما دعت الحاجة إلى صد حملات الفلاسفة الوثنيين المحترفين.

وإذن فالدفاع عن الدين كان هو الدافع الأساسى إلى قيام الفلسفة المسيحية ونموّها، ولا شك أن هذا يرجع أولا وبالذات إلى عامل خارج عن المسيحية نفسها، وأعنى به الهجوم عليها من أعدائها، ومع ذلك فهناك عامل آخر لهذا النمو، وهو عامل داخلى غير عامل الهجوم على المسيحية من خارج، فقد كان من الطبيعى أن يحس المفكرون المسيحيون برغبتهم فى أن يتعمقوا الحقائق التى قدمها الوحى طالما أنه مباح لهم أن يفعلوا هذا، بل وأن يكّونوا رأيا شاملا فى الكون والحياة المسيحية، فى نور الإيمان، هذا العامل الآخر أخذ يلعب دوره على صورة منهجية، فى زمن متأخر عن العامل الأول، وقد بلغ ذروة فعله عند القديس أوغسطينوس، أما

الرغبة فى تعمق عقائد الإيمان (وقبل القول بمبدأ «انى أؤمن لكى أفهم Gredo ut intelligam »)، فقد لعبت دورها على نوع ما منذ الإبتداء، فقد ظهرت منذ الإبتداء الرغبة فى فهم الإيمان وتقييم عقائده، كما نبتت الحاجة إلى تعريف العقيدة تعريفا أكثر وضوحا لمجابهة الهرطقات، ولهذا بسطت حقائق الوحى الأصلية فى صورة أكثر جلاء أو فى صورة متطورة، بمعنى أن ما هو غامض فى هذه الحقائق صار واضحا. فمنذ البداية قبل المسيحيون مثلا هذه الحقيقة، أن المسيح هو الاله المتأنس، ولكن لم تصر مضامين هذه الحقيقة واضحة، ولم تدخل فى نطاق التحديدات اللاهوتية إلا مع مرور الأيام، ومن ذلك مثلا أن طبيعة السيد المسيح الناسوتية الكاملة تتضمن حيازته لمشيئة إنسانية، ولا شك أن هذه التعريفات أو الحدود اللاهوتية، وأن إنتقالها من الغموض إلى الوضوح تقدم أدركه علم اللاهوت. ولكن يلاحظ أن هناك مقولات Categories ومدركات استعيرت من الفلسفة، واستخدمت فى عملية البرهنة وفى التعريفات اللاهوتية، ولمّا لم يكن للمسيحيين فلسفة خاصة بهم بالمعنى الأكاديمى لكلمة الفلسفة، فكان طبيعيا جدا أن يتجهوا إلى الفلسفة السائدة، وهى مشتقة من الفلسفة الأفلاطونية ومشبّعة بعناصر أخرى. ولذلك يمكن أن يقال بصفة عامة، أن الأفكار الفلسفية التى تأثر بها الكتّاب المسيحيون الأوائل، كانت فى طابعها مستقاة من الفلسفة الأفلاطونية أو الفلسفة الأفلاطونية الجديدة مع شئ من الرواقية. وأن التقليد الأفلاطونى ظل زمنا طويلا مسيطرا على الفكر المسيحى من وجهة النظر الفلسفية.

وهنا يجب أن نذكر أن الكتّاب المسيحيين لم يميزوا تمييزاً واضحا بين الفلسفة واللاهوت. أنهم كانوا يهدفون إلى أن يقدموا للعالم الحكمة المسيحية أو الفلسفة المسيحية فى معناها الواسع. وبديهىّ أنها كانت حكمة دينية أو لاهوتية، وإن اشتملت على عناصر فلسفية بالمعنى الدقيق. وعلى ذلك فإن مهمة مؤرخ الفلسفة أن يعزل هذه العناصر الفلسفية. فليس عدلا أن ننتظر منه أن يقدّم لنا صورة دقيقة للفكر المسيحى الأول، ذلك لأنه من المفروض ex hypthesi أنه ليس مؤرخا للتفسير أو لعلم اللاهوت العقيدى...

ولمّا كان الفلاسفة الوثنيون من جهة ميالين إلى مهاجمة الكنيسة وتعاليمها، وكان اللاهوتيين والمحامون عن الدين المسيحى من جهة أخرى ميالين إلى إستعارة أسلحة خصومهم، إعتقادا منهم أن هذه الأسلحة تصلح لتحقيق أغراضهم، فقد كان من المتوقع أن تختلف اتجاهات الكتاب المسيحيين نحو الفلسفة القديمة، تبعا لنظرتهم إليها أو تبعا للزاوية التى ينظرون منها إليها. فهى تارة عدوّ أو خصم للمسيحية، وتارة أخرى شئ نافع مثلها مثل دار أسلحة أو مخزن استيداع، وتارة ثالثة تجهيز وإعداد للمسيحية من قبل العناية الإلهية. فبينما ينظر ترتليانس مثلا إلى الفلسفة الوثنية على أنها غباوة هذا العالم وربما أكثر من غباوة، يرى اكليمنضس الأسكندرى أن

الفلسفة عطيّة من الله، وأنها الواسطة التى أعدّها الله لتأديب العالم الوثنى وتوجيهه إلى المسيح، تماما كما كان الناموس هو الواسطة التى هيأها الله لتأديب اليهود وتوجيههم إلى المسيح، وقد رأى اكليمنضس أيضا ما رآه يوستينوس من قبله، أن أفلاطون قد استقى حكمته من موسى والأنبياء، وكما حاول فيلون أن يوفق بين الفلسفة اليونانية والعهد القديم، هكذا حاول اكليمنضس أن يوفق بين الفلسفة اليونانية والديانة المسيحية، ولا شك أن إتجاه اكليمنضس الأسكندرى، لا إتجاه ترتليانس، هو الذى فاز فى النهاية، ومن ذلك ما نشاهده مثلا عند القديس أوغسطينوس الذى انتفع كثيرا بالأفكار الأفلاطونية الجديدة فى نظرته إلى الكون...

ومن بين المجموعة الأولى من الكتّاب المسيحيين الذين اشتملت تواليفهم على عناصر فلسفية يمكن أن نذكر المدافعين الأولين، الذين كانوا يهتمون على الخصوص بالدفاع عن الإيمان المسيحى ضد هجوم الوثنيين، أو بالحرى أن يثبتوا للسلطات الأمبراطورية أن للمسيحية حقا فى البقاء، من أمثال اريستيديس Aristides، ويوستينوس، وميليتو Melito ، وتاتيانس، وأثيناغوراس، وثيوفيلوس الأنطاكى، ونحن لا نستطيع أن نتناول بالتفصيل آراء كل من هؤلاء الآباء المدافعين عن الايمان المسيحى، ولكننا سنعرض فى عجالة للعناصر الفلسفية الهامة التى اشتملت عليهامؤلفاتهم.

مارقيانوس اريستيديس
Marcianus Aristides

ويلقب اريستيديس بفيلسوف أثينا، كتب دفاعا أو احتجاجا يرجع تاريخه إلى حوالى سنة ١٤٠م وجهه إلى الامبراطور انطونيوس بيوس Antonius Pius ،وقد خصص جزءا كبيرا من هذا المؤلف لمهاجمة آلهة اليونان ومصر الوثنية وذمّ الأخلاق اليونانية الوثنية. على أن المؤلف يصرّح فى أول كتابه بأنه «منذهل من ترتيب العالم»، ويقول «إن العالم وكل ما فيه يتحرك بدفع من كائن آخر» ولما كان «من يحرك أقوى ممن يتحرك»، فإن محرك العالم هو «إله الكل، وهو الذى خلق الكل من أجل الإنسان». وهكذا قدّم اريستيديس فى صيغة موجزة جدا لكنها شاملة وافية أدلة مستقاة من تخطيط العالم ونظامه، ومن حركته، مبينًا أن مدبّر أو منشئ أو مخطط العالم ومحركه هو بعينه إله المسيحيين. ثم يتقدم اريستيديس فينسب إلى الله صفات السرمدية (الأزلية والأبدية)، والكمال واللانطفاطية (١) incomprehensibility والحكمة، والصلاح. ولاشك أن أريستيديس يعرض لنا فى هذا الكتاب نوعا من اللاهوت الطبيعى الأولى، غير أنه لا يهدف منه إلى أغراض فلسفية بل إلى الدفاع عن الديانة المسيحية.

---

(١) صفة اللانطفاطية أو اللامضغوطية فى الله، معناها أنه تعالى لا يمكن إدراكه أو الإحاطة به.

القديس الشهيد
يوستينوس

ونحن نجد عند فلافيوس يوستينوس Flavius Justinus وهو الشهير بالقديس الشهيد يوستينوس، إتجاها نحو الفلسفة أكثر وضوحا وصراحة مما نجده عند اريستيديس، ولد يوستينوس فى مدينة نيابوليس Neapolis أو نابلوس Nablus، من أبوين وثنيين نحو سنة ١٠٠م ولكنه صار فيما بعد مسيحيا، ومات شهيدا فى روما نحو سنة ١٦٤م.

يصرّح القديس يوستينوس فى محاورة له مع تريفون Trypho أن الفلسفة من أثمن الهبات الإلهية التى رسم الله بها أن يقود الإنسان إليه، ولو أن أكثر الناس لم يتميزوا طبيعتها الحقيقية ووحدتها كما يتبين من المذاهب الفلسفية الكثيرة وتعارضها فيما بينها. ولقد ذهب يوستينوس نفسه يطلب العلم عند أحد الرواقيين، ولكنه لم يرض بمذهب الرواقيين فى الله، ولذلك اعتنق مذهب المشائين Peripatetics ثم اعتزلهم سريعا بعد أن تبين له أن مذهبهم أيضا لا يصلح. واتجه وهو لا يزال فى جذوة الحماس إلى أحد الفيثاغوريين المشهورين، ولكّن عدم معرفة يوستينوس بالموسيقى والهندسة والفلك حالت دون صلاحيته لدراسة الفلسفة على هذا المعلم الفيثاغورى. وإذ لم يكن يوستينوس يرغب فى أن يصرف وقتا كبيرا فى تحصيل هذه العلوم التى يشترطها الفيثاغوريون اتجه نحو الأفلاطونيين، وقد سّر سروراً بالغاً من مذهبهم فى الصور غير المادية حتى بدأ يتطلع إلى رؤية الله، وهى على ما يقول يوستينوس غاية الفلسفة عند أفلاطون، وبعد ذلك بقليل إلتقى بأحد المسيحيين فأثبت له قصور الفلسفة الوثنية بما فيها فلسفة أفلاطون نفسها. فيوستينوس إذن يمثل هذا الطراز من المفكرين المثقفين الذين اهتدوا من الوثنية إلى المسيحية، وكانت هدايته فى نهاية المطاف. ولذلك لم يستطع أن يقف من الفلسفة اليونانية موقفا سلبيا أو عدائياً.

وعلى العكس، فإن كلام يوستينوس عن الفلسفة الأفلاطونية فى «محاورته» يبيّن جليا اعتباره للفلسفة الأفلاطونية، فهو يقدّر تعليمها فيما يتصل بالعالم الروحانى غير المادى، وفيما يتصل بالكائن فوق جوهر الوجود أو وراء الطبيعة. وهو الله. ولو أنه وصل إلى الاقتناع بأنه لا يمكن التوصل إلى معرفة الله معرفة يقينية ومأمونه ومؤكدة، أو بعبارة أخرى لا يمكن التوصل إلى الفلسفة الحقيقية إلاّ بتلقى الوحى الإلهى، وفى الدفاعين اللذين كتبهما يوستينوس يدافع فيهما عن المسيحيين، يستخدم الكثير من المصطلحات الأفلاطونية حتى عندما يتكلم عن الله، فإنه يلقبه «بالصانع» وهو التعبير الذى استخدمه أفلاطون نفسه بالنسبة لله، ولكن ليس معنى هذا أن يوستينوس كان يستخدم تلك المصطلحات أو التعبيرات بمعناها الأفلاطونى الدقيق. إن استخدامه

لها جاء بالأحرى نتيجة لتأثره بدراسة الفلسفة الأفلاطونية. وللأحاسيس أو التجاوب الذى احتفظ به نحوها. ولذلك فإنه لا يتردد أحيانا فى أن يظهر وجوه التشابه بين التعليم المسيحى والتعليم الأفلاطونى فيما يتعلق بالثواب والعقاب بعد الموت، أمّا إعجابه بسقراط فواضح. من ذلك ما يقوله فى دفاعه الأول عن المسيحيين : عندما حاول سقراط بقوة اللوغوس - وكأن سقراط آلة فى يده - أن يهدى الناس من الباطل إلى الحق، حكم الأشرار عليه بالموت كأنه ملحد وزنديق، هكذا المسيحيون أيضا وهم يتبعون اللوغوس نفسه ويطيعونه ويجحدون الآلهة الباطلة، يرميهم الناس بالإلحاد، وكما خدم سقراط الحق وكان عمله هذا تجهيزا وإعدادا للعمل الكامل الذى قام به المسيح فيما بعد، كذلك كان الحكم عليه بالموت، وكأنه إعادة أو عمل مقدّم للحكم على المسيح وأتباعه بالموت. ويقول يوستينوس إن أفعال الناس ليست مقدّرة أو معيّنة تعيينا سابقا كما ظنّ الرواقيون، وإنما الناس يتصرفون صوابا أو خطأ بناء على إرادتهم الحرّة، ويذهب إلى أن الشياطين هم الذين حرضّوا الناس ويحرضوهم على قتل سقراط ومن على شاكلته، وهم الذين حضوهم ويحضونهم على تكريم أبيقور ومن على مثاله...

ولم يفرّق يوستينوس تفرقة قاطعة بين اللاهوت وبين الفلسفة بالمعنى الدقيق، أنه يقول أن هناك حكمة واحدة و «فلسفة» واحدة، وهى التى أعلنت فى المسيح وبالمسيح، ولم تكن أفضل عناصرها فى الفلسفة الوثنية وبالأخص الأفلاطونية إلاّ إعدادا وتجهيزا لها، وإذا كان الفلاسفة الوثنيون قد تنبأوا بالحق، فإنما فعلوا ذلك بقوة اللوغوس. أما اللوغوس فهو المسيح نفسه متجسدا، ولقد كان لنظرة يوستينوس هذه إلى الفلسفة اليونانية وعلاقتها بالمسيحية، أثر كبير على الكتّاب المتأخرين...

تاتيان

يروى ايريناوس فى كتابة «الرد على الهراطقة» (١)، أن تاتيان كان تلميذا ليوستينوس، وكان سورى الجنسية تثقف بالآداب اليونانية والفلسفة اليونانية ثم أصبح بعد ذلك مسيحيا، وليس ثمت ما يدعونا إلى الشك فى صحة رواية ايريناوس، وأن تاتيان كان تلميذا ليوستينوس على صورة ما، ولكن يتضح جليا من «كتابه إلى اليونان» أنه لا يشارك يوستينوس ميله إلى الفلسفة اليونانية فى مناحيها الروحية القوية، يقول تاتيان «نحن نعرف الله من أعماله». ولتاتيان مذهب فى اللوغوس سنعرض له بعد قليل، كما أنه يفرّق بين النفس ψυχή وبين الروح πνεῦμα ويعلّم بالخلق فى الزمان، ويصرّ على القول بحرية الإرادة. وقد استقى كل هذه المبادئ من الكتاب المقدس ومن التعليم المسيحى، ولم يستعمل تاتيان الثقافة اليونانية والفكر اليونانى إلاّ نادرا، ولو أنه لم يستطع فى الواقع أن يتخلص من تأثير الفكر اليونانى تماما. وكان تاتيان يميل إلى التزمتية المتطرفة. وقد أخبرنا القديس ايريناوس والقديس ايرونيموس أن تاتيان ترك المسيحية بعد استشهاد القديس يوستينوس واعتنق مذهب الأدرية أو العرفانية Gnosticism حسب طريقة فالنتينوس Valentinus وبعد ذلك تبع طائفة الانكراتيين Encrotites الذين يمتنعون عن شرب الخمر وعن استخدام الحلّى حتى للنساء، ويحرمون الزواج أيضا إذ يعدونه نجاسة وزنى.

ولا شك أن تاتيان يقّر بمقدرة العقل البشرى على أن يبرهن على وجود الله من خلائقة، وقد استخدم المعانى (أو التصورات) والمقولات الفلسفية فى تطوير علم اللاهوت. فمثلا يقول أن «كلمة الله» إذا صدرت من جوهر الله وهو الجوهر المفرد والبسيط والمجّرد، فإنها «لا تسقط فى الفضاء» كما تسقط الكلمات البشرية ولكنها تبقى فى وجودها وكيانها، وهى واسطة الخلق الإلهية، ويشبه تاتيان صدور «الكلمة» الإلهية بتكوين الفكر والكلام عند البشر. وبينما يتمسك تاتيان بفكرة الخلق نجده يستخدم تعبيرات تذكرنا بتعبيرات محاورة طيماوس Timaous لأفلاطون فيما يتعلق «بالصانع» وهو الله. وهنا يجب أن لا نغفل أن تاتيان حين يستخدم مصطلحات أو معانى يستقيها من الفلسفة الوثنية، لا يفعل ذلك عن ميل إلى هذه الفلسفة، بل بالأحرى عن إعتقاد أن الفلاسفة اليونانيين لم يقولوا بشئ من الحق إلا أخذوه من الكتاب المقدس، وأما كل ما قالوه غير ذلك فهو باطل وضلال، فالرواقيون مثلا قد أفسدوا تعليم العناية الإلهية بنظرتهم الشيطانية عن الحتمية والجبرية. ومن عجب أن يكون مثل هذا الكاتب الذى يتحدث بمثل هذه العداوة للفكر اليونانى، ويضع تفرقة قاطعة حادة بين ما يسميه بالسفسطة الوثنية والحكمة المسيحية يتردى هو نفسه فى نهاية الأمر، فى هرطقة ؟؟؟ !!!

(١) كتاب ايريناوس، الرد على الهراطقة، جزء ١ فصل ٢٨.

أثيناغوراس

يعد أثيناغوراس أكثر مهارة من غيره ممن سبقوة فى أخذه من الفلسفة اليونانية وإن كان فى تفكيره يتمشى مع الشهيد القديس يوستينوس. كتب أثيناغوراس دفاعا عن المسيحيين πρεσβεία περὶ τῶν χριστιανῶν نحو سنة ١٧٧م، وجهه إلى الامبراطورين مرقس أوريليوس انطونيوس Marcus Aurclius Antonius وكومودوس Commodus ،فاتحى أرمينيا وسارماتيا وفوق جميع الفلاسفة» ... وعنى أثيناغوراس فى هذا الكتاب بأن يحامى عن المسيحيين ضد الإتهامات الثلاثة التى وجّهت إليهم وهى : الإلحاد، وولائم اللحوم البشرية، وسفاح القربى (= السفاح بين الذين يحرم التزاوج بينهم) ...

وفى دفع الإتهام الأول، قدّم أثيناغوراس الدليل الدامغ على إعتقاد المسيحيين فى إله واحد أزلى أبدى روحى، وقد اقتبس قبل كل شئ من أقوال الفلاسفة اليونانيين أنفسهم من أمثال فيلولاوس وأفلاطون وأرسطو والرواقيين، واستشهد على الخصوص بنصوص من أفلاطون فى محاورته «طيماوس» حيث يقول أفلاطون أنه من العسير أن نجد صانع العالم وأبا العالم، وحتى إذا وجدناه من المستحيل أن نعلنه للكل، ثم يتساءل أثيناغوراس قائلا : لماذا يدعى المسيحيون ملحدين؟ لأنهم يعتقدون بإله واحد، ولا يتهم أفلاطون بالإلحاد بسبب مذهبه فى الصانع؟ إن الشعراء الفلاسفة سعوا فى طلب الله مسوقين بدافع إلهى، وقد انتبه الناس إلى نتائج سعيهم. أفليس من الغباوة والجهل أن نرفض الإصغاء إلى روح الله نفسه وهو يتكلم على أفواه الأنبياء؟؟؟

ويمضى أثيناغوراس بعد هذا فيبين أنه لا يمكن أن يكون هناك آلهة مادية كثيرة، وأن الله الذى كوّن المادة لابد أن يكون مستشرفا وعاليا على المادة (ولو أنه يبدو أن أثيناغوراس نفسه لم يستطع أن يدرك الله بدون علاقة بالمكان)، وأنّ علّة الكائنات القابلة للفناء والفساد لابد أن يكون هو نفسه غير قابل للفساد أو الفناء، وأن يكون روحيا. ويستشهد أثيناغوراس فى هذا الصدد خصوصا بأفلاطون. ويرى فى الفلسفة رأى يوستينوس من قبله : أن هناك فلسفة أو حكمة حقيقية واحدة، ولا يمكن إدراكها إدراكا كاملا إلا عن طريق الوحى، ولو أن الفلاسفة اليونانيين أنبأوا بشئ من الحقيقة. وبعبارة أخرى أن إحترام المفكرين اليونانيين والشعراء اليونانيين من شأنه أن يقود الرجال المفكرين من أمثال الأمبراطور مرقس أوريليوس أنطونيوس إلى أن يقدروا المسيحية ويوقروها على الأقل، إن لم يعتنقوها بالكلية. ولا شك أن الهدف الرئيسى الذى يصوّب نحوه أثيناغوراس من كتابه هدف دفاعى دينى أو لاهوتى. ولكنه يستخدم فى سبيل تحقيق هذا الهدف الحجج والأساليب الفلسفية. وكذلك مثلا فى محاولة إثبات صحة التعليم المسيحى بالنسبة

إلى قيامة الأجساد. أثبت رأيه بوضوح، وهو يخالف رأى أفلاطون، بأن الجسم ينتسب إلى الإنسان المتكامل، وأن الإنسان ليس مجرد إنسان يستعمل جسما.

ثيوفيلوس الأنطاكى

وثيوفيلوس الأنطاكى أيضا يستشهد بالمفكرين اليونانيين الوثنيين فى كتابه «إلى أوتوليكوس Αὐτόλυκος» الذى كتبه سنة ١٨٠م، وبعد أن أظهر فى وضوح كاف أن الطهارة الأخلاقية ضرورية لكل من يريد أن يعرف الله، تقدم إلى الكلام عن الصفات الإلهية ومنها القوة، والحكمة، والسرمدية، وعدم التغّير، واللانطفاطية (= إن الله لا يمكن إدراكه أو الإحاطة به). ويقول ثيوفيلوس كما أن نفس الإنسان غير منظورة ومع ذلك يمكن إدراكها عن طريق حركات البدن. كذلك الله هو نفسه غير منظور ومع ذلك يمكن معرفته عن طريق عنايته وأعماله...

ويأخذ مؤرخو الفلسفة على ثيوفيلوس الأنطاكى أنه ليس دقيقا فيما يروى عن آراء الفلاسفة اليونانيين، ولكن من الواضح على أى حال أنه يحمل بعض التقدير لأفلاطون، ويعده «أعظم فيلسوف خليق بالإحترام بينهم» (١) ولو أن أفلاطون أخطأ. فى أنه لم يُعلّم بالخلق من العدم، الأمر الذى يؤكده ثيوفيلوس بكل وضوح. وكذلك أخطأ أفلاطون فى تعليمه الخاص بالزواج...

إيريناوس وهيبوليتوس

والملاحظ أن المفكرين السابقين، وأعنى بهم اريستيديس ويوستينوس، وتاتيان، وأثيناغوراس وثيوفيلوس الأنطاكى، هؤلاء جميعا كانوا مدافعين عن الدين المسيحى، وجهوا كل إهتمامهم لمجابهة الحملات الوثنية على المسيحية، والآن يمكن أن نعرض فى شئ من الإيجاز لخصم الغنوسية الكبير وهو القديس ايريناوس، وبالمناسبة أيضا لتلميذه هيبوليتوس. كلاهما كتب باللغة اليونانية، وكلاهما حارب الغنوسية (أو الأدرية أو العرفانية) التى ازدهرت فى القرن الثانى للميلاد، ولو أن كتاب هيبوليتوس أكثر أهمية من حيث أنه احتوى إشارات كثيرة إلى الفلسفة اليونانية والفلاسفة اليونانيين...

---

(١) كتاب إلى اوتوليكوس ٣ : ٦.

الغنوسية :

ويكفى أن نقول عن الغنوسية هنا أنها على العموم بمثابة ملتقى أو مصب هائل لعناصر مختلفة، يهودية، مسيحية، يونانية، وشرقية ... وهى تنادى بالمعرفة γνῶσις بدلا من الإيمان، ولها مذهب خاص فيما يتصل بالله والخلق، وأصل الشر، والخلاص، تقدّمه لأولئك الذين يميلون إلى أن ينظروا إلى نفوسهم وكأنهم أشخاص أرفع وأفضل من غيرهم من المسيحيين العاديين. وكانت هناك غنوسية يهودية قبل الغنوسية المسيحية، وحتى هذه الأخيرة يمكن أن تعتبر هرطقة مسيحية. فقط من حيث أن الغنوسيين قد استعاروا بعض ألفاظ مسيحية بصفة أخص. أمّا العناصر الشرقية والهلينية فمن الوضوح بمكان بحيث لا يمكن معها أن تكون الغنوسية هرطقة مسيحية بالمعنى العادى للكلمة، ولو أنها كانت تشكل خطرا حقيقيا فى القرن الثانى للميلاد وقد أضلّت بالفعل أولئك المسيحيين الذين جذبتهم التأملات الثيوصوفية (= الباطنية) الغريبة التى قدّمتها الغنوسية على أنها معرفة. وفى الواقع، كان هناك كثير من المذاهب الغنوسية : منها مذهب كيرنثوس Cerinthus ومذهب مرقيون Marcion، ومذهب عبدة الحيات the ophites ومذهب باسيليدس Basilides ، ومذهب فالنتينوس Valentinus ونحن نعلم عن مارقيون أنه كان مسيحيا صدر ضده حكم الحرمان من شركة الكنيسة، أما عن عبدة الحيات فربما كانوا من أصل يهودى اسكندرى. وأما بالنسبة لمشاهير الغنوسيين من أمثال باسيليدس وفالنتينوس (فى القرن الثانى)، فنحن لا نعرف أنهم كانوا يوما ما من بين المسيحيين.

ومن أهم خصائص الغنوسية بصفة عامة، قولهم بثنائية بين الله والمادة، وإن لم تكن ثنائيتهم هذه ثنائية مطلقة لكنها على أى حال تذكرنا بمذهب مانى، وأما الهوّة الناشئة بين الله والمادة، فقد ملأها الغنوسيون بسلسلة من الصدورات أو الكائنات المتوسطة التى يحتل المسيح مكانا بينها. وتكمل عملية الصدور بالعودة إلى الله عن طريق الخلاص.

ويلاحظ فى مذهب مارقيون كما هو المتوقع. أن العنصر المسيحى فيه كان فى المقدمة : فإله العهد القديم وهو الصانع، هو أدنى مرتبة من إله العهد الجديد الذى ظل مجهولا إلى أن أعلن نفسه فى يسوع المسيح...

أما فى مذهبى باسيليدس وفالنتينوس، فالعنصر المسيحى أقل أهمية : يصوّر المسيح على أنه كائن تابع أو هو أيون αἰών فى سلّم روحانى خيالى لمراتب الكائنات الروحية، وهى صدورات إلهية ونصف إلهية، ومهمة المسيح أو رسالته تنحصر فى أنه ينقل إلى الإنسان المعرفة الخلاصية. أو الغنوسية، أمّا المادة فهى شر، ولا يمكن أن تكون المادة من خلق الله العلّى أو

الأعظم ولكنها من خلق «الأرخون العظيم» ἄρχων الذى عبده اليهود، والذى أعلن عن نفسه أنه الله العلّى أو العظيم، وعلى ذلك فالمذاهب الغنوسية لم تكن ثنائية بالمعنى الكامل الذى نجده عند المانويين، حيث أن الصانع عندهم وهو إله العهد القديم ليس مبدأ أصيلا للشر مستقلا بذاته، (وكذلك الحال عند الأفلاطونية الجديدة، لأنهم أيضا لا يقّرون بالثنائية المطلقة) ...

ولم تكن الخاصية العامة الرئيسية التى يتميّز بها الغنوسيون هى ميلهم إلى الثنائية بقدر ما هو الاصرار على الغنوسية أنها سبيل الخلاص، والسبب الرئيسى الذى يعزى إليه تبنيهم لبعض العناصر المسيحية، إنما هو رغبتهم فى إمتصاص المسيحية وإحلال المعرفة محل الإيمان، وليس لنا هنا حاجة إلى أن نتعمق فى الخصائص المميّزة لمختلف المذاهب الغنوسية، وتفاصيل الصدورات التى تقول بها. فهذا مجهود مضن ولا طائل تحته. وإنما يكفى أن نبيّن أن الإطار العام للغنوسية كان خليط من عناصر شرقية ويونانية (منها الفيثاغورية الحديثة، والأفلاطونية الجديدة) مع مقادير متفاوته من عناصر مسيحية أخذت من الديانة المسيحية الصحيحة، ومن وثائق أخرى مزّورة ومكذوبة. ولقد يبدو لنا اليوم من الصعب أن نفهم كيف يمكن للغنوسية أن تشكل خطرا على المسيحية، وكيف يمكن للغنوسية أن تغرى أى عقل سليم، ولكن يجب أن نذكر أن الغنوسية ظهرت فى وقت كانت المدارس الفلسفية والديانات السرية، تسعى إلى أن تزوّد الناس بحاجتهم الروحية، وزيادة على ذلك فإن المذاهب السرية والباطنية الثيوصوفية يحيط بها السحر الكاذب، سحر الحكمة الشرقية، لم تكن قد فقدت نهائيا جاذبيتها لبعض العقول حتى فى أزمنة متأخرة...

القديس ايريناوس

ولد نحو سنة ١٣٧ أو سنة ١٤٠م وقد كتب ضد الغنوسيين فى كتابه «الرد على الهراطقة» يؤكد أن هناك إلهاً واحداً خلق كل شئ، وهو خالق السموات والأرض، ويلجأ إيريناوس إلى حجة التخطيط (أعنى تخطيط الكون ونظامه البديع) وحجة الاتفاق العام. ويقول أن الوثنيين أنفسهم قد عرفوا من الخليقة نفسها. وعن طريق استخدام العقل - وجود الله باعتباره الخالق. والله خلق العالم اختياراً وليس اضطراراً، ثم أنه خلق العالم من العدم. وليس من مادة كانت موجودة وجوداً سابقاً كما يدّعى الغنوسيين مستندين إلى أناكساجوراس Anaxgoras وأمبيدوقليس Empedocles وأفلاطون. ومع أن العقل البشرى يمكنه أن يتوصل إلى معرفة الله عن طريق العقل والوحى. لكنه لا يمكنه أن يدرك الله، إذ أن جوهر الله يستشرف ويفوق العقل البشرى. كذلك من الغرور والكبر أن يدّعى الإنسان كما يدّعى الغنوسيين أن يعرفوا أسرار الله التى لا

يمكن التعبير عنها، أو أن يتعدّى الإنسان حدود الإيمان والحب البسيطين. أما تعليم التقمّص أو الاستجساد Reincarnation فتعليم باطل، والقانون الأخلاقى الذى يعلّم به الوحى لا يبطل القانون الطبيعى وإنما يكمله ويفسّره. وقصارى الكلام «أن تعاليم الرسل هو الغنوسية الحقيقية».

ويقول إيريناوس أن الغنوسيين قد استعاروا أكثر آرائهم من الفلاسفة اليونانيين. ولهذا فهو يتهمهم بأنهم استعاروا تعاليمهم الأخلاقية من أبيقور ومن الكلبيين، كما استعاروا تعليمهم فى الاستجساد من أفلاطون. وقد أيّد أيريناوس فى هذا الإتجاه - وهو إتجاه إظهار التقارب بين الغنوسيين والفلاسفة اليونانيين - تلميذه هيبوليتوس....

هيبوليتوس

وقد توفى نحو سنة ٢٣٦م. وكان تلميذاً لإيريناوس على ما يروى فوتيوس، ولا شك أنه استخدم تعليم أستاذه وكتاباته، ففى فاتحة المقالات الفلسفية Philosphumena (وهى التى تنسب الآن عموماً إلى هيبوليتوس) يصرّح بنيته - وإن لم يستطع أن يحققها إلاّ جزئياً - فى إظهار سرقة الغنوسيين من تواليف الفلاسفة اليونايين، وذلك بأن يبين كيف أنهم أخذوا آرائهم المختلفة عن فلاسفة اليونان ولو أنهم فى الحقيقة مسخوها وأفسدوها. ولكن يصل هيبوليتوس إلى تحقيق هذه الفكرة بطريقة سهلة، أخذ أوّلا فى ترديد آراء الفلاسفة اليونانيين معتمدا أساسا فى معلوماته، إن لم يكن كلّية، على «كتاب تسبحة ثيوفراستوس». ولذلك فإن معلوماته ليست دائما دقيقة أو صحيحة. والإتهام الرئيسى الذى يهتم به هيبوليتوس اليونان، هو أنهم مجدّوا أجزاء من الخليقة بعبارات أنيقة جميلة، ولكنهم جهلوا خالق الأشياء جميعها الذى خلقها إختيارا ومن العدم، بحسب حكمته ومعرفته السابقة.

وإذا كان السابقون من المدافعين عن الدين كتبوا باللغة اليونانية، فثمة مفكرون آخرون كتبوا باللغة اللاتينية منهم مينوكيوس فيلكس Minucius Felix وترتليان Tertullian وأرنوبيوس Arnobius ثم لاكتانتيوس Lactantius وأهمهم هو ترتليان.

مينوكيوس فيلكس

ليس من المؤكد إذا كان مينوكيوس فيلكس قد كتب قبل ترتليان أو بعده. وعلى كل حال فإن إتجاهه إلى الفلسفة اليونانية كما تبين من كتابه الاوكتافيوس Octavius كان أشد من إتجاه ترتليان. كان مينوكيوس يقول أنه يمكن معرفة وجود الله معرفة يقينية عن طريق نظام الطبيعة،

والنظام الذى تشتمل عليه الكائنات الحيّة وبالأخص جسم الإنسان، وأنه يمكن استنباط وحدانية الله من وحدانية نظام الكون. ويقرر مينوكيوس أن الفلاسفة اليونانيين أيضا قد توصلوا إلى هذه الحقائق. فأرسطو يقرّ بإله واحد، والرواقيون يعلّمون بالعناية الإلهية، وأفلاطون يتكلم بتعبيرات تكاد أن تكون مسيحية عندما يتحدث فى محاورة طيماوس عن صانع الكون ووالده.

ترتليان

يتكلم ترتليان عن الفلسفة اليونانية بطريقة مختلفة نوعا عن مينوكيوس فيلكس، ولد ترتليان نحو ١٦٠م من أبوين وثنيين، ودرس المحاماة وباشرها بالفعل فى روما ثم صار مسيحيا بعد ذلك، ولكنه سقط فى هرطقة المونتانية Montanism (وهى مذهب أدّعى صاحبه مونتانوس أنه البارقليط الموعود به فى الإنجيل) وهى صورة متزمته ومتطرفة من مذهب الطهريين أو الحنبليين المدققين Puritanism ويعد ترتليانس أول كاتب مسيحى بارز كتب باللغة اللاتينية. ويتضح جليا من مؤلفاته احتقاره الديانة الوثنية والثقافة الوثنية، يقول ترتليان فى دفاعه (١): أى شركة بين الفيلسوف وبين المسيحى، بين تلميذ اليونان حليف الباطل وبين تلميذ السماء عدو الباطل وحليف الحق؟؟ وحتى حكمة سقراط لم تصل إلى شئ يعتد به لأنه ليس ثمت شخص يمكنه أن يعرف الله معرفة حقيقية بغير المسيح، أو يعرف المسيح من دون الروح القدس. ثم أن سقراط يعترف بنفسه أن جناً كان يقوده ويهتف فى قلبه. أما أفلاطون فيقول أن من العسير أن يجد الإنسان صانع الكون ووالده، بينما أن أبسط مسيحى قد وجده (٢)، ثم أن فلاسفة اليونان هم بطاركة الهراطقة إذ أن فالنتينوس أخذ عن الأفلاطونيين، ومارقيون أخذ عن الرواقيين، بينما أن الفلاسفة أنفسهم استقوا بعض أفكارهم من العهد القديم ثم حرفوها وشوّهوها ونسبوها إلى أنفسهم (٣).

وعلى الرغم من التعارض الذى أظهره ترتليان بين الحكمة المسيحية والفلسفة اليونانية، فإنه هو نفسه قد شرح بعض المسائل الفلسفية. ويتضح من تواليفه تأثره بفلسفة الرواقيين.

يقرر ترتليان أننا نعرف الله معرفة يقينية من مصنوعاته، وأنه يمكن أن نستدل على كمال الله من عدم مخلوقيته.

Uncreatedness (Imperfectum non potestesse, nisi quod factum est).

---

(١) فقرة ٤٦.

(٢) الاحتجاج فقرة ٤٦.

(٣) الاحتجاج فقرة ٤٧.

لكن ترتليانس يصرح بقول غريب هو أن كل شئ فى الوجود، بما فيه الله نفسه، جسمانى ومادى : «كل شئ موجود ذو وجود جسمانى sui generis ولا شئ ينقصه الوجود الجسمانى إلاّ غير الموجود» (١) «لأنه من ينكر أن الله جسم ولو «أن الله روح»؟ إذ أن للروح جوهرا جسمانيا من نوعها ومن شكلها» (٢) وقد استنبط الكثيرون من أمثال هذه العبارات التى صرح بها ترتليان أنه يعلّم بالمذهب المادىّ، وأنه يعتقد أن الله كائن مادىّ بالحقيقة، وأنه فى هذا يرى ما يراه الرواقيون من أن الله مادىّ، ولكّن فريقا آخر من المؤلفين قال أن ترتليان يعنى فى الغالب من قوله أن الله جسم أنه جوهر، وأنه حين ينسب إلى الله المادية يعنى بكل بساطة أن ينسب إليه أنه جوهر وأنه موجود بالفعل، وعلى هذا الأساس يكون المعنى من قول ترتليان أن الله جسم corpus sui generis وأنه جسم corpus وإن كان روحا spiritus يكون المعنى أن الله جوهر روحى. وبهذا يكون ترتليان قد أخطأ التعبير وإن كان مقصوده سليما. ونحن لا نستطيع استبعاد هذا التفسير فيما يتصل بالله. لكّن ترتليان حين يتكلم عن النفس الإنسانية يقول أنها لابّد أن تكون جوهرا جسمانيا من حيث أنها تقبل الألم (٣)، وأيا كان القول فإنه يتكلم بطريقة غامضة أيضا عن طبيعة النفس، ففى إحتجاجه (٤) يعلل قيامة أجساد الأشرار بأن «النفس لا تقوى على مكابدة العذاب إلاّ إذا كان لها جوهر صلد، وأعنى به البدن»، وعلى ذلك ربما يكون من الأفضل أن يقال أن التعبيرات التى يستعملها ترتليان غالبا ما تنطوى على مادية من طراز كثيف. ولو أنه قد لا يقصد المعانى التى تحتملها عباراته. فحين يعلم ترتليان أن نفس الطفل تتولّد من جرثومة الأب، وكأنها نبتة أو برعم tradux surculus (٥) يبدو وكأنه يعلم تعليما ماديا واضحا، ولعل ترتليان قد تبنى هذه النظرية، نظرية ولادة النفس مع البدن لأسباب دينية لاهوتية، ليفسر بها إنتقال الخطيئة الأصلية. وقد فعل مثل ذلك أيضا بعض الكتاب المتأخرين ممن يميلون إلى هذا الرأى عينه، ولنفس الأسباب اللاهوتية من دون أن ينتبهوا - على ما يظهر- إلى المضامين المادية لهذا التعليم. وهذا لا يدل - بالطبع - على أن ترتليان لم يكن ماديا، ولكنه يدعونا على الأقل إلى أن نتريث قبل أن نحكم بأنه كان يقصد دائما ما يقول. ولا شك أن قوله بحرية الإرادة وبالخلود الطبيعى للنفس لا يتمشى منطقيا مع المادية البحتة، لكّن هذا أيضا لا يبرر لنا أن ننكر إنكارا قاطعا أنه كان ماديا. فقد تكون نظريته مادية ولكن من دون أن ينتبه إلى أن الصفات التى ينسبها إلى النفس لا تتفق مع القول بالمادية الخالصة.

---

(١) فى جسد المسيح De Carne christi : ٢

(٢) Adv. prax., 7

(٣) فى النفس De Anima : ٧ قارن أيضا ٨.

(٤) فصل ٤٨.

(٥) قارن «فى النفس De Anima : ١٩.

ولعل من أكبر الخدمات التى أسداها ترتليان إلى الفكر المسيحى هو فضلة على تقدم المصطلحات اللاهوتية، وكذلك الفلسفية إلى حد ما، وذلك فى اللغة اللاتينية التى كتب بها. فنحن نشهد مثلا فى مؤلفاته أول استعمال فنى للكلمة Persona (= اقنوم) : فالأقانيم الثلاثة تتميز فيما بينها من حيث هى «أقانيم» Personae، ولكنها ليست «جواهر» Substantiae مختلفة أو منقسمة (١). أما تعليمه عن اللوغوس أو الكلمة فيستعين فيه صراحة بالرواقيين وبالأخص زينون وكليانتيس. ولا يسمح المقام هنا أن نفصل الحديث فى نظرياته اللاهوتية ومبلغ أرثوذكسيته من عدمها.

أرنوبيوس Arnobius

ورد فى كتاب أرنوبيوس الموسوم بـ «الحجة على الوثنيين» Adversus Gentes الذى وضعه نحو سنة ٣٠٣م، بعض ملاحظات غريبة تتعلق بالنفس، فمع أنه يقول بنظرية خلق النفس عند الولادة Creationism معترضا على نظرية وجود النفس وجودا سابقا على البدن كما علّم بها أفلاطون والأفلاطونيون، إلاّ أنه يقول بأن خالق النفس ليس هو الله نفسه بل هو كائن آخر أدنى من الله مرتبة، كذلك يرى أرنوبيوس أن خلود النفس منحة، وينكر أن يكون الخلود أمراً طبيعيا، والواضح أن الذى دفع أرنوبيوس إلى القول بأن خلود النفس منحة مجانية، هو شعوره بأن هدايته الشخصية إلى الديانة المسيحية وإلى الأخلاق العالية، جاءت منحة لافضل له فيها. هذا وأرنوبيوس ناقش نظرية التذكر reminiscence عند أفلاطون وذهب إلى أن لجميع الأفكار أصلا تجريبيا إلاّ فكرة الله وحدها فتشذ عن هذه القاعدة، ويمثل لذلك بالطفل فإنه إن نشأ فى عزلة وصمت وجهل، شب ولاعلم له بشئ، ولا يمكن أن يحصل على أية معرفة عن طريق التذكر. وعلى ذلك فالبرهان الذى يقدّمه أفلاطون فى محاورته مينون ليس برهانا قاطعا، على ما يقول أرنوبيوس.

لاكتانتيوس Lactantius

لا يعنينا أن نتكلم عن لاكتانتيوس الذى امتدت حياته من نحو ٢٥٠م إلى نحو ٣٢٥م، إلاّ بالنسبة إلى رأيه فى أصل النفس البشرية الذى أثبته فى كتابه «فى عمل الله» (٢)، حيث أنكر النظرية القائلة بأن النفس تولد مع البدن Traducianism وقرر بأن النفس تخلق من الله خلقا مباشرا.

---

(١) z Adv. prax. 12

(٢) فصل ١٩.

أما آباء القرن الرابع والخامس فقد كانوا معنيين على الخصوص بالمسائل اللاهوتية، فأثناسيوس الرسولى (المتوفى سنة ٣٧٣م) كان خصم الأريوسية الأكبر، والقديس أغريغوريوس النازيانزى (المتوفى سنة ٣٩٠م) والمعروف بأغريغوريوس الثيئولوغوس (= اللاهوتى، أو الناطق بالإلهيات) (اشتهر على الخصوص بما كتبه فى موضوع التثليث المسيحى وفى المسائل اللاهوتية المتعلقة بالسيد المسيح. كذلك اشتهر القديس يوحنا الذهبى فمه (المتوفى سنة ٤٠٦م) بأنه من أعظم خطباء الكنيسة، كما اشتهر بما ألفه عن الكتاب المقدس. وكان من الطبيعى أن يستخدم آباء الكنيسة المصطلحات والمواضعات الفلسفية فى معالجة بعض موضوعات العقيدة الدينية كالتثليث المقدس. والاتحاد الاقنومى، وما إلى ذلك، لكن استخدام هذه المصطلحات فى البرهنة على الحقائق اللاهوتية لا يجعل من هؤلاء الآباء فلاسفة بالمعنى الدقيق. ولذلك نكتفى بهذه الإشارة إليهم، ولا نطيل الوقوف عندهم. ومع ذلك لا يفوتنا أن نذكر أن القديس باسيليوس (المتوفى سنة ٣٧٩م) قد درس فى جامعة أثينا مع القديس اغريغوريوس النازيانزى، وأنه فى كتابه «إلى البالغين adolescentes» ينصح بقراءة الشعراء والخطباء اليونانيين، والمؤرخين والفلاسفة اليونانيين، ولو أنه يوصى باختيار بعضا من كتاباتهم بحيث تحذف منها الفقرات والعبارات التى لا تتفق مع الأخلاق.

ويقول بأن الأدب اليونانى والثقافة اليونانية واسطة فعّاله للتربية، لكّن التربية الأخلاقية أهم من التكوين الأدبى والفلسفى، ومن الواضح أن القديس باسيليوس نفسه قد اعتمد فى وصفه للحيوانات اعتمادا كليا على كتب أرسطو المختصة فى ذلك...

ومع أننا لا نستطيع هنا أن نتناول آراء الآباء اللاهوتية، إلاّ أنه جدير بنا أن نتكلم عن شخصيتين هامتين فى هذا العصر، هما : يوسيبيوس القيصرى، والقديس أغريغوريوس النيسى.

يوسيبيوس Eusebius القيصرى

ولد المؤرخ يوسيبيوس نحو سنة ٢٦٥م وأصبح أسقفا على قيصرية بسوريا وهى مسقط رأسه، فى عام ٣١٣م. وتوفى سنة ٣٣٩ أو ٣٤٠م. اشتهر يوسيبيوس بأنه مؤرخ كنسى عظيم كما اشتهر أيضا بدفاعه عن الدين المسيحى. وهنا يظهر اتجاهه وميله إلى الفلسفة اليونانية، إذ أنه ينظر إلى الفلسفة اليونانية، ولا سيما الأفلاطونية على أنها إعداد العالم الوثنى وتمهيده للديانة المسيحية، ولو أنه كان متنبهاً كل التنبيه لأخطاء فلاسفة اليونان وللتناقضات بين المدارس الفلسفية المختلفة، ومع أنه يتكلم فى حدّه أحياناً، لكن اتجاهه العام فيه عطف وفيه تقدير، وهو اتجاه

يظهر جليا على الخصوص فى كتابه «الاعداد الإنجيلى» Pracparatio cvangelioa (١) ونحن نأسف بالغ الأسف لأننا لا نملك اليوم بين أيدينا تلك الخمسة والعشرين جزءا من الكتاب الذى وضعه يوسيبيوس، ردا على هجوم فورفوريوس porphyry على الديانة المسيحية، إذ أن رده على هذا الفيلسوف الأفلاطونى الكبير وتلميذ أفلوطين plotin يلقى من غير شك ضوءا واضحا على آرائه الفلسفية، لكّن كتاب «الاعداد الإنجيلى» السالف الذكر يكفى لأن يبين لنا أن يوسيبيوس يشارك القديس يوستينوس الشهيد واكليمنضس الأسكندرى وأوريجينوس نظرتهم العامة، كما يبين لنا أن يوسيبيوس قرأ كثيرا فى كتب الأدب اليونانى. والحق أنه كان عالما كبيرا، ويعد كتابه : «الاعداد الإنجيلى» أحد المصادر الهامة لمعرفتنا عن فلسفة أولئك المفكرين الذين فقدت مؤلفاتهم.

ولابد أن نتوقع أن يكون يوسيبيوس القيصرى مثله مثل السابقين معجبا على الخصوص بأفلاطون. والواقع أنه خصص ثلاثة أجزاء من كتابه «الاعداد الإنجيلى» أى (من جزء ١١ إلى ١٣) للكلام عن الأفلاطونية. لقد قال أكليمنضس الأسكندرى عن أفلاطون أنه وكأنه موسى يكتب بلغة اليونان. ويتفق يوسيبيوس مع اكليمنضس على أن أفلاطون وموسى متفقان (الأعداد جزء ١١ : ٢٨) وعلى أن أفلاطون يمكن أن يسمى نبيا فى تدبير الخلاص (الأعداد جزء ١٣ : ١٣). ويرى يوسيبيوس أيضا ما رآه أكليمنضس الأسكندرى وأوريجينوس وفيلون أن أفلاطون قد أخذ الحقائق التى قال بها، من العهد القديم (الأعداد ١٠ : ١، ١٠ : ٢٨، ١٠ : ١٤)، ولكنه لا يمانع فى نفس الوقت، فى أن يعترف بأن أفلاطون قد اكتشف الحقيقة بنفسه، وأن الله قد أنار عقل أفلاطون (الأعداد جزء ١١ : ٨) وأيّا كان القول فإن أفلاطون يوافق الأسفار العبرانية المقدسة فى فكرته عن الله، بل ويوحى فى رسائله بفكرة الثالوث المقدس، ولا يخفى أن يوسيبيوس فى هذا الموضوع يخلع على أقوال أفلاطون معانى من الأفلاطونية الجديدة حينما يشير إلى المبادئ الثلاثة وهى : الأول أو الخير، ثم النوس (Noûς)، أو العقل ثم النفس الكلية أو نفس العالم (الأعداد جزء ١١ : ١٦، جزء ١١ : ٢٠) والصور أو الأفكار هى أفكار الله أو أفكار اللوغوس، واللوغوس هوالنموذج الأعلى الذى تحتذيه الخليقة. ويلاحظ أن صورة الخلق التى نراها فى محاورة طيماوس شبيهة بصورة الخلق التى يقدمها لنا سفر التكوين (الأعداد جزء ١١ : ٢٣، جزء ١١ : ٢٩، جزء ١١ : ٣١) ثم أن أفلاطون يتفق مع الكتاب المقدس فى مسألة الخلود (الأعداد جزء ١١ : ٢٧)، كما أن التعليم الأخلاقى الذى يعلّم به أفلاطون فى محاورة فيدروس Phaedrus يذكّر يوسيبيوس بتعاليم القديس بولس الرسول (الأعداد جزء ١٢ : ٢٧)، بل وحتى آراء أفلاطون السياسية قد تحققت عند اليهود فى نظام الحكومة الإلهية (وهى حكومة رجال الدين، يديرها الكهنة والأنبياء كنوّاب عن الله Theocracy) (الاعداد جزء ١٣ : ١٢، جزء ١٢ : ١٦).

---

(١) فى ١٥ جزءا.

ولاشك أن فى آراء أفلاطون خطأ أو أخطاء (الأعداد جزء ١٣ : ١٩)، فتعاليم أفلاطون عن الله وعن الخلق قد أفسده تعليمه عن الصدور وإذعانه لأزلية المادة، كما أن تعليمه عن النفس والخلود أفسده بتعليمه عن وجود النفس وجودا سابقا قبل البدن، وبتعليمه عن الاستجساد reincarnation وهكذا. وعلى ذلك، فحتى لو سلمنا بأن أفلاطون كان نبيًا، فإنه لم يكن أعظم من نبىّ، إنه لم يدخل هو نفسه أرض موعد الحقيقة، ولو أنه قد اقترب منها، إن المسيحية وحدها هى الفلسفة الحقيقية، ثم أن فلسفة أفلاطون كانت فلسفة عقلية ولا تصلح للجماهير، بينما أن المسيحية هى للجميع، فالرجال والنساء، الأغنياء والفقراء، العلماء والجهلاء،... يمكنهم أن يصيروا فى المسيحية «فلاسفة».

وليس يطيب هنا الكلام فى تفسير يوسيبيوس القيصرى لفسلفة أفلاطون ويكفى أن نلاحظ أن يوسيبيوس على غرار معظم الكتاب المسيحيين الذين كتبوا باللغة اليونانية، يقر بأن أفلاطون هو أفضل المفكرين اليونانيين، وأنه على غرار جميع الكتاب المسيحيين الأولين لا يفرق تفرقة واضحة بين اللاهوت بالمعنى الدقيق وبين الفلسفة بالمعنى الدقيق، وعنده أن هناك حكمة واحدة وهى لا توجد كاملة وبدرجة كافية إلاّ فى المسيحية، لقد أدرك المفكرون اليونانيون الفلسفة الحقيقية أو الحكمة الحقيقية، بمعنى أنهم أنبأوا بالحقيقة المسيحية، وأبرز أولئك الذين أنبأوا بالمسيحية وترجّوا ظهورها هو أفلاطون، ولكن حتى أفلاطون لم يتعد أن يقف على عتبة الحق فقط، وكان طبيعيا أن الفكرة التى استقاها أفلاطون وغيره من المفكرين اليونانيين، من العهد القديم، مع أنها فى ذاتها كانت نتيجة لفهمهم للفلسفة، إلا أنها أيّدت أيضا المؤلفين المسيحيين من أمثال يوسيبيوس فى تفسيرهم للفلسفة ذلك التفسير الواسع، بمعنى أن الفلسفة لا تتضمن فقط نتائج التفكير البشرى، بل وتشمل كذلك حقائق الوحى الإلهى...

وفى الواقع، أنه على الرغم من إعجاب يوسيبيوس بأفلاطون إعجابا عظيما جدا، فإن النتيجة المنطقية التى يسلم إليها اعتقاد يوسيبيوس وغيره فى أن الفلاسفة اليونانيين قد استقوا وأخذوا من العهد القديم، هى أن التفكير البشرى من دون الإنارة المباشرة من الله ليس بذى جدوى فى إدراك الحقيقة، وهل الأخطاء التى أفسدت الحقيقة حتى عند أفلاطون نفسه إلاّ نتيجة للتفكير البشرى؟؟ فإذا قلنا أن الحقيقة التى تنطوى عليها الفلسفة اليونانية قد أخذت من العهد القديم، أى من الوحى، فلا مفرّ من أن نسلّم بالنتيجة المنطقية لهذا، وهى أن الأخطاء فى الفلسفة اليونانية قد أتت من التفكير البشرى. فإذا قلنا أن الحقيقة التى تنطوى عليها الفلسفة اليونانية قد أخذت من العهد القديم، أى من الوحى، فلا مفر من أن نسلم بالنتيجة المنطقية لهذا، وهى أن الأخطاء فى الفلسفة اليونانية قد أتت من التفكير البشرى وهذا حكم ليس فى صالح العقل الإنسانى. وعلى كل، فقد كان هذا هو الاتجاه السائد بين الآباء الأولين كما أفصح عنه بونافنترا Bonaventure من فلاسفة العصور الوسطى فى القرن الثالث عشر، ولو أنه يختلف عن اتجاه توما الأكوينى Thomas Aquinos ودونس سكوتوس Duns Scotus وهو الإتجاه الذى غلب على المدرسيين فى العصور الوسطى.

القديس أغريغوريوس النيسى

القديس اغريغوريوس النيسى من أعلم آباء الكنيسة ومن أهمهم وأبرزهم من الناحية الفلسفية. وهو شقيق القديس باسيليوس. ولد القديس أغريغوريوس النيسى فى قيصرية كبادوكية (١) نحو سنة ٣٣٥م. ولما كبر أصبح أستاذا للخطابة ثم اختير أسقفا لمدينة نيسا Nyssa، ومات نحو سنة ٣٩٥م.

يرى القديس اغريغوريوس النيسى أن حقائق الوحى تقبل بالإيمان. وليست نتيجة لعملية برهنة منطقية. وأن أسرار الإيمان ليست نتائج فلسفية علمية. وإلاّ أصبح الإيمان الفائق الطبيعة الذى يمارسة المسيحيون لا فرق بينه وبين الفلسفة اليونانية. ومن ناحية أخرى فإن للإيمان أساسا عقلى، ذلك أن التسليم اليقينى بالأسرار يفترض سابقا إمكان التثبيت بالبرهان من بعض الحقائق الأولية خصوصاً وجود الله، وهى الحقائق التى يمكن إثباتها بالبرهان الفلسفى. وتبعا لذلك إذا كان يلزم الإعتقاد بسمّو الإيمان، فمن الحق أيضا أن نطلب عون الفلسفة، فليست الأخلاق والفلسفة الطبيعية والمنطق والرياضيات مجرد زخارف فى هيكل الحقيقة، ولكنها قد تعاضد أيضا فى حياة الحكمة والفضيلة. وعلى ذلك يجب أن لا تحتقر أو ترفض (٢)، ولو أنه يلزم التسليم بالوحى ليكون بمثابة محك ومعيار للحقيقة. لأنه يلزم أن العقل البشرى يفحص بكلمة الله، ولا تفحص كلمة الله بالعقل البشرى (٣). إن من الحق أن نستخدم التفكير البشرى والعقل البشرى بالنسبة إلى العقيدة الدينية. ولكن النتائج التى نصل إليها لا تكون صحيحة إلاّ إذا كانت متفقة مع الكتاب المقدس (٤).

إن نظام الكون يثبت وجود الله، والله كامل بالضرورة، ومن هذا الكمال الضرورى يمكن أن نستنتج وحدانية الله، أى أن هناك إلها واحدا، ويمضى اغريغوريوس فى محاولته البرهنة على تثليث الأقانيم فى إله واحد (٥). من ذلك أن الله يجب أن يكون له لوغوس أو كلمة أو عقل. ولا يمكن أن يكون الله أقل من الإنسان، لأن الإنسان أيضا له عقل وله كلمة. ولكن اللوغوس الإلهى لا يمكن أن يكون شيئا زائلا أو لزمن محدود. إنه لابد أن يكون أزليًا كما لابد أن يكون أبديا. إن الكلمة الباطنية فى الإنسان عرض زائل، أما الله فلا يمكن أن يكون فيه شئ من ذلك إن

---

(١) وهى غير قيصرية فلسطين.

(٢) راجع كتابه «فى حياة موسى De vita Moysis»، مجموعة الآباء اليونانيين .P.G مجلد ٤٤ ص ٣٣٦ DG ص ٣٦٠ BC .

(٣) «فى النفس والقيامة» De anima et resurrectione راجع مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٤٦ : ٤٩ ج.

(٤) Contra Eunom. مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٤٥ ص ٣٤١ ب.

(٥) قارن Oratio Catechetica.

اللوغوس واحد فى الطبيعة والجوهر مع الآب، لأنه ليس هناك غير إله واحد. والفرق بين اللوغوس والآب، بين الكلمة والمتكلم به فرق علاقة أو فرق نسبى. وليس يعنينا هنا أن ندخل فى تفصيلات مذهب القديس اغريغوريوس فى التثليث، ولكن الذى يعنينا هو أنه حاول بطريقة ما أن يبرهن على هذا التعليم أو المذهب، فكانت محاولته سابقة على المحاولات الأخرى التى جاءت بعدها. وأعنى بها محاولات الفيلسوف انسلم Anselm، وريتشارد اوف سانت فكتور Richard of Saint Victor لاستنباط التثليث وإثبات أنه ضرورة عقلية. -rationibus neces-sariis.

ومع ذلك، فمن الواضح أن قصد القديس اغريغوريوس النيسى، كقصد الفيلسوف انسلم هو أن يجعل سر التثليث مقبولا للعقل أكثر، وذلك باستخدام المنطق، ولم يكن مقصوده أن يخضع السّر للعقل فيبتعد بذلك عن العقيدة الأرثوذكسية. وكذلك نظريته فى أن كلمة (إنسان) تنطبق بصفة أساسية على الإنسان الكلى. وبصفة ثانوية على الإنسان المفرد، كانت محاولة من أجل أن يكون السر أكثر استساغة للعقل، وتطبيق التشبيه على النحو التالى: إن كلمة «الله» تدّل أساسيا على الجوهر الإلهى وهو واحد، وثانويا على الأقانيم الإلهية وهى ثلاثة، وعلى ذلك لا يكون اتهام المسيحيين بأنهم يؤمنون بآلهة ثلاثة إتهاما صحيحا يطابق الواقع. ومع أن القديس اغريغوريوس قد استعمل هذا التشبيه المشار إليه من أجل أن ينفى عن المسيحيين الإتهام بأنهم يؤمنون بآلهة ثلاثة، ومن أجل أن يجعل سر التثليث أكثر استساغة للعقل، لكن التشبيه ذاته لم يكن تشبيها موفقا لأنه ينطوى على نظرية واقعية فى الكليات، متطرفة فى واقعيتها.

ويتضح الاتجاه الأفلاطونى فى الكليات، عند القديس أغريغوريوس النيسى فى كتابه «فى عمل الإنسان» De hominis epificio، حيث يفرّق اغريغوريوس بين الإنسان الإلهى أو الإنسان المثالى أو الإنسان الكلى، وبين الإنسان الأرضى، وهو موضوع التجربة. فالإنسان الأول هو الإنسان المثالى، أو بالحرى الكائن البشرى والمثالى لا وجود له إلاّ فى فكر الله، وليس له تعيين جنسى، فليس هو ذكرا أو أنثى، وأما الانسان الثانى فهو الإنسان التجريبى، أو الكائن البشرى فى التجربة (أو تحت التجربة)، وهو متغير عن الإنسان المثالى وهو معين جنسيا، أو هو الإنسان المثالى وقد انفلق أو ظهر ظهورا جزئيا فى كثير من الأشخاص المفردة، وعلى ذلك فالمخلوقات الفردية، تبعا لغريغوريوس تنشأ عن طريق الخلق لا عن طريق الصدور من الإنسان المثالى الكائن فى اللوغوس الإلهى، ومن الواضح أن هذه النظرية ترتد إلى الأفلاطونية الجديدة وإلى مذهب فيلون، وقد تبناها أول فيلسوف بارز من فلاسفة العصور الوسطى جون سكوتس أريجينا John Scotus Eriugena الذى تأثر كثيرا بكتابات القديس اغريغوريوس النيسى. ومع ذلك يجب أن نذكر أن القديس غريغوريوس لم يقصد بتاتا، أن يقول أنه كان هناك فى وقت ما إنسان مثالى تاريخى غير معيّن من الناحية الجنسية. إن فكرة الله عن الإنسان سوف لا تتحقق

إلاّ فى الآخرة، فحينئذ كما يقول القديس غريغوريوس سوف لا يكون ذكر أو أنثى، لأنه سوف لا يكون زواج فى السماء.

لقد خلق الله العالم من فيض صلاحه وحبّه، حتى يمكن أن تكون ثمت خلائق تستطيع أن تشارك فى صلاحه الإلهى، ومع أن الله هو الخير، وقد خلق العالم من فيض صلاحه، لكنه لم يخلق العالم عن اضطرار بل عن اختيار، وقد اعطى الله الإنسان نصيبا من هذه الحرية. والله يحترم حرية الإنسان. ويسمح للإنسان أن يختار الشر إذا أراد. فالشر إذن نتيجة لحرية الإختيار عند الإنسان والله غير مسئول عن ذلك. حقا أن الله سبق فرأى الشر. وأنه يسمح به. ولكنه على الرغم من هذه المعرفة السابقة قد خلق الإنسان. لأنه عرف أيضا أنه فى النهاية سوف يحضر جميع الناس إليه. وعلى ذلك فقد قبل غريغوريوس نظرية أوريجينوس فى «تجديد أو رد جميع الأشياء» : إن كل بشر وحتى الشيطان والملائكة الذين سقطوا سيرتدون أخيرا إلى الله، على الأقل عن طريق العذابات المطهرية فى الحياة الأخرى. وإذن يمكن أن يقال على نوع ما أن كل بشر سيرتد أخيراً إلى المثل الأعلى، وسيحتويه المثل الأعلى. ولو أن من المقطوع به أن القديس اغريغوريوس كان يعتقد بالخلود الفردى أو الشخصى. هذه النظرية القائلة بأن جميع الأشياء سترتد إلى الله إلى المبدأ الذى نشأت عنه، والتى تنادى بالبلوغ إلى الحالة التى يكون الله فيها «الكل فى الكل» قد استعارها جون سكوتس أريجينا عن القديس غريغوريوس النيسى. ولذلك فإنه عندما يغلق علينا فهم تعبيرات أريجينا التى تكون غامضة أحيانا، يجب أن نذكر تفكير القديس غريغوريوس حتى لو سلمنا بأنه من الممكن أن يكون أريجينا وغريغوريوس يستعملان ألفاظا واحدة بمعانى مختلفة.

ومع أن القديس غريغوريوس يشارك أوريجينوس نظريته فى تجديد واستعادة جميع الأشياء، لكنه لم يشارك أوريجينوس اعتناقه لنظرية أفلاطون فى وجود النفس وجودا سابقا على وجودها فى البدن، بل أنه يقول فى كتابه «عمل الإنسان De hominis opificio» (١) أن مؤلف كتاب «المبادئ De Principis» قد أضلته النظريات اليونانية. يقول غريغوريوس أن النفس غير محدودة أو محصورة فى جزء واحد من البدن، وهى جوهر مخلوق *οὐσία γενητή* ، جوهر حىّ عاقل (متحد) مع جسم عضوى حسّاس، إنها جوهر قادر على أن يحيى وعلى أن يدرك المحسوسات، طالما كان فى طاقة الأعضاء الجسمانية وذلك (كتاب النفس والقيامة De anima et resurrectione) (٢)، ولما كانت النفس بسيطة وغير مركبة *ἁπλῆν καὶ ἀσύνθετον* فهى قادرة على أن تبقى حيّة بعد فناء البدن،

(١) مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٤٤ ص ٢٢٩ وما يليها.

(٢) مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٤٦ ص ٢٩.

ولكنها فى النهاية ستتحد معه مرة أخرى. فالنفس إذن روحانية وغير مادية. ولكن كيف تختلف النفس عن البدن؟؟ لأن البدن شئ مادىّ وجامد يتألف تبعا لغريغوريوس من مجموعة صفات أو كيفيات. Qualites هى فى ذاتها غير مادية. يقول غريغوريوس فى كتابه «عمل الإنسان De hominis opificio»، الفصل الرابع والعشرين : أن الاتحاد بين صفات أو كيفيات مثل اللون والصلابة والكمية والوزن يكّون الجسم، بينما أن إنحلال هذه الكيفيات معناه فناء الجسم، ويعرض القديس غريغوريوس فى الفصل السابق على هذا الفصل لمشكلة مفصلة ذات قرنين، قال : إما أن تنشأ الأشياء المادية من الله، وفى هذه الحالة يكون الله قد احتوى المادة فى ذاته باعتباره مصدراً لها ويكون بالتالى ماديًا، وإما أن لا يكون الله ماديا فلا تصدر الأشياء المادية عنه وحينئذ تكون المادة أزلية، ومع ذلك يرفض القديس غريغوريوس كلا من هاتين النتيجتين، فلا يؤمن بمادية الله ولا بالثنائية، والنتيجة الطبيعية لهذا أن الصفات والكيفيات التى تتألف منها الأشياء الجسمانية والمادية ليست مادية. حقا أن القديس غريغوريوس فيما يقول بالخلق من العدم ex nihilo يؤكد أننا لا نستطيع أن ندرك كيف أن الله يخلق الكيفيات من العدم. ولكن من الصواب أن نفترض أن الكيفيات التى تكوّن الجسم هى فى نظر القديس غريغوريوس ليست فى ذاتها أجساما : والواقع أنها لا يمكن أن تكون أجساما، لأنه لا يكون ثمت جسم مادىّ على الاطلاق إلا من اتحادها وباتحادها، ولعلّ غريغوريوس متأثر فى مذهبه فى الكيفيات بمذهب أفلاطون الذى يعرضه فى محاورته «طيماوس»... ثم كيف لا تكون الكيفيات روحية؟؟ فإذا كانت الكيفيات روحية.. فكيف تختلف النفس اختلافا جوهريا عن البدن؟؟ ولابد أن يكون جواب غريغوريوس على النحو التالى : مع أن الكيفيات تتحد معا «لتكّون» الجسم. ولا يمكن أن تسمىّ أجساما حيث أنها مجردّة، لكنها مرتبطة بالمادة ارتباطا جوهريا أساسيا لأن وظيفتها أن «تكّون» المادة. وهنا تخطر للبال صعوبة مماثلة بالنسبة للمذهب التومى الأرسطاليسى فى الهيولى والصورة : إن المادة الأولية ليست فى ذاتها جسما لكنها من عناصر الجسم ، فكيف تختلف هى فى ذاتها عن الجوهر الروحى وغير المادى؟؟ يجيب الفلاسفة التوميون بأن المادة الأولية «لا توجد» مطلقا بذاتها وحدها، ولكنها تفتقر بالضرورة إلى الكم duantity فهو ضرورى لتحديد الجسم المادىّ. ولربما أراد غريغوريوس أن يجيب هو أيضاً بشئ من هذا القبيل بالنسبة إلى الكيفيات الأولية. ونحن نلاحظ من قبيل الإشارة العابرة أن مثل هذه الصعوبات تثار أيضاً بالنسبة لبعض النظريات الحديثة فيما يتصل بتركيب المادة. ولو كان أفلاطون حيّا الآن لرحّب بهذه النظريات، وكذلك كان يفعل القديس غريغوريوس النيسى.

* * *

ومن كل ما قلناه سابقا يتضح أن القديس غريغوريوس النيسى كان متأثراً كثيراً بالأفلاطونية والأفلاطونية المحدثة وبكتابات فيلون اليهودى فهو يتكلم مثلا عن التشبه بالله ὁμοίωσις Θεῷ وأنه غاية الإنسان (١). ومع أنه ليس فى مقدور أحد أن ينكر أن غريغوريوس النيسى قد استخدم مصطلحات وتعبيرات أفلوطينية كما استخدم مصطلحات وتعبيرات فيلونية - ولو الى حد أقل - إلاّ أنه من المؤكد أنه لم يكن دائما يستخدمها بالمعانى التى استخدمها فيها أفلوطين أو فيلون، بل على العكس لقد استخدم تعبيرات أفلوطين أو أفلاطون فى شرح وعرض التعليم المسيحى. فالتشبه بالله، مثلا، هو على ما يقول اغريغوريوس - من عمل النعمة، وهو نموّ لصورة أو أيقونه εἰκών الله التى تغرس فى النفس عند المعمودية. نموّ أو تطور يدركها بتأثير عمل الله وبمعاونة إرادة الإنسان الحرّة. «والعدالة فى ذاتها» ليست فضيلة مجردة ولا هى فكرة فى العقل νοῦς . إنها اللوغوس وقد حلّ فى النفس، ونتيجة لهذا الحلول تكون المشاركة فى هذه الفضيلة بين اللوغوس والنفس الإنسانية، هذا واللوغوس عند غريغوريوس ليس هو النوس (العقل) عند فيلون. إن اللوغوس هو الأقنوم الثانى من الثالوث المقدّس. وليس ثمت سلسلة من كائنات متوسطة أو أقانيم أقل من جوهر الله تملأ الفراغ المتوسط بينه وبين خلائقة.

أخيراً، فما تجدر ملاحظته أن القديس اغريغوريوس النيسى هو المؤسس الحقيقى الأول لعلم اللاهوت الصوفى mystical Th. على أساس منهجى، وهنا أيضاً يستخدم مصطلحات من أفلوطين ومن فيلون، ولكنه يستخدمها فى معانى مسيحية وفى إطار من الفكير يدور حول السيد المسيح، إن من الطبيعى أن يكون فى مقدور العقل البشرى الناطق أن يعرف المحسوسات، وبتأمل هذه المحسوسات يمكن للعقل أن يتوصل إلى معرفة شئ عن الله وصفاته، (وهذا هو علم اللاهوت الرمزى Symbolic Th. وهى يحل بنوع ما محل علم اللاهوت الطبيعى Natural Th. بالمعنى الحديث). ومن جهة أخرى، فإنه ولو أن المحسوسات هى موضوع معرفة الإنسان الذى يناسبه حسب طبيعته، إلاّ أن هذه المحسوسات ليست حقيقية بالمعنى الكامل للكلمة، إنها خيال أو وهم، وليست فى حقيقتها غير رموز أو مظاهر أو ظواهر لحقيقة غير مادية، تلك الحقيقة التى ينجذب نحوها الإنسان بروحه، والتوتر الناجم عن هذا فى نفس الإنسان يؤدى به أو بها إلى حالة ἀνελπιστία قطع الرجاء أو انقطاع الأمل أو اليأس وهو أصل أو منبت التصوّف أو الحياة الباطنية. لأن النفس عندما تنجذب نحو الله تترك موضوع معرفتها الطبيعى من دون أن تكون مع ذلك قادرة على أن ترى الله الذى تنجذب نحوه بالحب، فتدخل حينئذ فى الظلام وهو

(١) كما يتكلم عن هرب الوحيد إلى الوحيد flight of th. alone to the Alone وعن العدالة فى ذاتها. وعن الايروس eros وعن الارتقاء إلى الجمال المثالى.

ما كان يسمى فى العصور الوسطى «بغمامة الجهل Cloud of unknowing» (ويقابل هذه المرحلة ما يعرف بعلم اللاهوت السلبى negative Tgth. وكان له أثره الواضح على من عرف باسم ديونيسيوس الكاذب Pseudo-Dionysius) وتحدث فى ارتقاء النفس حركتان: حركة حلول الله المثلث الأقانيم فيها، وحركة بلوغ النفس إلى ما وراء ذاتها، فتدرك أعلى درجات الوصول فى حالة من الانجذاب العقلى أو الاختطاف العقلى ἔκτασις «عند فيلون تفسيراً عقلياً، لأنه كان حينئذ يشتبه فى أى نوع آخر من الاختطاف نظراً للتطرفات التى وقع فيها أصحاب مذهب المونتانية (أتباع مونتانوس الذى ادّعى أنه الباراقليط الموعود به فى الإنجيل). أمّا القديس غريغوريوس فقد جعل حالة الاختطاف العقلى هى أسمى درجة تبلغ إليها النفس فى مجاهداتها الروحانية مفسراً إياها على أنها أوّلاً وقبل كل شئ، «حب» يخطف العقل.

أما «الظلام» الذى يحيط بالله فيعزى بادئ ذى بدء إلى سمو أو استشراف الجوهر الإلهى استشرافاً تاماً، ويستنتج غريغوريوس من هذا أنه حتى فى السماء تندفع النفس الإنسانية دائماً إلى الأمام يجذبها الحبّ الإلهى لتتوغل فى أعماق الله، أما حالة «السكون» فتعنى إما الشبع أو الموت: فالحياة الروحية تتطلب تقدما وترقيا مستمرا، وطبيعة الاستشراف الإلهى تقتضى هذا التقدم عينه، ذلك لأن العقل البشرى لا يمكن أبدا أن يدرك الله، «فالظلام الإلهى» إذن قائم «على الدوام» بمعنى ما، ومن الحق أن يقال أن القديس اغريغوريوس النيسى أعطى لهذه المعرفة فى الظلام أسبقية وأفضلية على المعرفة العقلية، لا لأنه كان يحتقر العقل البشرى، بل لأنه أدرك استشراف الله وسموّه وتعاليه.

ولا شك أن منهج القديس غريغويوس فى ترقى النفس البشرية يشبه من بعض الوجوه منهج أفلوطين. لكنه فى نفس الوقت منهج يقوم كله على السيد المسيح، فتقدم النفس وترقيها هو من عمل اللوغوس «الإلهى» وهو المسيح، ثم أن مثله الأعلى ليس فى الاتحاد المفرد بالله بل بالأحرى فى التحقق بالامتلاء πλήρωμα بالمسيح : فتقدم وترقى نفس بشرية واحدة يجلب نعمة وبركة لنفوس أخرى، وحلول الله فى الفرد يؤثر فى المجموع البشرى كله، ثم أن مذهب غريغوريوس فى التصوف أو الحياة الباطنية يتسم كله بارتباطه بالأسرار الكنسية المقدسة، من ذلك أنه يقول أن صورة εἰκών الله فى الإنسان تتجدد أو ترتد إليه فى سرّ المعمودية، كما أن الاتحاد بالله يقوى بسر الافخارستيا.

وقصارى الكلام أن كتاب القديس غريغوريوس النيسى هو المنابع التى استقى منها بطريق مباشر أو غير مباشر، ديونيسيوس الكاذب pscudo-Dionysius والمتصوفة حتى القديس يوحنا الصليبى واستلهموا بها، وهى المصدر الأصلى للمذاهب الفلسفية المسيحية التى تترسم ترقى النفس فى مختلف مراحل المعرفة والحب، إلى أن تبلغ إلى الحياة الصوفية الباطنية والرؤيا

السعيدة Beatific Vision وإذا كان القديس يوحنا الصليبى ذلك الكاتب المسيحى الروحانى يقف على الخط الذى يمتد ابتداء من القديس غريغوريوس النيسى، فكذلك يقف على نفس الخط الفيلسوف المتصوّف بونافنتورا....

القديس امبروسيوس

وهو أسقف ميلان بايطاليا، وقد عاش فى الفترة بين سنة ٣٣٣، سنة ٣٩٧م.

كان للقديس امبروسيوس ذات الاتجاه الذى نجده عند الرومان نحو الفلسفة، وأعنى به الإهتمام بالمسائل العملية والأخلاقية مع قليل من الميل إلى التفكير فيما وراء الطبيعة. وفى كتبه الخاصة بالعقيدة المسيحية والكتاب المقدس اعتمد خصوصاً على الآباء الذين كتبوا باللغة اليونانية، أمّا فى الأخلاق فقد كان متأثراً بشيشرون، وقد وضع كتابه المسمىّ «فى واجبات الخدّام De officiis ministrorum» نحو سنة ٣٩١م ووجهه إلى رجال الاكليروس فى ميلان، فكان كتابا مسيحيا على غرار كتاب «فى الواجبات De officiis» الذى ألفه الخطيب الرومانى العظيم شيشرون. وقد سار امبروسيوس فى كتابه على نسق ما فعل شيشرون فى تقسيمه للفضائل ومعالجته لها، ولكن كان من الطبيعى أن تكون معالجة امبروسيوس مشرّبة بالروح المسيحية. وعنده أن المثل الأعلى الذى ينشده الرواقيون وهو الذى يتحقق بامتلاك الفضيلة، يكمل بالمثل الأعلى النهائى وهو السعادة الأبدية فى الله. ولم يقدم القديس امبروسيوس شيئا جديدا ذا بال فى مجال الأخلاق المسيحية. إن أهمية امبروسيوس فى هذا الميدان تنحصر فى الأثر الذى تركه على المفكرين المسيحيين الذين جاءوا بعده وكتبوا فى الأخلاق متأثرين بما كتبه هو من قبل.

القديس يوحنا الدمشقى

يحتمل أن يكون يوحنا الدمشقى قد مات فى نهاية سنة ٧٤٩م. وكان خصما عنيداً لبدعة محطى الصور والإيقونات Iconoclasts، ولكنه كان أيضا منسقا كبيراً فى دائرة علم اللاهوت حتى يمكن أن يسمّى بمدرسّى الشرق. ويقول يوحنا الدمشقى فى صراحة أنه لا ينتوى أن يقدم آراء شخصية جديدة لكنه يقصد إلى المحافظة على أفكار العلماء القديسين، ويسلمها إلى من يأتى بعده، ولذلك فإنه من العبث أن نبحث فى كتاباته عن شئ جديد تشتمل عليه. ومع ذلك، فهناك شئ من الطرافة يمكن أن ينسب إليه، وذلك فى عرضه المنهجى المنظم لآراء السابقين عليه، وأهم كتاب له هو «نبع الحكمة» Fount of wisdom ويقّدم يوحنا الدمشقى فى الجزء الأول من هذا الكتاب، مجملا لمنطق واونتولوجيا (= علم الكائنات) أرسطو، ولو أنه يتكلم عن مؤلفين آخرين إلى جانب أرسطو منهم فورفوريوس. porphyry. فى هذا الجزء الأول وهو المنطق Di-alcetica أو الجدل، يبين يوحنا الدمشقى أن الفلسفة والعلم الدنيوى هما آداتان وخادمان لعلم اللاهوت، وهو يتبنى فى ذلك رأى اكليمنضس الأسكندرى وغريغوريوس النيسى وهو رأى يرجع قديماً إلى فيلون الفيلسوف اليهودى الأسكندرى، وقد تردد كثيرا فى العصور الوسطى (١). وفى الجزء الثانى من هذا الكتاب الضخم يؤرخ للهرطقات معتمداً فى ذلك على المعلومات التى أدلى بها الكتاب السابقون. وفى الجزء الثالث «فى الإيمان الأرثوذكسى De Fido Orthodoxa ويشتمل على أربعة كتب عالج فيها بطريقة منهجية موضوعات علم اللاهوت طبقا لاعتقاد آباء الكنيسة الأرثوذكسية. وقد ترجم هذا الجزء (الثالث) إلى اللاتينية بمعرفة بورجونديوس البيزى Burgundius of pisa فى سنة ١١٥١. وقد استعان به كثيرون، منهم بطرس لومبارد Peter Lombard والبيرت الكبير Albert the Great وتوما الأكوينى. ويتمتع القديس يوحنا الدمشقى فى بلاد الشرق بالتقدير الذى يتمتع به توما الأكوينى فى بلاد الغرب.

---

(١) مجموعة الآباء اليونانيين، مجلد ٩٤ ص ٥٣٢.

الفلسفة الرواقية

الفلسفة الرواقيـــة

مؤســس المدرســـة الرواقيـة هو زينون Zeno ولد حوالى ٣٣٦ أو ٣٣٥ ق.م. فى كيتيوم Citium بجزيرة قبرص. وتوفى حوالى ٢٦٤ أو ٢٦٣ ق.م فى أثينا. ويبدو أنه احترف فى مبدأ حياتــه مهنــة أبيــه وهى التجــارة. ولما جــاء إلــى أثينا حوالى ٣١٥ ـ ٣١٣ قرأ مذكرات Memorabilia اكسنوفون Xenophon ، و«دفاع» أفـلاطـون Apology فأفعم قلبه بحب سقراط وأعجب بقوة أخلاقه وجميل صفاته. وتتلمذ على كراتس الكلبى Crates the cynic اعتقادا منه أنه أكثر المفكرين شبها بسقراط ثم تحوّل عن الكلبيين إلى ستيلبو Stilpo ولو أنه قيل عنه أنه استمع إلى اكسينوكراتس Xenocrates، وبعد موت الأخير استمع أيضا إلى بوليمون Polemon على أنه أسس مدرسته الخاصة حوالى سنة ٣٠٠ ق.م، هذه المدرسة التى أخذت أسمها من اسم المكان الذى كان يحاضر فيه Στοὰ Ποικόλη . وقد قيل أن زينون قتل نفسه. ولم يبق من مؤلفاته إلاّ شذرات.

وخلف زينون فى رياسة المدرسة كليانتس Cleanthes من أسوس Assos (من ٣٣١/٣٣٠ ـ ٢٣٣/٢٣٢ أو ٢٣١) وجاء بعد كليانتس الفيلسوف كريسبوس Chrysippus من Soloi سولوى فى كيليكيا Cilicia (٢٨١/ ٢٧٨ ـ ٢٠٨/٢٠٥) وهو الذى سمى بالمؤسس الثانى للمدرسة الرواقية لأنه هو الذى جعل من تعاليم الرواقية مذهبا فلسفيا.

Εἰ μὴ γὰρ ἦ Χρυσιππος οὐκ ἂν ἦν Στοά

وقيل أنه كتب ما ينوف على ٧٠٥ كتابا، وأنه كان مشهورا بجدله dialectic لا بأسلوبه الإنشائى.

وهؤلاء من بين تلاميذه : اريستون من خيوس Ariston of Chios وهيريللس القرطاجنى Herillus of carthage وديونيسيوس من هيراقليا Dionysius of Heracleia ثم بيرسيون من كيتيوم persion of citium ومن تلاميذ كليانتس نذكر سفيروس البوسفورى Sphairus of the Bosphorus وجاء بعد كريسبوس تلميذاه زينون الطرسوسى zeno of Tarsus وديوجينس السلوكى Diogenes of Seleucia وجاء الأخير إلى روما فى سنة ١٥٦/١٥٥ ق.م. ومعه فلاسفة آخرون سفراء عن أثينا، وحاولوا لعلهم يحصلوا على الإعفاء من الغرامة المفروضة على الأثينيين. وقد ألقى الفلاسفة محاضرات فى مدينة روما أثارت إعجاب الشباب فى المدينة ولو أن كاتو كان يعتقد أن هذه النزعات الفلسفية لاتتفق مع القوة العسكرية، وقد نصح مجلس الشيوخ أن يتخلص من السفارة بأسرع وقت ممكن. وجاء بعد ديوجينس، انتيباتر Antipater الطرسوسى.

ينكر الرواقيون وجود الكلى السامى transcendental universal أو الكلى المادى concrete universal. ولا يوجد عندهم إلاّ الفردى أو الجزئى individual ومعرفتنا هى معرفة بالجزئيات. هذه الجزئيات تطبع أثرا فى النفس هو ἐντύπωσις (impression) عند زينو وكليانتس أو هو ἑτεροποίωσις عند كريسبس alteration والمعرفة هى أولا معرفة بهذا الأثر impression. لهذا فإن الرواقيين اتجهوا إتجاها مخالفا لإتجاه أفلاطون ... ان أفلاطون احتقر الادراك الحسّى sense-perception بينما أن الرواقيين أقاموا المعرفة كلها على الإدراك الحسّى، ولا شك أنهم فى هذا يرددون كلمات انتيستنس Antisthenes الذى يذهب إلى أنه رأى جوادا a horse ولكنه لم ير جوادية horseness (وقد رأينا أن زينون أصبح تلميذا لكراتس Crates الكلبى) والنفس فى الأصل لوحة tabula rasa ولكى تعرف لابد لها من الإدراك الحسّى perception. ولم ينكر الرواقيون طبعا أننا نعرف من أحوالنا وفاعلياتنا الباطنية. لكن كريسبوس ردّ هذه المعرفة أيضا إلى الردراك الحسّى perception والإدراك الحسى إلى ما هو أبسط منه. فهذه الأحوال states والفاعليات اعتبرت عنده أنها تتألف من عمليات مادية material processes وبعد فعل الإدراك الحسّى تبقى هناك الذكرى (memory) μνήμη بعد أن يختفى وجوده بالفعل. والخبرة experience تنجم عن تعدد مثل هذه الذكريات ἐμπειρία.

وعلى ذلك فقد كان الرواقيون تجريبيين Empiricists، بل وحسيين Sensualists ولكنهم أيضا كانت لهم نزعة عقلية Rationalism nominalist مع أنها لا تكاد تتفق مع نزعتهم التجريبية empiricist والاسمية الخالصة. إذ مع أنهم يقررون أن العقل λόγος , νοῦς هو نتيجة للتطور. بمعنى أنه ينمو تدريجيا من مجموعة المدركات الحسّية وأنه لا يتكون قبل سن الرابعة عشرة. إلا أنهم يرون كذلك أن هناك أفكارا عامة تتكون عمدا diliberately formed general idias، كما أن هناك أيضا أفكاراً عامة κοιναὶ ἔννοιαι or πρόληψις وهى بحسب ما يظهر سابقة على التجربة experience ἔμφυτοι πρόληψις.

بمعنى أن فينا ميلاً طبيعياً سابقا لتكوين هذه الأفكار التى يمكن أن نسميها أفكاراً فطرية فى الواقع virtually innate، وأكثر من هذا فإن منهج الحقيقة أو الواقع Reality لا يمكن معرفته إلا عن طريق العقل Reason.

وقد صرف الرواقيون عناية كبيرة نحو مشكلة معيار الحقيقة the criterion of truth وهو ما يصفونه بأنه καταληπτική , φαντασία الادراك الحسّى المدرك أو المميّز the apprehensive perception or representation وإذن فمعيار الحقيقة يقوم فى الإدراك الحسى نفسه. أى فى الإدراك الذى تذعن له النفس، ولجميع النوايا والمقاصد إذا كانت مدركة إدراكا

حسياً واضحاً. (وهذا لا يكاد يتفق مع الرأى القائل بأن العلم وحده هو الذى يعطينا معرفة يقينية عن الحقيقة Realtiy). ومهما يكن من أمر، فإن الصعوبة قائمة فى أن النفس يمكنها أن ترفض الإذعان لما هو إدراك حسىّ حقيقى فى الخارج. وعلى ذلك فعندما ظهرت الكيستيس Alcestis بعد موتها لادميتس Admetus من العالم السفلى، رآها زوجها فى وضوح. ومع ذلك لم يذعن لإدراكه الواضح بسبب موانع شخصية ذاتية Subjective hindrances وهى اعتقاده بأن الموتى لا يقومون، وأنه يمكن أن تكون للموتى، من ناحية أخرى، ظهورات خدّاعه. وبسبب مثل هذا الاعتراض أضاف الرواقيون المتأخرون إلى معيار الحقيقة، كما حدثنا بذلك سكستس امبيرقوس Sextus Empiricus هذا النص «الذى ليس له عائق» فإذا تكلمنا موضوعياً نقول أن رؤية الكيستيس وهى ميتة له قيمة معيار الحقيقة. لأنه من الوجهة الموضوعية *καταληπτική φαντασία*.

وأمّا إذا تكلمنا شخصيا (ذاتيا) Subjectively فإن الإدارك الحسى لا يستطيع أن يكون معيار للحقيقة، بسبب اعتقاد يقوم بدور المانع الذاتى أو الشخصى. وعلى الرغم من كل ذلك فالصعوبة باقية إذ ليس ميسوراً أن يعرف متى يكون هناك عائق ومتى لا يكون.

نظام الكون عند الرواقيين :

رجع الرواقيون فى طبيعياتهم إلى نظرية هيراقليطس Heraclitus فى اللوجوس وفى النار باعتبارها جوهر العالم world-substance كما استعاروا عناصر أخرى من أفلاطون ومن أرسطو. وعلى ذلك فإن البذور المركزية *λόγοι σπερματικοί* يبدو أنها إنتقال أو تحول إلى المستوى المادى لنظرية الصور.

ويرى الرواقيون أن الحقيقة فيها مبدآن *τὸ ποιοῦν* ثم *τὸ πάσχου* لكن *τὸ ποιοῦν* ليس هنا ثنائية كما هو الحال عند أفلاطون حيث أن المبدأ الفاعل ليس روحياً، وإنما هو مادىّ. والواقع أنه لا تكاد هنا ثنائية أصلا لأن المبدئين كلاهما مادىّ، ويؤلفان معاً كلا واحداً one whole.

وعلى ذلك فالمذهب الرواقى مذهب مادى موحد monistic materialism ولو أنه لا يلزم هذا الاتجاه دائماً. فنحن لا نعرف على وجه اليقين نظرية زينون، لكن يبدو أن كليانتس Cleanthes وكريسبس Chrysippus قد اعتبرا المبدئين فى النهاية مبدأ واحد بعينه.

All are but parts of one stupendous whole, Whose body Nature is and God the soul.

«جميع الأشياء أجزاء لكل هائل. الطبيعة هى جسمه، والله هو روحه»

والمبدأ القابل (المنفعل) هو المادى خلوا من صفاتها، والمبدأ الفاعل هو العقل الباطن imma-nent Reason أو هو الله والجمال الطبيعى أو الغائية finality فى الطبيعة تنبئ بوجود مبدأ مفكر فى الكون. أو هو الله الذى بفضل عنايته أعدّ كل شئ لخير الإنسان وزيادة على ذلك، حيث أن أعلى ظاهرة فى الطبيعة وأعنى بها الإنسان يتمتع بالوعى consciousness فلا يمكن أن نفترض أن العالم بأسره خلو من الوعى consciousness، إذ أن الكل لا يمكن أن يكون أقل كمالا من الجزء. فالله إذن هو وعى العالم the Consciousness of the world ومع ذلك فالله مادىّ، شأنه فى ذلك شأن الأساس substrate الذى يعمل فيه.

وقال الرواقيون، كما قال هيراقليطس من قبل، بأن النار هى مبدأ جميع الأشياء، الله هو النار الفعالة *πῦρ τεχνικόν* وهى باطنه immanent فى الكون *πνεῦμα διῆκον δι' ὅλου τοῦ κόσμου* لكنه فى الوقت نفسه هو النبع الأول primal Source الذى تنبع منه العناصر الأكثر كثافة التى يتكون منها عالم الأجساد. هذه العناصر الأكثر كثافة تصدر من الله، ثم تذوب فيه أخيرا. فكل ما هو موجود إما أن يكون هو النار الأولى primal Fire - أى هو الله فى ذاته - أو يكون هو الله فى أحواله المختلفة. وعندما يكون العالم فى الوجود، فالله يقف منه بمثابة الروح من البدن، إذ هو روح العالم، إن الله ليس شيئاً مختلفاً تمام الاختلاف عن مادة العالم، الذى هو بدنه His Body لكنه مادة أرفع، وهو المبدأ المحرك والمكون - بينما المادة الأكثف التى يتكون منها العالم، هى فى ذاتها بلا حركة وبلا شكل لكنها (قابلة) لكل صنوف الحركة والشكل.

فالله إذن أو اللوغوس *Ὁ Λόγος* هو المبدأ الفعّال the Active principle والذى يحتوى فى ذاته الصور الفعّالة لجميع الأشياء الموجودة. هذه الصور أو الأشكال هى البذور المركزية *λόγοι σπερματικοί* هذه الصور أو الأشكال الفعالة والمادية فى نفس الوقت، كأنها بذور Seeds بفضل فعلها توجد الأشياء الفردية كلما تطور العالم، أو بالحرى أنها «بذور» تنشر نفسها فى صور الأشياء الفردية (إن مفهوم المصطلح *λόγοι σπερματικοί* موجود فى مذهب الأفلاطونية المحدثة Neo-Platonism وعند القديس أوغسطينوس تحت اسم rationes seminales) وفى التطور الحادث فعلا فى العالم، يتحول جزء من النفس الحار fiery vapour الذى يتكون الله منه، إلى هواء، ومن الهواء يتكون الماء، ومن جزء من الماء تتكون الأرض ويبقى جزء آخر على صورة الماء، ويتحول جزء ثالث إلى هواء، وهذا يتحول بالتلطيف (ضد التكثيف) rarefaction إلى النار الأولية. وبهذا يبرز إلى الوجود «جسم» الله.

وقال الرواقيون ببدأ الاحتـــراق الكـــونى (الكلى) ἐκπύρωσις the universal conflagration وذلك أن الله كوّن العالم من النار وسيردّه إليه ثانية بالاحتراق الكونى (الكلى)، فيعود مرة أخرى إلى النار الأولى the primenal fire التى تكوّن منها، ثم يعود العالم إلى الكون من جديد وهكذا،فهناك سلسلة لا تنتهى من تكوينات للعالم world constructions وتهدمات العالم world destructions هذا وكل عالم جديد يشبه فى كل شئ العالم السابق عليه. فكل إنسان مثلا يوجد هو نفسه فى كل عالم من هذه العوالم المتتابعة، ويقوم بنفس الأفعال التى كان يعملها فى وجوده السابق (قارن فكرة نيتشه Nietzsche فى العود الأبدى Eternal Recurrence) وتمشيا مع هذا الاعتقاد أنكر الرواقيون حرية الإنسان، أو بالحرى أن الحرية عندهم معناها أن يعمل الإنسان شعورياً وبرضاه ما كان سيفعله فى أى حال (doing consciously with assent, what one will do in any case). وهو اعتقاد يستدعى لأذهاننا اعتقاد سبينوزا Spinoza فالرواقيون يقولون بسيادة مبدأ الضرورة أو الحتمية necessity وهو ما يسمونه بالقضاء والقدر Fate أو المصير المحتوم εἱμαρμένη لكن القضاء والقدر ليس شيئا مختلفاً عن الله وعن العقل الكلّى universal reason، ولا هو مختلف عن العناية الإلهية Providence التى ترتب كل شئ على أحسن نحو. فليس القضاء والقدر، أو العناية الإلهية إلا وجوهاً مختلفة لشئ. على أن الرواقيين خففوا من هذه الحتمية الكونية cosmological determinism باصرارهم على مبدأ الحرية الباطنية interior freedom، بمعنى أن الإنسان يمكنه أن يغير حكمه على أحداث الحياة، أو اتجاهه نحوها إذا نظر إلى هذه الأحداث وقبلها على أنها تعبير عن «إرادة الله» God's will بهذا المعنى يصبح الإنسان حرا.

ولما كان الرواقيون يعتقدون أن الله قد رتب ونظم جميع الأشياء على أحسن وجه، كان عليهم أن يفسروا الشرّ فى العالم أو على الأقل أن يوفقوا بينه وبين نظرتهم المتفائلة إلى الوجود. وقد عنى كريسبوس Chrysippus على الخصوص بالمشكلة القائمة دائماً وهى مشكلة إقامة علم بالإلهيات theodicy متخذا أساسا لمذهبه النظرية القائلة بأن نقص الأفراد يساعد على كمال الكل. the imperfection of individuals subserves the perfection of the whole.

وينتج عن هذا أنه ليس هناك فى الواقع شر عندما ننظر إلى الأشياء نظرة أبدية sub specie aeternitatis هذه النظرة المتفائلة عند الرواقيين، ثم أيضا فكرتهم فى أنه ليست هناك ظاهرتان فرديتان من ظواهر الطبيعة متشابهتين تمام الشبه، تعيد إلى أذهاننا نظرية اسبينوزا spinoza بل وأيضا نظرية ليبنز Leibniz. ويقول كريسبوس Chrysippus فى كتابه الرابع عن العناية الإلهية Providence أن الخيرات لا يمكن أن توجد بدون شرور. على أساس أنه إذا كان هناك

متناقضان، فلا وجود للواحد إلا بالآخر، بحيث إذا رفعت الواحد رفعت الأثنين معا. ولا شك أن فى هذا القول نصيبا كبيرا من الصحة. فمثلا وجود مخلوق حساس قادر على الشعور باللذة يتضمن أيضا قدرته على الشعور بالألم. إلا إذا كان الله، بالطبع، يشاء أمرا آخر. على أننا نتكلم هنا عن الأحوال الطبيعية للأشياء، ولا نتكلم عن السنن الإلهية الخارقة للطبيعة. ثم أن الألم مع أنه يقال عنه أنه شر، قد يكون خيرا من بعض الوجوه، فمثلا ألم الأسنان إذا فسدت أو تسوست يصنع بالإنسان خيرا ويجلب له نفعا. وإنعدام الوضع الصحيح بين الأسنان، لا شك أنه شر، لكننا نمسى فى حال أشر لو أن الأسنان فسدت ولم يكن ثمة وجع. حيث أن الوجع هو بمثابة إشارة الخطر تنبهنا بأنه جاء الوقت الذى يجب أن نفحص فيه أسناننا عند طبيب الأسنان وبالمثل، إذا لم نشعر بالجوع أبدا، وهو شعور بالألم، تهدمت صحتنا بسبب نقص الغذاء، وكان كريسبوس فى رأيه هذا واضحا كل الوضوح. قال أنه خير للإنسان أن تكون له رأس دقيقة التركيب، ولو أن دقة التركيب delicate construction تجعلها فى نفس الوقت عرضه للخطر إذا أصابتها صدمة ولو كانت طفيفة نسبياً.

فإذا لم يكن الشر الفيزيقى physical evil مشكلة كبيرة، فما القول فى الشر الأخلاقى؟ يقول الرواقيون، ليس هناك فعل، يعد شرا «فى ذاته»، أو ملوما «فى ذاته». إن الذى يجعل الفعل شرا هو نية الفاعل وقصده intention، وحالته الأخلاقية. أمّا الفعل ذاته باعتبار كيانه الفيزيقى فهو ليس خيرا ولا شرا indifferent وإذا كان هذا معناه أن النيّة الحسنة تبرر الفعل، فمثل هذا فعل أخلاقى ولابد أن يكون إما خيرا أو شراً، فإذا صدر عن الفاعل فعل شرير ولكن بنية خالصة وقصد حسن، وكان فى حال من الجهل البرئ بأن الفعل مضاد للعقل السليم. فالفعل فى هذه الحالة شر صورى materialiter والفاعل لا يعد مخطئا إذا صدر منه خطأ موضوعى formal sin لأن الفعل الإنسانى الصادر عن إرادة الإنسان الحرة يكون خيرا أو شرا من الناحية الصورية materialiter أو الموضوعية objectively كلما كان من الناحية الموضوعية موافقا أو مخالفا للعقل السليم، والقانون الطبيعى الموضوعى objective Natural Law إذ أن نيّة الفاعل كما يشعر بها هو فى وقت الفعل لا تغيّر من طبيعة الفعل الموضوعية أو الصورية، ولو أنها قد تعفيه من المسئولية الأخلاقية. لو كان الفعل شرا من الناحية الصورية أو الموضوعية. ومهما يكن من أمر فإذا كان الفعل منظوراً إليه فى ذاته باعتبار كيانه الوضعى positive entity مستقلا عن طبيعته بإعتباره فعلا إنسانيا، يكون كريسبوس chrysippus على حق فى قوله أن الفعل فى هذه الحالة لا يكون شرا، بل هو فى الواقع خير. ويمكن إيضاح هذه المسألة بمثال : إذا قتل إنسان بفعل غادر أثيم، أو قتل وهو يناضل عن مبادئه أو عن سلامة بلاده، ففعل القتل واحد بعينه فى الحالين من الناحية الفيزيقية أو الوضعية. والشر «الأخلاقى» ليس هو فى فعل القتل من

الناحية الوضعية، أى الفعل فى ذاته منظورا إليه مجردا من الباعث الغائى، لأن هذا يسئ إلى صلاح الخالق الذى هو أصل لكل موجود. لكن الشر «الأخلاقى» يقوم أساسا على إنعدام التوافق Harmony والإنسجام فى إرادة الإنسان، فإذا فعل الإنسان شرا كانت إرادته فى غير إنسجام disharmony مع العقل السليم، وكما يمكن أن تكون نية الإنسان صالحة كذلك يمكن أن تكون نيته شريرة، وعلى ذلك فالمتناقضات فى دائرة الأخلاق كما فى دائرة الطبيعيات، ينطوى الواحد منها على الآخر، وهنا يسأل كريسبوس : هل يمكن أن تفهم الشجاعة من دون الجبن أو العدالة من دون الظلم؟؟؟ وكما أن المقدرة على الشعور باللذة تنطوى على المقدرة بالشعور بالألم، كذلك المقدرة على العدل تتضمن المقدرة على الظلم.

وعندما قال كريسبوس أن المقدرة على عمل الفضيلة تقتضى فى الواقع de facto المقدرة على عمل الرذيلة. إنما كان يعبر عن حقيقة، ذلك لأنه بالنسبة للإنسان فى أحواله الحاضرة فى هذا العالم، وبالنسبة لإدراكه المحدود للخير الأعظم Summum Bonum، أن يكون الإنسان حرا فى أن يفعل الخير يقتضى أن يكون أيضا حرا فى أن يفعل الشر. وإذا كان الحصول على الحرية الأخلاقية خيرا للإنسان، وأن يكون الإنسان قادرا على أن يختار الفضيلة حرا، أفضل من أن لا تكون له حرية أبدا، حتى لو كان ذلك يقتضى أن يكون قادرا على أن يختار الرذيلة، إذا كان ذلك كذلك فلا إعتراض على العناية الإلهية Divine Providence فى وجود الشر الأخلاقى فى العالم أو إمكان وجوده.

على أن كريسبوس يعتقد أن وجود الفضيلة فى الكون يقتضى وجود عكسها على أساس أن النقيض يقتضى نقيضه. غير أن هذا القول باطل، لأن حرية الإنسان الأخلاقية وإن كانت تقتضى إمكان فعل الشر فى هذه الحياة لكنها لا تقتضى بالضرورة فعل الشر. والدفاع عن الشر الأخلاقى وكذلك الشر الفيزيقى بالقول: أن الخير يتضح ويتميز بوجود الشر، دفاع فاسد عن زعم باطل، حقا أنه من الأفضل أن يكون الإنسان حرا «وقادرا» على أن يخطئ من أن يكون بلا حرّية. ولكنه من الأفضل كذلك أن يستخدم حريته فيختار أفعال الفضيلة والخير الأعظم للعالم، أن يصنع جميع الناس دائما ما هو حق وصواب، مهما قيل من أن وجود الشر يبرز قيمة الخير.

كذلك يرى كريسبوس أن تلك الشرور الطبيعية الفيزيقية physical التى تقع على الأخيار، قد تستحيل إلى بركات وخيرات سواء للفرد (وذلك عن طريق تكييفه الداخلى لتلك الشرور) أو بالنسبة إلى المجتمع البشرى بأوسع معانيه. وذلك بإثارة البحث الطبى مثلا. ومما هو جدير بالملاحظة أن كريسبوس يقدّم حجة تكررت فيما بعد، عند الأفلاطونية الجديدة، وعند أوغسطينوس، وعند بركلى، وعند ليبنز، هى أن الشر فى العالم هو الذى يظهر الخير، مثله فى ذلك مثل التباين بين الضوء والظلال، فإنه يضفى على الصورة جمالا يبهج الناظر إليها، أو كما

يقول كريسبوس نفسه، «أن فى الروايات الهزلية (الكوميديا) أبياتا مضحكة، قد تكون رديئة فى ذاتها، لكنها مع ذلك تضفى شيئا من الجمال على الرواية كلها» (١).

ويعتقد الرواقيون أن العقل الكلى أو النفس الكلية Universal Reason أو الروح πνεῦμα تعمل فى الكائنات غير العضوية بمثابة سجية ἕξις أو مبدأ للتماسك والترابط principle of cohesion وهذا يصدق أيضا على النباتات التى ليس لها نفس ولو أن هذه السجية ἕξις لها فى النبات القدرة على الحركة. وقد ارتقت إلى مرتبة طبيعة φύσις أما الحيوان فله نفس ψυχή وهذه النفس تثبت وجودها عن طريق المظاهر φαντασία والنزوع (أى الحركة والاندفاع ὁρμή). وأما الإنسان فله عقل reason. فالنفس الإنسانية أسمى جميع النفوس، إنها فى الحقيقة قبس من النار الإلهية divine fire التى نزلت فى الناس عند خلقتهم، وهى تنتقل بالولادة لأن النفس مادية material مثلها مثل كل شئ آخر. ويرى كريسبوس أن العقل τὸ ἡγεμονικόν وهو الجزء صاحب السلطة والسيادة فى النفس الإنسانية. مركزه فى القلب على أساس أن الكلام voice وهو المعبّر عن الفكر، يصدر من القلب. ولكن هناك من الرواقيين من يجعل مركز العقل τὸ ἡγεμονικόν فى الرأس.

ولا يعتقد الرواقيون فى الخلود الشخصى personal immortality فقد قالوا أن جميع النفوس ترتد إلى النار الأولية primeval Fire عند الاحتراق العام Conflagration لكن نقطة النزاع الوحيدة كانت هى : هل تبقى النفوس بعد الموت إلى زمن الاحتراق العام. فبينما اعتقد كليانتس أن جميع النفوس البشرية ستظل باقية، رأى كريسبوس أن هذا البقاء هو من نصيب نفوس الحكماء وحدهم.

ولما كان المذهب الرواقى مذهبا أحديا monistic فلا نتوقع أن نجد فيه أى ميل نحو عبادة الله، أو تكريس الرواقى نفسه للمبدأ الإلهى. ومع ذلك فإن هذا الميل موجود وملاحظ بوضوح عند الرواقيين بحيث لا يدع مجالاً للشك. وهو يظهر على الخصوص فى تلك الأنشودة المشهورة التى أنشدها كليانتس لزيوس، ومؤداها بالعربية :

«يا الله الأمجد، الذى يدعى بأسماء عدّة»

«سيد الطبيعة العظيم، من كان ولا يزال كائنا إلى مالا نهاية له من السنين»

«القادر على كل شئ، والذى بشريعة عدله»

---

(1) Plut., De comm. Notit., 1065d; Marcus Aurel., To Himself, VI. 42.

«يضبط الكل. السلام لك يازيوس، لأن إياك»

«يليق بخلائقك فى جميع البلاد أن يدعوا»

«نحن أولادك، نحن وحدنا، دون جميع»

«الذين يهيمون فى طرقات الأرض الواسعة ذهابا وجيئة»

«نحمل صورتك أينما نذهب»

«لهذا، فإننى بأغانى الحمد، سأظهر قوتك»

«هوذا، هناك السماء التى تدور حول الأرض»

«تتبع هدايتك، وهى لا تزال تبدين نحوك»

«طاعة جميلة. يدك التى لا تقهر»

«تعطى مثل هذا اللهيب، ووميض البرق»

«يدبّر. وسيف ذو حدّين، قوّته التى لا تموت»

«تخفق فى تلك الطبيعة فتخرجها إلى النور»

«مركبة الكلمة الكليّة universal word التى تتدفق»

«فى الكل. وفى نور التوهجات السماوية»

«توهجات النجوم الكبيرة والصغيرة. يا ملك الملوك»

«خلال عصور لا تنقطع. يا الله الذى قصد أن يخلق»

«كل شئ على الأرض أو فى البحر»

«مما صنع. أو فى امتداد علياء السماء»

«فيما عدا ما يصنعه الخاطئ وهو مسلوب العقل»

«كلاّ لكنك تعرف أن تجعل المعوجّ مستقيماً»

«العماء عندك هو النظام. فى عينيك»

«غير المحبوب جميل. أنت الذى نسقت (وفقت)»

«بين الأشياء الرديئة، والأشياء الحسنة، حتى يكون هناك»

«كلمة واحد one word فى جميع الأشياء إلى الأبد»

«كلمة واحد one word صوته. وأسفاه يزدريه الأشرار»

«وهم لا يشبعون. أرواحهم تّحن إلى الخير»

«ومع ذلك، فإنهم نظرا لا ينظرون، وسمعا لا يسمعون»

«ناموس الله العام الذى هم يحترمونه»

«الذين يغنمون السعادة، بالعقل يرتشدون»

«وأما الباقون فبغير عقل يتبعون صنوف الخطيئة المتنوعة»

«مسوقين من أنفسهم، من أجل اسم باطل»

«وباطلا يصارعون ميلا إلى الشهرة»

«وآخرون يطلبون الغنى بافراط».

«والزناة يجرون فى أثر اللذات الجسدية»

«يبحثون هنا وهنالك، ولكن دون فائدة»

«يفتشون عن الخير، ولكنهم يجدون الشر دائماً»

«يازيوس كلّى الجمال الذى يخفيه الظلام»

«الذى وميضه ينير فى الراعدات (١)»

«خلص أولادك من تسلط الخطأ المميت»

«وأبعد الظلمة عن أرواحهم»

«أنعم عليهم أن يدركوا المعرفة»

«فأنت بالمعرفة صوت قويا لتسود»

«على الكل، وأنت تحكم جميع الأشياء بالعدل»

«لهذا. فيك سوف نكرمك أيها المكّرم»

«ويأغانى الحمد، نحمد على الدوام أعمالك»

«فهو ما يجب علينا نحن البشريين. إن الجزاء الأعلى لا يخص أحدا»

«ولاحتى الآلهة، أكثر مما يخص الذين يعبدون بحق القانون الكلى إلى الأبد».

---

(١) الراعدات هى السحب المحملة بالرعد والمطر.

على أن هذا الإتجاه من جانب بعض الرواقيين إلى تكريس النفس للمبدأ الأعظم، ليس معناه أنهم رفضوا الديانة الشعبية أو الديانة التى ألفها الشعب. إنهم على العكس من ذلك كانوا يدافعون عنها. حقا لقد قال زينون أن الصلوات والذبائح لا نفع منها. ولكن بعض الرواقيين مع ذلك قبلوا مبدأ الشرك Polytheism على أساس أن المبدأ الأول أو زيوس يعلن نفسه فى مظاهر أو ظواهر phenomena، وأعنى بها الأجرام السماوية. وعلى ذلك تجب العبادة لهذه المظاهر أو الظواهر بل وينبغى أن تمتد هذه العبادة إلى المؤلهين من الناس، وإلى «الأبطال» heroes. ثم أن الرواقية أفسحت المجال للكهانة divination وللعرافة oracles. وليس فى هذا غرابة لأن المذهب الرواقى مذهب جبرى deterministic doctrine يقول بالحتمية، وينادى بأن جميع الأحداث وجميع أجزاء الكون بينها ارتباط متبادل mutually interconnected.

الأخلاق الرواقيـــة

تظهر أهمية الأخلاق فى نظر الفلسفة الرواقية من الوصف الذى قدمه سينيكا Seneca للفلسفة. ومع أن سينيكا ينتسب إلى الرواقية المتأخرة إلاّ أن الأهمية التى يعطيها سينيكا للفلسفة باعتبارها علم السلوك، كانت معروفة كذلك عند الفلاسفة الرواقيين المتقدمين.

Philosophia nihil aliud est quam recta vivendi ratio vel honeste vivendi scientia vel ars rectae vitae agendae non errabimus, si dexerimus philosophiam esse legem bene honesteque vivendi, et qui dixerit illam regulam vitae, suum illi nomen reddidit.

فالفلسفة إذن تعنى أول ما تعنى بالسلوك، إن غاية الحياة هى السعادة εὐδαιμονία ، وهى تقوم فى الفضيلة Virtue بالمعنى الرواقى للكلمة، أى فى الحياة الطبيعية أو الحياة وفقا للطبيعة. Conformably with the nature to live.

ὁμολογουμένως τῇ φύσει ζῆν بمعنى مطابقة الفعل الإنسانى لقانون الطبيعة، أو مطابقة الإرادة البشرية للإرادة الإلهية. ومن هنا جاء القول المأثور عند الرواقيين «عش وفقا للطبيعة» Live according to nature ويرى الرواقيون أنه لا فرق بين امتثال الإنسان لقوانين الكون بالمعنى الواسع للكلمة، وبين إخضاع سلوكه للطبيعة الجوهرية فيه، وأعنى بها العقل، حيث أن الكون محكوم بقانون الطبيعة. وبينما يرى الرواقيون المتقدمون أن الطبيعة Nature هى الفيزيس φύσις التى يجب على الإنسان أن يتبعها، وكأنها بالحرىّ طبيعة الكون. فإن الرواقيين المتأخرين ابتداء من كريسبوس chrysippus يميلون إلى النظر إلى الطبيعة من زاوية أكثر ميلا إلى الأنثروبولوجيا Anthropology (علم الأجناس البشرية).

وعلى ذلك فإن نظرة الرواقيين إلى الحياة وفقا للطبيعة تختلف عن النظرة الكلبية Cynics القديمة كما تتمثل فى سلوك ديوجينس Diogenes وتعليمه. لأن الطبيعة Nature عند الكلبيين Cynics كانت هى بالأحرى الطبيعة البدائية primitive والغريزية instinctive ولذلك فإن الحياة وفقا للطبيعة كانت تنطوى عند الكلبيين على سخرية متعمدة من مصطلحات المجتمعات المتحضرة وعاداتها وتقاليدها، سخرية أعلنت عن ذاتها فى سلوك غريب وشاذ بل ومشين أيضا فى كثير من الأحايين. أما عند الرواقيين، فإن الحياة وفقا للطبيعة معناها الحياة وفقا للمبدأ الفاعل فى الطبيعة أى اللوغوس λόγος وهو المبدأ الذى تشارك فيه النفس الإنسانية. وعلى ذلك فغاية الأخلاق عند الرواقيين تقوم أساساً على الخضوع لنظام العالم المرسوم من الله.

وقد روى لنا بلوتارخوس Plutarch أنه كان من عادة كريسبوس Chrysippus أن يبدأ جميع المباحث الأخلاقية بتأمل نظام الكون وترتيبه.

والغريزة الأساسية التى غرستها الطبيعة فى الحيوان هى غريزة حفظ الذات أو المحافظة على الحياة self-prservation. وهى تقابل عند الرواقيين ما يمكن أن نسميه تكميل النفس self-porfection أو تحسين النفس self-development ولما كان الإنسان مزودا بالفعل، وهو القوّة التى يسمو بها الإنسان عن الحيوان، لذلك فإن الحياة وفقاً للطبيعة، بالنسبة إلى الإنسان تعنى حقا الحياة وفقا للعقل. من هنا كان تعريف زينون لغاية الحياة وهى أن يحيا الإنسان وفقا للطبيعة. بمعنى أن يحيا حياة الفضيلة من حيث أن الطبيعة تقود إلى الفضيلة. ومن الناحية الأخرى أن الحياة الفاضلة هى الحياة التى تطابق خبرتنا عن سير الطبيعة. فطبائعنا البشرية ليست غير أجزاء من الطبيعة الكونية. وعلى ذلك فغاية الحياة هى الحياة التى تتبع الطبيعة. والمقصود من الطبيعة هنا ليست طبيعتنا الخاصة بل طبيعة الكون. والمقصود من الحياة، الحياة التى لا تعمل فيها شيئا تحرّمه الطبيعة الكونية أى العقل السليم الذى يتخلل جميع الأشياء، وهو بذاته زيوس، قائد الكون وحاكمه. ويروى ديوجينس ليرتيوس Diogenes Lairtius عن مذهب الرواقيين الأخلاقى أنه ينادى بأن الفضيلة هى الحياة وفقا للطبيعة بينما أن الحياة فى وفاق مع الطبيعة، معناها بالنسبة إلى الإنسان أن يحيا الإنسان وفقا للعقل السليم right reason والواقع أنه كما لاحظ ذلك كثيرون أن هذا المبدأ الرواقى لا يفيدنا كثيرا. فهم يقولون أنه مما يوافق الصواب أن يحيا الإنسان فى وفاق مع العقل. لكن هذا لا يفيدنا كثيرا فى تحديد مضمون الفضيلة.

ولما كان الرواقيون يؤمنون بأن كل شئ يخضع بالضرورة لنواميس الطبيعة، فمن ثم يُثار الاعتراض : ما الفائدة فى حض الإنسان على الخضوع لنواميس الطبيعة إذ لم يكن أمامه مفرٌ من أن يفعل ذلك حتما؟؟ وأجاب الرواقيون على هذا الاعتراض بأن الإنسان كائن عاقل. ومع أنه لابد له أن يخضع لنواميس الطبيعة على أى حال، إلا أنه يتمتع بشرف معرفته بهذه النواميس وإذعانه لها برضاه. من ثَم هناك غاية من وراء النصح الأخلاقى إذ الإنسان حرّ فى أن يغير من اتجاهه الباطن interiour attitude وهنا نلاحظ نقطة تحوّل فى منطق المذهب الجبرى عند الرواقيين. والحق أنه ما من مذهب جبرى أمكنه أو كان بالفعل خلوا من التناقض. ولا يشذ الرواقيون عن هذه القاعدة، والنتيجة لهذا كله، إن توخينا الدقة فى التعبير، أنه ما من فعل هو فى ذاته صواب أو خطأ، لأن مذهب الحتمية لا يدع مجالا للفعل الإرادى أو للمسئولية الأخلاقية. بينما أنه فى المذهب الأحدى monistic system يكون الشر فى الواقع شرا إذا نظرنا إليه فقط من إحدى وجوه النظر. أما من وجهة النظر الأبدية sub specie acternitatis فإن جميع الأشياء صواب وخير. ويبدو أن الرواقيين كانوا يؤمنون نظريا على الأقل بالفكرة

القائلة أنه ليست هناك أفعال خطأ فى ذاتها. وقد قال زينون أنه حتى أكل لحوم البشر connibal-ism، بل وسفاح القربى incest (الفسق بالمحارم، ويكون بين الذين يحرّم الدين زواجهم بعضهم من بعض) واللّواط homosexuality (أى اللوطية ـ مضاجعة الجنس) ليست خطأ فى ذاتها. ولم يقصد زينون بهذا طبعاً أن يمدح هذه الأفعال، وإنما قصد أن الفعل الفيزيقى أو الخارجى physi-cal action ليس خيرا أو شرا indifferent فالشر الأخلاقى يتوقف على إرادة الإنسان human will ونيّته intention. وصرح كليانس Cleanthes بأن الكائن البشرى يسير بالضرورة فى طريق القضاء والقدر.

«إذا ملت نحو الشر، لكن إرادتى أبت، فلابد لى من أن أظل هادئا» وتظهر هذه النظرية عينها فى العبارة المشهورة المأثورة عن سينيكا :

«الأقدار تسوقهم برضاهم، أو تضطرهم على الرغم منهم»

"Ducunt volentem fata, nolentem trahunt"

ومهما يكن من أمر، فقط اضطر الرواقيون عمليا إلى أن يعدّلوا كثيرا من مذهبهم الجبرى، إذ هم يقولون أن الحكيم هو الذى يسير فى طريق القدر راضيا، ولكنهم فى نفس الوقت يحضون على حسن الأخلاق مما يتضمن القول بالحرية إلى حد ما كما لاحظنا من قبل. فالإنسان إذن حر فى أن يغيّر من اتجاهه الباطن، وأن يميل إلى الخضوع والإذعان بدلا من التمرد والعصيان. ثم أن الرواقيين قالوا بسلّم للقيم a scale of values كما سنرى وهذا يتضمن، على الأقل، أن يكون الحكيم حرا فى أن يختار القيم العليا. ويبتعد عن القيم الدنيا. والواقع أنه لا يمكن لأى مذهب جبرى أن يخلو بالفعل من التناقض، ولا غرابة فى هذا إذ الحرية حقيقة واقعة، ونحن نحس بأننا أحرار، وحتى لو أنكرنا الحرية نظريا فإنها تتسلل إلينا من الباب الخلفى.

ويرى الرواقيون أن الفضيلة هى وحدة الخير بالمعنى الدقيق للكلمة، وكل ما ليس فضيلة أو رذيلة ليس هو خيرا أو شرا، وإنما هو بين بين، فلا هو جيد ولا هو ردئ (ἀδιάφορον = indifferenty) و « الفضيلة ميل أو خلق موافق للعقل، مرغوب فيه لذاته وليس لأى باعث من أمل أو خوف أو أى دافع خارجى» (١) لذلك سخر كريسبوس من الخرافات الأفلاطونية الخاصة بأنواع الثواب والعقاب فى الحياة الأخرى، لأن الرواقيين يذهبون إلى أن الفضيلة كافية فى ذاتها، ومرغوبة لذاتها (ويمكن أن نقارن هنا مذهب الرواقيين بمذهب الفيلسوف الألمانى كنط (كانت)، ومهما يكن من أمر فقد قال الرواقيون بالنسبة إلى هذه الدائرة، دائرة الأفعال التى ليست بجيدة أو رديئة، أن هناك أفعالا مفضلة (προηγμένα = preferable) وأفعالا

(١) ديوجينس ليرتيوس ٧ : ٨٩.

مرفوضة (ἀποπροηγμένα = to be rejected) كما أن هناك أفعالا أخرى لا هى بجيدة ولا هى برديئة بالمعنى الدقيق. ولاشك أن مذهب الرواقيين هذا كان إذعانا منهم لما يقتضيه الواقع العملى وعلى حساب النظر، لأن المذهب الرواقى يتطلب أن تقوم الفضيلة فى وفاق مع الطبيعة. وعلى ذلك قسّم الرواقيون الأفعال التى ليست بجيدة ولا رديئة من جهة الأخلاق إلى ثلاثة أقسام :

(١) الأفعال التى توافق الطبيعة، ولذلك يمكن أن تخص بنوع من القيمة Τὰ προηγμένα .

(٢) الأفعال التى تتعارض مع الطبيعة، ولذلك فهى بلا قيمة Τὰ ἀποπροηγμένα .

(٣) الأفعال التى لاهى بذات قيمة، ولا هى بلا قيمة (Τὰ ἀπαξία = disvalue) .

وعلى هذا النحو أقام الرواقيون سلما للفضائل. واللذة عندهم نتيجة للنشاط activity أو مصاحبة له، ولا يمكن القضاء عليها، والرواقيون على اتفاق فى هذا الرأى، ولو أنهم لم يذهبوا كلهم إلى المدى الذى ذهب إليه كليانتس Cleanthes الذى قال بأن اللذة لا توافق الطبيعة.

والفضائل الرئيسية أو الأساسية هى الفطنة الأخلاقية φρόνησις = Moral Insight، والشجاعة، وضبط النفس أو العفّة (= الاعتدال)، والعدل، هذه الفضائل تقوم معا أو تسقط معا، بمعنى أن من يملك واحدة منها يملك الكل. وقال زينون أنه وجد منبع جميع الفضائل فى الفطنة (أو البصيرة) (١) الأخلاقية φρόνησις بينما يقول كليانتس أن منبع جميع الفضائل هو فى السيطرة على النفس (ἐγκράτεια = Self-control, temperance) بدلا من الفطنة الأخلاقية.

ومهما يكن من أمر، فعلى الرغم من وجوه الإختلاف بين أهل الرواق إلا أنهم جميعا يتمسكون بالمبدأ القائل أن الفضائل مرتبطة ببعضها بعضا ارتباطا وثيقا، باعتبارها تعبيرات عن خلق واحد بعينه، بحيث أن وجود فضيلة ما فى شخص يدل على وجود جميع الفضائل فيه. وعلى العكس من ذلك كما يقول الرواقيون أيضا أنه إذا وجدت رذيلة ما فى شخص فلابد أن توجد فيه كذلك جميع الرذائل الأخرى. فالخلق إذن هو أهم ما تعنى به الرواقية. ولا يسلك السلوك الفاضل بحق إلا الرجل الحكيم وحده. والسلوك الفاضل هو إتمام القيام بالواجب τὸ καθῆκον بروح الحق. والواجب τὸ καθῆκον مصطلح ابتكره زينون على ما

---

(١) أو الفراسة وهى تثبيت العين. وإدراك الباطن من النظر إلى الظاهر.

يظهر لكنه تعبير يدل على «ما يليق» أكثر مما يدل على «الواجب» بالمعنى الذى نفهمه نحن. والحكيم عند الرواقيين يخلو من الانفعالات والشهوات passions وليس لديه شئ فى الوجود أهم من قيمته الباطنية. ولو كان هو زيوس، والحكيم أيضا سيّد نفسه، وله أن ينتحر.

فإذا كانت جميع الفضائل مرتبطة بعضها ببعض بهذه الصورة حتى أن من يملك واحد منها لابد أن يملك سائر الفضائل الأخرى، فهذا معناه أنه ليس هناك درجات للفضيلة. فإما أن يكون الإنسان فاضلا بالتمام أو أن لا يكون فاضلا على الإطلاق. وقد كان هذا هو معتقد الرواقيين المتقدمين ويقول كريسبوس أن الإنسان الذى أكمل «على وجه التقريب» طريق الترقى الأخلاقى ليس إلى الآن فاضلا. ولم يمتلك بعد الفضيلة. وهى السعادة الحقيقية. وتبعا لهذا المذهب لا يدرك الفضيلة إلاّ قلّة من الناس، وفى مرحلة متأخرة من الحياة. جاء فى بعض كتبهم «يسير الإنسان فى الشر كل حياته، أو على أية حال أغلب أيام حياته. فإذا أدرك الفضيلة فمتأخرا وعند غروب شمس حياته» (١) وبينما يتميز قدماء الرواقيين بهذه المثالية الأخلاقية الصارمة، يلح الرواقيون المتأخرون أكثر الإلحاح على فكرة الترقى الأخلاقى موجهين عنايتهم إلى تشجيع الإنسان على أن يبدأ طريق الفضيلة ويواصل سيره فيه. ولما كانوا يعترفون بأنه ليس فى إمكان أحد ما أن يصل بالفعل إلى المثل الأعلى الذى ينشده الحكيم، فلذلك قسموا الجنس البشرى إلى الحمقى ثم الذين يتدرجون نحو الفضيلة أو الحكمة.

ويتميز الرواقيون بمذهبهم فى الأهواء passions والميول affections كاللذة ἡδονή والحزن أو الغم λύπη والرغبة ἐπιθυμία والخوف φόβος فهذه المشاعر عندهم غير عقلية وغير طبيعية. وعلى ذلك فليس المهم هو تخفيف هذه المشاعر وتنظيمها وإنما المهم هو القضاء عليها نهائيا، وبلوغ حالة من الجمود أو فقدان الشعور والإحساس، أو على الأقل التخلص منها عندما تصبح عادات، أو أمراضا نفسية νόσοι ψυχῆς فالأخلاق الرواقية فى الحقيقة تهدف إلى مقاومة الميول أو المشاعر، والاجتهاد فى بلوغ حالة من الحرية أو السيطرة الأخلاقية. على أن بعض الرواقيين يميلون إلى تخفيف حدة هذه النظرة المتطرفة، ويقرون بأن هناك انفعالات معقولة أو بريئة innocent emotions = εὐπάθεια تثور فى نفس الحكيم. وهنا نقتبس نصا من الفيلسوف سينيكا يبين اتجاه الرواقيين إلى انتصار النفس على ميول الإنسان ومشاعره.

(1) Von Anim, I, 529.p.119 (i.e. sext. Empir., Adu Math., 9,90, of cleanthes.

١٠ ـ «أى أمر هو الأعظم فى الحياة الإنسانية»؟

ليس هو اخفاء أمواج سفينتها، ولا نصب أعلامها على شواطئ البحر الأحمر، ولا لأن الأرض توارت أمام الإهانات الجديدة أو لحدوث ضلال على محيط البحث وراء المجهول، إن أعظم شئ هو اضطرام الروح واحرازها النصر أعظم النصر بانتصارها على رذائلها. فما أكثر الذين سيطروا على الناس وتسلطوا على المدن! وما أقل الذين ملكوا على نفوسهم؟!

١١ ـ «أى أمر هو الأعظم؟ إنه ارتفاع النفس على وعيد الثروة ووعودها، وأن يصبح كل شئ عندها غير جدير بأن يرتجى لأنه ما هى قيمة موهبة الثروة التى تستحق أن يحسد الإنسان عليها! فإذا هويت من عشرة الإلهيات إلى البشريات تعكّرت نفسك، كالذين تنتقل عيونهم من وضح الشمس إلى ظل ظليل.

١٢ ـ «أى شئ هو الأعظم؟ هو أن يكون فى إمكانك أن تحتمل الضيقات بفرح، وأن تقبل كل ما يأتى عليك كما لو كنت أنت تريده، ولسوف تريده إذا علمت أن كل ما يحدث هو بأمر الله. إن الدموع والأنّات والحسرات. تمّرد..

١٣ ـ «أى شئ هو الأعظم؟ هو نفس تظهر بسالة وصمود أمام المصيبة. وهى لا تحيد فقط عن اللذات المحرّمة، ولكنها تقاومها كما أنها إذ تواجه الخطر لا تتهور ولا تجبن. إنها تعرف أن تصنع حظّها، ولكنها لا تترقبه. إنها تواجهه خيرا كان أو شرا، بلا خوف أو انزعاج. ولا تسمح لنفسها أن تقلق بسبب صدمات الحظ ولا بسبب لمعانة..

١٤ ـ «ما هو الأعظم؟ هو أن لا تدع الأفكار الشريرة أن تدخل إلى روحك، وأن ترفع إلى السماء يدين طاهرتين، وأن لا تريد شيئا من الخير وقع لك أن يعطى لك أو يفقد منك بواسطة أى آخر. وأن تطلب لنفسك نعمة لكى لا تقاوم كراهية أحد أو طيبة قلبه. وإذا عرضت لك فرصة مواتية لنيل خيرات أخرى يحرص عليها الناس حرصا شديداً، فلتنظر إليها على أنها ستذهب كما أتت.

١٥ ـ «أى أمر هو الأعظم؟ هو أن ترفع عقلك فوق الأشياء التى تعتمد على الصدفة. ولا تغفل من نظرك الطبيعة الإنسانية حتى وأنت سعيد تعلم أن السعادة لا تدوم طويلا. وأنت شقى تقول لنفسك أنك لست شقيا إذا لم تعتقد أنك كذلك.

١٦ ـ «ما هو الشئ الأعظم؟ هو أن يسيطر الإنسان على نفسه عند نهاية شفتيه. فى هذه الحالة يكون الإنسان حرا، ولكن ليس بحق الكويريتيين(١) ولكن بفضل الحق الطبيعى. فالحرّ هو من عرف أن يفلت من عبودية نفسه. إذ العبودية قائمة، ومن المستحيل أن يتخلص الإنسان منها. أنه يشعر بنفسه سواء بالنهار أو بالليل، بدون توقف، وبدون إنقطاع.

١٧ ـ إن العبودية التى لها أعظم الأثر هى أن يكون الإنسان عبدا لنفسه وستضطرب نفسك سريعاً بهذه العبودية، إذا امتنعت عن أن تطلب من نفسك مصالح كثيرة. وإذا توقفت عن أن تبحث عن منفعتك الشخصية فى كل ما تصنع، وإذا وضعت نصب عينيك دائما طبيعتك البشرية. ثم سنّك أيضا إذا كنت فى مستهل الحياة، وإذا قلت لنفسك : لماذا أتناقض مع نفسى كجاهل أحمق؟ لماذا ألهث واعرض وأزعج الأرض والأماكن العامة؟ ليس لى حاجة إلى كثير، وإلى زمن طويل» (٢)

هذه الناحية من الأخلاق الرواقية، وأعنى بها محاولة الوصول إلى حالة من الاستقلال التام عن كل الأمور الخارجية، تكشف عن نزعة كلبية Cynicism. لكّن للأخلاق الرواقية ناحية أخرى بها تتجاوز المذهب الكلبى وهى نزعتها العالمية Cosmoplitanism إن الإنسان كائن اجتماعى. والعقل يأمر أن يحيا الإنسان فى مجتمع. والعقل هو الطبيعة الأساسية المشتركة بين جميع الناس. ومن هنا فإن هناك «قانونا واحدا» و «وطنا واحدا» لجميع الناس. ومن غير المقبول عقلا أن يقسم الجنس البشرى إلى دول متحاربة. فالحكيم مواطن لا لهذه الدولة بالذات أو لتلك وإنما هو مواطن للعالم كله. وعلى هذا فإن لجميع الناس حقا فى حسن نوايانا نحوهم. وحتى العبيد لهم حقوقهم، بل والأعداء أيضا لهم حق فى رحمتنا لهم ومغفرتنا لأخطائهم. ومن الواضح أن هذا الاستشراف أو التعالى بالحدود الإجتماعية الضيقة يتفق مع مذهب الأحدية monism عند الرواقيين. أما الأساس الأخلاقى الذى يقوم عليه مذهب العالمية الرواقى فيوجد فى ذلك الميل أو تلك الغريزة الأساسية من غرائز النفس البشرية وأعنى بها غريزة حفظ الذات أو حبّ الذات οἰκείωσις هذا الميل الغريزى لحفظ الذات يظهر بالطبع أول ما يظهر فى شكل محبّة النفس أى محبة نفس الفرد.لكنه يمتد إلى ما وراء محبة النفس بالمعنى الضيّق ليشتمل

---

(١) Quirites وهو اسم كان يطلق على المواطنين المدنيين فى روما القديمة فى مقابل المحاربين، بعد أن اتحد الصابنه Sabini ـ وهم شعب إيطالى قديم ـ مع الرومان Romani تحت حكم روميلوس Romulus فى أمة واحدة، تسمّى باسم Quirites من الناحية المدنية، وباسم Romani من الناحيتين السياسية والحربية، والكلمة Quirites ترجع إلى cures أو Κύρης أو Κύρεις وهى عاصمة الصابنة Sabini القديمة.

(2) Seneca, Naturalium Quoestionum, libri III, praef., 10 - 17.

على كل ما يتعلق بالفرد كالعائلة أو الأسرة والأصدقاء والمواطنين، وأخيرا الإنسانية بأسرها. وطبيعيّ أن تكون محبة النفس أقوى ما تكون بالنسبة إلى كل ما يتصل بالفرد عن قرب، وتأخذ في الضعف نسبيا كلما كان موضوع الحب بعيدا عن الفرد. وعلى ذلك فمهمة الفرد من وجهة النظر الأخلاقية، أن يرتفع بسمو بمحبة النفس بالنسبة إلى الأشخاص والموضوعات البعيدة عن النفس، إلى ذات درجة الشدة التى تكون عليها محبة النفس بالنسبة إلى الأشخاص والموضوعات القريبة منها. وبعبارة أخرى إننا ندرك المثل الأعلى للأخلاق إذا أحببنا جميع الناس كما نحبّ نفوسنا، أو عندما يشتمل حبنا للنفس على كل ما يتصل بالنفس بما فيها الإنسانية بالمعنى الواسع. ويكون هذا الحب بشدّة واحدة.

فى تاريخ

الفلسفة اليهودية

الفلسفة اليهودية الهلينية

كان للتفكير اليونانى أثر واضح على العقلية اليهودية فى مدينة الأسكندرية، ولو أنه كان له بعض الأثر فى بلاد فلسطين كما هو الحال فى مذهب طائفة الأسينيين التى ذكرها يوسيفوس لأول مرة فى تصويره لعصر يوناثان سنة ١٦٠ ق.م، وفيه كما لا يخفى نزعات أو رغبة فيثاغورية. فقد قال الأسينيون بثنائية واضحة بين النفس والبدن. ولم يؤمنوا فقط بخلود النفس بعد الموت بل وبوجودها قبل مولد الإنسان. ورفض الأسينيون الذبائح الدموية وكانوا لا يأكلون اللحم، ولا يشربون الخمر وأقاموا أهمية كبيرة للاعتقاد بالملائكة والكائنات المتوسطة. وهناك مسألة ذات مغزى وإن كان يجب أن لا يبالغ فى أهميتها. أن انطيوخس ابيفانيوس عندما حاول أن يهلن أو يصفى الصبغة اليونانية بالقوة على يهود فلسطين، اعتمد على بعض العون من اليهود أنفسهم. ولو أنه واجه معارضة شديدة من جانب اليهود المحافظين الذين أصروا على التمسك بتقاليد آبائهم. وكانوا بطبيعة الحال خصوما عنيدين للتصرفات الأخلاقية الشائنة التى اعتبرت مصاحبة للهلينية (للحضارة اليونانية) ومهما يكن من أمر فقد أصبحت الأسكندرية - هى المدينة العالمية الكبيرة القائمة على مفترق الطرق بين الشرق والغرب - المركز الحقيقى للفلسفة اليهودية الهلينية التى بلغت ذروتها عند فيلون. وكان طبيعيا أن يكون لليهود المقيمون بعيدا عن وطنهم وبلدهم الميل إلى التأثر بالروح اليونانية. وهذا يظهر جليا فى محاولة التوفيق بين الفلسفة اليونانية وعلم اللاهوت اليهودى. هذه المحاولة التى أدّت من جهة إلى اختيار بعض عناصر التفكير اليونانى، التى يمكن أن تنسجم أكثر من غيرها مع الديانة اليهودية، وأدت من جهة أخرى إلى استعمال المعانى الرمزية فى تفسير الكتب المقدسة وتأويلها بحيث تتفق مع التفكير اليونانى. ولذلك نجد من اليهود قوما يؤكدون أن أكبر فلاسفة اليونان مدينون للكتب المقدسة فى كثير من أفكارهم التوجيهية الأساسية، هذه الفكرة ليس لها بالطبع سند تاريخى عند فيلون مثلا، ولكنها تشير إلى اتجاهات التوفيق والمواسطة أو التسامح الدينى عند اليهود المتهلينين أى المتأثرين بالحضارة الهلينية اليونانية فى الأمبراطورية اليونانية.

وأهم مفكر يمثل الفلسفة اليهودية الهلينية هو فيلون السكندرى. ولد نحو سنة ٢٥ ق.م. وتوفى بعد سنة ٤٠م بقليل، وهى السنة التى كان فيها فى مدينة روما سفيرا لليهود السكندريين لدى الأمبراطور غايوس Gaius، وبين أيدينا اليوم الكثير من مؤلفاته على الرغم من أن بعضها قد فقد وأظهر مؤلفاته : (١)

١ - استعارات النواميس المقدسة.

---

(١) راجع تاريخ الكنيسة ليوسابيوس جزء ٢، فصل ١٨ فقرة ١ - ٨.

٢ ـ إشكالات فى سفر التكوين، وحلولها.
٣ ـ حسن التدبير.
٤ ـ السكر.
٥ ـ فى ما يشتهيه العقل الرصين وما يبغضه.
٦ ـ فى بلبلة الألسن.
٧ ـ فى الهرب والكشف.
٨ ـ فى التضامن من أجل التعليم.
٩ ـ فى من هو الوريث للإلهيات أو التقسيم إلى المتساويات والمتضادات.
١٠ ـ فى الفضائل الثلاث التى شرحها موسى وغيره.
١١ ـ فى الذين تغيرت أسماؤهم، ولماذا تغيرت وفى العهود.
١٢ ـ فى الهجرة.
١٣ ـ فى ترجمة حياة رجل حكم تكمل فى البر أو القوانين غير المكتوبة.
١٤ ـ فى العمالقة (أو الجبابرة) أو فى عدم تغير الله.
١٥ ـ فى الأحلام التى من الله على ما يقول موسى.
١٦ ـ إشكالات فى سفر الخروج وحلولها.
١٧ ـ فى خيمة الاجتماع.
١٨ ـ فى الوصايا العشر.
١٩ ـ فى القوانين الخصوصية التى يمكن أن تنطوى عليها الوصايا العشر.
٢٠ ـ فى الحيوانات المعينة لطقوس الذبائح، وما هى أنواع الذبائح.
٢١ ـ فى أنواع الثواب المعد فى الناموس للصالحين، وأنواع العقاب واللعنات المعدة للأشرار.
٢٢ ـ فى العناية الإلهية.
٢٣ ـ فى اليهود.
٢٤ ـ فى الحاكم (رجل الدولة).
٢٥ ـ الاسكندر أو الحيوانات غير العاقلة التى تملك العقل.
٢٦ ـ كل رجل شرير هو عبد.
٢٧ ـ كل رجل أمين شريف هو حر.
٢٨ ـ فى الحياة التأملية أو المبتهلين.
٢٩ ـ تأويلات الأسماء العبرانية فى الناموس والأنبياء.
٣٠ ـ فى الفضائل.

ولما كان فيلون معجبا بفلاسفة اليونان، فقد آمن أن الحق يوجد فى الفلسفة اليونانية كما يوجد فى الكتب المقدسة اليهودية والتقليد اليهودى. وعنده أن الفلاسفة قد أفادوا من الكتب المقدسة. وهو نفسه لا يتردد فى تفسير الكتب المقدسة تفسيرا رمزيا كلما وجد الضرورة تدعو إلى ذلك، وقد أبان فى كتابه *ὅτι ἄτρεπτον τὸ θεῖον* «فى أن اللاهوت لا يتغير» إنه ينسب إلى الله أنه يتغير أو يتحرك نظرا إلى أنه ليس جسديا أو ماديا على الإطلاق. وعلى ذلك يجب أن نعرف أن فى عبارات الكتاب المقدس التشبيهية معنيين: أحدهما غير تشبيهى وهو أسمى من الآخر، والثانى تشبيهى وهو أقل شأنا من الآخر ويناسب العاديين من الناس. وقد يقال أن هذا المجهود، مجهود استخدام الرمزية وإدراك المعانى السامية يؤول فيما بعد إلى إنكار ضرورة حفظ المبادئ والقواعد الطقسية الاحتفالية فى الناموس. على الأقل بالنسبة إلى أولئك الذين يستطيعون أن يدركوا المعنى الأسمى. لكن فيلون لم يقل بهذا. يقول فيلون أن الناس أسمى من البدن لكن البدن جزء من الإنسان، ومع أن المعنى الرمزى أسمى من المعنى الحرفى، إلا أنه لا يجوز لنا أن نهمل المعنى الحرفى بل يجب بالأحرى أن نهتم بكل من الحرف والروح. لذلك لم يهدف فيلون إلى أن يلغى الأرثوذكسية اليهودية أو يبطلها بل بالحرى أن يوفق بينها وبين الفلسفة. وفى الوقت نفسه يتمسك بالمحافظة على الناموس محافظة تامة بغير نقص.

«إن الله - كما نعلم من علم اللاهوت اليهودى - شخصى أو ذاتى، لكنه فى نفس الوقت وجود خالص : *τὸ γυντως ὄν* بسيط بساطة مطلقة : *φύσις ἁπλῆ* حر ومكتف بذاته، لا يشغل فراغا أو مكانا، بل بالحرى أنه يحتوى كل الأشياء فى ذاته، ومع ذلك فهو سام سموا مطلقا ويفوق فى سموه فكرة الخير ذاتها وفكرة الجمال ذاتها *ὑπὸ τὸ ἀγαθὸν καὶ αὐτὸ τὸ καλὸν* والإنسان يصل إلى الله لا عن طريق الفهم العلمى *λόγων ἀποδείξει* إذ لكى ندرك الله يجب أولا أن نصير الله، وهذا مستحيل»، وإنما عن طريق الحدس المباشر *νάργεια* ، فالله إذن كائن لا يعبر عنه ولا ينطق به.... هو فوق الفكر ولا يمكن الوصول إليه أو إدراكه إلا عن طريق الحدس (أو اللقانة) أو الإنخطاف العقلى، وهنا نلمس إلى أى مدى تأثر فيلون بالإتجاه المعاصر للاستشراف الإلهى. ولو أنه يجب ألا نهمل أن استشراف أو استعلاء الكائن الإلهى مؤيد بوضوح فى علم اللاهوت اليهودى القائم على الكتاب المقدس، حتى ولو لم يكن معبرا عنه فى مصطلحات فلسفية. هذا الاصرار على الاستشراف الإلهى وعلى سمو الله فوق كل ما هو مادى، أدى بالطبيعة كما هو الحال فيما بعد مثلا عند البينوس Albinus وهو أفلاطونى معتدل، ونومينيوس Numenius وهو من الفيثاغوريين المحدثين، أدى إلى تصور كائنات متوسطة من أجل أن نعبر الهوة بين الله نفسه وبين العالم المادى. ويقول فيلون أن اللوغوس أو النوس *νοῦς*

هو أعلى جميع هذه الكائنات المتوسطة. وهو كل الله إذ هو πρεσβύτατος καὶ γενικώτατος τῶν ὅσα γέγονεν أقدم من كل موجود، وأصل لكل موجود، واللوغوس عند فيلون هو قطعا دون الله ويوضع فى مرتبة «ما هو موجود» ὅσα γέγονεν التى تحتوى على كائنات أخرى كثيرة إلى جانب اللوغوس حتى ولو كان للوغوس الأسبقية عليها. وعلى ذلك فالتصور الفيلونى للوغوس ليس كعقيدة اللوغوس فى علم اللاهوت المسيحى. ولو أنه كان للتصور الفيلونى أثره على المفكرين المسيحيين الأوائل. حقا أن اللوغوس يبدو أنه فهم كما لو كان وجها من وجوه الله، ولكن حتى فى هذه الحال لازال الفرق واضحا بين فكرة فيلون عن اللوغوس والفكرة المسيحية عنه. لقد قيل بحق أن فيلون تردد بين مذهب الفردانية Monarchianism (وهو المذهب الذى يعارض فكرة التثليث) ومذهب الأريوسية، لكنه لم يؤيد قط مذهب أثناسيوس. وهذا بالطبع بشرط أن يفهم أنه ليس فى مذهب فيلون فيما يختص باللوغوس إشارة إلى إنسان تاريخى. فالصور أو المثل الأفلاطونية أودعت فى اللوغوس حتى أصبح اللوغوس هو المحل τόπος أو المكان الذى يقوم فيه العالم المثالى أو عالم المثل (الصور) ὁ ἐκ τῶν ἰδέων κόσμος وفى هذا المعنى يتفق فيلون مع الفيثاغوريين المحدثين الذين جعلوا الصور (أو المثل) فى النوس νοῦς . (وقد تأثر نيمنيوس Numenius بالفلسفة الفيلونية). وبالإجمال فإن فيلون يتكلم فقط عن اللوغوس. ولو أنه يميز فى اللوغوس بين وجهين أو وظيفتين: ἐνδιάθετος λόγος (اللوغوس الكائن فى العقل وهو ملكة التصور أو العقل) ثم προφορικός λόγος اللوغوس المنطوق به أو التعبير.

الأول يقوم فى العالم غير المادى، عالم الصور أو المثل...

والثانى يقوم فى الأشياء المنظورة فى هذا العالم من حيث هى نسخ للصور غير المادية..

وهذا التقسيم للوغوس يطابق تقسيم للرؤية فى الإنسان إلى الكلمة الكائنة (أو الباطنة أو الكامنة فى العقل λόγος ἐνδιάθετος أو قوة العقل نفسها، وإلى الكلمة المنطوق بها λόγος προφορικός أو الكلمة الملفوظة التى تصدر من νοῦς كما يصدر المجرى من الينبوع، ومن الأمثلة على التأويل الرمزى عند فيلون أنه وجد فى صدرة رئيس الكهنة ذات الوجهين رمزا إلى اللوغوس بنوعيه. هذا اللوغوس هو الأداة أو الواسطة التى بها خلق الله العالم. وقد وجد فيلون ما يشير إلى هذا فى أسفار موسى الخمسة : فخلق الله الإنسان على صورة الله καὶ ἐποίησεν ὁ Θεὸς τὸν ἄνθρωπον κατ' εἰκόνα Θεοῦ (تك ١ : ٢٧)

ومما تجدر ملاحظته أنه إذا جاء فى العهد القديم ذكر لملاك الله فى مجال الظهورات الإلهية قال فيلون أن الملاك واللوغوس بمعنى واحد. فإذا ذكر العهد القديم ملائكته كثيرين قال فيلون أن ملائكته هم القوى الذين سنتكلم عنهم بعد قليل. فاللوغوس جوهر غير جسدانى. انه الكلمة غير المادى أو هو صوت الله. ولما كان اللوغوس متميزا فى إدراكنا له عن الله، فهو لذلك أقل مرتبة من الله، وهو خاضع له، وهو أيضا آلة فى يد الله. وقد أفاد فيلون من معنى الحكمة الإلهية كما جاء فى الأسفار الحكيمة. كذلك انتفع أيضا من فكرة الصور أو المثل الأفلاطونية. فاللوغوس إذن هو صورة الله وهو ظل الله، وهو فى ذاته نموذج الخليقة، وانتفع كذلك فيلون من المباحث الرواقية. فاللوغوس هو المبدأ الباطن، وهو فى نفس الوقت المبدأ المستشرف أو العالى فى ناموس العالم. وهو الوثاق الذى يربط الخلائق. ولكن يبدو أن فيلون يقول بسلم نازل للوجود. وبعبارة أخرى، أن اللوغوس عند فيلون متميزا تميزا تاما عن اللاهوت الأعظم أى يهوه. فاللوغوس إذن كائن خاضع له تابع له، وهو كائن متوسط به يعلن الله ذاته، وعن طريقه يعمل... فليس هو كلمة الآب المتحد معه فى الجوهر كما يقول المسيحيون، وليس هو الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس، وعلى ذلك فالفلسفة الفيلونية فيما يتصل باللوغوس هى أقرب إلى الأفلاطونية الجديدة منها إلى عقيدة التثليث المسيحية.

وهناك إلى جانب اللوغوس قوى δυνάμεις أخرى، أو كائنات متوسطة تابعة لله وخاضعة له مثل قوة الابداع والخلق ἡ ποιητική = creativity) وقوة الحكم والسيادة ἡ βασιλική أو الربوبية κύριος (وأحيانا تسمى الصلاة goodness والسلطة ἡ ἐξουσία = power وقوة العناية ἡ προνοητική previdence وقوة التشريع أو التقنين ἡ νομοθετική legislation الخ ... الخ ....

ولكن كما يتردد فيلون - على ما يبدو - بين تصوره للوغوس على أنه وجه من وجوه الله، وبين تصوره له على أنه كائن مستقل، كذلك يتردد أيضا بين تصوره للقوى δυνάμεις الأخرى على أنها صفات أو قوة لله تشابه المثل أو الصور (أى أنها وظائف للمثل فعالة) وتصوره لها على أنها كائنات مستقلة نسبيا. ويبدو أن اللوغوس يحتويهم جميعا، ولكن هذا لا يحل الإشكال أو لا يجيب على السؤال، إذا كان لهذه القوى شخصية أو ليس لها شخصية. فإذا كان اللوغوس مفهوما على أنه وجه من وجوه الله (فالقوى) فى هذه الحالة ستكون صفات الله أو أفكارا له، بينما لو كان اللوغوس مفهوما على أنه كائن مستقل نسبيا وتابع لله خاضع له، فالقوى ستكون أيضا كائنات أو قوى أقل أهمية وأصغر شأنا. ويظهر أن فيلون لم يتوصل مطلقا إلى رأى نهائى أو حاسم فى هذا الموضوع. ولذلك أمكن للدكتور بريشتر Dr. Praechter أن يقول «أن فيلون يتردد بين رأيين تكرر ما يشبههما Analoga فى الكنيسة المسيحية مثل مذهب

الفردانية Monarchianism ومذهب الأريوسية. لكن مذهبا شبيها بمذهب أثناسيوس غريب عنه كل الغرابة ويتعارض مع وجدانه الدينى والفلسفى (١)، ونحن لا يعوزنا كثير من التفكير لأن نتحقق أن فلسفة فيلون لا يمكن أن تقر التعليم المسيحى الخاص بالتجسد. على الأقل إذا ظلّت فلسفته منطقيا مع نفسها. إذ أن فلسفة فيلون تقيم أهمية خاصة للاستعلاء الإلهى Transcendence حتى أنها تنفى أى إتصال مباشر بين الله وبين المادة. وحقا أن المسيحية نفسها تصر هى أيضا على الاستعلاء الإلهى Transcendence، وعلى أن التجسد سر، ولكن يجب أن نلاحظ من جهة أخرى أن المسيحية لا تنظر إلى المادة كما تنظر إليها الفلسفة الفيلونية أو الفلسفة الأفلاطونية الجديدة.

ولقد تأثر فيلون بالأفلاطونية، ولذلك قال بثنائية حادة بين النفس والبدن، أو بين العناصر العقلية والعناصر الحسية فى الإنسان، وألّح على ضرورة تحرير الإنسان نفسه من سلطان الحواس، الفضيلة عند فيلون هى الخير الوحيد الحقيقى، أما الإنفعالات فينبغى أن يقابلها الإنسان بالتبلد، إن فيلون قد تأثر فى أخلاقياته بنظرة الرواقيين والكلبيين، إلا أنه يؤكد أهمية الثقة فى الله أكثر من الثقة فى النفس، وعلى الإنسان إذن أن يسعى إلى الفضيلة وأن يّجد للبلوغ إلى أعظم نصيب ممكن من التشبه بالله (٢) وهذا عمل باطنى، ولذلك فإن فيلون يمقت الحياة العامة لأنها تصرف إنتباه النفس، ويقول أنه يجب على الإنسان أن لا يسعى فى سبيل العلم إلا عندما يكون العلم عونا لحياة النفس الباطنية. وثمت مراحل لهذا التطور، فإن الحكمة السمائية أو الحدس intuition المباشر للاهوت الذى لا يعبر عنه، يجب أن يوضع فوق مرتبة المعرفة الذهنية أو التصورية لله. وعلى ذلك تصبح الحالة القابلة للانخطاف العقلى ecstasy أعلى مرحلة من مراحل حياة النفس على الأرض. كما هى الحال أيضا فى الفلسفة الأفلاطونية الجديدة (٣).

ويرى بعض المؤرخين أنه كان لفيلون أثر واضح على المفكرين المسيحيين الأوائل إلاّ أن هذا الرأى مبالغ فيه، وإن كان يحتمل أن يكون لفيلون أثره فى منهج أوريجينوس الرمزى، ولكن مما لا شك فيه أن مذهب فيلون ساعد على إعداد الطريق أمام الأفلاطونية الجديدة التى تصر هى أيضا على مبدأ استعلاء الله Transcendence استعلاءا تاما، وعلى وجود كائنات متوسطة، وعلى ارتقاء النفس الإنسانية إلى الله، هذا الارتقاء الذى يبلغ ذروته فى الانخطاف الروحى. ecstasy.

---

(1) Ucberweg-Praechter, Die Philosophie des Altertums. P. 577

(2) Philo, De Somniis. 123, 149

(3) Philo, De opificio mundi, 50, 144, De humanitate, 23, 168

مذهب القبلة

قلنا أن فيلون اليهودى أراد أن يوفق بين الدين والفلسفة، أما الدين عنده فهو دين اليهود كما نراه فى العهد القديم. وأما الفلسفة فتركيب من عناصر أفلاطونية ومنها نظرية المثل أو الصور وعناصر رواقية وأخصها مذهب اللوغوس، وعناصر شرقية تظهر فى قوله بفكرة الكائنات المتوسطة. وقد أكدت فلسفة فيلون استعلاء الله Transcendance توكيدا واضحا، وهذا الاصرار على الاستعلاء الالهى هو أيضا من الخصائص التى يتميز بها مذهب القبلة Cabala معدلا حسب النظريات اليونانية وعلى الأخص الأفلاطونية.

ويتألف القبلة من كتابين: الأول ويسمى Jezirah (الخلق) ولربما يكون قد وضع بعد منتصف القرن التاسع للميلاد. والثانى ويسمى Sohar (الضياء) بدأ وضعه منذ أوائل القرن الثالث عشر، وتمت كتابته بمعرفة يهودى اسبانى نحو سنة ١٣٠٠م. وقد تتالت عليه بعد ذلك إضافات وشروح. والمتأمل فى الفلسفة القبلية يتبين له أثر الأفلاطونية الجديدة عليها فى تعليمها بالصدور emanation وبالكائنات المتوسطة بين الله وبين العالم. ولعل مذهب ذلك اليهودى الاسبانى المعروف عند المدرسيين اللاتين باسم ابن جبرول كان من بين السبل التى أمكن للفلسفة الأفلاطونية الجديدة، عن طريقها، أن يؤثر فى تكوين فلسفة السوهار الصدورية.

(ابن جبرول)

هو سليمان ابن جبرول، ويطلق عليه المدرسيون من اللاتين اسم Avicebron فقد كانوا يعتقدون أنه كان مسلما. ولد فى ملجة Malaga نحو سنة ١٠٢١م وتلقى علومه فى سراجوسا Saragossa ومات فى سنة ١٠٦٩/١٠٧٠

وقد تأثر ابن جبرول بالفلسفة العربية. وأهم كتبه هو كتاب (نبع الحياة Fons Vitae) وضعه فى الأصل باللغة العربية. ولئن كان الأصل العربى لم يبق إلى الآن إلا أننا نملك الترجمة اللاتينية التى قام بها يؤانس هيسيبانوس Joannes Hispanus (Avendeath) ودمونيكوس جود نيساليونس Dominicus Gundissalinus ويتألف الكتاب من خمسة أجزاء. وقد كان له أثر كبير على المدرسيين المسيحيين.

ويظهر أثر الفلسفة الأفلاطونية الجديدة فى مذهب الصدور الذى قال به ابن جبرول، فالله فى رأس سلم الوجود أى أنه فى قمة مراتب الكائنات الروحية، وهو مصدر جميع الكائنات المحدودة، وهو الواحد الذى لا يمكن معرفته بالعقل المنطقى discursive reason ولا يمكن إدراكه إلا عن طريق الحدس intuition الذى يحصل فى حالة الوجد أو الانخطاف العقلى. ecstasy.

وإلى هذا أضاف ابن جبرول نظريته الخاصة بالإرادة الإلهية التى بها خلقت وعنها صدرت جميع الكائنات الدنيا. والإرادة الإلهية مثلها مثل الله نفسه. إنها تسمو على تركيب الهيولى

والصورة، ولا يمكن إدراكها إلا فى تجربة صوفية باطنية. ولكن ليس من اليسير أن نحدد على وجه الدقة العلاقة بين الله وبين الإرادة الإلهية. على أن التمييز بين الجوهر الإلهى divine essence والإرادة الإلهية divine will هو من الوضوح بحيث يجعل من الإرادة الإلهية أقنوما hypostasis قائما بذاته ولو أنه من جهة أخرى يلاحظ أن الإرادة الإلهية توصف على أنها هى الله نفسه باعتباره فاعلا من خارج adextra، على أنها الله من الظاهر God in his appearance ومهما يكن من أمر، فاللوغوس يستبدل بالاراده. فمن الله وعن طريق الارادة الالهية سواء كانت هى الله بوجه من الوجوه، أو كانت اقنوما قائما بذاته تصدر الروح الكونية cosmic spirit أو النفس الكلية أى نفس العالم world-Soul وهى أدنى مرتبة من الله. وتتألف من المادة (الهيولى) والصورة المادة (الهيولى) الكلية materia universalis والصورة الكلية forma universalis ومن النفس الكلية تصدر على التتالى الأرواح الصرفة pure spirits ثم الكائنات الجسمانية corporeal things.

ومهما يكن من أمر، فإن أهم ما فى مذهب ابن جبرول ليس هو منهج الصدور، بل هو نظريته فى التركيب المادى الهيولى التشكلى العام Universal hylomorphie composition بالنسبة لجميع الكائنات الأدنى مرتبة من الله، وهى النظرية التى استقاها - بطريق غير مباشر على الأقل - من أفلوطين والتى كان لها أثرها فى أحد تقاليد الفلسفة المدرسية المسيحية، وكما تصدر الصور الجزئية individual forms عن النفس الكلية world-soul كذلك تصدر الهيولى الروحية spiritual matter عن النفس الكلية، التى توجد فى العقل Intelligence وفى النفس الناطقة rational soul وفى الهيولى الجسمانية corporeal matter وعلى ذلك فالهيولى وإن لم تستلزم هى بذاتها الجسمانية corporeality أو الوجود المادى، لكنها هى مبدأ التحديد limitation والتناهى finiteness فى جميع الخلائق، لها التركيب الهيولى التشكلى hylomorphic composition فى جميع الخلائق. والذى يميزها بفصلها عن الله، لأن الله ليس فيه تركيب. وقد أيّد هذا المذهب، مذهب التركيب الهيولى التشكلى العام للخلائق - الفيلسوف بونافنتورا Bonaventura مثلا، وهو الفيلسوف الفرنسيسكانى العظيم المعاصر لتوما الأكوينى St. Thomas Aquinas وزيادة على ذلك هنا صور متعددة فى كل كائن بحسب تعدد درجات الكمال. فالانسان مثلا وهو العالم الأصغر Microcosm يمتلك فى ذاته كمالات الموجود المادى corporreality والحياة النامية vegetative والحياة الحسية sensitive life والحياة العقلية intellectual life وكل كائن جسمانى Corporcal being يمتلك الصورة الجسمانية forms corporeitatis لكن لابد أن يعطى علاوة على ذلك مكانه المعين فى سلم الوجود الروحانى. وهذا يتم عن طريق قبوله الصورة أو الصور التى يصبح بها مثلا كائنا حيا أوحيوانا أو كلبا أو ما إلى ذلك...

لقد قيل أن مذهب ابن جبرول هو الأصل الأول الذى ترتد إليه فى الواقع نظرية المدرسة الأوغسطينية فى تعدد الصور. ولكن مع التسليم بهذا، يجب أن نذكر أيضا أن مذهب ابن جبرول يتفق ومنهج الفلسفة الأوغسطينية، لأن أوغسطينوس نفسه كان يعلم بأن وظيفة الصور الدنيا أن تؤدى إلى الصور العليا. وهذا يصدق أيضا على هذه الصورة التى تتمثل فى المعرفة البشرية، أى أن التأمل فى مراحل الوجود الدنيا يقود الفكر إلى المراحل العليا.

(بن ميمون)

وأهم شخصية بين فلاسفة اليهود فى العصر الوسيط هو الفيلسوف موسى بن ميمون Mimonides ولد فى قرطبة عام ١١٣٥م ومات فى القاهرة فى سنة ١٢٠٤م وكان قد اضطر إلى أن يهجر اسبانيا المغربية بعد أن أصبحت مكانا لا يلائم الفلاسفة.

وقد حاول ابن ميمون فى كتابه «دلالة الحائرين» Guide of Doubting أن يقيم علم اللاهوت على أساس عقلى فلسفى. والفلسفة هنا هى فلسفة ارسطاليس، فإن ميمون يعتبر الفلسفة الأرسطية أعظم نموذج للقدرة العقلية بين البشر باستثناء الأنبياء.

يقول ابن ميمون يجب أن نتمسك بما يقدمه لنا الادراك الحسى، وما يمكن للعقل أن يبرهن عليه على نحو دقيق، فإذا اشتمل العهد القديم على رواية أو عبارة تتعارض فى وضوح مع قضية واضحة من قضايا العقل، فتلك الرواية أو العبارة يجب أن تفسر تفسيرا رمزيا أو مجازيا. وليس هذا معناه أن ابن ميمون يستبعد التعليم الدينى كلما اختلف عند ارسطو عما تعلم به الكتب المقدسة. فعلم اللاهوت مثلا يقول بخلق العالم فى الزمان من العدم، وهذا معناه أن الله لابد أن يكون خالق المادة. وهو الذى شكلها، وأن العالم لا يمكن أن يكون أزليا. فإذا لم يكن تعليم الكتاب المقدس واضحا، وأمكن أن نبرهن بأدلة من العقل على أزلية العالم، بحيث يبدو جليا أن العكس لا يمكن أن يكون صحيحا، فيلزم فى هذه الحالة أن نفسر الكتب المقدسة تفسيرا يتلائم مع هذه الحقيقة الواضحة. أما وأن تعليم الكتب المقدسة واضح، كما أن الأدلة الفلسفية التى تقدم لإثبات أزلية العالم ليست أدلة دامغة، فيلزم إذن أن نرفض تعليم أرسطو فى هذه المسألة. ولقد كان أفلاطون أقرب إلى الحق من أرسطو، ومع ذلك فقد قال أفلاطون بأن المادة غير مخلوقة. ويرى ابن ميمون أن الخلق من العدم، أعنى خلق المادة وتشكيلها، أمر لا مفر منه مادامت المعجزات التى يعلم بها العهد القديم بوضوح ممكنه. إذ لما كان الله قادرا على أن يعطل قوانين الطبيعة. فهو سيد الطبيعة المطلق، ولا يمكن أن يكون كذلك إلا إذا كان هو الخالق بكل ما فى هذه الكلمة من معنى.

على أن هذا التفسير المجازى لبعض الصور التى يقدمها الكتاب المقدس عن الله، بدا للمتزمتين المتعصبين من اليهود إنه خيانه للكتاب المقدس وبيع له لحساب اليونان أو الأمم. وقد

ذهب بعض يهود فرنسا فى الاتهام مبلغا بعيدا حتى سعوا إلى محاكمة ابن ميمون عن هذه الهرطقة، والواقع أن ابن ميمون لم ينكر صدق الكتب المقدسة. وإنما قال إنه يمكن أن يكون ثمت مصدر آخر للحقيقة إلى جانب الكتاب المقدس وعلم اللاهوت. وبعبارة أخرى أن موسى ابن ميمون خلع على الفلسفة براءة رسمية. وبهذا زاد من اهتمام اليهود بالفلسفة فى أسبانيا، ولو أن اهتمامه الأكبر لا يزال محصورا فى دائرة علم اللاهوت. ومن هذا كله يتضح أن ابن ميمون لم يكن مطيعا لأرسطو طاعة عمياء. لقد قال أن أرسطو مخطئ فى تعليمه بأزلية العالم. وإذا لم تستطع الفلسفة أن تبرهن على الخلق فى الزمان، فيمكنها على الأقل أن تبين أن الأدلة التى تساق فى تأييد النظرية الأرسطية غير مقنعة وغير صحيحة.

وأثبت ابن ميمون وجود الله بأدلة مختلفة اعتمد فيها بعض الاعتماد على علم الكلام أو اللاهوت الطبيعى عند الفارابى وابن سينا، مستدلا على الله من خلائقه، فالله هو المحرك الأول، وهو الكائن الواجب الوجود، وهو العلة الأولى. وقد أيّد هذه الحجج بعبارات من أرسطو فى الطبيعيات وما بالطبيعة، وإذا كان ابن ميمون قد قال سابقا بمعظم الأدلة التى ساقها القديس توما الأكوينى فيما بعد، إلا أن ابن ميمون كان أكثر من توما الأكوينى اصرارا على عدم انطباق المحمولات الايجابية على الله. فالله فعل محض pure act ليس فيه مادة وليس له فاعلية potency وهو يبعد عن خلائقة بعدا لا نهاية له. وأما فيما يتصل بصفاته، فنحن يمكن أن نتحدث عما ليس فيه لا عما هو، والله واحد، ومستشرف، يفوق العقل transcendent وهناك بين الله والعالم سلم روحانيا من عقول أو أرواح صرفه. ولكننا لا نستطيع أن نكوّن عن الله فكرة ايجابية كاملة. ولا شك أن توما الأكوينى يقر هذا كله. ولكن ابن ميمون كان أكثر اصرارا على المنهج السلبى Via negative ومهما يكن من أمر، فإنه يمكن أن ننسب إلى الله أفعالا activites كأفعال الخلق والعناية مثلا بشرط أن نعرف أن اختلاف الأسماء لا يقابله أى إختلاف فى الله نفسه، وأن الله نفسه غير متغير. ويرى ابن ميمون على خلاف ابن جبرول بأن هناك عناية خاصة من جانب الله بالنسبة إلى بعض الخلائق، ولو أن هذا لا يصدق إلا على الناس فقط من بين العالم المادى، والعقل الفاعل active intellect هو العقل العاشر (والعقول ليس فيها مادة) أما العقول المنفعله passive intellects للأبرار فهى خالدة، فإبن ميمون يقصر الخلود على الأبرار وحدهم. لكنه يؤمن بحرية الإرادة التى بها يصبح الناس أبرارا، وينكر تأثير الأجرام السمائية والفلك على سلوك الناس بصورة جازمة قاطعة.

وملاك القول أن ابن ميمون قد أفلح فى محاولة التوفيق بين الفلسفة اليونانية والأرثوذكسية اليهودية أكثر مما أفلح ابن جبرول. وما هو جدير بالذكر أن أثر المذهب الأرسطاليسى فى فلسفة ابن ميمون أكثر وضوحا منه فى فلسفة ابن جبرول.

الاشتراكية فى المسيحية

الاشتراكية فى المسيحية

ليس مسيحيا من لا يؤمن بالحياة الاشتراكية، لأن المسيحية الحقيقية تتطلب الاشتراكية فى أدق وأكمل صورة لها.

ولئن كان حقا أن المسيحيّة عند ظهورها لم تشأ أن تقدم مذهبا كاملا فى الحياة الإجتماعية، ولم تقحم نفسها فى جدل فلسفى ضد النظم الإجتماعية القائمة، أو تعلن ثورة عليها، إذ أن النظام الإجتماعى فى ذاته ليس هدفا للمسيحية، إلاّ أن المسيحية مع ذلك استطاعت أن تغيّر من نفوس الذين اعتنقوها، فطلّقوا - من دون أن يشعروا - الأنانية والذاتية والفردانية والإنعزالية وصاروا يحيون فيما بينهم حياة اشتراكية من أعلى طراز...

فقد ورد فى سفر أعمال الرسل «وكان جميع الذين آمنوا (بالمسيح) معا. وكان كل شئ مشتركا بينهم. وكانوا يبيعون أملاكهم ومقتنياتهم ويوزعونها على الجميع على حسب حاجة كل واحد» (١).

ولابد أن هذه الصورة الجميلة التى يصوّرها العهد الجديد للحياة الجمعية فى الكنيسة المسيحية الأولى كانت ثمرة طبيعية لتعليم السيد المسيح ولرسله من بعده، حتى صارت لونا واضحا صارخا بالفارق بين حياة المسيحيين الأوّلين وحياة سائر الناس الذين يعيشون من حولهم.

ويعود سفر الأعمال فيرسم بعض التفصيلات لهذه الحياة الاشتراكية فيقول: «وكان الجمهور الذين آمنوا (بالمسيح) له المجد قلب واحد ونفس واحدة، ولم يكن أحد (منهم) يقول عن شئ من أمواله أنه خاص به، بل كان لهم كل شئ مشتركا» (٢)، ثم يبين بعد ذلك المغانم والمكاسب الإجتماعية الوفيرة التى عادت على المجتمع المسيحى الأول من تنفيذ هذه المبادئ الاشتراكية السامية، فيقول: «فإنه لم يكن فيهم محتاج، لأن كل الذين كانوا يملكون ضياعا أو بيوتا كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويلقونها عند أقدام الرسل، فكان يوزع لكل واحد على حسب إحتياجه» (٣)

ومما له دلالة فى توكيد مبدأ الحياة الإشتراكية فى المسيحية أن رجلا اسمه حنانيا أخطأ الفهم فباع ضيعة له ولم يأت إلى الكنيسة بكل الثمن، بل اختلس بعض الثمن، وجاء بالباقى وألقاه عند أقدام الرسل. وعلم القديس بطرس الرسول بإلهام إلهى بما فعله حنانيا، فغضب الرسول عليه

---

(١) أعمال الرسل ٢: ٤٤، ٤٥.

(٢) أعمال الرسل ٤: ٣٢

(٣) أعمال الرسل ٤: ٣٤

وأنزل عليه وعلى إمرأته حكم الرب بالموت فى الحال، فمات هو وإمرأته «فوقع خوف عظيم على جميع الكنيسة وعلى جميع الذين سمعوا بذلك»

ولم تكن هذه الصورة قاصرة على المسيحيين الأوائل فى مدينة القدس وحدها، بل انتقلت هذه الصورة لتكون من بين الخصائص المميّزة للمسيحية الناشئة فى كل مدينة وفى كل إقليم(١).

ومن بين ما رواه المؤرخون عن المسيحيين المصريين أو الأقباط، أنهم كانوا يحيون حياة اشتراكية صرفة، بل وطلاّب العلوم الدينية فى مدرسة الأسكندرية اللاهوتية كانوا كذلك يحيون معا بقلب واحد ونفس واحدة، وكان لجميع الطلاب كيس واحد يصرفون منه على حسب حاجة كل منهم، ولم يكن أحد يحسب أن شيئا من المال يخصه لنفسه، إذ كان لهم كل شئ مشتركا..

وعندما قامت الرهبنة بنظامها المعروف، اشترطت الحياة الاشتراكية فى النظام المسمى بنظام الشركة، وقد وضع الأنبا باخوميوس الراهب القبطى فى القرن الثالث للميلاد قواعد هذا النظام، الذى رسم بموجبه أن يحيا الرهبان حياة اشتراكية صرفه: فيصلّون معا ويخدمون سائر خدمات الدير معا، ويأكلون على مائدة واحدة، وكان لكل منهم عمل يخصه وحرفة يمارسها، ولكن جميع الأعمال هى للدير كله من فلاحة وبناء وتنظيف وطبخ وخبز، وعائد كل عمل ليس للراهب الذى قام به، بل لجميع الرهبان معا وللدير بأسره.

ولم يكن مسموحا لأى راهب أن يتوقف عن العمل. فمن يتوقف عن العمل الذى يصلح له، يعاقب وقد يطرد من الدير طبقا للمبدأ المسيحى المنصوص عليه فى الكتاب المقدس «إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضا» (٢)

ومن مظاهر الاشتراكية فى الكنيسة المسيحية أنها كانت تُكثر من الفرص التى تجمع بين المؤمنين، فيصلون معا بصلوات مشتركة، وإذا فرغوا من الصلاة كانت تمد لهم الموائد، وكان الجميع يأكلون معا من هذه الموائد التى سميت بالأغابى ἀγάπη أى موائد المحبّة. وكان محظورا على أى مسيحىّ أن ينفرد عن الكل بطعام خاص به. ويبدو أن بعض الناس قد انحرف عن هذا الوضع فى الكنيسة الأولى، ولذلك جاء الوحى الإلهى فوبّخهم «لأن كل واحد يبتدر إلى أكل عشاء نفسه فيجوع الواحد ويسكر الآخر (من الأكل) ... وتُحزنون الذين لا شئ لهم. ماذا أقول لكم أأمدحكم. إنى لست أمدحكم» (٣)

---

(١) أعمال الرسل ١١: ٢٧ – ٣٠

(٢) ٢. تسالونيكى ٣: ١٠

(٣) ١. كورنثوس ١١: ٢١، ٢٢

قلنا أن المسيحية ليست مذهبا إجتماعيا كمذاهب الفلاسفة لأنها لم تهدف إلى إقامة نظام إجتماعى، يعتنقه البعض ويرفضه البعض الآخر، ولكن المسيحية رسالتها الأولى روحية وفردية تتجه إلى إصلاح الفرد وإلى تخليصه من متاعبه وتحريره من خطاياه وتنذره بالتوبة وإصلاح السيرة، وإعادة نظامه النفسى من جديد، ولابد أن يتبع هذا كله ويصاحبه تغيير نظرة الفرد إلى نفسه وإلى غيره وإلى الوجود ثم إلى المجتمع. غير أن النظرة الإجتماعية تجئ فى ترتيب التطور النفسى نتيجة لا غاية فى ذاتها، ولكنها مع ذلك نتيجة حتمية لا مفر منها لمن فهم المسيحية. ونفذت رسالتها إلى قلبه فأحدثت فيه تغييرا وأثرا عميقا فعّالا...

ويترتب على هذا بطبيعة الحال أن كل فرد لم تثمر مسيحيته وتبلغ به إلى الاشتراكية، أو يرفضها إذا طلبت منه، فهو فرد لم تنفذ المسيحية بروحها إلى روحه، ولم تنم بذرتها فى تربة قلبه حتى تصبح شجرة يأوى إليها معه غيره من الناس الذين يعايشونه...

وعلى سبيل المثال... قدّم الإنجيل نموذجا لهذا الطراز من الناس فى شاب طامح للبلوغ إلى المثل الأعلى وتقدم إلى السيد المسيح، وزعم أنه حفظ جميع وصايا الله فماذا يعوزه بعد، وقال له المسيح: «إن كنت تريد أن تكون كاملا فاذهب وبع كل شئ لك واعطه للمساكين فيكون لك كنز فى السماء، وتعال اتبعنى... فلما سمع الشاب هذا الكلام مضى حزينا لأنه كان ذا مال كثير»(١) وعقب السيد المسيح على ذلك بقوله لتلاميذه ولسامعيه: «الحق أقول لكم ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى ملكوت الله»... إنه لأسهل أن يدخل الجمل من ثقب الابرة من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله، ولما تحيّر تلاميذه من كلامه علمهم أن يتنازل الراغبون فى الصلاح عن أموالهم فى سبيل الخير العام، مشاركة منهم فى إصلاح الآخرين، وخدمة المجموع...

وقد فهم الأباء الرسل هذا الدرس الثمين من المعلم الأعظم ووعوه فى قلوبهم، وتبعوه بعد أن تركوا كل شئ لهم، وانطلقوا تحت إرشاده للخدمة العامة...

وفى كل مجال علموا الناس أن يتجردوا من محبة المال، وأن يكونوا أغنياء فى الأعمال لا فى المال، فقال مار بولس الرسول لتلميذه تيموثيئوس «أوصِ أغنياء الدهر الحاضر أن لا يستكبروا.. وأن يصنعوا خيرا، وأن يكونوا أغنياء فى أعمال صالحة، وأن يكونوا أسخياء فى العطاء كرماء فى التوزيع» (٢).

بل وقد انهالوا بقسوة وعنف على الأغنياء المتبطرين الذين يبخلون بأموالهم عن الفقراء، ويغتصبون أجور العمال الكادحين...

---

(١) لوقا ١٨: ٢٢ - ٢٥ (٢) ١. تى ٦: ١٧، ١٨

«هلموا الآن أيها الأغنياء ابكوا مولولين على الشقاوات التى تأتى عليكم. إن أموالكم قد فسدت وثيابكم أكلها العث. ذهبكم وفضتكم قد صدئا، وصدأهما سيشهد عليكم ويأكل لحومكم كالنار... ها إن أجرة العملة الذين حصدوا حقولكم التى بخستموهم إياها تصرخ، وصياح الحصادين قد بلغ إلى أذنى رب الجنود. قد ترفهتم على الأرض وتنعمتم» (١)

وهى عبارات لها دلالتها القوية فى مقاومة الظلم الذى يرتكبه أصحاب رؤوس الأموال ضد الشعب من العمال والزراع والكادحين.

وقد يقال إذا كانت المسيحية تتطلب الحياة الإشتراكية فما بالنا نرى بعض الدول المسيحية قد انحرفت عن هذه المبادئ!!! ؟؟؟

نقول، أن المسيحية دين، بينما أن الدولة سلطة حاكمة. وقد لا تتبنّى الدولة كل ما يقول به الدين. ثم أن الدين قواعد يعلنها الله، أما قوانين الدولة فقواعد يرتضيها الناس. وليس كل ما يعلنه الله يرتضيه الناس، ثم أن الدين المسيحى باعتباره دينا يقوم على الرضى والاختيار، فقد دعا إلى الحياة الإشتراكية ولكنها بطبيعة الدين المسيحى اشتراكية اختيارية، لا جبر فيها ولا ضغط، ولكنه مع ذلك لا يمانع الدولة أن تسن القوانين التى تفرض بها الاشتراكية على الناس فرضا، وذلك صونا للأخيار ضد طغيان الأشرار، بل إن المسيحية ترحب بسن مثل هذه القوانين التى تفرض الحياة الإشتراكية الصحيحة وتشجعها...

---

(١) يعقوب ٥: ١ – ٥

الشيـــــوعيـــــة

لعل أعظم عدو تجابهه المسيحية اليوم هو الشيوعية العالمية فى صورتها الحاضرة. والشيوعية العالمية communism نظرية نادى بها بعض المتطرفين المغالين، ولكنها أصبحت قوة ثورية دافعة ومحركة تحطم المعتقدات السائدة والتقاليد المستقرة، وتقلب النظم التى استتبت منذ زمان طويل، مستعينة فى ذلك بالجدل المنطقى حينا وبالتضليل والمغالطة حينا ثانيا، وبالقوة والعنف حينا ثالثا، وبهذا كله أحرزت نصرا بالغا وغزت الكثير من بلاد الغرب والشرق. وللشيوعية مرسلون ومبشرون يتصفون بالحمية والحماسة والتضحية بالنفس، وفى هذا يشبهون المبشرين الذين نشروا الإنجيل فى أيام المسيحية الأولى. ولكنهم ظهروا فى كثير من البلاد الشيوعية فى أبرز صورة للعداوة السافرة ضد المسيحية وتعاليمها...

والمثل الأعلى الذى تتجه إليه الشيوعية العالمية هو مجتمع عالمى بلا طبقات، يتساوى فيه جميع الناس، ويشارك فيه جميع الناس حسب إحتياجاتهم ذلك عندما تكون وسائل الإنتاج والتوزيع ملكا للجميع. لكن الشيوعيين يعتقدون أن مثلهم الأعلى لا زال بعيد المنال، ولذلك فإنهم يرون فى الاشتراكية Socialism مرحلة فى نصف الطريق إلى الشيوعية العالمية، ولو أنهم مع ذلك يعدون صور الاشتراكية فى بعض البلاد غير الشيوعية أخطر بديل عن الشيوعية الحقيقية، فالشيوعية الحقيقية الكاملة لا توجد بعد حتى فى روسيا نفسها، وذلك فإن حكام روسيا لا يبيحون لأنفسهم أن يدّعوا أن الاتحاد السوفيتى Soviet Union الآن دولة شيوعية، فالاسم الرسمى للدولة الروسية هو «اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية» "The union of Soviet Socialist Republics" وقد حدد الدستور السوفيتى فى عام ١٩٣٦ الاتحاد السوفيتى بأنه «دولة اشتراكية من العمال والفلاحين» ولكن مهما يكن من أمر هذه الخطوات أو المحطات المتوسطة، فإن الشيوعية الكاملة لن تتحقق فى أقصى مدى لها إلاّ حين يكون فى العالم كله مجتمع بلا طبقات يملك كل شئ لخير جميع الناس...

الشيوعية والمسيحية

كانت الشيوعية ولازالت حلما للمثاليين الذين يصوّرون لأنفسهم وللعالم أعظم مجتمع مثالى يتحقق فيه أكبر نصيب من الخير لجميع الناس، وأقل نصيب من الشر. وقد شهد العالم فى عصور مختلفة هذه المحاولات من جانب المثاليين لتصوير أفضل مجتمع اشتراكى مثالى، بل وهناك فعلا بعض جماعات استطاعت أن تحيا معا حياة اشتراكية. ولعل أروع مثال معروف لهذه الحياة الاشتراكية هو الذى وصفه لنا سفر أعمال الرسل حيث نقرأ فيه عن المسيحيين الأولين فى أورشليم «وكان جميع الذين آمنوا (بالمسيح) معا، وكان كل شئ مشتركا بينهم. وكانوا يبيعون أملاكهم ومقتنياتهم ويوزعونها على الجميع على حسب حاجة كل واحد» (١) ونقرأ بعد ذلك «وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة. ولم يكن أحد (منهم) يقول عن شئ من أمواله أنه خاص به، بل كان لهم كل شئ مشتركا... فإنه لم يكن فيهم محتاج.. لأن كل الذين كانوا يملكون ضياعا أو بيوتا كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويلقونها عند أقدام الرسل. فكان يوزع لكل واحد على حسب إحتياجه» (٢) وقد كان هذا العمل من صنع عدد من الرجال والنساء وقعوا تحت تأثير موجة طاغية من حماس روحى. ولا يعد هذا مقدمة أو سابقة للشيوعية العالمية كما نعرفها اليوم. فالاشتراكية المسيحية التى عرفها المسيحيون الأوائل كانت اشتراكية - إختيارية - فلم يكن هناك إكراه ولا ضغط على أحد ممن اعتنقوا المسيحية حتى يتنازل عن ممتلكاته. أما حنانيا وسفيره فلم يعاقبا بالموت لأنهما باعا حقلهما واحتفظا لنفسيهما ببعض الثمن، ولكن لأنهما وقد قدّما للمالية العامة للكنيسة جزءا فقط من الثمن، ادعيا أنهما قدّما كل الثمن. إذ قد كان للمسيحى كامل الحق فى أن يحتفظ بعقاره وما يملك. فإذا باعه فإن المال الذى باعه به كان من حقه أن يستعمله كيفما شاء وحسبما رآه صوابا. ويبدو أن التجربة التى عاشها المسيحيون الأوائل الذين كان كل شئ بينهم مشتركا لم تدم طويلا أو قل أنها زالت سريعا، حتى أن القديس بولس اضطر أن يجمع مالا من المسيحيين الذين اعتنقوا المسيحية من الأمم لإغاثة المؤمنين فى أورشليم. وبعد ذلك حدث أن أعادت الرهبانية الكّرة. وبمرور الزمن امتلكت الأديرة ممتلكات واسعة، مع أن الرهبان لم يكونوا يملكون لأنفسهم شيئا منها. فالشيوعية المسيحية كانت دائما اختيارية وقائمة على أساس الإكتفاء الذاتى من غير حاجة إلى الإستعانة بأية سلطة خارجية. أما الشيوعية العالمية اليوم فهى جبرية، تفرضها الدولة على المواطنين وبصورة تقتضى تنظيما كبيرا إذا كان لابد لها من أن تعمل بقوة وقدرة ونفوذ...

---

(١) أعمال ٢: ٤٤، ٤٥

(٢) أعمال ٤: ٣٢، ٣٤، ٣٥

على أنه ليس هناك من عدم التوافق بين الشيوعية الإختيارية وبين المسيحية، فقد تكون الشيوعية غير مناسبة أو غير ممكنة عمليا من الناحيتين الاقتصادية والسياسية، ولكن هذا ليس معناه أنها ضد المسيحية أو تتعارض معها، فإنه من الممكن للإنسان أن يكون شيوعيا ومسيحيا فى نفس الوقت. بل وهناك مسيحيون يعتقدون أن هناك تلاقيا بين المسيحية والشيوعية أكثر مما هو بين المسيحية والرأسمالية Capitalism (e) وحتى فى الدول التى تبنت الشيوعية الماركسية Marxian Communism (e) يوجد كثير من المواطنين الذين يقولون أنهم مسيحيون مخلصون وشيوعيون مخلصون فى وقت واحد. وفى روسيا نفسها هناك ملايين من الأعضاء العاملين التابعين للكنيسة الأرثوذكسية يدينون بالولاء والخضوع للدولة السوفيتية. ويقبلون الدولة السوفيتية ويرون فيها نظاما اقتصاديا سليما، ولو أنهم فى نفس الوقت يرفضون النظرية الماركسية التى تعتنقها الدولة السوفيتية. وفى بولندا وتشيكوسلوفاكيا Czechoslovakia والمجر Hungary يوجد شيوعيون يحضرون بانتظام القداس... ويداومون على الكنيسة... ويقال أن هناك بين طلاب الجامعة فى الصين عددا أمكنه أن يوفق بين المسيحية التى يؤمنون بها والشيوعية التى اعتنقوها...

فإذا كنا نقرر أن المذهب الشيوعى عدو للايمان المسيحى، إلا أننا مع ذلك لا نجد من المستحيل أن يظل الشيوعى المسيحى مخلصا للكنيسة المسيحية، وقد يكون هذا المسيحى الشيوعى واقعا فى خطأ شنيع من الناحيتين الاقتصادية والسياسية، ولكن طالما أنه مقتنع أنه يمكنه أن يظل مخلصا للمسيح والشيوعية فى وقت واحد، وطالما أنه يسلك فى حياته العملية طبقا لدين المسيح، فليس للكنيسة بعد هذا أن تجابهه فى صرامة بأن يختار واحد من إثنين ،إما المسيح وإما الشيوعية، ومع ذلك فإن ما يقال بالنسبة للأفراد لا يصدق دائما أن يقال بالنسبة للمذهب أو الحركة التى يدين لها هؤلاء الأفراد بالولاء، فإنه يلزمنا بالضرورة أن نميّز بين الشيوعى كفرد، وبين المذهب الشيوعى ذاته، فقد تقبل الكنيسة فى عضويتها من يقول عن نفسه أنه شيوعى، ولكنها لا تستطيع أن تقبل فى عضويتها من يتحمس للشيوعية الماركسية، فإن الشيوعية العالمية كما هى معروفة اليوم هى مذهب المتحمسين لكارل ماركس ولينين، وأتباعها يجاهرون بعدائهم السافر للديانة المسيحية...

الشيوعيّة الماركسيّة

وإذا كان حقا أن المذهب الشيوعى مذهب منتشر ومعروف فى العالم كله، فمن الضرورى أن نعرف الأسس التى بنى عليها هذا المذهب. فليست الشيوعية مجرد مذهب سياسى أو نظرية إقتصادية، إنها تتألف من مجموعة مبادئ ومعتقدات متلازمة متتابعة معا، يؤمن بها الشيوعيون ويعلّمون بها فى إصرار شديد، ولابد أن تؤخذ معا دون تساهل فى قبول واحد منها دون غيره، شأنها شأن عقائد المسيحية التى يلتزم بها المسيحى معا ولا يترك منها شيئا. وينظر الشيوعيون إلى المنشور (البيان) Manifesto الذى أصدره كارل ماركس Karl Marx وأنجيلز Engels فى عام ١٨٤٨ وإلى كتاب «رأس المال» Capital لكارل ماركس وإلى مؤلفات لينين (وان كانت هذه الأخيرة تأتى فى المرتبة التالية) وكأنها الكتاب المقدس عند المسيحيين، وعلى أنها تحتوى على دستور الإيمان الذى لا يستطيع الشيوعيون أن يخرجوا عنه.

و(المادة الأولى) .. فى دستور الماركسية هى أن العالم المادى هو الحقيقة الرئيسية والأساسية. ولا شك أن المسيحية لا تتجاهل المادة أو العالم المادى، ولكنها تعلّم بأن الأشياء المادية مخلوقة من الله، وأنها وإن لم تكن كل شئ لكن الله يستخدمها، والكائنات العاقلة تستغلها وتستعملها، وأن العالم ليس مادة فحسب، ولكن الروح والروحيات تنفذ إلى العالم المادىّ. أما الشيوعيون فيقولون أن الأفكار والتصوّرات ideals تنشأ من المادة وتصدر عنها. وأنه ليس ثمت حقيقة فى غير المادة. ليس هذا معناه أن الشيوعيين الماركسيين ليس لهم أفكار أو مثل عليا، أو أنهم لا يكترثون بالفن أو التمثيل أو الموسيقى وسائر مناحى الحياة التى تعرف غالبا أنها روحية، ولكنهم يؤمنون بأن هذه المناحى هى نتيجة المادة وأنها تعتمد فى وجودها على المادة. وإذا كانت جميع الأفكار والتصورات كلها تصدر من المادة، ومن بينها الفن بل والديانة نفسها، فيتبع هذا كما يقول الشيوعيون أنه لا يوجد إله ولا وحي ولا حياة آخرة. وعلى ذلك فالديانة فى نظرهم ضلال عظيم وهى التى تخلق الخوف فى الناس، وهى حيلة تخدع الفقراء والمظلومين، وهى المخدر أو الأفيون opium الذى يمنعهم من أن يثوروا ضد المظالم والبؤس التى يعانونها.

و (المادة الثانية) ... فى دستور الماركسية هى أن مفهوم التاريخ هو صراع بين القوى الإقتصادية، وهنا نأتى إلى جانب أشدّ جوانب الماركسية صعوبة وهى الجانب الجدلى dialectic. والجدل هو الحوار والصراع بين النزعات المتعارضة والحركات المتباينة، والجدل يتألف من «موضوع» (thesis) وهو تقرير أو إثبات لمسألة ما، ثم «مايضادّه» (antithesis) وهو معارضة ونقد للموضوع الأصلى. ومن المناقشة والصراع ينجم «التركيب» (Synthesis) وهو

تقرير لقضية جديدة يتولد من الصراع بين «الموضوع» (thesis) و «ما يضاده» (antithesis) وهو نتيجة تختلف عن كليهما، لكنه يحتفظ بما هو حق فيهما. هذا «التأليف» (synthesis) يصبح هو بدوره «الموضوع» (thesis) وسيتعرض حالا لنفس عملية النقد والتحول التى تعرض لها «الموضوع» الأول. على أن ماركس Marx لم يقصر هذه العملية «الجدلية» على الحوار العقلى، لكنه طبّقها على التاريخ كله. وعنده أن خلال التاريخ هناك حركة دائمة movement وليس ثمت شئ ساكن (مستقر ثابت) (statie) ولا يزال المجتمع المستقر يتعرض للهجوم والنقد حتى ينهدم، ويحل محلّه نظام آخر. ومع أنه قد تحدث عدة تغيّرات صغيرة فى كل فترة طويلة، لكن هذا التغير لا يمكن أن يستمر بلا حدّ، فلابد أن تأتى لحظة تحدث فيها قفزة إلى الأمام، ويظهر شئ جديد، يختلف عن سابقه، نوعا وليس كمّا...

و(المادة الثالثة)... فى دستور الماركسية، أن حركة التاريخ هذه تعزى إلى صراع متصل على امتلاك وسائل الإنتاج، والتبادل على مفتاح التاريخ عند ماركس هو فى التغيرات التى تمت فى امتلاك وسائل الإنتاج والتبادل والسيطرة عليها. وقد كان المؤرخون فيما مضى يفسرون التاريخ على أنه سجل للصراعات السياسية والإجتماعية والقومية، أما ماركس فلم ير فى هذه الصراعات إلاّ الصراع بين القوى الإقتصادية المتنازعة. ولا شك أن ماركس قد ساهم مساهمة قيّمة فى فهم التاريخ بإبرازه العوامل الإقتصادية التى أهملها المؤرخون القدامى إهمالا يكاد أن يكون تاما. لكنه قد غالى فى نظريته وتطرّف فى رأيه، إذ عزى «جميع» تغيرات التاريخ إلى أسباب اقتصادية، وادعّى أن العقل البشرى، والقانون، والدين، وكل شكل من أشكال الحضارة، كلها ليست إلا بناء أقيم على أساس إقتصادى ضخم. فإذا اتخذنا تحفظات كثيرة فى نظرية ماركس، وأخذنا فى الإعتبار أيضا العوامل غير الإقتصادية التى كان لها - ولابد - أثرها فى التغيرات التاريخية، يبقى بعد ذلك أن نقول أن نظرية ماركس على درجة عظيمة من الأهمية، تلك النظرية التى يقرر فيها «أن العامل الاقتصادى أساسى بالنسبة لكل النظم الإجتماعية، وعلى الخصوص بالنسبة لتطورها التاريخى» وقد قال هانت Hunt عن نظرية كارل ماركس «إنها تركت أثرا عميقا. وجميع الكتاب المحدثين مدينون له حتى لو لم يعلموا ذلك. وأى عود لما قبل نظرية ماركس الإجتماعية لا يمكن تصوّره» (١) هذا والوضع الإقتصادى الحاضر يوضح هذه النزعة الإقتصادية الجدلية للتاريخ فلقد قوض النظام الاقطاعى (Feudalism) حتى أخلى سبيله للرأسمالية (Capitalism) والرأسمالية بدورها تهاجمها الآن طبقة الدهماء (Proletariat) (٢)

---

(1) R.N. CAEW HUNT, The Theory and Practise of Communism' P. 42

(٢) أصل الكلمة فى اللاتينية Proletarius «المواطن من أدنأ الطبقات، الذى يخدم الدولة لا بممتلكاته بل بأولاده فقط».

وسيوالى هؤلاء الدهماء حملاتهم إلى أن تمحى الرأسمالية وتحل محلها الاشتراكية Socialism التى فى ظلها سيمتلك العمال وسائل الإنتاج والتوزيع، ويعتقد ماركس أن التطور من نظام العبودية أو الرق Slavery إلى الاقطاع، ومن الاقطاع إلى الرأسمالية ومن الرأسمالية إلى الاشتراكية، أمر لا مفر منه. ولكن هذا التطور لن يكون تطورا تدريجيا بطيئا إذ لابد للتغير النهائى أن يجئ نتيجة لثورة. هذا الاعتقاد فى الشيوعية أنها أمر لا مفر منه كان ولازال ملهما لملايين من الناس. أنه اعتقاد مشجع فى وسط الصراع العنيف، أن يعرف المكافح أنه لابد له من أن ينتصر، وإذا كان هناك تخوف من أن يؤدى هذا الاعتقاد إلى تقليل الجهد، لكن الذى يزيل هذا التخوف اعتقاد قوى فى أن يوم النصر يعتمد على غيرة أولئك المكافحين فى سبيل النظام الجديد، وعلى جهودهم. فمع أن النظام الجديد لابد أن يأتى، إلاّ أن مجيئة يتقدم أو يتأخر تبعا لجهود أولئك الذين يكافحون فى سبيل تحقيقه، ومدى إهتمامهم وإخلاصهم. وقد تنبأ كارل ماركس بهذا فى الفقرة الأخيرة من الفصل الذى كتبه عن: «النزعات التاريخية لتكّدس رأس المال» فى كتابه «رأس المال» قال: «كلما نقص على التوالى عدد أقطاب رأس المال الذين يغتصبون ويحتكرون كل إمتيازات عملية التحوّل هذه، نمت جحافل البؤس والجور، والعبودية (الاستعباد)، والتجريد، والاستغلال، لكن مع هذه أيضا تنمو ثورة الطبقة العاملة، وهى الطبقة التى تزداد دائما فى أعدادها، وتتهذب، وتتحد، وتنتظم بفعل ميكانيزم (آلية) عملية إنتاج رأس المال. فاحتكار رأس المال يصبح قيدا على طريقة الإنتاج، الذى نشأ منه وازدهر معه وتحت ظله. ومركزة وسائل الإنتاج والتكييف الاشتراكى للعمل يصلان أخيرا إلى نقطة يصبحان فيها متعارضين مع غلافهما الرأسمالى. فينفجر هذا الغلاف ويتهشم. ويدق جرس الموت.. للملكية الرأسمالية الخاصة. ونازعو الملكية تنزع منهم ملكيتهم» (١)

و(المادة الرابعة) ... من دستور الماركسية هى أنه يجب أن يكون هناك صراع طبقى متصل لا يهدأ بين طبقة الرأسماليين أصحاب رؤوس الأموال وبين طبقة الدهماء (proletariat) ولكى يحصل العمال على حقوقهم العادلة يجب إلغاء الرأسمالية. ولما كان ملاك وسائل الإنتاج لا يمكن أن يسلموا فى ممتلكاتهم بإختيارهم، وجب أن تؤخذ منهم بالقوة. أن الرأسمالية هى العدو اللدود. ويسوق كارل ماركس فى سبيل تأييد نظريته حجتين : الحجة الأولى : وتختص بالريع أو الثمن الفائض (العائد Surplus value) يذهب ماركس فى هذا مذهبا اشتد حوله الخلاف، فيقول أن العمل (labour) هو الذى يخلق ويوجد الثمن كله، على أن بعض الثمن يعود ثانية إلى العمل

---

(١) رأس المال Capital صفحة ٧٨٨ طبعة (Swan Sonnenschein & Co.).

أو العمال فى شكل أجور. ولكن الباقى من الثمن يحصل عليه صاحب رأس المال لإستخدامه الخاص. هذه النظرية لا يقبلها معظم الاقتصاديين فى الوقت الحاضر، فهؤلاء يعلمون بأن الثمن يوجده تنظيم الأرض والمواد الخام وإدارتها وإستغلال وفوراتها كما يوجده العمل، فالقائمون على هذه كلها، لهم حق الاشتراك فى الفوائد. وحجة ماركس الثانية: ولعلها أقوى من الأولى، هى بيانه للظلم والبؤس الناجمين غالبا من استخدام القوة التى تنتج عن امتلاك وسائل الإنتاج، إستخداما بغير ضمير. ويقدم ماركس حشدا من تحقيقات رسمية عن مساوئ النظام الرأسمالى، كما شوهد فى المناجم والمصانع فى النصف الأول من القرن التاسع عشر. وعلى الرغم من أن أسوأ شرور الرأسمالية قد قضى عليه فى معظم بلاد العالم، إلا أن دعاة الشيوعية يواصلون إثارة الكراهية والسخط ضد رأس المال الخاص. ويدعون إلى أنه لا يمكن أن يقوم مجتمع العدل ما لم تلغ الملكية الخاصة. وتصبح وسائل الإنتاج والتبادل فى حيازة الشعب، وتستخدم لصالحهم.

و(المادة الخامسة) ... من دستور الشيوعية الماركسية: كل شئ يجب أن يعتبر ثانويا بإزاء التصميم على إبادة الرأسمالية، وخلق الدول الشيوعية...

هذه المادة تتبع المادة السابقة وتنشأ عنها. يجب أن لا يقف شئ فى طريق إبادة الرأسمالية وخلق الدول الشيوعية. فلابد من نبذ الأخلاقيات التقليدية لأنها نظام أخلاقى وضع لحماية الرأسماليين والبورجوازيين (أصحاب الطبقة المتوسطة من الناس bourgeois) فالحق truth والأمانة honesty والشفقة pity يجب اطراحها إذا كانت تعوق تقدم الثورية. وحيث أنه ليس هناك إله فليس هناك أيضا أخلاقيات مطلقة absolute morality وإنما الخير هو ما ينجح القضية الشيوعية، والشر هو ما يعوق تقدمها.

و(المادة السادسة) ... من دستور الشيوعية الماركسية: أنه قبل أن تنتقل الاشتراكية إلى الشيوعية الكاملة لابد من أن تكون هناك مرحلة متوسطة..

ذلك أن الدهماء الذين تحرروا حديثا وبدأوا يتمتعون بحقوقهم المدنية، لا يمكنهم مرة واحدة أن يواجهوا بنجاح التغيرات الكبيرة التى لابد منها. لذلك ينبغى حماية مصالحهم بديكتاتورية موقوته، هى ديكتاتورية البورجوازيين، فى أنها ديكتاتورية لخير الشعب. إنها ديكتاتورية تحمى النظام الجديد، تحميه من الخونة ومن الرجعيين فى داخل الأمة من أعداء الثورة. ومن الأعداء الخارجيين الذين يهددون بتدمير الدولة الجديدة بالتدخل المسلح. فلابد إذن أن تكون ديكتاتورية قوية وبلا رحمة فى الدفاع عن سلامة الشعب. هذه الديكتاتورية لا يختارها الشعب ولو أنه تتاح لها فرص مختلفة لتنال تأييد الشعب ومساندته. ولا تزول هذه الديكتاتورية قبل أن يزول نهائيا

كل خطر مضاد للثورة. على أنه لم يظهر حتى الآن فى الدول الشيوعية أى علامة على قرب إنتهاء الحكم الديكتاتورى منها. على العكس من ذلك يبدو أن هذه الديكتاتوريات قد صارت أقوى وأثبت مما كان. وأقل تسامحا فى سحق أى تهديد بمعارضة من بيدهم مقاليد الأمور، أو أى نقد يوجه ضدهم.

وقد أضاف لينين Lenin إلى مواد الشيوعية الماركسية السابقة مادة أخرى وهى أن الامبيريالية (أو الاستعمار) Imperialis شر يجب أن يتحطم مع الرأسمالية.

لأنه عندما وصل الرأسماليون إلى قمة نشاطهم فى أوربا وأمريكا وامتلكوا كل إمكانيات الاحتكار والتحالف للإنتاج والتوزيع، تطلعوا فى كل مكان إلى حقول أخرى يحصلون منها فوائد كبيرة، وقد وجدوا هذا ميسورا فى البلاد المتخلفة فى أفريقيا وآسيا، حيث لم يتمكنوا فقط من بيع منتجاتهم بل تمكنوا أيضا من الحصول على المواد الخام ومن العمال بأرخص الأجور، لذلك كان لابد لإمتداد الرأسمالية وتوسعها من أن تضمن (توفر) لها أسواقا ليس فيها تقدم إقتصادى، ولعلّ أعظم شرور الثورة الصناعية تجددت فى البلاد التى ليست بها اتحادات تجارية Trade Unions لحماية العمال من الإستغلال، وحيث يمكن للمؤجر أن يضع على العامل ما شاء من شروط. وهنا بدأ الزحف Scramble على المستعمرات وهذا قاد بالقوى الرأسمالية Capitalist Powers إلى المنافسة rivalry التى لابد أن تؤدى أخيرا إلى الحرب. وفى نظر الماركسيين على وجه الدقة. تعزى الحربان العالميتان الأخيرتان إلى منافسات الامبيرياليين (الاستعماريين) واعتداءاتهم أو مبادآتهم العدوانية، لهذا السبب يتخذ الشيوعيون موقف العداء والمقاومة للاستعمار، ويحاولون أن يجعلوا الدهماء فى البلاد المتخلفة على وعى طبقى، ويهيجونهم للتذمر والتضجر ويثيرونهم للثورة باعتبارهم ضحايا الاستغلال exploitation.

والماركسية مبدأ متفائل optimistic creed والإنجيل الذى نبشر به هو أن زمنا طيبا لابد آت. والشيوعيون يعتقدون فى هذا إعتقادا حارا شبيها بإعتقاد المسيحيين الأوائل فى مجئ الرب يسوع.

الفلسفة الوجـوديـة

الفلسفة الوجـــودية

يجدر بنا بادئ ذى بدء أن نتحدث عن لفظ «الوجودية» ومعناه قبل أن نسلكها فى عداد المذاهب الفلسفية.

يشتق لفظ الوجودية Existentialism من الوجود existence، ومنه أيضا صفة «الوجودى». وكما أنه فى مذهب الاشتراكية Socialism (e) تكون الأولوية لمصالح المجتمع على مصالح الأفراد، وعلى العكس فى مذهب الفردانية (individualism) تتركز اهتمامات السلطات العامة فى الأفراد، هكذا فى الوجودية تكون الأولوية والأولية للوجود.

ولكن بالنسبة لأى شئ تكون هذه الأولوية؟ نقول إنها بالنسبة إلى الماهية essence.

الماهية والوجود

يميزون عادة فى الواقع من بين الأشياء التى نعرفها بين مبدئين ميتافيزيقيين هما الماهية، والوجود : فالماهية للشئ هى جوهره أو هى ما هو.. وعلى سبيل المثال، هذا ورق، أنا إنسان وامتلك الماهية الإنسانية...

ولكن يجب أن يلاحظ أننى إذ أقول هذا لا أذكر كل شئ بالنسبة لقطعة الورق التى أتكلم عنها، ولا كلّ ما أنا هو، وإنما أعنى فقط كل تلك الخصائص التى يملكها شئ ما بالإشتراك مع الأشياء الأخرى التى من نفس النوع: هذه الخصائص تؤلف الماهية الكلية (universal essence) فإذا أضفنا إلى الماهية الكلّية الخصائص التى يتميز بها كل فرد على حدة صارت الماهية الكلية هى الماهية الفردية (individual essence).

فإذا تكلمنا عن الماهية فقط، فالمقصود بذلك هو الماهية الكليّة، وهذا ما تعنيه التعريفات أو التحديدات. فمثلا الماهية الإنسانية تدخل فيها الخصائص الإنسانية الأساسية، وهى تلك الخصائص التى من دونها لا يكون الإنسان بعد إنسانا، وإنما يصير شيئا آخر- روحا صرفا أو ملاكا إذا لم يكن له جسم، أو حيوانا إذا لم يكن له عقل مفكّر.

والماهية لا تقتضى حتما أن تكون هناك أمثلة فعلية تتحقق فيها. فليس هناك فى كل العالم شكل ذو عشرة آلاف وجه، ومع ذلك فهذا الشكل معروف عند المهندسين والرياضيين، وله عندهم خصائص محددة. وكذلك الكيميائيون والصيادلة يمكنهم أن يتصوروا مواد ليس لها نظائر فى العالم، ومع ذلك يعرفون تماماً تركيبها وخصائصها وفوائدها، وكل ما هنالك أنهم لم يكتشفوا العملية التى تمكنهم من التوصل إلى تركيب عناصرها المكّونة لها.

فالماهية، من دون كيان، ليست بحال ما، هى العدم البحت. فالشكل ذو العشرة الآلاف وجه هو أكثر حقيقة من الدائرة المربّعة، والمادة التى يمكن أن تتكون هى أكثر حقيقة من الصيغة التى تصنع المواد إلى جانب بعضها، بينما يكون معروفا من قبل أن تركيبها مستحيل وغير ممكن. فمن طبيعة الماهية أن تكون فى نطاق الإمكانية.

وهذه الإمكانية تصبح حقيقة واقعة بفضل الوجود. فالوجود - فى الواقع - هو ما يحقق الماهية أو يجعلها حقيقة واقعة. واستخدامنا اللغوى للألفاظ يكشف فى وضوح عن هذا التمييز بين مبدئين ميتافيزيقين للأشياء: فعندما أقول «أنا هو إنسان» فإن قولى «أنا هو» يؤكد الوجود، وقولى «إنسان» يعيّن الماهيّة. أمّا فى الله فلا يمكن تمييز الوجود عن الماهية، لهذا يعّرف الله ذاته فى سفر الخروج ٣: ١٤ بأنه «الكائن»: «أنا هو الكائن» ففى ماهية الله أن يكون موجودا. والله موجود بالماهية والضرورة، ومن التناقض البيّن بذاته أن نفترض أن الله يمكن أن لا يوجد.

أسباب لهذا التمييز

لقد اتجه العقل البشرى إلى توكيد ثنائية المبادئ لإعتبارات خاصة ذات طابع علمى أو يتصل بالمعرفة والمنطق (Epistemology) واعتبارات ذات طابع أخلاقى...

فنحن نلاحظ من حولنا أعدادا كبيرة من أفراد تنتمى إلى نفس النوع (Species) - نبات البنفسج ورجل الغراب، فيران وقطط، وكائنات بشرية... وهدف العلم هو معرفة لا الأفراد بل الأنواع - أى معرفة لا هذا الفأر بالذات بل الفأر بصفة عامة، لا بطرس أو بولس بل الإنسان. ثم أن العلم يميل إلى التعميم. وهو لا يهتم كثيرا بنوع Species معيّن بل بالأحرى بالجنس genus الذى يشمل عدة أنواع.. فهو يهتم بالقوارض أكثر مما يهتم بالفيران، وبالفقاريّات (ذوات الفقرات) أكثر مما يهتم بالقوارض، وبالحياة أكثر مما يهتم بالفقاريّات. لكن ليس هناك فى عالمنا الذى نعرفه فى تجربتنا إلاّ نباتات بنفسج ورجل الغراب، وهى تعرف بخصائصها التى تميزها عن أفراد أخرى من نفس نوعها. وعبثا نبحث عن نبات البنفسج أو رجل الغراب فى بساطة التعريف الذى يصفه علماء النبات. ينتج من هذا أنه ليس للعلم التجريبى هدف واقعى، لأنه يتجه إلى معرفة الأنواع بينما أنه لا يوجد فى الواقع المنظور غير أفراد. فإذا كان العلم التجريبى يعتبر معرفة للواقع، فيجب أن نقر أن وراء الخصائص الفردية التى تبدو لعيوننا هناك النمط العام للأنواع. أى ماهيتها الجنسية (generic ossence). وهكذا يمكننا أن نتصوّر ماهية واحدة كفيلة بأن تضاعف نفسها إلى عدد غير محدود من أفراد يخرجون إلى الوجود.

وليست مسألة قيمة العلم هى المشكلة التى تستحق أن نهتم بها كثيرا، إذ من الممكن أن نحيا من دون أن نشغل أنفسنا بتفسير العالم. ولكن لا يمكن أن تقرر فى عبارات مماثلة.

فكل المفكرين يقررون هذا التعريف، أن يحيا المرء أخلاقيا معناه أن يحيا كما يليق به كإنسان. ولكن ما هو هذا الإنسان الذى يجب أن أحيا على مثاله؟ ليس هو بطرس أو اندراوس أو يوحنا، وليس هو نيرون أو كاليجولا. وليس هو الفرد الخيالى الذى تنصهر فيه كل خبراتنا عن الإنسانية، والذى قد يكون هو الإنسان العادى. وإذا كان ذلك كذلك فهو نموذج سئ. إن الأخلاق أو الفضيلة غير ممكنه إلاّ بشرط أن نسلّم بأن هناك وراء الأفراد البشريين الذى لابّد أن تحتّكّ بهم، نمطا أو نموذجا للإنسانية، هو الماهية الإنسانية.

المشكلة، أين هى؟

والآن يمكننا أن نقرر المشكلة التى تضعها الوجودية فى سياق الفلسفة القديمة:

عندما يكون الإنسان هو موضوع البحث، أىّ المبدئين يجب أن نعطيه الأسبقية، الماهية أو الوجود؟

أما الفلسفة القديمة حتى القرن التاسع عشر فلم تشك مطلقا فى أسبقيّة «الماهية» ولكى نميّزها عن الوجودية يمكن أن نصفها من هذه الناحية بأنها «فلسفة الماهية»... وعلى العكس من ذلك الفلسفة الوجودية فإنها تعطى المكان الأول «للوجود»

يفضّل الوجوديون فى عرض نظرياتهم الأسلوب غير المباشر فى التعبير عن مذهبهم - فهم يقدمون آراءهم فى روايات خيالية فى شكل حكاية novel أو مأساة drama، وذلك فى صحفهم الخاصة وفى كتاباتهم الأخرى التى يمكن أن نجد فيها أصداء للحياة الشخصية.

فقد كانت هذه هى عادة الكاتب الذى يعتبر المنشئ الأول للمذهب الوجودى، والذى يذهب إلى أن الفكر الوجودى لا يمكن نقله إلى الناس، وهو: د. س. كيركجارد Dane Seren Kierkegaard. ولا شك أنه يقدّس المنهج الذى كان يعد فى الأصل صعوبة طبيعية، فكيركجارد لا يهتم بأن يجعل أفكاره محددة، أو بأن يوفق بين الأفكار التى ومضت لعقله فى شئ من الغموض، فهو يقول «إن الرغبة فى تجنب التعريفات فيما يتصل بالمفاهيم الوجودية دليل الحصافة» (١)

ويقول شيستوف Chestov فى كتابة الآنف الذكر «أن كيركجارد يتولاه الفزع والغضب عندما يتصور أن «الأساتذة» سيشرحون فلسفته بعد موته كأنها مذهب مترابط من الأفكار، ينقسم إلى أقسام وفصول وفقرات» (٢). وعلى ذلك يجب أن نقرأ ما بين السطور ونتكهن بما لم يشرحه هو. فهو يقول لنا «أن صفحاته مكتوبة بحبر غير منظور» (٣) ولذلك فإنه يمكننا أن نتصور أن أعماله ستظل ضربا من ضروب التخمين.

وحقا أن المذهب الوجودى فى أيامنا هذه ينتشر فى صورة مباشرة أكثر مما كان فى الماضى. وفى بعض التواليف يعبّر عنه فى أمثلة من الحياة اليوميّة وبشخصيات تظهر على المسرح. ومما يستحق الذكر والتنويه من هذه الجهة كتاب «دم الآخرين» Le sang des autres تأليف سيمون دى بوفوار Simone de Beauvoir، وسنشير إليه من وقت إلى آخر، ومع ذلك فهناك عرض منهجى نجده فى مؤلفات أخرى من أمثال تواليف مارتن هيديجر Martin Heidegger وقد طبع بعضها ونشر فى ترجمة فرنسية بعنوان المحاضرة التى افتتح بها الكتاب «ماهى الميتافيزيقا» Qu'est-ce que la métaphysique وأخيرا وأهم كل تلك التواليف كتاب «الوجود والعدم» l'être et le néant تأليف جان بول سارتر Jean paul Sartre.

---

(1) L. Chestov, Kierkegaard et la philosophie existentielle, pp. 36-37. Paris 1936.

(٢) الكتاب السالف الذكر ص ٣٧

(٣) الجريدة.

لكن هذه الكتب تفوق فى صعوبتها صعوبة كتب المدرسيين وفلسفتهم البائدة ممن كانت تنتهى تصوراتهم إلى نقط شائكة وكأنها رؤوس الابر. فسريعا ما يخيب أمل القراء. لأنه من المؤكد عمليا أن الذين يتصفون بالصبر حتى يقرأوا كل سطر من كتاب «الوجود والعدم» يعدون على أصابع اليد الواحدة، وأقل منهم عددا الذين يزعمون بأمانة تامة أنهم قد فهموه.

لهذا ليست هناك شروح مباشرة أو نظرية، أو حتى غير مباشرة فى صورة تواليف خيالية، يمكن أن نستخلص منها فكرة الوجودية أو بالأحرى أنواع الوجوديات المختلفة.

إذ فى الواقع توجد أنواع مختلفة من الوجودية بقدر ما أن هناك فلاسفة وجوديين. وسنحاول على كل حال أن نستخلص بعض القضايا العامة المشتركة عند جميع الوجوديين. وسنمضى فى عرض نوعين من الوجودية يختلفان فى حل مشكلة هامة، مشكلة وجود الله.

الوجودية على وجه الإجمال

الفكرة العامة

الوجودية كما يدل عليها اسمها تتميز أولا وقبل كل شئ: بأنها تميل إلى إبراز أهمية الوجود. فالوجودى لا يهتم بالماهيات أو الاحتمالات أو التصوّرات المجرّدة. إنه على طرف نقيض من العقلية الرياضية. أن اهتمامه يتجه إلى ما هو موجود أو بالحرى إلى وجود ما هو موجود.

ولا ينبغى فى الواقع أن نخلط بين الوجودية وبين أيّة فلسفة أخرى تتخذ نقطة البدء فيها من الفرد individual أو من المادىّ Concrete، والوجودية لا تقنع كما هو الحال مثلا عند برجسون Bergson بالعودة إلى الأشياء فى ذاتها بنوع من الإلهام intuition المباشر. إن الوجودية هى كذلك من غير شك. لكنها أيضا أكثر من ذلك...

فلسفة المادىّ Concrete

تقوم الوجودية أولا وقبل كل شئ، على العودة إلى الواقع الحقيقى. يقول جابرييل مارسيل Gabriel Marcel فى كتابه (Du refus à l'invocation) «من جهتى أميل إلى أن أنكر الصفة الفلسفية الصرفة فى جميع الكتب التى لا أجد فيها أثرا لما يمكن إلاّ أن أسميه بشوكة الواقع»...

وكقاعدة عامة، وتبعا لاتجاهاتنا العقلية التى تمرسنا وتدربنا عليها، نلاحظ فى الأفراد تلك الأشياء التى تجمع بينهم، والتى بها يطابقون نمطهم، فيفلت منا ما هو خاص بذواتهم. فنحن نقترب إليهم بمقولات معروفة سابقا. ومعرفتنا هذه تمنعنا من ملاحظة ما نراه، وبالمثل، فبدلا من ملاحظة حياتنا الداخلية فى أصالتها كما تنبثق هى فينا، فإننا، من أجل أن نحصل على معرفة أوضح، ندخلها بالقوة فى مقولات علم النفس التقليدية، ونحصل بذلك على الوضوح ولكن على حساب الحقيقة.

أما الوجودى فيتخذ الإتجاه المضاد. إنه يشرع فى أن يخرج بكل أمانة فيض حياته الداخلية قبل أن يتدخل العقل فيقحم عليها منطقا لا تملكه من ذاتها. وكما يقول كيركجارد Kierke-gaard إنه يبتغى «أن يدع الأفكار تنبثق مع الحبل السرى منذ حرارتها الأولى، فبدلا من الفكر المجرّد الذى يجعل مهمته الادراك المجرد للمادىّ، على العكس من ذلك، يتخذ المفكر الباطنى أو الوجودى مهمته فى فهم المجرد فهما ماديا» (١) لهذا السبب فإن الفكر الوجودى يعبّر عن نفسه فى روايات ومسرحيات أفضل مما يعبر عنها فى تواليف عقيدية. وفى الواقع «إذا كان وصف الماهية يختص بالفلسفة بالمعنى الدقيق فإن الروايات هى وحدها التى تسمح لنا أن نحصر فى واقعيتها الكاملة الفريدة والمؤقتة. النظرة الأصلية للوجود» (٢)

(1) Kierkegaard, Postscript to pilosophical Fragments.

(2) Simone de Beauvoir , Littérature et métaphysique , published in temps modernes, April lst 1946, P.ll60-1161.

الفيلسوف المسيحى أثيناغوراس

١ ـ مقدمة

٢ ـ الدفاع

أثيناغوراس

كلمة مجملة عن تاريخ حياته

١ ـ هل يعرف التاريخ أثيناغوراس؟

كان أثيناغوراس شخصية فلسفية كبيرة، وعلى الرغم من ذلك فقد أغمطه المؤرخون حقه، ولم يتحدثوا عنه بما هو جدير به من عناية واهتمام، بل إن أكثرهم لم يشر إليه على الإطلاق، فلم يرد ذكر أثيناغوراس فى مؤلفات أوسابيوس، ولا مؤلفات القديس جيروم أو فوتيوس أو سيداس Suidas، وحتى كتاب الدفاع الذى ألفه يحامى فيه عن المسيحيين قد ذاع وانتشر خلوا من اسم أثيناغوراس، ونسب خطأ إلى القديس يوستينوس من قبل القرن الرابع (راجع دوشسن: النشرة النقدية سنة ١٨٨٢ جزء ٣ ص ١٨٧) (١).

ولكن مع ذلك فقد شاء الله أن يخلد اسم أثيناغوراس، وأن نثق من حقيقة نسبة كتاب الدفاع إليه. وذلك أنه:

أولاً: قد عثر على قائمة بأسماء كتّاب الكنيسة القدامى، وفى هذه القائمة ورد اسم أثيناغوراس الأثينى.

ثانياً: أن مثوديوس Mthodius أسقف صور Jyre (وقيل أولمبيا فى ليسيا Olympie en Lycie) وقد توفى عام ٣١١م ألف فى القرن الثالث كتاباً ضد العلامة أوريجانوس «عن القيامة» περὶ ἀναστάσεως (٢) وقد أورد فيه (١ : ٣٧) إقتباساً عن أثيناغوراس جاء بصدد تعليمه عن الشياطين فى كتابه (الدفاع ف ٢٤ ص ٢٧ ب) ثم قال صراحة أن هذا النص هو لأثيناغوراس.

كما أن أبيفانيوس ذكر هذا النص فى مؤلفه(عن الهراطقة ٦٤ : ٢٠ ، ٢١مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٤١ ع ١١٠١(٣) وذكره أيضاً فوتيوس فى كتاب القوانين ـ قانون ٢٢٤ ، ٢٣٤ م ١٠ .ى مجلد ٦٣ ع ١١٠٩(٤)(راجع بونفتش: مثوديوس(أسقف) أوليمبوس «ليبزج ١٨٩١) (٥).

---

(1) Duchesne; Bulletin oritique, 1882, t III, P, 187

(٢) عنوان الكتاب باللاتينية De Resurrcotione Animarum وبالإنجليزية (قيامة الأجساد) On the Resurrection of the Body.

(3) Saint Epiphane, Haer, LXIV, 20, 21, P. G. TXLI, Col. 1101.

(4) Photius, Bibl, cod 23 4;P .G .T. CIII, God, 110

(5) Bonwetsch, Methodius von Olympus, Leipzig, 1891.

فالأسقف مثوديوس إقتباسه من أثيناغوراس دل على أن أثيناغوراس شخصية تاريخية كما دل علي أنه مؤلف كتاب الدفاع المنسوب إليه. ودل على أن هذا الكتاب كان معروفاً فى القرن الثالث على الأقل.

ثالثاً : كذلك فيلبس الصيدوى Philip of side يتكلم هو أيضاً عن أثيناغوراس ومع أن معلوماته لايطمأن إليها دائماً كما يقول المؤرخ سقراط (فى تاريخه الكنسى جزء ٧ ص ٢٧ مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٦٧ ، ع ٨٠٠، ٨٠١ (١) وكما يقول فوتيوس (فى كتاب القوانين - قانون ٣٥ مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٦٣ ع ٦٨) (٢) إلا أنه قدم لنا معلومات عن أثيناغوراس جديرة بالإهتمام.

وفيلبس الصيدوى هذا اشتهر فى بامفيليا، وهو من رجال القرن الخامس للميلاد، وكان شماساً للقديس يوحنا ذهبى الفم وقد نبغ فى النصف الأول من القرن الخامس، وكان أولاً تلميذاً للعلامة رودون Rhodon آخر مديرى المدرسة الإكليريكية الأولى فى حكم الإمبراطور ثيئودوسيوس الكبير، ولا شك أنه استقى من أستاذه بعض الوقائع وجعلها أساسا لأقواله.

أ - ففى قائمة أساتذة الإكليريكية الأولى التى سجلها فيلبس - وقد عثر عليها دودول Dod-well يرد اسم أثيناغوراس الأثينى بإعتباره واحدا منهم.

ب - ثم أن هناك آخر لفيلبس (٣) ورد فيه اسم أثيناغوراس وقد ذكره نيكيفورس كالستوس Nicephorus Callistus يقول فيه: «كان أثيناغوراس أول رئيس لمدرسة الأسكندرية نبغ فى زمان أدريانوس وأنطونيوس اللذين كتب لهما «دفاعه عن المسيحيين، وقد اعتنق المسيحية، ولكنه ظل يرتدى زى الفلاسفة، ويدير المدرسة الأكاديمية، وكان يجد - قبل كلسوس - فى الكتابة ضد المسيحيين. ثم درس الكتب المقدسة ليتمكن من تفنيدها بدقة، ولكن الروح القدس جذبه إلى الإيمان. فكان فى هذا شبيهاً بالقديس العظيم بولس، وقد غدا معلماً للإيمان الذى كان قبلا يناهضه، ثم أردف نيكيفورس بعد ذلك قول فيلبس « أن اكليمنضس مؤلف الاستروماتا (المتفرقات) Stromata كان تلميذه (أى اكليمنضس تلميذ أثيناغوراس) وبنتينوس كان تلميذ إكليمنضس».

هذه هى رواية فيلبس الصيدوى وقد رأى فيها بعض المؤرخين من أمثال سقراط وفوتيوس وجوها للخطأ حدت بهم إلى نقد فيلبس نقداً لاذعاً وإلى اعتبار كتابه تافها لا قيمة له.

---

(1) Socrate H. E, VII, 27, p.g.t. lxv III, col 800, 801.

(2) Photuic, bill, cod. 35, p.g.t. C III col 68.

(3) Bonwetsch, Metnodius von Olympus, Leiozig, 1891.

وهذه الوجوه هى زعمه بأن أثيناغوراس كان مديراً للإكليريكية، وأنه كتب دفاعه فى زمان أدريانوس وأنطونيوس وأن بنتينوس كان تلميذ اكليمنضس وهى مزاعم لا تؤيدها شهادات المؤرخين وسنتناول كلا منها فى حينه.

ومهما يكن من أمر فقد اشتملت رواية فيلبس على حقائق لا ينكرها أحد من المؤرخين وهى أن أثيناغوراس كان معروفاً قبل اكليمنضس وأنه كان أستاذاً بالإكليريكية الأولى، وأنه كان وثنياً ثم صار مسيحياً وكتب «دفاعه» يحتج به عن المسيحيين.

رابعاً : أن أريتاس Arethas أسقف قيصارية، وهو من رجال القرن العاشر للميلاد يشهد كذلك عن شخصية أثيناغوراس بل وقام أيضاً بنقل ونسخ كتبه.

خامساً: يدل عنوان كتاب «الدفاع» على أنه لأثيناغوراس الأثينى (١).

(٢) من هو أثيناغوراس؟

ذهب البعض من أمثال بارونيوس Baronius وتيليمون Tillemont دون الإستناد إلى أدلة كافية إلى أن أثيناغوراس هو الشهيد أثينوجينوس Athenogenes وذهب غيرهم من أمثال تسان Zahn (٢) وهارناك Harnack (٣) إلى أن أثيناغوراس هذا هو بعينه أثيناغوراس الذى أهدى إليه بويتوس - بعد وفاة مرقص أوريليوس - كتابه المسمى: « فى أقوال أفلاطون المزعومة». *περὶ τῶν παρὰ Πλάτωνι ἀπορουμένων*

ولكن هذه المزاعم نشأت عن الإلتباس بين هذه الأسماء المتقاربة، وأما فيلسوفنا فهو رجل أثينى أو ينتسب إلى أصل أثينى، وليس من ينكر صحة إنتسابه إلى أثينا التى ربما ولد فيها، ثم أقام بمدينة الأسكندرية وكان يشغل وظيفة خطيرة بمتحفها، وكان من أساطين الديانة الوثنية ومن أنصار الفلسفة الأفلاطونية المحدثة، حيث كان يدير بالأسكندرية مدرسة فلسفية وثنية تنهج نهج الأفلاطونية المحدثة.

وكان كغيره من الأفلاطونيين يكره الديانة المسيحية ويعمل على مقاومتها، حتى أنه توفر على دراسة الكتاب المقدس لعله يجد فيه منفذا للطعن والنقد، ولكنه لم يكد ينتهى من قراءته حتى ترك فيه أثراً عميقاً جعله يؤثر الدين المسيحى، وقد تحول إليه فعلاً نحو عام ١٧٦م وصار من أنصار المسيحية ومن أكبر المدافعين عنها، إذ عطف على المسيحيين على غرار ما فعل أكثر

---

(١) انظر «مؤلفات أثيناغوراس» : كتاب المحاماه أو الدفاع .

(2) Zahn, Forsch. Zur Gesch. des Kanons, 1884, t. III, P. 60

(3) Harnack, Gesch. Der Altchristle, Lit, 1893, t. I. P. 258.

معاصرية عن السوفوسطائيين فى أثينا، كما يقول فيلبس الصيدوى، ولذلك لقب «بأثيناغوراس المدافع المحامى» Athenagoras the Apologist.

فلما وثق به المسيحيون قبلوه وعمدوه وعهدوا إليه بمهمة التعليم بالمدرسة الإكليريكية الأسكندرية وظل مع ذلك يرتدى زى الفلاسفة Le Pallium des Philoscphes كما كان قبل إعتناقه دين المسيحية، وبينما يميل بعض الكتاب من أمثال جيريك Guerike إلى إعتبار أثيناغوراس أول أستاذ للإكليريكية، ويشك غيرهم فى صحة هذه القضية وبالتالى فى دعوى فيلبس الصيدوى بأن أثيناغوراس كان مديراً للإكليريكية، ويقولون أن أثيناغوراس كان أستاذاً لبنتينوس واكليمنضس ولكنه ليس أول أستاذ للإكليريكية.

وربما نسبت الأولية إلى أثيناغوراس على أنها أولية من حيث الكفاءة والمقدرة وعلو المنزلة العلمية والإجتماعية، وربما أحدث إنضمامه للإكليريكية تطوراً عظيما طفر به على جميع الأساتذة السابقين، ثم كان بنتينوس وخلفه العظيم اكليمنضس. أما زمان ومكان وملابسات موت أثيناغوراس فلا نعرف عنها شيئاً على الإطلاق.

٣ ـ مؤلفات أثيناغوراس

عرف أثيناغوراس فى الأدب المسيحى القديم بأنه مؤلف الرسالة إلى ديوجينس وأنه مؤلف هرمياس، ونسب إليه البعض أنه المؤلف لقصة «الحب الحقيقى الكامل» Vrai et Parfait amour. أو «عواطف الحب الشريفة بين ثيوجينوس وشاريد وفيريسيد Pherecyde وميلانجينيه Melangenie وهى قصة أو رواية قيل أنها ترجمت عن اليونانية مع أنها فى الحقيقة قد ألفت فى القرن السادس عشر (١٥٥٠ ـ ١٦١٢) وطبعت فى باريس سنة ١٥٩٩م بمعرفة مارتين فوميه دوجنيه .Martin Fumee de genille (Signerr, dess. Geuillac) فهى منحولة على أثيناغوراس.

ولابد أن تكون لفيلسوفنا كتب كثيرة لم نهتد إليها، ولكن لم يتبق لنا من كتبه مما نثق فى صحة نسبته إليه غير مؤلفين فقط، وهما «كتاب الدفاع أو الإحتجاج أو المحاماة» ثم رسالة فى «قيامة الموتى».

أولاً: الدفاع أو المحاماة: Πρεσβεία περὶ Χριστιανῶν

للقديس الشهيد يوستينوس كتاب يحتج به لدى الإمبراطورين مرقس أوريليوس أنطونيوس، ولوسيوس أوريليوس كومودوس، وقد حاول البعض أن يخطىء جيروم فى روايته عن احتجاج يوستينوس، ولكننا يجب ألا ننسى أنه قد كتبت فى نحو القرن الثانى والثالث ثلاثة احتجاجات: احتجاج أثيناغوراس، واحتجاج يوستينوس واحتجاج ثاتيانوس. وكل منها احتجاج قائم بذاته.

١ ـ صحة نسبته إلى أثيناغوراس:

تدل فاتحة كتاب الدفاع على أنه لأثيناغوراس (١)، وليس ما يدعو إلى الشك فى صحة هذه النسبة، إذ أن أثيناغوراس لم يكن معروفاً لدرجة أن ينسب إليه خطأ تأليف هذا الكتاب، فضلا عن أنه ليس فى الكتاب ما يدل على أن ثمة شيئاً قد حدث فى غير الوقت الذى حدده المؤلف.

وقد رأينا أن مثوديوس أسقف صور وفيلبس الصيدوى ثم أريتاس شهدوا جميعاً بأن أثيناغوراس هو مؤلف كتاب الدفاع المنسوب إليه.

٢ ـ تاريخ الدفاع:

أ ـ وجه كتاب الدفاع ـ تبعاً لنسخة أريتاس الخطية ـ إلى « الإمبراطورين مرقس أوريليوس أنطونيوس، ولوسيوس أوريليوس كومودوس، (امبراطورى) أرمينيا وسارماطيا، والفيلسوفين قبل كل شىء آخر» (٢) أى أن تاريخ الدفاع يرتد إلى زمان هذين الإمبراطورين.

أما الإمبراطور الأول فليس ثمة إشكال من جهته، فهو الإمبراطور الفيلسوف مرقس أوريليوس ولكن من هو كومودوس؟ هل هو صهر مرقس أوريليوس أو إبنه؟

لقد ظن البعض أن كومودوس الوارد اسمه هنا فى فاتحة الدفاع هو لوكيوس أوريليوس فيروس أخو أنطونيوس وزوج ابنته، وعلى ذلك يكون تاريخ الدفاع لا يمتد إلى أبعد من سنة ١٦٩م. ولكن لوكيوس فيروس لم يسم كومودوس منذ أن اشترك فى الإمبراطورية، كما أنه لم يحمل لقب إمبراطور سارماطيا لأنه توفى سنة ١٦٩م أى قبل إفتتاح سارماطيا إذ نشبت الحرب ضد سارماطيا سنة ١٧٦م. وكل ما يقال أنه ربما كان يحمل لقب إمبراطور أرمنيا منذ عام ١٦٣م. ولكن هذا الافتراض لا يوافق عليه المحققون، وعليه يرى مومسن Mommsen أن هناك خطأ فى النسخ وأن كلمة أرمنيا ἀρμενικοῖς يجب أن تستبدل بها كلمة جرمانيا أو ألمانيا γερμανικοῖς وإذا كان الأمر كذلك ففى هذه الحالة يكون كومودوس هو ابن مرقس أوريليوس. وهذا يوافق إشارات أثيناغوراس فى دفاعه ف ٣٧ حيث يتكلم عن إنتقال الملك بالوراثة من الأب الإمبراطور إلى إبنه، وحدث بالفعل أن الابن خلف أباه فى الحكم إلى ١٩٢م، وقد لقبه أثيناغوراس بالفيلسوف مشركاً إياه مع أبيه فى هذا اللقب تجاوزا.

---

(١) قدم الكاتب بهذه العبارة: «إلتماس (شفاعة) من الفيلسوف المسيحى أثيناغوراس الأثينى، لأجل المسيحيين»

(2) The embassy (πρεσβεία) of Athenagoras of athens, a ehristian philosopher, concerning ehristians, to the emperors marcus aurelius antonius, and Lucus aurelius commodus, armeniaoi Sarmatici, and greatest of all, philosophers.

وإذا كان مرقس أوريليوس قد توفى سنة ١٨٠م، وذكر جرمانيا وسارماطيا لم يظهر إلا فى سنة ١٧٨م، فإن كتاب الدفاع لابد أن يكون نحو سنة ١٧٧م.

ب ـ أما صلب الكتاب فقد جاء فيه بعض إشارات عابرة يمكن أن نستخلص منها على وجه التقريب الزمان الذى يرتد إليه هذا الكتاب.

فثمة إشارات فى الكتاب إلى سلام عميق يسود المملكة، وحيث أنه قد أخمدت ثورة أفيدوس كراسوس سنة ١٧٦م، ثم قامت ثورة ماركونى سنة ١٧٨م، فلابد أن زمان تحرير «الدفاع» بين هذين التاريخين.

أضف إلى هذا أنه فى سنة ١٧٧م ثار إضطهاد على المسيحيين بسبب الشكاوى والإتهامات التى صوبها العبيد إلى المسيحيين، ولكن أثيناغوراس فى كتاب الإحتجاج أو الدفاع لم يشر إلى هذه الشكاوى ولا إلى الإضطهاد المتسبب عنها أى عن شكاوى العبيد مما يدل على أنها لم تحصل قبل تأليف الكتاب.

فالدفاع إذن قد كتب فى تاريخ ينحصر بين سنتى ١٧٦م، ١٧٧م.

٣ ـ كيف قدم الدفاع:

وسم كتاب الدفاع بأنه إلتماس لأجل المسيحيين أو شفاعة عن المسيحيين πρεσβεία περὶ χριστιανῶν وربما يدعونا هذا إلى الإعتقاد بأن أثيناغوراس قد اضطر إلى تقديم دفاعه شفاها، ولكن النص يدل على أنه تأليف مقصود، وعلى أنه كتب بتأمل وإمعان فى صيغة متزنة هادئة ولهجة ثابتة رصينة. إنه لم يغلظ القول بل تحدث إلى الامبراطورين باسم الفلسفة، وكان يدلل على قوله بالبراهين مثبتا فساد الإتهامات التى أثارها الوثنيون على المسيحيين مبينا مواضع الاتفاق بين الفلسفة والإيمان.

فالدفاع تحرير مقصود وقد تخير له شفارتزSchwartz اسم «كتيب» Libellus وأطلق عليه أوتو Otto أنه توسل أو ابتهال Supplicatio .

ويظهر أن أثيناغوراس قدم دفاعه هذا بشخصه إما بطريقة رسمية أو بطريقة شعبية أى أنه اصطحب معه وسطاء. كما تدل على ذلك اللفظة اليونانية πρεσβεία التى تفيد الشفاعة أو السفارة أو الوساطة على مايرى استفانوس.

٤ ـ محتويات الدفاع:

اشتهر الإمبراطور مرقص أوريليوس بالفلسفة والحكمة والفضيلة، ومع ذلك فقد قبل بلا فحص تلك الإتهامات الكاذبة التى وجهها أعداء المسيحية إليها، بل عذب المسيحيين أشنع عذاب عرف فى التاريخ بعد عهد نيرون الطاغية. وإذ كان يحسبهم قوماً عنيدين إختلت

عقولهم، وخلت من الفضيلة قلوبهم، فقد خول للقضاء أن ينكلوا بهم ويحكموا عليهم بقصاصات مريعة، وعقوبات قاسية أليمه وكان يكفى للحكم عليهم أن تقام ضدهم أى شكوى أو إتهام ولو كان من أشر الخلق وأحطهم شأناً. وقد بالغ القضاة فى تلمس أسباب الإتهام حتى يجدوا لهم ذريعة للتعذيب والتنكيل، فقتلوا الكثيرون من المسيحيين فضلاً عن عظماء الأساقفة والكهنة القديسين، كما هدموا الكنائس ولا سيما فى ليون وفينّا، ولذلك امتاز عصر مرقص انطونيوس بكثير من الإحتجاجات التى تقدم بها رجال الكنيسة مدافعين عن المسيحيين، ومن هذه الإحتجاجات الإحتجاج الثانى ليوستينوس الشهيد، وإحتجاج تاتيانوس ثم إحتجاج أثيناغوراس الأثينى، فضلاً عن إحتجاجى ميليتو وابوليناريوس، ثم أن السحرة والعرافين أهاجوا الجماهير وحرضوهم على كراهية المسيحيين، بدعوى أنهم «أعداء الآلهة» وأنه لغضب الآله عليهم عم الوباء مصر وآسيا وأوروبا، ولقد ذهب أحد مشاهير هؤلاء السحرة ويسمى اسكندر البنطى، وكان بمثابة نبى عظيم، إلا أنه لا يستطيع أن يجرى أعماله السحرية قبل أن يخرج المسيحى الذى قد يكون موجوداً، وكان هذا منه إمعاناً فى إظهار مقته للمسيحيين وتدليلاً على غضب الآلهة عليهم.

ويشتمل دفاع أثيناغوراس على فاتحة (إبتداء من فصل ١ - ٣) ثم ثلاثة أقسام غير متساوية، تناول فيها الرد على الإتهامات الثلاثة التي وجهت إلى المسيحيين، فرده على الإتهام الأول استغرق إبتداء من الفصل الرابع حتى الثلاثين (ف ٤ - ٣٠)، ورده على الإتهام الثانى يبتدء من ف ٣١ حتى ف ٣٤، ورده على الإتهام الثالث ورد فى فصلى ٣٥، ٣٦، وأخيراً خاتمة موجزة تناولها الفصل السابع والثلاثون.

أما فى الفاتحة، فأخذ يقارن بين المعاملة السخية التى يعامل الأباطرة بها جميع الناس، وبين المعاملة الجائرة التى يعاملون بها المسيحيين فقال: إن لكل فرد فى أنحاء الإمبراطورية ملء الحرية فى أن يعبد الإله الذى يؤمن به، وعلى الطريقة التى يختارها هو، ولكن المسيحيين وحدهم هم الذين يوشى بهم ويضطهدون، ويحكم عليهم من أجل الإسم الذى أطلق عليهم فقط. وينادى بإستعداد المسيحيين لتحمل كل نوع من العقوبة على شرط أن يحقق فى الشكاوى التى تثار ضدهم، كما يفعل مع غير المسيحيين سواء بسواء. ثم هو يرجو الأباطرة بما أشتهر عنهم من العدل والإنصاف أن يحققوا فى الدعوى ضد المسيحيين، ويفحصوا عقائد إيمانهم ليروا بأنفسهم فساد الإتهامات وبطلانها، ومن ثم يطالب الأباطرة باسم القانون العام وباسم العدالة والفلسفة الحقيقية، أن يعملوا على حماية المسيحيين من هؤلاء الوشاة، الذين أفسدوا شعور الحكام ضد المسيحيين، ولعله يقصد بالوشاة السوفسطائيين من أمثال كريسكنس Crescens وفرونتون Fronton وكلسوس Celsus.

أما فى صلب الموضوع فيتناول أثيناغوراس الإتهامات الثلاثة التى يتهم بها المسيحيون وهى الإلحاد والمعاشرات الأوديبية وولائم ثيستين.

الإتهام الأول الإلحاد Ἀθεότης

اتهم المسيحيون بأنهم زنادقة ملاحدة وهو أول إتهام من نوعه (١)، وأجاب عنه أثيناغوراس بقوله: إن المسيحيين يعبدون إلهاً يختلف فى صفاته عن آلهة الوثنيين، فهو روح سرمدى (أزلى أبدى) بسيط متميز عن المادة، وهو الخالق الواجب الوجود، وهو وحده المسيطر على الكون، فهو إذن واحد وليس غيره إله. ولكن المسيحيين يعرفون فى هذا الإله الواحد أنه الآب والابن والروح القدس «وهم واحد فى الجوهر متمايزون فى الترتيب» ويعتقدون أن الملائكة فى خدمة الله، وقد وزعهم الخالق على أنحاء الوجود وسلمهم مقاليد وظائفهم، فالمسيحيون مؤمنون بالله وليسوا ملحدين، وإنما هم يعفون عن ضحاياكم الدموية لأن إلههم لا يطلب غير ضحية القلب (٢)، والطهر وحسن السلوك (فلم يشر أثيناغوراس أية إشارة إلى ذبيحة الإفخارستيا كما فعل القديس يوستينوس) فإذا كان المسيحيون لا يعبدون الآلهة الوطنية فلأنهم مخلوقون، ولأنهم ليسوا فى الحقيقة آلهة، بل كانوا بشرا رفعوا إلى مرتبة الألوهة كما يقر بذلك شعراء الوثنيين وفلاسفتهم وكهنتهم ومؤرخوهم، ولئن نسب إلى هذه الآلهة خوارق المعجزات، فإنما يرجع كل هذا إلى فعل الشياطين الذين يضلون البشر، كما يعترف بهذا الفلاسفة أنفسهم، ثم يأخذ أثيناغوراس فى مهاجمة الوثنية وأساطيرها وإعتقادها فى تعدد الآلهة، وما تنسبه إليها من ضروب الشر والغدر والفساد التى لا تليق بإله.

الإتهام الثانى - المعاشرات الأوديبية Αἱ Οἰδιπόδειαι μίξεις

وأجاب عليه أثيناغوراس بقوله إن أخلاق المسيحيين العالية تدرأ عنهم مثل هذا الإتهام الظالم، لأن المسيحيين يعتقدون فى الله أنه رقيب على أفكارهم وحركات قلوبهم، وأنهم سيدانون على كل فكر شرير، وهم يصونون ذواتهم حتى عن النظرة الشريرة، فكم بالأولى يعفون عن الأفعال الدنسة؟... كما أن شريعتهم تقيدهم بإعتبار الأقرباء كنفوسهم، فمن ثم يطالبون بأن يصونوا طهارة جسوم أخواتهم فى دين المسيح.

---

(١) راجع النصوص الواردة فى : Paganus obrectator de kortholtus Lubeck, (1703).

(٢) راجع مختصر الرسالة إلى ديوجنيتس ٣ مجموعة الأباء اليونانيين جزء ٢ ع ١١٧٢ مختصر أريناوس، ضد الهراطقة ٤، ١٤، ٣ - مجموعة الآباء اليونانيين جزء ٧ع ١٠١١، مختصر مينوكيوس فيلكس Minucius Felix أوكتافيوس ٣٢، مجموعة الأباء اللاتين جزء ٣ ع ٣٣٩، مختصر ترتليانس، (rad Seap) ٢، مجموعة الآباء اللاتين جزء ١ ع ٧٠٠.

ثم هم يزدرون شهوات الحياة الحاضرة، والبعض منهم يحيون حياة طهر كامل إذ نذروا نفوسهم لله، واختاروا البتولية واتجهوا إلى الله بالكلية، وبعضهم الآخر وإن تزوج لكن بقصد إنجاب البنين فقط (١)، ويبغضون الزوجات الثانية ويعتبرونها نوعاً من الزنى المتستر، أى أنهم يقنعون بالزيجة الواحدة، وبالزوجة الواحدة.

فليس عند المسيحيين إختلاط أوديبى، وهو فى الحقيقة يصدق على الوثنيين وآلهة الوثنيين لا على المسيحيين، وكأنهم فى إتهامهم للمسيحيين أيدوا صدق المثل القائل : «العاهرة تعير العفيفة» *ἡ πόρνη τὴν σώφρονα..*

الإتهام الثالث - ولائم ثيستين *Θυέστεια δεῖπνα*

ومعناه إتهام المسيحيين بأكل اللحوم البشرية L' anthropphagie (Cannibalism) وعليه أجاب أثيناغوراس بقوله ليس فى المسيحيين شىء من ثيستين، كما أثبتنا أنه ليس فيهم شىء من أوديب، لأن الإغتذاء بلحوم البشر يقتضى القتل، ولكن المسيحيين لا يمتنعون عن القتل فقط بل يفزعون من رؤية أشخاص ينفذ فيهم حكم الإعدام، كما لو كانوا مشتركين فى جريمة القتل نفسها، وليس ثمة شخص يستطيع أن يدعى على المسيحيين بأنه رآهم فعلاً يتغذون بلحوم البشر. ثم كيف يفعل المسيحيون ذلك وهم يحرمون إسقاط الجنين وتعريض الأطفال لخطر الموت وقتل الأولاد، وألعاب المصارعة، وهى أمور يرتكبها الوثنيون، فأما المسيحيون فيعتبرونها أنواعاً من القتل وهم يمتنعون عنها ويعتبرونها قسوة ووحشية تأباها شريعتهم وديانتهم.

كذلك إعتقاد المسيحيين فى قيامة الأجساد يتنافى وهذا الإتهام، لأنه كيف يستطيع مسيحى يعتقد فى قيامة الأجساد ويرتضى لنفسه أن يكون ضريحا لجسم لابد أن يقوم ثانية؟ وكيف لا يطالب أمام الله برد الأجسام التى قبرها فيه، وهو يعتقد أن التراب ذاته سيطالب برد الأجساد التى يضمها؟ إن هذا الإتهام يصدق على قوم ينكرون القيامة، ولا يصدق على المسيحيين الذى يؤمنون بحقيقة القيامة والدينونة والحياة الأبدية بعد الموت.

وفى الخاتمة يدعو الأباطرة إلى إنصاف المسيحيين والإنصات إلى شكواهم وإجابة سؤالهم بالكف عن إضطهادهم، ولا سيما أن هؤلاء المسيحيين مخلصون للعرش، إذ يصلون من أجل خير المملكة وثباتها، ودوام إنتقال التاج الإمبراطورى فى النسل الملكى من الوالد إلى الابن...

---

(١) *μέτρον ἐπιθυμίας ἢ παιδοποιία*

«ضبط الشهوات فى حدود انجاب البنين، الإنسال»

(راجع ميتوكسيوس فيلكس، أوكتافيوس «٢٨، مجموعة الأباء اللاتين جزء ٣ ع ٣٣٧ ثم اكليمنضس الأسكندرى، المربى ٢، ١٠ مجموعة الأباء اليونانيين جزء ٨ ع ٥١٢).

٥ ـ تعقيب... مميزات الدفاع:

هذا هو كتاب الدفاع أو المحاماة الذى كتبه أثيناغوراس فى القرن الثانى، وهو من خير الكتب الدفاعية وأقيمها، كما يقول العلامة بوسويه Bossuet فى (تحذيره للهراطقة: ٦) ففى هذا الكتاب يبرز ما اتصف به أثيناغوراس من الوقار والاتزان فى اسلوبه الهادىء الرصين وبحثه الدقيق المخلص وإطلاعه الواسع وعقليته الفلسفية المرتبة.

لسنا نجد فى هذا الكتاب قولاً نابيا ولا لفظا جارحا وإنما نجد فيه الدليل المقنع والحديث المشبع، أفاض فيه مظهرا صدق رأى المسيحيين وبهتان معتقد الوثنيين بأدلة عقلية ومنطق فلسفى سليم، مؤيدا قوله بأسانيد من نصوص الشعراء والفلاسفة، وبهذا أبان عن مواضع الاتفاق بين العقل والنقل، أو بين الدين والفلسفة كما فعل يوستينوس من قبله، واكليمنضس وأوريجانوس من بعده، ومما يجدر بالذكر أنه لم يقف فى كتابه موقف المدافع فحسب، بل كان يتسلل إلى بيان المعتقد المسيحى بنوع من الإسهاب، ثم ينقلب فى هدوء إلى مهاجم للوثنية فبين أن هذه الإتهامات التى وجهها الوثنيون إلى المسيحيين كان أولى منهم أن يوجهوها إلى أنفسهم أولاً، لأنهم هم الذين يرتكبون أفعال القسوة والوحشية ويسلكون بالخلاعة والفساد ويعبدون غير الإله الحقيقى، كما أننا نجد فى هذا الكتاب أول برهان عقلى على وحدانية الله فى الأدب المسيحى.

٦ ـ دفاع أثيناغوراس ودفاع القديس يوستينوس:

ولكن هل كان أثيناغوراس فى دفاعه ناقلاً أو متأثراً بأقوال غيره من المؤلفين؟ لقد زعم فريق من الباحثين إلى أن أثيناغوراس كان متأثراً جد التأثر بدفاع القديس يوستينوس، حتى أن التشابه الكبير بين الدفاعين يبعد أن يكون من قبيل الصدفة المحضة أو الإتفاق البحت، فكل منهما كتب يدافع عن المسيحيين مبينا أنه لامأخذ على المسيحيين فى شىء، وأن المسيحيين لا يضطهدون إلا من أجل جريمة الإسم المسيحى الذى يحملونه وهى فى الحقيقة لا تعد جريمة إذا كان هناك عدل أو إنصاف. وكل منهما حاول أن يدفع عن المسيحيين تهمة الإلحاد، وأبان بطريقة مماثلة للآخر بطلان العبادات الوثنية، والضحايا الدموية، وكل منهما تكلم عن الأخلاق المسيحية، وأشاد بالعفة وأن القصد من الزواج عند المسيحيين إنجاب البنين فقط. ثم أن سبب سقوط الملائكة يكاد يكون واحدا عند كليهما. على أن الإتفاق بين أثيناغوراس ويوستينوس فى دفاعيهما ليس إتفاقاً فى الروح والفكر فحسب، بل فى اللفظ أحياناً، ففى كتابيهما فقرات تكاد أن تكون واحدة، وقد وردت فى بعض المواضع عبارات بنصها. ويبدو هذا الإتفاق على الخصوص عند مراجعة فاتحتى الدفاعين، وهذا هو ماحدا بالكاتب كلاريس Clarisse أن لا يرى فى أثيناغوراس غير مردد ومنظم وملخص لما أورده يوستينوس فى دفاعه (١) فهو عنده فى صورة الناقل أو الحاكى الذى لم يأت من عنده بشىء جديد.

---

(١) ترجم دفاع الشهيد يوستينوس فى مجلة الكرمة مجلد ١٣ ص ١٩٠، ٢٥٦، ٣٠٤، ٣٥٠، ٤١٣، ٥٣٠.

ولكن هذا الزعم وهم باطل وحكم ظالم عاطل ولا نجد مبرراً له، إذ لابد لكاتبين يكتبان فى موضوع واحد ويعالجان مشكلة فى عصر يكاد أن يكون واحدا، ويردان على إتهامات تصوب من أعداء دين واحد، لابد أن يلتقيا فى الفكر فى أكثر من موضع، وعلى ذلك فنحن لا ننكر وجوه الإتفاق التى تحدّث عنها كلاريس، بل نضيف إليها أيضاً أن أثيناغوراس فى دفاعه كان يطالب نظير القديس يوستينوس بأن يعامل المسيحيون معاملة الوثنيين، فلا يعاقبون على جريمة دون أن يثبت التحقيق أنهم اقترفوها بالفعل، وأن الاسم المسيحى ليس فى ذاته خيرا ولا شرا، فلا يصح أن يضطهد المسيحى لأنه يحمل اسم المسيح، بل يجب أن يعاقب إذا كان قد ارتكب شرا. كما أنهما دفعا معا تهمة الإلحاد عن المسيحيين قائلين: أن المسيحيين لا يكفرون بالإله الواحد السرمدى، وإنما يكفرون بآلهة الوثنية، وإذا كان الوثنيون أنفسهم على غير الحق فى إحترام آلهة بعينها، فكيف يلومون على المسيحيين إذا كانوا يقفون موقف بعض الوثنيين على الأقل فلا يؤمنون بآلهة الوثنيين الآخرين. وكيف تكون الآلهة الوثنية آلهة حقيقية وهى مخلوقة، كما أنه تنسب إليها أفعال الدنس والخبث والشر التى لا تليق بالآلهة. كذلك أثبت أثيناغوراس ما أثبته القديس يوستينوس من أن أعمال الفساد والضلال والعبادات الوثنية والهرطقات هى من فعل الشياطين، وأن المسيحيين ينتظرون ملكوتا أبديا، ولابد أن يدان الناس جميعاً من الله الفاحص القلوب والنيات، ولذا فإن قيامة الأجساد ضرورة لا مفر منها ثم يتبعها الخلود فى أبدية لا نهاية لها.

نقول أننا لا ننكر التوافق بين أثيناغوراس والقديس يوستينوس فى كل هذا، ولكننا نجد أن هذا التوافق فى الفكر أمر طبيعى فى معالجة موضوع واحد فى قرن واحد. ولا غضاضة فى هذا التوافق الفكرى، لاسيما وأن إحتجاج أثيناغوراس قدم لغير من قدم إليهم إحتجاج يوستينوس. فأثيناغوراس وجه دفاعه إلى الأمبراطورين مرقس أوريليوس أنطونيوس، ولوكيوس أوريليوس كومودوس، أما القديس يوستينوس فكتب دفاعه إلى الإمبراطور تيتوس (تيطس) ايليوس أدريانوس أنطونيوس بيوس أوغسطس قيصر وإلى إبنه فبريسيموس الفيلسوف وإلى لوسيوس الفيلسوف والإبن الطبيعى لقيصر، وبالتبنى لبيوس والمحب للعلم، وإلى مجلس الشيوخ المقدس مع جميع الشعب الرومانى.

وعلى الرغم من كل ذلك فبمراجعتنا للدفاعين نتبين وجوه إختلاف عدة بينهما، منها ما يتصل بمنهج الكتابة ومنها ما يتصل بالموضوعات والأسانيد.

أولاً: أما عن منهج الكتابة فلاشك أن أثيناغوراس رقيق العبارة جدا بالنسبة إلى القديس يوستينوس، نظرا لأنه يرى أن إغلاظ القول لا يفيد سوى زيادة الحقد. فهو لا يتهم الأباطرة بالظلم والقسوة، بل يؤمل فيهم العدل والحكمة والإنصاف، وعبارته هادئة غير حانقة، أما

القديس يوستينوس فيتحدث بإسلوب صارم وبروح جريئة غير هيابة، وهو لا يسأل الأباطرة أن يرفعوا الإضطهاد عن المسيحيين كما فعل أثيناغوراس، بل يعلن ترحيب المؤمنين بالإضطهاد والحيف ولكنه ينذر المضطهدين بسوء المصير الأبدى، وهو لا يدافع عن المسيحيين فقط ولكنه يدعو الأباطرة والوثنيين إلى إعتناق المسيحية ويبكتهم على قساوتهم معلناً براءته من مسئوليتهم لأنه قد أنذرهم.

وثانياً : يختلف الإثنان فى منهجهما من حيث أن أثيناغوراس عقلى أما يوستينوس فنقلى. فأثيناغوراس مع إيراده أحياناً بعض نصوص من التوراة والإنجيل، إلا أنه يكلم الوثنيين، لذلك يؤيد أقواله بنصوص كثيرة من أقوال الشعراء والفلاسفة، حتى ليكاد أن تكون بعض أجزاء دفاعه أسانيد صرفة من أئمة العالم الوثنى القديم، ويورد هذه الأسانيد غير ملخصة، بل كثيرا ما يوردها كما هى بنصها. ولكن يوستينوس على العكس تماماً أى أنه يورد أحياناً شهادات مقتضبة غاية الإقتضاب لبعض العبارات والأسماء الوثنية، ولكنه يفيض جدا فى إيراد النصوص الإلهية من مختلف كتب العهد القديم على الخصوص، حتى تكاد أن تجد فصولا بتمامها ليست غير أقوال الأنبياء العبرانيين.

وثالثاً : يمتاز أثيناغوراس عن القديس يوستينوس فى منهجه التأليفى حيث نرى أثيناغوراس كاتباً منطقياً رائعاً. وقد رتب أحاديثه ترتيباً شهد له به كبار الباحثين، وحتى الذين قالوا أن أثيناغوراس لم يأت فى دفاعه بجديد لم ينكروا عليه أنه مؤلف منظم لتأليفه، وهذا قول حق.

أما وجوه الإختلاف بين الدفاعين من حيث الموضوعات والأسانيد فكثيرة، نذكر منها أن أثيناغوراس أهمل كلية الحديث عن تجسد ابن الله (١) ومعجزاته الخارقات، وميلاده الزمنى وآلامه وصلبه وموته وقيامته وصعوده إلى السماء، ولم يعالج نظرية الفداء بينما تحدث القديس يوستينوس عن ذلك، وعن كرازة الرسل الأطهار، ثم أورد عن كل هذه الحوادث المقدسة أقوال الأنبياء من موسى وأشعياء وأرميا وداود ودانيال وزكريا وحزقيال، معلقا على النصوص بتفسيرات دقيقة يطابق بها بين أقوال الأنبياء وتفاصيل حياة المسيح على الأرض، ومراده من ذلك أن يبين مقام المسيح أنه ليس بساحر بل الموعود الذى تنبأت عنه الأنبياء قبل مجيئه بآلاف السنين، فكتاب يوستينوس سجل مرتب محترم بالنسبة لنصوص التوراة التى تحدثت عن المسيح وميلاده من عذراء على غير الطبيعة، ومكان ولادته ودخوله أورشليم والأشفية والعجائب التى يصنعها، ورفضهم له وتآمرهم ورؤساؤهم عليه والهزء به، وأنواع

(١) ولكنه لم يكن يجد فى تجسد الإله غضاضة، ففى صدد حديثه عن الآلهة الوثنية كان يقول «ولو أن إلها اتخذ جسدا فى سبيل الوصول إلى غرض سماوى (إلهى) فهل يكون لذلك مستعبدا (عبدا) للشهوة» (الدفاع ف ٢١).

تعذيبه وماعاناه قبل الصلب وبعده تفصيلا، وعن قوة المسيح وقيامته وعظمته، وعن خراب اليهودية من بعده وإتماما لقوله، وعن عهد السلام الذى يتم للمؤمنين به، وأن المؤمنين به من الأمم أكثر ممن يؤمنون به من اليهود، وعن مجيئه الثانى للدينونة، وبينما يكتفى أثيناغوراس بالحديث عن التثليث المسيحى بنوع من التفصيل، ولا يتكلم عن المسيح إلا فيما يختص به بوصفه الابن الأزلى، نجد القديس يوستينوس يتكلم بوضوح عن وجودين للمسيح، وجود زمانى بميلاده من العذراء ووجود حقيقى سابق على الزمان، ويتحدث عن ظهوراته قبل التجسد فى العليقة أو فى أشخاص الملائكة... ويضرب أمثلة لذلك من العهد القديم (التوراة)، ويقول أن الأنبياء يوبخون اليهود لأنهم لم يفهموا المسيح الذى تنبأوا عنه (أش ١ : ٣).

أما كلام أثيناغوراس عن الشياطين فكلام يحتاج إلى إمعان وتأمل، ويؤيده بأقوال من الفلسفة والدين، وهو مسهب وطويل، بينما لم يتحدث يوستينوس عن الشياطين من حيث خلقتهم ولا من حيث وظائفهم، وسبب عداوة الشياطين لله كما فعل أثيناغوراس، وإنما اكتفى بأن يبين أن عناية الله شملت البشر الذين سقطوا ولم تشمل الشياطين، وأن هؤلاء الشياطين هم الذين نقلوا طقوس العبادة المقدسة إلى الأمم الوثنية إمعانا لهم فى الضلال، فقلدوا العماد والقرابين والهياكل وما إلى ذلك.

وبينما يحاول أثيناغوراس إثبات قيامة الموتى بأدلة فلسفية، يتكلم يوستينوس عن ذلك بغاية الإيجاز ويقول أن الوثنيين وهم يستحضرون أرواح الموتى يثبتون أو يؤيدون حقيقة القيامة التى إن كان يعسر على الإنسان أن يتصورها، فليس يعسر على الله أن يحققها، لأن الذى خلق الإنسان من تراب أو من علق فصار إنساناً كاملاً لا يعسر عليه أمر القيامة.

وبينما يورد أثيناغوراس شواهد من أقوال الفلاسفة والشعراء ليبين التوافق بين الدين المسيحى والفلسفة اليونانية، يزعم القديس يوستينوس أن أفلاطون قد اقتبس من موسى حديثه عن الخلق من المادة، وعن عقاب الأشرار حسب ميلهم وإختيارهم الشر. بل ويقول أن المسيح هو الكلمة أو هو العقل، فهو المتكلم بالحق على أفواه جميع السابقين يونانيين من أمثال سقراط وأفلاطون، أو عبرانيين وهم الأنبياء إبتداء من آدم إلى موسى وسائر الأنبياء اللاحقين، ولذلك فقد قاومهم الذين يقاومون أعمال العقل، وهذا هو سر قتل سقراط وجميع الأنبياء. ثم لقد عنى يوستينوس القديس بما لم يعن به أثيناغوراس فى دفاعه، فتكلم عن كيفية تحول الوثنى إلى المسيحية... وإذن فقد تكلم عن الإيمان وعن سر العماد، مؤيداً ذلك بقول المسيح إن كان أحد لا يولد من الماء والروح فلا يقدر أن يدخل إلى ملكوت الله (يو ٣ : ٥). ويقول أشعياء النبى (أش ١ : ١٢ - ١٦) كما تكلم عن الصلاة والصوم وقوة علامة الصليب، وأنها معلنة فى الأمور الطبيعية، وتحدث عن الصلوات الإجتماعية وطقوس العبادة من قراءة فى الأسفار المقدسة، إلى تعليم شفاهى إلى

تقديس الخبز والخمر وإستحالتهما إلى جسد المسيح ودمه، وأن ذلك بمعرفة الرئيس الدينى، وتحدث كذلك عن تقديس يوم الأحد والأسباب التى تحدو المسيحيين إلى ذلك، وعن الصدقة التى تجمع وكيف أنها توضع عند الرئيس الذى يوزع منها بحسب حاجات الكنيسة، وتكلم أيضاً عن الصلوات العامة التى تصليها الكنيسة أثناء القداس، من أجل المؤمنين والمعتمدين وسائر الناس، كما تكلم عن القبلة الكنائسية وكيفية التناول من الإفخارستيا، وكيف كان يحمل القربان للغائبين أى المرضى أو المسجونين.

والخلاصة إن التشابه بين دفاع أثيناغوراس ودفاع القديس يوستينوس، لا يعدو أن يكون تشابهاً من حيث أن كلا من الكتابين رد على إتهامات ضد المسيحيين، ومحاولة لرفع نير الإضطهاد الذى لا مبرر له، ولئن إتفقا فى بعض نقط الدفاع، لكنه إتفاق من قبيل التوافق الفكرى، أما منهج الكتابة وأسلوبها وروحها وكثير من الآراء بين الكتابين فيها إختلاف واضح يشهد بما لكل منهما من طابع خاص وبما لكل من الفيلسوفين من شخصية مستقلة فى الفكر وفى الإسلوب

٧ ـ الدفاع والأوكتافيوس:

وزعم كذلك فريق آخر من الباحثين بأن هناك كثيراً من وجوه الشبه بين دفاع أثيناغوراس، وبين كتاب الأوكتافيوس Octavius لمؤلفه مينوكيوس فيلكس (١) Minucius Felix حتى لقد أثيرت هذه المسألة.. أى الكتابين يعتمد على الآخر، الأوكتافيوس أم الدفاع؟....

وقد أنكر كروجر krüger أن يكون أحد الكتابين إعتمد على الآخر بتاتاً، أما جروندرس وايبرت ولوسكة فقد رأوا أن أثيناغوراس أفاد من مينوكيوس فيلكس (٢)، وأما هارناك فبعد أن قال سنة ١٨٨٣ أنه ليس ثمة شيء يثبت هذه العلاقة، عاد وأكد سنة ١٨٩٦ أن مينوكيوس فيلكس هو الذى انتفع من كتاب الدفاع لأثيناغوراس (٣)، وعلى العكس من ذلك أعلن فلهام سنة ١٨٨٧ أن إثبات هذا الإنتفاع أو هذه العلاقة غير ممكن (٤).

---

(١) السعيد مينوكيوس، أول مؤلف لاتينى مسيحى فى القرن الثانى للميلاد، وضع كتاباً أسماه (الأوكتافيوس) ودافع فيه عن المسيحية.

(2) Gundriss der theol, Wissensch aften, P. 87, Ebert, Allg. Gesch. der Lit., 1874, t. I, P. 25, Loesche, Jahrbucher fur Pretest. Theol., 1882, T. VII, P. 168, 178, Grundriss: Funde mentals (or an Elementary book) about theological knowledge, Ebert History of Literature Loesche. The Year book about Protest Theology.

(3) Harnack, Teste und Unters., t. 1, fasc. 2, p. 181 en 1883. Harnack, Gesch. der Altchrist. Lit., t.i,p. 288 en 1896.

(4) Breslau philol. Abhandt., 11,1, 1887, P. 71, De Minucii Felicis Octavio et Fertulliani Apologeticc.

ثانياً: رسالة فى قيامة الموتى: Περὶ Ἀναστάσεως Νεκρῶν

١ ـ صحة نسبتها إلى أثيناغوراس وتاريخ تحريرها:

يدل عنوان هذه الرسالة أو البحث كما وردت فى المخطوطات القديمة على أنها لأثيناغوراس «رسالة أثيناغوراس الأثينى والفيلسوف المسيحى فى قيامة الموتي» وليس من يشك فى صحة هذه النسبة ولا سيما أن أسلوب المؤلف ومنهجه الفكرى يكاد أن يتفق إتفاقاً تاماً مع كتاب الدفاع لأثيناغوراس.

ثم أن أثيناغوراس فى الفصل السادس والثلاثين من كتاب الدفاع، يشير إلى قيامة الموتى، ولكنه إذ يخشى الإطناب يكتفى بهذه الإشارة العابرة ويقول فى ختام الفصل «ولكن فلنؤجل الحديث عن القيامة...»، وهذا معناه أن أثيناغوراس قد اعتزم أن يتكلم بالتفصيل عن موضوع القيامة فى بحث خاص... «لئلا يظن بنا أننا نقحم فى بحثنا «الدفاع» أمورا لا توائم ما نحن بصدده»...

فرسالة قيامة الموتى هى لأثيناغوراس، وقد حقق فيها ما وعد به فى كتاب الدفاع، وعلى ذلك فتاريخها يجيء بعد تاريخ «الدفاع» بقليل وهى ترد فى المخطوطات عادة بعد الدفاع.

٢ ـ موضوع الرسالة أو البحث:

ينتسب أثيناغوراس إلى عصر كان يُنظر فيه إلى قيامة الأجساد بنظرة الشك والريبة، حتى لقد كانت حجر عثرة فى سبيل اعتناق الناس دين المسيح، ولا شك أن أثيناغوراس الأثينى يعلم كيف قوبلت تصريحات القديس بولس عن القيامة بالسخرية الشديدة فى محكمة أريوس باغوس «ولما سمعوا بقيامة الموتى، كان بعضهم يهزأون «بها» والآخرون يقولون: «سنسمع منك عن هذا مرة أخرى» (أع ١٧: ٣٢).

أمام هذه الشكوك التى اصطدم بها المعاصرون لهذه البيئات، لم يجد أثيناغوراس بدا من أن يتناول بالبحث موضوع القيامة، فيرد على الإعتراضات التى يثيرها الخصوم، ثم يبرهن على هذه الحقيقة تثبيتاً لإيمان المؤمنين إذ هى قاعدة من قواعد الإيمان «وننتظر قيامة الموتى، والحياة فى الدهر الآتى» (١) (١ كو ١٥: ١ ـ الخ)، (عب ٦: ٢).

ويظهر من العبارات الختامية (ف ٢٣) أن هذه الرسالة قصد بها أن تكون محاضرة، ألقيت على مستمعين مثابرين على الإستماع، وهذا ما يدل عليه قوله «ليس غرضنا أن لا نهمل شيئاً يتصل بموضوعنا، بل أن نبين لهؤلاء فى إيجاز، ما هو الرأى الذى يجب أن يتخذوه بصدد

(١) لم تعرف هذه القاعدة بهذه الصيغة المحددة إلا منذ سنة ٣٨١ فى مجمع القسطنطينية.

القيامة، كما أن فاتحة الرسالة وترتيب الأفكار فيها، يؤيدان كذلك أنه لم يقصد بها فى بادىء الأمر إلا أن تكون محاضرة، وربما أضاف إليها أثيناغوراس أو تلامذته بضع أشياء عند تنقيحها وتسجيلها على الصورة التى وصلت إلينا.

٣ ـ محتويات الرسالة:

تشتمل الرسالة على قسمين : القسم الأول إبتداء من الفصل الأول إلى العاشر (ف١ : ١٠) يرد فيه أثيناغوراس على الإعتراضات التى تثار ضد إمكانية القيامة، ثم القسم الثانى إبتداء من الفصل الحادى عشر حتى الفصل الخامس والعشرين وفيه يقدم أثيناغوراس الأدلة على حقيقة القيامة.

الإعتراضات على قيامة الموتى:

يُعترض على إمكانية القيامة، إما بأن الله لا يستطيع أن يقيم الموتى، وإما بأن الله لا يشاء أن يقيم الموتى.

فإذا كان الله لا يستطيع أن يقيم الموتى، فهذا يعزى إما إلى نقص فى المعرفة أو إلى نقص فى القدرة. ولكن الله لا تعوزه المعرفة لأنه يعرف أن يخلق الأجساد، فيمكنه بالأولى أن يعيدها إلى الحياة، ثم أن له القوة والقدرة، فإذا كان يقدر أن يخلق الأجساد فإنه يستطيع أن يعيد تأليفها وتركيبها من جديد، حتى بعد أن تحللت وتناثرت واندمجت عناصرها فى الأرض أو فى النبات أو الحيوان أو الإنسان.

فإذا كان الله لا يشاء أن يقيم الموتى، فهذا مرده إما خوفاً من أن يكون فى القيامة ظلم أو حيف يلحق بالموتى المقامين أو بكائنات أخرى. والظلم لا يوافق مشيئة الله. وإما لأن القيامة فى ذاتها أمر شائن أو قبيح لا يليق بالله. ولكن القيامة لا تلحق بالميت المقام ظلما ولا كذلك بغيره من الكائنات، كما أنه ليس فيها ما يشين الله، ولا هى أقل لياقة من عملية الخلق، وإذن فالله يشاء القيامة من الموت كما يشاء الخلق من العدم.

الأدلة على قيامة الموتى :

إن القيامة حقيقة تقتضيها ملاحظة الأمور الآتية:

١ ـ العلة الغائبة :

من غاية خلق الإنسان هى أن يعاين الله وحكمة الله معاينة دائمة، وحيث أن الموت يفصل بين الإنسان وبين هذه الغاية... فلابد من قيامة الموتى حتى تتحقق الغاية من الإنسان.

٢ ـ طبيعة الإنسان :

وهى تآلف تكاملى بين الروح والجسد أى بين النفس والبدن، ولكن الروح ـ فيما يقول أثيناغوراس ـ لا يمكن أن تبلغ كمال حياتها العقلية إلا مرتبطة بالجسم، إذ هى خلقت مرتبطة به وعلى ذلك فالأجساد لابد أن تقوم لترتبط بها أرواحها، هذا الإرتباط الذى تقتضيه طبيعة الإنسان بوصفه مخلوقا من روح وجسم.

٣ ـ الجزاء الأخروى :

وإذ أن الإنسان كما تقدم ـ مؤلف من جسد وروح، وحيث أنه يصنع الخير والشر بالروح والجسم كليهما، فعناية الله بالإنسان ثم عدالته جل اسمه تقتضى قيامة الموتى.

أما العناية الإلهية فلأنها تحفظ الروح لحياة خالدة، وهى بالمثل كفيلة أن تحفظ الجسم وتعنى به، فتقيمه من الموت إلى الحياة، وأما العدالة الإلهية فلأن الروح والجسم فعلا الخير والشر معا، وعلى ذلك لابد أن يجزيا معا، فلا تبقى الروح وحدها بل يقوم الجسم ليشاركها الثواب أو العقاب.

٤ ـ الغاية القصوى للإنسان :

هذه الغاية التى يسعى الإنسان للتحقق بها، وهى الحياة السعيدة مع الله فى الأبدية، لا يمكن أن يدركها فى الأرض، ولما كان بالموت ينحل رباط النفس بالجسد، وينزل الجسم إلى التراب، فلزم أن الجسم يقوم ثانية فيرتبط بالنفس ليتحقق الإنسان بغايته القصوى.

تعقيب ونقد :

هذه كلمة مجملة عن هذه الرسالة أو البحث الذى يطابق دفاع أثيناغوراس، ويلتقى معه فى كثير من النقاط شكلا وموضوعا، إلا أنه ليس بحثا كاملا، فقد أهمل الحديث عن حالة الأجساد المقامة من الناحية الفسيولوجية، ثم من الناحية العالية عن الطبيعة، كما أغفل كذلك وجوه الشبه التى أشار إليها من قبل القديس اكليمنضس الرومانى، والتى أوضحها من بعد مينوكيوس فيلكس والقديس كيرلس الأورشليمى، هذا وأنه لم يأت فيه بصور محسوسة عن القيامة، كالصور التى

أدرجها ثيوفيلس الإنطاكى فى بحثه عن أوتوليسوس (١) Autolycus والتى استعان بها ترتوليانوس فى رسومه البديعة التى أوردها فى كتابه «قيامة الأجساد».

ومهما يكن من شأن هذه الملاحظات فإنها لا تنقص من قيمة الرسالة، فهى أول بحث من نوعه فى هذا الموضوع، ولم يظْهر من قبلها بحث أكثر أهمية وأعظم فائدة منها، فهى ذات قيمة كبرى فى التآليف المسيحية، وقد عالج فيها أثيناغوراس قيامة الموتى، وأفاض فى شرحها وتبيانها بإخلاص للبحث وقوة منطقية رائعة، فلم يعتمد فيها على نصوص من التوراة أو الإنجيل، بل كتبها بإسلوب الفيلسوف الذى يستند فى كل ما يقول إلى أدلة من العقل، وبهذه الخاصية يبرز هذا البحث عن الدفاع لأنه بحث عقلى صرف فلسفى بحت.

٤ - أثيناغوراس الكاتب

يشهد المؤرخون بأن أثيناغوراس يمتاز عن جميع المدافعين فى القرن الثانى إمتيازا واضحا بأدلته السديدة وحججه الدامغة، ومع ذلك فقد قيل أن فى حديثه إمتثالا مغاليا للسلطات القائمة وإفراطا فى إستجداء رضى الأباطرة. لأنه تكلم عن خضوع المسيحيين للملوك وصلواتهم من أجل إنتقال الملكية فى النسل الملكى. ولكن ليس أثيناغوراس وحده الذى كان يلجأ فى دفاعه إلى مثل هذه الأمور، فكل كتاب هذا العصر الكنسيين تقريبا لجأوا إلى هذا، مثال ذلك ما توجه به ملتون (٢) Meliton إلى الإمبراطورية وترتليانس الذى يقول أن الأباطرة الصالحين يحامون عن المسيحية، بينما الأباطرة الأشرار هم وحدهم الذين يضطهدونها (٣) وكل ما يقال أن أثيناغوراس كان أكثر رقة لأنه يؤمن أن إغلاظ القول لا يفيد بل يزيد الحقد والضغينة والكراهية، وأما فيما يتصل بصلوات المسيحيين من أجل الرؤساء فهذا تقليد رسولى، تقرأ إشارة عنه فى رسائل معلمنا بولس (١ . تى ٢ : ١، ٢) ونقرأ عنه كثيرا فى كتب الآباء الرسوليين (٤).

---

(١) أوتوليسوس هو ابن هرمس Hermes وكيونيهChione وهو أبو انتيكليا Anticlea التى هى والدة أوليسيس Ulysses وكان يعيش على جبل بارناسوس Mount Parnassus وقد اشتهر بأنه زعيم اللصوص فى العالم القديم.

(٢) أوسابيوس، تاريخ الكنيسة، ٤، ٢٦ مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٢٠ ع ٣٩٦.

(٣) ترتليانس - الدفاع ٥، مجموعة الأباء اللاتينيين جزء ١ ع ٢٩٠ - ٢٩٧.

(4) Saint Clément, 1 Cor LXI, dand Funk, Opera Patr. appost. t. 1, p, 140; Théophile d'Antioche, Ad Autol. 1,11, p. G.g. VL, col. 1041; Tertullien, Apblog. XXX, p.L., t. l, col. 442 - 445; Ad Scap., ll, p. l. t. l, col. 700 Voir Mangold, De Ecclesia primaeva pro caesaribus et magistratibus romanis preces fundente, Bonn, 1881.

وترجمته «الكنيسة الأولى (القديمة) تقدم الصلوات من أجل القياصرة والحكام»

فأثيناغوراس كاتب مجيد رقيق العبارة، سلس الأسلوب قوى الحجة، منطقى التفكير له مقدرة ممتازة على الوصف، وله تأثير رائع يشهد بعلمه الواسع بمشاعر النفس الإنسانية، فضلا عن علمه بأفكار العالم القديم، ومؤلفاته تخلو من الحشو، وإن كانت لاتخلو من الجمل الإعتراضية (دفاع ف١، ف٢٠، ف٢٢)، (قيامة الموتى ف ١٨) أحيانا، ولكن هذا يعزى إلى خصوبة تفكيره وإحتشاد الأفكار الكثيرة فى ذهنه فى أثناء الكتابة، الأمر الذى قد يؤدى إلى نوع من الغموض أحيانا، ولكنه على كل حال عقلية فلسفية فذة، ويمتاز فى اسلوبه بالرصانة والقوة.

٥ ـ أثيناغوراس والكتاب المقدس

يقرر أثيناغوراس فى لهجة صادقة أن الكتاب المقدس كتاب موحى به من الله، وهو من نفثات الروح القدس فى روح الأنبياء (راجع كتاب الدفاع ف٩).

وكثيرا ما كان يقتبس أثيناغوراس آيات من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، ولكنه يندر أن يوردها بنصها، ولذا يعسر علينا معرفة الترجمة التى كان يستند إليها فى النصوص التى كان يختارها، وربما كانت الترجمة السائدة هى الترجمة السبعينية، وقد كان المسيحيون ينظرون إليها بإعتبار عظيم.

ولكن أثيناغوراس ما كان يشير إلى مواضع الآيات أو النصوص التى يقتبسها من الكتاب المقدس، ولعل السر فى ذلك شهرة هذه النصوص بالنسبة للمسيحيين، وعدم الحاجة إلى معرفة مواضعها بالنسبة للوثنيين. ولا شك أن مثل هذا المنهج فى التأليف يوافق الوثنيين، فهم لا يؤمنون بالكتاب المقدس ولا بالوحى، فلا داعى لأن يدلل على أقواله بنصوص من التوراة أو الإنجيل، وإنما يكتب إلى الوثنيين بلغة العقل والفلسفة، فإذا اضطر إلى إيراد نص من كتاب المسيحيين ليشير به إلى إعتقادهم فى الله، فيكفيه فى ذلك ذكر النص أو الإشارة إليه دون تحديد موضعه.

ومع ذلك، فإنه إذ يؤمن بقيمة الكتاب المقدس وفاعليته فى الذين يقرأونه، يدعو الأباطرة الوثنيين بمختلف الأساليب إلى الإهتمام به وقراءته.

٦ ـ أثيناغوراس والفلسفة

كان أثيناغوراس، قبل تحوله إلى المسيحية، فيلسوفا ينتسب إلى الفلسفة الأفلاطونية المحدثة، وكان يدير الأكاديمية فى الأسكندرية على ما يقول فيلبس الصيدوى، ويعلم الفلسفة فيها على نهج الأفلاطونية الجديدة.

ولكنه لم يكن خاضعا لهذه الأفلاطونية الجديدة خضوعا تاما، بل كان ولاسيما بعد تحوله إلى الدين المسيحى، يتخير أفضل ما فى المذاهب الفلسفية جميعها، حتى لقد قيل عنه أنه أول القائلين بمذهب التخير وتأليف المذاهب Eclectisme ، وهو المذهب الفلسفى القائل بأن فى كل مذهب جزءا من الحقيقة وهو خير ما فيه، وعلينا فى طلب الحقيقة الكاملة أن نتخير هذه الأجزاء ونؤلف بينها لتصير حقيقة واحدة، ولذا فإن أثيناغوراس كان يورد فى كتبه أقوالا من جميع المذاهب مما يؤكد لنا أنه كان عالما بجميع الإتجاهات الفلسفية التى عرفت فى عصره، فقد استشهد بدفاع سقراط وتيماوس وغورغياس وفيدروس والسياسى من محاورات أفلاطون، كما أنه اقتبس كثيرا من نصوص الشعراء الأقدمين كهوميروس وهزيرد وأورفيوس، ومن الفلاسفة السابقين على سقراط مثل تاليس وانبادوقليس والسوفسطائيين، وكان يستشهد كذلك بأرسطو وبالرواقيين والمشائين (١) ثم بالقورينائيين والأبيقوريين (٢) وقد يعسر علينا أن نقطع فيما إذا كان أثيناغوراس قد قرأ كتب أفلاطون والفلاسفة، أم أنه كان يكتفى بأن يورد النصوص عن المختصرات المتداولة فى أيامه، وقد لوحظ عليه أنه أسند إلى أرسطو رأيا لم يقل به ولم يرد فى كتبه الحقيقية: «كذلك أرسطو وأتباعه يقولون بإله واحد يعتبرونه شبيها بموجود حى مركب من نفس وجسم، جسمه هو الفراغ الأثيرى، والكواكب السيارة وفلك النجوم الثابته، متحركا فى دوائر، ونفسه هى العقل المدبر لحركة الجسم، فليس يخضع هو ذاته للحركة، وإنما هو علة لحركة الغير» (الدفاع ف ٦)، وهو رأى ليس لأرسطو ولكن لمؤلف كتاب «العالم» المنحول لأرسطو مضافا إلى كتابه «السماء» والمؤلف أرسطاطالى متأثرا بالرواقية.

ولئن أورد أثيناغوراس نصوصا من الفلاسفة الآخرين، لكنه دون شك كان متأثرا بأفلاطون تأثرا بالغا، وهذا نلاحظه من إشاراته الكثيرة دواما إلى أفلاطون بل ومن أن آراء أفلاطون كان لها تأثير واضح فى تفكيره وتعبيره حتى بعد أن صار مسيحيا، وليس يعسر علينا أن نكتشف هذا التلاقى بينهما فى حديث أثيناغوراس عن المادة وأنها أصل للشر، وعن الأرواح والملائكة والطبائع الحسية والعقلية، وعن التأمل فى الله بإعتباره غاية للإنسان، وعن ابن الله بوصفه «اللوغوس أو الكلمة» وبوصفه (الصانع) أو الخالق و «المثال» أو «النموذج» أو «القوة والنشاط» وجميعها مصطلحات أفلاطونية، كما أنه أشار فى قيامة الأجساد (ف ١٤) إلى التذكر الأفلاطونى، على أن أثيناغوراس فيلسوف مسيحى، يؤمن بإله واحد وبالجزاء الأخروى والحياة

---

(١) الدفاع ف ٦، ف ١٦.

(٢) قيامة الموتى ف ١٩.

الأبدية، فحبه للفلاسفة مصدره إعتقاده فى قدرة العقل على كشف بعض الحقائق، ولكنه يعلم أن الفلاسفة قد إختلفوا وتخبطوا فى أبحاثهم لأنهم اعتمدوا على العقل وحده. وحقا أنهم يملكون إلى حد ما، نوعا من النور السماوى، غير أنهم يعجزون بذواتهم عن الوصول إلى معرفة الله معرفة كاملة، الأمر الذى يقتضى الوحى بالضرورة، هذا الوحى الذى هبط على الأنبياء كما تدل على ذلك كتب المسيحيين المقدسة (راجع الدفاع ف ٧).

وعلى قدر ما تلفت أثيناغوراس إلى الفلاسفة الحكماء، بهذه النظرة المتسامحة، ولم يتهمهم بالأخذ عن التوراة كما فعل يوستينوس من قبله، كان يتكلم فى قسوة عن هؤلاء الذين سماهم بالوشاة، أعنى الذين يتهمون المسيحيين بلا تمييز ولا معرفة ولا ضمير مع أنهم لا يعلمون عن المسيحية شيئا، قوم قد امتلأوا تجبرا وقسوة، مفسدين حقودين، وهم خليط من النحويين والبيانيين والسوفوسطائيين وذوى المناصب والغنى، ومن مشيرى الأباطرة وقادة الرأى العام وكانت أثينا مقرهم، ولم يشر أثيناغوراس إلى ثيئودوتيوس Theodotius ولوليانس Lollianus وأدريانوس Hadrianus وهيرودس أتيكوس Herodes Atticus وتلميذيه أولوجيل - Aulu Gelle وأبولو، ولكنه أعلن صغارة نفوسهم وجبانتهم وتفاهة تعليمهم وفساد أخلاقهم وقبح مسلكهم فى وشايتهم.

هل كان أثيناغوراس مانويا؟

ويذهب تيليمون Tillemont إلى أن أثيناغوراس كان مانويا، يستند فى ذلك إلى دليلين، أولهما: رأيه فى النبوءة، وثانيهما رأيه فى تحريم الزواج الثانى بتاتا(١).

---

(١) المانوية بدعة ظهرت فى القرن الثالث على يد مانوى ابن فاتك الذى زعم أن للعالم مبدئين هما النور والظلمة (الله وديمون) وأنه خاتم المرسلين إذ هو رابع ثلاثة تقدموه، المسيح وزرادشت وبوذا، ودعى نفسه البارقليط الذى وعد بمجيئه المسيح، وينكر كتب العهد القديم، ويرى أن المسيح لم يولد بل جاء رجلا. كما أنه لم يصلب بل الذى صلب هو الشيطان، والناس عنده صديقون أو سماعون أو خطاة. أما الصديقون فأتباعه بالعلم والعمل، ولا يتزوجون ولا يحاربون ولا يذبحون الحيوان ولا يأكلونه هو أو مستخرجاته، من بيض وحليب وجبن، ولا يشربون الخمر بل يكتفون بالخبز والحبوب والبطيخ لأنها من صنع الله النور وتلك من صنع إله الظلمة، وتصعد نفوسهم توا إلى النعيم، وأما السماعون فيشتركون فى جميع الشعائر ولكنهم لا يقوون على سائر التكاليف، فإذا تزوجوا فهم مجبرون على الإكتفاء بزوجة واحدة وليجتهدوا أن لا يعقبوا نسلا وأن يحسنوا إلى الصديقين، وهؤلاء تبقى نفوسهم بعد الموت فى العالم ولكنها تدخل جسما آخر، وهكذا حتى تستقر فى جسم صديق وبعد ذلك تصعد إلى النعيم، وأخيرا الخطاة هم أهل الأديان الأخرى ويهلكون فى جهنم.

ورأس المانوية الإمام، يتبعه إثنا عشر معلما، يليهم إثنان وسبعون أسقفا، ثم الكهنة والشمامسة. ولهم طقوس وأعياد، والأسرار عندهم إثنان: المعمودية والقربان.

(راجع تاريخ الفلسفة اليونانية للأستاذ يوسف كرم طبعة ١٩٤٦ ص ٢٥٨)

أما رأيه فى النبوءة أو الإلهام أو الوحى فلا يزيد عن سطور فى الفصل التاسع من «الدفاع» حيث يقول: «هؤلاء الأنبياء قد نطقوا بما أوحى إليهم فى غيبوبة عن الحس (اختطاف الروح ex-tasy)، سمت بهم عن عمليات العقل الطبيعية، وذلك بفعل الروح القدس الذى استخدمهم ونفث فيهم كما ينفخ لاعب الناى فى نايه» وهو تشبيه يقرب من تشبيه مانى الذى شبه النبى بالقيثارة والروح القدس بالضارب عليها.

ولكن هذا التعبير أو التشبيه قد استخدمه كذلك القديس ترتليانوس فى رده على ماركيون Marcion وقد نجد نظيره فى مؤلفات الفيلسوف الشهيد يوستينوس، فإذا استخدمه أثيناغوراس فهل نتهمه بإنتسابه إلى المانوية؟ إن كتبة العهد الجديد إقتبسوا نصوصا من التوراة فهل صاروا بذلك يهودا، وقد استشهد مار بولس بأقوال من شعراء الوثنية وفلاسفتها «... لأنه به قد صارت لنا الحياة والحركة والوجود، كما يقول بعض شعرائكم إننا أيضا ذرية (الله) فإذ نحن ذرية الله لا ينبغى أن نظن أن اللاهوت شبيه بالذهب أو الفضة أو الحجارة...» (أع ١٧: ٢٨، ٢٩) قال واحد منهم وهو نبيهم أن الكريتيين دائما كذابون، وحوش رديئة بطون لاعمل لها، وهى شهادة صادقة (تى ١ : ١٢) فهل يفهم من هذه الإقتباسات ومن تأييد الرسول لها أنه تحول فصار وثنيا؟

فإذا كان أثيناغوراس يستخدم تشبيها استخدمه مانى، فليس هذا دليلا على إعتقاد أثيناغوراس بالمانوية، ولاسيما أنه لم يستخدم التشبيه ذاته بل ما يقاربه، ثم أنه لا يصر فيما بعد على هذا التشبيه أو ذلك بل يستبدله بآخر، إن الروح يحرك أفواه الأنبياء وكأنها آلات موسيقية (د ف ٧) كما أن كلمة الإختطاف بالروح أو الغيبوبة عن عالم الحس، لا تكفى فى بيان الإتفاق بين عقيدة مانى وعقيدة أثيناغوراس، إن كل ما يعنيه فيلسوفنا هو أن النبى يكون محمولا خارجا عن نفسه بفعل الروح القدس ودفعه وتأثيره، وإن الكلمات التى ينطق بها ليست كلمات من عنده بل من وحى روح الله القدوس، وهو بعينه التعليم المسيحى الرسولى الذى ترجم عنه مار بطرس بقوله «لأن النبوءة لم تأت بالإرادة الإنسانية قط، وإنما نطق (بها) رجال الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (٢. بط ١: ٢١).

أما رأيه الثانى الخاص بتحريم الزواج الثانى *εὐπρεπὴς μοιχεία* فيبدو لأول وهله أنه يلتقى فيه بالمانويين، ولكن هل هذا صحيح؟ إن كلمات أثيناغوراس هى بنصها:

«وكل منا يحسب المرأة التى بنى بها زوجة له.. وقصده من الزواج إنجاب البنين فقط، وكما أن الرجل يلقى البذار فى الأرض ثم ينتظر الحصاد فلا يبدر أيضاً، هكذا نحن نضبط شهواتنا لا

نفسح لها إلا فى حدود إنجاب البنين، وليس ذلك فقط بل قد تجدون بيننا كثيرون من الرجال والنساء شاخوا ولم يتزوجوا أملا فى أن يحيوا مع الله حياة أكثر إتحادا وكمالا... فإما أن يظل الشخص (منا) على الحالة التى ولد فيها (بتولا)، أو يقنع بزواج واحد لأن الزيجة الثانية هى فى حقيقتها زنى وإن كانت زواجا صحيحا فى الظاهر، فقد قال المسيح «لأن من طلق إمرأته وتزوج بإمرأة أخرى يزنى» فلم يبح (المسيح) للرجل أن يطلق إمرأته بعد أن يفض بكارتها، ولا أن يتزوج مرة أخرى إذ أن من يعتزل (أو يفصل نفسه) عن زوجته الأولى، حتى ولو ماتت، إنما هو زان متنكر (متخف) يقاوم إرادة الله - لأن الله فى البدء خلق رجلا واحدا وإمرأة واحدة - ثم هو يحل أوثق رباط للجسد بالجسد قد أوجده الله لبقاء النوع الإنسانى» (الدفاع لأثيناغوراس ف ٣٢).

* * *

ونحن نرى أن أثيناغوراس بأقواله هذه التى ذكرناها يفترق عن مانى من عدة وجوه منها:

١ - أن أثيناغوراس يعتبر الزواج «أوثق رباط للجسد بالجسد قد أوجده الله لبقاء النوع الإنسانى» فكأن الزواج من مقاصد الله السامية، ولاجناح على الإنسان فى أن يتزوج. أما مانى فقد جعل من الزواج أمرا محروما يمتنع عنه الصديقون أو المختارون، وهو من أفعال الرجس والدنس التى هى من إيجاد إله الظلمة أو الشر.

٢ - أن أثيناغوراس يعتبر البتولية، وفقا للتعليم المسيحى، حالة أكثر كمالا وإتحادا بالله، ومع ذلك فهى إختيارية يقبل عليها الراغبون فيها بلا قهر أو دون جبر أو إلزام، ولكن مانى يجعلها أمرا مفروضا على الصديقين وأبناء النور.

٣ - أن أثيناغوراس يعتبر الزواج رباطا إلهيا مقدسا، يقبل عليه المسيحى التقى وغايته فيه إنجاب البنين فقط، أى أن الزواج المسيحى إتحاد بين الزوجين لإنسال البنين، وليس إشباعا لشهوة الجنس، لأن المسيحيين يزدرون شهوات الحياة الحاضرة، ويحتقرون أباطيل العالم متطلعين إلى العالم الباقى، فهم يستطيعون ضبط شهواتهم. ولكن مانى الذى يعتبر الزواج نجسا ومحروما، ينظر إليه على أنه إشباع للميول البهيمية، ولذا فإنه لا يبيح لمن تزوج أن ينسل. وهى طريقة تكشف عن قبح فكرته فى الزواج.

فما أبعد الفرق بين تعليم أثيناغوراس وتعليم مانى!!!

حقا أن أثيناغوراس قال بتحريم الزواج الثانى، ولكن مراده من ذلك هو أن الزواج المسيحى بوصفه رباطا إلهيا فهو لا ينفك أو يفسخ إلا بالموت، فإذا طلق الرجل إمرأته عد زانيا إذا اقترن بإمرأة أخرى طالما أن زوجته الأولى حية... لأن الزيجة الثانية هى فى حقيقتها زنى وإن كانت زواجا صحيحا فى الظاهر، فقد قال (المسيح) «لأن من طلق إمرأته وتزوج بإمرأة أخرى يزنى»

ودليلك على أنه لا يقصد بقوله هذا إلا أن يبين العقيدة المسيحية بتحريم الإقتران بزوجة ثانية والزوجة الأولى حية، أنه يؤيد رأيه بالرجوع إلى مقاصد الله الأولى فيقول «لأن الله فى البدء خلق رجلا واحدا وإمرأة واحدة»، وهو قول يثبت به الرأى المسيحى القائل بوحدة الزيجة. وهذا معناه أنه بموت أحد الطرفين يمكن للآخر أن يتزوج... أما قوله «... لم يبح (المسيح) للرجل أن يطلق إمرأته بعد أن يفض بكارتها ولا أن يتزوج مرة أخرى إذ أن من يعتزل زوجته الأولى ولو ماتت إنما هو زان متنكر يقاوم إرادة الله» (١) فليس معناه أن رباط الزيجة قائما بموت أحد الطرفين، فقد قال الرسول... فإن المرأة التى تحت سلطان رجل، مرتبطة برباط الشريعة مع زوجها طالما أنه حى... فإذا مات زوجها عتقت من الشريعة (التى ربطتها) بزوجها، وإذن فمادام زوجها حيا، فإنها تدعى زانية إن اقترنت برجل آخر، ولكن إن مات زوجها صارت حرة من هذه الشريعة حتى إنها لا تكون زانية إذا اقترنت بزوج آخر (رو ٧: ٢، ٢) (ثم راجع ١ . كو٧: ٣٩) . وإنما معناه أن موت الزوجة - بعد تطليق الرجل لها وإقترانه بإمرأة أخرى لا يبرره ولا يغير من وضع المسألة لأنه بزواجة ثانية وزوجته حية قد عد فى نظر الشريعة زانيا. وقد قال بهذا التفسير جميع آباء الكنيسة الشرقية والغربية.

ثم إن إعتقاد مانى فى الروح القدس يخالف إعتقاد أثيناغوراس... فمانى يقول أن الله النور إذا أراد أن يخلص النفوس النورانية من جسدها الخبيث، أخرج من ذاته كائنين هما المسيح والروح القدس، الذى هو مادة حيوية منتشرة فى كل الجلد المحيط بأرضنا تدفئ النفوس وتثمر الأرض، بينما يعتقد أثيناغوراس فى الروح القدس أنه كائن فى جوهر الله وأنه روح لا مادة.

وأخيرا كيف يعقل أن يكون أثيناغوراس مانويا وهو من رجال القرن الثانى، وكتب دفاعه نحو ١٧٦م، مع أن مانى من رجال القرن الثالث ولد حوالى ٢١٥م وأعدم سنة ٢٧٢ ؟؟!!

٧ - الإلهيات عند أثيناغوراس

أولا : وجود الله :

١ - الله هو الصانع : المادة متغيرة فهى قابلة للفناء ومن ثم فهى حادثة أى مخلوقة، وإذن فهى تفتقر إلى مكون وصانع هو الذى أضفى عليها وجودها، وخلق منها صنوف الكائنات،

---

(١) راجع ثيوفيلس الأنطاكى «إلى اتوليكوس ٣، ١٥ . مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٦ ع ١١٤١ واكليمنضس الأسكندرى، المتفرقات (الموشيات) Strom ٣، ١٢، مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٨ ع ١١٨٤، وأوريجانوس فى تفسير لوقا عظة ١٧ مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ١٣ ع ١٨٤٦ وترتليانس «وحدة الزوج والزوجة» De Monog مجموعة الأباء اللاتين مجلد ٣ ع ٩٣١ ومينوكيوس السعيد «الأكتافيوس» ٢٨ مجموعة الآباء اللاتين مجلد ٣ ع ٢٣٧ ثم انظر الشهادات التى اشار إليها ماران Maran وأوتو Otto وجمعها كوتيلية Cotelier عن هرماس: «الراعى Mond ٤، ٤ .

ولابد أن يكون الصانع أقدم من المادة، لأن العلة الفاعلة يلزم بالضرورة أن تكون سابقة فى وجودها على المصنوعات (راجع الدفاع فى ١٩).

فالله بالنسبة للكون كالخزاف بالنسبة إلى الصلصال وهو الذى كونه وشكله، وكالملحن بالنسبة للآلة الموسيقية يضرب عليها ويصدر عنها الأنغام ويمنحها الإيقاع، وكمدير الدفة بالنسبة إلى السفينة، يحركها ويسيرها وفق إرادته وهى طوع أمره (راجع الدفاع ف ١٥، ١٦، ٢٢)

٢ ـ الله هو المنظم: العالم كله يحكمه نظام بديع. وليس شئ فيه يفلت من دقة هذا النظام وصرامته. والإنسان كذلك كائن يخضع من حيث طبيعته التى ولد بها ومن حيث تركيبه لهذا النظام، فجميع الناس يولدون بكيفية واحدة ولهم طبيعة واحدة ويخرجون من العالم بصورة واحدة، فضلا عن أن تركيب جسومهم من النواحى التشريحية والوظيفية والبيولوجية يخضع لنظام واحد مطرد، لا يقل فى دقته وصرامته وحتمية وقوعه عن النظام الذى تخضع له الطبيعة غير الناطقة من جمادات ونباتات وحيوانات.

فإذا كان لكل معلول علة... فإن النظام الذى تسير عليه الطبائع الحية وغير الحية، الناطقة وغير الناطقة يقتضى بالضرورة واضعا له، وحافظا له، فيتم لجميع الكائنات الجمال والإئتلاف العام، هذه العلة الفاعلة لهذا النظام هى الله. (راجع الدفاع ف ١٦، ف ٢٥).

ثانيا : طبيعة الله. صفاته ووحدانيته :

أ ـ صفاته : الله روح بسيط غير مركب... أزلى... أبدى (سرمدى) كامل فى كل شئ... قادر على كل شئ، هو الخير المحض وهو النور... وهو القوة... وهو الجمال... وهو الحق... وهو العقل غير المنظور واجب الوجود غير المادى، خالق المادة وصانع الكون، المسيطر على كل الوجود، الضابط الكل، المعتنى بالكائنات، الموجود بذاته، غير المخلوق، الذى لا يمكن تصوره، غير المحدود، الفاحص غير المفحوص، الثابت غير المتغير، العادل الرحيم الذى لا ينفعل ولا يشتهى ولا يحتد ولا يحزن...

ب ـ وحدانيته :

الأدلة العقلية : أثيناغوراس هو أول مفكر مسيحى حاول أن يبرهن على وحدانية الله برهنة عقلية، وله فى ذلك دليلان:

الدليل الأول : لا يمكن أن يكون الله أكثر من إله واحد، لأن آلهة كثيرين لا يستطيعون أن يوجدوا معا فى مكان واحد، إذ الإله يجب أن يتميز بشئ ينفرد به من حيث هو إله، وهذا يقتضى فى الله التركيب والتجزؤ، وحيث أن الله بسيط لأن المركب يقتضى علة مركبة، ولأن المركب يمكن أن ينحل فهو قابل للفناء، فلابد أن يكون الله واحدا....

ولا يمكن أن يكون الله أكثر من إله واحد فى غير مكان واحد، لأن الله الذى خلق العالم هو فى العالم ويحيط بالعالم معنيا به، وليس ثمة مكان لإله آخر، وإذا كان له مكان خارج العالم فهو لا يعنينا، كما أن وجوده فى مكان يدل على أنه محدود، فليس هو بإله وعلى ذلك فليس غير إله واحد هو الذى خلق العالم ويسيطر على كل الوجود (راجع الدفاع ف ٨)

الدليل الثانى : مؤداه أن كل موجود فهو مخلوق بفعل واجد فالإله بالضرورة وهو واجب الوجود.

الأدلة النقلية :

١ ـ **الفلاسفة والشعراء** : لقد فطن الفلاسفة إلى إيمان المسيحيين بضرورة أن يكون الإله واحدا، ثم يؤيد هذا الرأى بأقوال الشعراء والفلاسفة الوثنيين من أمثال: ايريبيدس ومسوفوكليس واسكليبوس وهوميروس وهزيود وهيراقليس وفيلولاوس، وليسيس وأوبسيموس والفيثاغوريين وتاليس وانبادوقليس، وأفلاطون وأرسطو والمشائين والرواقيين.

٢ ـ **الأنبياء** : ولئن أقر الفلاسفة والشعراء بذلك عن طريق عقولهم إلا أن الأنبياء أيدوا الوحدانية بوحى من السماء هبط على قلوبهم، ثم يورد أقوال الأنبياء بالروح القدس من أشعياء وأرميا وغيرهما، إلا أنه يقتبس من أشعياء على الخصوص: «أنا هو الله، الأول والآخر، لم يكن قبلى إله، ولا يكون بعدى إله، وليس غيرى إله» (أش ٤٣ : ١٠، ١١ ـ ٤٤ : ٦). (راجع الدفاع ف ٥، ٦، ٧، ٩).

ثالثا : الثالوث الأقدس :

يؤمن المسيحيون بوحدانية الله، ولا يطعن فى هذه الوحدانية إعتقادهم فى الآب والابن والروح القدس، لأن هؤلاء الثلاثة واحد فى الجوهر، ولقد نقول «الله الآب، الله الابن، الله الروح» ومع ذلك فهو إله واحد منذ الأزل وإلى الأبد، وإذا كنا نميز بين الآب والابن والروح القدس، فمن حيث الترتيب الوجودى، لا من حيث الترتيب الزمنى.

أما الآب فغير مخلوق وغير مولود، وهو العقل، الأزلى الأبدى غير المنظور، ويقيم فيه الابن قياما أزليا أبديا بغير إفتراق، فالآب فى الابن والابن فى الآب وهما متحدان إتحادا طبيعيا

جوهريا، وإن كان الآب هو العقل Νοῦς فالابن هو الكلمة أو اللوغوس Λόγος أى العقل الظاهرفى الكون، إذ أن الابن هو الذى أظهر الله أو هو المظهر لله والمعبر عن الله، وهو صورة الله وقوة الله وحكمة الله، وبه خلق الملائكة وقلدهم شتى وظائفهم، وبه خلق الناس وسائر الكائنات. فالكلمة هو الخالق أو قوة الخلق الفاعلة وهو الصورة أو المثال archetype الذى خلق الناس على نموذجه وبه وفيه خلقت الكائنات.

الابن إذن مولود غير مخلوق، هو أول إنتاج الآب γέννημα لا يعنى أن الآب أوجده إذ أن الابن كائن مع الآب منذ الأزل λογικός بل معناه أن الابن برز أو تقدم προελθῶν ليكون الصورة والقوة الفاعلية لجميع الأشياء، وهذا هو تفسير قول النبى عن الكلمة «الرب صنعنى أول سبل أعماله» (أم ٨ : ٢٢)...

ومع أن أثيناغوراس يؤكد أن الكلمة قائم مع الآب وفى الآب منذ الأزل، إلا أن عبارته هنا عن الابن تحمل على الإعتقاد بأن الكلمة لم يولد إلا فى زمن الخلق ومن أجل الخلق، وهى عبارة خطرة تعد أساسا للفكرة الخاطئة القائلة بولادة الابن فى الزمان، بينما أن العقيدة المسيحية تجعل بنوة الابن للآب أزلية لا زمانية، فضلا عن أنها متصلة غير منفصلة، طبيعية لا وضعية، عقلية غير مادية، روحية غير جسمية، وهى فريدة فى بابها، ولذا سمى الكلمة بأنه الابن الوحيد (الكائن) فى حضن الآب وهو الذى خبر، أى أعلمنا عن الآب غير المنظور، وأما الروح القدس فهو الروح الفاعل فى الأنبياء والناطق بألسنتهم هو صدور من الله ἀπόρροια أى فيض أو بثق يصدر عن الله ويرتد إليه كالنور أو كشعاع الشمس ينبثق منها ويرتد إليها (١) وهو الحافظ للموجودات.

ولئن كان أثيناغوراس لا يتكلم عن الآب أو الابن أو الروح القدس على أنهم أقانيم للثالوث، إلا أنه يعنى ببيان الوحدة الجوهرية القائمة فيهم، وأنهم واحد فى الأزلية والأبدية والسرمدية وسائر الكمالات الإلهية. وهو ما يتفق مع إيمان المسيحيين بوحدانية الله وإنكارهم لتعدد الآلهة. (راجع الدفاع ف ١٠، ١٢، ٢٤).

---

(١) هذا التشبيه الذى استخدمه أثيناغوراس فى دفاعه، قد شجبه القديس يوستينوس إذ إتخذه السابليون فيما بعد واستعاروه على الكلمة، يقولون أن هذه القوة غير قابلة للإنقسام، كما أنها غير قابلة للإفتراق عن الآب كضوء الشمس على الأرض، فإنه لا يقبل الإنقسام ولا يقبل الإفتراق عن الشمس فى السماء.

ويظهر أن القديس يوستينوس شجب هذا التشبيه لأنه قائم على أساس إنكار سابيلوس وأتباعه للأقانيم، الذين علّموا بأن الثالوث اقنوم واحد سمى فى العهد القديم بالآب وفى الجديد بالابن وحل على الرسل باسم الروح... وقد شجبت الكنيسة هذا التعليم بمجمع عقد فى الأسكندرية وآخر فى رومية عام ٢٥٨م.

رابعا : الملائكة :

يعتقد بعض المبتدعين فى الملائكة أنهم ظهورات مؤقتة أى أنهم أشباح، تظهر فى أوقات معينة ثم تختفى بعد ذلك، وتمضى إلى العدم المحض، فهى فى عرفهم ظهورات وليست كائنات، وأشباح وهمية وليست موجودات حقيقية، ظهورها مؤقت عارض وليس ثابتا ولادائما. وربما كان هؤلاء القوم الذين يعتقدون فى الملائكة هذا الإعتقاد هم الصدوقيون من بين الفرق اليهودية أو من على شاكلتهم، «لأن الصدوقيون يقولون أنه ليس قيامة ولاملاك ولا روح» (أع٢٣: ٨).

أما أثيناغوراس فيكتب عن الملائكة بإعتبارهم كائنات مشخصة وليست ظهورات، ويذكرهم كعادة اللاهوتيين المسيحيين فى المرتبة التالية بعد الثالوث الأقدس. ويقول أن المسيحيين يعتقدون بقوى أخرى تسيطر على المادة وبالمادة هى الملائكة والخدام، وهى مخلوقات برأها الله بواسطة الكلمة ووزعها على أنحاء الوجود وأقامها على مختلف أجزاء الكون، لتعنى بالعناصر والسموات والأرض وبحسن تدبيرها جميعا، وبذا تصير عناية الله شاملة لجميع الكائنات شمولا عاما مطلقا (راجع الدفاع ف ١٠، ٢٤)، (ومجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٦ ع ٩٠٨، ٩٠٩).

خامسا : الإنسان :

يتألف الإنسان كما يقول أثيناغوراس من الروح والجسم أو من النفس والبدن، والروح خالدة ولها ملكات أو قوى تخصها، ولكن التمييز العقلى ليس هو من فعل الروح وحدها، بل هو من فعل الإنسان بإعتباره كلا مؤلفا من روح وجسم. وكل ما يصدر عن الإنسان من أفعال وما يجرى على لسانه من أقوال، إنما يشترك فيه الروح والجسد معا، لأن أعضاء الجسم هى الآلات التى تتم بواسطتها الأفعال وتظهر بها الأفكار والأقوال. فالروح والجسم متحدان فى الطبع والجوهر، ومتحدان كذلك فى الفكر والقول والعمل، وعلى ذلك فإن الروح تعتبر ناقصة وغير كاملة إذا لم تكن متحدة بجسدها، ولذا فالعبادة الكاملة لا تقوم إلا بإشتراك الروح والجسم، كما أن محاكمة الإنسان فى يوم الدين لا تكون عادلة إلا إذا وقعت على الروح والجسم معا. (راجع الدفاع ف٢٧، قيامة الموتى).

سادسا : مشكلة الشر فى الوجود :

أ ـ خلق الله الملائكة أحرارا غير مقيدين، مختارين غير مسيرين، وقد أحسن بعضهم تصرفه فقاموا بما عهد إليهم القيام به بأمانة ولم يتعدوا حدود وظائفهم، وهؤلاء هم الملائكة الأخيار، ولكن البعض الآخر قد خرجوا على قانونهم الطبيعى وتخطوا السلطان الذى خول لهم وهؤلاء هم

الملائكة الأشرار أو الجن، ومن بينهم وعلى رأسهم أمير المادة وعدو الله أو - على الأصح - عدو الخير الذى فى الله.

أساء الأخيرون إستغلال حريتهم وأطلقوا العنان لشهواتهم، فسقطوا مع العذارى الآدميين (بنات الناس) فى الدنس، واستعبدتهم اللذة البهيمية وصاروا أشرارا وأهملوا ترتيب وظائفهم، وقد انسلوا من بنات الناس كائنات تدعى بالجبابرة.

وإذن فقد هوى الملائكة الأشرار من السماء وأمسوا يسكنون الهواء والأرض أى فى دائرة السماء الأولى، ولم يعد فى إستطاعتهم أن يرقوا إلى السماء أو ما يتصل بالسماء، ولذلك فهم يجوبون حول العالم يثيرون فى الناس الشك والقلق، ويعملون على إغراء الأفراد والأمم بمختلف الأساليب الباطنية والظاهرية على الضلال، طورا بإثارة الميول والأهواء الشريرة وأخرى بالإستناد إلى الأفكار والمشاعر الروحية السامية ثم يستميلونهم إلى عبادة الأوثان، وإذ يمتلكون عقولهم يلقون إليها بتصورات باطلة ويوهمونهم بأنها صادرة عن التماثيل لتضليلهم، مع أنها قد تصدر عن الشياطين أو قد تصدر أحيانا عن النفس الإنسانية، التى قد تبلغ فى بعض الناس مرتبة من الشعور والحساسية حتى أنها تنبئ بالمستقبل، وعلى ذلك فإن ما يعزوه الوثنيون إلى آلهتهم وتماثيلهم من المعجزات وخوارق العادات وأنواع الأشفية والإنباء بالمستقبل، إنما هو من فعل الشياطين لا من فعل الآلهة على الحقيقة. (راجع الدفاع ف ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧)

ب - هذا هو الدور الذى لعبته الشياطين فى خلق الشر بالوجود، ولكن الإنسان يلعب دورا أيضا. يقول أثيناغوراس إن الله لم يخلقنا على غرار البهائم والأغنام، بل خلقنا أحرارا مختارين بيدنا مناط أمرنا، فإما أن نرغب الشر والضلال ونستعبد أنفسنا للحم والدم ونتلهى بالشهوات المادية واللذات البهيمية فنسئ إلى حريتنا، وإما أن نرغب الخير والبر فنسلك بالفضيلة والتقوى فى الفكر والقول والعمل ونكون قد أحسنا إستغلال حريتنا الممنوحة لنا من الله.

ذلك أن النفس الإنسانية إذا كانت تتأمل الحق وتتطلع إلى الآب وصانع الكائنات جميعها، تصبح نفسا روحانية ولكنها عندما تشارك فى الروح المادى وتمتزج أو تتحد به وتتحول بنظرها إلى أسفل، فتنصرف إلى الأرضيات فتنزل عن جلالها وسموها، وحينئذ تدركها أفكار غريبة لا توافق العقل، وقد تمتلكها الشياطين فتلقى إليها بتصورات وهمية كاذبة وترديها فى ضلالات ومفاسد وشرور.

فالشر فى الإنسان وهو علة شقائه وبؤسه، يرجع إلى تحوله عن التأمل فى الحق والتطلع إلى الله، ثم إلى إنصراف الإنسان عن الغرض الحقيقى من وجوده (القيامة ف ٢٧) وإلى إرتباكه بالمادة (الدفاع ف ٢٧) وأخيرا إلى الشياطين إذ امتلكت نفسه فألقت إلى عقله بالأفكار المضلة.

سابعا : الجزاء والمصير :

أ ـ وإذا كان الإنسان حرا (راجع الدفاع ف ٢٥ ، ٢٧ ، ٣١) فإن الحرية تقتضى المسئولية، ولابد لنا أن نقدم لله الذى خلقنا وخلق جميع الكائنات حسابا عن كل شئ صدر منا فى حياتنا الحاضرة، فهو الديان العظيم والفيصل الحق الذى سيقضى جميع أعمالنا وسيكتشف بنوره أعماق قلوبنا وخلجات أفكارنا، بحيث لن يفلت من فحصه أو حكمه شئ فى الخفاء كان أو فى العلانية، فى الليل أو فى النهار، ولقد يمكن للإنسان أن يفر من عقوبة القوانين الوضعية أما الله فمن يستطيع أن يفر من بين يديه ؟؟؟

ب ـ ولن تخمد النفس أو تفنى بموت الجسد وإنحلاله ـ كما يزعم بعض الناس ـ ولن تنتهى بحكم الديان حياة نفوسنا إذ هى خالدة لن تموت، ولسوف تحيا حياة أخرى أبدية سعيدة أو شقية، حسبما يصور الحكم على النفس وفقا لأعمالها فى الجسد. فإذا كانت النفس قد ضلت وغوت ثم سقطت فى الشر والعصيان والفساد صار مقرها النار الأبدية (١) . وإلا فإذا أرضت الله وعاشت فى الطهر والبر والخير أنعم عليها بالخلود فى سعادة مقيمة. وستحيا حياة أبدية، حياة سماوية لا أرضية، فتقيم إلى جوار الله ومع الله، لا يعتريها تغير أو فساد أو ألم أو شقاء، فالمسيحيون إذن يترجون حياة أفضل من الحياة الراهنة بحيث لا يستطاع وصفها أو التعبير عنها فى ألفاظ وعبارات، على شرط أن يصلوا إليها أطهارا من كل فعل أثيم، وقد اتصفوا بالحلم والعفة وضبط النفس وعلى قدر التعب سيكون الجزاء لأن الله سيجزى كل واحد حسب أعماله (راجع الدفاع ف ١٢ ، ٣١) .

جـ ـ وإذ أن النفس متحدة ـ فى الأرض بالبدن، وقد فعلا الخير معا. فعدالة الله تقتضى أن تنال النفس جزاءها مع الجسد. إذ أنه كان فى خدمة الدوافع النفسانية والميول والأهواء الموافقة أو المضادة للعقل، وإذن فلابد للجسم الذى مات وبلى ثم تحلل وفنى من أن يعود للحياة من جديد، وليس ثمة ما يمنع كما يقول الفلاسفة من أن تتكون الأجساد ثانية بعد إنحلالها من نفس العناصر التى كانت تتألف منها أولا. وهل يعسر على الله أن يجمع الجزئيات التى تبعثرت وتشتّت ويؤلف بينها، وهو الذى خلقها من العدم!!!

---

(١) كتب القديس اغناطيوس فى رسالته إلى أفسس : ١٦ عن النار التى لا تُطفأ (راجع فونك مؤلفات الآباء الرسوليين مجلد ١ ص ١٨٦) (Funk, Opera Patr. apost., t. l, p. 186) راجع أيضا الرسالة إلى ديوجنيتس ١٠ مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٢ ع ١١٨٤ ، ثم القديس يوستينوس «الدفاع» ١ ، ٢١ مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٦٥ ع ٣٦١ ، وثيوفيلوس الإنطاكى «إلى أوتوليكوس» Ad Autol ١ ، ١٤ مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ١ ع ١٠٤٥ .

خاتمة

لم يكن أثيناغوراس شخصا مثقفا فحسب، ولكنه معلم عظيم وأستاذ كبير، استطاع أن يجمع فى شخصه عقلية المحامى والفيلسوف والمؤرخ، وعالم المنطق وعالم النفس وعالم الأخلاق وعالم الدين معا، فقد رأيناه قانونيا ضليعا ومحاميا بارعا بديعا، يدفع الإتهام بدفوع سليمة لا يستطيع الخصم منها إفلاتا، ورأيناه فيلسوفا عالما يجمع المذاهب الفلسفية السابقة عليه والمعاصرة له، شارحا أفكارها شرحا دقيقا، كما أنه كان يدلى بآرائه الخاصة بعقلية فلسفية متزنة وآراء طريفة حصيفة، ثم رأيناه مؤرخا عارفا بتاريخ الأقدمين، بحيث أن ما كتبه عن تاريخ وعادات وتقاليد وديانات القدامى الوثنيين يعد مرجعا محترما قدم لنا معلومات هامة، قد لا نجدها فى كتب أخرى، أما أنه عالم منطقى فهو كذلك نظريا وعمليا، فقد تحدث عن المقولات والبدهيات، والقياس ورد القياس والموضوع والمحمول، ثم كان مرتبا فى تفكيره منظما فى تأليفه بما يشهد له بالعقلية المنطقية الممتازة، وكان عالما بالنفس يعرض ما يجرى بالنفوس البشرية من ضروب المشاعر والإنفعالات والعواطف وكيف تتغير النفس فى إتجاهاتها ومشاعرها، وكيف تستطيع العوامل والإغراءات الخارجية أن تؤثر فيها. وكان عالما بالأخلاق يسخر بالسوفوسطائيين الذين يعنون بالألفاظ ويهملون سلوك الحياة، وكان يدلى فى عالم الأخلاق بأحكام صائبة تدل على ضمير مستقيم وأخلاق قويمة، ومن أخلاقه ما يمكن أن نستدل عليه من أسلوبه، فهو كاتب نزيه لا يغالط فى الحق، رقيق لكنه شجاع، ويبدو من صرامته فى حديثه عن العفاف وأنه ذو أخلاق كريمة.

ثم هو فوق هذا كله يكتب بوصفه رجلا من رجالات الدين المسيحى، وقد أجاد فى شرح التعاليم والعقائد المسيحية، مستغلا معارفه المنطقية والقانونية والسيكولوجية والفلسفية والخلقية والتاريخية بما يؤيد به الدين المسيحى، ويدفع عنه كل ما يثار ضده من إتهامات، ولو أنه وقع فى أخطاء لاهوتية يجب أن نشير إليها من وجهة نظر المسيحية:

١ ـ قال أثيناغوراس أن الابن ولد من الآب ليكون الصورة والقوة الفاعلية لجميع الأشياء، وهى عبارة خطرة كما قلنا سابقا، وقد تعد أساسا لبدعة تزعم أن الابن ولد فى الزمان، ولو أننا يجب إنصافا للرجل أن نقول أنه كثيرا ما كان يؤكد أن الابن مع الآب وفى الآب منذ الأزل.

٢ ـ قال: أن الروح القدس فيض من الله، يصدر عنه كشعاع الشمس ينبثق منها ويرتد إليها، ويظهر أن هذا التشبيه شجبه الآباء لأن السابليين استعملوه، وهم ينكرون أقنومية الروح القدس.

٣ ـ قال عن الشيطان: أنه أمير المادة، وأن الله أقامه عليها ليعنى بها، ويسوسها ويدبرها وهو تعليم لا أساس له فى المسيحية.

٤ ـ قال : أن الروح الإنسانية تعد ناقصة أو غير كاملة إذا لم تتحد بجسدها، وأن العبادة تعتبر ناقصة مالم تصدر عن الروح والجسد، وهذا قول حق إذا قيل عن الروح مادامت مرتبطة بجسدها، فإذا إنفصلت عنه بالموت لم تكن عبادتها بالروح وحده ناقصة، وهذا ما تؤيده أقوال الرسل فى العهد الجديد.

٥ ـ زعم أن الأطفال لا يعاقبون إذ لم يفعلوا شرا ولاخيرا، وهو رأى يهدم نظرية الفداء فى المسيحية من أساسها.. لو ترتب عليه عدم حاجة الأطفال للعماد.

٦ ـ قال : أن الله لا يطلب غير ضحية القلب، فلم يشر إلى الأفخارستيا كما أفاض بالحديث عنها القديس يوستينوس بإعتبارها ذبيحة غير دموية، كما أنه لم يتحدث عن ذبائح التوزيع وأفعال الرحمة فى العهد الجديد.

٧ ـ أنه على قول مثوديوس، اشترك فى خطأ الذين نسبوا سقوط الملائكة إلى علائق العشق من العذارى البشريات وأنهم أنسلوا منهن الجبابرة ـ وربما كان أساس هذه الفكرة قول الكتاب المقدس: «وحدث لما ابتدء الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا. فقال الرب: لا يدين روحى فى الإنسان إلى الأبد لزيغانه وهو بشر، وتكون أيامه مائة وعشرين سنة، وكان فى الأرض طغاه فى تلك الأيام، وبعد ذلك أيضا إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا، هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم» (تك ٦ : ١ ـ ٤) على أن هذا التأويل الذى يفسر أبناء الله بأنهم الملائكة لم يقل به أثيناغوراس وحده بل قال به غيره أيضا. ولكنه على كل حال يثير عدة مشاكل... لأنه اعتبر أبناء الله هم الملائكة، وليس فى الكتاب ما يقطع بصحة هذا التأويل، بل فى الكتاب نصوص تفيد بأن القديسين يدعون كذلك أبناء الله... ثم إن هذا التأويل يفترض فى الملائكة أنه قد استعبدتهم الشهوة البهيمية أو اللذة الجنسية... ثم يفترض كذلك أنه يمكن للملائكة أن ينسلوا من البشر، وهو أمر يقتضى من الوجهة البيولوجية أن تكون الملائكة من فصيلة مقاربة للفصيلة البشرية على الأقل، حتى يتم بينهما الإتصال الجنسى المخصب، وهل يتفق هذا التأويل مع قول السيد المسيح عن البشر فى الحياة الأخرى «لأن (الرجال) بعد القيامة لا يتخذون لهم نساء ولا النساء (أزواجا) وإنما سيكونون كملائكة الله (الذين) فى السماء» (١).

هذه هى النظرات الشاذة فى مؤلفات «أثيناغوراس» ولابد أن نشير إليها على الرغم من إشادتنا بعقلية فيلسوفنا وعبقريته، وربما لهذه الأسباب، وربما لغيرها أيضا، لم يحسب أثيناغوراس بين قديسى الكنيسة، وإنما عرف بلقب الفيلسوف فقط.

---

(١) ورد هذا النص فى ترجمة المدرسة الإكليريكية وفقا للنسخ القبطية وهكذا: «أنهم فى القيامة لا يتزوجون ولا يتزوجن بل يصيرون كملائكة الله فى السماء» (مت ٢٢ : ٣٠)

الدفـــــاع

أو الإحتجاج أو المحاماة

للفيلسوف أثيناغوراس

الدفاع
أو الإحتجاج أو المحاماة

إلى الإمبراطورين مرقس أوريليوس أنطونيوس،
ولوسيوس أوريليوس كومودوس فاتحى أرمينيا وسارماطيا،
والفيلسوفين، قبل كل شئ آخر

الفصل الأول
المسيحيون يعلنون الجور والبغيان

فى إمبراطوريتكم، يا أعظم الحكام، أمم مختلفة، ذات عادات وقوانين مختلفة، وليس محظوراً على أحد فيها، لا من قبل القانون، ولا خوفاً من عقاب، أن يتبع عادات أسلافه، مهما تكون زرية مضحكة، فالمواطن فى اليوم يدعو هكتور إلهاً، ويتعبد لهيلين متخذاً إياها لادراستيا. والمقدونى يحترم أجامنون كأنه زيوس، وكذلك فيلونيه ابنة تينداروس، كما أن أهل تينيدوس يعبدون تينيس (١) والأثينى يضحى القرابين لإيريختيئوس كما لپوزيدون، كذا يقوم الأثينيون بآداء فروض دينية وطقوس تقليدية إجلالاً وتعبداً لأجراولوس وياندروسوس وهما إمرأتان متهمتان بجريمة العصيان أو الكفر، بسبب فتحهما للصندوق، وبالإيجاز فإن فى كل أمة وشعب، يقدم الناس ضحاياهم ويحتفلون بطقوسهم كما يشاءون، بل والمصريون يحسبون، حتى القطط والتماسيح، والثعابين، والأفاعى والكلاب من بين آلهتم، فلقد أجزتم، وأجازت القوانين أيضاً، لهؤلاء جميعاً، أن يتعبدوا كما يريدون، إعتقاداً منكم أن عدم الإيمان بإله على الإطلاق شر وإثم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنه من الضرورى لكل إنسان، أن يتعبد للآلهة التى يختارها لعبادته، إذ أن مخافة الله تقى الناس أفعال الشر، ولكن لِم، وأنتم لا تساقون كما تساق عامة الناس بالقيل والقال - لم يكن مجرد الإسم ممقوتاً لديكم؟ (٢) إن الأسماء لا تستحق أن تكره، وإنما الفعل الأثيم هو الذى يستحق القصاص والعقاب، وبناء على ذلك يتمتع الأفراد بالمساواة فى الحقوق. معجبين بحلمكم ورقتكم وميلكم إلى السلام وحب الخير لكل إنسان، كما أن المدن أيضاً تستمتع بكرامة ملائمة لمرتبتها، بل والإمبراطورية بتمامها تنعم، فى ظل حكومتكم الرشيدة، بالسلام الكامل، ولكنكم لم تعنوا العناية نفسها بنا نحن المسيحيين، فمع أننا لم نرتكب شراً على الإطلاق - كما سيظهر من تتمة هذا المقال (الحديث)، إذ أننا جميعاً نعبد الله بكل ورع

---

(١) هنا نجد إختلافات كثيرة فى القراءات، ولكننا أخذنا بالنص الذى اقترحه جسنر.

(١) وقد أخذنا هنا بنص أوتو، بينما يقرأه آخرون : لدينا.

وتقوى، خاضعين لحكومتكم - إلا أنكم سمحتم بأن يثقل علينا وأن نسلب، وأن نضطهد وأن يثير الجمهور علينا حرباً من أجل الاسم الذى دعى علينا فقط. لذلك نجرؤ على أن نقدم إليكم تقريراً عن حالتنا، وسوف يتبين لكم من هذا المقال، إننا نعامل بغير عدل معاملة يأباها كل قانون وكل عقل - فنتضرع إليكم أن تعيرونا نحن أيضاً شيئاً من عنايتكم، حتى لا تهرق بعد دماؤنا إرتكاناً على إتهامات باطلة، إذ أن الغرم الذى يفرضه علينا مضطهدونا لا يتناول ممتلكاتنا فقط، ولا شتائمهم تثلم هيبتنا فحسب، ولا الضرر الذى يلحقوه بنا قاصراً على أكثر الأشياء نفعاً لنا، فكل هذه الأمور ننظر إليها نظرة إزدراء، ولو أنها تبدو لأكثر الناس على جانب عظيم من الأهمية، لأننا قد تعلمنا ليس فقط أن لا نرد ضربة بضربة، أو أن نقاضى ناهبينا وسالبينا، بل أن نقدم خدنا الأيسر لمن يصفعنا على خدنا الأيمن وأن نعطى الرداء لمن ينزع عنا الثوب، ولكننا عندما نسلم لهم فى ممتلكاتنا، (لا يكتفون بذلك بل) يكيدون لنا فى أجسامنا وأرواحنا، ويصبون علينا أثقالاً من الجرائم، نحن براء من إقترافها، ومن مجرد التفكير فيها ولكنها تخص أولئك المهذارين أنفسهم ممن لا نفع منهم، وكل من على شاكلتهم.

الفصل الثانى

فى المطالبة بأن يعامل المسيحيون كما يعامل غيرهم عندما يتهمون

إذا استطاع أحد، حقاً، أن يثبت علينا جريمة، صغيرة كانت أو كبيرة، فإننا لا نطلب أن نعفى من العقوبة، بل نحن على إستعداد أن نحتمل أشد عقاب وأقصاه (وأقساه) أما إذا كان الإتهام يقوم على مجرد إسمنا. وليس من ينكر أن القصص التى يروونها عنا حتى الآن لا تقوم على شئ أكثر من أقاويل وإشاعات، يذيعها العوام بغير تمييز، وأن واحداً من المسيحيين لم تثبت عليه جريمة ما - فمن ثم يلزمكم أيها الملوك الأجلاء والعلماء الكرام أن تمنعوا بالقانون هذه المعاملة البغيضة الجائرة، حتى أنه كما يتمتع بحسن معاملتكم، جميع العالم مدناً وأفراداً، نشعر نحن أيضاً بشعور الإمتنان نحوكم، مغتبطين، إذا كنا لا نصير بعد الآن ضحايا إتهامات باطلة.

إذ لا يتفق مع عدالتكم أن غيرنا إذا كان متهماً بجريمة ما، لا يعاقب إلا إذا ثبتت عليه جريمته، أما بالنسبة لنا فالإسم الذى نحمله يعتبر أقوى من كل دليل يحتج به أمام القضاء، فبدلاً من أن يبحث القضاة ما إذا كان المتهم قد ارتكب جريمة ما، يصبون لعناتهم على الإسم، كما لو كان الإسم نفسه جريمة، لكن ليس من اسم يعتبر فى ذاته وبذاته خيراً أو شراً (جيداً أو رديئاً) فالأسماء تظهر جيدة - أو رديئة تبعاً للأفعال التى تستقر وراء هذه الأسماء، رديئة كانت هذه الأفعال أو جيدة، ومع ذلك، فأنتم أنفسكم تعرفون هذا جيداً، إذ أنكم قد أجدتم دراسة الفلسفة

وكل علم، ولهذا فإن الذين يحاكمون أمامكم لا يخشون من شئ، مع أنهم قد يكونون متهمين بأشنع الإتهامات، وذلك لأنهم يعرفون إنكم ستستعلمون عن حياتهم السابقة، دون أن تتأثروا بالإسم الذى يتسمون به، إذا لم يكن هذا الإسم يحمل جريمة، ولا بالإتهامات الواردة ضدهم . إذا كانت هذه الاتهامات باطلة، أنهم يتقبلون برضى، على حد سواء، الحكم بالإدانة (العقوبة أو البراءة) إذا كان عادلاً، فنحن إذن لا نطالب لأنفسنا إلا بما خول به حقاً عاماً لجميع الناس، نطالب بأن لا نمقت أو نعاقب فيما بعد لأننا مسيحيون إذ ما هى جريرة الإسم إذا كنا نحن أشراراً؟ بل نطالب أن نحاكم على أى تهمة قد توجه ضدنا (إلينا) فإما أن نتبرأ إذا ما استطعنا أن ندحضها، أو أن نعاقب - إذا ثبتت علينا - ولكن لا من أجل الإسم الذى يطلق علينا، بل من أجل الخطأ الذى نكون قد إرتكبناه بالفعل. والحق أنه ليس من مسيحى شرير إلا إذا كان قد أقر بتعاليمنا إقراراً باطلاً. هكذا رأينا الفلاسفة يحاكمون، إذ القاضى لا يحكم على أحد منهم بأنه فاضل أو شرير نظراً لعلمه أو فنه، بل يحكم عليه بالعقوبة إذا اتضح له أنه قد ارتكب جرماً (إثماً .. شراً) ودون أن توصم الفلسفة فى ذاتها بالشر، إذ هو الشرير لأنه لم يدرس الفلسفة على منهج سليم، أما العلم فلا عيب فيه، فإذا أقام الحجة على بطلان ما أتهم به. حكم له بالبراءة - اطلق سراحه - فلنتمتع نحن إذن بهذه العدالة سواء بسواء. ولتفحص حياة المتهمين، وليبرأ الإسم من كل تنديد. فينبغى فى مطلع هذا الدفاع، أن أتضرع إليكم أيها الإمبراطرة الأجلاء. أن تنصتوا إلىّ بغير تحيز: فلا تكونوا محمولين - (تحملوا) - بالأحاديث غير المعقولة التى تتناقلها العامة، أو تحكموا فى قضيتنا قبل أن تستوعبوها، بل فلتلبوا نداء رغبتكم فى المعرفة وحبكم للحق، وافحصوا عقيدتنا أيضاً. بذلك لا تقعون من جانبكم فى خطأ الجهالة، ونحن أيضاً بردنا على التهم التى أشاعتها عنا الجماهير العامة - بلا ترو أو تمييز، نوقف تيار هذه الهجمات.

الفصل الثالث

الإتهامات التى تثار ضد المسيحيين

يُدّعى علينا بثلاثة أمور: الإلحاد، ولائم ثيستين، المعاشرة الأوديبية، أما إذا كانت هذه الإتهامات حقيقية فلا تستثنوا أى نوع منها: اشرعوا فى الحال لمقاومة جرائمنا، استأصلونا - أبيدونا - أصلاً وفرعاً بزوجاتنا وأولادنا، إن وجد هناك مسيحى (١) يعيش كما تعيش البهائم والوحوش، مع أن الوحوش نفسها لا تقرب حيواناً من جنسها، وهى تتزاوج لا بدافع من العبث البحت بل وفقاً لقانون طبيعى، ولا يتم ذلك إلا فى فصل معين من السنة، كما أنها أيضا تعترف

(١) هكذا جاء فى نص أوتو، ولكن آخرين يقولون «أى إنسان» .

بفضل المتفضلين عليها والمحسنين إليها، وإذن، فأى عقاب يمكن أن يوقع على من هو أشد وحشية من الوحوش. فليكون ملائماً لمثل هذه القباحات والشرور؟ .... ولكن إذا لم تكن هذه الإتهامات غير روايات باطلة، وإشاعات لا نصيب لها من الصحة، أساسها أن الرذيلة تعارض الفضيلة بطبيعتها ، وأن الأضداد، يضاد الواحد منها الآخر بموجب قانون إلهى (وأنتم أنفسكم تشهدون لنا أننا لم نرتكب مثل هذه الشرور، وقد رفضتم دعواهم فيما نسبوه إلينا من مخالفات) فيتبقى عليكم بعد هذا أن تتحروا الحقيقة فيما يختص بحياتنا أو مسيرتنا، ومعتقداتنا ومدى ولائنا وطاعتنا لكم ولبيتكم، وحكومتكم، ثم ... أن تهبوا لنا أخيراً نفس الحقوق (ولسنا نطالب بأكثر من ذلك)، التى يتمتع بها مضطهدونا، وحينئذ سوف ننتصر عليهم، نحن الذين قد سلمنا ولا نتردد فى أن نسلم، بالفعل، حياتنا ذاتها من أجل الحق...

الفصل الرابع
ليس المسيحيون ملاحدة ولكنهم لا يعرفون(يعترفون) غير (بغير) إله واحد

وها أنا أتناول إتهاماتهم. واحداً بعد الآخر، حتى لا نصبح مثار سخريتهم إذا لم نرد على تلك الإتهامات التى أثاروها ضدنا. أما أولاً: فقد ادّعوا علينا بأننا ملحدون نظير دياجوراس، ولكن لقد حكم الأثينيون على دياجوراس، بجريمة الإلحاد لا لأنه أفشى المذهب الأورفى فقط، أو لأنه أذاع أسرار اليسيس وأسرار كابيرى، أو لأنه شقق تمثال هيركيلس الخشبى واستخدمه فى سلق اللفت، بل لأنه قال صراحة أنه ليس إله على الإطلاق، أما نحن أفليس من المستحيل (غير المعقول) أن ينطبق علينا اسم الالحاد ونحن نميز الله عن المادة، ونعلم أن المادة شئ والله شئ آخر. وأن هناك بوناً واسعاً يفصل بينهما. لأن الذهن والعقل يكفيان وحدهما للحكم بأن الإله غير مخلوق أزلى أبدى، ، بينما المادة مخلوقة قابلة للفساد، فإذا كانت ميولنا شبيهة بميول دياجوراس مع أننا نؤمن بالله مدفوعين ببواعث من النظام القائم، والوفاق (الإئتلاف) العام وحجم العالم (الكرة الأرضية) ولونها وشكلها وتنظيمها وترتيبها فإن ما أشاعوه عنا من الكفر، يمكن أن نحمل عبئه على ذواتنا، إذا كنا ننكر علة وجودنا ولكن حيث أن عقيدتنا تقر إلهاً واحداً، هو الصانع لهذا الكون. وهو ذاته غير مخلوق (إذ الموجود لا يصدر إلى الوجود ، بل غير الموجود) . وإنما خلق الأشياء كلها بكلمته المولود منه، فنحن نعامل بغير عدل من جهتين: يطعن فينا ثم نضطهد معاً...

الفصل الخامس

شهادة الشعراء لوحدانية الله

لا يعتبر الشعراء والفلاسفة ملحدين حيث أنهم قد بحثوا فيما يختص بالله. وإذا يتكلم أيريبيدس عن كائنات، تدعى على غير علم، آلهة، وفقاً للتصور العامى السابق فإنه يقول متحيراً:

« إذا كان زيوس يحكم حقاً فى السماء من فوق، فما كان ينبغى أن يبلى البار بالآلام (١) ولكن عندما يتكلم عنه أى عن الله هذا الذى قد توصل الذهن إلى أنه جوهر ذو معرفة يقينية، فإنه يبدى رأيه فى وضوح وذكاء، على هذا النحو:

« ألا تراه فى الأعالى، هذا الذى بذراعيه النديتين يضم الأثير الذى لا حد له والأرض معاً؟ فلتحتسبه زيوس، ولتعتبر أنه الله » (٢)

لم يرد أبداً، لهذه التى يدعونها آلهة، أى وجود حقيقى يكمن وراء ما ينسب إليها عادة من أسماء، فزيوس مثلاً: أنا لا أعرف من هو زيوس، ولكنى اسمع ما يشاع عنه أو أن الأسماء تطلق على كائنات ليس لها وجود واقعى بالفعل (إذ ما قيمة الأسماء لكائنات ليس لها وجود حقيقى تستند إليه؟) ولكنه قد رأى الله عن طريق أعماله (فى أعماله أو مخلوقاته) ناظراً بعين واحدة إلى الأشياء غير المنظورة، متأملاً فى الأشياء التى تظهر فى الهواء أو فى الأثير أو على الأرض. وعلى ذلك فقد استنتج أن من أبدع جميع الخلائق، ومن بروحه يتولى زمامها، إنما هو الله وقد وافقه سوفوكليس على ذلك حين قال:

«هناك إله واحد، وفى الحقيقة ليس غير إله واحد الذى خلق السماوات والأرض الفسيحة من تحتها» (٣)

فإيريبيدس يتحدث عن طبيعة الله الذى أفعم أعماله ومخلوقاته بالجمال مبيناً فى أى مقام يجب أن يكون الإله، كما أنه ينبغى أن يكون واحداً...

---

(١) عن رواية مجهولة.

(٢) عن رواية مجهولة الأصل، ملتبس «فى طبيعة الآلهة» ف ٢٥ ، وقد ترجم فى بعض المواضع هكذا: ألا ترى هذا الأثير الذى لا حد له فى الأعالى، وهو يحتضن الأرض فى ذراعيه النديتين؟ فلتعتبر هذا هو «زيوس» فأثيناغوراس لم يتمكن من فهم ايريبيدس.

(٣) ليس لهذا النص وجود فى كتبه التى لا تزال باقية.

الفصل السادس

آراء الفلاسفة فى الإله الواحد

كذلك فيلولاوس عندما قال أن الله بمثابة حصن يشتمل على جميع الأشياء، علم بأن الله واحد، وأنه أرفع من المادة، كما أن ليسيس ثم أوبسيموس (١)، قد عرفا الله على هذا النحو. فقال أحدهما: إن الله عدد لا يمكن أن ينطق به، وقال الآخر أنه الزيادة فى أكبر عدد على أقرب عدد إليه. ولما كان العدد عشرة هو أكبر عدد عند الفيثاغوريين، إذ هو مجموع الأعداد الأولية (٢)، والذى يحتوى على جميع مبادئ التوافق الحسابية، وكان العدد تسعة يجاوره، فالله إذن هو الوحدة - أى أنه واحد. لأن العدد الأكبر يزيد على العدد الأقل منه والمجاور له بواحد. ثم هناك أفلاطون وأرسطو على أننى لست بصدد إيراد جميع أقوال الفلاسفة فى الله، كما لو كنت أريد أن أعرض مختصراً كاملاً لآرائهم، فأنا أعرف أنكم تفوقون جميع الناس ذكاءً وسطوة فى الحكم، كذلك وبنفس النسبة، تبرزون عليهم جميعاً فى المعرفة الدقيقة بجميع المعارف والعلوم، وقد درستم بالفعل كل فرع منها على حدة بنجاح أكبر، حتى مما أحرزه أولئك الذين كرسوا أنفسهم بالتمام لدراسة أى فرع منها فقط. ولكن حيث أنه من المستحيل أن نبرهن على أننا لسنا وحدنا القائلين بوحدانية الله، دون إيراد الأسماء، فقد أقدمت على سرد الآراء، وعلى ذلك يقول أفلاطون:

«يصعب علينا أن نكتشف الصانع والأب لهذا الكون، وعندما نكتشفه، فإنه يستحيل علينا أن نظهره للجميع» (٣) يقول هذا وهو يتصور إلهاً سرمدياً، واحداً، غير مخلوق. وإذا كان يقول بآلهة أخرى كالشمس والقمر والنجوم، إلا أنه يقول بها على أنها مخلوقة: «آلهة، ذرية آلهة، وأنا صانعهم، وأب لخلائق لا يمكن أن تنحل بدون إرادتى، ولو أن كل مركب يمكن أن ينحل» (٤) فإذا لم يكن أفلاطون ملحداً لأنه تصور الإله واحداً غير مخلوق، وهو سيد الكون، فإننا نحن أيضاً كذلك غير ملحدين لأننا نقرر ونعتقد إعتقاداً راسخاً أن الله هوالذى أبدع جميع الأشياء بالكلمة، وأنه يبقى على وجودها بروحه. كذلك أرسطو وأتباعه إذ يعترفون بوجود إله واحد يعتبرونه أشبه ما يكون بمخلوق حى مركب (زيوس)، يتكلمون عن الله بوصفه مكوناً من روح وجسم، جسده هو الفراغ الأثيرى والكواكب السيارة وفلك النجوم الثابتة، وهو يتحرك فى دوائر، وأما روحه فهى العقل الذى يشرف على حركة الجسم، فلا يخضع هو نفسه للحركة بل قد أصبح علة

---

(١) هكذا ورد فى نص أوتو، أما فى النص العام فقد ورد أوبى.

(٢) واحد، وإثنان، وثلاثة و أربعة مكونة عشرة.

(٣) طيماوس ص ٢٨ ج.

(٤) طيماوس ص ٤١ أ.

لحركة غيره، والرواقيون أيضاً، بإطلاقهم أسماء مختلفة على مختلف التغيرات، المتتابعة، التى تجرى على المادة - هذه المادة التى يقولون أنها مفعمة بروح الله - نقول - إن الرواقيين - قد قالوا بتعدد الآلهة إسمياً فقط، غير أنهم فى الحقيقة يعتقدون بوحدانية الله. لأنه - إذا كان الله ناراً تصنع وينحو بانتظام نحو إنتاج مختلف الأشياء فى العالم، متضمناً فى ذاته جميع المبادئ البذرية (أى جميع مبادئ الخلق والتكوين) التى تنتج وتكون كل شئ طبقاً للقدر وإذا كان روحه يتخلل العالم كله، فالله عندهم إذن واحد، يسمى زيوس نظراً للجانب الحار ٢ τὸ ζέον المادة، ويسمى هيرا نظراً للهواء ὁ ἀήρ ويسمى بأسماء أخرى بالنظر إلى ذلك الجانب بعينه من المادة ، الذى يتخلله الله.

الفصل السابع

سمو التعليم المسيحى فيما يختص بالله

لما كان الكل تقريباً، يعترفون ولو على الرغم منهم، بوحدانية الله عندما يقدمون على البحث فى مبادئ الكون الأولى، ولما كنا نحن أيضاً نؤكد أن الله هو الذى نظم هذا الكون - فلم يتمكن أولئك من أن يقولوا أو يكتبوا ما يشاءون فيما يختص - بالله، دون أن يلحقهم من ذلك أذى، بينما نحن يتعقبنا القانون بالقوة مع أننا نستطيع أن نبرهن على صحة ما نرتئيه ونعتقد به، أعنى: أن هناك إلهاً واحداً - بأدلة قاطعة وبراهين دامغة؟

إن الشعراء والفلاسفة قد سلكوا فى هذا الموضوع كما فى غيره، سبيل الحدس والتخمين وقد اندفع كل منهم بروحه محاولين أن يجدوا الحق وأن يدركوه، مدعين أنهم على إتصال بإلهام من الله، ولكنهم لم يكونوا أهلاً بالتمام لأن يدركوا الحق، ذلك أنهم ظنوه لائقاً أن يتعلموا عن الله. كل واحد من قبل نفسه وليس من قبل الله. ولذا، فقد إنتهى كل منهم إلى رأى خاص فيما يتصل بالله والمادة وأشكالها، والعالم.

وأما نحن فلنا شواهد من الأنبياء على صحة ما نرتئيه ونعتقد به، «والأنبياء» رجال (إناس) تكلموا عن الله وما يتعلق به مسوقين بروح الله. وأنتم أنفسكم إذ تفوقون جميع الناس فطنة وتقوى نحو الإله الحق τὸ ὄντως Θεῖον تسلمون معنا بأنه من المحال بالنسبة لنا، أن نكف «نمتنع» عن أن نؤمن بالروح الذى من الله وهو الذى يحرك أفواه (ألسنة) الأنبياء كما لو أنها آلات موسيقية، بل وعن أن نحذر الآراء البشرية البحتة.

الفصل الثامن

محـــالات الشـــرك

إذن يمكن على هذا الأساس أن نعرفكم بالأدلة والحجج، التى يستند إليهاإيماننا وإعتقادنا فى أن هناك إلهاً واحداً منذ البدء «الأزل»، هو الذى أبدع هذا الكون، فإذا كان هناك منذ البدء إلهان أو أكثر، فإنهم إما أن يكونوا فى مكان واحد بعينه، وإما أن يكون كل واحد منهم فى مكان يخصه على إنفراد. لكنهم لا يمكن أن يوجدوا فى مكان واحد بعينه لأنهم إذ كانوا آلهة فإنهم لا يتشابهون ولما كانوا غير مخلوقين لذا يكونون متخالفين، إذ الأشياء المخلوقة هى التى تشابه نماذجها أما غير المخلوقة فتكون متخالفة، فليس شئ منها قد صدر عن شئ أو صيغ وفقاً لمثال ما. إن العين واليد والقدم أجزاء لجسم واحد تؤلف معاً إنساناً واحداً، فهل الله واحد بهذا المعنى (١) ؟ وفى الواقع، لقد كان سقراط مؤلفاً ومفصلاً إلى أجزاء، وذلك لأنه كان مخلوقاً وقابلاً للفناء، ولكن الله غير مخلوق لا يخضع للألم ولا يقبل الإنقسام ولذا فهو لا يشتمل على أجزاء.

وعلى العكس من ذلك، إذا كان كل منهم منفصلاً عن الآخر، وكان الإله الذى خلق العالم يوجد فوق جميع المخلوقات وحول الأشياء التى خلقها ونظمها. فأين يوجد الإله أو الآلهة الأخرى؟ لأنه إذا كان العالم وهو كروى، محصوراً فى داخل دوائر الفلك، وكان خالق العالم كائناً فوق الخلائق وهو يدبره (٢) بعنايته الإلهية وإهتمامه بهذه الخلائق. فأين إذن موضع الإله الآخر أو الآلهة الأخرى؟ فهو ليس فى العالم لأن العالم يختص بالإله الآخر ولا حول العالم لأن الله الذى صنع العالم هو فوق العالم، فإذا لم يكن فى العالم ولا حول العالم (لأن كل ما يحيط بالعالم يمتلكه «يضبطه» هذا الإله الواحد) (٣)، فأين هو إذن؟ هل هو فوق العالم والإله «الأول»... أفى عالم آخر أو حول عالم آخر؟ ولكن إذا كان فى عالم آخر، أو حول عالم آخر، فهو إذن لا يحيط بنا إذ أنه لا يحكم العالم، وليس عظيماً فى قوته حيث أنه يوجد فى مكان محدود.

فإذا لم يكن لا فى عالم آخر (لأن الإله الآخر يملأ جميع الأشياء)، ولا حول عالم آخر (لأن الإله الآخر يشغل جميع الأشياء)، فمن الواضح أنه لا وجود له على الإطلاق، إذ لا يكون ثمة مكان يمكن أن يوجد فيه، أو ما هو عمله، إذا كان هناك إله آخر ينتسب إليه العالم، وكان هو فوق الصانع للعالم، ومع ذلك ليس فى العالم ولا حول العالم؟

---

(١) لم تنقل.

(٢) أى: العالم.

(٣) أى : الخالق أو الإله الأول.

فهل ثمة مكان آخر يمكن أن يقف فيه؟ ولكن الله وما ينتسب إلى الله فوقه (فوق هذا الإله)، ثم أين يوجد هذا المكان، إذا كان الإله الآخر يملأ الأصقاع التى فوق العالم؟ ربما يبدى إهتماماً وعناية إلهية؟ (بدون أى وسيلة). فإذا لم يفعل هذا، فلا يكون قد فعل شيئاً. فإذا لم يفعل شيئاً ولا أبدى عنايته الإلهية، وإذا لم يكن هناك مكان آخر ليوجد فيه، فهذا الوجود الذى نتحدث عنه هو الإله الوحيد منذ البدء والصانع الفريد للعالم.

الفصل التاسع
شهـــادات الأنـبيـــاء

وإذ نقدم مثل هذه الإعتبارات، فإننا نرضى نفوسنا ولعل البعض ينظر إلى معتقداتنا على أنها معتقدات إنسانية. ولكن أصوات الأنبياء تثبت ما نحن بصدده (أدلتنا) ويخيل إلى أنكم أنتم أيضاً، بما لكم من حماس للمعرفة عظيم، وكبير إحاطة بالعلوم والآداب لا يمكن أن تكونوا جاهلين بما كتبه موسى أو إشعياء وأرمياء وسائر الأنبياء. هؤلاء الذين قد نطقوا بما أوحى إليهم، فى غيبوبة عن الحس سمت بهم عن عمليات العقل الطبيعية، وذلك بفعل قوة الروح القدس الذى استخدمهم ونفث فيهم كأنه لاعب الناى ينفخ فى نايه.

فماذا قال هؤلاء الرجال؟

«الرب هو إلهنا، وليس له نظير» (١) وأيضاً (ثم): «أنا هو الله الأول والآخر، وليس غيرى إله» (٢). وعلى هذا المنوال: «لم يكن قبلى إله، ولا يكون بعدى إله، أنا هو الله، وليس غيرى إله» (٣) ومن جهة عظمته (قالوا) «السماء هى عرشى، والأرض موطئ (وطأة) قدمى: أى بيت تبنون لى، وما هو موضع راحتى» (٤).

ولكنى أترك ذلك لكم عندما تواجهون الكتب نفسها، لتفحصوا بإهتمام وإنتباه ما تشتمل عليه من نبوءات، حتى يمكنكم بالإرتكان على أدلة معقولة، أن تدفعوا عنا ما يرموننا به من شتائم وسباب.

---

(١) إشعياء ف ٤١: ٤، الخروج ف ٢٠: ٢، ٣ (بالمعنى لا بالمبنى).
(٢) إشعياء ف ٤٤: ٦.
(٣) إشعياء ف ٤٣: ١٠، ١١.
(٤) إشعياء فى ٦٦: ١.

الفصل العاشر

المسيحيون يعبدون

الآب، والابن، والروح القدس

لقد برهنت برهنة كافية على أننا غير ملحدين حيث أننا نقر بإله واحد، غير مفحوص، أزلى أبدى «سرمدى»، غير منظور، غير قابل للتأثر والإنفعال، لا يمكن إدراكه، غير محدود، يدرك على نوع ما بالعقل وحده، وهو الذى يكتنفه النور، والجمال، والروح، والقوة التى لا يعبر عنها وبه خلق الكون بواسطة «كلمته» وبه نظم وبقى فى الوجود.

(وقد قلت «كلمته»)، لأننا نعترف أيضاً بابن الله، ولن أسمح لإنسان ما أن يظن من السخرية أن يكون الله ابن. ولو أن الشعراء فى رواياتهم وخرافاتهم، لا يصفون الآلهة بصفات تسمو بهم عن البشر، إلا أن أسلوب تفكيرنا يختلف عن أسلوبهم (أسلوب تفكيرهم) فيما يختص بالله الآب أو الابن. لكن ابن الله هو «كلمة الآب» فى الرأى (الصورة) والفعل، لأن جميع الأشياء قد صنعت به وعلى مثاله (١)، فالآب والابن هما واحد، ولما كان الابن فى الآب، والآب فى الابن، فى وحدة الروح وقوته، فإن الفهم والعقل νοῦς καὶ λόγος (العقل والكلمة) فى الآب هو ابن الله. ولكن إذا لاح لكم نظراً لذكائكم المفرط، أن تبحثوا عن المقصود بالابن، فإننى أقرر فى إيجاز أن الابن هو نتاج الآب. لا من حيث أنه أخرجه إلى الوجود (إذ أن الله، منذ البدء، وهو العقل (νοῦς) الأزلى الأبدى (السرمدى) يوجد فيه «الكلمة»، وهو منذ الأزل كائن مع الكلمة (λογικός)، بل من حيث أنه قد ظهر «برز» ليكون الصورة والقوة الفاعلة لجميع الأشياء الهيولية «المادية»، وهى منه بمثابة طبيعة ليس لها خواص أو أرض ساكنة (غير متحركة) تمتزج فيها الجزئيات الثقيلة بالجزئيات الخفيفة.

هذا وروح النبوءة يؤيد أقوالنا. فهو يقول: «الرب صنعنى، أول سبل أعماله» (٢).

بل ونحن نؤكد أن الروح القدس نفسه والفاعل فى الأنبياء. إنما هو فيض (بشق) من الله، يصدر عنه ويرتد إليه كشعاع من الشمس. فمن ذا الذى لا يتحير عندما يسمع إناساً يتكلمون عن الله الآب، وعن الله الابن، وعن الروح القدس، ويجاهرون بما لهم (للثالوث) من قوة فى الإتحاد وتمايز فى الترتيب، ومع ذلك يدعون ملحدين؟

على أن تعليمنا فيما يتصل بالطبيعة الإلهية (السماوية) لا يقتصر على هذه الأمور، فنحن نسلم أيضاً بجمهور الملائكة والخدام، وزعهم الإله الذى صنع العالم ونظمه، وقلدهم شتى

---

(١) أو، به وفيه.

(٢) الأمثال ف ٨: ٢٢.

وظائفهم بواسطة (عن طريق) «كلمته»، ليهتموا (ليعنوا) بالعناصر، والسموات، والأرض وما فيها، ويحسن تدبيرها جميعاً.

الفصل الحادى عشر
تعاليم المسيحيين الخليقة تدرأ عنهم ما يوجه ضدهم من إتهام

لعله لا يدهشكم أن أدخل معكم فى تفاصيل تعاليمنا ودقائقها. فأنتم لا تسلمون بالرأى الشعبى الذى يتنافى مع العقل، وإنما تريدون الحق واضحاً أمامكم. ونحن نقدم معتقداتنا نفسها والتى نتمسك بها على أنها ليست بشرية بل على أن الله هو الذى تكلم وعلم بها، وبهذا نستطيع أن نقنعكم أن لا تفتكروا فينا أننا ملحدون. فما هى تلك التعاليم التى تربينا فيها؟ «أقول لكم، أحبوا أعدائكم باركوا لاعنيكم، تضرعوا عن الذين يضطهدونكم، فتكونوا أبناء أبيكم الذى فى السماء، وهو يشرق شمسه على الشرير والصالح ويرسل غيثه على البار والظالم» (١).

اسمحوا لى هنا أن أرفع صوتى بشجاعة وجرأة، فى صياح عال وصراخ مسموع، محتجاً لدى أمراء الفلسفة. لأنه منْ منْ أولئك الذين يردون القياسات ويوضحون المبهمات (يجلون الغوامض) ويشرحون أصول الكلمات، أو من أولئك الذين يعلمون المتشاكلات والمترادفات، والمقولات والبديهيات (الأوليات)، وما هو الموضوع وما هو المحمول، والذين وعدوا تلاميذهم أن يسعدوهم بهذه الأمور وأمثالها: من منهم قد طهر أرواحهم، فجعلهم يحبون الأعداء بدل أن يكرهوهم، وأن يدعوا لهم بالبركة بدلاً من أن يتكلموا شراً على من يلعنهم (وإذ يعفون عن ذلك، فهذا بينة فى ذاته على حلم غير عادى)، ويصلون من أجل الذين يأتمرون على حياتهم؟ إنهم، على العكس، لا يكفون مطلقاً، لسوء نيتهم، عن أن يتقصوا بمهارة أسرار فنهم (٢)، وهم دائبون أبداً على فعل شر ما، وقد جعلوا حرفتهم ومهنتهم فن الألفاظ، لا إظهار الحقائق. لكنكم تجدون بيننا أشخاصاً غير مثقفين، وصناعاً، وعجائز، وإذا عجزوا عن أن يبرهنوا على قيمة تعليمنا بكلماتهم، إلا أنهم بأعمالهم، يظهرون ثمرة إقتناعهم بالحق. إنهم لا يسردون ألفاظاً، بل يظهرون أعمالاً صالحة فإذا ضُربوا لا يضربون، وإذا سُرقوا لا يلجأون إلى القانون، وهم يعطون من يسألهم، ويحبون أقرباءهم كنفوسهم.

---

(١) لوقا ٦: ٢٧، ٢٨ ـ متى ٥: ٤٤، ٤٥.

(٢) المعنى ملتبس، والمحتمل أنه يشير إلى ممارسات السوفوسطائيين.

الفصل الثانى عشر
المحال المترتب على تهمة الإلحاد

أفهل كنا (نستطيع أن) نطهر نفوسنا من الشر، لو لم نعتقد بأن (هناك) إلهاً يسيطر على الجنس البشرى؟ قطعاً لا. ولكن لأننا اقتنعنا بأننا سنقدم لله، الذى خلقنا وخلق العالم أيضاً، حساباً عن كل شئ فى الحياة الحاضرة، لذلك جرينا فى الحياة على منهج، فيه كبح لجماح النفس وحب للخير، ولو أن أكثر الناس يحتقرون مثل هذا المنهج، لأننا نؤمن أننا سوف لا نكابد هنا شراً عظيماً، وحتى لو كان هذا الشر هو إنتزاع حياتنا منا، فلن يكون عظيماً بالقياس إلى ما سنحصل عليه هناك من الفيصل العظيم نظراً لما نحن عليه من حياة خيرة حليمة (وديعة ساكنة).

حقاً لقد قال أفلاطون أن مينوس ورادامانثوس سيدينان الأثيم ويعاقبانه ولكننا نقول: حتى لو كان الرجل هو مينوس، أو رادامانثوس نفسه، أو إياهما، فإنه سوف لا يفلت من قصاص الله. فهل يحسب تقياً، ذاك الذى يعتبر الحياة مشتملة فى هذه (القاعدة) «لنأكل ولنشرب، لأننا غداً نموت» وينظر إلى الموت على أنه «نوم عميق وغفلة تامة» «النوم والموت توءمان (صنوان)»(١) أما الذين حسبوا الحياة الحاضرة تافهة القيمة فى واقع الأمر، وقد اهتدوا إلى الحياة الآتية بهذا الشئ وحده، أى أنهم عرفوا الله وكلمة الله، وما هى وحدة الابن مع الآب وما هى شركة الآب مع الابن، وما هو الروح، وما هى وحدانية هؤلاء الثلاثة، الروح، والابن، والآب، وعرفوا أن الحياة التى نتوقعها (ننتظرها) هى أفضل بحيث لا يستطاع وصفها فى كلمات، على شرط أن نصل إليها أطهاراً من كل فعل شرير (أثيم). هذا إلى أنه قد بلغ من حلمنا أننا لا نحب أصدقائنا فقط، إذ قال المسيح «لأنكم إن أحببتم من يحبونكم، وأقرضتم الذين يقرضونكم، فأى ثواب تتوقعون؟» (٢) أقول، إذا كانت هذه هى سجايانا، وإذا كنا نحيا مثل هذه الحياة، فهل ننجو من العقاب أخيراً؟

ومهما يكن من شئ، فهذه أمور صغيرة من أخرى عظيمة وأشياء قليلة من أخرى كثيرة نكتفى بها حتى لا يعيل صبركم، فمن يتذوق العسل وماء الجبن، يحكم بقليل منه على الكل إذا كان جيداً أم لا.

---

(١) عظة ٤٩: ١٦: ٦٧٢.

(٢) لوقا ٦: ٣٢، متى ٥: ٤٦.

الفصل الثالث عشر

لِمَ لا يقدم المسيحيون ضحايا (حيوانية)

ولكن، حيث أن أكثر الذين يتهموننا بالإلحاد، لأنه ليس لديهم ولو أوهى تصور لماهية الله ولأنهم بلهى وعديموا الخبرة بتاتاً بالشئون الطبيعية والسماوية، يقيسون التقوى بمقياس الضحايا والقرابين، ويتهموننا بعدم الإعتراف بنفس الآلهة التى تدين لها المدن، لذلك يسرنى أن أنبهكم، أيها الامبراطرة، إلى الإعتبارات الآتية من ناحيتين، أما: أولاً فبالنسبة لعدم تقريبنا الضحايا: فالآب لهذا الكون ومبدعه، ليس فى حاجة إلى الدم، ولا إلى رائحة المحرقات أو أريج الأزهار والبخور، إذ لما كان «هو» نفسه شذا كاملاً، فلا يعوزه شئ من داخل أو من خارج. ولكن أثمن ضحية نقربها نحن إليه هى أن نعرف من بسط السموات وقباها، وثبت الأرض فى موضعها كأنها نقطة الإرتكاز (المركز)، من جمع المياه فى البحار وفصل النور من الظلمة، من زين القبة الزرقاء (السماء) بالنجوم. وجعل فى الأرض أن تنبت بذوراً من كل نوع، من خلق الحيوان وصنع الإنسان. فعندما (فمتى) نعتقد فى الله أنه مكون الأشياء جميعها، وأنه يصونها فى الوجود، ويرعاها جميعاً بمعرفته وحكمة تدبيره (تدبير حكمته)، بذلك ، «نرفع (إليه) أيدى طاهرة» فما حاجته بعد إلى ذبائح من ثيران كثيرة؟

«إذا أخطأ البشر وفشلوا فى سبيل البر والخير، فقد يرضى الآلهة عنهم، بتقديم الضحايا والصلوات والسكائب والمحرقات » (١).

وماذا أقول عن المحرقات، وليس لله إفتقار إليها، إنه يليق بنا حقاً أن نقدم لله ذبيحة غير دموية «وعبادة عقولنا» و «عبادتنا العقلية» (٢).

الفصل الرابع عشر

تناقض أولئك الذين يتهمون المسيحيين

أما نظراً للإتهام الآخر، وهو إننا لا نبتهل إلى آلهة المدن أو نعتقد فيها كما يفعلون، فهو إتهام سخيف غاية السخف. إذ أن الذين يشكوننا بتهمة الإلحاد لأننا لا نعترف بآلهتهم، هم أنفسهم ليسوا على إتفاق فيما بينهم فى شأن الآلهة، فالأثينيون نصبوا كيليوس وميتانيرا إلهين عليهم وأهل مقدونية جعلوا مينيلاوس، وبينما يقدمون إليه الضحايا ويقيمون له الولائم والأعياد، لا

---

(١) عظة ٤٠ : ٩ : ٤٤٩ وما بعدها. ترجمة اللورد دربى، وهى الترجمة التى اعتمد عليها المترجم غالباً.

(٢) الحجة الرومانية ١٢ : ١.

يحتمل رجال اليوم مجرد سماع اسمه. وإنما هؤلاء يتعبدون لهكتور وأما أهل كينيا، فيعبدون أريستيوس ويعتبرونه اعتبار زيوس وأبولون ، وأهل تاسيا يعبدون ثياجينس وهو رجل قد ارتكب جريمة القتل فى الألعاب الأوليمبية، والساميون يعبدون ليساندر على الرغم من جميع المجازر، وجميع الجرائم التى اقترفها، والإلكمان والهزيود يعبدون فيديا، وأهل كيليكيا يعبدون نيوب، وأهل سيشل يعبدون فيلبس بن بوتاسيد والاماتوسيون يعبدون أونيسيليوس، وأهل قرطاجنة يعبدون هاملكار، وإنه ليعوزنى الوقت إذا أردت أن أحصى جميع الآلهة. فإذا كانوا يختلفون فيما بينهم على آلهتهم، فلماذا يحملون علينا ويتهموننا إذا لم نوافقهم؟

ثم انظروا إلى الممارسات والمزاولات السائدة بين المصريين: أليست مثاراً لتمام الزراية والهزء؟ إذ أنهم فى أعيادهم المقدسة ومواسمهم الرسمية، يقرعون صدورهم عن موتاهم، وفى الوقت نفسه يقدمون إليهم الضحايا على أنهم آلهة. ولا عجب إذا اعتبروا البهائم والوحوش آلهة، فإذا ماتت مزقوا نفوسهم من أجلها ثم دفنوها فى المعابد وأقاموا عليها مناحة عظيمة وعلى ذلك، فإن كنا (نحن) نعد كفرة مذنبين لأننا لا نمارس عبادة تطابق عبادتهم، فجميع المدن وجميع الأمم كفرة مذنبون كذلك، لأنهم لا يعترفون جميعاً بآلهة واحدة.

الفصل الخامس عشر
المسيحيون يميزون الله عن المادة

فلنسلم جدلاً أنهم يعتقدون إعتقاداً واحداً، فماذا بعد هذا؟ إن عامة الناس الذين لا يمكنهم أن يميزوا بين المادة وبين الله، أو أن يروا ما بينهما من فارق عظيم، يتضرعون إلى أصنام مصنوعة من مادة. أما نحن فنفرق ونفصل بين المخلوق وغير المخلوق، بين ما هو كائن وما ليس بكائن، بين ما يمكن إدراكه بالذهن وما يمكن إدراكه بالحواس، ونسمى كلا منها باسمه الذى يليق به، فهل ينتظر منا أن نتعبد للتماثيل؟

إذا كان حقاً أن الله هو بعينه المادة، اسمين لشئ واحد، فحينئذ، إذا لم نعتبر أصول الأشجار والأحجار والفضة والذهب، إنها آلهة فنكون يقيناً كفرة مذنبين. ولكن إذا كنا، على أقصى إحتمال، يختلفان الواحد عن الآخر، بل يفترقان كما هو الحال بالنسبة إلى الفنان والمواد التى يشتغل عليها بفنه فلم ندان نحن أو نحاسب؟

لأنه كالخزاف مع الصلصال (المادة هى الصلصال، والصانع هو الخزاف) هكذا الله مكون العالم وصانعه مع المادة التى يستخدمها لتحقيق مقاصده فى الخلق والتكوين، كما أن الصلصال

لا يمكن أن يصبح أوعية وآنية من ذاته وبدون صنع، هكذا المادة، وهى قابلة لأن تتخذ جميع الشكول، لا يمكنها مطلقاً من دون الله منظمها ومكونها أن تتميز أو تتشكل أو تنتظم، إذ هو الصانع والمكون، وكما أننا لا نقوم الأدوات أو الآنية الخزفية أكثر من صانعها، ولا الآنية الزجاجية أو الذهبية بأزيد ممن قد عملها، بل إذا وجدنا فيها شيئاً بديع الصنع امتدحنا (أثنينا على) الصانع، ونسبنا إليه ما فى الآنية من جمال.

هكذا شأن الله مع المادة، فإن ما فى تنظيم العالم وإتساقه من عظمة وجلال، يرتد بحق لا إلى المادة بل إلى الله الذى كوّن المادة ونظمها.

فإذا كنا ننظر إلى أشكال المادة المتنوعة على أنها آلهة، فإننا نبدو وكأنه ليس لنا شعور نحو الإله الحق (إحساس بالإله الحق) إذ قد وضعنا ما هو قابل للإنحلال والفناء بإزاء ما هو أزلى أبدى (سرمدى).

الفصل السادس عشر

المسيحيون لا يعبدون الكون

عالمنا جميل ولا شك فى ذلك. وهو يفوق (١) فى كبره كما فى نظام أجزائه بل فى شكله الدائرى. سواء تلك العوالم التى فى الدائرة المنحرفة أو تلك التى نحو الشمال، ومع ذلك، فليس لهذا العالم يجب أن نتعبد بل لصانعه.

فمتى جاء إليكم بعض أتباعكم فإنهم لا يتوانون عن أن يقدموا طاعتهم (وخضوعهم) لكم، بوصفكم حكامهم وسادتهم، الذين منهم سيحصلون على كل ما يحتاجون إليه، وأن يعدوا نفوسهم لقصركم العظيم.

فإذا خاطروا فدخلوا البيت الملكى، فإنهم يلقون نظرة إعجاب عابرة على مبناه الجميل، ولكنهم يظهرون إحترامهم نحوكم بالذات، إذ أنتم «الكل فى الكل».

أنتم فى الواقع ، أيها الملوك تشيدون القصور وتزينونها لأنفسكم، ولكن العالم لم يخلق لأن الله فى حاجة إليه، إذ أن الله هو ذاته كل شئ لذاته، (هو) نور لا يدنى منه، (هو) عالم كامل، (هو) روح، (هو) قوة، (هو) عقل.

---

(١) هكذا ورد فى نص أوتو، ولكن آخرين يقولون «يشتمل».

وعلى ذلك، فإن كان العالم آلة موسيقية منغمة تتحرك فى زمن مقيد (محدود) مضبوط، فإنى لا أعبد الآله وإنما أعبد «الكائن» الذى منحها الإيقاع (توافق الأصوات) وهو الذى يضغط على علاماتها الموسيقية ويغنى اللحن المناسب. إذ المحكمين فى المنافسات الموسيقية لا يمرون باللاعبين على الأعواد فيتوجون أو يبجلون الأعواد (بل بالحرى الضاربين عليها) .

وإذن، فإما أن يكون العالم كما يقول أفلاطون، نتيجة صنع إلهى، وحينئذ أعجب بجماله وأعبد صانعه، وإما أن يكون (العالم) هو جوهر (الإله) وجسمه، كما يؤكد المشاءون وإذ ذلك لانغفل عن أن نعبد الله الذى هو علة للحركة فى الجسم، فلا نتنزل إلى العناصر الفقيرة الواهنة، أو نعبد المادة القابلة للتأثر (الإنفعال) والكائنة فى الهواء الذى لا ينفعل (١) (على حد تعبيرهم) .

وإذا كان أحد يحسب أجزاء العالم المتنوعة قوى لله، فنحن لا نخشع لهذه القوى ولا نقترب إليها، بل إلى صانعها وربها، أنا لا أسأل من المادة ما لا تستطيع أن تمنحنى إياه، أو أغفل الله فأخضع للعناصر التى لا يمكنها أن تفعل أكثر مما يطلب إليها.

ومع أنها جميلة المنظر وبديعة الصنع، إلا أنه لا تزال لها طبيعة المادة. ولهذا الرأى يشهد أيضاً أفلاطون بقوله «لأن ما يدعى السماء والأرض، قد قبلت بركات كثيرة من قبل الآب، لكنها مع ذلك تشارك فى جسم. ولذلك لا يمكنها على طريقة ما أن تبرأ من التغير» (٢) .

فلئن كنت أعجب بالسموات والعناصر من حيث صنعها، بيد أنى لا أعبدها على أنها آلهة لأننى أعرف أنها خاضعة لقانون الإنحلال، وكيف يمكن أن أدعو تلك الأشياء آلهة وهى التى أعلم أن البشر هم الذين صنعوها؟

أرجو أن تتوقعوا بضع كلمات فى هذا الموضوع.

---

(١) ينسب هذا عند البعض إلى الروح البشرى.

(٢) السياسى ص ٢٦٩ د.

الفصل السابع عشر
أسماء الآلهة وتماثيلهم حديثة العهد

يجدر بالمدافع أن يورد حججاً أكثر تحديداً ودقة مما قد فعلت حتى الآن، سواء فيما يختص بأسماء الآلهة فيبرهن على حداثة أصلها، أو فيما يختص بتماثيل الآلهة، فيثبت أنها بالتالى منذ الأمس القريب.

ومع ذلك فأنتم أنفسكم خبيرون بهذه الأمور خبرة تامة إذ أنكم منضلعون فى جميع فروع العلم وأوسع معرفة بالأقدمين من جميع الناس.

وعليه، أؤكد أن أورفيوس وهوميروس وهزيود هم (١)، الذين خلعوا على تلك التى يدعونها آلهة، أسماء وأنساباً وهذه هى أيضاً شهادة هيرودتس (٢) فهو يقول: «إعتقادى أن هزيود وهوميروس قد سبقانى بأربع مائة سنة فقط، وأنهما اللذان وضعا لليونان نسباً، وسميا الآلهة بأسمائها، وحددا لها مختلف إمتيازاتها ووظائفها، ورسما لها طقوسها (٣).

(١) اتبعنا هنا نص أوتو، وقد وضع آخرون هذه العبارة فى الجملة الآتية:

(٢) «زار هيرودوت مصر فيما بين سنتى ٤٤٨، ٤٤٥ ق. م. على الأرجح، وفى عصر الملك ارتاكزرسيس الأول. وأغلب الظن أنه جاء مصر لمشاهدة البلاد... وكان المصرى على الرغم من كرهه لليونانى وعزوفه عنه وإعتباره نجساً، يتلطف معه ويؤاخيه وهكذا تأتى لهيرودوت أن يستمع لبعض الكهنة والتراجمة. ومكث هيرودوت فى مصر حوالى ثلاثة أشهر ونصف، كانت من أغسطس إلى نوفمبر على الأرجح. فقد كان فى مصر زمن الفيضان، نزل بمصر فى كوم سمعدى شمال شرق الأسكندرية وذهب منها إلى كوم جيف بالقرب من نقراش ومنها إلى ميت رهينة ومن هنا قام برحلة قصيرة إلى المطرية، ثم ركب النيل إلى اسوان ونزل فى الأشمونين والأقصر، ثم رجع إلى ميت رهينة وقام بجولة فى وسط الدلتا وشرقها. فإذا لم يكن هيرودوت عالماً باللغة المصرية ولا هو حاول أن يتعلمها، فكيف استقى معلوماته من الكهنة ؟ كان المترجمون عونه على ذلك بلا شك، ولقد أعجب بحسن تعبيرهم باللغة اليونانية، مما حدا به إلى الإطناب فى الحديث عن نشأتهم، ولعل هؤلاء المترجمين كانوا مثل خلفائهم من التراجمة ولعين بالإعراب والمبالغة، معتمدين على جهل الأجانب بلغة النقوش وإستعدادهم للتصديق لفرط إعجابهم بالآثار. أم لعل القوم كانوا قليلى العلم، حسنى النية أدلوا بما وصل إليه علمهم، وإذن فهيرودوت قد حفظ لنا تاريخ مصر كما كان يتصوره أبناؤها فى القرن الخامس ق. م. فأبان بذلك عن حالة البلاد الفكرية فى تلك الفترة.

ويقرر هيرودوت فى مواضع متعددة أن سنده فيما يروى من أخبار هو كهنة منف، وأغلب الظن أنه لم يتصل بكبار الأحبار وفقهائهم، بل كان إتصاله بالكتاب والمسجلين فى المعابد. ولم يكن هؤلاء على علم غزير. ولعلهم كانوا قادرين على قراءة النقوش الهيروغليفية، ولكنهم لم يجشموا أنفسهم مشقة الجمع والترجمة، فاتحفوا المؤرخ بما فاضت به عقولهم من روايات وقصص مرتجلة لا تستند إلى أساس من التاريخ قويم.

(عن كتاب هيرودوت فى مصر نقله عن اليونانية الاستاذ وهيب كامل - القاهرة - ١٩٤٦).

(٣) كتاب هيرودوت ٣ : ٥٣.

هذا ولم يكن ثمة تصوير للآلهة على الإطلاق طالما أن صناعة التماثيل وفنى التلوين والنحت، كانت (أمورا) مجهولة، بل، ولم تصبح شائعة قبل أن يظهر ساويرس السامى وكراتوس الصقلى وكليانتس الكورنثى والفتاة الكورنثية، حيث أن التخطيط الإجمالى قد ابتكر بمعرفة ساويرس الذى خطط حصاناً فى الشمس بهيئة إجمالية، والرسم، بمعرفة كراتوس الذى دهن بالزيت وعلى لوحة بيضاء، تخطيط رجل وإمرأة، أما فن صناعة الحروف البارزة فقد ابتكرته الصبية (١) التى كانت تحب شخصاً فرسمت ظله، وهو نائم، على حائط، وإذ قد سر والدها من دقة الشبه وقد كان خزافاً، حفر فى موضع التخطيط وملأه بالصلصال، ولا زالت هذه الصورة محفوظة فى كورنثوس.

بعد هؤلاء، ديدالوس ثم ثيئودوروس الميليسى، وقد ابتكرا - علاوة على ذلك - النحت وصناعة التماثيل.

تلاحظون، إذن ، إنه منذ عهد قريب قد بدأ تصوير الأشكال وصناعة الصور، حتى إننا نستطيع أن نذكر اسم من صنع أى إله منها، فمثلاً تمثال أرطاميس فى أفسس وتمثال أثينا (أو بالحرى تمثال أثيلا، لأنه هكذا يدعوها أولئك الذين يتحدثون فى الأكثر بأسلوب الأحاجى «الأساطير»، فقد كان التمثال القديم مصنوعاً مما يسمونه شجرة الزيتون) ثم التمثال الجالس للآلهة نفسها.

كل هذه الآلهة قد صنعها أندوس وهو تلميذ من تلامذة ديدالوس كما أن إله البيثيين كان من عمل ثيئودوروس، وتيليكليس. كذلك إله الديليين وأرطاميس هما من صنع تيكتيوس وأنجيليوس أما هيرا فى ساموس وفى أرغوس فقد صنعتها يدا سميليس، والتماثيل الأخرى (٢) أقامها فيدياس، ثم أن أفردويتس العاهرة فى كنيدس هى من إنتاج براكسيتيليس كذلك اسكليبيوس فى ايبداوروس من عمل فيدياس.

وفى كلمة واحدة، لا يمكن أن يقال عن أى تمثال من هذه التماثيل، إنه لم يصنعه إنسان، فإذا كانت هذه آلهة، فكيف لم توجد منذ البدء؟ ولِم تكون بالحقيقة أصغر من أولئك الذين صنعوها؟ ولماذا تفتقر فى وجودها إلى معونة البشر ومهارتهم؟

الحق إنها ليست غير تراب وأحجار، ومادة، وفن بديع.

---

(١) أو، (كورية). يشك فيما إذا كان هذا اللفظ علماً (اسم علم) أم لا.

(٢) يشك فى هذه القراءة.

الفصل الثامن عشر
إن الآلهة ذاتها قد خلقت كما يعترف بذلك الشعـــــــــــراء

يصرح البعض إنه مع أن هذه (الآلهة) مجرد تماثيل إلا أن هناك آلهة (حقة) قد شرفتها فصنعتها. وأن الابتهالات والضحايا التى تقدم إلى التماثيل ترتد إلى الآلهة أو هى فى الحقيقة ترفع إلى الآلهة، وأنه ليس ثمت سبيل آخر للتقرب إليها، لأنه : «من العسير على الإنسان أن يرى إلهاً مرأى العيان» (١) ولكيما يدللوا على صحة قضيتهم، يسوقون فى سبيل ذلك ما فى حيازة هذه التماثيل من قدرات ووجوه للنشاط.

وعلى ذلك، فلنمتحن هذه القوة التى ينسبوها إلى أسمائها.

وإنى أسألكم، يا أعاظم الامبراطرة، قبل أن أخوض غمار هذا البحث، أن تشملونى بعطفكم حينما أتقدم إليكم بملاحظات ذات قيمة واعتبار. وليس قصدى أن أبين ضلال (العبادة) الصنمية، بل أن أبرهن على بطلان إفتراءاتهم التى يتفوهون بها علينا، كيما أقدم سببا يكفى لتعليل وتبرير السبيل الذى نسلكه فى الحياة.

ألا يمكنكم إذا تفكرتم وتأملتم فى نفوسكم أن تقفوا على (شئون) ملكوت السموات أيضا. لأنه كما أن جميع الأشياء تخضع لكم، أبا وابن، حيث أنكم قد تسلمتم الملك من عل («وروح الملك فى يد الله» (٢) كما يقول «الروح» النبوى)، هكذا بالمثل تخضع جميع الأشياء للإله الواحد والكلمة المولود منه (وهو) الابن الذى نعتقد فيه أنه غير مفترق عنه (عن الله).

هذا هو، على وجه الخصوص، ما أرجو أن تولوه عنايتكم، أن الآلهه، كما يؤكدون، لم تكن منذ البدء، بل لقد وجد كل منها كما وجدنا نحن تماما، ولقد اتفقوا على هذا الرأى جميعا.

فهوميروس يتكلم عن :

«الأوقيانوس (المحيط) القديم، سيد الآلهة، وأعظم آلهات البحار» (٣) كذلك أورفيوس وهو، فضلا عن ذلك أول من ابتدع أسماءها (أى الآلهة) وعدد سلسلة أنسابها، وروى لكل منها مآثر خالدة قد صدقوها وآمنوا بها وبحقيقتها، أكثر مما صدقوا وآمنوا بمآثر السمائيات، والتى كان هوميروس، نفسه، يتبعها فى أكثر الأمور ولاسيما إذا استشهد بالآلهة) - فهو أيضا قد عين أن أصلها الأول الذى ترتد إليه إنما هو الماء:

---

(١) عظة ٤٠ : ٢٠ ص ١٣١.

(٢) أم (امثال) ٢١ : ١.

(٣) عظة ٤٠ : ١٤ ص ٣٠١، ٣٠٢.

«الأوقيانوس (المحيط) أصل الكل» (١). إذ الماء، على رأيه. أصل جميع الأشياء: فمن الماء تكوّن الطين، ومن كليهما معا تكون الحيوان: تنين له رأس أسد تقترب نحوه، ويوجد بين الإثنين وجه إله يسمى هيراكليس (هرقل) وكرونوس. وقد أنجب (باض) هيراكليس بيضة كبيرة الحجم فلما اكتظت واكتمل نضجها، إنفلقت بقوة ذلك (حك) منجبها إلى قسمين: قسم أعلى وقد اتخذ شكل السماء (أورانوس) وقسم أدنى وقد اتخذ شكل الأرض (جى).

ثم أنه قد ظهر للآلهه (جى) جسم وبإتحاد أورانوس مع جى أنجب إناثا، هن: كلوثو، لاشيزس، اتروبوس، وذكورا هم: كوتيس ذو المائة يد، جيجس بربارويوس، ثم العور برونتيس وستيروبيس وارجوس، هؤلاء الذين قيدهم ودفعهم بعنف إلى جهنم، عندما علم أن أولاده طردوه من الحكم، حينئذ حنقت (جى) فوضعت (فولدت) الجبابرة (٢).

«لقد ولدت الآلهة (جى) لأورانوس أبناء، عرفوا باسم الجبابرة، لأنهم قد إنتقموا من أورانوس، صاحب الجلالة، وهو يتلألأ بتاجه المتألق بالنجوم» (٣).

الفصل التاسع عشر
يتفق الفلاسفة مع الشعراء فيما يتصل بالله

هكذا بدأ وجود آلهتهم ووجود الكون. والآن فماذا نقول فى هذا؟ لأن كل ما يقال عنه أنه إله يتصور (يدرك) على أنه موجود منذ البدء. فإذا كانت (الآلهة) قد صدرت إلى الوجود ولم يكن لها سابقا وجود - كما يقول أولئك الباحثون فى الآلهة - فهى إذن غير موجودة كآلهة. لأنه إما أن يكون الشئ سرمديا غير مخلوق أو يكون مخلوقا قابلا للفناء.

ولست أرى فى هذا الأمر غير مايراه الفلاسفة:

«فما هو ذاك الموجود على الدوام وليس له بدء، وما هو ذاك الذى خلق وأوجد ومع ذلك لا يدوم إلى الأبد» (٤).

---

(١) عظة ٤٠ : ١٤ ص ٢٤٦.

(٢) Τιοάιθην تيساستين.

(٣) اورفيوس: شذرات.

(٤) افلاطون: طيماوس ص ٢٧د.

ولما تكلم أفلاطون عن المعقول والمحسوس، قال إن ما يوجد على الدوام، وهو المعقول، ليس له بدء، أما الذى لايوجد دائما - وهو المحسوس - فهو المنظور لوجوده إبتداء وإنتهاء.

وبالمثل يقول الرواقيون أن جميع الأشياء ستحترق وتتكون من جديد، وأن العالم سينشأ نشأة أخرى. ومع أن هناك علتين، حسب رأيهم، : علة فاعلة حاكمة، أو هى العناية الإلهية، وعلة قابلة ومتغيرة أو هى المادة، إلا أن العالم - من حيث هو مخلوق - لا يمكن أن يظل على حالة واحدة بعينها ولو أنه تحت تدبير العناية الإلهية.

فكيف يدوم بقاء هذه الآلهة وهى غير موجودة بذاتها(١) بل بفعل واجد؟ وبم تمتاز الآلهه عن المادة وقد تكونوا من الماء؟

ومع ذلك، فليس الماء أيضا - تبعا لرأيهم - هو أصل الأشياء لأنه لايمكن أن يتكون شئ ما، من عناصر بسيطة ومتجانسة.

زد على ذلك أن المادة تفتقر إلى صانع، والصانع تعوزه المادة، فكيف يمكن أن تصنع الأشكال والرسوم بلا مادة أو صانع؟ كما أنه ليس من المعقول أبدا أن تكون المادة أقدم من الله، إذ أن العلة الفاعلة يلزم بالضرورة أن تكون سابقة فى وجودها على المصنوعات.

الفصل العشرون
تصورات فى الآلهة لايقبلها العقل

إذا كانت آلهتهم مناقضة للعقل، وكانت هذه المناقضة محصورة فى أن الآلهة مخلوقة وأن تكوينها يعزى إلى الماء، وبما أننى قد أقمت الدليل القاطع على أن كل شئ مصنوع هو عرضة أيضا للإنحلال، فمن ثم يمكننى أن أتناول الإتهامات الباقية.

ولكنهم قد وضعوا هيئاتها الجسمانية فتكلموا عن هرقل (هيركليس) مثلا ووصفوه بأنه إله فى شكل تنين قد إنطوى على نفسه، وعن غيره، بأنه ذو مائة يد، وعن أخت زيوس التى أنجبها من أمه «رية»، أو عن ديميتر بأن لها عينين فى الوضع الطبيعى وأخريين فى جبهتها، ووجه حيوان فى الجزء الخلفى من رقبتها، وأن لها أيضا قرونا، حتى أن (رية) - وقد فزعت من فظاعة منظر طفلتها - هربت منها ولم تقدم لها نهدها (ثديها) (θηλή) . لذلك دعيت فى الأساطير باسم أثيلا، ولكنها تدعى فى العادة باسم فيرسيفونية وكورية مع أنها ليست كأثينا (٢) التى تسمى

---

(١) حرفيا : «بطبيعتها».

(٢) أى منيرفا.

كورية من إنسان العين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد رووا عنها أعمالا خطيرة وغريبة(١) كما توسموا فيها : كيف أن (كرونوس) مثلا قد خصى أباه ودفعه بقوة من مركبته الملوكية وكيف أنه قتل أولاده وابتلع الذكور منهم، وكيف أن زيوس ربط أباه (قيده) ورماه فى جهنم، كذلك فعل أيضا (أورانوس) بأبنائه وقد حارب الجبابرة من أجل السيادة والحكم، وكيف اضطهد أمه (يريا) عندما رفضت أن تتزوج به، وإذ صارت هى تنينة وتحول هو نفسه فأصبح تنينا، قيدها (شدها) بما يسمى العروة الهرقلية ثم أتم غرضه، وهى واقعة يرمز إليها صولجان هرمييس (عطارد). وكيف اغتصب أيضا ابنته فيرسيفونية فى هذه الحالة كذلك متخذا صورة تنين فأصبح أبا لديونيزوس.

لابد فى مواجهة أمثال هذه الأخبار (الأساطير) أن أقول على الأقل، تبا لهم.

أفهل فى مثل هذا التاريخ ما يليق أو يفيد حتى نذعن بألوهية كرونوس وزيوس وكورية وسائر الباقين؟ وما هو؟ أهو أوصاف جسومهم (الآلهة)؟ كلا، فأى إمرؤ له بصيرة وتمييز، يصدق أن إلها يلد أفعى؟

يقول أورفيوس :

«إنما قد ولد فينيس من رحمه المقدس ولدا آخر، مرعبا وشديدا، فى منظر أفعى مخيفة، وعلى رأسه شعرات : وجهه جميل، لكن باقى (جسمه) إبتداء من رقبته فما دون، يحمل صورة مرعبة (لتنين هائل)» (٢).

أو من يسلم بأن فينيس نفسه، وهو الإله البكر (لأنه هو الذى خرج من البيضة) له جسم التنين أو شكله أو أن زيوس قد ابتلعه، ولذا أصبح زيوس كبيرا جدا لأنه إحتواه فى داخله؟

«فإذا كانوا لا يختلفون فى شئ عن أحط الوحوش (مع أنه من الواضح أن الإله لابد أن يختلف عن الأشياء الأرضية وعن تلك الأشياء المتولدة من المادة) فهم لذلك ليسوا آلهة.

وبناء عليه، أتساءل :

كيف يمكن أن ندنوا منهم ونبتهل إليهم، إذا كان أصلهم يشابه أصل البهائم وكانوا هم أنفسهم فى صورة الوحوش، ومن القبح بحيث لا نستطيع أن ننظر إليهم؟

---

(١) أو «قد وضعوا على وجه الدقة».

(٢) شذرات.

الفصل الحادى والعشرون

أهواء وميول غير طاهرة تنسب إلى الآلهة

لكن إذا قيل أن لهم (أى الآلهة) أشكالا جسمية، وأن فيهم دما وبذور الحياة (حيونات منوية) وأنه تجيش فى نفوسهم إنفعالات الغضب، والشهوة الجنسية، فحتى مع هذا يجب أن ننظر إلى هذه المزاعم على أنها هذر، وأمور تثير السخرية والضحك، إذ أن الآلهة لاتغضب وليست فيها رغبة أو شهوة، ولابذور منوية للتوالد والإنسال.

فليكن أن لهم أشكالا لحمية ولكن يجب أن يتعالوا عن السخط والغضب فلا ترى أثينا : «تشتعل بالغيظ وتحتد فى الباطن مع جوبيتر» (١).

أو تبدو هيرا هكذا :

«صـــــدر يـــونـــــو لا يستطيع أن يطيق غضبها» (٢).

بل يجب أن يجلوا عن الحزن :

«رأت عيناى منظرا أليما : رجلا أحبه، يفر حول الأسوار! إن قلبى ينفجع على هكتور» (٣).

إن من يدع سبيلا إلى الغضب أسميه فظا وأحمق، حتى لوكان من البشر. فإذا كان «أبو البشر والآلهة» ينوح على ولده :

«ويحى. ويحى! ذاك القدر حكم على أعظم محبوب إلى، على ساربيدون أن يسقط بيد باتروكلوس» (٤).

وليس فى مقدوره وهو يبكى أن يخلصه من مأزقه :

«ابن جوبيتر، ومع ذلك فجوبيتر لم ينقذه» (٥).

فمن لا يُخطئ أولئك على حماقتهم، أعنى الذين يعشقون الآلهة على أمثال هذه الروايات، أو بالأحرى هؤلاء الذين يعيشون بدون إله؟

ولتكن لهم هيئة جسدية، ولكن (هل يسوغ أن يقال) أن ديوميديس جرح افردوبتى فى جسمها :

«لقد جرحنى؟ «ديوميد المتشامخ، ابن تيديوس» (٦) أو أن آريس آلمها فى روحها :

---

(١) عظة ٤٠ : ٤ص ٢٣.

(٢) نفس المرجع : ٤ ص ٢٤.

(٣) نفس المرجع : ٢٢ ص ١٦٨ وما بعدها.

(٤) نفس المرجع السابق : ١٦ ص ٤٣٣ وما بعدها.

(٥) نفس المرجع : ١٦ ص ٥٢٢ وما بعدها.

(٦) نفس المرجع : ٥ ص ٣٧٦.

«لقد إستخفت بى، وإستثقلتنى وسلمت سحر جمالها إلى ذاك الفاسق الأنيق والإله قوى الذراعين (١) فإخترق السلاح جسمها» (٢) (وأن) من كان مخوفا فى الحرب، وحليفا لزيوس ضد الشياطين، قد ظهر أنه أضعف من ديوميديس؟

«غضب كأنه مارس (إله الحرب) عندما يهز رمحه» (٣) صه ياهوميروس! فالإله لن يغضب أبدا.

ثم أنك تصور لى الإله ملطخا بالدم، وأنه مهلك البشر:

«مارس، مارس، مهلك الناس، ملطخ بالدم» (٤) بل وتخبر عن فساده (زناه) وعلاقاته (الدنسة) :

«وعلى ذلك فليس ما يدعو إلى التقزز، أنه أرشد الحسناء التى وقع فى غرامها وقادها بيده إلى مضجع حيث إستغرق معها فى طرب ولذة فوقعت حالا فى شراكه» (٥).

أليسوا يذيعون عن الآلهة أمورا كثيرة مثل هذه تعارض التقوى؟ أورانوس قد خصى، كرونوس مقيد وقد قذف به إلى جهنم، الشياطين شقوا عصا الطاعة، ستيكس يموت فى الحرب : أجل فقد تصوروا الآلهة كالبشر، يعشق الواحد منهم الآخر، أو يعشقون الكائنات الإنسانية...

«الزهرة (إلاهة العشق) الخالدة حملت إينياس وهربت به إلى انكيزس، بين قمم ايديا البارزة» (٦) ألا يعشقون؟ ألا يشقون؟

لا لا، إنهم حقا آلهة، والشهوة لايمكن أن تدركهم... ولو أن إلها اتخذ جسدا فى سبيل الوصول إلى غرض سماوى (إلهى)، أفهل يكون لذلك عبدا (مستعبدا) للشهوة؟ «لأنه لم يحدث حتى الآن، أن غمر نفسى مثل هذا الفيض من الحب نحو الآلهة أو نحو بشر، ولانحو زوجة ايكسيون الرشيقة التى ولدت بيريتوس، وهو ذو مشورة صالحة كالآلهة، أو نحو دانية، الفتاة ذات القدمين النظيفتين (الجميلتين) أخت أكرزيوس التى أنجبتها بيروسيوس، التى يعرفها الجميع أو نحو إبنة النبيل فونيكس... أو نحو سميليه، أو نحو حسن الكمينا، لا، ولا نحو كيريس، ملكة

---

(١) عظة ٨ ص ٣٠٨ وما بعدها (ترجمة بوب).

(٢) عظة ٤٠ : ٥ ص ١٥٨.

(٣) نفس المرجع السابق ص ٦٠٥.

(٤) نفس المرجع ص ٥٣١.

(٥) عظة ٨ ص ٢٩٦، ٢٩٨ (ترجمة بوب).

(٦) عظة ٤٠ : ٢ ص ٨٢٠.

الذهب المصفور ولانحو بهاء لاتونا، ولانحوك أنت» (١)

إنه مخلوق، قابل للفناء وليس فيه أى أثر للألوهة، كلا، بل هم خدمة مأجورون للناس.

«فى دور أدميتوس ظللت، أمدح مائدة الأجير، مع أنه إله» (٢) وهم (الآلهة) يحرسون الماشية :

«وإذ أتيت إلى هذه الأرض، فإننى أطعمت ماشية ضيفى، وحرست هذا البيت» (٣) فادميتوس، إذن، أعظم من الإله. أيها النبى والحكيم، يامن يستطيع أن يتنبئ الآخرين عما يصيبهم. إنك لم تتنبئ بقتل محبوبك، بل لقد قتلته بيديك مع أنه كان عزيزا لديك :

«لقد صدقت (آمنت) أن فم كاهن أبولون يخبر بالحق كما يفعل النبى» («وها هو» أسكيلوس يوبخ أبولون لأنه نبى كذاب).

«إن من يغنى فى العيد هو بعينه الذى قال هذه الأشياء وا أسفاه! إنه الذى ذبح ابنى» (٤).

الفصل الثانى والعشرون
التأويلات والتفسيرات الرمزية التى يدّعونها

ولربما تكون هذه الأشياء تصورات شعرية، ولربما يكون لها تأويل طبيعى، مثلما يفعل أنباذوقليس وهو يقول :

«فليكن جوبيتر نارا، وليكن يونو نبع الحياة وبمعية بلوتونبستيس، يغسل بدموعه منابع البشر».

وحينئذ، إن كان زيوس نارا وهيرا هى التراب، وايدونيوس هو الهواء، ونيستيس هو الماء - وهذه كلها عناصر - أى النار، والماء، والهواء - فليس شئ منها إلها لا زيوس، ولا هيرا، ولا ايدونيوس، إذ أنها نشأت وتألفت من المادة بعد أن فرقها الله وقسمها إلى أجزاء :

«نار، ماء، تراب، والهواء بإرتفاعه ورقته وإئتلافه معها».

فهذه أشياء لايمكن أن يظل لها وجود إذا لم تأتلف، فإذا تنافرت أدركها الفساد فكيف يسوغ لأحد أن يقول بأنها آلهة؟ إن المحبة (الألفة) - تبعا لأنباذوقليس - تليق بالسيادة، والأشياء المركبة

---

(١) عظة ٤٠ : ١٤ ص ٣١٥ وما يتبعها.

(٢) ايريبيدس.

(٣) نفس المرجع : ص٨ وما بعدها.

(٤) من رواية مجهولة لاسكيلوس.

مسودة محكومة، أما التى تليق بالحكم فهى التى لها السيادة فإذا حسبنا القوة فى الأشياء المحكومة والحاكمة واحدة بعينها، فنكون - دون قصد منا قد وضعنا المادة الفانية القلقة المتغيرة على قياس المساواة مع الله، وهوغير مخلوق سرمدى (أزلى أبدى) مطابق لذاته مطابقة أبدية.

وأما عند الرواقية، فزيوس هو جانب الطبيعة المتوقد بالحرارة (الجانب الحار من الطبيعة) وهيرا هو الهواء ἀήρ وهو ما يعنيه الإسم نفسه مضافا إلى ذاته (إذا ما أضيف إلى ذاته)، وبوزيدون هو مايشرب ماء ἡ πόσις وهذه الأشياء قد فسرها أشخاص مختلفون بأمور طبيعية وبطرق متنوعة : فبعضهم يدعو (زيوس) هواء، مذكرا - مؤنثا ضعفين (مرتين)، وغيرهم يدعوه الفصل الذى يلطف الطقس، ذلك لأنه هو وحده الذى نجا من كرونوس، وعلى ذلك يمكن أن نجابه الرواقيين ونقول لهم : إن كنتم تعترفون بإله واحد، وهو الواحد العالى الأزلى الأبدى غير المخلوق، وأنه بقدر ما هناك من أجسام مركبة، بقدر ذلك تكون هناك تغيرات فى المادة، وإذا كنتم تقولون أن روح الله الذى يشتمل المادة يتخذ تبعا لتغيرات المادة أسماء متعددة (متنوعة)، فإن أشكال المادة ستصبح هى جسما لله، وعندما تبيد العناصر فى الإحتراق العام، تزول الأسماء حتما إلى جانب الأشكال، ويبقى روح الله وحده.

وإذن فمن ذا الذى يعتقد بألوهية تلك الأجسام التى تفسد تغيراتها تبعا لفساد مادتها؟

أما الذين يزعمون أن كرونوس هو الزمن، وريا هى الأرض (التراب) وأنها قد حملت من كرونوس وولدت وهى لذلك تعتبر أما للجميع، وأن (كرونوس) أنجب ثم إلتهم ولده، وأن الإتصال الجنسى بين الذكر والأنثى يتم بجب الخصيتين فتنتزع الأنثى البذور التناسلية وتلقى بها فى رحمها فتنتج كائنا بشريا تتحرك فيه الشهوة الجنسية،وهو افروديتيه، وأن فى جنون كرونوس تغير الفصول وأنه هو الذى يدمر الكائنات الحية وغير الحية، ويدّعون أن القيود وجهنم هى أيضا زمن يختفى ويتغير بتغير الفصول.

نقول لمثل هؤلاء، إذا كان كرونوس هو الزمن فإنه يتغير، وإذا كان فصلا فإنه يتحول ويتبدل، وإن كان ظلمة أو صقيعا، أو الجانب الندى (الرطب) من الطبيعة فليس شئ من هذه جميعها يبقى أو يدوم. أما الله فهو خالد ثابت لا يتغير : فليس الله أبدا هو كرنوس أو صورته.

كذلك زيوس أيضا، إذا كان هواء قد ولده كرونوس، جانبه (طرفه) الذكرى يسمى زيوس وجانبه الأنثوى يدعى هيرا (وهى لذلك اخته وزوجته) فإنه عرضة للتغير، فإذا كان فصلا فإنه يتحول (يتبدل). أما الله فلا يتغير ولا يتحول أو يتبدل من جانب إلى آخر.

ولكن لم أضايقكم بسرد أمور أخرى، إذا كنتم تعلمون جيدا ماقاله كل واحد من أولئك الذين أحالوا تلك الأشياء إلى الطبيعة، أو ما رآه كثير من الكتاب فيما يختص بالطبيعة أو ما يقولونه

عن أثينا التى يؤكدون أنها هى الحكمة φρόνησις التى تنفذ إلى جميع الأشياء، أو عن ايزيس التى يسمونها المولود كل حين φύσις αἰώνιος عنها صدر كل شئ، وبها يوجد كل شئ. أو عن أوزيريس الذى قتله تيفون أخوه، فأخذت ايزيس وابنها هورس يبحثان لعلهما يجدان أعضاءه (جثته)، فلما عثرا عليها أكرماها بوضعها فى ضريح، وهو الضريح الذى يدعى إلى اليوم بناووس أوزيريس؟ (١).

فطالما يهيمون على وجوههم هنا وهناك حول أشكال المادة، فلسوف يظلون قاصرين عن أن يجدوا الإله الذى يمكن أن ندركه بالعقل وحده، بينما يؤلهون العناصر وأجزاءها المتنوعة، ويطلقون عليها فى أزمنة مختلفة، أسماء مختلفة، فيسمون بذر الحبوب مثلا أوزيريس ولذلك يقولون فى الأساطير أنه عندما اكتشفت أعضاء جسمه، أو نتاجه أصبحت ايزيس تخاطب على هذا النحو : قد وجدناه، نريد أن تكونى فرحة (طروبة). ويسمون ثمر الكرمة، ديونيزوس والكرمة ذاتها باسم سيميليه، وحرارة الشمس بالصاعقة.

ومع ذلك، فالذين ينسبون الخرافات إلى هذه الآلهة لا يفعلون فى الواقع أكثر من أن يضيفوا إليها صفاتها الإلهية وهم لا يدركون أنهم بدفاعهم عن الآلهة، يؤيدون ما ينسب إليها. وماذا تفعل ايروبا، والثور، والبجعة (أوز عراقى) وليدا، بالأرض (التراب) والهواء أفهل بين زيوس وبينها إتصال جنسى غير مشروع، وأن من شأنه أن يكون ثمة إتصال نظيره بين التراب والهواء.

---

(١) ومما يؤسف له أنه لم تصل إلينا من الأقدمين قصة متصلة عن هذه الخرافة، ولذلك ترانا مضطرين إلى قصها كما وصلت إلينا من العصور المتأخرة بشكلها المحرف نقلا عن بلوتارخ :

يقال أنه كان لآلهة السماء (ريا) «وهى عند المصريين نوت» وإله الأرض كرونس (وهو عند المصريين (جب) أربعة أولاد هم الإلهان أزريس وست (والأخير عند اليونان تيفون (والإلهتان إزيس ونفتيس. وقد تربع أزريس على عرش مصر، وأسعد أهلها، فسن لرعاياه القوانين العادلة، وعلمهم احترام الآلهة ونشر بينهم فن الزراعة، ثم طاف فى أنحاء البلاد رسولا للمدينة غير معول فى ذلك على القوة، بل على جذب قلوب القوم إليه بالإغراء والتعليم تارة، وبكل أنواع الغناء والموسيقى تارة أخرى لذلك كان يعتقد اليونان الأقدمون أنه دايونيوس.

ولما عاد من طوافه تآمر عليه أخوه ست ومعه ٧٢ شخصا آخرون. وقد حصل سرا على مقاس جسم ازريس، وصنع حسب هذا المقاس صندوقا جميلا محلى بأبهى أنواع الزينة، وأحضره معه فى وليمة أعدها لأخيه. وفى أثناء الوليمة استرعى جمال هذا الصندوق أنظار المدعوين، فوعد ست مازحا أن يعطى هذا الصندوق لمن يتفق مقاسه معه تماما إذا اضطجع فيه. فجرب كل الحاضرين (وكانوا على علم بالمكيدة)، فلم يتفق الصندوق مع واحد منهم. وفى النهاية اضطجع فيه ازريس فانطبق عليه تمام الإنطباق. وإذ ذاك أسرع المتآمرون، وسمروا الصندوق من الخارج وصبوا فوقه رصاصا ذائبا، وحملوه إلى النهر، ودفعوا به إلى البحر عن طريق الفرع التانيتى للنيل. =

فلما كانوا عاجزين عن أن يصلوا إلى عظمة الله، وقاصرين عن أن يتساموا بعقولهم (إذ لاتصلهم بالمقام السماوى صلة ما)، لذلك فقد جاسوا خلال أشكال المادة وتمسكوا بالأرض، وعبدوا تغيرات العناصر : كما لو أن أحدا وضع السفينة فى موضع المدير لدفتها، ولكن كما أن السفينة حتى لو كانت مجهزة بكل شئ، لاقيمة لها مالم يكن ثمة مدير لدفتها، هكذا العناصر، ولو كانت مرتبة فى نظام كامل، لا تصلح لشئ مطلقا بدون عناية الله، لأن السفينة لاتبحر من نفسها كذلك العناصر لاتتحرك بغير مكونها وموجدها.

= ولماعلمت ازيس بموت زوجها وأخيها جدّت فى البحث عن جثته، وبعد جهد ونصب أخبرها بعض الصبية، أن الصندوق ألقى به فى النيل، فسار مع التيار إلى البحر، ثم وصل إلى مسامعها كذلك أن الصندوق رسا على الشاطئ بالقرب «ببلص» (فى سورية) وهناك نمت حوله شجرة ضخمة واشتملت عليه فى ساقها. ولما رأى ملك تلك الناحية هذه الشجرة إجتثها من فوق الأرض وفى جوفها الصندوق، ثم اتخذها عمودا يرفع سقف بيته. فلما سمعت ازيس بذلك ولت وجهها شطر ببلص، حيث اتخذتها الملكة مربية لأولادها فى قصرها، وعلى مر الأيام أظهرت الآلهة حقيقة أمرها للملكة، وطلبت إليها هذا العمود، فاستلته من تحت السقف وانتزعت الصندوق منه ، ثم رمت بنفسها عليه وكان لايزال موصدا، وحملته معها فى سفينة، وقد بقى مغلقا حتى وصلت مصر، ووجدت نفسها فى مأمن لايرقبها أحد ففتحته، ثم وضعت وجهها على وجه الميت وقبلته بدموع حارة. ثم ذهبت بعد ذلك لإبنها حوريس الذى كان يتربى فى «بوتو» وهنالك أخفت الصندوق الذى يشتمل جثة ازريس. وبينما كان «ست» ذات ليلة يصطاد فى ضوء القمر عثر على الصندوق فعرف الجثة، ومزقها أربع عشرة قطعة، وبعثرها فى الجهات القاصية، ولم يكد ذلك النبأ يصل إلى مسامع ازيس حتى أخذت تبحث عن تلك الأجزاء، ولهذا شرعت تجوب مناقع الدلتا فى زورق من البردى. وكانت كلما عثرت على شلو من أشلاء ازريس دفنته حيث وجدته. وهذا هو السر فى تعدد قبور ازريس فى مصر.

ولما ترعرع حوريس واشتد ساعده، أخذ يتأهب بمساعدة أمه للإنتقام من ست قاتل أبيه، وقد استمرت نار الحرب مشتعلة بينهما أياما عدة، وأسفرت المعركة عن فوز حوريس على خصمه ست. وقد كبل ست وسيق إلى ازيس فلم تمسه بسوء وأطلقت سراحه، فأهاج ذلك حنق حوريس وفى ثورة غضبه مزق تاج ازيس من رأسها، غير أن تحوت «هرميس» وضع بدلا منه رأس بقرة. تلك هى بالإختصار مشتملات هذه الأسطورة كما وصلت إلينا نقلا عن بلوتارخ المؤرخ اليونانى.

راجع كتاب ديانة قدماء المصريين تأليف الأستاذ اشتيندروف Steindorff الألمانى وتعريب سليم حسن، الطبعة الأولى «لمطبعة المعارف» سنة ١٩٢٣ ـ المحاضرة الأولى ـ صفحات ٢٥ و ٢٦ و ٢٧).

الفصل الثالث والعشرون

آراء تاليـــــس وأفلاطـــــون

ومع هذا فقد تقولون - إذ أنتم تفوقون جميع الناس فهما - إذا لم تكن تلك التى تنصب لها التماثيل آلهة فكيف يحدث أو يمكن لهذه الأوثان أن تظهر قوة وإقتدارا؟

فإنه ليس من المعقول أن الأصنام التى تفتقر إلى الحياة والحركة يمكن أن تفعل شيئا من ذاتها دون محرك.

ونحن لا نستطيع أن ننكر أن هناك أفعالا تجرى باسم الأوثان فى مختلف المواضع والبلدان (المدن) والأمم، ولكن إذا كان بعض الناس قد أفاد منها، والبعض - على العكس - قد تأذى، فليس يمكن أبدا أن نحسب أولئك الذين يفعلون على كلتا الحالتين، آلهة.

ولقد بحثت مليا فى هاتين المسألتين : (الأولى) لِم تعتقدون فى الأصنام أنها تمتلك هذه القدرة، و (الثانية) من هؤلاء الذين يتخذون أسماءها ويحدثون هذه الآثار؟

ومهما يكن من شئ، يجب علىّ ضرورة - إذ أحاول تبيان من هم الذين يحدثون تلك الآثار التى تنسب إلى الأوثان، وأنهم ليسوا آلهة - أن ألتجئ إلى شهود من الفلاسفة.

فأولا : طاليس، كما يقرر أولئك الذين فحصوا آراءه بدقة، يقسم (الكائنات السامية) إلى : الله ثم الجن، ثم الأبطال، وهو يعتقد فى الله أنه عقل νοῦς العالم وفى الجن أنهم كائنات تمتلكهم النفس ψυχικαί ، وفى الأبطال أنهم نفوس الناس متفرقة، فالأبطال الصالحون هم النفوس الصالحة، والأبطال الأردياء هم النفوس التى لاقيمة لها.

كذلك أفلاطون، مع أنه قد امتنع عن أن يسلم بأمور أخرى، إلا أنه يقسم (الكائنات العليا) إلى : الإله غير المخلوق، ثم أولئك الذين أوجدهم «الواحد» غير المخلوق لتزيين السماء، (أى) الكواكب السيارة والنجوم الثابتة، ثم الجن.

أما عن الجن، فلم ير من المناسب أن يتكلم هو نفسه عنهم، ومع ذلك يرى وجوب الإصغاء لأولئك الذين تكلموا عنهم.

«ليس فى مقدورنا أن نتكلم عن الجن الآخرين أو أن نقف على أصلهم، ولكن يجب أن نصدق أولئك، الذين سبقوا فتكلموا عنهم، وقالوا : أنهم نسل الآلهة - ولابد أن يكونوا قد عرفوا أسلافهم معرفة جيدة : فلا يمكن، إذن، أن نجحد أبناء الآلهة، ولو أنهم يتحدثون عنهم بدون براهين محتملة أو مقنعة، ولكن حيث أنهم يجاهرون بأن (الجن) يخبرونهم بشئونهم العائلية فنحن مضطرون، جريا على العادة بأن نصدقهم. وعلى هذا، فلنعتقد ونتكلم كما يعتقدون ويتكلمون فيما يختص بأصل الآلهة أنفسهم.

فلقد ولد أوقيانوس (المحيط) وتيثيس (أعظم آلهات البحار) من جى (الأرض) وأورانوس (السماء) ومن أوقيانوس وتيثيس ولد فوركوس وكرونوس وريا والباقون. ومن كرونوس وريا، ولد زيوس وهيرا، وجميع الآخرين الذين نعلم أنهم يدعون أخوة لهما، وزد على ذلك سلالة أخرى من هؤلاء الآخرين (١).

أفهل رأى (أفلاطون)، ذاك الذى تفكر وتأمل فى العقل السرمدى وفى الإله الذى يمكن أن يدرك بالذهن، وقد أعلن أيضا صفاته - (أى) وجوده الواقعى، وبساطة طبيعته والخير الذى يصدر عنه وهو الحق، ثم تحدث عن القوة الأولية، وكيف أن «جميع الأشياء فى متناول ملك الكل، وجميع الأشياء كائنة من أجله، وأنه علة الجميع «وأنه حول إثنين وثلاثة، وهو «الثانى الذى يدور حول الثوانى، والثالث (الذى يدور) حول الثوالث» (٢).

نقول، أفهل رأى (فيلسوفنا) أن معرفة الحقيقة - فيما يتصل بمن قيل فيهم، أن خرجوا من المحسوسات، أى الأرض والسماء - أمر يفوق قواه؟

لأول وهلة لا يمكن أن نثق فى هذا ...

لقد كان من المستحيل عليه أن يعتقد فى الآلهة أنها تلد وتولد حيث أن كل شئ يبتدئ، ينتهى أيضا، وكان (أشد عسرا عليه) أن يغير آراء عامة الناس الذين يقتبلون الخرافات دون فحص. لذا فقد صرح بأنه فى غير مقدوره أن يعرف أصل الجن (الشياطين) أو يتكلم عنه، بما أنه كان عاجزا عن أن يسلم أو يعلّم بولادة الآلهة.

---

(١) طيماوس ص ٤٠، د. هـ.

(٢) أفلاطون المزور، رسالة ٢ ص ٣١٢د. هـ. المعنى فى غاية الغموض.

أما قوله : «سلطان السماء العظيم، زيوس، يسوق عربة مجنحة، ولذا يتقدم هو أولا، ثم يرتب ويدبر جميع الأشياء، وهناك يتبعه جيش عظيم من الآلهة والجن» (١)، فهذا (القول) لا يشير به إلى زيوس الذى يقال أنه إنبثق من كرونوس، وإنما الإسم الذى ورد هنا (فى النص المذكور) يطلق على «صانع» الكون. وهذا ما بينه أفلاطون نفسه، فلما لم يكن فى مقدوره أن يسميه باسم أو لقب آخر يناسبه، اكتفى بالإسم الشائع بين الناس لا كأنه يليق بالله. بل نشدانا للوضوح، إذ لا يمكنه أن يتكلم عن الله إلى جميع الناس كما ينوى ويريد. ولكنه قد أضاف إليه فى نفس الوقت، نعت الـ«عظيم» كيما يميز بين السماوى والأرضى، بين غير المخلوق والمخلوق أو من هو أصغر من السماء والأرض ومن الكريتيين الذين اختطفوه (سرقوه) حتى لا يقتله أبوه.

الفصل الرابع والعشرون
فى الملائكة والجبابرة

أو هل، فى حديثى إليكم، يامن بحثتم فى كل دائرة من دوائر العرفان، ما يدعونى إلى أن أذكر الشعراء، أو أفحص آراء من طراز آخر، يكفى، أنه أمر يطول شرحه. وإذا كان الشعراء والفلاسفة. لم يعرفوا أن هناك إلها واحدا، ولم يكونوا على رأى (إعتقاد) واحد فيما يتصل بهذه الآلهة : البعض يقول أنهم جن : والبعض يقول أنهم مادة وغيرهم يقول أنهم كانوا - فى يوم ما - بشرا، فلعل لنا عذرا فيما يضيق علينا من أجله، إذا كنا نستخدم لغة تدع تفرقة وتمييزا بين الله والمادة بين طبيعتيهما لأننا كما نؤمن «بإله»، «وبابن» هو «كلمته» و «بروح قدس» (ثالوث) متحد فى الجوهر، «الآب» و «الابن» و «الروح» حيث أن الابن هو «بصيرة» الآب «وعقله» و«حكمته» و «الروح» فيض (أو صدور) أو بثق، كما ينبثق النور من النار، هكذا نعتقد أيضا بوجود قوى أخرى تسيطر على المادة وبالمادة، وبأن واحد منها - على وجه الخصوص - خصم لله : وليس شئ فى الواقع ضد الله كما هو الحال بين الكراهية والمحبة (النفور والألفة) على مذهب أنبادوقليس، أو بين الليل والنهار تبعا لظهور النجوم وإختفائها (فلو أن شيئا ما قد جعل من

---

(١) افلاطون : فيدروس ص ٢٤٦ هـ.

ذاته ضد الله، لما بقى موجودا، إذ لابد أن يفنى بقوة الله) وإنما هو عدو أو ضد للخير الذى فى الله والذى يختص ضرورة به، ويشاركه فى وجوده، كاللون للجسم، والذى بدونه لايكون له وجود (لاعلى أنه جزء منه بل على أنه صفة تتبعه وتلازمه (كائنة معه) متحدة معه وممتزجة به، كما أن النار صفراء بطبيعتها والأثير أزرق معتم (بطبيعته) - أقول إن الخير الذى فى الله، يضاده الروح الذى فى المادة، وهو مخلوق من الله كما أن الملائكة الآخرين قد خلقوا من الله، وقد أؤتمن (هو) على تدبير المادة وأشكال المادة. لأن هذه هى وظيفة الملائكة، أن يباشروا ويوجهوا عناية الله نحو الأشياء التى برأها الله ونظمها (ورتبها)، حتى يحيط الله الجميع بعناية شاملة مطلقة (كاملة كلية)، ولو أنه قد زود أجزاء الكون المختلفة بملائكة أقامهم عليها.

وكما أن البشر أحرار مختارون فى الخير والشر (فأنتم لاتثيبون الفاضل أو تعاقبون الشرير، إلا إذا كان فى مقدور كل منهما أن يكون فاضلا أو شريرا)، بعضهم معنى بما عهدتم به إليهم، وبعضهم الآخر خونة (غادرون) هكذا الحال فى الملائكة. فالبعض منهم - كما سترون - وكلاء مطلقوا التصرف، ظلوا كما خلقهم الله معنيين بتلك الأشياء التى أوجدهم من أجلها وسلطهم عليها. وأما البعض الآخر فقد تعدوا على قانون طبيعتهم والسلطة التى خولت لهم، وأعنى (بهذا البعض) هذا الحاكم الذى يحكم المادة وأشكالها المتنوعة، وغيره ممن جعلوا فى دائرة السماء الأولى. (وأنتم تعلمون أننا لانقول شيئا بدون شهود، وإنما نقرر ما صرح به الأنبياء).

ولقد سقط هؤلاء (الملائكة الأشرار) مع العذارى فى عشق مدنس، وقد استعبدتهم (قهرتهم) لذة الشهوة البدنية، فصار (الشيطان) مهملا وشريرا فى تدبيره للكائنات التى أؤتمن على تدبيرها. ومن ثم فقد ولد أولئك الذين يدعون الجبابرة، ممن عشقوا العذارى.

وليس فى هذا ما يدعو إلى العجب أو الدهشة إذا كان الشعراء قد تكلموا هم أيضا عن الجبابرة: فالحكمة العالمية والحكمة السماوية تختلفان عن بعضهما إختلافا كبيرا، كالفرق بين الحق وما يبدو أنه الحق، أحداهما من السماء والأخرى من الأرض، وحقا على قول إله (أمير) المادة:

«نحن نعلم أننا كثيرا مانتكلم بالأكاذيب التى تبدو وكأنها حقائق» (١).

---

(١) هزيود : البحث فى منشأ آلهة الأقدمين : ٢٧.

الفصل الخامس والعشرون

الشعراء والفلاسفة قد أنكروا عناية الله

وعلى ذلك فهؤلاء الملائكة، الذين سقطوا من السماء والذين يسكنون الهواء والأرض، وليس فى إمكانهم بعد أن يرتقوا إلى السمائيات، ثم أرواح الجبابرة وهم الجن (الشياطين) الذين يجوبون حول العالم (أن هؤلاء وأولئك) يقومون بأعمال ملائمة (لطبائعهم) . فالفريق (الثانى) وهم (الجن)، فعالهم تلائم طبائعهم التى إتخذوها والفريق الآخر (أى الملائكة) (فعالهم تلائم) شهوائهم التى أطلقوا لها العنان.

لكن أمير المادة، كما يظهر مما يقال عنه، يقوم بتدبيرها وإدارتها، بما يضاد الخير الذى فى الله.

«كثيرا ماتخطر لبالى هذه الفكرة المزعجة، أهى الصدفة أم هو الله، الذى يحكم فى أمور الناس وشئونهم الصغيرة، فهو على الرغم من الأمل ومن العدل، يضطر إلى أن ينفى البعض ويجردهم من كل أسباب الحياة، بينما يظل البعض الآخر ناعما مع ذلك، باليسر والرخاء» (١)

إن اليسر والعسر، على النقيض من الأمل والعدل، جعلا من المستحيل على ايريبيدس أن يقول : بمن يختص تدبير شئون الأرض، وهى من طراز كان يمكن أن يقول المرء فيها :

«كيف يمكن إذن، ونحن نرى هذه الأشياء، (كيف يمكن) أن نقول أن هناك آلهة أو أن نذعن للقوانين» (٢).

وهذا هو عينه ماحدا بأرسطو إلى أن يقول أن الأشياء التى تحت السماء لا تتمتع بعناية الله وتدبيره، ولو أن عناية الله السرمدية (الأزلية الأبدية) تشملنا نحن تحت السماء على السواء.

«ليكن أن الأرض تحركها إرادة أو لا تحركها، ولكن، لابد أن تنتج العشب وهكذا تقوم بأود قطعانى» (٣)

---

(١) ايريبيدس : عن رواية مجهولة.

(٢) نفس المرجع.

(٣) ايريبيدس : دور ص ٢٣٢ وما بعدها.

وتحوط كل فرد على حدة إذا كان مستأهلا لها... حقا وليس إعتبارا. أما سائر الأشياء الأخرى فهى خاضعه لقوانين العلة، تبعا لنظام الطبيعة العام.

ولكن، لما كانت حركات الجان وأفعال الروح المضاد، هى التى تحدث الإضطراب والقلق فضلا عن أنها تغرى بعضا من الناس على أن يسلكوا سبيلا ما، وغيرهم على أن ينتهجوا سبيلا غيرها، سواء كانوا أفرادا أو أمما، متفرقين أو مجتمعين وسواء كان ذلك مجاوبة لميل مادى أو موافقة لرغبة روحية سماوية، إن من الداخل أو من الخارج (لما كان ذلك كذلك) فإن بعضا من ذوى الشهرة غير العادية، ظنوا أن هذا الكون أُنشئ دون أدنى نظام مرسوم، وأنه يندفع تارة إلى هنا وطورا إلى هناك بفعل صدفة عمياء. وما علموا أن ليس هناك شئ من تلك الأشياء التى يتركب منها العالم كله. يمكن أن يفلت من النظام أو ينصرم منه، وإنما كل شئ منها قد صدر عن علة، وهى لذلك لاتتعدى أو تتخطى النظام الذى رسم لها، بل والإنسان نفسه، طالما أن (الله) الذى خلقه معنيا به، هو أيضا على أتم نظام، سواء من حيث طبيعته الأصلية، وهى واحدة عند جميع الناس، أو من حيث تركيبه الجسمانى، وهو لايتخطى القانون الذى فرض عليه، أومن حيث نهاية حياته، وهى أيضا ستظل عند جميع الناس متماثلة وعلى نمط واحد.

ولكنه ينساق فى هذا الإتجاه أو ذاك وفقا لمزاجه الخاص، وفعل الرئيس (الأمير) الذى يسيطر عليه والشياطين التابعين لهذا الرئيس. ولو أن تركيب العقل (١) فى أصله، واحد عند جميع الناس.

الفصل السادس والعشرون

الشياطين يستميلون الناس إلى عبادة التماثيل

فالشياطين الذين ذكرناهم آنفا الذين يستميلون البشر إلى الأوثان، يتوقون إلى دماء الضحايا، ويلعقون فيها، أما الآلهة الذين يرتضيهم الجمهور والذين تطلق أسماؤهم على التماثيل، فهم بشر - كما ينبئ بذلك تاريخهم، بل وتدل طبيعة الأفعال التى يقومون بها على أن الشياطين هم الذين

---

(١) أو «قوى الاستدلال» (لوجيسموس λογισμός)

يفعلونها، وإن كانوا يتخذون أسماء الآلهة إذ أن البعض منهم يَجُبْ (يسل) الخصيتين مثل ريا، والبعض يجرح وينحر مثل أرتيموس، كما أن الآلهة (الثور) تقتل جميع الغرباء ....

وإنى أتجاوز عن أولئك الذين يمزقون بالسكاكين والسياط ذات العظام، ولا أحاول أن أصف جميع أنوع الشياطين، لأنه ليس من صالح الإله أن نستشير ما هو ضد لطبيعته.

،لكن عندما يكيد الشيطان لإنسان، فإنه يلحق بعقله أولا بعض الضرر، (١)

أما الله، فمن حيث أنه خير وكامل فى خيريته، فهو لذلك يفعل الخير أبدا...

زد على ذلك أن ترواس وباريوم، خير بينة قاطعة على أن من يظهرون القوة ليسوا هم أولئك الذين أقيمت لهم التماثيل، ففى إحداهما، تماثيل نيريليوس، وهو رجل من (بين) المعاصرين لنا، وفى باريوم تماثيل الكسندر وبروتوس ولازال ضريح الإسكندر وتمثاله قائمين فى باحة (رومية).

وإذن فتماثيل نيريليوس، هو (بمثابة) زينة عامة، إذا جاز حقا أن تتزين المدينة بمثل هذه الأشياء، ولكن قد كان مفروضا فى واحد منها أن ينبئ بالغيب المحجب وأن يشفى المرضى. ولذا يقدم أهل طرواده ضحاياهم لهذا التمثال ويطلونه بالذهب ويتوجونه بأكاليل الزهر.

أما فيما يتصل بتمثالى، الإسكندر وبروتوس (والأخير كما تعلمون - قد ألقى بنفسه فى النار بالقرب من أوليمبيا). فيقال عن تمثال بروتوس أنه كذلك ينبئ بالغيب المحجوب ويقال عن تمثال الإسكندر - ،ياريس أيتها التعيسة، ولو أنك جميلة الصورة لكنك عبدة للمرأة، (٢) إنهم يقربون له الضحايا ويقيمون الولائم على نفقة الجماهير، كما لو كانوا يفعلون لإله يسمع ويصغى.

أنيريليوس وبروتوس والإسكندر هم الذين يصنعون هذه القوات بالإتحاد مع التماثيل أم هى طبيعة المادة ذاتها. ولكن المادة هى نحاس أصفر. وهل يستطيع النحاس الأصفر أن يصنع شيئا من ذاته وهو القابل لأن يصاغ من جديد فى صورة أخرى مغايرة للأولى، على غرار ما فعل أماسيس بقاعدة يان (إله المواشى)، كما يخبرنا بذلك هيرودوتس؟ بل ماهو الخير الذى يمكن أن

---

(١) عن فاجعة لكاتب مجهول.

(٢) عظة ٤٠ : ٣ ص ٣٩.

يؤديه نيريليوس وبروتوس والإسكندر للمرضى؟ إن مايروونه عما يفعله الآن تمثال نيريليوس إنما لم يفعله فى حياة نيريليوس عندما كان مريضا.

الفصل السابع والعشرون

حيل الشيطـــان

ثم ماذا؟ أما أولا : فإن مايدرك النفس البشرية من تحولات فكرية غريبة لا تتفق مع العقل هو علة مايطرأ على التماثيل من تنوع وتغير وتعدد من زمن إلى آخر.

لقد استخرجوا بعضها من المادة، وصنعوا بعضها الآخر وخلقوه لذواتهم، وهذا ما يحصل للنفس ولاسيما عندما تشارك فى الروح المادى وتصبح ممتزجة به وناظرة لا إلى الأشياء السماوية ومن صنعها، بل إلى أسفل، إلى الأرضيات، كلية إلى الأرضيات، من حيث أنها لم تصبح بعد روحا بحتة، بل هى الآن مجرد لحم ودم، إن هذه التحولات الغريبة التى لاتطابق العقل، مما يدرك النفس البشرية، هى منشأ هذه التصورات الذهنية التى يصبح بسببها العقل مشبعا بالأوثان حتى الجنون.

فإذا كانت ثمة نفس، تتميز بالحساسية والشعور، لا علم لها ولاخبرة بالمعتقدات السائدة ولم تألف أن تتأمل الحق أو تنظر مليا إلى الآب وصانع الأشياء جميعها، ثم تأثرت مثل هذه النفس بآراء باطلة قد اتصلت بها، فإن الشياطين - وهم يدورون حول المادة تائقين إلى رائحة التقدمات ودماء الضحايا وعلى أتم استعداد لأن يقودوا الناس إلى الضلال، ينتهزون فرصة هذه التحولات الوهمية فى نفوس الجماهير، ولما كانوا يمتلكون أفكارهم فإنهم يلقون إلى عقولهم بتصورات باطلة ويوهمونهم أنها صادرة عن الأوثان والأصنام.

فإذا تحركت النفس من ذاتها، حيث أنها خالدة - وكانت فى حركتها مطابقة للعقل - أما لتنبئ عن المستقبل أو لتصلح من الحاضر، فإن الشياطين تدعى ذلك لنفسها لتنال عنه فخرا ومجدا.

الفصل الثامن والعشرون

الآلهة الوثنية مجرد بشـــــــــــر

وربما يكون من الضرورى أن أتحدث ولو قليلا عن أسمائهم (الآلهة) تأييدا لما أوردناه سابقا من أدلة وبراهين وعليه، فهيرودوتس والإسكندر ابن فيليب - فى خطابه إلى أمه (ويقال أن كلا منهما قد تحدث إلى الكهنة فى هليوبوليس، وميمفيس (منف وطيبة - يؤكدان أنهما قد تعلما منهم (أى من الكهنة) أن الآلهة كانوا بشرا.

ويقول هيرودوتس «يقولون أن الكائنات التى تمثلها هذه التماثيل، لها مثل هذه الخصائص الطبيعية، وهى - فى الواقع - أبعد ماتكون عن الآلهة. ومهما يكن من أمر، فقد كانت شيئا آخر فى الأزمنة السابقة على وجودها (كالآلهة). وعلى ذلك، كان لمصر آلهة وكانوا هم حكامها الذين يسكنون مع الناس على الأرض، إذ كان أحدهم - دوما - يسود على الآخرين (الباقين) وآخرهم هورس بن أوزيريس، والذى يعرف عند الأغريق باسم أبولون وقد خلع (هورس) تيفون وحكم مصر على أنه آخر الملوك الآلهة أما أوزيريس فيسميه اليونان ديونيزوس (باخوس) (١)

«وجميع أسماء الآلهة تقريبا قد جاءت إلى بلاد اليونان من مصر» (٢).

وقد كان أبولون ابن ديونيزوس وإيزيس كما يؤكد هيرودوتس أيضا : «أن أبولون وديانا عند المصريين هما إبنا خبوس وايزيس، بينما أن لاتونا مرضعتهما ومربيتهما» (٣).

---

(١) ف ٢ ص ١٤٤ : الإقتباسات من هيرودوتس تبعا لترجمة راولنسون (نص ما يقوله هيرودوتس هو : يقال أن كهنة هليوبوليس أفقه المصريين فى العلم، أما ما سمعت من قصص الآلهة فلست حريصا على أن أثبت منها إلا أسماء الآلهة فحسب فإنى أعتقد أن الناس أجمعين يعلمون عن الآلهة قدرا متساويا، أما ما عساى أن أذكره عنها فإنى مضطر إلى ذكره بسياق التاريخ) هيرودوت فى مصر - الكتاب الثانى - يوتربى ربة الشعر الغنائى : ترجمة الأستاذ وهيب كامل.

(٢) ف ٢ : ٥٠ (ويقول الكهنة أيضا : إن المصريين كانوا أول من سمى الآلهة الإثنى عشر بألقابهم وأن اليونانيين أخذوا ذلك عنهم).

راجع هيرودوت فى مصر - الكتاب الثانى يوتربى ربة الشعر الغنائى، نقله عن اليونانية الأستاذ وهيب كامل - الإقتباس عن نمرة ٤ ص ٢٥).

(٣) ٢٢ : ١٥٦.

هذه الكائنات ذات الأصل السماوى، كانت هى أول ملوكهم وقد كانوا يعتبرونهم مع زوجاتهم آلهة، نظرا لجهلهم بعبادة الله الحقيقية من جهة، وإعترافا منهم بفضل حكومتهم من جهة أخرى.

ويضحى المصريون كلهم بالثيران والعجول الطاهرة ولايحل لهم أن يضحوا بالأبقار. بل والعجول يستخدمها المصريون جميعا فى الذبائح، لكنه لم يكن جائزا أن يقدموا ذبائحهم من الإناث فهى مكرسة لإيزيس، وتمثال إيزيس على هيئة إمرأة ولكن له قرنان مثل قرنى البقرة على نفس الصورة التى يصور بها اليونان (١) تمثال بو.

ومن ذا يمكنه بأن يكون أكثر إستحقاقا لأن يوثق به فى هذه البيانات من أولئك الذين تسلموا الكهنوت وتوارثوه إبنا عن أب، بل وتناقلوا التاريخ أيضا؟ وليس معقولا أن الكهنة الذين يعينهم أن يوصوا الناس بتوقير الأوثان، كانوا يؤكدون زورا وبهتانا أنهم (الآلهة) كانوا بشرا، ولو كان هيرودوتس وحده الذى قال أن المصريين تحدثوا فى تواريخهم عن الآلهة بإعتبارها بشرا عندما قال : «ليس فى نيتى أن أردد ثانية ماروووه لى فيما يختص بديانتهم - إذا إستثنيت أسماء آلهتهم فقط، وهى أمور تافهة عديمة الأهمية» (٢).

(لو كان هيرودوتس وحده الذى قال أن آلهة المصريين كانوا بشرا) لكان علينا أن لانثق فى هيرودوتس ولو كمؤلف روائى. وإنما الإسكندر وهيرميس الملقب تريسميجستوس ومن يشاركهما فى صفة السرمدية، وآخرون لايحصون ممن لا نستطيع أن نذكرهم واحدا واحدا (نقول عنهم بالمثل) ليس هناك أدنى منفذ للشك فى أنهم - وهم ملوك - كانوا يعتبرون آلهة، وأن أكثر العلماء المصريين ممن يذهبون إلى أن الأثير والأرض والشمس والقمر، آلهة، وينظرون إلى الباقين كبشر فانين وإلى المعابد كمقابر لهم، يشهدون أيضا أن الآلهة كانوا بشرا.

وقد أيد ذلك أيضا أبولود وروس فى رسالته فى الآلهة، لكن هيرودوتس يسمى حتى آلامهم، أسرارا.

---

(١) كان اليونانيون يعتقدون أن زيوس أحب أيو فغارت زوجة هيرا ومسخت أيو بقرة وظلت هذه تنتقل على هذه الحال من أوربا إلى آسيا إلى أن حطت رحالها فى مصر وفيها إستعادت هيئتها الأولى وأنجبت أبافوس.

(هيرودت فى مصر - يوتربى - الكتاب الثانى - تعليق على ٤١).

(٢) ٢ : ٣ والنص هنا غير واضح وهو يختلف عن نص هيرودوتس.

لقد تكلمنا من قبل عن الطقوس فى عيد إيزيس بمدينة بوصير (بوسيريس) هناك حيث كل الجمهور من الرجال والنساء - ويبلغون عدة آلاف - يضربون نفوسهم فى نهاية الذبيحة إكراما (تعبدا) لإله يمنعنى شعور دينى عن ذكر اسمه (١).

فإذا كانوا آلهة فإنهم كذلك خالدون، لكن إذا كان الناس يضربون من أجلهم، وكانت آلامهم أسرارا خافية، فهم بشر كما يقول هيرودوتس نفسه : «هنا أيضا، فى مقاطعة منيرفا ذاتها فى سايس يوجد مدفن لمن لا أظن أنه يصح أن أذكره بمثل هذه الصفة، وهو قائم فى مؤخرة المعبد فى مقابل الحائط الخلفى، وهو يخفيه تماما (بالكلية) وهناك أيضا بضع مسلات كبيرة من الحجر فى داخل السور، وإلى جانبهم بحيرة مزينة بشط من الحجر. وهى فى شكلها مستديرة، وفى حجمها - كما يبدو لى - تساوى تقريبا، البحيرة التى توجد فى ديلوس والتى تدعى هوب «الحلقة». هنا، وعلى هذه البحيرة، يمثل المصريون - ليلا - آلام (الاله) الذى أمتنع عن ذكره، وهم يدعون هذا التمثيل أسرارهم» (٢).

وليس ضريح أوزيريس وحده هو الذى يرى، بل وأيضا جثمانه محنطا : «إذا احضروا إليهم جثة، أرشدوا حاملها إلى نماذج مختلفة من أجساد مصنوعة من خشب ومدهونة بحيث تبدو وكأنها طبيعية. ويقال أن اكمل (هذه الأجساد) ما كان منها على نمط من لا أظن أنه يناسب التقوى والتدين إن ذكر إسمه متصلا بمثل هذا الأمر» (٣).

الفصل التاسع والعشرون
إثبات القضية عينها من أقوال الشعراء

يؤيد هذا من اشتهروا بين اليونان فى الشعر والتاريخ: فيقول هيراقليس (هرقل).

«ذاك الشقى المخالف للقانون، ذاك الرجل ذو القوة الغاشمة الوحشية، الذى لايسمع لصوت السماء ويتعدى على الطقس الإجتماعى (٤) وإذا كانت تلك طبيعته فبحق قد جن، وبحق قد أشعل حزمة الحطب الجنازية وأحرق نفسه حتى مات».

وقد قال هزيود عن اسكليبيوس :

---

(١) ٢ : ٦١.
(٢) ٢ : ١٧٠.
(٣) ٢ : ٨٦.
(٤) عظة ٢١ ص ٢٨ وما بعدها.

«العظيم أبو الآلهة والبشر، معا، استشاط غضبا، على ابن لاتونا الحبيب وقذف به فى صاعقة ملتهبة من فوق قمة أوليمبوس، ثم قتله - هكذا كان سخطه» (١)

ويقول يندار :

«وحتى الحكمة وقعت فى شراك الكسب، لقد إنخدع اسكولابيوس نفسه(٢)، فظهرت فى يده رشوة من ذهب يلمع.: من أجل ذلك ابن كرونوس، أوقف نسمة الحياة فيه، سريعا، بكلتا يديه، وقد تمم قضاءه عليه بصاعقة من نار» (٣).

وعلى ذلك، إما أن يكونوا آلهة فلا يشغفوا بالذهب. «أيها الذهب، وياخير غنيمة للبشر الفانين أنت مصدر بهجة و لاتضاهيها أم ولا أولاد أعزاء(٤) إذ أن الله فى غير حاجة إلى شئ، وهو عال عن الشهوة الجسمانية. كما أنه لايموت».

وإما أن يكونوا قد ولدوا بشرا ولذا فهم أشرار بسبب الجهل وقد تغلب عليهم حب المال، وهل يعوزنى بعد أن أشير إلى كاستور أو بوليكس أو امفياروس. الذين ولدوا منذ أمس القريب كما يقولون - وهم بشر من بشر، وقد اعتبروهم آلهة بل وقد تصوروا يونو أيضا إنها قد صارت آلهة بعد جنونها وبعد ما لحق بها من آلام من جراء ذلك؟

«قرصان البحر يحبون اسمها ليكوتيا» (٥)

وإبنها : «أوغسطس باليمون، يستغيث به البحارة».

---

(١) هزيود : شذرات.

(٢) أى اسكولابيوس.

(٣) فيثاغورس : ٣ ص ٩٦ وما بعدها.

(٤) نسبها ستيكا إلى بيليريفون لابريبيديس.

(٥) من يونو لابريبيديس.

الفصل الثلاثون

الأسباب التى من أجلها نسبت الألوهة إلى بشر

فإن كان للبشر الممقوتين والمكروهين من الآلهة أن يبلغوا إلى مرتبة الألوهه، وإذا كانت إبنة ديكريتو، أعنى سميراميس - وهى إمرأة داعرة (فاسقة) ملطخة بالدم - تعتبر إلاهه سورية، وإذا كان السوريون - من أجل ديكريتو - يعبدون الحمام وسميراميس (مع أنه من المستحيل أن تنقلب المرأة) إلى حمامة : (ومهما يكن من أمر) فتاريخها فى كتيزياس، (إذا كان ذلك كذلك) فهل من عجب أن يدعو الناس (ملوكهم) آلهة لأنهم يحكمونهم ويسيطرون عليهم؟!!

وتقول سيبيل (الكاهنة) التى أشار إليها أفلاطون أيضا : إن ذرية الناس ثم عشرهم، قد وهب لهم أن يتكلموا منذ أن تفجر الفيض واندفق على السابقين من البشر، وقد ملك كرونوس وجابيتس ثم الشيطان على الناس الذين أذاعوا عنهم أنهم أنبل أبناء أورانوس وجايا. وقسموهم بهذه الأسماء(١)، لأنهم كانوا أول من منحوا موهبة الكلام (٢).

(فهم يدعون هؤلاء آلهة لأنهم ملكوا عليهم) ويدعون غيرهم آلهة (كذلك) نظرا لقوتهم نظير هيراقليس، وبرسيوس، أو نظرا لمهارتهم مثل اسكليبوس.

وإذن فسواء ادعى الحكام الألوهة لأنفسهم، أو كان ذلك تعبيرا وترجمة لشعور التجلة والإكرام من جانب المحكومين فقط صاروا آلهة، إما عن خوف بالنسبة للبعض، وإما عن إجلال وتقديس بالنسبة للبعض الآخر.

لذا اعتبر اثتينواس إلها لما اشتهر به أسلافكم من حسن المعاملة لمحكوميهم، وقد اتخذ اللاحقون هذه العبادة دون فحص أو بحث.

«الكريتيون دائما يكذبون، لأنهم أيها الملك، قد بنوا لك قبرا، وأنت لم تمت». ومع أنك تؤمن ياكاليماخوس بمولد زيوس، إلا أنك لاتؤمن بقبره، وبينما تظن أنه يمكنك أن تتعامى عن الحق، أنت فى الواقع تذيع أمر موته حتى لأولئك الذين يجهلونه، فإذا رأيت الكهف (المغارة) تذكر مخاض ريا، لكنك عندما ترى النعش تحاول أن تخفى حقيقة موته دون أن تفطن إلى أن الإله الذى لم يولد هو وحده السرمدى.

---

(١) أى بعد جايا واورانوس، الأرض والسماء.

(٢) سيبيل ٣: ص ١٠٨ - ١١٣.

فإما أن تكون الأقاصيص التى يرويها عامة الناس والشعراء عن الآلهة، غير جديرة بالثقة ومن ثم فليس مايدعو إلى تقديس (هذه الآلهة) (لأنه ليس لهم وجود، كما أن القصص التى تروى عنهم باطلة) وإما أن تكون المواليد والمحبات وضروب القتل والسرقات والتطويشات والصواعق، أمورا حقيقية، وحينئذ لايكون (لهؤلاء الآلهة) وجود بعد، وإنما ينقطع وجودهم حيث إنهم قد ولدوا ولم يكن لهم سابقا وجود.

ثم على أى أساس نؤمن بأشياء وننكر غيرها، إذا كان الشعراء قد ألفوا رواياتهم أملا فى أن يحققوا لهم إحتراما أعظم؟

يقينا أن أولئك الذين اعتبروهم آلهة - وقد بذلوا قصارى جهدهم فى أن يجعلوا فعال الآلهة جديرة بالتقديس - ما كانوا يستطيعون أن يختلقوا للآلهة آلاما.

وعلى هذا، فقد أبنت - على قدر استطاعتى وإن لم يكن على قدر أهمية الموضوع - أننا غير ملحدين، وأننا نقر بالله صانع هذا الكون.

الفصل الحادى والثلاثون

نقض الإتهامات الأخرى التى تثار ضد المسيحيين

لكنهم - علاوة على ذلك أيضا - ألفوا ضدنا روايات ونسبوا إلينا ولائم تعارض التقوى، كما نسبوا إلينا المعاشرة المحرومة بين الجنسين، كيما يبرروا لأنفسهم بغضتهم لنا، ولأنهم يظنون أنه يمكن أن نعدل عن سبيلنا فى الحياة بالإرهاب والتخويف أو بتهييج الحكام علينا وإيغار صدورهم نحونا نظرا لجسامة الإتهامات التى يثيرونها ضدنا.

لكنهم قد قطعوا صلتهم بمن عرفوا أن الرذيلة تناهض الفضيلة عادة، منذ القدم لا فى أيامنا فقط : فقد أُحرق فيثاغورس مع ثلثمائة آخرين إلى أن ماتوا جميعا، وقد طُرد هيراقليطس وديموقريطس : أحدهما من مدينة الأفسسيين والآخر من ابديرا لأنه قد اتهم بالجنون، كما أن الأثينيين حكموا على سقراط بالموت. ولكن كما أن (هؤلاء) لم يتزعزعوا عن إعتقادهم أو يتحولوا عن فضيلتهم تمشيا مع رغبات الجماهير. هكذا نحن أيضا لايمكن أن تؤثر فينا أو تحولنا عن سبيلنا القويم فرية من بضع أشخاص يتهموننا زورا ودون تمييز، إذ أن الله يشد أزرنا ويقف فى نصرتنا.

وإنى - بكل تأكيد سأواجه هذه الإتهامات أيضا، ولو إنى واثق جدا من أننى قد استطعت أن أبرىء نفسى أمامكم، بما قد أفضيت به حتى الآن وإذ أنكم تفوقون جميع الناس فطنة وذكاء،

يمكنكم أن تعرفوا أن أولئك الذين يتخذون قاعدة حياتهم أن يتجهوا بها إلى الله حتى يصبح كل منهم بلا عيب ولا لوم أمامه، لن يرحبوا مطلقا بأية فكرة شريرة مهما تكن ضئيلة جدا، لأنه إذا كنا نعتقد أننا نحيا فى هذه الحياة الحاضرة فحسب، لكان يمكن أن نتهم بالإثم طالما كنا مستعبدين للحم والدم وخاضعين للربح والشهوة البدنية، أما ونحن نعرف أن الله شاهد على أفكارنا وأقوالنا، بالليل والنهار، وأنه هو نفسه النور الذى يكشف كل ما فى قلوبنا فنحن مقتنعون بأننا إذا إنتقلنا من الحياة الحاضرة فسنحيا حياة أخرى أفضل من الحياة الحاضرة. حياة سماوية وليست أرضية إذ أننا سنقيم إلى جانب الله، ومع الله، لا يعترينا تغير أو ألم فى نفوسنا، لا من حيث أجسادنا، بل من حيث أرواحنا السمائية، فإذا سقطنا مع سائر من سقطوا، كانت لنا حياة أخرى تعيسة نحياها فى النار، لأن الله لم يخلقنا على غرار الأغنام والبهائم، إنما خلقنا أحرارا مسئولين، ثم أننا سنفنى ونبيد.

على هذا فليس معقولا أننا نرغب الشر، فنسلم نفوسنا لعقوبة الديان العظيم.

الفصل الثانى والثلاثون
سمو الأخلاق المسيحية

ومهما يكن من أمر، فليس عجيبا أو غريبا أن ينظموا ويؤلفوا عنا قصصا كما يؤلفون ويروون عن آلهتهم، حكايات تجعل من حياتهم أسرارا. ولكنه يلزمهم - إذا أرادوا أن يقصوا على هذه الغلائق المعيبة الفاضحة أو الشيوعية الجنسية - أن يبغضوا سواء زيوس الذى أنجب أولادا من أمه ريا وإبنته كوريه واتخذ أخته زوجة، أو أورفيوس الذى ابتدع هذه الروايات فظل زيوس دنسا ومكروها أكثر من ثيستيس نفسه، إذ أن الأخير قد دنس إبنته عملا بمشورة الوحى عندما أراد أن يفوز بالمملكة ويثأر لنفسه.

أما نحن فأبعد من أن نمارس هذه الشيوعية الجنسية، بل أنه ليس مشروعا عندنا ولامباحا أن نتطلع بنظرة تثير شهوة الجنس، إذ قال (المسيح) لأن من يتأمل إمرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه (١).

وإذن، فأولئك الذين حرم عليهم أن ينظروا إلى شئ بأكثر مما خلق الله عيوننا من أجله (هذه العيون) التى قصد الله بها أن تكون نورا لنا، والذين يحسبون النظرة الشريرة (الخليعة) زنى، وأن العيون قد خلقت لأغراض ومقاصد أخرى (غير النظرة الشريرة)، والذين أمروا أن يحصوا حتى أفكارهم، (أقول) من يشك فى أن مثل هؤلاء الأشخاص يتصفون بضبط النفس والعفة؟

---

(١) متى ٥ : ٢٨.

إن مسئوليتنا لاتقف عند حد الخضوع للقوانين البشرية التى يمكن للشرير أن يفلت منها (وإنى - أيها السادة العظام - قد برهنت منذ البدء على أن عقيدتنا هى من تعليم الله) بل إن لنا قانونا يجعل كمال السيرة فى إعتبار الأقرباء كنفوسنا (١).

لهذا السبب، مع مراعاة السن أيضا، ننظر إلى البعض كأنهم أبناؤنا وبناتنا، وننظر إلى غيرهم كأنهم إخوتنا وأخواتنا، أما المتقدمون علينا فى العمر فنقدم لهم الكرامة التى تليق بالآباء والأمهات. وإذن فنحن - كوكلاء عن أولئك الذين نعتبرهم إخوة وأخوات وما إلى ذلك من أنواع القرابات - نبذل أقصى جهدنا فى أن نحتفظ بأجسادهم طاهرة نقية، إذ أن « الكلمة، قال لنا أيضا «إذا قبّل أحد (صاحبه) مرة ثانية لأن القبلة لذت له، (فقد أخطأ) ثم أضاف « على ذلك، فالقبلة، بل والسلام أيضا يجب أن يؤدى بغاية الحذر، لأنه إذا اختلط به أقل تصور دنس، فإنه يحرمنا من الحياة الأبدية» (٢).

الفصل الثالث والثلاثون

طهارة المسيحيين فى نظرتهم إلى الزواج

لهذا - ونحن نترجى الحياة الأبدية - نزدرى شئون هذه الحياة وأيضا مسرات النفس (البشرية)، فكل منا يحسب (المرأة) التى بنى بها، زوجة له وفقا للقوانين التى أوضحناها وقصده (من الزواج) إنجاب الأولاد فقط، وكما أن الرجل يلقى البذار فى الأرض ثم ينتظر الحصاد، فلا يبذر أيضا، هكذا نحن نضبط شهواتنا فلا نسمح لها إلا فى حدود إنجاب البنين.

ليس ذلك فقط، بل قد تجدون بيننا كثيرين من الرجال والنساء، كبروا ولم يتزوجوا أملا فى أن يحيوا مع الله حياة أكثر إتحادا وكمالا.

فإذا كان من يظل بتولا وفى منزلة الخصى، يكون أكثر قربا من الله، ومن يطلق العنان للأفكار والشهوات الجسدية يبتعد عنه بعيدا، وكان علينا فى هذه الحالات أن نتجنب الأفكار والتصورات، فبالأولى أن ننكر الفعال (الأعمال) إذ نحن لانعنى بدراسة الألفاظ بل بأن نظهر الأعمال ونتدرب عليها، فإما أن يظل الشخص (بتولا) كما ولد، أو أن يقنع بزواج واحد لأن الزواج الثانى إنما هو فى حقيقته زنى أو إن كان زواجا صحيحا فى الظاهر فقد قال (المسيح)

---

(١) يترجم اوتو (هذه العبارة) هكذا : «قد جعلنا نحن وأقرباءنا ندرك أرفع درجة من الكمال أو الإستقامة، النص غامض، ولكن النص الوارد فى المتن يبدو قريبا إلى المعنى : متى ٢٢ : ٣٩ ... الخ.

(٢) ربما اقتبس من كتاب محذوف.

«لأن من طلق إمرأته وتزوج بأخرى يزنى» (١) فلم يسمح (المسيح) للرجل أن يطلقها بعد أن يفض بكارتها ولا أن يتزوج مرة أخرى، إذ أن من فصل نفسه عن زوجته الأولى، حتى ولو ماتت إنما هو زان متنكر (متستر) يقاوم إرادة الله - لأن الله، فى البدء، خلق رجلا واحدا وإمرأة واحدة - ويحل أوثق رباط للجسد بالجسد، قد جعله الله لبقاء النوع (الإنسانى).

الفصل الرابع والثلاثون
الفارق الكبير بين سلوك المسيحيين وسلوك المدّعين عليهم

ولئن كان سلوكنا على هذا النحو (أواه «واأسفاه» كيف إضطررت لأن أتكلم عن أمور ليست جديرة بالذكر؟) فإن ماقيل عنا جاء طبقا للمثل القائل «العاهرة توبخ العفيفة» فإن الذين أقاموا سوقا للفسق والفجور وشادوا محافل للصغار سافلة غاية السفالة يعرضون فيها كل أنواع المسرات القبيحة. والذين لا يعفون حتى عن مضاجعة الذكور - إذ الذكور يرتكبون مع الذكور نجاسات فظيعة، وينتهكون حرمة أنبل الأجساد وأجملها بكافة الطرق والوسائل وبذا يشينون عمل الله الجميل (لأن الجمال فى الأرض ما نشأ فيها من ذاته ولكنه جاء بقدرة الله وإرادته) (أقول) إن هؤلاء الناس يعيروننا ويتهموننا بأمور يشعرون هم أنفسهم أنها فيهم بل وينسبونها إلى آلهتهم ويفتخرون بها كأنها أعمال نبيلة تليق بالآلهة.

كيف لهؤلاء الزناة الذين يفسدون عفة الأطفال، أن يفتروا على الخصيان وذوى الزيجة الواحدة (بينما هم أنفسهم يعيشون كالأسماك يتهمون كل من يقع فى سبيلهم، والقوى فيهم يطارد الضعيف : هؤلاء هم فى الواقع أكلة اللحوم البشرية والذين يخالفون - فى جرأة وقوة - ذات القوانين التى قررتموها أنتم وأسلافكم طبقا للحق والعدل) حتى إن حكام المقاطعات (ولاة الأقاليم) المرسلين من قبلكم لايكفون فى سماع الشكاوى التى تقام ضد هؤلاء (المسيحيين) الذين لايتاح لهم حتى أن يقيموا الدعوى على من يضربهم، أو أن لايقدموا نفوسهم لمن يصفعهم، أو أن لايباركوا من يلعنهم : إذ أنه لايكفى (بالنسبة لمطاليب شريعتنا المسيحية) أن نسلك بالعدل (والعدالة «تقضى» بأن نرد المثل بالمثل) بل أنه قد فرض علينا أن نقابل الشر بالخير والحلم.

---

(١) متى ١٩ : ٩.

الفصل الخامس والثلاثون
المسيحيون يمقتون كل أنواع القسوة ويبغضونها بغضة شديدة

وإذن فمن ذا يكون سليم العقل يمكنه أن يقول إننا قتلة وهو يعرف ما هى أخلاقنا؟ لأننا لانأكل لحم بشر إلا إذا قتلنا أحد من الناس، وعلى ذلك فالتهمة الأولى باطلة وإذا سألهم أحد بصدد التهمة الثانية ما إذا كانوا قد رأوا (فعلا) ما يزعمونه فليس منهم من يبلغ به السفه أن يقول أنه رأى شيئا. ومع أننا نملك عبيدا ـ البعض منا يملك منهم كثيرا والبعض يملك قليلا، ولا مفر من أن يرونا ويبصرونا (إذا كنا نأكل لحوما بشرية) إلا أن واحدا منهم لم يدّعِ علينا بشئ من هذا، ومن منهم يمكنه أن يتهمنا بالقتل وأكل لحوم البشر وهم يعلمون أننا لا نحتمل مجرد رؤية إنسان ينفذ حكم الإعدام، ولو كان ذلك حقا وعدلا؟

ومن لا يحسب معارك الإقتتال فى المسارح (برومية) ومصارعة السباع والحيوانات الضارية، من أعظم الأمور المشوقة الملذة، لاسيما إذا كانت السباع ممن تقدمونها أنتم (أيها الأباطرة) ؟ ولكننا نحن (مع ذلك) نهرب من مثل هذه المناظر، إعتقادا منا أن رؤية إنسان يقتل ليست أقل شناعة من مباشرة قتله.

فكيف، إذن، نقتل الناس ونحن لانطيق حتى مجرد النظر والتطلع إلى ذلك خوفا من أن نحسب مشاركين فى الجريمة والدنس؟

وإذا كنا نقول أن أولاء النسوة اللائى يستعملن العقاقير لإسقاط الجنين، يرتكبن جريمة القتل، ولسوف يسألن أمام الله عن هذا الأمر، فكيف نرتكب نحن جريمة القتل؟ لأنه ليس من حق الإنسان، أن ينظر إلى الجنين فى الرحم على أنه كائن مخلوق وبالتالى موضوعا لعناية الله، فإذا خرج إلى الحياة (ليس من حقه) أن يقتله أو يعرض حياته للخطر ـ لأن الذين يعرضون الأطفال للخطر، تقع عليهم تبعة قتل هؤلاء الأطفال ـ أو يهلكه إذا كبر. فنحن ـ فى جميع الأشياء على السواء ـ نخضع نفوسنا دائما لعقولنا ولا نخالفها.

الفصل السادس والثلاثون

يقوم الاعتقاد فى القيامة على ممارسات المسيحيين

ومن ذا الذى يعتقد فى قيامة الموتى ثم يجعل من ذاته ضريحا لأجساد لابد أن تقوم ثانية؟ وهل يليق بأشخاص يؤمنون بقيامة الأجساد أن يأكلوها كما لو كانت لا تقوم، أو أن يظنوا أن التراب سيرد الأجساد التى ضمها، فى حين أن الأجساد التى قبرها المرء فى نفسه لايطالب بردها؟

كلا، بل المعقول أن نفترض فى أولئك الذين يظنون، أنهم لايسألون عن الحياة الحاضرة : هل أنفقوها فى عمل صالح أو طالح، وأنه لا قيامة للأجساد، وإنما يحسبون النفس تفنى مع الجسد، كما لو كانت قد خمدت فيه أو إنطفأت، (من المعقول أن نفترض فيهم) أنهم لا يكفون ولا يحجمون عن أعمال الإقدام والمجازفة.

أما أولئك الذين قد إقتنعوا بأن الله سيتقصى كل شىء، وأن شيئا ما لا يفلت من هذا الإستقصاء والتحرى، بل أن الجسد الذى كان فى خدمة الدوافع النفسانية المضادة للعقل وخاضعا لشهوات النفس سيعاقب إلى جانبها، ليس معقولا (أو محتملا) أنهم يرتكبون ولو أصغر الشرور.

ولكن إذا كان يبدو لأحد أن من المحال بتاتا أن يقوم الجسد من جديد بعد أن بلى وتحلل وارتد إلى العدم، غير أنه لايمكن - قطعا - أن ينهض ثمة دليل على أننا نصنع شرا بمن يخالفوننا إعتقادنا، (فإذا جاز أن نتهم بشىء) إنما يمكن أن نتهم بالحماقة أو الجهل فقط... لأننا إذا كنا نخدع نفوسنا بهذه المعتقدات لكننا لانضر بأحد آخر.

على إن الإعتقاد فى قيامة الأجساد ليس هو إيماننا نحن فقط، بل كثيرون من الفلاسفة يرون مثل هذا الرأى. ولا يسمح المجال الآن فى بيان ذلك لئلا يظن إننا نقحم فى بحثنا أمورا لاتوائم ما نحن بصدده، سواء تكلمنا فى المعقول والمحسوس وطبيعة كل منهما أو قلنا إن غير المادى أقدم من المادى وأن المعقول يسبق المحسوس، ولو أننا قد عرفنا الأخير (المحسوس) قبل أى شىء آخر من حيث أن المادى قد نشأ وتكون من غير المادى وذلك بإتحاده مع المعقول، وأن المحسوس قد تكون من المعقول، وليس هناك ما يمنع تبعا لفيثاغورس وأفلاطون - أن تتكون الأجساد من جديد - بعد إنحلالها - من ذات العناصر التى كانت تتألف منها أولا.

ولكن فلنؤجل الحديث عن القيامة.

الفصل السابع والثلاثون
إلتماس بمراعاة العدالة فى الحكم

والآن، ألا تومئون بالرأس الملكى إيماءة الإستحسان والرضى - وأنتم، فى كل شىء، طبعا وعلما، تتصفون بالبر والعدل وحسن المعاملة والجدارة فى الحكم - بعد أن نفيت مختلف الإتهامات، وبرهنت على تقوانا وحلمنا وعفة نفوسنا؟

ومن ذا يستحق أن يجاب إلى طلبه قبلنا، نحن الذين نضرع من أجل حكومتكم كيما يصان الملك فى العائلة فيتولاه الإبن عن الأب - وهو أمر جد مشروع - وكيما تنمو المملكة وتزدهر، ويخضع جميع الناس، لسلطانكم وسيادتكم؟

إنه يكون لنفعنا نحن أيضا، حتى نحيا حياة مطمئنة هادئة، فننجز حالا (وبسرور وإرتياح) كل ما نؤمر به.

انتهى والشكر لله.

الفيلسوف بنتينوس

الفيلسوف بنتينوس

(١) مولده :

لا يعرف على وجه الدقة مسقط رأس بنتينوس، فمن قائل أنه صقلية أو أثينا ومن قائل أنه من الأسكندرية، ومن قال أنه أثينوى أو يونانى فهذا رأى ضعيف واهن لا يسنده إلاّ زعم واهم يجعل من جميع الأباء الشرقيين قوما يونانيين أو منتسبين إلى اليونان. ولو قالوا أن الآباء كتبوا باللغة اليونانية، لأن اليونانية كانت لغة الثقافة فى كل العالم لكان قولهم صوابا وصدقا، ولكن لغة الكتابة لا تقطع بحقيقة جنسية الكاتب ولاسيما فى تلك العصور (١).

أما القول الراجح فهو أن فيلسوفنا صقلى محتدا اسكندرى مولدا (٢)، ومقرا يونانى قبطى الثقافة، ولعل أقطع دليل على ذلك تلقيب أكليمنضس الأسكندرى لأستاذه بنتينوس «بالنحلة الصقلية» وهذا للدلالة على تنقلاته ورحلاته من جهة، وعلى أنه من أسرة صقلية الأصل من جهة أخرى.

أما عن زمن ولادته، فعلى ما يظهر، أنه ولد فى أوائل القرن الثانى لميلاد المسيح، وإن كنا لا نستطيع أن نحدد بالدقة تاريخ ميلاده.

(٢) فلسفته القديمة وثقافته الأولى :

اتفق جمهور المؤرخين على أن بنتينوس كان قبل تنصره فيلسوفا رواقيا (٣) ويقول أوسابيوس وايرونيموس أن بنتينوس درس الرواقية أولا - وكان ذلك فى عهد الأمبراطور والفيلسوف الرواقى مرقس أوريليوس، وقد وجد بنتينوس فى هذا المذهب ما يوافقه ويناسبه ولذا اعتنقه وصار من القائلين به.

والمذهب الرواقى مذهب أخلاقى من الطراز الأول، إذ الرواقيون يجعلون غايتهم القصوى الأخلاق، ويحسبون الخير الأعظم فى الفضيلة، وهم يؤمنون بالله ولو أن اعتقادهم فيه أنه باطن فى العالم وموجود فى كل شئ.

---

(١) ورد فى كتاب برهان الكنيسة الشرقية طبعة تلاميذ مدرسة اليونان برومية سنة ١٧٠٢م، «إنما دعى الأباء الشرقيون يونانيين لأنهم كتبوا تآليفهم باللغة اليونانية».

(٢) ويزعم فيلبس الصيدوى خلافا لجميع المؤرخين أن بنتينوس كان فيثاغوريا ويقول غيره أنه كان غنوسيا.

(٣) على ما يرى المؤرخ كيف Cave راجع مقال:

Gunn (W.M.), Pantaenus in Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology. vol. lll

ومهما يكن من أمر فإن العلماء متفقون على أن بنتينوس قد تهذب بالفلسفة اليونانية وأنه إلى هذا التهذيب يرجع الكثير من نواحى عظمته كمعلم.

وقد تحدث العلاّمة أوريجانوس عن بنتينوس حديثا نقله إلينا أوسابيوس المؤرخ فقال: إنه مثال أو بالأحرى (إنه) أقدم مثال يمكن أن يورده عن معلم مسيحى استطاع أن يفيد من دراسته الوثنية.

وكان بنتينوس يقرأ دواما فى فلاسفة اليونان ومع ذلك لم يحتج عليه أهل عصره بأنه مرق عن الإيمان، حتى أن أوريجانوس عندما وجه إليه اللوم بأنه يطالع فى كتب الفلاسفة كثيرا، كان يبرر موقفه بما كان يفعله القديس بنتينوس.

(٣) ديانته القديمة والجديدة :

يقول بعض المؤرخين أننا نجهل ديانة بنتينوس الأولى أكانت هى المسيحية، أم أنه كان فى الأصل وثنيا ثم تحول فصار مسيحيا، ولكن هناك من الدلائل ما يكفى للاعتقاد بأنه صار مسيحيا فيما بعد، وأن تنصره كان على يدى أثيناغوراس الفيلسوف المسيحى الذى كان أولا وثنيا، ثم آمن بدين المسيح وصار من أكبر المدافعين عن المسيحية وأستاذا بالإكليريكية الأولى.

وفى الوقت الذى قبل فيه بنتينوس الدين المسيحى، كانت المسيحية قد بدأت تغزو عقول المفكرين والفلاسفة وتفتح قلوب العظماء فى المملكة الرومانية، على ما يحدثنا بذلك المؤرخون.

وليس ثمة ما يدعو إلى الشك فى أن اعتناق بنتينوس للديانة الجديدة كان فى مصر أى بمدينة الأسكندرية، وأنه قد وجد تشابها كبيرا بينها وبين الرواقية مذهبه القديم. ولكن كيف يمكن أن نفسّر هذا التحول عن دين تعلق به زمنا طويلا، ما لم يكن قد رأى فى المسيحية وجوها تتميز بها وتسمو عن دين أصحاب الرواق.

على أننا نجد فى اعتناق بنتينوس للرواقية أولا والمسيحية ثانيا ما نستدل به على سمو أخلاق فيلسوفنا، إنه كان دوما يميل إلى الطهر والفضيلة والحلم وضبط النفس، وغيرها من الفضائل السامية التى وجدها فى الرواقية، ووجدها أيضا فى المسيحية لكن بصورة أوضح وأكمل، وعلى أساس أقوم وأمثل.

أما تحول بنتينوس فقد تم فى أواخر القرن الثانى للميلاد.

(٤) بنتينوس فى رياسته للمدرسة المسيحية :

فرح المسيحيون بانتقال بنتينوس إلى حظيرة المسيح إلههم، ومن فرط ثقتهم به عهدوا إليه برياسة مدرستهم المسيحية، مدرسة النصوص الإلهية والأقوال المقدسة. وقد أثبت بنتينوس أنه

كان جديرا بهذه الثقة، إذ نجح فى إدارة المدرسة نجاحا باهرا، فازهرت بالطلبة والأساتذة، وبدأ الراغبون فى العلم والدين يقصدونها من كل بلاد المعمورة، وكانت مقدرة بنتينوس وشخصيته أعظم مشجع على الإقبال على هذه المدرسة.

وإذا كان بنتينوس قد ذهب إلى بلاد الهند مبعوثا من قبل البابا ديمتريوس ليقوم بمهمة التبشير هناك، فلذلك قصة يجب أن ندونها بالفخار لفيلسوفنا العظيم، فقد روى المؤرخون أن تجارا من الهند قد استمعوا إلى دروس بنتينوس فأعجبوا واعتنقوا النصرانية بحماس عظيم، ولم يكتفوا بذلك بل حركتهم غيرتهم المقدسة على خلاص مواطنيهم. فتوسلوا إلى البابا الأسكندرى أن يسمح بإرسال القديس بنتينوس إلى بلادهم، ليقود الهنود إلى معرفة المسيح ويرشدهم إلى طريق الخلاص.

وعلى ذلك فليس صحيحا أن البابا ديمتريوس أرسل القديس بنتينوس إلى بلاد الهند تخلصا منه، كما يحاول بعض المفسدين ليصوّر البطريرك بصورة المبغض للعلم والمضطهد للعلماء. إذ أن إرسالية بنتينوس كما يروى جميع المؤرخين كانت بطلب وإلحاح من الهنود أنفسهم، بل لقد زاد أكثر المؤرخين بأن رسالة جاءت من الهند بهذا الخصوص، وقال آخرون. أن وفدا من الهند قد جاء لهذا الغرض. وعلى كل حال، فإن الهنود بأنفسهم هم الذين طلبوا معلما للدين المسيحى اشترطوا فيه التقوى مع العلم وقد عينوا مقصودهم أنه هو القديس بنتينوس الفيلسوف القبطى.

عُيّن بنتينوس رئيسا للمدرسة المسيحية فى أيام بطريركية الأنبا يوليانس البابا الحادى عشر، أو فى السنة الأولى أو الثانية من حكم الأمبراطور كومودوس الذى خلف الأمبراطور مرقس أوريليوس على المملكة الرومانية، وإذا كان البابا يوليانس قد جاء خلفا للقديس أغريبانوس، وأن نياحة هذا الأخير كانت فى سنة ١٧٩م وهى السنة الأخيرة من حكم الأمبراطور مرقس أوريليوس، فإن بنتينوس لم يصر مديرا أو رئيسا للمدرسة المسيحية قبل سنة ١٨٠م أو حوالى ١٨١م.

وظل الفيلسوف يدير المدرسة حتى عام ١٩٠م حيث اضطر إلى السفر إلى بلاد الهند، وحينئذ ترك إدارة المدرسة لخلفه العظيم القديس اكليمنضس الأسكندرى، إلى أن عاد ثانية من رحلته الموفقة، ومع أننا لا نعرف، على الحقيقة، مدة تغيبه عن مدينة الأسكندرية، إلاّ أننا نعلم أنه عند عودته تسلّم إدارة المدرسة ثانية إلى زمان وفاته، على غرار ما فعل أوريجينوس فيما بعد إذ ترك إدارة المدرسة ثم استردها مرة أخرى.

(٥) بنتينوس فى رحلته التبشيرية :

رحل الفيلسوف والقديس بنتينوس إلى بلاد الهند بناء على الرسالة أو الوفد الذى شخص إلى البابا الأسكندرى، ليتوسل إليه فى شأن إرسال معلم إليهم يعرفهم طريق الخلاص ويرشدهم إلى الإيمان المسيحى. ذلك أن الأسكندرية قد صارت معروفة فى ذلك الزمان بأنها مركز الثقافة المسيحية، وشهرتها فى ذلك قد بلغت شأوا بعيدا، وهذا بفضل المعلمين والقادة الذين زينوا جيد المسيحية بتعاليمهم وسيرتهم، ومن بين عوامل الدعاية الواسعة النطاق المدرسة المسيحية التى كان صيتها قد طبّق الآفاق، وتردد التجّار على دروس الأساتذة والفلاسفة المسيحيين، فإذا انتقلوا إلى بلادهم نقلوا إليهم تعاليم الدين المسيحى. وحدثوا مواطنيهم عن معلمى الأسكندرية ومفكريها العباقرة.

ومن أقوال المؤرخين عرفنا أنه عن طريق هؤلاء التجار الهنود، قد شعر الهنود بحاجتهم إلى الفيلسوف بنتينوس، ومن يدرى فربما كان هؤلاء التجار هم الوفد الهندى الذى تقدم إلى البابا بطلب بنتينوس بعد أن تقووا برسالة يحملونها من بلاد الهند تؤيد مطلبهم.

ومهما يكن من شئ فقد عرض البابا الأسكندرى هذه المسألة على القديس بنتينوس فقبل الدعوة راضيا مسرورا، وبعد أن تزود ببركات ودعوات الجالس على عرش الخلافة الرسولية سلّم مقاليد المدرسة اللاهوتية إلى تلميذه النابغة القديس اكليمنضس وقد كان حينئذ أستاذا بالمدرسة، ثم مضى إلى بلاد الهند يكرز وينادى ويعلم تعاليم المسيح.

ويظهر أن بنتينوس رحل إلى الهند نحو عام ١٩٠م، إذ أن ايرونيموس يقول أن هذه البعثة كانت فى عهد البابا ديمتريوس، ويروى أوسابيوس المؤرخ أن الأنبا ديمتريوس جلس على عرش البطريركية فى السنة العاشرة للأمبراطور كومودوس، بينما أن بنتينوس صار رئيسا للمدرسة اللاهوتية فى السنة الأولى لعهد هذا الأمبراطور، وإذن فلا يبعد أن بنتينوس قد قضى تسعة أو عشرة أعوام رئيسا للمدرسة قبل أن يغادرها إلى بلاد الهند، أى أنه تعيّن فى المدرسة سنة ١٨٠ أو سنة ١٨١ ورحل إلى الهند حوالى سنة ١٩٠م.

وثمة ما يدعو إلى الاعتقاد بأنه ذهب إلى شاطئ بحر مالابار Malabar وكان فى ذلك الوقت اتصال عظيم بين الهند الجنوبية والشرق الأوسط، وربما استطاع الفكر المسيحى أن يلعب دورا كبيرا فى تكوين مذهب تاميل Tamil الفلسفى والمعروف بالسيفا سيدهانتا Saiva Sidhanta

ويقال فى بعض المصادر أن بنتينوس عند رجوعه من الهند قد عرّج على الحبشة وبلاد العرب واليمن يكرز ببشارة الخلاص. وهو قول يوقفنا على مدى جهود خريجى الإكليريكية

القبطية فى نشر الإيمان المسيحى، ومدى اتساع رقعة الكرازة المرقسية فى القرن الثانى للميلاد.

وهناك فى بلاد الهند (١) وقيل فى بلاد اليمن (٢) وجد الفيلسوف نسخة من إنجيل القديس متى مكتوبة بخط الرسول نفسه وباللغة العبرانية، وكانت موضع تقديسهم وإجلالهم وقالوا أن القديس برثولماوس الرسول كرز بينهم وترك هذه البشارة بين أيديهم، فلما عاد إلى مدينة الأسكندرية أحضر معه هذا الإنجيل على رواية إيرونيموس وأوسابيوس المؤرخ (٣) ثم تولى مدرسة التعليم المسيحى من جديد وصار يديرها إلى يوم وفاته..

* * *

ومما يجدر ذكره أن أناستاسيوس Anastasius يتكلم عن بنتينوس باعتباره كاهن كنيسة الأسكندرية τῆς Ἀλεξανδρείας ἱερεύς وهى قضية خطيرة، وإن لم يكن لنا مصدر مباشر نستقى منه معلوماتنا عن حقيقة السيامة وزمانها ومكانها.

والحقيقة أن بنتينوس لابد وأن يكون قد حصل على الكهنوت، لا من حيث أنه مدير للإكليريكية، فقد كان أوريجانوس عاميا (علمانيا) - بل من حيث أنه مبعوث من قبل البابا للكرازة والتبشير، ولا غنى للناس فى تلك البلاد عن كاهن يعمدهم ويمسحهم بالميرون ويناولهم من الأسرار الربانية ويباشر لهم سائر الخدمات والطقوس الروحية التى تقتضى وظيفة الكهنوت (٤).

(٦) بنتينوس وترجمة الكتاب المقدس :

شعر القديس بنتينوس بحاجة الكنيسة إلى ترجمة قبطية للكتاب المقدس يسهل تداولها فى الكنائس والمنازل، فاصطدم بمشكلة عسيرة هى أن اللغة القبطية المستعملة فى ذلك الوقت كانت تنقسم إلى قسمين : اللغة الهيروغليفية ثم اللغة الديموطيقية.

أما اللغة الهيروغليفية أو بالحرى الخط الهيروغليفى فكان صورا وأشكالا رمزية ترسم على الآثار كالمعابد والبرابى (الهياكل) والمسلات والتماثيل، وكل صورة أو شكل يدل على معنى

---

(١) بحسب رواية القديس ايرونيموس (٢) فى رواية أخرى

(٣) ك ٥ ف ١٠

(٤) راجع Murray's Dictionary of Christian Biography

مستقل ويسمى بالمصرية الخط المقدس أو كتابة بيت الحياة (تيكى)، ويقرب منه الخط الهيراطيقى وكان أيضا مقدسا يستخدم لأغراض دينية، يستعمله الكهنة لتحرير العقود الرسمية والأوامر الملكية على ورق البردى والرقوق...

والخط الهيراطيقى هو مختصر الخط الهيروغليفى الذى وفق إلى كشف حروفه وتفسير غوامضها ووضع أبجدية تفصيلية لها، الشهير فرنسوا شاباس، بعد عناء كثير وبذل جهد كبير.

أما الخط الديموطيقى فكان هو الخط الدارج يستخدمه الناس فى المعاملات، وهو عبارة عن مجموعة إشارات، كل إشارة منها تدل على معنى خاص للتعامل فى البيع والشراء وما إلى ذلك(١) من أمور الحياة العادية.

ولما وجد بنتينوس أن هذه الخطوط لا تصلح بالنسبة للكتاب المقدس استعار الحروف اليونانية فى كتابة اللغة القبطية تسهيلا للكتابة، ثم أضاف للأبجدية اليونانية سبعة حروف من الخط الديموطيقى لا توجد نظائرها فى الأبجدية اليونانية وهى (شاى، فاى، خاى، هورى، جنجا، اتشيما، تى ,Ⲱ, Ϥ, Ⲍ, Ⲭ, Ⲏ, Ⲧ)

(وبذا تكون الحروف فى الأبجدية القبطية اثنين وثلاثين حرفا: خمسة وعشرين حرفا يونانيا وسبعة حروف هيروغليفية).

وقد عاونه فى عمله هذا العظيم تلميذاه اكليمنضس وأوريجانوس، وبذا تمت أول ترجمة للكتاب المقدس فى تاريخ المسيحية.

على أنه قد اتفق المؤرخون وعلماء الآثار على أن الخط القبطى، مع ذلك هو أصل جميع الخطوط التى استخدمتها الأجناس البشرية، بدليل وجوده على الآثار قبل عهد بناء الأهرام فى الوقت الذى كانت جميع الأمم الأخرى غارقة فى همجيتها، وظل القبط منفردين بهذه الميزة نحو ألف وثمانمائة عام، إذ أن الهكسوس (الملوك الرعاة) عندما طُردوا من مصر عام ١٧٠٣ق.م رحلوا إلى فينيقية، ومن ثم نقلوا إلى الفينيقيين الخط القبطى الديموطيقى الذى تعلموه من المصريين مدة وجودهم بمصر، وعلى ذلك فالخط القبطى هو أصل خطوط الفينيقيين

---

(١) يلاحظ أن الخطين الهيراطيقى والديموطيقى أصغر من الخط الهيروغليفى وربما يشبهان خطى النسخ والرقعة بالنسبة إلى الثلث فى اللغة العربية، ويعتبر الخطان الهيروغليفى والهيراطيقى اللغة المصرية الفصحى وأما الديموطيقى فهو لغة العامة.

وبالتالى اشتقت منه خطوط الكنعانيين والأشوريين والعبرانيين والكوفيين والعرب.. ثم اليونان والرومان..

فاذا استعان فيلسوف القبط بحروف أو أبجدية اليونان فهى بضاعة الأقباط وقد رُدَّت إليهم..

(٧) مؤلفات بنتينوس

حدثنا المؤرخ ايرونيموس عن القديس بنتينوس أنه ترك «تفاسير كثيرة فى الكتب المقدسة» وقال أوسابيوس أيضا أن بنتينوس «شرح كنوز التعاليم الإلهية شفاهيا وتحريريا»، ولكن لم يبق من تعليمه إلا مذكرات مختصرة قليلة، ولقد تميّز بنتينوس - على ما يقول أوسابيوس - بأنه «مفسر كلمة الله» (١)

وعلى كل حال فقد قرر ايرونيموس وأوسابيوس أن الكنيسة مدينة لبنتينوس بتعليمه الشفاهى أكثر من مؤلفاته، ويظهر أن القطعتين اللتين أوردهما روث فى كتابه (٢) هما الأثر الخالد لتعليمه الشفاهى.

وهناك شخص نقل إلينا طابع إجابة بنتينوس الشفاهية على سؤال وجه إليه، والشخص الذى احتفظ لنا بهذا النقل هو مكسيموس المعترف (٣) فلما كان فى معرض الحديث عن تعليم ديونيسيوس الأريوباغى فى الإرادة الإلهية، حدثنا أن بنتينوس عندما سأله بعض الفلاسفة : «كيف يفسر المسيحيون معرفة الله بالأمور الجارية؟» أجاب أن الله «لا يعرف المحسوسات بالحس ولا المعقولات بالعقل، لأنه ليس يمكن أن الله الذى يعلو جميع الأشياء الكائنة، يعلم بما يتصل بهذه الأشياء الكائنة، وإنما نقول أن الله يعرف الأشياء الكائنة بوصفها من أعمال إرادته ὡς ἰδία θελήματα ثمة سبب كاف نقدمه لنخلص من هذا المأزق، لأنه إذا كان الله قد خلق كل الأشياء بفعل إرادته (وهو ما لا يأباه العقل)، وإذا كان مما يوافق التقوى والصواب أن يقال أن الله يعلم إرادته، وأنه خلق بإرادته كل موجود، فالله يعلم، إذن، بالأشياء الكائنة من حيث أنها من أعمال إرادته، بما أنه قد خلق الأشياء الكائنة بإرادته»

(١) راجع أيضا (Routh, Rel. sac. I, 375-383).

(2) (Routh. Rel. Sac. I.p. 378)

(3) (Scolia in S. Greg.haz)

وإشارة أخرى عن أقوال بنتينوس وردت فى «انشودة الأنبياء» (١) مضافة إلى مؤلفات اكليمنضس وقد صدرت بهذه العبارة «اعتاد بنتينوس أن يقول» ἔλεγε وكان يتخذ هذه القاعدة فى تفسير النبوءات: «إنها (أى النبوءة تورد أقوالها دون تحديد (فى الزمان)، فتستخدم المضارع للمستقبل أحيانا وللماضى أحيانا أخرى».

ويذهب ليتفوت Lightfoot إلى أن خاتمة الرسالة المشهورة إلى ديوجنيتوس ربما تكون من وضع بنتينوس (٢).

* * *

وبنتينوس هو صاحب الاتجاه المعروف فى تفسير العهد القديم تفسيرا روحيا صوفيًا، وقد استشهد أناستاسيوس السيناوى (فى القرن السابع) فى «تأملاته فى ستة أيام الخلق»، مرتين بكلام بنتينوس، واعتبره مرجعا فى تفسيره حين جعل من المسيح وكنيسته مرموزا إليهما فى تاريخ خلقة الفردوس (٣) (وقد اقتبس روث هذا التفسير) (٤).

كما أننا لا نهمل هنا ما كتبه العلامة أوريجانوس عن القديس بنتينوس من أنه أدخل الفلسفة فى سياق اللاهوت..

(٨) بنتينوس وأستاذه وتلاميذه :

كان بنتينوس فيلسوفا رواقيا على ما أسلفنا، ولكنه بعد تحوله إلى المسيحية قطع صلته بالمتحف القديم وأصحابه وصار مشغولا بدراساته وبحوثه وتعليمه الشفاهى ومؤلفاته التحريرية، غير أننا إذا أردنا أن نتساءل عن الأستاذ المسيحى الذى تتلمذ على يديه بنتينوس، لم يكن لدينا اعتمادا على أقوال المؤرخين غير الفيلسوف المسيحى أثيناغوراس الذى قَبِل بنتينوس على يديه الإيمان بالمسيح وصار يعاونه بعد ذلك فى مدرسة التعليم المسيحى.

أمّا تلامذة بنتينوس فكثيرون نذكر على رأسهم القديس الفيلسوف اكليمنضس الأسكندرى ثم الاسكندر أسقف أورشليم وأوريجانوس.

وفى صدد علاقة بنتينوس باكليمنضس نجد أمامنا روايتين متعارضتين، رواية فيلبس الصيدوى فى كتابه (تاريخ المسيحية) كما هى مدونة فى قطعة طبعها دودول Dodwell، ثم

---

(1) (Eclogae e Propheticis)

(٢) فى الفصلين الحادى عشر والثانى عشر من الرسالة.

(٣) التأملات، ١ص ٨٦٠ (٤) راجع كتابه ص ١٥.

رواية أوسابيوس المؤرخ. أما فيلبس فقد جعل «أكليمنضس تلميذا لأثيناغوراس، وبنتينوس تلميذا لأكليمنضس» ولكن أوسابيوس يقول فى يقين الواثق أن بنتينوس هو أستاذ أكليمنضس وأن أكليمنضس نفسه قد وضع بنتينوس (فى متفرقاته) فوق جميع الناس الذين انتفع بهم فى تعليمه، وهو يصف مقابلته لأستاذه بنتينوس بأنها «المقابلة الأخيرة لكنها الأولى من حيث قوتها» وهذا معناه أن اكليمنضس إلتقى بكثيرين قبل بنتينوس لكنه ما «وجد راحته» إلاّ فى هذا الأخير.

ويؤيد هذا رواية بامفيليوس الذى كتب الجزء الرئيسى من كتاب ألف للدفاع عن أوريجانوس، ويقرر فوتيوس (١) استنادا إلى هذا الكتاب (وقد فقد) - أن أكليمنضس «كان مستمعا لبنتينوس وكان خلفا له فى المدرسة». ولا شك أن هذه المعلومات قد استقاها بامفيليوس عن أستاذه بيروس الذى كان هو نفسه رئيسا للمدرسة خلفا للعلامة أوريجانوس، وربما ظل مرؤسا له نحو خمسين عاما.

ثم أن مكسيموس المعترف قد ذكر هو أيضا أن بنتينوس هو «أستاذ» *καθηγητήν* أكليمنضس.

من كل هذا نتبين أن بنتينوس هو الأستاذ وأكليمنضس هو التلميذ النابغة الذى رأس المدرسة المسيحية فى غيبة أستاذه بنتينوس فى بلاد الهند، وهذا ما نلاحظه فى تاريخ أوسابيوس، حيث نقرأ أنه فى السنة الثانية لحكم الأمبراطور ساويرس كان أكليمنضس فى مدينة الأسكندرية «خير معلّم يشعل جذوة الفلسفة المسيحية» وربما كان الحل الوحيد لهذه الإشكالات التاريخية فيما أوردناه سابقا، من أن بنتينوس كان رئيس المدرسة المسيحية قبل رحيله إلى الهند وبعد أوبته منها، ولكن فيما بين هذين التاريخين كان أكليمنضس هو خير معلم فى مدينة الأسكندرية.

هكذا جمع الأسكندر اسقف أورشليم بين بنتينوس وأكليمنضس فى رسالة بعث بها إلى أوريجانوس، لكنه وضع بنتينوس أولا، وقد تحدث فيها عن هذين «الأبوين» وذكر أنهما قد ماتا قريبا، وهى رسالة تدل على تقدم بنتينوس على أكليمنضس علاوة على أنها تحتوى دلائل تقطع بأن الأسكندر وأوريجانوس نفسه كانا تلميذين لبنتينوس...

(٩) بنتينوس وشهادات التلاميذ عنه:

كان بنتينوس شخصية فذة جمعت من الفضائل أسماها ومن المواهب أرقاها. كان عبقريا نافذ البصيرة، جم النشاط، وافر التقى، استطاع أن يريح التعابى وأن يقنع الحيارى ويرشد السائلين إلى الحق والهدى...

---

(١) كتاب ف ١٨.

شهد عنه تلميذه القديس اكليمنضس بأنه مقتدر وكفء، وعظيم وكامل، فقال «أن بنتينوس لهو من أعظم الأساتذة وأكملهم» (١) وبهذا أيضا شهد الاسكندر أسقف أورشليم والعلامة أوريجانوس فقد اعترف الجميع بمواهبه العالية وكفايته الممتازة وخلقه الرفيع، ويكفى أن القديس اكليمنضس يصف مقابلته الأولى لبنتينوس بإزاء مقابلاته لكثيرين من الفلاسفة بأنها «المقابلة الأخيرة لكنها الأولى فى قوتها» وأنه وجد فيه راحته.

ثم وصف أكليمنضس نشاط أستاذه بهذه العبارة حيث لقبه «بالنحلة الصقلية»

أما عن توجيهاته الجديدة، فقال عنه العلامة أوريجانوس أنه أدخل الفلسفة فى سياق اللاهوت، ومع ذلك لم يقع فى بدعة أو تعليم غريب عن روح الديانة المسيحية، بل لقد شهد عنه أكليمنضس قائلا: «إنه موعب من روح الكتاب» وهى شهادة لها قيمتها فى بيان عدم إنحراف بنتينوس عن التعليم المسيحى على الرغم من دراساته الفلسفية، ولذلك يلقب بنتينوس بلقب يدل على ما اجتمع فى شخصه من العلم والقداسة أى «القديس والفيلسوف بنتينوس».

ولقد تأثر القديس أكليمنضس على الخصوص بشخصية وآراء بنتينوس حتى أنه كان يدعوه «لسان القفل فى مؤلفاته» Le pène de ses ouvrages وهو تعبير يدل على مدى تعلّق اكليمنضس باستاذه بنتينوس وإعجابه بآرائه واتجاهاته.

(١٠) وفاة بنتينوس :

لا يُعرف على وجه الدقّة تاريخ وفاة بنتينوس، ولكن ايرونيموس وغيره من المؤرخين يقولون بأن بنتينوس قد امتد نشاطه إلى حكم الأمبراطور ساويرس (١٩٣م - ٢١١م) وكذا الأمبراطور كراكلا، فليس ما يمنع كما يقول أيرونيموس أن يكون بنتينوس عاش إلى ما بعد حكم الأمبراطور ساويرس...

ولكن بعض المؤرخين يجعل وفاة الفيلسوف سنة ١٩٤م على أساس أن الاضطهاد الذى حدث سنة ٢٠٣م كان فى عهد القديس اكليمنضس الذى كان قد استقل بالمدرسة منذ بضع سنوات، ولكننا مع ذلك لا نستطيع إرتكانا إلى هذا الدليل أن نقطع فى وفاة بنتينوس فى هذا التاريخ، ولاسيما أننا لا نعرف بالضبط تاريخ عودة الفيلسوف من بلاد الهند، وعلى كل حال فقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن الوفاة كانت فى عام ٢٠٢م. أمّا نحن فليس لنا ما نقطع به أكثر من أن الوفاة لم تكن قبل عام ١٩٣م، وليس يبعد أن يكون بنتينوس قد غادر الأسكندرية فترة أخرى من

---

(١) المتفرقات رقم ١ : ٢٧٤

زمان الاضطهاد لتثبيت المؤمنين فى خارج الأسكندرية كما كان يفعل نظراؤة فيما بعد. أى أنه ليس لدينا ما يمنع من أن يكون بنتينوس قد عاش إلى ما بعد عام ٢١١م على ما يروى ايرونيموس...

ومهما يكن من فرض فقد كان فوتيوس غير مصيب فى زعمه أن بنتينوس قد استمع لا إلى الآباء الرسوليين فقط (وهو ما يحتمل أن يكون، إذ الآباء الرسوليون عاشروا الرسل وعاشوا من بعدهم) .. بل يزعم أيضا أنه استمع إلى بعض الرسل أنفسهم. لأن بنتينوس قد عاش - على الأقل - إلى ما بعد عام ١٩٣م وكان سابقا على أكليمنضس بزمن قليل، فليس يعقل أنه ولد فى زمن متقدم حتى يمكنه أن يستمع إلى أحد الرسل، ولو كان هو يوحنا الحبيب باعتباره آخر من عمّر من الرسل.

وربما كان السبب فى هذا الخطأ الذى وقع فيه فوتيوس أنه أخذ قول اكليمنضس فى المتفرقات على ظاهره وهو أن: «معلميه قد تسلّموا التقليد الحقيقى، تقليد التعليم المقدس، من الرسل القديسين مباشرة أى بطرس ويعقوب ويوحنا وبولس» ..

مات بنتينوس بعد أن سلّم مقاليد المدرسة المسيحية إلى تلميذه وخلفه العظيم والذى فاق أستاذه شهرة ونفوذا، أعنى به أكليمنضس الأسكندرى. تسلّم المدرسة كما تسلّم ثيوقراسطس مدرسة الليسيه من أرسطو قديما، وكما تسلّم سبيسبوس المدرسة الأكاديمية من أفلاطون، فأحسن إدارتها على ما سنبينه فى تاريخ القديس اكليمنضس.

الفيلسوف
اكليمنضس الأسكندرى

اكليمنضس الأسكندرى

يعرف هذا الفيلسوف بالأسكندرى تمييزا له عن اكليمنضس الرومانى أسقف روما من الآباء الرسوليين، اسمه الكامل هو تيطس فلافيوس اكليمنضس Titus Flavius Clemens على ماورد فى عنوان كتاب «المتنوعات» كما ذكر أوسابيوس (١)

Τίτου Φλαυίου Κλημέντος (πρεσβυτέρου 'Αλεξανδρείας)
τῶν κατὰ τὴν ἀληθῆ φιλοσοφίαν

«متنوعات الذكريات الغنوسية، تبعا للفلسفة الحقيقية، لتيطس فلافيوس اكليمنضس (قسيس الأسكندرية) (٢) وهذا الاسم على ما يظهر اسم رومانى (٣). وهذا ما حمل المؤرخين على أن يستدلوا من الاسم على أن اكليمنضس الأسكندرى له صلة بالعائلة الأمبراطورية (٤)، وأنه من سلالة عبد أعتقه فاسباسيانوس أو ابنه (٥).

ولد اكليمنضس الأسكندرى نحو عام ١٥٠ (٦) ميلادية أى فى منتصف القرن الثانى للميلاد، من أبوين وثنيين على الراجح (٧). وتدل سعة معارفه على أنه تربى تربية حرة طليقة وعلى أن عائلته كانت تتمتع بمركز اجتماعى كبير (٨).

ومع أن اسمه رومانى لكنه لا ينتسب بروحه أو مسقط رأسه إلى الرومان. ويحدثنا أبيفانيوس، وهو أقدم عمدة فى هذا الموضوع، عن رأيين فى زمانه : «البعض يقول أنه كان اسكندريا، والبعض الآخر يقول أنه كان أثينيا»

(٩) Κλήμης ὅν φασί τινες 'Αλεξανδρέα ἕτεροι δὲ 'Αθηναίον

---

(١) تاريخ الكنيسة كتاب ٦ فصل ١٣

(٢) صفة اكليمنضس هذه أضافها فوتيوس. راجع : Murray's Dictionary of christian Biography

(3) Cheetham (s.) , A History of the Christian Church during the first six centuries, London 1905.

(4) E. L. But cher, the story of the church of Egypt, vol-i London 1897 P.49

(5) Bigg (charles), the christian platonists of Alexandria, Oxford 1886 p. 45

(٦) من المؤرخين من يجعل تاريخ ميلاد اكليمنضس سنة ١٤٥م، مثل هارناك Harnack, Dictionnaire d theologie catholique, t.3 راجع Die chronologie, t. 11, p. 12 premiere partie

ومن المؤرخين من يجعل هذا التاريخ يمتد بين سنتى ١٩٠، ١٦٠م.

(7) Eusebius Ecclesiastical History by Lawlor (H.J.) & oulton (J.E.L.) London 1928, vol. ii. p. 165.

(8) Murray's Dictionary

(٩) ابيفانيوس: الهرطقات ٣٢ : ٦ Murray's Dictionary of christian Biography

وأكثر المؤرخين على أن اكليمنضس ولد فى أثينا، ويستدلون على ذلك من اسلوبه فى الكتابة ومن أنه عندما روى خبر رحلاته بدأ باليونان وانتهى بمصر. بيد أن هاتين القرينتين غير كافيتين، ولا ترقيان إلى مرتبة الدليل القاطع. ولا يبعد فى نظر البعض أن يكون اكليمنضس ولد فى أثينا وعاش فى الأسكندرية أكثر أيام حياته. وسواء ولد فى أثينا أو ولد فى الأسكندرية، فالثابت أنه عاش فى الأسكندرية فترة طويلة وتربى فيها، وتتلمذ على يد علمائها ثم علم فيها وكتب بحوثه، وتفكير الإنسان عادة يتأثر بالبيئة التى يحيا فيها، وبالأشخاص الذين يقابلهم ويعايشهم، وبالمسائل والمشاكل التى تشغل أذهان معاصريه ومواطنيه. فاكليمنضس يعد فيلسوفا اسكندريا شرقيا حتى لو كان مسقط رأسه بلاد اليونان.

ويبدو من كتب اكليمنضس سعة اطلاعه وكثرة معارفه. كان شوقه نحو المعرفة عارما، وحبه للعلم بلا حدود. لقد بحث فى جميع فروع العلم والفلسفة كما كان يتمتع بعاطفة دينية غنية. لم يكن سطحيا فى بحثه وراء الحقيقة، فلم تكن نفسه تقنع بالحلول الضعيفة التى كانت تقدم إليه إجابة على الأسئلة التى كانت تثور فى نفسه. وفى سبيل ذلك احتمل الأسفار والأتعاب، ليقابل المشهورين من رجال الفكر والمعرفة، يستمع إلى أحاديثهم ودروسهم ويعرض عليهم أسئلته ويناقشهم. وشهد أنه مدين لكثيرين من المعلمين، لكنه لم يجد راحته إلا فى بنتينوس، فكان أقواهم أثرا فى نفسه. تعلق به وأحبه ولازمه إلى يوم وفاته. وتدل كتابات اكليمنضس على مدى الإعجاب الذى حمله نحو استاذه - بنتينوس، سواء فى علمه أو فى خلقه. قال اكليمنضس فى كتابه المتنوعات :

«لم أضع هذا الكتاب فى إتقان ومهارة للمباهاة، وإنما هو ذكرياتى التى ادخرتها لأيام الشيخوخة فتكون دواء للنسيان، صورة مبسطة وتخطيطا مجملا لتلك الكلمات القوية الحية التى كان لى شرف سماعها من أولئك المغبوطين الجديرين بالإعتبار من الرجال.

«كان أحدهم فى اليونان، وكان ايونيا (١)، وآخرون فى اليونان الكبرى (٢) Magna gyraecia جاء أولهم من (كيليكية) سوريا المجوفة (٣) Coele - Syria والآخر من مصر. وكان غيرهم فى الشرق. كان أحدهم من بلاد الأشوريين والآخر فى فلسطين، وكان فى الأصل عبرانيا.

لكننى عندما التقيت بآخرهم، وكان أقدرهم جميعا، وجدت فيه راحتى. لقد اقتفيت أثره، وظفرت به وهو مختف فى مصر. كان النحلة الصقلية بحق. كان يقتطف الأزهار من مروج الأنبياء والرسل ويولد فى نفوس الذين يسمعونه ذخيرة من معرفة صافية لا تموت.

---

(١) من ايونية، على ساحل آسيا الصغرى بين Phocœa فوقيا وميليتس.

(٢) اليونان الكبرى، هى المدن اليونانية الواقعة على ساحل ايطاليا الجنوبية.

(٣) سوريا المجوفة بالمعنى الدقيق، هى الوادى المنحصر بين لبنان غربا، ومقابل لبنان شرقا Anti-Lebanon

«هؤلاء الرجال قد حفظوا التقليد الصحيح، تقليد التعليم المبارك، المسلم لهم مباشرة من الرسل القديسين بطرس ويعقوب ويوحنا وبولس، والذى وصل إلينا بعناية الله، أبنا عن أب» (١).

فاكليمنضس يشير فى هذا النص إلى عدد من العلماء الذين درس عليهم قيل أنهم سبعة (٢)، وقيل أيضا أنهم ستة (٣) أو على الأقل خمسة (٤) ويرى تولنتون Tollenton أن أولهم هو أثيناغوراس وخامسهم هو تاتيان Tatian (٥)، ويرى غيره أن الأول هو تاتيان والثانى هو تيودوتوس Theodotus (٦) وإذا كان هناك مجال للتخمين فى التعرف على شخصيات أكثر هؤلاء المعلمين، إلا أنه يكاد يكون من المقطوع به أن الأخير منهم هو بنتينوس. ولئن لم ينص اكليمنضس فى الفقرة التى نقلناها عن «المتنوعات»، على اسم بنتينوس، فقد نص على ذلك صراحة (٧) فى كتاب المجمل Ὑποτυπώσεις وقد أجمع على هذا كل (٨) الذين أرخوا لاكليمنضس الأسكندرى وللفيلسوف بنتينوس.

ولا يبعد أن يكون اكليمنضس قد عرف أثيناغوراس، واستمع إلى دروسه بعض الوقت (٩). ولكن ليس من شك فى أن اكليمنضس لم يجد راحته إلا فى بنتينوس، وأنه إلتصق به ولم يفارقه، فكان بنتينوس هو أستاذ اكليمنضس الأكبر أو أستاذه بالمعنى الكامل الدقيق. وقد أيد حقيقة هذه التلمذة جمهور من المؤرخين (١٠) منهم على الخصوص بامفيليوس وهو تلميذ بيروس الذى خلف أوريجينوس فى رياسة المدرسة المسيحية، كما أيدها فوتيوس، وأوسابيوس، ومكسيموس المعترف، ولم يكتف اكليمنضس نفسه بالإشارة فى كتبه إلى إعجابه بشخصية بنتينوس ووصفه له بأنه أعظم الأساتذة وأكملهم، ووصف مقابلته له بأنها كانت الأخيرة لكنها أول مقابلة أحدثت أقوى أثر فى نفسه، وإنما كان أيضا يستعين بأقوال بنتينوس، ويصفها بأنها لسان القفل فى مؤلفاته (١١) ولا يخفى أن إتصال اكليمنضس ببنتينوس وبغيره من المعلمين الوثنيين

---

(١) المتنوعات كتاب ٥١ ف ١ : ١١

(2) Encyclopaedia Britanica

(3) Murray's Dictionery Eusebiua Eccles. History by Lawlor & Oulton vol. 2. pl66

(4) Encyel. britanica

(5) Dict. de The'ol. catholique; Eusebius E ccl. Hist. by Lawlor vol. 2. p. 166

(6) Wilson (w.) The Writings of A. of Alex. (The Ante-Nice ne christ. Libr.) 1909 p. 355

(٧) اوسابيوس تاريخ الكنيسة كتاب ٥ ف ١١

(٨) المراجع السابقة

(9) Butcher,ib.,vol 2.p.49

(١٠) راجع بحثنا فى بنتينوس

(١١) راجع بحثنا فى بنتينوس

والمسيحيين، وإن كان يكشف عن رغبة حقيقية فى المعرفة، وذهنية فلسفية عميقة، فهو يشير فى الآن نفسه إلى الفائدة الفكرية التى لابد قد جناها من إختلافه إلى هؤلاء الأفذاذ من فلاسفة الفكر فى عصره.

وكما تدل كتبه على سعة اطلاعه العجيب ووقوفه على معارف متنوعة فى شتى فنون العلم والفلسفة، كذلك نعلم مما كتبه اكليمنضس أن غنى شعوره الدينى دفعه إلى أن يستقصى عن الأسرار الدينية الوثنية وهو يدلى بتفصيلات (١) فى هذه الأسرار لا يتوافر العلم بها إلا لمن سلك طريقها وهو ما يدعو إلى الاعتقاد أن اكليمنضس انتظم ضمن روادها (٢) إلى أن عرف المسيحية وأسرارها فآثرها على الوثنية وأسرارها.

اعتنق اكليمنضس المسيحية، ولازم بنتينوس فى المدرسة المسيحية، وتعين مساعدا له فيها، إلى أن ذهب أستاذه مبعوثا إلى بلاد الهند نحو سنة ١٩٠م، فترك رياسة المدرسة بين يديه، حتى رجع من رحلته. فلما مات بنتينوس عاد اكليمنضس فتسلم الرياسة من جديد.

ويبدو أنه فى هذا الوقت سامه الأسقف ديمتريوس قسيسا (٣). فقد كان رئيس المدرسة المسيحية عادة من أصحاب الدرجات الكهنوتية (٤)، إلا أوريجينوس فإنه رسم قسيسا فيما بعد. وظل اكليمنضس يعلم فى مدينة الأسكندرية إلى أن ثار اضطهاد الأمبراطور ساويرس سنة ٢٠٢ أو ٢٠٣، فاضطر اكليمنضس إلى مغادرة الأسكندرية. ولا يعرف المكان الذى اختفى فيه أولا، غير أننا نقرأ عنه فى رسالة كتبها الأسكندر أسقف أورشليم إلى الإنطاكيين وهو سجين من أجل الإيمان سنة ٢١١م يمدحه فيها قائلا :

«هذه الرسالة أرسلها إليكم يا أخوتى الأحباء، على يد اكليمنضس القسيس الطوباوى، والرجل الفاضل المغبوط، الذى سمعتم عنه وستعرفونه أيضا، والذى بحضوره إلى هنا بفضل عناية الله وتدبيره قد ثبت كنيسة الرب وأنماها». (٥).

ولم يكن فرار اكليمنضس من الأسكندرية عن جبن، وإنما عن حكمة (٦). وقد ترك المدرسة لتلميذه وخلفه الأشهر العلامة أوريجينوس ولم يكن قد تعدى الثامنة عشرة من عمره (٧). ولا

---

(١) راجع مثلا كتابه «الهادى» ὁ προτρεπτικός فصل ٢ : ١٤

(2) Butterworth, Clement of alex. Introduction p. xI; Encyclop. Britanica

(٣) يوسابيوس، تاريخ الكنيسة. كتاب ٦ : ١١، اكليمنضس، المربى : كتاب ١ : ٣٧

(4) Butcher, ib. vol. I. P. 49

(٥) يوسابيوس، تاريخ الكنيسة كتاب ٦، ف ١١ : ٦

(6) Murray's Dictionary

(٧) يوسابيوس، تاريخ الكنيسة كتاب ٦، ف ٣ : ٣، كتاب ٦، ف ٦

نعرف على وجه التحقيق إذا كان اكليمنضس قد عاد إلى الأسكندرية بعد ذلك أم لم يعد إلى يوم وفاته، كما لا نعرف أين أو متى توفى. غير أن الأسكندر أسقف أورشليم الذى كان تلميذا لإكليمنضس يكتب للعلامة أوريجينوس رسالة يشير فيها إلى اكليمنضس كمن فارق هذه الحياة قال فيها :

«لأننا اتخذنا كآباء، هؤلاء الطوباويين الذين انطلقوا قبلنا، والذين سنلحق بهم عم قريب بنتينوس أستاذى، وكلى الطوبى، والقديس اكليمنضس أستاذى الذى انتفعت منه.....» (١).

وإذا كان تاريخ هذه الرسالة يرجع إلى عام ٢١٦م تقريبا (٢) بينما أن رسالة الأسكندر الأولى التى حملها اكليمنضس نفسه إلى إنطاكيا كتبت فى عام ٢١١، فإن وفاة اكليمنضس تمتد بين هذين التاريخين (٢١١ – ٢١٦) (٣) أى أنه عمّر نحو خمسة وستين عاما (من ١٥٠ تقريبا إلى ٢١٥ أو ٢١٦م).

ويعتبر اكليمنضس الأسكندرى من آباء الكنيسة وقديسيها وكان الغربيون يحتفلون بذكراه فى الرابع من ديسمبرمن كل عام (٤) وأول من حذف اسمه من مختصر تراجم الشهداء Mar-tyrology هو اكليمنضس الثامن تبعا لتصحيحات بارونيوس Baronius وقد كتب بندكت Benedict الرابع عشر فى عام ١٧٤٨م رسالة إلى يوحنا الخامس أسقف البرتغال يبرر بحماس شديد هذا الحذف إستنادا إلى بعض التعاليم الفاسدة التى اشتملت عليها كتب اكليمنضس الأسكندرى. ولما كان المؤرخون الأوائل من أمثال يوسابيوس والقديس ايرونيموس لم يشيروا إلى هذه الأخطاء، فالراجح أنها أقوال مدخولة على كتب اكليمنضس، إذ كان من دأب الهراطقة أن يفسدوا كتابات الآباء المشهورين (٥) ليؤيدوا بها مذهبهم، ولينشروا عن طريقها بدعتهم.

مؤلفاته

وضع اكليمنضس كتبا ومقالات كثيرة، نذكر منها :

أولاً : كتاب «الهادى للأمم» أو «النصح للوثنيين»

Λόγος προτρεπτικὸς πρὸς Ἕλληνας

وفيه يثبت اكليمنضس تفاهة الوثنية، وسمو المسيحية عليها فى معتقداتها أو آدابها، ويحض الأمم على ترك الوثنية، والإيمان بيسوع المسيح.

---

(١) يوسابيوس، تاريخ الكنيسة كتاب ٦ ، ف ١٤ : ٩

(2) Encyclopaedia Britanica

(٣) ومن المؤرخين من يؤخر وفاة اكليمنضس إلى ٢٢٠م .Dict. of yr. & Rom. Biography & Mythology

(4) Murray's Dictionary

(٥) دائرة المعارف للبستانى

ثانياً : كتاب «المربى» Ὁ Παιδαγωγός

ويتألف من ثلاثة أجزاء : يتكلم المؤلف فى جزئه الأول عن المربى وطبيعته وصفاته، ويذهب إلى أن المسيح بوصفه اللوغوس قام ولا يزال يقوم بعمل المربى أو المؤدب، ويتناول فى الجزئين الثانى والثالث تعليم المربى، ويسترسل إلى الآداب العملية فيما يتصل بالطعام والشراب والأثاث، والنوم، وعلاقات الرجال والنساء، كما يبحث فى طبيعة الجمال الحقيقى وصفاته لينقد البذخ والإسراف وسوء إستغلال الثروة، وينصح بالاقتصاد والاعتدال إلى آخرها من المسائل التى تعرض للمسيحى فى حياته العملية.

وتطبع عادة بعد كتاب «المربى» مباشرة، قصيدتان شعريتان موجهتان إلى المسيح، إحداهما بعنوان «ترنيمة إلى المسيح المخلص» : *ὕμνος τοῦ Σωτῆρος Χριστοῦ*

والثانية بعنوان : «إلى المربى» *εἰς τὸν παιδαγωγόν*

ثالثاً : كتاب «المتفرقات» Στρωματεῖς

وقد أورد يوسابيوس عنوان هذا الكتاب بالكامل (١)، وقد أخذ الكتاب اسم المتفرقات ـ أو المتنوعات لأنه تأليف من مذكرات مجموعة بغير ترتيب أو نظام. ويشتمل على ثمانية أجزاء : الجزء الأول : قال فيه اكليمنض أن الفلسفة اليونانية ثانوية بالنسبة للناموس والأنبياء، ومع ذلك فهى علم إلهى، والفلاسفة أنبياء الوثنية مهدوا الطريق للمسيح كما فعل أنبياء العبرانيين بين العبرانيين. والفلسفة ليست خصما للدين، وإنما هى خادمة له، وضرورية للدفاع عنه ضد المعارضين له.

والجزء الثانى : أظهر فيه المؤلف سمو الآداب المسيحية على آداب الوثنية. وتكلم عن طبيعة الإيمان وفى نسبة الإنفعالات البشرية إلى الله، وفى أن المسيحية رفعت طموح الإنسان فجعلته مخلوقا مشابها لله، ويجد مثله الأعلى فى الله.

والجزء الثالث : يقدم فيه التعليم المسيحى الصحيح فيما يتصل بالزواج. ويرد على الذين أطلقوا العنان لشهواتهم من جهة، وعلى الذين زعموا كراهية الخالق للزواج من جهة أخرى. ويأخذ اكليمنضس فى تفسير فصول مختلفة من الكتاب المقدس أخطأ الهراطقة فى تأويلها.

والجزء الرابع : يبحث فى الغنوسى الحقيقى وما يتصف به من بذل النفس، والحب، والاحتمال، والاستعداد للاستشهاد، وكيف يعلو الغنوسى المسيحى على الخوف إلى ذلك الكمال الذى يتوافر فى المعرفة ومحبة الله ويرسم كذلك صورة عن المرأة الفاضلة.

---

(١) راجع مطلع هذا البحث.

والجزء الخامس : يبحث فى الإيمان والرجاء وينتقل إلى مبدأ التعليم السرى. ويقول إن هذا المبدأ كان متبعا عند علماء الوثنية واليهودية على السواء، ويعمد أيضا إلى إثباته بأدلة من العقل - وبشهادات من الرسل.

والجزء السادس : يقول فيه اكليمنضس أنه كان لليونان بعض المعرفة الحقيقية عن الله. وقد كرز بالإنجيل لمن عاش منهم طبقا للنور الذى كان لهم، ولو أن هذا النور باهت بإزاء مجد الإنجيل وضيائه.

وفى هذا الجزء يرسم اكليمنضس صورة للفيلسوف المسيحى الذى يدرك حالة تخلو من الإنفعال خلوا تاما، كما أنه يصل إلى معرفة أسرار كثيرة لا تعلن لغيره.

وهنا يظهر فضل المسيحية، فإن الفلسفة اليونانية مع أنها هبة من الله لتهذيب الأمم لكنها ليست شيئا بالقياس إلى المعرفة التى يحصلها المسيحى.

وفى الجزء السابع : يقول اكليمنضس أن الفيلسوف المسيحى هو وحده الذى يعبد الله بحق. إنه يجاهد ليصير شبيها بابن الله. وليس كذلك الوثنيون فإنهم هم الذين يصنعون آلهتهم على أشباههم!!

ثم يرد اكليمنضس على ما يعترض به على المسيحية من منازعة البدع لها، ويقول : أنه يمكن إثبات فساد الهراطقة بأمرين، أولهما : مناقضتها للكتاب المقدس، وثانيهما: حداثة عهدها.

وأما الجزء الثامن : فمفقود. ويشير إليه اكليمنضس فى ختام الجزء السابع من المتفرقات، وإن كانت الإشارة تحمل على الاعتقاد أنها إلى كتاب جديد. كما أن الشذرة الوحيدة الباقية من هذا الجزء، هى قطعة من رسالة فى المنطق مما يدعو إلى الشك فى جعلها الجزء الختامى من المتفرقات، لولا أن يوسابيوس وفوتيوس أشارا بوضوح إلى أن المتفرقات تتألف من ثمانية أجزاء (١).

هذه الكتب الثلاثة : «الهادى» و «المربى» و «المتفرقات» وضعها اكليمنضس وفقا لترتيب منطقى آمن أنه الترتيب عينه الذى نهجه كلمة الله فى خطة الخلاص، فهو يهدى أولا، ثم يهذب وأخيرا يعلم (٢). ولعله هنا متأثر بالأفلاطونية الجديدة (٣) Neo-platonism فإنها تقول أيضا بمراحل ثلاثة : الأولى : التطهير (٤) ἀποκάθαρσις والثانية

---

(١) راجع يوسابيوس، تاريخ الكنيسة، كتاب ف ١٣ : ١

(٢) «المربى» كتاب ١ فصل ١

(٣) قارن Murray's Dict.

(5) Purification

التثبيت (١) μύησις والثالثة الرؤيا (٢) ἐποπτεία ويبدو أن اكليمنضس لم يتمكن من وضع كتاب «المعلم» كما كان يريده، كتابا يقدم للمسيحى الحقيقة الكاملة، فاكتفى بجمع بعض مذكراته ومقالاته إلى بعضها فى كتاب «المتفرقات» أو «المتنوعات» الذى وصل إلينا فى صورة مفككة لا تربط بين أجزائها وحدة الموضوع أو وحدة التأليف المقصود.

رابعاً : كتاب «من هو الغنى الذى يخلص؟» τὶς ὁ σωζόμενος πλούσιος ; (٣)

يشرح فيه اكليمنضس رأى المسيحية فى الغنى : ليس الغنى فى ذاته، وإنما التعلق به هو الذى يعوق الإنسان عن الخلاص. فالزهد فى محبة المال ممدوح، ولكن لا خطأ فى الحصول على المال لسد الحاجات الضرورية للحياة. والثروة إذا أحسن إستغلالها لا تتنافى مع المسيحية.

وفكرة الكتاب المقدس تقوم على قصة الشاب الغنى الذى سأل السيد المسيح عما يفعله ليرث الحياة الأبدية، والآيات التى نطق بها المسيح إجابة على سؤال الشاب وأظهر فيها نظرته إلى الغنى (مر ١٠ : ١٧ – ٣١) وفى ختام الكتاب (ف ٤٢ : ١ – ١٥) يروى اكليمنضس قصة يوحنا الرسول مع الشاب الصغير الذى أهمله الأسقف فأصبح لصا ثم رده الرسول إلى التوبة. وهى القصة التى استعارها يوسابيوس فى تاريخ الكنيسة (كتاب ٣ ف ٢٣) عن اكليمنضس.

خامسا : «المجمل» Ὑποτυπώσεις

ويقع على قول يوسابيوس (٤) فى ثمانية أجزاء. ويتضمن تفسيرا موجزا لجميع أسفار الكتاب المقدس (٥) بعهديه القديم والجديد، يظهر أنه كان متأثرا فيه باستاذه بنتينوس (٦).

والكتاب مفقود، لم تتبق منه إلا شذرات قليلة (٧) واقتباسات متفرقة من أجزائه الرابع، والخامس والسادس، والسابع. لكن تلك الشذرات وهذه الاقتباسات هى من القلة والتفرق بحيث لا يصلح جمعها لتؤلف موضوعا متماسكا، فضلا عن أن بعضها أصابه التحوير والتغيير، بل وأفسده الهراطقة وضمنوه تعاليم مضلة، جعلت فوتيوس يهاجم الآراء الواردة فى هذا الكتاب

---

(١) initiation أى الدخول أو التكريس

(٢) Revdation ; Vision وهى أعلى درجة فى الوصول.

(٣) وعرف باللاتينية تحت عنوان : Quis dives salvetur

(٤) يوسابيوس : تاريخ الكنيسة، كتاب ٦ فصل ١٣ : ٢

(٥) ، (٦) نفس المرجع، ونفس الموضع ثم ك ٦ ف ١٣ : ١ – ٧

(٧) أورد يوسابيوس بعضها : تاريخ الكنيسة، ك ٦ ف ١٤ : ٣ ، ٤

بعنف شديد، أساء إلى اكليمنضس نفسه الذى نحلت عليه هذه الآراء. وبسبب هذا حاول بعض العلماء (١) أن ينقح النصوص ليطهرها من الأفكار الغريبة ويردها إلى الأرثوذكسية من جديد. فلابد أن يكون عبث الهراطقة بأقوال اكليمنضس مسئولا عن الحملة التى تعرض لها الفيلسوف فى إتهامه بالآراء الفاسدة التى اشتملت عليها كتاباته، والتى ترتب عليها الشك فى قداسته من جانب بعض المؤرخين كما أسلفنا.

هذه الشذرات نجد بعضا منها فى المجموعات الآتية :

١ ـ الملخصات عن ثيودوتوس وعن المذهب (٢) المسمى بالمذهب الشرقى، فى زمان فالينتينوس :

ἐκ τῶν Θεοδότου καὶ ἀνατολικῆς καλουμένης διδασκαλίας κατὰ τοὺς Οὐαλεντίνου χρόνους ἐπιτομαί

وهى أكثر المجموعات اشتمالا على أراء عدة فاسدة فيما يتصل بطبيعة الابن، والتجسد، والكلمتين، وخلقة حواء، والقضاء والقدر، وما إليها من مسائل اعتمد عليها من اتهم اكليمنضس بإحتواء كتبه على آراء خاطئة، ولو أن إنقطاع النص بين الحين والحين لا يسمح بالبت فيما إذا كانت هذه الآراء هى للمؤلف نفسه أو لأصحاب مذهب فالنتينوس يعرضها اكليمنضس لمناقشتها.

٢ ـ المختارات النبوية : *ἐκ τῶν προφητικῶν ἐκλογαί*

وهى أكثر ترابطا من الملخصات، وأقل منها تعقيدا فى أسلوبها وموضوعها. وتتضمن كلا ما عن الرمزية فى العناصر، ومنها الماء على الخصوص. وفيها تأملات فى التهذيب، والإيمان، والمعرفة والخليقة القديمة، والخليقة الجديدة، وعلامات الغنوسى الحقيقى. يتبعها حديث مسهب يتناول مسائل متنوعة منها ما يتصل بوظائف الأعضاء. وفى الختام شرح مفصل للمزمور الثامن عشر.

---

(١) مثلا كاسيودورس، كما سيلى

(٢) أو المدرسة المسماه بالمدرسة الشرقية.

٣ ـ والمجموعة الثالثة وصلتنا مترجمة إلى اللاتينية بمعرفة كاسيودورس Cassiodorus موسومة بعنوان «**المجمل فى الرسائل القانونية**» :

Adumbrationes in epistolas canonicas

وتتضمن تعليقات على أجزاء، وآيات، من رسائل يهوذا ويعقوب، وبطرس الأولى، ويوحنا الأولى والثانية. ويعترف المترجم كاسيودوروس بأنه اضطر أحيانا إلى تنقيح النص ليكون سليما فى معناه موافقا للتعليم الصحيح.

سادساً : رسالة فى عيد الفصح (١) : Περὶ τοῦ Πάσχα

ويروى يوسابيوس (٢)، أن اكليمنضس صرح فى هذا الكتاب بأن معاصريه قد ألحوا عليه أن يدون التقاليد التى سمعها من الشيوخ المتقدمين، لفائدة الأجيال الآتية. فدونها اكليمنضس وذكر فيها أيضا أقوال ميليتو Melito وايريناوس Ireneus وبعضا آخرين.

وقد نقل بيتافيوس Petavius شذرتين من هذه الرسالة تجدهما فى الطبعات الحديثة

سابعا : مقالات فى الصوم : Διάλεξεις περὶ νηστείας (٣)

ثامنا : مقال فى النميمة : Περὶ Καταλαλίας (٤)

تاسعا : رسالة «فى الحث على الثبات وإلى من قبلوا العماد حديثا» :

(٥) *Προτρεπτικὸς εἰς ὑπομονὴν ἢ πρὸς τοὺς νεωστὶ βεβαπτισμένους*

عاشرا : مقال فى الشتيمة : Περὶ Κακολογίας

حادى عشر : كتاب فى القانون الكنسى أو ضد المتهودين (القائلين بفرض الطقوس اليهودية على المسيحيين)

κανὼν ἐκκλησιαστικὸς ἢ πρὸς τοὺς Ἰουδαιζόντας

---

(١) وتعرف باللاتينية تحت اسم : de paschate

(٢) تاريخ الكنيسة، ك ٦ ف ١٣ : ٩

(٣) وتعرف باللاتينية تحت اسم : de je junio

(٤) وتعرف باللاتينية تحت اسم : de Obtrectatione

(٥) وتعرف باللاتينية تحت اسم : Exhortatio ad Patientiam

وقد أهداه اكليمنضس إلى الاسكندر أسقف أورشليم (١) وسماه جيروم وتبعه فوتيوس «قوانين الكنيسة»

De canonibus ecclesiastieis et adversum
eos qui judaeorum sequuntur errorem

ونحن لا نعرف شيئا عن هذا الكتاب، غير أنه يبدو أن ايرونيموس وفوتيوس قد أخطئا الفهم، ذلك أن اكليمنضس يذكر القانون الكنسى : ἐκκλησιαστικὸς κανών فى كتابه المتفرقات ٦ ف ١٥ : ١٢٥ ويعرفه بأنه الاتفاق أو التوافق بين شريعة العهد القديم وشريعة العهد الجديد. ولابد أن تكون هذه الفكرة هى موضوع الكتاب.

ثانى عشر : وحفظت لنا شذرات أو مقتطفات من رسالة لاكليمنضس «**فى سبق العلم بالمصير**» περὶ προνοίας ورسالة فى «**النفس**» περὶ ψυχῆς وقد أشار إليهما هو ذاته فى المتفرقات ف ٣ : ١٣ ، ف ٥ : ٨٨. وقيل أيضا أنه كتب كتابا فى **عاموص النبى**، ὅροι διάφοροι هذا إلى آخر فى «**التعريفات المختلفة** εἰς τὸν προφήτην Ἀμῶς أن اكليمنضس تكلم كثيرا عن اعتزامه الكتابة فى موضوعات أخرى أشار إليها فى كتبه منها «فى المبادئ الأولى (٢) περὶ ἀρχῶν و «**فى الزواج**» (٣) γαμικὸς λόγος ، و «**فى النبوءة**» (٤) و «**ضد الهرطقات**» (٥) و «**فى القيامة**» (٦) و «**فى العفاف**» و «**فى واجبات الأساقفة والقسيسين والشمامسة والأرامل**» و «فى تناسخ الأرواح» و «**فى الشيطان**» و «**فى الملائكة**» و «**فى أصل الكون**» و «**وفى التفسيرات المجازية للنصوص التى** قيلت فى غضب الله ونظائرها من الإنفعالات» ، و «**فى وحدة الكنيسة**» وما إليها من موضوعات وعد اكليمنضس بالكتابة فيها، إلا أنها لم تصل إلينا، إما لأنها فقدت أو لأن اكليمنضس لم يجد وقتا لتحريرها.

---

(١) يوسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ، ف ١٣ : ٣

(٢) المتفرقات ٣ : ١٣ ص ٥١٦ ، المتفرقات ٣ : ٢١ ص ٥٢٠ ، المتفرقات ٤ : ٢ ص ٥٦٤

(٣) المربى ٣ : ٨ ص ٢٣٨ (٤) المتفرقات ٥ : ٨٨ ص ٦٩٩

(٥) المتفرقات ٤ : ٩٢ ص ٦٠٤ (٦) المربى ١ : ٦ ص ١٢٥

من كتاب المربى
للفيلسوف والقديس أكليمنضس الأسكندرى
الفصل الأول
«مهمة المربى»

أن فى حالة الإنسان أمورا ثلاثة : عادات وأفعالا وأهواء. أما العادات فهى التى إذا ما وجهت بكلمات الوعظ أمكن أن تقود الإنسان إلى التقوى. والتقوى كالقاعدة للمركب على أساسها يقوم الإيمان الذى به نتهلل ونفرح غاية الفرح ونجحد معتقداتنا الأولى، كما أننا بالخلاص نولد من جديد، فنغنى مع النبى مرنمين : «كم هو صالح إلهنا لاسرائيل، ولأنقياء القلب» (١) كذلك جميع الأفعال تدخل ضمن نطاق الفرائض، بينما أن الكلام المقنع هو ما يعمل على شفاء النفس من أهوائها. وعلى كل حال فهذه الكلمة بعينها هى وحدها التى تخلص الإنسان من عادات هذا العالم الذى نشأ فيه، وترقى به إلى الخلاص الذى يتم مرة بإيمانه بالله.

وعلى ذلك : فعندما كان القائد السماوى أى «الكلمة» يدعو الناس إلى الخلاص كانت كلمة «الواعظ» منطبقة عليه تمام الانطباق. وهذه الكلمة بذاتها كانت تدعى إيقاظا (للكل من جانب ما) لأن التقوى الصحيحة هى وعظ يولد فى سائر ملكات العقل اشتياقا (وحنينا) إلى الحياة القويمة فى الحاضر والمستقبل. ولكن بما أنه (الكلمة) سريعا ما يشفينا، ويلزمنا باتباع فرائضه، فإذا ما جرينا فى أثر خطواته تمم المفروض علينا، ووعد بتطهيرنا من أهوائنا، فلنسمِ هذا «الكلمة» باسم يليق به وحده، أى «المهذب» (أو المربّى، أو المؤدب).

ولما كان المربى عمليا لا نظريا. فهو يهدف إلى اصلاح النفس لا إلى تعليمها وإلى ترويضها على حياة فاضلة لا على حياة عقلية. ومع أن هذه الكلمة بالذات تفيد التعليم إلا أنها هنا فى هذه الحالة لا تفيد ذلك. فاللفظ الذى يدل على الشرح والإيضاح فى شئون الاعتقاد، هو مما يؤدى معنى التعليم ولكن مربينا عملى. يعظنا أولا كيما نحصل على الخصال (الحميدة) والأخلاق القويمة ثم يقنعنا بوجوب أداء ومباشرة واجباتنا بنشاط ويأمرنا بأوامر صريحة، مقدما لنا فى ذلك أمثلة بأولئك الذين سبقوا فسقطوا فى الضلال. على أن كلا من المنهجين مفيد أعظم الفائدة سواء (المنهج) الذى يتخذ صورة النصح بإلتزام الطاعة أو (المنهج) الذى يقدم لنا (هذا النصح) فى صورة مثال. هذا و (المنهج) الأخير على نوعين يطابقان الازدواج السابق. أما (النوع) الأول فالقصد منه أننا يجب أن نختار الخير وأن نحاكيه. ومن (النوع) الآخر أن ننبذ نقيضه (أى الشر) ونتحول عنه.

---

(١) (مز ٧٣ : ١).

ومن ثم يترتب على هذا أن نبرأ من أهوائنا إذا ما طرحنا تلك الأمثلة عنا. فالمربى يقوى نفوسنا بل ويقود المرضى إلى معرفة الحق الكاملة، بواسطة أوامره المقبولة وأطبائه المحبوبين.

على أن هناك فرقا واسعا بين الصحة والمعرفة، إذ الأخيرة (أى المعرفة) تحصل بالدرس أما الأولى فتكتسبها بالعلاج. فالمريض لا (يمكنه أن) يدرس أى فرع من فروع الثقافة قبل أن يحصل على كمال العافية. أى أن التلاميذ (الدارسين) والمرضى لا تصلح لهما وصيّة واحدة وإنما ينصح الدارس بنصيحة تقوده إلى المعرفة، وأما المريض فتسدى إليه النصيحة فى صحته. وكما أن المرضى منا بالجسد يحتاجون إلى طبيب، كذلك المرضى بنفوسهم يفتقرون إلى مربٍ يعالج أمراضهم، ومن ثم إلى معلم يهذب النفس ويقودها إلى المعرفة التى تفتقر إليها عندما تكون أهلا لأن تقبل الوحى من «الكلمة» فإذا كنا نتوق إلى أن تكمل نفوسنا فتتدرج إلى أن تدرك الخلاص والتهذيب المنتج الفعّال فأن «الكلمة» الكلى الرأفة قد راعى فى ذلك ترتيبا بديعا هو : أن يرشدنا أو يعظنا «أولا» ثم يهذبنا «ثانيا» ويعلّمنا أخيراً.

الفصل الثانى

«كيف يعالج المربّى خطايانا»

والآن (أقول لكم) يا أولادى، أن مربّينا نظير الله أبيه، وهو ابنه، بلا خطيئة، بلا لوم وله روح (نفس) مجردة عن الهوى. هو الله فى صورة الإنسان، ليس فيه شائبة، وهو الخادم لإرادة الله أبيه، هو الكلمة الذى هو الله، الكائن فى الآب والكائن على يمين الآب وهو الله إذ هو صورة الله، هو (بالنسبة) لنا صورة لا عيب فيها نبذل كل جهدنا فى أن نصّير نفوسنا مماثلة لها، وهو يخلو من الأهواء البشرية خلّوا تاما وعلى ذلك فهو وحده، الديان لأنه وحده بلا خطيئة. **ومن ثم فلنسع جهدنا أن نخلص من الخطيئة على قدر ما يمكننا**، فليس شئ أكثر ضرورة من أمر خلاصنا من أهوائنا وأمراض (اضطرابات) نفوسنا، ومن الوقوف فى سبيل انحدارنا للسقوط فى الخطايا التى اعتدنا عليها. فالخير كل الخير أن لا نخطئ فى شئ على الإطلاق وهى صفة نعتقد أنه لا يتصف بها غير الله وحده. **وثانيا أن نحترس من الخطايا الإرادية وهى صفة يتميز بها الحكيم وثالثا ان لا نسقط فى كثير من الخطايا غير الإرادية وهو ما يختص به أهل التربية الممتازة. وأخيرا أن لا نسترسل فى آثامنا.** على أن هذا مفيد كذلك للذين دعوا إلى التوبة وإلى القتال من جديد.

ثم أن المربى على ما أظن، يقول على لسان موسى قولا فى غاية الروعة «وإذا مات (ميت) عنده أى (عند النذير) (بغتة) على فجأة فإن الدنس يلحق برأسه فى الحال (من حيث أنه نذير)

فلابد له من أن يحلقها» (١) فالموت المفاجئ خطيئة غير إرادية. ويقول الله أنها تدنس إذ تنجس النفس (الروح) وبناء على ذلك يشير بالعلاج بغاية السرعة فينصح بحلق الرأس فى الحال، أى أنه ينصح بأن تجزّ بالكلية خصلات الشعر التى تغطى العقل. وهو ذاك العقل (الذى مركزه فى المخ) الذى إن تعرّى عن حجاب الشر الكثيف، هرع سريعا إلى التوبة. ثم - بعد بضع ملاحظات - يضيف قائلا «الأيام السابقة لا تحسب ضد العقل» (٢) وبذا يتضح أن الخطايا المقصودة (أى الإرادية) هى التى تضاد العقل! وهو يدعو الفعل غير الإرادى «مفاجئا» أما الخطيئة فيدعوها «مضادّه للعقل» وعلى ذلك فالكلمة أى المربى قد صار نائبا عنّا لينقذنا من الخطيئة التى تضاد العقل.

ومع ذلك، فلنتأمل عبارة الكتاب المقدس «لهذا، قال الرب هذه الأمور «فالخطيئة التى ارتكبت سابقا قد صارت مرذولة من تعقيبه عليها بقوله «لهذا» وما يترتب عليه من حكم عادل (مستقيم) وهذا ما أبانه الأنبياء بوضوح عندما قالوا «أو لم نخطئ، أنه (الله) ما كان لينطق بهذه التهديدات» «فمن ثم هكذا يقول الرب» «لأنك لم تسمع هذه الكلمات، لهذا قال الرب هذه الأشياء» «ولهذا انظر، فالرب يقول «لأن النبوءة قد يوحى بها بسبب الطاعة أو بسبب المخالفة : فللطاعة حتى يمكن أن نخلص وللمخالفة حتى يمكن أن نقوّم.

فمربينا أو هو الكلمة يعالج بالمواعظ أهواء نفوسنا التى تضاد الطبيعة إذ أنه من اللائق جدا أن يسمى علاج الأمراض الجسمية بفن الشفاء، وهو فن تفتقر إليه المهارة البشرية. ولكن الكلمة الأبوى هو وحده الطبيب الواسع الحيلة الذى يشفى (يعالج) الأسقام البشرية، والساحر المقدس للنفوس المريضة. لقد قيل «خلص يا إلهى عبدك المتوكل عليك. اشفق علىّ يارب لأننى إليك اصرخ اليوم كله» (٣) أن «فن الطبيب» على ما يقول ديموقريطوس «يشفى أمراض الجسم فى لحظة» والحكمة تخلص النفس من أهوائها «ولكن المربى الصالح أى الحكمة وهو كلمة الآب الذى خلق الإنسان يعتنى بخليقته وكل ما فيها (وكل أجزائها) هو طبيب الإنسانية الكلى القدرة (القدير) وهو المخلص الذى يشفى كلا من الجسم والروح. قال للمفلوج «انهض واحمل فراشك الذى ترقد عليه، وأمض إلى بيتك» (٤) وقد نال المريض القوة فى الحال وقال للميت «لعازر هلم خارجا» (٥) فخرج الميت من قبره كما كان قبل موته وقام من بين الأموات.

وأكثر من هذا، أنه يشفى النفس ذاتها. وذلك بشرائعه ومواهبه. أى بالشرائع حقا بكر الأيام وإذ هو سخى فى العطاء فأنه يقول لنا نحن الخطاة «مغفورة لكم خطاياكم»

---

(١) عدد ٦ : ٩ (٢) عدد ٦ : ١٢ (٣) مز ٨٦ : ٢ ، ٣ (٤١) مرقس ٢ : ١١ (٥) يوحنا ١١ : ٤٣

وعلاوة على ذلك فقد أصبحنا أولادا لله منذ أن تصورنا (الله) فى فكره وقد خصنّا بأفضل مرتبة وأعظم صيانة من تدبيره الذى ينتظم (يشمل) الكرة الأرضية أولا ثم السموات وحركات الشمس الدائرية وهو يعنى بسائر النجوم لخير الإنسان ونفعه ثم يشغل ذاته بالإنسان نفسه الذى تتركز فيه كل غايته إذ أنه ينظر إليه (إلى الإنسان) على أنه أعظم مخلوقاته. ولذا فقد ضبط نفسه (نفس الإنسان) بالحكمة والعفة وجعل فى جسده الجمال والتناسب فكل ما فى أفعال الإنسان من صحة واتساق يرجع إلى ما توحى به إليه استقامة (التدبير) وترتيبه.

الفصل الثالث

«المربى فى محبته للبشر»

أن الرب يقدم لنا كل الخير وكل العون بوصفه الإنسان وبوصفه الله معا. فبوصفه الله يغفر خطايانا وبوصفه الإنسان يروضنا على أن لا نخطئ. فالإنسان حقا عزيز عند الله حيث أنه صنعته، فقد أوجد سائر المخلوقات بكلمة الأمر وحدها أما الإنسان فشبهه بذاته (تعالى) وشكله بيده ونفث فيه من ذاته و(الإنسان) الذى صنعه وعلى شبهه، إما أن يكون قد خلق على أنه مرغوب فيه لذاته أو أنه جبل على أنه مرغوب فيه لأمر آخر. فإذا كان الإنسان مخلوقا «مرغوبا»فيه لذاته. فإن الله «الذى هو خير قد أحب ما هو خير (أى الإنسان) والحب قائم بين الله والإنسان بقوة جاذبة وهى ذلك الشىء عينه الذى يسمى إلهاما (أو نفثا) من الله. ولكن إذا كان الإنسان شيئا مرغوبا فيه لأمر آخر، فليس من سبب آخر عند الله لخلق الإنسان غير هذا أنه إن لم يوجد الإنسان فما كان يمكن لله أن يصبح خالقا حقيقيا، أو ما كان يمكن للإنسان أن يصل إلى معرفة الله. لأن الله ماكان يدرك ذلك الذى بسببه خلق الإنسان لو أن هناك أسبابا أخرى من أجلها خلق الإنسان، فقوة الله الكامنة فى إرادته قد أبرزها بالكمال فى فعل الخلق بأن مدها فى الخارج آخذا من الإنسان ما جعله إنسانا (١)

---

(١) ترجم الأسقف كاى (فى كتابه) «بعض فقرات من مؤلفات وآراء اكليمنضس الأسكندرى ص ٤٨ (قوله) «آخذا من الإنسان ما صنع به الإنسان» (الذى بسببه صنع الإنسان) ولكن يبدو على الأرجح أن اكليمنضس الأسكندرى يشير إلى الإنسان المثالى ἄνθρωπος ἀπαθής فى العقل الإلهى الذى يقول عنه فى مواضع أخرى أنه هو اللوغوس Λόγος والإنسان هو صورة اللوغوس. وسيلاحظ القارئ أن اكليمنضس يتكلم عن الإنسان على أنه كان موجودا فى العقل الإلهى من قبل أن يخلق، وأن الخلق قد تحقق بأن رأى الله ما كان فيه سابقا ولكن باعتباره قوة كامنة.

وما أخذه كان قد رآه وما أراده كان، وليس ثمة شئ لا يستطيع الله أن يفعله. فالإنسان الذى خلقه الله مرغوب فيه لذاته وما هو مرغوب فيه لذاته شبيه بمن هو مرغوب فيه من أجله. وهذا أيضا أمر مقبول ومعقول.

ولكن هل هناك أمر يمكن أن يحب ولم يحبه هو (الله) أيضا ؟ وإذ قد ثبت أن الإنسان يمكن أن يحب. فبالتالى هو محبوب من الله وكيف لا يكون محبوبا من الله من أرسل لأجله الابن الوحيد من حضن الآب، كلمة الحب، والحب الفائض، وقد أقر الرب هذا بنفسه بكل وضوح وقال «فإن الآب هو أيضا يحبكم، لأنكم قد أحببتمونى» (١) «وأنى أحببتهم كما أحببتنى» (٢) وقد رأينا الآن ما يرغب فيه السيد وما ينادى به، وكيف أنه منظم فى أعماله وأقواله. وكيف يأمر بما يجب أن يفعل وينهى عن نقيضه.

وعلى ذلك فمن الواضح أن النوع الآخر من الوعظ، أى الوعظ التعليمى روحانى وفعال ينشد الدقة ويستنفذ (أو يستغرق) فى تأمل الأسرار. ولكن فلندع هذا الآن، وبعد فأنه مفروض علينا أن نقابل حبه بحب نظيره. وهو الذى يقودنا بلطفه إلى تلك الحياة الفضلى وإلى أن نعيش وفقا لوصاياه وإرادته، فلا نتمم ما أمرنا به فقط أو نحترس مما نهينا عنه فحسب، بل أن نجتنب بعض الأمثلة وأن نحاكى بعضها الآخر على قدر ما نستطيع، وبهذا نعمل أعمال السيد (المعلم) طبقا لمثاله ونتمم ما يقوله الكتاب المقدس من أننا تكونا فى صورته وشبهه. لأننا إذ نهيم على وجوهنا فى الحياة كما لو كنا فى ظلمة دامسة نفتقر إلى قائد لا يضل ولا يعثر، وقائدنا خير قائد وليس كما يقول الكتاب القدس «يقود الأعمى إلى الهوات» (٣) بل الكلمة نافذ البصر ويفحص أعماق القلب. وإذ أنه ليس نور ولا ينير، ولا حركة لا تتحرك، ولا حب لا يحب، هكذا ليس خير لا يفيد أو يقود إلى الخلاص فلنهدف إلى إتمام الأوامر بأعمال الرب، لأنه الكلمة ذاته إذ هو أيضا قد صار جسدا (٤) علانية أظهر الفضيلة عينها عمليا ونظريا. وعلى ذلك، فلننظر إلى «الكلمة» كما ننظر إلى الشريعة، وإلى أوامره ونصائحه على أنها أقصر وأقوم السبل (الطرق) إلى الخلود، لأن فرائضه مفعمة بالإقناع لا بالإرهاب.

---

(١) يوحنا ١٦ : ٢٧ (٢) يوحنا ١٧ : ٢٣

(٣) متى ١٥ : ١٤ (٤) يوحنا ١ : ١٤

الفصل الرابع

«الرجال والنساء على السواء تحت أمر المربى»

فلنسلم نفوسنا للرب، مذعنين تمام الإذعان لطاعته متعلقين أشد التعلق بمرساة الإيمان فيه عالمين أن فضيلة الرجل هى بعينها فضيلة المرأة لأنه إذا كان إلههما واحد فإن معلمهما واحد كذلك. ثم كنيسة واحدة، عفة واحدة، اتضاع واحد، طعام مشترك، إلتزامات الزواج ونيره عليهما معا. وكل منهما نظير الآخر فى التنفس والنظر والسمع والمعرفة والأمل والطاعة والحب. وإذا كان يشتركان فى الحياة، فإنهما يشتركان أيضا فى النعمة وفى الخلاص ويشتركان فى الحب وفى التهذيب. وقد قال : (الكلمة) «لأنهم فى هذه الحياة يتزوجون ويتزوجن» (١) ففى (هذه الحياة) وحدها تتميز الأنثى من الذكر «ولكن ليس كذلك فى الحياة الأخرى» ثم أن الجزاءات التى يستحقها الزوجان عن حياة الائتلاف والقداسة تّدخر هناك (فى الحياة الأخرى) لكل منهما لا بوصفه ذكرا أو أنثى بل بوصفه إنسانا (فقط)، هذا وستنزع الشهوة الجنسية التى تفصل الناس بين ذكر وإنثى. فالإنسان اسم مشترك يشمل الرجال والنساء. ولهذا السبب على ما اعتقد كان الاتيكيون (٢) لا يطلقون على الصبيان فقط بل وعلى البنات أيضا لفظة «واحدة» παιδάριον وهى لفظة تصلح للإثنين معا (على السواء). وإذا كان الشاعر الهزلى ميناندر،وهو- على ما يراء الجميع فى الفابيزومينا مرجع محترم، يتكلم هكذا : «ابنتى الصغيرة لأن، «الطفل بالطبيعة أحب الأشياء «فإن لفظة ἄρνες ، كذلك ومعناها «الحملان» ترمز إلى البساطة وهى تقال على الحيوان الذكر والأنثى.

وبعد فإن الرب نفسه سيطعمنا على أننا قطيعه إلى الأبد آمين. ولكن بدون الراعى لا يمكن لشاة أو لأى حيوان آخر أن يعيش. كذلك الأطفال بدون مؤدب والخّدام بدون سيد.

---

(١) لوقا ٢٠ : ٣٤

(٢) (أهل اتيكا من بلاد اليونان وعاصمتها أثينا)

من كتاب المتنوعات والمتفرقات
للفيلسوف والقديس أكليمنضس الأسكندرى
الفصل الرابع
«الفنون البشرية، والمعرفة الإلهية»
جميعها من الله

هوميروس يسمى الصانع حكيما، ويكتب عن مارجيتس Margites إذا صحت نسبة هذا المكتوب إليه هكذا :

«الآلهة لم تخلقه حفارا أو حراثا»

«ولا حكيما بأى وجه آخر، فقد أخفق فى كل فن»

ثم قال هزيود Hesiod عن الموسيقار لينوس Linus أنه كان «ماهرا فى جميع ضروب الحكمة ولا يتردد فى أن يسمى الملاح (البحار) حكيما، هكذا يكتب قائلا :

«ليست له حكمة الملاحة»

«ويقول النبى دانيال «السر الذى طلبه الملك، لا تقدر الحكماء ولا المجوس ولا السحرة ولا المنجمون على أن يبينوه للملك. لكن يوجد إله فى السموات كاشف الأسرار» (١)

فهو هنا يدعو البابليين حكماء. **والكتاب المقدس يسمى كل علم دنيوى وكل فن باسم واحد** هو الحكمة (وهناك فنون وعلوم أخرى. زيادة على تلك، يبدعها العقل البشرى) **وهذا الابداع فى الفنون وضروب المهارة هو من الله** وهذا يتضح من العبارات التالية: وكلم الرب موسى قائلا : انظر قد دعوت بصلئيل بن أورى بن حور من سبط يهوذا باسمه، وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة لاختراع مخترعات ليعمل فى الذهب والفضة والنحاس والاسمانجونى، والأرجوان والقرمز ونقش حجارة للترصيع ونجارة الخشب، ليعمل فى كل صنعة (٢) ثم يضيف إلى ذلك السبب العام، «وفى قلب كل حكيم القلب، جعلت حكمة» (٣) أى لكل قادر على الحصول عليها بالجهد والعمل. وأيضا ورد صراحة باسم الرب :

وتكلم جميع حكماء القلوب الذين ملأتهم روح حكمة (٤) أن حكماء القلب، يتميزون بصفات طبيعية خاصة بهم، والذين يظهرون أنفسهم مستحقين للحكمة ينالون من «الحكمة العظمى» نصيبا مضاعفا من روح الحكمة. والذين يشتغلون فى الفنون المعروفة، لهم فيما يتصل بالحواس مواهب ممتازة، فالموسيقار موهبته فى السمع، وصانع الفخار، فى اللمس.

---

(١) دانيال ٢ : ٢٧ ، ٢٨ (٢) خر ٣١ : ١ – ٥ (٣) خر ٣١ : ٦ (٤) خر ٢٨ : ٣

والمغنى فى الصوت، وصانع العطور Perfumer فى الشم، وناقش حفار الرسوم على الأختام فى النظر. كذلك المشتغلون بالتعليم، يدربون حساسيتهم كما يفعل الشعراء الذين تهتز نفوسهم بموازين الشعر. كذلك السوفوسطائيون يجيدون التعبير، والمناطقة القياسات المنطقية، والفلاسفة تأمل ذواتهم.. لأن الحساسية تكشف وتخلق، حيث أنها تحرك على الطلب، والعمل يزيد الطلب نحو المعرفة. لهذا فإن الرسول كان على حق حين دعا حكمة الله «متنوعة» (١) وأنها أظهرت قوتها «بأنواع وطرق كثيرة» (٢) فى فن، فى معرفة، فى إيمان، فى نبوءة لمنفعتنا «لأن كل حكمة فهى من الرب، ولا تزال معه إلى الأبد، كما يقول (سفر) الحكمة ليشوع (بن سيراخ) (٣).

«لأنك إن دعوت الحكمة (المعرفة) ورفعت صوتك إلى الفهم. إن طلبتها كالفضة، وبحثت عنها كالكنوز، فحينئذ تفهم مخافة الرب، وتجد معرفة الله» (٤). يقول النبى هذا على نقيض المعرفة بحسب الفلسفة، التى تعلمنا أن نبحث باسلوب كريم ونبيل، من أجل تقدمنا فى التقوى. وعلى ذلك، فهو يقابل بين هذه المعرفة، وبين المعرفة التى تحصل بالتقوى، عندما يشير إلى المعرفة عندما يقول «لأن الرب يعطى حكمة. من فمه المعرفة والفهم. يذخر معونة للمستقيمين»(٥) فللذين يتبررون بالفلسفة، تقدم المعرفة التى تقودهم إلى التقوى، لمعونتهم.

الفصل الخامس

«الفلسفة خادمة لعلم اللاهوت»

وعلى ذلك كانت الفلسفة، قبل مجئ الرب، ضرورية عند اليونان للبر. وأصبحت الآن مؤدية إلى التقوى، إذ هى نوع من التعليم الإعدادى بالنسبة لمن يدركون الإيمان بالبرهان. لقد قيل «ولا تعثر رجلك» (٦) إذا تمسكت بما هو خير عند الله سواء كان هذا الخير ينتسب إلى اليونان أو إلينا لأن الله هو علة كل الخيرات، لكنه علة أولى بالنسبة لبعضها كالعهدين القديم والجديد، وعلة تابعة بالنسبة لبعضها الآخر كالفلسفة، ولعل الفلسفة أعطيت لليونان بطريق مباشر وأصيل إلى أن يدعوهم الرب إلى الإيمان، فكانت المعلم الذى أعد «الفكر الهلينستى» للمسيح (٧) كعمل فعل الناموس بالنسبة للعبرانيين. فالفلسفة إذن كانت إعدادا، هيأ الطريق لمن تكمل فى المسيح.

---

(١) أف ٣ : ١٠ (٢) عب ١ : ١

(٣) بن سيراخ ١ : ١ (٤) أم ٢ : ٣ – ٥

(٥) أم ٢ : ٦ ، ٧ (٦) أم ٣ : ٢٣

(٧) غل ٣ : ٢٤

والآن يقول سليمان «ارفع الحكمة فتعليك. تمجدك إذا اعتنقتها. تعطى رأسك اكليل نعمة» (١) فإذا دعمت الحكمة بلباس الفلسفة، وبكل ما يلزمها، حفظتها من هجوم السوفوسطائيين، طريق الحق إذن واحد. ولكن كأنه كنهر دائم الجريان، فيه تصب جداول المياه من كل جانب. لهذا قيل فى الوحى : «اسمع يا ابنى واقبل أقوالى فتكثر سنو حياتك. أريتك طريق الحكمة. هديتك سبل الإستقامة (٢) التى تتدفق من الأرض نفسها. إنه لم يعدد فقط سبلا عدة للخلاص، لأى إنسان بار، وإنما أضاف أيضا سبلا أخرى لأبرار كثيرين، قائلا : «أما سبيل الصديقين فكنور مشرق» (٣) فالوصايا، وطرق التعليم الاعدادى، يجب أن تعتبر سبلا وطرقا للحياة.

«يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كما مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها» (٤) وأورشليم تفسيرها «رؤيا السلام». فهو إذن يبين بالنبوءة أن الذين يتأملون فى سكون الأمور المقدسة يلبون دعوتهم، بطرق متنوعة. فما الذى يريده هو ولا يقدر عليه؟ كم مرة وأين؟ مرتين، بالأنبياء وبمجئ (المسيح). وعبارة «كم مرة» تبين أن ـ الحكمة متنوعة ومهما يكن الكم والكيف، فإنها تنفذ، البعض، فى الزمن الحاضر، وفى الأبدية «لأن روح الرب يملأ الأرض» (٥) فإذا زعم أحد متعسفا أن الإشارة هى إلى الحضارة الهيلينستية، فى القول «لا يلتفت إلى إمرأة شريرة لأن شفتى المرأة الزانية تقطران عسلا» (٦) فليسمع ما يلى : «أنها تلين حلقك للزمن الحاضر» (٧) لكن الفلسفة لا تتملق. فإلى من إذن يشير الله، ومن الذى ارتكب الفسق؟ إنه يضيف مفصحا، لأن قدمى الحماقة تقودان من يستعملونها، بعد الموت، إلى الجحيم. لكن خطواتها غير مؤيدة (٨) لهذا تجنب (٩) سبيل اللذة الغبية «ولا تقف عند البواب بيتها حتى لا تعطى حياتك لآخرين» (١٠) ثم يقرر «وبعد ذلك تندم فى شيخوختك، عندما يفنى لحم جسدك» (١١) لأن هذه هى نهاية اللذة الغبية، وهذا هو الحال، بالفعل. وعندما يقول (الوحى) «لا تحتضن إمرأة غريبة (١٢) إنه ينصح لنا أن نستعمل

---

(١) أم ٤ : ٨ ، ٩ (٢) أم ٤ : ١٠ ، ١١

(٣) أم ٤ : ١٨ (٤) مت ٢٣ : ٣٧ ، لو ١٣ : ٣٤

(٥) للرب الأرض وملؤها (مز ٢٣ (٢٤).

(٦) أم ٥ : ٣ (٧) هذه العبارة وردت فى أم ٥ : ٣ هكذا «وحنكها أنعم من الزيت»

(٨) جاء فى أم ٥ : ٥ «قدماها تنحدران إلى الموت»

(٩) «ابعد طريقك عنها» (أم ٥ : ٨)

(١٠) «ولا تقرب إلى باب بيتها لئلا تعطى زهرك لآخرين» (أم ٥ : ٨ ، ٩)

(١١) «فتنوح فى أواخرك، عند فناء لحمك وجسمك» (أم ٥ : ١١)

(١٢) قارن (أم ٥ : ٢٠)

الحضارة الدنيوية فعلا، ولكن لا نبقى (معها) أو نصرف وقتا معها. لأن ما أنعم به على كل جيل لفائدته، وفى الوقت المناسب، كان تعليما إعداديا لكلمة الله. لأن قوما، وقد وقعوا فعلا فى شرك الخادمات الفاتنات، استهانوا بزوجهم (اعنى) الفلسفة وشاخوا بعضهم فى الموسيقى وبعضهم فى الهندسة، وبعضهم فى علم النحو والصرف grammar وأكثرهم فى علم الخطابة (١)

«ولكن كما أن فروع الدراسة الجارية تعاون الفلسفة وهى سيدتها، كذلك الفلسفة نفسها تعمل على نيل الحكمة. لأن الفلسفة هى البحث عن الحكمة «والحكمة هى معرفة الإلهيات والإنسانيات، وأسبابها «الحكمة إذن هى ملكة الفلسفة كما أن الفلسفة ثقافة إعدادية. لأنه إذا كانت الفلسفة تنادى بالسيطرة على اللسان والبطن، وما تحت البطن، فإنها تفضل نظرا لأهميتها الخاصة. ولكنها تبدو أدعى للإحترام والرفعة إذا وجهت إلى شرف معرفة الله (٢) والكتاب المقدس شاهد على ما نقول فيما يلى. كانت سارة عاقرا وقتا ما وهى زوجة ابراهيم. ولما لم يكن لساره ولد، فقد وهبت جاريتها المصرية واسمها هاجر لإبراهيم لينجب منها أولادا. وإذن فالحكمة التى تسكن فى رجل الإيمان (وابراهيم عد مؤمنا وبارا) كانت لا تزال عقيمة، وبلا ثمر فى ذلك الجيل. لم تنتج لإبراهيم شيئا يتصل بالفضيلة. وقد رأت، كما حصل بالفعل، أنه وقد بلغ زمنا متقدما، أنه ينبغى أن يخالط الحضارة العلمانية أولا (فكلمة مصرية ترمز إلى العالم)، وبعد ذلك يقترب إليها بنعمة إلهية، وينجب السحق (٣)

ويفسر فيلون هاجر بمعنى التغرب Sojovrning إذ قيل فى هذا العدد «لا تلازم إمرأة غريبة» (٤) ويفسر سارة بمعنى «امارتى» My princedom وعلى ذلك فان من حصّل ثقافة، قبلا، هو حر فى أن يدنو إلى الحكمة وهى سامية، منها تنبت جنس إسرائيل. وهذا يرينا أن تلك الحكمة يمكن نيلها عن طريق الثقافة التى بلغها ابراهيم ابتداء من التأمل فى الإلهيات إلى الإيمان والبر بحسب الله. ويظهر أن اسحق يعنى «العلم الذاتى» Self taught لهذا أيضا يبدو أنه مثال للمسيح. كان زوجا لإمرأة واحدة وهى رفقة التى يترجمونها «الصبر» Patience ويعقوب وقيل عنه أنه تزوج عدة نساء، فسر اسمه بأنه «مدرب» Exerciser والتداريب قد شغلت بكثير

---

(١) فيلون اليهودى Philo Judaeus, on seeking in struction, 435, See Bohnstranslation vol. ii.p.173

(٢) اقتباس من فيلون اليهودى مع بعض تحويرات. انظر ترجمة Bohn مجلد ٢ صفحة ١٧٣

Philo, Meeting to seek Instruction

(٣) ترجمة Bohn

(٤) أم ٥ : ٢٠ «لم تفتن يا ابنى بأجنبية وتحتضن غريبة»

وعديد من العقائد. فمن ثم أيضا، من أنعم عليه بقوة الإبصار «حقا يسمى إسرائيل» (١) من حيث أن له خبرة طويلة، ومن حيث هو ملائم للتدريب.

وثمت شئ آخر ربما أشير إليه بالثلاثه البطاركة وهو أن ختم المعرفة اليقينية يتألف من الطبيعة والتربية والتدريب.

وربما نجد صورة أخرى لما قلناه، فى ثامار وهى جالسة على الطريق فى مظهر زانية، تطلع إليها البحاثه يهوذا (وتفسير اسمه «قوى»)، الذى لم يهمل شيئا بلا إمتحان أو بحث، وتحول عنها موجها همه نحو الله. لذلك أيضا عندما غارت سارة من هاجر إذ رأتها مفضلة عنها، قال ابراهيم، وقد تخير فقط ماهو نافع من الفلسفة الدنيوية : «هوذا جاريتك فى يدك. إفعلى بها ما يحسن فى عينيك» (٢) ومعناه صريحا «إنى أعتنق الثقافة الدنيوية كأنها جارية ولزمن الصبا، ولكنى احترم معرفتك وأوقرها كأنها زوجة حقيقية». وقد أذلتها سارة، أى أنها وبختها وعاقبتها. كذلك فقد صح القول «يا ابنى لا تحتقر تأديب الرب ولا تخز إذا وبخك، لأن الذى يحبه الرب يؤدبه، ويجلد كل ابن يقبله (٣) وإذا فحصنا الأسفار المقدسة السابقة الذكر نجدها تعرض لنا فى مواضع أخرى أسرارا أخرى. لذلك يكفينا أن نقرر هنا أن الفلسفة تتميز بالبحث عن حقيقة الأشياء وطبيعتها. (هذا هو الحق الذى- تكلم عنه الرب نفسه قائلا : «أنا هو الحق» (٤)، ونقر كذلك أن التهذيب الإعدادى للراحة فى المسيح يدرب العقل، وينبه الفكر، ويولد ذكاء للبحث، وذلك عن طريق الفلسفة الحقيقية، التى يمتلكها المبتدئ، إذا وجدها أو بالحرى إذا قبلها من الحق نفسه.

---

(١) فى الكتاب المشار إليه آنفا، يفسر فيلون «إسرائيل» بمعنى «يرى الله Seeing God ومن هذا الكتاب أخذت كل الأمثلة والإشتقاقات الواردة هنا.

(٢) تك ١٦ : ٦

(٣) (عب ١٢ : ٥، ٦)، (أم ٣ : ١١، ١٢)

(٤) يو ١٤ : ٦

الفصل الحادى عشر

ما هى الفلسفة التى يأمرنا الرسول بإجتنابها ؟

وعلى ذلك، «حكمة العالم جهالة عند الله» (١) «والحكماء يعلم الله أفكارهم أنها باطلة» (٢) فلا يفتخر إنسان بسمو فكره البشرى لأنه بحق كتب فى سفر أرمياء «لا يفتخر الحكيم بحكمته، ولا يفتخر الجبار بجبروته ولا يفتخر الغنى بغناه. بل بهذا ليفتخرن المفتخر بأنه يفهم ويعرفنى أنى أنا الرب الصانع رحمة وقضاء وعدلا فى الأرض، لأنى بهذه أسر يقول الرب» (٣) لكى لا نكون متكلين على أنفسنا بل على الله الذى يقيم الأموات، الذى نجانا من موت مثل هذا وهو ينجى» (٤) لكى لا يكون إيماننا بحكمة الناس بل بقوة الله (٥) «وأما الروحى فيحكم فى كل شئ، وهو لا يحكم فيه من أحد» (٦) واسمع أيضا كلمات الرسول «وإنما أقول هذا لئلا يخدعكم أحد بكلام ملق (٧) أو يدخل ويسبيكم». ثم «انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح» (٨) وهو لا يعنى كل نوع من الفلسفة، وإنما الفلسفة الأبيقورية التى أشار إليها بولس فى أعمال الرسل (٩) التى تنكر عناية الله وتؤله اللذة، وكل فلسفة أخرى تعبد العناصر لكنها لا تجعل لها من فوقها علة فعاله، ولا تعرف لها خالقا.

كذلك الرواقيون، الذين يذكرهم هو أيضا، يقولون بغير حق أن الله جسم، وأنه يتخلل أخس ما فى المادة. وهو يسمى احتيال المناطقة «تقليد الناس». لذلك يضيف قائلا : «والمباحثات الصبيانية» (١٠) اجتنبها عالما أنها تولد خصومات» ويقول الفيلسوف أفلاطون «والفضيلة لا تعشق الصبيان». وكفاحنا تبعا لجورجياس ليونتينوس Gorgias Leontinus، يتطلب فضيلتين - الجرأة والحكمة - الجرأة لاحتمال الأخطار، والحكمة لفهم المعميات. لأن الكلمة بمثابة النداء الأوليمبى يدعو من يريد، ويتوج من هو قادر على مواصلة الجهاد بثبات، حسبما يقتضيه الحق. والحقيقة أن الكلمة لا يرغب فى شخص أراد لنفسه الكسل والبطالة، لأنه يقول «اطلبوا، تجدوا» (١١) والطلب يقضى إلى الإيجاد، إنه ينكر العبث الذى لا طائل تحته، ويدعو إلى التأمل

---

(١) ١. كو٣ : ٨ ، ١٩ (٢) ١. كو٣ : ٢٠ (٣) أر ٩ : ٢٣ ، ٢٤
(٤) ٢. كو١ : ٩ ، ١٠ (٥) ١. كو٢ : ٥ (٦) ١. كو٢ : ١٥
(٧) كو٢ : ٤ (٨) كو٢ : ٨ (٩) أع١٧ : ١٨
(١٠) وبحسب النص الصحيح والمباحثات الغبية ٢. تى ٢ : ٢٣ (١١) مت ٧ : ٧

الذى يثبت إيماننا. يقول الرسول «وإنما أقول هذا لئلا يخدعكم أحد بكلام ملق» (١) وهو يقول هذا وقد عرف أن يميز فى وضوح ما قاله هو، وعلم أنه يواجه اعتراضات. «فكما قبلتم المسيح يسوع الرب اسلكوا فيه، متأصلين ومبنيين فيه، وموطدين فى الإيمان» على أن الاقتناع هو وسيلة التوطد فى الإيمان «انظروا أن لا يكون أحد يسلبكم عن الإيمان بالمسيح، وذلك بالفلسفة وبغرور باطل» هذه الفلسفة التى تنكر وجود الله «بحسب تقليد الناس» لأن الفلسفة التى تتفق مع التقليد الإلهى توطد الإيمان بالله وتثبته. فإذا كان الإيمان بالله باطلا، أمسى تدبير المخلص خرافة، وأمسينا نحن تحت تأثير «حسب أركان العالم وليس حسب المسيح» فالتعليم الذى يوافق المسيح، هو التعليم الذى يؤله الخالق، ويبحث عن الله فى الأحداث الجزئية، ويعرف طبيعة العناصر القادرة على التغير والانتاج، ويعلم بأننا يجب أن نهدف إلى أن نرتفع إلى القوة المماثلة لله ونؤثر الافتقاد الإلهى (٢)، لأنه فى المرتبة الأولى التى تعلو على كل تعليم.

لقد عبدت الأركان - فعبد ديوجينس Diogenes الهواء، وعبد تاليس Thales الماء، وعبد هيباسس Hippasus النار وعبدها أولئك الذين ارتأوا أن الذرات هى المبادئ الأولى للأشياء وانتحلوا (لأنفسهم) اسم الفلاسفة وهم مخلوقات شريرة، وهبوا نفوسهم للذات. يقول الرسول: «وهذا أصليه أن تزداد محبتكم أيضا أكثر فأكثر فى المعرفة وفى كل فهم، حتى تميزوا الأمور المتخالفة» (٣) ويقول الرسول نفسه: «هكذا نحن أيضا لما كنا قاصرين كنا مستعبدين تحت أركان العالم». (وإنما أقول) مادام الوارث قاصرا (أو طفلا)، لا يفرق شيئا عن العبد (مع كونه صاحب الجميع، بل هو تحت أوصياء ووكلاء) إلى الوقت المؤجل من أبيه (٤) «وإذن فالفلاسفة أطفال، إلا إذا صيرهم المسيح رجالا» لأنه إذا كان ابن المستعبدة لا يرث مع ابن الحرة» (٥) فهو على الأقل نسل ابراهيم ولو أنه ليس ابن الموعد، وقد أخذ ما يخصه هبة مجانية. «وأما الطعام القوى فللبالغين الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة (أو مروضة) على التمييز بين الخير والشر (٦) «لأن كل من يتناول اللبن هو عديم الخبرة فى كلام البر لأنه طفل» (٧) ولم يكن يعرف بعد الكلمة التى آمن بها، ويعمل الآن وفقا لها، كما أنه لايستطيع أن يعلل شيئا لنفسه. يقول الرسول: «امتحنوا كل شئ. تمسكوا بالحسن» (٨)، وهو يكلم الروحيين الذين يحكمون على ما قيل بحسب الحق، إذا كان ذلك يبدو حقا، أو هو حق «من لا يقوم بالتأديب يخطئ وفى

---

(١) كو ٢ : ٤ (٢) أى الانجيل (٣) فى ١ : ٩، ١٠ (٤) غل ٤ : ٣، ١، ٢
(٥) تك ٢١ : ١٠، غل ٤ : ٣٠ (٦) عب ٥ : ١٤ (٧) عب ٥ : ١٣
(٨) ١. تس ٥ : ٢١

السياط والتوبيخات تأديب الحكمة، ولا شك أنها التوبيخات المصحوبة بالحب «لأن قلب الفهيم يطلب معرفة» (١) «لأن من يطلب الرب يجد معرفة وبرا. والذين طلبوها بالحق، وجدوا سلاما» وقد قيل «وسأعرف لا كلام الذين انتفخوا بل قوتهم» (٢) ويكتب فى توبيخ الذين يظهرون أنهم حكماء، ويظنون فى أنفسهم أنهم حكماء، وليسوا فى الحقيقة حكماء «لأن ملكوت الله ليس بكلام» (٣) ليس هو فيما هو غير حق، لكنه فيما يبدو للظن أنه الاحتمال الوحيد. غير أنه قال «بقوة»، لأن الحق وحده هو القوى ثم «إن كان أحد يظن أنه يعرف شيئا فإنه لم يعرف شيئا بعد كما يجب أن يعرف» (٤) لأن الحق ليس أبدا مجرد ظن. لكن توهم المعرفة ينفخ (٥) ويملأ بالعجب «لكن المحبة تبنى» (٦) لا توهما وافتراضا بل حقا. لذلك قيل «إن كان أحد يحب الله فهذا معروف عنده (٧).

---

(١) أم ١٥ : ١٤

(٢) ١ . كو ٤ : ١٩

(٣) ١ . كو ٤ : ٢٠

(٤) ١ . كو ٨ : ٢

(٥) ١ . كو ٨ : ١

(٦) ١ . كو ٨ : ١

(٧) ١ . كو ٨ : ٣

الفيلسوف
والعلامة أوريجينوس

أوريجينوس - أوريجانوس
من (١٨٥ - ٢٥٤م)

فيلسوف وعالم مصرى فذ امتدت حياته من سنة ١٨٥ إلى ٢٥٤ للميلاد. وكان أشهر مفكر فى زمانه ذاع صيته فى كل الشرق والغرب، ومن مفاخره أنه كان أكبر عالم ومعلم معروف بسعة علمه واطلاعه، وقدرته على أن يقنع خصومه الأفذاذ ويفحمهم، بعد أن يحاجهم ويجادلهم ويحاورهم فى المحافل العلمية ويرد على تواليفهم، ويكفيه فخرا أن من بين خصومه الأقوياء كلسوس CELSUS الأبيقورى وكان من أبرز فلاسفة عصره، وقد هزأ بالدين المسيحى ساخرا، فانبرى له أوريجانوس في رد طويل باللغة اليونانية يضم الآن ثلاثة مجلدات كبار، بعنوان (الرد على كلسوس) ترجم إلى اللاتينية تحت اسم Contra Celsum وكان الرد مفحما لكلسوس نفسه، الذى عبر عن إيمانه بالمسيحية وإقتناعه بها، بكتاب ضمنه إعترافه بفضل أوريجانوس فى هدايته إلى الحق الذى كان ينشده - ويعد كتاب أوريجانوس فى الرد على كلسوس الأبيقورى ثانى كتاب فى الأهمية، بعد كتابه (فى المبادئ) الذى له الأولية والأولوية بين جميع كتاباته وتواليفه الكثيرة. وقد لقبه يوسابيوس صاحب كتاب «تاريخ الكنيسة» بـ (ادامنتيوس ADAMANTIUS) (١) أى (الماس) وذلك بالنسبة إلى إمتيازه وسمو أفكاره ونقاء سيرته.

ولد أوريجينوس فى مصر، ويُحتمل أن يكون ذلك فى مدينة الأسكندرية، حيث تربى وتلقى كل علومه فيها، ولا نعرف تاريخ ميلاده على وجه دقيق، ولكن يحتمل أن يكون ذلك فى سنة ١٨٣/ ١٨٤ أو ١٨٥ / ١٨٦م. وكان من أسرة مسيحية أو على الأقل صارت مسيحية عندما كان طفلا صغيرا. وإذا كان حقا أن اسم أوريجينوس اسم وثنى معناه «ابن حورس»، لكن هذا لا يعد دليلا دامغا على أن أبويه كانا وثنيين. ومن الثابت أن أوريجينوس نفسه قد تعمد وهو صغير.

ولقد رباه أبوه (ليونيداس LEONIDES ابن الأسد) تربية دينية مسيحية، وعلمه منذ طفولته مبادئ الدين والكتاب المقدس. وكان بذكائه الوقاد لا يكف عن توجيه سيل من أسئلة فى الدين والكتاب المقدس تدل على ذهن متفتح، وعلى رغبة فى المعرفة كان يعجب لها أبوه ويعجب بها، حتى أنه كان يقترب إليه وهو نائم يقبله فى صدره الصغير (٢)، مستشعرا فى هذا الصدر كنزا ثمينا غاليا لأسرار مقدسة ستنكشف فيما بعد.

---

(١) يوسابيوس : تاريخ الكنيسة كتاب ٦ فصل ١٤ فقرة ١٠

(٢) يوسابيوس : تاريخ الكنيسة كتاب ٦ فصل ٢ ف ١١

ولما كبر أوريجانوس تتلمذ على يدى فيلسوفين شهيرين فى الأسكندرية هما تيطس اكليمنضس المعروف باكليمنضس الأسكندرى، ثم أمونيوس السقاص AMMONIOS SACCAS مؤسس المدرسة الأفلاطونية الجديدة، وليس ثمة تلميذ شرّف أستاذه كما فعل أوريجينوس لأكليمنضس.

وفى سنة ٢١٢ أثار القيصر سويرس ALEXANDER SEVERUS (٢٠٥ – ٢٣٥) الإضطهاد ضد المسيحيين، فقبض ليتوس LAETUS حاكم مصر الرومانى على ليونيديس والد أوريجانوس، وزجه فى السجن، وأمر بقطع رأسه ومصادرة أمواله، ومع أن أوريجانوس كان لايزال صغيرا لم يتعد السابعة عشرة من عمره، إلا أنه أرسل إلى أبيه فى السجن يطمئنه على الأسرة، ويرجوه ألا يكون جزوعا عليها، ويحذره من التردد أو النكوص أو التراجع، ويحثه على الثبات على الإيمان وعلى شرف الإستشهاد، ومواجهة الموت برباطة جأش وصمود وشجاعة. ولم يكتف بهذا بل أراد هو ذاته أن يعلن للحاكم عن إيمانه فيموت شهيدا، لولا أن أمه اضطرت أن تخبىء ملابسه يوما كاملا لتمنعه من الخروج (١).

ولما هدأ الإضطهاد كان على أوريجانوس أن يعمل ليعول أمه وأخوته الستة وأسرته بعد موت عائلها ومصادرة أملاكه، وكان قد اشتهر بفضيلته وعلمه، فعهد إليه ديمتريوس أسقف الأسكندرية (١٨٨ – ٢٣٠) بإدارة المدرسة اللاهوتية، وكانت قد أغلقت فى زمن الإضطهاد وهجرها أساتذتها وعلى رأسهم اكليمنضس الأسكندرى مديرها، فتسلم أوريجانوس مقاليدها فى عام ٢٠٢ للميلاد بدلا من أستاذه النابغة اكليمنضس، وكان أوريجانوس آنذاك فى الثامنة عشرة من عمره (٢) فعكف على الدرس والعمل مع مساعديه وتلامذته وكانوا يعملون معا إلى ساعة متأخرة من الليل، حتى أنه يذكر فى بعض كتبه أنه لم يكن لهم أحيانا وقت للعشاء. وقد أدخل إلى هذه المدرسة إلى جانب العلوم الدينية اللاهوتية، علوم الفلسفة والرياضة والطبيعيات والفلك والموسيقى، وقد اهتم بالروحانيات والأخلاقيات، وكان يحث تلاميذه على أن يكونوا أتقياء ملتزمين بفضائل الشجاعة والبسالة والصمود فى سبيل الحق والإستخفاف بالموت فى سبيل الإيمان. ولم يلبث أن ثار الإضطهاد من جديد، فسيق عدد كبير من تلاميذ أوريجانوس إلى العذاب، بل لقد سعى أعداؤه للقبض عليه هو نفسه، لولا أنه غيّر مسكنه مرات، فقد كانوا يتعقبونه ويطاردونه من مكان إلى آخر، وفى يوم من الأيام كادت الدهماء أن تفتك به لولا أنه نجا منهم بإعجوبة.

---

(١) يوسابيوس، تاريخ الكنيسة كتاب ٦ فصل ٢

(٢) يوسابيوس، تاريخ الكنيسة كتاب ٦ فصل ٣ فقرة ٣

وفى اليوم التالى لوفاة والده، وقد أمسى فقيرا معدما، أرادت سيدة ثرية أن تضمه إليها وتنفق عليه، لكنه اعتذر عن قبول إحسانها لأنه علم بأنها تعتنق مبادئ دينية لا يقبلها، فآثر أن يعيش فقيرا فباع كتبه التى كان يقتنيها، بل أنه من فرط تدينه وحرارة روحه آثر أن يعيش ناسكا، وأن يحيا حياة الزهاد والعباد مع العمل، منتهجا منهج الفقر الإختيارى، منقطعا إنقطاعا تاما عن الطعام لفترة طويلة فى كل يوم، وعن الخمر، وقانعا بالقليل جدا من ضرورات الحياة. وكان ينام على الأرض بغير غطاء ولا وسادة، كما كان يسير حافيا بغير حذاء، وكان يقضى نهاره فى الإرشاد والتعليم وليله فى الدرس والعبادة، وبلغ به إيمانه بالطهارة والعفة الكاملة أنه خصى نفسه. وقد جر عليه هذا التصرف الأخير متاعب مع القيادة الكنسية، التى رأت فى خصائه لنفسه تفسيراً حرفيا خاطئا لمقولة السيد المسيح له المجد «يوجد خصيان خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السموات. فمن استطاع أن يقبل فليقبل» (متى ١٩ : ١٢) (١).

على أن منهج أوريجانوس فى أخلاقياته ودراساته أثار عليه حقد الوثنيين، فأمسكوه وحلقوا شعر رأسه على طريقة كهنتهم، ثم ساقوه إلى معبد سيرابيس وألزموه بأن يوزع سعف النخل على عبدة الأوثان، وكانوا يهزأون به ويسخرون منه، فصرخ فيهم بصوت دوى فى أنحاء المعبد، وقال على ماروى عنه أبيفانيوس فى كتابه (تاريخ الهرطقات) (٢) «هلموا إلىّ لتأخذوا منى هذه الأغصان، لا كأنها من هيكل للأوثان بل خذوها منى من قبل يسوع المسيح مخلص العالم».

دراسات أوريجانوس

ومع أن أوريجانوس كان مسيحيا، لكن دراساته لم تقتصر على الكتاب المقدس، وكتابات وأقوال بعض العلماء واللاهوتيين السابقين عليه من علماء المدرسة اللاهوتية بالأسكندرية، من أمثال أثيناغوراس، وبنتينوس PANTAENOS وإكليمنضس الأسكندرى، ولكنه أضاف إلى ذلك كله قراءات ودراسات على كتابات الفلاسفة الهلينيين من أمثال أفلاطون، وارسطو، وزينون الرواقى، وكريسبوس، وكليانتس، من الفلاسفة القدماء، ولابد أنه قرأ الإلياذه والأوديسا لهوميروس، وأشعار هزيود، وتراجيديات سوفوكليس ويوريبيديس، وبعض كوميديات أريستوفانيس وميناندر... وعندما نقرأ كتابه (الرد على كلسوس) لا يسعنا إلا أن نذهل لكثرة الإقتباسات التى اقتبسها أوريجانوس من كتابات الأولين والتى تشهد بسعة إطلاعه. ولابد أنه

---

(١) متى ١٩ : ١٢

(٢) كتاب تاريخ الهرطقات لابيفانيوس ٦٤ : ١

درس كتاب «فى افلاطون» περὶ Πλάτωνος لاريستاندروس، وكتاب «فى اليهود» περὶ Ἰουδαίων لهيكاتيه ولهيرينيوس فيلون وكتاب χρονικά لمؤلفه فليجون.

ولم يتأخر أوريجينوس عن أن يبين أنه لا يستطيع أن يؤثر فى تلاميذه تأثيرا حقيقيا، إذا لم يعرف مذاهب الفلاسفة اليونانيين بالتفصيل، وأن يبذل جهده فى استعماقها، فكتب أوريجينوس يقول : «كنت أعكف على الدرس. وذاعت شهرة تعليمى، وجاء إلى تارة هراطقة، وتارة أناس درسوا العلوم الهيلينية، وخصوصا الفلسفة، وقد ألزمتنى الفلسفة بدراسة آراء الهراطقة وما نادى به الفلاسفة عن الحقيقة. ولقد اتبعت فى هذا مسلك بنتينوس الذى أسدى من قبلى خدمة لكثيرين، ولم تكن ثقافته فى هذه الشئون بقليلة. واتبعت أيضا مسلك هيراقليس Heracles الذى يقيم اليوم فى مجمع كنيسة الأسكندرية، وقد وجدته عند معلم العلوم الفلسفية الذى كان قد لازمه هيراقليس خمس سنوات، قبل أن أبدأ أنا فى متابعة دروسه (١).

والمعلم الذى عاشره أوريجينوس وذكره فورفوريوس فى شذرة أوردها يوسابيوس (تاريخ الكنيسة ٦، ٩ ، ١ – ١١) هو أمونيوس السقاص الذى تابع أفلوطين أيضا دروسه. ومن المهم أن نبين هذه الحقيقة التى تفسر لنا تفسيرا جزئيا بعض وجوه التشابه التى نلاحظها بين مذهب أوريجينوس ومذهب أفلوطين. وتدلنا فقرة فورفوريوس على الفلاسفة الذين أخذ أوريجينوس يقرأ لهم، وليس فى تلك القائمة باستثناء أفلاطون إلا فلاسفة محدثون وهم : الأفلاطونيان نومينيوس Numenius وكرونيوس Cronius والفيثاغوريان نيكوماخوس وموديراتوس Moderatus، والرواقيان شيريمون Chaeremon وكورنوتوس Cornutus على أن أكثر هؤلاء الفلاسفة بالنسبة لنا هم مجرد أسماء ولا نعرف شيئا يعتد به عن مذاهبهم. وتسمح لنا الإشارات التى يقدمها لنا أوريجينوس نفسه فى كتبه بتكملة القائمة وأن نضيف إليها أعظم الفلاسفة القدماء قدرا مثل أرسطو وزينون وكريسيوس وكليانتس.

ويبدو أن أوريجانوس كان يؤثر أفلاطون على جميع الفلاسفة. ويعوزنا الوقت لنذكر جميع إقتباساته من المحاورات الأفلاطونية، وما يدين به أوريجانوس لمذهب أفلاطون، خصوصا فيما يتصل بالله وبالعالم. فلئن كان مذهب أوريجانوس مسيحيا فى جوهره لكنه استخدم فى شرحه تعبيرات أفلاطونية على الغالب.

وعلى الرغم من أنه لا يشير صراحة إلى أرسطو، لكنه فى وضعه للمشكلات الكبرى الخاصة بالإنسان وبالأخلاق، يبدو واضحا أنه يتبنى الحلول التى وردت فى كتاب أرسطو «فى النفس De ANIMA، وكتابه «الأخلاق إلى نيقوماخوس».

---

(١) يوسابيوس ـ تاريخ الكنيسة. جز٦ ، ٩ – ١٢ – ١٤.

ويبدو أن أوريجينوس منذ اليوم الذى اتصل فيه إتصالا مباشرا بالحكمة الهيلينية بدأ يغير فى نظام المدرسة اللاهوتية. ولئن كان يوسبيوس لا يعين على وجه الدقة تاريخ هذا الحدث لكنه يخبرنا على الأقل بأن أوريجينوس قسم تلاميذه إلى قسمين : القسم الأول ويشمل المبتدئين وجعلهم تحت قيادة هيراقليس Heracles وكانوا يدرسون مبادئ العلوم المدنية والدينية. والقسم الثانى وكان تحت إدارة أوريجينوس مباشرة. ويضم التلاميذ المتقدمين، وكان أوريجينوس يقرأ معهم كتابات الفلاسفة ويعلق عليها وكذلك الكتب المقدسة للعهدين القديم والجديد. (١) (يوسابيوس - تاريخ الكنيسة ٦، ١٥، ١٨، ٣ - ٤).

ولا شك أن الرواقيين يحتلون مكانة عند العلامة الأسكندرى أوريجانوس، وواضح أنه قد قرأ ودرس كتب كريسبوس، وزينون. وتأثره بأصحاب الرواق يبدو على الخصوص فيما يتعلق بأصل الأشياء وتجديدها، وعندما يعالج موضوع أجزاء النفس البشرية والحياة الأخلاقية.

هذا إلى أنه يرد فى كتابات أوريجانوس إقتباسات صريحة أو ضمنية من أبيقور وسكستوس امبيرتيوس وإشارات إلى قضايا كارنياد Carnoado وكليتوماك Clitomaque مع أنه يصرح باحتقاره لأبيقور ويرى فيه معلما للكفر والخلاعة وإزدرائه لمذهب الشكاك SCEPTICISME عند الأكاديمية الجديدة - مما يدل على حب أوريجانوس للاطلاع حبا لا يعرف له حدودا.

وقد دافع أوريجانوس عن منهجه فى دراسة الفلسفة الهلينية، شارحا ضرورة ذلك من واقع مواجهته للفلاسفة الوثنيين الذين كان يلتقى بهم، ويحاورونه ويحاورهم، فكان لابد له من هذه الدراسة ليستفيد منها فى لقاءاته بهم، ومساجلاتهم معه وردوده عليهم. وأضاف بأنه قد سلك فى هذا مسلك الفيلسوف المسيحى بنتينوس وغيره من العلماء والفلاسفة الذين سبقوه.

على أن أوريجانوس لم تقتصر استفادته من دراسة العلوم الهلينية والمدارس الفلسفية على مجرد المعرفة المتعمقة لهذه المدارس وتلك العلوم من أجل الحوار والجدل الفكرى بين فيلسوف مصرى مسيحى وفلاسفة وثنيين، لكنه لابد أن يكون قد أثرى فكريا بهذه الدراسة الخصبة كما أفاد منها فى منهج العرض الموضوعى للمسائل والمشاكل، وتسلسل البرهان، وإكتشاف الأغاليط، والقدرة على البرهنة على الحقائق الدينية بأدلة من العقل والمنطق والنظر العقلى، بعيدا عن الأدلة النقلية من الكتب المقدسة. وغنى عن البيان أنه بفضل هذه المساجلات الفكرية كان

---

(١) يوسابيوس - تاريخ الكنيسة ٦، ١٥، ١٨، ٣ - ٤

مدخل الفلسفة فى الدين، وهو أساس علم اللاهوت. والواقع أنه إلى علماء المدرسة المسيحية فى الأسكندرية - من أمثال أوريجانوس ومن قبله إكليمنضس ثم بنتينوس وأثيناغوراس - يرجع الفضل فى إقامة علم اللاهوت المسيحى على منهج علمى، نما وازدهر فى الأسكندرية قبل أى بلد آخر فى العالم المسيحى. ولذلك قصد الدارسون والعلماء من بلاد الشرق والغرب إلى مدرسة الأسكندرية اللاهوتية، وتتلمذوا على أساتذتها بعد أن أتموا علومهم الدينية فى بلادهم. ومن هؤلاء العلماء المشاهير من علماء البلاد الأخرى : باسيليوس الكبير رئيس أساقفة آسيا الصغرى (٣٣٠ - ٣٧٩)، ويوحنا ذهبى الفم بطريرك القسطنطينية (٣٤٧ - ٤٠٧)، وغريغوريوس الثيولوغوس (٣٢٩ - ٣٩٠م) رئيس أساقفة نازيانزا، وغريغوريوس العجائبى (٢١٣ - ٢٧٠) بطريرك قيصرية (البنطس) وغريغوريوس النيصى (٣٣٥ - ٣٩٤) أسقف نيصص، وغيرهم كثيرون ممن شغلوا بعد خروجهم من الأسكندرية مراكز دينية مرموقة جدا فى بلادهم وفى العالم المسيحى قاطبة.

ولما ازدهرت المدرسة اللاهوتية بالأسكندرية وصارت ابتداء من القرن الثانى جامعة لعلوم الدين والدنيا، وأصبحت الدراسات فيها لا تقتصر على علوم الكتاب المقدس وحدها، من دراسة نقدية علمية مقارنة للنصوص الأصلية بالعبرانية واليونانية وترجماتها القبطية والسريانية واللاتينية وما إليها، ودراسة للتفسير، ومنهج التفسير، وقواعد التفسير، لنصوص العهدين القديم والجديد، ودراسة تاريخ وجغرافية وآثار الكتاب المقدس فى مصر وبلاد الشرق الأوسط - إنما امتدت الدراسات العلمية لتشمل أيضا دراسات فى الفلك، وفى الطب، والموسيقى، والنبات، والحيوان، واللغات القديمة - فضلا عن تاريخ الفلسفة اليونانية والشرقية، وعلم المنطق، والعلوم الإنسانية..

وقد قسم أوريجانوس الدارسين إلى قسمين كبيرين : قسم للمبتدئين، وقسم للمتقدمين. وجعل لكل قسم مستوياته المتدرجة. أما قسم المبتدئين فجعله تحت إشراف هيراقليس HERACLES الذى أصبح فيما بعد البابا الثالث عشر من بطاركة الكرسى الأسكندرى وهو أول من حمل فى العالم المسيحى لقب بابا قبل أن يحمله أساقفة روما بثلاثة قرون - وأما قسم المتقدمين فجعله أوريجانوس تحت إشرافه شخصيا.

وكان تلاميذ المدرسة من الجنسين، أى من الرجال والنساء. وهذا وحده حدث له أهميته فى القرن الثالث للميلاد.

وقد قسم أوريجينوس تلاميذه إلى فريقين : فريق اشتهروا بأصحاب القلم السريع TACHYGRAPHES يكتبون بالإختزال والإختصار ما كان يمليه عليهم أوريجانوس - وفريق آخر هو فريق النساخ CALLIGRAPHY الذين كانوا ينقلون بخط جيد وجميل ما يكتبه الفريق الأول بالاختزال.

ولقد جرّت هذه الطريقة فى التعليم المتاعب على أوريجانوس فيما بعد، فقد نسب إليه أن كتاباته اشتملت على أخطاء عقائدية. ومن الإنصاف للرجل العلامة أن نقول أنه لم يكن لأوريجانوس - بسبب خصوبة فكره وكثرة إنتاجه - وقت لمراجعة كل ما يكتبه تلاميذه. لذلك أمسى من العسير أن يتبين النقاد، ما إذا كانت تلك الأخطاء ناجمة عن جهل التلاميذ أو عدم دقتهم فى الإملاء أو النسخ، أو أنها ترجع إلى أوريجانوس نفسه.

على أن أوريجانوس كثيرا ما كان يشكو ممن أساءوا فهمه أو حرفوا أقواله عن حسن نية أو عن سوء قصد، كما فعل بعض أصحاب المدارس الفكرية، فنسبوا إليه أقوالا يؤيدون بها مذاهبهم الفكرية.. وفى بعض كتاباته ردود منه على بعض النظريات الدينية الخاطئة التى نسبت إليه... قال أوريجانوس فى ميمره الخامس والعشرين على الإنجيل للقديس لوقا «أنه من دواعى سرور أعدائى، أن ينسبوا إلىّ آراء لم أتصورها ولم تدر بخلدى».

ولذلك صار فى تاريخ العلامة أوريجانوس ما عرف فى حياته وما بعد حياته بالمشكلة الأوريجانية، وصار الرجل موضوعا للنقد بين المتحمسين له المدافعين عنه، وبين الذين هاجموه بشدة. على أن المؤرخين واللاهوتيين والعلماء والفلاسفة فى الشرق والغرب، فى العالم القديم وإلى اليوم، كلهم مجمعون على مكانة أوريجينوس العلمية والفكرية وأنه يعد فيلسوف زمانه، وأنه بين الشوامخ فى كل العصور، وأنه احتل مكانا فى القمة بين العلماء، وأنه صاحب مدرسة فكرية حية، كانت ومازالت عائشة فى تاريخ الفكر، وأن أوريجانوس يعد بين الخالدين الذين تركوا آثارا بعيدة المدى فى زمانهم وبعد زمانهم، وقد طبع بصماته محفورة واضحة على أفكار جميع من أحبوه ومن هاجموه. ومما يذكر للرجل أن الذين مدحوه والذين اتهموه بالزيغ أجمعوا على نبوغه وعبقريته كما على عفته وطهارة حياته، وسمو أخلاقه وزهده ونسكه ونقاوة سيرته.

وقد قال عنه تلميذاه الكسندروس أسقف أورشليم وثيوكتيستوس THEOCTISTUS أسقف قيصرية فلسطين أنه «أمير شراح الكتب المقدسة» كما وصفاه ولقباه بـ «أستاذ الأساقفة» وكان فرميليانوس FIRMILIAN أسقف قيصرية الكبادوك يفتخر بأن يدعو أوريجانوس أستاذه (١).

أما البابا ديونيسيوس (٢٤٦ - ٢٦٤)م الذى صار البطريرك الرابع عشر من بطاركة الكرسى الأسكندرى، فكان من أشد تلاميذة أوريجانوس تعلقا به، وكتب إليه بأن اسمه سيظل محبوبا ومحترما إلى الأبد. ولما مات أوريجينوس حزن عليه كثيرا البابا ديونيسيوس وكتب إلى ثيوكتيستوس أسقف قيصرية فلسطين، رسالة سجل فيها ما لأستاذه أوريجانوس من المآثر على الكنيسة المسيحية بعامة، وعلى شخصه بخاصة. وقال عنه يوسابيوس «كانت حياة هذا الرجل أفضل مفسر لعظاته (٢). كذلك وصف غريغوريوس أسقف نيصص بالكبادوك العلامة أوريجانوس بأنه «أمير الفلسفة المسيحية» ودافع عنه بمفيليوس دفاعا مجيدا فصنف وهو فى السجن دفاعا عن أوريجانوس قال فيه «أن لخصوم هذا الفيلسوف عقولا قاصرة عن الخوض فى عباب مباحثه الواسعة، وعاجزة عن إدراك سمو المعانى التى يرمى إليها من كان معلما للكنيسة بعد رسل السيد المسيح » (٣).

أما ايرونيموس (أو جيروم) فعلى الرغم من أنه يحسب من خصوم أوريجانوس إلا أنه شهد عنه فى إحدى رسائله قائلا : «لم يكن أوريجانوس مجرد كاتب عذب المشرب يرتاح له أمراء الكتاب المقدس، أو مجرد مؤلف فاق نظراءه بمؤلفاته الذائعة القطوف، بل كان بلا جدال المعلم الأول لجميع الكنائس بعد الرسل (الحواريين). ولا مشاحة فى أن آراءه تعبر عن المسيحية الأرثوذكسية التى لم يشبها ضلال. أما الذين استوقد الحقد ضلوعهم فاتهموه بالهرطقة فإن هم إلا كلاب كلبة» (٤).

وقال عنه ايرونيموس أيضا «أن خصوم أوريجانوس لم يستطيعوا إحتمال قوة بلاغته وعلمه، فقد كان إذا تكلم يبدو جميع الناس خرسا».

---

(١) يوسابيوس كتاب ٦ فصل ٢٦، ٢٧

(٢) يوسابيوس كتاب ٦ فصل ٣ : ٧

(٣) فوتيوس ف ١١٨ - وايرونيموس فى (مشاهير الرجال) ف ٧٥

(٤) رسالة ايرونيموس (جيروم) الـ ٣٣ لبولام

رحلات أوريجانوس

نحن لا نستطيع أن نحدد على وجه الدقة كما نريد تواريخ الأحداث الهامة فى حياة أوريجينوس فى غضون السنوات التى قضاها بالأسكندرية. ونحن نعرف فقط أن العلامة أوريجينوس كان قد أتيح له مرارا أن يقوم برحلات. ويخبرنا يوسيبيوس عن رحلة قام بها أوريجينوس إلى روما فى زمن باباوية زفيران ZHPHYRINUS (١) وكان غرضه من هذه الرحلة رغبته فى أن يرى تلك الكنيسة القديمة غاية القدم، وقد أتيح له فى هذه الرحلة أن يسمع وعظ هيبوليتس HIPPOLYTUS (١٧٠ – ٢٣٥)، ويخبرنا يوسيبيوس أيضا عن رحلة أوريجينوس إلى بلاد العرب بناء على دعوة من حاكمها الذى كان يرغب فى معرفة تعاليمه (٢). والمعروف أنه زار بلاد العرب مرتين :

الأولى فى حكم جورديان GORDIAN ليرد إلى الإيمان الأرثوذكسى الأسقف بيرلس BERYLLOS أسقف البصرة BOSTRA.

والثانية فى عهد فيلبس العربى، ليشهد مجمعا نوقشت فيه بعض المسائل الخاصة بمصير النفس بعد الموت، ولكى يدحض بدعة نادى بها بعض الناس وهى «موت النفس مع موت البدن» (٣).

وقد وصل إلى يدى يوسابيوس المؤرخ خطابان من أوريجانوس، أحدهما موجه إلى الأمبراطور فيلبس والآخر إلى الأمبراطوره SEVERN (٤)، والخطابان يشهدان بنفوذ أوريجانوس ومكانته الروحية واللاهوتية، وقد كان أوريجانوس فى هذا الوقت يعد على نوع ما معجزة الشرق فى علم اللاهوت.

وفى سنة ٢١٥م حدثت إضطرابات بالأسكندرية بمناسبة زيارة الأمبراطور غايوس كاراكلا CARACALLA (٢١١ – ٢١٧) الذى أثار إضطهادا ضد أوريجانوس، فاضطر الفيلسوف إلى مغادرة وطنه إلى قيصرية فلسطين حيث احتفى به المسيحيون هناك، ورحب به صديقاه وتلميذاه ثيوكتيستوس THEOCTISTUS أسقف قيصرية، والأسكندر أسقف ايليا ELIA أورشليم، وكانا فخورين بوجود رئيس مدرسة الأسكندرية معهما، وقد بادرا إلى دعوته للوعظ فى كنائسهما، وكانا يحثان المؤمنين على سماع مواعظه وشروحه، والإنتفاع بتعاليمه الروحية ولما علم فرميليانوس FIRMILIAN أسقف قيصرية الكبادوك بوجود العلامة أوريجانوس، دعاه

---

(١) يوسابيوس - تاريخ الكنيسة ٦، ١٤، ١٠

(٢) يوسابيوس - تاريخ الكنيسة ٦، ١٩، ١٥

(٣) تاريخ الكنيسة ك ٦ ف ٣٧

(٤) تاريخ الكنيسة ٦ ف ٣٦

أيضا لزيارته وإلقاء أحاديث دينية فى إيبارشيته، ولكن أوريجينوس لم يتمكن من تلبية الدعوة فور توجيهها إليه، فلم يتوان فرميليانوس عن أن يسرع بالحضور بنفسه إلى فلسطين ليستمع إليه وينتفع بتعليم من كان يفتخر بأن يدعوه أستاذه ومعلمه (١).

ولما كان أوريجانوس حتى ذلك الوقت من غير حملة الدرجات الكهنوتية، وكان قانون كنيسة الأسكندرية يمنع من لم يكن كاهنا أن يعتلى منبر الوعظ فى الكنيسة، فقد اعتبر ديمتريوس أسقف الأسكندرية تصرف أوريجانوس فى فلسطين مخالفة للقانون الكنسى، فاستدعى أوريجانوس إلى الأسكندرية ليأخذ مكانه كرئيس للمدرسة اللاهوتية فى الأسكندرية فأسرع أوريجانوس إلى تلبية الأمر الصادر إليه من أسقفه.

وفى سنة ٢٢٦ تلقى أوريجانوس دعوة من الإمبراطورة ماميا MAMAEA أم القيصر اسكندر سويرس SEVERUS (٢٢٢ – ٢٣٥) ليذهب إلى إنطاكية حيث كانت الامبراطورة تمر من هناك، وذلك لتتحدث إليه فى مسائل دينية، فلبى دعوة الإمبراطورة، وفى هذه المناسبة ألقى المواعظ ودروسا فى شرح الكتاب المقدس على الناس فسروا به سرورا عظيما (٢). ونحن لا نعرف أية تفصيلات عن هذه المقابلة.

وفى سنة ٢٢٨م أذن له ديمتريوس أسقف الأسكندرية بالذهاب إلى أخائية ببلاد اليونان لمقاومة بعض التعاليم المنحرفة عن التعليم الأرثوذكسى (٣).

ولما عاد أوريجينوس إلى الأسكندرية وكان متمكنا من تعليمه شرع فى تصنيف تفاسيره : ومن المحتمل أن يكون قد وضع بعض مصنفاته، بل أهمها أيضا، قبل سنة ٢١٨. لكن أعظم حقبة لإنتاجه الأدبى كانت تلك الفترة التى بدأ فيها يتعرف على رجل غنى من أتباع مذهب فالنتينوس يسمى أمبروسيوس، كان أوريجينوس قد رده إلى الكنيسة الأرثوذكسية. فتعلق أمبروسيوس بمحبته وجعل تحت تصرفه مبالغ طائلة وبفضله استطاع أوريجينوس أن يكون تحت يده أكثر من ٧ مختزلين Tachygraphes كانوا يكتبون ما يمليه عليهم أوريجينوس. وكانوا يتناوبون العمل فى فترات محددة. وكان له عدد من النساخ لا يقل عن ذلك، وفى نفس الوقت شبان متمرنون على حسن الخط Calligraphy (٤).

---

(١) يوسابيوس كتاب ٦ فصل ٢٧ – ايرونيموس فى (مشاهير الرجال) فصل ٥٤

(٢) يوسابيوس - كتاب ٦ فصل ٢١ : ٣، ٤

(٣) يوسابيوس كتاب ٦ فصل ٢٣، فقرة ٤

(٤) يوسابيوس - تاريخ الكنيسة ٦، ٢٣ : ٢ – ٣

ومرت فى حياة العلامة أوريجينوس فترة هدوء مليئة بإنتاج علمى خصيب وسوف نتناول هذا فيما بعد عندما نتكلم عن مؤلفات أوريجينوس، ويبدو أن هذه الفترة امتدت إلى إثنتى عشرة سنة أى بين ٢١٨ – ٢٣٠م. وفى هذا الوقت شرع أوريجينوس بشهادة يوسابيوس (١) فى رحلة جديدة إلى اليونان مارا بفلسطين. وفى أثناء هذه الرحلة، منحه صديقاه الفلسطينيان ثيوكتيستوس والأسكندر درجة الكهنوت بوضع أيديهما عليه. وكان هذا التصرف من بين الأسباب التى حملت الأسقف ديمتريوس أسقف الأسكندرية على أن يعتبر أوريجينوس متعديا على القوانين والقواعد الكنسية، فجمع مجمعا حكم بإدانته والحكم عليه بالنفى وبسقوطه عن كرسى أستاذيته وعن درجة القسيسية (٢). غير أن تفاصيل هذه الأحداث ليست واضحة تمام الوضوح. ويؤكد يوسيبيوس أن سبب فرز أوريجينوس هو أنه كان قد خصى نفسه قبل ذلك بقليل. ولما كان قانون كنيسة الأسكندرية يمنع رسامة الخصيان كهنة، فلم يكن ممكنا أن يعترف ديمتريوس بصحة الكهنوت الذى أُعطى لأوريجينوس، ويضيف المؤرخ يوسيبيوس زيادة على ذلك بأن الأنبا ديمتريوس كان فى الحقيقة غائرا من شهرة أوريجينوس، وأن أوريجينوس راح ضحية الأهواء البشرية (٣) ويبدو أن أسقف الأسكندرية سعى ليحصل على تأييد لتصرفه من جميع الكنائس الأخرى. وهذا على الأقل ماكتبه القديس ايرونيموس، وحكم الأسقف ديمتريوس على أوريجينوس، وقد صادق العالم كله على هذا الحكم بإستثناء أساقفة فلسطين وبلاد العرب وفينيقيا وأخائية، بل وروما نفسها عقدت مجلس شيوخها ضده لا بعلة الهرطقة ولا بسبب طرافة تعاليمه، ولكن لأنهم لم يستطيعوا إحتمال قوة بلاغته وعلمه، فقد كان إذا تكلم يبدو جميع الناس خرسا.

وقد احتمل أوريجينوس العاصفة بشجاعة، ولكن بألم ممض يظهر صداه فى تفسيره للفصل السادس من إنجيل يوحنا ٦ : ٢ وقد اضطر إلى أن يترك الأسكندرية نهائيا ولجأ إلى قيصرية فلسطين حيث أظهر أسقفها نحوه وفاء عجيبا. وهناك أنشأ مدرسة للتعليم المسيحى، لمع نجمها عاليا. وقد أصبحت فيما بعد قيصرية، لا الأسكندرية مركز حياة الكنيسة الفكرية. وربما كان عند أوريجينوس من الأسباب التى دعته إلى أن يؤمل بالعودة إلى مصر بعد موت ديمتريوس سنة ٢٣٢، أليس الأسقف الجديد هيراكلاس واحدا من تلاميذه؟ ألم يشترك معه فى إدارة المدرسة اللاهوتية ؟ لكن هذا الأمل الذى انعقدت عليه نفس العلامة أوريجينوس لم يطل به الأمر، فإن هيراكلاس Heracles جدد الحكم الذى كان أصدره الأنبا ديمتريوس.

---

(١) يوسابيوس - تاريخ الكنيسة ٦، ٢٣ : ٤.

(2)Photius. Biblioth. cod. 118

(٣) يوسابيوس - تاريخ الكنيسة ٦، ٨ : ٤

ورفض أوريجينوس أن يعود إلى وطنه ـ وقد شغل أوريجينوس أثناء إقامته بقيصرية فلسطين بثلاثة أمور...

أولاً : التعليم : ونحن نفهمه من كل جهة كما نعرف أيضا من خطاب المدح والشكر الذى وجهه إليه القديس أغريغوريوس العجائبى، الإعجاب المؤثر الذى تركه العلامة أوريجينوس فى نفوس تلاميذه.

ثانيا : تأليف كتبه : ولئن كان قد انقطع فترة لكنه أخذ يتقدم.. وقد شمل أبحاثا فى نصوص الكتاب المقدس، تفاسير، والدفاع عن العقيدة المسيحية، ولقد كتب أوريجينوس بغير إنقطاع، وكان عقله الكبير قادرا على أن ينتج فى كافة هذه الميادين.

ثالثا وأخيرا : الوعظ الشعبى : فقد قام أوريجينوس بوعظ الشعب بصبر لا يكل دام سنوات طويلة، شرح فيها لسامعيه جزءا كبيرا من الكتب المقدسة. ومع أن مواعظه لم تكن هى أهم أعماله، لكنها تلقى على الأقل ضوءا واضحا على الحياة المسيحية فى القرن الثالث.

ولكن يجب أن نضيف أيضا أنه قد اضطر إلى أن يدافع عن نفسه ضد الإتهامات الخطيرة التى وجهت إليه. وقد أورد Rufin فى كتابه De Adulternatione شذرة طويلة من خطاب كان وجهه أوريجينوس إلى أصدقاء له فى الأسكندرية، يشكو فيه من الملفقين الذين عدلوا وشوهوا بعض فقرات من كتبه، أو أيضا من الذين نشروا فى العالم المسيحى كتبا مزورة ليس من العسير أن نجد فيها ما يستحق السخط ـ كذلك يعرفنا القديس ايرونيموس بوجود خطاب آخر كتبه أوريجينوس إلى أسقف روما فابيانوس. يتهم فيه أوريجينوس صديقه أمبروسيوس بأنه تسرع ونشر أحد كتبه فى غير الوقت المناسب وقبل إتمامه، وربما كان هذا الكتاب هو كتاب المبادئ. وينقصنا الكثير من تفاصيل هذه الوقائع، ولكننا نعلم منها ما يكفى لأن يجعلنا نحكم بأن الحملات التى وجهت ضد العلامة أوريجينوس لم تهدأ بعد أن غادر الأسكندرية، وأن إقامته فى قيصرية وإن كانت خصيبة الإنتاج لكنها لم تخل من كثير من المنغصات.

ويحتمل أنه لفظ أنفاسه الأخيرة فى مدينة قيصرية فلسطين. ولو أن هناك تواترا ذكره فوتيوس، يروى أنه توفى فى مدينة صور Tyr وهناك أخذ الناس يزورون قبره إلى أمد طويل.

ومن العسير أن نعين على وجه الدقة الخطوط البارزة فى أخلاق أوريجينوس لأننا نجد فيها لأول وهلة علاقة وثيقة بين الهيلينية والمسيحية، تبدو كل محاولة لتبسيطها تكاد أن تكون مستحيلة، ومع ذلك إذا درسنا فى عناية كل مؤلفاته،وليس فقط أشهرها وأبرزها مثل المبادئ أو الرد على كلسس Contra Celsum يلزم أن نعرف أولا قبل كل شئ بأن أوريجينوس كان

مسيحيا، أو بعبارة أدق أنه ابن مخلص للكنيسة الأرثوذكسية، وكل تواليفه مشبعة بدراسة الكتاب المقدس وكل تفكيره مطعم ومشبع بقراءة وتأملات الكتب المقدسة، ولاشك أنه فسر الكتب المقدسة تبعا للمنهج الرمزى الذى خوّل له أن يجد ما يشاء من المعانى فى كل صفحة من صفحات الكتاب المقدس، ولكن فضلا عن أنه لم يكن هو المبتدع لهذا المنهج، فإنه أثبت فى كل مجال إهتمامه بأن يظل فى إستعماله مخلصا للتقليد الكنسى، وحبه للقانون الكنسى يتضح أولا من شدة إلتصاقه بالكنيسة وتعليمها، ومن كفاحه المستمر ضد الهرطقات، الكفاح الذى لم يتوقف أوريجينوس عن قيادته حتى نهاية حياته.

ولأول وهلة تجابهنا جرأة تفكيره، إذا اكتفينا فى الواقع بدراسة كتابه «فى المبادئ» ولكن يجب ألا ننسى أن مؤلفه العظيم عن المبادئ لم يقدم إلينا غير جزء يسير من تفكيره، وأن المبادئ بمثابة استهلال أودع فيه أوريجينوس حقائق الإيمان من جهة، والمسائل المشكلة من جهة أخرى. أما من جهة حقائق الإيمان فإن أوريجينوس يؤكد دائما إخلاصه لقواعد الإيمان. أما من جهة المسائل المشكلة فيظهر فيها استقلاله الفكرى، وهو لا يعرض حلولا بغير تحفظ، وكان دائما يصفها بأنها حلول مؤقته، وأنه باختياره يسمح لخياله أن يسبح فيصف مثلا مصير النفس بعد الموت وتجديد كل الأشياء. وهو يدعو إلى الأفكار الفلسفية التى درسها فى المدارس الهيلينية أو التى قرأها فى المؤلفات الكلاسيكية. ولكن مع ذلك كان يحرص على إخلاصه لتعاليم الكنيسة الأرثوذكسية ما وسعه ذلك.

هذا الطابع المسيحى أو بالحرى الكنسى نجده واضحا عنده، إذا درسنا على الخصوص العظات التى وعظها وهى كثيرة أثناء إقامته بقيصرية. وفيها نرى أوريجينوس يخاطب جموع المؤمنين، والبسطاء الذين يريد أن يكاشفهم بالكنوز المذخرة فى الكتاب المقدس. وواضح أنه يمكن أن يشرح لهم الأسرار المحفوظة للكاملين. لأن أوريجينوس يصر على أهمية تقسيم المؤمنين إلى نوعين. نوع لا يناسبهم إلا الإيمان البسيط الساذج، بينما أن الآخرين مدعوون إلى أن يبلغوا إلى الغنوسية المسيحية أو الإيمان الكامل. على أن غنوسية أوريجينوس ليست من طبيعة أسمى عن طبيعة البسطاء وعنده أن العلم لا يهدم الإيمان، ونحن نعرف أن اكليمنضس الأسكندرى لم يكن واعظا شعبيا على الرغم من كتابه الموسوم بعنوان «من هو الغنى الذى يخلص؟ على العكس من ذلك أوريجينوس فقد قام بدور الواعظ على الوجه الأكمل. وهو الكاهن الذى كرس نفسه لخلاص النفوس، أكثر من أن يكون فيلسوفا همه إقامة مذهب متماسك من اللاهوت العقلى.

تواليف اوريجانوس

لم يعرف العالم القديم مفكرا أو فيلسوفا خصب الإنتاج على نحو أوريجانوس. يقول عنه أبيفانيوس أسقف قبرص (١) أن لأوريجانوس أكثر من ستة آلاف مصنف. ويقول عنه ايرونيموس (أو جيروم) فى رسالته التى أرسل بها من بيت لحم إلى باليوم فى روما «أن القارئ مهما كان مولعا بالمطالعة لا يستطيع أن يتصفح جميع الكتب التى صنفها أوريجانوس وذلك لكثرتها (٢) ولعل من بين أهم تواليفه كتابه «فى القيامة» ثم كتابه «المتفرقات» وكتاب «فى المبادئ» περὶ Ἀρχῶν وكتاب «فى الصلاة» وكتاب «فى الاستشهاد» وفى سنة ٢٤٩ وضع أشهر كتبه «فى الرد على كلسوس» الأبيقورى CONTRA CELSUM إثباتا لصحة الديانة المسيحية، وفساد المبادئ الفلسفية الوثنية.

أما بالنسبة للكتاب المقدس ونقد النصوص ومقارنتها ببعضها بعضا، فقد استغرقت أبحاثه نحوا من ثمانية وعشرين عاما، وقد ضمنها فى خمسين مجلدا على ثلاثة أوضاع.

الوضع الأول ويشتمل على أربع ترجمات نظمت فى أربعة أنهار أو جداول هى : (١) الترجمة السبعينية (٢) ترجمة أكويلا (مسيحى من البنطس) (٣) ترجمة سيماخوس SYMMACHUS (مسيحى من فلسطين) (٤) ترجمة ثيئودوسيون (مسيحى من أفسس - والترجمة ترجع إلى سنة ١٨٠م).

الوضع الثانى، ويشتمل على ستة جداول أو أنهر، هى الترجمات الأربع السابقة مضافا إليها :

(٥) النص العبرى بحروف عبرية (٦) ثم نفس النص بحروف يونانية وعرف هذا الوضع بالهيكسابلا Ἑξαπλά أى السداسيات.

الوضع الثالث ويشتمل على ثمانية جداول أو أنهر، ولذلك تسمى بالمثمنة (OCTAPLA) Ὀκταπλά وهى النصوص والترجمات الست السابقة مضافا إليها (٧) الترجمة التى عثر عليها أوريجانوس فى قدر فى مدينة أريحا بفلسطين فى عصر أنطونيوس بن ساويرس (٨) والترجمة التى عثر عليها أوريجانوس بمدينة نيكوبوليس بفلسطين.

هذا إلى أن أوريجانوس وضع كتبا فى تفسير الأسفار المقدسة، وعظات لم يسمح لأحد بنقلها إلا فى سنيه الأخيرة، وقد بلغ ما نقله الناقلون مايزيد على ألف عظة.

---

(١) تاريخ الهرطقات : الهرطقة ٦٤ رقم ٦٣

(٢) رسالة ايرونيموس ٨٤ رقم ٨

فلسفة أوريجينوس

ومع أن أوريجينوس كان متمسكا بالتقليد الكنسى، إلا أنه لم يقتصر على ترديد ما يقول به التقليد. ولكنه كان يعمل جاهدا على استعماقه وتفسيره، وكان يستخدم فى ذلك كل المصادر التى قدمتها له الفلسفة اليونانية، ولقد درس أوريجينوس منذ شبابه المبكر، المذاهب الفلسفية، وبعد ذلك تابع دروس ومحاضرات أمونيوس سقاص Ammonius Saccas، حتى أنه يمكننا بدون مشقة أن نجد فى كتاباته ما تركته هذه المذاهب الفلسفية من أثر فى نفسه من الناحية الأدبية على الأقل، فنحن على يقين من أن أوريجينوس قرأ كثيرا من الأسفار والتراچيديات والكوميديات، وعندما ما نقرأ كتابه «الرد على كلسس Contra Celsum لا يسعنا إلا أن نذهل لكثرة الإقتباسات التى اقتبسها أوريجينوس من كتابات الأولين ولاشك أن عددا كبيرا من هذه الاقتباسات قد أخذ عن ملخصات، كان يعتمد عليها العلماء فى القرن الثالث وقبله بزمن طويل، فى دراسة مختلف المسائل المتعلقة بالتاريخ والجغرافيا والأخلاق والعلوم الطبيعية وما إليها، ولكن أوريجينوس اقتبس نصوصا أخرى من قراءاته الخاصة فى المصادر الأصلية من ذلك كتاب «فى أفلاطون» و «فى اليهود».

وهذا كله يكفى للدلالة على سعة معلوماته، ومن الإنصاف لأوريجينوس أن نضيف إلى هذا أن أكثر اقتباسات أوريجينوس واستشهاداته بالشعراء والمؤرخين قد وردت فى كتابه «الرد على كلسس Contra Celsum». من هذا الكتاب يتضح أن أوريجينوس جعل أهمية كبيرة لعلماء الأدب اليونانى، كما أن أوريجينوس قد أثبت فى هذا الكتاب أنه كان من حيث علمه منافسا كبيرا لخصمه الوثنى كلسس.

وأما فى الكتب الأخرى فيبدو أوريجينوس أكثر حذقا. لم يكن له وقت ليصرفه مع الشعراء والخطباء، على العكس من ذلك فإن الفلاسفة هم الذين جذبوا انتباهه، وهو يفضل أفلاطون على جميع الفلاسفة، ويعوزنا الوقت أن نذكر هنا جميع اقتباساته من المحاورات الأفلاطونية، وما يدين به أوريجينوس لمذهب أفلاطون. وهنا يلاحظ أن ينسب عادة إلى أوريجينوس، ولو فى شئ من المبالغة أحيانا أن مذهبه فيما يختص بالله وبالعالم مستقى فى جوهره من أفلاطون. والواقع أن مذهب أوريجينوس مذهب مسيحى فى حقيقته. ولكن التعبيرات التى استخدمها فى شرح مذهبه، نجدها فى أكثر الأحايين هى التعبيرات المستخدمة فى محاورات أفلاطون.

لقد درس أوريجانوس الفلسفة اليونانية، وقرأ كتب الفلاسفة اليونانيين، واستوعبها واستخدمها أيضا، واقتبس منها فى كتاباته، وكان يقتدى فى ذلك بأستاذه النابغة اكليمنضس الأسكندرى

الذى بلغ به إعجابه بفلاسفة اليونان أنه كان يعتقد فيهم أنهم تلقوا من الوحى الإلهى بعض ماقالوا به من الحق، ولم تكن أقوالهم فى الغالب تتعارض مع شريعة الله (١).

لكن أوريجانوس لا يشارك اكليمنضس حماسه الشديد للفلسفة اليونانية والحكمة البشرية، وليس هناك أمتع من متابعة هذا الخلاف الفكرى بين رئيسى المدرسة اللاهوتية فى الأسكندرية. فبقدر ما كان اكليمنضس ميالا إلى الثقة فى الفلسفة كان أوريجانوس يلح على بطلانها وعدم كفايتها إذا ماقورنت بالوحى الإلهى. يقول أوريجانوس : «إذا امتنعنا عن أن نطلب لمرضانا عونا من فلسفة أبيقور والأطباء الأبيقوريين الذين خلبوا عقولهم، ألا نكون على حق فى ذلك؟ إننا بذلك ننقذهم من المرض القاتل، الذى أرداهم فيه أطباء كلسوس بإنكارهم العناية الإلهية Providence وباعتبارهم اللذة هى الخير الأقصى (SUMMUM BONUM). كذلك أريد أن نمنع الذين جذبناهم إلى معتقداتنا من أن يعودوا إلى استعمال أدوية الفلاسفة الآخرين من أمثال (المشائين) الذين ينكرون العناية الإلهية، وينكرون أى علاقة بين الإنسان وبين الله (والرواقيين) الذين يعتقدون بل ويعلّمون جهارا بأن الله قابل للفناء. وأن جوهره مادى جسمانى، وأنه قابل للتغير وقابل للتشكل بجميع الشكول ثم يعتقدون أن جميع الأشياء ستفنى، والذين يعلّمون بتناسخ الأرواح، ويذلون الطبيعة العاقلة حتى يجعلوها تنتقل إلى العجماوات أو إلى جوهر عادم الحس» (٢).

ويضيف أوريجانوس سببا آخر لعدم ثقته بالفلسفة اليونانية، هو عجز هذه الفلسفة عن أن تُصلِّح من أخلاق تابعيها.. إن من فلاسفة اليونان وحكمائهم من يعلّمون تعاليم صالحة، ويكتبون فى نبل وسمو عن الخير الأعظم (الأقصى)، لكنهم يذهبون بعد ذلك إلى بيريه PIREE ليبتهلوا إلى (أرطاميس) كما لو كانت إلهة حقيقية. وليشهدوا الإحتفالات والأعياد التى تحتفل بها الجماهير الجاهلة.. يسمعهم الناس يتكلمون كلاما رائعا عن النفس ويصفون سعادتها على الأرض إذا سلكت بالحكمة، ثم يعودون فينسون هذه النظرات العالية التى كشفها الله لهم، ويقعون من جديد تحت تأثير الإحساسات الدنيا والحسيات المنحطة، ويقدمون ديكا ذبيحة لاسكولابيوس ESCULAPE (٣). إن المدافعين عن الفلسفة القديمة بالكاد، يمكنهم أن يذكروا إسمَيْ شخصين اهتديا إلى الإيمان الحقيقى وتابا عن أخلاقهما الرديئة هما فيدون PHEDON وبوليمون POLEMON وفيما عدا هذين الإثنين إنساق كل الآخرين إلى حياة الدنس والأنانية ولم يشغلوا أنفسهم بغير مناقشاتهم المذهبية.

---

(١) الرد على كلسوس ٥ : ٣ ثم فى سفر التكوين عظة ١٤ : ٣

(٢) الرد على كلسوس ٣ : ٧٥ قارن أيضا ٤ : ١٤

(٣) الرد على كلسوس ٦ : ٣

على أن أوريجانوس، وإن لم يشارك أستاذه اكليمنضس حماسه للفلسفة اليونانية، وكان ينقد الفلاسفة اليونانيين فى حرية تامة، ولا ينفك عن أن يعقد دائما مقارنة بين التعليم المسيحى وتعاليم الفلسفة العالمية الوثنية، مظهرا كمال التعليم المسيحى بإزاء نقص تعاليم الفلاسفة الوثنيين، مع ذلك فمما لاشك فيه أنه قد تأثر بالفلسفة اليونانية وبالفلاسفة اليونانيين، لا فى آرائهم ونظرياتهم التى كان يراها ناقصة بالقياس إلى الغنوسية الحقيقية الكاملة فى تعليم المسيح، ولكنه تأثر بالفلسفة اليونانية والفلاسفة اليونانيين فى طرح المسائل للبحث والمناقشة، وفى منهج البحث والعرض، وفى المنطق الجدلى، وتسلسل البرهان وكشف الأغاليط وما إلى ذلك، مما يدخل ضمن نطاق النظر العقلى، ومساندة العقيدة الدينية بأدلة عقلية يمكن أن يسيغها المفكر الذى لا يؤمن بالدين أو لا يأبه بالأسانيد المنقولة من الكتب المقدسة.

وبالنسبة للدين، كان أوريجينوس يميز فيه بين نوعين من الحقائق :

الحقائق الواضحة المسلمة، والمؤيدة بأسانيد من نصوص صريحة من الكتاب المقدس، ومن التقليد الكنسى المدون فى كتب الكنيسة المعتمدة - ثم الحقائق الأخرى التى قد ترد عنها إشارات فى الكتب المقدسة، ولكنها مفتوحة للدراسة ويمكن أن تناقش فى حرية بين المؤمنين.

أما بالنسبة للحقائق الأولى الواضحة والمسنودة بنصوص واضحة صريحة، فكان أوريجينوس يتمسك بها أشد التمسك. وأما فيما عدا ذلك فقد كان يبدو جريئا فى فرض الفروض الكثيرة، وفى فتح باب الاجتهاد، وتخريج المعانى المتسعة غير المتزمته، وهو ما يعرف عند علماء التفسير بالمنهج الرمزى، الذى لا يلتزم ولا يتشدد ولا يتشبث باللفظ فى حرفيته، وإنما يمتد فى فهم اللفظ إلى مدلولات معنوية تبعد قليلا أو كثيرا عن حرفية النص.

أما تأثير أرسطو على أوريجينوس، فأقل ظهورا، ولو أنه من المستحيل مع ذلك إنكاره. فكثيرا ما يبدو أوريجينوس متأثرا بأرسطو فى وضعه للمشكلات الكبرى الخاصة بالإنسان وبالأخلاق، ولو أنه لا يشير إلى أرسطو صراحة. ثم هو يتبنى الحلول التى وردت فى كتاب «فى النفس» DE ANIMA وفى كتاب الأخلاق إلى نيقوماخوس.

والرواقيون يحتلون مكانة كبيرة فى تكميل وعرض مذهب أوريجينوس. ولاشك أن العلامة الأسكندرى أوريجينوس قد قرأ ودرس كتب كريسبوس وزينون، ولابد أن وقعت بين يديه أيضا الكتب المتأخرة التى نجد فيها التطورات التى أدركت النظرات الأولى. خصوصا وقد عاش أوريجينوس فى وسط كان متأثرا جدا بالمذهب الرواقى. فالمصطلحات الفلسفية فى القرن الثالث كانت مليئة بتعبيرات. ترجع فى أصلها إلى تعليم أصحاب الرواق والتى وإن خضعت للإستعمال السائد، لكنها احتفظت بشئ من إستعمالها القديم أو الأول. وعندما يصرح أوريجينوس بأرائه فيما يتعلق بأصل الأشياء وتجديد الأشياء وعندما يعالج موضوع أجزاء النفس البشرية، والحياة الأخلاقية، فإننا نرى عنده صدى المذهب الرواقى.

أما المدارس الفلسفية الأخرى فأثرها على تفكيره أقل شأنا، ويعتقد مؤرخو الفلسفة أنه يوجد فى مواضع متفرقة من مؤلفاته اقتباسات أكثر أو أقل صراحة، من أبيقور وسكستوس أمبيرتيوس، وإشارات إلى قضايا كارنياد Carneade وكليتوماك Clitomaque، وليس شئ من هذا بعيدا عن التصديق لأن حب أوريجينوس للاطلاع كان حبا لا يعرف حدودا، ولكننا نعلم أيضا أنه كان يصرح باحتقاره لأبيقور وأنه كان يرى فيه معلما للكفر والخلاعة، كذلك نعلم عنه أن مذهب الشكاك Scepticism (e) عند الأكاديمية الجديدة لم يكن يناسب تفكيره الطامح إلى اليقين.

وهنا يجب ألا ننسى أن أوريجينوس يكتب هذا وهو فى مجال الدفاع، والرد على المسائل التى يثيرها كلسس، ولكن أكليمنضس لا يمكن أن يكتب على هذا النحو، الذى كتب به أوريجينوس، لأن أوريجينوس لم يكن يثق فى الفلاسفة ثقة أستاذه اكليمنضس. لقد كان أوريجينوس لا يرى فى الفلاسفة العصمة من الخطأ ثم أنه كان شديد التمسك بالتعليم المسيحى، كلما عمد إلى المقارنة بين التعليم المسيحى وتعاليم الفلسفة العالمية. فقد كان يريد أن تكون آراؤه أرثوذكسية. ولذلك كان دائما لا ينفك عن أن يضبط أفكاره ويحكمها فى النطاق الكنسى. أما منهجه فكان منهج البحث الحر.

وإذا كان أوريجينوس ينقد النتائج التى وصل إليها الفلاسفة فلأنه كان واثقا من أن عنده فلسفة أفضل. ولكن لننتبه إلى المعنى الحقيقى المقصود من هذا التعبير. أن المسيحية عند أوريجينوس حكمة، وتؤلف مذهبا متماسكا، حقا أن جميع المؤمنين لا ينظرون إلى المسيحية على هذا النحو، فكثيرون منهم وهم البسطاء أو السذج يكتفون بالإيمان ولكن الكاملين وحدهم هم الذين يتمكنون من الارتقاء إلى الغنوسية (العرفانية) المسيحية. لكن إذا كان البسطاء على يقين من الخلاص فإنهم بعيدون عن الكمال الذى يطمح إليه الغنوسيون. هذا التقسيم للمؤمنين إلى فريقين، موضوع هام فى مذهب أوريجينوس ولذلك نفرد له فصلا خاصا به.

البسطاء والكاملون

أقام اكليمنضس قبل أوريجينوس نظرية واضحة فى التمييز بين الإيمان والغنوسية أو العرفانية. وقد رجع أوريجينوس إلى نفس النظرية، واعتمد عليها فى نظريته فى ثنائية المعانى التى اكتشفها فى الكتب الموحى بها من الله. أما بالنسبة لبسطاء المؤمنين فيكفيهم المعنى المادى. وأما الكاملون فينبغى أن يذهبوا إلى أبعد من هذا وينفذوا إلى الأسرار المختفية وراء الرمز والمجاز. ففى كل مناسبة يعود أوريجينوس إلى هذه الفكرة، ولو أننا نستطيع أن نقرر فى نفس الوقت، أن سامعى مواعظه لم يكونوا يسيغون هذه الفكرة فى غير مشقه كبيرة «يسألون ماذا يريد هذا الباحث عن رموز الكلمات ؟ ما الفائدة من البحث عن المشاكل فى كل مكان من أجل تجنب شرح الشئ المكتوب ؟ كيف يسعى إلى أن يبين لنا أن هناك نجوما بيننا ؟» (١) يقال لى : لا تستعمل إذن المجاز، لا تفسر بواسطة الرموز (٢) وكثيرا ما يضطر الخطيب إلى أن يدافع عن نفسه ضد الحملات التى تبدو عنيفة جدا «إذا ما شرعت فى فحص كلمات الأقدمين وأن أطلب فيها معنى روحيا، وإذا ما بذلت جهدى فى أن أزيل القناع عن الشريعة وأن أبين أن ما هو مكتوب إنما هو مجازى، فإنى أحفرآباراً. لكن أصدقاء الحرف يرمونني فى الحال بالإتهامات. إنهم ينصبون لى الفخاخ، إنهم يسببون لى الضغائن والاضطهادات بحجة أن الحقيقة لا يمكن أن تنال إلا على الأرض (٣).

هذه المعارضات لم تمنع أوريجينوس من أن يصر على رأيه، فبعد أن ذكر فى كتابه «الرد على كلسس» أن البسطاء الذين كسبتهم الديانة المسيحية يفوقون كثيرا أحكم حكماء الوثنية فى طهارتهم وشجاعتهم عمد إلى أن يثبت أن المسيحية تحتفظ للكاملين بتعاليم سامية : يقول أوريجينوس «أنه من الخير جدا، وفقا لتعليمنا (المسيحى) أيضا، أن نأخذ العقائد بالعقل والحكمة، أكثر مما نأخذها بالإيمان البسيط. فإذا تطلب الكلمة فى بعض الأحوال الإيمان البسيط، فلكى لا يدع الناس بغير عون بالكلية وهذا ما نراه فى كلمات بولس تلميذ يسوع بالحقيقة «لأنه إذ كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة»(٤) ومن هذا يتضح جليا أنه ينبغى أن يعرف الله فى حكمة الله، ولكن حيث أن ذلك لم يتم فقد سر الله فى الدرجة التالية أن يخلص المؤمنين لا بالجهالة فقط، بل بالجهالة من حيث هى فى الكرازه، وقد فهم بولس ذلك جيدا عندما قال : «نحن نكرز بالمسيح مصلوبا لليهود عثرة ولليونانيين جهالة»، وأما للمدعوين يهودا ويونانيين فالمسيح قوة الله وحكمة الله» (٥).

---

(١) فى سفر اللاويين، عظة ١٦ : ٤ (٢) فى سفر اللاويين عظة ٦ : ٨

(٣) فى سفر التكوين، عظة ١٣ : ٤ قارن «فى سفر العدد عظة ١٢ : ٢

فى سفر المزامير ٣٦ عظه ٥ : ١، فى إنجيل لوقا، عظة ٢٣ (٤)١. كو ١ : ٢١

(٥) (الرد على كلسس ١ : ١٣) مجموعة الأباء اليونانيين مجلد ١١ عمود ٨٠ م – ١. كو ١ : ٢٣ ، ٢٤.

هذه التفرقة أو هذا التمييز يمكن أن يكون معقولا : أليس صحيحا فى الواقع أن ليس جميع المؤمنين ملزمين باستعماق التعليم الذى تعلمهم به الكنيسة ؟ إن الغالبية العظمى منهم يكتفون بالإيمان، على نحو عام. ولكن بعضا منهم فقط هو الذى يدرس أو يبحث، لأن علم اللاهوت علم مقصور فى الواقع على صفوة الناس، ولكن يبدو أن أوريجينوس كان يقصد شيئا آخر أقل بساطة ولو أنه أكثر عرضة للجدال والمناقشة.

ففى بعض فصول من تفاسيره وعظاته يتكلم أوريجينوس عن عوام المسيحيين ويصفهم بأنهم قادرون على أكثر تقدير على أن يتقدموا بعض التقدم نحو المعرفة (الغنوسية) أو أنهم أيضا لا يبحثون فيما وراء الحياة العملية وأنهم يكتفون بالتعليم الإعدادى وببعض الكتب الغثة (١). على العكس من ذلك الكاملون فإنهم قادرون على أن يتأملوا الحقائق العالية. وإذا كان من غير الممكن أن يوعظ الجسدانيون إلا بيسوع المسيح مصلوبا، فالمولعون بالحكمة الإلهية يمكن أن يتعلموا عن الكلمة الذى عند الآب. ففى المرتبة الأولى يوضع الذين يشاركون الكلمة الذى كان منذ البدء، وفى المرتبة الثانية يأتى الذين لا يعرفون شيئا إلا يسوع المسيح، ويسوع المسيح المصلوب، ويعتبرون أن الكلمة المتجسد هو كل شئ فى الكلمة ولا يعلمون شيئا إلا المسيح حسب الجسد (٢) أما من جهة فالكورنثيون الذين لا يستطيعون إحتمال إلا لبن الأطفال، ومن الجهة الأخرى فالأفسسيون القادرون على أن يتناولوا طعام الأقوياء (٣).

وإيمان البسطاء يعتمد على المعجزات أما إيمان الكاملين فيعتمد على تأمل الله. يقول أوريجينوس «من المحتمل أن يكون اليهود قد آمنوا بيسوع من جهة الأشياء المنظورة بسبب المعجزات. ولكنهم لم يؤمنوا بالأشياء الأكثر عمقا التى كان يقولها... وقد نجد نفس الاتجاهات عند كثير من الناس، إنهم يعجبون بيسوع عندما يتأملون تاريخه ولكنهم لا يؤمنون به إذا قدم إليهم حديث أكثر عمقا وأعلى منسوبا من منالهم. إنهم يعتبرونه إفكا وبهتانا» (٤).

كذلك الكاملون لأنهم يرون الله على نوع ما ولأن الكلمة قد أثارهم فإنهم يعلمون الحقائق الروحية. يقول أوريجينوس «أن الكلمة بالنسبة إلى الذين هم فى مرحلة التعليم الإعدادى، له عندهم صورة العبد حتى أنه يمكنهم أن يقولوا : لقد رأيناه ولم يكن له صورة ولا جمال. أما بالنسبة إلى الكاملين فهو آت فى مجد أبيه، ويمكنهم لذلك أن يقولوا : لقد رأينا مجده، مجدا كما لابن وحيد لأبيه مملوءا نعمة وحقا» (٥).

---

(١) مختارات من سفر حزقيال ٦ : ٦ - مجموعة الأباء اليونانيين مجلد ١٣ عمود ٧٨٥.
(٢) فى يوحنا ٢ : ٣ ، ٢٧ - ٣١ - مجموعة الآباء اليونانيين. مجلد ١٤ عمود ١١٣
(٣) فى حزقيال - عظة ٧ : ١٠ مجموعة الآباء اليونانيين - مجلد ١٣ عمود ٧٢٦ - ٧٢٧
(٤) فى يوحنا ٢٠ : ٣٠ مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ١٤ عمود ٦٤٤
(٥) فى متى ١٢ : ٣٠ - مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ١٣ عمود ١٠٤٩

وفاة أوريجانوس

وفى عام ٢٣٥م ثار اضطهاد مكسيميانوس MAXIMIAN ملك طراقيا ضد المسيحيين، ومع أنه كان إضطهادا محليا لكنه كان شديدا. وقد ضربت كنيسة قيصرية فلسطين فاعتقل القسيس بروتكتيتوس ثم امبروسيوس. وقد وجه إليهما أوريجانوس رسالة مؤثرة بعنوان «الحض على الإستشهاد» وهى تشتمل ضمن محتوياتها على ما سبق فأرسله إلى أبيه ليونيداس عندما اعتقلوه وصادروا أملاكه. ونجا أوريجانوس ولم ينله العذاب فى هذا الإضطهاد، وهناك تواتر ليس له ما يسنده يزعم بأن أوريجينوس لجأ أثناء الإضطهاد إلى قيصرية كبادوكية عند إمرأة مسيحية تسمى يوليانا، وهذا التواتر يفتقر إلى التأييد.

وفى عام ٢٥٠ ثار إضطهاد الأمبراطور ديسيوس DECIUS ولم يكن الإضطهاد فى هذه المرة محليا، وإنما كان حربا شعواء أعلنت على المسيحية ورؤسائها فى كل أنحاء الإمبراطورية للقضاء عليها تماما. فقد كان ديسيوس يمقت المسيحيين مقتا شديدا، ولما كان أوريجانوس من أبرز مشاهير المسيحيين فقد وجه الأمبراطور نحوه إهتماما خاصا، معتقدا أنه إذا قضى عليه تهدم بناء المسيحية بكماله، وكانت آراء أوريجانوس وكتاباته عن الإستشهاد معروفة، فلم ينج هذه المرة، فقبض عليه الوثنيون فى فلسطين، وكان شيخا، وأودعوه السجن وقيدوه وثقلوا عنقه بالحديد، وأذاقوه العذاب ألوانا. عذابات بالحديد، وعذابات بالسجن فى أعماق الحبوس المظلمة، إلى أيام كثيرة. ووضعوا قدميه فى جفون حتى الثقب الثالث، وتوعدوه بحرقه بالنار (١)، لعله يكفر بدين المسيح، غير أنه على الرغم من شيخوخته لم تلن له قناة بل ظل صامدا صابرا ثابتا وكأنه الطود الأشم.. وحدث أن مات القيصر ديسيوس سنة ٢٥١م فأطلق سراح أوريجانوس من سجنه، واستأنف نضاله وجهاده، واعظا وكاتبا ومعلما وحكيما إلى سنة ٢٥٤م وكان قد بلغ سن ٦٩ سنة، فمات فى عهد غالوس Gallus فى مدينة صور TYRE بفلسطين، ويعتبر أوريجانوس لذلك بين «المعترفين». و (المعترفون) فى المصطلح المسيحى الكنسى هم الذين ذاقوا آلام الشهداء وعذاباتهم ولكنهم عاشوا بعد ذلك فترة ثم ماتوا.

وقد اهتم المسيحيون فى فلسطين بجثمان أوريجانوس، فدفنوه فى الكنيسة إزاء المذبح، وغطوا القبر بباب من الرخام، وكتبوا على القبر «هنا يرقد أوريجانوس العظيم». ومن ثم أخذ الناس يزورون قبره إلى أمد طويل. ويروى الكاتب غيليوم الصورى أنه شاهد القبر والباب الرخامى فى أواخر القرن الثانى عشر.

---

(١) يوسابيوس كتاب ٦ فصل ٣٩

من كتاب «المبادىء» للعلاّمَة أوريجينوسُ

الخطايا العظمى، والبتولية والزواج

تعلمنا الكتب المقدسة، بل وجميع الناس تعرف كذلك، أن الخطايا ليست متساوية، فتقول الكتب أن بعض الخطايا كبير، وبعضها صغير، ولما كانت الخطايا غير متساوية، صغيرة كانت أو كبيرة، فقد يسأل أى هذه الخطايا أعظم الكل... والمعتقد طبعاً أن أعظم الخطايا هى الزنى أو النجاسة أو أى دنس مرده إلى الشهوة، وحقاً أن هذه الخطايا قبيحة وشنيعة، لكنها ليست كتلك الخطية التى يستنكرها الآن الكتاب المقدس... ويعدها أعظم جميع الخطايا... وأنه يجب علينا أن نحترس منها. فما هى إذن أعظم جميع الخطايا؟؟؟... لا شك أنها الخطيئة التى أسقطت الشيطان... وما هى هذه الخطيئة التى تتردى فيها مثل هذه العظمة؟؟... الكبرياء... الغطرسة... الزهو... تلك هى خطيئة ابليس، فبسبب هذه الخطايا سقط من السماء على الأرض لأن الله يقاوم المستكبرين... أما المتواضعون فيعطيهم نعمة، (يع ٤: ٦).

ولماذا يتكبر التراب والرماد؟ ولماذا يرتفع الإنسان بالكبرياء ناسياً ماهو؟؟ وناسياً أن الوعاء الذى يحتويه والطين الذى غرق فيه سريع الفناء وأن الأقذار لا تنقطع عن جسده؟ وماذا يقول الكتاب المقدس؟ «لماذا يتكبر التراب والرماد» (يشوع بن سيراخ ١٠: ٩). «وقد أطرح أحشاءه مدة حياته» (يشوع بن سيراخ ١٠: ١٠).

فالغطرسة هى أعظم جميع الخطايا، إنها خطيئة ابليس العظمى. وعندما يصف الكتاب المقدس خطايا ابليس، يبين أنها تصدر جميعاً من أصل الكبرياء ... لأنه يقول «بقدرة يدىّ صنعت وبحكمتى لأنى فهيم، ونقلت تخوم شعب ونهبت ذخائرهم، وحطمت الملوك كبطل. فأصابت يدى ثروة الشعوب كعش، وكما يجمع بيض مهجور جمعت أنا كل الأرض» (أش ١٠: ١٣، ١٤).

أنظر إلى هذه الكلمات، من حيث هى كلمات كبرياء وكلمات غطرسة، وكأنه يعتبر العالم كلا شىء، فهذا هو كل ما يصدر عن الصلف والكبرياء ومادة الكبرياء هى الثروة والمناصب، ومجد الزمان الحاضر.

وغالباً ما تَسَبَّبَ الكبرياء عن الجهل بمعنى الرتب الكنسية ودرجات الكهنوت والشماسية، فكم من كهنة ينسون الإتضاع بعد سيامتهم، كما لو كانوا قد رسموا لكى يتوقفوا عن الإتضاع. كان يجب أن يتوخوا التواضع لأنهم حصلوا على رتبتهم حسب كلمات الكتاب المقدس «ازدد تواضعاً ما أزددت عظمة» (يشوع بن سيراخ ٣: ١٨ - ٢٠). قد انتخبتك الكنيسة، فاحن رأسك بإتضاع. قد أقمت رئيساً فلا ترتفع، بل كن بينهم كواحد منهم، يلزم أن تتضع، ويلزم أن تهان، ويلزم أن

تهرب من الكبرياء رأس جميع الرذائل، تأمل الإنجيل أى حكم أنزله بالكبرياء والتفاخر...، أما الفريسى فوقف يصلى فى نفسه، اللهم إنى أشكرك لأنى لست كسائر الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار. أصوم مرتين فى الأسبوع وأعشر كل ما اقتنيه وأما العشار فوقف من بعيد وكان لا يشاء أن يرفع عينيه إلى السماء بل كان يقرع صدره قائلاً اللهم أغفر لى فإنى خاطىء (لو ١٨: ١١ ـ ١٣) فنزل العشار إلى بيته مبرراً، وليس مبرراً على الاطلاق بل بالنسبة إلى الفريسى»(١).

لقد أمرنا النبى هذا الأمر «لا تستكبروا لأن من يرفع نفسه يتضع» لو ١٨: ١٤ وكذلك الرب بقوله «تعلموا منى فإنى وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم» (مت ١١: ٢٩)، علمنا أن لا نستكبر، هذه الخطيئة هى أكثر جميع الخطايا إنتشاراً بيننا. فنحن أحياناً نستكبر بدون موجب للكبرياء.. ومن دون أن يكون ثمت مجال لفعلها، وقد نتكبر فى أحيان أخرى مدفوعين بأسباب يبدو أنها معقولة أو مناسبة لكنها مع ذلك ليست صحيحة، ولكى أوضح رأيى أقول أن هناك إناساً يتباهون بأنفسهم بأنهم أبناء لبعض الرؤساء أو أنهم ينتسبون إلى عائلات تملك مناصب إجتماعية كبيرة فى العالم. إن هؤلاء الناس يتفاخرون بشىء لا طائل تحته. ولا إرادة لهم فيه، وليس لهم أقل تبرير أو شبه عذر فى تكبرهم على هذا النحو. وهناك إناس يتكبرون لأن لهم سلطاناً على حكم الناس. أو يتكبرون لأنهم يملكون ما يسمونه سيطرة كافية لقطع رقاب البشر... إن مجد هؤلاء «الناس فى خزيهم» (فى ٣: ١٩)، وآخرون يتفاخرون بغناهم، وليس هو الغنى الحقيقى وإنما هو غنى الأرض. وآخرون يفتخرون مثلاً بامتلاكهم منزلاً جميلاً أو كثيراً من الضياع. وليس شىء من هذا كله مقبولاً، إذ لا يجب التفاخر بهذا كله.

وأكثر تمويها من ذلك، أن يتكبر الإنسان لأنه حكيم أو لأن ضميره لم يتنجس منذ عشر سنين أو منذ طفولته. وآخرون يتفاخرون بأنهم حملوا القيود من أجل المسيح، ولنفترض هنا الاقتناع بأن المتكبر موافق للصواب، وأنه فى هذا كله يمكن أن يتكبر الإنسان من دون أن يخطىء ضد العقل السليم. ولكن ليس الأمر كذلك، إذ ليست الكبرياء أمراً معقولاً (أو مقبولاً). لقد كان يحق لبولس أن يتكبر بسبب الرؤى التى رآها أو بسبب تأملاته أو بسبب المعجزات أو العلامات التى صنعها. أو بسبب الأتعاب التى تحملها من أجل المسيح، أو بسبب الكنائس التى أسسها جاعلاً مبدأه الأسمى أن يؤسس كنيسة فى موضع لم يكن اسم المسيح يسمى فيه. لقد أعطاه كل هذا مادة ليفتخر، وله فى هذا عذر مقبول، إذا جاز هذا التعبير، حيث أنه يبدو خيراً للبعض أن يتكبروا، ولكن حتى فى مثل هذه الحالة لا يخلو التفاخر من خطر، ولذا فإن الآب الحنون الذى أنعم عليه بالرؤى والتأملات، أعطاه بمثابة عون ونعمة أن يلطمه ملاك شيطان حتى لا يتكبر.

---

(١) فى حزقيال «عظة ١١: ٢»، طبعة بيرنز Baehrens مجلد ٣ ص ٤٠٨، ١٦ ـ ٣١٠: ١.

يحذرنا المرتل من رذيلة تكاد ترديا جميعاً. وأنا لا أعرف إنساناً لم يدركه هذا الشر، فالإنسان الكامل من الندرة بمكان. يقول المرنم «كف عن الغضب وأترك السخط» (مز٣٧: ٨). إن هناك رذائل يسهل تجنبها كالنجاسة مثلاً يمكن أن يطرحها الإنسان لو أنه سعى جاهداً لأن يحفظ عفته.

وكثيرون بالمثل قهروا البخل، ومع أنهم لم يستطيعوا أن يتخلصوا تماماً من الرذائل الأخرى إلا أنه أمكنهم مع ذلك «أن يتجنبوا هذا الشر (البخل)، وشرورا أخرى معه، لكن رذيلة الغضب تلهب بقسوتها وحدتها حتى الذين يبدو أنهم حكماء بل وتقلقهم .

ويقول سليمان فى الأمثال «أما الحكماء فيصرفون الغضب» (أم ٢٩: ٨) فلا تدهش إذا اشتعل الغضب فى الأحمق والشرير والخائن. من حيث أنه كثيراً ما يهيج حتى الأخيار والحكماء. فهذه الخطيئة إذن هى إحدى خطايا الذين سيجلبون للبناء خشباً أو قشاً أو عشباً. ومن الضرورى - كما هو مكتوب - أن تمتحن مثل هذه المواد بالنار.

وأن نظل نحن فى النار إلى أن يحترق فينا خشب الغضب وعشب السخط وقش الكلمات التى ننطق بها ونحن فى ثورة هذه الرذيلة، فلتكف إذن عن الغضب، ولتترك السخط أى لا ترض هواك إذا أثارك الغضب، بل أوقفه واحتقره، أما نحن فعلى العكس من ذلك إذا تلقينا هذه الوصية واهتجنا، فلا نكف عن الغضب بل نكف عن الحلم، ولا نترك السخط بل نترك الوداعة. فنشرع منذ الآن على الأقل فى إصلاح أنفسنا وفى أن نطفىء الغضب تدريجياً، وذلك... بالعفة ... والمثابرة على التأمل... حتى نصل إلى أن نبتعد عن الغضب نهائياً.

البتولية والزواج

إذا أردت تفسيراً أخلاقياً (أو أدبياً) لهذا الفصل (لاويين ١ - ١ .. الخ) فلديك أنت أيضاً عجل. عليك أن تقدمه، وهذا العجل هو حقاً تقدمة ثمينة. أنه جسدك. فإذا أردت أن تقدمه هبة للرب، وأن تحفظه عفيفاً طاهراً، فتقدم به إلى باب الخيمة، المكان الذى يمكن أن تسمع فيه الكتب المقدسة. يجب أن تكون هبتك ذكراً لا تعرف الأنثى. وتبتعد عن الشهوة. وتهرب من سهولة الزلل، ولا تسمح بشىء من الفحش أو التخنث. كذلك ضع يدك على ضحيتك لكى تقبل من الرب. اذبحها أمام الرب، أى ضع عليها لجام العفة، ولا تنزع عنها نير التأديب. تمثل بالذى أخضع جسده للنير وقال «أقمع جسدى وأستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً» (١ . كو ٩ : ٢٧) اذبحها أمام الرب. أمت بلا تردد أعضاءك التى على الأرض، وليقدم أبناء هرون الكاهن دمك. يوجد فيك أنت أيضاً كاهن وأولاده. ففيك العقل وميوله. وهو ما

ندعوه بحق الكاهن وأولاد الكاهن لأن العقل وميوله هى وحدها التى تفهم الله والتى تستطيع معرفة الله.

فالكلمة الإلهية إذن تريد منك أن تتقدم لله بعاطفة مقبولة، وتقدم له جسداً عفيفاً طبقاً لما قال الرسول «ذبيحة حية، مقدسة، مرضية عند الله، عبادتكم العقلية» (رو ١٢: ١) وتقديم الدم على المذبح بواسطة خدمة الكاهن وأولاد الكاهن معناه الطهارة بالجسد والروح، فهناك قوم يقدمون بلا شك أجسادهم محرقة، ولكن لا عن طريق خدمة الكاهن، فهم يقدمونها لا بوحى ضمائرهم ولا بحسب القانون القائم فى فم الكاهن. فهم أعفة بالجسد لكن نفوسهم ليست عفيفة، فإما قد تدنسوا بشهوة المجد البشرى أو تنجسوا بمغريات البخل أو تلطخوا بشر الغيرة والحسد أو تدنسوا بحدة الغيظ أو الحقد أو الغضب. إن أمثال هؤلاء جميعاً، وإن كانت أجسادهم طاهرة لكنهم لا يقدمون محرقاتهم على يدى الكاهن وعن طريقة خدمته، لا تسكن فيهم الحكمة ولا الفطنة التى يتطلبها الكهنوت أمام الله. أنهم من هؤلاء العذارى الجاهلات اللواتى كن حقاً عذارى وقد حفظن عفة الجسد. ولكنهن لم يعرفن أن يضعن فى أوعيتهن زيت المحبة والسلام وسائر الفضائل الأخرى. ولهذا طردن من مخدع العريس. لأن عفة الجسد وحدها لا يمكن أن تبلغ بصاحبها إلى مذبح الرب، إذا لم تكن مصطحبة بالفضائل الأخرى، وبالخدمات الكهنوتية، فنحن الذين نقرأ هذه الأشياء ونعيها يجب علينا أن نهتم بأن نكون أطهاراً فى أجسامنا، مستقيمين فى أرواحنا، أنقياء فى قلوبنا، مهذبين فى أخلاقنا، وأن نتقدم فى أعمالنا، ونصحو بمعرفتنا ونكون كاملين فى إيماننا وأفعالنا وعقولنا وتصرفاتنا، حتى نستحق أن نكون مماثلين لذبيحة المسيح، والذبيحة الحية المقدسة المرضية أمام الله هى أولاً على ما يظهر، جسد بلا دنس، ولكن لأننا نرى بعض القديسين بل وأيضاً بعض الرسل كانت لهم زوجات، فلا يمكن أن نتصور أن هذا قيل عن البتولية، على الرغم من أنها تحتل المرتبة الأولى بين هذه الذبائح، كما كانت فى الناموس ذبيحة الكاهن غير ذبيحة الرئيس غير ذبيحة المجمع غير ذبيحة الفرد العادى. ومهما كان الأمر، فإن الذبيحة الأولى فى الكنيسة بعد ذبيحة الرسل هى ذبيحة الشهداء، والثانية هى ذبيحة البتوليين، والثالثة هى ذبيحة الزهاد. وأنى أعتقد أنه حتى بالنسبة للمرتبطين برباط الزوجية يمكنهم بمقتضى الرضى المتبادل بينهم أن يعكفوا إلى حين على الصلاة كما يفعل الناصريون الذين يوفون نذورهم على هذا النحو، إذا كانوا على الأقل يتصرفون فى سائر الأشياء ببر وقداسة، ويحرصون على قاعدة تقديم أجسادهم كذبيحة حية مقدسة مرضية أمام الله. ثم أن أجساد البتوليين والزهاد. إذا تنجست بدنس الكبرياء وأدران البخل والوقيعة. ونجاسة الكذب، فلا يجب أن تعد كأنها ذبيحة مقدسة مرضية أمام الله، طالما أنها بتولية الجسد فقط. لأنه فى الناموس عندما كانت تقدم الذبيحة كان الكاهن يفحص باهتمام ليس فقط لكى تكون الذبيحة

المختارة من بين الحيوانات الطاهرة بل وأيضاً أن تكون بلا عيب فى عينيها أو أذنيها أو قدميها فلا يقرب إلى المذبح المقدس حيواناً أعرج أو أعور أو أصم.

ولربما يقول لنا بعض الذين يتوصلون إلى معرفة ناموسنا أن الديانة المسيحية تعلم بمحبة الطهارة، حتى أنها تقول بأن يقطع الإنسان كل صلة بالمرأة إذا كان ذلك ممكناً، والواقع أن الرسول يقول بصريح اللفظ «حسن للرجل أن لا يمس إمرأة» (١ . كو ٧ : ١)، لقد كان لألقانا وهو الرجل البار الذى يقدمه لنا الكتاب المقدس مثلاً، إمرأتان فى وقت واحد، المرأة التى دعيت الأولى وهى حنة ولم يكن لها ولد، وعلى العكس من ذلك فننة كان لها أولاد كثيرون. وكان لها أنصبة كثيرة، وبينما أن الأولى لم تحصل إلا على نصيب واحد لأنها كانت وحيدة، وكانت تشكو عقمها. أفهل يجب إذن أن نشكو نحن أيضاً لأنه ليس لنا أولاد. وهل يجب أن تحزن عذارانا لأنهن يعشن بغير أولاد؟

إنى أتكلم على هذا النحو باسم الذين لم يبحثوا بحثاً كاملاً فيما يرد فى كتب العهد القديم والذين اعتادوا على أن ينساقوا لوساوسهم. أما بالنسبة إلينا، فحيث أننا نحاول أن نشرح نصاً صعباً (عسيراً) وأن نكشف لآذان الكنيسة ما هو مستور بحجاب. لأنه على قول الرسول، قد وضع حجاب على قراءات العهد القديم. وإنى أبتهل إليكم جميعاً أن تطلبوا من الرب فى صلواتكم، أن يتفضل فيرفع الحجاب الذى يستر عنا الدرس الذى نحن بصدده.

إن فننة تعنى التوبة، وحنة تعنى النعمة، وكل واحد منا إذا كان ينبغى أن يصير ملكاً لله، يجب أن يخدم هاتين العروسين، ويتزوج منهما يجب أن نأخذ أولاً بأنبلهما وأكرمهما وهى النعمة، فالنعمة فى الواقع هى أول عطايا الإيمان، كما يقول الرسول لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان (أف ٢ : ٨)، وبعد ذلك يلتصق بالثانية، وهى فننة أى التوبة. لأنه بعد نعمة الإيمان يأتى إصلاح الأخلاق وتوبة الحياة. هذا هو ترتيب الزواج لكنه ليس ترتيب الولادة.

هل من إنصاف للعلامة أوريجينوس؟

سؤال من السيد / ناصر صادق نصر - مصر الجديدة.

يقول سمعت كثيراً وقرأت عن أوريجينوس الذى تدعوه كنيستنا باسم العلامة أوريجينوس، بينما أن هناك كتباً أخرى لا تؤيد هذا الرأى، بل تدعوه هرطوقياً وتنسب إليه آراء هرطقية، هذا إلى أنه فسّر قول الإنجيل «ويوجد خصيان خصوا أنفسهم» تفسيراً حرفياً. وبالفعل خصى نفسه، ثم أنه نال شرطونية من غير أسقفه. ولذلك فإننى أرجو أن أعرف القول الفصل فى موضوع أوريجينوس الذى اختلفت حوله الآراء؟

الجواب :

سيظل موضوع أوريجينوس مشكلة معقدة لا حلّ لها يرضى جميع الأطراف، وسيبقى مسألة غامضة لا يجلوها إلاّ الله نفسه فى يوم الحساب العظيم.

والأمر الذى لا شك فيه، ولا جدال حوله، هو عبقرية أوريجينوس، وشخصيته الفذة التى جمعت فأوعت: روحانية عميقة، وعلما واسعاً، وعقلاً جباراً، وأستاذية نادرة، ورجلاً مكملاً بالفضائل الأخلاقية والذهنية والعلمية، بصورة يتيمة لا تتكرر فى التاريخ إلاّ فى حقب متباعدة تفصل بينها قرون وأجيال...

والمعروف عند جميع الدارسين، أن كل الذين تتلمذوا على العلامة أوريجينوس من آباء الكنيسة الكبار، كانوا معجبين به كل الإعجاب، ولقد أثنوا عليه فى كتاباتهم ثناء عاطراً نادراً، ومدحوه مدحاً سخياً وبغير تحفظ، ولقد حمدوا له صفاته الشخصية الروحية كما حمدوا له عبقريته الفكرية اللاهوتية، وحمدوا له أيضاً غيرته المسيحية الأرثوذكسية، وذكروا له بالإعجاب والفخر مقاومته للآراء الهرطقية، فضلاً عن المذاهب الفلسفية الوثنية المنتشرة فى زمانه، ومن بينها مذهب كلسوس Celsus الفيلسوف الأبيقورى الكبير، الذى تزعم مهاجمة المسيحية وكان يسخر منها، فانبرى له أوريجينوس بالبيان الشفاهى والكتابى حتى انهزم كلسوس أمام قوة حجته، وأعلن إقتناعه بدين المسيح، واعتنق المسيحية ووضع فى تأييدها كتبا.

ومن بين الهرطقات التى قاومها أوريجينوس بدعة ضد خلود النفس انتشرت فى بلاد العرب فى أيام فيلبس العربى، فذهب إليها، وحضر فيها مجمعاً واستطاع أن يهدى الضالين، وأن يواجه الهراطقة بالدليل والبرهان حتى أجهز على تلك البدعة وقضى عليها.. وغير ذلك الكثير صنعه أوريجينوس، وله الفخر أنه استطاع أن يرد إلى الإيمان الأرثوذكسى بريل أسقف البصره.

ولم يكن أوريجينوس، ذلك العبقرى الفذ، هو أعظم قادة الفكر بين المصريين وحدهم، ولا بين الأجانب المقيمين فى مصر فحسب، بل كان أعظم أهل زمانه فى كل بلاد الشرق، والغرب

أيضاً... حتى أنك لا تفتح كتاباً أو دائرة معارف شرقية أو غربية إلاّ وتجد اسم أوريجينوس يحوطه الإعجاب والإحترام والتقدير العظيم.. وهو يوصف عادة بأنه ألمع لاهوتى فى زمانه، ومن أعظم قلة معدودة فى تاريخ المسيحية بأسرها، أنه فاق فى شهرته أساتذته الأفذاذ، وقفز اسمه إلى قمة الشهرة التاريخية، وصار يعرف بـ (دكتور) الكنيسة الجامعة.

على أنّ مشكلة أوريجينوس الحقيقية هى عبقريته. أن عبقريته جعلت إنتاجه الخصب أبعد من مناله، فلم يكن له وقت ليراجع أعماله،... وأكثر كتاباته وربما كلها لم يكتبها بقلمه.. لكن كان له جيش من الهواة والأتباع والتلاميذ، بعضهم يكتب بقلم سريع ما يمليه عليهم الأستاذ العظيم، وبعضهم كان يأخذ ما يكتبه أصحاب القلم السريع (الإختزال) وينسخونه فى صحائف بخط واضح جميل... ولم يكن لأوريجينوس وقت يراجع فيه أقواله والكتابات التى ينقلها عنه بعض تلاميذه، ولا المخطوطات المنسوخة بالخط الواضح الجميل... ومع إمتداد حياته زاد إنتاجه الخصيب حتى صار يضم ألوفاً من الكتب، ولقد قال عنه القديس أبيفانيوس أسقف قبرص: أن قارئاً مهما كان واسع الاطلاع، لا يسعه الإلمام بكل مؤلفات أوريجينوس، لأن له أكثر من ستة آلاف كتاب...

وإذن فقد كان أمراً متوقعاً أن تحتوى الكتابات التى تحمل اسم أوريجينوس على أخطاء. ولا نعلم إذا كانت هذه الأخطاء هى من عمل تلاميذه أصحاب القلم السريع (الإختزال) أم من عمل تلاميذه النساخ، أم من عمل الفريقين معاً، كل فريق أسهم فى بعض تلك الأخطاء التى نسبت إلى أوريجينوس، مما احتوته الكتابات التى تحمل اسمه....

يضاف إلى هذا أنه كان من عادة بعض الهراطقة فى الأزمنة القديمة أن يقحموا آراءهم الهرطقية فى صلب كتابات عالم فذ مثل أوريجينوس، فى النسخة الخطية التى ينسخونها من تواليفه، وذلك لكى يكسبوا تأييدا لأفكارهم عند جمهور عريض من الناس يحترمون اسم أوريجينوس.

وإنصافاً لأوريجينوس، نقول، أنه هو نفسه كان يتنبه أحياناً لبعض أخطاء وقع فيها أو زل فيها لسانه: من ذلك رأيه فى أن نفوس الناس، أى أرواحهم، كانت موجودة وجوداً سابقاً قبل حلولها فى أجسادها بالولادة، وأنها لأخطاء ارتكبتها فى حياتها السابقة، عوقبت بأن حبست فى أجساد، لعلها بهذا الحبس فى الجسد ومعاناتها فى الأرض، تكفر عن خطاياها السابقة، ثم بهذا تتطهر فتعود إلى العالم الآخر مطهرة ... نقول أن هذه الفكرة أخذها أوريجينوس عن أفلاطون فى (نظرية المثل) وبرهن عليها من الإنجيل بسؤال تلاميذ المسيح لمعلمهم عن المولود أعمى «هل أخطأ هذا .... حتى ولد أعمى» (يوحنا ٩: ١، ٢) لكن أوريجينوس عاد واعتذر عن هذا الرأى، وأعلن عدوله عنه...

ومهما يكن من أمر، فهناك آراء خاطئة نسبت إلى أوريجينوس ووجدت فى كتاباته، ولكننا لا نعلم على وجه اليقين إذا كانت هذه الآراء الخاطئة مردها كلها أو بعضها إلى التلاميذ الذين كتبوا ففاتهم فكر الرجل فعبروا عنه خطأ، أو فاتتهم عبارات أو كلمات، فجاءت كتاباتهم صورة شوهاء لما قاله العالم الكبير، أو أن هذه الأخطاء جاءت من عمل النسّاخ الذين بحسن نية أو بسوء نية أضافوا أو حذفوا، فجاءت كتاباتهم مشتملة على أخطاء، صار أوريجينوس مسئولاً عنها، لأنه لم يكن لديه وقت لمراجعتها وتصحيحها. ولقد أمكنه - كما قلنا - أن يصحح بعضها، ولكنه لم يمكنه أن يصحح كل ما اتهمه به خصومه فيما بعد.

أما أنه خصى نفسه فهذه حقيقة، ولقد اضطرت الكنيسة أن تقف منه فى هذا الخطأ موقفاً حازماً. لقد تساهلت مع سمعان الخراز أو الدبّاغ الذى خلع عينه بالمخراز عندما أعثرته إمرأة ساقطة عرّت ساقها أمامه، لكن سمعان رجل بسيط، ولا يقتدى بعمله أحد نظراً لبساطته، أما أوريجينوس فهو علامة ومعلّم عظيم يمكن أن تتبعه الألوف. فكان لابّد من موقف حازم يعلن أن تصرف أوريجينوس كان تصرفاً خاطئاً حتى لا يتبعه فى عمله آخرون فيخصون أنفسهم مثله...

إن حرم الكنيسة لأوريجينوس مأساة تاريخية. ومع ذلك ليس فى مقدورنا الآن أن نصنع شيئاً لإعادة محاكمة أوريجينوس أو مراجعة الحكم عليه، لأن معلوماتنا عنه ناقصة فلم يبق من كتاباته إلاّ القليل، وفقد منها الكثير، ولسنا نستطيع أن نستعيد أحداث التاريخ بصورتها الحية التى عاشها المعاصرون لها، بما أحاطها من ظروف وملابسات ومفاهيم إجتماعية.

أن موضوع أوريجينوس، إذا أردنا إنصافاً له وللحقيقة، أن نستودعه يد الله الحاكم العدل، وهو الحق والحقيقة... وعزاؤنا أن أحكامنا على الأرض أحكام ابتدائية، ولكن هناك بعد الموت محكمة استئناف عليا، وفى يوم الحساب العظيم سيصير الحكم العدل الذى لا نقص فيه، وأمامه سيستدّ كل فم (رومية ٣: ١٩).

فلنترك قضية أوريجينوس بما فيها من حق ومن ظلم، بين يدى الله الديان العادل الذى «سيجازى كل إنسان على حسب أعماله» (متى ١٦ : ٢٧)، (رومية ٢: ٦).

أما نحن، فلا نملك إلاّ الإعجاب بكل صفات أوريجينوس الجميلة، ونحنى هاماتنا أمام عبقريته العظيمة، ونثنى على ما أسداه لنا ولكل الأجيال من خدمات ومعارف، مترحمين عليه، نسأل له الغفران عما عساه أخطأ فيه عن غير علم. فالله وحده المعصوم من الخطأ.

الفيلسوف

القديس أوغسطينوس

الفيلسوف القديس أوغسطينوس

يعد القديس أوغسطينوس أشهر وأعظم جميع الآباء الذين كتبوا باللغة اللاتينية سواء من الناحية الأدبية والفلسفية أو من الناحية اللاهوتية. وقد سيطر اسمه على الفكر الغربى حتى القرن الثالث عشر، وإن لم يفقد بريقه ولمعانه بعد ذلك على الرغم من الاتجاه الأرسطالى الذى إنتحاه توما الأكوينى ومدرسته، لأن تلك النزعة الأرسطاليسية لم تستطع أن تحط من قدر القديس أوغسطينوس أو تقلل من شأنه. لذلك كانت دراسة مذهب أوغسطينوس ضرورية لمعرفة تيارات الفكر فى العصور الوسطى. ونحن لا نزعم أننا نستطيع هنا أن نعالج هذا المذهب المعالجة الكاملة التى يستحقها، فلا أقل من أن نتكلم عنه فى شيء من الإيجاز.

ولد أوغسطينوس فى طاجسطا Tagasta فى مقاطعة نوميديا Numidia (١) فى ١٣ نوفمبر سنة ٣٥٤م من أب وثنى يسّمى باتريشيوس Patricius وأم مسيحية هى القديسة مونيكا Monica ، وقد ربته أمه تربية مسيحية، ولو أنها أجّلت معموديته بسبب إعتقاد خاطىء كان يسيطر على تفكيرها، فقد خشيت أن يعود ابنها فيتدنس بالخطيئة بعد معموديته(٢) ودرس القديس أوغسطينوس فى طفولته مبادىء اللغة اللاتينية والحساب على مدرس فى مدرسة طاجسطا، ولكنه كان يميل إلى اللعب أكثر مما يميل إلى الدرس. أما اللغة اليونانية التى بدأ يتعلمها فيما بعد، فقد كان يكرهها، ولو أنه كان يهوى أشعار هوميروس من حيث هى قصة. فليس صحيحاً أن أوغسطينوس كان يجهل اليونانية، ولكن الصحيح أنه لم يكن يقرأ اليونانية بسهولة.

وفى نحو سنة ٣٦٥م ذهب أوغسطينوس إلى مدينة مدورا Madaura وهناك أرسى أساس معرفته بآداب اللغة اللاتينية وقواعدها. وكانت مدورا لا تزال مدينة وثنية بالمعنى العريض. وكان للجو العام، بل ولدراسته للأدب اللاتينى القديم كان لهذا كله أثر واضح فى فصل الصبى أوغسطينوس عن إيمان أمه، فصلاً لم يستطع العام الذى قضاه أوغسطينوس فى طاجسطا عاطلاً عن أى عمل، وهو عام ٣٦٩ - ٣٧٠، أن يقلل من قوته أو شدّته. وفى سنة ٣٧٠ مات أبوه بعد أن صار مسيحيا، وبدأ هو فى دراسة الخطابة وذلك فى مدينة قرطاجنة وهى أكبر مدينة كان هو قد رآها. وهناك تأثر بطرق الخلاعة التى كانت سائدة ومنتشرة فى تلك المدينة، وهى ميناء شهير كما أنها قاعدة الحكومة فى ذلك الوقت، كما تأثر بالطقوس القذرة التى ارتبطت بها تلك الديانات والعبادات المستوردة من بلاد الشرق، هذا إلى أن أوغسطينوس نفسه كان قد أصبح رجلاً، وكانت تسوقه أهواء جامحة وشهوات عنيفة. كل هذه العوامل مجتمعة أدت

(١) وتدعى الآن سوق الأخرس فى بلاد الجزائر.

(٢) راجع كتاب الاعترافات للقديس أوغسطينوس. الجزء الأول فقرة ١٧.

إلى عزوفة عن أخلاقيات المسيحية ومثلها الروحية العليا، بل ولقد اتخذ أوغسطينوس له محظية عاشرها مدة تزيد على عشر سنين، وأنجب منها ابناً، وذلك فى السنة الثانية لوجوده بمدينة قرطاجنة، ولكن على الرغم من حياته المعوّجة الشاذة لم يهمل أوغسطينوس دراسته أبداً. بل كان فى الحقيقة طالباً ناجحاً جداً وموفقاً غاية التوفيق ولا سّيما فى الخطابة.

وحدث بعد ذلك أن قرأ أوغسطينوس كتاب شيشرون المسمى Hortensius (وهو اسم خطيب مشهور فى زمان شيشرون)، فإقتنع بوجوب البحث عن الحقيقة وقاده هذا إلى إعتناق مذهب المانوية (الذى أسسه مانى فى القرن الثالث، وقد نشأ المذهب فى بلاد الفرس، وكان خليطاً من عناصر فارسية ومسيحية) ذلك لأنه بدا لأوغسطينوس فى تلك المرحلة من حياته الفكرية أن مذهب المانوية يمثل فى نظره الحقيقة كما يقبلها عقله، إذ قارنها بتعاليم المسيحية وهى فى رأيه حينذاك تعاليم بربرية وغير منطقية، فالمسيحيون يؤمنون بأن الله هو الذى خلق العالم بأسره ويؤمنون أيضاً أن الله خير، فكيف يمكنهم إذن أن يفسروا وجود الشر والألم؟ أما المانويون فينادون بنظرية ثنائية مؤداها أن هناك مبدئين أساسيين، مبدأ للخير وهو مبدأ النور وهو الله أو أرموزد Ormuzd ، ومبدأ للشر، وهو مبدأ الظلام وهو اهريمان Ahriman هذان المبدأن أزليان أبديان. والصراع بينهما أزلى أبدى، وهو صراع قد انعكست صورته فى هذا العالم الذى هو نتاج المبدئين فى نزاع متبادل. فالنفس فى الإنسان، وهى تتألف من النور، هى من عمل مبدأ (إله) الخير، بينما أن البدن وهو يتألف من مادة أكثر كثافة هو من عمل مبدأ (إله) الشر. وقد راق هذا المذهب فى عينى أوغسطينوس إذ بدا له أنه يفسر مشكلة الشر، ونظراً أيضاً لأنه مذهب مادى فى جوهره. ذلك أن أوغسطينوس لم يستطع مع ذلك أن يتصوّر وجود حقيقة غير مادية لا تدرك بالحواس. ولما كان أوغسطينوس يعرف فى نفسه الأهواء والميول والرغبات الحسية فرأى أنه يمكنه إذن أن ينسبها إلى علّة شريرة خارجة عن نفسه. ثم أنه على الرغم من أن المانويين قد حرموا المعاشرة الجنسية وأكل اللحوم وأمروا بأعمال النسك كالصوم مثلاً إلاّ أن هذه الأعمال أو الممارسات كانت حتمية بالنسبة إلى المختارين، لا بالنسبة إلى السماعين الذين كان أوغسطينوس فى مثل مستواهم.

فأوغسطينوس إذن قد ابتعد عن المسيحية من الناحيتين الأخلاقية والذهنية. وفى سنة ٣٧٤ رجع إلى طاجسطا Tagasta وهناك أخذ يعلّم النحو وآداب اللغة اللاتينية لمدة عام واحد. وافتتح بعد ذلك مدرسة للخطابة فى قرطاجنة. وذلك فى خريف سنة ٣٧٤م. وعاش هناك مع محظيته وطفلهما أديوداتوس Adeodatus وحدث فى هذه الفترة أنه نال جائزة الشعر عن قطعة شعرية أو دراما لم يبق منها شىء حتى الآن وطبع كتابه الأول نثرا وهو «فى الجميل والملائم» De pulchro et apto.

واستمر أوغسطينوس في قرطاجنة إلى سنة ٣٨٣م. وحدث قبيل سفره إلى روما حادث على جانب من الأهمية. كان أوغسطينوس قد اعترضته صعوبات ومشكلات لم يجد لها عند المانويين جواباً، مثلاً مشكلة مصدر اليقين في الفكر الإنساني، ثم لماذا كان مبدءا الخير والشر في صراع أزلي أبدي... الخ وحدث أن جاء إلى قرطاجنة أسقف مانوي مشهور يسمى فاوستوس Faustus فصمم أوغسطينوس على أن يبحث معه تلك الإشكالات التي اعترضته لعله يجد منه حلاً مرضياً لها، ولكنه لم يجد في كلمات الأسقف المانوي ما يرضي عقله أو يقنعه. ولهذا فإنه عندما شرع في السفر إلى روما كان إيمانه في المانوية قد اهتز بعض الشيء. ورحل أوغسطينوس إلى روما لأن الطلبة في قرطاجنة كانوا فظاظاً خشنى الأخلاق ومن العسير ضبطهم وقيادتهم، بينما أنه سمع أخباراً جميلة عن سلوك الطلاّب في روما، وأيضاً لأنه كان يطمح إلى نجاح أعظم في حياته وذلك في عاصمة الأمبراطورية. ولما وصل أوغسطينوس إلى روما فتح مدرسة للخطابة ولكن مع أن الطلاّب كانوا مؤدبين وكان تصرفهم حسناً في فصول الدراسة إلاّ أنه كانت عندهم عادة سيئة، وهي أنهم يتركون المدرسة إلى مدرسة أخرى مباشرة قبل الموعد المحدد لدفع المصروفات المقررة. وبناء على ذلك سعى للحصول على منصب أستاذ للخطابة في البلدية في ميلان Milan وقد حصل عليه بالفعل في سنة ٣٨٤م ولكنه لم يترك روما إلاّ بعد أن فقد معظم إيمانه بالمذهب المانوي، وكان قد مال بالتالي إلى مذهب الشك الأكاديمي Academic Scepticism ولو أنه لم يزل منضماً بالاسم إلى المذهب المانوي وكان لا يزال مقتنعاً ببعض مبادىء المانوية ومنها على الخصوص مذهبهم المادي.

وفي ميلان Milan بدأ ينظر أوغسطينوس إلى الديانة المسيحية نظرة أفضل، وذلك بفضل عظات القديس أمبرسيوس أسقف ميلان والتي كان يلقيها عن الكتاب المقدس، ومع أن أوغسطينوس كان مستعداً أن يصبح مرة أخرى في عداد الموعوظين إلاّ أنه لم يكن مقتنعاً بعد بصحة الديانة المسيحية. ثم أن أهواءه كانت عنيفة وشديدة بحيث لا تسمح له أن يقبل أخلاقيات المسيحية. ورغبت له أمه أن يتزوج من فتاة معينة، مؤملة أن يصلح الزواج من حياته، ولما لم يكن في إمكانه أن ينتظر تلك الفتاة التي أرادتها له أمه وقتاً طويلاً. تعجل واتخذ له محظية أخرى بدلاً من تلك التي أنجب منها ولده أديوداتس Adeodatus ، ثم انفصل عن محظيته الثانية هذه آسفاً بسبب زواجه من الفتاة التي اقترحتها عليه أمّه. وحدث في هذا الوقت أن قرأ أوغسطينوس بعض رسائل أفلاطونية في ترجمتها اللاتينية التي قام بها فيكتورينوس-Victori nus وكانت هذه الرسائل على الغالب هي اينياديات Enneads أفلوطين. وكان للأفلاطونية المحدثة أثر واضح على أوغسطينوس فقد خلصته من أغلال المذهب المادي ومكنته من أن يقبل الحقيقة غير المادية. وزيادة على ذلك فإن مذهب أفلوطين في الشر باعتباره عدما وسلبا، وليس

شيئاً إيجابياً أبان له كيف يمكن أن تحل مشكلة الشر من دون حاجة إلى الرجوع لفكرة الثنائية التى نادى بها مذهب مانى الذى قال بإلهين، أحدهما للخير والثانى للشر. وبعبارة أخرى فإنه كان للأفلاطونية الجديدة دور هام فى هذه الفترة من حياة أوغسطينوس، هو أنها مكنته من أن يدرك أن المسيحية ديانة معقولة، وعلى ذلك بدأ يقرأ العهد الجديد، وخصوصاً رسائل القديس بولس الرسول. فإذاً كان فضل الأفلاطونية الجديدة عليه هو أنها أوحت إليه بالتأمل فى الروحانيات، وفى الحكمة بمعناها العقلى، فإن العهد الجديد كشف له كيف يلزمه أيضاً أن يحيا حياة مطابقة للحكمة.

وقد تأيدت هذه الإنطباعات فى نفسه بفضل مقابلته لرجلين اسم أحدهما سيمليكيانوس Simplicianus وأسم الآخر پونتيتيانوس Pontitianus . أما أولهما فقسيس شيخ حكى لأوغسطينوس قصة توبة فيكتورينوس Victorinus واهتدائه من الأفلاطونية الجديدة إلى الديانة المسيحية، الأمر الذى نجم عنه أن إلتهب (أوغسطينوس) برغبة حارة فى أن يفعل هو أيضاً ما فعله فيكتورينوس. هكذا قال أوغسطينوس فى إعترافاته(١) . أما الثانى وهو بونتيتيانوس فقد روى له حياة القديس أنطونيوس الكبير مما جعله ينظر إلى نفسه وإلى حياته الأخلاقية نظرة إحتقاراً وإشمئزازاً (٢) وبعد ذلك. مرّ أوغسطينوس بصراع نفسى عنيف، بلغ ذروته فى حادثة مشهورة وقعت لأوغسطينوس فى حديقة منزله حين سمع صوت طفل يصيح من أعلى سور الحديقة ويردد القول: خذ وأقرأ.. خذ واقرأ Tolle Lege.. Tolle Lege ففتح العهد الجديد كيفما اتفق وقرأ كلمات القديس بولس الواردة فى رسالته إلى كنيسة الله التى فى رومية «لنسلك بلياقة كما فى النهار لا بالبطر والسكر، لا بالمضاجع والعهر، لا بالخصام والحسد، بل البسوا البر بيسوع المسيح، ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات» (٣) . فكان لهذه الكلمات أعمق الأثر على نفسه، فصمم على التوبة تصميماً تاماً (٤) .

ومن هذا كله يتضح جلياً أن توبة أوغسطينوس كانت توبة روحية أخلاقية، وكانت تحولاً فى إرادته بعد أن تحوّل فى أفكاره وآرائه. لقد قرأ أوغسطينوس كتب الأفلاطونية الجديدة، فكانت قراءته لهذه الكتب سبباً فى تغيير أفكاره ونظراته العقلية، أمّا توبته الروحية والأخلاقية من الناحية الإنسانية، فقد مهدت لها مواعظ القديس أمبروسيوس وأحاديث كل من سيميليكيانوس ثم بونتيتيانوس، ولكنها تأيدت وتثبتت بقراءته للعهد الجديد. ومما زاد ألمه وصراعه النفسى وهو

---

(١) الإعترافات. جزء ٨ فصل ٥ : ١٠

(٢) الإعترافات. جزء ٨ فصل ٧ : ١٦

(٣) رومية ١٣ : ١٣، ١٤

(٤) الإعترافات جزء ٨ فصل ٨ ـ ١٢

فى مرحلة التوبة من الناحية الروحية والأخلاقية، أنه كان يعرف ما يجب عليه أن يفعله، ولو أنه من ناحية أخرى كان يشعر بأنه عاجز عن أن يفعل شيئاً، ومع ذلك عندما قرأ كلمات القديس بولس الرسول وهو فى الحديقة، وقع تحت تأثير النعمة وسلم نفسه لإرادة الله فتغيرت حياته وكان ذلك فى صيف سنة ٣٨٦م.

وأراد أوغسطينوس أن يستقيل من منصب الأستاذية نظراً لإصابته بمرض الرئة وما كان يعانيه من ألم، وذهب إلى كاسيكياكم Cassiciacum وهناك أخذ يقرأ ويفكر ويناقش بعض الأصدقاء محاولاً أن يصل إلى فهم أصح للديانة المسيحية وكانت وسيلته فى ذلك استخدام مدركات ومقولات مستقاة من الفلسفة الأفلاطونية الجديدة، فقد كانت نظرته إلى الديانة المسيحية لا تزال نظرة ناقصة نقصاً فاضحاً، ومشرّبة إلى أبعد حد بالفلسفة الأفلاطونية المحدثة، فى هذه الفترة من حياته كتب أوغسطينوس كتبه الثلاثة «الرد على الأكاديمين Con-tra Academicos»، ثم «فى الحياة السعيدة De Beata Vita»، ثم «فى النظام De Ordine»، ولما عاد أوغسطينوس إلى ميلان وضع كتابه «فى خلود النفس De Immortalitat Animae». كما كتب فى هذا الوقت كتاب «المناجاة Soliloguia» (مناجاة النفس للنفس) وشرع أيضاً فى تأليف كتاب «فى الموسيقى De Musica»، وفى يوم السبت الكبير (سبت النور) من عام ٣٨٧ نال أوغسطينوس سر العماد على يد القديس أمبروسيوس، وبعد ذلك شرع مباشرة فى العودة إلى أفريقيا، وحدث فى تلك الأثناء أن ماتت أمه فى أوستيا Ostia بايطاليا حيث كانت فى إنتظار المركب الذى يقلهما إلى أفريقيا فأرجأ أوغسطينوس عودته إلى أفريقيا، وأقام فى روما حيث وضع كتابه «فى حرية الإرادة، De libero arbitrio و «عظمة النفس، De Quantitate Animae و« أخلاق الكنيسة الجامعة وأخلاق المانويين، De moribus ecclesiao Catholicae et de moribus Manichaeorum.

وفى خريف عام ٣٨٨ أبحر إلى أفريقيا.

ولما عاد إلى طاجسطا أسس جماعة رهبانية صغيرة. وفيما بين ٣٨٨ - ٣٩١م وضع ثلاثة من كتبه وهى «فى سفر التكوين رداً على المانويين، Dw Genesi contra Manichaeos وكتاب «المعلم، De Magistro »، وكتاب « فى الديانة الحقيقية، De Vera Religione ثم أكمل كتابه «فى الموسيقى De Musica »، ومن المحتمل أن يكون قد هذّب أو أكمل كتابه «فى الأخلاق De Moribus »، الآنف الذكر. وفى كاسيكياكوم Cassiciacum صمم أوغسطينوس على عدم الزواج إطلاقاً، ولم يكن أوغسطينوس يرغب فى رسامته كاهناً، ومع ذلك فقد رسمه أسقف هيبو Hippo قسيساً رغم إرادته، وكان ذلك فى عام ٣٩١م، عندما زار أوغسطينوس هيبو ذلك الثغر الذى يبعد نحو مائة وخمسين ميلا إلى الغرب تماماً من قرطاجنة. وطلب

الأسقف معاونة أوغسطينوس له فاستقر أوغسطينوس فى هيبو وأسس هناك ديرا، وشغل بالنزاع مع المانويين، وألف كذلك كتاب «فى فائدة الإيمان» De utilitate credendi وكتاب «فى النفسين De duabus animab us" «وكتاب «النزاع على الثروة Disputatio Contra For-tunatum وكتاب «فى الإيمان والرمز» De Fide et Symbolo «ثم محاضرة عن قانون الإيمان» ألقاها أوغسطينوس أمام مجمع من أساقفة أفريقيا، وكتب المزامير رداً على فريق من الدوناتيين Psalmus Contra Partem Donati ثم شرع أوغسطينوس فى تأليف تفسير حرفى على سفر التكوين Genesis ، ولكنه لم ينجزه كما يدل على ذلك اسمه و «كتاب ناقص فى رسالة عن سفر التكوين » De Genesi ad litteram Liber imperfectus «كذلك كتاب «فى مختلف المسائل» De diversis queestionibus ، ٣٨٩ ـ ٣٩٦ وكتاب «الرد على أديمانتوس المانوى» Contra Adimantum Manichaeum «وكتاب «عظة الرب على الجبل» De ser-mone Domini in monte وكتاب «فى الكذب» Se Mendacio وكتاب «فى العفة» De Continentia «، وتفاسير مختلفة على رسالة ماربولس إلى الكنيسة فى رومية، ورسالة إلى الكنيسة فى غلاطية، كل هذه الكتب كتبها أوغسطينوس فى أوائل حياته الكهنوتية».

وفى ٣٩٥/٣٩٦م رسم أوغسطينوس أسقفاً مساعداً على مدينة هيبو، فأقام فى مقره مؤسسة رهبانية أخرى، وذلك بعد زمن قصير من رسامته أسقفاً. فلما توفى ڤاليروس Valerius أسقف هيبو فى سنة ٣٩٦م، أى فى مدى سنة من رسامة أوغسطينوس أسقفاً مساعداً، أصبح أوغسطينوس أسقفاً حاكماً على هيبو بدلاً من ڤاليريوس، وظل فى منصبه إلى يوم وفاته. وهذا معناه أنه كان على أوغسطينوس أن يجابه مسئوليته فى إدارة إيبارشية هيبو التى كان قد نشب فيها شقاق دينى بسبب مذهب الدوناتيين، ولم يعد قادراً على أن يكرس نفسه لحياة الهدوء فى الصلاة والدرس. على كل حال، فمهما تكن ميول أوغسطينوس ورغباته الخاصة، فقد أندفع أوغسطينوس بحماس شديد فى تيار مقاومة الدوناتيين، وذلك بالكرازة والجدل، والدفاع عن إيمان الكنيسة ضد بدعة الدوناتيين (والدوناتيون هم أتباع دوناتوس Donatus الذى تزعم حركة مقاومة ترشيح ورسامة سيشيليان Caecilian شماس كنيسة قرطاجنة أسقفاً على كنيسة قرطاجنة سنة ٣١١ بعد موت أسقفها. وقد بنى دوناتوس إعتراضه على قانونية الرسامة على أساس أن الدياكون سيشيليان كان من بين المسيحيين المرتدين وسلّم فى الأوانى المقدسة بل وفى الكتب المقدسة فى إبان اضطهاد ديوكلتيانوس، وأنه قد أظهر قسوة شديدة فى اضطهاد المسيحيين، واعتماداً على هذا الموقف انشق دوناتوس وجماعة كبيرة من أتباعه عن الكنيسة الجامعة وكان هو الإنشقاق الخطير الكبير الذى عانته الكنيسة فى القرون الأولى، وامتد نحو ثلاثة قرون وعقدت بسببه المجامع، ومع ذلك أصرّ دوناتوس وأتباعه على موقفهم. وعلى الرغم

من هذا النشاط وهذه المشاغل فقد وجد أوغسطينوس وقتاً كافياً لتأليف كتاب مثل سميليكانوس «في مختلف المسائل De diversis qua estionibus ad Simplicianum»، في سنة ٣٩٧م، كما وضع جزءا من كتابه «في العقيدة المسيحية De Doctrina christiana»، وقد وضع الجزء الرابع من الكتاب في سنة ٤٢٦، ووضع أيضاً جزءاً من كتاب «الاعترافات»، وقد نشر الكتاب كله سنة ٤٠٠م وكتاب «تفسير سفر أيوب Annotationes in Job»، كذلك تبادل أوغسطينوس رسائل جدلية مع العلامة القديس أيرونيموس في مسائل تتصل بالكتاب المقدس.

وفي سنة ٤٠٠ شرع القديس أوغسطينوس في تأليف كتاب من أهم كتبه ويتألف من ١٥ (خمسة عشر) جزءا وهو كتاب «في الثالوث De Trinitate»، وقد أكمل الكتاب في سنة ٤١٧. وبدأ القديس أوغسطينوس في تأليف الإثني عشر جزءاً من كتاب «في الشرح الحرفي لسفر التكوين De Genesis ad litteram»، وأكملها في عام ٤١٥م. وفي عام ٤٠٠ أيضاً ظهر للقديس أوغسطينوس كتاب «في تعليم الناشئين De catechizandis»، «وكتاب في إتفاق البشيرين De consensu Evangelistarum»، وكتاب «في خدمة الرهبان De Opera Monachorum»، «وكتاب الرد على فاوستوس المانوى Contra Faustum Manichaeum»، وهو من ٣٣ ثلاثة وثلاثين جزءا ثم الجزء الأول من كتاب «الرد على رسائل بيتيليانى Contra litteras Petilia-ni»، وبيتيليانى هذا هو أسقف سيرتا Cirta وهو من الدوناتيين. وأما الجزء الثانى من هذا الكتاب فكتبه أوغسطينوس سنة ٤٠١ ـ ٤٠٢م ـ وكتب الجزء الثالث سنة ٤٠٢ ـ ٤٠٣م. وبعد ذلك وضع أوغسطينوس كتباً أخرى في الرد على المانويين منها كتاب «الرد على كريسكونيوس النحوى، وهو من شيعة الدوناتيين Contra Cresconium grammaticum partis Donati»، وكان ذلك في سنة ٤٠٢م. وفضلاً عن هذا المجهود الجدلى كان أوغسطينوس يقوم بالوعظ والتعليم وتدوين الرسائل ومنها الرسالة إلى ديوسقورس Dioscorus (الرسالة ١١٨) ويرجع تاريخها إلى عام ٤١٠ ـ فيها أجاب أوغسطينوس على بعض أسئلة تختص بشيشرون، ويظهر من إجاباته آراؤه عن الفلسفة الوثنية، كما يظهر منها ميله الواضح إلى الأفلاطونية المحدثة.

وقد صدرت مع الوقت مراسيم امبراطورية ضد الدوناتيين، ونحو سنة ٤١١م أى بعد المؤتمر الذى انعقد في ذلك الوقت بدأ أوغسطينوس يوجه عنايته إلى خصوم آخرين وهم البيلاجيون، أتباع بيلاجيوس الراهب الإنجليزى الذى بالغ في إظهار الدور الذى يقوم به الإنسان في أمر خلاصه، وقد قلل من شأن النعمة، وأنكر الخطيئة الأصلية. وكان بيلاجيوس قد زار قرطاجنة في عام ٤١٠ وفي صحبته كولستيوس Coelestius وفي عام ٤١١م بعد أن رحل بيلاجيوس إلى الشرق، انعقد مجمع قرطاجنة وحكم على كولستيوس بالحرم. وقد حاول بيلاجيوس أن يؤيد

هرطقته بنصوص اقتبسها من أوغسطينوس فى كتابه « فى الحرية De Libero arbitrio » لكن أوغسطينوس أبان موقفه فى وضوح تام فى كتابه «إلى مارسيلينوس فى استحقاق الخطايا وغفرانها وفى معمودية الصغار De peccatorum mertitis et remissione, et de baptismo parvulorum, ad marcellinum".

وأتبعه بكتاب آخر فى عام ٤١٢م باسم «الروح والحرف De spiritu et littera » وبعد ذلك بكتاب آخر فى عام ٤١٣م باسم «فى الإيمان والأعمال De fide et operibus »كما وضع فى عام ٤١٥ كتاب «فى الطبيعة والنعمة رداً على بيلاجيوس De natura et gratia contra pelagium» وكتاب «فى كمال العدالة البشرية De perfectione iustitiae hominis» ولم يقنع أوغسطينوس بمباحثاته ضد البيلاجيين، فبدأ فى عام ٤١٣ يكتب كتابه «فى مدينة الله De civitate Dei» فى ٢٢ (أثنين وعشرين) جزءاً وقد أتمه فى عام ٤٢٦م. وهو من أعظم كتبه وأشهرها، كتبه ضداً لغزو البرابرة للامبراطورية من الخلف. كذلك أعدّ أوغسطينوس كثيراً من «شروحه على سفر المزامير Enarrationes in Psalmos » ، وزيادة على ذلك نشر أوغسطينوس فى عام ٤١٥ كتابه «إلى أوروسيوس، فى الرد على أتباع بريسكيليانيس وأوريجينوس Ad Orosium, contra Priscillianistas et Origenistas وهو كتاب ردّ فيه على البدعة التى أنشأها الأسقف الأسبانى بريسكيليانيس، كما كتب فى الرد على بيلاجيوس وبدعته كتاب «فى أفعال بيلاجيوس De Gestis Pelagii » وذلك فى عام ٤١٧ . وكتاب «فى نعمة المسيح والخطيئة الأصلية De Gratia Christi et peccato Originali » وذلك فى عام ٤١٨م.

ويظهر أن أوغسطينوس لم يكتف بكل تلك الكتب، فقد أتم كتابه «فى الثالوث De Trinitate» كما وضع كتابه «فى إنجيل يوحنا In Joannis Evangelium » فى سنة ٤١٦ ـ ٤١٧ وكتاب «إلى بارثوس فى رسالة يوحنا In Epistolas Joannis ad Parthos » وذلك فى عام ٤١٦م هذا بخلاف عدد وافر من رسائل وعظات، لا نستطيع ذكره.

مدينة الله

للقديس أوغسطينوس

الكتاب العشرون

٥ ـ الفقرات التى يعلن فيها المخلص أنه ستكون هناك دينونة فى نهاية العالم:

إن المخلص نفسه عندما كان يوبخ المدن التى أجرى فيها أعمالاً عظيمة، ومع ذلك لم تؤمن، مقارناً بينها وبين المدن الأجنبية، يقول «ولكن أقول لكم أن صور وصيدا تكون لهما حالة أكثر إحتمالاً يوم الدين مما لكما» (١) ثم يقول بعد قليل «ولكن أقول لكم إن أرض سدوم تكون لها حالة أكثر إحتمالاً يوم الدين مما لك» (٢) فهنا ينبىء المخلص فى غاية الوضوح، بيوم للدينونة لابد آت، ويقول فى مكان آخر «رجال نينوى سيقومون فى الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان، وهوذا أعظم من يونان ههنا. ملكة التيمن ستقوم فى الدين مع هذا الجيل وتدينه لأنها أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان. وهوذا أعظم من سليمان ههنا» (٣) من هذه الفقرة نتعلم أمرين، أنه سوف تكون هناك دينونة، وأن هذه الدينونة ستكون عند قيامة الموتى. لأنه لما تكلم عن أهل نينوى وعن ملكة الجنوب، كان يقيناً يتكلم عن قوم ماتوا، ومع ذلك قال أنهم سيقومون فى يوم الدينونة. إنه لم يقل «أنهم سيدينون» كما لو أنهم هم أنفسهم سيكونون القضاة، ولكن لأنهم بالقياس إليهم، سيدان الآخرون بعدل.

وفى فقرة أخرى عندما كان يتكلم عن إختلاط الأخيار بالأشرار، وإفتراقهم فى يوم الدين، أورد مثلاً عن الحنطة والزوان المزروع فى وسطها، وفسر المثل لتلاميذه بقوله: «الزارع الزرع الجيد هو ابن الانسان» (٤) ... الخ. حقاً أنه هنا لم يذكر الدينونة أو يوم الدينونة، لكنه أشار إليها بأكثر وضوح إذ وصف ملابساتها، وأنبأ بأنها ستكون فى نهاية العالم.

ثم أنه يقول لتلاميذه «الحق أقول لكم أنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد(٥)، متى جلس ابن الإنسان على عرش مجده تجلسون أنتم أيضاً على إثنى عشر كرسياً، وتدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر» (٦). هنا نتعلم أن يسوع سوف يدين ومعه تلاميذه. ولهذا قال فى موضع آخر لليهود «وإن كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين، فأبناؤكم بمن يخرجون فلهذا يكونون قضاة عليكم»(٧) ولا نفهم من هذا أن إثنى عشر رجلاً فقط سيدينون معه ولو أنه يقول أنهم سيجلسون على إثنى عشر كرسياً، لأن العدد إثنى عشر يشير إلى كمال عدد أولئك الذين سيدينون. إذ أن مركبى العدد سبعة (وهو عادة يرمز إلى الوحدة الكاملة) أى أربعة ثم ثلاثة، إذا ضرب الواحد منهما فى الآخر، كان الحاصل إثنى عشر. لأن ثلاثة مكررة أربع مرات أو أربعة مكررة ثلاث مرات تكون إثنى عشر. وهناك أيضاً معان أخرى للعدد إثنى عشر. فإذا لم يكن هذا هو التأويل الصحيح للعدد إثنى عشر، وكان متياس كما نقرأ قد أقيم رسولاً بدلاً من يهوذا الخائن فإن الرسول

---

(١) مت ١١: ٢٢ (٢) مت ١١: ٢٤ (٣) مت ١٢: ٤١، ٤٢

(٤) مت ١٣: ٣٧ ـ ٤٣ (٥) أى الخليقة الجديدة (٦) مت ١٩: ٢٨

(٧) مت ١٢: ٢٧

بولس مع أنه تعب أكثر منهم جميعهم(١)، سوف لا يكون له كرسى للحكم. ولكن بدون أدنى شك يعتبر نفسه فى عداد القضاة عندما يقول «ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة؟» (٢). ونفس القياس يجب مراعاته فى انطباق العدد إثنى عشر على أولئك الذين سيدانون. فمع أنه قيل «تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر» فإن سبط لاوى وهو السبط الثالث عشر، سوف لا يعفى لهذا السبب من الدينونة كما أن الدينونة، سوف لا تجرى على إسرائيل وحده من دون الأمم الأخرى. ولابد أن يكون قد قصد بقوله «فى التجديد» أن يفهم منه قيامة الموتى، لأن أجسادنا ستتجدد بغير فساد. كما أن نفوسنا ستتجدد بالإيمان.

وقد حذفت فقرات كثيرة، لأنها، ولو أنه يبدو أنها تشير إلى الدينونة الأخيرة، إلا أنها إذا فحصت عن قرب نجد فيها إلتباساً أو أنها تشير بالحرى إلى حدث آخر- إما إلي مجيء المخلص الذى يجرى دائماً فى كنيسته، أى فى أعضائه، والذى فيه يأتى هو شيئاً فشيئاً وجزءاً بعد جزء من حيث أن الكنيسة كلها هى جسده، أو أنها تشير إلى خراب أورشليم الأرضية. لأنه عندما يتكلم حتى عن هذه، فإنه كثيراً ما يستخدم لغة يمكن أن تنطبق على نهاية العالم كما تنطبق على ذلك اليوم الأخير يوم الدينونة العظيم، حتى أنه لا يمكن التمييز بين هاتين الحادثتين إلا إذا قورنت ببعضها الفقرات الثلاث المتقابلة والتى تتناول هذا الموضوع عند الإنجيليين الثلاثة متى ومرقس ولوقا، لأن هناك أموراً نجدها أكثر غموضاً عند أحد الإنجيليين لكنها أكثر وضوحاً عند إنجيلى آخر- وبهذا تتضح المعانى التى أشير إليها فى حادث بعينه. وهذا هو ما اجتهدت أن أعمله فى رسالة كتبتها إلى هيزيخيوس Hesychius الطيب الذكر أسقف سالون Salon بعنوان «فى نهاية العالم»

والآن سأنقل من الإنجيل بحسب ما كتبه متى، الفقرة التى تتكلم عن إفتراق الأخيار من الأشرار، وذلك نتيجة أعظم دينونة حاسمة ونهائية، دينونة المسيح: يقول «ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده ومعه جميع ملائكته الأطهار فحينئذ يجلس على عرش مجده ويجمعون أمامه كل الأمم فيفرز بعضهم من بعض كما يفرز الراعى الخراف من وسط الجداء، ويقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره. حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا إلى يا مباركى أبى، رثوا الملكوت المعد لكم منذ إنشاء العالم لأنى جعت فأطعمتمونى، عطشت فسقيتمونى، كنت غريباً فآويتمونى، عرياناً فكسوتمونى، كنت مريضاً فزرتمونى، محبوساً فأتيتم إلى. حينئذ يجيبه الصديقون قائلين: ربنا متى رأيناك جائعاً فأطعمناك؟ أو عطشاناً فسقيناك؟ أو متى رأيناك غريباً فآويناك أو عرياناً فكسوناك؟ أو متى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك. فيجيب الملك ويقول

---

(١) ١. كو١٥: ١٠ (٢) ١. كو٦: ٣

لهم الحق أقول لكم بما أنتم فعلتموه بأحد أخوتى هؤلاء الصغار فبى فعلتم. ثم يقول للأشرار الذين عن يساره: اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته» (١) وعلى هذا النحو أيضاً يعدد للأشرار الأشياء التى لم يفعلوها، والتى قال أن أهل اليمين فعلوها. ولما يسألونه متى رأوه فى حاجة إلى هذه الأشياء (ولم يخدموه) يجيب بما أنهم لم يفعلوها لأصغر أخوته، فلم يفعلوها به، وينهى خطابه بهذه الكلمات «فيذهب هؤلاء إلى العذاب الأبدى، والصديقون إلى الحياة الأبدية» (٢) وعلاوة على ذلك يقرر يوحنا الإنجيلى فى غاية الوضوح أنه (أى المسيح) قد أنبأ بأن الدينونة ستكون عند قيامة الموتى. إذ بعد أن قال «الآب لا يدين أحداً بل أعطى الحكم كله للابن، لكى يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. من لا يكرم الابن لا يكرم الآب أيضاً الذى أرسله» (٣) يضيف مباشرة «الحق الحق أقول لكم أن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية ولا يأتى إلى الدينونة بل ينتقل من الموت إلى الحياة» (٤). فقد قال هنا أن المؤمنين به لا يأتون إلى الدينونة فكيف إذن سيفترقون من الأشرار بالدينونة، ويقامون عن يمينه، إلا إذا كانت الدينونة فى هذه الفقرة جاءت بمعنى العقاب Condemnation ؟ لأن الذين يسمعون كلماته ويؤمنون بالذى أرسله لا يأتون إلى دينونة بهذا المعنى.

٦ ـ ما هى القيامة الأولى، وما هى القيامة الثانية:

بعد ذلك يضيف هذه الكلمات «الحق الحق أقول لكم أنه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والذين يسمعون يحيون. لأنه كما أن الآب له حياة فى ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة فى ذاته» (٥). فهو إلى الآن لا يتكلم عن القيامة الثانية أى قيامة الأجساد، التى ستكون فى النهاية، بل عن القيامة الأولى وهى الحادثة الآن. ولهذا ومن أجل هذا التمييز (بين القيامتين) يقول «تأتى ساعة وهى الآن». فهذه القيامة لا تختص بالجسد بل بالنفس، لأن للنفوس أيضاً موتاً يخصها، موتاً بالشرور والخطايا والتى بها تكون هى الموتى الذين تكلم عنهم الرب نفسه قائلاً «دع الموتى يدفنون موتاهم» (٦) أى دع الموتى بالروح يدفنون الموتى بالجسد، وإذن فعن هؤلاء الموتى بالطلاح والإثم يقول الرب «تأتى ساعة وهى الآن، حين يسمع الأموات صوت ابن الله والذين يسمعون يحيون» «والذين يسمعون» أى الذين يطيعون ويؤمنون ويثبتون إلى النهاية. وفى هذا لا فرق بين الأخيار والأشرار. لأنه حسن لجميع الناس أن يسمعوا صوته ويحيون بعبورهم من موت الطلاح إلى حياة الصلاح. وعن هذا الموت يقول بولس الرسول «فالجميع إذن ماتوا، وهو مات لأجل الجميع كى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم

---

(١) مت ٢٥: ٣١ ـ ٤١ والنص منقول عن ترجمة الكلية الإكليريكية للبشائر الأربع.

(٢) مت ٢٥: ٤٦ (ترجمة الإكليريكية). (٣) يو ٥: ٢٢، ٢٣ (ترجمة الإكليريكية).

(٤) يو ٥: ٢٤ (ترجمة الإكليريكية). (٥) يو ٥: ٢٥، ٢٦ (٦) ٢ كو ٥: ١٤، ١٥

بل للذى مات لأجلهم وقام» (١) وهكذا الجميع، بدون إستثناء، كانوا أمواتاً بالخطايا، سواء الأصلية أو الفعلية (الإرادية) خطايا الغباوة أو خطايا الجهالة، وعن جميع الموتى مات الشخص الواحد الوحيد الذى عاش. وأعنى به من لم تكن له خطيئة أبداً، حتى أن الذين حيوا بغفران خطاياهم، يحيون لا لنفوسهم، بل للذى مات من أجل الجميع، مات عن خطايانا، وقام من أجل تبريرنا من الإثم أو قمنا من الموت، يمكننا أن نبلغ إلى القيامة الأولى وهى الآن. لأنه لا يشترك أحد فى هذه القيامة الأولى إلا الذين سينالون الغبطة إلى الأبد. أما فى القيامة الثانية التى يأخذ فى الكلام عنها، فسيشترك فيها كما سنرى، جميع الناس، السعداء والأشقياء إحداهما قيامة الرحمة والأخرى قيامة الحكم، ولهذا كتب فى المزمور « رحمة وحكماً أغنى لك يارب أرنم» (٢).

وعن هذه القيامة مضى يقول «وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الانسان» (٣). هنا يعلن أنه سوف يأتى ليدين فى ذات الجسد الذى جاء فيه ليدان. ومن أجل أن يبين هذا، يقول «لأنه هو ابن الإنسان» وبعد هذا تجىء الكلمات التى نحن بصددها «لا تتعجبوا من هذا فإنه تأتى ساعة حين يسمع كل من فى القبور صوته. فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (٤). هذه الدينونة يستعملها هنا فى ذات المعنى الذى استعمله قبل ذلك بقليل عندما يقول « من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية ولا يأتى إلى الدينونة بل ينتقل من الموت إلى الحياة»(٥) أى يأخذ نصيباً فى القيامة الأولى التى بها يتم الإنتقال فى الزمان الحاضر، من الموت إلى الحياة. وبهذا لا يأتى إلى عذاب جهنم، الذى يشير إليه باسم الدينونة فى ذات المكان الذى يقول فيه « والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة» أى عذاب جهنم. ولذلك من يشاء أن لا يهلك فى القيامة الثانية، فليقم فى القيامة الأولى. لأنه «تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والذين يسمعون سيحيون» أى أنهم سوف لا يأتون إلى دينونة جهنم التى تسمى الموت الثانى وهو الموت الذى سيطرح فيه، بعد القيامة الثانية أو القيامة الجسدية، من لا يقومون فى القيامة الأولى أو القيامة الروحية. لأنه «ستأتى ساعة» (لكنه هنا يقول «وهى الآن » لأنها ستأتى فى نهاية العالم فى دينونة الله الأخيرة والعظمى) «حين يسمع كل الذين فى القبور صوته ويخرجون»، فلا يقول كما فى القيامة الأولى «والذين يسمعون سيحيون»، لأنه ليس الجميع سيحيون، على الأقل تلك الحياة التى ينبغى أن تسمى وحدها حياة لأنها وحدها الحياة المباركة، ولابد أن يكون لهم نوع من الحياة حتى يسمعوا ويخرجوا من القبور بأجسادهم المقامة. أما لماذا سوف لا تكون الحياة للكل، فيعلّم به السيد المسيح في الكلمات

---

(١) مت ٨ : ٢٢ (٢) مز ١٠٠ (١٠١):١

(٣) يو ٥:٢٧ (٤) يو ٥: ٢٨ ، ٢٩

(٥) ٥ : ٢٤

التالية: «(فيخرج) الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة» هؤلاء هم الذين سيحيون «والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة» - وهؤلاء هم الذين سوف لا يحيون، لأنهم سيموتون فى الموت الثانى. قد صنعوا السيئات لأن حياتهم كانت شريرة وحياتهم كانت شريرة لأنها لم تتجدد فى القيامة الأولى أو القيامة الروحية الحادثة الآن. أو لأنهم لم يثبتوا إلى النهاية فى حياتهم المتجددة. فكما أن هناك تجديدين (ولادتين من جديد) قد ذكرتهما الآن - أحدهما بحسب الإيمان، ويتم فى الحياة الحاضرة عن طريق المعمودية والأخرى بحسب الجسد وستتم فى غير فساد وفى الخلود، عن طريق الدينونة العظمى والأخيرة كذلك هناك قيامتان. إحداهما القيامة الأولى والروحية التى تحدث فى هذه الحياة والتى تقينا من أن نأتى إلى الموت الثانى، والأخرى هى القيامة الثانية ولا تحدث الآن، ولكن فى نهاية العالم، وهى قيامة للجسد لا للنفس، ستفصل بعد الدينونة بين قوم يمضون إلى الموت الثانى وبين آخرين يمضون إلى تلك الحياة التى لا تعرف الموت.

٧ - ما كتب فى رؤيا يوحنا خاصاً بالقيامتين والألف سنة وما هو الاعتقاد الصحيح فى هذه الموضوعات:

لقد تكلم الإنجيلى يوحنا عن هاتين القيامتين فى الكتاب المسمى الرؤيا. ولكن بطريقة جعلت بعض المسيحيين لا يفهم المقصود من القيامة الأولى منهما ومن ثم ذهب بهم الخيال تأويل هذه الفقرة مذاهب غير معقولة. فيقول الرسول يوحنا فى الكتاب سالف الذكر: «ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده. فقبض على التنين الحية القديمة الذى هو إبليس والشيطان وقيده ألف سنة. وطرحه فى الهاوية وأغلق (عليه) وختم عليه لكى لا يضل الأمم فى ما بعد حتى تتم الألف السنة، وبعد ذلك لابد أن يحل زماناً يسيراً».

«ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأعطوا حكما، ورأيت الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله، والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته ولم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة. وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف السنة، هذه هى القيامة الأولى. مبارك ومقدس من له نصيب فى القيامة الأولى. هؤلاء ليس للموت الثانى سلطان عليهم، بل سيكونون كهنة لله والمسيح. وسيملكون معه ألف سنة» (١) والذين توهموا استندوا إلى هذه الفقرة - أن القيامة الأولى قيامة بالجسد، وأنها ستكون فيما بعد، قد حملهم على هذا التوهم أسباب من بينها على الخصوص، عدد الألف سنة. إذ يبدو لهم من المناسب أن ينعم القديسون فى هذه الفترة بنوع من سبت الراحة، أى بعطلة مقدسة بعد عناء دام ست آلاف سنة منذ أن خلق الإنسان، وطرد بسبب خطيئته العظيمة من فردوس النعيم إلى شقاء

(١) رؤ ٢٠: ١ - ٦

الحياة الفانية، حتى أنه كما هو مكتوب «أن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة وألف سنة كيوم واحد» (١)، لزم أن يجيء بعد تمام ست آلاف سنة - كما هو الحال بعد ستة أيام الخليقة - نوع من سبت اليوم السابع في الألف سنة التالية. ولهذا السبب يقوم القديسون أي ليحتفلوا بهذا السبت. هذا الرأى كان يمكن أن لا يعترض عليه لو أن القائلين به اعتقدوا أن أفراح القديسين ستكون أفراحاً روحية وأنها نتيجة لحضور الله بينهم. وأنا نفسي كنت أرى سابقاً هذا الرأى (٢). لكنهم يزعمون أن الذين يقومون ستواتيهم فرصة الاستمتاع (سيتمتعون) بمآدب جسدانية مسرفة، مزودة بكمية (كبيرة) من الطعام والشراب لا تصدم فقط شعور العفيف، بل وأيضاً تتجاوز حدود التصديق. إن مثل هذه المزاعم لا يمكن أن يعتقد ويؤمن بها إلا الجسدانيون وحدهم والذين يعتقدون بها يسميهم الروحيون بالألفيين، والذين يمكن أن نطلق عليهم نحن حرفياً اسم القائلين بملك المسيح على الأرض مدة ألف عام. وأنها لمهمة شاقة أن نفند هذه الآراء، فكرة فكرة، ولذلك نفضل أن ننتقل إلى تبيان ما ينبغي أن يفهم من تلك الفقرة (التى أوردناها) من الكتاب المقدس.

يقول الرب يسوع المسيح نفسه «لا يستطيع أحد أن يدخل بيت القوى ليسلب آنيته إن لم يربط القوى أولاً» (٣) ويعنى بالقوى الشيطان لأنه كان له سلطان أن يأسر الجنس البشرى ويعنى بآنيته التى كان له أن يسلبها أولئك الذين ملك الشيطان عليهم فى خطايا وآثام متنوعة لكن كان لهم أن يصبحوا مؤمنين به (أى المسيح). وعلى ذلك فمن أجل ربط هذا القوى رأى الرسول فى رؤياه «ملاكاً نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده «فيقبض (كما يقول) على التنين الحية القديمة الذى هو إبليس والشيطان وقيده ألف سنة» أعنى أنه شكم قوته وقمعها حتى لم يستطع أن يضل أولئك الذين أعتقوا، أو يتسلط عليهم.

والألف سنة يمكن أن تفهم - كما يبدو لى - على نحوين: إما لأن هذه الأمور تحدث فى الألف السادس من السنين أو العصر الألفى السادس (ونحن فى القسم الأخير منه) كما لو أننا فى اليوم السادس، الذى يتلوه سبت ليس له غروب، (وهو) راحة القديسين التى لا نهاية لها، وهو يتكلم عن جزء منها باسم الكل. فهو يسمى الجزء الأخير من العهد الألفى - وهو الجزء الذى لابد أن ينقضى قبل نهاية العالم - ألف سنة. أو أنه استعمل الألف سنة كأنها مساوية لمدة هذا العالم كلها مستخدماً عدد الكمال ليشير إلى كمال الزمن. لأن الألف هو مكعب العشرة. إذ أن حاصل العشرة مضاعفة عشر مرات هو مائة أى المربع على مستوى مسطح. فإذا أعطى المسطح إرتفاعاً ليصبح مكعبا، فالمائة تتضاعف عشر مرات، فيكون الحاصل ألفا. علاوة على ذلك، إذا كان (عدد) المائة يستعمل أحياناً كناية عن الكل، كما عندما قال الرب على سبيل الموعد لمن ترك كل شيء وتبعه أنه «سيأخذ مائة ضعف (فى هذا العالم). (١) وقال الرسول كأنه سيفسر

(١) ٢ . بط ٣: ٨ (٢) عظة ٢٥٩ (٣) مر ٣: ٢٧

(هذا): «كأن لا شيء لنا، ونحن نملك كل شيء» (٢) بل وقد قيل قديماً: العالم بأسره ميراث المؤمن ـ فكم بالأولى أن يستخدم (عدد) الألف كناية عن الكل، حيث أن الألف هو المكعب بينما أن المائة مربع فقط؟ ولهذا السبب عينه لا نجد تفسيراً لكلمات المزمور «ذكر إلى الدهر عهده، كلاماً أوصى به إلى ألف جيل» (٣) خيراً من فهمها على أنها إلى جميع الأجيال».

«وطرحه فى الهاوية» أى أنه طرح الشيطان فى الهاوية. ويقصد بالهاوية جمهور لا يحصى من أشرار فى قلوبهم عداوة عميقة لا يسبر غورها ضد كنيسة الله. وليس هذا معناه أن الشيطان لم يكن هناك قبلا، ولكنه قيل أنه طرح هناك لأنه وقد منع من أن يضر بالمؤمنين صار أكثر سيطرة على الأشرار. لأن ذلك الإنسان قد ملك عليه الشيطان بأوفر سلطان، الشيطان الذى ليس فقط منفياً عن الله بل وأيضاً يكره مجاناً أولئك الذين يخدمون الله « وأغلق (عليه) وختم عليه لكى لا يضل الأمم فى ما بعد حتى تتم الألف سنة». «وأغلق عليه» أى منعه من أن يخرج خارجاً ومن أن يصنع ما هو محظور. أما إضافة «وختم عليه» فيبدو لى أنه قصد بها أنه قد رسم أن يظل سراً الذين ينتمون إلى زمرة الشيطان والذين لا ينتمون إليه. فهذا الأمر مخفى فى هذا العالم. فنحن لا نستطيع أن ننبىء إذا كان الإنسان الذى يبدو قائماً سيسقط (أم لا)، أو الذى يبدو واقعاً، سينهض (أم لا). ولكن بهذه السلسلة ويسجن هذا المجرم قد نهى الشيطان ومنع من أن يضل الأمم الذين ينتمون إلى المسيح.، والذين سبق له أن أضلهم أو أخضعهم. لأنه من قبل تأسيس العالم شاء الله أن ينقذ هؤلاء من سلطان الظلمة وأن ينقلهم إلى ملكوت ابن محبته (٤٢) كما يقول الرسول. وأى مسيحى لا يعلم أنه (أى الشيطان) يضل حتى الآن أمما، ويجرهم معه إلى العذاب الأبدى، لكنه لا يضل المعروف سابقاً أنهم المعينين للحياة الأبدية؟ فلا ييأس أحد بحجة أن الشيطان كثيراً ما يضل حتى أولئك الذين تجددوا فى المسيح، وبدأوا يسيرون فى طريق الله، لأن «الرب يعلم الذين هم له» (٥) والشيطان لا يضل واحدا من هؤلاء إلى الهلاك الأبدى، لأن الرب يعرفهم من حيث هو الله الذى لا يخفى عليه شيء، ولو كان من الأمور المستقبلة، وليس كإنسان يرى إنساناً فى الزمن الحاضر (إذا جاز أن يقال أنه يرى شخصاً قلبه غير مكشوف له) لكنه لا يرى حتى نفسه لدرجة أنه لا يستطيع أن يعرف من يكون هو. فالشيطان إذن مقيد ، ومحبوس فى الهاوية حتى لا يضل الأمم الذين تتكون منهم الكنيسة، والذين سبق فأضلهم من قبل أن توجد الكنيسة. لأنه ما قيل «حتى لا يضل أى إنسان» بل «حتى لا يضل الأمم » ـ قاصداً، بلا شك، أولئك الذين توجد الكنيسة فيما بينهم «حتى تتم الألف سنة» أعنى إما ما يتبقى من اليوم السادس ويشتمل على ألف سنة، وإما كل السنوات التى تمر قبل نهاية العالم.

---

(١) مت ١٩: ٢٩ (٢) ٢. كو٦: ١٠ (٣) مز ١٠٥ : ٨

(٤) ٢. تى ٢: ١٩ (٥) كو ١: ١٣

وأما الكلمات «حتى لا يضل الأمم حتى تتم الألف سنة» فلا يفهم منها أنها تدل على أنه فيما بعد سيضل فقط تلك الأمم التى تتكون منها الكنيسة العتيدة، والتى منع بواسطة تلك السلسلة وذلك الحبس من أن يضلها، لكنها (أى تلك الكلمات) قد أستعملت طبقاً لذلك الإستعمال المستخدم فى الكتاب المقدس والذى يتمثل فى المزمور «هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يتراءف علينا»(١) لا بمعنى أن عيون عبيده لا تعود تتطلع إلى الرب بعد أن تراءف عليهم لكن لا مفر من أن يكون ترتيب الكلمات كالآتى: «وأغلق عليه، وختم عليه، الألف سنة» أما الجملة الاعتراضية «حتى لا يضل الأمم فيما بعد» فينبغى ألا تفهم فى السياق الذى وضعت فيه، وإنما منفصلة وكأنها زيدت بعد ذلك، حتى أن العبارة كلها يجب أن تقرأ (على هذا النحو): «وأغلق عليه، وختم عليه حتى تتم الألف سنة، حتى لا يضل الأمم فيما بعد «أى أنه أغلق عليه حتى تتم الألف سنة، لهذا السبب: أن لا يخدع الأمم فيما بعد.

٨ ـ فى ربط الشيطان وحله:

يقول يوحنا «وبعد ذلك لابد أن يُحَلّ زماناً يسيراً» فإذا كان ربط الشيطان وحبسه معناه جعله عاجزاً عن أن يضل الكنيسة، فهل حله معناه استرداده هذه القدرة؟ كلا البتة. لأن الكنيسة، وهى معينة ومختارة قبل تأسيس العالم، هذه الكنيسة التى فيها «الرب يعلم الذين هم له»، سوف لا تضل بواسطته أبداً. ومع ذلك ستبقى كنيسة فى هذا العالم حتى يحل الشيطان، كما كان منذ البدء، وكما سيكون دائماً، أماكن الموتى يحتلها مؤمنون جدد. لأن يوحنا يقول بعد قليل أن الشيطان إذا حل سوف يجذب الأمم الذين أضلهم من كل العالم ليحارب الكنيسة. وأن عدد هؤلاء الأعداء سيكون كعدد رمل البحر «فصعدوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم. وإبليس الذى كان يضلهم طرح فى بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبى الكذاب وسيعذبون نهارا وليلاً إلى أبد الآبدين» (٢). على أن هذا يتعلق بالدينونة الأخيرة، لكننى رأيت من المناسب أن أذكره هنا، لئلا يظن أحد أنه فى هذه الفترة القصيرة التى سيحل الشيطان فيها سوف لا تكون هناك كنيسة على الأرض، إما لأن الشيطان سوف لا يجد هناك كنيسة، وإما لأنه سيبيدها بإضطهادات متنوعة. فالشيطان إذن لا يكون مقيداً فى كل الفترة التى يتكلم عنها هذا الكتاب ـ أعنى منذ المجىء الأول للمسيح إلى نهاية العالم عندما يأتى (أى المسيح) فى المجىء الثانى ـ لا يكون مقيداً، بهذا سوف لا يضل (الشيطان) الكنيسة ولا حتى عندما يحل، إذ يقينا أنه إذا كان تقييده معناه أن يكون غير قادر أو غير مسموح له أن يضل الكنيسة، فماذا يكون معنى حله إلا أن يصبح قادراً أو مسموحاً له أن يفعل ذلك؟ ولكن حاشا أن يحدث.. إن تقييد الشيطان هو منعه من

---

(١) مز ١٢٣: ٢ (٢) رؤ ٢٠: ٩، ١٠

مزاولة كل سلطانه لإضلال الناس بالقهر والإلزام أو بخداعهم والإحتيال عليهم، ليتفقوا معه. فإذا كان مأذوناً له فى أثناء هذه الفترة الطويلة أن يهاجم ضعف البشر، فإن أشخاصاً كثيرين جداً، لا يشاء الله أن يقعوا فى مثل هذه التجربة، قد يذهب إيمانهم، أو قد يعاقوا عن الإيمان. فلكى لا يحدث هذا، يربط الشيطان.

ولكن عندما يأتى الزمان اليسير، سيحل (الشيطان). لأنه سوف يثور بكل قوته ومعه ملائكته لمدة ثلاث سنين وستة أشهر. والذين سيصنع معهم حرباً، ستكون لهم قوة ليقاوموا كل بأسه وحيله. فإذا لم يحل أبداً فإن قوته الشريرة تكون أقل وضوحاً، ولا يكون هناك برهان كاف على قوة المدينة المقدسة ومناعتها. وبالإجمال لا يتضح جلياً كيف يستخدم القادر على كل شىء شر الشيطان المستطير لخير جزيل. لأن القادر على كل شىء لا يعزل القديسين عزلاً تاماً عن تجارب الشيطان، لكنه يحمى إنسانهم الباطن، حيث يسكن الإيمان، حتى أنهم عن طريق التجارب الخارجية يزدادون فى النعمة. والله يقيده حتى لا يمنع أو يحطم (أى الشيطان) - بعمله الشر فى حرية وشراهة - إيمان الضعفاء الذين لا حصر لهم ممن آمنوا بالفعل، أو لازالوا مؤمنين والذين بهم تتزايد الكنيسة وتكمل. لكن الله سيحله فى النهاية حتى تتبين مدينة الله قوة خصمها الذى انتصرت عليه لمجد فاديها ومعينها ومخلصها. فمن نكون نحن بالقياس إلى أولئك المؤمنين والقديسين الذين سيكونون فى ذلك الحين، حيث سيمتحنون بحل ذلك العدو الذى نحاربه نحن لكنه يهزمنا شر هزيمة مع أنه مقيد؟ مع أنه من المؤكد أيضاً أنه حتى فى هذه الفترة المتوسطة كان ولا يزال هناك جنود المسيح يتصفون بالحكمة والقوة لو أنهم كانوا سيكونون أحياء فى هذه الحالة القاتلة فى زمان حل الشيطان لتنبهوا بكل حكمة، ولاحتملوا بكل صبر، جميع شراكه وحملاته.

فإبليس كان مقيداً ليس فقط عندما أخذت الكنيسة تمتد أكثر فأكثر، وتنتشر فى كل مكان خارج اليهودية، بل هو الآن مقيد، وسيكون مقيداً إلى نهاية العالم، عندما يجىء الزمن الذى يحل فيه. لأنه حتى الآن بل وقطعاً إلى نهاية العالم - يهتدى قوم إلى الإيمان، نابذين الكفر الذى احتجزهم الشيطان فيه. وهذا القوى يربط فى كل لحظة ينهب منه فيها أحد أمتعته. والهاوية التى حبس فيها لا تنتهى بموت أولئك الذين كانوا أحياء عندما حبس فيها هو أولاً. لكن هؤلاء قد تبعهم وسيتبعهم إلى نهاية العالم إناس آخرون يولدون بعدهم ممن يكرهون المسيحيين مثلهم، وفى أعماق قلوبهم الغبية يحتبس الشيطان دائماً كما لو كان فى هاوية. على أن هناك ما يدعو إلى التساؤل إذا كان أحد من الناس ممن لم يكونوا قبلاً مؤمنين، يضم نفسه إلى الإيمان فى خلال هذه الثلاثة السنين والستة أشهر التى يحل الشيطان فيها ويثور بكل قوة. لأنه كيف تصدق فى هذه الحالة هذه الكلمات، «كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت القوى وينهب أمتعته إن لم يربط

القوى أولاً؟» (١) تبعاً لذلك يبدو أن هذه الآية تلزمنا الإعتقاد أنه فى هذه الفترة، على قصرها، سوف لا ينضم أحد من الناس إلى المجتمع المسيحى، بل إن الشيطان سيصنع حرباً مع الذين كانوا قد أصبحوا مسيحيين من قبل، وأنه ولو أن بعضاً من هؤلاء قد يهزمون وقد يفرون إلى الشيطان فإن هذا البعض لا يحسب فى عداد أولاد الله المعروفين عنده من قبل. إذ ليس عبثاً يقول يوحنا - وهو الرسول عينه الذى كتب سفر الرؤيا - يقول فى رسالته (الأولى) عن بعض الناس: «منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا»(٢). ولكن ماذا سيحدث للأطفال الصغار؟ أنه أمر بعيد عن كل تصديق أنه سوف لا يكون فى هذه الأيام أطفال مسيحيون مولودون ولم يتعمدوا بعد، أو أنه سوف لا يولد بعض الأطفال فى هذه الفترة بالذات. فإذا كان هناك أطفال فنحن لا نستطيع أن نصدق أن والديهم سوف لا يجدون وسيلة ليأتوا بهم إلى جرن التجديد. لكن إذا كان الأمر كذلك، فكيف إذن ستختطف هذه الأمتعة من الشيطان عندما يكون محلولاً، حيث أنه ليس ثمت إنسان يمكنه أن يدخل بيته (بيت الشيطان) لينهب أمتعته إلا إذا ربطه أولاً؟ على العكس إننا نعتقد بالأحرى أنه سوف لا يعدم فى هذه الأيام من يبعد عن الكنيسة أو من ينضم إليها. لكن ستكون هناك عزيمة فى الوالدين ليطلبوا المعمودية لأطفالهم، وفى أولئك الذين سيؤمنون أولاً فى ذلك الحين حتى ينتصروا على ذلك القوى حتى وهو محلول - أعنى أن هؤلاء وأولئك جميعاً سينتبهون إلى الشيطان فى قوة، وسيكابدون شروره فى صبر وإحتمال، ولو أنه سيصنع حيلا، وسيعرض قوته بصورة لم تعرف من قبل. وهكذا سيختطفون منه مع أنه محلول. ومع ذلك فإن آية الإنجيل سوف لا تبطل «من يستطيع أن يدخل بيت القوى لينهب أمتعته إن لم يربط القوى أولاً؟» لأنه طبقاً لهذا النص الصحيح، سيحفظ هذا الترتيب - القوى يربط أولاً، ثم تنهب أمتعته. إذ الكنيسة تنمو بالضعفاء والأقوياء من جميع الأمم البعيدة والقريبة، حتى أنها بإيمانها الوطيد بالنبوءات الإلهية وإتمامها ستكون قادرة على أن تنهب أمتعة الشيطان حتى وهو محلول. لأنه لما كان ينبغى أن نعترف بأنه «لكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين» (٣). وأن أولئك الذين لم يكتبوا فى سفر الحياة، سيستسلم عدد كبير منهم لإضطهادات عنيفة لم يسبق لها مثيل، ولمناورات الشيطان الذى يكون حينئذ محلول، فإننا لا نستطيع إلا أن نفكر فى أنه ليس فقط أولئك الذين سيكونون أصحاء فى الإيمان فى ذلك الوقت، بل وأيضاً بعض الناس الذين يكونون حتى ذلك الوقت خارج الإيمان، هؤلاء وأولئك سيصبحون ثابتين فى الإيمان الذى كانوا إلى ذلك الوقت يرفضونه، (وسيصبحون) أقوياء لينتصروا على الشيطان حتى وهو محلول، لأن معونة الله ستسندهم ليفهموا الكتاب المقدس الذى أنبىء فيه، من بين أمور أخرى، عن تلك النهاية عينها التى هم أنفسهم سيرونها صائرة. فإذا كان الأمر سيصير

---

(١) مت ١٢: ٢٩.　　(٢) ١. يو ٢: ١٩　　(٣) مت ٢٤: ١٢

على هذا النحو، ترتب عليه أن يكون الكلام أولاً عن ربط الشيطان، يتبع ذلك سلبه (نهبه) مربوطاً أو محلولاً، لأنه عن هذا قيل: «من يستطيع أن يدخل بيت القوى لينهب أمتعته، إن لم يربط القوى أولاً؟» .

٩ ـ ما هو حكم القديسين مع المسيح لمدة ألف سنة، وكيف يختلف عن المملكة الأبدية:

وبينما يكون الشيطان مقيداً بحكم القديسون مع المسيح، مدة الألف سنة نفسها مفهومة على نفس النحو أى منذ وقت مجيئه الأول (أى بين مجيئه الأول ومجيئه الثانى) فإنه إذا لم ندخل فى حسابنا الملكوت الذى سيتكلم عنه الرب فى نهاية العالم «تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم» (١) لا يمكن أن تسمى الكنيسة الآن ملكوت الله، أو ملكوت السموات إلا إذا كان قديسوه يحكمون إلى الآن معه، ولو بطريقة أخرى مختلفة فإنه يقول لقديسيه، ها أنا معكم كل الأيام إلى إنقضاء الدهر» (٢) حقاً أنه فى هذا الدهر الحاضر الكاتب المتعلم فى ملكوت الله، والذى تكلمنا عنه سابقاً، يخرج من كنزه جدداً وعتقاء. ومن الكنيسة سوف يجمع أولئك الحصادون الزوان الذى سمح الرب أن ينمو مع الحنطة إلى يوم الحصاد كما يوضح الرب فى كلماته «الحصاد هو إنقضاء العالم، والحصادون هم الملائكة. فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار هكذا يكون فى إنقضاء هذا العالم يرسل إبن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الإثم» (٣) . أفهل يعنى ذلك الملكوت الذى ليس فيه معاثر وفاعلوا إثم؟ لابد إذن إنهم يجمعون من ملكوته الحاضر، أعنى الكنيسة. ولذلك يقول «فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات» (٤) فهو يتكلم عن الإثنين وأنهما موجودان فى ملكوت السموات، الرجل الذى لا يعمل بالوصايا التى يعلم بها، فإن كلمة «نقض تعنى أنه لا يحتفظ ولا ينفذ ـ وكذلك الرجل الذى يعمل ويعلم بما عمل ولكنه يدعو الواحد «أصغر» ويدعو الآخر «عظيماً» ثم يضيف بعد ذلك مباشرة «فإنى أقول لكم أنه إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسين لن تدخلوا ملكوت السموات» ، أعنى بر أولئك الذين ينقضون ما يعلّمون به، لأنه يقول عن الكتبة والفريسين فى موضع آخر «أنهم يقولون ولا يفعلون» (٥) ـ إن لم يزد بركم على برهم أى لا تنقضون بل بالحرى تعملون بما تعلّمون به، فلن تدخلوا ملكوت السموات» (٦) . وعلى ذلك يجب أن نفهم بمعنى واحد ملكوت السموات التى يوجد فيها من ينقض ما يعلّم به ومن يعمل بما يعلّم به، الأول يدعى أصغر والآخر يدعى عظيماً، ولكن بمعنى آخر يجب أن نفهم ملكوت السموات التى لن يدخل فيها إلا من يعمل بما يعلّم به.

---

(١) متى ٢٥: ٣٤ (٢) متى ٢٨ : ٢٠ (٣) متى ١٣: ٣٩ ـ ٤١

(٤) متى ٥ : ١٩ (٥) متى٥ : ٢٠ (٦) متى ٢٣ : ٣

وبالتالى، فإذا وجد الفريقان ففى الكنيسة الحاضرة، أما الكنيسة كما ستكون فى المستقبل فسيكون فيها فريق واحد، لأنه لا شرير يكون فيها. وعلى ذلك فإن الكنيسة الآن هى مملكة المسيح وهى ملكوت السماوات. وتبعاً لذلك فإن قديسيه يملكون الآن معه ولو أن غيرهم سيملكون فى العالم الآخر. ومع ذلك، ولو أن الزوان ينمو فى الكنيسة مع الحنطة، لكنهم لا يملكون معه. فإن الذين يملكون معه هم الذين يصنعون ما يقوله الرسول «إذن إن كنتم قد قمتم مع المسيح فابتغوا ما هو فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما هو فوق لا بما هو على الأرض». (كولوسى ٣: ١، ٢). وعن مثل هؤلاء الأشخاص يقول أيضاً أن سيرتهم هى فى السماوات (فيلبى ٣: ٢٠). وقصارى القول أن الذين يحكمون معه هم الذين فى مملكته كما أنهم هم أنفسهم مملكته. ولكن بأى معنى يكون أولئك مملكة المسيح وهم مع أنهم فيها إلى أن يجمع منها جميع المعاثر (وفاعلى الإثم) فى نهاية العالم، إلا أنهم يلتمسون ما هو لأنفسهم لا ما هو للمسيح (فيلبى ٢: ٢١).

وإذن فسفر الرؤيا يتحدث بتلك الكلمات التى اقتبسناها منذ قليل عن هذه المملكة المجاهدة التى لا يزال النزاع بينها وبين العدو قائماً، والحرب مع الشهوات متصلاً إلى أن تأتى إلى ذلك الملكوت حيث السلام فى أكمل صورة له، حيث سنحكم من دون أن يكون لنا فيه عدو، إن سفر الرؤيا يتكلم عن هذه القيادة الأولى فى الحياة الحاضرة فإنه بعد أن يقول أن الشيطان قد ربط مدة ألف عام وبعد ذلك يحل زماناً يسيراً، يمضى سفر الرؤيا فيعطى وصفاً مجملاً عما تفعله الكنيسة أو عما يصنع فى الكنيسة فى تلك الأيام وذلك بقوله «ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأوتوا الحكم» (رؤيا ٢٠: ٤) ولا يظن أنه بهذا يشير إلى الدينونة الأخيرة، وإنما يشير إلى عروش الحكام وإلى الحكام أنفسهم الذين يحكمون الكنيسة الآن. ونحن لا نجد تفسيراً لهذه الدينونة أفضل مما تدل عليه هذه الكلمات «ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات، وما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماوات» (متى ١٨: ١٨). لذلك يقول الرسول «فإنه ماذا يعنينى أن أدين الذين فى الخارج. ألستم أنتم تدينون الذين فى الداخل» (١ كورنثوس ٥: ١٢) والنفوس (الأرواح) التى يقول عنها (القديس) يوحنا أنها نفوس الذين قتلوا لأجل شهادة يسوع ولأجل كلمة الله - يعنى بها ما عبر عنه بعد ذلك بأنهم ملكوا مع المسيح ألف سنة (رؤيا ٢٠: ٤) وأعنى بها نفوس الشهداء التى لم ترجع بعد إلى أجسادها لأن نفوس الأتقياء الذين ماتوا لم تنفصل عن الكنيسة التى هى الآن مملكة المسيح، وإلا فما كانوا يذكرون أمام مذبح الله عند تناول جسد المسيح، ولا كان يفيدنا الإلتجاء إلى معموديته عند خطر الموت حتى لا تنتقل من هذه الحياة بدونها، ولا تفيدنا المصالحة إذا كان بالتوبة أو بضمير فاسد يمكن أن ينفصل الواحد من جسد المسيح أو الكنيسة. لأنه لماذا تمارس هذه الأمور إذا لم يكن بسبب أن المؤمنين، حتى ولو ماتوا،

هم أعضاء جسد المسيح؟ ولذلك فإنه بينما تجرى هذه الألف سنة، فإن أرواح المؤمنين تملك مع المسيح حتى ولو لم تكن بعد متصلة بأبدانها. ولذلك فإننا نقرأ فى مكان آخر من نفس السفر «طوبى للأموات الذين يموتون فى الرب أنهم من الآن يقول الروح يستريحون من أتعابهم لأن أعمالهم تتبعهم» (رؤيا ١٤: ١٣). وعلى ذلك فإن الكنيسة تبدأ فى ملكها مع المسيح الآن فى الأحياء والموتى. لأنه كما يقول الرسول «لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكى يسود على الأحياء والموتى» (رومية ١٤: ٩) لكنه ذكر نفوس الشهداء فقط لأنهم وقد ناضلوا إلى الموت من أجل الحق هم الذين سيملكون أساساً بعد الموت، ولكننا نفهم أن هذه الكلمات التى قيلت عن هؤلاء تنطبق أيضاً على كل الذين ينتمون إلى الكنيسة، وهى مملكة المسيح.

وأما الكلمات التالية «والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته ولم يتسموا بالسمة على جباههم ولا على أيديهم» (رؤيا ٢٠: ٤) فينبغى أن نفهمها على أنها تنطبق على الأحياء وعلى الموتى. فما هو هذا الوحش. ومع أن الإجابة على هذا السؤال - تتطلب بحثاً أكثر تدقيقاً، ولكنه مما لا يتعارض مع الإيمان الحقيقى أن نفهم الوحش على أنه يرمز إلى المدينة الطالحة التى لا تؤمن بالله وإلى مجتمع غير المؤمنين فى مقابل المؤمنين ومدينة الله. وأما «صورته» فيبدو لى أن معناها الإدعاء فى أولئك الذين يصرحون أنهم مؤمنون ولكنهم يتصرفون كغير مؤمنين. لأنهم يتظاهرون بما ليسوا هم عليه فى الواقع، ويسمون مسيحيين لا من حيث المطابقة الحقيقية للحياة المسيحية، ولكنه لهم صورة خادعة للمسيحية. فإنه ينتمى إلى هذا الوحش ليس فقط الأعداء الذين يجاهرون بعدائهم لاسم المسيح ولمدينته، التى تفوق فى جلالها وبهائها كل جلال وبهاء، بل وأيضاً الزوان الذى يجب أن يجمع وينزع من مملكته، وهى الكنيسة، وذلك فى نهاية العالم. ثم من هم أولئك الذين لا يسجدون للوحش ولا لصورته، إذا لم يكونوا هم أولئك الذين يصنعون ما يقوله الرسول «لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين» (٢ . كورنثوس ٦: ١٤) لأن أمثال هؤلاء لا يسجدون ولا يقبلون ولا يخضعون ولا يتسمون بالسمة، وهى علامة الإثم على جباههم بإعترافهم، أو على أيديهم بممارستهم له، فهؤلاء إذن، الأطهار من هذه النجاسات، سواء منهم الذين لا يزالون أحياء فى هذا الجسد الفانى أو الذين ماتوا، يملكون الآن مع المسيح فى خلال هذه الفترة كلها التى أشير إليها بالألف سنة، فى صورة تتناسب مع هذا الوقت.

ثم يقول «فأما باقى الأموات فلم يحيوا» (رؤيا ٢٠: ٤) لأنه الآن هى الساعة التى فيها يسمع الأموات صوت ابن الله، والذين يسمعون يحيون، وأما الباقون فسوف لا يحيون. ثم أن الكلمات المضافة بعد ذلك «إلى تمام الألف سنة» تعنى أنهم لم يحيوا فى الزمن الذى كان يجب أن يحيوا فيه بإنتقالهم من الموت إلى الحياة. ولذلك عندما يأتى اليوم الذى تقوم فيه الأجساد، فسيخرجون من قبورهم، لا إلى الحياة بل إلى الدينونة أى إلى الهلاك، وهو ما يسمى بالموت الثانى. فإن كل

من لا يحيا إلى تمام الألف سنة أى أثناء الفترة كلها التى تجرى فيها القيامة الأولى - كل من لم يسمع صوت ابن الله وينتقل من الموت إلى الحياة - فإن ذلك الانسان لابد فى القيامة الثانية وهى قيامة الأجساد، لابد أن ينتقل بجسده إلى الموت الثانى. فإنه يمضى فى القول «هذه هى القيامة الأولى. سعيد (مبارك) ومقدس من له نصيب فى القيامة الأولى» (رؤيا ٢٠: ٥، ٦) أو من يختبرها والذى يختبرها هو فقط الذى يحيا من موت الخطيئة بل ويثبت فى هذه الحياة المتجددة . ثم يقول «هؤلاء ليس للموت الثانى سلطان عليهم» (رؤيا ٢٠: ٦) ولذلك فإن له سلطاناً على الباقين الذين قال عنهم قبل ذلك «فأما باقى الأموات فلم يحيوا إلى تمام الألف سنة» (رؤيا ٢٠: ٥) لأنه فى هذه الفترة المتوسطة التى تسمى بالألف سنة، مهما عاشوا فى شهوات الجسد فإنهم لم تدب فيهم الحياة من ذلك الموت الذى أمسكه فيه شرهم، حتى أنه بفضل هذه الحياة المتجددة أصبحوا مشتركين فى القيامة الأولى، ولذلك فإنه لا يكون للموت الثانى سلطان عليهم.

١٠ - بماذا يرد على أولئك الذين يظنون أن القيامة تختص بالأجساد دون الأرواح:

وهناك قوم يرتأون أن القيامة يمكن أن تنسب إلى الجسم فقط، ولذلك فإنهم يذهبون إلى أن القيامة الأولى (التى يتكلم عنها سفر الرؤيا) هى قيامة جسدانية. إذ يقولون أن عبارة «يقوم» لا تقال إلا عن الأشياء التى تسقط. ولما كانت الأجساد تسقط بالموت(١) . وعلى هذا فليس يمكن أن تكون ثمت قيامة للأرواح بل للأجسام. ولكن ماذا يقولون للرسول الذى يتكلم عن قيامة للأرواح؟. لأنه لابد أن يكونوا قد قاموا فى الإنسان الباطن لا فى الإنسان الخارجى أولئك الذين يقول لهم: «فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فأطلبوا ما فوق»(٢) . كما يعبر فى موضع آخر عن نفس المعنى بعبارة أخرى قائلاً «حتى أننا كما أقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب كذلك نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة»(٣) . وكذلك أيضاً «استيقظ أيها النائم وقم من بين الأموات فيضىء لك المسيح» (٤) .

---

(١) وكما يلاحظ أوغسطينوس، أن الأجسام تسمى لهذا السبب Cadavera وهى من Cadere بمعنى «يسقط».

(٢) كولوسى ٣: ١

(٣) رومية ٦: ٤

(٤) أفسس ٥: ١٤

المراجع

١ ـ فى الفلسفة اليونانية

أولاً: مراجع عربية:

تاريخ الفلسفة اليونانية، للأستاذ يوسف كرم، القاهرة ١٩٤٦

دروس فى تاريخ الفلسفة، للأستاذ يوسف كرم، القاهرة ١٩٤٦

قصة الفلسفة اليونانية، للأستاذين أحمد أمين وزكى نجيب محمود، القاهرة ١٩٣٥

ثانياً : مراجع أجنبية :

أ ـ إنجليزية

ADAMSON, R., (ed. Sorley and Hardie). The Development of Greek Philosophy. London 1908.

BENN, A. W., The Greek Philosophers. London, 1914.

BURNET, JOHN. Greek Philosophy, Part I. Thales to Plato 1927. Macmillan. (This Scholarly work is indispensable to the student)

توفى المؤلف قبل أن يصدر باقى الكتاب.

ERDMANN, J. E. A History of Philosophy, Vol. l. Swan Sonnenschein 1910.

GOMPERZ, TH. . Greek Thinkers. 4 vols. (Trs. L. Magnus.) John Murray. 1901-1905.

RADHAKR ISHNAN, History of philosophy Eastern and Western, vol. ii. London, 1953.

RUSSELL (Bertrand), History of western philosophy, London 1946.

ROBIN, (L.), . Greek Thought and the Origins of the Scientific Spirit. London, 1928.

STACE (W.T.), A Critical History of Greek Philosophy. Macmillan. 1920.

STOCKL (A.), A Handbook of the History of Philosphy, Part. i.

Pre-Scholastic Philosophy. Trs. by T. A. Finlay, S. J. Dublin 1887.

ZELLER (ED.), The Philosophy of the Greeks in its historical Development, 1877-1897, 6 vols.

Outlines of the History of Greek Philosophy 13 ed. Kegan Paul, 1931. (Revised by W. Nestle, translated by L. R. Palmer).

ب - مراجع فرنسية :

BREHIER (E.), Histore de la philosophie, Tome I, Paris, 1943.

ROBIN (L.), La Pensée grecque et les origines de l'esprit Scientifique. Paris, 1923.

WERNER (C.), La Philosophie grecque. Paris, Payot, 1938.

GOMPERZ (TH.), LES Penseurs de la Grèce, 1908-1909, 3 vols.

جـ - مراجع إيطالية وألمانية :

RUGGIERO, G. DE.) La filosofia greca. 2 vols. Bari, 1917. (writes from the view-point of an Italian Neo-Hegelian).

STENZEL, (J.), Metaphysik des Altertums. Berlin, oldenbourg, 1929. (Particularly Valuable for the treat-ment of Plato).

UEBERWEG-PRAECHTER, Die Philosophie des Altertums. Berlin, Mittler, 1926.

٢ ـ فى الفلسفة الرواقية

أولاً: مراجع إنجليزية:

ARNOLD, (E.V), Roman Stoicism. 1911.

BEVAN (E.E), Stoics and Sceptics. O.U.P., 1913.

CAPES (W.W.), Stoicism. S.P.C.K., 1880.

DILL (SIR S.), Roman Society from Nero to Marcus Aurelius. Macmillan, 1905.

HICKS, (R.D.), Stoic and Epicurean. Longmans, 1910

MARCUS AURELIUS, The Meditations of the Emperor Marcus Aurelius. Edited with Translation and Commentary by A. S. L. Farquharson 2 vols., O.U.P. 1944.

ZELLER, (E.), The Stoics, Epicureans and Sceptics. Longmans, 1870. (Translated by O.J.Reichel.)

ثانياً : مراجع فرنسية:

BREHIER (E.), Chrysippe, 1910.

RODIER (G.), Etudes de philosophie grecque, 1926: Histoire extérieure et interieure du Stoicisme, pp. 219-269; La cohérence de la morale stoicienne, pp. 270-308.

BROCHARD (V.), Etudes de philosophie ancienne et moderne, 1912: La Logique des stoiciens, pp. 221-281.

HAMELIN (O.), Sur la logique des Stoiciens, Année Philosophique 1902, p. 23 sqq.

٣ ـ فى فلسفة فيلـــون

BREHIER (E.), Philon d'Alexandrie, Paris 1908. Les idées Philosophiques et religieuses de Philon d'Alexandrie, 2e éd., 1924.

PHILON , Allégories des Saintes Lois, édit. et traduit par E. Bréhie, 1908.

٤ ـ فى الفيلسوف أثيناغوراس

أولا : المراجع العربية :

+ كتاب الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة، تأليف الأسقف إيسيذوروس (الجزء الأول).

+ كتاب مختصر تاريخ الأمة القبطية فى عصرى الوثنية والمسيحية (واضعة سليم سليمان، المطبعة المصرية الأهلية بالقاهرة سنة ١٩١٤ ـ الجزء الأول).

+ كتاب تاريخ الأمة القبطية. تأليف السيدة أ. ل. بتشر الإنجليزية (المجلد الأول، الفصل ٦).

+ كتاب تاريخ الأمة القبطية. للشماس منسى القمص.

+ كتاب تاريخ الكنيسة لموسهيم ـ القديمة والحديثة ـ بيروت سنة ١٨٧٥.

+ تاريخ الفلسفة اليونانية. تأليف يوسف كرم. القاهرة سنة ١٩٤٦. (الباب السادس).

ثانيا : مراجع أجنبية :

- CHARLES BIGG,

The Christian Platonists of Alexandria 1913.

- The Encyclopaedia Britanica. Vol XX, llth. Edition.
- Murray's Dictionary of Christian Biography & Literature.
- MATTER, Histoire de l'Ecole d'alexandrie, Tome 1, Paris 1840.
- Essai Historique sur l'Ecole Alexandrie, Tome 1, 1820.
- Dictionaire de Theologie Catholique, Tome 1.
- Hefele, Beitrage zur kirchengesch, 1884, 1.p. 460 - 81
- Tubingue, 1864, Lehre des Athenagoras und analyse seiner Schriften, t. 1, p. 60 - 68.
- SCHUBRING, Die Philosophie des Athenagoras, Berlin, 1882.
- A. JOANNIDES 1883.
- LEHMANN, Die Auferstchungslehre des Athenagoras, Leipsig, 1890.
- DUCHENSENE, Les origines chrétiennes, lithographie.
- A. HARNACK, Die Chronologie., Leipsig, l, De Athenagoras Scriptis et Vita.

- A. HARNACK. GESOH. DER ALTCHR. LILitt. Litt. pp. 526-558. and similar works by G. BARDENHEWER and A. EHRHARD, HERZOG HAUCK, Realoencyk.
- CLARISSE, Comm. in Athen.
- MOHLER, Patrol.
- J. DONALDSON. Hist. Christ. Lit.
- G. KRUGER. Early Christ. Lit, P. 130 (where additional Literature is cited).
- FESTUGIERE A., L'idial rellgieux des Grece et l'evangile, 1932.
- LEBRETON J., Histoire du dogme de la trinite, 2 vol 1927.
- PUECH A., Les apologistes grees du lle sieole, 1912.
- FREPPEL (Mgr), Iles apologistes chrétiens due lle siecle, 2 Vol. 1859 - 60.
- LAGRANGE, Saint Justin, 1914.
- GILBER MURRAY., Stoic. Christian and Humanist. 1946.
- MACKENZIE (John Morell), Athenagoras in Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology.
- T.A. CLARISSE, Commentatio de Athenagorae Vita et scriptis, Lugd. Batav. 1819.
- POLYCARP LEYSER, Dissert atio de Athenagora, Lips. 1736.
- CHEVALIER, Répertoire, Biogoibliographie, p. 184, 2430.
- RICHARDSON, Bibliog. Sunopsis, P. 37, 38.
- G. BARDENHEWER, Les Peres de l'Eglise, trad. France. Paris 1898, t.l,p. 177 - 182.
- L. Arnould, De Apologia Athenagorae, Paris, 1890.
- A. EHRHARD, Die Altchrist, Litteratur, Tribourgeen - Brisgau, 1900, p. 243 - 245.
- BARDENHEWER, Geschichte der Altkirchl. Litterature, Fribourgen Brisgau, 1902, t. l., p. 267 - 278.

- VIOGTLANDER, Im Beweis des Glaubens, l, 1872.
- History of the Christian Church, A.D. 1-600, by The Late Dr. Wilhelm Moeller, Translated from the German by Andrew Rutherfurd, B.D. London 1902.
- A History of the Christian Church during the first six centuries, by S. Cheetham, London 1905.

الطبعات :

- A good edition of Athenagoras is that of Otto. (J. C. TH. Eg. de Otto, Corpus Apol. Christ. Saec. ll Vol VLL, Jena, 1857). Its text is based on the three earliast Mss. (Viz. the Cod. Paris. Cdli., God. Paris CIXXIV., and God. Argentoratensis), with which the test have been collated, some for the first time.
- The most recent edition is by E. Schwartz in Texte und Untersuchungen, Zur Gesch. der Altherist. Lit..., Leipsig, 1891 t. IV, fase. 2.
- Dechair, Oxford, 1706.
- MARAN, dans P. G., t. VI. Col. 889 - 1024.
- MARCH ET OWEN, dans Douglas series of Christ. greek and latin writers, New York, 1866, t. IV.
- GOODSPEED (EDGAR.) Athenagoras, Supplicatio pro Christianis, Gottingen 1914,
(Die. Altesten Apologeten, texte mit Kurzen Einletugen).
- HUMPHREYS, (London, 1714).
- B. P. PRATTEN, Ante-Nicene Christian Fathers, Edinburgh 1867 (and 1909).
- BEEK (J. VAN), Athenagoras' Geschrift De Resurrectione Mortuorum. (German translation, Leiden 1908).

٥ ـ فى اكليمنضس الأسكندرى

أولاً : مراجع فرنسية

أ ـ عن الفيلسوف

Bardy, (G.), Clêment d'Alexandrie, 1926.

Cognat, Clêment d'Alexandrie.

Deiber (A.) Clêment d'Alexandrie et l' Egypte, Paris, 1905.

Duchesne (L.), Histoire ancienne de l' Eglise, Paris 1906, t. I.p. 332 - 340.

Faye (E.de), Clement d' Alexandrie, 2 éd. , 1906 - De L'originalité de la philosophie religieuse de clement d'Alexandrie, 1919,

Faye (Eugéne de), Clément d' Alexandrie, étude sur le rapport du christianisme et de la philosphie grecque au lle siécle, Paris, 1906.

Treppal (Mgr.) , Les apologistes ohrétiens du lle siécle, 2 vol. 1859 - 60.

Hering (Jean), Etude sur la doctrine de la chute et de la préese istence des ames chez clement d'Alexandrie, Paris 1923 (Bibliotheque de l'ecole des Hautes Etudes, Sciences religieuses 38 eme vol.) C. Houloir, comment clement d'Alexandrie a connu les mystéress d' Eleusis ?

Matter (J.) , Histoire de l' Ecole d' Alexandrie, vol. 3 Paris 1848.

Matter (J.) , Essai historique sur l' Ecole d'Alexandrie, Paris 1820 , 2 vols.

Puech (A.) , Les apologistes grecs du ll siécle. 1912.

Tixeront, Histoire des dogmes, Paris, 1905 , p. 46 - 60.

Abble Freppel. Clément d' Alexandrie, cours a la Sorbonne Paris 1866.

Dictionnaire de Théologie Catholique, Tome 3 , Premier Partie, Paris 1923.

٢ ـ نصوص للفيلسوف

Clément d' Alexandrie, le Protreptique, texte grec, introduction, traduction et notes de Claude Mondésert s.j. deuxieme édition. Paris. 1949, (Sources chrétiennes, 2).

Clément d'Alexandrie, Extraits de Théodote, texte grec, introduction, traduction et notes de F. Sagnard, O. P. , Paris 1948, (Sources chrétiennes 23).

Clément d' Alexandrie, les Stromates, stromate l, texte grec. Introduction de Mondésert (claude), traduction et notes de Caster (Marcel), Paris 1951, (Sources chretiennes).

ثانياً : مراجع إنجليزية

١ ـ عن الفيلسوف

- Barnard (P. Mordaunt), the Biblical texts of Clement of Alexandria in the four Gospels and the Acts of the Apostlea, colleoted and edited, London 1899, (Texts and studies vol. 5 No. 5.)
- Bigg (Charles), the christian Platonists of Alexandria, Oxford 1886,
- Butcher, (E.L), the story of the church of Egypt, vol. I, London 1897.
- Butterworth (G. W.) , Clement of Alexandria and Plato, Cambridge 1917 (Falernian Grapes).
- Cheetham (S.) , A History of the christian church during the first six centuries, London 1905.
- Davidson (Samuel), "Clemens Alexandrinus". Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology.
- Davidson (S.), Sacred Hermeneutics, Edinb. 1843, 8 vo.
- Eusebius, the ecclesiastical History and the martyrs of Palestine, 2 vol.
- Gieseler , "Text book of Ecclesiastical history" translated by Cunningham, Philadelph. 1836, 3 vols. 8 vo. vol. i. ,

- F. J. A. Hort, six lectures on the Ante-Nicene Fathers , London 1895.

- Kaye (John) , some account of the writings and opinions of Clement of Alexandria, London, 1835,

- Mansel, The Gnostic Heresies.

- Moeller, (W.) History of the Christian Church, translated from the German by Andrew Rutherfurd.

- Osborn, E. F. , The Philosophy of Clement of Alexandria, 1957 (206 p.)

- Patrick (John) Clement of Alexandria, London. 1914.

- S. P. C. K, Fathers for English Readers.

- The Church quarterly review, London 1904,t. p. 348-371, Clemens of Alexandria.

- Tollinton (R.B.) , Clement of Alexandria, 2 vol. , London 1914,

- Westcott, (B.F.) , Clemen. of Alxandria, in Murray'a Dictionary of christian Biography,

- Witt (R. E.) The Hellenism of Clement of Alexandria, 1931 (Glass. Quarterly xxv, 1931), p. 195-204.

- Witt (R. E.) , Clemens Alexandrinus. (The Encyclopaedia Britanica, vol. vi.

ثالثاً : مراجع ألمانية

١ ـ عن الفيلسوف

Anrich (G.) , Clemens und Origenes als Begrunder der Lehre vom Fegfeuer Leipsig 1902 (Theologische Abhandlungen) p. 95 - 120.

Bardenhewer, Geshichte der altkirchlichen Literatur, Fribourg - en Brisgau, 1903 :

Baur, Die christliche Gnosis, Tubing, 1835 , 8 vo.

Raur , Allgemeine Gesch. der christ Religion und kirche, 1.3, Hamburg, 1827 , 8 vo.

Bousset (W.) , Clemens von Alexand., Gottingen 1915 (Forschungen zur Religion und litteratur des alten und neuen Testaments, 23)

Capitaine, Die Moral des Clemens von Alexandrien, Paderborn 1903.

Eylert (F.), Clemens als Philosoph and Dichter.

Guerike , Handbuch der kirchengeschichte, funfte Auflage, 2 vols. Halle , 1843, 8 vo.

Harnack, Die chronologie der altchristlichen Litteratur, t. ll, p. 2 - 7 - 16 .....

Harnack , Dogmengeschichte,

Kruger, Geschichte der altchristlichen Literatur in den ersten Jahrhmndert-en, 2 em edit., Fribourg - en Brisgau et Leipzig, 1895. p. 100 - 107.

Munck (Johannes), Untersuchungen uber Clemens von Alxandria, Stuttgart 1933.

Stahlin (Otto), Clemens Alexandrinus und die Septuaginta, Nurnberg 1901.

Stahlin (Otto), zur handschriftlichen Uberlieferung des Clemens Alexandrinus, Gesicherte Citate. Leipzig 1901 (Texte und Untersua Chungen Zur Geschichte der atchristlichen Literatur, N. F. 5) p. 85-127.

Winter., Die Ethik des Clemens von Alexandeien, leibzig 1882, Zahn (Theodor), Supplementum Clementinum, 1884 (Forschungen zur Geschichte des neutesamentlichen kanons und der altkirchlichen Literatur, 111. Theil).

٢ – نصوص للفيلسوف ـ ألمانية

Clemens Alexandri., Protepticus & Paedagogas, stromata Buch il-vi, Strom-ata Buch vii und viii, Excerpts ex Theodoto, Eclogae Propheticae, Quis dives salvetur, Fragmente, Leipzig 1905, 1906, 1909 (Die griechis chen christlichen Schriftsteller der ersten drei Jahrhunderte).

رابعاً : مراجع باللاتينية

١ ـ عن الفيلسوف

1 - Cave, Apostolici,

2 - Cave , Historia literaria, lond. 1688, fol.

3 - Dahne , De γνώσει clementis Alex. Hal. 1831

4 - Guerike (H. E. F.), Comment. Histor. et Theolog.de Schola, quae Alexandriae floruit, Catechetice, Halae, 1824 - 25 ; 8 vo.,

5 - Hagen (O. van der), De Clementis Alexandrini sententiis Oeconomicis, Socialibus, Politicis , 1920.

6 - Mai (A.), Incipit Histeoria chronica, quam etiam pari Modo explanaverunt clemens, Romae 1845 (spicilegium Romanum, vol.9). P. 120 - 140.

7 - Neander, De Fidei Gnoseosque Ideae, que ad se invicem atque ad philosophiam referatur ratione secundum mentem a Clementis Alex., Heidelb. 1811, 8 vo.

8 - Nourry Apparatus ad Bibl. maxim. Patrum, Paris, 1703, fol. lib. iii;

9 - P.H. de Groot, De clem. Alexander. Disp. Groning. 1826, 8 vo.

10 - Schluter, Clemens Alexandrinus quid de libris sacris novi testamenti, Coesfield 1867.

11 - Wendland (P.) , Qmestiones tmusomianos. De Musonio Stoico, cbementis Alex. aliorumque auctore, Berlin, 1886.

٢ ـ نصوص للفيلسوف

Clementis Alexandrini Presbyteri Omnia Opera, Paris, 1612.

Clementis Alexandrini Opera Omnia, Paris 1572.

خامساً : مراجع بالإيطالية

Clemens Alexandri., Un Frammento delle Ipotiposi di Clemente Alexandrino ed. Mercati (G.). Roma 1904 (studi e Testi 12.1).

٢ – نصوص للفيلسوف

Clement of Alexandria, The writings of Clement of Alexandria, translated by the Rev. William wilson, Edinburgh, 1909, 2 vol. (Ante Nicene Christian library vol. IV)

Clement of Alexandria, Miscellanies Book vii (Seventh Book of the stromateis), London, 1905, Greek text with introduction, notes.. by Hort (F. J. A.) & May or (J.B.)

Clement of Alexandria, The Exhortation to the Greeks, The rich man's salvation, and the fragment of an address entiiled, To the Newly Baptized., text with an English transtation by G. W. Butterworth London, 1953, (The Loeb Classical Library, N. 92.).

Clement of Alexandria, Quis Dives Salvetur, reedited with an introduction on the Mss. of Clement works by . P. Mordaunt Barnard, Cambridge 1897, (Texts and studies, vol. 5 No. 2).

Clement of Alexandria, small books on great subjects, edited by a few well wishers to knowledwg, London 1844 (Christian Doctrine and Practice in the second century, 1844,

Clement of Alexandria, The Excerpta ex Theodoto of Clement of Alexandria, edited with transtation, introduction and notes by casey (Robert

Pierce), London 1934 (studies and Documents edited by kirsopp Lake & Silva lake).

Clement of Alexandria, Hymn to Christ, transtated into English Verse, London 1876. by Chatifield (Allen. w.) (Songs and Hymns of earliest Greek christian poets, bishops and others).

سادساً : مراجع بالعربية عن الفيلسوف

الأسقف ايسيذوروس، الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة الجزء الأول.

الآب بطرس البستانى، دائرة المعارف للبستانى، مجلد ٤ ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

مجلة عين شمس لأقلوديوس يوحنا لبيب، مجلد ٤ ص ٥٥ ومايليها.

سليم سليمان، مختصر تاريخ الأمة القبطية فى عصرى الوثنية والمسيحية الجزء الأول، القاهرة ١٩١٤م

لجنة التاريخ القبطى، تاريخ الأمة القبطية، خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر.

يوحنا لورنس فان موسهيم، تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة.

يوسف كرم، دروس فى تاريخ الفلسفة ، القاهرة ١٩٤٦

يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، القاهرة ١٩٤٦ . ص ٢٦٩ – ٢٧٣ .

٦ - فى أوريجينوس

* Socrates, Ecclesiastical History.

* Sozomenus, Ecclesiastical History.

* Theodoret, Ecclesiastical History.

* The Oxford Dictionary Of The Christian Church, edited by F. L. Cross, Oxford, 1974.

* Eusebius, The Ecclesiastical History And The Martyrs of Palestine, Translated with Introduction and Notes, by Hugh Jackson Lawlor, John Ernest Leonard Oulton, 2 Volumes, London 1928.

* Charles Bigg, The Christian Platonists of Alexandria, Oxford, 1886.

* Rene Cadiou, La Jeunesse D'origene, Paris, 1935.

* Jean Danielou, Origène, Le Génie du Christianisme, Paris, 1948.

* J. Armitage Robinson, The Philocalia of Origen, Cambridge, 1893.

* Eugène de Faye, Esquisse de la Pensée D'origene, Paris, 1925.

* Eugène de Faye, Origène, sa Vie, son Oeuvre, sa Pensée, vol. ll, La Mbiance Philosophique, Paris, 1927.

* L'abbe Gustave Bardy, Origène, Paris, 1931.

* Jean Scherer, Entretien D'origène avec Hèraclide, Paris, 1960.

* Origène, Contre Celse, tome 1, 11, 111, Iv, (Source Chretiennes, No 132, 136, 147, 150) Paris, 1967, 1968, 1969, 1969.

* Henri Crouzel, Origène et La Connaissance Mystique, 1961.

* Hans urs Von Balthasar, Parole et Mystère Chez Origène, Paris, 1957.

يوسابيوس : تاريخ الكنيسة.

مختصر تاريخ الأمة القبطية فى عصرى الوثنية والمسيحية، لواضعه سليم سليمان ١٩١٤م

الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ـ تأليف الأسقف ايسيذوروس ـ الجزء الأول

كتاب تاريخ الكنيسة القبطية تأليف منسى القمص.

قصة الكنيسة القبطية ـ ايريس حبيب المصرى الجزء الأول.

فهرس الموضوعات

صفحة

مقدمة	٧
الفلسفة المسيحية الشرقية	٩
نظرة عامة إلى الفلسفة	١٠
رجال الدين والفلسفة	١٢
لماذا يدرس رجال الدين الفلسفة	١٦
الديانة المسيحية والمذاهب الفلسفية	٢٢
مدرسة الأسكندرية اللاهوتية	٢٨
مؤسس المدرسة ومديروها	٣١
منهج الدراسة وروحها	٤١
إكليريكية الأسكندرية فى عصر اضمحلالها	٤٥
الفلسفة المسيحية الغربية	٤٧
الفلسفة الرواقية	٧٣
فى تاريخ الفلسفة اليهودية	٩٣
الاشتراكية فى المسيحية	١٠٥
الفلسفة الوجودية	١١٩
الفيلسوف أثيناغوراس	١٢٧
مقدمة	١٢٨
الدفاع	١٦٢
الفيلسوف بنتينوس	٢١١
الفيلسوف اكليمنضس الأسكندرى	٢٢٣

من كتاب المربى ٢٣٥
من كتاب المتنوعات ٢٤١
الفيلسوف والعلامة أوريجينوس ٢٤٩
من كتاب المبادىء ٢٧١
هل من إنصاف للعلامة أوريجينوس ٢٧٦
الفيلسوف القديس اغسطينوس ٢٧٩
مدينة الله ٢٨٩
المراجع ٣٠٤



« حياة أنبا غريغوريوس تتلخص فى كلمتين « التكريس والعلم »... كانت الإكليريكية هى جزء من حياته ، وكان العلم يشغل كل وقته.. كان الأنبا غريغوريوس يتميز بالشمولية فى العلم ....

كان أنبا غريغوريوس عالماً ، إذا كتب يستفيض في الكتابة حتى لاتعرف كم من المعلومات يقول ... كان كثير القراءة إلى حد بعيد ، وكان عميق الدراسة إلى حد بعيد.. له مئات من الآباء الكهنة كانوا أبناءه واستقوا العلم على يديه ، والذى لم يستق العلم على يديه استقاه من كتبه ومؤلفاته ، وله عشرات من الكتب فى كل فنون العلوم الكنسية ، .. كان أيضاً إنساناً وطنياً يحب بلاده ويحب مصر .

له معلومات كثيرة وكتب كثيرة فى الوطنية .. وعن سير القديسين ... هو موسوعة من المعلومات .

الأنبا غريغوريوس على الرغم من علمه الكبير جداً ، كان إنساناً بسيطاً يجمع بين البساطة فى النفسية والعمق فى العقلية ..هو مثل من الأمثلة التى لا تتكرر كثيراً فى العلم الكبير..»

قداسة البابا شنوده الثالث

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسوعة الأنبا غريغوريوس

٥- اللاهـــوت الطقسـي

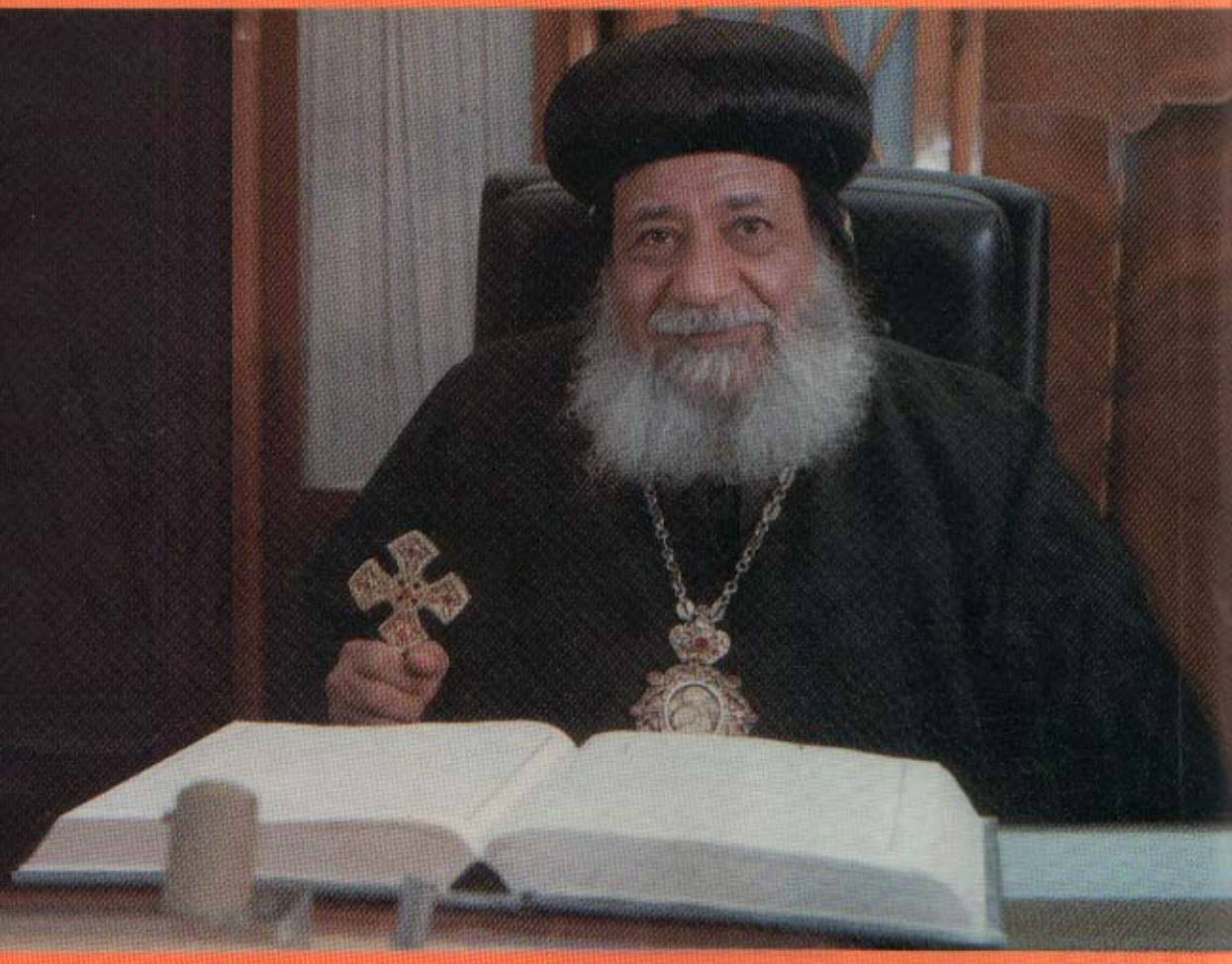

للمتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمي

موسوعة الأنبا غريغوريوس

٥ - علم اللاهوت الطقسى

- مقـــــــدمة.
- الطقوس فى الأمم الوثنية.
- الطقوس قبل النبى موسى.
- الطقوس منذ النبى موسى.
- موضوعات وإجابات على أسئلة فى الطقوس المسيحية.

بقلم

الأنبا غريغوريوس

أسقف عام

للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية

والبحث العلمى



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث



نيافة الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس

مقدمة

هذا هو الجزء الخامس من موسوعة الأنبا غريغوريوس ويحتوى مجموعة مذكرات فى اللاهوت الطقسى، كتبها المتنيح الأنبا غريغوريوس (الدكتور وهيب عطا الله جرجس) بعد تعيينه معيداً بالكلية الإكليريكية فى عام ١٩٤٤.

وقد أشار لذلك صاحب القداسة البابا شنوده الثالث، فى كلمة وداعه الأخير فى أكتوبر ٢٠٠١، فقال غبطته: «بدأ التدريس فى الكلية الإكليريكية، ودرّس مواداً جديدة لم ينافسه فيها أحداً، فكان يُدرس اللاهوت الأدبى، وكان يُدرّس الفلسفة، وله مؤلف كبير فى اللاهوت الأدبى وفى الضمير والمسئولية الأدبية، ... وله كتب فى الفلسفة بكل أنواعها.. ، كان الأنبا غريغوريوس يتميز بالشمولية فى العلم...، من أساتذة الإكليريكية من هو متخصص فى الكتاب المقدس، ومن هو مختص بالعقيدة، ومن هو مختص بالقانون، .. **فى الطقس** إلى آخره، ولكنه كان يشمل كل هذه العلوم معاً..».

واستمرت تطبع هذه المذكرات بنظام الماستر، أى لا يزيد عدد الطبعة عن خمسمائة نسخة، ويعاد طبعها تباعاً حتى الآن.

ورأينا أن نعيد طباعتها بطريقة أفضل، بعد إعادة تجميعها وتبويبها فى مجلدات، مع إضافة كثير من الموضوعات والأسئلة المختلفة مع إجاباتها، وفى هذا الجزء جمعنا كل ما كتب فى اللاهوت الطقسى، وهناك كثير من الأسئلة فى الطقوس التى تباشر مع أسرار الكنيسة السبعة رأينا أن نضيفها على الأسرار ليكون كل سر متكامل مع أسئلته، وسنفرغ لها جزءاً من الموسوعة بإذن الله.

وسنفرد أجزاء أخرى لتضم سير من شخصيات الكتاب المقدس، والقديسين، واللاهوت العقيدى، والموضوعات الروحية، والكنسية، والعامة، وذلك بعد تبويبها، بحيث تشمل أجزاء هذه الموسوعة كل كتابات المتنيح الأنبا غريغوريوس التى لم تنشر أو نفذت بعد نشرها.

وذلك لكى نوسع دائرة الاستفادة منها للجميع، كما نحمى هذا التراث من الضياع، ولتأخذ هذه المطبوعات رقم إيداع لحمايتها من النشر عن أى طريق آخر غير مكتبة الأنبا غريغوريوس، التى تكرم مشكوراً صاحب الغبطة والقداسة البابا شنوده الثالث، وخصص لها مكاناً، بالدور الثالث بمبنى الأنبا رويس بالبطريركية الجديدة بالعباسية.

ونشكر الله الذى أنمى هذه البذرة التى أثمرت حتى الآن خمس ثمرات، وهو قادر أن يكمل هذا المشروع ويكلله بالنجاح، بصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا **المعظم الأنبا شنوده الثالث**، أدام الله لنا حياة قداسته، ومتعنا الرب برئاسته للكنيسة ولنا، أباً وراعياً، وحفظ الله قداسته بكل سلامة متمتعاً بكامل الصحة والعافية ونفعنا الرب ببركة صلوات قداسته.

الإكليركى

منير عطية

١- فهرس الموضوعات

صفحة

مقدمة ٧

علم اللاهوت الطقسى - مقدمة ٩

معنى كلمة طقوس ٩

حاجتنا إلى الطقوس ٩

فوائد الطقوس ٢١

تاريخ الطقوس فى الأمم الوثنية: ٣١

أولا: الصلاة ٣٥

ثانيا: أنواع الصلاة ٣٦

ثالثا: شروط الصلاة وترتيباتها ٤٠

رابعا: أوقات الصلاة ٤٢

خامسا: اتجاه الصلاة ٤٢

سادسا: مكان الصلاة ٤٣

سابعا: إمام الصلاة ٥٣

ثامنا: الصوم ٥٧

تاسعا: الأعياد والمواسم ٦١

عاشرا: الحج ٦٢

حادى عشر: النذور ٦٣

ثانى عشر: التمييز بين المحلل والمحرم ٦٤

تاريخ الطقوس قبل عهد النبى موسى: ٦٧

الصلاة ٦٨

شروط الصلاة المستجابة ٧٠
موضوعات الصلاة ٧٢
تخصيص مكان العبادة ٧٨
تدشين مكان العبادة ٧٩
تقديم الذبائح ٨٠
إقامة المذابح ٨٢
وظيفة الكهنوت ٨٤
السجود ٨٤
الصوم ٨٧
التمييز بين المحلل والمحرم ٨٨
البكور ٨٩
العشور ٨٩
النذور ٨٩
تاريخ الطقوس منذ موسى النبى: ٩١
عبادة الله على وجه العموم ٩٢
العبادة تجب لله وحده ٩٣
العبادة الباطلة مرفوضة من الله ٩٥
الله يوصى بأن نصلى إليه ٩٥
القديسون يصلون إلى الله ويطلبون منه ٩٦
الرب يسر بصلوات الأبرار وبتسبيحهم ١٠٠
يستجيب الرب صراخ المستغيثين ١٠٢

الرب يقبل ويستجيب شفاعة القديسين فى البشر ١١٠
الصلاة وخصائصها العامة شكلا وموضوعا ١٣٦
إتجاه الصلاة ١٦٣
أوقات الصلاة ١٦٥
أنواع الصلاة ١٦٩

موضوعات وإجابات على أسئلة

١ – الطقوس بين القاعدة والتطبيق ١٧٥
٢ – القداس وثيقة عقائدية روحية ثمينة ١٩٤
٣ – القداس ترتيب إلهى، وتقليد رسولى مقدس ١٩٧
٤ – صلة المسيحى بالكنيسة ١٩٨
٥ – طقس الإكليل ٢٠٢
٦ – طقس التمجيد ٢٠٦
٧ – لماذا نصلى للشرق؟ ٢٠٩
٨ – الموضع الذى ينبغى فيه السجود ٢١١
٩ – الميامر الكنسية ٢١٨
١٠ – ملابس الكهنة ٢٢٠
١١ – ملابس الخدمة الكهنوتية بيضاء دائما ٢٢٣
١٢ – البرنس الأرجوانى ٢٢٦
١٣ – قانون الإيمان يتلى كاملاً ٢٢٧
١٤ – مواقيت القداسات فى ليالى الأعياد السيدية الكبرى ٢٣٠
١٥ – هل تجوز إقامة قداس ليلة رأس السنة ليلا؟ ٢٣٢

١٦ – متى يجوز الجلوس أثناء خدمة القداس؟ ٢٣٣
١٧ – لماذا يقال بركاته علينا ولا يقال بركاته معنا؟ ٢٣٤
١٨ – من يقرأ الإنجيل؟ ٢٣٥
١٩ – كنيستنا القبطية غنية بألحانها ومرداتها وطقوس صلواتها ٢٣٦
٢٠ – أوشية القرابين بدلا من أوشية المسافرين فى يوم الأحد ٢٣٧
٢١ – إضاءة القنديل أمام صورة الرب يسوع المسيح وأمام صورة العذراء ٢٣٨
وبعض كبار القديسين
٢٢ – لماذا توضع ثلاث شمعات على الصليب؟..... ٢٣٩
٢٣ – هل يجوز تلاوة صلاة المجمع باللغة العربية؟ ٢٤٠
٢٤ – لماذا لا تذكر أسماء النساء القديسات فى مجمع القديسين بالقداس؟..... ٢٤١
٢٥ – لمس المذبح ٢٤٣
٢٦ – وضع اللفائف على رؤوس السيدات ٢٤٣
٢٧ – فيم يستغل زيت القنديل المتبقى؟ ٢٤٤
٢٨ – ماذا يُصنع بالكتب المقدسة والصور الدينية الممزقة؟ ٢٤٥
٢٩ – هل للشماس أن يخلع ملابس الخدمة قبل نهاية القداس؟ ٢٤٦
٣٠ – ارحمنا يا الله ضابط الكل ٢٤٧
٣١ – لماذا يخرج الشماس بالمبخرة أثناء الترحيم؟ ٢٤٨
٣٢ – يجب أن تعود المجمرة أو المبخرة إلى الهيكل ٢٤٩
٣٣ – إجابات على بعض الأسئلة..... ٢٥٢
٣٤ – الترحيم فى أيام الأعياد والأحاد والخماسين ٢٥٣
٣٥ – فى التسبحة الكيهكية..... ٢٥٤

٣٦ – قراءات فصول شهر كيهك ٢٥٥
٣٧ – ترتيب الصلوات والتسابيح فى شهر كيهك ٢٥٦
٣٨ – تفسير كلمة Ⲕⲁⲧⲁ ،خبزنا الذى للغد، ٢٥٨
٣٩ – رأس خدمة القداس الإلهى ٢٦٠
٤٠ – لغة المردات ٢٦١
٤١ – يمجدونك أم يسبحونك ٢٦٣
٤٢ – لروحك أيضاً ٢٦٣
٤٣ – لماذا نستخدم المزامير (الأجبية) فى الصلاة؟ ٢٦٤
٤٤ – المزامير مع الصلوات الإرتجالية ٢٦٦
٤٥ – الفرق بين إجتماع الصلاة والقداس الذى يسبقه ٢٦٨
٤٦ – من المسئول عن قيادة الشمامسة ٢٦٩
٤٧ – هل للشماس الحق فى لفت نظر الكاهن ٢٦٩
٤٨ – هل للكاهن الخادم أن يقرأ جزء من الإنجيل القبطى ٢٧٠
٤٩ – قداس القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات ٢٧٠
٥٠ – الشمع على المذبح لا الكهرباء ٢٧١
٥١ – قسمة تقال فى صوم وعيد الميلاد ٢٧٣
٥٢ – قسمة لعيد الغطاس المجيد ٢٧٥
٥٣ – قسمة صوم وعيد الرسل ٢٧٧
٥٤ – قسمة تقال فى الصوم الكبير ٢٧٩
٥٥ – قسمة تقال فى عيد القيامة المجيد ٢٨١
٥٦ – قسمة تقال فى عيد الصعود الإلهى ٢٨٣

٥٧ – لايخرج المصلون من الكنيسة قبل التسريح الختامى ٢٨٥
٥٨ – السجود والميطانيات ٢٨٦
٥٩ – هل تجوز ممارسة الميطانيات أيام الآحاد؟ ٢٨٧
٦٠ – الهدوء التام فى الكنائس ٢٨٨
٦١ – التصفيق بالأيادى ٢٨٩
٦٢ – منع الزغاريد فى بيت الله ٢٩١
٦٣ – هل يجوز عمل أربعين أو ذكرى سنة لغير أرثوذكسى؟ ٢٩٣
٦٤ – رسم علامة الصليب ٢٩٥
٦٥ – الوضع الأنسب والأليق للصلاة ٣٠٠
٦٦ – إذا سمعتِ أصواتاً ارشمى علامة الصليب ٣٠٢
٦٧ – هل يجوز للمؤمن أن يحمل أثناء صلاته الخاصة صليبا؟ ٣٠٣
٦٨ – هل يجوز للنساء دخول الهيكل لمباشرة أعمال النظافة؟ ٣٠٤
٦٩ – هل يبيت الخادم الحارس فى الكنيسة؟ ٣٠٦
٧٠ – الدروس العلمية والمحاضرات لاتقام بالكنيسة ٣٠٧
٧١ – الحاجة إلى إقامة قاعة وغرفات وملحقات لكل كنيسة ٣٠٩
٧٢ – لحن ΘΕΟΤΟΚΟΣ الخاص بالرسل الأثنا عشر ٣١٠
٧٣ – الصور والإيقونات ٣١٢
٧٤ – الدورة بإيقونة الصعود ٣١٤
٧٥ – الاتجاه إلى الشرق ٣١٥
٧٦ – طقوس إجتماعات الصلاة ٣١٦
٧٧ – ما الفرق بين الاحتراس والصوم ٣١٩

٧٨ – التبخير والسجود للأسقف ٣٢٠
٧٩ – الجمع بين القداس الباسيلى والغريغورى والكيرلسى فى قداس الأحد ٣٢١
٨٠ – لماذا صلاة القنديل فى جمعة ختام الصوم ٣٢٢
٨١ – معنى كلمة «كنيسة» ٣٢٣
٨٢ – قاعات للوعظ والألحان ٣٢٤
٨٣ – السجود عند حلول الروح القدس ٣٢٥
٨٤ – كلمة «إيروبسالتيس» ٣٢٦
٨٥ – كلمة «يرومارتيروس» ٣٢٦
٨٦ – طقس القيامة ٣٢٧
٨٧ – تكرار الصلاة الربانية ٣٢٨
٨٨ – تكرار صلاة الأجبية ٣٢٩
٨٩ – هل الطقس القبطى رسولى؟ ٣٢٩
٩٠ – لحن «افرحى يامريم» ٣٣٠
٩١ – مامعنى كلمة «سلاه» ٣٣١
٩٢ – المقصود «بسبعة وأربعة» ٣٣٢
٩٣ – غطاء الرأس للكاهن ٣٣٤
٩٤ – تقبيل يد الكاهن ٣٣٥
٩٥ – الفرق بين التقليد الكنسى والدسقولية ٣٣٧
٩٦ – صوم المذبح ٣٣٩
٩٧ – تسليم القداس الإلهى ٣٤٠
٩٨ – أوشية الراقدين فى أيام الخمسين ٣٤٢

٩٩ – فائدة الألحان الكنسية وأهمية اللغة القبطية ٣٤٤
١٠٠ – الموسيقى القبطية ٣٤٧
١٠١ – لاتدخل إمرأة حائض إلى الكنيسة ٣٥٠
١٠٢ – غسل أرجل المرأة ٣٦١
١٠٣ – ترنيمة «قام حقاً» ٣٦١
١٠٤ – القداس يتطلب روحانية الأداء ودقته ٣٦٢
الفهارس ٣٦٣
١ – فهرس النصوص المقتبسة من الكتاب المقدس ٣٦٣
٢ – فهرس الموضوعات ٣٧٧

علم
اللاهـــــوت الطـــقـــسى

مـــقدمـــة

معنى كلمة طقوس:

الطقوس جمع لكلمة طقس، والطقس كلمة تـرجع فى إشتقـاقها اللغوى إلى الكلمـة اليونانيـة τάξις ومعناها ترتيب أو نظام، وبهذا المعنى أُستعملت كلمة «طقوس» فى الكنيسة المسيحية، حيث تعنى بها الترتيبات والنظم الروحية التى يجب مراعاتها فى العبادة المسيحية. ويسمى العلم الباحث فى هذه الترتيبات والنظم الروحية بعلم اللاهوت الطقسى.

حاجتنا إلى الطقوس، أو الأسس الفلسفية والسيكولوجية التى تقوم عليها فكرة الطقوس

أولاً: من حيث هى نظام وترتيبات: -

وتظهر أهمية الطقوس ووجوه الحاجة إليها من أنها نظام وترتيب. والنظام أمر طبيعى لا يستقيم أمر ما بدونه، فكل شئ نافع ومفيد لابد من أن يتوفر فيه النظام. وهذه هى سنة الله فى الخليقة، بل الشرط العام الجوهرى لجميع أعمال البشر حتى تكون أعمالاً نافعة وتحقق أغراضها التى ترمى إليها. إذ عندما يختل النظام فى ناحية من نواحى الحياة المادية أو الروحية أو الإجتماعية أدركها الخلل والفساد.

(١) النظام فى الطبيعة:

ما أجمل النظام والترتيب الذى نراه سائداً فى الطبيعة: فالأفلاك تجرى فى مساراتها وفق نظام بديع لا تتخلف عنه، وتخضع فى حركاتها لقوانين صارمة غاية الصرامة لا تخرج عنها، من حيث حتمية وقوعها فى أزمنتها المحدودة. فنظام الكون نظام كامل بهر الفلكيين حتى أنهم آمنوا جميعاً بالله، الذى لم يدع شيئاً يفلت من صرامة هذا النظام، وإلا أصاب الكون الدمار والفناء وقد اتخذ اللاهوتيون والفلاسفة هذا النظام السائد فى الكون دليلاً قوياً وبرهاناً يقيناً على وجود الله.

(٢) النظام فى جسم الإنسان:

وليس ينكر أحد ذلك النظام الذى يشاهد فى عالم الأحياء من نبات وحيوان وإنسان. فهذا الجسم الحى يتألف من أجهزة عدة: جهاز هضمى، وجهاز تنفسى، وجهاز دموى، وجهاز بولى، وجهاز تناسلى، وجهاز عصبى... إلخ وكل جهاز من هذه الأجهزة يتألف من أعضاء لكل منها عمل خاص. وكل عضو يتركب من أعضاء أصغر منه. وهكذا يكون كل جهاز أشبه ما يكون بمملكة عظيمة غاية فى النظام: كل فرد منها يقوم بعمل خاص لا يقوم به غيره، وإن توقف هو أصاب الجسم كله الإختلال والإرتباك. وسائر الأجهزة تخضع للجهاز العصبى، والجهاز العصبى يتألف من جهازين: سفلى، وعلوى. والسفلى يخضع للعلوى، والعضو الأعلى للجهاز العلوى هو المخ، وهكذا نرى نظاماً متناسقاً وترتيباً بديعاً فى جسم الكائن الحى. وعلى هذا النظام تتوقف حياة الكائن وقيامه بوظائفه الحيوية.

(٣) النظام فى العقل:

على أن النظام فى الكائن الحى والذى يتمثل بصفة خاصة فى جسم الإنسان بإعتباره أكمل وأرقى الكائنات الحية، يتمثل كذلك فى العقل الإنسانى الذى يتألف من قوى وملكات مختلفة لكل منها عمل خاص: إما التفكير أو التخيل أو التذكر، أو التعليل ... إلخ، ثم أن كل ملكة من هذه الملكات لا تقوم بعملها إلا تبعاً لقوانين ونظم معينة يسير عليها العقل فى تذكره أو تفكيره أو تعليله. هذا وإن العقل لا يستطيع أن يتقبل المعلومات إلا مرتبة منسقة منظمة، وعلى قدر نظامها يكون مبلغ إنتفاعه منها، فإذا لم يتوفر لها هذا النظام، كان على العقل مهمة أخرى وهى أن يتولى تنظيمها فى الخارج قبل أن يتقبلها فى داخله. ومعنى هذا أن النظام أمر لابد منه فى حياة الإنسان، جسماً وعقلاً.

(٤) النظام فى البناء:

فالبيت يتألف من طين وطوب وأحجار وأخشاب وزجاج وحديد ونحاس. ومع ذلك فلا توضع معاً لكى يخرج منها البناء، بل لا بد من أن يوضع كل شئ فى موضعه، كما أنه فى البناء يقوم المقاول بعمل يختلف عن عمل المهندس. والبنّاء يعمل غير عمل النقّاش أو النجّار ... إلخ وإذن فلكل شخص ممن يشتغلون أو يشتركون فى البناء بعمل خاص به لا يقوم به غيره، ومنهم جميعاً يتألف عمل البناء. ثم إن البيت نفسه لابد أن ينظم ويقسم فى الداخل على أساس

الأغراض المختلفة التى يجب أن تخصص لها الحجرات المختلفة: فمنها ما هو خاص بالنوم، أو بالضيافة أو بالطعام، أو بالدراسة أو بدورة المياه. أى أن النظام لا غنى عنه فى تأسيس البيت وعمارة المنزل وسائر الأبنية والمساكن والمعاهد والمستشفيات والملاجئ ومختلف الدور.

(٥) النظام فى الجيش:

لعله من أبرز الصفات الهامة التى يجب أن تتوفر فى الجيش الناجح هى صفة النظام. فمهما كانت العدد، ومهما كان العدد، فلا بد من توافر النظام إذ بدونه لا يمكن أن يتم النصر. والنظام شرط أساسى فى توفيق الجيش. والنظام فى الجيش معناه أن لكل فرد عملاً خاصاً: ففى الجيش قائد أعلى، وقواد صغار، وضباط كبار، وضباط صغار، ثم جنود، وبين هؤلاء وأولئك درجات تختلف وفقاً لها الإختصاصات والأعمال. والجنود أنفسهم يقومون بأعمال مختلفة وفقاً للنظام العام للجيش. ولابد لكل فرد فى الجيش أن ينتبه إلى عمله ولا يقحم نفسه فى إختصاص غيره، بل يتلقى الأمر ممن هو أعلى منه. فالنظام ضرورى فى الجيش ولازم جداً لنجاحه.

(٦) النظام فى المجتمع:

ولسنا نستطيع أن نعدد النواحى الكثيرة فى المجتمع والتى يتوقف نجاحها على النظام، فالعلوم لم تتقدم إلا على أساس تقسيمها وتنظيمها وتخصص العالم فى فرع واحد من هذه الفروع. كما أن الأعمال المختلفة التى تقوم بها المصالح الحكومية أو الشركات: كلها لابد أن يتوفر فيها النظام، سواء فيما يتعلق بتقسيم العمل على الأشخاص وفقاً لمؤهلاتهم وميولهم وإستعداداتهم، أو فيما يتصل بإدارة العمل وصلة صغار الموظفين برؤسائهم... إلخ، وبالإجمال، فإن كل عمل فى الحياة يقوم به الطالب أوالعامل، أو الموظف سواء كان صغيراً أو كبيراً، رئيساً أو مرؤوساً. لابد أن يتحقق فيه النظام ويتوفر فيه الترتيب، وإلا يصيبه الفشل وعدم النجاح.

(٧) النظام فى الكنيسة:

فإذا كان النظام شرطاً أساسياً لنجاح الأعمال وهو الطابع الإلهى الذى طبع به الكون فى إجماله وتفاصيله، فكيف لا تكون الكنيسة وهى ملكوت الله فى الأرض، منظمة منسقة؟؟ وكيف لا تجرى فى شتى شئونها على نظام وترتيب يتفق مع مشيئة الله المقدسة؟

إن كان النظام ظاهرة فى الخليقة الجامدة، فكيف لا يكون فى الخليقة الناطقة؟ وإن كان فى جسم الإنسان فكيف لا يكون فى جسم المسيح أى الكنيسة؟ وإن كان العقل لا يقتبل المعرفة إلا

على أساس النظام، فكذلك ومن باب أولى حقائق الروح لا تنفذ إلى الأعماق إلا على أساس النظام. وكما أن البناء يسوده النظام فالكنيسة بيت الله وبيت العبادة يلزمه فى بنائه النظام، وإذا كان الجيش لا يتقدم ولا ينجح إلا بالنظام كذلك جيش الخلاص وهو كنيسة المسيح لابد فيها من النظام. وأخيراً فإن كان كل عمل فى المجتمع يجب أن يكون منظماً، فبالأولى مجتمع المؤمنين ذوى المواهب المختلفة، يجب أن يتوفر فيه النظام.

فإذا كانت الطقوس نظماً وترتيبات روحية، فهى أمر لا مفر منه فى كنيسة المسيح. وقد أبان الله عن ضرورة النظام فى كنيسته وشدد على وجوب اتباعه ... ففى **العهد القديم** ... جعل الكهنوت محصوراً فى سبط لاوى، وجعل الكهنة محصورين فى بنى هرون ،والأجنبى الذى يقترب يقتل، ولا يترك الحرية لشعبه فى طريقة العبادة، بل جعل لها أى للعبادة نظاماً خاصاً ومكاناً خاصاً اشترط فى بنائه نظاماً خاصاً، وأمر موسى بوجوب مراعاته، وهكذا كانت كنيسة العهد القديم تجرى بموجب طقوس ونظم معينة أبانها الله فى سفر الخروج. ابتداء من الإصحاح الحادى والعشرين ثم كرس لها سفر اللاويين بتمامه، وجزءاً من سفر التثنية.

وفى **العهد الجديد** ... نرى الحرص على النظام واضحاً فى تصرفات السيد المسيح وتصرفات رسله الأطهار... فالسيد المسيح عندما كان يوزع الخبز على الجماهير، كان يأمر تلاميذه بأن يجلسوهم متكئين، خمسين خمسين، وفى هذا يظهر أن الرب يشترط النظام لتوزيع مواهبه السمائية، هذا النظام الذى يبدو أولاً فى طريقة الجلوس، وثانياً فى نظام التوزيع (١).

وقد كرس القديس بولس الرسول فصولاً بتمامها، وعلى الأخص فى رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس، ليحث فيها المؤمنين على مراعاة النظام والترتيب فى العبادة، وكان يوبخهم على الفوضى قائلاً: «أم تستهينون بكنيسة الله ... ليكن كل شئ بلياقة وبحسب ترتيب » (٢)، ولما لم يسعهم أن يكلمهم عن كل شئ، قال فى نهاية الأمر: « وأما الأمور الباقية، فعندما أجئ أرتبها» (٣) .... كذلك كتب فى رسالتيه الأولى والثانية إلى كنيسة التسالونيكيين يحذرهم من مخالطة الذين يريدون أن يعيشوا بلا نظام أو ترتيب، فيقول فى رسالته الأولى: ونطلب إليكم أيها الأخوة، أنذروا الذين بلا ترتيب » (٤)، ويقول فى رسالته الثانية «ثم نوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب، وليس حسب التقليد الذى أخذه منا» (٥).

(١) راجع إنجيل مارلوقا، الفصل التاسع ابتداء من عدد ١٤.

(٢) ١. كو ١١: ٢٢، ١٤: ٤٠. (٣) ١. كو ١١: ٣٤.

(٤) ١. تس ٥: ١٤. (٥) ١. تس ٣: ٦.

ومجمل القول، أن الله يشترط لسياسة كنيسته فى العهدين القديم والحديث، النظام والترتيب، ويأبى أن تكون كنيسته فوضى بلا نظم أو قوانين تضبطها: «لأن الله ليس إله تشويش ، بل إله سلام» (١).

وإذا كانت النظم ضرورية ضرورة طبيعية، وهى دليل وجوده تعالى وطابع تدخله فى سياسة الكون وتدبير الإنسان والحيوان والنباتات والجمادات، فإن الطقوس بوصفها نظم الكنيسة ثم ترتيباتها الروحية، لازمة وضرورية لفائدة المؤمنين ولتدبير الكنيسة ولنمو الحياة الروحية، بحيث أن الديانة إن خلت من الطقوس والنظم خلت من أصبع الله، ولم تعد مناسبة لعبادة الله.

ثانياً: من حيث أن الطقوس ممارسات خارجية للعقائد الإيمانية: -

إن العقيدة أو الإيمان ثقة باطنية بحقيقة روحية غير مادية. فالحقيقة الروحية تشعر بها النفس شعوراً باطناً، وتثق بوجودها، وتؤمن بصحتها، ولكن الديانة ليست مجموعة حقائق باطنية ومشاعر داخلية فقط، وإلا بقيت أموراً خفية لا يستطاع العلم بها ولا نقلها إلى الآخرين، بل هى أيضاً ممارسات خارجية مبعثها الدوافع الباطنية والحقائق الإيمانية. وهذه الممارسات الخارجية هى الطقوس. فالطقوس إذن هى الممارسات الدالة فى مظهرها على البواطن الإيمانية. فتصديقك بوجود الله عقيدة ولكن اعترافك به جهراً وعبادتك له ليس عقيدة وإنما طقس، ولذا تسمى الصلاة والصوم، والصدقة، طقوساً. كما أن إيمانك بالتناول أنه بذاته جسد الرب ودمه هو عقيدة. أما صلوات القداس من أجل الاستحالة، ثم تقدم المؤمنين بالفعل إلى هذا السر الطاهر، تعتبر كلها طقوساً. فالطقوس إذن نظم روحية وترتيبات دينية كنسية يؤديها المؤمن فى الظاهر معلناً بذلك حقيقة إيمانه وتصديقه بالديانة وطاعته لله وخضوعه لوصاياه ونواميس كنيسته.

ولما كانت الديانة الحقيقية تقوم على الأساسين : الباطنى، والظاهرى، وكانت الطقوس هى هذه التعبيرات الظاهرة عن العقائد الإيمانية الباطنية ، فمن ثم يلزم أن تكون للديانة طقوس، بحيث أن ديانة بلا طقوس ديانة ناقصة أو قل ليست ديانة على الإطلاق.

ثالثاً: من حيث أن الطقوس تعبيرات ظاهرية عن الميول العقلية والانفعالات النفسية، بموجب الرابطة الطبيعية بين الروح والجسم: -

وثمة رابطة طبيعية بين الروح والبدن، هى رابطة اتحاد طبيعى، بين عنصرى الإنسان، بحيث إذا تلبست الروح بانفعال نفسى باطنى أو ميل واتجاه عقلى، لابد أن يبدو هذا الأثر على البدن. فالميول العقلية أمور باطنية خفية لكن عندما تتأثر النفس بها، يظهر تأثيرها على الجسم

(١) ١. كو ١٤: ٣٣.

كذلك. فإذا كنت فرحاً، فالفرح الباطنى لا يمكن أن ينحصر فعله فى الباطن. بل يظهر حتماً على محياك وقسمات وجهك ونظرات عينيك وربما على حركات يديك أو رجليك، ونشاط جسمك كله. وكلما كان الفرح عميقاً لم يستطع المرء أن يضبط حركاته التعبيرية الدالة على انفعال الفرح، وكان من المتعذر عليه أن يحتفظ بشعور الفرح مكبوتاً فى نفسه بحيث لا يظهر فى الخارج.

وعلى العكس من ذلك، إذا صدمك خبر أليم، فإن حزن نفسك الباطنى يتمثل ظاهرياً فى انقباض وجهك وضمور جسمك ومنظر عينيك الدامعتين أو الجامدتين وفى حركات جسمك الهادئة الحزينة، وصوتك الخافت المنخفض وامتقاع لونك.

وما نقوله عن انفعالى الفرح والحزن، نقوله كذلك عن انفعال الخوف مثلاً: فمع أنه شعور باطنى لكنه يبدو فى نظرات الذعر والارتعاب التى تنظر بها إلى كل شئ حولك، ثم ارتعاد جسمك واضطراب حركاته، وتلفتك المباغت إلى كل شئ يثير انتباهك وربما قادك الخوف إلى سلوك الهرب.

وإذن فالميول العقلية والانفعالات النفسية تتمثل ظاهرياً فى دلالات تعبيرية حتى أنه نستطيع بهذه الدلالات أن نحكم على الانفعالات النفسية الباطنية : فإذا رأينا رجلاً يصرخ توقعنا أنه متألم أو مريض، وإذا سمعناه يزفر ويتنهد حكمنا بأنه حزين أو متضايق ... يقول الكتاب: « من منظره يعرف الرجل، ومن استقبال الوجه يعرف العاقل. لبسة الرجل ، وضحكة الأسنان، ومشية الإنسان، تخبر بما هو عليه » (١).

أما إن قيل ألا يمكن أن يطل الانفعال مكتوماً؟ قلنا إذا كان انفعالاً حقيقياً فلا يمكن أن يظل مكتوماً، لأنه مهما كان الانفعال أولياً وبسيطاً فلا مفر من ظهور علامات على الجسم نعم قد لا يستطيع رجل ضعيف الملاحظة أن يراقبها نظراً لعدم وضوحها الوضوح الكافى لكنها على كل حال علامات ظاهرية.

ومهما يكن من شئ فالنسبة مطردة بين الانفعالات النفسية والدلالات التعبيرية، كلما كانت الانفعالات قوية عنيفة كانت الدلالات جلية واضحة. فإذا كانت الدلالات بسيطة باهتة فالانفعالات ضعيفة خافتة أيضاً.

إذا كان ذلك كذلك. فقد انبنى عليه أنه عندما يشعر المرء شعوراً حياً بمحبة الله، فإنه يذكره على الدوام ويناضل عن حقيقة وجوده وعميق حكمته وشامل عنايته، ولابد أن يتمثل هذا الحب

(١) يشوع بن سيراخ ١٩ : ٢٦ ، ٢٧ .

فى إقباله على الكنيسة بشغف وحرارة، وفى مواظبته على الصلاة والصوم وتقديم العطايا والعشور والنذور، وفى محبته لمكان العبادة، بل وللكهنة والشمامسة، وكل ما يتصل بالله أو ينتسب إليه حتى أوانى الكنيسة وأدواتها ومقاعدها وسائر ما فيها، فيهتز قلبه بالحب كلما ذكر اسم الله أو الكنيسة وما ينتسب إليهما.

وكذلك شعور الخشية والاحترام لله، يبدو فى مظهر الورع والاحتشام فضلاً عن الأدب الجم والسكون الرائع الذى يلتحق به العابد فى بيت الله، وهو الذى يدعوه إلى أن يخر ويسجد أمام الهيكل المقدس، وكلما ذكر اسم الثالوث المقدس: بل ويدعوه إلى احترام وتوقير كل ما ينتسب إلى الله، فهو يوقر الكاهن لأنه رسول رب الجنود، ويلثم يده تبركاً وخشوعاً لله الذى يوقره فى شخص كاهنه بل ويلثم مقدساً كل المقدسات من أغطية وستائر وأوانى مقدسة، وصور وأيقونات للسيد المسيح، والقديسين.

فإذا كان ثمة إنسان يقول أنه يشعر بالحب والخشوع والاحترام ولكنه لا يعبر عن هذه المشاعر الباطنية بطقوس ظاهرية، فذلك يرجع إما إلى تكلف واصطناع .... كبرياء من الإنسان أو خجلاً منه، وإما إلى فقدان العاطفة الدينية وبرود المحبة وروح التقوى أى أن احساسه بالخشوع لم يكن احساساً حقيقياً، أو كان احساساً ضعيفاً فاتراً، أما أن يكون هناك احساس بالورع والخشوع والحب ولا يظهر فى الخارج فهذا مستحيل قطعاً، إذ أن ما يسرى فى النفس لابد أن ينتقل إلى الجسم.

ومعنى هذا أن الميول العقلية والانفعالات الروحية لا يمكن إلا أن يعبر عنها فى الخارج، ولابد أن تتمثل فى سلوك ظاهرى هو الذى نسميه بالطقوس. وإذن فما دامت هناك مشاعر دينية فلابد من طقوس تعبر عنها بموجب الرابطة الطبيعية بين النفس والبدن، والديانة التى تزعم أنها روحية بحتة، بمعنى أنها فى غنى عن الطقوس تحكم على نفسها بأنها ديانة ضعيفة لم تستطع أن تؤثر على الروح تأثيراً كبيراً يظهر فى ممارسات خارجية ودلالات تعبيرية بل وتحكم على نفسها بأنها ليست ديانة مناسبة لبشر يتألفون من روح وجسد، بل وليست مناسبة حتى لملائكة، لان الملائكة فى السماء يعبدون الله فى طقوس (إذ يخرون ويسجدون أمام الحى إلى أبد الآبدين ويسبحون على الدوام صارخين بالأنغام الشجية، والتسابيح السماوية قائلين: قدوس، قدوس قدوس.... إلخ.

رابعاً: من حيث أن الطقوس مباشرات خارجية تنقل الأثر الروحى إلى النفس الباطنية عن طريق الحواس:

وكما أن الارتباط الطبيعى والاتحاد الخلقى بين الروح والجسم يجعل الجسم يتأثر بما تنفعل به النفس، كذلك هذا الارتباط عينه، من شأنه أن يجعل النفس تتأثر بما يدخل إلى الجسم عن طريق الحواس. فالحواس أبواب المعرفة، وهى التى تنقل العالم الخارجى إلى بواطن نفوسنا وتجعلنا نحس ونتأثر باطنياً بما نحسه خارج نفوسنا. ونحن قد نحزن أو نغضب أو نفرح لرؤيتنا منظراً أو شخصاً: فنفرح إذا وقع بصرنا على صديق، أو لأننا رأينا واقعة ما أدخلت السرور على نفوسنا، أو نغضب إذا رأينا شخصاً نمقته، أو شخصاً يسلك بما لا يليق، وهكذا قد يتولد فينا انفعال الخوف نتيجة رؤيتنا لعدو قادم أو لوحش ضارى. وقد نلتذ لمذاق طعام جميل أو نتقزز من منظر قبيح أو لمذاق طعام ردئ. وقد نسر من نعومة الشئ أو نتضايق من خشونته، وبالاجمال فإن ما تنقله إلينا الحواس الخمس: من بصر وسمع وشم وذوق ولمس، ينتقل إلى أعماق النفس ويثير فيها انفعالات القبول أو انفعالات النفور. ولعل أعظم هذه الحواس أثراً فى حياتنا حاسة البصر.

إذا كان الأمر كذلك، فإن رؤيتنا المسيح معلقاً على عود الصليب والدم يقطر من جنبه الظاهر ويداه ورجلاه مسمرات داميات، تفعل فى النفس فعلاً عجيب، فتثير فيها انفعالات الألم والحزن وتولد فيها عواطف الحب والحنو والاشفاق والعدالة. وربما كانت صورة فنية رائعة أعظم أثر فى نفوس الناس جميعاً من ألف عظة من أقدر واعظ. ولذا تحرص الكنيسة المقدسة على تمثيل حوادث الآلام بطريقة مادية محسوسة ملموسة، تبصرها العين فتنفعل النفس بأعمق مشاعر الحزن والألم، فأى إنسان، يرى الكنيسة مجللة بالسواد مطرودة خارج المحلة ، وقد خلع الكهنة والشمامسة ملابس البهاء والتحفوا بملابس الحداد، ألا ويدرك حقيقة الألم فى نفسه، وكلما عنيت الكنيسة بتمثيل هذه الحوادث بمظاهر الحشمة والحزن كان أثرها فى النفوس عظيماً وعميقاً.

وما نقوله عن الصور والأيقونات، وأسبوع الآلام ومختلف الطقوس فى الأصوام والأعياد، نقوله أيضاً فى ممارسة أسرار الكنيسة السبعة. فمع أن هذه الأسرار نعم سماوية ومواهب إلهية لكنها تعطى لنا بصورة محسوسة تكون كافية لإيقاظ حواسنا العقلية وتنبيه مشاعرنا الروحية إلى الحقيقة الإلهية والنعمة السماوية، التى ننالها بهذا السر الإلهى، ففى المعمودية لابد من التغطيس فى الماء وفى الميرون ومسحة المرضى لابد من المسح بالزيت، وفى التناول يأكل المؤمن جسد الرب ودمه تحت أعراض مادية محسوسة هى الخبز والخمر، وفى الزواج لابد من الرباط والإكليل على هامتى العروسين، وفى التوبة والكهنوت لابد من وضع اليد، للحل أو للسيامة، وهكذا تنتقل الفكرة الروحية عن طريق صورة مادية، فتثق النفس بأن مع تقدمها للصورة

المنظورة تنال نعمة غير منظورة: قال القديس يوحنا ذهبى الفم « أيها المسيحى، لو كنت عارياً عن الجسد، لكانت عطايا الله تمنح لك على هذا النمط. ولكن حيث أن نفسك متحدة بجسدك. فلزم أن الله يعطيك بعلامات محسوسة ما لا يدرك إلا بالعقل » قال أيضاً «هكذا فى المعمودية أيضاً، فبالشئ الحسى تحصل منحة الماء، وأما المتمم فعقلى: أعنى الولادة والتجديد».

وليس البصر هو الحاسة الوحيدة التى تنقل إلى النفس صور العالم الخارجى لتثير فيها انفعالاتها الباطنية، ولكن السمع والشم والذوق واللمس، كلها تشترك فى هذه المهمة الجليلة، وإن كان نصيب البصر فيها أكبر وأعظم. أما السمع: فليس بخاف أثر الموسيقى فى نفس الإنسان سواء كانت موسيقى صوتية أو موسيقى آلية: كيف تحصل الموسيقى، حتى لو لم تكن معانيها مفهومة، كل من يسمعها على أن يتأثر بشجى أنغامها. لهذا كانت عناية الكنيسة بالموسيقى الدينية، فهى طريقة مناسبة لنقل روح الديانة إلى قلوب الناس ونفوسهم بما تنقله إليهم عن طريق آذانهم أو حاسة السمع. وهكذا يفعل البخور بحاسة الشم، ويفعل التناول بحاسة الذوق، وتفعل لمسة المؤمن فى تقبيل أعتاب الهيكل أو المذبح أو صور المسيح وقديسيه، أو أيدى الكهنة من أساقفة وقسوس وشمامسة.

فمن الخطأ البين أن يتجاهل الإنسان طبيعته، فيظن أنه عقل محض لا يتأثر إلا بالكلام والوعظ والإرشاد، وينسى أنه إنسان له حواس تتأثر بما يقع عليها من محسوسات بأعظم مما يتأثر العقل بما يقتبل من كلمات. ولقد مضى الوقت الذى كان الناس يظنون فيه أنهم عقول بحتة، لا ينفذ إلى نفوسهم شئ ما لم يمر على العقل أولاً. كلا فكل ما فى الإنسان من حواس هى أبواب تنفذ منها المؤثرات الخارجية على النفس البشرية ولم ولن يوجد ذلك الإنسان الذى يعيش فى الحياة بعقله، ولا يتأثر بمؤثرات تنقلها إليه العين أو الأذن أو اليد أو سائر الحواس.

وإذن فلابد للديانة التى تروم أن تشبع حاجة النفس الإنسانية من طقوس تؤثر على الحواس فتنتقل إلى النفس فتثير فيها انفعالات وعواطف ملائمة. وكل ديانة تخلو من الطقوس هى ديانة ميتة خالية من كل حياة، وكل فكرة ترمى إلى تخليص الديانة من طقوسها هى فكرة خبيثة هدامة، تهدف إلى القضاء على روح الديانة.

خامساً: من حيث أن الطقوس تقرب إلينا حقائق الديانة العالية:

ليس من شك فى أن حقائق الديانة المسيحية سامية عالية عن العقول والأفهام البشرية، ولا يمكن للعقل أن يستوعب هذه الحقائق مجردة عن طقوس تقربها إليه وتجعلها قريبة من فهمه.

ومثل حقائق الديانة فى ذلك مثل سائر حقائق العلوم والمعارف الإنسانية، فإنه لا بد فيها من الصور الحسية التى تقرب إلى ذهن الإنسان الحقائق التى لا يستطيع أن يصل إليها مجردة عن هذه الصور الحسية. ففى الهندسة نستعين بالرسوم الدقيقة على السبورة أو فى الكتب لنمكن التلاميذ من تصور النظريات الهندسية. وكذلك الحال فى علم الجغرافيا نستعين بالمصورات الجغرافية، والخرائط المكبرة أو المصغرة والرحلات فإنها تقرب إلينا ما لا نستطيع أن نتوصل إليه بمجرد الفكر، وفى علم الطبيعة نستعين بالنماذج لفهم خواص المادة وطبائعها ولابد من التجارب فى علوم الصوت والضوء والحرارة والمغناطيسية والكهربائية ، وفى علم الكيمياء لا بد من المعمل لاختبار صحة الحقائق التى وصل إليها العلماء، وهكذا فى علوم النبات والحيوان لا بد من التشريح والاستعانة بالمصورات والرسوم والنماذج بل وآلات السينما والفانوس السحرى حتى يمكن تقريب الحقائق بصورة مقبولة ومفهومة. وذلك لأن الحقيقة العالية لابد أن تربط بصورة حسية تجعلها فى متناول الإنسان، والأمر كذلك فى حقائق الديانة، لابد فيها من الصور المقربة فنستعين بالصور والأيقونات، للسيد المسيح ورسله وسائر القديسين حتى نستطيع أن نتصورهم فى عقولنا، ونقترب إلى التاريخ أو يقترب التاريخ إلينا، وحتى نستطيع أن ندرك ما تتصفوا به من فضائل لدى تأملنا فى صورهم المقدسة: بما تنقل إلينا من معانى النبل والشجاعة والمحبة والاحتمال والصبر والوداعة والتسامح.

وفضلاً عن ذلك فإن مسح القربانة فى القداس يرمز إلى عماد السيد المسيح، كما أن وضعها فى الصينية وتغطيتها بالابروسفارين وتثبيتها بلفافة صغيرة، يقرب إلينا قبر السيد المسيح وما وضع عليه من حجر وما ختم من ختم ... إلى غير ذلك من طقوس القداس التى تقرب إلينا حقائق روحية سامية.

كذلك حقيقة التواضع المسيحى قد تغيب عن الأفهام، فتقربها الكنيسة إلينا وتذكرنا بها عن طريق ممارسة طقس غسل الأرجل الذى يعيد إلى الأذهان ما عمله السيد المسيح فى ليلة آلامه، وتعيد إليها أيضاً التعاليم السامية المرتبطة بهذا الطقس كتعليم المحبة للجميع، والتواضع المسيحى الذى يجعل المسيحى عبد لأخيه المسيحى.

فالطقوس إذن حلقة لا تنفصل من الديانة، لأن الحقائق المجردة لابد لها من طقوس تقربها إلى الأفهام . وإذا كان من الممكن أن تخلو الديانة من الطقوس. فقد صارت بمنأى عن الإنسان إذ لما كانت الحقيقة دوماً عقلية، وكان الإنسان جسماً، فلابد أن تتلبس الحقيقة جسماً مادياً لتكون فى متناول الإنسان ومقدوره.

سادساً: من حيث أن الطقوس ممارسات خارجية تطبع فى النفس أثراً لا يمحى:

ولئن كانت الطقوس تقوم بمهمة تقريب الحقائق الروحية العالية إلى العقول والأفهام البشرية بحيث يمكن أن تنفذ إلى النفس الإنسانية فى سهولة ويسر لا يطبع فيهما بدونها. فإنها فى الآن نفسه تطبع فى النفس أثراً لا يمحى. فكأنها لا تؤثر فى النفس فقط، ولكن هذا الأثر يدوم ويبقى أبداً، يأبى أن ينفصل عن النفس، حتى لو حاولت النفس أن تنفك عنه أو تنفصل منه.

ومن منا ينكر أثر المحسوسات المادية على نفسه وما تطبعه فى نفسه من أثر قوى واضح دائم. أليس حقيقة أن حادثة ما رأيتها بعينيك وتتبعت وقائعها بكل ما فيك من بصر وسمع ولمس وسائر الحواس تثبت فى ذهنك ثباتاً أقوى مما لو كنت قرأت عنها أو سمعت بها فقط؟ أجل فإنها قد نقشت على جميع ملكاتك العقلية والنفسية، فلقد تأثرت بها فى وضوح كامل، ولقد رسخت فى ذاكرتك رسوخاً دائماً، وقد أصبحت موجهة لك فى التفكير والتصرف وجميع مرافق حياتك الفكرية والنفسية، وربما غيرت من نظرتك إلى الحياة ومن طريقة سلوكك مع نفسك ومع غيرك من الناس، ولا شك أنك تذكر هذه الحادثة كلما مرت بك فكرة تستدعيها، تذكرها فى وضوح كامل كما لو كنت ترى - وقائعها ماثلة أمام عينيك فى هذه اللحظة وهذا معناه أن ما تتأثر به الحواس ينتقل فى وضوح وقوة إلى النفس، كما أنه يثبت فى الذهن ويرسخ فى النفس بحيث لا ينسى ولا يمحى.

فإذا كان الأمر كذلك فقد ترتب عليه أن الديانة التى تريد أن تغور إلى أعماق النفس البشرية وتطبع فيها أثراً أو آثاراً ثابتة خالدة لا تمحى، يجب أن تكون ديانة طقسية، ديانة تقدم المعانى الروحية فى مظاهر مادية تجتذب انتباه الحواس، وتشبع رغبة الحواس ولذتها باستخدامها واستغلالها فيما خلقت لأجله. وليست السآمة أو الملل فى الحقيقة إلا نتيجة ما مباشرة لعدم إشباع حواسنا بما تتوق إليه وترغب فيه. حتى لقد عرف بعض الفلاسفة: اللذة، بأنها امتلاك الحاسة لموضوعها الذى وجدت من أجله. فكلما كانت الحقائق الدينية مصحوبة بطقوس تشبع رغبات الحس، كانت الديانة حية فى نفوس الناس، ثابتة موطدة فى قلوبهم وأذهانهم وأرواحهم، فهى إذن ديانة مناسبة لهم من جهة، وهى خالدة فى نفوسهم من جهة أخرى.

سابعاً: من حيث أن الطقوس وسيلة مناسبة لإشراك الجسد مع الروح فى العبادة: -

وإذا كان الإنسان يتألف من روح ومن جسد، وكان على الروح واجب العبادة والخضوع لله اعترافاً منها بفضله عليها وإحسانه إليها، فإن على الجسم أيضاً أن يؤدى هذا الواجب كاملاً غير

منقوص، فالله الذى تفضل على الروح بنعمة الخلق ونعمة الحفظ، تفضل على الجسم أيضاً بنعمة الخلق ونعمة الحفظ، وقد خلق هذا الجسم بغاية الدقة والنظام والإحكام فضلاً عن التآلف والانسجام بين سائر الأعضاء، فكيف لا نعبد الله بأجسامنا كما نعبده أيضاً بأرواحنا؟ ومعنى هذا أننا إن صلينا وخضعنا بالروح فيجب أن نصلى بأن نخضع بالجسد كذلك، الروح تفكر وتتأمل فى الله وتتجه نحو الله، والجسد يقف أو يسجد فى تأدب واحترام واللسان ينطق بألفاظ الصلاة فى حكمة واتزان ووقار وإن عبدنا الله بأرواحنا فى الصلاة، فيجب أن نعبده بأجسامنا فى الصوم. أى أن الطقوس هى الوسيلة التى بها يشترك الجسم مع الروح فى أداء واجب العبادة بالله، وبذلك تكون العبادة كاملة لأنها تستغرق مجهود الروح والجسم معاً. قال الرسول «فأطلب إليكم أيها الأخوة، برأفة الله، أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله، عبادتكم العقلية» (١).

على أن الجسد فى الإنسان تتجمع فيه كل خواص الخليقة المنظورة من جمادات ونباتات وحيوانات، فهو يشتمل على الكينونة وعلى المادة التى تتمثل فى الجمادات، كما أنه يشتمل على عنصر الحياة كما يظهر فى النباتات، وعلى الإحساس الذى تتميز به الحيوانات وما يستتبع هذا الإحساس من حركة. ولقد عبر بعض الفلاسفة عن هذا المعنى بقوله أن فى الإنسان نفساً نباتية ونفساً حيوانية ونفساً ناطقة بالإضافة إلى الهيولى أو المادة. ولهذا كان يسمى الإنسان عند القدماء «بالميكروكوزم» وهى كلمة يونانية تتألف من مقطعين (ميكرو، ومعناه: صغير)، (كوزم، ومعناه: عالم) أى أن الإنسان هو العالم الصغير، وهذا فى مقابل ماكروكوزم، وهو العالم الكبير أى الخليقة بأكملها.

فإذا كان الإنسان بمثابة النائب العام عن الخليقة المنظورة أو الكاهن المنوط به واجب العبادة بالنيابة عن المخلوقات غير الناطقة إذ هى عاجزة عن الفهم والنطق وواجب الشفاعة فى هذه الكائنات، فإنه بعنصر الجسد يستكمل كل صفات النيابة عن الخليقة المنظورة، كما أنه بالروح يشكر ويتأمل ويطلب. وإذن ففى خضوع الجسد الإنسانى وسجوده وتذلله فى الصلوات والأصوام وعبوديته لله، إظهار لعبودية الخليقة كلها لله وباعتبارها ممثلة فى الإنسان.

وعلى ذلك فالطقوس وهى ممارسات تشرك الجسم مع الروح فى تأدية العبادة لله، تخول للإنسان فرصة تقديم هذه العبادة بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن الخليقة المنظورة. والديانة

---

(١) رومية ١٢: ١.

التى تخلو من طقوس ديانة تنكر فضل الله على الجسد ولا تلتفت إلى نيابة الإنسان عن جميع المخلوقات المنظورة، وكأنها أهملت أو لم تدخل فى اعتبارها أن الجسد فى الإنسان وما ينوب عنه، يجب أن يظهر خضوعه وتعبده لله بممارسات خارجية هى التى نسميها طقوساً.

* * *

من كل ما تقدم يتبين لنا أن الإنسان بوصفه إنساناً لا يستطيع أن يكون فى عباداته فى غنى عن الطقوس، بل وتبين لنا أيضاً أن الديانة نفسها لا تستطيع أن تستغنى عن الطقوس إن أرادت أن تكون ديانة كاملة يدين بها جميع الناس، بل وديانة حية فعالة ودائمة الأثر فى نفوس تابعيها وغير تابعيها والحق أنه لا توجد ديانة على الأرض تخلو من الطقوس، وإن كان يوجد من ينكر أهمية الطقوس، فذلك نظرياً فقط، أما عملياً فلا....

فوائد الطقوس

لقد أثبتنا حاجة النفس البشرية إلى الطقوس، وانتهينا إلى أن الديانة بوصفها حقائق روحية تبلغ إلى النفس يجب أن تشتمل على طقوس. وأما هنا فنريد أن نتحدث عن بعض الفوائد التى تقدمها لنا الطقوس، وهى ناحية جديدة تؤكد لنا أهمية الطقوس وضرورتها.

(١) تنقل الديانة إلى روح الأطفال:

إن الطفل الصغير لا يمكنه أن يتفهم حقائق الديانة عن طريق العقل ولا يستطيع أن يقدر قيمة النصائح والارشادات التى يوجهها الكاهن أو القارئ فى الكنيسة إلى جمهور المصلين كما أنه يعجز عجزاً عظيماً عن متابعة الوعظ وفهم مدلول الكلمات المجردة، ومع ذلك فحضوره فى الكنيسة ليس عبثاً ولا باطلاً، لأنه وإن كان لا يستفيد من كلمات وألفاظ وعبارات، لكن الطقوس الكنسية تؤثر فى نفسه آثاراً بعيدة المدى وتجذب انتباهه وتستأثر بمجموع حواسه بل وشواعره وعواطفه الغضة الناشئة فيحب الديانة ويتعلق بالكنيسة ويشغف بالعبادة ويميل إلى حضور الكنيسة ويتهلل بمجئ يوم الرب.

فى الكنيسة تقسيم واضح بين موضع لا يرى الطفل فيه غير كائنات ترتدى زياً خاصاً ولباساً كله بهاء وجمال، أبيض ناصع البياض مزركش الألوان الحية الجميلة، تقف بأزاء مكعب مكسو بمفروشات عظيمة رائعة الزينة منقوشة بالصلبان المختلفة الشكول والأنواع. ثم يرى فرقاً بين هؤلاء الخدام سواء فى الزى أو الكرامة، ثم يرى صوراً متنوعة على الحجاب الفاصل بين الهيكل ومكان وقوف الشعب. ويتطلع إلى الأنوار فإذا هى معلقة فى سماء الكنيسة تزيدها ضوءاً

ولمعاناً. ثم إذا به يبصر القارئ يقرأ من فوق موضع خاص. ويرى رئيس الكهنة يجلس فى موضع خاص. ثم يسمع أصوات الترنيم والتلحين ويشنف أذنه بسماع الآلات الموسيقية ورنينها الساحر الرائع.

كل هذا وغيره يمتع به الطفل ناظريه وسامعيه وسائر حواسه فيلتذ ويسر وينتعش، ويدرك معانى الديانة وتعاليم الكنيسة بطريقة محسوسة ملموسة وهى الطريقة الطبيعية التى تلائم سن الولد الصغير. ثم أن هذه الطقوس التى يراها الطفل ويسمعها ويحسها لها روعة وجمال وقوة وتأثير فى خيال الطفل وادراكه أعظم مما لها فى تفكير رجل كبير، فإذا كنا ونحن رجال نشعر بقيمة هذه الطقوس فى انعاشنا، فلها فى نفوس الأطفال أثراً أعظم وأخطر وفضلاً عن هذا كان للطقوس رسالة تؤديها وهى صامتة فى نفس الطفل بأبلغ جداً مما يؤديها وعظ أو تعليم إذ هى سهلة على نفسه، مثيرة لانتباهه، محببة إليه. ثم هى تغور إلى نفسه فلا ينساها، بل ويدرك ويستطيع فعلاً أن يدرك أموراً فى روح الديانة بأكثر مما ندركها نحن نظراً لمرونة فكره وسعة أفق خياله. ولذلك نحسب أن أجلّ خدمة تقدم إلى الطفل وإلى الكنيسة معاً هى المجئ بهم إلى الكنيسة، هذا خير وأوقع وإن كان لا يغنى عن كل إرشاد وتعليم.

وقد يكون من غير المستطاع لدينا فى هذه الكلمة العاجلة عن أثر الطقوس فى نفوس الصغار، أن نتكلم بأكثر من ذلك، ومع ذلك فالدليل العملى خير دليل. نعم، فقد رأينا أطفالاً صغاراً بل رأينا رضعان يعجزون عجزاً باتاً عن الكلام لأنهم صغار، ومع ذلك لاحظنا أنهم فى البيت يتناغون مع أنفسهم بمناغاة فيها نقل رقيق لأنغام الكنيسة، وذلك لأن أمهاتهم قد صحبن هؤلاء الأطفال معهن إلى الكنيسة، فتأثر إحساس الطفل وشواعره بالطقوس الكنسية فأصبح ملتذاً بترديدها بل وقادراً على ترديدها بدقة بالغة عظيمة.

(٢) تنقل الديانة إلى النساء:

يمتاز الرجال عن النساء، بصفة عامة، بقدرتهم على التفكير العميق، كما أن النساء تمتاز عن الرجال، بصفة عامة، بغنى العاطفة وقوتها، فالنساء يتأثرن بسرعة نظراً لشدة العاطفة فيهن. ولذلك يملن إلى كل ما يثير العاطفة والإحساس. فإذا كانت الديانة ديانة منبرية ، ديانة وعظ وتعليم فإنها لا تستثير انتباه المرأة كما تفعل فى نفسها الديانة ذات الطقوس. هذا وإن المرأة قد تنسى أو لا تلتفت إلى العظة ولكنها تستطيع أن تصف لك الواعظ، هى تذكر ما تراه بالعين وتسر بسماعه الأذن وقد تهمل ما عدا ذلك. ليس معنى هذا أن المرأة لا تستفيد من الوعظ

والتعليم ولكن معناه أنها تتأثر وتميل وتذكر بالأكثر كل ما يثير حواسها وانتباهها، وهى فى هذه النواحى تفوق الرجل. فالديانة ذات الطقوس أبلغ أثراً وأشد فعلاً فى نفس المرأة من ديانة تخلو من الطقوس. وقد تنسى كل شئ ولكنها لا تنسى هذه الطقوس، وقد يتغير شعورها نحو الأفكار ولكنها لا تتغير نحو شئ بلغها فى أسلوب حسى ملموس، فقد طبع فيها أثر لا يمحى ولا يزول، فإذا ضعف يمكن أن يتجدد فى يسر بالإعادة. فحضور المرأة للكنيسة فى غاية الأهمية لأن الطقوس التى تشترك فيها أو فى رؤيتها وسماعها تقرب إلى طبيعتها روح الديانة فتستطيع أن تدرك فى عاطفة ملتهبة رهبة الأسرار وقيمتها ونفعها بما تحدثه فى نفسها من أثر عميق واضح.

(٣) تنقل الديانة إلى روح الرجل:

ليس الرجال عقولاً محضة ولا هم بأفكار بحتة، وإنما هم بشر فيهم إلى جانب العقل احساسات وشواعر وانفعالات وعواطف، وليس العقل فى حياة الرجل غير باب من أبواب كثيرة يمكن أن تنفذ عن طريقها إلى نفسه المعانى والاعتقادات، بل والعقل أضيق هذه الأبواب جميعاً وأقلها احتمالاً ولذا يصيبه سريعاً التعب والإعياء. فليس حقاً أن المعتقدات تتكون فى نفوسنا عن طريق واحد أو سبيل العقل، بل إن أرقى البشر عقلاً وهم الفلاسفة وعباقرة المفكرين، كان لخبراتهم الواقعة كما لاتجاهاتهم الانفعالية والعاطفية فضلاً عن ميولهم ونزعاتهم ورغباتهم، فضل السبق على العقل فى خلق الاتجاه الأول الذى جرت فى أثره عقولهم فكونت مذاهبهم ومعتقداتهم.

ليس هذا انكاراً لسلطة العقل وإنما هو تقرير واقعى عن حياة الإنسان الحقيقية وإذن فيجب أن ننتبه إلى مثيرات العواطف والانفعالات ونجهزها بكل ما ينقل إلى النفس أطهر المعانى والأفكار ويوجهها إلى أنبل المقاصد والغايات. لذلك تجب العناية بالطقوس فى الديانة ويجب أن نحملها كل ما هو طاهر ومقدس ونافع، فيتقبلها المرء فى لذة ويفتح لها نفسه أحسن الفتح فينتفع بما تحمله من معانى دون إرهاق ومشقة ، وينتقش فى قلبه وذهنه بليغ المعانى وكبير الغايات.

(٤) تنقل الديانة إلى الجهلة والعوام:

ليس شرط أن أكون عالماً لكى أكون مسيحياً. فالمسيحية دين سماوى روحانى يمكن أن يكون ديناً للعالم والجاهل معاً. أما العالم، فيمكنه أن يطلع على الكتب المقدسة وأن يتابع الوعظ والتعليم المسيحى بما له من ثقافة ومقدرة على القراءة والبحث والاستماع. ولكن الجاهل بالقراءة

والكتابة ممن يعجز عن قراءة الإنجيل أو الكتب الدينية أو ممن يجهده الاستماع الطويل إلى عظة أو خطبة قد تكون رفيعة عالية من مستواه الثقافى، يجد فى الطقوس الكنسية خير عون له على فهم روح الدين وإدراك معانيه بلغة قريبة إلى طبيعته الإنسانية، نعم، فنظرة واحدة منه إلى المسيح معلقاً على عود الصليب فيها الغنى لنفسه من قراءة إصحاحات وفصول مطولة قد يشق عليه استيعابها وفهمها وقد لا يكون لها من التأثير قدر ما لهذه الصورة الرائعة الجميلة التى يراها بعينه فتمثل أمامه قصة الصليب بدون ألفاظ أو عبارات ودون حاجة إلى وقت طويل. وهكذا يكون لألحان الكنيسة ونغماتها على قلبه قدرة على النفاذ والغلبة أعظم مما لكلمات الوعظ والإرشاد.

وليس الجاهل من يجهل القراءة والكتابة فحسب، بل يمكن أن نحسبه جاهلاً هذا الإنسان الذى لا يعرف من حقائق الديانة شيئاً وإن كان عالماً ضليعاً. فهذا الجاهل بالدين وهذا الداخل إلى بيعة الله متصلفاً بغير وقار يليق بجلال صاحب القدس، يجد فى طقوس الكنيسة أكبر قامع لكبريائه وأشد فاعل على قلبه بالخشوع والورع قبل أن تدخل إلى ذهنه أو قلبه معانى الكتب أو شروح المعلمين. إنه يبتهج أو يحزن دون أن يقصد بل يحس أنه مغلوب بقوة هذه الألحان التى تسبح بروحه إلى حيث تريد هى حتى لو كان هو لا يدرى . فإذا تطلع إلى اليمين أو اليسار رأى صور الرب وقديسيه عيوناً شاخصة إليه بنظرات كلها طهر وبراءة كفيلة بأن توبخ نفسه الجامحة النجسة وكفيلة بأن تدعوه إلى حياة البر والسلام الكامل.

فالطقوس إذن وسيلة مفلحة تنقل الديانة فى روحها وعمقها إلى قلوب الجاهلين بالعلم أو الجاهلين بالدين، فى لغة صامتة هادئة وقورة.

(٥) تذكر الناسين، وتجدد عواطف الفاترين:

ما أكثر شواغل الحياة، تتدافع علينا فتنسينا وتلهينا، وما أكثر ما يتغير الفكر وينقفل الذهن فتتتابع الأفكار وتتلاحق الخواطر، فنتأمل فى آخر الأمر فإذا بنا أمام فكر جديد كل الجدة لا تكاد تربطه بالأول القديم رابطة ما حتى ليصعب علينا فى أكثر الأحيان أن نعرف كيف تسلسل الفكر وما هى فيه نقطة البدء.

ولسنا نقرر هنا أمراً جديداً فما من أمر تشكو نفوسنا بسببه قدر ما تشكو من النسيان وحسناً قالوا، سمى المرء إنساناً لأنه كثير النسيان. ولذلك تريد الكنيسة المقدسة أن تغالب فينا هذا النقص الإنسانى فتعمد إلى إيجاد هذه الطقوس الثابتة علها تذكرنا بها من جديد وتعيدها إلى

أفكارنا مرة ثانية فتعود معها معانيها السامية التى ارتبطت بها فنخشع ونعبد ونتورع. ومن هنا فإن طقوسنا ثابتة لا تتغير إلا بقدر، وهو أيضاً تغير ثابت متكرر، فعامل الثبات مفيد فى إثارة الذكريات الروحية السابقة المرتبطة بتلك الطقوس الثابتة، وعامل التغيير نافع فى إثارة النفس نحو الجديد والطريف. وهذا يفسر الخشوع الذى يستولى على نفوس القديسين بمجرد دخولهم إلى كنيسة الله إذ النظام الثابت المستقر، كلما تكرر أمام النفس التى ربطت به سامى المعانى ورفيع التأملات، كلما ذكرت هذه التأملات واستطاعت أن تواصلها من حيث انتهت وبهذا ترتقى وتسمو وتخلص من قيود المادة الفقيرة الواهنة. وعلى ذلك فقد حددت الكنيسة صلوات المؤمن بأنها سبعة وربطت كل صلاة منها بمناسبة تخص السيد المسيح حتى كلما صلى ذكر السيد المسيح فى آلامه وموته وقيامته وكانت هذه الصلوات المتكررة فى مواعيد ثابتة من شأنها أن تعين على مواصلة التأمل والتعمق بعد أن يسقط الاهتمام باللفظ ويرتفع الفكر فوق خلق الكلمات إلى الاسترسال فى روح اللفظ الموضوع، فنغوص فى بحر الصلاة إلى أعماق الله إذ نكون منقادين بروح الله.

أما أن الطقوس تجدد عواطف الفاترين، فهذا أمر بين ملحوظ، فكم من مرة دخلنا إلى الكنيسة فاترين فرجعنا عنها منتعشين مشحونين بالنعمة مملوئين عزماً ونشاطاً فى طريق الخلاص. وإنى لأشهد أن المرء قد يكون حزيناً متضايقاً فيمضى إلى الكنيسة فإذا به يسمع صلاة هادئة بصوت شجى منعش تكفى لتبديد ما لحقه من توان وكسل أو فتور وحزن وحصر نفسى. من يدرى فربما يكون ما نستشعره أحياناً من ضيق هو بفعل قوة شريرة فإذا استمعنا إ لى لحن شجى أو ترنيمة هربت عنا قوات الشر وفزعت وولت الأدبار. أو لم يكن هذا ما كان يفعله داود لشاول؟ فصوت الترنيم وتوقيع المزامير كان يقوى على طرد روح الشر فيغادر شاول.

وما أشبه الطقوس وفاعليتها فى النفس بالعوامل الباطنية التى تثير الخواص المعدنية فى عين جارية، هكذا تحركنا الطقوس وتثير عواطفنا وتجدد انفعالاتنا الروحية.

(٦) تثبت أسس الديانة وتنقلها إلى الأجيال التالية:

لما كانت الطقوس فى الدين طريقاً ممهداً تنتقل به المدركات الدينية السنية إلى النفس الإنسانية، وكانت من وجهة أخرى تعبيراً عن روح التقوى، وتعبير الإنسان لا بد أن يتلبس بصورة محسوسة لأنه إنسان أو كائن محسوس. لذلك تصبح المعانى المرتبطة بهذه الطقوس واضحة راسخة فى نفوس الناس.

على أن الديانة لو كانت مجرد معان لا تغادر العقل والذهن إلى تعبير مجسم محسوس، لما كان يمكن أن تنتقل الديانة من الآباء إلى الأبناء الجاهلين طبعاً بهذه المعانى، وإنما الطقوس هى هذه الأداة المناسبة التى يعرف بها الأطفال حقائق الديانة بطريقة واضحة قريبة إلى عالمهم الحس الواضح. بل وتكرارها أمامهم بطريقة ثابتة من شأنة أن يطبع الدين فى قلوبهم، ونحن هنا نستعين بعلم النفس لندرك أثر التكرار والإعادة فى ربط الفكرة المجردة بذهن الإنسان.

فالابن الذى يرى أباه يصلى جاثياً على ركبتيه أو واقفاً فى خشوع، لا ينسى هذا المنظر مطلقاً، بل ربما يأتى يوم فينسى فيه كل شئ عن حقائق الديانة ومعانيها ولا يبقى فى ذاكرته غير هذا الشكل الثابت فى ذهنه عن صلوات أبيه، وهكذا يكون للطقس أثر واضح لا يمحى على ممر الأيام ويكون كافياً لقيادة الروح إلى التأمل والتفكر والتعبد.

هذا وأن الطقوس هى حفاظ الدين ورباطه، لولاها تفكك ووهن وأهمل، ولكنها هى التى تقيد البشر به فتجعلهم مضطرين رغماً عن أنوفهم إلى القيام بواجبات الديانة، ولو خوفاً من الناس أو محاكاة لهم أو جرياً على العادة القديمة المألوفة مع أن الدين لو كان أفكاراً ومعانى فحسب، لما وجد المرء فى اتباع هذه الأفكار إرغاماً أو اضطراراً ولا وجد فيها مذكراً ومنبهاً، بل لما كان يعرف هذه الأفكار التى انتقل إليه أكثرها عن طريق طقوس وممارسات السابقين عليه أو المعاصرين له.

والطقوس هى التى تصون الديانة أكبر الصون من التحريف والتغيير من حيث أن الطقوس روابط وقيود تمنع جموح الفكر وتلاعب العقل فهى أوثق ضمان للاحتفاظ، بوحدة الديانة، ولذلك نجد الديانات ذات الطقوس محتفظة بكيانها، راسخة فى نفوس تابعيها، حية فى قلوبهم، خالدة الأثر فى المجتمع، باقية على حقب التاريخ. بعيدة عن التناقضات والاختلافات التى تكون واضحة فى الديانات التى لا تعنى بالطقوس (١).

فالطقوس إذن هى التى تخلد الديانة وتبقيها وتحفظها وتصونها من التحريف والتغيير، وهذا ما انتهى إليه الباحثون فى علم الاجتماع فقد قرروا أن الشعوب التى تمارس طقوساً فى عباداتها تتمسك بدينها وتثبت عليه ثباتاً عجيباً، فإن تزحزحت عنه فلابد أن يكون ذلك بفعل مؤثرات قوية جارفة ولن يتم ذلك أيضاً إلا بعد مجهود عنيف متواصل وصراع شديد وزمن طويل. وهذا

(١) ويقول هيرودتس عن تدين المصريين «إن المصريين كانوا متمسكين تمسكاً شديداً أكثر من غيرهم من سائر البشر حتى شمل كل مرفق من جميع مرافقهم الحيوية والدينية.

يفسر لنا الردة التى تصيب بعض الشعوب التى تحولت عن دينها، فلا تكاد تجد الفرصة سانحة حتى تعود إلى دينها القديم الذى تأصل فيها بطقوسه ومراسمه (١).

إن خلود الديانة أو ثباتها لا يتوقف على عامل إلهى فحسب وإنما على عامل نفسانى كذلك، وهو أثر الطقوس فى نفوس المتدينين بهذا الدين أو ذاك. وقد رأى علماء الاجتماع، أن الديانات اليهودية والمسيحية الأرثوذكسية والكاثوليكية أعمق تديناً وأكثر استمساكاً بالدين وأشد احتفاظاً بنواميسه ووحدته وأعظم ارتباطاً ببعضهم من الديانات التى تهمل الطقوس أو تدعى أنها روحانية بحتة، فإن هذه الأخيرة أكثر تعرضاً للفناء والانقسام والاضمحلال والزوال، ولقد اعترف بهذه الحقيقة المؤلمة أحد مشاهير البروتستانت فى أمريكا فقال: «إن إهمال الطقوس فى الكنائس البروتستانتية كان من العوامل التى ساعدت على تفشى داء الكفر والإلحاد بين العامة».

إذن فالطقوس كما قلنا هى روابط الدين، فمن ينحل عنها ينحل عن الدين ذاته، ومهما ظن فى نفسه أنه أقرب إلى الله بروحه فهو أشد قرباً إلى الكفر والزندقة . بقول الفيلسوف الفرنسى، جوستان لوبون « من عوامل القوة فى الأمة الاحتفاظ بنظاماتها الأصلية وتقاليدها الأولية» ويقول أيضاً «الطقوس والرموز أعنى الاحتفالات والأعلام والأعياد العامة والعرف والمألوف فى علاقات الناس بعضهم مع بعض، كلهم فوق إرادة الإنسان، وهى أقوى سند تقوم عليه الحياة الدينية والاجتماعية، ومن ظن أنه أكبر من أن يتقيد بطقوس أمة واحتقر تقاليدها فهو أجنبى عنها » ويقول كذلك « إنما تصير المعتقدات الفردية عامة بعامل الطقوس والسنن. ويقوم المعتقد الدينى على اليقين، ولكنه لا يدوم إلا بالطقوس والتقاليد، وبلغ من أخذ الطقوس والرموز بالنفوس أنها تبقى بعد زوال المعتقد الذى حدثت لأجله » ... إلى أن قال « لذلك كان أكبر النعم التى يجب أن تصبو إليها الأمة هى المحافظة على النظامات التى ورثتها».

فلنعرف قيمة الطقوس فى كنيستنا وأنها دعامة خلودها وسر احتفاظها بكيانها وثباتها على تعليم واحد قويم، على الرغم من عوامل الهدم والتخريب.

(١) جاء فى تاريخ الملك (حور محب) من ملوك الطبقة الثالثة إنه لم يكد يستقر له العرش حتى اندلعت نيران فتنة شديدة فى طول البلاد وعرضها بسبب تغيير ديانة البلاد فى أيام الملك (أمنوفيس الرابع) وقد اشتدت ثورة الشعب حتى قام ومحى آثار الملوك الذين اشتركوا فى إزالة الديانة القديمة. ولم يبق لهم الشعب أثراً فى المعابد أو الهياكل. فلما رأى الملك حور محب ذلك الشعور الدافق من الشعب نحو دينه القديم، هب فأرجع هذا الدين وعبادة الآلهة القديمة وبذلك أخمد الثورة وقضى على هذه الفتنة (راجع تاريخ الكافى مجلد ١ ص ٨٠ - ٨١).

وقد ذكر مريت باشا عن بلاد الحبشة أيام وثنيتها أنه كان يحكم بالقتل على كل فرد من الرعية يخالف رأى الكهنة أو يغير شيئاً من الشعائر الدينية (الكافى مجلد ١ ص ١٨٣).

(٧) الطقوس خير دعاية عن الدين:

نظامات الكنيسة وترتيباتها تقوم بمهمة تعريف الديانة لدى الجاهلين بحقائقها سواء كانوا من المؤمنين الفاترين أو من غير المؤمنين. فهى إذن بمثابة واعظ ومعلم للأولين. ثم مبشر للآخرين.

أما **المؤمنين الفاترون** فهم هؤلاء المتشاغلون بالعالميات المهملون أمر خلاصهم الأبدى، قوم قاطعوا الكنيسة معتذرين عنها بشتى الحجج والأعذار، يزعمون أن مشاغلهم أولى باهتمامهم من تقديس يوم الرب العظيم، نلاحظ أن هؤلاء الفاترين يترددون على الكنيسة فى أيام أو ليالى الأعياد المقدسة ، وقد لا يأتون إلى البيعة بغرض الصلاة أو التعبد بقدر ما يأتون إليها بقصد الابتهاج بالعيد وهم يعلمون أن طقوس الكنيسة فى ليالى العيد بهجة رائعة، فالطقوس هى التى جذبتهم وأوجدت الرغبة فى قلوبهم ليأتوا إلى بيت الله، الأمر الذى قد يقودهم إلى التوبة والرجوع إلى الله والاهتمام بالحياة الأبدية.

هذا وإن طقوس الكنيسة أى ترتيباتها فى أعيادها ومواسمها وفى أصوامها، وما يتبع هذه النظم من تغيرات فى نظام العبادة من شأنه لا أن يوجه النفس إلى الله فحسب أو يشعر المؤمن بواجبه كعضو فى الكنيسة فقط، وإنما هو وسيلة مناسبة لتعريف المؤمن بتعاليم الكنيسة ومعتقدات الديانة التى يجهلها جهلاً شنيعاً، وكان لهذه النظم والطقوس فضل تعريفه بها أو تذكيره. وكم من مؤمنين فاترين عرفوا كثيراً من حقائق الديانة على هذا الأساس، ولم يعرفوه عن طريق بحث شخص أو استقصاء ودراسة.

وأما **غير المؤمنين** فأكثرهم جاهل بحقائق الديانة المسيحية. لكنهم يتتبعون نظم الكنيسة وترتيباتها فيعرفون مواسمنا الدينية وأعيادنا السيدية وغير السيدية ويعرفون أن يوم الرب عندنا إنما هو يوم الأحد إذ يرون الأجراس تدق ووفود المصلين من المؤمنين تتقاطر على الكنائس تاركة أعمالها وأشغالها العالمية ثم تخرج عنها مبتهجة هادئة. ويعرفون أصوامنا فى بدئها وختامها.

هذه المعرفة بطقوس الكنيسة وترتيباتها فى الأصوام والأعياد فى الأكاليل والجنازات، فى الصلوات والقداسات هى السبيل إلى تعرف غير المؤمنين بحقائق الديانة المسيحية وتعاليم الكنيسة وتقاليدها. ولو كانت الديانة بلا طقوس لانعدمت تقريباً معرفة غير المؤمنين بديانتنا. أما الطقوس فتحفزهم إلى التساؤل والتعرف بتعاليم الديانة. وكثيراً ما تكون هذه المعرفة سبيلاً

لاعتناق الدين، خاصة وأن الطقوس الكنسية جميلة وعظيمة فى تأثيرها وهى إلى هذا كله يمكن أن تبلغ قلوبهم وتفعل فى نفوسهم وتنقل إلى أرواحهم روح التعليم المسيحى الذى ما كان لهم أن يعرفوه لولا هذه الطقوس والترتيبات، فالطقوس تظهر مجد الله ووقار الخدمة الكهنوتية وسمو التعليم المسيحى وروحانية المسيحية وتنعش روح العبادة وتوقظ عواطف التعبد والخشوع نحو الله تعالى. ولذلك يتردد كثيرون من غير المؤمنين على الكنيسة فى مختلف مواسمها وأعيادها ليتمتعوا بشجى أنغامها وجميل طقسها ونظامها التعبدى وهو نظام غير رتيب بل تناسب ما يختلف على النفس من شواعر وانفعالات إذ هو فى الفرح غيره فى الحزن وفى الصوم غيره فى العيد، وفى روح التذلل والانسحاق غيره فى التسبيح والشكر.

* * *

أرأيت إذن إلى جليل الفوائد التى نجتنيها من الطقوس الدينية ... حقاً من ذا الذى يزعم أنه فى غنى عن الطقوس؟؟ ....

إن الطبيعة البشرية ترنو وتصبو إلى النظام والترتيب وتسر وتلتذ بما تراه العين وتسمعه الأذن متلمسة اليد، وهى تحن إلي التعبير والتنفيس عن رغباتها وأفكارها ومعتقداتها، وتميل إلى ما يثيرها وينعشها ويريحها ويرقيها، فالطقوس التى تحيل الديانة من معان ومدركات سموية بمنأى عن الإنسان إلى وقائع حية يمكن أن يبلغ إليها الإنسان ويدركها وليس فرق فى ذلك بين طفل أو شاب أو شيخ، رجل أو امرأة ، عالم أو جاهل، تقى أو مستهتر.

هذه فوائد الطقوس للناس .. فتجعلهم مؤمنين أتقياء، سعداء محبين لبعضهم، متفاهمين متوادين متحابين عاملين الخير والبر والمعروف. فكم من الخير والصلاح قد أدرك الفقراء والمعوزين وأصحاب الفاقة والحاجة والمرض بفضل هذه الطقوس التى أثارت المشاعر وأيقظت الحواس ونبهت إلى الواجب الإنسانى والاجتماعى بقدوم صوم أوعيد.

هذا، وكم كانت تكون الديانة ضعيفة ضئيلة جامدة ميتة لا قدرة لها على الثبات أو البقاء أو النمو لولا هذه الطقوس الكنسية الجميلة.

وإننى فى كلمة واحدة. أقرر أن الطقوس هى أعظم ناقل لروح الدين إلى الناس، بدونها تصبح الديانة عقيمة جديبة لا قيمة فيها ولا نفع منها يرتجى.

أولاً
تاريخ الطقوس
فى
الأمـــم الوثـــنـــيـــة

تاريخ الطقـــــوس

كالتحام الروح بالجسد كذلك معانى الديانات بطقوسها فلسنا نعرف ديانة بلا طقوس، إذ الطقوس ترتيبات الديانة ونظم العبادة ، والديانة إن خلت من الترتيبات والنظم لم تعد ديانة محترمة أو متبعة، والطقوس تعبيرات عن روح الديانة، والديانة إن خلت من التعبير فهى ديانة ضعيفة ميتة، والطقوس مثيرات لروح الديانة والديانة عندما تنقصها مثيرات التقوى والعبادة تصبح ديانة فاترة والعبادة فيها جافة جديبة.

لذلك لم يخل عصر من العصور ولا مكان من الأمكنة من طقوس دينية يأخذ الناس أنفسهم بأحكامها ليتقربوا إلى المعبد الذى يدينون له بواجب العبادة والديانة، وحيثما وجدت أمة على الأرض وجدت معها طقوسها وترتيبات العبادة ونظمها، لأنه لم توجد بعد تلك الأمة التى أهملت عبادة الله والتقرب إليه.

فإذا أردنا أن نتناول بالبحث تاريخ الطقوس، فلابد من أن نلم بتاريخ الديانات فى كل الأمم وفى كل الأزمنة والعصور. وحيث هذا عسير إن لم يكن مستحيلاً فى كلمة عاجلة كهذه، فيمكن إذن أن نكتفى بكلمة موجزة مجملة عن الطقوس فى غير الأمة الإسرائيلية، ثم عن الطقوس فى الأمة الإسرائيلية وأخيراً عن الطقوس فى الديانة المسيحية.

أولاً: الطقوس فى الأمم الوثنية

جميع الأمم الإنسانية قاطبة فى مختلف العصور والأزمنة والبيئات ومتنوع الثقافات والحضارات تتعبد لإله واحد أو آلهة متعددة، وتقوم عبادتها على طقوس وترتيبات خاصة، لا فرق فى ذلك بين أمة متأخرة أو متحضرة أو بين أمة تسكن الجبال أو الكهوف والوديان، فاليونان والرومان والمصريون. والبابليون والأشوريون والعرب والهند والصينيون والعراقيون والإنجليز والألمان والأسبان والطاليان إلى آخر تلك ا لأمم التى يتفرع عليها الجنس البشرى، كلها تدين بدين ما، وتختلف بطقوس ونظام وترتيبات دينية لا نستطيع هنا أن نتعرض لها بالتفصيل، ولكنها تتمثل على الخصوص فى أمور نذكر منها بعضها.

على أننا يجب أن نلاحظ بادئ ذى بدء ، أن علماء الاجتماع الباحثين فى أديان الأمم القديمة (الميثولوجيا) قد توصلوا إلى أن أمة ما من الأمم الإنسانية فى مختلف البيئات والعصور

لم تخلُ عن اعتقاد دينى وإيمان بإله معبود، فكيف استطاع هؤلاء العلماء معرفة هذا الاعتقاد أو الإيمان لو لم يروا طقوساً تباشرها تلك الأمم ومن ثم حكموا عليها بالاعتقاد فى الله؟ ... وهذا دليل على أن جميع الأمم الإنسانية القديمة والحديثة لها فى عبادتها طقوس وترتيبات ونظم.

قد أشار الكتاب المقدس إلى عبادات الأمم وآلهتهم، وإلا فلم يقول: « لا يكن لك آلهة أخرى أمامى » (١) « ولا تذكروا اسم آلهة أخرى » (٢)، « لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التى حولكم » (٣) « وإن نسيت الرب إلهك، وذهبت وراء آلهة أخرى وعبدتها وسجدت لها، أشهد عليكم اليوم أنكم تبيدون لا محالة » (٤) « فاحترزوا من أن تنغوى قلوبكم فتزيغوا وتعبدوا آلهة أخرى وتسجدوا لها » (٥).

«وقال يشوع لجميع الشعب، هكذا قال الرب إله إسرائيل: آباؤكم سكنوا فى عبر النهر منذ الدهر، تارح أبو ابراهيم وأبو ناحور، وعبدوا آلهة أخرى. فالآن اخشوا الرب، واعبدوه بكمال وأمانة، وانزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم فى عبر النهر وفى مصر، واعبدوا الرب. وإن ساء فى أعينكم أن تعبدوا الرب، فاختاروا لأنفسكم اليوم من تعبدون: إن كان الآلهة الذين عبدهم آباؤكم الذين فى عبر النهر، وإن كان آلهة الأموريين الذين أنتم ساكنون فى أرضهم، وأما أنا وبيتى فنعبد الرب. فأجاب الشعب وقالوا: حاشا لنا أن نترك الرب لنعبد آلهة أخرى» (٦).

وجاء فى سفر القضاة: « وفعل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب، وعبدوا البعليم، وتركوا الرب إله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب، تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروث» (٧)، «فعل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والسوارى» (٨)، «وعاد بنو إسرائيل

---

(١) خر ٢٠: ٢، تث ٥: ٧.
(٢) خر ٢٣: ١٣.
(٣) تث ٦: ١٤.
(٤) تث ٧: ١٩.
(٥) تث ١١: ٦.
(٦) يش ٢٤: ٢، ١٤ ـ ١٦.
(٧) قض ٢: ١١، ١٢.
(٨) قض ٣: ٧.

يعملون الشر فى عينى الرب وعبدوا البعليم والعشتاروث، وآلهة آرام، وآلهة صيدون، وآلهة موآب، وآلهة بنى عمون، وآلهة الفلسطينيين، وتركوا الرب ولم يعبدوه » (١).

وقد جاء عن الموآبيين أن إلههم هو (كمتوش) (٢) ، وعن الفلسطينيين أن إلههم هو (داجون) (٣) أما عشتاروث (عشتورث) فهى آلهة الصيدونيين (٤) كذلك (مولك وملكوم) رجس العمونيين (٥)، وأيضاً (أرطاميس) آلهة الأفسسيين (٦)، والتى يعبدها جميع آسيا والمسكونة (٧) ، (ورمون) إله الآراميين (٨). (ونسروخ) إله الأشوريين (٩)، (وبعل زبوب) إله العقرونيين (١٠) ، (ورا أو رع أو الشمس) إله المصريين (١١).

وجاء فى سفر الملوك «فكانت كل أمة تعمل آلهتها، ووضعوها فى بيوت المرتفعات التى عملها السامريون، كل أمة فى مدنها التى سكنت فيها: فعمل أهل بابل سكوت بنوث (أى مظال البنات) وأهل كوث عملوا نرجل (أى المريخ) وأهل حماة عملوا أشيما، والعويون عملوا نجز وترتاق، والسفروايميون كانوا يحرقون بنيهم بالنار لأدرملك وعنملك إلهى سفروايم » (١٢).

وقد أشار الكتاب مرة أخرى إلى «آلهة حماة وأرفاد وآلهة سفروايم وهينع وعوا (أى عواه) (١٣) وآلهة بنى ساعير (١٤)، وآلهة دمشق (١٥) وآلهة مصر(١٦).

---

(١) قض ١٠: ١٦ (١. مل ١١: ٣١)، (٢. مل ١٠: ١٨)، (مز ١٠٦: ٣٦)، (حز ٢٠: ٣٢)، (هو ٤: ١٠)، (مل ٣: ١٤)، (رو ١: ١٥)، (١. كو ١٠: ١٤)، (غل ٥: ٢٠)، (كو ٢: ١٨، ٢٣)، (كو ٣: ٥)، (١. بط ٤: ٣)، (أع ٧: ٤٢)، راجع أيضاً: (تث ٧: ٤، ١٦)، (تث ٣: ١٥ ـ ١٩، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣٩).
راجع (تث ١٢: ١، ٣)، (تث ١٣: ٢، ٦، ١٢)، (تث ١٧: ٣)، (تث ١٨: ٩، ١٨: ٢٠، ٢٠: ١٨، ٢٨: ١٤، ٣٦، ٦٤)، (تث ٢٩: ٢٦)، (تث ٣٠: ١٧)، (تث ٣١: ١٦، ١٨، ٢٠)، (تث ٣٢: ١٦)، (يش ٢٣: ٧، ١٦)، (قض ٢: ١٧، ١٩)، (قض ١٠: ١٠، ١٣ ـ ١٦)، (راعوث ١: ١٥) (١. صم ٨: ٨)، (١. مل ٩: ٦، ٩، ١٠، ١١)، (٢. مل ٥: ١٧، ١٧: ٧، ٣٥ـ ٣٨)، (٢. مل ٢٢: ١٧)، (١. أى ١٤: ١٢)، (٢. أى ٧: ١٩، ٢٢، ٢٥: ١٤، ١٨، ٢٣، ٢٥، ٣٤: ٣٥)، (أر ١: ١٦، ١٧: ٦، ٩، ١٨، ١١: ١٠، ١٣: ١٠، ١٦: ١١، ١٢، ١٩: ٤، ١٣، ٢٢: ٩، أر ٢٥: ٦، ٣٢: ٢٩، ٣٥: ١٥، ٤٤: ٣، ٥، ٨، ١٥).
(٢) عدد ٢١: ٢٩، ١. مل ١١: ٧، ٣٣، ٢. مل ٢٣: ١٣، قض ١١: ٢٤.
(٣) قض ١٦: ٢٣.
(٤) ١. مل ١١: ٥، ٣٣، ٢. مل ٢٣: ١٣.
(٥) ١. مل ١١: ٧، ٢٣، ٢. مل ٢٣: ١٣.
(٦) أع ١٩: ٣٤.
(٧) أع ١٩: ٢٧.
(٨) ٢. مل ٥: ١٨.
(٩) ٢. مل ١٩: ٣٧.
(١٠) ١. صم ٥: ١٠، ٢ مل ١: ٢.
(١١) أر ٤٣: ١٣.
(١٢) ٢. مل ١٧: ٢٩ ـ ٣١.
(١٣) ٢. مل ١٨: ٣٤.
(١٤) ٢. أى ٢٥: ١٤.
(١٥) ٢. أى ٢٨: ٢٣.
(١٦) أر ٤٣: ١٢، أر ٤٦: ٢٥.

ومن كتب التاريخ وأبحاث العلماء عرفنا أن معبودات المصريين قد بلغ عددها ثلاثة وخمسين معبوداً (١). وقد زاد عن ذلك كثيراً اليونان والرومان، فقد كاد يكون لكل مدينة إله يخصها، وكان يقام له صنم أو تمثال يرمز إليه وكان العامة يعبدون هذه الأصنام والتماثيل ويعتبرونها آلهة يصلون إليها ويطلبون منها، وكانت الأصنام تمثل فى أشكال حيوانات يجدون فى غرائزها شيئاً يتفق وصفات الآلهة التى يتعبدون لها (٢).

عرفت الأمم، إذن، إن هناك آلهة تسودها، ونحن لا يعنينا هنا أن نصحح من هذه الاعتقادات أو نوفق بينها، وإنما جل قصدنا أن نثبت أن جميع الأمم الإنسانية منذ أقدم الأزمنة والعصور تعبدت لآلهة وكانت لها ديانة ذات ترتيبات وطقوس وإن من هذه الطقوس أمكننا وأمكن للباحثين والمؤرخين أن يعرفوا ديانات هذه الشعوب وعقائدها وآرائها.

فإذا أردنا أمثلة وعينات عن طقوس الأمم الوثنية، فسنقدم بضع ملاحظات:

أولاً: الصلاة:

(١) عرفت هذه الأمم جميعاً على اختلاف بيئاتها افتقارها إلى الله وحاجتها إلى الضراعة إليه، فكانت تصلى لمعبودها وتطلب منه، ولم تكن الصلاة فكرة فضولية بل ضرورة وواجباً دينياً وفرضاً مقدساً، بل وليس معنى لإقامة التماثيل أو الآلهة ما لم يكن ذلك لقصد التعبد والصلاة.

وقد أشار السيد المسيح إلى صلاة الأمم بقوله: وإذا صليتم فلا تكثروا الكلام، (أو تهذروا) كالوثنيين لأنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم (٣)، وقد أشار إليها النبى إشعياء مرات (٤).

(٢) **علامة الحياة**: وكان الإله عند قدماء المصريين يمسك بيده علامة الحياة، وهى صليب ذو رأس مستدير ويدعى بالمصرية القديمة (عنخ) يحمله الإله بيده اليمنى دليلاً على أن الحياة بيده أو أن الحياة هبة تستمد من الإله وهى فى هذا كله شبيهة بإشارة الصليب أو «علامة ابن الإنسان».

---

(١) الكافى مجلد ١ ص ١٥١ ـ ١٦٣.

(٢) راجع تاريخ الأمة القبطية تأليف لجنة التاريخ القبطى، الحلقة الثانية، طبعة ثالثة ـ سنة ١٩٢٥، ص ١٧ ـ ٢٦.

(٣) مت ٦: ٧.

(٤) إش ٤: ١٧، ٤٥: ٢٠، ٤٦: ٧، أر ١١: ١٢.

ثانياً: أنواع الصلوة:

(١) **صلاة التعبد والخضوع**: كانوا يقصدون إلى الآلهة ليظهروا نحوها واجب الخضوع والإكرام، ولكى يشكروها على آلائها ونعمائها، وكان الملوك يحرصون على هذا الولاء للآلهة، حتى لقد ورد عن بعنخى وبيكارع أنهما إذا فتحا مدينة فى الحرب أو اجتازا بها فى سبيلهما إلى الغزو، كان أول ما يفعلانه هو التعبد للآلهة وإظهار الخضوع لها، فكان الاهتمام بالتعبد وإقامة شعائر الدين وفروض العبادة موضع اهتمام جميع الأفراد، سواء كانوا من عامة الناس أو من الملوك (١)، ومما جاء عن الملك كورش الفارسى فى مدينة بابل أنه كان يوقر الإله بال «وكان الملك يعبده وينطلق كل يوم فيسجد له» (٢).

(٢) **صلاة الشكر**: فإذا احسنت الآلهة صنيعاً وأغدقت على المدينة أو الشعب خيراً كان عليهم أن يصلوا إليها شاكرين، وقد اعتاد ملوك مصر الأقدمين ، إذا عادوا من الحرب مظفرين أن يتقدموا مع الرعية لأداء فريضة الشكر والخضوع امتنانا لمعونة الآلهة.

وليس ملوك مصر وحدهم، بل حتى نعمان السريانى مع أنه تعهد بعبادة الرب إله إسرائيل لكنه استأذن أليشع النبى فى سجوده مع الملك لإله مملكته، عند عودته إلى آرام، «فقال نعمان أما يعطى لعبدك حمل بغلين من التراب، لأنه لا يقرب بعد عبدك محرقة ولا ذبيحة لآلهة أخرى بل للرب. عن هذا الأمر يصفح الرب لعبدك: عند دخول سيدى إلى بيت رمون ليسجد هناك ويستند على يدى، فأسجد فى بيت رمون، فعند سجودى فى بيت رمون يصفح الرب لعبدك عن هذا الأمر، فقال له أمضى بسلام» (٣).

وكمثال على صلاة الشكر نذكر صلاة أحد الملوك فى أشور يقول فيها للإله: إنى متوكل عليك لأنك مطلع على سرائر قلبى. فكن رحيماً بملك نصبته ومجدت اسمك به، وأمنته على القضاء بين العباد. فلك الحمد والشكر يا إلهى، إذ أنت خالقى بقدرتك وأنت الذى جعلتنى أهلاً لهذا المنصب الرفيع. فنرجوك بنشر عبادة ألوهيتك ، وحبب شعبك فيها، ولتكن حياتى ملكاً لك وحدك، فاستجب لى واقبل طلبتى هذه ولك عظيم تشكراتى».

ومن ذلك أيضاً صلاة شكر لكاهن مصرى يدعى (سمتاوى تفنخت) قدمها للإله (خنوم) ووجدت منقوشة على حجر محفوظ الآن بمتحف نابولى، يقول فيها: «يا سيد المعبودات خنوم،

---

(١) راجع الكافى المجلد الأول ص ٨٦، ١٠٠، ١١٣، ١٢٧، ١٣٢، ١٤١، ١٤٢ ـ وراجع بحث فى حقيقة الإيمان للشماس إبراهيم.

(٢) دانيال ١٤ : ٣.

(٣) ٢ ، مل ٥ : ١٧ – ١٩.

أنت الذى تنير الدنيا بظهورك. أنا كنت خادمك وأفعل بإراداتك وقلبى ممتلئ بمحبتك. ضاعفت لى مراراً الخيرات الجزيلة حتى اشتهرت فى الأرض قاطبة، وما ذلك أيها الملك المحسن إلا لتعطف قلبك علىّ، وإجابتك سؤلى... أنت الذى حميتنى فى حرب المقدونيين... وإذ أمرتنى بالتوجه إلى أهناس وعدتنى أن تشملنى برعايتك وتلحظنى بعين عنايتك، إذ كنت وحيداً فاقد الأهل فريداً ... كنت مهناً بأمرك لأنك منحتنى الحياة مع راحة القلب» (١).

(٣) **الصلاة طلباً للبركة**: إذا أرادوا بركة لثمار الأرض لجأوا إلى الآلهة بالصلاة: «جاء فى تاريخ ديانة الشراكسة الوثنية أنه كانت لهم شجرة عظيمة ينسبون إليها نماء زرعهم، فعندما كانت تنقص غلة الأرض، كانوا يتقدمون إلى تلك الشجرة ويتضرعون إليها، ويقولون وهم حاسروا الرؤوس (نرجو كرماً منك أيها المعبود العظيم، أن تبارك فى غلات أرضنا وتكثرها فى عامنا هذا، فقد كانت فى العام الماضى غير كافية لنا ولضيوفنا » (٢).

وربما أشار إلى هذا النوع من التعبد، كتاب الله فى كلامه عن آحاز ملك يهوذا أنه: ذبح وأوقد على المرتفعات. وتحت كل شجرة خضراء» (٣) وعن بنى إسرائيل أنهم: «أقاموا لأنفسهم أنصاباً وسوارى على كل تل عال وتحت كل شجرة خضراء» (٤)، وقد ورد النهى عن ذلك فى شريعة موسى حيث يقول لهم (وتخربون جميع الأمم حيث عبدت الأمم التى ترثون آلهتها على الجبال الشامخة وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء» (٥).

(٤) **الصلاة طلباً للعون فى الحرب**: لقد كان بمثابة قاعدة محترمة أن يلجأ الملوك إلى الآلهة ليستغيثوا بهم فى الحروب فيكونوا فى نصرتهم، وما أكثر ما يرد فى التاريخ عن روايات الشعب وطلبتهم لمعونة الآلهة فى الحرب» جاء فى ما نقشه بعنخى الملك حاكياً نصرته على الملك تفنخت قوله ضمن وصاياه لجنوده عند الهجوم اغتسلوا فى مياه معابد آمون، واسجدوا له ، وقولوا: ثبت أقدمتنا على الحق فنحارب فى ظل سيفك، لأن القاتلين الذين ترسلهم يبددون الآلاف» (٦).

(٥) **الصلاة طلباً للعون فى المرض**: كانوا فى المرض يترضون وجه الإله بالصلاة والدعاء عله ينصت إليهم ويشفى مرضاهم ومما ورد فى تاريخ الأقدمين أن بختانا وصهره فى

---

(١) الكافى مجلد ١ ص ٢٠٠.
(٢) الكافى مجلد ٢ ص ٤٨٢.
(٣) ٢. مل ١٦: ٤.
(٤) ٢. مل ١٧: ١٠، أر ٢: ٢٠، أر ٣: ٦.
(٥) تث ١٢: ٢.
(٦) الكافى مجلد ١ ص ١٢٧.

أيام رمسيس الحادى عشر، التجأ إلى الإله خوفو لما مرضت بنت بختانا، وصليا إليه ضارعين طالبين منه شفاءها (١).

(٦) **الصلاة طلباً للعون فى الضيق أو الحزن:** كانوا يكثرون من الصلاة فى الحزن فقد ورد عن سنحاريب ملك أشور أنه بعد هربه من أورشليم مضى فسجد فى بيت نسروح (٢) وكان المصريون فى السابع والعشرين من هاتور يذكرون وقوع (أزوريس) فى قبضة (تيفون) وعلى ذلك فالمدن المعروفة الآن باسم بوصير كانت تحسب فى هذا اليوم أيام النحوس إذ فيه يكون ماء النيل قد انحسر عن أراضى الزراعة وانحصر فى مجراه بين ضفتيه (٣) فيصلون صلوات كثيرة.

ومما عثر عليه فى آثار أشور صلاة حارة يستغيث فيها الملك (بانيبال) بآلهة ليفرج كربه ويزيل همه ويرضى عنه، جاء فيها: «هل أحظى بنور وجهك البهى، فتبدد أحزان وهموم عبدك الذى يؤمن بك، فلا أتعرض يوماً ما لسخط ربى وغضب إلهى، اللهم أمح خطاياى وآثامى وأرض علىّ، فإنى عبدك الذى يؤمن بعظمة قوتك. اللهم أنظر إلى وساعدنى وليضئ نورك على فتمنحنى الانتصار والغبطة والسعادة ووفرة المال والثروة».

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما يرويه إشعياء عن الوثنى «صنع صنماً لنفسه... يخر له ويسجد ويصلى إليه ويقول نجنى لأنك أنت إلهى» (٤) وما يرويه يونان «فخاف الملاحون وصرخوا كل واحد إلى إلهه» (٥).

(٧) **الصلاة بالابتهاج والغناء وآلات العزف:** هذه هى صلوات التهليل وأناشيد الفرح الدينى وأغانى المعابد والمساجد والهياكل فى عبادات الشعوب والأمم غير الإسرائيلية. من أمثلة ذلك ما وجد منقوشاً على جدران معبد الشمس الذى بناه الملك (أمنوفيس الرابع) من أدعية وأناشيد كان المرتلون ينشدونها على نغمات الأوتار، ومن بينهم غانية تدعى «سنرو» ترنم لقرص الشمس ترنيمة تقول فى مطلعها: «لك الثنايا يا صاحب الأعوام، يا موجد الشهور والأيام يا معدد الساعات فى سائر الأوقات» (٦).

وثمة أنشودة أخرى كان ينشدها المصريون للإله أوزوريس يقولون فيها: «إن جسمك من معدن جميل لامع، ورأسك زرقاء كزرقة السماء، وجمال وبهاء الفيروز يكللانك» (٧).

---

(١) الكافى مجلد ١ ص ١١٣.
(٢) ٢. مل ١٩: ٣٦.
(٣) الكافى مجلد ١ ص ١٧٨.
(٤) إش ٤٤: ١٧.
(٥) يونان ١: ٥.
(٦) الكافى مجلد ١ ص ٧٨.
(٧) مفتاح الأسرار ص ١٣٥.

وفى النيل ينشدون شعراً «أيها المتلألئ العظيم الخارج من نون « المحيط الأصلى»، أنك تصون حياة الرجال بالنهر الصادر منك... » (١).

وهكذا الشعب الفارسى يعبد مرنماً بأنغام وألحان وتراتيل، ومثله الشعب اليونانى وقد كانت الموسيقى الدينية موضع عناية أفلاطون فى محاوراته.

ولا غرو أن تستعمل فى الترنيم آلات العزف والموسيقى، «كالقرن والناى والعود والرباب والسنطير (أو القانون) والمزمار» (٢).

ولو تتبعنا جميع الشعوب والأمم الإنسانية لوجدنا أن الأناشيد والأغانى الدينية لها مركز ممتاز فى طقوس الديانات وترتيباتها مهما كانت هذه الشعوب بدائية وغارقة فى الجاهلية.

الاستشفاع بالمقربين من الآلهة:

كان الالتجاء إلى شفعاء يتمتعون بالدالة والثقة لدىْ الإله، أمراً طبيعياً ومقبولاً، وأننا نجد بعض إشارات عن ذلك فى كتابنا المقدس.

فدعا فرعون موسى وهرون وقال: «صليا إلى الرب ليرفع عنى وعن شعبى» (٣).

فقال فرعون (لموسى بعد ضربة الذبان) أنا أطلقكم لتذبحوا للرب إلهكم فى البرية، ولكن لا تذهبوا بعيداً، صليا لأجلى (٤).

فأرسل فرعون ودعا موسى وهرون وقال لهما أخطأت هذه المرة، الرب هو البار وأنا وشعبى الأشرار. صليا إلى الرب، وكفى حدوث رعود الله والبرد» (٥).

فغضب نعمان ومضى وقال: هوذا قلت أنه (أليشع) يخرج إلىّ ويقف ويدعو باسم الرب إلهه ويردد يده فوق الموضع فيشفى الأبرص (٦).

---

(١) عن الجغرافية للكتاب المقدس، تأليف لبيب يعقوب ص ٦٠.
(٢) دانيال ٢: ٥، ٧.
(٣) خر ٨: ١٨.
(٤) خر ٨: ٢٨.
(٥) خر ٩: ٢٩.
(٦) ٢. مل ٥: ١١.

ثالثاً: شروط الصلاة وترتيباتها:

(١) التطهيرات:

ما كانوا يصلون قبل أن يقوموا بتطهيرات جسدية استعداداً للصلاة حتى يكونوا مقبولين لدى الإله فلا يغضب عليهم بسبب نجاستهم، وهذا هو ما يعرف بالوضوء عند أمم الشرق وعرب الجاهلية وفى ذلك يقول الشهرستانى فى كتابه (الملل والنحل) ،أنهم كانوا يداومون على المضمضة والاستنشاق والاستنجاء ونتف الأبط والختان (١). وكذلك أيضاً المجوس الذين لشدة مراعاتهم أمر التطهيرات الجسدية استنبطوا طريقة التيمم عند الحاجة (٢).

وكان كهنة المصريين القدماء يغتسلون بالماء البارد مرتين فى كل أربع وعشرين ساعة ويزيلون الشعر والأوساخ. وكانوا يحثون الشعب على الاقتداء بهم فى ذلك ولاسيما لمن يشتغلون فى أعمال تسبب اتساخهم بالأتربة. وكانوا يغتسلون ضرورة قبل الدخول إلى المعابد والأماكن المقدسة وبعد مباضعة النساء.

ويقول هيرودوت ،ويحلق الكهنة كل أجسامهم كل يومين لئلا يتولد فيها قمل أوغيره من الحشرات أثناء قيامهم بخدمة الآلهة وهم يستحمون مرتين كل نهار بالماء البارد ومرتين بالليل... (٣).

ويرى القديس يوستينوس الشهيد والفيلسوف من رجال القرن الثانى للميلاد أن عادات الاغتسال والتطهيرات التى تؤديها الأمم الوثنية قبل الصلاة ترمز إلى المعمودية، وأن مصدرها إيعاز الشياطين للوثنيين بذلك محاكاة وتقليداً لأقوال الأنبياء الإسرائيليين الذين أمروا بالاغتسال. (٤).

قال: لما سمعت الشياطين ما أذاعه النبى عن الاغتسال أوعزوا إلى الذين يدخلون هياكلهم ويتقربون إليهم بالقرابين والذبائح أن يرشوا الماء على أجسامهم ويأمروهم أن يغسلوا كل أجسامهم عند خروجهم وقبل دخولهم المزارات الموضوعة بها صورهم (٥). وإن ذلك من الشياطين إمعاناً فى التضليل حتى لا يرجعوا إلى الله. ولكن هذا التعليل إذا صح فإنه لا يطابق

---

(١) مصادر الاسلام ص ٢٠.
(٢) مقالة فى الاسلام ص ١٩٨ ـ ١٩٩.
(٣) هيرودوت فى عصر الكتاب الثانى يوتربى ربة الشعر الغنائى ٣٧.
(٤) إش ١: ١٦ – ٢٠.
(٥) الاحتجاج ف ٦٢.

إلا عادات الأمم بعد نزول الشريعة الموسوية، أما العادات التى يرجع تاريخها إلى ما قبل شريعة موسى فلا يوافقها هذا التعليل كما سنرى فيما بعد.

(٢) السجود فى الصلاة:

تصحب الصلاة بالجثو أو الركوع أو السجود فقد مر بنا أن سنحاريب كان يسجد فى بيت نسروخ إلهه (١). وفيما يتصل بالصائبة كانوا يركعون ثمان مرات فى صلاة الصباح وخمس مرات فى الصلاتين الآخريين، وكانوا يسجدون فى كل ركعة ثلاث سجدات.

وهكذا قال نعمان أنه يسجد هو والملك فى بيت رمون إله الآراميين.

وقال الكتاب عن آخاب ملك إسرائيل أنه عبد البعل وسجد له (٢) وعن بنى إسرائيل أنهم صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له (٣) وفى هذا كله كانوا يماثلون الأمم غير الإسرائيلية وهكذا ورد عن البابليين أن نبوخذ نصر هدد من لا يسجد لتمثاله وإلهه فإنه يلقى فى أتون النار المتقدة (٤).

(٣) الصلاة الموضوعة:

كانت لهذه الشعوب القديمة بل ولا زال للأمم الحاضرة صلوات موضوعة يفرض عليهم تلاوتها، كالصلاة التى كانت تعرف بصلاة الباب عند المصريين (٥). ويؤثر عن تحتمس الثالث الذى شيد معبداً فى سمنة لأوسرتسن الثالث، كتب عليه صلوات وكان المصريون يتلونها بناء على دعوته «أيها الأمراء الذين يحترمون معبودات جهاتهم، إذا قربتم من هذا الأثر، فاتلوا هذا الابتهال إلى معبود النوبة توتون والى الملك المرحوم أوسرتسن الثالث (٦)، كذلك ذكر عن الملك أمنوفيس الرابع أنه ابتنى مدينة جديدة لدى تبوئه العرش وأقام فيها هيكلاً للشمس نقش على جدرانه رسم الشمس وحوله أدعية كان يتلوها المصريون (٥).

---

(١) ٢. مل ١٩: ٣٧.

(٢) ١. مل ١٦ : ٣١، ٢٢: ٥٣.

(٣) دا ٣: ٦ راجع خر ٣٤: ١٤، لا ٢٦: ١، عدد ٢٥: ٢، تث ٢٩: ٢٦، ١. مل ٩: ٩، أر ٢٢: ٩، ١. مل ١١: ٣٣، مز ٨١: ٩، مز ١٠٦: ١٩، أر ١: ١٦، ٨: ٢، ١٦: ١١، تث ٨: ١٩، ٣٠: ١٧، ٢. أى ٧: ١٩، تث ١٧: ٣، خر ٢٠ : ٥، تث ٥: ٩، خر ٢٣: ٢٤، تث ٤: ١٩، مى ٥: ١٣، لا ٢٦: ١، ٢. مل ١٧: ٣٥... إلخ، إش ٢: ٨، ٤٤، ١٥، ٤٦: ٦، حز ٨: ١٦، دا ٣: ٥، ٦، ١٢، ١٤، ٢٨.

(٤)، (٥)، (٦) الكافى مجلد ١ ص ١٣٢، و ٥٤، ٧٨ على التوالى.

رابعاً: أوقات الصلاة:

وكان الأمم يتجهون إلى معبوداتهم ويصلون إليها فى أوقات محددة فالصائبة مثلاً يصلون ثلاث مرات. أولاها قبل طلوع الشمس بنصف ساعة والثانية ظهراً، والثالثة عند الغروب (١). كذلك للمجوسية أو الزرادشتية ببلاد فارس صلوات فى أوقات مرسومة:

(١) الاستجداءات:

وهى دعوات للشمس ولمثرا وللقمر وللأمواه وللنار، يحتم على كل من بلغ الثامنة من عمره تلاوتها، بعضها يتلى صباحاً (صلوات الشمس ومثرا) وذلك عند بزوغ الشمس والبعض بعد الظهر (حوالى الساعة الثالثة) والبعض وقت تمام القمر، والبعض يتلى يومياً مرة، وهى التى يطلب بها الصحة والمساعدة والتضحية وطلب الحياة.

(٢) الجاه:

وهى صلوات لحراس الليل وحراس النهار، تتلى احداها من ٦ ـ ١٠ صباحاً والثانية من ١٠ ـ ٣ مساءً. والثالثة من ٣ ـ ٦ مساءاً، والرابعة من ٦ ـ منتصف الليل، والخامسة من منتصف الليل الى ٦ صباحاً.

(٣) الافريكانز:

وهى الصلوات التى تتلى عند تعاطى النبيذ واللبن وعند أكل الفاكهة، وبعضها يتلى للملائكة، والبعض لأرواح الفانين، ولكل منها وقت مخصوص (٢).

خامساً: اتجاه الصلاة:

كانت لهذه الأمم عناية باتخاذ اتجاه معين فى الصلاة يتجهون اليه جميعاً، وعن الصابئة قال إبن العبرى أن قبلتهم كانت القطب الشمالى وقال آخر أنها القطب الجنوبى، وقال ثالث أنها مكة، وقال غيره أنهم أنما كانوا يستقبلون النجم (٣).

وقد اقتدى بعض الاسرائيليين هذه القدوة فاتجهوا جهة الشرق فى صلواتهم تعبداً للشمس التى كان يتعبد لها بعض الأمم، قال النبى حزقيال: «فجاء بى الى دار بيت الرب الداخلية، واذا عند

---

(١) الكافى مجلد ٢ ص ١٨.

(٢) راجع كتاب العقائد تأليف عنايت ص ٧٥، ٧٦..

(٣) الكافى مجلد ٢ ص ١٨.

باب هيكل الرب، بين الرواق والمذبح، نحو خمسة وعشرين رجلاً: ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوههم نحو الشرق. وهم ساجدون نحو الشرق» (١).

سادساً : مكان الصلاة:

(١) إقامة بيوت للالهة:

فكانوا يقيمون للالهة بيوتاً خاصة بها وكان الملوك يعنون بهذا الأمر أكبر عناية، وقد مر من أخبار الملوك أن تحتمس الثالث شيد معبداً فى سمنة لاوسرتسن الثالث وأن أمنوفيس الرابع بنى معبداً للشمس.

وقد قيل فى تاريخ الملك أوسرتسن الثالث أنه كان يحترم المعبودات ويقيم لها المعابد ذات الأبنية الشامخة وقد سجل على الآثار ما نصه: «فى اليوم الثامن عشر من شهر كيهك سنة ١٤ من حكم الملك أوسرتسن الثالث محب خم ـ هر (معبود مدينة قفط) صدر أمر منه بصنع أثر لذلك المعبود فى وادى الحمامات وأثر آخر لهرسف معبود اهناس المدينة» (٢).

كما يؤثر الملك أو الامبراطور (آمن ـ هتب) أو (امنوفيس الثالث) أنه ترك آثاراً عظيمة منها «هيكل للمعبود (موت) زوجة آمون معبود طيبة، وهيكل فى الجهة الغربية من الكرنك للمعبود آمون، وأنشأ أيضاً على شاطىء النيل الأيسر تجاه الأقصر معبداً كان بمعرفة المهندس الشهير امنهوتب، وكان هذا المعبد من أعظم الآثار المصرية. ولم يبق منه الآن إلا التمثالان الكبيران الموضوعان على يمين ويسار الداخل الى المعبد (٣)...

واليونان أيضاً كانوا يقيمون للآلهة بيوتاً، من ذلك معبد ابولون فى دلف على سفح جبل برناس، أما تزوس فهو الاله الأكبر، وكان هيكله هو الأعظم فى أوليمبا بالمورة.

وكانت هذه المعابد تسمى هياكل أو بيوتا للآلهة، وكانوا يطلقون عليها اسم الاله الذى أقيمت له، وقد جاء فى الكتاب المقدس ذكر «لبيت داجون» اله الفلسطنيين» (٤) و«بيت رمون» اله

---

(١) حز ٨: ١٦.

(٢) مختصر تاريخ الأمة القبطية فى عصرى الوثنية والمسيحية تأليف سليم سليمان..

(٣) عن مختصر تاريخ الأمة القبطية فى عصرى الوثنية والمسيحية.

(٤) ١ . صم ٥: ٢

الآراميين(١)، و«بيت نسروخ» اله الأشوريين (٢) و«بيت عشتاروث» اله الصيدونيين(٣)، و«هيكل أرطاميس «آلهة الأفسسيين»(٤)، و«بيت شمس» الهة المصريين(٥)، و«بيت البعل» (٦).

ولم تكن البيوت أو هياكل الآلهة تبنى كيفما اتفق بل على نسق خاص يلائم طقوس العبادة وترتيباتها.

وهاك أوصاف أول معبد أقيم لعبادة كنفوشيوس بقلم أحد السائحين: «معبد كنفوشيوس عظيم الرحاب متعدد المقاصير التى أقيمت للتعبد وطلب الحكمة، يتوسطها الهيكل وبه لوحة نقش عليها اسم كنفوشيوس أخص معبودات الصين، وتحوطها فى جوانبها ألواح أخرى كتب عليها أسماء الأباطرة الذين تعبدوا طوع تعاليمه، وقد ألفت نظرى فى المدخل تسعة طبول ضخمة من صخر نقشت عليها نقوش صينية منذ أسرة شو (١١٢٢) قبل الميلاد، وفى فنائه الشاسع بهو الحكمة بأعمدته الممتدة، وهناك نرى بقايا كتب كنفوشيوس حيث نقشت على ألواح الحجر.

(٢) تزيين بيوت الآلهة بالصور والرسوم:

قلنا أن الملك أمنوفيس الرابع لما أقام معبدا للشمس نقش على جدرانه رسم الاله وهو الشمس ونضيف بما قاله صاحب الكافى فى كلامه عن ديانة المصريين: «وكان لملوكهم عناية كبرى ببناء المساجد والهياكل، وبذل النفيس فى تزيينها بالنقوش الفاخرة، والرسوم الظاهرة، والألوان المختلفة، وكانوا يقطعونها الاقطاعات الواسعة تخليداً لذكرهم» (٧).

وصور الأشوريون سيد آلهتهم على شكل دائرة تخرج منها أجنحة عدة، وفى ركن الدائرة رسم رجل. ويقول روبنسون أن هذا الرسم يرمز الى حلول الله فى كل مكان، ومعرفته بكل شىء، وكلمته غير المحدود.

(٣) تدشين الهياكل والمعابد والتماثيل:

ولكيما تتكرس البيوت والتماثيل، وتغدو مقدسة بعد صنعها كانوا يحتفلون بتدشينها بطقوس خاصة، فقد ورد عن أهل بابل أن «نبوخذ نصر الملك صنع تمثالاً من ذهب، طوله ستون ذراعا وعرضه ست أذرع ونصبه فى بقعة دوراً فى ولاية بابل. ثم أرسل نبوخذ نصر الملك ليجمع المرازبة والشحن والولاة والقضاة والخزنة والفقهاء والمفتين وكل حكام الولايات ليأتوا لتدشين

(١) ٢. مل ٥: ١٨ (٢) ٢. مل ١٩: ٣٧.
(٣) ١. صم ٣١: ١٠. (٤) أع ١٩: ٢٧، ٢٨ (٥) أر ٤٣: ١٣.
(٦) ٢. مل ١٠: ٢١، ٢٥، ٢٦، ٢٧. (٧) الكافى مجلد ١ ص ١٧٣.

التمثال الذى نصبه نبوخذ نصر الملك. حينئذ اجتمع المرازبة والشحن والولاة والقضاة والخزنة والفقهاء والمفتون وكل حكام الولايات **لتدشين التمثال** الذى نصبه نبوخذ نصر الملك، ووقفوا أمام التمثال الذى نصبه نبوخذ نصر. ونادى مناد بشدة، قد أمرتم أيها الشعوب والأمم والألسنة، عندما تسمعون صوت القرن والناى والعود والرباب والسنطير (القانون) والمزمار وكل أنواع العزف، أن تخروا وتسجدوا لتمثال الذهب الذى نصبه نبوخذ نصر الملك»(١).

ويترتب على التدشين أن تصبح هذه الهياكل مقدسة ومكرسة للاله. وقد كانوا يشعرون نحو هذه المعابد بشعور التقديس والاحترام، وكانت لها فى نظرهم حرمة خاصة، حتى لقد كان الأطباء المصريون يقيمون عباداتهم فى المعابد - لما لمهنة الطب عندهم من القدسية - ومع ذلك فاذا تزوج هؤلاء الأطباء فقد كانوا يقيمون بعائلاتهم خارج المعابد، احتراماً وتقديساً لها وللآلهة المقيمين فيها.

(٤) إقامة مذابح للآلهة:

فى معابد الأمم تبنى المذابح، وقد تقام غالباً فى المرتفعات والغابات، ولقد أبان الكتاب المقدس بوصفه كتاباً تاريخياً قديماً أن لآلهة الشعوب الأخرى مذابح حتى أن بلعام قال لبالاق ملك الموآبيين عندما استدعاه ليلعن اسرائيل «ابن لى... سبعة مذابح» (٢) وكذلك فعل أنبياء فى أيام ايليا(٣)، ولذا فإن الرب الاله أمر بنى اسرائيل أن لا يبقوا على هذه المذابح الوثنية فى البلاد التى يفتتحونها فقال: تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم(٤)، وتقطعون سواريهم(٥) ولكن بنى اسرائيل خالفوا أمر الرب وبنوا مذابح لآلهة الأمم الغريبة(٦). أما الملوك الصالحون فى اسرائيل فكانوا يهدمونها كأمر الرب كما فعل يوشيا: «وهدموا أمامه مذابح البعليم... وأحرق عظام الكهنة على مذابحهم... هدم المذابح والسوارى» (٧).

---

(١) دانيال ٣: ١ - ٥.

(٢) عدد ٢٣: ١، ١٤: ٢٦. (٣) ١. مل ١٨: ٢٦.

(٤) يعبر بالأنصاب عن أعمدة مصنوعة من حجر أصناماً للبعل الذى هو المشترى.

(٥) يعبر بالسوارى عن أعمدة مصنوعة من خشب أصناماً لعشترة التى هى الزهرة (عن الكتاب المقدس ذى الشواهد)، خر ٣٤: ١٣، تث ٧: ٥، ١٢: ٣، قض ٢: ٢.

(٦) ١. مل ١٣: ١، ٢، ٢. مل ٢١: ٢ - ٥، إش ١٧: ٨، إر ١٧: ١، خر ٦: ٤، ٥، ٦ إر ١١: ١٣، هو ٨: ١١، ١٠: ١، عا ٢: ٢٨، عا ٣: ١٤.

(٧) ٢ أى ٣٤: ٤- ٦، ٢. مل ١١: ١٨.

وقد كان من عادة الأمم، حيث تعددت الآلهة عندهم، أن يقيموا لكل اله مذبحاً يكتبون عليه اسم الاله أو المعبود (قارن هذا مع ما يقوله القديس بولس فى أريوس باغوس لأهل أثينا «بينما كنت أجتاز وأنظر الى معبوداتكم، وجدت أيضاً مذبحاً مكتوباً عليه لاله مجهول» (١).

(٥) تقريب الذبائح والقرابين:

وفكرة الذبيحة مقترنة بالمذبح، أى أن الأمم كانوا يتقربون الى آلهتهم بمحرقات وذبائح وقرابين يترضون بها وجوههم، ولنا فى ملاحى السفينة التى نزل بها يونان مثال يوضح فكرة الذبيحة عند الأمم. فعندما سكن البحر عن هيجانه «خاف الرجال من الرب خوفاً عظيماً، وذبحوا ذبيحة للرب» (٢). وقد ورد عن أهل لسترة أنهم أرادوا أن يذبحوا لبولس وبرنابا ظناً منهم أنهما آلهة «فأتى كاهن زفس الذى كان قدام المدينة بثيران وأكاليل عند الأبواب مع الجموع وكان يريد أن يذبح» (٣) وعن أقطاب الفلسطينيين أنهم اجتمعوا ليذبحوا ذبيحة عظيمة لداجون إلههم (٤).

لذلك حرص الرب إله اسرائيل على أن يمنع شعبه من ذبائح الأمم، احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض، فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم فتدعى وتأكل من ذبيحتهم» (٥) «من ذبح لآلهة غير الرب وحده يهلك» (٦) «وقطع الرب معهم عهدا وأمرهم قائلاً: «لا تتقوا آلهة أخرى ولا تسجدوا لها ولا تعبدوها، ولا تذبحوا لها، بل إنما اتقوا الرب الذى أصعدكم من أرض مصر بقوة عظيمة وذراع ممدودة، وله اسجدوا، وله اذبحوا»(٧). وقد خالف اسرائيل وصية الرب وكانوا «يذبحون للبعليم»(٨) «وأقام اسرائيل فى شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب، فدعون الشعب الى ذبائح آلهتهن» (٩)، «ذبحوا لأوثان ليست الله، لآلهة لم يعرفوها(١٠) وكانت نساء سليمان يوقدن ويذبحن لآلهتهن(١١)، وضل اسرائيل «فعملوا عجلاً فى تلك الأيام وأصعدوا ذبيحة للصنم(١٢)، بل وملوك اسرائيل قد انغوى بعضهم بعبادة الأمم الغريبة «وذبح (آحاز) لآلهة دمشق الذين ضاربوه وقال: لأن آلهة ملوك آرام تساعدهم، أنا أذبح لهم فيساعدونى وأما هم فكانوا سبب سقوط له ولكل اسرائيل(١٣)، وقال الله مرة أخرى معاتباً، «كما

---

(١) أع ١٧: ٢٣.
(٢) يون ١: ١٦.
(٣) أع ١٤: ١٣ – ١٨.
(٤) قض ١٦: ٢٣.
(٥) خر ٣٤: ١٥.
(٦) خر ٢٢: ٢٠.
(٧) ٢. مل ١٧: ٣٥، ٣٦.
(٨) هو ١١: ٢
(٩) عدد ٢٥: ٢، راجع حز ٢٠: ٢٨.
(١٠) تث ٣٢: ١٧.
(١١) ١. مل ١١: ٧، ٨.
(١٢) أع ٧: ٤١.
(١٣) أى ٧: ٢٣.

أتيت بهم الى الأرض التى رفعت لهم يدى لأعطيهم اياها، فرأوا كل تل عال وكل شجرة غبياء، فذبحوا هناك ذبائحهم وقربوا هناك قرابينهم المغيظة، وقدموا هناك روائح سرورهم وسكبوا هناك سكائبهم (١).

وقد أشار العهد الجديد كذلك الى ذبائح الأمم. فأصدر المجمع الرسولى المقدس أمره الى المؤمنين «أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام»(٢) وكتب الرسول فى ذلك يقول «فماذا أقول: أن الوثن شيء أو أن ماذبح للوثن شيء، بل أن ما يذبحه الأمم، فانما يذبحونه للشياطين لا لله. فلست أريد أن تكونوا أنتم شركاء الشياطين. لا تقدرون أن تشربوا كأس الرب وكأس الشياطين. لا تقدرون أن تشتركوا فى مائدة الرب وفى مائدة شياطين (٣).

وذبائح الأمم من الحيوان بل وقد بلغ بهم جنون الوثنية أن يقربوا للآلهة ذبائح بشرية، ومنها بابنائهم وبناتهم الذين يجيزونهم فى النار فيحترقون تعبدا وترضياً لوجه الاله. ومن ذلك ما فعله ملك موآب فى الحرب ضد اسرائيل «فأخذ ابنه البكر الذى كان ملك عوضاً عنه وأصعده محرقة على السور(٤). ولقد أبدى إله اسرائيل استياءه من هذا النوع من الذبائح فقال: «ولا تعط من زرعك للاجازة لمولك لئلا تدنس اسم الهك، أنا الرب» (٥).

وقال أيضاً «كل أنسان من بنى اسرائيل ومن الغرباء النازلين فى إسرائيل أعطى من زرعه لمولك، فإنه يقتل، يرجمه شعب الأرض بالحجارة. واجعل أنا وجهى ضد ذلك الإنسان وأقطعه من شعبه لأنه أعطى من زرعه لمولك، لكى ينجس مقدسى ويدنس اسمى القدوس(٦)، وقال النبى موسى: «لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته فى النار»(٧)، وقال أيضاً يحذرهم «لا نعمل هكذا للرب الهك لأنهم قد عملوا لآلهتهم كل رجس لدى الرب مما يكرهه، اذا أحرقوا حتى بنيهم وبناتهم بالنار لآلهتهم» (٨).

أجل لقد أمر الله ابراهيم أن يقدم ابنه اسحق ذبيحة(٩)، وهذا الأمر لم يتقبله ابراهيم بالدهشة نظراً لأن الأمم قد جرت فى عبادتها على هذه العادة، فلما منعه عن ذبحه وأبدله بكبش، أبان بهذا عن كراهيته لهذه العادة الوحشية القاسية.

---

(١) حز ٢٠: ٢٨: ٢٩.
(٢) أع ١٥: ٢٩، ٢١: ٢٥.
(٣) ١. كو ١٠: ٢٠، ٢١ ثم راجع ١. كو ٨: ١، ٤، ٧، ١٠.
(٤) ٢. مل ٣: ٢٧.
(٥) لا ١٨: ٢١.
(٦) لا ٢٠: ٢، ٣.
(٧) تث ١٨: ١٠.
(٨) تث ١٢: ٣١.
(٩) تك ٢٢.

ومع أن الله تعالى قد رذل هذه العادة، لكن بنى اسرائيل قد تأثروا بالأمم فى هذا الأمر وخالفوا أوامر العلى ولذا تنهد النبى فى المزمور وقال: اختلطوا بالأمم وتعلموا أعمالهم، وعبدوا أصنامهم فصارت لهم شركا، وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان، وأهرقوا دما زكيا دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان(١) . وقال النبى حزقيال عن بنى اسرائيل أنهم «أجازوا فى النار كل فاتح رحم»(٢)، «وعبروا بنيهم وبناتهم فى النار»(٣)، وخضع الملوك لهذه المخالفة، فجاء عن آحاز ملك يهوذا «أنه عبّر ابنه فى النار حسب أرجاس الأمم الذين طردهم الرب أمام بنى اسرائيل»(٤)، وهكذا فعل منسى الملك، عبر ابنه فى النار»(٥)، ولذا قال الرب معاتباً: أنهم «بنوا مرتفعات توفه التى فى وادى ابن هنوم، ليحرقوا بنيهم وبناتهم بالنار الذى لم آمر به ولاصعد على قلبى»(٦) أما يوشيا فهو الملك الصالح الذى نجس توفه التى فى وادى بنى هنوم، لكى لا يعبر أحد ابنه أو ابنته فى النار لمولك»(٧) .

واذا تحدثنا عن الذبائح والقرابين التى يتقرب بها الأمم الى آلهتهم فلابد أن نذكر بهذا الصدد عناية الملوك بتعيين مربوطات ومرتبات لينفق منها على الذبائح ومتعلقاتها، فقد كانت عناية ملوك مصر القدماء على الخصوص أمرا يستحق الاشادة والتنويه، ومن ذلك ما جاء بورقة هارميس على لسان رمسيس الثالث أن سيتنخت مرمايون لما على تخت الملك، أعطى المعبودات مرتباتهم حسب مربوط قوانينهم (٨)، بل كان لهذه القرابين فى عهد بعض الملوك شون ومخازن خاصة لحفظها فيها(٩) وكانت الحكومة تتكفل بكل ما تقتضيه الهياكل والقرابين والكهنة من نفقات ومصروفات(١٠)

هذا وقد ذكر عن بال، الصنم الذى يعبده أهل بابل، أن «كانوا ينفقون له كل يوم اثنى عشر أردبا من السميذ، وأربعين شاه، وستة أمتار من الخمر» (١١) .

---

(١) مز ١٠٦: ٣٥ – ٣٨. (٢) حز ٢٠: ٢٦، ٣١.
(٣) ٢. مل ١٧: ١٧ راجع أيضاً حز ١٦: ٢٠، ٢١، ٣٦، إش ٥٧: ٥.
(٤) ٢. مل ١٦: ٣، ٢. أى ٢١: ٣. (٥) ٢. مل ٢١: ٦.
(٦) إر ٧: ٣١، ١٩: ٥، ٣٢: ٣٥، حز ٢٣: ٣٧.
(٧) ٢. مل ٢٣: ١٠. (٨) الكافى مجلد ١: ١٠٢.
(٩) الكافى مجلد ١ ص ١٣٠، ١٣١.
(١٠) الكافى مجلد ١ ص ٧١، ١٠٩، ١٣٠، ١٣١، ١٧٣.
(١١) دانيال ١٤: ٢ – ٢١.

(٦) التقدمات والسكائب وايقاد النار:

وفضلاً عن الذبائح كانوا يقربون التقدمات من خيرات الأرض، ويسكبون السكائب ويوقدون للإله تعبداً وتقربا واستمطاراً لمراحمه واتقاء لغضبه، ولذا لما أحس نبوخذ نصر بعظمة دانيال الذى فسر له أحلامه وخبره بما رآه ،خر نبوخذ نصر على وجهه وسجد لدانيال، وأمر بأن يقدموا له تقدمة وروائح سرور(١) وهى أمور كان يقدمها ذلك الملك الوثنى للآلهة. وهكذا فعل داريوس نحو إله اسرائيل مما يدل على أن فكرة تقريب القرابين لم تكن بعيدة عن ذهنه الوثنى، قال: ،وقد صدر منى أمر.... من مال الملك. تعط النفقة عاجلاً لهؤلاء الرجال حتى لا يبطلوا وما يحتاجون اليه من الثيران والكباش والخراف محرقة لإله السماء، وحنطة وملح وخمر وزيت حسب قول الكهنة الذين في أورشليم، لتعطلهم يوما فيوم حتى لا يهدأوا عن تقريب روائح سرور لإله السماء والصلاة لأجل حياة الملك وبنيه(٢)، كذلك قال ارتحشستا ومنى أنا أرتحشستا الملك صدر أمر الى كل الخزنة الذين فى عبر النهر أن كل ما يطلبه منكم عزرا الكاهن كاتب شريعة اله السماء فليعمل بسرعة، إلى مائة وزنة من الفضة ومائة كر من الحنطة ومائة بث من الخمر، ومائة بث من الزيت والملح دون تقييد (كتابه)، كل ما أمر به إله السماء فليعمل باجتهاد لبيت إله السماء، لأنه لماذا يكون غضب على ملك الملك وبنيه(٣)، وقد أشار الرسول بولس فى العهد الجديد إلى قربان الأمم (٤).

وفى الكتاب المقدس نصوص كثيرة تشهد بما كان الأمم يقربونه إلى آلهتهم من قرابين وما يسكبونه ويوقدونه أمامها، مثال ذلك نساء سليمان الغريبات: فكن يوقدن ويذبحن لآلهتهن(٥).

وقد أظهر الرب حزنه الشديد على شعبه الذى ضل فصار يفعل نظير الأمم يقرب لغير الهه، وحتى سليمان نفسه ،كان يذبح ويوقد فى المرتفعات،(٦) لذا قال الرب يخاطب أورشليم: ،وصنعت لنفسك مرتفعات موشاة... وأخذت ثيابك المطرزة وغطيتها بها، ووضعت أمامها زيتى وبخورى وخبزى الذى أعطيتك، السميذ والزيت والعسل الذى أطعمتك، وضعتها أمامها

---

(١) دا ٢: ٤٦.
(٢) عز ٦: ٨ – ١٠.
(٣) عز ٧: ٢١ – ٢٣.
(٤) رو ١٥: ١٦.
(٥) ١. مل ١١: ٨.
(٦) ١. مل ٣: ٣.

رائحة سرور(١) .. «وهى لم تعرف أنى أنا أعطيتها القمح والمسطار والزيت. وكثرت لها فضة وذهبا، جعلوه لبعل، لذلك أرجع وآخذ قمحى فى حينه ومسطارى فى وقته وانزع صوفى وكتانى(٢)، «فتعلمون أنى أنا الرب اذا كانت قتلاهم فى وسط أصنامهم.. (فى) الموضع الذى قربوا فيه رائحة سرور لكل أصنامهم»(٣).

فلما جاء يوشيا الملك الصالح «لاشى كهنة الاصنام الذين جعلهم ملوك يهوذا ليوقدوا على المرتفعات فى مدن يهوذا وما يحيط بأورشليم، والذين يوقدون للبعل، للشمس والقمر والمنازل (أى منازل القمر أو الأبراج الأثنى عشر ولكل أجناد السماء... وهدم بيوت المأبونين التى عند بيت الرب حيث كانت النساء ينسجن بيوتا للسارية»(٤).

أما عن سكائب الأمم فقد أشار اليها الوحى لما كان فى صدد عتابه لبنى اسرائيل الذين سكبوا لآلهة الامم: «وتكون بيوت أورشليم وبيوت ملوك يهوذا كموضع توفه نجسة، كل البيوت التى بخروا على سطوحها لكل جند السماء وسكبوا سكائب لآلهة أخرى»(٥) «ذبحوا هناك ذبائحهم وقربوا هناك قرابينهم المغيظة وقدموا هناك روائح سرورهم وسكبوا هناك سكائبهم» (٦) «لتلك سكبت سكيبا وأصعدت تقدمة»(٧). ثم قال: أما ترى لماذا يعملون فى مدن يهوذا وفى شوارع أورشليم: الابناء يلتقطون حطباً والآباء يوقدون النار، والنساء يعجن العجين ليصنعن كعكاً لملكة السموات ولسكب سكائب لآلهة أخرى لكى يغيظونى»(٨).

(٧) احراق البخور أو التبخير:

واحراق البخور طقس من الطقوس التى عرفت عند الأمم غير الاسرائيلية، وهكذا فعلت شعوب مصر وموآب وسائر أمم كنعان وغيرها فى العالم القديم والمتوسط والحديث «وأبطل من موآب يقول الرب، من يصعد فى مرتفعه، ومن يبخر لآلهته» (٩) «فلما ضل إسرائيل كان يبخر

---

(١) حز ١٦: ١٩. (٢) هو ٢: ٨.
(٣) حز ٦: ١٣ راجع أيضاً إر ٤٤: ١٩.
(٤) ٢. مل ٢٣: ٥ – ٧
(٥) إر ١٩: ١٣.
(٦) حز ٢٠: ٢٨.
(٧) إش ٥٧: ٥، ٦.
(٨) إر ٧: ١٧، ١٨ راجع أيضاً إر ٤٤: ١٧، ١٨، ١٩.
(٩) إر ٤٨: ٣٥.

أيضاً لآلهة الأمم كعادتهم، ولذا فالنصوص التى يوردها الوحى عن تبخير اسرائيل للأصنام هى إشارة واضحة لهذا الطقس عند الأمم: «شعبى ... يذبحون على رؤوس الجبال ويبخرون على التلال»(١) «يذبحون للبعليم ويبخرون للتماثيل المنحوتة»(٢) «ورب الجنود غارسك قد تكلم عليك شرا من أجل شر بيت اسرائيل وبيت يهوذا الذى صنعوه ضد أنفسهم، ليغيظونى بتبخيرهم للبعل» (٣). «وضعت لنفسك مرتفعات... ووضعت أمامها زيتى وبخورى» (٤) «لأن شعبى قد نسينى بخروا للباطل»(٥) «شعب يغيظنى بوجهى دائماً يذبح فى الجنات، يبخر على الآجر(اللبن)(٦) «ها اكتب أمامى، لا أسكت بل أجازى... الذين بخروا على الجبال وعيرونى على الآكام»(٧)، «من أجل أنهم تركونى وأنكروا هذا الموضع وبخروا فيه لآلهة أخرى لم يعرفوها» (٨) «وأقيم دعواى على كل شرهم، لأنهم تركونى وبخروا لآلهة أخرى وسجدوا لأعمال أيديهم» (٩) «فينطلق مدن يهوذا وسكان أورشليم ويصرخون إلى الآلهة التى يبخرون لها فلن تخلصهم فى وقت بليتهم» (١٠) « من أجل شرهم الذى فعلوه ليغيظونى، إذ ذهبوا ليبخروا ويعبدوا آلهة أخرى لم يعرفوها» (١١) «فأرسلت... كل عبيدى الأنبياء.... فلم يسمعوا ولا أمالوا أذنهم ليرجعوا عن شرهم فلا يبخروا لآلهة أخرى.. لماذا أنتم فاعلون شرا عظيماً ضد أنفسكم لإغاظتى بأعمال أياديكم إذ تبخرون لآلهة أخرى فى أرض مصر (١٢)، «لأنه بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا وبعدد شوارع أورشليم وضعتم مذابح للخزى ومذابح للتبخير للبعل»(١٣). «أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذباً وتبخرون للبعل»(١٤).

على أن للوثنيين طقوساً خاصة بهم تعتبر ملازمة للعبادة عندهم اذا تقدموا لتقديم الذبائح على المذابح، هى أنهم يطوفون حول المذبح يرقصون، فإذا أبطأ الاله فى اجابة الصلاة، بدأوا

---

(١) هو ٤: ١٣.
(٢) هو ١١: ٢.
(٣) إر ١١: ١٧.
(٤) خر ١٦: ١٦، ١٨، ٢٣: ٤
(٥) إر ١٨: ١٥، حب ١: ١.
(٦) إش ٦٥: ٣.
(٧) إش ٦٥: ٦، ٧.
(٨) إر ١٩: ٤.
(٩) إر ١: ١٦.
(١٠) إر ١١: ١٢.
(١١) إر ٤٤: ٣.
(١٢) إر ٤٤: ٤، ٥، ٧، ٨.
(١٣) إر ١١: ١٣.
(١٤) إر ٧: ٩ راجع أيضاً إر ٤٤: ١٥ ـ ١٩، هو ٢: ١٣.

يصرخون بصوت عال ويقطعون أنفسهم بالسيوف والرماح، لعل الله أو الاله الذى يطلبونه ينصت إليهم ويغيثهم، قال الكتاب المقدس عن أنبياء البعل فى حادثة جبل الكرمل، فأخذوا الثور الذى أعطى لهم، وقربوه ودعوا باسم البعل من الصباح إلى الظهر قائلين: يا بعل أجبنا.. فلم يكن صوت ولا مجيب. وكانوا يرقصون حول المذبح الذى عمل. وعند الظهر سخر بهم ايليا، وقال: ادعوا بصوت عال لأنه إله، لعله مستغرق (أو متكلم) أو فى خلوة أو فى سفر، أو لعله نام فيتنبه. فصرخوا بصوت عال، وتقطعوا حسب عادتهم بالسيوف والرماح حتى سال منهم الدم»(١).

كتب هيرودوت يصف ما يتبعه المصريون من طقوس فى ذبائحهم يقول: ويعتقدون أن الثيران مقدسة لابافوس، وهم لذلك يفحصونها بالطريقة الآتية: اذا رأى الكاهن شعرة واحدة سوداء فى بدن الثور اعتقد أن الحيوان دنس، ويقوم واحد من الكهنة يوكل اليه هذا الأمر بفحص الحيوان حينما يكون الحيوان قائماً مرة وراقدا أخرى ويجذب لسانه ليرى اذا كان طاهراً بحسب سيمات معينة... ويفحص شعر الذيل كذلك ليرى اذا كان الشعر ينبت طبيعياً. فإذا كان الثور طاهرا من كل هذه الوجوه يختمه بأن يلف قطعة من البردى حول قرنيه ويلصقها بصلصال لزج ثم يضع عليها خاتمه. وهكذا يذهبون الثور. والموت هو العقوبة المقررة لمن يضحى بثور غير مختوم. هذه اذن طريقة فحص الحيوان.

أما طريقتهم فى تضحيته فهكذا...يسوقون الثور المختوم إلى المذبح حيث تكون التضحية ثم يشعلون نارا، وبعد ذلك يسكبون خمرا على المذبح فوق الضحية، ثم ينحرون داعين للإله، وبعد نحر الذبيحة يفصلون الرأس. أما الجسم فيسلخونه ويأخذونه. وبعد ذلك يستنزلون لعنات كثيرة على تلك الرأس. أما الذين لديهم سوق وتجار يونانيون فى مدينتهم فيحملون الرأس إليه ويبيعونه فى الحال. وأما الذين لا يعيش يونانيون بينهم فيلقون بالرأس فى النهر. وهذه هى اللعنات التى يتلونها على الرأس: «ان كانت مصيبة توشك أن تقل للمضحين أنفسهم أو لمصر على العموم فلتقطع على تلك الرأس. ويتبع المصريون كلهم فيما يتعلق برؤوس الحيوانات المضحى بها وتقريب الخمر هذه الشعائر نفسها ويطبقونها على كل الذبائح ووفقا لهذه السنة لا يذوق أحد من المصريين البتة رأس أى كائن ذى روح . وتختلف عندهم طريقة استخراج احشاء الضحية وحرقها باختلاف الضحية.

(١) ١. مل ١٨: ٢٦ – ٢٨ (ثم راجع ديانة فينيقية بكتاب الجغرافية الاجتماعية) ص ٢٧٤.

سابعاً: إمام الصلاة:

(١) وظيفة الكهنوت:

ما كان يقود الوثنيين فى صلواتهم غير فئة خاصة يسمونها الكهنة. هؤلاء الكهنة هم الذين يصلون عن الأمة كلها، وهم وحدهم الذين يحملون حق التقريب إلى الآلهة وتقديم الذبائح والمحرقات، فهم خدمة الآلهة، وكتمة أسرارهم، والشفعاء لدى العرش، والواقفون على أسرار العالم المجهول، والمقدرون لحظوظ البشر، وبأيديهم مفاتيح المعرفة(١)، وليس ثمة أمة تعبد الها ما إلا وقد عينت لخدمة الإله فيها طغمة قد أوقفت على هذه الوظيفة الخطيرة، وقد اشتهرت فى بلاد فارس ومادى طبقة المجوس، ولم يكن يسمح لأحد من غير هذه الطبقة أن يتوصل إلى الكهنوت.

وقد ورد فى الكتاب المقدس اشارات عدة إلى كهنة الأمم، فمن ذلك ملكى صادق ملك شاليم(٢) وكهنة آلهة مصر (٣) الذين تزوج يوسف بابنة أحدهم وهو فوطيفار كاهن أون(٤)، ثم «كاهن مديان» وقد تزوج موسى بابنته(٥)، «وكاهن زفس (أى المشترى)» وقد أراد أن يذبح لبولس الرسول(٦) كما أشار أيوب الصديق وهو من أرض عوص إلى «الكهنة»(٧) وعدا ذلك فالاشارات كثيرة إلى كهنة البعل(٨) وورد اسم أحدهم وهو «متان كاهن البعل» (٩) و «كهنة المرتفعات» (١٠) و «كهنة الأصنام» (١١).

وكان للكهنة شأن اجتماعى كبير، فقد كانوا المقربين لدى الآلهة يخبرون الناس وينبئونهم بإرادة الآلهة، وعلى ذلك كانوا مبجلين مكرمين من الشعب الذى كان يوقرهم لسمو مرتبتهم الدينية والعلمية، وأما الملوك فكانوا يخشون من نفوذهم فيفعلون ما يرضيهم اتقاء لغضب الآلهة

---

(١) راجع تاريخ الأمة القبطية، الحلقة الثانية (طبعة ثالثة سنة ١٩٢٥م، ص ٢٢) - تأليف لجنة التاريخ القبطى.
(٢) تك ١٤: ١٨، مز ١١٠: ٤، عب ٥: ٦، ١٠، ٢٠.
(٣) تك ٤٧: ٢٢، ٢٦.
(٤) تك ٤١: ٤٥.
(٥) حز ٢: ١٦، ٣: ١، ١٨: ١.
(٦) أع ١٤: ١٣
(٧) أى ١٢: ١٩.
(٨) ٢ مل ١٠: ١١، ١٩، ١. مل ١٢: ٣١، ١. مل ١٨: ٤٠، ١. مل ١٣: ٣٣، ٣٤.
(٩) ٢ مل ١٩: ١٨.
(١٠) ١ مل ١٣: ٢، ٢. مل ١٧: ٣٢، ٢. مل ٢٣: ٢٠.
(١١) ٢ مل ٢٣: ٥، هو ١٠: ٥، صف ١: ٤، ٢. أى ١٣: ٩.

واحتراماً لإرادة الشعب، وإلا فيقتلون بأمر الكهنة وليس من يرد حكمهم كما كان الأمر فى بلاد الحبشة، وكانوا يمنحونهم الأراضى والاقطاعيات ويعفونهم من الضرائب. وقد ذكر الكتاب المقدس عن يوسف أنه اشترى من أهالى مصر أراضى المصريين لملك مصر فى أيام القحط ماعدا الكهنة فقد احتفظوا بأراضيهم وكانوا ينفقون مما كان ينعم الملك به عليهم كفريضة ،إلا أن أرض الكهنة لم يشترها إذ كانت للكهنة فريضة من قبل فرعون، فأكلوا فريضتهم التى أعطاهم فرعون، لذلك لم يبيعوا أرضهم(١) ... ويقول أيضاً ،إلا أن أرض الكهنة وحدهم لم تصر لفرعون، (٢).

وكان الكهنة يعيشون فى بيوت خاصة بهم حول المعابد وكان كل معبد له أرض زراعية واسعة وأملاك كثيرة. فكان الكهنة يزرعون هذه الأرض وينتفعون بهذه الأملاك، وكان رئيس الكهنة يأخذ الايراد فيصرف منه على المعبد ويعطى الكهنة مرتباتهم ثم يأخذ لنفسه ما يكفيه،(٣).

يقول هيرودوت عن الكهنة ،وهم يتمتعون كذلك بامتيازات كثيرة: فهم لا يستهلكون ولا ينفقون شيئاً من دخلهم الخاص، بل يخبز لهم خبز مقدس، ويعطى كل واحد منهم كل يوم قدر كبير من لحم الثيران والأوز، والخمر التى تقدم لهم مصنوعة من العنب، ولا يجوز لهم تناول الأسماك. ولا يبذر المصريون الفول فى حقولهم مطلقاً. ولا يذوقون ما قد ينبت منه فجا أو مطبوخاً. أما الكهنة فلا يطيقون النظر إليه لأنهم يعتقدون أنه بقل دنس، (٤).

وبلغ من نفوذ الكهنة فى الأمم القديمة أن الملك كان يعتمد عليهم ويستشيرهم فى حل مشاكل الحكم وكانوا يرتبون شئون الملك فى الداخل والخارج بل وقد توصلوا إلى العرش فصاروا ملوكا، وقد تم ذلك فى مصر على يد حرحور (هر- هيرو) مؤسس الأسرة الحادية والعشرين، لقد اعتلى هو وأبناؤه من بعده أريكة الملك وكان رئيساً للكهنة، كما أن الإمبراطور آمن هتب أو آمنوفيس الرابع كان كاهناً للشمس قبل اعتلائه عرش مصر. كذلك الحال فى الصين، فقد كان

---

(١) تك ٤٧: ٢٢.

(٢) تك ٤٧: ٢٦.

(٣) كتاب المطالعة التاريخية تأليف محمد مصطفى زيادة، وزكى على، وأحمد نجيب هاشم، وسيد أحمد خليل..

(٤) هيرودوت فى مصر، الكتاب الثانى يوتربى ربة الشعر الغنائى: ٣٧.

الإمبراطور هو الحبر الأعظم الذى يقدم العبادة لشنفتاى (الإله المتعالى) وليس غيره حق تقديم هذه العبادة.

وليس أدل على مكانة الكهنوت فى العالم القديم مما يقوله تأسيس فى كتابه عن عوائد الجرمانيين (١) «لا يسمح إلا للكهنة أن يحبسوا ويجلدوا ويحكموا وهذا ليس بنوع القصاص أو بأمر الأمير، بل كأن الله، أمر به. وعندهم الملك دون الكاهن فى الاعتبار، لأن الكاهن يفحص المشاكل وعلى ارادته يتوقف الشعب والملك» (٢).

«والمرأة عندهم (قدماء المصريين) لا تكون كاهنة لإله أو آلهة. أما الرجال فمنهم الكهنة لكل الآلهة والآلهات» (٣).

(٢) درجات الكهنوت:

كان الكهنوت فى سائر الأمم الوثنية وظيفة مقدسة موقوفة على أشخاص من فئة خاصة يفرزون لها، وكان عددهم فى كل أمة كبيرا، ومن ثم فكانوا مراتب ودرجات، **أما الدرجة الأولى** فى الاعتبار والمنزلة فقد كانت وظيفة رئاسة الكهنوت، وكان حاملها يسمى الكاهن الأكبر أو الحبر الأعظم أو رئيس الكهنة، وقد مر بنا أن حرحور الذى استل العرش من الأسرة الرمسيسية أو الأسرة العشرين، كان رئيساً للكهنة وأن الامبراطور فى الصين كان هو الحبر الأعظم عندهم. **أما الدرجة الثانية** فهى بالطبع درجة الكهنة الذين يخضعون لرياسة الحبر الأعظم، وأخيراً **فالدرجة الثالثة** هى درجة الشمامسة (وقد جاء فى تاريخ الملك أوبيليوس مقرونيوس أن فريقاً من الجنود الرومانية نزل بمدينة حمص وكان أهلها اذ ذاك صائبين يعبدون الشمس فوجدوا هناك كهنة لخدمة هيكلهم ومن بينهم: شماساً له من العمر ١٣ سنة، اسمه بسيانوس (٤).

ويقول هيرودوت «وليس لكل واحد من الآلهة كاهن واحد (عند قدماء المصريين) بل كثيرون، وأحدهم هو كبير الكهنة. وحينما يموت واحد من الكهنة، يعين ابنه فى مكانه» (٥).

---

(١) فصل ٧: ص ٣٨٤.

(٢) بحث فى حقيقة الايمان للشماس ابراهيم لوقا، ص ٣٩.

(٣) هيرودوت فى مصر، الكتاب الثانى، يوتربى ربة الشعر الغنائى. نقله الى اليونانية الأستاذ وهيب كامل - القاهرة ١٩٤٦، ص ٤٦ نمرة ٣٥.

(٤) الكافى مجلد ١ ص ٢٨٥.

(٥) هيرودوت فى مصر ك ٢: ٣٧.

(٣) طقوس السيامة:

ورد عن الأمم الوثنية أن من يتقلد وظيفة من وظائف الكهنوت فيها، تجرى له طقوس معينة، وتتلى فى يوم سيامته صلوات خاصة يصبح بموجبها صاحب سلطان فى درجته التى رقى إليها، مثال ذلك ما نقش على جدران هيكل خوفو بطيبة، حيث سجلت قمة (منخير رع) بن الكاهن بنزوم الأول، وقد سيم (منخير رع) رئيسا لكهنة الإله (آمون رع)، ومما جاء فى صلاته: «أيها السيد العظيم، لقد كثرت الشكوى من غضبك على الناس المنفيين فى الواحات. فأبتهل إليك، أيها المعبود المصور لكل موجود، ويا مخرج الغذاء للمعبودات والموجودات، ويانور الشمس فى النهار، وضياء القمر فى الليل، يا من يسرى فى السماء دون وقوف أو إمهال، أنظر إلى أولئك الذين تقيتهم بأمرك واشف مرضاهم، وارأف بهم لأنهم شعوبك العديدة، فهل يستطيع أحد أن يسكن غضبك اذا ما غضبت، أنت الشعاع المنير، استجب دعوتى، واعف عن الخدم الذين نفيتهم فى الواحات ليعودوا إلى مصر، «ثم أن الإله على ما ذكر استجاب لصلاته فعاد يصلى إليه ثانية ويقول: «أنا عبدك، النائب عنك فى مدينتك فى صغرى أنت صورتنى وأظهرتنى فى الوجود لمسرة خلقك. فأعطنى عيشة هنيئة فى خدمتك، وقداسة ووقاية من عذابك، وارشدنى إلى طريقك، وأهدنى سبيلك وحبب قلبى فى بيتك العظيم، ولا تحرمنى من فضلك» (١).

(٤) الملابس الكهنوتية:

لم يكن الكهنة يباشرون خدمتهم ووظيفتهم الكهنوتية بغير ملابس يرتدونها لهذا الغرض. ويتخذ الكهنة (عند المصريين) ثيابهم من الكتان وحده وأحذيتهم من البردى. ولا يسمح لهم بلبس غير ذلك من الملابس أو الأحذية» (٢).

«وكانوا يلبسون ثياباً خاصة طول السنة يلبسونها فى الصيف كما يلبسونها فى الشتاء وهى رداء واسع من الكتان الأبيض وحذاء بسيط مصنوع من نبات البردى».

«وكان الكاهن فى المعبد يلبس هذا الرداء البسيط من الكتان الأبيض، فإذا أراد الخروج إلى المدينة يلبس فوق هذا الرداء عباءة من الكتان».

---

(١) كافى مجلد ١ ص ١١٨.

(٢) هيرودوت فى مصر - الكتاب الثانى - بوتربى ربة الشعر الغنائى ٣٧.

،وأما رئيس الكهنة فكان يلبس على ذلك عباءة من جلد الفهد، وهو حيوان يشبه القط الكبير،(١) وكانت عند الماديين والفرس بيضاء واسعة تشبه القفاطين، هذا وكانوا يلبسون فوق رؤوسهم طرطورا طويلاً كما كانوا يحملون فى أيديهم الأغصان، وإلا فلا يسمح لهم بتأدية شعائر الدين (٢).

ويظهر من سفر الملوك الثانى أن كهنة البعل كانوا يرتدون ملابس خاصة عند التعبد، ولذا لم يتعجبوا أو يعترضوا حين أمر باهور فأعدوا لهم هذه الملابس، (٣).

ثامناً: الصوم:

(١) أنواع الصوم:

لم يفت الأمم الوثنية أن تصوم متذللة أمام معبودها فتعطف عليها بالرحمة واجابة سؤالاتها، فكان الصوم لديها طقساً معتبرا بأنواعه:

(١) الصوم فى الضيق: فإذا نقص منسوب النيل فى أرض مصر، كان المصريون ينادون بصوم عام مقترناً بالتضرعات والصلوات (٤). وقد جاء فى الكتاب المقدس عن الملك داريوس الفارسى إذ طرح دانيال فى جب الأسود أنه حزن لذلك، ،حينئذ مضى الملك إلى قصره وبات صائماً، (٥)، وعن الراكبين والمسافرين فى السفينة مع بولس، اذ كانوا فى خطر وضيق، أنهم صاموا كثيراً (٦) حتى ،كان بولس يطلب إلى الجميع أن يتناولوا طعاماً، بعد أن أرهقهم الصوم أياماً كثيرة قائلاً: هذا هو اليوم الرابع عشر، وأنتم منتظرون، لا تزالون صائمين ولم تأخذوا شيئاً، لذلك ألتمس منكم أن تتناولوا طعاماً، (٧) ولقد كان عددهم مائتين وستا وسبعين نفسا(٨).

ولا شك أن أغلبيتهم الساحقة كانوا من الأمم (٩).

---

(١) كتاب المطالعة التاريخية ـ تأليف محمد مصطفى زيادة وزكى على واحمد نجيب هاشم وسيد أحمد خليل.

(٢) راجع الجغرافية الاجتماعية ص ٢٩٨.

(٣) ٢. مل ١٠ : ١٨، ١٩، ٢٢.

(٤) الكافى مجلد ١ ص ١٧٨.

(٥) دا ٦: ١٨.

(٦) أع ٢٧: ٢١.

(٧) أع ٢٧: ٣٣ – ٣٧.

(٨) أع ٢٧: ٣٧.

(٩) أع ٢٧: ١– ٣، ٦، ٢٢، ٢٣، ٢٧، ٣٠– ٣٢

(٢) **الصوم التذللى**: كان فى الأمم أن يصوموا تذللا واستمطاراً لمراحم الآلهة، إذا أحسوا أنها غاضبة عليهم، مثال ذلك ما فعله أهل نينوى وهم ليسوا من بنى اسرائيل بل من الأمم أو من مملكة آشور، بالحرى: قال الكتاب: «وصار قول الرب إلى يونان بن امتاى قائلاً: قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة، وناد عليها، لأنه قد صعد شرهم أمامى.. فابتدأ أن يدخل المدينة... ونادى وقال: بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى. فآمن أهل نينوى بالله، ونادوا بصوم، ولبسوا مسوحا من كبيرهم إلى صغيرهم، وبلغ الأمر ملك نينوى، فقام عن كرسيه، وخلع ردائه عنه وتغطى بمسح وجلس على الرماد، ونودى وقيل فى نينوى عن أمر الملك وعظمائه قائلاً: لا تذق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئا، لا ترع ولا تشرب ماء، وليتغط بمسوح الناس والبهائم، ويصرخوا إلى الله بشدة ويرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة وعن الظلم الذى فى أيديهم. لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه فلا نهلك (١).

(٣) **الصوم التعبدى**: وصوم التعبد صوم تقوى، ليس القصد منه خلاصا من ضيق أو تفريجا لكرب أو غم، أو تعبيراً عن حزن، وإنما هو فضيلة روحية يقوم بها الاتقياء الورعون زهداً وتقرباً إلى الإله وانصرافا لوجهه الكريم: وقد عرف الوثنيون هذا الصوم ومن الأمثلة على ذلك فى الكتاب المقدس كورنيليوس وهو قائد مائة من الكتيبة التى تدعى الايطالية (٢)، فكان يصوم هذا الرجل إلى الساعة التاسعة نهاراً وهى ما يقابل الثالثة بعد الظهر حسب التقويم الأفرنجى: «فقال كورنيليوس (للقديس بطرس الرسول) منذ أربعة أيام، إلى هذه الساعة (التاسعة) كنت صائماً» (٣).

وقد كان هذا الصوم التعبدى معروفاً عند كثير من الأمم الأخرى (٤)، فكان المصريون لا يأذنون للسحرة بادخال تلميذ فى مدارسهم إلا بعد أن يروض على طهارة النفس، ومقاومة الأهواء، ومغالبة الشهوات والامتناع عن لذائذ الأطعمة، وعن كل ذى روح أيضاً، حتى تصفو نفسه. وتطهر من أدران الشر والعلائق المادية بهذه الرياضات، كما أنه كذلك يمتحن ذاته وقتاً ما بالانزواء عن العالم والخلوات فى أماكن بعيدة عن الناس، حتى يكمل صقله وتهذيبه. وبعد

---

(١) يونان ١: ١، ٢، ٣: ١ ـ ٩.
(٢) أع ١٠: ١.
(٣) أع ١٠: ٣٠، ٣.
(٤) الكافى

ذلك يمكن الاطمئنان إليه والوثوق فيه ومكاشفته بأسرار العلوم والمعارف الروحية. وكان المصريون يصومون أياما كثيرة فى كل سنة، وكان الصيام يسبق عيد المعبودة ايزيس.

ولا يتعاطى الكهنة الخمور ولا يأكلون الفول والبصل لأنهما يساعدان على زيادة التبخر المعدى وتوليد الغازات، ولا يأكلون السمك أيضاً لأنه منبه للدم، فقد كانوا يمتنعون عن كل ما يثير حواسهم، لينقطعوا لأداء مهمتهم فى هدوء ودعة.

ويقول هيـرودوت عن المصـــريين فى صدد حديثه عن الذبائح «وهم يصومون قبل التضحية» (١).

(٢) أقسام الصوم :

(١) **انفرادى**: كان الصوم إما انفرادياً، يفرضه المرء على نفسه، كما كان يفعل كورنيليوس الذى أشرنا إليه فى الفقرة السابقة (٢) أو .....

(٢) **صوم عام**: وفى هذه الحالة إما أن تفرضه جماعة صغيرة على نفسها كالعائلة مثلاً أو كما فعل المسافرون مع القديس بولس فى السفينة (٣) وأما أن تفرضه الأمة كلها أو رجال الكهنوت فى الأمة، كما كان يحدث عند المصريين اذ ألمت بهم ضائقة عامة أو نكبوا بنقص النيل أو الفيضان. وكما فعل أهل نينوى. ومن ذلك أيضاً ما يؤثر عن الصائبة فقد كانوا يصومون صوماً عاماً مرتباً فى أوقات خاصة، ثلاث مرات فى العام. فى المرة الأولى يصومون ثلاثين يوماً، وعنها أخذ صوم رمضان. وفى المرة الثانية يصومون تسعة أيام، وفى الثالثة يصومون سبعة أيام (٤).

(٣) شروط يجب توافرها فى الصوم:

(١) كانت الأمم الوثنية، وليست الاسرائيلية فحسب، تشترط فى الصوم **أن يكون مصحوباً بالصلاة** وهذا رأيناه فى كورنيليوس الذى يقول «إلى هذه الساعة (التاسعة) كنت صائماً، وفى الساعة التاسعة كنت أصلى فى بيتى وإذا رجل قد وقف أمامى بلباس لامع. وقال : يا كورنيليوس: سمعت صلاتك وذكرت صدقاتك أمام الله» (٥).

---

(١) هيرودوت فى مصر- الكتاب الثانى- يوتربى ربه الشعر الغنائى : ٤١.
(٢) أع ١٠: ٣٠،٣. (٣) أع ٢٧: ٢١، ٣٣
(٤) الكافى. مجـلد ٢ ص ١٨ مـقالة فى الاسلام ص ٣١، وبحث فى حقيقة الإيمان ص ٢٢.
(٥) أع ١٠: ٣٠، ٣١، ٢، ٤.

وقد جاء فى أمر ملك نينوى وعظمائه إلى الناس أن يصوموا: «ويصرخوا إلى الله بشدة»(١).

(٢) مصحوباً بالرجوع إلى الله والكف عن الخطية:

جاء أيضاً فى أمر الملك إلى أهل نينوى: «ويرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة وعن الظلم الذى فى أيديهم، لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه، فلا نهلك» (٢).

(٣) الانقطاع عن الطعام وقتا من الزمن: أن الصوم بمعناه اللغوى معناه الانقطاع، فليس يعد المرء صائماً مالم ينقطع عن الطعام: وهكذا كانت تفعل الأمم الوثنية ، وقد مر بنا عن داريوس الملك الفارسى وكرنيليوس أنهما انقطعا عن الطعام فى الصوم.

وعلى هذه المنوال صام أهل نينوى «ونودى وقيل فى نينوى عن أمر الملك وعظمائه قائلاً: لا تذق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئاً، لا ترع ولا تشرب ماء... من كبيرهم إلى صغيرهم» (٣).

وعليه أيضاً صام المسافرون إلى رومة مع القديس بولس، فقد ورد فى حديثه اليهم «هذا هو اليوم الرابع عشر، وأنتم منتظرون لا تزالون صائمين، ولم تأخذوا شيئاً، لذلك ألتمس منكم أن تتناولوا طعاماً» (٤).

(٤) لبس المسوح: المسوح أقمشة خشنة غليظة تصنع من شعر الماعز يلبسها المرء فى حال ذله وانكسار نفسه، وقد كانت معروفة فى الأمم الوثنية وكانوا يلبسونها فى الصوم ويجلسون على الأرض فى التراب والرماد «فآمن أهل نينوى بالله، ونادوا بصوم ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم. وبلغ الأمر ملك نينوى، فقام عن كرسيه، وخلع رداءه عنه، وتغطى بمسح وجلس على الرماد، ونودى وقيل فى نينوى عن أمر الملك وعظمائه قائلاً: «لا تذق الناس... وليتغط بمسوح الناس والبهائم» (٥).

(٥) الامتناع عن الاتصالات الجنسية: إن الاتصال الجنسى لا يلائم حالة الصوم وفيها تذلل وحزن وزهد. ولذلك قال الكتاب عن داريوس الفارسى أنه لما تألم بسبب دانيال عندما

---

(١) يونان ٣: ٨.
(٢) يونان ٣: ٧، ٥.
(٣) يونان ٣: ٧، ٥ .
(٤) أع ٢٧: ٣٣، ٣٤.
(٥) يونان ٣: ٥ – ٨.

طرح فى جب الأسود، أنه «بات صائماً، ولم يؤت قدامه بسرارية» (١). والواقع أن الصائم يمتنع عن الطعام والشراب وهما اللذان بهما تقوم حياة الإنسان، فبالأولى يمتنع عن كل إتصال جنسى.

تاسعاً: الأعياد والمواسم الدينية:

قدست جميع الأمم أياماً معينة لمناسبات خاصة تجرى فيها طقوساً ملائمة للغرض منها، ودعت هذه الأيام أو المناسبات أعياداً، وليس فى الوجود أمة قديمة أو حديثة متمدينة أو متحضرة إلا ولها أعيادها ومواسمها، وهى تقدسها وتحترمها وتعتبرها طقسا من طقوس عبادتها، وتقليداً من التقاليد التى تعتز بها وتفخر.

ومما ورد عن أعياد المصريين نعلم أنها أربعة أنواع: أعياد سنوية، وأعياد شهرية، وأعياد يومية ثم أعياد خصوصية، أما الأعياد السنوية فثلاثة: عيد رأس السنة، عيد السنة الكبيسة، عيد السنة البسيطة، وأما الأعياد الشهرية فاثنان: عيد الحر الكبير ويقع فى غرة أمشير، وعيد الحر الأصغر ويقع فى أول برمهات، ثم الأعياد اليومية أو أعياد الأيام وعددها عشرة، تقع فى أول الشهر ثم فى اليوم الثانى والرابع والخامس والثامن والخامس عشر والسابع عشر والتاسع عشر والثلاثين من الشهر. ثم عيد أيام النسيء. وأخيراً الأعياد الخصوصية وعددها تسعة.

وكان للمصريين أربعة وعشرون عيداً ثابتاً فى السنة. عدا أعياد أخرى تتصل بالزراعة والنيل و فيضانه، فضلا عن عيد كان يتكرر فى كل ثلاثين سنة مرة واحدة كما ذكر هيرودوتس.

وهكذا الحال لا فى الأمة المصرية وحدها، وجريا على ذلك «عمل يربعام (ملك اسرائيل الذى عبد البعل) عيدا فى الشهر الثامن فى اليوم الخامس عشر من الشهر.. . وأصعد على المذبح... فعمل عيدا لبنى اسرائيل، وصعد على المذبح ليوقد» (٢). وقال الكتاب كذلك عن ياهو ملك اسرائيل «ثم جمع ياهو كل الشعب وقال لهم: أن آخاب قد عبد البعل قليلاً، وأما ياهو فأنه يعبده كثيراً. والأن فادعوا إلىّ جميع أنبياء البعل وكل عابديه وكل كهنته، لا يفقد أحد، لأن لى ذبيحة عظيمة للبعل، كل من فقد لا يعيش، وقد فعل ياهو بمكر لكى يفنى عبدة البعل، وقال ياهو قدسوا اعتكافا للبعل، فنادوا به» (٣).

---

(١) دا ٦ : ١٨.

(٢) ١. مل ١٢ : ٣٢، ٣٣.

(٣) ٢. مل ١٠ : ١٨ ـ ٢٠.

وكانت بلاد اليونان دولا كثيرة، وكانت كل دولة من هذه الدول مستقلة عن الأخرى فى سياستها وادارتها، ومع ذلك تجمع بينها وحدة الجنس واللغة والدين، ففى الأعياد الكبرى كانوا يحجون جميعاً إلى أوليما بالمورة حيث معبد الاله الأكبر تزوس، ويبعثون بمندوبيهم يحملون إليه القرابين والتقدمات. وكانت هذه الأعياد أياما مقدسة يحرم فيها الحرب بين الدول، وينشط فيها التنافس فى الأدب والشعر والفن والتصوير والغناء ثم الألعاب الأولمبية.

وكانت الأعياد هى الفرص السعيدة التى تؤلف بين اليونان وتقربهم إلى بعضهم بعضا، فضلاً عن أنها كانت كذلك عاملاً فعالا فى انضاج الثقافة اليونانية واظهارها بتلك الصورة الحية التى امتازت بها على مسرح التاريخ.

ولعل فيما ذكرنا ما يكفى لتقرير هذه الحقائق التالية، أن للأمم الوثنية، وليس للأمة الاسرائيلية وحدها. أعياداً ثابتة تروح وتجيء فى مواعيد وأوقات محددة ثابتة، وأن لهم فى هذه الأعياد طقوساً تتفق والمناسبة التى أقيمت من أجلها هذه الأعياد، وأن أعياد الأمم ومواسمها مقدسة، وهى تؤلف نوعا من الطقوس التعبدية والتقاليد الاجتماعية: فيها تظهر روح الديانة فتحرق المحرقات وتنحر الذبائح وفيها تلتئم روح الأمة فى احتفالها بمناسبات ثابتة مقررة متفقة.

عاشراً: الحج:

فى ديانات الأمم القديمة أمكنه مقدسة يحج إليها الأفراد والجماعات للتبرك والتقديس، من ذلك أن الصابئة كانوا يحجون إلى مكان فيما بين النهرين على مقربة من حوران بالجزيرة، كذلك عرب الجاهلية، فيما يروى ديودوروس الصقلى فى كتابه الثالث والبيرونى عن أبى معشر البلخى كانوا يحجون إلى الكعبة والحجر الأسود لنوال البركة والتقديس (١).

وكان معبد أبولون فى مدينة دلف على سفح جبل برناس، فكان اليونان يحجون إليه يستنزلون منه الوحى، وكان أكبر آلهتهم هو تزوس، وكان هيكله أعظم جميع الهياكل، وكان فى أوليما بالمورة. وعلى الرغم من أنهم كانوا دولا مستقلة فى سياستها وادارتها إلا أنهم كانوا جميعاً يحجون إلى مكان الاله يعبدون فيه ويقربون إليه قرابينهم وضحاياهم.

---

(١) راجع مصادر الاسلام والكافى مجلد ٢، وبحث فى حقيقة الايمان ص ٢٢.

وكان الشعب المصرى كثير التعلق بأماكن التعبد، فعندما كان يشعر الفرد منهم بانحراف فى صحته أو أعتلال فى مزاجه كان يقصد إلى دور العبادة للتبرك بها وبمن بها.

حادى عشر: النذور:

اذا كان الناس يشعرون باقتدار الهتهم وعظيم فعلها، فكانوا لذلك ينذرون لها نذراً خوفا منها أو شعورا بالامتنان نحوها، ولسنا نجد مثالاً لهذا الطقس فى الكتاب المقدس خيرا مما أورده عن البحارة فى حادثة يونان النبى الذى طرحوه فى البحر فسكن هياجه عنهم «فخاف الرجال من الرب خوفاً عظيماً، وذبحوا ذبيحة للرب ونذروا نذوراً» (١).

وكان المصريون ينذرون لآلهتهم نذوراً. ومن ذلك أن الفرد اذا مرض فاستجاب الاله لصلاته وشفاه، قدم للاله فى مكان التعبد ما نذره مصحوباً بصورة العضو الذى كان مريضا، مرسوماً على لوح من المعدن لتحفظ فى الهيكل تبركاً وتذكاراً....

* * *

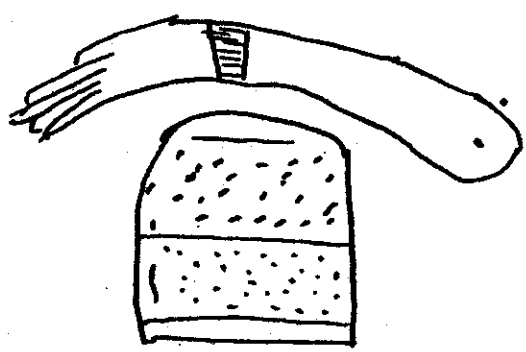

رسم تذكار هدايا (نذور) من الفضة قدمها قدماء المصريين للمعابد والهياكل عن كتاب الطب والتحنيط ص ٢٨ لأنطون زكرى تأليف د. يوليوس جيار والدكتور / لويس ريتر.

القاهرة ١٩٢٦م.

---

(١) يون ١: ١٦.

وكانوا يعطون الصدقات، وكانت لهم فى دور العبادة صناديق خاصة بذلك.

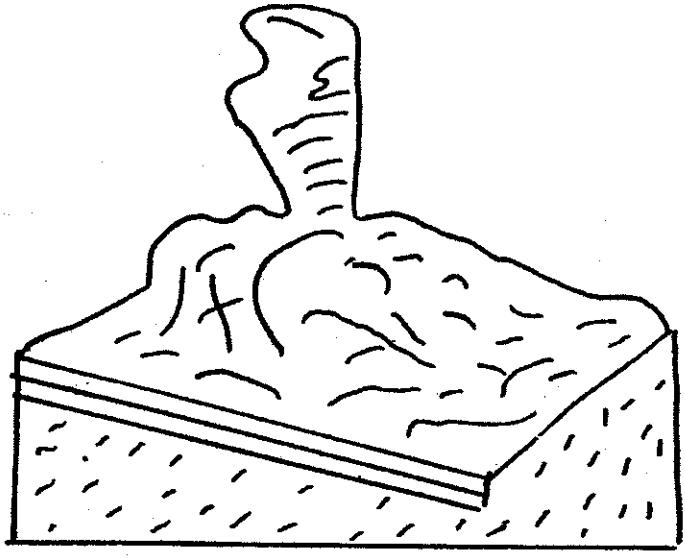

غطاء علبة للصدقة

منقول من معبد اسكولاب فى مدينة بطولمايس (بالوجه القبلى) وبه أثقب كان الشعب المصرى التقى يلقون فيها الدراهم للصدقة ،الأصل بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى بالقاعة رقم ٩٦٤

* * *

ثانى عشر: التمييز بين المحلل والمحرم، بين الطاهر والنجس:

وكما أن الإسرائيليين يفرقون بين الطاهر والنجس، هكذا الأمم الوثنية طرأت منذ أقدم العصور. فكان المصريون مثلاً يعتبرون اليونان أمة نجسة فلم يكونوا يتعاملون معهم ولا يأكلون أو يشربون معهم بل ولا يستعملوا حتى أدواتهم وسكاكينهم.

وقد وردت فى سفر التكوين إشارتان إلى اعتبار العبرانيين نجسين أمام المصريين: المرة الأولى فى الفصل الثالث والأربعين: «وقال (يوسف) قدموا طعاماً، فقدموا له وحده، ولهم (إخوته) وحدهم، وللمصريين الآكلين عنده وحدهم ، لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاماً

مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين» (١) والإشارة الثانية فى الفصل السادس والأربعين، لأن كل راعى غنم رجس عند المصريين» (٢).

ثم هناك إشارة أخرى فى سفر الخروج: «فدعا فرعون موسى وهرون وقال اذهبوا اذبحوا لإلهكم فى هذه الأرض (مصر)، فقال موسى: لا يصلح أن نفعل هكذا، لأننا إنما نذبح رجس المصريين للرب إلهنا، إن ذبحنا رجس المصريين أمام عيونهم، أفلا يرجموننا؟» (٣).

يقول هيرودوت: «ويضحى المصريون كلهم بالثيران والعجول الطاهرة، ولا يحل لهم أن يضحوا بالأبقار فهى مقدسة لإيزيس وتمثال إيزيس على هيئة امرأة ولكن له قرنين.. ولا يقبل مصرى أو مصرية يونانياً فى فمه، ولا يستعمل سكين يونانى أو سفوده أو قدره، ولا يذوق لحم ثور طاهر إذا كان مقطوعاً بسكين يونانية» (٤).

وهذا التفريق بين الطاهر والنجس. طقس من الطقوس لأنه ينظم علاقة الإنسان بالناس والأشياء فضلاً عن الحيوانات والطيور، فما كان منها نجساً يحرم لمسه والاقتراب إليه، وما كان طاهراً جاز أكله أو ذبحه إن كان حيواناً أو طيراً، أو لمسه والاقتراب إليه إن كان إنساناً أو شيئاً.

ثالث عشر: طقس الزواج:

لم يكن الزواج يتم بغير إجراءات وطقوس خاصة. فالزواج فى مصر كان يعقد بعد أن يدفع الزوج مالاً هو ثمن الزوجة أو مهرها، وكان يجرى العقد أو طقس الزواج على يد الكهنة فى المعابد. وهذا يدل على أنه طقس دينى أو طقس مقدس فى نظر الدين لأنه يتم فى المعبد وبمعرفة الكهنة أو رجال الدين. وكأن نظام الأسرة نظام إلهى، ومن ثم فلا بد أن يكون رباطها بموجب عقد دينى ووثاق شرعى وطقس كهنوتى.

رابع عشر: طقوس الدفن والترحم على الموتى:

كانت الأمم الوثنية التى تعتقد فى الخلود وقيامة الموتى اعتقاداً واضحاً، تعنى بدفن موتاها وإجراء طقوس دينية تليق بكرامة الميت.

---

(١) تك ٤٣: ٣١، ٣٢.

(٢) تك ٤٦: ٣٤.

(٣) خروج ٨: ٢٥، ٢٦.

(٤) هيرودوت فى مصر- الكتاب الثانى- يوتربى: ٤١.

من ذلك ما يقال عن قدماء المصريين، وقد كانوا يعتقدون فى العجل أبيس ويحلول روح المعبود فيه، فإذا مات انتقلت إلى غيره من أبناء جنسه أى إلى عجل نظيره قريب الشبه إليه فى شكله الظاهرى وقد حددوا للعجل خمسة وعشرين عاماً فإذا لم يمت غرقوه فى النيل ثم حنطوه ودفنوه فى السرابيوم (مدفن العجول) بسقارة، ولبسوا عليه شعار الحداد، حتى يوفقوا إ لى عجل نظيره (١).

وكان اعتقاد المصريين فى قيامة الموتى، عظيماً وعميقاً. يدل عليه إنهم كانوا يدفنون موتاهم فى مقابر عظيمة ومتينة يبنونها خصيصاً لهذا القصد وكانوا يزودونها بكل ما يحتاج إليه الميت من مأكل ومشرب وملبس فضلاً عن أنواع التسلية بل ورسوم من كان الميت يعزهم ويصادقهم حتى لا يضطر إ لى أن يخرج خارج المقبرة فيزعج الأحباء ويجلب عليهم ضروب الأمراض.

ومن بين طقوسهم استدعاء الكهنة للصلاة على روح الموتى، ثم توزيع الصدقات على الفقراء عند مقابر الموتى ترحماً على الموتى، واستجلاباً لمراحم الآلهة نحوهم، وقد اختلطت هذه الفكرة الصالحة بتصورات أخرى مقتها الرب إله إسرائيل، وهى عبادة الموتى وتقديم الذبائح للموتى أنفسهم باعتبارهم آلهة. وقد سقط إسرائيل فى هذه العبادة المرذولة فقال النبى داود «وتعلقوا ببعل فغور وأكلوا ذبائح الموتى» (٢).

* * *

وبالإجمال، فإن جميع الأمم الإنسانية على إختلاف دياناتها وبيئاتها وعصورها وثقافاتها، لها فى عبادتها طقوس تكاد تحمل روحاً واحدة، تدل على أن المصدر الأول الذى استقت منه جميع الأمم عباداتها واحد، وهو آدم أبو الجنس البشرى كله.

---

(١) مختصر تاريخ الأمة القبطية - سليم سليمان ص ٥١.

(٢) مز ١٠٦: ٢٨.

ثانياً

تاريخ الطقوس

قبل

عهد النبى موسى

ثانياً: الطقوس فى العهد القديم قبل النبى موسى

ما أكثر الطقوس فى الأمة الإسرائيلية، وربما يبدو للبعض أن الطقوس لم تعرف فى إسرائيل قبل موسى النبى، ولذا يجدر بنا أن نقوم بعرض بعض من هذه الطقوس كما يشير إليها الكتاب المقدس لنتحقق من أن فكرة الطقوس كانت واضحة فى الديانة القديمة منذ آدم حتى النبى موسى..

وتتمثل هذه الطقوس فى أمور منها:

(أ) الصلاة الإنفرادية:

(١) الصلاة:

صلى كثيرون قبل أن تجئ شريعة موسى، واعتقدوا أن صلتهم بالله تتوقف على الصلاة، وهى الطقس الأول من طقوس العبادة فلم ينكرها غير الأشرار، يقول أيوب بلسانهم « من هو القدير حتى نعبده وماذا ننتفع إن إلتمسناه» (١).

ولسنا نشك قط فى أن هناك صلوات كثيرة قد ارتفعت إلى السماء من قلوب الناس صالحين وأشراراً، ابتداء من آدم حتى موسى، وإن لم يسجلها الكتاب المقدس وإلا ضاقت به قدرة المطالعين والقراء. فإذا ذكرنا بعضاً من هذه الصلوات فلتكن كعينة فقط وكدليل على أن الصلاة أمر لم يفت السابقين على موسى، لأنه أولاً وقبل كل شئ تعبير طبيعى عن الحنين إلى الآلوهة وهى مصدر الإنسان ومرجعه...

ولعل أقوى تعبير عن حياة الصلاة قد قيل بصدد أخنوخ: « وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله نقله» (٢) كذا قيل عن نوح: « وسار نوح مع الله» (٣).

وقد ذكر الكتاب صلاة لإبراهيم تدل على ما كان لهذا النبى الكريم من إدراك عميق لمعنى الصلاة وروحها، فكان يقول «إنى قد شرعت أكلم المولى، وأنا تراب ورماد» (٤).

---

(١) أى ٢١: ١٥.

(٢) تك ٥: ٢٢، ٢٤.

(٣) تك ٦: ٩.

(٤) تك ١٩: ٢٧- ٣٢، راجع أيضاً تك ١٢: ٨.

وعن **أليعازر الدمشقى** أنه صلى «وقال أيها الرب إله سيدى إبراهيم، يسر لى اليوم واصنع لطفاً إلى سيدى إبراهيم. ها أنا واقف على عين المياه وبنات أهل المدينة خارجات ليستقين ماء. فليكن أن الفتاة التى أقول لها أميلى جرتك لأشرب فتقول اشرب وأنا أسقى جمالك أيضاً هى التى عينتها لعبدك اسحق، وبها أعلم أنك صنعت لطفاً إلى سيدى.

«وإذ كان لم يفرغ بعد من الكلام إذا رفقة التى ولدت لبتوئيل ابن ملكة إمرأة ناحور أخى إبراهيم خارجة وجرتها على كتفها، وكانت الفتاة حسنة المنظرجداً وعذراء لم يعرفها رجل، فنزلت إلى العين وملأت جرتها وطلعت، فركض العبد للقائها. وقال اسقينى قليل ماء من جرتك، فقالت اشرب يا سيدى، وأسرعت وأنزلت جرتها على يدها وسقته. ولما فرغت من سقيه قالت: استقى لجمالك أيضاً حتى تفرغ من الشرب، فأسرعت وأفرغت جرتها فى المسقاة وركضت أيضاً إلى البئر لتستقى فاستقت لكل جماله» (١).

وعن **رفقة** قال الوحى «وتزاحم الولدان فى بطنها، فقالت إن كان هكذا فلماذا أنا. فمضت لتسأل الرب، فقال لها الرب فى بطنك أمتان ومن أحشائك يفترق شعبان، شعب يقوى على شعب، وكبير يستعبد لصغير» (٢).

وعن **يعقوب** أنه صلى للرب وقال: «يا إله أبى ابراهيم، وإله أبى اسحق، الرب الذى قال لى: ارجع إلى أرضك وإلى عشيرتك، فأحسن إليك، صغير أنا عن جميع ألطافك، وجميع الأمانة التى صنعت إ لى عبدك. فإنى بعصاى عبرت هذا الأردن، والآن قد صرت جيشين، نجنى من يد أخى من يد عيسو، لأنى خائف منه أن يأتى ويضربنى الأم مع البنين، وأنت قد قلت أنى أحسن إليك، وأجعل نسلك كرمل البحر الذى لا يعد للكثرة» (٣).

« فبقى يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر.. وقال (ليعقوب) أطلقنى لأنه قد طلع الفجر، فقال (يعقوب) لا أطلقك إن لم تباركنى، فقال له ما اسمك فقال يعقوب. فقال لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت، وسأل يعقوب وقال أخبرنى باسمك، فقال لماذا تسأل عن اسمى. وباركه» (٤).

---

(١) تك ٢٤: ١٢، ٢٠.
(٢) تك ٢٥: ٢٢، ٢٣.
(٣) تك ٣٢: ٩ ـ ١٢.
(٤) تك ٣٢: ٢٤ ـ ٢٩.

وقد خبر أليفاز التيمانى ثمر الصلاة فأنشد يقول لأيوب عن الله: « تصلى له فيستمع لك، ونذورك توفيها» (١) أى أنه يصلى فيستجيب الرب لصلاته، ولذا يقدم له ما تعهد به امتناناً وشكراً.

(ب) الصلاة العائلية:

(١) **وقال الرب لإبرام:** «اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك.. فأخذ ابرام سارای امرأته ولوطا ابن أخيه وكل مقتنياتهما التى اقتنيا والنفوس التى امتلكا فى حاران، وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان، فأتوا إلى أرض كنعان» (٢).

(٢) ثم قال الله ليعقوب: قم اصعد إلى بيت إيل، وأقم هناك وأصنع هناك مذبحاً لله الذى ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك. فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه: اعزلوا الآلهة الغريبة التى بينكم وتطهروا وأبدلوا ثيابكم، ولنقم ونصعد إلى بيت إيل.. فأعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التى فى أيديهم والأقراط التى فى آذانهم ... ثم رحلوا .. هو وجميع القوم الذين معه» (٣).

(٣) «وكان لما دارت أيام الوليمة أن أيوب أرسل فقدسهم (أى بنيه) وبكر فى الغد وأصعد محرقات على عددهم كلهم، لأن أيوب قال: ربما أخطأ بنى وجدفوا على الله فى قلوبهم. هكذا كان أيوب يفعل كل الأيام» (٤).

شروط الصلاة المستجابة:

(١) إعداد القلب بترك الشر والظلم:

«إن أعددت أنت قلبك وبسطت إليه يديك، إن أبعدت الإثم الذى فى يدك ولا يسكن الظلم فى خيمتك، حينئذ ترفع وجهك بلا عيب وتكون ثابتاً ولا تخاف، لأنك تنسى المشقة، كمياه عبرت

---

(١) أى ٢٢: ٢٧.

(٢) تك ١٢: ١، ٥.

(٣) تك ٣٥: ١- ٥.

(٤) أى ١: ٥.

تذكرها، وفوق الظهيرة يقوم حظك، الظلام يتحول صباحاً، وتطمئن لأنه يوجد رجاء. تتجسس حولك وتضطجع آمناً، وتربض وليس من يزعج ويتضرع إلى وجهك كثيرون» (١).

«إن رجعت إلى القدير تبنى، إن ابعدت ظلماً من خيمتك» (٢) أما الذين فجروا فلا قبول لصلواتهم: «لأنه ما هو رجاء الفاجر عندما يقطعه، عندما يسلب الله نفسه، أفيسمع الله صراخه إذا جاء عليه ضيق» (٣).

لذا كان أيوب يطمئن إلى استجابة صلاته: «لا ظلم فى يدى وصلاتى خالصة» (٤).

(٢) الخضوع والاتضاع:

فأجاب إبراهيم وقال إنى قد شرعت أكلم المولى وأنا تراب ورماد... فقال لا أهلك» (٥).

وجاء فى سفر أيوب أن الله يخلص المنخفض العينين (٦) أما المتكبرون المتغطرسون فلا يستجيب العلى صلاتهم. قال أليهو فى سفر أيوب «ثم يصرخون من كبرياء الأشرار ولا يستجيب» (٧).

(٣) الإلحاح واللجاجة:

وقال (الملاك ليعقوب) أطلقنى لأنه قد طلع الفجر، فقال (يعقوب) لا أطلقك إن لم تباركنى. فقال له (الملاك) ما اسمك؟ فقال يعقوب فقال : لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت» (٨).

---

(١) أى ١١: ١٣ – ١٩.

(٢) أى ٢٢: ٢٣.

(٣) أى ٢٧: ٨، ٩.

(٤) أى ١٦: ١٧.

(٥) تك ١٨: ١٧.

(٦) أى ٣٥: ١٢.

(٧) أى ٣٥: ١٢.

(٨) تك ٣٢: ٢٦ – ٢٨.

موضوعات الصلاة:

(١) التعليم والارشاد:

يصلى أيوب لله ويقول «ما لم أبصره (أنا) فأرنيه أنت، إن كنت قد فعلت إثماً فلا أعود أفعله»(١).

«لا تستذنبنى، فهمنى لماذا تخاصمنى» (٢)، كم لى من الآثام والخطايا. أعلمنى ذنبى وخطيتى» (٣). لماذا تحجب وجهك عنى وتحسبنى عدواً لك» (٤).

(٢) طلب اتمام مواعيد الله:

«وقال يعقوب: يا إله أبى إبراهيم وإله أبى اسحق الرب الذى قال لى ارجع إلى أرضك وعشيرتك فأحسن إليك... نجنى من يد أخى، من يد عيسو، لأنى خائف منه أن يأتى ويضربنى الأم مع البنين، وأنت قد قلت إنى أحسن إليك وأجعل نسلك كرمل البحر الذى لا يعد للكثرة»(٥).

(٣) التضرع من أجل البركات الزمنية:

ونذر يعقوب نذراً قائلاً: إن كان الله معى وحفظنى فى هذا الطريق الذى أنا سائر فيه، وأعطانى خبزاً لآكل وثياباً لألبس، ورجعت بسلام إلى بيت أبى يكون الرب لى إلهاً، وهذا الحجر الذى أقمته عموداً يكون بيت الله، وكل ما تعطينى فإنى أعشره لك» (٦).

الشفاعة فى الغير وقبول الرب شفاعة قديسيه فى البشر:

(أ) شفاعة الأحياء المجاهدين فى المجاهدين:

وهذا طقس آخر كان معروفاً فى الأمة الإسرائيلية قبل عهد موسى النبى:-

---

(١) أى ٣٤: ٣٢.
(٢) أى ١٠: ٢.
(٣) أى ١٣: ٢٣.
(٤) أى ١٣: ٢٤.
(٥) تك ٣٢: ٩ – ١٢.
(٦) تك ٢٨: ٢٠ – ٢٢.

شفاعة ابراهيم فى اسماعيل :

وقال ابراهيم لله ليت اسماعيل يعيش أمامك، فقال الله... وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا... اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة، (١).

بركة الرب لاسماعيل (من أجل ابراهيم) :

«وابن الجارية أيضا سأجعله امة لأنه نسلك» (٢).

شفاعة ابراهيم فى أهل سدوم :

فقال الرب هل أخفى عن ابراهيم ما أنا فاعله، وابراهيم يكون أمة كبيرة وقوية ويتبارك به جميع أمم الأرض، لأنى عرفته لكى يوصى بنيه وبيته من بعده... وقال الرب ان صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جدا... وأما ابراهيم فكان لم يزل قائما أمام الرب...

فتقدم ابراهيم وقال: أفتهلك البار مع الأثيم، عسى أن يكون خمسون بارا فى المدينة. فتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين بارا الذى فيه، حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر: أن تميت البار مع الأثيم، فيكون البار كالأثيم، حاشا لك، أديان كل الأرض لا يصنع عدلا؟... فقال الرب: ان وجدت فى سدوم خمسين بارا فى المدينة، فانى أصفح عن المكان كله من أجلهم : فأجاب ابراهيم وقال: انى قد شرعت أكلم المولى، وأنا تراب ورماد. ربما نقص الخمسون بارا خمسة، أتهلك كل المدينة بالخمسة؟ فقال : لا أهلك : ان وجدت هناك خمسة وأربعين. فعاد يكلمه أيضا وقال: عسى أن يوجد هناك أربعون. فقال لا أفعل من أجل الأربعين فقال: لا يسخط المولى فأتكلم: عسى أن يوجد هناك ثلاثون. فقال: لا أفعل ان وجدت هناك ثلاثين. فقال انى قد شرعت أكلم المولى: عسى أن يوجد هناك عشرون. فقال لا أهلك من أجل العشرين. فقال لا يسخط المولى فأتكلم هذه المرة فقط: عسى أن يوجد هناك عشرة. فقال: لا أهلك من أجل العشرة» (٣).

---

(١) تك ١٧ : ١٨ – ٢٠ يلاحظ أن الله بارك أولاد ابراهيم من أجل طاعة ابراهيم: «ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض، من أجل أنك سمعت لقولى» تك ٢٢ : ١٨ .

(٢) تك ٢١ : ١٣ .

(٣) تك ١٨ : ١٧ – ٣٢ .

وعلى هذا النص نلاحظ بضع ملاحظات :

أولا : أن ابراهيم يتمتع بمنزلة عظيمة عند الله، وهو لذلك صاحب دالة لديه، والدليل على ذلك قول الرب نفسه «هل أخفى عن ابراهيم ما أنا فاعله» (١) وهى عبارة لا تستعمل فى العادة الآ بالنسبة لصديق صدوق مع صديقه الحميم، ولذا دعى «ابراهيم الخليل».

ثانيا: نلاحظ أن ابراهيم فى صلاته وشفاعته يقف موقف الملّح الضارع الذى يرجو تنفيذ طلبه. وهو فى سبيل ذلك يستعمل عبارات تستدر عطف الله ومراحمه. لاحظ قوله: حاشا لك، أديان كل الأرض لا يصنع عدلا... ربما نقص الخمسون خمسة... أتهلك كل المدينة بالخمس «... عسى أن يوجد.. لا يسخط المولى فأتكلم، عسى أن... انى قد شرعت أكلم المولى، عسى... فقال لا يسخط المولى فأتكلم هذه المرة فقط، عسى...».

هذا الأسلوب فى الصلاة فيه محبة عظيمة، وتواضع صحيح، وثقة شديدة، وهى الصفات العالية التى يتصف بها الشفيع المقبول وهى أيضا الصفات الروحية العظيمة التى تشتمل عليها فكرة الشفاعة.

أما المحبة العظيمة، فظاهرة فى شعور ابراهيم نحو أهل سدوم فهو يلح من أجل خلاصهم برغبة شديدة وغيرة آكلة جعلته يثابر على الطلب، ويستعطف قلب الله نحوهم بمختلف العبارات والأساليب.

ثم التواضع الصحيح، يبرز فى ابراهيم الخليل، فمع أنه نبى ممتاز ومحبوب ومقبول أمام الله جدا، إلاّ أنه كان يكلم الله بمنتهى التأدب والاحترام تاركا لله فرصة للاجابة عن شفاعته وفقا لمشيئة الله المقدسة، ومع أنه صار رأس الأمة الاسرائيلية، وكان غنيا وعظيما فى كل شئ، إلا أنه فى طلبه كان يشعر ويقول: «أنا تراب ورماد» ولم يكن يصلى ويقول: «اصفح عن المدينة من أجلى» ولكن من أجل الأبرار الذين فيها».

ثالثا : لقد قبل الله شفاعة ابراهيم، ودليلنا على ذلك أن الله كان يجيب ابراهيم إلى طلبه فى كل مرة، إلى أن وافقه على انقاذ المدينة اذا كان فيها عشرة أبرار...

رابعا : ان الله لم يقبل شفاعة ابراهيم فقط، ولكنه أوضح فى هذا النص مسألة أخرى جديرة بالاعتبار هى أن يصفح عن المدينة من أجل الأبرار الذين فيها : فقال الرب ان وجدت فى سدوم

---

(١) (تك ١٨ : ١٧).

خمسين بارا فى المدينة، فانى أصفح عن المكان كله من أجلهم... وقال: عسى أن يوجد هناك أربعون، فقال: لا أفعل من أجل الأربعين... فقال لا أهلك من أجل العشرين... فقال لا أهلك من أجل العشرة».

شفاعة ابراهيم فى لوط :

ويذكر الكتاب أن الرب أكرم لوطا وأنقذه من أجل ابراهيم أيضا، ولا شك أن لوطا وعائلته كانوا فى ذهن ابراهيم عندما مثل أمام الرب ليشفع فى سدوم وأهلها... قال الكتاب «وحدث لما دمّر الله مدن الدائرة أن الله ذكر ابراهيم وأطلق لوطا من وسط الانقلاب حين قلب المدن التى كان لوطا مقيما فيها» (١).

شفاعة ابراهيم فى أبيمالك :

قال الله لأبيمالك «فالآن ردّ امرأة الرجل (ابراهيم)، فانه نبى، فيصلى لأجلك فتحيا... فصلى ابراهيم إلى الله، فشفى الله أبيمالك وامرأته وجواريه فولدن، لأن الرب كان قد أغلق كل رحم لبيت أبيمالك بسبب سارة امرأة ابراهيم» (٢).

شفاعة لوط فى أهل صوغر :

فقال لهما لوط (أى للملاكين) لا ياسّيد هوذا عبدك قد وجد نعمة فى عينيك وعظمت لطفك الذى صنعت الّى باستبقاء نفسى، وأنا لا أقدر أن أهرب إلى الجبل. لعّل الشر يدركنى فأموت. هوذا المدينة هذه قريبة للهرب اليها وهى صغيرة أهرب إلى هناك، ألست هى صغيرة، فتحيا نفسى. فقال له: انى قد رفعت وجهك فى هذا الأمر أيضا، أن لا أقلب المدينة التى تكلمت عنها. أسرع أهرب إلى هناك، لأنى لا أستطيع أن أفعل شيئا حتى تجئ إلى هناك، لذلك دعى اسم المدينة صوغر» (٣).

شفاعة اسحق فى زوجته :

وصلى اسحق إلى الرب لأجل امرأته لأنها كانت عاقرا، فاستجاب له الرب، فحبلت رفقة امرأته» (٤).

---

(١) تك ١٩: ٢٩.
(٢) تك ٢٠: ٧، ١٧، ١٨.
(٣) تك ١٩: ١٨ – ٢٢.
(٤) تك ٢٥ : ٢١.

شفاعة أيوب فى اصحابه :

«وكان بعد ما تكلم الرب مع أيوب بهذا الكلام أن الرب قال لأليفاز التيمانى: قد احتمى غضبى عليك وعلى كلا صاحبيك، لأنكم لم تقولوا فىّ الصواب كعبدى أيوب. والآن فخذوا لأنفسكم سبعة ثيران وسبعة كباش، واذهبوا إلى عبدى أيوب، وأصعدوا محرقة لأجل أنفسكم وعبدى أيوب يصلى من أجلكم، لأنى أرفع وجهه، لئلا أصنع معكم حسب حماقتكم لأنكم لم تقولوا فىّ الصواب كعبدى أيوب. فذهب أليفاز التيمانى وبلدد الشوحى وصوفر النعمانى، وفعلوا كما قال الرب لهم. ورفع الرب وجه أيوب. وردّ الرب سبى أيوب لما صلّى لأجل أصحابه، وزاد الرب على كل ماكان لأيوب ضعفا» (١).

هنا فى هذا النص، وفى حادثة ابراهيم وأبيمالك نلاحظ أن الله يطلب بنفسه شفاعة قديسيه أيوب وابراهيم، وأنه لن يرضى عن الناس الاّ بصلواتهما، وهذا يفيد أن طقس الشفاعة ليس اختياريا فقط يقوم به المصلى من تلقاء ذاته، أو يطلبه المصلى عنه، ولكنه قد بدا أمرا واجبا ومحتوما، لفظه فم الله ذاته وأوجبه على الخطاة كيما يشعروا بكرامة القديسين بالنسبة لهم، وكيما يؤمنوا بما للقديسين من دالة عند الله هم فى حاجة إلى الافادة منها ليرضى الله عنهم.

ونلاحظ فى حادثة ابراهيم وأيوب أيضا أن تشفع القديسين فى الخطاة مقبول ومفيد، فقد عاد بالشفاء على أبيمالك ونسائه وبالرضى عن أصدقاء أيوب، ثم أن الشفاعة فى الخطاة ينال عنها القديسون أجرا صالحا لأنها دليل عميق لمحبتهم واهتمامهم بخلاص الخطاة، ودليل على صفحهم وعظيم احتمالهم حتى يصلوا من أجل الذين أساؤا اليهم...

ومهما يكن من أمر، فالشفاعة، طقس من الطقوس التى كانت معروفة فى العهد السابق على موسى. (٢).

(ب) شفاعة المنتقلين فى الأحياء المجاهدين :

ان شفاعة الراقدين فى الأحياء تشتمل على صلواتهم من أجل الأحياء ثم بركتهم التى تحل على الأحياء بعد رحيلهم، تكريما لهم من الله...

---

(١) أى ٤٢: ٧ - ١٠

(٢) يمكن أن نضيف إلى الأدلة السابقة على الشفاعة، استدلالا آخر نقتبسه من الإصحاح الثامن من سفر التكوين، حيث قدم نوح ذبيحة لله بعد خروجه من الفلك «فتنسم الرب رائحة الرضا، وقال.. فى قلبه، لا أعود ألعن الأرض» (تك ٨: ٢١).

وبهذا المعنى الأخير يبارك الرب فردا أو جماعة اكراما لأحد الراقدين القديسين مثال ذلك: **بركة ابراهيم التى شملت اسحق ابنه:** «فظهر له الرب فى تلك الليلة (التى حفر فيها بئر رحوبوت) وقال: أنا اله ابراهيم أبيك. لا تخف لأنى معك، وأباركك وأكثر نسلك من أجل ابراهيم عبدى (١) «وكان بعد موت ابراهيم أن الله بارك اسحق ابنه» (٢).

وقال أليفاز التيمانى لأيوب: «ادع الآن، فهل لك من مجيب، والى أى القديسين تلتفت» (٣).

(جـ) شفاعة الملائكة فى البشر :

وشفاعة الملائكة هى صلواتهم وضراعاتهم فى البشر، وهى أيضا معونتهم وارشادهم ومطاردة أعدائهم واخجال مقاوميهم.

«فقال لها (هاجر) ملاك الرب ارجعى إلى مولاتك (سارة) واخضعى تحت يديها» (٤).

«فجاء الملاكان إلى سدوم مساء... وقبلما اضطجعا، أحاط بالبيت (بيت لوط) رجال المدينة رجال سدوم من الحدث إلى الشيخ... فنادوا لوطا وقالوا له: أين الرجلان اللذان دخلا إليك الليلة، أخرجهما إلينا لنعرفهما. فألحوا على الرجل لوط جدا وتقدموا ليكسروا الباب، فمد الرجلان أيديهما وأدخلا لوطا... وأما الرجال الذين على الباب، فضرباهم بالعمى من الصغير إلى الكبير، فعجزوا عن أن يجدوا الباب» (٥).

لا شك أن فى هذه الواقعة تظهر معونة الملائكة للبشر وسرعة القيام بتخليصهم من ضوائقهم.

بهذا المعنى قال ابراهيم لعبده: «الرب إله السماء الذى أخذنى من بيت أبى ومن أرض ميلادى، والذى كلمنى، والذى أقسم لى قائلا: لنسلك أعطى هذه الأرض، هو يرسل ملاكه أمامك، فتأخذ زوجة لابنى من هناك» (٦).

وبهذا المعنى أيضا تكلم يعقوب عن الملاك الذى خلّصه من كل شر (٧).

---

(١) تك ٢٦ : ٢٤.
(٢) تك ٢٥ : ١١.
(٣) أى ٥ : ١.
(٤) تك ١٦ : ٩.
(٥) تك ١٩ : ١ – ١١.
(٦) تك ٢٤ : ٧ راجع أيضا تك ٢٤ : ٤٠.
(٧) تك ٤٨ : ١٦.

فالملائكة يشفعون فى البشر، فيمدون اليهم يد المعونة والخلاص سواء كان ذلك بأمر خاص من الله، أو من تلقاء ذواتهم حبا فى خدمة البشر ،وأما يعقوب فمضى فى طريقه ولاقاه ملائكة الله، وقال يعقوب إذ رآهم هذا جيش الله، فدعا اسم ذلك المكان، محنايم، (١).

كذلك الملائكة يشفعون فى البشر فيصلون لأجلهم أو يسألون لهم من الله العون، وبهذا المعنى قال يعقوب: «الملاك الذى خلصنى من كل شر، يبارك الغلامين» (٢) أى أنه يسأل الملاك أن يستمد للغلامين البركة من الله.

ولما كان الآباء يعتقدون فى شفاعة الملائكة أى يثقون فى معونتهم لهم واستمداد المعونة والبركة لهم من الله، لذلك كانوا عادة يسألون الملائكة ويستشفعون بهم، وها هوذا لوط يكلم الملاكين متوسلا: «فقال لهما لوط، لا ياسيد هوذا عبدك قد وجد نعمة فى عينيك وعظمّت لطفك الذى صنعت إلى باستبقاء نفسى، وأنا لا أقدر أن أهرب إلى الجبل، لعل الشر يدركنى فأموت، هوذا المدينة هذه قريبة للهرب إليها وهى صغيرة، أهرب إلى هناك، أليست هى صغيرة، فتحيا نفسى، فقال له انى قد رفعت وجهك فى هذا الأمر أيضا، أن لا أقلب المدينة التى تكلمت عنها»(٣).

شفاعة يعقوب فى لابان (أى بركته) :

«فقال له لابان : ليتنى أجد نعمة فى عينيك، قد تفاءلت فباركنى الرب بسببك» (٤).

شفاعة يوسف فى فوطيفار المصرى (أى بركته) :

ورأى سيده أن الرب معه... فوكله على بيته ودفع إلى يده كل ماكان له، وكان من حين وكله على بيته وعلى كل ما كان له أن الرب بارك بيت المصرى بسبب يوسف، وكانت بركة الرب على كل ما كان له فى البيت وفى الحقل» (٥).

(٣) تخصيص مكان للعبادة :

«فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران، وصادف مكانا وبات هناك لأن الشمس كانت قد غابت. وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه، فاضطجع فى ذلك المكان، ورأى

---

(١) تك ٣٢ : ١ ، ٢. (٢) تك ٤٨ : ١٦. (٣) تك ١٩ : ١٨ – ٢٢.

(٤) تك ٣٠ : ٢٧ راجع أيضا ما قاله يعقوب : ما كان لك قبلى قليل فقد اتسع إلى كثير، وباركك الرب فى أثرى تك ٣٠ : ٣٠.

(٥) تك ٣٩ : ٣ – ٥.

حلما، واذا سلّم منصوبة على الأرض، ورأسها يمس السماء، وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها، وهوذا الرب واقف عليها. فقال: أنا الرب إله ابراهيم أبيك وإله اسحق، الأرض التى أنت مضطجع عليها. أعطيها لك ولنسلك... .

فاستيقظ يعقوب من نومه، وقال : حقا إن الرب فى هذا المكان وأنا لم أعلم، وخاف وقال : ما أرهب هذا المكان... ما هذا إلا بيت الله، وهذا باب السماء... ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل (أى بيت الله) (١).

هذا معناه أن يعقوب قد رأى أن الله وإن كان موجودا فى كل مكان، لكنه يوجد على وجه الخصوص فى مكان بالذات يخصه بالتقديس والاكرام. ولذا خصص يعقوب هذا المكان الذى ظهر له الله فيه واتخذه مكانا لعبادة الله، وأطلق عليه «بيت الله» (٢) بل وإن الله نفسه دعا ذاته باسم هذا المكان، فقال ليعقوب «أنا إله بيت إيل» (٣)، ومنذ تلك اللحظة اتخذ يعقوب هذا المكان بيتا لله، وكان يصعد إليه فيقدم الذبائح (٤)، وقد ظل هذا المكان مكرما كبيت لله إلى أمد طويل بعد موسى وصموئيل (٥).

(٤) تدشين مكان العبادة :

لم يكتف يعقوب باتخاذ موضع الرؤيا مكانا للعبادة بمجرد اللفظ الشفاهى بل قام باجراء طقوس معينة يصبح بها المكان مخصصا ومكرسا لله وموقوفا على عبادته. كما نفعل نحن اليوم. «وبكر يعقوب فى الصباح، وأخذ الحجر الذى وضعه تحت رأسه، وأقامه عمودا، وصب زيتا على رأسه، ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل، ولكن اسم المدينة أولا كان لوز» (٦).

فما صنعه يعقوب من اتخاذه الحجر عينه الذى تقدس بالرؤيا، ونصبه اياه، وصبه الزيت على رأس العمود، ثم اطلاق اسم معين على المكان، هذه كلها طقوس باشرها يعقوب لا تختلف فى صميمها عما نفعله اليوم فى تدشين كنائسنا.

---

(١) تك ٢٨ : ١٠ – ١٩.

(٢) تك ٢٨ : ١٩.

(٣) تك ٣١ : ١٣.

(٤) راجع تك ٣٥ : ١.

(٥) راجع قض ٢٠ : ١٨، ٢١ : ٢، ١. صم ١٠ : ٣، ١. مل ١٢ : ٢٩.

(٦) تك ٢٨ : ١٨، ١٩، راجع كذلك تك ٣١ : ١٣، تك ٣٥ : ١٤، ١٥.

(٥) القيام باستعدادات خاصة تليق ببيت الله :

أمر الله يعقوب أن يصعد إلى بيت ايل ليقدم هناك ذبيحة، أما يعقوب فلم يستطع تقديم الذبيحة بل ولا المضى إلى بيت الله قبل أن يقوم باجراءات وطقوس معينة: فقال يعقوب لأهل بيته ولكل من كان معه: أعزلوا الآلهة الغريبة التى بينكم، وتطهروا وأبدلوا ثيابكم، ولنقم ونصعد إلى بيت إيل، فاصنع هناك مذبحا لله الذى استجاب لى فى يوم ضيقتى وكان معى فى الطريق الذى ذهبت فيه، فأعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التى فى أيديهم والأقراط التى فى آذانهم، فطمرها يعقوب تحت البطمة التى عند شكيم» (١).

لقد شعر يعقوب أن بيت الله تليق به القداسة، فمن ثمّ يجب أن يقترب إليه مع أهل بيته بطهارة الروح والجسم، لابد أذن أن يطرح الآلهة الغريبة اجلالا واكبارا لله صاحب الجلالة الأكبر، وحتى لا ينصرف فكر أحد إلى غير الله العظيم، ولابد أن تترك الزينات إذ لا يليق ببيت الله إلا روح الاحتشام والورع والتعبد، ثم لكى لا ينصرف الذهن إلى غير زينة الروح والعقل بالفضيلة والطهر، ولابد من طهارة الجسم كذلك بالاغتسال وابدال الثياب...

(٦) تقديم الذبائح :

لم نقرأ فى الكتاب المقدس أن الله أمر بأن يتقرب الناس إليه بذبائح ومحرقات، ومع ذلك نلاحظ أن الآباء ابتداء من آدم يقدمون لله ذبائح. أى أن هذا الطقس سابق على عهد موسى النبى. وليست شريعة موسى هى التى ابتكرته، وقد لاحظنا فيما سبق أن الأمم الوثنية كانت تقدم لآلهتها ذبائح ومحرقات.

ولسنا نشك فى أن آدم قد تلقى من الله أمرا بوجوب تقديم الذبائح تكفيرا عن خطيئته أو ترضيا وشكرا للاله. واذا لم يكن الكتاب المقدس قد صرح بهذا الأمر لكنه لا مفر من أنه ظل مرعيا عن طريق التقليد...

ومع أن الأمر بوجوب تقديم الذبائح لم يأت صريحا فى الفصول الأولى من التكوين على الأقل. إلاّ أننا نلتقى بنص لا سبيل إلى فهمه على معنى سليم إلا على ضوء الأمر بالذبيحة، هذا النص هو قول الوحى: «وصنع الرب الاله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهم» (٢)... إن

---

(١) تك ٣٥ : ١- ٤.

(٢) تك ٣ : ٢١.

الجلد هو البشرة الخارجية للحيوان، ولا يصلح أن يكون لباسا إلا اذا كان الحيوان قد ذبح بطريقة مقصودة ولاسيما وأن الموت لم يكن بعد قد تسرّب إلى الخليقة «وبالخطيئة الموت» (١).

واذا كان آدم أو نسله لم يكن مباحا له أن يذبح الحيوان ليأكله وإنما قد صرّح له بذلك ولأول مرة بعد الطوفان حين قال الله لنوح فى الفصل السابع من سفر التكوين: «كل دابة حية يكون لكم طعاما، كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع غير أن لحما بحياته دمه لا تأكلوه» (٢).

فيتبقى اذن مبرر واحد وحيد لهذا الذبح المقصود، وهو أن يكون للتفكير عن الخطيئة أو تقربا إلى الله. ذلك أن الله قد وعد آدم بأن «نسل المرأة يسحق رأس الحية» فلابد أن كشف له وأشار عليه بتقديم الذبائح فيكون دم الذبيحة رمزا إلى دم المسيح الذى يسحق الشيطان ويكفر عن الخطيئة. فلما قدم آدم الذبيحة، صنع الرب من جلدها أقمصة وألبس الأبوين الأولين، ليقيهما الخزى والخجل فيدركا أنهما بحاجة إلى مخلص، يكون فى هرق دمه تكفير وغفران، وفى استحقاقاته وثمرات موته، بل فى صلبه وتعريته، اكتساؤهم بثوب البر والطهر الذى تعريا عنه بالخطيئة.

هذا كله ما كان ليتنبه إليه آدم وحواء لو لم يأمرهما الله أو يشر عليهما به، لأنهما عندما «علما أنهما عريانان، خاطا أوراق تين، وصنعا لأنفسهما مآزر» (٣).

فاذا كان هابيل «يقدم من أبكار غنمه ومن سمانها» (٤) فلابد أنه تسلّم ذلك كتقليد من أبيه، «فنظر الرب إلى هابيل وقربانه» (٥).

وعلى هذا التقليد سار نوح من بعد «فأصعد محرقات على المذبح فتنسم الرب رائحة الرضا، وقال الرب فى قلبه، لا أعود ألعن الأرض» (٦).

وعليه سار ابراهيم، فرفع ابراهيم عينيه ونظر واذا كبش وراءه ممسكا فى الغابة بقرنيه، فذهب ابراهيم وأخذ الكبش، وأصعده محرقة عوضا عن ابنه» (٧).

وهكذا فعل يعقوب «فارتحل اسرائيل... وذبح ذبائح لإله أبيه اسحق» (٨).

---

(١) رو ٥ : ١٢.
(٢) تك ٩ : ٣، ٤.
(٣) تك ٣ : ٧.
(٤) تك ٤ : ٤.
(٥) تك ٤ : ٤.
(٦) تك ٨ : ٢٠، ٢١.
(٧) تك ٢٢ : ١٣، ١٤ وراجع أيضا تك ١٥ : ٩ – ١٧.
(٨) تك ٤٦ : ١.

وهكذا كان يفعل الاسرائيليون قبل شريعة موسى، حتى أن موسى كان يجابه فرعون ويقول له: أنت تعطى أيضا فى أيدينا ذبائح ومحرقات، لنصنعها للرب إلهنا، فتذهب مواشينا أيضا معنا، لا يبقى ظلف، لأننا منها نأخذ لعبادة الرب إلهنا» (١).

ولذا أراد يثرون أن يكرم إله اسرائيل «فأخذ يثرون حمو موسى، محرقة وذبائح لله» (٢).

وأيوب أيضا وقد كان - على الأرجح - فى زمان ابراهيم قدّم ذبائح ومحرقات لله الذى كان يعبده بسيرة كاملة، «وكان بنوه يذهبون ويعملون وليمة فى بيت كل واحد منهم فى يومه، ويرسلون ويستدعون أخواتهم الثلث ليأكلن ويشربن معهم، وكان لما دارت أيام الوليمة أن أيوب أرسل فقدسهم وبكر فى الغد، وأصعد محرقات على عددهم كلهم، لأن أيوب قال: ربما أخطأ بنّى وجدفوا على الله فى قلوبهم، هكذا كان أيوب يفعل كل الأيام» (٣).

كذلك أصدقاء أيوب قد صدر إليهم الأمر من قبل الله أن يقدموا ذبائح «والآن فخذوا لأنفسهم سبعة ثيران، وسبعة كباش، واذهبوا إلى عبدى أيوب، واصعدوا محرقة لأجل أنفسكم» (٤).

(٧) اقامة المذابح :

واذا كان الآباء قبل موسى يقدمون لله ذبائح ومحرقات، فلابد أن يكون المذبح معروفا لديهم ولا سيما وأن المذبح هو مكان الذبيحة.

«وبنى نوح مذبحا للرب، وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة، وأصعد محرقات على المذبح» (٥).

«وظهر الرب لابرام (فى بلوطة مورة)، وقال «لنسلك أعطى هذه الأرض فبنى هناك مذبحا للرب الذى ظهر له، ثم نقل من هناك إلى الجبل الشرقى... فبنى هناك مذبحا للرب. ودعا باسم الرب» (٦).

---

(١) خر ١٠ : ٢٥ – ٢٧، خر ٥ : ١ – ٣، خر ٨ : ٢٥ – ٢٨، خر ١٢ : ٢٧.

(٢) خر ١٨ : ١٢.

(٣) أى ١ : ٤، ٥.

(٤) أى ٤٢ : ٨.

(٥) تك ٨ : ٢٠.

(٦) تك ١٢ : ٧، ٨ راجع تك ١٣ : ٤.

«فنقل أبرام خيامه، وأتى وأقام عند بلوطات ممرا التى فى حبرون وبنى هناك مذبحا للرب» (١).

ويظهر أن أمر الذبيحة والمذبح كان معروفا ومألوفا ومتداولا بين الجميع حتى أن اسحق يسأل أباه قائلا : «وكلّم اسحق ابراهيم أباه وقال: يا أبى فقال هأنذا يا ابنى، فقال هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة، فقال ابراهيم، الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابنى.

فلما أتيا إلى الموضع الذى قال له الله، بنى هناك ابراهيم المذبح ورتب الحطب وربط اسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب» (٢).

وقال يعقوب الرسول : ألم يتبرر ابراهيم أبونا بالأعمال، إذ قدم اسحق ابنه على المذبح» (٣).

اسحق ... «فظهر له الرب فى تلك الليلة، وقال : أنا إله ابراهيم أبيك، لا تخف لأنى معك، وأباركك، وأكثر نسلك من أجل ابراهيم عبدى، فبنى هناك مذبحا، ودعا باسم الرب» (٤).

يعقوب ... «ثم قال الله ليعقوب : قم اصعد إلى بيت ايل، وأقم هناك واصنع هناك مذبحا لله الذى ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك، فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه... لنقم ونصعد إلى بيت ايل، فاصنع هناك مذبحا لله الذى استجاب لى» (٥).

« فأتى يعقوب إلى لوز... وهى بيت إيل... وبنى هناك مذبحا، ودعا المكان إيل بيت الله» (٦).

«ثم أتى يعقوب سالما إلى مدينة شكيم... وأقام هناك مذبحا ودعا إيل إله اسرائيل» (٧).

---

(١) تك ١٣ : ١٨.

(٢) تك ٢٢ : ٧ – ٩.

(٣) يع ٢ : ٢١.

(٤) تك ٢٦ : ٢٥.

(٥) تك ٣٥ : ١ – ٣.

(٦) تك ٣٥ : ٦ ، ٧.

(٧) تك ٣٣ : ١٨ – ٢٠.

(٨) وظيفة الكهنوت :

والمقربون للذبائح كانوا كهنة، وكان الكاهن هو رب العشيرة أو الأسرة، فكان آدم وهابيل ونوح وأيوب وابراهيم واسحق ويعقوب هم الذين يبنون المذابح ويقربون الذبائح عن نفوسهم وعن أفراد اسرتهم أى عن زوجاتهم وأولادهم ذكورا وإناثا، وعن عيالهم...

ولم تكن وظيفة الكهنوت حديثة العهد، بل قد كان الكهنوت معروفا فى الأمة الاسرائيلية قبل موسى أو قبل الشريعة الموسوية، وكان هناك أشخاص يدعون باسم «الكهنة» وقد أشار الكتاب المقدس إليهم اشارة واضحة:

قال الوحى فى سفر التكوين: أن «ملكى صادق ملك ساليم، أخرج خبزا وخمراً، لأنه كان **كاهنا لله** العلى، وباركه. وقال : مبارك أبرآم من الله العلى» (١).

وبيّنما أن الرب لم يعين نظام الكهنوت اللاوى إلا ابتداء من الأصحاح الثامن والعشرين نجد أنه قد تكلم عن الكهنة قبل ذلك فى الأصحاح التاسع عشر، أى قبل أن يختار سبط لاوى ليكون سبط الكهنوت.

«وليتقدس أيضا الكهنة الذين يقتربون إلى الرب، لئلا يبطش بهم الرب، فقال موسى للرب لا يقدر الشعب أن يصعد إلى جبل سيناء... فقال له الرب: اذهب انحدر ثم أصعد أنت وهرون معك، وأما الكهنة والشعب فلا يقتحموا ليصعدوا إلى الرب لئلا يبطش بهم» (٢).

(٩) السجود :

السجود نوعان: سجود عبادة، وسجود اكرام، أما الأول فلله، وأما الثانى فيمكن أن يؤدى للملائكة أو لذوى الكرامة من البشر. وقد ورد هذا السجود وذاك فى تاريخ الأمة الاسرائيلية قبل موسى....

---

(١) تك ١٤ : ١٨، ١٩. وقد جاء كهنوت المسيح على طقس (نظام أو ترتيب) ملكى صادق، أى أنه كهنوت قائم على الخبز والخمر، وهو كهنوت أرفع وأسمى من الكهنوت اللاوى على دماء الحيوانات، ولا يمكن أن يفهم هذا السمو الا على أساس أن الخبز والخمر لا يبقيان على بسيط الحال، بل يتحولان إلى جسد ودم عمانوئيل. راجع مز ١١٠: ٤، عب ٥: ٦، ٧ : ١ ... الخ.

(٢) خر ١٩: ٢٢ – ٢٤. راجع أيضا خر ٢٤: ٥.

سجود التعبد :

فقال ابراهيم لغلاميه: أجلسا أنتما ههنا مع الحمار، وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك **ونسجد** ثم نرجع إليكما» (١).

فقالت له (لعبد ابراهيم) أنا (رفقة) بنت بتوئيل... عندنا تبن وعلف كثير ومكان لتبيتوا أيضا، فخر الرجل **وسجد للرب**» (٢).

وقال أليعازر عبد ابراهيم: «وخررت **وسجدت للرب**: وباركت الرب إله سيدى ابراهيم الذى هدانى فى طريق أمين، لآخذ ابنة أخى سيدى لابنه» (٣).

وكان عندما سمع عبد ابراهيم كلامهم، أنه **سجد للرب** إلى الأرض» (٤).

«فقام أيوب، ومزق جبته، وجز شعر رأسه، وخر على الأرض **وسجد**» (٥).

«ولما قربت أيام اسرائيل أن يموت، دعا ابنه يوسف وقال له: ان كنت قد وجدت نعمة فى عينيك، فضع يدك تحت فخذى واصنع معى معروفا وأمانه، لا تدفنى فى مصر بل أضطجع مع آبائى، فتحملنى من مصر وتدفننى فى مقبرتهم. فقال أنا أفعل بحسب قولك. فقال احلف لى، فحلف له، **فسجد** اسرائيل على رأس السرير (عصاه) (٦).

«فآمن الشعب (عندما صنع موسى الآيات أمامهم) ولما سمعوا أن الرب افتقد بنى اسرائيل وأنه نظر مذلتهم، خروا **وسجدوا**» (٧).

«فدعا موسى جميع شيوخ اسرائيل، وقال لهم: ..... اذبحوا الفصح... ويكون حين يقول لكم أولادكم: ما هذه الخدمة لكم، انكم تقولون، هى ذبيحة، فصح للرب الذى عبر عن بيوت بنى اسرائيل فى مصر، لما ضرب المصريين وخلص بيوتنا... فخر الشعب **وسجدوا**» (٨).

وبعد، فهذا سجود عبادة للرب، وهو تعبير ظاهرى عن شعور الخضوع والتعبد الباطنى، ويكون بالجثو على الركبتين إلى الأرض.

---

(١) تك ٢٢: ٥.
(٢) تك ٢٤: ٢٦.
(٣) تك ٢٤: ٤٨.
(٤) أى ١ : ٢٠.
(٥) تك ٤٨: ١٢.
(٦) تك ٢٧ : ٢٩ – ٣١.
(٧) خر ٤ : ٣١.
(٨) خر ١٢ : ٢٧.

سجود الاكرام :

«وظهر له (ابرام) الرب، عند بلوطات ممرا، وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار، فرفع عينيه ونظر، وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فلما نظر، ركض لاستقبالهم من باب الخيمة **وسجد إلى الأرض**» (١).

فجاء الملاكان إلى سدوم مساء، وكان لوط جالسا فى باب سدوم، فلما رآهما لوط، قام لاستقبالهما **وسجد** بوجهه على الأرض» (٢).

«فأجاب بنوحث ابراهيم قائلين له : اسمعنا ياسيدى. أنت رئيس من الله بيننا. فى أفضل قبورنا ادفن ميتك. لا يمنع أحد منا قبره عنك حتى لا تدفن ميتك، فقام ابراهيم **وسجد** لشعب الأرض، لبنى حث...

فأجاب عفرون الحثى ابراهيم فى مسامع بنى حث... قائلا.. يا سيدى اسمعنى : الحقل وهبتك اياه والمغارة التى فيه لك وهبتها لدى عيون بنى شعبك، وهبتك اياها، ادفن ميتك، **فسجد** ابراهيم أمام شعب الأرض» (٣).

فقال له اسحق أبوه (أى قال ليعقوب)... فليعطك الله من ندى السماء... ليستعبد لك شعوب، **وتسجد** لك قبائل. كن سيدا لاخوتك **وليسجد** لك بنو أمك» (٤).

«وأما هو (يعقوب) فاجتاز قدامهم **وسجد** إلى الأرض سبع مرات، حتى اقترب إلى أخيه» (٥).

«فاقتربت الجاريتان هما وأولادهما **وسجدتا** (لعيسو) ثم اقتربت ليئة أيضاً وأولادها **وسجدوا**، وبعد ذلك اقترب يوسف وراحيل **وسجدا**» (٦).

«وكان يوسف هو المسلط على الأرض وهو البائع لكل شعب الأرض، فأتى إخوة يوسف، **وسجدوا** له بوجوههم إلى الأرض» (٧).

«فلما جاء يوسف إلى البيت، أحضروا (اخوته) إليه الهدية التى فى أيديهم إلى البيت، **وسجدوا** له إلى الأرض، فسأل عن سلامتهم، وقال : أسالم أبوكم الشيخ الذى قلتم عنه؟ أحى هو بعد؟ فقالوا عبدك أبونا سالم. هو حى بعد، وخروا **وسجدوا**» (٨).

---

(١) تك ١٨ : ١، ٢.
(٢) تك ١٩ : ١.
(٣) تك ٢٣ : ٥، ٦، ٧، ١٢.
(٤) تك ٢٧ : ٢٩.
(٥) تك ٣٣ : ٣.
(٦) تك ٣٣ : ٦، ٧.
(٧) تك ٤٢ : ٦.
(٨) تك ٤٣ : ٢٦ – ٢٨ راجع أيضا تك ٣٧ : ٧، ٩، ١٠.

«وقال اسرائيل ليوسف: لم أكن أظن أنى أرى وجهك، وهوذا الله قد أرانى نسلك أيضا، ثم أخرجهما يوسف من بين ركبتيه، **وسجد** أمام وجهه إلى الأرض» (١).

«وبارك يعقوب يهوذا ولده وقال: «يهوذا اياك يحمد إخوتك، يدك على قفا أعدائك، **يسجد** لك بنو أبيك» (٢).

(١٠) الصوم :

يرى علماء اللاهوت أن مبدأ الصوم قد تقرر منذ البدء وأن أول من طُولب به ومارسه انما هو آدم : وأوصى الرب الاله آدم قائلا : من جميع شجر الجنة تأكل أكلا، **وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها**، لأنك يوم تأكل منها، موتا تموت» (٣).

---

(١) تك ٤٨ : ١٢.　　(٢) تك ٤٩ : ٨.

(٣) تك ٢ : ١٦، ١٧.

ويرى بعد المفسرين المتقدمين أن الوصية تدعى إلى صوم لا عن الطعام بل عن العلائق الجنسية، ويفسر شجرة معرفة الخير والشر التى هى فى وسط الجنة بأنها الشهوة الجنسية وموضعها فى وسط الجسم الإنسانى (حيث أعضاء التناسل فى منتصف البدن).

ولقد تحركت شهوة المرأة أولا نحو الرجل باغراء الحية أو الشيطان ثم أغرت الرجل بذلك فقبل منها وسقط معها وكسر وصية الصوم. أى الانقطاع والامتناع عن الاتصال الجنسى.

ومما يؤيدون به صحة هذا التفسير قول الرب لحواء: «إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك... ثم قوله «تكثيرا أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولادا» (تك ٣ : ١٦) وهما قولان يدلان على صلة العقوبة بنوع الخطية أو بنوع الوصية...

ويمكن أن نضيف إلى هذا ما يلاحظ من أن هذه الغريزة الجنسية هى التى تسيطر أكبر السيطرة على كل من الرجل والمرأة، وان الاغراء فيها أقوى منه فى أية ناحية أخرى، ومن أن الشر الناجم عن سوء استخدامها يكون أعظم وأشد من أى شر آخر لأنه يدنس النفس والجسد والمكان، ولذا طرد الأبوان الأولان.

وربما يجد هذا التفسير دليلا جديدا من قول الوحى: عن الأبوين بعد طردهما من الجنة، وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت «تك ٤ : ١» أى أنه اذا اشتعلت الشهوة وتدنس الفكر طردا من الجنة فتوالدا بالاسلوب الغريزى «بالأثام حبل بى وبالخطيئة اشتهتنى أمى» ومن يدرى فلولا خطيئة الدنس ربما كان يتم التوالد باسلوب آخر، وان الله الذى خلق حواء من جنب آدم لا يعجز عن أن يجد طريقة أخرى للإنسان غير طريق التوالد الحيوانى.

ومهما يكن من شأن هذا التفسير الذى يحتسب الطهارة الفكرية والجسمانية أول أمر يليق بالمواضع المقدسة، وأننا بدون الطهارة لا نليق بالفردوس أو الملكوت، وحتى أننا بالجسد (اللحم والدم) لا نستطيع أن نرث الملكوت مالم نلبس أجسادا أخرى طاهرة مقدسة نورانية تختلف عن تلك التى تدنست بالنجاسة والاثم ولذلك يحسب البتول «مقدسا جسدا وروحا» ١. كو ٧ : ٣٤ ويحتسب أهلا لكرامة مضاعفة فى السماء، إش٥٦ :٣-٥، ١. كو ٧ : ٤٠، مهما يكن من أمر هذا التفسير، فالوصية تقتضى فكرة الصوم سواء عن الطعام أو عن الشهوة الجنسية، ومن ثم كان الصوم يقتضى بالضرورة انقطاعا عن الطعام من جهة وانقطاعا عن الاتصالات الجنسية من جهة أخرى وهو أمر ثابت بنصوص الكتاب المقدس بعهديه وبنصوص من التقليد الشريف» خر ١٩ : ١٥، ١. كو ٧ : ٥ - ٧.

(١١) التمييز بين المحلل والمحرم، والتفريق بين الطاهر والنجس :

كان الآباء قبل موسى يميزون بين الطاهر والنجس، ويعرفون الطهارة أنها واجبة والنجاسة أنها مرذولة ويفرقون فى الحيوانات والطيور بين طاهر ونجس: «وقال الرب لنوح أدخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك، لأنى إياك رأيت بارا لدى فى هذا الجيل، من جميع البهائم التى ليست بطاهرة: اثنين ذكرا وأنثى (رجلا وامرأته)، ومن طيور السماء أيضا سبعة سبعة، ذكرا وأنثى لاستبقاء نسل على وجه كل الأرض (١).

« ولما كان نوح ابن ست مائة سنة، صار طوفان الماء على الأرض، فدخل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان، ومن البهائم الطاهرة والبهائم التى ليست بطاهرة، ومن الطيور وكل ما يدب على الأرض، دخل اثنان اثنان إلى نوح إلى الفلك، ذكرا وأنثى كما أمر الله نوحا» (٢).

وحقا انه من الغريب أن يعرف نوح الطاهر من غير الطاهر دون أن يحدد الله ذلك بصريح اللفظ، وهذا معناه أن نوحا كان يعرف ذلك من قبل، ولما كنا لا نلتقى بنص آخر يستدل منه أو يبين هذا التفريق، فلابد أن يكون معروفا بالتقليد، أى أنهم قد تسلموه ابنا عن أب ولذا نرى أن هابيل عندما قدم ذبيحة قدمها من الغنم (٣) وقدمها نوح من البهائم والطيور الطاهرة (٤) وقدم ابراهيم عجلة وعنزة وكبشا ويمامة وحمامة (٥)، أى أن الجميع كانوا يحرصون على مبدأ الطهارة، وعلى تقديم ذبائحهم من البهائم والطيور الطاهرة، بما تسلموه من التقليد الذى توارثوه وتناقلوه.

ولقد نبه يعقوب أهل بيته إلى مراعاة الطهارة قبل الانطلاق إلى بيت ايل (بيت الله) «فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه: اعزلوا الآلهة الغريبة التى بينكم، وتطهروا» (٦).

وقد عرف ذلك أيوب أيضا فقال: «من يخرج الطاهر من النجس لا أحد» (٧) وقال: «أما الصديق فيستمسك بطريقه، والطاهر اليدين يزداد قوة» (٨)، مما يدل على أنه كان يميز بين الطاهر والنجس ويفرق بين المشروع والمحروم.

---

(١) تك ٧ : ١ – ٣.
(٢) تك ٧ : ٦ – ٩.
(٣) تك ٤ : ٤.
(٤) تك ٨ : ٢٠.
(٥) تك ١٥ : ٩، تك ٢٢ : ١٣.
(٦) تك ٣٥ : ٢.
(٧) أى ١٤ : ٤.
(٨) أى ١٧ : ٩.

(١٢) البكور :

وكانت البكور مقدسة عندهم، حتى أن الابن الأكبر هو صاحب البكورية الذى ينال بركة أبيه وسائر الامتيازات الأخرى، ويظهر أن هذه الامتيازات كانت عظيمة جدا حتى أن الكتاب المقدس حسبها من عيسو خطيئة كبيرة أن يستهين بها أو يحتقرها، (١).

ومن امتيازات البكر أنه يقدم على الباقين فى كل شئ (٢)، وأخيرا ينال بركة الأب، (٣).

وربما كانت فكرة البكورية فى البنين تحمل فى طياتها معنى تقديس البكور لله.

كذلك البكور فى ثمار الأرض ونتاج الحيوان. وقد حرص على تقديسها هابيل : «وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه ومن سمانها» (٤).

(١٣) العشور :

كان السابقون على موسى يقدمون العشور لله، والعشور والبكور دليل آخر على أن الأقدمين كانوا يسيرون بموجب التقليد لأنه لم تكن بعد قد نصت الشريعة على مبدأ تقديس العشور...

قال الوحى عن ابراهيم أنه أعطى ملكى صادق كاهن الله **عشرا** من كل شئ كان معه (٥)، وقد أشار إلى ذلك القديس بولس فى رسالته قائلا: ثم انظروا ما أعظم هذا الذى أعطاه ابراهيم رئيس الآباء، **عشرا** أيضا من رأس الغنائم» (٦).

كذلك نذر يعقوب نذرا لله وقال «وكل ما تعطينى فانى أعشره لك» (٧).

(١٤) النذور :

والنذور فكرة انتقلت إلى يعقوب من غير الوحى المسطور، فاما أن يكون قد وفق إليها بارشاد باطنى فأخذها عنه غيره، وأما أن يكون قد اقتدى فيها بقدوة الآباء الذين سبقوه من غير أن

---

(١) (تك ٢٥ : ٣١ – ٣٤)، (٢٧ : ٢٦)، (عب ١٢ : ١٦).

(٢) (تك ١٩ : ٣١، ٣٣، ٣٧)، (٤٣ : ٣٣).

(٣) (تك ٢٧ : ١ ، ٣٣).

(٤) (تك ٤ : ٤).

(٥) (تك ١٤ : ٢٠).

(٦) عب ٧ : ٤ راجع أيضا عب ٧ : ٦، ٩.

(٧) تك ٢٨ : ٢٢.

يشير الوحى إلى ذلك، وعلى كل حال فالنذر طقس من الطقوس التى عرفها الآباء قبل عهد النبى موسى بزمان طويل.

قال الوحى: «**ونذر يعقوب نذرا** قائلا: ان كان الله معى وحفظنى فى هذا الطريق الذى أنا سائر فيه، وأعطانى خبزا لآكل وثيابا لألبس، ورجعت بسلام إلى بيت أبى يكون الرب لى إلها وهذا الحجر الذى أقمته عمودا يكون بيت الله، وكل ما تعطينى فانى أعشره لك» (١).

وقد اعتبر يوسف «**نذير** اخوته» (٢).

كذلك كان هذا الطقس مألوفا حتى لأصدقاء أيوب، إذ قال أليفاز التيمانى لأيوب «ترفع إلى الله وجهك، تصلى له فيستمع لك، ونذورك توفيها» (٣).

أترى هل استطعنا أن نثبت هنا جميع الطقوس التى كان يباشرها الآباء السابقون على موسى؟ قطعا لا... أجل فثمة طقوس أخرى كان يمارسها الآباء وقد توارثوها وتناقلوها بالتقليد، ولكن موسى لم يذكرها فى التوراة إما لأنها قد وردت فيما بعد مفصلة فى الشريعة الموسوية أو لأنها قد أبدلت بغيرها، فلم يجد ما يدعو إلى ذكرها.

* * *

فاذا أردنا نظرة عامة شاملة، فان تاريخ الطقوس يمتد إلى نشأة الجنس البشرى، وها نحن قد رأينا جميع الأمم الإنسانية اسرائيلية كانت أو وثنية، كانت دياناتها ديانات طقسية، وقد اتفقت فى طابعها العام وروحها العامة بل وفى شكلها العام، فلم تكن الديانة فى أى عصر من العصور عبادة فكرية بحتة، وانما كانت عبادة ملبسة بمظاهر جسمية مادية، ولم تخل البشرية زمنا ما من الطقوس الدينية...

وهذا الاتفاق من حيث الصلوات وسائر الطقوس الكهنوتية وجميع الرسوم والفروض الدينية، يدل - ولا شك - على أن هناك أصولا عامة واحدة قبلتها الأفراد والأمم فى مختلف العصور والبيئات وهذا بينة فى ذاته على أن هناك معتقدات ومباشرات كان يمارسها آبائى الجنس البشرى قبل أن يتفرعوا ويتوزعوا فى جميع البلاد والأقاليم وقبل أن ينقسموا إلى شعوب وجماعات ونحن نرى أن أكثر هذه الطقوس قد تلقاها آدم الأول بوحى إلهى أو إلهام سماوى.

---

(١) تك ٢٨ : ٢٠، ٢١ راجع أيضا تك ٣١ : ١٣.

(٢) تك ٤٩ : ٢٦، تث ٣٣ : ١٦.

(٣) أى ٢٢ : ٢٧.

ثالثاً

الطقوس فى العهد القديم

منذ موسى النبى

ثالثا : الطقوس فى العهد القديم (منذ موسى النبى)

ان أكبر عهد كان للطقوس فيه شأن عظيم هو عهد الأمة الاسرائيلية ابتداء من أيام النبى موسى صاحب الشريعة التى عرفت باسمه، فهى شريعة الطقوس بأجلى معانيها.

ولما كانت طقوس الأمة الاسرائيلية الموسوية واضحة على نوع ما فى التوراة والأنبياء، فسنجد مادة غزيرة لبحثنا فى نصوص الكتاب المقدس، ولذا سنعنى بايراد النصوص حتى تكون دراستنا للطقوس فرصة ملائمة لدراسة النصوص ذاتها، فنتأمل فى معانيها أو نقترب إلى روحها وقصدها.

(١) عبادة الله على وجه العموم :

حيث تكون ديانة فهنا عبادة للاله، ولكن الذى يختص بعنايتنا هو قضيتان أو ثلاث قضايا :

(١) ان الله يطالب بعبادته بأمر صريح :

«فقال (الله لموسى) انى أكون معك، وهذه تكون لك العلامة أنى أرسلتك، حينما تخرج الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل» (١) «فتقول لفرعون: «هكذا يقول الرب: اسرائيل ابنى البكر، فقلت لك: أطلق ابنى ليعبدنى» (٢).

«وتقول له الرب إله العبرانيين أرسلنى إليك قائلا : اطلق شعبى ليعبدونى فى البرية» (٣). وقد تكرر هذا الأمر إلى موسى خمس مرات أخرى غير هذه» (٤).

«وتعبدون الرب الهكم، فيبارك خبزك وماءك وأزيل المرض من بينكم» (٥).

وأوصى يشوع بن نون الشعب قائلا: أحرصوا جدا أن تعملوا الوصية والشريعة التى آمركم بها موسى عبد الرب: أن تحبوا الرب الهكم، وتسيروا فى كل طرقه، وتحفظوا وصاياه وتلتصقوا به، وتعبدون بكل قلبكم وبكل نفسكم» (٦).

---

(١) خر ٣ : ١٢.

(٢) خر ٤ : ٢٢، ٢٣.

(٣) خر ٧ : ١٦.

(٤) خر ٨: ١، خر ٨: ٢٠، خر ٩: ١، خر ٩: ١٣، خر ١٠ : ٣.

(٥) خر ٢٣ : ٢٥، راجع أيضا أع ٧: ٧.

(٦) يش ٢٢: ٥.

«فالآن أخشوا الرب، واعبدوه بكمال وأمانة» (١).

ويقول داود النبى بروح الله : «فالآن أيها الملوك تعقلوا... اعبدوا الرب بخوف» (٢).

«اعبدوا الرب بفرح» (٣).

(٢) العبادة تجب لله وحده :

يقول الرب: أنا الرب إلهك... لا يكن لك آلهة أخرى أمامى، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن» (٤).

«لا تسجد لآلهتهم (الأمم) ولا تعبدها... وتعبدون الرب الهكم» (٥).

«الرب إلهك تتقى واياه تتعبد وباسمه تحلف» (٦).

«الرب إلهك تتقى، اياه تعبد وبه تلتصق وباسمه تحلف» (٧).

«ويقول يشوع بن نون «لا تذكروا اسم آلهتهم (الأمم) ولا تحلفوا بها، ولا تعبدوها، ولا تسجدوا لها، ولكن الصقوا بالرب إلهكم كما فعلتم إلى هذا اليوم، قد طرد الرب من أمامكم شعوبا عظيمة وقوية... حينما تتعدون عهد الرب الهكم الذى أمركم به وتسيرون، وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها يحمى غضب الرب عليكم فتبيدون سريعا عن الأرض الصالحة التى أعطاكم»(٨).

«انزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم فى عبر النهر وفى مصر واعبدوا الرب. وان ساء فى أعينكم أن تعبدوا الرب فاختاروا لأنفسكم اليوم من تعبدون: ان كان الآلهة الذين عبدهم آباؤكم

---

(١) يش ٢٤ : ١٤.

(٢) مز ٢ : ١١.

(٣) مز ١٠٠ : ٢، راجع خر ١٠ : ٤، خر ١٢ : ٣١.

(٤) خر ٢٠ : ٣ – ٥، راجع أيضا تث ٤ : ١٩، تث ٥ : ٦ – ٩.

(٥) خر ٢٣ : ٢٤، ٢٥.

(٦) خر ٢٣ : ٢٤.

(٧) تث ٦ : ١٣.

(٨) يش ٢٣ : ٧ – ١٦.

الذين فى عبر النهر وإن كان آلهة الأموريين.. وأما أنا وبيتى فنعبد الرب... فأجاب الشعب وقالوا حاشا لنا أن نترك الرب لنعبد آلهة أخرى، لأن الرب الهنا هو الذى أصعدنا وآباءنا من أرض مصر من بيت العبودية والذى عمل أمام أعيننا تلك الآيات العظيمة وحفظنا فى كل الطريق التى سرنا فيها وفى جميع الشعوب الذين عبرنا فى وسطهم... فنحن أيضا نعبد الرب لأنه هو الهنا. فقال يشوع للشعب لا تقدرون أن تعبدوا الرب لأنه إله قدوس واله غيور هو لا يغفر ذنوبكم وخطاياكم، واذا تركتم الرب وعبدتم آلهة غريبة يرجع فيسئ اليكم ويفنيكم بعد أن أحسن اليكم، فقال الشعب ليشوع، لا، بل الرب نعبد فقال يشوع للشعب أنتم شهود على أنفسكم أنكم قد اخترتم لأنفسكم الرب لتعبدوه، فقالوا نحن شهود، فالآن انزعوا الآلهة الغريبة التى فى وسطكم وأميلوا قلوبكم إلى الرب إله اسرائيل، فقال الشعب ليشوع: الرب إلهنا نعبد ولصوته نسمه» (١).

«وعبد الشعب الرب كل أيام يشوع وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع» (٢).

«وكلم صموئيل كل بيت اسرائيل قائلا: إن كنتم بكل قلوبكم راجعين إلى الرب فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروث من وسطكم»، وأعدوا قلوبكم للرب واعبدوه وحده، فينقذكم من يد الفلسطينيين، فنزع بنوا اسرائيل البعليم والعشتاروث وعبدوا الرب وحده» (٣).

« وقالوا للملك نبوخذ نصر: أيها الملك عش إلى الأبد، أنت أيها الملك قد أصدرت أمرا بأن كل انسان يسمع صوت القرن والناى والعود والرباب والسنطير والمزمار وكل أنواع العزف يخر ويسجد لتمثال الذهب. ومن لا يخر ويسجد فانه يلقى فى وسط أتون نار متقدة. يوجد رجال يهود... شدرخ وميشخ وعبدنغو... آلهتك لا يعبدون ولتمثال الذهب الذى نصبت لا يسجدون...

«حينئذ أمر نبوخذ نصر بغضب وغيظ باحضار شدرخ وميشخ وعبدنغو... وقال لهم: تعمدا... لا تعبدون آلهتى... فان كنتم الآن مستعدين عندما تسمعون صوت القرن والناى والعود والرباب والسنطير والمزمار وكل أنواع العزف إلى أن تخروا وتسجدوا للتمثال الذى عملته، وإن لم تسجدوا ففى تلك الساعة تلقون فى وسط أتون النار المتقدة، ومن هو الاله الذى ينقذكم من يدى، فأجاب شدرخ وميشخ وعبدنغو، وقالوا للملك: يا نبوخذ نصر لا يلزمنا أن نجيبك عن هذا

---

(١) يش ٢٤ : ١٤ – ٢٨.

(٢) قض ٢ : ٧.

(٣) ١. صم ٧ : ٣، ٤ راجع أيضا ١. صم ١٢ : ١٤، مز ١٠٢ : ٢٢.

الأمر، هوذا يوجد إلهنا الذى نعبده يستطيع أن ينجينا من أتون النار المتقدة وأن ينقذنا من يدك أيها الملك، وإلا فليكن معلوما لك أيها الملك أننا لا نعبد آلهتك ولا نسجد لتمثال الذهب الذى نصبته» (١).

«فأجاب نبوخذ وقال، تبارك إله شدرخ وميشخ وعبدنغو الذى أرسل ملاكه وأنقذ عبيده الذين اتكلوا عليه وغيروا كلمة الملك وأسلموا أجسادهم لكيلا يعبدوا ويسجدوا لإله غير إلههم» (٢).

(٣) العبادة الباطلة مرفوضة من الله :

فقال السيد لأن هذا الشعب قد اقترب إلىّ بفمه وأكرمنى بشفتيه، وأما قلبه فأبعده عنى، وصارت مخافتهم منى وصية الناس معلمة، لذلك ها أنذا أعود واصنع بهذا الشعب عجبا وعجيبا، فتبيد حكمة حكمائه ويختفى فهم فهمائه» (٣).

«ويأتون اليك كما يأتى الشعب ويجلسون أمامك كشعبى، ويسمعون كلامك ولا يعملون به لأنهم بأفواههم يظهرون أشواقا، وقلبهم ذاهب وراء كسبهم. وها أنت لهم كشعر أشواق لجميل الصوت، يحسن العزف، فيسمعون كلامك ولا يعملون به» (٤).

(٢) الصلاة :

(١) ان الله يوصى بأن نصلى إليه وأن نطلب منه :

«ادعنى فى يوم الضيق، أنقذك فتمجدنى» (٥).

«اطلبوا الرب مادام يوجد، ادعوه وهو قريب» (٦).

«ادعنى فأجيبك وأخبرك بعظائم وعوائص لم تعرفها» (٧).

---

(١) دا ٣ : ٩ – ١٨

(٢) دا ٣ : ٢٨ راجع أيضا دا ٦ : ١ – ٣، دا ٧ : ٢٧، صف ٣ : ٩.

(٣) إش ٢٩ : ١٣، ١٤.

(٤) حز ٣٣ : ٣١، ٣٢.

(٥) مز ٥٠ : ١٥.

(٦) إش ٥٥ : ٦.

(٧) إر ٣٣ : ٣.

(٢) القديسون يصلون إلى الله ويطلبون منه :

«لهذا يصلى لك كل تقى» (١).

موسى :

«فخرج موسى من لدن فرعون، وصلى إلى الرب» (٢).

«فصرخ موسى إلى الرب» (٣).

منوح :

«فصلى منوح إلى الرب» (٤).

حنة :

«فصلت (حنة) إلى الرب» (٥).

صموئيل :

«فدعا صموئيل الرب» (٦).

داود :

«لذلك وجد عبدك فى قلبه أن يصلى لك هذه الصلاة» (٧).

«تراءف على واسمع صلاتى» (٨).

«استمع لصوت دعائى يا ملكى، وإلهى، لأنى إليك أصلى» (٩).

---

(١) مز ٣٢ : ٦.

(٢) خر ٨ : ٣٠.

(٣) خر ١٧ : ٤، ١١ – ١٣، تث ٩ : ٢٦.

(٤) قض ١٣ : ٨ راجع قض ٦ : ٢٢، ٣٦، ٣٩.

(٥) ١. صم ١ : ١٠، ١. صم ٢ : ١.

(٦) ١. صم ١٢ : ١٨.

(٧) ٢. صم ٧ : ٢٧، أى ١٧ : ٢٥.

(٨) مز ٤ : ١.

(٩) مز ٥ : ٢.

«استمع يارب، بصوتى أدعو فارحمنى» (١).

«استمع صلاتى يارب» (٢).

«استمع يا الله صلاتى» (٣).

«اصغ يا الله إلى صلاتى» (٤).

«اسمع يا الله صراخى واصغ إلى صلاتى» (٥).

«اصغ يارب إلى صلاتى» (٦).

«يارب استمع صلاتى» (٧).

«يارب اسمع صلاتى» (٨).

«أما أنا فلك صلاتى» (٩).

بنو قورح :

«يارب إله الجنود اسمع صلاتى» (١٠).

«عندى صلاة لإله حياتى» (١١).

«فلتأت قدامك صلاتى» (١٢).

سليمان :

«فالتفت إلى صلاة عبدك والى تضرعه أيها الرب الهى، واسمع الصراخ والصلاة التى يصليها عبدك أمامك اليوم» (١٣).

---

(١) مز ٢٧ : ٧.
(٢) مز ٣٩ : ١٢.
(٣) مز ٥٤ : ٢.
(٤) مز ٥٥ : ١.
(٥) مز ٦١ : ١.
(٦) مز ٨٦ : ٦.
(٧) مز ١٠٢ : ١.
(٨) مز ١٤٣ : ١.
(٩) مز ٦٩ : ١٣.
(١٠) مز ٨٤ : ٨.
(١١) مز ٤٢ : ٨.
(١٢) مز ٨٨ : ٢.
(١٣) ١. مل ٨ : ٢٨، ٢. أى ٦ : ٢٠.

أليشع النبى :

وصلى أليشع وقال: يارب افتح عينيه (جيحزى) فيبصر» (١).

«ولما نزلوا إليه (جنود ملك أرام) صلى اليشع إلى الرب وقال: اضرب هؤلاء الأمم بالعمى» (٢).

حزقيال الملك :

«وصلى حزقيا أمام الرب (بصدد كلام سنحاريب ملك أشور) (٣)، «فوجه (حزقيا بصدد موته) وجهه إلى الحائط وصلى إلى الرب» (٤).

عزرا :

راجع عزرا ٩: ٦ ـ الخ، ١٠ : ١.

نحميا :

«فلما سمعت هذا الكلام (عن أورشليم) جلست وبكيت ونحت أياما وصمت وصليت أمام إله السماء» (٥).

طوبيا :

«حينئذ أن طوبيا، طفق يصلى بدموع» (٦).

يهوديت :

«دخلت يهوديت معبدها ولبست مسحا، وألقت رمادا على رأسها، وخرت أمام الرب وصرخت إلى الرب» (٧).

---

(١) ٢. مل ٦ : ١٧.

(٢) ٢. مل ٦ : ١٨.

(٣) ٢. مل ١٩ : ١٥.

(٤) ٢. مل ٢٠ : ٢، ٢. أى ٣٢ : ٢٤.

(٥) نح ١ : ٤، ٢ : ٤.

(٦) طو ٣ : ١.

(٧) يهو ٩ : ١، ٤ : ٨ – ١٧.

أستير :

«وكانت تتضرع إلى الرب إله اسرائيل قائلة : أيها الرب الذى هو وحده ملكنا : أعنى أنا المنقطعة التى ليس لها معين سواك» (١).

إرميا النبى :

«ثم صليت إلى الرب» (٢).

« ها أنذا أصلى إلى الرب» (٣).

دانيال النبى :

«فلما علم دانيال بامضاء الكتابة، ذهب إلى بيته وكواه مفتوحة فى عليته نحو أورشليم، فجثا على ركبتيه ثلاث مرات فى اليوم، وصلى وحمد» (٤).

«فوجهت وجهى إلى الله السيد، طالبا بالصلاة والتضرعات» (٥).

«وصليت إلى الرب الهى» (٦).

«فاسمع الآن يا إلهنا صلاة عبدك وتضرعاته» (٧).

سوسنة العفيفة (٨) :

يونان النبى :

«فصلى يونان إلى الرب الهه فى جوف الحوت» (٩).

«فجاءت إليك صلاتى» (١٠)، وصلى إلى الرب (١١).

---

(١) إش ١٤ : ٣.
(٢) إر ٣٢ : ١٦ – ٢٥.
(٣) إر ٤٢ : ٤.
(٤) دا ٦ : ١٠.
(٥) دا ٩ : ٣.
(٦) دا ٩ : ٤.
(٧) دا ٩ : ١٧، دا ٩ : ٢٠.
(٨) دا ١٣ : ٤٢.
(٩) يون ٢ : ١.
(١٠) يون ٢ : ٧.
(١١) يون ٤ : ١.

حبقوق النبى :

«صلاة لحبقوق النبى» (١).

يهوذا المكابى :

«فاحتشدت الجماعة لتتأهب للقتال وتصلى وتسأل الرأفة، والمراحم... ورفعوا أصواتهم إلى السماء قائلين... فكيف نستطيع الثبات أمامهم إن لم تكن أنت فى نصرتنا» (٢)

«فلما علم أصحاب المكابى أنه يحاصر الحصون، ابتهلوا إلى الرب مع الجموع بالنحيب والدموع أن يرسل ملاكه الصالح لخلاص اسرائيل» (٣).

(٣) الرب يسر بصلوات الأبرار ويتسبيحهم :

«وأخذ قورح... وداثان وأبيرام... يقاومون موسى مع أناس من بنى اسرائيل مائتين وخمسين... فأرسل موسى ليدعو داثان وابيرام فقالا لا نصعد... فاغتاظ موسى جدا، وقال للرب: لا تلتفت إلى تقدمتهما، حمارا واحدا لم آخذ منهم ولا أسأت إلى أحد منهم... فلما فرغ من التكلم بكل هذا الكلام انشقت الأرض التى تحتهم (جماعة المقاومين) وفتحت الأرض فاها، وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع كل الأموال... وخرجت نار من عند الرب وأكلت المائتين والخمسين رجلا الذين قربوا البخور» (٤).

«وقال صموئيل لكل اسرائيل... أما هو حصار الحنطة اليوم، فانى أدعو الرب فيعطى رعودا ومطرا، فتعلمون وترون أنه عظيم شركم الذى عملتموه فى عينى الرب بطلبكم لأنفسكم ملكا، فدعا صموئيل الرب، فأعطى رعودا ومطرا فى ذلك اليوم، وخاف جميع الشعب الرب وصموئيل جدا» (٥).

---

(١) حب ١ : ٢، ٣ : ١.

(٢) ١. مكا ٣ : ٤٤، ٥٠ – ٥٣.

(٣) ٢. مكا ١١ : ٦.

(٤) عد ١٦ : ١ – ٣٥.

(٥) ١. صم ١٢ : ١، ١٧، ١٨.

«وقال ايليا التشبى من مستوطنى جلعاد لآخاب: حى هو الرب إله اسرائيل الذى وقفت أمامه، أنه لا يكون طل ولا مطر فى هذه السنين إلا عند قولى» (١).

«وأرسل إليه (أخزيا) رئيس خمسين مع الخمسين الذين له، فصعد إليه واذا هو جالس على رأس الجبل، فقال له يارجل الله، الملك يقول انزل فأجاب ايليا وقال لرئيس الخمسين: إن كنت أنا رجل الله فلتنزل نار من السماء وتأكلك أنت والخمسين الذين لك، فنزلت نار من السماء وأكلته هو والخمسين الذين له. ثم عاد وأرسل إليه رئيس خمسين آخر والخمسين الذين له، فأجاب وقال له: يا رجل الله، هكذا يقول الملك: اسرع وانزل. فأجاب ايليا وقال لهم إن كنت أنا رجل الله لتنزل نار من السماء وتأكلك أنت والخمسين الذين لك فنزلت نار من السماء وأكلته هو والخمسين الذين له» (٢).

«ثم صعد (اليشع) من هناك إلى بيت ايل، وفيما هو صاعد فى الطريق اذ بصبيان صغار خرجوا من المدينة وسخروا منه وقالوا له: اصعد يا أقرع، اصعد يا أقرع، فالتفت إلى ورائه ونظر اليهم ولعنهم باسم الرب، فخرجت دابتان من الوعر وافترستا منهم اثنين وأربعين ولدا» (٣).

«فقال له أليشع : من أين ياجيحزى، فقال: لم يذهب عبدك إلى هنا أو هناك فقال له: ألم يذهب قلبى حين رجع الرجل من مركبته للقائك، أهو وقت لأخذ الفضة ولأخذ نبات وزيتون وكروم وغنم وبقر وعبيد وجوار، فبرص نعمان يلصق بك وبنسلك إلى الأبد، فخرج من أمامه أبرص كالثلج» (٤).

«ولما نزلوا إليه (جيوش ملك آرام) صلى اليشع إلى الرب وقال اضرب هؤلاء الأمم بالعمى، فضربهم بالعمى كقول أليشع، فقال لهم أليشع ليست هذه هى الطريق ولا هذه هى المدينة، اتبعونى فأسير بكم إلى الرجل الذى تفتشون عليه، فسار بهم إلى السامرة، فلما دخلوا السامرة، قال اليشع يارب افتح أعين هؤلاء فيبصروا، ففتح الرب أعينهم فأبصروا واذا هم فى وسط السامرة» (٥).

«فسمع صوتهم (بنى اسرائيل) ودخلت صلاتهم إلى مسكن قدسه إلى السماء» (٦).

---

(١) ١. مل ١٧ : ١.
(٢) ٢. مل ١ : ٩ – ١٢.
(٣) ٢. مل ٢ : ١٤، ٢٤.
(٤) ٢. مل ٥ : ٢٥ – ٢٧.
(٥) ٢. مل ٦ : ١٨ – ٢٠.
(٦) ٢. أى ٣٠ : ٢٧.

«لكن قد سمع الله، أصغى إلى صوت صلاتى» (١).

«الرب قريب لكل الذين يدعونه بالحق، يعمل رضى خائفيه ويسمع تضرعهم فيخلصهم» (٢).

«سمع الرب تضرعى، الرب يقبل صلاتى» (٣).

«يدعونى فأستجيب له، معه أنا فى الضيق» (٤).

«موسى وهرون بين كهنته، صموئيل بين الذين يدعون باسمه دعو الرب وهو استجاب لهم» (٥).

«وتصلّون إلى، فاسمع لكم» (٦).

(٤) يستجيب الرب صراخ المستغيثين :

بنو اسرائيل :

«وتنهد بنو اسرائيل من العبودية وصرخوا، وصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية، فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع ابراهيم واسحاق ويعقوب» (٧).

موسى :

«فصرخ موسى إلى الرب قائلا: ماذا أفعل بهذا الشعب، بعد قليل يرجمونني فقال الرب لموسى مر قدام الشعب وخذ معك من شيوخ اسرائيل، و... ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة، فى حوريب، فتضرب الصخرة، فيخرج منها ماء ليشرب الشعب» (٨).

داود :

«وبنى داود هناك (فى بيدر ارنان اليبوسى) مذبحا للرب... ودعا الرب فأجابه بنار من السماء على مذبح المحرقة» (٩).

---

(١) مز ٦٦ : ١٩.
(٢) مز ١٤٥ : ١٨، ١٩.
(٣) مز ٦ : ٩.
(٤) مز ٩١ : ١٥.
(٥) مز ٩٩ : ٦.
(٦) إر ٢٩ : ١٢.
(٧) خر ٢ : ٢٣، ٢٤.
(٨) خر ١٧ : ٤ – ٦ راجع أيضا تث ٤ : ٧.
(٩) ١. أى ٢١ : ٢٦.

«بصوتى إلى الرب أصرخ، فيجيبنى من جبل قدسه» (١).

«تأوه الودعاء، قد سمعت يارب» (٢).

«فى ضيقى دعوت الرب وإلى إلهى صرخت، فسمع من هيكله صوتى، وصراخى قدامه داخل أذنيه» (٣).

«عليك اتكل أباؤنا... فنجيتهم، إليك صرخوا فنجوا، عليك اتكلوا فلم يخزوا» (٤).

«مبارك الرب لأنه سمع صوت تضرعى» (٥).

«وأنا قلت فى حيرتى أنى قد انقطعت من قدام عينيك، ولكنك سمعت صوت تضرعى إذ صرخت إليك» (٦).

«ابعدوا عنى يا جميع فاعلى الاثم لأن الرب قد سمع صوت بكائى سمع الرب تضرعى، الرب يقبل صلاتى» (٧).

«طلبت إلى الرب فاستجاب لى، ومن كل مخاوفى أنقذنى» (٨).

«هكذا المسكين صرخ والرب استمعه، ومن كل ضيقاته خلصه» (٩).

«انتظارا انتظرت الرب، فمال إلىّ وسمع صراخى وأصعدنى من جب الهلاك» (١٠).

«قد سمع الله، اصغى إلى صوت صلاتى، مبارك الله الذى لم يبعد صلاتى ولا رحمته عنى» (١١).

«كابدت ضيقا وحزنا، وباسم الرب دعوت. آه يارب نج نفسى... تذللت فخلصنى» (١٢).

«من الضيق دعوت الرب فأجابنى من الرحب» (١٣).

---

(١) مز ٣ : ٤.
(٢) مز ١٠ : ١٧.
(٣) مز ١٨ : ٦.
(٤) مز ٢٢ : ٤، ٥.
(٥) مز ٢٨ : ٦.
(٦) مز ٣١ : ٢٢.
(٧) مز ٦ : ٩.
(٨) مز ٣٤ : ٤.
(٩) مز ٣٤ : ٦.
(١٠) مز ٤٠ : ١.
(١١) مز ٦٦ : ١٩، ٢٠.
(١٢) مز ١١٦ : ٢.
(١٣) مز ١١٨ : ٥.

«فى يوم دعوتك أجبتنى، شجعتنى قوة فى نفسك» (١).

شمشون :

ثم عطش (شمشون) جدا، دعا الرب وقال انك قد جعلت بيد عبدك هذا الخلاص العظيم، والآن أموت من العطش وأسقط بيد الغليل فشق الله الكفة التى فى لحى، فخرج منها ماء فشرب ورجعت روحه فانتعش» (٢).

حنة :

وقالت (حنة لعالى الكاهن) .. حية هى نفسك ياسيدى.. أنا المرأة التى وقفت لديك هنا تصلى إلى الرب... لأجل هذا الصبى (صموئيل) صليت، فأعطانى الرب سؤلى» (٣).

سليمان :

«فى جبعون تراءى الرب لسليمان فى حلم ليلا، وقال الله اسأل ماذا أعطيك، فقال سليمان... فاعط عبدك قلبا فهيما لأحكم على شعبك وأميز بين الخير والشر... فحسن الكلام فى عينى الرب لأن سليمان سأل هذا الأمر، فقال له الله: من أجل أنك قد سألت هذا الأمر... هوذا قد فعلت حسب كلامك، هوذا أعطيتك قلبا حكيما ومميزا حتى أنه لم يكن مثلك قبلك ولا يقوم بعدك نظيرك» (٤).

ايليا النبى :

وكان عند اصعاد التقدمة أن ايليا النبى تقدم وقال أيها الرب إله ابراهيم... استجبنى يارب استجبنى ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الاله... فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة.. والحطب والحجارة والتراب، ولحست المياه التى فى القناة» (٥)

يهوآحاز الملك :

«وتضرع يهوآحاز إلى وجه الرب، فسمع له الرب» (٦).

---

(١) مز ١٣٨ : ٣.
(٢) قض ١٥ : ١٨، ١٩.
(٣) ١. صم ١ : ٢٦، ٢٧.
(٤) ١. مل ٣ : ٥ – ١٥.
(٥) ١. مل ١٨ : ٣٦ – ٣٨.
(٦) ٢. مل ١٣ : ٤.

حزقيا الملك :

«وصلى حزقيا أمام الرب وقال : أيها الرب إله اسرائيل الجالس فوق الكروبيم : أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض، أنت صنعت السماء والأرض، أمل يارب اذنك واسمع، افتح يارب عينيك وأنظر واسمع كلام سنحاريب الذى أرسله ليعير الله الحى... والآن أيها الرب الهنا خلصنا من يده... فأرسل إشعياء بن آموص إلى حزقيا قائلا : هكذا قال الرب إله اسرائيل الذى صليت إليه من جهة سنحاريب ملك أشور، قد سمعت» (١).

«فى تلك الأيام مرض حزقيا للموت، فجاء اليه إشعياء بن آموص النبى وقال له هكذا يقول الرب : أوص بيتك لأنك تموت ولا تعيش، فوجه حزقيا وجهه إلى الحائط وصلى إلى الرب وقال آه يارب أذكر كيف سرت أمامك بالأمانة وبقلب سليم وفعلت الحسن فى عينيك، وبكى حزقيا بكاء عظيما... فصار قول الرب إلى إشعياء قائلا : اذهب وقل لحزقيا : هكذا يقول الرب إله داود أبيك، قد سمعت صلاتك، قد رأيت دموعك، ها أنذا أضيف إلى أيامك خمس عشرة سنة، ومن يد ملك آشور أنقذك وهذه المدينة» (٢).

بنو رأوبين والجاديون ونصف سبط منسى :

... وعملوا حربا مع الهاجريين ويطور... وناقيش ونوداب، فانتصروا عليهم، فدفع ليدهم الهاجريون وكل من معهم لأنهم صرخوا إلى الله فى القتال، فاستجاب لهم لأنهم اتكلوا عليه» (٣).

يعبيص :

ودعا يعبيص إله اسرائيل قائلا : ليتك تباركنى وتوسع تخومى، وتكون يدك معى وتحفظنى من الشر حتى لا يتعبنى، فآتاه الله بما سأل» (٤).

---

(١) ٢. مل ١٩ : ١٥ : ١٥ : ٢٠ راجع أيضا إش ٣٧ : ١٥ – ٣٨.

(٢) إش ٣٨ : ١ – ٦.

(٣) ١. أى ٥ : ١٨ – ٢٠.

(٤) ١. أى ٤ : ١٠.

آسا الملك :

«ودعا آسا الرب إلهه، وقال : أيها الرب، ليس فرقا عندك أن تساعد الكثيرين ومن ليس لهم قوة، فساعدنا أيها الرب الهنا لأننا عليك اتكلنا وباسمك قدمنا على هذا الجيش، أيها الرب أنت إلهنا : لا يقو عليك انسان، فضرب الرب الكوشيين أمام آسا وأمام يهوذا فهرب الكوشيون، وطردهم آسا والشعب الذى معه إلى جرار وسقط من الكوشيين حتى لم يكن لهم حى لأنهم انكسروا أمام الرب وأمام جيشه» (١).

يهوشافاط الملك :

فوقف يهوشافاط... فى بيت الرب... وقال : يارب إله آبائنا أما أنت هو الله فى السماء، وأنت المتسلط على جميع ممالك الأمم، وبيدك قوة وجبروت وليس من يقف معك... والآن هوذا بنو عمون وموآب وجبل ساعير... يكافئوننا بمجيئهم لطردنا من ملكك الذى ملكتنا إياه، يا إلهنا أما تقضى عليهم لأنه ليس فينا قوة أمام هذا الجمهور الكثير الآتى علينا، ونحن لا نعلم ماذا نعمل، ولكن نحوك أعيننا... ولما ابتدأوا فى الغناء والتسبيح، جعل الرب أكمنة على بنى عمون وموآب وجبل ساعير الآتين على يهوذا فانكسروا... ولما جاء يهوذا إلى المرقب فى البرية تطلعوا نحو الجمهور واذا هم جثث ساقطة على الأرض ولم ينفلت أحد» (٢).

منسى الملك :

«ولما تضايق طلب وجه الرب إلهه وتواضع جدا أمام إله آبائه، وصلى إليه فاستجاب له وسمع تضرعه ورده إلى أورشليم إلى مملكته» (٣).

عزرا الكاهن :

«وناديت هناك بصوم على نهر أهوا لكى نتذلل أمام إلهنا لنطلب منه طريقا مستقيمة لنا ولأطفالنا ولكل مالنا.. فصمنا وطلبنا ذلك من إلهنا، فاستجاب لنا» (٤).

---

(١) ٢. أى ١٤ : ١١ - ١٣.

(٢) ٢. أى ٢٠ : ٣ - ٢٠.

(٣) ٢. أى ٣٣ : ١٢، ١٣ ثم ٢. أى ٣٣ : ١٨، ١٩.

(٤) عزرا ٨ : ٢١ - ٢٣.

نحميا :

«فصلينا إلى إلهنا... وأبطل الله مشورتهم» (١).

طوبيا :

حينئذ أن طوبيا طفق يصلى بدموع وقال : ... فالآن اذكرنى يارب ولا تنتقم عن خطاياى... والآن يارب بحسب مشيئتك اصنع بى... واتفق فى ذلك اليوم عينه أن سارة ابنة رعوئيل فى راجيس مدينة الماديين، وسمعت هى أيضا تعييرا من احدى جوارى أبيها لأنه كان قد عقد لها على سبعة رجال... وإذ كانت تنتهر الجارية لذنب أجابتها قائلة لا رأينا لك ابنا ولا ابنة على الأرض... يا قاتلة أزواجها، أتريدين أن تقتلينى كما قتلت سبعة رجال، فلما سمعت هذا الكلام صعدت إلى علية بيتها فأقامت ثلاثة أيام وثلاث ليال لا تأكل ولا تشرب، بل استمرت تصلى وتتضرع إلى الله بدموع أن يكشف عنها هذا العار... فى ذلك الحين استجيب صلوات الاثنين أمام مجد الله العلى فأرسل الرب ملاكه القديس رافائيل ليشفى كلا الاثنين الذين رفعت صلواتهما فى وقت واحد إلى حضرة الرب» (٢).

أشعياء :

يقول النبى إشعياء عن المصريين : يصرخون إلى الرب بسبب المضايقين، فيرسل لهم مخلصا ومحاميا وينقذهم» (٣).

«لا تبكى بكاء، يتراءف عليك عند صوت صراخك، حينما يسمع يستجيب لك» (٤).

«البائسون والمساكين طالبون ماء ولا يوجد. لسانهم من العطش قد يبس، أنا الرب استجيب لهم» (٥).

«حينئذ تدعو فيجيب الرب، تستغيث فيقول هأنذا (٦).

ويكون أنى قبلما يدعون أنا أجيب، وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع» (٧).

---

(١) نح ٤ : ٩ ، ١٥.
(٢) طو ٣ : ١ – ٢٥.
(٣) إش ١٩ : ٢٠.
(٤) إش ٣٠ : ١٩.
(٥) إش ٤١ : ١٧.
(٦) إش ٥٨ : ٩.
(٧) إش ٦٥ : ٢٤.

إرميا :

«دعوت باسمك يارب من الجب الأسفل، لصوتى سمعت، لا تستر أذنك عن زفرتى عن صياحى، دنوت يوم دعوتك، قلت لا تخف» (١).

دانيال :

«وبينما أنا أتكلم وأصلى وأعترف بخطيتى وخطية شعبى اسرائيل وأطرح تضرعى أمام الرب إلهى عن جبل قدس إلهى، وأنا متكلم بعد بالصلاة، إذا بالرجل جبرائيل الذى رأيته فى الرؤيا فى الابتداء مطارا واقفا، لمسنى عند وقت تقدمة المساء، وفهمنى وتكلم معى، وقال : يا دانيال، إنى خرجت الآن لأعلمك الفهم، فى ابتداء تضرعاتك خرج الأمر، وأنا جئت لأخبرك لأنك أنت محبوب» (٢).

«فقال لى (الملاك) لا تخف يا دانيال، لأنه من اليوم الأول الذى فيه جعلت قلبك للفهم ولاذلال نفسك قدام إلهك، سمع كلامك وأنا أتيت لأجل كلامك» (٣).

سوسنة :

«فصرخت سوسنة بصوت عظيم وقالت : أيها الاله الأزلى البصير بالخفايا العالم بكل شئ قبل أن يكون. أنت تعلم أنهما انما شهدا علىّ بالزور، وها أنا أموت ولم أصنع شيئا مما افترى علىّ هذان... فاستجاب الرب لصوتها، وإذ كانت تساق إلى الموت نبه الله روحا مقدسا لشاب حدث اسمه دانيال، فصرخ بصوت عظيم أنا برئ من دم هذه» (٤).

عاموص النبى :

«لأنه هكذا قال الرب لبيت اسرائيل : اطلبونى فتحيوا» (٥).

يونان النبى :

«فصلى يونان إلى الرب الهه من جوف الحوت، وقال : دعوت من ضيقى الرب، فاستجابنى، صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتى... وأمر الرب الحوت فقذف يونان إلى البر» (٦).

---

(١) مرا ٣ : ٥٥ – ٥٧. (٢) دا ٩ : ٢٠ – ٢٣. (٣) دا ١٠ : ١٢.
(٤) دا ١٣ : ٤٢ – ٤٦. (٥) عا ٥ : ٤. (٦) يون ٢ : ١ – ١٠.

زكريا النبى :

«هو يدعو باسمى وأنا أجيبه، أقول هو شعبى وهو يقول الرب إلهى» (١).

المكابيون :

«ورفعوا أصواتهم إلى السماء قائلين ما نصنع بهؤلاء وإلى أين تنطلق بهم... وها أن الأمم قد اجتمعوا علينا ليبيدونا، وأنت عليم بما يأتمرون علينا فكيف نستطيع الثبات أمامهم إن لم تكن أنت فى نصرتنا... واقتتلوا فانكسرت الأمم وانهزمت» (٢).

«لكن هليودورس بناء على أمر الملك أصر على حمل الأموال إلى خزانة الملك، وعين يوما دخل فيه للفحص عن ذلك، فكان فى جميع المدينة ارتعاش شديد، وانطرح الكهنة أمام المذبح بحللهم الكهنوتية يبتهلون نحو السماء إلى الذى سن فى الودائع أن تصان لمستودعها.... وكان الناس يتبادرون من البيوت. أفواجا ليصلوا صلاة عامة لسبب الهوان المشرف على الموضع، وكانت النساء يزدحمن فى الشوارع وهن متحزمات بالمسوح... وكلهن باسطات أيديهن إلى السماء يتضرعن بالابتهال... وكانوا جميعا يتضرعون إلى الاله القدير... أما هليودورس فكان آخذا فى إتمام ما قضى به وقد حضر هناك مع شرطة فى الخزانة، فصنع رب آبائنا وسلطان كل قدرة آية عظيمة حتى أن جميع الذين اجترأوا على الدخول صرعتهم قدرة الله وأخذهم الانحلال والرعب. وذلك أنه ظهر لهم فرس عليه راكب مخيف وجهازه فاخر، فوثب وضرب هليودورس بحوافر يديه، وكانت عدة الراكب كأنها من ذهب، وتراءى أيضا لهليودورس فتيان عجيبا القوة بديعا البهاء حسنا اللباس، فوقفا على جانبيه يجلدانه جلدا متواصلا حتى أثخناه بالضرب، فسقط لساعته على الأرض، وغشيه ظلام كثيف فرفعوه وجعلوه على محمل، فاذا به بعد أن دخل الخزانة المذكورة فى موكب حافل وجند كثير، قد أصبح محمولا لا مغيث له، وقد تجلت لهم قدرة الله علانية، فكان مطروحا بالقوة الالهية أبكم منقطع الرجاء من الخلاص، واليهود يباركون الرب الذى مجد مقدسه، وقد امتلأ الهيكل ابتهاجا وتهللا» (٣).

---

(١) زك ١٣ : ٩.

(٢) ١. مكا ٣ : ٥٠ – ألخ؛ ٤: ١ – ١٤.

(٣) ٢. مكا ٣ : ١٣ – ٣٠.

(٥) الرب يقبل ويستجيب شفاعة القديسين فى البشر، مجاهدين أو منتقلين :

(أ) شفاعة الأحياء فى الأحياء :

موسى (فى فرعون) :

«فدعا فرعون موسى وهرون، وقال صليا إلى الرب ليرفع الضفادع عنى وعن شعبى... ثم خرج موسى وهرون من لدن فرعون، ففعل الرب كقول موسى، فماتت الضفادع من البيوت والدور والحقول، وجمعوها كوما كثيرة حتى انتنت الأرض» (١).

«فقال فرعون أنا أطلقكم لتذبحوا للرب إلهكم فى البرية... صليا لأجلى... فقال موسى ها أنا أخرج من لدنك وأصلى إلى الرب... فخرج موسى من لدن فرعون، وصلى إلى الرب، ففعل الرب كقول موسى فارتفع الذبان عن فرعون وعبيده وشعبه، لم تبق واحدة» (٢).

«فأرسل فرعون ودعا موسى وهرون وقال لهما : أخطئت هذه المرة، الرب هو البار وأنا وشعبى الأشرار، صليا إلى الرب وكفى حدوث رعود الله والبرد فأطلقكم... فقال له موسى عند خروجى من المدينة أبسط يدى إلى الرب فتنقطع الرعود ولا يكون البرد... فخرج موسى من المدينة من لدن فرعون، وبسط يديه إلى الرب، فانقطعت الرعود والبرد ولم ينصبّ المطر على الأرض» (٣).

«فدعا فرعون موسى وهرون مسرعا، وقال : أخطئت إلى الرب الهكما واليكما، والآن اصفحا عن خطيتى هذه المرة فقط، وصليا إلى الرب الهكما ليرفع عنى هذا الموت (الجراد) فقط. فخرج موسى من لدن فرعون وصلى إلى الرب، فرد الرب ريحا غربية شديدة جدا، فحملت الجراد وطرحته إلى بحر سوف، لم تبق جرادة واحدة فى كل تخوم مصر» (٤).

موسى (فى بنى اسرائيل) :

«وأتى عماليق وحارب اسرائيل فى رفيديم، فقال موسى ليشوع : انتخب لنا رجالا وأخرج حارب عماليق، وغدا أقف أنا على رأس التلة وعصا الله فى يدى، ففعل يشوع كما قال له موسى ليحارب عماليق، وأما موسى وهارون وحور فصعدوا على رأس التلة وكان إذا رفع موسى يده أن

---

(١) خر ٨ : ٨ – ١٤.
(٢) خر ٨ : ٢٨ – ٣١.
(٣) خر ٩ : ٢٧ – ٣٣.
(٤) خر ١٠ : ١٦ – ١٩.

سرائيل يغلب، وإذا خفض يده أن عماليق يغلب، فلما صارت يد موسى ثقيلتين أخذا حجرا ووضعاه تحته فجلس عليه، ودعم هرون وحور يديه الواحد من هنا والآخر من هناك فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس، فهزم يشوع عماليق وقومه بحد السيف» (١).

«فقال الرب لموسى : اذهب انزل، لأنه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر، زاغوا سريعا عن الطريق الذى أوصيتهم به، صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا له، وقالوا : هذه آلهتك يا اسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر. وقال الرب لموسى، رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة، فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم، فأصيرك شعبا عظيما، فتضرع موسى أمام الرب إلهه، وقال: لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك الذى اخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة. لماذا يتكلم المصريون قائلين: أخرجهم بخبث ليقتلهم فى الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض. أرجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك. أذكر ابراهيم واسحق واسرائيل (٢) عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم : أكثر نسلكم كنجوم السماء، وأعطى نسلكم كل هذه الأرض. فندم الرب على الشر الذى قال انه يفعله بشعبه» (٣).

«وكان فى الغد أن موسى قال للشعب : أنتم قد أخطئتم خطية عظيمة، فأصعد الآن إلى الرب، لعلى أكفر خطيتكم، فرجع موسى إلى الرب، وقال : آه قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب والآن... ان غفرت خطيتهم والآن فامحنى من كتابك الذى كتبت، فقال الرب لموسى : من أخطئ إلي أمحوه من كتابى» (٤).

وقد أورد النبى موسى هذه الواقعة فى سفر تثنية الاشتراع، قال : «أذكر لا تنس كيف اسخطت الرب إلهك فى البرية... حتى فى حوريب أسخطتم الرب فغضب الرب عليكم ليبيدكم، حين صعدت إلى الجبل لكى آخذ لوحى الحجر، لوحى العهد ... وفى نهاية الأربعين نهارا

---

(١) خر ١٧ : ٨ – ١٣.

(٢) يلاحظ فى هذا النص أن موسى وهو يشفع فى اسرائيل يستشفع بابراهيم واسحق واسرائيل وهو ما يفعله دائما قديسوا الأرض اذ يستشفعون بالمنتقلين إلى السماء.

(٣) خر ٣٢ : ٧ – ١٤.

(٤) خر ٣٢ : ٣٠ – ٣٣ (راجع ما كتبه داود النبى عن هذه الحادثة الاليمة) : «صنعوا عجلا فى حوريب، وسجدوا لتمثال مسبوك، نسوا الله مخلصهم فقام باهلاكهم لولا موسى مختاره وقف فى الثغر قدامه ليصرف غضبه عن اتلافهم» مز ١٠٦ : ١٩ – ٢٣».

والأربعين ليلة... فقال الرب لى قم أنزل عاجلا من هنا لأنه قد فسد شعبك... وكلمنى الرب قائلا : رأيت هذا الشعب واذا هو شعب صلب الرقبة، أتركنى فأبيدهم وأمحو اسمهم من تحت السماء وأجعلك شعبا أعظم وأكثر منه، فانصرفت ونزلت من الجبل، ثم سقطت أمام الرب كالأول أربعين نهاراً وأربعين ليلة لا آكل خبزا ولا أشرب ماء من أجل كل خطاياكم التى أخطئتم بها بعملكم الشر أمام الرب لاغاظته لأنى فزعت من الغضب والغيظ الذى سخطه الرب عليكم ليبيدكم، فسمع لى الرب تلك المرة أيضا، وعلى هرون غضب الرب جدا ليبيده، فصليت أيضا من أجل هرون فى ذلك الوقت» (١).

«وقال الرب لموسى : اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذى أصعدته من أرض مصر... وأنا أرسل أمامك ملاكا، فانى لا أصعد فى وسطك لأنك شعب صلب الرقبة، لئلا أفنيك فى الطريق...

وقال موسى للرب : أنظر، أنت قائل لى أصعد هذا الشعب وأنت لم تعرفنى من ترسل معى، وأنت قد قلت عرفتك باسمك، ووجدت أيضا نعمة فى عينى فالآن : ان كنت قد وجدت نعمة فى عينيك، فعلمنى طريقك حتى أعرفك لكى أجد نعمة فى عينيك، وأنظر أن هذه الأمة شعبك. فقال : وجهى يسير فأريحك. فقال له : أن لم يسر وجهك فلا تصعدنا من ههنا فانه بماذا يعلم أنى وجدت نعمة فى عينيك أنا وشعبك، أليس بمسيرك معنا، فنمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض.. فقال الرب لموسى : هذا الأمر أيضا الذى تكلمت عنه أفعله، لأنك وجدت نعمة فى عينى وعرفتك باسمك» (٢).

«وكان الشعب كأنهم يشتكون شرا فى أذنى الرب، وسمع الرب فحمى غضبه، فاشتعلت فيهم نار الرب وأحرقت فى طرف المحلة، فصرخ الشعب إلى موسى فصلى موسى إلى الرب، فخمدت النار» (٣).

«وقال الرب لموسى : حتى متى يهينى هذا الشعب، وحتى متى لا يصدقوننى بجميع الآيات التى عملت فى وسطهم (لأنهم خافوا أن يدخلوا أرض كنعان وبكو وتذمروا) أن أضربهم بالوبأ

---

(١) تث ٩ : ٧ - ٢٩.

(٢) خر ٣٣ : ١ - ١٧ راجع أيضا خر ٣٤ : ٥ - ١٠.

(٣) عدد ١١ : ١ - ٣.

وأبيدهم وأصيرك شعبا أكبر وأعظم منهم، فقال موسى للرب : فيسمع المصريون الذين أصعدت بقوتك هذا الشعب من وسطهم، ويقولون لسكان هذه الأرض الذين قد سمعوا أنك يارب فى وسط هذا الشعب الذين أنت يارب قد ظهرت لهم عينا لعين وسحابتك واقفة عليهم، وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهارا وبعمود نار ليلا. فان قتلت هذا الشعب كرجل واحد، يتكلم الشعوب الذين سمعوا بخبرك قائلين : لأن الرب لم يقدر أن يدخل هذا الشعب إلى الأرض التى حلف لهم فقتلهم فى القفر، فالآن : لتعظم قدرة سيدى كما تكلمت قائلا : الرب طويل الروح كثير الاحسان يغفر الذنب والسيئة... اصفح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك، وكما غفرت لهذا الشعب من مصر إلى ههنا، فقال الرب : قد صفحت حسب قولك» (١).

«وكلم الرب موسى وهرون قائلا : «افترزا من بين هذه الجماعة فانى أفنيهم فى لحظة. فخرا على وجهيهما وقالا : اللهم إله أرواح جميع البشر، هل يخطأ رجل واحد فتسخط على كل الجماعة. فكلم الرب موسى قائلا : كلم الجماعة قائلا : اطلعوا من حوالى مسكن قورح وداثان وابيرام» (٢).

«فتذمر كل جماعة بنى اسرائيل فى الغد على موسى وهرون قائلين أنتما قد قتلتما شعب الرب... فكلم الرب موسى قائلا : اطلعا من وسط هذه الجماعة فانى أفنيهم بلحظة، فخرا على وجهيهما.. ثم قال موسى لهرون : خذ المجمرة واجعل فيها نارا من على المذبح وضع بخورا واذهب بها مسرعا إلى الجماعة وكفر عنهم لأن السخط قد خرج من قبل الرب، قد ابتدأ الوباء، فأخذ هرون كما قال موسى وركض إلى وسط الجماعة واذا الوباء قد ابتدأ فى الشعب، فوضع البخور وكفر عن الشعب، ووقف بين الموتى والأحياء فامتنع الوباء» (٣).

«وارتحلوا من جبل هور فى طريق بحر سوف ليدوروا بأرض أدوم، فضاقت نفس الشعب فى الطريق. وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين : لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت فى البرية لأنه لا خبز ولا ماء، وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف، فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة، فلدغت الشعب، فمات قوم كثيرون من اسرائيل. فأتى الشعب إلى موسى وقالوا قد

---

(١) عدد ١٤ : ١١ – ٢٠.

(٢) عدد ١٦ : ٢٠ – ٢٤.

(٣) عدد ١٦ : ٤١ – ٤٨.

خطئنا اذ تكلمنا على الرب وعليك، فصل إلى الرب ليرفع عنا الحيات، فصلى موسى لأجل الشعب، فقال الرب لموسى : اصنع لك حية محرقة وضعها على راية، فكل من لدغ ونظر إليها يحيا، فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية، فكان متى لدغت حية انسانا ونظر إلى حية النحاس يحيا» (١).

موسى (فى مريم أخته) :

«وتكلمت مريم وهرون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها فسمع الرب... فحمى غضب الرب عليهما ومضى، فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة اذا مريم برصاء كالثلج. فقال هرون لموسى أسالك يا سيدى لا تجعل علينا الخطية التى حمقنا وخطئنا بها، فلا تكن (مريم) كالميت الذى يكون عند خروجه من رحم أمه قد أكل نصف لحمه، فصلى موسى إلى الرب قائلا اللهم اشفها، فقال الرب لموسى ولو بصق أبوها فى وجهها أما كانت تخجل سبعة أيام، تحجز سبعة أيام خارج المحلة وبعد ذلك ترجع» (٢).

صموئيل (فى بنى اسرائيل) :

«فقال صموئيل : اجمعوا كل اسرائيل إلى المصفاة : فأصلى لأجلكم إلى الرب، فاجتمعوا إلى المصفاة، واستقوا ماء وسكبوه أمام الرب، وصاموا فى ذلك اليوم، وقالوا هناك : قد خطئنا إلى الرب... وقال بنو اسرائيل لصموئيل : لا تكف عن الصراخ من أجلنا إلى الرب فيخلصنا من يد الفلسطينيين فأخذ صموئيل حملا رضيعا وأصعده محرقة بتمامه للرب، وصرخ صموئيل إلى الرب من أجل اسرائيل، فاستجاب له الرب (٣)، وبينما كان صموئيل يصعد المحرقة تقدم الفلسطينيون لمحاربة اسرائيل فأرعد الرب بصوت عظيم فى ذلك اليوم على الفلسطينيين وأزعجهم فانكسروا أمام اسرائيل.. وكانت يد الرب على الفلسطينيين كل أيام صموئيل» (٤).

---

(١) عدد ٢١ : ٤ - ٩.

(٢) عدد ١٢ : ١ - ١٤.

(٣) لقد بكى الاسرائيليون وصاموا وسكبوا ماء الرب ضحية وقربانا، ولكنهم لم يشعروا أنهم فى غنى عن صلوات صموئيل النبى القديس من أجلهم، اذ أنهم يعلمون دالة صموئيل أمام الرب. ولذا فان الرب استجاب لصراخ صموئيل قبل أن يستجيب لهم. فلنصل اذن ولنصم ولنتصدق ولكن لا ننسى أيضا قبل ذلك أن نتضع فندشعر بخطايانا وقيمة ضراعة القديسين عنا.

(٤) ١. صم ٧ : ٥ - ١٣.

«وقال جميع الشعب لصموئيل : صل عن عبيدك إلى الرب إلهك حتى لا نموت، لأننا قد أضفنا إلى جميع خطايانا شرا بطلبنا لأنفسنا ملكا »... فقال صموئيل للشعب لا تخافوا، إنكم قد فعلتم كل هذا الشر ولكن لا تحيدوا عن الرب، بل أعبدوا الرب بكل قلوبكم... وأما أنا فحاشا لى أن أخطأ (١) إلى الرب فأكف عن الصلاة من أجلكم» (٢).

داود (فى شعبه) :

«فجعل الرب وباء فى اسرائيل من الصباح إلى الميعاد، فمات من الشعب... سبعون ألف رجل... فكلم داود الرب عندما رأى الملاك الضارب الشعب وقال: ها أنا أخطئت وأنا أذنبت وأما هؤلاء الخراف فماذا فعلوا، فلتكن يدك على وعلى بيت أبى... فجاء جاد فى ذلك اليوم إلى داود وقال له اصعد وأقم للرب مذبحا فى بيدر ارونه اليبوسى، فصعد داود حسب كلام جاد كما أمر الرب (٣)... وبنى داود هناك مذبحا للرب وأصعد محرقات وذبائح سلامة، واستجاب الرب من أجل الأرض، فكفت الضربة عن اسرائيل... فندم الرب عن الشر وقال للملاك المهلك الشعب : كفى، الآن رد يدك» (٤).

رجل الله (فى يربعام الملك) :

واذا برجل الله قد أتى من يهوذا بكلام الرب إلى بيت إيل، ويربعام واقف لدى المذبح لكى يوقد، فنادى نحو المذبح بكلام الرب، وقال : يا مذبح، يا مذبح، هكذا قال الرب : هوذا سيولد لبيت داود ابن اسمه يوشيا. ويذبح عليك كهنة المرتفعات الذين يوقدون عليك... فلما سمع الملك كلام رجل الله الذى نادى نحو المذبح.. مد يربعام يده على المذبح قائلا : امسكوه، فيبست يده التى مدها نحوه، ولم يستطع أن يردها إليه... فأجاب الملك وقال لرجل الله : تضرع إلى وجه الرب الهك، وصل من أجلى فترجع يدى إلى... فتضرع رجل الله إلى وجه الرب، فرجعت يد الملك إليه، وكانت كما فى الأول» (٥).

---

(١) ياله من تصريح نبوى خطير يحدد فيه مدى مسئولية الراعى ازاء رعيته وكيف أنه من أوجب واجباته أن يصلى من أجلهم وإلا فيخطئ إلى الرب.

(٢) ١. صم ١٢ : ١٩ – ٢٣.

(٣) يلاحظ هنا أن الرب بذاته يطلب شفاعة داود فى شعبه باصعاد المحرقات وهذه ناحية تكشف لنا عن قيمة الشفاعة لدى الرب وأنها ليست جائزة ومستحبة ومقبولة بل وأيضاً واجبة على الرعاة والمعلمين والكهنة والملوك من أجل الرعية والشعب والمسئولين منهم..

(٤) ٢. صم ٢٤ : ١٥ – ٢٥. (٥) ١. مل ١٣ : ١ – ٦.

ايليا النبى (فى ابن أرملة صرفة صيدون) :

وبعد هذه الأمور، مرض ابن المرأة صاحبة البيت واشتد مرضه جدا حتى لم تبق فيه نسمة... وصرخ (ايليا) إلى الرب وقال : أيها الرب إلهى، أأيضا إلى الأرملة التى أنا نازل عندها قد أسأت بامانتك ابنها، فتمدد على الولد ثلاث مرات، وصرخ إلى الرب وقال : يارب إلهى، لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه، فسمع الرب لصوت ايليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش» (١).

يهوشافاط (فى ملك اسرائيل وملك أدوم) :

«فقال أليشع : حى هو رب الجنود الذى أنا واقف أمامه أنه لولا أنى رافع وجه يهوشافاط ملك يهوذا لما كنت أنظر إليك ولا أراك (ملك اسرائيل)» (٢).

أليشع النبى (فى المرأة الشونمية) :

«فقال لجيحزى غلامه : أدع هذه الشونمية فدعاها فوقفت أمامه. فقال له قل لها هوذا قد انزعجت بسببنا كل هذا الانزعاج، فماذا يصنع لك، هل لك ما يتكلم به إلى الملك أو إلى رئيس الجيش فقالت انما أنا ساكنة فى وسط شعبى، ثم قال : فماذا يصنع لها؟ فقال جيحزى أنه ليس لها ابن ورجلها قد شاخ. فقال ادعها، فدعاها فوقفت فى الباب. فقال فى هذا الميعاد نحو زمان الحياة تحتضنين ابنا، فقالت لا ياسيدى رجل الله لا تكذب على جاريتك. فحبلت المرأة وولدت ابنا فى ذلك الميعاد نحو زمان الحياة كما قال لها أليشع» (٣).

«ودخل أليشع البيت واذا بالصبى (ابن المرآة الشونمية) ميت ومضطجع على سريره. فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلى إلى الرب. ثم صعد واضطجع فوق الصبى... فعطس الصبى سبع مرات ثم فتح الصبى عينيه، فدعا جيحزى وقال (له) ادع هذه الشونمية، فدعاها ولما دخلت إليه قال : احملى ابنك» (٤).

---

(١) ١. مل ١٧ : ١٧ – ٢٤.

(٢) ٢. مل ٣ : ١٤.

(٣) ٢. مل ٤ : ١٢ – ١٧.

(٤) ٢. مل ٤ : ٣٢ – ٣٦.

اليشع (فى خادمه جيحزى) :

«فبكر خادم رجل الله وقام وخرج، واذا جيش محيط بالمدينة وخيل مركبات، فقال غلامه له : آه ياسيدى كيف نعمل؟ فقال لا تخف لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم وصلى أليشع وقال يارب افتح عينيه فيبصر، ففتح الرب عينى الغلام فأبصر، إذا الجبل مملوء خيلا ومركبات نار حول اليشع» (١).

إشعياء النبى (فى شعب اسرائيل) :

فلما سمع الملك حزقيا ذلك (أى كلام ربشاقى من قبل سنحاريب ملك أشور) مزق ثيابه وتغطى بمسح ودخل بيت الرب، وأرسل ألياقيم الذى على البيت وشبنة الكاتب وشيوخ الكهنة متغطين بمسح، إلى إشعياء النبى ابن آموص، فقالوا له : هكذا يقول حزقيا : هذا اليوم يوم شدة وتأديب واهانة، لأن الأجنة قد دنت إلى المولد ولا قوة للولادة، لعل الرب إلهك يسمع جميع كلام ربشاقى الذى أرسله ملك أشور سيده ليعير الله الحى. فارفع صلاة من أجل البقية الموجودة.

فجاء عبيد الملك حزقيا إلى إشعيا، فقال لهم إشعيا : هكذا تقولوا لسيدكم هكذا قال الرب : لا تخف.. ها أنذا أجعل فيه روحا فيسمع خبرا ويرجع إلى أرضه وأسقطه بالسيف فى أرضه» (٢).

«وكان فى تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب من جيش أشور مائة ألف وخمسمائة وثمانين ألفا، ولما بكروا صباحا إذا هم جميعا جثث ميتة فانصرف سنحاريب ملك أشور وذهب راجعا وأقام فى نينوى، وفيما هو ساجد فى بيت نسروخ إلهه ضربه أدرملك وشرآصر إبناه بالسيف» (٣).

داود (فى ابنه سليمان) :

وأما سليمان ابنى فاعطه قلبا كاملا ليحفظ وصاياك شهاداتك وفرائضك، وليعمل الجميع وليبنى الهيكل الذى هيأت له... وجلس سليمان على كرسى الرب ملكا مكان داود أبيه ونجح واطاعه كل اسرائيل وجميع الرؤساء والأبطال وجميع أولاد الملك داود أيضا خضعوا لسليمان الملك، وعظم الرب سليمان جدا فى أعين جميع اسرائيل وجعل عليه جلالا ملكيا لم يكن على ملك قبله فى اسرائيل» (٤).

---

(١) ٢. مل ٦ : ١٥ – ١٧. (٢) ٢. مل ١٩ : ١ – ٧.

(٣) ٢. مل ١٩ : ٣٥ – ٣٧، راجع أيضا ٢. مل ٢٠ : ١١ و ٢. أى ٣٢ : ٢٠ – ٢٣ وإش ٣٧ : ١ ... الخ.

(٤) ١. أى ٢٩ : ١٩ – ٢٥، راجع أيضا مز ٧٢ : ٩.

حزقيا الملك (فى شعبه) :

«كثيرين من الشعب : كثيرين من أفرايم ومنسى ويساكر وزبولون لم يتطهروا، بل أكلوا الفصح ليس كما هو مكتوب، إلا أن حزقيا صلى عنهم قائلا: الرب الصالح يكفر عن كل من هيأ قلبه لطلب الله الرب إله آبائه وليس كطهارة القدس، فسمع الرب لحزقيا وشفى الشعب» (١).

نحميا (فى اسرائيل) :

«فلما سمعت هذا الكلام، جلست وبكيت ونحت أياما وصمت وصليت أمام إله السماء، وقلت أيها الرب إله السماء الإله العظيم المخوف الحافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظى وصاياه، لتكن اذنك مصغية، وعيناك مفتوحتين لتسمع صلاةعبدك الذى يصلى اليك الآن نهارا وليلا، لإجل بنى اسرائيل عبيدك ويعترف بخطايا بنى اسرائيل التى خطئنا بها إليك... واعط النجاح اليوم لعبدك وامنحه رحمة أمام هذا الرجل (الملك)... فأعطانى الملك حسب يد إلهى الصالحة علىّ» (٢).

يهوديت (فى شيوخ اسرائيل) :

«فقال لها عزيا والشيوخ جميع كلامك حق ولا عيب فى كلماتك، فالآن صلى عنا لأنك امرأة قديسة متقية لله، فقالت لهم يهوديت... صلوا حتى يؤيد الله مشورتى» (٣).

داود (فى اسرائيل) :

«يا الله افد اسرائيل من كل ضيقاته» (٤).

«يارب إله الجنود، إلى متى تُدَخِّنُ على صلاة شعبك» (٥).

«لأن صلاتى بعد فى مصائبهم» (٦)

إرميا النبى (فى شعب اسرائيل) :

«يقول الرب : «طوفوا فى شوارع المدينة وانظروا واعرفوا وفتشوا فى ساحاتها هل تجدون انسانا، أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق، فأصفح عنها» (٧).

---

(١) ٢. أى ٣٠ : ١٨ – ٢٠. (٢) نح ١ : الخ ٢ : ١ – ٨ (٣) يهو ٨ : ٢٨ – ٣١.
(٤) مز ٢٥ : ٢٢. (٥) مز ٨٠ : ٤. (٦) مز ١٤١ : ٥ راجع أيضا مز ٧٢ : ١٥.
(٧) إر ٥ : ٦.

«هذا كلام الرسالة التى أرسلها إرميا النبى من أورشليم إلى بقية شيوخ السبى وإلى الكهنة والأنبياء وإلى كل الشعب الذين سباهم نبوخذ نصر من أورشليم إلى بابل بعد خروج يكنيا الملك والملكة... واطلبوا سلام المدينة التى سبيتكم إليها، وصلوا لأجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام» (١).

«وأرسل الملك صدقيا يهوخل بن شلميا وصفنيا بن معسيا الكاهن إلى إرميا النبى قائلا : «صل لأجلنا إلى الرب الهنا» (٢).

«فتقدم كل رؤساء الجيوش ويوحانان بن قاريح ويزنيا بن هوشعيا وكل الشعب من الصغير إلى الكبير، وقالوا لإرميا النبى : ليت تضرعنا يقع أمامك فتصلى لأجلنا إلى الرب إلهك لأجل كل هذه البقية، لأننا قد بقينا قليلين من كثيرين كما ترانا عيناك، فيخبرنا الرب إلهك عن الطريق الذى نسير فيه.. فقال لهم إرميا النبى : قد سمعت هأنذا أصلى إلى الرب الهكم كقولكم ويكون ان كل الكلام الذى يجيبكم الرب أخبركم به» (٣).

«وقالوا إنا قد أرسلنا إليكم فضة فابتاعوا بالفضة محرقات وذبائح للخطية ولبانا واصنعوا تقادم وقدموها على مذبح الرب الهنا، وصلوا من أجل حياة نبوخذ نصر ملك بابل وحياة بلشصر ابنه... فيؤتينا الرب قوة وينير عيوننا ونحيا... ونحن نائلون لديهما حظوة، وصلوا من أجلنا إلى الرب إلهنا، فانا قد خطئنا إلى الرب الهنا ولم يرتد سخط الرب وغضبه هنا إلى هذا اليوم» (٤).

يقول النبى حزقيال بلسان الله : «وطلبت من بينهم رجلا يبنى جدارا ويقف فى الثغر أمامى عن الأرض لكيلا أخربها، فلم أجد» (٥).

دانيال (فى مدينة أورشليم وبنى اسرائيل) :

«فوجهت وجهى إلى الله السيد طالبا بالصلاة والتضرعات بالصوم والمسح والرماد وصليت إلى الرب إلهى واعترفت وقلت.. يا سيد حسب كل رحمتك أصرف سخطك وغضبك عن مدينتك أورشليم جبل قدسك إذ لخطايانا ولآثام آبائنا صارت أورشليم وشعبك عارا عند جميع الذين حولنا، فاسمع الآن يا إلهنا صلاة عبدك وتضرعاته واضئ بوجهك على مقدسك الخرب

---

(١) إر ٢٩ : ١ – ٧.
(٢) إر ٣٧ : ٣.
(٣) إر ٤٢ : ١ – ٤.
(٤) باروخ ١ : ١٠ – ١٣.
(٥) حز ٢٢ : ٢٣.

من أجل السيد، أمل أذنك يا إلهى واسمع، افتح عينيك وأنظر خربنا والمدينة التى دعى اسمك عليها لأنه لا لأجل برنا نطرح تضرعاتنا أمام وجهك بل لأجل مراحمك العظيمة... ياسيد اسمع، ياسيد اغفر، ياسيد أصغ واصنع، لا تؤخر من أجل نفسك يا إلهى لأن اسمك دعى على مدينتك وعلى شعبك»...

وبينما أنا أتكلم وأصلى واعترف بخطيتى وخطية شعبى اسرائيل وأطرح تضرعى أمام الرب إلهى عند جبل قدس إلهى... إذا بالرجل جبرائيل لمسنى... وفهمنى وتكلم معى.. (١).

عاموص النبى (فى بنى اسرائيل) :

«هكذا أرانى السيد الرب وإذا هو يصنع جرادا فى أول طلوع خلف العشب... وحدث لما فرغ (الجراد) من أكل عشب الأرض أنى قلت أيها السيد الرب اصفح، كيف يقوم يعقوب فإنه صغير، فندم الرب على هذا، لا يكون قال الرب.

«هكذا أرانى السيد الرب وإذا السيد الرب قد دعا للمحاكمة بالنار، فأكلت الغمر العظيم وأكلت الحقل، فقلت أيها السيد الرب: كف ، كيف يقوم يعقوب فانه صغير فندم الرب على هذا، فهو أيضا لا يكون، قال السيد الرب» (٢).

اليهود (فى بعضهم البعض) :

«إلى الأخوة اليهود الذين فى مصر سلام. إليكم من الأخوة الذين فى أورشليم وبلاد اليهودية أطيب السلام، ليباركم الله... وليستجيب لصلواتكم... ونحن ههنا نصلى من أجلكم» (٣).

أونيا الكاهن الأعظم (فى هليودورس) :

«وتراءى أيضا لهليودورس فتيان عجيبا القوة بديعا البهاء حسنا اللباس، فوقفا على جانبيه يجلدانه جلدا متواصلا حتى أثخناه بالضرب، فسقط لساعته على الأرض....

فبادر بعض أصحاب هليودورس وسألوا أونيا أن يبتهل إلى العلى ويمن عليه بالحياة، إذ كان قد أصبح على آخر رمق، فخالج قلب الكاهن الأعظم أن الملك ربما اتهم اليهود بمكيدة كادوها لهليودورس، فقدم الذبيحة من أجل خلاص الرجل، وبينما الكاهن الأعظم يقدم الكفارة اذ عاد ذاك الفتيان فظهرا لهليودورس بلباسهما الأول ووقفا وقالا : عليك بجزيل الشكر لأونيا الكاهن الأعظم، فان الرب قد من عليك بالحياة من أجله» (٤).

---

(١) دا ٩ : ١ – ٢٧ (٢) عا ٧ : ١ – ٦. (٣) ٢. مكا ١ : ١ – ٦. (٤) ٢. مكا ٣ : ٢٦ – ٣٣.

شفاعة أو بركة البعض تنفع إخوتهم وبنيهم :

«يابنى اسرائيل إرجعوا إلى الرب إله ابراهيم واسحق واسرائيل، فيرجع إلى الناجين الباقين لكم من يد ملك أشور... لأنه برجوعكم إلى الرب يجد إخوتكم وبنوكم رحمة أمام الذين يسبونهم فيرجعون إلى هذه الأرض» (١).

ويقول الحكيم سليمان : ببركة المستقيمين تعلو المدينة (٢).

(ب) شفاعة المنتقلين فى المجاهدين :

هذه الشفاعة كما يتضح من طقوس الأمة الموسوية تتخذ صورتين :

الأولى : أن يستشفع المجاهدين بالمنتقلين، فيترضون وجه الرب بأن يذكر هؤلاء القديسين ويرحمهم من أجلهم.

والثانية : أن يتفضل الرب الإله فيبين كرامة المنتقلين فى عينيه، فيصفح أو يرحم المجاهدين من أجلهم.

(١) استشفاع الأحياء المجاهدين بالقديسين المنتقلين :

موسى بابراهيم واسحق ويعقوب :

«فتضرع موسى أمام الرب إلهه، وقال : لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك... ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك، اذكر ابراهيم واسحق واسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك، وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطى نسلكم كل هذه الأرض التى تكلمت عنها... فندم الرب على الشر الذى قال أنه يفعله بشعبه» (٣).

«وصليت للرب وقلت، ياسيد الرب : لا تهلك شعبك وميراثك الذى فديته بعظمتك. اذكر ابراهيم واسحق ويعقوب، لا تلتفت إلى غلاظة هذا الشعب واثمه وخطيته...» (٤).

إيليا النبى بابراهيم واسحق واسرائيل :

«وكان عند اصعاد التقدمة أن ايليا النبى تقدم وقال : أيها الرب إله ابراهيم واسحق واسرائيل... استجبنى يارب استجبنى ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله. فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة» (٥).

---

(١) ٢. أى ٣٠ : ٦ – ٩. (٢) أم ١١ : ١١. (٣) خر ٣٢ : ١١ – ١٤.
(٤) تث ١٩ : ٢٦، ٢٧. (٥) ١. مل ١٨ : ٣٦ – ٣٨.

داود النبى بابراهيم واسحق واسرائيل :

«وبارك داود الرب... وقال... مبارك أنت أيها الرب إله اسرائيل أبينا من الأزل وإلى الأبد... ولكن من أنا ومن شعبى حتى نستطيع أن ننتدب هكذا... يارب إله إبراهيم وإسحق وإسرائيل آبائنا، احفظ هذه إلى الأبد فى تصور أفكار قلوب شعبك وأعد قلوبهم نحوك» (١).

سليمان (بأبيه داود) :

«أيها الرب الإله : لا ترد وجه مسيحك، اذكر مراحم داود عبدك» (٢).

«من أجل داود عبدك لا ترد وجه مسيحك» (٣).

سليمان (بالقديسين جميعا) :

«يا إله الآباء (٤)... يارب الرحمة، هب لى الحكمة... ولا ترذلنى من بين بنيك» (٥).

إشعياء النبى (بقديسى اسرائيل) :

«لماذا أضللتنا يارب عن طريقك... ارجع من أجل عبيدك أسباط ميراثك» (٦).

الفتية الثلاثة (بإبراهيم وإسحق وإسرائيل) :

«مبارك أنت أيها الرب إله آبائنا... والآن لنا أن نفتح أفواهنا، فقد صرنا خزيا وعارا لعبيدك فلا تخذلنا إلى الانقضاء لأجل اسمك ولا تنقض عهدك، ولا تصرف رحمتك عنا لأجل إبراهيم خليلك وإسحق عبدك وإسرائيل قديسك» (٧).

(٢) الرب يرحم ويخلص ويستجيب من أجل القديسين المنتقلين :

أولا : يبدو من نصوص الوحى أن السيد الرب يفخر بأنه إله القديسين تمجيدا لهم واعتزازا بهم واظهارا لكرامتهم عنده :

---

(١) ١. أى ٢٩ : ١٠ – ١٨ ، راجع ٢. أى ٦ : ١٢ ، ١٤. (٢) ٢. أى ٦ : ٤٢. (٣) مز ١٣٢ : ١٠.

(٤) فى قول سليمان يا إله الآباء، وقول موسى وايليا وداود : يا إله ابراهيم واسحق واسرائيل (يعقوب)، استعطاف واسترحام أن يجيب الرب من أجل هؤلاء المحبوبين لديه، فهو تذكير للرب بقديسيه فتفتح شهيته للرحمة لأن مسرته بهم. وهو دليل أيضا على روح الإتضاع فى الصلاة إذ أن المصلين يحسبون أنفسهم بلا دالة أمام الله وأن القديسين الآخرين خير منهم وأقرب إلى الله منهم. فإذا كنا نقول فى العهد الجديد (يا إله مريم... يا إله مارجرجس) أعنا أجمعين فنحن لا نخرج عن مسلك رجال الكتاب المقدس وأنبيائه القديسين موسى وايليا وداود.

(٥) حك ٩ : ١ – ٤. (٦) إش ٦٣ : ١٧. (٧) دا ٣ : ٢٦ ، ٣٣ – ٣٥.

«ثم قال (لموسى) أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب» (١).

ثانيا : ويبدو من النصوص أيضا أن الرب يصنع خيرا بالمجاهدين من أجل المنتقلين...

(يرحم سليمان من أجل داود) :

«فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها فانى أمزق المملكة عنك تمزيقا وأعطيها لعبدك. إلا أنى لا أفعل ذلك فى أيامك **من أجل داود أبيك** بل من يد ابنك أمزقها. على أنى لا أمزق منك المملكة كلها، بل أعطى سبطا واحدا لإبنك **لأجل داود عبدى** ولأجل أورشليم التى اخترتها» (٢).

«وقال (النبى أخيا الشيلونى) ليربعام خذ لنفسك عشر قطع (من الاثنتى عشرة قطعة التى مزق اليها ثوب يربعام) لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل : هأنذا أمزق المملكة من يد سليمان وأعطيك عشرة أسباط ويكون له سبط واحد **من أجل عبدى داود** ومن أجل أورشليم المدينة التى اخترتها من كل أسباط إسرائيل، لأنهم تركونى وسجدوا لعشتروث إلاهة الصيدونيين... ولا آخذ كل المملكة من يده بل أصيره رئيسا كل أيام حياته **لأجل داود عبدى** الذى اخترته» (٣).

(يرحم أبيام من أجل داود) :

«ملك أبيام على يهوذا... وسار فى جميع خطايا أبيه التى عملها قبله ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه... **ولكن لأجل داود** أعطاه الرب إلهه سراجا فى أورشليم إذ أقام ابنه بعده وثبت أورشليم» (٤).

(يرحم سبط يهوذا من أجل داود) :

«ملك يهورام بن يهوشافاط ملك يهوذا... وسار فى طريق ملوك اسرائيل كما فعل بيت آخاب لأن بنت آخاب كانت له امرأة، وعمل الشر فى عينى الرب ولم يشأ الرب أن يبيد يهوذا **من أجل داود عبده** كما قال انه يعطيه سراجا ولبنيه كل الأيام» (٥).

---

(١) خر ٣ : ٦، خر ٤ : ٥ ، خر ٣ : ١٥ ، خر ٣ : ١٦.
(٢) ١. مل ١١ : ٢١ – ١٣.
(٣) ١. مل ١١ : ٢٩ – ٣٤.
(٤) ١. مل ١٥ : ١ – ٤.
(٥) ٢. مل ٨ : ١٦ – ١٩ راجع أيضا ٢. أى ٢١ : ٧.

(يقيم ميتا اكراما لأليشع النبى) :

«ومات أليشع فدفنوه، وكان غزاة موآب تدخل على الأرض عند دخول السنة، وفيما كانوا يدفنون رجلا إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل فى قبر أليشع فلما نزل الرجل ومس عظام اليشع عاش وقام على رجليه» (١).

(يخلص إسرائيل من أجل عهده مع إبراهيم) :

وأما حزائيل ملك آرام فضايق إسرائيل كل أيام يهوأحاز، فحن الرب عليهم ورحمهم، والتفت إليهم لأجل عهده مع إبراهيم وإسحق ويعقوب، ولم يشأ أن يستأصلهم ولم يطرحهم عن وجهه حتى الآن» (٢).

(يحمى أورشليم من أجل داود) :

«لذلك هكذا قال الرب عن ملك أشور (سنحاريب) لا يدخل هذه المدينة ولا يرمى هناك سهما ولا يتقدم عليها بترس ولا يقيم عليها مترسة... وأحامى عن هذه المدينة لأخلصها من أجل نفسى **ومن أجل داود عبدى**» (٣).

«ارجع (يا إشعياء) وقال لحزقيا رئيس شعبى هكذا قال الرب إله داود أبيك، قد سمعت صلاتك، قد رأيت دموعك، هانذا أشفيك... وأنقذك من يد ملك أشور مع هذه المدينة، وأحامى عن هذه المدينة من أجل نفسى **ومن أجل داود عبدى** (٤).

ثالثا : ان المنتقلين يشفعون بالصلاة من أجل الأحياء المجاهدين:

«ثم قص (يهوذا المكابى) عليهم، رؤيا يقينية تجلت له فى الحلم فشرح بها صدورهم أجمعين، وهذه هى الرؤيا : قال رأيت أونيا الكاهن الأعظم رجل الخير والصلاح المهيب المنظر الحليم الأخلاق صاحب الأقوال الرائعة المواظب منذ صبائه على جميع ضروب الفضائل باسطا يديه ومصليا لأجل جماعة اليهود بأسرها. ثم تراءى لى رجل كريم الشيبه أغر البهاء، عليه جلالة عجيبة سامية. فأجاب أونيا وقال : هذا محب الإخوة المكثر من الصلوات لأجل الشعب والمدينة المقدسة إرميا نبى الله» (٥).

---

(١) ٢. مل ١٣ : ٢٠ ، ٢١.

(٢) ٢. مل ١٣ : ٢٢ ، ٢٣.

(٣) ٢. مل ١٩ : ٣٢ – ٣٤.

(٤) ٢. مل ٢٠ : ٥ ، ٦ راجع أيضا إش ٣٧ : ٣٥.

(٥) ٢. مكا ١٥ : ١١ – ١٤.

رابعاً : اكرامنا للقديسين ومناجاتنا لهم اكبار واجلال فى الآن نفسه لله الذى يحبونه :

«فلما رأى أحيور رأس اليفانا ارتاع خوفا وسقط بوجهه على الأرض وهلعت نفسه وبعدما ثابت إليه روحه وانتعش خر قدامها ساجدا لها، وقال : مباركة أنت من إلهك فى كل خيام يعقوب، **وفى كل أمة يسمع فيها باسمك يعظم لأجلك إله إسرائيل»** (١).

خامساً : المنتقلون يمكنهم أن يعرفوا ما يتصل بالأحياء، وبالتالى يعرفون أحوالنا فيشفعون فينا :

(١) فى حياتهم (الأرضية) :

«فضلت أتن قيس أبى شاول، فقال قيس لشاول ابنه خذ معك واحدا من الغلمان وقم اذهب فتش عن الأتن، فعبر فى جبل أفرايم ثم... فلم يجدها، ولما دخلا أرض صوف، قال شاول لغلامه الذى معه : تعال نرجع لئلا يترك أبى الأتن ويهتم بنا، فقال له هوذا رجل الله فى هذه المدينة والرجل مكرم، كل ما يقوله يصير، لنذهب الآن إلى هناك لعله يخبرنا عن طريقنا التى نسلك فيها..

فأجاب صموئيل شاول... وأما الأتن الضالة لك منذ ثلاثة أيام فلا تضع قلبك عليها لأنها قد وجدت» (٢).

«قال جيحزى غلام أليشع رجل الله هوذا سيدى قد امتنع عن أن يأخذ من يد نعمان الأرامى هذا ما أحضره حى هو الرب انى أجرى وراءه وآخذ منه شيئا، فسار جيحزى وراء نعمان ولما رآه نعمان راكضا وراءه نزل عن المركبة للقائه، وقال : أسلام. فقال : سلام ان سيدى قد ارسلنى قائلا : هوذا فى هذا الوقت قد جاء إلى غلامان من جبل افرايم من بنى الأنبياء فاعطهما وزنة فضة وحلتى ثياب، فقال نعمان اقبل وخذ وزنتين وألح عليه وصر وزنتى فضة فى كيسين وحلتى ثياب ودفعها لغلاميه فحملاها قدامه، ولما وصل إلى الأكمة أخذها من أيديهما وأودعها فى البيت وأطلق الرجلين فانطلقا. وأما هو فدخل ووقف أمام سيده فقال له اليشع : من أين ياجيحزى فقال لم يذهب عبدك إلى هنا أو هناك، فقال له : ألم يذهب قلبى حين رجع الرجل من مركبته للقائك» (٣).

---

(١) يهو ١٣ : ٢٩ – ٣١. (٢) ١. صم ٩ : ٣ – ٢٠. (٣) ٢. مل ٥ : ٢٠ – ٢٦.

«وأما ملك آرام فكان يحارب اسرائيل وتآمر مع عبيده قائلا : فى المكان الفلانى تكون محلتى. فأرسل رجل الله إلى ملك اسرائيل يقول : احذر من أن تعبر بهذا الموضع لأن الآراميين حالون هناك، فأرسل ملك اسرائيل إلى الموضع الذى قال له عنه رجل الله وحذره منه، وتحفظ هناك لا مرة ولا مرتين : فاضطرب قلب ملك آرام من هذا الأمر ودعا عبيده، وقال لهم : أما تخبروننى من منا هو ملك اسرائيل. فقال واحد من عبيده ليس كذا ياسيدى الملك، ولكن أليشع النبى الذى فى اسرائيل يخبر ملك اسرائيل بالأمور التى تتكلم بها فى مخدع مضجعك» (١).

(٢) بعد انتقالهم :

ومات صموئيل وندبه كل اسرائيل... فاجتمع الفلسطينيون وجاءوا ونزلوا فى شونم... ولما رأى شاول جيش الفلسطينيين خاف واضطرب قلبه جدا... فقال... لعبيده فتشوا لى على امرأة صاحبة جان فاذهب إليها وأسالها... فقالت المرأة من أصعد لك، فقال : اصعدى لى صموئيل، فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم... فعلم شاول أنه صموئيل فخر على وجهه إلى الأرض وسجد، فقال صموئيل لشاول لماذا أقلقتنى بإصعادك إياى، فقال شاول قد ضاق بى الأمر جدا... فقال صموئيل... ويدفع الرب اسرائيل أيضا معك ليد الفلسطينيين وغدا أنت وبنوك تكونون معى... ويدفع الرب جيش اسرائيل أيضا ليد الفلسطينيين» (٢).

«وأتت إليه (إلى الملك يهورام) كتابة من ايليا النبى (وكان قد صعد حيا إلى السماء) (٣) تقول : هكذا قال الرب إله داود أبيك من أجل أنك لم تسلك فى طرق يهوشافاط أبيك... بل سلكت فى طرق ملوك اسرائيل... وقتلت أيضا إخوتك من بيت أبيك الذين هم أفضل منك... هوذا يضرب الرب شعبك وبيتك ونساءك وكل مالك ضربة عظيمة، وإياك بأمراض كثيرة بداء امعائك حتى تخرج أمعاؤك بسبب المرض يوما فيوما.

وبعد هذا كله ضربه الرب فى أمعائه بمرض ليس له شفاء وكان من يوم إلى يوم وحسب ذهاب المدة عند نهاية سنتين أن أمعاءه خرجت بسبب مرضه فمات بأمراض ردية ولم يعمل له شعبه حريقة كحريقة آبائه... وذهب غير مأسوف عليه» (٤).

---

(١) ٢. مل ٦ : ٨ – ١٢ راجع أيضا ٢. صم ١٢ : ١ – ١٤، دا ٢ : ١٩.

(٢) ١. صم ٢٨ : ٣ – ٢٠ راجع أيضا ١. صم ٣١ : ١ – ٥.

(٣) ٢. مل ٢ : ١ (٤) ٢. أى ٢١ : ١٢ – ٢٠.

(جـ) شفاعة المجاهدين فى المنتقلين :

الصلاة من أجل الراقدين :

«ثم جمع يهوذا (المكابى) جيشه وسار به إلى مدينة عدلام، ولما كان اليوم السابع تطهروا بحسب العادة وقضوا السبت هناك. وفى الغد جاء يهوذا ومن معه - على ما تقتضيه السنة - ليحملوا جثث القتلى ويدفنوهم مع ذوى قرابتهم فى مقابر آبائهم، فوجدوا تحت ثياب كل واحد من القتلى أنواطا من أصنام يمنيا مما تحرمه الشريعة على اليهود، فتبين للجميع أن ذلك كا ن سبب قتلهم، فسبحوا كلهم الرب الديان العادل الذى يكشف الخفايا ثم انثنوا يصلون ويبتهلون أن تمحى تلك الخطيئة المرتكبة كل المحو... وكان يهوذا النبيل يعظ القوم أن ينزهوا أنفسهم عن الخطيئة.

ثم جمع من كل واحد تقدمة، فبلغ المجموع ألفى درهم من الفضة، فأرسلها إلى أورشليم ليقدم بها ذبيحة عن الخطيئة وكان ذلك من أحسن الصنيع وأتقاه... لاعتقاده قيامة الموتى، لأنه لو لم يكن مترجيا قيامة الذين سقطوا لكانت صلاته من أجل الموتى باطلا وعبثا، ولاعتباره أن الذين رقدوا بالتقوى قد ادخر لهم ثواب جميل، وهو رأى مقدس وتقوى، ولهذا قدم الكفارة عن الموتى ليحلوا من الخطيئة» (١).

شفاعة الملائكة فى البشر :

أما شفاعة الملائكة فذات معنيين، اذ لما كانت الشفاعة بمعناها الاشتقاقى تفيد الالحاق، فبناء على ذلك يكون العون الذى يسعفنا به الملائكة نوعا من الشفاعة لأنه جهد ملحق إلى جهدنا لغوثنا، هذا هو المعنى الأول أو المعنى العام، ولكن شفاعة الملائكة تتخذ معنى آخر من ذلك وهو توسلات الملائكة وضراعتهم عنا.

أولا : شفاعة الملائكة فى معونتهم :

(١) الملائكة يحرسون المؤمنين والقديسين :

«فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر اسرائيل، وسار وراءهم... فلم يقترب هذا إلى ذاك (المصريين إلى الاسرائيليين، على قرب البحر الأحمر) كل الليل» (٢).

---

(١) ٢ . مكا ١٢ : ٣٨ - ٤٦ (٢) خر ١٤ : ١٩ ، ٢٠.

«فبكر خادم رجل الله وقام وخرج، وإذا جيش محيط بالمدينة وخيل ومركبات فقال غلامه له آه ياسيدى كيف نعمل، فقال لا تخف لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم... ففتح الرب عينى الغلام فأبصر، وإذا الجبل مملوء خيلا ومركبات نار حول أليشع» (١).

«لا تدع فمك يجعل جسدك يخطئ، ولا تقل أمام الملاك أنه سهو» (٢).

(٢) الملائكة يحفظون القديسين ويهيئون الطريق أمامهم ويقودونهم :

«ها أنا مُرسل ملاكا أمام وجهك، ليحفظك فى الطريق، وليجئ بك إلى المكان الذى أعددته، احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه... لأن اسمى فيه» (٣).

والآن اذهب أهد الشعب إلى حيث كلمتك، هوذا ملاكى يسير أمامك» (٤).

«فقال له الملاك هأنذا آخذ ابنك سالما وسأعود به إليك سالما، قال طوبيا (لولده وللملاك - فقد كان يجهل أنه ملاك) انطلقا بسلام، وليكن الله فى طريقكما، وملاكه يرافقكما» (٥).

«قالت يهوديت : سبحوا الرب إلهنا الذى لم يخذل المتوكلين عليه... حى الرب أنه حفظنى ملاكه فى مسيرى من ههنا وفى اقامتى هناك (عند اليفانا قائد جيش ملك أشور) وفى إيابى إلى هنا (اليهودية)» (٦).

«لأنك قلت أنت يارب ملجأى، جعلت العلى مسكنك، لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك، لأنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك، على الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك، على الأسد والصل تطأ، الشبل والثعبان تدوس» (٧).

(٣) يحملون إلى القديسين جواب طلباتهم :

«وصرخ بنو اسرائيل إلى الرب... وأتى ملاك الرب وجلس تحت البطمة... وجدعون كان يخبط حنطة فى المعصرة... فظهر له ملاك الرب وقال له : الرب معك ياجبار البأس... اذهب بقوتك هذه وخلص اسرائيل من كف مديان» (٨).

---

(١) ٢. مل ٦ : ١٥ - ١٧.
(٢) جا ٥ : ٦.
(٣) خر ٢٣ : ٢٠ ، ٢١.
(٤) خر ٣٢ : ٣٤.
(٥) طو ٥ : ٢٠ ، ٢١.
(٦) يهو ١٣ : ٢٠.
(٧) مز ٩١ : ٩ - ١٣.
(٨) قض ٦ : ٦ ، ١١ - ١٤.

«واذا بيد لمستنى وأقامتنى مرتجفا على ركبتى وعلى كفى يدى، وقال لى يادانيال : أيها الرجل المحبوب : افهم الكلام الذى اكلمك به وقم على مقامك، لأنى الآن أرسلت إليك، ولما تكلم معى بهذا الكلام قمت مرتعدا. فقال لى : لا تخف يادانيال لأنه من اليوم الأول الذى جعلت فيه قلبك للفهم ولاذلال نفسك قدام إلهك، سمع كلامك وأنا أتيت لأجل كلامك، ورئيس مملكة فارس وقف مقابلى واحدا وعشرين يوما، وهوذا ميخائيل من الرؤساء الأولين جاء لإعانتى، وأنا أبقيت هناك عند ملوك فارس، وجئت لأفهمك ما يصيب شعبك فى الأيام الأخيرة» (١).

(٤) الملائكة يطمئنون القديسين ويبشرونهم بالخير :

«فتراءى ملاك الرب للمرأة (أم شمشون) وقال لها : ها أنت عاقر لم تلدى ولكنك تحبلين وتلدين ابنا... وهو يبدأ يخلص اسرائيل من يد الفلسطينيين» (٢).

(٥) الملائكة يباركون القديسين :

«يعقوب... جاهد مع الملاك وغلب : بكى واسترحمه» (٣).

(٦) الملائكة يرشدون القديسين ويعلمونهم :

«وكان لما رأيت أنا دانيال الرؤيا وطلبت المعنى، إذا بشبه انسان واقف قبالتى، وسمعت صوت انسان بين أولاى، فنادى وقال : ياجبرائيل، فهم هذا الرجل الرؤيا، فجاء إلى حيث وقفت... فقال لى افهم يا ابن آدم. وقال هانذا أعرفك ما يكون فى آخر السخط..» (٤).

«وأنا متكلم بعد بالصلاة، إذا بالرجل جبرائيل... لمسنى عند وقت تقدمة المساء، وفهمنى وتكلم معى وقال : يا دانيال إنى خرجت الآن لأعلمك الفهم» (٥).

«رأيت فى الليل واذا برجل راكب على فرس أحمر وهو واقف بين الآس الذى فى الظل وخلفه خيل حمر وشقر وشهب، فقلت ياسيدى ما هؤلاء. فقال لى الملاك الذى كلمنى : أنا أريك هؤلاء» (٦).

---

(١) دا ١٠ : ١٠ – ١٤.
(٢) قض ١٣ : ٣ – ٢١.
(٣) هو ١٢ : ٤.
(٤) دا ٨ : ١٥ – ١٩.
(٥) دا ٩ : ٢١، ٢٢، دا١٠ : ١١، دا ١٢ : ٦.
(٦) زك ١ : ٨ – ١١.

«فرجع الملاك الذى كلمنى وأيقظنى كرجل أوقظ من نومه، وقال لى ماذا ترى؟ فقلت قد نظرت واذا بمنارة كلها ذهب وكوزها على رأسها، وعندها زيتونتان احداهما عن يمين والكوز الأخرى عن يساره. فأجبت وقلت للملاك الذى كلمنى قائلا : ما هذهْ ياسيدى، فأجاب الملاك الذى كلمنى وقال لى : أما تعلم ما هذه، فقلت لا ياسيدى، فأجاب وكلمنى قائلا : هذه كلمة الرب إلى زربابل قائلا : لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحى قال رب الجنود..» (١).

«فعدت ورفعت عينى ونظرت واذا بأربع مركبات خارجات من بين جبلين والجبلان جبلا نحاس. فى المركبة الأولى خيل حمر وفى المركبة الثانية خيل دهم وفى المركبة الثالثة خيل شهب، وفى المركبة الرابعة خيل منمرة شقر، فأجبت وقلت للملاك الذى كلمنى ماهذه ياسيدى فأجاب وقال : هذه هى أرواح السماء الأربع خارجة من الوقوف لدى سيد الأرض كلها» (٢).

(٧) يهيئون للقديسين حاجات الجسد :

«واضطجع (ايليا النبى) ونام تحت الرتمة، وإذا بملاك الرب قد مسه وقال قم وكل، فتطلع وإذا كعكة رضف وكوز ماء عند رأسه، فأكل وشرب ثم رجع فاضطجع، ثم عاد ملاك الرب ثانية فمسه وقال : قم وكل، لأن المسافة كثيرة عليك، فقام وأكل وشرب وسار بقوة تلك الأكلة أربعين نهارا وأربعين ليلة» (٣).

«وكان (دانيال) هناك (فى الجب) ستة أيام... وكان حبقوق النبى فى أرض يهوذا، وكان قد طبخ طبيخا وفت خبزا فى جفنه وانطلق إلى الصحراء ليحمله إلى الحصادين فقال ملاك الرب لحبقوق احمل الغذاء الذى معك إلى بابل إلى دانيال فى جب الأسود، فقال حبقوق : أيها السيد، إنى لم أر بابل قط ولا أعرف الجب، فأخذ ملاك الرب بجمته وحمله بشعر رأسه ووضعه فى بابل عند الجب باندفاع روحه، فنادى حبقوق قائلا : يا دانيال يا دانيال خذ الغذاء الذى أرسله لك الله فقال دانيال اللهم لقد ذكرتنى ولم تخذل الذين يحبونك، وقام دانيال وأكل ورد ملاك الرب حبقوق من ساعته إلى موضعه» (٤).

---

(١) زك ٤ : ١ – ٧ ، زك ٥ : ٥ – ١٠.

(٢) زك ٦ : ١ – ٨.

(٣) ١. مل ١٩ : ٥ – ٩.

(٤) دا ١٤ : ٣٠ – ٣٨.

(٨) يحاربون الشياطين فى سبيل معونة القديسين :

«فقال لى لا تخف يا دانيال : لأنه من اليوم الأول الذى فيه جعلت قلبك للفهم ولاذلال نفسك قدام الهك، سمع كلامك، وأنا أتيت لأجل كلامك، ورئيس مملكة فارس وقف مقابلى واحدا وعشرين يوما، وهوذا ميخائيل واحد من الرؤساء الأولين جاء لإعانتى.. وجئت لأفهمك ما يصيب شعبك فى الأيام الأخيرة.

وقال لا تخف أيها الرجل المحبوب، سلام لك، تشدد تقو، ولما كلمنى تقويت وقلت ليتكلم سيدى لأنك قويتنى، فقال هل عرفت لماذا جئت إليك، فالآن أرجع وأحارب رئيس فارس، فاذا خرجت هوذا رئيس اليونان يأتى» (١).

«وأرانى يهوشع الكاهن العظيم قائما قدام ملاك الرب، والشيطان قائم عن يمينه ليقاومه، فقال الرب للشيطان : لينتهرك الرب يا شيطان، لينتهرك الرب الذى اختار أورشليم» (٢).

(٩) الملائكة يطاردون أعداد القديسين :

«وقال الرب لموسى : اذهب اصعد من هنا... وأنا أرسل أمامك ملاكا، وأطرد الكنعانيين والأموريين...» (٣).

«فحمى غضب الله لأنه (بلعام بن بعور) منطلق (مع رؤساء موآب) ووقف ملاك الرب فى الطريق ليقاومه وهو راكب على أتانه وغلاماه معه، فأبصرت الأتان ملاك الرب واقفا فى الطريق وسيفه مسلول فى يده، فمالت الأتان عن الطريق ومشت فى الحقل، فضرب بلعام الأتان ليردها إلى الطريق، ثم وقف ملاك الرب فى خندق للكروم له حائط من هنا وحائط من هناك فلما أبصرت الأتان ملاك الرب زحمت الحائط وضغطت رجل بلعام بالحائط فضربها أيضا، ثم اجتاز ملاك الرب أيضا ووقف فى مكان ضيق حيث ليس سبيل للنكوب يمينا أو شمالا، فلما أبصرت الأتان ملاك الرب ربضت تحت بلعام، فحمى غضب بلعام، وضرب الأتان بالقضيب... ثم كشف الرب عن عينى بلعام فأبصر ملاك الرب واقفا فى الطريق وسيفه مسلول فى يده، فخر ساجدا على وجهه، فقال له ملاك الرب : لماذا ضربت أتانك الآن ثلاث دفعات هأنذا قد خرجت للمقاومة لأن الطريق ورطة أمامى، فأبصرتنى الأتان ومالت من قدامى الآن ثلاث دفعات ولو لم تمل من قدامى لكنت الآن قد قتلتك واستبقيتها» (٤).

---

(١) دا ١٠ : ١١ – ٢٠. (٢) زك ٣ : ١ ، ٢.

(٣) خر ٣٣ : ٢. (٤) عدد ٢٢ : ٢٢ – ٣٣ (راجع به : ١١).

«وحدث لما كان يشوع عند أريحا أنه رفع عينيه ونظر، وإذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده، فسار يشوع إليه وقال له هل لنا أنت أو لأعدائنا؟ فقال كلا بل أنا رئيس جند الرب، الآن أتيت» (١).

«وكان فى تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب من جيش أشور مائة ألف وخمسة وثمانين ألفا، ولما بكروا صباحا إذا هم جميعا جثث ميتة» (٢).

«فصلى حزقيا الملك وإشعيا بن آموص النبى لذلك وصرخا إلى السماء فأرسل الرب ملاكا فأباد كل جبار بأس ورئيس وقائد فى محلة ملك أشور» (٣).

«ليخز ويخجل الذين يطلبون نفسى، ليرتد إلى الوراء ويخجل المتفكرون باساءتى ليكونوا مثل العصافة قدام الريح، وملاك الرب داحرهم، ليكن طريقهم ظلاما وزلقا، وملاك الرب طاردهم» (٤).

«أرسل عليهم حمو غضبه، سخطا ورجزا وضيقا، جيش ملائكة أشرار» (٥).

(١٠) الملائكة ينقذون القديسين من الشرور :

«فصرخنا إلى الرب، وأرسل ملاكا، وأخرجنا من مصر» (٦).

«فأجاب نبوخذ نصر وقال : تبارك إله شدرخ وميشخ وعبدنغو الذى أرسل ملاكه وأنقذ عبيده الذين اتكلوا عليه» (٧).

«ثم قام الملك باكرا عند الفجر وذهب مسرعا إلى جب الأسود، فلما اقترب إلى الجب نادى دانيال بصوت أسيف. أجاب الملك وقال لدانيال : يا دانيال عبد الله الحى هل الهك الذى تعبده دائما قدر على أن ينجيك من الأسود ؟ فتكلم دانيال مع الملك : يا أيها الملك عش إلى الأبد، إلهى أرسل ملاكه، وسد أفواه الأسود فلم تضرنى» (٨).

---

(١) يش ٥ : ١٣ ، ١٤.
(٢) ٢. مل ١٩ : ٣٥.
(٣) ٢. أى ٣٢ : ٢٠ ، ٢١.
(٤) مز ٣٥ : ٤ – ٦.
(٥) مز ٧٨ : ٤٩.
(٦) عدد ٢٠ : ١٦.
(٧) دا ٣ : ٢٨.
(٨) دا ٦ : ١٩ – ٢٢.

(١١) الملائكة يخلصون القديسين من الشدائد والضيقات :

«ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم» (١).

«فى كل ضيقهم تضايق، وملاك حضرته خلصهم» (٢).

(١٢) الملائكة يستطيعون أن يعينوا البشر ويوجهوهم ويخلصوهم من الضوائق والشدائد :

أولا : إذ هم حكماء :

فلقد أراد يوآب أن يمتدح الملك داؤد فقال بلسان المرأة التى بعث بها إليه أو بما عبرت هى من قبل نفسها فقالت «وسيدى حكيم كحكمة ملاك الله ليعلم كل ما فى الأرض» (٣).

ثانياً : إذ هم أقوياء مقتدرون :

«باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة، الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه» (٤).

ثالثا : إذ هم يتصفون بالسرعة فى انجاز خدماتهم وصروف اعانتهم :

«باركى يا نفسى الرب. الصانع ملائكته رياحا، وخدامه نارا ملتهبة» (٥).

ثانياً : شفاعة الملائكة ووساطتهم فى الصلوات :

قضية لا جدال فيها أن الملائكة أرفع من البشر مرتبة من حيث طبيعتهم النورانية (٦) ومن حيث شرف حظوتهم بالقرب من العرش، فهم لذلك وسطاء السماء لدى الأرض، ووسطاء الأرض لدى السماء، يصعدون إلى الله بصلوات القديسين وينزلون منه إليهم بالغوث والنعمة والبركة، وهذا هو معنى الحلم الذى رآه أبونا يعقوب (٧)، ولهذا أيضا كان الملائكة واسطة تبليغ الناموس فى العهد القديم «مركبات الله ربوات ألوف مكررة، الرب فيها، سينا فى القدس(٨) وقد

(١، ٢) مز ٣٤ : ٧ و إش ٦٣ : ٩ فاذا كنا نناجى مثلا رئيس الملائكة ميخائيل قائلين «خلصنى يا ملاك ميخائيل، أو نجنى يارئيس الملائكة «فالمعنى هو طلب الخلاص من الشدائد الروحية أو الجسدية، ولا علاقة لهذا الخلاص بالخلاص الذى قام به السيد المسيح بعملية الصليب هذا وأسلوب المناجاة للملاك لا يخرج عن مضمون هاتين الآيتين اللتين أوردناهما فى المتن. فتأمل...

(٣) ٢. صم ١٤ : ٢٠ (٤) مز ١٠٣ : ٢٠.

(٥) مز ١٠٤ : ٤ ، ٢. مل ٢ : ١١ ، ٢. مل ٦ : ١٧. (٦) راجع مز ٨ : ٥.

(٧) تك ٢٨ : ١٢. (٨) مز ٦٨ : ١٧.

قال استفانوس رئيس الشمامسة موبخا اليهود : «الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه» (١) وقال القديس بولس : «وقد أعطى الناموس عن طريق ملائكة (٢)، وقال أيضا «لأنه إن كانت الكلمة التى تكلم بها ملائكة قد صارت ثابتة، وكل تعد ومعصية نال مجازاة عادلة، فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصا هذا مقداره، قد ابتدأ الرب بالتكلم به» (٣).

(١) الملائكة يرفعون صلوات القديسين إلى السماء، وإلى الله :

«فقال (جدعون لملاك الرب) : لا تبرح من ههنا حتى آتى اليك وأخرج تقدمتى وأضعها أمامك، فقال انى ابقى حتى ترجع، فدخل جدعون وعمل جدى معزى وأيفه دقيق فطيرا، أما اللحم فوضعه فى سل، وأما المرق فوضعه فى قدر، وخرج بها إليه إلى تحت البطمة وقدمها، فقال له ملاك الله : خذ اللحم والفطير وضعهما على تلك الصخرة واسكب المرق. ففعل كذلك، فمد ملاك الرب طرف العكاز الذى بيده ومس اللحم والفطير، فصعدت نار من الصخرة وأكلت اللحم والفطير، وذهب ملاك الرب عن عينيه، فرأى جدعون أنه ملاك الرب» (٤).

«فقال منوح لملاك الرب : دعنا نعوقك ونعمل لك جدى معزى. فقال ملاك الرب لمنوح : ولو عوقتنى لا آكل من خبزك، وإن عملت محرقة فللرب أصعدها، لأن منوح لم يعلم أنه ملاك الرب... فأخذ منوح جدى المعزى والتقدمة وأصعدهما على الصخرة للرب، فعمل عملا عجيبا - ومنوح وامرأته ينظران، فكان عند صعود اللهيب عن المذبح نحو السماء أن ملاك الرب صعد فى لهيب المذبح، ومنوح وامرأته ينظران، فسقطا على وجهيهما إلى الأرض، ولم يعد ملاك الرب يتراءى لمنوح وامرأته، حينئذ عرف منوح أنه ملاك الرب. فقال منوح لإمرأته : نموت موتا لأننا قد رأينا الله، فقالت له إمرأته لو أراد الرب أن يميتنا لما أخذ من يدنا محرقة وتقدمة، ولما أرانا كل هذه» (٥).

«وحينئذ خاطبهما (الملاك رافائيل إلى طوبيا وإمرأته) : «أما أنا فأعلن لكما الحق وما أكتم عنكما أمرا مستورا، انك (ياطوبيا) حين كنت تصلى بدموع وتدفن الموتى، وتترك طعامك وتخبئ الموتى فى بيتك نهارا وتدفنهم ليلا، كنت أنا أرفع صلاتك إلى الرب» (٦).

---

(١) أع ٧ : ٥٣.
(٢) غل ٣ : ١٩.
(٣) عب ٢ : ٢ راجع أيضا خر ٣٣ : ٢.
(٤) قض ٦ : ١٨ - ٢٢.
(٥) قض ١٣ : ١٥ - ٢٣
(٦) طو ١٢ : ١٢.

(٢) الملائكة يشفعون فينا بضراعتهم وصلواتهم عنا :

جاء فى سفر دانيال : «وفى ذلك الوقت، يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبنى شعبك» (١).

وجاء فى سفر زكريا النبى : «فأجاب ملاك الرب وقال : يارب الجنود، إلى متى أنت لا ترحم أورشليم ومدن يهوذا التى غضبت عليها هذه السبعين سنة؟... فأجاب الرب الملاك الذى كلمنى بكلام طيب وكلام تعزية. فقال لى الملاك الذى كلمنى : ناد قائلا : هكذا قال رب الجنود: غرت على أورشليم وعلى صهيون غيرة عظيمة... لذلك هكذا قال الرب : قد رجعت إلى أورشليم بالمراحم، فبيتى يبنى فيها يقول رب الجنود، ويمد المطمار على أورشليم، ناد أيضا وقل: هكذا قال رب الجنود إن مدنى تفيض بعد خيرا، والرب يعزى صهيون بعد، ويختار بعد أورشليم» (٢).

---

(١) دا ١٢ : ١.

(٢) زك ١ : ١٢ – ١٧ راجع أيضا زك ٢ : ٣ ، ٤، ٥.

الصلاة وخصائصها العامة شكلا وموضوعا

الصلاة فى حقيقتها ومعناها :

(١) دعاء إلى الله :

«لأنه أى شعب هو عظيم، له آلهة قريبة منه كالرب إلهنا فى كل أدعيتنا إليه» (١).

«عند دعائى استجب لى يا إله برى» (٢).

«الرب يسمع عندما أدعوه» (٣).

«استمع لصوت دعائى يا ملكى وإلهى» (٤).

«أدعو الرب الحميد فأتخلص من أعدائى» (٥).

«يارب خلص، ليستجب لنا الملك فى يوم دعائنا» (٦).

«إلهى فى النهار أدعو فلا تستجيب، فى الليل أدعو فلا هدو لى» (٧).

«بصوتى أدعو فارحمنى واستجب لى» (٨).

«من أقصى الأرض أدعوك إذا غشى على قلبى» (٩).

«أمل إليك أذنك فى يوم أدعوك» (١٠).

«أحمدوا الرب، أدعوا باسمه» (١١).

«وباسم الرب دعوت، آه يارب نج نفسى» (١٢).

«وباسم الرب أدعو» (١٣).

«دعوتك خلصنى، فاحفظ شهاداتك» (١٤).

---

(١) تث ٤ :٧.
(٢) مز ٤ :١.
(٣) مز ٤ :٣.
(٤) مز ٥ :٢ راجع مز ١٤ :٤.
(٥) مز ١٨ :٣.
(٦) مز ٢٠ :٩.
(٧) مز ٢٢ :٢.
(٨) مز ٢٧ :٧.
(٩) مز ٦١ :٢ راجع مز ٧٩ :٦.
(١٠) مز ١٠٢ :١ ،٢.
(١١) مز ١٠٥ :١.
(١٢) مز ١١٦ :٤.
(١٣) مز ١١٦ :١٣ ،١٧.
(١٤) مز ١١٩ :١٤٦ ، إش ٤٣ :٢٢ ، إش ٦٤ :٧ ، إر ١٠ :٢٥ ، هو ٧ :٧.

«ويكون ان كل من يدعو باسم الرب ينجو» (١).

«حتى متى يارب أدعو وأنت لا تسمع» (٢).

(٢) رفع النفس إلى الله :

«إليك يارب أرفع نفسى» (٣).

«فرح نفس عبدك لأننى إليك يارب أرفع نفسى» (٤).

«عرفنى الطريق التى أسلك فيها، لأنى إليك رفعت نفسى» (٥).

(٣) رفع القلب إلى الله :

«لنرفع قلوبنا وأيدينا (أو على أيدينا) إلى الله فى السموات» (٦).

(٤) سكب القلب أو النفس قدام الله:

«فقال لها عالى : حتى متى تسكرين، انزعى خمرك عنك فأجابت حنه وقالت : لا ياسيدى، إنى إمرأة حزينة الروح ولم أشرب خمرا ولا مسكرا، بل أسكب نفسى أمام الرب» (٧).

«صارت لى دموعى خبزا، نهارا وليلا، إذ قيل لى كل يوم : أين الهك، هذه اذكرها، فاسكب نفسى علىّ» (٨).

«توكلوا عليه فى كل حين، ياقوم اسكبوا قدامه قلوبكم» (٩).

«قومى اهتفى فى الليل فى أول الهزع، اسكبى كمياه قلبك قبالة وجه السيد» (١٠).

(٥) سكب الشكوى أمام الله:

«اسكب أمامه شكواى، بضيقى قدامه أخبر» (١١).

---

(١) يو٢ : ٣٢.
(٢) حب ١ : ٢.
(٣) مز٢٥ : ١.
(٤) مز٨٦ : ٤.
(٥) مز١٤٣ : ٨.
(٦) مز٣ : ٤.
(٧) ١. صم ١ : ١٥.
(٨) مز٤٢ : ٤.
(٩) مز٦٢ : ٨.
(١٠) مز٢ : ٩.
(١١) مز١٤٢ : ٢ راجع مز١٠٢ ، إش٢٦ : ١٦.

(٦) طلب وجه الله:

«لك قال قلبى، قلت اطلبوا وجهى، وجهك يارب أطلب» (١).

«أطلبوا الرب وقدرته، التمسوا وجهه دائما» (٢).

(٧) تضرع إلى الله :

«فتضرع موسى أمام الرب إلهه» (٣).

«وتضرع يهوأحاز إلى وجه الرب، فسمع له الرب» (٤).

«إليك يارب أصرخ وإلى السيد أتضرع» (٥).

«اصغ يا الله إلى صلاتى ولا تتغاض عن تضرعى» (٦).

«اصغ يارب إلى صلاتى وانصت إلى صوت تضرعاتى» (٧).

«فاجتمع حينئذ هؤلاء الرجال فوجدوا دانيال يطلب ويتضرع قدام إلهه» (٨).

«فاسمع الآن يا الهنا صلاة عبدك وتضرعاته (٩) .... (١٠).

---

(١) مز ٢٧ : ٨

(٢) مز ١٠٥ : ٤، مز ٢٤ : ٦.

(٣) خر ٣٢ : ١١.

(٤) ٢. مل ١٣ : ٤.

(٥) مز ٣٠ : ٨.

(٦) مز ٥٥ : ١.

(٧) مز ٨٦ : ٦.

(٨) دا ٦ : ١١.

(٩) دا ٩ : ١٧.

(١٠) راجع أيضا : (١. صم ١٣ : ١٢) ، (١. مل ٨ : ٢٨ ، ٣٠) ، (١. مل ٩ : ٣)، (١. مل ١٣ : ٦) ، (٢. أى ٦ : ٢١) ، (مز ٢٨ : ٢) ، (مز ١١٦ : ١) ، (مز ١٣٠ : ٢) ، (مز ١٤٠ : ٦) ، (مز ١٤٢ : ١) ، (مز ١٤٣ : ١) ، (مز ١٤٥ : ١٩) ، (إر ٣ : ٢١) ، (إر ٣١ : ٩) ، (إر ٣٦ : ٧) ، (دا ٩ : ٣ ، ١٣ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٣) ، (صف ٣ : ١٠) ، (زك ١٢ : ١٠) ، (٢. مكا ٣ : ٢٢).

(٨) طلب من الله :-

«قد طلبنا الرب إلهنا، طلبناه فأراحنا من كل جهة» (١).

«طلبت إلى الرب فاستجاب لى، ومن كل مخاوفى أنقذنى» (٢).

«بكل قلبى طلبتك، لا تضلنى عن وصاياك» (٣) ..... (٤).

أو سؤال من الله :-

«فأجاب عالى (حنة) وقال : اذهبى بسلام، وإله اسرائيل يعطيك سؤلك الذى سألته من لدنه» (٥).

واحدة سألت من الرب واياها التمس، أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى لكى أنظر إلى جمال الرب واتفرس فى هيكله» (٦).

«اثنتين سألت منك فلا تمنعها عنى قبل أن أموت : ابعد عنى الباطل والكذب، لا تعطنى فقرا ولا غنى، أطعمنى خبز فريضتى لئلا أشبع وأكفر وأقول من هو الرب أو لئلا افتقر وأسرق واتخذ اسم إلهى باطلا» (٧).

«ولما علمت بأنى لا أكون عفيفا مالم يهبنى الله العفة، وقد كان من الفطنة أن أعلم ممن هذه الموهبة، توجهت إلى الرب وسألته من كل قلبى» (٨) ..... (٩).

---

(١) ٢. أى ١٤ : ٧. (٢) مز ٣٤ : ٤. (٣) مز ١١٩ : ١٠.

(٤) راجع أيضا (تث ٤ : ٢٩)، (٢. أى ١٥ : ٢)، (٢. أى ١٩ : ٣)، (عز ٦ : ٢١)، (مز ١٤ : ٢)، (مز ٢٢ : ٢٦)، (مز ٤٠ : ١٦)، (مز ٥٣ : ٣)، (مز ٦٩ : ٣٢)، (مز ٧٠ : ٤)، (مز ٨٩ : ٣٤)، (مز ٨٣ : ١٦)، (مز ١١٩ : ٢)، (أم ٧ : ١٥)، (أم ٢٨ : ٥)، (إش ١١ : ١٠)، (إش ٢١ : ١٢)، (إش ٤٥ : ١٩)، (إش ٥١ : ١)، (إش ٥٨ : ٢)، (إش ٦٥ : ١)، (إر ٢٩ : ١٣)، (هو ٣ : ٥)، (هو ٥ : ٦، ١٥)، (هو ٧ : ١٠)، (هو ١٠ : ١٢)، (عا ٥ : ٤)، (صف ١ : ٦)، (صف ٢ : ٣) (زك ٨ : ٢٢).

(٥) ١. صم ١ : ١٧. (٦) مز ٢٧ : ٤. (٧) أم ٣٠ : ٧.

(٨) حك ٨ : ٢١.

(٩) راجع أيضا : (١. مل ٣ : ٥)، (١. مل ٨ : ٢٢)، (٢. أى ١ : ٧)، (٢. أى ١٨ : ٧)، (عز ٧ : ٦)، (مز ٢ : ٨)، (مز ٢١ : ٤)، (مز ١٠٥ : ٤٠)، (جا ١ : ١٣)، (إش ٥٨ : ٢)، (إش ٦٥ : ١)، (حز ١٤ : ٣)، (حز ٢٠ : ١، ٣، ٣١).

(٩) ابتهال نحو السماء :-

«وانطرح الكهنة أمام المذبح بحللهم الكهنوتية يبتهلون نحو السماء إلى الذى سن فى الودائع أن تصان لمستودعها» (١).

(١٠) صراخ إلى السماء :-

«دخلت يهوديت معبدها ولبست مسحا وألقت رمادا على رأسها، وخرت أمام الرب وصرخت إلى الرب» (٢).

«فصلى حزقيا الملك وإشعياء بن آموص النبى ... وصرخا إلى السماء» (٣).

«أيها الرب القدير إله اسرائيل، قد صرخت إليك النفس فى المضايق والروح فى الكروب، فاسمع يارب وارحم» (٤).

«فصرخت سوسنة بصوت عظيم وقالت أيها الإله الأزلى» (٥).

الصلاة من حيث موضوعاتها :

إن الصلاة قد تكون تمجيدا أو شكرا أو استغاثة، وقد تكون هذه جميعا معا، وبعبارة أخرى أن المصلى قد يتخذ فى صلاته واحدا من هذه الموضوعات الرئيسية الثلاثة أو قد يجمعها كلها فى صلاة واحدة.

أولاً : صلاة التمجيد أو التعظيم أو التسبيح :

«الجلال والبهاء أمامه، العزة والبهجة فى مكانه، هبوا الرب يا عشائر الشعوب، هبوا الرب مجدا وعزة» (٦).

«يا خائفى الرب سبحوه، مجدوه ...» (٧).

«عظموا الرب معى، ولنعل اسمه معا» (٨).

---

(١) ٢. مكا ٣ : ١٥.
(٢) يهو ٩ : ١.
(٣) ٢. أى ٣٢ : ٢٠.
(٤) باروخ ٣ : ١.
(٥) دا ١٣ : ٤٢.
(٦) ١. أى ١٦ : ٢٨، ٢٩.
(٧) مز ٢٢ : ٢٣.
(٨) مز ٣٤ : ٣.

«يا رب أنت إلهى أعظمك، أحمد أسمك لأنك صنعت عجبا، مقاصدك منذ القديم أمانة وصدق» (١) ..... (٢).

ثانياً : صلاة الشكر والحمد :-

«والآن يا إلهنا نحمدك ونسبح اسمك الجليل» (٣).

«وكان لما صوت المبوقون والمغنون كواحد صوتا واحدا لتسبيح الرب وحده ورفعوا صوتا بالأبواق والصنوج والآت الغناء والتسبيح للرب... أن البيت بيت الرب امتلأ سحابا» (٤)، «أحمدك لأنك استجبت لى وصرت لى خلاصا» (٥).

«أحمدوا الرب لأنه إلى الأبد رحمته» (٦).

«حسن هو الحمد للرب والترنم لإسمك أيها العلى... لأنك فرحتنى يارب بصنائعك بأعمال يديك أبتهج» (٧).

«إياك يا إله آبائى أحمد وأسبح الذى أعطانى الحكمة والقوة» (٨) .... (٩).

ثالثاً : صلاة الطلب أو الاستغاثة :-

(١) طلب اتمام مواعيد الله :-

«اذكر ابراهيم واسحق واسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطى نسلكم كل هذه الأرض التى تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد» (١٠).

---

(١) إش ٢٥ : ١.
(٢) راجع أيضا (مز ٢٩ : ١، ٩)، (مز ٥٧ : ٥)، (مز ٦٩ : ٣٠)، (مز ٨٦ : ٩، ١٢)، (مز ١١٨ : ٢٨)، (إش ٤٢ : ١٢)، (إر ١٣ : ١٦)، ثم (دا ٣ : ٢٦ – ٩٠).
(٣) ١. أى ٢٩ : ١٣.
(٤) ٢. أى ٥ : ١٣.
(٥) مز ١١٨ : ١.
(٦) مز ١٣٦ ...
(٧) مز ٩٢ : ١ – ٣.
(٨) دا ٢ : ٢٣.
(٩) راجع أيضا (١. أى ٢٦ : ٧)، (١. أى ٢٣ : ٣٠)، (٢. أى ٣١ : ٢)، (نح ١١ : ١٧)، (نح ١٢ : ٣١، ٤٠)، (مز ١٨ : ٤٩)، (مز ٣٠ : ٤، ١٢)، (مز ٣٥ : ١٨)، (مز ٦٩ : ٣٠)، (مز ٧٥ : ١)، (مز ٩٥ : ٢)، (مز ٩٧ : ١٢)، (مز ١٠ : ٤)، (مز ١٠٥ : ١)، (مز ١٠٦ : ١)، (مز ١٠٧ : ١)، (مز ١١٦ : ١٧)، (دا ٦ : ١٠).
(١٠) خر ٣٢ : ١٣.

«والآن يا إله اسرائيل، فليتحقق كلامك الذى كلمت به عبدك داود أبى... لتكون عيناك مفتوحتين على هذا البيت ليلا ونهارا على الموضع الذى قلت إن اسمى يكون فيه» (١).

«أذكر لعبدك القول الذى جعلتنى أنتظره، هذه هى تعزيتى لأن قولك أحيانى» (٢).

(٢) طلب النعمة والبركة والخير :-

«ارفع علينا نور وجهك يارب» (٣).

«لا تطرحنى من قدام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه منى» (٤).

«يا إله الجنود ارجعنا وأنر بوجهك فنخلص» (٥).

«فلتصر رحمتك لتعزينى حسب قولك لعبدك» (٦).

«توبنى فأتوب، لأنك أنت الرب إلهى» (٧).

(٣) طلب الارشاد والتعليم :-

«طرقك يارب عرفنى، سبلك علمنى، دربنى فى حقك وعلمنى» (٨).

«علمنى يارب طريقك، واهدنى فى سبيل مستقيم» (٩).

«عرفنى يارب نهايتى ومقدار أيامى كم هى، فأعلم كيف أنا زائل» (١٠).

«وأنظر إن كان فيَّ طريق باطل، وأهدنى طريقا أبديا» (١١) ..... (١٢).

(٤) طلب السلام والفرح :-

«اسمعنى سرورا وفرحا فتبتهج عظام سحقتها» (١٣).

«ردّ لى بهجة خلاصك» (١٤)

«أما أنا فمسكين وكئيب، خلاصك يا الله فليرفعنى» (١٥)

---

(١) ١. مل ٨ : ٢٦، ٢. أى ٧ : ١٥، ٢. صم ٧ : ٢٥.
(٢) مز ١١٩ : ٤٩، ٥٠، مز ١١٩ : ٧٤، ٨١، ١١٤، ١٧٠.
(٣) مز ٤ : ٦. (٤) مز ٥١ : ١١. (٥) مز ٨٠ : ٧. (٦) مز ١١٩ : ٧٦.
(٧) أر ٣١ : ١٨. (٨) مز ٢٥ : ٤، ٥. (٩) مز ٢٧ : ١١. (١٠) مز ٣٩ : ٤.
(١١) مز ١٣٩ : ٢٤.
(١٢) راجع أيضا (مز ٥ : ٨)، (مز ١١٩ : ٢٧، ٣٢، ٣٣، ٦٤، ٦٨، ١٠٨، ١٢٤)، (مز ١٤٣ : ٨، ١٠).
(١٣) مز ٥١ : ٨ (١٤) مز ٥١ : ١٢ (١٥) مز ٦٩ : ٢٩

«اشبعنا بالغداة من رحمتك فنبتهج ونفرح كل أيامنا، فرحنا كالأيام التى فيها أذللتنا كالسنين التى رأينا فيها شرا» (١).

(٥) طلب الرحمة والمغفرة :-

أ - للنفس :

«يارب لا توبخنى بغضبك ولا تؤدبنى بسخطك، ارحمنى يارب لأنى ضعيف اشفنى يارب...» (٢).

«أنا قلت يارب ارحمنى، اشف نفسى لأنى قد أخطأت إليك» (٣).

«ارحمنى يا الله حسب رحمتك، حسب كثرة رأفتك أمح معاصى» (٤).

ب - للكنيسة والشعب :-

«لا تذكر علينا ذنوب الأولين، لتتقدمنا مراحمك سريعا لأننا قد تذللنا جدا، أعنا يا إله خلاصنا من أجل مجد اسمك ونجنا وأغفر خطايانا من أجل اسمك» (٥).

«أرجعنا يا إله خلاصنا وانف غضبك عنا، هل إلى الدهر تسخط علينا، هل تطيل غضبك إلى دور فدور. ألا تعود أنت فتحيينا فيفرح بك شعبك أرنا يارب رحمتك وأعطنا خلاصك» (٦).

«اسألوا سلامة أورشليم. ليسترح محبوك. ليكن سلام فى أبراجك راحة فى قصورك، من أجل إخوتى وأصحابى لأقولن سلام لك، من أجل بيت إلهنا ألتمس لك خيرا» (٧).

«من أجل صهيون لا أسكت ومن أجل أورشليم لا أهدأ حتى يخرج برها كضياء، وخلاصها كمصباح يتقد» (٨).

«على أسوارك يا أورشليم أقمت حراسا لا يسكتون كل النهار وكل الليل على الدوام، يا ذاكرى الرب لا تسكتوا ولا تدعوه يسكت حتى يثبت ويجعل أورشليم تسبحه فى الأرض» (٩) *

---

(١) مز ٩٠ : ١٤، ١٥ (٢) مز ٦ : ٢. (٣) مز ٤١ : ٤.
(٤) مز ٥١ : ١، ٢ ... الخ. (٥) مز ٧٩ : ٨، ٩. (٦) مز ٨٥ : ٤ - ٦.
(٧) مز ١٢٢ : ٦ - ٩. (٨) إش ٦٢ : ١. (٩) إش ٦٢ : ٦، ٧.

* أرأيت قيمة الشفاعة فى نظر الرب، وكيف أنه يطلبها من قديسيه بالحاح على فم عبده إشعياء النبى؟ حقا ان سلامة الكنيسة قائمة على أساس ضراعة القديسين وشفاعتهم التى لا تنقطع لا بالليل ولا بالنهار.

«لا تسخط كل السخط يارب، ولا تذكر الاثم إلى الأبد، ها أنظر شعبك كلنا، مدن قدسك صارت برية، صهيون صارت برية، أورشليم موحشة، بيت قدسنا وجمالك حيث سبحك أباؤنا قد صار حريق نار وكل مشتهياتنا صارت خرابا، ألأجل هذه تتجلد يارب، أتسكت وتذلنا كل الذل» (١).

«يارب قد سمعت خبرك فجزعت، يارب عملك فى وسط السنين أحيه، فى وسط السنين عرف، فى الغضب أذكر الرحمة» (٢).

جـ - للأعداء : -

«وأطلبوا سلام المدينة التى سبيتكم إليها، وصلوا لأجلها إلى الرب، لأنه بسلامها يكون لكم سلام» (٣).

(٦) طلب الخلاص من الضيق : -

أ - الضيق الروحى (الخطية) :

«افرج ضيقات قلبى، من شدائد اخرجنى».

«أنظر إلى ذلى وتعبى، وأغفر جميع خطاياى» (٤).

«ليست فى جسدى صحة من جهة غضبك، ليست فى عظامى سلامة من جهة خطيتى» (٥).

«من كل معاصّى نجنى» (٦).

ب - الضيق المادى (الأعداء) «ويمكن أن ينصرف إلى الأعداء الروحيين» :

«والآن يا إلهنا الإله العظيم الجبار المخوف حافظ العهد والرحمة، لا تصغر لديك كل المشقات التى أصابتنا نحن وملوكنا ورؤساءنا وكهنتنا وأنبياءنا وآباءنا وكل شعبك ... ونحن فى كرب عظيم» (٧).

«ارحمنى يارب، أنظر مذلتى من مبغضى» (٨).

---

(١) إش ٦٤ : ٩ - ١٢.
(٢) حب ٣ : ٢.
(٣) إر ٢٩ : ٧.
(٤) مز ٢٥ : ١٨.
(٥) مز ٣٨ : ٣.
(٦) مز ٣٩ : ٨.
(٧) نح ٩ : ٣٢ - ٣٨.
(٨) مز ٩ : ١٣.

«يارب لماذا تقف بعيدا، لماذا تختفى فى أزمنة الضيق» (١).

«لا تحجب وجهك عنى فى يوم ضيقى» (٢)، من أجل اسمك يارب تحيينى بعدلك تخرج من الضيق نفسى، وبرحمتك تستأصل أعدائى وتبيد كل مضايقى نفسى، لأنى أنا عبدك» (٣) .....

(٧) طلبات البركات الزمنية :-

«لا تعطنى فقرا ولا غنى، أطعمنى خبز فريضتى لئلا أشبع وأكفر وأقول من هو الرب، لئلا افتقر وأسرق واتخذ اسم إلهى باطلا» (٤).

ضمانات الصلاة :

(١) (اسم الله ومجده وعهده ورحمته وبره وأمانته وصدقه) :

«إرحمنى يا الله حسب رحمتك، حسب كثرة رأفتك، أمح معاصى» (٥).

«أعنا يا إله خلاصنا من أجل مجد اسمك، ونجنا واغفر خطايانا من أجل اسمك» (٦).

«أنا أنا هو الماحى ذنوبك لأجل نفسى وخطاياك لا أذكرها» (٧).

«وإن تكن آثامنا تشهد علينا يارب، فاعمل لأجل اسمك لأن معاصينا كثرت، إليك أخطأنا» (٨).

«يارب اسمع صلاتى واصغ إلى تضرعاتى بأمانتك، استجب لى بعدلك» (٩).

«لا ترفض لأجل اسمك، لاتهن كرسى مجدك، أذكر لا تنقض عهدك معنا» (١٠).

«يا سيد حسب كل رحمتك، اصرف سخطك وغضبك ... فاسمع الآن يا إلهنا صلاة عبدك وتضرعاته، وأضئ بوجهك على مقدسك الخرب من أجل السيد، أمل أذنك يا إلهى واسمع، افتح عينيك وأنظر خربنا والمدينة التى دعى اسمك عليها، لأنه لا لأجل برنا نطرح تضرعاتنا أمام وجهك بل لأجل مراحمك العظيمة، يا سيد اسمع، يا سيد أغفر يا سيد أصغ واصنع، لا تؤخر من أجل نفسك يا إلهى لأن اسمك دعى على مدينتك وعلى شعبك» (١١).

---

(١) مز ١٠ : ١. (٢) مز ١٠٢ : ٢.
(٣) مز ١٤٣ : ١١. راجع أيضا : (مز ١٧، ١٨، ١٩)، (ار ١٧ : ١٤) (مرا ٥ : ١).
(٤) أم ٣٠ : ٨، ٩ (٥) مز ٥١ : ١.
(٦) مز ٧٩ : ٩، ومز ٧٤ : ٢٠، مز ٣١ : ١، مز ٧١ : ٢، مز ١٠٦ : ٤٥.
(٧) إش ٤٣ : ٢٥. (٨) إر ١٤ : ٧. (٩) مز ١٤٣ : ١. (١٠) إر ١٤ : ٢١. (١١) دا ٩ : ١٦ – ١٩.

(٢) شفاعات القديسين :-

«ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك، أذكر ابراهيم واسحق واسرائيل» (١).

«من أجل داود عبدك. لا ترد وجه مسيحك» (٢).

«فلا تخذلنا إلى الانقضاء لأجل اسمك ولا تنقض عهدك، ولا تصرف رحمتك عنا لأجل ابراهيم خليلك واسحق عبدك واسرائيل قديسك» (٣).

«وأحامى عن هذه المدينة لأخلصها من أجل نفسى ومن أجل داود عبدى» (٤).

الصلاة المقبولة :-

ليس كل من يصلى يستجاب، إذ الصلاة المقبولة هي التى :

(١) بروح الله (من أنفاس الله) :

«أحينا فندعو باسمك» (٥).

«ولا أحجب وجهى عنهم بعد، لأنى سكبت روحى على بيت اسرائيل، يقول السيد الرب» (٦).

«وأفيض على بيت داود وعلى سكان أورشليم، روح النعمة والتضرعات» (٧).

(٢) صلاة الأبرار :-

«عينا الرب نحو الصديقين، وأذناه إلى صراخهم .... صرخوا والرب سمع، ومن كل شدائدهم أنقذهم» (٨).

«لأنه تعلق بى أنجيه، أرفعه لأنه عرف اسمى، يدعونى فأستجيب له. معه أنا فى الضيق، أنقذه وأمجده، من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصى» (٩).

«الرب قريب لكل الذين يدعونه، الذين يدعونه بالحق، يعمل رضى خائفيه ويسمع تضرعهم فيخلصهم» (١٠).

---

(١) خر ٣٢ : ١٢، ١٣، تث ٩ : ٢٧ (٢) مز ١٣٢ : ١٠، أى ٦ : ٤٢. (٣) دا ٣ : ٣٤، ٣٥.
(٤) راجع ٢. مل ١٩ : ٣٤، ٢. مل ٢٠ : ٦، ١. مل ١١ : ٢٢، ١٣، ٣٢، ٣٤، ١. مل ١٥ : ٤.
(٥) مز ٨٠ : ١٨. (٦) حز ٣٩ : ٢٩. (٧) زك ١٢ : ١٠.
(٨) مز ٣٤ : ١٥، ١٧ (٩) مز ٩١ : ١٤، ١٥. (١٠) مز ١٤٥ : ١٨، ١٩.

«ذبيحة الأشرار مكرهة... وصلاة المستقيمين مرضاته» (١)

«الرب بعيد عن الأشرار. ويسمع صلاة الصديقين» (٢).

(٣) الصلاة التى من كل القلب :-

«وكانوا بجملتهم يصلون إلى الله من كل قلوبهم أن يفتقد شعبه اسرائيل» (٣).

«ترضيت وجهك بكل قلبى، إرحمنى حسب قولك» (٤).

«صرخت من كل قلبى، استجب لى يارب» (٥).

«وأعطيهم قلبا ليعرفونى أنى أنا الرب، فيكونوا لى شعبا وأنا أكون لهم إلها لأنهم يرجعون إلى بكل قلوبهم» (٦).

«فتدعوننى وتذهبون وتصلون إلىّ فاسمع لكم، وتطلبوننى فتجدوننى إذ تطلبوننى بكل قلوبكم» (٧).

«اسمع يارب للحق، انصت إلى صراخى اصغ إلى صلاتى من شفتين بلا غش» (٨).

«الرب قريب لكل الذين يدعونه، الذين يدعونه بالحق» (٩).

(٤) الصلاة بايمان وثقة :

«وعملوا (الرأوبينيون والجاديون ونصف سبط منسى) حربا مع الهاجريين... فانتصروا عليهم، فدفع ليدهم الهاجريون وكل من معهم، لأنهم صرخوا إلى الله فى القتال فاستجاب لهم لأنهم اتكلوا عليه» (١٠).

«أنا دعوتك لأنك تستجيب لى يا الله، أمل أذنيك إلىّ، اسمع كلامى» (١١).

«عليك اتكل أباؤنا، اتكلوا فنجيتهم، اليك صرخوا فنجوا، عليك اتكلوا فلم يخزوا» (١٢).

«حينئذ ترتد أعدائى إلى الوراء فى يوم أدعوك فيه، هذا قد علمته لأن الله لى» (١٣).

---

(١) أم ١٥ : ٨.
(٢) أم ١٥ : ٢٩.
(٣) يهو ٤ : ١٧.
(٤) مز ١١٩ : ٥٨.
(٥) مز ١١٩ : ١٤٥.
(٦) إر ٢٤ : ٧.
(٧) إر ٢٩ : ١٢، ١٣.
(٨) مز ١٧ : ١.
(٩) مز ١٤٥ : ٨.
(١٠) ١ أى ٥ : ٢٠.
(١١) مز ١٧ : ٦.
(١٢) مز ٢٢ : ٤، ٥ - مز ٢٥ : ٢، ٣ - مز ٣١ : ١.
(١٣) مز ٥٦ : ٩.

«فى يوم ضيقى أدعوك لأنك تستجيب لى» (١).

«لأنه أمال أذنه إلىّ فأدعوه مدة حياتى» (٢).

(٥) الصلاة لمجد الله :-

«وكان عند اصعاد التقدمة أن ايليا النبى تقدم وقال: أيها الرب إله ابراهيم واسحق واسرائيل، ليعلم اليوم أنك أنت الله فى اسرائيل، وأنى أنا عبدك، وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور استجبنى يارب استجبنى، ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله، وأنك أنت حولت قلوبهم رجوعا، فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التى فى القناة» (٣).

«فاسمع أنت من السماء مكان سكناك، وافعل حسب كل ما يدعو به إليك الأجنبى لكى يعلم كل شعوب الأرض اسمك فيخافوك كشعبك اسرائيل، ولكى يعلموا أنه قد دعى اسمك على هذا البيت الذى بنيت» (٤).

«والآن أيها الرب إلهنا خلصنا من يده (من يد سنحاريب) فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب الإله وحدك» (٥).

«أعنا يا إله خلاصنا من أجل مجد اسمك ونجنا وأغفر خطايانا من أجل اسمك» (٦).

«وإن تكن آثامنا تشهد علينا يارب، فاعمل لأجل اسمك، ... لا ترفض لأجل اسمك، لاتهن كرسى مجدك» (٧).

(٦) الصلاة بتأن :-

«لا تستعجل فمك ولا يسرع قلبك إلى نطق كلام قدام الله، لأن الله فى السموات وأنت على الأرض، فلذلك لتكن كلماتك قليلة» (٨).

---

(١) مز ٨٦ : ٧.
(٢) مز ١١٦ : ٢.
(٣) ١. مل ١٨ : ٣٦ – ٣٨.
(٤) ١. مل ٨ : ٤٣.
(٥) ٢. مل ١٩ : ١٩، إش ٣٧ : ٢٠.
(٦) مز ٧٩ : ٩، مز ٤٢ : ١٠، مز ٤٣ : ١٨، مز ١١٥ : ٢.
(٧) إر ١٤ : ٧، ٢١.
(٨) جا ٥ : ٢.

(٧) الصلاة باتضاع (مع الاعتراف بالخطأ) :-

«فإذا تواضع شعبى الذين دعى اسمى عليهم وصلوا وطلبوا وجهى ورجعوا عن طرقهم الردية فانى اسمع من السماء وأغفر خطيتهم وأبرئ أرضهم» (١).

«ولما تضايق (منسى) طلب وجه الرب إلهه وتواضع جدا أمام إله آبائه، وصلى إليه فاستجاب له وسمع تضرعه ورده إلى أورشليم إلى مملكته» (٢).

«هذا المسكين صرخ، والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلصه» (٣).

«ولم ينس صراخ المساكين (الودعاء)» (٤).

«البائسون والمساكين طالبون ماء ولا يوجد، لسانهم من العطش قد يبس، أنا الرب استجيب لهم، أنا إله اسرائيل لا أتركهم» (٥).

«وصليت (نحميا) أمام إله السماء، وقلت ... لقد أفسدنا أمامك ولم نحفظ الوصايا والفرائض والأحكام» (٦).

«وصليت إلى الرب إلهى، واعترفت وقلت أيها الرب الإله العظيم المهوب حافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظى وصاياه، أخطأنا وأثمنا وعملنا الشر، وتمردنا، وحدنا عن وصاياك وعن أحكامك، وما سمعنا من عبيدك الأنبياء ... لك يا سيد البر، أما لنا فخزى الوجوه» (٧).

(٨) الصلاة بمثابرة والحاح :-

«استجبنى يارب استجبنى، ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله» (٨).

«لتكن أذنك مصغية وعيناك مفتوحتين لتسمع صلاة عبدك الذى يصلى إليك الآن نهاراً وليلا، لأجل بنى اسرائيل عبيدك» (٩).

«وجال الياقيم كاهن الرب العظيم فى جميع اسرائيل وكلمهم قائلا : اعلموا أن الرب يستجيب لصلواتكم إن واظبتم على الصوم والصلوات أمام الرب» (١٠).

---

(١) ٢. أى ٧ : ١٤.
(٢) ٢. أى ٢٣ : ١٢، ١٣.
(٣) مز ٣٤ : ٦.
(٤) مز ٩ : ١٢، ومز ٥١ : ١٧.
(٥) إش ٤١ : ١٧.
(٦) نح ١ : ٤، ٧.
(٧) دا ٩ : ٤ – ٧.
(٨) ١. مل ١٨ : ٣٧.
(٩) نح ١ : ٦.
(١٠) يهو ٤ : ١١، ١٢.

«وصرخوا إلى الله بصوت واحد ساعات كثيرة» (١).

«استمع يارب، بصوتى أدعو، فارحمنى واستجب لى» (٢).

«اصغ يا الله إلى صلاتى، ولا تتغاض عن تضرعى، استمع لى، واستجب لى» (٣).

«عينى ذابت من الذل، دعوتك يارب كل يوم، بسطت إليك يدى» (٤).

«ارحمنى يارب ربى لأننى إليك أصرخ اليوم كله» (٥).

«لا تحجب وجهك عنى فى يوم ضيقى، أمل إلى أذنك فى يوم أدعوك، استجب لى سريعا» (٦).

«وتضرعوا إلى الرب الرحيم بالبكاء والصوم والسجود مدة ثلاثة أيام بلا انقطاع ... وثمت له هذه النصرة» (٧).

الصلاة المرذولة :-

(١) صلاة الأشرار المرتدين عن الله وشريعته :

«اذا حوكم (الشرير) فليخرج مذنبا، وصلاته فلتكن خطية» (٨).

«لأنى دعوت فأبيتم، ومددت يدى وليس من يبالى، بل رفضتم كل مشورتى، ولم ترضوا توبيخى، فأنا أيضا أضحك عند بليتكم، أشمت عند مجئ خوفكم، إذا جاء خوفكم كعاصفة وأتت بليتكم كالزوبعة، إذا جاءت عليكم شدة وضيق حينئذ يدعوننى فلا أستجيب يبكرون إلى فلا يجدوننى» (٩).

«ذبيحة الأشرار مكرهة الرب، وصلاة المستقيمين مرضاته» (١٠).

«الرب بعيد عن الأشرار، ويسمع صلاة الصديقين» (١١).

«ذبيحة الشرير مكرهة، فكم بالحرى حين يقدمها بغش» (١٢).

---

(١) يهو ٧ : ١٨.
(٢) مز ٢٧ : ٧.
(٣) مز ٥٥ : ١، ٢.
(٤) مز ٨٨ : ٩.
(٥) مز ٨٦ : ٣.
(٦) مز ١٠٢ : ٢، مز ١٤٣ : ١.
(٧) ٢. مكا ١٣ : ١٢، ١٧.
(٨) مز ١٠٩ : ٧.
(٩) أم ١ : ٢٤ – ٢٨.
(١٠) أم ١٥ : ٨.
(١١) أم ١٥ : ٢٩.
(١٢) أم ١١ : ٢٧.

«من يحول أذنه عن سماع الشريعة، فصلاته أيضا مكرهة» (١).

«اسمعى أيتها الأرض، ها آنذا جالب شرا على هذا الشعب، ثمر أفكارهم لأنهم لم يصغوا لكلامى، وشريعتى رفضوها، لماذا يأتى لى اللبان ... محرقاتكم غير مقبولة وذبائحكم لا تلذ لى» (٢).

«هكذا قال رب الجنود إلى اسرائيل : ضموا محرقاتكم إلى ذبائحكم وكلوا لحما لأنى لم أكلم آباءكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة وذبيحة بل إنما أو صيتهم بهذا الأمر قائلا : اسمعوا صوتى فأكون لكم إلها، وأنتم تكونون لى شعبا ... فلم يسمعوا ولم يميلوا أذنهم بل ساروا فى مشورات وعناد قلبهم الشرير، وأعطوا القفا لا الوجه» (٣).

«فأبوا أن يصغوا وأعطوا كتفا معاندة، وثقلوا أذانهم عن السمع، بل جعلوا قلبهم ماسا لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذى أرسله رب الجنود بروحه عن يد الأنبياء الأولين، فجاء غضب عظيم من عند رب الجنود، فكان كما نادى هو فلم يسمعوا، كذلك ينادون هم فلا أسمع قال رب الجنود» (٤).

(٢) الصلاة والقلب مدنس بالخطية :

«فسأل شاول من الرب، فلم يجبه الرب لا بالأحلام ولا بالاوريم ولا بالأنبياء» (٥).

«فسأل شاول الله : انحدر وراء الفلسطينيين، أتدفعهم ليد اسرائيل، فلم يجبه فى ذلك اليوم» (٦).

«إلهى فى النهار أدعو فلا تستجيب، فى الليل أدعو فلا هدو لى» (٧).

«إن راعيت إثما فى قلبى، لا يستمع لى الرب» (٨).

«أيضا حين أصرخ وأستغيث يصد صلاتى» (٩).

«لنفحص طرقنا ونمتحنها ونرجع إلى الرب، فنرفع قلوبنا وأيدينا إلى الله ... نحن أذنبنا وعصينا، أنت لم تغفر، التحفت بالغضب وطردتنا التحفت بالسحاب حتى لا تنفذ الصلاة» (١٠).

---

(١) أم ٢٨ : ٩.
(٢) إر ٦ : ١٩، ٢٠.
(٣) إر ٧ : ٢١ – ٣٤.
(٤) زك ٧ : ١١ – ١٣ راجع أيضا مز ٥٠ : ٩، إش ٦٦ : ٣، عا ٥ : ٢٢، مى ٦ : ٦، ٧.
(٥) ١. صم ٢٨ : ٦، ١٥.
(٦) ١. صم ١٤ : ٣٧.
(٧) مز ٢٢ : ٢.
(٨) مز ٦٦ : ١٨٧.
(٩) مراثى ٣ : ٨.
(١٠) مراثى ٣ : ٤٠ – ٤٤.

(٣) صلاة السفاحين والمنافقين :

«فحين تبسطون أيديكم أستر عينى عنكم، وان كثرتم الصلاة لا أسمع، أيديكم ملآنة دما» (١).

«ها إن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص، ولم تثقل أذنه عن أن تسمع، بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم، حتى لا يسمع، لأن أيديكم قد تنجست بالدم وأصابعكم بالإثم، شفاهكم تكلمت بالكذب ولسانكم يلهج بالشر، ليس من يدعو بالعدل، وليس من يحاكم بالحق» (٢).

«هكذا قال الرب لهذا الشعب : هكذا أحبوا أن يجولوا، لم يضعوا أرجلهم، ولم يمنعوا أرجلهم فالرب لم يقبلهم... حين يصومون لا أسمع صراخهم، وحين يصعدون محرقة وتقدمة لا أقبلهم» (٣).

«المبغضين الخير والمحبين الشر النازعين جلودهم عنهم ... والذين يأكلون لحم شعبى ويكشطون جلدهم عنهم ويهشمون عظامهم ... حينئذ يصرخون إلى الرب فلا يجيبهم بل يستر وجهه عنهم فى ذلك الوقت كما أساءوا أعمالهم» (٤).

(٤) صلاة الذين يسقطوا فى عبادة الأوثان :

«قد رجعوا إلى آثام آبائهم الأولين، الذين أبوا أن يسمعوا كلامى وقد ذهبوا وراء آلهة أخرى ليعبدوها ... لذلك هكذا قال الرب : هأنذا جالب عليهم شرا لا يستطيعون أن يخرجوا منه، ويصرخون إلى فلا أسمع لهم» (٥).

«فجاء بى إلى دار بيت الرب الداخلية، وإذا عند باب هيكل الرب، بين الرواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلا ظهورهم نحو هيكل الرب، ووجوههم نحو الشرق، وهم ساجدون للشمس نحو الشرق، وقال لى : أرأيت يا ابن آدم؟ أقليل لبيت يهوذا عمل ا لرجاسات التى عملوها هنا... فأنا أيضا أعامل بالغضب... لا تشفق عينى ولا أعفوا، وان صرخوا فى اذنى بصوت عال، لا أسمعهم» (٦).

---

(١) إش ١ : ١٥.
(٢) إش ٥٩ : ١ – ٤.
(٣) ار ١٤ : ١٠ – ١٢.
(٤) ميخا ٣ : ٢ – ٤.
(٥) إر ١١ : ١٠، ١١.
(٦) خر ٨ : ١٦ – ١٨، راجع أيضا حز ٢٠ : ٣.

(٥) صلاة الذين بلا رحمة :

«من يسد أذنيه عن صراخ المسكين، فهو أيضا يصرخ ولا يستجاب» (١).

(٦) صلاة المناهضين للقديسين :-

«تمنطقنى بقوة للقتال، تصرع تحتى القائمين على، وتعطينى أقفية أعدائى، ومبغضى أفنيهم، يصرخون ولا مخلص، إلى الرب فلا يستجيب لهم» (٢).

(٧) الصلاة من أجل قوم مصرين على خطيتهم :-

«أما أنا ففى مرضهم كان لباسى مسحا، وصلاتى إلى حضنى ترجع» (٣).

«وأنت (يا إرمياء) فلا تصل لأجل هذا الشعب ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة، ولا تلح علىّ لأنى لا أسمعك» (٤).

«وأنت (يا إرمياء) فلا تصل لأجل هذا الشعب، ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة، لأننى لا أسمع فى وقت صراخهم إلىّ من قبل بليتهم» (٥).

وقال الرب لى : لا تصل لأجل هذا الشعب للخير» (٦).

«ثم قال الرب لى : وان وقف موسى وصموئيل أمامى، لا تكون نفسى نحو هذا الشعب» (٧).

من هم الذين يهملون الصلاة ؟:

«قال الجاهل فى قلبه ليس إله، فسدوا ورجسوا بأفعالهم، ليس من يعمل صلاحا، الرب من السماء أشرف على بنى البشر، لينظر هل من فاهم طالب الله... الكل قد زاغوا معا فسدوا، ليس من يعمل صلاحا، ليس ولا واحد، ألم يعلم كل فاعلى الإثم الذين يأكلون شعبى، كما يأكلون الخبز والرب لم يدعوا؟ (٨).

---

(١) أم ٢١ : ١٣. (٢) مز ١٨ : ٤٠، ٤١. (٣) مز ٣٥ : ١٣.
(٤) إر ٧ : ١٦. (٥) إر ١١ : ١٤. (٦) إر ١٤ : ١١.
(٧) إر ١٥ : ١ - «ولكن كان الرب يقبل شفاعة قديسيه أحيانا ويأمر بها أحيانا أخرى، إلا أن قبوله للشفاعة فى حدود معينة، فاذا كان المشفوع فيهم مصرين على خطيتهم فربما يرفض الرب كل شفاعة فيهم حتى ولو كان مقدمها أحد كبار القديسين، أى أن الشفاعة قد تقبل وقد ترفض بحسب إرادة الله اولا وبحسب استعداد المشفوع فيه للعدول عن شره ثانيا».
(٨) مز ١٤ : ١ - ٤، مز ١٠ : ٤، مز ٥٣ : ١ - ٤.

«كلهم فاسقون ... جميع ملوكهم سقطوا، ليس بينهم من يدعو إلىّ» (١).

أشكال وأوضاع الصلاة :-

(١) الوقوف على القدمين :

«وقال الرب لموسى : هوذا أيامك قد قربت لكى تموت أدع يشوع وقفا فى خيمة الاجتماع لكى أوصيه، فانطلق موسى ويشوع ووقفا فى خيمة الاجتماع» (٢).

«وحول الملك (سليمان) وجهه وبارك اسرائيل وكل جمهور اسرائيل واقف» (٣).

«ووقف سليمان أمام مذبح الرب تجاه كل جماعة اسرائيل وبسط يديه إلى السماء» (٤).

«هوذا باركوا الرب يا جميع عبيد الرب الواقفين فى بيت الرب، بالليالى» (٥).

«هللويا. سبحوا اسم الرب، سبحوا يا عبيد الرب، الواقفين فى بيت الرب فى ديار بيت إلهنا» (٦).

«اذكر (يارب) وقوفى أمامك لأتكلم عنهم بالخير، لأرد غضبك عنهم» (٧).

(٢) الركوع والجثو والسجود والخرور :

(أ) الركوع (وهو الانحناء نحو الأرض) :

«هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا» (٨).

(ب) الجثو (وهو وضع الركبتين على الأرض) :

«ثم جثا (سليمان) على ركبتيه تجاه كل جماعة اسرائيل وبسط يديه» (٩).

«وعند تقدمة المساء قمت من تذللى، وفى ثيابى وردائى الممزقة، جثوت على ركبتى وبسطت يدى إلى الرب الهى» (١٠).

---

(١) هو ٧ : ٧، راجع أيضا إش ٩ : ١٣، إش ٤٣ : ٢٢، إش ٦٤ : ٧، دا ٩ : ١٣.
(٢) تث ٣١ : ١٤. (٣) ١. مل ٨ : ١٤. (٤) ١. مل ٨ : ٢٢، ٢. أى ٦ : ١٢.
(٥) مز ١٣٤ : ١. (٦) مز ١٣٥ : ١.
(٧) إر ١٨ : ٢٠ راجع أيضا خر ٢٠ : ١٨، تث ٢٩ : ١٠، عز ٩ : ١٥، مز ٨٤ : ١٠، مز ١٣٠ : ٣، إر ١٥ : ١٩، إر ٣٥ : ١٩، زك ٤ : ١٤.
(٨) مز ٩٥ : ٦. (٩) ٢. أى ٦ : ١٣، راجع أيضا ١. مل ٨ : ٥٤، ١. مل ١٩ : ١٨. (١٠) عز ٩ : ٥.

«قدامه يجثوا كل من ينحدر إلى التراب» (١).

«أمامه تجثو أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب» (٢).

«بذاتى أقسمت، خرج من فمى الصدق، كلمة لا ترجع : أنه لى تجثو كل ركبة» (٣).

«فلما علم دانيال بامضاء الكتابة، ذهب إلى بيته... فجثا على ركبتيه ... وصلى» (٤).

(ج) الخرور : (السقوط فى الأرض) :

«فأسرع موسى وخر إلى الأرض وسجد» (٥)

«ولما سمعوا أن الرب افتقد بنى اسرائيل وأنه نظر مذلتهم، خروا وسجدوا» (٦).

«وكلم الرب موسى وهرون قائلا : افترزوا من بين هذه الجماعة، فانى أفنيهم فى لحظة، فخرا على وجهيهما وقالا : اللهم إله أرواح جميع البشر، هل يخطئ رجل واحد فتسخط على كل الجماعة» (٧).

«وأما ايليا فصعد على رأس الكرمل، وخر إلى الأرض وجعل وجهه بين ركبتيه» (٨).

«ثم قال داود لكل الجماعة : باركوا الرب إلهكم، فبارك كل الجماعة الرب إله آبائهم وخروا وسجدوا للرب وللملك» (٩).

«وكان جميع بنى اسرائيل ينظرون عند نزول النار ومجد الرب على البيت، وخروا على وجوههم إلى الأرض على البلاط المجزع وسجدوا وحمدوا الرب» (١٠).

«وقال حزقيا الملك والرؤساء، للاويين أن يسبحوا الرب بكلام داود وآساف الرائى فسبحوا بابتهاج وخروا وسجدوا» (١١).

«وبارك عزرا الرب الإله العظيم، وأجاب جميع الشعب آمين آمين، رافعين أيديهم، وخروا وسجدوا للرب على وجوههم إلى الأرض» (١٢).

---

(١) مز ٢٢ : ٢٩.
(٢) مز ٧٢ : ٩.
(٣) إش ٤٥ : ٢٣.
(٤) دا ٦ : ١٠ راجع أيضا مز ٩٥ : ٦.
(٥) خر ٣٤ : ٨.
(٦) خر ٤ : ٣١.
(٧) عدد ١٦ : ٢٢، عدد ١٦ : ٤٥.
(٨) ١. مل ١٨ : ٤٢.
(٩) ١. أى ٢٩ : ٢٠.
(١٠) ٢. أى ١٧ : ٣.
(١١) ٢. أى ٢٩ : ٣٠.
(١٢) نح ٨ : ٦.

«حينئذ لبثوا ثلاث ساعات منطرحين على وجوههم يباركون الله» (١).

«دخلت يهوديت معبدها ولبست مسحا وألقت رمادا على رأسها وخرت أمام الرب وصرخت إلى الرب» (٢).

«فقمت وخرجت إلى البقعة وإذا بمجد الرب واقف هناك كالمجد الذى رأيته عند نهر خابور، فخررت على وجهى» (٣).

(د) السجود (وهو وضع الجبهة على الأرض) :

«فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفا عند باب الخيمة، ويقوم كل الشعب ويسجدون كل واحد فى باب خيمته» (٤).

«فرجع صموئيل وراء شاول، وسجد شاول للرب» (٥).

«فقام داود عن الأرض واغتسل وادهن وبدل ثيابه ودخل بيت الرب وسجد» (٦).

«وانما اتقوا الرب ... وله اسجدوا وله اذبحوا» (٧)

«أما أنا فبكثرة رحمتك، أدخل بيتك، أسجد فى هيكل قدسك بخوفك» (٨).

«قدموا للرب مجدا لإسمه، أسجدوا للرب فى زينة مقدسة» (٩).

«علوا الرب إلهنا واسجدوا عند موطئ قدميه» (١٠).

«كل الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يارب ويمجدون اسمك» (١١).

---

(١) طو ٢ : ٢٢. (٢) يهو ٩ : ١

(٣) حز ٣ : ٢٣، راجع أيضا حز ١ : ٢٨، حز ٩ : ٨، حز ١١ : ١٣، حز ٤٣ : ٣، حز ٤٤ : ٤، دا ٨ : ١٧.
لاحظ أن هناك خرورا آخر يكون ازاء المكرمين من بنى البشر، أو الملائكة : «ثم قام داود بعد ذلك وخرج من الكهف ونادى وراء شاول قائلا يا سيدى الملك ولما التفت شاول إلى ورائه خر داود على وجهه إلى الأرض وسجد» ١ . صم ٢٤ : ٨، فعلم شاول أنه صموئيل، فخر على وجهه إلى الأرض وسجد ١ . صم ٢٨ : ١٤ فخرت بتشبع وسجدت للملك (١ . مل ١ : ١٦، ١ . مل ١ : ٣١).
وفيما كان عوبديا فى الطريق إذا بايليا قد لقيه، فعرفه وخر على وجهه ١ . مل ١٨ :٧.
حينئذ خر نبوخذ نصر على وجهه وسجد لدانيال (دا ٢ : ٤٦).

(٤) خر ٣٣ : ١٠. (٥) ١ . صم ١٥ : ٣١. (٦) ٢ . صم ١٢ : ٢٠.
(٧) ٢ . مل ١٧ : ٣٦. (٨) مز ٥ : ٧. (٩) مز ١٩ : ٢.
(١٠) مز ٩٩ : ٥. (١١) مز ٨٦ : ٩.

«كل ذى جسد ليسجد أمامى، قال الرب» (١).

«الرب مخيف... لأنه يهزل جميع آلهة الأرض، فيسجد له الناس : كل واحد من مكانه، كل جزائر الأمم» (٢).

(٣) رفع العينين نحو السماء :-

«فوقف يهوشافاط ... وقال ... والآن هوذا بنو عمون وموآب وجبل ساعير ... يكافئوننا بمجيئهم لطردنا من ملكك.. يا إلهنا أما تقضى عليهم لأنه ليس فينا قوة أمام هذا الجمهور الكثير الآتى علينا، ونحن لا نعلم ماذا نعمل ولكن نحوك أعيننا» (٣).

«عيناى دائما إلى الرب، لأنه هو يخرج رجلى من الشبكة» (٤).

«أرفع عينى إلى الجبال من حيث يأتى عونى» (٥).

«اليك رفعت عينى يا ساكنا فى السموات، هوذا كما أن عيون العبيد نحو أيدى ساداتهم كما أن عينى الجارية نحو يد سيدتها، هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يتراءف علينا» (٦).

---

(١) اش ٦٦ : ٢٣. (٢) صف ٢ : ١١.

راجع أيضا حز ٢٤ : ١، تث ٢٦ : ١٠، قض ٧ : ١٥، ١. صم ١ : ٣، ١٩، ١. صم ١ : ١٢، ١. صم ١٥ : ٢٥. ٢. صم ١٥ : ٣٢، ١. مل ١ : ٤٧، ٢. مل ١٧ : ٣٦، ١. أى ٢٦ : ٢، نح ٩ : ٦، يهو ٦ : ١٤، مز ٢٢ : ٢٧، ٢٩، مز ٤٥ : ١١، مز ٧٢ : ١١، مز ٦٦ : ٤، مز ٩٥ : ٦، مز ٩٧ : ٧، مز ٩٩ : ٩، مز ١٣٢ : ٧، إش ٢٧ : ١٣، إش ٣٦ : ٧، إش ٤٩ : ٧، إر ٧ : ٢، حز ٤٦ : ٢، ٩، زك ١٤ : ١٦، ١٧.

وثمة نوع آخر من السجود، هو سجود الاكرام يقدم للقديسين والعظماء : «فخرج موسى لاستقبال حميه وسجد وقبله... خر ١٨ : ٧.

فسقطت (راعوث) على وجهها، وسجدت إلى الأرض، وقالت له :كيف وجدت نعمة في عينيك حتى تنظر إلى وأنا غريبة را ٢ : ١٠.

فجاء مفيبوشث بن يوناثان بن شاول إلى داود وخر على وجهه وسجد، ٢. صم ٩ : ٦. فدخلت بتشبع إلى الملك سليمان لتكلمه عن أدونيا، فقام الملك للقائها وسجد لها، ١. مل ٢ : ١٩.

ولما رآه بنو الأنبياء ... قالوا قد استقرت روح ايليا على اليشع، فجاءوا للقائه وسجدوا له على الأرض ٢. مل ٢ : ١٥ حينئذ خر نبوخذ نصر على وجهه وسجد لدانيال دا ٢ : ٤٦. راجع أيضا خر ١ ١ : ٨، ١. صم ٢٥ : ٣٢، ٤١، ٢. صم ٩ : ٨، ٢. صم ١٤ : ٤، ٢٢، ١. مل ١ : ٥٣، ٢. مل ٤ : ٣٧، ٢. صم ١٥ : ٥، ٢. صم ١٦ : ٤، إش ٤٥ : ١٤، إش ٤٩ : ٢٣.

(٣) ٢. أى ٢٠ : ٥، ٦، ١٠ – ١٢. (٤) مز ٢٥ : ١٥.

(٥) مز ١٢١ : ١. (٦) مز ١٢٣ : ١، ٢.

«لأنه إليك ياسيد يارب عيناى» (١).

«ارفعوا إلى السموات عيونكم» (٢).

«وعند انتهاء الأيام أنا نبوخذ نصر رفعت عينى إلى السماء، فرجع إلىّ عقلى، وباركت العلى وسبحت وحمدت الحى إلى الأبد» (٣).

(٤) رفع اليدين نحو السماء أو بسطهما :-

«وأما موسى وهرون وحور فصعدوا على رأس التلة. وكان اذا رفع موسى يده أن اسرائيل يغلب واذا خفض يده أن عماليق يغلب، فلما صارت يدا موسى ثقيلتين أخذا حجرا ووضعاه تحته فجلس عليه، ودعم هرون وحور يديه الواحد من هنا والآخر من هناك، فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس، فهزم يشوع عماليق وقومه بحد السيف» (٤).

«استمع صوت تضرعى إذ استغيث بك وأرفع يدى إلى محراب قدسك» (٥).

«هكذا أباركك فى حياتى، باسمك أرفع يدى» (٦).

«ارفعوا أيديكم نحو القدس، وباركوا الرب» (٧).

«لتستقم صلاتى كالبخور قدامك، ليكن رفع يدى كذبيحة مسائية» (٨).

«قومى اهتفى فى الليل فى أول الهزع، اسكبى كمياه قلبك قبالة وجه السيد، ارفعى إليه يديك لأجل نفس أطفالك المغشى عليهم من الجوع» (٩).

بسط الأيدى :

فقال له موسى عند خروجى من المدينة أبسط يدى إلى الرب، فتنقطع الرعود ولا يكون البرد ... فخرج موسى من المدينة من لدن فرعون وبسط يديه إلى الرب، فانقطعت الرعود والبرد» (١٠).

---

(١) مز ١٤١ : ٨.
(٢) إش ٥١ : ٦.
(٣) دا ٤ : ٣٤.
(٤) خر ١٧ : ١٠ – ١٣.
(٥) مز ٢٨ : ٢.
(٦) مز ٦٣ : ٤.
(٧) مز ١٣٤ : ٢.
(٨) مز ١٤١ : ٢.
(٩) مز ٢١ : ١٩ راجع مز ١١٩ : ٤٨، حب ٣ : ١٠.
(١٠) خر ٩ : ٢٩، ٣٣.

«ووقف سليمان أمام مذبح الرب ... وبسط يديه إلى السماء» (١).

«وعند تقدمة المساء قمت من تذللى ... وبسطت يدى إلى الرب إلهى» (٢).

«فى يوم ضيقى التمست الرب، يدى فى الليل انبسطت ولم تخدر» (٣).

«دعوتك يارب كل يوم، بسطت إليك يدى» (٤).

«بسطت إليك يدى، نفسى نحوك كأرض يابسة» (٥).

«فحين تبسطون أيديكم أستر عينى عنكم» (٦).

«لأنى سمعت صوتا كماخضة ضيقا مثل ضيق بكرية، صوت ابنة صهيون تزفر، تبسط يديها قائلة : ويل لى لأن نفسى قد أغمى عليها بسبب القاتلين» (٧).

«بسطت صهيون يديها، لا معزى لها» (٨).

أمور يندب* اليها فى الصلاة :-

(١) البكاء أو النوح أو ذرف الدموع :

أ - ذرف الدموع :

«فى تلك الأيام مرض حزقيا للموت، فجاء اليه أشعياء بن آموص النبى، وقال له : هكذا قال الرب، أوص بيتك لأنك تموت ولا تعيش، فوجه (حزقيا) وجهه الى الحائط وصلى الى الرب قائلا : آه يارب أذكر كيف سرت أمامك بالأمانه وبقلب سليم وفعلت الحسن فى عينيك، وبكى حزقيا بكاء عظيما. ولم يخرج أشعيا الى المدينة الوسطى حتى كان كلام الرب اليه قائلا : ارجع وقل لحزقيا رئيس شعبى : هكذا قال الرب اله داود أبيك : قد سمعت صلاتك، قد رأيت دموعك، هأنذا أشفيك» (٩).

---

(١) ١ . مل ٨ : ٢٢ .
(٢) عز ٩ : ٥ .
(٣) مز ٧٧ : ٢ .
(٤) مز ٨٨ : ٩ .
(٥) مز ١٤٣ : ٦ .
(٦) إش ١ : ١٥ .
(٧) إر ٤ : ٣١ .
(٨) مرا ١ : ١٧، راجع أيضا ١ . مل ٨ : ٣٨، ٥٤، ٢ . أى ٦ : ١٢، مز ٤٤ : ٢٠، مز ٦٨ : ٣١، إش ٢٥ : ١١، إر ٨ : ٢ .
* المندوب إليه، ما يثاب (المصلى) على فعله، ولايعاقب على تركه. أو بعبارة مسيحية المندوب إليه أمر يفضل فعله ولا يحرم تركه (بالاقتران مع الصلاة).
(٩) ٢ . مل ٢٠ : ٥، إش ٣٨ : ٥ .

«تعبت فى تنهدى، أعوم فى كل ليلة سريرى بدموعى، أذوب فراشى أبعدوا عنى يا جميع فاعلى الاثم لأن الرب قد سمع صوت بكائى» (١).

«استمع صلاتى يارب واصغ إلى صراخى، لاتسكت عن دموعى» (٢).

«صارت لى دموعى خبزا نهارا وليلا إذ قيل لى كل يوم أين إلهك» (٣).

«حينئذ أن طوبيا طفق يصلى بدموع» (٤).

«بل استمرت (سارة) تصلى وتتضرع إلى الله بدموع أن يكشف عنها هذا العار» (٥).

ب - البكاء :

«وجاء الشعب إلى بيت أيل، وأقاموا هناك (فى المصفاة) أمام الله، ورفعوا صوتهم وبكوا بكاء عظيما» (٦).

«فلما صلى عزرا واعترف وهو باك وساقط أمام بيت الله، اجتمع إليه من اسرائيل جماعة كثيرة جدا من الرجال والنساء والأولاد لأن الشعب بكى بكاء عظيما» (٧).

«ولنسأل الرب باكين أن يؤتينا رحمته بحسب مشيئته» (٨).

«بالبكاء يأتون وبالتضرعات أقودهم وأسيرهم إلى أنهار ماء فى طريق مستقيمة لا يعثرون فيها لأنى صرت لاسرائيل أبا» (٩).

«فى تلك الأيام وفى ذلك الزمان يقول الرب، يأتى بنو اسرائيل هم وبنو يهوذا معا يسيرون معا، ويبكون ويطلبون الرب إلههم» (١٠).

«وليبك الكهنة خدام الرب بين الرواق والمذبح ويقولوا : اشفق يارب على شعبك، ولا تسلم ميراثك للعار حتى تجعلهم الأمم مثلا، لماذا يقولون بين الشعوب أين إلههم» (١١).

---

(١) مز ٦ : ٦، ٨. (٢) مز ٣٩ : ١٢. (٣) مز ٤٢ : ٣.
(٤) طو ٣ : ١. (٥) طو ٣ : ١١.
(٦) راجع أيضا مز ٥٦ : ٨، مز ٨٠ : ٥، مز ١٠٢ : ٩، مز ١١٦ : ٧٨، مز ١٢٦ : ٥، جا ٤ : ١، إش ٢٥ : ٨، إر ١٩ : ١، إر ١٣ : ٢٧، إر ٣١ : ١٦، مر ١١ : ٢، مر ٢١ : ١١، ١٨، حز ٢٤ : ١٦، مل ٢ : ١٣.
(٧) عز ١٠ : ١. (٨) يهو ٨ : ١٧. (٩) إر ٣١ : ٩.
(١٠) إر ٥٠ : ٤، راجع أيضا هو ٣ : ٥.
(١١) يؤ ٢ : ١٧، راجع أيضا : مز ٣٠ : ٥، مز ٦٩ : ١٠، إش ٣٠ : ١٩، مز ١١ : ٢، زك ٧ : ٣، مل ٢ : ١٢.

ج - النوح :

«وناح كل بيت اسرائيل وراء الرب» (١).

«فلما سمعت هذا الكلام جلست وبكيت ونحت أياما وصمت وصليت أمام إله السماء» (٢).

«فلما قص عليهم (بنى اسرائيل) أحيور (قائد بنى عمون) جميع ذلك، خر الشعب كلهم على وجوههم ساجدين للرب ورفعوا صلواتهم إلى الرب بالبكاء والعويل عامة بقلب واحد» (٣).

«فى تلك الأيام، أنا دانيال كنت نائحا ثلاثة أسابيع أيام» (٤).

(٢) الصوم :-

«وضرب الرب الولد الذى ولدته امرأة أوريا لداود فثقل، فسأل داود الله من أجل الصبى، وصام داود صوما، ودخل وبات مضطجعا على الأرض. فقام شيوخ بيته عليه ليقيموه عن الأرض، فلم يشأ ولم يأكل معهم خبزا» (٥).

«فجاء أناس وأخبروا يهوشافاط قائلين قد جاء عليك جمهور كثير من عبر البحر من آرام ... فخاف يهوشافاط وجعل وجهه ليطلب الرب ونادى بصوم فى كل يهوذا واجتمع يهوذا ليسألوا الرب» (٦).

«ونوديت هناك بصوم على نهر أهوا لكى نتذلل أمام الهنا لنطلب منه طريقا مستقيمة لنا ولأطفالنا ولكل مالنا» (٧).

«فصمنا وطلبنا ذلك من إلهنا فاستجاب لنا» (٨).

«فلما سمعت هذا الكلام جلست وبكيت ونحت أياما وصمت وصليت أمام إله السماء» (٩).

«فلما سمعت (سارة) هذا الكلام (أى تعيير جاريتها لها) صعدت إلى علية بيتها، فأقامت ثلاثة أيام وثلاث ليال لا تأكل ولا تشرب بل استمرت تصلى وتتضرع إلى الله بدموع أن يكشف عنها هذا العار» (١٠).

---

(١) ١. صم ٧ : ٣. (٢) نح ١ : ٤. (٣) يهو ١٤ راجع أيضا يهو ٣ : ١٨، ٢٢.
(٤) دا ١٠ : ٢ راجع أيضا إش ٢٢ : ١٢، عزا ١٠ : ٦، مز ٥٥ : ١٧، زك ٧ : ٥، عا ٥ : ١٦، عا ٨ : ١٠.
(٥) ٢. صم ١٢ : ١٥ – ١٧، ٢٢. (٦) ٢. أى ٢١ : ٢ – ٤. (٧) عز ٨ : ٢١.
(٨) عز ٨ : ٢٣. (٩) نح ١ : ٤. (١٠) طو ٣ : ١٠ – ١٢.

«وصرخ كل الشعب إلى الرب بابتهال عظيم وذللوا نفوسهم بالصوم والصلاة هم ونساؤهم» (١).

«وجال الياقيم كاهن الرب العظيم فى جميع اسرائيل وكلمهم قائلا : اعلموا أن الرب يستجيب لصلواتكم إن واظبتم على الصوم والصلوات أمام الرب» (٢).

«فوجهت وجهى إلى الله السيد طالبا بالصلاة والتضرعات بالصوم» (٣).

«قدسوا صوما، نادوا باعتكاف، اجمعوا الشيوخ جميع سكان الأرض إلى بيت الرب إلهكم واصرخوا إلى الرب» (٤).

«ولكن الآن يقول الرب : ارجعوا إلىّ بكل قلوبكم، وبالصوم والبكاء والنوح، ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم، وارجعوا إلى الرب إلهكم... اضربوا بالبوق فى صهيون، قدسوا صوما، نادوا باعتكاف، اجمعوا الشعب، قدسوا الجماعة، احشدوا الشيوخ... ليبك الكهنة ويقولوا أشفق يارب على شعبك» (٥).

«فآمن أهل نينوى بالله ونادوا بصوم ... وقيل فى نينوى عن أمر الملك وعظمائه قائلا لا تذق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئا لا ترع ولا تشرب... ويصرخوا إلى الله بشدة» (٦).

«وتضرعوا إلى الرب الرحيم بالبكاء والصوم والسجود مدة ثلاثة أيام بلا انقطاع» (٧).

(٣) المسوح والرماد :-

«فمزق يشوع ثيابه وسقط على وجهه إلى الأرض أمام تابوت الرب إلى المساء هو وشيوخ إسرائيل ووضعوا ترابا على رؤوسهم» (٨).

«وفى اليوم الرابع والعشرين ... اجتمع بنو إسرائيل بالصوم وعليهم مسوح وتراب ... و ... وكانوا يحمدون ويسجدون للرب إلههم» (٩).

---

(١) يهو ٤ : ٨. (٢) يهو ٤ : ١٢، راجع أيضا يهو ٦ : ٢٠. (٣) دا ٩ : ٣.

(٤) يؤ ١ : ١٤. (٥) يؤ ٢ : ١٢ – ١٧. (٦) يون ٣ : ٥ – ٨.

(٧) ٢. مكا ١٣ : ١٢، راجع أيضا إش ٤ : ٣، ١٦، إش ٩ : ٣١، مز ٣٥ : ١٣، مز ٦٩ : ١٠، مز ١٠٩ : ٢٤، إر١٤ : ١٢، إر ٣٦ : ٦، ٩.

(٨) يش ٧ : ٦. (٩) نح ٩ : ١.

«ولبس الكهنة المسوح وطرحوا الأطفال أمام هيكل الرب وغطوا مذبح الرب بمسح، وصرخوا جملة إلى الرب إله اسرائيل» ... وكان الذين يقدمون المحرقات إلى الرب لابسين المسوح... والرماد على رؤوسهم وكانوا بجملتهم يصلون إلى الله من كل قلوبهم أن يفتقد شعبه إسرائيل» (١).

«فوجهت وجهى إلى الله السيد طالبا بالصلاة والتضرعات، بالصوم والمسح والرماد وصليت إلى الرب» (٢).

«تمنطقوا ونوحوا أيها الكهنة، ولولوا ياخدام المذبح، ادخلوا بيتوا بالمسوح ياخدام إلهى... وأصرخوا إلى الرب» (٣).

اتجاه الصلاة :-

(١) صوب هيكل أورشليم :-

«اذا انكسر شعبك إسرائيل أمام العدو لأنهم أخطأوا إليك ثم رجعوا إليك واعترفوا باسمك، وصلوا وتضرعوا إليك نحو هذا البيت فاسمع أنت من السماء وأغفر ...

«إذا أغلقت السماء ولم يكن مطر لأنهم أخطأوا إليك ثم صلوا فى هذا الموضع... إذا صار فى الأرض جوع، إذا صار وباء، إذا صار لفح أو يرقان أو جراد جردوم أو إذا حاصره عدوه فى أرض مدنه فى كل ضربة وكل مرض فكل صلاة وكل تضرع تكون من أى انسان كان من كل شعبك إسرائيل... فيبسط يديه نحو هذا البيت، فاسمع أنت من السماء مكان سكناك واغفر...

إذا خرج شعبك لمحاربة عدوه فى الطريق الذى ترسلهم فيه، وصلوا إلى الرب نحو المدينة التى اخترتها والبيت الذى بنيته لاسمك، فاسمع من السماء صلاتهم وتضرعهم واقض قضاءهم. إذا أخطأوا إليك لأنك ليس انسان لا يخطئ، وغضبت عليهم ودفعتهم أمام العدو، وسباهم سابوهم إلى أرض بعيدة أو قريبة، فاذا ردوا إلى قلوبهم فى الأرض التى يسبون إليها، ورجعوا وتضرعوا إليك فى أرض سبيهم قائلين : قد أخطأنا وعوجنا وأذنبنا، ورجعوا إليك من كل قلوبهم ومن كل أنفسهم فى أرض أعدائهم الذين سبوهم، وصلوا إليك نحو أرضهم التى أعطيت لآبائهم نحو

---

(١) يهو ٤ : ٩، ١٠، ١٦، ١٧ راجع أيضا يهو ٨ : ٦، مز ٣٥ : ١٣، مز ٦٦ : ١٠، إش ٥٨ : ١٥، إش ٤ : ٣.

(٢) دا ٩ : ٣.

(٣) يوئيل ١ : ١٣، ١٤.

المدينة التى اخترت والبيت الذى بنيت لاسمك، فاسمع فى السماء مكان سكناك صلاتهم وتضرعهم واقض قضاءهم» (١).

«استمع صوت تضرعى إذ استغيث بك وأرفع يدى إلى محراب قدسك» (٢).

«فلما علم دانيال بامضاء الكتابة، ذهب إلى بيته، وكواه مفتوحة فى عليته نحو أورشليم فجثا على ركبتيه... وصلى وحمد قدام إلهه» (٣).

«فصلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت، وقال : دعوت من ضيقى الرب فاستجابنى، صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتى، لأنك طرحتنى فى العمق فى قلب البحار... فقلت قد طردت من أمام عينيك، ولكننى أعود أنظر إلى هيكل قدسك ... نزلت إلى أسفل الجبال... حين أعيت فى نفسى ذكرت الرب فجاءت إليك صلاتى إلى هيكل قدسك» (٤).

(٢) نحو الشرق :-

«لذلك فى المشارق مجدوا الرب، فى جزائر البحر» (٥).

«هكذا قال السيد الرب : باب الدار الداخلية المتجهة للمشرق يكون مغلقا ستة أيام العمل وفى السبت يفتح وأيضا فى يوم رأس الشهر يفتح. ويدخل الرئيس... ويقف عند قائمة الباب، وتعمل الكهنة محرقته وذبائحه السلامية فيسجد على عتبة الباب ثم يخرج، أما الباب فلا يغلق إلى المساء، ويسجد شعب الأرض عند مدخل هذا الباب قدام الرب فى السبوت وفى رؤوس الشهور.

«وإذا عمل الرئيس ناقلة محرقة أو ذبائح سلامة، ناقلة للرب، يفتح له الباب المتجه للمشرق، فيعمل محرقته وذبائحه السلامية كما يعمل فى يوم السبت ثم يخرج وبعد خروجه يغلق الباب» (٦).

«تطلعى يا أورشليم من حولك نحو المشرق، وانظرى المسرة الوافدة عليك من عند الله. ها أن بنيك الذين ودعتهم قادمون، يقدمون مجتمعين من المشرق إلى المغرب، بكلمة القدوس مبتهجين بمجد الله» (٧).

---

(١) راجع ١. مل ٨ : ٣٣ – ٥٥، ٢. أى ٦ : ٢٤ - ٤٠، ٢. أى ٢٠ : ٩، عز ١٠ : ١، مز ٥ : ٧.

(٢) مز ٢٨ : ٢. (٣) دا ٦ : ١٠. (٤) يون ٢ : ١ – ٧.

(٥) إش ٢٤ : ١٥. (٦) حز ٤٦ : ١ – ١٢، حز ٤٤ : ١، ٢. (٧) بار ٤ : ٣٦، ٣٧.

«ثم ذهب بى إلى الباب، الباب المتجه نحو الشرق، وإذا بمجد إله اسرائيل جاء من طريق الشرق وصوته كصوت مياه كثيرة، والأرض أضاءت من مجده ... فخررت على وجهى، فجاء مجد الرب إلى البيت من طريق الباب المتجه نحو الشرق» (١).

أوقات الصلاة :-

(أ) يصلى الاسرائيليون ثلاث مرات فى اليوم :-

«أما أنا فإلى الله أصرخ والرب يخلصنى : مساء وصباحا وظهرا (٢)، أشكو وأنوح فيسمع صوتى» (٣).

«فلما علم دانيال بامضاء الكتابة، ذهب إلى بيته، وكواه مفتوحة فى عليته نحو أورشليم فجثا على ركبتيه ثلاث مرات فى اليوم وصلى وحمد قدام إلهه كما كان يفعل قبل ذلك... حينئذ أجابوا وقالوا قدام الملك، ان دانيال الذى من بنى سبى يهوذا لم يجعل لك أيها الملك اعتبارا ولا للنهى الذى أمضيته بل ثلاث مرات فى اليوم يطلب طلبته» (٤).

(ب) لكن داود النبى كان يصلى سبع مرات فى اليوم :-

«سبع مرات فى النهار، سبحتك على أحكام عدلك» (٥).

(١) صلاة باكر أو صلاة الغداة :-

«يارب بالغداة تسمع صوتى بالغداة، أوجه صلاتى نحوك وأنتظر» (٦).

أما أنا فأغنى بقوتك، وأرنم بالغداة برحمتك» (٧).

«يا الله الهى أنت، اليك أبكر» (٨).

«اذا ذكرتك على فراشى، فى المهد الهج بك» (٩).

«أما أنا فإليك يارب صرخت، وفى الغداة صلاتى تتقدمك» (١٠).

---

(١) حز ٤٣ : ١ - ٤.

(٢) يبدأ اليوم حسب التقويم العبرى بعد غروب الشمس، وينتهى فى غروب شمس اليوم التالى، لذا قال داود : مساءً وصباحا وظهرا.

(٣) مز ٥٥ : ١٦، ١٧، مز ٨٨ : ١.

(٤) دا ٦ : ١٠ - ١٣.

(٥) مز ١١٩ : ١٦٤.

(٦) مز ٥ : ٣.

(٧) مز ٥٩ : ١٦.

(٨) مز ٦٣ : ١.

(٩) مز ٦٣ : ٦.

(١٠) مز ٨٨ : ١٣.

«أشبعنا، بالغداة، من رحمتك فنبتهج ونفرح كل إيامنا» (١).

«اسمعنى رحمتك فى الغداة لأنى عليك توكلت» (٢).

(٢) صلاة الصبح (الثالثة) :-

«عند المساء يبيت البكاء، وفى الصباح ترنم» (٣).

«تقدمت فى الصبح وصرخت، كلامك انتظرت» (٤).

(٣) صلاة الظهر (نصف النهار) :-

«أما أنا فإلى الله أصرخ والرب يخلصنى، مساءً وصباحا وظهرا، أشكو وأنوح، فيسمع صوتى» (٥).

«ثم فى الغد ... صعد بطرس على السطح ليصلى نحو الساعة السادسة» (٦).

(٤) صلاة الساعة التاسعة :-

«فقال ايليا لأنبياء البعل : اختاروا لأنفسكم ثورا واحدا وقربوا أولا ... وادعو باسم آلهتكم ... فأخذوا الثور الذى أعطى لهم وقربوه ودعوا باسم البعل من الصباح إلى الظهر قائلين : يابعل أجبنا، فلم يكن صوت ولا مجيب.. ولما جاز الظهر وتنبأوا إلى حين اصعاد التقدمة ولم يكن صوت ولا مجيب ولا مصغ، قال ايليا لجميع الشعب : تقدموا إلىّ فتقدم جميع الشعب إليه، فرمم مذبح الرب المتهدم... وكان عند اصعاد التقدمة : أن ايليا النبى تقدم وقال : أيها الرب إله ابراهيم ... استجبنى يارب استجبنى» (٧).

---

(١) مز ٩٠ : ١٤.

(٢) مز ٩٢ : ١، ٢ راجع مز ١٤٣ : ٨، مز ١١٩ : ١٤٨، إش ٣٣ : ٢، صف ٣ : ٥.

(٣) مز ٣٠ : ٥.

(٤) مز ١١٩ : ١٤٧.

(٥) مز ٥٥ : ١٧.

(٦) يصلى مار بطرس الرسول صلاة الساعة السادسة أى صلاة الظهر بوصفه يهوديا أو بصفته مسيحيا ... أع ١٠ : ٩ راجع أيضا دا ٩ : ١٠، ١٣.

(٧) ١. مل ٢٨ : ٢٥ – ٣٧.

«وأنا (عزرا) جلست متحيرا إلى تقدمة المساء، وعند تقدمة المساء (١) قمت من تذللى وفى ثيابى وردائى الممزقة جثوت على ركبتى وبسطت يدى إلى الرب إلهى» (٢).

«وصعد بطرس ويوحنا معا إلى الهيكل فى ساعة الصلاة، (وقد كانت) التاسعة (من النهار)» (٣).

«وكان فى قيصرية رجل يسمى كورنيليوس، قائد مئة (لفرقة) من الكتيبة التى تدعى الايطالية، (كان) تقيا يخاف الله (هو) وجميع بيته. فرأى بوضوح، فى رؤيا، نحو الساعة التاسعة من النهار، ملاكا من الله قد أتى إليه وقال له : ياكورنيليوس...

«فأجابه كورنيليوس، منذ أربعة أيام خلت، كنت صائما أصلى فى بيتى فى الساعة التاسعة وبغتة وقف أمامى رجل فى لباس بهى» (٤).

(٥) صلاة الغروب :-

«وأتى عماليق وحارب اسرائيل ... وأما موسى وهرون وحور فصعدوا على رأس التلة، وكان إذا رفع موسى يده أن اسرائيل يغلب، واذا خفض يده أن عماليق يغلب. فلما صارت يدا موسى ثقيلتين أخذا حجرا ووضعاه تحته فجلس عليه، ودعم هارون وحور يديه : الواحد من هنا والآخر من هناك. فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس» (٥).

«لتستقم صلاتى كالبخور قدامك، ليكن رفع يدى كذبيحة مسائية» (٦).

---

(١) المساء عند العبرانيين ينقسم الى مسائين : الأول يمتد ما بين غروب الشمس والظلام، ويسمى الزمن الذى يمتد بينهما «بين العشائين» لا ٢٣ : ٥، عد ٩ : ٣، ٢٨ : ٤ والثانى: يمتد ما بعد ظهور الظلام.

«أما المساء الأول فيبتدئ من الساعة الثالثة بعد الظهر (أى الساعة التاسعة من النهار) وينتهى عند الغروب. وأما المساء الثانى فيبتدئ منذ الغروب، أى يبتدئ حيث ينتهى المساء الأول ويلاحظ أن تقدمة المساء تكون فى العشية أو بين العشائيين (حسب التقويم والاصطلاح العبرانى) وبعبارة أخرى بين الساعة التاسعة من النهار والساعة الحادية عشرة أى بعد الغروب.

(٢) عز ٩ : ٤، ٥.

(٣) أع ٣ : ١.

(٤) أع ١ : ١ – ٣.

(٥) خر ١٧ : ٨ – ١٢.

(٦) المساء هنا ينصرف الى ساعة الغروب، وليس الى الليل (مز ١٤١ : ٢).

(٦) صلاة الليل أو النوم :-

«فالتفت إلى صلاة عبدك ... لتكون عيناك مفتوحتين على هذا البيت نهارا وليلا ... لتسمع الصلاة» (١).

«تعبت فى تنهدى، أعوم فى كل ليلة سريرى بدموعى أذوب فراشى» (٢).

«إلهى أدعو فى النهار فلا تستجيب، فى الليل أدعو فلا هدو لى» (٣).

«وبالليل تسبيحة عندى، صلاة لإله حياتى» (٤).

«فى يوم ضيقى التمست الرب، يدى فى الليل انبسطت ولم تخدر» (٥).

«أذكر ترنمى فى الليل، مع قلبى أناجى» (٦).

«يارب إله خلاصى، بالنهار والليل صرخت أمامك، فلتأت قدامك صلاتى» (٧).

«فى الليل على فراشى طلبت من تحبه نفسى» (٨).

«بنفسى اشتهيتك فى الليل، أيضا بروحى فى داخلى إليك أبتكر» (٩).

(٧) صلاة نصف الليل :-

«وقال موسى هكذا يقول الرب، انى نحو نصف الليل أخرج فى وسط مصر... فحدث فى نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر فى أرض مصر» (١٠).

«فى منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برك» (١١).

---

(١) ٢. أى ٦ : ٢٠.
(٢) مز ٦ : ٦.
(٣) مز ٢٢ : ٢.
(٤) مز ٤٢ : ٨.
(٥) مز ٧٧ : ٢.
(٦) مز ٧٧ : ٦.
(٧) مز ٨٨ : ١.
(٨) نش ٣ : ١.
(٩) إش ٢٦ : ٩، راجع مز ١٦ : ٧، مز ١٧ : ٣، مز ٣٢ : ٤، مز ٤٢ : ٣، مز ١٢ : ٢، مز ١١٩ : ٥٥، مز ١٣٤ : ١، جا ٨ : ١٦.
(١٠) خر ١١ : ٤، خر ١٢ : ٢٩.
ما أنفع الصلاة فى هذه اللحظة التى يخرج فيها السيد أو ملاكه ليتمشى بين الناس، وما أحوج النفس إليها ليرتد حمو غضب الرب عنها وعن سائر الشعب.
(١١) مز ١١٩ : ٦٢.

أنواع الصلاة :-

الصلاة انفرادية أو عائلية أو جمهورية :-

أولاً : الصلاة الانفرادية :-

إذا صلى الفرد فى خلوة صلاة لا يشاركه فيها أحد، فصلاته تسمى انفرادية ومثالها فى العهد القديم - ابتداء من عهد موسى - موسى ومنوح وحنة وصموئيل وداود، وسليمان وأليشع، وحزقيا، وعزرا، ونحميا، وطوبيا، ويهوديت، وأستير، وإرمياء، ودانيال، وسوسنة، ويونان، وحبقوق، ويهوذا المكابى ..... (١).

ثانياً : الصلاة العائلية :-

«وقال يشوع ... وأما أنا وبيتى فنعبد الرب» (٢).

«اسكب غضبك علىّ ... وعلى العشائر التى لم تدع باسمك» (٣).

ثالثاً : الصلاة الجمهورية :-

«فى كل الأماكن التى فيها أصنع لاسمى ذكرا، آتى إليك وأباركك» (٤).

---

(١) راجع خر ٨ : ٢٩، ٣٠ - خر ١٧ : ٤، خر ١٧ : ١١ - ١٣، تث ٩ : ٢٦، قض ٦ : ٢٢، ٣٦، ٣٩ - قض ١٣ : ٨، ١. صم ١ : ١٠، ١. صم ٢ : ١، ١. صم ١٢ : ١٨، ٢. صم ٧ : ٢٧، إش ١٧ : ١٥، مز ١٤، مز ٥ : ٢، مز ٢٧ : ٧، مز ٣٩ : ١٢، مز ٥٤ : ٢، مز ٥٤ : ٢، مز ٥٥ : ١، مز ٦١ : ١، مز ٨٦ : ٦، مز ٦٩ : ١٣، مز ٨٤ : ٨، مز ٤٢ : ٨، مز ٨٨ : ٢، مز ١٠٢ : ١، مز ١٤٣ : ١، ١. مل ٨ : ٢٨، ٢. أى ٦ : ٢٠، ٢. مل ٦ : ١٧، ٢. مل ٦ : ١٨، ٢. مل ١٩ : ١٥، ٢. مل ٢٠ : ٢، ٢. أى ٣٢ : ٢٤، عز ٩ : ٦ ... الخ، ١٠ : ١، نح ١ : ٤، ٢ : ٤، طو ٣ : ١، يهو ٩ : ١، يهو ٤ : ٨ - ١٧، إش ١٤ : ٣، إر ٣٢ : ١٦ - ٢٥، إر ٤٢ : ٤، دا ٦ : ١٠، دا ٩ : ٣، ٤، دا ٩ : ١٧، ٢٠، دا ١٣ : ٤٢، يون ٢ : ١، يون ٢ : ٧، يون ٤ : ١، حب ١ : ٢، حب ٣ : ١، ١. مكا ٣ : ٤٤ - ٥٠، ٥٣، ٢. مكا ١١ : ٦.

(٢) يش ٢٤ : ١٥، راجع ٢. صم ٦ : ٢٠، مز ٣٠.

(٣) إر ١٠ : ٢٥.

(٤) ترى إذن أن للصلاة فى الأماكن المقدسة المكرسة والمدشنة لله، بركة من الله نتيجة حضور الله فى هذه الأماكن، وتحقيقا لوعده الكريم، خر ٢٠ : ٢٤.

«فمزق يشوع ثيابه وسقط على وجهه إلى الأرض أمام تابوت الرب الى المساء هو وشيوخ إسرائيل ووضعوا ترابا على رؤوسهم، وقال يشوع آه يا سيد الرب...» (١).

«وبارك داود الرب أمام كل الجماعة، وقال داود : مبارك أنت أيها الرب إله إسرائيل أبينا من الأزل وإلى الأبد ....» (٢).

«ووقف (سليمان) أمام مذبح الرب تجاه كل جماعة إسرائيل وبسط يديه ... وقال : أيها الرب إله إسرائيل، لا إله مثلك ...» (٣).

«وتراءى الرب لسليمان ليلا وقال له ... فاذا تواضع شعبى الذين دعى اسمى عليهم وصلوا وطلبوا وجهى ورجعوا عن طرقهم الردية فانى أسمع من السماء وأغفر خطيتهم وأبرئ أرضهم، الآن عيناى تكونان مفتوحتين وأذناى مصغيتين إلى صلاة هذا المكان» (٤).

«واجتمع يهوذا ليسألوا الرب، جاءوا أيضا من كل مدن يهوذا ليسألوا الرب...

«فوقف يهوشافاط فى جماعة يهوذا وأورشليم فى بيت الرب أمام الدار الجديدة، وقال يارب إله ابائنا، أما أنت هو الله فى السماء» (٥).

«وفى اليوم الرابع والعشرين من هذا الشهر اجتمع بنو اسرائيل بالصوم وعليهم مسوح وتراب ووقفوا واعترفوا بخطاياهم وذنوب آبائهم، وأقاموا فى مكانهم وقرأوا فى سفر شريعة الرب إلههم ربع النهار، وفى الربع الآخر كانوا يحمدون ويسجدون للرب إلههم..

«ووقف على درج اللاويين يشوع وبانى ... وصرخوا بصوت عظيم إلى الرب إلههم» (٦).

وصرخ كل الشعب إلى الرب بابتهال عظيم، وذللوا أنفسهم بالصوم والصلاة هم ونساؤهم ولبس الكهنة المسوح وطرحوا الأطفال أمام هيكل الرب وغطوا مذبح الرب بمسح، وصرخوا

---

(١) فى الصلاة الجمهورية يرتفع صوت النائب (كاهنا كان أو نبيا أو ملكا) ويتابعه الجمهور باحساسه وقلبه وشعوره. يش ٧ : ٦ - ٩.

(٢) ١. أى ٢٩ : ١٠ - ١٦.

(٣) ٢. أى ٦ : ١٢ .. الخ، راجع أيضا ١. مل ٨ : ٢٢ .. الخ.

(٤) ٢. أى ١٧ : ١٢ - ١٥.

(٥) ٢. أى ٢٠ : ٣، ٤، ٥ - ١٣.

(٦) نح ٩ : ١ - ٤.

جملة إلى الرب إله إسرائيل أن لا يجعل أطفالهم غنيمة ونساءهم مقتسما للأعداء ومدنهم خرابا، وأقداسهم نجاسة، واياهم عارا بين الأمم، وجال الياقيم كاهن الرب العظيم فى جميع إسرائيل وكلمهم قائلا : اعلموا أن الرب يستجيب لصلواتكم إن واظبتم على الصوم والصلوات أمام الرب» (١).

«واذا خاطبهم بهذا الكلام تضرعوا إلى الرب وكانوا لا يبرحون من أمام الرب. وكان الذين يقدمون المحرقات إلى الرب لابسين المسوح يقربون ذبائح للرب والرماد على رؤوسهم، وكانوا بجملتهم يصلون إلى الله من كل قلوبهم أن يفتقد شعبه إسرائيل» (٢).

«فلما قالوا هذا حدث بكاء وعويل عظيم فى الجماعة كلها، وصرخوا إلى الله بصوت واحد ساعات كثيرة قائلين : قد خطئنا نحن وآباؤنا وصنعنا الظلم والاثم. ارحمنا لأنك رحيم أو فانتقم عن آثامنا بأن تعاقبنا أنت ولا تسلم المعترفين بك إلى شعب لا يعرفك، لئلا يقال فى الأمم أين إلههم : ثم انهم كلّوا من الصراخ وخاروا من البكاء» (٣).

«ورفعوا صلواتهم إلى الرب بالبكاء والعويل عامة بقلب واحد قائلين : أيها الرب إله السماء والأرض : أنظر إلى عتوهم والتفت إلى تذللنا ولا تغفل وجوه قديسيك» (٤).

«هذه أذكرها فاسكب نفسى علىّ، لأنى كنت أمر مع الجُمّاع، أتدرج معهم إلى بيت الله بصوت ترنم وحمدو جمهور معيّد» (٥).

«فرحت بالقائلين لى، إلى بيت الرب نذهب» (٦).

«وتسير شعوب كثيرة ويقولون : هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب، فيعلمنا من طرقه ونسلك فى سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب» (٧).

لاحظ ترتيب العبادة الجمهورية فهو قسمان «الأول، قسم تعليمى والثانى قسم عبادى : يصلون فيه ويسجدون، ومهمة الشمامسة واللاويين هنا هى الانذار بصوت مرتفع عال.

(١) ان الشعب مع كثرته لم يصل كل منهم كما اتفق بل قد اتحدت كلمتهم وبروح وقلب متحد كانوا يصلون جملة إلى الله، ومما هو جدير بالذكر فى ترتيبات العبادة أن الوعظ والارشاد جزء منها يقوم به المرشد الدينى أو الكاهن فيستشير شعور الشعب نحو العبادة والجهاد الروحى فيثابروا عليه بصبر واحتمال.

(٢) يهو٤ : ١٥ – ١٧. (٣) يهو٧ : ١٨ – ٢٢. (٤) يهو٦ : ١٤، ١٥.

(٥) مز٤٢ : ٤. (٦) مز١٢٢ : ١. (٧) إش٢ : ٣.

«آتى بهم إلى جبل قدسى، وأفرحهم فى بيت صلاتى، وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحى لأن بيتى بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب» (١).

«وكان الناس يتبادرون من البيوت أفواجا ليصلوا صلاة عامة لسبب الهوان المشرف على الموضع» (٢).

مكان الصلاة الجمهورية ـ بيت الله : ـ

«بل المكان الذى يختاره الرب إلهكم من جميع أسباطكم ليضع اسمه فيه، سكناه تطلبون وإلى هناك تأتون، وتقدمون إلىّ هناك محرقاتكم وذبائحكم وعشوركم ورفائع أيديكم ونذوركم ونوافلكم وأبكار بقركم وغنمكم، وتأكلون هناك أمام الرب إلهكم وتفرحون» (٣).

«فالمكان الذى يختاره الرب إلهكم ليحل اسمه فيه، تحملون إليه كل ما أنا أوصيكم به محرقاتكم وذبائحكم وعشوركم ورفع أيديكم وكل خيار نذوركم» (٤).

«اذا كان المكان الذى يختاره الرب إلهك ليضع اسمه فيه بعيدا عنك فاذبح من بقرك وغنمك التى أعطاك الرب كما أوصيتك وكل فى أبوابك من كل ما اشتهت نفسك» (٥).

«وتأكل أمام الرب إلهك فى المكان الذى يختاره ليحل اسمه فيه : عشر حنطتك وخمرك وزيتك وأبكار بقرك وغنمك، لكى تتعلم أن تتقى الرب إلهك كل الأيام، ولكن إذا طال عليك الطريق حتى لا تقدر أن تحمله، إذا كان بعيدا عليك المكان الذى يختاره الرب إلهك ليحل اسمه فيه إذ يباركك الرب إلهك، فبعه بفضة وصر الفضة فى يدك واذهب إلى المكان الذى يختاره الرب إلهك، وانفق الفضة فى كل ما تشتهى نفسك فى البقر والغنم والخمر والمسكر وكل ما تطلب منك نفسك، وكل هناك أمام الرب الهك وافرح أنت وبيتك واللاوى الذى فى أبوابك» (٦).

---

(١) إش ٥٦ : ٧ راجع أيضا زك ٨ : ١١، ٢٢.

(٢) ٢. مكا ٣ : ١٨.

(٣) تث ١٢ : ٥ – ٧.

(٤) تث ٥ : ١١.

(٥) تث ١٢ : ٢١.

(٦) تث ١٤ : ٢٢ – ٢٧.

«لا يحل لك أن تذبح الفصح فى أحد أبوابك التى يعطيك الرب إلهك بل فى المكان الذى يختاره الرب إلهك ليحل اسمه فيه، هناك تذبح الفصح مساء نحو غروب الشمس فى ميعاد خروجك من مصر، وتطبخ وتأكل فى المكان الذى يختاره الرب إلهك ثم تنصرف فى الغد وتذهب إلى خيامك» (١).

«وكان لما أكمل سليمان بناء بيت الرب... أن الرب تراءى لسليمان ثانية كما تراءى له فى جبعون، وقال له الرب : قد سمعت صلاتك وتضرعك الذى تضرعت به أمامى، قدست هذا البيت الذى بنيته لأجل وضع اسمى فيه إلى الأبد، وتكون عيناى وقلبى هناك كل الأيام» (٢).

«وان رجعتم إلىّ وحفظتم وصاياى وسلمتموها، ان كان المنفيون منكم فى أقصاء السموات فمن هناك أجمعهم وآتى بهم إلى المكان الذى اخترت لإسكان اسمى فيه» (٣).

«فقال الرب لداود ... من أجل أنه كان فى قلبك أن تبنى بيتا لاسمى قد أحسنت بكونه فى قلبك، إلا أنك أنت لا تبنى البيت بل إبنك الخارج من صلبك هو يبنى البيت لإسمى» (٤).

«أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك، أسجد فى هيكل قدسك بخوفك» (٥).

«يارب أحببت محل بيتك وموضع مسكن مجدك» (٦).

«ما أكرم رحمتك يا الله، فبنوا البشر فى ظل جناحيك يحتمون، يروون من دسم بيتك ومن نهر فمك تسقيهم» (٧).

«طوبى للذى تختاره وتقربه ليسكن فى ديارك، لنشبعن من خير بيتك، قدس هيكلك» (٨).

«أدخل إلى بيتك بمحرقات» (٩).

«لأن غيرة بيتك أكلتنى» (١٠).

---

(١) ٢. مل ٩ : ١ – ٣.
(٢) ٢. أى ٧ : ١٥، ١٦ راجع عز ٦ : ١٢.
(٣) نح ١ : ٩.
(٤) ١. مل ٨ : ١٩.
(٥) مز ٥ : ٧.
(٦) مز ٢٦ : ٨.
(٧) مز ٣٦ : ٧، ٨.
(٨) مز ٦٥ : ٤.
(٩) مز ٦٦ : ١٣.
(١٠) مز ٦٩ : ٩.

«طوبى للساكنين فى بيتك أبدا يسبحونك... طوبى لأناس عزهم بك، طرق بيتك فى قلوبهم» (١).

«ببيتك تليق القداسة يارب إلى طول الأيام» (٢).

«أذكر يارب داود وكل ذله، كيف حلف للرب نذر لعزيز يعقوب، لا أدخل خيمة بيتى، لا أصعد على سرير فراشى، لا أعطى وسنا لعينى ولا نوما لاجفانى أو أجد مقاما للرب مسكنا لعزيز يعقوب» (٣).

«فنظرت وإذا بمجد الرب قد ملأ بيت الرب، فخررت على وجهى» (٤).

«فكانت كلمة الرب عن يد حجى النبى قائلا : هل الوقت لكم أن تسكنوا فى بيوتكم المغشاة وهذا البيت خراب.. هكذا قال رب الجنود... أصعدوا إلى الجبل وأتوا بخشب وأبنوا البيت فأرضى عليه وأتمجد، قال الرب» (٥).

«ولماذا يقول رب الجنود، لأجل بيتى الذى هو خراب، وأنتم راكضون كل إنسان إلى بيته، لذلك منعت السموات من فوقكم الندى، ومنعت الأرض غلتها ودعوت بالحر على الأرض وعلى الجبال وعلى الحنطة وعلى المسطار وعلى الزيت وعلى ما تنبته الأرض وعلى الناس وعلى البهائم وعلى كل أتعاب اليدين حينئذ سمع زربابل بن شالتئيل ويهوشع بن يهوصادق الكاهن العظيم وكل بقية الشعب صوت الرب إلههم وكلام حجى النبى كما أرسله الرب إلههم، وخاف الشعب أمام وجه الرب، ونبه الرب روح زربابل ... فجاءوا وعملوا الشغل فى بيت رب الجنود إلههم» (٦).

«لذلك هكذا قال الرب، قد رجعت إلى أورشليم بالمراحم، فبيتى يبنى فيها يقول رب الجنود» (٧).

---

(١) مز ٨٤ : ٤، ٥.
(٢) مز ٩٣ : ٥.
(٣) مز ١٣٢ : ١ – ٥.
(٤) حز ٤٤ : ٤.
(٥) حج ١ : ٣ – ٨.
(٦) حج ١ : ٩ – ١٤.
(٧) زك ١ : ١٦، راجع أيضا ٢. صم ٧ : ٥، ٢٧ – ١. مل ٥ : ٣، ١. مل ٦ : ١، ١. أى ١٧ : ٤، ١. أى ٢٢ : ٦، ٨، ١. أى ٢٨ : ٣، ١. أى ٣٦ : ٢٣، يهو ٤ : ٩، ١٥، ١٦، مز ٧٤ : ٧، إش ٦٦ : ١، إر ٧ : ١٠ – ١٢، حج ٢ : ٣٤، ٧، ٩، زك ٩ : ٨.

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسوعة الأنبا غريغوريوس

٥- اللاهـــوت الطقســى

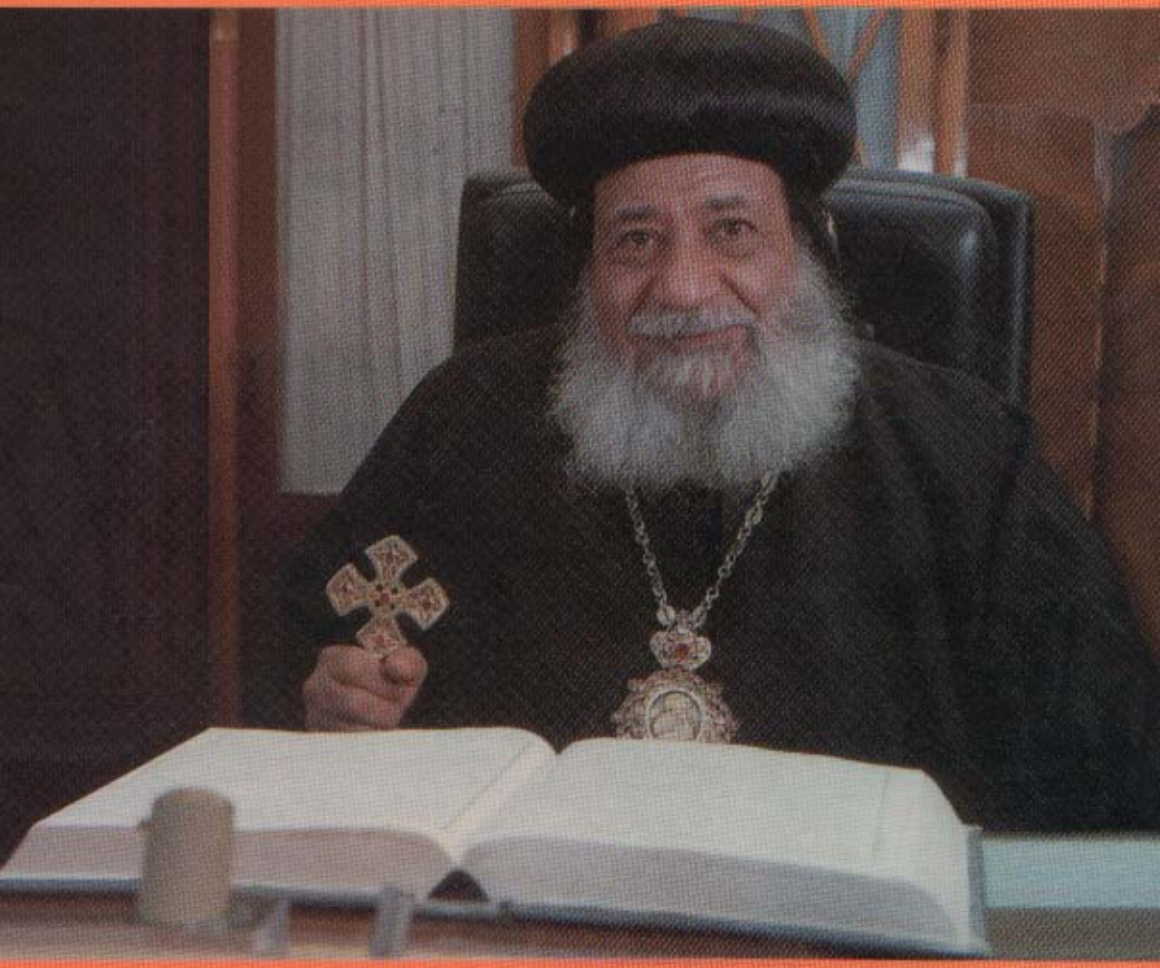

للمتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

موضوعـــات وإجابـــات على أسئـــلة

١ ـ الطقوس بين القاعدة والتطبيق(١)

مقدمة

ليست هذه المحاضرة درساً فى العقيدة، أو درساً فى الطقس، وإنما المقصود منها أن تكون مجرد تأملات فى نقاط متفرقة، وملاحظات للإكليريكيين الذين يعرفون الطقوس.

إن كنيستنا كنيسة طقسية نظامية تقليدية، والطقوس فيها ليست أموراً شكلية مادية جافة كما يظنها بعض الخارجين على الكنيسة، وإنما الطقوس لها معان روحية عظيمة. ولكل طقس، بل ولكل جزء من كل طقس، حكمة روحية، والذى لا يعرف حكمة الطقس لا يعرف للطقس معنى ويمسى الطقس بالنسبة له جسداً بلا روح.

وحتى الذين درسوا الطقوس، ولكنهم مع الأيام نسوا حكمة ترتيبها، والمعانى الروحية المنطوية وراءها، هم أيضاً بدأوا شيئاً فشيئاً يغفلون حكمتها ومعانيها الروحية، وأخذ يضعف إيمانهم شيئاً فشيئاً بقيمة الطقوس. ثم شرعوا شيئاً فشيئاً يهملون الطقوس. وأمسى عند البعض سواء أن يؤدى الطقس بهذه الصورة أو بتلك، طالما تحولت الطقوس بالنسبة لهذا البعض إلى مجرد رسوم خارجية شكلية جسدية مادية لا روح فيها.

وعلى ذلك فالذين صاروا يفهمون الطقوس على هذا النحو قد أساءوا إلى الطقوس وإلى كنيستهم، ولذلك بتنا فى حاجة إلى أن نراجع أنفسنا بإزاء هذا الواجب المقدس.

ورجال الدين والإكليريكيون أولى من غيرهم أن يعرفوا الحكمة المنطوية وراء كل طقس، وهم أيضاً أولى من غيرهم حرصاً على سلامة الطقوس وأدائها، بالروح والحق وبالدقة التى يجب أن تؤدى بها.

صدقونى إننا لو أدينا كل طقوسنا بروحانية وبتقوى وخشوع، ولو أديناها أيضاً بدقة وسلامة وأمانة كما وضعتها الكنيسة، لأظهرنا الطقوس فى صورتها الجميلة الجذابة التى تستهوى القلب وتؤثر فى أعماق النفس.

إن الطقوس لغة، وإذا أديت على صورتها الصحيحة كانت لحناً جميلاً، ولغة مفهومة قادرة على أن تصل إلى قلوب الناس، ولكن إذا لم يؤد الطقس على

(١) محاضرة ألقيت فى الحلقات الدراسية لخريجى الكلية الإكليريكية من ٦ – ٩ فبراير سنة ١٩٦٧م.

صورته السليمة الصحيحة الدقيقة فهو يتحول فى نظر البعض إلى رسوم لا قيمة لها ولا مغزى فيها. وبهذا نسئ إلى الطقوس وإلى كنيستنا، وبهذا تمسى سبباً لنفور الناس من الكنيسة بدلاً من أن تكون - كما قصد بها - وسيلة سهلة جذابة تجعل الدين سهلاً إلى قلوب الناس.

وعلى قول القديس الذهبى فمه «أيها المسيحى لو كنت روحاً خالياً من الجسد لكانت عطايا الله تمنح لك على هذا النمط، ولكن حيث أن روحك متحدة بجسد فلزم أن الله يعطيك بعلامات محسوسة ما لا يدرك بالعقل».

من هنا كانت ديانتنا عقيدة وطقساً فى نفس الوقت. أما العقيدة فهى يقينية الإيمان، وأما الطقس فهو التعبير الذى يعبر به الإنسان عن عقيدته. وكلما كان هذا التعبير له قوالب مرسومة صار وسيلة إيضاح سهلة ومفهومة، وأمكن أن يكون الطقس وهو صامت لغة تنقل فى يسر إلى قلوب الناس ونفوسهم وعقولهم العقائد الدينية التى تعبر عنها هذه الطقوس.

ومن هنا كانت جاذبية الطقوس بالنسبة للأطفال الذين يحبون الكنيسة مع أنهم لا يفهمون كلمة واحدة من الوعظ أو القراءات. فالكنيسة جذابة للطفل جداً لأن فيها طقوسها التى تشبع نفسياتهم واحتياجاتهم، ولذلك فإن أكبر عقوبة يعاقب بها الطفل هى حرمان أحد والديه له من ذهابه إلى الكنيسة.

لو لم تكن كنيستنا جذابة فى طقوسها للطفل، فلماذا يبكى الطفل إذا حرم من ذهابه إلى الكنيسة، مع أنه لا يفهم شيئاً من الوعظ أو من التعليم أو من القراءات أو ما إلى ذلك؟..

وليس حضور الطفل إلى الكنيسة عبثاً حتى ولو كان رضيعاً على كتف أمه، لأن الطفل ينتفع انتفاعاً كبيراً من حضوره إلى الكنيسة ووجوده فيها أكثر مما ينتفع الرجل البالغ والمرأة البالغة.

وقد أثبتت التجارب والعلوم التجريبية، وأثبت علماء الاجتماع على الخصوص، أن الديانات ذات الطقوس أثبت على الأيام من الديانات التى ليست لها طقوس. والديانات التى لها طقوس عزيزة على أصحابها بحيث يصبح من غير السهل عليهم أن ينسوا ديانتهم حتى لو أرادوا هم ذلك، لأن الطقوس تربطهم بالديانة وتثبت العقائد الدينية فى نفوسهم.

وكلما كان الطفل صغيراً كان أثر الطقوس فى نفسه كبيراً، ومن هنا كان رسوخ العقيدة الدينية إذا بدأت أن تدخل للطفل وهو فى سن الرضاعة.

ليس هذا درساً فى أهمية الطقوس بالنسبة إلى الأطفال، وليس حديثنا اليوم درساً ولا محاضرة فى الطقوس وصحتها، كما قلنا فى بدء الحديث. ولكنها ملاحظات قصدت أن أظهر بها الفرق بين الطقوس فى أصولها والطقوس وقد أهملت حكمتها فى بعض الأحايين، فأهمل بالتالى ترتيبها، وضاعت عند بعض الناس ، وبهذا أتلفنا قيمة الطقوس.

فإذا لم يهتم حماة الطقوس، وهم رجال الدين أولاً، بأن يصونوا كنيستهم وطقوسهم من الضياع والإهمال والاستهتار فى تتميمها على صورتها الدقيقة، فإن الكنيسة تصيبها أضرار بالغة.

فرجائى إلى رجال الدين أن يتخذوا حيطتهم وحرصهم على أن يرعوا للطقوس كرامتها، وأن يعرفوا كيف يمارسونها بوجه دقيق، أولاً بروحانية وتقوى، وثانياً أن يعرفوا الحكمة فى كل حركة، وثالثاً أن ينفذوا كل طقس بحذافيره كما أرادته الكنيسة أن يكون.

بعض ملاحظات من جهة مبنى الكنيسة

تعلمون أن الكنيسة ليست بيتاً كبيوت الناس ولا عمارة سكنية أو مدينة من أى نوع. إنها بيت لله يبنى وفقاً لتصميم خاص، وأكثرهم يعرف هذا التصميم وقد درسه. وأنا لا أريد أن أدخل فى هذه التفصيلات، ولكنى أريد أن أقول أننى بدأت أتخوف من عمارات بعض الكنائس الحديثة التى خرجت كثيراً أو قليلاً عن الأوضاع القديمة وعن الحكمة فى ترتيب كل جزء من بناء الكنيسة.

إنى أرى أن الجمعيات والهيئات ولجان الكنائس عند بناء الكنيسة يلجأون إلى مهندس لم يدرس على الغالب طقوس الكنيسة، وإنما درس العمارة فى كلية الهندسة أو فى كلية الفنون التطبيقية العليا. ولهذا تتحول الكنيسة فى نظره إلى عمارة يبنيها على نفس النمط، وحتى لو كان له بعض المعرفة يرشده إليها الكاهن، مع هذا يظل فارق بين الكنيسة كما يجب أن تبنى والكنيسة كما تبنى الآن بالفعل.

فى كل مرة دعيت أن أدخل إلى أى كنيسة من الكنائس الجديدة ودعيت أن أبدى رأياً، وجدت لى دائماً بعض الملاحظات، وللأسف بعد فوات الأوان، لدرجة أن الكاهن يقول لى أننا لا

نستطيع أن نعمل الآن أى تغيير! ولماذا كل هذا؟! لأن المهنس عادة ليست له معرفة كاملة بطقوس الكنيسة، كما أن المسئولين لا يقدمون له مواصفات كافية عن الكنيسة كما يجب أن تكون فى وضعها الكنسى الأصيل.

١ - وضع المعمودية:

خذ مثلاً لذلك جرن المعمودية، فطقس الكنيسة يتطلب أن يقام جرن المعمودية فى الجهة البحرية الغربية من الكنيسة، (انظر كتاب الدسقولية الباب ٣٥)، ذلك لأن غير المعمد يكون خارج دائرة الإيمان، وبالمعمودية ينتقل إلى داخل هذه الدائرة، أو بالحرى بالمعمودية يدخل إلى ملكوت السماوات وأعنى بها الكنيسة.

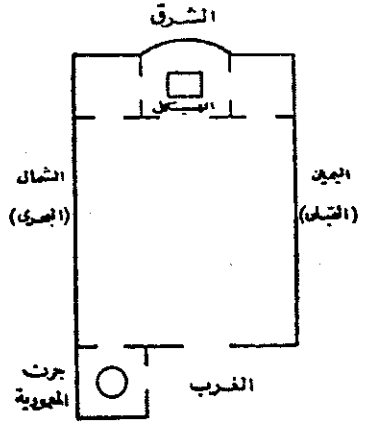

فلابد أن يكون فى الغرب ثم ينتقل بعد المعمودية إلى الشرق، ولابد أن يكون إلى جهة الشمال (البحرى) بالنسبة إلى الداخل إلى الكنيسة فى اتجاه الهيكل ثم ينتقل بالمعمودية إلى جهة اليمين على النحو الآتى:

هذا هو الوضع الأصيل، ولكن كم من كنائسنا تراعى هذا الوضع أو تهتم به، أن عدداً كبيراً من كنائسنا تبنى بدون مراعاة للوضع الطقسى الأصيل.

وغالباً ما تقام المعمودية فى وضع يتعارض مع الطقس، بحيث يختفى تماماً المعنى الروحى العميق الذى يحمله وضع جرن المعمودية كما تعلم به الكنيسة المقدسة.

٢ - سمك حوائط الكنيسة:

خذ مثلاً آخر. كانت الكنائس القديمة تبنى حوائطها سميكة على الطريقة الفرعونية القديمة، حتى يكون عازلاً جيداً من حرارة وبرودة الجو الخارجى، فضلاً عن أن يكون عازلاً عن وصول الأصوات الخارجية فيتوافر للعابدين جو من الهدوء والسكون، والصمت المناسب للعبادة.

أما اليوم فقد تجاهلنا هذه الحكمة. وصرنا نبنى كنائسنا كما نبنى عمارات البيوت السكنية بحوائط نصف طوبة، ففقدنا الجو الذى كنا ولا زلنا نجده فى كنائسنا القديمة ذوات الحوائط

السميكة التى تغنى بطريقة بنائها عن تكييف الهواء، والتى يتوافر فيها حقاً الهدوء والسكون والصمت والعزلة التامة عن كل صوت من الأصوات الخارجية.

٣ ـ النوافذ والشبابيك:

خذ أيضاً مثلاً ثالثاً ـ كانت كنائسنا القديمة تتميز بخاصية الإضاءة الخافتة، فكانت النوافذ قليلة وعالية، وغالباً كان زجاجها غير شفاف أو مغطى بالزجاج الملون برسوم دينية جميلة كما فى كنيسة المعلقة مثلاً. والحكمة فى ذلك روحية وذهنية. **فالضوء الخافت مريح للأعصاب، ويساعد على تركيز الانتباه فى الصلاة، كما أنه يدعو إلى التهيب والوقار اللائقين بالمكان الطاهر.**

أما كنائس اليوم فما أكثر نوافذها، وما أوسع هذه النوافذ. كما أنها منخفضة، فتسمح بالضوء القوى الشديد، كما أنها تفتح العالم الخارجى على الكنيسة. فبتنا اليوم نسمع ونحن فى الكنيسة أصوات الباعة وأصوات الأغانى من المذياع فى البيوت المجاورة، ونظراً لانخفاض النوافذ واتساعها، صار من الميسور لمن فى الكنيسة أن يرى الناس الذين فى شرفات البيوت المجاورة. كما أن كثرة الإضاءة تساعد على تشتيت الانتباه وعدم التركيز فى الصلاة.

هل تعلمون أن تسليط أضواء قوية على عينى مجرم عنيد يحل شخصيته فينسى ما قاله أولاً، فينهار ثم يعترف بعد أن كان مصراً على الإنكار؟.. وهكذا يستعان فى التحقيقات القضائية بتسليط أضواء كهربائية قوية على عيون المجرمين العنيدين فيضطرونهم إلى الاعتراف.

ومن هنا نفهم خطأ الإضاءة القوية فى أماكن العبادة، لأنها تساعد على تشتيت الانتباه وعدم التركيز فى الصلاة وإثارة الأعصاب. وهى عكس الأمور المفروض توافرها فى الصلاة الخصبة المعزية.

وبعض كنائسنا الحديثة لم تكتف بكثرة النوافذ العريضة بل زادت عليها بإضاءة لمبات كهربائية ملونة. رصتها فى صفوف على كل حجاب الهيكل بصورة تتنافى مع الذوق الدينى، والوقار اللائق بأماكن العبادة. فضلاً عن أنها تمنع العابدين من الصلاة وتركيز الانتباه بما تحدثه من إضاءة قوية على عيونهم ووجوههم.

وماذا أقول عن خطأ النوافذ المنخفضة! إنها أيضاً لا تساعد على انصراف الذهن إلى العبادة بل تسمح للعين أن تتطلع إلى خارج، والذهن أن يشرد.

إن فى بعض كنائسنا الحديثة يستطيع المصلى وهو داخل الكنيسة أن يرى الناس فى شرفات المنازل المجاورة، فيتشتت انتباهه وينصرف بعيداً عن جو العبادة والخشوع، وإذا فتحت هذه

المنافذ ولا سيما فى الصيف فإنها نظراً لانخفاضها، كثيراً ما تسبب للمصلين أمراضاً كالزكام وأحياناً الروماتيزم بسبب تيارت الهواء التى تحدث نتيجة لهذه النوافذ المنخفضة والمتقابلة معاً.

وهكذا نرى أن انصرافنا عن الأوضاع الطقسية القديمة له مضاره الروحية والصحية أيضاً.

يجب أن تكون النوافذ قليلة ومرتفعة، والإضاءة عموماً فى الكنيسة يجب أن تكون خافتة تدعو إلى التهيب والوقار، وإلى تركيز الانتباه.

٤ ـ أبواب الكنيسة:

خذ مثلاً رابعاً ـ فى ترتيب الكنيسة الأصيل: **يجب أن تكون للكنيسة ثلاث أبواب: الباب الغربى ويدخل منه الشعب، والباب القبلى وكانت تدخل منه القرابين.** وكان هذا الباب عليه ستائر، ويقف عنده شماس يتلقى قرابين ونذور العابدين. ويكتب أسماءهم لينقلها إلى الأسقف أو الكاهن، ليذكرهم فى أوشية القرابين، ويصلى من أجلهم. والحكمة فى أن تدخل القرابين من باب خاص مستور عن عيون الناس هو أن تكون العطايا فى الخفية «وأبوك الذى يرى فى الخفية يجازيك علانية» كما يقول رب المجد.

وأما الباب الثالث، وهو فى الجهة البحرية فيدخل منه الإكليروس، مباشرة إلى الهيكل أو إلى الخوروس الأمامى.

هذا هو الوضع الأصيل المنصوص عنه فى الباب ٣٥ من الدسقولية. أما اليوم فكنائسنا بها حقاً ثلاثة أبواب، ولكنها صارت أبواباً مفتوحة فى صحن الكنيسة، وتفتح خصوصاً عند خروج الشعب من الكنيسة فصارت أشبه بأبواب المسارح ودور السينما، وفقدت الأبواب معناها الطقسى الأصيل.

٥ ـ الهيكل:

يقضى الطقس الكنسى أن لا يُسمح أن يدخل أحد إلى الهيكل أو يتناول القربان منه ما لم يكن على الأقل شماساً. وأما من الشعب فلا يسمح لأحد إلا للملك إذا كان مسيحياً وممسوحاً مسحة الملوك بالميرون المقدس (انظر قانون ٢٨ من قوانين مجمع اللاذقية).

وفى الكنائس القديمة طاقتان تطلان من الهيكل على الخوروس الأول وكان يسمى بخوروس المتناولين، كان الكاهن يحمل الصينية ويقرب من إحدى هاتين الطاقتين. وكان الكاهن الشريك أو الشمامسة إذا كان بدرجة دياكون يحمل الكأس ويقرب الشعب من الطاقة الأخرى.

أما اليوم فقد أغفلنا الحكمة من وجود هاتين الطاقتين وبالتالى نسينا الحاجة إلى وجودهما. وشيئاً فشيئاً زال وجودهما من كنائسنا الحديثة، **وصار الشعب من غير حملة الدرجات الكهنوتية يدخلون إلى الهيكل المقدس ويتقربون من داخل الهيكل، وكسرنا القانون الكنسى، ودسنا بأقدامنا مقدساتنا!** وذهبت هيبة الهيكل والأسرار المقدسة وضاعت حرماتها!!

٦ ـ هل تكشف الأسرار لغير المتناولين:

خذ مثلاً جديداً على انحرافاتنا الجديدة عن طقوسنا القديمة:

كانت الأسرار لا تكشف إلا للمتناولين فقط. وكان الكاهن يقدس وستائر المذبح مسدولة ونازلة من قبة المذبح، بحيث لا يكشف الكاهن وعمل التقديس لسائر الناس.

وكما جاء فى الدسقولية: **«ويكون المذبح فى وسط (الهيكل) وله ستارة تحوطه»** (باب ٣٥)، وجاء فيها: **«ويكون حول المذبح ستور من ثياب مطرزة مطهرة»** (باب ٣٥). وعند نهاية القداس، وعندما يحمل الكاهن القربان الطاهر ليقرب المؤمنين كان يقول الكاهن:

«من كان طاهراً فليدن من الأسرار المقدسة. ومن كان غير طاهر فلا يدن منها لئلا يحترق بنار اللاهوت».

وإذن فالكاهن لا يخرج بالذبيحة إلى كل الشعب وإنما لخوروس المتناولين فقط. وقد كان خوروس المتناولين هو الخوروس الأمامى، الذى يلى الهيكل مباشرة، والذى تشرف عليه الطاقتان الموجودتان بحجاب الهيكل. وكما قلنا كان الكهنة يناولون المستحقين للتناول منها.

وفى الكنائس الأولى يوجد حجاب آخر يفصل بين خوروس المتناولين وخوروس السامعين (وهو الخوروس الثانى). وهذا يؤكد أن الذبيحة كانت لا تكشف لغير المتناولين.

أما إن خوروس المتناولين قد تغير وضعه فى كنائسنا الحديثة، وصار على جانبى الهيكل، كما هو الحال فى أكثر كنائسنا. **فكان يجب عند نهاية القداس أن يسدل ستار الهيكل وتكشف الأسرار للمتناولين على جانبى الهيكل، حيث أن الباقين فى الكنيسة من**

غير المتناولين يعدون فى صف السامعين. وهؤلاء لا يجوز كشف الأسرار لهم خاصة وأن بينهم غير مؤمنين وفاترين، وغير مستحقين.

جاء فى الدسقولية «وليقدس الأسقف (أو الكاهن) وهو قائم على المذبح والستارة مرخية وداخلها معه القسوس والشمامسة...» (باب ٣٨).

ويلاحظ أن هذا المبدأ متبع عند الكنائس الأرثوذكسية الأخرى التى تتفق معنا فى العقيدة.

أما الآن فالمتبع فى كنائسنا الحديثة أنه على الرغم من نقل خوروس المتناولين من أمام الهيكل إلى جانبى الهيكل، لا يزال ستر الهيكل مرفوعاً والهيكل مكشوفاً. **بل يخرج الكاهن بالذبيحة المقدسة، وأحياناً يخرج بها مكشوفة من غير القبة واللفافة على الصينية، ويبارك الشعب، الأمر الذى لا أساس له من الطقس، وليس فيه حكمة.** ولست أفهم معنى خروج الذبيحة بهذه الصورة إلى غير المتناولين.

لقد نسينا الأصل، وأبقينا على الشكل من دون إلتفات إلى أننا غيرنا وضع خوروس المتناولين من الأمام إلى الجانبين!!

٧ ـ الأدوات والأشياء التى تدخل الهيكل:

من الحقائق المقررة فى الكتاب المقدس أن كل آلة أو إناء يدخل إلى هيكل الرب يصبح مقدساً. ولا يجوز أن يخرج منه ولا أن يستخدم فى أى غرض آخر.

ومن بينات ذلك أنه عندما قدم مائتان وخمسون رجلاً من بنى إسرائيل البخور فى مجامر، وخرجت نار من عند الرب فأكلت المئتين والخمسين رجلاً الذين قربوا البخور، «كلم الرب موسى قائلاً «مر ألعازر بن هرون الكاهن بأن يرفع المجامر من الحريق لأنها قد تقدست.. وأما مجامر أولئك المجرمين على نفوسهم فتصنع صفائح مطروقة غشاء للمذبح لأنهم قدموها أمام الرب فصارت مقدسة» (العدد ١٦: ٣٥ – ٣٨).

وقد قال مخلصنا «ما الأعظم الذهب أم الهيكل الذى يقدس الذهب» (متى ٢٣: ١٧). فكل ما يدخل هيكل الرب يصير مقدساً.

أما الآن فنرى عند قدوم أحد الأساقفة يجيئون له بكرسى خاص من خارج ويدخلونه إلى الهيكل، وبعد أن تنتهى خدمة القداس يخرجون الكرسى من الهيكل ويذهبون به إلى حيث أتى.

أقول أن هذا غير جائز، لأن هذا الكرسى بدخوله الهيكل قد تقدس، فلا يجوز إخراجه ولا يجوز استخدامه فى غرض آخر.

وعلى هذا القياس، يجب أن يراعى فى القداسات المتنقلة التى تقام فى القرى فى بعض بيوت المؤمنين، أن تخصص قاعة أو حجرة لهذا الغرض. ويجب أن تغلق ولا تستخدم بعد ذلك فى غرض آخر.

والطاولة التى يستخدمونها بمثابة مذبح يوضع عليه لوح العهد يجب أن تكرس وتوقف لهذا الغرض، ولا تستخدم لغرض آخر. وإلا فإننا نجلب على أنفسنا دينونة عظيمة.

٨ ـ هل يجوز إقامة حفلات أو محاضرات غير دينية فى الكنيسة:

أقول كلا. هذا لا يجوز. المحاضرات غير الدينية، علمية كانت أو اجتماعية، والحفلات حتى لو كانت دينية، والروايات التمثيلية والأفلام الدينية ولو كانت أفلاماً تختص بالسيد المسيح نفسه، لا يجوز بتاتاً أن تقام أو تعرض فى الكنيسة.

إن الكنيسة مخصصة للعبادة والطقوس الدينية. أما المحاضرات غير الدينية والحفلات حتى لو كانت دينية، فتقام فى قاعات مخصصة لذلك.

وبهذه المناسبة أقول أننى أتمنى لو أن دروس مدارس التربية الكنسية يكون لها غرف خاصة من بين ملحقات الكنيسة، يتلقى فيها الأطفال دروسهم. حيث أن للدروس بالنسبة للطفل جواً لا يتناسب مع وقار الكنيسة. إنى أرجو أن تكون لكل كنيسة غرف ملحقة بها يتلقى فيها الأطفال دروسهم الدينية الكنسية.

أما الكنيسة فيدخلها الأطفال مع مدرسيهم فى بدء الدرس ليسجدوا أمام الهيكل المقدس، ويقفوا بأدب وخشوع واحترام يصلون ويرتلون ثم يسجدون ويخرجون إلى فصولهم الدراسية. وبعد الفراغ من الدروس يعودون مرة أخرى إلى الكنيسة ويسجدون أمام الهيكل ثم يصلون ويرتلون وينصرفون إلى بيوتهم فى هدوء وخشوع. بهذا نحتفظ للكنيسة فى ذهن الطفل بالوقار اللائق بها.

٩ ـ هل يجوز إقامة قاعات للوعظ:

أقول أن الوعظ جزء من أعمال الكهنوت، وهو كما يقول الرسول أنه «خدمة إنجيل الله الكهنوتية» (رومية ١٥ : ١٦). وعلى ذلك فهو يقام فى الكنيسة إذا

وجدت. فإذا أقيمت قاعة للوعظ فى مكان ليست به كنيسة، فيجب أن تعتبر هذه القاعة مقدمة لكنيسة فى مستقبل الأيام. لأنها قد تقدست بكلمة الله والصلاة. وكل شئ يقدس بكلمة الله والصلاة (تيموثيوس الأولى ٤: ٥).

ولهذا أوصى مخلصنا تلاميذه «وقال لهم أى بيت دخلتموه فكونوا فيه حتى تخرجوا من هناك» (مرقس ٦: ١٠)، (لوقا ٩: ٤) «وامكثوا فى ذلك البيت.. لا تنتقلوا من بيت إلى بيت» (لوقا ١٠: ٧).

وقد احترم الرسل وصية معلمهم. وتحولت نفس هذه البيوت إلى كنائس فيما بعد.

وهنا أقول مرة أخرى يجب أن يراعى هذا الأمر فى البلاد أو القرى التى ليست بها كنائس. لا ننسى أن ننظر إلى الوعظ على أنه جزء من أعمال الكهنوت. **وهذا هو السبب فى أن الوعظ لا يقوم به غير حملة الدرجات الكهنوتية.**

وقديماً كانت كنيستنا أشد حرصاً على احترام هذا المبدأ حتى أن أوريجينوس مدير المدرسة اللاهوتية حوكم لأنه وعظ بالكنيسة ولم يكن من حملة الدرجات الكهنوتية.

١٠ ـ هل يجوز الإقامة بالكنيسة:

قديماً كانت الكنائس تقام فى مكان بعيد عن المساكن. لا كلفاً بالهدوء فقط، ولكن مراعاة لقداسة الكنيسة أيضاً. وكان المسيحيون يخافون من الإقامة بعائلاتهم إلى جوار الكنيسة، خوفاً من أن يكون فى بيوتهم شئ مما لا يليق بقدسية المكان الطاهر، فيقعون تحت طائلة القصاص الإلهى كما حدث لبيوت الفلسطينيين من الخراب والأمراض والموت، بسبب دخول تابوت عهد الرب بينهم ولم يكونوا مستحقين (صموئيل الأول ٥: ١ – ١٢).

والكهنة أيضاً إذا كانوا متزوجين فيقيمون بعائلاتهم خارج الكنيسة.

١١ ـ لغة القداس:

فهناك اتجاه عند بعض الناس المتحمسين للغة القبطية، لغة آبائنا وأجدادنا مؤداه أنهم يرون أن القداس يجب أن يقال كله باللغة القبطية، ويقدمون على ذلك أدلة تاريخية وأدلة قومية وأدلة فنية.

وهناك اتجاه آخر على عكس الإتجاه الأول مؤداه أن اللغة القبطية لم تعد لغة مفهومة من الشعب، وعلى ذلك يرون أن الصلاة ينبغى أن تكون كلها باللغة العربية، وأن الصلاة باللغة القبطية منفر للشعب يسبب انصراف الشعب عن الكنيسة وانضمامه إلى الطوائف الأجنبية.

وفى اعتقادى أن كلا الاتجاهين متطرف. وربما كان الأفضل أن يصلى القداس بعضه باللغة القبطية وبعضه باللغة العربية.

ولا شك أن اللغة القبطية هى لغتنا ولغة بلادنا، ولغة آبائنا وأجدادنا، والاحتفاظ بها يصون وحدتنا، ويصون رابطتنا بكنيستنا. فاللغة القبطية تراث ثمين يجب أن نعتز به، وهو رباطنا بالماضى العريق. **ولكن احتفاظنا باللغة لا يكون على حساب الفهم، ولا على حساب العبادة.**

وقديماً كانت كنيستنا فى أول عهدها بالمسيحية تصلى باللغة اليونانية، لأنها كانت اللغة العالمية التى يفهمها جميع المؤمنين على اختلاف أجناسهم ولغاتهم، والكنيسة بطبيعتها جامعة رسولية. وجامعية الكنيسة تقتضى أن تكون الصلاة بلغة جامعة يفهمها الجميع. فلما بدأ الأقباط يترجمون القداس من اللغة اليونانية إلى اللغة القبطية احتفظوا مع ذلك ببعض الصلوات فى لغتها اليونانية ولم يترجموها إلى اللغة القبطية كما ترجموا غيرها من الصلوات.

فمردات الشماس معظمها لا زال حتى اليوم يقال باللغة اليونانية لا اللغة القبطية، ذلك لأن الشماس كان ينادى الشعب وينبههم إلى الوقوف مثلاً أو إلى أن يطلبوا إلى الله من أجل المرضى أو من أجل المسافرين أو من أجل الراقدين.. إلخ. فلابد أن يكون النداء بلغة يفهمها كل المصلين فى الجامعة الرسولية على اختلاف أجناسهم ولغاتهم.

ويقول القديس بولس: «وإن أبدى البوق صوتاً غير بين فمن يستعد للقتال. فكذلك أنتم إن لم تبدوا باللسان كلاماً مفهوماً، فكيف يعرف ما يقال، إذن يكون كلامكم فى الهواء.. **فإن كنت لا أعرف قوة الصوت أكون عند الناطق به أعجمياً ويكون الناطق أعجمياً عندى،** (كورنثوس الأولى ١٤ : ٨ - ١١).

وكذلك احتفظ الأقباط ببعض مردات الشعب باللغة اليونانية. وهى المردات التى يجب أن

يشارك فيها جميع المصلين بالكنيسة على اختلاف لغاتهم، من ذلك «كيرياليصون» وما ترجمته «كرحمتك يا رب وليس كخطايانا». وما ترجمته «بموتك يا رب نبشر.. إلخ».

ومن هنا نفهم أن آباء الكنيسة كانوا يفضلون المعنى على اللفظ، وكانوا يضحون باللغة من أجل الفهم، ولكى تكون العبادة عبادة عقلية صادرة عن فهم وعن وعى.

لذلك أرى أنه من الأنسب أن يصلى القداس بعضه بالقبطية وبعضه بالعربية، **خاصة ابروسات الشماس أو مردات الشماس يجب أن تقال كلها باللغة العربية** مادامت هى لا باللغة القبطية بل باللغة اليونانية، وما دام مفروضاً أن الشماس ينذر بها الشعب ويبلغهم أمراً بالنيابة عن الكاهن بالوقوف أو السجود أو الطلب من أجل المرضى أو المسافرين، أو الراقدين أو مقدمى القرابين.. إلخ.

وكذلك مردات الشعب التى بالرومية تقال أيضاً باللغة العربية ليعبر بها كل الشعب عن شكره وطلب الرحمة والغفران.

وأما الأجزاء الأخرى من القداس فلا بأس من أن يصلى الكاهن بعضها بالقبطية وبعضها بالعربية، وفى القداس التالى يصلى بالقبطية ما صلاه بالعربية، وبالعربية ما صلاه أولاً باللغة القبطية. وبهذا نجمع بين احتفاظنا باللغة القبطية وبين فائدة الشعب الذى يجب أن يكون متابعاً لمعانى الصلوات باللغة التى يفهمها والتى يفهم قوة مدلولاتها اللفظية.

١٢ ـ لغة الإذاعة:

هذا يقودنى إلى أن أبدى رأياً فيما يتصل بإذاعة القداس الإلهى. والمعروف أن القداس صلوات لها قدسيتها وكرامتها، ويجب احترامها والحذر من ابتذالها. **ولقد كان آباؤنا لا يسمحون لغير المؤمنين أن يحضروا صلوات القداس.** وكانت الكنيسة تغلق أبوابها ابتداء من لحظة رفع الابروسفارين (ستر المذبح). وكان الشماس ينادى بصوت عال ويقول «إن كان هنا موعوظ أو غير مؤمن فليخرج خارجاً». وإلى اليوم لا زال عند اليونان يقول الشماس عند بدء القداس «الأبواب الأبواب»، وهو تنبيه إلى الإيبودياكونيين الذين كان عملهم حراسة الأبواب أن يتولوا إخراج الموعوظين وغير المؤمنين من الكنيسة، ثم يغلقون الأبواب فلا يدخل أحد بعد ذلك إلى الكنيسة. وكل هذا يدل على حرص الكنيسة على احترام المقدسات.

وعلى ذلك فإنى أرى أن تذاع بعض الأجزاء باللغة العربية كالقراءات والعظة وبعض الأواشى والصلوات. أما الأجزاء الأخرى فيجب أن يشدد على تلاوتها باللغة القبطية ولا سيما عبارات التقديس والاعتراف الأخير.

١٣ ـ ثلاث القداسات المستعملة:

احتفظت كنيستنا إلى اليوم بثلاث قداسات:

١ ـ أما القداس الأول فهو القداس المرقسى، ويسمى أيضاً القداس الكيرلسى فهو القداس المرقسى لأنه قداس القديس مرقس الرسول وهو الذى صلى به، وسلمه إلى كنيستنا منذ الابتداء. وظل يسلم من جيل إلى جيل بالتقليد الشفاهى، إلى أن دونه البابا كيرلس الأول (الرابع والعشرون من بابوات الأسكندرية) المعروف بعمود الدين. ولذلك نسب أيضاً إلى القديس كيرلس، فصار يسمى بالقداس الكيرلسى، ولو أنه هو أصلاً قداس القديس مرقس الرسول.

٢ ـ أما القداس الثانى فهو القداس الباسيلى، والمنسوب إلى القديس باسيليوس الكبير.

٣ ـ وأما القداس الثالث فهو القداس الغريغورى، والمنسوب إلى القديس غريغوريوس الثيولوغوس (الناطق بالإلهيات)، المعروف بالنازيانزى.

ويتضح من كتب الكنيسة وأقوال الآباء أن القداس الباسيلى كان يصلى به فى الأيام السنوية. والقداس الغريغورى يصلى به فى الأعياد السيدية لأنه موجه إلى أقنوم الابن. وأما القداس الكيرلسى فكان يصلى به فى الأصوام العامة، ولاسيما فى الصوم الكبير نظراً لطول هذا القداس.

وفى الأصوام يميل العابدون إلى أن يقضوا فى الكنيسة وقتاً أطول.

ومع بالغ الأسف أهمل القبط القداس المرقسى أو الكيرلسى مع أنه قداسهم الأول، وقداس كاروز الديار المصرية مؤسس كنيستهم. وقد كتب المستشرقون والباحثون فى العلوم القبطية عن هذا القداس، ومدحوه كثيراً ووجدوا فى صلواته عمقاً روحانياً أكثر مما فى القداسين الآخرين. **وقد أبدى بعض هؤلاء العلماء أسفاً بالغاً لأن قبط اليوم أهملوا هذا القداس الروحانى العميق واكتفوا بالقداسين الآخرين. بل وأجرؤ وأقول أننا نوشك أيضاً أن نهمل القداس الغريغورى أيضاً. وكهنتنا اليوم يكتفون بالقداس الباسيلى وبعض أجزاء من القداس الغريغورى.**

ولذلك نحاول نحن فى الكلية الإكليريكية وفى قسم الموسيقى والألحان بمعهد الدراسات القبطية الاهتمام بإحياء الصلاة بالقداس الكيرلسى والقداس الغريغورى كاملاً إلى جانب تسجيل القداس الباسيلى. هذا وليس استطراداً أن أذكر أنه من المسلم به أن **جميع الأواشى المعروفة الكبيرة والصغيرة كلها مأخوذة أصلاً من القداس المرقسى أو الكيرلسى وهى المستعملة أيضاً فى القداسين الآخرين.**

يا ليتنا نهتم جميعاً بهذا الأمر، إحياء القداس الكيرلسى والتقديس به وكذلك أن نصلى به فى الأصوام، وبالقداس الغريغورى فى الأعياد السيدية وبالقداس الباسيلى فى الأيام السنوية.

١٤ ـ هل يجوز إقامة قداس يومى:

نعم يجوز. وترتيب فصول الكنيسة يدل على أنه يمكن أن يقام قداس فى كل يوم. والحق أن إقامة قداس يومى أمر نافع، لأنه شفاعة قائمة متصلة. وكم هو قوة للشعب وحصن للكنيسة يدفع عنها شروراً كثيرة، وهو غوث للمرضى وللمشرفين على الموت وللمسافرين ولكل من يريد أن يتقدم إلى الأسرار المقدسة.

على أن إقامة قداس كل يوم تتطلب أن يكون بالكنيسة عدد من الكهنة يكفى لهذا الغرض. ولما كان التقديس مهمة خطيرة وتتطلب استعداداً كاملاً فى بلدة بها قسيس واحد. لذلك ينبغى أن يراعى لتحقيق النفع من إقامة القداس يومياً أن يكون بالبلدة عدد من الكهنة يتبادلون الخدمة. وما لم يتوافر هذا الشرط يكتفى بإقامة القداس فى ثلاثة أيام وهى الأحد والأربعاء والجمعة. أما فى الأصوام فيمكن إضافة أيام أخرى حسب الإمكانيات وكما ترى الرياسة الدينية موافقاً للصالح العام من كل الوجوه.

١٥ ـ قربان الحمل:

يقضى القانون الكنسى أن القيّم هو الذى يصنع القربان. والقيم ليس هو فراش الكنيسة، ولكنه رجل نال رتبة كنسية أقامه فيها أسقف. فالشماسية درجة لها سبع رتب، ولكل رتبة فيها اختصاص، أولها رتبة القيم وهو ما يعرف بالقرابنى الذى يصنع القربان، وهو أيضاً الذى يقوم بتنظيف الكنيسة. ومن لم يكن مقاماً بمعرفة الأسقف فى درجة قيم لا يجوز له أن يصنع القربان ولا أن يمس تراب المذبح ولا التراب الذى على حوائط الكنيسة ونوافذها.

وعلى القيم الذى يصنع القربان أن يكون طاهراً روحاً وجسداً، وأن يصنعه من دقيق السميذ النقى، وأن يصلى كل المزامير فى أثناء عجن الدقيق (١٥٠ مزموراً) . وأن يقدم قربان الحمل بلا عيب، ولا يخلط به الملح.

هذا ما تأمر به الكنيسة فى قوانينها وطقوسها، ولكن كنائسنا اليوم تعين فراشاً فى الكنيسة ويصير بحق تعيينه فراشاً، قيماً يخول له حق صنع القربان وتنظيف الكنيسة من دون أن يقيمه الأسقف فى رتبة القيم. وهذا القيم هل يصنع القربان طبقاً للطقس الكنسى؟ وهل يصنعه من دقيق السميذ النقى بلا ملح؟ وهل يصلى المزامير أثناء صنعه وهل يصنعه سليماً بلا عيب؟ هذه الأسئلة من يجيب عليها؟ ومن المسئول عن الإشراف على هذه العملية أن تجرى طبقاً للقانون الكنسى الكائن.

فى كثير من الأحيان لا يجد الكاهن قربانة واحدة تصلح أن تكون حملاً بلا عيب لأن القربان الذى يقدم للكاهن كله كسور وعيوب وحروق.

وهنا قُدّم إلى سؤال هل يجوز لزوجة القيم أن تصنع معه القربان؟ والجواب واضح أن هذا لا يجوز، لأن عمل القربان عمل من اختصاص رجل أقيم فى رتبة كنسية خاصة.

*** رتب درجة الشماسية هى:**

١ ـ القيم ٢ ـ الأناغنوستيس (القارئ).

٣ ـ الأبصلتس (المرتل) ٤ ـ الإيبودياكون (نائب الشماس).

٥ ـ الشماسة المرأة وهى فى درجة إيبودياكون ٦ ـ الشماس (الدياكون).

٧ ـ الأرشيدياكون (رئيس الشمامسة).

١٦ ـ البخور:

المفروض أن يكون البخور مركباً من مواد إذا أُحرقت خرجت منها رائحة زكية ترمز إلى الصلوات النقية، كما يقول النبى فى المزمور «لتقم صلاتى كالبخور أمامك» (مز ١٤٠(١٤١): ٢) ولذلك يسمى فى الكتاب المقدس «بالبخور العطر» (الخروج ٢٥: ٦)، (٣٥: ٨)، (٣٧: ٢٩)، (٣٩: ٣٨)، (اللاويين ١٦: ١٢).

وقد أمر الرب أن يركب البخور من مجموعة مواد وبنسب مخصوصة، «وقال الرب لموسى: خذ لك أعطاراً صموغاً (أو أظفاراً) وميعة وقنة عطرة، ولباناً نقياً، أجزاء متساوية تكون. واصنعها بخوراً عطراً صنعة عطار مملحاً نقياً مقدساً. وتسحق منه ناعماً.. قدس أقداس يكون عندكم.. والبخور الذى تصنعه على مقاديره لا تصنعوا لأنفسكم يكون عندك مقدساً للرب» (الخروج ٣٠: ٣٤ – ٣٧).

أما بخورنا اليوم فأقل ما يقال فيه أنه ليس مركباً كأمر الرب، ولذلك فإن رائحته ليست زكية، ولا ينطبق عليه أنه بخور عطر. وفى بعض الأحيان يكاد الكاهن الذى يستعمله أن يختنق برائحته غير المقبولة والضارة بالحنجرة وأوتار الصوت.

١٧ ـ الجمر:

إن المجمرة أو الشورية سميت كذلك نسبة إلى جمر النار الذى فيها. وكما أن الجمرة ترمز إلى العذراء التى حل فيها جمر اللاهوت، فالجمر يرمز إلى مخلصنا الذى حل فى أحشاء مريم البتول وولد منها. **والجمر هو الفحم المتوهج بالنور وهو يرمز إلى اللاهوت متحداً بالناسوت فى ربنا يسوع المسيح. والمفروض أن تكون مادة الجمر فحماً (أمثال ٢٦ : ٢١) من مادة قوية تحتفظ بالنار أطول مدة ممكنة حتى يستمر توهجها، وتقدم بذلك صورة الجمر.**

لكننا اليوم أتلفنا الطقس إذ يكتفى البعض منا بنوع من الأعواد سريعة الاحتراق ولا تكاد تضئ حتى تنطفئ وتتحول سريعاً إلى تراب. وهكذا فقد الطقس معناه، ولم يعد وسيلة إيضاح كافية للمعنى اللاهوتى والروحى المنطوى وراءه. هل يجرؤ أحد أن يسمى تلك الأعواد الضعيفة أو القطع الصغيرة من البرشام الصغير المستدير الرقيق النحيل، أن يسميها جمرة كتلك الجمرة التى أخذها أحد السيرافيم بملقط من على المذبح ومس بها شفتى إشعياء النبى (إشعياء ٦: ٦، ٧) ؟ وقد استعارها القداس الكيرلسى فى صلاة «القسمة» للإشارة بها إلى سر القربان المقدس حيث اللاهوت متحداً بالناسوت.

١٨ ـ تحليل الخدام:

من الذى يتلو تحليل الخدام؟

إن لكنيستنا آداباً يجب أن نراعيها. فإذا كان البابا البطريرك حاضراً فهو الذى يتلوا التحليل

حتى لو كان بين المطارنة والأساقفة أو القسوس من هو أكبر منه سناً. وإذا كان المطران أو الأسقف هو أكبر الخدام، فهو الذى يتلو تحليل الخدام حتى لو كان بالكنيسة قمص أو قسيس أكبر من المطران أو الأسقف سناً.

فالقاعدة أن صاحب الدرجة الكهنوتية الأعلى هو الذى يعطى التحليل بغض النظر عن سنه. فإذا تساوت الدرجة الكهنوتية عند إثنين أو أكثر، قُدم الأقدم رسامة فإذا تساوت الدرجة الكهنوتية والأقدمية فيها قُدم الأكبر سناً.

لكننا نلاحظ أحياناً أن القسيس يعطى التحليل بينما يكون القمص موجوداً وهذا لا يليق. بل صدقونى أننى رأيت مرة كاهناً مسناً فى درجة قمص طلب من ابنه القسيس أن يتلو تحليل الخدام.

لا تقولوا أن هذه مسألة غير ذات أهمية، ولا تُدخلوا الاتضاع فى حساب الموضوع، فالأمر يتعلق أولاً بكرامة الكهنوت. والكتاب المقدس يقرر أن الأصغر يُبَارَك من الأكبر (عبرانيين ٧ : ٧) . لقد كان إبراهيم أبو الآباء خليل الله وكان أيضاً كاهناً بل بطريركاً لكنه خضع لملكى صادق لأن كهنوته أكبر وأعظم من كهنوت إبراهيم (التكوين ١٤: ١٨ – ٢٠)، عبرانيين (٧: ١، ٢، ٦ ـ ١٠).

١٩ ـ من الواعظ:

هنا يجب أن نقرر أن الوعظ جزء أساسى من اختصاصات الكهنوت. ولا يجوز لمن لم يحمل درجة الكهنوت أن يعظ أو يعلم، ذلك لأن الكتاب يقول «كيف يبشرون إن لم يرسلوا» (رومية ١٠: ١٥) ومخلصنا أوضح أن اختصاص الكهنوت الأول هو الكرازة والتبشير والتعليم، ولذلك قال لتلاميذه، لا للناس جميعاً، «اذهبوا وتلمذوا كل الأمم» (مت ٢٨: ١٩)، «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» (مر ١٦: ١٥) ويقول الإنجيل «وعين منهم إثنى عشر ليكونوا معه وليرسلهم للكرازة» (مر ٣: ١٤)، ويقول مار لوقا «ودعا الإثنى عشر وأعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشياطين.. وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويبرئوا المرضى» (لو ٩: ١، ٢).

ولذلك فهم الآباء الرسل أن عملهم الأول هو الكرازة والتعليم. حتى أنهم لما وجدوا أن خدمة الموائد ـ وهو ما نسميه الخدمة الإجتماعية ـ ستعطلهم عن مهمتهم الأولى وأعنى بها الكرازة والتعليم. أقاموا شمامسة للخدمة الإجتماعية حتى يتفرغوا هم للتعليم «فدعا الإثنى عشر جمهور التلاميذ وقالوا لا يحسن أن نترك كلمة الله ونخدم الموائد. فاختاروا أيها الإخوة

سبعة رجال منكم يشهد لهم بالفضل قد ملأهم الروح والحكمة، فنقيمهم على هذه الحاجة. ونحن نواظب على الصلاة وخدمة الكلمة» (أعمال الرسل ٦: ٢ - ٤).

ولما رأى الرسل أن وضع اليد للتثبيت من اختصاصهم ورأوا أن عدد المؤمنين المعتمدين قد كثر، وأن وضع اليد على هذا العدد الضخم المتزايد من المؤمنين سيعطلهم عن عمل الكرازة والتبشير وهو اختصاصهم الأول. لذلك صنعوا الميرون وقدسوه بكلمة الله والصلاة، وبعد أن دشنوه منحوا القسوس حق دهن المعمدين بالميرون الذى دشنوه هم. وإلى ذلك أشار يوحنا الرسول بقوله «وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس» (يوحنا الأولى ٢: ٢٧).

ولبيان أهمية الكرازة والتعليم بالنسبة لأصحاب الدرجة الأولى فى الكهنوت، يقول ماربولس الرسول «لأنى إذا بشرت فليس لى فخر، لأن ذلك ضرورة موضوعة علىّ، والويل لى إن لم أبشر» (كورنثوس الأولى ٩: ١٦).

لهذا فإن أول مؤهل اشترطه الوحى الإلهى بالنسبة للأسقف وللكاهن هو أن يكون «قادراً على التعليم» (تيموثيئوس الأولى ٣: ٢)، ولذلك فإن الخدمة الرسولية رقم ١ التى ذكرها فى صلوات الكنيسة بالنسبة إلى الأساقفة هى خدمة الكرازة والتعليم.

من هنا تقضى القوانين الكنسية أنه عندما يكون الأسقف موجوداً فى الكنيسة، فهو الذى يقوم بخدمة الوعظ والتعليم لأنها اختصاصه الأول. فإذا لم يكن موجوداً قام بها القسيس. ويمكن فى بعض الأحوال أن يقوم بها الشماس على أن يكون شماساً حقيقياً أى مقاماً فى درجة الشماسية بوضع اليد كما وعظ استفانوس. أما من لم يكن على الأقل شماساً فلا يجوز له أن يعظ فى الكنيسة لأنه «كيف يبشرون إن لم يرسلوا» (رومية ١٠: ١٥).

وهنا أسأل هل يجوز لفرد من الشعب ما لم يكن كاهناً أن يقيم القداس؟ ستقولون على التو: كلا. أقول إن خدمة الوعظ أيضاً جزء من عمل الكهنوت، بل هى عمل الكهنوت الأول، فكيف يعظ بالكنيسة من لم يكن حاملاً إحدى درجات الكهنوت؟ يقول مار بولس الرسول « وأباشر خدمة إنجيل الله الكهنوتية» (رومية ١٥: ١٦) فخدمة الإنجيل عمل كهنوتى، لا يحق لأحد أن يقوم به ما لم يكن قد نال إحدى درجات الكهنوت.

لقد كانت كنيستنا شديدة الحرص فى هذا الأمر فى العصور القديمة. حتى أن أوريجينوس وقد كان مدير المدرسة الإكليريكية اللاهوتية بالأسكندرية فى زمانه، حرمه البابا ديمتريروس لأنه باشر خدمة الوعظ فى كنيسة أورشليم من دون أن

يكون فى إحدى درجات الكهنوت مع أنه فعل ذلك بإذن خاص من أسقف المدينة الذى كان تلميذاً له. فقد كان قانون كنيسة الأسكندرية لا يسمح لأحد ما لم يكن حاملاً لإحدى درجات الكهنوت، على الأقل شماساً، أن يباشر خدمة الوعظ أو التعليم فى الكنيسة. كان يمكنه أن يعلم فى مدرسة لكن لا فى الكنيسة.

أما فى هذه الأيام فقد تساهلنا فى احترام هذا القانون، وصار الوعظ مباحاً لكل إنسان. بل انعكست الآية وصار الكاهن يباشر الأسرار ولكنه لا يعظ. ولم يصر من كرامة الأسقف أن يعلم، كأن التعليم صار فى نظرنا عملاً خسيساً لا يقوم به الأسقف. وهكذا انقلب الوضع فى كنيستنا التى كانت معلمة المسكونة. ولم تعد القدرة على الوعظ والتعليم شرطاً أساسياً عندنا لاختيار أصحاب الدرجات الكهنوتية والأسقفية على الخصوص. المهم أن يكون الأسقف راهباً، أما أن يكون قادراً على التعليم فلم تعد هذه المسألة ذات أهمية فى كنيستنا اليوم !! وهذا هو سر الفارق الضخم بين ما كنا عليه فى الخمسة قرون الأولى وما صرنا إليه فى القرون المتأخرة. كنا نؤمن بالعلم وبالتعليم، أما فى قروننا المتأخرة فصرنا زاهدين فى العلم زهد الرهبان فى أباطيل العالم!!

٢٠ ـ هل يجوز للمرأة أن تعلم؟

أقول لا. ليس للمرأة أن تعلم فى الكنيسة. ولسبب بسيط، لأن الوعظ أو التعليم فى الكنيسة هو كما قلنا من اختصاص الكهنوت، ولا كهنوت للمرأة.

يقول الكتاب المقدس «لتصمت نساؤكم فى الكنائس، فإنه لا يباح لهن أن يتكلمن.. فإنه عار على النساء أن يتكلمن فى الكنيسة» (كورنثوس الأولى ١٤: ٣٤، ٣٥)، ويقول أيضاً «ولست أبيح للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل، بل تكون فى سكوت، فقد جبل آدم أولاً ثم حواء ولم يكن آدم الذى أغوى لكن المرأة أغويت» (تيموثيئوس الأولى ٢: ١٢ ـ ١٤).

إن للمرأة أن تعلم أولادها فى البيت، وقد تعلم فى مدرسة، وقد يسمح لها أيضاً كشماسة أن تنوب عن الكاهن فى بيوت النساء تفتقدهن وترشدهن فى بيوتهن أو فى اجتماعات خاصة بهن. لكن ليس لها أن تعلم فى الكنيسة لا سيما فى جتماع يضم الرجال والنساء، لأن التعليم فى الكنيسة هو بسلطان لمن وهب درجة كهنوتية.

٢- القداس وثيقة عقائدية روحية ثمينة

العزيز المحترم الشيخ الوقور السيد فايز مفتاح كاراس (٧٥ سنة) - سوهاج.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، راجياً لكم موفور الصحة والعمر الطويل فى روحانية سعيدة مباركة.

شكراً لكم على خطابكم المفعم بالتقوى والإحساس الروحى بجمال وروحانية القدّاس الإلهى.

لقد أعجبنى وأثارنى روحياً قولكم بكل صدقٍ وإيمان (يوجد فكر يدور فى نفسى وهو موضوع القُدّاسات الإلهية المباركة: الكيرلسى، والغريغورى، والباسيلى، وعند سماعها فى الكنيسة صباح الأحد أجد أنّ ما يقال فيها شئ عظيم، وكأن السّماء قد حلّت على الأرض، وإنّنى أشعر بحنين شديد نحو الأعالى، وأقول فى نفسى إذا كانت هذه هى حال الروحيات على الأرض، فكم يكون الفرح السمائى للمؤمنين فى السماء؟ حقاً ما جاء بالكتاب المقدس (الذى ما رأته عين، ولا سمعت به أذن، ولا خطر على قلب بشرٍ أعدّه الله للذين يحبونه) (١ . كورنثوس ٢ : ٩). والآن **السؤال:** إن القديسين الذين كتبوا هذه القدّاسات الثلاثة لم يكونوا أصحاب مؤهلاتٍ عليا من كليات الفلسفة أو الصحافة أو الآداب.. فمن أين جاءت لهم هذه المعرفة السمائية؟

الجواب:

هو حقاً إنّ هذه القداسات عميقة وروحانية، وكل منها فى الواقع هو **وثيقة عقائدية روحانية**. وحقاً إنّ كل قداس منها هو سيمفونية روحانية سماوية، وإذا توافر للمصلين من الكهنة والشمامسة والشعب، **دقة الأداء، وروحانية الأداء**، فإنّ القداس كفيل بأن يرفع المصلين من الأرض إلى السماء.

واعلم أن **القداسات أصولها واحدة، وهى تسليم رسولى، أخذه الآباء الرسل فى أصوله عن السيد المسيح له المجد، وقد سلّمه كل رسول إلى الكنيسة، فى البلاد التى ذهب إليها وكرز فيها باسم المسيح**، حسب وصية مخلّصنا له المجد لتلاميذه «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلّموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به» (متى ٢٨ : ١٩، ٢٠).

---

(١) كتب فى ١٥ نوفمبر- تشرين ثان لسنة ١٩٩١م - ٥ هاتور لسنة ١٧٠٨ش.

والدليل على ذلك **اتفاق جميع القداسات فى الروح العامة وفى ترتيبها ونظامها وفى ما اشتملت عليه من حقائق التعليم المسيحى اللاهوتية والعقائدية والطقسية والروحية والإيمانية**، ففيها الإيمان بالله الواحد، الآب والابن والروح القدس، وأن المسيح هو الله وقد تجسّد وتأنس، وقدّم ذاته ذبيحة لفداء المؤمنين، بصلبه وموته، ثمّ صعد إلى السماء، وجلس على العرش، واسترد صورة المجد التى أخلى ذاته منها بنزوله من السماء من أجل خلاص الإنسان، وهو سيأتى فى مجيئه الثانى ليدين المسكونة ويجازى كل واحد على حسب أعماله. ونحن جميعاً ننتظر القيامة العامة، قيامة الأجساد، ثم الدينونة، والجزاء الأخروى، والمصير الأبدى..

ولابدّ أنّ الآباء الرسل صاغوا، بما لهم من سلطان إلهى، حقائق الإيمان والتقوى فى القدّاس الذى سلّموه للمؤمنين فى البلاد التى انتقلوا إليها، صياغة أرشدهم إليها وألهمهم بها الروح القدس لتتلاءم مع احتياجات الشعوب التى نقلوا إليها رسالة الخلاص.

وكما رأينا إنجيل ربنا يسوع المسيح فى أربعة بشائر كتبها بالروح القدس إثنان من الإثنى عشر، وهما متى ويوحنا، وإثنان من السبعين وهما مرقس ولوقا، تميز كل منها بتفصيلات فى سيرة المسيح له المجد وأقواله وأعماله، بحيث قدّمت فى تمايزها بحسب الشعوب الذين كتبت لهم، وهم اليهود، والرومان، واليونان ثم بعد ذلك كل المسكونة، صورة متكاملة لحياة المسيح له المجد وأعماله وأقواله، **ولكن من زوايا أربعة**. هكذا جاءت القداسات التى سلّمها الآباء الرسل فى البلاد التى كرزوا فيها برسالة الخلاص، **متمايزة عن بعضها بعض التمايز وإن كانت تتفق فى روحها وفى نظامها وما اشتملت عليه من حقائق التعليم المسيحى اللاهوتية والعقائدية والطقسية والروحية والإيمانية بعامة.**

ومن ذلك أن القديس مرقس الرسول، وهو الذى كتب بإرشاد الروح القدس إنجيل ربنا يسوع المسيح المنسوب إليه، هو بنفسه القديس مرقس الذى سلّم الكنيسة فى الأسكندرية القداس فى صياغته التى وصلت إلينا فى القداس المسمّى بالقداس الكيرلسى.

والمعروف والمقرر **أنّ القداس الكيرلسى هو بعينه القداس الذى سلّمه القديس مرقس**، وباشره بنفسه عندما جاء إلينا ببشارة الخلاص، وظل يُسلّم شفاهاً بالتقليد الرسولى من جيل إلى جيل حتى عهد البابا كيرلس الكبير، أو كيرلس الأول المعروف بعمود الإيمان (٣٦٦ – ٤٤٤م).

ولابّد أن البابا كيرلس الكبير قد رتّبه فى الصورة التى وصلت إلينا، ولذلك صار يسمّى بالقداس الكيرلسى، نظراً لأن البابا كيرلس الكبير هو الذى دوّنه، فنُسب إليه، وهو فى الوقت نفسه، قدّاس القديس مرقس الرسول الذى باشره ومارسه فى تقديس سرّ الشكر والقربان، وأخذه عنه الأساقفة والكهنة من بعده إلى عهد البابا كيرلس الأول الذى له فضل تدوينه وكتابته.

وهذه هى القاعدة التى اتبعها الآباء الرسل فى إنجيل ربنا يسوع المسيح. **فالإنجيل واحد.** وأمّا إنجيل متى فهو إنجيل ربنا يسوع المسيح كما كتبه القديس متى. وإنجيل مرقس هو إنجيل ربنا يسوع المسيح كما كتبه القديس مرقس. وإنجيل لوقا هو أيضاً إنجيل ربنا يسوع المسيح كما كتبه القديس لوقا. وأخيراً إنجيل يوحنا هو بعينه إنجيل ربنا يسوع المسيح كما دوّنه القديس يوحنا الرسول.

كذلك نقول عن القداس الباسيلى أنه هو القداس نفسه كما رتّبه ودوّنه القديس باسيليوس الكبير (٣٢٩ – ٣٧٩م).

ثمّ القدّاس الغريغورى هو بعينه القدّاس كما رتّبه ودوّنه القديس غريغوريوس الثيئولوغوس الناطق بالإلهيات (توفى ٣٨٩م).

وحسب تقليد كنيستنا القبطية، نصلى القداس الكيرلسى المرقسى فى الصوم الكبير على الخصوص.

ونصلّى القداس الغريغورى فى الأعياد وفى خميس العهد وأحد الشعانين وأيام الخمسين المقدسة.

ونصلّى القداس الباسيلى فى غير ذلك.

أما فى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية فيصلّون القدّاس المسلّم لهم من القديس يعقوب الرسول أحد الإثنى عشر، المعروف بيعقوب الصغير بن حلفى وهو يعقوب البار الذى عُرف بأنه أسقف أورشليم.

وأما كنائس الروم والرّوس وجميع الكنائس التى تتبع الطقس البيزنطى فيصلّون القدّاس المعروف بترتيب القديس يوحنا ذهبى الفم (٣٤٧ ـ ٤٠٧م).

مع تحيات المحبة فى المسيح يسوع، أرجو لكم موفور الصحة وأطيب التمنيات،،،،

٣ - القداس ترتيب إلهى، وتقليد رسولى مقدس

سؤال: من السيد/م. ع. ج. بالمنيا

هل القدّاس مكتوب بالوحى؟

الجواب:

القداس ترتيب رسولى، وتسليم مقدس، وتقليد سلّمه الآباء الرسل فى الكنائس التى أسسوها، والتى سميت من بعدهم بالكنائس الرسولية. . ولقد قال الرسول القديس بولس فى إحدى رسائله «تجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذى تسلمه منا» (٢ . تسالونيكى ٢ : ٦) . وقال أيضاً «فاثبتوا إذن أيها الإخوة وتمسكوا بالتقاليد التى تعلمتموها سواء كان بالكلام أم برسالتنا» (٢ . تسالونيكى ٢ : ١٥) . مبيناً أن التقليد الشفاهى هو بمركز التقليد الكتابى. وقال للمؤمنين المسيحيين فى كنيسة كورنثوس: « فأمدحكم أيها الإخوة على أنكم تذكروننى فى كل شئ، وتحفظون التقاليد كما سلمتها إليكم» (١ . كورنثوس ١١ : ٢) وعاد يقول لهم فى نفس الرسالة «لأننى تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً» (١ . كورنثوس ١١ : ٢٣ ، ٢٤) . على أنه أورد لهم بعد ذلك تسليم القداس ذاته « سلمتكم أيضاً أن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم...» .

فالقداس إذن ترتيب إلهى، وتقليد رسولى، مسلّم للكنيسة من الرسل، عن المسيح له المجد الذى قال لرسله «اصنعوا هذا لذكرى» (لوقا ٢٢ : ١٩) ، (١ . كورنثوس ١١ : ٢٤ ، ٢٥) .

والمتأمل فى ترتيب القداس يلمس مطابقته التامة للتعليم المسلم لنا فى الكتاب المقدس وفى التقليد الرسولى. والمتتبع لكل لفظ من ألفاظه يتبين أن كل ما جاء فيه منتقى ومختار من تعاليم الوحى المقدس. وإنك لواجد فى نص القداس وثيقة دينية عقائدية روحانية، تعبر تماماً عن إيمان الكنيسة الجامعة الرسولية. ويمكننا أن نثبت كل كلمة جاءت فى نصوص القداس بنصوص من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. إن القداس ترتيب إلهى، وهو تراث ثمين سليم كل السلامة، مطابق للتعليم المسيحى الصافى، وهو رابطتنا الروحية بماضى الكنيسة، وحاضرها ومستقبلها إلى مجئ المسيح الثانى.

٤ ـ صلة المسيحى بالكنيسة

إذا كان كل إنسان إجتماعياً بطبعه، ولا يستطيع أن يحيا حياة إنسانية كاملة فى غير مجتمع، فالمسيحى له مجتمعه الدينى يحيا فيه دينياً، كما أن له مجتمعه العام الذى يحيا فيه كمواطن فى الدولة، ومجتمعه الإنسانى الأعم الذى يحيا فيه كواحد من بين الناس الذين يعيشون على هذا الكوكب الذى نسميه بالأرض.

وليس المجتمع الدينى بالنسبة للمسيحى مجرد مجال عام يمارس فيه الصلاة العامة التى يشارك فيها غيره ممن يدينون دينه المسيحى، وإنما هو بالإضافة إلى ذلك مجال لممارسة عواطفه الدينية الإجتماعية، فيه يتعلم تعاليم دينه وأحكامه ومراسمه وطقوسه، من رجال دين هم أعلم منه بتلك التعاليم والأحكام والطقوس، وفيه يساهم مع الجماعة فى واجبات العبادة لله. فإن الله لم يخلق الفرد فقط بل خلق المجتمع أيضاً، فمن حق الله على المجتمع أن يشكر الله على ما أسبغ به على الجماعة البشرية من خيرات، ومن مقومات جعلت هذا المجتمع البشرى ممكناً وفعالاً.

وفى المجتمع الدينى يستطيع الفرد المسيحى أن يمارس فضائل الدين من محبة وعطف ورحمة وتسامح واحتمال، وأن يمارس كذلك فضائل التعاون والمشاركة الوجدانية والتضامن والتكافل الإجتماعى، بل وفيه يمارس فضيلة العمل بروح الفريق لتحقيق خير عام لفائدة أعم.

١ ـ هذا المجتمع الدينى الخاص، بالنسبة للمسيحى، هو ما نسميه بالكنيسة، فالكنيسة هى جماعة المؤمنين بالمسيح رباً وإلهاً وفادياً وديّاناً، والمعمّدين باسم الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس، والمشتركين فى أسرار خلاصية واحدة، يجمعهم الإيمان الواحد ويخضعون لرئاسة كهنوتية شرعية.

وبهذا المعنى ذكر المسيح له المجد، كنيسة العهد الجديد، فى تصريحه الذى حدد فيه الإيمان الحقيقى بأنه «هو المسيح ابن الله الحى». قال «وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى. وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (متى ١٦: ١٦، ١٨). هنا فى هذا النص القدسى يتكلم المسيح له المجد عن الكنيسة، وينسبها إلى شخصه المبارك، فيقول «كنيستى». هذه الكنيسة قائمة بالمسيح (سأبنى كنيستى) على صخرة الإيمان بلاهوته «أنت هو المسيح ابن الله الحى». وعلى ذلك فالكنيسة تتألف من جميع المؤمنين بأن «المسيح هو ابن الله الحى».

٢ ـ ولما كان لابد لجماعة المؤمنين بالمسيح رابطة تجمعهم، رابطة إيمان، وسلوك يطابق الإيمان، ولابد لهذه الرابطة من قيادة مسئولة تسهر على سلامة الإيمان، وسلامة ممارسته وتطبيقه، وتكون حارسة للإيمان ومعطياته ومسلماته، فإن المسيح له المجد لم يترك كنيسته بغير قيادة، وإنما أقام له تلاميذ وسمّاهم رسلاً، ليكونوا وكلاء عنه، ائتمنهم على رعاية كنيسته وحراستها، وحراسة تعاليمها وسائر معطيات الإيمان ومسلماته، وجعلهم مسئولين أمامه، وسيحاسبهم عن ذلك في يوم الدين حساباً عسيراً. هؤلاء الوكلاء عنه، كان لابد أن يمنحهم تفويضاً رسمياً، ويوشحهم بسلطان خاص، ليصير لعملهم فاعلية بالنسبة لسائر المؤمنين، وهذا السلطان هو سلطان «الحل والعقد» وما يسمى «بمفاتيح ملكوت السماوات».

قال الرب يسوع لتلاميذه ورسله في شخص القديس بطرس الذى ناب عنهم جميعاً في اعترافه بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحي: «وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يربط في السماوات، وكل ما تحلّه على الأرض يحل في السماوات» (متى ١٦: ١٩).

وقد أعاد الرب يسوع منح هذا السلطان عينه لجميع الآباء الرسل، ولخلفائهم من بعدهم ممن ينالون بوضع أيديهم الخلافة الرسولية بقوله، عن المارق من الكنيسة والمخالف لتعاليمها والخارج على سلطانها: «فإن رفض أن يسمع للكنيسة فليكن بالنسبة إليك كوثني وعشار. الحق أقول لكم إن كل ما تربطونه على الأرض يربط في السماوات، وكل ما تحلّونه على الأرض يحل في السماوات» (متى ١٨: ١٧، ١٨).

من هذا النص نتبين أن «الكنيسة» أخذت معنى جديداً مضافاً إلى معناها في النص الأول. الكنيسة في قوله «على هذه الصخرة سأبنى كنيستى» معناها جميع المؤمنين ـ رعاة ورعية ـ ممن يؤمنون بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحي». وأما في النص الآخر، فمعناه «قيادة الكنيسة ورئاستها الموكول إليها حماية الإيمان، وحراسة معطيات الإيمان». ولهذه القيادة الروحية منح المسيح له المجد سلطان الحل والربط، ليكون لها حق التصرف نيابة عن المسيح بمثابة «الوكيل المؤتمن» (متى ٢٤: ٤٥)، (١ . كورنثوس ٤: ١)، (تيطس ١: ٧).

٣ ـ أخيراً فإن المبنى الذى يجتمع فيه المؤمنين تحت قيادتهم الروحية الشرعية، ويطلق عليه اسم «الكنيسة». وبهذا المعنى يقال «كنيسة مارمرقس بشارع.. ببلدة ...» أو «كنيسة العذراء ..» وما إلى ذلك. جاء في سفر أعمال الرسل: «فحدث إنهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة» (أعمال الرسل ١١: ٢٦).

على أن تخصيص مكان العبادة أو مبنى الكنيسة، هو من وصية الرب يسوع لتلاميذه «وأية مدينة أو قرية دخلتموها، فابحثوا فيها عمن هو مستحق وأقيموا عنده حتى ترحلوا» (متى ١٠: ١١).

وقال لهم «حيثما دخلتم بيتاً فأقيموا فيه حتى تخرجوا من هناك» (مرقس ٦: ١٠)، (لوقا ٩: ٤). ولقد تحولت تلك البيوت التى دخلها الآباء الرسل وبشروا فيها وصلّوا، إلى كنائس، لأن كل شئ «يقدس بكلمة الله وبالصلاة» (١ . تيموثيئوس ٤: ٥). وهذا هو ما يحصل فى «تدشين الكنيسة» إنها تقدس بالقراءات من كلمة الله، وبالصلاة، فتصير مدشنة أو مقدسة ومخصصة ومكرسة لله ولعبادته.

* * *

بعد هذا العرض الموجز لمعانى كلمة الكنيسة، عليك أن تلاحظ:

أولاً: إنك كعضو فى الكنيسة، آمن بالمسيح أنه ابن الله الحى، ونلت العماد باسم الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس، يلزم أن تعرف حقائق الإيمان الذى صادقت عليه واعترفت به وتحفظها بكل أمانة وبغير انحراف عنها، وإلا صار إيمانك فاسداً.

وليس إيمانك وحده كافياً، فالشياطين يؤمنون بالله ويرتعدون أيضاً. بل ينبغى أن تمارس الإيمان، وتسلك فى روحه وحرفه بأمانة وبكل تدقيق، فللسائرين فى طريق السماء خطان متوازيان تجرى عليهما قاطرة حياتهم وأعنى: أرثوذكسية الإيمان، وأرثوذكسية السيرة المسيحية.

ثانياً: أن تحترم قواعد الكنيسة وأحكامها وطقوسها، وتخضع لتدبير رعاتها وكهنتها. ويلزم أن يكون لك كاهن مرشد، يسمع اعترافك ويوجه حياتك وعليك أن تخضع لتدبيره، فهو حارس الشريعة المؤتمن على روحك. فلا تستقل بتدبير نفسك، بل اخضع لتدبير مرشدك الروحى، فإن ذلك ينفعك لحياتك الأبدية ويبنيك روحياً.

ثالثاً: لا تهمل أن تواظب على الكنيسة، بيت الله، لسماع القداس وكلمة الإنجيل ، والتقرب من الأسرار المقدسة. يقول النبى: «فرحت بالقائلين لى إلى بيت الرب نذهب» (مزمور ١٢١: ١). وعندما تدخل الكنيسة عليك أن تدخل بالوقار والأدب والاحترام اللائق ببيت الله. هيئ فكرك وقلبك وجهّز ذهنك وروحك لحضرة الله. وادخل بجسم نظيف، وملابس نظيفة، واخضع

برأسك أمام هيكل الرب وقل مع النبى « وأنا بكثرة رحمتك ادخل بيتك، وأسجد أمام هيكل قدسك بمخافتك» (مزمور ٥: ٧) . واجلس فى هدوء، وقف مع الواقفين، واسجد مع الساجدين، ولا تلتفت يميناً أو شمالاً بل احصر ذهنك فى متابعة الصلاة وسماع كلمة الله. ولا تخرج قبل نهاية الصلاة إلا للضرورة القصوى. ولا تتكلم مع أحد، ولا تهمس لأحد. ولا تضحك أو تسخر من أحد، ولا تحاول أن تلفت نظر أحد إليك، بل الزم الورع والأدب الروحانى اللائق بحضرة رب الجنود.

٥ ـ طقس الإكليل (١)

سرّ الزيجة فى الكنيسة الأرثوذكسية هو هذه الرابطة الروحية المقدسة التى تتم بفاعلية نعمة الروح القدس التى تنحدر من السماء بناء على استدعاء الكاهن، فتؤلف بين العروسين، الرجل والمرأة، وتوحّد بينهما، وتصيّرهما جسداً واحداً، فيكون كل منهما ملكاً للآخر، وقفاً عليه وحراماً على غيره، وذلك لإقامة أسرة طاهرة تحيا بالتعاون والحب، ولإيلاد أولاد طاهرين، وإنماء الكنيسة وملكوت الله على الأرض.

يقول السيد المسيح له المجد «يترك الرجل أباه وأمه ويرتبط بزوجته فيصير الإثنان جسداً واحداً، فلا يكونان بعد اثنين إذن وإنما جسداً واحداً. ومن ثمّ فما جمعه الله لا يفرقه الإنسان» (متى ١٩: ٥، ٦)، (مرقس ٧: ٧ – ٩). وجاء على فم القديس بولس الرسول فى الرسالة إلى أفسس «يترك الرجل أباه وأمه ويرتبط بزوجته، فيصير الإثنان جسداً واحداً. إن هذا السرّ لعظيم» (أفسس ٥: ٣١، ٣٢).

فالزيجة المسيحية ليست مجرد عقد أو اتفاق يُبرم بين رجل وإمرأة يريدان أن يعيشا معاً ويشارك أحدهما الآخر، الحياة كلها أو فترة منها، كما هو الحال فى العقد المدنى، أو ما هو فى حكمه. إنّما هو رباط إلهى بل اتحاد مقدّس يعقده الروح القدس، بطريقة روحية، وفاعلية سرّية غير منظورة، إذ تنحدر فيه على العروسين، الرجل والمرأة، نعمة الروح القدس بصورة سرّية غير منظورة، فيصيران بها جسداً واحداً على الرغم من تمايزهما الظاهر. وبهذا يصير جسد المرأة للرجل كجسده تماماً. ويصير جسد الرجل للمرأة كجسدها تماماً. وعلى هذا الأساس يصبح للرجل سلطان على جسد المرأة لأنه قد صار بفعالية السرّ الإلهى جسد الرجل أيضاً، ويصبح للمرأة سطان على جسد الرجل لأنه قد صار بفعالية سر الزيجة جسد المرأة أيضاً. فقد جاء على لسان الرسول بولس قوله « لا سلطة للزوجة على جسدها فإنما هو لزوجها، وكذلك الزوج لا سلطة له على جسده، فإنما هو لزوجته» (١ . كورنثوس ٧: ٤).

والكاهن فى سرّ الزيجة هو الممثل الشرعى للسلطة الإلهية، وعندما يبارك بالصليب العروسين، ويضم يمين العروس إلى يمين العريس وينطق بالبركة وكلمات التقديس وهو بكامل ملابسه الكهنوتية، وأمام المذبح المقدس فى الكنيسة، إنما يمثل الجانب المنظور الذى تنحدر عن طريقه ومن خلاله نعمة الروح القدس غير المنظورة.

وهذا ينبغى أن نشير إلى الحكمة فى إجراء قداس الإكليل فى الكنيسة، وأمام الهيكل المقدس، والكاهن ملتحف بكامل ملابس الخدمة الكهنوتية، وقد خلع حذاءه من قدميه، لأنه يباشر خدمة قدّاس كامل، وذلك لإبراز كرامة سرّ الزيجة، وبيان أنه رابطة إلهية.

---

(١) كتب الخميس ٢٣ من مايو ـ أيار لسنة ١٩٨٥م ـ ١٥ من بشنس لسنة ١٧٠١ش.

لذلك، وتوكيداً لهذه النظرة العالية لسرّ الزيجة، وأنها رباط إلهى، ينادى الكاهن فى مطلع قداس الإكليل. وقد أمسك بخاتمى الذهب الخاصّين بالعروسين أو الدبلتين مع الإكليلين، وجميعها تلف مع الشملة أو اللّمط الذى يوضع على رأسى العروسين. وبعد تلاوة الصلاة الربانية يقول الكاهن: «باسم ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح، مشرّع شريعة الفضل والكمال، نعقد عقد إملاك، وقران الابن المبارك الأرثوذكسى البكر (فلان) على مخطوبته الابنة المباركة الأرثوذكسية البكر (فلانة)، ويعقد برسم الصليب قائلاً (بالقبطية أو العربية) «باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد. تبارك الله الآب القادر على كل شئ آمين» ويجاوبه المرتلون قائلين ثلاثاً: «آمين» .... ويصلى جميع الحضور الصلاة الربانية.. ثم يقول الكاهن للمرة الثانية: «باسم ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، مشرّع شريعة الفضل والكمال، نعقد عقد إملاك وقران الابنة المباركة الأرثوذكسية البكر (فلانة) على مخطوبها الابن المبارك الأرثوذكسى البكر (فلان)» ثم يرسم الصليب للمرة الثانية وهو يقول بالقبطية أو العربية «تبارك ابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا، آمين» فيجاوبه المرتلون قائلين ثلاثاً: (آمين). ويصلى الجميع مرة أخرى الصلاة الربانية. ثم يقول الكاهن ثالثة (بالقبطية أو العربية): «باسم ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، مشرّع شريعة الفضل والكمال، نعقد عقد إملاك وقران الابن المبارك الأرثوذكسى البكر (الفلان) على عروسه الابنة المباركة الأرثوذكسية البكر (فلانة). ويرسم الصليب وهو يقول (بالقبطية أو العربية): تبارك الروح القدس المعزّى، آمين». فيجاوبه المرتلون قائلين ثلاث مرات (آمين)، ويصلّى جميعهم الصلاة الربانية، ثم يكمّل الكاهن قائلاً (بالقبطية أو العربية): مجداً وإكراماً، إكراماً ومجداً للثالوث القدوس، الآب والابن والروح القدس، آمين.

وهذا كله توكيد لكرامة سرّ الزيجة، وأنه رباط إلهى مقدس، ولذلك يُعقد باسم الثالوث القدوس، ويقوم به الكاهن ممثلاً للسلطة الإلهية وهو مرتدٍ كامل ملابسه الكهنوتية، ويباشره فى الكنيسة، بيت الله المقدس، وقدّام هيكله المقدس والمذبح الإلهى. ويقول الكاهن فى وصيّته الختامية للعروسين: «والآن، وقد حضرتما فى هذه الساعة المباركة قدام هيكل رب الجنود (الصابؤوت)، وأمام مذبحه المقدس، فى هذا المحفل الأرثوذكسى وجمعتكما هذه الزيجة المباركة والإكليل الشريف...).

أما عن **الخاتم**، فيقول القديس أكليمنض الإسكندرى (نحو ١٥٠ - ٢٢٠م): ينبغى للعريس أن يعطى عروسه خاتماً من ذهب.. على أن خاتم العرس لا يرمز إلى الأمانة فقط، بل ويشير أيضاً إلى الحقوق الخاصة بالزوجة التى هى ربّة البيت وأم العائلة، ويدل أيضاً على الكرامة التى نالتها

المرأة لدى رجلها كما يقول الكتاب المقدس يمدح زربابل «يقول الرب: **وأجعلك كخاتم** لأنى قد اخترتك يقول رب الجنود» (حجى ٢ : ٢٣)، (إرميا ٢٢ : ٢٤)، (إشعياء ٤٩ : ١٦). ويدل عدا ذلك جميعه على أن العروس زينة فى يد عريسها، أنها ساعده الأيمن فى تدبير المنزل وتربية البنين، والتعاون على كل أمور الحياة. والمرأة تلبس الخاتم دلالة على أنها فى طاعة رجلها وكأنه مالك عليها كشئ فى قبضة يده، وأنها صارت فى حوزته. ومن هذا جاءت تسمية القسم الأول من الإكليل عقد الإملاك، فالإملاك هو عقد الزواج. ويقال فى اللغة: «أملكه الشئ أى جعله ملكاً له. وأملكه المرأة زوّجه إياها».

أما عن الدبلتين، فالدُبلة فى الغالب مأخوذة عن الكلمة الفرنسية Doublé أى الملتبس بالذهب أو الفضة أو عن Doublet بمعنى (صِنو) وهو أحد شيئين متماثلين أو زوج مؤلف من شيئين متماثلين.

وأما **الإكليلان** فهما مثنى إكليل وهو التاج. يقال فى العربية كلّلَ الكاهن العروسين فتكللا، لأنه يضع على رأسيهما إكليلين فى أثناء صلاة الزواج. والإكليل أو التاج هو رمز الجلال والكرامة والمجد، لأن الرجل يصير بالزواج ملِكَ الأسرة، والمرأة ملِكة الأسرة. جاء فى سفر نشيد الأناشيد «اخرجن يا بنات صهيون، وانظرن الملك سليمان **بالتاج** الذى توّجته به أمه فى يوم عرسه، وفى يوم فرح قلبه» (نشيد الأناشيد ٣ : ١١) وجاء فى سفر الأمثال «المرأة الفاضلة إكليل لرجلها» (الأمثال ١٢ :٤).

وأما (**اللّمط**) فهو قطعة من القماش الحرير طولها ١٥٠ مائة وخمسون سنتيمتراً، وعرضها أربعون سنتيمتراً، مطرز بها صليبان بمثابة وشاح توضع على رأسِ العروسين. وقال عنها القديس إيرونيموس (إنها علامة النقاوة والعفاف). ولذلك فإنّ (اللّمط) يرجع إلى الكلمة اليونانية λᾶμμα,ατος وهى عصابة للرأس يلبسها الأبكار والعذارى، رمزاً للعفة. جاء فى سفر إشعياء «فرحاً أفرح بالرب، تبتهج نفسى بإلهى لأنه قد ألبسنى ثياب الخلاص، **وشملنى برداء البرّ**، مثل عريس يتزين بالتاج، وكالعروس التى تتحلى بزينتها» (إشعياء ٦١ : ١٠). انظر (التكوين ٢٤ : ٦٥)، (أفسس ٥ : ٢٥، ٢٧)، (الرؤيا ١٩ : ٧، ٨).

* * *

إن طقس الإكليل فى كنيستنا القبطية الأرثوذكسية غاية فى الروعة والجمال، وتظهر روعته بالأكثر مع روحانية الأداء، ودقة الأداء، لفظاً ومعنى، وغناء ولحناً. وألحانه بهجة تهز المشاعر والأحاسيس، وترفع القلب والروح إلى معانى الزيجة الروحانية، لتنمية الترابط الروحى والنفسى

والذهنى بين العروسين، واستدعاء موهبة الروح القدس لتنحدر على العروسين فتجمع بينهما، وبهذا يصبح الزواج رابطة روحية مقدسة تجعل الرجل والمرأة جسداً واحداً.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه يجب أن تمارس جميع صلوات الإكليل كاملة وينبغى أداء الإكليل بروحانية وتؤدة وتقوى، وأن تؤدى جميع الألحان والمردات والتسابيح وسائر الطقوس والممارسات المنصوص على أدائها فى كتاب صلوات الإكليل المرتب من الكنيسة المقدسة وعدم إهمال شئ منها: الرشوم، وعقد الإملاك بجميع صلواته، وصلوات الإكليل، والقراءات، والأواشى، والطلبات، ودهن العروسين بالزيت، وإلباس الدبلتين، وكذلك وضع اللّمط على رأسى العروسين والأكاليل ثم الوصية، والتحاليل والبركة الختامية..

ولا نهمل الإشارة إلى أن الأيام المفضلة حسب ترتيب الكنيسة الأصيل لعقد الإكليل، هى يوم السبت مساء أو يوم الأحد بعد رفع بخور باكر، وذلك حتى يتمكن العروسان من التناول من الأسرار المقدسة، ويقول القانون الكنسى «ويتناولان بعد الإكليل». وقد يمكن عند الضرورة أن يتم عقد الإكليل مساء الأحد أو الإثنين. أما الإكليل الذى يعقد مساء الثلاثاء أو مساء الخميس فهو يتعارض مع ترتيب الكنيسة فى أيام الصوم، إذ المفروض أن يوم الأربعاء يبدأ طقسياً من الساعة السادسة من يوم الثلاثاء، ويوم الجمعة يبدأ طقسياً من الساعة السادسة من مساء الخميس. فمن المتعارض مع نظام الكنيسة وترتيبها عقد صلوات الإكليل بعد السادسة من مساء الثلاثاء أو بعد السادسة من مساء الخميس.

كذلك نصّت قوانين الآباء على عدم عقد الإكليل فى مساء اليوم السابق على أى من الأصوام العامة، ومنها الصوم الكبير، وصوم الميلاد، وصوم الرسل، وصوم العذراء.. وقد كان يراعى وقف منح التصاريح بالزواج أسبوعاً كاملاً قبل بدء أحد الأصوام العامة.

وقوانين الآباء أيضاً تمنع التزويج فى أيام الخمسين المقدسة إلا للضرورة القصوى.

ومن تراثنا القبطى فى الزيجة المسيحية أن لا يمنح الكاهن الحلّ للعروسين للعلاقة الزوجية إلا فى اليوم الثانى أو الثالث لعقد الإكليل احتراماً خاصاً لسرّى التناول والزيجة، ويتخذون من قول الملاك رافائيل لطوبيا قاعدة لها حكمتها العالية التى يؤيدها اليوم علماء النفس وخبراء الحياة الزوجية «فقال له الملاك رافائيل: استمع فأخبرك من هم الذين يستطيع الشيطان أن يقوى عليهم. إنّ الذين يتزوجون فينفون الله من قلوبهم ويتفرغون لشهوتهم كالفرس والبغل اللذين لا فهم لهما، أولئك للشيطان عليهم سلطان. فأنت إذا تزوجتها ودخلت المخدع فإمسك عنها (العروس) ثلاثة أيام ولا تتفرغ معها إلاّ للصوات... وبعد إنقضاء الليلة الثالثة تتخذ البكر بخوف لرب وأنت راغب فى البنين أكثر من الشهوة لكى تنال بركة ذرية إبراهيم فى بنيك» (طوبيا ٦: ١٦ – ٢٢).

٦ ـ طقس التمجيد

التسبيح والتمجيد من مراسم العبادة، يلتقيان ويتفقان، ولا يفترقان.

هما لغة الملائكة فى السماء ولغة الروحانيين من بين الناس على الأرض وفى السماء. كانا منذ القديم العتيق، ولا يزالان، وسوف يظلان لغة العبادة إلى دهر الدهور وأبد الآبدين.

هما لغة الملائكة ولغة الناس، وهما أيضاً لغة الكون كلّه: لغة المجرّات الهائلة فى دورانها حول سديم النور الأعظم والأول، ولغة النجوم فى دورانها حول المجرّات، ولغة الكواكب فى دورانها حول النجوم، ولغة الأقمار فى دورانها حول الكواكب...

هما لغة الأليكترونيات فى دورانها حول النواة فى كل ذرة، ولغة الفوتونات فى دورانها حول الأليكترونات..

الكون كلّه من المجرّة إلى الذّرة يُغنى ويتغنى بمجد الخالق، ويدور فى حلقة تسبيح وتمجيد حول الواحد الذى لا أول له ولا آخر، الأزلى الأبدى، السرمد والسرمدىّ. «السموات تُحدّث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه. يوم إلى يوم يذيع كلاماً، وليل إلى ليل يُبدى علماً» (مزمور ١٨: ١، ٢).

والطيور أيضاً تغرّد، وفى تغريدها تسبيح وتمجيد، والدواجن أيضاً تغنى أيضاً معبّرة عن سرورها أو احتياجاتها، والنحل وكلّ الحشرات والهوام، تُحدث أصواتاً منغّمة فيها إيقاع وتآلف وتوافق.

والأسماك فى البحر أيضاً تغنى وتُسبح، وفى حركاتها رقص متوافق، وفى أصواتها تناسق وانسجام.

إنّ كلّ الكون يُغنى، من الملائكة إلى الناس، إلى النجوم والكواكب والأقمار، إلى الطيور والهوام والحشرات والأسماك....

والغناء والتسبيح والتمجيد نسمعه فى رتابة وإيقاع وتوافق وانسجام حتى فى نقيق الضفادع، وفحيح الأفاعى، وحفيف الشجر...

كلّ الكون من أضخم جِرم إلى أصغر ذرة.. كلّ شئ فى الوجود يُغنى بلغته ويُسبّح ويُمجّد فى أصواتٍ، لها إيقاع ولها نغم ولحن..

فمن الطبيعى جداً أن يتوافق الدين مع فن الغناء والتسبيح والتمجيد. وأرقى الغناء ما كان تسبيحاً وتمجيداً للإله على نعمائه وآلائه وخيراته، وإشادة بأفضاله وآيات إبداعه..

وفى كنيستنا القبطية يحتل التمجيد والتسبيح لله جلّ جلاله مكانة كبيرة وعالية.

وبين أسفار الكتاب المقدّس، سفر المزامير، وهو كلّه، أو فى مجمله، تسبيح وتمجيد.. وغير المزامير أسفار أخرى كُتبت شعراً، ومنها أسفار إشعياء، وإرمياء، ومراثى إرميا، فضلاً عن سفر أيوب، وأسفار الحكمة، والجامعة، ونشيد الأناشيد، وأغانى أخرى مبثوثة هنا وهناك حتى فى الأسفار التاريخية.. والشعر فنٌ عظيم يقدّم المعنى العميق فى ألفاظ لها جرس وكلمات تنتظم معاً فى جمال وتوافق واتّساق، وتنطق فى إيقاع واتفاق وموسيقى تَخلبُ الروح وتسبى الشعور والإحساس.

على أنّ طقس التمجيد قد امتدّ فى كنيستنا للتغنّى بسرّ التجسد الإلهى، وسرّ الفداء، والقيامة، وغيرها من الحقائق الإلهية وعقائدنا الكنسية، فى مختلف الاحتفالات الدينية، ولا سيما فى الأعياد والأصوام وسائر المناسبات الطقسية، المفرحة والحزينة.. ومن بينها الاحتفال برأس السنة، والاحتفال بالعماد، وبالزواج، وأعياد القديسين وما يعرف بالميامر الكنسية..

من هنا كان التسبيح والتمجيد الذى نتغنّى فيه بمدح القديسين على فضائلهم، وصالح أعمالهم، وتكريماً لطهارتهم وقداسة سيرتهم، وأمانتهم لسيدهم وربّهم، وما برز فى حياتهم من أفعال البطولة والشجاعة والثبات على الإيمان، وما بذلوه من تضحيات فى الزهد والنسك، وقبول الموت وكل صنوف العذاب، بصبر واحتمال وشجاعة وقوة فى سبيل إيمانهم بالمسيح.

والكنيسة إذ تمجّد القديسين، تمجّدهم على فضائلهم وتمدح صفاتهم وتتغنى بأعمالهم الصالحة، تكريماً للفضيلة التى تمثلت فيهم، وأداء لواجب مقدّس نحو الذين حملوا الصليب حتى الموت، إيماناً وأمانة وصدقاً ووفاء.

ولقد مدح المسيح له المجد المرأة التى سكبت الطيب على رأسه، بل أمر أن يُخبّر بصنيعها الحسن فى الإنجيل المقدّس، وفى كل مكان تذهب إليه بشرى الخلاص فى كلّ العالم، وذلك تكريماً للمرأة وإشادة بعملها وإحياءً لذكرها. قال المسيح له المجد : «الحق أقول لكم إنه حيثما يُبشر بهذا الإنجيل فى العالم كلّه، يُحدّث أيضاً بما فعلته هذه المرأة إحياء لذكرها» (مرقس ١٤ : ٩)، (متى ٢٦ : ١٣)، (يوحنا ١٢ : ٧، ٨).

فمدح القديسين وتمجيدهم واجب مقدّس يأمرنا الله به، تحية وإكراماً للقديسين كآباء لنا ومعلّمين، وإعلاء لشأن الفضيلة التى تمثّلت فيهم، وتشجيعاً للصغار والكبار من المؤمنين للاقتداء بسيرتهم.

من هنا يحتل تمجيد العذراء مريم والدة الإله مكاناً بارزاً فى طقوسنا الدينية وكل خدمات الكنيسة، فى القداسات، وفى رفع البخور عشية وباكراً ، وفى جميع الخدمات الأخرى فى جميع المناسبات الدينية.

وكذلك يحتل تمجيد الرسل والشهداء والقديسين مكانه المناسب خصوصاً فى أعيادهم وفى أوقات ذكراهم.

ومع ذلك، فهذه التماجيد للعذراء مريم وللشهداء والقديسين، هى متجهة أولاً وبالذات إلى الله، شكراً وتسبيحاً لعظمته تعالى، فإنه هو بذاته الذى منحهم معونته وقوّته حتى أتمّوا مسيرتهم بنجاح، وأكملوا جهادهم بأمانة وتقوى، وعبروا إلى عالم الخلود تاركين لنا من بعدهم سيرتهم المقدسة نموذجاً وأمثولة، لنسلك فى طريقهم ونتمثل بإيمانهم وفضيلتهم.

هذه التماجيد هى قصائد مدح من الشعر والنثر المنظوم أكثره بترتيب الحروف الهجائية باللغة القبطية ـ وبعد ذلك تُرجم منه ما تُرجم إلى اللغة العربية ـ مع إضافات وُضعت فيما بعد بالعربية رُوعى فيها إلى جمال النغم مطابقتها للعقيدة الأرثوذكسية والروحانية القبطية نصاً وروحاً مع إلتزام أمينٍ بأحداث التاريخ والتراث المجيد.

٧ ـ لماذا نصلّى نحو الشرق؟ (١)

سؤال: من الابن الأستاذ أليشع القمص يوسف ـ نجع حمادى.

يقول لماذا نصلى نحن ووجوهنا نحو الشرق رغم أن الله موجود فى كل مكان؟

ومن الابن السيد نصيف مسيحة أيوب ـ القاهرة

الجواب:

نعم، إن الله كائن فى كل مكان، وهو يملأ بوجوده السماوات وكل الكون. ونحن المسيحيين، وإن كنا نؤثر أن تكون قِبلتنا واتجاهنا فى صلواتنا، إلى الشرق دائماً، لكننا فى يوم الجمعة العظيمة من أسبوع الآلام، نتجه فى سجداتنا (وهى أربعمائة ركعة أو ميطانية) إلى جميع الاتجاهات الأصلية، فنتجه إلى الشرق أولاً ثم إلى الغرب ثم إلى الشمال ثم إلى الجنوب، نستمطر مراحم الرب على كل الخليقة، فى جميع الاتجاهات، فى الشرق، والغرب، والشمال، والجنوب.

فإذا كنا، فى تقليد كنيستنا نتجه فى صلواتنا إلى الشرق، دائماً، فلأن للشرق عندنا نظرة روحية، فهو يذكّرنا بالشمس فى شروقها. والشرق مطلع النور الذى يضئ على المسكونة كلها، والشمس عطية عظيمة من الله فيها النور، وفيها الجمال، وفيها الحياة لكل الخليقة.

ثم إننا باتجاهنا إلى الشرق فى صلواتنا نذكر أحداثاً دينية مثيرة، وفى تذكرها تذوب قلوبنا خشوعاً وتعبداً وشكراً لله.

فجنة عدن خلقها الله فى الشرق «وغرس الرب الإله جنة فى عدن، **شرقاً**، ووضع هناك آدم الذى جبله. وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل، وشجرة الحياة فى وسط الجنة» (التكوين ٢: ٨).

ثم إنّ النجم الذى ظهر للمجوس عند ميلاد المسيح له المجد، وقادهم إلى أورشليم ظهر لهم فى **المشرق**، يقول الإنجيل «وإذ ولد يسوع فى بيت لحم التى بإقليم اليهودية .. إذا مجوس جاءوا من المشرق إلى أورشليم قائلين: أين هو المولود ملك اليهود، فإننا **رأينا نجمه فى المشرق**، وأتينا لنسجد له» (متى ٢: ١، ٢).

وهكذا ارتبط مجئ المسيح إلى العالم، بشروق شمس البر «ولكم أيها المتقون اسمى **تشرق**

---

(١) كتب فى ٢٦ من مايو ـ آيار لسنة ١٩٩٣م ـ ١٨ من بشنس لسنة ١٧٠٩ش.

شمس البرّ، والشفاء فى أجنحتها، (ملاخى ٤: ٢) وكما أنبأ زكريا الكاهن بالروح القدس بقوله «بفضل رحمة إلهنا تفقّدنا **المشرق من العلاء ليضئ للجالسين فى الظلمة وظلال الموت**، ويقود خطانا فى طريق السلام» (لوقا ١: ٧٨ - ٨٠) انظر (إشعياء ١١: ١)، (زكريا ٣: ٨)، (٦: ١٢).

وتمشياً مع هذا الفهم الروحى يرد فى كتاب التسابيح التى نستخدمها خصوصاً فى شهر كيهك الذى نحتفل فيه بميلاد المسيح أو بالحرى تجسّده «**النور أشرق** من مريم» والنور هنا هو المسيح.

ثم إنّ أورشليم السمائية يصفها سفر الجليان - الرؤيا - «لها سور عظيم وعال ولها إثنا عشر باباً.. **من الشرق** ثلاثة أبواب ومن الشمال ثلاثة أبواب، ومن الجنوب ثلاثة أبواب، ومن الغرب ثلاثة أبواب» (٢١: ١٢، ١٣) فالبدء من الشرق، دائماً.

وجاء فى سفر المزامير قوله «صعد إلى سماء السماوات نحو **المشارق**» (مزمور ٦٧: ٣١).

هذه بعض الأسباب التى من أجلها نتجه إلى الشرق فى صلواتنا.

أما بالنسبة إلى الهنود أو إلى أى شعب آخر، فالشرق عندهم يكون وفقاً لشروق الشمس عندهم، حتى لو اختلف موضعه بالنسبة للبلاد الأخرى.

وعلى الإجمال، فالإتجاه إلى الشرق هو من حيث المعانى التى يثيرها الشرق فى نفوس العابدين، سواء بالنسبة للطبيعة الكونية فى شروق الشمس ، أو من حيث المعانى الروحية التى يستدعيها فى نفوس العابدين الإتجاه إلى الشرق.

٨ ـ الموضع الذى ينبغى فيه السجود (١)

سؤال: جاءنا فى صور مختلفة من عدد كبير من المسيحيين ممن يشاهدون البرنامج الدينى فى تليفزيون جمهورية مصر العربية، يدور حول الموضع الذى ينبغى فيه السجود كما جاء فى الحوار الذى جرى بين المرأة السامرية والمسيح له المجد على ما ورد فى الإنجيل للقديس يوحنا، والأصحاح الرابع؟

الجواب:

عندما تبيّنت المرأة السامرية أنّ يسوع المسيح حدّثها عن أسرار حياتها الخاصة، مع أنها لم تلتقِ به من قبل، حتى شهدت عنه لأهل مدينتها السامرة: «هلمّوا انظروا ذلك الرجل الذى قال لى كل شئ فعلتُ. أيكون هذا هو المسيح؟» (يوحنا ٤: ٢٩) اعتقدت فيه بادئ ذى بدء أنه نبىّ وقالت له: «يا سيد أرى أنّك نبىّ» (يوحنا ٤: ١٩).

من هنا أرادت أن تنتهز الفرصة لتسأله عن مشكلة عقائدية، جرى فيها خلاف طويل بين السامريين وبين اليهود على مدى بضعة قرون. ولم يظهر نبىّ بعد ليحسم هذا الخلاف، قالت فى وضوح وهى تشير إلى الجبل القريب منها وهو (جبل جرزيم): «لقد كان آباؤنا يسجدون فى هذا الجبل، وأنتم تقولون إنّ فى أورشليم الموضع الذى ينبغى فيه السجود» (يوحنا ٤: ٢٠).

وسؤال السامرية سؤال محدود ومحدّد: هى تريد من السيد يسوع المسيح الذى اعتقدت فيه أنه نبّى، أن يفتيها بصفته هذه، أى الموضعين أجدر بأن يكون مكان السجود الذى ترتضيه الإرادة الإلهية وتأمر به؟، وبالتالى أى الشعبين على حق فى دعواه؟ هل الشعب اليهودى الذى يذهب إلى أنه فى أورشليم، وأورشليم وحدها، الهيكل القائم على جبل صهيون، وهو جبل المريا الذى قدم من فوقه إبراهيم أبو الأنبياء ابنه إسحق ذبيحة «وإن كان قد افتدى بكبش» أو هو شعب السامرة الذى يزعم منذ بضعة قرون خلت أنّ جبل (جرزيم) الذى أقام عليه أهل السامرة هيكلهم هو الموضع الوحيد الذى يرتضيه الله ويريده؟

رأيان متعارضان:

إذن هناك رأيان مختلفان ومتعارضان، وكل رأى له حجته، ويستند إلى تاريخ قديم هو تاريخ الشعب القائل به، والآباء والأجداد الذين صنعوا هذا التاريخ، وبالتالى خلقوا هذا الخلاف وتركوه تراثاً للأبناء والأحفاد.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٢٨ من يونيه ـ حزيران لسنة ١٩٨١م ـ ٢١ من بؤونه لسنة ١٦٩٧ش.

ومن الأمانة للحق أن يرجع الباحث إلى هذا التاريخ لكى يضع المشكلة فى مكانها الصحيح، حتى يتبيّن معنى سؤال السامرية، وأين تكمن المشكلة الحقيقية فى سؤالها الذى قدمته فى صورة استفتاء للسيد المسيح بوصفه المتحدث باسم الله والذى يمكن أن ينبئها بالجواب الصحيح.

إنّ سؤال المرأة السامرية، يكشف مبدئياً عن التعارض بين اليهود من جهة والسامريين من جهة أخرى وذلك يتضح من قولها «لقد كان آباؤنا - أى آباء المرأة السامرية - يسجدون فى هذا الجبل (المجاور لها وهو جرزيم) وأنتم (اليهود) تقولون إنّ فى أورشليم الموضع الذى ينبغى فيه السجود (يوحنا ٤: ٢٠).

ثانياً: تقول المرأة السامرية للمسيح له المجد عندما طلب منها أن تعطيه ليشرب، بُغية أن يستدرجها فى الحديث: «كيف تطلب منّى لتشرب، وأنتَ يهودى وأنا سامرية، واليهود لا يخالطون السامريين؟» (يوحنا ٤: ٧ - ٩).

جذور الخلاف بين اليهود والسامريين:

فإذا رجعنا إلى التاريخ علمنا جذور هذا الخلاف، بل هذا العداء المستحكم الذى اقتضى القطيعة بين الشعبين.

المعروف أنّ السامرة هى إحدى مقاطعات فلسطين الثلاثة: مقاطعة الجليل فى الشمال، ومقاطعة السامرة فى الوسط، ومقاطعة اليهودية فى الجنوب.. وجميع السكان فى هذه المقاطعات الثلاث كانوا من شعب بنى إسرائيل، وكانت لهم مملكة واحدة عاصمتها أورشليم. القدس، وذلك إلى عهد سليمان بن داود. فلما صار رحبعام بن سليمان ملكاً بعد أبيه سليمان، انقسمت المملكة بسبب حماقة رحبعام وإنحيازه إلى مشورة الشباب الطائش، إلى مملكتين غير متعادلتين: ذلك أنّ عشرة أسباط من الإثنى عشر سبطاً من أسباط بنى إسرائيل انفضّوا عن رحبعام بن سليمان وأسّسوا لأنفسهم مملكة بذاتها فى السامرة، أسموها مملكة (إسرائيل)، وجعلوا عاصمتها شكيم (وهى الآن نابلس) وأقاموا ياربعام بن نباط ملكاً عليهم، وبذلك لم يبقَ مع رحبعام إلاّ سبط واحد، هو سبط يهوذا ومعهم سبط الكهنوت (لاوى). وإلى سبط يهوذا يرجع فى الواقع اسم (اليهود)، وهؤلاء احتفظوا باسم (أورشليم) عاصمة لمملكتهم. وقصة هذا الانقسام الخطير نجدها تفصيلياً فى (سفر الملوك الأول: ١٢).

السامريون يسجدون على جبل جرزيم:

ولكى يضمن ياربعام ولاء مملكة (إسرائيل) (المؤلفة من عشرة الأسباط) له، واستمرار إنفصالها عن مملكة (يهوذا) رأى أن يمنع ذهاب شعب إسرائيل إلى أورشليم للحج أو للسجود هناك حيث الهيكل «فاستشار الملك، وعمل عجلين من الذهب. وقال لهم: لا حاجة لكم بعد بالصعود إلى أورشليم. هذه آلهتكم يا إسرائيل التى أخرجتكم من مصر. وجعل أحدهما فى بيت إيل والآخر وضعه فى دان. فكان هذا الأمر عثرة. وكان الشعب يذهبون إلى أمام أحدهما حتى إلى دان. وبنى بيت المرتفعات، وأقام كهنة من لفيف الشعب لم يكونوا من بنى لاوى. وأقام ياربعام عيداً فى الشهر الثامن، فى اليوم الخامس عشر من الشهر، كالعيد الذى فى يهوذا، وأصعد على المذبح. وكذلك عمل فى بيت إيل، وذبح للعجلين اللذين عملهما، وأقام فى بيت إيل كهنة المرتفعات التى عملها، وأصعد على المذبح، الذى عمله فى بيت إيل، فى اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن فى الشهر الذى عيّنه من نفسه، وأقام عيداً لبنى إسرائيل وصعد على المذبح ليوقد». (١ .الملوك ١٢: ٢٥ ـ ٣٣) . انظر أيضاً (٢ . الملوك ١٠: ٢٩)، (١٧: ١٦)، (هوشع ٨: ٤ – ٧) . وبعد ذلك بُنيت (السامرة) أو جُدّدت فى أيام عُمرى أبى آخاب ملك إسرائيل (٨٧٦ ـ ٨٤٢ ق. م) وصارت هى عاصمة مملكة إسرائيل من الأسباط العشرة إلى زمن السبى أو الجلاء، يقيم فيها الملوك ويدفنون بها عند موتهم (١ . الملوك ١٦: ٢٣ – ٢٨)، ومن بعد عُمرى جاء ابنه آخاب وأقام فيها مذبحاً للبعل فى هيكل البعل (الذى بناه بالسامرة) (١ . الملوك ١٦: ٣٢) فصارت السامرة منذ البدء مدينة وثنية. وعلى الرغم مما قام به ياهو ملك إسرائيل من ثورة قتل فيها جميع عبدة البعل ليحارب الوثنية (٢ . الملوك ١٠: ١٨ – ٢٨) إلاّ أنّ الوثنية عادت فاستفحلت فى السامرة (هوشع ٨: ٤ – ٦)، (عاموس ٨: ١٤) .

أجانب يختلطون بالسامريين:

بالإضافة إلى كلّ ذلك حدث أن هاجم (شلمناصر) ملك أشور مدينة السامرة فى سنة ٧٢٤ ق. م واستعبد (ياهو) ملكها، وحاصرها لمدة ثلاث سنوات وفى عام ٧٢٢ ق. م غزا سرجون (إشعياء ٢٠: ١) خليفة شلمناصر، السامرة، وسبى من أهلها ٢٧٢٨٠ شخصاً إلى أشور وأسكنهم فى حلَح وعلى خابور نهر جوزان وفى مدائن مادى (٢ . الملوك ١٧: ٥، ٦) وترك الباقين الضعفاء من سكانها، ولكى يضمن خضوع أهل السامرة له بعد أن سبى من سباهم من أهلها، نقل إليها شعباً من الأجانب، (وأتى ملك أشور بقوم من بابل وكوث وعوّا وحماة وسفروايم

وأسكنهم فى مدن السامرة مكان بنى إسرائيل، فامتلكوا السامرة واستوطنوا مدنها. وكان أنّهم فى مبدأ إقامتهم هناك لم يتّقوا الرب.. فكلّموا ملك أشور قائلين إنّ الأمم الذين جلوتهم وأسكنتهم فى مدن السامرة لم يعرفوا حكم إله الأرض .. فأمر ملك أشور قائلاً: ابعثوا إليهم واحداً من الكهنة الذين جلوتهم من هناك، فيذهب ويقيم هناك ويعلّمهم حكم إله الأرض. فأتى واحد من الكهنة الذين جلاهم من السامرة، وأقام ببيت إيل، وأخذ يعلّمهم كيف يتّقون الرب. فأخذت كل أمة تعمل آلهتها وتضعها فى بيوت المرتفعات التى عملها السامريون، كل أمّة فى مدنها التى سكنتها. فعمل أهل بابل سُكُّوث بنوث، وأهل كوث عملوا نرجل، وأهل حماة عملوا أشيما، والعويّون عملوا نِبحز وترتاق، والسفروائيميون كانوا يحرقون بنيهم بالنار لأدرملَك وعنملَك إلهى سفروائيم. فكانوا يتقون الرب ويقيمون لأنفسهم من لفيفهم كهنة مرتفعات يقرّبون لأجلهم فى بيوت المرتفعات. وكانوا يتّقون الرب ويعبدون آلهتهم كعادة الأمم الذين جلوهم من بنيهم. وهم إلى هذا اليوم يعملون كعاداتهم الأول. لا يتقون الرب ولا يعملون بحسب سننهم وعوائدهم ولا بحسب الشريعة والوصية التى أمر الرب بها بنى يعقوب الذى سمّاه إسرائيل. وقد قطع الرب معهم عهداً وأمرهم قائلاً: لا تتّقوا آلهة أخرى ولا تسجدوا لها، ولا تعبدوها، ولا تذبحوا لها، بل الرب الذى أخرجكم من أرض مصر بقوة عظيمة وذراع مبسوطة، إياه فاتقوا، وله فاسجدوا واذبحوا.. ولا تتقوا آلهة أخرى.. بل الرب إلهكم فاتّقوا، فهو ينقذكم من أيدى جميع أعدائكم. فلم يسمعوا، بل بحسب عادتهم الأولى كانوا يعملون. فكان هؤلاء الأمم يتقون الرب ويعبدون تماثيلهم وكذلك بنوهم وبنو بنيهم، كما صنع آباؤهم يصنعون هم أيضاً إلى هذا اليوم» (٢ . الملوك ١٧ : ٢٤ – ٤١).

وقد ظل أهل السامرة يمارسون هذه العبادة المزدوجة أيضاً فى عهد (اسرحدون) ملك أشور حتى سقوط أورشليم فى عام ٥٨٦ ق. م (عزرا ٤ : ٢)، (٢ . الملوك ١٩ : ٣٧).

اشتداد القطيعة بين اليهود والسامريين:

كذلك فعل الأسكندر المقدونى (٣٥٦ ـ ٣٢٤) ق. م عندما استولى على السامرة فى عام ٣٣٢ق. م، ونقل سكانها إلى شكيم، وأتى بمقدونيين وسوريين وأسكنهم فيها.

ولقد اشتدت القطيعة بين اليهود من سبط يهوذا، وبين السامريين، حتى إنه عندما عاد المسبيّون من اليهود إلى أورشليم فى أيام زربابل، طلب السامريون أن يشتركوا معه فى بناء الهيكل فى أورشليم بزعم أنهم مثلهم يعبدون الرب إله إسرائيل، لكن زربابل رفض طلبهم، فلم يسمح لهم بالاشتراك معه فى البناء. فحنق السّامريون على اليهود، وجعلوا يحاربونهم ويقاومونهم وانضمّوا إلى أعداء اليهود فى تعطيل بناء الهيكل ثم فى تعطيل بناء سور أورشليم.

جاء فى سفر نحميا: «ولمّا سمع سَنبلّط أننا آخذون فى بناء السور غضب وحنق حنقاً شديداً وسخر من اليهود. وتكلّم أمام إخوته وجيش السّامرة وقال: ماذا يفعل أولئك اليهود الضعفاء؟ ... فبنينا السّور، واتصل السور كله إلى نصفه، وكان للشعب عزيمة فى العمل. ولمّا سمع سَنبلّط وطوبيا والعرب والعمونيون والأشدوديون بأن أسوار أورشليم قد رُفعت، وأن قد أُخذ فى سدّ الثغر، غضبوا جداً، وتحالفوا كلّهم يداً واحدة على أن يأتوا ويحاربوا أورشليم وينزلوا بها شراً .. (نحميا ٤: ١ - ٢١).

هيكل على جبل جرزيم:

واستفحل العداء أكثر عندما طرد نحميا من الكهنوت منسّى الكاهن على ما يروى يوسيفوس المؤرخ اليهودى. لأنّه تزوج من ابنة سَنبلّط الحورونى، فلما لجأ منسى إلى سنبلّط حميه. وعده هذا ببناء هيكل على جبل جزريم، إذا احتفظ بابنته زوجة ولم يطلقها كطلب شيوخ أورشليم (١). وقد برّ سنبلّط بوعده فبنى هيكلاً على جبل جرزيم (فى عهد الأسكندر المقدونى) ضد هيكل أورشليم، وذلك نحو سنة ٤٣٢ ق. م وسمى بالهيكل السّامرى. وقد صار جبل جرزيم (Gerrizzim) مقدّساً عند السامريين نظراً لبناء الهيكل من فوقه، وظل كذلك مقدّساً حتى بعد أن هدم يوحنا هركانوس الهيكل سنة ١٢٨ ق. م (٢) ومع ذلك استمر السامريون يقدمون قرابينهم على جبل جرزيم حيث كان الهيكل.

وعندما نجّس أنطيوخوس ابيفانيوس اليونانى (توفى ١٦٣ ق. م) هيكل أورشليم بأن قدّم على مذبحه خنزيرة، أعلن السامريون أنهم لا ينتمون إلى اليهود أصلاً، وزادوا على ذلك بأن ألقى بعض السامريين فى هيكل أورشليم عظاماً نجسة، وذلك فى السنة السادسة قبل الميلاد. فاشتد تبعاً لذلك كره اليهود للسامريين حتى صار اليهودى يحسب طعام السامرى نجساً بمثابة لحم الخنزير، بل لقد غالى اليهود فى احتقارهم للسامريين حتى صار اسم السامرى ذاته نجساً عند اليهودى، وكان يستنكف من أن ينطق به لئلا تتنجس بذكر اسمه شفتاه. وبالتالى صار العداء مستحكماً بين اليهودى والسامريين، وانقطعت بينهما كل صلة ولم يعد بينهما أية علاقات دينية أو اجتماعية. وهو ما عبّرت عنه المرأة السامرية، وقد أذهلها أن يطلب السيد المسيح منها أن تعطيه ليشرب، فقالت له على الفور: «كيف تطلب منى لتشرب، وأنت يهودى وأنا سامرية،

---

(١) انظر كتاب (تاريخ اليهود) ليوسيفوس اليهودى، الجزء ١١، الفصل ٧ الفقرة ٢ - ثم الجزء ١٢، فصل ٤ فقرة ١.

(٢) انظر كتاب (تاريخ اليهود) ليوسيفوس - الجزء ١٣ فصل ٩ فقرة ١.

واليهود لا يخالطون السامريين؟» (يوحنا ٤: ٩). انظر (متى ١٠: ٥)، (لوقا ٩: ٥٢، ٥٣)، (يوحنا ٨: ٤٨)، (أعمال ١٠: ٢٨).

السؤال من جديد:

نعود بعد ذلك إلى سؤال المرأة السامرية الذى وجهته إلى السيد المسيح له المجد: «لقد كان آباؤنا يسجدون فى هذا الجبل، وأنتم تقولون إنّ فى أورشليم الموضع الذى ينبغى فيه السجود؟» (يوحنا ٤: ٢٠).

ولا شك أن المرأة السامرية عندما قالت «لقد كان آباؤنا يسجدون فى هذا الجبل» كانت تشير إلى آبائها من أهل السامرة الذين كانوا ومازالوا على قولها يسجدون فى جبل جرزيم الذى تعنيه بقولها (هذا الجبل)، وأعنى به الجبل القريب منها، ويسمّى الآن (جبل الطور)، وهو الذى يكّون الحد الجنوبى للوادى العميق الضيق الذى تقع فيه شكيم (وهى الآن نابلس)، ويقف فى مواجهته جبل (عيبال) فى الجانب الشمالى من الوادى، وفى سفح جبل جرزيم توجد بئر يعقوب التى جلس عندها السيد المسيح وإلتقى بالمرأة السامرية التى جاءت لتستقى ماء من تلك البئر (يوحنا ٤: ٦، ٧، ١٢). والمعروف أنه على جبل جرزيم كان يقف نصف أسباط بنى إسرائيل يهتفون بالبركات لمن يحفظ وصايا الرب، بينما كان يقف النصف الآخر من أسباط بنى إسرائيل ينطقون باللعنات على من يعصى أوامر الرب. انظر (سفر التثنية ١١: ٢٩)، (٢٧: ١٢). (يشوع ٨: ٣٣ – ٣٥)، (القضاة ٩: ٧ – ٢١).

جواب المسيح:

فماذا كان جواب المسيح له المجد على سؤال المرأة السامرية؟

«قال لها يسوع: أيتها المرأة صدّقينى إنه تأتى ساعة فيها، لا فى هذا الجبل، ولا فى أورشليم، تسجدون للآب.. ولكن تأتى ساعة، وقد أتت الآن، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق. لأن الآب يبتغى مثل هؤلاء الساجدين له. فإنّ الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا» (يوحنا ٤: ٢١ – ٢٤).

ومن هذه الإجابة القدسية من فم السيد المسيح له المجد على سؤال السامرية تتضح الحقائق الآتية:

أولاً: إن العبادة الحقيقية فى العهد المسيحى لا ترتبط بالمكان، بل بالأحرى إنها تُقوّم بالروحانية وبالصدق. فليس المهم، وفقاً لتعليم المسيح، أين يكون السجود؟ أو أين

تكون العبادة؟، وإنما المهم فى العبادة المسيحية أن تُمارس (بالرّوح والحق). وبعبارة أخرى ليس المهم (أين) يسجد العابد، بل (كيف) يسجد، و(كيف يتعبد).. ليكن المكان أى مكان، هذا لا يهم، وإنما الذى يهم فى الحقيقة هو (**روح العبادة**)، وأن تكون (**عبادة صادقة وحقيقية، عبادة حقّة من أعماق القلب والروح والنفس**، وليس مجرد عبادة شكلية مظهرية رسمية.. والدليل على أن هذا هو المقصود هو قوله له المجد «الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالرّوح الحق، لأن الآب يبتغى مثل هؤلاء الساجدين له. فإنّ الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا» (يوحنا ٤: ٢٣، ٢٤). انظر أيضاً (غلاطية ٥: ٢٥)، (فيلبى ٣: ٣)، (١. تيموثيوس ٢: ٨)، (يعقوب ٤: ٨)، (١. بطرس ١: ٢٢).

ثانياً: إن العبادة (والسجود لله) تبعاً لتعليم المسيح له المجد لم تعد مرتبطة بمكان معين، وإنّما صارت العبادة لله الآب عبادة محرّرة من الارتباط بالمكان المحدود، وهذا يتمشى مع منطق تعليم المسيح فى العهد الجديد الذى نقل الكنيسة إلى كل امتداد، فلم تعد كما كانت فى المفهوم اليهودى القديم كنيسة عنصرية تتألف من شعب بذاته، وهو الشعب اليهودى الذى كان يسمّى بالشعب المختار، وإنما صارت فى العهد الجديد كنيسة جامعة مسكونية تضم المؤمنين بالمسيح من كل شعب وأمّة ولسان فى كل مكان «ولا فرق بين يهودى وغير يهودى، بين عبد وحرّ، بين رجل وإمرأة، فأنتم كلكم واحد فى المسيح يسوع» (غلاطية ٣: ٢٨). وعن هذا المفهوم للعبادة المسيحية جاء فى نبوءة النبى ملاخى «لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمى عظيم فى الأمم، وفى كل مكان يقرّب لإسمى بخور وتقدمة طاهرة، لأن اسمى عظيم فى الأمم، قال ربّ الجنود» (ملاخى ١: ١١). وهذا هو النص القدسى الذى نردده فى القداس للدلالة على امتداد العبادة المسيحية الروحانية إلى كل مكان.

ثالثاً: إن هذا المفهوم الجديد للكنيسة بامتدادها المسكونى الجامعى هو المفهوم الذى قدّمه المسيح بنفسه. وقد بدأ فعلاً بمجئ المسيح وصار مرتبطاً أساساً بالدعوة المسيحية والرسالة المسيحية. وهذا يتضح من تصريحه له المجد «تأتى ساعة - وقد أتت الآن» (يوحنا ٤: ٢٣). وإذن فلقد بدأت ممارسة هذا المفهوم بمجرد النطق الإلهى «وقد أتت الآن»، أى أنّ المسيح لا يحيلنا على المستقبل البعيد، إنما يحسم القضية ببيان أن هذا المفهوم الجديد قد صار «الآن».

وبعد، فهذا المقال أيضاً نهديه لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى لعل له فيه منفعة.

٩ ـ الميامر الكنسية

سؤال : من الأب المحترم القس ميخائيل جبانيه ـ الغردقة

يقول: نريد كلمة فى جريدة وطنى لمنفعة الجميع من الكهنة والشعب عن الميامر وأصلها التاريخى والأسلوب الأمثل للاحتفال بها.

الجواب :

الميامر جمع (ميمر) وهى كلمة من أصل سريانى تفسيرها (سيرة) والميامر احتفالات دينية سنوية بأعياد القديسين، وفيها تتلى (سيرة) القديس المحتفى به، للتكريم، وللاقتداء به فى فضيلته، والتمثل بأعماله. وفيها يقيمون ولائم المحبة (الأغابى) للفقراء والمساكين والأرامل واليتامى، وتوفى النذور باسم قديس اليوم، تطبيقاً لتعليم المسيح له المجد «مَن قَبِلَ نبياً لأنّه نبيٌّ، فأجرَ نبيّ يأخذ. ومَن قَبِلَ باراً لأنّه بارٌ فأجرَ بارٍ يأخذ. ومَن سقَى أحد هؤلاء الصغارِ ولو كوب ماءٍ باردٍ لأنّه تلميذ فالحق أقول لكم إنّه لا يضيع أجره». (متى ١٠: ٤١، ٤٢).

وقوله «ومن ثم فإنّ من سقاكم كأس ماءٍ باسمى على اعتبار أنكم تنتمون إلى المسيح. فالحق أقول لكم إنه لن يضيع أجره» (مرقس ٩: ٤١).

قال المسيح له المجد «إذا أولمت وليمة غذاء أو عشاء فلا تدع أصدقاءك ولا إخوتك، ولا أقرباءك، ولا جيرانك الأثرياء لئلا يدعوك هم أيضاً، فتكون قد نلت منهم المكافأة وإنما إذا أولمت وليمة فادع الفقراء والضعفاء والمقعدين والعميان، فتكون مغبوطاً، لأنّهم لا يملكون ما يكافئونك به، ومن ثم تنال مكافأتك عند قيامة الأبرار» (لوقا ١٤: ١٢ – ١٤).

ويقرأون فى هذه المناسبة وأثناء تناول الطعام سيرة القديس الذى يحتفلون بذكراه. أما بالنسبة للمرضى والعاجزين عن الحضور لتلك الولائم، فيرسلون لهم نصيبهم من الخبز والطعام... فى بيوتهم.

ومازال الأقباط، ولا سيما فى الريف، يقيمون لهذه الاحتفالات أهمية خاصة، ويخبزون لهذه المناسبة خبزاً خاصاً، يعجنونه بالزيت والسكر أو العسل وينحرون الذبائح، ويطبخون لحم العجول والخراف وأحياناً السمك وفاكهة الموسم إلى جانب الخضروات المناسبة.

ولهذه الاحتفالات مزايا اجتماعية وعائلية جميلة، يشارك فيها أعضاء الأسرة من رجال ونساء وأطفال بنصيب وافر من الجهد لإعداد لوازم العيد، وتجهيز الموائد، والتوزيع على المرضى والعاجزين والأيتام فى بيوتهم.

فينشأ الأطفال على محبة العطاء والتوزيع، فضلاً عن تعلمهم بأسلوب عملى عن تراجم حياة القديسين وفضائلهم وما قاموا به من أعمال، ولهذا قيمة تربوية جميلة وتدريب عملى على فضيلة الرحمة والبرّ بالمساكين والفقراء.

ومن بين الأعياد التى ما زال الأقباط يحتفلون بها حتى فى المدن، عيد الملاك ميخائيل، وله عيدان أحدهما يقع فى ١٢ من هاتور، والثانى فى ١٢ من بؤونة. ولكل من هاتين المناسبتين ميمر خاص يُتلى أثناء تناول الطعام، وفيها قصة روحية جميلة تتحدث عن معجزات أجراها رئيس الملائكة ميخائيل لمن يحافظ على عهده بإقامة العيد على الصورة الروحية المرضية.

وهناك كتب خاصة لهذه الميامر ، لعلّ من بينها كتاب ميامر العذراء مريم، وميامر أعياد الملائكة وميامر الشهداء والقديسين، مجتمعة فى كتاب واحد، أو منفصلة فى عدد من الكتب متفرقة وهناك أيضاً كتب فى مدح ومديح القديسين، وما يتعلّمه الإنسان من فضائلهم.

ولقد رأينا بعض القديسين قد توسع فى مفهوم الميامر، فنجد فى عدد منها الميمر، وقد تحوّل إلى عظة روحية كاملة، وهذا توسع فى استخدام كلمة (ميمر) فصارت الميامر مرادفة للعظات، ومن ذلك ما يعرف بميامر السروجى وميامر القديس افرام السريانى، وديونيسيوس الأريوباغى، وميامر باسيليوس الكبير ويوحنا ذهبى الفم وغيرهم من آباء الكنيسة الكبار.

ونحن نرجو أن نعمل جميعاً على تشجيع هذه الاحتفالات، وما يصاحبها من أعمال الرحمة والبرّ بالفقراء وأصحاب الحاجات، وما تثيره وتتطلبه من قراءات عن القديسين أصحاب السيرة العطرة، وما تدفع إليه مثل تلك الاحتفالات من نشاطات روحية يُسهم فيها الصغار مع الكبار، وتكون فرصة تربوية واجتماعية وروحية يتعلّم فيها الجميع ويتدربون على ممارسة الحياة الاشتراكية بمفهومها المسيحى العريض والعميق.

١٠ ـ ملابس الكهنة (١)

سؤال من ص. ف

يقول إنه سئل من ذوى الحساسيات الذين يعمل معهم سؤالاً لم يعرف له جواباً، فأرسله إلينا:

هل هناك تطور فى ملابس الكهنة، ففى الخمسينات والستينات والسبعينات كان الكاهن لا يخرج من منزله إلاّ وهو مرتدٍ كامل ملابسه ومن فوقها الجبة وهى ما تسمّى بالفراجية، وتلك الملابس تكسبه هيبة ووقارا أمام الجميع. وكان الأسقف أيضاً لا يخرج من المطرانية إلاّ بملابسه كاملة ومن فوقها الجبة أو الفراجية بأكمامها الواسعة. أما الآن ففيما عدا مطرانية أسيوط المحافظة على التراث القديم اختفت الفراجية من الكهنة، وهى فى طريقها إلى الاختفاء والزوال من عند الأساقفة. وقد سألتُ أحد الكهنة : لماذا تخرج يا أبانا من غير الفراجية؟ فأجاب قائلا: مادام الأسقف نفسه لا يلبس الفراجية، فهل يمكنه أن يلزمنى بارتدائها؟ وسؤالى، وسؤال آخرين معى: هل حدث تطور فى ملابس الكهنة؟

الجواب :

ربما نشأ التخفف من ارتداء الجبة أو الفراجية بسبب حرارة الجو فى الصيف، خصوصا فى بعض بلاد الصعيد حيث تصل درجة الحرارة إلى درجات عالية. ولعله لهذا السبب رأينا رجال الدين فى بلاد الهند وفى بلاد الحبشة (أثيوبيا) يلبسونها فى الصيف بيضاء.

أما فى غير الهند والحبشة فنحن نرى أن رجال الدين جميعا وبغير استثناء، أساقفة وقسوسا وشمامسة أيضا، يرتدون الفراجية المشقوقة من الأمام ويظهرون بها فى داخل الكنائس وفى خارجها. فرجال الدين فى جميع الكنائس الأرثوذكسية القديمة، والكنائس الأرثوذكسية التى تسير على الطقس البيزنطى، وهى فى بلاد اليونان وقبرص وبلغاريا ورومانيا وروسيا وغيرها فى كل بلاد أوربا وآسيا وأفريقيا وامريكا، يرتدون الفراجية المشقوقة فى داخل كنائسهم وخارجها.

فالفراجية المشقوقة من الأمام هى الخاصة برجال الدين منذ القديم لأنها زى العلماء والفلاسفة.. ولذلك كانت الأرواب الجامعية وهى زى العلماء دائما مشقوقة من الأمام، وكذلك

(١) كتب الثلاثاء ١٤ من أكتوبر ـ تشرين أول لسنة ١٩٨٦م ـ ٤ من بابه لسنة ١٧٠٣ش.

أرواب المحامين ووكلاء النيابة ورجال القضاء. وفى الكنائس الانجليكانية بانجلترا، يرتدى الفراجية المشقوقة من الأمام الشمامسة الذين يقرأون الفصول المقدسة والذين يقومون بالإشراف على النظام وذلك فى داخل الكنيسة.

وقد رأينا فى أوكسفورد وكيمبريدج بانجلترا أنه محظور حتى على الطلبة (فضلاً عن أعضاء هيئة التدريس) أن يسير طالب فى الشارع أو يدخل مطعما فى المدينة من غير الروب الجامعى المشقوق من الأمام. ولو فعل لوقع تحت طائلة المساءلة عن تصرف لا يليق بشرف أسرته الجامعية.

وبهذه المناسبة، نقول إن الفراجية المشقوقة من الأمام هى الزى الرسمى للكاهن والأسقف والشماس (الدياكون). أما (الزعبوط) المغلق من الأمام فهو زى عامة الشعب فى الريف، من غير الكهنة. وقد صار يرتديه الرهبان فى الأديرة من الوبر أو الصوف البنّى اللون. وعندما كنا نزور الأديرة فى الثلاثينيات والأربعينيات كنا نرى الرهبان يرتدون هذا الزعبوط البنّى اللون صيفا وشتاء.

والخلاصة أن الفراجية السوداء والمشقوقة من الأمام هى زى رجال الدين، جميعا، أساقفة وكهنة، يرتدونها فى داخل الكنيسة وخارجها.

أما رجال الدين الذين يتخففون عن هذه الفراجية بسبب حرارة الصيف أو بسبب ركوب الحافلات (الأتوبيسات) أو ما إلى ذلك، فهم يتنازلون عن شرف عظيم بارتداء هذه الفراجية التى تظهرهم فى زى العلماء والفلاسفة.

على أن الفراجية السوداء والمشقوقة من الأمام كانت لرجال الدين كزى يتميزون به، ويظهرون به خارج بيوتهم.

أمّا فى اثناء الخدمة، خدمة القداس والأسرار الكنسية الأخرى والخدمات الدينية، أى فى التعميد وعقد الاكليل ورفع البخور فى عشية وباكر، وفى الجنازات فيرتدون الملابس الخاصة بالخدمة الكهنوتية، وهى الملابس البيضاء المطرزة بالصلبان، وهذا تمثلاً واقتداء بالسيد المسيح له المجد الذى عندما صعد إلى جبل

التجلى تغيّرت هيئته وصارت ملابسه متألقة ناصعة البياض كالثلج، متألقة بالنور (متى ١٧ : ٢)، (مرقس ٩ : ٢)، (لوقا ٩ : ٢٩)، (سفر الرؤيا ١ : ١٣).

ومن المناظر المحزنة والمؤسفة فى هذه الأيام أن نرى كاهنا يتلو صلوات الإكليل بالملابس السوداء، أو يرفع بخور عشية أو باكر أو يصلى على الموتى، من غير أن يرتدى ملابس الخدمة الكهنوتية.

إنها ظاهرة رديئة استشرت فى هذه الأيام الأخيرة، وتحتاج إلى تنمية الوعى بطقوسنا الدينية، وإلى إحكام العمل بالنظام الكنسى المأمور به فى الكتب المقدسة وكتب الطقس الكنسى.

١١ ـ ملابس الخدمة الكهنوتية

بيضاء دائما (١)

سؤال من الابن جميل قاصد باسيلى ـ طهطا

يقول لماذا يلبس الكاهن الملابس السوداء فى الأوقات التى لا يَخدُم فيها القُدّاس الإلهى بينما يَلبَس اللّون الأبيض فى أوقات الخِدمَة؟

الجواب :

إنّ الملابس البيضاء هى ملابس التجلّى، التى تليق بالخدمة وبالحضرة الإلهية.

واللون الأبيض يشير إلى النقاء والنَقَاوة، وإلى الطهارة، وإلى البهاء، وإلى الفرح، وإلى النّصر.

فالمسيح له المجد عندما أراد أن يكشف لتلاميذه عن ومضة من ومضات لاهوته صَعِد إلى جبل شاهق، وهو جبل تابور (ثُمّ تَغيّرَت هيئتُه متجلّياً أمامهم، فأضاء وجهه كالشمس، وصارت **ثيابه بيضاء كالنور مُتألّقة كالبرق، ناصعة كالثلج**، حتى ليعجز أى قَصّار على الأرض عن أن يجعلها فى مثل **بياضها**) (متى ١٧: ٢)، (لوقا ٩: ٢٨)، (مرقس ٩: ٢).

كذلك جاء عن المسيح له المجد فى سفر الرؤيا أو الجليان، كما رآه القديس يوحنا الرائى (متسربلاً بثوبٍ طويل إلى قدميه، ومتمنطقا حول صدره بمنطقة من ذهب. وكان رأسه وشعر رأسه أبيضان كالصوف الأبيض، كالثلج) (الرؤيا ١: ١٣، ١٤).

كذلك رآه النبّى دانيال (**لباسه أبيض كالثلج**، وشعر رأسه كالصّوف النقِىّ) (دانيال ٧: ٩).

(**اللابس النور كثوب**) (مزمور ١٠٣: ٢) انظر (التكوين ٤٩: ١٢)، (نشيد الأناشيد ٥: ١٠، ١٤).

ثم إنه جاء عن الملائكة أنهم يظهرون دائما بثياب بيض.

---

(١) كتب فى ١٣ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٨٨م ـ ٦ من أبيب لسنة ١٧٠٤ش.

فرئيس الملائكة ميخائيل عندما نزل من السَّماء ودحرج الحجر عن فم القبر ليعلن أنّ سيّده المسيح له المجد قد قام من بين الأموات (كان منظره كالبرق، **ولباسه أبيض كالثلج**) (متى ٢٨: ٣) (**متسربلاً بحُلَّة بيضاء**) (مرقس ١٦: ٥)، وكذلك رأت النسوة عند القبر الملاكين ميخائيل وجبرائيل (قد وقفا بهن فى **ثياب براقة**) (لوقا ٢٤: ٤)، (يوحنا ٢٠: ١٢).

وعندما صعَد المسيح له المجد علانية فى يوم الأربعين لقيامته أمام تلاميذه: (إذا برجلين قد وقفا بهم **بلباس أبيض**) (أعمال الرسل ١: ١٠).

وجاء أيضا عن الملاك الذى ظهر لكورنيليوس قائد المائة الإيطالى أنه رآه واقفا أمامه (**بلباس أبيض**) (أعمال ١٠: ٣٠).

وجاء عن طغمة الأربعة والعشرين كاهناً من الملائكة:

(ويُحيط بالعرش أربعة وعشرون عرشا، وعلى العرش أربعة وعشرون شيخا جالسين **متسربلين بثياب بيضاء**، وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب) (الرؤيا ٤: ٤).

وجاء فى الكتاب المقدس أنّ القديسين الأطهار موعودون فى السماء بثياب بيض يتسربلون بها.

قال المسيح له المجد فى سفر الجليان أو الرؤيا لأسقف ساردس (ولكنّ قليلين من النّاس عندك فى ساردس لم يُدنّسوا ثيابهم، فهم لذلك أهل لأن يمشوا معى فى **ثيابٍ بيضاء**) (الرؤيا ٣: ٤).

ويقول أيضا له المجد: (من يغلب **سيلبس ثياباً بيضاء**) (الرؤيا ٣: ٥).

وجاء فى قوانين الكنيسة ما ينص على أن تكون ملابس الخدمة الكهنوتية بيضاء، تمثلاً بالسيد المسيح له المجد، وتمثلاً أيضا بالملائكة:

(والثياب التى يُقدَّس فيها تكون بيضاء تليق بالكهنة، لا مُلوّنة. وسيّدُنا لمّا تجلّى كانت ثيابه بيضاء كالنور، وهو لون الشكل الملائكى عندما يظهرون للناس فى خير).

(هيبوليتوس ٣٧ ـ باسيليوس ٩٦ ـ كتاب القوانين لجامعة العلاّمة الشيخ الصفّى ابن العسّال ـ الباب الثانى عشر ـ فى القدّاس ـ مادة ٩)

على أنه من المناسب أن يكون تطريز على التونية وعلى ستر المذبح برسم صلبان. والصليب يكون عادة بلون (الذَّهب)، نظراً لأن الذهب هو أصفى المعادن وأثمنها وأنقاها، وبين ألوان الطيف السبعة اللَّون الذهبى يبعث بإشعاعات ذهبية، ولذلك فإنّ الهالة على الوجه للمسيح له المجد وللعذراء القديسة مريم تكون هالة ذهبية اللون. ويقولون إن اللَّون الذَّهبى إشعاعاته أرقى الإشعاعات.

وقد يُحشى رسم الصليب بشئ من النسيج الأحمر القانى، وهو يرمز إلى دم المسيح، دم الخلاص، وباللون الأحمر القانى يكون شريط الأورايون (البدرشيل) الذى يرتديه رئيس الشمامسة (الأرشيدياكون) والشماس الدياكون شماس الهيكل.

أما (**الابروسفارين**) وهو الستر الذى يُغطّى به فوق الصينية والكأس أثناء القُداس، وكذلك اللفائف، فيمكن أن تكون **باللون الأزرق السَّماوى، الأزرق الفاتح**، فهو اللَّون الذى يجئ فى ترتيب الألوان بعد الأبيض والذهّبى، وقد لوحظ أن السيدة العذراء القديسة مريم تظهر أحيانا بقناع على رأسها أو ستر لونه أزرق سماوى، ويقولون إنّ اللون الأزرق السماوى إشعاعه بين ألوان الطيف يجئ بعد الأبيض والذهبى.

أمّا الملابس السوداء فيلبسها رجال الإكليروس **فى الأحوال العادية، أى فى غير أوقات الخدمة الكهنوتية**. واللون الأسود لملابس رجال الدين يرمز إلى الحشمة، وإلى الوقار، وإلى الزهد، وهو اللون الرسمى فى زى القضاة والمحامين وأساتذة الجامعات، وسفراء الدول فى الحفلات الرسمية. وهو لذلك لون الزىّ الرسمى لرجال الدين فى جميع الكنائس، شرقاً وغرباً.

١٢ ـ البرنس الأرجوانى

سؤال من السيد/ ناشد عياد ـ قلوصنا محافظة المنيا

إننا نتوجه إلى الكنيسة يوم الجمعة العظيمة، أعنى يوم صلب السيد المسيح، فنجد الأعمدة مجللة السواد، بينما نجد كاهن الكنيسة يلبس برنسا أحمر وحزاما أخضر، فهل ينسجم الحزن مع الفرح؟

الجواب :

تأمر الكنيسة المقدسة أنه فى بدء صلوات الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة، يلبس الكهنة البرانس. والمقرر أن يكون البرنس الملائم ليوم الجمعة العظيمة، مصنوعا من قماش أسود أو كحلى، وأن يكون مرصعا أو محلى بصلبان باللون الأصفر الذهبى أو الأبيض.

ويجوز للأسقف أن يرتدى فى هذا اليوم برنسا مصنوعا من قماش قرمزى اللون تمثلا بالسيد المسيح الذى فى يوم صلبه هزأوا به «وألبسوه رداء قرمزيا» (متى ٢٧ : ٢٨)، أو أرجوانيا (مرقس ١٥ : ١٧)، (يوحنا ١٩ : ٢).

واللون القرمزى أو الأرجوانى كما هو معروف، أحمر داكن.

فإذا كان الكاهن فقيرا وليست لديه إمكانيات، فينبغى على شعب الكنيسة أن يتعاونوا معه ليكون له برنس مناسب لأسبوع الآلام، ولجمعة الصلبوت الكريم.

١٣ ـ قانون الإيمان يُتلى كاملاً
فى أسبوع الآلام وفى كل أيام الخمسين المقدسة

سؤال من الإكليريكى عبده محروس فيلبس ـ المنيا

يقول إنه فى أيام الخمسين المقدسة وفى الفترة السابقة على عيد الصعود، يردّد بعض الناس قانون الإيمان مبتوراً، بمعنى أنهم يتوقفون عند قولهم عن المسيح له المجد (وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب) ثم يتركون تلاوة الجزء الباقى الخاص (بالصعود إلى السماوات والجلوس عن يمين الآب) زاعمين أنه فى هذه الفترة من أيام الخمسين المقدسة لم يكن المسيح قد صعد بعد إلى السماوات، علماً بأن الكاهن يتلو فى أثناء القداس قوله (وصعد إلى السماوات).

وبالرجوع إلى دلال أُسبوع الآلام، وخاصة فى ليلة عيد القيامة ينص الكتاب على القول. وتقال الأمانة (قانون الإيمان) بأكملها.

لذلك أرجو أن نتبين الحقيقة فى هذا الموضوع

الجواب :

إنّ كنيستنا الأرثوذكسية كنيسة طقسية وتقليدية، والطقوس فيها وسائل إيضاح جميلة تعبيرية عن الحقائق اللاهوتية والعقائدية. وفى أحيان تكون هذه الطقوس تعبيراتٍ حركية صامته، ولكنها تنطوى على رموز يفهمها ويعيها أبناء الكنيسة الأتقياء بما يعلمونه من تعليم الكهنة على منابر الوعظ، وما يقرأونه فى كتب الكنيسة فى تفسير القدّاس وسائر الخدمات والمباشرات الكنسية فى مختلف الأيام والمناسبات.

ومن بين طقوسنا الجميلة، طقوس كنيستنا فى أسبوع الآلام. فنحن على الرغم من أننا نعلم أن المسيح له المجد، قد قام من بين الأموات، وصعد إلى السماوات واستوى على العرش إلى الأبد، لكن من أجل الفوائد الرُّوحية التى يجنيها العابدون من التأمل فى آلام المسيح التى تحمّلها عنا من أجل خلاصنا، وفيها تجلّت محبة الله وعدله معاً، رسمت الكنيسة المقدسة منذ الابتداء أن نحتفل كل سنة بهذا الأسبوع ـ على الرغم من أن الصلب تم مرة واحدة فى نهاية رحلة المسيح

على الأرض ـ احتفالاً يشغل كل أيام هذا الأسبوع نهاراً وليلاً، مصحوباً بالقراءات من أسفار العهدين القديم والجديد، مع الألحان الحزينة والأنغام المؤثرة المناسبة.

ومن بين تلك الطقوس المعبِّرة تُوقف خدمة القداس فى أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء، والجمعة من أسبوع الآلام، وتُقام الصلوات فى الخوروس الثانى خارج الهيكل. أما فى يوم الخميس الكبير، والمعروف بخميس العهد، وهو اليوم الذى سلَّم فيه المسيح له المجد لتلاميذه سرّ العشاء الربّانى، فيقام القدّاس. ولكن **لا يَجْهَرُ الكاهن** بصلاة الصُّلح تنبيهاً إلى أنه فى ذلك اليوم لم يكن عمل الفداء قد تمّ، وبالتالى لم تكن قد تمت المصالحة بين الله والإنسان، لأنّ المسيح لم يكن فى ذلك الخميس الكبير قد صُلب بعد، وكذلك **لا يَجْهَرُ الكاهن** بالترحيم على الراقدين لفتا لأنظار المؤمنين إلى أنّ المسيح لم يكن آنذاك قد تمّم ذبيحة الفداء التى بها تم الإفراج عن أرواح الموتى التى كانت حبيسة فى العالم السُّفلى، ومنتظرة نزول المسيح إليهم فى الجحيم لينقلهم إلى الفردوس..

أما فى يوم سبت الفرح **فلا يَجْهَرُ الكاهن بصلاة الصلح** الذى لم يكن قد تمّ بعد ولكنه يجهر بالصلاة من أجل الراقدين لأنه اليوم التالى ليوم الجمعة العظيمة التى تمّ فيها الخلاص والفداء، وإبراء الأرواح السجينة، بنزول المسيح إليها.

وإذا قلنا (**لايَجْهَرُ**) **الكاهن** بصلاة الصلح، فليس معناه أن يَحذف الكاهن صلاة الصلح أو يلغيها لأننا نحن لا نعيش الآن فى زمن ما قبل مجئ المسيح ونزوله من السماء، وإنما لا يجهر بها من أجل إبراز المعانى الرمزية فى طقوس أسبوع الآلام، **لا يَجْهَرُ الكاهن بصلاة الصلح أى لا يُصلّى بها جَهْراً** إبرازاً للتعليم لأنّ الطقوس كما قلنا هى وسائل إيضاح تعليمية، ولها معانيها الرمزية.

أما **قانون الإيمان، فيُتلى كاملاً جهراً وعلانية**، لأنه المعبر عن الحقيقة العظمى، فى لاهوت المسيح، وأنه نزل من السماء وتجسّد من الرُّوح القدس ومن مريم العذراء، وتأنس وصُلب عنّا على عهد بيلاطس البنطى، وتألم وقبر وقام من بين الأموات، وصعد إلى السماوات، وجلس عن يمين أبيه، وأيضا يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات).

هذا القانون، قانون الإيمان، يُتلى كاملاً غير منقوص، فى جميع أيام الأسبوع المقدس، وفى جميع أيام الخمسين المقدسة، وغير ذلك فى جميع أيام السنة الطقسية **لأنه الإعلان الواضح عن حقيقة المسيح، من هو، وأنه نزل من السماء، وأنه الفادى والمخلّص وأنه الآن فى السماء وأنه سيأتى فى مجيئه الثانى للدينونة والحساب.**

إنّ قانون الإيمان ليس طقساً كطقوس أسبوع الآلام. **إنه إعلان عن الإيمان الأرثوذكسى، والإعلان يجب أن يكون جهراً وعلانية وصراحة ولا يُخفَى، ولا ينقص منه شئ.**

ألا ترى أننا فى يوم الجمعة العظيمة التى نحتفل فيها بصلب المسيح، وموته ودفنه فى القبر نتلو صراحة وجهراً التقديسات الثلاثة (قدوس الله، قدوس القوى، **قدوس الحىّ الذى لا يموت يامن صُلب عنا ارحمنا**) - فمع احتفالنا بصلب المسيح وموته، نجهر صراحة بالقول إنه (**الحىّ الذى لا يموت**).

فالحقيقة الإيمانية نعلنها صراحة وجهراً، ولا نخفيها، معلنين أن المسيح لم يُصلب عن ضعف وإنما عن قوة، أى من أجل عمل الفداء الذى نزل من السماء من أجل تحقيقه لخلاصنا. قال المسيح (إنى أبذل نفسى... ما من أحدٍ ينتزِعها منّى، وإنما أبذلها أنا وحدى من ذاتى. فلى سلطانٌ أن أبذلها، ولى سلطانٌ أن أستردها) (يوحنا ١٠: ١٧، ١٨).

لذلك فى يوم الجمعة العظيمة نهتف باللحن الجميل، وبصوت جَهْوَرِىّ (يامن أظهر بالضعف، ما هو أعظم من القوة).

١٤ ـ مواقيت القداسات فى ليالى الأعياد السيدية الكبرى (١)

العزيز السيد/ برسوم عبد المسيح عبيد

أمين مدارس التربية الكنسية بأرمنت الوابورات

سلام ورحمة ونعمة من ربنا يسوع المسيح.

ردا على استفساركم عن قانون وتقاليد الكنيسة بالنسبة لمواقيت القداسات فى ليالى الأعياد السيدية الكبرى ولاسيما عيدى الميلاد والغطاس، يسرنى الإفادة بما يلى:

نظرا لأن أعظم أعيادنا السيدية السبعة الكبرى شأنا هى هذه الثلاثة: عيد القيامة أولا ويليه فى الأهمية عيد الميلاد، وبعده عيد الغطاس، فقد رأت الكنيسة المرتشدة بالروح القدس أن يحتفل بهذه الأعياد الثلاثة ليلا إظهارا لأهميتها، وإبرازا لبهجتها وقيمتها الخلاصية... حتى أن الغطاس المجيد يحتفل به أيضا ليلا على الرغم من أن عماد الرب لم يكن ليلا.

ومن المعروف أن القيامة المجيدة قد تمت **بين منتصف الليل وأول الفجر من صباح الأحد** بدليل أن مريم المجدلية جاءت لمعاينة القبر عند الفجر، ووجدت الحجر مدحرجا عن باب القبر لأن المسيح له المجد كان قد قام أنظر (متى ٢٨: ١، ٢)، (لوقا ٢٤: ١)، (يوحنا ٣٠: ١) وقارن أيضا (مرقس ١٦: ٢).

وعلى ذلك فالمفروض أن قداس ليلة عيد القيامة المجيد يبدأ متأخراً بحيث ينتهى بعد الساعة الثانية بعد منتصف الليل.

وأما فى عيدى الميلاد والغطاس، فالمهم أن القداس يقام ليلا **ويمكن أن ينتهى القداس فى أى وقت بعد منتصف الليل ولا يجوز البدء خصوصا فى توزيع الأسرار المقدسة قبل بدء اليوم الجديد، أى يجب أن يكون التناول خصوصا بعد منتصف الليل.**

(١) كتب فى السبت ٢ فبراير ١٩٧٤م ـ ٢٥ طوبة ١٦٩٠ش.

وذلك لأن القداس الذى يقام هو قداس العيد. والعيد يقع فى اليوم التالى للصلاة **فيجب أن يكون القسم الأخير من القداس بعد منتصف الليل الأول، حتى ندخل بالقداس إلى اليوم الجديد وهو يوم العيد ذاته. وهذا هو السبب فى أننا لا نقيم قداسا آخر فى صباح يوم العيد حتى لو وقع يوم العيد يوم أحد. لأن قداس ليلة العيد هو ذاته قداس العيد.**

ولذلك يجب أن تمتد صلاة القداس بين منتصف الليل الأول ومنتصف الليل الثانى، فى كل من عيدى الميلاد والغطاس المجيدين.

ونعمة الرب تشملكم.

١٥ ـ هل تجوز إقامة قداس ليلة رأس السنة ليلا؟

سؤال من أحد الإكليريكيين

هل يجوز إقامة القداس مساء، فى غير ثلاثة الأعياد السيدية الكبرى، عيد القيامة، وعيد الميلاد، وعيد الغطاس، وما قولكم فى إقامة قداس ليلة رأس السنة الميلادية؟

الجواب :

إن الكنيسة أمرت أن يقام قداس عيد القيامة وعيد الميلاد وعيد الغطاس ـ هذه الأعياد الثلاثة ليلا، إبرازا لأهميتها، ولكى يتمتع ببهجتها جميع المؤمنين، بحضورهم، وهم فى عطلة من أعمالهم ليلا.

ولكن الكنيسة لم تمنع من إقامة القداسات ليلا فى غير تلك الأعياد، وبخاصة إذا كانت هناك ظروف محلية ـ مناخية، أو جغرافية، أو عملية، أو روحية تقتضى ذلك.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المسيحيين فى العصور القديمة، وفى أزمنة الإضطهادات، كانوا يقيمون القداسات ليلا، بحيث ينتهى القداس قبل الفجر أو قبل شروق الشمس على أكثر تقدير، تجنبا للمتاعب.

ومازالت العبادة قائمة فى أديرتنا، فى إقامة القداسات ليلا، على مدار السنة، فى جميع الأحاد وفى كل أيام الأسبوع، فى الأديرة التى تقيم القداس يوميا. وذلك لأسباب روحية، حيث يكون الهدوء مخيما، والسكون شاملا، ومثيرا للروح على التأمل والعبادة.

فلسنا نرى مانعا كنسيا من إقامة قداس ليلة رأس السنة الميلادية على أنه يحسن أن يكون قسم من قداس المؤمنين بعد منتصف الليل.

أما من حيث المبدأ، وبمقتضيات الظروف الإقليمية والمناخية والعملية والروحية، ليس هناك مانع كنسى من إقامة القداس فى أى وقت بعد الظهر بشرط أن يكون احتراس الكهنة الخدام والشمامسة والمتناولين من الشعب يسبق ساعة التناول من الأسرار المقدسة بتسع ساعات على الأقل، على ما تأمر به القوانين الكنسية.

١٦ ـ متى يجوز الجلوس أثناء خدمة القداس؟ (١)

سؤال من الابن وجدى ماهر عبد الملك ـ الأسكندرية.

يسأل عن خوروس المرتلين فى الكنيسة أثناء صلوات القُدَّاس، وهل يجوز لهم الجلوس أحيانا.

الجواب :

كلّما أمكن أن يكون الخوروس وكل الشعب وقوفا أو سجودا أثناء خدمة القداس، فهذا هو الوضع اللائق والأمثل فى حضرة الله. أما المرضى وأصحاب العاهات والشيوخ والعجائز، فيمكن أن يجلسوا كلّ الوقت أو بعض الوقت، وفقاً لظروفهم الصحّيةً.

وأما أثناء القراءات فيما عدا أثناء قراءة الإنجيل فيجوز الجلوس ـ وكذلك أثناء سماع الوعظ أو تفسير الإنجيل.

وبخصوص النطق الصحيح لكلمة EVKH (بمعنى صلاة) وهى كلمة يونانية الأصل εὐχή ، فالنطق باليونانية الحديثة هو (افشى) وكذلك بالقبطية، ومنها كلمة (أوشية) أى (صلاة).

١٧ ـ لماذا يقال بركاته علينا ولا يقال بركاته معنا (١)

سؤال من العزيز السيد/ وهيب اسحق خليل هندى

طحا الأعمدة ـ المنيا

سلام ونعمة وبركة

إجابة على سؤالكم الأول: لماذا يقول الشماس فى قراءة الإنجيل (بركاته علينا) ولا يقول بركاته معنا.

الجواب :

أن البركة هنا بمفهوم النعمة التى تحل فوق رأس الإنسان، فمن الأوفق معنويا ولغويا أن يقال (بركاته علينا).

وعن السؤال الثانى ـ لماذا يذكر الشماس اسم البابا البطريرك أولا ثم المطران أو الأسقف فى قوله «الرب عن يمينك يا أبانا البطريرك... وشريكك فى الخدمة الرسولية أبينا المطران أو الأسقف...» ولا يقال البطاركة والمطارنة والأساقفة الأرثوذكس جميعا.

والجواب هو أنه فى قراءة الإنجيل، يقرأه عادة أكبر كاهن فى الكنيسة: البابا البطريرك إذا كان موجودا أو المطران أو الأسقف إذا كان هو القارئ.. فالشماس يتلو الدعاء للبابا البطريرك كرئيس أعلى للكنيسة ثم لمطران أو أسقف الإيبارشية... فإذا كان أسقف آخر ضيف موجودا يمكن أن يذكر اسمه من قبيل المحبة وشركة الروح... فإذا كان أكثر من أسقف موجودا بالكنيسة فيمكن أن يشار إليهم بعبارة عامة (وشركائك فى الخدمة الرسولية الأباء الأساقفة المجتمعين معنا أو القائمين معنا.

ونعمة الرب تشملكم،،،

١٨ ـ من يقرأ الإنجيل

سؤال من السيد / الفونس عطاالله ـ قسم قصر النيل ـ القاهرة.

لمن الحق فى قراءة إنجيل القداس، هل لشماس الهيكل المستعد للتناول من الأسرار المقدسة أم لأى إنسان من عامة الشعب أو لأحد الإخوة من الجمعيات التى تأتى لخدمة القداس؟

الجواب :

الوضع الأصيل هو أن من يقرأ الإنجيل فى الكنيسة هو الكاهن (الأسقف أو القسيس) أو على الأقل الشماس الكامل الحاصل على درجة «دياكون» وهى الدرجة التى تنال بوضع اليد. ولذلك فإن الشماس «الدياكون» هو الذى يسمى بالشماس الإنجيلى أى الذى له أن يقرأ الإنجيل فى الكنيسة، وهو بعينه الشماس الذى يجوز له أن يخدم فى الهيكل مساعدا للكاهن. وواضح من الخولاجى وهو كتاب صلوات القداس ـ أن الشماس الذى ينذر الشعب من الهيكل بالنداءات المسماه بالأبروسات هو الشماس الدياكون.

هذا هو الوضع الأصيل.

ولما كان الشماس الدياكون قليلا ونادرا فى كنيستنا اليوم، لأن قانونه فى الزواج هو قانون الكاهن، أى لا يقبل الزواج بعد سيامته شماسا دياكون، فضلا عن الصفات الروحية الأخرى، وأنه يجب أن يكون رجلا عالما بالشريعة، ويتزيا بالزى الإكليريكى أسوة بالكاهن والأسقف، فإن الجارى فى كنيستنا اليوم تجاوزا، أن الأناغنوستيس يمكن أن يقرأ الإنجيل إذا أمره الكاهن بذلك. **ويفضل الخادم الذى يخدم مع الكاهن فى الهيكل**، على أن يكون مستحقا لذلك روحيا وأن يكون كفؤا للقراءة، مجيدا لها، على أننا نعود فنكرر أن الوضع الأمثل هو أنه إذا كان الكاهن حاضرا فهو الذى يقرأ الإنجيل.

١٩ ـ كنيستنا القبطية غنية بألحانها ومرادتها وطقوس صلواتها

سؤال من السيد / ميشيل جرجس عبد المسيح

مينيسوتا ـ أمريكا،

هل يجوز أن يقال الاسبسمس الآدام السنوى Ⲟⲩⲛⲟϥ ⲙⲙⲟ ⲛⲁⲣⲓⲁ فى أيام الأعياد أو الخمسين المقدسة بدلا من الاسبسمس الآدام الخاص بالمناسبة.

الجواب :

نعم، يجوز ذلك عند الضرورة، أو بسبب الجهل بالاسبسمس المناسب، أو عدم إجادة اللحن الذى يقال به. **أمّا إذا كان الشعب أو خوروس المرتلين يجيد الترتيل بالاسبسمس الخاص بالموسم، فهذا هو الوضع الأمثل والترتيب اللائق.** فكنيستنا القبطية غنية بألحانها ومرداتها وطقوس صلواتها. وقد رتبت لكل مناسبة ما يصلح لها إضراما لروح العبادة، وإثارة للذهن والقلب والروح بالمعانى الروحية التى يتضمنها اللحن المناسب إذا قيل فى وقته.

وهنا يجب التنويه بأهمية إعداد خوروس المرتلين فى كل كنيسة، وأن ترتب لهم حلقات دراسية يديرها ويشرف عليها مرتل عالم بالألحان والمردات وطقوسها ومواسمها، قادر على تعليم المبتدئين والناشئين من المرتلين والمصلّين.

٢٠ ـ أوشية القرابين بدلاً من أوشية المسافرين فى يوم الأحد

سؤال من الابن الأناغنوستيس جورج منز فهيم ـ القاهرة.

يقول قرأت فى طقس الكنيسة أنه لا يجوز قراءة أوشية المسافرين فى يوم الأحد، أفهل معنى هذا أنه لا يجوز سفر المسيحيين يوم الأحد ـ ولما كنت مندوب مبيعات، ومعرض دائما للسفر يوم الأحد، فمن يتحمل هذا الخطأ؟ صاحب العمل، أم أنا المخطئ؟

الجواب :

إن ما جاء فى كتاب (الخولاجى) هو تعليمات للكاهن فى صلاة رفع بخور باكر إذا كان اليوم هو (الأحد)، فبعد صلاة الشكر، وأوشية المرضى، يقول الكاهن أوشية (القرابين) عوضاً عن أوشية المسافرين إذا بدأ الكاهن بخدمة القداس عقب رفع بخور باكر مباشرة.

ذلك أنه من حيث المبدأ يوم الأحد هو يوم الرب فينبغى على المسيحى أن يذهب فيه إلى بيت الرب، ويعمل فيه عمل الرب.

وعلى ذلك فكل عمل آخر يمكن أن يقوم به الإنسان فى غير يوم الأحد، يجب أن يتوقف عن القيام به فى يوم الأحد، تقديساً ليوم الأحد، وتخصيصا لعمل الرب فى يوم الرب.

فالسفر إلى بلد بعيد يستبعده المسيحى إلى يوم آخر، كلما كان هذا ممكنا وميسورا. أما إذا كان السفر ضروريا للوصول إلى بيت الرب كما هو الحال بالنسبة للمقيمين فى ضياع أو قرى أو أماكن ليس بها كنائس، فالسفر فى مثل هذه الأحوال جائز شرعا بل إنه ضرورة وعمل صالح، يدخل فى نطاق الأعمال التى يجوز بل يجب مباشرتها فى يوم الأحد، يوم الرب.

وفى بعض بلاد المهجر كان يضطر قبطى فى هولندا أن يسافر إلى دوسلدورف بألمانيا لحضور القداس وهى رحلة تقتضيه السفر بسيارته نحو ساعتين أو أكثر.

وقياسا على ذلك نقول إذا كان الطبيب ينبغى أن لا يعمل يوم الأحد تقديسا ليوم الرب، لكن إذا استغاث به مريض أو أهله أن يسعفه بالعلاج الذى لا يمكن إرجاؤه ليوم آخر، فلا يعد إسعافه للمريض فى هذه الحالة عملاً يتعارض مع تقديسه ليوم الأحد، بل هو جزء من عمل الرب، طبقا للمبدأ الذى أرساه المسيح له المجد بقوله «إنما جعل السبت لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت» (مرقس ٢ : ٢٧).

أما بالنسبة لحالتك أنت بوصفك مندوب مبيعات، ومعرض دائما كما تقول للسفر يوم الأحد، فيمكنك بالاتفاق مع صاحب العمل أن ترجئ ما يمكن إرجاؤه من عمل إلى غير يوم الأحد، ما لم تكن ثمة ضرورة حيوية قصوى تقتضى هذا السفر، وبهذا تنجو من خطأ كسر يوم الأحد، يوم الرب.

٢١ ـ إضاءة القنديل أمام صورة الربّ يسوع المسيح وأمام صورة العذراء مريم وبعض كبار القديسين (١)

سؤال العزيز الابن نادى لويز روفائيل ـ ملّوى

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

إجابة على سؤالكم: هل إضاءة قنديل من الزيت أمام إيقونة الرب يسوع المسيح جائزة ومشروعة طقسيا أم لا، وخاصة صورة الرب يسوع الملك الموجودة أمام المذبح المقدس؟

الجواب :

نعم، إنه أمر مستحب، ويتمشّى روحيا مع روح التقوى والتعبّد ـ وهو ما سارت عليه الكنيسة الأرثوذكسية منذ القديم، وهى أيضا عادة متبعة إلى اليوم فى جميع الكنائس الأرثوذكسية الأخرى، مما يُسمّى بالكنائس الشرقية القديمة، وكذلك الكنائس الأرثوذكسية التى تتبع الطقس البيزنطى ومنها كنائس الروم ـ اليونان والروس وغيرها.

ونلاحظ أنه فى الكنائس الأرثوذكسية اليونانية والروسية تُعلّق القناديل أمام الحجاب حامل الإيقونات، ولكل منها قضيب من الحديد أو النُحاس بحيث ينعكس منها الضوء على صور المسيح له المجد وعلى صور العذراء القديسة مريم وسائر القديسين.

٢٢ ـ لماذا توضع ثلاث شمعات على الصليب

سؤال لماذا توضع ثلاث شمعات على الصليب ، ويتجه الكاهن برسم الصليب إلى الشرق ثم إلى البحرى ثم إلى الغرب ثم إلى القبلى ويعود أخيراً إلى الشرق؟

الجواب :

رفع الصليب بثلاث شمعات يشير إلى أن الخلاص الذى تم والخلاص الذى نطلبه هو بتدبير الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس ـ وأما الرشم بالصليب المنار بالشمعات الثلاث إلى الشرق ثم إلى البحرى ثم إلى الغرب، فالقبلى، فهو لمنح بركة الخلاص بالمسيح لجميع الناس فى كل العالم ـ كذلك فى يوم الجمعة الكبيرة تؤدى المطانيات فى جميع الإتجاهات الأصلية استمطارا لمراحم الله على كل الخليقة فى جميع الإتجاهات. أما البدء بالشرق والعودة إليه، فلأننا دائما فى كل صلواتنا نتجه إلى الشرق، والشرق مكان الجنة لأننا نتطلع إلى الشرق، مطلع الأنوار، وإلى شمس البر، والشفاء فى أجنحتها.

٢٣ - هل يجوز تلاوة صلاة (المجمع) باللغة العربية ؟

سؤال من الابن السيد/ صموئيل توفيق روس - مدير الإيرادات بمجلس مدينة الأقصر.

هل يجوز تلاوة (صلاة المجمع - مجمع القديسين)، فى القداس الإلهى باللغة العربية أم يلزم تلاوتها باللغة القبطية؟

الجواب :

أن تتلى صلاة المجمع باللغة القبطية هذا جميل، خصوصا إذا تُليت باللحن على صورته الدقيقة المسلّمة إلينا من الآباء، لذلك يجب أن يتوافر فى الأداء الأمانة والدقة مع الروحانية والتقوى، فإن القداس الإلهى سيمفونية رائعة وُضعت ألحانه وأنغامه على النصّ القبطى، والذين يجيدون معرفة اللغة القبطية يمكنهم أن يتذوقوا جمال اللحن واللغة معاً.

ومع ذلك، ولأنّ الكثيرين من شعبنا لا يستطيعون اليوم أن يتابعوا القداس كله باللغة القبطية، بذات البهجة الروحية التى يسعدون بها لو تتوافر لهم فهم الكلمات والألفاظ.

فإننا نرى أنه يمكن أن تُتلى على الأقل مقدمة (صلاة المجمع) باللغة العربية، لئلا يغيب عن غير القادرين على فهم الصلاة بالقبطية، جمال المعانى الروحية، التى تشتمل عليها صلاة المجمع: (فإن هذا هو يارب أمر ابنك الوحيد أن نشترك فى إحياء ذكرى قديسيك. تفضل يارب أن تذكر جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء، آباءنا الأطهار رؤساء الآباء والأنبياء، والرسل، والمبشّرين والإنجيليين والشهداء والمعترفين، وكلّ أرواح الصدّيقين الذين تكمّلوا فى الإيمان. وبالأكثر القديسة الممتلئة مجدا، العذراء دائمة البتولية، والدة الإله، الطاهرة مريم التى ولدت الله الكلمة بالحقيقة....).

وبعد ذلك يتلو الكاهن المصلّى أسماء القديسين الآخرين كلّها أو بعضها باللغة القبطية، ويمكن أن يتلو بعض أسماء القديسين باللغة العربية.

بهذا نجمع بين احتفاظنا بلغتنا القبطية وألحانها وأنغامها وبين تلاوة أجزاء من صلواتنا باللغة العربية تسهيلاً لغير القادرين على متابعة معانى القدّاس كلّه باللغة القبطية.

٢٤ ـ لماذا لا تذكر أسماء النساء القديسات في مجمع القديسين بالقداس؟ (١)

سؤال من الابن ايهاب شهير حزقيال ـ المطرية

يقول لماذا لاتُذكر أسماء النساء القديسات فى مجمع القديسين فى صلوات القداس، فيما عدا السيدة العذراء القديسة مريم العذراء؟

الجواب :

اعلم أيها الابن أنه فى المسيح يسوع، (لا فرق بين رجل وإمرأة) (غلاطية ٣: ٢٨)، وبالتالى، فى الجزاء الأخروى لا فرق بين رجل وإمرأة، بين ذكر وأنثى، لأن الله عادل (وسيجازى كلّ إنسان على حسب أعماله) (متى ١٦: ٢٧)، (رومية ٢: ٦)، (١٤: ١٢)، (الجليان ـ الرؤيا ٢٢: ١٢)، (٢٠: ١٢).

على أنّ القديسين الذين تُذكر أسماؤهم فى صلاة المجمع ترحما عليهم هم بعضٌ من كلٍ. وهذا البعض هم على الخصوص ممن تميّزوا بأرثوذكسية الإيمان، وكانت لهم فى حياتهم مواقف بطولية لاهوتية عقائدية، وقد حاربوا وناضلوا عن الإيمان المسيحى ضدّ الهرطقات والانحرافات التى ظهرت فى التاريخ المسيحّى، وفى سبيل استمساكهم بالإيمان الأرثوذكسى ودفاعهم عن التعليم السليم احتملوا الآلام وصبروا على ضروب الإضطهاد والافتراءات وحافظوا على وديعة الإيمان الأرثوذكسى للأجيال التالية.

وليس عجباً أن يذكر بين الأسماء اللامعة فى تاريخ الإيمان والعقيدة المسيحية، والمحافظة على التراث المسيحى، أثناسيوس الرسولى، وكيرلس عمود الإيمان، وساويرس الأنطاكى، وباسيليوس الكبير، وغريغوريوس الناطق بالإلهيات، ويوحنا ذهبى الفم، وبطرس خاتم الشهداء...

إنّ كلّ واحد من أولئك الأبطال المذكورين بأسمائهم فى القُدّاس، له تاريخ طويل وكفاح ونضال وجهاد مرير، احتمل فيه صنوفا من الآلام، ولكنه صمد وقاوم ولم يستسلم، ثم انتصر أخيراً، وترك للكنيسة نتاج نضاله، تنعم به كل الأجيال.

هذا هو فى الواقع السبب الحقيقى فى أن يُخَصُّ بعض القديسين بذكر أسمائهم، من غير أن يكون فى ذلك إغفال للقديسين الآخرين وهم كثيرون وكثيرون. ويمكن أن نستعير هنا ما قاله

---

(١) كتب فى ٩ من فبراير ـ شباط لسنة ١٩٩٣م ـ ٢ من أمشير لسنة ١٧٠٩ش.

الإنجيل تعليلاً وتبريراً لعدم ذكر جميع معجزات السيد المسيح له المجد، مكتفيا فقط بالقليل منها (وثمة أشياء كثيرة أخرى صنعها يسوع لو أنها كُتبت واحدةً فواحدة، فلا أظنُّ أنَّ العالم نفسه يسع الكتب التى تكتب) (يوحنا ٢١ : ٢٥)، (٢٠ : ٣٠).

وهو ما ينصُّ عليه القدّاس الإلهى فى مقدمة صلاة مجمع القديسين. (لأن هذا يارب هو أمر ابنك الوحيد، أن نشترك فى إحياء ذكرى قديسيك. تفضل يارب أن تذكر جميع القدّيسين الذين أرضوك منذ البدء. آباءنا الأطهار، رؤساء الآباء، والأنبياء، والرسول، والمبشرين، والإنجيليين، والشهداء، والمعترفين، وكل أرواح الصدّيقين الذين تكمّلوا فى الإيمان...)

مما تقدّم يتبين أنَّ القداس ذكر بالإجمال جميع القديسين من البطاركة والأنبياء والرسل والمبشرين والإنجيليين والشهداء والمعترفين وسائر القديسين والصدّيقين، لأنه يصعب جداً، أن يُذكروا بالأسماء اسماً، اسماً. أما القديسون الذين ذُكروا بالاسم فهم المتميزون بمواقفهم الإيمانية والعقائدية والذين قاوموا الهرطقات والإنحرافات العقائدية التى تزعمها هراطقة من أمثال أريوس، ونسطور، وأوطاخى، وأبوليناريوس، ومقدونيوس، ومانى ومن إليهم.

لهذا رسمت الكنيسة الأرثوذكسية منذ القديم أن يتلو المتقدّم للكهنوت، وهو ساجد أمام الله فى الهيكل وبين يدى الأسقف الذى يضع اليد عليه - صيغة الإيمان الأرثوذكسى، ثم يبارك ويمجد القديسين أبطال الإيمان من أمثال أثناسيوس، وديوسقورس، وكيرلس عمود الإيمان.. ويجحد إنحرافات الهراطقة من أمثال أريوس، ونسطور، وأوطاخى، ليكون هذا الاعتراف منه بمثابة تعهد منه وإعلان عن إيمانه، وأنه سيتبع دائماً إيمان الآباء القديسين أبطال الإيمان الأرثوذكسى، وأنه سيسير على دربهم منكرا إنحرافات الهراطقة..

وبعد إتمام الرسامة بوضع اليد، يطلب الأسقف من القسيس بعد رسامته أن يتلو أول ما يتلو من صلوات القداس، مجمع الآباء القديسين، وذلك توكيداً أيضا لتبعيته إيمان أولئك الآباء، أبطال الإيمان الأرثوذكسى.

فإذا لم يذكر فى صلاة المجمع اسم القديسة الشهيدة دميانة، والأربعين عذراء، ويوليانه، ومارينا، وغيرهن... فنلاحظ أيضا أنه لم يُذكر اسم الشهيد العظيم مارجرجس مع أنه (أمير الشهداء)، ولم يُذكر بالاسم أيضا الشهيد مرقوريوس أبو سيفين، والشهيد مارمينا، والشهيد الأمير تادرس المشرقى، وغيرهم من الشهداء، وإنما جميع الشهداء من الرجال والنساء يندرجون تحت اسم (الشهداء) بعامة.

٢٥ ـ لمس المذبح

سؤال من أحد الأشخاص قائلاً:

هل من الخطأ أن يمس الإنسان المذبح إذا لم تكن عليه ذبيحة؟..

الجواب :

حتى لو لم تكن على المذبح ذبيحة، فقد صار مقدسا، لا يجوز لأحد أن يمسه ما لم يكن من أصحاب الدرجات الكهنوتية التى تخول له أن يدخل إلى الهيكل حيث يوجد المذبح، وأقلها أن يكون شماسا.

٢٦ ـ وضع اللفائف على رؤوس السيدات

سؤال من العزيز الابن السيد/ اندراوس فلسطين ـ الأقصر

عن وضع اللفائف على رؤوس السيدات.

الجواب :

من جهة وضع اللفائف على رؤوس السيدات أثناء التناول، اعتقد أن الوضع الأمثل هو أن تغطى السيدة رأسها بإيشارب أو بمنديل إما تملكه هى وتخصصه لهذا الغرض كما تفعل بعض السيدات فى كثير من بلادنا، وإما تصنعه الكنيسة بمعرفتها وتوزعه على المتناولات أثناء التناول على أن تسترده الكنيسة بعد التناول مباشرة. وأما اللفافة المقدسة فيكفى استخدامها بوضعها على اليد وبالقرب من الفم لمنع سقوط الجواهر المقدسة.

٢٧ ـ فيم يستغل زيت القنديل المتبقى؟

سؤال من الأخ روميل رياض سدراك بأسيوط.

كيف يحفظ الزيت الباقى من السراج من صلاة القنديل، وزيت الأبوغالمسيس، و ورد الدفن فى يوم الجمعة العظيمة؟

الجواب :

أما زيت الأبوغالمسيس (الأبوكالبسيس) (١)، وزيت سر مسحة المرضى أو القنديل، فيحفظ فى قنينة نظيفة فى الكنيسة، ويستخدم فى الأغراض الدينية، فيمسح به على جباه المؤمنين وعلى أعضائهم للشفاء وللبركة.

وأما ورد الدفن فيحفظ كذلك، ويستخدمه الكاهن فى نهاية القداس حيث يأخذ جزءا من مسحوقه مع الماء، ويرش به على المذبح والآنية، ويدهن به على جباه المتناولين وسائر المؤمنين.

---

(١) الأبوكالبسيس، هو سفر الرؤيا. وسمى الزيت بزيت الأبوغالمسيس أو الأبوكالبسيس لأن فى ليلة سبت النور يقرأ سفر الرؤيا كله، وفى أثناء ذلك توقد سبع فتائل أو شمعات رمزا إلى سبع المنائر التى يتحدث عنها سفر الرؤيا، وهو يشير إلى السبع كنائس التى كانت فى آسيا.

٢٨ ـ ماذا يصنع بالكتب المقدسة والصور الدينية الممزقة ؟

سؤال آخر من الأخ روميل رياض سدراك بأسيوط

كيف يمكن التصرف عند تمزق الكتب المقدسة ، والصور الدينية ، وملابس خدمة الشماس ؟

الجواب :

إذا ما تمزقت هذه الأشياء المقدسة ورؤى الاستغناء عنها ولم تعد صالحة للاستعمال ، فيجوز حرقها وطرح الرماد المتخلف عنها فى ماء جار ، فى نهر أو فى بحر ، أو فى مكان خارج المدينة ، بحيث لا يداس بالأقدام ، وذلك توقيرا للمقدسات ، وصونا لها من أن تهان أو تتدنس فيكون فى إهانتها أو تدنيسها شر يلحق بالفرد أو بالجماعة كلها .

عندما وضع بنو قورح نارا وبخورا فى مجامرهم ، ودخلوا بها إلى خيمة الإجتماع غضب الرب على جماعة قورح لتعديهم على الكهنوت ،وخرجت نار من عند الرب وأكلت المائتين والخمسين رجلا الذين قربوا البخور . ومع ذلك صارت المجامر مقدسة . وكلم الرب موسى قائلا : مر ألعازر بن هرون الكاهن بأن يرفع المجامر من الحريق **لأنها قد تقدست** ... وأما مجامر أولئك المخطئين ضد نفوسهم فتصنع صفائح مطروقة ، غشاء للمذبح ، **لأنهم قد قدموها أمام الرب ، فصارت مقدسة** ... فأخذ ألعازر الكاهن المجامر النحاس التى قدمها المحترقون فطرقوها غشاء للمذبح ، (١) .

وقديما أمر الرب أن إناء الخزف الذى تطبخ فيه الذبيحة ، يكسر (٢) بعد ذلك ، حتى لا يستخدم فى غرض آخر لا يليق به بعد أن تقدس .

وهكذا وعلى هذا المبدأ أجازت الكنيسة حرق خشب الصور والإيقونات المقدسة التى عفت منها الرسوم والآثار وتهشمت فأصبحت بلا فائدة ولا قيمة ، واستخدامها فى طبخ الميرون المقدس (٣) .

---

(١) سفر العدد ١٦ : ٣٦ – ٣٩ .

(٢) سفر اللاويين ٦ : ٢٨ .

(٣) اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة ، للقمص يوحنا سلامة ، الجزء الثانى ، الباب الثانى ، الفصل الثالث ، الطبعة الثانية ، صفحة ٨٢ .

وعلى نفس القياس جرى تقليدنا الكنسى فيما لو حدث خطأ أن انسكب شئ من الكأس المقدس على لفافة أو بساط، حرق الجزء الذى وقع عليه السكيب. وهكذا لو سقطت ذبابة أو حشرة، على الرغم من الحرص الشديد الذى يجب أن يرعاه خدام المذبح، تحرق أيضا بالنار.

وقل بالمثل عن تراب المذبح أو الهيكل، فيما لو هدم، أو فى الأحوال العادية، يجب أن ينقل إلى مكان بعيد خارج المدينة، حتى لا يداس بالأقدام، أو يطرح فى ماء جار فى نهر أو فى بحر، وهذا هو الأفضل.

٢٩ ـ هل للشماس أن يخلع ملابس الخدمة قبل نهاية القداس؟

سؤال من أحد القراء بالأقصر وقد طلب عدم ذكر اسمه:

هل يجوز لشماس موظف حكومة يكون مشتركا فى خدمة القداس الإلهى يوم الأحد صباحا بملابس الخدمة، أن يخلع ملابس الخدمة إذا ما حان موعد ذهابه إلى عمله قبل نهاية القداس؟

الجواب :

لا يجوز لمن ارتدى ملابس الخدمة أن يخلعها قبل نهاية القداس الإلهى. إن هذا التصرف إهانة لله، ولا يليق بخدامه الذين يستشعرون هيبته وجلاله ويقدرون كرامة الخدمة وشرفها وأهلية الذين يوجدون فى حضرته لا سيما فى قدس أقداسه.

مَنْ مِنَ الملوك أو الرؤساء يستسيغ لأحد مثل هذا التصرف، ولا يغضب لهذه الإستهانة ويحسبها إنتقاصا لكرامته وشرف خدمته؟!

إذا كان لا يجوز لمن دخل الكنيسة أن يخرج منها قبل التسريح الختامى وإلا حسب شبيها بيهوذا الذى خرج ليلا (يوحنا ١٣: ٣٠) ولم يحضر إلى نهاية إجتماع السيد الرب بتلاميذه القديسين، وإذا كان هناك ما يقتضى الخروج من الكنيسة فلابد أن يكون ذلك للضرورة القصوى. فبالأحرى لا يجوز لأحد بعد أن يرتدى ملابس الخدمة أن يخلعها قبل نهاية الخدمة.

إنى أنصح للشماس الذى لا يستطيع أن يحضر القداس الإلهى حتى نهايته ألا يرتدى ملابس الخدمة فى ذلك اليوم.

٣٠ ـ «ارحمنا يا الله ضابط الكل»

سؤال من السيد / ميشيل جرجس عبد المسيح

مينيسوتا ـ أمريكا

هل يصح أن نقول «ارحمنا يا الله ضابط الكل فى قداس القديس غريغوريوس؟.

الجواب :

يلاحظ أن القداس الغريغورى (أى القداس بحسب ترتيب القديس غريغوريوس الثيئولوغوس) موجه **لله الابن**، أى للمسيح الفادى والمخلّص. ولما كان المسيح له المجد هو الله الذى ظهر فى الجسد وتجلى فى العالم لإنجاز الفداء والخلاص لآدم وذريته، **فإن القداس الغريغورى موجه لله من حيث هو المخلّص والفادى** إذ هو «رئيس خلاصنا» (أعمال الرسل ٥: ٣١)، (العبرانين ٢: ١٠)، (١٢: ٢).

فمن المناسب، وتمشيا مع منطق القداس الغريغورى الموجه لله الابن والمسيح الفادى والمخلّص أن يرتل كل من الكاهن والشعب ثلاثا (**ارحمنا يا الله مخلّصنا**).

ألم يرد فى ترتيل المزامير:

«الرب نورى وخلاصى» (مزمور ٢٦: ١).

«يا الله إله خلاصى» (مزمور ٥٠: ١٤).

٣١ ـ لماذا يخرج الشماس بالمبخرة أثناء الترحيم؟

سؤال من الإكليريكى زكريا فاخورى عبد السيد ـ كوم امبو.

لماذا يخرج الشماس من الهيكل، حاملا المبخرة أثناء تلاوة الكاهن لمجمع القديسين، وهل لكى يعطى البخور للشعب أم لصور القديسين وأيقوناتهم؟

الجواب :

السبب الحقيقى هو أن يحمل معه حبات البخور للشعب خارج الهيكل، حتى يذكر المصلون من المؤمنين أقرباءهم من الموتى المنتقلين بأسمائهم، فيضعها الكاهن فى المبخرة مترحما على الراقدين فيصعد البخور مع صلوات القديسين أمام مذبح الذهب الذى أمام العرش الإلهى (سفر الرؤيا ٨: ٣، ٤)، (٨: ٥).

وفى صلوات القداس ما يشير بوضوح إلى أهمية ذكر الموتى بأسمائهم ترحما عليهم أثناء رفع ذبيحة القداس. من ذلك ما يرد فى القداس الباسيلى والقداس الغريغورى والقداس الكيرلسى قول الشماس بعد إنتهاء الكاهن من صلاة مجمع القديسين فى الترحيم: «القارئون فليذكروا أسماء آبائنا القديسين البطاركة الذين رقدوا الرب ينيح (يريح) أنفسهم أجمعين».

وفى القداس الغريغورى يقول الكاهن سرا بعد المجمع وبعد قول الشماس «القارئون فليذكروا....» «اذكر يارب أبائنا وإخوتنا الذين سبق رقادهم فى الإيمان الأرثوذكسى نيحهم جميعا مع قديسيك مع هؤلاء الذين نذكر أسماءهم» ثم يذكر الأسماء.. وبعد ذلك يكمل الكاهن قائلا: تفضل يارب نيح نفوسهم أجمعين».

ثم يقول الكاهن بعد الترحيم صارخا ويداه مرفوعتان «اذكر يارب الآخرين الذين ذكرناهم المؤمنين، وأيضا الذين لم نذكرهم الأرثوذكسيين...».

ويضيف الكاهن فى القداس المرقسى الكيرلسى قوله:

«وهؤلاء وكل أحد يارب، الذين ذكرنا أسماءهم والذين لم نذكرهم، الذين فى فكر كل واحد منا، والذين ليسوا فى فكرنا، الذين رقدوا وتنيحوا فى إيمان القديسين، تفضل نيح نفوسهم أجمعين».

٣٢ - يجب أن تعود المِجمرَة أو المِبخرَة إلى الهيكل (١)

سؤال من الابن زكريا برسوم فلسطين - إسنا

يقول : إنه قرأ فى كتاب يفسرّ المزمور السابع والثمانين بعض النصائح الطقسية منها قوله: أخى الشماس : لا تطفئ المجمرة وتفرغها بعد أن يضع فيها الأب الكاهن آخر يد بخور بعد صلاة المجمع مثلما يفعل الكثيرون، بل تترك المجمرة فى الهيكل إلى أن تنطفئ تلقائيا، فهى تمثل السيدة العذراء التى فاح بخورها بعد أن تنيحت بسلام وسيظل يفوح عبيرها إلى الأبد، بينما أنى سمعت فى إحدى العظات أنه يجب أن تفرغ المجمرة عقب صلاة المجمع والطواف بالبخور فى الكنيسة بشرط عدم قيام الشماس بالنفخ فى المجمرة لإصعاد البخور فى وجوه المصلّين...

فما هو الرأى السليم بحسب طقس الكنيسة الأرثوذكسية المرتشدة بالروح القدس؟

الجواب :

حقا إنّ المجمرة (أو الشورية - باللغة القبطية) تمثل العذراء القديسة مريم، فهى **حاملة الجمر** - والجمر وهو الفحم المتحد بالنار، يرمز إلى مُخلّصنا يسوع المسيح، اللاهوت فيه متحد بالناسوت اتحادا حقيقيا كاملاً ولكن بغير اختلاط أو امتزاج أو تغيير - اتحّادا غير قابل للإنفصال، إذ أنّ لاهوته لم ولا ينفصل عن ناسوته لحظة واحدة أو طرفة عين.

ثم إننا من جهة أخرى، نضع البخور فى المجمرة فتفوح منها رائحة زكية - هكذا رأت الكنيسة دائما فى المجمرة أو الشورية رمزا إلى العذراء مريم، التى حملت المسيح فى بطنها، وهو بجلاله قام بعمل الفداء، وفاح عبيره فتنسم فيه الآب السماوى، وهو أقنوم العدل الإلهى، رائحة الرضا والقبول (التكوين ٨: ٢١) لخلاص المفديّين بدم المسيح، فهو (رائحة سرور) (الخروج ٢٩: ١٨، ٢٥).

إلى تلك المعانى الروحانية السامية تتجه أنشودتنا الكنسية التى نرتلها فى خدمة القداس، عن العذراء القديسة مريم، وتسمى (لحن العذراء):

(هذه المجمرة الذهب النقى، الحاملة العنبر التى فى يدى هرون الكاهن إذ يرفع بخورا على المذبح....)

---

(١) كتب فى ١ مايو - آيار لسنة ١٩٨٧م - ٢٣ من برموده لسنة ١٧٠٣ش.

وفى الساعة التاسعة من يوم الجمعة العظيمة، جمعة الصلب، أو الصلبوت، نرتل قائلين:

(المجمرة الذهب هى العذراء، وعنبرها هو مخلّصنا، ولدته وخلّصنا، وغفر لنا خطايانا....)

وفى أيام الصوم المقدس نرتل قائلين:

(أنتِ هى المجمرة الذهب النقىّ الحاملة جمر النار المبارك.... نسجد لك أيّها المسيح ولأبيك الصالح والروح القدس، لأنك أتيت وخلّصتنا...).

هذا إلى أنّ المجمرة - أو الشورية - فى العهد الجديد، تمثل أيضا فى نفس الوقت **(مذبح البخور)** فى العهد القديم. ومنه يصعد البخور دائما. وقد كان وضعه قدّام الحجاب الفاصل بين القدس وقدس الأقداس الذى به تابوت العهد. وقدس الأقداس فى الهيكل يرمز إلى السماء، **وكان يوقد على مذبح البخور بخور عطر كل صباح، بخوراً دائما أمام الرب.** وكان هرون يصنع كفارة على قرونه مرة كل سنة، قدس أقداس هو للرب (الخروج ٣٠: ١ - ١٠)، (٣٧: ٢٥ - ٢٨).

وعلى ذلك، وإحياء لهذه المعانى فى نفوس المصلّين وأرواحهم، يجب **أن تبقى المجمرة بالهيكل وجمرها فيها مشتعل دائما، والبخور يصعد منها، ولا تنطفئ لأنها صلاة** دائمة قائمة، تشير إلى الفداء والخلاص الذى قام به المسيح الفادى، كما أنها تشير أيضا فى نفس الوقت **إلى صلوات القديسين القائمة أمام العرش الإلهى**، وعلى رأسهم السيدة العذراء فخر جنسنا، والشفيعة الأمينة المؤتمنة عنا أمام ربنا يسوع المسيح. (سفر الرؤيا ٥: ٨)، (٨: ٣، ٤).

ونحن نلاحظ هنا أنه فى الكنائس الأثرية توجد إلى اليوم فى قمة باب الهيكل حلقة من نحاس أو حديد، لتعلّق فيها المجمرة أو المبخرة أو الشورية طوال خدمة القداس، فى نفس الوضع الذى كان لمذبح البخور فى هيكل العهد القديم بين القدس وقدس الأقداس، (قدام الحجاب الذى أمام تابوت الشهادة، قدام الغطاء الذى على الشهادة) (سفر الخروج ٣٠: ٦).

وبهذا الوضع يكون البخور صاعدا من المجمرة. دائماً أمام المصلّين ينبههم إلى الفداء وإلى الشفاعة القائمة، الكفارية ثم التوسلية - أما الكفارية فهى شفاعة المسيح (رومية ٨: ٣٤)،

(العبرانيين ٧: ٢٥)، (١ يوحنا ٢: ١)، (إشعياء ٥٣: ١٢) بوصفه الفادى والمخلِّص الذى (لاخلاص بأحد غيره) (أعمال الرسل ٤: ١٢) .. وأما الشفاعة التوسلية فهى صلوات العذراء مريم وصلوات القديسين (سفر الرؤيا ٥: ٨)، (٨: ٣)، (مزمور ١٤٠: ٢).

أما عن طواف المجمرة أو نزول الشماس بالمبخرة إلى الشعب، فالوضع الأصيل فيه أن ينزل الشماس (أو كاهن غير الكاهن الخديم) بطبق به بخور غير معدود، وطبق آخر فارغ، فيمر على المصلّين بالكنيسة، فيأخذ الواحد منهم، من حبات البخور غير المعدود بعدد المنتقلين الذين يريد أن يترحم عليهم ويذكرهم بأسمائهم، ويضع حبات البخور بيده لا فى المجمرة بل فى الطبق الفارغ - وبعد الطواف بجميع الشعب فى الكنيسة يحمل الشماس الطبق الذى وضع فيه المصلّون البخور المعدود بأسماء الذين يريدون ذكرهم على المذبح، ويعود بهذا الطبق إلى المذبح فى الهيكل، ويضعه الكاهن فى المجمرة ترحما على الراقدين المنتقلين، وهو يصلّى قائلاً (**اذكر يارب هؤلاء الآخرين الذين ذكرناهم المؤمنين، وأيضا الذين لم نذكرهم، الأرثوذكسيين**. اذكرنا نحن وهم، يا الله، فإنك صالح ومحب البشر...) (القداس الغريغورى).

وإذن فإذا نزل الشماس بالمجمرة أو المبخرة إلى الشعب، **فلابدّ أن يعود بها مرة أخرى إلى الهيكل، وإلى المذبح، فيضع الكاهن البخور المعدود فى المجمرة - وتبقى المجمرة فى الهيكل، إلى نهاية القداس والخدمة.**

٣٣ ـ إجابات على بعض الأسئلة (١)

سؤال : ١

هل هناك مانع من ذكر اسم المترحم عليه فى قداس الأحد؟

الجواب :

لا مانع بتاتا. نحن نترحم على الموتى فى يوم الأحد، فكيف يكون هناك مانع؟ الممنوع هو النغم الحزين فى يوم الأحد.

سؤال : ٢

هل يقتصر الترحيم واسم المترحم عليه فى قداس خاص؟

الجواب :

نحن نصلى فى كل قداس عام نطلب الرحمة من أجل كل من هم فى فكر كل واحد فينا، والذين ليسوا فى فكر كل أحد فينا.

سؤال : ٣

هل هناك فرق بين قداس خاص وقداس عام؟

الجواب :

القداس العام يقام من أجل جميع الناس. وأما القداس الخاص فيقام من أجل الذين يقام عنهم: فرد أو أفراد يذكرون بالاسم.

وإذن فالفرق بين القداس العام والقداس الخاص هو من جهة حرارة الطلب وقوة الطلب.

لكن لا يبرر هذا الفرق عدم ذكر أى شخص فى الترحيم فى القداس العام. إن تقليد الكنيسة فى القداس العام يقتضى أن يمر طبق به حبات البخور على كل الشعب، ليفرز ويذكر كل مؤمن اسم أو أسماء من يريد الترحم عليهم، وتردّ حبات البخور إلى الكاهن ليضعها فى المبخرة.

سؤال : ٤

هل يصلى الإنجيل قبطيا وعربيا والمزمور أدريبى فى يوم الأحد فى الصوم الكبير؟

الجواب :

لا يجوز اللحن الحزين فى يوم الأحد لأنه يوم قيامة الرب.

وكذلك لا يجوز اللحن الحزين فى يوم السبت لأنه عيد الشريعة القديمة.

---

(١) كتب فى ١٩٨٣/٤/٥م ـ ٢٧ برمهات ١٦٩٩ ش.

٣٤ ـ الترحيم فى أيام الأعياد والآحاد والخماسين

سؤال من السيد / ميشيل جرجس عبد المسيح

مينيسوتا ـ أمريكا

هل يصح ذكر أحد المنتقلين جهرا فى صلاة الترحيم بعد المجمع أثناء فترة الخمسين المقدسة؟

الجواب :

نعم، يصح ذلك. **إن فى كل قداس يقام فى أثناء الخمسين المقدسة وفى سائر الأعياد والمناسبات نترحم على الراقدين...** والترحيم على الراقدين قسم ثابت فى كل قداس، فيه نذكر الراقدين. وهو واجب علينا نحن الأحياء نحو المنتقلين، واجب محبة ووفاء، واسترحام للعزة الإلهية عن آبائنا وإخوتنا الذين سبقونا إلى عالم البقاء والخلود. لذلك فإن هذا أمر مستحب ومندوب إليه خصوصاً فى ذكر الأربعين لوفاته، أو فى ذكرى مرور السنة على وفاته، وفى ذكره علنا تعزية روحية لأهل المتوفى من الأحياء.

على أن الترحيم فى أيام الآحاد والأعياد والخمسين المقدسة يجب أن يكون باللحن المناسب للأعياد، أى يكون بلحن الابتهاج لا باللحن الحزين.

ويلاحظ أن القداس الغريغورى وهو القداس الذى يصلّى به عادة فى الأعياد، ويرتل بلحن الابتهاج والتهليل، به قسم خاص بالترحيم على الراقدين، تذكر فيه أسماء المنتقلين، باللحن البهيج الذى تُصلى به سائر صلوات هذا القداس الخاص بالأعياد، حسب ترتيب وطقس كنيستنا القبطية الأرثوذكسية.

٣٥ ـ فى التسبحة الكيهكية

سؤال : ورد إلينا الاستيضاح الآتى من أحد القراء لم يشأ أن يذكر اسمه :

أرجو التفضل بإيضاح الوضع الأساسى الصحيح المطابق للقوانين الكنسية بخصوص التسابيح الكيهكية الليلية التى يطلق عليها (سبعة وأربعة)، لأن طريقة تطبيقها بالكنائس غير موحد. فبينما نرى كنيسة تعمل تلك التسابيح ليلة واحدة فى الأسبوع هى ليلة الأحد نرى غيرها تعمل تلك التسابيح ثلاثا فى الأسبوع الواحد. وأخرى تعمل الأسبوع كله، وهكذا، فالمرجو التفضل بنشر الوضع القانونى فى هذا الأمر تنويرا للأذهان تعميما للفائدة الروحية.

الجواب :

الوضع الأساسى الصحيح أن لكل يوم من أيام الأسبوع فى شهر كيهك المبارك، تسابيحه الخاصة به، وهى كما فى ليلة الأحد مثلا: هوس كيهك والهوسات الأخرى الأربعة وتذاكية اليوم وهى مختلفة، وما يقال على هذه الهوسات والتذاكية الخاصة باليوم من ابصاليات ومدائح وألباش وطروحات وألحان وفصول وتفاسير وصلوات ودفنار اليوم...

ويبدو أن هذا التسبيح اليومى، فى كل ليلة من ليالى الاسبوع السبع صارت تعوقه فى بعض بلاد الريف ظروف محلية عملية، فرؤى تجميع هذه التسابيح والصلوات فى ليلة واحدة هى ليلة الأحد. وهذا هو السر فى تسمية التسبحة الكيهكية (بسبعة وأربعة) لأنه ساد فى بعض هذه البلاد تلاوة الأربعة هوسات والسبع تذاكيات (المرتبة لكل يوم من أيام الاسبوع) مع سائر متعلقاتها من ابصاليات ومدائح وألباش وطروحات...، معا فى ليلة الأحد ولذلك تطول الصلوات والتسابيح فى ليلة الأحد إلى ساعة متأخرة من الصباح وقد تتصل بقداس الأحد.

وقد لا يكون من الصواب أن نعمم حكما دون اعتبار للظروف المحلية والعملية التى تجابهها الكنيسة فى بعض بلاد الريف، ولكن يمكن أن نقرر بصفة عامة أن تجميع التسبيح فى ليلة واحدة وضع غير أصيل بالنسبة للطقس الكنسى، فضلا عن أنه مرهق، ويضيع الفائدة الروحية المقصودة أصلا من موالاة التسبيح اليومى فى كل ليلة، لتنشيط الحياة الروحية وتنمية روح التقوى والتضرعات فى المؤمنين، خاصة فى فترة أيام الصوم.

ولذلك نرى أن من واجبنا أن نقرر أنه يجب العودة إلى الوضع الأصيل، على الأقل فى البلاد التى تسمح ظروفها الحاضرة بذلك وهى العواصم وكبرى المدن فى المحافظات.

٣٦ ـ قراءات فصول شهر كيهك

سؤال : من الأب الموقر القمص مرقس عبد السيد ـ وكيل المطرانية بطما.

لما كان برمون عيد الميلاد المجيد يقع هذه السنة فى يوم ٢٧ من كيهك فلكى تكمل أربعة آحاد شهر كيهك وقراءاتها المرتبة، لقد تسلمنا من أبائنا وجدودنا السابقين أن تقرأ فصول الأحد الأول من كيهك فى الأحد الأخير من هاتور، فهل ترون أن هذا التسليم صحيح كنسيا؟ أرجو الإفادة على صفحات جريدة (وطنى).

الجواب :

نعم أيها الأب الموقر، أن ما تقولونه، مما تسلمتموه من الآباء والأجداد تقليد صحيح وسليم كنسيا.

فالمعروف أن عيد الميلاد المجيد يقع دائما فى التاسع والعشرين من شهر كيهك. أما فى السنوات القبطية الكبيسة، وهى التى تقبل القسمة على ٤ من دون باق، يقع عيد الميلاد فى ٢٨ كيهك. ومع ذلك يظل يوم ٢٩ كيهك عيدا ثابتا. أى أنه فى السنوات الكبيسة يكون عيد الميلاد يومين هما ٢٨، ٢٩ كيهك. ولذلك فإنه يمنع الصوم فى هذين اليومين فى السنة الكبيسة لو اتفق أحدهما فى يوم أربعاء أو جمعة.

ولما كان عيد الميلاد سيقع فى هذه السنة الحالية ١٦٩٦ فى يوم الاثنين ٢٨ من كيهك أى أن يوم البرمون (وهو صوم الاستعداد فوق العادة السابق على يوم العيد) سيقع فى يوم الأحد ٢٧ من كيهك (وإن كان لهذا السبب يحتسب البرمون ٣ أيام الجمعة والسبت والأحد ـ إذ الأحد والسبت لا يصامان إنقطاعيا) ولذلك نقرأ فى هذا الأحد ٢٧ من كيهك فصول برمون عيد الميلاد فلا يتبقى من أحاد شهر كيهك إلا ثلاثة فقط.

وعلى ذلك فتكميلا لآحاد شهر كيهك، وهى أربعة، يلزم ترتيب قراءات فصول شهر كيهك على النحو الاتى:

الأحد الأول ـ ٢٩ من هاتور.

الأحد الثانى ـ ٦ من كيهك.

الأحد الثالث ـ ١٣ من كيهك.

الأحد الرابع ـ ٢٠ من كيهك.

برمون عيد الميلاد ـ ٢٧ من كيهك.

عيد الميلاد المجيد ـ ٢٨، ٢٩ من كيهك.

٣٧ ـ ترتيب الصلوات والتسابيح فى شهر كيهك (١)

عزيزى الآب الموقر القمص متى روفائيل

كاهن كنيسة الشهيدة الأم دولاجى ـ باسنا

سلام ونعمة ومحبة ورحمة وبركة من الله أبينا وربنا يسوع المسيح.

ردا على استفساراتكم الواردة بخطابكم بتاريخ ١٩٧٣/١٢/١٢ يسرنى الإفادة:

أولا : فيما يتصل بترتيب الفصول، وصلوات وتسابيح شهر كيهك فى السنوات التى لا تستوفى أربعة آحاد كاملة لشهر كيهك، كما هو الحال فى هذه السنة مثلاً تقرأ فصول الأحد الأول من شهر كيهك فى الأحد الأخير من شهر هاتور وبدلا من فصول الأحد الأخير من هاتور، وبالتالى ترتل التسابيح فى هذا الأحد حسب الطقس الكيهكى، حتى يستكمل شهر كيهك أربعة آحاد كاملة بفصولها وتسابيحها.

وذلك نظرا لأهمية شهر كيهك فى ترتيبنا الكنسى من حيث احتفالنا فيه بتدبير التجسد الإلهى. فيجب أن لا ينقص من ترتيبه شئ، ولا يختزل من آحاده شئ لا فى قراءات الأصول، ولا فى التسابيح بحسب الطقس الكيهكى.

ثانيا : إذا وقع عيد الميلاد فى يوم ٢٨ كيهك وذلك فى السنوات الكبيسة ـ تحتفل الكنيسة بالعيد فى السنة الكبيسة فى يومى ٢٨ ، ٢٩ كيهك معا. **لأن عيد الميلاد يقع دائما فى ٢٩ كيهك ولا يقع فى يوم ٢٨ كيهك إلا فى السنوات الكبيسة.**

وعلى ذلك فإذا وقع ٢٩ كيهك فى السنوات الكبيسة فى يوم أربعاء أو جمعة **وجب فيه الفطر لأنه عيد سيدى كبير، ويمنع فيه الصوم**، أى يحل فيه صوم الأربعاء والجمعة.

والحق أن هذا هو السبب الأساسى فى صوم البرامون السابق على عيد الميلاد وعيد الغطاس.

فإذا وقع عيد الميلاد فى سنة كبيسة فى يوم خميس، صامت الكنيسة يوم الأربعاء صوم البرامون، حتى يحل لهم فطر يوم الجمعة الذى يقع فى ٢٩ كيهك.

---

(١) كتب فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٣م ـ ١٥ كيهك ١٦٩٠ش.

وإذا وقع عيد الميلاد فى سنة كبيسة فى يوم ثلاثاء، صامت الكنيسة يوم الاثنين صوم البرامون، حتى يحل لهم فطر يوم الأربعاء الذى يقع فى ٢٩ كيهك.

هذه هى القاعدة الأساسية التى تسير بموجبها كنيستنا التى ترتبط أساسا بالتاسع والعشرين من كيهك دائما باعتباره عيد الميلاد، كما نصت على ذلك الدسقولية وكتب القانون الكنسى، وكتب الطقس وكتب الآباء المعتبرين أعمدة. انظر الدسقولية (الباب ١٨): «عيد ميلاد الرب... التاسع والعشرون من الشهر الرابع الذى للمصريين».

فإذا رأيتم خلاف ذلك، فى كتاب، أو منشور، فالقاعدة الكنسية الأصيلة هى التى تحكمنا، لإبداء الرأى فيما هو الصواب.

ونعمة الرب تشملكم

٣٨ ـ تفسير كلمة ⲕⲁⲧⲁ

العزيز المحاسب مرقس حنا

٢٨ شارع أحمد أنسى بحلوان بروض الفرج.

والشماس بجمعية العهد الجديد .

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح. يسرنى الرد على أسئلتكم المرسلة إلينا على النحو الآتى :

سؤال :

تفسير كلمة ⲕⲁⲧⲁ التى تقال فى مقدمة قراءة الإنجيل قبطياً ـ فقد تعودنا نحن الشمامسة أن نتلو الإنجيل بعد المقدمة بجملة «من بشارة معلمنا القديس.....» ولكن ظهرت نغمة جديدة سمعتها مرارا من بعض الشمامسة وهى بعد المقدمة (حسب ما كتبه معلمنا القديس.....) عوضا عن السابقة معللين بذلك أنها الترجمة لكلمة ⲕⲁⲧⲁ بل هناك من زعم بأنها تعليم الإكليريكية، أرجو لو سمحتم بتفسير ذلك وما هو الصحيح فى التلاوة حتى لا نخرج عن تعاليم الكنيسة وطقوسها.

الجواب :

المعنى الحرفى لكلمة ⲕⲁⲧⲁ بالقبطية واليونانية هو «على حسب» أو «بحسب» والعبارة الكاملة التى ينطق بها الكاهن إعلانا وتقديما لقراءة الإنجيل المقدس هى

ⲉⲥⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ ⲛ̀ⲧⲙⲉ ⲫⲛⲉⲟⲛⲛⲟⲩ ⲙ̀ⲡⲉⲛ ⲫⲣⲁⲛ ⲛ̀Ⲡⲃⲟⲓⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲓⲭⲟⲩ ⲕⲩ-ⲣⲓⲉ ⲉⲧⲁⲗⲟⲥⲓⲥⲟⲛ ⲉⲕ ⲧⲟⲩ ⲕⲁⲧⲁ Ⲙⲁⲧⲑⲉⲟⲛ (Ⲙⲁⲣⲕⲟⲛ - ⲗⲟⲩⲕⲁⲛ - Ⲓⲱⲁ-ⲛⲛⲏⲛ) ⲁⲅⲓⲟⲩ ⲉⲧⲁⲅⲅⲉⲗⲓⲟⲩ ⲧⲟ ⲁⲛⲁⲅⲛⲱⲥⲙⲁ.

وترجمتها على النحو الآتى :

«مبارك الآتى باسم رب القوات، يارب بارك. فصل من الإنجيل المقدس على حسب (ما كتبه) متى (أو مرقس أو لوقا أو يوحنا).

هذا ما يقوله الكاهن فى مقدمة قراءة الإنجيل، أما الشماس فيقول : «قفوا بمخافة الله، ولننصت للإنجيل المقدس».

ⲥⲧⲁⲑⲏⲧⲉ ⲙⲉⲧⲁ ⲫⲟⲃⲟⲩ ⲑⲉⲟⲩ ⲁⲕⲟⲩⲥⲱⲙⲉⲛ ⲧⲟⲩ ⲁⲅⲓⲟⲩ ⲉⲧⲁⲅⲅⲉⲗ-ⲓⲟⲩ.

ثم يقول :

«فصل من بشارة معلمنا القديس متى (أو مرقس أو لوقا أو يوحنا) البشير بركاته على جميعنا».

فإذا كان البابا البطريرك حاضرا، وهو الذى سيقرأ الإنجيل قبطياً أو عربياً، فيرتل الشماس أمامه قائلاً :

قفوا بمخافة الله ولنسمع من فم أبينا المكرم، جزيل الورع ⲟⲥⲓⲱⲧⲁⲧⲟⲩ المثلث الطوبى، أبينا، أبى الآباء، راعى الرعاة، الحبر الأعظم ⲁⲣⲭⲓⲉⲣⲉⲱⲥ، رئيس كهنتنا، خليفة القديس مرقس الإنجيلى، العظيم فى البطاركة، حبيب المسيح، أبينا القديس ( ) بطريرك المدينة العظيمة الأسكندرية، وكل اقليم مصر والمدن التابعة لها.

إله السماء يثبته على كرسيه سنين عديدة وأزمنة سلمية. ويخضع جميع أعدائه تحت قدميه، سريعا، ويمنحه زمانا هادئا بهيجا، ويمنحنا نعمة ورحمة بصلواته وطلباته.

الإنجيل المقدس بحسب القديس متى (أو مرقس أو لوقا أو يوحنا).

فإذا كان المطران أو الأسقف حاضرا فينادي الشماس أمامه قائلاً :

قفوا بمخافة الله، ولنسمع من فم أبينا المكرم، جزيل الورع، المثلث الطوبى، أبينا المكرم المطران (أو الأسقف) الأنبا ( ) أسقف المدينة المحبة للمسيح وكل توابعها إله السماء.

الإنجيل المقدس بحسب القديس متى (أو مرقس أو لوقا أو يوحنا).

٣٩ ـ رأس خدمة القداس الإلهى

السيد / رئيس تحرير «وطنى»

أرجو نشر البيان الموجز الآتى تحت مسئوليتى.

لاحظنا أنه يرد فى أخبار «وطنى» والصحف القبطية الأخرى عندما يخدم أسقف أو مطران القداس الإلهى يقال عنه أنه «رأس القداس» وهذا تعبير ثقيل فى أذهان الروحيين الذين يعلمون إيمانيا وعقائديا وطقسيا أن المسيح وحده هو الذى يرأس القداس. أما رئيس الكهنة (أسقفاً كان أو مطراناً أو بطريركا) فهو «يخدم» القداس الإلهى. وعلى ذلك أرجو التنبيه بإستخدام أحد التعبيرات الآتية : «خدم القداس الإلهى» أو «أقام القداس» أو «رأس خدمة القداس الإلهى» نقول «رأس خدمة القداس» ولا نقول رأس القداس.

٤٠ ـ لغة المردات

سؤال : من السيد / ميشيل جرجس عبد المسيح مينيسوتا ـ امريكا.

هل توجد قاعدة فى كنيستنا تلزم الشمامسة بأن يردوا المردات بنفس اللغة التى يصلى بها الكاهن، حتى الألحان التى لم تلحن بالعربى ؟

الجواب :

إن المردات، بالذات، يجب أن تكون باللغة التى يفهمها ويعيها أكثر الشعب. وهذا هو السبب فى أن عددا غير قليل من مردات الشعب فى القداس، وضعت **باللغة اليونانية**، ذلك أن الكنيسة بوصفها جامعة المؤمنين مهما اختلفت لغاتهم وألوانهم وأجناسهم، كان فى القديم يصلى فيها معا الأقباط وغير الأقباط من السريان والأرمن واليونان والروس والرومان والتليان وغيرهم ممن يقيمون فى مصر... فحتى يشارك الجميع فى الصلوات بروح واحدة، وحتى تنتعش روح التضرعات والابتهالات **يلزم أن تكون المردات والصلوات بلغة عامة يفهمها كل المصلين من جميع الأجناس.** ولما كانت اللغة اليونانية، هى اللغة العالمية السائدة والمعروفة عند الناس فى القرون المسيحية الأولى، والتى يتكلم ويتفاهم بها أهل اللغات المختلفة، لذلك رأت الكنيسة منذ البداءة أن تكون أكثر مردات الشعب باللغة اليونانية بوصفها اللغة التى يمكن أن يعيها أبناء الكنيسة الجامعة، المصلون والحاضرون. وذلك على ما جاء فى رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس «**فإن كنت لا أعرف قوة اللغة أكون عند المتكلم أعجميا، والمتكلم أعجميا عندى**» (١ . كورنثوس ١٤ : ١١).

أما بالنسبة للكاهن فهو يصلى باللغة التى يجيدها. فالكاهن فرد، أما الشعب فمجموع من أفراد، مختلفة لغاتهم. لكنه لأسباب رعوية يمكنه أن يستخدم بعض الوقت لغة يفهمها الشعب.

ولما كان الشعب المصلى بكنيستنا القبطية فى مصر كله الآن مصرى، ولغته لغة مصر، فلا داعى الآن لأن تكون المردات فى الكنيسة باللغة اليونانية.

لذلك يحسن أن تصلى المردات للقداس، **بالترجمة العربية**، لأنها صارت اللغة الأقرب إلى أذهان شعبنا فى مصر، حتى يُصلى الشعب «بالروح وبالذهن معا، ويرتل بالروح والذهن معا» (١ . كورنثوس ١٤ : ١٥) ولا داعى أيضاً لترجمتها إلى اللغة القبطية، طالما أن شعبنا أقدر اليوم على فهم العربية.

كذلك الحال فيما يتصل **بانذارات شماس الهيكل، فإن أكثر هذه التنبيهات والنداءات وضعت باللغة اليونانية** لنفس الغرض السابق، وهو تنبيه الشعب فى الكنيسة، وكان فى القرون المسيحية الأولى من شعوب مختلفة لغاتها وأجناسها، إلى الوقوف أو إلى السجود، أو إلى الصلاة، أو إلى السكون والصمت أو إلى التسبيح وغيرها من النداءات والتنبيهات.. **نقول إن نداءات وتنبيهات شماس الهيكل لم يعد ثمت مبرر - فى مصر على الأقل - لأن تقال أو ترتل باللغة اليونانية التى لم يعد يفهمها شعبنا القبطى... فمن المناسب واللائق أن تقال وترتل بترجمتها العربية، حتى يعى المصلون الأقباط المعنى من نداءات شماس الهيكل وما يطلبه منهم.**

جاء فى رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس «هكذا أنتم أيضا **إن لم تعطوا باللسان كلاما يفهم فكيف يعرفون ما تقولون؟ ألا يذهب كلامكم فى الهواء؟... فالذى يشغل مكان العامى كيف يقول : آمين... وهو لا يعرف ماذا تقول؟»** (١. كورنثوس ١٤ : ٩، ١٦).

٤١ - يمجدونك أم يسبحونك

سؤال :

اللحن القبطى القائل : نى شاروبيم سى أو أوشت اممووك، نيم نى سيرافيم سيتى أو اوناك - هذه الكلمة «أو أوناك» تقال دائماً فى اللحن العربى «والسارافيم يسبحونك» بينما الخولاجى يترجمها (والسارافيم يمجدونك) فما هو الصحيح فعلاً.

الجواب :

الصحيح هو «يمجدونك» ذلك لأن النص القبطى يقرأ

ⲛⲓⲥⲉⲣⲁⲫⲓⲙ ⲥⲉϯⲱⲟⲩ ⲛⲁⲕ

وكلمة ⲱⲟⲩ بالقبطية يقابلها «مجد» فى العربية. وعلى ذلك فالترجمة الكاملة للفقرة «السيرافيم يمجدونك (حرفيا : يعطونك المجد).

٤٢ - «لروحك أيضاً»

سؤال :

ما هى الترجمة الصحيحة لكلمة «كيطو ابنفما تى سو) هل هى «لروحك أيضاً أم لروحك فقط؟ وهل تغير المعنى أم لا ؟

الجواب :

هذا التعبير باللغة اليونانية يجيب به الشعب على الكاهن عندما يمنحهم السلام والبركة قائلاً : «السلام للجميع»

ومرد الشعب ⲕⲉ ⲧⲱ ⲡⲛⲁⲧⲓ ⲥⲟⲩ

حرفيا : «ولروحك» أو «لروحك أيضا» ولا بأس أن يقال «ولروحك أيضاً.

ونعمة الرب تشملكم.

٤٣ ـ لماذا نستخدم المزامير (الأجبية) فى الصلاة ؟

سؤال : من السيد / م. ك

لماذا نستخدم صلوات المزامير أو كتاب الأجبية ؟

الجواب :

استخدام المزامير فى صلواتنا الجمهورية العامة، وصلواتنا الانفرادية تقليد رسولى جاءت الإشارة إليه واضحة فى رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى كنيسة كورنثوس : «متى اجتمعتم فكل واحد منكم له مزمور» (١٤ : ٢٦) ويقول الرسول نفسه أيضاً : «مكلمين بعضكم بعضا بمزامير» (أفسس ٥ : ١٩).

وقد ذكرت الصلوات السبع فى كتاب الدسقولية (تعاليم الرسل)، ونص على أن هذه الصلوات هى صلوات «الغداة (باكر)، ثم الساعة الثالثة من النهار (التاسعة صباحاً) والساعة السادسة، والساعة التاسعة، والمساء (الغروب)، والثانية عشرة آخر النهار الساعة السادسة مساء) ثم نصف الليل» (باب ٣٧).

وجاء فى قوانين الرسل النص على هذه الصلوات السبع. وعلى أوقاتها، وعلى مناسباتها، وأن الساعة الأولى أو باكر هى أول النهار، وتشير إلى قيامة المسيح، لأنه قام باكرا، ثم الساعة الثالثة من النهار (وهى ٩ صباحاً) تمثل الساعة التى حكم فيها بيلاطس على مخلصنا يسوع المسيح بالصلب، وهى أيضاً الساعة التى حل فيها الروح القدس على التلاميذ والرسل، ثم الساعة السادسة من النهار (وهى ١٢ ظهراً) وتمثل الساعة التى صلب فيها المسيح، والتاسعة (وهى ٣ بعد الظهر) وهى الساعة التى مات فيها المسيح بالجسد، ثم صلاة الغروب (عند غروب الشمس) أو الساعة الحادية عشرة وهى (الخامسة مساء) وفيها انزلوا المسيح من على الصليب، وصلاة النوم أو الساعة الثانية عشر من النهار، وفيها دفن جسد المسيح فى القبر، وأخيراً صلاة نصف الليل، وفيها صلى المسيح فى بستان جثسيمانى، هذه الصلوات نصت عليها قوانين الرسل، المجموعة الثانية، فى قانون ٤٧، وقانون ٦٧ ومن بين ما ورد فى القانون قوله : كل مؤمن ومؤمنة إذا قاموا بالغداة (باكر) فمن قبل أن يعملوا شيئا، فليغسلوا أيديهم ويصلوا لله.. وليسرع كل واحد بالمضى إلى الكنيسة، الموضع الذى تشرق فيه الروح... وإن كان هو يوما ليس فيه تعليم، فليصلِّ كل واحد فى بيته.. ثم صلِّ الساعة الثالثة .. الخ» (قانون ٤٧).

كذلك ورد فى النص على هذه الصلوات السبع فى القانون ٦٧ من قوانين الرسل «إذا قمتم باكراً فصلوا، ثم صلوا الساعة الثالثة، وصلوا الساعة السادسة، وصلوا الساعة التاسعة، وصلوا بالعشىّ، وصلوا فى الوقت الذى يصيح الديك (صلاة نصف الليل)».

ونص على ذلك أيضاً القانون الثامن والعشرون من قوانين القديس باسيليوس الكبير، والقانون السابع والعشرون، والخامس والعشرون من قوانين القديس هيبوليطس (أبوليدس).

على أن صلوات المزامير، والصلوات السبع المرتبة فى كتاب الأجبية ينبغى أن تؤدى بتؤدة وتمعن، وبروح التعبد والتأمل، وإلا فإن الصلاة المتعجلة لا تفيد، وقد تدعو إلى الملل وعلى ذلك فللفائدة يجب أن تؤدى الصلاة بالتأمل والخشوع والإنسحاق القلبى.

٤٤ ـ المزامير مع الصلوات الإرتجالية

سؤال : من السيد البير حليم يعقوب شكر الله ـ شبرا.

يقول : إنى أتلو صلوات الأجبية وهى صلوات الشعب المسيحى الأرثوذكسى، واعترف أنى أحب أن أتلوها وأن أصلى المزامير، ولكن أجد أحيانا أنه يلذ لى أن اعبر لله بصلاة ارتجالية عما فى ضميرى، وأحياناً يزورنى بعض الأصدقاء، ويسهرون معى إلى ساعة متأخرة من الليل، فاستيقظ فى الصباح متأخرا، ولضيق الوقت اكتفى بصلاة ارتجالية فما هو ارشادكم لى فى هذا الموضوع ؟

الجواب :

نقول من حيث المبدأ، أن الصلوات المرتبة كنسياً، والمعروفة بصلوات الأجبية أى السواعى، هى نماذج للصلاة، تصلح أساسا أوليا متينا لحياة السائرين فى طريق السماء. فهى مجموعة مختارة من المزامير لكل ساعة من الأوقات السبع المعينة للصلاة (سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك» (مزمور ١١٨ : ١٦٤) وذلك فى المناسبات الروحية والدينية التى تمت فيها أحداث خلاصية، كقيامة المسيح (باكر)، وحلول الروح القدس على التلاميذ (الساعة الثالثة) وصلب المسيح (الساعة السادسة)، وموته على الصليب (التاسعة)، وانزاله من على الصليب (الغروب)، ووضع جسده فى القبر (الساعة الثانية عشرة) ثم صراعه فى بستان جثسيمانى (نصف الليل) مضافا إليها بعض القطع الروحية وهى صلوات خشوعية مرتبة على تلك المناسبات الروحية، وطلبات أخرى مثيرة وجميلة وعميقة، وضعت بحكمة وعمق روحانى، وهى مقتبسة على الغالب من نصوص إنجيلية وكتابية.

غير أن الروحيين والعابدين تثيرهم هذه الصلوات النموذجية فيضيفون إليها طلبات أخرى من دفع أرواحهم ودفق قلوبهم، يعبرون بها عن مشاعرهم واحتياجاتهم الخاصة، الروحية والنفسية، وتجاربهم التى يجتازونها ويمرون فيها.

لذلك فإن من الخير أن يلتزم المؤمنون العابدون بصلوات المزامير وما يتبعها من صلوات مرتبة، ويضيفون إليها ما تدفعهم إليه نفوسهم من طلبات تعبر عن احتياجاتهم اليومية... وكما يقول مخلصنا له المجد «يجب أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك» (متى ٢٣ : ٢٣).

ولكن لا يجمل بالعابدين أن يكتفوا بالطلبات الخاصة ويهملوا الصلوات المرتبة، فإن هذه الصلوات المرتبة ثروة روحية، غنية بكل ما تحتاج إليه النفس البشرية فى رحلتها إلى الله، ويعد خسرانا كبيرا أن يفقد المصلى هذا الامتياز. على أنه يمكن مراعاة لظروف الناس ممن يضيق وقتهم ولا سيما فى الصباح عن الصلوات الطويلة، أن يكتفوا من كل صلاة بثلاثة مزامير أو باثنين مع بعض القطع وبعض الصلوات والطلبات، قدر ما يسمح الوقت، مع الإهتمام بالإستيقاظ باكرا بوقت كاف، على قول الكتاب المقدس «أنا أحب الذين يحبوننى، والذين يبكرون إلىّ يجدوننى» (أمثال ٨ : ١٧).

٤٥ ـ الفرق بين اجتماع الصلاة والقداس الذى يسبقه

جاءنا السؤال الآتى من «مشتاق أن يعرف بطنطا»

هل يصح عقد اجتماعات خاصة للصلاة عقب القداس مباشرة؟ وإن جاز ذلك فما معنى القداس؟ وما الفرق بين اجتماع الصلاة هذا والقداس الذى سبقه ؟

الجواب :

إن الذين يحضرون صلوات القداس من أولها ويتابعونها بتقوى وخشوع وتمعن وفهم، يجدون فيها متعة روحية عميقة، لا تضارع بأية صلوات أخرى وطلبات أخرى ارتجالية. ثم أن صلوات القداس غنية بجميع احتياجات النفس البشرية، وهى شاملة جامعة لكل المعانى الروحية النافعة للفرد وللمجتمع.

إننا ننصح لمن يريد الاستزادة من روح الصلاة أن يحضر القداس من أوله، من لحظة تقديم الحمل، ولكن القداس يسبق عادة بصلوات رفع بخور باكر بما تشتمل عليه من أواشى وقراءات للفصول المقدسة، وقبل رفع بخور باكر ترفع التسبحة منذ ساعة مبكرة من الصباح وهى تشتمل على صلوات وطلبات وتسابيح وأناشيد روحية مثيرة، وهذه وتلك كلها صلوات وضعتها أنفاس الآباء الأطهار الذين بلغوا إلى قمة الروحانية، فياليت أبناء الكنيسة يشبعون أولا بهذه الشوامخ الروحية ويتشبعون بروح الآباء وأنفاسهم، ومن يلزمه مزيد، أكثر من كل ذلك، فله أن يضيفه سرا أثناء صلوات القداس فى فترات الصمت أو الهدوء أو حينما يتلو الكاهن بعض الصلوات السرية، أو عندما يعود إلى بيته، ويغلق بابه فى المخدع ويصلى إلى أبيه فى الخفاء.

٤٦ ـ من المسئول عن قيادة الشمامسة

سؤال : من السيد / اندراوس فلسطين ـ الأقصر.

من المسئول عن قيادة الشمامسة بكافة درجاتهم وتوزيعهم بالخدمة الهيكلية وخوروس المرتلين وتوزيع الرسائل للقراءات والتنظيمات الأخرى ؟

الجواب :

المسئول عن ذلك فى الكاتدرائية هو الأرشيدياكون (رئيس الشمامسة) وفى الكنائس الأخرى الشماس الكبير بينهم تحت إشراف الكاهن.

٤٧ ـ هل للشماس الحق فى لفت نظر الكاهن ؟

سؤال :

هل للشماس الحق فى لفت نظر الكاهن الخادم لتصحيح أية مخالفات كنسية مخلة بالنظم الكنسية؟ وإن أصر على هذه المخالفة أيحق له حرمانه من الصلاة ما لم يصلح هذا الخطأ؟ وما رأى الكنيسة فى الكاهن الذى يصر على السير فى المخالفات الكنسية رغم تنبيهه إليها ؟

الجواب :

يقول القانون الكنسى أن الشماس خادم الكاهن، وعلى ذلك يجب أن يعاونه، ويخدمه، ويتمم خدمته معه كابن له. وإذا بدت له ملاحظة يمكنه أن يتكلم بشأنها مع الكاهن على انفراد، وبوداعة وأدب وخضوع، ولا يليق بالشماس أن يقاطع الكاهن، أو يهينه، أو يرفع صوته وهو يكلمه. وإذا رأى مخالفة خطيرة من الكاهن ولم يصغ الكاهن لحديثه معه على انفراد، يمكنه أن يرفع أمره إلى الأسقف أو المطران بكل أدب واحترام، فإذا لم ينصفه الأسقف أو المطران يمكنه أن يرفع شكواه إلى البابا البطريرك.

وليس للشماس سلطان أن يحرم الكاهن من مباشرة الصلاة أو تكميلها. فالحرمان عموما من سلطان الكهنة والأساقفة وليس من سلطان الشمامسة. والحرمان ثانيا هو سلطان صاحب الدرجة الأعلى بالنسبة للأدنى، فليس للشماس كابن للكاهن أن يحرم الكاهن من الصلاة.

٤٨ ـ هل للكاهن الخادم أن يقرأ جزء من الإنجيل القبطى ؟

سؤال :

هل يجوز للكاهن الخادم أن يقرأ جزءا يسيرا من الإنجيل القبطى ويتغاضى عن باقيته ؟

الجواب :

اعتقد أن ذلك جائزا مادام الإنجيل سيقرأ مرة أخرى باللغة العربية. وهذا الإجراء يبرره عامل الوقت، لأن قراءة الفصول الكنسية باللغتين القبطية والعربية تضاعف الوقت، علماً بأن آباءنا الأولين عندما كانوا يصلون بالقبطية كانوا يوفرون الوقت الذى نصرفه نحن اليوم فى ترجمة الفصول إلى اللغة العربية، وهى على ما نرى ضرورة لا مفر منها ولا غنى عنها لشعب يتكلم العربية ولا يسهل عليه متابعة الفصول باللغة القبطية.

٤٩ ـ قداس القديس غريغوريوس ـ الثيئولوغوس (الناطق بالإلهيات)

الابن العزيز دياكون فوزى لوندى ـ امبابة.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

رداً على سؤالكم الخاص بالقداس الغريغورى وهل هو نسبة إلى القديس غريغوريوس النازيانزى المعروف بالثيئولوغوس أسقف القسطنطينية المتوفى سنة ٣٨٩م أو نسبة إلى القديس غريغوريوس أسقف قيصرية الجديدة.

الجواب :

المعروف يقينا أن القداس الغريغورى هو المنسوب إلى القديس غريغوريوس الثيئولوغوس الناطق بالإلهيات بطريرك القسطنطينية المتوفى سنة ٣٨٩م.

ونجد ذلك مكتوبا صراحة فى كتاب الخولاجى الكبير بالقبطية والعربية (قداس القديس اغريغوريوس الناطق بالإلهيات).

٥٠ ـ الشمع على المذبح لا الكهرباء (١)

سؤال : من الدكتور كمال بباوى دوس ـ مدينة فيصل ـ السويس.

هل يمكن وضع مصابيح (لمبات) كهربائية على المذبح بدلاً من الشمع أو الشموع ؟

الجواب :

وضع المصابيح (اللمبات) الكهربائية على المذبح أمر مستحدث فى كنائسنا القبطية، وهو غير مستحب، روحيا وطقسيا وفنيا، مهما قيل من أن المصابيح (اللمبات) الكهربائية أكثر نظافة وربما أكثر أناقة.

والحق أن الإضاءة القوية على المذبح، بل وفى شرقية الهيكل، لا تناسب روح العبادة. فالإضاءة القوية أمام العينين تشتت الانتباه، وتعوق التركيز الذهنى، بينما أن الخشوع فى العبادة يتطلب الإضاءة الخافتة، وهذه قاعدة عامة معروفة ومقررة على مدى التاريخ الطويل فى المعابد جميعا وعند جميع الشعوب. وقد كان آباؤنا المصريون القدماء يحرصون على أن يكون الإظلام فى قدس الأقداس مقصودا ليبعث على الخشوع والإحترام.

وهكذا سار الأقباط فى كنائسهم ومعابدهم فى كل تاريخهم، أن تكون الإضاءة فى الهيكل خافتة، ولا تضاء إلا بالشموع، وبالقنديل فى شرقية الهيكل وفوق المذبح ليشير إلى النجم الذى وقف حيث كان الرب يسوع المسيح فى بيت لحم، عندما ولد فى المهد.

وعندما أدخلوا الكهرباء فى الكنائس، اكتفوا بأن يكون استخدامها فى سماء الكنيسة من فوق، بحيث لا تلتقى بها عيون المصلين. وأما الهيكل بل وحجاب الهيكل وهو حامل الإيقونات فيضاءان بالشمع أو بقناديل الزيت.

وفى الكنائس الأخرى، شرقية وغربية، رأينا أنهم **لا يجيزون استخدام المصابيح (اللمبات)، الكهربائية لاعلى المذبح فى الهيكل، ولا أمام الحجاب (حامل الإيقونات) وإنما هذه كلها تضاء بالشموع وبقناديل الزيت**. وهذه القناديل أمام حامل الإيقونات تحملها أيدى من النحاس أو الفضة أو المعدن بحيث ينعكس ضوؤها على الإيقونات، دون أن تسطع على عيون المصلين والعابدين.

---

(١) كتب فى ٢٤ من ديسمبر (كانون أول) لسنة ١٩٨٧م. و ٢٤ من هاتور لسنة ١٧٠٤ش.

إننا يجب، أن نلتزم بتقليدنا القديم وتراثنا القبطى المصرى الأصيل باستخدام الشمع على المذبح وكذلك قنديل الزيت فى شرقية المذبح، وعلى حامل الإيقونات وأمام صور القديسين.

إن للشمعة معنى روحيا جميلاً، إنها تذكرنا بحياة القديسين وأبطال الإيمان : لقد احترقوا بالآلام والنضال فى سبيل الإيمان، فأضاءوا حياة الكنيسة فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

ومما هو جدير بالذكر أن العلماء والخبراء، والأطباء ينصحون تلامذة المدارس والدارسين والباحثين أن يكون نور المصباح لا يواجه عين القارئ، وإنما الوضع الأفضل هو أن تكون الإضاءة من فوق الرأس أو على يسار الرأس حتى لا تحدث ضررا للعينين، كما أن الإضاءة القوية المباشرة أمام العينين تضعف قوة التركيز وحصر الانتباه، وقدرة العقل على النقد والدرس.

هذا وعند الإخصائيين من أصحاب الفنون، إن وضع المصابيح (اللمبات) الكهربائية أمام الصور والإيقونات يُتلفها ويُذهب تدريجياً بألوانها، مع طول الزمن.

ماذا أقول!... نحن الأقباط الذين تميزنا على مدى التاريخ الطويل بالمحافظة على تراثنا القديم، بتنا فى حاجة إلى وعى طقسى يردنا إلى تراثنا الجميل.

لقد تفرنجنا أكثر من الفرنجة.

٥١ ـ قسمة تقال فى صوم الميلاد
وفى صوم العذراء مريم وفى أعيادها

١ ـ يا الله الساكن فى الأعالى والناظر من علو سماه إلى قلوب المتواضعين من عبيده، الذى شاء أن يتفقدنا برحمته، وأن يجئ إلينا متجسدا من الروح القدس ومن القديسة العذراء مريم.

٢ ـ يامن وعد أبانا آدم بالخلاص، وثبت وعده المقدس لجميع الآباء، بميلاده البتولى فى ملء الزمان، من بكر بتول نقية وعفيفة، فضلّها واصطفاها على نساء العالمين، هى العذراء الدائمة البتولية، العذراء دائماً وكل حين، مريم، حواء الجديدة، فخر جنسنا، والسماء الثانية.

٣ ـ يا من أحبنا وأراد من فيض حبه ورحمته، ومن دلائل عدله وبره، وثبوت حكمه وقضائه، أن يفدينا من موت الخطيئة الأصلية، ويرفع عنا عقوبتها الأبدية، بأن يموت بديلاً عنا فى جسم البشرية، التى اتخذها من مريم العذراء أم الخلاص. وكما كانت حواء الأولى مدخل الشقاء صارت حواء الجديدة باب السماء.

٤ ـ يا من تجسد من البكر البتول، فكان وحيد الأم كما أنه وحيد الآب، وأكرم بميلاده الزمنى من العذراء دائما وكل حين، البتولية الدائمة والعفة الكاملة، وهى صورة البهاء الأولية، التى خلق عليها الأبوين الأولين آدم وحواء، وعندما كانا معا فى فردوس النعيم.

٥ ـ يامن شرف حواء الثانية بأن سكن فى أحشائها تسعة أشهر كاملة، وكون من دمها، بالروح القدس الذى حل عليها، جسداً بنفس ناطقة اتحد به، فى أقنوم واحد، وطبيعة واحدة، بغير افتراق أو انفصال، وولد منها الكلمة الذى كان ولم يزل إلهاً مباركاً إلى الأبد.

٦ ـ يا من خرج من بطن العذراء وختوم البكارة مصونة، يا من رضع من لبن العذراء، وهو الساقى كل الخليقة من نعمته، وتربى فى حضنها، ونام بين يديها، وجلس على ركبتيها، وهو الجالس على مركبة الكاروبيم، فكانت مريم العذراء له سماء ثانية ومركبة شاروبيمية وسجدت له الملائكة ورؤساء الملائكة الأطهار.

٧ ـ يا من شرف مصر بحضوره راكباً على السحابة السريعة والخفيفة، فارتجفت أوثان مصر من وجهه. وذاب قلب مصر داخلها، ولم تكن السحابة السريعة الخفيفة غير العذراء مريم، فى نقائها ورقتها وطهارتها كل حين.

٨ ـ يا من شاء أن يكرم الأمومة فى مريم العذراء، فكان خاضعاً لها، وكان دائماً يُلبى نداءها ويقبل شفاعتها، ويستجيب طلباتها.

٩ ـ يا من أودع أمه العذراء عند تلميذه الحبيب يوحنا، وجعل لها يوحنا ابنا، وفى يوحنا وهبنا العذراء أما لنا، وصيرنا لها بالإيمان أولاداً وبنين.

١٠ ـ يا من لم يشأ للعذراء أم الخلاص ـ وقد صارت تابوتا مقدسا سكن فيه الرب جسديا ـ أن يبقى هذا الجسد على الأرض فرفعه بعد موتها إلى السماء على أيدى الملائكة ورؤساء الملائكة القديسين.

١١ ـ يا من شرفنا وشرف جنسنا بأن اتخذ من مريم العذراء جسده وصعد به إلى السماء فوجد فداءً أبدياً، وجلس به على العرش، فصرنا فيه جالسين عن يمين الآب.

١٢ ـ ارحمنا واغفر خطايانا، واقبل شفاعة العذراء أمك فينا، واجعلنا مستحقين للمس جسدك المقدس ودمك الكريم والتناول منهما، حتى نجرؤ بدالة البنين، بغير خوف، أن نصرخ إليك أيها الآب القدوس السماوى ونقول : يا أبانا الذى فى السماوات...

٥٢ ـ قسمة لعيد الغطاس المجيد

١ ـ أيها المسيح إلهنا، كلمة الله الآب، الذى من أجلنا، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وحل فينا وبيننا، وأنت من طبيعة الآب ومن جوهره. ولم تفقد بحلولك فينا طبيعتك. فأنت الألف والياء، الأول والآخر، البداءة والنهاية، الكائن الذى كان والذى سيأتى والقادر على كل شئ أنت الحى الذى ذاق الموت بالجسد، وها أنت حى إلى أبد الآبدين.

٢ ـ ياربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا ومالكنا يسوع المسيح، الله الكلمة الذى به كان كل شئ، وبغيره لم يكن شئ مما كان، الأول قبل الخليقة، والكائن الأزلى قبل كل الدهور، وبك وفيك تقوم كل الأشياء، ومن به وله كل شئ قد خلق، والمالئ الكون بلاهوته، ومع ذلك تنازل أن يتقدم إلى عبده وخادمه يوحنا، لينال من يده العماد، فلما اعترض يوحنا قائلاً : أنا محتاج أن أنال المعمودية منك وأنت تأتى إلىَّ؟ أجبته قائلاً : اسمح بهذا الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نتمم كل بر. فبمثالك رسمت لنا سر العماد، وكشفت عن ضرورته للخلاص إذ قلت لنيقوديموس الحق الحق أقول لك إن الإنسان مالم يولد ثانية من فوق، من الماء والروح لا يُمكنه أن يدخل ملكوت الله.

٣ ـ أنت ابن الله الوحيد، الكائن فى حضن الآب كل حين، وقد شهد عنك المعمدان قائلاً أنا أعمدكم بالماء من أجل التوبة. أما الذى يأتى بعدى فهو أقوى منى. وأنا لست مستحقاً أن أحمل حذاءه، ولست مستحقاً أن أنحنى وأحل رباط حذائه. إنه سيعمدكم بروح القدس وبالنار.

٤ ـ فلما رآك يوحنا وأنت صاعد من الماء ورأى السماوات تنشق، وقد انفتحت لك، والروح القدس ينزل فى هيئة جسمية، مثل حمامة، مُقبلاً عليك، ويستقر على رأسك الإلهى، وإذا صوت الآب يجئ من السماء قائلاً : أنت هو ابنى حبيبى الذى به سررت، شهد عنك يوحنا قائلا: هوذا حمل الله الذى يحمل ويرفع خطيئة العالم. هذا هو الذى قلت عنه : يأتى بعدى رجل يتقدمنى لأنه كان قبلى وأنا لم أكن أعرفه لكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء، هو الذى قال لى : إن الذى تبصر الروح ينزل ويستقر على رأسه هو الذى يعمد بروح القدس. وأنا قد أبصرت وشهدت بأن هذا هو ابن الله.

٥ ـ ها نحن نقر يا سيدى ومخلصى بربوبيتك وألوهيتك، ونعترف بأنك المسيح الله ابن الله الحى، وأنك واحد مع الآب والروح القدس، إله واحد فى ثالوث، وثالوث فى واحد. ونؤمن أنك أنت هو الله الظاهر فى الجسد، وأن من رآك فقد رأى الآب، وأنك كائن فى الآب، والآب كائن فيك، وحال معك ومع الروح القدس فى الجوهر الواحد الأحد.

٦ ـ يا من قبلت المعمودية من عبدك يوحنا، ونلت بعد العماد مسحة الروح القدس كإنسان، فصرت تسمى بالمسيح والملك والنبى والكاهن، نشكرك لأنك أعطيتنا نحن أيضاً عبيدك الحق والسلطان لأن نكون بالإيمان وبسر المعمودية المقدس أبناء الله، وأن نمتلئ بسر المسحة المقدسة فى الميرون، من روح القدس، ونصير بهذه العطية الصالحة مدشنين ومقدسين لله، وتصير أعضاؤنا أعضاء المسيح.

٧ ـ أعنا يارب على رضاك، وعلى العمل بوصاياك، وأضرم يا خالقنا ومخلصنا موهبة روحك القدوس فينا، بعبادة عقلية روحانية، فنقدم أجسادنا ذبيحة حية مقدسة مقبولة مرضية عند الله.

وامنحنا أن نكون مستحقين للتقرب من شجرة الحياة الحقيقية المعطية الحياة للروح والنفس والجسد، وهى جسدك المقدس ودمك الكريم فنأكل منها ونشرب ونحيا إلى الأبد.

طهر أرواحنا ونفوسنا وأجسادنا ونياتنا وأفكارنا لكى نجرؤ بدالة البنين وبغير خوف، أن نصرخ نحوك أيها الآب السماوى ونقول : يا أبانا...

٥٣ ـ قسمة صوم وعيد الرسل

١ ـ يا الله الآب السماوى، القادر على كل شئ، أبا ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح الذى دعا له اثنى عشر رسولاً ليكونوا له تلاميذ، وسبعين آخرين، وأعطاهم السلطان على أن يشفوا المرضى ويطهروا البرص، ويطردوا الشياطين والأرواح النجسة ويقيموا الموتى، وليكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، ويعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس.

٢ ـ يا من أقام تلاميذه القديسين ورسله الأطهار ليكونوا رؤساء كهنة العهد الجديد، يكرزون ويعلمون ويباركون ويقدسون المؤمنين، بالروح القدس الذى أعطاهم، ويقبلون التائبين،ويغفرون لهم خطاياهم، ويجعلونهم أهلاً لتناول أسراره المقدسة غذاء لنفوسهم، وقوتاً لأرواحهم، للحياة الأبدية.

٣ ـ يا من نفخ فى وجوه تلاميذه القديسين ورسله الأطهار، ومنحهم السلطان على أن يدوسوا الحيات والعقارب، وكل قوة العدو الشيطان، وأن يتعهدوا المؤمنين بوسائط الخلاص، وأن يكونوا له وكلاء على الأرض، ومستودعاً لمواهبه الخلاصية واستحقاقاته الكفارية، يوزعونها على مستحقيها، ووكلاء أسراره المحيية.

٤ ـ يا من سكب على تلاميذه القديسين بعد صعوده إلى السماء مواهب الروح القدس، روح الحق المنبثق من الآب، فقدسهم وبررهم وطهرهم وملأهم من كل حكمة وفهم ومشورة وشجاعة وقوة، وصيرهم قادرين على أن يتنبأوا، ويتكلموا باللغات، ويفتنوا بإنجيل الخلاص المسكونة كلها.

٥ ـ اللهم يا من وَكَلَ إلى تلاميذه القديسين ورسله الأطهار أن يقيموا من بين المؤمنين أساقفة وقساوسة وشمامسة، لخدمة إنجيل الملكوت، ورعايته قطيع المسيح، وتدبير كنيسته المقدسة.

٦ ـ وبعد أن كرزوا وعلموا وقدسوا، وأقاموا لهم خلفاء، ووكلاء، وعرفاء، لم يحسبوا نفوسهم ثمينة لديهم. فبذلوا حياتهم من أجل اسمك القدوس فى أسفار وفى أسهار، وفى أصوام، وفى أتعاب كثيرة، وبعد أن قاسوا عذابات أليمة ماتوا رجما أو حرقا أو صلبا أو قطعت رؤوسهم فنالوا إكليل الشهادة وإكليل الرسولية.

٧ ـ فبطرس الرسول مات مصلوبا منكساً، وبولس الرسول قطعت رأسه بالسيف، ومرقس الرسول سحلوه مربوطاً فى شوارع الأسكندرية، فتقطعت أوصاله، وتهشمت عظامه، وسالت دماؤه، فكانت بركة لبلادنا المصرية، وكنيستنا الأرثوذكسية.

٨ ـ الهم، اقبلنا نحن أيضاً طاهرين بلا عيب أمامك، ونق بروحك القدوس وبسر القربان المحيى، أرواحنا وأنفسنا وأجسادنا، بل أيضا أفكارنا، وقلوبنا، ونياتنا، حتى نجرؤ بمحبة غير غاشة، وثقة غير ناقصة، ودالة بغير مخادعة، أن نصرخ نحوك أيها الآب القدوس، السماوى، بالصلاة التى علمتها لتلاميذك الأطهار، قائلين : يا أبانا .....

٥٤ ـ قسمة تقال فى الصوم الكبير
إلى جمعة ختام الصوم

١ ـ أيها الآب السماوى، الله أبونا وسيدنا القادر على كل شئ الذى أحبنا نحن البشر، ومن فيض حبه أرسل ابنه الوحيد إلى العالم، متجسدا من الروح القدس ومن مريم العذراء ليخلصنا من عبودية الجحيم ومن العقوبة الأبدية المحكوم بها عدلاً على جنس البشر.

أيها الابن الوحيد، كلمة الله الآب، الذى اتخذ الجسد حجاباً استتر فيه واتحد به، ورسم لنا بشخصه طريق الكمال، والقداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب.

٢ ـ أيها المسيح إلهنا، الذى فدانا بدمه وعلمنا مراسم العبادة الصادقة، المقبولة عند الله ذبيحة مرضية، بالعقل والقلب وخلوص النية، وطهارة الروح والفكر والجسم.

٣ ـ أيها الرب مخلصنا وفادينا وملكنا ومالكنا، أنت الذى علمتنا ذبيحة العطاء وأعمال الرحمة والصدقة بالفقراء وأصحاب الحاجات والبذل بسخاء وسرور حبا فى الله وخير القريب وخدمة الإنجيل، وقال : إذا فعلتم ذلك بأى من أصغر إخوتى فبى فعلتم، وإذا لم تفعلوا ذلك بأى من أصغر هؤلاء، فبى لم تفعلوا.

٤ ـ أيها الرب الذى علم تلاميذه القديسين الصلاة الربانية وأوصى الجميع قائلاً : اعملوا لا من أجل الطعام الفانى وإنما من أجل الطعام الباقى للحياة الأبدية. هذا هو خبز الحياة الحقيقى ليأكل منه الإنسان، فلا يموت. وقال أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء. من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى أعطيه أنا هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم. الحق الحق أقول لكم : مالم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه لا تكون لكم حياة فى أنفسكم. من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير. لأن جسدى هو طعام حقاً، ودمى هو شراب حقا. من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى، وأنا أيضا أقيم فيه.

٥ ـ يارينا وإلهنا ومخلصنا يَسوع المسيح، يا من صام عنا أربعين يوماً وأربعين ليلة بسر لا ينطق به، وعلمنا أننا بالصوم والامتناع عن طعام الجسد، نشكم شهوة البدن، ونسكت شغب الجسم، ونضبط الفكر والنفس، ونسكن ثورة الحس، ونرفع العقل والقلب والروح، لكى نستطيع أن ندرك مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعلو والعمق، وأن نعرف محبة المسيح التى تفوق كل معرفة لكى نمتلئ إلى كل ملء الله.

٦ ـ يا من قبل صوم أهل نينوى من كبيرهم إلى صغيرهم الذين صلوا إليه وتذللوا بمسوح الإتضاع، فرحمهم ورفع غضبه عنهم.

يا من بالصوم والصلاة تأهل نبيك موسى أن يعاين بهاء الرب على الجبل المقدس، ويتسلم الشريعة والوصايا العشر المكتوبة بإصبع الله.

٧ ـ بالصوم والصلاة نجا دانيال من جب الأسود، وتخلص الفتية الثلاثة من أتون النار، وهزم القديسون قوة الشياطين، وقهروا ممالك، وغلبوا أعداءهم الروحيين والجسديين، الخفيين والظاهرين.

٨ ـ وبالصوم والصلاة انتقل أخنوخ وارتفع إيليا فى العاصفة إلى السماء بمركبة من نار وخيل من نار، وبهما تنبأ الأنبياء ونطقوا بالروح القدس عن مجئ المسيح، قبل مجيئه بأجيال كثيرة.

٩ ـ بالصوم والصلاة، سلك تلاميذ المسيح ورسله الأطهار، فنالوا موهبة الروح القدس فى يوم الخمسين وتكلموا باللغات، وكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، وتلمذوا كثيرين فى جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس.

١٠ ـ وبالصوم والصلاة تقوى الشهداء، واحتملوا الآلام من أجل اسم المسيح، فرجموا ونشروا، وسجنوا وضربوا، وطرحوا للأسود والحيوانات الضارية، وتهشمت أعضاؤهم، وتحطمت عظامهم وسالت دماؤهم، وأظهروا من ضروب البسالة والشجاعة ما أرهب معذبيهم وأذهل مضطهديهم، فبهروا بشدة إيمانهم، ودهشوا لعظمة صبرهم ووفائهم لسيدهم يسوع المسيح.

١١ ـ وبالصوم والصلاة، عاش عباد ونساك وزهاد، متوحدين فى عمق البرارى والصحارى، وفى المغارات وشقوق الأرض، وفوق الجبال والتلال، تائهين سائحين محتملين الحر والبرد والعرى وشظف العيش، متجردين من القنية ومن كل مظاهر الحياة السهلة الرخية، من أجل عظم محبتهم فى الملك المسيح.

١٢ ـ يا رئيس الحياة، يامن علمتنا أننا بالصوم والصلاة نطرد الشياطين ونكسر شوكة إبليس، ونطفئ سهامه الملتهبة ناراً، ونهدم حصون الشر، ونغلق أبواب الجحيم، اقبل منا صومنا وصلواتنا عبادة مقبولة، وامنحنا غفران خطايانا، وهب لنا أن نغلب ميولنا الأرضية ورغباتنا اللحمية وأن نميت حواسنا الجسمانية، فنسلك بالروح ولا نتمم شهوة الجسد، لكى نتأهل لأن نأكل من شجرة الحياة الحقيقية. فنحيا إلى الأبد.

واجعلنا مستحقين بقلب طاهر، ونفس مستنيرة، ووجه غير مخزى، ومحبة كاملة، وإيمان بلا رياء، ورجاء ثابت أن نصرخ نحوك أيها الآب القدوس السماوى ونقول : يا أبانا الذى فى السموات.....

٥٥ ـ قسمة تقال فى عيد القيامة المجيد

١ ـ أيها الرب، ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذى بعد أن تمم الفداء وأجرى الخلاص بسفك دمه على الصليب من أجلنا، قام من بين الأموات فى اليوم الثالث ناقضاً أوجاع الموت فإنه ما كان يمكن للموت أن يمسكه. حينئذ تم قول الكتاب لقد ابتلع الموت فى الغلبة، فأين غلبتك أيها الموت، وأين شوكتك أيها الجحيم.

لم يقف على قبرك يا مخلصى أحد ليقيمك من الموت كما وقفت بعظمتك على قبر لعازر، وإنما قمت يا سيدى بسلطان لاهوتك. فأنت الحى الذى ذاق الموت بالجسد، وها أنت الحى إلى أبد الآبدين.

٢ ـ لقد نزلت يا مخلصى إلى الجحيم، واقتحمت أبوابه النحاس ومتاريسه الحديد، وأشرقت بنورك على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت، وأطلقت سراح المحبوسين فيه، وعتقت المحكوم عليهم بالأسر وبالعبودية. سبيت سبياً، وأعطيت الأتقياء كرامات، ونقلت أبانا آدم وبنيه إلى الفردوس، هؤلاء الذين سبق الروح القدس فناداهم قائلاً : إلى العتق يا أسرى الرجاء، من الجب الذى ليس فيه ماء.

٣ ـ لقد اشتهى إبراهيم أبو الأنبياء متهللاً أن يرى يومك، يوم الخلاص والفداء، فلما نزلت يامخلصى إلى العالم السفلى الذى كانت أرواح الموتى سجينة فيه، ابتهج وفرح مع جميع الذين كانوا قد نظروا المواعد وحيوها عن بعد، فرحا لا ينطق به ومجيداً. فكان يوم هذا اللقاء هو سبت الفرح لهم وسبت النور، إذ أنت النور الحقيقى، نور من نور، ومسكنه نور لا يقترب منه.

٤ ـ بموتك يا سيدى على الصليب، أعلنت الطبيعة مجدك. فالأرض تزلزلت، والصخور تشققت والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامتك، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين معلنين فرحهم بالإفراج الذى طلبوه فنالوه، وأنه ليس لأحد بغيرك الخلاص.

٥ ـ ميخائيل رئيس الملائكة نزل من السماء ودحرج الحجر عن باب القبر وجلس عليه، وبشر النسوة حاملات الطيب قائلاً :

المسيح قام من بين الأموات. بالموت وطئ الموت، وأنعم على الذين فى القبور بالحياة الأبدية.

٦ـ لقد أظهرت يا مخلصى قيامتك لكثيرين، ظهرت أولاً لمريم المجدلية وأمرتها قائلاً : اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إننى سأسبقهم إلى الجليل، هناك يروننى. وظهرت أيضاً لمريم العذراء، ومريم أم يعقوب وظهرت لتلاميذك مجتمعين ولم يكن معهم توما، وظهرت لهم ومعهم توما، وظهرت لتلميذى عماوس، لوقا وكليوباس، ولسمعان بطرس، ولسبعة من تلاميذك على بحر طبرية، وظهرت أيضا ليعقوب، وظهرت لأكثر من خمسمائة من التلاميذ والمؤمنين، توكيداً لحقيقة قيامتك المجيدة.

٧ ـ وعندما شك تلميذك توما فى حقيقة قيامتك وقال : إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير وأضع فى موضع المسامير إصبعى وأضع يدى فى جنبه لا أؤمن، ظهرت لهم فى اليوم الثامن لقيامتك وقلت لتوما (هات إصبعك إلى هنا، وأبصر يدى، وهات يدك وضعها فى جنبى، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمنا. عندئذ تقدم توما ولمس بإصبعه أثر المسامير فى يديك وقدميك، ووضع يده فى جنبك الإلهى، فلمس بيده نار لاهوتك وتبين أنك بالحقيقة نار آكلة، فصرخ لوقته وقال، ربى وإلهى، فسمع القضية الحقيقية : لأنك رأيتنى يا توما آمنت، طوبى للذين لم يروا وآمنوا.

٨ ـ لقد قمت يا مخلصى بذات الجسد الذى صلبوه، وعندما دخلت على تلاميذك والأبواب مُغلَّقَة، وظنوك روحا قلت لهم : ما بالكم مضطربين، ولماذا تثور شكوك فى قلوبكم. انظروا إلى يدىّ وإلى قدمىّ. إنى أنا هو بنفسى، جسونى وتحققوا، فإنه ليس للروح لحم ولا عظام كما ترون لى، ثم أريتهم يديك وقدميك، فاستولى عليهم ذهول شديد وفرح عظيم.

٩ ـ ونفخت فى وجوه تلاميذك القديسين ورسلك الأطهار قائلاً : اقبلوا روح القدس. من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم ومن أمسكتموها عليهم تمسك عليهم.

١٠ ـ لهذا نسألك يا سيدنا طهر أرواحنا ونفوسنا وأجسادنا، لنعرف القوة التى تجلت فى قيامتك، ونشارك فى آلامك ونتشبه بك فى موتك على رجاء قيامتنا، على قياس قيامتك المجيدة، ونتأهل للتناول من أسرارك المحيية ولكى نجرؤ بقلب طاهر، وضمير صالح، وإيمان بلا رياء، ومحبة كاملة، أن نصرخ نحوك أيها الآب السماوى ونقول : أبانا الذى فى السماوات...

٥٦ ـ قسمة تقال فى عيد الصعود الإلهى

١ ـ أيها المسيح إلهنا الذى شاء بعد قيامته المجيدة من بين الأموات أن يظهر لتلاميذه القديسين مدة أربعين يوماً يكلمهم عن الأمور المختصة به فى كل الأسفار المقدسة، مؤكداً على حقيقة موته وقيامته، ويكلمهم عن ملكوت الله، وأوصاهم وصايا، ورسم لهم مراسم العبادة المقبولة ونظاماتها وترتيباتها، وعلمهم تدبير الكنيسة، وعهد إليهم بقيادتها ورعايتها، ثم أخذهم إلى جبل الزيتون، ورفع يديه وباركهم، وفيما هو يباركهم افترق عنهم وصعد إلى السماء، ورأوه بعيونهم وهو يرتفع عنهم، وظلوا شاخصين بأعينهم نحو السماء، وهو منطلق إلى السماء فى مجد عظيم. لقد صعد الله بهتاف، صعد الله بصوت البوق.

٢ ـ لقد شئت يا سيدى أن يكون صعودك لا سرا ولا فى الخفية، بل فى العلن وأمام تلاميذك القديسين ورسلك الأطهار وسائر المؤمنين المجتمعين على الجبل، معلناً بذلك حقيقة صعودك إلى السماء يقينا وجلوسك عن يمين العظمة فى الأعالى.

٣ ـ يامن فدانا بدمه الثمين، وبعد أربعين يوماً من قيامته ارتفع واجتاز السماوات، ودخل السماء عينها وهو رئيس كهنة الخيرات الجديدة وجلس عن يمين القدرة، منتظرا بعد ذلك أن يجعل أعداءه موطئا لقدميه. وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل الأقداس مرة واحدة فوجد فداء أبدياً.

٤ ـ ما من أحد صعد إلى السماء إلا ذلك الذى نزل من السماء. وبعد أن قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين عرش الجلال فى السماوات، فخضعت له الملائكة ورؤساء الملائكة وسجدت وخرت أمام الحى إلى أبد الآبدين.

٥ ـ يا من بمجيئه الأول أخلى ذاته من صورة الرب وقبل صورة العبد، أخلى ذاته من صورة المجد وقبل صورة الهوان، فبصعوده إلى سماء السماوات دخل إلى حيث مجده واستوى على عرش الله، إلهاً مباركا إلى الأبد.

لقد أخذت يا مخلصى طبيعتنا الترابية، واتحدت بها، وبعد أن طهرتها وقدستها صعدت بها إلى السماء، وجلست بها على عرش القدرة، فصرنا نحن فيك شركاء الطبيعة الإلهية، وأصبحنا جالسين معك وفيك عن يمين الآب.

٦ ـ فإذ صار لنا ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع المسيح ربنا، سبيلاً جديداً حيا كرّسه لنا فى الحجاب، أى فى جسده، فلنتقدم بقلب صادق وإيمان كامل إلى الله الآب بعد أن اغتسلنا بدمه من خطايانا، ولنسابق بالصبر فى الجهاد المعروض أمامنا. فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعد ما حصلنا على معرفة الحق، فلا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا، وإنما انتظار دينونة رهيبة وغيرة نار عتيدة أن تأكل العصاة.

٧ ـ أنت الآن يا مالكنا وملكنا طهر أرواحنا وأنفسنا وأجسادنا لنكون أهلاً لنعمتك فنتناول من شجرة الحياة الحقيقية المعطية الحياة للنفس والجسد والروح، وهى الجسد المقدس والدم الكريم.

ارفع قلوبنا فوق لنعاين مجدك، وامنح عقولنا أن تظل شاخصة نحوك بتقوى وبر، واجعلنا مستحقين أن نقول بشكر، أبانا الذى فى السماوات...

٥٧ ـ لا يخرج المصلون من الكنيسة قبل التسريح الختامى

سؤال : من السيد / عوض الله عزيز عوض الله ـ طنط الجزيرة ـ قليوبية.

يقول : هل يعتبر خطأ خروج الشعب ودخوله اثناء القداس الإلهى سواء بعد قراءة الإنجيل أو بعد الوعظ، أو فى أى وقت آخر ؟

الجواب :

تقضى آداب العبادة أن يذهب المصلى العابد مبكرا إلى الكنيسة عند بدء القداس الإلهى، فيشترك فى صلوات المزامير ورفع الحمل وما يتلو ذلك من الصلوات والقراءات، وليس من اللائق أن يتأخر عن بدء خدمة القداس.

ألا ترى أنه إذا تقرر ذهاب رئيس الدولة إلى مكان ما، أن جميع المدعوين وعلى رأسهم كبار المسؤولين فى الدولة ينبغى أن يصلوا إلى المكان قبل وصول رئيس الدولة بوقت كاف، حتى يكونوا فى شرف استقباله، وذلك من قبيل اللياقة والكياسة، والاحترام الجدير برئيس الدولة. وإنى أترك لتقديركم كم يكون منتقدا وصول أحد المدعوين، ولا سيما إذاً كان من كبار المسئولين، متأخرا عن وصول السيد الرئيس ؟

إن أقل واجبات اللياقة والأدب الدينى والكنسى، أن يتواجد المصلّون بالكنيسة عند بدء القداس الإلهى، حيث نحتفل بحضور ملك الملوك ورب الأرباب ورئيس الرؤساء.

وإذا كان ذلك كذلك، فينبغى أن لا يخرج المؤمنون المصلّون قبل نهاية الخدمة وقبل سماع التسريح الختامى «امضوا بسلام، وسلام الرب يكون معكم».

وفى كتب الكنيسة، يشبه من يخرج من الكنيسة قبل نهاية الخدمة وقبل سماع التسريح الختامى، بيهوذا الاسخريوطى، الذى خرج قبل نهاية الاجتماع الذى عقده المسيح مع تلاميذه فى خميس العهد «خرج للوقت، وكان ليلاً» (يوحنا ١٣ : ٣٠).

وجاء فى قوانين الرسل «وكل من يدخل إلى الكنيسة، ويسمع الكتب ولا يقف إلى أن تفرغ الصلوات، يجب أن يفرق (= أى يفرز) (قانون ٧ من المجموعة الرسولية الثانية).

وجاء فى قوانين القديس باسيليوس الكبير «ولا يخرج أحد من الكنيسة بلا ضرورة من بعد قراءة الإنجيل المقدس، إلا بعد رفع القربان وبركة الكاهن والتسريح» (قانون ٩٧).

٥٨ ـ السجود والميطانيات

سؤال :

أرجو إعطاء فكرة عن السجود والميطانيات سواء لله أو لرجال الله.

الجواب :

السجود طريقة من طرائق التعبد، والسجود يأخذ صور مختلفة، فالسجود الكامل هو أن الإنسان يسجد حتى يضع جبهته على الأرض لكن هناك أيضاً ما يسمى بالركوع، والركوع أن الإنسان ينحنى بركبتيه على الأرض من غير أن يضع جبهته على الأرض، وكلمة خر تعنى ركع، فيصح أن الإنسان يخر ولكنه لا يسجد، ويصح أن الإنسان يركع ولكنه لا يسجد، إنما إذا أردنا السجود الكامل هو أن الإنسان ينزل بكل قامته إلى الأرض بحيث أن رأسه تلمس الأرض... هذا هو السجود الكامل.

الميطانية الحقيقة كلمة غير عربية، ولو إنه اشتقت منها كلمة طأمنة، طأمنة فى اللغة العربية بمعنى إنحنى، إنما ميطانية استخدامها فى المصطلح الكنسى هى التوبة، ميطانية كلمة يونانية دخلت إلى القبطية، فصارت الميطانية بمعنى التوبة، لأن من علامات التوبة ومن دلائل التوبة السجود بالكامل، لأن الإنسان وهو تائب بيسجد، فصارت السجدة تسمى ميطانية، إنما هذا نوع من أنواع تسمية الشئ، فهناك كلمة تأخذ أكثر من اسم، فالميطانيات هى السجدات، وإذا أردنا المقابل الأجنبى لكلمة ميطانية تقابل Prostration إنما هى أصلا كلمة توبة ولكن اقترن بها السجود، فأصبحت كلمة الميطانية بمعنى السجود، إنما الميطانية أصلا بمعنى التوبة.

ثم يسأل فيقول إعطاء فكرة عن السجود والميطانيات سواء لله، أو لرجال الله، هنا المعنى يختلف، فالسجود لله عبادة، أما السجود لغير الله فإكرام، وهذا موجود حتى اليوم، الإنسان عندما يقابل شخص عظيم ينحنى أمامه، فهذا الإنحناء نوع من السجود، وهذا غير السجود لله، السجود لله مثل ما قال أبونا إبراهيم لغلاميه «اجلسا أنتما هنا مع الدابة أما أنا وابنى فنذهب ونسجد ثم نرجع إليكما» هنا السجود سجود لله، وقد وردت فى الكتاب المقدس أمثلة عديدة جدا للسجود للبشر، فمثلا أبونا إبراهيم سجد لشعب الأرض، لكى يشترى حقل المكفيلة ليدفن فيه زوجته سارة، هنا السجود بمعنى الاحترام وورد عن ناثان أنه سجد أمام داود. وداود سجد أمام ناثان، وورد أيضا أن سليمان الحكيم سجد أمام أمه، فأمثلة كثيرة لا حصر لها عن سجود البشر لبعضهم البعض، عندما يشعر أن هذا أسمى منه مركزا أو أعلى مقاما، فهذا الإنحناء أو هذا السجود على الأرض، إذا كان للبشر يكون للاحترام.

٥٩ ـ هل تجوز ممارسة الميطانيات أيام الآحاد؟

سؤال: من أحد الأبناء: هل تجوز ممارسة المطانيات أيام الآحاد؟

الجواب:

المطانيات وهى «السجدات والركعات» ممنوعة أيام الأحد والسبت وفى الأعياد، وفى كل الخمسين المقدسة، ـ حتى بالنسبة للرهبان والعبّاد والنساك. ذلك لأن الصلاة الساجدة «جثونا على ركبنا على الشاطىء وصلينا» (أعمال الرسل ٢١ :٥) تعبير عن الإذلال والانسحاق والألم والحزن، أما فى الآحاد والأعياد والخمسين المقدسة فمنعت الكنيسة المطانيات لفتا لنظر المؤمنين إلى أن المسيح قد رفع رؤسنا، وأقامنا معه.

ولهذا السبب عينه تأمرنا الكنيسة بالوقوف أثناء قراءة الإنجيل، لفتا لنظرنا إلى **أن المسيح قد رفع رؤسنا**، فإذا دخل المؤمن الكنيسة أثناء قراءة الإنجيل فيؤجل سجوده أمام الهيكل حتى يفرغ القارىء من قراءة الإنجيل.

وعلى نفس القاعدة تمنع الكنيسة المؤمن من القيام بالمطانيات بعد التناول من الأسرار المقدسة مباشرة، احتفاء بسر التناول الذى ننال به نعمة تشتهى الملائكة أن تطلع عليها وأن تراها.

جاء فى القانون العشرين من قوانين مجمع نيقية المسكونى الأول:

حيث أن قوما يحنون الركب فى الكنيسة فى أيام الأحاد وفى أيام الخمسين قد لاح للمجمع المقدس، لكى تكون كافة الأمور محفوظة بالانتظام فى جميع الإيبارشيات، أن يكون من الأفضل **أن نرفع الصلوات لله ونحن منتصبون وقوفاً.**

وجاء فى كتاب القوانين الذى جمعه الشيخ ابن العسال:

«**فأما الأوقات المأمور فيها بترك السجود** إلى الأرض دون الإنحناء والركوع **فهى أيام الأحاد، والأعياد السيدية وبعد تناول القربان**» (الباب الثالث عشر ـ مادة ١٣).

«**ولا يكن فى أيام الآحاد والأعياد المجيدة سجود لأنها أيام فرح**. ولذلك ينبغى أن تبطل (المطانيات) فى أيام الآحاد والأعياد وهذا الباب بغير حرم». (باب ١٩ ـ مادة ٣).

وجاء فى كتاب «اعترافات الآباء» وهو من مصادرنا الكنسية.

لا يضلك أحد أن تصوم فى أيام الآحاد المقدسة، **ولا تركع فيها ولا فى لياليها، ولا فى أيام الخمسين المقدسة، ولا من بعد ما تنال من الأسرار المقدسة فى كل يوم يكون فيه قداس**، لأن هذه الأفعال ليست من حدود الكنيسة».

وجاء فى كتاب «الدر الثمين فى إيضاح الدين» للعلامة الأنبا ساويرس بن المقفع اسقف الأشمونين.

«سبعة أسابيع فطير (الخمسين المقدسة) لا نصوم فيها، ولا نسجد...» (المقالة الرابعة - صفحة ١٤٢).

٦٠- الهدوء التام فى الكنائس

سؤال: من الأستاذ فؤاد يسى

مدير عام بجريدة. وطنى

هل توزيع الملبس بالأفراح فى حفلات الزفاف بالكنائس يتنافى مع تقاليد الدين المسيحى والطقوس الكنسية.

الجواب:

يمكن توزيع الملبس فى حفلات الزفاف بالكنائس عند خروج المهنئين من الكنيسة. فإن توزيع هذه الأشياء أثناء صلوات قداس الإكليل يفتح مجالاً للهرج والفوضى بما يتنافى مع الوقار اللائق بالكنيسة، وبقداس الإكليل الذى يجب أداؤه ومتابعته بالخشوع والتقوى والهدوء وروح التعبد.

٦١- التصفيق بالأيدى

سؤال : من الأب المحترم القس متى وديع سامى - كاهن كنيسة العذراء بسفلاق - ساقلته.

يقول: ما هو التفسير لقول «المزمور «يا جميع الأمم صفقوا بالأيادى، اهتفوا لله بصوت الابتهاج» (مزمور ٤٦ :١) وعلى ذلك فهل يجوز التصفيق فى الصلاة، وفى بيت الله، فإن اتباع بعض المذاهب البروتستانتية يجيزون ذلك بل يمارسونه كما هو الحال مثلاً عند الاصلاح؟.

الجواب

هذا المزمور هو ترتيل النصر، وتهليل الابتهاج بصنيع الرب، عندما أرسل ملاكه استجابة لصلاة حزقيا ملك يهوذا، وقتل من جيش سنحارب ملك الأشوريين مائة ألف وخمسة ثمانين ألفا من رجاله، وبعد أن كان الملك الوثنى ورئيس جيشه مزهوا بقدرته، رجع خائبا مهزوما إلى نينوى وهناك قتله ابناه. (٢ . الملوك ١٨ : ١٩)، (٢ . أخبار الأيام ٣٢ : ١ – ٢٣).

هذا المزمور إذن يشيد بالنصر الذى أحرزه بنو إسرائيل على الأشوريين بفضل الرب إلههم، الذى أرسل ملاكه من السماء وقتل أعداءهم الأقوياء، ورجع بعد ذلك صاعداً إلى السماء.

على أن هذا المزمور ينوه من قبيل النبوءة، إلى المسيح الفادى والمخلص، الذى بعد أن يحرز النصر على أعدائه من الشياطين وعملائهم من بنى البشر، يصعد إلى السماء، ويدخل إلى مجده (لوقا ٢٤ :٢٦)، (١ . كورنثوس ١٥ :٢٥)، ويجلس على عرش العظمة فى الأعالى، «وملائكة وسلاطين وقوات مخضعة له» (١ . بطرس ٣ :٢٢)، منتظرا بعد ذلك حتى توضع جميع أعدائه موطئا لقدميه (العبرانيين ١٠ :١٣).

ومن هنا كانت الإشارة فى المزمور إلى صعود المسيح إلى السماء «صعد الله بهتاف... فإن الله هو ملك الأرض كلها... الله استوى على عرش قدسه» (مزمور ٤٦ : ٥–٨).

وقد كان بنو إسرائيل يرتلون هذا المزمور فى بدء السنة الجديدة، ذاكرين رحمة الله بهم، ونصرته لهم على أعدائهم، راجين فى بدء كل عام جديد أن يوالى السيد الرب نعمته عليهم، وينصرهم، ويرفع شأنهم، ويخضع أعداءهم تحت أقدامهم. وكانوا عادة يخرجون بتابوت العهد ويزفونه حول الهيكل فى إحتفال دينى رهيب وهم ينشدون المزامير والتسابيح، وبآلات العزف

والأبواق، ثم يردون تابوت العهد إلى موضعه كما كان. وهم يشيرون بهذا إلى خروج الرب لنصرتهم، ثم يعود إلى عرشه بعد أن يكون قد هزم أعداءهم... ومعناه أيضاً أنه يعود ليسكن معهم ليرعاهم ويحميهم، ويكون معهم إلهاً لهم، وهم يكونون له شعباً.

ويلاحظ أن هذا المزمور ترتله كنيستنا المسيحية فى المناسبات الآتية:

عشية الأحد الأول من شهر طوبة.

باكر الأحد الرابع من شهر بشنس.

عشية اليوم الثامن والعشرين من شهر مسرى.

كذلك يتلوه الكاهن بعد منح التسريح للشعب فى نهاية خدمة القداس، فيقبل الكاهن المذبح، ويدور حوله دورة واحدة، وهو يرتل هذا المزمور- قبل أن يخلع ملابس الخدمة وقبل أن يوزع على الشعب، الأولوجية أى خبز البركة.

أما عن سؤالكم: هل يجوز التصفيق فى الصلاة تبعا لقول المزمور: يا جميع الأمم صفقوا بالأيادى - كما تفعل على قولكم بعض المذاهب البروتستانية مثل مذهب الاصلاح مثلا؟.

فنجيب: ليس هناك - من حيث المبدأ - ما يمنع، إذا كانت قيادة الترتيل والترنيم فى الكنيسة لا ترى فى التصفيق ما يتعارض مع الأداء الموسيقى. (١).

علما بأن هذا التصفيق كان عند بنى إسرائيل يمارسونه فى مناسبات خاصة، وأيام معينة هى التى يذكرون فيها خلاص الله لهم من أعدائهم. ولم يكن جزءا ثابتا من العبادة اليومية. وكان التصفيق بالأيدى فى هذه الحالة يتمشى وينسجم مع أنغام الموسيقى الدينية الآلية المستخدمة فى تلك المناسبات.

لذلك فإن فى كنيستنا المسيحية لا نرى مبررا لهذا التصفيق بالأيدى، وقد حل محله الضرب بالناقوس أو الصنوج، والمثلث، فإنه يؤدى الغرض ويتمشى مع الموسيقى المستخدمة فى كنائسنا.

أضف إلى ذلك أن التصفيق بالأيدى لا يمارس فى أى من الكنائس المسيحية الرسولية، وليس فى كنيستنا القبطية فقط بل أيضاً فى جميع الكنائس الأرثوذكسية القديمة، ولا وجود له فى جميع الكنائس الشرقية التى تتبع الطقس البيزنطى، ولا فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، ولا حتى فى الكنائس الانجليكانية، أو اللوثرية، أو المشيخية فلا تستخدمه إلا قلة ضئيلة جداً هى على قولكم بعض الكنائس المسمى بكنائس مذهب الاصلاح.

---

(١) يستخدم التصفيق فى بعض الكنائس الأرثوذكسية مثل كنيسة أثيوبيا وكنيسة ارتيريا.

٦٢- منع الزغاريد فى بيت الله (١)

سؤال: من الأستاذ فؤاد يسى

مدير عام جريدة وطنى.

هل من سلطة المطران أو الأسقف فى أى إيبارشية أن يصدر قراراً بمنع توزيع الملبس بالكنائس - أو إطلاق الزغاريد فى مناسبات الزفاف.

الجواب

نعم، **إن من سلطان المطران أو الأسقف فى إيبارشيته أن يمنع توزيع الملبس بالكنائس إذا رأى أن عملية التوزيع أسيء استخدامها** بحيث تصرف المصلّين عن متابعة قداس الإكليل بالأدب اللائق بمن يقفون فى بيت الله وفى حضرته المقدسة.

وبالتالى، فإن من سلطان المطران أو الأسقف أن يمنع إطلاق الزغاريد فى مناسبات الزواج بالكنائس.

فإن إطلاق الزغاريد أثناء الصلوات يُتلف روح العبادة، ويتنافى مع الوقار اللائق ببيت الله. ولا بأس من إطلاق الزغاريد بعد إنتهاء صلوات الإكليل تماما، أى عند الانصراف وتهنئة العروسين.

نعم، إن للمطران أو الأسقف حق التصرف لتوفير روح العبادة، والخشوع التى يجب توافرها فى بيوت العبادة، فإنه وكيل مؤتمن (تيطس ١: ٧)، (١ .كورنثوس ٤: ١، ٢) ومسئول، **وسيؤدى أمام الله حساباً إذا أهمل فى توفير روح العبادة والخشوع** اللائقة بالمواضع المقدسة، وإلا فإنه يلحقه الإثم أمام سيده الذى أقامه على هذه المسئولية (متى ٢٤: ٤٥).

يقول الوحى الإلهى للأسقف على فم القديس بولس الرسول.

(يجب أن تتصرف فى بيت الله، الذى هو كنيسة الله الحّى، عمود الحق وقاعدته) (١ . تيموثيئوس ٣: ١٥).

(كن قدوة للمؤمنين فى الكلام **فى التصرف**) (١ . تيموثيئوس ٤: ١٢).

(الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع لكى يكون عند الباقين خوف) (١ . تيموثيئوس٥: ٢٠).

---

(١) كتب فى ١٠ من ابريل ١٩٨٧م – ٢ برموده ١٧٠٣ ش.

(لتصمت نساؤكم فى الكنائس، لأنه ليس مأذونا لهن أن يتكلمن (١ . كورنثوس ١٤:٣٤) **وبالتالى ليس مأذونا لهن أن يزغردن فى الكنائس.**

ومن تراثنا الكنسى ما جاء عن القديس يعقوب الرهاوى **أسقف غزة**، أنه حدث معه فى أحد الأيام وهو يقدّس أن بعضا من أعيان الشعب الموجودين بالكنيسة قد انشغلوا عن سماع الصلاة بالأحاديث العالمية، ولم ينههم القديس عن ذلك. **فظهر له ملاك وانتهره لأنه امتنع عن زجر المتكلمين فى الكنيسة** (عن السنكسار تحت يوم أول كيهك).

ولقد أمرت القوانين الكنسية الشماس أن يرعى اختصاصه فى حفظ النظام فى الكنيسة لأن حفظ النظام من صميم اختصاص الشماس أيضاً.

جاء فى الدسقولية (تعاليم الرسل):

(وليفتقد الشماس الشعب أيضاً لئلا ينعس واحد أو ينام أو يضحك... **يجب لكم أن تقفوا فى الكنيسة بهدوء وعفاف ويقظة لسماع كلام الله بانتصاب عظيم)** (الباب العاشر) ـ انظر أيضاً كتاب المجموع الصفوى لابن العسال، الباب السابع ـ القسم الثالث.

إن إطلاق الزغاريد يجب أن يُمنع منعا باتاً فى الكنيسة. يمكن أن يباح به فى قاعة ملحقة بالكنيسة أو فى البيت أو فى الشارع. إنه لا يليق بتاتا بالكنيسة ويتعارض مع روح العبادة والخشوع والأدب اللائق ببيت الله.

٦٣- هل يجوز عمل الأربعين أو ذكرى السنة لرجل غير أرثوذكسى (١)

سؤال: من العزيز باسم فوزى اسكندر

هل يجوز عمل الأربعين أو السنوية لرجل انتقل ولم يكن أرثوذكسيا، وهل يمكن ذكره فى القداسات الإلهية.

الجواب

إن جوابنا على هذا التساؤل يتوقف على معرفتنا بمصدر هذا التساؤل، فهل هو تساؤلكم أنت؟ أم هو تساؤل أهل المتوفى؟.

فإذا كان التساؤل منك أنت، ومن جهة المبدأ - نقول من حيث المبدأ العام إن الكنيسة تترحم على الذين ماتوا أو انتقلوا فى الإيمان الأرثوذكسى.

فإذا كان المتوفى قد اعتنق قبل وفاته ديناً آخر، أى مات غير مسيحى، فالكنيسة لا تترحم عليه، لأن الصلاة عن الراقدين هى لطلب الرحمة لهم، عن خطاياهم غير المميتة وهى السهوات والهفوات، والخطايا غير الإرادية والتى لم يقدموا عنها توبة فى حياتهم، فقد قال الكتاب المقدس صراحة: «إذا رأى أحد أخاه يرتكب خطيئة لا تؤدى إلى الموت ، فيطلب، فيمنح الله أخاه الحياة، التى يمنحها للذين يرتكبون الخطايا التى لا تؤدى إلى الموت. فمن الخطايا ما يؤدى إلى الموت، ولست أطلب الصلاة من أجلها» (١ . يوحنا ٥:١٦).

كذلك إذا مات المتوفى وهو متلبس بخطيئة مميتة فلا يجوز للكنيسة أن تترحم عليه، وهذا استنكار للخطيئة التى مات متلبساً بها، وحتى لا تشجع الكنيسة أحداً آخر على مثل فعلته.

ومن الخطايا المميتة التى إذا مات المتوفى متلبساً بها، ولم يقدم عنها توبة: خطيئة (الانتحار)، أى قتل الإنسان لنفسه، ثم مات فور انتحاره مباشرة.

ومن الخطايا المميتة التى لا يجوز الترحم للمتوفى عنها هى قتله لشخص آخر، وفيما هو يرتكب فعل القتل، هجم عليه آخر وقتله، أو حدثت له كارثة مفاجئة فمات وهو متلبس بخطيئة قتله لآخر، ولم يقدم عنها توبة.

---

(١) كتب فى ١٢ من يونيه ١٩٩٣ م - ٥ من بؤونه ١٧٠٩ ش.

ومن الخطايا المميتة أيضاً والتى لا يجوز الترحم على المتوفى عنها هى خطيئة (ارتكابه للنجاسة)، ومات فوراً وهو يرتكب فعل النجاسة ولم يقدم عن فعله توبة. فقد يحدث لإنسان وهو يزنى، أن هجم عليه آخر وقتله. فمات متلبساً بخطيئة مميتة ولم يقدم عنها توبة.

وفيما عدا ذلك من الخطايا غير المميتة، يمكن الترحم على المتوفى فيها. على أن الأمر أخيراً مرده إلى الله الديان الفاحص القلوب والكلى، وإذا كان بجلاله يقبل أو لا يقبل الصلاة عن المتوفى.

وقد قال بعض القديسين: نحن شحاذون، نطلب الرحمة والإحسان، ولكن الله وحده هو صاحب الحق فى المنح أو المنع حسب مشيئته الصالحة والعادلة.

ويقول القديس ديونيسيوس الأريوباغى: «إذا كانت خطايا المتوفى قليلة فقد تجد منفعة بما يعمل بعده. أما إذا كانت ثقيلة وباهظة فقد أغلق الله الباب فى مسعاه».

ونعمة الرب تشملكم،،،،،،،

٦٤- رسم علامة الصليب

سؤال : من السّيد المهندس حليم سليمان اسطفانوس - مصر الجديدة.

أرجو ملحاً توضيح سبب رسم علامة الصليب، والمراجع الإنجيلية والكنسية التى نستند إليها نحن المسيحيين فى رسم الصليب والكيفية السليمة لرسم تلك العلامة.

الجواب :

نحن المسيحيين نرسم الصليب على وجوهنا، لأنه (علامة) سيدنا ومخلصنا وربنا وفادينا وملكنا يسوع المسيح، ولسوف تظهر فى السماء متقدمة موكب ظهوره (متى ٢٤: ٣٠) ومجيئه الثانى للدينونة.

فالمسيح الذى نتبعه ونعبده، وقد أطلق اسمه علينا، وباسمه تسَّمينا مسيحيين، هو المسيح الذى عُلق على الصليب من أجل خلاصنا، وقد فدانا بصلبه وصليبه من العقوبة الأبدية المحكوم بها على آدم أبينا وعلينا، بأن تحمَّلها فى جسده، الذى هو أيضاً من طبيعة جسدنا لنكون نحن فيه، وليكون هو نائباً عنا، وبديلاً عنا، فيفدينا بموته، ويرفع عنا بذلك الموت الأبدى فى الجحيم وفى جهنم النار الأبدية.

وكأننا برسمنا لعلامة الصليب على وجوهنا، ندلل على تبعيتنا للمسيح المصلوب، كما أننا بذلك نعلن اعترافنا بعمل المسيح الفدائى من أجلنا، فخورين به، شاكرين الآب السماوى على فضل خلاصه، ومحبته لنا، ورحمته بنا.

وهذا ما قاله الكتاب المقدس على يد الرسول القديس بولس «وأما أنا فحاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به صار العالم مصلوباً بالنسبة لى، وصرت أنا مصلوباً بالنسبة إلى العالم». (غلاطية ٦: ١٤).

وإذن فكلما رسمنا الصليب على وجوهنا، تذكرنا نسبتنا إلى المصلوب، وذكرنا عمل الله المبارك معنا ومن أجلنا، فيكون رسمنا للصليب اعترافاً بمسيحيتنا، واعترافاً بفضل الله علينا، وامتناناً وشكراً وتمجيداً، وفخراً وزهواً بالمسيح وبالصليب وبالفداء، وبما ربحنا من وراء الفداء من خلاص وعتق وتحرير، وتبرير.

ولما كان الخلاص من الخطيئة الأصلية ونتائجها قد تم بصلب المسيح، فالصليب الذى كان عاراً، صار للمسيحيين فخاراً، لأنه به انفتح باب الفردوس أمام آدم أبينا وأمامنا، بعد أن كان مغلقاً فى وجه الإنسان إذ طرد منه عقاباً له على خطيئته، وقد «أقام الله شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة». (التكوين ٣: ٢٤).

الصليب إذن عند المسيحيين مفتاح الحياة الأبدية، لأنه به فتح المسيح باب الفردوس المفقود، وأبطل الموت وأنار الحياة والخلود (٢ . تيموثيوس ١: ١٠).

وهو أيضاً قوة الله للخلاص (رومية ١: ١٦) لأن فيه، المسيح «محا الصك الذى علينا فى الفرائض، الذى كان ضدا لنا، وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب، إذ جرد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه» (كولوسى ٢: ١٤، ١٥).

وليس الصليب مفتاح الحياة فحسب، لكنه أيضاً سلاح النصرة على الشيطان وقوات الظلمة، لأن المسيح فيه غلب الشيطان وظفر به وقيده، ولذلك صار الشيطان يفزع من الصليب، ويهرب من علامة الصليب «فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله. (١ . كورنثوس ١: ١٨).

إذن علامة الصليب هى سلاح المؤمن للحرب والجهاد ضد قوات إبليس والشر والظلام. ولذلك يحمله المسيحيون حيثما كانوا وحيثما ذهبوا ليقاتلوا به أعداء الله من الشياطين والأرواح النجسة وأعمال الظلمة.

وكثيراً ما حملوه وأشهروه ضد إبليس، وضد الوحوش والحيوانات المفترسة، وبه أطفأوا قوة النار، وشربوا السم فلم يضرهم، وبه شفوا المرضى، وطردوا الأرواح النجسة وأخرجوا الشياطين، وبه غلبوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو.

إذن الصليب علامة المسيح، وعلامة المسيحى، هو شعار الفداء والخلاص، وهو مفتاح الحياة، وسلاح الغلبة والانتصار.

أما كيفية رسم الصليب فهى على النحو الآتى:

يضع المسيحى إصبعه السبابة على جبهته، ويقول (باسم الآب) مشيراً بذلك إلى جلال الله وعظمته وسموه، وأنه فوق جميع الوجود والكائنات، ثم ينزل بإصبعه إلى صدره ويقول (والابن) مشيراً بذلك أن الله الكلمة نزل من السماء (يوحنا ٣: ١٣)، (٦: ٣٨، ٤١، ٤٢، ٥٠، ٥١) ثم

يُحرك إصبعه من الجهة اليسرى من صدره إلى الجهة اليمنى، ويقول «الروح القدس» معترفاً بأنه بإيمانه بالمسيح، وبفيض الروح القدس «قد انتقل من الموت إلى الحياة» (يوحنا ٥:٢٤) ومن أهل الشمال إلى أهل اليمين - ويختم بقوله (الإله الواحد) معلناً إيمانه بوحدانية الله، مؤكداً ما جاء بقانون الإيمان «بالحقيقة نؤمن بإله واحد».

فرسم علامة الصليب، هو أيضاً إعلان عن الإيمان بإله واحد، أحدى الذات، مثلث الأقانيم والصفات والخاصيات.

أما لماذا نرسم الصليب بإصبع واحد فلأن المسيح له المجد يقول «بإصبع الله أطرد الشياطين» (لوقا ١١:٢٠) كما أن استخدام الإصبع الواحد يشير إلى وحدانية الله من جهة، كما يشير إلى وحدانية طبيعة المسيح، طبيعة الكلمة المتجسد، «عظيم هو سر التقوى، الله ظهر فى الجسد» (١ . تيموثيئوس ٣:١٦) نعم لأن المسيح إلهنا إله متأنس، اتحد فيه اللاهوت بالناسوت اتحاداً كاملاً فى طبيعة واحدة من طبيعتين، طبيعة واحدة جمعت بين خصائص الطبيعتين وصفاتهما.

وتعلمنا الكنيسة الأرثوذكسية أن نرسم علامة الصليب على وجوهنا (١) عند بدء صلواتنا وفى ختامها، إذا نمنا وإذا استيقظنا، إذا دخلنا بيوتنا أو خرجنا منها، وإذا أكلنا أو شربنا، وبالإجمال عند بدء كل عمل وفى نهايته، وعند ذكر الصليب وعند ارتداء ملابسنا، كما أمرت الكنيسة برسم علامة الصليب على القربان المقدس وعلى الملابس الكهنوتية، وعلى الستائر واللفائف وعلى المذبح والحجاب وكل أدوات الخدمة.. وأما الكهنة فيرسمونه أيضاً على المؤمنين عندما يعمدونهم أو يمسحونهم بالميرون أو يزوجونهم أو يحلونهم من خطاياهم، أو يباركونهم أو يباركون عطاياهم من نذور وقرابين، أو عندما يباركون طعاما أو أية آلة أو آداة أو شئ يريدون أن يباركوه أو يطلب إليهم أن يباركوه أو يقدسوه. كذلك يرسم الأساقفة علامة الصليب على رؤوس المتقدمين للدرجات الكهنوتية والرتب الكنسية (٢) على اختلافها.

---

(١) راجع قانون ٤٧ من المجموعة الثانية من قوانين الرسل. وكتاب القوانين لابن العسال باب ١٤ الصفحة الرابعة من صفات المصلى.

(٢) الدرجات الكهنوتية ثلاث فقط، ولكن فى كل درجة كهنوتية بعض رتب كنسيه، «فأسقف» مثلاً درجة كهنوتية، أما «مطران» و «بطريرك» فهما رتبتان كنسيتان أعلى من درجة أسقف، و «قسيس» درجة كهنوتية، أما «ايغومينوس» أو «قمص» فرتبة كنسية أعلى من «قسيس»، و«دياكون» درجة كهنوتية، أما «أرشيدياكون» فرتبة كنسية أعلى من دياكون.

(١) ونحن إذ نرسم الصليب على جباهنا فلكى نبرهن على تبعيتنا للمسيح المصلوب، فهو العلامة المميزة للمؤمنين بالمسيح المنضمين تحت لوائه لأنه علامة مخلصهم أيضاً (١).

(٢) ونرسم علامة الصليب، إعلانا لإيماننا المسيحى وافتخارا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به تم فداؤنا وخلاصنا، وانفصالنا عن الشيطان والعالم، وانطلاقنا من أسر الجحيم وعبودية إبليس «أما أنا فحاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به صلب العالم لى، وأنا صلبت للعالم» (٢).

(٣) ونرسم علامة الصليب إيمانا منا بأن جميع البركات الروحية التى تحققت لنا فى العهد الجديد إنما كانت بفضل صليب مخلصنا، بل أن جميع الوسائط الخلاصية نبعت من الصليب. وجميع الأسرار ومواهب الروح القدس قائمة على استحقاقات الفادى المصلوب، ولم تأخذ قوتها وفاعليتها إلا بصلبه وسفك دمه على الصليب. والكنيسة كلها قد اشتريت من جديد بدم ابن الله الذى سال على الصليب (٣).

(٤) وإذن، فنحن حين نرسم الصليب على جباهنا أو حين يرسمه الكهنة على المؤمنين أو على أدوات الكنيسة أو المؤمنين، نذكر كل تلك المعانى المسيحية التى تشتمل عليها ديانتنا، فنذكر عمل المسيح الفادى، وخلاصه العظيم، وجميع بركات الخلاص النابعة من الصليب، ونذكر أننا لسنا بعد لأنفسنا بل للذى مات من أجلنا وقام (٤). ونذكر أننا اشترينا بدم ثمين فعلينا أن نمجد الله فى أرواحنا وأجسادنا التى هى لله (٥)، وعندما نذكر تلك المعانى تضطرم فينا محبتنا لله، ويزداد تعلقنا به ورجاؤنا فيه، فعلامة الصليب إذن هى خلاصة سريعة للحياة المسيحية فى عقائدها وروحياتها، فإذا رسمنا الصليب استعدنا فى لحظة قصيرة المعانى المرتبطة بالصليب من إيمان بالله، ووحدة طبيعته وتثليث أقانيمه، ولاهوت المسيح وتجسده وصلبه وفدائه وقيامته وما ارتبط بكل هذه الأحداث من بركات خلاصية.

(٥) ولكن لعلامة الصليب فوائد أخرى، فليست هى مجرد علامة تعيد إلينا فى لحظة كل معانى المسيحية السامية، وما يصاحب هذه الإعادة من إثارة لمشاعرنا الروحية وتحريكنا نحو شكر الله وعبادته، واعتزازنا وفخارنا بديانتنا وتقديم أرواحنا وأجسادنا لخدمة المسيح الذى افتدانا بدمه ولكنها فضلا عن ذلك كله فإن لها قوة وفعالية ضد إبليس وكل أعماله وأفكاره.

(٦) فالمسيحيون يرسمون الصليب على جباههم فيطردون به قوات الشر المحيطة بهم، لأن الشيطان الذى هزم بالصليب لا يطيق هذه العلامة لأنها تفزعه وترده مدحورا وكل حيله، ولذلك

---

(١) مت ٢٤ : ٣٠ (٢) غل ٦ : ١٤ (٣) أع ٢٠ : ٢٨

(٤) ٢. كو ٥ : ١٥ (٥) ١. كو ٦ : ٢٠

يرسمون الصليب كلما ساروا فى الظلام أو الأماكن المهجورة من الناس، وكلما حاربهم فكر شرير أو أحاق بهم موقف محير أو أزعجهم خاطر شرير، يرسمونه على وجوههم وعلى طعامهم وشرابهم وكل ممتلكاتهم، حتى لا يمسها الشيطان أو يقترب إليها فيضرهم بسحر أو عمل شرير، فبعلامة الصليب يطردونه وكل أعماله من حياتهم فلا يكون له مدخل فيهم أو نصيب، ولا يكون له مدخل فى سائر أعمالهم وأدواتهم.

قال الشيخ الروحانى، «كلما ألوح لهم (للشياطين) بعلامة صليب مخلصنا أراهم يعودون إلى الظلمة، وأرى نارهم تنطفئ، هذا تعلمته من الجبار انطونيوس الذى غلب الشيطان ودوخه» (١).

فالصليب إذن قوة الله لخلاص كل من يؤمن، «فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله» (٢) إننا بعلامة الصليب نغلب. وبعلامة الصليب نهزم كل قوات الشر، وبعلامة الصليب نستحضر كل قوات الخير لتكون فى نصرتنا، فهى إذن صلاة موجزة سريعة نستعيذ فيها بالله من الشيطان وكل حيله وسائر أعماله، ونستمطر بها مراحم الله على نفوسنا.

(٧) ولعلامة الصليب قوة على كل قوى الطبيعة المعادية لنا. وكثيرا ما يستغلها المؤمنون فيذلون بها عداوة الحيوانات والحشرات الضارة، استخدمها القديس متى الرسول فكسر بها شر ثعبانين هائجين ضده. واستعملها القديس برسوم العريان فأحال حية شرسة فى مغارته إلى حيوان أليف، وكذلك فعل كثير من القديسين مع وحوش البرية، فخرت قتيلة أو ارتدت عنهم أو ذلت تحت سلطانهم وصارت خادمة لهم، بل واستخدمها مارجرجس وغيره ضد السموم القاتلة فلم تضرهم بشئ.. إن علامة الصليب إذن هى سلاح المؤمن ضد كل من يعاديه روحا أو جسدا.

٦٥- الوضع الأنسب والأليق للصلاة (١)

العزيز السيد نصيف مسيحه أيوب

سلام ومحبة ونعمة وبركة.

ردا على خطابكم المؤرخ ٨٥/٦/٣ بخصوص ما إذا كان يجوز لكم أن تصلوا صلوات المزامير وأنتم فى حالة استرخاء على الفراش، حيث أنكم على قولكم فى سن متقدمة، وفترة صلاة باكر تستغرق نصف ساعة.

فأجيب بأن الوضع الأنسب والأليق فى الصلاة أن يقف الإنسان المصلى بأدب وخشوع فى حضرة الله، ثم يسجد فى حضرته المقدسة، ويعود للوقوف خاشعاً فى رهبة واحترام وهو منتصب فى غير تراخ...

قال السيد المسيح له المجد (ومتى **قمتم للصلاة**، وكان لكم على أحد شىء، فاغفروا له) (مرقس ١١: ٢٥).

وجاء من حنة بنت فنوئيل، وكانت طاعنة فى السن، وقد عاشت مع زوجها سبع سنوات منذ بكوريتها، ثم ظلت أرملة مدة أربع وثمانين سنة، لا تبرح الهيكل، متعبدة بالصوم والصلاة ليلاً ونهاراً) (لوقا ٢: ٢٦، ٣٧).

وقال مخلصنا عن العشار (أما العشار **فوقف** عن بعد ولم يجرؤ حتى على أن يرفع عينيه إلى السماء، وإنما أخذ يقرع صدره قائلاً: اللهم ارحمنى أنا الخاطىء) (لوقا ١٨: ١٣).

وجاء فى المزامير (باركوا الرب يا جميع عبيد الرب، **الواقفين** فى بيت الرب فى الليالى... سبحوا اسم الرب، سبحوا يا عبيد الرب، **الواقفين** فى بيت الرب، فى ديار بيت إلهنا) (مزمور ١٣٤: ١)، (١٣٥: ١).

انظر أيضاً (مزمور ٧٥: ٧)، (٨٣: ١٠)، (١٢١: ٢)، (عزرا ٩: ٥)، (إرميا ١٥: ١٩)، (زكريا ٤: ١٤).

وقال النبى إرميا فى صلاته إلى الرب من أجل بنى إسرائيل (اذكر أنى **وقفت** أمامك لأتكلم من أجلهم بالخير، واصرف عنهم غضبك) (إرميا ١٨: ٢٠).

---

(١) كتب فى ١٤ يونيه ١٩٨٥م - ٧ بؤونه ١٧٠١ ش.

وهكذا جاء عن الملائكة فى سفر دانيال: (وتخدمه ألوف ألوف، **وتقف** بين يديه ربوات ربوات) (دانيال ٧: ١٠، ١٦).

وقال النبى ميخا (رأيت الرب جالساً على عرشه، وجميع جند السماء، **وقوف** على يمينه وشماله) (٢. أخبار الأيام ١٨: ١٨).

على أنه إذا كان الإنسان مريضاً غير قادر على النهوض من فراشه، أو كان مأموراً من الأطباء بعدم الوقوف، فيمكن فى هذه الحالة أن يصلى راكعاً على الفراش إذا أمكن، أو مستلقياً على وسادة، وقلبه وفكره مع الله فى السماء.

لقد رأيت فى روسيا ما أذهلنى. رأيت شيوخاً من الرجال، وعجائز من السيدات، يقفون فى الكنيسة على البلاط المجرد من أى بساط أو سجاد، يقفون طوال الصلاة، فى القداس صباحاً أو فى خدمة المساء، التى تمتد إلى ساعات قد تتواصل إلى ست ساعات، دون أن يتململوا أو يتحركوا، وكان الوقت شتاء - فى شهر فبراير، حيث تصل درجة الحرارة إلى ما تحت الصفر بست أو عشر درجات.

رأيت هكذا فى موسكو ولينينجراد وغيرهما من بلاد الروس، ورأيته فى رومانيا، وبلغاريا من بلاد الكتلة الشرقية، ورأيته فى فنلندا.

وما رأيته فضلاً عما قرأته فى الكتاب المقدس عن الملائكة وعن القديسين من بنى الناس، وما قرأناه وعرفناه عن الروحانيين من الشيوخ من أمثال الأنبا بيشوى، والأنبا شنوده رئيس المتوحدين، والقديس سمعان العمودى وغيره من العموديين، يذكرنا، ويحفزنا ويثيرنا، على الوقوف فى الحضرة الإلهية منتصبين قائمين بكل ورع وخشوع، طالما أننا بصحة وسلامة تسمحان لنا بشرف الوقوف أمام الله.

فإذا عجز الإنسان عن الوقوف بسبب عاهة أو بسبب مرض ألزمه الفراش، فهنا يجوز له أن يصلى وهو راكع على السرير، أو وهو مستلق على وسادة يطلب الرحمة والغفران والخلاص ويسأل الحياة الأبدية لنفسه وللأغيار.

ونعمة الرب تشملكم،،،،،،

٦٦- إذا سمعت أصواتاً ارشمى علامة الصليب (١)

العزيزة الإبنة .....

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

رداً على خطابك بخصوص الأصوات التى تسمعينها، لا تعيريها إهتماماً - وإياكِ أن تعرفى طريق كتاب دلال الدلال - احترسى من أن تمضى فى هذا الطريق، فإنه طريق وعر ومسالكه طويلة وضارة.

إذا سمعت هذه الأصوات فبكل اطمئنان وعدم خوف، ارشمى علامة الصليب على وجهك من أعلى رأسك وبدنك ٣ مرات ثم بكل هدوء صلى مزمور ٢٦ من صلاة باكر ومطلعة (الرب نورى وخلاصى ممن أخاف. الرب عاضد حياتى ممن أجزع...) ثم مزمور ٥٣ وهو أول مزامير صلاة الساعة السادسة، ومطلعه (اللهم باسمك خلصنى، وبقوتك احكم لى) ومزمور ٩٠ من الساعة السادسة أيضاً ومطلعه (الساكن فى عون العلى، يستريح فى ظل إله السماء...).

واطلبى من كاهن الكنيسة أن يزوركم فى البيت ويصلى فى منزلكم **(صلاة تبريك البيوت)** ويرش من الماء المصلى عليه كل أنحاء البيت وغرفاته... وليت هذا الأمر يمارس أكثر من مرة، تستدعون الكاهن ليصلى **(صلاة تبريك البيوت)** ٣ مرات مثلاً...

وننصح بأن تخصصى ركناً للصلاة فى حجرة أو غرفة مناسبة، وفى الشرق تضعين صورة للعذراء القديسة مريم وهى حاملة المسيح له المجد، وتضعين أمامها قنديل زيت، يضاء بصفة دائمة - أى نهاراً وليلاً، وإذا أمكن صورة أخرى لأحد الشهداء المحاربين - وليكن الشهيد مارجرجس - أو أبى سيفين - أو مارمينا فهؤلاء الأقوياء يطردون الأرواح الشريرة التى قد تكون ساكنة فى بيتكم.

ولا تهملى حضور الكنيسة والقداس والتقرب من الأسرار المقدسة، ورش البيت من وقت إلى آخر بالماء المصلى عليه، والقراءة فى الكتاب المقدس.

وإنى أصلى أن يحفظك الرب، ويجعل ملائكة السماء فى حراستك، وتظلل عليكِ، متمتعة بموفور الصحة والنعمة، ونعمة الرب وبركته فلتشملك كل أيام الحياة،،،

---

(١) كتب فى ٢٥ سبتمبر ١٩٩١ م - ١٤ توت ١٧٠٨ ش.

٦٧- هل يجوز للمؤمن أن يحمل أثناء صلاته الخاصة صليباً

سؤال: من السيد / ناجى شحاته فلتاؤس - المنيا.

يقول: هل يجوز طقسياً للمؤمن العلمانى أن يمسك بيده صليباً مثل صليب الأب الكاهن، سواء كان الصليب من معدن أو من خشب، أثناء صلاته الفردية الخاصة.

الجواب:

نعم يجوز للمؤمن العادى من غير الإكليروس أن يحمل صليباً على صدره أو فى يده أثناء صلاته الخاصة الإنفرادية، يرشم به ذاته.

أما الكاهن القسيس، فبصفته هذه، له أن يحمل الصليب ليرشم به ذاته وغيره ممن هم دونه فى الرتبة أى الشمامسة وسائر المؤمنين.

ولرؤساء الكهنة وهم الأساقفة أن يحملوا الصليب ليرشموا به ذواتهم وغيرهم ممن هم أقل منهم فى الرتبة أعنى القسوس والشمامسة وسائر المؤمنين.

وذلك، تبعاً للمبدأ الإنجيلى الرسولى «الأصغر يبارك من الأكبر» (العبرانيين ٧:٧).

٦٨- هل يجوز للنساء دخول الهيكل لمباشرة أعمال النظافة

سؤال: من أحد القراء لم يشأ أن يذكر اسمه.

يقول نود أن نستعلم من نيافتكم، هل يجوز للنساء دخول المذبح للقيام بالنظافة والإعداد والترتيب، إذا كان الرجال لا يقومون بهذه الخدمة؟ فإن تعذر وجود الرجال فهل من الجائز للنساء الخدمة أيضاً؟.

وهل هناك استعداد قانونى خاص للنساء بمقتضاه يسمح للنساء بدخول المذبح؟.

الجواب:

لا يجوز لغير الكهنة والشمامسة دخول الهيكل سواء أثناء الخدمة أو فى غير أوقات الخدمة.

وإذن فلا يجوز للنساء، ولا يجوز أيضاً للرجال من غير الكهنة والشمامسة أن يدخلوا الهيكل المقدس، أو أن يقوموا بأعمال النظافة، وقد نصت القوانين الكنسية على **أنه لا يجوز لمس الأوانى الكنسية لغير الكهنة والشمامسة**. والقوانين الكنسية فى ذلك تستند أساساً إلى أوامر الله فى الكتاب المقدس، خصوصاً فى أسفار الخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية، وهى أسفار التوراة التى شرحت بتفصيل شامل أحكام الشريعة الطقسية. **فلم تسمح الشريعة لغير الكهنة والشمامسة (اللاويين) أن يقوموا بالنظافة أو لمس أى من أدوات الهيكل وجميع مشتملاته**، وهو ما يتضح خصوصاً من توزيع الاختصاصات بين اللاويين فى حراسة خيمة الاجتماع وكل مشتملاتها (سفر العدد ٣: ١٠-٣٧)، (٤: ٢-٣٣) (والأجنبى الذى يقترب يقتل) (العدد ٣: ١٠)، (١: ٥١).

وعند اخوتنا الروم الأرثوذكس والروس الأرثوذكس، متى توفى الكاهن فزوجته الأرملة من بعده إذا توافرت فيها الشروط الروحية مع سن الوقار، يقيمونها شماسة، وترتدى الزى الأسود كراهبة، وتصير مسئولة، تشرف على القائمين بأعمال النظافة فى الكنيسة.

وبهذا يستغلون موهبة المرأة فى الإشراف على أعمال النظافة، لأنه من المعروف أن للمرأة موهبة خاصة فى الجمال والنظافة والفن والذوق الرفيع تتفوق فيها على الرجال.

ثم إنهم فى إقامة أرملة الكاهن المتوفى شماسة يقدمون للكاهن ولأرملته خدمة روحية وإنسانية بتعيينها شماسة، مما يرفع معنوياتها، ويضعها فى مكانة محترمة تليق بها وبزوجها الكاهن المتوفى، فلا يتركونها من بعده تعانى الإهمال.

وإذا قلنا إن أرملة الكاهن تشرف على القائمين على أعمال النظافة كشماسة، فلا يقتضى هذا أن تقوم بنفسها بأعمال النظافة، **كما أنه لا يجوز لها أن تدخل الهيكل ولا أن تلمس الأوانى، فدخول الهيكل ولمس أوانى المذبح وكل محتويات الهيكل لا يجوز لغير الكهنة والشمامسة المخول لهم ذلك بموجب طقس رسامتهم**، كما يرد ذلك صراحة فى كتاب الرسامات الطقسية.

جاء فى كتاب ترتيب قسمة رتب الكهنوت (أن الشماس فى رتبة الإيبودياكون هو الذى يحق له أن يلمس الأوانى المقدسة، فيقول الأسقف فى صلاة رسامة (الإيبودياكون) وهو ممسك بصدغيه (... يا ملكنا، أظهر وجهك على عبدك (فلان) الذى قدموه ليصير (ايبودياكون) بحكم التزكية... املأه من روحك القدوس **حتى يستحق أن يلمس أوانى الخدمة**، ويقف على أبواب الهيكل، ويوقد سراج بيت صلواتك...) وبعد الفراغ من رسامة الإيبودياكون يقرأ عليه رئيس الشمامسة الوصية التى يرد فيها قوله (... يجب عليك أن تحرس أبواب بيت الله التى هى البيعة... **لأنك قد اؤتمنت أن تلمس الأوانى المقدسة التى للخدمة الطاهرة...**).

وواضح من هذا **أن لمس الأوانى المقدسة فى الهيكل والمذبح لا يحق لرجل أو إمرأة مالم يكن مقاماً فى رتبة الإيبودياكون نائب الشماس الكامل الدياكون.**

وأما تنظيف أرض الكنيسة وجدرانها وسائر مشتملاتها خارج الهيكل فيقوم به عادة من يحمل إحدى رتب الشمامسية الصغرى. والتراب يجب حمله بعيداً إلى خارج المدينة، فى مكان طاهر لا يداس بالأقدام.

٦٩- هل يبيت الخادم الحارس فى الكنيسة

سؤال: من الأب المحترم القس رويس عزيز- كفر الدوار.

هل يجوز أن يبيت خادم الكنيسة داخلها لحراستها؟

الجواب:

خادم الكنيسة يبيت فى غرفة خارجية فى محيط الكنيسة. ولكنه لا يجوز له أن يبيت فى داخل جسم الكنيسة، فالكنيسة بيت الله، وبيت الملائكة، فليس من اللياقة، ولا من آداب العبادة، أن تتحول الكنيسة للخادم مقراً للنوم، بدلاً من غرفة النوم.

٧٠- الدروس العلمية والمحاضرات لا تقام فى الكنيسة

سؤال: من الأب المحترم القس رويس عزيز- كفر الدوار.

هل يجوز أن تدرس المواد العلمية كدروس تقوية للطلبة والطالبات داخل الكنيسة أى فى صحن الكنيسة؟.

الجواب:

هذا لا يجوز. الكنيسة بيت الله مدشن ومكرس ومقدس ومخصص للعبادة والوعظ والتعليم الدينى. أما الدروس العلمية فتقام فى غرفة خارجية، خارج جسم المعبد، وما يسمونه بصحن الكنيسة.

وكذلك المحاضرات العلمية، والتمثيليات، والمناظرات، والأفلام الدينية... كل هذا وما على شاكلته لا يجوز إقامته فى صحن الكنيسة... لكن يمكن إقامته فى فناء الكنيسة حيث ينبغى إقامة قاعة وغرفات لمثل هذه النشاطات النافعة...

لقد نادينا كثيراً بوجوب إقامة ملحقات لمبنى المعبد، تبنى خصيصاً خارج جسم الكنيسة على مقربة منها ولا تكون ملتصقة بها- قاعة وغرفات يمكن استغلالها كفصول لمدارس التربية الكنسية، والمحاضرات العامة والدروس العلمية، ومكاتب للكهنة، والشمامسة، ومخازن لموجودات الكنيسة، ومقر استراحة للكاهن، وأرشيف للمستندات والوثائق... وغير ذلك.

ونحن، نستمد هذا الفكر من الكتاب المقدس فعندما بنى الهيكل المقدس، فى عهد سليمان الملك، أقام خارج المسكن المقدس، وهو القدس وقدس الأقداس، غرفات كثيرة فى ثلاثة طوابق (١ . الملوك ٦ :٣- ١٠) . وفى هذه الغرفات كان يقيم الكهنة المناطون بالخدمة بحسب نوبتهم، وفى بعضها كان يقيم النذيرون من الأطفال من أمثال صموئيل النبى فى طفولته، والعذراء مريم فى طفولتها... وفى بعضها كان يقيم الكبار من العباد من الرجال أو السيدات كما ذكر الإنجيل عن حنة بنت فنوئيل، وكانت طاعنة فى السن، ... ثم ظلت أرملة نحو أربع وثمانين سنة لا تبرح الهيكل متعبدة بالصوم والصلاة ليلاً ونهاراً (لوقا ٢ :٣٦، ٣٧) . وفى بعض هذه الغرفات كان يقيم الطباخون والبوابون وغير ذلك من الخدّام واللاويين.

هذا والمعروف أن الدار الخارجية فى هيكل سليمان كانت تشتمل على أربعة أروقة، وكان أحدها يسمى (رواق الكهنة)، والثانى يسمى (رواق إسرائيل) والثالث يسمى (رواق النساء)

والرابع يسمى (رواق الأمم)، هذه الأروقة كانت خارج جسم الهيكل بمعناه الدقيق، حيث يقدم الكهنة البخور، وخبز الوجوه، وسائر الخدمات التى لا يجوز لغير الكهنة أن يقوموا بها، ولم يكن يسمح لغير الكهنة أن يدخلوا إلى القدس، وأما قدس الأقداس فكان لا يدخله إلا رئيس الكهنة مرة واحدة فى السنة.

إذن يجب أن يكون لنا خارج كل كنيسة، ملحقات تبنى خارج جسم المكان المقدس والمدشن للعبادة، لممارسة أنواع النشاط المختلفة التى لا يليق أن تقام فى المعبد.

٧١- الحاجة إلى إقامة قاعة وغرفات وملحقات لكل كنيسة

سؤال: من الأب المحترم القس رويس عزيز- كفر الدوار.

هل يجوز أن يجلس أصحاب الموتى داخل الكنيسة فى خورس السيدات لأخذ التعزيات بدلاً من إقامة شادر للعزاء.

الجواب:

هذا لا يجوز... إننا ننصح بأن يقام مبنى خاص بالقرب من الكنيسة، أو فى محيطها أو فى فنائها الخارجى، يمكن أن يتلقى فيه الناس العزاء فى مصاب أصابهم... ويمكن أن يستغل هذا المبنى أيضاً فى الأفراح بعد عقد الإكليل فى الكنيسة... فى هذا المبنى أو هذه القاعة يمكن لأهل العرس أن يتلقوا فيه التهانى، وتوزع فيه المرطبات والحلوى والمأكولات بحسب المناسبة... ويمكن أيضاً استغلاله لإقامة الحفلات العامة حيث تعرض مسرحية دينية أو فيلم دينى أو ثقافى... ويمكن أيضاً استغلاله لحفلات انتخابية للمجالس الملية أو الكنسية.... ويمكن كذلك أن تقام فيه المحاضرات العلمية أو الإجتماعية ذات الطابع العام، وكذلك أنشطة الشبان والشابات، الثقافية، والصناعات اليدوية والكنسية، والهوايات، وغيرها من الأنشطة الرياضية الترفيهية والعائلية والإجتماعية.

٧٢ـ لحن ⲟⲛⲧⲱⲥ الخاص بالرسل الإثنا عشر

ابنى المبارك الطالب الإكليريكى بسيط بنيامين عوض.

سلام لك ، وبركة.

سرنى خطابك، واهتمامك بالبحث، وأنك عندما يشكل عليك أمر، تتوقف لتسأل من تطمئن إلى معرفته وإرشاده ـ بخصوص ما جاء فى لحن ⲟⲛⲧⲱⲥ للآباء الرسل الذى يقال فى صوم الرسل.

وفى الموضوع ـ أن ماربطرس الرسول ذهب إلى روما فى آخر أيام حياته وفى روما استشهد مصلوباً مع القديس بولس الذى قطعت رأسه، فى يوم واحد، تعيد له كنيستنا فى ٥ أبيب.

والمعروف أن القديس بولس هو الذى كرز فى روما أساساً. ولكن القديس بطرس بوصفه من الإثنى عشر تلميذاً، وهو أحد الثلاثة المعتبرين فى الكنيسة أعمدة على ما يقول القديس بولس فى رسالته إلى غلاطية (٢:٢، ٦، ٩) وقد ذهب إلى روما، ومات فيها شهيداً، فيعتبر مع بولس الرسول مؤسسين لكرسى روما، لأنهما استشهدا فيها، «ودماء الشهداء بذار الإيمان».

ولما كان لحن ⲟⲛⲧⲱⲥ خاصاً بالرسل الإثنى عشر، لذلك يذكر اللحن القديس بطرس كمؤسس لكرسى روما، ولم يشر إلى القديس بولس، مع أنه المؤسس الأساسى لهذا الكرسى. وإلى روما ذهب أكثر من مرة، وهو صاحب الرسالة إلى رومية التى يكلم فيها المؤمنين كأبيهم الذى ولدهم فى المسيح ورباهم فى الإيمان حتى صار إيمانهم ينادى به فى كل العالم (روميه ١: ٨) ومن الغريب أنه لا يشير فى هذه الرسالة إلى القديس بطرس، لا مع مطلع الرسالة ولا فى آخرها. مما يدل قطعاً على أن القديس بطرس لم يكن حتى ذلك الوقت (سنة ٦١م) قد ذهب إلى روما.

فعدم ذكر القديس بولس فى اللحن ⲟⲛⲧⲱⲥ ليس معناه إنكاراً لفضل القديس بولس فى تأسيس كرسى روما، بل إذ أنه يقتصر على الرسل الإثنى عشر. ولم يكن القديس بولس من بينهم ـ لذلك اكتفى بذكر القديس بطرس حيث أنه مات شهيداً وهذا عمل على نشر الإيمان وتثبيته فيها...

ومع ذلك فإن اللحن ⲟⲛⲧⲱⲥ لا يذكر صراحة كرسى روما بل يقول ⲥⲓⲱⲙⲱⲛ ⲡⲉⲧⲣⲟⲥ ⲛ̀ⲥⲁⲱⲟⲩⲁ أى بروما أو فى روما ولا يقول «كرسى روما» وهذا يصنع

فارقاً كبيراً. فإن اللحن لا يتعرض إلا لذهاب القديس بطرس إلى روما. وهذا أمر حق وثابت تاريخياً.

أما من جهة باقى الإثنى عشر رسولاً، فيلاحظ أن هناك خطأ فى الترجمة العربية، فتوما ـ اسم زائد على المقابل اليونانى فى الفقرة الثانية. ولكنه مذكور فى الفقرة الثالثة مع متى الرسول على أنهما ذهبا إلى بلاد العجم أى القدس، واليمن ـ وأما اليمن فكانت تشمل فى ذلك الزمن القديم أثيوبيا أى الحبشة. فحينما قال مخلصنا «ملكة اليمن أو الجنوب ـ أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان ـ كانت اليمن هى سبا وهى الحبشة أيضاً. كذلك هناك خطأ فى الترجمة العربية للفقرة الثالثة حيث يذكر اسم متى، بينما المقابل اليونانى هو «متياس» Ματθίας

وإليك أطيب الدعوات.

ونعمة الرب تشملكم،،،

٧٣ ـ الصور والإيقونات

رتبت الكنيسة الأرثوذكسية لفائدة المؤمنين إقامة الصور والإيقونات الممسوحة بدهن الميرون المقدس، لتكون أمام أنظار العابدين على الحجاب المقدس حامل الإيقونات فى الكنيسة.

ولسنا نريد هنا أن ندخل فى قانونية هذا الترتيب الرسولى، ومطابقته التامة لروح ديانتنا المسيحية وتعاليمها، ولنصوص الكتب المقدسة. كما لا نريد أن نناقش الاعتراضات التى يثيرها محاربو الإيقونات، فهذه الاعتراضات والردود عليها يمكن أن تدرس فى الكتب التى عنيت بهذه المشكلة الجدلية...

وإنما مرادنا هنا أن نتأمل الفوائد الروحية، الناجمة عن استخدام الصور والإيقونات فى الكنائس ودور العبادة.

(١) ولاشك أن التصوير فن من الفنون الراقية المعبرة الهادفة، والفنان البارع حين يصور شخصية روحية أو واقعية دينية، يودع فيها لمسات قوية يقرأها الناظر إليها فيتأثر بها، وتبلغ إلى قلبه وشعوره بأفصح تعبير، ذلك أن الفن لغة ناطقة بالنسبة إلى الحس والشعور.. وبقدر ما يكون الفنان دقيق الحس مرهف الشعور، موهوباً فى فنّه، تكون دقة تعبيره وبلاغته فى الوصول سريعاً إلى قلب الناظر إلى لوحته والتأثير فى شعوره.

وقد رأت الكنيسة المقدسة الملهمة بروح الله، أن تعين المؤمن العابد، فاستعانت بالفن للتأثير على قلبه وإحساسه...

ولمّا كان الإنسان مؤلفاً من نفس ومن جسد، كان للحواس دور كبير فى نقل المعرفة إلى نفسه، وأعظم الحواس شأناً فى حياة الإنسان هي حاسة البصر، فما يراه الإنسان بعينيه يبلغ إلى قلبه وإلى نفسه، ويطبع فى مخيلته صورة لا تمحى، وحتى لو نسيت من شعوره الواعى تبقى فى أعماق نفسه الباطنة، مصدر إلهام لكثير من تصرفاته العملية فضلاً عن نظراته الفكرية..

(٢) وإذا كان المعلمون والمربون يستعينون على توضيح دروس فى علم الأحياء من نبات وحيوان وفى علم الجغرافيا، وعلوم الفلك والطب والتشريح والطبيعة وما إليها بمصوّرات تساعد على قرب الحقائق العلمية إلى أفهام التلاميذ وتثبيتها فى أذهانهم، فليس بدعاً أن تلجأ الكنيسة إلى الصور والإيقونات كوسائل إيضاح، لتبليغ حقائق الديانة العقيدية والروحية لأفهام المؤمنين، ولتثبيتها فى أذهانهم وأفهامهم الروحية.

لذلك كانت الصور الدينية التى يراها المؤمن فى الكنيسة معلقة أمامه، ذات رسالة وإلهام ومعنى لفكره وقلبه وحياته، إنها تكلمه بلغة الحس بأبلغ مما تستطيع الكلمة المسموعة أو المقروءة أن تصل إليه.. فرؤية المسيح فادينا معلقاً على عود الصليب، وقد كلّل رأسه الملكى بإكليل

الشوك، ويداه مشدودتان بقوة وجسمه يكاد يتمزق، وعظامه توشك أن تنفصل من مواضعها، والدم يقطر من يديه ورجليه وجنبه الطاهر، واليهود وزعماؤهم الدينيون والمدنيون وجنود الرومان القساة الطغاة، يضحكون من حوله أو يتصايحون باستهزاء، والظلمة حول الصليب حالكة لا يكاد ينير فيها إلا وجه المخلص الإلهى، هذه الصورة الجميلة المعبّرة لهى أشد فاعلية فى قلب المؤمن وشعوره من أبلغ عظة.. من أقدر واعظ.

كذلك الطهر والوداعة المرتسمتان على السيدة العذراء فى أيقونتها الجميلة، أو روح البسالة والجرأة كما تبدو من صورة القديس جرجس أو أبى سيفين ومن إليهما من الشهداء الأطهار.. كلها صورة ناطقة ومعبرة بأعمق المعانى الروحية والفضائل المسيحية، التى تريد الكنيسة أن تبلغها فى قوة إلى نفوس المؤمنين العابدين وقلوبهم، لذلك كانت الصور والإيقونات أدوات روحية لإلهاب المحبة الإلهية فى قلوب المؤمنين وإثارة التقوى فى نفوسهم، وحثهم على الفضائل العالية من وداعة وطهارة وشجاعة، واستمساك بالحق، وتضحية بالذات فى سبيل الخير والمثل العليا لمجد الله وخلاص النفوس.

(٣) وإذا كانت الصور والإيقونات تترك كل تلك الآثار، فى نفوس المتطلعين إليها من المؤمنين والمؤمنات، فهى وسيلة ناجحة من وسائل التأثير الدينى القوى، لكنها أيضاً وسيلة سريعة لا تستغرق وقتاً، كما يستغرق الوعظ أو التعليم أو القراءة فى الكتب المقدسة.

(٤) وفضلاً عن ذلك كله، فإنها وسيلة مناسبة لمن يجهل القراءة والكتابة، تكفيه نظرة واحدة، فيقرأ بعينيه ما أودعه الفنان فى الصورة من معانى، وهى المعانى المقدسة التى تريد الكنيسة تبليغها إلى أبنائها.

(٥) أخيراً.. وليس آخراً .. فإن الصور والإيقونات وسائط جذب بانتباه المؤمنين أثناء الصلاة.. فإذا سرح فكر المؤمن أو شده أحد الخواطر بعيداً عن العبادة، نادته الصور المتطلعة إليه بعيونها، وردّته إلى الانتباه من جديد.. وإذا شرد فكره فى موضوع مادى أو حاربته فكرة شريرة وهو يصلى فى الكنيسة، نجته النظرات الطاهرة المنطلقة أشعتها من عيون الأطهار والقديسين. وإذا فترت عزيمته أو تراخى فى طريق الفضيلة، ونظر إلى صليب الرب وصور القديسين قويت عزيمته وتجددت همّته وتشدّدت قواه النفسية والروحية فينشط من جديد، ويستأنف كفاحه وجهاده فى سبيل النصرة الكاملة.

وإذن فنحن نؤمن بوجوب وضع الصور و الإيقونات أمام المؤمنين، لما فى ذلك من فوائد روحية وثمار تقوية، تتجلى فى تلك المسحة المقدسة التى تبدو على الأتقياء العابدين، وهم خارجون من الكنيسة بعد أن ارتسمت فى أذهانهم صور روحانية خلقتها أو أثارتها أو جددتها صور فادينا، وصور والدة الإله وسائر القديسين والشهداء.

٧٤ ـ الدورة بإيقونة الصعود

سؤال: من السيد ميشيل جرجس عبد المسيح ـ مينيسوتا ـ أمريكا.

هل تُعمل الدورة بإيقونة الصعود فى الأحد الذى يقع بين عيدى الصعود والعنصرة؟

الجواب:

فى الأحد الذى يقع بين عيدى الصعود والعنصرة يمكن أن يكتفى بالطواف بإيقونة الصعود سبع دورات فى الهيكل وحول المذبح (١). ذلك أن الهيكل يشير إلى السماء. والدورة فى الهيكل بعد الصعود ترفع أنظار المؤمنين إلى المسيح له المجد «وقد دخل إلى السماء عينها» (العبرانيين ٩: ٢٤) وجلس على العرش، على يمين العظمة فى الأعالى (أعمال ٧: ٥٥، ٥٦)، (رومية ٨: ٣٤) وقد جاءت الملائكة ورؤساء الملائكة وخضعت له ساجدين (١. بطرس ٣: ٢٢)، (أفسس ١: ٢١، ٢٢).

(١) صدر قرار من المجمع المقدس فى ١٧/ ٤/ ٢٠٠١ «بين الصعود والعنصرة تعمل دورة فى الأيام فى الهيكل بإيقونة القيامة والصعود».

٧٥ ـ الاتجاه إلى الشرق

أمر آباؤنا الرسل فى تعاليمهم (١) التى وصلت إلينا بالتقليد الذى سارت عليه جميع الكنائس الأرثوذكسية بأن نتّجه إلى الشرق فى صلواتنا، وأن تبنى أيضاً كنائسنا فى اتجاه الشرق...

وحقاً أن الله موجود فى كل مكان ولا يحصره مكان.. ويمكن أن نصلّى إليه فى أى اتجاه من الاتجاهات الأربعة وفيما بينها.. أما أن تأمرنا الكنيسة الأرثوذكسية بأن نتّجه إلى الشرق فى صلواتنا، فذلك لأسباب روحية بحتة (وليست لاهوتية) تتصل بالشرق دون غيره من الاتجاهات الأخرى..

وتتلخص هذه الأسباب فى أن الشرق مطلع الأنوار، ونحن حين نصلى فإنما نصلى للرب وهو شمس البر والشفاء فى أجنحتها «وتشرق لكم أيها المتقون لإسمى شمس البر والشفاء فى أجنحتها» (٢)، ثم لأن الشرق هو موضع الفردوس (٣)، الفردوس الذى لا زلنا نتطلع إليه كمقر للنفوس الصالحة بعد الموت (٤)، ولأن ابن الله عندما تجسد ظهر نجمه فى المشرق، وعندما صعد إلى السماء كان وجهه نحو الشرق كقول النبى «يا ممالك الأرض رتلوا لله رنموا للسيد الذى صعد إلى سماء السموات تحت المشارق (شرقاً)» (٥) وفى مجيئه الثانى سيأتى من الشرق (٦). هذا فضلاً عن الإشارات الكثيرة التى وردت فى أسفار الأنبياء عن ظهور مجد الرب من الشرق (٧)، وظهور الخلاص من الشرق (٨).

تلك هى أهم الأسباب الروحية التى ذكرها الآباء الرسل فى الدسقولية (الباب العاشر)، وأسهب فيها القديس أثناسيوس الرسولى وغيره من آباء الكنيسة، ومما يقوله القديس باسيليوس الكبير فى ميمر له على الصلاة الربانية «إننا نتجه إلى الشرق ليس لأن الله الذى يرى كائن هناك، لأنه فى كل مكان ولا يتجزأ، لكن لنذكر وطننا الذى فى الشرق لنلتمس الفردوس الذى نفينا منه».

ولا شك أننا كلمَا تطلعنا إلى الشرق فى صلواتنا، ذكرنا كل تلك المعانى السابقة التى أجملناها منذ قليل. وفى الذكرى إثارة روحية لنا حتى نشكر أفضال الله علينا الذى يشرق علينا بشمسه (٩). كما أشرق علينا بشخصه من العلاء فأضاء علينا، وقد كنا جالسين فى الظلمة وظلال الموت (١٠)، وسيشرق علينا بمجيئه الثانى لينقلنا إلى ملكوته. ولكى يثير فينا الإتجاه إلى الشرق من حنين إلى الفردوس مقرنا الذى طردنا منه، ولكن مخلصنا فتحه وأعاده إلينا، إذا كنا نجاهد لنسير باستقامة قلب فى طريق السماء «من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله» (١١).

---

(١) الدسقولية الباب العاشر، والمجموع الصفوى لابن العسال الباب ١٤ (الصفحة الثالثة من صفات المصلى).
(٢) مل ٤: ٢. (٣) تك ٢: ٨. (٤) لوقا ٢٣: ٤٣، ٢. كو ١٣: ٤.
(٥) مز ٦٧ (٦٨): ٣٢-٣٤. (٦) مت ٢٤: ٢٧، لو ١٧: ٢٤، أع ١: ١١.
(٧) إش ٥٩: ١٩، حز ٤٣: ١، ٢، إش ٤٥: ٦، زك١٤: ٤، رؤ٧: ٢. (٨) ٢. مل ١٣: ١٧.
(٩) مت ٥: ٤٥، إش ٢٥: ٣. (١٠) لو ١: ٧٨، ٧٩. (١١) رؤ٣: ٧.

٧٦ ـ طقوس اجتماعات الصلاة (١)

سؤال:

هل لإجتماعات الصلاة طقس أرثوذكسى معين تسير عليه خلاف قراءة الأجابى؟ ما رأى الكنيسة فى أولئك الأفراد الذين يصلون جميعهم فى وقت واحد، ومنهم من يعمل حركات أثناء الصلاة، فيقوم ويركع، ومنهم من يصفق، ومنهم من يصلى وهو يتمشى فى وسط الاجتماع، ويطلق عليهم المتهللون بالروح. ومنهم من يعطى أصواتاً غير طبيعية، وبعضهم يفزع وآخر يئن؟

أبى، إننى جاهل بطقس الصلاة الأرثوذكسى، وأولئك الناس يتهمونني بأننى إلى الآن لم أمتلئ بالروح ! ويقولون أن هذه الحركات تسمى (هذيذ الصلاة) ! هل صحيح أن كنيستنا تأمر بذلك؟ إننى فى إنتظار الرد على صفحات مجلتنا المحبوبة الكرازة.

الجواب:

أحقاً هذا ما يجرى فى كنيسة أرثوذكسية....! إنى لا أكاد أصدق ذلك. إن لكنيستنا عشرين قرناً سلكتها فى روحانية عميقة، وقد صدّرت إلى السماء قديسين من أعلى طراز، ومع ذلك لم تعرف فى كل تاريخها الطويل شيئاً من هذا الاستعراض المسرحى الذى تصفه فى خطابك.

ولقد عرفت صحارينا وأديرتنا نساكاً وزهاداً وعباداً من أعمق ما عرفته الإنسانية فى كل عصورها، ومع ذلك ما سمعنا أو قرأنا أن منهم من كان يسلك فى عبادته شيئاً مما تصفه فى خطابك.

ومهما اتسع بنا الفكر، واستسغنا أن يكون لبعض العابدين فى صلواتهم الخاصة، شئ من حرية التعبير عن مشاعرهم الروحية فى خلواتهم الإنفرادية، لكننا عرفنا أن العابدين كانوا دائماً يلتزمون فى الاجتماعات العامة آداب الصلوات الجمهورية ولا يخرجون عنها. بل المعروف عن روحانية آبائنا إنها كانت دائماً ولا زالت تتميز بمنهج التخبئة والتخفى والتستر، حتى لا يكاد يشعر أحد من حول عبادنا بما يجرى فى قلوبهم من تأملات، وانفعالات، ووجدانات، واحساسات. كانوا ولا زالوا يضبطون مشاعرهم، ويسترون انفعالاتهم ووجداناتهم، فلا يظهر منها إلا القليل الذى يتمشى مع آداب الصلوات الجمهورية.

---

(١) نشر بمجلة الكرازة ـ السنة الثانية ـ العدد السادس ـ أغسطس ١٩٦٦م.

لقد قرأنا عن تاريخ كنيستنا، كما قرأنا عن تاريخ الرهبانية فى صحارينا وأديرتنا، ولم نقرأ عن تلك الحركات العصبية التى يصفونها خطأ بالتهلل بالروح..

إن «التهليل بالروح» قد يكون بالترنيم، وقد تصاحبه الدموع، وقد تلازمه البهجة القلبية، وانطلاق أسارير الوجه فى رضى وفرح وسلام ولكن بكل اتزان ووقار.

و«الامتلاء بالروح» شئ آخر غير تلك الحركات غير المضبوطة التى يندفع بها القوم فى عصبية ظاهرة. الامتلاء بالروح هو الامتلاء بالنعمة والتقوى. وإن أقصى ما يعبر عنه الامتلاء بالروح هو الغيرة المقدسة، التى تملأ القلب حمية فيذود عن الحق الإلهى المقدس، ولكن فى تقوى ووقار. إن سيدتنا مريم العذراء كانت «ممتلئة نعمة» ومع ذلك - وعلى الرغم من أنها لم تكن قد تجاوزت الرابعة عشرة من عمرها - لكنها كانت تتصرف بغاية الاتزان والوقار، بصورة لم تكن تنتظر ممن فى مثل سنها. كانت تعاين أحداث الحمل الإلهى والميلاد وتحية أليصابات، وظهورات الملائكة (١)، ومجئ الرعاة، وتسبيحات سمعان الشيخ وحنة بنت فنوئيل، وسجود المجوس، وكل الروائع السمائية والأرضية، ومع ذلك «كانت مريم تحفظ هذا الكلام كله، وتتفكر به فى قلبها» (٢).

لقد ذكر الكتاب المقدس عن الآباء الرسل (٣) وعن القديس بطرس (٤)، والقديس بولس (٥)، والقديس اسطفانوس (٦) رئيس الشمامسة، وعن كثيرين (٧) وكثيرين أنهم امتلأوا بالروح، ولكنهم قطعاً لم يرقصوا ولا تحركوا بخفة، ولا صفقوا ولا تحركوا حركات عصبية بل تصرفوا فى ملء الوقار والاتزان. وهكذا سار جميع الآباء والقديسين. لقد قال الكتاب المقدس «امتلئوا بالروح» (٨) وقال «اعبدوا الرب بفرح» (٩) وقال « فإن ملكوت الله ليس أكلاً ولا شرباً بل هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس» (١٠). ولكنه كان دائماً يتطلب الوقار، مما يدل قطعاً على أن تعبير الفرح يجب أن يكون دائماً فى حدود الوقار. قال مار بولس الرسول «فأطلب أول كل شئ أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس.. لكى نقضى حياة

---

(١) انجيل القديس لوقا ١: ٢٨.
(٢) لوقا ٢: ١٩.
(٣) أعمال الرسل (٢: ٤)، (٤: ٣١).
(٤) أعمال ٤: ٨.
(٥) أعمال (٩: ١٧)، (١٣: ٩).
(٦) أعمال (٦: ٥)، (٧: ٥٥).
(٧) أعمال (٦: ٣)، (١٣: ٥٢).
(٨) أفسس ٥: ١٨.
(٩) مزمور ٩٩ (١٠٠): ٢.
(١٠) رومية ١٤: ١٧.

مطمئنة هادئة فى كل تقوى ووقار» (١) . وعندما تكلم عن أصحاب الدرجات الكهنوتية طالب الأسقف والقسيس أن يكون «بكل وقار» (٢) وطالب أيضاً «أن يكون الشمامسة ذوى وقار» (٣) و«أن يكون الشيوخ صاحين ذوى وقار» و«أن تكون النساء ذوات وقار» (٤) .

وأما «هذيذ الصلاة» فهو ترديد عباراتها فى لذة روحانية من دون أن نفجر هذا الهذيذ إلى حركات عصبية.

٧٧ ـ ما الفرق بين الاحتراس والصوم؟

سؤال:

ما الفرق بين الاحتراس والصوم؟

الجواب:

الصوم هو المصطلح عليه بأنه، «امتناع عن الطعام» وعادة يكون مصحوباً بحزن. لكن الاحتراس هو أيضاً امتناع عن الطعام ولكن ليس من الضرورى أن يكون مصحوباً بحزن، فمثلاً يوم الأحد نمتنع عن الطعام قبل التناول من الأسرار المقدسة، ولما كان الأحد لا يدخل فى مفهوم الصوم باعتباره أنه يوم عيد، فنسمى الامتناع عن الطعام فى هذه الحالة «احتراس» بمعنى أن الإنسان توقيراً للأسرار المقدسة التى سيتناول منها يمتنع عن الطعام، لكن ليست هى حالة حزن كما فى يوم الأحد ويوم السبت السابق لعيد القيامة أو غيره..

هذه كلها تعبيرات ومصطلحات القصد منها التفريق بين حالة الإنسان فى الصوم المصاحبة بحالة حزن، وبين حالة الامتناع عن الطعام فى يوم عيد أو يوم أحد فنسميها احتراس.

٧٨ ـ التبخير والسجود للأسقف

سؤال:

ما هو التبخير للأسقف ولماذا السجود له؟

الجواب:

لا يوجد تبخير للأسقف أبداً، الكاهن يعطى يد بخور على أساس أن هذا البخور لله، وهو نوع من أنواع العبادة لله، فإذا كان الكاهن معه كاهن آخر موجود، فحتى لا يستأثر بتقديم البخور بمفرده، فلا يزعم أنه الوحيد الذى يعطى البخور لله، فيذهب لأخوه فى الكهنوت ويعطيه يد بخور، بمعنى أن يقول له خذ ارفع البخور مثلى لأنى أنا لست أفضل منك. «مقدمين بعضهم على بعض» ويقول له: «اذكرنى يا أبى القس أو يا أبى القمص.. إلخ». أما بالنسبة للأسقف أو المطران أو البطريرك، باعتبار أن الأسقف أو المطران أو البطريرك إذا كان موجود فى الكنيسة فهو الخادم الأول لسيده، فلابد أنه هو الذى يقدم السجود والعبادة لله قبل القسيس، فالقسيس يعطى له يد بخور، فهو لا يبخر له... لابد أن نفهم أنه يعطى له بخور لكى يقدمها لله باعتباره الرئيس الموجود، ففى مجتمع الكنيسة الأسقف أو المطران أو البطريرك هو الخادم الأول. وهذا الأمر مطلوب، يوجد بعض الأساقفة عندما يأتى الكاهن ليعطى يد بخور يمنعه، أنا رأيت مناظر من هذا القبيل، فقلت لأبونا المطران وقتها وهو الآن فى العالم الآخر، قلت له يا سيدنا ليس لك أنت البخور، فالكاهن يعطى البخور للأسقف لكى يقدمه لله، لأنه هو الأليق، لأنه هو الأكبر كهنوتياً وهو الخادم الأول، هذا هو معنى إعطاء البخور، لا يعطى له البخور كمعبود. حاشا ...

من جهة السجود هذا السجود نوع من أنواع الاحترام، إنما ليس سجود العبادة، أبداً، مثل ما قال فى سفر الرؤيا إن الكاروبيم يأتون ويسجدون عند قدميه، أما السجود للأسقف أو البطريرك فهو نوع من أنواع الاحترام، والمبدأ موجود فى الكتاب المقدس، أبونا إبراهيم سجد أمام أهل الأرض عندما كان يريد أن يشترى حقل لكى يدفن فيه ساره، وسليمان الحكيم عندما جاءت إليه أمه وهو ملك سجد لها. وهكذا فى الكتاب المقدس سجود الاحترام فى العهد القديم والعهد الجديد. كرنيليوس أيضاً عندما إلتقى بسمعان بطرس سجد له. فهنا هذا السجود سجود احترام، عندنا السجود نوعان: سجود عبادة وهذا لا يليق إلا لله. وسجود الاحترام، وفى بعض الأحيان نجد بدلاً من السجود الإنحناء، إنحناء الإنسان أمام رئيسه، فى اليابان تجد الإنحناء، فهذا الإنحناء نوع من أنواع السجود، سجود الاحترام.

٧٩ ـ الجمع بين القداس الباسيلى والغريغورى والكيرلسى فى قداس واحد

سؤال:

هل هناك خطأ إذا صلى الكاهن أوشية من القداس الباسيلى ثم انتقل إلى القداس الغريغورى ثم الكيرلسى؟

الجواب:

الحقيقة هذا غير مستحب لأسباب:

أولا: لأن القداس الغريغورى موجه للمسيح، لله الابن، ولذلك فيه الكلام عن الخلاص وموجه لأقنوم الابن.

والقداس الباسيلى مقدم لأقنوم الله الآب وكذلك الكيرلسى.

ثانياً: من الناحية اللحنية والموسيقية، نجد القداس الغريغورى قداس فرايحى، ولذلك الكنيسة تصلى به عادة فى مناسبات الخلاص والأعياد، والقداس الكيرلسى فيه نواحى الخضوع فيصلى به بمناسبة الصوم وما إليه، فمن الناحية الفنية والناحية الموسيقية، هنا توجد موسيقى وهنا توجد موسيقى أخرى. حقاً أن الكل يلتقى فى الهدف الأخير، لكن يعتبر هذا نوع من النشاذ، وهذه مسألة يستطيع أن يقدرها الناس الفنانين والموسيقيين بالذات.

فالحقيقة غير مستحب أن الواحد ينقل من قداس كيرلسى إلى قداس غريغورى، أنا أعلم أن بعض الناس يحبوا أن يعملوا ذلك، لكن الحقيقة غير مفضل لا من ناحية النص ولا من ناحية الموسيقى، فكل قداس من القداسات الثلاثة الباسيلى والغريغورى والكيرلسى قطعة سيمفونية منفردة. فلا داعى أبداً لهذه العملية.

٨٠ ـ لماذا صلاة القنديل فى جمعة ختام الصوم؟

سؤال:

لماذا تقيم الكنيسة صلاة القنديل يوم جمعة ختام الصوم؟

الجواب:

. لأننا سندخل على أسبوع الآلام، ولذلك يجب أن تكون الصلاة كلها والاهتمام كله تركز فى آلام المسيح، فنصلى القنديل ونحضره، حتى إذا مرض أحد أو احتاج أحد لمسحة المرضى فى أسبوع الآلام، لا نقيم له مسحة المرضى، إنما من الزيت المصلى عليه فى قنديل جمعة ختام الصوم يدهن به. لأن الكنيسة تريد أن تركز اهتمامها بالآلام، أحياناً نسمع أن هناك بعض الناس تطلب من الكاهن أن يعمل لهم قنديل فى أسبوع الآلام، هذا لا يجوز، بالضبط مثل أحد الشعانين نعمل فيه تجنيز عام على جميع الراقدين، لكى يغنى هذا بالنسبة للذين يرقدون فى أسبوع الآلام. ولنفس السبب فى أحد التناصير لكى يتعمد الناس الكبار الذين يدخلون الإيمان، فلا يوجد معمودية بعد ذلك للكبار، إنما بالنسبة للأطفال طبعاً إذا تم المدة القانونية التى نص عليها القانون الكنسى وهذه المدة بالنسبة للمرأة الأم وليست بالنسبة للطفل، لأن الطفل ممكن أن يعمد ولو كان ابن يوم واحد. لكن من جهة دخول المرأة إلى الكنيسة، فالأم تظل أربعين يوماً بعيدة عن الأماكن المقدسة إذا كان ولدها ذكراً و٨٠ يوماً، إذا كان مولودها أنثى. لكن من جهة العماد ممكن للطفل أن يعمد ولو كان ابن يوم واحد. لكن بالنسبة للكبار فلا يوجد معمودية بعد أحد التناصير وهو الأسبوع السابق على أحد الشعانين.

٨١ ـ معنى كلمة كنيسة (١)

سؤال: من السيد راضى إبراهيم خلة ـ ٢١٢ شارع الترعة البولاقية بشبرا مصر.

معنى كلمة كنيسة، وهل عربية أم قبطية ؟ ولماذا دعيت بهذا الأسم؟

الجواب:

كلمة كنيسة من أصل سريانى أرامى بمعنى «جماعة» أو «مجتمع» أو «مجمع» ثم صارت تطلق على مكان الاجتماع أى المعبد أو المتعبد ـ ويقابلها فى اللغة العربية الخاصة كلمة «بِيعة» بكسر الباء لا بفتحها.

٨٢ ـ قاعات للوعظ والألحان (١)

سؤال:

يقام أحياناً وفى بعض الأحياء أو المدن قاعات للوعظ والألحان، فهل تقرون ذلك؟

الجواب:

لقد دُعينا مرة إلى الاشتراك فى إقامة مثل هذه القاعة فى القاهرة فأبينا، وقلنا إنه يمكن بل يجب أن تبنى إلى جانب الكنيسة قاعة ولكن لا للوعظ بل للاحتفالات الكبرى والمحاضرات العلمية (كمحاضرات فى علوم الطب أو الموسيقى أو الفلك أو علم النفس أو فى النبات.. لفوائد علمية أدبية ودينية إلخ) والمناظرات العلمية وحتى الدينية. وحفلات الأعياد والمواسم الدينية وحفلات مدارس الأحد، أو المؤتمرات العامة.. ويجوز استخدامها كذلك للاستقبالات فى الأفراح والمآتم بعد إجراء الطقوس الدينية فى الكنيسة..

وإذن فنحن نرحب وننادى بوجوب إنشاء مثل هذه القاعات إلى جانب الكنيسة لمثل الأغراض المتقدمة. ولكننا نرجو أن نحرص على إتمام خدمة الوعظ بالكنيسة، لأنها طقس دينى صرف، يليق به أن يباشر فى الكنيسة ليأخذ رهبته وقوة سلطانه فى بيت الله من حيث هو كلام الله. حتى إننا نلاحظ أيضاً أن الوعظ فى ترتيب كنيستنا يسبق ويلحق بكثير من الصلوات والطقوس التى لا تباشر فى ـ غير كنيسة مدشنة، كما هو الحال مثلاً فى القداس وصلوات باكر وعشية.

ولا يستثنى من ذلك غير أحوال قهرية كأن تكون البلد محرومة من كنيسة فلا بأس من إقامة القاعة للوعظ بصفة مؤقتة إلى أن تبنى الكنيسة، وهكذا استحالت البيوت التى كان الرسل يتكلمون فيها بكلام الله إلى كنائس، بعد أن بنيت على النسق الرسولى ودشنت (٢)، وهو ـ على ما جاء فى التقليد ـ السبب فى أن السيد حين أرسل تلاميذه أوصاهم «وحيثما دخلتم بيتاً فأقيموا فيه حتى تخرجوا من هناك» (مر ٦: ١٠).

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٣ العدد ٢ فى مايو ١٩٤٩م.

(٢) التدشين هو التقديس والتكريس والتخصيص، وله فى كنيستنا طقس خاص يقوم به الأسقف مع القسيس والشمامسة، تتلى فيه صلوات وتباشر ترتيبات قد تستغرق يوماً بأكمله «لأنه يقدس بكلمة الله والصلاة» (١ . تى ٤: ٥).

٨٣ ـ السجود عند حلول الروح القدس (١)

سؤال: من الأخ المحترم بهنام ميخائيل الفخرانى عضو مجلس ملى جرجا.

اعتدنا أن نرى رجال الإكليروس على اختلاف درجاتهم الكهنوتية يسجدون عند حلول الروح القدس، فى موعده الخاص من كل قداس.. وقد أشير إلى وجوب ذلك على الخادم والشعب فى كل كتب الطقوس سيما كتاب الخولاجى المقدس..

غير أننا رأينا أن بعض حضرات الآباء المطارنة والأساقفة قد أغفلوا هذه المسألة فى السنوات الأخيرة، رافضين السجود وقت حلول الروح القدس، اعتماداً فيهم على الرأى القائل بأن الخادم لا يجب أن يبرح نظره الذبيحة المقدسة طوال القداس!!

فبماذا تفسرون ذلك؟! وما هو الوضع الكنسى الصحيح؟

الجواب:

ليس هناك فيما نعلم نص صريح يقطع فى أن سجود الكاهن ينبغى أن يكون كاملاً، ومع أن كلمة السجود بحسب معناها الاصطلاحى تفيد وضع الجبهة على الأرض، غير أن لدينا نصاً فى كتاب الخولاجى يقول «وليحنى الكاهن رأسه» مما يدل على أنه يجوز الاكتفاء بإحناء الكاهن رأسه.

وليس معنى هذا أن السجود الكامل بوضع الجبهة على الأرض مغالاة لا مبرر لها، فالحق أن السجود الكامل تعبير عن شدة الخشوع وعميق الاتضاع، وروعة ما يستشعره الكاهن من هيبة الله وعمق السر المقدس، ونحن نذكر إلى عهد قريب، المثلث الرحمات طيب الذكر الطوباوى الأنبا مكاريوس الثالث، وكيف كان يسجد، فى تقوى وورع شديد سجوداً كاملاً فيرتمى بجسمه كله على الأرض، واضعاً جبهته وعليها التاج المقدس على أرض الهيكل أمام المذبح الطاهر.

ولست أظن كذلك أن فى هذا السجود الكامل، إهمالاً للذبيحة الطاهرة، وإذا كان حقاً أنه يجب على الكاهن أن لا يبرح نظره الذبيحة المقدسة طوال مدة القداس، ففى الاكتفاء بإحناء الرأس كما فى السجود الكامل، تحويل للنظر إلى أسفل، على السواء، وإذن ليست العبرة بالنظرة المادية، ولكن بروح الخشوع والورع، وعميق الاتضاع، وربما كان فى إغضاء النظر تعبير عن مشاعر التهيب والإجلال أكثر من الحملقة بالعيون الظاهرة، حتى يدع الكاهن بعيون الإيمان الباطنة فرصة لتستحضر فى القلب والعقل معانى السرية الرهيبة، التى تنطوى عليها حقيقة الاستحالة فى القربان المقدس.

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٥ العدد ٦ ـ أغسطس ١٩٥١م.

٨٤ ـ كلمة «إيروبسالتيس» (١)

سؤال :

مامعنى كلمة «ايروبسالتيس» الواردة فى التسبحة؟

الجواب :

معناهـــا «المرنـــم الإلهـــى» أو «المرتـــل المقـــدس» فهى كلمـــة يونانـــية الأصـــل ⲓⲉⲣⲟⲯⲁⲗⲧⲏⲥ (ⲉ) مركبة من النعت ⲓⲉⲣⲟⲥ (ⲉ) ومعناها «إلهى» أو «مقدس» ثم من ⲯⲁⲗⲧⲏⲥ ومعناها «مرتل أو «مرنم». والكلمة تطلق على المرتلين فى «الهيكل» أو فى «الكنيسة» تمييزاً لهم.

٨٥ ـ كلمة «يرومارتيروس»

سؤال :

وصف القديس بطرس خاتم الشهداء فى مجمع القديسين المذكور بالخولاجى المقدس بأنه «يرومارتيروس» فما معنى هذه الكلمة؟

الجواب :

إنها كلمـــة يونانـــية الأصـــل ⲓⲉⲣⲟⲙⲁⲣⲧⲩⲣⲟⲥ (ⲉ) تتألف من النعت -ⲓⲉ (ⲉ) ⲣⲟⲥ ومعناه «مقدس» أو «إلهى» ومن ⲙⲁⲣⲧⲩⲣⲟⲥ ومعناه «شهيد». وعلى ذلك فالكلمة المركبة معناها «الشهيد المقدس».

فإذا كان المترجم إلى العربية قد كتب فى مقابلها «خاتم الشهداء»، فهو لم يترجم الكلمة اليونانية أو القبطية ترجمة حرفية. ولكنه تعرف بإضافة كلمة «خاتم» مما هو معروف عن هذا القديس فى تاريخه، أنه «خاتم الشهداء».

٨٦ ـ طقس القيامة(١)

سؤال :

اقترح بعض الخدام إضافة تمثيلية المريمات إلى تمثيلية القيامة المنصوص عنها فى كتاب دلال أسبوع الآلام، وذلك ليلة عيد القيامة المجيد، فهل تبيح الكنيسة للكهنة أن يضيفوا إلى الطقس المقرر تمثلية أخرى بحجة أن للكهنة سلطان الربط والحل، وهل إذا رفض الكاهن ذلك محتجا بالاستمساك بالطقس والتقليد، كان ذلك منه تزمتا وتشددا تجاوز حدوده

الجواب :

لايجوز إضافة جديد إلى طقس القيامة. على أن يؤدى طقس القيامة بكل أمانة وروحانية ودقة ليفى بالغرض الروحى والتعليمى منه.

ويمكن عرض تمثيلية المريمات فى غير وقت القداس، وفى غير مكان الكنيسة. يمكن عرضها مثلا فى قاعة ملحقة بالكنيسة إذا وجدت، شأنها فى ذلك شأن أى عمل آخر ليس من ترتيب الأباء المعتبرين فى الكنيسة أعمدة، كالتمثيليات والمسرحيات الدينية والأفلام الدينية وسائر الأنشطة غير المعتمدة من رياسة الكنيسة العليا.

إننا كنيسة أرثوذكسية تقليدية وطقوسها غنية بمعانيها الروحية، خصوصا إذا كان أداؤها دقيقا أمينا مفعما بالروحانية والتقوى والوقار. ولسنا فى حاجة إلى إضافة طقوس جديدة فى داخل بيوت العبادة.

وليس للكاهن ولا للشماس فى كنيستنا أن يضيف جديداً ما لم تقره رياسة الكنيسة العليا. وسلطان التشريع والتقنين فى الكنيسة حق للمجمع الإكليريكى المقدس، لأن المسيح له المجد أعطى رسله مجتمعين سلطان الربط والحل «الحق أقول لكم إن كل ماتربطونه على الأرض يربط فى السماوات، وكل ماتحلونه على الأرض يحل فى السماوات» (متى ١٨ : ١٨) . وهو غير سلطان حل الخطايا وامساكها المعطى للرسل أيضا (يوحنا ٢٠ : ٢٣) .

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٢٨ عدد ٩، ١٠ نوفمبر وديسمبر ١٩٧٤م.

٨٧ ـ تكرار الصلاة الربانية(١)

سؤال : بتوقيع خاطئ يطلب الصلاة لأجله:

لماذا نكرر الصلاة الربانية ثلاث مرات فى كل صلاة من صلوات الأجبية؟

الجواب :

إن تكرار الصلاة هو للإلحاح واللجاجة. وقد أوصانا السيد المسيح أن نصلى ولا نملّ (لو ١٨ : ١) وأيد ذلك بمثل الأرملة التى أخذت تتردد على قاضى الظلم، وتلح عليه، لينصفها من خصمها، وقد اضطر إلى إنصافها من أجل لجاجتها (لو ١٨ : ٢-٨). وأيده أيضاً بمثل الصديق الذى مضى إلى صديقه فى منتصف الليل يرجوه أن يقرضه ثلاثة أرغفة ويكرر الرجاء، ثم يقول السيد المسيح معقبا على هذا المثل «أقول لكم إن لم يقم ويعطه لأنه صديقه، فإنه من أجل لجاجته يقوم ويعطيه ما يحتاج إليه» (لو ١١ : ٨). ومما له مغزى هنا أن المثل وهذا التصريح، فاه بهما معلمنا، بعد أن علم تلاميذه الصلاة الربانية مباشرة، فتأمل!! (راجع لوقا ١١ : ١-٨).

وها هو المخلص نفسه يكرر صلاته فى بستان جثسيمانى ثلاث مرات. قال الكتاب عنه: «ثم مضى أيضا وصلى، وقال هذا الكلام بعينه» (مر ١٤ : ٣٩)، «فتركهم أيضا ومضى وصلى ثالثة قائلا هذا الكلام بعينه» (مت ٢٦ : ٤٤).

إذا تفكرت فى هذا كله، عرفت أن تكرار الصلاة الربانية لايبطلها ولايضعفها بل على العكس، أن تكرارها بروح التقوى والتعبد، يجعلها أعظم قوة فى فم قائلها وفى قلبه. أما قول المخلص «وحينما تصلون لاتكرروا الكلام باطلا كالأمم، فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم» (مت ٦ : ٧)، فواضح أن النهى فيه منصب لاعلى التكرار إطلاقا، بل على التكرار الباطل.

٨٨ ـ تكرار صلاة الأجبية

سؤال : من أحد القراء

هب أن أرثوذكسياً ـ كاهناً أو علمانياً ـ تلا صلاة من صلوات الأجبية بالكنيسة، فهل يجوز تلاوتها مرة أخرى بالمنزل انفرادياً؟ أو العكس إذا حدث أن هذا الأرثوذكسى تلا الصلاة بالمنزل فهل يجوز تلاوتها مع اخوته مرة أخرى بالكنيسة؟

الجواب :

نعم يجوز.

٨٩ ـ هل الطقس القبطى رسولى؟(١)

سؤال :

هل الطقس القبطى الأرثوذكسى رسولى، وهل طائفة الرسوليين هى من عهد الرسل؟

الجواب :

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كنيسة رسولية بمعنى أنها من عهد الرسل، وقد أسسها السيد المسيح بنفسه بمجيئه إليها طفلا، لكن القديس مرقس الرسول أحد السبعين رسولا هو كاروزها الأول بالسيد المسيح، وهو أول بطاركتها وأساقفتها وقد كرز بالإنجيل أول ما كرز بالأسكندرية ولذلك سميت الكنيسة فى مصر بكنيسة الأسكندرية، وظلت تعرف بهذا الاسم، فى العصور الرسولية الأولى وإلى اليوم.

أما طائفة الرسوليين فشئ آخر.. إنها طائفة حديثة لا تنتمى إلى العصر الرسولى.. وهى إحدى الفرق والشيع البروتستانتية الحديثة التى تزعم وتدعى لنفسها أنها تتبع الرسل. وليس الأمر أكثر من مجرد ادعاء.

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٢٨ عدد ٩، ١٠ نوفمبر وديسمبر ١٩٧٤م.

٩٠ ـ لحن «افرحى يامريم» (١)

سؤال :

فى لحن افرحى يامريم. «نسألك يا ابن الله أن تحفظ حياة بطريركنا الأنبا..... رئيس الأحبار ثبته على كرسيه .... لكى نسبحك مع الشاروبيم والساروفيم... الخ» هل معنى هذا أنه إذا لم يحفظ لنا الرب حياة بطريركنا لانسبحه؟

الجواب :

إن الكنيسة المقدسة تنظر إلى البطريرك على أنه رمز وحدتها ورأسها المنظور، والدعاء الذى ترفعه الكنيسة من أجل البطريرك فى هذا التسبيح (الأسمى) موجه بالذات إلى طلب استقراره فى منصبه كرئيس أعلى للكنيسة، وممثلها المسئول عنها. فبقاؤه فى مسئوليته معناه بقاء الكنيسة ودوامها واستمرارها وخلودها. وبهذا يدم التسبيح لله وتستمر العبادة للخالق والخدمة لسيادته العلية. فإذا كانت الكنيسة فى تسبحتها تلك تربط بين حفظ حياة البطريرك وثباته على كرسيه واستقراره فى مسئوليته كرئيس أعلى للكنيسة، وبين تسبيحها لله مع الشاروبيم والساروفيم فلأن فى إبعاد البطريرك عن كرسيه ـ كما حدث ويحدث فى أزمنة الاضطهاد التى مرت وتمر بها الكنيسة ـ زعزعة لكيان الكنيسة كلها حيث أن البطريرك هو رأسها المنظور. ووجوده هو الصورة المرئية لوجود الكنيسة واستمرارها، وبقائها وخلودها. ولعل هذا التصور لمفهومنا الكنسى بالنسبة للبطريرك وعلاقته بالكنيسة كرئيسها ورمز وجودها المنظور، مأخوذ من قول ربنا يسوع المسيح نفسه «اضرب الراعى فتتبدد الرعية» (متى ٢٦ : ٣١)، (مرقس ١٤ : ٢٧) مقتبسا من قول سابق لله تعالى فى العهد القديم على فم النبى زكريا (زكريا ١٣ : ٧).

٩١ - مامعنى كلمة «سلاه» ؟ (١)

سؤال :

مامعنى كلمة «سلاه» المذكورة كثيراً فى سفر المزامير؟

الجواب :

هى كلمة عبرانية، نُقلت بحروفها إلى جميع اللغات، وقد اختلف علماء اللغات فيما إذا كانت «فعلا» أو «اسماً» كما اختلفوا فى تحديد معناها على وجه دقيق.

فمن قائل إنها أمر بالصمت أو الوقف الموسيقى، كان يوجهه رئيس الفرقة الموسيقية إلى الموسيقيين أو إلى فريق منهم على الأقل، وفقا لما يقتضيه التوقيع الموسيقى، ومن قائل إنها على العكس أمر «بالعلو» أو «الرفع» للصوت، وهناك من يقول إنها علامة أو إشارة لوقف الغناء، مع استمرار التوقيع على الآلات الموسيقية وحدها.

ومهما يكن من أمر، فمما لاشك فيه أن «سلاه» كلمة عبرانية كانت تستخدم فى تلحين المزامير وتوقيعها على الآلات الموسيقية، وأنها علامة أو إشارة لتنظيم الإيقاع الموسيقى.

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد - السنة العاشرة - عدد ٢ - فبراير ١٩٥٦م.

٩٢ ـ المقصود بسبعة وأربعة

سؤال :

ما المقصود بعدد ٧ و ٤ فى تسبحة كيهك؟

الجواب :

يوجد تذاكيات ويوجد هوسات، هوس يعنى تسبيح وتذاكيات تعنى تمجيد. فمعناها تسابيح وتماجيد. نحن نسبح الله ونمجده من أجل تجسده، فهى نوع من أنواع إظهار أعمال الله وتسبيحه من أجلها. وهناك أيضا تمجيد للسيدة العذراء باعتبار أنها خادمة التجسد رقم واحد، واحتملت الكثير وعن طريقها تم خلاص العالم، لأنها هى التى وقع عليها الاختيار أن تكون والدة الإله، فهذا نوع من أنواع التمجيد وهذا مشروع، لأن سيدنا له المجد أمر بهذا، عندما جاءت المرأة التى سكبت الطيب على رأسه وهى مريم أخت لعازر، فيهوذا قال لماذا كل هذا الإتلاف. أما كان يباع بثلاثة مئة دينار ويعطى للفقراء، والظاهر أن باقى التلاميذ انضموا إلى يهوذا فى هذا الاعتراض، وجدوه اعتراض معقول ولو أن يهوذا مثل ما قال يوحنا «قال هذا لا لأنه كان يبالى بالفقراء بل لأن الصندوق كان معه، وكان يحمل ما فيه» وهذه شهادة مرة من زميل له وهو يوحنا. لكن سيدنا له المجد لم يوافق يهوذا بل قال له لماذا تزعجون المرأة، أنها عملت بى عملا حسنا، فها الفقراء معكم فى كل حين، أما أنا فلا أقيم معكم كل حين، لأنها صنعت هذا لتكفينى، وقال: حيثما يكرز بهذا الإنجيل يخبر بما فعلته هذه المرأة إحياء لذكرها. ولذلك يتلى هذا الإنجيل فى عشية بعض أعياد العذراء مريم، كأن الكنيسة تشير بهذا أنه يجب أن يذكر مافعلته هذه المرأة، وكذلك فى المجمع يصلى الكاهن صلاة المجمع ويقول «لأن هذا أمر ابنك الوحيد أن نشترك فى إحياء ذكري قديسيك»، من أين جاءت هذه الكلمة؟ متى كان هذا؟ جاءت من هذه الآية «لأنه حيثما يكرز بالإنجيل يخبر بما فعلته هذه المرأة إحياءا لذكرها» هنا المسيح أمر أن هذه المرأة يذكر اسمها كلما انتشر الإنجيل، وهذا هو السبب أنك تجد هذه القصة مذكورة فى الأربع أناجيل. فكأن هنا أمر أننا نذكر القديسين. وهنا نحن لا نعطى مجد الله للقديسين كما يعترض البعض، لا نحن نذكر القديسين ونمجدهم لأجل المسيح، لأنهم احتملوا من أجل المسيح، وهذا تشجيع للشباب وللناس الصغار أن يعملوا مثل هؤلاء القديسين، لكن أيضا هذا أمر المسيح. ليس فقط أمر مشروع، ولكن بالأمر «هذا هو أمر ابنك الوحيد أن نشترك فى إحياء ذكرى قديسيك». فهنا الكنيسة فى التسبحة الكيهكية عندما تمجد العذراء مريم، وتقول العليقة التى رآها موسى النبى فى البرية، يا شورية هارون.... كل هذا تمجيد، وهذا أقل

واجب للوفاء، العذراء احتملت الكثير، لا يوجد مخلوق ولا حتى من الأباء الرسل احتمل مثل السيدة العذراء إطلاقا، فهذا شئ من الوفاء أن نذكر العذراء ونمجدها، وكلها عبارة عن صلوات حلوة ولا يوجد فيها أي خروج إطلاقا، وليس فقط العذراء مريم، هناك قديسين آخرين، يوجد كتاب اسمه كتاب التماجيد، فأيضا الأباء الرسل فى صوم الرسل بنذكر التمجيد الخاص بهم، وكذلك الشهداء الآخرين نذكر تماجيدهم، مثل مارجرجس وأبى سيفين والست دميانة، وهذا التمجيد ليس معناه أننا نأخذ تمجيد المسيح ونعطيه لهذا القديس لا.. نحن نمجده لأجل أنه أطاع المسيح، وتشجيعا للشباب وللصغار لكى يصنعوا مثلهم.

فالكنيسة عندما تمجد القديسين فكأنها فى نفس الوقت تشجع الصغار على أنهم يعملوا أعمال القديسين.

أقول ٧ هوسات تعنى هوسات تسبيح لربنا ولأعماله، وهذا التسبيح كنوع من أنواع التذكير لأعمال ربنا، وهذه تلهب القلب بمحبة ربنا أكثر وتذكر الإنسان «باركى يانفس الرب ولاتنسى كل حساناته» لاتنسى، عملية التذكير تكون مساعدة للإنسان لكى ينمو فى النعمة، وفى الوقت نفسه يلتهب بمحبة ربنا وتمجيده . كذلك أيضاً ٤ تذاكيات للعذراء مريم، نوع من أنواع التمجيد لها، كذلك منسوب تماجيد لأعمال القديسين التى مجدوا الله بها. فنحن نتذكر تمجيدهم لربنا من خلال ذكرنا لأسمائهم، فى الواقع القديسين عملوا أعمال مجيدة سببوا خيرا للكنيسة كلها، وهذا نوع من أنواع الكرازة بحياتهم. فكون أننا نُذَكِّر أنفسنا بما صنعه القديسون، هذا شئ من الوفاء لهم، وأيضا تشجيع للمبتدئين فى الحياة الروحية أن يصنعوا مثل ما صنع هؤلاء القديسون.

٩٣ ـ غطاء الرأس للكاهن

سؤال :

أوصى الرسل بأن المرأة تغطى رأسها والرجل لايغطى رأسه، ولكن لماذا يغطى الكاهن رأسه وهو يصلى القداس؟

الجواب :

هذا الكلام كان مكتوب لأهل كورنثوس، لأن هذا نوع من أنواع القوانين، وقوانين الكنيسة يمكن تقسيمها إلى قسمين كبيرين، قوانين لها القيمة الأبدية خصوصا فيما يتصل بالعقائد الإيمانية. وهناك قوانين أخرى ليست لها القيمة الأبدية، مثل القوانين الطقسية التى ترتبط بالزمان والمكان، وموضوع غطاء الرأس، هذه مرتبطة بمبدأ عام، المبدأ العام هو الاحترام، لكن هذا الاحترام يأخذ أشكال مختلفة، بحسب طبيعة الزمان والمكان، اليوم الناس فى الغرب عندما يدخل الفرد الكنيسة لابد أن يرفع القبعة، كذلك عندما يمر عليه ميت لابد أن يرفع القبعة، هذه عادة متأصلة فى بلاد الغرب كعلامة من علامات الاحترام، فخلف هذا التصرف مبدأ اسمه مبدأ الاحترام، ولكن فى الشرق العكس، فى الشرق من مبدأ الاحترام أن الإنسان يغطى رأسه، ولذلك نحن حتى قبل الثورة كان الإنسان عندما يدخل على رئيسه لابد أن يلبس الطربوش.

٩٤ - تقبيل يد الكاهن

سؤال :

سمعت من أحد الكهنة أنه لايجوز تقبيل يد الكاهن إلا بعد إصعاده الذبيحة فقط. أما خارج الكنيسة لايجوز، فما هو مدى صحة هذا الكلام؟

الجواب :

يا بنى تقبيل يد الكاهن ليس مسألة جبرية أنت مضطر لها. إنما مبدأ التقبيل هذا شئ طبيعى، الإنسان يقبل صورة ابنه أو إبنته، أو أم تقبل صورة ابنها، هذا تعبير عن الحب وتعبير عن الاحترام، وليس فقط تقبيل يد الكاهن لكن الإنسان منا يقبل يد أمه ويد أبوه، فهذه القبلة قبلة أدب وقبلة احترام، بغض النظر عن أنه رفع الذبيحة أو لم يرفعها. فهذا من الأدب الإنسانى، عموما أى إنسان كبير فى السن نحترمه، والمفروض أن الكاهن إلى جانب أنه رجل دين فهو رجل شيخ، حتى كلمة قسيس معناها شيخ، وحتى عند إخواننا المسلمين رجال الدين يسموهم شيوخ، فأولا من جهة المبدأ تقبيل يد الكاهن مسألة ليست عقيدة، ولا أستطيع أن أقول أنت مجبر على ذلك، لم يقل أحد هذا الكلام فى الكنيسة كلها، إنما المسألة مسألة تعبير، فتقبيل يد الكاهن تعبير عن الحب والاحترام، إن لم يكن من حيث أنه رجل دين فعلى الأقل من حيث أنه شيخ، وكما قلنا أنه من الأدب الصغير يحترم الكبير، والولد يقبل يد أمه ويقبل يد أبوه كنوع من الآداب اللائقة.

الأمر الثانى أن الكاهن أصبح مقدسا، ليس فقط لأنه يقدم الذبيحة، ولكن لأنه أخذ السر وهو أصبح مسيح الرب بالمعنى الخاص للكلمة، فكممسوح فيه مسحة مقدسة، إذا كان الإنسان منا يقبل الصورة ويقبل السجاد ويقبل الصليب، ويقبل ستر الهيكل، تقبيل الستر ليس معناه أننا نعبد الستر، ولكن لأن هذا فى بيت الله.

فالإنسان عندما يقبل الصورة لايقبل الصورة من حيث هى ورق، ولكن يقبل الصورة من حيث أنها تحمل صورة فلان، عندما يقع الكتاب المقدس وهو عبارة عن ورق، وممكن ورق قديم وورق ممزق، لكن لاتقبل أن تترك الكتاب المقدس على الأرض حتى لو وقع خطأ، فترفعه وتقبله، هنا القبلة لها معنى الاحترام، ولها معنى التقديس ليس للورق ولكن لصاحب الكتاب المقدس وهو الله نفسه. فالكاهن باعتبار أنه رسول رب الجنود، فالواحد يعطى له الاحترام على أساس أنه يمثل السلطة الإلهية، مثل ما قال الكتاب المقدس «شفتان الكاهن تحفظان معرفة ومن فمه تكون الشريعة» لأنه رسول رب الجنود فأنت تكرمه مثل ما قال المسيح للرسل «من يكرمكم

يكرمنى» . وقال «من احتقركم احتقرنى» ، بل وأعطى كلمة فظيعة قال: «الذى لايقبل كلامكم انفضوا الغبار العالق بأرجلكم، الحق أقول لكم أنه ستكون لسدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالا مما لهذا البيت أو لهذه المدينة» لذلك أعطى الله الكرامة للرسل أن كل مايحدث لهم ينسب إليه هو شخصيا. فوضع الكاهن من هذه الزاوية، فبغض النظر أنه قدم الذبيحة أو لم يقدم الذبيحة. فهو كاهن أصلا وأخذ المسحة المقدسة وتقديم الذبيحة إحدى العمليات التى أصبح مكلفا القيام بها.

٩٥ - الفرق بين التقليد الكنسى والدسقولية

سؤال :

ما هو الفرق بين التقليد الكنسى والدسقولية؟

الجواب :

التقليد الكنسى هو المسلمات، Paradosis باليونانى، والتقليد بالعربى من القلادة ويقابلها بالإنجليزى Tradition وهذا غير التقليد بمعنى المحاكاة Imitation .

التقليد الكنسى هو المسلمات الشفهية أو العملية غير المكتوبة فى الأصل، ومن الممكن أن تكون كتبت فيما بعد. فالتقليد هو المسلمات، الأشياء التى تسلم، أى تعطى من يد، إلى يد وهذه واضحة جدا فى حياة الآباء الرسل فى الكنائس التى يسموها الكنائس الرسولية، والتى أشار إليها بولس الرسول عندما يقول «أمدحكم أنكم تحفظون التقليدات كما سلمتها إليكم». دون أن يشير إلى ما هى التقليدات. ومرة ثانية يقول «وأما الأمور الباقية عندما أجئ أرتبها»، وهناك أشياء مشار إليها فى العهد الجديد، وكانت مسلمة فى العهد القديم، مثلما قال بولس الرسول «قال موسى أنا مرتعب ومرتعد»، هذه الحادثة فى العهد القديم لكن كيف وصلت إلى بولس الرسول؟ طبعا بالتقليد، لأن العهد القديم لايوجد فيه هذه الحادثة، مرة أخرى يقول «قال الرب مغبوط العطاء أكثر من الأخذ» هذه ليست موجودة فى الأناجيل وينسبها إلى الرب يسوع، هذا قيمة التسليم للرسل الذين أخذوا من المسيح وذهبوا إلى الكنائس أو إلى البلاد وسلموا، المسيح قال لهم «تلمذوا جميع الأمم وعمدوهم وعلموهم بكل ما أوصيتكم به» جميع ما أوصيتكم به، ومذكور عن الآباء الرسل أن المسيح كان يجلس معهم بمفردهم ويشرح لهم أمور كثيرة، قال لهم «أنتم أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات» الأمر الثانى أنه يذكر أنه فى الأربعين يوم كان يكلمهم «عن الأمور المختصة بملكوت الله» ولم يذكر أى شئ من هذه الأمور، وفى كتاب الدسقولية فى بعض الأحيان يشير إلى أشياء يقول كما علمنا، وكما سمعنا من الرب يسوع، والذين قالوه لم يجئ فى الإنجيل ، من هذه الأشياء مثلا ماينبغى أن يحدث للأسقف عند تجليسه، الدسقولية تتكون من ٣٩ فصل وتسمى تعاليم الرسل، وهى التعاليم التى استقوها من السيد المسيح له المجد، سواء كانت الجلسات الخاصة التى كان يجتمع فيها معهم، أو فى الأربعين يوم التى كان يكلمهم فيها عن الأمور المختصة بملكوت الله. مذكور فى إنجيل لوقا أنه ظهر لتلميذى عمواس وهما لوقا وكليوباس وأنه كان يكلمهما ويفسر لهما عن الأمور المختصة به. وجاء فى سفر الأعمال ٢٤ عن المسيح أنه كان يكلمهم عن الأمور المختصة به دون أن يذكر التفاصيل.

عموما التقليد الكنسى هو التسليمات، المسلمات الغير موجودة فى الكتاب المقدس، وتسلمها الآباء الرسل، وإن كان بعد ذلك دونت، سواء كانت فى الدسقولية وأيضا فى كتب الكنيسة الأخرى، مثلا طريقة التعميد والمسح بالميرون وطريقة الزواج، والرسامات الكهنوتية، وفكرة الصلاة وكيف تتم، وموضوع الأجبية والصلاة بالمزامير كل هذه موجودة فى الكتب الكنسية ومنسوبة إلى الآباء الرسل سلموها إلينا. وكذلك ترتيب الأصوام، وترتيب الأعياد وترتيب القداس وبناء الكنائس وطريقة بناء الكنائس وتفاصيل كثيرة فيما يتصل بالناحية العملية، مارمرقس الرسول عندنا جاء إلى بلدنا سلمنا القداس. ما هو القداس؟ أكيد أكيد إن الآباء الرسل أخذوه من المسيح ولذلك نفس الرسول بولس يقول «من الرب تسلمت ما سلمتكم» طبعا هو لم يتسلم من الرب مباشرة، تسلم من الآباء الرسل الذين أخذوا من المسيح، تسلمت من الرب ما سلمتكم وأخذ يشرح سر الافخارستيا أو سر الشكر، فهذا التقليدات عبارة عن المسلمات الغير مدونة بالكتاب المقدس أو بالأناجيل، وهى أصلا ترجع إلى المسيح نفسه والآباء الرسل الذين أخذوا من المسيح، وهذه حكمة المسيح لماذا اختار ١٢ تلميذ على الرغم من أن المسيح كان يعلم فى الشوارع وكانت جماهير كثيرة تتبعه. هؤلاء التلاميذ تركوا كل شئ وتبعوه، وهى أرقى أنواع التلمذة تلميذ بمعنى disciple مثل تلاميذ الفلاسفة والأنبياء، وتلاميذ السيد المسيح الذى كانوا يعيشوا مع المسيح فكانوا بذلك إمتدادا لمعلمهم لذلك قال لهم «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم وعلموهم جميع ما أوصيتكم به».

فالدسقولية هى تعاليم الرسل غير المكتوبة فى الأناجيل، ودونت فى كتب منها الدسقولية، والتقليد هو المسلمات التى تسلمها الآباء الرسل ومنها قوانين الرسل، ومنها الكتب الكنسية مثل كتاب المعمودية، وكتاب الخولاجى... الخ.

٩٦ - صوم المذبح

سؤال :

لماذا يجب أن يصوم المذبح ٩ ساعات قبل عمل القداس التالى؟

الجواب :

نوع من أنواع الاحترام والاجلال للسر المقدس، إن صوم المذبح يحمل معنى الإعداد، فأنت قبل أن يأتى إليك ضيف كبير له أهميته، تعد المكان وتأخذ وقت فى إعداد المكان، وهذا نوع من أنواع الإجلال والتعبير عن احترام الشعب واحترام الكنيسة لحلول المسيح وظهوره، فتجهيز المائدة بصوم المذبح فيه نوع من التخصص تعبير عن الاحترام والاجلال للذبيحة، وفى الوقت نفسه هو تطبيق للإنسان المسيحى أن لايتقدم إلى سر التناول إلا بعد إعداد نفسه بصومه ٩ ساعات على الأقل، وهذه المدة تعتبر كحد أدنى، وهى مبنية على الآية «طوبى للجياع والعطاش إلى البر فإنهم يشبعون» فبالصوم يصير الجسد فى حالة جوع كما أن الروح نفسها تكون جائعة إلى البر، وهذا يجعلها فى شوق، كذلك الجسد باعتباره زميل للروح فلابد أن يجوع، كإعداد للجسد مع الروح أن يكونا فى حالة جوع وشوق إلى العطية الكبيرة التى يأخذها الإنسان فى سر التناول، فلا يقبل على التناول وهو متقزز، لأنه يشعر بالشبع، وغير قادر أن يأخذ أكثر من ذلك.

وأيضا عدم الصوم يحمل عدم احترام للوليمة السمائية، فالإنسان عندما يأكل يأخذ حاجته من الطعام المادى، والتناول بعد ذلك يكون فضله زائدة، ففى كنيستنا الأرثوذكسية نشترط تجويع الجسد، أو جعل الجسد فى حالة جوع يتمشى مع جوع الإنسان روحيا إلى البر. «طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون» فكذلك أيضا كنوع من أنواع الاجلال يصوم المذبح أى لايمارس عليه قداس قبل ٩ ساعات من القداس السابق، كنوع من أنواع الاحترام والاجلال والاعداد والاستعداد للقداس.

٩٧ ـ تسليم القداس الإلهى

سؤال :

كيف وضع القداس الإلهى بالترتيب، هل بإلهام الروح القدس أم باختطاف بعض الآباء القديسين ورأوا هناك هذا الطقس فنفذوه هنا على الأرض ؟

الجواب :

القداس الإلهى سلم أولاً من المسيح، وبعد ذلك الآباء الرسل أضافوا إضافات معينة، خصوصا بعد قيامة المسيح وصعوده إلى السماء، وهذا أمر كان مباحا لهم أن يصنعوه، لكن أول شئ فى القداس، يقول الرسول بولس «قد تسلمت من الرب ما سلمتكم، أن الرب فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزا على يديه» وهى عملية تقديس الخبز والخمر، وهنا كلمة تسلمت من الرب، الواقع أن بولس الرسول لم يتسلم من الرب مباشرة، إنما تسلمه من الآباء الرسل المعتبرين أعمدة، لأن بولس الرسول لم يصبح مسيحيا إلا بعد صعود المسيح إلى السماء، لكن لأنه أخذ تسليمه من الأباء الرسل، هم الذين وضعوا عليه اليد، وهم الذين أرسلوه، وأصبح رسولا، ومن هنا أصبح الرسول الثالث عشر. لأن بابا الأسكندرية من ضمن ألقابه، ثالث عشر رسل المسيح، مجرد لقب تمشيا مع ما نسب إلى بولس الرسول أنه ثالث عشر رسل المسيح. المهم أن بولس الرسول يقول تسلمت من الرب ما سلمتكم، هو لم يتسلم من الرب مباشرة، لكن لأنه تسلم من الآباء الرسل المعتبرين أعمدة، فيعتبر أنه تسلم من الرب مباشرة، وهذا ما يعرف بالخلافة الرسولية، فأساس القداس هو ما سلمه الرب نفسه وقال «اصنعوا هذا لذكرى» وهى الصناعة المقدسة، هى عمل نفس أساس القداس. وبعد ذلك أضيفت فيما بعد بعض الصلوات، قد تكون هذه الإضافات بعضها من المسيح نفسه، عندما سلم الآباء الرسل فى الأربعين يوم بعد قيامته، عندما كان يجتمع بهم، ولابد أنه أعطاهم تعليمات عن نظام العبادة وما إليها. الأمر الثانى أن الروح القدس أرشد الآباء الرسل، وقال لهم «أنه يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم» يعلمكم ويذكركم، فيه تذكير وفيه تعليم، والروح القدس رافقهم والمسيح قال لهم ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر، وقال لهم «لا تهتموا لأن الروح القدس يرشدكم فى تلك الساعة ما تقولونه». ومن هنا أولا التسليم الأصلى من المسيح، ثم الأباء الرسل أخذوا بعد القيامة المقدسة منه شيئا، والروح القدس أيضا أرشدهم، ولذلك بيعد أساس القداس فى جميع الكنائس الأرثوذكسية على اختلافها وحتى الكاثوليكية أيضاً واحداً، ولذلك تجد اتفاق فى عدد من النصوص فى القداسات جميعها وما يدل على أن الأصل واحد، ولكن فيه إضافات لبعض الأواشى أو ما نسميه بالصلوات وما إلى ذلك. أيضا يوجد عملية ترتيب

الأسبقية فى الصلوات، فالقداس أصلا من الرسل، ولذلك عندنا ما يسمى بقداس الرسل، فالكنيسة القبطية تسلمت القداس الذى عرف بالقداس المرقسى. هذا القداس المرقسى هو أول من قدس به مارمرقس الرسول، ومذكور أن يوم استشهاد مارمرقس الرسول أنه كان يحتفل بعيد القيامة فى الأسكندرية، ثم أخذوه وشدوه إلى آخر هذه الأمور، فكان يحتفل بالقداس، فهو سلمنا القداس، وظل هذا القداس المرقسى يسلم شفهيا كتقليد، إلى أن جاء البابا كيرلس الأول «الرابع والعشرون من بطاركة الأسكندرية» الذى تنيح فى سنة ٤٤٤م، هذا الرجل المعروف بعمود الإيمان، هو الذى دون هذا القداس وكتبه كتابة، فالبابا كيرلس الأول دونه، وطبعا لابد أن يكون أضاف عليه بعض الصلوات أو بعض الأواشى، فنُسب أيضا إليه وصار يسمى بالقداس الكيرلسى، فالقداس الكيرلسى هو بعينه القداس المرقسى، ولذلك نجد فى الخولاجى الكبير مكتوب هذا الكلام، قداس القديس مرقس الرسول الذى دونه البابا كيرلس الأول، وهو الرابع والعشرون من باباوات الأسكندرية، فهو يسمى القداس الكيرلسى ويسمى أيضاً القداس المرقسى. فالقديس مرقس الرسول هو الذى سلم إلينا القداس فى الكنيسة القبطية.

وكذلك الكنائس الأخرى، مثلا إخواننا السريان الأرثوذكس، القداس الخاص بهم يسمى قداس ماريعقوب الرسول، وإخواننا الأروام القداس الذى يصلوا به يسمى قداس القديس يوحنا ذهبى الفم، وهو أيضا القداس الرسولى الذى سلم إليه، وحدث أن يوحنا ذهبى الفم أضاف بعض الصلوات، أو أحدث بعض التنظيم أو الترتيب، الذى يسمى الآن التنظيم البيزنطى أو الطقس البيزنطى. فصار يسمى قداس يوحنا ذهبى الفم، إنما ليس يوحنا ذهبى الفم هو المنشئ لهذا القداس، كذلك ما نسميه بالقداس الباسيلى، ليس القديس باسيليوس هو الذى أنشئ هذا القداس، وإنما القديس باسيليوس لمكانته الروحية العظيمة دون هذا القداس وأضاف إليه بعض الصلوات فنسب إليه وسمى بالقداس الباسيلى، لكن ليس القديس باسيليوس هو الذى أنشأه، كذلك القداس الغريغورى، ليس القديس اغريغوريوس هو الذى أنشأ القداس الغريغورى، إنما هو القداس الرسولى، ثم أضاف إليه هذا القديس بعض إضافات أو بعض أواشى فصار ينسب إليه وهو القداس الغريغورى.

المهم أن القداسات كلها أصلها رسولى، تسلمت من المسيح لأن المسيح هو الذى سلم القداس الأول، لأن كلمة قداس من التقديس، وأول من قدس الخبز والخمر هو المسيح، كل القداسات تأخذ نفس الصيغة التى استخدمها سيدنا له المجد، فى جميع القداسات تجد نفس الصيغة، ونفس الترتيب، الذى استخدمه رب المجد. ولذلك الرسول بولس جرؤ على أن يقول تسلمت من الرب ما سلمته إليكم.

٩٨ ـ أوشية الراقدين فى أيام الخمسين

سؤال : من أحد الإكليريكيين

هل تجوز الصلاة بأوشية الراقدين فى أيام الأعياد والخمسين المقدسة، فالملاحظ أن بعض الكهنة لا يصلون أوشية الراقدين إلا فى الأصوام، أما فى غير الأصوام فيصلون فى العشيات، أوشية المرضى.

الجواب :

نعم تجوز الصلاة بأوشية الراقدين أو المنتقلين فى أيام الأعياد والخمسين المقدسة، وفى غير الأصوام، كما يجوز أن تقال فى الأصوام سواء بسواء. فنحن لا نتوقف عن الترحم على الراقدين والصلاة من أجلهم فى صوم أو فى عيد، بل يكون من الوفاء لهم فى أيام الأعياد أن نذكرهم بالرحمة، ونطلب لهم الغفران عن خطاياهم وعن كل توانى أو تفريط لحق بهم كبشر سكنوا فى العالم.

أليس عجيبا أننا نذكر الراقدين ونترحم عليهم فى كل قداس، ومع ذلك يوجد من الكهنة من يمتنع عن أوشية الراقدين فى عشية يوم أحد، أو فى أيام الخمسين المقدسة؟.

إن هذا التصرف الغريب من جانب بعض الكهنة تصرف يبدو متعارضا ومتناقضا، ولا تبرير له يتفق مع تعاليم كنيستنا الأرثوذكسية : هل يستطيع أحد أن يجيب على هذا السؤال : لماذا يترحمون على المنتقلين فى قداس الأحد والخمسين المقدسة ويقولون «أولئك يارب الذين أخذت نفوسهم نيحهم فى فردوس النعيم، فى أورشليم السمائية،...» بينما يمتنع عن أن يقول فى مساء يوم الأحد نفسه وفى رفع بخور عشية أوشية الراقدين التى يطلب فيها الكاهن رحمة للراقدين بنفس العبارات تقريبا...؟

من يستطيع أن يفسر هذا التعارض والتناقض؟ ولعل الغريب أعظم الغرابة أن يمتنع بعض الكهنة عن صلاة أوشية الراقدين على جثمان المتوفى وهو فى الكنيسة بحجة أنه يوم أحد، أو يوم من أيام الخمسين ؟ أنهم يصلون على المتوفى جميع الصلوات المناسبة إلا الصلاة الوحيدة التى تعتبر أهم جميع الصلوات فى تشييع المتوفى وهى صلاة الراقدين ؟ التفسير الوحيد الذى نفسر به هذا التصرف الشاذ واللامعقول هو أنه قد تسرب إلى هذا الفريق من الكهنة، الاعتقاد فى المطهر. لأن الذين يعتقدون فى المطهر يقولون أن الأرواح تكون مطلقة من المطهر فى أيام الأعياد والخمسين المقدسة، ومن ثم فهى فى غير حاجة إلى صلاة الراقدين؟.

لسنا ندرى من أين جاء هذا الفريق من الكهنة بهذا التفريق بين أيام الأصوام وأيام الأعياد فيما يتصل بالترحيم على الراقدين ؟

ليس فى تعليم كنيستنا الأرثوذكسية شئ من هذا. وليس هناك مصدر أرثوذكسى سليم يمكن أن يبرزه أحد، يبرر به هذه التفرقة بين أيام الأصوام وأيام الأعياد. إن الممنوع فى أيام الأعياد هو اللحن الحزين، أما الصلوات نفسها عن الراقدين فهى تقال فى الأصوام كما تقال فى الأعياد سواء بسواء.

جاء فى كتاب الخولاجى المقدس الكبير- للثلاثة القداسات، فى مقدمة أوشية الأموات «يتجه الكاهن إلى الشرق أمام الهيكل ويقول أوشية الأموات، فى رفع بخور عشية، وهى هذه».

وأما فى مقدمة أوشية المرضى، فيقول «أوشية المرضى تقال فى صلاة باكر» إذن القاعدة العامة هى أن تتلى أوشية الأموات فى رفع بخور عشية دائماً، وتتلى أوشيه المرضى فى رفع بخور باكر دائما. ولا فرق بين صوم أو عيد فى مراعاة هذه القاعدة التى ينص عليها الخولاجى وهو كتاب الصلوات المعتمد رسميا.

ويقول القمص عبد المسيح صليب المسعودى وهو حجة كبيرة فى الطقس القبطى، وكان من أكبر علماء كنيستنا فى الجيل الماضى، تعليقا على أوشية الأموات، فى نسخة الخولاجى التى أشرف على طبعها علميا، واشترك معه فى طبعها المرحوم اقلاديوس لبيب عام ١٦١٨ للشهداء، ١٩٠٢ ميلادية «أن البعض الآن فى الأيام الفرحية، يقولون أوشية المرضى فى صلاة عشية بدل أوشية الأموات، ولكنا لم نجد ذكر قراءتها فى عشية كما مر، فى أحد الخولاجيات البتة، بل بالعكس، رأينا فى كتاب «ترتيب كل السنة» قديم، أن أوشية الأموات، تقال فى عشية عيد الميلاد وعشية نهار أحد القيامة. وأما عشية عيد الغطاس والصعود والعنصرة فقال : يرفع البخور كالعادة ولم يقل : تقال أوشية المرضى» (كتاب الخولاجى المقدس أى كتاب الثلاثة القداسات- المصحح عن يد القمص عبد المسيح صليب، حاشية ٣ صفحتى ٥٦، ٥٧).

وإذن فالقاعدة العامة أن أوشية الراقدين تقال فى جميع العشيات، أى فى كل عشية سواء فى صوم أو فى فطر أو فى عيد فى الأيام الفرحية، وجميع أيام السنة، وفى أيام الأحاد، وفى أيام الخمسين المقدسة.

٩٩ ـ فائدة الألحان الكنسية وأهمية اللغة القبطية (١)

سؤال : يسأل أحد القراء عن فائدة الألحان الكنسية، وعن أهمية الصلاة باللغة القبطية ويرى أن اللغة القبطية هى بعينها اللغة اليونانية :

الجواب :

أما الألحان الكنسية فهى موسيقانا الدينية والتى تعد بلا منازع أجمل، وأقدم، وأعمق موسيقى شرقية. ولقد رأى أفلاطون بحق أن الموسيقى يمكن تقسيمها بصفة عامة إلى ثلاثة أنواع : الموسيقى الحماسية وهى موسيقى الجيش، وما إليها من الأناشيد القومية : ثم موسيقى العواطف الصاخبة وهى التى يعمل بها فى الملاهى والمراقص، وأخيراً الموسيقى الدينية وهى التى تهدف إلى رفع مشاعر الإنسان إلى الخالق، أو التى تبعث فى النفس إحساسات السمو والنبل وسائر الفضائل الأخلاقية.

ولا شك أن موسيقانا الكنسية من النوع الأخير، وإذا خلت منها العبادة استحالت إلى عبارات جافة لا تناسب الإنسان فى كل مراحل العمر، أو فى كل ظروفه النفسية، فالإنسان ليس عقلاً ومنطقاً فحسب، ولكنه إلى جانب هذا شعور وعاطفة وحس. ولو عمد الدين إلى لغة الكلام والعقل وأهمل الحس والشعور والعاطفة، فقد أغفل أبلغ وسيلة إلى التأثير. وأنت تعلم أن العقل قد يعسر عليه الفهم، وقد يرهق، أو يهتم، فيعجز عن المتابعة وتركيز الانتباه، وقد يثور فلا يقتنع، أو يعاند فلا يتفهم. كما قد يكون العابد جاهلا بأصول العلم، فلا يمكنه أن يتابع خطاباً كله كلام، ولا سيما إذا كان كلاماً بلغة عالية، والطفل أيضاً لا يفهم الوعظ أو الخطابة، بل وجميع الناس حتى ولو كانوا من الخاصة، أو من الفلاسفة والعلماء ذوى العقول النافذة الكبيرة.. كل البشر لا يمكنهم أن يحيوا بالعقل وحده، أو يتأثروا بالعقل وحده. فلابد للدين من وسيلة أخرى إلى جانب الوعظ والتعليم، تناسب كل الناس، فى كل المراحل، وفى كل الظروف، وسيلة تجتذب انتباه الكل وتستثير إهتمامهم وتملك عليهم مشاعرهم، وتبلغ إلى أعماق نفوسهم على الرغم منهم.

وأظنك تؤمن معى أن للموسيقى رسالة تؤديها فى قوة وفى يسر معاً، حتى لو كانت بلغة لا تفهمها. فقد تبكى وقد تضحك أو تنام أو تندفع بحماس من تأثير قطعة موسيقية تلعب بمشاعرك وأنت لا تعلم سببا لكل هذا أو معنى هذه القطعة أو تلك.

وأظنك تؤمن معى أن لموسيقى كنيستنا خاصة، أثراً جباراً فى تحريك مشاعر وهز القلوب، فهى تحزننا وتجبرنا على الخضوع والخشوع أحيانا، وعلى التأمل والصمت أحيانا أخرى. هذه الموسيقى التى لو وقعها المرتلون أو المصلون بالدقة التى وضعت بها لأذابت الحديد وألانت الجلمود على ما يقول علماء الموسيقى أنفسهم.

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة الثالثة ـ عدد ٨ ـ فى أكتوبر ١٩٤٩م.

وقد لا يُقدِّر القبطى هذه الألحان أو يشعر بأثرها الحقيقى، فالمصريون لا يذكرون فى كل مرة يشربون الماء فيها أن نهر النيل أعذب مياه العالم بأسره. أما الغربيون الذى يجيئون لبلادنا سواء منهم أصحاب الآذان الموسيقية أو غيرهم. يعجبون لحلاوة ألحاننا الكنسية وعمقها، وأن الذين قرروا فى كتبهم أو أحاديثهم الخاصة مبلغ ما أحسوا به من خشوع لدى سماعها، أكثر من أن نعرض لهم فى معالجة صغيرة كهذه، قصد بها أن تكون رداً على سؤال.

* * *

أما عن اللغة القبطية فهى أولاً لغتنا بوصفنا قبطاً، وفى الوقت الذى يحتج بعضنا عليها، ينكب كثير من العلماء والباحثين وبالأخص فى الغرب على دراستها بشغف زائد. حتى لقد نشرت الصحف من زمن أن بعض العلماء الأمريكيين قام بترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة القبطية!!؟.

ولست أجد شعباً نظيرنا فى كل العالم يتساءل عن أهمية احتفاظه بلغته الأصلية، وهى تراث الماضى ورباط الحاضر!!

وهلا ترى معى أنها من أعظم الدعائم التى يستند إليها كيان طائفة صغيرة، تحيا فى كنف أمة كبيرة تخالفها عقيدتها وديانتها؟ وأن إهمالنا للغة القبطية كان من أكبر العوامل التى عمل بها المستعمر الدخيل، فقضى على الفوارق التى كان لابد من بقائها لتكون سوراً يحمى كياننا من الانصداع ووحدتنا من التفكك؟ وهذا كله - ولا شك - له دخل كبير وأثر خطير فى دين شعب محكوم بأمة تغايره دينها وآدابها، ولسانها.

ومع ذلك فنحن لا نقر الآن أن تتلى الصلوات كلها باللغة القبطية، وإنما يجب أن يتلى بعضها أو أكثرها باللغة العربية إلى أن تعم معرفة اللغة القبطية جميع القبط. ولكننا للأسباب المتقدمة ننكر كل الإنكار أن تلغى اللغة القبطية من معابدنا وندعو بكل جوارحنا إلى بذل الجهود العامة والخاصة لتعلم هذه اللغة، ودراستها سهلة، وممتعة، وضرورية. ولعل تلاوة بعض الصلوات بها خير مثير ومذكر بضرورة تعلمها، ومما يدعونا للتفكر فى أننا قبط وأن لغتنا هى القبطية..

فإذا ما تلى القداس أو أكثره بالعربية لفائدة الذين لا يعرفون القبطية، وحبا فى إزالة العراقيل عن خلاص نفوسهم، فإننا فى الآن نفسه نرى أن الذين يحتجون على اللغة القبطية بعد كل هذا ويزعمون أن اللغة تعوقهم عن حضور الكنيسة، إنما يتعللون بأسباب غير حقيقية. لأننى إذا لم أستطع أن أفهم معنى بعض صلوات بالقبطية بين عشرات من صلوات بلغة أفهمها، فلن يعوقنى هذا البعض عن خلاص نفسى، لأنه يمكن أن أتابع نغماتها بالشعور والخشوع والتأمل والصمت، فليست الصلاة كلها كلاماً وإنما يمكن أن يكون بعضها تأملا وصمتاً وخشوعاً وسكوناً.

ثم أن اللغة القبطية يا عزيزى، ليست هى اللغة اليونانية على ما تقول. فقد أوافقك على أن الحروف القبطية هى الحروف اليونانية، ولكن شتان بين اللغتين. فإذا ما كتبت كلمة عربية بالحروف الإنجليزية، أفهل تصبح بذلك إنجليزية؟ ألست تلجأ لهذا حينما تريد أن تكتب لرجل إنجليزى يجهل الحروف العربية لتستعين بذلك على نطقها، وإن كان سيظل جاهلا بمعناها حتى يتعلم اللغة العربية!؟.

وقد تقول هل أراد القبط أن يفعلوا ذلك ؟ قلت، نعم. فاللغة القبطية هى بعينها اللغة المصرية أو الهيروغليفية القديمة فى آخر مرحلة من مراحلها. وقد كان الخط الذى تكتب به اللغة المصرية يسمى بالخط الديموطيقى. وقد أصبح من المتعذر على القبط أن يترجموا الكتاب المقدس وأن يكتبوا بهذا الخط المعقد فى الوقت الذى كان العالم كله يجيد اللغة اليونانية، فأرادوا - لمنفعة الوثنيين واليهود والأجانب فى مصر وخارج مصر - أن يكتبوا بالحروف المألوفة، ففعلوا - ولكن بقيت اللغة قبطية أو مصرية كما هى، وإن كانت الحروف قد استبدلت بالحروف اليونانية. وليست كلها بل أضافوا سبعة حروف ديموطيقية إلى الحروف اليونانية، هى : شاى، فاى، خاى، هورى، جنجا، اتشيما، تى.

ولا يفوتنا هنا أن أذكر، أن هذه الحروف اليونانية نفسها، قبطية الأصل. فمن الثابت أن المصريين هم أول شعب توصل إلى الكتابة. وظلوا محتفظين بهذا الشرف نحو ألف وثمانمائة عام حتى دخل الهكسوس (الملوك الرعاة) (١) إلى مصر فى النصف الأخير من القرن الثامن عشر قبل الميلاد. فلما طردهم المصريون ورحلوا إلى فينيقيا فى نحو سنة ١٥٨٠ق.م نقلوا إليها من ضمن ما نقلوا من حضارة المصريين، لغة الكتابة، وهى حينئذ الديموطيقية. وعن الفينيقيين أخذ الكنعانيون والأشوريون والعبرانيون والكوفيون والعرب، ثم اليونان والرومان. ومن هنا ذلك التقارب أو التلاقى الذى يلاحظ بين أصول هذه اللغات عند الدارسين للفيولوجيا (علم دراسة أصول اللغات).

وعلى ذلك فالحروف اليونانية نفسها التى استعارها القبط للكتابة، هى حروف قبطية الأصل، حتى ليمكن أن نعتبرها مرحلة من مراحل الخط المصرى فى تطورها خلال الأجيال.

---

(١) يرى Brogelmann أن الهكسوس من بلاد ما بين النهرين. ويرى King فى كتابه Studies in Eastern History أنهم أعراب من شبه جزيرة العرب، ولكن يذهب الدكتور باهور لبيب مع بعض العلماء إلى أنهم من فلسطين وأنهم عبرانيون.

١٠٠ ـ الموسيقى القبطية (١)

تدلنا الآثار المصرية على أن الشعب المصرى القديم عرف الموسيقى واستجاب لها. وكان يستخدمها فى أوقات لهوه ومرحه وحزنه، وفى الحفلات الدينية واستقبالات الملوك والقواد، وفى شتى المناسبات العامة والخاصة، بل وكان يستعين بها فى أثناء العمل، فيقوى على الكفاح والنضال والنشاط، وكان له مغنون ومغنيات. وكانت هذه الموسيقى صوتية. وقد نقلت إلينا الصور والرسوم المتروكة على الآثار أمثلة للآلات الموسيقية التى كان يستخدمها المصرى القديم. وكان كهنة المعابد المصرية يرتلون صلواتهم بنغمات تطبق على السبعة الحروف المتحركة. وقد أثبت البحث العلمى أن التراث المصرى الموسيقى هو أقدم تراث موسيقى فى العالم.

وللكنيسة القبطية موسيقى جميلة تستخدمها فى طقوسها الدينية، وهى الوريث الشرعى للموسيقى المصرية القديمة، احتفظ بها الشعب المصرى وتمسك بها لأنها تعبر عن إحساساته ومشاعره. ولكن كان لابد للأغانى الدينية أن تتغير كلماتها وألفاظها لتأخذ صياغة مسيحية. أما الأنغام نفسها فأنغام مصرية قديمة. وأكثر الألحان الكنسية القبطية ترتل على حرف واحد أو حرفين من الحروف المتحركة، على نحو ما وصل إلينا من أن كهنة المعابد المصرية كانوا يرتلون صلواتهم بنغمات تطبق على السبعة الحروف المتحركة.

هذه الموسيقى القبطية كانت ومازالت تلقن عن طريق السماع والتسليم الشفاهى من معلم إلى تلميذ، وهى غنية ومتغيرة لمختلف المناسبات ولها سبعة طرق، وتتألف من أنغام لثلاثة قداسات، وما ينوف على ثلثمائة لحن شجى.

ويشهد الموسيقيون بأن الموسيقى الشرقية أقدم وأقوى أثرا من الموسيقى الغربية، كما ثبت أيضاً أن موسيقى الكنيسة القبطية هى أعظم موسيقى فى الشرق كله، ولقد تبين بالبحث أن فيثاغورس Puthagoras (القرن السادس قبل الميلاد) استقى معلوماته الموسيقية من مصر الفرعونية، والسلالم الموسيقية المنسوبة إليه أخذها من مصر التى عاش فيها اثنتين وعشرين سنة.

---

(١) كتب فى ٣٠ من نوفمبر ـ تشرين ثان لسنة ١٩٩١م – ٢٠ من هاتور لسنة ١٧٠٨ ش.

وقد قال الموسيقار الإنجليزى الأستاذ نيولاند سميث Newlandsmith وهو الأستاذ سابقاً بالأكاديمية الملكية للموسيقى بلندن والمدون اسمه فى جميع الموسوعات الموسيقية - والذى استحضره الأستاذ الدكتور الفنان راغب مفتاح، رئيس قسم الألحان والموسيقى القبطية بمعهد الدراسات القبطية، وكان قد سافر إلى إنجلترا فى سنة ١٩٢٧م خصيصا لهذا الغرض، وأبرم معه عقداً لتدوين الموسيقى القبطية بالنوتة الموسيقية، نقول : لقد قال نيولاندسميث بعد أن جاء إلى مصر، واستمع للموسيقى القبطية: «إن الموسيقى القبطية واحدة من العجائب السبع» وأعلن هذا فى حفل كبير وأمام جمهور كبير من الناس، ومن بين ما قاله هذا الموسيقار الشهير إن الألحان القبطية لو وُقعت بدقة فى أنغامها الأصيلة لأذابت الحديد. فألحانها الحزينة تبكى الحديد وألحانها الفرحية تجعله يقفز فرحاً.

وقد جاء يوماً إلى مصر عظيم من أوربا وطلب إلى البابا البطريرك أن يحضر قداسا قبطيا، فأمر البابا البطريرك أن يتاح لهذا العظيم الأوربى أن يحضر قداسا أقامه أحد الكهنة الموهوبين، فبهر الرجل من تأثير نغمات القداس القبطى وألحانه ومرداته، ورجع إلى البابا البطريرك، وقد قطع على نفسه عهداً بأن يبشر بجمال ألحان الكنيسة القبطية وأنغامها وعظمة تأثيرها فى النفس، أينما ذهب. وشهدت سيدة جاءت من سكوتلاند SCOTLAND وكانت قد طلبت أن تحضر قداسا قبطيا، بأنها وقفت فى الكنيسة تتابع الصلوات والأنغام وهى مبهورة لا تكاد تقوى على الحراك من شدة تأثرها، وقالت لصديقتها القبطية : إنه لتأثير إلهى عجيب. إنني لم أسمع سابقاً فى أى كنيسة أخرى ما سمعته فى كنيستكم القبطية، أيا ليتنى أستطيع أن أحفظ هذه الألحان، والأنغام الجميلة المؤثرة.

ويقول الفنان الكبير الأستاذ الدكتور راغب مفتاح الذى وهب حياته للحفاظ على هذا الفن الموسيقى القبطى العريق، إنه اشتغل مع الموسيقار الكبير نيولاندسمث الذى استحضره خصيصا لهذا الغرض، من عام ١٩٢٨ إلى سنة ١٩٣٦، ودوّن نوتة الألحان والموسيقى القبطية فى ستة عشر مجلداً. يقول لقد احضرنا العرفاء المرتلين المرموقين من جميع أنحاء بلادنا المصرية، فلم نجد أقدر استيعابا لكل هذه الألحان من المعلم ميخائيل جرجس البتانونى الذى وصفه الموسيقار نيولاندسميث بالمعلم العظيم The great master فقد كان المعلم ميخائيل جرجس يؤدى الأنغام فى وقتها بالضبط exactly in time وكان يفهم ما يقوله بدقة كبيرة، وإذا ردد حرفا أو مقطعا عدة مرات فلا تلمس الأذن الموسيقية أى تغيير على الإطلاق. وقد قال الأستاذ نيولاندسميث إن الأمر يحتاج إلى ثلاثة أجيال Generations حتى يدرك القبط أهمية هذا العمل، وتمتاز الكنيسة

القبطية فى ترتيبها وطقوسها الرائعة بأنها وضعت لكل موسم ولكل عيد من الأعياد السيدية الكبرى والصغرى، فضلاً عن مواسم الأصوام العامة، الطقس الخاص بها، والألحان والأنغام المناسبة لهذه الأعياد والأصوام والمواسم المختلفة والمتحركة على مدار السنة القبطية بصورة تعبر تعبيرا عميقا عن الأحداث، بما يثير فى النفس البشرية مشاعر التقوى والخشوع والعبادة والروحانية العالية.

ولقد شهد أعلام الموسيقى بروعة الألحان القبطية، وأشادوا بجمالها والأثر العميق الذى تتركه فى نفس من يستمع إليها.

وقد قال البروفيسور نيولاندسميث فى إحدى محاضراته «أعطنى صوت كاروزو CARUSO لإنشاد الألحان القبطية، وأنا أحطم أسوار أريحا» والإشارة هنا إلى ما جاء فى الكتاب المقدس فى سفر يشوع بن نون (٦ : ١ – ٢٠).

وكثير من علماء الموسيقى العالميين الذين تعرفوا على هذه الموسيقى القبطية، أقروا فى مقالاتهم عنها أنها سليلة الموسيقى المصرية القديمة الفرعونية، ومنهم البروفيسور جلسبى GILLESPIE أستاذ الموسيقى فى جامعة كاليفورنيا CALIFORNIA ومس مارجريت توت MARGRETHE TÖTH

١٠١ ـ قوانين الكنيسة تأمر
لا تدخل إمرأة حائض إلى الكنيسة
(لكنها لا تمتنع عن الصلاة والتسبيح فى البيت) (١)

سؤال: جاءنا من أحد الآباء الكهنة إننا نواجه أثناء لقائنا بالناس أو زيارتنا لهم أن البعض يعتبر التمسك بما جاء فى شريعة العهد القديم فيما يتعلق بنجاسة المرأة الطامث وشريعة التطهير نوعاً من الردّة إلى الديانة اليهودية، ويعتبر أن هذا الأمر ضد نصوص الإنجيل الذى ينص صراحة على عدم التمسك بهذه الأمور حسب النصوص الآتية.

(أما الآن فى المسيح يسوع أنتم الذين كنتم حيناً بعيدين، صرتم قريبين بدم يسوع المسيح. لأنه هو سلامنا الذى جعل الإثنين ـ اليهود وغير اليهود ـ شعباً واحداً، وهدم بجسده حائط السياج الحاجز الذى يفصل بينهما، أى العداوة، وأبطل بجسده شريعة الوصايا وما فيها من أحكام) (أفسس ٢ :١٣-١٥).

وقوله (وإذ كنتم أمواتاً بخطاياكم، وبكونكم غيرّ مختونين فى أجسادكم فأحياكم الله معه (مع المسيح) وصفح لكم عن جميع خطاياكم. ومحا الصكّ الذى علينا فى الفرائض، والذى كان ضدّاً لنا، وأزاله من الوسط مسمّراً إياه على الصليب)(كولوسى ٢ :١٣، ١٤).

وقوله: (فأما وقد مُتُّم مع المسيح عن أركان العالم، فلماذا كما لو كنتم عائشين فى العالم تخضعون أنفسكم لمثل هذه الفرائض؟: لا تَمَسّ، ولا تَذُق، ولا تَجُسّ. وتلك كلها أشياء تؤول بالاستعمال إلى الزوال. إنها حسب وصايا الناس وتعاليمهم، التى لها مظاهر الحكمة لما فيها من افراط فى العبادة المصطنعة، وإذلال للذات، وقهر للجسد، أمور لا قيمة لها، لأنها غير صالحة إلا لإرضاء الميول البشرية) (كولوسى ٢ :٢٠-٢٣).

الجـــواب:

أما النصوص الواردة فى بعض أسفار العهد الجديد فهى لبيان أهمية الخلاص الذى تم بموت المسيح الفادى، وهو المرموز إليه فى الذبائح المأمور بها فى الشريعة الإلهية، منذ أخطأت حواء وآدم بأكلهما من الشجرة المنهى عنها، فصدر عليهما الحكم بالموت (لا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت) (التكوين ٢ :١٧).

---

(١) كتب فى الجمعة ٢ من اكتوبر ـ تشرين أول لسنة ١٩٩٢م- ٢٢ من توت ١٧٠٩ش.

وما جاء فى الرسالة إلى أهل أفسس وهم من آمنوا بالمسيح من الأمم غير اليهودية، ومن كان اليهود يحسبونهم أنجاساً، وهالكين، وليس لهم خلاص حتى لو تدّينوا بالديانة اليهودية، وكانوا لذلك يسمونهم (دخلاء) (أعمال الرسل ٢:١٠)، (١٣: ٤٣)، (٦: ٥)، وكان هؤلاء الدخلاء وهم من الوثنيين أصلاً لم يكن يباح لهم الاشتراك فى شعائر عيد الفصح إن لم يختتنوا (سفر الخروج ١٢: ٤٨). وكانوا فى ذلك فريقين: فريقاً يقبلون الختان وتقديم الذبائح والعبادة اليهودية بفروضها وطقوسها، وفريقاً آخر يرفضون الختان ولكنهم يحفظون الفرائض اليهودية. سواء هؤلاء أو أولئك، فإن اليهود المتشدّدين والفريسيين كانوا يعدونهم هالكين، وبعداء عن رعوية إسرائيل، ولذلك لم يكن يسمح لهم بالاختلاط باليهود المتعبدين فى الهيكل، وكان لهم رواق خاص بهم فى الدار الخارجية يسمى (رواق الأُمم) وكان مكتوباً عليه باللغات اليونانية واللاتينية (الرومانية) إن من يتعدى منهم رواق الأمم إلى رواق إسرائيل يُقتل.

ففى الرسالة إلى أفسس يوجه الخطاب المطمئن إلى هؤلاء الأمم من غير اليهود الذين آمنوا بالمسيح، (اذكروا أنكم كنتم فى ذلك الوقت من دون المسيح، أجنبيين عن رعوية إسرائيل، وغرباء عن عهود الموعد، لا رجاء لكم... أما الآن، فى المسيح يسوع، أنتم الذين كنتم حيناً بعيدين، صرتم قريبين بدم المسيح) (أفسس ٢: ١٢، ١٣) **إنهم صاروا بإيمانهم بالمسيح قريبين من الله بعد أن كانوا قبل الإيمان بعيدين.** (أما الآن فى المسيح يسوع، أنتم الذين كنتم حيناً بعيدين، صرتم قريبين بدم المسيح، لأنه هو سلامنا الذى جعل الإثنين - اليهود وغير اليهود - شعباً واحداً). والمقصود بالإثنين هو اليهود والأمم غير اليهودية، وقد صاروا فى المسيح واحداً (ولا فرق الآن بين يهودى وغير يهودى، بين عبد وحرّ، بين رجل وإمرأة لأنكم أنتم جميعاً واحد فى المسيح يسوع) (غلاطية ٣: ٢٨) ثم إنه أى المسيح (نقض حائط السياج الحاجز الذى يفصل بينهما، أى العداوة) والإشارة هنا إلى الحاجز الذى كان يفصل بين المكان الخاص باليهود والمكان الذى يؤذن للوثنيين (الدخلاء) المتعبدّين بالدخول إليه (أعمال الرسل ٢١: ٢٨).

أما أن المسيح الفادى قد أبطل بجسده شريعة الوصايا وما فيها من أحكام، **فهى الوصايا التى كانت تفصل بين اليهود والأمم، وهى الختان وحفظ السبت، والتى أمر المجمع الرسولى الذى انعقد فى أورشليم أن يعفى المهتدون من الأمم غير اليهودية من الالتزام بها** (فقد حسَن لدى الروح القدس ولدينا، أن لا نحملكم من الأثقال إلا

مالابد منه، أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام، وعن الدم والحيوان المخنوق، والزنى. فإذا صُنتم أنفسكم منها، فحسنا تفعلون. كونوا معافين) (أعمال الرسل ١٥: ٢٨، ٢٩).

ثم يُضيف قائلاً (ويصالح بينهما وبين الله، فى جسد واحد بصليبه، وقد قضى على العداوة فيه... **فلستم إذن بعد اليوم غرباء ولا نزلاء بل أنتم مع القديسين رعية واحدة ومن أهل بيت الله، وقد بُنيتهم على أساس الرسل والأنبياء، والمسيح يسوع نفسه هو حجر الزاوية**، لأن به يتماسك البنيان كله، وينمو ليكون هيكلاً مقدساً فى الرب) (أفسس ٢: ١٦، ٢١). **ففى المسيح، وبدم المسيح انحلت العداوة بين اليهود والأمم غير اليهودية، وصار الإثنان واحداً فى المسيح، واتحد الجميع فى بنيان واحد، وصار هيكل البناء واحداً يجمع بين اليهود وغير اليهود**، وهذا بفضل الفداء وعمل الكفارة والخلاص الذى تممه المسيح فى موته على الصليب.

والنص الآخر من رسالة كولوسى يؤكد على نفس المعنى، فأهل كولوسى وهم من الأمم غير اليهودية، فآمنوا بالمسيح، وانضووا تحت لوائه بالمعمودية فنالوا الخلاص من خطاياهم السابقة (كنتم أمواتاً بخطاياكم، وبكونكم غير مختونين فى أجسادكم) شأنكم شأن جميع بنى آدم (من أجل ذلك، كما أن الخطيئة دخلت فى العالم بإنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، هكذا سرى الموت إلى جميع الناس، لأنهم جميعهم خطئوا فيه) وهو آدم (رومية ٥: ١٢) ثم أحياكم الله معه (أى مع المسيح)، لقد دفنتم معه فى المعمودية، **ثم أحياكم وصفح عن جميع خطاياكم السابقة، وبموته نائباً عن البشر محا الصك الذى علينا**، هذا الصك والإقرار بالدين علينا المكتوب ضدنا والمطلوب منا وفاءه، **فدفع المسيح بموته عنا الدين المفروض علينا، وبذلك، أى بعمل الفداء، محا الصك وألغاه، فصرنا أحراراً غير مستعبدين، إذ دفع المسيح الدين عنا، فلم نعد مطالبين بالدين الذى كان علينا**، وهذا بفضل عمل المسيح الكفارى، **وأزاله من الوسط** كعائق بيننا وبين الله، وبين اليهود والأمم غير اليهودية، **مسمراً إياه على الصليب** أى أنه بالصليب أبطله وقتله، وألغى شوكته، فمات عنا بموت المسيح وصليبه، ولم نعد نحن مطالبين به.

أما قوله للمؤمنين المسيحيين من أهل كولوسى (فأما وقد متم مع المسيح عن أركان العالم، فلماذا كما لو كنتم عائشين فى العالم تخضعون أنفسكم لمثل هذه الفرائض؟: لا تمس، ولا تذق، ولا تجس، وتلك جميعها أشياء تؤول بالاستعمال إلى الزوال. إنها حسب وصايا الناس وتعاليمهم.

لها مظاهر الحكمة لما فيها من إفراط فى العبادة المصطنعة وإذلال للذات، وقهر للجسد، أمور لا قيمة لها، لأنها غير صالحة إلا لإرضاء الميول البشرية) (كولوسى ٢ : ٢٠ ، ٢٣) فلعل الإشارة هنا إلى تعاليم بعض المذاهب غير المسيحية والهرطقية منها (المانوية) التى أشار إليه الوحى الإلهى فى الرسالة الأولى إلى تيموثيئوس (والروح يقول صريحاً إن قوماً يرتدون عن الإيمان فى الأزمنة الأخيرة، ويتبعون أرواحاً مضلة وتعاليم شيطانية، لقوم مرائين كذابين، موسومة ضمائرهم، ويمنعون عن الزواج وعن أنواع من الأطعمة قد خلقها الله، فيتناولها بالشكر الذين آمنوا وعرفوا الحق. فكل ما خلق الله حسن، ولا يرفض شيء إذا أُخذ مع الشكر. لأنه يُقدس بكلمة الله والصلاة) (١ .تيموثيئوس ٤ :١-٥) . فقد ظهر (مانى بن فاتك) فى القرن الثالث (٢١٥- ٢٧٦)م يفرق ويميز بين مأكولات يقول إنها من صنع إله الشر والظلمة، ومنها اللحوم ومستخرجاتها من بيض وحليب وجبن، ومأكولات أخرى يقول إنها من صنع إله الخير والنور، وهى الخبز والحبوب والبطيخ... على الأخيار من أتباعه أن يمتنعوا عن المأكولات التى هى من صنع إله الشر والظلمة، فإذا أكلوا منها فقد تنجسوا وهلكوا فى العذاب.

ويمكن أيضاً أن يمتد هذا التقريع إلى **غلاة اليهود المتشددين فى الشكليات والظواهر دون جوهريات الديانة**، ممن عاب عليهم المسيح له المجد منهجهم **فى الانصراف إلى شكليات الديانة دون جوهرياتها** من ذلك قوله تعالى للكتبة والفريسيين. (**لماذا تخالفون وصية الله من أجل تقليدكم**. فقد أوصى الله قائلاً: أكرم أباك وأمك، ومن سب أباه أو أمه فليمت موتاً. أما أنتم فتقولون إن من قال لأبيه أو أمه قد وهبت قرباناً للرب كل معونة مستحقة لك عندى. **فليس عليه أن يكرم أباه أو أمه. ومن ثم أبطلتم وصية الله من أجل تقليدكم**. أيها المراؤون، لقد أحسن إشعياء إذ تنبأ عنكم قائلاً: إن هذا الشعب يتقرب إلىّ بفمه ويكرمنى بشفتيه، وأما قلبهم فبعيد عنى. **فعبثاً عبادتهم لى ماداموا من وصايا الناس يستمدون تعاليمهم**) . (متى ١٥ :٣، ٩) . أنظر (إشعياء ٢٩ :١٣) . وقد أشار إليها الوحى الإلهى محذراً فى رسالة القديس بولس إلى القديس تيطس ووصفها بأنها (**خرافات يهودية ووصايا أناس مرتدين عن الحق**) (تيطس ١ :١٤)، (١ . تيموثيئوس ١، ١٤) (٤ :٧)، (٢ . تيموثيئوس ٤ : ١٤) .

وقال المسيح له المجد للكتبة والفريسيين من اليهود (الويل لكم **أيها القادة العميان** القائلون إن من أقسم بالهيكل فلا عليه، وأما من أقسم بذهب الهيكل فقد التزم بقسمه... الويل لكم أيها

الكتبة والفريسيون المراؤون **لأنكم تؤدون عشور النعنع والشبث والكمون وأغفلتم جوهريات الشريعة، وهى العدل والرحمة والإيمان.....**) (متى ٢٣: ١٦ – ٢٣).

وجاء فى الإنجيل للقديس مرقس (إن الفريسيين وسائر اليهود لا يأكلون مالم يغسلوا أيديهم مراراً، متمسكين فى ذلك بما تسلموه من الشيوخ. وإذا عادوا من السوق لا يأكلون مالم يغتسلوا، وغير ذلك **الكثير من الأمور التى تسلموها وتمسكوا باتباعها كغسل الكؤوس والأباريق والأوانى النحاسية والأسرّة.** ومن ثم سأله الفريسيون والكتبة قائلين (لم لا يسير تلاميذك **على مقتضى سنن الشيوخ**، وإنما يأكلون الطعام بأيد نجسة؟) فأجابهم قائلاً: (لقد أحسن إشعياء إذ تنبأ عنكم أيها المراؤون فيما هو مكتوب إن هذا الشعب يكرمنى بشفتيه وأما قلبهم فبعيد عنى، فعبثاً عبادتهم لى **ماداموا يُعلّمون مبادىء مستمدة من وصايا الناس، لأنكم تهملون وصية الله وتتمسكون بما تسلمتموه من الناس كغسل الأباريق والكؤوس وكثير من مثل هذه الأمور التى تفعلونها. ثم قال لهم (إنكم رفضتم وصية الله كل الرفض لتحفظوا سُننكم... مبطلين كلام الله بسننكم التى تسلمتموها**، ومثل ذلك أشياء كثيرة تفعلونها) (مرقس ٧: ١ – ١٣).

إذن فهذا هو المقصود والمعنى مما جاء فى الرسالة إلى أهل كولوسى (فلا يحكم عليكم أحد فى المأكول والمشروب أو فى الأعياد والأهلة والسبوت، فما هذه كلها إلا ظل الأمور المستقبلة. أما الحقيقة فهى المسيح... فأما وقد مُتُم مع المسيح عن أركان العالم، فلماذا كما لو كنتم عائشين فى العالم، تخضعون أنفسكم لمثل هذه الفرائض: لا تَمَسّ، ولا تَجُسّ، وتلك جميعها تؤول بالاستعمال إلى الزوال. إنها حسب وصايا الناس وتعاليمهم، لها مظاهر الحكمة لما فيها من إفراط فى العبادة المصطنعة، وإذلال للذات، وقهر للجسد، أمور لا قيمة لها، لأنها غير صالحة إلا لإرضاء الميول البشرية (كولوسى ٢: ١٦ – ٢٣).

وعلى ذلك، وبناء على ما سبق إيضاحه من أقوال السيد المسيح له المجد، **لا يجوز أن تُستغل تلك النصوص لنقض النصوص الإلهية المقدسة المأمور بها صراحة فى شريعة المرأة الطامث.**

(وكلم الرب موسى قائلاً: كلم بنى إسرائيل وقل لهم: أية إمرأةٍ حبلت فولدت ذكراً فلتكن نجسة سبعة أيام كحكم أيام طمثها يكون حكم نجاستها... وثلاثة وثلاثين يوماً تقيم فى دم تطهيرها. **كل شىء مقدس لا تمسّ، وإلى المقدس لا تجىء حتى تتم أيام**

تطهيرها. فإن ولدت أُنثى فلتكن نجسة أسبوعين كحكم طمثها. وستة وستين يوماً تقيم فى دم تطهيرها. وعند إتمام أيام تطهيرها لأجل ابن أو ابنة **تأتى.... إلى الكاهن**... ويكفر عنها فتطهر من سيلان دمها. هذه شريعة الولادة للذكر والأنثى...) (سفر اللاويين ١٢: ١- ٨).

وجاء فى موضع آخر (وأى إمرأة كان بها سيلان بأن يسيل دم من جسدها فلتقُم سبعة أيام فى طمثها. وكل من لمسها يكون نجساً إلى المغيب وجميع ما تضجع عليه فى طمثها يكون نجساً، وجميع ما تجلس عليه يكون نجساً...) (اللاويين ١٥: ١٩، ٢٠).

فإن المسيح له المجد قال صراحة **إنه لم يبطل بمجيئه شريعة العهد القديم السابقة على مجيئه، لسبب واضح وبسيط هو أن الله هو واضع الشريعة فكيف ينقضها أو يُبطلها؟ (أفنُبطِلُ الشريعة بالإيمان، حاشا، بل نُثبِّت الشريعة)** (رومية ٣: ٣١).

وقال المسيح له المجد **(لا تظنوا أنى جئت لأنقض الشريعة أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأتمم. فالحق أقول لكم إنه إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الشريعة)** (متى ٥: ١٧، ١٨)، (لوقا ١٦: ١٧).

وقال المسيح له المجد، للرجل الأبرص بعد أن شفاه من برصه (اذهب إلى الكاهن، أره نفسك، وقدم عن تطهيرك القربان الذى أمر به موسى) (مرقس ١: ٤٤)، (متى ٨: ٤)، (لوقا ٥: ١٤).

هكذا **صنعت العذراء القديسة مريم**، صعدت إلى الهيكل بعد أربعين يوما من ولادتها ليسوع المسيح، حملته على ذراعيها، وذهبت به ومعه يوسف النجار لتقدمه للرب، **ولتقدم عن نفسها ما أمرت به الشريعة لتطهير الأم النفساء، بعد إتمام أيام تطهيرها**، وهى أربعون يوما إن كان ولدها ذكراً، وثمانون يوما إن كان مولودها أنثى (اللاويين ١٢: ٢-٥).

قال الإنجيل (ثم لما تمت أيام التطهير على مقتضى شريعة موسى صعدوا به إلى أورشليم ليقدماه للرب... **وليقدما الذبيحة التى تفرضها شريعة الرب**، وهى زوجا يمام أو فرخا حمام) (لوقا ٢: ٢٢-٢٤، ٢٧، ٣٩).

وهنا نقف لنتساءل: **لماذا ذهبت العذراء إلى الهيكل تحمل المسيح على ذراعيها بعد أربعين يوما من ولادتها له؟** ولماذا قدمت زوجى اليمام أو فرخى الحمام عنها وهى العذراء الطاهرة التى حملت بالمسيح من غير زرع بشر، وعن ابنها وهو قدوس القديسين؟.

ليس هناك غير تفسير واحد: **هو أن العذراء صنعت ذلك خضوعاً منها للشريعة الإلهية حتى وهى تعلم أنها ولدت المسيح يسوع من غير دنس الخطيئة.**

إن الله الذى وضع الشريعة كيف يهدمها؟ وإذا كان هو الذى أمر بها فكيف ينقضها؟.

إن شريعة العهد الجديد لم تهدم شريعة العهد القديم، إنما تتممها. والتتميم قد يقتضى إحداث تغيير فى الشكل لا فى الجوهر، بمعنى أن شريعة العهد القديم أمرت بتقديم ذبيحة من الحيوان والطير للتكفير عن الخطيئة، ولكن ذبيحة الحيوان لم تكن مقصودة إليها لذاتها، لأن الحيوان - وهو أقل مرتبة من الإنسان - لا يكفر فى الواقع عن خطيئة الإنسان، وإنما كل قيمة الذبيحة الحيوانية أنها إشارة ورمز إلى الفادى الحقيقى الذى لم يكن قد أتى بعد، فقيمتها إذن مؤقتة، وموقوتة بمجىء الفادى والمخلص. من هذا **فما كان يرمز إلى ذبيحة المسيح قد تم إبداله بذبيحة المسيح. وذبيحة المسيح ننال استحقاقاتها فى المعمودية (للتكفير عن الخطيئة الأصلية التى نولد بها) وننال استحقاقاتها فى سر القربان (للتكفير عن الخطايا الفعلية اليومية). وفيما عدا هذا فلا تغيير فى إلتزامنا نحن أبناء العهد الجديد بشريعة العهد القديم.**

نقول هذا توكيداً على **أن المرأة فى العهد الجديد كانت لا تزال ملتزمة بشريعة الله بأن تظل بعيدة عن الأقداس والمقادس طوال مدة نفاسها. فإذا تمت أيام تطهيرها تأتى إلى الكاهن، فيقرأ على رأسها التحليل الخاص بذلك، والمدون بكتاب التعميد، وبعد ذلك تدخل إلى الكنيسة، وتتقرب من المائدة الربانية.**

على أنه مما يجدر التنبيه إليه هو **أن شريعة التطهير بالنسبة للمرأة النفساء أو الحائض، ترتبط جوهرياً بالخطيئة الأصلية، التى تنتقل لوثتها إلى كل الجنس البشرى بالتوالد (بالإثم حُبل بى وبالخطايا اشتهتنى أمى)** (مزمور ٥٠:٥) **وإلا فلماذا كانت المعمودية ضرورية لكل طفل مولود حديثاً على الرغم من أنه لم يخطأ بعد خطيئة فعلية؟.**

ويقول القديس أوغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠) فى تفسير المزامير تعليقاً على قول النبى داود (بالإثم حبل بى، وبالخطيئة اشتهتنى أمى): (هل ولد داود من زنى؟ إذن فلا يمكن أن تكون هذه الآثام التى حُبل به فيها سوى الآثام التى انحدرت إليه من آدم... وقد قال أيضاً نبى فى

موضع آخر (ليس أحد طاهراً فى عينيك، حتى الطفل الذى عمره يوم واحد على الأرض) لأننا نعرف عن معمودية المسيح أن الخطايا تنحل، وأن معمودية المسيح نافعة لمغفرة الخطايا. **فإن كان الأطفال مبررين، فلماذا تركض بهم أمهاتهم إلى الكنيسة؟ ماذا يُغفر بتلك المعمودية؟ ماذا تَغسِل المعمودية؟ ماذا تحله تلك النعمة؟ إنها تحل عقاب الخطيئة؟**. لأنه لو استطاع ذلك الطفل الرضيع أن يتكلم لقال لك، لو كان له فهم داود لأجابك قائلاً: لماذا تهتم بى أنا الطفل الرضيع؟... لأننى بالإثم حبل بى، وبالخطايا غذتنى أمى فى البطن... إذن فكيف يمكن أن يولد بدون رباط الخطيئة من حبِل به وزرع فى جسد ميت بسبب الخطيئة؟ **إن اجتماع الرجل وزوجته ليس فيه خطيئة، لكن أصل الخطيئة ينجم عن قصاص واجب**... لهذا لاق أن يُقال (لأنه فى آدم يموت الجميع) (١. كورنثوس ١٥: ٢٢) وكما يقول الرسول (من أجل ذلك، كما أن الخطيئة دخلت فى العالم بإنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، وهكذا سرى الموت إلى جميع الناس، لأنهم جميعهم خطئوا فيه (رومية ٥: ١٢) وهكذا القول (فى آدم أخطأ الجميع) واضح ومحدد. إذن **فلا يمكن أن يولد طفل برىء إلا هذا الطفل الواحد الذى لم يولد من عمل آدم (وهو المسيح)**.

ويقول الشهيد قبريانوس (٢١٠-٢٥٨) من آباء القرن الثالث (قُطعت رأسه سنة ٢٥٨م) فى رسالته المجمعية إلى فيدوس Fidus والتى ترجع إلى سنة (٢٥١- ٢٥٢م) (**إن الطفل، المولود حديثاً لم يرتكب خطيئة، إلا أنه إذا ولد فى الجسد من آدم، فقد أصابته عدوى الموت القديم ولادته... وخطاياه التى تغفر له ليست هى خطاياه هو، بل هى خطايا آخر**).

والفرق بين الرجل والمرأة فى هذا الصدد هو أن جسم المرأة يظل يفرز إفرازات كثيرة من مخاط ودم وأخلاط أخرى تتعفن، فتجعل جسمها غير طاهر أى غير نظيف، طوال مدة نفاسها، ومن ثم **فلا يليق بها أن تدخل المقادس، وإلا حُسب اقتحامها استهتاراً بالأقداس، والمواضع المقدسة، وعدم مبالاة بالقداسة الإلهية**.

جاء فى القوانين الكنسية (**إلا أنهن لا ينبغى أن يتركن التسبيح فى بيوتهن، وذكر الله، وإن كن حائضات**، لكى يختلى العدو بهن، ويُلهمهن المعصية، ويميلهن إلى طريق الباطل) (عن كتاب الطب الروحانى للأنبا ميخائيل اسقف اتريب ومليج).

ولو كان للرجل ظروف المرأة، لكان فى هذه الحالة قانونه قانون المرأة سواء بسواء، لأنه فى المسيح (لا فرق بين رجل وإمرأة) (غلاطية ٣:٢٨).

جاء فى الكتاب المقدس بالنسبة للرجل أيضاً (**أى رجل كان بجسده سيلان فهو نجس...**) كل فراش يضجع عليه يكون نجساً، وكل ما يجلس عليه من الأمتعة يكون نجساً، وأى إنسان مس مضجعه... ومن جلس على ما يجلس عليه صاحب السيلان... ومن لمس جسد صاحب السيلان.... **وإذا طهر من سيلانه... يغسل ثيابه، ويرحض بدنه بماء حى، فيطهر**) (سفر اللاويين ١٥:١-١٥).

هذا هو التعليم الذى تعلم به الكنيسة الأرثوذكسية منذ الابتداء.

فقد جاء فى القوانين الرسولية كما نقلها إلينا هيبوليتوس Hippolytus (١٧٠- ٢٣٥)م (**المرأة التى تلد، لتقم) خارجاً عن الموضع المقدس، إن كان الذى ولدته ذكراً، أربعين يوماً، وإن كانت أنثى فثمانين يوماً**) (قانون ١٨). وجاء فى كتاب (مجموع القوانين) الذى جمعه الصفى ابن العسال (إن المولود إذا **خيف عليه من الموت قبل طهر أمه من دم نفاسها، فليدخل الكنيسة مع غيرها ويعمد** لأن المرأة التى تلد **تبقى بعيدة عن الموضع المقدس أربعين يوماً إن ولدت ذكراً، وثمانين يوماً إن ولدت أنثى**). (القوانين للصفىّ ابن العسال، والباب الثالث- طبعة جرجس فيلوثاؤس عوض صفحة ١٦ حاشية ١).

وقد جاء هذا التعليم واضحاً فى جميع مصادرنا الكنسية عبر كل العصور، مستندة كلها إلى شريعة الله كما جاءت فى سفر اللاويين (١٢: ١-٥).

وجاء فى مقال **للأنبا أثناسيوس أسقف قوص فى القرن الثانى عشر:**

(أيها الحبر المؤتمن على الشريعة... إن أحضروا إليك طفلاً يقصدون عماده **قبل طهر أمه**، فعمده عاجلاً، ولو كان ابن يومه، ومرهم يا إمام **ألا ترضعه أمه... إلى ثلاثة أيام**) (اللآلىء النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة للقمص يوحنا سلامه، الجزء الثانى، الفصل السادس، الطبعة الثانية، صفحة ٥١ - وكتاب (القوانين) لابن العسال، الباب الثالث طبعة جرجس فيلوثاؤس عوض صفحة ١٦، ١٧).

ويقول العلامة يوحنا بن زكريا الشهير بابن السباع.

(رتبت الآباء **أن كل طفل ذكر يولد، فبعد تطهير والدته من أيام نفاسها أى بعد مدة أربعين يوماً، يُعمد بلا تأخير. وكل طفلة أنثى بعد ثمانين يوماً، مدة تطهير**

والدتها، تُعمد أيضاً. وهذا لئلا يفوتهم ملكوت الله) (الجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة صفحة ٥٠).

وجاء فى كتاب (قانون الكنيسة القبطية أى كتاب الخلاصة القانونية فى الأحوال الشخصية لكنيسة الأقباط الأرثوذكسيين للإيغومينوس فيلوثاؤس إبراهيم).

(أن يمتنع الرجل عن زوجته أيام نفاسها، أعنى **أربعين يوماً إن كان المولود ذكراً، وثمانون إن كان أنثى، بحيث لا تدخل (المرأة) الكنيسة إلا بعد تمام أيام النفاس وحينئذ تمضى للكنيسة بعد أيام نفاسها ليبارك عليها الكاهن، ويمسحها بالزيت المقدس، وكذا فى أيام حيضها لا تدخل الكنيسة)** (لاحظ اللاويين ١٢: ١-٥) (كتاب قانون الكنيسة القبطية أى كتاب الخلاصة القانونية فى الأحوال الشخصية لكنيسة الأقباط الأرثوذكسيين للإيغومينوس فيلوثاؤس إبراهيم، الفصل الأول، المسألة العشرون، طبعة سنة ١٩٣٣ صفحة ٢٧ ـ المتن، والحاشية صفحة ٢٨).

وجاء فى كتاب (المعمودية المقدسة) المستخدم فى كنيستنا القبطية الأرثوذكسية ما يقوله الكاهن فى صلاة التحليل على أم الطفل حتى يُسمح لها بدخول الكنيسة والمواضع المقدسة بعد إتمام مدة نفاسها المنصوص عليها بالنسبة لمولودها إذا كان ذكراً أو أنثى.

(أيها السيد الرب الإله القادر على كل شىء، الذى أمر عبده موسى فى الشريعة **وعرفه حدود الطهارة الواجبة على كل النساء اللواتى يلدن، أن يلبثن أياماً قلائل كما رسمت لهن... لا يلمسن شيئاً من قدسك...** كذلك أيضاً يا سيدنا نطلب ونتضرع إلى صلاحك، عن أمتك هذه التى حفظت شريعتك، وأكملت وصاياك، **واشتهت أن تدخل إلى موضع قدسك، وتسجد أمام هيكلك، مشتاقة إلى التناول من أسرارك المحيية...** بارك عبدتك وطهرها، وحللها من كل نجاسة غريبة من طهرك، **ولتستحق شركة أسرارك المقدسة بغير وقوع فى دينونة.**

(وبعد قراءة التحليل والبركة يدهن الكاهن المرأة بالزيت، وتدخل إلى البيعة، وتنال من الأسرار المقدسة).

وجاء فى القانون الثانى **من قوانين البابا ديونيسيوس المعترف**، البابا الرابع عشر من بطاركة الكرسى المرقسى (٢٤٦ ـ ٢٦٤)م.

(فى ما يتعلق **بالنساء الحائضات، فيما إذا كان يجب أن يدخلن بيت الله مادمن فى تلك الحالة**، أظن أنه ليس من الضرورى حتى أن يطرح هذا السؤال، فإنى أعتقد أنهن

أنفسهن، إذا كن مؤمنات وتقيات لا يجرؤن حينما يكن فى هذه الحالة، على أن يقتربن من المائدة المقدسة أو يلمسن جسد المسيح ودمه، لأنه حتى المرأة نازفة الدم لإثنى عشر عاماً لم تلمسه فعلاً لكى تشفى، ولكنها لمست فقط هدب ثوبه. ليس ثمت اعتراض على أن يُصلى الواحد، مهما يكن من أمره، أو على أن يذكر الرب فى أى وقت، وفى أيه حال، ويلتمس أن يجد عوناً، **ولكن إذا لم يكن طاهراً كله فى النفس والجسد يجب أن يُمنع من أن يتقدم إلى أقداس الأقداس)**.

The Rudder of the Orthodox Christians or all the Sacred and Divine Canons - by D. Cummings, 1957, p. 718.

ويقول البابا ديونيسيوس أيضاً:

(إن على الكاهن أن يمنع من دخول الكنيسة المرأة الواجب عليها أن تطهر) (كتاب الكنز الثمين لراعى الكنيسة الأمين أو تلخيص الحقوق الكنسية فى واجبات راعى الكنيسة، تأليف بطرس نتشايف الروسى، طبعة سنة ١٩٠٧ صفحة ١٣٧).

ويقول الأنبا ميخائيل أسقف اتريب ومليج فى كتاب (الطب الروحانى):

(وأما الشريعة الحديثة فإن الآباء يقولون فى المحارم: **ولله على جميع النساء المؤمنات النصرانيات الامتناع عن دخول الكنيسة وهن حائضات. وعليهن الامتناع عن أخذ القربان وهن فى علة الطمث حتى تنقضى عدة أيامهن**، إلا أنهن لا يتركن التسبيح فى بيوتهن وذكر الله وإن كن حائضات) (كتاب الطب الروحانى الجزء الأول، الباب العاشر، الفصل الأول: فى حالة الطمث).

ويبدو أن مار اسطفان الدويهى قد اقتبس من هذا القانون قوله: **(وهكذا حرم الله أيضاً على النساء دخول الكنيسة وهن حائضات، وأوجب عليهن الامتناع عن القربان فى حالة الطمث إلى أن تنقضى عدة أيامهن**. لكن لا ينبغى أن يتركن التسبيح فى بيوتهن ولو كن حائضات لئلا يميلهن العدو لطريق الباطل) (منارة الأقداس لمار إسطفان الدويهى، الجزء الأول طبعة سنة ١٨٩٥ صفحة ٢٧٤).

وورد فى القوانين التى وضعها المجمع الإكليريكى العام المقدس فى عهد البابا كيرلس الثالث، سنة ٩٥٥ للشهداء (١٢٣٩م):

(ويحرم دخول الحائضات إلى الكنائس فى وقت حيضهن) (انظر كتاب المجموع الصفوى لابن العسال ـ الفصل الثالث ـ الملحق).

١٠٢ ـ غسل أرجل المرأة

سؤال :

هل يغسل الكاهن أرجل المرأة فى خميس العهد؟

الجواب :

إن غسل أرجل النساء تقوم به المرأة الشماسة ـ وليس الكاهن ـ وفى الكتاب المقدس ما ينص على أن المرأة الشماسة من مسئوليتها ومؤهلاتها «أن تكون غسلت أرجل القديسين» (١ . تيموثيئوس ٥ : ١٠) .

وأما فى عيد الغطاس فالكاهن يلمس رأس المرأة بالماء، للبركة.

١٠٣ ـ ترنيمة «قام حقاً»

سؤال : من السيد / ميشيل جرجس عبد المسيح ـ مينيسوتا ـ امريكا

هل تقال ترنيمة (قام حقا) أثناء التوزيع بين عيدى القيامة والعنصرة.

الجواب :

نعم، يمكن أن تقال ترنيمة (قام حقا) أثناء التوزيع، **ولكن بعد أن يفرغ المرتلون من اللحن والمديح المناسب بتوزيع الأسرار المقدسة**، ثم المديح الخاص بالقيامة المعد لذلك وفقا لطقس الكنيسة وترتيبها فى أيام الخمسين المقدسة.

١٠٤ ـ القداس يتطلب روحانية الأداء ودقته

سؤال : من السيد / ميشيل جرجس عبد المسيح ـ مينيسوتا ـ أمريكا

هل يصح طقسيا أن يتصرف الكاهن بأن يحذف صلاة المجمع والأواشى، ويكتفى بقولها فى سره، توفيرا للوقت أو بسبب عامل السرعة والاستعجال ؟

الجواب :

إذا اكتفى الكاهن بأن يتلو بعض الصلوات دمجا أو سرا، فهو لم يحذفها، ولكنه لم يقلها جهرا.

نعم، إن بعض كهنتنا، لعله بقصد حسن، يختزل وقت الصلوات، تمشيا مع رغبات بعض الناس الفاترين فى العبادة وحتى يجذبهم ولا ينفرهم ـ فيما يرى ـ من الكنيسة وطقوسها. لكنه فيما يرضى البعض من الفاترين دينيا، يحرم المجموع كله من متعة أداء الصلوات على صورتها الصحيحة الكاملة.

فإذا وضع المصلوان فى اعتبارهم أن **يوم الأحد كله هو يوم الرب**، وجب على المؤمنين الجادين فى الدين أن يقضوا فى الكنيسة الوقت الكافى لأداء الصلوات كاملة، بروح العبادة الصادقة الأمينة.

إن كنيستنا كنيسة روحانية طقسية. **ويلزم للأداء الجيد شيئان : روحانية الأداء ثم دقة الأداء**. والقداس، وسائر الخدمات التى تباشر فى التعميد والتزويج وما إليها من أسرار وطقوس، سيمفونية جميلة فيها نصوص وفيها طقوس، وفيها فن وموسيقى وعبادة. والسيمفونية لا يبلغ الاستمتاع بها إلى حد النشوة الروحية مالم تؤد بروح الفن وجمال الأداء ودقته. ولذلك فإن أصحاب التذوق الفنى لا يجدون فى سرعة الأداء إلا اتلافا للقطعة الفنية وإفسادا لها، وهم يؤثرون عدم أدائها أصلا عن أدائها بصورة تتلفها وتشوهها وتذهب من جمالها الفنى.

إن أنصار السرعة فى الصلوات وأداء الطقوس يبررون مذهبهم المتلف للفن والجمال، بأن طريقتهم ترضى عجلة المتعجلين، لكن مذهبهم ومذهب العاطفين عليهم، سيقضى فى نهاية المطاف على روح الجمال فى العبادة.

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسوعة الأنبا غريغوريوس

٦ـ اللاهـــوت العقيـــدى « الجزء الأول »
لاهـوت السـيد المسيح

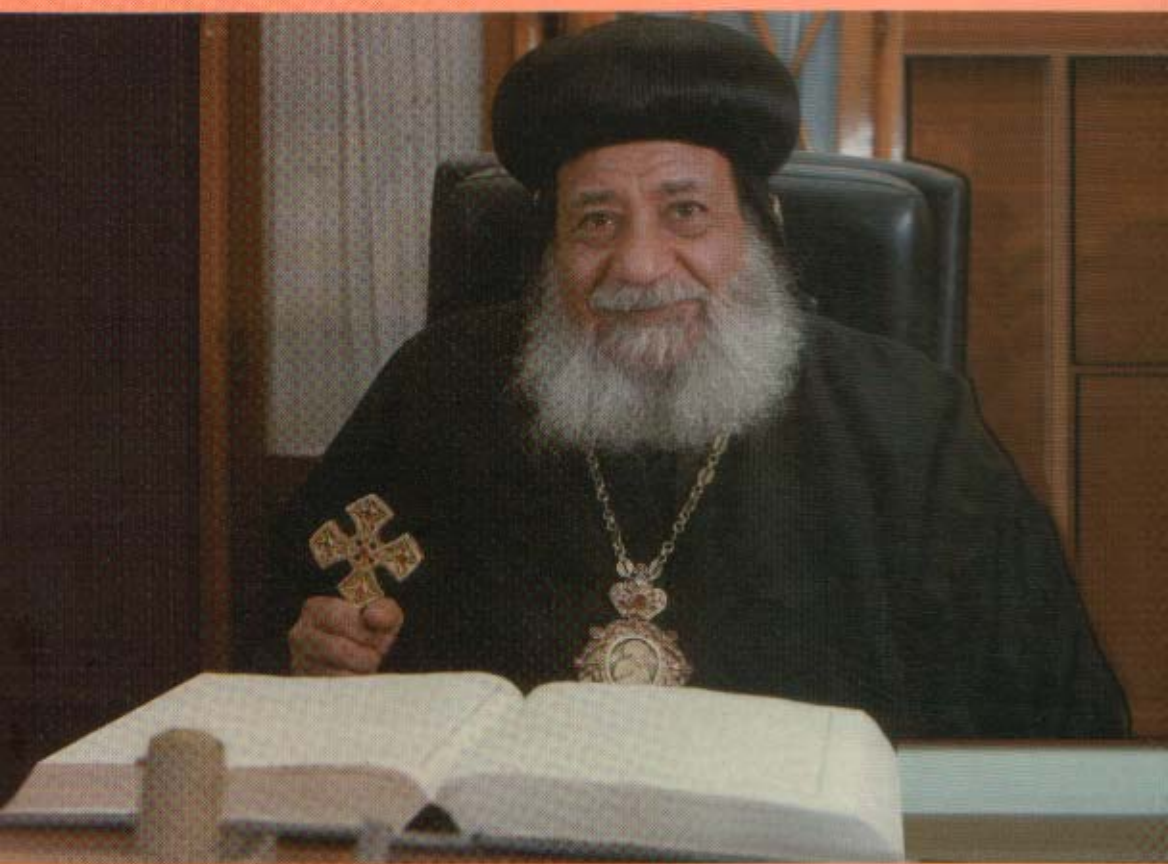

للمتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عـام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسـوعة الأنبا غريغوريوس

٦ - اللاهوت العقيدى

الجزء الأول

لاهـوت السيد المسيح

فى الذكرى السنوية الثالثة :

للعالم القديس المتنيح الأنبا غريغوريوس

بقلم

المتنيح الأنبا غريغوريوس

أسقف عام

للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية

والبحث العلمى

٢٢ من اكتوبر ٢٠٠٤م

الكتاب : موسوعة الأنبا غريغوريوس ـ ٦ـ اللاهوت العقيدى ـ الجزء الأول.

المؤلف: المتنيح الأنبا غريغوريوس.

إعداد : الإكليريكى منير عطية.

الناشر : مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس.

دير الأنبا رويس بالعباسية مصر ت: ٦٨٢٤٩٦٢ـ ٤٨٨٢٥٢٢.

المطبعة : شركة الطباعة المصرية ـ العبور ت: ٦١٠٠٥٨٩.

تصميم الغلاف : الفنان عادل لبيب .

الجمع : شركة فاين للطباعة والتوريدات وفصل الألوان ت: ٤٨٢٠٩٠٣.

رقم الإيداع بدار الكتب : ١٤١٣٤ / ٢٠٠٤

حقوق الطبع محفوظة لمكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس.



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث



نيافة الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس

مقدمة

هذا هو الجزء السادس من موسوعة الأنبا غريغوريوس، وقد سبقه خمسة أجزاء، كان الجزء الأول فى اللاهوت المقارن والثانى فى اللاهوت الأدبى والثالث فى الرهبنة، والرابع فى الدراسات الفلسفية والخامس فى اللاهوت الطقسى.

أما هذا الجزء فيشمل لاهوت السيد المسيح وعقيدة الثالوث القدوس، وهو عبارة عن تجميع الأجزاء التسعة لكتب «أنت المسيح الله ابن الله الحى» وأيضا كتاب «موجز الإعتقاد فى وحدانية الله»، هذا إلى جانب كل ما كتبه نيافة الأنبا غريغوريوس حول هذه الموضوعات وإجابات الأسئلة التى قام نيافته بالرد عليها فى حينها ونشرت فى كثير من المجلات.

هذه هى الثمرة السادسة، وهى من نتاج العالم والمعلم الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس، الذى قال عنه قداسة البابا شنوده الثالث.

«حياة أنبا غريغوريوس تتلخص فى كلمتين «التكريس والعلم» ... وكان العلم يشغل كل وقته.. بهذا التكريس للخدمة، وبهذا العلم كان بإستمرار معتكفا فى مسكنه، يقابله الناس وهو مشغول بين الكتب والكتابة....

«كان الأنبا غريغوريوس يتميز بالشمولية فى العلم... كان فى أساتذة الإكليريكية من هو متخصص بالكتاب المقدس، ومن هو مختص بالعقيدة، ومن هو مختص بالقانون. أو فى الطقس إلى آخره..، ولكنه كان يشمل كل هذه العلوم معا.. وفى الواقع كان معلما قديرا... له معلومات كثيرة... هو موسوعة من المعلومات... كان مثلا من الأمثلة التى لا تتكرر كثيرا فى العلم الكبير...»

وسنفرد أجزاء من هذه الموسوعة لتشمل كل ماكتبه فى اللاهوت العقيدى وسير من شخصيات الكتاب المقدس ومن القديسين، وستكون هناك أجزاء أخرى للموضوعات الكنسية والروحية والموضوعات العامة، بعد تبويبها، بحيث تشمل أجزاء هذه الموسوعة كل كتابات المتنيح الأنبا غريغوريوس التى لم تنشر أو نفذت بعد نشرها.

والرب وحده قادر أن يكمل مشروعنا هذا ويكلله بالنجاح، بصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث، أدام لنا الرب حياة قداسته، ومتعنا الرب برئاسته للكنيسة ولنا، أبا وراعيا، وحفظ الله قداسته بكل سلامة متمتعا بكامل الصحة والعافية، ونفعنا الرب ببركة صلوات غبطته.

الإكليركى

منير عطيه

إهـــــــداء

إلى القديس العظيم بطل الأرثوذكسية الأشهر

البابا أثناسيوس الرسولى

إليك يا سيدى البابا نهدى سلسلة المباحث اللاهوتية والعقائدية، لأنها من وحيك وإلهامك، وبفضل توجيهك وإرشادك، وثمرة لكفاحك وجهادك!

فيك رأينا أرثوذكسية الإيمان وأرثوذكسية السيرة معاً!

ومنك تعلمنا كيف يكون الوفاء للحق، والاستمساك بالتقوى، والحرص على وديعة الإيمان.

ولقد وهبك الرب عقلاً شاخصاً فى الإلهيات، فكان تعليمك سليماً كل السلامة، وكان تعبيرك دقيقاً غاية الدقة!

ولم يكن طريقك سهلاً ... كان قولك مؤذياً لمسامع المنحرفين، وكان شخصك ثقيلاً على أنفاسهم الفاسدة، فكرهوك ولعنوك ... ومع ذلك لم يقووا على أن يقاوموا النعمة الساكنة بجنانك، أو يناقضوا الحكمة الناطقة على لسانك!

أثاروا عليك حرباً شعواء وطاردوك ونفوك، ولكنك صمدت وقاومت وأخيراً غلبت ونجحت، لأن الحق الذى فيك أعظم من الباطل الذى فيهم !

لولاك يا سيدى البابا لكان الإيمان الذى عندنا غير الإيمان الذى تسلمته أنت من أسلافك أيها البطريرك الرسولى!

لهذا نحييك تحية للفضيلة فى شخصك، ونطأمن رأسنا أمام عظمة أبوتك، تقديراً لتاريخك، وإقتداء بسيرتك فى الإيمان، يا حامى الإيمان!

من ابنك

غريـغوريـــوس

باخوم المحرقى - وهيب عطا الله

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

مقدمة. ٧

إهداء. ٨

المدخل فى علم اللاهوت العقيدى. ٩

أقسام علم اللاهوت العقيدى. ١٠

مصادر علم اللاهوت العقيدى. ١٣

المصدر الأول: الطبيعة. ١٣

المصدر الثانى: الضمير. ١٥

المصدر الثالث: العقل. ١٦

المصدر الرابع: الوحى. ٢٣

أهمية العقيدة الدينية للحياة الروحية والرد على مذهب اللاطائفية.

أهمية العقيدة الدينية للحياة الروحية. ٣٣

أولاً: لأن العقيدة الدينية هى الأساس الذى يقوم عليه بنيان الحياة الروحية. ٣٤

ثانياً: إن التفريق بين العقيدة الدينية والحياة الروحية تفريق ظالم. ٣٦

ثالثاً: إن الحياة الروحية فى المسيحية ليست هى العاطفة خلوا من العقيدة. ٤٢

رابعاً: دراسة العقيدة واجبة للتفريق بين الأديان. ٤٤

خامساً: إن الكتاب المقدس هو الذى نستقى منه عقائد الإيمان. ٤٧

سادساً: تتضح أهمية العقيدة فى الكتاب المقدس من أنه ينهال بشده على المبتدعين. ٤٩

سابعاً: أن المؤمنين وقادة المؤمنين مكلفون أن يبلغوا الإيمان إلى غير المؤمنين. ٥٤

ضرورة العقيدة الدينية ٥٦

القيم الروحية المنطوية فى عقائد وطقوس الكنيسة: ٦٤

لاهوت السيد المسيح «أنت المسيح الله ابن الله الحى». ٦٧

القيم الروحية فى عقيدة لاهوت المسيح. ٦٨

لماذا نحن مسيحيون. ٧٠

لماذا هذا البحث. ٧٢

ثلاث قضايا هامة أولية. ٧٧

أولا: يسوع المسيح ينسب إلى ذاته الألوهة: ٨٢

١ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته الأزلية. ٨٩

٢ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته الأبدية. ٩٥

٣ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه هو الحياة بعينها. ٩٨

٤ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه حاضر فى كل مكان وزمان. ١٠٥
٥ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه الغافر الخطايا. ١١٤
٦ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه الفاحص القلوب والكلى. ١٢٢
٧ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه الديان للأحياء والأموات. ١٢٥
٨ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه القدير، والقادر على كل شىء. ١٢٩
٩ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته العصمة من الخطأ والخطيئة. ١٣٠
١٠ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه بيده سلطان للحياة وللموت. ١٣٢
١١ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه رب الشريعة. ١٣٩
١٢ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته الثبات وعدم التغير. ١٤٦
١٣ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه نزل من السماء. ١٤٨
١٤ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه خرج من لدن الآب. ١٥٥
١٥ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه مرسل من ذات الآب. ١٥٩
١٦ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه كائن فى الآب والآب كائن فيه. ١٦٩
١٧ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه ابن الله. ١٧٢
١٨ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه ابن الله الوحيد. ١٩٥
١٩ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الله الآب فى المعرفة المباشرة للذات الإلهية. ٢١١
٢٠ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الله الآب فى القدرة على كل شىء. ٢١٧
٢١ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الله فى العمل. ٢١٩
٢٢ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الله فى الكرامة والمجد. ٢٢٢
٢٣ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الآب فى كل القدرات والصفات والكمالات. ٢٢٣
٢٤ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الآب فى الجوهر، أى وحدانية الجوهر الإلهى. ٢٢٥
ثانياً: الأنبياء والرسل نسبوا إلى يسوع المسيح الألوهية: ٢٣٣
١ ـ الأنبياء ورسل المسيح نسبوا إلى يسوع المسيح الأزلية. ٢٣٦
٢ ـ الأنبياء والرسل نسبوا إلى المسيح الأبدية. ٢٤٩
٣ ـ الأنبياء والرسل نسبوا إلى المسيح أنه الحى الذى لا يموت، وأنه أصل الحياة. ٢٦١
٤ ـ الأنبياء والرسل نسبوا إلى المسيح أنه المخلص غافر الخطايا. ٢٦٤
٥ ـ الأنبياء الرسل نسبوا إلى المسيح أنه الفاحص القلوب والأفكار. ٢٧١

صفحة

٦ ـ الأنبياء والرسل نسبوا إلى المسيح أنه وحده المعصوم من الخطأ ٢٨٥
٧ ـ الأنبياء والرسل نسبوا إلى المسيح أنه وحده الديان ٢٨٧
المسيح كلمة الله يعلم كل شيء: ٢٩٩
المسيح كلى العلم ٣٠٠
علم الإنسان ومعرفته ٣٠٠
المسيح ابن الله يعلم كل شيء ٣١٣
المسيح ابن الله يعلم بما فى ذات الصدور ٣١٦
علم المسيح بالحاضر القريب ٣١٩
المسيح يعلم بالحاضر البعيد ٣٢٣
المسيح يعلم بالماضى القريب والبعيد ٣٢٥
علم المسيح بالمستقبل القريب والبعيد ٣٢٨
المسيح يعلم بالمستقبل البعيد ٣٣٦
المجيء الثانى للمسيح له المجد هو الله الديان ٣٦٠
المسيح القادر على كل شيء: ٣٦٨
سلطان المسيح الشامل ٣٧٧
سلطان المسيح على المادة الجامدة ٣٧٧
سلطان المسيح على المادة السائلة ٣٨٤
سلطان المسيح على الهواء ٣٨٨
سلطان المسيح على النبات ٣٨٩
سلطان المسيح على الحيوان ٣٩١
سلطان المسيح الشامل على الإنسان ٣٩٨
طرائق الشفاء ٤٠٥
المسيح ليس شافيا فقط بل خالقا أيضاً ٤١٥
سلطان المسيح فى إخراج الشياطين والأرواح النجسه من بعد ٤٤٧
سلطان المسيح على إقامة الموتى ٤٥٥
التجلى المجيد: ٤٦١
لم كان التجلى ٤٦١
كيف جرى التجلى ٤٧٠
ما الذى حدث فى التجلى ٤٧٤
عيد التجلى ٤٩٣
عقيدة الثالوث القدوس: ٥٠٣

صفحة

القيم الروحية فى عقيدة الثالوث القدوس. ٥٠٤
التوحيد والتثليث فى المسيحية ـ المسيحية دين توحيد. ٥٠٧
التثليث المسيحى. ٥١٣
الواحد فى الثالوث. ٥١٨
مقتبسات من كتب ومصادر كنسية. ٥٢٣
عمل الروح القدس: ٥٣٣
من هو الروح القدس. ٥٣٤
الفرق بين الروح القدس كأقنوم والروح القدس كمواهب. ٥٣٥
ما الذى انحدر على المسيح فى نهر الأردن. ٥٣٧
عمل الروح القدس فى العهد القديم. ٥٣٨
عمل الروح القدس فى العهد الجديد. ٥٣٩
اضرام المسحة المقدسة. ٥٤١
شرح مبسط لقانون الإيمان: ٥٤٥
شرح قانون الإيمان. ٥٤٦
نص قانون الإيمان. ٥٤٨
أولاً: الله والخليقة. ٥٤٨
ثانياً: وحدانية الله. ٥٥٣
الله واحد فى الجوهر مثلث الأقانيم. ٥٥٥
قانون إيمان الرسل. ٥٦٤
قانون إيمان أورشليم. ٥٦٥
قانون الإيمان الأثناسيوسى. ٥٦٦
مجمع القسطنطينية المسكونى. ٥٦٩
انبثاق الروح القدس من الآب. ٥٧٤
موضوعات وإجابات على أسئلة: ٥٧٩
١ ـ حول الأقانيم الثلاثة. ٥٨٠
٢ ـ الثالوث القدوس. ٥٨٢
٣ ـ المسيح الكلمة صورة الله الغير منظور. ٥٨٤
٤ ـ التثليث المسيحى. ٥٨٧
٥ ـ من آيات التلاقى بين المسيحية والاسلام. ٥٩٠
٦ ـ العلاقة بين الأقانيم الثلاثة. ٥٩٨
٧ ـ خطاب إلى الشيخ محمد متولى الشعراوى. ٥٩٩

صفحة

٨ ـ خطاب إلى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ٦٠٤
٩ ـ تعقيب على تعقيب. ٦٠٦
١٠ ـ إلى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى. ٦١٠
١١ ـ خطاب إلى فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر. ٦١٧
١٢ ـ الله واحد والأقانيم خاصيات. ٦٢٠
١٣ ـ الله وأقانيمه وهى صفاته الذاتية. ٦٢١
١٤ ـ الثالوث القدوس والثالوث الأقدس. ٦٢٤
١٥ ـ الروح القدس لاهوتيا. ٦٢٦
١٦ ـ انبثاق الروح القدس من الآب. ٦٢٩
١٧ ـ موهبة من لدن الروح القدس. ٦٣٢
١٨ ـ التجديف على الروح القدس. ٦٣٤
١٩ ـ قد يحل الروح القدس للإقناع والإهتداء. ٦٣٨
٢٠ ـ عمل الروح القدس فى العهدين. ٦٤١
٢١ ـ عمل الروح القدس فى العهد الجديد. ٦٤٦
٢٢ ـ التثليث فى المسيحية وعند الفراعنة. ٦٥٠
٢٣ ـ ولادة الابن وانبثاق الروح القدس. ٦٥١
٢٤ ـ هل للسيد المسيح روح؟. ٦٥٢
٢٥ ـ كيف ينمو المسيح فى الحكمة وهو الإله الكامل؟. ٦٥٣
٢٦ ـ هل كان مترددا؟. ٦٥٩
٢٧ ـ ألا يعرف المسيح اليوم والساعة؟. ٦٦١
٢٨ ـ حول لاهوت المسيح. ٦٦٤
٢٩ ـ ابن الإنسان وابن الله. ٦٦٨
٣٠ ـ أنا الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والأخر. ٦٧٢
٣١ ـ لمن يصلى؟. ٦٧٤
٣٢ ـ هل كان فى السماء وعلى الأرض فى وقت واحد؟. ٦٧٨
٣٣ ـ مسيحى زوجته من شهود يهوه. ٦٧٩
٣٤ ـ قدوس الحى الذى لا يموت. ٦٨٠
٣٥ ـ مولود غير مخلوق. ٦٨٢
٣٦ ـ ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعلمها أحد. ٦٨٥
٣٧ ـ الله الغير منظور صار منظورا فى المسيح. ٦٨٦
٣٨ ـ أبعد عن هذه الكأس. ٦٨٧

صفحة

٣٩ ـ المسيح وهو أقنوم الرحمة هو الذى سيدين بالعدل. ٦٨٩
٤٠ ـ عن السنكسار: المسيح ابن الله، بنوة روحية أزلية. ٦٩١
٤١ ـ من التاريخ: المسيح روح الله وكلمته وليس نبياً فقط. ٦٩١
٤٢ ـ خطاب أرسلناه لرئيس حزب الأحرار. ٦٩٢
٤٣ ـ أين كان المسيح من سن ١٢ إلى ٣٠؟. ٦٩٤
٤٤ ـ أأنت هو الآتى أم ننتظر أخر؟. ٦٩٩
٤٥ ـ المسيح صعد إلى السماء عينها واستوى على عرش العظمة فى الأعالى. ٧٠٥
٤٦ ـ هل صعد إلى السماء بجسده؟. ٧٠٩
٤٧ ـ واحد مع الآب فى الجوهر. ٧١٤
٤٨ ـ اتّخذ المسيح وهو الإله إنسانية كاملة من روح ومن جسد. ٧١٦
٤٩ ـ المسيح كلمة الله مبدىء كل خليقة. ٧٢١
٥٠ ـ سلطان المسيح الشامل لشفاء جميع الأمراض. ٧٢٣
٥١ ـ المسيح يجمع بين كونه إلهاً وإنساناً. ٧٢٦
٥٢ ـ ما معنى كلمة «أبى أعظم منى»؟. ٧٢٩
٥٣ ـ جلوس المسيح عن يمين الله. ٧٣٠
٥٤ ـ سؤال له جواب. ٧٣٣
٥٥ ـ سؤال من أحد أبنائنا فى المهجر. ٧٣٤
٥٦ ـ عيد الغطاس المجيد ـ عيد الظهور الإلهى. ٧٤١
٥٧ ـ المسيح هو الله الكلمة. ٧٤٦
٥٨ ـ دراسة بعض معجزات المسيح. ٧٥١
٥٩ ـ المسيح حسب الجسد هو رب داود وهو الله بذاته وقد اتّخذ جسدا. ٧٦٤
٦٠ ـ جسد المسيح محدود أما بهاء اللاهوت المتحد به فيملأ السموات والأرض. ٧٦٦
٦١ ـ فى المسيح اتّحد اللاهوت بالناسوت وناسوته من جسد وروح إنسانية. ٧٦٩
٦٢ ـ للمسيح من حيث هو إنسان روح إنسانية. ٧٧١
٦٣ ـ لماذا نزل إلى الجحيم؟. ٧٧٣
٦٤ ـ نزل المسيح إلى العالم السفلى ونقل الأبرار إلى الفردوس. ٧٧٨
٦٥ ـ المسيح جالسا على العرش. ٧٨١
٦٦ ـ المسيح وجسده المجيد. ٧٨٢
٦٧ ـ المسيح هو ابن الإنسان وهو الله وابن الله. ٧٩٠
٦٨ ـ هل فارق اللاهوت الناسوت؟. ٧٩٣
٦٩ ـ هل اللاهوت انفصل عن الناسوت. ٧٩٩

صفحة

٧٠ ـ تفسير «صار جسداً» ٨٠٠
٧١ ـ صلاة السيد المسيح. ٨٠١
٧٢ ـ كيف يسمح المسيح لتوما بأن يلمسه ويمنع مريم؟. ٨٠٢
٧٣ ـ هل يصدر الشر عن الله؟. ٨٠٣
٧٤ ـ معجزة تحويل الماء إلى خمر غير مسكرة. ٨٠٩
٧٥ ـ طبيعته لا تمكنه أن يعاين ملكوت الله. ٨١١
٧٦ ـ يا أبتاه اغفر لهم. ٨١٣
٧٧ ـ علم الله السابق. ٨١٥
٧٨ ـ تفسير «ومتى أخضع له الكل». ٨١٦
٧٩ ـ هل جسد السيد المسيح محدود؟. ٨١٩
٨٠ ـ نور من نور. ٨٢٢
٨١ ـ الجسد الأثيرى. ٨٢٤
٨٢ ـ تفسير قول يوحنا المعمدان «أنا لم أكُن أعرفه». ٨٢٦
٨٣ ـ لماذا لم تذكر الأناجيل طفولة السيد المسيح؟. ٨٢٨
٨٤ ـ من يقول الناس أنى أنا؟. ٨٣٣
٨٥ ـ الله يظهر لآدم وحواء فى الجنة. ٨٣٦
٨٦ ـ ظهور الله لابراهيم. ٨٣٨
٨٧ ـ ظهور الله ليعقوب أبى الأسباط فى المغارة. ٨٤٢
٨٨ ـ ظهور الله لموسى النبى فى العليقة فى سينا. ٨٤٥
٨٩ ـ الله يظهر فى صورة رئيس جند الرب. ٨٤٧
٩٠ ـ الله يظهر لموسى النبى فى صورة مجسمة. ٨٥٠

المدخـــل

فـــى

علـــم اللاهوت العقيـــدى

موضوع علم اللاهوت العقيدى وتعريفه

يبحث هذا العلم فى الله تعالى وجوهره وطبيعته وصفاته الذاتية والنسبية وعنايته والمشاكل الخاصة بالعناية الإلهية كالفقر والشر والألم فى الحيوانات والإنسان، ويبحث فى الإنسان وحقيقته وجوهره المادى والروحى، وفى حريته وإرادته. وخلود النفس ومصيرها بعد الموت ويبحث كذلك فى العلاقة بين الله والإنسان كالديانة والوحى، وأعمال الله وتدبيراته الخاصة بالإنسان وسر الخلاص ونظرية الفداء واشتراك الأقانيم الثلاثة فى سّر التجسد الإلهى والثمار الخلاصية وبركات الفداء ومواهب الروح القدس ويبحث فى الملائكة الأطهار والأشرار.

ولمّا كانت هذه الحقائق التى يتخذ منها علم اللاهوت العقيدى موضوعا لمباحثه مبعثرة فى الوحى الإلهى، فإن من واجبات اللاهوتى أو عالم اللاهوت أن يجمع هذه الحقائق وينظمها ويبين نسبة بعضها إلى بعض وما بينها من الإتفاق التام.

وعلى هذا فيمكن تعريف علم اللاهوت العقيدى بأنه: العلم الباحث فى الله وصفاته والإنسان ومصيره وصلة الله بالإنسان، أما أنه علم فلأنه معرفة منظمة مرتبة مبّوبة ذات غاية معلومة، أما أنه علم للاهوت فلأن الموضوع الأكبر لهذا العلم هو البحث فى الله وصفاته وأفعاله التى منها الإنسان وعلاقة هذا الإله بخلائقه الجامدة والحّية الناطقة وغير الناطقة.

أقسام علم اللاهوت العقيدى:

ومع أن علم اللاهوت العقيدى يبحث فى هذه الأمور جميعها، لكن هذه المباحث يمكن تصنيفها فى أقسام خاصة أو فروع تتفرع عليها، وهى بحسب تعريفنا السابق لهذا العلم يمكن إرجاعها إلى أربعة أقسام.

القسم الأول: ويسمى ثيولوجيا θεολογία - أى علم الله - أو البحث فى الله، ويدخل فى هذا صفاته تعالى الذاتية والنسبية، ويدخل فيه كذلك البحث فى جوهر الله وطبيعته وتوحيد ذاته وتثليث أقانيمه وعمل كل أقنوم من الأقانيم وخواصه وصفاته ولاهوتيته ثم يبحث فى الملائكة.

القسم الثانى: ويسمى انثربولوجيا ανθρωπολογία - أى علم الإنسان - ويشمل البحث فى النفس الإنسانية واثبات وجودها وحريتها وخلودها، وأجل الإنسان، والقضاء والقدر، وإلى أى مدى تلتقى إرادة الله بمصير الإنسان.

القسم الثالث: ويسمى السوتيريولوجيا **σωτηριολογια** - أى علم الخلاص، وهو يبحث فى سرّ الفداء ونظرية التجسد الإلهى ويبحث تبعا لذلك فى لاهوت المسيح بوصفه الفادى والمخلص وأقنومه وطبيعته الواحدة وبركات الفداء وثمار الخلاص، كما يبحث فى الروح القدس وأعماله ومواهبه الخلاصية ومنها الأسرار السبعة فضلا عن سائر العطايا والمواهب الأخرى فى الكنيسة.

القسم الرابع: ويسمى الاسخاتولوجيا **εσχατολογια** - ومعناه علم الآخرة، وهو يبحث فى مصير الإنسان بعد الموت، وفى الدينونة والجزاء الأخروى وفى سعادة الأبرار وشقاء الأشرار ومجد الأبدية وعذاب الجحيم، وطبيعة الأجساد وطبيعة الملكوت ونار جهنم، ثم يبحث أيضا فى قيامة الأجساد للدينونة، ومجئ المسيح الثانى وعلامات هذا المجئ.

على أن هذه الأقسام تندرج تحت علم اللاهوت المسمى بعلم اللاهوت العقيدى.

علم اللاهوت العقيدى وفائدته وقيمته وغايته:

إن الغاية النبيلة التى يريد أن يحققها علم اللاهوت العقيدى هى أن يستنير الإنسان بحقائق الدين: فيتعلم عن الله وصفاته وأعماله بما يملأ المرء إجلالا وإكبارا لخالقه وسيده، ويتعلم عن تركيب طبيعته فيعلم أنه مخلوق مؤلف من جسد فان ومن روح حية عاقلة مريدة، وبالتالى مسئولة عن تصرفاتها وأفعالها أمام هذا الإله، الذى سيكافئها ويثيبها إن أحسنت فعالها وسيعاقبها ويحاسبها إن أساءت أعمالها ونياتها، وهذه المعرفة تقود المرء بلاشك إلى تقدير نفسه والتدقيق فى تأملاته وتصرفاته التى تصدر عنه - ثم يتعلم عن علاقة الله بالإنسان وكيف دبّر له الخلاص وهو يعنى من وراء هذا إلى إيضاح عناية الله بالإنسان فيزداد حبا له وتقديرا لأعمال عنايته بما يسوقه طوعا إلى حياة الفضيلة والكمال.

والخلاصة أن الغرض الذى يتجه إليه علم اللاهوت العقيدى، إنما هو إيضاح الحقائق الإلهية للإنسان إشعارا له بقيمته ومدى مسئوليته، تحقيقا لخلاص نفسه ونموه فى الفضيلة والمعرفة، ومع أن هذه الحقائق مسطورة فى الوحى الإلهى لكن علم اللاهوت العقيدى له فضل ترتيبها وتصنيفها وتقديمها للإنسان بطريقة سهلة، يستطيع معها أن يعرف الحق الإلهى بلا عناء. كما أن هذه الطريقة تسهل العمل على المشتغلين بهذا العلم، فيستطيعون أن يعلموا البشر حقائق الديانة بأسلوب منظم، يتفق وتركيب العقل الإنسانى الذى يستسيغ الحقائق إن عرضت عليه بشكل منظم مرتب.

فإذا كانت غاية علم اللاهوت العقيدى إعلان حقائق الديانة تحقيقا لخلاص نفس الإنسان، فإنها بالحق غاية مقدسة وطاهرة ترفع من مرتبة هذا العلم، وتبين مدى فائدته وقيمته والحاجة الماسة إليه، وكيف أنه لازم لكل مسيحى، فضلا عن رجل الدين. وإذا كانت العلوم الأخرى تبحث فى الطبيعة أو الخليقة، وهى لازمة للإنسان فى مدة بقائه على الأرض فإن علم اللاهوت العقيدى هو الذى يتوقف عليه رأيه الصحيح وإيمانه المستقيم بالأمور التى تند عن قدرته الإنسانية والحقائق التى لا يراها بحواسه الظاهرة، كما أنه لازم له فى حياته الحاضرة والعتيدة، فإذا كان ذلك كذلك فإن علم اللاهوت يسمو فى غايته وقيمته وفائدته عن سائر العلوم والمعارف الإنسانية، وبالتالى فإن على المرء أن ينزل هذا العلم منزلة تليق بشرف مقصده ونبيل غرضه، وعليه أن يقبل على دراسة موضوعاته بعناية جزيلة شاعرا بأهميتها نحو خطورتها، وأن لا يتهاون فى حقيقة منها ولا فيما يترتب عليها من حقائق أو نتائج.

ثم على اللاهوتى الباحث فى حقائق هذا العلم الجليل الأثر، أن يتدبر فى فهم كل مسألة وأن لا يتسرع فى إبداء رأى عاجل، بل عليه أن يتريث ولا يقول بمبدأ إلا بعد بحث ملى واستقرار تام، مراعيا وحدة التعليم وعدم تناقض المبادىء الدينية فيما بينها، وهذا يستلزم فى الباحث سعة الإطلاع وقوة التمكن ودقة الفهم، ومعالجة المشاكل بروح صبورة جادة مخلصة أمينة محبة للحق معرضة عن الهوى والميل الذاتى، لها غرض النفع العام ومجد الله وخلاص النفوس.

مصادر علم اللاهوت العقيدى

مصادر علم اللاهوت العقيدى أربعة:

أولها: الطبيعة، ثانيها: الضمير، ثالثها: العقل، ورابعها: الوحى.

المصدر الأول: الطبيعة:

إن من يتأمل الطبيعة بفكر بعيد عن الهوى يمكنه أن يقر بوجود الخالق العظيم، الذى جمّل الطبيعة بكل بهاء وجلال، وطبع عليها عظمة فائقة تنطق بما له من حكمة عالية وقدرة سامية، فالتأمل فى الطبيعة مصدر من مصادر المعرفة اللاهوتية: فها هى الأفلاك فى سيرها تخضع لقوانين فى غاية الدقة والإحكام، وفى كل يوم يكشف الفلكيون عن حقائق جديدة تنطق باتساع هذا الفراغ الكونى واشتماله على نظام بديع جميل. الأمر الذى يدعو إلى الإيمان بوجود الله والشهادة بعظمته وجلال قدرته: ولذلك يقول النبى فى المزمور «السموات تحدث بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يديه، يوم إلى يوم يبدى كلاما، وليل إلى ليل يظهر علما» (١) ومعناه أن السموات بما فيها من شموس ونجوم وأفلاك، وبما يستتبعه سير الأفلاك بنظام من حدوث الليل والنهار، يخبّر أن لهذه الطبيعة خالقا جبّارا.

وكذلك التأمل فى النبات والحيوان يقود إلى الإيمان بالخالق، فالنباتات الكثيرة التى لاتعد ولاتحصى والتى تخرج متنوع الثمار والفاكهة، وتركيب كل نبات منها بطريقة خاصة بكل نبات على حدة، تتفق مع طبيعته والغاية من وجوده والبيئة التى ينمو فيها ومناخها، حارا كان أو باردا أو معتدلا فضلا عن الرياح والأمطار، كل هذا يرشد الإنسان إلى معرفة الخالق الحكيم الذى خلق كل شىء بحكمة عالية فائقة الأمر الذى يستحيل أن تخلقه الصدفة المحضة.

وما نقوله عن النبات نقوله أيضا عن الحيوان، بفصائله وأجناسه وأنواعه وطبائعه وأمزجته المختلفة وتركيبه الحيوى وغذائه، وكيف يتلاءم مع طبيعته وبيئته والمناخ الذى يحيا فيه، وطريقة تناسله على نظام لا يعرف التخلف، وانقيادة بغريزة دافعة أو غرائز تمكنه من الحياة التى تحقق الغرض من وجوده، فالتأمل أيضا فى الحيوان وتشريح جسمه والوظائف التى تقوم بها أعضاؤه وأجهزته المختلفة، يقودنا أيضا إلى الدهشة والتعجب لسياسة الخالق فى خليقته وكيف أنه خلق كل شىء كاملا وليس فيه نقص، كما أنه لم يخلق شيئا بغير قصد أو غرض.

ولقد كان ولا يزال هذا التأمل فى الطبيعة مصدر من مصادر التقوى والتقرب إلى الله والإعتراف بجلاله الأقدس، ولذلك يقول أيوب الصديق «فاسأل البهائم فتعلمك وطيور السماء فتخبرك أو كلم الأرض فتعلمك ويحدثك سمك البحر من لا يعلم من كل هؤلاء أن يد الرب صنعت هذا» (٢).

---

(١) مزمور ١٩: ١.

(٢) أيوب ١٢: ٢٧.

ويقرر القديس اوغسطينوس أنه وصل إلى الله عن طريق الطبيعة فيقول: سألت الأرض فأجابت لست أنا هو.! سألت البحر وأعماقه وما فيه من زواحف وأحياء، فأجابتنى كلها: لست أنا الله.! سألت النسيم العليل، والعاصفة العاتية، والهواء وما فيه من عناصر، فقيل لى: أنت مخطىء، أنا لست الله.! سألت السماء والشمس والقمر والكواكب، فأجابتنى كلها: لست أنا مطلبك. ناجيت جميع الخلائق التى تحيط بمنافذ حواسى الجسدية، فقالت لى: أن الله ليس ههنا! إذن نبئينى أين هو!؟ فصرخت كلها بصوت واحد: هو الذى صنعنا.

ولمّا كان صوت الطبيعة برهانا كافيا يقودنا إلى الإيمان بالله ومعرفة لاهوته، فإننا نُعد ملومين إذا أظلمت قلوبنا ولم نستطع أن نجد فى الطبيعة الناطقة وغير الناطقة مصدرا لمعرفتنا عن الله: قال القديس بولس عن القوم الفجّار فى رومية أن «غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس واثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم. إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم: لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات، قدرته السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا عذر»(١). وقال الرسولان برنابا وبولس لأهل لسترة عن الله «أنه لم يترك نفسه بلا شاهد وهو يفعل خيرا، يعطينا من السماء أمطارا وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعاما وسرورا» (٢).

جاء فى سفر الحكمة:

«أن جميع الذين لم يعرفوا الله هم حمقى من طبعهم، لم يقدروا أن يعلموا الكائن من الخيرات المنظورة، ولم يتأملوا المصنوعات حتى يعرفوا صانعها. لكنهم حسبوا النار أو الريح أو الهواء اللطيف أو مدار النجوم أو لجة المياه أو نيرى السماء آلهة تسود العالم. فإن كانوا اعتقدوا هذه آلهة لأنهم خلبوا بجمالها، فليعترفوا كم ربها أحسن منها، إذ الذى خلقها هو مبدأ كل جمال، أو لأنهم دهشوا من قوتها وفعلها، فليتفهموا بها كم منشئها أقوى منها. فإنه بعظم جمال المبروءات يبصر فاطرها على طريق المقايسة، غير أن لهؤلاء وجها من العذر لعلهم ضلوا فى طلبهم لله، ورغبتهم فى وجدانه. إذ هم يبحثون عنه مترددين بين مصنوعاته، فيغرهم منظرها لأن المنظورات ذات جمال، مع ذلك ليس لهم من مغفرة. لأنهم إن كانوا قد بلغوا من العلم أن استطاعوا إدراك كنه الدهر، فكيف لم يكونوا أسرع إدراكا لرب الدهر» (٣).

---

(١) رو ١: ١٨ – ٢٠. (٢) أع ١٤: ١٧. (٣) الحكمة ١٣: ١– ٩.

المصدر الثانى: الضمير

الضمير أيضا مصدر ثان لمعرفتنا عن الله وصفاته، وعن كثير من الحقائق اللاهوتية الأخرى، كوجود النفس وحريتها وخلودها والثواب والعقاب.. الخ، فالضمير فينا حكم باطنى وصوت طبيعى يكلم الإنسان شاهدا عن الله وشريعته، وهو قائد أمين يقرب النفس من الله ويقودها لمعرفة الحق والواجب والتمييز بين الخير والشر. وعلى قدر ما يكون الضمير حيا ومرهفا على قدر ما يكون مصدرا خيرا يقودنا إلى معرفة لاهوتية دقيقة. ونحن إن لم نتلق وحيا من السماء يكون الضمير السليم هو المرشد لنا إلى الحق، وإن كان إرشاده محدودا ببعض الحقائق العامة لأن الضمير هو شريعة إلهية مكتوبة أو مطبوعة فى القلب أو بعبارة أخرى هو شريعة طبيعية مفطورة فينا، وهو نور طبيعى يوجد عند جميع الخلق فى جميع المسكونة مهما اختلفت البيئات والجنسيات والديانات واللغات، كما يوجد فى جميع العصور والأزمنة، ولا يخلو منه إنسان طفلا كان أو شابا أو شيخا متحضرا كان أو متأخرا. ولذلك يمكن أن يكون هاديا كافيا للنفس الإنسانية حيث يقودها إلى معرفة الحقائق الهامة، وعلى هديه سار كثيرون من رجال الأمة الإسرائيلية وغيرهم من الفلاسفة والأمم: فابراهيم ونوح وأخنوخ ويوسف وإن كانوا يتلقون فى بعض الأحايين إرشادا مباشرا من الله، لكنهم فى أكثر أحوالهم كانوا يعتمدون على هذا الصوت الباطنى وهو الضمير، ومهما قيل من جهة الأمة الإسرائيلية قبل الشريعة الموسوية فإن الأمر أوضح بالنسبة لرجال وثنيين لم يتلقوا شريعة من السماء ومع ذلك قد اهتدوا إلى بعض حقائق لاهوتية خطيرة كوجود الله، ووحدانيته، ووجود النفس وحريتها، وخلودها، والثواب والعقاب والدينونة وهى كلها مسائل تلقوها من صوت باطنى كان يهتف فيهم ويرشدهم إلى الحق الذى تاقت إليه نفوسهم. وكما كان يهديهم إلى حقائق لاهوتية كذلك هداهم إلى المبادىء الأدبية، فبه حكموا بفساد الديانة الوثنية التى كانت تبيح إراقة الدماء وهتك الشرف والطهر والعفاف فنادوا بالفضيلة التى انتهكت حرمتها الآلهة، فكانوا خيرا من آلهتهم وهذا لا يفسره إلا صوت معلّم آخر كان فيهم، وأقوى من ميولهم ومن ميول الهتهم وأرهب سطوة منهم ومن ألهتهم، ولمّا لم يكن هذا الصوت صوت الوحى الخارجى فقد كان صوت الوحى الباطنى وهو صوت الضمير، ومنهم من عاش بالزهد والقناعة والتقشف فى عصر كان يترنح الناس فيه بالمجون والخلاعة والدعارة تحت اسم الآلهة، فكيف نفسّر هذا إلاّ بصوت الضمير، فالضمير مصدر خطير من مصادر المعرفة اللاهوتية. بل ونحن لا نستطيع أن نصّدق بالوحى ولا أن نُقنع الغير بحقيقة الوحى أو حقيقة أخرى إلهية إن لم نهب أولا بصوت الضمير.

المصدر الثالث: العقل:

أولا: لزوم العقل للإنسان

(أ) العقل يميز الإنسان عن الحيوان:

العقل قوة فى الإنسان يتميز بها تميزا جوهريا عن الحيوان، ولذلك يقولون عن الإنسان أنه حيوان ناطق أو عاقل، فإذا كان العقل هو الذى يمنح الإنسان وجوده الحقيقى كإنسان ويجعله مستحقا للقب الإنسانية، فوجب على الإنسان أن يستخدم هذا العقل ويستثمر هذه العطية التى منحت له منذ نشأته. وشأن العقل فى هذا شأن كل عضو فى الجسم قد خلق لغرض خاص ولابد أن يستخدم فى الغرض الذى وجد من أجله، بحيث إذا استخدم نما وازدهر وأثمر نفعا جزيلا للإنسان، أما إذا بطل استعماله فإنه يكسد ويظلّم ويدركه التدهور والركود.

أما أن العقل عطية من الله انفرد بها عن الحيوان فيؤيده قول الكتاب: «ولكن فى الناس روحا، ونسمة القدير تعقلهم» (١). إذا عدم العقل والفهم كان شبيها بالحيوان «إنسان فى كرامة ولايفهم يشبه البهائم التى تباد» (٢). وليس أدل على وجود العقل عند الإنسان من أنه ذو ميل غريزى إلى المعرفة والعلم، وفيه شوق دائب إلى البحث والكشف والتنقيب والإطلاع، فضلا عن أنه له استعدادا طبيعيا للاكتساب والتعلم، الأمور التى لانظير لها عند الحيوان الذى يخضع لفعل الأليات والدوافع الغريزية البحتة ولا يحركه شوق إلى معرفة أو علم. والدليل المحسوس على قوة العقل وأثرها فى الإنسان، أنه بها يحرز تقدما مستمرا فى المعرفة بحيث يكتشف كل يوم حقيقة جديدة لم يكن يعرفها من قبل، وهكذا يرتقى فى معارفه وعلومه وأفكاره وأعماله، أما الحيوان فليس له نصيب من ذلك، فالنمل منذ أيام فرجيل وهو باق على الصورة التى قدمه فيها إلينا فرجيل، ولم يحرز رقيا أو تطورا ولا أقدم على عمل أو إكتشاف جديد لمصلحة نوعه أو جنسه. يقول القديس بولس «لما كنت طفلا، كطفل كنت أتكلم، وكطفل كنت أفطن، وكطفل كنت افتكر، ولكن لما صرت رجلا أبطلت ما للطفل» (٣). وهذا معناه أن فهم الطفل محدود وعقله لم يكتمل نضوجه بعد، ولكنه. بتقدم الأيام وبصقل العقل والملكات الذهنية، يتم النضوج الفكرى «فالعقل إذن قابل للنمو والازدهار، ويشير الرسول نفسه إلى هذه الحقيقة فى رسالته إلى العبرانيين حيث يقول «صرتم متباطئى المسامع، لأنكم إذ كان ينبغى أن تكونوا معلمين لسبب طول الزمان،

---

(١) أى ٣٢: ٨.　(٢) مز ٤٩: ٢٠.　(٣) ١. كو ١٣: ١١.

تحتاجون أن يعلمكم أحد، ما هى أركان بداءة أقوال الله، وصرتم محتاجين إلى اللبن لا إلى طعام قوى، لأن كل من يتناول اللبن هو عديم الخبرة فى كلام البر لأنه طفل وأما الطعام القوى فللبالغين الذين بسبب التمرّن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر» (١). وهذا، دون شك، تطبيق لقواعد العقل الطبيعى على الذهن الروحى، ومنه نتبين على كل حال أن العقل قابل ومستعد للاكتساب والتعلم والنمو فى المعرفة وأن هذا نتيجة لاستثماره وتمرينه وصقله، وأن الإنسان الجدير بلقب الإنسانية هو من يستخدم عقله ويصقل ملكاته الذهنية، وأنه بهذا كله يحقق إرادة الله من منحه العقل التى تميزه عن الحيوان.

أليس من الحق أن يقال عن الإنسان الفاقد العقل أنه شبيه بالحيوان؟ ها هو إنسان قد سلبه الشيطان عقله فجعله يسكن فى القبور يصيح ويجرح نفسه بالحجارة، وقد ربطوه بقيود وسلاسل فقطع السلاسل وكّسر القيود، وهكذا استحال إلى حيوان ولم يقدر أحد أن يذلله، فلّما شفاه الرب من مرضه عاد إليه عقله. وتغّير تبعا لذلك مسلكه، فرآه الناس بعد ذلك «جالسا ولابسا وعاقلا» (٢) وفرق بعيد بين حالته وهو مجنون فاقد العقل. وبين حالته وقد عاد إليه عقله كالفرق بين الوحش والإنسان، والأمر كذلك بالنسبة إلى نبوخذ نصر ملك بابل إذ أنه لمّا فقد عقله، طرد من بين الناس، وأكل العشب كالثيران وابتل جسمه بندى السماء حتى طال شعره مثل النسور وأظفاره مثل الطيور. ولكنه حين عاد عقله إليه رجعت إليه خصائصه الإنسانية التى كان قد فقدها بفقده عقله، فها هو يقول: «وعند إنتهاء الأيام أنا نبوخذ رفعت عينّى إلى السماء فرجع إلىّ عقلى، وباركت العلىّ وسبحت وحمدت الحىّ إلى الأبد.. (إلى أن يقول) فى ذلك الوقت رجع إلىّ عقلى وعاد إلى جلال مملكتى ومجدى وبهائى، وطلبنى مشيرىّ وعظمائى، وتثبّت على مملكتى، وازدادت لى عظمة كثيرة» (٣).

وهذا كله يكفى للتدليل على أن الخاصية الأولى التى يتميز بها الإنسان عن الحيوان هى العقل فإذا خسرها أو فقدها استحال إلى حيوان. قال الحكيم سليمان «خزامة ذهب فى فنطيسة خنزيرة، المرأة الجميلة العديمة العقل» (٤).

---

(١) عب ٥: ١٢- ١٤. (٢) مر ٥: ١٥. (٣) دا ٤: ٣٣- ٣٦. (٤) أم ١١: ٢٢.

(ب) الرذيلة تفسد العقل:

كل عطية إذا لم تستغل فى الغرض الذى من أجله وهبت تفسد وتضر وقد تنقلب إلى أداة لهدم المرء وهلاكه، وكذلك العقل تفسده الرذيلة وتطفىء من نوره، وضيائه وهذا سر غباوة الأشرار فى سلوك سبل معوجة يأباها العقل السليم الذى يبصر العقلاء بعواقب الأمور، ولذلك يقول النبى عن الشرير «كلام فمه اثم وغش. كفّ عن التعقل، عن عمل الخير» (١). ويؤيده النبى إشعياء فى حديثه عن الأشرار فيصفهم بأنهم: «لا يعرفون ولا يفهمون: لأنه قد طمست عيونهم عن الإبصار، وقلوبهم عن التعقل» (٢). فالرذيلة تطمس البصيرة وتطفىء نور العقل ولذلك يشاء الله أن يسلّمهم إلى ذهن مرفوض ليفعلوا مالا يليق، ومن هنا فقد يسلب الله عقل الخطاة منهم غضبا عليهم ونقمة منهم نظرا لفساد قلوبهم وعدم خلوص نيتهم، وفى هذا يقول أيوب الصديق واصفا موقف الله من الأشرار: «ينزع عقول رؤساء شعب الأرض، ويضلهم فى تيه بلا طريق، يتلمسون فى الظلام وليس نور» (٣). فإذا نزع من المرء عقله تخبط فى ظلام دامس، وجلب على نفسه الهوان والشقاء. قال الحكيم سليمان «الحكيم عيناه فى رأسه. أما الجاهل فيسلك فى الظلام» (٤) وقال النبى هوشع: «وشعب لا يعقل يصرع» (٥). ذلك أن حرمانه من نور العقل وإرشاده يجعله غير مكترث لعواقب الشر ونتائج الخطيئة ولذلك يحسب الخاطىء فى نظر الفضلاء عديم العقل، وفى هذا يقول الحكيم: «أما الزانى بإمرأة فعديم العقل» (٦).

(جـ) الفضيلة تنير العقل:

وبينما الرذيلة تفسد العقل نجد الفضيلة تزيد العقل نورا واشراقا وضياء لأنها وحدها التى ترشد العقل إلى الطريق النافع الذى يجب عليه أن يسلكه، وفى هذا الطريق غناؤه واشراقه وقد كشف لنا الكتاب المقدس عن حقيقتين هامتين فى هذا الصدد. أما الحقيقة الأولى فهى أن شريعة العلى هى نور للعقل تبصره بالحق واليقين والسلوك الأمين، والحقيقة الثانية هى أن الله تعالى هو الذى يمنح هذه الإستنارة لأنه أودعها نتيجة مباشرة فى الفضيلة واتباع وصاياه. وعن الحقيقة الأولى قال النبى داؤد: «أكثر من كل معلّمى تعقلت لأن شهاداتك هى لهجى» (٧). وقال أيضا مناجيا الرب: «فتح كلامك ينير، يعقل الجهّال» (٨). وعن الحقيقة الثانية قال الكتاب عن دانيال

---

(١) مز ٣٦: ٣.
(٢) إش ٤٤: ١٨.
(٣) أى ١٢: ٣٢.
(٤) جا ٢: ١٤.
(٥) هو ٤: ١٤.
(٦) أم ٦: ٣٢.
(٧) مز ١١٩: ٩٩.
(٨) مز ١١٩: ١٣٠.

والفتية الثلاثة «أما هؤلاء الفتيان الأربعة، فأعطاهم الله معرفة وعقلا فى كل كتابة وحكمة، وكان دانيال فهيما بكل الرؤى والأحلام» (١).

(د) الله يمدح العقلاء ويحبهم:

وقد أعلن الرب رضاه وأظهر حبّه من نحو العقلاء، ذلك لأنهم يستخدمون عقولهم فى الغرض السامى الذى من أجله أودعت فيهم وهى أن تكون نورا لهم يرشدهم إلى حسن التصرف فى الحياة، وإلى الفهم الحقيقى لأسرار الوجود ومستلزمات الحياة الكاملة، وإلى التعبير الحكيم عن مكنونات الحياة المتزنة العاقلة ولذا يقول الحكيم سليمان «فى شفتى العاقل توجد حكمة» (٢). ويقول أيضا «البيت والثروة ميراث من الآباء، أما الزوجة المتعقلة فمن عند الرب» (٣). وهذا معناه أن العاقل يفيض فمه بالحكمة ويمتاز تصرفه بالاتزان، وأراؤه بالسداد وهذا كله يتوفر فى حياة القديسين الذين تحكموا بشريعة السماء وتعقلوا بتعليم العلى، ولذلك قيل عن دانيال النبى: «أنه كان يجيب بحكمة وعقل» (٤)، ولا شك أن هذه كلها فضائل سماوية يجب أن يشهدها الرب فى عبيده الذين خلقهم على صورته ومثاله، فالشاب الذى فهم مقصود رب المجد قال عنه الكتاب «فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له: لست بعيدا عن ملكوت الله» (٥). ولقد توفرت تمام التوفر فى المثل الأعلى للإنسانية الكاملة حيث وصفه النبى إشعياء بقوله: «هوذا عبدى يعقل، يتعالى ويرتقى ويتسامى جدا» (٦).

(هـ) العقل زينة القديسين:

وليس يمدح الله العقلاء فحسب وإنما يبين أيضا أن العقل هو الذى يزين حياة القداسة، ذلك لأن القديسين يحتاجون إلى العقل الذى يحكم تصرفهم ويهدى أفكارهم المتزنة، وتصرفاتهم الحكيمة تزين التعاليم والمبادىء التى يعيشون وفقا لها، فيبدو جمال هذه التعاليم ورصانة هذه المبادىء بسبب ما يبدو منهم من تعقل فى الفكر والقول والعمل. ومن أجل هذا يشترط الوحى فى النساء المسيحيات القديسات «أن يزّين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع **وتعقل**» وأنهن سيتمتعن بالخلاص الأبدى «إن ثبتن فى الإيمان والمحبة والقداسة مع **التعقل**» (٧). ويطالب الأشياخ أن يكونوا صاحين ذوى وقار متعقلين «والحدثات أن يكن «متعقلات عفيفات» وكذلك الأحداث «أن يكونوا متعقلين» (٨) بل ويطالبنا جميعا رجالا وسيدات، شيوخا وأحداث «أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش **بالتعقل** والبر والتقوى» (٩).

---

(١) دا ١: ١٧.
(٢) أم ١٠: ١٣.
(٣) أم ١٩: ١٤.
(٤) دا ٢: ١٤.
(٥) مر ١٢: ٣٤.
(٦) إش ٥٢: ١٣.
(٧) ١. تى ٢: ٩، ١٥.
(٨) تى ٢: ٢، ٥، ٦.
(٩) تى ٢: ١٢.

(و) لزوم التعقل لرجال الدين:

وإذا كان التعقل لازما لكل إنسان، وهو ما يتميز به المسيحى، الفاضل، عن غيره من الأشرار والخاطئين، فإنه ألزم لرجل الدين أسقفا كان أو قسا أو شماسا. هو لازم له بوصفه تقيا يصدر فى أعماله عن عقل راجح وفكر متزن، ثم بوصفه قائدا للمؤمنين والقيادة تستلزم أول ما تستلزم صفة التعقل والحكمة لتكون قيادته وقورة رشيدة، فموسى النبى عندما أراد أن يقيم على الشعب رؤساء، اشترط فى هؤلاء الرؤساء أن يكونوا عقلاء «هاتوا من أسباطكم رجالا حكماء **وعقلاء** ومعروفين، فأجعلهم رؤوسكم» (١)، وهذا عينه ما اشترطه الكتاب المقدس فى الأسقف، فقال يجب «أن يكون الأسقف بلا لوم، بعل امرأة واحدة، صاحيا، عاقلا، محتشما، مضيفا للغرباء، صالحا للتعليم» وقال أيضا «يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل لله.. متعقلا» (٢).

وإذن فالعقل لازم لرجل الدين أولا، من حيث هو إنسان، وثانيا من حيث هو مسيحّى، وثالثا من حيث هو وكيل الله وقائد للمؤمنين.

ثانيا: فوائد التعقل للمرء فى الحياة

(أ) ينقذ المرء من الشرور:

فالعقل هو الذى يرشد الإنسان إلى إلتزام الصمت تخلّصا من الشرور التى تنجم عن الكلام، وعن هذا يقول الحكيم «كثرة الكلام لا تخلو من معصية، أما الضابط شفتيه فعاقل» (٣)، ويقول عاموص النبى «لذلك يصمت العاقل فى ذلك الزمان لأنه زمان ردىء» (٤). وهو الذى يصدّ الناس عن ارتكاب الخطيئة والشر ولذلك يخاطبهم الوحى قائلا «افهموا أيها البلداء فى الشعب، وياجهلاء متى تعقلون» (٥)، فيعلم الغضوب أن يأتى ويتريث قبل أن يشتعل بالغضب إذ أن «تعقل الإنسان يبطىء غضبه» (٦)، ويعلم المتكبر أن يتوقف عن كبريائه وغطرسته « فالآن أيها الملوك تعقلوا، تأدبوا يا قضاة الأرض» (٧) ويقود الإنسان إلى التصرف الحكيم الذى يخلصه من بلايا الناس وشرورهم، وبهذا اعترف داود إلى أبيجايل قائلا: مبارك عقلك ومباركة أنت لأنك منعتنى اليوم من إتيان الدماء وانتقام يدى لنفسى(٨) لأنها تصرفت بما أنقذ زوجها وكل بيتها من مصيبة دماء تهلكهم جميعا، ولعلّ النبى سليمان كان يفتكر فى فوائد التعقل للإنسان بصفة مجملة حين قال: «فالعقل يحفظك والفهم ينصرك، لإنقاذك من طريق الشرير ومن الإنسان المتكلم بالأكاذيب» (٩).

---

(١) تث ١: ١٣.
(٢) ١. تى ٣: ٢، تى ١: ٨.
(٣) أم ١٠: ١٩.
(٤) عا ٥: ١٣.
(٥) مز ٩٤: ٨.
(٦) أم ١٩: ١١.
(٧) مز ٢: ١٠.
(٨) ١. صم ٢٥: ٣٣.
(٩) أم ٢: ١١.

(ب) ويبصره بعواقب الأمور:

فالعقل يحكم الإنسان ويجعله بعيد النظر، فلا يكتفى بالحاضر بل يمتد ببصره إلى الأمام مقدرا العواقب والنتائج، «من يجمع فى الصيف فهو ابن **عاقل**، ومن ينام فى الحصاد فهو ابن مخز» (١)، فالعقل هو المنظار المقرب يستعين به المرء على معرفه النتائج المحتمة الناجمة عن مقدماتها، ولذلك يتنبأ النبى موسى عن نهاية الشعب الإسرائيلى الذى يخالف شريعة الله ويصفهم بأنهم «أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم»، لأنهم «لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا آخرتهم» (٢) أما الذى يتحكم بالشريعة ويعمل بوصية الله، فهو حكيم عاقل بصير بالعواقب يشبهه الرب «برجل **عاقل** بنى بيته على الصخر» (٣).

ثالثا: مدخل العقل فى شئون الدين

على أن العقل لازم لا لشئون الحياة فحسب، بل هو لازم كذلك فى شئون الدين ومن ذلك أن:

(أ) العقل يقود إلى الإيمان:

فيمكن للباحث ارتكانا على العقل والعقل وحده، أن يتوصل إلى حقائق إيمانية هامة كوجود الله ووحدانيته ووجود النفس الإنسانية وروحانيتها وخلودها وحريتها ومسئوليتها، ووجوب وجود رابطة الديانة بين الإنسان وبين الله. فكثير من الفلاسفة ممن ينكرون الوحى أو على الأقل لا يرتكنون إلى الوحى فى إثبات الحقيقة، صدقوا بهذه العقائد الإيمانية أو بالحرى توصلوا إليها عن طريق الإستدلالات العقلية والبراهين المنطقية الصرفة، ولذلك نعتبر العقل مصدرا من مصادر علم اللاهوت العقيدى من حيث أنه يقودنا إلى كثير من الحقائق المتعلقة بالله والإنسان.

(ب) العقل يرشد إلى الدين الحقيقى:

ففى العالم أديان مختلفة تنادى بمبادىء مختلفة والإنسان لا يستطيع أن يؤمن بها جميعا لأن الحق واحد غير متعدد، فلا بد من مقياس نقيس به الحق فى كل دين، ولا بّد من حكم نحتكم إليه فى الاهتداء إلى الدين الحقيقى من بين هذه الأديان. وهذا المقياس أو الحكم هو العقل الذى يقارن ويميز بين الحق والباطل ويفصل بين الخير والشر، فلما ينتهى العقل من مهمته يقوم الضمير حينئذ بمهمة الدعوى إلى الدين الحقيقى ورفض الديانة الباطلة فيعتنق الحق وينكر الباطل.

---

(١) أم ١٠: ٥.　　(٢) تث ٣٢: ٢٩.　　(٣) مت ٧: ٢٤.

(جـ) العقل يتفهم حقائق الإيمان:

فإذا آمن المرء بالدين الحقيقى وصدق مبادئه أنها حقة وصادقة، فإن العقل لا يقف بعد ذلك عمله بل يقوم بمهمة أخرى، هى تفهم هذه الحقائق الإيمانية حتى تنضج وتتميز ويزول منها الغموض والابهام وتتميز عن غيرها من المعارف بل وتتميز فيما بينها أيضا. وفى هذا يقول الآب مونسابريه Monsabre ،أن العقل يبدد غياهب الإلتباسات اللفظية التى نعالج بها الحقيقة، ويفحص ما هو حسن فى كل عقيدة، ويقابل الطبيعة بما فوق الطبيعة، ويجلو مابينها من النسب العجيبة، وبعبارة أخرى أن العقل يقوم بمهمة تفسير الديانة وشرح غوامضها وإيضاح حقائقها بما لا يتناقض مع قوانين الفكر الأساسية وقوانين المنطق (١).

(د) العقل يحاج ويناضل عن الإيمان:

إن للديانة خصوما أشداء وهم على أنواع مختلفة: فإما أن يكونوا قوما كافرين بحقائقها كلية ولا يؤمنون بغير عقولهم، فهؤلاء لا يمكن أن نؤيد لهم حقائق الدين بنصوص من الوحى، بل لابد أن نجيبهم بالأدلة العقلية. والعقل هو الذى يقوم بهذه المهمة حيث يبرهن على حقائق الدين دون استعانة منه بالوحى. وأما أن يكونوا قوما مؤمنين بالديانة ولكنهم يفهمونها على صورة خاطئة، وفى هذه الحالة نضطر إلى اظهار فساد رأيهم بإثبات معارضته لنصوص أخرى من الديانة، أو بإظهار فساد النتائج التى تنتهى إليها آراؤهم مما يتعارض وروح الديانة الحقة، ونحن فى هذا وذلك نستعين بالمقايسة والمقارنة العقلية، ونرفض الفكرة على أساس مبدأ عدم التناقض، وهو مبدأ عقلى بحت من قوانين الفكر الأساسية .فعلم الجدل فى الواقع، علم عقلى لأنه يقوم بتفنيد الاعتراضات محتكما فى ذلك إلى العقل.

وعلى ذلك فالعقل هو الصلة أو الرباط الذى يربط خارج النفس بداخلها، فالحقائق الدينية لكى تثبت فى النفس أو تنتقل إلى النفس لابد أولا أن تمر بالعقل، فإذا حكم بأنها موافقة لروحه وغير مناقضة لمبادئه سمح لها بالمرور إلى أعماق النفس، ثم هو الذى يقوم بترتيب هذه الحقائق وتنظيمها وتنسيقها حتى تكتسب بذلك قوة وجمالا، ثم يخرجها عند الحاجة على نسق موافق للموقف الخارجى: وبهذا يتمكن المرء من أن ينقل الحقيقة الدينية منه إلى غيره من الناس أى أن تعليم الآخرين يقوم على استخدام العقل من جهتين: من جهة المعلّم أو المتكلم الذى يرتب المعلومات والحقائق وفقا لحاجة السائل أو المتعلم، ثم من جهة المتعلم نفسه الذى يقبل هذه الحقائق إذا رآها مناسبة لعقله موافقة لمنطقه.

---

(١) يقول النبى ،من كان حكيما يحفظ هذا ويتعقل مراحم الرب، (مز ١٠٧: ٤٣).

(هـ) العقل يجعل الإيمان خصبا:

فالإيمان يقود إلى الديانة، والديانة تستلزم العبادة، والعقل يتدخل فى العبادة فيجعلها عبادة صادقة بحيث أنها لو خلت من العقل أو شرد العقل منها، استحالت إلى عبادة نافلة لا غناء فيها ولا قوة، ولهذا يحتم الوحى أن تكون العبادة عقلية فيقول: «فاطلب إليكم أيها الإخوة، برأفة الله، أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله، عبادتكم **العقلية**» (١) ويقول يشوع بن سيراخ: «فى ذخائر الحكمة العقل والعبادة عن معرفة» (٢).

(و) العقل يميز بين الخير والشر فى السلوك الدينى:

والمرء إذن يحتاج إلى العقل حتى يسلك فى وصايا الديانة لأنه هو الذى يعرفه بجمال الفضيلة وقبح الرذيلة وقوة الخير وضعف الشر، وحكمة الاستقامة وجهالة الخطيئة. يقول الحكيم «درت أنا وقلبى لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلا، ولأعرف الشر أنه جهالة والحماقة أنها جنون» (٣).

المصدر الرابع: الوحـــى:

إذا كان العقل والطبيعة والضمير مصادر للمعرفة الدينية والعقائد اللاهوتية، فإن الوحى مصدر رابع لهذه المعارف والعقائد الإيمانية، بل هو أهم هذه المصادر الأربعة جميعا لأن تلك المصادر الثلاثة الأولى ناقصة وغير كاملة ولا تصلح وحدها بدون الوحى لأن تكون منبعا أمينا لعلم اللاهوت العقيدى وحقائقه، ولذا فإن الوحى بمفرده يؤلف علم اللاهوت الفائق الطبيعة، بينما المصادر الأخرى من الضمير والعقل والطبيعة تؤلف علم اللاهوت الطبيعى، وتسمى هذه المصادر باسم عام يدل عليها معا وهو «الطبيعة» ذلك أن الضمير والعقل ومخلوقات الله جميعا كلها تؤلف مدلول كلمة «الطبيعة» لأنها مصادر موجودة فى الطبيعة ناطقة كانت أو غير ناطقة. وقد تسمى المعارف النابعة من هذه المصادر بالمعارف الطبيعية، ويسمّى الارشاد النابع منها «بالنور الطبيعى»، لكن الوحى يسمى بما هو فوق الطبيعة وبنور الوحى الإلهى.

(١) معنى الوحـــى:

الوحى بالعربية الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفّى، وكلّ ما أُلقيته إلى غيرك، ويقال أوحى إليه بمعنى كلّمه بكلام يخفيه، وهو بالإنجليزية «النفث الإلهى» divine inspiration ويقال على وجه الخصوص عن التأثير الإلهى فى كتبة التوراة. والوحى باللغة الفرنسية يسمّى revelation وهو «الإعلان» أو التنزيل الإلهى inspiration divine

---

(١) رو ١٢: ١.　　(٢) يش ابن سيرا ١: ٢٥.　　(٣) جا ٧: ٢٥.

والمرادف لفعل reveler بالفرنسية بمعنى أوحى أو أظهر، هو الفعل devoiler بمعنى كشف النقاب أو أزاح القناع Oter le voile فإذا قيل أن الله أوحى إلينا بحقيقة ما فمعناه أنه تعالى كشف القناع أو أزاح الستار الذى كان يخفى هذه الحقيقة.

(٢) الوحى والإلهام:

الإلهام فى اللغة «ما يلقى فى الروع»، وهو بهذا المعنى قريب من الوحى، غير أن من العلماء من يفرق بين الوحى وبين الالهام على أساس أن الوحى هو اعلان من الله على يد وسيط، أما الإلهام فهو اتصال الله بروح عبده اتصالا مباشرا بغير وسيط فهو نفث فى الروع، وهذا هو الفرق بين الأنبياء وبين الأولياء عند المسلمين، أن الأنبياء يتلقون وحيا من الله عن طريق ملك من السماء، بينما الأولياء يقذف الله فى قلوبهم نوره قذفا باتصال سرّى مباشر. ولكن آباء الكنيسة يصطلحون على أن كلمة الوحى للإشارة بها إلى إعلانات العلّى إذا كانت مجهولة أو تتناول أمور مستقبلة، ويخصون بالإلهام هذا الإرشاد الإلهى الذى يحرّك قلوب البعض لتبليغ غيرهم حقائق معروفة.

(٣) الوحى وقسماه: الإعلان والإلهام:

فالوحى عند علماء الدين وأئمة الكنيسة ينقسم إلى قسمين:

أولهما، الإعلان وثانيهما، الإلهام، والوحى يشملهما معا. أما الإعلان فهو الإخبار بأمور مجهولة، وبهذا المعنى يكون الإعلان والنبوءة بمعنى واحد. فيخبر الله نبيّه أو من يسّر بإعلان إرادته له، بأمور لا سبيل إلى معرفتها عن طريق طبيعى أو عن غير طريق الله. أما الإلهام فهو الإخبار أو التبليغ بأمور كانت سابقا معروفة، ولكن قد تكون بمضىّ الزمان قد نسيت أو أهملت أو زيد عليها أو شوهت حقيقتها، فيشاء الله أن يعلن حقيقة هذه الأمور بغير إضافة أو تحوير، تذكرة للبشر وتعليما لهم، فكأن الإلهام هو بيان لحقائق معروفة قديما أو إيرادها على حقيقتها بلا زيادة أو نقصان ودون خطأ أو زلل، وهو يجرى إذن على الأمور التاريخية التى سبق معرفتها والعلم بها بغير إعلان إلهى.

وثمة فرق بين الإعلان والإلهام من حيث أن الإلهام اتصال إلهى مباشر بقلب النبى وروحه أى أنه اتصال داخلى أو تلقين باطنى، بينما الإعلان لا يقتصر على هذا الإتصال السرّى وحده بل قد يشمل الإتصال الجهارى بصوت مسموع أو الإتصال عن طريق وسطاء هم الملائكة: فحديث الله إلى آدم وقايين وابراهيم وموسى كان أحيانا بصوت جهارىّ وهكذا حديث الله على الجبل إلى جميع بنى إسرائيل، وحديث الآب وشهادته عن ابنه وكلمته فى نهر الأردن، وبهذا

المعنى يصح أن يقال عن جمهور بنى إسرائيل أو جمهور الواقفين على الأردن أنهم جميعا تلقوا من الله إعلانا إلهيا، ولا يقال أنهم تلقوا إلهاما أو أنهم ملهمون، فالإعلان قد يكون لأكثر من واحد، بينما الإلهام لواحد، والإعلان قد يكون بصوت مسموع أو بواسطة ملائكة كما كان الشأن مع يشوع بن نون، وزكريا، وبعض قضاة بنى إسرائيل، بينما الإلهام يكون بطريق سرّى وبغير وسيط.

وأخيرا يختلف الإلهام عن الإعلان فى أن الإعلان إخبار إلهى، صادق كله صدقا داخليا وخارجيا، بينما الإلهام قد يشتمل على أمور صادقة وأمور غير صادقة، لكنه مع ذلك إخبار صادق غير أنه صدق خارجى بالنسبة لبعض الأمور، وصدق داخلى وخارجى بالنسبة لبعضها الآخر: فقد نجد فى الكتاب المقدس بعض أقوال لقوم أشرار أو على الأقل غير ملهمين، أو بعض شهادات ومزاعم لعلماء أو لشياطين، وهذه جميعا أقوال باطلة أحيانا وكاذبة أحيانا أخرى وخبيثة أحيانا ثالثة، ومع ذلك فالوحى أو الإلهام كان صادقا فى إيرادها على حقيقتها كما صدرت من أفواه قائليها، فصدقها صدق خارجى وإن لم يكن داخليا، وبعبارة أخرى يكون الإخبار بهذه الأقوال والنصوص إخبارا صحيحا وإن كانت هى فى ذاتها كاذبة أو باطلة.

(٤) الوحى والإرشاد الروحى:

إن للروح القدس فى قلوب المؤمنين تأثيرا إلهيا فهو يقوم بعمل الإرشاد والتنبيه والإنارة والتعليم والتذكير. بيد أن هذا الإرشاد الروحى يختلف اختلافا ويتميز تميزا عن الوحى: فالإرشاد الروحى يرافق المؤمنين المستنيرين بنعمة الروح القدس فى سر الميرون، ويظل هاديا لهم طالما كانوا فى روح الطاعة والقداسة والطهارة وطالما كانوا منقادين فى تصرفاتهم بروح الله، أما الوحى فهو عبارة عن عمل الروح القدس فى عقل الملهم أو النبى فى وقت النبوءة أو الإلهام بحيث أنه يجوز أن يكون لقوم أشرار وعصاة، ولكن الروح القدس يعصمهم من الوقوع فى الخطأ فيما يوحى إليهم به: فشاول الملك وقد كان شريرا فارقه روح الرب وبغته روح ردئ ومع ذلك كان يتنبأ. (١) وقيافا رئيس الكهنة كان عنيدا ضد الحق ولكن الكتاب المقدس شهد عنه أنه تنبأ فقال «خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولاتهلك الأمة كلها، ولم يقل هذا من نفسه، بل إذ كان رئيسا للكهنة فى تلك السنة تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة» (٢).

---

(١) ١. صم ١٩: ٢٤.

(٢) يو ١١: ٥٠.

على أن الوحى والإرشاد الروحى، كلاهما من فعل الروح القدس، والفرق بينهما كالفرق بين الروح القدس فى العهد القديم وعمل الروح القدس فى العهد الجديد، فحلول الروح القدس فى القديم كان حلولا مؤقتا ولغرض خاص وعلى إناس مخصوصين (الأنبياء والملوك والكهنة) فهو موقوت بزمان تبليغ النبوءة أو الوحى، ولقصد إبلاغ أو إعلان إرادة الله، التى كانت تعلن لفرد يختاره الله ويكلفه بمهمة التبليغ للشعب بأكمله. أما حلول الروح القدس فى العهد الجديد فحلول دائم فى قلوب القابلين لسر الميرون، وعمله فيهم ارشاد وتذكير وإخبار بأمور آتية وتقديس وتطهير وليس وحيا وإعلانا فقط، كما أنه لجميع المتمتعين بنعمة الميرون أو المسحة وليس للأنبياء أو الملوك أو الكهنة فحسب كما كان فى العهد القديم.

(٥) تعريف الوحى:

وعلى ذلك يمكن أن نعرّف الوحى بأنه إعلان من الله للبشر جميعا أو لمن ينوب عنهم، بما يريد كشفه لهم من أمور يجهلونها لكنها ضرورية لسعادتهم، بطريقة فائقة الطبيعة أو خارجة عن العقل أو الطبيعة، وخالية من كل زلل ونقص وخطأ.

(٦) لزوم الوحى:

إذا كان الله يتدخل ليعلم البشر مالا يستطيعون أن يتوصلوا إلى معرفته بالنور الطبيعى، فما ذلك إلاّ لأن الحقائق التى يشاء كشفها لهم ضرورية ولازمة لقيادة نفوسهم إلى طريق الكمال، الذى بدونه يحرم الإنسان من ميراث ملكوت السموات، ولذلك لا يهتم الوحى أن يبلغنا حقائق العلوم من حساب وهندسة وطبيعة وكيمياء لأن جهل الإنسان بهذه الحقائق لا يفقده السماء، بينما جهله بحقائق الوحى يحرمه من امتيازات أبدية وسعادة مقيمة.

(٧) إمكان الوحى:

ينكر العقليون إمكان الوحى ويزعمون أنه يناقض العقل ويحتوى على أمور مستحيلة، ويرى المؤمنون أن الوحى لا يناقض العقل وأن العقل لا ينكر الوحى، وأن ليس فى الوحى من مستحيل على العقل أن يقبله ذلك لأن الوحى إعلان إلهى، معلنه هو الله، والمعلن له هو الإنسان، وعدم إمكان الوحى معناه إستحالة الإعلان الإلهى إما من جانب الله الذى يعلنه، أو من جانب الإنسان الذى يعلن له، أو من جانب الحقيقة التى يشاء الله إعلانها للإنسان. فإذا لم يكن ثمة مانع من هذه الجوانب الثلاثة كان الوحى ممكنا.

(أ) الوحى ممكن من جانب الله: ولم لا؟ أليس الوحى إعلانا للحق وتبليغا للحقيقة؟ ومن أولى بتبليغ الحق من الحق نفسه ومن أعرف بالحقيقة من الحقيقة ذاتها؟ وإذا كان هو الحق أو هو الحقيقة فهل يعجز عن إيصالها للبشر؟ فإن سألت عن وسيلة التبليغ قلت ليس لك أن تبحث عن هذا إذ يكفيك أن تؤمن أنه «القدير على كل شيء» وهو يستطيع أن يبلغ الأناس إرادته سواء بالكلام والإعلان الشفاهى، فخالق النطق لا يعجز عن الكلام، أو بكشف الحقيقة لعين القلب بلا وساطة من حس أو عقل أو تفكير أو تصور.

فإن قلت أنى لا أشك فى قدرة الله، ومع ذلك لا أؤمن بالوحى قلت، إذا كان الله كلى القدرة فلا يمنعه من إعلان ارادته للبشر مانع، مادام يحب البشر ويريد خيرهم ويرغب فى معونتهم، إذ الله كلّى الصلاح أيضا، والصالح يحب خير غيره، ولا يرضى بضلاله وشقائه، وهو كلى المحبة بل كله محبة أو هو محبة، والمحبة تقتضى الإقتراب إلى المحبوب كما تقتضى النجوى والكشف أو الوحى.

ولكن منكرى الوحى يعودون فيقولون: يستحيل القول بالوحى إذا كنا نؤمن بإله جليل عظيم القدر لا حدّ ولا نهاية لعظمته وجلاله، فأنىّ للإنسان هذا الكائن الحقير، أن يتلقى وحيا من الله العظيم إنه لتنازل من الله غير معقول، بل أنها لحظة لمقامه السامى أن يكلم الإنسان. وما أصاب العقليون فى إنكار الوحى وإستحالته وان كانوا أصابوا فى تعظيم الله وإجلاله. ومن يقول أن عظمة الله غير المتناهية تحول دون إعلان مشيئته للبشر؟ إن المسيحية تشعر أن مما يزيدها إعتبارا وإجلالا لله، ليس هو إيمانها بإله جامد متباعد عن خليقته، بل إيمانها بإله محب عطوف شفوق قريب من خلقه، يعينهم كلّما شعروا بحاجتهم إلى غوثه ومعونته، وليست حقارة البشر وضآلة قدرهم إلا سببا موجبا لظهور عنايته بهم ومساعدته لهم.

فلعل فى هذه الردود مقنعا للعقليين الذين يقيمون من صفات الله أسبابا لإنكار الوحى، ولكن لله صفات أخرى تبدو لهم مناقضة لعقيدة الوحى: ذلك أنهم لا يرون للوحى فائدة فنسبة الوحى إلى الله كنسبة الجهالة إليه تعالى وهذا يتنافى مع الإيمان بحكمة الله: أما أن الوحى عبث لا طائل تحته فهذه قضية يرفضها المؤمنون بحماس شديد، لأنهم يعتقدون أن الوحى أعلن لهم حقائق ضرورية لسعادتهم وما كان لهم أن يتوصلوا إليها بغير معونته، فالوحى مفيد وضرورى، وحكمة الله تقتضى أن يعلن للبشر كل ما هو مفيد وضرورى لهم.

هذا، والوحى عند العقليين يطعن فى ثبات الله وعدم تغيره، لأنه أعلن للبشر بعد عمل الخليقة وفى زمان متأخر، وهذا وهم ومحض افتراض لأن الله حين يوحى بالحق إلى الإنسان لا يعتوره تغيير أو تبديل، لأنه فعل ذلك بإرادة واحدة أزلية غير متغيرة، وشأنه فى ذلك شأن القائد الذى يضع خطة معينه أنه يغزو هذه المدينة قبل تلك - فتتميم الخطة وإن كان ينجز فى أزمنة مختلفة لكن خطة القائد مع ذلك لم تتغير ولا يعد القائد لذلك متغيرا، إذا فالله لا يتغير، وإنما الإنسان هو الذى يتغير علمه بعد الوحى عنه قبل الوحى، وهذا كله بغرض أن الوحى لم يعلن للإنسان إلاّ متأخرا، والحق أن الله أعلن إرادته للإنسان منذ اللحظة التى خلقه فيها حين أوصاه أن لا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر، حقا إنه لم يكن وحيا كتابيا ولكنه كان وحيا شفاهيا.

وللعقليين اعتراض أيضا على الوحى من حيث أنه يتنافى وكمال الخليقة التى خلقها الله، لأن الله خلق الخليقة كاملة فلا تحتاج منه إلى تدخلٌ جديد عن طريق الوحى، فالوحى إذن يستلزم أن يفترض النقص وعدم الكمال فى خليقة الله. لكن العقليين قد فاتهم أن الطبيعة الإنسانية قد فسدت ولم يعد العقل ولا الضمير أو النور الطبيعى بكاف للإرشاد إلى الحق، فلزم تدخل الله عن طريق الوحى، فالوحى إذن لا يفترض النقص فى خليقة الله، ولكنه يسلّم أن طبيعة الإنسان كاملة فى خلقها لكّن الشر قد أفسدها، وما الوحى إلاّ يد الله يقدمها لإقالة الإنسان من عثرته وتطهيره من خطيته.

وأخيرا إذا كان العقليون يرون أن فكرة الوحى تتهم عدالة الله، من حيث أن الوحى إعلان لقوم دون آخرين، فإن المؤمنين ينكرون هذا الإتهام ويرون أن الله غير ملتزم بإعلان إرادته رأسا لكل إنسان، ويكفية أن يعلنها لفرد أو أفراد ويكلف هؤلاء بتبليغ إرادته إلى الباقين، وبهذا يكون الوحى معلنا للجميع، غير أنه قد أعلن لفريق الأنبياء بدون واسطة، وللشعب بواسطة وذلك لأن الوحى يستلزم فى الموحى إليه به شروطا لا تتوفر فى جميع الناس، فليس من المناسب أن يعلن الله إرادته رأسا لكل بشر، فليس من عدم العدالة أن يعلن الله وحيه على الطريقة التى إختارها لأنها مناسبة وموافقة من جميع الوجوه.

وإذن فصفات الله تقتضى الوحى لأنه محب جواد كلى الصلاح والقدرة وليست قداسة الله أو عظمته أو ثباته أو عدالته بمانعة له من إعلان مشيئته للبشر، بل هى على العكس تقتضيها وبعبارة أخرى، أن الوحى ممكن من جانب الله.

(ب) الوحى ممكن من جانب الإنسان: نعم إن الإنسان حيوان قابل للعلم والإكتساب، وهو يتعلم بما تصل إليه خبرته وإستطاعته ولكنه يتعلم من الآخرين بأكثر جدا مما يتعلمه بنفسه، فكثير من الحقائق التى نؤمن بها ونستخدمها فى شتى المرافق العلمية والعملية والحيوية والإجتماعية قد وصلت إلينا عن طريق الغير، فها هى الحقائق الجغرافية والتاريخية وكثير من حقائق العلوم الأخرى نتلقاها بوحى من الآخرين دون أن نصل إليها بأنفسنا بل ولا يمكننا أيضا أن نتحقق من صحتها، وإنما نحن نعتمد فى التصديق بها على رواية الآخرين بعد أن نتحقق من «صدق» هؤلاء الرواة. فلماذا يعد عجيبا أن يتلقى البشر علما من لدن الله، وإذا كان صدق الرواة هو محك تصديقنا بكثير من حقائق العلوم، أفليس من العدالة فى الحكم أن نتقبل أيضا شهادة الملهمين كما قبلنا شهادة الرواة والمؤرخين والعلماء؟؟ وكل ما يلزمنا هو أن نتثبت من صدق هؤلاء الملهمين بأن نتحقق من تأييد أقوالهم بالمعجزات والخوارق، فهى محك صدقهم ومقياس إنتسابهم إلى الله. ومن عجب أن يتلقى المرء حقائق المعارف الأرضية ولا يرفض أن يتعلمها من آخرين، مع أنها معارف ليست فى أهمية المعارف الدينية وليست فى ضرورتها؟ أفليس من الضرورى أو على الأقل مما لا يرفضه العقل البشرى، أن يتعلم المرء حقائق الديانة من الله أو من أنبياء الله؟.

وأى غضاضة فى هذا؟ أن العقليين يحسبون أن الوحى إهانة للإنسان، فهو تحقير من شأن العقل الذى منح للإنسان ليفتش به عن الحق ويصل إليه. ولكن هل غفل العقليون عن أن الوحى لا يعلنه الله لحيوانات بكم بل لكائنات عاقلة، ومعنى ذلك أن فكرة الوحى لا تهين العقل بل تقدره وتثق فيه، لأن الوحى لا يعلن عن نفسه ولا يتعرض إلاّ لمن يفهمه، فهو إذا يتقدم إلى عقل الإنسان فلأنه يشعر بوجوده ويؤمن بأنه وحده دون المخلوقات جميعا الذى يمكنه أن يتقبله، فضلا عن أن العقل يطالب الوحى بتقديم أوراق اعتماده قبل أن يؤمن به وبحقائقه، كما أنه يحاول أن يتفهم الحقائق ويعقلها، فالعقل إذن لا يقف بالنسبة للوحى موقفا سلبيا، كما أن الوحى لا يشل حركة التفكير أو يوقف عمل العقل أو يحقر من شأنه، بل هو الذى يقدم للعقل مادة للبحث بعد أن يكون العقل عجز عن الوصول إليها وفرغت جعبته من حيز الحقيقة، وإذن، فالوحى عون للعقل وليس ضد له، ومن يقول أن من يعين الضعيف ويشد من أذره يحقر من شأنه؟ إن المعونة دليل الإهتمام لا دليل التحقير، وهى أولى بالشكر والتقدير لا بالإنكار والجحود.

ومجمل القول أن ليس فى جانب الإنسان ما يمنع من قبول وحى من الله، وطبيعتنا الداخلية تشهد فينا بذلك، ووجدان البشر العام يؤيد هذه الحقيقة حتى أن جميع البشر مهما اختلفت أمكنتهم وأزمنتهم توقعوا على الدوام وحيًا من السماء وإعلانا من الله، فليس المسيحيون وحدهم يؤمنون بالوحى، بل جميع أصحاب الديانات سماوية كانت أو بشرية قالوا بالوحى، ونادوا بكتب اعتقدوا أنها منزلة وموحى بها من الله، كما فعل الرومان واليونان والفرس والعرب والهنود والصينيون وغيرهم. ولولا إعتقاد البشر فى إمكان الوحى لما وقعوا فى تضليل المضلين والأنبياء الكذبة الذين ادعوا النبوءة والوحى من الله.

(جـ) الوحى ممكن من جانب الإنسان...

اعتراض... فى وسع الإنسان أن يتعلم من إنسان نظيره ويستطيع أن يتحقق من صحة تعليمه، بينما أن الوحى أو التعليم من جانب الله لا يستطاع التحقق من صحته.

الرد... ليس صحيحا أن الإنسان يستطيع دائما أن يتحقق من صحة تعليم معلمه ـ الحقائق التاريخية.... الحقائق الجغرافية... وكثير من الحقائق العلمية الأخرى...

أنه دائما يعنينا أن نتحقق من صدق المعلم... وهذا ممكن فى موضوع الوحى... أى إثبات صدق الأنبياء.

اعتراض آخر... قبول تعليم عن طريق الوحى يحط من قدرة العقل...

الرد... الوحى لا يحط من قدر العقل، لأنه للكائنات العاقلة وحدها... الوحى لا يمنع استخدام العقل، لكنه يعينه على بلوغ ما لاقدرة له على بلوغه... هناك أمور تدخل فى ميدان العقل، وأخرى لابد فيها من الوحى.

... إثبات وجود الله ممكن للعقل... إثبات وحدانية الله ممكن للعقل. إثبات سمو الديانة المسيحية على غيرها ممكن للعقل... التحقق من صدق الأنبياء ممكن للعقل.

وأمور أخرى لابدّ فيها من الوحى:.. طبيعة الله وصفاته.. حقائق الديانة الجزئية، كالتثليث والتجسد، والفداء والأسرار ومسائل الآخرة: كالقيامة، والدينونة والجزاء الأخروى وما إلى ذلك.

... مثل الوحى مثل المعلم الذى يتقدم لحلّ مسألة رياضية عجز التلميذ عن حلها.

... مثله مثل الوسائل العلمية المعينة للحواس البشرية الضعيفة...

العدسات بالنسبة لضعاف البصر، السماعات بالنسبة لضعاف السمع، التليسكوبات والميكروسكوبات للأشياء البعيدة أو التى لا ترى بالعين المجردة... ركوب القطارات والبواخر والطائرات للتغلب على عوائق الطبيعة، ولسرعة الوصول...

(د) الوحى ممكن من جانب الحقيقة نفسها... إذا الحقيقة إما أن يكون العقل قادرا على إدراكها وفى متناوله، وإما أن تكون عالية عن إدراكه وفى غير مقدوره أن يصل إليها أو يتحقق بها، والوحى الإلهى يجمع بين هذين النوعين: ففيه حقائق يستطيع العقل أن يُحصِّلها بمحض قدرته من غير حاجة إلى إستخدام قوة أخرى غير قوته الطبيعية المودعة فيه، وهناك حقائق سامية عالية يعجز عن الوصول إليها بنفسه بل وقد لا يستطيع أن يسبر غورها أو يغوص إلى أعماقها وهى ما تعرف بأسرار الديانة ودفائنها. أما الحقائق التى من الطراز الأول فقد أثبتها الوحى ضمن مشتملاته، لا لأنه يستحيل التوصل إليها باستخدام العقل البشرى، بل لأن العقل قد يضل فى البحث عنها أو قد يدركها بعد زمان طويل، فضلا عن أنه ليست جميع العقول هى التى تتمكن من الوصول إليها والبحث عنها. وذلك أعلنها الوحى ليبلغها للبشر على نحو أضمن وأسرع من المحاولات العقلية والبشرية التى قد تخطىء وقد تصيب وإن أصابت فبعد زمان طويل.

ولما كان البعض ينكرون على العقل إمكانية الوصول إلى الحقيقة، ويبالغون فى وصفه بالعجز والقصور، وكان البعض الآخر ينسبون إليه قدرة كاملة على إدراك كل شىء، حتى باتوا لا يسلمون بغير العقل مرجعا فى معرفة الحقائق الدينية فضلا عن العلمية أو الإجتماعية، وينكرون تبعا لذلك أسرار الديانة ومعلنات الوحى من حيث أن العقل لا يصل إليها، فقد وجب علينا أن نفرد لكل من هذين الموضوعين - بحثا خاصا لنعرف مدى حقيقة هذين الزعمين تمهيدا لإعلان الحقيقة النهائية.

* * *

أهمية العقيدة الدينية
للحياة الروحية
والرّد على مذهب اللاطائفية

أهمية العقيدة الدينية للحياة الروحية

ما أعظم الخطأ الذى يقع فيه بعض المسيحيين الذين يهملون شأن العقيدة الدينية، زعما منهم أن الحياة المسيحية فى جوهرها تقوى وعاطفة روحية،وأن الله لا تعنيه العقيدة وإنما تعنيه الحياة التقوية الخالصة. ومما يؤسف له أن هذا الاتجاه نجده أحيانا عند بعض الناس المشتغلين بالدين، ممن كسلت عقولهم ونفوسهم عن البحث والدرس، وظنوا فى الناس جميعا أنهم يستثقلون هذا البحث ويعدونه أمرا عسيرا يمكن للإنسان أن يخلص بدونه. وقد يتورطون أحيانا فيضطرون إلى المناداة بقصر هذه المباحث على المتعمقين دون المبتدئين، بحجة أن الطعام القوى يكون للبالغين، أما اللبن فيكون للأطفال أى المبتدئين.

ومما لا شك فيه أن الهدف الأسمى من الديانة هو التقوى وأن غاية الإيمان هو خلاص النفس وأن هدف الحياة الدينية بأسرها هو التشبه بالله، ومعاينته معاينة دائمة، والشخوص فيه والإتحاد به، ففى السير مع الله والتعلق بمحبته، سعادة لا تستقصى تبدأ فى الحياة الدنيا، وتتصل بالحياة الأخرى، فى أبدية لا نهاية لها.

ولكن من قال أن هذه الحياة الروحية يمكن أن تقوم بغير عقيدة دينية ؟!

هذا غير ممكن وذلك:

أولا - لأن العقيدة الدينية هى الأساس الذى يقوم عليه بنيان الحياة الروحية:

فإذا كانت العقيدة الدينية سليمة كانت الحياة الدينية القائمة عليها سليمة. وإذا كانت العقيدة الدينية سقيمة كانت الحياة الروحية مريضة. وهذا يفسر لنا أنواع الشطط والإنحراف الروحى التى يتردى فيها بعض من أنصاف المتدينين الذين لم يفهموا العقائد الدينية فهما صحيحا تبنى عليه حياة روحية صحيحة. فالفهم الصحيح يزيد العاطفة الروحية قوة، وعمقا وحرارة، ويثبت أركانها، ويوطد دعاماتها، فلا تعصف بها أنواء الشكوك، من أن تقع فريسة للأوهام والخيالات والخرافات.

يقول مار بولس الرسول فى رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس: «أنا بحسب نعمة الله التى أوتيتها كمهندس (١) حكيم قد وضعت الأساس، وآخر يبنى عليه. ولكن فلينظر كل واحد كيف يبنى عليه. إذ لا يستطيع أحد أن يضع أساسا غير هذا الموضوع، يسوع المسيح. فإن كان أحد

(١) طبقا للنص القبطى ⲁⲣⲭⲓⲧⲉⲕⲧⲱⲛ ، والنص اليونانى ἀρχιτέκτων ، ومنها اشتقت architect بالإنجليزية، architecte بالفرنسية... بمعنى «مهندس» أو حرفيا «رئيس البنائين».

يبنى على هذا الأساس ذهبا أو فضة أو حجارة كريمة، أو خشبا، أو عشبا أو قشا، فإن عمل كل واحد سيصير ظاهراً، لأن اليوم سيظهره، لأنه بنار يستعلن. وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو. فمن بقى عمله الذى بناه على الأساس، فسينال أجره (١)».

ومعنى هذا أن للديانة المسيحية أساسا، وهو يسوع المسيح. ولا شك أن المقصود بالإيمان بيسوع المسيح هو الإيمان المسلم (٢) لنا من الكنيسة عن يسوع المسيح باعتباره كلمة الله، وابن الله والله الظاهر فى الجسد، الذى جاء من السماء لأجل خلاصنا، وأخذ صورتنا وصلب ومات وقبر وصعد إلى السماء، وسيأتى فى مجيئه الثانى ليدين الأحياء والموتى. وقد أرسل الروح القدس فى اليوم الخمسين لقيامته المجيدة، ليقدس كنيسته الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية، وهو كائن معها وفيها إلى الأبد، «وبوابات الجحيم، لذلك، لن تقوى عليها (٣)».

وإلا،فإذا كان الإيمان المقصود هو الإيمان بيسوع المسيح دون تحديد حقيقة هذا الإيمان ومفهومه، فيمكن أن يوصف بأنهم مسيحيون بعض أتباع الديانات الأخرى ممن يؤمنون بالمسيح ويتغنون بعظمة فضائله، أو أتباع بعض الهراطقة من أمثال الأريوسيين فى العصور القديمة أو شهود يهوه فى العصور الحديثة!! بينما أن إيمان هؤلاء وأولئك بيسوع المسيح إيمان لا نقره نحن المسيحيين الأرثوذكسيين، وتشجبه وتحرمه كنيستنا المقدسة، وتعتبره أساسا خاطئا لمذاهب هرطقية وديانات مختلفة عن ديانتنا المسيحية.

فإذا كان ربنا يسوع المسيح يقول «إن كنتم تحبونى، فاحفظوا وصاياى.. من كانت عنده وصاياى وحفظها فهو الذى يحبنى.. إن حفظتم وصاياى ثبتم فى محبتى.. أنتم أحبائى إن صنعتم ما أنا موصيكم به (٤)»، ومار يوحنا الرسول يقول «وأما من حفظ كلمته فذلك قد كملت فيه محبة الله بالحقيقة، وبهذا نعلم أننا فيه (٥)». فقد ترتب عليه أن يكون الإيمان بربنا يسوع المسيح مشروطا بأن يكون مصحوبا بحفظ وصاياه وتعاليمه وتنفيذها. ولما كانت كل تعاليم الكنيسة المقدسة من وصايا يسوع المسيح وتعاليمه التى سلمها لرسله الأطهار الذين سلموها بدورهم للكنيسة، سواء فى تعاليمهم المكتوبة فى الأناجيل والرسائل، أو غير المكتوبة وهى التى عرفت بالتقاليد الرسولية (٦)، فيتضح من هذا كله أن الأساس الذى تبنى عليه الحياة المسيحية هو الإيمان بيسوع المسيح وكل تعاليمه ووصاياه كما سلمها إلى الكنيسة عن طريق رسله الأطهار، وهو الإيمان بيسوع المسيح حسب المفهوم الأرثوذكسى للإيمان المسيحى.

---

(١) ١. كورنثوس ٣: ١٠- ١٤.
(٢) أو الإيمان الذى قد سلم مرة للقديسين (رسالة يهوذا : ٣).
(٣) متى ١٦: ١٨.
(٤) (يوحنا ١٤: ١٥، ٢١، ٢٣) (١٥: ١٠، ١٤).
(٥) (١. يوحنا ٢: ٥) أنظر أيضا (١. يوحنا ٣: ٥)، (٢. يوحنا : ٦).
(٦) (١. كورنثوس ١١: ٢)، (٢. تسالونيكى ٢: ١٥).

يقول القديس يوحنا الذهبى فمه، تعليقا على ما كتبه القديس بولس الرسول فى الأصحاح السادس من رسالته إلى العبرانيين، عندما تكلم عن الأسس الأولية والضرورية للكمال المسيحى وهى «التوبة عن الأعمال الميتة، والإيمان بالله، وتعليم المعموديات، وقيامة الأموات، والدينونة الأبدية (١)»، «إن الإيمان أساس، وما سواه عمارة وبناء. فاسمع ما يقول ليصح لك الدليل. «أنا قد وضعت الأساس، وآخر يبنى عليه..» ولكن لا نطرح أيضا أسس التوبة من أعمال ميتة. فإن قال قائل: ما معنى قوله: «لنأت إلى الكمال» أجيبه أنه خليق بنا أن نتوجه ونرتفع إلى نفس الذروة، أى نقتنى سيرة فاضلة. فإنه كما أن الألف متصلة بكل الحروف كذلك الأساس متصل بسائر البناء. هكذا الإيمان الصريح المستقيم ضابط لطهارة السيرة، وبدونه لا يمكن أن يكون المسيحى مسيحيا كما أن العمارة لا يمكن أن تكون لها وجود من غير أساس. وكما أن الكاتب لا يمكن أن يصبح خبيرا بالكتابة من دون معرفة بالحروف، بل إن أصر على النظر فيها وأكثر من التردد فى تصفح معانيها فلا يحصل منها بطائل، هكذا البانى أيضا. فأنت ياهذا، لايصغر عند نفسك وفى عينيك قدر الإيمان لأنه لقب بحرف، فإنه هو القوة كلها... وأما الذى نصفه نحن بالكمال فهو الذى أضاف إلى إستقامة الإيمان إستقامة السيرة (٢)».

ثانيا - أن التفريق بين العقيدةالدينية والحياة الروحية تفريق ظالم لا يتفق وطبيعة النفس البشرية التى لا يمكن أن تحيا أو تتصرف من غير عقيدة تنعقد عليها النفس.

فنحن لا نستطيع أن نتصور إنسانا يحيا بغير عقيدة! قد تختلف العقائد، ولكن هناك دائما توافق وتواز بين عقيدة الفرد وسلوكه فى الحياة. وحتى الذين ينادون بفصل العقيدة الدينية عن الحياة الروحية يبنون هذا الفصل على اعتقاد منهم بذلك!.

والحق أن الحياة الروحية مبنية على العقيدة الدينية. وأن الفرق بين حياة شخصين هو الفرق بين عقيدتيهما. ولو نظرنا إلى المرائى لوجدنا أيضا أن حياته مزعزعة، وتصرفاته مضطربة، لأنه لا يشاء أن يتصرف تصرفا طبيعيا يطابق عقيدة نفسه الداخلية. يقول الحكيم «من يخفى البغضة، فشفتاه كاذبتان (٣)». ذلك أن كل فكرة تقتنع بها النفس، مصيرها أن

---

(١) العبرانيين ٦: ١، ٢.

(٢) تفسير القديس يوحنا ذهبى الفم لرسالة العبرانيين، المقالة التاسعة، فى تفسير أصحاح ٦: ١- ٦.

(٣) أمثال ١٠: ١٨.

تتحول إلى عمل. وكل ما يقوم به الكائن العاقل، يصدر حتما عن فكرة تشبعت بها النفس على درجة ما. وحتى فلتات اللسان تنفيس عما يختمر فى العقل الباطن أو النفس الداخلية.

وثمة رابطة طبيعية بين النفس والبدن، بين العقيدة والسلوك، بحيث أن ما تنفعل به النفس يظهر على الجسم، وما تنعقد عليه النفس يبدو فى مظاهر السلوك.

فإذا إلتقيت أنت بإنسان تحبه، ظهر الحب فى بريق عينيك وقسمات وجهك ومحياك، والطريقة التى تتحرك بها نحوه، والكلمات التى تخرج من فمك لتحيته، كما يظهر فى سائر حركات يديك وكل جسمك.

وإذا إلتقيت بعدو أو شخص بينك وبينه سبب من أسباب الكدر أو الغضب، فمهما تكلفت ضبط نفسك، وكظمت غيظك فإن شعورك بالضيق منه لابد أن يظهر منك فى نظرتك إليه، وسلامك عليه، وحديثك معه.

قال الشاعر العربى التعاويذى:

والعين تعلم من عينى محدثها
إن كان من حزبها أو من أعاديها
عيناك دلتا عينى منك على
أشياء لولاها ما كنت تبديها

وقال الشاعر صرور:

إن العيون لتبدى فى نواظرها
ما فى القلوب من البغضاء والمحن

وقال حيص بيص الشاعر العراقى:

العين تبدى الذى فى قلب صاحبها
من الشناءة أو حب إذا كانا
إن البغيض له عين يصدقها
لا يستطيع لما فى القلب كتمانا
فالعين تنطق والأفواه صامتة
حتى ترى من صميم القلب تبيانا

ويقول شاعر آخر:

لا تسـأل المرء عن خلائقه

فى وجهه شاهد من الخبر

وإذا فاجأك خبر مفرح، سرى الفرح فى كل أعضائك داخلا وخارجا، فالغدد الصماء تفرز فى جسمك إفرازات مناسبة وبانية لصحتك. ثم وكأن كهرباء قد سرت فى كل منطقة من جسمك، فيعلو الفرح وجهك، وتظهر علاماته على عينيك وعلى لون وجهك وعلى حركات يديك، وربما رجليك، فتقفز فى خفة وتتكلم فى انطلاق وسرور. وكما يقول الكتاب المقدس «القلب الفرحان يجعل الوجه طلقا (١)»، وكما يقول النبى فى المزمور «قلبى وجسمى قد ابتهجا بإلاله الحى (٢)». ويقول يشوع بن سيراخ «المرأة الصالحة نصيب صالح تمنح حظا لمن يتقى الرب، فيكون قلبه جذلا ووجهه بهجا كل حين، غنيا كان أم فقيرا» (٣) ولو حللت دمك لتبين لك أن هناك تغيرات فسيولوجية فى تركيب الدم قد حدثت، ونشاطا خاصا فى خلايا الجسم أحدثه إنفعال الفرح. وقد يزيد وزنك بعد قليل.

يقول الحكيم سليمان «الخبر الطيب يسمن العظام (٤)»، ويقول أيضا «الكلام الحسن شهد عسل، حلو للنفس وشفاء للعظام (٥)». ويقول يشوع بن سيراخ: «لطف المرأة ينعم رجلها، وأدبها يسمن عظامه (٦)».

أما إذا دهمك خبر أليم أحزنك، ففى الحال يمتقع لونك، ويكمد وجهك، ويسود محياك، بل ويجمد الدم فى عروقك، ويجف حلقك، وتقف فى مكانك، لا تقوى على الحراك. فإذا اضطررت إلى الحركة، تحركت فى جمود وحركة ثقيلة. يقول النبى داود فى المزمور «اشفنى يارب، فإن عظامى قد رجفت... تعبت فى تنهدى...ساخت من الغم عينى.شاخت من كل مضايقى (٧)»، ويقول أيضا «ارحمنى يارب لأنى فى ضيق. خسفت من الغم عينى، نفسى وبطنى، لأن حياتى قد فنيت بالحزن وسنينى بالتنهد. ضعفت بشقاوتى قوتى، وبليت عظامى... صرت مثل إناء متلف (٨)». ويقول كذلك «لما سكت بليت عظامى، من زفيرى، اليوم كله، لأن يدك ثقلت على، نهارا وليلا. تحولت رطوبتى إلى يبوسة القيظ (٩)». وأيضا

---

(١) أمثال ١٥: ١٣.
(٢) مزمور ٨٣: ٢.
(٣) ابن سيراخ ٢٦: ٣، ٤.
(٤) أمثال ١٥: ٣٠.
(٥) أمثال ١٦: ٢٤.
(٦) يشوع بن سيراخ ٢٦: ١٧.
(٧) مزمور ٦: ٣-٧.
(٨) مزمور ٣٠: ٩-١٢.
(٩) مزمور ٣١: ٣، ٤.

يقول «ليست فى جسدى صحة من جهة غضبك. ليست فى عظامى سلامة من جهة خطيئتى... قد انتنت، قاحت حُبُر ضربى من جهة حماقتى. لويت انحنيت إلى الغاية. اليوم كله ذهبت حزينا. لأن خاصرتَىَّ قد امتلأت احتراقا، وليست فى جسدى صحة. خَدِرْتُ وانسحقت إلى الغاية. كنت أئن من زفير قلبى. يارب أمامك كل تأوهى، وتنهدى ليس بمستور عنك. قلبى خافق، قوتى فارقتنى، ونور عينى أيضا ليس معى..» (١).

ويقول المزمور أيضا «لأن أيامى قد فنيت فى دخان، وعظامى مثل وقيد قد يبست. ملفوح كالعشب، ويابس قلبى حتى سهوت عن أكل خبزى. من صوت تنهدى لصق عظمى بلحمى. أشبهت قوق البرية. صرت مثل بومة الخرب. سهدت وصرت كعصفور منفرد على السطح... أنى قد أكلت الرماد مثل الخبز ومزجت شرابى بدموع... وأنا مثل العشب يبست...» (٢) ويقول «قد ذبلت نفسى من الغم (٣)»، وجاء فى سفر الأمثال قوله: «الغم فى قلب الرجل يحنيه (٤)»، وقوله «كالعث فى الثوب، والسوس فى الخشب، هكذا الكآبة فى قلب الرجل (٥)». ويقول يشوع بن سيراخ «فرج عن قلبك، وأنف الحزن عنك بعيدا، فإن الحزن قتل كثيرين، وليس فيه ثمرة. الغيرة والغضب يقللان الأيام، والغمة تأتى بالشيخوخة قبل الأوان (٦)». ويقول أيضا «تعز عن الحزن، فإن الحزن يجلب الموت، وغمة القلب تحنى القوة (٧)».

فإذا غضبت أيضا جحظت عيناك، وغلى الدم فى عروقك، وتصلبت شرايينك، وتقلصت كل عضلاتك، واندفعت فى حركات تعبيرية ناطقة بانفعالك. وإذا حللت دمك تبين لك أن إفرازات ضارة قد انصبت فى دمك. هذه الإفرازات قد عكرت دمك، وأفسدته، وصبت فيه سموما، حتى أنه لو أخذ جزء من دمك، وحقن به حيوان صغير، كالقط أو الفأر، فإنه يموت فى الحال. وهذا هو سر الضرر الذى يدرك صحة من غضب أو حزن أو انفعلت نفسه بانفعالات الشر كالحقد والضغينة والكراهية وما إليها. فقد يصاب صاحبها بأمراض فى الكبد أو المرارة أو يبتلى بمرض السكر أو ضغط الدم العالى، وقد يصاب بالشلل أو بالسكتة القلبية أو الذبحة الصدرية. وقد لا يصاب بشىء من هذا كله، ولكنه حتما يدركه نوع من الضرر يؤدى إلى ضموره وضعفه.

* * *

(١) مزمور ٣٧: ٣- ١٠.
(٢) مزمور ١٠١: ٣- ١١.
(٣) مزمور ١١٨: ٢٨.
(٤) أمثال ١٢: ٢٥.
(٥) أمثال ٢٥: ٢٠.
(٦) يشوع بن سيراخ ٣٠: ٢٤- ٢٦.
(٧) يشوع بن سيراخ ٣٨: ١٨، ١٩.

وإذا انفعل المؤمن القديس بمحبة الله، وقوى هذا الإنفعال فأصبح وجدا وهياما وعشقا روحانيا، صار اسم الله مثيرا للمؤمن العاشق، يحرك قلبه ومشاعره بإنفعالات الوجد المقدس، وهذه تثير بالتالى إفرازات الإنفعالات السارة، فيشعر بالحلاوة فى حلقه وبالعذوبة فى فمه. فيقول صاحب المزامير فى نفس المعنى «ما أحلى قولك لحنكى. أحلى فى فمى من العسل (١)». ويقول فى موضع آخر «وصايا الرب مستقيمة تفرح القلب... هى أشهى من الذهب والإبريز الكثير، وأحلى من العسل وقطر الشهاد (٢)». ويقول الحكيم سليمان فى حالة من الوجد الصوفى «يا بنى كُلْ عسلا لأنه طيب. كُلْ الشهد فإنه حلو فى حلقك. كذلك معرفة الحكمة لنفسك (٣)»، ثم يقول بلسان النفس الهائمة بمحبة عريسها السمائى «حبيبى أبيض وأحمر، معلم بين ربوة... حلقه حلاوة، وكله مشتهيات هذا حبيبى، وهذا خليلى، يا بنات أورشليم (٤)»، كما يقول عن فعل المحبة الإلهية وعملها فى بواطن القديسين «فإن المحبة قوية كالموت... لهيبها لهيب نار لظى الرب. مياه كثيرة لاتستطيع أن تطفىء المحبة، والسيول لا تغمرها (٥)».

وفى مقابل ذلك إنفعال الخوف والفزع من رهبة الله، والتوقى من مخالفة وصاياه وأوامره المقدسة، فإنه يفعل فى الجسم فعلا شديدا ويجعل الفرائس ترتعد واللحم يقشعر.

يقول النبى فى صلاته تعبيرا عن توقيره لشريعة الله «قد اقشعر لحمى من رعبك، ومن أحكامك جزعت (٦)». ويقول مار بولس الرسول يصف أثر مهابة الرب فى نفس موسى النبى يوم أن نزل على جبل سيناء «وكان المنظر هكذا مخيفا حتى قال موسى أنا مرتعب ومرتعد (٧)». ويقول الحكيم سليمان «الروح المنسحقة تجفف العظم (٨)».

وعلى وجه العموم فهناك علاقة طبيعية بين ما يبطنه القلب وما يظهر على الوجه.

يقول الجامعة «حكمة الإنسان تنير وجهه، وتلين صلابة وجهه» (٩)، ويقول يشوع بن سيراخ فى سفره «قلب الإنسان يغير وجهه إما إلى الخير وإما إلى الشر. طلاقة الوجه من طيب القلب» (١٠). ويقول أيضا «من منظره يعرف الرجل، ومن استقبال الوجه يعرف العاقل.

---

(١) مزمور ١١٨: ١٠٣ أنظر كذلك مزمور ١١٨: ٧٢، ١٢٧.
(٢) مزمور ١٨: ٨، ١٠.
(٣) أمثال ٢٤: ١٣، ١٤.
(٤) نشيد الأناشيد ٥: ١٠، ١٦.
(٥) نشيد الأناشيد ٨: ٦، ٧.
(٦) مزمور ١١٨: ١٢٠. ثم انظر عدد ١٦١ من نفس المزمور، (أيوب ٤: ١٤)، (حبقوق ٣: ١٦).
(٧) العبرانيين ١٢: ٢١.
(٨) (الأمثال ١٧: ٢٢)، (مزمور ٢١: ١٥).
(٩) الجامعة ٨: ١.
(١٠) ابن سيراخ ١٣: ٣١، ٣٢.

لبسة الرجل وضحكة الأسنان ومشية الإنسان تخبر بما هو عليه» (١)، ويقول كذلك «خبث المرأة يغير منظرها ويرد وجهها اسود كالمسح (٢)»، ويقول «زنى المرأة فى طموح البصر، ويعرف من جفنيها (٣)»، كذلك يقول «الوجه يدل على تغير القلب (٤)». وجاء فى سفر أخبار الأيام الأول يصف رجال الحرب «جبابرة بأس، رجال حرب، حاملو تروس ورماح، وجوههم كوجوه الأسود وهم كأوعال الجبال خفة (٥)».

ويقول دارون DARWIN

«إذا طالت مدة الحزن فى القلب وأدرك الدورة الدموية الكسل فتبطىء حركتها، وصار الوجه أصفر، والعضلات رخوة مترهلة، وانخفض الجفنان، وسقط الرأس فوق الصدر المنقبض وغارت الشفتان والخدان والفك الأسفل، وتغيرت عن وضعها الأول. **وبالاجمال فإن تعبير الإنسان كله عندما يكون سعيدا ينقلب إلى العكس تماما عندما يعانى الحزن والأسى**».

* * *

فمن ذا الذى يزعم أنه يمكنه أن تنفعل نفسه بانفعال ما ولا تظهر آثارة على البدن؟ إن من يزعم هذا لا يفهم طبيعة الإنسان، أو لعله يتغابى عنها فى سبيل الدفاع عن قضية خاسرة.

وإذا كان ما قلناه حقا، فهل يمكن أن تنعقد النفس على فكرة ما، فتصبح فيها عقيدة، ولا تظهر هذه العقيدة فى سلوك صاحبها وطريقة تصرفه فى الحياة؟!

هذه التفرقة إذن بين العقيدة وبين الحياة تفرقة ظالمة وغير طبيعية. قطعا إذا كانت هناك عقيدة فحتما لابد من أن يعبر عنها فى الواقع الحى بسلوك ظاهر. ومهما تكلف صاحبها الكتمان أو اصطنع التظاهر بغير ما يعتقد، فالتعبير عن العقيدة الباطنية لابد أن يظهر على حقيقته بطريقة أو بأخرى، طال الزمان أو قصر، ومهما كان الشخص على جانب كبير من الحذق والمهارة وضبط النفس، والتحكم فى أعصابه.

* * *

---

(١) ابن سيراخ ١٩: ٢٦، ٢٧.
(٢) ابن سيراخ ٢٥: ٢٤.
(٣) ابن سيراخ ٢٦: ١٢.
(٤) ابن سيراخ ٣٧: ٢١.
(٥) أخبار الأيام الأول ١٢: ٨.

واعتمادا على هذا الربط بين العقيدة والحياة تقوم كل جهود المربين والمعلمين والمصلحين الإجتماعيين. فإذا أراد أحد منهم أن يوجه سلوك الأفراد أو الجماعات فإنه يبدأ أولا بالمناداة بفكرته، والتدليل عليها، وحمل الغير على الإيمان بها والإعتقاد فيها، فإذا اقتنع هذا الغير بالفكرة وتشبع بها اطمأن الداعى أن الاقتناع لابد أن يتحول إلى عقيدة، والعقيدة من تلقاء نفسها تتحول إلى سلوك وإلى عمل.

وفى مجال الدين، يدافع رجل الدين عن فكرة الدين مقدما الدليل والبرهان، وهو مطمئن إلى أن التصرف العملى لكل فرد من أفراد المؤمنين يتوقف على مدى اقتناع هذا الفرد بالفكرة الدينية. فإذا استحالت الفكرة إلى عقيدة، فلن يستطيع صاحبها أن يفلت من إلحاحها عليه، والتعبير عنها فى كلامه وسلوكه، بل وإنها تلون نظرته للحياة كلها، وتوجه جميع تصرفاته الأخرى. حتى لو بدا أنها لا ترتبط بالعقيدة التى يعتقد بها.

* * *

ومن هذا كله يتبين لنا أن العقيدة أساس السلوك، وأن الحياة مرتبطة بالعقيدة، وأنه لا يمكن الفصل بينهما إلا إذا خرجنا على معنى الحياة، وطبيعة النفس البشرية ذاتها.

وإذن فالدعوة إلى فصل الحياة المسيحية عن العقيدة المسيحية دعوة آثمة خبيثة تؤدى إلى انهيار المسيحية كلها لأنها ترمى إلى فصل البناء عن أساسه الذى يقوم عليه.

وعلى ذلك فإن دراسة العقيدة المسيحية ترمى إلى تدعيم الأساس وتقويمه، فيزداد البناء قوة. والبناء هو الحياة المسيحية.

ثالثا - إن الحياة الروحية فى الديانة المسيحية ليست هى العاطفة الروحية خلوا من العقيدة الدينية.

إن ديانتنا تقوم على العقيدة الدينية كما تقوم على العاطفة الروحية، أى أنها لا تقوم على العاطفة الروحية وحدها. وما أخطر أن تقوم الديانة على العاطفة الروحية خلوا من العقيدة الدينية، لأنها بهذا تمسى مجموعة من المشاعر الغامضة والإحساسات العمياء التى يمكن أن تندفع فى كل اتجاه بغير بصيرة نيرة وبدون معرفة رشيدة. والمشاعر والعواطف والإحساسات على ما نعلم تكون أحيانا قوية وتكون أحيانا ضعيفة. فما مصير الحياة الروحية لو كانت قائمة على العواطف والإحساسات ثم فترت هذه العواطف والإحساسات إذ العاطفة قابلة للضعف والفتور؟.

هذا إلى أن الإنسان كثيرا ما تثور فى نفسه الشكوك فى حقائق الديانة ومسلماتها، سواء كانت هذه الشكوك أسئلة تصرخ فى عقله وفى نفسه تطلب لها إجابة مقنعة، أو كانت شكوكا أثارها فى طريقه خصوم الديانة وأعداء الروحية من أصحاب المذاهب الفلسفية أو التيارات المادية أو دعاة الديانات الأخرى، أو كانت شكوكا ألقاها إلى ذهنه الشيطان أو جنوده فى اليقظة أو فى المنام، فى ظروف الحياة العادية أو فى مفاجآت الدهر وصروف الأيام. وهو فى هذا كله حائر عن الجواب، عاجز عن الصمود أمام تجارب الشكوك التى تهدد حياته الروحية كلها بالبوار والإنهيار.

أما إذا كانت حياة المسيحى قائمة على معرفة دقيقة بحقائق ديانته، مستندة إلى اقتناع عميق بالأسس، اقتناع بالعقل والقلب معا، عندئذ لا تنهار بانهيار العاطفة الروحية، ولا تنزعج أو تضطرب أمام عواصف الشكوك المختلفة. وإنما تجد أمامها عند فتور العاطفة أو ثورة الشكوك، عقيدة غائرة فى أعماق النفس، اقتنع بها العقل وتشبع بها القلب، صامدة فى مكانها، واقفة على قدم ثابتة، وقائمة فى الذهن والعقل على أدلة وبراهين، وبذلك تستند إليها فى ساعة التجربة الروحية.

فالحياة الروحية أشبه بالقطار الذى يجرى على قضيبين متوازيين: هما العقيدة الدينية والعاطفة الروحية التقوية، لا غنى له عنهما أو بالواحد عن الآخر. إذ لابد لهما أن يسيرا فى الحياة متوازيين ومتعاونين ومتوافقين، وإلا انقلب قطار الحياة المسيحية، وأصابه وأصاب راكبه ضرر جسيم.

وإذن فالحياة المسيحية إيمان مستقيم وسلوك مستقيم. وهى تقوم على أرثوذكسية الإيمان وأرثوذكسية السيرة معا. وكل مسيحى يكتفى بالتقوى والفضيلة دون أن يكون مع تقواه عقيدة قويمة فليس مسيحيا على الحقيقة. إن ضلاله فى أية حقيقة إيمانية أو انحرافه عن الإيمان القويم، يكفى لحرمانه من ملكوت السماوات مهما كانت حياته الروحية عميقة، ومهما كانت تصرفاته تبدو مستقيمة وفاضلة، وإلا جاز لنا أن نعتبر من يكفرون بالله وبالحياة الآخرة مسيحيين، إذا كانوا شرفاء نزهاء منصفين ومتصفين بالعدل والأدب وحسن السلوك. والحق أنه ليس كل الكافرين بالله وحقائق الديانة فجارا ماجنين فهناك من بينهم أناس تميزوا بالنبل والفضل والصدق والوفاء واحترام الوعود. أفهل تكفى هذه الصفات لأن تجعل صاحبها بين أحباء الله القديسين؟ وهل من مسيحى يمكن أن يزعم لهؤلاء بأنهم سيخلصون، وإلى ملكوت الله يدخلون؟!

ربما يقال إن الدعوة إلى إهمال العقائد دعوة قصد منها إلى إقصاء المبادىء أو العقائد التى يختلف عليها حتى لا تؤدى هذه الإختلافات إلى إخفاء الدعوة الروحية التى تنادى بها المسيحية. ولكن إذا تمشينا مع منطق هذه الفكرة، تعين علينا أن نطرح جانبا كل عقيدة اختلفت فيها المذاهب المسيحية ونستبقى المتفق عليه منها. وعلى ذلك فسنطرح من المسيحية أسرار الكنيسة وطقوسها وممارساتها، ونستبقى بعض العقائد الأساسية كالتثليث ولاهوت المسيح والتجسد والفداء والقيامة العامة والدينونة والجزاء الأخروى. ولكن ماذا يكون الحكم بازاء مبادئ من هذه الأخيرة ينكرها بعض الذين يدعون أنهم مسيحيون كشهود يهوه الذين ينكرون لاهوت المسيح والتثليث والقيامة العامة والجزاء الأخروى؟

هل نطرح أيضا هذه العقائد لنستبقى المتفق عليه منها؟ إن منطق هذه النظرية المتساهلة، أو النظرية الروحية التى يروج لها قوم يسمون أنفسهم «باللاطائفيين»، يسلمنا حتما إلى إهمال جميع العقائد المسيحية كبيرها وصغيرها، فلا تبقى عقيدة مسيحية واحدة إلا ويلزم استبعادها، تمشيا مع منطق هؤلاء «اللاطائفيين!!».

رابعا ـ دراسة العقيدة واجبة للتفريق بين الأديان والمذاهب المختلفة والتمييز بينها لمعرفة الصحيح من الخطأ، والحق من الباطل.

ففى كل إنسان مهما اختلفت ديانته عاطفة روحية. وكل دين مهما اختلفت عقائده ومبادئه ينادى بالتقوى والأخلاق الكريمة، ويذكى العاطفة الروحية.

فلو اقتصرنا فى ديانتنا المسيحية على إلهاب العاطفة الروحية دون تدعيم العقيدة الدينية، لصارت دعوتنا دعوة أخلاقية صرفة لا تختلف كثيرا أو قليلا عن الدعوة التى تنادى بها سائر الأديان الأخرى، ولفقدت المسيحية تدريجيا ما يميزها عن غيرها من الأديان السماوية والبشرية. إذ الفرق بين الأديان يقوم أصلا على المعتقدات وما ينبنى على المعتقدات من ضروب الرياضات الروحية وفنون الآداب التقوية والتعبيرات الطقسية.

ومَنْ مِنَ المسيحيين يرتضى للمسيحية أن تصبح دعوتها روحية صرفة، أخلاقية بحتة، غاضا النظر عن خصائصها العقائدية ومميزاتها الإيمانية؟

إن للمسيحية عقيدة خاصة تتميز بها فيما يتصل بالله وطبيعته وصلته بالناس. إنها تنادى بوحدة الذات الإلهية وتثليث الأقانيم، وتؤمن بالتجسد والفداء،وبلاهوت السيد المسيح له المجد.

وفيما يتصل بالإنسان تنادى المسيحية بوجود النفس الناطقة التى خلقت على صورة الله ومثاله، ومن ثم فهى روحانية، خالدة، عاقلة، مسئولة. وتقول بسقوط الإنسان فى عصيان وصية الله، وأن فى آدم سقط الجنس البشرى كله، وحكم عليه بالموت وبالطرد من الجنة، وبالهلاك فى جهنم، لولا أن الله تنازل فتجسد آخذا صورة الناس، وقبل فى جسده الموت الذى حكم به على أبى الجنس البشرى وكل ذريته وجنسه، وبهذا ارتفع الحكم بالموت عن آدم وعن جميع أولاده الذين يثبتون استحقاقهم لبركات الفداء وذلك بإيمانهم بالفادى واعتمادهم باسم الثالوث القدوس، وبجهادهم مع الله بفعاليات الروح القدس فى حياتهم التى كانت قد فسدت، ولم يكن ثمة سبيل إلى تقديسها من جديد إلا بفضل نعمة الله التى أعلنت فى المسيح يسوع ربنا، والتى تعين منالها بالروح القدس عن طريق مواهبه التى تنبع من الصليب. هذه المواهب النابعة من استحقاقات الفداء وبركات الخلاص، والتى يأخذها الروح القدس من استحقاقات الفادى ويسكبها على المؤمنين مواهب خفية باطنية مستورة عن الحواس الجسدانية .ولذلك تسمى فى الإصطلاح الكنسى بأسرار الكنيسة السبعة. والمؤمن الذى يستحق هذه المواهب السرية، ويحسن استغلالها لنمو حياته الباطنة، ويضرم بها حياته الروحية، ويشعلها ويزكيها بالعبادات من صلوات وأصوام وقراءات وتأملات وأعمال صالحة، ينال فى القيامة العامة، والدينونة العامة، ملكوت السماوات. وعلى العكس من ذلك الأشرار الكافرون بنعمة الله، وغير المؤمنين، والمخالفون والمستهينون يرسلون فى الدينونة العامة إلى العذاب الأبدى فى جهنم النار حيث يتعذبون فى نفوسهم وأجسادهم إلى أبد الآبدين. بينما يحظى الأبرار فى ملكوت أبيهم بالنعيم والكرامة والمجد فى أبدية سعيدة وسعادة لا نهاية لها فى نفوسهم وأجسادهم.

تلك عقائد المسيحية الأساسية، تتبعها طقوس وممارسات روحية، تطابقها وتعبر عنها. ولم تدع الكنيسة هذه الممارسات وتلك الطقوس أن تجرى كيفما اتفق، وإنما حددتها ورسمتها فى صورة واضحة تلائم عقائدها، وتطابق إحتياجات النفس البشرية فى حياتها المسيحية، ومن ثم فإنها تناسب جميع الناس فى كل زمان ومكان.

وما دام للمسيحية عقائد معينة، وطقوس معينة، تتميز بها عن غيرها، فمعرفة هذه الطقوس وتلك العقائد مسألة أساسية. ولا يمكن إغفالها أو إلغاؤها من الديانة، أو قصر الديانة على بيان الواجبات الروحية الأخلاقية. لأن هذه الواجبات نفسها لا يمكن عزلها عن عقائد الديانة وطقوسها، لأنها تنبع منها وتستند إليها، وإلا فقدت الأخلاق المسيحية خصائصها التى تتميز بها

عن غيرها من أخلاقيات الديانات أو المدارس الأخلاقية العامة. إن الذى يميز المسيحية هى أولا عقائدها، وبعد ذلك أخلاقياتها وروحياتها القائمة على أساس معتقداتها. إن إهمال العقائد من شأنه أن يفقد المسيحية رسالتها وطبيعتها، ويحولها إلى نوع من البهائية أو الدعوة الأخلاقية العامة التى تشترك فيها ديانات أخرى، ومذاهب إنسانية أخرى.

ونحن حين نريد أن نقارن بين الأديان لنعرف الصحيح من الخطأ والحق من الباطل، نقارن أولا عقائدها ثم أخلاقياتها القائمة على معتقداتها. وحتى عندما نقارن أخلاقياتها نحكم بينها على أساس عقائدى فى الأخلاق.

وكذلك حين نريد أن نقارن بين المذاهب المختلفة التى تدعو إلى معتقدات مختلفة فى ديانتنا المسيحية، لا نملك إلا أن نقارن أولا وقبل كل شىء بين مبادئها وعقائدها. ومَنْ مِنَ المسيحيين وغير المسيحيين يمكنه أن يهمل دائما النظر إلى الإختلافات العقائدية بين المذاهب المسيحية؟ قد يهملها حينا ولقصد ما، ولكنه لا بد أن تمر به أوقات يضطر فيها إلى النظر فى أمر هذه الإختلافات. لأنه إذا كانت هذه المذاهب واحدة فى المسيح، فلماذا اختلفت فيما بينها، ولماذا تميزت بأسماء مختلفة ولماذا لا يجتمع أصحابها أو اتباعها فى كنيسة واحدة؟ ولماذا اختلفوا فى طقوس صلواتهم واحتفالاتهم وتقاليدهم وعاداتهم؟

ولماذا يدعون إلى مبادئهم ويبرهنون عليها، ويندون بمبادىء غيرهم فى مجتمعاتهم العامة والخاصة؟

إن من الناس من يتجاهل أمر هذه الإختلافات لسبب أو لآخر، ولكن لا يمكن لعاقل أن يصدق إدعاء القائلين أن هذه المذاهب واحدة أو متفقة!! أو أن الإختلاف بينها هين، ولا يستحق النظر.

لابد لكل مسيحى أن يثور فى نفسه السؤال يوما ما، لماذا أنا أرثوذكسى، ولماذا لا أكون كاثوليكيا أو بروتستانتيا؟ والعكس أيضا صحيح بالنسبة للكاثوليكى أو البروتستانتى. ولا بد أن يجد لنفسه الجواب مهما كان هذا الجواب فى درجة اقناعه. وإذا لم يسأل المرء نفسه سأله غيره، وحينئذ يجد نفسه أيضا مضطرا إلى بحث الموضوع ليعرف أن يجيب. وليس من السهل أن يقنع غيره بعدم وجود اختلاف حتى لو أمكن له أن يخدع هو نفسه أو يغالط ضميره.

خامسا - إن الكتاب المقدس هو الذى نستقى منه عقائد الإيمان وضرورتها، كما نستقى منه مبادىء التقوى وأهميتها.

هذا الكتاب الإلهى يحرص على شرح العقائد الإيمانية بعناية فائقة، كما يحرص على بيان أهمية التقوى والفضائل المسيحية، فكيف نؤمن بكتاب الله إذا كنا نقتطع منه ما يعنينا ونهمل ما لا يعنينا؟! إن إيماننا به ككتاب مقدس موحى به من الله يقتضينا أن نحترم كل ما جاء به على أنه تعليم مقدس، سواء كان تعليما يتصل بالعقيدة والإيمان أو يتصل بالتقوى والفضيلة، هذا والكتاب المقدس لم يفصل بين العقيدة والتقوى، وإنما جمع بينهما فى وحدة متسقة، وألف بينهما، وتكلم عن الواحدة فيما يتكلم عن الأخرى، دون فصل أو شبه فصل.

ودليلك على عناية الكتاب المقدس بالعقيدة، أنه كرس فصولا بتمامها، وأحيانا أسفارا بأكملها، لإثبات حقيقة إيمانية .وهذا يدل على مبلغ خطر العقيدة فى حياة المؤمنين.

فالإنجيل كما كتبه القديس يوحنا مثلا كُتب كله من أجل إثبات حقيقة لاهوت المسيح التى بلبل الهراطقة أذهان المؤمنين فيها. ويبدو شأن هذه الحقيقة فى العبارة الأولى التى افتتح بها الرسول إنجيله «فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله وكان الكلمة هو الله (١)»، كما يتضح شأنها أيضا من عبارته فى ختام إنجيله «وآيات أخرى كثيرة صنع يسوع أمام تلاميذه لم تكتب فى هذا الكتاب. وإنما كتبت هذه لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكى تكون لكم إذا آمنتم، الحياة باسمه (٢)». فهذه العبارة الأخيرة تصرح بأن كل ما كتب فى الإنجيل بحسب ما كتبه القديس يوحنا، كان يستهدف إثبات حقيقة لاهوتية عقائدية، هى أن «يسوع هو المسيح ابن الله الحى.(٣)». كما تصرح فى الوقت ذاته بأن هذه الحقيقة العقائدية هى الأساس فى نيل الحياة الأبدية «ولكى تكون لكم إذا آمنتم، الحياة باسمه».

أين إذن الفصل بين العقيدة وبين الحياة؟!

كذلك كتبت رسالة القديس بولس الرسول إلى كنيسة الله التى فى رومية، ورسالته إلى كنيسة الله التى فى غلاطية، من أجل إثبات قيمة الفداء الذى تم بالمسيح، وفى المسيح. فليست أعمال الشريعة القديمة (الناموس) ولا فلسفة اليونان هى التى تم بها تبرير الناس، وإنما

---

(١) يوحنا ١: ١. (٢) يوحنا ٢٠: ٣٠، ٣١.

(٣) (يوحنا ٢٠: ٣١)، (متى ١٦: ١٦).

الخلاص قد تم مجانا بعمل المسيح الكفارى فى الصليب «ليس الختان ينفع شيئا، ولا الغرلة، بل الإيمان العامل بالمحبة (١)». أى أن هدف كل من رسالتى رومية وغلاطية كان هدفا عقائديا هو حقيقة الفداء الذى تم فى المسيح وبالمسيح، وأنه به تم الخلاص، لا بأعمال الشريعة القديمة (الناموس)، ولا بفلسفة اليونان والوثنيين.

كذلك أيضا رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانيين، هدفها ابراز حقيقة إيمانية عقائدية، وهى بيان جلال الكهنوت المسيحى، وسموه على الكهنوت اللاوى بقدر ما يسمو المسيح عن موسى وهرون، وأن كهنوت المسيح كهنوت دائم وباق إلى الأبد. وهى الحقيقة الأرثوذكسية المهمة التى تستند إليها قيمة جميع الأسرار الكنسية، والممارسات الروحية التى تباشرها الكنيسة للمؤمنين. ومما جاء فى هذه الرسالة قوله «فلو كان بالكهنوت اللاوى كمال، إذ الشعب أخذ الناموس عليه، ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكى صادق، ولا يقال على رتبة هرون... لأن أولئك بدون قسم قد صاروا كهنة، وأما هذا فبقسم من القائل له: أقسم الرب ولن يندم. أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق. على قدر ذلك قد صار يسوع ضامنا لعهد أفضل... يبقى إلى الأبد، له كهنوت لا يزول (٢)».

ورسالة القديس يعقوب الرسول هى أيضا تستهدف ابراز قيمة الأعمال الصالحة فى المسيح، وأنه «بالأعمال يتبرر الإنسان، لا بالإيمان وحده... لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت، هكذا الإيمان أيضا بدون أعمال ميت (٣)».

وقل مثل ذلك فى سائر الأناجيل والرسائل، أنها كتبت من أجل إثبات عقيدة، أو قل أنك واجد فيها جميعا مبادىء العقيدة إلى جانب مبادىء الفضيلة من دون تفريق. ففى موضع منها يتكلم الوحى عن لاهوت المسيح، وفى موضع آخر يتكلم عن تجسده أو كفارته أو عن الثالوث القدوس أو عن سر المعمودية، أو سر المسحة، أو سر القربان، أو سر التوبة والإعتراف، أو سر الكهنوت، أو سر الزيجة، أو سر مسحة المرضى، أو عن القيامة العامة أو عن الدينونة العامة وما إلى ذلك من شئون العقيدة. كلها تجدها مبثوثة ومنتشرة هنا وهناك فى أثناء الكلام عن الحقائق الروحية التقوية الخالصة التى يترتب عليها صدق الإيمان، واستحقاق الحياة الأبدية.

---

(١) غلاطية ٥: ٦.

(٢) العبرانيين ٧: ١١ – ٢٤.

(٣) يعقوب ٢: ٢٤، ٢٥.

سادسا ـ وتتضح أهمية العقيدة فى الكتاب المقدس من أنه ينهال بشدة على المبتدعين والهراطقة الذين يعوجون التعليم الصحيح ويبلبلون أفكار المؤمنين، ويضيفون على التعليم الإلهى أو ينقصون منه كما يشاءون، الأمر الذى ينهى الرب عنه بقوة ويتوعد فاعليه بالعذاب المقيم.

فإذا أعلن الرب حقيقة إيمانية، تطلب من الناس أن يقبلوها بعمق الإتضاع، وعلى الرغم من روح الوداعة وروح السلام المتجليتين فى كل أحاديثه، نجده صارما على الذين لا يقتبلون تعليمه كما يريد هو أن يعلنه للناس. من ذلك تعليمه عن سر التناول من جسده ودمه الأقدسين كما سجله الإنجيل بحسب ما كتبه القديس يوحنا البشير. فأنه أثار اعتراض اليهود الذين سمعوه يقول «أنا هو خبز الحياة... أما هذا فهو الخبز النازل من السماء ليأكل منه الإنسان فلا يموت. أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء. من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى سأعطيه أنا هو جسدى الذى سأبذله من أجل حياة العالم (١)». وجأروا بالإعتراض قائلين: «كيف يستطيع هذا أن يعطينا جسده لنأكله (٢)؟» فأصر السيد الرب على قوله بمعناه الحرفى، وزاد عليه قائلا: «الحق الحق أقول لكم: ما لم تأكلوا جسد ابن الإنسان، وتشربوا دمه، لا تكون لكم حياة فى أنفسكم. من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير، لأن جسدى هو الطعام الحق، ودمى هو الشراب الحق. من يأكل جسدى ويشرب دمى يستقر فى وأنا أيضا أستقر فيه. كما أن الآب الحى قد أرسلنى، وأنا كذلك أحيا بالآب، هكذا فإن الذى يأكلنى يحيا بى، هذا هو الخبز الذى نزل من السماء (٣)». وكان نتيجة لهذا أن كثيرين من تلاميذه لما سمعوا تعليمه عن أكل جسده ودمه «قالوا أن هذا الكلام عسير. من يستطيع أن يستمع إليه (٤)». «لذلك نكص كثير من تلاميذه على أعقابهم، فلم يعودوا يمشون معه (٥)». فلم ينثن الرب عن مقاله، ولم يضح بالمبدأ المحيى فى سبيل أن يرضيهم، ولم يخفف من صراحة دعواه، بل أبدى استعداده لأن يضحى بالبقية الباقية من أخص تلاميذه، إذا لم يقبلوا تعليمه كما أراده هو «فقال يسوع للإثنى عشر: «ألعلكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا (٦)»، وهو سؤال ينطوى على اهتمام السيد المسيح بضرورة قبول أقواله كما هى، وأنه لا سبيل إلى التضحية بالعقائد الإيمانية، مهما كان موقف الناس منها.

---

(١) يوحنا ٦: ٤٨ – ٥١.
(٢) يوحنا ٦: ٥٢.
(٣) يوحنا ٦: ٥٣ – ٥٨.
(٤) يوحنا ٦: ٦٠.
(٥) يوحنا ٦: ٦٦.
(٦) يوحنا ٦: ٦٧.

وفى سفر الرؤيا يتكلم الرب إلى أسقف كنيسة الله التى فى أفسس يمدحه على موقفه من بدعة النيقولاويين ويقول له «أنك تمقت أعمال النيقولاويين التى أمقتها أنا أيضا (١)»، بينما يوبخ أسقف مدينة برغامس على تهاونه مع النيقولاويين بقوله «عندك أنت أيضا قوم متمسكون بتعليم النيقولاويين الذى أبغضه (٢)». ومن هذين النصين الإلهيين نتعلم أن الرب يمقت أعمال النيقولاويين وتعليمهم، وأنه يمدح الراعى الساهر على رعيته، ويدفع عنهم غائلة الهراطقة الذين يفسدون أذهانهم، ويتلفون إيمانهم، وأنه يغضب على الراعى الغافل الذى يهادن الهراطقة ولا يقاومهم، فيتفاقم شر تعليمهم، ويسرى سمه إلى سائر المؤمنين.

وفى نفس الأصحاح الثانى من سفر الرؤيا أيضا يكلم الرب أسقف مدينة ثياتيرا ويوبخه هو أيضا على تهاونه مع المرأة ايزابل التى زعمت أنها نبية، وأضلت كثيرين من المؤمنين بتعليمها الفاسد، وبعد أن توعدها واتباعها بالويل والثبور وعظائم الأمور، عاد يشدد الأمناء المخلصين الذين رفضوا أعمال تلك المرأة وتعليمها المهلك فقال له المجد «وأقول لكم ولسائر الذين فى ثياتيرا، من جميع الذين ليس لهم هذا التعليم... إنى لا ألقى عليكم ثقلا آخر. وإنما تمسكوا بما هو عندكم إلى أن أجىء (٣)». ومنه نفهم أيضا أن مهادنة الهراطقة شر عظيم، وأن التهاون فى التعليم المقدس يؤذى الرعية، ويدل على تقصير الراعى فى واجباته الروحية، كما نفهم منه أيضا أن الرب يتطلب من المؤمنين أن يتمسكوا بتعليمه الإلهى كما هو، بغير انحراف أو إلتواء إلى يوم مجيئه الثانى للدينونة. وبهذا أغلق الرب الطريق أمام كل من يسعى إلى زيادة أو نقص فى تعليم المسيح. ولا يفوتنا هنا أن ننوه إلى نصيب من يزيد على تعليم الكتب المقدسة أو يحذف منه «إن كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة فى هذا الكتاب. وإن كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة، ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب فى هذا الكتاب (٤)». ولعل فى هذا التحذير الإلهى خير جواب على من يسأل عن نصيب الهراطقة والمبتدعين فى الحياة الأخرى!!

ودليك على اهتمام الكتاب المقدس بكل ما يتصل بالعقيدة، بسبب تحذير مخلصنا الواضح فى الإنجيل من تعليم الهراطقة أو المعلمين الكذبة (٥)، وتحذير الآباء الرسل أيضا

---

(١) الرؤيا ٢ : ٦.
(٢) الرؤيا ٢ : ١٥.
(٣) الرؤيا ٢ : ١٨ – ٢٥.
(٤) الرؤيا ٢٢ : ١٨، ١٩.
(٥) (متى ١٦ : ١٢)، (٧ : ١٥).

الواضح فى رسائلهم، من المعلمين الكذبة أو الإخوة الكذبة الذين يعلمون بتعليم آخر لا يوافق التعليم المسيحى الصحيح.

فالرسول القديس بولس يكتب فى رسالته إلى تلميذه تيموثيئوس يقول «إن كان أحد يعلم تعليما آخر، ولا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة، والتعليم الذى هو حسب التقوى، فقد تصلف، وهو لا يفهم شيئا (١)». كما يكتب إلى الغلاطيين يوبخهم على انحرافهم عن التعليم الصحيح المسلم إليهم من الرسل فيقول «إنى متعجب كيف تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر. وإن لم يكن إنجيل آخر، لكن قوما يبلبلونكم ويريدون أن يقلبوا إنجيل المسيح. ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بخلاف ما بشرناكم به، فليكن أناثيما. كما قلنا سابقا أقول الآن أيضا إن بشركم أحد بخلاف ما تلقيتم، فليكن أناثيما (٢)». وفى موضع آخر من نفس الرسالة يقول منبئا عن مصير المعلمين الكذبة «ولكن الذى يزعجكم سيحمل الدينونة، أى من كان (٣)»، كما يقول متمنيا «ياليت الذين يقلقونكم يقطعون أيضا (٤)». وفى رسالته إلى كنيسة الله التى فى رومية، يحذر أهل رومية ممن يعلمون بتعاليم مغايرة للتعليم الصحيح الذى عرفوه وتسلموه من قبل «وأطلب إليكم أيها الأخوة أن تلاحظوا الذين يصنعون الشقاقات والعثرات، خلافا للتعليم الذى تعلمتموه، وأعرضوا عنهم. فإن مثل هؤلاء لا يخدمون ربنا يسوع المسيح بل بطونهم. وبالكلام الطيب والأقوال الحسنة يخدعون قلوب السلماء (٥)». وفى رسائله الأخرى أيضا يوجه مثل هذا التحذير إلى المؤمنين. من ذلك قوله «لا تنقادوا لتعاليم متنوعة وغريبة (٦)»، وقوله «لا يغركم أحد بالكلام الباطل (٧)»، وقوله «وإنما أقول هذا لئلا يخدعكم أحد بكلام ملق (٨)»، وقوله «انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب سنة الناس (٩)». وقوله «فإنه يوجد كثيرون متمردين، يتكلمون بالباطل، ويخدعون العقول،.. الذين يجب سد أفواههم، فإنهم يقلبون بيوتا بجملتها معلمين مالا يجب (١٠)»، وقوله «الرجل المبتدع بعد الإنذار مرة ومرتين أعرض عنه. عالما أن مثل هذا قد انحرف، وهو يخطىء محكوما عليه من نفسه (١١)».

---

(١) ١. تيموثيئوس ٦: ٣.
(٢) غلاطية ١: ٦- ٩.
(٣) غلاطية ٥: ١٠.
(٤) غلاطية ٥: ١٢.
(٥) رومية ١٦: ١٧، ١٨.
(٦) العبرانيين ١٣: ٩.
(٧) أفسس ٥: ٦.
(٨) كولوسى ٢: ٤.
(٩) كولوسى ٢: ٨.
(١٠) تيطس ١: ١٠، ١١.
(١١) تيطس ٣: ١٠، ١١.

ويمتد تحذير الرسول القديس بولس إلى مستقبل الكنيسة، فينبىء عن الهرطقات والبدع والشقاقات التى ستزعج الكنيسة من بعده فى مستقبل الأيام، فيكلم الأساقفة والقسيسين فى أفسس وميليتس قائلا: «فإنى أعلم هذا أنه بعد فراقى سيدخل بينكم ذئاب خاطفة لا تشفق على الرعية. ومنكم أنتم أنفسكم سيقوم رجال يتكلمون بأقوال ملتوية، ليجتذبوا التلاميذ وراءهم (١)». ويقول مرة أخرى لتلميذه تيموثيئوس «فإنه سيأتى زمان لا يحتملون فيه التعليم الصحيح، بل حسب شهواتهم الخاصة، يجمعون لهم معلمين مستحكة مسامعهم فيصرفون مسامعهم عن الحق (٢)».

وحتى الرسول القديس يوحنا الحبيب الذى سبى قلبه بمحبة المسيح، وشغل فى حياته كلها بالحديث عن المحبة، وامتلأت رسائله بنداءات المحبة، ينزعج هو أيضا بسبب أعمال الهراطقة، ويأخذ فى تحذير المؤمنين من المبتدعين، والمعلمين الكذبة الذين يعلمون ضدا للتعليم الرسولى القديم، فيقول فى أولى رسائله «أيها الأحباء، لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح، هل هى من الله، لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم (٣)». وفى رسالته الثانية يقول متوعدا «أنظروا إلى أنفسكم لئلا نضيع ما عملناه، بل ننال أجرا تاما. كل من تعدى ولم يثبت فى تعليم المسيح، فليس له الله. ومن يثبت فى تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعا. إن كان أحد يأتيكم ولا يجىء بهذا التعليم، فلا تقبلوه فى البيت، ولا تقولوا له سلام، لأن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة (٤)». ومرة أخرى يقول «أيها الأولاد هذه هى الساعة الأخيرة. وكما أنكم سمعتم أن ضد المسيح يأتى، قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون. فمن هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة. منا خرجوا، لكنهم لم يكونوا منا، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا، لكن ليظهروا أنهم ليسوا جميعهم منا (٥)». ومن هذه النصوص المقدسة يظهر بوضوح تحذير الرسول القديس يوحنا للمؤمنين من أولئك المعلمين الكذبة أو الهراطقة، وقد كانوا أصلا من بين المؤمنين بالمسيح، ثم خرجوا على التعليم الرسولى المستقر فى كنيسة الله الأرثوذكسية، وصاروا بخروجهم على هذا التعليم، أضدادا للمسيح، وأعداء له، ولكنيسته المقدسة، وما داموا كذلك، فقد تعين على

---

(١) أعمال الرسل ٢٠: ٢٩، ٣٠.

(٢) (٢. تيموثيئوس ٤: ٣، ٤)- أنظر (أعمال ١٥: ١، ٥، ٢٤).

(٣) ١. يوحنا ٤: ١.

(٤) ٢. يوحنا: ٨- ١١.

(٥) ١. يوحنا ٢: ١٨، ١٩.

المسيحيين الأرثوذكسيين، مقاطعتهم، وعدم مخالطتهم، وعدم قبولهم فى بيوتهم، بل وعدم السلام عليهم، وإلا كانوا شركاء لهم فى عداوتهم للمسيح، ومعاملتهم معاملة الخوارج.

وأما الرسول القديس بطرس، فلا يقنع بتحذير المؤمنين من المعلمين الكذبة، الذين يدسون بدع الضلال فى تعليمهم، بل ويضيف إلى هذا، كشفه عن المصير الأليم الذى ينتظرهم فى يوم الدينونة الرهيب، فيقول «وقد كان فى الشعب أنبياء كذبة، كما أنه سيكون فيكم معلمون كذبة يدسون بدع هلاك... جالبين على أنفسهم هلاكا سريعا. وسيقتفى كثيرون تهلكاتهم... وهم فى الطمع يتجرون بكم بأقوال مصنعة، الذين دينونتهم منذ القديم لا تتوانى، وهلاكهم لا ينعس (١)».

وبقدر ما نبه الآباء الرسل إلى خطأ وخطر الإنحراف عن التعليم الصحيح، والإنقياد إلى المعلمين الكذبة والهراطقة، بقدر ما حرصوا أشد الحرص على توجيه تلاميذهم من الأساقفة والكهنة والمؤمنين، إلى وجوب التمسك بصورة التعليم الصحيح الذى تسلموه من الرسل أنفسهم، والمحافظة على وديعة الإيمان من ذلك قول الرسول بولس إلى تلميذه الأسقف تيموثيئوس، «تمسك بصورة الكلام الصحيح الذى سمعته منى فى الإيمان والمحبة التى فى المسيح يسوع. احفظ الوديعة الصالحة بالروح القدس الساكن فينا (٢)»، وقوله أيضاً «وأما أنت فاثبت على ما تعلمت وأيقنت (٣)»، وقوله لتلميذه الأسقف تيطس «لكى يكون قادرا أن يعظ بالتعليم الصحيح، ويوبخ المناقضين (٤)».

والتعليم الصحيح المقصود هنا هو تعليم الرسل الذى سلمه الآباء الرسل بأنفسهم إلى تلاميذهم وإلى المؤمنين، وصار تقليدا معروفا ومستقرا فى كنيسة الله المقدسة الجامعة الرسولية كما يتضح من قول الرسول بولس «ثم نوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح، أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذى تسلمه منا (٥)».

---

(١) ٢. بطرس ٢: ١-٣.

(٢) ٢. تيموثيئوس ١: ١٣، ١٤.

(٣) ٢. تيموثيئوس ٣: ١٤.

(٤) (تيطس ١: ٩). أنظر أيضا (رومية ٦: ١٧)، (١. تيموثيئوس ١: ١٠).

(٥) (٢. تسالونيكى ٣: ٦). أنظر أيضا (١. كورنثوس ١١: ٢)، (٢. تسالونيكى ٢: ١٥).

سابعا ـ أن المؤمنين عموما وقادة المؤمنين خصوصا، مكلفون من قبل الله أن يبلغوا الإيمان إلى غير المؤمنين وأن يجيبوهم على أسئلتهم.

لقد صارت الكرازة لغير المؤمنين واجبا على رجال الدين «لأنى إذا بشرت فليس لى فخر، لأن ذلك ضرورة موضوعة علىّ، والويل لى إن لم أبشر (١)»، فكيف يبشرون ما لم يكونوا مقتنعين أعظم اقتناع بحقائق الديانة وتعاليمها؟ وما لم يكونوا قادرين على إيضاح قواعد الإيمان والبرهنة عليها ومناقشة ما يعترض به عليها؟؟!

وحتى عامة المؤمنين يجب أن يكونوا راسخين فى إيمانهم متشبعين بعقائد ديانتهم، مقتنعين بحقائقها، قادرين على أن يجتذبوا غير المؤمنين ويؤثروا فيهم، وعلى الأقل أن يكونوا مستعدين للإجابة على أسئلة غير المؤمنين وتساؤلاتهم. يقول القديس بطرس فى رسالته الأولى للمؤمنين المتغربين من شتات بنطس وغلاطية وكبادوكية وأسيا وبيثينيا «قدسوا الرب الإله فى قلوبكم مستعدين دائما لمجاوبة كل من يسألكم (٢)»، ويقول القديس بولس فى رسالته إلى الكنيسة فى كولوسى «اسلكوا بحكمة من جهة الذين فى الخارج (= غير المؤمنين) مفتدين الوقت، وليكن كلامكم كل حين بنعمة مصلحا بملح حتى تعلموا كيف ينبغى لكم أن تجاوبوا كل واحد (٣)».

على أولئك وهؤلاء من رجال الدين بخاصة والمؤمنين بعامة، أن يكونوا على معرفة تامة بحقائق الديانة وتعاليمها، والأسس القائمة عليها، حتى يبقوا على إيمانهم بها ورسوخهم فيها، ولكى يقدروا أن يقنعوا غير المؤمنين ويلزموهم الحجة فيها، وأن يجيبوا على كل سؤال يوجه إليهم عنها.

وليس غير المؤمنين بحقائق الديانة هم أهل الديانات والمذاهب الأخرى فحسب، ولكن هناك أيضا غير المؤمنين ببعض الحقائق المسيحية من بين الهراطقة والخوارج على كنيسة الله الرسولية. هؤلاء أيضا يجب أن يجدوا فى الكنيسة من يقنعهم أو يسكتهم، ويرد على اعتراضاتهم، موضحا خطأ مذاهبهم، بالأدلة والبراهين العقلية والكتابية، حتى لا يعثر كافة المؤمنين بأفكارهم، بل ولكى يزدادوا إيمانا فى سلامة عقيدة الكنيسة الأرثوذكسية.

---

(١) (١. كورنثوس ٩: ١٦). أنظر (أعمال ١٦: ١٠)، (رومية ١: ١٤)، (٢. تيموثيوس ٤: ٥).
(٢) ١. بطرس ٣: ١٥.
(٣) كولوسى ٤: ٥، ٦.

وهنا ننبه إلى الخطأ الذى يقع فيه بعض رجال الدين من قادة الكنيسة الذين يكتفون بمواعظهم التقوية الخالصة، مهملين مراجعة عقائد الكنيسة وشرحها وإثبات قيمتها الروحية واللاهوتية، ولا يتنبهون إلى شرح العقائد للشعب إلا عندما يسمعون عن معلم غير أرثوذكسى يجتذب بمواعظه بعضا من المؤمنين الأرثوذكسيين. وينسون أن درهم وقاية خير من قنطار علاج، وأن واجبهم الروحى كان يقتضيهم رعاية شعبهم رعاية أرثوذكسية كاملة، وأن يملأوا أذهان هذا الشعب بتعاليم الكنيسة وعقائدها، وأن يشبعوا قلوبهم بقوة هذه العقائد وسلامتها. فبهذا وحده يمكن للمؤمنين أن يصمدوا أمام الشكوك والعثرات التى يثيرها غير الأرثوذكسيين فى طريقهم، وأن يكونوا قادرين على أن يقضوا أولا بأول على كل الحركات الأثيمة التى يقوم بها قادة الخارجين على الكنيسة لتشتيت المؤمنين وفصلهم عن كنيستهم الأرثوذكسية.

ضرورة العقيدة الدينية (١)

ضرورة العقيدة:

يقول إرمياء النبى فى الأصحاح السادس من سفره: «قفوا على الطرق وانظروا واسألوا عن السبل القديمة أين هو الطريق الصالح وسيروا فيه فتجدوا راحة لنفوسكم» (أر ٦: ١٦).

يبدو لبعض المسيحيين أن المسيحية ينبغى أن تتجه أولا إلى الحياة الروحية فى التأمل والتعبد وهذه الرياضات التقوية التى ترفع أشواق النفس إلى الله. وأما هذه البحوث التعليمية وأما هذه العقائد فهى أمور ثقيلة ينبغى أن تطرح جانباً.

هذا الاتجاه نلاقيه عند كثير من الناس ولقد كنت أجده أيضا فى مدارس الأحد فكان دائما الشباب الموجهون لها يشعرون منذ زمن أن الحديث عن العقائد والطقوس للبالغين فقط، وينبغى أن يخلص الحديث إلى الشباب من العناصر القوية، ونقدم لهم اللبن! ولا شك أن هذا الاتجاه فيه وجاهة فما أجمل وما أحسن أن تنصرف النفس عن أخطائها، وتتجه إلى الله وتتعبد له وأن تنتعش الحياة الروحية بالوسائل التقوية التى تصفو بها النفس ويقرب بها الإنسان إلى الله.

ولكن من قال إن هناك فرقا وفاصلا بين الحياة الروحية الصرفة المعتمدة على العاطفة، وبين العقائد الدينية التى هى الأساس لقيام الحياة الروحية؟!

إن هذه التفرقة بين الحياة والعقيدة تفرقة ظالمة لا تتفق وطبيعة النفس الإنسانية التى لا تحيا إلا بالعقيدة. وحتى الذين يرفضون الحديث عن عقيدة معينة يبنون هذا الرفض على عقيدة وبناء عليها يفضلون الانفصال عن العقيدة.

وأنا لا أستطيع أن أتصور أن هناك إنساناً يحيا بلا عقيدة!!.

العقيدة والحياة:

قد تختلف العقائد ولكن هناك إنسجاما وتوافقا وتوازن بين عقيدة الفرد وحياته فى العالم. وإذا كان حقاً ما قيل فى علم النفس بأن الفكرة تستحيل إلى عمل فإذن لا يمكن أن نتصور عملا إلا وتسبقه عقيدة. ثم هذه العقيدة بدورها لا يمكن أن تظل منفصلة عن حياة الإنسان بل تتحول من فكره إلى أن تستقر فى مداخل النفس وعند استقرارها فى الإنسان تستحيل إلى حياة عملية وذلك أنها تصل للعقل وتمتزج بالدم، فأين الفصل إذن بين العقيدة والحياة؟

---

(١) محاضرة ألقيت فى المؤتمر السنوى الأول لمدارس الأحد بمديريات القليوبية والشرقية والمنوفية سنة ١٩٥٠م ونشرت بمجلة مدارس الأحد السنه ٩ العدد ٤ – أبريل ١٩٥٥م.

والحق إن الحياة مبنية على العقيدة وإن الفرق بين حياة إثنين هو الفرق بين عقيدتهما. ولو نظرنا للمرائى لوجدنا أيضا أن حياته مزعزعة مثل تصرفاته لأن ليس له عقيدة. فحركات الأشخاص تتفق مع هذه الأفكار الظاهرية لأنه إذا وجدت عقيدة حقيقية فهى تظهر فى التصرفات.

إذاً فالعقيدة هى الأساس والحياة الروحية هى البناء.

المسيحية عقيدة:

فإذا أردت أن توجه شاباً أو تكلم طفلا لإقناعه بالسير على سيرة خاصة تحاول أولا أن تثبت له أن هذا النوع من الحياة هو الحياة المطلوبة. وبعد اقتناع الطفل يتصرف الولد بحسب العقيدة الموجودة بذهنه دون تكلف أو دون تصنع. وقد يتكلف فى أول الأمر لمقاومة عادة ما، ثم ينطلق فى الحياة انطلاقا طبيعياً. ثم هذا الفريق من الناس تراه قد فهم المسيحية. وما هى المسيحية؟ هل هى عاطفة روحية؟ إذا كانت المسيحية مجرد عاطفة روحية فما الفرق بينها وبين الوثنية أو البوذية أو أى دين آخر يؤمن بالأخلاق!

فما الفرق بين المسيحية كديانة وما بين هذه الاتجاهات لو كانت مسألة عاطفية فقط؟ وإنه لو كانت المسيحية ديانة مشاعر لقربت من البهائية التى ترفض التفريق بين الأديان.

أترضون للمسيحية أن تفقد خصائصها الذاتية وتستحيل إلى ديانات أخرى. إذن هذه الدعوة للتفرقة ما بين الحياة والعقيدة هى فكرة بعيدة كل البعد وتدخل بنا إلى دين آخر وإلى عقيدة أخرى.

المسيحية مبنية على مبادىء معينة أن نؤمن بها فيما يتصل بالمسيح وبالروح القدس وبالله وبالممارسات والعبادات التى نتقرب بها إلى الله ومصير النفس فى العالم الآخر. فإذا انحرفنا عن هذه العقائد والتعاليم أصبحنا فى ديانة أخرى وعقيدة أخرى.

فمنطق الديانة المسيحية وكوننا مسيحيين يعنى أننا لا نتكلم بالفضائل بل أيضا أن نراعى المبادىء والتقاليد.

إذا كان حقاً أن هناك تفرقة ما بين حياة الفضيلة وما بين الإيمان والعقيدة، فما هو السر بين الأديان المختلفة؟

وإن الواقع يبين أن هناك ديانات مختلفة، حتى أن داخل المسيحية ذاتها شيع وآراء، فكيف نحكم وكيف نكون منطقيين مع أنفسنا ونحن نرى هذه المبادىء. وكيف نحكم بين هذه الديانات والملل إن لم تكن هناك عقيدة، بناء عليها تناقش الآراء والأفكار المختلفة.

فلا بد للإنسان الجاد الذى يريد أن يكون أميناً للتعليم المسيحى ألا يفصل ما بين العقيدة والحياة، لأن هذه التفرقة مؤداها أن تطرح هذه المبادىء السامية التى تقوم عليها المسيحية.

هبوا أننا انتزعنا هذه المبادىء الخاصة التى تحير الكنيسة الأرثوذكسية وغيرها، إذ قال أصحاب هذا الفكر أن تترك هذه المسائل لأنها إشكالات ولكن أقول فلنتمش مع هؤلاء لنرى النتيجة: اطرح التناول والمعمودية والصوم والاعتراف والكهنوت ونحوها لأن فيها إشكالات. وسيبقى فى المسيحية مبادىء هامة رئيسية هى: الله والآخرة والمسيح.

لكن ما رأيك أن هناك إختلافا فى المسيح - إذن فالمنطق السابق يريدنا أن نطرح المسيح جانبا لأن عليه إشكالا. ولماذا لا تكون ديانة واحدة تعترف بإله واحد.

وهناك مبادىء ترفض الآخرة تزعم أنها مسيحية. ترفض فكرة الخلود وتنادى بأن الإنسان سيموت مثل الحيوان.

إذاً ماذا يبقى فى الديانة كلها لكى نعترف به، ولنجاهد نحوه.

على هذا الأساس.. لا يبقى هناك شىء. إذن هى فكرة هدامة مؤداها أن نتساهل فى قضايا الدين واحدة بعد الأخرى حتى نرفض الدين كلية وحتى تعود الإباحية بعد طرح العقيدة لأن الحياة الروحية إن لم تكن على أساس عقيدة تهدم.

لابد للإنسان فى كثير من الأحيان أن تعترضه شكوك إذا كانت الحياة الروحية مبنية على وعظ تأثيرى للعاطفة والمشاعر الروحية دون وجود عقيدة ورأى. فتعال معى إلى فرص أخرى تفتر فيها العاطفة والشعور وما أكثر هذه الفرص - تعال نفتش عن العقيدة فلن نجدها.

ثم تعال إلى فرصةأخرى تهدد فيها العقيدة بالزوال أمام أفكار يثيرها أعداء العقيدة وأنت لم تكن قد تحصنت كيف تقاوم الشكوك؟ فلا تجد العقيدة وتقوى الشكوك وتفتر العاطفة ثم تولى بعد ذلك ظهرك للدين ثم تفتش عن العاطفة التى كانت تثيرك للناحية الدينية فتجدها تدفعك إلى ناحية عكسية. هذه هى الأفكار الهدامة التى يعتمد عليها البعض لإبعاد فكرة العقيدة والدراسة لكى يعتمد على عاطفة هوجاء. ولكن إن كان الاعتماد على الاقتناع والعاطفة، فإنه إذا ثارت العاطفة وجدت من العقيدة بقية ترجعك إلى صوابك.

الكتاب المقدس والعقيدة:

وهؤلاء القوم الذين يدعون إلى هذه التفرقة بين الحياة والعقيدة هل حقاً يؤمنون بالكتاب المقدس؟ لو كانوا حقاً يؤمنون به، ولو كانوا يعرفونه لكانوا يعرفون أنه ليست هناك تفرقة. فالعقيدة هى الحياة والحياة هى العقيدة، وكلاهما يبنى الآخر ويكمله. لأن هذه المبادىء العقائدية أخذوها عن الكتاب المقدس فهو الذى فيه الكلام عن التقوى والفضيلة والعقيدة واللاهوت من الله إلى الحياة الأخرى، وطقوس العبادة. والكتاب المقدس فيه مبادىء الفضيلة وفيه الحديث عن كل الأفكار اللاهوتية المتصلة بالله والمسيح ولاهوته ومواهب الروح القدس فى الكنيسةوطقوس العبادة. فإذا كان الكتاب فيه مبادىء الفضيلة وفيه أيضاً مبادىء العقيدة فإن أخذنا هذه فلنأخذ تلك لأنه مصدر الإثنين ولا نرى فيه أى تفرقة. فإنجيل يوحنا كتب من أجل إثبات عقيدة واحدة فقط كما يتضح من نهايته: «وآيات أخرى كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب فى هذا الكتاب. وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكى تكون لكم إذا آمنتم باسمه حياة» (يو ٢٠ : ٣٠) فكأن الإنجيل كتب لكى نؤمن بأن المسيح هو الله فهى عقيدة لاهوتية.

لو رجعنا إلى الرسائل جميعها لوجدنا أن كلا منها تدافع عن عقيدة من عقائد الإيمان. فرسالة رومية وغلاطية كتبت لكى تثبت أنه لا يتبرر الإنسان بأعمال الناموس وأن الإيمان هو الذى يخلصنا وأن الفلسفة والأعمال الفكرية لا تستطيع خلاصنا وذلك لأن اليهود كانوا يتعصبون لناموسهم واليونان لفلسفتهم.

ثم رسالة العبرانيين من أولها إلى آخرها تثبت أن المسيح هو الكاهن الأعظم الذى حل محل الكهنوت القديم.

أما رسالة يعقوب فتبحث فى أن الإيمان بمفرده لا يكفى لكن لا بد له من الأعمال. بمعنى أن الرسل خصصوا رسائل وأناجيل بتمامها للدفاع عن عقيدة من عقائد الإيمان. فمن التعدى على الكتاب المقدس والمسيحية أن نظن أن المسيحية مبنية على إثارة الفضائل الخاصة دون العقائد إذ أن الحياة الروحية الغير مبنية على العقائد لا يمكن أن تكون مستقيمة تماماً إذا بنيت على عواطف دون العقيدة التى هى الأساس.

المذاهب والعقيدة:

ثم نجد أن الكتاب المقدس عينه قاعدة الإيمان والحياة، عنى عناية كبيرة أكثر مما نتصور بأن يحارب وينازل الأفكار الضارة والعقائد المنحرفة فى الحياة المسيحية، ومن يقرأ الكتاب يجد فيه نزاعاً ومخاصمة فى هذه الناحية وأن الرسول بولس يحدث أهل غلاطية قائلاً: «أيها الغلاطيون الأغبياء من رقاكم حتى لا تذعنوا للحق» بسبب إنحرافهم إلى إنجيل آخر ولكن ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونهم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح «ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن محروماً كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضا إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن محروما» «ياليت الذين يقلقونكم يقطعون أيضا» «احذروا الذين يصنعون إنشقاقات خلافاً للتعليم الذى قبلتموه».

والرسول يوحنا يقول أتت الساعة لأنه صار للمسيح أضداد كثيرون منا خرجوا ولكنهم ليسوا منا لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا. يهمنى قبل أن أترك هذه الآية أن أسائل الأشخاص الذين لهم أفكار أخرى وعندما نتكلم عن موضوع العقيدة يزعجهم هذا الموضوع، أريد أن أسائل هؤلاء القوم لماذا تركوا هذا المكان (الكنيسة) وعقدوا إجتماعات أخرى فى أماكن أخرى لها طقوس فلماذا يتغير المكان ولماذا تتغير الطقوس إذا كان المهم الحياة الروحية؟ أفلا يكون هذا نوع من الألاعيب التى يلعبون بها على عقول الأقباط بقولهم نحن لا طائفيون أى بلا عقيدة مع أن هذا إتهام للشخص من نفسه، ثم هو كذب لأنه يؤمن بعقيدة أخرى سماها هو لا طائفية فى مغالطة لاجتذاب البسطاء والجهلاء...

ومبدأ أن كلنا واحد فى المسيح وهذا ما يقول الرسول: لم يكونوا منا لأنهم منا خرجوا ولو كانوا منا لبقوا معنا لأنه لو كنا واحداً لما خرجوا منا. إذن لسنا جميعا فى المسيح واحداً لأن لاهوت المسيح لا ينظر إليه فى جميع هذه العقائد نظرة واحدة والبعض لا يعرفون المسيح بوصفه إلها ممجداً إلى الأبد ولكن بوصفه إنساناً ممجدا فى الضعف. وإمتداداً لهذه المبادىء ظهرت مبادىء بروتستانتية تنكر لاهوت المسيح، والمعتقدون أنه سيكولوجى أو عالم نفسانى وبذور إنكار لاهوت المسيح موجودة فى المذهب البروتستانتى. وذلك إبرازاً للناحية الجسدية دون اللاهوتية وحولوا الحديث إلى الناحية الناسوتية الصرفة كما قال أكليمنضس الأسكندرى.

وهكذا قال الرسول: تجنب كل أخ لا يسلك حسب التقليد الذى أخذته منا.. وتسمى الكنيسة بالكنيسة الأرثوذكسية لأنها حريصة. إذ أن المسائل اللاهوتية صعبة جداً كما يتحدث القديس

اغريغريوس عن التثليث قائلا: إن هذا الموضوع من الموضوعات التى لا تتناولها العقول البشرية من أى جانب إلا وجرحته. فمثلا بداءة إنجيل يوحنا بقوله: «الكلمة» لا بد لها أن تعرف استخدام كلمة «الكلمة» (اللوغس) فى وقت الرسول. أى لا بد من دراسة عصر كتابة الكتب الإلهية حتى تكون المبادىء صحيحة.

الفضائل والعقيدة:

وهكذا فإن العقيدة لا يمكن أن نتساهل فيها ولكن إن بحثنا عن الفضيلة نجد أن العقيدة تؤثر عليها لأن إختلاف العقيدة حتما يؤثر على الفضيلة، فمثلا ليس كل الناس يفهمون المحبة والاتضاع مثل بعضهم، حتى أن الحديث عن الفضائل المسيحية يجب أن يأخذ صورة تعليمية لأن كثيرا من المرشدين والوعاظ يقولون كلاما غير مفهوم عن هذه الفضائل. فالبعض يسىء فهم التواضع ويخرج منها إلى الكبرياء أو إلى الخنوع والذل لأن الأرثوذكسية فى السيرة فى حاجة إلى جهاد لفهم الفضائل التقوية، فإذن أنت محتاج إلى فضائل يجب أن تبنى على أساس من الفهم المضبوط حتى لا تنحرف الفضيلة إلى شىء آخر فى ذهنك. وفى رأيى أن نفس الحديث عن الفضائل يجب أن يأخذ صورة تعليمية، فالعقائد التى تؤمن بها، هل ليس لها تأثير فى الحياة الروحية؟ وإن كان ذلك فلماذا وجدت؟ هل لمجرد إتعاب الفكر؟ فلنفرض عدم وجود حياة أخرى فتنقرض الفضيلة لأنه إن لم تكن قيامة أموات فلنأكل ونشرب لأننا غدا نموت. فعند التكلم عن الفضائل المختلفة من قهر النفس والذل نجد بين العقائد طقس الصوم، لم يوجد لنمارسه كفرض ثقيل ولكن المقصود به فضيلة تولد فينا الصبر والجلد ومكافحة النفس وانتصار الإنسان وتقوية الإرادة والشجاعة، فكأن الصوم له قيمة روحية زيادة على آثاره الصحية المفيدة.

إذا أثبتنا المعمودية أنها ليست مجرد طقس ولكن هى الطريقة الوحيدة التى لا يوجد بأى طريق آخر سواها أن نأخذ استحقاقات المسيح على الصليب، ولكن بها عن طريق الروح القدس نأخذ هذه الاستحقاقات، فتحصل فيها عملية تغيير حقيقية للطبيعة القديمة إلى الطبيعة الجديدة (أى خلع جسم الإنسان العتيق) ونحن فى حاجة لمواهب الروح القدس لأنه يقوى ويذكّر ويشدد ويحركنا للخير والغيرة والقداسة، وكل هذا يعمله الميرون ليس مثل الخمسينيين الذين يصلون لطلب الروح القدس. وهنا طبعاً الفرق بين الكنيسة التى تجعل مواهب الروح القدس مبنية على استحقاقات المسيح رأسا، وبين من يعتقد أنه يأخذ مايريد بقصر الصلاة وطولها والوسائل العملية البحتة. هذه الموهبة عند إضرامها تعمل عمل الروح القدس «أضرموا الموهبة التى فيكم».

وهناك تعب نفسانى فنحن إذ ذاك فى حاجة لمن نشكو إليه آلامنا مثل رسل المسيح الذين كانوا يحدثونه بما صنعوا، فالإنسان محتاج إلى من يشكو إليه وهذا هو سر الاعتراف، فيه شكوى لنفسك وعلاج وغفران فالحياة الروحية احتاجت لسر الاعتراف.

وهكذا يحتاج الإنسان بين فترة وأخرى بأن يقطع عهداً مع الله فى التناول، إذ تثبت الأغصان فى الكرمة فلا بد أيضاً من التناول. والخلاصة أن هذه العقائد لازمة للحياة الروحية.

واجبات ونصائح:

أخيراً لكى نكون أرثوذكسيين مدققين فى حياة العقيدة والسيرة يلزمنا:

١- أن نقاطع مقاطعة كلية فكرة التفرقة بين الحياة الروحية والعقيدة لأنها فكرة غير طبيعية أو إنسانية، وعلينا بمقاومتها لأنها هدامة ولنجمع بين العقيدة والدين كما فعل الكتاب.

٢- ينبغى أن نمارس هذه العقائد فى حياتنا وأن لا نكتفى بمناقشتها والاطلاع عليها، فإيمانك بالله لا بد أن يظهر فى إقبالك على الكنيسة وتعبدك وصدقاتك فى الخفاء وهكذا إيمانك بالحياة الأخرى لا بد أن يظهر فى حياتك اليومية، لأنه إذا انعدمت هذه الفكرة وفكرة العقائد الأخرى كالصوم انعدم كثير من الفضائل. ولكن عند ممارستها نربح الغرض الذى من أجله وضعت هذه العقائد إذ نزداد إحساساً بقيم هذه العقائد من الناحية الروحية.

٣- فى خدمتنا لمدارس الأحد لا بد من ممارسة العقائد ولا بد من أن نشعر مدارس الأحد أن أول اختصاصاتها جلب الأولاد للكنيسة لأن الصغير عندما يدخل الكنيسة تغذيه الكنيسة بمفردها بدون وعظ لأنه يفهم وليس كما يقول البعض إن الطفل لا يفهم شيئاً فى الكنيسة، بل يخرج متحمساً وينشط فى الحياة الروحية، لأن للكنيسة وسائل أخرى تصل بها إلى نفس الطفل أكثر من الوعظ، وذلك بتعاليم فى الطقوس كالبخور الذى يجذب حاسة الشم ويؤثر فيها وما يجذب النظر من صور الكنيسة وما يجذب الذوق فى التناول فكل هذه يتلقاها الطفل الذى ليس له من المشاغل ما يقصيه عن الدين، لأنه ليست المعرفة بمجرد العقل بل أيضا بواسطة الحواس.

٤- اجعل أيضاً تعليمك عمليا وبممارسات أمام الأولاد، مثلا يدخل المدرس أمام الأطفال فى الكنيسة ليس بحركات تمثيلية ولكن بالروح الخشوعية وآداب الحضور فى الكنيسة فيتعود الطفل هذه العادات ثم يشب عليها كما نرى فى حياة الكبار المتدينين، أنهم غالباً تعلموا الدين منذ الصغر على التعاليم المسيحية الحقيقية.

٥- لا تنسوا المزامير مع الأطفال لأن الطفل من سن الثامنة إلى الثانية عشرة يكون فى أحسن فترة يحفظ فيها حتى ولو لم يفهم، فهذه إذا ركزت فى ذهنه تكون منهجاً لحياته لأن وجود المزمور فى اللاشعور قد يخرج فى لحظة من لحظات السقوط فيرجع الإنسان إلى الله.

٦- علينا أن ننتهز كل فرصة لإقناع الطفل بسلطان الصليب على الشياطين والظلمة ونقنعهم برسم الصليب على أيديهم، حتى إذ كبر الطفل تذكره علامة الصليب بمسيحيته فيردعه عن عمل الشر ولا ينسى مسيحيته وتسد أمامه الفرص من أن ينكر المسيح. وفى وقت الاضطهاد كان الآباء والأمهات يستشهدون ويتركون الأطفال رضعا فخوفا من وقوعهم فى أيدى الوثنيين، كانوا يرسمون الصليب على الطفل، فإما أن يستشهد أو يعرف دينه ليتحمس بهذا الدين فإن كان الأسم واضحا أو الصليب واضحا نضطر لأن نظهر المسيح.

نمّجد اسم الله ونسأل منه تعالى قوة وافرة لنسلك فى سبيل رضاه وفى وصاياه لنحيا كما يحق لإنجيل المسيح.

القيم الروحية المنطوية
فى عقائد الكنيسة الأرثوذكسية

لم تمنح الديانة المسيحية للإنسان إلا لنفعه وخيره، وليصير بها أفضل مما يكون بدونها.

وإذا كان للمسيحية عقائدها، فهذه العقائد هى مجموعة الحقائق التى يدين بها المسيحى وتنعقد عليها نفسه، من أجل أن يحيا بها حياة مثمرة سعيدة، فى الحياة الحاضرة والحياة الآخرة.

وقد أوضح السيد المسيح الهدف من رسالة المسيحية بالنسبة إلى من يدين بها، عندما حدد الغرض من مجيئه الأول فى قوله «وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة ولتكون لهم (هذه الحياة) أفضل» (١). وهو بعينه المعنى الذى عبر عنه الرسول القديس يوحنا فى خاتمة إنجيله «وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب فى هذا الكتاب، وإنما كتبت هذه لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه (٢)».

وفحوى هذا كله أن المسيح قد أتى ليمنحنا بمجيئه حياة أبدية بعد أن كان محكوما علينا بالموت الأبدى، ولكى يجعل حياتنا أفضل مما كانت، ولكى يصيرها حياة موفورة الكرامة، حياة سامية نبيلة مثمرة نافعة صالحة، ذات قيمة وذات معنى. بل والهدف من رسالة المسيحية والهدف من الكرازة والتعليم المسيحى، ومن التبشير بأعمال المسيح ومعجزاته وأقواله، أن يؤمن الإنسان بالمسيح الرب فيتحقق له بهذا الإيمان وكل متعلقاته الحياة الأبدية السعيدة، هذه الحياة الفضلى التى تبدأ منذ عمل التجديد الذى يتم فى المعمودية وتتصل بالحياة الأخرى بعد الموت، التى لا تضمحل ولا تفنى، لأنها حياة الأبد فى ملكوت السماوات.

وعلى هذا الأساس يظهر أن الهدف من كل عقيدة من عقائد ديانتنا هو الخير لنفوسنا فى الحياتين الحاضرة والعتيدة. ولن تجد عقيدة فى الكنيسة الأرثوذكسية المقدسة تشذ عن هذه القاعدة، وإلا كانت هذه العقيدة عبثا لا طائل تحته ولا غناء فيه وحاشا لله أن يجعل فى ديانته حقيقة من غير فائدة.

---

(١) يوحنا ١٠: ١٠.

(٢) يوحنا ٢٠: ٣٠، ٣١.

لكل عقيدة فى ديانتنا، إذن، فائدة روحية. وإذا تناولت العقائد فى عمق تبين لك نفعها وخيرها للنفس الباطنية، وهو ما تؤيده النصوص الكتابية من جهة والخبرات الروحية العملية من جهة أخرى. فإذا وجدت عقيدة فى الكنيسة من غير فائدة روحية، فإما أن لا تكون هذه عقيدة حقيقية من عقائد الإيمان، أو تكون أنت جاهلاً بأثر هذه العقيدة فى الحياة الروحية وهو ما يقتضيك الفحص والبحث والامتحان، والتأمل الملي، والتمعن العميق الدقيق.

ليست إذن عقيدة من عقائد الإيمان بلا عمل للإيمان. إنها لم تصبح عقيدة لتؤلف بنداً من بنود الدين، ولم تصبح عقيدة لتصير موضوعاً من موضوعات الجدل بين أصحاب العقائد المتفرقين. ولم تصبح عقيدة لكى تصير نظرية ذهنية نناقشها بعقولنا وأذهاننا. كلا ليست العقائد فى ديانتنا المسيحية لشئ من هذا كله. إنها وجدت فى ديانتنا من أجل أن تصبح أساسا لسلوكنا فى الحياة. فهى تلهم السلوك وتبعث على التصرف الملائم لها. إنها تبصر العقل، وتلهب القلب، وتثيرنا على العمل. إنها دائماً تتحول إلى نشاط وإلى تعبير فى الواقع الخارجى. إنها لا تكمن فى الذهن، وإنما تتحول إلى تعبيرات وإلى ممارسات ومباشرات عملية.

نعم إن العقائد لم تنشأ للنقاش الفكرى والجدل النظرى، بل لتكون باعثا على النشاط والعمل. وقبل أن يخرج الهراطقة على الكنيسة ويتشيعوا إلى مذاهب كان لديانتنا عقائدها وطقوسها.

لاهوت السيد المسيح

أنت المسيح الله ابن الله الحيّ

القيم الروحية فى عقيدة لاهوت المسيح

والمسيح فى عقيدتنا المسيحية هو «الله الظاهر فى الجسد» (١) كائن بلاهوته قبل الأكوان، وإن كان قد تجسد فى ملء الزمان، وولد من امرأة تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس.

والمسيح هو الكلمة المتجسد، وهو من حيث لاهوته قائم مع الآب والروح القدس فى الذات الإلهية منذ الأزل وإلى الأبد. وهو يتصف بأنه لا متناه وغير محدود، وحاضر فى كل مكان، وقادر على كل شئ، وهو كلى الصلاح كلى العدالة وكلى القداسة «به كان كل شئ وبغيره لم يكن شئ مما كان» (٢). وبالإجمال هو الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس، وهو صورة الله غير المنظور (٣)، وهو بهاء مجده، ورسم جوهره، وحامل كل شئ بكلمة قدرته (٤) وبه أيضاً عمل العالمين (٥).

١ ـ هذه العقيدة هى التى تميز المسيحيين عن غيرهم من غير المؤمنين. إذ المسيح فى نظر المسيحيين ليس مجرد نبى أو رئيس للأنبياء، وليس عبداً لله أو رسولا منه. إنه الله نفسه، وفيه «كل ملء اللاهوت» (٦) وهو «الكائن على الكل إلها مباركا إلى الأبد» (٧).

٢ ـ وإذا كان هذا هو اعتقادنا فى المسيح، فنحن نفتخر باسمه أن يدعى علينا، ونثق أنه قادر على كل شئ، وهو الكفيل أن يصنع معنا كل خير. وأن يجيبنا ويسمع لنا إذا صلينا إليه. كما صلى إليه الشهيد استفانوس رئيس الشمامسة «أيها الرب يسوع، اقبل روحى» (٨).

٣ ـ وإذا كان السيد المسيح هو الوسيط الوحيد بيننا وبين الآب (٩)، فلأنه الفادى الذى صار كفارة عن خطايانا بل وعن خطايا كل العالم أيضاً (١٠). فوساطته أو شفاعته هى الشفاعة الكفارية لأن المسيح ليس كأحد القديسين يتوسل عنا أو يصلى من أجلنا، لأنه ليس أقل من الآب فى الجوهر حتى يصلى عنا كما يصلى القديسون، وهو نفسه قال «ولست أقول لكم إنى أسأل الآب من أجلكم» (١١). ومن هنا يظهر خطأ أتباع المذاهب البروتستانتية التى تصور المسيح له

---

(١) تيموثيوس الأولى ٣: ١٦.
(٢) يوحنا ١: ٣.
(٣) كولوسى ١: ١٥.
(٤) عبرانيين ١: ٣.
(٥) عبرانيين ١: ٢.
(٦) كولوسى ٢: ٩.
(٧) رومية ٩: ٥.
(٨) أعمال ٧: ٥٩.
(٩) تيموثيوس الأولى ٢: ٥.
(١٠) يوحنا الأولى ٢: ٢.
(١١) يوحنا ١٦: ٢٦.

المجد يصلى عن المؤمنين وكأنه أحد القديسين !! وهذا إنقاص من قدر المسيح، وإنكار للاهوته وإنكار لوحدانيته الجوهرية مع الآب. فلو كان البروتستانت يؤمنون إيمانا كاملاً بلاهوت المسيح، ولو كانوا يعتقدون اعتقادا تاما بأنه كائن مع الآب والروح القدس فى جوهر واحد، لما تجاسروا أن يتخذوا من المسيح شفيعا يتوسل ويتضرع ويصلى إلى الآب كما لو كان واحداً من القديسين، وكأن المسيح فى نظرهم كائن آخر غير الله نفسه وليس من طبعه وجوهره. فالمسيح فى نظر الأرثوذكسيين هو الله المتجسد وهو لا يتوسل عنا، لكنه يقبل صلواتنا وضراعاتنا.

* * *

فعقيدة لاهوت المسيح تثير فينا عواطف الإجلال والتعبد لربنا يسوع المسيح والخضوع والطاعة لوصاياه، كما تثير فينا الشكر لفضل الإله الذى تنازل ليقترب إلينا فى صورة البشر، وتجعلنا نحس بقربنا إليه وتشجعنا على الإلتجاء إليه والإستعانة به. ونحن نؤمن بحبه كما نؤمن بقدرته على أن يسمع لنا ويجيب طلباتنا. فلم يعد الإله بعيدا عنا، مجهولا منا، بل قريبا إلى تصورنا وقريبا إلى مشاعرنا، وعارفا بأحوالنا وهو ما يزيد رجاءنا فيه ودالتنا عنده.

لماذا نحن مسيحيون؟ (١)

هذا سؤال يمكن أن نجيب عليه من زوايا كثيرة. لكننا على جميع الأحوال مسيحيون لأننا ننتسب إلى المسيح، ولأننا نؤمن بالمسيح، وقد صرنا من تلاميذه وأتباعه. قال الكتاب المقدس «ودعى التلاميذ مسيحيين» (٢) تماما كما نسمى نصارى (٣) لأننا من أتباع «يسوع الناصرى» (٤)، «يسوع المسيح الناصرى» (٥)، «يسوع الذى من ناصرة الجليل» (٦) حيث نشأ (٧).

على أن آخرين غيرنا يؤمنون بالمسيح ومع ذلك لا يدعون مسيحيين. ذلك أن المسيح عندهم غيره عندنا.

المسيح عندنا نحن المسيحيين ليس مجرد نبى من أمثال موسى وإشعياء وإرميا وغيرهم من الأنبياء ...

بل ولا حتى رئيس الأنبياء ...

إنه أسمى من الأنبياء جميعا...

وإن كان قد أخذ فى ناسوته أى إنسانيته من بين ما أخذ من وظائف، وظيفة نبى، حيث أنه خبرنا عن الآب السماوى «الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه» (٨)، كما أنبأ عن أمور كثيرة لتحدث فى المستقبل القريب والبعيد (٩) ...

إنه بالأحرى هو «الكلمة» الذى تكلم على أفواه الأنبياء القديسين جميعا...

لكنه ليس مجرد نبى مثلهم...

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة بالقاعة المرقسية الكبرى بمبنى الأنبا رويس بالعباسية مساء الأربعاء ١٢ من أكتوبر - تشرين أول ١٩٦٦م - ٢ بابه ١٦٨٣ش.

(٢) (أعمال الرسل ١١: ٢٨). انظر أيضا (أعمال ٢٦: ٢٨)، (رسالة القديس بطرس الأولى ٤: ١٦).

(٣) أو ناصريين (أعمال ٢٤: ٥).

(٤) (متى ٢: ٢٣)، (٢٦: ٧١)، (مرقس ١: ٢٤)، (١٠: ٤٧)، (١٤: ٦٧)، (لوقا ٤: ٣٤)، (١٨: ٣٧)، (٢٤: ١٩)، (يوحنا ١٨: ٥، ٧)، (١٩: ١٩)، (أعمال ٢: ٢٢)، (٦: ١٤)، (٢٢: ٨)، (٢٦: ٩).

(٥) (أعمال ٣: ٦)، (٤: ١٠).

(٦) (متى ٢١: ١١)، (مرقس ١: ٩)، (لوقا ١: ٢٦)، (٢: ٤، ٣٩، ٥١)، (يوحنا ١: ٤٥)، (أعمال ١٠: ٣٨).

(٧) (لوقا ٤: ١٦).

(٨) (يوحنا ١: ١٨).

(٩) كما سنرى ذلك فى حينه.

إنه معلمهم ومربيهم كما يقول أكليمنضس الأسكندرى (١٥٠م - ٢١٦م) فى كتابه «المربى» (١).

وليس المسيح عندنا نحن المسيحيين عبد الله.

وإن كان قد أخذ فى انسانيته صورة عبد... حجب صورة الرب وليس صورة العبد «الذى إذ هو فى صورة الله، لم يحسب مساواته لله اختلاسا، لكنه أخلى ذاته متخذا صورة العبد، وصار فى شبه البشر» (٢).

وليس المسيح عندنا نحن المسيحيين رسول الله كما كان إيليا وأليشع ويوحنا المعمدان وغيرهم من عبيد الله الذين أرسلهم إلى الناس رحمة وهدى...

وليس كما أرسل المسيح تلاميذه ورسله بطرس ويعقوب ويوحنا وبولس ومرقس وغيرهم من الإثنى عشر أو من السبعين...

حقا أن المسيح صاحب رسالة جاء ليبلغها ويحققها، لكنه مع ذلك ليس رسولا كما كانت الرسل من قبله أو من بعده.

وحقا كثيرا ما قال المسيح أن «الآب... أرسلنى» (٣).

ولكن ما أبعد الفرق بين الإرسالية بهذا المعنى، والإرسال بالمفهوم السائد بالنسبة للأنبياء والرسل من بين الناس...

تلك الأولى إرسالية باطنية فى داخل الوحدة الثالوثية (الآب والابن والروح القدس) وأما الأخرى فإرسالية خارجية، إرسالية من الخالق للمخلوق.

ولقد قال المسيح عن نفسه «الآب... أرسلنى» ليؤكد الوحدانية وينفى وجود جوهرين أو إلهين، وليطمئن اليهود من بنى إسرائيل - وهم أهل توحيد - أنه لا يدعى الألوهة لنفسه مفترقا عن الآب السماوى، كأنه إله جديد ذو كيان مستقل عن كيان الآب وجوهره... **فالمسيح كان دائما يؤكد على مبدأ الوحدانية، وأنه ليس يوجد غير إله واحد، والمسيح ليس إلها آخر... أنه والآب جوهر واحد، كيان واحد، ذات إلهية واحدة... فالآب والابن والروح القدس جوهر واحد غير منقسم، وذات واحدة غير متجزئة،.. لأنه ليس فى الوجود غير إله واحد.**

إذن لقد قال المسيح عن نفسه أن «الآب... أرسلنى» ليؤكد على حقيقة الوحدانية، وأن فى السماء جوهرا واحدا، وأصلا واحدا، وذاتا إلهية واحدة.

---

(١) كتاب من أهم كتب أكليمنضس الأسكندرى وهو فى ثلاثة أجزاء.

(٢) (فيلبى ٢: ٦، ٧). انظر أيضا (إشعياء ٤٢: ١)، (زكريا ٣: ٨).

(٣) (يوحنا ٥: ٢٣، ٣٠)، (٦: ٣٩، ٤٤، ٥٧)، (٨: ١٦، ١٨)، (١٢: ٤٩).

لماذا هذا البحث؟

كان منطقيا أن نبدأ السؤال «لماذا هذا البحث؟» قبل أن نبدأ السؤال: «لماذا نحن مسيحيون؟».

ولكننا أرجأناه لنبين أن هذا الموضوع أهم للمسيحيين قبل أى موضوع آخر، لأن كيان مسيحيتهم يقوم عليه، **ولأن المسيحيين بغير إيمانهم بلاهوت المسيح لا يكونون مسيحيين...**

فإذا كان إيمان المسيحيين فى المسيح أنه نبى، وعبد الله ورسوله، فهم بذلك لا يفترقون عن غير المسيحيين ممن يحترمون المسيح ودعوته.. لكن الذى يميز المسيحيين عن غيرهم ويجعلهم مسيحيين... هو إيمانهم الخاص بالمسيح، الذى يتميزون به عن غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى. قال الإنجيل :

«وحين جاء يسوع إلى نواحى قيصرية فيلبس، سأل تلاميذه قائلا: «من تقول الناس إنى هو، أنا ابن الانسان؟» فقالوا : «إن قوما يقولون انك يوحنا المعمدان، وآخرين انك إيليا، وآخرين انك أرميا أو أحد الأنبياء». فقال لهم: «وأنتم من تقولون إنى هو؟». فأجاب سمعان بطرس وقال: «أنت هو المسيح ابن الله الحى»، فأجاب يسوع وقال له: «مبارك أنت يا سمعان بن يونا. لأنه ليس لحما ودما الذى كشف لك هذا. وإنما أبى الذى فى السماوات. وأيضا أقول لك أنت بطرس، وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى. وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (١).

لقد أبان الإنجيل بهذا أن هناك حيرة بين الناس فى زمان المسيح فى من هو المسيح، وقد اختلفوا بين قائل أنه يوحنا المعمدان قد قام من بين الأموات فى شخص يسوع المسيح، ومن قائل أنه إيليا الذى اختطفته فى القديم مركبة نارية من السماء قد عاد إلى الأرض فى شخص المسيح، ومن قائل إنه إرميا النبى الذى قتله اليهود رميا بالحجارة قد عاد إلى الحياة فى شخص المسيح...

تلك كانت أقوال تتردد بين الناس فى زمن المسيح حتى ذلك الوقت من تاريخ حياته على الأرض، ولكنها كانت جميعها أقوالا خاطئة تعبر عن حيرة وتردد... وعندما سأل المسيح تلاميذه عن رأيهم فيه من يكون؟ أجاب القديس بطرس وهو أكبر تلاميذه سنا وكان لذلك

---

(١) (متى ١٦: ١٣ - ١٨)، (مرقس ٨: ٢٧ - ٢٩)، (لوقا ٩: ١٨ - ٢٠).

يتقدمهم فى الكلام، معبرا عن ألسنة الباقين من سائر التلاميذ «أنت هو المسيح ابن الله الحى» فكانت إجابة بطرس هى جواب جميع التلاميذ الذين عرفوا المعلم عن قرب.. وكانت هى الإيمان الخاص الذى يتميز عن إيمان كثيرين من مواطنيهم ومعاصريهم... الإيمان الذى توصلوا إليه ككشف ثمين بعد طول عهدهم بمعرفة سيدهم ولم يعرفوه لأول وهلة ولكنه نما فيهم متطورا من مرحلة إلى مرحلة.. ولذلك غبطهم المسيح فى شخص بطرس بقوله : «مبارك أنت ياسمعان بن يونا، لأنه ليس لحما ودما الذى كشف لك هذا، وإنما أبى الذى فى السماوات» مبينا بذلك أن حقيقة لاهوت المسيح يخفيها ناسوته، ويحجبها شكل إنسانيته، فلا يرى المتطلع إليه إلا إنسانا ابن إنسان من لحم ومن دم، مشابه للناس جميعا، لأنه فى صورة الناس.. أما الإيمان بأن «يسوع هو المسيح ابن الله الحى» على الرغم من اللحم والدم، فهذا إيمان روحانى بأمر غير ملموس يجئ نتيجة كشف إلهى وإعلان سماوى.

على أن المسيح بجوابه على بطرس والتلاميذ معه، قد أثنى على إيمانهم بأنه «ابن الله الحى» واعترافهم بهذه الحقيقة التى صارت هى ركيزة الإيمان المسيحى التى يقوم عليها إيمان المسيحيين جميعا فى المسيح ومن دونها لا يكونون مسيحيين.

بل أن المسيح صرح بعبارة خالدة هى حقيقة أزلية أبدية: «وأيضا أقول لك أنت بطرس، وانى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى» **أى أن الإيمان بأن «يسوع هو المسيح ابن الله الحى» هو الصخرة التى يبنى المسيح كنيسته عليها**، وبعبارة أخرى أن بناء الكنيسة المسيحية قائم على صخرة، وهذه الصخرة هى الإيمان «بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحى»، والإعتراف الذى نطق به القديس بطرس معبراً عن زملائه الرسل الآخرين وكل من آمن بالمسيح بعدهم...

ولما كان القديس بطرس هو أكبر الرسل سنا، وهو المتقدم عنهم فى الكلام، والناطق بلسانهم، وكان إيمانه كإيمانهم صحيحا، وإعترافه بالنيابة عنهم سليما فقد صار - وصار الرسل معه - أول حجر وضعه المسيح على صخرة الإيمان بلاهوته. ولهذا غير المسيح اسم الناطق بلاهوته من سمعان إلى «**بطرس**» حيث أن بطرس معناه «**حجر**»، وكذلك - بالسريانية كيفا أو صفا.. أى «حجر» وليس صخرة (١).

---

(١) انظر كتاب الحقائق الجلية فى الأبحاث التاريخية، الأدبية والفلسفية تأليف قداسة البطريرك مار اغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك انطاكية وسائر المشرق، دمشق ١٩٧٢ صفحة ١١٦.

بطرس إذن ليس هو الصخرة، «لأنه من هو صخرة غير إلهنا» (١) ولأن «الصخرة هى المسيح» (٢) وإنما بطرس بسبب إعترافه صار أول «حجر» أقيم على هذه الصخرة.. والرسل الآخرون كانوا مع بطرس فى إيمانه واعترافه ضمنا فكانوا ضمنا معه حجارة مبنية على الصخرة - «صخر الدهور» (٣) - «مبنيين كحجارة حية بيتا روحيا لكهنوت مقدس لتقديم ذبائح روحية مقبولة لدى الله بيسوع المسيح» (٤) وكان كل منهم حجرا.. وكان كل منهم «بطرس آخر» له الطوبى التى نالها القديس بطرس.. وله نفس المفاتيح التى نالها القديس بطرس بإيمانه وإعترافه المماثل لإيمان سائر التلاميذ وإعترافهم: «وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يربط فى السماوات. وكل ما تحله على الأرض يحل فى السماوات» (٥) حتى أن المسيح له المجد أعاد الكلام عن هذا السلطان مرة أخرى، ولكن فى صيغة الجمع، موجها الكلام فى هذه المرة للتلاميذ والرسل جميعا «الحق أقول لكم أن كل ما تربطونه على الأرض يربط فى السماوات، وكل ما تحلونه على الأرض يحل فى السماوات» (٦).

يقول العلامة أوريجينوس (١٨٥ - ٢٥٤)م: «إذا قلنا نحن أيضا ما قاله بطرس «أنت هو المسيح ابن الله الحى» .. نصير نحن بطرس. ومن ثم يقال لنا من قبل الكلمة (المسيح): (أنت بطرس) .. وسائر القول..

«لكن إذا ظننت أنه على بطرس وحده يبنى الله الكنيسة، فماذا نقول عن يوحنا «ابن الرعد» أو عن كل واحد من الرسل؟ ثم هل تجرؤ على القول أنه على بطرس «أبواب الجحيم لن تقوى» وأنها تقوى على سائر الرسل والكاملين من الناس؟ أليس قوله «وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» وكذلك قوله الآخر «على هذه الصخرة أبنى كنيستى» هو قول للجميع ولكل واحد منهم؟ ثم هل مفاتيح ملكوت السماوات أعطاها الرب لبطرس وحده، وهلا أخذها أحد آخر من المطوبين؟ أما

---

(١) (٢ . صموئيل ٢٢ : ٣٢)، (مزمور ١٧(١٨) : ٣١)، (١ . صموئيل ٢ : ٢).
(٢) الرسالة الأولى إلى كورنثوس ١٠ : ٤.
(٣) إشعياء ٢٦ : ٤.
(٤) رسالة القديس بطرس الأولى ٢ : ٥.
(٥) متى ١٦ : ١٩.
(٦) متى ١٨ : ١٨.

إذا كان قوله «أعطيك مفاتيح ملكوت السماوات» من نصيب الآخرين أيضا، فكيف لا تكون كذلك الأقوال الأخرى التى قيلت قبل ذلك والتى قيلت بعد ذلك كأنها موجهة لبطرس» (١) ومعنى كلام أوريجينوس إن ما قاله السيد المسيح لبطرس إنما قاله إلى جميع الرسل فى شخص بطرس.

ويقول القديس أوغسطينوس (٣٥٤ - ٤٣٠م):

«فالصخرة كانت المسيح، وعلى أساسها قد بنى بطرس نفسه (لأنه لا يستطيع أحد أن يضع أساسا آخر غير الذى وضع، الذى هو يسوع المسيح) (٢)، (٣).

ويقول القديس أوغسطينوس أيضا «إنى أعلم أننى قد شرحت مرارا كثيرة ما قاله الرب أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة سأبنى كنيستى، إنها يجب أن تفهم على هذا النحو أنه عليه هو (أى المسيح) الذى اعترف به بطرس (أنت هو المسيح ابن الله الحى). وعلى ذلك فإن بطرس بالاسم الذى سمى به يمثل شخص الكنيسة التى بنيت على هذه الصخرة والذى أخذ مفاتيح ملكوت السماوات. لأنه ما قيل له أنت الصخرة PETRA بل بطرس PETRUS. أما الصخرة فهى المسيح الذى اعترف به بطرس والذى تعترف به الكنيسة كلها (٤).

إذن المسيح والإيمان بلاهوت المسيح والإعتراف بأن يسوع المسيح ابن الله الحى، هو الصخرة التى بنى المسيح كنيسته عليها.

فالكنيسة المسيحية إذن، قيامها هو بإيمانها بالمسيح إنه ابن الله الحى... «**طالما أن الإيمان بلاهوت المسيح قائم فالكنيسة قائمة.. فإذا زال الإيمان بلاهوت المسيح زالت الكنيسة..**

لكن الإيمان بأن المسيح ابن الله الحى لن يزول لأنه حقيقة أزلية أبدية.. فالكنيسة إذن ستظل باقية ببقاء هذه الحقيقة فيها، وهى الصخرة التى يقوم عليها بنيانها وهذا هو وعد المسيح لها «**وأبواب الجحيم لن تقوى عليها**»... وعد لن يسقط أبدا.. لأن المسيح

---

(١) أوريجينوس: تفسيره لإنجيل متى، الجزء ١٢: ٩، ١٠، ١١.

(٢) ١. كورنثوس ٣: ١١.

(٣) AUGUSTINUS, Tract, 124 in Joann. n. 5.

(٤) العظة رقم ٢٩٥ فى Nat. Apost. Petr. et Pauli, n. 1 - 4.

ضامنه.. إن الكنيسة لن تضل أبدا.. **لن يزول منها الإيمان بلاهوت المسيح.. لا حاضرا.. ولا مستقبلا**.. لن يتزعزع يقينها فى إعترافها بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحى... قد يظهر هراطقة من حين إلى آخر يشككون فى هذه القضية الإيمانية وهذه الحقيقة الأزلية الأبدية.. وقد ظهر فعلا هراطقة فى التاريخ المسيحى وأهاجوا بفعل الشيطان عاصفة على سفينة المسيح.. وضربت العاصفة على جوانب الكنيسة وكانت العاصفة شديدة حتى لكادت السفينة أن تغرق.. ولكنها لم تغرق.. ولن تغرق.. فقد أرسل حاميها وضامنها فى الوقت المناسب القديس أثناسيوس رسولا أمسك بدفتها.. وبمعونة علوية ومسحة سماوية قاد السفينة بأمانة وحكمة.. فنجت الكنيسة ولم تغرق.. وتبددت العواصف.. وهدأت الأمواج.. وسارت السفينة فى طريقها بأمان.. وخرجت من العاصفة أكثر قوة وأوفر كرامة..

وقامت وتقوم عواصف مثل تلك الأولى.. ولكن المسيح حاميها وضامنها لن يسمح أبدا للكنيسة أن تزول.. فسيبقى فيها دائما الإيمان بلاهوت المسيح.. إلى يوم مجئ المسيح الثانى.. وإلى أن تدخل الكنيسة يوم الراحة الأبدية فى ملكوت الله..

* * *

هذه إذن هى أهمية القضية اللاهوتية التى نكتب فيها هذا الكتاب.. ولسنا أول من كتب فيها.. ولن نكون آخر من يكتب فيها.. لأنها قضية الحق الأزلى.. الحق الذى أشرق من العلى بمجئ المسيح إلى العالم.. جاء لا ليزول بل ليبقى إلى الأبد.. ولابد أن يجد مقاومة من الشيطان وجنوده.. ولكنه سيظل هو حق الله.. وسيبقى قائما ما بقيت الحياة وما بقى الخلود.. لأنه حق.. والحق لا يعلى عليه.

هذه هى أهمية الحقيقة الأزلية الأبدية أن «يسوع هو المسيح ابن الله الحى».. الحقيقة المسيحية رقم ١.. والتى بها نكون مسيحيين وبغيرها لا ولن نكون مسيحيين.

ثلاث قضايا هامة أولية

بعد أن شرحنا أهمية الكلام عن لاهوت المسيح، نرى أن نثبت هنا ثلاث قضايا هامة أولية قبل أن نمضى فى البرهنة على ألوهة مخلصنا وفادينا يسوع المسيح.

القضية الأولى - عقيدة المسيحيين فى المسيح.

قلنا فى مقدمة الكتاب أن المسيح عندنا نحن المسيحيين ليس مجرد نبى، ولا رئيسا للأنبياء.. إنه أسمى من الأنبياء جميعا.. **إنه بالأحرى «الكلمة» الذى تكلم على أفواه جميع الأنبياء القديسين.. إنه معلمهم ومربيهم وملهمهم..**

وقلنا أيضا أن المسيح عندنا نحن المسيحيين ليس عبد الله ورسوله.. **إنه الرب الذى لبس صورة العبد..**

إنه الكائن الذى كان والدائم إلى الأبد (١) .. وفى الزمان جاء إلى العالم، محتجبا فى إنسانية من طبيعة إنسانيتنا.. فهو الرسول.. وهو المرسل.. وهو الرسالة. هو لنا كل شئ.

كان فى السماء (٢) .. ونزل (٣) إلينا على الأرض.. وحل بيننا (٤)، ومعنا (٥) وفينا.. ولم يُخلِ السماء من وجوده..

وبعد أن تمم الفداء والخلاص صعد بناسوته إلى السماء ولم يُخلِ الأرض من وجوده.. «ولم يصعد أحد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء، ابن الإنسان الكائن فى السماء» (٦) ففى الوقت الذى كان على الأرض، كان فى نفس الوقت، فى السماء.

هو «**الكلمة**». وكان الكلمة الله (٧) .. وفيه كلمنا الله (٨) ..

هو الكلمة.. أى **هو اللوغوس.. هو العقل الإلهى.. والعقل الأول** ومن بعده كل العقول.. فهو خالقها جميعا.. هو العقل الكائن فى الذات الإلهية منذ الأزل، ولم تمر لحظة من

---

(١) من القداس الغريغورى - عن سفر الرؤيا ١ : ٨.
(٢) يوحنا ١ : ١، ٢.
(٣) يوحنا ٦ : ٣٨، ٤١، ٤٢.
(٤) (يوحنا ١ : ١٤).
(٥) متى ١ : ٢٣.
(٦) (يوحنا ٣ : ١٣).
(٧) يوحنا ١ : ١.
(٨) العبرانيين ١ : ٢.

الزمان كانت الذات الإلهية ولم يكن العقل فى الذات، وإلا فكيف يكون هو الله من غير أن يكون له عقل أو فيه عقل.. وليس العقل فى الله جزءا من الله، لأن الله لا يتجزأ.. إنه كله عقل.. ولا مادة فيه.. إنه **العقل الأول**.. والمطلق.. وهو **العاقل** لذاته وللوجود.. **والمعقول** من ذاته أيضا..

هو الله الكلمة.. **والكلمة الفاعلة**.. لأنه هو **الخالق** (١)..

كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان.. كان فى العالم، والعالم به كان، (٢).

فهو **العقل**.. وهو **الفعل**

هو الله الكلمة.. لأنه تجسد (٣) أو اتخذ جسدا.. والعقل يتجسد فى الكلمة.. والكلمة هى العقل متجسدا..

هو النور الحقيقى (٤) **الأزلى** وقد صار محتجبا فى الناسوت.. لكن من دون أن يبطل الناسوت وجود اللاهوت، وعمل اللاهوت.. إنه بإرادته شاء أن يحتجب فى الناسوت ويستتر فيه، حتى يستطيع الإنسان أن يراه ويعيش فقد قال الله فى القديم «لأنه لا يرانى إنسان ويعيش» (٥).

وقال الوحى أيضا «فإن إلهنا نار آكله» (٦)، وقال الوحى أيضا «له وحده الخلود، ساكنا فى نور لا يدنى منه، وهو الذى لم يره إنسان، ولا يقدر أن يراه» (٧).

يقترب الله من الإنسان، وتنشأ بينه وبينه علاقة قرب فحب، شاء أن يتخذ جسدا من طبيعة جسدنا، يحتجب فيه حتى لا يحترق الناس بنار لاهوته.

وهو ابن الله الوحيد (٨) **.. الابن بالطبيعة والجوهر.. لأنه من طبيعة الآب ومن جوهره.. وهو واحد معه فى الجوهر** (٩).

---

(١) (كولوسى ١: ١٦)، (العبرانيين ١: ٢).
(٢) يوحنا ١: ٣، ١٠.
(٣) يوحنا ١: ١٤.
(٤) يوحنا ١: ٩.
(٥) الخروج ٣٣: ٢٠.
(٦) العبرانيين ١٢: ٢٩.
(٧) الرسالة الأول إلى تيموثيوس ٦: ١٦.
(٨) (يوحنا ١: ١٤، ١٨)، (رسالة القديس يوحنا الأولى ٤: ٩).
(٩) يوحنا ١٠: ٣٠.

وهو ابن الله لأننا فيه قد رأينا الله غير المنظور (١) .. «الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه» (٧).

فقد قال المسيح أيضا «من رآنى فقد رأى الآب» (٢).

وهو الله الظاهر فى الجسد (٣) .. هو الله ذاته لابسا صورة إنسان.. الله نفسه مختفيا فى شكل إنسان.. هو الله وقد صار له بالتجسد كيان جسدى معروف وملموس فى المكان من دون أن يحده مكان.. فقد كان على الأرض وفى السماء فى وقت واحد «ولم يصعد أحد إلى السماء، إلا الذى نزل من السماء، ابن الإنسان الكائن فى السماء» (٢٩).

أى أنه حين نزل من السماء وإتخذ له جسدا وصار بين الناس ابن إنسان، كان بلاهوته يملأ السماوات، وحين صعد إلى السماء بعد الصليب والقيامة كان ولا يزال يملأ الأرض والسماوات بلاهوته.

المسيح إذن هو الله «وفيه يحل كل كمال اللاهوت جسديا» (٤).

القضية الثانية - إن إيمان مسيحي اليوم فى المسيح هو بعينه إيمان المسيحيين الأوائل.

إن إيماننا بلاهوت المسيح لم يتطور ولم يتغير.

ليست عقيدتنا اليوم فى المسيح هى فلسفة المحدثين منا. فنحن لا نقول اليوم شيئا جديدا لم يقل به الرسل الأطهار، وآباء الكنيسة الأوائل.

إن إيماننا هو بعينه الإيمان الرسولى الذى علم به الرسل ودافعوا عنه ونشروه بين الناس فى كل البلاد، وماتوا فى سبيله شهداء، ورووا بدمائهم شجرة الإيمان، وأسسوا عليه الكنيسة الجامعة الرسولية.

---

(١) يوحنا (١: ١٨)، (كولوسى ١: ١٥).

(٢) يوحنا ١٤: ٩.

(٣) الرسالة الأولى إلى تيموثيوس ٣: ١٦.

(٤) كولوسى ٢: ٩.

نقول هذا ردا على كل من زعموا ويزعمون بهتانا، أن عقيدتنا فى المسيح قد تطورت. إن فى إمكاننا أن نورد ما لا حصر له من النصوص الواردة فى الكتب المقدسة، وفى كتب الآباء الرسوليين وجميع آباء الكنيسة منذ أقدم الأزمنة، إيضاحا وتبيانا لهذه الحقيقة، إن إيماننا اليوم فى المسيح هو الإيمان الذى كرز به الأقدمون، وبشروا به، وماتوا فى سبيل الذود عنه. ولسوف يجئ ذلك فى حينه.

أما الذين قالوا ويقولون بغير ما علم آباؤنا الأوائل، وبغير ما نعلم به اليوم، فهم الهراطقة الذين خرجوا على إيمان الكنيسة المسيحية وتعليمها من أمثال الأريوسيين فى القديم، وشهود يهوه فى الأزمنة الحديثة. ولكن هؤلاء خوارج لا يمثلون الإيمان الأرثوذكسى فى المسيح: «منا خرجوا ولكنهم لم يكونوا منا، لأنهم لو كانوا منا لظلوا معنا، ولكن ليتبين أنهم كلهم ليسوا منا» (١).

القضية الثالثة: إن جميع المسيحيين اليوم وما قبل اليوم مجمعون على حقيقة لاهوت المسيح.

ليس هناك خلاف بين المسيحيين فى هذه القضية. إن المسيحيين جميعا على إتفاق فى لاهوت المسيح. **كلهم يؤمنون بألوهته، وأنه ابن الله الحى، وأنه الله الظاهر فى الجسد، وأنه الإله المتأنس.** الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت، جميعهم يُعلّمون بهذا التعليم فى كتبهم وعلى منابرهم، ويعلمون به أولادهم.

أما شهود يهوه فهم غير مسيحيين. وعلى هذا يجمع الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت. إن مذهب شهود يهوه مذهب يهودى متطرف، وصهيونى أيضا، يبرأ منه جميع المسيحيين ويعتبرونه هرطقة، وأضلولة، وكفرا.

نقول هذا ردا على بعض المؤلفين الذين نشروا فى السنوات الأخيرة كتبا زعموا فيها بأن المسيحيين على إختلاف فى شخص المسيح. وليس هذا الزعم صحيحا.

هناك إختلاف لا ينكر فى بعض المسائل الفرعية، لكن ليس هناك إختلاف بين المسيحيين فى عقائد المسيحية العظمى. فجميع المسيحيين من الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت يؤمنون

---

(١) رسالة القديس يوحنا الأولى ٢ : ١٩.

بالله الواحد المثلث الأقانيم، وبلاهوت المسيح، وبسر التجسد، وبسر الفداء، وبالخلود والقيامة وبالحساب وبالثواب والعقاب.

هناك إختلاف فى التعبير عن الإتحاد القائم بين لاهوت المسيح وناسوته أى إنسانيته. فالكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة ومنها كنيستنا، كنيسة الأسكندرية، تقول : إن الاتحاد بين لاهوت المسيح وناسوته اتحاد تام لكن بغير اختلاط وبغير امتزاج وبغير تغيير، وأن اللاهوت والناسوت قد صارا باتحادهما طبيعة واحدة هى طبيعة الإله المتأنس، لها صفات الطبيعتين. فالمسيح ذو طبيعة واحدة من طبيعتين. والكنائس الخلقيدونية الشرقية والغربية تقول أيضا بأن الاتحاد بين لاهوت المسيح وناسوته اتحاد تام، لكنها تخشى القول بأن المسيح ذو طبيعة واحدة خوفا من أن ينطوى هذا التعبير على امتصاص اللاهوت للناسوت وضياع الناسوت فى اللاهوت كما زعم يوطيخا، فتقول: «أن المسيح شخص واحد فى طبيعتين متحدتين إلهية وإنسانية». ومن هذا يتبين أن **هذا الخلاف بين الفريقين ليس خلافا على شخص المسيح، وليس خلافا على أنه الإله المتأنس والمتجسد، وليس خلافا على الاتحاد التام بين لاهوته وناسوته، وإنما كل الخلاف هو فى «الصيغة» وفى «التعبير» الذى يعبر بدقة تامة عن هذا الاتحاد التام بين اللاهوت والناسوت.**

وإذن فالخلاف القائم هو خلاف على التعبير الأكثر سلامة والأكثر دقة الذى يصف كيفية الاتحاد بين اللاهوت والناسوت فى المسيح الواحد. أما أن المسيح هو الإله المتأنس، فلا خلاف بين المسيحيين فيه.

أولا : يسوع المسيح ينسب إلى ذاته الألوهة

إن التعليم بلاهوت المسيح لم يخترعه المسيحيون ولا ابتكروه من عندياتهم، ولكنهم أخذوه أول ما أخذوه عن المسيح رأسا، ثم عن تلاميذه ورسله من بعده ممن أخذوا عنه وتتلمذوا عليه وكانوا امتدادا له فى تعليمه.

لقد علم المسيح بألوهته على الرغم من أنه أخفى لاهوته عن الشيطان وعملائه من اليهود.

ففى أكثر من موضع يوصى تلاميذه ويأمرهم بأن لا يظهروه على حقيقته اللاهوتية للناس إلا بعد أن يقوم من بين الأموات حتى لا يتعطل عمل الفداء.

من ذلك أنه بعد أن تجلى على الجبل بمجد لاهوته أمام تلاميذه «وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلا: «لا تخبروا أحدا بما رأيتم حتى يقوم ابن الانسان من بين الأموات» (١). ويقول الإنجيل «فلزموا الصمت، ولم يخبروا أحدا فى تلك الأيام بشئ مما رأوا» (٢).

بل إنه بعد أن سأل تلاميذه: «وأنتم من تقولون إنى هو» وأجابه تلميذه الأكبر سنا سمعان بطرس بلسان جميع التلاميذ وقال: «أنت هو المسيح ابن الله الحى» يقول الإنجيل فى نهاية الحوار «ثم أوصى تلاميذه ألا يقولوا لأحد أنه هو يسوع المسيح» (٣) بل «فنهاهم بشدة عن أن يقولوا لأحد عنه» (٤).

هذا إلى أنه كان يزجر بعض الشياطين وينتهرهم إذا صرخوا وأعلنوا أنه ابن الله (٥)، أو أنه قدوس الله (٦)، على الرغم من أنه مدح إيمان تلاميذه واعتراف القديس بطرس (٧) وإعتراف من سبقه إلى ذلك من أمثال يوحنا المعمدان (٨)، ونثنائيل (٩) وهو برثولماوس الرسول

---

(١) (متى ١٧ : ٩)، (مرقس ٩، ٩).
(٢) (لوقا ٩ : ٣٦).
(٣) (متى ١٧ : ٢٠).
(٤) (مرقس ٨ : ٣٠)، (لوقا ٩ : ٢١).
(٥) (مرقس ٣ : ١١)، (٥ : ٧)، (متى ٨ : ٢٩)، (لوقا ٤ : ٤١)، (٨ : ٢٨).
(٦) (مرقس ١ : ٢٤)، (لوقا ٤ : ٣٤).
(٧) (متى ١٦ : ١٦)، (يوحنا ٦ : ٦٩).
(٨) قال يوحنا المعمدان «وأنا قد عاينت وأشهد أن هذا هو ابن الله» (يوحنا ١ : ٣٤)، (يوحنا ٣ : ٣٥، ٣٦).
(٩) (يوحنا ١ : ٤٩).

وآخرين (١)، وعلى الرغم من أنه أعلنه صراحة للمولود الأعمى الذى شفاه (٢)، وأعلنه لرئيس الكهنة عندما استحلفه أثناء المحاكمة أمام مجمع السنهدريم وقال له: «استحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟» فقال له يسوع «نعم أنا هو كقولك» (٣) بل سبق الملاك جبرائيل وأعلنه للعذراء مريم «القدوس الذى سيولد منك يدعى ابن الله» (٤).

من ذلك عندما طرد الرب يسوع الروح النجس من الرجل المصروع، وصرخ الروح النجس قائلا: «ما شأنك بنا يا يسوع الناصرى؟ أجئت لتهلكنا أننا نعرف من أنت، أنت قدوس الله»، فانتهره يسوع قائلا: «أخرس وأخرج منه» (٥).

ويروى الإنجيل أنه «طرد كثيرا من الشياطين، ولم يسمح للشياطين بالكلام، إذ عرفوه أنه هو المسيح» (٦).

كما يقول الإنجيل أيضا «أما الأرواح النجسة فكانت حين تراه تخر ساجدة له وتصرخ قائلة: «أنك أنت هو ابن الله، فكان ينتهرها بشدة كى لا تكشف عن حقيقة شخصيته» (٧).

وكان لابد للرب يسوع أن يخفى لاهوته عن الشيطان وعملائه من الناس الأشرار حتى لا يفشل تدبير الفداء للإنسان، إذ لو كشف الرب يسوع لاهوته كاملا كيف كان يمكن للشيطان الذى يريد هلاك الناس، لا خلاصهم، أن يساعد على خلاص الناس بتحقيق صلب المسيح وموته؟.. يقينا لو عرف الشيطان ذلك لما هيج قادة اليهود ليطلبوا صلب المسيح، ولكان على العكس سعى لتعطيل الصلب، وهذا ما يقوله الوحى عن الشيطان وعملائه: «بل نتكلم بحكمة الله فى سر، بالحكمة المكتومة التى سبق الله فقضى بها قبل الدهور لمجدنا، التى لم يعلَمها أحد من رؤساء هذا الدهر لأنهم لو علِموها لما صلبوا رب المجد» (٨).

---

(١) (متى١٤: ٣٣)، (يوحنا ١١: ٢٧)، (أعمال الرسل ٨: ٣٧)، (٩: ٢٠)، (رومية ١: ٤)، (١. يوحنا ٤: ١٥)، (٥: ٥، ١٣).

(٢) (يوحنا ٩: ٣٥ – ٣٨).

(٣) (متى ٢٦: ٦٣، ٦٤)، (مرقس ١٤: ٦١، ٦٢)، (لوقا ٢٢: ٧٠).

(٤) (لوقا ١: ٣٥)، (١: ٣٢).

(٥) (مرقس ١: ٢٤، ٢٥)، (لوقا ٤: ٣٤، ٣٥).

(٦) (مرقس ١: ٣٤).

(٧) (مرقس ٣: ١١، ١٢).

(٨) الرسالة الأولى إلى كورنثوس (٢: ٧، ٨) انظر (متى ١١: ٢٥)، (لوقا ٢٣: ٣٤)، (يوحنا ١٦: ٣)، (أعمال الرسل ٣: ١٧)، الرسالة الثانية إلى كورنثوس (٣: ١٤، ١٥).

ذاك هو السبب الأول لإخفاء الرب يسوع لاهوته عن الشيطان وعملائه، أعنى لتحقيق تدبير الفداء.

أما السبب الثانى لهذا الإخفاء فهو تحقيق تدبير التجسد، لأنه لو نزل الله بكمال لاهوته على الأرض فمن كان يقوى على إحتمال نوره؟ ومن كان من البشر يمكنه أن يعيش؟

لقد قال الرب لموسى: «لأنه لا يرانى إنسان ويعيش (١)»، وقال الرسول بولس إن الله «لم يره إنسان، ولا يقدر أن يراه (٢)»، فلكى يجعل الله ذاته منظورا كان لابد أن يحجب لاهوته فى جسد يتخذه سترا له وحجابا يخفى به لاهوته حتى لا يحترقوا به ويموتوا «فإن إلهنا نار آكلة (٣)».

ومع ذلك، وعلى الرغم من هذه الحقيقة الواضحة فى الكتاب المقدس، والتى علم بها آباء الكنيسة (٤) فإن الرب يسوع، أعلن لنا لاهوته وكشف عنه من وقت إلى آخر بلمحات وومضات واضحة أحيانا، ومغلفة أحيانا أخرى، لكنها كانت فى مجموعها كافية لأن تجعل حقيقة لاهوته حقيقة مؤكدة بتعليمه هو له المجد. ولسوف نرى بيان ذلك بشئ من التفصيل بالدليل تلو الدليل، والبرهان فى أثر البرهان.

إن الرب يسوع إذن هو الذى نسب إلى ذاته الألوهة قبل أن ينسبها إليه تلاميذه ورسله من بعده.

فإذا لم يكن الرب يسوع صادقا فيما نسبه إلى ذاته، كان مجدفا على الله الواحد، لأنه نسب إلى ذاته ما لا ينسب إلا إلى الله وحده!

ولكن معاذ الله أن ننسب إلى المسيح أنه لم يكن صادقا فى تعليمه، وحاشا لنا أن نقبل أنه كان يدعى الألوهة لذاته من غير حق، وأنه - وهو المخلص - كان مضلا ومدعيا، وأنه جاء ليصرف الناس عن عبادة الله الواحد إلى شخصه هو، الأمر الذى يأبى أن يرتضيه لنفسه أى تقى يخاف الله.

---

(١) خروج ٣٣: ٢٠. (٢) ١. تيموثيلوس ٦: ١٦. (٣) عبرانيين ١٢: ٢٩.

(٤) انظر كتاب «الشفا فى كشف ما استتر من لاهوت سيدنا المسيح واختفى». تأليف أبو شاكر بن الراهب أبو الكرم بطرس بن المهذب شماس كنيسة المعلقة.

إن أحد قادة اليهود وواحدا من كبار علمائهم جاء إلى السيد المسيح يناقشه ولم يستطع أن ينكر إيمانه الكامل بصدقه المطلق: «قال له يا معلم، نحن نعلم أنك جئت من الله معلما، لأنه ما من أحد يقدر أن يصنع هذه المعجزات التى تصنع أنت، ما لم يكن الله معه» (١).

واعترف الفريسيون بل والهيرودوسيون بذلك ولم ينكروا على المسيح صدقه فى تعليمه على الرغم من حقدهم عليه. وأرسلوا إليه تلاميذهم قائلين: «يا معلم، نحن نعلم أنك صادق وتُعلّم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد لأنك لا تحابى وجه إنسان» (٢).

لذلك فإن المسيح يسوع إذا نسب إلى ذاته الألوهة، فهذا تعليم حق، وتعليم السماء، لأنه لم يطلب بهذا التعليم مجد ذاته.

ولقد قال الرب يسوع: «إنى لهذا ولدت ولهذا أتيت إلى العالم لأشهد للحق» (٣) وقال: «إنى وإن كنت أشهد لنفسى لكن شهادتى حق» (٤) وقال أيضا: «أنا أشهد لنفسى، وأبى الذى أرسلنى يشهد لى أيضا» (٥) ويصفه الوحى الإلهى فى سفر الرؤيا بأنه «الأمين، الشاهد الأمين الصادق، رأس خليقة الله» (٦) كما يصفه بأنه «القدوس الحق» (٧).

---

(١) (يوحنا ٣: ٢).
(٢) (متى ٢٢: ١٦)، (مرقس ١٢: ١٤)، (لوقا ٢٠: ٢٠).
(٣) (يوحنا ١٨: ٣٧).
(٤) (يوحنا ٨: ١٤).
(٥) (يوحنا ٨: ١٨).
(٦) (الرؤيا ٣: ١٤)، (١: ٥)، (١٩: ١١)، (٢٢: ٦)، (الرسالة الأولى إلى تيموثيوس ٦: ١٣).
(٧) (الرؤيا ٣: ٧)، (٦: ١٠).

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته الأزلية

من هو الأزلى الذى لا بداية له إلا الله وحده؟

يقول النبى فى المزمور: «منذ الأزل إلى الأبد أنت الله» (١). «عرشك ثابت منذ البدء، وأنت هو منذ الأزل» (٢).

ويقول حبقوق النبى: «ألست أنت منذ الأزل، أيها الرب إلهى» (٣)، ويقول أيضا «لله... مسالك الأزل له» (٤).

ويقول إشعياء النبى: «أنت يارب أبونا وفادينا منذ الأبد اسمك» (٥)، والأبد هنا هو الأزل، والأزل ما ليس له بداية.

على أن السيد المسيح نسب إلى ذاته الأزلية.

من ذلك:

١ ـ قوله لليهود :

«ابراهيم أبوكم كان يتهلل مشتهيا أن يرى يومى فرأى وفرح».

قال له اليهود: «أرأيت ابراهيم وما بلغت الخمسين سنة بعد؟». قال لهم يسوع: «الحق الحق أقول لكم **قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن**» (٦).

والذى يعنينا هنا هو قول الرب يسوع «الحق الحق أقول لكم **قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن**».

---

(١) (مزمور ٨٩ (٩٠): ٢).
(٢) (مزمور ٩٢ (٩٣): ٢).
(٣) (حبقوق ١: ١٢).
(٤) (حبقوق ٣: ٦).
(٥) (إشعياء ٦٣: ١٦).
(٦) (يوحنا ٨: ٥٦ – ٥٨).

إذن المسيح كائن قبل أن يوجد ابراهيم. فهو إذن أسبَق عليه فى الزمان على الرغم من أن ابراهيم سبق تجسد الكلمة بآلاف السنين، الأمر الذى دهش له اليهود وقالوا له معترضين: «أرأيت ابراهيم وما بلغت الخمسين سنة بعد؟».

على أن الأعجب من ذلك هو توكيد الرب يسوع باصرار : الحق الحق أقول لكم: «قبل أن يكون ابراهيم **أنا كائن**» وكلمة «كائن» هنا لها رنين **الكينونة الدائمة**، الذى لا يتصف به غير الله وحده. ففعل الكينونة هنا فى جميع اللغات أى بالعبرانية واليونانية والقبطية وغيرها معناه «**أنا الموجود دائما**»، فى الماضى والحاضر والمستقبل... أنا الكائن فى الحاضر، والكائن فى الماضى منذ الأزل، والكائن دائما فى المستقبل إلى الأبد.. **أنا الكائن دائما منذ الأزل وإلى الأبد**.. أنا الأزلى الأبدى.. أنا السرمد.. والسرمدى.. **أنا الدائم**..

وهذا هو التعبير المستعمل فى سفر الرؤيا كثيرا «**النعمة لكم والسلام من لدن الكائن والذى كان والذى سيأتى**» (١).

«أنا هو الألف والياء البداءة والنهاية يقول الرب الإله **الكائن والذى كان والذى سيأتى**، القادر على كل شئ» (٢).

«ولكل من الحيوانات الأربعة ستة أجنحة... ولا تزال ليلا ونهارا تقول: «قدوس قدوس قدوس، الرب الإله القادر على كل شئ، **الذى كائن والكائن والذى سيأتى**» (٣).

«فخر الأربعة والعشرون شيخا الجالسون أمام الله على عروشهم وسجدوا على وجوههم لله قائلين: «نشكرك أيها الرب الإله القادر على كل شئ، **الكائن والذى كان والذى سيأتى**» (٤).

«وسمعت ملاك المياه يقول: «عادل أنت أيها الرب **الكائن الذى كان والذى يكون**» (٥) (الذى يكون دائما إلى الأبد) أى كما يقول المزمور «**من الأزل إلى الأبد أنت الله**» (٦).

ويقول سفر الحكمة عن الذين لا يعرفون الله «هم حمقى من طبعهم لم يقدروا أن يعلموا **الكائن** من الخيرات المنظورة ولم يتأملوا المصنوعات حتى يعرفوا صانعها» (٧)، ولا شك أن المقصود بالكائن إنما هو الله.

---

(١) (الرؤيا ١ : ٤).
(٢) (الرؤيا ١ : ٨).
(٣) (الرؤيا ٤ : ٨).
(٤) (الرؤيا ١١ : ١٦، ١٧).
(٥) (الرؤيا ١٦ : ٥).
(٦) (مزمور ٨٩ (٩٠) : ٢)، (مزمور ١٣٤ (١٣٥) : ١٣).
(٧) (الحكمة ١٣ : ١).

وحرى بالذكر أن الإسم الذى أعطاه الرب لذاته حين سأله موسى عن إسمه ليبلغه إلى بنى إسرائيل تعريفا لهم بشخص مرسله هو **يهوه** ومعناه بالعبرانية: **الكائن دائما ـ أو الدائم:** فقال الله لموسى: أهيه الذى أهيه. وقال: «هكذا تقول لبنى إسرائيل: أهيه أرسلنى إليكم». وقال الله أيضا لموسى هكذا تقول لبنى اسرائيل: «**يهوه** إله آبائكم إله ابراهيم وإله اسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم.. هذا اسمى إلى الأبد» (١) والمعروف أن يهوه יהוה JEHOVAH-YHWH الإسم من الفعل (أهيا) أى (يكون) فى المضارع دائما، للدلالة على الوجود الدائم فى الماضى والحاضر والمستقبل، الوجود منذ الأزل إلى الأبد... ويقول الكتاب المقدس «**الحى الدائم** خلق جميع الأشياء عامة. الرب وحده» (٢) ... وهو الوجود الذى نسبه الرب يسوع إلى ذاته عندما قال «قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن» (٧٦).

يقول القديس أوغسطينوس فى شرحه لقول القديس يوحنا فى الأصحاح الثانى من رسالته الأولى، عدد ١٣ «أكتب إليكم أيها الآباء لأنكم عرفتم الذى من البدء».

«والرب يسوع قد قال: «**قبل ابراهيم أنا كائن**» إننا نقول قبل ابراهيم؟ السماء والأرض كونتا قبل الإنسان. والرب كائن قبلها وقبلها بزمن طويل. وبدون منازع يقول: «قبل ابراهيم أنا كائن... أما هو فلا يعرف سوى **الوجود (الدائم)** وليس لديه ماض ولا مستقبل. يومه، **واحد إنما أزلى**،.. وحيد هو ذلك اليوم لا ظلام فيه ولا ليل ولا قياس ولا ساعات ولا هنيهات. سمه ما شئت. إنه نهار إذا شئت.. إذ عنه قد قيل: «وسنوك لن تنتهى»، ومتى سمى هذا اليوم؟ حين قيل للرب: «اليوم ولدتك». **ولده الآب الأزلى ولادة أزلية فى الأزل أى لا بداية له ولا نهاية** حتى ولا هنيهة زمنية لأنه **هو الذى هو**، وهذا هو الاسم الذى أعطاه لموسى قائلا له: وأنت تقول لهم «**الكائن** أرسلنى إليكم» ما معنى قبل ابراهيم؟ وقبل نوح؟ وقبل آدم. اصغ إلى الكتاب «قبل الفجر ولدتك» أى قبل السماء والأرض. ولماذا؟ لأن **به كل شئ كون، وبدونه لم يكن شئ**» (٣).

---

(١) (الخروج ٣: ١٤، ١٥). انظر أيضا (الخروج ٦: ٣) ثم كلم الله موسى وقال له: «أنا يهوه» ثم مزمور ٦٧ (٦٨): ٤، (مزمور ٨٢ (٨٣): ١٨)، (إشعياء ٤٣: ١٣)، (هوشع ١٢: ٥).

(٢) (يشوع بن سيراخ ١٨: ١).

(٣) انظر «شرح رسالة القديس يوحنا الأولى» للقديس أوغسطينوس نقله إلى العربية الخورى يوحنا الحلو، بيروت.

٢ ـ ومن ذلك أيضا قوله فى مناجاته للآب:

«والآن مجدنى أنت يا أبت عندك **بالمجد الذى كان لى عندك قبل أن يكون العالم**» (١).

هنا لمحة ينسب فيها الرب يسوع إلى ذاته أنه كائن قبل إنشاء العالم، أى أن وجوده لم يبدأ من مريم، منذ ظهوره بالجسد، بل **إن وجوده كائن قبل خلق الكون، أى منذ الأزل.**

ثم أنه ينسب إلى ذاته **المجد الأزلى عند الآب** قبل الدهور، والذى أخلى ذاته منه عندما إتخذ صورة عبد وصار فى شبه البشر (٢).

٣ ـ ومن ذلك أيضا قوله فى مناجاته للآب:

«يا أبت إن الذين وهبتهم لى أريد أن يكونوا معى حيث أكون ليعاينوا مجدى الذى أعطيتنى **لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم**» (٣).

وهذه لمحة أخرى من لمحات الرب يسوع التى يلمح فيها إلى وجوده السابق لا على تجسده فقط، بل على الزمان وإنشاء الأكوان، بل يلمح أيضا إلى المحبة الأزلية الكائنة بين أقنومه وأقنوم الآب فى الأزل وقبل الزمان.

٤ ـ ومن ذلك قوله فى سفر الرؤيا:

«**أنا هو الألف والياء البداءة والنهاية** يقول الرب الإله الكائن والذى كان والذى سيأتى القادر على كل شئ» (٤).

والمتكلم الذى ينسب إلى ذاته أنه الألف والياء والبداءة والنهاية هو الرب يسوع، لأن مطلع الفصل الأول من سفر الرؤيا يبدأ بقوله: «كشف يسوع المسيح» (٥) ثم إنه بعد ذلك يهدى السلام من لدن «يسوع المسيح، الشاهد الأمين، والبكر من بين الأموات، ورئيس ملوك الأرض، الذى

---

(١) يوحنا ١٧ : ٥.

(٢) فيلبى ٢ : ٧.

(٣) يوحنا ١٧ : ٢٤.

(٤) الرؤيا ١ : ٨.

(٥) الرؤيا ١ : ١.

أحبنا، وقد غسلنا من خطايانا بدمه، وجعل منا مملكة من الكهنة لله أبيه، فله المجد والعزة إلى أبد الآباد، أمين. هوذا يأتى مع السحاب، وستنظره كل عين، وكذلك الذين طعنوه، وتنوح عليه جميع قبائل الأرض. نعم أمين. **أنا الألف والياء البداءة والنهاية..،** (١).

فالمتكلم والذى ينسب إلى ذاته الأزلية والأبدية، وأنه الألف والياء أى أنه الأول والآخر، وأنه بالتالى لم يكن قبله إله ولا يكون بعده إله إنما هو الرب يسوع المسيح نفسه، لأنه هو بكر من قام من بين الأموات (٢)، وهو الذى أحبنا (٣) وغسلنا من خطايانا بدمه (٤).. وهو الذى سيأتى فى مجيئه الثانى على السحاب (٥) وستنظره كل عين وتنوح عليه جميع قبائل الأرض (٦) كما سبق أن وصف ذلك وتحدث عنه مرارا فى الإنجيل.

فإذا تأملنا هذه الصفات التى ينسبها الرب يسوع إلى ذاته نجد أنها بعينها الصفات التى نسبها الله الآب إلى ذاته :

،أنا الرب. أنا الأول والآخر، (٧).

،إنى أنا هو، قبلى لم يصور إله. وبعدى لا يكون، (٨).

،أنا الأول وأنا الآخر، ولا إله غيرى، (٩).

، أنا هو. أنا الأول وأنا الآخر، (١٠).

---

(١) الرؤيا ١: ٥ – ٨.

(٢) (كولوسى ١: ١٨)، (أعمال الرسل ٢٦: ٢٣)، (كورنثوس الأولى ١٥: ٢٠، ٢٣).

(٣) (أفسس ٥: ٢، ٢٥)، (غلاطية ٢: ٢٠).

(٤) (أعمال ٢٢: ١٦)، (أفسس ٥: ٢٦)، (تيطس ٣: ٥).

(٥) (متى ٢٤: ٣٠)، (٢٦: ٦٤)، (مرقس ١٣: ٢٦)، (١٤: ٦٢)، (لوقا ٢١: ٢٧).

(٦) (متى ٢٤: ٣٠).

(٧) إشعياء ٤١: ٤.

(٨) إشعياء ٤٣: ١٠.

(٩) إشعياء ٤٤: ٦.

(١٠) إشعياء ٤٨: ١٢.

٥ ـ ومن ذلك قوله أيضا للقديس يوحنا الرائى. مرة ثانية، وهو يعرف ذاته لعبده وتلميذه يوحنا:

«أنا هو الألف والياء، الأول والآخر» (١).

وهذه هى رواية القديس يوحنا فى رؤياه يروى مقابلته للرب يسوع:

«أنا أخاكم يوحنا وشريككم فى الضيقة وفى الملكوت والثبات بيسوع المسيح كنت فى الجزيرة التى تدعى بطمس لأجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح. وصرت فى الروح فى يوم الرب، فسمعت خلفى صوتا عظيما كصوت بوق قائلا: **أنا هو الألف والياء الأول والآخر**، اكتب ما تراه فى سفر وابعث به إلى الكنائس السبع التى فى آسيا» (٢).

ولسوف يتضح بالأكثر أن هذا الصوت العظيم الذى سمعه القديس يوحنا خلفه كان صوت الرب يسوع ذاته. فهنا الرب يسوع مرة أخرى ينسب إلى ذاته ما لا ينسب إلا إلى الله وحده: إنه الألف والياء الأول والآخر، **أى أنه الأزلى الأبدى، الأزلى الذى لا بداية له الأبدى الذى لا نهاية له.. أى الدائم..** الكائن دائما والحاضر دائما، أو هو يهوه أى السرمدى أو السرمد.

٦ ـ ومرة أخرى وفى نفس الأصحاح الأول من سفر الرؤيا، وفى ذات الرؤيا التى رآها القديس يوحنا، رأى الرب يسوع بذاته يكلمه قائلا: «**لا تخف أنا هو الأول والآخر**».

يقول القديس يوحنا بعد أن روى خبر سماعه للصوت العظيم الذى سمعه من ورائه، وكان كصوت بوق، يقول:

«فالتفت لأنظر ما الصوت الذى كان يكلمنى، ولما التفت رأيت سبع منائر من ذهب. وفى وسط المنائر السبع شبه ابن انسان متسربلا بثوب إلى الرجلين ومتمنطقا عند ثدييه بمنطقة من ذهب. وأما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض، كالثلج، وعيناه كلهيب نار، ورجلاه كأنهما من نحاس خالص قد أحمى فى أتون، وصوته كصوت مياه كثيرة. وفى يده اليمنى سبعة كواكب، ومن فيه يخرج سيف ماض ذو حدين، ووجهه يضئ كالشمس عند اشتدادها. فلما رأيته

---

(١) الرؤيا ١: ١١.

(٢) الرؤيا ١: ٩ – ١١.

سقطت عند قدميه وصرت كالميت، فوضع يده اليمنى على قائلا: لا تخف، أنا هو الأول والآخر. والحى وقد كنت ميتا وهاءنذا حى إلى أبد الآباد، ولى مفاتيح الموت والجحيم، (١).

وواضح من رواية سفر الرؤيا، أن الذى ظهر للقديس يوحنا وقد سمع صوته أولا من خلفه وبعد ذلك التفت يوحنا ورآه، كان هو السيد المسيح بنفسه فى صورة الإله المتأنس، ولذلك قال إنه شبه ابن إنسان.. إذن هو المسيح فى ناسوته وقال شبه ابن إنسان، لأن يوحنا رآه فى بهاء عظيم وجلال أعظم من الجلال الذى رآه فيه على جبل التجلى (٢).. رآه منيرا ووجهه يضئ كالشمس عند اشتدادها، لذلك كان أبهى وأبرع جمالا من بنى البشر (٣) فقال عنه «أنه شبه ابن إنسان».

ثم أنه وصفه بأوصاف الناسوت جميعها كما رآه، فرأى له رجلين ورأسا وشعرا يغطى الرأس، ورأى له عينين، ويدين ووجها، وكلها أوصاف الجسد الذى اتخذه الكلمة الأقنوم الثانى وظهر به بين الناس... ثم يقول إن يوحنا عندما رآه خاف جدا من هيبته أكثر مما خافه على جبل التجلى، لأنه هنا يقول أنه من شدة الخوف سقط عند قدميه وصار كالميت. ويضيف إن صاحب الصوت العظيم المهوب وضع يده اليمنى على رأس يوحنا وقال له: «أنا هو الأول والآخر. والحى وقد كنت ميتا، وهاءنذا حى إلى أبد الآباد». إذن المتكلم هو الرب يسوع نفسه لأنه بيده اليمنى التى له فى الجسد - وقد وضعها على رأس يوحنا - طمأنه ثم عرفه بنفسه. وفى تعريفه بنفسه نسب إلى ذاته أنه الأول والآخر، وهو ما يتصف به الله وحده ولا أحد سواه، وأضاف بأنه الحى وقد كان ميتا، وهذا يشير إلى أنه ذاق الموت بالجسد فى الصليب، مما لا ينطبق إلا على الرب يسوع.

إن رواية القديس يوحنا فى رؤياه تدل فى تفصيلاتها دلالة قاطعة وحاسمة على أن من تكلم معه، هو الرب يسوع فى الناسوت، وأنه نسب إلى ذاته صفة الأزلية والأبدية، وهى الصفة التى ينفرد بها الله، ولا أحد سواه.

٧ - وفى الأصحاح التالى من سفر الرؤيا نص آخر نطق به الرب يسوع، ونسب فيه إلى ذاته الأزلية حيث يقول: «وأكتب إلى ملاك كنيسة أزمير هذا ما يقوله الأول والآخر الذى كان ميتا

---

(١) الرؤيا ١: ١٢ - ١٨.

(٢) (متى ١٧: ١، ٢)، (مرقس ٩: ١ - ٣)، (لوقا ٩: ٢٨ - ٣٢).

(٣) مزمور ٤٤ (٤٥): ٢.

وعاد إلى الحياة، (١) ومن هو الذى كان ميتا فعاد إلى الحياة إلا الرب يسوع (٢) الذى ذاق الموت على الصليب، ثم دفن وفى اليوم الثالث قام من بين الأموات، ناقضا أوجاع الموت؟ هذا الذى كان ميتا وعاد إلى الحياة بالقيامة من الموت، هو بعينه الذى يقول عن نفسه أنه الأول والآخر.. الأزلى الذى لا بداية له الأبدى الذى لا نهاية له.. فالمتكلم إذن هو الرب يسوع.. والرب يسوع إذن هو الأزلى الذى لا بداية له.

٨ ـ من ذلك أيضا قوله:

«**أنا هو الألف والياء، البداءة والنهاية**. أنا أعطى العطشان من ينبوع ماء الحياة مجانا» (٣). والمتكلم هو الرب يسوع، إذ يقول القديس يوحنا إن صاحب هذا القول هو «الجالس على العرش» (٤) ثم لأن الرب يسوع يصف ذاته دائما بأن لديه ينبوع الحياة الذى يروى العطاش. فهو الذى قال للمرأة السامرية: «وأما من يشرب من الماء الذى أنا أعطيه له فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذى أعطيه له يكون فيه ينبوع ماء ينبع إلى الحياة الأبدية» (٥).

وقال: «من يؤمن بى فلن يعطش إلى الأبد» (٦).

وقال : «من يعطش فليقبل إلى ويشرب. من يؤمن بى فكما قال الكتاب، تجرى من بطنه أنهار ماء الحياة» (٧).

أقول إن فى هذا النص كذلك من سفر الرؤيا، ينسب الرب يسوع الجالس على العرش فى السماء إلى نفسه أنه الألف والياء والبداءة والنهاية، أى أنه ينسب لذاته صفة الأزلية والأبدية التى لا تنسب لغير الله وحده.

---

(١) الرؤيا ٢ : ٨.
(٢) رومية ٦ : ٩.
(٣) الرؤيا ٢١ : ٦.
(٤) (الرؤيا ٢١ : ٥)، (٤ : ٢، ٩)، (٥ : ١)، (٢٠ : ١١).
(٥) يوحنا ٤ : ١٤.
(٦) يوحنا ٦ : ٣٥.
(٧) يوحنا ٧ : ٣٧، ٣٨.

٩ ـ ومن ذلك قوله أيضا:

«هاءنذا آت سريعا وجزائى معى لأجازى كل واحد على حسب أعماله. أنا الألف والياء. البداءة والنهاية الأول والآخر» (١) ولما كان الرب يسوع هو الذى وعد بالمجئ الثانى، وأنه سيجازى كل واحد على حسب أعماله، كما فى قوله «لأن ابن الإنسان سيأتى فى مجد أبيه مع ملائكته، عندئذ سيجازى كل إنسان على حسب أعماله» (٢).

فالرب يسوع إذن هو المتكلم بهذا النص القدسى، وهو القائل: «أنا الألف والياء، البداءة والنهاية، الأول والآخر»، مؤكدا فى كل مرة على أنه الأزلى الأبدى، وأنه ليس غيره إله، لأنه لا يتصف بالأزلية غير الله، ولا يجرؤ أحد غير الله أن يقول عن ذاته: «أنا الألف والياء، البداءة والنهاية، الأول والآخر».

---

(١) الرؤيا ٢٢: ١٢، ١٣.

(٢) (متى ١٦: ٢٧، ٢٨). انظر أيضا (متى ٢٤: ٣، ٣٠، ٣٧، ٣٩)، (متى ٢٥: ٣١، ٣٢)، (٢٦: ٦٤)، (مرقس ٨: ٣٨)، (١٣: ٢٦)، (١٤: ٦٢)، (لوقا ٢١: ٢٧)، (يوحنا ٥: ٢٢، ٢٧)، (١٤: ٣، ١٨، ٢٨)، (٢١: ٢٢)، (أعمال الرسل ١٠: ٤٢)، (١٧: ٣١)، (رومية ٢: ١٦)، (١٤: ١٠، ١٢)، (الرسالة الأولى إلى كورنثوس ١١: ٢٦)، (الرسالة الثانية إلى كورنثوس ٥: ١٠)، (الرسالة الأولى إلى تسالونيكى ٢: ١٩)، (٣: ١٣)، (الرسالة الثانية إلى تسالونيكى ١: ٧، ١٠)، (٢: ١، ٨)، (الرسالة الثانية إلى تيموثيئوس ٤: ١)، (رسالة يوحنا الأولى ٢: ٢٨)، (الرؤيا ١: ٧)، (٢: ٢٥)، (٣: ١١)، (٢٢: ٧، ٢٠).

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته الأبدية

وكما يتصف الله وحده بالأزلية، كذلك يتصف وحده بالأبدية. فالله وحده هو الأزلى لأنه البدء والبداءة والمبدئ لكل شئ، ولا بداية له، وهو وحده الأبدى لأنه لا نهاية له.

يقول الوحى «منذ **الأزل** إلى **الأبد** أنت الله» (١).

«مبارك الرب إله إسرائيل من **الأزل** إلى **الأبد**» (٢).

«هكذا قال العلى المرتفع ساكن **الأبد**، القدوس اسمه» (٣).

«أما الرب الإله فحق. هو إله حى وملك **أبدى**» (٤).

فإذا وصفت الحياة بالأبدية، فلأن الله هو الحياة.

وأما ما هو مخلوق فلا يوصف بأنه أبدى، لأن الأزلى هو وحده الأبدى.

نعم يوصف الإنسان بالخلود، وتوصف الملائكة بالخلود. لكن الخلود هو غير الأبدية. الخلود منحة الله للكائنات العاقلة، لأنها ما دامت مخلوقة فهى قابلة للفناء. والخلود إذن منحة ونعمة مفاضة عليها ليست من طبيعتها هى.

على أن السيد المسيح وصف نفسه لا بالخلود فقط بل **بالأبدية** التى لا يتصف بها غير الله وحده.

١ ـ قال يسوع المسيح لعبده ورسوله يوحنا «أنا هو **الألف والياء البداءة والنهاية**، يقول الرب الإله الكائن والذى كان **والذى سيأتى** القادر على كل شئ» (٥).

---

(١) مزمور ٨٩ (٩٠): ٢.

(٢) (مزمور ٤٠ (٤١): ١٣)، (١٠٥ (١٠٦): ٤٨)، (أخبار الأيام الأول ١٦: ٣٦)، (٢٩: ١٠)، (نحميا ٩: ٥)، (دانيال ٢: ٢٠).

(٣) إشعياء ٥٧: ١٥.

(٤) (إرميا ١٠: ١٠) انظر أيضا (التثنية ٣٣: ٢٧).

(٥) الرؤيا ١: ٨.

٢ ـ ويقول القديس يوحنا فى رؤياه أنه كان فى الروح فى يوم الرب، وسمع خلفه صوتا عظيما كصوت بوق قائلا: «أنا هو الألف والياء، الأول والآخر» (١). وكان هذا الصوت العظيم هو صوت الرب يسوع بعينه، لأن القديس يوحنا التفت لينظر الصوت العظيم الذى تكلم معه، ولما التفت رآه فى صورة ابن إنسان متسربلا بثوب إلى القدمين، ومتمنطقا عند ثدييه بمنطقة من ذهب. وأما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض، كالثلج، وعيناه كلهيب نار «ورجلاه شبه النحاس النقى.. وصوته كصوت مياه كثيرة، وفى يده اليمنى سبعة كواكب، ومن فيه يخرج سيف ماض ذو حدين، ووجه يضئ كالشمس عند إشتدادها» فلما رآه القديس يوحنا بهذا البهاء والجمال سقط عند قدميه وصار كالميت. أما الرب يسوع فأشفق عليه «فوضع يده اليمنى عليه قائلا له: «لا تخف أنا هو الأول والآخر، والحى وقد كنت ميتا وهاءنذا حى إلى أبد الآباد» (٢). ولقد شرحنا هذا النص من قبل وبينا أن المتكلم هو الرب يسوع بنفسه، لأن القديس يوحنا رآه فى الجسد، ووصف قامته وثوبه الأبيض ومنطقة الذهب عند ثدييه، كما وصف وجهه وبهاء النور الساطع منه بهاء نور الشمس وهى عند إشتدادها، ووصف كذلك شعره ورأسه وعينيه وفمه وقدميه ورجليه، وأنه عندما سقط يوحنا عند قدميه وضع يده اليمنى على رأسه، ثم طمأنه وعرفه بنفسه، وفى تعريفه بنفسه وصف الرب يسوع ذاته بأنه «**الأول والآخر، والحى إلى أبد الآباد**» أى أنه نسب إلى ذاته الأبدية التى لا يتصف بها غير الله وحده، **وأنه سيظل حيا إلى أبد الآباد**.

٣ ـ وقد ألح ربنا يسوع المسيح على نفس الحقيقة فى موضع آخر، فى قوله لعبده ورسوله القديس يوحنا «واكتب إلى ملاك كنيسة أزمير هذا ما يقوله: الأول والآخر، الذى كان ميتا وعاد إلى الحياة» (٣). وواضح أن الذى ينسب إلى ذاته الأبدية فى هذا النص، هو الرب يسوع لأنه هو الذى مات ثم عاد إلى الحياة بقيامته من بين الأموات.

٤ ـ وهو بذاته القائل «**أنا هو الألف والياء البداءة والنهاية**. أنا أعطى العطشان من ينبوع ماء الحياة مجانا» (٤) وكما قلنا سابقا نقول هنا أن الذى وعد كثيرا وفى مواضع متفرقة أن عنده ماء الحياة، الماء الحى، الذى ينبع إلى الحياة الأبدية هو الرب يسوع، وهو الذى يصف ذاته بأنه الأبدى الذى لا نهاية له.

---

(١) الرؤيا ١: ١٠، ١١.
(٢) الرؤيا ١: ١٢ – ١٨.
(٣) الرؤيا ٢: ٨.
(٤) الرؤيا ٢١: ٦.

٥ ـ ويكرر نفس المعنى، وذات الحقيقة، وهو فى مجال الوعد بمجيئه الثانى، والحساب بالثواب والعقاب الذى سيجرى أمام عرشه الأبيض، ومنبره، لأنه هو وحده الديان: «هاءنذا آت سريعا وجزائى معى، لأجازى كل واحد على حسب أعماله: **أنا الألف والياء، البداءة والنهاية، الأول والآخر**» (١).

* * *

هاتان الصفتان الإلهيتان: الأزلية والأبدية، ينسبهما الرب يسوع إلى ذاته بنفس القوة التى تنسبان بها إلى الله. فإذا لم يكن المسيح هو الله، فكيف يجرؤ يسوع المسيح أن يصف ذاته بالأزلية والأبدية، ويقول بغير تحفظ: «**أنا هو الألف والياء، البداءة والنهاية، الأول والآخر**»؟. لو أن إنسانا نسب ذلك إلى ذاته لكان مجدفا. فنحن الآن أمام قضية جادة: إما أن يكون المسيح مجدفا، وإما أن يكون صادقا. فإذا كان صادقا ـ ولا شك فى ذلك ـ فلا مفر من أن يكون هو الله متجسدا.

---

(١) الرؤيا ٢٢ : ١٣.

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه هو الحياة بعينها وأنه واهب الحياة ومانحها لمن يشاء

إن الله وحده هو **الحى بذاته**، وهو **مبدئ الحياة** فى كل الكائنات. **هو الحى الأول**، والذى أحيا ويحيى غيره من الأحياء **وهو ذاته الحياة، وبه يحيا كل حى آخر**، والله **هو الحى دائما**.. كان هو الحى منذ الأزل، ولازال حيا، وسيظل هو الحى إلى الأبد. وكان هو **باعث الحياة، وأصل الحياة** ومبدئ الحياة، ولازال يبعث الحياة، وسيظل دائما باعث الحياة ومنشئ الحياة، إلى الأبد.

يقول الرب الإله «انظروا الآن. أننى أنا هو، ولا إله معى، أنا أميت وأحيى.. إنى أرفع يدى إلى السماء وأقول «**حى أنا إلى الأبد**» (١).

«**حى أنا** يقول السيد الرب» (٢).

«**حى أنا** يقول رب الجنود» (٣).

«**حى أنا** يقول الرب» (٤).

هذه الصفة التى ينفرد بها الله، ولا يتصف بها غيره، نسبها **الرب يسوع المسيح إلى ذاته** بنفس الدرجة، وبنفس القوة، كما يتصف بها الله تعالى.

١ - فالرب يسوع نسب إلى ذاته أنه هو الحياة ذاتها.

فقد قال الرب يسوع لمرثا اخت لعازر، وأمام جميع من شهدوا معجزة إقامته للعازر بعد أن صار له فى القبر أربعة أيام: «**أنا القيامة والحياة**» (٥).

---

(١) التثنية ٣٢: ٣٩، ٤٠.

(٢) (حزقيال ٥: ١١)، (١٤: ١٦، ١٨، ٢٠)، (١٦: ٤٨)، (١٧: ١٦)، (١٨: ٣)، (٣٣: ١١)، (٣٤: ٨)، (٣٥: ٦، ١١).

(٣) صفنيا ٢: ٩.

(٤) (إشعياء ٤٩: ١٨)، (إرميا ٢٢: ٢٤).

(٥) يوحنا ١١: ٢٥.

وقال لتلميذه توما وللباقين «**أنا هو الطريق والحق والحياة**» (١).

هل يجرؤ أحد غير المسيح على أن يقول بذاته عن ذاته «**أنا الحياة**»؟.

يسوع المسيح يقول «**أنا الحياة**» **ذاتها**... فليس هو الحى فقط، بل هو الحياة عينها.. ذاتها.. الحياة التى هى أصل كل حياة.. ونبع كل حياة.. هو الحياة بالألف واللام.. ليس هو جزءا من الحياة.. لكنه الحياة ذاتها.. كلها.. الحياة فى جوهرها وحقيقتها وذاتها.. أنا الحياة!

مَنْ مِنَ الناس، بل مَنْ مِنَ الملائكة يجرؤ على أن يقول «أنا الحياة»؟.. من غير المسيح؟!

٢ ـ والرب يسوع ينسب إلى ذاته أن له الحياة فى ذاته:

يقول الرب يسوع «لأنه كما أن الآب له الحياة فى ذاته كذلك أعطى الابن أن تكون له **الحياة فى ذاته**» (٢).

ليس الابن إذن مخلوقا، وليست الحياة فيه مرسلة إليه من خارج ذاته، ولكن **الحياة فيه هى من ذاته**، تماما كما أن الآب السماوى له الحياة فى ذاته. الابن إذن حى، والحياة كائنة فيه من ذاته لأنه هو الحياة، وأصل الحياة، تماما كما أن الآب السماوى حياته قائمة فيه من ذاته، وليست مبعوثه إليه من خارج ذاته.

وهذا يشكل فارقا فاصلا بين المخلوق والخالق. فالمخلوق صار حيا بالحياة التى بعثها فيه الخالق، ولم يكن قبل البعث والخلق، حيا. أما الخالق فحى منذ الأزل وهو الحى الأول، والحياة فيه من ذاته، وإلا كان مخلوقا. والحياة فيه كائنة منذ الأزل، لأنه هو نفسه الحياة. ولو لم تكن الحياة فيه من ذاته لكان شأنه شأن كل مخلوق، ولم يكن بالتالى خالقا، ولن يكون أبدا لأن فاقد الشئ لا يعطيه.. فالخالق وحده هو باعث الحياة وأصلها ومنشئها، وهو الحى بذاته، وفى ذاته، وهو الحياة، وكل الحياة.

---

(١) يوحنا ١٤: ٦.

(٢) يوحنا ٥: ٢٦.

٣ ـ والرب يسوع نسب إلى ذاته أنه هو معطى الحياة ومانحها :

قال له المجد لليهود «الحق الحق أقول لكم: إن موسى لم يعطكم الخبز من السماء لكن أبى هو **يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء**. لأن خبز الله هو النازل من السماء **والواهب حياة للعالم**. قالوا له يا سيد: «أعطنا هذا الخبز فى كل حين».

فقال لهم يسوع: « **أنا خبز الحياة** من يقبل إلى فلن يجوع ومن يؤمن بى فلن يعطش أبدا» (١) المسيح إذن هو **الخبز الحقيقى** الذى نزل من السماء **ليعطى العالم الحياة**. ولأنه «**خبز الحياة الحق**» ، الذى تقوم عليه الحياة، ومنه تستمد قوتها، لذلك ففيه الشبع وفيه الإرتواء، ومن يعرفه ويغتذى به «فلن يجوع أبدا، ولن يعطش أبدا».. والحياة هنا ليست الحياة المادية بمعناها الحسى الظاهر، **بل الحياة الحقيقية بمفهومها السرى الباطن**، باعتبارها الوجود الحى المشبع بالسعادة والرضى والسلام العميق، أى الإحساس العارم بالحياة الهنيئة الغنية بالإشباع التام للروح والنفس والقلب والفكر، والتى ينمو شبعها وارتواؤها نموا مطردا، يكفل لها الإستمرار فى هذا **النعيم** الروحى إلى الأبد.

والمسيح بقوله هذا أبان أنه **معطى الحياة** بكل معانيها: **فهو معطى الحياة** بمعنى «**الوجود، من العدم**، أى أنه الخالق والموجد والمبدع والبارئ والفاطر وأصل الوجود، فهو أصل الحياة ومنشئها ومبدئها، وهو لذلك علة الكون الأولى، وهو الأول الذى لا أول له، والبدء الذى لا بداية له، وواجب الوجود.. والحى الأول الذى منه نبعت الحياة...

ثم هو معطى الحياة بمعنى أنه «**غذاء الحياة**» الذى يكفل للحياة بقاءها واستمرارها ودوامها.. وبهذا المعنى يصير هو «**الحافظ**» للحياة وليس الخالق لها فقط، والضامن لوجودها والحامى لها، والنافخ فيها لتبقى شعلتها مضيئة دائما، وأوارها حاميا، ولهيبها مضيئا ومشعا بالنور والحرارة. يقول الرب يسوع لتلاميذه «أنى أنا حى، فأنتم أيضا ستحيون» (٢) سأبعث فيكم الحياة دائما.

---

(١) (يوحنا ٦: ٣٢ – ٣٥)، (٦: ٤٨ – ٥١، ٥٣، ٥٧، ٥٨).

(٢) يوحنا ١٤: ١٩.

وبهذا المعنى الأخير للحياة قال الرب يسوع: «أما أنا فإنما أتيت لكيما **تكون لهم الحياة وتكون لهم أوفر**» (١)، بمعنى أنه جاء من السماء ليمنح الخراف الناطقة الحياة، فلا تحيا به فقط، بل تكون لها الحياة بغنى يكفل لها البقاء السعيد، وتستمتع بالحياة الرغدة التى تفيض عن حاجة تلك الخراف إلى غيرها من الكائنات، فتحيا الكائنات الأخرى بقوة حياتها ومن وفرة غنى الحياة فيها، أى كما قال الرب نفسه عمن يحيا به أنه «**تجرى من جوفه أنهار من الماء الحى**» (٢).

ولذلك يبدى ربنا يسوع المسيح أسفه على الذين لم ينتفعوا من الفرصة المتاحة لهم ليغترفوا من الحياة التى يعطيها هو بغنى للذين يطلبونها بإيمان ويسعون إليها، فيقول لليهود: «وأنتم لا تريدون أن تقبلوا إلى، **لتكون لكم الحياة**» (٣) أى هذه الحياة السعيدة المشبعة بالهناءة والرضى والسلام، الحياة التى لها قوة ولها معنى ومغزى، وتستحق أن تسمى حياة حقيقية كاملة غامرة.

٤ ـ والرب يسوع نسب إلى ذاته أنه يعطى حياة أبدية.

(أ) فهو ليس يمنح الحياة فقط بل أن الحياة التى يمنحها هى أيضا **الحياة الأبدية**، الحياة الممتدة إلى ما لا نهاية.

قال الرب يسوع للمرأة السامرية عندما اعتذرت عن إعطائه ماء ليشرب «لو كنت تعرفين عطية الله ومن هو الذى يقول لك أعطينى لأشرب لكنت أنت تسألينه، فيعطيك **ماء حيا**. قالت له المرأة: «يا سيدى لا دلو لك، والبئر عميقة، فمن أين لك الماء الحى؟ هل أنت أعظم من أبينا يعقوب الذى أعطانا هذه البئر..؟ فأجاب يسوع وقال لها. كل من يشرب من هذا الماء يعطش من جديد. وأما الذى يشرب من الماء الذى أعطيه إياه، **فلن يعطش إلى الأبد**، بل الماء الذى أعطيه إياه يصير فيه **ينبوع ماء يتفجر حياة أبدية**» (٤).

---

(١) يوحنا ١٠: ١٠.

(٢) (يوحنا ٧: ٣٨).

(٣) (يوحنا ٥: ٤٠).

(٤) يوحنا ٤: ١٠ – ١٤.

وقال أيضا لليهود «**أنا هو خبز الحياة**.. هذا هو الخبز النازل من السماء **لكى لا يموت من يأكل منه. أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء**. من يأكل من هذا الخبز **يحيا إلى الأبد**.. هذا هو الخبز الذى نزل من السماء.. من يأكل هذا الخبز **يحيا إلى الأبد**» (١).

وقال يناجى الآب على مسمع من تلاميذه: «يا أبت.. مجد ابنك لكى يمجدك ابنك، إذ أعطيته السلطان على كل جسد **ليهب الحياة الأبدية** لكل من أعطيتهم له» (٢).

وفى هذه العبارة من فم الرب يسوع يكشف عن سلطانه المطلق على كل ما له جسد، وعلى أن يهب الحياة الأبدية لكل البشر الذين صاروا له بإيمانهم به. وإذا كان الرب يسوع ينسب هذا السلطان إلى الآب أولا، ويقول أن الآب هو الذى أعطاه هذا السلطان، والآب هو الذى أعطاه المخلصين باسمه، فإنه بهذا يشرح العلاقة بين الآب والابن، وإنه ليس هناك تعارض بينهما، فى الإرادة والمشيئة، وأنهما واحد فى الجوهر. وليست هذه هى المرة الوحيدة التى ينسب فيها الرب يسوع الفضل فى كل شئ للآب. إنه دائما يقول أنه مرسل من الآب، وأنه لا يصنع مشيئته بل مشيئة الآب الذى أرسله، مؤكدا بذلك على وحدانية الذات الإلهية، وعلى وحدة المشيئة بينه وبين الآب. وفى هذا ما يطمئن التلاميذ واليهود إلى أن المسيح ليس إلها آخر غير الآب السماوى، فليس ثمة إلا إله واحد. وليس الابن على الأرض إلا الله غير المنظور وقد صار منظورا فى المسيح.

وقال كذلك: «إن خرافى تسمع صوتى.. **وأنا أعطيها الحياة الأبدية** (٣).

المسيح إذن لا يهب الحياة فقط بمعنى الخلق والإيجاد، ولا يهب للحياة ما يغذيها ليكفل له البقاء فترة ما، بل أيضا **يهب الحياة الأبدية**، أى الحياة الممتدة إلى ما لا نهاية له.. وهى التى تشارك الله وجوده إلى أبد الآباد.

فإذا كان الرب يسوع يهب الحياة فهو **الخالق**، وهو أيضا **الحافظ**. أما أنه يهب الحياة الأبدية، فهذا معناه أيضا أنه **يملك الأبدية**، لأن فاقد الشئ لا يعطيه، فهو إذن مبدئ الحياة، وضامن الحياة، ومالكها إلى الأبد. **من يكون إذن المسيح إلا أن يكون هو الله بذاته ؟!**.

---

(١) يوحنا ٦: ٤٨ – ٥٨.
(٢) يوحنا ١٧: ١، ٢.
(٣) (يوحنا ١٠: ٢٧، ٢٨).

(ب) والرب يسوع المسيح نسب إلى ذاته أنه يمنح الحياة الأبدية لمن يؤمن به.

قال له المجد «الحق الحق أقول لكم: **إن من يؤمن بى فله الحياة الأبدية**» (١).

وقال أيضا «**إن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية**» (٢) وقال «**من يؤمن بالابن فله الحياة الأبدية، ومن لا يؤمن بالابن فلن يرى الحياة**» (٣).

وقال «**من يؤمن بى** كما قال الكتاب تجرى من جوفه **أنهار ماء الحياة**» (٤) فالمؤمن بالرب يسوع سوف لا يمنحه الحياة الأبدية لشخصه فقط، بل يصير كذلك نبعا فياضا بالحياة لغيره من الناس.

وقال «أنا هو القيامة والحياة. **من آمن بى** يحيا، وإن مات. وكل من يحيا **مؤمنا بى فلن يموت إلى الأبد**» (٥).

(ج) والرب يسوع المسيح نسب إلى ذاته أنه يمنح الحياة الأبدية لمن يحفظ كلامه.

قال له المجد «الحق الحق أقول لكم: **إن كان أحد يحفظ كلامى فلن يرى الموت إلى الأبد**» (٦).

(د) ويمنح الحياة الأبدية لمن يعرفه.

قال له المجد «وهذه هى الحياة الأبدية: **أن يعرفوك** أنت الإله الواحد الحق وحدك، والذى أرسلته يسوع المسيح» (٧).

٥ ـ والرب يسوع المسيح نسب إلى ذاته أنه يمنح الحياة الجديدة بالقيامة الثانية.

لقد نسب الرب يسوع إلى ذاته أنه هو بذاته **سيقيم الموتى فى اليوم الآخر**، وأنه سيتولى

---

(١) يوحنا ٦: ٤٧.
(٢) يوحنا ٦: ٤٠.
(٣) (يوحنا ٣: ٣٦)، انظر أيضا (يوحنا ٣: ١٥، ١٦).
(٤) يوحنا ٧: ٣٨.
(٥) يوحنا ١١: ٢٥، ٢٦.
(٦) يوحنا ٨: ٥١، ٥٢.
(٧) يوحنا ١٧: ٣.

المؤمنين به، والعاملين مسرته بأن يقيمهم بنفسه إلى حياة أبدية سعيدة، ليحيوا معه إلى الأبد فى سعادة كاملة لانهائية.

قال له المجد «وهذه هى مشيئة الآب الذى أرسلنى أن كل من أعطانى لا أهلك أحدا منهم بل أقيمه فى اليوم الآخر. لأن هذه هى مشيئة أبى أن كل من يرى الابن ويؤمن به، تكون له الحياة الأبدية، **وأنا أقيمه فى اليوم الآخر** (١).

وقال أيضا: «ما من أحد يستطيع أن يقبل إلى، إلا إذا اجتذبه إلىَّ الآب.. **وأنا أقيمه فى اليوم الآخر** (٢).

وقال كذلك: «من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية، **وأنا أقيمه فى اليوم الآخر** (٣).

وقال «أنا **القيامة** والحياة» (٤).

وقال: «لأنه كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم كذلك **الابن يحيى من يشاء** (٥).

* * *

يسوع المسيح إذن هو مانح الحياة بالخلق، ومانح الحياة الثانية بإقامته الموتى من الموت، ومانح الحياة الأبدية إلى ما لا نهاية ولقد برهن على سلطانه على الإقامة من الموت بإقامته إبنة يايرس (٦)، وابن أرملة نايين (٧)، ولعازر (٨) بعد أربعة أيام من دفنه. فهو الحياة ذاتها وباعث الحياة على الإطلاق بلا قيد لسلطانه، تماما كالآب لأنه واحد معه فى جوهر اللاهوت، والذات الإلهية الواحدة.

---

(١) يوحنا ٦: ٣٩، ٤٠.
(٢) يوحنا ٦: ٤٤.
(٣) يوحنا ٦: ٥٤.
(٤) يوحنا ١١: ٢٥.
(٥) يوحنا ٥: ٢١.
(٦) (متى ٩: ١٨، ١٩، ٢٣ - ٢٦)، (مرقس ٥: ٢٢ - ٢٤، ٣٥ - ٤٣)، (لوقا ٨: ٤١، ٤٢، ٤٩ - ٥٦).
(٧) (لوقا ٧: ١١ - ١٦).
(٨) (يوحنا ١١: ١٤ - ٤٤).

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه حاضر فى كل مكان وزمان

الله وحده هو الذى يوجد فى كل مكان ولا يحده مكان، لأنه روح (١) غير محدود، وليس مادة. أما الإنسان فلأنه محدود فلا يمكنه أن يوجد فى أكثر من مكان فى وقت واحد. فلا يستطيع أن يكون، مثلا، فى الغرفة وخارج الغرفة فى وقت واحد. وتعتبر هذه الحقيقة فى عالم الإنسان من البديهيات ومن قوانين الفكر الضرورية.

يقول الرب «ألعلى إله أنا عن قرب، يقول الرب، ولست إلها عن بعد؟ إذا اختبأ إنسان فى أماكن مستترة أفما أراه أنا يقول الرب؟ ألست مالئ السماوات والأرض، يقول الرب» (٢).

ويقول أيضا «فاعلم اليوم وردد فى قلبك، أن الرب هو الإله فى السماء من فوق، وفى الأرض من أسفل، ليس سواه» (٣)

ويقول «لأن الرب إلهكم هو الله فى السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل» (٤).

ويقول النبى فى المزمور: «أين أذهب من روحك، وأين أفر من وجهك. إن صعدت إلى السماوات فأنت هناك. وإن فرشت فى الهاوية فها أنت. إن اتخذت جناحى الصبح وسكنت فى أقاصى البحر، فهناك أيضا يدك تهدينى، ويمينك تمسكنى. وإن قلت إن الظلمة تغشانى كان الليل حولى نورا. لديك لا تظلم الظلمة. والليل يضئ كالنهار. سيان عندك الظلام والنور» (٥).

أما يسوع المسيح فعلى الرغم من أنه اتخذ إنسانيتنا وصار فى شبه الناس، لكنه نسب إلى ذاته الوجود فى كل مكان، والحضور فى غير مكان فى وقت واحد، وفى غير زمان.

١ ـ قال له المجد لنيقوديموس أحد رؤساء اليهود وعلمائهم: **«ولم يصعد أحد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء، ابن الإنسان الكائن فى السماء»** (٦).

---

(١) يوحنا ٤ : ٢٤.

(٢) إرميا ٢٣ : ٢٣، ٢٤

(٣) التثنية ٤ : ٩.

(٤) يشوع ٢ : ١١.

(٥) (مزمور ١٣٨ (١٣٩) : ٧ - ١٢). انظر أيضا (أيوب ٢٣ : ٨، ٩)، (إشعياء ٦٦ : ١)

(٦) يوحنا ٣ : ١٣.

فى هذا التصريح القدسى، إعلان واضح أن السماء التى بها العرش الإلهى، لم يصعد بعد إليها أحد من الناس (١) لكن ابن الإنسان، أى المسيح، هو وحده الذى نزل منها (٢). ومع نزوله منها إلا أنه كائن وقائم فيها وموجود بها بلاهرته الذى يملأ السماوات والأرض. أما أرواح الأبرار والقديسين فتصعد إلى الفردوس (٣) مقر راحة الصديقين، وهو ما يعرف بـ «السماء الثالثة» (٤)، وهو غير السماء (٥) التى بها العرش والملائكة، والتى تعرف «بالملكوت» (٦) أو «سماء السماوات» (٧)، والتى أعدها الله (٨) للأبرار أن يرثوها، ولن يدخلوها إلا بعد يوم القيامة والحساب. وأما أرواح الأشرار فتمضى إلى الجحيم (٩)، مقرها المؤقت إلى يوم الدينونة العظيم، حيث ترسل إلى جهنم (١٠) المعدة لابليس وملائكته الأشرار، وهى النار الأبدية (١١).

يقول القديس أوغسطينوس «أو ليس هو ذاك الذى جاء إلى أرضنا دون أن يبتعد عن السماء؟ أو ليس هو ذاك الذى صعد إلى السماء دون أن يتخلى عنا؟» (١٢).

وإذن ابن الإنسان، وهو يسوع المسيح، مع أنه نزل من السماء، لكنه هو على الأرض لم يخل السماء من وجوده، بل ظل قائما فيها. فعندما كان على الأرض كان لا يزال فى السماء.. عندما كان جالسا على حجر العذراء كان فى نفس الوقت جالسا على عرشه فى السماء.. وعندما كان يكلم نيقوديموس أحد رؤساء اليهود وعلمائهم كان يصغى إلى تسبيح الملائكة أمام عرشه فى

---

(١) (الأمثال ٣٠: ٤)، (أعمال ٢: ٣٤).
(٢) (يوحنا ٦: ٣٣، ٣٨، ٥١، ٦٢)، (كورنثوس الأولى ١٥: ٤٧)، (أفسس ٤: ١٠)، (يوحنا ١: ١٨)، (٣: ٣١).
(٣) (لوقا ٢٣: ٤٣)، (كورنثوس الثانية ١٢: ٤)، (الرؤيا ٢: ٧).
(٤) كورنثوس الثانية ١٢: ٢.
(٥) (لوقا ٣: ٢١)، (أعمال ٣: ٢١)، (٧: ٤٩).
(٦) (متى ٢٥: ٣٤)، (لوقا ١٢: ٣٣)، (٢٢: ٣٠)، (٢. تيموثيوس ٤: ١٨)، (يعقوب ٢: ٥).
(٧) (الملوك الأول ٨: ٢٧)، (يشوع بن سيراخ ١٦: ١٨).
(٨) (متى ٢٥: ٣٤)، (٢٠: ٢٣)، (مرقس ١٠: ٤٠)، (كورنثوس الأولى ٢: ٩).
(٩) (لوقا ١٦: ٢٣)، (متى ١٦: ١٨)، (مزمور ٩: ١٧).
(١٠) (متى ٥: ٢٢، ٢٩، ٣٠)، (١٠: ٢٨)، (١٨: ٩)، (مرقس ٩: ٤٣، ٤٥، ٤٧)، (٢. بطرس ٢: ٤).
(١١) (متى ٢٥: ٤١)، (مرقس ٩: ٤٣ - ٤٨).
(١٢) القديس أوغسطينوس: «شرح رسالة القديس يوحنا الأولى» المقالة السادسة، المحبة الصادقة، فقرة ١٣.

السماء، ويستمع إلى صلوات جميع مخلوقاته الناطقة.. حقيقة لا يمكن أن نفهمها بالنسبة للإنسان ذلك الكائن المحدود، لكنها لا تعرف إلا عن الله وحده. فكيف ساغ ليسوع المسيح أن ينسب إلى ذاته مالا ينسب إلا إلى الله وحده: الوجود فى كل مكان فى وقت واحد، ما لم يكن بهذا يعلن عن وحدانيته مع الآب فى جوهر اللاهوت؟!

على أن نزول الابن من السماء (١) ليس كما ينزل الإنسان من الطابق العلوى إلى طابق أسفل، فإن النزول بهذا المعنى الأخير يقتضى إخلاء الطابق العلوى والحلول فى الطابق الأسفل. وهذا لم يحدث بالنسبة للمسيح، فهو قال أنه «نزل من السماء وهو كائن فى السماء»، أى كان على الأرض وفى السماء فى وقت واحد.

وإذن فنزول الرب يسوع لا بمعنى إخلائه السماء من وجوده، ولا بمعنى الحلول المادى المحصور فى المكان، بل نزوله بمعنى تنازله أن يكون له - وهو مالئ السماوات وكل الوجود - كيان منظور، تلبس به، وصار للاهوته حجابا وسترا حتى يصير منظورا للناس. ولما كان الله عاليا ساميا وأعلى من السماوات، فإذا صار له على الأرض وجود منظور ملموس، فقد نزل فى نظر الناس - بهذا المفهوم - من السماء إلى الأرض.

٢ - ولقد روى الإنجيل المقدس **قصة إيمان نثنائيل** الذى من ناصرة الجليل، والذى صار فيما بعد برثولماوس الرسول أحد الإثنى عشر تلميذا ورسولا.. هذه القصة بينة أخرى على حضور الرب يسوع فى كل مكان.

إن نثنائيل إلتقى به فيلبس الذى كان قد صار حديثا من أتباع المسيح «ووجد فيلبس نثنائيل فقال له:» وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الشريعة والأنبياء، وهو يسوع ابن يوسف الذى من الناصرة. فقال له نثنائيل،: «أو يخرج من الناصرة شئ صالح؟» فقال له فيلبس: «هلم فانظر!» ورأى يسوع نثنائيل مقبلا إليه فقال عنه: «ها هوذا إسرائيلى حقيقى لا غش فيه. فقال له نثنائيل: من أين تعرفنى؟» أجاب يسوع وقال له: «**قبل أن يدعوك فيلبس، وأنت تحت التينة رأيتك**» . أجابه نثنائيل: وقال يا معلم، أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل، فأجاب يسوع وقال له: **ألأنى قلت لك إنى رأيتك تحت التينة آمنت؟** سترى أعظم من هذا» (٢).

---

(١) يوحنا ٦: ٣٨، ٤٢.

(٢) يوحنا ١: ٤٥ - ٥٠.

والمتأمل فى هذه القصة يعجب من سرعة إيمان نثنائيل، ويذهل من تحوله المفاجئ من رجل لم يكن يتوقع أن يكون فى يسوع المسيح شئ من الخير أو الصلاح - نظرا لأنه ناصرى، وأهل الناصرة لم يكونوا ذوى صلاح بل كان رأى اليهود فيهم أنهم أشرار بما اختلط لديهم من أفكار وعادات وثنية أفسدت عقيدتهم وديانتهم - إلى رجل آخر زاد إيمانه أضعافا على إيمان فيلبس الذى دعاه وألح عليه فى دعوته، كان نثنائيل متلكئا فى قبول الدعوة رافضا لها معترضا عليها حتى لقد قال له فيلبس: تعال وانظر! وهى عبارة لا يقولها إنسان إلا عندما تعييه الحيلة فى إقناع رفيقه.

وبينما كان فيلبس الذى دعا نثنائيل يقول عن يسوع المسيح «يسوع ابن يوسف الذى من الناصرة»، قال نثنائيل موجها الخطاب للمسيح «رابى: (أى يا معلم ويارب - وهو تعبير إجلال يوجه عند مخاطبة كبار المعلمين المرموقين) - أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل».

وهنا لابد للمرء أن يتساءل: كيف تحولت نظرة نثنائيل هذا التحول المفاجئ؟ إنه عندما قال له الرب يسوع: «ها هوذا إسرائيلى حقيقى لا غش فيه» أجاب نثنائيل بأسلوب خلا من التوقير الذى استعمله بعد ذلك بقليل.. قال له: من أين تعرفنى؟ ولم يزد بتلقيبه حتى بلقب «سيد»، وهو تعبير يقتضيه الأدب فى مخاطبة الآخرين كما فعل اليونانيون الذين تقدموا إلى فيلبس وسألوه قائلين «يا سيد نريد أن نرى يسوع» (١) - مما يدل على أن شيئا واحدا هو الذى صنع فى نثنائيل صنيعا عظيما ونقله مباشرة من الإحتقار إلى الإعجاب والذهول والإجلال، والإعتراف بأن المسيح ابن الله وأنه ملك إسرائيل؟ فما هو هذا؟

إنه قول المسيح له «**قبل أن يدعوك فيلبس، وأنت تحت التينة رأيتك**»!

يؤكد هذا قول الرب يسوع نفسه لنثنائيل بعد أن اعترف به أنه ابن الله وأنت ملك إسرائيل.. «ألأنى قلت لك أنى رأيتك تحت التينة آمنت. سترى أعظم من هذا».

إذن قصة التينة هى بيت القصيد.. هى سر إيمان نثنائيل بأن الرب يسوع ابن الله، وأنه ملك إسرائيل... وهى سر تلقيبه له بكل الإحترام: «رابى» بعد أنه لم يكن جديرا عنده بلقب «سيد».

فما قصة التينة؟

---

(١) يوحنا ١٢: ٢١.

يروى التقليد والتاريخ أن نثنائيل كان فى طفولته من بين الأطفال الذين انطبق عليهم قرار هيرودس الذى أصدره بقتل «كل الأطفال الذين كانوا فى بيت لحم وفى كل نواحيها من ابن سنتين فأقل، وفقا للزمان الذى تحققه من المجوس» (١). ولما علمت أمه بذلك احتالت على نجاته بأن وضعته فى سفط ثم صعدت إلى أعلى شجرة التينة التى فى بيتها وجعلت السفط وفيه طفلها نثنائيل فى تعريشة التينة، فكانت تعريشة التينة بأغصانها المتشابكة والملتفة مخبأ أمينا حيث أحاطت به الأغصان والأوراق من كل جهة. فلما دخل جند هيرودس وفتشوا البيت ولم يجدوا فيه طفلا خرجوا ، ولم يمسوا الطفل نثنائيل بشر. وبهذه الوسيلة نجا نثنائيل من سيف جند هيرودس.

هذه القصة المثيرة، قصة نجاة نثنائيل من الموت لم يكن يعلم بها أحد إلا أم نثنائيل، ونثنائيل نفسه فيما بعد، وظل الأمر حبيسا فى صدر أمه وفى صدره إلى أن واجهه الرب يسوع بمعرفته له «**قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك**» فذهل نثنائيل لأنه سمع قصة نجاته التى لا يعرفها أحد غيره وغير أمه، من الرجل الذى يلتقى به لأول مرة، وعرفه بشخصه أنه إسرائيلى حقيقى لا غش فيه، وأن فيلبس دعاه للمجئ إليه، ولكنه عرفه بما قبل دعوة فيلبس له: عرفه بسر عظيم، سر نجاته..

ومما هو جدير بالتأمل قول الرب يسوع لنثنائيل: **رأيتك تحت التينة**، أى أنه لم يعرفه فقط، بل **رآه أيضا رأى العيان**.. رآه وهو طفل رضيع.. رآه وهو فى تعريشة التينة وقد غطته وسترته الأوراق والأغصان من كل جهة...

حينما لم يره أحد من الناس قط، رآه الرب يسوع؟

وأين كان الرب يسوع فى هذا الوقت؟

ألم يكن هو أيضا طفلا حملته أمه وهربت به إلى مصر تنفيذا لأمر الملاك الذى ظهر ليوسف فى الحلم، وكان هناك فى مصر إلى أن مات هيرودس الذى كان يسعى فى طلب الطفل الإلهى ليميته؟ (٢).

---

(١) متى ٢: ١٦.

(٢) متى ٢: ١٣ – ٢٠.

إذن كيف رأى الرب يسوع الطفل نثنائيل وهو تحت التينة؟ إنه لم يذهب إليه بقدميه لأنه كان بعيدا عنه، فى بلد بعيد، بعيد.. لكنه قد رآه فعلا «**رأيتك تحت التينة**» إذن الرب يسوع وهو فى مصر قد رأى الطفل نثنائيل تحت التينة وهو فى بيته فى إحدى القرى القريبة من بيت لحم فى مقاطعة اليهودية من أرض فلسطين؟

كيف نفسر ذلك إلا بأن المسيح حاضر بلاهوته فى كل مكان. فهو وان كان فى مصر، لكن بلاهوته حاضر فى فلسطين وفى كل بقعة من الأرض، وعيناه تخترقان أستار الظلام وتريان على بعد المكان، لأنه لا يحده مكان «وما من خليقة مستترة أمامه، بل كل شئ عار مكشوف الباطن لعينيه» (١). فهل من شك فى أنه هو الله؟ هل يمكن لغير الله أن يقول لنثنائيل «رأيتك تحت التينة»!

لهذا لم يلبث نثنائيل أن سمع قول الرب يسوع له «قبل أن دعاك فيلبس، وأنت تحت التينة رأيتك» حتى انطلق لسانه مترجما عن إيمان قلبه «رابى، أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل» فكان بإعترافه هذا أسبق من القديس بطرس فى إقراره المشهور «أنت هو المسيح ابن الله الحى» (٢).

٣ ـ وقال الرب يسوع له المجد «**لأنه حيثما اجتمع إثنان أو ثلاثة باسمى، فهناك أكون أنا فى وسطهم**» (٣).

إذن يكون يسوع المسيح موجودا فى كل مكان يجتمع فيه إثنان أو ثلاثة بإسمه. وما أكثر ما يمكن أن تتوافر هذه الإجتماعات فى أماكن متعددة، لا حصر لها!

أفهل يمكن لإنسان أن يزعم لنفسه هذا؟

لو كان يسوع المسيح مجرد إنسان لكان وجوده، فى أكثر من مكان أمرا محالا لا يقبله عقل، ولا يسيغه منطق.

فلو لم يكن المسيح إلها كيف يكون وجوده فى أكثر من مكان مقبولا؟

---

(١) العبرانيين ٤: ١٣.

(٢) متى ١٦: ١٦.

(٣) متى ١٨: ٢٠.

ثم أن مثل هذه الإجتماعات يمكن أن تكون فى أى عصر، وفى أى زمان. وبموجب هذا الوعد المقدس يكون يسوع المسيح حاضرا فيها.

وإذن يسوع المسيح ينسب إلى نفسه أن يكون حاضرا دائما لا فى كل مكان فقط، بل وفى كل زمان أيضا. هل يمكن أن يكون يسوع المسيح مجرد إنسان؟

٤ ـ ويقول الرب يسوع: «**من يحبنى يحفظ كلامى فيحبه أبى، وإليه نأتى، وعنده نجعل مقامنا**» (١).

وهذا وعد لمن يحب المسيح ويحفظ كلامه برهانا على صدق حبه وعمقه، فإن الآب يحبه لأن الآب يحب الابن وليس بينهما تعارض لأنهما جوهر واحد، ونتيجة لهذا الحب من الآب والابن معا يتخذان من قلب ذلك الإنسان ومن روحه وجسده مقرا ومقاما ومسكنا، ويجدان فيه راحتهما.

وإذا كان هذا الوعد مطلقا، وعدا لكل من أحب المسيح، فالمسيح مع الآب يتخذان من قلب كل إنسان أحب المسيح مقرا ومقاما. فالمسيح ومعه الآب يقيم فى قلوب المحبين له إقامة دائمة فى وقت واحد. هو إذن فى قلوب كثيرة وأماكن كثيرة فى وقت واحد، ولا يحده منها مكان أو قلب. وكما أن الآب لا يحده مكان، كذلك الابن أيضا لا يحده مكان، لأنهما معا دائما بغير افتراق.

وهذا دليل وحدانية الابن والآب فى الجوهر، كما أنه دليل على حضورهما فى غير مكان فى وقت واحد.

على أن هذا الوعد لا ينحصر تحقيقه فى زمان دون زمان. ففى كل زمان طالما وجد من يحب المسيح، فإن المسيح مع الآب يتخذان من قلب هذا الإنسان وقلب كل إنسان آخر فى أى زمان، مقرا لهما ومسكنا ومقاما. وهذا يقتضى بالتبعية حضور المسيح فى كل زمان، كما يقتضى حضوره فى كل مكان.

٥ ـ وفى سفر الرؤيا يعلن الرب يسوع عن معنى آخر قريب من المعنى السابق، ويؤكد الحقيقة نفسها. يقول «**هاءنذا واقف على الباب أقرعه، فإن سمع أحد صوتى وفتح الباب**

(١) يوحنا ١٤: ٢٣.

أدخل إليه واتعشى معه وهو معى، (١) وهذا وعد مطلق، يمكن أن يكون من نصيب كثيرين فى أماكن متفرقة يفتحون للرب قلوبهم، بالرغبة الصادقة والإرادة الخيرة، فيدخل الرب يسوع إليهم ويغذيهم من دسم نعمته، ويطعمهم بطعامه الباقى (٢) إلى الحياة الأبدية، ولن يترك الواحد منهم ليذهب إلى الآخر، لأنه يستطيع أن يقيم فى قلوبهم جميعا فى آن واحد ويشبعهم من طعامه فى وقت واحد.

وكما ينطبق هذا الوعد على كثيرين فى المكان، ينطبق على آخرين كثيرين فى الزمان، ففى كل زمان وإلى نهاية الأيام يظل وعد المسيح قائما لكل من يفتح له باب قلبه، يدخل فيه ويتعشى معه.

هل يمكن لإنسان أن يَعِدْ وعدا كهذا، وعدا يشمل المكان كما يشمل الزمان؟ هل يمكن لغير الله وحده أن يكون حضوره عبر الزمان وعبر المكان، فى كل زمان وفى كل مكان؟

فمن يكون المسيح إذن غير الله بذاته؟

٦ ـ ويقول الرب يسوع كذلك وهو يودع تلاميذه قبيل صعوده إلى السماء: **«وهاءنذا معكم كل الأيام إلى إنقضاء الدهور»** (٣). وهذا وعد بأنه هو بذاته سيكون معهم، على الرغم من مغادرته الأرض بالجسد وصعوده إلى السماء (٤). والمقصود بالمعية هنا، المصاحبة للتلاميذ بحضوره معهم دائما ووجوده فى وسطهم كما سبق فقال (٥)، بما شرحناه من قبل. وهو يؤكد ـ مع النصوص السابقة ـ إنه ينسب إلى ذاته الوجود والحضور فى كل مكان فى السماء وفى كل مكان فى الأرض.

غير أن هذا الوعد لا ينحصر فى الوجود المكانى بل ويتعداه إلى الوجود دائما فى الزمان. فإن قوله «هاءنذا معكم كل الأيام إلى إنقضاء الدهور» ينطوى صراحة على حضوره فى كل زمان إلى مجيئه الثانى وبالتالى إلى الأبد.

---

(١) الرؤيا ٣: ٢٠.

(٢) يوحنا ٦: ٢٧.

(٣) متى ٢٨: ٢٠.

(٤) (مرقس ١٦: ١٩)، (لوقا ٢٤: ٥١)، (أعمال ١: ٩ – ١١).

(٥) (متى ١٨: ٢٠).

إن هذا النص، بالإضافة إلى النصوص السابقة بينة واضحة على أن الرب يسوع ينسب إلى ذاته صفة ينفرد بها الله وحده، إنه موجود وحاضر فى كل مكان، بل وفى كل زمان.

* * *

فإذا كان المسيح ينسب إلى ذاته **إنه حاضر وموجود فى كل زمان ومكان**، فهذه دعوى الألوهة. فإما أن تكون دعواه صحيحة - وهى كذلك دعوى صريحة - وإلا كان المسيح مجدفاً لأنه نسب إلى ذاته مالا ينسب إلا إلى الله وحده.

* * *

إذن ليس المسيحيون هم الذين نسبوا إلى المسيح الألوهة إدعاءً وافتئاتا، وإنما المسيح الذى آمنوا به هو الذى نسب إلى ذاته بأقواله وأفعاله ما أقنعهم بأنه هو لم يكن غير الله متجسدا، **أو هو الله فى صورة إنسان**.. هو الله، ولم يكن الجسد الذى ظهر به غير حجاب احتجب به لاهوته عن الناس، وستار استتر به عن عيونهم ليحل بوجوده فى وسطهم دون أن تعمى عيونهم بنوره أو يحترقوا بنار لاهوته.

المسيح إذن هو الله متأنسا.. وبكيانه المنظور ابن الله، له المجد والسجود وبه تليق العبادة والإكرام، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور، آمين.

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه الغافر الخطايا

إن الكتاب المقدس يقرر أن الله، والله وحده، هو غافر الخطايا.

والخطايا المقصودة هنا ليست خطايا الناس ضد الناس... ففى مقدوركل إنسان أن يغفر لأخيه الإنسان إساءته إليه، وأن يغسل بالصفح ما ترسب فى قلبه نحوه.

إنما الخطايا المقصودة هنا عندما نقول إن الله وحده هو الغافر الخطايا، هى خطايا الإنسان ضد الله ذاته. هذه الخطايا لا يملك أحد أن يغفرها غير الله، متى قدم الإنسان عنها ترضية لله يقبلها عدله، وترتضيها قداسته.

قال الله «الرب... غافر الإثم والمعصية والخطيئة» (الخروج ٣٤:٧)، «يغفر الذنب والسيئة» (العدد ١٤:١٨).

ويقول المزمور «لأنّ عندك المغفرة» (١٢٩: ٤).

ويقول الرب على فم إشعياء النبى «أنا أنا هو الماحى ذنوبك» (إشعياء ٤٣:٢٥).

وجاء فى سفر دانيال «للرب إلهنا المراحم والمغفرة» (٩:٩).

وجاء فى سفر ميخا «من هو إله مثلك غافر الإثم» (٧:١٨).

انظر أيضاً (التثنية ٢١:٨)، (١ . الملوك ٨:٣٠، ٣٤، ٣٦)، (مزمور ٢٤:١١، ١٨)، (٥٠:١، ٩)، (٧٨:٩)، (١٠٢:٣)، (متى ٦:١٢)، (لوقا ١١:٤)، (العبرانيين ٨:١٢)، (١ . يوحنا ١:٩).

وجاء فى الإنجيل كذلك «**فمن يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله الواحد وحده**» (مرقس ٢:٧)، (لوقا ٥:٢١)، (٧:٤٩).

انظر أيضاً (متى ٦:١٤، ١٥)، (مرقس ١١:٢٥، ٢٦).

تلك حقيقة مقررة لا يُمارى فيها أحد، أن الله وحده هو الغافر الخطايا، وليس لأحد غيره هذا الحق وهذا السلطان.

على أن الرب يسوع المسيح كان يمارس هذا الحق وهذا السلطان باعتباره صاحب سلطان أصيل.

من ذلك ما ورد عنه فى الإنجيل أنه كان فى بيت بكفر ناحوم «فتجمع فى الحال كثيرون حتى لم يعد ثمة موضع لقدم فى البيت ولا حتى عند الباب، فطفق يبشرهم بالكلمة. وقد جاءوا إليه بمفلوج مطروحاً على فراش يحمله أربعة رجال. وإذ لم يستطيعوا أن يصلوا به إليه بسبب الزحام صعدوا إلى السطح، وكشفوا سقف المكان الذى كان به وثقبوه، ثم أنزلوا الفراش الذى كان المفلوج راقداً عليه، إلى الوسط أمام يسوع، فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج: «**اطمئن يا بنى مغفورة لك خطاياك**». وكان قوم من الكتبة جالسين هناك، يفكرون فى قلوبهم قائلين: «ما باله يجدف هكذا؟ **فمن يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله الواحد وحده؟**» **وفى الحال علم يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا فى أنفسهم، فقال لهم: «لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم؟ أيهما أيسر: أن يقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك**، أم أن يقال قم أحمل فراشك وامش؟ **ولكن لكى تعلموا أن لابن الإنسان السلطان على الأرض أن يغفر الخطايا**». ثم قال للمفلوج: «لك أقول قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك». فقام فى الحال وحمل الفراش وخرج أمام الجميع، وذهب إلى بيته، وهو يمجد الله. فلما رأت الجموع ذلك تعجبوا ومجدوا الله قائلين «ما رأينا مثل هذا قط» (مرقس ٢: ١-١٢)، (متى ٩: ١-٨)، (لوقا ٥: ١٧-٢٦).

هنا، فى هذه المعجزة التى وردت فى ثلاثة الأناجيل كما كتبها الرسل القديسون متى ومرقس ولوقا، **نرى الرب يسوع يكشف عن سلطانه المطلق غير المقيد، على مغفرة الخطايا التى صنعها إنسان ضد الله تعالى** عندما علم بلاهوته بصدق توبة هذا الإنسان المفلوج، ولم يسأله الإعتراف بها أمام الناس، لأنه يعلم بها كإله، ويعلم أيضاً بندمه عليها، وبعزمه الصادق على تغيير مسار حياته، لذلك شاء برحمته أن يغفر له، وأن يطمئنه على غفران خطاياه حقيقة فقال له: «**اطمئن يا بنى مغفورة لك خطاياك**».

ونحن نلاحظ هنا أن مخلصنا قال قولته بلهجة صاحب السلطان المطلق على مغفرة الخطايا، فقد أصدر حكم البراءة بغير تحفظ، ومن دون أن يقيد حكمه بتوبة المفلوج وإعترافه بخطاياه لكنه كعالم بما احتواه قلبه من ندم وعزم على تجديد السيرة **أصدر قراره بالغفران قراراً غير مشروط...**

هذا إلى أننا نلاحظ أن قرار الغفران صدر من فم الرب يسوع من غير حاجة إلى تحفظ أو تشدد أو استيفاء لشرط ما، وذلك باعتباره صاحب سلطان مطلق وأصيل وليس كما يفعل الكهنة

الذين لا يمنحون الحل لأحد إلا بعد أن يتثبتوا من صدق توبة الخاطىء بعلامات معينة ظاهرة، بموجبها يمنحون الحل الكهنوتى بالغفران، مثلهم فى ذلك مثل صيارفة البنوك. فإن هؤلاء لا يصرفون من أموال المصرف إلا بعد التثبت من صحة الوثيقة التى يبرزها الطالب واستحقاقه للمبلغ، وإلا فإن الصراف يكون قد وقع فى خطأ كبير، فيصير مسؤولاً عن المبلغ الذى صرفه من غير حق، ولابد من أن يعاقب عن إهماله فى تحرى الدقة فى عمله وصرف المبالغ المالية لمستحقيها. فالكاهن مثله مثل الصراف لا يمنح الحل الكهنوتى من الخطيئة، من عنده، كصاحب حق أصيل، إذ أنه مجرد وكيل يصرف لا من ماله هو، وإنما من مال عام ليس له فيه إلا ما للوكيل المؤتمن على خزانة ليس له فيها شىء.

وجدير بالذكر أن السيد المسيح، إذ نطق بالقرار «**اطمئن يا بنى، مغفورة لك خطاياك**»، **كان نطقه قراراً بمحو خطايا المفلوج بناء على قبوله لتوبة الرجل**، وصدق إيمانه، إذ المسيح بوصفه إلهاً عرف ماضى الرجل، وأن خطاياه كانت سبباً لمرضه وعرف أيضاً كفاحص للقلوب، وعالم بالأفكار وما فى ذات الصدور أن الرجل نادم ندامة حقيقية، وأنه يطلب من المسيح قبول توبته. ولما كان الرب يسوع هو صاحب الإختصاص فى القضية أولاً وآخراً **فقد أصدر قراره بالعفو عن خطايا المفلوج لأنه أب ورحيم، والمفلوج ابنه يطلب رحمته ومغفرته**. وهذا يتضح من خطاب المسيح له: «**اطمئن يا بنى**» على الرغم من أن المسيح من حيث هو إنسان كان فى هذا الوقت شاباً يزيد قليلاً عن الثلاثين، فالبنوة فى كلام المسيح لا تفهم على مستوى السن أو العمر، ولكنها البنوة الروحية. وهى تعبير عن مشاعر الحب والحنان من جانب الرب باعتباره الآب السماوى، وهى فى نفس الوقت **نداء له دلالته فى إجازة الرجل المفلوج للدخول فى حظيرة ملكوت الله**.

وهذا كله بَيِّنَةٌ على أن يسوع المسيح فى قراره بالغفران للرجل كان صاحب سلطان مطلق وأصيل.

ولم يصنع المسيح ذلك إلا نادراً، فما أقل ما نقرأ عن المسيح أنه استخدم سلطانه فى مغفرة الخطايا.

فالمفلوج الآخر، **مفلوج بركة بيت حسدا** كان مريضاً منذ ثمان وثلاثين سنة «فلما رآه يسوع مضطجعاً، وإذ كان يعلم أن له زماناً طويلاً هكذا، قال له: «أتريد أن تبرأ؟ فأجابه العليل قائلاً: يا سيد ليس لى من يلقى بى فى البركة متى تحرك الماء... فقال له يسوع: قم أحمل

فراشك وامش. ففى الحال برىء الرجل، وحمل فراشه ومشى، (يوحنا ٥: ١-٩). هذا المفلوج لم يقل له الرب يسوع ما قاله للفلوج الآخر المدلى من السقف «اطمئن يا بنى: **مغفورة لك خطاياك**» وإنما اكتفى بأن سأله: «أتريد أن تبرأ؟ وذلك ليأخذ منه إقراره بلسانه بحاجته إلى الشفاء احتراماً لإرادته ومشيئته، وحتى لا يفرض عليه الشفاء، ثم قال له بعد ذلك «قم احمل فراشك، وامش» - هذا على الرغم من أنه يعلم أن مرض هذا الرجل الطويل كان بسبب خطاياه، بدليل أن المسيح له المجد إلتقى به بعد ذلك وقال له: «**ها أنت قد برئت، فلا تعد إلى الخطية لئلا يصيبك ما هو أسوأ**» (يوحنا ٥: ١٤).

وهذا يدل على أن المسيح لم يكن يمنح الغفران لأحد ما لم يكن يعلم بصدق توبته واستحقاقه للغفران.

إننا لا نكاد نجد فى الإنجيل أن المسيح قد نطق بقرار الغفران إلا للمفلوج المدلى من السقف ثم للمرأة الخاطئة (لوقا ٧: ٣٦-٥٠).

والمرأة الخاطئة: منحها الغفران عن خطاياها السابقة المعروفة لجميع الناس فى المدينة (لوقا ٧: ٣٧)، لأنه رأى ندمها على ماضيها وحياتها الدنسة، واعترافها. أما ندمها فقد عبرت عنه بدموعها التى ذرفتها. ساخنة على قدمى الرب يسوع ووقفت من ورائه عند قدميه باكية، وأخذت تبلل قدميه بدموعها، وتمسحهما بشعر رأسها، وتقبل قدميه وتضمخهما بالطيب. وأما اعترافها فكان ظاهراً فى أنها وهى المشهورة فى المدينة بخطيئتها وسوء سيرتها إذ علمت أن الرب يسوع قبل دعوة سمعان الفريسى ليجلس معه إلى المائدة جاءت إليه هناك، ودخلت بيت الفريسى، وشرعت أمامه وأمام جميع المدعوين تبكى خطاياها، وتستغفره باكية وتبلل قدميه بدموعها... فقبل توبتها وهو عالم بماضيها وحاضرها، وعرف أن دموعها لم تكن دموع التماسيح الكاذبة لكنها كانت دموع التوبة الصادقة، حتى إنه دافع عنها ووبخ سمعان الفريسى صاحب الدعوة وصاحب البيت على فكره الذى انتواه فى قلبه ولم يصرح به إذ «قال فى نفسه: «لو كان هذا نبياً لعلم من هى هذه المرأة التى تلمسه، وما هو حالها، وأنها خاطئة» (لوقا ٧: ٣٩) وقال له المجد لمضيفه معلناً أن المرأة نادمة على خطاياها، وأنها تابت عنها، وأنه قبل توبتها الصادقة ولذلك غفر لها لأنها بقدر ما أخطأت كثيراً أقبلت إلى التوبة عن محبة لله صادقة، رآها له المجد أعظم من محبة الفريسى الذى دعاه ليأكل على مائدته، «وقال لسمعان: «أترى هذه المرأة؟ لقد دخلت بيتك فلم تعطينى ماء لقدمى، وأما هى فبللتهما بدموعها، ومسحتهما بشعر

رأسها. أنت لم تقبلنى، وأما هى فمنذ أن دخلت بيتك لم تكف عن تقبيل قدمى. أنت لم تدهن بالزيت شعرى. وأما هى فقد ضمخت بالطيب قدمى. لذلك أقول لك إن خطاياها الكثيرة مغفورة لها، لأنها أحبت كثيراً. وأما الذى يغفر له قليل فإنه يحب قليلاً. ثم قال لها: «**مغفورة لك خطاياك**». فأخذ الجالسون معه إلى المائدة يقولون فى أنفسهم: «من هذا أيضاً الذى يغفر الخطايا؟ أما هو فقال للمرأة: «إن إيمانك قد خلصك. فاذهبى بسلام» (لوقا ٧:٤٤-٥٠).

فى هاتين الحادثتين، حادثة المفلوج المدلى من السقف، وحادثة المرأة الخاطئة التى تابت، أصدر المسيح له المجد قراراً بالغفران عن الخطايا التى ارتكبها كل منهما ضد الله، **وكان القرار بالغفران قراراً من صاحب سلطان أصيل، قراراً حاسماً واضحاً، حكماً نافذاً غير مؤجل وغير مقيد وغير مشروط، نفاذه تم تواً، وفوراً وفى الحال.** فقال للمفلوج «**اطمئن يا بنى، مغفورة لك خطاياك**»، **وقال لسمعان عن الخاطئة التائبة: «أقول لك: إن خطاياها الكثيرة مغفورة لها...»**، وقال للمرأة نفسها: «**مغفورة لك خطاياك. إن إيمانك قد خلصك. فاذهبى بسلام**». **وكلها عبارات قاطعة جازمة، بلهجة حاسمة، تفيد أن فعل الغفران قد وقع، وصار حكماً نافذاً، بل إن نفاذه صار جزءاً من الحاضر الذى وقع، بل جزءاً من الماضى القريب.**

وهذا أمر لا يمكن أن يصدر من إنسان، نبياً كان أو كاهناً أو قديساً حتى إن الكتبة والفريسيين علماء الشريعة قالوا: «**من هذا أيضاً الذى يغفر الخطايا؟**» (لوقا ٧:٤٩) أى من هذا الآخر غير الله وحده الذى له أن يغفر الخطايا بسلطان أصيل. ولقد رأوا فى هذا الأمر تجديفاً على الله، **لأن المسيح غفر بسلطانه هو، لا بسلطان الآب**، وقالوا «ما باله يجدف هكذا؟ فمن يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله الواحد وحده» (مرقس ٢:٧)، (متى ٩:٣)، وقالوا «من هذا الذى يجدف؟ فمن يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله الواحد وحده» (لوقا ٥:٢١).

والغريب أن الرب يسوع، وقد علم باعتراض علماء الشريعة عليه واتهامهم له بالتجديف، مع ذلك لم يتراجع عن قراره، ولم يتخاذل أمام إتهامه بالتجديف ولم ينكر مقالته، ولا أعطى تفسيراً مريحاً لعلماء الشريعة، بل زاد على ذلك بأن حكم على أفكار الكتبة والفريسيين بأنها أفكار شريرة فقال: «**لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم؟**» (متى ٩:٤) أى أنهم بإنكارهم على المسيح سلطانه على غفران الخطايا، قد سقطوا فى فكر شرير فيما ظنوا أنفسهم أنهم حماة الشريعة، والمحامون عن الله، والمدافعون عن وحدانيته وسلطانه المطلق دون غيره على مغفرة الخطايا.

وأضاف إلى هذا كله. **بأن واجه تحديهم له، بتحد أكبر من جانبه. قال لهم: «أيهما أيسر: أن يقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال: قم احمل فراشك وامش؟»** (مرقس ٢ :٩)، (متى ٩ :٦)، (لوقا ٥ :٢٣). واضح من هذا أنه يسألهم لكى يقارنوا بين أمرين: أحدهما أيسر من الآخر، والأيسر هو أن يقال للمفلوج: «مغفورة لك خطاياك». أما الأصعب فهو أن يقال له: «قم احمل فراشك. وامش» لأن سلطان الغفران هو بالنطق، أما سلطان شفاء المريض ومنحه القوة لأن يحمل أيضاً فراشه ويمشى وهو المفلوج، ويسير حاملاً فراشه الثقيل إلى بيته، فهو سلطان أكبر... **ومن يقدر على الأصعب، يقدر بالأحرى على الأيسر.**

وبعد ذلك يقول الرب يسوع بإصرار **«ولكن لكى تعلموا أن لإبن الإنسان السلطان على الأرض أن يغفر الخطايا»** ... أى أنه على الرغم من أنه من البين أن يحكم الإنسان أن يقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك أيسر من أن يقال له: قم احمل فراشك وامش، لكنى سوف لا أكتفى بهذا التخيير النظرى بل إنى أثبت لكم سلطانى على أن أمنح الشفاء للمفلوج والقدرة أيضاً على أن يحمل فراشه ويمشى أمام الجميع ويذهب إلى بيته، حتى تتبينوا بعد هذا **سلطانى بالتالى على مغفرة الخطايا. وعندئذ قال للمفلوج بسلطان الآمر الناهى أى من دون تضرع وابتهال، ومن دون صلاة، ومن غير أن يستمد للشفاء قوة خارجة عن ذاته من كائن آخر كما يفعل الأنبياء حينما يُصلون لله مستمدين منه القدرة على الشفاء، قال للمفلوج: «قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك».** وحدثت المعجزة دون إبطاء. فتحركت الحياة فى المفلوج المخلع المحمول على فراشه بأربعة رجال، فنهض على الفور معافى، وتشددت أعصابه وعضلاته فقام فى التو واللحظة، ولم تعوزه مدة نقاهة ليقوى على المشى والحركة، بل صار بالأحرى قادراً على أن لا يحمل نفسه فقط وإنما يحمل فراشه أيضاً لمسافة طويلة بين بيت وبيت ولم تخر قواه فى الطريق ولم يضعف... وإنما سار بثبات وصحة وقدرة طوال الطريق، ولم يتقدم لمساعدته أحد إلى أن وصل إلى بيته وهو يمجد الله، والناس من أمامه ومن خلفه ومن حوله مبهورين متعجبين متحيرين منذهلين يمجدون الله الذى أعطى المخلع المفلوج هذه القدرة، وقالوا بهتاف قلوبهم وألسنتهم «قد رأينا اليوم عجائب»... بل «ما رأينا مثل هذا قط» (لوقا ٥ :٢٦)، (مرقس ٢ :١٢).

وبهذا برهن يسوع المسيح على سلطانه المطلق والأصيل على مغفرة الخطايا «لكى تعلموا أن لإبن الإنسان السلطان على الأرض أن يغفر الخطايا».

كما برهن على أنه إذ قال للمفلوج «**مغفورة لك خطاياك**» لم يجدف كما ظنه الكتبة والفريسيون علماء الشريعة ، وإنما مارس حقه وسلطانه **ولم يَعْتَدِ بهذه الممارسة على سلطان الله الآب فإن «جميع ما للآب فهو لى»** (يوحنا ١٦: ١٥)، (١٧: ١٠)، ولأن **«أنا وأبى نحن معاً واحد»** (يوحنا ١٠: ٣٠)، ولأن **«الابن هو فى الآب والآب هو فى الابن»** (يوحنا ١٤: ١٠، ١١، ٢٠)، (يوحنا ١٠: ٣٨)، (١٧: ٢١).

ولأن **«الآب كائن فى الابن»** (يوحنا ١٤: ١٠).

ولم يكن المسيح يسوع فى حاجة إلى أن يبرهن للكتبة وعلماء الشريعة من الفريسيين أنه لم يجدف، ولم يهتم بأن يدفع تهمة التجديف عن ذاته، بل ربما جعلها أكثر حدة ووضوحاً، وكأنه وضعهم أمام تحد عظيم، إذ برهن على سلطانه على مغفرة الخطايا الذى لا يتصف به إلا الله الواحد وحده، فكأنه بالأحرى يلزمهم الحجة بأنه **إذ يمارس سلطاناً ليس لأحد من البشر أن يمارسه، فلا مفر من أن يكون قد برهن بهذا على أنه هو الكلمة المتجسد، الله الذى ظهر فى الجسد، ولذلك فإنه بهذه الصفة يمارس سلطان الله ذاته فى مغفرة الخطايا.**

وهكذا انقلب الاتهام للمسيح بأنه مُجدف على الله إلى برهان على حقيقته الإلهية وأنه هو والآب معاً واحد (يوحنا ١٠: ٣٠).

وأن «جميع ما للآب هو للابن» (يوحنا ١٦: ١٥)، (١٧: ١٠)، وأن للإبن كل سلطان الآب فى القضاء (يوحنا ٥: ٢١، ٢٧).

إلى هذا كله نُضيف بأن المسيح له المجد إذ غفر للمفلوج وللمرأة الخاطئة، **فقد أصدر حكماً من غير ضراعة أو ابتهال، ومن غير إحالة على أحد آخر، وفى هذا يختلف عن الأنبياء. فإن هؤلاء لا يملكون سلطان الغفران، ولكن قد يطلبون الغفران، أو قد ينطقون بالغفران ولكن بتفويض واضح من الله.**

ومثال الحالة الأولى قول القديس بولس الرسول **«ليرحم الرب بيت أونيسيفوروس... ولينعم عليه الرب أن يجد رحمة من لدن الرب فى ذلك اليوم»** (٢ . تيموثيئوس ١: ١٦، ١٧).

ومثال الحالة الثانية قول ناثان لداود الملك بعد أن اعترف داود بخطيئته على يديه وقال: قد أخطأت إلى الرب، قال ناثان لداود: **إن الرب قد نقل خطيئتك عنك**، فلا تموت أنت، (٢ . صموئيل ١٢ :١٣) .

ومن ذلك يتضح أن القديس بولس الرسول لم يجرؤ على أن يمنح الغفران لأونيسفوروس، وإنما صلى وطلب من أجله لعل الله يمنحه الغفران. كما أن ناثان النبى لم يجرؤ على أن يمنح الغفران من عنده للملك داود، إنما نسب ذلك إلى الله (الرب أيضاً قد نقل خطيئتك عنك، فلا تموت أنت) .

وكذلك يصنع الكاهن بعد أن يسمع إعتراف التائب المعترف، ويلتمس منه الحل الكهنوتى، فيصلى الكاهن عنه، ويقول فى صوت واضح «اللهم أنعم علينا بغفران خطايانا. باركنا، طهرنا، حاللنا، وحالل عبدك (فلان)، وقومنا إلى إرادتك المقدسة الطوباوية...» ثم يقول التائب المعترف: أخطأت، حاللنى يا أبى، فيجيبه الكاهن قائلاً: «الرب يحاللك» أى «فليغفر لك الرب»!.

بهذا المفهوم نفسر سلطان الحل والعقد الذى منحه المسيح له المجد لتلاميذه ورسله عندما «نفخ فى وجوههم، وقال لهم: «اقبلوا روح القدس، من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم، ومن أمسكتموها عليهم تمسك عليهم» (يوحنا ٢٠ :٢٢، ٢٣) .

فالرسل والكهنة من بعدهم لا يغفرون خطايا المؤمنين بسلطان أصيل، ولكنهم ينطقون بالحل الكهنوتى كوكلاء أسرار الله (١ . كورنثوس ٤ :١) ، (٩ :١٧) ، (تيطس ١ :٧) .

أما المسيح له المجد فهو صاحب السلطان الأصيل فى غفران الخطايا، فإذا منح الغفران، منحه بصفته كائناً مع الآب، وفى الآب، ومالكاً لكل ما للآب، وفيه يحل الملء كله (كولوسى ١ :١٩) . «أى أن الله كان فى المسيح» (٢ . كورنثوس ٥ :١٩) «فإنه فيه يحل كل كمال (ملء) اللاهوت جسدياً» (كولوسى ٢ :٩) .

يسوع المسيح ينَسب إلى ذاته أنه
الفاحِصُ القُلوبِ والكُلَى

ليس غير واحد هو الذى يمكن أن يوصف بأنه فاحص القلوب والكلى، وهذا الواحد هو الله الأحد، ولا أحد غيره. فعلم الإنسان بنفسه ومعرفته بما يدور فى أعماقه من بواعث ودوافع وأفكار ونيات ومقاصد وأغراض، محدود وقاصر. وهو يحاول أن يفهم ذاته، ويسبر أغوار نفسه، ولكنه لا يعرف من نفسه إلا أقل القليل، حتى إن معرفة النفس للنفس تعد أنشودة ومطلباً غالياً، وفضيلة أولى تُبنى عليها جميع الفضائل، وقد اعتبرها سقراط الفيلسوف اليونانى أساساً لفلسفته عندما اكتشف هذه الحكمة منقوشة على معبد (أبولون)Apollon فى (دلفى) Delphi بهذه الصياغة «أعرف نفسك بنفسك». وفى الأمثال عند العرب «من عرف نفسه عرف ربه».

وعند الصوفية والرهبان، تُعتبر معرفة النفس للنفس هدفاً غالياً يسعى لبلوغه والتحقق به العباد والنساك، ويكرسون له كل الحياة، ومع ذلك يُقر جبابرة الروح منهم، أن ما بلغوه من ذلك هو بعض من كل، ويبقى بينهم وبين المعرفة الكاملة للنفس بون واسع يجاهدون فى مسيرتهم لعلهم يبلغونه كله أو بعضه.

وإذن ، فالله، والله وحده، هو القادر على المعرفة الشاملة الكاملة الفاحصة لأعماق الإنسان. وفى هذا يقول النبى داود فى المزمور:

«يارب قد فحصتنى فعرفتنى. أنت عرفت جلوسى وقيامى. فهمت فكرى من بعيد. مسلكى ومربضى ذريت وكل طرقى عرفت. لأنه ليس كلمة فى لسانى إلا وأنت يارب عرفتها كلها. من خلف ومن قدام حاصرتنى، وجعلت على يدك. علم عجيب فوق طاقتى. أرفع من أن أدركة... أنت الذى جبل كليتى، ونسجنى فى جوف أمى. أعترف لك لأنك أعجزت فأدهشت. عجيبة هى أعمالك، ونفسى تعرف ذلك يقيناً. لم تختف عنك عظامى حينما صنعت فى الخفاء ورقمت فى أسافل الأرض. رأتنى عيناك جنيناً وفى سفرك كتبت جميع الأكوان، وصورت أيامها قبل أن يكون منها شىء... اللهم افحصنى واعرف قلبى... امتحنى واعرف أفكارى» (مزمور ١٣٨ :١-٢٤).

ويقول النبى داود أيضاً فى مزاميره «إنك فاحص القلوب والكُلى، أيها الإله العادل» (مزمور ٧:٩).

وجاء فى صلاة الحكيم سليمان «لأنك أنت وحدك تعرف قلوب جميع بنى البشر» (١ . الملوك ٨:٣٩).

وجاء فى وصية النبى داود لابنه سليمان قوله: «الرب يفحص جميع القلوب ويفهم جميع خواطر الأفكار» (١ . أخبار الأيام ٢٨:٩).

وجاء فى سفر نبوءة إرميا النبى «فيارب الجنود الحاكم بالعدل، الفاحص الكُلى والقلوب» (إرميا ١١:٢٠) «فيارب الجنود فاحص الصديق، ناظر الكُلى والقلوب» (إرميا ٢٠:١٢).

وقوله بفم الرب «أنا الرب أفحص القلوب وأمتحن الكُلى، فأجزى الإنسان بحسب طرقه وثمر أعماله» (إرميا ١٧:١٠).

ويقول السيد المسيح له المجد «ولكن الله يعرف قلوبكم» (لوقا ١٦:١٥).

وجاء فى سفر أعمال الرسل: «أيها الرب العارف قلوب الجميع» (أعمال ١:٢٤)، وقوله «الله العارف بالقلوب» (أعمال ١٥:٨).

وجاء فى رسالة القديس بولس إلى أهل رومية «والذى يفحص القلوب (الله) يعلم ما هو اهتمام الروح» (رومية ٨:٢٧).

انظر أيضاً (١ . صموئيل ٢:٣)، (١٦:٧)، (مزمور ٢٥:٢)، (الأمثال ٢١:٢).

فهل من شك، بعد هذا كله، **فى أن الله، والله وحده، هو فاحص القلوب والكُلى، العليم بما فى ذات الصدور؟.**

إن من يزعم لنفسه أنه فاحص القلوب والكُلى لابد أن يكون مجدفاً على الله وكافراً، لأنه ينسب إلى نفسه ما لا يوصف به إلا الله وحده.

ومع ذلك فإن السيد المسيح له المجد ينسب لذاته صراحة أنه هو الفاحص القلوب والكُلى.

من ذلك قوله:

«وأكتب إلى ملاك الكنيسة التى فى ثياتيرا. **هذا ما يقوله ابن الله الذى عيناه كلهيب**

نار، ورجلاه كأنهما من نحاس خالص. إنى عالم بأعمالك ومحبتك وخدمتك وإيمانك وصبرك، وأن أعمالك الأخيرة أكثر من الأولى. ولكن عندى عليك شيئاً أنك تدع المرأة إيزابل الزاعمة أنها نبية تعلم وتغوى عبادى حتى يزنوا ويأكلوا من ذبائح الأوثان، وقد أمهلتها مدة لتتوب من زناها... فهآءنذا أطرحها فى فراش والذين يزنون معها فى ضيقة عظيمة، إن كانوا لا يتوبون عن أعمالهم. وسأقتل أبناءها بالموت. **فستعرف جميع الكنائس أنى أنا هو الفاحص الكُلى والقلوب...**» (سفر الرؤيا ٢ :١٨-٢٣).

انظر أيضاً (متى ٩ :٤)، (١٢ :٢٥)، (لوقا ٦ :٨)، (يوحنا ٢ :٢٥)، (٦ :٦١، ٦٤)، (١٣ :١، ٣، ١١)، (١٦ :٣٠)، (١٨ :٤).

وواضح فى هذا النص المقدس، أن المتكلم إلى القديس يوحنا فى الرؤيا هو السيد المسيح ذاته، **ابن الله**، وأنه وهو ابن الله، لكنه المتأنس (الذى عيناه كلهيب نار، ورجلاه كأنهما من نحاس خالص)، ويتحدث إلى يوحنا معلناً معرفته الكاملة بأعمال ملاك كنيسة ثياتيرا وأسقفها، ومحبته وخدمته وإيمانه وصبره، كما يعلم ضعفه وتقصيره بالنسبة إلى إيزابل ثم ينذره بما سيقضى به على إيزابل وأصحابها إذا لم يتوبوا عن أعمالهم ويتوعدهم بالموت، ويختم حديثه عنها بقوله «**فستعرف جميع الكنائس أنى أنا هو الفاحص الكُلى والقلوب**».

أفهل كان يمكن للمسيح، لو كان بشراً كأحد الأنبياء أو الرسل، أن ينسب إلى ذاته أنه هو الفاحص القلوب والكُلى، الأمر الذى لا يتصف به غير الله وحده؟.

لو كان المسيح مجرد إنسان، لكان قوله إنه هو الفاحص القلوب والكُلى، تجديفاً سافراً على الله، لأنه يزعم لنفسه صفة يتفرد الله وحده بها.

فليس إذن من أن نقبل قول المسيح أنه الفاحص القلوب والكُلى، بينة على أنه **هو والله واحد، هو الله الغير المنظور وقد صار منظوراً، هو الله الكلمة، هو الله المتأنس، هو ابن الله لأنه صورة الله الغير المنظور (كولوسى ١ :١٥).**

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه الديان للأحياء والأموات

المعروف والمقرر أن الله هو وحده الديان للأحياء والموتى، وأنه عين يوماً (أعمال الرسل ١٧ :٣١)، (١ . كورنثوس ٣ :١٣)، (٢ . تيموثيوس ٤ :٨) يدين فيه سرائر الناس وأعمالهم ويجازى كل واحد على حسب أعماله.

قال إبراهيم الخليل «أديان كل الأرض لا يدين بالعدل» (التكوين ١٨ :٢٥).

وقال النبى داود «لأن الله هو الديان» (مزمور ٤٩ :٦) «إن الرب يدين الشعوب» (مزمور ٧ :٨) «إن فى الأرض إلهاً ديناناً» (مزمور ٥٧ :١١).

«الله هو الديان» (مزمور ٧٤ :٧) «ارتفع يا ديان الأرض» (مزمور ٩٣ :٢).

وقال الحكيم الجامعة «إن الصديق والمنافق كليهما يدينهما الله» (الجامعة ٣ :١٧).

وقال الرسول القديس بولس:

«يدين الله العالم» (رومية ٣ :٦).

«كل واحد منا سيؤدى حساباً لله عن نفسه» (رومية ١٤ :١٢).

«الله ديان الجميع» (العبرانيين ١٢ :٢٣).

«وأما العاهرون والزناة، فسيدينهم الله» (العبرانيين ١٣ :٤).

انظر (التكوين ٦ :٣)، (١٥ :١٤) (التثنية ٣٢ :٣٦)، (١ . صموئيل ٢ :٢٥)، (٢٤ :١٥)، (١ . أخبار الأيام ١٦ :٣٣)، (أيوب ٩ :١٥)، (مزمور ٩ :٨)، (٦١ :١٢)، (٦٦ :٤)، (٨١ :٨)، (٩٥ :١٠، ١٣)، (٩٧ :٩)، (١٠٩ :٦)، (١٣٤ :١٤)، (الجامعة ١١ :٩)، (١٢ :١٤)، (إشعياء ٣ :١٣)، (يوئيل ٣ :١٢)، (أعمال الرسل ٧ :٧)، (رومية ٢ :٥، ٦)، (١ . كورنثوس ٥ :١٣)، (العبرانيين ١٠ :٣٠)، (يعقوب ٥ :٩)، (١ . بطرس ٤ :٥)، (الرؤيا ١٨ :٨، ٢٠)، (١٩ :٢)، (٢٠ :١٢).

على أن الرب يسوع المسيح قد أوضح مراراً فى مواضع متفرقة، وفى مجالات مختلفة، أنه هو بعينه الديان، وأنه سيأتى فى مجيئه الثانى ليدين الأحياء والأموات، وأنه هو الذى سيحاسب الجميع أخياراً وأشراراً، وأنه سيجازى كل واحد

على حسب أعماله، وسيعطى الأبرار أكاليل المجد وينعم عليهم بالدخول فى الملكوت الأبدى وسيحكم على الأشرار بالبحيرة المتقدة بالنار والكبريت المعدة لإبليس وملائكته.

قال المسيح له المجد:

«فكما أن الزؤان يجمع أولاً ثم يحرق فى النار، هكذا يكون فى نهاية هذا الدهر. **يُرسل ابن الإنسان ملائكته، فيجمعون من مملكته كل من كانوا عثرة وكل فاعلى الإثم، ويطرحونهم فى أتون النار.** هناك يكون البكاء والصرير على الأسنان. حينئذ يضىء الأبرار مثل الشمس فى ملكوت أبيهم» (متى ١٣: ٤٠-٤٣).

«لأن ابن الإنسان سيأتى فى مجد أبيه مع ملائكته **وعندئذ سيجازى كل إنسان على حسب أعماله** (متى ١٦: ٢٧).

«ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وكل الملائكة القديسين معه، **يجلس عندئذ على عرش مجده، وتجتمع أمامه كل الشعوب، فيفرز بعضهم من بعض كما يفرز الراعى الخراف من الجداء. ثم يُقيم الخراف عن يمينه، وأما الجداء فعن يساره. حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا أيها المباركون من أبى، لترثوا الملكوت المعد لكم منذ إنشاء العالم** لأنى كنت جائعاً فأطعمتمونى... فيجيبه الأبرار عندئذ قائلين: يارب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك، ... فيجيب الملك ويقول لهم: «الحق أقول لكم مادمتم قد فعلتم ذلك بأى من أصغر إخوتى هؤلاء فبى فعلتم».

«ثم يقول أيضاً **للأشرار الذين عن يساره: اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته.** لأنى كنت جائعاً فلم تطعمونى...»

«عندئذ يجيبونه هم أيضاً قائلين: يارب متى رأيناك جائعاً أو عطشاناً... ولم نخدمك. فيجيبهم حينئذ قائلاً: الحق أقول لكم مادمتم لم تفعلوا ذلك بأى من أصغر هؤلاء فبى لم تفعلوا. **فيمضى هؤلاء إلى العذاب الأبدى. وأما الأبرار فإلى الحياة الأبدية».** (متى ٢٥: ٣١-٤٦).

«وحينئذ سيرون ابن الإنسان آتياً على السحاب بقوة عظيمة ومجد. **ثم يرسل ملائكته فيجمع مختاريه من الرياح الأربع من أقاصى الأرض إلى أقاصى السماء»** (مرقس ١٣: ٢٦، ٢٧)، (لوقا ٢١: ٢٧)، (مرقس ١٤: ٦٢).

«فإن من خزى منى ومن كلامى ، سيخزى منه ابن الإنسان، متى جاء فى مجده، ومجد أبيه وملائكته القديسين» (لوقا ٩:٢٦).

«فاسهروا إذن، مواظبين على الصلاة فى كل حين، كى تصيروا أهلاً للنجاة من كل هذا المزمع أن يكون، ولأن تقفوا بين يدى ابن الإنسان» (لوقا ٢١ :٣٦).

«كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم: «يارب يارب، ألم نكن نتنبأ باسمك، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا معجزات كثيرة. فعند ذاك **أعلن لهم: إنى ما عرفتكم قط. اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم»** (متى ٧:٢٢، ٢٣).

«فإن الآب لا يدين أحداً، وإنما سلم القضاء كله للابن» (يوحنا ٥:٢٢).

«وقد أعطاه السلطان لأن يدين، لأنه ابن الإنسان. لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتى ساعة يسمع فيها كل الذين فى القبور صوته، فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يوحنا ٥:٢٧-٢٩).

وجاء فى سفر الرؤيا قول المسيح له المجد: «واكتب إلى ملاك الكنيسة التى فى ثياتيرا. **هذا ما يقوله ابن الله الذى عيناه كلهيب نار ورجلاه كأنهما من نحاس خالص.** إنى عالم بأعمالك ومحبتك وخدمتك وإيمانك وصبرك، وأن أعمالك الأخيرة أكثر من الأولى. ولكن عندى عليك شيئاً إنك تدع المرأة إيزابل الزاعمة أنها نبية تُعلّم وتغوى عبادى حتى يزنوا ويأكلوا من ذبائح الأوثان. وقد أمهلتها مدة لتتوب من زناها... **فهآءنذا أطرحها فى فراش والذين يزنون معها فى ضيقة عظيمة، إن كانوا لا يتوبون عن أعمالهم وسأقتل أبناءها بالموت**، فستعرف جميع الكنائس أنى أنا هو الفاحص الكُلى والقلوب. **وسأعطى كل واحد منكم على حسب أعماله** (سفر الرؤيا ٢ :١٨-٢٣).

وقال المسيح له المجد أيضاً فى ختام رؤيا القديس يوحنا اللاهوتى:

«هاءنذا أنا آت سريعاً، وأجرتى معى لأجازى كل واحد على حسب أعماله. أنا الألف والياء، والبداءة والنهاية، الأول والآخر... أنا يسوع أرسلت ملاكى لأشهد لكم بهذه الأمور عن الكنائس. أنا أصل داود وذريته، وكوكب الصبح المنير» (الرؤيا ٢٢ :١٢-١٦).

انظر أيضاً (متى ١٩: ٢٨)، (يوحنا ٥: ٣٠)، (٨: ١٦)، (أعمال الرسل ١٠: ٤٢)، (الرؤيا ٢٠: ١١، ١٢).

فإذا كان ذلك كذلك، وكان يسوع المسيح هو وحده الديان، وليس آخر، وأن الدينونة بما فيها من ثواب وعقاب يقوم بها ابن الله يسوع المسيح وحده، وأنه لا شريك له في هذا السلطان، وأن الله الآب ذاته سوف لا يقوم بمجازاة الناس وإنما الله الابن هو الذى سيقوم بالدينونة، فقد ترتب عليه أن يكون يسوع المسيح قد نسب إلى ذاته صفة أخرى من صفات الله.

وعلى ذلك فإن يسوع المسيح ليس إنساناً وإن كان قد أخذ شكل إنسان، وليس عبداً وإن كان قد اتخذ صورة عبد، لأنه نسب إلى ذاته صفة من صفات الألوهة التى يتفرد الله بها، فيحكم على كل بشر حكماً يتوقف عليه مصيره الأبدى، إما فى نعيم دائم أو فى شقاء مقيم.

فإذا لم يكن يسوع المسيح هو الله ذاته متجسداً، فإنه سيكون مجدفاً ومفترياً ومدعياً لأنه نسب إلى ذاته ما لا ينسب لغير الله وحده.

فنحن الآن أمام تحد واضح صارخ، وليس مفر من أحد أمرين إما أن يكون المسيح مجدفاً ومفترياً ومدعياً، وإما أن يكون صادقاً.

فإذا كان صادقاً، وعلى قول اليهود له: «يا معلم، نحن نعلم أنك صادق، وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد لا تحابى وجه إنسان» (متى ٢٢: ١٦)، (مرقس ١٢: ١٤).

فليس مفر من أن نقبل الأمر الذى ليس منه بد، أن **يسوع المسيح هو ابن الله المتأنس، هو الله الغير المنظور وقد صار منظوراً، أو هو صورة الله الغير المنظور** «عظيم هو سر التقوى، الله ظهر فى الجسد» (١ . تيموثيئوس ٣: ١٦).

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه القدير، والقادر على كل شىء

من هذا الذى يتصف بالقدرة على كل شىء إلا الله القدير وحده، الذى يُعرف ذاته لموسى النبى قائلاً: «وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأنى الإله القادر على كل شىء» (الخروج ٦:٣)، (التكوين ٤٨:٣)، (٤٩:٢٥)، (إشعياء ١٣:٦)، (يوئيل ١:١٥)، (٢. كورنثوس ٦:١٨).

لكن يسوع المسيح يصف ذاته أيضاً بأنه (القادر على كل شىء).

جاء فى سفر الرؤيا:

«**اعلان يسوع المسيح**... أنا هو الألف والياء، البداءة والنهاية. يقول الرب الإله، الكائن، والذى كان، والذى سيأتى، **القادر على كل شىء**» (الرؤيا ١:٨)، (١٥:٣)، (١٩:٦، ١٥).

إن المتكلم هو يسوع المسيح، وهو ينسب إلى ذاته أنه الأزلى الأبدى، والسرمد، والسرمدى، إذ يقول «أنا هو الألف والياء، البداءة والنهاية... الرب الإله، الكائن فى الحاضر، والكائن فى الماضى، والكائن إلى الأبد»، أى أنه الكائن منذ الأزل، والدائم إلى الأبد، وأنه الواحد الأحد، لم يكن قبله إله، ولا يكون بعده إله (إشعياء ٤٣:١٠)، هو الواحد الأحد وليس ثمة إله آخر سواه (إشعياء ٤٤:٨)، (٤٥:٥، ١٨، ٢٢).

وهو الإله القدير والقادر على كل شىء، يستطيع كل شىء ولا يعسر عليه أمر (أيوب ٤٢:٢).

يسوع المسيح ينسب إلى ذته العصمة من الخطأ والخطيئة

العصمة لله وحده. فما من بشر معصوم من الخطأ والخطيئة. وحتى الأنبياء ليسوا معصومين من الخطأ والخطيئة. إن الروح القدس يعصمهم فيما ينطق به على أفواههم فتكون نبوءاتهم وأقوالهم معصومة من الخطأ بفعل الروح القدس الذى يهيمن عليهم فلا يخطأون فيما يقولون، ولا يخطأون فيما يكتبون. لهذا جاءت الكتب المقدسة معصومة من كل خطأ. وقد شهد الوحى الإلهى قائلاً: «عالمين هذا أولاً أن كل نبوة فى الكتاب ليست من تفسير خاص، لأنها لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل إنما تكلم أناس الله القديسون محمولين بالروح القدس» (٢ . بطرس ١ :٢٠ ، ٢١) وقال أيضاً «فإن الكتاب كله قد أوحى به من الله» (٢ . تيموثيوس ٣ :١٦) .

وفيما عدا ذلك، فيما عدا الوحى إلى الأنبياء الذى عصم الأنبياء فيما قالوا وفيما كتبوا، فإن الأنبياء فى ذواتهم غير معصومين من الخطأ أو الخطيئة، فآدم وهو نبى وأول الأنبياء قد أخطأ، وعصى ربه، وورث الجنس البشرى كله حالة الخطيئة التى تعدى بها آدم على سيده وخالقه بمخالفة أمره ووصيته، ونوح أخطأ إذ سكر من الخمر وتعرى، ولوط أخطأ أيضاً، وكذلك إبراهيم كذب على فرعون ملك مصر (التكوين ١٢ :١٠-١٢) وعلى أبيمالك ملك جرار (التكوين ٢٠ :١-١٨) ، وكذب إسحق على أبيمالك وأهل جرار (التكوين ٢٦ :١-١١) ، وكذب يعقوب على أبيه إسحق وأخذ بركة عيسو (التكوين ٢٧ :١-٤٦) وكذب إخوة يوسف على أبيهم يعقوب، وأخطأ الأنبياء الآخرون، فموسى أخطأ فقتل المصرى، وداود أخطأ أيضاً. وهكذا أخطأ الجميع...

ولذلك قال الكتاب المقدس «ليس إنسان لا يخطأ» (١ . الملوك ٨ :٤٦) ، (٢ . أخبار الأيام ٦ :٣٦) .

وجاء أيضاً فى سفر أيوب «الإنسان لا يبر تجاه الله» (أيوب ٩ :٢) وقوله «ما الإنسان حتى يزكو أو مولود المرأة حتى يتبرر. ها إن قديسيه لا يأتمنهم والسماوات غير زكية فى عينيه. فبالحرى مكروه وفاسد الإنسان الشارب الإثم كالماء» (أيوب ١٥ :١٤-١٦) ، (٢٥ :٤ ، ٥) ، (١٤ :٤) .

وجاء فى سفر المزامير «فسدوا ورجسوا بأعمالهم وليس من يصنع الصلاح. اطلع الرب من السماء على بنى البشر لينظر هل من فاهم ملتمس لله. قد زاغوا جميعهم وتدنسوا وليس من يصنع الصلاح ولا واحد» (مزمور ١٣ :١-٣) ، (٥٢ :١-٣) ، (رومية ٣ :٩-١٢ ، ٢٣) . وأيضاً قوله «إن

كنت للآثام راصداً يارب، يا سيد، فمن يقف» (مزمور ١٢٩: ٣) «ولا تدخل فى المحاكمة مع عبدك، فإنه لن يتبرر أمامك حى» (مزمور ١٤٢: ٢). انظر (مزمور ٥٠: ٥)، (٥٧: ٣)، (إشعياء ٤٨: ٨).

وجاء فى سفر الأمثال: «من يقول إنى زكيت قلبى، تطهرت من خطيئتى» (٢٠: ٩).

وجاء فى سفر الجامعة «ليس من صديق على الأرض يصنع صلاحاً بغير أن يخطأ» (٧: ٢٠).

وجاء فى رسالة يعقوب «لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا» (٣: ٢).

وجاء فى رسالة يوحنا الأولى: «إن قلنا أن ليس فينا خطيئة فإنما نُضِلُّ أنفسنا وليس الحق فينا... وإن قلنا إننا لم نخطأ نجعله كاذباً، ولا تكون كلمته فينا» (١: ٨-١٠)، (أفسس ٢: ٣).

على أن يسوع المسيح وهو فى صورة الإنسان، هو وحده الذى لم يخطأ (٢. كورنثوس ٥: ٢١)، (العبرانيين ٤: ١٥)، (٧: ٢٦)، (١. بطرس ٢: ٢٢)، (١. يوحنا ٣: ٥)، بل قد تحدى اليهود إذا كان أحد يثبت عليه خطيئة واحدة.

قال: «من منكم يستطيع أن يُثبت على خطيئة؟» (يوحنا ٨: ٤٦).

هل يجرؤ على هذا التحدى نبى من الأنبياء؟.

هل يجرؤ على القول به آدم أو نوح أو إبراهيم أو موسى أو داود أو صموئيل؟.

هل يجرؤ على القول به إسحق أو يعقوب أو إشعياء أو إرميا أو دانيال؟.

إن جميعهم اعترفوا بخطاياهم وأقروا بأنهم خطاة وأثمة. وليس واحد منهم زعم لنفسه العصمة من كل خطأ.

إنما المسيح هو وحده المعصوم من كل خطيئة، وهو وحده الذى نسب إلى نفسه العصمة متحدياً أن يُثبت عليه أحد من اليهود خطيئة واحدة.

وعندما تكلم عن موته، قال «إن رئيس هذا العالم يأتى، ولا يملك فِىَّ شيئاً» (يوحنا ١٤: ٣٠).

ورئيس هذا العالم - وهو إبليس (يوحنا ١٢: ٣١)، (١٦: ١١)، (٢. كورنثوس ٤: ٤)، (أفسس ٢: ٢) - ليس له فى المسيح يسوع شىء، ولا سلطان له عليه، ولا نصيب له فيه.

وهذا تحد آخر يقف فيه المسيح وحيداً. فما من أحد آخر يزعم أنه لا نصيب للشيطان فيه، ولا سلطان له عليه.

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أن بيده سلطان الحياة والموت

من غير الله تعالى يمكن أن يقال عنه أن بيده سلطان الحياة والموت، ذلك أن الله، والله وحده، هو الخالق الذى يملك أن يهب الحياة لغير الموجود، فيوجد ويحيى، وهو بعينه القدير والقادر على كل شيء، الذى يستطيع أن يقضى بالموت والفناء والعدم على أى موجود، فيمسى عدماً وغير موجود. وليس من يمنع يده (دانيال ٤ :٣٥) أو يرده عن قضائه (إشعياء ٤٣ :١٣). إذا شاء أمر، وإذا أمر قدر (أيوب ٤٢ :٢).

يقول الله تعالى: «إننى أنا هو ولا إله معى. أنا أميت وأحيى» (التثنية ٣٢ :٣٩).

وجاء فى سفر صموئيل الأول «الرب يميت ويحيى» (٢ :٦).

وجاء فى الرسالة إلى رومية «هو الله الذى يحيى الأموات، ويدعو ما هو غير كائن كأنه كائن» (٤ :١٧).

انظر أيضاً (التكوين ٨ :٢١)، (٥٠ :٢٠)، (التثنية ٩ :٢٨)، (القضاة ١٣ :٢٣)، (٢ . الملوك ٥ :٧)، (نحميا ٩ :٦)، (مزمور ٤٠ :٢)، (٧٠ :٢٠)، (٧٩ :١٨)، (٨٤ :٦)، (١١٨ :٢٥، ٣٧، ٤٠، ٨٨، ١٠٧، ١٤٩، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٩)، (١٣٧ :٧)، (١٤٢ :١١)، (إشعياء ٥٧ :١٥)، (إرميا ٤٩ :١١)، (هوشع ٢ :٣)، (٦ :٢)، (٩ :١٦)، (رومية ٨ :١١)، (١ . تيموثيوس ٦ :١٣).

على أن يسوع المسيح، مع ذلك نسب إلى ذاته أن له سلطان الحياة والموت بنفس الدرجة كما لله الآب. وليس من فارق فى هذا السلطان بينه وبين الله الآب، مبيناً بكل الوضوح والصراحة أن له ذات السلطان الذى لله الآب فى الحياة والموت. وكان يقول ذلك بغير تحفظ، وبدون استدراك. وهو أمر ما كان يمكن للمسيح أن يجرؤ عليه لو كان مجرد إنسان بشرى، فإنه بذلك يصير مجدفاً على الله.

يقول المسيح له المجد «لأنه كما أن الآب يُقيم الموتى ويحييهم، هكذا الابن يُحيى من يشاء» (يوحنا ٥ :٢١).

هل يقدر نبى أو رسول أن ينسب إلى ذاته سلطان الإقامة من بين الأموات، وسلطان الحياة، والإحياء من الموت، بنفس الدرجة التى لسلطان الله الآب؟ إن هذا مستحيل. ولو افترضنا جدلاً أن بشراً ما نسب إلى ذاته سلطان الله الآب فى الحياة والموت، لم يكن هذا نبياً لله، وإنما يكون

فى الحقيقة عدواً لله، ولابد أن يكون شراً من الشيطان، فإن الشيطان لا يدّعى ذلك، لأنه وجنوده يؤمنون بالله ويرتعدون (يعقوب ٢: ١٩).

بيد أن مخلصنا يسوع المسيح يعلن صراحة وبكلمات واضحة قاطعة لا لبس فيها ولا غموض «كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم، هكذا الابن يحيى من يشاء». ثم إنه لا ينسب إلى ذاته القدرة على أحياء الموتى فقط، وإنما ينسب إلى ذاته أيضاً القدرة المطلقة غير المعلقة بشىء غير إرادته هو ومشيئته هو. وذلك يتبين من قوله «هكذا الابن يحيى من يشاء»، بمعنى أن قدرته كاملة، وسلطانه مطلق، وهو لا يمارس تلك القدرة وهذا السلطان بمشيئة أحد آخر غير مشيئته هو، وأنه كما يملك القدرة يملك المشيئة والإرادة، وأن مشيئته لا تخضع لمشيئة كائن آخر غيره. وهذا معناه أن الابن والآب معاً واحد (يوحنا ١٠: ٣٠)، أى أنهما قدرة واحدة، ومشيئة واحدة. وليس هناك افتراق أو إنقسام أو إختلاف بين الآب والابن فى ذلك، وأن للابن ذات الصفات والقدرات التى لله الآب.

ثم أن المسيح له المجد يقول مراراً وتكراراً **إن له سلطان الإقامة من الموت، دائماً وأبداً، حاضراً ومستقبلاً، الآن وفى اليوم الأخير.**

يقول «إن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية، **وأنا أقيمه فى اليوم الأخير**» (يوحنا ٦: ٤٠)، «من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية، **وأنا أقيمه فى اليوم الأخير**» (يوحنا ٦: ٥٤). انظر أيضاً (يوحنا ٦: ٣٩، ٤٤) وبهذا أبان بوضوح سلطانه على الإقامة من بين الأموات، وأنه بالتالى لا يقيم الموتى الآن فحسب ولكن سلطانه يمتد إلى اليوم الأخير فى القيامة العامة. وفى ذلك يقول أيضاً «**أنا هو القيامة والحياة**» (يوحنا ١١: ٢٥).

ويقول المسيح أيضاً «الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى له الحياة الأبدية. ولن يأتى إلى دينونة، وإنما ينتقل من الموت إلى الحياة» (يوحنا ٥: ٢٤).

وهذا قول جرىء آخر لا يمكن أن يصدر من نبى أو رسول: «إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى له الحياة الأبدية». **إن المسيح يعد بمنح الحياة، والحياة الأبدية التى لا نهاية لها** لأنها الحياة الدائمة، ولا دوام إلا لله. والله هو وحده الأبدى، والمالك للأبد. فكيف يعد المسيح بالحياة والحياة الأبدية التى لا نهاية لها لمن يسمع كلامه ويطيعه ويعمل مؤمناً به وبالذى أرسله وهو الله الآب؟!.

والإرسال هنا ليس كإرسال الله للأنبياء، حاشا! إنما هو **الإرسال من باطن لا من خارج كما تُرسل الشمس أشعتها، فهى معها وفيها، ولا تنفصل عنها لأنها أيضاً منها.**

فإذا كان له المجد يتكلم كثيراً عن إرساله من الآب، ويصف ذاته بأن الآب أرسله فلكى يؤكد لليهود - وهم أهل توحيد - أن المسيح لا يدعى الألوهة لنفسه منفصلاً عن الله الآب، **وهو ليس إلهاً آخر جديداً غير الذى عرفوه فى الماضى وآمنوا به، ولكنه واحد معه، وهو منه، إذ هو (نور من نور)، لأنه من طبيعة الآب ومن جوهره**، وليس دخيلاً أو مدعياً، ولم يأت من نفسه وحده بديلاً عن الله الآب، ولا جاء ليلغى أو يبطل أو ينفى وجود الله الآب، وإنما مجيئه بمعرفة الآب وتدبيره، **وهو كائن معه فى ذاته، ومتحد به ومعه فى جوهر واحد** وقد قال صراحة «**أنا وأبى نحن معاً واحد**» (يوحنا ١٠: ٣٠).

ثم يضيف قائلاً «ولن يأتى إلى دينونة وإنما ينتقل من الموت إلى الحياة». وإذن فهو يمنح لمن يسمع ويطيعه ويؤمن به وبالله الآب، العفو والغفران من الدينونة الأبدية والعقوبة اللانهائية، ويعده بالحياة الأبدية، والإنتقال من الموت الأبدى إلى الحياة الأبدية. **وكل هذا يؤكد سلطانه المطلق غير المقيد بمنح الحياة لمن يطيعه ويؤمن به. وهو أمر لا يجرؤ على التصريح به، وبإمكانية منحه، غير مانح الحياة وهو الله وحده بغير منازع، لأنه وحده المتفرد بالسلطان على الحياة، ليمنحها لمن يشاء، حسبما يرى ويريد.**

ويؤكد المسيح له المجد مراراً على هذه الحقيقة، ويصر عليها وهى **أنه مالك الحياة الأبدية، وأنه قادر أن يمنحها لمن يستحقها من المؤمنين به والعاملين بوصاياه، وأن يمنح الطعام الذى به تحيا النفوس الحياة الأبدية، إذ هو شجرة الحياة الحقيقية.**

يقول «اعملوا لا من أجل الطعام الفانى، وإنما من أجل الطعام **الباقى للحياة الأبدية، الذى يعطيكم ابن الإنسان**» (يوحنا ٦: ٢٧). فالمسيح إذن هو المانح للطعام الباقى للحياة الأبدية. ولما كان فاقد الشىء لا يعطيه، فمانحه هو المالك له. **فمن يهب الطعام الباقى للحياة الأبدية هو مالك الأبد والأبدية، وهو الله وحده.**

ثم يضيف قائلاً: «لأن خبز الله هو الذى ينزل من السماء، ويهب الحياة للعالم» فقالوا له «يارب: أعطنا هذا الخبز فى كل حين». **قال لهم يسوع: «أنا هو خبز الحياة.** من يقبل إلى فلن يجوع. ومن يؤمن بى، فلن يعطش أبداً... أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية... الحق الحق أقول لكم إن من يؤمن بى فله الحياة الأبدية. **أنا هو خبز الحياة...** أما هذا فهو الخبز النازل من السماء، ليأكل منه الإنسان فلا يموت. **أنا هو الخبز الحى الذى نزل**

من السماء. من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى سأعطيه أنا هو جسدى الذى سأبذله من أجل حياة العالم». فأخذ اليهود يجادلون بعضهم بعضاً قائلين: «كيف يستطيع هذا أن يعطينا جسده لنأكله؟» فقال لهم يسوع: «الحق الحق أقول لكم: ما لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فلن تكون لكم حياة فى أنفسكم. من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية... وأنا كذلك أحيا بالآب، هكذا فإن الذى يأكلنى يحيا بى. هذا هو الخبز الذى نزل من السماء... **من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد**». (يوحنا ٦: ٣٣-٥٨).

وقال مرة أخرى «فمن يؤمن بالابن فله الحياة الأبدية، ومن لا يؤمن بالابن فلن يرى الحياة، وإنما يحل عليه غضب الله» (يوحنا ٣: ٣٦، ١٦).

وقال أيضاً «**أنا هو القيامة والحياة**. من آمن بى وإن مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بى فلن يموت إلى الأبد» (يوحنا ١١: ٢٥، ٢٦).

وقال «إن خرافى أنا تسمع صوتى... **وأنا أيضاً أعطيها الحياة الأبدية**، فلا تهلك إلى الأبد، ولا يقدر أحد أن يختطفها من يدى» (يوحنا ١٠: ٢٧، ٢٨).

وقال كذلك: «الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامى فلن يرى الموت أبداً» (يوحنا ٨: ٥١).

والموت فى هذه النصوص هو الموت الأبدى، والهلاك فى جهنم النار الأبدية. فمن آمن بالمسيح، فلن يموت الموت الأبدى، وإنما تكون له الحياة الأبدية.

* * *

من كل ذلك يتبين ما للمسيح من سلطان على الحياة، **وأنه القادر على أن يمنح الحياة، والحياة الأبدية الدائمة إلى الأبد. وهذا لن يكون إلا لمن هو أبدى، ويملك الأبد والأبدية، وهو الله وحده، ولا غير سواه.**

هذا إلى أنه نسب إلى ذاته أنه هو الحياة ذاتها بقوله (**أنا هو القيامة والحياة**) وأنه الخبز الحقيقى النازل من السماء الذى يهب الحياة والحياة الأبدية للعالم، وأن من يأكله يحيا به، **فهو «المائدة الروحانية» التى منها الحياة وبها وفيها الحياة. ومن يأكل منها يحيا به... ويحيا إلى الأبد... ومن لا يأكل فلن تكون له الحياة الأبدية.**

وجميعها كلمات قاطعة صريحة فى **أن المسيح له سلطان الحياة، لأنه هو الحياة** (يوحنا ١١: ٢٥) **ومانح الحياة، وباعث الحياة، لأن فيه الحياة** (يوحنا ١: ٤)، **وهو رئيس الحياة، ومبدىء الحياة، وأصل الحياة** (أعمال الرسل ٣: ١٥).

ويقول المسيح أيضاً «الحق الحق أقول لكم إن ثمة ساعة تأتى، وقد أتت الآن، يسمع فيها الموتى صوت ابن الله، والذين يسمعون يحيون» (يوحنا ٥: ٢٥).

وإذن فلصوت المسيح ابن الله قوة تحيى من يسمعه ويطيعه ويعمل بأوامره. وهذا يؤكد على **أن المسيح من ذاته وبذاته ومن غير أحد آخر، له القدرة على أن يُحيى من يشاء**، وهؤلاء هم الذين يسمعون كلامه ويحفظونه ويعملون به.

ثم يقول كذلك «لا تعجبوا من هذا، فإنه تأتى ساعة يسمع فيها كل الذين فى القبور صوته، فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يوحنا ٥: ٢٨، ٢٩).

إذن المسيح هو وحده الديان، وصوته القوى القدير هو الذى سيوقظ الموتى ويحييهم، ويقدر على أن يقيمهم من الموت. ثم إنه هو الذى يدينهم، ويوزع عليهم الثواب والعقاب على حسب أعمالهم. وليس من يرد قضاءه وحكمه. فإن الله الآب سوف لا يدين أحداً وإنما سلم سلطان الدينونة والقضاء كله للابن (يوحنا ٥: ٢٢)، (أعمال ١٠: ٤١) من حيث أنه هو الذى قام بالخلاص والفداء (يوحنا ٥: ٢٧)، فمن العدل أن يقوم أيضاً بالقضاء والحكم والجزاء الأخروى (٢ . تيموثيئوس ٤: ١)، (١ . بطرس ٤: ٥). وكل هذه سلطات ينسبها المسيح له المجد لذاته، ويقول أنه تفرد بها، وهى من اختصاصه وحده. وحتى لا يظن أحد أن هناك عدم مساواة بين صفات وقدرات أقنومى الآب والابن، لذلك حرص على أن يوضح أن سلطان الحياة هو للآب كما هو للابن (يوحنا ٥: ٢٦) ولكن بما أن كل ما هو للآب هو للابن أيضاً (يوحنا ١٦: ١٥)، وما للابن هو للآب (يوحنا ١٧: ١٠) لأن الابن كائن فى الآب، والآب كائن فى الابن (يوحنا ١٤: ١٠، ١١، ٢٠)، (١٧: ٢١) والآب كائن فى الابن (يوحنا ١٤: ١٠)، لذلك «فإن الآب لا يدين أحداً، **وإنما سلم القضاء كله للابن**، ليمجد الجميع الابن كما يمجدون الآب. ومن لا يمجد الابن لا يمجد الآب الذى أرسله... لأنه كما أن الآب له الحياة فى ذاته، هكذا أعطى الابن أن تكون له الحياة فى ذاته، وقد أعطاه السلطان لأن يدين لأنه ابن الإنسان» (يوحنا ٥: ٢٢، ٢٦، ٢٧).

وليس معنى قوله «الآب... سلم القضاء كله للابن» وقوله «الآب... أعطى الابن أن تكون له الحياة فى ذاته» (يوحنا ٥: ٢٢، ٢٦) أن الابن أقل من الآب فى المكانة أو الكرامة أو السلطان، ولكنه بهذا يؤكد على التعاون والتضامن بين أقنومى الآب، والابن، فالابن مختص بالدينونة

وذلك برضى الله الآب وتدبيره، حتى لا يظن أحداً أن بينهما إنقساماً أو أن الابن اغتصب ما هو للآب. لذلك فإن قوله «أعطى» هو تعبير عن رضى الآب بما للابن من سلطان فى الدينونة والحكم والقضاء.

ومما تجب ملاحظته باهتمام، قول المسيح له المجد «**جميع ما للآب فهو لى**» (يوحنا ١٦ : ١٥) **وقوله فى مناجاته للآب «وجميع ما هو لى هو لك»** (يوحنا ١٧ : ١٠). لاحظ على الخصوص قوله «**جميع ما للآب فهو لى**» فليس للابن بعض ما للآب من صفات وقدرات وإمكانات، وإنما له «جميع ما للآب. وهذا تصريح فى غاية الأهمية، وفى قمة الحقائق اللاهوتية الخاصة بالطبيعة الإلهية ذاتها، وفى بيان كمال **المساواة بين الآب والابن فى الجوهر، وفى جميع الصفات والقدرات والكمالات الإلهية**. لهذا قال الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول عن المسيح ابن الله «الذى إذ هو فى صورة الله لم يحسب مساواته لله غنيمة له، لكنه تخلى عن مجده واتخذ صورة العبد وصار فى شبه البشر» (فيلبى ٢ : ٦، ٧). وهو بعينه المعنى الذى فهمه اليهود من حوار المسيح معهم. قال الإنجيل: «فاشتدت رغبة اليهود فى قتله، لأنه لم ينقض السبت فحسب، وإنما قال أيضاً: الله أبى، **مساوياً نفسه بالله**» (يوحنا ٥ : ١٨). وعندما قال لهم: «**أنا وأبى نحن معاً واحد**» (يوحنا ١٠ : ٣٠) «التقط اليهود عندئذ حجارة مرة أخرى ليرجموه. فأجابهم يسوع قائلاً: إن أعمالاً كثيرة حسنة قد أريتكم من لدن أبى، فبسبب أى عمل منها ترجموننى؟» أجابه اليهود قائلين: «إننا نرجمك لا بسبب عمل حسن، وإنما بسبب التجديف، لأنك وأنت إنسان، تجعل نفسك إلهاً» (يوحنا ١٠ : ٣٠-٣٣)، وعندما طالب رؤساء كهنة اليهود بيلاطس البنطى بصلبه، قالوا للحاكم الرومانى «إن لنا شريعة، وإنه على مقتضى شريعتنا يستحق الموت، لأنه جعل نفسه ابن الله» فلما سمع بيلاطس هذا الكلام إزداد خوفاً» (يوحنا ١٩ : ٧، ٨).

ومن آيات سلطان المسيح له المجد على الحياة والموت قوله للقديس يوحنا الرائى فى الرؤيا: «لا تخف أنا الأول والآخر. والحى وكنت ميتاً، وهاءنذا حى إلى أبد الأبدين، **وبيدى مفاتيح الموت والجحيم**» (الرؤيا ١ : ١٧، ١٨). ولا شك أن المتكلم هو المسيح له المجد، لأنه هو الحى وقد كان ميتاً، والإشارة هنا إلى أنه ذاق الموت بالجسد لإتمام الخلاص للإنسان، وإن كان بلاهوته حى لا يموت، وحى إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين. على أنه ينسب إلى ذاته أن بيده مفاتيح الموت والجحيم، أى أن له السلطان بالقضاء بالموت بمعنييه القريب والبعيد، الزمنى والأبدى.

والمفاتيح هنا ترمز إلى السلطان والقدرة على الحياة والموت، وهو السلطان الذى لا يملكه إلا الله وحده، لأنه هو الذى يميت ويُحيى (التثنية ٣٢: ٣٩)، (١. صموئيل ٢: ٦).

ويزيد المسيح على ذلك بقوله «واكتب إلى ملاك كنيسة إزمير (سميرنا): هذا ما يقوله الأول والآخر، الذى كان ميتاً، وعاد حياً: إنى أعرف أعمالك وضيقتك... لا تخف البتة مما أنت عتيد أن تتألم به... كن أميناً حتى الموت، **فسأعطيك إكليل الحياة**» (الرؤيا ٢: ٨- ١٠).

والواضح أن المتكلم هو المسيح له المجد لأنه هو الذى كان ميتاً ثم عاد إلى الحياة، وذلك بقيامته من بين الأموات. وهو هنا كما فى مواضع متفرقة ينسب إلى ذاته الأزلية والأبدية بقوله (أنا الأول والآخر) وينسب إلى ذاته العلم بما هو آت، لأنه هنا يُطمئن أسقف أزمير بأنه عالم بأعماله، وعالم بالمتاعب والضيقات التى يسببها له اليهود «وتجديف القائلين إنهم يهود. وليسوا بيهود وإنما هم مجمع الشيطان. لا تخف البتة مما أنت عتيد أن تتألم به. فهوذا إبليس مزمع أن يلقى بعضاً منكم فى السجن لتمتحنوا. وسيصيبكم ضيق عشرة أيام». وبعد ذلك يشجعه على الصبر والثبات والصمود حتى الموت، فإذا ثبت وصمد، «**فسيعطيه إكليل الحياة**» مؤكداً بذلك سلطانه على منح الجزاء المبارك السمائى، «**إكليل الحياة**» (يعقوب ١: ١٢)، «**إكليل البر**» (٢. تيموثيوس ٤: ٨)، «**الإكليل الذى لا يفنى**» (١. كورنثوس ٩: ٢٥)، «**إكليل المجد الذى لا يبلى**» (١. بطرس ٥: ٤)، **ولا يفسد ولا يضمحل** (١. بطرس ١: ٤).

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه رب الشريعة

إن الشريعة هى «شريعة رب الجنود» (إشعياء ٥: ٢٤)، (٥١: ٤، ٧)، (إرميا ٦: ١٩)، (٩: ١٣)، (١٦: ١١)، (٢٦: ٤)، (٣١: ٣٣)، (٣٢: ٢٣)، (٤٤: ١٠، ٢٣)، (حزقيال ٢٢: ٢٦)، (دانيال ٩: ١١)، (هوشع ٨: ١)، (زكريا ٧: ١٢)، (ميخا ٢: ٧).

وحقاً إن الشريعة الإلهية سميت أحياناً «شريعة موسى» (١. الملوك ٢: ٣)، (نحميا ٨: ١)، (دانيال ٩: ١١)، (ملاخى ٤: ٤)، (لوقا ٢: ٢٢).

لكن الشريعة فى حقيقتها هى شريعة الله تعالى، وما نسبت أحياناً إلى موسى النبى إلا من قبيل أن موسى النبى هو الذى تلقاها من الله ثم أبلغها إلى شعب بنى إسرائيل. فموسى النبى ليس هو صاحب الشريعة، لكنه النبى الوسيط الذى أوحى الله إليه بالشريعة، وأمره بأن يحملها من قبله إلى الناس. وما على الرسول إلا البلاغ.

على أن الرب يسوع المسيح نسب إلى ذاته ما لم ينسب فى الكتاب المقدس لغير الله تعالى، فقال «إن ابن الإنسان هو **رب السبت**» (متى ١٢: ٨)، (مرقس ٢: ٢٨)»، (لوقا ٦: ٥).

والمعنى من أن يسوع المسيح رب السبت»، أنه واضع شريعة السبت. وإذن فيسوع المسيح كان بوجوده الأزلى سابقاً على زمن ميلاده من مريم العذراء واتخاذه منها جسداً، فإنه من المعروف والمقرر قديماً أن الله تعالى هو الذى أمر بحفظ السبت، اليوم الذى استراح فيه من عمل الخليقة الأولى. جاء فى سفر التكوين: «فأكملت السماوات والأرض وكل جندها. وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقاً» (التكوين ٢: ١-٣). وجاء فى سفر الخروج منطوق الوصية الرابعة من الوصايا العشر: «اذكر يوم السبت لتقدسه. ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك. وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك. لا تصنع فيه عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذى فى داخل أبوابك. لأن الرب فى ستة أيام خلق السماوات والأرض والبحر وكل ما فيها. وفى اليوم السابع استراح. ولذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه» (الخروج ٢٠: ٨-١١)، (التثنية ٥: ١٢-١٤). أنظر أيضاً (الخروج

١٦ : ٢٦)، (٣١ : ١٣، ١٤، ١٥، ١٧)، (٣٤ : ٢١)، (اللاويين ١٩ : ٣، ٣٠)، (٢٣ : ٣)، (٢٦ : ٢) (نحميا ٩ : ١٤)، (إشعياء ٥٨ : ١٣)، (حزقيال ٢٠ : ١٢)، (العبرانيين ٤ : ٤).

قلنا معنى أن يكون يسوع المسيح «**رب السبت**» أنه (واضع شريعة السبت). ثم إنه رب السبت بمعنى أنه «سيد السبت»، «وإله السبت» والمهيمن على السبت، ومن ثم فهو المالك أن يصنع بالسبت ما يشاء. وهو وحده الذى يستطيع أن يفسر شريعة السبت، والذى يملك أن يوضح حكمته فى تشريع يوم السبت والكيفية التى يحفظ بها السبت، وما هو نطاق المفهوم الأصيل والأساسى للسبت.

فقد علم كهنة اليهود ورؤساؤهم بأن يحفظ الإنسان السبت حفظاً يقتضيه أن يتوقف فيه عن كل أنواع العمل بما فيها عمل الخير، بل وحتى الأعمال التى تتطلبها ضرورات الحياة، فحرموا على الأعمى أن يحمل عكازه ليتوكأ عليه فى الطريق. وقد ورد **فى الإنجيل أن اليهود اعترضوا على مفلوج بركة بيت حسدا لأنه حمل فراشه بعد أن شفاه الرب يسوع وقال له**: قم احمل فراشك وامش. «فقال اليهود للذى برىء: إن اليوم سبت فلا يحل لك أن تحمل فراشك» (يوحنا ٥ : ١٠). قارن (نحميا ١٣ : ١٥، ١٧، ١٩)، (إرميا ١٧ : ٢١). وأكثر من هذا أنهم اعترضوا على المولود أعمى لأنه بعد أن وضع المسيح له المجد طيناً على عينيه، ذهب وغسل وجهه فى بركة سلوام كقول المسيح له، فى يوم السبت. واعترضوا على تلاميذ المسيح عندما جاءوا وكانوا يسيرون فى يوم السبت بين الحقول «فراحوا يقطفون سنابل القمح ويفركونها فى أيديهم ويأكلون وهم سائرون. فلما رأى الفريسيون ذلك قالوا له: ها هم أولاء تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله فى السبت» (متى ١٢ : ١، ٢)، (مرقس ٢ : ٢٣، ٢٤)، (لوقا ٦ : ١، ٢).

وانتهز الرب يسوع الفرصة، باعتباره رب الشريعة وواضعها، والعالم بحكمتها، فجعل يشرح للكتبة والفريسين وعلماء الشريعة من اليهود أن الأعمال الضرورية لحياة الإنسان جائزة فى يوم السبت، ولا يُعتبر القيام بها نقضاً للسبت أو مخالفة للشريعة. قال الإنجيل «فقال لهم: «أما قرأتم قط ما فعل داود حين احتاج وجاع هو والذين كانوا معه، كيف دخل بيت الله فى عهد أبياثار رئيس الكهنة، وأكل خبز التقدمة الذى لا يحل له أكله ولا للذين معه، وإنما للكهنة وحدهم وأعطى كذلك للذين كانوا معه، أو ما قرأتم فى الشريعة أن الكهنة فى السبوت كانوا لا يحفظون السبت فى الهيكل ولا لوم عليهم؟ وأنا أقول لكم إن هنا من هو أعظم من الهيكل. فلو كنتم تعلمون ما معنى: إنى أريد رحمة لا ذبيحة، لما أدنتم الأبرياء. ثم قال لهم: إنما جعل السبت لأجل

الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت. فابن الإنسان إذن هو رب السبت» (مرقس ٢: ٢٥-٢٨)، (متى ١٢: ٣-٨)، (لوقا ٦: ٣-٥).

وفى هذا الحوار كشف الرب يسوع، رب الشريعة وصاحبها، أن زعماء اليهود قد حجّروا الشريعة وأتلفوا حكمتها، وحولوها إلى قيد يعوق حركة الإنسان، وكاتماً لأنفاس الحياة، بينما أن الشريعة لم توضع أساساً إلا لخير الإنسان، ولتكون عوناً له على أن يحيا بها أفضل مما يكون من دونها، كما شرح لهم أنهم فى هذا الفهم السقيم للشريعة قد تجاوزوا كثيراً المفهوم المسجل عندهم فى الكتاب المقدس، مما مارسه عظماء الأنبياء ورؤساء الكهنة من رجالهم. فإن داود النبى وهو نبى عظيم أكل هو والذين معه ما لا يحل أكله لغير الكهنة وحدهم وذلك لأنه «احتاج وجاع» وقد سمح له الكاهن أخيمالك فى عهد أبياثار رئيس الكهنة بأن يأكل هو والذين معه من خبز التقدمة شريطة أن يكونوا أطهاراً محترسين من العلاقات الزواجية (١ . صموئيل ٢١: ١-٦). وبهذا الشرح دافع الرب يسوع عن تصرف تلاميذه وأبان أنه تصرف مشروع، وحكم لصالحهم بأنهم «أبرياء» أى غير مدانين. كما أنه حكم على الكتبة والفريسيين الذين لاموا التلاميذ بأنه ارتكبوا فى إدانتهم للتلاميذ قسوة يحاسبون عليها لأن الله يطلب رحمة لا ذبيحة، أى أن جوهر الشريعة هو الرحمة، لأن الله لم يضع الشريعة بقصد التحكم فى الناس وإنما وضعها لخيرهم ورحمة بهم. ثم أضاف له المجد هذا التصريح القدسى «إنما جعل السبت لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت».

وقال لهم مرة أخرى: «وأنتم تختنون الإنسان فى السبت، فإن كان الإنسان يُختن فى السبت لئلا تنقض شريعة موسى، أفتسخطون علىّ لأننى شفيت إنساناً بأكمله فى السبت؟ لا تحكموا حسب الظاهر، وإنما احكموا بالحق» (يوحنا ٧: ٢٢-٢٤).

على أنه، بالإضافة إلى كل ذلك، كشف المسيح بكل جلاء أنه واضع الشريعة وصاحبها، وهو خير من يفسرها ويشرحها. وتفسيره للشريعة هو بيان لحكمتها وإظهار لجوهرها، وبه ينحل التعارض والتناقض بين المنطوق اللفظى للشريعة والمفهوم الواضح فى تصرفات العظماء من الأنبياء والكهنة المشهود بتقواهم وأمانتهم وسلامة تعليمهم وقداسة حياتهم. وفيما يقول المسيح هذا صرح لهم قائلاً: «وأنا أقول لكم: **إن هنا من هو أعظم من الهيكل**» والمعنى واضح: إن من يقول لكم «إنما جعل السبت لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت» هو أعظم من الهيكل. **وليس أعظم من الهيكل إلا رب الهيكل**. وفى هذا بيان لحقيقته الإلهية المستورة فى

إنسانيته الظاهرة لعيونهم، وبيان بالتالى لسلطانه المطلق فى وضع الشريعة وفى تفسيرها وفى وضع الحدود بين الحلال والحرام. «فإن هذا (يسوع المسيح) قد حسب أهلاً لمجد أكثر من موسى بمقدار ما لبانى البيت من كرامة أكثر من البيت» (العبرانيين ٣: ٣)، (٢. أخبار الأيام ٦: ١٨)، (ملاخى ٣: ١).

يتضح إذن من هذا الحوار بين المسيح له المجد وبين زعماء اليهود من الكهنة والفريسيين وعلماء الشريعة، **أن المسيح ينسب إلى ذاته أنه هو رب الشريعة ومن ثم فهو واضعها وهو خير من يفسرها ويشرحها، وهو المهيمن عليها، وواضع حدودها، وهو الذى يحكمها ويحكم على من يخالفها طبقاً لمفهومها الأصيل كما شرعه هو بحكمته له المجد.**

* * *

ولقد زاد زعماء اليهود ومعلموها تحجيراً لوصية السبت، بأن منعوا أن يصنع الإنسان عمل الخير فى يوم السبت.

ولذلك اعتبروا شفاء المسيح للرجل ذى اليد اليابسة فى يوم السبت نقضاً وهدماً لوصية حفظ السبت. قال الإنجيل «ودخل مجمعهم، وإذا هناك رجل ذو يد يابسة، فسألوه عساهم أن يمسكوا عليه تهمة قائلين: أيحل الإبراء فى السبوت؟... وراحوا يراقبونه ليروا هل سيشفيه فى السبت حتى يجدوا شكاية ضده. فقال للرجل ذى اليد اليابسة «قف هناك فى الوسط» ثم قال لهم «أيحل فى أيام السبت فعل الخير أم فعل الشر؟ تخليص نفس أم إهلاكها؟ إن كان لأى منكم شاة واحدة وسقطت فى حفرة فى السبت، أفلا يمسك بها ويخرجها؟ فكم هو الإنسان أفضل من الشاة؟ إذن يحل فعل الخير فى السبوت. فسكتوا، فأدار نظره فيهم غاضباً، وقد أحزنته غلظة قلوبهم. ثم قال للرجل: «أمدد يدك»، فمدها. فعادت سليمة كالأخرى. فخرج الفريسيون على الفور وتآمروا ضده مع الهيرودسيين كى يهلكوه. فعلم يسوع بذلك، وانصرف من هناك» (متى ١٢: ٩-١٥)، (مرقس ٣: ١-٧)، (لوقا ٦: ٦-١١).

وبالمثل اعتبروا شفاءه للمرأة المنحنية الظهر مخالفاً للشريعة، لأنه شفاها فى يوم سبت، وعندهم أن الشفاء إذ تم فى يوم السبت، كان عملاً حراماً فيه تجاوز للشريعة. قال الإنجيل: «وكان يُعلم فى أحد المجامع يوم السبت. وإذا امرأة كان قد استولى عليها روح أصابها بمرض

منذ ثمانية عشر عاماً. فكانت منحنية ولم تكن لتستطيع أن تنتصب البته. فلما رآها يسوع دعاها إليه، وقال لها: أيتها المرأة إنك محلولة الوثاق من مرضك، ووضع يديه عليها. ففى الحال انتصبت قائمة ومجدت الله. فأجاب رئيس المجمع وهو مغتاظ لأن يسوع شفاها فى السبت، وقال للجمع: إن لكم ستة أيام يحل فيها العمل. ففيها تعالوا واطلبوا الشفاء، وليس فى يوم السبت. فأجابه الرب وقال: أيها المراءون، ألا يحل كل منك فى يوم السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضى به فيسقيه؟ وهذه ابنة إبراهيم وقد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة. أما كان ينبغى أن تحل من هذا الرباط فى يوم السبت؟» فلما قال هذا خزى كل الذين كانوا يُقاومونه. وأما الشعب فكان يفرح كله بجميع الأعمال التى كانت تجرى على يديه» (لوقا ١٣: ١٠-١٧).

كذلك نظروا إليه كهادم لوصية السبت يوم أن شفى إنساناً مريضاً بالاستسقاء فى يوم السبت. قال الإنجيل «ودخل بيت أحد رؤساء الفريسيين فى يوم السبت لتناول الطعام وكانوا يراقبونه. فإذا أمامه رجل مصاب بداء الاستسقاء. فخاطب يسوع علماء الشريعة والفريسيين قائلاً: «أيحل الإبراء فى يوم السبت أم لا يحل؟ فصمتوا. فأمسكه وأبرأه وصرفه. ثم قال لهم: من منكم يسقط حماره أو ثوره فى بئر فلا يسارع إلى إنتشاله فى يوم السبت؟ فلم يستطيعوا أن يُجيبوه عن هذا» (لوقا ١٤: ١-٦).

كما اعتبروه ناقضاً للسبت لأنه شفى مفلوجٍ بيت حسدا يوم السبت، وقال له: قم احمل فراشك، وامش. قال الإنجيل: «ومن ثم أخذ اليهود يطاردون يسوع ويسعون إلى قتله، لأنه صنع هذا فى السبت» (يوحنا ٥: ٨-١٨).

وبنفس الاتهام والغضب قابلوا شفاءه للمولود أعمى لأنه تفل على الأرض وصنع من التفل طيناً وطلى بالطين عينى المولود أعمى، وكان ذلك فى يوم سبت «فقال قوم من الفريسيين: «إن هذا الإنسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت» (يوحنا ٩: ١٤-١٦).

وعلى الإجمال لقد شفى المسيح له المجد كثيرين فى يوم السبت، ودخل فى حوار مقصود مع الكتبة والفريسيين وعلماء الشريعة، ليبرهن لهم على أن أعمال الشفاء - وهى أعمال خير تسدى للمرضى والمعوقين - يحل صنعها فى السبت: لأنها هى أعمال رحمة بالناس، والله يطلب رحمة لا ذبيحة، وأثبت لهم تناقضهم وغباوتهم وقساوة قلوبهم وإتلافهم لمقاصد الشريعة، فإن الشريعة أوصت بالرفق بالحيوان «إذا لقيت ثور عدوك أو حماره شارداً فأردده إليه. إذا رأيت حمار

مبغضك ساقطاً تحت حمله وعدلت عن حله، فلابد أن تحل معه» (الخروج ٢٣ : ٤، ٥).

«وإذا رأيت حمار أخيك أو ثوره واقعاً فى الطريق فلا تتغاض عنه بل أنهضه معه» (التثنية ٢٢ : ٤) وهو بذلك يذكرهم بما أمرت به الشريعة بالنسبة إلى الحيوان، فكم يكون أولى بهم أن لا يمنعوا الخير عن الإنسان وهو أفضل وأهم وأعظم شأناً من الحيوان عند الله والناس «إن كان لأى منكم شاة واحدة وسقطت فى حفرة فى السبت، أفلا يمسك بها ويخرجها؟ فكم هو الإنسان أفضل من الشاة...» «ألا يحل كل منكم فى يوم السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضى به فيسقه. وهذه إبنة إبراهيم وقد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة. أما كان ينبغى أن تحل من هذا الرباط فى يوم السبت؟...» «من منكم يسقط حماره أو ثوره فى بئر فلايسارع إلى انتشاله فى يوم السبت؟». (متى ١٢ : ١١، ١٢)، (لوقا ١٣ : ١٥، ١٦)، (لوقا ١٤ : ٥).

ومن كل ذلك يتبين أن المسيح له المجد كان قد صحح المفهوم الحرفى المتزمت الذى كان زعماء اليهود يتمسكون به، ورد الشريعة إلى مفهومها الأصيل على أنها وضعت لأجل خير الإنسان ورحمة به، مبيناً بذلك أنه **رب الشريعة** وصاحبها وواضعها، وأنه لذلك لا يتناقض مع ذاته، فإذا كانت وضعت رحمة بالإنسان، ففعل الرحمة ينبغى أن يعمل فى يوم السبت ولا يتخلف الإنسان عنه. وإذا كانت جُعلت لخير الإنسان، فأعمال الخير جائزة بل واجبة فى السبت.

* * *

هذا ومنطق المسيح له المجد فى الموعظة على الجبل يكشف كذلك عن حقيقته باعتباره **رب الشريعة**: فهو يقول:

«قد سمعتم أنه قيل للأولين لا تقتل، ومن قتل يستوجب حُكم القضاء. **أما أنا فأقول لكم** إن كل من غضب على أخيه من غير سبب يستوجب حُكم القضاء. ومن قال لأخيه رقا، يستوجب حُكم المجلس. أما من قال يا أحمق فيستوجب نارجهنم... سمعتم أنه قيل للأولين لا تزن. **أما أنا فأقول لكم** إن كل من نظر إلى امرأة فاشتهاها فقد زنى بها فعلاً فى قلبه... قيل من طلق زوجته فليعطيها وثيقة طلاق. **أما أنا فأقول لكم** إن من طلق زوجته إلا لعلة الزنى فقد جعلها تزنى ومن تزوج بمطلقة فقد زنى».

«سمعتم كذلك أنه قيل للأولين لا تحنث بل أوف للرب بأقسامك. **أما أنا فأقول لكم** لا تحلفوا البتة، لا بالسماء فإنها عرش الله، ولا بالأرض فإنها موطىء قدميه، ولا بأورشليم فإنها

مدينة الملك العظيم. ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة فيه بيضاء أو سوداء. ولكن ليكن كلامكم نعم نعم لا لا. أما ما زاد على ذلك فهو من الشرير».

«سمعتم أنه قيل عين بعين والسن بالسن. **أما أنا فأقول لكم** لا تقاوموا الإنسان الشرير، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر. ومن أراد أن ينازعك ويأخذ ثوبك فاترك له رداءك أيضاً...

«سمعتم أنه قيل أحب قريبك وأبغض عدوك. **أما أنا فأقول لكم**: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا من أجل الذين يسيئون إليكم ويضطهدونكم...» (متى ٥: ٢١-٤٨)، (لوقا ٦: ٢٠-٤٩).

فى الموعظة على الجبل كما يتضح من النصوص الواردة فى الإنجيل يبدو واضحاً سلطان المسيح له المجد فى التشريع «**سمعتم أنه قيل للأولين... أما أنا فأقول لكم**» وهو يعقد مقارنة بين المفهومات اليهودية القديمة للوصايا العشر، وبين المفهوم العميق والتخريج الجديد الذى يعلم به المسيح فى العهد الجديد، بصورة لا يجرؤ على التصريح بها نبى أو بشر ما، وإلا كان مجدفاً، ومتمرداً وعاقاً على الشريعة القديمة: «**أما أنا فأقول لكم**».

وعن سلطان المسيح فى التعليم والتشريع قال الإنجيل فى نهاية الموعظة على الجبل «فلما أتم يسوع هذه الأقوال بهتت الجموع من تعليمه، لأنه كان يعلمهم بوصفه صاحب سلطان وليس كالكتبة» (متى ٧: ٢٨، ٢٩)، (مرقس ١: ٢٢)، (لوقا ٤: ٣٢). انظر أيضاً (متى ١٣: ٥٤)، (مرقس ٦: ٢).

ويذكر الإنجيل فى موضع آخر أن الفريسين ورؤساء الكهنة أرسلوا خدماً ليقبضوا عليه... وبعد أن أصغى الخدم المرسلون من قبل الفريسيين ورؤساء الكهنة إلى تعليمه بهتوا بسلطان تعليمه ثم رجعوا إلى من أرسلوهم بانطباع عظيم. يقول الإنجيل: «ثم جاء الجند إلى رؤساء الكهنة والفريسيين. فقال هؤلاء لهم: «لماذا لم تأتوا به؟» فأجاب الجند: «**ما تكلم إنسان قط بمثل ما يتكلم به هذا الإنسان**». فقال الفريسيون لهم: ألعلكم أنتم أيضاً قد ضللتم» (يوحنا ٧: ٣٢، ٤٥-٤٧).

المسيح ينسب إلى ذاته
الثبات وعدم التغير

الإنسان متغير، «وجميع الأشياء والموجودات فى تغير متصل» كما يقول الفيلسوف اليونانى هيراقليطس. لكن الله هو وحده غير المتغير.

إن التغير من صفات النقص والضعف وهى من صفات المخلوق، ولا يمكن أن تكون من صفات الخالق، لأن الله وحده هو الكامل غير الناقص. وهو الكامل منذ الأزل وإلى الأبد، فلا يتغير، ولم ولن يتغير. فالتغير إما أن يكون إلى أفضل أو إلى أقل. وليس الله ناقصاً فيقبل التكميل، ولا هو ضعيف فيقبل عدم الثبات فى الكمال. إن الثبات على الكمال صفة للكمال الإلهى، كما أنها تفسير لأزلية الله وأبديته، ومن دون الثبات فلا أبدية وبالتالى فلا أزلية.

يقول النبى فى المزامير «أيها الرب، أنت أسست الأرض، منذ البدء، والسماوات من صنع يديك. هى تزول وأنت باق، وكلها كالثوب تبلى. وكالرداء تطويها فتتغير. وأنت أنت هو، وسنوك لن تنتهى» (مزمور ١٠١: ٢٥-٢٧)، (العبرانيين ١: ١٠-١٢). ويقول الرب الإله على فم النبى ملاخى: «إنى أنا الرب لا أتغير» (٣: ٦). وجاء على فم يعقوب الرسول قول الوحى الإلهى «كل عطية صالحة، وكل موهبة كاملة، هى من فوق نازلة، من عند أبى الأنوار، الذى ليس عنده تغيير، ولا ظل دوران (يعقوب ١: ١٧).

نعم، إن الله ثابت لا يتغير. وكلامه أيضاً ثابت لا يزول ولا يتغير ولا يسقط أبداً.

جاء فى سفر العدد قوله «ليس الله إنساناً فيكذب، ولا ابن إنسان فيندم. هل يقول ولا يفعل، أو يتكلم ولا يفى» (٢٣: ١٩).

وجاء فى سفر صموئيل الأول قوله: «فصيح إسرائيل لا يكذب ولا يندم، لأنه ليس إنساناً فيندم» (١٥: ٢٩). وفى المزامير قوله تعالى: «لا أنقض عهدى، ولا أغير ما خرج من شفتى» (٨٨: ٣٤). وفى سفر نبوءة حزقيال: «أنا الرب تكلمت... ولا أندم» (٢٤: ١٤). وفى رسالة القديس بطرس الأولى قوله «وأما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد» (١: ٢٥).

انظر أيضاً (إشعياء ٤٠: ٨)، (رومية ١١: ٢٩)، (٢. تيموثيوس ٢: ١٣)، (تيطس ١: ٢).

مدينة الملك العظيم. ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة فيه بيضاء أو سوداء. ولكن ليكن كلامكم نعم نعم لا لا. أما ما زاد على ذلك فهو من الشرير».

«سمعتم أنه قيل عين بعين والسن بالسن. **أما أنا فأقول لكم** لا تقاوموا الإنسان الشرير، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر. ومن أراد أن ينازعك ويأخذ ثوبك فاترك له رداءك أيضاً...

«سمعتم أنه قيل أحب قريبك وأبغض عدوك. **أما أنا فأقول لكم**: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا من أجل الذين يسيئون إليكم ويضطهدونكم...» (متى ٥: ٢١-٤٨)، (لوقا ٦: ٢٠-٤٩).

فى الموعظة على الجبل كما يتضح من النصوص الواردة فى الإنجيل يبدو واضحاً سلطان المسيح له المجد فى التشريع «**سمعتم أنه قيل للأولين... أما أنا فأقول لكم**» وهو يعقد مقارنة بين المفهومات اليهودية القديمة للوصايا العشر، وبين المفهوم العميق والتخريج الجديد الذى يعلم به المسيح فى العهد الجديد، بصورة لا يجرؤ على التصريح بها نبى أو بشر ما، وإلا كان مجدفاً، ومتمرداً وعاقاً على الشريعة القديمة: «**أما أنا فأقول لكم**».

وعن سلطان المسيح فى التعليم والتشريع قال الإنجيل فى نهاية الموعظة على الجبل «فلما أتم يسوع هذه الأقوال بهتت الجموع من تعليمه، لأنه كان يعلمهم بوصفه صاحب سلطان وليس كالكتبة» (متى ٧: ٢٨، ٢٩)، (مرقس ١: ٢٢)، (لوقا ٤: ٣٢). انظر أيضاً (متى ١٣: ٥٤)، (مرقس ٦: ٢).

ويذكر الإنجيل فى موضع آخر أن الفريسين ورؤساء الكهنة أرسلوا خدماً ليقبضوا عليه... وبعد أن أصغى الخدم المرسلون من قبل الفريسيين ورؤساء الكهنة إلى تعليمه بهتوا بسلطان تعليمه ثم رجعوا إلى من أرسلوهم بانطباع عظيم. يقول الإنجيل: «ثم جاء الجند إلى رؤساء الكهنة والفريسيين. فقال هؤلاء لهم: «لماذا لم تأتوا به؟» فأجاب الجند: «**ما تكلم إنسان قط بمثل ما يتكلم به هذا الإنسان**». فقال الفريسيون لهم: ألعلكم أنتم أيضاً قد ضللتم» (يوحنا ٧: ٣٢، ٤٥-٤٧).

- ١٣ -

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه نزل من السماء

قديماً اشتهى أحد الأنبياء أن ينزل الرب بذاته من السماء فقال متمنياً على الله: «ليتك تَشُقُّ السماوات (وتنزل)»! (إشعياء ٦٤: ١).

وصلى نبى آخر قائلاً: «يارب طأطىء سماواتك (وانزل) ... أمسس الجبال فتدخن» (مز ١٤٣: ٥).

ولعله استجابة لهذه الرغبة، وتحقيقاً لهذه الأمنية التى اشتهاها لا نبى واحد وإنما اشتهاها وتمناها آخرون غيره من شعب الله، من بنى إسرائيل ومن غيرهم من شعوب العالم القديم، ومن بينهم سقراط وأفلاطون وزرادشت زعيم المجوسية... من الفلاسفة والمصلحين الإجتماعيين... نزل الله فى المسيح.

فسقراط قال ومعه أفلاطون لا سبيل إلى معرفة الحقيقة إلا إذا ظهر رب الحقيقة بنفسه وأعلن ذاته للبشر...

وزرادشت زعيم المجوسية أعلن أنه فى ملء الزمان ينزل إلى الأرض الكلمة مقيم السماء، وله ملك السموات والأرض، وأنكم يا أولادى ستعرفون بميلاده على الأرض قبل شعوب أخرى. وتكون علامة نزوله على الأرض، ظهور نجم له فى السماء ترون فيه صورة بكر تحمل جنيناً، فمتى رأيتم نجمه اذهبوا واسجدوا له وقدموا له هداياكم، فإنه الكلمة مقيم السماء.

لذلك كان ظهور الله الكلمة على الأرض أمنية منشودة ورغبة ملحة ليتحقق بها الخير العميم للبشرية كلها.

فلم يكن عبثاً ولا افتئاتاً أن ينسب يسوع المسيح إلى ذاته أنه نزل من السماء.

أولاً: قال مرة لنيقوديموس اليهودى الفريسى، وهو من بين رؤساء اليهود وقادتهم الروحيين، وكان نيقوديموس قد ذهب إلى المسيح ليلاً يسأله عن شخصه وعن تعليمه:

«ما من أحد صعد إلى السماء **إلا ذلك الذى نزل من السماء، ابن الإنسان الذى هو فى السماء**» (يوحنا ٣: ١٣).

نعم، إن السماء (معرفة بالألف واللام)، أى «السماء عينها» (العبرانيين ٩: ٢٤) حيث العرش الإلهى (الرؤيا ١: ٤) ... هذه السماء، وهى «سماء السماوات» (١ . الملوك ٨: ٢٧) لم يصعد إليها أحد من الناس، إلا واحد فقط، وهو بعينه الذى نزل منها، وهو ذاته المسيح ابن الإنسان، لأنه ابن مريم بحسب الجسد، وهو فيما كائن على الأرض هو كائن فى الوقت نفسه فى السماء، لأنه غير محدود ولا متناه. فهو فى السماء وعلى الأرض وفى كل الوجود، لأنه لا يحده مكان، ولا يخلو منه مكان، وهذا هو الله، فالله وحده الذى يمكنه أن يكون فى السماء وعلى الأرض فى وقت واحد.

١- ومثله نزوله على الأرض فى أيام النبى موسى، وكلامه تعالى مع نبيه الكليم، وتجليه له فى لهيب نار من وسط العليقة، وكانت العليقة تتوقد بالنار وهى لا تحترق. فلما مال موسى لينظر هذا المنظر العظيم «ناداه الله من وسط العليقة وقال: موسى، موسى! قال: هآءنذا. قال: لا تدن إلى ههنا. اخلع نعليك من رجليك فإن الموضع الذى أنت قائم فيه أرض مقدسة. وقال: أنا إله أبيك وإله إسحق وإله يعقوب. فستر موسى وجهه إذ خاف أن ينظر إلى الله. فقال الرب: إنى قد نظرت إلى مذلة شعبى الذين بمصر وسمعت صراخهم... فنزلت لأنقذهم... وأخرجهم... إلى أرض طيبة واسعة، أرض تدر لبناً وعسلاً» (الخروج ٣: ٢-٨).

وليس (ينزل) الله كما (ينزل) الإنسان. فالإنسان إذا نزل، أخلى المكان الذى نزل منه، من وجوده، بحلوله فى المكان الجديد... أما الله فليس كذلك لأنه بوجوده يملأ كل مكان ولا يخلو من وجوده مكان. فإذا قيل أنه (نزل) فالمعنى من نزوله على الأرض هو **تجليه على الأرض بصورة منظورة للإنسان لم تكن منظورة لعينيه من قبل.** ومع ذلك فإذا نزل الله على الأرض بهذا المعنى فهو لا يخلى السماء من وجوده، بل يظل وجوده حاضراً فى السماء وفى كل الكون والوجود... **وإذن فالحق أن الله لا ينزل كما ينزل الإنسان بحلوله فى المكان، لأن الله حال بطبيعة لاهوته غير المحدود، فى كل مكان. وليس نزوله على الأرض إلا تجليه لعينى الإنسان، ولكن من دون حلول جديد...** وبلغة أخرى، أن **الله فى الحقيقة لا ينزل** (بمفهوم النزول فى لغة البشر) **لكنه يتجلى ويظهر ويتراءى للناس على الأرض... إذن فهو (ينزل) بالنسبة للإنسان، أما الله فى ذاته وجوهره وطبيعته (فلا ينزل) ولكنه يتجلى ويظهر ويتراءى...**

بهذا المعنى نفهم كلام الرب يسوع المسيح عن ذاته «ما من أحد صعد إلى السماء إلا ذلك الذى نزل من السماء، ابن الإنسان الذى هو فى السماء».

ومما له دلالته هنا هو قول المسيح عن ذاته أنه «**نزل من السماء**»، وعلى الرغم من أنه وصف ذاته بأنه (ابن الإنسان) من حيث هو (ابن مريم) حسب الجسد، لكنه أراد ان يلفت النظر إلى حقيقة وجوده السابق قبل ميلاده من مريم. ولهذا لم يهتم المسيح بإبراز ميلاده من العذراء القديسة مريم حتى يوجه كل النظر إلى أنه كان ومازال كائناً فى السماء قبل ميلاده من مريم **وليس ميلاده فى الحقيقة غير تجسده**. إن كل طفل من بنى الناس، إذا ولد فقد وجد، وميلاده هو ابتداء وجوده. أما المسيح فميلاده من مريم ليس هو ابتداء وجوده، إذ هو (كائن قبل الدهور)، وبالتالى فهو كائن قبل مريم التى ولد منها، **أى أن المسيح له وجود قبل الزمان وقبل الميلاد من مريم، فلما ولد من مريم صار وجوده ظاهراً فى شكل إنسان «وحقاً عظيم هو سر التقوى، الله ظهر فى الجسد»** (١. تيموثيئوس ٣: ١٦) «**فإن الحياة تجلت فرأيناها، ونشهد ونبشركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب وتجلت لنا**» (١. يوحنا ١: ٢).

ولهذا السبب فإن القديس يوحنا الحبيب كاتب الإنجيل المنسوب إليه لم يورد شيئاً عن ميلاد المسيح من العذراء مريم، ليس فقط لأن الإنجيل حسب ما كتبه القديس متى، والإنجيل حسب ما كتبه القديس لوقا ورد فيهما ذلك بتفصيل أقل أو أكثر، ولكن لأن يوحنا الإنجيلى كتب الإنجيل المنسوب إليه فى وقت كان معروفاً عن المسيح أنه ولد من مريم بحسب الجسد، ولكن الحاجة كانت إلى توكيد **حقيقة لاهوته الذى احتجب فى ناسوته ليتمم عمل الفداء. من أجل هذا أغفل الإنجيل بحسب ما كتبه القديس يوحنا اللاهوتى، ميلاد المسيح من العذراء مريم - وإن كان يشير إليه ضمناً فى تلقيبه بابن الإنسان - واهتم على الخصوص بإبراز حقيقة ألوهته وأنه فى ذاته وقبل التجسد كائن فى السماء، وأنه بتجسده قد** «نزل من السماء».

ولهذا لم يبدأ الإنجيل بحسب ما كتبه القديس يوحنا بقصة بشارة الملاك للعذراء، وهى مخطوبة ليوسف، ولا بقصة الميلاد فى بيت لحم، وظهور الملاك للرعاة، ولا حتى بظهور النجم للمجوس، ولا بقصة الهرب إلى مصر ليلاً... إنه أغفل ذلك كله مهتماً على الخصوص **بالوجود الأزلى للمسيح قبل الأكوان**، وبدأ الإنجيل فى مطلعه قائلاً: «فى البدء كان الكلمة، والكلمة

كان لدى الله، وكان الكلمة هو الله. كان منذ الأزل لدى الله. كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة» (يوحنا ١: ١-٤).

وليس نزول الله بهذا المعنى غريباً، فقد سبقه نزوله فى العليقة ليكلم موسى قائلاً عن بنى إسرائيل «**فنزلت لأنقذهم**» (الخروج ٣: ٨).

٢- وسبقه أيضاً نزول الله على جبل سيناء حيث أعطى الشريعة لموسى.

قال الكتاب المقدس: «قال الرب لموسى: اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغداً. وليغسلوا ثيابهم... لأنه فى اليوم الثالث (ينزل) الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء (**ونزل**) **الرب** على جبل سيناء إلى رأس الجبل. ودعا الله موسى إلى رأس الجبل، فصعد موسى» (الخروج ١٩: ١٠، ١١، ٢٠) «وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن **الرب** (**نزل**) عليه بالنار. وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جداً. فكان صوت البوق يزداد اشتداداً جداً وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت» (الخروج ١٩: ١٨، ١٩) «وكان المنظر رهيباً حتى إن موسى قال: أنا مرعوب ومرتعد» (العبرانيين ١٢: ٢١). وتوكيداً لحقيقة هذا النزول قال النبى موسى لبنى إسرائيل: «وجهاً إلى وجه تكلم الرب معنا فى الجبل من وسط النار. وأنا كنت واقفاً بين الرب وبينكم فى ذلك الوقت» (التثنية ٥: ٤، ٥) وقال النبى موسى يخاطب الرب الإله: «إنك يارب فى وسط هذا الشعب الذين أنت يارب قد ظهرت لهم وجهاً إلى وجه» (العدد ١٤: ١٤) وبهذا النزول على جبل سيناء تغنى بنو إسرائيل وعلى رأسهم اللاويون بعد رجوعهم من السبى قائلين مرددين أعمال الرب مع آبائهم «... (**ونزلت**) على طور سيناء، وخاطبتهم من السماء، وأعطيتهم أحكاماً مستقيمة وشرائع صادقة ورسوماً ووصايا صالحة» (نحميا ٩: ١٣).

٣- وسبقه نزول الله بعد الطوفان ليبلبل ألسنة بنى آدم الذين بنوا برج بابل ليحموا أنفسهم من طوفان أو خطر مقبل. جاء فى سفر التكوين: «وقالوا: تعالوا نبن لنا مدينة وبرجاً رأسه إلى السماء... كى لا نتبدد على وجه الأرض كلها. **فنزل الرب** لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما. وقال الرب... هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض. فبددهم الرب من هناك على وجه الأرض كلها» (التكوين ١١: ٤-٨).

٤- ومن فيض محبة الرب ليعقوب أبى الأسباط ورعايته له وعنايته به قال له يشجعه فى ذهابه إلى مصر ليلتقى بابنه يوسف الصديق: «أنا الله إله أبيك. لا تخف من النزول إلى مصر... أنا (**أنزل**) **معك إلى مصر**» (التكوين ٤٦: ٣، ٤).

٥ ـ وفى مواضع أخرى من الكتاب المقدس نقرأ عن الله أنه نزل.

من ذلك قوله فى سفر المزامير: «طأطأ السماوات (**ونزل**) والضباب تحت قدميه» (مزمور ١٨: ٩).

وقوله: «هوذا الرب يخرج من مكانه، (**وينزل**) ويمشى على شوامخ الأرض. فتذوب الجبال تحته وتنشق الوديان كالشمع أمام النار» (ميخا ١: ٣، ٤). انظر أيضاً (حبقوق ٣: ٣، ١٣).

وقال الكتاب المقدس: «وقال الرب: إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر، وخطيئتهم قد عظمت جداً. (**أنزل**) وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتى إلى. وإلا فأعلم» (التكوين ١٨: ٢٠، ٢١).

أفهل يُعد غريباً أن ينسب المسيح إلى ذاته أنه **نزل من السماء**؟ على أن نزوله من السماء ليس معناه أنه أخلى السماء من وجوده، وإنما مع وجوده فى السماء صار له بالتجسد كيان منظور على الأرض، وبهذا الكيان المنظور تجلى وظهر وتراءى للبشر: «ذاك الذى كان منذ البدء... ذاك الذى رأيناه بعيوننا، ذاك الذى تأملناه، ذاك الذى لمسته أيدينا» (١ . يوحنا ١: ١).

جاء فى سفر الأمثال قوله: «من صعد إلى السماء (**ونزل**) . من قبض الريح فى راحتيه. من حصر المياه فى ثوب. من أقام جميع أقاصى الأرض. ما اسمه؟، وما اسم ابنه إن علمت؟» (الأمثال ٣٠: ٤).

وجاء فى نبوءة باروخ: «من صعد إلى السماء فتناولها، **ونزل** بها من الغيوم من اجتاز إلى عبر البحر...؟ الذى ثبت الأرض إلى الأبد» (باروخ ٣: ٢٩-٣٢).

هو الله بعينه الذى صعد بالجسد (مرقس ١٦: ١٩)، (لوقا ٢٤: ٥١) وهو ذاته الذى نزل من السماء واتخذ جسداً وحل بيننا وفينا (يوحنا ١: ١٤) «وما المعنى من قوله صعد سوى أنه **نزل** أولاً إلى أسافل الأرض. فهذا الذى **نزل** هو نفسه الذى صعد إلى ما فوق السماوات كلها ليملأ كل شىء» (أفسس ٤: ٩).

ثانياً: ولقد ألح المسيح كثيراً فى أكثر من مجال على أنه «نزل من السماء» ليؤكد على حقيقة أزليته مع الآب، ووجوده السابق فى السماء قبل التجسد من مريم.

١ـ من ذلك قوله «أبى هو الذى يُعطيكم الخبز الحقيقى من السماء، **لأن خبز الله هو الذى (ينزل) من السماء، ويهب الحياة للعالم**. فقالوا له: «يارب أعطنا هذا الخبز فى كل

حين. قال لهم يسوع: أنا هو خبز الحياة، (يوحنا ٦ : ٣٢-٣٥) . وبذلك يقرر المسيح له المجد أنه هو «**الخبز الحقيقى**» ، و «**خبز الحياة**» (الذى يهب الحياة، لأنه هو «الحياة» (يوحنا ١٤ : ٦) ورئيس الحياة (أعمال ٣ : ١٥) «وفيه كانت الحياة» (يوحنا ١ : ٤)، (٥ : ٢٦) ثم إنه «**نزل من السماء**» لكى يهب الحياة لمن يأخذ منه فيحيا به.

٢- ويقول أيضاً: «لأنى قد نزلت من السماء، لا لأعمل بمشيئتى، وإنما بمشيئة الذى أرسلنى» (يوحنا ٦ : ٣٨) .

٣- ويقول الإنجيل: «فتذمر اليهود عليه لأنه قال: «أنا هو **الخبز الذى نزل من السماء**» . وقالوا: «أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذى نحن نعرف أباه وأمه، فكيف يقول الآن: إنى نزلت من السماء» ؟ (يوحنا ٦ : ٤١,٤٢) . لقد ظنه بعض اليهود أنه ثمرة طبيعيه لزواج شرعى بين رجل هو يوسف النجار وامرأة هى مريم. ومن هنا كان تساؤل هذا البعض فى دهشة... «فكيف يقول الآن **إنى نزلت من السماء**» ؟ لقد ظنوه ينكر ميلاده حسب الجسد من مريم، بينما كان هو له المجد يوجه نظرهم بالأحرى إلى وجوده السابق فى السماء قبل أن ينزل إلى الأرض متجسداً من مريم العذراء، مؤكداً على حقيقة ألوهيته، وأزليته مع الآب، وأنه هو لذلك المن السماوى فمن يأكله يحيا به إلى الأبد.

٤- ويضيف رب المجد إلى ما سبق عاقداً المقارنة بينه وبين المن الذى أكله بنو إسرائيل فى البرية مما اعتبره اليهود عطية صالحة لآبائهم، ودليلاً على محبة الله لهم وعنايته بهم، الأمر الذى يرفعهم ويميزهم عن سائر الشعوب، باعتبارهم «الشعب المختار». قال لهم: «أنا هو خبز الحياة. آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا. أما هذا **فهو الخبز النازل من السماء**، ليأكل منه الإنسان فلا يموت. **أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء**. من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذى سأعطيه أنا هو جسدى الذى سأبذله من أجل حياة العالم» (يوحنا ٦ : ٤٨-٥١) فعلى الرغم من اعتراض اليهود ودهشتهم، من أن يقول عن نفسه إنه نزل من السماء لم يتنازل عن دعواه، ولم يتراجع عن منطوق كلماته، وإنما أصر عليها مؤكداً على أنه يقصد ما يقول، ويقول ما يقصد، ولم يكن تعبيره مجازاً، ولا كان قوله رمزاً، وإنما كان قوله صادقاً ودقيقاً وحقاً صراحاً، لا مجاز فيه ولا تورية. إذن هو خبز الحياة الحقيقى، **الذى نزل من السماء**، من يأكل منه يحيا به إلى الأبد. وتوكيداً لمعنى هذا الخبز المحيى وأنه خبز حقيقى، وليس مجرد رمز شرح حقيقة هذا الخبز بأنه جسده «والخبز الذى سأعطيه أنا هو جسدى» أى، أنه هو الخبز

الحقيقى، والخبز هو جسده على الحقيقة، وإذن فهو «شجرة الحياة الحقيقية» من يمد يده «ويأخذ ويأكل منها يحيا إلى الأبد» (التكوين ٣: ٢٢).

٥- واعترض اليهود مرة أخرى وقالوا: «كيف يستطيع هذا أن يعطينا جسده لنأكله؟» ولكن الرب يسوع عاد يكرر فى إصرار ما قاله أولاً: «**هذا هو الخبز الذى نزل من السماء**». وهو ليس كالمن الذى أكله آباؤكم ثم ماتوا. من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد» (يوحنا ٦: ٥٢، ٥٨).

٦- وفى نفس المناسبة يقول المسيح له المجد «أهذا يجعلكم ترتابون؟ فماذا لو رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى **حيث كان من قبل**؟» (يوحنا ٦: ٦٢) وهنا يقرر بالإضافة إلى كل ما سبق، أنه سيصعد إلى السماء التى كان فيها من قبل أن ينزل إلى الأرض. فإذا رأوه صاعداً إلى السماء عندئذ يصدقون أنه كان فعلاً فى السماء من قبل أن ينزل منها إلى الأرض.

انظر: (يوحنا ٧: ٣٣)، (يوحنا ١٤: ٢، ٣، ١٢) (١٦: ٥، ١٠، ١٧).

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه خرج من لدن الآب

وكما قال الرب يسوع عن نفسه أنه نزل من السماء، قال أيضاً أنه «خرج من لدن الآب». والخروج هنا لا بمعنى الصُدور، ولا بمعنى الإنفصال، وإنما هو الخروج الذى لا يوجد له شبيه ولا مثال فى عالم المادة الكثيفة. ولكن يمكن تقريبه إلى الذهن البشرى، **بخروج ضوء الشمس من الشمس**. فالشمس منذ كانت ووجدت، يخرج منها الضوء. ولم تمر لحظة كانت فيها الشمس ولم يكن يخرج منها ضوؤها وأشعتها. هذا الخروج لا يقتضى أسبقية فى الزمن للشمس على ضوئها. كما أنه لا يقتضى أسبقية فى الزمن للآب على الابن، ولا يقتضى تخلفاً فى الزمن للضوء عن الشمس منذ وجدت.

كذلك المسيح (أو الابن) **خرج من لدن الآب، كخروج الضوء** من الشمس. لكن هذا الخروج لا يقتضى أسبقية فى الزمن للآب على الابن، ولا يقتضى تخلفاً فى الزمن للابن عن الآب... **إذ الابن والآب والروح القدس معاً فى الجوهر الإلهى والذات الإلهية منذ الأزل وإلى الأبد.** ولا يمكن تصور لحظة من الزمن - على ما يقول القديس أثناسيوس الرسولى - كان فيها الآب ولم يكن الابن معه، وإلا كان الآب كائناً ولم يكن عاقلاً، بينما أن الله هو العقل الأعظم منذ الأزل وإلى الأبد. **فالابن من الآب وكائن فيه ومعه دائماً، أزلياً وأبدياً.**

وإذن فبنوة الابن فى الثالوث القدوس ليست بمفهوم الولادة فى عالم الإنسان أو عالم الحيوان، إذ الولادة فى عالم الإنسان والحيوان ولادة حسية مادية تقتضى الذكر والأنثى، كما تقتضى الأسبقية فى الزمن، أسبقية الوالد على المولود منه، أما الله فليس كذلك. إن بنوة الابن فى الثالوث القدوس بنوة روحية ليست مادية، وعقلية ليست جسدية، كما أنها لا تقتضى أسبقية فى الزمان، لكنها كما قلنا **كولادة النور من الشمس**، ولذلك جاء فى قانون الإيمان عن يسوع المسيح (الابن) أنه «المولود من الآب... **نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، واحد مع الآب فى الجوهر**».

وعلى ذلك فترتيب الابن بعد الآب فى قوله له المجد: «عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨: ١٩) ليس ترتيباً زمانياً، وإنما هو ترتيب منطقى تقتضيه لغة البشر.

قال المسيح له المجد لليهود فى حواره معهم، وهو حديث طويل سجله الإنجيل بحسب ما كتبه القديس يوحنا، جاء فيه «قال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لأحببتمونى **لأنى من الله خرجت «وأتيت»** (يوحنا ٨: ٤٢).

هذا الخروج من الله معناه أن المسيح قبل أن يولد فى العالم وقبل أن يظهر فى الأرض مولوداً حسب الجسد من مريم، **كان كائناً فى السماء قبل أن يأتى إلى الأرض، وكان مع الله الآب وقد خرج منه ليأتى إلى العالم، تماماً كما تخرج أشعة الشمس من الشمس لتصل إلينا على الأرض.** وهذا يتضح من قوله: «**من الله خرجت، وأتيت**».

٢- ويكرر المسيح له المجد نفس المعنى بنفس التعبير، فيقول لتلاميذه فى ليلة آلامه: «**فإن الآب نفسه يحبكم، لأنكم أحببتمونى وآمنتم بأننى من الله الآب خرجت. خرجت من الآب، وجئت إلى العالم، ثم أترك العالم وأنطلق إلى الآب... فقال له تلاميذه: نحن الآن نعرف أنك عالم بكل شىء، ولا تحتاج إلى أن يسألك أحد. لهذا نؤمن بأنك من الله خرجت**» (يوحنا ١٦: ٢٧-٣٠).

يؤكد المسيح له المجد فى هذا الحديث الوداعى لتلاميذه على قوله «**أننى من الله الآب خرجت**» مشيراً بهذا إلى **وجوده الأزلى مع الآب فى جوهر الألوهية**، وأنه منه (نور من نور). ثم يكرر نفس العبارة مرة أخرى فى نفس المقام «**خرجت من الآب وجئت إلى العالم**». وإذن هذا الخروج ليس معناه أنه إنفصل عن الآب، وإنما هو الخروج الذى يستهدف خير البشرية. هو إذن خروج يعين إتجاهه الرأسى فى الخروج وهو بين السماء والأرض، هو خروج من أجل مجيئه إلينا على الأرض. وفى الوقت نفسه، إن هذا الخروج هو خروج يعين ويؤكد أزليته: إن المسيح مخارجه ليست من الأرض، ولا من مريم، ولكن **مخارجه من الآب** «منذ القديم منذ أيام الأزل» (ميخا ٥: ٢)، (أمثال ٨: ٢٢، ٢٣). ولقد قال صراحة: «الحق الحق أقول لكم: **قبل أن يكون إبراهيم، أنا كائن**» (يوحنا ٨: ٥٨). وقال للقديس يوحنا اللاهوتى فى الرؤيا: «أنا الألف والياء، البداءة والنهاية، الأول والآخر... هو كائن وكان ويأتى، القادر على كل شىء» (الرؤيا ١: ٨)، (٢١: ٦)، (٢٢: ١٣) وقال يناجى الآب: «فالآن مجدنى يا أبتاه عند

ذاتك **بالمجد الذى كان لى عندك من قبل كون العالم،** (يوحنا ١٧ : ٥)، وقال أيضاً يناجى الآب: «يا أبتاه أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنيهم يكونون معى حيث أكون أنا، ليعاينوا مجدى الذى أعطيتنى، **لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم،** (يوحنا ١٧ : ٢٤)، وقال: «**أنا وأبى نحن معاً واحد،** (يوحنا ١٠ : ٣٠) وقال: «**من رآنى فقد رأى الآب،** (يوحنا١٤ :٩).

٣- ويؤكد المسيح على نفس الحقيقة الإلهية فى مناجاته مع الآب السماوى بقوله عن تلاميذه الأخصاء: «وقد علموا الآن أن كل ما أعطيتنى هو من لدنك...» «**وأيقنوا أننى منك خرجت،** (يوحنا ١٧ : ٧، ٨)... أيقن تلاميذ المسيح أنه من لدن الآب خرج، على الرغم من أنهم يعلمون أنه ولد حسب الجسد من مريم. أما منابعه الأصلية، فليست من مريم... إنها **قبل مريم، وقبل إبراهيم، وقبل آدم، «وقبل كل الدهور»... إنه أزلى مع الآب، ومن الآب خرج، خروجاً أزلياً بغير انفصال أو إفتراق.**

٤- وبهذا المعنى للخروج الأزلى من الآب قال المسيح له المجد لتلاميذه: «لنذهب إلى مكان آخر من المدن المجاورة كى أبشر هناك أيضاً، **لأنى لهذا خرجت،** (مرقس ١ : ٣٨).

نعم **إنه خرج من الآب،** ليأتى إلى العالم، ليكرز ويبشر ويعلم ثم يتمم عمل الفداء، وبعد ذلك يعود إلى السماء، إلى الآب، على حد قوله: «**خرجت من الآب وجئت إلى العالم، ثم أترك العالم وأنطلق إلى الآب،** (يوحنا ١٦ : ٢٨) أنظر (يوحنا ١٣ : ٣).

* * *

والملاحظ أنه إذ يقول خرجت يُضيف قوله (وأتيت) أو (وجئت) إلى العالم مما يتبين معه أنه **قبل أن يولد من مريم، كان كائناً فى السماء مع الآب والروح القدس ثم أتى أو جاء إلى العالم.**

«**أنا قد جئت للعالم نوراً،** (يوحنا ١٢ : ٤٦).

«أنى وإن كنت أشهد لنفسى فشهاداتى حق، **لأنى أعلم من أين جئت،** (يوحنا٨ :١٤).

«**لأنى من الله خرجت وأتيت،** (يوحنا ٨ : ٤٢).

«خرجت من الآب وجئت إلى العالم» (يوحنا ١٦: ٢٨).

«ولأجل هذا ولدت أنا، **ولأجل هذا جئت إلى العالم كى أشهد للحق**» (يوحنا ١٨: ٣٧).

انظر أيضاً (متى ٥: ١٧)، (يوحنا ٣: ١٩)، (١٢: ٤٧)، (١٥: ٢٢)، (يوحنا ١: ١١، ١٥).

وهنا سؤال: هل يجرؤ نبى أو رسول أيا كان أن يقول عن ذاته: «من الآب خرجت وأتيت إلى العالم»؟ إنه لا يجرؤ على هذا القول إلا من كان واحداً مع الآب فى الجوهر. (يوحنا ١٠: ٣٠) من قال مراراً «**إنى أنا فى أبى وإن أبى فى**» (يوحنا ١٠: ٣٨)، (١٤: ١٠، ١١، ٢٠)، (١٧: ٢١).

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه مرسل من ذات الآب

إرسال النور من الشمس

قال الرب يسوع مراراً إنه نزل من السماء، وقال تكراراً إنه «**خرج من لدن الآب ونزل إلى العالم**»، وقال بهذا المعنى وبهذا المفهوم إنه «**مرسل من الآب**»، وأن الآب أرسله إلى العالم ليخلص به العالم.

ولكن بأى معنى نفهم أن المسيح، مرسل من الآب، وأن الآب أرسله إلى العالم، ما هو المفهوم من هذه الإرسالية، وهل هى كإرسالية الأنبياء، أم أن معنى الإرسالية بالنسبة للمسيح شيء خاص يختلف عن معنى الإرسالية بالنسبة للأنبياء والرسل من بين البشر؟.

قطعاً لابد أن المعنى مختلف تماماً. ولكن ضيق اللغة الإنسانية هو الذى يضطر من يستعمل هذه اللغة أن يستخدم اللفظ الواحد بأكثر من معنى، وأحياناً تكون هذه المعانى متقاربة المفاهيم، ولكن قد يستخدم اللفظ بمعنى بعيد كثيراً عن المعانى الأخرى. وهذا ما نجده فى المصطلحات الفلسفية والمجردات اللغوية التى تختلف فيها المفاهيم اختلافاً قليلاً أو كثيراً. ومن هنا يعمد الفلاسفة إلى (**تحديد**) وعرض المشكلة الفلسفية قبل الدخول فيها. وتحديد (المقولات) والمصطلحات فى إطارها الدقيق هو منهج البدء فى عرض أى مسألة أو مشكلة علمية أو فلسفية قبل الخوض فيها، حتى لا تتشابك الكلمات فى مفاهيمها المتقاربة أو المتباعدة، وينجلى المفهوم الصريح للكلمة أو اللفظ أو المصطلح موضوع البحث أو الدراسة.

وليس هذا المنهج عند العلماء والفلاسفة بعيداً عن التعليم المسيحى فنحن نلتقى بهذه الصعوبة فى مفهوماتنا الدينية التى استخدمها كتبة الكتاب المقدس وآباء الكنيسة من بعدهم.

وعلى سبيل المثال استخدم الإنجيل على حسب ما كتبه القديس يوحنا اللاهوتى تعبير (**اللوغوس - الكلمة**) فى قوله: «فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة هو الله» (يوحنا ١: ١). ولفظ (**الكلمة**) هنا ليس هو مفهوم لفظ الكلمة كما يلفظها الإنسان. إنما (الكلمة) هنا لفظ استخدمه الإنجيل بمعنى جليل خاص يسمو عن مفهوم الكلمة بمعناها المتداول بين الناس. (**الكلمة**) فى الإنجيل هو (**الله الكلمة**) ذاته. وقد دعى الله (**الكلمة**) لأنه

تجسد، وظهر فى الجسد. ولولا التجسد لما تسمى الله (بالكلمة). وتوكيداً لهذا المعنى الخاص الذى استخدم فيه لفظ (الكلمة) بالنسبة إلى الله، لجأت بعض ترجمات الكتاب المقدس من اليونانية إلى اللغات الأخرى إلى تمييز لفظ (الكلمة) أى (الله الكلمة) بشىء تنفرد به (الكلمة) فلا يختلط بمعناها العادى المألوف: ففى الإنجيلزية والألمانية **يكتب الحرف الأول كبيراً** Word **وأما فى الفرنسية، فترجم لفظ اللوغوس إلى** verbe **فصارت العبارة «فى البدء كان الفعل» أى «الكلمة الفاعلة أو الخالقة»**، وذلك كله بينة على ضيق اللغة البشرية عن أن تعطى لفظاً مناسباً للمعنى اللاهوتى اللائق بـ (الله المتجسد).

وزيادة فى الإيضاح، استخدمت الترجمة العربية الفعل **(كان)** فى المذكر بدلاً من (كانت) على الرغم من أن (الكلمة) فى العربية مؤنثة.

ثم إن لفظ (البدء) فى قول الإنجيل **«فى البدء كان الكلمة»** ليس هو البدء فى قول سفر التكوين «فى البدء خلق الله السماوات والأرض» (التكوين ١ : ١). فالبدء فى الإنجيل هو **(الأزل)**، بينما أن البدء فى التكوين هو ابتداء عمل الخلق.

والأمثلة على ضيق اللغات البشرية كثيرة...

كذلك **(الإرسال)** فى الثالوث القدوس غير (الإرسال) فى عالم الملائكة والناس. ففى عالم الناس يتكلم الوحى الإلهى عن (إرسال) الملائكة والأنبياء من قبل الله. والإرسال فى هذه الحالة إرسال **(من الخارج)** أى إرسال بالأمر الإلهى الصادر إلى الملاك أو النبى ليقوم بمهمة تبليغ إرادة الله إلى الناس.

إرسال الملائكة

بهذا المعنى فى إرسال الملائكة:

قال النبى دانيال: «إن إلهى **أرسل (ملاكه)** فسد أفواه الأسود فلم تضرنى» (دانيال ٦ :٢٢).

وقال القديس بطرس الرسول : «إن الرب أرسل ملاكه فأنقذنى من يد هيرودس» (أعمال١٢ :١١).

وقال الملاك جبرائيل لزكريا الكاهن: «أنا جبرائيل الواقف أمام الله. وقد أرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا» (لوقا ١ : ١٩).

انظر أيضاً (العدد ٢٠ : ١٦)، (دانيال ٣ : ٢٨)، (إشعياء ٦٣ : ٩)، (متى ٢٤ : ٣١).

إرسال الأنبياء من البشر

وبهذا المعنى فى إرسال الأنبياء:

قال الله للنبى موسى: «هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر» (الخروج ٣: ١٠).

وجاء فى سفر المزامير: «أرسل موسى عبده وهرون الذى اختاره» (مزمور ١٠٤: ٢٦).

وقال الإنجيل عن يوحنا المعمدان: «كان رجل قد أرسل من الله اسمه يوحنا» (يوحنا ١: ٦).

وقال يوحنا المعمدان: «الذى أرسلنى لأعمد بالماء هو الذى قال لى...» (يوحنا ١: ٣٣).

انظر (يوحنا ٣: ٢٨)، (إشعياء ٦: ٨)، (إرميا ١: ٧)، (لوقا ٤: ٢٦).

إرسال المسيح لتلاميذه

قال الإنجيل: «ودعا الإثنى عشر، وجعل يرسلهم اثنين اثنين» (مرقس ٦: ٧).

وقال الإنجيل أيضاً: «فلما طلع النهار دعا إليه تلاميذه واختار منهم إثنى عشر سماهم رسلاً» (لوقا ٦: ١٣).

وقال أيضاً: «وبعد ذلك عين الرب سبعين آخرين وأرسلهم اثنين اثنين أمامه إلى كل مدينة وموضع كان مزمعاً أن يذهب إليه قائلاً لهم:... اذهبوا ها أنا ذا أرسلكم كحملان بين ذئاب» (لوقا ١٠: ١-٣).

وقال المسيح له المجد لتلاميذه: «قد أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه» (يوحنا ٤: ٣٨).

انظر (لوقا ٩: ٥٢)، (١١: ٤٩)، (يوحنا ١٧: ١٨)، (٢٠: ٢١)، (أعمال ٩: ١٧)، (٢٢: ٢١)، (رومية ١٠: ١٥)، (١. كورنثوس ١: ١٧).

أما الإرسال فى الثالوث القدوس من الآب للابن، وكذلك الإرسال من الآب للروح القدس فهو إرسال من باطن، تمييزاً له عن الإرسال من الخارج على نحو ما رأينا من إرسال الله للملائكة الأنبياء، أو إرسال المسيح لتلاميذه. ذلك أن الملاك كائن مخلوق، وكذلك النبى مخلوق، وكل من الملاك والنبى كائن له كيانه المستقل ووجوده متميزاً عن كيان الله الخالق ووجوده. **أما فى الثالوث القدوس فهو الله الواحد الأحد، وليس فى الثالوث القدوس وهو الله الواحد الأحد تقسيم أو تجزئة.**

من هنا يمكن أن نفهم **الإرسال فى الثالوث القدوس على نحو ما ترسل الشمس أشعتها**، إذ الإرسال فى هذه الحال إرسال يختلف عن إرسال الله للملائكة والأنبياء. فالشمس ترسل ضوءها وأشعتها من غير أن تنفصل عنها أشعتها أو تخرج عنها خارجاً عن ذاتها. فأشعة الشمس فيها خارجة عن الشمس متولدة عنها لكنها مع ذلك متصلة بها إتصالاً دائماً، فضلاً عن أن أشعة الشمس هى من الشمس أى من نوعها وجنسها ومن جوهرها وطبيعتها. وليس كذلك الملائكة فإنهم وإن كانوا من نور لكن طبيعتهم غير طبيعة الله الذى خلقهم. وهكذا الأنبياء الذين يرسلهم الله، وإن كانوا قد خلقوا على صورة الله، ولكنهم ليسوا من طبيعة الله وليسوا من جوهره.

بهذا المعنى الواضح وبهذا المفهوم المحدد نفهم **الإرسال فى الثالوث القدوس، إرسال الآب للابن أى الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس، أو إرسال الآب للروح القدس أى الأقنوم الثالث من الثالوث القدوس.**

إرسال الله الآب للابن

على هذا النحو يصف المسيح وهو الله الظاهر فى الجسد، الكلمة المتجسد، الله الغير المنظور وقد صار منظوراً- علاقته بالله الآب، **أنه مرسل منه، بمعنى أنه من ذات طبيعته، ومن ذات جوهره، وهو كائن فيه، لكنه نزل إلى الأرض بغير إنفصال عن الآب على نحو ما تصلنا أشعة الشمس من الشمس، وهى هى الشمس نفسها لأنها منها وتحمل نورها وحرارتها وتفعل فعلها، ومن ذات طبيعتها وكيانها واصلة إلى الأرض وإلينا تملأ السماء والأرض، وهى امتداد الشمس فى وجودها وفعلها، ومع ذلك فهى متحدة معها متصلة بها إتصالاً دائماً ومباشراً نافذة منها وفيها وإليها فى كل إتجاه.**

المسيح إذن الذى نزل من السماء نزول الضوء من الشمس هو الذى وصل بيننا وبين الله فى السماء «الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه» (يوحنا ١: ١٨).

الآب أرسلنى

يقول المسيح له المجد:

«من قبلنى فقد قبل الذى أرسلنى» (متى ١٠: ٤٠).

«من قبلنى، فقد قبل لا إياى وإنما الذى أرسلنى» (مرقس ٩ : ٣٧).

«ومن قبلنى فقد قبل الذى أرسلنى» (لوقا ٩ : ٤٨).

«ومن ازدرانى فقد ازدرى الذى أرسلنى» (لوقا ١٠ : ١٦).

«طعامى هو أن أعمل بمشيئة الذى أرسلنى» (يوحنا ٤ : ٣٤).

«إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى له الحياة الأبدية» (يوحنا ٥ : ٢٤).

«لأننى لا أبتغى مشيئتى، بل مشيئة الآب الذى أرسلنى» (يوحنا ٥ : ٣٠).

«الأعمال التى أنا أعملها، هى نفسها التى تشهد لى بأن الآب قد أرسلنى» (يوحنا ٥ : ٣٦).

«الآب نفسه الذى أرسلنى هو الذى شهد لى» (يوحنا ٥ : ٣٧).

«لأنى قد نزلت من السماء، لا لأعمل بمشيئتى، وإنما بمشيئة الذى أرسلنى» (يوحنا ٦ : ٣٨).

«وهذه هى مشيئة الآب الذى أرسلنى: أن كل الذين أعطانى لا أهلك منهم أحداً» (يوحنا٦ :٣٩).

«لأن هذه هى مشيئة أبى الذى أرسلنى: أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير» (يوحنا ٦ : ٤٠).

«ما من أحد يستطيع أن يقبل نحوى ما لم يجتذبه إلىّ الآب الذى أرسلنى، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير» (يوحنا ٦ :٤٤).

«كما أن الآب الحى قد أرسلنى» (يوحنا ٦ : ٥٧).

«إن تعليمى ليس لى من عندى، بل من عند الذى أرسلنى» (يوحنا ٧ : ١٦).

«وأنا لم آت من نفسى وحدى، وإنما أرسلنى ذلك بالذى هو حق» (يوحنا ٧ : ٢٨).

«وأنتم لا تعرفونه. أما أنا فأعرفه، لأنى منه، وهو الذى أرسلنى». (يوحنا ٧ : ٢٨ ، ٢٩).

«أنا باق معكم زماناً يسيراً ثم أمضى إلى الذى أرسلنى» (يوحنا ٧ : ٣٣).

«وإنى وإن دِنتُ فدينونتى حق، لأننى لست وحدى، بل أنا والآب الذى أرسلنى» (يوحنا ٨ : ١٦)، (٢٠ : ٢١).

«فأنا أشهد لنفسى. ويشهد لى أبى الذى أرسلنى» (يوحنا ٨ : ١٨).

«إن الذى أرسلنى هو حق» (يوحنا ٨ : ٢٦).

«إن الذى أرسلنى هو معى ولم يتركنى وحدى» (يوحنا ٨: ٢٩).

«فأنا لم آت من نفسى وحدى، وإنما هو الذى أرسلنى» (يوحنا ٨: ٤٢).

«ينبغى مادام النهار أن نعمل أعمال الذى أرسلنا» (يوحنا ٩: ٤).

«إن الذى يؤمن بى، ليس بى يؤمن، وإنما آمن بالذى أرسلنى» (يوحنا ١٢: ٤٤).

«ومن رآنى فقد رأى الذى أرسلنى» (يوحنا ١٢: ٤٥).

«لأننى لم أتكلم من نفسى وحدى، وإنما الآب الذى أرسلنى هو الذى أوصانى بما أقول وبما أتكلم» (يوحنا ١٢: ٤٩).

«ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى» (يوحنا ١٣: ٢٠).

«إن الكلام الذى تسمعونه ليس كلامى، وإنما كلام الآب الذى أرسلنى» (يوحنا ١٤: ٢٤).

«ولكنهم سيفعلون بكم هذا كله بسبب اسمى، لأنهم لا يعرفون الذى أرسلنى» (يوحنا١٥: ٢١).

«أما الآن فإننى ماض إلى الذى أرسلنى» (يوحنا ١٦: ٥).

الآب أرسله

«ومن لا يمجد الابن، لا يمجد الآب الذى أرسله» (يوحنا ٥: ٢٣).

انظر أيضاً (يوحنا ٣: ١٧، ٣٤)، (٥: ٣٨)، (٦: ٢٩)، (٧: ١٨)،(١٠: ٣٦)،(متى ٢١: ٣٧).

أرسلتنى

وكثيراً ما كان يُعبر المسيح له المجد عن هذه الإرسالية فى مناجاته مع الآب على مسمع من تلاميذه.

من ذلك قوله:

«وأنا عالم أنك تسمع لى فى كل حين. وإنما قلت ذلك من أجل هذا الجمع الواقف حولى، ليؤمنوا بأنك أنت الذى أرسلتنى» (يوحنا١١: ٤٢).

«وآمنوا بأنك أنت الذى أرسلتنى» (يوحنا ١٧: ٨).

«كى يؤمن العالم بأنك أنت الذى أرسلتنى» (يوحنا ١٧: ٢١).

«وليعلم العالم أنك أنت الذى أرسلتنى» (يوحنا ١٧: ٢٣).

«وأما أنا فعرفتك، وهؤلاء أيضاً عرفوا أنك أنت الذى أرسلتنى» (يوحنا ١٧: ٢٥).

انظر أيضاً (يوحنا ١٧: ١٨).

أرسلته

«وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحق الواحد وحده مع يسوع المسيح الذى أرسلته» (يوحنا ١٧ : ٣).

انظر (متى ١٥ : ٢٤)، (لوقا ٤ : ٤٣).

* * *

المسيح إذن «مرسل من الآب» لا على نحو إرسال الملائكة والأنبياء والرسل، إرسالاً من خارج، ولكنه (مرسل من الآب) على نحو إرسال الشمس لأشعتها، فإرساله من باطن، فى داخل الثالوث القدوس، وعلى نحو إرسال العقل للفكر، وإرسال الفكر للكلمة...

لذلك، وإن نزل على الأرض لكنه فيما كان على الأرض كان فى الوقت نفسه جالساً على عرشه فى السماء ملكاً وإلهاً إلى الأبد:

ولذلك أيضاً كان الإنجيل يؤكد على أن المسيح جاء من فوق، وجاء من السماء:

قال يوحنا المعمدان عن المسيح: «إنه ينبغى أن يزداد هو. أما أنا فأنقص. **إن الذى يأتى من فوق، هو فوق الجميع.** والذى من الأرض هو أرضى، ومن الأرض يتكلم. **أما الذى يأتى من السماء فهو فوق الجميع»** (يوحنا ٣ : ٣٠، ٣١).

والمعنى هو أن يسوع المسيح لم يأت من الأرض، بل **أتى من السماء**، ولذلك فهو **قد أتى من فوق**، ومن ثم **فهو فوق الجميع**. أما يوحنا المعمدان فيقول عن نفسه أنه أرضى لأنه أتى من الأرض، أى أتى بحسب الطبيعة من أب ترابى وأم ترابية، ومن ثم فهو بشرى، محض إنسان. **أما المسيح فهو وإن ظهر على الأرض، لكنه ليس من الأرض، بل من السماء.**

وجاء فى الإنجيل قول المسيح عن نفسه فى حواره مع اليهود «قال لهم يسوع أيضاً: «إننى سأمضى وستأخذون تبحثون عنى وتموتون فى خطاياكم، فحيث أمضى أنا، لا تستطيعون أنتم أن تأتوا. فقال اليهود: لعله سيقتل نفسه إذ يقول: حيث أمضى أنا لا تستطيعون أنتم أن تأتوا. فقال لهم: «أنتم من أسفل. **وأما أنا فمن فوق.** أنتم من هذا العالم، **وأما أنا فلست من هذا العالم... قالوا له: «من أنت؟»، فقال لهم يسوع: «أنا ذاك الذى منذ البدء كلمتكم عنه»** (يوحنا ٨: ٢١-٢٥).

وقد أعاد أكثر من مرة قوله: «**أنا لست من العالم**» (يوحنا ١٧: ١٤، ١٦).

انظر أيضاً (متى ٢٨: ١٨)، (يوحنا ٧: ٣٤)، (١٣: ٣٣) (١. كورنثوس ١٥: ٤٧).

حقاً إنه قال لتلاميذه «لستم من العالم» (يوحنا ١٥: ١٩) وقال فى مناجاته مع الآب على مسمع من تلاميذه «فأبغضهم العالم، لأنهم ليسوا من العالم» (يوحنا ١٧: ١٤) ولكن المعنى أن تلاميذه بإنضمامهم إليه وإلى تعليمه انفصلوا عن روح العالم، ولذلك صار العالم يبغضهم لأنهم أمسوا على خلاف معه. ولذلك، وبياناً لهذا المعنى الخاص استدرك له المجد قائلاً: «لأنكم لستم من العالم، وإنما أنا اخترتكم من العالم، لذلك يبغضكم العالم». أى أنهم من العالم بحسب طبيعتهم، ولكن باختيار المسيح لهم وانضمامهم إليه أصبحوا أتباعه. ومن ثم ينالهم من العالم ما نال سيدهم ومعلمهم من بغضة واضطهاد.

وإذن فالتلاميذ ينتمون أصلاً إلى العالم. أما المسيح فليس من العالم أصلاً لأنه خرج من الآب. وتوكيداً لهذا المعنى قال له المجد لليهود: «أنتم من أسفل. **وأما أنا فمن فوق**. أنتم من هذا العالم، **وأما أنا فلست من هذا العالم...أنا ذاك الذى منذ البدء**» (يوحنا ٨: ٢١ـ٢٥).

* * *

كذلك إرسال الروح القدس من الآب، إرسال من باطن لا من خارج... إرسال من الذات الإلهية لا كإرسال الأنبياء والرسل، بل على نحو ما ترسل الشمس حرارتها وتبعث دفئها. فحرارة الشمس تتولد منها وتنبثق عنها لكنها لا تنفصل عنها، وهى من الشمس وفى الشمس منذ كانت الشمس. ولا نستطيع أن نتصور لحظة كانت فيها الشمس ولم يكن ينبثق عن الشمس حرارتها وينبثق منها دفئها.

هكذا الروح القدس ينبثق من الآب منذ الأزل، وإلى الأبد إنبثاقاً من غير انفصال.

يقول المسيح له المجد عن الروح القدس. إنه «**روح الحق المنبثق من الآب**» (يوحنا١٥: ٢٦).

يبقى هنا سؤال: **لماذا حرص المسيح على أن يبين بوضوح أنه مرسل من الآب. وأن الآب هو الذى أرسله، على الرغم من أن هذا الإرسال لا يمكن أن يكون من قبيل إرسال الملائكة والرسل والأنبياء؟.**

والجواب على السؤال يتضح إذا وضعنا فى اعتبارنا أن اليهود كانوا فى حيرة من أمر يسوع المسيح، من يكون؟.

لقد صنع من المعجزات ما جعلهم يتبينون أنه لا يمكن أن يكون مجرد نبى أو واحد من بنى البشر... لأنه كان يصنع كل شىء بسلطانه، ودون أن يلتمس ذلك من إله أو من قوة خارجة عن ذاته...

فعندما انتهر الريح، وقال للبحر: «اصمت. اسكت.فسكنت الريح وساد هدوء عظيم... خافوا خوفاً عظيماً، وقال بعضهم لبعض: «**من عساه أن يكون هذا الذى حتى الريح والبحر يطيعانه ؟**» (مرقس ٤: ٣٩-٤١) «فتعجب الناس قائلين: «أى إنسان هذا الذى حتى الرياح والبحر تطيعه؟» (متى ٨: ٢٧) «فخافوا وذهلوا وقال بعضهم لبعض: «من هو هذا يا ترى؟ فإنه يأمر حتى الرياح والمياه فتطيعه» (لوقا ٨: ٢٥).

وعندما كان يطرد الأرواح النجسة بسلطان، فتخرج على التو وهى صارخة تقول: مالك ولنا يا يسوع الناصرى؟ أجئت لتهلكنا؟ إننا نعرف من أنت. أنت قدوس الله... ذهل الناس جميعاً، حتى **لقد أخذوا يتساءلون فيما بينهم قائلين: «ما هذا؟ إنه لتعليم جديد! فإنه بسلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه»** (مرقس ١: ٢٣- ٢٧) «**فارتعب الجميع، وراحوا يخاطبون بعضهم بعضاً قائلين: «ما هذا؟ إنه بسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج**» (لوقا ٤: ٣٦).

ورأوه يغفر الخطايا بسلطان، وعلى الرغم من أنه من المعروف أنه **لا يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله الواحد وحده**، لكن يسوع المسيح أثبت للناس أن له السلطان على الأرض أن يغفر الخطايا «**فبهتوا كلهم**، ومجدوا الله قائلين: «**ما رأينا مثل هذا قط**» (مرقس ٢: ١٢)، (متى ٩: ٨)، «**فذهلوا كلهم ومجدوا الله وهم يقولون وقد ملأهم الخوف: «قد رأينا اليوم عجائب**» (لوقا ٥: ٢٦).

أمام هذا السلطان المطلق للمسيح على الأرض، وفى السماء (متى ٢٨: ١٨) كان لابد لفادينا يسوع المسيح أن يريح الناس مبيناً لهم علاقته بالآب السماوى الذى يعرفون عنه أنه ملك السماء والأرض. فهل يسوع المسيح إله آخر، مادام يعمل أعمالاً بسلطان مطلق لا يمكن أن يملكه نبى أو بشر أياً كان؟ وإذا كان يسوع المسيح إلهاً؟ فما مركزه بالنسبة للإله الذى يعبدونه هم؟ هل هو إله ثان، وفى هذه الحالة سيكون للوجود إلهان، ويكون التعليم بالتوحيد قد سقط وانتقض... إذن كان

لا مفر من أن تحل هذه المشكلة فى أذهان الناس عن حقيقة يسوع المسيح... من هو؟ فما داموا قد تبينوا أنه ليس مجرد إنسان، لأنه يمارس سلطاناً على الطبيعة وعلى الأرواح النجسة وعلى شفاء المرضى وإقامة الموتى، وعلى أن يخلق من الطين عينين للمولود أعمى الذى لم تكن له عينان فى موضع العينين. إذن فهو إله. وإذا كان إلهاً، فهل هو إله آخر- وحينئذ يكون ثمة فى الوجود إلهان مما يتعارض مع مبدأ التوحيد الذى قرره الله مراراً وأيده بنصوص كثيرة - فكان لابد، أن يزيل الرب يسوع هذه الحيرة ويريح نفوس الناس بأن يبين لهم **أنه ليس إلهاً آخر غير الإله الواحد الذى هم يعبدونه، ولأنه ليس ثمت غير إله واحد.** ثم إنه لم يأت ليلغى عقيدة الناس فى الإله الذى يعبدونه وهو الآب، ليحل هو محله ويحتل مكانته فى اعتقاد الناس، معاذ الله!

لهذا أبان المسيح بوضوح كاف توكيداً لمبدأ الوحدانية، وتثبيتاً لعقيدة التوحيد، أنه مرسل من الآب، وأن الآب أرسله. وفى هذا البيان تثبيت للاعتقاد فى إله واحد، وأن يسوع المسيح ليس إلهاً جديداً غير الله الآب أو ضد الله الآب، لكنه «هو بهاء مجده، وصورة جوهره، وضابط الكون بكلمة قدرته» (العبرانيين ١: ٣) هو منه وفيه، هو مرسل من الآب على نحو ما ترسل الشمس أشعتها ونورها وضياءها وبهاءها. وليس نورها وبهاؤها وضياؤها غير الشمس نفسها ممتده منتشرة، وواصلة إلينا على الأرض، وليس إلا شمس واحدة.

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه كائن فى الآب والآب كائن فيه

وإذا كان يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه: «نزل من السماء»، وأنه «خرج من عند الآب»، وأنه مرسل من ذات الآب»، فإنه توكيداً وبياناً لحقيقة إرساليته وأنها إرسالية (من باطن)، لا من خارج، على غرار إرسال الشمس لأشعتها ونورها، أوضح بصراحة **أنه كائن فى ذات الآب**، مبيناً بذلك أنه **بنزوله من السماء لم ينفصل عن ذات الآب وجوهره، وإنما هو مع وجوده على الأرض كائن مع الآب فى ذات الجوهر بغير إنفصال أو إفتراق، وأنه لذلك يحيا فى الآب وبالآب من غير إفتراق.**

قال فى صدد أنه الخبز الحى الذى نزل من السماء (يوحنا ٦: ٥٠، ٥١) «**وأنا كذلك أحيا بالآب**» (يوحنا ٦: ٥٧) مبيناً بذلك أن وجوده وكيانه ليس منفصلاً عن وجود الآب وكيانه، وأن حياته ليست مفترقة عن حياة الآب. **فحياتهما واحدة لأنهما فى جوهر الألوهية معاً إله واحد. وعلى ذلك فالآب حياته فى الابن وبالابن، والابن حياته فى الآب وبالآب، وبالتالى لا حياة للآب بغير الابن، ولا حياة للابن بغير الآب. الحياة فيهما واحدة لأن الله واحد، ولا تجزئة فى الله.**

ويؤكد على نفس المعنى بقوله: «فإن لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال، لتعلموا وتعرفوا أنى أنا **فى أبى، وأن أبى فىّ**» (يوحنا ١٠: ٣٨). والمعنى أن أعماله هى أعمال الآب لأن **جوهرهما واحد، ففعلهما واحد.** ولما كان الله غير منظور، فإنه إذا أخذ صورة منظورة، صارت أعمال المنظور، وهو المسيح، دليلاً إلى أعمال الغير المنظور وهو الله الآب.

وزيادة فى الإيضاح وإصراراً على نفس الحقيقة، **أنه فى الآب والآب فيه، وأن من رآه فقد رأى الآب، وأن فيه يعرفون الله الآب الغير المنظور، وفيه يرونه وينظرونه.**

قال: «لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً. ومنذ الآن تعرفونه، **وقد رأيتموه**. فقال له فيلبس: «يارب، أرنا الآب وكفانا. قال له يسوع: **أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى بعد يا فيلبس. من رآنى فقد رأى الآب.** فكيف تقول أنت: أرنا الآب؟ **ألا تؤمن بأنى أنا**

فى أبى، وأن أبى فىّ. إن الكلام الذى أكلمكم به لا أتكلم به من نفسى أنا وحدى، **وإنما الآب الكائن فى** هو الذى يعمل أعماله. **صدقونى أنى فى أبى، وأن أبى فىّ**، وإلا فصدقونى من أجل الأعمال نفسها» (يوحنا ١٤: ٧-١١).

وهذا بيان فى منتهى الروعة والوضوح فى وحدانية الجوهر الإلهى بين الآب والابن. **فالآب فى الابن، والابن فى الآب: أى أن الذات الإلهية واحدة، وليس هناك إثنينية فى الثالوث القدوس. والآب كائن فى الابن، والابن كائن فى الآب. والأعمال التى يعملها الابن هى بعينيها أعمال الآب. والآب يعمل أعماله بالابن. وليس ثمة عمل يعمله الابن من دون الآب، ولا عمل يعمله الآب من دون الابن. والأعمال التى يعملها الابن لا ينفرد بها ولا تختص به وحده، وإنما العمل واحد للآب والابن معاً.** لاحظ قوله: «إن الكلام الذى أكلمكم به **لا أتكلم به من نفسى أنا وحدى، وإنما الآب الكائن فىّ هو الذى يعمل أعماله**». ولذلك **فإن من رأى الابن فقد رأى الآب** لأن الآب كائن فى الابن. **ومن عرف الابن فقد عرف الآب. ومن دون معرفة الابن لا يعرف الناس الآب المعرفة الحقيقية.** ومما له دلالة بالغة الأهمية قوله لتلاميذه: «ومنذ الآن تعرفونه. **وقد رأيتموه**» فكيف رأى التلاميذ الآب؟! إن الآب غير منظور ولكنهم إذ رأوا الابن متجسداً فقد رأوا الآب فيه. وهذا إلحاح على الحقيقة التى قررها مراراً، **إنى أنا فى أبى، وأن أبى فىّ**.

مرة أخرى يقول المسيح له المجد لتلاميذه: «لن أترككم يتامى وإنما سأجى إليكم. بعد قليل لن يرانى العالم بعد، وأما أنتم فسوف ترونني. لأننى أنا حى... وفى ذلك اليوم ستعلمون **أنى فى أبى**» (يوحنا ١٤: ١٨-٢٠) إنه يعد تلاميذه بالقيامة من بين الأموات والعودة إليهم بعد قيامته وظهوره لهم بعد موته. إنه قد ذاق الموت بالجسد، **أما هو بلاهوته فحى لا يموت**. فإذا رأوه حياً بعد موته فسيتحققون أن «الموت لم يكن ممكناً له أن يستبقيه أسيراً له» (أعمال ٢: ٢٤) أو يضبطه عن الحياة، **لأنه حى بذاته، وحى بالآب الكائن فيه** (يوحنا ٦: ٥٧). أنه قام من دون أن يقف على قبره أحد ليقيمه، إنما قام بسلطان لاهوته الكائن فيه، **ولاهوته هو لاهوت الآب الكائن معه فى جوهر الألوهة، وفى الذات الإلهية...** عندئذ يعلم التلاميذ ويوقنون بصدق الحقيقة التى أعلنها مراراً وتكراراً: «**أنى أنا فى أبى، وأن أبى فىّ**».

ثم إنه فى مناجاته مع الآب يوجه الخطاب إلى الآب قائلاً: «**أنك أنت أيها الآب فىّ، وأنا أيضاً فيك... وأنت فىّ**» (يوحنا ١٧: ٢١، ٢٣)... ويريد أن يكون تلاميذه «جميعهم فى وحدة فى الآب والابن والروح القدس على غرار الوحدة الكائنة فى الأقانيم الثلاثة، مع فارق أساسى عميق أن **الوحدة فى الثالوث القدوس هى وحدة الجوهر والذات الإلهية** بينما أن الوحدة بين التلاميذ جميعهم فى الله هى وحدة أدبية روحية أخلاقية، وحدة مشيئة وإرادة وليست وحدة طبيعة، بمعنى أن التلاميذ تندمج مشيئتهم الإنسانية فى المشيئة الإلهية وتتحد بها فتصير مشيئة واحدة هى مشيئة الله التى اندمجوا فيها، فصارت مشيئتهم، ولم تعد لهم مشيئة خاصة بهم غير مشيئة الله. وهذا معناه قمة الروحانية فى حياة الإنسان الروحانى حين تفنى إرادته فى إرادة الله، وهو ما عبر عنه الرسول بولس «مع المسيح صلبت، فما أنا أحيا بعد، بل إنما المسيح يحيا فىّ» (غلاطية ٢: ٢٠)، (رومية ٦: ١٠) وهو ما يعرف عند الروحانيين والمتصوفة بمقام (**الفناء والبقاء بعد الفناء**).

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته
أنه ابن الله

كما نسب يسوع المسيح إلى ذاته أنه **ابن الإنسان** نسب أيضاً إلى ذاته أنه **ابن الله**.

هو ابن الإنسان لأنه «ابن مريم».

وهو ابن الإنسان من حيث أنه أخذ صورة الإنسان، وظهر فى الهيئة فى شكل إنسان (فيلبى ٢: ٧، ٨)، إنسان من لحم ودم وعظام (العبرانيين ٢: ١٤، ١٧)، (متى ١٦: ١٧)، (لوقا ٢٤: ٣٩).

إنه حُبل به فى البطن كإنسان (متى ١: ١٨، ٢٠)، (لوقا ١: ٣١) (٢: ٥، ٢١).

وحملته العذراء فى بطنها تسعة أشهر كإنسان (لوقا ٢: ٦).

وولدته كإنسان (متى ١: ١، ١٨، ٢٥)، (٢: ١، ٢، ٤)، (لوقا ١: ٣١)، (٢: ٦، ٧، ١١)، (غلاطية ٤: ٤).

ورضع من لبن ثدييها كإنسان (لوقا ١١: ٢٧).

وحملته على ركبتيها كإنسان، وكان ينمو قليلاً قليلاً كإنسان (لوقا ٢: ٢١، ٤٠، ٤٢، ٥١، ٥٢)، (٤: ١٦)، إلى أن بلغ سن الإنسان الكامل (لوقا ٣: ٢٣).

ثم إنه كإنسان أكل (لوقا ٢٤: ٤٣)، (أعمال ١٠: ٤١).

وشرب (متى ١١: ١٩)، (مرقس ٢: ١٦).

وجاع (متى ٤: ٢)، (لوقا ٤: ٢)، (متى ٢١: ١٨)، (مرقس ١١: ١٢).

وعطش (يوحنا ١٩: ٢٨)، (٤: ٧).

وتعب (يوحنا ٤: ٦).

ونام (متى ٨: ٢٤)، (مرقس ٤: ٣٨)، (لوقا ٨: ٢٣).

وكإنسان بكى (لوقا ١٩: ٤١)، (يوحنا ١١: ٣٥).

وكإنسان اضطرب (يوحنا ١١: ٣٣)، (١٢: ٢٧)، (١٣: ٢١).

وكإنسان حزن (مرقس ٣: ٥)، (متى ٢٦: ٣٧، ٣٨) (مرقس ١٤: ٣٤).

وكإنسان اكتأب (متى ٢٦: ٣٧)، (مرقس ١٤: ٣٣)، **وكإنسان تألم** (متى ١٦: ٢١)، (مرقس ٨: ٣١)، (لوقا ٩: ٢٢)، (٢٤: ٢٦، ٤٦).

وصُلب كإنسان، وضرب، وجلد... ومات كإنسان... وشفع فى البشرية كإنسان (١. تيموثيوس ٢: ٥)، (العبرانيين ٧: ٢٥)، (١. يوحنا ٢: ١).

لكنه فى كل ذلك **كان هو الإنسان الكامل، الإنسان بغير خطية** (رومية ٨: ٣)، (العبرانيين ٤: ١٥)، (٢. كورنثوس ٥: ٢١)، **الإنسان بغير فساد** (أعمال ٢: ٢٧، ٣١)، (١٣: ٣٥).

الإنسان فى قامة الكمال الإنسانى (أفسس ٤: ١٣) **والنموذج الأعلى للإنسان** (كولوسى ١: ٢٨).

كان هو آدم الثانى (١.كورنثوس ١٥: ٤٥، ٤٧) فى مقابل آدم الأول.

هو فى ذلك **ابن الإنسان** (متى ١٦: ١٣).

على أنه إلى ذلك، ومع ذلك **هو ابن الله**.

هو ابن الله لأنه عندما ولد كإنسان لم يكن له أب من بنى الإنسان (متى ١: ١٨).

فمريم التى ولد منها كانت عند الحبل به عذراء لم تعرف رجلاً (لوقا ١: ٣٤).

فيسوع المسيح ليس له أب من بشر كما لسائر الناس من بنى آدم. **أنه ولد وليس من زرع رجل** (متى ١: ٢٠).

إنما ناسوته أو إنسانيته أو جسده تكون له قبل نزوله من السماء وحلوله فى بطن العذراء مريم... تكون من دم العذراء مريم بعد أن حل الروح القدس عليها، (لوقا ١: ٣٥) فصاغ من دمها الجسد الذى حل فيه (الكلمة الإلهى) كقول الوحى الإلهى «عند دخوله إلى العالم... **هيأت لى جسداً**» (العبرانيين ١٠: ٥)، (١: ٦) واتحد به اللاهوت فى أقنوم واحد وطبيعة واحدة، لها خصائص الطبيعتين، من غير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير. وهكذا «**اتخذ الكلمة جسداً**» (يوحنا ١: ١٤).

ويلاحظ أن العبارة «(هيأت) لى جسداً» و هى باليونانية σῶμα δὲ κατηρτίσω μοι

وبالقبطية ⲟⲩⲥⲱⲙⲁ ⲇⲉ ⲡⲉⲧⲁⲕⲥⲉⲃⲧⲟⲧϥ ⲛⲏⲓ تفيد **(الإعداد) الكامل والتام، و(التشكل) الكامل والتام للجسد، و(الحياكة) الكاملة والتامة للجسد، والنسج الكامل والتام للجسد، و (التكوين) الكامل والتام للجسد.**

فيسوع المسيح إذن هو ابن الله لأنه ليس له أب من بشر، أى «أن الله أبوه» (يوحنا ٥: ١٨).

وهو ابن الله لأنه من طبيعة الله الآب ومن جوهره «إذ هو ضياء مجده وصورة جوهره وضابط الكل بكلمة قدرته» (العبرانيين ١: ٣).

وفيه رأينا الله، ذلك «أن» الله لم يره أحد قط. **الابن الوحيد** الذى فى حضن الآب «**هو الذى أخبر عنه**» (يوحنا ١: ١٨) وقد قال صراحة «من رآنى فقد رأى الآب» (يوحنا ١٤: ٩) وقال لتلاميذه «لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً. **ومنذ الآن تعرفونه، وقد رأيتموه**» (يوحنا ١٤: ٧) وإذا كان الله الآب «لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه» (١. تيموثيئوس ٦: ١٦)، (الخروج ٣٣: ٢٠). فيسوع المسيح «**هو صورة الله الغير المنظور**» (كولوسى ١: ١٥)، (٢. كورنثوس ٤: ٤).

بهذا المعنى هو ابن الله (لوقا ٣: ٣٨).

فليس هو ابن الله على نحو ما يصير المؤمنون بالمسيح أولاد الله أى بالإيمان والمعمودية التى تعطيهم امتياز البنوة الروحية (يوحنا ١: ١٢)، (٣: ٥)، (يعقوب ١: ١٨)، (١. بطرس ١: ٣، ٢٣)، (١. يوحنا ٢: ٢٩)، (٣: ٩)، (٤: ٧).

المسيح إذن هو وحده ابن الله بالطبع لا بالوضع، ابن الله بالحقيقة لا بالتبنى، لأنه على قوله «**أنا وأبى نحن معاً واحد**» (يوحنا١٠: ٣٠) أى أنه والله الآب معاً واحد فى الجوهر الإلهى الواحد والذات الإلهية الواحدة كقوله فى مناجاته للآب «وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك **أنت الإله الحق الواحد وحده مع يسوع المسيح الذى أرسلته**» (يوحنا ١٧: ٣).

يسوع المسيح ابن الله الحى

«وحين جاء يسوع إلى نواحى قيصرية فيلبس، سأل تلاميذه قائلاً: من تقول الناس إنى هو، أنا ابن الإنسان؟ فقالوا: إن قوماً يقولون إنك يوحنا المعمدان، وآخرين إنك إيليا، وآخرين إنك إرميا أو أحد الأنبياء فقال لهم «وأنتم من تقولون إنى هو؟ فأجاب سمعان بطرس وقال **أنت هو المسيح ابن الله الحى**. فأجاب يسوع وقال له: مبارك أنت يا سمعان بن يونا، لأنه ليس لحماً ودماً الذى كشف لك هذا، وإنما أبى الذى فى السماوات. وأيضاً أقول لك أنت بطرس، وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى، وبوابات الجحيم لن تقوى عليها... ثم أوصى تلاميذه ألا يقولوا لأحد أنه هو يسوع المسيح» (متى ١٦: ١٣-٢٠)، (مرقس ٨: ٢٧-٣٠). وقال الإنجيل بحسب ما كتب القديس لوقا «فأجاب بطرس قائلاً: **أنت هو المسيح الله**. فنهاهم منتهراً عن أن يقولوا ذلك لأحد» (لوقا ٩: ١٨-٢١).

كان لابد أن يكشف يسوع المسيح عن حقيقة ذاته: من هو على الحقيقة، فقد كان الناس، ومن بينهم تلاميذه، يرونه فى شكل إنسان، وقد أخفى لاهوته فى ناسوته. لذلك، وقبل أن يتمم عمل الفداء ويصعد إلى السماء «ويدخل إلى حيث مجده» (لوقا ٢٤: ٢٦) سأل تلاميذه هذا السؤال ليثيرهم على الجواب الصحيح «من تقول الناس إنى هو، أنا ابن الإنسان؟ فقالوا: إن قوماً يقولون إنك يوحنا المعمدان، وآخرين يقولون إنك إيليا وآخرين إنك إرميا وغيرهم يقولون إنك أحد الأنبياء الأولين قد قام» ولاشك أن الرب يسوع كان يعلم بما كان يقوله الناس عنه. ولكنه بسؤاله لتلاميذه أراد أن يستدرجهم للسؤال الأهم باعتبارهم تلاميذه الذين سيحملون دعوته وسينادون برسالته، فينبغى أن يكون رأيهم فيه الرأى الصحيح الذى سينقلونه إلى العالم بالكرازة والتعليم: والسؤال الأهم هو: «**وأنتم من تقولون إنى أنا هو؟**».

على هذا السؤال الجوهرى والأساسى أجاب سمعان بطرس بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن سائر التلاميذ، إذ كان هو أكبرهم سناً، قائلاً: «**أنت هو المسيح الله، ابن الله الحى**».

ولقد عاد سمعان بطرس فكرر هذا الإيمان وهذا الاعتراف بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن رفقائه التلاميذ عندما قال المسيح عن ذاته «أنه الخبز الحقيقى الذى نزل من السماء» قال سمعان بطرس: يارب، إلى من نذهب؟ إن كلام الحياة الأبدية عندك. ونحن قد آمنا وعرفنا بيقين **أنك أنت هو قدوس الله، المسيح ابن الله الحى**» (يوحنا ٦: ٦٨، ٦٩).

وقد دون هذا الإيمان والإعتراف، القديس يوحنا الرسول فى ختام الإنجيل بقوله «وقد صنع يسوع أمام تلاميذه آيات أخرى كثيرة، لم تكتب فى هذا الكتاب. وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا **بأن يسوع هو المسيح ابن الله**» (يوحنا ٢٠: ٣٠، ٣١) انظر أيضاً (١. يوحنا ٣: ٨، ٢٣)، (٤: ١٠، ١٥)، (٥: ٥، ١٠، ١١، ١٣)، (الجليان الرؤيا ٢: ١٨).

لم ينفرد إذن سمعان بطرس بهذا الإيمان السليم، وبهذا الإعتراف العظيم.

١- فقد سبقه إليه يوحنا المعمدان، إذ قال: «وأنا قد أبصرت وشهدت **بأن هذا هو ابن الله**» (يوحنا ١: ٣٤).

فقد رأى يوحنا فى نهر الأردن، السماوات تنشق وقد انفتحت ليسوع المسيح تواً بعد صعوده من الماء «ونزل عليه الروح القدس فى صورة جسم يشبه الحمامة، ومقبلا عليه. وإذا صوت يجيء من السماء قائلاً: **أنت هو ابنى حبيبى الذى به سررت**» (**متى ٣: ١٦، ١٧**)، (**مرقس ١: ١١**)، (**لوقا ٣: ٢١، ٢٢**).

وشهد يوحنا المعمدان قائلاً: «إن الآب يحب الابن، وقد جعل فى يده كل شيء. فمن يؤمن بالابن فله الحياة الأبدية. ومن لا يؤمن بالابن فلن يرى الحياة، وإنما يحل عليه غضب الله» (يوحنا ٣: ٣٥، ٣٦).

انظر أيضاً شهادة الآب السماوى على جبل التجلى «**هذا هو ابنى حبيبى الذى به سررت، فله اسمعوا**» (متى ١٧: ٥)، (مرقس ٩: ٦)، (لوقا ٩: ٣٥)، (٢. بطرس ١: ١٧).

وقد شهد به رئيس الملائكة جبرائيل فى بشارته للعذراء مريم «**القدوس الذى سيولد منك يدعى ابن الله**» (لوقا ١: ٣٥).

٢- وسبقه إليه **برثولماوس الرسول** أحد الإثنى عشر، وهو بعينه نثنائيل الذى عندما أخبره يسوع المسيح بأنه يعرفه من قبل، وأنه رآه حين كان تحت شجرة التين، اعترف بألوهيته وقال له: «**يا معلم أنت ابن الله. أنت ملك إسرائيل**» (يوحنا ١: ٤٩).

٣- وهو الاعتراف الذى صرخ به التلاميذ مجتمعين، هم ومن كان معهم، عندما رأوه فى الهزيع الرابع من الليل ماشياً على البحر، فاضطربوا قائلين إنه شبح، وصرخوا من الخوف «فكلمهم يسوع فى الحال قائلاً: اطمئنوا. أنا هو لا تخافوا». وبينما كانت السفينة تتقاذفها

الأمواج، إذ كانت الريح مضادة لهم ،حتى إذا ركب السفينة سكنت الريح فجاء الذين كانوا فى السفينة وسجدوا له قائلين : **حقاً أنت ابن الله،** (متى ١٤: ٢٢-٣٣)، (مرقس ٦: ٤٥-٥١).

٤- واعترفت بهذه الحقيقة وهذا الإيمان مرثا أخت لعازر وقالت له: **،أننى أؤمن بأنك أنت المسيح ابن الله الآتى إلى العالم،** (يوحنا ١١: ٢٧).

٥- واعترف بهذا الإيمان **المولود أعمى** بعد أن خلق المسيح له عينين من الطين الذى طمس به مقلتيه، عندما سأله الرب يسوع قائلاً: **أتؤمن بابن الله ؟** فقال: **،أؤمن يا سيدى، ثم سجد له،** (يوحنا ٩: ٣٥-٣٨).

٦- واعترف به **لونجينوس قائد المائة** عند الصليب عندما رأى الأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت ،فحين رأوا الزلزال وما حدث خافوا خوفاً عظيماً قائلين ،**حقاً كان هذا هو ابن الله،** (متى ٢٧: ٥٤). ،وحين رأى قائد المائة الذى كان واقفاً تجاهه أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال: **حقاً كان هذا الإنسان هو ابن الله،** (مرقس ١٥: ٣٩).

٧- وآمن بهذا الإيمان واعترف به **شاول الذى هو بولس الرسول** بعد أن أنار الله بصيرته إذ ظهر له الرب يسوع فى رائعة النهار وهو فى طريقه إلى دمشق ،وللوقت أخذ يكرز فى المجامع بيسوع **أن هذا هو المسيح ابن الله،** (أعمال ٩ :٢٠، ٢٢)، (رومية ١: ٤)، (٢. كورنثوس ١: ١٩)، (غلاطية ٢: ٢٠)، (كولوسى ١: ١٣)، (العبرانيين ٤: ١٤)، (١: ٢)، (٥: ٨)، (٦: ٦)، (العبرانيين ٧: ٣، ٢٨)، (١٠: ٢٩).

٨- وآمن بهذا الإيمان واعترف به **الخصى وزير كنداكة ملكة الحبشة**، فقال لفيلبس **،أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله،** (أعمال الرسل ٨: ٣٧).

٩- بل لقد اعترف بهذه الحقيقة الشيطان نفسه. يقول الإنجيل: ،ولما جاء (يسوع) إلى الضفة الأخرى، إلى أرض الجرجسيين لاقاه رجلان بهما شياطين، خارجان من القبور، وكانا شرسين جداً حتى لم يكن أحد ليستطيع أن يمر من ذلك الطريق، وإذا بهما يصرخان قائلين: ،ماشأنك بنا **يا يسوع ابن الله العلى** ؟ أجئت إلى هنا لتعذبنا قبل الأوان؟، (متى ٨: ٢٨، ٢٩)، (مرقس ٥: ١- ٧)، (لوقا ٨: ٢٦- ٢٨) قال الإنجيل أيضاً ،أما الأرواح النجسة فكانت حين تراه تخر ساجدة له وتصرخ قائلة: **إنك أنت هو ابن الله،** (مرقس ٣: ١١). انظر أيضاً (متى ٤: ٣، ٦).

إذن لم يكن اعتراف سمعان بطرس بأن يسوع هو المسيح الله ابن الله الحى هو التعبير عن إيمان سمعان بطرس بمفرده. ولذلك فإن تعقيب الرب يسوع عن اعتراف سمعان بطرس يعتبر موجهاً لا إلى سمعان بطرس فقط، وإنما إلى كافة المؤمنين بلاهوت المسيح **وأنه المسيح الله ابن الله الحى.**

قال الرب يسوع: «مبارك أنت يا سمعان بن يونا، لأنه ليس لحماً ودماً الذى كشف هذا، وإنما أبى الذى فى السماوات». هذه البركة وهذا التغبيط لسمعان بطرس يشمله ويشمل من يؤمن إيمانه ويعترف باعترافه.

يقول العلامة أوريجينوس الأسكندرى «إذا قلنا نحن أيضاً ما قاله بطرس «أنت هو المسيح ابن الله الحى»، نصبح نحن أيضاً بطرس، وينطبق علينا ما قيل لبطرس» «أنت بطرس وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى» (١) (تفسير متى مجلد ١٢: ٩، ١٠، ١١) أما قوله له المجد «ليس لحماً ودماً الذى كشف لك هذا وإنما أبى الذى فى السماوات»، فيشير إلى أن هذا الإعتراف على فم سمعان بطرس هو من قبيل الكشف الإلهى والإعلان السماوى من لدن الله الآب، لأنه بحسب الظاهر المحسوس والملموس يسوع هو ابن مريم فهو ابن الإنسان، من حيث أن له مظهر إنسان وشكل إنسان، وقامة إنسان. ولقد ولد كإنسان، ونما قليلاً فى قامته كإنسان، وأكل وشرب وصام وجاع وعطش وتعب، وصلب ومات كإنسان «فى كل شىء مثلنا ما خلا الخطيئة» (العبرانيين ٤: ١٥) إذن «إذ قد اشترك الأبناء فى الدم واللحم اشترك هو كذلك فيهما لكى يبطل بموته من كان له سلطان الموت أى إبليس» (العبرانيين ٢: ١٤).

وبعبارة أخرى ليس إنساناً من دم ولحم الذى كشف لك يا سمعان، ويا كل سمعان، هذا الإيمان وهذا الاعتراف... إنما هذا الكشف هو من لدن الآب السماوى لعينى القلب وللبصيرة الداخلية لكل من يؤمن... ولقد قال المسيح له المجد «ما من أحد يستطيع أن يقبل نحوى ما لم يجتذبه إلىّ الآب الذى أرسلنى... أنه مكتوب فى أسفار الأنبياء، أن الجميع سيكونون متعلمين من الله. **فكل من استمع إلى أبى وتعلم منه يقبل نحوى...** لذلك قلت لكم إنه ما من أحد يستطيع أن يقبل إلىّ مالم يوهب من أبى» (يوحنا ٦: ٤٤، ٤٥، ٦٥).

وليس لحماً ولا دماً الذى كشف لك يا سمعان، وياكل سمعان، هذا الحق وهذه الحقيقة، وإنما الآب السماوى، بمعنى أنك إذ ترانى فى الجسد من لحم ودم، لا ينتظر منك أن تنفذ إلى ما وراء

(١) تفسير متى - مجلد ١٢: ٩، ١٠، ١١

اللحم والدم لتعرفنى على حقيقتى الإلهية المستترة فى جسدى المنظور، ولذلك فإن ما نطقت به من إعتراف لم يوح به إليك مظهرى من لحم ودم، فإننى بحسب الجسد ابن الإنسان، لأنى ابن مريم، ولأنى أخذت صورة إنسان، وشكل إنسان، وهيئة إنسان. إنما الذى أوحى إليك بأننى المسيح الله ابن الله الحى، هو الآب السماوى. فهو الذى أنار بصيرتك وكشف لعينيك الباطنيتين حقيقة لاهوتى المستترة فى ناسوتى. (متى ١١: ٢٥)، (١٣: ١١)، (١. كورنثوس ٢: ١٠)، (غلاطية ١: ١٢)، (أفسس ٢: ٨)، (٣: ٣، ٥)، (العبرانيين ٦: ٤).

وقال الرب موجهاً الخطاب لسمعان بطرس، وفيه إلى كل سمعان بطرس فى إيمانه بلاهوت المسيح واعترافه بأن **يسوع هو المسيح الله ابن الله الحى**، وأيضاً أقول لك أنت بطرس، وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى، وبوابات الجحيم لن تقوى عليها.

لقد قلت لك يا سمعان، ويا كل سمعان، «ليس لحماً ودماً الذى كشف لك هذا، وإنما أبى الذى فى السماوات». وأضيف إلى هذا الذى قلته لك إنك «أنت بطرس» بعينك، هو ذاتك بطرس وليس آخر، الذى نطق لسانك بهذا الاعتراف بإلهام وليس منك بل من الآب السماوى.

وأقول لك «أنت بطرس» بالذات، مقالى، لأنك سوف تنكرنى ثلاث مرات أنك تعرفنى، ولسوف تنكرنى أمام الجميع ولسوف تلعن وتحلف (مرقس ١٤: ٧١) وتقول عنى «أنى لا أعرف هذا الرجل» (متى ٢٦: ٧٤)، (لوقا ٢٢: ٥٦- ٦٠). اذكر يا بطرس ما نطق به لسانك حتى لا تتردد فيما بعد وتتنكب عن الحق بل تثبت على إعترافك ومنطق لسانك، وتشجع إخوتك إذا تزعزع إيمانهم (لوقا ٢٢: ٣٢).

اذكر يا بطرس أنك أنت الذى اعترفت بلسانك **بأننى المسيح الله وابن الله الحى**، فلا تحد عن هذا الإيمان، ولا تنكر هذا الإعتراف أو تتنكر له فيما بعد. فما من أحد أجبرك على هذا الإيمان، وما من أحد ألزمك بهذا الإعتراف. فأنت بعينك بطرس الذى إعترفت به وجهرت به من دون أن يقهرك أحد عليه. أقول لك هذا لتثبت على ما آمنت وعلى ما إعترفت، ولا تتردد، ولا تتنكر لإيمانك ومنطق لسانك.

على هذه الصخرة
سأبنى كنيستى

«وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى» ... على هذه الصخرة والصخرة هنا هى **الإيمان بلاهوت المسيح والإعتراف به أنه المسيح الله ابن الله الحى.**

وهل يمكن أن يكون أحد غير المسيح هو الصخرة التى يبنى عليها كنيسته؟.

إن بشراً أيا كان لا يمكن أن يكون هو الصخرة!

قال الكتاب المقدس:

«وليس صخرة مثل إلهنا» (١ . صموئيل ٢ : ٢).

«لأنه من هو إله غير الرب، **ومن هو صخرة سوى إلهنا»** (٢ . صموئيل ٢٢ : ٣٢)، (مزمور ١٧ : ٣١).

«الرب صخرتى وحصنى» (٢ . صموئيل ٢٢ : ٢)، (مزمور ١٧ : ٢).

«إليك يارب أصرخ. **يا صخرتى** لا تتصامم عنى» (مزمور ٢٧ : ١).

«عليك يارب توكلت... **لأن صخرتى ومعقلى أنت»** (مزمور ٣٠ : ١، ٢، ٣).

«أقول لله أنت صخرتى» (مزمور ٤١ : ٩).

«إنما لله انتظرت نفسى... **إنما هو صخرتى وخلاصى»** (مزمور ٦١ : ٢، ٦، ٧).

«بك يارب اعتصمت... **لأنك صخرتى وملجأى»** (مزمور ٧٠ : ٣).

«الله هو صخرة قلبى» (مزمور ٧٢ : ٢٦).

«الرب مستقيم، **هو صخرتى**، ولا ظلم فيه» (مزمور ٩١ : ١٥).

«هلموا نرنم للرب، **نهتف لصخرة خلاصنا»** (مزمور ٩٤ : ١).

«مبارك الرب صخرتى» (مزمور ١٤٣ : ١).

«والصخرة كانت المسيح» (١ . كورنثوس ١٠ : ٤).

انظر أيضاً (التثنية ٣٢ : ١٥، ٣١)، (٢ . صموئيل ٢٢ : ٤٧)، (مزمور ١٧ : ٤٦)، (٣٩ : ٢)، (٧٧ : ٣٥)، (٨٨ : ٢٦)، (٩٣ : ٢٢)، (١ . بطرس ٢ : ٨).

نعم إن المسيح هو الصخرة والصخرة هى المسيح والإيمان بلاهوته وأنه ابن الله وصورة الله الغير المنظور (كولوسى ١: ١٥) «فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً غير الموضوع وهو يسوع المسيح» (١. كورنثوس ٣: ١١)، (أفسس ٢: ٢٠)، (١. بطرس ٢: ٤، ٦، ٧، ٨)، (إشعياء ٢٨: ١٦)، (٨: ١٤)، (مزمور ١١٧: ٢٢)، (متى ٢١: ٤٢)، (مرقس ١٢: ١٠)، (لوقا ٢٠: ١٧)، (أعمال ٤: ١١)، (رومية ٩: ٣٣).

ويقول **القديس أثناسيوس الرسولى** (٢٩٥- ٣٧٣م) فى تفسيره للمزمور ١١٨: «حقاً إن إيمانك هو فى قديسيك الذين هم فى كل جيل أرضوك، **فإنك قد بنيت كنيستك على إيمانك** وبوابات الجحيم لن تقوى عليها» (١).

ويقول حامى الإيمان نفسه فى رسالته الأولى إلى سرابيون «فضلاً عن ذلك فإنه من الضرورى أن نفحص باهتمام وتدقيق فى الاعتقاد القديم وتقليد الكنيسة الجامعة الذى أعلنه الرب، وبشر به الرسل، وحفظه الآباء، **فإن الكنيسة قد تأسست على هذا الاعتقاد وهذا التقليد. فإذا توقف الإنسان عن هذا الاعتقاد فلم يعد ممكناً له أن يسمى مسيحياً ولم يعد مسيحياً على الاطلاق**» (٢).

ويقول **القديس يوحنا الذهبى فمه** (٣٤٧- ٤٠٧) فى تفسيره على إنجيل القديس متى ١٦ «فماذا قال المسيح: مبارك أنت يا سمعان ابن يونا، لأنه ليس لحماً ودماً الذى كشف لك هذا... وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى... **أى على الإيمان بهذا الاعتراف**» (٣).

ويقول **القديس كيرلس الإسكندرى الملقب بعمود الإيمان** (٤١٢: ٤٤٤م)، فى خطبته الثانية على سفر إشعياء «قال المسيح، أنت بطرس. وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى، **والصخرة فيما أعتقد هى إيمان التلميذ الذى لا يتزعزع**. لقد قيل فى موضع اخر على فم المرتل «أساساته فى الجبال المقدسة» «وجميل جداً أن يشبه الرسل القديسون والإنجيليون بالجبال، ذلك أن معرفتهم أقيمت أساساً لمن هم بعدهم...».

---

(١) مجموعة من MIGNE للآباء الذين كتبوا باليونانية صفحة ١١٩١.

(٢) رسالة القديس أثناسيوس الرسولى الأولى إلى سرابيون.

(٣) القديس يوحنا ذهبى الفم فى تفسيره على إنجيل متى ١٦.

«فالمسيح بقوله: مبارك أنت يا سمعان بن يونا... أظهر فيما أعتقد **أن الصخرة ليست غير الإيمان المتين الذى لا يتزعزع للتلميذ. وعلى هذا الإيمان الذى لا يزول أقيمت كنيسة الله وتأسست**، وستبقى صامدة إلى الأبد لا تستطيع بوابات الجحيم أن تهدمها» (١).

ويقول **القديس أوغسطينوس** (٣٥٤- ٤٣٠م) فى كتابه عن التثليث «قال الرب: إنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى... **على هذه الصخرة، إذن يقول أى على ما اعترفت به**، سأبنى كنيستى. **والصخرة كانت هى المسيح وعلى أساسها بنى بطرس هو نفسه**. «لأنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الموضوع وهو يسوع المسيح».

ويقول **القديس أوغسطينوس** أيضاً «... إننى أعلم أننى كثيراً ما فسرت ما قاله الرب «أنت بطرس وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى...» أنه يجب أن يفهم **من الصخرة أنها الرب الذى اعترف به بطرس** قائلاً أنت هو المسيح ابن الله الحى» ... إنه لم يقل له «أنت الصخرة πέτρα PETRA وإنما بطرس πέτρος PETRUS **أما الصخرة** PETRA **فهى المسيح والذى اعترف به بطرس، والذى تعترف به الكنيسة بأسرها**».

(١) مجموعة من MIGNE للآباء الذين كتبوا باليونانية مجلد ٨

«وبوابات الجحيم لن تقوى عليها»

فطالما أن الكنيسة مبنية على الإيمان بأن يسوع هو المسيح الله ابن الله الحى فستظل قائمة ولن تفنى ولن تزول. فإذا زال هذا الإيمان بلاهوت المسيح زالت الكنيسة وضاعت.

على أن المسيح له المجد وعد وعداً هو كفيل بأن يحفظه وأن يحققه بأن **بوابات الجحيم لن تقوى عليها**. ومعنى هذا الوعد أن الإيمان بأن **يسوع هو المسيح الله ابن الله الحى** سيظل قائماً ولن يزول. إن بوابات الجحيم ستظل ترسل دائماً عملاء للشيطان يضطهدون المسيح والمؤمنين به ولكن هؤلاء العملاء سيفشلون جميعاً فى أن يستأصلوا الإيمان بالمسيح أنه ابن الله... وآخرهم هو الدجال الذى «سيبيده الرب يسوع بنفخة فمه ويبطله بظهور مجيئه» (٢. تسالونيكى ٢: ٨)، (إشعياء ١١: ٤).

يقول الرب بفم إشعياء النبى:

«ها أنهم يجتمعون اجتماعاً ليس من عندى. من اجتمع عليك، فإليك يسقط. ها إنى خلقت الحداد الذى ينفخ الجمر فى النار ويخرج أداة لعمله، وأنا خلقت المفسد للتدمير. كل آلة صورت ضدك لا تنجح. وكل لسان يقوم عليك، فى القضاء تحكمين عليه. هذا هو ميراث عبيد الرب، وبرهم من عندى، يقول الرب» (إشعياء ٥٤: ١٥-١٧).

* * *

ومع أن الرب يسوع كان يريد أن يعرفه تلاميذه على حقيقته، **أنه المسيح الله ابن الله الحى**، ومن أجل هذا استدرجهم للسؤال المهم والخطير «وأنتم من تقولون إنى هو؟» ولقد أثنى على الاعتراف الحسن الذى نطق به تلميذه سمعان بطرس بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن التلاميذ رفقائه، بل أنه أضاف إليه أن هذا الاعتراف وهذا الإيمان بحقيقته الإلهية هو الصخرة التى سيبنى عليها كنيسته، وبها تتميز عن كل جماعة أخرى تؤمن به وتحترمه كأى نبى ورسول حتى لو قالوا إنه نبى عظيم... إلا أنه بعد ذلك كله «**أوصى تلاميذه ألا يقولوا لأحد أنه هو يسوع المسيح**» (متى ١٦: ٢٠) ويقول الإنجيل أيضاً «**فنهاهم منتهراً عن أن يقولوا ذلك لأحد**» (لوقا ٩: ٢١)، ويقول الإنجيل حسب ما كتبه القديس مرقس «**فنهاهم بشدة عن أن يقولوا لأحد عنه**» (مرقس ٨: ٣٠).

والسؤال المهم التالى: إذا كانت قضية الإيمان بالرب يسوع أنه المسيح الله ابن الله الحى، قضية بهذة الدرجة من الأهمية القصوى، وأنها الصخرة التى يبنى المسيح عليها كنيسته، فلماذا

إذن يوصى تلاميذه ألا يقولوا لأحد أنه يسوع المسيح بل أنه ينهاهم عن ذلك بشدة، وينتهرهم عن أن يقولوا ذلك لأحد؟.

الواضح من هذا أنه **لقصد إتمام عمل الفداء جاء الله الكلمة مستتراً فى الناسوت محتجباً فيه**. فلو أنه ظهر على حقيقته الإلهية، فمن هذا الذى كان يجرؤ على أن يقترب منه ليصلبه ويقتله ويميته؟ **بل إن الشيطان عدو خلاصنا لو انكشفت له حقيقة المسيح اللاهوتية، لكان يعمل جاهداً على تعطيل مهمة الفداء، وبدلاً من أن يهيج اليهود على أن يبتغوا صلبه وقتله، يصرفهم عن ذلك حتى يتعطل الخلاص.** لذلك قال الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول «**لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد**» (١. كورنثوس ٢ : ٨).

وليست هذه هى المرة الوحيدة التى يوصى المسيح فيها تلاميذه بأن لا يقولوا لأحد أنه يسوع المسيح وينهاهم بشدة عن أن يظهروه على حقيقته حتى لا يتعطل عمل الفداء.

فعندما تجلى على حقيقته أمام تلاميذه الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا على جبل تابور، وتغيرت هيأته أمامهم فأضاء وجهه كالشمس، وصارت ثيابه بيضاء كالنور، متألقة كالبرق، ناصعة البياض كالثلج، حتى ليعجز أى قصار على الأرض عن أن يجعلها فى مثل بياضها... وإذا سحابة من نور ظهرت وظللتهم، فخافوا وهم يدخلون فى السحابة وإذا صوت من السحابة يقول: «هذا هو ابنى حبيبى، الذى به سررت، فله اسمعوا. فسقط التلاميذ على وجوههم، وخافوا جداً، فجاء يسوع المسيح قائلاً: قوموا لا تخافوا...» وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلاً: **لا تخبروا أحداً بما رأيتم إلا متى قام ابن الإنسان من بين الأموات. فكتموا هذا الأمر فى أنفسهم** متسائلين فيما بينهم: ما القيامة من بين الأموات، **ولم يخبروا أحداً فى تلك الأيام بشىء مما رأوا**» (متى ١٧ :١- ٩)، (مرقس ٩ :٢- ١٠)، (لوقا ٩ :٢٨- ٣٦).

ولم يخف المسيح له المجد لاهوته عن الناس فقط، **بل أخفاه عن الشيطان أيضاً** حتى إنه إذا بهرت الشياطين بأعماله وقدراته ومعجزاته الإلهية، وصرخ بعض الشياطين أنهم عرفوه أنه ابن الله، وأنه قدوس الله، كان ينتهرهم ويخرسهم ويأمرهم أن لا يظهروه.

من ذلك ما يقوله الإنجيل «وفى المساء بعد غروب الشمس شرعوا يحضرون إليه كل المرضى والذين بهم شياطين، وقد اجتمعت المدينة كلها عند الباب، فشفى كثيرين من المصابين بأمراض

مختلفة، وأخرج كثيراً من الشياطين، **ولم يسمح للشياطين بالكلام، إذ عرفوه أنه هو المسيح،** (مرقس ١: ٣٢-٣٤) «أما الأرواح النجسة فكانت حين تراه تخر ساجدة له وتصرخ قائلة: إنك أنت هو ابن الله، **فكان ينتهرها بشدة كى لا تكشف عن حقيقة شخصيته،** (مرقس ٣: ١١، ١٢). «وكان فى المجمع رجل به روح شيطان نجس، فصرخ بصوت عظيم قائلاً: «مالك ولنا يا يسوع الناصرى؟ أجئت لتهلكنا؟ أنا أعرف من أنت. أنت قدوس الله» **فانتهره يسوع قائلاً: اخرس واخرج منه.** فصرعه الشيطان فى وسطهم وخرج منه» (لوقا ٤: ٣٣-٣٥) «وكانت الشياطين أيضاً تخرج من كثيرين، وهى تصرخ قائلة: «أنت هو المسيح ابن الله» **فكان ينتهرها، ولا يسمح لها بأن تتكلم،** لأنها عرفت أنه هو المسيح» (لوقا ٤: ٤١).

وإذن لقد كانت سياسة الرب يسوع المسيح على الإجمال أن يخفى لاهوته عن الشيطان، حتى لا يعمل الشيطان على تعطيل عمل الفداء، فيتعطل عمل الخلاص، ويبطل الغرض الذى من أجله جاء المسيح إلى العالم. لذلك، فلكى يفوت المسيح له المجد على الشيطان خطته فى تعطيل الخلاص، ويفسد حكمته، كان إذا قام المسيح بعمل من أعمال القوة والقدرة لإثبات لاهوته كان يتبعه بعمل من أعمال الضعف، أى بعد أن يكشف عن ومضة من ومضات ألوهته كان يلحقها بفعل من أفعال إنسانيته، فيظهر أنه جائع أو عطشان أو متعب، أو ينام على وسادة... وما إليها من أفعال إنسانية بشرية ليؤكد بها حقيقة الإنسانية التى اتخذها واتحد بها، ومن جهة أخرى لكى يربك حكمة الشيطان فيظن فى المسيح أنه بشر، مجرد إنسان، فيتحول إلى مقاومته وإثارة اليهود ضده حتى يبتغوا قتله وموته.

انظر توكيداً لذلك ما كان يقوله المسيح له المجد لمن يشفيه من برصه «انظر **لا تقل لأحد،** (متى ٨: ٤) «**إياك أن تقول لأحد شيئاً،** (مرقس ١: ٤٤) وللأعميين بعد أن فتح أعينهما «**إياكما أن تخبرا أحداً بذلك،** (متى ٩: ٣٠) ولجميع من شفاهم، «**أوصاهم ألا يذيعوا خبره،** (متى ١٢: ١٦) ولأهل ابنة يايرس التى أقامها من الموت «**أوصاهم مشدداً عليهم بألا يدعوا أحداً يعلم بالأمر،** (مرقس ٥: ٤٣)، (لوقا ٨: ٥٦) ولمن قدموا إليه الأصم الأخرس بعد أن شفاه فانفتحت أذناه وانحلت عقدة لسانه وتكلم بطلاقة «**أوصاهم ألا يقولوا لأحد،** (مرقس ٧: ٣٦).

٢- وحدث أن شفى المسيح له المجد المولود أعمى ورد إليه البصر بأن تفل على الأرض، وصنع من التفل طيناً وطلى بالطين عينى المولود أعمى، أى طمس بالطين مقلتيه الفارغتين،

وبذلك خلق له عينين على نحو ما خلق الله آدم تراباً من الأرض (التكوين ٢ :٧)، الأمر الذى أثار الفريسيين إثارة شديدة حتى أخذوا يسائلون المولود أعمى وأبويه لا مرة بل مرات بغية أن يجدوا سبيلاً إلى إنكار المعجزة. فلما أصر الرجل على أنه هو الذى كان أعمى ثم أبصر بعد أن طمس المسيح بالطين عينيه، واعترف بالمسيح أنه نبىٌ، وأنه من الله أتى، وشهد قائلاً: «ما سمعنا منذ بدء الزمان أن إنساناً فتح عينى مولود أعمى»... طرده اليهود من شركة المجمع اليهودى، وإذ علم الرب يسوع بذلك «فحين لقيه قال له: **«أتؤمن بابن الله؟** أجاب وقال: من هو يا سيدى فأومن به؟ فقال له يسوع: **«إنك تراه وهو الذى يكلمك»**، فقال: أؤمن يا سيدى، ثم سجد له» (يوحنا ٩ :١-٣٨).

فى هذه القصة الواقعة والمعجزة الباهرة التى دونها الإنجيل على يد القديس يوحنا اللاهوتى نسب المسيح إلى ذاته صراحة أنه (ابن الله) فى قوله للمولود أعمى بعد أن خلق له من الطين عينين فأبصر: **«أتؤمن بابن الله؟»** فلما سأله الأعمى الذى أبصر قائلاً: من هو يا سيدى فأؤمن به؟ أجابه علانية: **إنك تراه وهو هو الذى يكلمك»** (يوحنا ٩ :٣٨). وإذن ففى هذا الحوار بين المسيح والمولود أعمى يقول المسيح بوضوح. إنه بذاته **«ابن الله»** وهو بعينه المتكلم مع المولود أعمى، والذى رد إلى الرجل بصره بالمعجزة، فصار الرجل يراه بعينيه متحققاً من أنه **هو بذاته ابن الله**.

والمعنى من هذا الحوار ومن سؤال المسيح للمولود أعمى أن **المسيح يتطلب ممن ينضم تحت لوائه ويدخل فى رعويته ويصير عضواً فى مملكته أن يؤمن به ليس فقط كما كان يقول عنه الأعمى فى أولى مراحل الإيمان «إنه نبى» بل ينبغى أن يرتقى إيمانه به إلى مرتبة أنه «ابن الله»**.

على أن المفهوم الحقيقى من أن المسيح **«ابن الله»** كما وصل إلى المولود أعمى ليس من قبيل البنوة بالتبنى التى يدعى بها كل المؤمنين بالله أولاد الله (يوحنا ١ :١٢) ولكنها البنوة بالطبع، أى **فى ذاته هو من طبيعة الله الآب ومن جوهره أو هو صورة الله الغير المنظور**، بدليل أن المولود أعمى لم يكتف بقوله «أؤمن يا سيدى» وإنما أضاف إلى إيمانه واعترافه، شيئاً له دلالته وهو أنه **«سجد له»** (يوحنا ٩ :٣٨).

٣- والدليل الدامغ على أن هذا المفهوم هو الذى قصده المسيح إذ نسب إلى ذاته أنه «ابن الله» أى أنه ابن الله بالطبيعة والجوهر، وصورة الله الغير المنظور، هو أنه أصر عليه دائماً وكرره، وقد وصل على هذا النحو الذى قصده إلى أذهان اليهود.

قال الإنجيل «فاشتدت رغبة اليهود فى قتله، لأنه لم ينقض السبت فحسب، وإنما قال أيضاً: **«الله أبى، مساوياً نفسه بالله»** (يوحنا ٥: ١٨). وإذن فاليهود قد فهموا من أنه نسب إلى ذاته أنه ابن الله، أن هذه البنوة **هى بنوة بالطبع لا بالوضع، بنوة حقيقية وليست نسبية، أى أنه ابن الله بالطبيعة والجوهر وأنه من ذات الله ومن جوهره، وهو الصورة المنظورة لله الغير المنظور، ولهذا السبب فإنه بذلك يكون مساوياً لله فى الجوهر وجميع الصفات والكمالات الإلهية، وأنه معه ومع الروح القدس واحد فى الجوهر.**

٤- وقال المسيح فى حواره الطويل مع اليهود «أنا وأبى نحن معاً واحد» (يوحنا ١٠: ٣٠) فعقب الإنجيل على ذلك بقوله مباشرة «فالتقط اليهود عندئذ حجارة مرة أخرى ليرجموه. فأجابهم يسوع قائلاً: إن أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من لدن أبى، فبسبب أى عمل منها ترجموننى؟ أجابه اليهود قائلين: أننا نرجمك لا بسبب عمل حسن، وإنما بسبب التجديف، **«لأنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً»** (يوحنا ١٠: ٣٠-٣٣).

وإذن لقد فهم اليهود من قول المسيح له المجد **«أنا وأبى نحن معاً واحد»** أنه ينسب إلى ذاته أنه واحد مع الآب فى الجوهر، **أى أنه كائن مع الآب فى الذات الإلهية الواحدة، ولذلك فهو والآب معاً ذات إلهية واحدة وجوهر إلهى واحد.** وهذه دعوى إن لم تكن صحيحة، فهى دعوى جريئة تعد تجديفاً على الله **لأنه بها ينسب إلى ذاته المساواة مع الله الآب فى الجوهر وسائر الصفات والكمالات الإلهية. لهذا التقط اليهود حجارة ليرجموه بصفته مجدفاً على الله. وقال الكتاب المقدس: « ومن جدف على اسم الرب فليقتل قتلاً. ترجمه كل الجماعة رجماً. الغريب كالوطنى إذا جدف على الاسم يقتل»** (اللاويين ٢٤: ١٦)، (١. الملوك ٢١: ١٠)، **ولما سألهم الرب يسوع قائلاً: «إن أعمالاً كثيرة حسنة قد أريتكم من لدن أبى، فبسبب أى عمل منها ترجموننى؟ أجابه اليهود صراحة قائلين: «إننا نرجمك لا بسبب عمل حسن، وإنما بسبب التجديف، «لأنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً»** معنى ذلك أن اليهود قد فهموا من قول المسيح أنه **ابن الله وأنه هو وأبوه هما معاً واحد** أن هذه الدعوى هى ادعاء بالألوهة، **وأنه إله مع الله مساو له فى جميع الصفات والكمالات الإلهية، وأنهما معاً إله واحد.**

٥- قال المسيح له المجد لليهود: «أتقولون أنتم للذى قدسه الآب وأرسله إلى العالم أنك تجدف **لأنى قلت إننى أنا ابن الله**» (يوحنا ١٠: ٣٦). فى هذا النص القدسى يصرح المسيح بوضوح أنه قال عن نفسه «**أنا ابن الله**» وقد كان هذا القول مثار نزاع وصراع وحوار بينه وبين اليهود. وبسببه إتهمه اليهود بأنه يجدف على الله، لأنه ينسب إلى ذاته صفة الألوهة بقوله «**أنا ابن الله**» الأمر الذى يستحق عليه القتل والرجم كما تأمر الشريعة (اللاويين ٢٤: ١٦)، (١ . الملوك ٢١: ١٠)، وفعلاً لقد التقط اليهود حجارة ليرجموه تنفيذاً لما أمر الله به.

٦- وقال المسيح بصدد مرض لعازر عندما أرسلت إليه أختا لعازر مرثا ومريم تقولان: «يارب، هوذا الذى تحبه مريض» قال له المجد: «إن هذا المرض ليس مرضاً للموت، بل لأجل مجد الله، كى **يتمجد ابن الله به**» (يوحنا ١١: ٤).

هنا أيضاً ينسب المسيح إلى ذاته صراحة أنه ابن الله بل إنه أيضاً **جعل مجده ومجد الله واحداً، مما يدل على حقيقة المساواة بينه وبين الله الآب**. وإذا كان الله قال صراحة «**أنا الرب وهذا اسمى، ومجدى لا أعطيه لآخر**» (إشعياء ٤٢: ٨)، (٤٨: ١١) فإن المسيح قد جعل ذاته مع الله واحداً حتى إنه يصرخ **بأن مجده ومجد الله واحد**.

٧- وعندما قبض العسكر وجند الهيكل على الرب يسوع المسيح فى ليلة آلامه مضوا به «إلى قيافا رئيس الكهنة، وكان قد اجتمع عنده كل رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة... وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يبتغون شهادة زور ضد يسوع ليقتلوه، ولكنهم لم يجدوا، مع أن كثيرين شهدوا ضده زوراً، غير أن شهاداتهم لم تكن متطابقة... فوقف رئيس الكهنة فى الوسط وسأل يسوع قائلاً: أما تجيب بشىء؟ ما هذا الذى يشهد به أولئك عليك؟ ولكنه ظل صامتاً ولم يجب بشىء. فعاد رئيس الكهنة وسأله قائلاً له: **استحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله المبارك**؟ قل لنا. فقال له يسوع: **نعم أنا هو كقولك**. وإنى لأقول لكم كذلك إنكم منذ الآن سترون ابن الإنسان جالساً عن يمين القدرة وآتياً على سحب السماء. فقالوا جميعاً: **أفأنت إذن ابن الله**؟ قال: **نعم أنا هو كقولكم**. وعندئذ مزق رئيس الكهنة ثيابه قائلاً: لقد جدف، فما حاجتنا بعد إلى شهادة شهود؟ ها أنتم أولاء قد سمعتم الآن تجديفه. فماذا ترون؟ فقالوا: ما حاجتنا بعد إلى شهادة شهود: فإننا بأنفسنا قد سمعنا من فمه هو. فحكموا عليه جميعاً بأنه يستوجب الموت» (مرقس ١٤: ٥٣-٦٤)، (متى ٢٦: ٥٧-٦٦)، (لوقا ٢٢: ٦٦-٧١).

ومما تجدر ملاحظته أن الرب يسوع المسيح كان ملتزماً الصمت وهو واقف يحاكم أمام رئيس الكهنة القائم وأمام مجمع السنهدريم (لوقا٢٢-٦٦) ولم يجب بشيء على الإتهامات التى إتهمه بها عدد من شهود الزور الذين أتى بهم الرؤساء ليشهدوا ضده حتى تعجب رئيس الكهنة من صمته ووقف قيافا رئيس الكهنة فى وسط المجمع «وقال له: أما تجيب بشيء على ما يشهد به أولئك عليك؟ أما يسوع فظل صامتاً، عندئذ عمد رئيس الكهنة إلى استحلافه بالله الحى لكى يتكلم قائلاً: أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا: **هل أنت المسيح ابن الله المبارك؟** هنا قطع المسيح له المجد صمته، وفتح فاه ونطق بحقيقة شخصه «فقال له يسوع: **نعم أنا هو كقولك**» فعلى الرغم من أنه أخفى لاهوته عن الشيطان حتى لا يتعطل الصليب، وعلى الرغم من أنه «أوصى تلاميذه ألا يقولوا لأحد إنه هو يسوع المسيح» (متى ١٦: ٢٠) «ونهاهم بشدة منتهراً عن أن يقولوا لأحد عنه» (مرقس ٨: ٣٠)، (لوقا ٩: ٢١) مع ذلك لم يلزم الصمت عندما استحلفه قيافا رئيس الكهنة وسأله سؤالاً مباشراً قائلاً: «**استحلفك بالله الحى أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله المبارك؟** قل لنا. «بل أجاب على الفور بكمال الوضوح وبدون مواربة «**نعم، أنا هو كقولك**». أى **نعم أنا هو ابن الله الحى المبارك**. ثم أضاف بياناً لحقيقة هذه البنوة، وإيضاحاً لمعناها، وأنها ليست بنوة نسبية بل هى **بنوة حقيقية وطبيعية، أى أن المسيح هو من طبيعة الله «وهو ضياء مجده وصورة جوهره»** (العبرانيين ١: ٣) قائلاً: «وإنى أقول لكم كذلك إنكم منذ الآن **سترون ابن الإنسان جالساً عن يمين القدرة وآتياً على سحب السماء**، ولما كان المقصود بالقدرة، الله العلى بذاته، لأنه هو ذو القدرة (أيوب ١٢: ١٣)، **والقدير** (التكوين ١٧: ١)، «**والقادر على كل شيء**» (الخروج ٦: ٣)، ولما كان الله ذاته فى لاهوته غير المحصور وغير المحدود لا يمين له ولا شمال، فيمين القدرة تعبير يكنى عن الله ذاته الذى له «كمال القدرة» (الحكمة ١٢: ١٧) «يمينك يارب معتزة بالقدرة». (الخروج ١٥: ٦). **والجلوس عن يمين القدرة هو الجلوس على عرش الله**. فالمسيح بعد أن قام صعد «ودخل إلى السماء عينها» (العبرانيين ٩: ٢٤) «وجلس عن يمين الله» (مرقس ١٦: ١٩) ... «جلس عن يمين العظمة فى الأعالى» (العبرانيين ١: ٣). «جلس عن يمين العظمة فى السماوات» (العبرانيين ٨: ١) ... «جلس عن يمين الله إلى الأبد» (العبرانيين ١٠: ١٢)، «وجلس عن يمين عرش الله» (العبرانيين ١٢: ٢).

وأما أن المسيح **سيأتى على سحب السماء**، فذلك فى مجيئه الثانى عندما يأتى ليدين الأحياء والأموات إذ هو الديان. قال المسيح له المجد عن مجيئه الثانى للدينونة: «وفى تلك الأيام على أثر تلك المحنة ستظلم الشمس ولا يعطى القمر ضوءه، وتتساقط نجوم السماء، وتتزعزع القوات التى فى السماء. وحينئذ سيرون **ابن الإنسان آتياً على السحاب بقوة عظيمة ومجد**» (مرقس ١٣: ٢٤-٢٦)، (متى ٢٤: ٢٩، ٣٠)، (لوقا ٢١: ٢٧)، (أعمال ١: ١١)، (الرؤيا ١: ٧)، (دانيال ٧: ١٣).

ولما كان يسوع المسيح قد نسب إلى ذاته صراحة أنه «**المسيح ابن الله المبارك، وأنه الجالس عن يمين القدرة، وأنه سوف يأتى على سحب السماء فى مجيئه الثانى ليدين الأحياء والموتى، فقد نسب إلى ذاته ما لا ينسب إلا إلى الله العلى وحده، فهو وحده الجالس على العرش** (متى ٢٣: ٢٢). لذلك، فإن رئيس الكهنة قيافا عندما سمع هذه التصريحات الخطيرة لم يطق أن يسمعها فمزق ثيابه كما هى عادة اليهود إذا ما سمعوا أو رأوا شيئاً يتضمن إهانة الله (إشعياء ٣٦: ٢٢)، (٣٧: ١) وقال: «لقد جدف فما حاجتنا بعد إلى شهود؟ وقال يوجه الخطاب إلى أعضاء مجمع السنهدريم من رؤساء الكهنة والشيوخ: ها أنتم أولاء قد سمعتم الآن تجديفه، فماذا ترون؟ فقالوا: ما حاجتنا بعد إلى شهادة شهود؟ فإننا بأنفسنا قد سمعنا من فمه هو. فحكموا عليه جميعاً بأنه يستوجب الموت».

وإذن فالمسيح إذ نسب إلى ذاته أنه ابن الله، **فهو ينسب إلى ذاته الألوهة، والمساواة مع الله الآب فى الجوهر، وأنه صورة الله الغير المنظور، وهو ضياء مجده، وصورة جوهره.**

٨- وعندما ذهبوا بالرب يسوع إلى بيلاطس البنطى الحاكم الرومانى، يشكونه إليه ليستصدروا عليه الحكم بالموت، لم يجد بيلاطس فيه شيئاً يستوجب الموت وقال لهم صراحة «ها أنذا سأخرجه إليكم لتعلموا أنى لا أجد فيه خطيئة» فلما خرج الرب يسوع إليهم ورآه رؤساء الكهنة والخدام صاحوا نحو الحاكم «قائلين: اصلبه، اصلبه. فقال لهم بيلاطس: خذوه أنتم واصلبوه، فإننى لا أجد فيه خطيئة يدان عليها. فأجابه اليهود قائلين: إن لنا شريعة، وأنه على مقتضى شريعتنا يستحق الموت. **لأنه جعل نفسه ابن الله**» (يوحنا ١٩: ٣-٧).

وإذن فيسوع المسيح نسب إلى ذاته **أنه ابن الله**، واليهود علموا بذلك، ولاموه عليه، واعتبروا قوله تجديفاً على الله، ولولا أنهم فهموا مقولته على حقيقتها، وأنه **ابن الله حقاً فى**

الطبيعة والجوهر، وأنه صورة الله الغير المنظور لما اعتبروا قوله تجديفاً وذلك لأن يسوع المسيح لم يغفل أن يبين حقيقة شخصيته، وأنه ابن الله بالحقيقة وبالطبيعة والجوهر.

قال الإنجيل: «ثم صلبوه ... وكان المارة يسبونه وهم يهزون رؤوسهم قائلين: ياهادم الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلِّص نفسك. إن كنت أنت **ابن الله** فانزل عن الصليب وكذلك رؤساء الكهنة كانوا يهزأون به مع الكتبة والشيوخ قائلين: خلص آخرين ولا يستطيع أن يخلص نفسه، **إن كان هو ابن الله المختار**، إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به. لقد اتكل على الله فلينقذه الآن إن كان راضياً عنه، **لأنه قال أنا ابن الله**» (متى ٢٧: ٣٥-٤٣)، (لوقا ٢٣: ٣٥).

* * *

وبعد ذلك ما أكثر النصوص المقدسة التى نطق بها رب المجد يسوع المسيح، وفيها نسب المسيح إلى ذاته صراحة أنه **ابن الله**. من ذلك قوله:

«كذلك أقول لكم إنه إذا اتفق إثنان منكم على الأرض فى طلب أى شىء يُقضَى لهما **من أبى الذى فى السماوات**» (متى ١٨: ١٩).

فهكذا يفعل **أبى السماوى** أيضاً بكم أنتم إن لم يغفر كل منكم لأخيه زلاته من كل قلبه» (متى ١٨: ٣٥).

قال المسيح له المجد لأمه العذراء مريم وللقديس يوسف النجار «ولماذا تبحثان عنى؟ ألا تعلمان أننى **لابد أن أكون فيما هو لأبى**؟» (لوقا ٢: ٤٩).

وقال الرب يسوع فى الهيكل لباعة الحمام «ارفعوا هذه من هنا، **ولا تجعلوا بيت أبى بيت تجارة**» (يوحنا ٢: ١٦).

وقال المسيح أيضاً «**لأن الله لم يرسل ابنه** إلى العالم ليدين العالم وإنما ليخلص به العالم» (يوحنا ٣: ١٧).

«**إن أبى حتى الآن يعمل** وأنا أيضاً أعمل» (يوحنا ٥: ١٧).

«وقال لهم: الحق الحق أقول لكم إن **الابن** لا يسعه أن يعمل من نفسه شيئاً، إلا ما يرى الآب يعمله. لأن كل ما يعمله الآب يعمله **الابن أيضاً**. **فإن الآب يحب الابن** ... لأنه كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم، هكذا **الابن** يحيى من يشاء. فإن الآب لا يدين أحداً، وإنما سلم

القضاء كله للابن ليُمجِّد الجميع الابن كما يمجدون الآب. ومن لا يمجد الابن لا يمجد الآب الذى أرسله... الحق الحق أقول لكم إن ثمت ساعة تأتى، وقد أتت الآن يسمع فيها الموتى صوت ابن الله والذين يسمعون يحيون. لأنه كما أن الآب له الحياة فى ذاته هكذا أعطى الابن أن تكون له الحياة فى ذاته» (يوحنا ٥:١٩-٢٦).

«الأعمال التى أعطانى أبى لأنجزها، تلك الأعمال التى أنا أعملها، هى نفسها التى تشهد لى بأن الآب قد أرسلنى» (يوحنا ٥:٣٦).

«لقد جئت باسم أبى ولكنكم لا تقبلوننى» (يوحنا ٥:٤٣).

«إن موسى لم يعطيكم الخبز من السماء، وإنما أبى هو الذى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء» (يوحنا ٦:٣٢).

«لأن هذه هى مشيئة أبى الذى أرسلنى أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية» (يوحنا ٦:٤٠).

«فكل من استمع إلى أبى وتعلم منه يقبل نحوى» (يوحنا ٦:٤٥).

«فأنا أشهد لنفسى، ويشهد لى أبى الذى أرسلنى. قالوا له: أين أبوك؟ فأجاب يسوع قائلاً: إنكم لا تعرفوننى أنا ولا تعرفون أبى لو كنتم تعرفوننى لكنتم تعرفون أبى أيضاً» (يوحنا ٨:١٨، ١٩).

«حينما ترفعون ابن الإنسان تدركون عندئذ إنى أنا هو، وأنى لا أعمل شيئاً من نفسى وحدى، وإنما أتكلم بما علمنى أبى» (يوحنا ٨:٢٨).

«أنا أتكلم بما رأيت لدى أبى» (يوحنا ٨:٣٨).

«أكرم أبى وأنتم تهينوننى» (يوحنا ٨:٤٩).

«إن كنت أنا وحدى أمجد نفسى فليس مجدى شيئاً، وإنما هنالك أيضاً أبى هو الذى يمجدنى» (يوحنا ٨:٥٤).

«إن أبى يعرفنى وأنا أعرف الآب» (يوحنا ١٠:١٥).

«وسأبذل نفسى عن خرافى... لذلك يحبنى أبى إذ أبذل نفسى كى أستردها» (يوحنا ١٠:١٥-١٧).

«هذه هى الوصية التى قبلتها من أبى» (يوحنا ١٠ :١٨).

«إن الأعمال التى أعملها باسم أبى، هى تشهد لى» (يوحنا ١٠ :٢٥).

«إن خرافى أنا تسمع صوتى وأنا أعرفها، فهى تتبعنى... إن أبى الذى أعطانيها هو أعظم من الجميع، فلا يقدر أحد من أن يختطفها من يد أبى، أنا وأبى نحن معاً واحد» (يوحنا ١٠ :٢٧-٣٠).

«إن لم أكن أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى. ولكن إن كنت أعمل أعماله فإن لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال، لتعلموا وتعرفوا أنى أنا فى أبى، وأن أبى فىّ» (يوحنا ١٠ :٣٧، ٣٨).

«ورفع يسوع عينيه إلى فوق، وقال: يا أبتاه أشكرك» (يوحنا ١١ :٤١)، (متى ١١ :٢٥)، (٢٦ :٣٩، ٤٢)، (مرقس ١٤ :٣٦)، (لوقا ٢٢ :٤٢)، (٢٣ :٣٤)، (يوحنا ١٢ :٢٧، ٢٨)، (١٧ :١).

«ومن يخدمنى يكرمه أبى» (يوحنا ١٤ :١٢).

«أنا فى أبى وأن أبى فىّ» (يوحنا ١٤ :١٠).

«صدقونى أنى فى أبى وأن أبى فىّ» (يوحنا ١٤ :١١، ٢٠).

لأننى ماض إلى أبى» (يوحنا ١٤ :١٢).

«الذى يحبنى يحبه أبى» (يوحنا ١٤ :٢١).

«من يحبنى يحفظ كلامى ويحبه أبى، وإليه نأتى وعنده نقيم» (يوحنا ١٤ :٢٣).

«لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون بأنى أمضى إلى أبى لأن أبى أعظم منى» (يوحنا ١٤ :٢٨).

«إنى أحب أبى، وإنى أعمل ما أوصانى به أبى» (يوحنا ١٤ :٣١).

«أنا هو الكرمة الحقيقية وأبى هو الكرام» (يوحنا ١٥ :١).

«بهذا يتمجد أبى: أن تأتوا بثمر كثير» (يوحنا ١٥ :٨).

«كما أحبنى أبى هكذا أحببتكم أنا» (يوحنا ١٥ :٩).

«إن حفظتم وصايای ثَبتُّم فى محبتى، كما إنى أنا حفظت وصايا أبى وثبت فى محبته» (يوحنا ١٥ :١٠).

«وأما أنتم فقد دعوتكم أحباء لأننى عرفتكم بكل ما سمعته من **أبى**» (يوحنا ١٥:١٥).

«إن الذى يبغضنى يبغض **أبى** أيضاً» (يوحنا ١٥:٢٣).

«وأما الآن فقد رأونى وأبغضونى أنا **وأبى**» (يوحنا ١٥:٢٤).

«ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من عند **أبى**، روح الحق المنبثق من الآب فهو يشهد لى» (يوحنا ١٥:٢٦).

«إننى منطلق إلى **أبى** فلا ترونى بعد» (يوحنا ١٦:١٠، ١٦، ١٧).

«لست وحدى، لأن **أبى معى**» (يوحنا ١٦:٣٢).

«**يا أبتاه** قد أتت الساعة. مجد **ابنك** ليمجدك **ابنك**» (يوحنا ١٧:١).

«فالآن مجدنى **يا أبتاه** عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك من قبل كون العالم» (يوحنا ١٧:٥).

«**يا أبتاه** القدوس احفظهم فى اسمك» (يوحنا ١٧:١١).

«**يا أبتاه** أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنيهم يكونون معى» (يوحنا ١٧:٢٤).

«**يا أبتاه** الحق إن العالم لم يعرفك، وأما أنا فعرفتك» (يوحنا ١٧:٢٥).

«فقال لها يسوع: لا تمسكى بى هكذا، فإنى لم أصعد بعد إلى **أبى**» (يوحنا ٢٠:١٧).

«من يغلب فإنه سيلبس ثياباً بيضاً ولن أمحو اسمه من سفر الحياة وسأعترف بإسمه أمام **أبى** وأمام ملائكته» (الرؤيا ٣:٥).

«من يغلب فسأعطيه أن يجلس معى على عرشى كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع **أبى** على عرشه» (الرؤيا ٣:٢١).

انظر أيضاً (متى ٢١:٣٧، ٣٨)، (٢٨:١٩)، (مرقس ١:١)، (١٢:٦)، (لوقا ٢٠:١٣)، (يوحنا ٨:٣٦)، (١٤:١٣)، (١٦:٣)، (أعمال الرسل ١٣:٣٣).

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته
أنه ابن الله الوحيد

لقد نسب المسيح إلى ذاته أنه **ابن الله** بمعنى أنه **صورة الله الغير المنظور،** (كولوسى ١:١٥) وأنه **«من رآه فقد رأى الآب»** (يوحنا ١٤:٩) وأنه **«ضياء مجده وصورة جوهره»** (العبرانيين ١:٣).

بيد أن يسوع المسيح لم يكتف بأن ينسب إلى ذاته أنه ابن الله، وإنما أضاف بياناً لحقيقة هذه البنوة، أنها بنوة فريدة لا يشرك ولا يشترك معه فيها آخر، فهى بنوة متميزة عن أى بنوة أخرى تنسب إلى الإنسان.

قال الرب يسوع المسيح «إنه إلى هذا المدى أحب الله العالم حتى إنه بذل **ابنه الوحيد** لكى لا يهلك كل من يؤمن به، وإنما ينال الحياة الأبدية. لأن الله لم يرسل **ابنه** إلى العالم ليدين العالم، وإنما ليخلّص به العالم. فالذى يؤمن به لا يدان. وأما الذى لا يؤمن به فقد أدين لأنه لم يؤمن باسم **ابن الله الوحيد»** (يوحنا ٣:١٦، ١٧، ١٨).

فى هذا النص ينسب الرب يسوع إلى ذاته أنه **ابن الله الوحيد** بمعنى أنه الواحد الوحيد وحده، وليس آخر، يشترك معه فى هذه البنوة. انظر أيضاً (يوحنا ١:١٤، ١٨)، (١ . يوحنا ٤:٩).

والجميل أن تعبير «ابن الله الوحيد» يقابله باللغة اليونانية μονογενής أى الوحيد الجنس أو الوحيد من جنسه. والمعنى أنه متفرد، وليس له نظير من نوعه أو من جنسه. فلا يقال إذن أنه ابن الله على نحو ما أن الله أعطى المؤمنين باسمه أن يصيروا أولاد الله (يوحنا ١:١٢، ١٣) فإن هذه البنوة الممنوحة بالنعمة لم تجعل المؤمنين أبناء الله بالطبيعة، ولن تصيرهم من جنس الله ومن نوعه، فسيظل الله فى طبيعته متميزاً عن الإنسان فى طبيعته، **أما المسيح فهو من طبيعة الله الآب ومن جوهره، ومن نوعه ومن جنسه**، وليس غريباً عنه، فهو **«نور من نور، إله حق من إله حق، مولود منه غير مخلوق»، مولود منه ولادة الضوء والنور من الشمس، ولادة أزلية أبدية، بمعنى أنه لم تمر لحظة فى الزمان كان فيها الآب ولم يكن الابن معه**، مثله مثل ضياء الشمس كان فيها ومنها منذ كانت الشمس شمساً، فلم تمر لحظة من الزمن كانت الشمس ولم يكن لها ضياء أو نور.

بأى معنى نفهم أن المسيح ابن الله

لقد نسب المسيح إلى ذاته أنه **ابن الله الحى**.

وقال إن هذه الحقيقة **هى الصخرة التى يبنى كنيسته عليها**، وأن بوابات الجحيم لن تقوى عليها (متى ١٦: ١٨).

فما معنى هذه البنوة؟ وبأى معنى نفهم أن المسيح ابن الله؟.

هنا يجب أن نقرر بكل اليقين وبكل الوضوح أن هذه البنوة تختلف اختلافاً جذرياً وأساسياً عن مفهوم البنوة كما هى فى عالم الإنسان وعالم الحيوانات العجماوات.

والحق أن ضيق اللغة البشرية هو المسئول عن اللبس الذى قد تعثر به بعض الناس فأساءوا الفهم.

فمن الناس من غلب على تصوراتهم تفكيرهم المادى والحسى، فنزلوا فى فهم البنوة إلى مفهوم ترابى جسدانى لحمى، فسقطوا فى هرطقات وتعاليم فاسدة، ومنهم الأريوسيون والنساطرة وشهود يهوه ومن إليهم...

ولقد نسوا أو غاب عنهم أن اللفظ الواحد فى كل لغة قد يتخذ أكثر من معنى. وأحياناً ينصرف إلى عدد من المعانى، حتى إن بعض قواميس اللغات يسجل للكلمة الواحدة استعمالات كثيرة متقاربة طوراً، ومتباعدة طوراً آخر. ولما كانت اللغة الإنسانية بطبيعتها مادية فى أصولها ونشأتها، وهى فى منابعها واشتقاقها محاكاة للطبيعة الكونية والحية فى أصواتها... فلا غرو أن يكون للفظ أصلاً معناه المادى والحسى، ومنه تنشعب معانى أخرى تقترب قليلاً أو كثيراً من المعنى الحسى. وبتقدم الإنسان وازدياد احتياجه، تتعقد حاجاته فى التعبير عن المعانى المجردة التى تأخذ شيئاً فشيئاً فى الابتعاد عن المعنى الحسى فى قالبه اللفظى... إلى أن بلغ الإنسان أحياناً مرحلة يعطى فيها اللفظ معنى تضاد أحياناً المعنى الاشتقاقى للكلمة...

كل هذا مرده إلى ضيق اللغة البشرية من جهة، وإلى ماديتها من جهة أخرى. ثم إلى نمو حاجة الإنسان إلى التعبير عن نفسه روحياً ونفسياً وذهنياً ومادياً. لهذا ظهر فى اللغات البشرية ما يعرف بالمعنى (الاشتقاقى) للفظ ثم المعنى (الاصطلاحى) ودخل فى كل لغة ما يعرف بالرمز والاستعارة والتورية وما إليها.

ومهما يكن من أمر ففى قول الإنجيل عن المسيح أنه ابن الله معنى يختلف إختلافاً بيناً عن استخدام كلمة (ابن) كما هو مفهوماً فى عالم الإنسان أو فى عالم الحيوانات العجماوات.

لذلك لزم التنويه، والبيان، والاستدراك.

ونحن هنا نفرد فصلاً فى إبراز المعنى (الاصطلاحى) الذى يتفرد به مفهوم (البنوة) فى الحقيقة الإلهية المعلنة فى الإنجيل المقدس أن **المسيح ابن الله**، واستبعاد كل لبس ينشأ من استخدام لفظ (ابن) فى لغة الناس يستعملونه بمعناه الحسى المادى فى عالم الإنسان وعالم الحيوانات العجماوات.

هذا البيان والايضاح نسطره فى نقاط متميزة، فنقول:

أولاً. أن بنوة المسيح للآب بنوة روحية عقلية، لا مادية أو حسية أو جسدانية

إن هذه البنوة روحية وليست مادية، عقلية وليست حسية جسدانية.

ولقد أخطأ بعض الهراطقة إذ فهموا بنوة المسيح لله الآب على أنها على غرار بنوة الإنسان للإنسان، فقالوا: إذا كان المسيح ابن الله، فمعناه أن الله ولد على نحو ما ولد إبراهيم إسحاق، ومعناه بالتالى أن تكون لله صاحبة وهذا يقتضى الزواج، ويتطلب الذكر والأنثى وشهوة الجنس، وحاشا لله من ذلك!.

أما المسيحيون فلا يقولون بشىء من هذا، فعندهم أن **الله لم يلد ولم يولد** كما يلد الإنسان، ولا ينسبون إلى الله صاحبة، إنما هم إذ يقولون ما قال الإنجيل إن المسيح ابن الله، لا يأخذون هذه البنوة على مفهوم حسى مادى جنسى كما ظن الهراطقة خطأ، لأن الولادة أو البنوة بالنسبة للمسيح **بُنُوة روحية عقلية، لا مادية ولا جسمية، وهى كولادة النور من النور، وكولادة الفكر من العقل.**

فالشمس تضىء وتنير، والضوء أو النور يصدر عنها ويتولد منها من غير حاجة إلى زواج بين ذكر وأنثى. وكذلك الفكر يتولد من العقل ولادة روحية ذاتية من غير ذلك المفهوم الجنسى الذى يتبادر إلى الذهن عندما يتكلمون فى مجال ولادة الإنسان من الإنسان والحيوان الأعجم من الحيوان الأعجم.

ثانيا. أن بنوة المسيح للآب بنوة حقيقية، لا نسبية

ليس معنى أن بنوة المسيح لله الآب بنوة روحية عقلية أنها بنوة نسبية من قبيل قول الكتاب المقدس عن أبناء شيث إنهم «**أبناء الله**» (التكوين ٦:٢) وعن الملائكة إنهم «بنوا الله» (أيوب ١:٦) أو من قبيل القول عن المصريين إنهم (أبناء النيل) أو (أبناء مصر) أى المنتسبين إلى النيل وإلى مصر.

نعم، إن بنوة المسيح لله الآب ليست بنوة نسبية، **وإنما هى بنوة حقيقية**، أى أن المسيح من حيث لاهوته **هو من طبيعة الله الآب ومن جوهره**، وهذا هو المعنى من قولنا فى قانون الإيمان إنه «**واحد مع الآب فى الجوهر**» أى أنه كائن مع الآب فى جوهر واحد، والجوهر الواحد هو الله، لأن الله واحد، وليس غيره إله.

ثالثا. أن بنوة المسيح لله الآب بنوة أزلية لا زمنية

إن المسيح ابن الله بمعنى أنه من طبيعته ومن جوهره، وهو «نور من نور» وهو «ضياء مجده وصورة جوهره» (العبرانيين ١:٣). **أى لم تمر لحظة من الزمن كان فيها الآب ولم يكن الابن معه. فهو كائن معه وفيه منذ الأزل.**

ليست إذن بنوة المسيح لله الآب على نحو بنوة إسحاق لإبراهيم لأن إبراهيم بصفته الوالد والأب أسبق فى الزمن على إسحاق ابنه، ذلك أن إبراهيم كان موجوداً فترة طويلة نحو مائة عام قبل أن يوجد إسحاق ويولد. فإسحاق متأخر فى الزمن على إبراهيم والده. وهكذا نقول عن كل نوع من البنوة فى عالم الإنسان... الابن هو الأصغر فى الزمن، وأبوه أقدم منه وأكبر... ولكن ليس الأمر كذلك فيما يتصل بالمسيح. **إن المسيح من حيث لاهوته كائن مع الآب منذ الأزل ولم يحدث وقت فى الزمن إلا وكان الابن مع الآب بغير افتراق فى الزمن**، قال الكتاب المقدس عن المسيح «**فى البدء كان الكلمة** والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة هو الله. كان منذ الأزل لدى الله» (يوحنا ١:١، ٢) والبدء هنا هو الأزل. وقال أيضاً «مخارجه منذ القديم، **منذ أيام الأزل**» (ميخا ٥:٢).

ويقول القديس **أثناسيوس الرسولى**: «كما أن الماء ينبع من النبع، وكما أن أشعة الشمس متصلة بالشمس نفسها، ولا يمكن أن نتصور النور دون أن تكون أشعته معه منذ أن كان نوراً.

هكذا أيضاً **لا يمكن أن نتصور لحظة من الزمان كان الله فيها كائناً ولم يكن الكلمة كائناً معه**، إذ يكون هذا معناه أن الله كان فى لحظة من اللحظات بغير عقل، وهو ما لا يمكن تصوره إذ أن الله هو العقل الأعظم منذ الأزل،

لقد أنكر أريوس أزلية الابن مع الآب، لأنه فهم البنوة على نحو البنوة فى عالم الإنسان إذ الوالد يسبق ولده فى الزمان، والولد يتأخر فى وجوده عن والده... لهذا وجب التحذير من أن تفهم بنوة المسيح لله الآب على نحو البنوة فى عالم الناس... إن بنوة المسيح لله إذن **بنوة أزلية وليست زمانية، أى أن المسيح كائن مع الله الآب منذ الأزل**، «نور من نور».

«إن الله نور» (١ . يوحنا ١ :٥)، و «أبو الأنوار» (يعقوب ١ :١٧)، والمسيح له المجد هو «نور» الله الآب (يوحنا ١ :٧)، (٣ :١٩)، (٨ :١٢)، (١٢ :٣٥)، (الرؤيا ٢١ :٢٣) و «النور الحقيقى» (يوحنا ١ :٩)، (١ . يوحنا ٢ :٨) وهو «ضياء مجده وصورة جوهره» (العبرانيين ١ :٣). وعلى ذلك **فالمسيح من حيث لاهوته أزلى مع الآب**، وليس هناك أسبقية فى الزمن للآب على الابن، ولا تأخر فى الزمن للابن عن الآب... **إنما الابن كائن مع الآب منذ الازل**، لأن الله الآب نور، والابن هو نور الله الآب... وهذا معنى ما جاء فى قانون الإيمان عن المسيح، وهو الله الابن، أنه «**نور من نور**».

والله هو العقل الأعظم... وهو العقل فى ذاته... وهو العاقل لذاته ولكل الوجود... وهو أيضاً **المعقول لذاته**. والمسيح من حيث لاهوته هو عقل الله الذى به خلق العالمين (العبرانيين ١ :٢)، «كل شىء به كان، وبغيره لم يكن شىء مما كان» (يوحنا ١ :٣). لذلك أيضاً سمى **بالكلمة أو اللوغوس «فى البدء كان الكلمة...، وكان الكلمة هو الله»** (يوحنا ١ :١) والكلمة أو اللوغوس هو العقل ظاهراً أو متجسداً. «عظيم هو سر التقوى الله **ظهر فى الجسد**» (١ . تيموثيئوس ٣ :١٦). **فليس هناك فارق فى الزمان بين الله الآب، والله الابن، لأن الله الابن هو الكلمة أو العقل الإلهى فى ذاته، متجلياً، ومتجسداً، وظاهراً.**

رابعاً. أن بنوة المسيح لله الآب بنوة متصلة لا منفصلة

فى عالم الإنسان، نرى المولود له كيان منفصل ومستقل عن أبيه وعن أمه. فبمجرد ميلاده يصير الولد كائناً غير الأب وغير الأم، له وجوده وحياته وكيانه الخاص به، وقد صار بالميلاد جوهراً ثالثاً حياً بذاته، بحيث قد تموت الأم بعد ميلاده وقد يموت الوالد ومع ذلك يحيا الولد ولا يموت بموت أبويه أو أحدهما. وليس كذلك الأمر بالنسبة **للمسيح فهو من حيث لاهوته غير منفصل عن الآب. لأن لاهوته هو لاهوت الآب. والابن يحيا بالآب** (يوحنا ٦:٥٧)، والآب يحيا بالابن. قال المسيح «أنا هو الحياة» (يوحنا ١٤:٦) وقال الإنجيل «فيه كانت الحياة» (يوحنا١ :٤) . وإذن فالابن، **أى المسيح من حيث لاهوته، لم ينفصل عن الآب، بل هو كائن مع الآب** (يوحنا ١٦:٣٢)، و **(فى حضن الآب)** (يوحنا ١:١٨)، «وفى الآب» (يوحنا ١٤:١٠، ١١، ٢٠)، (١٧: ٢١، ٢٣)، والآب أيضاً كائن مع الابن «أنا وأبى نحن معاً واحد» (يوحنا ١٠:٣٠) وكائن فى الابن (يوحنا ١٠:٣٨)، (١٤:١٠، ١١).

فالآب والابن معاً فى الجوهر الإلهى الواحد والذات الإلهية الواحدة بغير افتراق، منذ الأزل وإلى الأبد.

وإذ أن الله نور (١ . يوحنا ١ :٥)، والمسيح هو النور (يوحنا ١ :٧)، والنور الحقيقى (يوحنا ١ :٩) وهو لله الآب «ضياء مجده وصورة جوهره» (العبرانيين ١ :٣) والنور الحقيقى لا ينطفىء، **فالابن لا يفارق الآب ولا ينفصل منه أو عنه. وإذا كان نور الشمس يشع منها ومع ذلك لا يفارقها، فالابن كائن مع الآب، منذ الأزل وإلى الأبد، ولا يفارقه.**

وإذ أن الله هو العقل الأعظم والابن هو اللوغوس أو الكلمة أو العقل الإلهى **فالابن لا يفارق الآب، وإنما هو كائن معه إلى الأبد.** لأنه إذا كان الفكر يتولد من العقل ومع ذلك لا ينفصل عنه، فبالأحرى الابن لا ينفصل عن الآب ولا يفارقه، وإنما هو كائن معه منذ الأزل وإلى الأبد.

خامساً. إن بنوة المسيح لله بنوة بالطبع لا بالوضع

إن يسوع المسيح من حيث لاهوته هو ابن الله، بمعنى أنه **من طبيعة الله ومن جوهره** فهو ليس شبيهاً به وإنما من طبيعة ذاته. فالآب والابن فى ذات إلهية واحدة. وليس ثمت اختلاف بين الآب والابن فى الطبيعة والجوهر والذات.

هنا ينبغى أن نفرق تفريقاً حاسماً واضحاً بين أن يكون المسيح ابن الله وبين أن يكون الأبرار من بين الناس (أولاد الله) كمل قيل مثلا عن أبناء شيث وذريته إنهم «أبناء الله» (التكوين ٦:٢) بمعنى أنهم من عائلة الله الذين ينتمون إلى الله ويعبدونه ويتقونه، فهم أبناؤه بالانتماء إليه، ولكنهم ليسوا مع ذلك من طبيعته ومن جوهره. فالإنسان الأول وهو آدم خلقه الله على صورته ومثاله (التكوين ١:٢٦، ٢٧)، (١:٥)، (١. كورنثوس ١١:٧) فهو على مثال الله وصورته بمثابة ظله، يشبهه ولكنه لا يساويه. والروح التى صار بها آدم إنسانا هى نفخة الله فى أنف آدم (التكوين ٢:٧) **والنفخة** ليست قطعة من جوهر الله ذاته وطبيعته لكنها (نفخة) منه (قوة) من روحه تحمل بعض سماته وشيئاً من صفاته، لكنها ليست جزءاً من ذاته الإلهية.

وبهذا المعنى قال اليهود للمسيح «إننا لم نولد من زنى، وإنما لنا أب هو الله وحده» (يوحنا ٨:٤١) والمقصود من أن الله أبوهم أى أنه خالقهم وسيدهم وهم عبيده المنتمون إليه، الذين دعى اسمه عليهم، وصاروا به معروفين ومتميزين أنهم شعب الله (مزمور ٤٦:٩)، (إرميا ٧:٢٣)، (١١:٤)، (حزقيال ١١:٢٠)، (١٤:١١).

انظر أيضاً (متى ٦:١، ٦، ٨، ١٤، ١٥، ١٨، ٢٦، ٣٢)، (٧:١١).

كذلك منح الله المؤمنين باسمه، ممن ولدوا الميلاد الثانى بالماء والروح أى المعمودية أن يصيروا أولاد الله «أما كل الذين قبلوه فأعطاهم السلطان لأن يكونوا (أبناء الله)، أولئك هم المؤمنون باسمه، الذين ولدوا، لا من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة إنسان، وإنما من الله ولدوا» (يوحنا ١:١٢، ١٣)، (يوحنا ٣:٣، ٥)، (تيطس ٣:٥) وبناء عليه أمكن للذين آمنوا واعتمدوا أن يصلوا لله قائلين «أبانا الذى فى السماوات» (متى ٦:٩)، (لوقا ١١:٢).

انظر أيضاً (رومية ١:٧)، (١. كورنثوس ١:٣)، (٢. كورنثوس ١:٢)، (غلاطية ١:٤)، (أفسس ١:٢)، (فيلبى ١:٢)، (كولوسى ١:٢)، (١. تسالونيكى ١:١، ٢)، (٣:١١، ١٣)، (٢. تسالونيكى ١:٢)، (٢:١٦)، (١. تيموثيوس ١:٢)، (فليمون:٣).

على أن الذين صاروا أولاد الله بالإيمان والمعمودية لم يصيروا أولاد الله بالطبيعة والجوهر، ولكنهم صاروا ينعمون بهذا الحق، من قبيل التبنى بالفضل والإنعام. فمازالوا بشراً ولم يتحولوا إلى آلهة، لكنهم صاروا بشراً مغفورة خطاياهم مبررين بدم المسيح، أعضاء فى مملكته الجديدة، وصاروا قادرين على أن يدخلوا فردوس النعيم وملكوت الله... ومثلهم فى ذلك مثل ولد يتيم تبناه إنسان غنى ليس له ولد من صلبه، فتبنى الولد اليتيم وصار اسمه يدعى عليه... فقد صار اليتيم ابناً لذاك الغنى، بحق التبنى. وصار اليتيم بالتبنى غنياً ينعم بنعيم لم يكن له من قبل وهو فى الفقر واليتم، ولكنه صارت له البنوة بفضل الغنى الذى رق له وأحسن إليه وأنعم عليه... ومع ذلك فاليتيم ليس ابناً للغنى بالطبيعة، أى ليس من صلبه ولا من دمه، فبنوة اليتيم لذاك الغنى بنوة لا بالطبع **بل بالوضع** أى أن الغنى صار لليتيم فى وضع الأب وإن لم يكن أباه على الحقيقة، وصار اليتيم للغنى فى وضع الابن. وإن لم يكن ابنه بالطبيعة.

هكذا يبدو الفرق واضحاً بين بنوة الإنسان لله فى قول المسيحيين لله «أبانا الذى فى السماوات» وبين بنوة المسيح لله... **إن بنوة المسيحيين لله هى بنوة ممنوحة ومكتسبة وليست بنوة أصيلة بالطبيعة... إنها ممنوحة إنعاماً من الله وتفضلاً منه تعالى فهى بنوة مفتعلة ومصطنعة بالتبنى.**

أما بنوة المسيح لله فهى طبيعية لا مفتعلة... بنوة أصيلة بحق المساواة والهوية فى الطبيعة والجوهر والذات... فهى إذن بنوة بالطبع، لأن الابن أى المسيح من حيث لاهوته من طبيعة الله الآب ومن جوهره. وفى ذلك يقول المسيح «**أنا وأبى نحن معاً واحد**» (يوحنا ١٠: ٣٠) **أى جوهر واحد، وطبيعة واحدة، وذات إلهية واحدة.** وقال لتلاميذه «**إن من رآنى فقد رأى الآب**» (يوحنا ١٤: ٩) وقال كذلك «لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً. ومنذ الآن تعرفونه، **وقد رأيتموه**» (يوحنا ١٤: ٧)، (٨: ١٩) فمن رأى الابن فقد رأى الآب. وقد رأى التلاميذ الآب فعلا فى المسيح. وهذا لا يكون إلا لأن المسيح من حيث لاهوته هو من طبيعة الله الآب ومن جوهره.

وهذا هو المعنى من قولنا فى قانون الإيمان عن الرب يسوع المسيح إنه «**مولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، واحد مع الآب فى الجوهر، فهو مولود من الآب منذ الأزل، قبل كل الدهور، ولادة النور من الشمس، ولادة أزلية، منذ الأزل، فمنذ أن كان الله فنوره منه، يضىء**

ويشع ويسطع ويبهر، وهو فى ذاته نور والآب أيضاً نور، فالابن من طبيعة الآب ومن جوهره لأن طبيعة الآب نور وطبيعة الابن هى النور بعينه، والابن إله من طبيعة لاهوت الآب. **فليس ثمة إلهان، ولكن إله واحد، لأن اللاهوت الذى فى الابن هو من طبيعة اللاهوت الذى فى الآب، أى أن لاهوت الابن من لاهوت الآب، فالابن والآب لاهوت واحد وذات إلهية واحدة.**

وهو «**مولود**» لأنه نور يضىء ويشع من نور الآب، والولادة هنا بمعنى الإضاءة والإشعاع بالنور من النور، ولكن لا بمعنى الخلق، ولذلك فهو «**مولود، غير مخلوق**».

وإذ أن الابن نور من نور فهو من طبيعة الآب ومن جوهره فهو واحد معه فى الجوهر، أى من ذات جوهر الآب ومن ذات طبيعته.

هذا هو المعنى من قولنا إن المسيح من حيث لاهوته هو **ابن الله بالطبع لا بالوضع**.

سادساً. أن بنوة المسيح لله بنوة متفردة وليس لها نظير

إذا كانت بنوة المسيح لله فى قول المسيح عن ذاته إنه **ابن الله الحى**، وقول الإنجيل عنه إنه **ابن الله، وابن الله الوحيد، بنوة روحية عقلية لا حسية ولا مادية ولا جسدانية.**

ثم هى بنوة حقيقية لا نسبية.

وهى بنوة أزلية لا زمنية.

وبنوة متصلة لا منفصلة.

وبنوة بالطبع لا بالوضع.

فهى إذن بنوة من نوع خاص لا نظير لها فى عالم الإنسان بخاصة، ولا فى عالم المادة والحواس بعامة.

إن بنوة المسيح لله بنوة متميزة متفردة.

ولذلك ينبغى أن نستبعد فى فهمها كل مفهوم ينطوى عليه أو يشير إليه لفظ البنوة أو الابن فى عالم الإنسان، مما يقتضى الحسية والمادية أو يتطلب النقص فى الأزلية، أو الانفصال والافتراق عن الآب، إلا مفهوم واحد أحد هو **وحدة الطبيعة والجوهر والمساواة فى جميع الصفات والكمالات الإلهية.**

ولعله لذلك وصف المسيح ذاته، كما وصفه الإنجيل بأنه «ابن الله الوحيد» (يوحنا ١ :١٤، ١٨)، (٣ :١٦، ١٨)، (١ . يوحنا ٤ :٩).

والمعنى واضح أنه ليس لله ابن من طبيعته ومن جوهره إلا واحد ووحيد، وهو يسوع المسيح، **فهو المتفرد بذاته بأنه ابن الله بالطبيعة**، وليس ثمت كائن آخر، ملاك أو إنسان، يمكن أن يتصف بأنه ابن الله بالمعنى الحقيقى والكامل للبنوة الإلهية التى تعيّن المساواة المطلقة للآب فى جميع الصفات والكمالات الإلهية إلا **يسوع المسيح وحده.**

لماذا سمى يسوع المسيح ابن الله ؟

هنا نأتى إلى سؤال مهم يثار عادة من غير المسيحيين، وقد يثار أيضاً من المسيحيين.

والسؤال هو: **لماذا يسمى المسيح ابن الله ؟**

إذا كانت بنوة المسيح لله بنوة لا نظير لها فى عالم الناس، ولا شبيه لها فى عالم المادة والحواس وعالم الشهادة بعامة، فلماذا إذن يسمى المسيح فى الكتاب المقدس «**ابن الله**» ؟.

١ – الجواب على ذلك أنه وإن كان المفهوم المعلن فى الحق الإلهى والذى كشفه المسيح عن ذاته، وكشفه الإنجيل وأسفار الوحى المقدس، يختلف إختلافاً واضحاً وجذرياً عن المفهوم المتداول فى لغة البشر عن البنوة المادية والحسية، مع ذلك فالتعبير عن المسيح أنه ابن الله هو التعبير المناسب لعقل الإنسان وتصوره، من حيث **هو أصلح تعبير فى لغة البشر يشرح نسبة الكيان الإلهى الذى ظهر فى شخص يسوع المسيح وتمثل فيه، إلى الكيان الإلهى المعروف سابقاً قبل التجسد والذى وصفه الوحى الإلهى** بأنه الله، والرب، والآب السماوى، وإله السماوات، والديان، والعلى، وأبو الأرواح، وخالق السماوات والأرض والبحار، ويهوه، والكائن الذى كان والدائم إلى الأبد، والقادر على كل شىء.

وبلسان آخر إن تعبير «الابن» هو أوفق تعبير يفهمه الناس بلغة الناس **لبيان الصلة بين الله الغير المنظور، وبين الله وقد صار منظوراً فى يسوع المسيح «الله ظهر فى الجسد»**.

بين الله الذى فى لاهوته نور ويسكن السماء فى نور لا يدنى منه، «الذى لم يره أحد من الناس قط ولا يقدر أن يراه» (١ . تيموثيئوس ٦ :١٦)، (الخروج ٣٣ :٢٠)، (يوحنا ١ :١٨) **وبين الله وقد احتجب فى إنسانيتنا، ومتخذاً صورة عبد، وصائراً فى شبه الناس** (فيلبى ٢ :٧). ومع أنه هو الله الكلمة الذى كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان (يوحنا ١ :٣) لكن الكلمة اتخذ جسداً وحل بيننا وفينا (يوحنا ١ :١٤) أى فى طبيعتنا، وصرنا فيه شركاء الطبيعة الإلهية (٢ . بطرس ١ :٤).

٢ – ثم إن تعبير (**الابن**) **هو أنسب تعبير فى لغة الناس لبيان الصلة الطبيعية، صلة الطبيعة الجوهرية فى ذاتها التى هى واحدة فى الله والمسيح**. فليس هناك

كائن آخر أقرب إلى طبيعة الوالد من ولده الذى من صلبه ومن دمه، بحيث أنه إذا ثار شك لسبب ما فى حقيقة نسبة ولد إلى أبيه، أو زعم رجل أن زوجته خانته وأن ولده منها ليس من صلبه، استعانوا لقطع الشك باليقين، بتحليل دم الطفل فإذا اتضح أن دمه من دم والده، قام الدليل على صحة نسبة هذا الطفل إلى أبيه.

فتعبير (الابن) فى لغة الناس **هو أفضل تعبير لبيان العلاقة الوثيقة، علاقة الطبيعة بين الله الغير المنظور وبين المسيح الذى هو صورة الله الغير المنظور** (كولوسى ١ :١٥). ولذلك قال المسيح صراحة «**إن من رآنى فقد رأى الآب**» (يوحنا ١٤ :٩) إذ سأله بعض تلاميذه «أرنا الآب» ثم قال: «لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً، ومنذ الآن تعرفونه، **وقد رأيتموه**» (يوحنا ١٤ :٧). وليس أعظم من هذا بيان على **وحدة الطبيعة والجوهر بين الآب والابن** حتى إن من رأى الابن فقد رأى الآب. وعلى الرغم من أن الآب غير منظور، ولم يره أحد قط ولا يقدر أن يراه» (يوحنا ١ :١٨)، (١ . تيموثيئوس ٦ :١٦) لكن لأن الله قد تجسد فى المسيح، لذلك فمن رأى المسيح فقد رأى الآب، لأنهما واحد فى الطبيعة والجوهر «**أنا وأبى نحن معاً واحد**» (**يوحنا ١٠ :٣٠**) **ولأن الآب كائن فى الابن، والابن كائن فى الآب** (**يوحنا ١ :١٨**)، (١٠ :٣٨)، (١٤ : ١٠ ، ١١ ، ٢٠)، (١٦ :٣٢).

وكمثال للإيضاح نسوقه: إذا كان أحد الناس يعرف شاباً جيد المعرفة، ولم يكن قد رأى والده رؤيا العين... ثم حدث يوماً أن إلتقى بالوالد فى الطريق أو فى مكان ما، فعلى الرغم من أنه لم يكن قد رآه من قبل يتقدم نحوه ويقول له: ألست أنت والد الشاب صديقى فلان؟ فيجيب الرجل قائلاً: هذا صحيح، ولكن كيف عرفتنى وأنت لم ترنى من قبل؟ فيقول له: حقاً إننى لم أرك من قبل، لكننى من شدة التشابه بينك وبين صديقى حكمت بأنك لابد أن تكون أباه...

نعم، إن بين الابن وأبيه وجوه شبه وتقارب شديدة ولذلك قالوا فى الأمثال: «إن من شابه أباه فما ظلم»، وقالوا «هذا الشبل من ذاك الأسد»...

لذلك فإن لفظ (الابن) فى لغة الناس هو **أنسب تعبير لبيان الصلة ووحدة الطبيعة والجوهر بين الله الغير المنظور وبين الله المنظور فى المسيح.**

حقيقة إن هناك فروقاً بين البنوة فى عالم الإنسان وبين المفهوم الحقيقى لتعبير الإنجيل أن المسيح ابن الله... إذ أن الابن فى عالم الإنسان نتيجة تزاوج بين رجل وإمرأة، وليس كذلك المسيح، كما أن الابن فى عالم الإنسان متأخر فى الزمان عن أبيه الذى أنجبه، وليس كذلك المسيح. ثم إن الابن فى عالم الإنسان يصير بعد ولادته كائناً مستقلاً بكيانه عن أبيه وأمه، وليس كذلك المسيح الذى لا يفترق عن الآب والروح القدس ولا ينفصل عنه، مثله مثل الضوء أو النور بالنسبة إلى الشمس، والماء بالنسبة إلى النبع، والفكر بالنسبة للعقل. مولود منه بغير انفصال أو افتراق.

على الرغم من ذلك كله فليس تعبير فى لغة الناس أصلح من تعبير (الابن) لبيان العلاقة الطبيعية ووحد ة الجوهر والطبيعة بين الله الآب الغير المنظور وبين الله الابن المنظور فى المسيح.

وقد كان من الضرورى أن يعرف اليهود بخاصة وجميع الناس بعامة: من هو هذا الكائن الإلهى الذى سمى يسوع المسيح، من هو فى حقيقته؟ وما هى نسبته إلى الله الواحد الأحد الذى عرفه اليهود بأنه يهوه الأزلى الأبدى وهو خالق السماوات والأرض...؟

ذلك أن يسوع المسيح وإن كان فى صورة الناس، وفى شبه إنسان، لكنه بأقواله وأعماله أثبت أن له سلطاناً على الأرض أن يشفى جميع الأمراض بكلمة منه أو بلمسة من يده أو بلمسة لهدب ثوبه ،لأن قوة كانت تخرج منه وتبرئهم جميعاً (لوقا ٦ :١٩)، (٨:٤٦)، وسلطاناً على إقامة الموتى بأمره، وسلطاناً على النبات والحيوان وعلى البحر والهواء وعلى الشياطين والأرواح النجسة، وسلطاناً على مغفرة الخطايا وسلطاناً على كل شىء فى السماء وعلى الأرض (متى ٢٨ :١٨) حتى قال اليهود عنه ،من عساه أن يكون هذا الذى حتى الريح والبحر يطيعانه، (مرقس ٤ :٤١)، (متى ٨ :٢٧) (لوقا ٨ :٢٥) وقالوا أيضاً ،ما هذا؟ إنه لتعليم جديد! فإنه بسلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه، (مرقس ١ :٢٧) فكان لابد للناس من أن يقعوا فى حيرة من أمره: من عساه أن يكون؟ هل هو نبى؟ إنه أعظم من نبى، لأنه صنع أموراً لم يصنعها إنسان منذ البدء (يوحنا ٩ :٣٢)، ونسب إلى ذاته مالا ينسب إلا إلى الله وحده (يوحنا ٧ :٤٦) أفهل يكون إلهاً؟ وإذا كان إلهاً، فما هى نسبته إلى الإله يهوه إله بنى إسرائيل خالق السماوات

والأرض؟ هل هو إله مثله؟ وإذا كان كذلك فهل يوجد إلهان بينما أن الله إله واحد، هو الأول والآخر، لم يكن قبله ولا يكون بعده إله (إشعياء ٤٣: ١٠)، (٤٤: ٦)، (٤٥: ٥)؟

إذن كان لابد لكى تزول الحيرة من قلوب الناس أن يكشف المسيح عن حقيقته، وحقيقة نسبته إلى يهوه، الله الواحد ساكن السماء، مبيناً أن العلاقة بينه وبين يهوه ليست علاقة إله بإله آخر كما أنه لم يأت ليعلن أنه وحده الإله من دون يهوه إله إسرائيل.

لذلك أعلن يسوع المسيح عن ذاته أنه (ابن الله) ... وإذن ليس هو إلهاً آخر من دون يهوه، وليس هو مضاداً أو معارضاً أو خصماً للإله الواحد الذى هم يعرفونه باسم يهوه إله إسرائيل، ولكن هو الصورة المنظورة لله الغير المنظور، فهو الابن للآب السماوى، وهما معاً فى جوهر واحد، وواحد فى الجوهر «أنا وأبى نحن معاً واحد» (يوحنا ١٠: ٣٠) وقال المسيح يناجى الآب على مسمع من جميع الناس «وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحق الواحد وحده، مع يسوع المسيح الذى أرسلته» (يوحنا ١٧: ٣).

إن حقيقة الثالوث القدوس أبعد من منالنا، ولا نستطيع نحن أن نحيط بها أو ندركها، فإن طبيعة الله هى فوق تصورنا وليس فى مقدورنا أو مقدورعقولنا أن تدخل إلى أعماقها حتى تستوعبها تماماً، ولولا أن الوحى الإلهى هو الذى أعلنها لنا لما كان يجوز لنا الخوض فيها أو حتى الاقتراب منها. وقد صدق القديس غريغوريوس الثيئولوغوس الناطق بالإلهيات إذ قال: إن هذا الموضوع لم تتناوله اللغة البشرية من أى جانب من الجوانب إلا وجرحته. ولكننا كبشر أعلن الله طبيعته لنا فى نصوص إلهية، فنحن نحاول بالإيمان أن نرفع عقولنا لفهمها لأنها أعلى من إدراكنا وأرفع من منالنا، وقد نستطيع بالإيمان وبالتمثيل والتشبيه أن نفهم بعض الفهم، ولكننا موعودون أننا بعد أن نخلع هذا الجسد سنفهم أكثر مما نفهم الآن: قال الرسول القديس بولس «فإننا ننظر الآن فى مرآة فى لغز، لكن حينئذ وجهاً لوجه. الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عرفت» (١ . كورنثوس ١٣: ١٢) وقال الرسول القديس يوحنا «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله، ولم يظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو» (١ . يوحنا ٣: ٢) والمعنى أننا موعودون بإزدياد المعرفة، وبالتالى بإزدياد الفهم حتى ندرك «مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو «ونعرف» محبة المسيح الفائقة المعرفة لكى نمتلىء إلى كل ملء الله» (أفسس ٣: ١٨، ١٩).

ليس المسيحيون إذن هم الذين اكتشفوا حقيقة الثالوث القدوس، وليسوا هم الذين نادوا بها من ذواتهم. أنها أُعلنت لهم بالوحى، فأخذوها عن الوحى وقبلوها بالإيمان. إن المسيح هو الذى قال لتلاميذه «فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨: ١٩).

فحقيقة الثالوث القدوس، الآب والابن والروح القدس، حقيقة تتصل بطبيعة الله ذاته التى يعسر علينا كبشر أن نتوصل إلى فهمها وإدراكها، لكننا نقبلها بالإيمان، والإيمان يعيننا على فهمها. وقد قال القديس أوغسطينوس عبارته الشهيرة «العقل يسبق الإيمان، والإيمان يسبق العقل، وإنى أؤمن لكى أفهم» فالإيمان يعيننا على أن نفهم ما لا قدرة لعقولنا على فهمه والتوصل إليه لأنه أبعد من منالنا وأعمق من أن نستطيع أن نسبر غوره.

* * *

والخلاصة أن علاقة الآب بالابن، وعلاقة الابن بالآب، فى الثالوث القدوس، علاقة أسمى وأعمق من أن تستطيع اللغة البشرية المادية والقاصرة أن تشرحها. لكن كان لابد أن يكلمنا الله بلغتنا البشرية المادية المحدودة والقاصرة عن أن تعبر عن الطبيعة الإلهية. فإن مثلنا فى فهم طبيعة الله مثل نملة واقفة تحت قدم إنسان تريد أن تفهمه وتعرفه وهو بحجم يكبرها بملايين المرات، فكم يكون مبلغ عجزها لو أنها حاولت أن تعرف ما يجول بفكره وما ينطوى عليه وجدانه وشعوره؟ وبالتالى كم يكون عجز الإنسان وقصوره عن إدراك طبيعة الله التى تعلو على منال الإنسان أكثر مما يعلو فكر الإنسان عن إدراك النملة، بما يفوق كل قياس فى عالم الإنسان؟

نقول هذا لبيان أن تعبير الآب والابن فى الثالوث القدوس تعبير نطق به الوحى الإلهى، وأعلنه المسيح بذاته، ولكنه فى الآن نفسه تعبير مأخوذ من لغة الناس لأنه كان لابد أن يكلمنا الله بلغتنا، فليس ثمة سبيل آخر ليكلمنا به الله عن نفسه وعن طبيعته. ومع ذلك، ولذلك ينبغى أن نجعل فى اعتبارنا أن الحقيقة فى ذاتها لابد أنها تسمو عن التعبير، لأن الحقيقة هى حقيقة الله ذاته، وطبيعة ذاته، التى تعلو على إدراك البشر، فكيف يمكن للغة الناس المادية المحدودة أن تصنع الحقيقة الإلهية فى قالب الألفاظ البشرية المحدودة والمادية والقاصرة؟!

من هنا كان ينبغى التنويه إلى أن التعبير عن علاقة الله الغير المنظور، بالله المنظور فى

المسيح - بكلمتى (الآب)، و (الابن)، يجب أن ننأى به عن مفهوم هذين اللفظين فى لغة الناس، أياً كانوا، وأياً كانت لغتهم... فلا نخلط الروح بالمادة، ولا ننزل بالسمائيات إلى الأرضيات. وقد قال المسيح له المجد لنيقوديموس «إن كنت قد كلمتكم عن الأرضيات ولم تؤمنوا، فكيف تؤمنون إن كلمتكم عن السمائيات؟» (يوحنا ٣: ١٢).

إن حقيقة الآب والابن فى الله الواحد الثالوث القدوس أعمق غوراً من أن يسبرها الإنسان بفكره، وأشد عمقاً مما تستطيع اللغة البشرية أن تصوغها فى قوالب لفظية. ومع ذلك شاء الله بنا خيراً حتى يكلمنا، بلغتنا. ولكنه لواسع علمه بقصورنا وضعفنا، وقصور لغتنا البشرية وضعفها، لم يكتف بأن يكلمنا بلغتنا بل كلمنا بنفسه، وذلك بظهوره، فنزل إلينا محتجباً فى جسد. وليس «الله الظاهر فى الجسد» إلا بعينه «الله الغير المنظور». قال الكتاب المقدس «الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه... الذى به أيضاً عمل العالمين الذى هو ضياء مجده وصورة جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته» (العبرانيين ١: ١-٣).

إن الابن والآب جوهر واحد وذات إلهية واحدة: الله الغير المنظور صار منظوراً فى المسيح.

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الله الآب
فى المعرفة المباشرة للذات الإلهية

إن السيد المسيح له المجد يختص ذاته بمعرفة الذات الإلهية، وينفى عن أى كائن آخر غيره هذه المعرفة، فهو إذن **متفرد وحده بهذه المعرفة ولا يشاركه فيها آخر، وذلك لأنه وحده من طبيعة الله الآب ومن جوهره، وكائن فى ذات الله الآب، وفى عمق جوهره، وكائن معه وفيه منذ الأزل وإلى الأبد**. ولا يمكن تصور لحظة من الزمن كان فيها الله الآب، ولم يكن (الابن) كائناً معه وفيه. وإذا كان الله (الكلمة) هو العقل الإلهى، والله تعالى هو العقل والعاقل والمعقول لذاته فلا يمكن أن نتصور لحظة من الزمن كان فيها الله الآب ولم يكن (الكلمة) معه، وإلا كان الله خالياً من قوة وجوده من حيث هو العقل الأعظم.

قال السيد المسيح له المجد : «**لا أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن**» (متى ١١ : ٢٧)، (لوقا ١٠ : ٢٢). هنا فى هذا النص القدسى والنطق الإلهى ينفى المسيح له المجد عن أى بشر أنه يعرفه على حقيقته من هو فى ذاته، لكنه يقول إن واحداً فقط هو الذى يعرف (الابن) على حقيقته، ولا أحد غيره، وهو الآب.

لقد قال يوحنا المعمدان لليهود عن المسيح له المجد : «بينكم قائم ذلك **الذى لستم تعرفونه**» (يوحنا ١ : ٢٦). وقال عنه الإنجيل للقديس يوحنا «كان فى العالم، وكان العالم به. **والعالم لم يعرفه**» (يوحنا ١ : ١٠). وقال عنه أيضاً يوحنا المعمدان «**وأنا لم أكن أعرفه**» (يوحنا١ :٣١، ٣٣).

وقال السيد المسيح لليهود «**إنكم لا تعرفوننى أنا ولا تعرفون أبى**» (يوحنا ٨ : ١٩) وقال المسيح لتلاميذه عن اليهود وقياداتهم الدينية «**إنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفونى**» (يوحنا١٦ : ٣)، بل قال لتلاميذه صراحة فى ليلة آلامه «**لو كنتم قد عرفتمونى** لعرفتم أبى أيضاً» (يوحنا ١٤ : ٧) أى أن تلاميذه الأخصاء الإثنى عشر حتى ليلة آلامه لم يكونوا قد عرفوه على حقيقته تماماً، وإنما كانت معرفتهم له مشوبة بالغموض والنقص وعدم الوضوح. لقد عرفوا **عنه، ولكن لم يعرفوه هو على حقيقته**. وإذا كان تلاميذ المسيح الإثنا عشر الذين قبلوا دعوته وتبعوه ولازموه ملازمة تامة لم يعرفوه على حقيقته فبالأحرى اليهود من غير تلاميذه

كانوا أيضاً لا يعرفونه على حقيقته... أنظر أيضاً (لوقا ٢٣ : ٣٤)، (١ . كورنثوس ٢ : ٨)، (١ .تيموثيئوس ١ : ١٣).

لهذا قال المسيح له المجد، وقوله حق وصدق «**لا أحد يعرف (الابن) إلا الآب**» (متى١١: ٢٧) «**لا أحد يعرف من هو (الابن) إلا الآب**» (لوقا ١٠ : ٢٢).

والمعرفة المعنية هنا ليست هى مجرد المعرفة العامة وإنما هى **المعرفة الخاصة اليقينية الكاملة المباشرة من غير واسطة**. فليس أحد من الناس يمكنه أن يعرف من هو (الابن) فى حقيقته وجوهره وطبيعته وذاته، لكن **الآب وحده** هو الذى يعرف (الابن) فى حقيقته وجوهره وطبيعته، وذلك لسبب واضح وبسيط، هو أن (الابن)، وهو الله الكلمة، هو من جوهر الآب وطبيعته وكائن معه فى ذاته، لأنه فى الآب والآب فيه. قال المسيح «أنا فى أبى وأبى فىّ» (يوحنا ١٤ : ١٠، ١١، ٢٠)، (١٠ : ٣٨)، (١٧ : ٢١، ٢٣).

وقد يمكن أن يقال إن واحداً من البشر لم يعرف (الله الابن) على حقيقته نظراً لأنه له المجد، قد «اتخّذ جسداً» (يوحنا ١ : ١٤) استتر فيه، وتلبس به، محتجباً عن عيون الناس، لأنه لا يقدر إنسان أن يراه ويعيش (الخروج ٣٣ : ٢٠)، فقد أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس، وظهر فى هيئة إنسان (فيلبى ٢ : ٧، ٨) ولذلك سمى «(ابن الإنسان)» (متى ١٦ :١٣)... وأنه لهذا السبب عندما نطق القديس بطرس الرسول باعترافه المشهور وأجاب السيد المسيح قائلاً : «أنت المسيح الله، ابن الله الحى» (لوقا ٩ : ٢٠)، (متى ١٦ : ١٦)، (مرقس ٨ : ٢٩) صارحه المسيح له المجد بقوله «ليس لحماً ودماً الذى **كشف** لك هذا، وإنما **أبى** الذى فى السماوات» (متى ١٦ : ١٧). وهذا تثبيت وتوكيد لمقولته له المجد «لا أحد يعرف (الابن) **إلا الآب**» (متى١١ : ٢٧) أى أن هذا الاعتراف الذى نطق به سمعان بطرس لم يكن عن معرفة بحقيقة الله الكلمة المتجسد، فإن هذه المعرفة أعلى من منسوبه وأرفع من مناله، لكن ذلك النطق كان بإلهام الروح القدس الناطق فى الأنبياء، وبناء على كشف من الآب السماوى لعقل القديس بطرس. والكشف رؤيا وإلهام للروح يسمو ويعلو على معرفة الحواس.

ليس إذن أحد من البشر، ولا حتى تلاميذ المسيح يعرفون (الابن) على حقيقته، هذه المعرفة الكاملة المباشرة وبغير واسطة. إنما **الله الآب وحده هو الذى يعرف (الابن)**، لأن (الابن) كائن معه وفيه، وهو واحد معه فى الجوهر الإلهى، والذات الإلهية الواحدة.

ويضيف المسيح له المجد توكيداً لخاصية هذه المعرفة بقوله «**ولا أحد يعرف الآب إلا (الابن)**» (متى ١١ : ٢٧). «**ولا أحد يعرف من هو الآب إلا (الابن)**»، (لوقا١٠:٢٢) ذلك أن الآب السماوى «لم يره أحد قط» (يوحنا ١ : ١٨) «ولا يقدر أن يراه» (١ .تيموثيوس٦:١٦) وبالتالى لا يعرفه. قد يعرف الإنسان **عن** الله الآب بما يسمعه عنه، ومع ذلك لا يعرفه هو فى ذاته ولا يعرفه كما هو فى طبيعته وجوهره... قد نعرف عنه أنه كائن، ونعرف عنه بعض صفاته بما تصفه الكتب المقدسة، أو بما نستدل على وجوده بالتأمل فى مصنوعاته وخلائقه، فنعرف أنه هو الموجد للوجود والخالق للكائنات، وقد نعرف عنه بما نراه فى الطبيعة من دلائل حكمته، وحضوره فى كل مكان، ونعرف بعض صفاته فنستدل منها على أنه الأزلى الأبدى، وأنه غير متناه وغير محدود وأنه القدير والقادر على كل شئ، وأنه العليم كلىّ العلم، وكلىّ القدرة، وكلىّ التدبير،... إلى آخر تلك الصفات، صفات الخيرية والجودة والجمال والكمال... وهو ما يمكن أن يتوصل إليه الإنسان بالتأمل فى الكون وبإعمال العقل، وهو منهج الفلاسفة والعلماء فى إثبات وجود الله وكمال صفاته.

ويقول القديس أكلمينضس الأسكندرى. «**نحن لا نعرف ما هو الله، ولكننا نعرف ما ليس هو**» ... فنحن نعرف المحدود لأننا نحيا فى عالم المحدود، ثم ننفى عن الله أن يكون محدوداً لأن المحدودية من صفات النقص، والله ليس كذلك. فنقول عن الله إنه (غير محدود) و (غير متناه) دون أن نفهم تماماً طبيعة غير المحدود وغير المتناهى، وحتى الصفات الإيجابية من صفات الكمال الإلهى هى فى تصورنا تضخيم وتكبير لصفات الخير والجمال بما لا يقاس. فنقول عن الله إنه كلىّ الحكمة، وكلىّ القداسة وكلىّ العدل، وكلىّ الجودة والخير... وما إلى ذلك من صفات هى فى الواقع تكبير لصفات الخير والجمال إلى ما لا نهاية...

على أنه سواء صفات النقص التى ننفيها عن الله، أو صفات الكمال التى ننسبها إلى الله... هذه وتلك مما ينسب إلى الله الآب، هى أعلى من قدرة الإنسان على فهمها واستيعابها وإدراكها وتصورها.

والخلاصة أنه حقاً ما يقوله القديس أكليمنضس الأسكندرى عن عجز العقل البشرى عن أن يعرف الله الآب ذاته، المعرفة الحقيقية الكاملة المباشرة.

وعلى ذلك فليس لبشر، أياً كان، ولا لغير بشر من سائر الكائنات أن يعرف الله على حقيقته، وفى طبيعته وجوهره. وذاته. أما (الكلمة) الإلهى أى (الابن) **فهو وحده الذى يعرف الله الآب** فى طبيعته معرفة كاملة يقينية مباشرة ومن غير واسطة، وذلك لأنه من ذات طبيعته، ولأنه كائن معه وفيه دائماً منذ الأزل وإلى الأبد، إذ هو كائن معه فى الجوهر الواحد والذات الإلهية الواحدة.

يقول المسيح له المجد لليهود فى حواره معهم «وإنما أرسلنى ذلك الذى هو حق، **وأنتم لا تعرفونه**» (يوحنا ٧ : ٢٨). ويقول لهم أيضاً «أبى هو الذى يمجدنى، ذلك الذى تقولون أنتم إنه إلهنا، **وأنتم لا تعرفونه. أما أنا فأعرفه**. وإن قلت إننى لا أعرفه أكون مثلكم كاذباً، ولكننى **أعرفه**» (يوحنا ٨ : ٥٤، ٥٥). وفى هذا كله ينفى المسيح له المجد عن اليهود أنهم يعرفون الآب السماوى، ولكنه فى نفس الوقت يثبت هذه المعرفة لذاته وحده بقوله صراحة «أما أنا **فأعرفه**. وإن قلت إننى لا أعرفه أكون مثلكم كاذباً، ولكننى **أعرفه**» (يوحنا ٨:٥٥).

وقال المسيح لتلاميذه عن اليهود وقياداتهم الدينية : «ولكنهم سيفعلون بكم هذا كله بسبب اسمى. لأنهم **لا يعرفون الذى أرسلنى**» (يوحنا ١٥ : ٢١)، أى أنه له المجد ينفى عن اليهود ورئاستهم الدينية أنهم يعرفون الله الآب...

ويقول المخلص مرة أخرى لتلاميذه عن اليهود ورؤسائهم «وهم سيفعلون هذا بكم لأنهم لم **يعرفوا الآب** ولا عرفونى» (يوحنا ١٦ : ٣).

ثم يقول أيضاً لتلاميذه «لو كنتم قد عرفتمونى، **لعرفتم أبى أيضا**. ومنذ الآن تعرفونه، وقد رأيتموه» (يوحنا ١٤ : ٧). وهذا معناه أن تلاميذ المسيح لم يعرفوا الله الآب. ومع ذلك فقد عرفوه فى المسيح، وعن طريقه، ومن دون المسيح لا يعرفونه... **إذن المسيح وحده وهو (الابن) هو الذى يعرف الله الآب معرفة ذاتية مباشرة ومن غير واسطة. أما التلاميذ وسائر المؤمنين فلا يعرفون الله الآب فى ذاته، إلا من خلال (الابن) وعن طريقه**، وهذا هو معنى قوله : «ولا أحد يعرف (من هو) الآب إلا (الابن) **ومن أراد (الابن) أن يكشف له**» (متى ١١ : ٢٧)، (لوقا ١٠ : ٢٢). فإذا لم يرد (الابن) أن يكشف للإنسان عن معرفة الله الآب، فسيظل الإنسان فى جهله لا يعرف الله الآب. وفى ذلك يقول

المسيح له المجد أيضاً «**أنا هو الطريق... لا يأتى أحد إلى الآب إلا بى**» (يوحنا١٤:٦) وقال أيضاً «**أنا هو باب الخراف، فإن دخل بى أحد يخلص**» (يوحنا ١٠ : ٩) وقال الرسول بولس «لأن به لنا... **سبيل الوصول إلى الآب** فى روح واحد» (أفسس ٢ : ١٨)، (العبرانيين ١٠ : ١٩) ، (١. بطرس ٣ : ١٨).

وفيما يؤكد المسيح له المجد **أن لا أحد آخر غيره يعرف الآب**، يجعل هذه المعرفة الحقيقية **وقفاً عليه وحده دون سواه**.

فيقول «وإنما أرسلنى ذلك الذى هو حق، وأنتم لا تعرفونه. **أما أنا فأعرفه لأنى منه**» (يوحنا ٧ : ٢٨، ٢٩) فالمسيح ينفى عن الناس معرفتهم بالله الآب، ولكنه يثبت فى إيجابية واضحة هذه المعرفة بالنسبه له، فى غير تردد بقوله : «**أما أنا فأعرفه**» ثم يقدم التعليل لهذه المعرفة فيقول «**أما أنا فأعرفه لأنى منه**». مبيناً بهذا أنه من ذات طبيعة الآب ومن جوهره : «**لأنى منه**».

ويقول مرة أخرى «أبى هو الذى يمجدنى، ذلك الذى تقولون أنتم إنه إلهكم، وأنتم لا تعرفونه. **أما أنا فأعرفه**. وإن قلت إننى لا أعرفه أكون مثلكم كاذباً، **ولكننى أعرفه**» (يوحنا ٨ : ٥٤، ٥٥) وهو هنا يميز تمييزاً فاصلاً حاسماً بين ما يعرفه اليهود عن الله الآب، وبين معرفته هو لله الآب. فعلى الرغم من أن اليهود عرفوا الكثير عن الآب، من حيث هو إلههم، وخالقهم، وهم شعبه المنتسبون إليه من بين جميع الشعوب، وعلى الرغم من إيمانهم به وبوجوده، وبعبادتهم إياه وسجودهم له وإعترافهم به، مع ذلك فهذه المعرفة لا تعد شيئاً مذكوراً بالنسبة للمعرفة الحقيقية الكاملة التى ينسبها المسيح لذاته بالنسبة للآب السماوى. فهو لا يعرف عن الآب فقط ما لا يعرفه اليهود وغير اليهود، وإنما يعرف الآب فى ذاته معرفه عيانية مباشرة، الأمر الذى لا نظير له عند اليهود وغير اليهود. يقول له المجد «**لا أحد قد رأى الآب إلاّ الذى هو من الله. فهذا هو الذى قد رأى الآب**» (يوحنا ٦ : ٤٦). والمسيح وحده هو الذى رأى الآب لأنه كائن معه منذ الأزل، وعندما تجسد نزل من السماء «وما من أحد صعد إلى السماء إلاّ ذلك الذى نزل من السماء، ابن الإنسان الذى هو فى السماء» (يوحنا ٣ : ١٣) «الله لم يره أحد قط» (الابن الوحيد) الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه» (يوحنا ١ : ١٨).

وفى موضع آخر يقول المسيح له المجد «إن أبى يعرفنى، **وأنا أعرف الآب**» (يوحنا١٠: ١٥). وهذا هو تعبير آخر عن نفس الحقيقة ولكن فى إيجابية لا تحتاج إلى توكيد. **فهو وحده الذى يعرف (الآب) المعرفة الحقيقية، ولا أحد غيره يعرف الآب هذه المعرفة المباشرة، بغير واسطة.** وبالمثل فإن **الآب يعرف (الابن) المعرفة التى لا يعرفها أحد آخر غير الآب**، ذلك **لأنها المعرفة الكاملة الحقيقية المباشرة والذاتية والعيانية، لأن الآب يرى (الابن) و (الابن) يرى الآب.** ومن هنا فإن معرفة (الابن) للآب **معرفة رؤيا عينية**، وكذلك معرفة الآب (للابن) **هى معرفة رؤيا عينية، أى رؤيا ذاتية**، لا من طريق غير مباشر.

ويقول المسيح أيضاً فى مناجاته للآب السماوى على مسمع من تلاميذه : «يا أبتاه الحق، إن العالم لم يعرفك. **وأما أنا فعرفتك**» (يوحنا ١٧ : ٢٥). وهنا أيضاً يقارن بين جهل العالم بالآب السماوى وبين علم (الابن) بالآب ومعرفته به لأنه منه، ولأنه كائن معه دائماً فى وحدة واحدة كاملة، وكيان واحد، وجوهر واحد، وذات واحدة. فهذه تفرقة واضحة حاسمة يؤكد فيها المسيح له المجد جهل العالم كله بالآب السماوى، ولكنه يؤكد مع ذلك أنه أى (الابن) يعرف الآب «**وأما أنا فعرفتك**». على أن هذه المعرفة ليست جديدة أو طارئة أو مستحدثة. إنها معرفة قديمة وأزلية لأن الابن كائن مع الآب منذ الأزل.

* * *

وإذا كان المسيح له المجد ينسب إلى ذاته أنه وحده الذى يعرف الآب ولا أحد غيره يعرف الآب المعرفة الذاتية العيانية المباشرة، المعرفة الخاصة الفاحصة العميقة، الكاملة، معرفة الآب فى طبيعته وحقيقته وجوهره.

وإذا كان المسيح له المجد يقرر أن ليس أحد غير الآب يعرف (الابن) هذه المعرفة الكاملة العيانية المباشرة، معرفة الابن فى حقيقته وطبيعته وجوهره، فقد نسب المسيح لذاته ما ينسب إلى الله الآب سواء بسواء. وبالتالى يكون (الابن) مساوياً للآب، لأنه يتصف بما يتصف به الآب.

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الله الآب في القدرة على كل شئ

ينسب المسيح له المجد لذاته ذات القدرة التى لله الآب بلا فارق. فيقول فى حواره مع اليهود «**لأنه كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم هكذا (الابن) يحيى من يشاء**» (يوحنا٥:٢١).

وفعلاً أثبت ذلك عملياً، فقد أقام ابنة يايرس رئيس المجمع اليهودى بأمره، ولم يكن فى حاجة لأن يصلى ليطلب قوة خارجاً عن ذاته كما يفعل الأنبياء. لقد دخل بيت الرئيس إلى حيث كانت الصبية مسجاة، وأمسك بيد الصبية، وقال لها «**طليثا قومى**» أى يا صبية **قومى**. فعادت روحها إليها وقامت على الفور ومشت، إذ كانت فى الثانية عشرة من عمرها. (مرقس٥:٤٠ - ٤٢) ، (لوقا ٨ : ٥٤، ٥٥) ، (متى ٩ : ٢٥).

وكذلك صنع مع الشاب ابن أرملة نايين «**تقدم ولمس النعش**» فوقف الذين كانوا يحملونه، فقال : أيها الشاب لك أقول قم. فجلس الميت وبدأ يتكلم» (لوقا ٧ : ١٤، ١٥) وفى هذه الواقعة أيضاً لم يتضرع المسيح إلى الله الآب كما كان يفعل الأنبياء ليطلبوا قوة الله فإن المسيح «له القوة» (لوقا ٢٢ : ٤٣)، (الرؤيا ٤ : ١١) ، (٥ : ١٢)، «**ومنه القوة**» (مرقس ٥ : ٣٠) ، (لوقا ٦ : ١٩) ، (٨ : ٤٦).

وهكذا أقام المسيح له المجد لعازر من الموت، وأمره بالخروج من القبر «**لعازر هلمّ خارجاً**» (يوحنا ١١ : ٤٣) فخرج بأمر المسيح وسلطانه وحده، بعد أن عادت بالأمر روحه إلى جسده، وعادت الصحة إلى جسده الذى لابد أنه كان قد أنتن لأنه كان قد صار له فى القبر أربعة أيام (يوحنا ١١ : ٣٩). حقاً إن المسيح صلى فى هذه المرة، لكن صلاته كانت مناجاة بينه وبين الآب على مسمع من الناس، لكنها **لم تكن صلاة الطلب**. أى لم يطلب المسيح من الله الآب أن يمنحه القدرة على إقامة لعازر، ولا سأل الآب أن يقيم لعازر كما فعل إيليا من قبل إذ صلى من أجل ابن أرملة صرفة صيدون وصرخ إلى الرب وقال «أيها الرب إلهى لتعد روح الغلام إلى جوفه، فسمع الرب لصوت إيليا، وعادت روح الغلام إلى جوفه، وعاد حياً» (١. الملوك ١٧ : ٢١، ٢٢) أو كما فعل أليشع النبى بالنسبة لإبن المرأة الشونمية إذ «صلى إلى

الرب» (٢ . الملوك ٤ : ٣٣) ، (العبرانيين ١١ : ٣٥) . وكذلك صنع القديس بطرس الرسول فى إقامة طابيثا «جثا على ركبتيه وصلى» (أعمال ٩ : ٤٠) . فصلاة المسيح على قبر لعازر **كانت مناجاة ولم تكن طلباً لقوة أو قدرة**، وذلك لبيان وإعلان الوحدة التامة بين (الابن والآب) وأن (الابن) ليس إلهاً من دون الآب، والآب ليس إلهاً من دون (الابن)، وأنهما واحد فى الجوهر، وأن (الابن) لم يأت ليعلن عن نفسه بديلاً عن الآب، فهما ألوهة واحدة وجوهر واحد، وذات إلهية واحدة.

فى تلك المعجزات السالفة أبرز المسيح سلطانه المطلق على إقامة الموتى، وأنه يملك بسلطانه أن يقيم الموتى، وفى هذا يعلن مساواته للآب فى قدرته على إقامة الموتى (رومية ٤ : ١٧) «لأنه كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم هكذا (الابن) يحيى من يشاء» (يوحنا ٥ : ٢١) .

وفى مواضع أخرى ينسب المسيح له المجد إلى ذاته السلطان المطلق على إقامة الموتى فى اليوم الأخير فيقول «إن كل من يرى (الابن) ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية، **وأنا أقيمه** فى اليوم الأخير» (يوحنا ٦ : ٤٠) . ويقول «إن كل الذين أعطانى لا أهلك منهم أحداً، بل **أقيمه** فى اليوم الأخير» (يوحنا ٦ : ٣٩) «ما من أحد يستطيع أن يقبل نحوى ما لم يجتذبه إلىّ الآب.. **وأنا أقيمه** فى اليوم الأخير» (يوحنا ٦ : ٤٤) . ويقول «من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية، **وأنا أقيمه** فى اليوم الأخير» (يوحنا ٦ : ٥٤) .

بل قال أيضاً «**أنا هو القيامة والحياة**. من آمن بى وإن مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بى فلن يموت إلى الأبد» (يوحنا ١١ : ٢٥، ٢٦) . وقال : «تأتى ساعة يسمع فيها كل الذين فى القبور صوته، فيخرج الذى عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يوحنا ٥ : ٢٨، ٢٩) ، (متى ٢٤ : ٣١) ، (٢٥ : ٣٢) ، (يوحنا ١٤ : ٦) ، (١ : ٤) ، (١ . يوحنا ١ : ١ ، ٢) ، (٥ : ١٠، ١١) .

ومما له دلالة مباشرة فى إعلان قدرة المسيح المساوية لقدرة الله الآب قوله «هكذا (الابن) يحيى من يشاء» (يوحنا ٥ : ٢١) ، أى أن قدرته على القيامة والحياة وسلطانه على الإقامة والإحياء قدرة مطلقة غير محدودة، وسلطانه سلطان مطلق غير مقيد. فهو يقيم **من يشاء**، ويحيى **من يشاء**، أى أنه يفعل حسب مشيئته. وهذا دليل حريته المطلقة فى أن يفعل طبقاً لإرادته ووفقاً لمشيئته، دون أن يكون لأحد آخر قيد على هذه المشيئة.

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الله الآب فى العمل

كما أن الله الآب منذ الأزل يعمل ولم يتوقف عن العمل إلى اليوم ولن يتوقف إلى الأبد، فهو الخالق للموجودات، وهو الحافظ لها، وهو مبدع القوانين التى تسير عليها كل الخليقة، وهو الحافظ للقوانين استمرارها. كذلك الله (الابن) لأنه هو العقل الإلهى وهو الخالق للعالمين ولكل الوجود، وهو كائن مع الآب منذ الأزل، بحيث لا نتصور الله الآب كائناً ولا يكون (الابن) معه، وإلاّ يكون الله لا وجود له، لأنه كيف يكون لله وجود من غير أن يكون عاقلاً وحكيماً وخالقاً، وهى صفات الله (الابن) ؟

يقول المسيح له المجد «**إن أبى حتى الآن يعمل، وأنا أيضاً أعمل**» (يوحنا ٥ : ١٧) وهذا معناه أن (الابن) أى المسيح ينسب إلى ذاته المساواة لله الآب فى العمل. وقد فهم اليهود ذلك حتى إن الإنجيل يقول بعد هذا التصريح مباشرة «فاشتدت رغبة اليهود فى قتله، لأنه لم ينقض السبت فحسب، وإنما قال أيضاً : «**الله أبى، مساوياً نفسه بالله**» (يوحنا ٥ : ١٨).

لقد قال الإنجيل عن المسيح وهو الكلمة المتجسد أنه هو الخالق ومن دونه فلا خلق «فى البدء كان الكلمة، وكان الكلمة هو الله... **كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان، كان فى العالم، وكان العالم به**... والكلمة اتّخذ جسداً» (يوحنا ١ : ١ - ١٤) «الذى هو صورة الله الغير المنظور، البكر قبل كل خليقة، فإنه به **خلق كل شئ**، ما فى السماوات وما على الأرض، ما يرى وما لا يرى... **كل شئ خلق به وله**، هو كائن قبل كل شئ، وفيه يقوم كل شئ» (كولوسى ١ : ١٥ - ١٧) «**به خلق الدهور**، الذى هو بهاء مجده وصورة جوهره، وحامل الكون بكلمة قدرته» (العبرانيين ١ : ١ - ٣)، ولكى يثبت المسيح له المجد أنه الخالق وله القدرة على الخلق، **حول الماء إلى خمر حقيقى فى عُرس قانا الجليل**، وشهد رئيس المتكأ بأنها خمر جيدة (يوحنا ٢ : ٧ - ١١).

وكذلك **خلق للمولود أعمى عينين** بأن تفل على الأرض، وصنع من التفل طيناً وطلى بالطين عينى المولود أعمى (يوحنا ٩ : ٥، ٦). ولماذا صنع المسيح هذه المعجزة بهذا الأسلوب بينما أنه شفى كثيرين من العميان إما بلمس العينين (متى ٩ : ٢٧)، (٢٠ : ٣٤)، وإما بالتفل

فى العينين مع وضع يديه عليهما(مرقس ٨ : ٢٢ – ٢٥)، وإما بأن يصدر إلى الأعمى الأمر بأن يبصر فيبصر (مرقس ١٠ : ٥١) ، (لوقا ١٨ : ٣٥)؟ أما المولود أعمى فلم تكن له عينان فى مقلتيه، أى أن مقلتيه كانتا فارغتين، فطمسهما المسيح له المجد بالطين ليخلق له من الطين عينين لم يكن لهما وجود، وكما صنع الرب فى خلق آدم ،وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض، (التكوين ٢ : ٧) ، (٣ : ١٩، ٢٣) ، (مزمور ١٠٢ : ١٤) ، (الجامعة ١٢ : ٧) ، (١ كورنثوس ١٥ : ٤٧). وجاء فى سفر أيوب قوله ،أنا أيضاً **من الطين تقرّصت**، (أيوب٣٣:٦). وجاء فى نبوءة إشعياء ،والآن يارب، **نحن الطين وأنت جابلنا**، (إشعياء٦٤:٨) ، (أيوب١٠:٩)، (إشعياء ٢٩ : ١٦) ، (٤٥ : ٩) ، (إرميا ١٨ : ٦)، (رومية٩:٢١).

لقد أثبت المسيح له المجد فى معجزة شفاء المولود أعمى أنه **الخالق**، وأن بقدرته أن يخلق من الطين عينين لم يكن لهما قبلاً وجود، بنفس الطريقة التى خلق بها الله آدم الإنسان الأول بل وأن فى قدرته أن يخلق دوماً وأبداً، فهو لم يخلق فى الماضى فقط، بل مازال يخلق فى الحاضر، وسوف يظل الخالق فى المستقبل أيضاً.

وقد يبدو لنا أن الطريقة التى خلق الله بها آدم من تراب الأرض أو من الطين لم تتكرر، ذلك لأن كل طفل يخلق بالتوالد من الرجل والمرأة، لكننا لا ننسى أن أبوى أى طفل هما من بنى آدم الذى خلق فى الأصل من تراب الأرض، فهما أيضاً من التراب، وبالموت يعودان إلى التراب (التكوين ٣ : ١٩) ، (أيوب ٢١ : ٢٦) ، (٢٠ : ١١) ، (٣٤ : ١٥) ، (مزمور ١٠٣ : ٢٩) ، (١٤٥ : ٤) ، (الجامعة ١٢ : ٧).

ثم إن استمرارية قانون التوالد بالزواج دليل استمرارية الخلق. فالله (الابن) مازال يخلق، لأنه هو الذى خلق، وهو الذى يحفظ لقوانين الخلق ثباتها ودوامها واستمراريتها. وهذا هو معنى قوله له المجد ،إن أبى حتى الآن يعمل، وأنا **أيضاً أعمل**، (يوحنا ٥ : ١٧).

وإذا كان الله الآب هو الخالق ،الرب خالق أقاصى الأرض، (إشعياء ٤٠ : ٢٨) ،الله الرب خالق السماوات وناشرها، وباسط الأرض، (إشعياء ٤٢ : ٥)، والله (الابن) أو (الكلمة) **هو الخالق** ،لأن **به كان كل شئ، وبغيره لم يكن شئ مما كان**، (يوحنا ١ : ٣)، فالمسيح

إذن بقوله «إن أبى حتى الآن يعمل، **وأنا أيضاً أعمل**» قد نسب إلى ذاته المساواة مع الآب فى العمل والخلق.

ويقول المسيح له المجد أيضاً مؤكداً على نفس المعنى ناسباً إلى ذاته المساواة مع الآب فى العمل «لأن **كل ما يعمله الآب، يعمله (الابن) أيضاً**» (يوحنا ٥ : ١٩). أنظر أيضاً (يوحنا ٤:٣٤) ، (٥ : ٣٦) ، (٩ : ٤) ، (١٤ : ١٠) ، (١٧ : ٤).

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الله الآب فى الكرامة والمجد

إذا كان المسيح له المجد ينسب إلى ذاته الكرامة التى لله الآب، فهو إذن ينسب إلى ذاته المساواة مع الله الآب، بل إنه يطالب الناس بأن يعطوه الكرامة التى يعطونها لله الآب. وأكثر من ذلك يقول إن الله الآب هو الذى يطالب الناس ويأمرهم أن يعطوا الكرامة (للابن)، التى يعطونها لله الآب سواء بسواء.

يقول المسيح له المجد : «الآب لا يدين أحداً، وإنما قد سلم القضاء كله (للابن)، **ليمجد الجميع (الابن) كما يمجدون الآب. من لا يمجد (الابن) لا يمجد الآب** الذى أرسله» (يوحنا ٥: ٢٢، ٢٣).

هذا معناه أن الآب يريد أن يعطى الناس الكرامة والمجد لله (الابن) كما يعطونها للآب، ولكى يتحقق ذلك فإن الآب سوف لا يقوم بعمل الدينونة، وإنما لكى يمجد الناس (الابن) كما يمجدون الآب، سلم القضاء كله (للابن)، لكى يدين الناس، فيعرف الناس مكانته ويعطوه الكرامة والمجد اللذين يليقان به كديان الأرض كلها (التكوين ١٨ : ٢٥) ، (مزمور ٥٧ : ١١) ، (٦٦ : ٤) ، (٩٥ : ١٠، ١٣) ، (٩٧ : ٩).

ومما له دلالة وأهمية فى القضية أن المسيح له المجد يصرح قائلاً : «من لا يمجد (الابن) لا يمجد الآب»، ومعناه أن من لا يعطى (الابن) المجد الذى يليق به كديان الأرض كلها، فإن الآب حرصاً منه على أن ينال (الابن) ذات المجد الذى لله الآب، يحتسب هذا الإهمال فى هذا الواجب المقدس إهانة لله الآب. وهذا تعبير بالغ القوة فى تأكيد وتوكيد اهتمام الآب وحرصه على أن ينال (الابن) ذات المجد الذى يعطى للآب، سواء بسواء.

وعلى ذلك فإن المسيح له المجد ينسب إلى ذاته المساواة مع الآب، الأمر الذى لا يجرؤ عليه نبى أو رسول، وإلاَّ عُدَّ مجدِّفاً على الله. فلو لم يكن المسيح له المجد صادقاً فى دعواه فى مساواته مع الآب فى المجد والكرامة لكان يُعَدُّ مجدِّفاً على الله لأنه قد نسب إلى ذاته ما لا ينسب إلاَّ إلى الله وحده. وهذه بيِّنة على ألوهية المسيح له المجد. وأنه واحد مع الآب فى الجوهر، وأنه قائم وكائن مع الآب فى ذات جوهر الألوهية منذ الأزل وإلى الأبد. أنظر (١ . تيموثيئوس ٦ : ١٦) ، (٢ . بطرس ١ : ١٧) ، (الرؤيا ٤ : ٩) ، (٧ : ١٢).

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الآب فى كل القدرات والصفات والكمالات

لم يكتف المسيح له المجد بأن ينسب إلى ذاته ذات المعرفة المباشرة التى لله الآب، والقدرة على كل شئ التى لله الآب، والمساواة مع الله الآب فى العمل ثم فى المجد والكرامة، وإنما أضاف إلى كل ذلك، **المساواة بالإجمال فى كل شئ**، بحيث أبان بكل الوضوح أن **(الابن) يملك كل ما يملكه الآب من صفات وكمالات، وقدرات**، أو بالأحرى ليس صفة أو قدرة للآب، إلاّ وهى (للابن) أيضاً بغير فارق أو امتياز.

يقول المسيح له المجد فى مناجاته للآب على مسمع من تلاميذه «**وجميع ما هو لى فهو لك، وجميع ما هو لك فهو لى**» (يوحنا ١٧ : ١٠).

ويقول مرة أخرى لتلاميذه «**جميع ما هو للآب فهو لى**» (يوحنا ١٦ : ١٥).

فى هذا التصريح الخطير لا يستثنى المسيح شيئاً للآب، يختص به الآب دون (الابن)، أو ينقص فيه (الابن) عن الآب، إنما ينسب إلى ذاته (جميع) ما هو للآب. و (جميع) تفيد الشمول والإطلاق والكمال. وتبعاً لهذا يكون (للابن) كمال وتمام المساواة مع الآب فى جميع الصفات والكمالات الإلهية. وتعبير «**كل شئ**» استخدمه المسيح له المجد مراراً فى بيان أنه **يملك كل شئ، ويقدر على كل شئ، ويسود على كل شئ**.

من ذلك قوله «**كل شئ** قد سُلِّمَ لى من أبى» (متى ١١ : ٢٧)، (لوقا ١٠ : ٢٢).

«إنى قد أعطيت **كل سلطان** فى السماء وعلى الأرض» (متى ٢٨ : ١٨).

«الآب يحب (الابن)، وقد جعل فى يده **كل شئ**» (يوحنا ٣ : ٣٥).

«الآب لا يدين أحدا وإنما سلّم القضاء **كله** (للابن)» (يوحنا ٥ : ٢٢).

«يسوع... إن الآب قد دفع **كل شئ** إلى يديه» (يوحنا ١٣ : ٣).

«لأنه أخضع **كل شئ** تحت قدميه» (١. كورنثوس ١٥ : ٢٧)، (أفسس ١ : ٢٢)، (العبرانيين ٢ : ٨).

«الذى جعله وارثاً لكل شئ» (العبرانيين ١ : ٢).

أنظر أيضاً (يوحنا ١٧ : ٢) ، (أعمال ١٧ : ٣١) ، (أفسس ١ : ١٠، ١١) ، (فيلبى ٢ : ١٠) ، (الرؤيا ١٧ : ١٤).

ولا يقلل من حقيقة المساواة بين الآب و (الابن) فى كل شئ، ما جاء فى بعض النصوص أن «الآب سلَّم..» أو «الآب دفع...» أو «الآب أخضع» أو «الآب جعله...» فهذه تعبيرات للدلالة على «المحبة» المتبادلة بين الآب و (الابن)، وعلى «الرضا»، و «التوافق» حتى يستبعد من فكر الناس أن (الابن) «اغتصب» من الآب تلك الصفات أوالقدرات أو حصل عليها عنوة من دون رضى الآب، وخصوصاً وأن المستقر فى أذهان الناس منذ بدء الخليقة أن كل شئ هو لله الآب.

والخلاصة أنه طالما أن (الابن) - وهو الله الظاهر فى الجسد (١ . تيموثيئوس ٣ : ١٦) - **مالك كل شئ، ووارث كل شئ، ويسود على كل شئ ويخضع له كل شئ، وليس ثمت شئ لا يملكه (الابن) ، وليس ثمت شئ للآب دون (الابن) ، (فالابن) إذن والآب واحد فى كل شئ. والآب لا يفوق (الابن) فى شئ، و (الابن) لا يقل عن الآب فى شئ. الآب (والابن) إذن جوهر واحد، ألوهة واحدة، ذات إلهية واحدة.**

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الآب في الجوهر، أى وحدانية الجوهر الإلهى

وهنا يثور السؤال من جديد، وهو سؤال يقف أمام جميع الناس فى كل العصور متحدياً الجواب الصحيح والأمين والحق :

والسؤال هو : هل يجرؤ نبى أو رسول أن ينسب إلى ذاته ما نسبه يسوع المسيح إلى ذاته ؟!

لو كان يسوع المسيح نبياً أو رسولاً من طراز موسى أو إبراهيم أو إيليا أو إرميا... هل كان يحق له أن ينسب إلى ذاته من الصفات والخصائص والقدرات التى لا تنسب إلاّ إلى الله الواحد وحده ؟

قطعاً لا.

إذن إما أن يكون المسيح صادقاً فى دعواه بأنه هو بذاته الله وقد اتّخذ جسداً، احتجب فيه - أو أن يكون المسيح مجدّفاً.

ومن هنا كان اليهود على حق فى أنهم اتّهموه بالتجديف، لأنهم فهموا دعواه على حقيقتها، وأنه إذ نسب إلى ذاته ما لا ينسب إلاّ إلى الله وحده، لم يكن حديثه عن ذاته من قبيل المجاز أو الرمز أو الاستعارة... ولا كان حديثه مستورا أو غامضاً أو ملبّساً بالتشبيهات المتاحة فى آداب اللغة البشرية... وإنما كان كلامه واضحاً وجلياً... وكان يكرره من وقت إلى آخر مُصِرّاً عليه متحدياً به سوء الفهم والقصد... كان إذن يقول ما يقصد ويقصد ما يقول.

واعترضه اليهود وراجعوه فى أقواله لعله يعدل عنها، أو يعدل منها أو يوضحها، فأصر عليها...

قال : «**أنا وأبى نحن معاً واحد**» (يوحنا ١٠ : ٣٠) مؤكداً على **أنهما جوهر واحد، وألوهة واحدة**. وهنا قمة ما يمكن أن يعبّر عنه بلغة الناس عن كمال وتمام المساواة بين الابن والآب... هل هناك تعبير بلغة الانسان أقوى من هذا التعبير فى بيان المساواة بين (الابن) والآب فى جميع الصفات والكمالات الإلهية ؟

لذلك كان اليهود على حق فى صدق فهمهم لتصريح المسيح البالغ الخطورة والذى نزل عليهم نزول الصاعقة، فزلزل كيانهم وهزّ إلى أعمق الأعماق صلابة عقيدتهم فى وحدانية الله وتفرده بالوحدانية، وهم شعب الله المختار الذين لا يعرفون غير الله إلهاً واحداً أحداً «أنا الرب إلهك... لا يكن لك آلهة أخرى أمامى»... «الرب هو الإله فى السماء من فوق وفى الأرض من أسفل، ليس سواه...»، «الرب إلهك تتقى، وإياه تعبد، وبه تلتصق، وبإسمه تحلف...» (الخروج٢٠: ٢، ٣) ، (التثنية ٤ : ٣٩) ، (١٠ : ٢٠) ، (٦ : ١٣)...

يقول الإنجيل عن اليهود عندما سمعوا تصريح المسيح بأنه واحد مع الآب فى الجوهر (يوحنا ١٠ : ٣٠) «فالتقط اليهود عندئذ حجارة مرة أخرى ليرجموه»... وكانت هذه محاولة أخرى لرجمه، فقد رفعوا من قبل حجارة ليرجموه عندما سمعوه يقول لهم : «الحق الحق أقول لكم : قبل أن يكون إبراهيم، أنا كائن». ففهموا دعواه ولم يحتملوا سماعها «فرفعوا حجارة ليرجموه» (يوحنا ٨ : ٥٨، ٥٩)، وكان الرجم عقوبة التجديف، فقد قال الرب للنبى موسى «كلم بنى إسرائيل قائلاً : كل من سب إلهه يحمل خطيئته. ومن جدف على اسم الرب فليقتل قتلاً، ترجمه كل الجماعة رجماً. الغريب كالوطنى إذا جدّف على الاسم يقتل» (اللاويين٢٤: ١١-١٦).

هنا وبينما اليهود قد إلتقطوا الحجارة ليرجموا الرب يسوع، دخل الرب معهم فى حوار «فأجابهم يسوع قائلاً : إن أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من لدن أبى، فبسبب أى عمل منها ترجموننى؟ أجابه اليهود قائلين : إننا نرجمك لا بسبب عمل حسن، وإنما بسبب التجديف، لأنك وأنت إنسان **تجعل نفسك إلهاً**» (يوحنا ١٠ : ٣١ - ٣٣).

إذن لقد فهم اليهود من قول المسيح «أنا وأبى نحن معاً واحد» (يوحنا ١٠ : ٣٠) **أن هذه الوحدة هى وحدانية الجوهر**، وليست مجرد وحدة روحية أو أدبية أو معنوية أو أخلاقية، ولذلك إلتقطوا حجارة ليرجموه، لأنه فى نظرهم نسب إلى ذاته ما لا ينسب إلاّ إلى الله وحده، وقالوا له صراحة : «إننا نرجمك بسبب **التجديف**، لأنك وأنت إنسان **تجعل نفسك إلهاً**».

فماذا كان جواب المسيح على هذا الإتهام بالتجديف؟.

هل تراجع فى دعواه ؟

هل عدل من أقواله أو عدل عنها؟

هل أنكر عليهم ما فهموه ؟

هل اعتذر لهم بأن فى قوله مجازاً أو تورية ؟

كلا!

إنه أعاد القول، وكرره، شارحاً أنه ليس فى القول مجاز أو تورية أو استعارة أو رمز أو لفظ أوسع من قصده...

قال «أتقولون أنتم للذى قدّسه الآب وأرسله إلى العالم إنك تجدّف لأنى قلت **إننى أنا ابن الله**. إن لم أكن أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى. ولكن إن كنت أعمل أعماله فإن لم تؤمنوا بى، آمنوا بالأعمال لتعلموا وتعرفوا **أنى أنا فى أبى، وأن أبى فىّ**» (يوحنا ١٠ : ٣٦ – ٣٨).

إذن لم يعدل المسيح عن تصريحه بسبب اعتراض اليهود عليه، ولا عدل عنه تهدئة لثورتهم وترضية لهم، ولا تراجع عن مقولته تكذيباً لإتهامهم له بالتجديف.

إنما عاد يكرر من جديد أنه (**ابن الله**) وأنه **قدوس الله**، وأنه **آت من السماء، وأنه من لدن الآب**، فكيف يجدف عليه، ومادام مرسلاً من السماء وآتياً من لدن الآب السماوى، فليس هو إذن عدوا لله كما ظنوا وكما تطاولوا عليه ليرجموه بالأحجار. إنه على العكس مما صوّروه أو تصوّروه، فالآب يحبه وهو راضٍ عنه ومؤيد له، إذ الأعمال التى صنعها. وهى كلها أعمال قوة واقتدار. دليل ليس فقط على أن الله الآب معه مؤيداً ومسانداً، وإنما فضلاً عن هذا كله **فإن أعماله التى قام ويقوم بها هى نفس أعمال الآب، وهو يقوم بها باسمه وبتأييده**، فليس بين الله الآب، وكلمته خلاف أو عداء أو جفاء، **وهى ذاتها برهان معيته مع الآب ووجوده الدائم معه، إذ هو كائن فى الآب، والآب كائن فيه**. «إن لم أكن أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى، ولكن إن كنت أعمل أعماله فإن لم تؤمنوا بى آمنوا بالأعمال لتعلموا وتعرفوا أنى أنا فى أبى، وأن أبى فىّ». وإذن (فالكلمة) قد مارس أعمال القدرة والمعجزات والآيات **لا باسمه وحده بل باسم الآب لأنه كائن معه وكائن فيه، ولا خلاف بينهما ، بل إنّ بينهما وحدة ومحبة ووحدانية**. وفى موضع آخر يقول «إنى أنا فى أبى وأن أبى فىّ. إن الكلام الذى أكلمكم به لا أتكلم به من نفسى أنا وحدى، **وإنما الآب الكائن فىّ** هو الذى يعمل أعماله» (يوحنا ١٤ : ١٠).

هذه الأعمال، أعمال القدرة التى عملها المسيح له المجد، هى برهان ألوهته لأنها **أعمال لا يستطيع نبى أن يقوم بها، فقد صنعها دون أن يبتهل إلى الله الآب أى ليس كما كان يفعل الأنبياء. إنه صنعها بسلطانه المطلق الذى لم يستمده من كائن آخر خارج عن ذاته**، لأن هذا السلطان المطلق قائم معه وكائن فيه، فلا يستمده من آخر، وهذا برهان على أنه **كائن فى الآب والآب كائن فيه**، لذلك لم يكن فى حاجة أن يطلبه بالصلاة فيمنح له كما يمنح للأنبياء. قال المسيح له المجد فى بيان سلطانه المطلق على صنع أعمال القدرة متميزاً فى ذلك عن الأنبياء والرسل «**صنعت بينهم أعمالاً لم يصنعها أحد غيرى**» (يوحنا ١٥ : ٢٤). وحتى نيقوديموس نفسه وهو من علماء اليهود وكبار قياداتهم الدينية شهد للمسيح وأعماله قائلاً : «يا معلم نحن نعلم أنك جئت من الله معلما، لأنه **ما من أحد يقدر أن يصنع هذه الآيات التى أنت تصنع ما لم يكن الله معه**» (يوحنا ٣ : ٢) وشهد المولود أعمى قائلاً : «**ما سمعنا منذ بدء الزمان أن إنساناً فتح عينى مولود أعمى فلو لم يكن هذا من الله ما استطاع أن يصنع شيئاً**» (يوحنا ٩ : ٣٢، ٣٣)، ويروى الإنجيل «وقد آمن به كثيرون من الجمع، قائلين : ألعل المسيح متى جاء يصنع معجزات أكثر من تلك التى صنعها هذا؟» (يوحنا ٧ : ٣١).

وإذن فأعمال القدرة التى قام بها المسيح له المجد ليست فقط هى برهان لاهوته من حيث أنه «صنع أعمالاً لم يصنعها أحد غيره» كما قال هو نفسه له المجد (يوحنا ١٥ : ٢٤)، إنما هى فى نفس الوقت **برهان وحدته مع الآب الكائن فيه** (يوحنا ١٤ : ١٠)، وهى الدليل على أنه **كائن فى الآب والآب كائن فيه**. وقد ردد هذا المعنى كثيراً. يقول لفيلبس أحد تلاميذه «ألا تؤمن بأنى أنا فى أبى وأن أبى فىّ... صدقونى **أنى فى أبى، وأن أبى فىّ**، وإلا فصدقونى من أجل الأعمال نفسها» (يوحنا ١٤ : ١٠، ١١) ويكرر الحقيقة نفسها فى نفس المناسبة «**إنى أنا فى أبى**» (يوحنا ١٤ : ٢٠) ويقول مناجياً الآب على مسمع من تلاميذه «**إنك أنت أيها الآب فىّ، وأنا أيضاً فيك**» (يوحنا ١٧ : ٢١، ٢٣).

وإذا كان ذلك كذلك **فالابن فى الجسد هو الظهور الإلهى، هو الله نفسه وقد تجلى**، وهذا هو معنى أنه ابن الله، لا بمعنى الولادة كما هى فى عالم الإنسان ولكن من حيث

أن الله وهو بطبيعته الغير المنظور صار له كيان منظور فى المسيح. وقد أوضح المسيح له المجد فى حديثه إلى فيلبس وإلى تلاميذه كيف أنه «صورة الله الغير منظور» (كولوسى ١ : ١٥) فى جوابه على فيلبس. قال له فيلبس ليلة آلامه : «يارب أرنا الآب وكفانا. قال له يسوع : أنا معكم كل هذا الزمان **ولم تعرفنى بعد يا فيلبس؟ من رآنى فقد رأى الآب. فكيف** تقول أنت أرنا الآب. **ألا تؤمن بأنى أنا فى أبى وأن أبى فىّ؟**» (يوحنا ١٤ : ٨ - ١٠) وهذا بيان، ما أوضحه فى الدلالة على أن الله وهو الغير المنظور، والذى لا يُرى، قد صار منظوراً فى المسيح «الله لم يره أحد قط. **الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه**» (يوحنا ١ : ١٨). ويقول فى مناسبة أخرى مؤكداً على نفس الحقيقة «إن الذى يؤمن بى ليس بى يؤمن وإنما آمن بالذى أرسلنى. **والذى يرانى فقد رأى الذى أرسلنى**» (يوحنا ١٢ : ٤٤، ٤٥) **وهذا بينة على كمال الوحدة بينه وبين الآب**. ويضيف فى حديثه إلى تلاميذه ليلة آلامه «لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً. ومنذ الآن تعرفونه، **وقد رأيتموه**» (يوحنا ١٤ : ٧) فكيف يصرح لتلاميذه، وهم لم يروا الآب السماوى، **أنهم قد رأوا الآب** فعلاً؟ إذ يقول لهم : «**وقد رأيتموه**». لابد أن يكون المعنى أنهم **قد رأوا الآب فى المسيح**. وإذن فالمسيح هو صورة الله الغير المنظور.

فبينما يقول لتلاميذه : «لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً، ومنذ الآن تعرفونه **وقد رأيتموه**» يقول عن اليهود «**أنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفونى**» (يوحنا ١٦ : ٣)، (١٥ : ٢١)، (٨ : ٥٥)، (٧ : ٢٨) بل قال لليهود صراحة «**لأنكم لا تعرفوننى أنا ولا تعرفون أبى. لو كنتم تعرفوننى لكنتم تعرفون أبى أيضاً**» (يوحنا ٨ : ١٩) مما يدل على أنه لا يقصد المعرفة الجسدية، فهم يعرفونه لأنهم كانوا يرونه بعيونهم، فى الشوارع وفى الهيكل بل كانوا يقولون «نحن نعرف أباه وأمه» (يوحنا ٦ : ٤٢) وإنما المقصود هو **المعرفة الذاتية التى عرفها التلاميذ عن الآب إذ رأوه فى الابن** «ومنذ الآن تعرفونه، **وقد رأيتموه**».

وملاك القول أن **(الابن) واحد مع الآب فى الجوهر، و (الابن) كائن فى الآب. والآب كائن فى (الابن)، وأعمال القدرة التى عملها (الابن)، عملها مع الآب**

وبالآب. فالآب و (الابن) ألوهة واحدة، وكيان واحد، وذات إلهية واحدة، وجوهر واحد. الآب هو الله الغير المنظور، و (الابن) هو الله المنظور. والله واحد، هو فى لاهوته لم يره أحد قط، ولكنه عندما أراد أن يكون له على الأرض كيان منظور من أجل خلاص الإنسان، اتّخذ له جسداً، فصار الغير المنظور منظوراً. وإذن فالمسيح هو الله، وهو ابن الله. هو الله فى ذاته وهو ابن الله لأنه تجلى ظاهراً فى الجسد. «عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد» (١. تيموثيوس ٣ : ١٦).

من قانون الإيمان للقديس أثناسيوس الرسولى

١ ـ كل من يروم أن يخلص يجب عليه أولاً وقبل كل شئ أن يحفظ الإيمان الجامع الشامل ويتمسك به.

٢ ـ ومن لا يحفظ هذا الإيمان بأكمله ومن غير إفساد أو تعديل فيه يهلك هلاكاً أبدياً.

٣ ـ والإيمان الجامع الشامل هو أن نعبد إلهاً واحداً فى ثالوث، ونعبد الثالوث فى وحدانية.

٤ ـ ويجب ألا نخلط بين الأقانيم، ولا أن نفصل فى الجوهر أو نقسم الذات.

٥ ـ فإن للآب أقنوماً، وللابن أقنوماً آخر، وللروح القدس أقنوماً آخر.

٦ ـ ولكن الآب والابن والروح القدس، ليسوا إلا إلها واحداً ومجداً واحداً وعظمة أبدية واحدة.

٧ ـ وكما هو الآب كذلك الابن وكذلك الروح القدس.

٨ ـ فالآب غير مخلوق، والابن غير مخلوق، والروح القدس غير مخلوق.

٩ ـ الآب غير محدود، والابن غير محدود، والروح القدس غير محدود.

١٠ ـ الآب سرمدى، والابن سرمدى، والروح القدس سرمدى.

١١ ـ ومع ذلك فهم ليسوا ثلاثة سرمديين بل سرمدى واحد.

١٢ ـ وكذلك ليسوا ثلاثة غير محدودين، ولا ثلاثة غير مخلوقين، بل واحد غير مخلوق، وواحد غير محدود.

١٣ ـ كذلك الآب قادر على كل شئ، والابن قادر على كل شئ، والروح القدس قادر على كل شئ.

١٤ ـ ومع ذلك ليسوا ثلاثة قادرين على كل شئ بل واحد قادر على كل شئ.

١٥ ـ فالآب هو الله، والابن هو الله، والروح القدس هو الله.

١٦ ـ ولكن ليسوا ثلاثة آلهة، بل إله واحد.

١٧ ـ كذلك الآب هو الرب، والابن هو الرب، والروح القدس هو الرب.

١٨ ـ ولكن ليسوا ثلاثة أرباب، بل رب واحد...

١٩ ـ وليس فى هذا الثالوث من هو أسبق من الآخر فى الزمن أومتخلف عنه أو أكبر منه، أو أصغر منه، وإنما الأقانيم الثلاثة جميعاً سرمدية ومتساوية.

٢٠ ـ ولهذا فى جميع الأمور كما ذكرنا ينبغى أن يعبد الثالوث فى وحدانية، والوحدانية فى ثالوث.

ثانياً : الأنبياء والرسل
نسبوا إلى يسوع المسيح الألوهية

فى الجزء الأول شرحنا أن يسوع المسيح نسب إلى ذاته الألوهية، صراحة، وكشف عن صفات وخصائص لا يمكن أن يتصف بها إلا الله الواحد وحده.

على أن الأنبياء أيضا أنبأوا عن يسوع المسيح ووصفوه بالروح القدس الذى نطق على أفواههم وتكلم بألسنتهم، بالألوهة، ونسبوا إليه صفات لا يتصف بها إلا الله الواحد وحده، فوصفوه بالأزلية والأبدية وغيرها من صفات الكمال الإلهى. ولو لم يكونوا صادقين لكانوا مجدفين لأنهم خلعوا على المسيح صفات الله ذاته. فلم يكن المسيح، بما نسبوه إليه من صفات الألوهة، عبدا أو رسولا أو نبيا كسائر الأنبياء والخدام والرسل، وإن كان أخذ صورة العبد والرسل، وإن كان قد حمل مع صفاته الإلهية صفات الأنبياء والملوك والكهنة، وذلك مرده إلى التجسد الإلهى الذى به جمع المسيح بين صفات الإله وصفات الإنسان فى طبيعة واحدة وأقنوم واحد، وكيان واحد، وشخص واحد.

ولقد أشار الرسل فى العهد الجديد إلى أهمية دور الأنبياء فى العهد القديم فى التنبيه إلى المسيح الآتى، وما يتصف به من صفات الألوهة.

فجاء فى رسالة القديس بطرس الرسول :

«لذلك لا أهمل أن أذكركم دائما بهذه الأمور، وإن كنتم عالمين ومثبتين فى الحق الحاضر. ولكنى أحسبه حقا ما دمت فى هذا المسكن أن أنهضكم بالتذكرة... لأننا لم نتبع خرافات مصنعة إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه بل قد كنا معاينين عظمته، لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجدا، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى : هذا هو ابنى الحبيب الذى أنا سررت به. ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلا من السماء إذ كنا معه فى الجبل المقدس. وعندنا الكلمة النبوية، وهى أثبت، التى تفعلون حسنا إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير فى موضع مظلم، إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح فى قلوبكم. عالمين هذا أولا أن كل نبوّة الكتاب ليست من تفسير خاص، لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون محمولين بالروح القدس» (٢. بطرس ١ : ١٢ - ٢١).

ففى هذا النص المقدس يربط الرسول القديس بين ما عاينه القديس بطرس بنفسه ومعه زميلاه الرسولان القديسان يعقوب ويوحنا عندما كانوا جميعا مع الرب يسوع المسيح على جبل التجلى، الجبل المقدس تابور، ورأوا وشاهدوا عظمته وجلالته إذ كشف بعض القناع عن مجد لاهوته فنظروا وجهه يضئ كالشمس فى قوتها وثيابه متألقة بالنور- وبين ما أنبأ به الأنبياء القديسون عنه من قبل مجيئه (لوقا ١ : ٧٠)، وهم فى كل ما أنبأوا به لم يكونوا يتحدثون من تلقاء أنفسهم أو من وحى عقولهم، ولكن كان كل ذلك بإلهام الروح القدس (٢ .تيموثيوس٣:١٦). ومع ذلك لم يكن للأنبياء قدر من النور يقاس بشئ إلى جانب النور القوى الوضاح الذى انكشف فى العهد الجديد بمجئ الرب يسوع فهو وحده النور الحقيقى (يوحنا ١ : ٩) المضئ باعتباره كوكب الصبح المنير. نعم، لم يكن لأنبياء العهد القديم إلا قبس من نور رأوا به شيئا من مجد المسيح الآتى ولكن لم يروا النور الكامل الذى ظهر جليا فى العهد الجديد، ومع ذلك فذلك القبس من النور لم يكن منهم، إنما كان بفضل «الروح القدس الناطق فى الأنبياء»، وكان بمثابة «سراج منير» فى موضع مظلم (٢ . كورنثوس ٤ : ٧) بالقياس إلى كوكب الصبح المنير (الرؤيا ٢٢ :١٦) الذى انبلج وتفجر بالنور الحقيقى فى مجئ المسيح (لوقا ١ : ٧٨، ٧٩)، (٢ . كورنثوس ٤ : ٦).

وعلى الرغم من أن النور الذى تكلم فى ضوئه أنبياء العهد القديم لم يكن إلا بمثابة «سراج منير» بالنسبة إلى نور «كوكب الصبح المنير» الذى تجلى فى المسيح، لكنه مع ذلك مهم وضوروى، فهو الذى ربط بين العهد القديم قبل أن يأتى المسيح وبين العهد الجديد الذى جاء فيه المسيح، وهو مركز العهدين.

وتوكيدا لقيمة العهد القديم وشهادة الأنبياء عن المسيح، قال له المجد لليهود «ابحثوا فى الأسفار المقدسة لأنكم تعتقدون أن لكم فيها الحياة الأبدية، وتلك هى التى تشهد لى» (يوحنا٥:٣٩) وقال أيضا «لا تظنوا أننى أشكوكم إلى الآب. فإن هناك من يشكوكم وهو موسى الذى جعلتم فيه رجاءكم، فإنكم لو كنتم تؤمنون بموسى لكنتم تؤمنون بى أيضاً لأنه كتب عنى. فإن كنتم لا تؤمنون بما كتبه، فكيف تؤمنون بكلامى» (يوحنا ٥ : ٤٥ – ٤٧).

انظر أيضا (لوقا ٢٤ : ٢٥، ٢٧) ، (أعمال ١٣ : ٢٧) ، (٣ : ١٨).

وقارن (إشعياء ٧ : ١٤) ، (متى ١ : ٢٣) ، (إشعياء ٩ : ١ – ٧) ، (متى ٤ : ١٤ – ١٦) ، (إشعياء ٤٢ : ١ – ٧) ، (متى ١٢ : ١٨ – ٢١) ، (إشعياء ٥٣ : ١ – ١٣) ، (متى ٨ : ١٧) ، (لوقا ٢٢ : ٣٧) ، (دانيال ٧ : ١٣، ١٤)، (متى ٢٤ : ٣ – إلخ) ، (ميخا ٥ : ٢) ، (متى ٢ : ٦)، (زكريا ٩ : ٩) ، (متى ٢١ : ٥) .

وقال الرسول بولس «السر الذى كان مكتوما فى الأزمنة الأزلية ولكن ظهر الآن، وأعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الله الأزلى لإطاعة الإيمان» (رومية ١٦ : ٢٥، ٢٦) .

* * *

تلك أهمية العهد القديم، وأقوال الأنبياء فيه التى يشيرون فيها بإلهام الروح القدس إلى المسيح الآتى ومجد لاهوته.

أما تلاميذ المسيح ورسله فهم الذين استناروا بنوره وسقط عليهم ضياء جلاله وبهاء لاهوته (العبرانيين ١ : ٣) فتحدثوا عن مجده ووصفوه كما تحققوه وتبينوه على حقيقته، خصوصا بعد قيامته المجيدة من بين الأموات، (يوحنا ٢٠ : ٩) ، (٢ : ٢٢) وبعد أن تثبتوا من ذلك بما كشفه سيدهم لعيونهم وتلقنوه منه بأقواله وأعماله، فكانوا شهوده (لوقا ٢٤ : ٤٨) ، (أعمال ١ : ٨) ، (يوحنا ١٥ : ٢٧) الذين حملوا رسالته من بعده، ونقلوها إلى كل الخليقة (مرقس ١٦ : ١٥) بكرازتهم وتعليمهم. ولم يكونوا فيما تحدثوا وكرزوا به إلا ناقلين عن معلمهم آخذين منه، ولم يكن التعليم الذى علموه عنه تعليمهم هم، وإنما كان تعليمه هو، إذ هو وحده المعلم فقد قال لهم : «إن معلمكم واحد» (متى ٢٣ : ٨) «هو المسيح» (٢٣ : ١٠) .

ويقول القديس يوحنا الرسول والحبيب والإنجيلى : «ذاك الذى كان منذ البدء، ذاك الذى سمعناه، ذاك الذى رأيناه بعيوننا، ذاك الذى تأملناه، ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة. فإن الحياة تجلت، وقد رأيناها ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب وتجلت لنا. ذاك الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به لكى يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهى مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح.. وهذا هو الخبر الذى سمعناه منه ونخبركم به..» (١ .يوحنا١ :١-٥) .

فبحق إذن قال الرسول القديس بطرس «لأننا لم نتبع خرافات مصنعة إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنا معاينين عظمته» (٢ . بطرس ١ : ١٦) .

الأنبياء ورسل المسيح
نسبوا إلى يسوع المسيح الأزلية

أولاً - الأنبياء :

١ - جاء فى سفر المزامير قوله :

«قال لى : **أنت ابنى. وأنا اليوم ولدتك.. قبّلوا الابن** لئلا يغضب، فتبيدوا من الطريق. لأنه عن قليل يتقدم غضبه. طوبى لجميع المتكلين عليه» (مزمور ٢ : ٧ - ١٢).

فمن هو **الابن** ؟ أو من هو المقصود **بالابن** ؟

لا يمكن أن يكون المقصود بالابن هو داود النبى أو غيره من بنى البشر، إذ لا يعقل أن من لا يُقبّل داود أو غيره من الناس يبيد من الطريق أو يهلك، كما لا يعقل أن الله يطوب ويغبط من يتكل على داود أو على بشر أيا كان. «هكذا قال الرب : ملعون الرجل الذى يتكل على الإنسان، ويجعل البشر ذراعه، وعن الرب يحيد قلبه» (إرميا ١٧ : ٥). وقال الكتاب «لا تتكلوا على الرؤساء ولا على ابن آدم الذى ليس عنده خلاص... طوبى لمن إله يعقوب معينه، ورجاؤه فى الرب إلهه» (مزمور ١٤٥ : ٣ - ٥).

(الابن) إذن ليس هو داود وليس هو ابن آدم إنما الابن هو المسيح، «المولود من الآب قبل الدهور» ميلاد الماء من النبع، والفكر من العقل، الميلاد الأزلى غير الزمنى.. هو ابن الله لا كبنوة الإنسان للإنسان، إنما هو ابن الله بمعنى أنه من طبع الله ومن جوهره، هو صورة الله الغير المنظور (كولوسى ١ : ١٥) أو هو «بهاء مجده وصورة جوهره» (العبرانيين ١ : ٣).

وأما (اليوم) فى قوله «وأنا اليوم ولدتك» فهو الزمن الذى لا بداءة له ولا نهاية.. أو هو الزمن الذى ليس له زمان، لأنه دائم أبداً، حاضر دائماً، أو هو الأزل الذى لا بداءة له ولا نهاية له، لأنه دائم إلى الأبد.

(أ) والدليل من الكتاب المقدس نفسه على أن المقصود بـ (**الابن**) **هو المسيح**، الله الكلمة، الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس هو قول القديس بولس الرسول فى عظته التى ألقاها فى مجمع

اليهود فى انطاكية بيسيدية يوم السبت «أيها الرجال الإسرائيليون.. نحن نبشركم بأن ما وعد به آباؤنا قد أتمه الله لنا نحن أبناءهم، إذ أقام **يسوع كما هو مكتوب أيضا فى المزمور الثانى: أنت ابنى، وأنا اليوم ولدتك..**» (اعمال الرسل ١٣ : ١٦ - ٣٣).

(ب) ويؤكد الرسول بولس على نفس الحقيقة فى موضع آخر، وذلك فى رسالته إلى العبرانيين بقوله عن المسيح يسوع ابن الله أنه هو المقصود بـ (الابن) فى نص المزمور الثانى، يقول «إن الله، بعد ما كلم آباءنا قديما بالأنبياء، بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة بابنه الذى جعله وارثا لكل شئ، وبه خلق الدهور. **وهو بهاء مجده وصورة جوهره، وحامل الكون بكلمة قدرته**، بعد ما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الأعالى **فكان أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسما أعظم من أسمائهم. لأنه لمن من الملائكة قال قط: أنت ابنى، وأنا اليوم ولدتك**» (العبرانيين ١ : ١ - ٥) مبينا بهذا أن (الابن) فى عبارة المزمور الثانى لا تنطبق على أحد آخر من البشر أو من الملائكة، وإنما على يسوع المسيح وحده، لا غيره.

(ج) ومرة ثالثة يلح الرسول بولس على نفس القضية مؤكدا أن ما جاء عن (الابن) فى المزمور الثانى، قيل عن **يسوع المسيح وحده بصفته رئيس كهنة العهد الجديد**. يقول: «لأن كل رئيس كهنة يؤخذ من بين الناس ويقام فيما هو لله من أجل الناس، ليقدم قرابين وذبائح عن الخطايا.. وليس أحد يأخذ لنفسه هذه الكرامة إلا من دعاه الله كما دعا هرون. **فكذلك المسيح أيضا لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة بل الذى قال له: أنت ابنى، وأنا اليوم ولدتك.. لأن الله قد دعاه رئيس كهنة إلى الأبد**» (العبرانيين ٥ : ١ - ١٠).

٢ - وجاء فى سفر المزامير قول النبى داود: «**قال الرب لربى: اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك تحت قدميك**... من رحم الفجر، لك طلّ حداثتك» (مزمور١١٠ :١- ٣).

والواضح فى هذا المزمور أن هناك مناجاة بين أقنوم (الآب) الرب، وأقنوم (الابن) الرب. (الآب) وهو الرب، وبالعبرانية (يهوه) יְהוָה يناجى (الابن) وهو الرب - وهو المسيح قبل التجسد وقبل كل الدهور، ويقول له: اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك تحت قدميك. والجلوس عن يمين الآب هو ما تم بالفعل فيما بعد، إذ اتّخذ الابن جسدا وبعد أن تمم الفداء بموته

وقيامته صعد إلى السماء وجلس فى يمين عرش العظمة فى الأعالى (مرقس ١٦ : ١٩) ، (أفسس ١ : ٢٠) ، (كولوسى ٣ : ١) ، (العبرانيين ١ : ٣) ، (٨ : ١) ، (١٠ : ١٢) ، (١٢ : ٢)، (١ . بطرس ٣ : ٢٢) ، (متى ٢٦ : ٦٤) .

والمعنى أنه جلس على عرش الله فى السماء، لأنه لما كان اللاهوت غير محصور وغير محدود فلا يمين له أو شمال، إنما اليمين هنا تعبير يرمز إلى السمو والرفعة وعلو المقام، خصوصا والجلوس هنا للابن متجسدا، أى للمسيح فى الجسد.

(أ) والدليل على أن المقصود بالقول له فى النص «ربى» هو المسيح فى الجسد أى الله الابن بعد أن اتّخذ جسدا هو استشهاد المسيح له المجد بهذا النص عينه مشيرا به إلى شخصه المبارك.

قال الإنجيل «وفيما كان الفريسيون مجتمعين (فى الهيكل) سألهم يسوع قائلاً : ماذا تظنون فى المسيح؟ ابن من هو؟، فقالوا له : ابن داود. قال لهم : **فكيف إذن يدعوه داود بالروح (القدس) : ربى، قائلا (فى كتاب المزامير) : قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك تحت قدميك؟ فإن كان داود إذن يدعوه ربه فكيف يكون ابنه** ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة. ومنذ ذلك اليوم لم يجرؤ أحد على أن يسأله مرة أخرى» (متى ٢٢ : ٤١ – ٤٦) ، (مرقس ١٢ : ٣٥ – ٣٧) ، (لوقا ٢٠ : ٤١ – ٤٤) .

(ب) ويستشهد بهذا النص أيضا القديس بطرس الرسول فى خطابه المشهور فى اليهود فى يوم الخمسين بعد حلول الروح القدس عليه وعلى الرسل الآخرين. فيقول : «فيسوع هذا قد أقامه الله، ونحن كلنا شهود على ذلك. وإذ كان قد ارتفع بيمين الله وأخذ من الآب موعد الروح القدس أفاض هذا الذى أنتم الآن تنظرونه وتسمعونه . فإن داود لم يصعد إلى السماوات، وهو نفسه يقول : **قال الرب لربى : اجلس عن يمينى، حتى أجعل أعداءك تحت قدميك.** فليعلم يقينا جميع آل إسرائيل أن الله قد جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم ربا ومسيحا» (أعمال الرسل ٢ :٣٢ – ٣٦) .

(ج) واستشهد بهذا النص أيضا القديس بولس الرسول، شارحا أنه قيل عن المسيح له المجد، وهو ابن الله قبل التجسد، منبئا داود عنه أنه بعد التجسد والفداء يصعد إلى السماء ثم يجلس على عرش الله فى السماء يقول «إن الله، بعد ما كلم آباءنا قديما بالأنبياء، بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا

فى هذه الأيام الأخيره بابنه الذى جعله وارثا لكل شئ وبه خلق الدهور، الذى وهو بهاء مجده وصورة جوهره وحامل الكون بكلمة قدرته بعدما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الأعالى، فكان أعظم من الملائكة... لأنه لمن من الملائكة قال قط : أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك.. **ثم لمن من الملائكة قال قط : اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك تحت قدميك،** (العبرانيين ١ : ١ - ١٣).

(د) وأشار إليه القديس بولس الرسول مو ضحا أنه قيل فى المسيح، وقد تم فعلا بصعود المسيح إلى السماء بعد إتمام الفداء، وجلوسه على العرش ملكا قائلا : «لأنه لابد له أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه... لأنه أخضع كل شئ تحت قدميه» (١ . كورنثوس ١٥ : ٢٥ - ٢٧).

(هـ) وأشار مرة أخرى إلى هذا المعنى عينه، شارحا انطباقه على المسيح له المجد وأنه بعد أن تمم الخلاص بموته وصعد إلى السماوات جلس عن يمين العظمة «فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة، وفوق كل اسم يسمى، لا فى هذا الدهر فقط بل فى الدهر الآتى أيضا، **وأخضع كل شئ تحت قدميه**، وجعله فوق كل شئ رأسا للكنيسة التى هى جسده» (أفسس ١ :٢-٢٣).

* * *

على أن المزمور القائل «قال الرب لربى..» فيه الدليل على أزلية المسيح له المجد، لأنه ينص على أنه (الرب) : «قال الرب لربى» خصوصا وأن السيد المسيح قد وضع النقط على الحروف بسؤاله للكتبة والفريسين : إذا كان المسيح ابن داود «فكيف إذن يدعوه داود بالروح (القدس) ربىّ.. فإن كان داود إذن يدعوه ربه، فكيف يكون ابنه» مبينا بهذا أنه إن كان المسيح يسمى ابن داود، فهو ابن **داود حسب الجسد**، (متى ٩ : ٢٧) ، (١٢ : ٢٣) ، (١٥ : ٢٢) ، (٢٠ : ٣٠، ٣١) ، (٢١ : ٩، ١٥) ، (٢٢ : ٤٢) ، (مرقس ١٠ : ٤٧، ٤٨) ، (١٢ : ٣٥) ، (لوقا ١٨ : ٣٨، ٣٩) ، (٢٠ : ٤١) لكنه (**رب داود**) وسابق على داود فهو الرب مع الرب الآب، واحد معه فى الربوبية، وبالتالى فهو أزلى معه. وعلى قول القديس أثناسيوس الرسولى لم تمر لحظة فى الزمان كان فيها الآب ولم يكن الابن كائنا معه.

وتوكيدا لأزلية الابن الرب يقول المزمور إن الرب الآب يقول للرب الابن : «من رحم الفجر، لك طلّ حداثتك». والنص فى العبرانية يقرأ מֵרֶחֶם מִשְׁחַר לְךָ טַל יַלְדֻתֶיךָ

Merehem Misehar LEKHA Tal Yaldotekha

وحرفيا : (من الرَحِم، فى السَحَر، لك طلّ ولادتك).

وفى اليونانية بحسب الترجمة السبعينية : ἐκ γαστρὸς προ ἑωσφόρου ἐξεγέννησα σε

وحرفيا : «من الرَحِم (أو من البطن) قبل كوكب الصبح the Morning Star أو قبل أن يبدأ الفجر Bringer of Morn، لك طلّ حداثتك».

فى اللغة القبطية : ⲉⲃⲟⲗϩⲉⲛ ϩⲛⲉⲕⲥ ϩⲁⲕⲱϥ ⲙ̀ⲡⲓⲥⲓⲟⲩ
ⲛ̀ⲧⲉ ϩⲁⲛⲁⲧⲟⲟⲩⲧ̀ ⲁⲛⲟⲕ ⲁⲓⲥϩⲣⲟⲕ

وحرفيا : «من البطن (الرَحِم) قبل وقت كل صباح، ولدتك».

ولا شك أن المعنى المقصود من تعبير «رحمِ الفجر» هو **(الأزل)** لأن رَحِم الفجر يشير إلى الزمن السابق طويلا على بزوغ النور. ولما كان الله هو النور، فالزمن السابق طويلا على بزوغ النور فى نشأته هو بعينه الأزل، البدء الذى ليس له بدء - وهذا تعبير يضاهى ما نقوله فى قانون الإيمان عن المسيح قبل التجسد، أو الله الابن أنه «نور من نور».

وكذلك المعنى من «طلّ الحداثة» (٢ . صموئيل ١٧ : ١٢) ، (ميخا ٥ : ٧) هو نشأة النشأة، أو بدء البدء، وبعبارة أخرى هو (الأزل).

٣ - وإلى أزلية المسيح قبل التجسد، وهو الله الابن، أو الله الكلمة، أو «حكمة الله» يشير بوضوح سفر الأمثال.

يقول النص : «أنا الحكمة.. لى المشورة والرأى.أنا الفهم، لى القدرة... لى المشورة والرأى. أنا الفهم، **لى القدرة**... أنا أحب الذين يحبوننى، والذين يبكرون إلىّ يجدوننى... فى طريق العدل أتمشى، فى وسط سبل الحق... **الرب حازنى فى أول طريقه، من قبل أعماله منذ القدم. منذ الأزل مسحت، منذ البدء، من قبل أن كانت الأرض، ولدت حين لم يكن غمر، إذ لم تكن الينابيع الغزيرة المياه، من قبل أن أقرت الجبال، وقبل التلال ولدت.. إذ لم يكن قد صنع الأرض بعد ولا البرارى ولا أول أعفار المسكونة. لما ثبت السماوات كنت هناك أنا، وحين رسم دائرة على وجه الغمر.** لما أثبت السحب من فوق، لما تشددت ينابيع الغمر. لما وضع للبحر حده فلا تتعدى

المياه تخمه، لما رسم أسس الأرض، **كنت عنده مهندسا (صانعا)** . وكنت كل يوم لذته، فرحة دائما قدامه. فرحة فى مسكونة أرضه ولذاتى مع بنى آدم..» (الأمثال ٨ : ١ – ٣١).

إذن الحكمة الخالقة ذات القدرة كانت مع الله الآب منذ الأزل، ومن قبل أن توجد الأرض، والسماوات، والبحار والجبال والتلال، ومن قبل أن ينشأ الوجود. **الله إذن منذ البدء أو منذ الأزل كانت معه الحكمة كائنة معه، وبها خلق الوجود، وبها صنع المخلوقات والموجودات الجامدة والحية. ولم** يمر زمن كان فيه الله ولم تكن معه الحكمة. **فالحكمة إذن أزلية مع الله**، وإلا كان هناك وقت كان فيه الله، ولم يكن حكيما، أو كان هناك وقت كان فيه الله، ولم يكن قادرا على الخلق.

ألم يقل الكتاب المقدس عن الله «**عنده الحكمة** والقدرة، وله المشورة والفطنة» (أيوب١٢ :١٣) ؟

ألم يقل «**الرب بالحكمة أسس الأرض** وبالفطنة ثبت السماوات» (الأمثال ٣ : ١٩) ؟

ألم يقل الله تعالى «بقدرة يدى صنعتُ **ويحكمتى** لأنى بصير» (إشعياء ١٠ : ١٣) ؟

ألم يقل عنه النبى إرميا «هو الذى صنع الأرض بقوته، **وثبت المسكونة بحكمته، وبسط السماوات بفطنته**» (**إرميا ١٠ : ١٢**) ؟

ألم يصفه النبى دانيال بأنه «له الحكمة والجبروت» (دانيال ٢ : ٢٠) ؟

ألم يقل الرسول بولس «يا لعمق غنى الله **وحكمته** وعلمه» (رومية ١١ : ٣٣) ؟

ألم يصفه الرسول القديس يهوذا بأنه «**الإله الحكيم وحده مخلصنا بيسوع المسيح ربنا**، له المجد والعظمة والقدرة والسلطان» (يهوذا : ٢٥) ؟

على أن المسيح له المجد هو أقنوم الحكمة.

جاء فى رسالة القديس بولس إلى رومية «الله الواحد وحده **الحكيم، بيسوع المسيح**، له المجد إلى أبد الآباد» (رومية ١٦ : ٢٧).

وقال فى رسالته الأولى إلى كورنثوس «**المسيح** هو قدرة الله، **وحكمة الله**» (١ كورنثوس١ : ٢٤).

وفى رسالته إلى كولوسى «**المسيح المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم**» (**كولوسى ٢ : ٣**).

انظر أيضا (لوقا ١١ : ٤٩) ، (١. كورنثوس ١ : ٣٠) ، (الرؤيا ٥ : ١٢) ، (٧ : ١٢).

٤ - وجاء فى سفر ميخا النبى عن السيد المسيح المولود فى بيت لحم أنه أزلى.

قال : «أما أنت يا بيت لحم افراته، وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطا على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم **منذ أيام الأزل**» (٥ : ٢) وقد ثبت العهد الجديد انطباق هذه النبوءة على السيد المسيح، بل إن اليهود أنفسهم كانوا يعلمون أن هذه النبوءة قد قيلت عن المسيح له المجد حتى إنه عندما جاء المجوس من المشرق إلى أورشليم يسألون قائلين : أين هو المولود ملك اليهود؟ فإننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له. جمع هيرودس الملك كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم : أين ينبغى أن يولد المسيح ؟ كان جوابهم حاضرا «فقالوا له : فى بيت لحم التى بإقليم اليهودية لأنه هكذا كتب بواسطة النبى : وأنت يا بيت لحم بأرض يهوذا، لست الصغرى بين ولايات يهوذا، لأن منك يخرج الحاكم الذى يرعى شعبى إسرائيل» (متى ٢ : ١ - ٦). انظر أيضا (لوقا ٢ : ٤). وجاء فى الإنجيل للقديس يوحنا قول اليهود عن المسيح «ألم يقل الكتاب إنه من نسل داود ومن قرية بيت لحم التى منها كان داود يأتى المسيح» ؟ (يوحنا ٧ : ٤٢) وهم يشيرون بهذا إلى نبوءة النبى ملاخى.

على أن النبوءة تنص على أن المسيح المولود فى بيت لحم أزلى «مخارجه منذ القديم **منذ أيام الأزل**». فمع أنه ولد فى الزمان من إمرأة هى مريم، لكنه كائن فى الوجود قبل مريم، وقبل داود، «**وقبل كل الدهور**»، كان ولم يزل منذ الأزل «**فى البدء كان الكلمة**، والكلمة، كان لدى الله، **وكان الكلمة هو الله**... كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان... كان فى العالم، وكان العالم به» (يوحنا ١ : ١ - ١٠).

ثانياً ـ الرسل :

وكما نسب الأنبياء إلى المسيح الأزلية، كذلك علم الرسل بأن **المسيح أزلى، وأنه كان كائنا قبل التجسد من مريم، قبل كل الدهور وأنه أزلى مع الآب، لا بداءة له ولا نهاية.**

١ ـ قال الرسول يوحنا فى الإنجيل : «**فى البدء كان الكلمة**، والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة هو الله. **كان منذ الأزل لدى الله.** كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان. فيه كانت الحياة.. كان فى العالم، وكان العالم به» (يوحنا ١ : ١ – ١٠).

و (**البدء**) فى هذا النص القدسى ليس هو البدء فى سفر التكوين كما فى قوله «فى البدء خلق الله السماوات والأرض» (التكوين ١ : ١). فهذا البدء، بدء التكوين، هو بدء الخليقة، وهو البدء فى الزمان. **أما البدء فى الإنجيل للقديس يوحنا كما فى قوله «فى البدء كان الكلمة، فهو البدء الذى لا بداءة له، البدء السابق على كل وجود، أو هو الأزل.**

كذلك الفعل (كان) ليس هو فعل الماضى الناقص. إنه **الماضى التام.** وعلى ذلك فالفعل (كان) هو من الكينونة، وهو ماض تام لأنه يدل على الكينونة الأزلية فى الماضى الذى لا بداءة له.. وله لذلك نفس المعنى الواضح فى قوله له المجد عن وجوده الأزلى «الحق الحق أقول لكم : **قبل أن يكون إبراهيم، أنا كائن**» (**يوحنا ٨ : ٥٨**).

وإذا كان الكلمة «كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان. وفيه كانت الحياة، فهذا معناه أنه سابق فى الوجود على كل موجود، وأنه كائن قبل الخليقة، وأنه أيضاً الخالق لكل الوجود، كما أنه **أصل الحياة**، وباعث الحياة، والمبدئ للحياة، والمنشئ للحياة. ليس هو فقط حيا، لكنه **الحى الأول** الذى أنشأ الحياة فى كل حى. أى أنه **الحى الأزلى.**

وكان فى العالم قبل أن يتجسد من مريم وإن لم يكن وجوده ظاهرا إلا فيما ندر، بل إن العالم كان به، أى أنه هو الذى خلق العالم فهو إذن **كائن قبل كون العالم**، هو إذن **الأزلى الذى لا بداءة له.**

٢ ـ ويقول الرسول يوحنا الحبيب فى الإنجيل : «**والكلمة اتّخذ جسدا**، وحل بيننا» (يوحنا ١ : ١٤) والمعنى وراء هذا، أن الكلمة كان كائنا قبل التجسد، ثم اتّخذ له فى الزمان جسدا.. الكلمة إذن أزلى قبل التجسد، والتجسد حادث فى الزمان. أما الكلمة فوجوده سابق على التجسد وعلى الزمان.

٣ ـ ويقول الرسول يوحنا أيضا مقارنا بين يوحنا المعمدان وبين المسيح : «يوحنا (المعمدان) شهد له (أى للمسيح) ونادى قائلاً : هذا هو الذى قلت عنه إن الذى يأتى بعدى قد تقدمنى، لأنه **كان قبلى**، ومن ملئه نحن جميعنا أخذنا» (يوحنا ١ : ١٥، ١٦).

فلئن كان يوحنا المعمدان سابقا على ظهور المسيح فى الجسد بستة شهور (لوقا ١ : ٢٦) لكن يوحنا المعمدان شهد عن المسيح أنه قد تقدمه فى المقام تقدم السيد على خادمه، والمرسل عن الرسول ـ ثم شهد عنه قائلا : «لأنه **كان قبلى**» وفى هذا بيان للأسبقية فى الزمان، ذلك أن المسيح بوجوده الأزلى قبل الزمان، وقبل التجسد سابق على يوحنا المعمدان بزمن طويل يمتد إلى الأزل.

«ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا».

هو إذن الأصل، ومنه تنبع كل موهبة وكل عطية... الرسل والأنبياء من المسيح أخذوا كل ما كان لهم من مواهب .. فهو النبع والأصل والمصدر، وعلى ذلك فهو أيضا **السابق فى الزمان على كل موجود، لأنه الأزلى الذى ليس له بداءة.**

٤ ـ وقد ألح يوحنا المعمدان على نفس الحقيقة الأزلية للمسيح، مكررا شهادته عنه، قال «أنا أعمدكم بالماء، ولكن بينكم قائم ذلك الذى لستم تعرفونه. الذى وإن أتى بعدى **كان قبلى**، وأنا لست بمستحق لأن أحل أربطة حذائه» (يوحنا ١ : ٢٦، ٢٧). قارن (مرقس ١ : ٧)، (لوقا ٣ : ١٦).

ويضيف الإنجيل قائلا : «وفى الغد رأى يوحنا (المعمدان) يسوع مقبلا إليه فقال : هوذا حمل الله الذى يحمل خطيئة العالم. هذا هو الذى قلت عنه : يأتى بعدى رجل يتقدمنى، **لأنه كان قبلى**» (يوحنا ١ : ٢٩، ٣٠) وكما قال سابقا إن المسيح وإن جاء بعده فى الزمان، متأخرا عنه بستة شهور، لكنه تقدمه فى المكانة بوصفه سيده ويوحنا خادمه، وهذا يرجع إلى أنه كان سابقا

عليه فى الزمان، لأن يوحنا ولد - وبميلاده قد وجد. أما المسيح فميلاده لا يعين وجوده، **إنما ميلاده هو تجسده أما وجوده فسابق على ميلاده، وسابق على تجسده.**

٥ - ويروى القديس يوحنا الرسول أن يسوع المسيح فى حديث الوداعى ليلة آلامه، شرع له المجد يناجى الله الآب على مسمع من تلاميذه قائلا : «فالآن مجدنى يا أبتاه عند ذاتك، بالمجد الذى **كان لى عندك من قبل كون العالم**» (يوحنا ١٧ : ٥) وقال أيضا : «يا أبتاه أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنيهم يكونون معى حيث أكون أنا، ليعاينوا مجدى الذى أعطيتنى، **لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم**» (يوحنا ١٧ : ٢٤) مما يتضمن **وجوده الأزلى قبل إنشاء العالم وبالتالى أزليته مع الآب السماوى.**

٦ - ويقول القديس بولس الرسول :

«شاكرين الآب.. الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته، فكان لنا فيه الفداء.. الذى هو صورة الله الذى لا يرى، **وبكر الخلائق كلها**. فإنه فيه خلق كل شئ، مما فى السماوات ومما فى الأرض، ما يرى وما لا يرى، عروشا كان أو سيادات أو رئاسات أو سلاطين. كل شئ به وله قد خلق، كان قبل كل شئ وفيه يقوم كل شئ، وهو رأس الجسد، أى الكنيسة، **وهو البدء**» (كولوسى ١ : ١٢ - ١٨).

فإذا كان المسيح يوصف بأنه صورة الله الذى لا يرى، وأنه بكر الخلائق كلها أى أنه **الأول قبل جميع الخلائق**، فهو إذن **أزلى قبل الخليقة**، لا سيما أنه **فيه خلق كل شئ** مما فى السماوات ومما فى الأرض، ما يرى وما لا يرى... **كل شئ به قد خلق**، وكل شئ قد خلق له، فهو الخالق الذى خلق كل شئ، وبالتالى فهو **السابق على الخليقة**، وهو لذلك **الأزلى الذى كان قبل كل شئ، وفيه يقوم كل شئ، فهو إذن البداءة والبدء، وهو الأول فى الوجود، سبق فى الوجود كل شئ، ولم يسبقه شئ فى الوجود، فهو الأزلى مع الآب.**

٧ ـ ويقول الرسول القديس بولس :

«فليكن فى كل منكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع الذى مع أنه هو فى صورة الله لم يكن يعتد مساواته لله اختلاسا، لكنه أخلى ذاته متخذا صورة عبد، صائرا فى شبه الناس. وظهر بهيئة إنسان، ووضع نفسه وأطاع حتى الموت» (فيلبى ٢ : ٥ – ٨).

والمعنى الواضح فى هذا النص أن المسيح له المجد مع أنه فى حقيقته «فى صورة الله» (٢. كورنثوس ٤ : ٤)، إلا أنه بتجسده أخلى ذاته من صورة الرب واتّخذ صورة العبد «وافتقر وهو الغنى» (٢. كورنثوس ٨ : ٩) وظهر بهيئة إنسان، ومع أنه معادل لله الآب (يوحنا ٥ : ١٨) وواحد معه فى الجوهر (يوحنا ١٠ : ٣٠) وله ما للآب (يوحنا ١٦ : ١٥). (١٧ : ١٠) من جميع الكمالات الإلهية لكنه جعل نفسه فى شبه الناس. ومع أنه الرب والسيد جعل نفسه كالخادم (متى٢٠ : ٢٨) وبدلا من أن يكون هو المطاع جعل نفسه مطيعا، ومطيعا جدا إلى حد الموت. وإذن فقد **كان له وجود سابق على تجسده، وقبل أن يصير فى شبه الناس كان كائنا فى السماء فى وحدة مع الآب.** وإذن **فهو أزلى مع الآب** لأنه معادل لله ومساو له، وليس هو بأقل منه فى الجوهر، ولا هو دون الآب، **إنما هو واحد معه فى الجوهر،** وعلى حد قوله «أنا وأبى نحن معا واحد» (يوحنا ١٠ : ٣٠).

٨ ـ ويقول الرسول القديس بولس : «لأن ملكى صادق هذا ملك سالیم كاهن الله العلى... وتفسير اسمه أولاً ملك البر، ثم ملك شليم أى ملك السلام. وهو لا أب له ولا أم ولا نسب، ولا **لأيامه بداءة ولا لحياته نهاية**، وبذلك يشبه بابن الله» (العبرانيين ٧ : ١ – ٣).

فإذا كان ملكى صادق وهو يحمل صفات ابن الله من حيث أنه ملك البر (إرميا ٢٣ : ٥، ٦)، (دانيال ٩ : ٢٤) ثم ملك السلام (إشعياء ٩ : ٦) ومن حيث أنه لا أب له ولا أم ولا نسب، إذ أن ملكى صادق، لو كان شخصا إنسانيا فكيف يكون لا أب له ولا أم ولا نسب، إلا إذا كان ملكى صادق هو صورة لابن الله، فيه تجلى المسيح، أو فيه تجسد، قبل التجسد؟

فإذا كان الأمر كذلك، أى إذا كان ملكى صادق فيه تجلى المسيح وظهر، ولذلك وصف بأنه لا أب له ولا أم ولا نسب، فإنه أيضا وصف بأنه **لا لأيامه بداءة ولا لحياته نهاية**. إذن هو أزلى. بالتالى فإن المسيح أزلى، والأزلى لا بداءة له ولا نهاية.

٩ ـ ويقول الرسول بولس أيضا :

«يسوع المسيح هو هو، بالأمس واليوم وإلى الأبد» (العبرانيين ١٣ : ٨).

وهذا نص صريح، فى أن وجود المسيح ممتد فى كل الزمان : ماضيه وحاضره ومستقبله، فهو **«الكائن، الذى كان، الدائم إلى الأبد»** (الرؤيا ١ : ٤، ٨) ، (٤ : ٨) ، (١١ : ١٧).

وهو «الألف والياء» (الرؤيا ١ : ٨)، **«الأول والآخر»** (الرؤيا ٢ : ٨)، **البداءة والنهاية** (الرؤيا ١ : ٨) ، (٢١ : ٦) ، (٢٢ : ١٣).

١٠ ـ ويقول الرسول القديس بطرس :

«عالمين أنكم لم تفتدوا بما يفسد، من الفضة أو الذهب... بل قد افتديتم بدم كريم، دم الحمل الذى لا عيب فيه، ولا دنس، دم المسيح، وكان معروفا سابقا من قبل إنشاء العالم، ثم كشف فى الأزمنة الأخيرة من أجلكم أنتم الذين تؤمنون بالله» (١ . بطرس ١ : ١٨ – ٢١).

فإذا كان المسيح **معروفا سابقا من قبل إنشاء العالم ثم كشف فى الأزمنة الأخيرة**، فمعناه **أنه قبل أن يتجسد المسيح كان له وجود قبل الزمان**، قبل تأسيس العالم. فهو إذن أزلى لا بداءة له. انظر (أفسس ١ : ٤).

١١ ـ ويقول الرسول القديس يوحنا الحبيب :

«ذاك الذى كان منذ البدء»، ذاك الذى سمعناه، ذاك الذى رأيناه بعيوننا، ذاك الذى تأملناه ولمسته أيدينا، من جهة كلمة الحياة. فإن الحياة تجلت، وقد رأيناها ونشهد لها، ونخبركم **بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب** وتجلت لنا» (١ . يوحنا ١ : ١، ٢).

نعم، كما يقول الرسول يوحنا، إن المسيح كان **منذ البدء** (١ . يوحنا ٢ : ١٣، ١٤) **منذ الأزل «فى البدء** كان الكلمة... والكلمة كان هو الله» (يوحنا ١ : ١) ثم تجلى بيننا متجسدا (يوحنا ١ : ١٤) فرأيناه بعيوننا (٢ . بطرس ١ : ١٦)، (يوحنا ١٩ : ٣٥) وتأملناه (أعمال٤:٢٠)، (١ . يوحنا ٤ : ١٤)، ولمسته أيدينا (لوقا ٢٤ : ٣٩) ، (يوحنا ٢٠ : ٢٧). كان هو الحياة (يوحنا ١ : ٤)، والحياة الأبدية، لأن فيه كانت الحياة (يوحنا ١ : ٤) وكان عند الآب

(يوحنا ١ : ١) قبل أن يتجسد، ثم اتّخذ جسدا وظهر به (رومية ١٦ : ٢٦) ، (١ .بطرس ١:٢٠)، وحل بيننا... عظيم هو سر التقوى، الله ظهر فى الجسد، (١ . تيموثيئوس ٣ : ١٦) .

فالأزلى قبل الزمان ظهر (كولوسى ١ : ٢٦) ، (١ . يوحنا ٣ : ٥ ، ٨) ، بين الناس، وغير المنظور صار منظورا، لأنه اتّخذ جسدا.

١٢ ـ ويقول الرسول القديس يوحنا فى الرؤيا عن المسيح له المجد : «واكتب إلى ملاك الكنيسة التى بأزمير (سميرنا) . هذا ما يقوله **الأول والآخر**، ذاك الذى مات ثم عاد إلى الحياة» (الرؤيا ٢ : ٨) وواضح أن ذاك الذى مات ثم عاد إلى الحياة هو المسيح الذى مات بالجسد. لكنه مع ذلك هو **الأول والآخر**، أى هو **الأزلى الأبدى**، «**وهو الألف والياء**» (الرؤيا ١ : ٨)، هو البداءة وهو النهاية (الرؤيا ٢١ : ٦) .

الأنبياء والرسل نسبوا إلى المسيح الأبدية

إن من يتصف بالأزلية يتصف أيضا بالأبدية. والأزلى هو بعينه الأبدى. ذلك أن الأزلى هو من لا بداءة له، ومن ثم فهو الأبدى الذى لا نهاية له. على أن الأزلى الأبدى هو الله الواحد وحده فهو وحده الأزلى، وهو وحده الأبدى. وليس فى الوجود كائن آخر غير الله يمكن أن يوصف بالأزلية والأبدية. لأن كل كائن غير الله مخلوق، ومن ثم فله بداءة، وبالتالى لابد أن تكون له نهاية.

والإنسان أيضاً له بداءة فلابد أن تكون له نهاية، ومن ثم فهو كائن فانٍ. فإذا قيل أيضاً إنه خالد، فالخلود هو استمرار للبقاء بعد الموت، ولكن الخلود شئ، والأبدية شئ آخر. فالخلود ليس استمرارا فى الوجود إلى الأبد.

ومع ذلك فالأبرار من الناس لهم **وعد** من الله بالحياة الأبدية «هذا هو الوعد الذى وعدنا هو به، الحياة الأبدية» (١ . يوحنا ٢ : ٢٥). انظر (يوحنا ٣ : ١٥، ١٦، ٣٦) ، (٥ : ٢٤) ، (٦ : ٢٧، ٤٠، ٤٧، ٥٤، ٦٨) ، (١٢ : ٢٥، ٥٠) ، (١٧ : ٣) ، (١ . يوحنا ٥ : ١١، ١٣) ، (متى ١٩ : ٢٩) ، (٢٥ : ٤٦) ، (مرقس ١٠ : ٢٩) ، (لوقا ١٨ : ٣٠) ، (رومية ٥ : ٢١) ، (٢ :٧) ، (٦ : ٢٢، ٢٣) ، (غلاطية ٦ : ٨) ، (١ . تيموثيوس ١ : ١٦) ، (٦ : ١٢، ١٩) ، (٢ .تيموثيوس ١ : ١) ، (تيطس ١ : ٢) ، (٣ : ٧) ، (العبرانيين ٩ : ١٥) ، (يهوذا ٢١) ، (دانيال ١٢ : ٢).

وطالما أن الحياة الأبدية **وعد** للأبرار فهى ليست من طبيعتهم كبشر مخلوقين (أعمال الرسل ١٣ : ٤٦، ٤٨)، (١ . يوحنا ٣ : ١٥) ولكنها منحة تمنح لهم من قِبَل من له سلطان لأن يمنح الحياة الأبدية وهو الله وحده، (يوحنا ٤ : ١٤) ، (٦ : ٣٣، ٣٥، ٤٨، ٥٨) ، (الرؤيا ٢١ :٦) وكيف يمكن لغير الأبدى أن يمنح الحياة الأبدية ؟

الإنسان إذن يمكن أن يتصف بالخلود، ولكنه لا يتصف بالأبدية، ذلك لأنه مخلوق وله بداءة. **إنما الله وحده هو الأبدى، والحياة أيضاً توصف بأنها أبدية،** لأن الله وحده هو الحياة، والحياة الأبدية (١ . يوحنا ١ : ٢) ، (٥ : ٢٠، ١١). **لأن الله وحده إذن**

هو الأبدى الذى لا نهاية له، لأنه وحده الأزلى الذى لا بداءة له. فهو السرمدى والسرمد الذى وحده يجمع بين الأزلية والأبدية معا.

جاء فى الكتاب المقدس قوله :

«من الأزل إلى الأبد أنت الله» (مزمور ٨٩ : ٢).

«مبارك الرب إله إسرائيل، من الأزل إلى الأبد» (١ . أخبار الأيام ١٦ : ٣٦) ، (٢٩ : ١٠) ، (نحميا ٩ : ٥) ، (مزمور ٤٠ : ١٢) ، (١٠٥ : ٤٨) ، (إرميا ٧ : ٧) ، (٢٥ : ٥) ، (دانيال٢ :٢٠) ، (الرؤيا ١٥ : ٧).

* * *

وما أكثر النصوص التى يرد فيها **أن الله أبدى : وحيّ إلى الأبد، وملك إلى الأبد وساكن الأبد، وله المجد إلى الأبد، وأبد الآبدين.**

«أما الرب فهو الإله الحق. هو إله حى، **وملك أبدى**» (ارميا ١٠ : ١٠).

«ويجلس الرب **ملكا إلى الأبد**» (مزمور ٢٨ : ١٠)، (١٠ : ١٦) ، (الخروج ١٥ : ١٨).

«يملك الرب إلى الأبد» (مزمور ١٤٥ : ١٠).

«إنى أنا هو الله، ولا إله معى.. **حىّ أنا إلى الأبد**» (التثنية ٣٢ : ٣٩، ٤٠) ، (دانيال٤ :٣٤). «هو الإله الحىّ **القيوم إلى الأبد**، وملكوته لن يزول» (دانيال ٦ : ٢٦) ، (١٢ :٧).

«**ساكن الأبد**، القدوس اسمه» (إشعياء ٥٧ : ١٥).

«**له المجد إلى الأبد**، إلى أبد الآبدين» (رومية ١١ : ٣٦) ، (١٦ : ٢٧) ، (غلاطية١ :٥)، (١ . تيموثيوس ١ : ١٧) ، (٢ . تيموثيوس ٤ : ١٨) ، (العبرانيين ١٣ : ٢١) ، (١ .بطرس٥ :١١).

انظر (رومية ١ : ٢٥) ، (٢ . كورنثوس ١١ : ٣١)، (مزمور ١٠١ : ٢٤) ، (١٤٤ : ١٣).

يسوع المسيح أبدى

لما كان يسوع المسيح هو الله الظاهر فى الجسد (١ . تيموثيوس ٣ : ١٦) فما يتصف به الله، يتصف به يسوع المسيح.

وكما اتصف يسوع المسيح بالأزلية يتصف أيضا بالأبدية. وهذا هو ما نسبه الأنبياء والرسل إلى المسيح يسوع.

أولاً ـ الأنبياء :

فماذا قال الأنبياء ؟

١ ـ جاء فى سفر المزامير عن المسيح له المجد : «إن عرشك يا الله إلى أبد الدهور» (مزمور ٤٤ : ٦).

أ ـ فسفر المزامير يوجه الخطاب إلى المسيح على أنه هو الله «عرشك **يا الله**»، ويصفه بأنه صاحب العرش ثم بأن عرشه قائم وسيظل قائما إلى «**أبد الدهور**». وإذن **فالمسيح أبدى، وملكوته قائم إلى الأبد**، وهو ما لا ينسب لغير الله، لأن الله وحده هو الأبدى الذى لا نهاية له، وملكوته لن يزول لأنه ثابت إلى دهر الدهور.

ب ـ ولقد وضع العهد الجديد النقط على الحروف بأن أبان أن هذا الذى قاله المزمور قصد به المسيح، ابن الله، صورة الله فى الجسد.

جاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانيين قوله : «وأما عن **الابن**، فيقول : إن عرشك يا الله إلى **أبد الدهور**» (العبرانيين ١ : ٨).

٢ ـ وجاء فى سفر نبوءة إشعياء النبى قوله عن المسيح يسوع : «لأنه يولد لنا ولد، ونعطى إبنا، وتكون الرئاسة على كتفه. ويدعى اسمه عجيبا مشيرا، إلها قديرا، **أبا الأبد**، رئيس السلام. لنمو رئاسته وللسلام **لا نهاية**، على عرش داود وعلى مملكته ليثبتها ويوطدها بالحق والعدل، من الآن وإلى **الأبد**» (إشعياء ٩ : ٦، ٧).

أ ـ فى هذا النص ينبئ النبى عن ميلاد المسيح يسوع له المجد فى الزمان «**يولد لنا ولد، ونعطى إبنا**» لكن هذا الابن أو المولود ليس كسائر الناس. إنه **الملك الرئيس**، «**والرئاسة**

على كتفه، ليست دخيلة أو حادثة. إنها قائمة معه دائما يتميز بها لأنها أصيلة فيه، وصفة ثابتة له، والرئاسة له دائمة **إلى الأبد، إلى ما لا نهاية**. وهو صاحب الاسم «**العجيب**» (سفر القضاة ١٣ : ١٨) ، (التكوين ٣٢ : ٢٩) الاسم الذى **لا ينطق به** (إرميا ٢٠ : ٩) (١) **وهو الإله القدير والقادر على كل شئ**. ثم هو «**أبو الأبد**» أى أصل الأبد وهو ترجمة للنص كما هو فى العبرانية אֲבִי־עַד ABI AD أى (أبو الأبدية) أو (**أصل الأبد**) **وهذا معناه أن المولود المشار إليه وهو المسيح يسوع ليس أبديا فقط بل هو أبو الأبد وأصل الأبد**. وما دام هو أصل الأبد، فهو **كائن إلى أبد الآبدين ودهر الدهور**، أى أنه لا نهاية له، **هو البدء الذى ليس له بداءة، وهو النهاية الذى ليس له نهاية**.

ب ـ وقد أيد العهد الجديد معنى هذه النبوءة على فم الملاك الجليل جبرائيل عندما بشر العذراء القديسة مريم بالحبل المقدس والميلاد الزمنى للسيد المسيح له المجد بقوله : «وها أنت ذى ستحبلين وتلدين ابنا تسمينه يسوع. وسيكون عظيما وابن العلى يدعى، وسيعطيه الرب الإله عرش داود أبيه، **فيملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولن يكون لملكه إنقضاء**» (لوقا١ :٣١ – ٣٣).

فالمولود من العذراء مريم هو (**الملك**) وله حسب الجسد عرش داود. وقد قال عنه المجوس الذين جاءوا من المشرق «أين هو **المولود ملك** اليهود، فإننا رأينا نجمه فى المشرق، وأتينا **لنسجد له**» (متى ٢ : ١، ٢)، على أنه ليس لملكه إنقضاء أو نهاية، **فهو الملك منذ الأزل وإلى الأبد**، «وله على ثوبه وفخذه اسم مكتوب : **ملك الملوك ورب الأرباب**» (الرؤيا١٩ :١٦) ، (١٧ : ١٤) ، (١ . تيموثيوس ٦ : ١٥) ، (متى ٢٥ : ٣١).

٣ ـ وجاء فى سفر نبوءة دانيال النبى عن المسيح له المجد قوله : «ورأيت فى رؤى الليل، فإذا بمثل **ابن إنسان** آتيا على سحب السماء، فبلغ إلى القديم الأيام، وقُرّب إلى أمامه، وأوتى سلطانا ومجدا وملكوتا **لتتعبد له جميع الشعوب والأمم والألسنة وسلطانه سلطان أبدى ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض**» (دانيال ٧ : ١٣، ١٤).

---

(١) اسم (الله) مشتق من الفعل أله، ألها أى تحير أو ما حير العقل، أو ما حار العقل فيه.

وواضح أن هذه النبوءة قيلت عن المسيح يسوع له المجد، فهو الذى قال عن نفسه مرارا إنه **ابن الإنسان** (متى ١٦ : ١٣)، مشيرا إلى الصورة التى اتخذها فى الزمان بتجسده من العذراء مريم، فهو (ابن مريم) حسب الجسد، وإن كان ابن الله فى نفس الوقت من حيث لاهوته. وقد وصفه النبى دانيال بأنه **مثل** ابن إنسان **أو شبه** ابن إنسان، لأنه رآه فى مجد وبهاء ونور ليس للناس منها شئ، لكن الصورة صورة إنسان، لذلك قال «**مثل**» ابن إنسان، وهكذا رآه النبى حزقيال فى رؤياه «وفوق المقبب... شبه عرش كمنظر حجر العقيق الأزرق، وعلى شبه العرش **شبه كمنظر إنسان** عليه من فوق... هذا منظر شبه مجد الرب، ولما رأيته خررت على وجهى...» (حزقيال ١ : ٢٦ – ٢٨).

هذا الذى رآه النبى دانيال فى **مثل ابن إنسان، بتجسده بدأ عهد جديد، فقد عبده من آمنوا به من جميع الشعوب والأمم والألسنة، واتخذوه إلها يعبدونه ويسجدون له، على أن سلطانه مع ذلك سوف لا يتوقف، بل سيمتد ويزداد عبر المكان والزمان، فهو سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض، سلطان دائم لا نهاية له وليس له إنقضاء أو زوال.**

وهذا الذى يقوله النبى دانيال عن المسيح (شبه ابن الإنسان) يصفه **بالأبدية** ويصف سلطانه أنه **سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته بأنه دائم وما لا ينقرض، وما لن ينتهى**، يردده النبى دانيال مرة أخرى بقوله **ملكوته ملكوت أبدى**، «وجميع السلاطين إياه يعبدون ويطيعون» (دانيال ٧ : ٢٧) كما يؤكده ذات النبى فى تفسيره لنبوخذ نصر الملك حلمه مشيرا إلى المسيح ومملكته التى تأسست بتجسده «يقيم إله السماوات **مملكة لن تنقرض أبداً**، وملكها لا يترك لشعب آخر، فتسحق وتفنى جميع تلك الممالك (الأخرى) **وهى تثبت إلى الأبد**. لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين، فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب. الله العظيم قد أعلم الملك ما سيأتى بعد ذلك» (دانيال ٢ : ٤٤، ٤٥). بل لقد وصف الملك داريوس الفارسى إله دانيال بأنه «هو الإله الحى **القيوم إلى الأبد، وملكوته لن يزول، وسلطانه إلى المنتهى**» (دانيال ٦ : ٢٦) انظر أيضا (دانيال ٧ : ١٨)، (حزقيال٣٧:٢٥) ، (ميخا ٤ : ٧) ، (الرؤيا ١١ : ١٥).

وجاء فى رسالة القديس بطرس الثانية قوله : «هكذا ينفتح لكم باب الدخول واسعا إلى **الملكوت الأبدى**، ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح» (٢ . بطرس ١ : ١١).

٤ ـ وجاء عن المسيح له المجد فى رؤيا النبى دانيال التى رآها بعد صوم طويل واعتكاف وصلاة، فقد تجلى له الملاك جبرائيل المبشر، وبشره قائلا : «سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا، وتكفير الإثم، وليؤتى **بالبر الأبدى** واختتام الرؤيا والنبوءة ولمسح قدوس القديسين» (دانيال ٩: ٢٤).

ولقد حدد الملاك جبرائيل بأمر السماء المدة الباقية منذ ذلك الزمن الذى ظهر فيه للنبى دانيال فى الرؤيا حتى مجئ المسيح له المجد بسبعين أسبوع سنين أى ٤٩٠ سنة، وهى بالضبط المدة التى ظهر بعدها المسيح فى الجسد، وقام بعمل الفداء والكفارة. فالمسيح هو **البر الأبدى**، وهو ختم الرؤيا والنبوءة، وهو قدوس القديسين الذى صار هو المسيح.

ومعنى أنه «**البر الأبدى**» أنه **هو البرّ الكامل الذى يبرر الناس من خطاياهم لأنه هو وحده المخلص**، «وليس بأحد غيره الخلاص» (أعمال الرسل ٤ : ١٢).

ومعنى أنه «البرّ الأبدىّ» أنه هو وحده المخلص إلى الأبد ولن يأتى آخر من بعده ليكون به الخلاص. «فما من اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص» (أعمال٤ :١٢) انظر أيضا (دانيال ٤ : ٣، ٣٤).

٥ ـ وجاء فى سفر المزامير عن المسيح له المجد قوله : «أقسم الرب، ولن يندم، أنك أنت الكاهن **للأبد** على طقس ملكى صادق» (مزمور ١٠٩ : ٤).

إن هذا المزمور هو للنبى داود، ولكن لا يمكن أن يكون قول الرب وقسمه موجها إلى النبى داود، فليس يعقل أن داود وهو إنسان فان يبقى كاهناً إلى الأبد.

إنما المزمور هو مناجاة بين الرب (الآب) والرب (الابن)، إذ أنه يبدأ بقوله «قال الرب لربى» (١٠٩ : ١). وقد شرح المسيح له المجد هذا التعبير مبينا أن القائل هو الرب (الآب)، والمقول له هو الرب (الابن). قال الإنجيل «وفيما كان الفريسيون مجتمعين فى الهيكل سألهم يسوع قائلا : ماذا تظنون فى المسيح؟ ابن من هو؟ فقالوا له : ابن داود. قال لهم : فكيف إذن يدعوه داود بالروح القدس ربى قائلا فى سفر المزامير : قال الرب لربى : اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك تحت قدميك؟ فإن كان داود إذن يدعوه ربه فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطيع أحد أن

يجيبه بكلمة. ومنذ ذلك اليوم لم يجرؤ أحد على أن يسأله مرة أخرى، (متى ٢٢ : ٤١ – ٤٦) ، (مرقس ١٢ : ٣٥ – ٣٧) ، (لوقا ٢٠ : ٤١ – ٤٤).

وإذن فالمسيح له المجد هو المقصود فى المزمور «إنك أنت **الكاهن للأبد** على طقس ملكى صادق» مبينا بهذا أن كهنوت المسيح باق **إلى الأبد**، كهنوت دائم وثابت لا يزول وليس له نهاية. **ولا يتصف بالبقاء إلى الأبد وعدم الزوال، واللا نهائية إلا الله الواحد وحده.**

وتأكيدا على هذه الحقيقة يقول الرسول القديس بولس عن كهنوت الرب يسوع المسيح بما يفيد أنه قائم إلى الأبد.

«**وقد صار (يسوع المسيح) رئيس كهنة إلى الأبد** على طقس ملكى صادق» (العبرانيين ٦ : ٢٠).

ويقول بولس الرسول أيضا «لأن ملكى صادق هذا... لا أب له ولا أم ولا نسب، ولا لأيامه بداءة **ولا لحياته نهاية**. وبذلك يشبه **بابن الله ويبقى كاهنا للأبد**» (العبرانيين٧:١-٣).

ثم يقول «لأن أولئك (الكهنة بنى هرون) قد صاروا كهنة من دون قسم. وأما هذا (= يسوع المسيح) فبقسم من الذى قال له : أقسم الرب، ولن يندم، **أنك أنت الكاهن للأبد** على طقس ملكى صادق» (العبرانيين ٧ : ٢١) ... «وأما هذا (يسوع المسيح) فلكونه **يبقى للأبد له كهنوت لا يزول**. فمن ثم يقدر أن يخلص **على الدوام** الذين يتقربون به إلى الله خلاصا تاما، إذ هو حى **كل حين** ليشفع لهم» (العبرانيين ٧ : ٢٤، ٢٥).

انظر أيضا (العبرانيين ٥ : ٦، ١٠) ، (٧ : ١٧) حيث يستشهد بنفس عبارة المزمور، وأنها قيلت عن المسيح أنه «**الكاهن للأبد** على طقس ملكى صادق». ثم انظر (العبرانيين ١٠ : ١٤).

ومعنى أن **المسيح هو الكاهن إلى الأبد، وأن كهنوته باق للأبد**، وأنه من ثم يقدر أن **يخلص على الدوام** الذين يتقربون به أى بكهنوته وشفاعته الكفارية، وأن **هذه الشفاعة الكفارية هى قائمة كل حين أى دائمة إلى الأبد**... معنى كل هذا أن المسيح أبدى، وليس له نهاية.

ثانياً ـ الرسل :

٦ ـ وينسب الرسول القديس بولس إلى يسوع المسيح بأن له **العزة الأبدية**. والعزة هى السيادة والقدرة والسلطان. فإذا كان للمسيح له المجد العزة الأبدية فهو **الأبدى** الذى له وحده **الدوام إلى الأبد**. وهو ما لا يتصف به إلا الله وحده.

يقول الرسول بولس فى رسالته إلى تيموثيوس الرسول : «وأوصيك أمام الله الذى يحيى كل شئ وأمام المسيح يسوع.. أن تحفظ الوصية وأنت بلا عيب ولا لوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح الذى سيظهره فى أوقاته المبارك القدير وحده، ملك الملوك ورب الأرباب، له وحده الخلود، ومسكنه نور لا يقترب منه، وهو الذى لم يره أحد من الناس، ولا يستطيع أن يراه، الذى له **الإكرام والعزة الأبدية**» (١ . تيموثيوس ٦ : ١٣ – ١٦).

ويقول الرسول بولس عن المسيح له المجد «المسيح... الكائن على الكل **إلها مباركا إلى الأبد، آمين**» (رومية ٩ : ٥).

٧ ـ كما ينسب إليه العزة الأبدية كذلك ينسب الرسول بولس إلى يسوع المسيح «المجد إلى أبد الآبدين».

يقول «يسوع المسيح الذى **له المجد إلى أبد الآبدين**» (العبرانيين ١٣ : ٢١).

«**يسوع المسيح الذى له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين**» (١ . بطرس ٤ : ١١).

«إنموا فى النعمة وفى معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، **له المجد الآن وإلى الأبد**» (٢ .بطرس ٣ : ١٨).

«الإله الحكيم الوحيد مخلصنا **له المجد والعظمة والقدرة والسلطان الآن وإلى كل الدهور**. آمين» (يهوذا : ٢٥).

يسوع المسيح... البكر من بين الأموات، ورئيس ملوك الأرض، الذى أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه، وجعلنا ملوكا وكهنة لله أبيه، له **المجد والسلطان إلى أبد الآبدين**، آمين». (الرؤيا١ : ٥، ٦).

انظر (رومية ١٦ : ٢٧) ، (١ . تيموثيوس ١ : ١٧) ، (٢ . تيموثيوس ٤ : ١٨) ، (١ . بطرس ٥ : ١١) ، (الرؤيا ٤ : ١٠، ١١) ، (٥ : ١٢، ١٣، ١٤) ، (٧ : ١٢).

٨ ـ الرسل ينسبون إلى المسيح له المجد، أنه هو الحياة، والحياة الأبدية.

فإذا كان المسيح هو ذاته **الحياة الأبدية، فهو أبدى** ـ ثم إنه يمنح من قبله **الحياة الأبدية**. ولا يمنح الحياة الأبدية، **إلا من كان هو ذاته الحياة والحياة الأبدية.**

جاء فى رسالة القديس يوحنا الأولى «ذاك الذى كان منذ البدء، ذاك الذى سمعناه، ذاك الذى رأيناه بعيوننا، ذاك الذى تأملناه ولمسته أيدينا، من جهة كلمة الحياة. فإن الحياة تجلت، وقد رأيناها ونشهد لها، ونخبركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب وتجلت لنا» (١ . يوحنا ١ : ١، ٢).

فالمسيح إذن هو الحياة، والحياة الأبدية، وبالتالى فهو مالك الأبد والأبدية، لأنه الحياة والحياة الأبدية.

وجاء فى نفس الرسالة «إن اللـه أعطانا **الحياة الأبدية، وإن هذه الحياة هى فى ابنه**. من يكون له الابن **فله الحياة**. ومن لا يكون له ابن الله، فلا تكون له **الحياة**» (١ . يوحنا ٥: ١١، ١٢).

وإذن فالحياة الأبدية الممنوحة للمؤمنين هى من المسيح لأنه هو الحياة والحياة الأبدية. ولذلك فإن من كان له ابن الله كانت له الحياة الأبدية، ومن لم يكن له ابن الله لم تكن له الحياة الأبدية، لأنها مرتبطة به من حيث هو أصلها ومانحها.

ويقول الرسول يوحنا فى رسالته تلك «ونحن فى الحق، فى ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق، **والحياة الأبدية**» (١ . يوحنا ٥ : ٢٠).

وجاء فى رسالة القديس يهوذا الرسول : «واحفظوا أنفسكم فى محبة الله منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح **للحياة الأبدية**» (يهوذا : ٢١).

٩ ـ وينسب الرسول بولس إلى المسيح يسوع أنه باق إلى الأبد، وأنه كما هو كائن فى الماضى، هو كائن فى الحاضر، وهو كائن فى المستقبل. أى أنه الأزلى الأبدى، الحى فى غير زمان، أى الحى فى كل زمان.

يقول «**يسوع المسيح هو هو بالأمس، واليوم وإلى الأبد**» (العبرانيين ١٣ : ٨).

ثم يستشهد الرسول بولس بالمزمور (١٠١ : ٢٥ – ٢٧) للتدليل على أن **المسيح أبدى لا يزول ولا يفنى، وأنه باق ودائم إلى الأبد.**

«وأما عن **الابن : إن عرشك يا الله إلى أبد الدهور.. وأنت يارب** أسست الأرض فى البدء، والسماوات هى صنع يديك، هى تزول **وأنت تبقى**، وكلها كالثوب تبلى. وتطويها كالرداء فتتغير، **وأنت أنت وسنوك لن تفنى**» (العبرانيين ١ : ٨ – ١١).

انظر أيضا (مزمور ١٠١ : ١٢) ، (٨٨ : ٣٦) ، (٢. كورنثوس ٩ : ٩) ، (يوحنا ١٢ : ٣٤).

١٠ ـ وجاء فى سفر الرؤيا للقديس يوحنا اللاهوتى والرائى : «أنا يوحنا... صرت فى الروح فى يوم الرب، فسمعت خلفى صوتا عظيما كصوت البوق، قائلا : أنا **الألف والياء، الأول والآخر**... فالتفت لأنظر إلى الصوت الذى يخاطبنى. ولما التفت رأيت سبع منائر من ذهب. وفى وسط المنائر السبع شبه ابن إنسان متسربلا بثوب إلى القدمين، ومتمنطقا عند ثدييه بمنطقة من ذهب. وأما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض، كالثلج، وعيناه كلهيب نار، ورجلاه كأنهما من نحاس خالص.. وصوته كصوت مياه غزيرة، وكان فى يده اليمنى سبعة كواكب، ومن فيه يخرج سيف ماض ذو حدين، ووجهه يضئ كالشمس وهى فى قوتها. فلما رأيته سقطت عند قدميه وصرت كالميت، فوضع يده اليمنى على قائلا لى : لا تخف، **أنا الأول والآخر، أنا الحى وكنت ميتا، وها أنا حىّ إلى أبد الدهور...**» (الرؤيا ١ : ٩ – ١٨).

وفى هذا النص الإلهى يتضح أن الذى رآه القديس يوحنا فى الرؤيا **هو المسيح يسوع**، لأنه رآه فى صورة جسدية، ويقول إنه «**شبه ابن إنسان**» وهو الوصف المألوف عند النبى دانيال (دانيال ٧ : ١٣) والنبى حزقيال (حزقيال ١ : ٢٧) والنبى إشعياء (إشعياء ٦ : ١ – ٨) لأنه فى صورة الإنسان، ولكن البهاء منه ومن حوله عظيم بحيث لم يكن فى مقدور القديس يوحنا أن يتأمله لأن «وجهه يضئ كالشمس وهى فى قوتها» (١ : ١٦). ثم إن الرائى يصفه بأن له ثوبا أبيض تسربل به إلى القدمين، ويصف المنطقة من ذهب عند ثدييه، ويصف رأسه وشعره وعينيه ورجليه، ويده اليمنى، وفمه، ووجهه ثم يقول إنه سقط عند قدميه وصار كالميت، فوضع المسيح له المجد يده اليمنى على رأس يوحنا وقال له ما قاله أولا قبل أن ينظره يوحنا بعينيه «**أنا الألف والياء، الأول والآخر**» (١ : ١١) ويضيف المسيح له المجد قائلا : «لا

تخف، أنا الأول والآخر، أنا الحى وكنت ميتا، وها أنا حى إلى أبد الآبدين، (١: ١٧، ١٨).

وإذا كان المسيح وهو فى السماء يقول لعبده يوحنا الرائى : أنا الألف والياء، الأول والآخر، الحى وكنت ميتا، وها أنا حى إلى أبد الدهور ،فهذا معناه أن المسيح كما يشهد عنه يوحنا الرائى وبمقالته من فمه الإلهى المبارك، **هو الأول والآخر**، أى أنه **الأزلى الأبدى** : الأول قبل كل موجود، والآخر بعد كل موجود، ثم إنه أيضا الألف والياء، أى أنه البدء الذى ليس قبله بدء، والنهاية التى ليس بعدها نهاية (الرؤيا ٢٢ : ١٣) فليس قبل الألف فى الحروف الأبجدية شئ، وليس بعد الياء شئ - أى أنه الأزلى الأبدى، ثم إنه وإن كان قد ذاق الموت بالجسد، لكنه حى إلى أبد الدهور، أى أنه الحياة الأبدية نفسها، والدائم الوجود إلى الأبد.

انظر (الرؤيا ١٠ : ٦) ، (٢١ : ٦) ، (٢٢ : ١٣).

١١ - وقد ورد نفس التعبير على يد القديس يوحنا فى الرؤيا عن المسيح : «ها هو آت مع السحاب، وستراه كل عين والذين طعنوه... نعم آمين. **أنا الألف والياء، والبداءة والنهاية**، يقول الرب الإله الكائن والذى كان **والذى سيأتى**، القادر على كل شئ» (الرؤيا ١: ٧، ٨).

وواضح أن الآتى مع السحاب هو المسيح فى مجيئه الثانى.. وكونه الألف والياء، **البداءة والنهاية** - معناه أيضا أنه الأزلى الأبدى (إشعياء ٤١ : ٤) ، (٤٤ : ٦) ، (٤٨ : ١٢) ، ثم **هو الكائن** (الخروج ٣ : ١٤) **فى الحاضر** (إشعياء ٤٣ : ١٣) **والذى كان فى الماضى** (يوحنا ١ : ١)، (يوحنا ٨ : ٥٨) ، (كولوسى ١ : ١٧) **والذى سيأتى أى الدائم إلى الأبد.** (انظر الرؤيا ١ : ٤) ، (٤ : ٨) ، (١١ : ١٧) ، (١٦ : ٥).

١٢ - وجاء فى سفر الرؤيا أيضا قول المسيح له المجد إلى الرائى يوحنا الرسول : «واكتب إلى ملاك الكنيسة التى فى أزمير (سميرنا) : هذا ما يقوله **الأول والآخر**، ذاك الذى مات ثم عاد إلى الحياة» (الرؤيا ٢ : ٨).

١٣ ـ كذلك يصف سفر الرؤيا المسيح له المجد بأنه «**الجالس على العرش والحى إلى أبد الدهور**» (الرؤيا ٤ : ٩، ١٠).

وأما الجالس على العرش فلابد أن يكون هو المسيح، **لأنه لا يجلس على العرش إلا من له جسد، وصورة جسدية.**

١٤ ـ ويقول سفر الرؤيا عن المسيح إن ملكوته يمتد إلى أبد الأبدين «ثم نفخ الملاك السابع فى بوقه، فحدثت أصوات عظيمة فى السماء قائلة : قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه، **فسيملك إلى أبد الدهور**» (الرؤيا ١١ : ١٥).

(انظر دانيال ٢ : ٤٤)، (٧ : ١٤، ١٨، ٢٧).

١٥ ـ ويقول الرسول يوحنا اللاهوتى فى سفر الرؤيا أيضاً : «ونظرت فسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش والحيوانات... وكان عددهم ربوات ربوات وألوف ألوف قائلين بصوت عظيم : مستحق الحمل المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة. وكل خليقة مما فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض ومما فى البحر وكل ما فيها سمعتها قائلة : «**للذى على العرش استوى وللحمل، البركة والإكرام والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين**» (الرؤيا ٥ : ١١ – ١٣).

١٦ ـ ويقول القديس يوحنا الرائى : «وقال الذى على العرش استوى : هاءنذا أجعل كل شئ جديدا... ثم قال لى: قد تم، **أنا الألف والياء، البداءة والنهاية، أنا أعطى العطشان من ينبوع ماء الحياة مجانا**» (الرؤيا ٢١ : ٥ – ٧).

أما الذى على العرش استوى فهو المسيح لأنه لا يجلس على عرش إلا من كان له صورة جسدية. ويقول الرسول يوحنا إنه سمعه يقول : «**أنا الألف والياء، البداءة والنهاية**... أى أنه الأزلى الذى لا بداءة له، الأبدى الذى لا نهاية له. ثم إنه بقوله : أنا أعطى العطشان من ينبوع ماء الحياة مجانا، معناه أنه **واهب الحياة** والحياة الأبدية، (يوحنا٦ :٢٧، ٦٨)، (١٠ : ٢٨)، (يوحنا ١٧ : ٢، ٣)، **لأنه هو الحياة** (يوحنا ١١ : ٢٥)، (١٤ : ٦)، (٦ : ٣٣، ٣٥، ٤٨، ٥٨) **وفيه كانت الحياة** (يوحنا ١ : ٤) **وهو الحياة الأبدية** (١ .يوحنا ١ : ٢)، (٥ : ١١، ١٢، ٢٠).

نسب الأنبياء والرسل إلى يسوع المسيح
له المجد أنه الحى الذى لا يموت،
وأنه أصل الحياة، وباعث الحياة

من هو الحى إلى الأبد إلا الله وحده؟ «حى أنا يقول الرب» (العدد ١٤ : ٢٨)، (إشعياء ٤٩ : ١٨)، (إرميا ٢٢ : ٢٤)، «وأقول حى أنا إلى الأبد» (التثنية ٣٢ : ٤٠) «الإله الحى خالق السماوات والأرض» (دانيال ١٤ : ٤، ٢٤).

بنفس القوة والوضوح نسب الرسل إلى المسيح له المجد، **أنه الحى إلى الأبد**، بل نسبوا إليه **أنه الحياة بذاتها، وأنه رئيس الحياة، أو رأس الحياة، ومبدئ الحياة، وأصل الحياة، والحياة الأبدية.**

قال الرسول القديس يوحنا فى مطلع الإنجيل «فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة هو الله. كان منذ الأزل لدى الله. **كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان. فيه كانت الحياة**، والحياة كانت نور الناس» (يوحنا ١ : ١ - ٤).

ومعنى «فيه كانت الحياة» أن منه الحياة **وأنه أصل الحياة، وباعث الحياة، ومبدئ الحياة، وبدونه لم تكن الحياة، ومعناه أيضا أن فيه وبه تقوم الحياة، ومن غيره فلا حياة ولا وجود.**

ويقول الرسول يوحنا أيضا «فمن يؤمن بالابن له الحياة الأبدية، ومن لا يؤمن بالابن لن يرى الحياة، وإنما يحل عليه غضب الله»، (يوحنا ٣ : ٣٦). وإذن **فالابن هو مانح الحياة الأبدية** لمن يؤمن به (يوحنا ٢٠ : ٣١) وفاقد الشئ لا يعطيه. فلو لم يكن الابن أى المسيح هو الحياة والحياة الأبدية، فكيف يملك الحياة الأبدية ليهبها للمؤمنين به، ويمنعها عن غير المؤمنين؟!.

ويقول الرسول يوحنا أيضا فى رسالته الأولى : وهذه هى الشهادة أن الله أعطانا الحياة الأبدية. **وهذه الحياة هى فى ابنه.** من له الابن فله الحياة، ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة، كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكى تعلموا أن لكم حياة أبدية، ولكى تؤمنوا

باسم ابن الله» (١ . يوحنا ٥ : ١١ – ١٣) . وما دامت الحياة، والحياة الأبدية، هى فى ابن الله، فهو مالكها وهو مانحها، ولذلك فله السلطان أن يمنحها ممن يشاء، وله السلطان أن يمنعها ممن يشاء.

ويقول الرسول نفسه أيضا «بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم **لكى نحيا فيه**» (١ . يوحنا ٤ : ٩) وما دام ابن الله هو حياة الناس، فهو أصل الحياة، وباعث الحياة، وقوام الحياة، وبدونه فلن تكون الحياة، ولن يكون الوجود.

ويقول الرسول القديس يوحنا الحبيب : «ذاك الذى كان منذ البدء، ذاك الذى سمعناه، ذاك الذى رأيناه بعيوننا، ذاك الذى شاهدناه ولمسته أيدينا، من جهة كلمة الحياة. **فإن الحياة تجلت. وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب وتجلت لنا**» (١ . يوحنا ١ : ١ ، ٢) . وهنا قول صريح أن المسيح ابن الله الذى كان منذ البدء لأنه الأزلى، هو الحياة والحياة الأبدية. وهو الذى فى الزمان ظهر وتجلى بالتجسد. كان لدى الآب لأنه أزلى معه ثم شاء أن يظهر ويتجلى فى العالم، بأن اتّخذ له جسدا (يوحنا ١ : ١٤) احتجب فيه. فهو غير المنظور مع الآب الغير المنظور ثم من أجل خلاص الإنسان نزل من السماء، وصار له على الأرض كيان منظور، وأخذ صورة عبد صائرا فى شبه الناس، وتجلى فى هيئة إنسان (فيلبى٢ :٦ ، ٧) .

وقال الرسول بعينه مرة أخرى «نعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق. ونحن فى الحق **فى ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية**» (١ . يوحنا٥ :٢٠) وإذن يسوع المسيح هو الحياة والحياة الأبدية، وهو الإله الحق والحقيقى، فهو إذن ليس حيا فقط، لكنه الحى إلى الأبد، بل هو ذاته الحياة الأبدية، أى أنه كان، ومازال، وسيظل إلى الأبد أصل الحياة، وباعث الحياة، ومنشئ الحياة، ومانح الحياة، ومجدد الحياة، تجديدا دائما، أى أن فيه الحياة منذ الأزل والآن وإلى دهر الدهور وأبد الآبدين. **فالحياة فيه وبه أزلية أبدية وسرمدية**. فليس هو فقط الحى الذى لا يموت، بل هو الحياة الدائمة الثابتة، وحيث هو كائن فلا موت، فهو الضامن والضمان لاستمرار الحياة إلى الأبد، إذ هو الحياة الأبدية، والحياة الأبدية تجد هويتها وأبديتها فيه. إنه هو المسيح ابن الله، وهو الحياة الأبدية عينها، والحياة الأبدية تستمد منه. لذلك فليس لأحد الحياة من دون المسيح. وهنا حكمة التدبير الإلهى فى سر القربان، **فهو خبز الحياة المانح الحياة للناس** (يوحنا ٦ : ٣٣)، هو

الكرمة، والمؤمنون الثابتون أغصان فى الكرمة، ومن الكرمة يمتصون غذاءهم ورحيق الحياة، وبه يحيون، ومن دونه فلا حياة لهم فى أنفسهم، إذ ليس لهم مصدر آخر يستمدون منه حياتهم. **هو إذن شجرة الحياة**، التى من أكل منها يحيا إلى الأبد، ومن لم يأكل يجف لأنه ليس له فى ذاته ومن ذاته حياة. وشجرة الحياة قائمة إلى الأبد، هى حياة المؤمنين المتناولين فى العالم الحاضر وهى حياة المؤمنين فى العالم الآتى، وهى التى تكفل لهم الحياة الأبدية بشرط أن يثبتوا فيها، ويتناولوا منها، لكى يستمدوا منها الحياة فى الدارين.

شجرة الحياة كانت مع آدم فى الجنة، ولم يأكل منها، لأنه لم يكن مستحقا لها. ولو نجح آدم فى امتناعه عن الشجرة التى نهاه الله عنها، لكان قد استحق أن يأكل من شجرة الحياة، فيحيا إلى الأبد. لكن آدم أكل من الثمرة المنهى عنها، فحرم من شجرة الحياة. وبسبب سقوطه أقام الله الكروبيم حارسا على شجرة الحياة، ويصحبه لهيب سيف متقلب ليمنع آدم (وحواء) من أن يقترب ويمد يده إلى شجرة الحياة.

فلما تم الخلاص، انفتح الطريق أمام الإنسان ليصل إلى شجرة الحياة، ليأكل منها الإنسان ويحيا إلى الأبد، بشرط أن يكون مستحقا وإلا أخذ دينونة لنفسه واستحق أن يضربه الكاروبيم الواقف لأنه تجاسر واقتحم إلى القدوس وهو نجس وغير طاهر. ولذلك جاء فى القداس الإلهى قبيل التقرب من القربان «الأقداس للقديسين» وجاء فيه «ها قد كشفت الأسرار، فمن كان طاهرا فليدن من الأسرار المقدسة، ومن كان غير طاهر فلا يدن منها، لئلا يحترق بنار اللاهوت».

وجاء فى سفر أعمال الرسل قول القديس بطرس الرسول لليهود عن المسيح له المجد «أنتم أنكرتم القدوس البار... **ورئيس الحياة** قتلتموه» (أعمال ٣ : ١٥). فالمسيح إذن رئيس الحياة. ورئيس الحياة هو أصل الحياة، ومنشئ الحياة، ومبدئ الحياة. وهذا تعبير بالغ الأهمية والدقة فى أن المسيح ليس حياً فقط، وليس هو الحى إلى الأبد فحسب، لكنه **هو مبدئ الحياة، وأصل الحياة، ورأس الحياة الذى منه تبدأ الحياة، وتستمد الحياة. «لأن منه وبه وله كل الأشياء»**، له المجد إلى الأبد» (رومية ١١ : ٣٦) ، «وبه الكل» (العبرانيين ٢ : ١٠).

انظر (يوحنا ٣ : ١٥، ١٦) ، (٥ : ٢٦) ، (١ : ١٢) ، (٢٠ : ٣١).

الأنبياء قبل المسيح ورسل المسيح ينسبون إلى المسيح أنه المخلّص غافر الخطايا

إن الذى يملك أن يغفر الخطايا هو الله الواحد وحده. فإن الخطيئة أو المعصية هى فعل إساءة وإهانة وتعدٍ موجه إلى الذات الإلهية. فمن هو الذى يملك أن يغفر الخطيئة أو المعصية الموجهة قصداً وعمداً أو حتى لو كانت بغير قصد أو عمد لإهانة الله، **إلا الله وحده صاحب الحق وحده فى الغفران؟**

إنها حقيقة بديهية وواضحة ومعروفة ومقررة عند الناس جميعاً، وقد جأر بها اليهود صراحة للمسيح يسوع عندما سمعوه يقول للمفلوج (**يا بُنى مغفورة لك خطاياك**) فأنكروا على يسوع المسيح سلطانه على غفران الخطايا، لأنهم لم يعرفوه على حقيقته، وظنّوه مجرد إنسان، فقالوا: (ما باله يجدّف هكذا؟ **فمن يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله الواحد وحده؟**) (مرقس ٢: ٥ - ٧)، (متى ٩: ٤)، (لوقا ٧: ٤٩).

انظر أيضاً (إرميا ٣١: ٣٤)، (ميخا ٧: ١٨)، (إشعياء ٤٣: ٢٥).

على أن الأنبياء والرسل، نسبوا إلى السيد المسيح له المجد أنه **المخلّص وغافر الخطايا:**

جاء فى سفر أعمال الرسل قول القديس بطرس الرسول، أمام رئيس كهنة اليهود ومجمع السنهدريم:

(إن إله آبائنا أقام يسوع الذى علّقتموه أنتم على خشبة وقتلتموه فهو الذى رفعه الله بيمينه رئيساً ومخلّصاً ليمنح إسرائيل التوبة وغفران الخطايا) (أعمال الرسل ٥: ٣٠، ٣١).

نعم إن الرسول القديس بطرس يعلن أمام مجمع السنهدريم، أعلى سلطة دينية عند اليهود برئاسة الحبر الأعظم رئيس الكهنة، أنّ يسوع المسيح الذى صلبه قادة اليهود وقتلوه حسداً وغدراً ليتخلصوا منه، هو المخلّص الموعود به على أفواه جميع الأنبياء فى القديم، فهو نسل المرأة الذى وحده يسحق رأس الحية (التكوين ٣: ١٥)، (رومية ١٦: ٢٠)، (العبرانيين ٢: ١٤)، والذى به تتبارك جميع قبائل الأرض (التكوين ١٢: ٣)، (١٨: ١٨)، (٢٢: ١٨)، (٢٦: ٤)، (مزمور ٧١: ١٧)، (إرميا ٤: ٢)، (أعمال ٣: ٢٥)، (غلاطية ٣: ٨). **فهو الفادى والمخلّص وهو**

الذى منح الغفران للذين كانوا ينتظرونه بالإيمان (العبرانيين ١١: ١٣)، فهو بصلبه وموته عنهم قد افتداهم، فاقتناهم لنفسه إذ اشتراهم بدمه ومنحهم الغفران والخلاص. ولن يقتصر خلاصه على الذين آمنوا به فى الماضى، بل أن خلاصه ممتد دائماً إلى جميع المؤمنين به المنضوين تحت لوائه، الراجين خلاصه والطالبين رحمته باتضاع قلوبهم.

وهنا تتجلى حكمة الله وجودته إذ أنه حوّل شر قادة اليهود إلى خير عام لجميع المؤمنين الساعين للخلاص. لقد صبّ زعماء اليهود شرّهم على من جاء لخلاصهم، فصلبوه، فحققوا بشرّهم خيراً لم يكن فى حسبانهم.. فصار المصلوب ظلماً، **هو المخلص الواحد والوحيد** الذى انتظرته الأجيال وترقّبه القديسون الذين طلبوا ظهوره لخلاصهم (لخلاصك انتظرت يا رب) (التكوين ٤٩: ١٨)، (مزمور ١١٨: ١٦٦، ١٧٤). فبينما قصد زعماء اليهود، لشرهم وغدرهم وحسدهم، إذلال يسوع المسيح وكسره وإبادته وإزالته من طريقهم ليصفو لهم الجو، إذ بهذا الذى ظلموه وأذلّوه قد ارتفع وتمجّد بالخلاص الذى أنجزه بموته، وصار هو المخلّص وحده، وبالتالى أصبح هو (**الرئيس**) **على جميع المخلصين** بدمه لأنه هو الذى خلّصهم، فهو **رئيس خلاصهم**) (العبرانيين ٢: ١٠) (**ورئيس الإيمان ومكمّله**) (العبرانيين ١٢: ٢) (٥: ٩)، (**ورئيس الحياة**) (أعمال الرسل ٣: ١٥)، (١. يوحنا ٥: ١١)، (يوحنا ١: ٤)، (إشعياء ٥٥: ٤)، (إرميا ٣٠: ٩)، (حزقيال ٣٤: ٢٣، ٢٤)، (٣٧: ٢٢، ٢٤، ٢٥). (إشعياء ٤٠: ١٠، ١١)، (هوشع ٣: ٥)، (لوقا ١: ٣٢، ٣٣، ٦٩)، (أعمال الرسل ٢: ٣٠)، (١٣: ٢٣)، (العبرانيين ١٣: ٢٠)، (١. بطرس ٢: ٢٥)، (٥: ٤).

أما أن الله هو المخلص فهو ما تنبئ به صراحة أسفار الأنبياء:

جاء فى سفر المزامير:

(رنّموا للرب ترنيمة جديدة، لأنه صنع عجائب، **خلّصته يمينه** وذراع قدسه. أعلن الرب خلاصه. لعيون الأمم كشف برّه، ذكر رحمته وأمانته لبيت إسرائيل. رأت كل أقاصى الأرض خلاص إلهنا) (مزمور ٩٧: ١ – ٣)، (الخروج ١٥: ٦).

وجاء فى سفر إشعياء:

(فرأى أنه ليس إنسان، وتحيّر من أنه ليس شفيع، **فخلّصت ذراعه لنفسه**) (إشعياء ٥٩: ١٦).

(هوذا الربّ قد أخبر إلى أقصى الأرض. قولوا لإبنة صهيون: هوذا **مخلّصك** آتٍ.. من ذا الآتى من أدوم بثياب حمر من بصرة، هذا البهىّ بملابسه المتعظم بكثرة قوته. أنا المتكلم **بالبرّ العظيم للخلاص**. ما بال لباسك محمر وثيابك كدائس المعصرة. قد دست المعصرة وحدى، ومن الشعوب لم يكن معى أحد.. فَرُشّ عصيرهم على ثيابى، فلطخت كلّ ملابسى.. فنظرت ولم يكن معين، وتحيّرت إذ لم يكن عاضد، **فخلّصت لى ذراعى**) (إشعياء ٦٢: ١١، ١٢)، (٦٣: ١ – ٥).

(قد شمّر الرب عن ذراع قدسه أمام عيون كل الأمم، فترى كل أطراف الأرض **خلاص إلهنا**) (إشعياء ٥٢: ١٠).

فالمخلص والغافر للخطايا هو الله وحده، ولكن الذى خلص الآثمين وغفر خطايا المذنبين هو المسيح يسوع، لأنه ليس المخلّص غيره. هكذا يؤكد القديس بطرس فى خطاب آخر إلى رئيس كهنة اليهود ومجمعهم الدينى الكبير قائلاً:

(... يسوع المسيح الناصرى الذى صلبتموه أنتم والذى أقامه الله من بين الأموات.. هذا هو الحجر الذى رفضتموه أنتم أيها البناءون فصار رأس الزاوية. وليس بأحد غيره الخلاص، وما من اسم آخر تحت السماء مُنح للناس به ينبغى أن يخلصوا) (أعمال الرسل ٤: ١٠ – ١٢).

وقال أيضاً القديس بطرس الرسول فى خطاب له إلى كورنيليوس قائد المائة وأهله وأقربائه وأنسبائه وأصدقائه: (يسوع الناصرى.. الذى قتلوه معلّقين إياه على خشبة. هذا أقامه الله فى اليوم الثالث.. وقد أوصانا أن نكرز للشعب ونشهد بأنه هو الذى عيّنه الله ديّاناً للأحياء والأموات. وله يشهد جميع الأنبياء بأن كل من يؤمن به **ينال باسمه غفران خطاياه**) (أعمال الرسل ١٠: ٣٨ – ٤٣).

ولابدّ أن الرسول بطرس يشير فى خطابه عن شهادة الأنبياء السابقين، إلى ما قاله الوحى بفم النبى إشعياء عن يسوع المسيح الفادى والمخلّص الذى وهو الله، ظهر فى الهيئة كإنسان: (لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمّلها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً. **وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا**، تأديب سلامنا عليه، **وبحبره شفينا**. كلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه. **والرب وضع عليه إثم جميعنا**. ظُلم، أما هو فتذلل، ولم يفتح فاه، كشاة تُساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها. فلم يفتح فاه.. **إنه ضرب من أجل ذنب شعبى**.. على أنه لم يعمل ظلماً، ولم يكن فى فمه غش.. أمّا الرب فسرّ بأن

يسحقه بالحزن أن **جعل نفسه ذبيحة إثم**.. ومسرّة الرب بيده تنجح ... البار بمعرفته يبرر كثيرين، **وآثامهم هو يحملها**.. **سكب للموت نفسه، وأحصى مع أثمة، وهو حمل خطيئة كثيرين، وشفع فى المذنبين**) (إشعياء٥٣: ٤ – ١٢).

(قليل أن تكون لى عبداً لإقامة أسباط يعقوب، ورد محظوظى إسرائيل. فقد جعلتك نوراً للأمم **لتكون خلاصى إلى أقصى الأرض**. هكذا قال الرب فادى إسرائيل قدوسه للمهان النفس المكروه الأمة لعبد المتسلطين...) (إشعياء ٤٩: ٦، ٧).

وما قاله الوحى الإلهى على يد النبى دانيال الذى أنبأه الملاك جبرائيل عن التجسد الإلهى فى المسيح يسوع والخلاص الذى سيتممه بصلبه وموته: (سبعون أسبوعاً قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا **ولكفارة الإثم وليؤتى بالبر الأبدى ولختم الرؤيا والنبوة**، ولمسح قدوس القدوسين. فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى **المسيح الرئيس** سبعة أسابيع وإثنان وستون أسبوعاً يعود ويبنى سوق وخليج.. وبعد إثنين وستين أسبوعاً **يقطع المسيح**). (دانيال ٩: ٢٤ – ٢٦).

وجاء فى سفر إرميا قول الله تعالى: «ها أيام تأتى يقول الرّب، وأقيم لداود غصن بر، فيملك ملك وينجح ويجرى حقاً وعدلاً فى الأرض. **فى أيامه يخلص يهوذا** ويسكن إسرائيل آمناً. وهذا هو اسمه الذى يدعونه به: الرب برّنا» (إرميا ٢٣: ٥، ٦). انظر أيضاً (زكريا ١٣: ١)، (ملاخى ٤: ٢).

ويقول القديس بولس الرسول: (من نسل داود حسب الوعد، جاء الله **بيسوع مخلّصاً لإسرائيل**.. فليكن معلوماً عندكم، أيها الرجال الإخوة، إنه بيسوع بُشرتم **بغفران خطاياكم**، وبه يتبرر كل من يؤمن به، من كل ما لم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى، (أعمال الرسل ١٣: ٢٣، ٣٨، ٣٩).

وجاء فى سفر الأعمال على لسان القديس بولس الرسول قول السيد المسيح له عندما ظهر له فى الطريق إلى دمشق: (قم وقف على قدميك، فإنى لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادماً لى وشاهداً بما رأيت وبما سأتراءى لك فيه، سأنقذك من شعب اليهود ومن الأمم غير اليهودية التى سأرسلك أنا إليهم، لتفتح عيونهم فيرجعوا من الظلام إلى النور، ومن سلطان الشيطان إلى الله، حتى ينالوا بالإيمان بى **غفران خطاياهم** وميراثاً مع المقدّسين) (أعمال الرسل ٢٦: ١٦ – ١٨)، (الأعمال ١٣: ٤٦، ٤٧)، (٢٠: ٢٨)، (٢٦: ٢٢، ٢٣).

لذلك رأى القديس اسطفانوس رئيس الشمامسة وأول الشهداء، أن يسأل المسيح له المجد الغفران للذين يرجمونه، فقد رأى السماء مفتوحة والرب يسوع على العرش السماوى، «فجثا على ركبتيه، وصرخ بصوت عظيم: **يا ربُّ، لا تحسب عليهم هذه الخطيئة**» (أعمال الرسل ٧: ٥٩، ٦٠) وذلك إيماناً منه بأنه المسيح له المجد هو **المخلص، وهو الغافر للخطايا**.

ويقول الرسول بولس فى رسالته إلى أهل روما (رومية) : «لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من بين الأموات، خلصت، لأن القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص» (رومية ١٠: ٩، ١٠) «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل **الصفح عن الخطايا السالفة**» (رومية ٣: ٢٤، ٢٥).

ويقول القديس بولس أيضاً فى رسالته إلى أفسس: «يسوع المسيح.. الذى فيه لنا الفداء بدمه **غفران الخطايا**» (أفسس ١: ٥ – ٧) «ونحن أموات بالخطايا، أحيانا مع المسيح. بالنعمة أنتم **مخلّصون** وأقامنا معه، وأجلسنا معه فى السماويات فى المسيح يسوع، ليظهر فى الدهور الآتية غنى نعمته باللطف علينا فى المسيح يسوع، لأنكم بالنعمة **مخلّصون بالإيمان**، وذلك ليس منكم هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد» (أفسس ٢: ٥ – ٩).

ويقول الرسول بولس فى رسالته إلى كولوسى: «الذى أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته. الذى لنا فيه الفداء **بدمه غفران الخطايا**» (كولوسى ١: ١٣، ١٤).

ويقول أيضاً فى رسالته الأولى إلى تيموثيوس: «صادقة هى الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم **ليخلّص الخطاة**» (١. تيموثيوس ١: ١٥، ١) (لأن هذا حسن ومقبول لدى **مخلّصنا الله، الذى يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون، لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع**» (١. تيموثيوس ٢: ٣ – ٦).

ويقول الرسول القديس بولس فى رسالته إلى العبرانيين: «الله بعد ما كلّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلّمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه.. الذى وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، بعد ما صنع بنفسه **تطهيراً لخطايانا جلس عن يمين العظمة فى الأعالى**» (العبرانيين ١: ١ – ٤) «وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً.. ولا ليقدّم نفسه مراراً كثيرة كما

يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة بدم آخر.. ولكنه الآن قد أظهر مرة عند إنقضاء الدهور ليبطل الخطيئة بذبيحة نفسه..» (العبرانيين ٩: ١٢ – ٢٦).

انظر أيضاً واقرأ (١. كورنثوس ٦: ١١)، (٢. تيموثيئوس ١: ٩)، (تيطس ٣: ٤ – ٦).

ويقول القديس بطرس الرسول فى رسالته الأولى: «عالمين أنكم **افتديتم** لا بأشياء تفنى، بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التى تقلّدتموها من الآباء، **بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس**، دم المسيح» (١. بطرس ١: ١٨، ١٩) «**الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة، لكى نموت عن الخطايا فنحيا للبرّ، الذى بجلدته شفيتم**» (١. بطرس ٢: ٢٤).

ويقول القديس يوحنا الرسول فى رسالته الأولى:

«ودم يسوع المسيح ابنه **يُطهرنا من كل خطيئة**.. وإن أخطأ أحد **فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار، وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً**.. وتعلمون أن ذلك أظهر **لكى يرفع خطايانا**، وليس فيه خطيئة» (١. يوحنا ١: ٧)، (٢: ١، ٢). (٣: ٥).

ويقول أيضاً فى سفر الرؤيا:

«يسوع المسيح .. البكر من بين الأموات، ورئيس ملوك الأرض، الذى أحبنا **وقد غسلنا من خطايانا بدمه**.. له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين» (الرؤيا ١: ٥، ٦).

نعم إنّ الأنبياء فى القديم ورسل المسيح فى العهد الجديد نسبوا إلى يسوع المسيح له المجد أنه المخلّص **وأنه الذى يغفر الخطايا. لقد غفر خطايا الناس بالفداء الذى أتمه، وما زال فى الحاضر. وكل غفران فى المستقبل يتم به أيضاً، فإنه وحده المخلص**، ولذلك فإنه يحمل اسمه الذى يشير إلى أنه المخلص والفادى. قال الملاك ليوسف النجار عن العذراء مريم «وستلد ابناً **وتسمّيه يسوع، لأنه هو الذى يخلّص شعبه من خطاياهم**» (متى ١: ٢١). وقال عنه الملاك فى ليلة ميلاده للرعاة «ولد لكم اليوم فى مدينة داود **مخلص هو المسيح الرب**» (لوقا ٢: ١١). وقال عنه سمعان الشيخ حينما حمله طفلاً على ذراعيه «فإن عينىّ قد أبصرتا **خلاصك** الذى أعددته أمام جميع الشعوب» (لوقا ٢: ٣٠)، (لوقا ١: ٧٧)، (٣: ٦).

* * *

على أنه يجب هنا أن نوضح أن الآباء الرسل عندما استخدموا فى تعليمهم عن المسيح له المجد عبارات من أمثال: «إن إله آبائنا **أقام يسوع** .. فهو الذى **رفعه الله** بيمنه...» (الأعمال ٥: ٣٠، ٣١) أو (يسوع المسيح الناصرى.. الذى **أقامه الله** من بين الأموات» (الأعمال ٤: ١٠) أو «يسوع الناصرى.. هذا **أقامه الله** فى اليوم الثالث..» (الأعمال ١٠: ٣٨) أو «من نسل داود حسب الموعد، **جاء الله بيسوع** مخلصاً لإسرائيل ..» (الأعمال ١٣: ٢٣) أو (إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك **أن الله أقامه** من بين الأموات..» (رومية ١٠: ٩، ١٠) أو «يسوع المسيح الذى **قدّمه الله** كفارة ..» (رومية ٣: ٢٤، ٢٥) وما إلى ذلك من تعبيرات يظهر فيها أنّ الله «أقام» يسوع المسيح، مما قد يشكك فى لاهوت المسيح، وحقيقة أنه هو ذاته الله ومتجسداً، وأنه ابن الله، بمعنى أنه هو الله وقد تجلّى فى المسيح ... نقول إنّ تلك التعبيرات التى يبدو فيها أن الله أقام يسوع المسيح، قيلت لليهود الذين كان يسوع المسيح بالنسبة لهم إنساناً، مجرد إنسان. فحتى لا يبدو يسوع المسيح لهم دعِياً كان لابد أن يقدّم لهم بوصفه مؤيداً من الآب السماوى المعروف عند اليهود أنه الله ساكن السموات... ومن المنطقى والمألوف أن يُعرّف المجهول بالمعروف. فالمسيح، لأنه جاء مستتراً فى الإنسانية، فهو فى حقيقته مجهول، فلابد أن يُعرّف بنسبته إلى المعروف وهو الآب السماوى، حتى لا يظن الناس فيه أنه داعية كاذب أو أنه مبتدع أو عدواً الله.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن يسوع المسيح يجمع فعلاً بين كونه إلهاً وبين كونه إنساناً. أمّا لاهوته فغير ظاهر للناس، أمّا ناسوته (أو إنسانيته) فظاهر.. فبصفته إنساناً وُلد وصُلب ومات، وعندما قام من بين الأموات، **لم يقم بقدرة ناسوته، وإنما قام بسلطان لاهوته.. هذا اللاهوت هو الذى أقام ناسوته من بين الأموات. وهذا اللاهوت هو اللاهوت المتحد به، وليس غريباً عنه، وهو بعينه لاهوت الآب السماوى.** وفى هذا قال المسيح له المجد عن الآب السماوى (وأنتم لا تعرفونه.. أمّا أنا فأعرفه **لأنى منه**» (يوحنا ٧: ٢٨، ٢٩) و قال «لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً. ومنذ الآن **تعرفونه، وقد رأيتموه**» (يوحنا ١٤: ٧) وقال «**من رآنى فقد رأى الآب**» (يوحنا ١٤: ٩) وقال «**الآب الكائن فىّ** هو الذى يعمل أعماله» (يوحنا ١٤: ١٠) وقال «صدقونى **أنّى فى أبى وأنّ أبى فىّ**» (يوحنا ١٣: ١٠، ١١).

الآباء الرسل ينسبون إلى السيد المسيح له المجد أنه الفاحص القلوب والأفكار، وأنه العليم بما فى ذات الصدور

واحد هو الله، **وهو وحده وليس غيره العالم بكل شئ، الفاحص القلوب، والعليم بالضمائر والنوايا، والمقاصد، والذى يكشف خبايا النفوس.**

«لأن الرب يفحص جميع القلوب، ويفهم كل تصورات الأفكار» (١ . أخبار الأيام ٢٨ : ٩).

«إن حكمة الرب عظيمة. هو شديد القدرة، **ويرى كل شئ. وعيناه إلى الذين يتقونه، ويعلم كل أعمال الإنسان**» (يشوع بن سيراخ ١٥ : ١٩، ٢٠) «**فإن فاحص القلوب والكلى، الله البار**» (مزمور ٧ : ٩)، (الأمثال ١٧ : ٣)، (إرميا ١١ : ٢٠)، (١٧ : ١٠)، (٢٠ : ١٢)، (أعمال الرسل ١ : ٢٤)، (١٥ : ٨)، (١ . أخبار الأيام ٢٩ : ١٧)، (رومية ٨ : ٢٧).

«هو عالم بكل شئ» (يشوع بن سيراخ ٢٣ : ٢٩)، (نبوءة باروخ ٣ : ٣٢)، (استير ١٤ : ١٤).

«لكن فى السماء **إلهاً يكشف الأسرار**» (دانيال ٢ : ٢٨، ٢٩، ٤٧)، «**الإله الأزلى البصير بالخفايا، العالم بكل شئ**» (دانيال ١٣ : ٤٢، ٤٣).

«**لأنه هو يعلم خفايا القلب**» (مزمور ٤٣ : ٢١).

«يا رب قد فحصتنى وعرفتنى. أنت عرفتَ جلوسى وقيامى. فهمتَ فكرى من بعيد. مسلكى ومربضى ذرّيت وكل طرقى عرفتَ. قبل أن يكون كلامى على لسانى أنت يا رب **عالم به كله**. من وراء ومن قدام حاصرتنى وجعلت علىّ يدك. علم عجيب فوق طاقتى، أرفع من أن أدركه.. وإن قلتُ إن الظلمة تغشانى كان الليل حولى نوراً. لديك لا تظلم الظلمة والليل يضئ كالنهار. سيّان عندك الظلام والضوء. أنت الذى جبل كليتىّ ونسجتنى فى جوف أمى.. لم تخف ذاتى عليك..» (مزمور ١٣٨ : ١ - ١٥).

«**فما من خليقة تخفى عليه، بل كل شئ عار ومكشوف لعينى ذاك الذى يجب علينا أن نؤدى له الحساب**» (العبرانيين ٤ : ١٣).

«لأن عينيه على طرق الإنسان، **وهو يرى كل خطواته**» (أيوب ٣٤ : ٢١).

انظر واقـرأ (التكوين ٣: ٥)، (الخـروج ٤: ١٥)، (أيوب ١١: ١١)، (١٢: ٢٢)، (٢٨: ٣، ٢٣)، (١. صـموئيل ١٦: ٧)، (١. الملوك ٨: ٣٩)، (مزمـور ١: ٦)، (١٠: ٤)، (٣٢: ١٣)، (٤٩: ١١)، (١٤٦: ٥)، (الأمـثـال٣: ٢٠)، (١٥: ١١)، (٢٤: ١٢)، (إشـعـيـاء ٤٠: ٢٨)، (حزقيال ١١: ٥)، (٣٧: ٣)، (١. المكابيين ٣: ٥٢)، (رومية ١١: ٣٣)، (٢. كورنثوس ١١: ١١)، (١. تسالونيكى ٢: ٤)، (٢. تيموثيوس ٢: ١٩)، (١. يوحنا ٣: ٢٠).

* * *

على أن الآباء الرسل القديسين سجّلوا فى الأناجيل وفى رسائلهم ما يدل دلالة قاطعة على أنّ معلّمهم **سيّدنا ومخلّصنا يسوع المسيح كان يعلم بما يدور بخلد الناس وأفكارهم، وما يجرى فى قلوبهم من مشاعر، الأمر الذى لا يختص بغير الله وحده**، وبذلك نسبوا إلى السيد المسيح له المجد ما لا يُنسب إلا لله وحده، وهذا طبيعى، إذ أنه فى حقيقته هو الله، وقد لبس جسداً، وظهر فى الهيئة كإنسان، (فيلبى ٢: ٦ – ٨)، (١. تيموثيوس ٣: ١٦).

١ ـ جاء فى الإنجيل عن السيد المسيح أنه كان يُعلّم فى أحد البيوت بكفرناحوم (فتجمع فى الحال كثيرون حتى لم يعد ثمة موضع لقدم فى البيت ولا حتى عند الباب، فطفق يبشرهم بالكلمة. وقد جاءوا إليه بمفلوج يحمله أربعة رجال. وإذ لم يستطيعوا أن يصلوا به إليه بسبب الزحام صعدوا إلى السطح وكشفوا سقف المكان الذى كان به ونقبوه، ثم أنزلوا الفراش الذى كان المفلوج راقداً عليه. فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج: يا بنى مغفورة لك خطاياك. وكان قوم من الكتبة جالسين هناك، يفكرون فى قلوبهم قائلين: ما باله يجدّف هكذا؟ فمن يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله الواحد وحده؟ **وفى الحال علم يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا فى أنفسهم، فقال لهم: لماذا تفكرون بهذا فى قلوبكم؟** أيهما أيسر: أن يُقال للمفلوج: مغفورة لك خطاياك، أم أن يُقال: قم احمل فراشك وامشِ؟ (مرقس ٢: ٢ – ٩). (متى ٩: ٢ – ٥)، (لوقا ٥: ١٨ – ٢٣).

فهنا يظهر جليّاً علم المسيح له المجد بما يجول فى أفكار الناس وقلوبهم. قال للكتبة والفريسيين «**لماذا تجول هذه الأفكار فى قلوبكم؟**» (لوقا ٥: ٢٢).

على أن الإنجيل ينسب إلى المسيح أن هذا العلم كان كاشفاً لأفكار الكتبة والفريسيين التى تجول فى قلوبهم فى نفس الوقت الذى كانوا فيه يفكرون. يقول الإنجيل «**وفى الحال علم**

يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا فى أنفسهم». هذا إلى أن هذا العلم لم يكن من قبيل الاستدلال أو الاستنباط مما يسمونه بالدلالات التعبيرية، إنما كان **علماً كاشفاً فاحصاً نافذاً إلى داخل القلب وإلى أعماق النفس والفكر**. يقول الإنجيل «**علم يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا فى أنفسهم**» **فهو علم بالروح لا بالحواس ولا بالاستدلالات العقلية من علامات ظاهرية. وإذن هو علم يخرج عن دائرة العلم البشرى المستند إلى الحواس والذى يعتمد على إعمال العقل والذهن، بما يعرف بالبرهنة المنطقية التى تستخلص النتائج من المقدمات.**

ولقد كان علم المسيح **قاطعاً واضحاً لا يعتوره شك، ولا يشوبه تردد فى حقيقة ما كان يجول بقلوب** الكتبة والفريسيين من **أفكار**، ولذلك فإنه أجابهم على الفور «**لماذا تجول هذه الأفكار فى قلوبكم؟**» «**لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم؟**» «**أيهما أيسر أن يقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال قم احمل فراشك وامشِ؟**».

وإذن فعلم المسيح له المجد كما يتضح من الإنجيل فى هذه المعجزة علم كامل، ومباشر، وكشّاف، وذاتى، ومن غير واسطة، ثم هو علم آنّى، أى علم فى الحال، وعلى الفور، ومن دون زمان، ثم هو علم قطعىّ، ويقينى.

وفى كلمة واحدة موجزة: إنّ علم المسيح علم ذاتى، وآنّى، وقطعىّ.

حقاً كما يقول المزمور «لأنه هو يعرف خفيات القلب» (مزمور ٤٣: ٢١)، «يا رب .... قد فهمتَ فكرى من بعيد» (مزمور ١٣٨: ٢).

٢ ـ كذلك جاء عن الرب يسوع فى الإنجيل «ثم جئ إليه برجل كان به شيطان وكان أعمى وأخرس، فشفاه، حتى أن الأعمى الأخرس أبصر وتكلّم. فدُهش كل الجمع قائلين: أليس هذا هو ابن داود؟ أمّا الفريسيون حين سمعوا فقد قالوا: إن هذا لا يطرد الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين. **فعلم يسوع أفكارهم**. وقال لهم: كل مملكة تنقسم على ذاتها تخرب، وكل مدينة أو بيت ينقسم على ذاته لا يثبت. فإن كان الشيطان يطرد الشيطان فقد انقسم على ذاته، فكيف إذن تثبت مملكته؟ وإن كنتُ أنا ببعلزبول أطرد الشياطين، فبمن يطردهم أبناؤكم؟ لذلك هم يحكمون ضدّكم. أمّا إن كنت أنا بروح الله أطرد الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله» (متى ١٢: ٢٢ – ٢٨)، (لوقا ١١: ١٤ – ٢٠)، (مرقس ٣: ٢٢ – ٢٧).

وهنا أيضاً فى هذه المعجزة، يذكر الإنجيل أن الرب يسوع **علم بأفكار الفريسيين** ولم يكونوا قد صرّحوا بها بالقول، علم بها وهى فى بواطنهم، ثم أجابهم عليها، وناقشها بوضوح، وردّ عليهم فيها مبيناً خطأها بالنظر والعمل، بالقول والفعل.

ومن هو الذى يفحص القلوب ويفهم كل تصورات الأفكار، غير الله وحده؟

«**وممتحن القلوب، الرب**» (الأمثال ١٧: ٣).

«رب الجنود، مختبر الصديق، **ناظر الكلى والقلوب**» (ارميا ٢٠: ١٢).

«**وازن القلوب**، وحافظ نفسك، ألا يعلم؟» (الأمثال ٢٤: ١٢).

٣ ـ وجاء عن الفادى أيضاً أنه «دخل المجمع وأخذ يعلّم، وكان هناك رجل يده يابسة. فراح الكتبة والفريسيون يراقبونه ليروا هل يشفيه فى السبت، حتى يجدوا شكاية ضدّه **ولكنه علم أفكارهم** فقال للرجل ذى اليد اليابسة: قم وقف هناك فى الوسط، فقام ووقف. ثم قال يسوع لهم: إننى أسألكم أيحل فى السبوت فعل الخير أم الشر؟ تخليص نفس أم إهلاكها؟ وأدار نظره فيهم جميعاً. ثم قال للرجل: أمدد يدك، ففعل ذلك، فعادت يده سليمة كالأخرى» (لوقا ٦: ٦ – ١٠)، (مرقس ٣: ١ – ٥)، (متى ١٢: ٩ – ١٣).

وهنا مرة أخرى يذكر الآباء الرسل فى الإنجيل عن مخلّصنا أنه **علم أفكار الكتبة والفريسيين من دون أن يصرّحوا هم بها**، وعلم أنهم يراقبونه هل يشفى صاحب اليد اليابسة فى السبت، وأنهم يريدون أن يجدوا شكاية ضده. ولذلك أبرز لهم أفكارهم، وأظهرها. إنهم لا يريدونه أن يمارس أعمال الشفاء فى السبت، حفظاً لوصية السبت حسب فهمهم الحرفى والشكلى للوصية، فناقش هذا الفهم الخاطئ وأبان أنه بالشفاء يُخلص إنساناً من متاعبه، وهذا هو عمل الله الذى ليس يجوز فقط أن يعمله الإنسان فى السبت، بل إنه العمل الصالح الذى يجب على الإنسان أن يعمله لا سيما فى يوم السبت، عبادة لله وخدمة له فى خلقه.

لقد علم الرب يسوع بأفكار الذين كانوا يراقبونه حتى يجدوا شكاية ضدّه.

«لأن عينيه على طرق الإنسان، وهو **يرى كل خطواته**» (أيوب ٣٤: ٢١).

٤ ـ ويروى الإنجيل المقدّس عن تلاميذ المسيح أنه «**خامرهم الفكر** فيما عسى أن يكون هو الأعظم بينهم. **فعلم يسوع فكر قلوبهم**، ومن ثمّ أخذ طفلاً، وأقامه بين يديه، وقال لهم: إنّ

من يقبل هذا الطفل باسمى فقد قبلنى، ومن قبلنى فقد قبل الذى أرسلنى، لأن الأصغر بينكم جميعاً سيكون هو الأعظم فيكم» (لوقا ٩: ٤٦ – ٤٨).

إن الفكر خامر التلاميذ فيما عسى أن يكون هو الأعظم بينهم، فكان هذا كافياً، قبل أن يخرج على لسانهم، لأن يعلم المسيح به وهو بعد فكر فى القلب، ولم يعبّر عنه اللسان ولا نطق به الفم. ومع ذلك عرف به المسيح له المجد، وهو فى خلجات قلوبهم، وأراد أن يعالجه قبل أن يستفحل فيهم، بأن أخذ طفلاً وأقامه بينهم متخذاً الطفل وسيلة إيضاح يقدّمه نموذجاً للبراءة المنشودة، والطهارة المطلوبة، فى من ينال لقب (الأعظم) بينهم. وبهذا أجابهم على ما خامرهم من فكر، وداخلهم فى نفوسهم، وجال فى صدورهم.

أليس حقاً هو الله؟

«قبل أن يكون كلامى على لسانى أنت يا رب **عالم به كله**» من وراء ومن قدام حاصرتنى» (مزمور ١٣٨: ٤، ٥).

«**وما يخطر ببالكم قد علمته**» (حزقيال ١١: ٥).

٥ ـ وعندما كشف المسيح له المجد فى تعليمه أنه هو «الخبز الحى الذى نزل من السماء» (يوحنا ٦: ٥١) وهو المانح الحياة للناس، وأنّ من يأكل جسده ويشرب دمه يحيا إلى الأبد، ومن لا يأكل جسده ويشرب دمه فلن تكون له الحياة، وأن من يأكله يحيا به» (يوحنا ٦: ٥١ – ٥٨) «قال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا: إن هذا الكلام صعب. من يقدر أن يسمعه».

هنا يذكر الإنجيل «فعلم يسوع فى نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا، فقال لهم: أهذا يجعلكم ترتابون؟» (يوحنا ٦: ٦٠، ٦١). ومن هنا نتبين أن التلاميذ تذمروا فى أنفسهم، ولكن لم يعترضوا علانية وصراحة كما اعترض اليهود الذين سمعوه (يوحنا ٦: ٤١ – ٤٣). ومع ذلك فقد علم فى نفسه بأن تلاميذه تذمروا فى أنفسهم. فقد كشف بعلمه الإلهى ما ستره تلاميذه عنه، فعرف أنهم هم أيضاً متذمرون على أقواله، فصارحهم وأجابهم على ما كان يجول بخواطرهم، وأراحهم بجوابه.

«فإن فاحص القلوب والكلى، الله البار» (مزمور ٧: ٩)، (الأمثال ١٧: ٣).

علم المسيح بالأشخاص

٦ ـ كذلك يروى الإنجيل عن علم المسيح له المجد بالأشخاص من دون معرفة سابقة بهم برؤيا العين.

قال الإنجيل إن يوحنا المعمدان كان واقفاً هو واثنان من تلاميذه، فنظر إلى يسوع ماشياً فقال: «هذا هو حمل الله. فلما سمع التلميذان قوله تبعا يسوع. وكان اندراوس أخو سمعان بطرس أحد الإثنين اللذين سمعا يوحنا (المعمدان) وتبعا يسوع وقد وجد أولاً أخاه سمعان، فقال له: قد وجدنا المشيَّخ، أى المسيح. ثم جاء به إلى يسوع. فلما رآه يسوع، قال له: «أنت سمعان بن يوحانان. وليكن اسمك كيفاً، أى بطرس» (يوحنا ١ : ٣٥ – ٤٢).

كان لقاء سمعان بالمسيح له المجد هو أول لقاء به. لقد جاء به إلى المعلّم الأعظم، اندراوس أخوه. فواجهه بتقرير موجز عنه فى ماضيه وحاضره ومستقبله: « أنتَ سمعان بن يوحانان. وليكن اسمك كيفا أى بطرس». وبهذا كشف له عن معرفته بحقيقته، مع أنه لم يكن قد رآه من قبل رأى العيان، وأنه ابن يوحانان وأنه سيدعوه باسم آخر يضيفه إلى اسمه المولود به وهو (كيفا) بالأرامية أو (بطرس) باليونانية ومعناه (حجر). أما (صفا) فهو (كيفا) بالأرامية ـ وقد صار يعرف باسم (**صفا**) كما ذكر فى (١ . كورنثوس ١ : ١٢)، (٣ : ٢٢)، (٩ : ٥)، (١٥ : ٥)، (غلاطية ٢ : ٩).

أما الاسم (**بطرس**) فهو الاسم باليونانية الذى يقابل (صفا) بالعربية، و(كيفا) بالأرامية ويفيد (**حجر**). ولابّد أن هذا الاسم كان فى ذهن القديس بطرس عندما أوصى المؤمنين فى رسالته الأولى قائلاً: «كونوا أنتم أيضاً مبنيين **كحجارة** حية بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح» (١ . بطرس ٢ : ٥).

نعم، لقد عرف المسيح له المجد سمعان بطرس، وأبان أنه كان يعرفه قبل أن رآه.

«أنت الذى جبل كليتى، **ونسجتنى فى جوف أمى.. لم تخف ذاتى عليك**.. حينما صُنعتُ فى الخفاء، ورُقمت فى أعماق الأرض، **رأتنى عيناك جنيناً**، وفى سفرك كُتبت جميع الأكوان، وصُوِّرت أيامُها قبل أن يكون منها شئ» (مزمور ١٣٨ : ١٣ – ١٦).

٧ ـ وبالمثل يروى الإنجيل عن السيد المسيح أنه كشف لنثنائيل، فى أول لقاء معه أنّه كان يعرفه، معرفة فاحصة ويعرف سيرة حياته، وأنه يسلك بتدقيق طبقاً للشريعة الإلهية، بل أظهر

له أنه رآه وهو طفل رضيع يلعق بإصبعه وهو موضوع فى سفط بين أغصان شجرة التين المتشابكة، الأمر الذى ذهل له نثنائيل واعترف بالمسيح على الفور بأنه ابن الله، وأنه ملك إسرائيل المرتجى والمنتظر.

قال الإنجيل: «وفى الغد إذ كان يسوع يقصد إلى الجليل، وجد فيلبس. فقال له: اتبعنى.. وفيلبس وجد نثنائيل، فقال له: قد وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الشريعة وكذلك الأنبياء، وهو يسوع بن يوسف الذى من الناصرة. قال له نثنائيل: أيمكن أن يخرج من الناصرة شئ صالح؟ فقال له فيلبس: تعال وانظر.

فلمّا رأى يسوع نثنائيل مقبلاً إليه، قال عنه: هوذا حقاً إسرائيلى لا غش فيه. فقال له نثنائيل: من أين تعرفنى؟ أجاب يسوع وقال له: قبل أن يدعوك فيلبس، حين كنت تحت شجرة التين رأيتك. فأجاب نثنائيل وقال له: يا معلّم أنت ابن الله. أنت ملك إسرائيل. أجاب يسوع وقال له: لأنى قلت لك إنى رأيتك تحت شجرة التين، آمنت؟ لسوف ترى أعظم من هذا». (يوحنا ١: ٤٣ - ٥٠).

هنا أمر مذهل يصعب تصديقه: كيف تحوّل نثنائيل هذا التحول المفاجئ من إنسان لا يعتقد فى يسوع المسيح أنه يمكن حتى أن يكون شيئاً صالحاً من حيث أنه ناصرى، وفى اعتقاده أنه لا يمكن أن يخرج من الناصرة شئ صالح (يوحنا ١: ٤٦)، إلى إنسان أعظم من نبىّ.. بل إلى **أنه ابن الله وملك إسرائيل المنتظر** (يوحنا ١: ٤٩)، والموعود به أنه **هو الذى يجلس على عرش داود، وأنه سيملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولن يكون لملكه إنقضاء؟**

نقول كيف تغير رأى نثنائيل بهذه السرعة، وكيف تحوّل من النقيض إلى النقيض؟ إنسان دعاه فيلبس صديقه ليرى يسوع بن يوسف (يوحنا ١: ٤٥)، كما كان يظنه الناس ومنهم فيلبس، فلم يصدق نثنائيل أن مقاطعة الجليل وعلى الخصوص مدينة الناصرة يمكن أن تنجب (النبىّ) الذى كتب عنه موسى فى الشريعة، وأنبأ عنه الأنبياء (يوحنا ١: ٤٥) الآخرون.. ألم يقل رؤساء الكهنة والفريسيون وعلماء الشريعة فى المجمع اليهودى لنيقوديموس «فتش وانظر إنّه لم يقم نبىّ من الجليل» (يوحنا ٧: ٢٥)؟ ولابدّ لنثنائيل كرجل يهودى ملتزم، أن يقول قول رؤساء اليهود، فكيف بنثنائيل يتنكر فجأة للرأى الذى نشأ عليه وتبناه كإسرائيلى متشدد، ويجاهر برأى آخر، معارض للرأى السابق؟ وليس معارضاً فقط، ولكنه رأى يجاهر بأن يسوع ليس نبياً فقط، وليس صالحاً فحسب، لكنه أعلى مقاماً من كل نبى، **إنه ابن الله وهو ملك إسرائيل**

(يوحنا ١ : ٤٩) ومعنى أنه ابن الله أنه ليس ابن يوسف **ثم إنه صورة الله الغير منظور**، فالله لا يلد كما يلد الإنسان، إنما الذى يوصف بأنه ابن الله، فهو كائن سماوى لا أرضى لم يأت كيانه المنظور من زرع رجل، **ثم هو الله ذاته متجلياً ومتلبساً صورة إنسان**.. وبذلك كان نثنائيل أسبق من التلاميذ الآخرين فى الاعتراف بأن **المسيح ابن الله** (متى ١٤ : ٣٣)، وأسبق أيضاً من سمعان بطرس الذى جاهر بالاعتراف المشهور بقوله لسيده «**أنت هو المسيح الله، ابن الله الحى**» (لوقا ٩ : ٢٠)، (متى ١٦ : ١٦) فطوبه المسيح لاعترافه وقال له: «مبارك أنت يا سمعان بن يونا. لأنه ليس لحماً ودماً الذى كشف لك هذا. وإنما أبى الذى فى السماوات» (متى ١٦ : ١٧).

وواضح أن السبب فى هذا التحول فى موقف نثنائيل هو انبهاره وذهوله من قول السيد المسيح له: «قبل أن يدعوك فيلبس، حين كنتَ تحت شجرة التين رأيتك» (يوحنا ١ : ٤٨) وتأكد هذا بقول المسيح له المجد مرة أخرى «لأنى قلتُ لك إنى رأيتك تحت شجرة التين آمنت؟ لسوف ترى أعظم من هذا» (يوحنا ١ : ٥٠).

وللتينة قصة وصلت إلينا من التقليد:

فقد كان نثنائيل واحداً من بين الأطفال الذين كان يشملهم قرار هيرودس ملك اليهودية الذى استشاط غضباً إذ رأى أنّ المجوس قد سخروا به فأرسل وقتل كل الأطفال الذين كانوا فى بيت لحم وفى كل نواحيها، من ابن سنتين فأقل، وفقاً للزمان الذى تحققه من المجوس» (متى ٢ : ١٦).

أما أم نثنائيل فبذكاء الأمومة ومحبتها لطفلها، وقد علمت بقرار هيرودس وضعت طفلها الصغير فى سفط، وصعدت به إلى قلب شجرة التين وتركته هناك تحت أغصان شجرة التين وهى متشابكة وكثيفة. فلمّا دخل الجند البيت، لم يجدوا طفلاً ليقتلوه فخرجوا. وبذلك نجا الطفل نثنائيل من موت محقق. ثم نما نثنائيل وكبر، وعرف قصة نجاته من أمه، ولم يعرفها غيره. فلما جاء به فيلبس إلى الرب يسوع قال عنه عند لقائه به لأول مرة «هوذا حقاً إسرائيلى لا غش فيه» (يوحنا ١ : ٤٧) وبهذا كشف له عن معرفته بحقيقة تقواه ومسيرته الملتزمة بالشريعة. قال له نثنائيل بجفاء: «من أين تعرفنى؟» (يوحنا ١ : ٤٨) وكان هذا الجواب من نثنائيل جافاً لا تتوافر فيه اللياقة فى مخاطبة الرب يسوع. فلما قال له مخصلنا «قبل أن يدعوك فيلبس» (يوحنا ١ : ٤٨) أى أننى أعرفك من زمن قديم، من قبل دعوة فيلبس لك بوقت طويل «حين

كنت تحت شجرة التين رأيتك» (يوحنا ١ : ٤٨) أى أننى كنت أراك من فوق، وأنظر إليك من علٍ، وأنت فى سفط فى قلب شجرة التين وفى تعريشتها الضخمة ومن فوقك أغصانها تغطيك.. عندئذ أدرك نثنائيل أنه وجها لوجه أمام «**إلهنا الساكن فى الأعالى**» (مزمور ١١٢ : ٥) «**العلىّ على كل الأرض**» (مزمور ٩٦ : ٩).

«انظر مثلاً كتاب الدر الفريد فى تفسير العهد الجديد تأليف العلاّمة مار ديونيسيوس يعقوب ابن الصليبى السريانى مطران مدينة أمد - ديار بكر - الجزء الثانى - مصر ١٩١٤، والسنكسار تحت اليوم الثامن من شهر توت».

وإذا لاحظنا **أن السيد المسيح كان قد ذهب إلى أرض مصر فى الوقت الذى كان فيه جند هيرودس يقتلون الأطفال، أدركنا أنه فيما كان بالجسد فى أرض مصر كان بلاهوته يملأ السماوات والأرض، وأنه من الأعالى كان يرعى نثنائيل فى طفولته وهو بين أغصان شجرة التين، ومن تحتها**. ولولا هذه العناية والرعاية كان يمكن للطفل نثنائيل أن يبكى، فيحدث صوتاً يتنبه له جند هيرودس فيقتلونه كما قتلوا غيره من الأطفال، لذلك فإن نثنائيل أدرك كم هو مدين بحياته لمن كان يرعاه وينظر إليه من فوق شجرة التين.

نعم، «فما من خليقة تخفى عليه، بل كل شئ **عار ومكشوف لعينى ذاك الذى يجب علينا أن نؤدى له الحساب**» (العبرانيين ٤ : ١٣).

٨ - وفى قصة المرأة السامرية (يوحنا ٤ : ١ - ٤٢) نرى بيّنة على علم المسيح له المجد بحياة تلك المرأة مع أنه إلتقى بها لأول مرة، وعلى البئر خارج مدينتها سوخار من مدن السامرة.

قال الإنجيل ، إن الرب يسوع المسيح قال للمرأة السامرية: «لو كنت تعرفين عطية الله، ومن هو الذى يقول لك أعطينى لأشرب، لطلبتِ أنت منه، فأعطاك ماءً حياً.. قالت له المرأة يا سيد، أعطنى هذا الماء لكيلا أعطش ولا أجئ إلى هنا لأستقى. فقال لها يسوع: اذهبى واستدعى زوجك وتعالى إلى هنا. أجابت المرأة وقالت له: ليس لى زوج. فقال لها يسوع: أحسنتِ إذ قلتِ: ليس لى زوج، لأنه كان لك خمسة أزواج، والذى معك الآن ليس زوجك. فى قولك هذا صدقتِ. فقالت له المرأة: يا سيد، أرى أنك نبىّ.. أما المرأة فتركت جرّتها، وانطلقت إلى المدينة وقالت للناس: هلمّوا انظروا ذلك الرجل الذى قال لى كل شئ فعلتُ. أيكون هذا هو المسيح؟» (يوحنا ٤ : ١ - ٢٩).

لقد أظهر المسيح له المجد فى حديثه مع المرأة السامرية، أنه يعرف قصة حياتها، وأنها تزوّجت بخمسة رجال، وأنها تعيش الآن مع رجل ليس زوجاً شرعياً لها.. ولقد ذُهلت المرأة السامرية من حديث الرب يسوع معها، لأنه على الرغم من أنه إلتقى بها وإلتقت به لأول مرة على البئر، فإنه أظهر لها أنه يعرف تماماً قصة حياتها الخاصة.. لذلك تبيّنت المرأة أنه لا يمكن أن يكون إنساناً عادياً من له هذا العلم الكاشف لأسرار حياتها الخاصة، ولذلك حكمت بأنه لابدّ أن يكون نبياً، لأن النبىّ يُنبئ بأمور، يتلقاها من الله بوحى الروح القدس. فعلمه بالوقائع والأحداث ليس عن طريق الحواس ولا من استقراء العقل، وإنما بإعلان سماوى.

ولم تكتف المرأة السامرية بهذا، «بل تركت جرّتها على البئر وانطلقت إلى المدينة وقالت للناس: هلمّوا انظروا ذلك الرجل الذى قال لى كل شئ فعلت. أيكون هذا هو المسيح؟» (يوحنا ٤: ٢٩). ويبدو أن مخلّصنا كشف للمرأة السامرية أموراً أخرى كثيرة لم يذكرها الإنجيل بالتفصيل عن دقائق حياتها حتى إنها اعترفت فى مناداتها للناس بأنه «قال لى كل شئ فعلت» (يوحنا ٤: ٢٩) ثم إنه قد انتقل إيمانها بالمخلص وارتقى إلى ما هو أعظم من نبى.. لأنها فى مبدأ الأمر عندما قال لها «أحسنت إذ قلت ليس لى زوج، لأنه كان لك خمسة أزواج، والذى معك الآن ليس زوجك» (يوحنا ٤: ١٧، ١٨) قالت له: يا سيّد، أرى أنك نبىّ (٤: ١٩) ولكنها لما دخلت المدينة نادت أهلها: هلموا انظروا ذلك الرجل الذى قال لى كل شئ فعلت. أيكون هذا هو المسيح؟ (٤: ٢٩) فقد تبيّنت من علمه أنه أعظم من نبى.. فلما خرج إليه أهل المدينة ورجوه أن يمكث عندهم، وقَبِل دعوتهم ومكث معهم يومين، تبيّنوا مما سمعوه وما عرفوه منه وعنه أنه حقاً هو المسيح وقالوا للمرأة: «إننا الآن نؤمن لا بسبب كلامك، وإنما لأننا سمعناه بأنفسنا، وقد علمنا أنّ هذا هو حقاً المسيح مخلص العالم» (يوحنا ٤: ٤٢).

«يا رب قد فحصتنى وعرفتنى. أنت عرفت جلوسى وقيامى.. مسلكى ومربضى ذرّيت، وكل طرقى عرفت.. علم عجيب فوق طاقتى. أرفع من أن أدركه. وإن قلت إن الظلمة تغشانى كان الليل حولى نوراً. لديك لا تظلم الظلمة، والليل يضئ كالنهار. سيّان عندك الظلام والضوء .. لم تخف ذاتى عليك..» (مزمور ١٣٨: ١ - ١٥).

«لأن عينيه على طرق الإنسان وهو يرى كل خطواته» (أيوب٣٤: ٢١).

«كل شئ عار ومكشـوف لعينى ذاك الذى يجب علينا أن نـؤدى له الحساب» (العبرانيين ٤: ١٣).

٩ ـ ثم إنّ الإنجيل أبان **أن المسيح له المجد كان يعلم تماماً بما يجول فى فكر يهوذا الإسخريوطى** أحد تلاميذه الإثنى عشر، من شر الخيانة لمعلّمه، وما كان يدبره فى باطنه لتسليمه لأعدائه من اليهود، وأنه كان يتحين الفرصة المناسبة لإرتكاب جريمته النكراء.

يقول الإنجيل: **«فقد كان يسوع منذ البدء يعلم من هم الذين سوف لا يؤمنون، ومن هو الذى سيسلّمه»** (يوحنا ٦: ٦٤). ثم يقول أيضاً: «فأجابهم يسوع: ألم أكن أنا الذى اخترتكم أنتم الإثنى عشر وواحد منكم لإبليس. قال هذا عن يهوذا بن سمعان الإسخريوطى أحد الإثنى عشر، لأنه كان هو الذى اعتزم أن يسلّمه» (يوحنا ٦: ٧٠، ٧١).

وقال الإنجيل عن المسيح له المجد بعد أن غسل أرجل تلاميذه فى ليلة آلامه إنه قال لسمعان بطرس: «وأنتم أيضاً أطهار ولكنكم لستم كلكم أطهاراً. فقد كان يعلم بالمزمع أن يسلّمه ولذلك قال إنكم لستم كلكم أطهاراً» (يوحنا ١٣: ١٠، ١١).

بل إنه زاد على ذلك بأن أعطى العلامة على علمه بما انتواه يهوذا، وقال لتلاميذه صراحة: «الحق الحق أقول لكم إنّ واحداً منكم سيسلمنى» ولما سألوه عنه قال «إنه هو الذى سأعطيه اللقمة التى أغمسها. ثم غمس اللقمة وقدّمها ليهوذا بن سمعان الإسخريوطى.. فقال له يسوع: ما أنت فاعله، فافعله سريعاً» (يوحنا ١٣: ٢١ – ٢٧).

حقاً إنه «الإله الأزلى البصير بالخفايا، العالم بكل شئ» (دانيال ١٣: ٤٢، ٤٣).

١٠ ـ وبالمثل يروى الإنجيل عن علم المسيح له المجد بما تنطوى عليه قلوب الناس ومداخلهم من رياء وإثم ومكر وشرّ.

جاء فى الإنجيل: «ثم أرسلوا إليه قوماً من الفريسيين والهيرودسيين ليصطادوه بكلمة. فجاءوا وقالوا له: يا معلّم نحن نعلم أنك صادق ولا تبالى أحداً لأنك لا تحابى وجه إنسان، وإنما تعلّم طريق الله بالحق. أيحل دفع الجزية لقيصر أم لا يحل؟ أندفعها أم لا ندفعها؟ بيد أنه إذ كان يعرف رياءهم قال لهم: لماذا تخاتلوننى؟ هاتوا لى ديناراً لأراه. فأتوا به، فقال لهم: لمن هذه الصورة وهذه الكتابة؟ قالوا: لقيصر. فأجاب يسوع وقال لهم: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» (مرقس ١٢: ١٣ – ١٧)، (متى ٢٢: ١٥ – ٢٢)، (لوقا ٢٠: ٢٠ – ٢٦).

لقد كشف المسيح له المجد بعلمه الإلهى رياء أولئك الفريسيين والهيرودسيين مع أنهم جاءوا إليه بأدب جم يمدحونه ويصفونه بأنه (صادق) (ولا يبالى أحداً) (ولا يحابى وجه إنسان) (وإنما يعلّم طريق الله بالحق). والرياء دائماً مستور، فالمرائى يظهر غير ما يبطن. ومع ذلك قد كشف المسيح له المجد رياء أولئك الناس وأبان مكرهم (وأدرك خبثهم) (متى ٢٢: ١٨) أو (فطن لخبثهم) (لوقا ٢٠: ٢٣) وقال لهم صراحة (لماذا تخاتلوننى؟) (مرقس ١٢: ١٥) (لماذا تجربوننى يا مراءون؟) (متى ٢٢: ١٨)، (لوقا ٢٠: ٢٣).

إنه هو «رب الجنود القاضى العدل **فاحص الكلى والقلوب**» (إرميا ١١: ٢٠)، «**العارف قلوب الجميع**» (أعمال الرسل ١: ٢٤)، (١٥: ٨) «**الذى يفحص القلوب**» (رومية ٨: ٢٧).

١١ ـ ويقول المسيح له المجد فى الرؤيا للقديس يوحنا الحبيب الرائى، واللاهوتى، والرسول:

«واكتب إلى ملاك الكنيسة التى فى ثياتيرا، هذا ما يقوله **ابن الله الذى عيناه كلهيب نار**.. فستعرف جميع الكنائس **أنى أنا هو فاحص الكلى والقلوب**. وسأعطى كل واحد منكم على حسب أعماله» (سفر الرؤيا ٢: ١٨ – ٢٣).

«**فإن فاحص القلوب والكلى، الله البار**» (مزمور ٧: ٩).

«**أنا الرب فاحص القلب مختبر الكلى** لأعطى كل واحد حسب طرقه، حسب ثمر أعماله» (إرميا ١٧: ١٠).

١٢ ـ وقال الإنجيل أيضاً عن المسيح يسوع: «ولما كان فى أورشليم فى عيد الفصح، آمن كثيرون باسمه حين رأوا المعجزات التى صنعها. ولكن يسوع لم يكن يأمنهم، **لأنه كان عارفاً بكل واحد، ولم يكن بحاجة لأن يخبره أحد عن الإنسان لأنه كان يعلم ما فى الإنسان**» (يوحنا ٢: ٢٣ – ٢٥).

وهذه شهادة بيّنة على معرفة المسيح له المجد بدواخل الناس وما تنطوى عليه بواطنهم وضمائرهم من أفكار وخواطر وتقلبات. على أن هذه المعرفة ليست هى فقط معرفته بطبيعة الإنسان بصفة عامة من حيث أن المسيح اتّخذ طبيعة الإنسان «والكلمة اتّخذ جسداً» (يوحنا ١: ١٤) لكنها **معرفة خاصة بكل إنسان على حدة، وهى معرفة تختلف بحسب كل فرد بما تنطوى عليه نفسه وفكره من رغبات وميول وعواطف واتجاهات وآمال، ونظرات، وأهواء، وهى كلها متغيرات فى الناس من حيث أن كل إنسان كائن**

حر مريد، له أن يختار الخير أو الشر، الحق أو الباطل.

كل الناس على ما بينهم من إختلافات مكشوفون ومعروفون أمام علم المسيح الإلهى، وذلك طبقاً لقول الإنجيل عن مخلصنا «لأنه كان عارفاً بكل أحد» (يوحنا ٢ : ٢٤).

«**فما من خليقة تخفى عليه، بل كل شئ عار ومكشوف لعينى ذاك** الذى يجب علينا أن نؤدى له الحساب» (العبرانيين ٤ : ١٣).

«**لأنه هو يعلم أناس السوء**» (أيوب ١١ : ١١).

«**يكشف العمائق** من الظلام ويخرج ظل الموت إلى النور» (أيوب ١٢ : ٢٢).

«لأنه ليس كما ينظر الإنسان، لأن الإنسان ينظر إلى العينين. **وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب**» (١ . صموئيل ١٦ : ٧).

«**لأنك أنت وحدك قد عرفت قلوب كل بنى البشر**» (١ . الملوك ٨ : ٣٩).

١٣ ـ لهذا كله اجتمعت للآباء الرسل كل الدلائل التى اقنعتهم **أن المسيح له المجد عالم بكل شئ علماً شاملاً كاملاً، لا يعتوره نقص. وهو العلم المطلق الذى لا يتوافر لغير الله وحده، لأن الله، والله وحده**، هو الذى يمكن أن يوصف بأنه الكلىّ العلم. إن للناس وللملائكة بعض العلم. أما الذى له العلم كاملاً وشاملاً ومطلقاً فهو الله الواحد وحده.

جاء فى الإنجيل قول التلاميذ للمسيح له المجد: «**نحن الآن نعرف أنك عالم بكل شئ. ولا تحتاج لأن يسألك أحد. لهذا نؤمن بأنك من الله خرجت**» (يوحنا ١٦ : ٣٠).

١٤ ـ لذلك أيضاً وبهذا اليقين أجاب سمعان بطرس على سؤال سيّده المسيح له المجد، الذى وجهه إليه ثلاث مرات.

قال الإنجيل: «قال يسوع لسمعان بطرس: يا سمعان بن يوحنا، أتحبنى أكثر من هؤلاء؟ فقال له : نعم يا رب، أنت تعلم أننى أحبك. قال له: ارع حملانى. ثم قال له ثانية: يا سمعان بن يوحنا، أتحبنى؟ فقال له: **نعم يا رب، أنت تعلم أننى أحبك**. قال له: ارع خرافى. ثم قال له للمرة الثالثة: يا سمعان بن يوحنا، أتحبنى؟ .. فقال له: **يا رب أنت تعلم كل شئ، أنت تعلم أننى أحبك**» (يوحنا ٢١ : ١٥ – ١٧).

لقد تبيّن التلاميذ من عشرات ومئات المواقف والأحداث **أن المسيح له المجد يعلم كل شئ، وهو ما لا يتصف به غير الله وحده العليم بما فى ذات الصدور.**

يلاحظ على الخصوص قول التلاميذ للمعلّم الأعظم «نحن الآن نعرف أنك عالم بكل شئ» (يوحنا ١٦: ٣٠) وقول سمعان بطرس لمعلّمه وسيده: **«أنت تعلم كل شئ»** (يوحنا ٢١: ١٧).

فهو إذن **«الإله الأزلى البصير بالخفايا، العالم بكل شئ»** (دانيال ١٣: ٤٢، ٤٣)، (يشوع بن سيراخ ٢٣: ٢٩)، (نبوءة باروخ ٣: ٣٢)، (١. يوحنا ٣: ٢٠).

الأنبياء قبل المسيح والآباء الرسل ينسبون إلى السيد المسيح له المجد أنه وحده المعصوم من الخطأ

مَن منَ الناس لا يخطأ؟

يقول الوحى الإلهى «**ليس إنسان لا يخطأ**» (١ . الملوك ٨: ٤٦)، (٢ . أخبار الأيام ٦: ٣٦) «من يقول إنى زكّيت قلبى، تطهّرت من خطيئتى» (سفر الأمثال ٢٠: ٩) «لا أحد» (أيوب ١٤: ٤)، (إشعياء ٥٣: ٦) . «**ليس إنسان** صديق على الأرض يعمل صلاحاً **ولا يخطأ**» (سفر الجامعة ٧: ٢٠) .

ثم يقول: «بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة دخل الموت، وهكذا سرى الموت إلى جميع الناس لأنهم **كلهم خطئوا**» (رومية ٥: ١٢) .

«**لأن جميع الناس أخطأوا** فأعوزهم مجد الله» (رومية ٣: ٢٣) .

«إذا قلنا إننا بلا خطيئة، خدعنا أنفسنا، وما كان الحق فينا» (١ . يوحنا ١: ٨) .

«**وإذا قلنا إننا لم نخطأ، جعلناه كاذباً** ولم تكن كلمته فينا» (١ . يوحنا ١: ١٠) .

* * *

أما السيد المسيح له المجد، فهو وحده الذى ظهر فى الهيئة كإنسان، ومع ذلك لم يخطأ، حتى لقد قال بوضوح وصراحة «**من منكم يستطيع أن يثبت علىّ خطيئة**» (يوحنا ٨: ٤٦) .

١ ـ وقد شهد عنه الوحى الإلهى على فم النبى إشعياء فى نبوءته: «**إنه لم يعمل ظلماً، ولم يكن فى فمه غش**» (إشعياء ٥٣: ٩) .

ويقول عنه الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول:

٢ ـ **ذاك الذى لم يعرف خطيئة** جعله الله خطيئة من أجلنا، لكى نصير نحن فيه أبراراً عند الله» (٢ . كورنثوس ٥: ٢١) .

٣ ـ «إن لنا رئيس كهنة قادراً على أن يرثى لضعفاتنا . إنه قد تجرّب فى كل شئ مثلنا، **بلا خطيئة**» (العبرانيين ٤: ١٥) .

٤ ـ «فإننا ليلائمنا رئيس كهنة مثل هذا، **قدوس، طاهر، بلا شرّ، متنزه عن الخطأ**، وقد صار أعلى من السماوات» (العبرانيين ٧ : ٢٦).

ويقول عنه الوحى على فم القديس بطرس الرسول:

٥ ـ «**إنه لم يرتكب خطيئة، ولا وجد فى فمه مكر**» (١ . بطرس ٢ : ٢٢).

ويقول عنه الوحى على فم القديس يوحنا الرسول:

٦ ـ «وتعرفون أن ذاك (أى المسيح) قد أظهر ذاته لكى يرفع خطايانا، **وهو الذى لا خطيئة فيه**» (١ . يوحنا ٣ : ٥).

انظر واقرأ أيضاً (لوقا ٢٣ : ٤١)، (أعمال الرسل ٢ : ٢٧).

الأنبياء قبل المسيح والآباء الرسل ينسبون إلى المسيح أنه وحده الديّان

الديان واحد هو الله، لأنه وحده كلّىّ العدالة (١ . صموئيل ٢٤ : ١٥، ١٢)، (يعقوب ٥ : ٩).

«فتخبر السماوات بعدله **لأن الله هو الديان**» (مزمور ٤٩ : ٦)، «**ديان الجميع**» (العبرانيين ١٢ : ٢٣).

«أما الرب فإلى الأبد يجلس، وقد هيأ عرشه للقضاء. **فهو يقضى للمسكونة بالعدل، ويدين الشعوب بالاستقامة**» (مزمور ٩ : ٨).

إنه وحده «**ديان كل الأرض**» (التكوين ١٨ : ٢٥)، (مزمور ٩٣ : ٢)، (١ . أخبار الأيام ١٦ : ٣٣)، (يهوديت ١٦ : ٢٠)، (الحكمة ١٥ : ٨)، (٢ . المكابيين ٧ : ٣٥).

«**يدين الأرض. يدين المسكونة بالعدل والشعوب بالاستقامة**» (مزمور ٩٧ : ٩)، (٩٥ : ١٣، ١٠)، (٦٦ : ٤)، (٧ : ٨)، (١٠٩ : ٦)، (١٣٤ : ١٤)، (أيـــــــوب ٣٦ : ٣١)، (رومية ٣ : ٦)

«**إنه يدين الصديق والشرير**» (الجامعة ٣ : ١٧)، (١١ : ٩)، (١٢ : ١٤)، (مزمور ٥٧ : ١١)، (٨١ : ٨)، (١ . صموئيل ٢ : ٢٥)، (١ . كورنثوس ٤ : ٥)، (٥ : ١٣)، (العبرانيين ١٣ : ٤)، (يعقوب ٤ : ١٢)، (يهوذا : ١٤، ١٥).

«**ويدين بالعدل**» (رومية ٢ : ٢)، «**وبمقتضى الحق**» (الأمثال ٢٤ : ١٢).

«**فإن الرب ديّان، ولا يلتفت إلى كرامة الوجوه**» (يشوع بن سيراخ ٣٥ : ١٥).

«**إنه يدين من غير محاباة كل واحد، على قدر أعماله**» (١ . بطرس ١ : ١٧)، (أيوب ٣٤ : ١١)، (٩ : ١٥)، (مزمور ٦١ : ١٢) «**على حسب طرقه وثمار أعماله**» (إرميا ١٧ : ١٠)، (٣٢ : ١٩)، إنه وحده «**الله الديّان العادل**» (٢ . المكابيين ١٢ : ٥، ٤١).

انظر واقرأ أيضاً (حزقيال ٣٣ : ٢٠)، (رومية ٢ : ٥، ٦)، (أفسس ٦ : ٨)، (كولوسى ٣ : ٢٤، ٢٥)، (الرؤيا ٢ : ٢٣)، (٢٠ : ١٤)، (١ . كورنثوس ٣ : ٨).

* * *

على أن الآباء الرسل أبانوا بكل الصراحة والوضوح أن **السيد المسيح له المجد هو بذاته الديان وحده للأحياء والأموات**. وهو الذى سيأتى فى مجيئه الثانى بمجد عظيم ومعه جميع ملائكته ورؤساء ملائكته، ويجلس على عرش مجده، ليدين الجميع كباراً وصغاراً، بالعدل، كل حسب أعماله، فى يوم عينه للحساب، للجزاء والثواب. وستجتمع فيه أمامه جميع الشعوب وسيقف الجميع أمام كرسيه للقضاء لينال كل واحد جزاءه خيراً كان أم شراً، وسوف يجزى الأبرار بالنعيم الأبدى للروح والجسد، كما سيعاقب الأشرار بالعذاب المقيم للروح والجسد.

«فأصبروا أيها الأخوة إلى مجئ الرب.. فاصبروا أنتم أيضاً وثبّتوا قلوبكم، فإن مجئ الرب قد اقترب.. **هوذا الديّان واقف على الباب**» (يعقوب ٥: ٧ – ٩).

١ ـ جاء فى الإنجيل للقديس متى:

«**لأن ابن الإنسان سيأتى فى مجد أبيه مع ملائكته، وعندئذ سيجازى كل إنسان على حسب أعماله**» (متى ١٦: ٢٧). وابن الإنسان هو السيد المسيح نفسه، لأنه وهو الله وابن الله، قد لبس صورة الإنسان وولد كإنسان من مريم العذراء، فهو ابن الله، وهو ابن الإنسان معاً.

٢ ـ ويقول ذات الإنجيل للقديس متى أيضاً: «**ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وكل الملائكة القديسين معه، يجلس عندئذ على عرش مجده. وتجتمع أمامه كل الشعوب فيفرز بعضهم من بعض كما يفرز الراعى الخراف من الجداء، ثم يقيم الخراف عن يمينه وأما الجداء فعن يساره. حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا أيها المباركون من أبى لترثوا الملكوت المعدّ لكم منذ إنشاء العالم...**

ثم يقول أيضاً للأشرار الذين عن يساره: اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدّة لإبليس وملائكته..

فيمضى هؤلاء إلى العذاب الأبدى. وأما الأبرار فإلى الحياة الأبدية (متى ٢٥: ٣١ – ٤٦).

ومرة أخرى، **فإن الديّان هو المسيح** له المجد بصفته ابن الإنسان فى مجيئه الثانى. لأنه فى المجئ الأول رفض أن يدين، وقال صراحة «ما جئت لأدين العالم بل لأخلص العالم» (يوحنا ١٢: ٤٧)، (٣: ١٧)، (٨: ١١)، (لوقا ٩: ٥٦).

انظر واقرأ (متى ١٩: ٢٨)، (مرقس ٨: ٣٨)، (لوقا ٩: ٢٦)، (متى ٢٦: ٦٤).

٣ ـ ويقول الإنجيل للقديس يوحنا:

«**إن الآب لا يدين أحداً، وإنما سلّم القضاء كله للابن**» (يوحنا ٥: ٢٢)، «وقد أعطاه السلطان **لأن يدين**، لأنه ابن الإنسان» (يوحنا ٥: ٢٧).

والمعنى الواضح من قول الإنجيل هو أن **المسيح له المجد هو الذى سيدين العالم**. فالمسيح الذى هو «الله الظاهر فى الجسد» (١ . تيموثيئوس ٣: ١٦) هو أقنوم الرحمة، وهو بعينه الذى سيدين الناس بالعدل، مع أن الآب هو أقنوم العدل فى الله. لكن حكمة الله اقتضت أن الرحمة والعدل يلتقيان فى المسيح الفادى والمخلص. «الرحمة والرحمة تلاقيا. العدل والسلام تلاثما. الحق من الأرض نبت، والعدل من السماء تطلع» (مزمور ٨٤: ١٠، ١١) التقيا فى المجئ الأول فى إتمام الخلاص وعمل الفداء الذى جمع الرحمة والعدل معاً: **الرحمة** فى تحقيق الخلاص، **والعدل** فى تنفيذ الحكم بالموت. والمسيح فى عمل الفداء التقى فيه العدل والرحمة معاً.

كذلك شاء الله أن يقوم الفادى بالقضاء والجزاء فى مجيئه الثانى. فيكون وهو أقنوم الرحمة هو الذى يقوم بالدينونة، فلا تعارض بين رحمة الله وعدله. لأنه كما أنه كلىّ الرحمة فهو كلىّ العدل. وكما أنه لا نهاية لرحمته فلا نهاية لعدالته. والله يجمع بين رحمته وعدله من دون تفاضل أو تزايد لصفة فى الله على الأخرى. وتوكيداً لذلك يضيف الإنجيل للقديس يوحنا قول المسيح له المجد «**أدين، ودينونتى عادلة**، لأننى لا أبتغى مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى» (يوحنا ٥: ٣٠) مؤكداً بذلك على **وحدة المشيئة بين الابن والآب** واتحادهما، وأن الابن والآب واحد فى تدبير الخلاص للإنسان، وإنهما معاً فى وحدة تجمع بين الرحمة الكاملة والعدل الكامل. ويزيد الإنجيل للقديس يوحنا هذه الحقيقة اللاهوتية توكيداً وإيضاحاً، بقول المسيح له المجد «**وإنى وإن دنت فدينونتى حق، لأننى لست وحدى، بل أنا والآب الذى أرسلنى**» (يوحنا ٨: ١٦). وفى هذا توكيد **لوحدانية الإرادة والمشيئة والتدبير فى الابن والآب**. وأن الوحدة قائمة بينهما كاملة فى التدبير والمشيئة، ولا تعارض ولا تباين ولا اختلاف. ويقول المسيح له المجد أيضاً فى نفس المعنى وتوكيداً للحقيقة اللاهوتية: «إنّ الذى أرسلنى **هو معى، ولم يتركنى وحدى**، لأنى فى كل حين أعمل ما يرضيه» (يوحنا ٨: ٢٩).

٤ - ويقول الوحى الإلهى على فم القديس بطرس الرسول عن السيد المسيح له المجد:

«وقد أوصانا أن نكرز للشعب ونشهد بأنه هو الذى عيّنه الله **ديّاناً للأحياء والأموات**» (أعمال الرسل ١٠ : ٤٢) . والمعنى من ذلك أن حقيقة كون **المسيح يسوع هو وحده الديان**، قد أعلنها المسيح ذاته لتلاميذه، وقد أوضحها وألح عليها مطالباً تلاميذه بأن يعلنوها للناس.

* * *

أما قوله بأن الله «**عيّنه**» أو «**جعله**» أو «**أقامه**» فذلك لبيان أن المسيح لم يغتصب هذا الحق لنفسه من دون إرادة الآب. فهو تعبير إنسانى يلائم اليهود وغير اليهود من الأمم غير اليهودية من أمثال كورنيليوس قائد المائة الرومانى وأهل بيته وجيرانه وأصدقائه الذين كان القديس بطرس يوجه حديثه إليهم - وذلك ليبرهن الرسول على أن إرادة الله فى أمر الدينونة والديان مقررة ومبيتة وحاسمة، ولا سيما أن الله ساكن السماء معروف عند من يخاطبهم الرسول بطرس. أما المسيح فلأنه ظهر فى الهيئة كإنسان، فالأمر يقتضى بالنسبة لمن يخاطبهم الرسول ممن لم يعرفوا بعد حقيقة المسيح كاملة أن يقدّمه لهم معرّفاً بالآب السماوى.

٥ - ويقول الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول فى خطابه فى أريوس باغوس بأثينا باليونان:

«**لأنه قد عيّن يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل، على يد رجل قد عيّنه لذلك**، مقدماً لجميع الناس ضماناً بأن أقامه من بين الأموات» (أعمال الرسل ١٧ : ٣١) .

لقد شرح الرسول القديس بولس لأهل أثينا وهم من الأمم غير اليهودية، أن سيد الكون وحاكمه مع طول أناته على الخليقة، قد حدد يوماً هو عتيد أن يدين فيه جميع الناس من كل الشعوب والأمم فى أنحاء المسكونة، دينونة عدل بغير محاباة، فينال كل إنسان جزاء أعماله. وأمّا الديان والقاضى والفيصل فهو الذى كان الأثينيون يعبدونه وهم لا يعرفونه، وهو الذى أقاموا له مذبحاً مكتوباً عليه «إلى الإله المجهول» والذى عرّفهم به بولس فى خطابه العظيم إليهم فى وسط الأريوباغوس، وهو رب السماء والأرض، الذى اتّخذ جسداً، وحمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة» (١ . بطرس ٢ : ٢٤) وقدّم ذاته ذبيحة ليفتدى الناس ممن يؤمنون به فيكون لهم الغفران عن خطاياهم. إنه صُلب، وفى الصليب سفك دمه، ثم ذاق الموت بالجسد، أما لاهوته فلا يموت. وفى اليوم الثالث لدفن جسده قام من بين الأموات بسلطان لاهوته، مبرهناً

بقيامته على نجاح مهمته فى الفداء. فهو الذبيحة، والصليب هو المذبح الذى من فوقه رُفعت الذبيحة لإتمام الفداء. وقيامته من بين الأموات بسلطان لاهوته هى برهان ألوهيته، لأنه لم يقف على قبره أحد ليقيمه. وإذ أنه قام بسلطان لاهوته، فكان خليقاً به أن يكون هو بعينه الديّان الذى جمع فى الفداء بين رحمة الله وعدله.

٦ - ويقول الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول فى رسالته إلى كنيسة روما (رومية):

«يوم يدين الله بيسوع المسيح سرائر الناس، بحسب إنجيلى» (رومية ٢: ١٦).

بهذه الكلمات يقرر الرسول بولس أن ما علّم به سابقاً هو الحق المقدس، فإن الله لا يحابى أحداً. فالذين خطئوا وهم بغير شريعة موسى، فبغير شريعة موسى يهلكون. والذين خطئوا ولهم شريعة موسى، فبشريعة موسى يدانون. فليس الذين يسمعون كلام الشريعة هم الأبرار عند الله، بل الذين يعملون بأحكام الشريعة هم الذين ينالون البر. فغير اليهود من الأمم، الذين بلا شريعة، إذا عملوا بالفطرة ما تأمر به الشريعة، كانوا شريعة لأنفسهم، مع أنهم بلا شريعة. فيثبتون ويدلون على أن ما تأمر به الشريعة من الأعمال مكتوب فى قلوبهم، وتشهد لهم ضمائرهم وأفكارهم. فهى تارة تشكوهم، وتارة تدافع عنهم. وسيظهر ذلك كله، كما أبشّر به يوم يدين الله سرائر الناس وخبايا قلوبهم. **والديّان هو المسيح يسوع.**

الله إذن هو الديان، وقد عيّن يوماً ليجرى فيه الدينونة للمسكونة كلها. وسوف يدين الله الناس لا على أعمالهم الظاهرة فقط، بل على خبايا قلوبهم. **على أن الديان هو المسيح يسوع**، هو الله الذى تلبس بالجسد وظهر فى الهيئة كإنسان، وهو «الكلمة الذى به كان كل شئ، وبغيره لم يكن شئ مما كان». فلا فرق بين أن يكون الله هو الديان وبين أن يكون المسيح يسوع هو الديان، لأن المسيح يسوع هو الله بذاته الذى ظهر فى الجسد «عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد» (١. تيموثيوس ٣: ١٦).

٧ - ويقول الوحى الإلهى على فم القديس بولس أيضاً فى نفس الرسالة:

«من هو الذى يدين؟ المسيح يسوع الذى مات بل بالحرى قام. الذى هو عن يمين الله، وهو أيضاً يشفع لنا» (رومية ٨: ٣٤).

هنا فى هذا النص المقدس يشرح الرسول بوحى من الروح القدس كيف أنّ من يعيشون فى المسيح يسوع سالكين سبيل الروح لا سبيل الجسد، لا دينونة عليهم ولا حكم بالهلاك، فقد تحرروا من عبودية الهلاك، ببر المسيح. وما داموا فى المسيح فهم فى حماه. **ولما كان المسيح يسوع هو الديان**، فهم فى مأمن من الحكم عليهم بالهلاك لأنهم آمنوا بالمسيح الذى مات من أجلهم وبالحرى قام أيضاً. ففيه ماتوا عن خطاياهم السالفة، وفيه قاموا لجدة الحياة. فصاروا به أبراراً لن يتعقبهم الهلاك. وإذا زلوا ولكن لم يسقطوا، فالمسيح يرفعهم ما داموا فيه محتمين، وهو لم يبق فى القبر ميتاً، لكنه قام ثم صعد إلى السماء، وهو جالس على العرش عن يمين القدرة، فهو يحميهم، ولن يسمح لأحد أن يردهم إلى الهلاك الذى نجوا منه. فهو قائم إلى الأبد يشفع لهم وفيهم، أى أنه كما خلصهم فى الماضى، فإن خلاصه، هو الذى شفع فيهم، ولا يزال خلاصه قائماً، يسندهم إلى الأبد، فلن يخطفهم أحد من يده. «يا أبنائى، أكتب إليكم بهذا لئلا تخطأوا. وإن خطئ أحد منا، فلنا من يسوع المسيح البار شفيع عند الآب. فهو كفارة لخطايانا، لا لخطايانا وحدها، بل لخطايا العالم كله» (١ . يوحنا ٢ : ١، ٢).

٨ ـ ويقول الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول فى نفس رسالته إلى كنيسة روما (رومية):

«فما بالك يا هذا تدين أخاك؟ أو لِمَ يا هذا تزدرى أخاك؟ **فإننا جميعاً سنقف أمام كرسى المسيح**» (رومية ١٤: ١٠).

فالرسول يقرر أننا جميعاً عبيد لله. وليس من حق إنسان ما أن يرفع نفسه فوق غيره، أو يفتخر على غيره. وليس يليق بإنسان أن يحتقر إنساناً آخر أو يزدريه، أو يحكم عليه أو يدينه كمخطئ أو كأثيم كما لو كان هو أفضل من غيره أو أطهر منه. لا فضل لإنسان على آخر، ولا ميزة لواحد على أخيه، ولا سلطان له عليه حتى يدينه أو يحتقره. فإننا جميعاً بشر وكلنا عبيد، ولسوف نُحاكم ونُحاسب على أفعالنا وأقوالنا فى اليوم الذى وقّته الله للدينونة والحساب. **إننا كلنا سنقف أمام كرسى المسيح للقضاء** .. وفى هذا نحن جميعاً سواسية. جميعنا سنُحاسب عندما نقف للمحاكمة أمام كرسى المسيح للقضاء. فليس لأحد سلطان على آخر، حتى يحكم عليه أو يدينه.

هنا أيضاً فى هذا النص، واضح أن **الديّان هو الله، هو المسيح يسوع**، لأنه كما قال

الإنجيل «الآب لا يدين أحداً، وإنما سلّم القضاء كله للابن، ليمجد الجميع الابن كما يمجدون الآب» (يوحنا ٥: ٢٢، ٢٣) ولأن الابن، أى المسيح يسوع، هو صورة الله الغير منظور (كولوسى ١: ١٥).

٩ - ويقول الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول فى رسالته الثانية إلى كنيسة كورنثوس:

«لأننا لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسى المسيح للقضاء، لينال كل واحد جزاء ما عمله وهو فى الجسد، أخيراً كان أم شراً» (٢ . كورنثوس ٥: ١٠).

هنا يبرز الرسول بولس بالروح القدس حقيقة الدينونة والحساب والجزاء الأخروى لجميع الناس أبراراً كانوا أم أشراراً، وذلك بعد القيامة العامة، قيامة الأجساد فى اليوم الذى عيّنه الله ليدين فيه الأحياء والأموات. إنّ الدينونة لذلك مرجأة بالنسبة للراقدين المنتقلين حتى يلبسوا أجسادهم. فأرواح المنتقلين تبقى فى مقار الأرواح السعيدة أو غير السعيدة إلى يوم القيامة العامة، وهى ما تعرف بالقيامة الثانية، لأن القيامة الأولى (سفر الرؤيا ٢٠: ٥، ٦) هى التوبة، لأنها قيامة من موت الخطيئة. وهذه يمارسها من يسمعون كلمة الله ويطيعونه (يوحنا ٥: ٢٤، ٢٥). أما القيامة الثانية فهى قيامة جبرية قهرية لابد منها للجميع، للأبرار والأشرار، حتى ينالوا جزاء ما قدّمت أيديهم، وما صنعوا من خير أو من شر. وهذه هى الحكمة فى إرجاء الجزاء الأخروى إلى ما بعد القيامة العامة. لأن الإنسان صنع الخير أو الشر بكيانه كله، بالروح والجسد معاً. فكيف يكون للروح وحدها الجزاء من دون الجسد الذى زاملها رحلة الحياة كلها؟

من هنا قول الرسول بإلهام الروح القدس إنه **لابد لنا جميعاً من أن نظهر**، أى لا باختيارنا، بل هى ضرورة يلتزم بها الناس جميعاً، ولا تُترك لإختيارهم أو رغبتهم، هى ضرورة ملزمة يقتضيها العدل الإلهى لينال كل واحد جزاء أفعاله وثمرة أعماله التى صنعها لا بالروح فقط بل وفى الجسد أيضاً.

أما الديّان فهو المسيح الرب والملك (متى ٢٥: ٣٤، ٤٠)، وكرسيه للقضاء سينتصب على الأرض، وفى المكان الذى ارتفع فيه صليبه فى المجئ الأول و«**تنهض الأمم وتصعد إلى وادى يهوشافاط، فإنى هناك أجلس لأدين جميع الأمم من كل ناحية**» (يوئيل ٣: ١٢) «**أجمع جميع الأمم وأنزلهم إلى وادى يهوشافاط وأحاكمهم هناك**» (يوئيل ٣: ٢).

١٠ ـ ويقول الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول فى رسالته الثانية إلى تلميذه القديس تيموثيئوس:

«أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح الذى سيدين الأحياء والأموات عند ظهوره ومجئ ملكوته» (٢ . تيموثيئوس ٤ : ١) .

فى هذا النص المقدس يذكّر الرسول بولس تلميذه تيموثيئوس بما يعلمه الأسقف جيداً، ولكنه توكيداً لحرارة الرجاء فى وجوب النضال والجهاد فى سبيل نشر كلمة الله، ومواصلة الوعظ والتعليم والإنذار والتوبيخ من غير مهادنة، والإلحاح عليه بشدة فى عدم التراخى فى الخدمة، خصوصاً وأن الرسول بولس يكتب هذه الرسالة أو بالحرى يمليها وهو ينتظر تنفيذ الحكم عليه بالإعدام، فكلامه هنا وصية أخيرة قبيل نهاية حياته. «أما أنا فأريق السكيب علىّ، ووقت رحيلى قد اقترب» (٤ : ٦) .

وفى النص توكيد على هذه الحقيقة التى أعلنها الوحى الإلهى مراراً وتكراراً، أن الرب يسوع المسيح هو الذى سيدين الأحياء والأموات عند ظهوره وتجليه فى مجيئه الثانى للدينونة، كما ينص أيضاً قانون الإيمان «ويأتى فى مجيئه الثانى ليدين الأحياء والأموات» .

١١ ـ وجاء فى سفر الرؤيا قول السيد المسيح له المجد:

«وأكتب إلى ملاك الكنيسة التى فى ثياتيرا. هذا ما يقول ابن الله الذى عيناه كلهيب نار، ورجلاه كالنحاس الخالص: أنا عارف أعمالك وما عندك من محبة وإيمان وبذل وصبر.. **أنا هو الفاحص الكلى والقلوب، وسأعطى كل واحد منكم على حسب أعماله**» (الرؤيا ٢ : ١٨ – ٢٣) .

وهذا نص واضح وصريح على **أن السيد المسيح له المجد هو الديان الذى يملك حق المجازاة بالثواب والعقاب، لكل إنسان على حسب أعماله، وعلى قدر ما عنده من فضائل، وما يتصف به من رذائل.**

فالمتكلم الذى يوجه الخطاب، **هو المسيح (ابن الله)** الذى عيناه كشعلة ملتهبة ناراً، ورجلاه كالنحاس الخالص النقى المصقول، وهو الوصف الذى وصف به المسيح له المجد فى الرؤيا (١ : ١٤، ١٥) كما رآه القديس يوحنا اللاهوتى، ووصفه بأنه شبه ابن الإنسان، وهو يلبس ثوباً طويلاً إلى قدميه، وحول صدره منطقة من ذهب. وكان شعر رأسه أبيض كالصوف

الأبيض أو كالثلج، وعيناه كلهيب نار، ورجلاه كالنحاس الخالص محمىّ فى أتون، ووجهه كالشمس فى أبهى شروقها. وإذن فهو المسيح ابن الله وابن الإنسان معاً، لأنه فى صورة الإنسان. وقال القديس يوحنا الرائى: «فلما رأيته وقعت عند **قدميه** كالميت. فلمسنى **بيده اليمنى** وقال: لا تخف، **أنا الأول والآخر**. أنا الحى. **وكنت ميتاً وهأنذا حىّ إلى أبد الدهور. بيدى مفاتيح الموت والجحيم**» (الرؤيا ١: ١٣ – ١٨).

هو المسيح فى الجسد، له رأس وعينان ووجه ويدان ورجلان وصدر وقدمان، ويصف ذاته بصوته الرهيب كصوت بوق يقول: «**أنا الأول والآخر**» أى الأزلى الأبدى، «**أنا الألف والياء**». «**الكائن والذى كان والذى يأتى**» (الرؤيا ١: ٤) أى هو «الدائم» أو هو «يهوه» الكائن دائماً فى كل حين، السرمد، والسرمدى، البدء الذى لا بدء له، والأبدى الذى لا نهاية له. إنه الحى دائماً، وإن كان قد ذاق الموت بالجسد من أجل عمل الفداء والخلاص، لكنه هو الحى إلى أبد الدهور، بل قال: «أنا هو الحياة» (يوحنا ١١: ٢٥)، «فيه كانت الحياة، كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان». هو «الكلمة» و«الكلمة هو الله» (يوحنا ١: ١، ٣، ٤).

ويقول لملاك الكنيسة التى فى ثياتيرا وهو أسقفها «أنا عارف أعمالك وما عندك من محبة وإيمان وبذل وصبر» - ثم يضيف «أنا هو الفاحص الكلى والقلوب» أنا هو العليم بما فى ذات الصدور، عليم وعالم بالخفايا فى الضلوع، عليم وعالم بما تنطوى عليه قلوب الناس، ما يبطنون وما يظهرون، عليم وعالم بكل تلافيف الكلى وهى أخفى ما عند الإنسان من أعماق ودواخل. وهو يقول هذا ليطمئن المؤمنين أن «دينونته عادلة» (يوحنا٥: ٣٠) لأنه «لا يحكم حسب الظاهر» (يوحنا ٧: ٢٤). إنه فى مجيئه الثانى للدينونة «**سيعطى كل واحد على حسب أعماله**». فهو الديان العادل، لا يظلم أحداً (العبرانيين ٦: ١٠).

١٢ - وجاء فى سفر الرؤيا أيضاً قول المسيح له المجد فى ختام الرؤيا للقديس يوحنا الحبيب الرائى:

«ها أنا آتٍ سريعاً، وجزائى معى لأجازى كل واحد بعمله، أنا الألف والياء، الأول والآخر، والبداءة والنهاية.. أنا يسوع أرسلت ملاكى ليشهد لكم بهذه الأمور فى الكنائس. أنا أصل داود ونسله. أنا كوكب الصبح المنير.. نعم، أنا آتٍ سريعاً! آمين! تعال، أيها الرب يسوع» (الرؤيا ٢٢: ١٢ – ٢٠).

واضح وجلىّ من هذا التصريح الإلهى فى ختام الرؤيا أن المسيح له المجد هو المتكلم. ويقول أنا أرسلت ملاكى ليشهد لكم بهذه الأمور فى الكنائس. ثم يصف ذاته بأنه **أصل داود ونسله**. وقد سبق له وهو على الأرض أن سأل اليهود هذا السؤال عن المسيح. قال الإنجيل: «وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً: ماذا تظنون فى المسيح؟ ابن من هو؟ فقالوا له: ابن داود. قال لهم: فكيف إذن يدعوه داود بالروح القدس ربىّ قائلاً: قال الرب لربى: اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك تحت قدميك؟ فإن كان داود إذن يدعوه ربه فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطيع أحد أن يجيبه بكلمة» (متى ٢٢: ٤١ - ٤٤)، (مرقس ١٢: ٣٥ - ٣٧)، (لوقا ٢٠: ٤١ - ٤٤)، (مزمور ١٠٩: ١).

ثم يقول «**أنا كوكب الصبح المنير**» الذى إليه أشار النبى فى القديم «أراه ولكن ليس الآن. أبصره ولكن ليس قريباً. يبرز **كوكب** من يعقوب ويقوم صولجان من إسرائيل..» (سفر العدد ٢٤: ١٧). انظر أيضاً (زكريا ٦: ١٢)، (متى ٢: ٢)، (٢. كورنثوس ٤: ٤، ٦)، (٢. بطرس ١: ١٩)، (الرؤيا ٢: ٢٨).

إنه هذا كله، ولكنه أولاً وقبل كل شئ، يقول بفمه الإلهى الطاهر: «**أنا الألف والياء، وأنا الأول والآخر، والبداءة والنهاية**» توكيداً لحقيقة أنه الواحد الأحد، الأزلى الذى لا بداءة له، الأبدى الذى لا نهاية له. هو البدء الذى لا بدء له، والأبدى الذى لا نهاية له، بل هو «**أبو الأبد**» (إشعياء ٩: ٦) أى أنه أصل الأبد.

إنه الرب يسوع، **أصل داود ونسله، وكوكب الصبح المنير، والألف والياء، والأول والآخر، والبداءة والنهاية**. ويقول فى خاتمة الرؤيا «**ها أنا آت سريعاً، وجزائى معى، لأجازى كل واحد بعمله**» هذا الوعد بالمجئ الثانى فى خاتمة الرؤيا كرره مرة أخرى فى ختام الختام «**نعم، أنا آتٍ سريعاً! آمين!**» (الرؤيا ٢٢: ٢٠) على أن هذا المجئ الثانى هو للدينونة كما وعد بذلك مراراً. ويقول: «**وجزائى معى لأجازى كل واحد بعمله**». والجزاء على حسب العمل، كما تقتضى عدالته، فهو القاضى العادل «رب الجنود الحاكم بالعدل الفاحص الكلى والقلوب» (إرميا ١١: ٢٠).

* * *

ويصف الرائى يوم الدينونة هكذا:

«ثم رأيت عرشاً أبيض عظيماً، ورأيت الذى عليه استوى. وهو الذى هربت من أمام وجهه

الأرض والسماء ولم يبق لهما أثر. ورأيت الأموات كباراً وصغاراً واقفين أمام العرش. وانفتحت الأسفار، ثم انفتح سفر آخر، الذى هو سفر الحياة. **ودين الأموات مما هو مكتوب فى الأسفار، كل واحد بأعماله**، وقذف البحر الأموات الذين فيه. وقذف الموت والجحيم الأموات الذين فيهما. **فدينوا كل واحد بحسب أعماله**، (الرؤيا ٢٠: ١١ – ١٣).

* * *

المسيح له المجد هو وحده الديان. ولمزيد من البيان، انظر واقرأ (يوحنا ١٢: ٤٨)، (رومية ٢: ٦)، (١٤: ٩، ١٢)، (١. كورنثوس ٤: ٥)، (كولوسى ٣: ٢٤، ٢٥)، (٢. تسالونيكى ١: ٦، ٧) (٢. تيموثيئوس ٤: ٨)، (يعقوب ٥: ٩)، (١. بطرس ٤: ٥)، (يهوذا: ١٤، ١٥)، (دانيال ٧: ١٠)، (زكريا ١٤: ٥).

المسيح كلمة الله
يعلم كل شئ

المسيح كلّىّ العلم

جاء فى الإنجيل المقدس أن تلاميذ المسيح له المجد قالوا له: «نحن الآن نعرف **أنك عالم بكل شئ**، ولا تحتاج إلى أن يسألك أحد. لهذا نؤمن بأنك من الله خرجت» (يوحنا ١٦: ٣٠) وقال القديس سمعان بطرس الرسول يخاطب معلّمه بعد قيامته المجيدة من بين الأموات «**يا رب أنت تعلم كل شئ**. أنت تعلم أننى أحبك» (يوحنا ٢١: ١٧).

وجاء فى رسالة كولوسى «**المسيح الذى تكمن فيه جميع كنوز الحكمة والمعرفة**» (كولوسى ٢: ٢، ٣).

وقال عنه الإنجيل بعد اجتماعه بتلاميذه فى العلّية، ليلة آلامه «فخرج يسوع **وهو عالم بكل ما سيأتى عليه**» (يوحنا ١٨: ٤).

فمن يكون المسيح إذن إلا أن يكون هو الله بذاته، لأن الله وحده هو الذى «**يعلم كل شئ**»، وهو وحده «الذى تكمن فيه جميع كنوز الحكمة والمعرفة» «هو كاشف الأعماق والخفايا وعالم ما فى الظلمة وعنده يحل النور» (دانيال ٢: ٢٢).

علم الإنسان ومعرفته

إن الإنسان يعلم بعض العلم أما الله فهو وحده الذى «يعلم كل شئ».

أولاً: نعم، إن علم الإنسان علم محدود:

فما من عالم أو فيلسوف أو كائناً من كان يزعم أنه يعلم كل شئ. وقد اعترف أحد العلماء قائلاً: إن ما نعرفه أو نعلمه لا يُقاس بشئ إلى ما لا نعلمه. والأقرب إلى الحق أن يُقال إننا لا نعلم شيئاً.

ثانياً: علم الإنسان علم غير مباشر:

ثم إن علم الإنسان بالأشياء غير مباشر.

١ ـ فالإنسان مغلق عليه فى جسده أو بدنه، ولا يعلم عن العالم الخارجى عنه إلاّ بقدر ما تنقل إليه حواسه الخمسة ولذلك تُعرف الحواس بأبواب المعرفة. فهى المنافذ والطاقات التى تصل منها إليه المعرفة بالوجود الخارجى.

فإذا فقد الإنسان بعض هذه الحواس فقد بالتالى المعرفة التى تصله عن طريقها. فمن وُلد فاقداً **حاسة النظر** مثلاً أمسى عالم الألوان بالنسبة له لا وجود له، فلا يدرك الفرق بين الأحمر والأزرق أو بين الأصفر والأخضر.

وكذلك إذا وُلد فاقداً **حاسة السمع**، فلا يصل إليه العلم بالأصوات. فلا يعرف الفرق بين صوت الرجل وصوت المرأة وصوت الطفل، ولا يحس الفارق بين خرير المياه، وعواء الذئاب، ونباح الكلاب، ومواء القطط، وهديل الحمام، وصهيل الفرس.. إن عالم الأصوات لا وجود له لمن فقد حاسة السمع.

وهكذا من فقد **حاسة الذوق** باللسان فلا يميز بين الطعوم. ومن فقد **حاسة الشم** لا يحس الفارق بين رائحة زكية ورائحة كريهة، بين عطر منعش، وعفونة منبعثة من جيفة حيوان ميت.

فالحواس الخمس هى أدوات المعرفة عند الإنسان، عن طريقها تصل إليه المعرفة بما هو خارج عن كيانه المادى، ومن دونها تنعدم معرفته بالعالم الخارجى.

٢ ـ على أن للإنسان، فضلاً عن حواسه الخمس، **نور العقل**. والعقل قدرة الروح والنفس الناطقة المخلوقة على صورة الله ومثاله ـ **وبالعقل يفهم الإنسان ويدرك، ويتصور الصور الذهنية. وبالعقل يستدل الإنسان، ويستقرئ، ويدرك المجردات، وبه أيضاً يبتكر، ويخترع، ويكتشف، ويخلق الحلول لما يعترض حياته من صعوبات. وبالعقل يتوصل الإنسان إلى وجود الخالق**، فيتضع أمام موجده وموجد الكون، ويخضع له بذهنه وقلبه وبدنه ساجداً لعظمته. **وبالعقل يُدرك الوجود غير المنظور وغير المحسوس**، ويقر أنه ليس كائناً وحده فى هذا الكون الواسع المترامى الأطراف، ولابدّ أن تكون ثمت كائنات أخرى تشاركه الوجود، وإن كان لا يدركها بحواسه.

٣ ـ بيد أن الإنسان قد تبيّن بكيانه الإنسانى أن هناك **نوعاً ثالثاً من المعرفة** يجيئه عن غير طريق العقل وقدراته على الاستقراء والاستنباط وتسلسل البرهان ـ نوعا يختلف أيضاً عن المعرفة التى تصل إليه من الحواس الخمسة ـ هذا النوع من المعرفة ينبثق فى النفس إنبثاقاً، فلا يأتى إليه من الحواس، ولا يجئ بالاستقراء والاستنتاج العقلى، إنما يتولد فى النفس من غير

العقل ومن غير الحواس. هو نوع من **الإلهام** للعقل والقلب ينبثق فجأة فينير القلب والعقل، بنور جديد، فيثير الوجدان بفرح عميق، ويتبيّن الإنسان بعد أن يهدأ انبهاره بهذا النور أنه حق وصدق وأنه نافع لمسيرته فى حياته الدنيا، وعون له على مزيد من الفهم والعلم والعرفان. ولما كان يعرف أن هذه المعرفة قد انبثقت فى قلبه وعقله انبثاقاً، ولم تأته لا من العقل ولا من الحواس، يتبيّن أنها معرفة جاءته من مصدر ثالث.

هذا النوع الثالث من المعرفة تنبّه له قبل غيرهم بعض العلماء والفلاسفة. فالعلماء سمّوه باسم (الفرض العلمى) وأقرّوا أنه ليس من خلق عقولهم أو حواسهم، وتتبعوه بقياساتهم العلمية والتجريبية، فثبت لهم صدقه وحقه. ولمّا كانوا لا فضل لهم فيه، فازدادوا اتضاعاً، وهو ما يعرف بـ (تواضع العلماء على الحقيقة). أمّا الفلاسفة فسمّوه بـ (الإلهام) Intuition وأقرّوا بأنه إرشاد من عالم الروح، وصرّح سقراط مثلاً بأنه تلقين وإيعاز من كائن روحانى كان يراه سقراط فى حلم أو فى رؤيا وكان يرشده. ولقد عُرفت هذه الروح المرشدة فى تاريخ الفلسفة بـ (جنيّة سقراط). وكأن الفيلسوف فى هذه الحالة بفضل صفاء روحه يصير وسيطاً لقوى روحية من عالم الروح.

هذا النوع الثالث من المعرفة الذى ينبثق فى النفس إنبثاقاً ولا يجئ عن طريق العقل والحواس الخمس، عرفه المتصوفة والرهبان بـ (العلم اللَّدُنّى) أى العلم الذى من لدن الله، (يوحنا ٦: ٤٥)، (١ . تسالونيكى ٤: ٩)، ينزل على عقل الإنسان وروحه - إذا توافر له الصفاء الروحى - بنور يشرق فى قلبه، إشراقاً ، فيعرف به ما لا يعرف بعقله ولا بحواسه الخمس.

أما سائر الناس من غير الأنبياء، ومن غير العلماء والفلاسفة، فعرفوه أيضاً على درجة ما، فسمّوه بـ **(الحاسة السادسة)** كما سُمىّ عند البعض الآخر بـ (الحَدس) أى الإلهام.

* * *

تلك مصادر العلم والمعرفة عند الإنسان وكلها وسائط تنقل إليه المعرفة من خارج نفسه، بما فيها الإلهام أو الحدس الذى ينبثق فى النفس من الله أو من عالم الروح، فمعرفة الإنسان بالأشياء وبالموجودات وبالحقائق معرفة غير مباشرة، أى أنه لا يصل إلى حقائق الوجود وصولاً مباشراً من غير وسيط.

١ ـ أما معرفة الإنسان بالأشياء عن طريق الحواس فهى تتوقف على سلامة الحواس. فإذا كانت حواسه مريضة أو معطلة لسبب أو لآخر، فالمعرفة التى تصله عن طريق هذه الحواس لابدّ بالتالى أن تكون معرفة ناقصة أو مشوّهة.

فإذا كان نظره ضعيفاً، فهو لا يرى الأشياء بوضوح. وإذا كانت عيناه مُصابتين بمرض من أمراض العيون، فالمعرفة الواصلة إليه عن طريق عينيه لا تكون معرفة سليمة أو واضحة أو حقيقية قائمة على طبيعة الأشياء فى ذاتها.

وإذا كان مريضاً بالزكام وما أشبه فقد يشتم فى الموجودات عفونة من دون أن تكون فى الموجودات عفونة حقيقية، لكن لأن حاسة الشم عنده مريضة فحكمه على الروائح لا يكون صائباً.

وبسبب الزكام أيضاً أو لأسباب أخرى يكون تمييزه للطعوم ضعيفاً فلا يستطيع أن يميز بوضوح بين الحلو والمر، وما بينهما. وقل مثل ذلك بالنسبة لحاسة السمع وكذلك حاسة اللمس.

فمادامت معرفة الإنسان بالموجودات الخارجة عن كيانه الجثمانى تتوقف على الحواس باعتبارها أبواب المعرفة، فإذا كانت هذه الحواس مريضة فالمعرفة الواصلة إليه عن طريقها لابد أن تكون ناقصة أو معيبة أو غير سليمة.

لكن هناك عاملاً آخر يعيب المعرفة التى تصل الإنسان عن طريق الحواس، وهو ما يعرف بخداع الحواس.

فقد تكون حواسنا الخمسة سليمة ومع ذلك تنقل إلينا معرفة خاطئة، مضادة ومعارضة لحقيقة الأشياء نفسها.

فنحن نرى السماء زرقاء، ولكننا نعلم الآن أنها ليست كذلك على الحقيقة. وقد تبيّن لنا أن هذه الزرقة لا وجود لها فى الواقع، لكنها نتيجة إنعكاس الأضواء بحيث تبدو لنا أنها زرقاء ولكنها ليست كذلك فى حقيقتها.

ونحن نرى الملعقة فى كوب من الماء مكسورة، ولكنها ليست كذلك فى الحقيقة بدليل أننا إذا أخرجناها من الكوب نراها سليمة. لكنها عندما تكون فى الكوب (تبدو) لعيوننا مكسورة. وكذلك مجذاف القارب أو السفينة نراه فى البحر أو النهر مكسوراً، فإذا أخرجناه من الماء تبيّنا أنه سليم وغير مكسور.

من ذلك أيضاً ظاهرة (السراب Mirage) ترى كمسطحات الماء تلصق بالأرض عن بعد. وهى من خداع الحواس تنشأ عن إنكسار الضوء فى طبقات الجو عند اشتداد الحر، وتكثر بخاصة فى الصحراء.

من هنا أثبت بعض الفلاسفة من أمثال كنط Kant (١٧٢٤ – ١٨٠٤م) الفيلسوف الألمانى، والفرنسى بوانكاريه H. Poincaré (١٨٥٤ – ١٩١٢م) ولوروا P. Leroux (١٧٩٧ – ١٨٧١م) ومن إليهم صحة نظريتهم التى سُميت بـ **(النظرية النقدية)** فى أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر. ومؤداها أن حواسنا تخدعنا، وبالتالى فإن معرفتنا بالأشياء هى كما (تبدو) لنا، أو كما (تبدو) لحواسنا. وإذن **فنحن لا نعرف الأشياء كما هى فى حقيقتها وإنما كما (تبدو) لحواسنا.**

وعلى ضوء هذه النظرية النقدية نزل العلم عن كبريائه وعن نزعته التوكيدية التى كانت تُصر على أن الحقيقة هى ما تراه العين، وما تسمعه الأذن، وما تلمسه اليد، إلى أرض الواقع، **فصار العلم (احتمالياً) لا يقينياً**، لأن أدواته فى الوصول إلى المعرفة هى الحواس، والحواس قد تمرض، وحتى لو لم يصبها المرض أو الوهن فهى تخدعنا لأنها لا تستطيع أن تنقل إلينا المعرفة بالحقيقة فى ذاتها، وإنما الحقيقة كما (تبدو) لنا.

ومهما يكن من أمر فهذا هو العلم بالوجود المادى الذى تنقله إلينا الحواس الخمسة.

٢ ـ **أما المعرفة العقلانية فهى أيضاً معرفة غير مباشرة بالحقائق فى ذاتها.** فنحن ننتقل بالعقل من مقدمات، وبعضها بديهيات أو تبدو لنا كذلك، وبعضها مسلّمات وهى قضايا يقرها الناس فى المجتمع. **ومن المقدمات ننتقل إلى النتائج صعوداً على سلم البرهنة، ومن الملاحظة إلى استقراء القانون العام الذى يربط بين الظواهر المتشابهة**، وقبل أن نصل إلى القانون العام الذى يربط بين الظواهر يحاول العلماء منّا أن يقدّموا تفسيراً للظواهر، يبدأ مما يُعرف عند العلماء بـ **(الفرض العلمى)** الذى عن طريقه يعمل على تفسير الظواهر المتشابهة ليصل أخيراً إلى ما يعرف بالقانون العام الذى يربط بين الظواهر الطبيعية. وشيئاً فشيئاً يتحول القانون العام إلى مسلمة من المسلّمات فى عالم الناس.

والخلاصة، **إنّ العلم بكل مصادره الثلاثة فى عالم الإنسان هو علم غير مباشر** بحقائق الوجود، وبلغة أخرى هو علم بالوسائط أو خلال الوسائط التى تنتقل بها المعرفة إلى

النفس البشرية. لكننا لا نزعم أننا نستطيع أن ننفذ إلى الحقيقة فى ذاتها، ومن دون واسطة.

٣ ـ وحتى الذين توافر لهم الصفاء النفسى، فوصلوا إلى ما يعرف بـ (العلم اللدُنّى) وهو الإلهام والحدس، يُقرّون بأن هذا النوع من العلم قد صُبّ فى قلوبهم صباً، فلم يتوصلوا إليه بحواسهم ولا بالبرهنة العقلية، لكنه أبلغ إليهم وصُبّ فى قلوبهم صباً، من خارج نفوسهم. لكنّ نفوسهم فى ذاتها لا قدرة لها على أن تنفذ إلى الحقيقة فى ذاتها من غير واسطة.

ثالثاً: علم الإنسان علم آنّى:

إنه علم مرتبط باللحظة التى يعيشها الإنسان، فهو آنّى، لأنه يتّصل بالآن، تجئ إليه المعرفة مجزأة بحسب الحاجة، فمعرفته ليست شاملة، وليست كاملة. إنها محدودة بالزمان والمكان. ولذلك فإنها قابلة للنموّ والازدياد بحسب الحاجة. فقد يعرف اليوم شيئاً، ثم تزداد معرفته فى يوم آخر، وهكذا تنمو المعرفة شيئاً فشيئاً وتكبر وتزداد مع الأيام، وبازدياد احتياجاته وتنوع إلتزاماته. ومن هنا فمعرفة الطفل ليست كمعرفة الشاب أو الرجل. إنها كالنبات ينمو طولاً وعرضاً. ولذلك قالوا فى الأمثال: إن من يكبرك بيوم، تزيد معرفته عنك بسنة. جاء فى الرسالة الأولى إلى كورنثوس: **«لمّا كنتُ طفلاً، وكطفل كنتُ أتكلّم، وكطفل كنتُ أدرك، وكطفل كنتُ أفكر. ولمّا صرت رجلاً تركتُ ما هو للطفل. إنى أعرف الآن بعض المعرفة. وأمّا يومذاك فسأعرف كما عُرفت»** (١. كورنثوس ١٣: ١١، ١٢).

أنظر أيضاً (١. كورنثوس ٣: ١)، (١٤: ٢٠)، (أفسس ٤: ٤)، (العبرانيين ٥: ١٣)، (١. بطرس ٢: ٢).

* * *

تلك خصائص المعرفة عند الإنسان بعامةٍ، وإنها فى جميع مصادرها معرفة محدودة وقاصرة، ومعرفة غير مباشرة، ومعرفة آنيّة محدودة فى الزمان.

وحقاً إن بعض الروحانيين من القديسين كان لهم نصيب أوفر من غيرهم من البشر، فاتسعت معرفتهم وامتدت إلى أكثر مما كان يعرفه الذين عايشوهم فى الزمان والمكان، بصورة

متميزة مبهرة، ومع ذلك فهى معرفة محدودة بالقياس إلى معرفة الله غير المحدودة عبر الزمان والمكان.

لقد حدّثنا الكتاب المقدس عن الأنبياء الملهمين بالروح القدس، وكيف عرفوا بالإلهام الإلهى أموراً، فانكشف لهم الحاضر وانفتح أمامهم المستقبل. ومع ذلك فليس كل الحاضر وليس كل المستقبل. إنّما الذى انكشف لهم هو ما أراد الله أن يكشفه لهم لنجاح مهمتهم ولأداء رسالتهم، فى تحذير الناس وإنذارهم، حتى يتوبوا عن خطاياهم، ويُصلحوا مسيرتهم.

هذه المعرفة الخاصة التى زوّد الله بها الأنبياء القديسين كانت من قبل الله تعالى، منحها لهم بالروح القدس الذى أرشدهم وألهمهم وأوحى إليهم، فنفخ فيهم وألقى إلى عقولهم وقلوبهم بهذه المعرفة العالية، ونطق على ألسنتهم بمعرفة ليست من عندهم، فهى معرفة جاءت إليهم لا عن طريق الحواس ولا عن طريق الاستقراء أو الاستنباط العقلى، ولكن بالإلهام والكشف الإلهى لقلوبهم وأرواحهم .. وذلك بالرؤى أحياناً، وبالأحلام أحياناً أخرى، وبالصوت الهادئ الواضح فى القلب والعقل والشعور أحياناً ثالثة، وفى أحيان رابعة عن طريق ملاك أو كائن روحانى يتجسّم أمامهم فيرونه ويسمعون صوته، يبلغهم رسالة الله إليهم، ويأمرهم بالعمل بها.

قال الرب لهرون ومريم أخوى موسى النبىّ، وكلّمهما فى عمود سحاب أو غمام، قائلاً: «إن يكن فيكم نبىّ للرب، **فبالرؤيا استعلن له فى الحلم، أكلّمه**. وأما عبدى موسى فليس هكذا، بل هو أمين فى كل بيتى. **فما إلى فم أخاطبه، وعياناً لا بالألغاز**، وشبه الرب يعاين..» (سفر العدد ١٢: ٦ – ٨).

ومعنى هذا أن الرب يوحى إلى الأنبياء بما يريد أن يبلغهم إياه ويأمرهم به، **إمّا عن طريق الأحلام، أو الرؤى، أو عن طريق ملاك أو كائن روحانى**.

وإذن فالمعرفة الخاصة للأنبياء ليست فيهم من ذواتهم، وإنّما تجيئهم بوسائط منها الأحلام والرؤى، ومنها المخاطبة بصوت مسموع من الخارج أو فى داخل القلب والروح، أو عن طريق ملاك أو كائن روحانى.

على أن هذه المعرفة معرفة مفاضة على الأنبياء من قبل الله، وبواسطة من الوسائط الإلهية.

فهى إذن معرفة مُفاضة عليهم من خارج ذواتهم، كما أنها معرفة محدودة بالرسالة المنوط بها النبىّ فى الزمان والمكان.

ومهما يكن من أمر، **فمعرفة الأنبياء القديسين معرفة محدودة غير شاملة وغير كاملة، وليست من ذواتهم، كما أنها معرفة آنية وغير مباشرة، ومقيّدة بهدف محدود ومحدّد لرسالة فى الزمان والمكان.**

جاء عن **أليشع النبىّ** أنه كانت له بالروح القدس موهبة الكشف **فكان يُخبر ملك إسرائيل بما يتكلم به ملك أرام فى مخدع منامه**، فيتحذر ملك إسرائيل ويتحفظ، حتى لقد ظن ملك أرام السوء فى عبيده وخدّامه وظنهم جواسيس يعملون لحساب ملك إسرائيل. فلما طمأنوه بأنهم ليسوا خائنين له وإنما هو أليشع النبى الذى تنكشف له الأمور فيخبر بها ملك إسرائيل (٢. الملوك ٦: ٨ – ١٣) أرسل ملك أرام إلى حيث أليشع، بخيل ومركبات وجيش ثقيل وكثير ليأخذ أليشع. فلما رأى الغلام خادم رجل الله أليشع، الخيل والمركبات والجيش، صرخ نحو سيده وقال «آه يا سيدى ماذا نصنع؟» فقال أليشع للغلام: «**لا تخف، فإن الذين معنا أكثر من الذين معهم**. وصلى أليشع وقال **يا رب، اكشف عن عينيه ليرى. فكشف الرب عن عينى الغلام فرأى. فإذا الجبل مملوء خيلاً ومراكب نار حول أليشع**» (٢. الملوك ٦: ١٣ – ١٧).

لقد كشف الرب عن عينى أليشع النبى، فكان يعلم بالخطط الحربية التى يخططها ملك أرام وهو فى مخدع منامه وينبّه ملك إسرائيل إليها. وعندما أرسل ملك أرام جيشاً كبيراً وخيلاً ومركبات ليأخذ أليشع وانزعج الغلام خادم أليشع وصرخ قائلاً: آه يا سيدى، ماذا نصنع؟ لم يرتبك أليشع ولكنه صلّى من أجل الغلام حتى يكشف الرب عن عينيه ليرى الجبل مملوءاً خيلاً ومركبات نار حول أليشع، وكان عددهم أكبر من الخيل والمركبات التى أرسلها ملك أرام. وكشف الرب عن عينىّ الغلام فرأى وأيقن من صحة مقولة سيّده النبى «لا تخف فإن الذين معنا أكثر من الذين معهم» أى **أن أليشع كان يرى الملائكة من حوله ولكنه صلّى من أجل الغلام حتى يرى ما يراه هو.**

وفى أمر آخر كشف الرب عن عينى أليشع، ذلك أن نعمان السريانى رئيس جيش ملك أرام كان أبرص، وذهب إلى أليشع النبى فأمره أن يغتسل فى نهر الأردن سبع مرات فيعود إليه لحمه ويطهر. فنزل وانغمس فى نهر الأردن سبع مرات كما قال رجل الله، فعاد لحمه كلحم

صبيّ صغير وطهر (٢ . الملوك ٥: ٩- ١٥) فرجع نعمان إلى النبى أليشع ليشكره معترفاً بفضل الله ونعمته عليه، ثم قدم إليه هدية وقال: «الآن فاقبل بركة من عبدك. فقال حى هو الرب الذى أنا واقف أمامه إنّى لا آخذ. فألحّ عليه أن يأخذ فأبى.. فلما مضى من عنده مسافة من الأرض. قال جيحزى غلام أليشع رجل الله: إن سيدى قد أبى أن يأخذ من يد نعمان الأرامى هذا ما أحضره. حىّ هو الرب إنّى لأجرى وراءه وآخذ منه شيئاً. وانطلق جيحزى وراء نعمان. ولما رآه نعمان راكضاً وراءه نزل عن المركبة للقائه: أسلام؟ فقال: سلام. بعثنى إليك سيدى قائلاً إنه فى هذه الساعة قد جاء إلىّ غلامان من جبل أفرايم من بنى الأنبياء، فأعطهما وزنة فضة ومن الثياب حلّتين. فقال نعمان: أقبل وخذ وزنتين، وألح عليه وصرّ وزنتى الفضة فى كيسين وحلّتى الثياب، ودفع ذلك إلى إثنين من غلمانه فحملاه بين يديه. فلما انتهى إلى ربوة أخذ ذلك من أيديهما ووضعه فى البيت وصرف الرجلين فانطلقا. وأمّا هو فدخل ووقف أمام سيّده. فقال له أليشع: من أين يا جيحزى؟ فقال لم يذهب عبدك إلى هنا أو هناك. فقال له: **ألم يكن قلبى هناك حين رجع الرجل من مركبته للقائك**. أهذا وقت لأخذ الفضة ولأخذ ثياب، .. إن برص نعمان يلصق بك وبنسلك إلى الأبد، فخرج من أمامه وهو أبرص كالثلج» (٢ . الملوك ٥: ١٥ - ٢٧).

ولا شك فى أن أليشع رجل الله كان يكشف عن عينيه أحياناً حتى إن **قلبه ذهب وراء نعمان وجيحزى وعلم بما فعله جيحزى، وكيف أنه ذهب بغير علم سيّده وبغير إذنه وادّعى أن سيده بعثه ليأخذ من نعمان وزنة فضة وحلتى ثياب**، ولمّا سأله أليشع بعد عودته قائلاً: «من أين يا جيحزى؟» أجاب كاذباً: «لم يذهب عبدك إلى هنا أو هناك. فأجابه أليشع سيده قائلاً: **ألم يكن قلبى هناك حين رجع الرجل من مركبته للقائك؟**»

ومع ذلك فإن أليشع هذا النبى الذى كان يكشف الرب عن عينيه أحياناً فيرى بقلبه وروحه وقائع وأحداثاً وأموراً غير عادية أو بعيدة عن متناول الحواس الظاهرة، **لم يكن يرى كل شئ، فقد كان يجهل أموراً أخرى كثيرة مما يجرى حوله. والواقع أنه كإنسان لم يكن ليرى إلا أموراً قليلة، وهى التى يشاء الله أن يكشفها له، لحكمة يعلمها الله**، جلّ وعلا.

فقد جهل أليشع أمر المرأة الشونمية، التى ذهبت إليه مستغيثة. فقد مات ولدها الذى وهبه لها الرب بصلاة أليشع النبى ودعائه «وانطلقت حتى جاءت إلى رجل الله إلى جبل

الكرمل. فلما رآها رجل الله من بعيد قال لجيحزى غلامه هوذا تلك الشونمية. اركض الآن للقائها وقل لها أسلام لك؟ أسلام لزوجك؟ أسلام للولد؟ فقالت: سلام. فلما جاءت إلى رجل الله إلى الجبل أمسكت رجليه. فتقدم جيحزى ليدفعها فقال رجل الله: دعها لأن نفسها مرة فيها، **والرب قد كتم الأمر عنى ولم يخبرنى**، (٢ . الملوك ٤ : ٢٥ – ٢٧). نعم إن أليشع مع أنه نبىّ وكان يكشف الرب عن عينيه بعض الأمور بصورة مبهرة، لكنه **مع ذلك لم يكن يعلم كل شئ فهو بشر وليس إلهاً. ولابد أن تكون معرفته محدودة ومقيّدة، معرفة ناقصة وغير كاملة، لأن الله وحده هو كلىّ العلم وكلّى المعرفة.**

والقديس بطرس الرسول أحد الأثنى عشر رسولاً وتلميذاً **علم بالروح القدس** بما صنعه حنانيا وامرأته سفيرة وأنه اختلس من ثمن الحقل بعد بيعه وأتى بجزء فقط من الثمن ووضعه عند أرجل الرسل (أعمال الرسل ٥ : ١ – ١١).

لكن القديس بطرس هو بعينه الذى **لم يعلم ولم يفهم مغزى الرؤيا** التى رآها وهو يصلى على سطح البيت الذى كان يقيم فيه، فى يافا. فبينما كان يصلى رأى السماء مفتوحة وشيئاً كسماط عظيم عقدت أطرافه الأربعة ينحدر إلى الأرض وكان عليه من جميع ذوات الأربع، من دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء. وجاءه صوت يقول له: يا بطرس، قم اذبح وكل. فقال بطرس: لا، يا رب ما أكلت فى حياتى نجساً أو دنساً. فقال له الصوت ثانية: «ما طهّره الله لا تعتبره أنت نجساً» وحدث ذلك ثلاث مرات. ثم رفع الشئ إلى السماء.

وظل القديس بطرس فترة فى حيرة وهو لا يعلم لهذه الرؤيا مغزى حتى قرع الباب ثلاثة رجال جاءوا مرسلين من قبل كورنيليوس قائد مائة فى قيصرية من الفرقة المسماة الإيطالية، وقد رأى وهو يصلى ملاكاً أمره أن يستحضر سمعان الملقب بطرس، ليقول له ماذا ينبغى أن يعمل وبينما كان بطرس لا يزال يفكر فى الرؤيا التى رآها، ماذا عساها أن تكون فى مغزاها، قال له الروح القدس: «هنا رجال يطلبونك، فقم وانزل إليهم واذهب معهم غير مرتّد، فإنى أنا أرسلتهم» **عندئذ فقط فهم معنى الرؤيا**، وأن الرب يأمره أن لا يرفض كورنيليوس، ولا يمتنع من الذهاب إلى بيته، وأن يقبله فى الإيمان المسيحى وأن يعمّده والذين يؤمنون معه من أقربائه وأنسبائه وأصدقائه .. فقام على الفور وذهب فى اليوم التالى مع الرجال الثلاثة يرافقه بعض الأخوة ودخل بيت كورنيليوس وبشّره والذين معه بالإيمان المسيحى وعمّدهم. ولولا الرؤيا التى رآها مار بطرس على سطح البيت ما كان ارتضى أن يدخل بيت كورنيليوس،

باعتباره رجلاً من غير أمة اليهود. وهذا ما قاله القديس بطرس صراحة لكورنيليوس عندما دخل إليه فى بيته «تعرفون أن قد حرَّم على اليهودى أن يخالط أجنبياً (غير يهودى) أو يدخل بيته، لكن الله أرانى أنه لا ينبغى أن أدعو أحداً من الناس نجساً أو دنساً. فلما دعوتمونى جئت ولم أعترض» (أعمال الرسل ١٠: ١ – ٤٨).

وعلى ذلك **فالعلم عند القديس بطرس علم محدود بقدر الإعلان الذى يتلقاه من الروح القدس**، وقد تكلم مرة فى إحدى رسائله عن علمه بقرب نهاية حياته «**عالماً أن خلع مسكنى قريب**» ثم أعقب ذلك بقوله «**كما أعلن لى ربنا يسوع المسيح**» (٢. بطرس ١: ١٤) وبهذا أوضح **أن هذا العلم ليس من ذاته، وإنما بموجب إعلان صريح من الرب يسوع المسيح.**

وهكذا دائماً علم القديسين، علم محدود ومقيّد، وليس مطلقاً ، وهو علم مفاض عليهم من الله ومن روحه القدوس. وبذلك يبقى الفارق واضحاً وحاسماً بين علم الإنسان وعلم الله. فالله وحده هو ذو العلم المطلق وغير المحدود.

كذلك الأمر بالنسبة **للقديس بولس الرسول كان له علم وإن كان قد وصفه بأنه «بعض العلم»** (١. كورنثوس ١٣: ٩)، و **«بعض المعرفة»** (١. كورنثوس ١٣: ١٢).

فلقد كان يعرف بالروح القدس أموراً كثيرة. قال للكهنة فى أفسس «**ها أنا أعلم أنكم لن تروا وجهى بعد اليوم، أنتم جميعاً الذين جلت فيما بينهم مبشراً بملكوت الله**» (أعمال الرسل ٢٠: ٢٥). وقال كذلك «**لأنى أعلم هذا أنه بعد ذهابى سيدخل بينكم ذئاب خاطفة** لا تشفق على الرعية ويقوم من بينكم أنتم رجال **يتكلمون بأمور ملتوية** ليجتذبوا التلاميذ وراءهم» (أعمال الرسل ٢٠: ٢٩، ٣٠).

ثم إنه أنبأ عن أمور تحدث فى عصور تالية لزمانه، قال: «**والروح يقول صريحاً إن قوماً يرتدون عن الإيمان فى الأزمنة الأخيرة ويتبعون أرواحاً مُضلة وتعاليم شيطانية**، لقوم مرائين وكذابين، موسومة ضمائرهم ويمنعون عن الزواج، وعن أنواع من الأطعمة، قد خلقها الله فيتناولها بالشكر الذين آمنوا وعرفوا الحق» (١. تيموثيئوس ٤: ١ – ٣). **وهو بذلك يُنبئ عن قيام مذهب المانوية الذى ابتدعه فى القرن الثالث، مانى بن فاتك (٢١٥ – ٢٧٦م) القائل بمبدأين: مبدأ الخير ومبدأ الشر، النور والظلام.**

كما أنبأ الرسول القديس بولس عن أمور أخرى كثيرة فى الأيام الأخيرة السابقة على المجئ الثانى للمسيح له المجد، ومنها: الارتداد وظهور المسيح الدجال الذى سيحارب الأديان جميعها ويتخذ من الهيكل اليهودى قاعدة كرسيه، ويعلن نفسه إلهاً ويصنع عجائب وآيات كاذبة (٢ . تسالونيكى ٢ : ١ إلخ).

ثم إنّ القديس بولس توافر له العلم الخاص، وذلك بفعل الاختطاف العقلى الذى حدث له، فقد اختطف إلى السماء الثالثة، اختطف إلى الفردوس، وسمع كلمات لا يقدر بشر أن ينطق بها ولا يحل له أن يتكلم بها، من جهة هذا افتخر (٢ . كورنثوس ١٢ : ١ – ٦) كما توافرت له الإعلانات والمكاشفات الإلهية (٢ . كورنثوس ١٢ : ١، ٧)، (غلاطية ١ : ١٢)، (٢ : ٢)، (أفسس ٣ : ٣).

ومن بين المكاشفات والرؤى يذكر القديس بولس رؤياه للمسيح له المجد، وأنه ظهر له أثناء صلاته فى الهيكل. يقول «وحدث لى بعد ما رجعت إلى أورشليم وكنت أصلى فى الهيكل أنى وقعت فى غيبوبة، فرأيته يقول لى: أسرع واخرج عاجلاً من أورشليم لأنهم لا يقبلون شهادتك عنى» (أعمال الرسل ٢٢ : ١٧، ١٨).

هذا فضلاً عن الرؤيا العظيمة التى رآها وهو فى طريقه إلى دمشق. وكان ذلك فى رائعة النهار (أعمال ٩ : ٣ – ٩)، (٢٢ : ٦ – ١١)، (٢٦ : ١٢ – ١٩).

ومن بين الرؤى التى رآها وهى كثيرة، وكذلك الأحلام السمائية، ظهور ملاك من السماء له وهو فى السفينة التى حملته فى رحلته الأخيرة إلى روما حيث صدر عليه الحكم بالإعدام، قال يبشّر المسافرين معه فى السفينة بأنهم سوف يصلون سالمين على الرغم من أنهم تعرضوا جميعاً للهلاك بسبب النوء العنيف والعاصفة التى جرفت السفينة بقوة. قال: «**وقف بى هذه الليلة ملاك من الله الذى أنا له وإياه أعبد. قائلاً: لا تخف، يا بولس، فإنه لابد لك أن تقف أمام قيصر. وها إن الله قد وهبك جميع المسافرين معك. لذلك فلتطب أنفسكم، أيها الرجال، فإنى أؤمن بالله، إنه هكذا يكون، كما قيل لى**» (أعمال الرسل ٢٧ : ٢٣ – ٢٥).

نقول على الرغم مما كان لبولس الرسول من علم ومعرفة من فيض الروح القدس الذى كان يملأه، وعلى الرغم من الإعلانات والمكاشفات الروحية، بالاختطاف العقلى تارة، وتارة أخرى بالأحلام والرؤى، فى اليقظة وفى النوم، بالنهار وبالليل، وبظهور الملائكة والكائنات النورانية، **مع ذلك كان علمه محدوداً ومقيداً بما يشاء الله أن يكشفه له، فكان كإنسان**

يشهد بجهله وعدم علمه بأمور أخرى كثيرة. منها قوله على الخصوص، وهو فى أفسس، يتحدث إلى الكهنة والأساقفة ، والآن ها أنا ذاهب إلى أورشليم مقيّداً بالروح **لا أعلم ماذا يصادفنى هناك.** غير أن الروح القدس يشهد فى كل مدينة قائلاً: إن وثقاً وشدائد تنتظرنى، (أعمال الرسل ٢٠: ٢٢، ٢٣). وقال مرة أخرى يشهد بجهله بالذين عمهدهم بنفسه. قال: «أشكر الله أنى لم أعمّد منكم أحداً سوى كريسبس وغايس، حتى لا يقول أحد إنّى عمدت باسمى. وعمدت أيضاً بيت إستفانوس. وماعدا ذلك **فلا أعلم** هل عمّدت أحداً غيرهم» (١ . كورنثوس ١: ١٤ – ١٦).

* * *

ذاك إذن هو علم البشر، قديسين أو فلاسفة أو علماء، فى أى فرع من فروع المعرفة الإنسانية. إن لهم بعض العلم وليس كل العلم.. علمهم محدود ومقيّد، وناقص، فضلاً عن أنه قابل للخطأ والخداع. **أما علم المسيح له المجد، فهو علم كامل شامل وغير محدود بالزمان والمكان، علم بكل شئ وعلم بكل أحد، علم بالداخل والخارج، وعلم بالماضى والحاضر والمستقبل.. علم بالحقيقة فى ذاتها، وعلم مباشر وبغير واسطة .. فهو علم الذات العليا، الذى به كان كل شئ، وبغيره لم يكن شئ مما كان، هو نور من نور، كلىّ القدرة وكلىّ العلم. «أعمال كل ذى جسد أمامه، ولا شئ يخفى عن عينيه»** (يشوع بن سيراخ ٣٩: ٢٤).

المسيح ابن الله يعلم كل شئ

الله وحده كلّىّ العلم، أما العلماء من بنى البشر، فعلمهم، مهما زاد أو تقدم، فهو علم محدود ومقيد وناقص، ومرتبط بحدود الزمان والمكان، فضلاً عن أنه عُرضة للخطأ، وللخداع. ولذلك فهو قابل للزيادة والنمو، كما يقبل التنقيح والتصحيح والتعديل والتبديل.

إن الفارق بين علم الإنسان وعلم الله فارق عظيم فى الكمّ والكيف، هو الفارق بين المحدود وغير المحدود، بين المتناهى وغير المتناهى، بين الزمنى وغير الزمنى الذى ليس له نهاية، بين النسبى والمطلق.

وإن من يُتابع تاريخ العلم بعامة، وتاريخ كل فرع من فروع المعرفة الإنسانية بخاصة، يلاحظ التطور والنمو والازدياد والتقدم، ويتبين فى الوقت نفسه أن العلم البشرى محدود ومقيّد وناقص. وليس كذلك علم الله جلّ جلاله فهو تعالى الكلىّ العلم، الواسع العليم، وعلمه كامل وشامل لا يعتوره زيادة أو نقص، ولا يحدّه الزمان أو المكان.

من هنا التمايز والافتراق بين الناس فى مراقى العلم ومستويات المعرفة.. فمعرفة الطفل غير معرفة الرجل، غير معرفة الشيخ.. كلما تقدّمت السن إزدادت حصيلة الإنسان فى المعرفة والعلم.. والحكمة النظرية والحكمة العملية، ووجد الشاب فى الشيخ ما لا يجده فى نفسه، فينصت إليه ويأخذ عنه ليزداد حكمة وفهماً ومعرفة.. ووجد الشيخ فى ذهنه، خزيناً من علم يمكنه أن يقدّمه للشاب والصبى، هو حصيلة لدروس الأيام وخبرات الزمان.. وكلما وجد الشيخ عنده هذا الخزين من العلم والمعرفة، مما لم يصل إليه الشاب بحكم سنه الصغير وخبرته المحدودة، يفرح الشيخ بما عنده، ويتبين أن حياته صارت أكثر قيمة، وأنه، وإن صار ضعيفاً فى جسمه، وثقيلاً فى حركته، لكنه يملك ما لا يملكه الشاب الذى تنقصه الدراية والحنكة والمعرفة التى يراها وافرة فى الشيخ المتهدم، فيقترب إلى الشيخ ليتعلم منه، ويتتلمذ عليه، وبإكتشافه الفارق بين علمه القاصر وعلم الشيخ الحكيم يزداد احترامه للشيخ ويكبر فيه إيمانه بالعلم، وبهذا تزداد الروابط الإنسانية قوة وشدة بين جيل الآباء وجيل الأبناء والأحفاد.

* * *

وإذا كنا فى صدد الفارق غير المحدود بين علم الإنسان وعلم الله المطلق والشامل والكامل والنافذ إلى الحقيقة فى ذاتها نفاذاً تاماً وكاملاً، نذكر عبارة للقديس الفيلسوف أكليمنضس

الأسكندرى (١٥٠ – ٢١٤م) يقول فيها: «**إننا فى الحقيقة لا نعرف ما هو الله، وإنما نعرف ما ليس هو**» أى أننا لا نعرف الله فى حقيقته، ولكننا نعلم عنه بعض العلم. والذى نعلمه عن الله ليس معرفة ذاتية لله فى جوهره وحقيقته، وإنما هو معرفة لبعض صفاته. ومعرفتنا لصفات الله هى من خلال معرفتنا المحدودة لصفات النقص فى الإنسان. فنحن نصف الله بأنه (غير محدود). ومع ذلك نحن لا نستطيع أن نتصور (غير المحدود) بمعنى دقيق، ذلك لأننا نحيا فى عالم المحدود، فنحن نعرف ما هو المحدود، ولكننا لا نعرف (غير المحدود)، لذلك ننفى عن الله أنه محدود، ونقول إنه (غير المحدود) أى أننا فى معرفتنا عن الله ننفى عنه صفات النقص، فنقول إنه (غير المحدود)، و(غير المتناهى)، وأنه (غير المدرك).. إلى غير ذلك من صفات ناقصة ننفيها عن الله. وإذن فمعرفتنا عن الله هى معرفة بصفات نعرفها فى عالمنا المحدود ولكننا نُجِّل الله عن أن يتصف بها، فننفيها عن الله فنصف الله بأنه غير المحدود، وغير المتناهى، وغير المدرك..

وحتى عندما نصف الله بصفات الكمال، فنقول إن الله (كامل) أو (كلىّ القدرة)، و(القادر على كل شئ)، وأنه (كلىّ العلم).. وما إليها من صفات الكمال .. فالحق أن إدراكنا لهذه الصفات هو أيضاً إدارك محدود لأننا لا نستطيع أن ندرك تماماً وبوضوح (الكمال) المطلق أو (القدرة على كل شئ) أو (العلم غير المحدود). ذلك أننا نحن، فى الواقع، نعرف صفات المحدود، والقدرة المحدودة، والعلم المحدود.. فإذا أردنا أن نصف الله بها، قلنا إن الله أعظم من ذلك. فنصفه تعالى بأنه الكلىّ القدرة، الكلىّ العلم، الكلىّ الحكمة، الكامل فى كل شئ...

وإذن، فسواء وصفنا الله بأنه الغير المحدود، والغير المتناهى، أو وصفناه بأنه الكلىّ العلم أو الكلىّ القدرة، والكلىّ الحكمة.. فهى جميعها صفات نفى أكثر منها صفات إيجاب.

وبهذا الشرح نفهم معنى عبارة الفيلسوف القديس أكليمنضس الأسكندرى «**إننا فى الحقيقة لا نعرف ما هو الله ولكننا نعرف ما ليس هو**».

على العكس من ذلك يقول المسيح له المجد عن معرفته بالآب السماوى ومعرفة الآب السماوى بالمسيح ابن الله، وهو بذاته الله الكلمة، الله الغير المنظور وقد صار منظوراً اللابس صورة الإنسان:

«**لا أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن**» (متى ١١: ٢٧).

«لا أحد يعرف من هو الابن إلا الآب، ولا من هو الآب إلا الابن» (لوقا ١٠: ٢٢).

أنظر أيضاً (يوحنا ٧: ٢٩)، (٨: ٥٥)، (١٠: ١٥)، (١٧: ٢٥).

والمعنى واضح أن المسيح له المجد يبين بهذا أنه ما من كائن يعرف (الابن)، ومن هو فى حقيقته إلا الآب السماوى وحده، لأنه منه (يوحنا ٧: ٢٩) وهو كائن معه، وهو واحد معه فى الجوهر (يوحنا ١٠: ٣٠)، أو هو الكائن معه فى ذات الجوهر.

هذه المعرفة الذاتية العيانيّة المباشرة لا نظير لها فى عالم الإنسان. فنحن كبشر نعلم عن الله ولكننا لا نعرف الله فى حقيقته المعرفة العيانية المباشرة. لذلك فإنه لا أحد يعرف (الابن) وهو المسيح المنظور فى الجسد، أو من هو فى حقيقته، إلا الآب السماوى وحده. لأن (الابن) فى (الآب) ومعه منذ الأزل، و(الآب) كائن مع (الابن) فى جوهر الألوهة منذ الأزل وإلى الأبد.

قال المسيح له المجد عن الآب السماوى توكيداً لهذا المعنى «**أمّا أنا فأعرفه، لأنى منه**» (يوحنا ٧: ٢٩) وقال لليهود: «وأنتم لا تعرفونه. **أما أنا فأعرفه.. أعرفه**» (يوحنا ٨: ٥٥) وقال أيضاً: «**إن أبى يعرفنى وأنا أعرف الآب**» (يوحنا ١٠: ١٥)، (١٧: ٢٥).

ولقد نفى المسيح له المجد هذه المعرفة المباشرة لحقيقة من هو، ليس فقط عن اليهود، بل حتى عن تلاميذه الأخصاء أيضاً. قال لهم فى ليلة آلامه «**لو كنتم قد عرفتمونى** لعرفتم أبى أيضاً. ومنذ الآن **تعرفونه، وقد رأيتموه**» (يوحنا ١٤: ٧) ذلك لأن (الابن) كائن وقائم فى (الآب)، و(الآب)، كائن وقائم فى (الابن)، لأنهما فى جوهر واحد، جوهر الذات الإلهية العلّية. ويلاحظ قوله «ومنذ الآن تعرفونه، **وقد رأيتموه**» وهو تصريح فى قمة الخطورة، لأنه كيف يقول المسيح لتلاميذه عن الآب «**وقد رأيتموه**» ألا بهذا المعنى الواحد أنهم رأوا (الآب) فى (الابن)، أى أن (**الابن**) **هو الصورة المنظورة للآب الغير المنظور**، فهو فى الآب، والآب فيه. قال «**من رآنى فقد رأى الآب**» (يوحنا ١٤: ٩) وقال «إنى أنا فى أبى، وإن أبى فىّ» (يوحنا ١٠: ٣٨)، (١٤: ١١، ٢٠)، (١٧: ٢١، ٢٣).

المسيح ابن الله يعلم بما فى ذات الصدور

بهذه **المعرفة الذاتية العيانية المباشرة**، يتفرّد المسيح له المجد عن كل إنسان، مما يشهد بألوهته ويدل على ألوهيته. فعلمه لا يأتيه من الحواس، وليس من نوع العلم الذى يفاض على بعض القديسين والأنبياء فى بعض الأحايين لغرض معيّن فى الزمان والمكان، كما كان الحال عند أليشع النبى أو دانيال النبى وغيرهما من الأنبياء فى القديم، أو كما هو الحال عند الآباء الرسل فى العهد الجديد مثل بطرس وبولس ويوحنا وغيرهم.

إن **علم المسيح له المجد علم ذاتى، علم فيه من ذاته** لا من مصدر آخر. من حيث هو «**الله الظاهر فى الجسد**» ومن ثم **فهو علم شامل وكامل ، علم غير مُقيّد بالزمان والمكان.. علم كاشف نافذ، يشع منه على الأشخاص وعلى سائر الكائنات.. فهو ينفذ إلى صدور الناس وقلوبهم وعقولهم ويكشف فى الحال ما يدور فى خلد كل إنسان، وما يجول بخاطره، وما يخطر بباله من دون أن ينطق بلسانه أو ينبث ببنت شفة.** قال عنه الإنجيل «ولم يكن بحاجة لأن يخبره أحد عن الإنسان، لأنه كان يعلم ما فى الإنسان» (يوحنا ٢: ٢٥).

ومن آيات ذلك أن أحد الفريسيين دعاه ليتناول الطعام معه.. وإذا بإمرأة خاطئة فى المدينة، حين علمت أن يسوع جالس فى بيت الفريسى جاءت بقارورة طيب ووقفت من ورائه عند قدميه باكية، وأخذت تبلل قدميه بدموعها.. فلما رأى الفريسى الذى دعاه ذلك **قال فى نفسه** «لو كان هذا نبياً لعلم من هى هذه المرأة التى تلمسه، وما هو حالها، وإنها خاطئة» فأجاب يسوع وقال له «يا سمعان عندى شئ أقوله لك، فقال قل يا معلم» (لوقا ٧: ٣٦ – ٤٨) ... وبالمثل الذى ضربه لسمعان الفريسى أجاب المسيح على **الفكر الذى خامر سمعان فى نفسه ولم ينطق به لسانه.**

قال الإنجيل «فلما رأى الفريسى الذى دعاه ذلك **قال فى نفسه** «لو كان هذا نبياً لعلم من هى هذه المرأة التى تلمسه...» وبعد ذلك يُعقب الإنجيل بقوله «**فأجاب** يسوع وقال له: يا سمعان» أى **أن المسيح أجاب على السؤال الذى خطر ببال سمعان وإن لم ينطق به**.. أى أن المسيح له المجد **علم بالفكر الذى كان يدور بخلد سمعان الفريسى، ولم ينطق به.**

وجاء عن المسيح له المجد أنه دخل المجمع وأخذ يُعلّم، وكان هناك رجل يده يابسة. فراح الكتبة والفريسيون يراقبونه ليروا هل يشفيه فى السبت، حتى يجدوا شكاية ضده، ولكنه علم أفكارهم فقال للرجل ذى اليد اليابسة «قم وقف هناك فى الوسط» فقام ووقف. ثم قال يسوع لهم «إننى أسألكم أيحل فى السبوت فعل الخير..» (لوقا ٦: ٦ – ١١). قال الإنجيل «**علم أفكارهم، ثم أجابهم على أفكارهم.**

وما أكثر المواقف والمواضع التى يرد فيها عن المسيح له المجد أنه كان يعرف أفكار الناس، ويعلم ما يدور فى خلدهم من قبل أن يسألوه. فيقول الإنجيل «**فعلم يسوع أفكارهم**».

من ذلك قوله «فركب السفينة ثم عبر إلى الضفة الأخرى، وجاء إلى مدينته وإذا مفلوج قد جاءوا به إليه مطروحاً على فراش، فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج: «اطمئن يا بنى. مغفورة لك خطاياك» وإذا قوم من الكتبة **قد قالوا فى أنفسهم**: «إنه يجدف»، **فعلم يسوع أفكارهم.** فقال: «**لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم؟**» (متى ٩: ١ – ٥). وقال الإنجيل للقديس مرقس «وكان قوم من الكتبة جالسين هناك **يفكرون فى قلوبهم قائلين**: «ما باله يجدّف هكذا؟... **فعلم يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا فى أنفسهم، فقال لهم**: «**لماذا تفكرون بهذا فى قلوبكم؟...**» (مرقس ٢: ٦ – ٩) ويقول الإنجيل للقديس لوقا: «**فأخذ الكتبة والفريسيون يفكرون فى أنفسهم قائلين**: من هذا الذى يجدف؟ ... فعلم يسوع أفكارهم وأجاب قائلاً لهم: لماذا تجول هذه الأفكار فى قلوبكم؟..» (لوقا ٥: ٢١ – ٢٣).

من ذلك أيضاً قول الإنجيل «أما الفريسيون حين سمعوا فقد قالوا: « إن هذا لا يطرد الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين. **فعلم يسوع أفكارهم، وقال لهم..**» (متى ١٢: ٢٢ – ٢٩)، (مرقس ٣: ٢٢ – ٢٦)، (لوقا ١١: ١٥ – ١٨).

ومن ذلك أنه جاء عن تلاميذ المسيح له المجد «**وخامرهم الفكر** فيمن عسى أن يكون هو الأعظم بينهم. **فعلم يسوع فكر قلوبهم..**» (لوقا ٩: ٤٦ – ٤٨).

ثم أيضاً قول الإنجيل «وطلب منه آخرون آية ليجربوه، **وإذ كان يعلم أفكارهم** قال لهم...» (لوقا ١١: ١٦ – ٢٢).

انظر أيضاً (متى ١٦: ٦ – ٨)، (مرقس ٨: ١٥، ١٦)، ثم (لوقا ١١: ٣٧ – ٤١).

من ذلك أيضاً ما جاء فى الإنجيل أن المسيح له المجد قال لتلاميذه: «بعد قليل لا ترونني، ثم بعد قليل أيضاً ترونني، لأننى منطلق إلى أبى، فقال بعض تلاميذه **فيما بينهم**: «ما هذا الذى

يقوله لنا: بعد قليل لا ترونني، ثم بعد قليل أيضاً ترونني. ولأنني منطلق إلى أبي؟» ثم قالوا: ما هذا القليل الذي يتكلم عنه؟ إننا لا ندري ماذا يقول؟ **فعلم يسوع أنهم يريدون أن يسألوه**، فقال لهم: **أعن هذا تتساءلون فيما بينكم..**» (يوحنا ١٦: ١٦ - ١٩).

وبهذه المعرفة الإلهية كان المسيح له المجد يكشف ما في قلوب الناس من صدق أو كذب، من سذاجة أو خبث، وكان يجيب كل واحد بحسب ما يراه بعلمه الإلهي في قلبه من براءة أو مكر.

من ذلك ما يرويه الإنجيل عن الفريسيين أنهم «أرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيرودسيين قائلين: يا معلم، نحن نعلم أنك صادق، وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي بأحد لأنك لا تحابي وجه إنسان، فقل لنا إذن ماذا ترى؟ هل يحل دفع الجزية لقيصر أو لا؟ **أما يسوع فأدرك خبثهم** وقال: لماذا تجربونني يا مراءون؟ أروني نقود الجزية، فأتوه بدينار: فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة؟ قالوا له: لقيصر. عندئذ قال لهم: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله». فلما سمعوا دهشوا وتركوه وانصرفوا» (متى ٢٢: ١٥ - ٢٢)، (مرقس ١٢: ١٣ - ١٧)، (لوقا ٢٠: ٢٠ - ٢٦).

فعلى الرغم من أن تلاميذ الفريسيين والهيرودسيين جاءوا إليه يمدحونه، ويشيدون بأمانته، وصدق تعليمه ومطابقته للحق الإلهي «إنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي بأحد لأنك لا تحابي وجه إنسان» و«بالاستقامة تتكلم» فإنه بعلمه الإلهي «**أدرك خبثهم**» «**كان يعرف رياءهم**» وأجابهم بحكمة أخرستهم وعقدت ألسنتهم «فلما سمعوا دهشوا منه» «وتعجبوا من إجابته وصمتوا» «وتركوه وانصرفوا».

* * *

هنا أيضاً الفارق العظيم بين علم المسيح له المجد وعلم الأنبياء والقديسين ممن يُكشف لهم أحياناً عن أسرار خفية، بعلم يفاض عليهم من قبل الله، لأداء مهمة أو تبليغ رسالة، لكن هذا العلم المفاض علم (آني) أي أنه ليس مطلقاً أو شاملاً، لكنه علم مقيّد بحدود الزمان والمكان. فهم وإن علموا بعض أشياء لكنهم يجهلون أشياء أخرى. وما يجهلونه أكثر مما يعلمونه من حيث هم بشر، ذوو علم محدود. أما المسيح له المجد فعلمه غير محدود بالزمان والمكان، علم مطلق وشامل وكامل، يمتد إلى الحاضر القريب، والحاضر البعيد، كما يمتد إلى الماضي القريب ثم إلى الماضي البعيد - بل ويمتد كذلك إلى المستقبل القريب والمستقبل البعيد.

علم المسيح بالحاضر القريب

أما علم المسيح له المجد بالحاضر القريب فلا يقتصر على علمه بأفكار الناس وما يدور فى خلدهم وما يخطر ببالهم ويجرى فى دواخل نفوسهم، ولكنه يمتد أيضاً إلى معرفته بحقيقة ذواتهم وصلاحيّاتهم وما هم عليه من أهليّات، وما يتميزون به من صفات روحية وسلوكية، وأخلاقية.

- ١ -

من ذلك معرفته له المجد بتلميذه سمعان بطرس، من أول لقاء به بعد أن جاء به إليه أخوه أندراوس.

قال الإنجيل «كان أندراوس أخو سمعان بطرس أحد الإثنين اللذين سمعا يوحنا (المعمدان) وتبعا يسوع. وقد وجد أولاً أخاه سمعان، فقال له: «قد وجدنا الماشِيحَ، أى المسيح. ثم جاء به إلى يسوع. فلما رآه يسوع قال له: « **أنت سمعان بن يوحنّان. وليكن اسمك كيفا (أى بطرس)** » (يوحنا ١: ٤٠ - ٤٢). وعلى الرغم من أن أندراوس هو الذى عرف المسيح أولاً، وهو الذى أتى بسمعان إلى المسيح، فإن المسيح قد جعل سمعان (الأول) فى قائمة الرسل (دعا إليه تلاميذه الإثنى عشر وأعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة ليطردوها.. وهذه هى أسماء الإثنى عشر رسولاً: **(الأول) سمعان الذى يدعى بطرس** وأندراوس أخوه» (متى ١٠: ١، ٢) «سمعان الذى لقبه بطرس» (مرقس ٣: ١٦) «سمعان الذى سماه كذلك بطرس» (لوقا ٦: ١٤) و**(الأول)** بين الثلاثة الذين سمح لهم أن يدخلوا معه فى بيت رئيس المجمع عندما أقام ابنة يايرس من الموت (مرقس ٥: ٣٧)، (لوقا ٨: ٥١)، **(الأول)** بين الذين أخذهم معه على جبل التجلّى (متى ١٧: ١)، (مرقس ٩: ١)، (لوقا ٩: ٢٨)، و**(الأول)** بين الذين أخذهم بالقرب منه فى بستان جثسيمانى ليلة آلامه (متى ٢٦: ٣٧)، (مرقس ١٤: ٣٣)، و**(الأول) بين الإثنين اللذين أرسلهما الرب يسوع ليعدّا له الفصح الأخير** (لوقا ٢٢: ٨).

- ٢ -

من ذلك، علم المسيح له المجد، **بنثنائيل** من أول لقاء به، ومعرفته بأنه «إسرائيلى حقاً لا غش فيه»، أى أنه يهودى ملتزم يسلك حسب الشريعة بكل تدقيق وانضباط.

قال الإنجيل للقديس يوحنا:

«كان فيلبس من بيت صيدا.. وفيلبس وجد نثنائيل فقال له: «قد وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الشريعة، وكذلك الأنبياء. وهو يسوع بن يوسف الذى من الناصرة» قال له نثنائيل: «أيمكن أن يخرج من الناصرة شئ صالح؟» فقال له فيلبس: تعال وانظر. فلما رأى يسوع نثنائيل مقبلاً إليه قال عنه: «هوذا حقاً إسرائيلى لا غش فيه» (يوحنا ١: ٤٤ - ٤٧).

ولقد تعجب نثنائيل من قول المسيح عنه، وتقريره عن حياته وسلوكه وهو لم يره من قبل، فقد كان هذا أول لقاء به وقال له باندهاش وذهول «من أين تعرفنى؟» وقد تبين نثنائيل بعد ذلك أن هذه المعرفة ليست من ذلك النوع من المعرفة التى تجئ عن طريق الرؤية بالعين وتتوكد بالمعاشرة والخبرة، ولكنها معرفة أسمى من ذلك كثيراً. إنها المعرفة الإلهية الكاشفة، فانطلق فى ذهول يقول «يا معلم أنت ابن الله» (يوحنا ١: ٤٩).

- ٣ -

كذلك المرأة السامرية التى إلتقى بها المسيح لأول مرة، فقد سافر من اليهودية إلى الجليل فى الشمال، مروراً بالسامرة. وفى بلدة سوخار حيث جاءت المرأة السامرية لتستقى من البئر ماء. ووجدته جالساً على البئر يستريح، وجرى بينه وبينها حوار بدأه معها بقوله لها «أعطينى لأشرب» فقالت له المرأة السامرية «كيف تطلب منى لتشرب وأنت يهودى وأنا سامرية، واليهود لا يخالطون السامريين؟».

فأجابها «لو كنت تعرفين عطية الله، **ومن هو الذى يقول لك أعطينى لأشرب**، لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حياً» وأضاف قائلاً إن «**من يشرب من الماء الذى أعطيه إياه أنا فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذى أعطيه إياه يكون فيه ينبوع ماء ينهمر إلى الحياة الأبدية**» فطلبت منه المرأة أن يعطيها هذا الماء، فقال لها: «اذهبى واستدعى زوجك وتعالى إلى هنا» وبذلك قادها إلى أن تعترف بلسانها بحقيقة أمرها وقالت له: «ليس لى زوج» فأبدى رضاه عن صدقها، وطمأنها بأنه يعرف عنها أكثر مما صرّحت به، ليفتح أمامها طريق الخلاص. قال لها مشجعاً ومطمئناً: «أحسنت إذ قلت ليس لى زوج، لأنه **كان لك خمسة أزواج، والذى معك الآن ليس زوجك. فى قولك هذا صدقت**» **فذهلت المرأة السامرية من معرفته بمسيرتها، وبكشفه حياتها، وهى تلتقى به لأول مرة، فلم**

تكتم اعترافها بأن هذه المعرفة ليست عادية. إنها قدرة سمائية، «فقالت له المرأة: «يا سيد، أرى أنك نبىّ» وإذ رأته أمامها فى شبه الناس فوصفته بأنه نبىّ، ولو أن إيمانها به تطور بعد ذلك، ونما حتى أدركت هى وقومها أنه «هو حقاً المسيح مخلص العالم» (يوحنا ٤: ١ - ٤٢).

- ٤ -

والمرأة المصابة بنزف دم منذ اثنى عشر عاماً، وقد عانت كثيراً من أطباء كثيرين وأنفقت كل ما تملك على الأطباء فلم تجد أى فائدة ولم يستطع أحد شفاءها. وإنما بالأحرى ازداد حالها سوءاً. فلما سمعت عن يسوع جاءت من خلفه فى الزحام ولمست طرف ردائه لأنها قالت فى نفسها: «لو أننى لمست فقط رداءه لشفيت»، فجف معين نزفها فى الحال، وتوقف على الفور نزفها وأحسّت فى جسمها بأنها قد برئت من ذلك الداء. **وعلى الفور علم يسوع فى نفسه بالقوة التى خرجت منه**، فأدار عينيه فى الجمع وقال: «من لمس ثيابى؟» فأنكر الجميع. وقال بطرس والذين معه: «يا معلم إن الجمع يتزاحمون من حولك ويضغطون عليك ثم تقول من لمسنى؟» فقال يسوع: «**إن ثمة من لمسنى لأننى عالم بالقوة التى خرجت منى**» أما هو فكان يتطلع ليرى تلك التى فعلت هذا. فلما رأت المرأة أن أمرها لم يكن خافياً عليه، جاءت مرتعدة وارتمت على قدميه، ثم اعترفت أمام كل الشعب بالسبب الذى من أجله لمسته، وكيف أنها شفيت على الفور. فقال لها: «تشجعى يا ابنتى، إن إيمانك قد خلصك، فاذهبى بسلام وكونى معافاة من دائك» (مرقس ٥: ٢٥ - ٣٤)، (لوقا ٨: ٤٣ - ٤٨)، (متى ٩: ٢٠ -٢٢).

- ٥ -

وكذلك معرفة المسيح له المجد **بيهوذا الاسخريوطى**، التلميذ الخائن.

قال الرب يسوع لتلاميذه: «ألم أكن أنا الذى اخترتكم أنتم الإثنى عشر، **وواحد منكم لإبليس؟**» قال هذا عن **يهوذا بن سمعان الإسخريوطى**، أحد الإثنى عشر، لأنه كان هو الذى اعتزم أن يسلمه» (يوحنا ٦: ٧٠، ٧١). وفى ليلة آلامه، قال وهو يغسل أرجل تلاميذه «وأنتم أيضاً أطهار، ولكنكم لستم كلكم أطهاراً، **فقد كان يعلم بالمزمع أن يسلّمه**، ولذلك قال: إنكم لستم كلكم أطهاراً» (يوحنا ١٣: ١٠، ١١). وعلى مائدة الفصح «وفيما كانوا يأكلون قال: الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمنى، فاستولى على قلوبهم حزن عميق، وراح كل منهم

يقول له: هل أنا هو يا رب؟ فأجاب وقال: «**إن الذى يغمس يده معى فى الصحفة هو الذى سيسلمنى**. إن ابن الإنسان ذاهب كما هو مكتوب عنه ولكن الويل لذلك الرجل الذى بواسطته يسلم ابن الانسان، كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد»، وعندئذ أجاب يهوذا الذى كان مزمعاً أن يسلّمه وقال: هل أنا هو يا معلّم؟ فقال له: **نعم أنت هو**» (متى ٢٦: ٢١ – ٢٥)، (مرقس ١٤: ١٧ – ٢١)، (لوقا ٢٢: ٢١ – ٢٣). ويروى الإنجيل للقديس يوحنا بعض التفصيلات المثيرة، يقول: «وبعد أن غسل أرجلهم وأخذ رداءه عاد فجلس إلى المائدة وقال لهم: .. فأنا أعرف الذين اخترتهم، وإنّما ليتم المكتوب **أن الذى أكل معى خبزى قد رفع على عقبه**.. ولما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وصرخ قائلاً: الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمنى فأخذ التلاميذ ينظر بعضهم إلى بعض، حائرين لا يدرون من الذى يعنيه بقوله هذا. وكان متكئاً فى حضن يسوع واحد من تلاميذه، وهو الذى كان يسوع يحبه. فأومأ إليه سمعان بطرس ليسأله عمن يعنى بقوله. فإنحنى ذلك التلميذ على صدر يسوع وقال له: ربى. من هو؟، أجاب يسوع قائلاً: **إنه هو الذى سأعطيه اللقمة التى أغمسها. ثم غمس اللقمة وقدمها ليهوذا بن سمعان الإسخريوطى**. فبعد أن أخذ اللقمة دخله الشيطان، فقال له يسوع: ما أنت فاعله فافعله سريعاً، غير أن أحداً من الجالسين إلى المائدة لم يعرف لماذا قال له هذا.. أما يهوذا فبعد أن أخذ اللقمة خرج على الفور، ... فلما خرج قال يسوع: الآن قد تمجد ابن الإنسان، (يوحنا ١٣: ٢١– ٣١).

(انظر متى ٢٦: ٥٠)، (لوقا ٢٢: ٤٨)، (يوحنا ١٨: ٢ – ٥).

المسيح يعلم الحاضر البعيد

المسيح يعلم الحاضر القريب، ويعلم أيضاً الحاضر البعيد. إنه يعلم بالأمور والأحداث التى تجرى على البعد، على الرغم من بعد المسافات فى المكان والزمان.

- ١ -

من ذلك علمه بما جرى بين جُباة الجزية وبين تلميذه بطرس الرسول، فى مكان قصىّ عن البيت الذى كان يقيم فيه آنذاك الرب يسوع المسيح.

يقول الإنجيل «وحين أتوا إلى كفرناحوم جاء جباة الجزية إلى بطرس وقالوا: أما يؤدى معلمكم الجزية؟ فقال: بلى. ولمّا دخل البيت بادره يسوع قائلاً: ماذا تظن يا سمعان، ممن يأخذ ملوك الأرض الخراج أو الجزية؟ أمن بنيهم، أم من الأجانب؟ فقال: من الأجانب. فقال له يسوع: إذن البنون معفون؟ ومع ذلك فلئلا نشككهم، اذهب إلى البحر وإلق صنارة، وأول سمكة تخرج امسكها، فحين تفتح فاها ستجد إستاراً، فخذه وأعطهم عنى وعنك» (متى ١٧ : ٢٤ - ٢٧).

فمما تجدر ملاحظته أن **الرب يسوع هو الذى بادر تلميذه بطرس عندما دخل البيت بالسؤال:** «ماذا تظن يا سمعان، ممن يأخذ ملوك الأرض الخراج أو الجزية؟ أمن بنيهم، أم من الأجانب؟» **مما يدل على أنه علم على بُعد بالحوار الذى جرى بين جباة الجزية وبين تلميذه سمعان بطرس. ولم يكن فى حاجة لأن يعلمه بطرس بما قاله جباة الجزية، وبردّه عليهم..**

وتتمة القصة تقدم دليلاً جديداً على علم المسيح له المجد بالحاضر البعيد فى تفصيلات رائعة:

يقول الإنجيل إن المسيح له المجد قال لتلميذه سمعان بطرس: اذهب إلى البحر وإلق صنارة، وأول سمكة تخرج أمسكها، فحين تفتح فاها ستجد إستاراً، فخذه وأعطهم عنى وعنك.. أفليس هذا العلم إلهياً بكل المقاييس؟ إنه ينبئ تلميذه سمعان بطرس **بالسمكة التى تخرج أولاً بالصنارة، وإنه سيجد فى فمها (إستاراً) وهى العملة المتداولة بين اليهود وقيمتها أربعة دراهم، وهى بالضبط القيمة المطلوبة،** فقد كان على كل يهودى بالغ أن يدفع ضريبة قدرها درهمان؟ أليس أمراً فائق الغرابة بالنسبة

للإنسان أن ينبئ المسيح له المجد عن **هذه السمكة** بين مئات وألوف الأسماك السابحة فى البحر، **وأنها السمكة التى تخرج أولاً، وأن يكون فى هذه السمكة بالذات، العملة المطلوبة** (إستار - قيمته أربعة دراهم) لا أكثر ولا أقل؟...

- ٢ -

من ذلك أيضاً **علمه له المجد بما كان يتباحث فيه تلاميذه وهم فى الطريق** وكان هو فى البيت فى كفرناحوم.

يقول الإنجيل «ثم جاء إلى كفر ناحوم وحين كان فى البيت سألهم **فيما كنتم تتجادلون فى الطريق فيما بينكم؟** فصمتوا، إذ كانوا يتنازعون فى الطريق فيما بينهم عمن هو الأعظم بينهم» (مرقس ٩ : ٣٣، ٣٤).

- ٣ -

كذلك **علمه له المجد بموت لعازر** وهو على بعد منه كبير. كان المسيح الرب فى بيت عبرة على الشاطئ الشرقى من نهر الأردن، بينما كان لعازر فى بيت عنيا على مسافة سفر يوم أو خمسة وعشرين ميلاً.

قال لتلاميذه «**إن لعازر حبيبنا قد نام**، ولكننى سأذهب لأوقظه» فقال التلاميذ له: «يا رب إن كان قد نام فإنه يقوم». بيد أن يسوع كان يتكلم عن نوم موته. وأما هم فظنوا أنه يتكلم عن رقاد النوم. ومن ثم قال لهم يسوع صراحة: «**إن لعازر قد مات**. وأنا أفرح من أجلكم - إذ لم أكن هناك لتؤمنوا. ولكن هلموا نذهب إليه» (يوحنا ١١ : ١١ - ١٥).

- ٤ -

ثم فى حديثه له المجد **مع المرأة السامرية** حدثها عن حاضرها **وكشف لها عن علاقتها الآثمة بالرجل الذى يصاحبها على الرغم من بعده عن موقع اللقاء** بين المسيح له المجد وبين المرأة السامرية.

قال لها: «اذهبى واستدعى زوجك، وتعالى إلى هنا» أجابت المرأة وقالت له: «ليس لى زوج» فقال لها يسوع: «أحسنت إذ قلت ليس لى زوج. لأنه كان لكِ خمسة أزواج، والذى معك الآن ليس زوجك. فى قولك هذا صدقت» (يوحنا ٤ : ١٦ - ١٨).

المسيح يعلم بالماضى القريب والبعيد

- ١ -

من ذلك علمه بماضى **نثنائيل** وهو طفل رضيع.

يقول الإنجيل «وفيلبس وجد نثنائيل فقال له: قد وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الشريعة، وكذلك الأنبياء. وهو يسوع بن يوسف الذى من الناصرة. قال له نثنائيل: أيمكن أن يخرج من الناصرة شئ صالح؟ فقال له فيلبس: تعال وانظر فلما رأى يسوع نثنائيل مقبلاً إليه قال عنه: هوذا حقاً إسرائيلى لا غش فيه. فقال له نثنائيل: من أين تعرفنى؟ أجاب يسوع وقال له: قبل أن يدعوك فيلبس، **حين كنت تحت شجرة التين، رأيتك** فأجاب نثنائيل وقال له: يا معلم أنت ابن الله. أنت ملك إسرائيل. أجاب يسوع وقال له: لأنى قلت لك إنى رأيتك تحت شجرة التين آمنت؟ لسوف ترى أعظم من هذا» (يوحنا ١: ٤٥ - ٥٠).

شئ يثير العجب حقاً. إن نثنائيل عندما دعاه فيلبس ليأتى إلى المسيح لم يكن مستعداً أن يقبل أن يخرج من الناصرة شئ صالح، نظراً لما عرف عن الناصرة من أن شعبها اختلط بالوثنيين وتبادلوا معهم التجارة والمصالح، مما جعلهم فى نظر اليهود المتزمتين أنجاساً وأشراراً يستوجبون غضب الله عليهم وقضاءه بهلاكهم. لذلك كان رؤساء كهنة اليهود يعلمون بأن المسيح لا يأتى من الجليل، وكانوا يقولون صراحة: «ابحث وانظر فإنه لا يقوم نبى من الجليل» (يوحنا ٧: ٤٢، ٥٢).

فلما قال فيلبس لنثنائيل، رداً على اعتراضه، واستبعاداً لأن يجئ المسيح من ناصرة الجليل، «تعال وانظر» وأقبل نثنائيل إلى المسيح له المجد، فلدهشة نثنائيل أن يسمع من المسيح قوله عنه «**هوذا حقاً إسرائيلى لا غش فيه**» أى أن المسيح يعرف عن نثنائيل أنه **يهودى ملتزم، وأنه رجل مستقيم لا يلتوى، وصادق لا يكذب، وصريح لا يعرف الغش ولا الرياء**، وهى الصفات التى ينبغى أن تتوفر للرجل الإسرائيلى حقاً، وفقاً لوصايا الله التى أوصى بها بنى إسرائيل (مزمور ٣١: ٢)، (٧٢: ١)، (يوحنا ٨: ٣٩)، (رومية ٢: ٢٨، ٢٩)، (٩: ٦). وقد دهش نثنائيل دهشة عظيمة من قول المسيح له المجد الذى لم يكن قد رآه قبل ذلك وسأله قائلاً: «**من أين تعرفنى**؟» ولم يكن هذا سؤالاً بقدر ما كان تعبيراً عما أصاب نثنائيل من ذهول وعجب، من ذلك الذى - مع أنه لم يره إلا فى هذه اللحظة - أظهر معرفة كاملة بأعمق

أعماق نفسه. وأضاف المسيح إلى علم نثنائيل قوله: «**قبل أن يدعوك فيلبس، حين كنت تحت شجرة التين، رأيتك**»، **وقد كشف له بذلك أنه لا يعرف دخيلة نفسه فقط، ولا صفاته الجميلة التى يتميز بها فحسب، وإنما أيضاً يعرف عنه أمراً خاصاً فى ماضى حياته لا يعلم به غير نثنائيل نفسه، وأم نثنائيل**، كما يدلّنا على ذلك ما نقله إلينا تقليد قديم، وهو أنه عندما كان نثنائيل طفلاً رضيعاً، كان من بين الأطفال الذين ينطبق عليهم قرار هيرودس الملك الذى «حين رأى أن المجوس قد سخروا به استشاط غضباً وأرسل فقتل كل الأطفال الذين كانوا فى بيت لحم وفى كل نواحيها، من ابن سنتين فأقل، وفقاً للزمان الذى تحققه من المجوس» (متى ٢: ١٦). وإذ تنبهت أم نثنائيل وضعت طفلها فى سفط، وحملته إلى أعلى شجرة التين وخبأته بين أغصانها. فدخل الجند بيتها ولم يجدوا فى البيت طفلاً، فخرجوا، وحمداً لله أن الطفل الرضيع لم يبكِ عندما دخل الجند البيت. وهكذا نجا الطفل نثنائيل من موت محقق .. **هذه القصة التى لم يعرفها إلا نثنائيل وأمه** التى أخبرته بها فيما بعد عندما كبر، **هى التى نقلت إيمان نثنائيل فجأة من شخص كان متردداً أن يجئ إلى الرب يسوع بعد أن علم أنه من الناصرة**، بل قال لفيلبس الذى دعاه «أيمكن أن يخرج من الناصرة شئ صالح؟» إلى شخص يقول ليسوع الناصرى بانبهار: «**يا معلم أنت ابن الله. أنت ملك إسرائيل**» (يوحنا ١: ٥٠) ذلك لأنه سمع من الرب يسوع قوله له: «**حين كنت تحت شجرة التين، رأيتك**» أى **حين لم يبصرك أحد وأنت تغطيك الأغصان قابعاً فى سفط فى تعريشة شجرة التين، أنا رأيتك**. عندئذ أدرك نثنائيل - وهو عالم بالكتب المقدسة وأسفار الأنبياء - أن يسوع الناصرى ليس إنساناً عادياً، وإن ظهر فى صورة إنسان، وإنما هو فى حقيقته ابن الله (متى ١٤: ٣٣)، صورة الله الغير المنظور، إنه من ذات الله الآب ومن طبيعته (يوحنا ٧: ٢٩)، وأنه بالتالى (ملك إسرائيل)، المسيح الموعود به فى نبوءات الأنبياء، إذ كانت النبوءات عن المسيح ابن الله تقول إنه حين يجئ سيكون ملك اليهود (يوحنا ١٨: ٣٧) ويجلس على عرش داود (لوقا ١: ٣٢). وإذ رأى مخلصنا أن نثنائيل آمن بكل هذا الصدق وبكل هذا العمق، لمجرد أنه لمس أن المسيح عالم بأمور خاصة به لا يعرفها عنه أحد غيره، أراد له المجد أن يوطّد إيمانه به ويؤكد صدق الشهادة التى هتف بها نثنائيل مبهوراً فقال له: «لأنى قلت لك إنى رأيتك تحت شجرة التين آمنت؟ **لسوف ترى أعظم من هذا**».

هذه القصة، قصة نثنائيل، هى بيّنة على **علم المسيح له المجد بالماضى القريب، والماضى البعيد**.

من ذلك أيضاً علم المسيح له المجد بماضى المرأة السامرية القريب والبعيد.

يقول الإنجيل: «فقال لها يسوع: اذهبى واستدعى زوجك وتعالى إلى هنا، أجابت المرأة وقالت له: ليس لى زوج فقال لها يسوع: أحسنت إذ قلت ليس لى زوج، **لأنه كان لك خمسة أزواج، والذى معك الآن ليس زوجك. فى قولك هذا صدقت**» (يوحنا ٤: ١٦ - ١٨).

فعلى الرغم من أن لقاءه بالمرأة السامرية كان هو اللقاء الأول فى حياتها، لكنه فى حديثه معها كشف لها عن علمه لا بحاضرها فقط «الذى معك الآن ليس زوجك» (يوحنا ٤: ١٨)، ولكن «**بماضيها**» أيضاً «**كان لك خمسة أزواج**» الأمر الذى ذهلت له السامرية وأقرّت فى الحال أن هذه المعرفة ليست عادية، إنها لا تتوفر إلا لمن له وحى السماء «فقالت له المرأة: يا سيد. أرى أنك نبىّ» (يوحنا ٤: ١٩). ولكن المسيح له المجد كشف لها عن حقيقة كونه، أصل الحياة، وأنه رب الأنبياء وسيدهم وخالقهم ومرسلهم «قال لها: **لو كنت تعرفين عطية الله، ومن هو الذى يقول لك أعطينى لأشرب لطلبت أنت منه، فأعطاك ماء حياً**» (يوحنا ٤: ١٠) ولقد نما إيمانها فيه حتى عرفت أخيراً هى وكل أهل السامرة أنه «**المسيح الذى تكمن فيه جميع كنوز الحكمة والمعرفة**» (كولوسى ٢: ٢، ٣) «**والذى يعلم كل شئ**» (يوحنا ٤: ٢٥) وهو «حقاً المسيح مخلص العالم» (يوحنا ٤: ٤٢).

ولقد شهدت المرأة السامرية بأن المسيح له المجد كشف لها معرفته الكاملة بكل حاضرها وماضيها القريب والبعيد. وليس فقط بأزواجها الخمسة، بدليل أنها «انطلقت إلى المدينة، وقالت للناس: هلموا انظروا ذلك الرجل الذى **قال لى كل شئ فعلت**. أيكون هذا هو المسيح؟ فخرجوا من المدينة وأقبلوا عليه» (يوحنا ٤: ٢٨ - ٣٠) وزادت على ذلك بشهادتها عنه لأهل السامرة أيضاً «**إنه قال لى كل ما كنت قد فعلت**». وواضح أنها بتوكيدها أنه قال لها: «**كل شئ فعلت .. كل ما كنت قد فعلت**» أنه كشف لها أموراً كثيرة أخرى من ماضى حياتها القريب والبعيد (**كل شئ**) (**كل ما كنت قد فعلت**).

هذه أيضاً بيّنة أخرى عن علم المسيح له المجد بالماضى القريب والماضى البعيد، وهو ما شهد عنه تلاميذه «يا رب أنت تعلم كل شئ» (يوحنا ٢١: ١٧) «نحن الآن نعرف أنك عالم بكل شئ، ولا تحتاج إلى أن يسألك أحد. لهذا نؤمن بأنك من الله خرجت» (يوحنا ١٦: ٣٠). أنظر أيضاً (يوحنا ٢: ٢٤، ٢٥).

علم المسيح بالمستقبل القريب
والمستقبل البعيد

نعم، إن **علم المسيح علم إلهى**، ومن ثم **فهو علم شامل وكامل، لا يحدّه زمان.** إن الزمان هو البعد الرابع فى عالم الناس. والزمان بالنسبة للإنسان محدود، وينقسم فى محدوديته إلى ماضى، وحاضر، ومستقبل، فاللحظات التى يعيشها الإنسان ويحياها بذهنه وقلبه وشعوره وإحساسه فهى زمانه (الحاضر)، أو الحال. فإذا تحوّل بفكره وشعوره عنها وشغل بغيرها، صارت بالنسبة له هى الماضى الذى ذهب وخلا، أى الزمان المنصرم، أما الزمان الذى قد يحياه فى اللحظات التالية فهو المستقبل، الزمان الآتى بعد الحال.

هذا التقسيم الثلاثى للزمان، إلى ماضى وحاضر ومستقبل، لا وضع له عند الله. إن الماضى بالنسبة للإنسان، هذا الكائن المحدود، هو ما قبل الزمان الذى هو فيه وضعاً. والحاضر هو الحال غير الغائب. والمستقبل هو الزمان الآتى بعد الحال. أما الله فلأنه الكائن الدائم الغير المحدود والغير المتناهى فلا يخضع لهذا التقسيم، **فهو الحى الدائم الحاضر فى كل زمان، ولا يحد علمه زمان.**

ولقد قدّم الإنجيل لنا دلائل على **علم المسيح له المجد بالحاضر القريب، والحاضر البعيد، كما قدّم لنا أمثلة على علمه بالماضى القريب والماضى البعيد.**

ويقدم لنا كذلك بيّنات ساطعات على **علمه بالمستقبل القريب، والمستقبل البعيد.**

- ١ -

- من ذلك علمه المسبّق بصلبه وآلامه وقيامته من بين الأموات فى اليوم الثالث.

يقول الإنجيل إنه بعد أن سأل المسيح له المجد تلاميذه فى قيصرية فيلبس عما يقولونه فى حقيقة من هو، وأجابه سمعان بطرس باعترافه مع إخوته التلاميذ «أنت هو المسيح ابن الله الحى».

«ومنذ ذلك الوقت بدأ يسوع يبين لتلاميذه **أنه ينبغى أن يمضى إلى أورشليم ويعانى آلاماً كثيرة من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل ثم فى اليوم الثالث يقوم**» (متى ١٦: ٢١)، (مرقس ٨: ٣١)، (لوقا ٩: ٢٢).

وبعد أن صعد له المجد على جبل التجلى ومعه ثلاثة من تلاميذه، وتجلى أمامهم يقول الإنجيل: «وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلاً: لا تخبروا أحداً بما رأيتم **حتى يقوم ابن الإنسان من بين الأموات**».

«فكتموا هذا الأمر فى أنفسهم متسائلين فيما بينهم «ما القيامة من بين الأموات؟» (متى ١٧ : ٩)، (مرقس ٩ : ٨، ٩، ١١)، (يوحنا ٢٠ : ٩).

كذلك «وكانوا فى الطريق صاعدين إلى أورشليم، يتقدمهم يسوع، وكانوا يتبعونه مضطربين خائفين. فانتحى بالإثنى عشر مرة أخرى، وراح ينبئهم بما سيحدث له قائلاً لهم: «**ها نحن أولاء صاعدون إلى أورشليم، «وسيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان، «ولسوف يسلم ابن الإنسان إلى رؤساء الكهنة وإلى الكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الوثنيين فيهزأون به (ويهينونه) «ويبصقون عليه ويجلدونه ثم يقتلونه، وفى اليوم الثالث يقوم**» (مرقس ١٠ : ٣٢ - ٣٤)، (متى ٢٠ : ١٧ - ١٩)، (لوقا ١٨ : ٣١ - ٣٣).

انظر أيضاً (متى ٢٧ : ٦٣)، (لوقا ٢٤ : ٤٦)، (يوحنا ٥ : ١٦، ١٨)، (٧ : ١، ٢٥)، (١١ : ٥٣).

وقبيل آلامه «قال لتلاميذه: أنتم تعلمون أنه بعد يومين سيكون الفصح، **وابن الإنسان يسلمونه ليصلب**» (متى ٢٦ : ١، ٢)، (مرقس ١٤ : ١، ٢)، (لوقا ٢٢ : ١، ٢)، (متى ٢٧ : ١).

وأضاف قائلاً: «ولكننى **بعد قيامتى** سأسبقكم إلى الجليل» (متى ٢٦ : ٣٢)، (مرقس ١٤ : ٢٨). انظر (متى ٢٨ : ١٠، ١٦)، (مرقس ١٦ : ١٧).

- ٢ -

وفى يوم أحد الشعانين، وهو اليوم الذى شاء فيه المسيح له المجد أن يدخل إلى أورشليم ملكاً ليعلن أنه الملك الذى أنبأ عنه النبىّ زكريا بقوله: «ابتهجى جداً يا ابنة صهيون. اهتفى يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتيك. هو عادل ومنصور وديع وراكب على أتان وعلى جحش ابن أتان» (زكريا ٩ : ٩) قال الإنجيل «ولما اقتربوا من أورشليم وجاءوا إلى بيت فاجى وبيت عنيا عند الجبل المسمى جبل الزيتون، أرسل يسوع (إثنين من تلاميذه) قائلاً لهما: «إذهبا إلى القرية التى تجاهكما، **فحين تدخلانها ستجدان فى الحال أتاناً مربوطاً ومعها جحش لم يركبه**

أحد من قبل، فحلاهما وأتياني بهما. فإن قال لكما أحد أي شئ. لماذا تفعلان ذلك فقولا إن الرب محتاج إليهما. ففي الحال سيرسلهما.. فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع، وأتيا بالأتان والجحش..» (متى ٢١: ١ - ٧) «فمضى الرسولان فوجدا كما قال لهما، «ووجدا الجحش مربوطاً لدى أحد الأبواب عند ملتقى طريقين فحلاه، «وفيما هما يحلان الجحش قال لهما أصحابه لماذا تحلان الجحش؟ فقالا لهم كما أوصاهم يسوع: إن الرب محتاج إليه فتركوهما وشأنهما ثم جاءا به إلى يسوع وألقيا ثيابهما على الجحش» (لوقا ١٩: ٣٢ - ٣٥)، (مرقس ١١: ٤ - ٧).

وهكذا أخبر الرب يسوع تلميذيه قبل أن يرسلهما إلى بيت فاجي عند جبل الزيتون بأمر الأتان المربوطة ومعها الجحش، وكيف سيجدانهما، وبما سيقوله لهما أصحاب الأتان والجحش عندما يحلانهما، وأنهما إذا قالا لهم «إن الرب محتاج إليهما»، سيتركانهما وشأنهما... وفي الحال سيرسلون الأتان والجحش مع التلميذين الرسولين. إنه علم بتفصيلات دقيقة لا يمكن أن تتوافر لإنسان على بعد المسافات على هذا النحو الدقيق. إن هذا إلا بيّنة على ما للمسيح له المجد من علم إلهي.

- ٣ -

هذا إلى أن المسيح له المجد كان يعلم علماً كاملاً بكل أحداث الصلب والقيامة، وأنبأ عنها قبل وقوعها. وتحدث عن وقائعها وعن كل ما سيحدث له:

إنه كان يعلم مسبقاً إنه سيمضي إلى أورشليم وسوف يعاني آلاماً كثيرة من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، وسيحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الحاكم الروماني، ولسوف يهزأون به ويهينونه ويبصقون عليه ويجلدونه ثم يقتلونه ويصلبونه ويقبرونه في القبر (مرقس ١٠: ٣٢ - ٣٤)، (متى ٢٠: ١٧ - ١٩)، (لوقا ١٨: ٣١ - ٣٣).

وكان يعلم مسبقاً بما سيفعله تلميذه الخائن يهوذا، أحد الإثني عشر، وأنه سيسلمه إلى رؤساء الكهنة، وأنذره قائلاً: الويل لذلك الرجل الذي بواسطته يسلّم ابن الإنسان. كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد. ولما سأله الخائن يهوذا «هل أنا هو يا معلّم؟» قال له بكل صراحة ووضوح «نعم أنت هو» (متى ٢٦: ٢١ - ٢٥)، (مرقس ١٤: ١٧ - ٢١)، (لوقا ٢٢: ٢١ - ٢٣).

ويقول الإنجيل إن المخلص عندما غسل أرجل تلاميذه فى الخميس الكبير الذى أكل فيه الفصح مع تلاميذه قال فيما قاله لهم: «وأنتم أيضاً أطهار، ولكنكم لستم كلكم أطهاراً، **فقد كان يعلم بالمزمع أن يسلمه**، ولذلك قال: «إنكم لستم كلكم أطهاراً» (يوحنا ١٣: ١٠، ١١).

وينص الإنجيل على علم المسيح لكل ما وقع له من أحداث قبل وقوعها، هذه الأحداث التى انتهت بصلبه وموته بالجسد، ومن ذلك قوله: «فخرج يسوع **وهو عالم بكل** ما سيأتى عليه» (يوحنا ١٨: ٤).

وفى بستان جثسيمانى وبعد أن فرغ من صلواته:

«جاء إلى تلاميذه وقال لهم: ها قد اقتربت الساعة، **وسيسلم ابن الإنسان إلى أيدى الخطاة. قوموا ننطلق. هوذا الذى سيسلمنى قد اقترب**».

«وفى الحال وهو لا يزال يتكلم أقبل يهوذا أحد الإثنى عشر ومعه جمع عظيم بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ» (متى ٢٦: ٤٥ – ٤٧)، (مرقس ١٤: ٤١ – ٤٣).

– ٤ –

كذلك يقدم الإنجيل لأحداث الأسبوع الأخير وهو أسبوع الآلام، إبتداء من مباشرة المسيح له المجد للعشاء الأخير، وهو عشاء الفصح، وغسل الأرجل، وتسليمه سر العشاء الربانى، وهو سر الشكر، بقوله:

«وقبل عيد الفصح رأى يسوع أن ساعته قد جاءت لينتقل من العالم ويمضى إلى الآب» (يوحنا ١٣: ١).

وهذه إشارة أخرى إلى علم المسيح المسبق بكل أحداث أسبوع الآلام والتى ستنتهى بالصلب والقيامة، وبعد ذلك الصعود إلى السماء العليا التى منها نزل، وهو ما وصفه الإنجيل بـ (المضى) إلى الآب.

ويقول الإنجيل أيضاً إن المسيح له المجد قال لتلاميذه «أنتم تعلمون أنه بعد يومين سيكون الفصح والفطير، وابن الإنسان يسلمونه ليصلب».

«حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب فى دار رئيس الكهنة الذى يدعى قيافا، وتشاوروا ليمسكوا يسوع بخدعة ويقتلوه، ولكنهم قالوا: لا نفعل ذلك فى العيد لئلا يحدث شغب بين الشعب» (متى ٢٦: ١ – ٥)، (مرقس ١٤: ١، ٢).

وفى يوم الخميس الكبير الذى أكل فيه المسيح له المجد الفصح مع تلاميذه وغسل أرجلهم.

يقول الإنجيل: «ثم جاء يوم الفطير الذى كان ينبغى أن يذبح فيه الفصح، «وفى أول أيام الفطير، حين كانوا يذبحون الفصح، «تقدم إلى يسوع تلاميذه قائلين: أين تريد أن نمضى ونعدّ لك لتأكل الفصح؟» «فأرسل يسوع إثنين من تلاميذه، «فأرسل يسوع بطرس ويوحنا قائلاً: اذهبا وأعدّا لنا الفصح لنأكله» فقالا له: «أين تريد أن نعدّه؟» قال لهما: **«إذهبا إلى المدينة وهناك سيلقاكما رجل يحمل جرة ماء فاتبعاه إلى البيت الذى يدخله، وحيث يدخل قولا لرب البيت»** «يقول لك المعلم إن وقتى قد اقترب. سأقيم عندك الفصح مع تلاميذى» «أين المكان الذى سآكل فيه الفصح مع تلاميذى؟ **ولسوف يريكما قاعة عليا مؤثثة ومُهيأة،** فأعدا لنا هناك» فخرج التلميذان. **وحين أتيا إلى المدينة وجدا كما قال لهما** فأعدّا الفصح» (لوقا ٢٢: ٧ - ١٣)، (مرقس ١٤: ١٢ - ١٦)، (متى ٢٦: ١٧ - ١٩).

أليس حقاً إنه علم إلهى؟ إنّ المسيح له المجد **أخبر تلميذيه مُسبقاً بمن سيلقياه لدى دخولهما المدينة وهى أورشليم، وأنه رجل يحمل جرّة ماء وأنه سيدخل بيتاً. وفى هذا البيت سيلتقيان برب البيت (فلان)** (متى ٢٦: ١٨)، **فيسألانه عن المكان الذى يأكل فيه سيدهما الفصح مع تلاميذه، وأنه سيريهما قاعة عليا مؤثثة ومهيأة.** إنها تفصيلات دقيقة أخبر المسيح تلميذيه بها من قبل أن يخرجا لمهمتهما المقدسة.

ومن بيّنات علمه السابق بأحداث الصلب والموت والدفن، أنه عندما سكبت مريم أخت لعازر قارورة الطيب الناردين الخالص الغالى الثمن على رأس المسيح له المجد، وهو فى بيت سمعان الأبرص وتذمّر يهوذا الإسخريوطى ومعه سائر التلاميذ قائلين: «لماذا هذا الإتلاف للطيب؟ (أفما كان يمكن أن يباع هذا الطيب بمال كثير، بأكثر من ثلثمائة دينار ويعطى للفقراء؟) وراحوا يؤنبونها. فقال يسوع: «دعوها. ما بالكم تزعجونها؟ إنها صنعت بى صنيعاً حسناً.. لقد فعلت ما فى وسعها، وهى إذ سكبت هذا الطيب على جسدى إنما **فعلت ذلك لتكفينى** وقد دهنت جسدى

بالطيب مقدماً لدفنى فقد حفظت **هذا ليوم دفنى**» (متى ٢٦: ١ - ١٣)، (مرقس ١٤: ٣ - ٨)، (يوحنا ١٢: ٣ - ٨).

لقد كانت تلك الواقعة، سكب مريم أخت لعازر الطيب على رأس المخلص، «قبل الفصح بستة أيام» (يوحنا ١٢: ١)، وبالتالى قبل الصلب، ولكنه فى دفاعه عن صنيع مريم، اعتبر عملها **تطييباً مقدماً لجسده** بعد إنزاله من على الصليب، كما صنع فيما بعد يوسف ونيقوديموس «وكان يحمل **حنوطاً من المر والصبر**، يزن نحو مائة رطل، وأخذا جسد يسوع وكفناه بلفائف من الكتان **مع الأطياب على عادة اليهود فى التكفين**» (يوحنا ١٩: ٣٩، ٤٠) وكما صنعت «مريم المجدلية ومريم أم يعقوب، وسالومى، واشترين طيباً **وأعددن عطوراً وأطياباً، ليأتين ويضمّخنه**» (مرقس ١٦: ١)، (لوقا ٢٣: ٥٦).

- ٧ -

ومن بينات علم المسيح بالمستقبل القريب قوله له المجد لتلاميذه فى ليلة آلامه «أقول لكم إنه ينبغى أن يتم فىّ هذا المكتوب: **قد أحصى مع الأثمة**. لأن كل ما يختص بى لابد أن يتم» (لوقا ٢٢: ٣٧).

وتفسير ذلك واضح فإن المسيح مخلصنا صلب بين لصين، وكأنه أكبر المجرمين. وقد تنبأ عن ذلك النبى إشعياء «إنه سكب للموت نفسه **وأحصى مع أثمة** وهو حمل خطايا كثيرين وشفع فى المذنبين» (إشعياء ٥٣: ١٢).

ويقول الإنجيل للقديس مرقس: «وقد صلبوا معه لصين أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره» فتم بذلك الكتاب القائل: «**وأحصى مع أثمة**» (مرقس ١٥: ٢٧، ٢٨).

- ٨ -

كذلك من آيات علمه السابق بأحداث الصلب وما يتبعها، من أحداث القيامة والصعود إلى السماء التى منها نزل.

قوله لتلاميذه «**بعد قليل لا ترونننى، ثم بعد قليل أيضاً ترونننى، لأننى منطلق إلى أبى**. فقال بعض تلاميذه فيما بينهم: ما هذا الذى يقوله لنا: بعد قليل لا ترونننى، ثم بعد قليل أيضاً ترونننى. ولأننى منطلق إلى أبى ثم قالوا: ما هذا القليل الذى يتكلم عنه؟ إننا لا ندرى ماذا يقول فعلم يسوع أنهم يريدون أن يسألوه، فقال لهم: أعن هذا تتساءلون فيما بينكم، إذ قلت

لكم بعد قليل لا ترونني، ثم بعد قليل أيضاً ترونني؟ الحق الحق أقول لكم **إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح. أنتم ستحزنون ولكن حزنكم سيتحول إلى فرح.. أنتم الآن محزنون، ولكنني سأعود فأراكم فتفرح قلوبكم**، (يوحنا ١٦: ١٦ – ٢٢). انظر أيضاً (يوحنا ١٤: ١٩)، (١٤: ٢٨، ٢٩)، (١٧: ١١، ١٣).

وقال أيضاً «أما الآن فإنني ماضٍ إلى الذي أرسلني، ولا يسألني أحد منكم إلى أين تمضي؟ ولكنكم إذ قلت لكم هذا ملأ الحزن قلوبكم. إلا أنني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق، لأنني إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي. أما إذا مضيت فإنني أرسله إليكم» (يوحنا ١٦: ٥ – ٧).

– ٩ –

ومن ذلك **علم المسيح مسبقاً بما سيكون عليه موقف تلاميذه منه عندما يُقبض عليه ويسير في طريق الآلام:**

قال لهم في ليلة آلامه وبعد أن تناول معهم عشاء الفصح وغسل أرجلهم وسلّم لهم سرّ العشاء الرباني:

«وعندئذ قال لهم يسوع: **كلكم سيستولي عليكم الشك في أمري هذه الليلة، لأنه مكتوب أني سأضرب الراعي فتتبدد خراف الرعيّة. ولكنني بعد قيامتي سأسبقكم إلى الجليل**» (متى ٢٦: ٣١، ٣٢)، (مرقس ١٤: ٢٧، ٢٨).

وقال أيضاً «**هوذا تأتي ساعة، وقد أتت الآن، تتفرقون فيها كل منكم إلى حيث كان وتتركونني وحدي**. غير أنني لست وحدي، لأن أبي معي» (يوحنا ١٦: ٣٢).

«ثم قال الرب سمعان سمعان هوذا الشيطان قد سعى جاهداً لأن يغربلكم كالحنطة ولكنني دعوت لك ألا يفنى إيمانك. فمتى اهتديت فشجع إخوتك» (لوقا ٢٢: ٣١، ٣٢).

والمعنى واضح أن المسيح له المجد ينذر تلاميذه مسبقاً بما سيكون عليه موقفهم من نحوه في تلك الليلة التي سيعاني فيها سلسلة من المتاعب والآلام، وسيسئ اليهود معاملته، ويطالبون بصلبه وقتله. ويوجّه تنبيهاً خاصاً لتلميذه سمعان بطرس فهو كبير التلاميذ، وأخوهم الأكبر سناً، والذي جعله المسيح في أول قائمة الرسل الذين اختارهم ليكونوا معه. فإنه على الرغم من ثقته في محبته لسيده وإخلاصه له لكنه سيضعف أمام التجربة القاسية، وينكر سيده ومعلمه، وينكر معرفته به، وسيهرب من الساحة، وسيهرب سائر التلاميذ أيضاً (متى ٢٦: ٥٦)، ومع ذلك

سيساندهم المسيح له المجد ويعينهم فى ضعفهم ، وسيتبينون بعد حين خطأهم فى ضعفهم. وسمعان بطرس أيضاً بعد إنكاره لسيده سيعود تائباً. وعندئذ يكون من واجبه أن يثبّت إخوته فى الإيمان.

«فأجاب بطرس وقال له: إن شك فيك الجميع فلن أشك أنا أبداً، يا رب إننى مستعد أن أمضى معك ولو إلى السجن وإلى الموت، إننى أفديك بحياتى. أجابه يسوع قائلاً: أتفدينى بحياتك؟ **الحق الحق أقول لك إنك اليوم فى هذه الليلة، قبل أن يصيح الديك مرتين ستنكرنى ثلاث مرات**، أنك تعرفنى، أما بطرس فأصر قائلاً: إننى ولو اضطررت أن أموت معك فلن أنكرك، وهكذا قال أيضاً كل التلاميذ» (متى ٢٦: ٣٣ – ٣٥)، (لوقا ٢٢: ٣٣، ٣٤)، (مرقس ١٤: ٢٩ – ٣١)، (يوحنا ١٣: ٣٧، ٣٨).

وتمّ بالفعل كل ما أنذر به المسيح تلاميذه من حيث شكهم، وتركهم له «**وعندئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا**» (متى ٢٦: ٥٦)، (مرقس ١٤: ٥٠)، (يوحنا ١٨: ٨).

وتم ما أنذر به له المجد لتلميذه سمعان بطرس من أنه لا يصيح الديك مرتين قبل أن ينكر بطرس معلّمه ثلاث مرات أنه يعرفه.

يقول الإنجيل: «وكان سمعان بطرس يتبع يسوع وكذلك تلميذ آخر، وكان هذا التلميذ معروفاً لدى رئيس الكهنة. فدخل مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة. وأما بطرس فظل واقفاً فى الخارج عند الباب، فخرج التلميذ الآخر الذى كان معروفاً لدى رئيس الكهنة وكلّم حارسة الباب وأدخل بطرس. فقالت الجارية حارسة الباب لبطرس ألست أنت أيضاً من تلاميذ هذا الرجل؟ فقال: **لا لست منهم**. وكان العبيد والخدام واقفين، وقد أشعلوا جمراً ، لأنه كان برد، وأخذوا يستدفئون، وكان بطرس أيضاً واقفاً معهم يستدفئ عند النار» (يوحنا ١٨: ١٥ – ١٨)، (مرقس ١٤: ٥٤، ٥٥).

«وإذ كان سمعان بطرس واقفاً يستدفئ قالوا له: ألست أنت أيضاً من تلاميذه؟ فأنكر وقال: **لست منهم** ثم قال واحد من عبيد رئيس الكهنة كانت تربطه صلة بذلك الذى قطع بطرس أذنه: أما رأيتك أنا معه فى البستان؟ **فأنكر بطرس مرة أخرى. وعندئذ صاح الديك**»، (يوحنا ١٨: ٢٥ – ٢٧).

«وبينما كان بطرس تحت فى فناء الدار جاءت إحدى جوارى رئيس الكهنة. فلما رأت بطرس (على ضوء النار) يستدفئ تفرّست فيه وقالت له: أنت أيضاً كنت مع يسوع الناصرى الجليلى

أما هو فأنكر أمام الجميع قائلاً: **لست أدرى ولا أعرف عم تتكلمين لست أعرفه يا امرأة** وخرج إلى الدهليز خارج الدار. **وعندئذ صاح الديك.** ثم مرة أخرى رأته جارية أخرى فراحت تقول للواقفين للذين كانوا هناك إن هذا منهم. إن هذا كان مع يسوع الناصرى **فأنكر مرة أخرى وهو يقسم قائلاً: إننى لا أعرف هذا الرجل** وبعد قليل رآه آخر فقال: أنت أيضاً منهم فقال بطرس: **لست منهم يا رجل** ثم بعد نحو ساعة قال آخر مؤكداً الحق أن هذا أيضاً كان معه، فإنه جليلى كذلك. فقال بطرس **لست أدرى يا رجل عم تتحدث** وبعد قليل جاء الواقفون هناك وقالوا لبطرس:

بالتأكيد أنت أيضاً منهم، لأنك جليلى فإن لهجة كلامك تدل عليك ولهجتك تشبه لهجتهم. **وعندئذ بدأ يلعن ويحلف قائلاً: إنى لا أعرف هذا الرجل الذى عنه تتكلمون وفى تلك اللحظة وهو يتكلم صاح الديك للمرة الثانية** فتلفّت الرب ونظر إلى بطرس فتذكر بطرس كلمة الرب يسوع إذ قال له: إنك قبل أن يصيح الديك مرتين ستنكرنى ثلاث مرات فمضى بطرس إلى الخارج وأخذ يبكى بكاءاً مراً (مرقس ١٤: ٦٦ – ٧٢)، (لوقا ٢٢: ٥٦ – ٦٢)، (متى ٢٦: ٦٩ – ٧٥).

المسيح يعلم بالمستقبل البعيد

وكما أنبأ المسيح له المجد بأمور خاصة بالمستقبل القريب، أنبأ عنها قبل حدوثها وبتفصيلات دقيقة تكشف عن علمه الكامل الشامل بكل ما يحدث فى المستقبل معرفته بالماضى القريب والبعيد، ومعرفته بالحاضر القريب والحاضر البعيد ـ كذلك أنبأ عن أمور تختص بالمستقبل البعيد، أنبأ عنها قبل حدوثها وقد حدثت بالفعل تماماً كما أنبأ عنها بكل تفصيلاتها، وذلك على مدى التاريخ الطويل الممتد عبر الزمان والمكان.

– ١ –

فقد أنبأ تلاميذه بما سيصيبهم من أتعاب ومشقات، وما سيلحق بهم من مضايقات وإضطهادات من جراء كرازتهم باسمه له المجد.

قال مخلصنا ذلك لتلاميذه يوم دعاهم ليكونوا تلاميذه، واختارهم ليكونوا معه، وأوصاهم بوصفهم رسله لتبليغ رسالته والكرازة باسمه فى كل الأمم:

«هأنذا أرسلكم كخراف بين ذئاب .. احذروا من الناس **فإنهم سيسلمونكم إلى المجالس، ويجلدونكم فى مجامعهم، ويؤتى بكم من أجلى أمام ولاة وملوك، فيكون ذلك**

شهادة لديهم ولدى الوثنيين .. وتكونون مكروهين من الجميع من أجل اسمى..» (متى ١٠: ١، ١٧ – ٢٢).

وقال له المجد وهو يوبخ كهنة اليهود والكتبة والفريسيين وعلماء الشريعة منبئاً بما سيصنعونه بتلاميذه: «ها أنا ذا أرسل إليكم أنبياء وحكماء ومعلمين، **فبعضهم تقتلون وتصلبون، وبعضهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة**» (متى ٢٣: ٣٤) «إننى أرسل إليكم أنبياء ورسلاً، **فبعضهم تقتلون وبعضهم تضطهدون**» (لوقا ١١: ٤٩).

وزاد على ذلك بقوله لتلاميذه وهو جالس على جبل الزيتون ينبئهم عن خراب هيكل أورشليم.. «**سيسلمونكم لمن يعذبونكم ويقتلونكم، وتكونون مكروهين من جميع الأمم لأجل اسمى**» (متى ٢٤: ٩) «أما أنتم فاحترسوا لأنفسكم، لأنهم **سيقدمونكم إلى المحاكم ويضربونكم فى المجامع. وسيؤتى بكم أمام ولاة وملوك من أجلى للشهادة لديهم. وينبغى أولاً إعلان الإنجيل إلى كل الأمم.. وتكونون مكروهين من الجميع من أجل اسمى..**» (مرقس ١٣: ٩ – ١٣).

«**سيقبضون عليكم ويضطهدونكم ويقدمونكم إلى المجامع ويلقون بكم فى السجون ويسوقونكم إلى الملوك والولاة من أجل اسمى، فيئول ذلك إلى ظفركم بالشهادة.. وتكونون مكروهين من الجميع من أجل اسمى..**» (لوقا ٢١: ١٢، ١٣، ١٧). انظر أيضاً (لوقا ١٢: ١١)، (لوقا ٢٤: ٤٨).

وقال المخلص لتلاميذه فى ليلة آلامه يعزيهم عن مفارقته لهم ويشددهم ويشجعهم ويقوى إيمانهم: «لستم أنتم الذين اخترتمونى، وإنما أنا الذى اخترتكم وأقمتكم لتنطلقوا وتأتوا بثمر، ويدوم ثمركم.. **إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه أبغضنى قبل أن يبغضكم**.. تذكروا الكلام الذى كلمتكم به إذ قلت لكم إنه ليس خادم أعظم من سيده **فإن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم أنتم أيضاً.. ولكنهم سيفعلون بكم هكذا بسبب اسمى.. وأنتم أيضاً ستشهدون لى**، لأنكم معى منذ الابتداء» (يوحنا ١٥: ١٦ – ٢٧) «قد كلمتكم بهذا لئلا تصطدموا بما يعثركم. **فإنهم سيخرجونكم من المجامع، بل ستأتى ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقدم ذبيحة لله**.. وما قلت لكم هذا إلا لتتذكروا، متى جاءت الساعة، أننى قلته لكم. ولم أقله لكم منذ الابتداء لأننى كنت معكم..» (يوحنا ١٦: ١ – ٤).

ولقد تم فعلاً ما أنبأ به المسيح تلاميذه:

جاء فى سفر أعمال الرسل عن **الرسولين القديسين بطرس ويوحنا** بعد أن أجريا معجزة شفاء الرجل الأعرج من بطن أمه. فتشددت رجلاه وكعباه فوثب وصار يمشى ودخل مع الرسولين إلى الهيكل وهو يمشى ويظفر ويسبح الله، فتراكض إليهم جميع الشعب مبهورين مندهشين: «وفيما كان بطرس ويوحنا يخاطبان الشعب أقبل عليهما الكهنة ورئيس حرس الهيكل والصدوقيون. وهم غاضبون من أنهما يعلّمان الشعب ويناديان فى قيامة يسوع، بقيامة الأموات. **فألقوا القبض عليهما ووضعوهما فى السجن إلى اليوم التالى**، إذ كان المساء قد أقبل. بيد أن كثيرين من الذين سمعوا الخطاب آمنوا. فبلغ عدد الذين آمنوا من الرجال نحو خمسة آلاف. وفى الغد اجتمع فى أورشليم الرؤساء والشيوخ والكتبة مع حنان رئيس الكهنة وقيافا ويوحنا والإسكندر وجميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة. **ولما أوقفوهما فى الوسط**، أخذوا يسألونهما قائلين: بأية قوة أو بأى اسم صنعتما هذا حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس وقال لهم: يا رؤساء الشعب ويا شيوخ إسرائيل إذا كنا نستجوب اليوم عن خير أسدى إلى رجل عليل بمن شفى هذا. فليكن معلوماً عندكم جميعاً وعند جميع شعب إسرائيل أنه باسم يسوع المسيح الناصرى. الذى صلبتموه أنتم والذى أقامه الله من بين الأموات. بذاك يقف هذا أمامكم صحيحاً معافى. هذا هو الحجر الذى رفضتموه أنتم أيها البناؤون، فصار رأس الزاوية.. فأمروهما أن يخرجا إلى خارج المجلس، ثم تشاوروا فيما بينهم قائلين: **ماذا نصنع بهذين الرجلين؟** فقد جرت على أيديهما آية مبينة ظاهرة لجميع سكان أورشليم، ولا نستطيع أن ننكرها. ولكن لئلا يزداد الأمر شيوعاً بين الشعب **فلنهددهما تهديداً.. ثم استدعوهما وأمروهما بألا ينطقا البتة ولا يعلّما باسم يسوع**. فأجاب بطرس ويوحنا وقالا: «احكموا أنتم، إن كان حقاً أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله. أما نحن فإنه لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وما سمعنا» (أعمال الرسل ٤: ١ - ١٨).

وجاء فى سفر أعمال الرسل:

«وجرت على أيدى الرسل آيات وعجائب كثيرة فى الشعب.. فقام رئيس الكهنة وجميع من معه، الذين هم شيعة الصدوقيين، وقد امتلأوا سخطاً، **فقبضوا على الرسل، وألقوهم فى السجن العام** ولكن ملاك الرب فتح أبواب السجن فى الليل وأخرجهم.. فلما سمعوا ذلك دخلوا الهيكل فى الصباح الباكر وطفقوا يعلمون. **ثم أقبل رئيس الكهنة والذين كانوا معه**

ودعوا المجمع وكل شيوخ بنى إسرائيل وأرسلوا إلى السجن لإحضارهم. ولكن الجند لما جاءوا لم يجدوهم فى السجن . فلما سمع قائد حرس الهيكل ورؤساء الكهنة ذلك، تحيّروا فى أمرهم متسائلين: ما عسى أن يكون هذا. ثم جاء واحد وقال لهم: «هوذا الرجال الذين ألقيتموهم فى السجن قائمون فى الهيكل يعلمون الشعب. فانطلق القائد مع الجند، وجاءوا بهم ولكن بغير عنف.. **فلمّا جاءوا بهم فى المجمع.** فسألهم رئيس الكهنة قائلا: **أما أمرناكم مشددين عليكم أن لا تعلموا بهذا الاسم؟ وها أنتم أولاء قد ملأتم أورشليم كلها بتعليمكم، وتريدون أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان** فأجاب بطرس والرسل وقالوا: إن الله أحق بأن يطاع أكثر من الناس. إن إله ابائنا أقام يسوع الذى علقتموه أنتم على خشبة وقتلتموه. فهو الذى رفعه الله بيمينه رئيساً ومخلصاً .. ليمنح إسرائيل التوبة وغفران الخطايا، ونحن شهود على هذه الأمور.. فلما سمعوا ذلك **صرّوا على أسنانهم غيظاً واعتزموا قتلهم. واستدعوا الرسل وجلدوهم. ثم نهوهم عن التعليم باسم يسوع** ثم أطلقوهم. فمضوا من أمام المجمع فرحين بأنهم **احتسبوا مستأهلين لأن يهانوا من أجل اسمه،** (أعمال الرسل ٥: ١٢ – ٤١).

وجاء كذلك فى سفر أعمال الرسل عن **القديس (اسطفانوس) رئيس الشمامسة وأول الشهداء،** وهو فى الآن نفسه أحد السبعين رسولاً:

«وكان اسطفانوس ممتلئاً من النعمة والقوة. فكان يصنع عجائب وآيات عظيمة فى الشعب. وقام بعض أعضاء المجمع المعروف بمجمع العبيد المحررين ويهود من قيروان والأسكندرية وسواهم من كيليكية وآسيا وأخذوا يجادلون اسطفانوس فلم يستطيعوا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به. حينئذ رشوا رجالاً ليقولوا: إننا سمعناه يتكلم بكلام تجديف على موسى وعلى الله، **فهيجوا الشعب والشيوخ والكتبة ثم باغتوه وخطفوه وجاؤوا به إلى المجمع.** وأقاموا شهود زور يقولون: إن هذا الرجل لا يكف عن أن يتكلم بكلمات تجديف ضد هذا الموضع المقدس وضد الشريعة.. فقال رئيس الكهنة: أهذا صحيح؟ .. فلما سمعوا ذلك **ملأ الغيظ قلوبهم وصروا عليه بأسنانهم.** أما هو فشخص إلى السماء وهو ممتلئ من الروح القدس، فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله، فقال: هآنذا أنظر السماوات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله، **فصاحوا بأعلى أصواتهم، وسدّوا آذانهم وهجموا عليه كلهم دفعة واحدة، ودفعوا به إلى خارج المدينة ورجموه...»** (أعمال الرسل ٦: ٨ – ١٥)، (٧: ١ – ٥٨)، أنظر أيضاً (أعمال الرسل ٢٢: ١٩، ٢٠).

ثم جاء فى سفر أعمال الرسل:

«وفى ذلك اليوم (يوم استشهاد القديس اسطفانوس) **وقع اضطهاد شديد على الكنيسة التى فى أورشليم**، فتشتت المؤمنون المسيحيون كلهم. ماعدا الرسل، فى نواحى اليهودية والسامرة.. **وأما شاول فكان يسعى إلى خراب الكنيسة، فيذهب من بيت إلى بيت، ويجر الرجال والنساء، ويلقيهم فى السجن**» (أعمال ٨: ١ - ٣).

«**أما شاول فكان ينفث تهديداً على تلاميذ الرب وتقتيلاً لهم**. فقصد إلى رئيس الكهنة. وطلب منه رسائل إلى مجامع دمشق **ليعتقل الرجال والنساء الذين يجلدهم هناك على مذهب الرب ويسوقهم موثقين إلى أورشليم**. وفيما هو ذاهب، وقد اقترب من دمشق، سطع حوله بغتة نور من السماء فوقع إلى الأرض، وسمع صوتاً يقول له: شاول شاول، **لماذا تضطهدنى**؟ فقال شاول: من أنت، يا رب؟ فأجابه الرب: أنا يسوع الذى **أنت تضطهده**، إنه لصعب عليك أن ترفس مناخس المهماز» (أعمال الرسل ٩: ١ - ٥).

كذلك جاء فى سفر أعمال الرسل خبر **محاكمة القديس بولس الرسول أمام المجمع اليهودى برئاسة رئيس الكهنة وحضور عظماء الكهنة وكل مجمعهم** (أعمال ٢٢: ٣٠)، (٢٣: ١ - ١٠) «ولما علم بولس أن فريقاً منهم صدوقيون والفريق الآخر فريسيون صاح فى المجلس: أيها الرجال الإخوة، أنا فريسى ابن فريسى، **وأنا أحاكم على الرجاء وقيامة الأموات**» (أعمال الرسل ٢٣: ٦).

وقال القديس بولس الرسول فى رسالته إلى أهل كورنثوس:

«**جلدنى اليهود خمس مرات تسعاً وثلاثين جلدة. ضربت بالعصى ثلاث مرات، رُجمت مرة**، انكسرت بى السفينة ثلاث مرات، قضيت ليلة ونهاراً فى عرض البحر» (٢. كورنثوس ١١: ٢٤، ٢٥).

* * *

وإذا كان فى النصوص السابقة نرى تحقيقاً لما أنبأ به المسيح له المجد عن اضطهاد الرسل وتلاميذ المسيح والمؤمنين، واستدعائهم ومحاكمتهم أمام المجامع والمحافل الدينية، فثمة نصوص أخرى تسجل **محاكمتهم أمام المحاكم المدنية أى أمام الملوك والولاة والحكام** وسجنهم وتعذيبهم، تماماً كما أنبأ المسيح له المجد:

جاء فى سفر أعمال الرسل:

«وفى ذلك الوقت **أخذ الملك هيرودس يُسيئ معاملة بعض أعضاء الكنيسة. فقتل بحد السيف يعقوب أخا يوحنا. فلما رأى أن هذا الأمر يرضى اليهود، عاد فقبض كذلك على بطرس.** وكان ذلك فى أيام عيد الفطير. وبعد ما قبض عليه، ألقاه فى السجن، وسلّمه إلى أربع فرق ليحرسوه، كل فرقة من أربعة جنود. وكان ينوى أن يقدمه للشعب بعد عيد الفصح. فكان بطرس محفوظاً فى السجن. وأما الكنيسة فكانت تصلى إلى الله بلا انقطاع من أجله. وكان بطرس فى الليلة التى أزمع هيرودس أن يقدمه بعدها للشعب، نائماً بين جنديين، مقيداً بسلسلتين، وعلى الباب حراس يحرسون السجن وإذا ملاك الرب يظهر..» (أعمال الرسل ١٢: ١ - ٦).

ويقدم لنا سفر أعمال الرسل **خبر محاكمة القديس بولس الرسول أمام الوالى الرومانى**، صاحب العزة (فيلكس)، فى قيصرية، بناء على شكوى من حنانيا رئيس الكهنة مع شيوخ اليهود وخطيب اسمه ترتلس، وقالوا فى شكواهم ضد الرسول القديس بولس:

«إننا قد وجدنا هذا الرجل آفة مؤذية، ومثير فتنة بين اليهود فى العالم كله، وإماماً لشيعة النصارى. وقد حاول أن يدنس الهيكل فاعتقلناه، وأردنا أن نحاكمه بموجب شريعتنا. إلا أن ليسياس قائد الألف أقبل وانتزعه قسراً من أيدينا، وأمر خصومه المشتكين عليه بأن يرفعوا شكواهم إليك، فتستطيع - إذا استجوبته أن تتبين جميع هذه الأمور التى نتهمه بها» فأيد اليهود دعوى ترتلس زاعمين أنها صحيحة» (أعمال الرسل ٢٤: ٥ - ٩).

ودافع القديس بولس دفاعاً مجيداً عن موقفه المسيحى وعن تعليم المسيح أمام الوالى الرومانى وأمام شعب اليهود - واحتجزه الوالى أياماً ثم استحضره مرة أخرى ليسمع منه. وكانت زوجة الوالى دروسلاً تصحب زوجها فى هذه المرة - على أن الوالى أراد أن يرضى اليهود، فاستبقى القديس بولس مقيداً لمدة سنتين إلى أن جاء الوالى بوركيوس فستوس، «فعرض عليه رؤساء الكهنة وأعيان اليهود دعواهم على بولس» (أعمال الرسل ٢٥: ١، ٢) «ثم نزل فستوس إلى قيصرية. وفى الغد جلس على كرسى القضاء، وأمر بإحضار بولس. فلما حضر أحاط به اليهود الذين كانوا قد نزلوا من أورشليم، واتهموه بإتهامات كثيرة وخطيرة لم يستطيعوا إثباتها» (أعمال الرسل ٢٥: ٦، ٧). على أن القديس بولس قال للوالى أخيراً «وإلى القيصر أرفع دعواى» (أعمال الرسل ٢٥: ١١)، فأجاب الوالى بعد أن تشاور مع المجلس: «رفعت إلى القيصر دعواك»،

فإلى القيصر تذهب» (أعمال الرسل ٢٥ : ١٢ ، ٢١ ، ٢٧) ، (٢٦ : ٣٢) ، (٢٨ : ١٩) . «وبعد بضعة أيام، جاء الملك أغريباس وبرنيكه إلى قيصرية ليسلما على فستوس.. وعرض فستوس على الملك قضية بولس، وقال: هنا رجل تركه فيلكس سجيناً» (أعمال الرسل ٢٥ : ١٣ ، ١٤) ، ثم استدعى بولس وسمح له أن يتحدث أمام الملك أغريباس وبرنيكى وأمام القادة ووجهاء المدينة فى قاعة الاستماع بالمحكمة (أعمال الرسل ٢٥ : ٢٣ – ٢٧) . فعرض القديس بولس قضيته، وقصة الرؤيا الرائعة السماوية التى رأى فيها المسيح له المجد يوبخه على اضطهاده له (أعمال الرسل ٢٦ : ١ – ٣٢) ، وقد اعترف بولس قائلاً : «أما أنا فقد ارتأيت فى نفسى أنه يجب على أن أقاوم بشدة اسم يسوع الناصرى. وهذا ما فعلت فى أورشليم، **فحبست فى السجون، بتفويض من رؤساء الكهنة، عدداً كبيراً من القديسين. ولما اقترع على قتلهم كنت موافقاً على ذلك. وكثيراً ما عذبتهم فى كل مجمع لأجبرهم على الكفر بإيمانهم، واشتد سخطى عليهم حتى أخذت أطاردهم فى المدن التى فى خارج اليهودية**» (**أعمال الرسل ٢٦ : ٩ – ١١**) . **انظر أيضاً (أعمال الرسل ٢٢ : ١٩ ، ٢٠)** .

وسافر القديس بولس إلى روما (أو رومية) فى رحلته الرابعة والأخيرة محروساً كأسير بيد قائد مائة من كتيبة أوغسطس يوليوس (أعمال الرسل ٢٧ : ١) ، وأقام فى بيت خاص استأجره لنفسه مدة سنتين كاملتين (أعمال الرسل ٢٨ : ٣٠) ، بعدها وقف أمام القيصر نيرون الذى حكم عليه **بالإعدام بقطع رأسه بالسيف** سنة ٦٧م.

انظر أيضاً (الجليان ـ الرؤيا ٢ : ١٠ ، ١٣) .

وكذلك الحال بالنسبة للقديس **بطرس الرسول فقد، مثل للمحاكمة مع القديس يوحنا الرسول أمام المجمع اليهودى**، (أعمال الرسل ٤ : ١ – ٢١) . كما حوكم أمام **هيرودس الملك** (أعمال ١٢) ثم أخيراً أمام الملك نيرون فى روما، **وحكم عليه بالإعدام، وصُلب منكساً أو مكبوباً سنة ٦٧م.**

ويوحنا الرسول، وقف أمام مجمع السنهدريم مع القديس بطرس ليحاكما عن معجزة شفاء الأعرج من بطن أمه وعن إصرارهما على الكرازة باسم يسوع المسيح وعدم خضوعهما للأمر والتهديد الصادر إليهما من مجمع اليهود (أعمال الرسل ٤ : ١ – ٢١) . **أما محاكمته** مدنياً فقد تمت فى أخريات أيام حياته وحكموا عليه بإغراقه فى خلقين من الزيت المغلى فلمّا

نجا من الموت، نفاه الإمبراطور دوميتيانوس (٥١ - ٩٦) إلى جزيرة بطمس التى رأى فيها رؤياه.

والرسل الآخرون أيضاً وقفوا للمحاكمة الدينية أمام مجمع اليهود بعد أن وضعوهم مبدئياً فى حبس العامة (أعمال الرسل ٥: ١٧ - ٤١). وجميعهم وقفوا أمام الحكام والولاة والملوك وحوكموا وماتوا شهداء.

وهكذا أيضاً كان نصيب من هم فى حكم الرسل من الأساقفة والبطاركة والكهنة والشمامسة وسائر المؤمنين بالمسيح ممن ماتوا شهداء من أمثال الشهيد مارجرجس أمير الشهداء الذى نال من المحاكمات وكل صنوف الآلام لمدة سبع سنوات كاملة، وقل بالمثل مع **الشهيد مرقوريوس أبى سيفين، والشهيد مارمينا العجائبى، والأمير تادرس**، وغيرهم على مدى تاريخ الكنيسة وإلى اليوم.. ممن أبغضهم العالم، ووقفوا أمام حكام وولاة ورؤساء، وعانوا من ضروب الاضطهاد بصوره المتنوعة من أجل كرازتهم بالمسيح وتبعيتهم لجلاله الأقدس وتعاليمه وفضائل شريعته الإلهية.

- ٢ -

أنبأ المسيح له المجد تلميذه القديس بطرس بمصيره واستشهاده:

ونحن هنا لا نعالج موضوع إنكار مار بطرس لسيده ومعلّمه فقد تناولناه فى باب آخر، وإنما، ونحن فى صدد علم المسيح بالمستقبل البعيد، نخصّ بالذكر ما أنبأ به المسيح له المجد تلميذه بطرس فى شأن الكيفية التى ستنتهى بها حياة بطرس فى الأرض قبل أن يمضى إلى عالم الروح.

ففى أحاديثه الوداعية لتلاميذه ليلة آلامه قال المخلص «يا أبنائى أنا باقٍ معكم زماناً يسيراً بعد، وستطلبوننى، وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تستطيعون أنتم أن تأتوا، أقول لكم أنتم أيضاً الآن.. فقال له سمعان بطرس: إلى أين تذهب يا رب؟ أجاب يسوع قائلاً: حيث أذهب أنا لا تستطيع أنت الآن أن تتبعنى. **ولكنك ستتبعنى أخيراً** (يوحنا ١٣: ٣٣ - ٣٦).

لقد كان مخلصنا يكلم تلاميذه عن رحلة الصلب لإتمام مهمة الفداء والخلاص، فالوقت الباقى قليل أو يسير، وبعده تحدث مفارقته لهم إلى أن يتم الصلب فالموت فالقيامة المجيدة. على أنه فى إجابته على سؤال تلميذه سمعان بطرس ما يستوقف النظر ويدعو إلى التأمل «حيث

أذهب أنا لا تستطيع أنت الآن أن تتبعنى. ولكنك ستتبعنى أخيراً، فسمعان بطرس قد ترك سيده كما «تركه التلاميذ كلهم وهربوا» (متى ٢٦: ٥٦). أما قوله له المجد «**ولكنك ستتبعنى أخيراً**» فمعناه أنه وإن كان سمعان بطرس لن يستطيع أن يعانى الآلام التى سيعانيها مخلصنا بعد ساعات قليلة، لكنه فيما بعد **سيتبع معلّمه فى طريق آلامه وموته، وذلك فى نهاية خدمته ورحلته على الأرض..**

بيد أن المخلص أضاف إلى هذا التصريح تصريحاً آخر، وذلك بعد قيامته المجيدة من بين الأموات، فى لقائه مع تلميذه سمعان بطرس بعد أن غفر له خطيئة إنكاره لسيده، وردّه إلى مسئوليته الراعوية بقوله له «ارع حملانى.. ارع خرافى.. ارع غنمى» (يوحنا ٢١: ١٦، ١٧) قال له بعد ذلك مباشرة: «الحق الحق أقول لك إنك حين كنت شاباً كنت تمنطق نفسك بنفسك، وتذهب إلى حيث تشاء، ولكنك متى شخت **فستبسط يديك وشخص آخر يمنطقك ويحملك إلى حيث لا تشاء** » ويضيف الإنجيل للقديس يوحنا: «قال له هذا مشيراً إلى الميتة التى كان مزمعاً أن يمجد الله بها. وبعد أن قال هذا، قال له: اتبعنى» (يوحنا ٢١: ١٨، ١٩).

وقد تمت بالفعل هذه الميتة، عندما **حكم عليه نيرون الملك فى روما بالصلب**، وفى الصلب يبسط المصلوب يديه على خشبة الصليب ويسمرونه بالمسامير أو يقيدونه ويوثقون يديه بخشبة الصليب من هنا ومن هناك، تماماً كما أنبأ المسيح تلميذه المخلص سمعان بطرس «**متى شخت فستبسط يديك وشخص آخر يمنطقك ويحملك..**» ولقد تم **استشهاد القديس بطرس** فى سنة ٦٧م وكان شيخاً تعدّى السابعة والسبعين من عمره، فقد قيل إنه ولد فى سنة ١٠ق.م.

ولقد وعى القديس بطرس الرسول إشارة سيده ومعلمه وأشار إلى ذلك فى إحدى رسائله إذ يقول: «وأرى أنه من الحق، ما دمت فى هذه الخيمة (المسكن الجسدى) أن أثيركم بتذكيركم فأنى أعرف أن إنحلال خيمتى قريب كما أعلمنى ربنا يسوع المسيح. فسأبذل جهدى لكى تتذكروا هذه الأمور كل حين، بعد رحيلى (خروجى) من خيمتى» (٢. بطرس ١: ١٣ – ١٥). انظر أيضاً (يوحنا ٢١: ١٨، ١٩).

وأنبأ المسيح له المجد بدمار كفرناحوم وخرابها:

وكفر ناحوم مدينة أو قرية كانت تقع على الشاطئ الشمالى الغربى من بحر الجليل المسمى أيضاً بحر أو بحيرة طبرية (يوحنا ٦: ١)، (٢١: ١) (فى داخل حدود زبولون ونفتاليم) (متى ٤: ١٣)، ومعنى اسمها بالعبرانية (قرية ناحوم)، وهى هذه المدينة التى أقام فيها الرب يسوع المسيح بعد أن ترك الناصرة التى تربى فيها (متى ٤: ١٣) حتى صارت كفرناحوم تعرف بأنها (مدينته) (متى ٩: ١)، (لوقا ٤: ٢٣)، (يوحنا ٢: ١٢)، وفيها علم فى مجمعها فى السبوت «فبهتوا من تعليمه لأنه كان يعلمهم كصاحب سلطان وليس مثل الكتبة» (مرقس ١: ٢١)، (لوقا ٤: ٣١). وعلّم فى شوارعها وفى أماكن شتى منها (يوحنا ٦: ٢٤ - ٧١)، (مرقس ٩: ٣٣ - ٥٠) وفيها شفى الرجل الذى كان به روح نجس «فصرخ بصوت عظيم وخرج منه، فذهلوا جميعاً، حتى لقد أخذوا يتساءلون فيما بينهم قائلين: «ما هذا؟ إنه لتعليم جديد. فإنه بسلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه» ومن ثم سرعان ما ذاعت شهرته فى كل أنحاء الجليل» (مرقس ١: ٢١ - ٢٨)، (لوقا ٤: ٣٣ - ٣٧). وفى كفر ناحوم شفى حماة سمعان وكانت ترقد محمومة، فدنا منها وأمسك بيدها وأنهضها ففارقتها الحمى فى الحال، وراحت تخدمهم» (مرقس ١: ٢٩ - ٣١)، (متى ٨: ١٤، ١٥)، (لوقا ٤: ٣٨، ٣٩). وفى كفرناحوم شفى المفلوج المدلى من السقف «فبهتوا كلهم، ومجدوا الله قائلين: ما رأينا مثل هذا قط» (مرقس ٢: ١ - ١٢)، (متى ٩: ١ - ٧)، (لوقا ٥: ١٨ - ٢٦). وفى كفر ناحوم أيضاً شفى غلام قائد المائة (متى ٨: ٥ - ١٣)، (لوقا ٧: ١ - ١٠). وشفى ابن أحد رجال الحاشية الملكية «فآمن هو وكل أهل بيته» (يوحنا ٤: ٤٦ - ٥٤). وفى كفر ناحوم شفى كثيرين من المصابين بأمراض مختلفة، وطرد كثيراً من الشياطين، بكلمة (مرقس ١: ٣٢ - ٣٤)، (متى ٨: ١٦، ١٧)، «وكانت الشياطين تخرج من كثيرين، وهى تصرخ قائلة: أنت هو المسيح ابن الله» (لوقا ٤: ٤٠، ٤١).

وفى كفرناحوم - وكانت مركزاً لجباية الضرائب (متى ١٧: ٢٤ - ٤٧) دعا الرب يسوع، من كان قائماً بمكتب جباية الضرائب واسمه (متى) ليتبعه ويصير من تلاميذه الإثنى عشر «فقام وتبعه» (متى ٩: ٩)، (مرقس ٢: ١٤)، (لوقا ٥: ٢٧، ٢٨).

ومع كل ما صنع الرب يسوع من عجائب وما ألقاه من مواعظ، لم يؤمن أهلها به الإيمان الصحيح الكامل، فأنبأ بخرابها ودمارها.

قال له المجد «وأنت يا كفرناحوم أتحسبين أنك سترتفعين إلى السماء؟ **إنك سيهبط بك إلى الجحيم**، لأنه لو جرت فى سدوم المعجزات التى جرت فيك لظلت قائمة إلى اليوم. ولكنى أقول لكم ستكون لأرض سدوم فى يوم الدينونة حالة أكثر إحتمالاً مما لك» (متى ١١: ٢٣، ٢٤)، (لوقا ١٠: ١٥).

* * *

وقد تمت نبوءة المسيح له المجد عن مدينة كفرناحوم، **فقد خربت تماماً، ولم يعد لها على خريطة فلسطين وجود، حتى أمسى الجغرافيون مختلفين فى شأن موقعها. ويقال إن هناك مكاناً خرباً يسمى الآن (تل حوم) يرجّح أنه موقع مدينة (كفرناحوم) القديمة** - و(تل حوم) مكان يبعد الآن نحو ميلين ونصف ميل إلى الجنوب الغربى من مصبّ الأردن، ويبعد نحو ميلين رومانيين من مدينة (كورزين) التى خربت هى الأخرى فقد صبّ المسيح له المجد على كورزين الويل، وقال: الويل لك يا كورزين (متى ٢١: ٢١)، (لوقا ١٠: ١٣) ويظن أنها فى الحاضر هى (كرازة) أو (كرازية) شمالى (تل حوم) وهناك اليوم خرائب ومن بينها آثار (مجمع) لليهود وأطلال من حوائط وأعمدة.. وهكذا تم ما أنبأ به المسيح له المجد «**وأنت يا كفرناحوم أتحسبين أنك سترتفعين إلى السماء؟ إنك سيهبط بك إلى الجحيم**» .

- ٤ -

وأنبأ المسيح له المجد عن إمتداد كنيسته حتى يشمل نطاقها العالم كله:

يقول المسيح له المجد: «بماذا نشبه ملكوت الله، أو بأى مثل نمثل له؟ إنه يشبه حبة الخردل أخذها رجل وزرعها فى حقله، وهى التى حين تزرع فى الأرض تكون أصغر جميع الحبوب التى فى الأرض، ولكنها إذا نمت **تعلو وتغدو أكبر البقول كلها، وصارت شجرة عظيمة وترسل أغصاناً وارفة حتى لتأتى طيور السماء وتأوى إلى أغصانها**» (مرقس ٤: ٣٠ - ٣٣)، (متى ١٣: ٣١، ٣٢)، (لوقا ١٣: ١٨، ١٩).

وهكذا صار. لقد نشأت المسيحية نبتة صغيرة زرعها المسيح بنفسه بمجيئه فى الأرض، وعلى الرغم من كل المعوقات والمتاعب والآلام والإضطهادات نمت قليلاً قليلاً، وأخذت تعلو وتعلو حتى صارت دوحة عظيمة وانضمّ إليها خلق كثير من بلاد العالم **وأصبحت الكنيسة المسيحية (ممتدة من أقاصى المسكونة إلى أقاصيها)** .

ولعله إلى امتداد كنيسة المسيح إلى أقاصى الأرض والسماوات أشارت أقوال الأنبياء قديماً (حزقيال ١٧ : ٢٣)، (٣١ : ٦)، (دانيال ٤ : ١٠ – ١٢، ٢١)، (هوشع ١٤ : ٥ – ٧).

ولا شك أن النبى دانيال يشير إلى كنيسة المسيح الممتدة فى الزمان والمكان عندما قال لنبوخذ نصر: «يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً، وملكها لا يترك لشعب آخر، فتسحق وتُفنى جميع تلك الممالك، وهى تثبت إلى الأبد» (نبوءة دانيال ٢ : ٤٤).

وقيل أيضاً إن الإمبراطور الرومانى أوغسطس قيصر(Augustus (Caesar (٦٣ ق. م – ١٤م) رأى فى بدء حكمه حلماً مؤداه أنه رأى فى منامه نقطة زيت نبعت من حيث لا يعلم، فإذا بها تكبر وتمتد فأصبحت بركة، فبحيرة، ثم اتسعت فصارت نهراً، وكبرت فصارت بحراً فمحيطاً، وأخذت تعلو شيئاً فشيئاً حتى غطّت الأرض كلها، وجبالها، ثم علت وعلت حتى غطّت السماوات، فاستيقظ الإمبراطور مذعوراً، وجمع العلماء ليفسروا له هذا الحلم، فأنبأوه بمولد إله تغطّى عبادته الأرض والسماوات، ولما لم ينبئوه بحقيقة هذا الإله أمر بأن يقيموا فى جميع البلاد الخاضعة للإمبراطورية الرومانية مذبحاً يكتب عليه (مذبح لإله مجهول). فلما ذهب القديس بولس الرسول إلى أثينا (فوقف بولس فى محفل أريوس باغوس وقال: «يا أهل أثينا أراكم أكثر الناس تديناً فى كل وجه، لأنى وأنا أطوف فى مدينتكم وأنظر إلى معابدكم وجدت أيضاً مذبحاً مكتوباً عليه **(إلى الإله المجهول). فهذا الذى تعبدونه وأنتم تجهلونه هذا هو الذى أبشركم به. إنه الله خالق الكون وكل ما فيه، فهو رب السماء والأرض،** (أعمال الرسل ١٧ : ٢٢ – ٢٤).

وقد كان حلم أوغسطس قيصر على غرار حلم نبوخذ نصر ملك بابل (٦٠٥ – ٥٦٢ ق. م) فقد رأى فى منامه تمثالاً من ذهب وساقاه من حديد، وقدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف.. وفيما هو ينظر انقطع حجر لا باليدين، فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما.. وصارت كعصافة البيدر، فذهبت بها الريح ولم يوجد لها مكان. أما الحجر الذى ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلها.. وجاء تفسير النبى دانيال الذى كشف له الله (كاشف الأسرار) معنى الحلم ومغزاه فى حقيقة الحجر الذى انقطع لا باليدين وضرب التمثال على قدميه فسحقهما أنه يشير إلى **مملكة (يقيمها) إله السماوات، مملكة لن تنقرض أبداً، وملكها لا يترك لشعب آخر، فتسحق وتفنى جميع الممالك وهى تثبت إلى الأبد** (دانيال ٢ : ٣١ – ٤٥).

وأنبأ المسيح له المجد بانتشار الإنجيل وامتداد كرازته فى كل العالم:

قال المسيح له المجد يُنبئ عن انتشار الإنجيل فى كل العالم وامتداد الكرازة فى كل المسكونة فى جميع أمم الأرض:

«**وسيبشر بإنجيل الملكوت هذا فى كل العالم شهادة لجميع الأمم**» (متى ٢٤: ١٤).

وقال أيضاً «... **يبشر بهذا الإنجيل فى العالم كله**» (مرقس ١٤: ٩)، (متى ٢٦: ١٣).

«ينبغى أن يتألم المسيح ثم يقوم من بين الأموات فى اليوم الثالث، **وينبغى أن يبشر باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا بين كل الأمم**، ابتداء من أورشليم» (لوقا ٢٤: ٤٦، ٤٧).

* * *

ولقد تم بالفعل ما أنبأ به المسيح له المجد. فقد ذهب الآباء الرسل إلى كل العالم وبشروا بالإنجيل حسب أمره لهم: «فاذهبوا إذن وتلمذوا **جميع الأمم** وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به» (متى ٢٨: ١٩، ٢٠)، «اذهبوا إلى **العالم أجمع**، وبشروا **بالإنجيل كل الخليقة**. فمن آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن أدين» (مرقس ١٦: ١٥، ١٦).

ثم تلمذوا كثيرون، وأقاموا أساقفة وقساوسة وشمامسة، وهؤلاء وغيرهم كرزوا بالإنجيل وعلّموا وما زالوا يكرزون ويعمدون ويعلّمون..

«نعم، **إلى الأرض كلها وصل صوتهم، وإلى أقاصى المسكونة أقوالهم**» (رومية ١٠: ١٨)، (مزمور ١٨: ٤).

وهكذا انتشر «**الإنجيل** الذى سمعتموه المنادى (**المكروز**) **به فى كل الخليقة** التى تحت السماء» (كولوسى ١: ٢٣).

(لوقا ٢: ٣١، ٣٢)، (٣: ٦)، (كولوسى ١: ٦)، (إشعياء ٤٩: ٦، ٢٢)، (٥٢: ١٠)، (٥٩: ١٩)، (٦٠: ٣، ٥)، (مزمور ١١٢: ٣)، (إرميا ٣١: ٣٤)، (ميخا ٤: ٢)، (ملاخى ١: ١١).

ووفقاً لتقرير (اتحاد دور الكتاب المقدس) ويشمل الفترة منذ اختراع الطباعة حتى آخر ديسمبر لسنة ١٩٨٦، بلغ عدد اللغات التى تم طبع الكتاب المقدس فيها ١٨٤٨ لغة ولهجة.

- ٦ -

وأنبأ المسيح له المجد عن خراب هيكل أورشليم:

هذا الهيكل هو الهيكل (الثانى) الذى سمى بهيكل (هيرودس)، والذى قال عنه اليهود «فى ست وأربعين سنة بنى هذا الهيكل» (يوحنا ٢: ٢٠)، وهو الذى دخله المسيح له المجد «ووجد فى الهيكل باعة البقر والغنم والحمام، والصيارفة جالسين إلى مناضدهم، فصنع سوطاً من حبال، وطردهم جميعاً من الهيكل مع البقر والغنم، وكبّ نقود الصيارفة وقلب مناضدهم. وقال لباعة الحمام: ارفعوا هذه من هنا، ولا تجعلوا بيت أبى بيت تجارة» (يوحنا ٢: ١٤ - ١٦).

هذا هو بعينه الهيكل الذى أنبأ مخلصنا بخرابه ودماره وأنه لن يبقى فيه حجر على حجر لا يهدم.

جاء فى الإنجيل للقديس مرقس:

«وبينما كان خارجاً من الهيكل قال له أحد تلاميذه: انظر يا معلم. يا لها من حجارة عظيمة ويا لها من أبنية! فأجاب يسوع وقال له: أترى هذه الأبنية العظيمة؟ **إنها لن يترك منها حجر على حجر لا يهدم**» (مرقس ١٣: ١، ٢).

وجاء فى الإنجيل للقديس متى:

«ثم خرج يسوع منصرفاً من الهيكل فتقدم إليه تلاميذه يستوقفون نظره على أبنية الهيكل. فأجاب يسوع وقال لهم: أترون هذا كله؟ الحق أقول لكم إنه **لن يترك هنا حجر على حجر لا يهدم**» (متى ٢٤: ١، ٢).

وجاء فى الإنجيل للقديس لوقا:

«وتحدث البعض عن الهيكل وعما إزدان به من الأحجار الضخمة وتحف النذور، فقال «هذه التى ترونها **ستأتى أيام لن يترك منها حجر على حجر إلا ويهدم**» (لوقا ٢١: ٥، ٦).

وقال المسيح له المجد ينذر أورشليم بمصير الهيكل:

«**يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء.. هوذا بيتكم يترك لكم خراباً**» (متى ٢٣: ٣٧، ٣٨)، (لوقا ١٣: ٣٤، ٣٥).

وقد تم فعلاً ما أنبأ به المسيح له المجد عن خراب الهيكل ودماره على يد الرومان بعد صعود المسيح إلى السماء بأربعين سنة، أو سنة ٧٠م كما جاء فى بعض المراجع، فقد قام اليهود بثورة ضد الحكومة الرومانية سنة ٦٦م، فأرسل الإمبراطور الرومانى نيرون (٣٧ – ٦٨) حملة تأديبية بقيادة فيسباسيان Flavius Vespasian وابنه (تيطس) Titus مساعده الحربى الرئيسى والأول، حتى إنه بعد عودة الأب إلى روما، وتسلّمه مقاليد الحكم الإمبراطورى (٦٩ – ٧٩)م بقى (تيطس) فى الشرق، إلى أن أنهى الحرب مع اليهود بالإستيلاء على أورشليم وتدمير الهيكل سنة ٧٠م (١).

ويتبين مما كتبه (يوسيفوس) المؤرخ اليهودى فى كتابه (حروب اليهود) (٢) الجزء السادس، الفصلين الرابع والخامس Flavius Josephus, wars of the jews or, the history of the destruction of jerusalem, Book 6 chapters 4, 5 إنه لما استولى عساكر الرومان على المدينة أصدر (تيطس) أمره بأن يدمّروا كل المدينة أورشليم، وأن اليهود أنفسهم هم الذين أحرقوا أروقة الهيكل، ثم قذف أحد جنود الرومان شعلة نار على الباب الذهبى للهيكل فاشتعلت فيه النيران وإلتهبت إلتهاباً، فأمر القائد الرومانى (تيطس) بإطفائها، ولكن بسبب شدة الإضطراب لم يلتفت أحد إلى أوامره، ثم هجم العسكر الرومانيون على الهيكل، ولم يثنهم عن ذلك وعد ولا وعيد ولا ضرب ولا تهديد. وعلى الرغم من أن (تيطس) كان يرجو بقاء الهيكل، وأرسل مراراً إلى (يوسيفوس اليهودى) يستعين به للتأثير على اليهود وإقناعهم بالتسليم، والعدول عن اللّدد والعناد، لحفظ الهيكل، لكن لم يأت كل ذلك بأى فائدة، فاحترق الهيكل، وتدمر عن آخره. فقد كان الهيكل فى نظر الرومان ليس مجرد معبد دينى لكنه كان لليهود قلعة وحصناً، فلا سبيل لوقف عناد اليهود وتصلبهم فى مقاومة الرومان إلا بتدمير الهيكل نفسه، وهو مجد اليهود ورمز فخرهم وزهوهم وإستعلائهم على كل شعوب الأرض.

وهكذا تم خراب الهيكل، وتحققت نبوءة المسيح له المجد «لن يترك فيه حجر على حجر لا يهدم».

---

(1) The Oxford Dictionary of the Christian Church, Edited by F. L. Cross - The Temple, P. 1328.

- Encyclopedia Americana vol. 26 P. 794 - a-

(2) Flavius Joespus, Wars of the Jews or, The history of the destruction of jerusalem, Book 6 chapter4, 5

وقد حاول اليهود بعد ذلك مراراً وتكراراً إعادة بناء الهيكل الذى تهدّم فباءت كل محاولاتهم بالفشل.

من ذلك على الخصوص هذه المحاولة فى عهد الإمبراطور يوليانوس المرتد Julian the apostate (٣٣٢ – ٣٦٣)م واسمه الكامل Flavius Claudius Julianus والذى قرّب اليهود إليه، وخطط لإعادة بناء هيكلهم (١) A history of the expansion of Christianity, by K. S. Latourette, chapter V, P. 178 تكذيباً لنبوءة المسيح له المجد، وعهد بذلك إلى رجل يدعى البينوس Albinus وعينه حاكماً على اليهودية (٢) .

وزوده بالأموال اللازمة لتحقيق هذا المشروع، وأمره أن ينجز العمل فى أسرع وقت ممكن، ودعا أغنياء اليهود لمؤازرته، فاجتمع منهم فى أورشليم أعداد كبيرة، وشرعوا يجرفون المكان ويحفرون الأرض ويقتلعون الأحجار من الأساسات القديمة، حتى يضعوا الأساسات الجديدة، وأخذوا ينقلون الأتربة والأحجار فى المقاطف وأطراف أرديتهم فى حماسة بالغة.. وعندما شرعوا فى وضع الأساسات الجديدة، بعد أن أزالوا بأيديهم جميع ما تبقّى من الأحجار فى الأساسات القديمة، حدثت زلزلة عظيمة فامتلأ ما احتفروه بالتراب وتبددّت أدوات البناء ومات كثيرون من العمال. فلمّا أعادوا الكرة خرجت من الأرض كرات نارية رشقت وجوه العمال بالأحجار التى جمعوها ليضعوها فى الأساسات الجديدة. وحدث مثل هذا فى كل مرة حاولوا فيها البناء، وهكذا فشلوا فشلاً ذريعاً فى إعادة بناء الهيكل، بل إنهم بمحاولتهم تلك تمموا بأنفسهم نبوءة المسيح له المجد، التى يبدو أنها لم تكن قد تمت حرفياً إلا عندما أرادوا تكذيبها، إذ بأيديهم رفعوا ما تبقى من الأحجار، بعد أن دمر تيطس وجنود الرومان الهيكل فى سنة ٧٠م. وممن روى قصة هذا الفشل اليهودى فى عهد يوليانوس المرتد، القديس غريغوريوس الثيئولوغوس، والقديس يوحنا ذهبى الفم، كما رواها مؤرخ يهودى اسمه اميان.

ويروى المؤرخ (سقراط) فى كتابه (تاريخ الكنيسة) الذى كتبه باليونانية فى مدينة القسطنطينية أن (يوليانوس) المرتد أو الجاحد الذى نودى به إمبراطوراً سنة ٣٦١م أرسل إلى اليهود يسألهم لماذا امتنعوا عن تقديم الذبائح التى أمرت الشريعة الموسوية بتقديمها، فأجابوه بأنه

(1) A history of the Expansion of Christianity, by K. S. Latourette, chapter V, p. 178.

(2) The Ecclestical History and the Martyrs of Palestine by Eusebius, Bishop of Caesaria. vol. I. Book 2 p. 58, 59, 75.

لا يجوز لهم أن يقدموا الذبائح فى أى مكان آخر غير أورشليم، فأصدر (يوليانوس) أمره على الفور، إلى اليهود، ببناء الهيكل فى أورشليم أو بالحرى إعادة بناء الهيكل الذى تهدم فى سنة ٧٠م على يد (تيطس) وجنود الرومان، ففرح اليهود بهذه اللفتة، واندفعوا بحماسة بالغة لتحقيق هذه الأمنية الغالية التى كانت تجيش بها صدورهم ليتمكنوا من تقديم ذبائحهم بمقتضى أوامر الشريعة الموسوية، وتشددوا لإغتنام هذه الفرصة الجميلة التى سنحت لهم، وذهبوا وقلوبهم تغلى حقداً على المسيحيين وتتوقد إحتقاراً وإزدراء لهم وتشفياً منهم وتوعدوهم بالإنتقام وأن يصنعوا بهم ما صنعه الرومان باليهود. وزاد الامبراطور (يوليانوس) فى سبيل إرضائه لليهود بأن أمر بأن تُصرف نفقات بناء الهيكل من خزينة الدولة الرومانية، وأن يزوّد اليهود بالأدوات والإمكانيات من خشب وأحجار، وقرميد، وصلصال (طفل) وجير وما إليها من مستلزمات البناء، من مجارف ومعاول وسلال وكلها من الفضة.

وقد تذكر الأسقف (كيرلس) أسقف أورشليم آنذاك نبوءة المسيح له المجد، وقال أمام كثيرين لقد حان الوقت لإتمام نبوءة المخلص بحذافيرها، وتحققها بتمامها.. قال وهذه كلمات الأسقف كيرلس: إنه فى الليلة التالية لبدء اليهود عملهم حدث زلزال عظيم حطّم الأحجار التى كانت لا تزال فى الأساسات القديمة للهيكل الذى تدمّر، وبددها ومعها الأبنية المجاورة، واقتلعت العواصف والزوابع والزعابيب الجبس والأتربة ونثرتها فى كل إتجاه، الأمر الذى روّع له اليهود جداً. فلما وصلت أنباء هذا الزلزال إلى اليهود المقيمين فى الأماكن البعيدة هرعوا بأعداد كبيرة إلى مكان الهيكل حيث حدث الزلزال، وشاء الله أن تحدث معجزة أخرى عظيمة، فقد نزلت نار من السماء، وأحرقت جميع أدوات البناء، وظلّت النار مشتعلة لمدة يوم كامل، فأتلفت الفؤوس والأدوات الحديدية والمناشير (جمع منشار) والمطارق، والقُدم والقدائم (جمع قدّوم)، وبالإجمال دمّرت النار مختلف الأدوات التى حصل عليها البناؤون لإنجاز العمل. ومن فرط إنبهار اليهود بما حدث اضطروا على الرغم منهم إلى الإعتراف بأن المسيح الذى صلبه آباؤهم هو الله، ولو أنهم ظلوا متمسكين بيهوديتهم المتأصلة فى نفوسهم. وقد حدثت أيضاً أعجوبة ثالثة: ذلك أنه فى الليلة التالية ظهرت علامة الصليب فى السماء كما ارتسمت على ملابس اليهود علامة الصليب مطبوعة ولامعة مضيئة وإن كانت أقل بهاء من تلك التى ظهرت فى السماء، وقد حاولوا فى الصباح عبثاً أن يزيلوها أو يمحوها (١).

(1) Socrates' history of the church, Translated from the Greek, London. 1914 Chap. XX. P. 197, 198.

- History of the church, by Theodoret and Evagrius. Translated from the Greek, London,

وأنبأ المسيح له المجد عن خراب مدينة أورشليم:

جاء فى الإنجيل أن المسيح له المجد نزل إلى أورشليم من جبل الزيتون راكباً على جحش، وذلك فى يوم الأحد المعروف بأحد الشعانين، إعلاناً وبياناً أنه الملك الموعود به فى كتب الأنبياء السابقين والذى أنبأ عنه صراحة النبى زكريا بوحى من الله «ابتهجى جداً.. واهتفى يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتى إليك. هو عادل ومنصور، وديع، وراكب على أتان وعلى جحش ابن أتان» (زكريا ٩: ٩) «والجموع الذين كانوا يسيرون أمامه والذين كانوا يسيرون خلفه، كانوا يهتفون قائلين: المجد لمخلصنا ابن داود. مبارك الملك الآتى باسم الرب. مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب. المجد لمخلصنا فى الأعالى. السلام فى السماء والمجد فى الأعالى. هوشعنا. تبارك الآتى باسم الرب ملك إسرائيل» (متى ٢١: ١ - ٩)، (مرقس ١١: ١ - ١٠)، (لوقا ١٩: ٢٨ - ٣٨)، (يوحنا ١٢: ١٢ - ١٦).

ويروى الإنجيل للقديس لوقا قائلاً عن المسيح له المجد:

«ولما اقترب نظر إلى المدينة وبكى عليها قائلاً: لو أنك أنتِ أيضاً كنتِ تدرين على الأقل فى هذا اليوم الذى هو لك ما هو لأجل سلامك؟ ولكنه الآن محجوب عن عينيك. فإنه ستأتى عليك أيام يحيط بك فيها أعداؤك بالمتاريس، ويطوقونك ويحاصرنك من كل جهة، ويدكونك وبنيك فيكِ، فلا يتركون فيك حجراً على حجر لأنك لم تعرفى زمان إفتقادك» (لوقا ١٩: ٤١ - ٤٤).

ثم يقول له المجد «فمتى رأيتم علامة النجاسة والخراب التى قيل عنها بفم دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس حيث لا ينبغى أن تكون، فليفهم القارئ. حينئذ فليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال. والذى على السطح فلا ينزل إلى بيته ولا يدخله ليأخذ منه شيئاً. والذى فى الحقل فلا يرجع إلى الوراء ليأخذ رداءه. وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام. فصلوا لئلا يقع هربكم فى الشتاء أو فى السبت، لأنه ستكون حينئذ محنة عظيمة لم يكن مثلها منذ إبتداء الخليقة التى خلقها الله إلى الآن ولن يكون. فما لم يكن الرب قد جعل تلك الأيام قليلة فلن يخلص أحد» (متى ٢٤: ١٥ - ٢٢)، (مرقس ١٣: ١٤ - ٢٠).

وأضاف المخلص تفصيلات أخرى عن خراب أورشليم يصور بها الضيقة العظيمة التى ستحل بها وبشعبها وما سوف يعانونه من هلاك ودمار وسبى وتشريد: فيقول له المجد «ومتى

رأيتم أورشليم قد أحاطت بها الجيوش فاعلموا أن خرابها قريب. وعندئذ فليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال ، والذين فى داخلها فليبارحوها، والذين فى الريف خارجها فلا يدخلوها. لأن هذه ستكون أيام إنتقام ليتم كل ما هو مكتوب. والويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام، فإنه سيكون ضيق عظيم فى الأرض، وسخط على هذا الشعب. وسيسقطون بحد السيف ويؤخذون أسرى إلى كل الأمم، وتكون أورشليم مدوسة من الأمم إلى أن تنقضى أزمنة الأمم، (لوقا ٢١: ٢٠ – ٢٤).

* * *

وقد تم كل ما أنبأ به المسيح له المجد عن خراب أورشليم، فبعد نحو أربعين سنة من هذا النطق الإلهى قام اليهود بثورة ضد الحكومة الرومانية، فأرسل الإمبراطور نيرون حملة تأديبية سنة ٧٠م بقيادة (فيزياسيان) وابنه (تيطس) Titus، **فحاصر عسكر الرومان أورشليم بجيوشهم من كل جهة، وطوّقوها بالمتاريس الحربية، ودكوها دكاً، ودمّروها تدميراً، وأضرموا النار فيها وأحرقوها عن آخرها، (ولم يتركوا فيها حجراً على حجر). ولقد ذبحوا أهلها فأبادوهم، وأعملوا السيف فى رقاب اليهود حتى صارت دماء قتلاهم كالبحيرات فى شوارع المدينة البائسة، وتكوّمت الجثث أكداساً مكدسة فى ساحاتها وشوارعها وفى كل مكان فى طول المدينة وعرضها.** (كتاب يوسيفوس - الجزء السادس فصل ٩).

وقد ذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودى الذى عاش تلك الأيام، وكتب عنها فى كتابه عن حروب اليهود، **أن عساكر الرومان كانوا يأتون باليهود ويصلبونهم بالمئات فى هزء وسخرية حتى ضاقت ساحات المدينة بالصلبان، وضاقت الصلبان بالجثث، وقد ذبحوا أكثر من مليون ومائة ألف رجل، وكانوا يشقون بطون الحوامل ويذبحون الرضعاء أمام أعين أمهاتهم.**

وكما أنبأ السيد المسيح له المجد بقوله: «لأن هذه ستكون أيام إنتقام.. فإنه سيكون ضيق عظيم فى الأرض، وسخط على هذا الشعب» (لوقا ٢١: ٢٢، ٢٣) «لأنه ستكون حينئذ محنة عظيمة لم يكن مثلها منذ ابتداء الخليقة التى خلقها الله إلى الآن، ولن يكون» (متى ٢٤: ٢١) فقد كان خراب أورشليم ودمارها وهلاك أهلها أبشع محنة مرت بتاريخ البشر. ولهذا فإنه فى يوم أحد الشعانين والجماهير تهتف له مهللة بدخوله الملكى إلى أورشليم كما يقول الإنجيل «**ولما اقترب نظر إلى المدينة وبكى عليها**» (لوقا ١٩: ٤١).

ألم ينذر له المجد بمصير هذا الشعب الذى تقسّى قلبه ورفض اليد الإلهية التى امتدت إليه بالخير والسلام، قال: «فماذا يفعل بهم رب الكرم؟ **إنه يأتى فيهلك أولئك الكرامين** ويعطى الكرم لآخرين» (لوقا ٢٠: ١٥، ١٦)، «**إنه يأتى فيهلك الكرامين ويعطى آخرين الكرم**» (مرقس ١٢: ٩).

حقاً كان خراب أورشليم أبشع محنة مرت بتاريخ البشر، فقد حاصر الرومان المدينة أورشليم حصاراً طويلاً، فانقطعت عنها المئونة التى تأتيها من البلاد المجاورة، **فوقعت فريسة لمجاعة مروّعة، وللأوبئة الفتّاكة، وعضّ الأمهات الجوع** حتى لقد اضطرّت بعض النساء - كما يروى يوسيفوس المؤرخ اليهودى - إلى أن يطبخن أولادهن ويأكلنهم «أيادى النساء الحنائن طبخت أولادهن، صاروا طعاماً لهن فى سحق بنت شعبى» (مراثى إرميا ٤: ١٠)، (٢: ٢٠)، (إرميا ١٩: ٩)، (٢. الملوك ٦: ٢٩).

ومن هول ما حدث لأمة اليهود فى خراب أورشليم، اضطر يوسيفوس المؤرخ اليهودى إلى أن يقرّ قائلاً: إننى لا يمكن أن أفكر فى سبب لهذا إلا أن الله قد حتم خراب هذه المدينة النجسة، إذ سمح بهلاك أولئك المدافعين عنها. لأنه **حتى أولئك الكهنة الذين كانوا يرتدون الملابس المقدسة ويرأسون الصلوات العامة وكانوا موضع التبجيل من الناس جميعاً قد طُرحوا عُراة فى الوحل وصاروا مأكلاً للكلاب وطعاماً للحيوانات المفترسة واكتظت الخلجان بالجثث المنتفخة وقد ضربتها الشمس، فانبعثت منها رائحة الموت، وتساقطت عليها الطيور تنهشها وتبعثر فى كل الأرجاء أشلاءها».**

وقال آخرون من مؤرخى اليهود الذين شاهدوا خراب أورشليم «إن هذه المدينة قد استوفت عقابها، لأنها أنجبت جيلاً من الرجال كانوا سبب تعاستها».

ويقول يوسيفوس المؤرخ اليهودى إنه **قد هلك فى تلك الحرب من اليهود مليون ومائة ألف رجل. ونحو مليون أو أكثر من الرجال والنساء والأطفال ماتوا جوعاً. وأما الباقون، وهم حوالى المليون تشتتوا وتبعثروا فى كل الأنحاء والبلاد الخارجية، وفقاً لما أنبأ به المسيح له المجد «وسيسقطون بحد السيف ويؤخذون أسرى إلى كل الأمم، وتكون أورشليم مدوسة من الأمم إلى أن تنقضى أزمنة الأمم»** (لوقا ٢١: ٢٤).

وقد ذكر المؤرخ اليهودى فلافيوس يوسيفوس Flavius Josephus فى كتابه (حروب اليهود أو تاريخ خراب أورشليم Wars of the jews or the history of the destruction of Jeru-salem. Vol. IV, Book VI, Chap. V, 3 المجلد الرابع، الجزء السادس، الفصل الخامس، الفقرة الثالثة، جملة علامات حدثت قبل خراب أورشليم مطابقة لما سبق وأنذر به المسيح له المجد تلاميذه والمؤمنين به بقوله: «**وتظهر فى السماء مناظر مرعبة وعلامات مهولة**» (لوقا ٢١: ١١).

منها أن نجماً يشبه السيف ظهر فوق أورشليم، يصاحبه مذنب، وقد استمر ظهورهما سنة كاملة.

ومنها أنه قبل بدء حرب اليهود مع الرومان، فى عيد الفطير (عيد الفصح) الذى يوافق اليوم الثامن من شهر أكزانثيكوس Xanthicus أو نيسان، وفى الساعة التاسعة من الليل، سطع نور عظيم حول المذبح والهيكل، كأنه نور الشمس، واستمر ظهوره على هذا النحو حوالى نصف ساعة.

ومنها أنه فى ذلك العيد نفسه كانت عِجلة (بقرة صغيرة) يسوقها رئيس الكهنة لتقديمها ذبيحة، فولدت حملاً فى وسط الهيكل.

ومنها أن البوابة الشرقية لساحة الهيكل وكانت ضخمة ثقيلة جداً مصبوبة من النحاس الخالص، لا يستطيع أن يغلقها كل مساء أقل من عشرين رجلاً، وهى مستقرة على قاعدة مسلّحة بالحديد، ولها مزالج ثابتة بعمق فى الأرضية التى كانت تتكون من حجر واحد عظيم الضخامة ـ هذه البوابة تنفتح من تلقاء نفسها فى الساعة السادسة من الليل، فجاء حراس الهيكل يركضون نحو قائد الهيكل وأخبروه عنها، فقام وأغلقها مع أعوانه بعد مجهود عظيم. ويقول يوسيفوس إن هذه الحادثة بدت للعامة أعجوبة تشير إلى أن الله فتح لليهود باب السعادة، ولكن العلماء منهم فهموا منها أن أمن هيكلهم قد زال من تلقاء ذاته، وأن البوابة قد انفتحت لمصلحة أعدائهم. وكان ذلك علامة على الخراب الذى حل باليهود. وأما يوسيفوس فقد كانت تدل هذه العلامة فى نظره على تخلى العناية الإلهية عن اليهود.

ثم يقول يوسيفوس إنه فى اليوم الأول، وفى العشرين من شهر ارتيميسيوس Artemisius (آيار)، بعد عيد الفطير، بأيام، حدثت ظاهرة عجيبة أخرى لا يكاد أن يصدقها العقل، وتبدو

خرافة لولا أن الذين رووها هم الذين شاهدوها بأعينهم، إذ يقولون إنه قبل غروب الشمس شوهدت مركبات وجمهرة من الجند مسلحين بدروعهم يجرون بين السحب، ويحيطون بالمدن. وفى العيد الذى تسمى عيد الحصاد - أو الخمسين Pentecost فيما كان الكهنة داخلين ليلاً إلى الفناء الداخلى للهيكل كعادتهم لأداء خدماتهم الدينية المقدسة، قالوا إنهم أحسّوا بزلزلة وسمعوا جلبة عظيمة، ثم إذا بصوت يدوى كأنه صادر عن جمهور كثير يقول «امضوا بنا من هنا».

على أن ما هو أفظع من كل هذا، هو ذلك الرجل المسمى (ابن أنانوس) Jesus the son of Ananus وكان فلاحاً عامياً جلفاً، إذ ظل أربعة أعوام متوالية قبل أن تبدأ حرب اليهود مع الرومان - وكانت أورشليم لا تزال فى رخاء وسلام عظيمين - لا يفتأ يصرخ بصوت عظيم قائلاً: «صوت من المشرق، صوت من المغرب، صوت من أربعة الرياح، صوت ضد أورشليم والهيكل المقدس، صوت ضد العرائس من الرجال والنساء، صوت ضد الشعب جميعه!». وقد كان ذلك الرجل يصرخ ليلاً ونهاراً بهذه العبارات فى جميع شوارع أورشليم وأزقتها، حتى لقد استاء كثيرون من عظماء الأمة من صيحاته تلك وأخذوا الرجل وضربوه ضرباً موجعاً، ومع ذلك استمر يردد العبارات نفسها التى كانت يصرخ بها من قبل. فاشتد حنق حكام اليهود عليه وجاءوا به إلى الحاكم الرومانى، وجلدوه حتى تعرّت عظامه، ولكن مع ذلك لم يتأوه أو يتوجع أو يتوسل إليهم أن يكفوا عن تعذيبه، وإنما أخذ يصرخ بأكثر شدة وبأعلى صوته، قائلاً مع كل جلدة يصيبونه بها: «الويل الويل لأورشليم!» فلما سأله البينوس Albinus حاكم اليهود: من أنت؟ ومن أين أتيت؟ ولماذا تصرخ بهذه العبارات؟ لم يجب بشئ، وإنما واصل ترديد هتافه المرير الحزين، ومن ثم اعتبره البينوس مخبولاً، وأطلق سراحه. فراح يردد ذلك الهتاف فى كل لحظة، وكأنما قد أخذ على نفسه عهداً به. ويقول يوسيفوس: «حقاً لقد كان هذا نذير شؤم عمّا كان مزمعاً أن يحدث». وقد ظل ذلك الرجل يردد صرخته المشئومة تلك «الويل، الويل لأورشليم!» سبع سنوات وخمسة أشهر متوالية، حتى جاء الرومان بالفعل وحاصروا أورشليم، وعندئذ أخذ يدور حول سور أورشليم صائحاً بأعلى صوته وبكل قوته: «الويل الويل للمدينة، وللشعب، وللهيكل المقدس» ثم أخيراً قال: « الويل الويل لى أنا أيضاً» وعندئذ أصابه حجر من الأحجار التى كان المتحاربون يتقاذفونها، فمات على الفور وهو لا يفتأ يردد نذيره حتى أسلم الروح.

وقد ردد هذه الأحداث الغريبة يوسابيوس أسقف قيصرية فى كتابه: «تاريخ الكنيسة وشهداء فلسطين» الكتاب الثالث، الفصل الثامن The Ecclesiastical history and the martyrs of

palestine, by eusebius, Bishop of Caesaria, Book III, chapter VIII نقـــلاً عن المؤرخ اليهودى يوسيفوس.

- ٨ -

وأنبأ المسيح له المجد عن نهاية العالم وزواله، وعن علامات هذه النهاية، كما أنبأ عن مجيئه الثانى للدينونة وعلامات هذا المجئ:

جاء فى الإنجيل:

«وبينما كان جالساً على جبل الزيتون تجاه الهيكل، تقدّم إليه تلاميذه (على إنفراد)، وسأله بطرس ويعقوب ويوحنا واندراوس على إنفراد قائلين: قل لنا متى سيكون هذا؟ وما علامة مجيئك وانقضاء هذا الدهر؟ متى يحدث هذا يا معلم، وما هى العلامة التى ستنبئ بهذا حين يوشك أن يحدث؟ فأجاب يسوع وشرع يقول لهم: احذروا من أن يضلكم أحد».

الحروب والمجاعات والأوبئة ومناظر فى السماء مرعبة:

«وإن سمعتم بحروب واضطرابات، وشائعات عن حروب، فاحترزوا من أن تجزعوا، لأنه لابد أن يحدث هذا أولاً، لابد أن يكون هذا كله، وإنما لا يكون المنتهى بعد، ولكن النهاية لن تعقب ذلك فوراً، فسوف تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة، وتقع زلازل عنيفة فى أماكن شتى،، وتحدث مجاعات وأوبئة واضطرابات فى أماكن شتى، وتظهر فى السماء مناظر مرعبة وعلامات مهولة، غير أن هذا كله ليس إلا بدء الأوجاع، بدء المخاض» (متى ٢٤: ٣ - ٣١)، (مرقس ١٣: ٣ - ٢٧)، (لوقا ٢١: ٧ - ٢٨).

اضطرابات العلاقات العائلية:

«عند ذاك سيسلم الأخ أخاه إلى الموت، والأب ابنه، ويقوم الأبناء على آبائهم فيقتلونهم» (مرقس ١٣: ١٢)، (متى ١٠: ٢١).

الكوارث الكونية فى الشمس والقمر والنجوم والأفلاك:

وستكون ثمة علامات فى الشمس والقمر والنجوم، ويكون على الأرض كرب للشعوب وبلبلة، ويضج البحر وتزأر الأمواج. ويُغشى على الناس من الرعب ومن توقع ما قد ينزل بالعالم، لأن قوات السماوات تتزعزع (لوقا ٢١: ٢٥، ٢٦).

«وفى تلك الأيام على أثر تلك المحنة ستظلم الشمس ولا يعطى القمر ضوءه، وتتساقط النجوم من السماء، وتتزعزع القوات التى فى السماوات» (مرقس ١٣: ٢٤، ٢٥)، (متى ٢٤: ٢٩). انظر (سفر الرؤيا ٦: ١٢، ١٣).

عودة اليهود من الشتات إلى فلسطين:

«فمن شجرة التين خذوا لكم مثلاً، إذ أنها متى لانت أغصانها ونبتت أوراقها علمتم أن الصيف قريب. هكذا أنتم متى رأيتم هذا كله فاعلموا أن ابن الإنسان قريب على الأبواب. الحق أقول لكم إنه لن ينقضى هذا الجيل حتى يتم هذا كله». «متى رأيتم هذه الأمور تحدث، فاعلموا أن ملكوت الله قريب. الحق أقول لكم إنه لن يمضى هذا الجيل حتى يحدث كل هذا» (مرقس ١٣: ٢٨ – ٣٠)، (متى ٢٤: ٣٢ – ٣٤)، (لوقا ٢١: ٢٩ – ٣٢).

«تزول السماء والأرض، أمّا كلامى فلا يزول. وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمهما أحد ولا حتى ملائكة السماوات، ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن، إلا الآب وحده» (متى ٢٤: ٣٥، ٣٦)، (مرقس ١٣: ٣١، ٣٢)، (لوقا ٢١: ٣٣).

الطوفان (الكارثة الكونية المتوقعة):

«فكما كانت أيام نوح، هكذا يكون مجئ ابن الإنسان. إذ كما كانوا فى الأيام السابقة على الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون حتى اليوم الذى دخل فيه نوح الفلك، ولم يكونوا يعلمون حتى جاء الطوفان فجرفهم جميعاً، هكذا يكون مجئ ابن الإنسان» (متى ٢٤: ٣٧ – ٣٩).

«وكما كان فى أيام نوح، هكذا سيكون أيضاً فى أيام ابن الإنسان. فقد كانوا يأكلون ويشربون ويتخذ الرجال زوجات وتتخذ النساء أزواجاً، إلى يوم أن دخل نوح الفلك، فجاء الطوفان وأهلك الجميع. وكما كان فى أيام لوط، إذ كانوا يأكلون ويشربون ويشترون ويبيعون ويغرسون ويبنون. ثم يوم أن خرج لوط من سدوم أمطرت السماء ناراً وكبريتاً فأهلكت الجميع، هكذا يكون فى اليوم الذى فيه سيظهر ابن الإنسان. فمن كان فى ذلك اليوم على السطح، وأمتعته فى البيت فلا ينزل ليأخذها، ومن كان فى الحقل فلا يرتد أيضاً إلى الوراء. تذكّروا زوجة لوط..» (لوقا ١٧: ٢٦ – ٣٢).

المجئ الثانى للمسيح له المجد هو الله الديان
ظهر فى الهيئة كإنسان ولذلك سمى ذاته (ابن الإنسان)

«وحينئذ تظهر فى السماء علامة ابن الإنسان، فتنوح وقتئذ جميع قبائل الأرض، ويرون ابن الإنسان آتياً على سحب السماء بقوة ومجد عظيم، ثم يرسل ملائكته ببوق عظيم، فيجمعون مختاريه من الرياح الأربع، من أقاصى السماوات إلى أقاصيها» (متى ٢٤: ٣٠، ٣١)، (متى ١٣: ٤١).

«وعندئذ سيرون ابن الإنسان آتياً فى السحاب بقوة ومجد عظيم. فمتى بدأ هذا يحدث، فتطلعوا إلى الأعالى رافعين رؤوسكم، لأنه عندئذ يكون خلاصكم قد اقترب» (لوقا ٢١: ٢٧، ٢٨).

«سترون ابن الإنسان جالساً عن يمين القدرة وآتياً على سحب السماء» (متى ٢٦: ٦٤).

انظر (أعمال الرسل ١: ١١)، (١. تسالونيكى ١: ١٠)، (٤: ١٦)، (٢. تسالونيكى ١: ٧، ١٠)، (٢: ١، ٨).

«وحينئذ سيرون ابن الإنسان آتياً على السحاب بقوة عظيمة ومجد. ثم يرسل ملائكته فيجمع مختاريه من الرياح الأربع، من أقاصى الأرض إلى أقاصى السماء» (مرقس ١٣: ٢٦، ٢٧).

انظر (١. كورنثوس ١: ٧).

«لأن ابن الإنسان سيأتى فى مجد أبيه مع ملائكته المقدسين، وعندئذ سيجازى كل إنسان على حسب أعماله» (متى ١٦: ٢٧)، (مرقس ٨: ٣٨).

«لأنه كما ينبعث البرق من المشرق فيضئ فى المغرب، هكذا سيكون مجئ ابن الإنسان» (متى ٢٤: ٢٧).

«لأنه كما أن البرق الذى يبرق فى ناحية من السماء يضئ فى الناحية الأخرى منها، هكذا سيكون مجئ ابن الإنسان فى يومه» (لوقا ١٧: ٢٤).

وجوب الحذر والسهر:

«فانتبهوا لأنفسكم لئلا تصير قلوبكم مثقلة بالتخمة والسكر والإنغماس فى المشاغل الدنيوية، فيفاجئكم ذلك اليوم بغتة. لأنه سيطبق كالفخ على جميع أهل الأرض كلها. فاسهروا إذن،

مواظبين على الصلاة فى كل حين، كى تصيروا أهلاً للنجاة من كل هذا المزمع أن يكون، ولأن تقفوا بين يدى ابن الإنسان» (لوقا ٢١: ٣٤ – ٣٦).

«فاسهروا إذن لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة سيأتى ربكم. واعلموا أنه لو عرف رب البيت فى أية ساعة سيأتى اللص لسهر ولم يترك له بيته ليسرقه. لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين، لأنه فى ساعة لا تعلمونها سيأتى ابن الإنسان» (متى ٢٤: ٤٢ – ٤٤).

«فاحذروا واسهروا وصلوا لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت. فإن مثل ذلك كمثل رجل سافر وترك بيته وأعطى سلطة لخدمه، ولكل واحد عمله، ثم أوصى البواب أن يسهر. فاسهروا إذن لأنكم لا تعلمون متى يجئ رب البيت، أفى المساء أم فى منتصف الليل أم عند صياح الديك أم فى الصباح، لئلا يجئ بغتة ليجدكم نياماً. وما أقوله لكم أقوله للجميع: اسهروا» (مرقس ١٣: ٣٣ – ٣٧).

ألا يعرف المسيح له المجد: اليوم والساعة؟

جاء فى الإنجيل للقديس مرقس، أن المسيح له المجد، سأله تلاميذه عن علامة مجيئه الثانى وإنقضاء هذا الدهر الحاضر، ونهاية العالم، فأجاب بإفاضة كبيرة، منبئاً بأحداث كونية ودينية كثيرة، فصّل القول فيها تفصيلاً، مما يدل دلالة قاطعة على علمه الواسع بالمستقبل البعيد، ومع ذلك ولدهشة تلاميذه، ودهشة كل من يقرأ ويسمع تصريحه الغريب العجيب يقول:

«وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمهما أحد، ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن، إلا الآب» (مرقس ١٣: ٣٢).

فمن هو (الابن)؟

أليس هو «المسيح الله ابن الله الحى؟» (**متى ١٦: ١٦**)، (**لوقا ٩: ٢٠**)، (**متى ٢٦: ٦٣**)، (يوحنا ٩: ٦٩)، (١١: ٢٧)، (أعمال ٨: ٣٧)، (٩: ٢٠) (١).

---

(١) انظر (متى ٣: ١٧)، (٤: ٣)، (٨: ٢٩)، (١٧: ٥)، (مرقس ١: ١١)، (٩: ٧)، (١٤: ٦١)، (لوقا ١: ٣٥)، (٣: ٢٢)، (يوحنا ٣: ١٧، ٣٥)، (٥: ١٩، ٢٦)، (١٤: ١٣)، (١٧: ١)، (رومية ٥: ١٠)، (٨: ٣، ٣٢)، (١. تسالونيكى ١: ١٠)، (العبرانيين ١: ٢)، (٤: ١٤)، (١. يوحنا ٤: ١١، ١٤، ١٥)، (٥: ٥، ٩، ١٢، ٢٠)، (٢. يوحنا ٩)، (٢. بطرس ١: ١٧).

«وابن الله العلى» (لوقا ١: ٣٢)، (مرقس ٥: ٧)، (لوقا ٨: ٢٨).

«وابن الله الوحيد» (يوحنا ١: ١٤، ١٨)، (٣: ١٦، ١٨)، (١. يوحنا ٤: ٩).

«عمانوئيل» الذى تفسيره «الله معنا» (متى ١: ٢٣)، (إشعياء ٧: ١٤).

«صورة الله الغير المنظور» (كولوسى ١: ١٥)، (٢. كورنثوس ٤: ٤)، (فيلبى ٢: ٦).

«ضياء مجد الله، وصورة جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته» (العبرانيين ١: ٣).

«الإله القادر على كل شئ» (الجليان ـ الرؤيا ١٥: ٣)، (١: ٨)، (١٦: ٧)، (١٩: ٦)، (٢١: ٢٢)، (إشعياء ٩: ٦).

«الذى أنشأ العالمين» (العبرانيين ١: ٢)، (١١: ٣).

«كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان. فيه كانت الحياة» (يوحنا ١: ٣، ٤).

«مبدئ خليقة الله» (الجليان ـ الرؤيا ٣: ١٤).

«فيه خلق كل شئ مما فى السماوات ومما فى الأرض، ما يرى وما لا يُرى، عروشاً كان أو سيادات أو رئاسات أو سلاطين. كل شئ خلق به وله. كان قبل كل شئ وبه قوام كل شئ» (كولوسى ١: ١٦، ١٧).

«مبدئ الحياة» (أعمال ٣: ١٥)، (يوحنا ١٤: ٦)، (١١: ٢٥).

«خبز الحياة» (يوحنا ٦: ٣٥، ٤٨، ٥١).

«من أجله كل شئ، وبه كل شئ» (العبرانيين ٢: ١٠).

«فكل شئ هو منه وبه وإليه، فله المجد أبد الدهور» (رومية ١١: ٣٦).

«كان فى العالم، وكون العالم به» (يوحنا ١: ١٠).

«يسوع المسيح، به كان كل شئ وبه نحن قائمون» (١. كورنثوس ٨: ٦).

«لأنك خلقت الأشياء كلها وبمشيئتك كانت وخلقت» (الجليان ـ الرؤيا ٤: ١١).

«يسوع المسيح، إنما هو رب الناس أجمعين» (أعمال ١٠: ٣٦).

،هو الألف والياء، البدء والنهاية، (الجليان ـ الرؤيا ١ : ٨)، (٢١ : ٦)، (٢٢ : ١٣).

،الأول والآخر، (الجليان ـ الرؤيا ٢٢ : ١٣)، (١ : ١١، ١٧)، (٢ : ٨).

،الكائن دائماً، (يوحنا ٨ : ٥٨)، (الجليان ـ الرؤيا ٢٢ : ١٦).

،الكائن والذى كان والذى سيأتى، القادر على كل شئ، (الجليان ـ الرؤيا ١ : ٨)، (٤ : ٨)، (١١ : ١٧).

،يسوع المسيح هو هو بالأمس واليوم وإلى الأبد، (العبرانيين ١٣ : ٨).

،وجاء المسيح فى الجسد، وهو الكائن فوق كل شئ، إله مبارك إلى الأبد، (رومية ٩ : ٥).

،أبو الأبد، (إشعياء ٩ : ٦).

،وارث لكل شئ، (العبرانيين ١ : ٢)، (مزمور ٢ : ٨)، (متى ٢٨ : ١٨)، (مرقس ١٢ : ٧)، (رومية ٨ : ١٧).

،يسوع المسيح رب المجد، (يعقوب ٢ : ١)، (١ . كورنثوس ٢ : ٨)، (أعمال ٧ : ٢).

،الرب من السماء، (١ . كورنثوس ١٥ : ٤٧).

،الرب الإله، (يوحنا ٢٠ : ٢٨).

،المسيح الذى تكمن فيه جميع كنوز الحكمة والعلم، (كولوسى ٢ : ١٣)، (يوحنا ٢ : ٢٥).

،المسيح قوة الله وحكمة الله، (١ . كورنثوس ١ : ٢٤، ٣٠، ١٨)، (رومية ١ : ١٦)، (لوقا ١١ : ٩).

،ربنا يسوع المسيح ذلك السعيد القدير وحده، ملك الملوك ورب الأرباب، له وحده الخلود، ومسكنه نور لا يقترب منه، (١ . تيموثيئوس ٦ : ١٥، ١٦)، (الجليان ـ الرؤيا ١٧ : ١٤)، (١٩ : ١٦)، (١ : ٥)، (٢٢ : ١٦)، (أعمال ٣ : ١٥)، (٥ : ٣١)، (العبرانيين ٢ : ١٠)، (إشعياء ٩ : ٦).

،القدوس ابن الله، ،قدوس الله، ،القدوس يسوع، (لوقا ١ : ٣٥)، (مرقس ١ : ٢٤)، (لوقا ٤ : ٣٤)، (أعمال ٣ : ١٤)، (٤ : ٢٧، ٣٠)، (دانيال ٩ : ٢٥).

«ملك القديسين» (الجليان ـ الرؤيا ١٥: ٣)، (دانيال ٩: ٢٥)، (يوحنا ١: ٤٩).

«الحق والحياة» (يوحنا ١٤: ٦)، (١: ٤، ١٤)، (٨: ٣٢).

«النور الحقيقى» (يوحنا ١: ٩)؛(٨: ١٢)، (١. يوحنا ٢: ٨)، (١: ٤، ٨).

«كوكب الصبح المنير» (الجليان ـ الرؤيا ٢٢: ١٦).

«المسيح كلمة الله الأزلى الذى اتّخذ جسداً» (يوحنا ١: ١، ١٤) (الجليان ـ الرؤيا ١٩: ١٣).

* * *

فإذا كان المسيح له المجد يتصف بكل هذه الصفات التى لا يتّصف بها غير الله وحده، فهو له المجد **هو الله وهو ابن الله**. هو **«الله الذى ظهر فى الجسد»** (١. تيموثيئوس ٣: ١٦) وهو «ابن الله» بمعنى أنه **صورة الله الغير المنظور** (كولوسى ١: ١٥) الله الذى لا يُرى، اتّخذ جسداً «وظهر فى الهيئة كإنسان» (فيلبى ٢: ٨) والغير المنظور صار منظوراً. بهذا المعنى سُمى المنظور **«ابن الله»**، أى أن **«الله تجلى»**، وصار له كيان منظور. وبهذا المعنى أجاب المسيح له المجد على سؤال تلميذه فيلبس الذى سأله قائلاً «يا رب أرنا الآب وكفانا». قال له يسوع: **«أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى بعد يا فيلبس؟ من رآنى فقد رأى الآب**. فكيف تقول أنت أرنا الآب؟ **ألا تؤمن بأنى أنا فى أبى وأن أبى فىّ**؟ إن الكلام الذى أكلمكم به لا أتكلم به من نفسى أنا وحدى، وإنما الآب الكائن فىّ هو الذى يعمل أعماله. **صدّقونى أنّى فى أبى وأن أبى فىّ**» (يوحنا ١٤: ٨ – ١١) وقال له المجد لتلاميذه **«لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً**. ومنذ الآن تعرفونه، وقد رأيتموه» (يوحنا ١٤: ٧). وهذا هو المفهوم من قول الكتاب المقدس أن المسيح ابن الله. هو «ابن الله» لا بمعنى الولادة الحسية كما هو الأمر فى عالم الإنسان أو الحيوان. معاذ الله أن يُقال عن الله إنه يلد كما يلد الإنسان أو الحيوان. إنما البنوة لله هى بمعنى **أن المسيح الظاهر فى الجسد هو «صورة الله الغير المنظور»، فمن رآه فقد رأى الآب الغير المنظور.**

إذا كان ذلك كذلك أن المسيح يسوع هو الله الذى ظهر فى الهيئة كإنسان (فيلبى ٢: ٨) وهو الغير المنظور فى طبيعته الإلهية وقد صار له كيان منظور، فهو بالتالى **يعلَم كل شئ من حيث هو الله، ولا تخفى عليه خافية**. وإذن فهو قطعاً بصفته اللاهوتية والإلهية يعلم

باليـــوم والساعـة التى تنتهى فيـها هيئـة العالم وتزول، ويعلم بيوم المجئ الثانى للدينونة وساعة المجئ.

ومع ذلك يبقى السؤال قائماً: إذا كان المسيح له المجد يعلم باليوم والساعة، فلماذا ينفى عنه هذا العلم بقوله «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمهما أحد، ولا الملائكة الذين فى السماء، ولا الابن، إلا الآب» (مرقس ١٣: ٣٢).

الواضح أنه له المجد ينفى عن ذاته هذه المعرفة لا بصفته إلهاً بل **بصفته إنساناً**، فالمسيح له المجد يجمع بطبيعة الاتحاد القائم بين لاهوته وإنسانيته، بين الله والإنسان، من حيث أنه وهو الله قد اتّخذ جسداً، احتجب فيه لاهوته عن الناس حتى لا يهلكوا ويبيدوا «لأن إلهنا نار آكلة» (العبرانيين ١٢: ٢٩)، (الخروج ٢٤: ١٧).

وإذن بصفته إنساناً لا يعلم اليوم والساعة، ولكنه قطعاً يعلمهما بصفته إلهاً.

ولقد اقتضت حكمته أن يحتجز هذه المعرفة فلا يبيحها للناس، حتى يكونوا دائماً على أهبة الاستعداد دائماً بالسهر الروحى واليقظة الروحية. كما صرّح له المجد بقوله لتلاميذه وللناس بعامة «**فانتبهوا لأنفسكم** لئلا تصير قلوبكم مثقلة بالتخمة والسكر والانغماس فى المشاغل الدنيوية، **فيفاجئكم ذلك اليوم بغتة**. لأنه سيطبق كالفخ على جميع أهل الأرض كلها. **فاسهروا إذن، مواظبين على الصلاة فى كل حين، كى تصيروا أهلاً للنجاة من كل هذا المزمع أن يكون، ولأن تقفوا بين يدى ابن الإنسان**» (لوقا ٢١: ٣٤ – ٣٦) «**فاسهروا إذن لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة سيأتى ربكم**. واعلموا أنه لو عرف رب البيت فى أية ساعة سيأتى اللص لسهر ولم يترك له بيته ليسرقه. لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين، **لأنه فى ساعة لا تعلمونها سيأتى ابن الإنسان**» (متى ٢٤: ٤٢ – ٤٤) «فاحذروا واسهروا وصلوا لأنكم **لا تعلمون متى يكون الوقت**. فإن مثل ذلك كمثل رجل سافر وترك بيته وأعطى سلطة لخدمه، ولكل واحد عمله، ثم أوصى البواب أن يسهر. **فاسهروا إذن لأنكم لا تعلمون متى يجئ رب البيت، أفى المساء أم فى منتصف الليل أم عند صياح الديك أم فى الصباح، لئلا يجئ بغتة ليجدكم نياماً. وما أقوله لكم أقوله للجميع: اسهروا**» (مرقس ١٣: ٣٣ – ٣٧).

يقول القديس **أثناسيوس الرسولى** فى ردّه على أريوس الذى استغل تصريح المسيح له المجد فى قوله: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلمهما أحد، ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب» وأساء الفهم، وأساء التأويل..

قال «إن السيد المسيح قال لتلاميذه عن يوم وساعة مجيئه إنه لا يعرفهما أحد ولا الابن، **لئلا يسألوه عن هذا السر الذى لا يجوز لهم أن يطلعوا عليه كما يقول صاحب السر إنى لا أعلم هذه المسألة، أى لا أعلمها علماً يُباح به**، لأن بطرس قال له «يا رب أنت تعلم كل شئ».

أما لماذا أنكر المسيح عن نفسه هذه المعرفة، فلأن لله **حكمة فى أن يظل يوم الساعة مخفياً عن الناس حتى لا يتوانوا عن الجهاد والعمل والنشاط، كالمعلم الذى ينبئ التلاميذ بإمتحان يعقده فى يوم مجهول، حتى يكون التلاميذ فى حالة إستعداد دائم.**

حقاً إن المسيح كإله يعلم قطعاً باليوم والساعة التى تزول فيها هيئة العالم، ويأتى المسيح فى مجيئه الثانى للدينونة، لكنه قال «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن، إلا الآب». ومثل المسيح له المجد فى هذا مثل المعلم الرقيب الذى يجيب على تلميذ يسأله ساعة الإمتحان وفى قاعة الإمتحانات عن معلومة لا يجوز أن يصرّح بها فى وقت الإمتحان بقوله «لا أعلم» مع أنه وهو المعلم يعلم. فلو أنه صرح بالمعلومة فى أثناء الإمتحان لإنتفت الحكمة من عقد الإمتحانات.

بل قل أيضاً إن مثل المسيح له المجد فى قوله «الابن لا يعلم» مثل المعلم الذى يسأله تلميذ بعد الإمتحانات، فى الفترة السابقة على إعلان النتيجة رسمياً ما إذا كان قد نجح أو رسب، فيجيبه بقوله «لا أعلم» على الرغم من أنه يعلم، خصوصاً إذا كان هذا المعلم عضواً فى لجنة الإمتحانات ورصد الدرجات، فقوله «لا أعلم» مع أنه يعلم، مفاده «إننى لا أشاء أن أصرّح» قبل الوقت المناسب المحدد لإعلان النتيجة رسمياً.

ومثله أيضاً مثل السياسى الحصيف، عندما يسأله الصحفيون عن أمر لا يشاء أن يصرّح به قبل الأوان المناسب بقوله «لا أعلم» وذلك جرياً على مبدأ عدم التصريح بأمر، إعلانه للناس قبل الوقت المناسب يتعارض مع المصلحة العامة، سياسياً أو إجتماعياً أو إدارياً .. فإذا قال «لا أعلم» فالمعنى الواضح من ذلك هو أنه لا يريد أن يصرّح حتى لو كان يعلم، نظراً لما قد يترتب على التصريح من أضرار فردية أو إجتماعية. ولقد صار هذا التعبير «لا أعلم» مشاعاً عند الناس عالمياً، وهو من المصطلحات السياسية الحكيمة المقررة والمعروفة دولياً وصار من الأوضاع المألوفة، وكأنه لغة متداولة يتعامل بها الناس فى المجتمعات المتحضرة، محافظة على القيم الإجتماعية القائمة.

وثمت دليل أو قرينة واضحة على أن قول المسيح له المجد: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمهما أحد.. ولا الابن إلا الآب» يتجه إليه من حيث هو إنسان لا من حيث هو إله، إنه فى تصريحه هذا لم ينف هذا العلم عن «الروح القدس». والروح القدس مع الآب والابن، ثالوث فى واحد، وواحد فى ثالوث (متى ٢٨: ١٩).

ولما كان الروح القدس هو الله ذاته، لأن الله روح (يوحنا ٤: ٢٤)، أو هو الروح الأعظم، أبو الأرواح (العبرانيين ١٢: ٩)، وإله الأرواح (سفر العدد ٢٧: ١٦)، ثم هو الروح القدس لأن الله هو القدوس (١. بطرس ١: ١٥، ١٦)، فالروح القدس يعلم إذن باليوم والساعة. فإذن قول المسيح «لا يعلمهما أحد، ولا الابن» ينصرف إلى الابن من حيث هو إنسان. فإنه من حيث هو إله لابدّ أن يعلم باليوم والساعة وبكل شئ، ذلك لأنه من حيث هو إله هو كائن مع الآب والروح القدس أزلياً وأبدياً، فكيف يعلم الآب ولا يعلم الابن والروح القدس معه؟... والأقانيم الثلاثة كيان واحد، وجوهر واحد، وذات إلهية واحدة، .. والأقانيم الإلهية خاصيات ذاتية فى الله الواحد بغير إنقسام ولا إفتراق ولا تجزئة.

والخلاصة أن المسيح له المجد من حيث هو الله المتجسد يعلم بكل شئ، وبالتالى يعلم باليوم والساعة التى تزول فيها هيئة العالم الحاضر، ويأتى المسيح فى مجيئه الثانى للدينونة، ولكنه مع علمه المطلق بذلك، قال «لا يعلم» كإنسان. ولمّا كان المسيح هو الله وقد «اتّخذ جسداً» (يوحنا ١: ١٤) استتر فيه لاهوته، فالمسيح وهو الإله متجسداً، «لا يعلم كل شئ» (يوحنا ٢١: ١٧)، ولكنه بحكمته لم يشأ أن يصرّح بما يعلمه، ليكون تلاميذه والمؤمنون به على استعداد دائم وترقب دائم لمجيئه، باليقظة الروحية والسهر الروحى، وحتى لا يغفلوا عن الإستعداد للمجئ الثانى. وحتى لا يسأله تلاميذه وهم يعرفون عنه أنه «يعلم كل شئ» (يوحنا ١٦: ٣٠)، أغلق عليهم الباب حتى لا يسألوه عن اليوم والساعة، بقوله «لا يعلم».

ثم كيف لا يعلم باليوم والساعة وهو الذى أفادهم عن أحداث اليوم والساعة بأدق التفاصيل؟

وإذن فقوله «لا يعلم» هو «رفض» بإباحة علمه لمن يريدهم أن يظلّوا غير عارفين، حتى يكونوا دائماً مستعدين ومترقبين ظهوره، فلا يكسلوا عن مواصلة السهر والجهاد (١).

(١) انظر إجابة سؤال رقم ٢٧ ص ٦٥٩، وسؤال رقم ٣٦ ص ٦٨٣.

المسيح القادر على كلّ شيء

الله وحده هو القدير والقادر على كل شيء

حقا إن للإنسان بعض القدرة، أو القدرات، وهى الإمكانات والإمكانيات، التى بها يمكن أن يوجد ويبدع ويبتكر ويخلق، حتى يمكن أن يوصف الإنسان بأن له قدرات خلاقة. على أن هذه القدرة أو القدرات محدودة ومحصورة، ثم أنها ليست أصيلة فيه، وإنما هى ممنوحة له من الخالق الأعظم، فهو الرب الذى «جبل الإنسان تراباً من الأرض ونفخ فيه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية» (التكوين ٢ : ٧). فبفضل هذه النفخة الإلهية، والعطية العظيمة، صار الإنسان ملك الخليقة كلها، الحية والجامدة، فتسلط على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى البهائم، وعلى كل الأرض، وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض، فإن الإنسان خلقه الله على صورة الله ومثاله (التكوين ١ : ٢٦ – ٢٨) وذلك بالروح التى أودعها الله فيه.

«يقول الرب باسط السماوات ومؤسس الأرض، **وجابل روح الإنسان فى داخله**» (زكريا ١٢ : ١).

فإذا كان الإنسان المخلوق على صورة الله ومثاله (له بعض القدرات) فى روحه العاقلة الناطقة والتى بها يحكم الموجودات من النباتات والحيوانات فضلاً عن الجمادات، وبها يعمل ويبتكر ويذلل ما يعترض حياته من عقبات وصعوبات، فإن الله خالقه هو وحده «القادر على كل شيء».

الله وحده، ليس كمثله شيء هو (الكلى القدرة)

وفى اليونانية ὁ παντοκράτωρ

وفى العبرانية צְבָאוֹת (SABAOT)

وفى القبطية ⲡⲁⲛⲧⲟⲕⲣⲁⲧⲱⲣ

ⲡⲡⲉⲧⲁⲙⲟⲩ ⲙⲡⲛⲧⲏⲣϥ

وفى اللاتينية OMNIPOTENT

وفى الإنجليزية ALMIGHTY

وفى الفرنسية TOUT- PUISSANT

هكذا وصف الله ذاته فى الكتاب المقدس «إنى الإله **القادرعلى كل شىء**» (الخروج ٦ : ٣)، «أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية، يقول الرب الكائن والذى كان والذى يأتى، **القادر على كل شىء**» (الجليان ـ الرؤيا ١ : ٨)، (إشعياء ١٣ : ٦)، (يوئيل ١ : ١٥)، (٢ . كورنثوس ٦ : ١٨).

والملائكة فى السماء تسبحه قائلة «قدوس قدوس قدوس الرب الإله **القادر على كل شىء**» (الجليان ـ الرؤيا ٤ : ٨).

«نشكرك أيها الرب الإله **القادر على كل شىء**» (الجليان ـ الرؤيا ١١ : ٧) «عظيمة وعجيبة هى أعمالك أيها الرب **الإله القادر على كل شىء**» (الجليان ـ الرؤيا ١٥ : ٣)، (١٦ : ٧، ١٤) «هللويا فإنه قد ملك الرب الإله **القادر على كل شىء**» (الجليان ـ الرؤيا ١٩ : ٦، ١٥)، (٢١ : ٢٢)

وهكذا يصفه الأنبياء القديسون

فيعقوب أبو الأسباط يقول لإبنه يوسف «**الله القادر على كل شىء ظهر لى**» (التكوين ٤٨ : ٣) (٤٩ : ٢٥).

* * *

ولما كان المسيح له المجد هو بذاته الله وقد ظهر فى الهيئة كإنسان (فيلبى ٢ : ٨) «وقد اتّخذ جسدا» (يوحنا ١ : ١٤)، لذلك فإنه يوصف فى الكتاب المقدس فى مواضع متفرقة بأنه (**القادر على كل شىء**)، وهذا لبيان أنه هو بذاته الله الظاهر فى الجسد. (١ . تيموثيئوس ٣ : ١٦).

فلقد رآه النبى (دانيال) فى الرؤيا فى صورة ابن إنسان، وذلك من حيث ناسوته لكنه متميز بمجد وملكوت، وتتعبد له جميع الشعوب والأمم والألسنة. ثم إن سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض، أى أنه المعبود الذى يتعبد له جميع الشعوب والأمم. ثم إن سلطانه سلطان أبدى لا يزول، وهو ما لا يتميز به إلا الله الواحد الوحيد، فإنه وحده المعبود وهو وحده الأبدى.

جاء فى سفر دانيال قول النبى دانيال فى رؤياه «كنت أرى فى رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان آتيا على سحب السماء، أتى وجاء إلى القديم الأيام، وقُرب إلى أمامه،

وأُوتى سلطانا ومجداً وملكوتاً، **فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه، وسلطانه سلطان أبدى** لا يزول، وملكوته لا ينقرض» (دانيال ٧: ١٣، ١٤). وهذا كله لا يتصف به إلا الله الواحد وحده. حقا إنه فى صورة ابن إنسان، ابن بشر، لكنه الذى يتعبد له جميع الشعوب والأمم والألسنة. ثم إن سلطانه سلطان أبدى لا يزول، وملكوته أيضا أبدى لا ينقرض، وكل هذا لا يتصف به إلا الله الواحد الوحيد، وإلا كان ذلك كفرا وتجديفا. فليس لبشر أن يتعبد له جميع الشعوب والأمم والألسنة، وليس لبشر سلطان أبدى لا يزول وملكوت لا ينقرض، فإنه لا يتصف بالأبدية إلا الله الواحد وحده.

كذلك يصف الكتاب المقدس المسيح الرب، وهو الله وقد ظهر فى الجسد لابساً صورة إنسان، وإذ تمم عمل الفداء ثم صعد إلى السماء التى منها نزل، ودخل إلى حيث مجده، واستوى على العرش، وجاءت الملائكة ورؤساء الملائكة وخضعوا له، وسجدوا له، فقد استرد صورة المجد التى كان قد أخلى ذاته منها، ولبس بتجسده صورة الهوان من أجل إتمام عمل الخلاص، استرد صورة المجد والكرامة فاستوى على العرش، بعد قيامته وبصعوده إلى السماء «فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة وفوق كل اسم يسمى به مخلوق، لا فى هذا الدهر فقط بل وفى ذلك الدهر الآتى أيضا، وأخضع كل شىء تحت قدميه، وإياه جعل فوق كل شىء رأسا للكنيسة التى هى جسده وكماله وهو الذى يملأ كل شىء فى كل شىء» (أفسس ١: ٢٠- ٢٣). فهو إذن الرب الإله الذى يخضع له جميع الخلق تحت قدميه متعبدين، وهو الرأس الأعلى للكنيسة، هو الرأس، وهى الجسد، وهو المالىء كل الوجود، الحال فى كل مكان، ولا يخلو منه مكان، ومن إذن يكون غير الله الواحد وحده.؟

وهذا هو النص الإلهى المقدس الذى نستعيره فى القداس الإلهى - القداس المرقسى الكيرلسى: يقول الكاهن:

«لأنك أنت هو الله الذى فوق كل رئاسة وكل سلطان، وكل قوة، وكل سيادة، وكل اسم يسمى، ليس فى هذا الدهر فقط، بل وفى الآتى، أنت الذى يقوم أمامك ألوف ألوف وربوات ربوات الملائكة ورؤساء الملائكة المقدسين يخدمونك»

ويذكرنا الكتاب المقدس فى موضع آخر بسلطان المسيح له المجد فوق كل رئاسة، هذا السلطان الذى أخلى ذاته منه بتجسده من أجل عمل الفداء ثم استرده بعد قيامته من بين الأموات وصعوده إلى السماء التى منها نزل، وهو سلطانه الإلهى الذى يعلو به على جميع الخلق.

يقول: «إن المسيح قد قام من بين الأموات... متى أبطل كل رئاسة وكل سلطان وكل قوة، فإنه لا بد أن يملك إلى أن يضع جميع أعدائه تحت قدميه... ذلك بأنه قد أخضع كل شيء تحت قدميه...» (١ . كورنثوس ١٥: ٢٠- ٢٧).

ومن هنا يتبين أن المسيح له المجد هو المقصود، وهو المشار إليه في المزمور الثامن: «أيها الرب سيدنا ما أعظم اسمك في كل الأرض وقد جعلت جلالك فوق السماوات... إني أرى سماواتك عمل أصابعك والقمر والكواكب التي كونتها. فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن البشر حتى تفتقده. نقصته عن الملائكة قليلا، وكللته بالمجد والكرامة. سلطته على أعمال يديك. وأخضعت كل شيء تحت قدميه... أيها الرب سيدنا ما أعظم اسمك في كل الأرض» (مزمور ٨: ١- ١٠).

فالمسيح الإله بتجسده، أخذ صورة الإنسان وهي أقل بهاء ومجداً من صورة الملائكة، ولكنه بعد أن تمم الفداء، وقام من بين الأموات، وصعد إلى السماء التي منها نزل، استردّ صورة المجد والكرامة التي أخلى ذاته منها، ثم استوى على العرش «فوق كل رياسة وكل سلطان وكل قوة وكل سيادة لا في هذا الدهر فقط بل في ذلك الدهر الآتي».

وفي موضع آخر من الكتاب المقدس، يصف الوحي الإلهي المسيح له المجد بأنه «يحل فيه كل ملء اللاهوت جسديا... وهو رأس كل رئاسة وسلطان» (كولوسي ٢: ٩، ١٠)، ومعنى هذا أن المسيح فيما كان على الأرض، لابسا جسد إنسان فيه يحل جميع كمال الألوهية حلولاً جسدياً. وبتعبير آخر إن فيه جسديا، **يحل الله بكل ملئه**.. وهو رأس كل رئاسة وسلطان... ففي المسيح **يحل ملء الألوهية كله حلولاً جسديا**... وهو رأس كل رئاسة روحانية وسلطة.. أي **أن الله كله في المسيح**، فالله لا يتجزأ، ولاهوته لا يقبل التجزئة أو التقسيم... وهو في الوقت نفسه لأنه هو الله، فهو فوق كل رئاسة وسلطان، **فهو الله القدير، والقادر على كل شيء**، رئيس الرؤساء وسيد السيادات، ورب الأرباب، وملك الملوك، وهو العلي على كل السماوات والأرض وما فيها.

وفي موضع آخر يصف الكتاب المقدس المسيح يسوع له المجد بأنه **القدير «الذي يستطيع أن يخضع لنفسه كل شيء»** (فيلبي ٣: ٢١) وأن له القدرة التي يخضع بها كل شيء لأمره.

كذلك ينسب إلى المسيح له المجد بعد أن تمم الفداء وقام من بين الأموات، أنه صعد إلى السماء واستوى على العرش «**وقد جعلت الملائكة والسلطات (السمائية) والقوات الروحية خاضعة له**» (١ . بطرس ٣ : ٢٢).

ومن الآيات البينات على سلطان المسيح المطلق الذى يتفرد به، ولا يملكه نبى أو رسول أو كائن من كان من بنى الناس، أنه له المجد كان يشفى المرضى بأمره ويقيم الموتى بسلطانه، ولم يكن يدعو أو يتضرع فى كل أعمال قواته ومعجزاته ليستمد قوة خارجا عن ذاته، وإنما كان يأمر المرضى فيشفون ويصحون، ويزجر الحمى، ويأمر الموتى فيقومون، والشياطين فيخرجون، فالقوة تخرج منه، **إذ أن له القوة والمجد والعزة والسلطان.**

وفى بيان هذا السلطان المطلق قال المسيح له المجد «أنى قد أوتيت كل سلطان فى السماء وعلى الأرض» (متى ٢٨ : ١٨)، (متى ٢٦ : ٦٤) (دانيال ٧ : ١٣)، (رومية ١٤ : ٩)، (أفسس ١ : ٢١، ٢٢).

وقال عنه يوحنا المعمدان «إن الآب (السماوى) يحب الابن، وقد جعل فى يده كل شىء» (يوحنا ٣ : ٣٥) هذا هو السلطان المطلق الذى يشمل (كل شىء). فكل شىء تحت سلطانه، وليس شىء ما خارج عن سلطانه.

انظر (متى ١١ : ٢٧)، (لوقا ١٠ : ٢٢)، (يوحنا ٥ : ٢٢)، (يوحنا ١٣ : ٣)، (يوحنا ١٧ : ٢).

«لأنه إذ أخضع كل شىء تحت قدميه، فإنه لم يترك شيئاً غير خاضع له»، (العبرانيين ٢ : ٨).

وقد استوقف هذا السلطان إنتباه القيادات اليهودية من الكتبة والفريسين وعلماء الشريعة.

يقول الإنجيل «فذهلوا جميعاً، حتى لقد أخذوا يتساءلون فيما بينهم قائلين: «**ما هذا؟ إنه لتعليم جديد! فإنه بسلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه**» (مرقس ١ : ٢٧) «فارتعب الجميع، وراحوا يخاطبون بعضهم بعضا قائلين: «**ما هذا؟ إنه بسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج**» (لوقا ٤ : ٣٦).

وإذ لمسوا هذا السلطان اندفعوا إليه متسائلين عن مصدر هذا السلطان. قال الإنجيل «وحين جاء إلى الهيكل تقدم إليه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب قائلين: «**بأى سلطان تفعل هذا؟ ومن الذى أعطاك هذا السلطان؟**» (متى ٢١ : ٢٣)، (مرقس ١١ : ٢٧، ٢٨)، (لوقا ٢٠ : ١، ٢).

وفضلا عن ذلك كله... فإنه له المجد، منح تلاميذه ورسله السلطان على شفاء المرضى، وإقامة الموتى وإخراج الشياطين... وهذا معناه أنه مالك السلطان وربه، ذلك لأن (فاقد الشيء لا يعطيه). فالمسيح إذن ليس فقط يملك السلطان لذاته، وفى ذاته، وإنما أيضا يملك أن يمنح السلطان لمن يشاء، وهو ما لا يتصف به إلا الله الواحد وحده.

قال الإنجيل «ثم دعا تلاميذه الإثنى عشر **وأعطاهم سلطانا على الأرواح النجسة ليطردوها، ويشفوا كل مرض وكل ضعف**» (متى ١٠: ١) أى أنه منح تلاميذه سلطانا شاملاً وعظيما على الشياطين والأرواح النجسة ثم لشفاء جميع الأمراض بغير إستثناء (كل مرض، وكل ضعف). أليس حقا أنه سلطان عظيم؟ أيكون من يمنح كل هذا السلطان العظيم مجرد إنسان؟ هل رأت الإنسانية فى كل تاريخها نبيا أو رسولا له كل هذا السلطان العظيم!؟

ومنح المسيح له المجد الرسل السبعين ذلك السلطان على الشياطين والأرواح النجسة، ومارسوا ذلك السلطان الممنوح لهم بنجاح. ويقول الإنجيل «وقد رجع السبعون بفرح عظيم قائلين: **يارب، حتى الشياطين تخضع لنا باسمك. فقال لهم: «وها أنا ذا أعطيتكم السلطان لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو**» (لوقا ١٠: ١٩)

وبعد. أيكون صاحب هذا السلطان إنسانا؟ مَنْ مِنَ الأنبياء والرسل كان له مثل هذا السلطان، فى ذاته، ثم يمنحه لمن يشاء؟

إنه الله الواحد وحده هو الذى يملك هذا السلطان وليس غيره!

نعم، إن المسيح له المجد هو وحده القادر على كل شيء، لأنه هو الله وقد اتّخذ جسدا.

كل بشر يقدر على شيء أو أشياء، لكنه لا يقدر على كل شيء، **فليس يقدر على كل شيء إلا الله الواحد وحده.**

إن تاريخ البشرية حافل بالإنجازات التى حققها الإنسان، لخير الناس جميعا، ومن جماعها معا صنع الحضارة الإنسانية، التى بلغت اليوم صورة متقدمة تشهد بالفارق بين ما كنا عليه وما أصبحنا إليه، من معارف وصناعات وإختراعات، جعلت حياتنا أكثر سهولة ومناعة وسلامة وإنتصارا على عوامل الهدم والتخريب، طبيعية أو صناعية.

على أن هذه الحضارة الإنسانية هى محصلة لنجاحات متنوعة فى مجالات متعددة تحققت على أيادى النوابغ، فى كل علم وفن وصناعة... فى الهندسة، والطب، وفى الفيزياء والكيمياء، والفلك والأدب والموسيقى، وفى الفلسفة والمنطق، وعلوم النفس والروح، ثم فى أنواع الحرف والصناعات اليدوية وغير اليدوية، وفى الزراعة والتجارة والتربية، وغير ذلك من ضروب النشاطات البشرية والإنسانية.

على أن الحضارة الإنسانية عمل كبير وبناء شامخ أسهم فى إقامته وتشييده ورفعه، سواعد عدة، وعقول كثيرة، وأيادى متنوعة، تضافرت وتعاونت وتساندت، فأقامت هذه العمارة الشامخة بكل مكوناتها.

وإذن فهى ليست من صنع إنسان واحد. إن فى كل جيل، وفى كل أمة، وفى كل مكان تحت الشمس نوابغ، لهم مواهب وقدرات روحية وعقلية وبدنية، صقلوها بالعمل والكفاح ومواصلة الجهاد فاستطاعوا أن يحققوا شيئا جديدا، وأن يخطوا خطوة أو خطوات إلى الأمام، فلمعوا وأناروا للبشرية طريقا صاعدا إلى المجد وإلى الكرامة، ثم إلى التطور والإرتقاء بفضل الروح الإنسانية التى أودعها الخالق فيهم، هذه الجوهرة الغالية التى نفخها الله فيهم وهى على صورة الله ومثاله، فهى بما أودع الله فيها من قدرات لا تتوقف عن الابتكار والإبداع والخلق، والتطور بالعلم والعمل، فتحقق هدف الله من خلقة الإنسان، وهو العمل لمد آفاق الخير والجمال فى كل الوجود، ومد سلطان الله فى المكان والزمان إلى أبد الدهور.

على أن الإنسان بوصفه ذلك المخلوق المحدود أمكنه ويمكنه بفضل الروح التى نفخها الله فيه، أن يصنع شيئا أو أشياء... ولكن مهما يكن من أمر فإنه ما من إنسان استطاع أن يصنع كل شىء... فالفارق كان وسيظل إلى الأبد عظيما بين الإنسان وخالقه، بين المحدود وغير المحدود.

نعم عرفت الإنسانية علماء بلغوا القمة فى ميدان أو آخر من ميادين العلم والعمل حتى تحولوا فى نظر الأجيال إلى آلهة وأبطال يشاد بهم، ويعقد عليهم البنان وصاروا نجوماً لامعة فى سماء الإنسانية، ومع ذلك فهم بالنسبة للخالق الأعظم هم كواكب أو أقمار يدورون حول الشمس يأخذون منها وعنها، وبنورها يتوهجون، لأنهم من دونها هم أجسام معتمة، إذ النور الذى فيهم ليس منهم، وإنما قد انعكس عليهم من النور الأعظم للخالق الأعظم.

لقد عرف التاريخ - أشخاصا من بنى البشر وصفوهم بأنهم آلهة فى الطب أو فى الهندسة، أو الفن، أو الموسيقى أو التصوير، أو فى الصناعة، أو علوم التنجيم أو الكف أو الباراسيكولوجى أو غير ذلك، وقدسهم الناس فى جيلهم وما بعد جيلهم من الأجيال اللاحقة أو السابقة وتحولوا فى أنظار الناس إلى أبطال أو آلهة صغار ومع ذلك سيبقى الفرق عظيما بين العبد والرب، بين المخلوق والخالق.

الإنسان يمكن أن ينمو بالعلم والعمل فيصير قادرا على شىء أو أشياء، لكنه لن يكون قادرا على كل شىء. الله وحده هو القادر على كل شىء.

كان السحر الأبيض عند قدماء المصريين علما يدرسونه على المعلمين والعلماء، ويمارسونه وبالتداريب والرياضات الروحية والبدنية والذهنية حتى بلغوا فيه شأوا كبيرا. وقد قيل عن النبى موسى «تأدب موسى بحكمة المصريين كلها، وكان مقتدرا فى أقواله وأعماله» (أعمال الرسل ٧: ٢٢).

ولكن لما تلقى موسى فى برية سينا بعد خروجه من مصر، أمرا من الله أن يخرج بنى إسرائيل من مصر، وزوده الله بالقدرة على عمل المعجزات حتى تكون لبنى إسرائيل فى مصر، البينة والبرهان على أن الله هو الذى أرسله، فيصدقوه:

«فقال له الرب: «ما هذه فى يدك». فقال «عصاً». فقال: «اطرحها إلى الأرض». فطرحها إلى الأرض، فصارت حية. فهرب موسى منها. ثم قال الرب لموسى: «مد يدك وأمسك بذنبها». فمد يده وأمسك به فصارت عصاً فى يده. لكى يصدقوا أنه قد ظهر لك الرب إله آبائهم، إله إبراهيم، «وإله إسحق وإله يعقوب». ثم قال له الرب أيضا «أدخل يدك فى عبك». فأدخل يده فى عبه. ثم أخرجها وإذا يده برصاء مثل الثلج. ثم قال له «رد يدك إلى عبك». فرد يده إلى عبه ثم أخرجها من عبه وإذا هى قد عادت مثل جسده. «فيكون إذا لم يصدقوك ولم يسمعوا لصوت الآية الأولى أنهم يصدقون صوت الآية الأخيرة. ويكون إذا لم يصدقوا هاتين الآيتين ولم يسمعوا لقولك أنك تأخذ من ماء النهر وتسكب على اليابسة فيصير الماء الذى تأخذه من النهر دما على اليابسة». (الخروج ٤: ١ - ٩).

«وكلم الرب موسى وهرون قائلا: « إذا كلمكما فرعون قائلا: هاتيا عجيبة، تقول لهرون «خذ عصاك واطرحها أمام فرعون فتصير ثعباناً». فدخل موسى وهرون إلى فرعون وفعلا هكذا كما أمر الرب، طرح هرون عصاه أمام فرعون وأمام عبيده، فصارت ثعبانا. فدعا فرعون أيضا الحكماء والسحرة ففعل عرافوا مصر أيضا بسحرهم كذلك. طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصى ثعابين. ولكن عصا هرون ابتلعت عصيهم» (الخروج ٧: ٨- ١٢).

ثم قال الرب لموسى... « إذهب إلى فرعون فى الصباح. إنه يخرج إلى الماء، وقف للقائه على حافة النهر والعصا التى تحولت حية تأخذها فى يدك، وتقول له.. ها أنا أضرب بالعصا التى فى يدى على الماء الذى فى النهر فيتحول دماً... ففعل هكذا موسى وهرون كما أمر الرب. رفع العصا وضرب الماء الذى فى النهر أمام عينى فرعون وأمام عيون عبيده. فتحول كل الماء الذى فى النهر دماً... وفعل عرافوا مصر كذلك بسحرهم...» (الخروج ٧: ١٥- ٢٢).

فقال الرب لموسى: «قل لهرون: مد يدك بعصاك على الأنهار والسواقى والآجام، وأصعد الضفادع على أرض مصر. فمد هرون يده على مياه مصر. فصعدت الضفادع وغطت أرض مصر. وفعل كذلك العرافون بسحرهم، وأصعدوا الضفادع على أرض مصر» (الخروج ٨: ٥- ٧)

ثم قال الرب لموسى: «قل لهرون: مد عصاك واضرب تراب الأرض ليصير بعوضا فى جميع أرض مصر». ففعلا كذلك. مد هرون يده بعصاه، وضرب تراب الأرض فصار البعوض على الناس وعلى البهائم. كل تراب الأرض صار بعوضا فى جميع أرض مصر. وفعل كذلك العرافون بسحرهم ليخرجوا البعوض فلم يستطيعوا... فقال العرافون لفرعون: «هذا أصبع الله...» (الخروج ٨: ١٦- ١٩).

* * *

والمعنى من كل ذلك أن حكماء المصريين والعرافين استطاعوا بما مارسوه من السحر الأبيض أن يصنعوا المعجزات، ففعل ما فعله موسى وهرون فحولوا عصيهم إلى ثعابين، وضربوا النهر فتحول إلى دم، وأمكنهم بالسحر أن يصعدوا الضفادع على أرض مصر.. **وعند هذا الحد وقفت قدراتهم، فلم يقدروا على ما هو أبعد من ذلك مما صنعه موسى وهرون بقدرة الله من المعجزات الأخرى.** يقول الكتاب المقدس بالنسبة للمعجزة الرابعة معجزة صيرورة التراب بعوضا فى جميع أرض مصر، وفعل كذلك العرافون بسحرهم ليخرجوا البعوض فلم يستطيعوا، ثم أقروا بعجزهم واعترفوا لفرعون أن ما صنعه موسى وهرون هو بقدرة الله التى تفوق قدرتهم: قالوا لفرعون صراحة: «**هذا أصبع الله**».

سلطان المسيح الشامل

إن من يتتبع حياة المسيح له المجد، فى فترة وجوده على الأرض يتبين سلطانه الشامل على كل شيء، وأن قدرته غير محدودة، فى عالم الروح وفى عالم المادة، فهو بحق وصدق أثبت أنه **القادر على كل شيء.**

لقد شمل سلطانه كل شيء، شمل المادة بجميع صورها، كما شمل النبات، وشمل الحيوان، وشمل الإنسان وشمل عالم الأرواح.

* * *

سلطان المسيح على المادة

يظهر سلطان المسيح على المادة فى جميع صورها وأشكالها الجامدة والسائلة والغازية.

* * *

سلطان المسيح على المادة الجامدة

- ١ -

يظهر هذا السلطان على المادة الجامدة مثلاً فى معجزة **إشباع خمسة آلاف رجل فيما عدا النساء والأطفال من خمس خبزات وسمكتين.**

جاء فى الإنجيل:

«واجتمع الرسل إلى يسوع وأخبروه بكل ما عملوا وعلموا، فقال لهم: «تعالوا أنتم وحدكم إلى موضع قفر واستريحوا قليلا، لأن القادمين والذاهبين كانوا كثيرين، فلم تكن تتاح لهم فرصة حتى ليأكلوا، فمضوا بالسفينة وحدهم إلى موضع قفر (عند مدينة تدعى بيت صيدا). فرأتهم الجموع وهم يمضون، وعلم بالأمر كثيرون، فأسرعوا سيرا على الأقدام من كل المدن حتى سبقوهم إلى هناك.

«فلما خرج يسوع من السفينة ورأى جمعا عظيما (مقبلا إليه) أشفق عليهم، إذ كانوا كغنم بغير راع، فطفق يعلمهم فى أمور كثيرة، (وكلمهم عن ملكوت الله والمحتاجون منهم إلى الشفاء شفاهم)، حتى إذا إنقضى جزء كبير من النهار تقدم إليه تلاميذه الإثنى عشر قائلين: «إن

المكان قفر، وقد تأخر الوقت، فاصرفهم (اصرف الجموع) ليذهبوا إلى الضياع والقرى القريبة(ليبيتوا هناك ويجدوا طعاما) ويشتروا لأنفسهم مايأكلون» (لأننا هنا فى مكان قفر) فقال لهم يسوع: «لا حاجة بهم لأن يذهبوا. أعطوهم أنتم ليأكلوا». فقال لفيلبس: «من أين نشترى خبزا ليأكل هؤلاء؟» وإنما قال هذا ليمتحنه، لأنه كان يعلم ما كان هو نفسه مزمعا أن يفعل. فأجاب فيلبس قائلا: «إن خبزا بمائتى دينار لا يكفى لينال كل واحد منهم قدرا ضئيلا». وقال له واحد من تلاميذه وهو أندراوس أخو سمعان بطرس. «إن هنا غلاما معه خمس خبزات من الشعير وسمكتان. ولكن ما عسى أن تكون هذه بالنسبة لكل هذا الجمع؟» فقالوا: «ليس لدينا غير خمس خبزات وسمكتين إلا أن نذهب ونبتاع لهذا الشعب كله طعاما، إذ كانوا نحو خمس آلاف رجل». فقالوا له: «أنذهب ونشترى خبزا بمائتى دينار ونعطيهم ليأكلوا؟» فقال لهم كم من الخبز عندكم؟ إذهبوا وانظروا». فلما تأكدوا قالوا: «خمس خبزات وسمكتان» فقال: «هاتوها إلى هنا».

فقال يسوع: «اجعلوا الناس يجلسون» وكان ثمة عشب كثير فى المكان فجلسوا عليه. (فأمر بأن يجلس الكل فى جماعات على العشب الأخضر، فجلسوا فى حلقات، مائة مائة، وخمسين خمسين) (ففعلوا ذلك، وأجلسوهم جميعا). (وأخذ الخبزات الخمس والسمكتين ورفع عينيه نحو السماء وبارك وكسر الخبزات، وأعطى تلاميذه الخبزات ليناولوهم) (ليقدموا للجمع) (وقسم السمكتين أيضا على الجميع) (بقدر ما رغب كل منهم) (فأكلوا كلهم وشبعوا جميعا) (حتى إذا شبعوا قال يسوع لتلاميذه: «اجمعوا ما فضل من الكسر لئلا يضيع شىء منها»). (ثم رفعوا مما تبقى من كسر الخبز والسمك) (فجمعوها، وملأوا إثنتى عشرة قفة من الكسر التى فضلت عن الآكلين من خمسة أرغفة الشعير). (وكان الذين أكلوا خمسة الآف رجل، غير النساء والأطفال).

(مرقس ٦: ٣٠- ٤٤)، (متى ١٤: ١٥- ٢١)، (لوقا ٩: ١٠- ١٧)، (يوحنا ٦: ٥- ١٣).

* * *

وهنا نلاحظ:

أولا: أن الآكلين من خمس الخبزات كانوا كثيرين.

يقول الإنجيل: «فرأتهم (المسيح وتلاميذه) الجموع وهم يمضون، وعلم بالأمر كثيرون، (فأسرعوا سيرا على الأقدام من كل المدن حتى سبقوهم إلى هناك) (فلما خرج يسوع من السفينة ورأى جمعا عظيما مقبلا إليه فأشفق عليهم) (مرقس ٦: ٣٣- ٣٤) «وإذ سمع الشعب

تبعوه ماشين من المدن. فلما خرج يسوع ورأى جمعا عظيما تحنن عليهم» (متى ١٤: ١٣، ١٤) «غير أن الجموع علموا بذلك فتبعوه، فاستقبلهم... (لوقا ٩: ١١)، «فرفع يسوع عينيه ورأى جمعا عظيما مقبلا إليه، فقال لفيلبس: من أين نشترى خبزا ليأكل هؤلاء؟».. فأجاب فيلبس قائلاً: «إن خبزا بمائتى دينار لا يكفى لينال كل واحد منهم قدرا ضئيلا.. وقال له واحد من تلاميذه وهو أندراوس أخو سمعان بطرس: «إن هنا غلاما معه خمس خبزات من الشعير وسمكتان. ولكن ما عسى أن تكون هذه بالنسبة لكل هذا الجمع؟» (يوحنا ٦: ٥- ٩).

وأضاف الإنجيل أن عدد الآكلين كانوا خمس آلاف رجل فيما عدا النساء والأطفال «وكان الذين أكلوا **خمسة آلاف رجل، غير النساء والأطفال**» (متى ١٤: ٢١)، (مرقس ٦: ٤٤)، (لوقا ٩: ١٤)، (يوحنا ٦: ١٠).

أما كيف تحققوا من عدد الآكلين، فلأن الرب يسوع أمر تلاميذه «أن يجلس الجمع على العشب» (متى ١٤: ١٩) «فأمر بأن يجلس الكل فى جماعات على العشب الأخضر. فجلسوا فى حلقات، مائة مائة، وخمسين خمسين» (مرقس ٦: ٣٩، ٤٠) «فقال لتلاميذه أجلسوهم جماعات خمسين خمسين، ففعلوا ذلك، «وأجلسوهم جميعا» (لوقا ٩: ١٤، ١٥) فقال يسوع: «اجعلوا الناس يجلسون وكان ثمة عشب كثير فى المكان فجلسوا عليه...» (يوحنا ٦: ١٠).

وإذن فقد **أمكن إحصاء عدد الآكلين من الرجال**، بعدد الحلقات التى أجلسوا الجموع فيها، «مائة مائة وخمسين خمسين».

أما النساء فلم يكن من اللياقة أن يدخل الرسل فى حلقات النساء ليعرفوا عددهن. وأما الأطفال فكانوا غالبا مع النساء فلم يُحص لهم عدد.

وإذن فقد كان عدد الآكلين خمسة آلاف رجل، فيما عدا النساء والأطفال.

ثانيا: إنهم جميعا أكلوا، ولم يتخلف عنهم أحد، وهذا يؤكد عظمة المعجزة من حيث عدد الآكلين «**فأكلوا كلهم**» (مرقس ٦: ٤٢)، (متى ١٤: ٢٠)، «**فأكلوا جميعا**» (لوقا ٩: ١٧)، (يوحنا ٦: ١١، ١٢).

ثالثا: ثم إنهم أكلوا بقدر ما شاءوا، أى أنهم أكلوا كثيرا، وقد كانوا جائعين، يقول الإنجيل «ثم قسمها على الجالسين، وكذلك السمكتين **بقدر ما رغب كل منهم**» (يوحنا ٦: ١١).

رابعا: وتوكيدا لكمية ما أكلوا يقرر الإنجيل أنهم أكلوا وشبعوا «فأكلوا كلهم وشبعوا» (مرقس ٦: ٤٢).

خامسا: ثم ما أروع ما حدث بعد كل ذلك أن يأمر المسيح له المجد تلاميذه أن يجمعوا الكسر بعد أن أكلت الجموع من الخبز والسمك، وأكلوا بقدر ما شاءوا، ثم شبعوا، فإذا بالكسر المتبقية تملأ إثنتى عشرة قفة مملوءة

حتى إذا شبعوا قال يسوع لتلاميذه: «اجمعوا ما فضل من الكسر لئلا يضيع شيء منها» فجمعوها، «وملأوا إثنتى عشرة قفة من الكسر التى فضلت عن الآكلين من خمسة أرغفة الشعير» (يوحنا ٦: ١٢، ١٣) «ثم رفعوا من الكسر التى تبقت إثنتى عشرة قفة ممتلئة» (متى ١٤: ٢٠) «ثم رفعوا مما تبقى من كسر الخبز والسمك إثنتى عشرة قفة ممتلئة» (مرقس ٦: ٤٣)، (لوقا ٩: ١٧).

وهنا التساؤل الذى يقف أمامه العقل حائرا: كيف لخمس خبزات من الشعير وسمكتين لا تشغل أكثر من جزء فى قاع قفة واحدة، تأكل منها جموع من الناس قُدِّر عددهم بخمسة آلاف رجل فيما عدا النساء والأطفال، يأكلون بقدر ما رغب كل منهم ويشبعون، ثم يتبقى من كسر الخبز والسمك إثنتى عشرة قفة مملوءة.؟

لا جواب على هذا إلا أنها قدرة المسيح وسلطانه وهو الله الكلمة الذى «كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان» (يوحنا ١: ٣).

نعم أنه القادر على كل شيء.

إنه (بارك وكسر الخبزات وأعطى تلاميذه الخبزات ليناولوهم، وقسم السمكتين أيضا على الجميع) (مرقس ٦: ٤١)، (لوقا ٩: ١٦)، (متى ١٤: ١٩).

والبركة معناها الإنماء والزيادة والإكثار. ولا شك أنها (قدرة إلهية).

ولذلك عرفت هذه المعجزة بمعجزة (البركة)، وعرف فصل الإنجيل الذى روى المعجزة العظيمة بأنه (إنجيل البركة).

- ٢ -

ومن البينات على سلطان المسيح على المادة أيضا إشباعه جمعا كثيرا من أربعة آلاف رجل، غير النساء والأطفال، من سبع خبزات وقليل من صغار السمك، «فأكلوا جميعاً وشبعوا، ثم رفعوا مما تبقى من الكسر سبع سلال ممتلئة».

جاء فى الإنجيل: «وفى تلك الأيام حدث أن اجتمع إليه جمع عظيم جداً، ولم يكن لديهم ما يأكلون». فدعا يسوع إليه تلاميذه وقال لهم: «إننى أشفق على هذا الجمع لأن لهم الآن معى ثلاثة أيام، وليس لديهم ما يأكلون. ولو أننى صرفتهم إلى بيوتهم بغير طعام خارت قواهم فى الطريق، لأن بعضا منهم قد جاءوا من بعيد» فأجابه تلاميذه قائلين: «من أين يتسنى لأحد أن يشبع هؤلاء بالخبز هنا فى القفر؟». فسألهم «كم من الخبزات لديكم؟». قالوا «سبع وقليل من صغار السمك». فأمر الجمع بأن يتكئوا على الأرض ثم أخذ **السبع الخبزات** وشكر وكسر وأعطى تلاميذه كى يضعوا أمامهم، فناولوا الجمع. وكان لديهم كذلك قليل من صغار السمك. فباركه وأمر بأن يضعوه كذلك أمامهم. «**فأكلوا جميعا وشبعوا ثم رفعوا مما تبقى من الكسر سبع سلال ممتلئة. وكان الذين أكلوا نحو أربعة آلاف. ثم صرفهم**» (مرقس ٨: ١- ٩). (متى ١٥: ٣٢- ٣٨)، (متى ١٦: ١٠).

* * *

هذه المعجزة الأخرى، معجزة إشباع جمع من أربعة آلاف رجل فيما عدا النساء والأطفال، هى بينة أخرى على سلطان المسيح على المادة، فقد أشبع المسيح له المجد هذا العدد الغفير من الرجال والنساء والأطفال «ثم رفعوا مما تبقى من الكسر سبع سلال ممتلئة»، بينما أن عدد الخبزات قبل أن يباركها المسيح له المجد كان «سبع خبزات وقليل من صغار السمك»، لا تشغل أكثر من جزء من قفة واحدة، فكيف، تأكل هذه الأعداد الغفيرة من الناس (أربعة آلاف من الرجال فيما عدا النساء والأطفال) ثم إنهم **أكلوا وشبعوا**، علما بأنه كما قال المسيح له المجد بحنانه الأبوى «إننى أشفق على هذا الجمع لأن لهم الآن **معى ثلاثة أيام وليس لديهم ما يأكلون**» (ولا أريد أن أصرفهم صائمين لئلا تخور قواهم فى الطريق)، أى لابد أنهم أكلوا كثيرا لأنهم كانوا جائعين ولهم ثلاثة أيام ولم يأكلوا شيئا، ثم أكلوا وشبعوا **ومع ذلك يتبقى من الكسر سبع سلال ممتلئة؟**

إن هذه معجزة أيضا إلهية بكل المقاييس، ولا يمكن تفسيرها بمنطق العقل، أو القوانين الطبيعية، إلا أنها برهان قدرة المسيح وسلطانه المطلق الإلهى «إنه بارك وكسر وأعطى تلاميذه، وتلاميذه بدورهم ناولوا الجمع»، إنه له المجد «بارك» السبع خبزات والقليل من صغار السمك. ومعنى أنه بارك، أنه أنمى، وأكثر. والإنماء والإكثار هو نوع من الخلق، والإيجاد، وهو ما لا يقوى عليه إلا الله الواحد وحده، فهو القدير وحده، **والقادر على كل شىء**.

* * *

- ٣ -

ويدخل فى نطاق سلطان المسيح على المادة **خروجه بالميلاد من بطن العذراء الطاهرة مريم وختوم البكارة مصونة.**

وهو أمر يستحيل حدوثه بالنسبة لأى إنسان كائنا من كان. فما من إمرأة يمكن أن تلد طفلا من غير أن يجرح خروجه منها بكارتها ويمزق غشاء بتولتها.

إن المسيح وحده هو الذى خرج من بطن العذراء مريم من دون أن يفض بكارتها أو يحل ختوم بتولتها. وهذا مرده إلى سلطانه المطلق الشامل.

* * *

- ٤ -

ومن بينات سلطان المسيح على المادة **دخوله إلى العلية**، «وكانت الأبواب **مُغْلَقَة**» حيث كان التلاميذ مجتمعين خوفا من اليهود، جاء يسوع ووقف فى وسطهم وقال لهم «السلام لكم» «ففزعوا وارتعبوا، وقد **ظنوا أنهم يرون روحاً**». فقال لهم: «ما بالكم مضطربين، ولماذا تثور شكوك فى قلوبكم؟ **انظروا إلى يدى وإلى قدمى. إنى أنا هو بنفسى. جسونى وتحققوا، فإنه ليس للروح لحم ولا عظام كما ترون لى.** وفيما كان يقول هذا أراهم يديه وقدميه، «فقدموا له بعضا من السمك المشوى وشهد العسل، **فأخذ وأكل أمامهم**» (يوحنا ٢٠: ١٩)، (لوقا ٢٤: ٣٦- ٤٣).

* * *

- ٥ -

كذلك من بينات سلطان المسيح على المادة **خروجه من القبر فى اليوم الثالث لدفنه، والقبر مغلق.**

يقول القديس افرآم السريانى إن المسيح خرج من القبر، وأختام القبر عليه ليبرهن على أنه خرج من بطن العذراء وأختام البكارة مصونة.

* * *

وأخيرا، وليس آخراً، **إن صعود المسيح له المجد بجسده إلى السماء فى اليوم الأربعين لقيامته المجيدة مخترقا قانون الجاذبية الذى يشد المادة إلى أسفل بينة أخرى على سلطانه على عالم المادة**. فالمعروف أنه لا يمكن أن يصعد أحد بجسده إلى فوق ما لم يحمله كائن آخر، فالعذراء الطاهرة مريم مثلاً أصعد جسدها فى اليوم الثالث لوفاتها محمولاً على أجنحة الملائكة ورؤساء الملائكة كما يروى التقليد المقدس وآباء الكنيسة.

وفيلبس الذى عمد الوزير الحبشى يروى عنه سفر أعمال الرسل: «ولما صعدا من الماء خطف روح الرب فيلبس... وأما فيلبس فوجد نفسه فى أشدود» (أعمال الرسل ٨: ٣٩، ٤٠) أى أنه حمله ملاك الرب من غزة وذهب به إلى أشدود..

وكذلك حمل الملاك حبقوق النبى من فلسطين «بجمته وحمله بشعر رأسه ووضعه فى بابل عند الجب حيث كان دانيال محبوسا فى جب الأسود» فنادى حبقوق قائلا يادانيال يادانيال خذ الغذاء الذى أرسله لك الله «وقام دانيال وأكل ورد **ملاك الرب** حبقوق من ساعته إلى موضعه» (دانيال ١٤: ٣٢- ٣٨).

وكذلك جاء عن إيليا النبى أنه عندما صعد فى العاصفة إلى السماء، أنه اختطفته مركبة من نار وخيل من نار (٢. الملوك ٢: ١١، ١٢).

جاء فى الإنجيل عن المسيح له المجد أنه «**ارتفع إلى السماء**، وجلس عن يمين الله» (مرقس ١٦: ١٩) «ثم خرج بهم إلى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم. وفيما هو يباركهم افترق عنهم **وصعد إلى السماء**» (لوقا ٢٤: ٥١) «وبعد أن قال هذا **ارتفع إلى العلاء** وهم ينظرون إليه، وأخذته سحابة عن أعينهم. وفيما كانوا شاخصين نحو السماء وهو منطلق، إذا برجلين **بملابس بيضاء قد ظهرا لهم**. وقالا لهم: «أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين **تتطلعون** إلى السماء. إن يسوع هذا الذى ارتفع عنكم إلى السماء سيجىء ثانية هكذا كما رأيتموه وهو منطلق إلى السماء» (أعمال ١: ٩- ١١).

سلطان المسيح على المادة السائلة

وكما أثبت المسيح له المجد سلطانه الشامل على المادة فى صورتها الصلبة، كذلك أظهر سلطانه على المادة فى صورتها السائلة.

من ذلك ما ورد عنه فى أكثر من موضع، **أنه مشى على الماء**، والمشى على الماء ليس فى مقدور الإنسان، ذلك لأن كثافة الماء أقل من كثافة الأجسام الصلبة، وجزئياته متخلخلة، فالأجسام الصلبة تغوص فى الماء. لذلك لا يمكن للإنسان أن يمشى على الماء، **فإذا وقف على الماء فلا بد له أن يغوص فيه**. من هنا صنع الإنسان القارب والسفينة تمثلاً بالسمك ليتغلب على صعوبة عدم إمكانه المشى على الماء.

قال الإنجيل، بعد أن روى معجزة إشباع المسيح له المجد للجموع من خمسة أرغفة الشعير وصغار السمك.

«وما لبث يسوع أن ألزم تلاميذه بأن يركبوا السفينة ويسبقوه إلى الضفة الأخرى ريثما يصرف الجموع، حتى إذا صرف الجموع صعد إلى جبل منفردا ليصلى. فلما جاء المساء كان هناك وحده. أما السفينة فكانت فى وسط البحر وقد ابتعدت عن البر نحو خمس وعشرين غلوة، وكانت تتقاذفها الأمواج، إذ كانت الريح مضادة لها» (وإذ رآهم يعانون فى التجذيف لأن الريح كانت مضادة لهم). «وفى الهزيع الرابع من الليل، ذهب يسوع إليهم **ماشيا على البحر**» (وكان مزمعاً أن يتجاوزهم).

«فلما رآه تلاميذه ماشياً على البحر اضطربوا قائلين: «أنه شبح»، «وصرخوا من الخوف» (لأنهم رأوه كلهم واضطربوا). (فكلمهم يسوع فى الحال قائلاً: اطمئنوا. أنا هو. **لا تخافوا**) (**واتجه نحوهم وركب السفينة، فسكنت الريح. فذهلوا ذهولاً عظيماً. وقد استولت الدهشة عليهم**. إذ لم يكونوا قد فهموا مغزى معجزة الخبزات، لأن قلوبهم كانت متبلدة) (فجاء الذين كانوا فى السفينة وسجدوا له قائلين: «**حقا أنت ابن الله**») (متى ١٤: ٢٢-٣٣)، (مرقس ٦: ٤٥-٥٢).

* * *

وإذن لم يكن شيئا عاديا أن يرى التلاميذ، يسوع **ماشيا على البحر** (فظنوه شبحا) (فصرخوا لأنهم رأوه كلهم واضطربوا قائلين «إنه شبح» وصرخوا من الخوف). فلما تبينوا أنه لم

يكن شبحا، بل هو يسوع المسيح بشخصه وخاطبهم على الفور قائلا لهم: «اطمئنوا. أنا هو. لا تخافوا» واتجه نحوهم وركب السفينة، فسكنت الريح، ذهلوا ذهولاً عظيما، وقد استولت الدهشة عليهم، وإذ تبينوا أنه هو الرب يسوع بذاته، والذى بسلطانه سكتت الريح جاءوا كلهم (الذين كانوا فى السفينة وسجدوا له) سجود العبادة (قائلين: **حقا أنت ابن الله**) لأنهم تبينوا أنه لا يقدر على ذلك إنسان عادى لذلك **جاءوا وسجدوا له قائلين**: «حقا أنت ابن الله» إنه (الباسط السماوات وحده **والماشى على أعالى البحر**). (أيوب ٩: ٨) «**الجاعل السحاب مركبته الماشى على أجنحة الريح**» (مزمور ١٠٣: ٣).

* * *

تحويل الماء إلى خمر:

ومن بينات سلطان المسيح على الماء معجزة **تحويله الماء إلى خمر فى عرس قانا الجليل.**

قال الإنجيل:

«كان ثمة عرس فى قانا الجليل. وكانت أم يسوع هناك. وكان يسوع وتلاميذه مدعوين إلى العرس. فلما نفدت الخمر قالت أم يسوع له: ليس لديهم خمر». فقال لها يسوع: «ما شأنى يا سيدة وشأنك فى هذا؟ إن ساعتى لم تأت بعد» فقالت أمه للخادمين: «**ما يأمركم به فافعلوه**». وكانت هناك ست قدور من الحجر موضوعة للتطهير وفقا لسنن اليهود، يسع كل منها بثين أو ثلاثة. فقال لهم يسوع: «**املأوا القدور ماءً**» فملأوها إلى أعلاها. فقال لهم: **اغترفوا الآن وقدموا إلى رئيس الوليمة**» فقدموا. فلما ذاق رئيس الوليمة **الماء الذى تحول إلى خمر**. ولم يكن يعلم من أين هو، وإن كان الخادمون الذين جلبوا الماء يعرفون، دعا رئيس الوليمة العريس، وقال له: كل إنسان يقدم للمدعوين الخمر الجيدة أولاً، حتى إذا سكروا قدم لهم ما هو دونها جودة. **أما أنت فأبقيت الخمر الجيدة** إلى الآن. «وقد كانت هذه هى المعجزة الأولى التى صنعها يسوع فى قانا الجليل، وأظهر مجده. فآمن به تلاميذه» (يوحنا ٢: ١- ١١).

* * *

يبدوا واضحاً فى هذه المعجزة سلطان المسيح وقدرته. إنه بكلمة من فيه للخادمين فى العرس: «املأوا القدور ماء»، فملأوها إلى أعلاها. ثم قال لهم أى للخادمين:

«اغترفوا الآن وقدموا إلى رئيس الوليمة»، فقدموا. **فقد تحول الماء بكلمة الأمر إلى خمر. إنه له المجد لم يمارس ضراعة أو ابتهالاً استمدادا لقوة خارجة عن ذاته، لأن له القوة**، وفيه القوة والقدرة. وفى الحال، وفى غير زمن، تحول الماء إلى خمر فوراً، وكانت خمراً جيدة كما صرح بذلك **رئيس الوليمة**، وقال للعريس: «كل إنسان يقدم للمدعوين الخمر الجيدة أولاً، حتى إذا سكروا قدم لهم ما هو دونها جودة. أما أنت فأبقيت **الخمر الجيدة** إلى الآن» ولابد لصانع الخيرات أن يصنع بسلطانه ليس خمراً جيدة فحسب، وإنما أيضا خمراً مفيدة وبانية لصحة الروح والذهن والبدن.

* * *

إنتهار البحر الهائج فيصمت فورا:

من البينات على سلطان المسيح له المجد على المادة فى صورتها السائلة أنه ينتهر البحر الهائج فيصمت البحر فورا، ويهدأ فى الحال.

جاء فى الإنجيل:

«وذات يوم ركب سفينة مع تلاميذه، وقال لهم: «لنعبر إلى الضفة الأخرى للبحيرة». فاقلعوا **(ثم هبت عاصفة ريح شديدة) (وإذا البحر قد اضطرب اضطراباً عظيماً، حتى غمرت الأمواج السفينة) (فأخذت الأمواج تنهال على السفينة بقوة حتى أوشكت أن تمتلىء)** (وأحاطت بهم فغمرتهم بالمياه ومن ثم صاروا فى خطر). (وكان هو فى مؤخرها نائماً على وسادة) (فتقدم إليه تلاميذه وأيقظوه قائلين: «يارب نجنا. **لقد هلكنا يا معلم. يا معلم أما تبالى بأننا نهلك؟**»... (وحينئذ قام **وانتهر الرياح والبحر والأمواج) (وقال للبحر «اصمت اسكت، فسكنت الريح) (فحدث هدوء عظيم)** ، **(وساد هدوء عظيم)** (فخافوا خوفاً عظيماً)، (وذهلوا وقال بعضهم لبعض: «أى إنسان هذا الذى حتى الرياح والبحر تطيعه؟»، «من عساه أن يكون هذا الذى حتى الريح والبحر يطيعانه؟». «من هو هذا يا ترى؟ فإنه يأمر حتى الرياح والمياه فتطيعه». (متى ٨: ٢٣ – ٢٧)، (مرقس ٤: ٣٥ – ٤١)، (لوقا ٨: ٢٢ – ٢٥).

* * *

أليس حقا أمراً مذهلاً لعقل الإنسان أن البحر يضطرب إضطرابا عظيما بفعل عاصفة ريح شديدة، والأمواج تنهال على السفينة، حتى غمرت المياة السفينة، حتى أيقن التلاميذ أنهم صاروا فى خطر، بل لقد صرخوا لمعلمهم الرب يسوع «يارب نجنا، **لقد هلكنا**» فيستجيب لإستغاثتهم به، فيقوم له المجد **ثم ينتهر الرياح والبحر والأمواج، ويقول للبحر «اصمت. اسكت»، فيطيعه البحر على الفور، فيصمت ويسكت فى الحال بل وقد ساد هدوء عظيم**، الأمر الذى ذهل له التلاميذ وجميع الذين كانوا فى السفينة، لأنهم تيقنوا أنه لا يمكن أن يكون إنساناً كسائر الناس. فقالوا بعضهم لبعض «**أى إنسان هذا الذى حتى الرياح والبحر تطيعه؟ من عساه أن يكون هذا الذى حتى الريح والبحر يطيعانه؟ من هو هذا يا ترى، فإنه يأمر حتى الرياح والمياه فتطيعه؟**».

* * *

نعم، إن هذه الواقعة هى إحدى البينات على سلطان المسيح على المادة السائلة، إنها تستجيب لأمره وسلطانه، لأنه هو له المجد سيد الطبيعة كلها، وكما جاء فى سفر المزامير «**أبصرتك المياه يا الله. أبصرتك المياه ففزعت، وارتعدت أيضا اللجج**» (مزمور ٧٦: ١٦) «أيها الرب إله الجنود من مثلك. إنك قوى يارب، وحقك من حولك. **إنك متسلط على طغيان البحر. أنت تسكن أمواجه عند ارتفاعها**» (مزمور ٨٨: ٨، ٩) «**المسكن عجيج البحار، عجيج أمواجها**» (مزمور ٦٤: ٧) «يهدىء العاصفة فتسكن، **وتسكت أمواجها**» (مزمور ١٠٦: ٢٩).

* * *

سلطان المسيح على الهواء

ولقد أثبت المسيح له المجد سلطانه أيضا على المادة فى صورتها الغازية، فالمادة صورها ثلاث الصلبة، والسائلة والغازية.

ونحن نتبين سلطان المسيح على المادة فى صورتها الغازية، إذ **نرى سلطانه على الهواء وعلى الرياح.**

لقد (ركب سفينة مع تلاميذه... **ثم هبت عاصفة ريح شديدة**)، (فاضطرب البحر إضطرابا عظيما...) (فأخذت الأمواج تنهال على السفينة بقوة) (حتى غمرت الأمواج السفينة) (وأحاطت بهم فغمرتهم بالمياه، ومن ثم صاروا فى خطر)، فلما استغاث التلاميذ بالمعلم وقالوا (يارب نجنا، لقد هلكنا). (**حينئذ قام وانتهر الرياح... فسكتت الريح، (فحدث هدوء عظيم)**. فخاف الذين كانوا فى السفينة (خوفا عظيما، وذهلوا وقال بعضهم لبعض: «**أى إنسان هذا الذى حتى الرياح والبحر تطيعه؟**»، (**من عساه أن يكون هذا الذى حتى الريح والبحر يطيعانه؟**) (من هو هذا يا ترى؟ **فإنه يأمر حتى الرياح والمياه فتطيعه**) (متى ٨: ٢٣- ٢٧)، (مرقس ٤: ٣٥- ٤١)، (لوقا ٨: ٢٢- ٢٥).

* * *

ومن بينات سلطانه على الرياح أنه بعد أن صنع معجزة إشباع الألوف من الخمس الخبزات، وأمر تلاميذه أن يركبوا السفينة ويسبقوه إلى الضفة الأخرى، ففعلوا. وإذ صارت السفينة فى وسط البحر، وكانت تتقاذفها الأمواج، إذ كانت الريح مضادة لها... (**ففى الهزيع الرابع من الليل ذهب يسوع إليهم ماشياً على البحر**، ثم اتجه نحوهم وركب السفينة، **فسكتت الريح**، فذهلوا ذهولاً عظيماً، وقد استولت الدهشة عليهم لأنه بمجرد دخوله السفينة وكانت تتقاذفها الأمواج، **سكتت الريح** فى الحال، من دون أن يكلم الريح أو ينهرها أو يأمرها، سكتت وهدأت، وصمتت عن زئيرها وعنفها وشدتها، **إنها عرفته، فهدأت وصمتت فى حضرته تأدباً وخشوعاً وإجلالاً واحتراما**، الأمر الذى دعا الذين فى السفينة وأثارهم وأذهلهم فجاءوا إليه وسجدوا له متعبدين قائلين: «حقا أنت ابن الله» (متى ١٤: ٢٢- ٣٣)، (مرقس ٦: ٤٥-٥٢).

أليس حقاً أنه «**الذى طأطأ السماوات ونزل، وضباب تحت رجليه.. وهفّ على أجنحة الرياح**» (مزمور١٧: ٩، ١٠)؟ «الجاعل السحاب مركبته، «الماشى على **أجنحة الريح**» (مزمور١٠٣: ٣).

* * *

سلطان المسيح على النبات

كما أظهر المسيح له المجد سلطانه على المادة فى صورها جميعا، الصلبة والسائلة والغازية، كذلك أظهر المسيح **سلطانه على النبات.**

ومن البينات على ذلك ما يرويه الإنجيل أنه له المجد بعد أن دخل الهيكل فى أورشليم وطرد كل الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل وقلب مناضد الصيارفة ومقاعد بائعى الحمام، ثم تركهم وخرج من المدينة إلى بيت عنيا، وبات هناك، يقول: «وفيما كان عائدا فى الصباح إلى المدينة» (وفى الغد حين غادروا بيت عنيا) جاع. (وإذ رأى عن بعد شجرة تين مورقة اتجه إليها لعله يجد فيها شيئا). (بيد أنه حين دنا منها لم يجد فيها إلا الورق) (فقط)، (إذ لم يكن أوان التين بعد، فقال لها يسوع: «**لا يخرج منك ثمر بعد إلى الأبد**» فسمع تلاميذه ما قال، (**ففى الحال جفت شجرة التين**. فلما رأى التلاميذ ذلك دهشوا قائلين: «**كيف جفت فى الحال شجرة التين؟**»

وفى الصباح، فيما كانوا عابرين رأوا شجرة التين **وقد يبست من جذورها**. فتذكر بطرس وقال له: «**يا معلم ها إن شجرة التين التى لعنتها قد يبست**».

(متى ٢١: ١٢، ١٨- ٢٠)، (مرقس ١١: ١١، ١٢- ١٤، ٢٠- ٢١).

إن بتأملنا ما ذكره الإنجيل المقدس عن هذه الواقعة يستثير إهتمامنا قوله (وفيما كان عائدا فى الصباح من بيت عنيا إلى المدينة أورشليم جاع) ولا بد أن يكون هذا الجوع (تدبيرياً)، بمعنى أنه له المجد **أدخل على ذاته الجوع قصداً وتدبيراً لهدف روحى حكيم**، كما فعل مثلاً على جبل التجربة ليتيح لإبليس فرصة ليجربه «فصام أربعين نهاراً وأربعين ليلة، وأخيرا جاع. فجاء إليه المجرب..» (متى ٤: ١- ٣)، وكما أدخل على ذاته (العطش) ليبرر سؤاله للمرأة السامرية (فقال لها يسوع: «أعطينى لأشرب» (يوحنا ٤: ٧)، فقد كان عطشه إلى خلاص أهل السامرة لا إلى الماء المادى فإنه كما قال له المجد للسامرية «لو كنت تعرفين عطيه الله، **ومن هو الذى يقول لك أعطينى لأشرب، لطلبت أنت منه، فأعطاك ماءً حيّاً**» (يوحنا ٤: ١٠).

كذلك جوع المسيح له المجد وهو عائد فى الصباح من بيت عنيا إلى أورشليم، كان (**جوعا تدبيريا**)، **فقد أدخل على ذاته الجوع ليكون تبريراً مناسبا**، ليصنع المعجزة التى أثبت بها **سلطانه على النبات.**

ثم إن الإنجيل يذكر أن المسيح له المجد لم يجد فى شجرة التين شيئا عندما دنا منها، إلا ورقا فقط **(إذ لم يكن أوان التين بعد)**، فإذا كان قد لعن شجرة التين، وقال: **لا يخرج منك ثمر بعد إلى الأبد**، فلا يمكن أن يفهم من هذا أن المسيح يعاقب شجرة التين، وهى نبات، على أمر طبيعى، لا ذنب لها فيه، ولا خطأ منها **(إذ لم يكن أوان التين بعد)**. فلا بد أن نفهم من هذا أن المسيح له المجد، وهو المعلم الأعظم، قد اتّخذ من شجرة التين وسيلة إيضاح يشير بها إلى الأمة اليهودية التى جاء إليها فلم يجد فيها ثمراً، فعاقبها بحكم أصدره عليها بقوله: «**لا يخرج منك ثمر بعد إلى الأبد**» وهو من قبيل الحكم الذى أصدره على القيادات اليهودية فى مثل الكرم والكرامين. «فماذا يفعل بهم رب الكرم؟ إنه يأتى فيهلك أولئك الكرامين ويعطى الكرم لآخرين، إنه سيهلك أولئك الأشرار شر هلاك، ثم يؤجر الكرم لكرامين آخرين يعطونه الثمار فى حينها... لذلك أقول لكم «إن ملكوت الله سينزع منكم وتعطاه أمة تؤدى أثماره». (لوقا ٢٠: ١٥- ١٩)، (متى ٢١: ٤٠- ٤٣)، (مرقس ١٢: ٩).

على أن أهم ما يثير التأمل هو نفاذ الحكم من فم المسيح له المجد فوراً، ومن دون إمهال، «**ففى الحال جفت شجرة التين**». فلما رأى التلاميذ ذلك دهشوا قائلين: «**كيف جفت فى الحال شجرة التين**. وفى الصباح فيما كانوا عابرين رأوا شجرة التين، **وقد يبست من جذورها**». فتذكر بطرس وقال له: «يا معلم. **ها إن شجرة التين التى لعنتها قد يبست**».

وإذن فبمجرد أن لفظ المسيح له المجد الحكم على شجرة التين **جفت فى الحال**، ثم أنها أكثر من ذلك «**قد يبست من جذورها**». فالمعروف أن كل شجرة تسقط منها أوراقها فى الخريف، ولكنها لا تلبث فى الربيع أن تنبت أوراقها من جديد، طالما أن جذورها حية. أما شجرة التين التى لعنها المسيح **فلم تجف فقط ولكنها فضلاً** عن ذلك **قد يبست من جذورها**، فانقطع إلى الأبد كل أمل فى حياتها، وبالتالى فى أن تثمر ثمرا بعد.

لهذا دهش التلاميذ قائلين: «**كيف جفت فى الحال شجرة التين؟ ثم أنها أيضاً يبست من جذورها**».

ومهما يكن من أمر فهذه **إحدى البينات على سلطان المسيح على النبات**.

* * *

سلطان المسيح على الحيوان

وكما أظهر المسيح له المجد سلطانه الشامل على المادة فى جميع صورها الصلبة والسائلة والغازية، وسلطانه على النبات، كذلك أيضا أظهر سلطانه على الحيوان. والحيوان هو كل حى. ومع أن النباتات بأنواعها تدخل فى نطاق الكائنات الحية لأنها (تتنفس، وتتغذى، وتنمو وتتكاثر، وتحس)، وهو ما يعرف بالإدراك الحسى PERCEPTION وهو غير الإدراك العقلى CONCEPTION الذى يتميز به الإنسان. على أن تعبير (الحيوان) ينطبق على الحيوانات العجماوات بما فيها المواشى بأنواعها، والأسماك، والطيور، والحشرات، والميكروبات، وهى هذه الكائنات الصغيرة جداً، فضلا عن الإنسان، ولكن تمييزاً له عن سائر الكائنات الحية، يوصف الإنسان بأنه (حيوان ناطق) أى حيوان (عاقل).

وقد أثبت المسيح له المجد سلطانه على عالم الحيوانات العجماوات بأنواعها فى مناسبات مختلفة، منها ما ذكره الإنجيل فى معجزة (السمك الكثير).

«وإذ كانت الجموع تتزاحم حوله لسماع كلمة الله، وهو واقف عند بحيرة جنيسارت، رأى سفينتين راسيتين فى البحيرة، وقد خرج الصيادون **يغسلون شباكهم، فاعتلى إحدى السفينتين**، وكانت لسمعان، وطلب إليه أن يبتعد بها قليلاً عن البر، ثم جلس يعلم الجموع من فوق السفينة، حتى إذا فرغ من الكلام، قال لسمعان: «**تقدم إلى العمق وألقوا شباككم للصيد**».

فأجاب سمعان وقال له «يا معلم قد تعبنا الليل كله، فلم نحصل على شىء، ولكننا على كلمتك سنلقى الشباك. فلما فعلوا ذلك **حصلوا على عدد عظيم من السمك، حتى لقد أخذت شباكهم تتمزق**. فأشاروا إلى رفاقهم الذين كانوا فى السفينة الأخرى ليأتوا ويعاونوهم، **فأتوا وملأوا السفينتين، حتى كادتا أن تغرقا**. فلما رأى سمعان بطرس ذلك خر عند ركبتى يسوع قائلاً «**امض من عندى يارب، لأننى رجل خاطىء**» إذ أرتعب هو وكل الذين كانوا معه لكثرة السمك الذى حصلوا عليه. كما حدث ذلك ليعقوب ويوحنا ابنى زبدى اللذين كانا رفيقين لسمعان. فقال يسوع لسمعان «لا تخف، وإنك منذ الآن ستكون صياد بشر». ولما جاءوا بسفينتهم إلى البر تركوا كل شىء وتبعوه» (لوقا ٥: ١- ١١).

تكشف هذه المعجزة أموراً غريبة تستثير الانتباه وتثير التأمل مما يبرز بوضوح عظمة المعجزة، وتكشف بالتالى سلطان المسيح له المجد.

أما أولاً، فالمعجزة تمت (**فى الصباح المتأخر، أو قل فى الضحى**)، ذلك أن المسيح صنعها بعد أن علم الجماهير المزدحمة عند بحيرة جنيسارت وهى بحيرة طبرية والمعروفة أيضا ببحر الجليل. ولا نعرف على وجه الدقة كم من الوقت استغرقته عظة المسيح وتعليمه لهذه الجماهير المزدحمة وعلى حد تعبير الإنجيل «**كانت الجموع تتزاحم حوله لسماع كلمة الله**»، وهو واقف عند بحيرة جنيسارت. وليس الأمر يقتضى استخدام كثير من الذكاء حتى يحكم الإنسان على أن عظة المسيح وتعليمه قد استغرق بضع ساعات لإشباع هذه الجموع التى كانت (تتزاحم حوله لسماع كلمة الله).

واذن فقد (**تمت المعجزة فى الصباح المتأخر أو فى الضحى، وربما نحو الظهر**)

أما **ثانيا**، فإن الصيادين غسلوا شباكهم، وهذا يؤكد من جهة على توقيت المعجزة بأنها تمت فى وضح النهار، وكان الصيادون قد غسلوا شباكهم.

وهذا اعتراف مزدوج: اعتراف بتوقف الصيادين عن الصيد، واعتراف بفشلهم عن محاولة الصيد من جديد، وهو مايؤكده تقرير سمعان بطرس وهو الصياد المخضرم «**يا معلم قد تعبنا الليل كله، فلم نحصل على شىء**».

أما أن يأمر المسيح له المجد سمعان بطرس بعد أن فرغ من تعليم الجموع، وفى وقت الضحى القريب من الظهر، «**تقدم إلى العمق وألقوا شباككم للصيد**» فأمر المسيح يشذ عن القواعد المألوفة فى فن الصيد للسمك، إذ المعروف أن الصيد الناجح يكون **ليلاً، ولا يكون نهاراً**. ثم أن السمك فى النهار يذهب بعيدا إلى عمق البحر لذلك فإن الصيد الناجح يكون ليلاً، حيث يكون السمك بالقرب من شاطىء البحر أو البحيرة. أما أن المسيح يأمر سمعان بطرس قائلا: «**تقدم إلى العمق وألقوا شباككم للصيد**» فهو أمر بارتكاب المستحيل الذى يتعارض مع القوانين الطبيعية، ولذلك أجاب سمعان بطرس على سيده فورا «**يامعلم قد تعبنا الليل كله، فلم نحصل على شىء**» فبالأحرى فى وضح النهار لا نحصل على شىء. وكأنه يقول لسيده إنك تأمر بالمستحيل الذى يتعارض مع المألوف، وفقا لما درسناه فى فن الصيد، ومع طول خبرتنا التى اكتسبناها مع الأجيال.

ومعنى ذلك أن سمعان بطرس عجز عن أن يفهم معنى الأمر الصادر إليه من السيد المسيح، فإنه يتعارض مع علمه وخبرته، ولذلك تعبيرا عن عدم قناعته بالأمر الصادر من المسيح له

المجد، أجاب سيده ومعلمه بقوله: «**لكننا على كلمتك سنلقى الشباك**» أى أننا سنصنع ما أمرتنا به من منطلق الطاعة فقط، لأمر منك يخترق قوانين الطبيعة فى كل شىء، وهو ما لا يقبله المنطق، ولا يسيغه عقل الإنسان.

ولاشك أن تعارض أمر المسيح له المجد مع قوانين الصيد الطبيعية المستقرة، أبرزت عظمة المعجزة، والمعجزة معناها أمر خارق للطبيعة، وهو ما يعجز عنه البشر، ومن هنا فهذا هو معنى المعجزة. هى معجزة بالنسبة للإنسان، لا يقدر الإنسان على أن يصنعها، ولكنها غير معجزة بالنسبة لله وهو سيد الطبيعة، القادر على كل شىء، ولا يحول دون قدرته شىء.

فلما أطاع سمعان بطرس أمر المسيح حدث فى الحال ما بهر له سمعان «**فلما فعلوا ذلك حصلوا على عدد عظيم من السمك، حتى لقد أخذت شباكهم تتمزق**. فأشاروا إلى رفاقهم الذين كانوا فى السفينة الأخرى ليأتوا ويعاونوهم، فأتوا وملأوا السفينتين حتى كادتا أن تغرقا».

وهنا يتساءل الإنسان: **من أين أتى هذا العدد الكبير من السمك، الذى امتلأت به السفينتان** (حتى كادتا أن تغرقا)؟

إن السمك الذى عصى الصيادين المخضرمين ولم يستجب لمحاولاتهم (الليل كله) كيف تدفق على السفينة الأولى، ثم السفينة الثانية، بهذه الكثرة. أليس حقا إنه أطاع الأمر الصادر من المسيح له المجد، واستجاب للأمر بصورة لم يعرفها سمعان بطرس ورفاقه من قبل، وهو ما ذُهل له سمعان بطرس حتى أنه «**خر عند ركبتى يسوع قائلا: امض من عندى يارب، لأننى رجل خاطىء**»، إذ ارتعب هو وكل الذين كانوا معه لكثرة السمك الذى حصلوا عليه. كما حدث ذلك ليعقوب ويوحنا ابنى زبدى اللذين كانا رفيقين لسمعان».

وإذا كان سمعان بطرس من فيض ذهوله تجاسر وقال للرب يسوع «امض من عندى يارب» وهو تعبير يبدو فى ظاهره، وكأن سمعان يطرد السيد المسيح من سفينته. ولكن الحقيقة أن سمعان بطرس انسحق قلبه تواضعا أمام سيده وأحس أنه غير مستحق لهذه الكرامة العظيمة، وغير جدير لشرف وجود المسيح له المجد فى سفينته، وقد أعقب قوله «امض من عندى يارب» بقوله «**لأننى رجل خاطىء**». وإذن فمقولة سمعان بطرس كانت من منطلق احساسه العميق بحقارته ووضاعته أمام المسيح فى عظمته وجلاله وسلطانه. ولذلك فإن سمعان بطرس على ما

يقول الإنجيل «**خر عند ركبتى يسوع قائلا: امض من عندى يارب، لأننى رجل خاطىء**» وهذا إقرار منه بربوبية المسيح وألوهيته «امض من عندى يارب» وإقرار فى الآن نفسه بصغارته هو، أى سمعان، وحقارته، وعدم استحقاقه لشرف وجود المسيح فى سفينته. ولذلك فإن السيد المسيح لم يغضب من سمعان، ومن تعبيره الذى يبدو فى ظاهره أنه تعبير تجاوز فيه سمعان الأدب اللائق نحو سيده وسيد الخليقة كلها، وإنما على العكس عطف عليه لأنه يعلم قلب سمعان، وأنه من عمق إحساسه بجلال سيده ومعلمه قال ما قال، فقال يسوع لسمعان «**لا تخف، وإنك منذ الآن ستكون صياد بشر**».

أما السمك فكيف استجاب لأمر المسيح له المجد ولم يكن هناك أمر صريح منه للسمك؟

أيكون هذا معناه أن السمك عرف لغة سيده وسيد الطبيعة، على الرغم من أن الأمر مُوَجَّه إلى سمعان بطرس، فتحرك من تلقاء ذاته حباً وطاعة وتعبدا وإستجابة لخالق الطبيعة؟

ويبقى السؤال قائماً: **هل السمك يتعامل مع سيد الطبيعة وخالقه بلغة لا يفهمها الناس، ولكنها لغة حقيقية؟** وهو ما يذكرنا بقول الرب الإله لإيليا النبى «**وقد أمرت الغربان أن تعولك**» (١ . الملوك ١٧ : ٤).

وبعد، أليست هذه معجزة حقيقية بكل المقاييس؟ ثم أليست هذه بينة حقيقية على سلطان المسيح على السمك، وعلى الحيوان، وعلى كل الحيوانات العجماوات؟

إنه على الرغم من كل الظروف غير المواتية، وعلى الرغم من كل المعقول والمقبول فى عالم الإنسان، يصنع المسيح المعجزة التى يتخطى بها كل المعقول والمقبول، برهاناً على سلطانه المطلق على الطبيعة، الحية فضلاً عن المادة، وعلى النبات.

«**إنه يستطيع كل شىء ولا يعسر عليه أمر**(أيوب ٤٢ : ١) **هل يستحيل على الرب شىء؟**» (التكوين ١٨ : ١٤)

انظر (إرميا ٣٢ : ٢٧)، (لوقا ١٨ : ٢٧)، (متى ١٩ : ٢٦)، (مرقس ١٠ : ٢٧)، (١٤ : ٣٦)، (رومية ٤ : ٢١).

* * *

وثمت بينة أخرى على سلطان المسيح على الحيوان أظهرها له المجد بعد قيامته من بين الأموات.

قال الإنجيل:

«كان سمعان بطرس وتوما المدعو ديديموس، ونثنائيل الذى من قانا الجليل وابنا زبدى وإثنان آخران من تلاميذه مجتمعين معاً».

فقال لهم سمعان بطرس: «إننى ذاهب لأصطاد سمكاً». فقالوا له «ونحن أيضا نذهب معك»، ثم خرجوا وركبوا السفينة، إلا إنهم **لم يصيدوا فى تلك الليلة شيئاً**، حتى إذا طلع الصباح، وقف يسوع على الشاطىء، ولكن التلاميذ لم يعلموا أنه هو يسوع. فقال لهم يسوع «يافتيان ألديكم شىء يؤكل؟» أجابوه «لا» فقال لهم: «**ألقوا الشبكة من الجانب الأيمن للسفينة فتجدوا**» **فألقوها، وعندئذ لم يستطيعوا أن يجذبوها إلى فوق من كثرة السمك**. فقال التلميذ الذى كان يسوع يحبه لبطرس «**إنه الرب**». فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب اتزر بثوبه لأنه كان عريانا، ثم ألقى بنفسه فى البحر. وأما التلاميذ الآخرون، فجاءوا بالسفينة التى لم تكن تبعد عن الشاطىء إلا نحو مائتى ذراع، ثم أخذوا يجرون شبكة السمك. فلما جاءوا إلى الأرض تطلعوا فرأوا جمراً، وسمكا موضوعا عليه وخبزا. وقال لهم يسوع: «قدموا من السمك الذى اصطدتم الآن» فصعد سمعان بطرس وجر الشبكة إلى الأرض وهى **مكتظة سمكا كبيراً، مائة وثلاثاً وخمسين سمكة، ومع كثرة هذا العدد لم تتخرق الشبكة**. فقال لهم يسوع «هلموا تناولوا الطعام». ولم يجسر أحد من تلاميذه على أن يسأله: «من أنت؟» **لأنهم عرفوا أنه هو الرب**. ثم تقدم يسوع وأخذ الخبز وناولهم، وكذلك السمك» (يوحنا ٢١: ١- ١٤).

هنا أيضا فى تلك الحادثة، سبعة من تلاميذ المسيح خرجوا للصيد فى بحر طبرية، وعلى الرغم من أن موعد الصيد الناجح للسمك يكون ليلاً «إلا أنهم **لم يصيدوا فى تلك الليلة شيئا**» أفهل هرب السمك أيضا كما فى المرة الأولى حتى يستجيب لأمر سيده حين يأمر تلاميذه «**ألقوا الشبكة من الجانب الأيمن للسفينة فتجدوا**»؟. فألقوها، وعندئذ لم يستطيعوا أن يجذبوها إلى فوق من كثرة السمك.

أليس حقاً شيئا عجيبا وغريبا أن التلاميذ حاولوا محاولتهم ليلا وهو الموعد الطبيعى الذى

يكون فيه السمك قريبا إلى الشاطىء، «إلا أنهم لم يصيدوا فى تلك الليلة شيئا». أما عندما أصدر المسيح له المجد أمره إلى تلاميذه بأن يلقوا الشبكة من الجانب الأيمن للسفينة، لا يجدون فقط، على الرغم من أنه كان قد طلع الصباح، حيث يذهب السمك بعيدا عن متناول الصيادين، وإنما **يندفع السمك إلى الشبكة بكثرة عظيمة حتى أن التلاميذ لم يستطيعوا بعد أن أطاعوا أمر معلمهم أن يجذبوا الشبكة إلى فوق من كثرة السمك؟**

وإذن فبأى منطق نفهم تدفق السمك بهذه الكثرة بينما أنه قبل صدور الأمر من فم المسيح لم تكن ثمت إستجابة لمحاولات التلاميذ، وفى الوقت المعتاد للصيد وهو ليلاً، إلا أن يكون السمك قد استجاب تلقائيا لأمر المسيح بوصفه صاحب السلطان الذى تخضع لأمره الطبيعة كلها، والحيوان والسمك من بينها؟

هو سؤال مطروح: **من هذا الذى استجاب السمك لصوته، وأطاع بمجرد صدور الأمر للتلاميذ؟**

والجواب هو بغم يوحنا التلميذ الذى كان يسوع يحبه «إنه الرب». نعم إنه الرب، رب الناس والحيوان، رب الخلق جميعا، وسيد الوجود «**الكلمة الذى كل شىء به كان، وبغيره لم يكن شىء مما كان. وفيه كانت الحياة**» (يوحنا ١: ٣، ٤).

ويقول الإنجيل: ولم يجسر أحد من تلاميذه على أن يسأله: «من أنت؟»، «لأنهم عرفوا أنه هو الرب، فإنه **من هو الآخر الذى تستجيب الطبيعة لأمره؟**»

«أيها السيد الرب ها إنك قد صنعت السماوات والأرض بقوتك العظيمة وبذراعك الممدودة، **لا يعسر عليك شىء**» (إرميا ٣٢: ١٧) «لأنه **ليس ثمة مستحيل على الله**» (لوقا ١: ٣٧).

* * *

وبينة أخرى للدلالة على سلطان المسيح على الحيوانات العجماوات:

جاء فى الإنجيل:

«ثم عبروا إلى الضفة الأخرى للبحر، وجاءوا إلى أرض الجرجسيين، فما أن غادر السفينة حتى اتجه نحوه رجل خارج من بين القبور، فيه روح نجس، وكان يقيم بين القبور، ولم يكن أحد يستطيع تقييده ولو بالسلاسل، لأنه كثيرا ما كبلوه بالسلاسل والأغلال... فما كان فى

مقدور أحد أن يقهره. وكان لا يكف عن الصياح ليلاً ونهاراً فى القبور وفى الجبال وهو يجرح بالحجارة جسمه (ولم يكن يرتدى ثوبا، ولا يقيم فى بيت، وإنما فى القبور) فلما رأى يسوع من بعيد ركض وسجد له، (وارتمى عند قدميه) ثم صرخ بصوت عظيم قائلاً له «ما لك ولى يا يسوع ابن الله العلى؟ أستحلفك بالله ألا تعذبنى» إذ كان يسوع قد قال له «اخرج من الرجل أيها الروح النجس» (وكان قد استحوذ عليه منذ زمان طويل، فكانوا يكبلونه بالسلاسل ويصفدونه بالأغلال، فيحطم القيود ويسوقه الشيطان إلى البرارى. فسأله يسوع قائلاً: «ما اسمك؟») فأجاب قائلاً: (اسمى فيلق لأننا كثيرون، لأن شياطين كثيرين كانوا قد دخلوا فيه) «وتوسل إليه فى إلحاح ألا يطردهم خارج تلك الأرض» (وقد توسلوا إلى يسوع ألا يأمرهم بالذهاب إلى الغور الذى لا قرار له) وكان ثمة قطيع كبير من الخنازير يرعى عند الجبل، فتوسل إليه الشياطين قائلين: أن يأذن لهم بالدخول فيها فأذن لهم يسوع، (فقال لهم «اذهبوا») فخرجت الشياطين (الأرواح النجسة) على الفور ودخلت فى الخنازير، «فاندفع القطيع الذى كان عدده نحو الألفين وهوى من فوق الجوف فغرق فى البحر»، (ومات فى المياه) (وإذ رأى الرعاة ما حدث هربوا ومضوا إلى المدينة) «وأذاعوا الأمر فى كل المدينة وفى الضياع (وأخبروا بكل شىء وبما جرى)، فخرج الناس (أهلها) ليروا ما حدث» (فإذا المدينة كلها قد خرجت لملاقاة يسوع) «وأتوا إلى يسوع، فشاهدوا الرجل الذى كانت الشياطين فيه»، جالسا عند قدمى يسوع «مرتديا ثيابه سليم العقل، فخافوا. وقد أخبرهم الذين كانوا شهودا بما حدث للذى كانت الشياطين فيه وبما حل بالخنازير» فراحوا يطلبون إليه أن ينصرف عن نواحيهم» (إذ اعتراهم خوف عظيم، فركب السفينة ورجع. وقد توسل إليه الرجل الذى خرجت منه الشياطين أن يلازمه) «ولكن يسوع لم يأذن له وإنما قال له: عد إلى بيتك وإلى ذويك وأخبرهم بما صنع الرب معك وبرحمته لك».

«فمضى وأخذ ينادى فى العشر المدن بما صنع يسوع معه. فكان الجميع يتعجبون» (مرقس ٥: ١- ٢٠)، (لوقا ٨: ٢٦- ٣٩)، (متى ٨: ٢٨- ٣٤).

* * *

سلطان المسيح الشامل على الإنسان

وكما أثبت السيد المسيح له المجد سلطانه المطلق والشامل على المادة فى كافة صورها: الصلبة، والسائلة، والغازية...

وأثبت أيضا سلطانه على النبات،

وأثبت كذلك سلطانه على الحيوان،

هكذا أيضا أثبت بالبينات الواضحة **سلطانه الشامل والمطلق على الإنسان.**

ومن آيات ذلك سلطانه على شفاء جميع أمراض الناس بكل صورها

والأمراض أنواع:

ولعل أبرزها وأوضحها ما يعرف **بالأمراض الجسدية**، ومنها ما يصيب البدن كله بالوهن والضعف والهزال، والشلل...

ومنها ما يصيب عضوا أو أكثر من أعضاء الجسد فى الإنسان، كالعين والأنف والأذن والحنجرة واللسان، والأمراض الجلدية والتناسلية، والحميات بأنواعها وأمراض الكبد والكلى، وأمراض العظام والمفاصل، وأمراض الجهاز الهضمى، وأمراض الجهاز الدموى، والقلب والشرايين... والسكر والضغط... ثم السرطان بأنواعه...

تلك وغيرها ما يسمى بالأمراض الجسدية مما يدخل فى إختصاصات الطب البشرى بكافة أنواعه وفروعه وتخصصاته...

ولكن هناك من الأمراض ما يسمى بالأمراض **النفسية والنفس جسمية** Psychosomatics

وثمة أيضا أنواع أخرى من الأمراض، منها ما يسمى **بالأمراض العقلية**، ومنها ما يسمى **بالأمراض العصبية.**

وفضلا عن كل ذلك فهناك الأمراض المتسببة عن مس **الشياطين والأرواح النجسة وإمتلاكها للروح والجسد فى الإنسان، وربطها للجسم كله أو بعض أعضائه.**

ولكل هذه الأنواع من الأمراض أطباء مختصون.

فالطب البشرى يعالج الأمراض الجسدية بأنواعها.

ثم **الطب النفسى** له إخصائيون، وكذلك **الطب العقلى والعصبى، والطب الروحى**

الذى يعالج المصابين بمس من الشياطين والجان والأرواح النجسة.

وعلى الإنسان المريض بأى من تلك الأمراض، أن يذهب إلى الطبيب المختص بنوع المرض الذى أصابه. وقد يختلف إلى عدد من الأطباء، وقد يضل الطريق إلى أن يهتدى أخيراً إلى الطبيب الإخصائى الذى يمكنه من واقع خبرته ودراساته النظرية والعملية أن يشخص المرض، ويصف العلاج...

على أنه فى غير مقدور أحد من الأطباء مهما بلغت مهارته وخبرته فى فنه وعمله أن يعالج جميع الأمراض.

* * *

أما السيد المسيح له المجد **فهو وحده الذى أثبت سلطانا مطلقا وشاملاً على شفاء جميع الأمراض كافة، على إختلاف أنواعها، جسدية، ونفسية وعصبية وعقلية، وكذلك جميع الأمراض المتسببة عن مس الشياطين والأرواح النجسة، وإمتلاكها للإنسان كله روحا وجسداً، وربطها له، وإخضاعه لسيطرتها.**

ليس ثمت مرض واحد استعصى على المسيح له المجد، أياً كان نوع هذا المرض، جسديا أو نفسيا، أو عِصبيا، أو روحيا. جميع الأمراض بلا إستثناء خضعت لسلطانه ولم تخرج عن دائرة إختصاصه. وهو أمر ينفرد به المسيح له المجد. فما من طبيب من بنى البشر يمكنه أن يعالج كل مرض. **المسيح وحده هو الذى عالج كل مرض**، وليس مجرد علاج، ولكنه **كان يشفى جميع الأمراض وبكافة أنواعها**، ويشفى شفاء تاما، ويشفى فورا، وفى الحال، وبدون إبطاء.

لقد ذكر الإنجيل المقدس بعض معجزات الشفاء ولكنه لم يذكر جميع تلك المعجزات، لأنها كثيرة ولا يحصيها العد، ولم يكن فى الإمكان تسجيلها تفصيلاً أو إجمالاً.

قال الإنجيل للقديس يوحنا فى ختام الإنجيل

«وثمة أشياء كثيرة أخرى صنعها يسوع **لو أنها كتبت واحدة فواحدة فلا أظن أن العالم نفسه يسع الكتب التى تكتب**» (يوحنا ٢١: ٢٥).

وقال أيضا «وقد صنع يسوع أمام تلاميذه **آيات أخرى كثيرة، لم تكتب فى هذا الكتاب**، «وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم إن آمنتم الحياة الأبدية باسمه» (يوحنا ٢٠: ٣٠، ٣١).

وما أكثر ما ورد فى الإنجيل من إشارات إلى شفاء المسيح له المجد للمرضى من كل نوع، وبسلطان مطلق وشامل لجميع المرضى ولجميع الأمراض.

جاء فى الإنجيل قوله:

«وكان يسوع يطوف فى الجليل كله، يعلم فى مجامعهم وينادى ببشارة الملكوت، **ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب**. فذاعت شهرته فى سوريا كلها، فكانوا يجيئون إليه **بكل المعذبين بأمراض وأوجاع مختلفة والذين تسكنهم الشياطين والمصابين بالصرع والفالج، فكان يشفيهم**» (متى ٤: ٢٣، ٢٤)

وجاء فى الإنجيل قوله:

«وقام يسوع وخرج من المجمع، ثم دخل بيت سمعان. وكانت حماة سمعان (مطروحة) قد أصيبت بحمى شديدة، فتوسلوا إليه من أجلها. فاقترب منها (قلمس يدها) **وزجر الحمى ففارقتها، وقامت على الفور وراحت تخدمهم**». وعند غروب الشمس كان **جميع الذين لديهم مرضى بعلل مختلفة قد جاءوا بهم إليه**، (وقد اجتمعت المدينة كلها عند الباب) **فكان يضع يديه على كل منهم فيشفيهم. (وجاءوا إليه بكثيرين ممن بهم شياطين. فكان يطرد الأرواح بكلمة منه، ويشفى جميع المرضى**، لكى يتم ما قيل بفم إشعياء النبى القائل «إنه أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا») (لوقا ٤: ٣٨- ٤١)، (متى ٨: ١٤- ١٧)، (مرقس ١: ٣٢- ٣٤)، (١: ٣٩).

أليس مما يثير الإنتباه حقا إنه له المجد **كان يشفى جميع المرضى ممن تقدموا إليه وممن قدموهم إليه؟**

«**إنه حقا يستطيع كل شىء ولا يعسر عليه أمر**» (أيوب ٤٢: ٢)

ويقول الإنجيل أيضا فى موضع آخر:

«وكان يسوع يطوف بكل المدن والقرى يعلم فى مجامعهم، **ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب..**» (متى ٩: ٣٥)

«ومن ثم إزداد أمره ذيوعاً **فتوافدت جموع عظيمة ليستمعوا إليه وينالوا الشفاء به من أمراضهم**» (لوقا ٥: ١٥) «جاءوا من كل بلاد الجليل واليهودية وأورشليم، **وقد حلت قوة الرب لشفائهم**» (لوقا ٥: ١٧).

كذلك يروى الإنجيل أن يوحنا المعمدان وكان مسجونا بالسجن فأرسل إثنين من تلاميذه إلى المسيح له المجد يقولان له: «أأنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟» ويبدو أن هذين التلميذين من تلاميذ يوحنا كانا الوحيدين اللذين لم يتبعا المسيح له المجد، فأراد يوحنا المعمدان، وهو على أهبة نهاية حياته ينتظر، وهو فى السجن، الحكم عليه بالإعدام (أن يحث هذين التلميذين على أن يتبعا سيده المسيح كما فعل الآخرون من تلاميذ يوحنا، ولكنه أراد لهما أن يذهبا إلى المسيح يسوع ويسمعا منه ويشهدا معجزاته، فيؤمنان به بإختيارهما وإرادتهما، فأرسلهما إلى السيد المسيح يسألانه: أأنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟ «**والسؤال هو سؤال التلميذين** وقد أرسلهما يوحنا إلى المسيح ليسمعا من فم الرب يسوع الجواب المقنع، فيؤمنا به. فذهبا بالفعل وسمعا الجواب عمليا إذ شاهدا بعيونهما أعمال قوته ومعجزاته، «وفى تلك الساعة **شفى كثيرين من أمراضهم وعللهم ومن الأرواح الشريرة، ووهب البصر لعميان كثيرين**» فأجاب يسوع وقال لهما: اذهبا وأخبرا يوحنا بما تريان وما تسمعان: **العمى يبصرون، والمقعدون يمشون، والبرص يطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يبشرون**، ومغبوط من لا يشك فى» (لوقا ٧: ١٨- ٢١)، (متى ١١: ١- ٥)

وهكذا يظهر سلطان المسيح المطلق على **شفاء جميع الأمراض، وجميع المرضى على إختلاف أمراضهم الجسدية والروحية «العمى يبصرون، والمقعدون يمشون، والبرص يطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون» أى جميعهم، وبدون إستثناء.**

ويقول الإنجيل أيضا إن المسيح يسوع «إذ علم أن الفريسيين تآمروا عليه لكى يهلكوه.. انصرف من هناك **وتبعته جموع عظيمة فشفاهم جميعاً**» (متى ١٢: ١٤، ١٥).

وجاء فى الإنجيل أيضا قوله:

«مضى (يسوع) من هناك فى سفينة إلى موضع قفر منفرداً. وإذ سمع الشعب تبعوه ماشين من المدن. فلما خرج يسوع، **ورأى جمعاً عظيماً. تحنن عليهم وشفى مرضاهم**» (متى ١٤: ١٣، ١٤)

«وحين عبروا جاءوا إلى أرض جنيسارت. فلما عرفه أهل ذلك المكان أرسلوا إلى كل النواحى المحيطة بتلك الجهة **وأحضروا إليه كل المرضى**، وتوسلوا إليه أن يلمسوا ولو طرف ردائه، **فشفى كل الذين لمسوه**» (متى ١٤: ٣٤- ٣٦)

ويقول الإنجيل أيضا «وجاء (يسوع) بالقرب من بحر الجليل وصعد إلى جبل وجلس هناك. **فأقبل عليه جمع عظيم وقد جاءوا معهم بمقعدين وعميان وصم وخرس وذوى عاهات وآخرين كثيرين وألقوا بهم عند قدمى يسوع، فشفاهم حتى لقد دهش الجمع، إذ رأوا الخرس يتكلمون، وذوى العاهات يبرأون، والمقعدين يمشون، والعميان يبصرون، والصم يسمعون**، فمجدوا إله إسرائيل» (متى ١٥: ٢٩- ٣١)

وهكذا نقرأ أيضا فى الإنجيل قوله:

«ولما أتم يسوع هذه الأقوال غادر الجليل وجاء إلى نواحى اليهودية عبر الأردن، **فتبعته جموع عظيمة فشفاهم هناك**» (متى ١٩: ١، ٢)

كذلك جاء عنه أنه إذ دخل هيكل الله وطرد كل الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل وقلب مناضد الصيارفة ومقاعد بائعى الحمام،... «**تقدم إليه فى الهيكل العمى والمقعدون فشفاهم**» (متى ٢١: ١٢- ١٤)

وجاء فى الإنجيل قوله:

«**وكان قد شفى كثيرين، ومن ثم كانوا يتهافتون عليه ليلمسه كل من به مرض**». **أما الأرواح النجسة فكانت حين تراه تخر ساجدة له وتصرخ قائلة: «إنك أنت هو ابن الله»** (مرقس ٣: ١٠، ١١)

وفى موضع آخر يقول الإنجيل:

«**فأسرعوا من كل الأنحاء المحيطة حاملين المرضى على الأسرة إلى حيث سمعوا أنه هناك. وحيثما دخل فى القرى أو المدن أو الضياع، كانوا يضعون المرضى فى الشوارع والأسواق، ويتضرعون إليه أن يلمسوا ولو طرف ردائه، فكان كل من يلمسه يشفى**» (مرقس ٦: ٥٤- ٥٦)

وقد دهشوا أشد الدهشة قائلين «إنه أبدع فى كل ما فعل **وقد جعل الصم يسمعون والخرس يتكلمون**» (مرقس ٧: ٣٧)

«**وجمهور عظيم من الشعب جاءوا من كل اليهودية وأورشليم، ومن ساحل صور وصيداء، ليسمعوه وليبرئهم من أمراضهم. والذين كانت تعذبهم الأرواح النجسة كان يشفيهم. وكان الجميع يتهافتون عليه ليلمسوه لأن قوة كانت تخرج**

منه فتبرئهم جميعا، (لوقا ٦: ١٧- ١٩)

انظر أيضا (لوقا ٨: ٢، ٣)، (لوقا ٩: ١١)، (يوحنا ٦: ٢)

وجاء فى سفر أعمال الرسل قوله:

«يسوع الناصرى الذى جاء يعمل الخير ويجول من مكان إلى آخر، **ويشفى جميع الذين تسلط عليهم إبليس،** (أعمال الرسل ١٠: ٣٨)

أليس هذا هو ما أنبأ عنه الأنبياء بروح القدس: «**هو يأتى ويخلصكم. حينئذ تتفتح عيون العمى وآذان الصم تتفتح. وحينئذ يطفر الأعرج كالأيل ويترنم لسان الأبكم (الأخرس)** لأنه قد انفجرت فى البرية مياه وأنهار فى القفر» (نبوءة إشعياء ٣٥: ٤- ٦).

* * *

وأضاف المسيح له المجد على بينات سلطانه الشامل على **شفاء جميع الأمراض بأنواعها، جسدية وروحية،** أنه أعطى تلاميذه الإثنى عشر **سلطانا على شفاء جميع الأمراض،** وهذه **بينة كبرى على ألوهته وربوبيته، فإنه يملك لذاته هذا السلطان بل يملك أيضا أن يمنحه لمن يشاء أن يمنحه إياه.**

من ذلك ما ذكره الإنجيل المقدس:

«ثم دعا تلاميذه الإثنى عشر **وأعطاهم سلطانا على الأرواح النجسة ليطردوها، ويشفوا كل مرضٍ وكل ضعفٍ،** (متى ١٠: ١)، (مرقس ٣: ١٤، ١٥)

ولاشك أن هذا النص المقدس يبرهن برهانا قاطعا على سلطان المسيح الشامل، **فإنه يملك هذا السلطان ليس لذاته فقط، ولكنه يمنحه للإثنى عشر. وما منحه لتلاميذه الإثنى عشر ليس سلطانا محدوداً أو مقيدا، وإنما هو سلطان شامل أيضا لشفاء كل مرض، وكل ضعف، ثم سلطان شامل على الأرواح النجسة ليخرجوها ويطردوها،** وهو هذا السلطان الذى أشار إليه صراحة القديس بطرس عندما شفى الرجل الأعرج من بطن أمه بقوله له: «لا فضة عندى ولا ذهب، ولكننى أعطيك ما عندى: **باسم يسوع المسيح الناصرى:** قم وامش، ثم أمسكه بيده اليمنى وأنهضه. ففى الحال اشتدت قدماه وكعباه، ووقف واثبا وطفق يمشى، ودخل الهيكل معهما ماشيا وهو يطفر ويسبح الله. فأبصره

الشعب كله وهو يمشي ويسبح الله وعرفوا أنه هو الذى كان يجلس عند الباب الجميل للهيكل، يلتمس الصدقة، فامتلأوا رهبة ودهشا مما جرى له. وبينما هو يلازم بطرس ويوحنا، تراكض إليهم الشعب كله نحو الرواق المسمى رواق سليمان، وهم فى ذهول. فلما رأى بطرس ذلك أجاب الشعب قائلا: أيها الرجال الإسرائيليون، ما بالكم تتعجبون من ذلك؟ **ولماذا تتفرسون فينا هكذا كأننا بقدرتنا أو تقوانا جعلنا هذا يمشى؟** إن إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب، إله آبائنا، قد مجد ابنه يسوع الذى أسلمتموه أنتم وأنكرتموه فى حضرة بيلاطس وطالبتم بأن يطلق لكم رجل قاتل. **أما رئيس الحياة فقتلتموه**... ونحن شهود له. **وبالإيمان باسمه تقوى هذا الذى أنتم ترونه وتعرفونه، واسمه شدده. والإيمان به هو الذى منحه هذه الصحة الكاملة أمامكم جميعاً،** (أعمال الرسل ٣: ٦- ١٦)

وبهذا السلطان الممنوح من المسيح له المجد شفى القديس بطرس إنسانا اسمه إينياس وكان معوقا منبطحاً كسيحا يلزم الفراش منذ ثمانى سنين، وكان مفلوجاً (مشلولا). فقال له بطرس: «يا إينياس شفاك يسوع المسيح، فقم وأصلح فراشك بيدك. **فقام للوقت**، ورآه جميع سكان لده وشارون» (أعمال الرسل ٩: ٣٢- ٣٥) لم يكن هذا السلطان الذى استخدمه القديس بطرس الذى شفى به مريضا منذ ثمان سنين، فقام فى الحال، **لم يكن سلطان بطرس وإنما كان سلطان المسيح الموهوب والممنوح لبطرس مع سائر التلاميذ**، وكذلك ما صنعه القديس بطرس مع طابيثا إذ أقامها من الموت بعد أن ماتت وغسلوها ووضعوها فى علية، إذ جثا على ركبتيه وصلى ثم إلتفت إلى الجثمان، وقال: «**يا طابيثا قومى. ففتحت عينيها**. ولما أبصرت بطرس جلست، فمد إليها يده وأنهضها ثم دعا القديسين والأرامل وأحضرها حية» (أعمال الرسل ٩: ٣٦- ٤١)

ولم يكن سلطان بطرس الذى كان يشفى المرضى فى الكنيسة الأولى «**حتى إنهم كانوا يحملون المرضى خارجاً فى الشوارع ويضعونهم على فرش وأسرة، حتى إذا جاء بطرس يخيم ولو ظله على أحد منهم**. واجتمع جمهور المدن المحيطة إلى أورشليم حاملين مرضى ومعذبين من أرواح نجسة وكانوا يبرأون جميعهم» (أعمال الرسل ٥: ١٥، ١٦) وإنما بالأحرى كان **هو سلطان المسيح الذى منحه المسيح له المجد إلى الإثنى عشر رسولاً ومنهم مار بطرس أحد الإثنى عشر**...

* * *

طرائق الشفاء

وكما أظهر المسيح له المجد سلطانه الشامل فى شفاء جميع الأمراض على مختلف أنواعها، جسدية ونفسية وروحية، ولم يعص عليه مرض من أى نوع، الأمر الذى لم يحدث مثله فى كل تاريخ الإنسانية.

كذلك كانت طرائقه فى الشفاء متنوعة بحسب غنى نعمته ورحمته.

- ١ -

كان يشفى المرضى بوضع يديه

فما أكثر ما كان يشفى المسيح المرضى بوضع يده أو كلتا يديه على المريض أو على العضو المريض فيشفى، من دون ضراعة أو ابتهال أو استمداد قوة من خارج ذاته، مما يدل على أن له القوة والقدرة وفيه القوة والقدرة، ولا يستمدها من مصدر آخر، أو كائن آخر.

جاء فى الإنجيل

«وقام يسوع وخرج من المجمع... وعند غروب الشمس كان جميع الذين لديهم مرضى **بعلل مختلفة** قد جاءوا بهم إليه. **فكان يضع يديه على كل منهم فيشفيهم**» (لوقا ٤: ٤٠)

ومعنى ذلك أنه **مهما كان نوع المرض، عضويا أو شاملا البدن كله، فكان يشفيه له المجد بوضع يديه على رأس المريض أو على عينيه أو أذنيه أو بدنه كله أو جزء منه فيشفيه فوراً.**

وفى كفر ناحوم «**وضع يديه على المرضى فشفاهم**» (مرقس ٦: ٥)

وفى بيت صيدا قدموا إليه أعمى وتوسلوا إليه أن يلمسه «**فوضع يديه على عينيه فتطلع بقوة فشفى، ورأى كل شيء بوضوح**» (مرقس ٨: ٢٢- ٢٥)

وإمرأة كان قد استولى عليها روح أصابها بمرض منذ ثمانية عشر عاماً، فكانت منحنية ولم تكن لتستطيع أن تنتصب البتة. فلما رآها يسوع دعاها إليه وقال لها: أيتها المرأة إنك محلولة الوثاق من مرضك. «**ووضع يديه عليها، ففى الحال انتصبت قائمة ومجدت الله**» (لوقا ١٣: ١١- ١٣)

ومرّ فى صيدا نحو بحر الجليل... فأحضروا إليه أصمّ أخرس وتوسلوا إليه أن يضع يده عليه فانتحى به بعيداً عن الجمع ووضع أصابعه فى أذنيه وتفل ولمس لسانه... وقال «إفتح أى انفتح. فانفتحت فى الحال أذناه وانحلت عقدة لسانه وتكلم بطلاقة» (مرقس ٧: ٣١- ٣٥).

وبناء على هذا، عندما مرضت إبنة يايروس رئيس المجمع لما رأى يايروس المسيح له المجد «خر عند قدميه وأخذ يضرع إليه فى إلحاح قائلاً: إن ابنتى مشرفة على الموت. تعال ضع يدك عليها، فتنجو وتحيا» فذهب معه (مرقس ٥: ٢٢- ٢٤)، (لوقا ٨: ٤١، ٤٢).

- ٢ -

وكان يشفى المرضى بلمسة من يده

يقول الإنجيل:

«ودخل إحدى المدن، **فإذا رجل يملأ البرص جسده**، حين رأى يسوع، خر على وجهه (وسجد له) (وجثا على ركبتيه أمامه) وتوسل إليه قائلاً (فى ضراعة): «يارب، إن كنت تريد فأنت قادر على أن تطهرنى» فأشفق عليه يسوع **ومد يسوع يده ولمسه** قائلاً له: «**أريد فأطهر**، **ففى الحال ذهب عنه البرص (طهر من برصه)**»، (لوقا ٥: ١٢، ١٣)، (متى ٨: ٢، ٣)، (مرقس ١: ٤٠- ٤٢)

إن الرب يسوع شفى الأبرص الذى كان البرص يملأ جسده كله، **بلمسة من يده وبكلمة منه (أريد فأطهر) ومن دون ضراعة أو ابتهال**. هل رأت البشرية فى كل تاريخها طبيبا يشفى مريضاً غطى البرص كل جسده، بلمسة من يديه، من دون أن يستخدم وسيلة ما من وسائل العلاج، ودون أن يستمد قوة خارجاً عن ذاته، ثم يتم الشفاء فى الحال «**فى الحال طهر من برصه**» **ودون إبطاء أو إمهال؟**

وحادثة أخرى

يقول الإنجيل:

ولما مضى يسوع من هناك، تبعه أعميان يصرخان قائلين: «يا ابن داود ارحمنا» حتى إذا دخل البيت جاء الأعميان إليه فقال يسوع لهما: «أتؤمنان بأنى قادر أن أفعل هذا؟» فقالا له. «نعم يارب». «**فلمس أعينهما.. فانفتحت أعينهما**» (متى ٩: ٢٧- ٣٠)

وجاء فى الإنجيل أيضا

«وفيما هم خارجون من أريحا، تبعه جمع عظيم، وإذا أعميان كانا جالسين على جانب الطريق»، سمعا أن يسوع مجتاز، فصرخا قائلين: «يا ربنا يا بن داود ارحمنا» فانتهرهما الجمع

ليسكتا، ولكنهما إزدادا صراخا قائلين: «ياربنا يا بن داود ارحمنا»، فتوقف يسوع ودعاهما وقال: «مَاذا تريدان أن أفعل لكما؟» قالا له: «**يارب أن تفتح أعيننا**»، فتحنن يسوع **ولمس أعينهما، ففى الحال أبصرا** وتبعاه» (متى ٢٠: ٢٩- ٣٤)

وجاء فى الإنجيل أيضا

«ثم غادر حدود صور، ومر فى صيدا نحو بحر الجليل.. فأحضروا إليه أصم أخرس وتوسلوا إليه **أن يضع يده عليه. فانتحى به بعيدا عن الجمع ووضع أصابعه فى أذنيه وتفل ولمس لسانه.. فانفتحت فى الحال أذناه وانحلت عقدة لسانه وتكلم بطلاقة**» (مرقس ٧: ٣١- ٣٥)

كذلك جاء عن شفائه لحماة سمعان:

«وبعد أن خرجوا من المجمع، دخلوا بيت سمعان وأندراوس، ومعهم يعقوب ويوحنا، وكانت حماة سمعان (مطروحة) ترقد محمومة (**قد أصيبت بحمى شديدة**) فتوسلوا إليه من أجلها). فاقترب منها وزجر الحمى (فلمس يدها)، وأمسك بيدها وأنهضها ففارقتها الحمى فى الحال، (**وقامت على الفور وراحت تخدمهم**) (مرقس ١: ٢٩- ٣١)، (لوقا ٤: ٣٨، ٣٩)، (متى ٨: ١٤، ١٥).

ولهذا كانت جماهير المرضى تتهافت على أن تلمسه «**وكان الجميع يتهافتون عليه ليلمسوه لأن قوة كانت تخرج منه فتبرئهم جميعاً**» (لوقا ٦: ١٩).

- ٣ -

الشفاء بالتفل والطين

وهذه الطريقة استخدمها المسيح له المجد فى شفاء المولود أعمى، وقد كان هذا الرجل أعمى تماما. كانت مقلتاه فارغتين أى لم تكن له عينان، وفى هذا يختلف عن عميان آخرين، ممن لهم عينان ولكن العصب البصرى تالف أو معطل. فالمسيح له المجد شفاه بأن تفل على الأرض ثم صنع من التفل طينا ووضعه على عينى الأعمى، وبذلك خلق له عينين من الطين.

قال الإنجيل:

«وفيما هو مجتاز، رأى رجلا أعمى منذ ولادته... ثم تفل على الأرض وصنع من التفل طينا ووضعه على عينى المولود أعمى». وقال له: «اذهب فاغسل وجهك فى بركة سلوام... فذهب وغسل وجهه وعاد بصيراً» (يوحنا ٩: ١- ٧).

نعم، لو كان للمولود أعمى عينان فى مقلتيه وكانت علته هى تلف أو عطل فى العصب البصرى لكان يكفى أن يلمسه المسيح له المجد بيده أو بكلتا يديه كما فعل مع آخرين ومنهم بارتيماوس الأعمى ابن تيماوس الذى ما إن سمع أن يسوع الناصرى مقبل حتى طفق يصرخ قائلا: «يا يسوع بن داود ارحمنى». فوقف يسوع، وكان خارجا من أريحا وقال: «ادعوه» فدعوا الأعمى قائلين له: «اطمئن. قم وتعال، فإنه يدعوك» فوثب طارحاً عنه رداءه وجاء إلى يسوع. فقال له يسوع «ماذا تريد أن أفعل لك؟» قال له الأعمى «يارب، أن أبصر» فقال له يسوع: **«اذهب، «فأبصر على الفور»** (مرقس ١٠: ٤٦- ٥٢)

أو كما فعل المسيح له المجد مع أعميين كانا جالسين على جانب الطريق، سمعا أن يسوع مجتاز، فصرخا قائلين: «ياربنا يابن داود، ارحمنا» فتوقف يسوع ودعاهما وقال: «ماذا تريدان أن أفعل لكما؟» قالا له: «يارب أن تفتح أعيننا»، **«فتحنن يسوع ولمس أعينهما. ففى الحال أبصرا وتبعاه»** (متى ٢٠: ٢٩- ٣٤).

أو كما فعل له المجد مع أعميين كانا يصرخان قائلين: «يا ابن داود ارحمنا» حتى إذا دخل البيت جاء الأعميان إليه فقال يسوع لهما: «أتؤمنان بأنى قادر أن أفعل هذا؟» فقالا له: «نعم يارب»، **فلمس أعينهما «فانفتحت أعينهما»** (متى ٩: ٢٧- ٣٠).

أما أن المسيح له المجد يشفى المولود أعمى بأن يتفل على الأرض ويصنع من التفل طينا ويضع الطين على عينى الأعمى، فهذا دليل ضمنى على أن الرجل **لم تكن له عينان فى مقلتيه، لذلك وضع الطين على موضع العينين ليخلق له من الطين عينين، إثباتا على أنه له المجد هو الكلمة الخالق الذى «كل شىء به كان، وبغيره لم يكن شيئا مما كان»** (يوحنا ١: ٣). وهكذا صنع الرب الإله فى خلق آدم الإنسان الأول «وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ فى أنفه نسمة حياة» (التكوين ٢: ٧) ولهذا السبب سمى الإنسان الأول (آدم)، أى أنه من «التراب الأحمر».

وجاء فى سفر نبوءة إشعياء توكيدا على نفس المعنى «ويل لمن يخاصم جابله، **وهو خزفة من خزف الأرض**. أيقول **الطين لجابله** ماذا تصنع أو عملك ليس له يدان» (إشعياء ٤٥: ٩)

وجاء فى نفس المعنى قوله: «والآن يارب أنت أبونا. **نحن الطين وأنت جابلنا**، ونحن كلنا عمل يديك» (إشعياء ٦٤: ٨)

انظر أيضا (إشعياء ٢٩: ١٦)، (إرميا ١٨: ١- ٦)، (رومية ٩: ٢٠، ٢١).

وجاء فى سفر أيوب قوله للرب «يداك جبلتانى وصورتانى بجملتى... أذكر **أنك قد صورتنى كالطين**» (أيوب ١٠: ٨، ٩) «**أنا أيضا من الطين تقرصت**» (أيوب ٣٣: ٦)، (٤: ١٩)

* * *

وإذن فهذا هو السبب لماذا شفى المسيح المولود أعمى بهذه الطريقة: أن يتفل على الأرض، ويصنع من التفل طينا، ويضع التفل على عينى الأعمى. فإنه بهذا أظهر المسيح له المجد سلطانه على الشفاء، **كما أظهر سلطانه على الخلق من عدم، فقد خلق للأعمى عينين من الطين بيانا على قدرته على الخلق من عدم «لأن به خلق العالمين»** (العبرانيين ١: ٢).

فإنه فيه خلق الكل ما فى السماوات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى.. الكل به وله قد خلق، الذى هو قبل كل شىء، وفيه يقوم الكل (كولوسى ١: ١٦، ١٧).

وبهذا شهد المولود أعمى، أن ما صنعه المسيح لا يصنعه بشر، فقال لليهود «**وما سمعنا منذ بدء الزمان أن إنسانا فتح عينى مولود أعمى**» (يوحنا ٩: ٣٢) ولذلك فإنه عندما لقيه المسيح له المجد وقال له: «**أتؤمن بابن الله**؟» أجاب وقال: «من هو يا سيدى فأؤمن به؟» فقال له يسوع: «إنك تراه، وهو هو الذى يكلمك» فقال «**أؤمن ياسيدى**، **ثم سجد له**» (يوحنا ٩: ٣٥- ٣٨).

لقد أدرك المولود أعمى أن ما صنعه المسيح معه هو برهان لاهوته، **إذ خلق له عينين**، الأمر الذى لا يقدر عليه إنسان، وهو المعنى الذى عبر عنه بعض اليهود فى معجزة إقامة لعازر من الموت بعد أن صار له فى القبر أربعة أيام قال بعض منهم: «**أما كان هذا الذى**

فتح عينى الأعمى منذ ولادته قادرا على أن لا يترك هذا أيضا يموت؟» (يوحنا ١١ : ٣٦، ٣٧)، وهذا إقرار منهم على أن معجزة تفتيح عينى المولود أعمى برهان على ألوهة المسيح وقدرته على الخلق، وهى بهذه **تفوق فى دلالتها على ألوهة المسيح، معجزة إقامة لعازر من الموت**، إذ أن إقامة لعازر هى استدعاء لروحه من عالم الموتى، أما جسده فموجود فى القبر. بيد أن معجزة تفتيح عينى المولود أعمى هى معجزة خلق وإيجاد من العدم، **فهى أقوى دلالة على ألوهة المسيح وبرهان على قدرته على الخلق، الذى هو بينة جلية على ألوهته.**

- ٤ -

التفل فى العضو المريض مع وضع اليدين

جاء فى الإنجيل:

«وجاءوا إلى بيت صيدا، فقدموا إليه أعمى وتوسلوا إليه أن يلمسه. **فأمسك بيد الأعمى** ومضى به إلى خارج القرية، **ثم تفل فى عينيه ووضع يديه عليه، وسأله هل يرى شيئا؟** فتطلع وقال: «أرى الناس كأنهم أشجار يمشون» **ثم عاد ووضع يديه على عينيه ثانية، فتطلع بقوة فشفى، ورأى كل شىء بوضوح»** (مرقس ٨: ٢٢- ٢٥)

ولسنا نعرف على وجه الدقة لماذا أمسك المسيح له المجد بيد الأعمى ومضى به إلى خارج القرية. لابد أن له فى ذلك حكمته. ولا نعرف كذلك لماذا شفى الأعمى على مرحلتين: فى المرحلة الأولى «**تفل فى عينيه ووضع يديه عليه**»، وسأله هل يري شيئا، فتطلع وقال: «أرى الناس كأنهم أشجار يمشون» وفى المرحلة الثانية: «**وضع يديه على عينيه ثانية**، فتطلع بقوة، فشفى ورأى كل شىء بوضوح». أفهل أراد أن يتدرج مع الأعمى، فيجعل شفاءه على مرحلتين ليثيره نفسيا ويحرك دوافعه الوجدانية والشعورية والذهنية، فينتقل إيمانيا وبالتدريج، إنتقالاً باطنيا وروحيا، ويصعد به خطوة خطوة، ويرتقى به فى إختبار الإيمان بعمل الله وقدرته وحكمته؟!

ومهما يكن من أمر فالشفاء للأعمى قد تم، وتطلع بقوة ووضوح تام فى الرؤية وشفى تماما شفاء كاملا بفعل قدرة المسيح له المجد، ومن دون أن يستمد المسيح قدرة خارجاً عن ذاته، فإنه منه القوة، وله القوة والقدرة.

- ٥ -

التفل مع اللمس للعضو المريض

ومرة أخرى يشفى المسيح رجلاً أصم وأخرس بأن **تفل ولمس لسانه**.

جاء فى الإنجيل:

«ثم غادر حدود صور، ومر فى صيدا نحو بحر الجليل مجتازا بين حدود العشر المدن، فأحضروا إليه **أصم أخرس** وتوسلوا إليه أن يضع يده عليه. فانتحى به بعيدا عن الجمع، **ووضع أصابعه فى أذنيه، وتفل ولمس لسانه. ثم رفع عينيه نحو السماء متنهدا وقال: «إفتح»، «أى انفتح. فانفتحت فى الحال أذناه وانحلت عقدة لسانه وتكلم بطلاقة»** (مرقس ٧: ٣١-٣٥)

وهنا لابد أن نثق أن للمسيح له المجد حكمته فى أن ينتحى بالرجل الأصم الأخرس بعيدا عن الجمع، تمشيا مع سياسته فى التكتم، وإخفاء قدراته عن الجمع وعن الشيطان خصوصا وقد قال الإنجيل صراحة بعد أن صنع المعجزة «فأوصاهم ألا يقولوا لأحد» (مرقس ٧: ٣٦) ثم إنه **(تفل ولمس لسان الرجل، وقال «إفتح»، أى انفتح** وحدثت المعجزة، **فانفتحت فى الحال أذناه، وانحلت عقدة لسانه وتكلم بطلاقة»)**.

فهنا فى هذه المعجزة **تم الشفاء بالتفل مع لمس اللسان مع الأمر الصادر** «افتح» أى انفتح. نعم بالتفل مع اللمس ثم الأمر الإلهى، من دون أن يستمد القوة خارجاً عن ذاته، لأن منه وله القوة (لوقا ٦: ١٩)، (٨: ٤٦)، (٢٢: ٤٣).

- ٦ -

الشفاء بلمس المريض للمسيح له المجد

وهذه طريقة جديدة: **المريض يتم شفاؤه بلمسه للسيد المسيح**.

من ذلك ما يقوله الإنجيل:

«وأما يسوع فانصرف مع تلاميذه إلى البحر، وتبعه جمع عظيم من الجليل واليهودية وأورشليم وأدومية وعبر الأردن، كما تبعه جمع عظيم آخر من أهل الجهات المحيطة بصور وصيدا، إذ كانوا قد سمعوا بما صنع فجاءوا إليه... لأنه كان قد شفى كثيرين، «**ومن ثم كانوا**

يتهافتون عليه ليلمسه كل من به مرض، (مرقس ٣: ٧- ١٠)

ويقول الإنجيل أيضا:

«وحيثما دخل فى القرى أو المدن أو الضياع، كانوا يضعون المرضى فى الشوارع والأسواق.. **فكان كل من يلمسه يشفى،** (مرقس ٦: ٥٦)

وجاء فى الإنجيل أيضا:

«وحين عبروا جاءوا إلى أرض جنيسارت، فلما عرفه أهل ذلك المكان أرسلوا إلى كل النواحى المحيطة بتلك الجهة، وأحضروا إليه كل المرضى... **فشفى كل الذين لمسوه،** (متى ١٤: ٣٤- ٣٦).

وجاء فى الإنجيل أيضا:

«ثم نزل معهم ووقف فى منبسط من الأرض هو وجماعة من تلاميذه، وجمهور عظيم من الشعب جاءوا من كل اليهودية وأورشليم ومن ساحل صور وصيدا، ليسمعوه وليبرئهم من أمراضهم... **وكان الجميع يتهافتون عليه ليلمسوه لأن قوة كانت تخرج منه فتبرئهم جميعاً،** (لوقا ٦: ١٧- ١٩).

- ٧ -

الشفاء بلمس هدب ثوب المسيح له المجد

جاء فى الإنجيل:

«وإذا إمرأة كانت مصابة بنزف دم منذ إثنى عشر عاماً، وقد عانت كثيرا من أطباء كثيرين، (وأنفقت كل ما تملك على الأطباء فلم يستطع أحد شفاءها)، فلم تجد أى فائدة، وإنما بالأحرى إزداد حالها سوءا. فلما سمعت عن يسوع جاءت من خلفه فى الزحام ولمست طرف ردائه، لأنها قالت فى نفسها: (**لو أننى لمست فقط رداءه لشفيت. «فجف معين نزفها فى الحال، فتوقف على الفور نزفها»**). **وأحست فى جسمها بأنها قد برئت من ذلك الداء. وعلى الفور علم يسوع فى نفسه بالقوة التى خرجت منه،** فأدار عينيه فى الجمع، وقال: من لمس ثيابى؟ (فأنكر الجميع). وقال بطرس والذين معه يا معلم إن الجمع يتزاحمون من حولك ويضغطون عليك ثم تقول من لمسنى؟ فقال يسوع «إن ثمة من لمسنى لأننى **عالم بالقوة التى خرجت منى»**. أما هو فكان يتطلع ليرى تلك التى فعلت هذا. فخافت المرأة وارتعدت لأنها كانت تعلم ما حدث لها. (فلما رأت المرأة أن أمرها لم يكن خافياً عليه،

جاءت مرتعدة وارتمت على قدميه) ثم تقدمت وخرت عند قدميه وأفضت إليه بالحقيقة كلها. (ثم اعترفت أمام كل الشعب بالسبب الذى من أجله لمسته، **وكيف أنها شفيت على الفور**). فقال لها: «تشجعى ياابنتى، إن إيمانك قد خلصك، (شفاكِ) فاذهبى بسلام وكونى معافاة من دائك». **«فشفيت المرأة منذ تلك الساعة»** (مرقس ٥: ٢٥- ٣٤)، (لوقا ٨: ٤٣- ٤٨)، (متى ٩: ١٩- ٢٢).

وجاء فى الإنجيل أيضا:

«وحين عبروا جاءوا إلى أرض جنيسارت، فلما عرفه أهل ذلك المكان أرسلوا إلى كل النواحى المحيطة بتلك الجهة **وأحضروا إليه كل المرضى، وتوسلوا إليه أن يلمسوا ولو طرف ردائه، فشفى كل الذين لمسوه»** (متى ١٤: ٣٤- ٣٦).

«وحيثما دخل فى القرى أو المدن أو الضياع، كانوا يضعون المرضى فى الشوارع والأسواق، ويتضرعون إليه **أن يلمسوا ولو طرف ردائه. فكان كل من يلمسه يشفى»** (مرقس ٦: ٥٦).

- ٨ -

الشفاء للمرضى عن بعد

ومن بينات سلطان المسيح على شفاء المرضى أنه يرسل أمره بالشفاء للمريض، وهو بعيد عنه، **أى من غير أن يضع يديه عليه، ومن غير أن يلمسه، فيشفى المريض فوراً، ويشفى شفاء تاما.**

من ذلك شفاؤه لعبد قائد المائة الرومانى فى كفر ناحوم.

جاء فى الإنجيل:

«وكان لقائد مائة عبد مريض قد أشرف على الموت، وكان عزيزا عليه. فلما سمع بيسوع أوفد إليه شيوخ اليهود يسألونه أن يأتى ويشفى عبده. فجاءوا إلى يسوع وتوسلوا إليه بإلحاح قائلين: «إنه يستحق منك هذا الصنيع. لأنه يحب أمتنا، وهو الذى بنى لنا المجمع (ثم جاء إليه قائد المائة وتضرع إليه قائلا: «يارب. إن غلامى منطرح فى البيت مفلوجاً معذباً أشد عذاب»، فقال له يسوع: «أنا أجىء وأشفيه») فمضى يسوع معهم، حتى إذا أصبح غير بعيد من البيت أرسل إليه قائد المائة بعض الأصدقاء قائلا له: «**يارب لا تتعب نفسك. فإننى لستُ مستحقا أن تدخل تحت سقف بيتى**، ومن ثم لست أجدنى مستحقا أن أجىء إليك. **لكن**

قل كلمة فيشفى غلامى. لأننى أنا أيضا رجل خاضع لسلطان، ولى جند تحت أمرى، فأنا أقول لهذا اذهب فيذهب، ولذاك ايتِ فيأتى، ولعبدى افعل هذا فيفعل». فلما سمع يسوع ذلك تعجب منه، والتفت إلى الجمع الذى كان يتبعه وقال: «الحق أقول لكم إنى لم أجد لدى أحد فى كل إسرائيل إيماناً بهذا القدر». (وأنى أقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشرق والمغرب، ويجلسون إلى المائدة مع إبراهيم وإسحق ويعقوب فى ملكوت السماوات، أما بنو الملكوت فيطرحون فى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء والصرير على الأسنان. ثم قال يسوع لقائد المائة: **اذهب وعلى حسب إيمانك فليكن لك. فشفى غلامه فى تلك الساعة**). فلما رجع الموفدون إلى البيت «**وجدوا أن العبد المريض قد شفى**» (لوقا ٧: ١- ١٠)، (متى٨: ٥- ١٣).

ففى هذه الواقعة شفى المسيح له المجد عبد قائد المائة من بعد، فلم يضع يده عليه ولم يلمسه، وإنما قال لقائد المائة اذهب، فشفى الغلام فى تلك الساعة. فلما رجع الموفدون إلى البيت **وجدوا أن العبد المريض الذى كان منطرحا فى البيت مفلوجا معذبا أشد عذاب قد شفى تماما**. فياله من سلطان إلهى!

* * *

كذلك صنع المسيح له المجد معجزة أخرى فى **كفر ناحوم** وهى شفاؤه لابن أحد رجال الحاشية الملكية وكان مشرفا على الموت، **شفاه من بعد، وهو فى قانا الجليل** بكلمة الأمر إلى أبيه، اذهب إن إبنك حى.

قال الإنجيل:

«وقد جاء يسوع ثانية إلى قانا الجليل»...

«وكان لأحد رجال الحاشية الملكية **ابن مريض فى كفر ناحوم**. فما إن سمع أن يسوع جاء من اليهودية إلى الجليل حتى انطلق إليه، وتوسل إليه أن يجىء ويشفى إبنه، إذ كان مشرفا على الموت». فقال له يسوع: «لا تؤمنون ما لم تروا آيات وعجائب. قال الرجل: هيا يا سيدى قبل أن يموت إبنى، فقال له يسوع: «**اذهب، إن إبنك حى**». فوثق الرجل بالكلمة التى قالها له يسوع وذهب. **وفيما هو ذاهب قابله خدمه وبشروه قائلين: «إن ابنك حى»**. فاستفسر منهم عن الساعة التى بدأ فيها يسترد صحته، فقالوا له: «**بالأمس فى الساعة السابعة زالت عنه الحمى**» فأدرك أبوه **أنها هى تلك الساعة التى قال له يسوع فيها: «إن إبنك حى**»، فآمن هو وكل أهل بيته» (يوحنا ٤: ٤٦- ٥٣).

المسيح ليس شافيا فقط
بل خالقا أيضا

كم من مرة شفى المسيح عميانا؟!. كثيرا جدا...

فكم من مرة يذكر الإنجيل أنه **شفى بالجملة عميانا كثيرين**... من ذلك قوله:

«فأقبل عليه جمع عظيم وقد جاءوا معهم بمقعدين **وعميان**... كثيرين وألقوا بهم عند قدمى يسوع، فشفاهم حتى لقد دهش الجمع إذ رأوا الخرس يتكلمون... **والعميان يبصرون**... فمجدوا إله إسرائيل» (١).

«وتقدم إليه فى الهيكل **العمى** والمقعدين فشفاهم» (٢).

وعندما أرسل يوحنا المعمدان إثنين من تلاميذه يقولان للرب يسوع: «أأنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟»، أجاب يسوع وقال لهما: أذهبا وأخبرا يوحنا بما تريان وما تسمعان: **العمى يبصرون**...» (٣).

وغير ذلك كثير (٤).

على أنه كان يشفى العميان عادة بأن يلمس بيديه عينيهم، أو بكلمة من فيه يصدرها إليهم، بالإبصار. وفى بعض الأحيان كان العمى فى بعضهم ناتجاً عن ربط الشيطان، وفى هذه الحالة كان إذا طرد الشيطان من الأعمى، أبصر فى الحال.

الشفاء باللمس:

من أمثلة الحالة الأولى، الشفاء باللمس، الأعميان اللذان شفاهما المسيح مخلصنا فى البيت، فى كفر ناحوم، وبعد أن سألهما: «أتؤمنان بأنى قادر أن أفعل هذا؟» فقالا له: «نعم يارب»، فلمس أعينهما قائلا: «على حسب إيمانكما فليكن لكما»، **فإنفتحت أعينهما** (٥).

وكذلك فعل فى شفاء الأعميين اللذين كانا جالسين على جانب الطريق فى أريحا «فتحنن يسوع **ولمس أعينهما**، ففى الحال أبصرا وتبعاه» (٦).

---

(١) متى ١٥: ٣٠، ٣١.
(٢) متى ٢١: ١٤.
(٣) متى (١١: ٢- ٥)، (لوقا ٧: ٢١، ٢٢).
(٤) أنظر (لوقا ٤: ١٨)، (يوحنا ١٠: ٢١).
(٥) متى ٩: ٢٧- ٣٠.
(٦) متى ٢٠: ٢٩- ٣٤.

وكذلك أعمى بيت صيدا، لما قدموه إليه وتوسلوا إليه أن يلمسه، أمسك بيده ومضى به **إلى** خارج القرية، **ثم تفل فى عينيه ووضع يديه عليه**، وسأله هل يرى شيئاً؟، فتطلع **وقال** «أرى الناس كأنهم أشجار يمشون». ثم عاد **ووضع يديه على عينيه ثانية**، فتطلع بقوة فشفى، ورأى كل شىء بوضوح» (١).

الشفاء بالأمر:

ومن أمثلة الحالة الثانية، وهى شفاء الأعمى بكلمة أمر يصدرها من فيه، ماصنعه له المجد فى شفاء بارتيماوس بن تيماوس:

«ثم جاءوا إلى أريحا، وفيما كان خارجاً من أريحا مع تلاميذه يصحبهم جمع غفير **كان** الأعمى بارتيماوس بن تيماوس جالساً على جانب الطريق يستعطى. فما أن سمع أن يسوع الناصرى مقبل حتى طفق يصرخ قائلاً: «يايسوع بن داود ارحمنى». فانتهره كثيرون ليسكت، ولكنه راح يصرخ أكثر وأكثر قائلاً: «يابن داود ارحمنى»، فوقف يسوع وقال: «ادعوه»، **فدعوا** الأعمى قائلين له: «اطمئن. قم وتعال، فإنه يدعوك»، فوثب طارحا عنه رداءه وجاء إلى يسوع. فقال له يسوع: «ماذا تريد أن أفعل لك؟» قال له الأعمى: «يارب، أن أبصر»، فقال له يسوع: «أبصر. **اذهب فإن إيمانك قد خلصك**»، فأبصر على الفور، وتبع يسوع فى الطريق، وهو يمجد الله. وجميع الشعب إذ رأوا سبحوا الله» (٢).

الشفاء بطرد الشيطان:

ومن الأمثلة على شفاء العمى الناتج عن ربط الشيطان رجل جىء به إلى الرب يسوع «وكان به شيطان وكان أعمى وأخرس، **فشفاه، حتى إن الأعمى الأخرس أبصر وتكلم**» (٣).

شفاء المولود أعمى

هذه المعجزة، معجزة شفاء المولود أعمى، إذن مختلفة تماماً عن غيرها من معجزات الشفاء، ومختلفة بالذات عن كل معجزة أخرى صنعها الرب يسوع فى شفاء العميان الآخرين، مختلفة من حيث الموضوع، ومختلفة أيضاً من حيث الشكل والكيفية.

---

(١) مرقس ٨: ٢٢- ٢٥.

(٢) (مرقس ١٠: ٤٦- ٥٢)، (لوقا ١٨: ٣٥- ٤٣).

(٣) متى ١٢: ٢٢.

أما من حيث الموضوع، فالعميان الآخرون الذين شفاهم رب المجد كانت لهم عيون، ولكنها ضعيفة وعاجزة عن الإبصار، مثلهم مثل سائر العميان ممن نراهم، ممن أصيبوا بالعمى نتيجة مرض كالرمد الصديدى أو الحبيبى، ولم يجدوا العلاج الناجح والعناية الكافية، أو أهمل الوالدين علاجهم أو قصروا فيه، وقصروا فى تهيئة وسائل النظافة، فتراكم الذباب عليهم، أو أضرهم التراب وغيره... وطال بهم المرض فاستفحل الداء، وأكل الصديد العين وتمزقت شبكيتها، وإنطفأ منها النور، وشيئا فشيئاً ماتت، مع بقائها فى المقلة بارزة أحياناً، وغائرة أحياناً، لكنها موجودة فى صورة تالفة.

ومن العميان من ولدوا بعيون سليمة، لكنها اختفت أثناء نزول الجنين من بطن أمه فى ولادة عسرة أضرت بالعصب البصرى، أو بالمقلة أو بالعدسة.

ومن العميان أيضاً من كانت لهم عيون، لكنها تلفت أثناء ولادة الجنين بفعل إفراز من جسم الأم، فقد تكون الأم مريضة بالسيلان، أو الزهرى فإذا نزلت نقطة منه على عينى الجنين أو واحدة منهما، أصيب الجنين بالعمى فى الحال. والعمى هذا يكون عجزاً عن الإبصار مع وجود العين...

أما حالة المولود أعمى الذى شفاه المسيح، فمختلفة عن كل تلك الحالات التى ذكرناها، لأن الرجل لم تكن له عينان فى موضع العينين، أى أنه ولد ناقصا منهما كمثل مايولد طفل بعضو ناقص مثل اليد، أو الرجل أو أحد أصابع اليد أو القدم.

وهذا يتضح من أكثر من قرينة:

أولا - أن السيد المسيح شفاه لا باللمس ولا بالأمر كما فعل مع عميان آخرين، وإنما بأن **تفل على الأرض وصنع من التفل طيناً، وطلى به عينى المولود أعمى...** وهذا معناه أنه خلق له بالطين عينين. فهنا عملية خلق لعضو ناقص بنفس الكيفية التى خلق الله بها آدم، إذ جبله ترابا من الأرض.

وإذن فالرجل لم تكن له عينان أصلاً فى موضع العينين، لم يكن نظير العميان الآخرين الذين أصيبوا بالعمى بعد ولادتهم، إذ كان مولوداً أعمى.

ولم يصبه العمى وهو نازل من بطن أمه بفعل اختناق فى ولادة عسرة، أو نتيجة لمرض خبيث، نزل على عينيه فأتلفهما. لكنه مولود أعمى تنقصه العينان تماما نقصا تشريحياً، وليس

مجرد تعطيل وظيفى فى فسيولوجية العينين، ولذلك فإن المسيح له المجد رد له العينين بأن خلق له عينين من جديد، خلقهما من التراب الذى تفل عليه فصار طينا، خلق به للرجل عينين.

ثانياً - إن المولود أعمى نفسه، برهن بحواره مع الكتبة والفريسيين، أن حادثة شفائه، أو رد البصر إليه، حادثة فريدة من نوعها، لم يسبق لها نظير منذ عاش الإنسان على الأرض ومنذ بدأ الخلق، ومنذ نشأ الوجود، قال: «لم يسمع منذ الدهر أن أحداً فتح عينى أعمى منذ ولادته» (يوحنا ٩: ٣٢).

إن عبارة المولود أعمى تدل على أن الحدث الذى صنعه الرب يسوع حدث فريد من نوعه، لم يسبق إليه منذ بدء الوجود. ولابد أن الرجل سمع من عميان كثيرين شفاهم الرب يسوع بلمسه من يده، أو بأمره، أو بإخراج الشيطان الذى يربط العينين عن الإبصار، ولكنه يقر أن شفاءه هو، أمر جديد كل الجدة، لأنه خلق لعضو ناقص... وبخاصة لأن عملية الخلق تمت بأسلوب الخلق من التراب المخلوط بالتفل، فصار التراب طينا.

ثالثاً - ثم إن الرسول القديس يوحنا هو الوحيد بين جميع الرسل كتبة الأناجيل الذى ذكر هذه المعجزة.

والمعروف أن القديس يوحنا كتب إنجيله، بعد جميع الكتبة الآخرين من الرسل، وكتبه فى وقت كانت قد انتشرت فيه هرطقات وتعاليم مضادة للاهوت المسيح، الأمر الذى نجد الإشارة واضحة إليه فى الرسائل الثلاث التى كتبها فضلا عن سفر الرؤيا، والإنجيل المنسوب إليه «أيها الأولاد هى الساعة الأخيرة. وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتى قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون. من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة» (١) «فإنه قد دخل إلى العالم مضلون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح آتياً فى الجسد. هذا هو المضل والضد للمسيح» (٢).

لذلك لم يكتب الرسول يوحنا شيئاً عن ميلاد المسيح الجسدى من العذراء مريم كما فعل القديس متى، والقديس لوقا، وإنما بدأ إنجيله بالحديث عن الوجود الأزلى للمسيح بإعتباره الله الكلمة قبل التجسد، فقال فى مطلع إنجيله «فى البدء (أى فى الأزل) كان الكلمة. والكلمة لدى الله، وكان الكلمة هو الله»... كان منذ الأزل لدى الله. كل شىء به كان، وبغيره لم يكن شىء مما كان. فيه كانت الحياة... كان فى العالم، وكان العالم به... والكلمة اتخذ جسداً (٣).

---

(١) ١. يوحنا ٢: ١٨.　　(٢) ٢. يوحنا: ٧.　　(٣) يوحنا ١: ١- ١٤.

ولم يورد الرسول يوحنا فى إنجيله إلا القليل من أعمال المسيح له المجد مما أورده الإنجيليون الآخرون، واكتفى بأن يسرد الوقائع والأقوال من فم المسيح التى يبرز فيها لاهوته، وركز على المعجزات التى أظهر فيها المسيح قدرته اللاهوتية على الخلق، وعلى منح الحياة.

فمن أقواله له المجد مع المرأة السامرية - يتضح علمه بماضيها وحاضرها، الأمر الذى ذهلت له المرأة، وقالت له: «يا سيد أرى أنك نبى» (١). ولم يتركها حتى عرفها بنفسه، أنه هو المسيا المنتظر «أنا الذى أكلمك، هو» (٢) ولم تؤمن المرأة وحدها، بل آمن به أهل السامرة «وجعلوا يقولون للمرأة: «إننا الآن نؤمن لا بسبب كلامك، وإنما لأننا سمعناه بأنفسنا، وقد علمنا أن هذا هو حقا المسيح مخلص العالم» (٣).

وفى **الفصل الخامس** من الإنجيل نفسه، يروى القديس يوحنا حديث رب المجد يسوع المسيح، عقب معجزة شفائه لمفلوج بيت حسدا، وكيف أكد المسيح سلطانه على الشفاء، بقوله: «إن أبى حتى الآن يعمل، وأنا أيضاً أعمل» (٥: ١٧). ثم يقول «فاشتدت رغبة اليهود فى قتله، لأنه لم ينقض السبت فحسب، وإنما قال أيضا: الله أبى، مساويا نفسه بالله» (٥: ١٨) ويضيف بعد ذلك قول المسيح عن نفسه وعن الآب «لأن كل ما يعمله الآب، يعمله الابن أيضاً... لأنه كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم، هكذا الابن يحيى من يشاء» (٥: ١٩- ٢١).

ثم يقول «الحق الحق أقول لكم: إن ثمة ساعة تأتى، وقد أتت الآن، يسمع فيها الموتى صوت ابن الله، والذين يسمعون يحيون، لأنه كما أن الآب له الحياة فى ذاته هكذا أعطى الابن أن تكون له الحياة فى ذاته. وقد أعطاه السلطان لأن يدين أيضاً، لأنه ابن الإنسان. لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتى ساعة يسمع فيها كل الذين فى القبور صوته، فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة (٥: ٢٥- ٢٩)، شارحاً بهذا أنه هو والآب، جوهر واحد، وأنهما متساويان فى جميع الكمالات الإلهية، وأن الابن كالآب له الحياة فى ذاته. إذن الحياة فيه، ليست من كائن آخر خارج عن ذاته. وهو نفس المعنى الذى قاله الرسول القديس يوحنا فى مطلع إنجيله، إذ قال عن الله الكلمة «فيه كانت الحياة» (٤).

---

(١) يوحنا ٤: ١٩.
(٢) يوحنا ٤: ٢٦.
(٣) يوحنا ٤: ٤٢.
(٤) يوحنا ١: ٤.

وفى الفصل السادس، يورد الإنجيلى يوحنا معجزة إشباع الجموع الغفيرة من خمس خبزات وسمكتين، وهى المعجزة التى رواها غيره من الإنجيليين، لكن القديس يوحنا اهتم بالأكثر بإيراد ماعقب به المسيح له المجد على المعجزة، وهو ما أغفله الإنجيليون الآخرون، والتعقيب هو بفم المسيح الرب. الذى اتخذ من المعجزة بينة على سلطانه على المادة، وأن يشبع الناس جميعاً من القليل الذى عندهم، الأمر الذى لا يقدر عليه إلا الله وحده، وأن يولد من خمس الخبزات والسمكتين مايشبع به الألوف ثم يفضل عنهم ما يزيد عن خمسين ضعفا - على الأقل - من الكمية الأصلية. فقد كانت هذه الكمية لا تبلغ مساحة ما فى قاع قفة واحدة، فلما رفعوا مافضل من الكسر، ملأت الكسر إثنتى عشرة قفة مملوءة (١) حينئذ أضاف الرب يسوع قائلا للجموع المحتشدة «اعملوا لا من أجل الطعام الفانى، بل من أجل الطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الإنسان» (٦ : ٢٧)، مبيناً بهذا أن له السلطان أيضاً، لا أن يهب الخبز المادى فقط، بل أيضاً أن يهب طعام الحياة الأبدية. ولا يملك طعام الحياة الأبدية إلا مالك الحياة، ومبدىء الحياة، ورب الحياة. ولما سألوه أن يعطيهم آية ليؤمنوا به، على نظير ما أعطى موسى آية المن من السماء، قال يسوع المسيح: «أنا هو خبز الحياة. من يقبل إلى فلن يجوع، ومن يؤمن بى فلن يعطش إلى الأبد» (٦ :٣٥) .. إلى أن يقول: «لأنى قد نزلت من السماء، لا لأعمل بمشيئتى وإنما بمشيئة الذى أرسلنى. وهذه هى مشيئة الآب الذى أرسلنى: أن كل الذين أعطانى لا أفقد منهم أحداً، بل أقيمه فى اليوم الأخير. لأن هذه هى مشيئة أبى الذى أرسلنى: أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير» (٦ : ٣٨- ٤٠)، مبيناً بهذا حقيقة وجوده الأزلى قبل تجسده من العذراء مريم، وأن تجسده هو نزوله من السماء، وكاشفاً عن حقيقة وحدانيته مع الآب فى المشيئة، والإرادة، والفعل، لأنهما كائنان معاً فى جوهر واحد، هو جوهر الطبع الإلهى الواحد، وأنه ذو السلطان ليهب الحياة الأبدية لكل من يؤمن به، مما يفيد قطعاً أبديته، وبالتالى أزليته، وهو مالا يتصف به إلا الله وحده. كما أوضح المسيح أيضاً أنه يقيم فى اليوم الأخير الذى يؤمنون به، أى أن له أيضاً سلطان القيامة من بين الأموات. وهذا يؤكد مرة أخرى قوله: «أنا القيامة والحياة» (٢). ولما اعترض اليهود عليه لأنه قال: «أنا هو الخبز الذى نزل من السماء» وقالوا أليس هذا هو يسوع ابن يوسف الذى نحن نعرف أباه

---

(١) (متى ١٤ : ٢٠)، (مرقس ٦ : ٤٣)، (لوقا ٩ : ١٧)، (يوحنا ٦ : ١٣).
(٢) (يوحنا ١١ : ٢٥)، (٥ : ٢١)، (٦ : ٤٤، ٥٤).

وأمه. فكيف يقول هذا أنى نزلت من السماء» (٦: ٤١، ٤٢) عاد يؤكد على نفس المعنى، بقوله: «لا أحد رأى الآب إلا الذى هو من الله. فهذا هو الذى قد رأى الآب» (٦: ٤٦) وقد عنى بذلك شخصه المبارك، لأنه ليس أحد من البشر قد رأى الله الآب. فلا آدم، ولا إبراهيم، ولا اسحق، ولا يعقوب، ولا موسى، ولا صموئيل، ولا إشعياء، ولا أرميا، ولا حزقيال، ولا دانيال... ليس واحد من كل أولئك رأى الله الآب فى ذاته، وحقيقته، وجوهره، وطبيعته الإلهية، لأنه كما قال الله لموسى النبى «لا يقدر إنسان أن يرانى ويعيش» (١). وأكد الرب يسوع على هذا المعنى عينه بقوله: «ولا أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن» (٢)، وقوله: «ولا أحد يعرف من هو الابن إلا الآب، ولا من هو الآب إلا الابن» (٣). وقوله عن الآب: «الذى أرسلنى هو حق، وأنتم لا تعرفونه. أما أنا فأعرفه، لأنى منه» (٤)، وقوله: «كما أن أبى يعرفنى، وأنا أيضا أعرف الآب» (٥)، وقوله «ياأبت البار، إن العالم لم يعرفك. أما أنا فقد عرفتك» (٦). مبيناً بهذا، بكل الوضوح، وحدانيته مع الآب فى جوهر اللاهوت الواحد، الأمر الذى لايشترك فيه أحد آخر غير الأقانيم الثلاثة: الآب والابن والروح القدس. فالله الابن هو من طبع الآب، ومن جوهره. لذلك، فإن الآب ينفرد بمعرفة الابن كما هو فى حقيقته، ذلك لأنه من طبيعته، ولأنه كائن معه فى ذات جوهره الإلهى. كذلك الابن، لا نظير له فى معرفته بالآب، لأنه كائن مع الآب، وفيه، كما أنه ليس أحد آخر غير الابن يستطيع أن يرى الآب فى ذاته وفى جوهره، رؤية عيانية مباشرة وبغير واسطة، ذلك لأنه منه، وبه، وفيه، منذ الأزل وإلى الأبد.

ثم يقول رب المجد يسوع المسيح: «الحق الحق أقول لكم: إن من يؤمن بى فله الحياة الأبدية. أنا هو خبز الحياة... هذا هو الخبز النازل من السماء، الذى إن أكل منه أحد، لا يموت. أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء، فإن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى سأعطيه أنا، هو جسدى الذى سأبذله من أجل حياة العالم» (٦: ٤٧- ٥١). ولما «خاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين: كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل؟»، عاد الرب يقرر بكل وضوح: «من يأكل جسدى ويشرب دمى، فله الحياة الأبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير... هذا هو الخبز الذى نزل من السماء.. من يأكل هذا الخبز يحيا إلى الأبد» (٦: ٥٢- ٥٨)، مبينا مخلصنا بهذا أنه هو مانح الحياة الأبدية، وأن منه تنبع الحياة الأبدية. وهذا هو السبب فى أهمية التناول من جسده ودمه، لأن بهما وفيهما الحياة، إذ هو مصدر الحياة ومبدئها.

---

(١) الخروج ٣٣: ٢٠.
(٢) متى ١١: ٢٧.
(٣) لوقا ١٠: ٢٢.
(٤) يوحنا ٧: ٢٨، ٢٩.
(٥) يوحنا ١٠: ١٥.
(٦) يوحنا ١٧: ٢٥.

لقد أظهر الرب يسوع، فى هذا الحوار الساخن بينه وبين اليهود، أنه - له المجد - قد نزل من السماء، أى أنه من قبل أن يتجسد فى الزمان، كان موجوداً بلاهوته منذ الأزل، وأنه فى ملء الزمان نزل من السماء عندما أراد أن ينزل لخلاص آدم وذريته. ثم أظهر فى حديثه، أن فيه، أى فى المسيح، الحياة، وأن الحياة فيه ومنه، ولذلك فإن من يأكل جسده ويشرب دمه ينال منهما وبهما الحياة الأبدية. وبالطبع لا يملك أن يمنح الحياة الأبدية، إلا مالكها ومالك الأبدية. فمن غير المسيح يجرؤ على أن يقول: «أنا هو القيامة والحياة»؟ (١). إنه هنا ينسب إلى ذاته مالاينسب لغير الله وحده.

والفصل السابع من الإنجيل للقديس يوحنا يسجل صراعاً روحياً قوياً، ونقاشاً حامياً، بين المسيح له المجد وبين زعماء اليهود ورؤساء كهنتهم، حول شخصية الرب يسوع، وهل هو المسيح حقا، وكيف أن رؤساء الكهنة أرسلوا من قبلهم رسلا ليعتقلوه ويأتوهم به، فلم يستطيعوا، ولما سألوهم: «لماذا لم تأتوا به؟» أجاب الخدام «ماتكلم إنسان قط بمثل ماتكلم به هذا الرجل». فأجابهم الفريسيون: «ألعلكم أنتم أيضاً قد ضللتم. هل آمن به أحد من الرؤساء أو من الفريسيين؟ ولكن هؤلاء الغوغاء الذين لا يعرفون الشريعة ملعونون». فقال لهم نيقوديموس الذى كان قد جاء إلى يسوع ليلا، وكان واحداً منهم: «هل تحكم شريعتنا على أحد قبل السماع منه ومعرفة ماذا فعل؟» فأجابوا وقالوا له: ألعلك أنت أيضاً من الجليل؟ ابحث وأنظر. فإنه لا يقوم نبى من الجليل». ومن ثم انصرف كل منهم إلى بيته» (٧: ٤٥- ٥٣).

هذا إلى جانب الحوار المباشر بين المسيح نفسه وبين اليهود فى يوم العيد العظيم - عيد المظال - وكان حواراً مهماً، أعلن فيه المسيح له المجد، أن اليهود الذين يزعمون أنهم يعرفون الله الآب، هم فى الواقع لا يعرفونه، ولو كانوا عرفوه لعرفوا الابن أيضاً، لأن الابن من الآب، وكائن معه وفيه، قال: «أما أنا فأعرفه لأنى منه» (٧: ٢٩)، معلناً بذلك أنه من طبيعة الآب ومن جوهره، وأن واحداً من البشر لا يعرف الآب فى ذاته، لكن الابن الكلمة هو وحده الذى يعرف الله الآب، المعرفة الكاملة المباشرة وبغير واسطة، ذلك لأنه منه، وكائن معه وفيه. ولذلك فإن اليهود لم يحتملوا أن يسمعوا منه أكثر مما سمعوا، فحسبوا كلامه تجديفاً على الله الآب، فسعوا ليعتقلوه ويقتلوه، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك.

كذلك يسجل **الفصل الثامن** من الإنجيل للقديس يوحنا، حواراً آخر عنيفاً بين الرب يسوع وبين اليهود. فبعد أن أثبت فادينا علمه الإلهى بماضى كل رجل من الرجال الذين جاءوا إليه

---

(١) يوحنا ١١: ٢٥.

بإمرأة قالوا أنها أمسكت وهى تزنى، حتى فروا جميعاً من حضرته، أخذ يعرفهم بشخصه قائلاً: «أنا هو نور العالم، من يتبعنى لا يسير فى الظلام، بل يكون له نور الحياة» (٨: ١٢). ثم قال لهم: «أنتم من أسفل، وأما أنا فمن فوق، أنتم من هذا العالم، وأما أنا فلست من هذا العالم» (٨: ٢٣). ثم يقول أيضاً: «لأنكم إن لم تؤمنوا بأنى أنا هو، ستموتون فى خطاياكم». فقالوا له: «من أنت؟» فقال لهم يسوع: «أنا منذ البدء كما قلت لكم» (٨: ٢٤- ٢٥). ثم يقول: «لأن من الله خرجت وأتيت. وما أتيت من نفسى، وإنما هو الذى أرسلنى» (٨: ٤٢). ويقول: «الحق الحق أقول لكم: إن كان أحد يحفظ كلامى، فلن يرى الموت إلى الأبد» (٨: ٥١) إلى أن يقول لهم صراحة فى نهاية هذا الحوار: «الحق الحق أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن». فإلتقطوا حجارة ليرجموه. أما يسوع فتوارى وخرج فى الهيكل، وعبر ماشياً فى وسطهم ومضى هكذا» (٨: ٥٨- ٥٩).

وهكذا يطول بنا الحديث لو تناولنا أقوال المسيح له المجد كما أوردها القديس يوحنا فى إنجيله فصلا فصلا إلى الفصل الحادى والعشرين. إنها نصوص فريدة اهتم بتسجيلها الإنجيل للقديس يوحنا، ليؤكد حقيقه الرب يسوع الإلهية، ووحدانيته مع الآب فى الجوهر، ومساواته له فى جميع الصفات والكمالات الإلهية، والأزلية والأبدية...

ولقد انفرد القديس يوحنا بذكر معجزة تحويل الماء إلى خمر فى عرس قانا الجليل (١) بكلمة الأمر وحدها، مبرهنا على سلطانه المطلق كإله، يقول للشىء كن فيكون... وانفرد أيضاً بذكر معجزة إقامة لعازر من بين الأموات بعد أن صار مدفوناً فى القبر أربعة أيام، أقامه بكلمة الأمر وحدها: «لعازر هلم خارجاً» (٢)، فخرج الميت على الفور.

والمعجزة الثالثة التى انفرد بذكرها القديس يوحنا هى معجزة المولود أعمى، لأنها ذات دلالة لاهوتية خاصة، صنعها المسيح له المجد ليبرهن على سلطانه على الخلق من الطين بنفس الأسلوب الذى خلق الله به آدم إذ جبله من تراب الأرض.

ويتضح لنا هدف القديس يوحنا من إيراده النصوص والأقوال والمعجزات ذات الدلالة اللاهوتية قوله فى نهاية الإنجيل «وآيات أخر كثيرة صنع يسوع أمام تلاميذه لم تكتب فى هذا الكتاب. وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكى تكون لكم إذا آمنتم الحياة الأبدية باسمه» (٣). مبينا بكل الوضوح، **أن الهدف الأساسى من كل الإنجيل هو بيان أن يسوع المسيح هو المسيح ابن الله**. وهذا مطلب لاهوتى كانت الكنيسة فى حاجة إليه

(١) يوحنا ٢: ١- ١١. (٢) يوحنا ١١: ٤٣. (٣) يوحنا ٢٠: ٣٠، ٣١.

للرد على الهرطقات التى علمت ضداً للاهوت المسيح. **ولذلك سيظل إنجيل يوحنا أعظم تراث خالد يدافع عن أكبر عقيدة يقوم عليها بناء الكنيسة كله «على هذه الصخرة سأبنى كنيستى» (١) والصخرة هى إيمان الكنيسة بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحى» (٢).**

رابعاً ـ ومما يدل حقاً على أن معجزة شفاء المولود أعمى لم تكن كغيرها من معجزات شفاء الرب يسوع لعشرات من العميان من قبل، أن الجماهير استدلت منها على قدرة المسيح على الخالق. إنه على قبر لعازر وهو مدفون فى القبر لأربعة أيام لم يحجم الناس عن ثقتهم فى قدرة الرب يسوع الخارقة التى ظهرت فى المولود أعمى، أنه لا يبعد عليه أن يقيم لعازر بعد موته ودفنه بأربعة أيام «وقال بعض منهم: ألم يقدر هذا الذى فتح عينى الأعمى أن يجعل هذا أيضاً لا يموت» ؟ (٣) . وهنا يسأل الإنسان لماذا اختص الناس معجزة تفتيح عينى المولود أعمى بالذكر، كدليل على سلطان المسيح المطلق على كل شىء، وعلى الإقامة من بين الأموات بعد أن يتعفن الجسد وينتن، الأمر الذى لم يقدر عليه نبى من قبل، ولا يقدر عليه إلا الله وحده؟ نقول: لماذا اختص الناس معجزة المولود أعمى بالذكر، علماً بأن المسيح فتح عيون الكثيرين من العميان، قبل ذلك؟ **الجواب على ذلك واضح أن هذه المعجزة هى معجزة خلق لعينين، وليست مجرد تفتيح لعينين إنطفأ منهما النور، أو أصابهما العطب أو التلف.**

خامساً ـ ثم بالإضافة إلى كل ماقلناه، ما أحدثته معجزة المولود أعمى من ردود فعل عنيفة على الكهنة ورؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين، مما لم يكن له نظير فى معجزات الشفاء السابقة للعميان الآخرين.

لقد أخذوا المولود أعمى بعد أن أبصر إلى الفريسيين «فسأله الفريسيون أيضاً: كيف أبصر؟» فقال لهم: «إنه وضع طينا على عينى ثم اغتسلت فأبصرت» (٩: ١٥) . وانقسم الفريسيون فيما بينهم بشأن هذه المعجزة، فقوم منهم قالوا عن المسيح «إن هذا الرجل ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت» ، ولكن قوماً آخرين من الفريسيين «قالوا كيف يستطيع إنسان خاطىء أن يصنع مثل هذه الآيات، وكان بينهم إنشقاق» (٩: ١٥، ١٦) وعادوا ثانية يسألون الرجل عن رأيه «قالوا أيضاً للأعمى ماذا تقول أنت عنه من حيث أنه فتح عينيك» (٩: ١٧) ثم ظلوا مصرين على عنادهم

---

(١) متى ١٦: ١٨.

(٢) متى ١٦: ١٦.

(٣) يوحنا ١١: ٣٧.

وإنكارهم، واستدعوا أبوى الرجل، لعلهم يجدون منفذاً يفلتون منه، بعد أن بهرتهم المعجزة الفريدة التى لم يشهدوا لها نظيراً من قبل «فلم يصدق اليهود عنه أنه كان أعمى فأبصر حتى دعوا أبوى الذى أبصر، فسألوهما قائلين أهذا إبنكما الذى تقولان إنه ولد أعمى، فكيف يبصر الآن. أجابهم أبواه وقالا: نعلم أن هذا إبننا وأنه ولد أعمى. وأما كيف يبصر الآن فلا نعلم أو من فتح عينيه فلا نعلم. هو كامل السن. اسألوه فهو يتكلم عن نفسه» (٩: ١٨- ٢١) ولما لم يقنع الفريسيون بإجابة أبوى الرجل ولم يجدوا منفذاً لإنكار المعجزة التى أذهلت جميع الناس، دعوا من جديد المولود أعمى ليناقشوه من جديد، وابتدروه برأيهم فى الرب يسوع أنه رجل خاطىء (٩: ٢٤) لعلهم بذلك يؤثرون عليه فينكر المعجزة، أو أن ينكر أنه كان مولوداً أعمى، فلما أجابهم بوضوح وشجاعة قائلا «إنما أعلم شيئاً واحداً أنى كنت أعمى والآن أبصر» (٩: ٢٥) عادوا من جديد مرة ثالثة يسألونه: ماذا صنع بك. كيف فتح عينيك؟ أجابهم الرجل قائلا: قد قلت لكم ولم تسمعوا. فلما قالوا له «وأما هذا فما نعلم من أين هو» أجاب الرجل وقال إن فى هذا عجباً إنكم لستم تعلمون من أين هو وقد فتح عينى... منذ الدهر لم يسمع أن أحداً فتح عينى مولود أعمى. لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئاً (٩: ٢٩- ٣٣) ومع ذلك غضب الفريسيون من إجابات الرجل ومافيها من حق وشجاعة وقالوا له: فى الخطايا ولدت أنت بجملتك وأنت تعلمنا، فأخرجوه خارجاً (٩: ٣٤) نعود فنقول إن ردود الفعل العنيفة التى أحدثتها المعجزة عند الفريسيين، قرينة جديدة على أن المعجزة لم تكن معجزة شفاء نظير غيرها مما صنعه الرب يسوع، لكنها تفردت بأنها خلق من جديد لعينين مفقودتين، وإلا فلماذا كانت هذه التحقيقات المتوالية مع الرجل مرات، ومع أبويه، وانتهى الأمر بطرد الرجل من بين المجمع اليهودى!.

المسيح هو الخالق

قلنا أن الرب يسوع شفى المولود أعمى بأسلوب مغاير لأسلوبه فى سائر الأشفية الأخرى التى أجراها، حتى بالنسبة للمصابين بالعمى، ليس فقط لكى يبرهن على سلطانه غير المحدود فى منح الشفاء بكل وسيلة وبكل واسطة يختارها إبرازاً لتنوع إمكانياته وقدراته الإلهية، ولكن لأن فى هذه المرة لم يكن للمولود أعمى عينان فى موضع العينين. **فالمعجزة لم تكن فقط معجزة شفاء وإنما كانت معجزة خلق لعضو مفقود فى كل مقلة.**

ولما كان عمل الخلق قد تم فى الإبتداء بأن جبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض، أى أن الرب قد خلق آدم من طين، لذلك اختار المسيح له المجد نفس الأسلوب ليخلق به للمولود أعمى عينين.

يقول أيوب الصديق: «أنا أيضاً **من الطين تقرصت**». (١).

ويقول أيضاً: «يداك كونتانى وصنعتانى كلى جميعاً... أذكر أنك **قد صورتنى مثل الطين**» (٢).

ويقول النبى إشعياء: «والآن يارب أنت أبونا. **نحن الطين وأنت جابلنا ونحن جميعاً عمل يديك**» (٣).

لكن المسيح له المجد ليس خالقاً فقط، إنما هو «**الخالق، لكل الوجود**.

يقول الإنجيل للقديس يوحنا: فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة الله... **كل شىء به كان وبغيره لم يكن شيئاً مما كان**. فيه كانت الحياة... كان فى العالم، **وبه كان العالم**، والعالم لم يعرفه...» (٤).

ويقول النبى فى المزمور: «**بكلمة الرب صنعت السماوات**، وبروح فيه كل جنودها» (٥). **فالله الكلمة هو الخالق**.

ويقول القديس بولس الرسول:

«لنا إله واحد، الآب الذى منه كل شىء، ونحن له. **ورب واحد يسوع المسيح، الذى به كل شىء، ونحن فيه**» (٦).

ويقول: «**الله خالق الجميع بيسوع المسيح**» (٧).

ثم يقول: «الذى لنا فيه الفداء بدمه مغفرة الخطايا، الذى هو صورة الله الغير منظور، وبكر كل خلق، **لأنه به خلق جميع ما فى السماوات وما على الأرض، مايرى ومالايرى**، عروشا كان أو سيادات أو رئاسات أو سلاطين. **الكل به وله قد خلق**. الذى هو قبل كل شىء، وفيه يقوم الكل» (٨).

---

(١) (أيوب ٣٣: ٦)، (٤: ١٩).
(٢) أيوب ١٠: ٨، ٩.
(٣) (إشعياء ٦٤: ٨) ثم أنظر (إشعياء ٢٩: ١٦)، (٤٥: ٩)، (إرميا ١٨: ٤، ٦).
(٤) يوحنا ١: ١- ١٠.
(٥) مزمور ٣٢: ٦.
(٦) ١. كورنثوس ٨: ٦.
(٧) أفسس ٣: ٩.
(٨) (كولوسى ١: ١٤- ١٧). قارن (رومية ١١: ٣٦).

وهنا يجب أن نلاحظ أن الكتاب المقدس ينسب إلى المسيح له المجد، الوجود الأزلى قبل الزمان، **وأن العالم قد خلق به. فهو خالق السماوات، وما فيها، من منظور وغير منظور، وخالق الأرض، وماعليها**. وهو سابق فى وجوده على كل الوجود، بل إن الوجود كله قائم به. أما قوله إنه «بكر كل خلق» فمعناه أيضاً أنه الكائن الأول قبل الخليقة. وبلغة أخرى، هو البادىء والمبدىء للوجود أى الأول قبل الوجود، أى كان هو أولا، ومن بعده كان الوجود ولذلك فإن الكتاب المقدس يقرر بعد ذلك مباشرة «**الذى هو البداءة**» (١) **أى البدء والمبدأ والبادىء والمبدىء**، والأول الذى لا أول له، والأزلى الذى لا بدء له ولا بداءة.

وبهذا المعنى نفهم ماقيل عن المسيح له المجد، من أنه «**بداءة خليقة الله**» (٢) **أى أنه مبدىء الخليقة أو خالقها. فهو البداءة للخليقة، لكن ليس له بداءة أو بدء، لأنه هو البادىء للخليقة ومبدئها وباريها**.

ويقول الرسول أيضاً فى رسالته إلى العبرانيين:

«الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً، بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه، الذى جعله وارثا لكل شىء، **الذى به أيضاً عمل العالمين**» (٣).

ويقول «لأنه لاق بذاك (: المسيح) الذى من أجله الكل، وبه الكل» (٤).

ويقول أيضاً «بالإيمان نفهم **أن العالمين أتقنت بكلمة الله**، حتى لم يتكون مايرى مما هو ظاهر» (٥).

ويقول القديس بطرس الرسول:

«إن السماوات كانت منذ القديم والأرض، بكلمة الله قائمة، من الماء وبالماء» (٦).

تلك وغيرها (٧) نصوص تنسب إلى المسيح له المجد، وهو الله الكلمة الذى اتخذ له جسداً، إنه الخالق للعالمين «ولكل الأشياء، وأنها بإرادته كانت، وكائنة، **وأنها به خلقت**» (٨).

---

(١) كولوسى ١: ١٨.
(٢) الرؤيا ٣: ١٤.
(٣) العبرانيين ١: ١، ٢.
(٤) العبرانيين ٢: ١٠.
(٥) العبرانيين ١١: ٣.
(٦) ٢. بطرس ٣: ٥.
(٧) الأمثال ٨: ٣٠.
(٨) (الرؤيا ٤: ١١). انظر (أعمال الرسل ١٧: ٢٣، ٢٤)، (الرؤيا ١٠: ٦).

المسيح لم يطلب قوة من خارج ذاته

ومما يبرز قيمة المعجزة، ويظهر دلالتها على سلطان المسيح له المجد، وقدرة لاهوته، أنه لم يُصلِ ليطلب العون من قوة خارجة عن ذاته كما يفعل الأنبياء والرسل، وإنما عندما أراد أن يشفى المولود أعمى تفل على الأرض، وصنع من التفل طيناً، ثم طلى به عينى الأعمى أى موضع عينيه، وأمره أن يمضى إلى بركة سلوام ويغسل وجهه، فذهب وغسل وجهه فأتى بصيراً ـ كل هذا صنعه المسيح مبرهنا على أنه صاحب الأمر، ولا يوجد من يمنع يده. وقد تحقق كل شيء كما أراده، وفى الصورة التى أرادها. إن الطين ليس علاجاً لكنه فى العادة يضر العيون السليمة فضلا عن المريضة وبخاصة لأن هذا الطين من تراب الأرض الملوثة بأقدام الناس وأحذيتهم وبأرجل الحيوانات. لكن المسيح أراد أن يتخذ من هذه الوسيلة أسلوباً يثبت به قدرته الإلهية وسلطانه الذى لايقهر، والذى يعلو على كل الماديات والحسيات.

ومما تجدر ملاحظته أن المسيح طلى عينى الأعمى بالطين، ولم يمض معه إلى بركة سلوام، ولا أمر أحداً من تلاميذه أو غيرهم بمتابعة الرجل، مما يدل على الثقة التامة للمسيح فى قدرته على تحقيق الشفاء بالوسيلة التى إختارها هو، لأن الشفاء فى نهاية الأمر هو بفعالية كلمته التى تقول للشيء: كن فيكون.

تأملات روحية فى المعجزة
وفيما هو مجتاز رأى إنساناً أعمى منذ ولادته

(يوحنا ٩: ١)

وفيما هو مجتاز:

قد يبدو من عبارة الإنجيل هذه أن لقاء الرب يسوع مع المولود أعمى كان لقاء عابراً غير مقصود. **ولكننا نستبعد أن يحدث أمر فى الأرض خصوصاً بالنسبة إلى البشر دون أن يكون ذلك فى تدبير الله وحكمته**. إذن لم يكن مرور المسيح الرب بالمكان الذى يقف فيه المولود أعمى أو يجلس، من قبيل الصدفة العابرة. **فليس فى أعمال الله صدفة، لأن كل شىء فى برنامج العناية الإلهية نصيباً من تخطيط.**

،وفيما هو مجتاز رأى إنساناً،

طوبى لذلك الإنسان الذى يكون مستعداً لأن يجتاز الرب به فيراه، لأنه سيهبه نوراً لقلبه، ونوراً لعينيه، فيبصر أموراً ما كان له ليراها لولا نعمة الرب عليه.. ترى لو اجتاز الرب ولم يكن ذلك الإنسان الأعمى فى الطريق، أفهل كان ينال من الرب شيئاً؟ **فلا ينال النعمة من لم يكن مستعداً لها، متأهباً لقبولها، واقفاً على قدميه يصلى، أو جالساً ينتظر بقلب ملتهب، وبيدين مبسوطتين بالضراعة فى إتجاه مانح العطايا حينما يجتاز...**

وفيما هو مجتاز رأى إنساناً أعمى.

المسيح هو الذى رأى الإنسان. أما الإنسان فلم يره لأنه أعمى. وكل إنسان حتى لو كان مبصراً بعينيه قد يكون أعمى عن أن يرى المسيح لعائق يشغل حواسه، أو يقف حائلا بينه وبين المسيح، فلا يراه. وهذا العائق قد يكون أمراً تعلق به القلب فشغف به، ومن شغفه به شغل كل دائرة الرؤية فى نظره، فلم يعد فى مقدوره أن يرى ماعداه. وقد يكون فكراً شد إنتباهه بقوة، أو مشكلة انحصر فيها كل فكره، أو غماً انقض عليه فأسدل على عينيه غمامة فلم يعد قادراً على أن يرى نوراً... **لكن المسيح يستطيع مع ذلك أن يراه**، لأن المسيح مكشوف العينين وكل شىء، عريان أمامه. والمسيح وحده هو الذى يمكنه أن يعلم بحقيقة العمى الذى أصابه، ومن أى نوع هو، ويمكنه أيضاً بنوره أن ينفذ إلى أعماق العلة، ويستطيع كذلك أن يزيل الغشاوة عن عينيه، بل أن يعطى له عينين آخريين متى أراد. إنما على الأعمى أن يقف فى طريق المسيح، لينتفع بالفرصة الثمينة التى تعرض له عندما يجتاز به.

وفيما هو مجتاز رأى إنساناً:

هذا الإنسان هو واحد من آلاف الناس... من منا حينما يجتاز فى الطريق لايرى العشرات والمئات من البشر ممن يعرفهم ومن لايعرفهم؟!. لكنه بعينيه يرى كثيرين ولا يرى واحداً. لكن المسيح «**رأى إنساناً، واحداً، رؤية لها معنى، ولها مغزى**. هنا قيمة الإنسان عند الله. هذا الإنسان الواحد الذى له عشرات ومئات وألوف النظائر بين البشر يستحق وحده أن يراه المسيح رؤية خاصة نافعة له، ويمكنه لذلك أن يستأثر بعناية المسيح. ليس الإنسان - أى إنسان - شيئاً تافهاً أمام الله. إنه جبله بيديه وركبه ونسج خيوط لحمه وعظامه وجلده، وأودع فيه من روحه نفخة على صورة الله ومثاله. فهو إذن منه، وهو فى صفات روحه وعقله ونفسه يشبهه،.. ليس إذن يهمله، ولكن له فيه قصد، عيناه عليه.. هو يراه حتى لو كان مستوراً عن عيون الناس جميعاً، هو يبحث عنه حتى لو كان مغموراً بين الموجودات.. إنه كائن له عند الله قيمة فى ذاته، لأنه روح ثمينة مغلفة فى جسم أعمى، وعقل ثمين محجوب تحت أثقال اللحم والعظم...

شكراً لك يارب!... نحن نتعلم من فرط رعايتك وجمال عنايتك **أن لانحتقر فى الوجود إنساناً**، مهما بدا لنا هذا الإنسان عاديا، وأن نظائره كثيرون، أو لايستحق النظر، لأن هناك من هم أولى منه بالنظر والاعتبار...

ذاك الأعمى الذى قد يستنكف الناس أن ينظروا إليه لفقره أو بؤسه، أو قد يمرون به دون أن يهتموا بالنظر إليه، أو ربما يتحاشون أن يتطلعوا إليه تقززاً... أو لسبب آخر... هذا الأعمى استحق منك أنت أن تراه، فرأيته أنت لا كما يراه الناس، ولا حتى كما كان يرى هو نفسه، ولكنك رأيته أنت فى الصورة التى أردته أن يكون عليها... رأيته إبناً لك تائهاً شارداً فأردت أن تضمه إليك... إنه لم يبحث عنك... أنت الذى اجتزت بطريقه لكى تراه... أنت الذى ذهبت إليه حيث كان، وحيث ذهب... لأنه خليقتك، وفيه شىء منك، فيه روحه وهى ثمينة عندك... إن ذلك الأعمى هو صورة الإنسان كله الذى تركت السماء من أجله، ونزلت إليه حيث هو شارد ضال، فى الأرض، جئت إليه واجتزت به لكى تراه، وترد إلى عينيه النظر، وإلى قلبه النور...

فسأله تلاميذه قائلين: يامعلم من أخطأ، هذا أم أبواه حتى ولد أعمى؟

(يوحنا ٩: ٢)

سأل التلاميذ معلمهم الأعظم والأوحد، ومن لهم بمعلم غيره، أو بمعلم بعده؟ ألم يقل لهم «إن معلمكم واحد وهو المسيح» (١) وسؤالهم كان سؤالا عويصاً حيرهم كما حير الكثيرين من قبل... سؤال عن سر الألم والشقاء فى حياة بعض الناس ممن يولدون معوقين، أو مشوهين، أو ناقصين، أو متخلفين جسمياً أو عقلياً...

هذا الشر الذى يعانونه ماعلته وما هو سببه؟، هل هو عقاباً على خطيئة ارتكبها هؤلاء فى حياة أخرى سبقت هذه الحياة؟، أم هو عقاباً على خطيئة ارتكبها والدوهم تحقيقاً لقوله تعالى فى الوصية الثانية من الوصايا العشر «أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع من مبغضى» (٢).

لكن سؤال التلاميذ يثير صعوبة كبيرة.

فإذا كانت خطايا الوالدين تلحق بالأبناء نتائجها كقول الله تعالى إنه «مفتقد إثم الآباء فى الأبناء وفى أبناء الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع» (٣) لكن الصعوبة الكبرى هى فى أن يكون عمى الرجل يرجع إلى خطيئة ارتكبها هو ذاته من قبل أن يولد!! فإن هذا القول يستتبع الاعتقاد بأنه كانت للرجل حياة أخرى سابقة على هذه الحياة الحاضرة، وأنه إرتكب فى حياته الأولى تلك، خطيئة أو خطايا إقتضى التكفير عنها أن يولد أعمى عقاباً له على خطاياه تلك، وهى نظرية التقمص أو تناسخ الأرواح Metempsychosis أو الاستجساد Reincarnation التى قال بها المصريون القدماء، وأخذها عنهم أفلاطون، كما قال بها الهنود، وربما عن طريق المصريين القدماء إنتشرت فى بلاد الشرق القديم ومن بينهما فلسطين، وتسربت إلى تلاميذ المسيح كما يتضح من سؤالهم لمعلمهم. وكما يتضح أيضاً من قول الفريسيين للمولود أعمى فى نهاية حوارهم معه «أجابوا وقالوا له: فى الخطايا ولدت أنت بجملتك» (يوحنا ٩: ٣٤).

ولقد أخذ العلامة أوريجينوس بهذه النظرية وقتاً ما، مؤيداً رأيه بسؤال تلاميذ المسيح عما إذا كان عمى الرجل المولود أعمى عقاباً على خطيئة إرتكبها هو قبل أن يولد، غير أن أوريجينوس عاد وعدل عن هذه النظرية واعترف بخطئه فى الإستنتاج.

أجاب يسوع: لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه.

---

(١) متى ٢٣: ٨، ١٠.

(٢) (الخروج ٢٠: ٥)، (التثنية ٥: ٩).

(٣) الخروج ٣٤: ٧.

وكانت إجابة المخلص نافية صريحة. ولا يقوى عليها إلا الله، العارف وحده بأسرار البشر فى مولدهم وقبل مولدهم، لأنه هل كان يجرؤ واحد غير المسيح الرب أن يجيب على سؤال التلاميذ إجابة قاطعة واضحة كهذه. ينفى فيها تحت مسئوليته أن تكون علة العمى فى الرجل المولود أعمى مردها إلى خطيئة ارتكبها هو قبل أن يولد، أو إلى خطيئة ارتكبها والداه ؟.

على أن إجابة الرب يسوع فتحت أمامنا منفذاً لتعليل بلايا البشر، وتجاربهم وأحزانهم.

فما كان أسهل على الناس إذا رأوا إنساناً قد إبتلى بمرض، أو نزلت به كارثة موت لإبنه أو إبنته أو أصيب بالفقر أو بخسارة فى تجارته أو زراعته أو احترق بيته أو ماشيته إلى غيرها من الدواهى والكوارث التى تدرك الناس... أن يعزوها إلى خطيئة الرجل...

ألم يقل أحد أصدقاء أيوب، وهو أليفاز التيمانى، وهو يذكر أيوب أن تجربته هى بسبب خطاياه «قد رأيت أن الحارثين إثما والزارعين شقاوة يحصدونها» (١) ألم يقل سليمان الحكيم «الزارع إثما يحصد بلية» (٢).

لكن إجابة مخلصنا أبانت **أنه يمكن أن تقع على الإنسان تجربة ومع ذلك لا تكون نتيجة لخطاياه أو لخطايا غيره.**

ليس معنى هذا إنكار كل علاقة بين الخطيئة وبين التجارب والآلام من مصائب وأمراض. فالمعروف أن الموت دخل إلى العالم بخطيئة آدم أبى الجنس البشرى «بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس بالذى جميعهم أخطأوا فيه» (٣). ومع الموت جاء المرض، ثم بالخطيئة دخل التعب والشقاء وسائر الآلام...

وصحيح أيضاً أن هناك أمراضاً خاصة تلحق ببعض الناس نتيجة طبيعية لخطاياهم وتعدياتهم على نواميس الطبيعة وقوانين الحياة، ومع الأمراض صنوف أخرى من الآلام وصور الشقاء...

وصحيح كذلك أن هناك أمراضاً يشقى بها أناس بسبب خطايا آخرين مثل الوالدين والجدود، وذلك تبعاً لقانون الوراثة الذى سبق الله فأنذر به فى الوصايا العشر.

ولكن مع ذلك يمكن أن تكون هناك آلام لغير ماذكرنا من أسباب، آلام لا بسبب الخطيئة، بل يشاء الله أن تكون سبباً لمجد إسمه تعالى.

---

(١) أيوب ٤: ٨.

(٢) أمثال ٢٢: ٨- انظر أيضاً (هوشع ١٠: ١٣)، (٨: ٧)، (غلاطية ٦: ٧، ٨).

(٣) رومية ٥: ١٢.

وبنفس المعنى قال رب المجد يسوع المسيح فى تعليل مرض لعازر وآلام أختيه بسببه «هذا المرض ليس للموت، بل لأجل مجد الله ليتمجد الله به» (١) وفعلا تمجد ابن الله بمرض لعازر وموته حين أقامه من بين الأموات، فرأت الأختان مريم ومرثا، ومعهما الجماهير الغفيرة التى شهدت المعجزة الكبيرة، مجد الله (٢)، فآمنوا بالمسيح (٣) وبسلطانه على الموت والحياة (٤).

لذلك يجب أن لايتسرع الإنسان فى أحكامه على بلايا الناس وتجاربهم، ولايندفع ليعزوها إلى خطاياهم، لئلا يكون فى حكمه عليهم قد قسا وتجبر وأساء الظن بهم، وأدانهم، وبدلا من أن يصنع شيئاً يخفف به آلامهم، يزيد جراحهم، بكلام موجع كما فعل أصدقاء أيوب به، حتى تأذى من كلامهم وقال لهم: «معزون متعبون كلكم. هل من نهاية لكلام فارغ... أنا أيضاً أستطيع أن أتكلم مثلكم. لو كانت أنفسكم مكان نفسى، وأنغض رأسى إليكم» (٥)، ثم قال لهم «أطباء بطالون كلكم، ليتكم تصمتون صمتاً» (٦).

وإذن كان العمى فى الرجل المولود أعمى، لابسبب خطاياه هو، ولا بسبب خطايا والديه، ولكن ليكون هو سبباً لمجد الله، حين يتم شفاؤه، ورد البصر إليه فيشكر الناس الله ويسبحونه ويمجدونه. أما الرجل الأعمى نفسه، فقد آمن بالمسيح، ودافع عن قداسته أمام الفريسيين دفاعاً مجيداً، وقد كانوا يريدونه أن ينكر المعجزة، ولما سألوه عن رأيه فى المسيح الذى أبرأه، قال إنه نبى (يوحنا ٩: ١٧)، وإنه من عند الله (٩: ٣٣) حتى طردوه من المجمع أى حرموه من حقوقه الدينية والمدنية (٩: ٣٤). وأخيراً إنتقل إيمانه إلى الاعتقاد فى المسيح أنه ابن الله، عندما وجده الرب يسوع بعد أن طردوه من المجمع «فقال له: أتؤمن بابن الله؟ أجاب ذاك وقال: من هو ياسيد لأومن به؟. فقال له يسوع: قد رأيته، والذى يتكلم معك هو هو. فقال أؤمن ياسيد وسجد له» (يوحنا ٩: ٣٥- ٣٨).

إذن لم يكن القديس سمعان بطرس هو الوحيد الذى اعترف بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحى، ولكن سبقه آخرون، ومنهم يوحنا المعمدان الذى قال: «وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله» (٧)، ومنهم نثنائيل أو برثولماوس الذى قال له «يا معلم أنت ابن الله»، وكثيرون آخرون، من قبل ومن بعد. وها هو المولود أعمى يسأله المخلص قائلاً: «أتؤمن بابن الله؟»، فيجيبه قائلا: أؤمن ياسيد، ثم لا يؤمن فقط، بل ويسجد له أيضاً.

---

(١) يوحنا ١١: ٤.
(٢) يوحنا ١١: ٤٠.
(٣) (يوحنا ١١: ٤٥)، (يوحنا ١٢: ١١).
(٤) (يوحنا ١١: ٣٧)، (يوحنا ١٢: ١٧).
(٥) أيوب ١٦: ٢- ٤.
(٦) أيوب ١٣: ٤، ٥.
(٧) يوحنا ١: ٣٤.

على أن فى إهتمام الرب يسوع بالمولود أعمى بعد أن طرده اليهود من المجمع عزاء للرجل الذى نال غضب اليهود، جزاء دفاعه عن الحق، وكأن الرب يسوع أراد أن يهدىء من روعه، وأن يعزيه عن إضطهاد اليهود له، بأنه قد ربط مصيره بمصير سيده المسيح، وأنه وإن كانوا هم طردوه لكن الرب قد قبله. أما اليهود الذين استغلوا سلطتهم إستغلالا ضد الخير، فهم الذين سيشقون بالقرار الذى أصدروه على أنفسهم. «لأن اليهود كانوا قد تعاهدوا أنه إن اعترف أحد بأنه المسيح يخرج من المجمع» (يوحنا ٩ : ٢٢).

وبذلك فصلوا هم أنفسهم عن نبع الحياة، فجفوا وسقطوا عن الزيتونة الجيدة والكرمة الحقيقية. وهكذا يصنع فى كل جيل الذين يتخذون من سلطاتهم الدينية سبيلا إلى إذلال الذين يدافعون عن الحق.. فكل قرار يصدرونه على غيرهم بالحرمان، يرتد على رؤوسهم، فيقطعها، وعلى قلوبهم فيصيبها بالموت والجفاف.

جاء فى الدسقولية (تعاليم الرسل) تخاطب الأسقف:

«إرع الماشية لابضجر ولا بهزء، كمن لك عليهم السلطان، بل كراع صالح تجمع الخراف إلى حضنك... كن طبيباً صالحاً، باشا، بلا دغل ولا كذب، ولاتكن قاسياً، ولا محابياً، ولا صارما، ولا بغير رحمة، ولا متعالى القلب ولا تهزأ بالشعب الذى تحت يدك... ولا تكن مستعداً أن تخرج بخفة أحداً من الكنيسة، بل تثبت جيداً» (١).

وتقول الدسقولية أيضاً:

«لا تكن مسرعاً إلى القطع، ولا جسوراً، ولا تسارع إلى المنشار الكبير الأسنان» (٢).

وكذلك تقول تعاليم الرسل:

«من يخرج البرىء كأنه مذنب فهو شر من قاتل الإنسان... من يرفض من لا ذنب له، فهو شر من كل قاتل للجسد... (٣).

إذا سمعتم كلام فريق واحد وحجته فى دعواه التى يدعيها، وأوجبتم قضيته، وقطعتم الحكم بسرعة، والفريق الآخر ليس حاضراً معكم ليجيب عن نفسه، ويحتج عما قرف به، فإنكم تكونون مستحقين للقتل الذى حكمتم به، وتوجدون أمام الله ضابط الكل، شركاء لنصيب الكذاب... إن الله عارف بالحكم الذى تحكمون به، ولا تقدرون أن تخفوه عنه، فإن كان عدلا، نلتم مجازاة حسنة عادلة فى هذا الدهر وفى الآتى. وإن كان ظلماً لقيتم شروراً كثيرة» (٤).

---

(١) الدسقولية ـ الباب الرابع.
(٢) الدسقولية ـ الباب الثامن.
(٣) الدسقولية ـ الباب الخامس: ١، ٢.
(٤) الدسقولية ـ الباب الثامن: ٣١ – ٣٤.

فإننى ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى مادام نهار. لأنه سيجىء الليل الذى لا يستطيع أحد أن يأتى فيه عملاً فإننى ينبغى أن أعمل (يوحنا ٩: ٤).

يالها من حقيقة عظيمة ومهمة: أن الرب يسوع يقرر **أن من واجبه أن يعمل، ولا يتوقف عن العمل... فهو يعمل منذ البدء، وعمله متواصل، والعمل عنده مقدم على كل شىء.**

لقد جاءه مرة تلاميذه يسألونه أن يأكل «قائلين: يامعلم قم تناول الطعام. فقال لهم: إن لى طعاماً آكله لا تعرفونه أنتم» فلما تحيروا من جوابه، وقالوا فيما بينهم: «ألعل أحداً جاءه بما يأكل؟» قال لهم يسوع: «**إن طعامى هو أن أعمل** بمشيئة الذى أرسلنى، وأنجز عمله» (١).

«**إن طعامى هو أن أعمل**»... مبدأ إلهى جبار.. الطعام عمل، والعمل طعام.. لكنه طعام غير مادى.. طعام آخر غير طعام الخبز و «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان» (٢).

كما يقرر أيضاً أنه يعمل، ويعمل دائماً عملاً متواصلاً، ولايتوقف عن العمل «إن أبى حتى الآن يعمل، **وأنا أيضاً أعمل**» (٣).

وإذا كان الكتاب المقدس قد قال إن الله بعد خلقه الأيام الستة «وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقاً» (٤).

فليس الفراغ هنا من عمل الخلقة معناه التوقف عن الأعمال الأخرى، وكذلك الإستراحة المنصوص عليها ليست بمعنى التعطل عن العمل. فالفراغ هو فراغ من نوع واحد من العمل وهو عمل الخلق، لكن الله مازال يعمل. ومن بين أعمال الله تعالى عمل الحفظ. فالله لم يخلق الكون فقط. لكنه حافظه أيضاً، وهو الذى وضع قوانين الطبيعة ويحفظ لهذه القوانين بقاءها وفاعليتها واستمرارها، فلا تتوقف عن العمل. **ولئن كان قد فرغ من عمل الخلق الأول، لكنه فى الواقع مازال يخلق، وذلك بفعل القوانين الطبيعية التى وضعها ويحفظ لها قوتها وفاعليتها واستمرارها.** فالتكاثر فى النبات والحيوان والإنسان هو خلق لكائنات جديدة، وإن كان بفاعلية القانون الطبيعى فى إجتماع الذكر والأنثى.

---

(١) يوحنا ٤: ٣١- ٣٤.
(٢) (متى ٤: ٤)، (تثنية ٨: ٣).
(٣) (يوحنا ٥: ١٧). انظر أيضاً (يوحنا ٥: ٢٠، ٣٦)، (١٠: ٢٥، ٣٢، ٣٧، ٣٨)، (١٤: ١٠، ١١، ١٢)، (١٥: ٢٤)، (٣: ٢)، (مرقس ٧: ٣٧).
(٤) (التكوين ٢: ٢، ٣)، (الخروج ٢٠: ١١)، (٣١: ١٧)، (العبرانيين ٤: ٤).

وليس «الخلق» و «الحفظ» وحدهما هما عمل الله الدائم فى الوجود، لكن هناك أيضاً **العناية الإلهية بكل شىء**، بحيث لا يحدث أمر فى الكون من غير علم الله ومن غير إذنه.

قال المسيح له المجد: «أليس عصفوران يباعان بمليم، ومع ذلك لا يسقط واحد منهما على الأرض بغير مشيئة أبيكم الذى فى السموات؟ هكذا أنتم. فحتى شعر رؤوسكم كله معدود» (١). وقال أيضاً: «أليست خمسة عصافير تباع بمليمين، ومع ذلك فواحد منها ليس منسيا أمام الله، بل إنه حتى شعور رؤوسكم معدود كله» (٢).

ينبغى أن أعمل:

وإذا كان السيد المسيح يرى أن العمل واجب بالنسبة له، فالعمل أوجب بالنسبة لنا نحن البشر. إذا كان العمل واجباً على السيد، فكم بالأحرى يجب على العبد أن يعمل؟!.

«أفيحسب فضل لذلك الخادم أنه فعل ما أمر به؟ لا أظن. هكذا أنتم إذا فعلتم كل ما أمرتم به، فقولوا إننا عبيد لا فضل لنا، لأننا إنما فعلنا ما كان واجباً علينا أن نفعله» (٣).

والعمل المقصود، أولا وبالذات، هو عمل الصالحات، وكل أعمال البر والفضيلة التى تليق ببنى الإيمان، «لأن الإيمان بدون أعمال ميت.. لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت هكذا الإيمان أيضاً بدون أعمال ميت». «ترون إذن أنه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده» (٤).

ويقول المسيح له المجد «ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات، بل ذلك الذى يعمل إرادة أبى الذى فى السموات» (٥).

ويقول له المجد «ولماذا تدعوننى يارب، ولا تعملون بما أقول لكم» (٦).

ثم يقول «إن أمى وإخوتى هم الذين يسمعون كلمة الله، ويعملون بها» (٧).

ويقول كذلك: «بل مباركون هم الذين يسمعون كلمة الله ويحفظونها» (٨).

ويقول الرسول القديس بولس: «فليس الذين يصغون إلى كلام الشريعة هم الأبرار عند الله، بل العاملون بالشريعة هم الذين ينالون البر» (٩).

---

(١) (متى ١٠: ٢٩، ٣٠).
(٢) (لوقا ١٢: ٦، ٧)، (٢١: ١٨).
(٣) لوقا ١٧: ٩، ١٠.
(٤) يعقوب ٢: ٢٠، ٢٦، ١٧، ٢٤.
(٥) متى ٧: ٢١.
(٦) لوقا ٦: ٤٦.
(٧) (لوقا ٨: ٢١)، (متى ١٢: ٥٠)، (مرقس ٣: ٣٥).
(٨) لوقا ١١: ٢٨.
(٩) رومية ٢: ١٣.

ويقول الرسول القديس يعقوب: «كونوا عاملين بالكلمة، لا سامعين لها فقط، فتخدعوا أنفسكم» (١).

على أنه يمكن أن يتسع مفهوم العمل، فيشمل جميع ضروب النشاط التى ينبغى على الإنسان أن يقوم بها، مستغلا مواهبه، ومستثمراً إمكاناته العقلية والذهنية للتفكير والابتكار، وطاقاته وقدراته النفسية والجسمية فى كل أنواع المهارات والحرف والفنون والصناعات، ليجعل حياته أكثر سهولة، وحياة غيره من الناس أكثر متعة وأوفر سعادة فقد خلق الله آدم ووضعه فى جنة عدن «ليفلحها ويحرسها» (٢). أى أن الإنسان الأول خلقه الله ليعمل منذ الإبتداء. «وزاد الرب على ذلك بأن كلفه بالسيادة على الحيوان والنبات، والسيطرة على كل الطبيعة، كنائب عن الله فى حكم الطبيعة الحية والجامدة. «وباركهم الله وقال لهم: أثمروا وأكثروا، واملأوا الأرض، وأخضعوها، وتسلطوا على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى كل حيوان يدب على الأرض» (٣).

فإننى ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى:

إن المسيح له المجد ينسب أعماله إلى الآب، ويصف ذاته **بأنه مرسل من قبل الآب.**

وفى هذا إلحاح مستمر على بيان علاقته الثابتة بالآب.. إنه لا يريد أحداً من الناس أن ينسى علاقة المسيح له المجد بالآب السماوى.. فليس الابن منفصلا عن الآب، ولا هو جاء ليؤكد له كيانا منفصلا عن كيان الآب، حتى لا يقع الناس فى خطأ الاعتقاد بإلهين، أو الاعتقاد بأن المسيح إله جديد يثبت وجوده على حساب الإله القديم، أو يبنى كيانه على أنقاض الإله المعروف عند الناس منذ القديم. حاشا، فإن الله إله واحد، لا إثنان. والعلاقة بين الابن (وهو المسيح) وبين الآب، هى العلاقة بين أقنومين فى ذات إلهية واحدة، أى بين خاصيتين فى جوهر الإله الواحد بعينه (٤).

وليست هذه هى المرة الوحيدة التى يقول فيها المسيح له المجد إنه مرسل من قبل الآب. فما أكثر مايرد هذا التعبير على فمه له المجد، توكيدا منه لتدبير التجسد، وتدبير الفداء، وأنهما تدبير الآب والابن معاً، فهما معاً دائماً منذ الأزل بغير افتراق.

---

(١) يعقوب ١: ٢٢.
(٢) التكوين ٢: ١٥.
(٣) التكوين ١: ٢٨.
(٤) انظر كتاب المؤلف «إمرأة من لبنان» صفحات ١٩- ٣٠.

ومن ذلك قوله له المجد.

«إن طعامى هو أن أعمل بمشيئة الذى أرسلنى وأنجز عمله» (١).

«لأننى لا أبتغى مشيئتى، بل مشيئة الآب الذى أرسلنى» (٢).

«لأنى نزلت من السماء، لا لأعمل بمشيئتى، وإنما بمشيئة الذى أرسلنى» (٣).

«والآب نفسه الذى أرسلنى هو الذى شهد لى» (٤).

«إن تعليمى ليس من عندى، بل من عند الذى أرسلنى» (٥).

«أنا باق معكم وقتاً قليلاً، ثم أذهب إلى الذى أرسلنى» (٦).

«إن من آمن بى، لا يؤمن بى أنا، وإنما آمن بالذى أرسلنى» (٧).

«ومن رآنى، فقد رأى الذى أرسلنى» (٨).

وفى إلحاح المسيح له المجد على بيان أنه مرسل من قبل الآب (٩)، جمال الإتضاع. إنه ينسب كل الخير إلى الآب، لا إلى نفسه، لأن الآب هو فى أذهان الناس معروف عندهم قبل الابن الذى تجسد فى الزمان. ولعله بذلك يعلمنا كيف ينبغى أن يكرم الابن أباه، والتلميذ معلمه، وكيف يجب علينا أن نكرم الذين سبقونا من الآباء. «فإن آخرين قد تعبوا، وأنتم تجنون ثمرة تعبهم» (١٠). وفى هذا يبرز تواضع المسيح له المجد «تعلموا منى أنا الوديع المتواضع القلب» (١١).

مادام نهار:

والنهار يرمز إلى الوضوح. إن أعمال البر والصلاح والتقى وكل فضيلة يجب أن تكون فى وضوح. وهذا لا ينفى كونها يجب أن تكون أكثرها فى الخفية، فلا تكون لنيل المدح من الناس.. لكنها تكون فى وضوح، بمعنى أنها لاتحاك بالخديعة والغش والإلتواء. فالأبرار لا يعملون

---

(١) يوحنا ٤: ٣٤.
(٢) يوحنا ٥: ٣٠.
(٣) يوحنا ٦: ٣٨.
(٤) يوحنا ٥: ٣٧.
(٥) يوحنا ٧: ١٦.
(٦) يوحنا ٧: ٣٣.
(٧) يوحنا ١٢: ٤٤.
(٨) يوحنا ١٢: ٤٥.
(٩) (متى ١٠: ٤٠)، (مرقس ٩: ٣٧)، (لوقا ٩: ٤٨)، (١٠: ١٦)، (يوحنا ٥: ٢٣، ٢٤، ٣٦، ٣٨)، (٦: ٢٩، ٣٩، ٤٠، ٤٤، ٥٧)، (٧: ١٨، ٢٨، ٢٩، ٣٣)، (٨: ١٦. ٣٩، ٤٠، ٤٤، ٥٧)، (٨: ١٦، ١٨، ٢٦، ٢٩، ٤٢)، (١٠: ٣٦)، (١٢: ٤٩)، (١٦: ٥)، (٢٠: ٢١).
(١٠) يوحنا ٤: ٣٨.
(١١) (متى ١١: ٢٩)، (فيلبى ٢: ٨، ٩).

فى الظلام، ولا يخدعون ولا يمكرون، وأعمالهم تتصف بالبساطة والوضوح. وبذلك يصيبون ولا يخطأون.

قال رب المجد يسوع المسيح: «فإن مشى أحد فى النهار لايعثر.. وأما إن مشى فى الليل فإنه يعثر، لأنه ليس فيه النور» (١).

وتبعاً لذلك صار الأبرار يتصفون بأنهم أبناء النهار وأبناء النور (٢)، والأشرار أبناء الليل والظلمة، وصارت صفات أبناء النهار والنور هى القداسة والطهارة والنقاء، بينما أن صفات أبناء الليل والظلمة هى الشر والإثم والنجاسة.

يقول الرسول القديس بولس: «قد تناهى الليل واقترب النهار. فلنخلع أعمال الظلمة ولنلبس أسلحة النور. لنسلك باللياقة كما فى النهار، لا بالقصوف والسكر، ولا بالمضاجع والعهر، ولا بالخصام والحسد، بل إلبسوا الرب يسوع المسيح، ولا تشغلوا بالجسد لإشباع شهواته» (٣).

ويقول أيضاً «لأنكم جميعاً أبناء النور وأبناء النهار. لسنا نحن من أهل الليل ولا من أهل الظلمة.. أما نحن أبناء النهار فلنكن صاحين، لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة رجاء الخلاص» (٤).

كذلك النهار هنا يرمز إلى فترة الحياة الدنيا المتاحة للإنسان. فطالما أن للإنسان منا فرصة للحياة فى هذا العالم فليستغلها للعمل الصالح والمثمر، لبناء حياته، وإعداد مصيره الأبدى.

سيجىء الليل الذى لا يستطيع أحد أن يأتى فيه عملاً.

وكما أن النهار يرمز إلى الحياة الممتدة على الأرض والتى ينبغى على الناس أن يملؤوها بالأعمال الصالحة، ويشحنوها بأعمال الطاعات والفضائل، وتمجيد الله، وخدمته تعالى، وخدمة عبيد الله رفقائهم فى الكفاح. هكذا الليل يرمز إلى الزمن الذى بعد الموت، حين تغيب حياة الإنسان عن نظر إخوته الذين فى العالم.

حقاً إن للأبرار عملا بعد الموت (٥) فى خدمة الله تعالى وخدمة أرواح القديسين، لكن أعمال التوبة فرصتها هى فى الحياة الدنيا. فإذا فقد الخاطىء فرصة العمل هنا فى هذا العالم، من أجل حياته الأخرى، فقد أضاع حياته ومصيره الأبدى. وبهذا المعنى يقول النبى فى

---

(١) يوحنا ١١: ٩، ١٠.
(٢) لوقا ١٦: ٨.
(٣) رومية ١٣: ١٢- ١٤.
(٤) ١. تسالونيكى ٥: ٥- ٨.
(٥) (متى ٢٥: ٢١- ٢٣)، (لوقا ١٩: ١٧، ١٩).

المزمور: «لأنه ليس فى الموت من يذكرك، وهل فى الجحيم من يعترف لك» (١). ويقول أيضاً «ليس الأموات يسبحون الرب، ولا من ينحدر إلى أرض السكوت» (٢).

لذلك يقول المسيح له المجد: «فسيروا فى النور مادام لكم النور، لئلا يدرككم الظلام، لأن الذى يمشى فى الظلام لا يدرى إلى أين يسير» (٣).

مادمتُ فى العالم، فأنَا نور العالم.

(يوحنا ٩: ٥)

هنا يصرح الرب يسوع قائلا: «**أنا هو نور العالم**». نعم، لأنه هو شمس البر، والشفاء فى أجنحتها» (٤). وليست هذه هى المرة الوحيدة التى يصف بها يسوع المسيح ذاته بأنه «نور العالم».

لقد قال مرة قبل ذلك لليهود: «أنا هو نور العالم. من يتبعنى لايسير فى الظلام، بل ينال نور الحياة» (٥).

وقال مرة أخرى يرد على سؤال اليهود: «من هو ابن الإنسان هذا؟»، «قال لهم يسوع: «**إن النور بينكم زمانا يسيراً**، فسيروا فى النور مادام لكم النور، لئلا يدرككم الظلام، لأن الذى يمشى فى الظلام لايدرى إلى أين يسير، مادام النور معكم، فآمنوا بالنور، لتكونوا أبناء النور» (٦).

وقال أيضاً: «**أنا جئت إلى العالم نوراً**، حتى لا يمكث فى الظلام كل من يؤمن بى» (٧).

وقال كذلك: «وهذه هى الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور» (٨).

وفى سفر الرؤيا يصف المسيح له المجد ذاته بقوله: «**أنا يسوع.. كوكب الصبح المنير**» (٩).

* * *

---

(١) مزمور ٦: ٥.
(٢) (مزمور ١١٤: ١٧)، (٨٧: ١١)، (إشعياء ٣٨: ١٨).
(٣) يوحنا ١٢: ٣٥.
(٤) ملاخى ٤: ٢.
(٥) (يوحنا ٨: ١٢). انظر إشعياء (٩: ٢)، (٤٢: ٦)، (٤٩: ٦)، (٦٠: ١، ٢، ٣)، (متى ٤: ١٦)، (لوقا ٢: ٣٢)، (أعمال ١٣: ٤٧).
(٦) يوحنا ١٢: ٣٤- ٣٦.
(٧) (يوحنا ١٢: ٤٦). أنظر (يوحنا ١: ٤).
(٨) يوحنا ٣: ١٩.
(٩) الرؤيا (٢٢: ١٦)، (٢: ٢٨)، وكذلك فى (٢. بطرس ١: ١٩)، (سفر العدد ٢٤: ١٧)، (متى ٢: ٢).

وكما قال الرب يسوع لتلاميذه «أنا نور العالم» قال أيضاً لتلاميذه: «**أنتم نور العالم**» (١).

ولكن فرق بين أن يكون ربنا يسوع المسيح «نور العالم»، وبين أن يكون تلاميذ المسيح ورسله «نور العالم» الفرق بين الإثنين عظيم، كالفرق بين نور الشمس ونور القمر. ذلك لأن نور الشمس هو النور الأصيل، بينما أن نور القمر ليس فيه من ذاته، بل هو منعكس عليه من الشمس.

فالقمر جسم معتم، ليس فيه نور من ذاته. فإذا أنار، فبفضل نور الشمس الذى إنعكس عليه فيبدو جسماً منيراً. هكذا نور الرسل وتلاميذ المسيح وسائر القديسين. النور الذى فيهم ليس منهم، لكنه هو نور المسيح «استناروا به» (٢)، فأناروا. ولذلك وصف الإنجيل المسيح له المجد بأنه «**النور الحقيقى**» أى النور الأصيل، والذى ينير من ذاته.

قال الإنجيل: «كان رجل قد أرسل من الله اسمه يوحنا، جاء هذا للشهادة كى يشهد للنور، ليؤمن الكل على يده. لم يكن هو النور، وإنما أرسل ليشهد للنور. كان **النور الحقيقى** الذى ينير كل إنسان آتياً إلى العالم» (٣).

وقال الرسول القديس يوحنا فى رسالته الأولى «إن الظلمة قد مضت. **والنور الحقيقى** الآن يضىء» (٤).

لقد وصف الكتاب المقدس يسوع المسيح بأنه «**النور الحقيقى**» تمييزاً له عن نور الرسل والتلاميذ، ونور سائر القديسين.

ولذلك جاء فى «مقدمة قانون الإيمان» تمجيداً للعذراء مريم والده الإله: «نعظمك يا أم النور **الحقيقى**» (٥).

وورد أيضاً فى أولى قطع صلاة باكر، قول المصلى: «أيها النور **الحقيقى** الذى يضىء كل إنسان آت إلى العالم، أتيت إلى العالم بمحبتك للبشر» (٥).

إن المسيح له المجد هو «نور العالم» لأنه هو بذاته «الله الظاهر فى الجسد» (٦). والله فى ذاته «نور»، «**الله نور**» (٧)، وهو «**أبو الأنوار**» (٨)، «**ويسكن فى نور لا يقترب منه**» (٩).

---

(١) متى ٥: ١٤.
(٢) العبرانيين (٦: ٤)، (١٠: ٣٢).
(٣) يوحنا ١: ٦- ٩.
(٤) ١. يوحنا ٢: ٨.
(٥) انظر كتاب «السواعى» المسمى «الأجبية» وهو كتاب الصلوات اليومية، وكتاب «الخولاجى المقدس».
(٦) (١. تيموثيئوس ٣: ١٦)، (يوحنا ١: ١٤)، (١. بطرس ١: ٢٠)، (١. يوحنا ٣: ٥، ٨).
(٧) ١. يوحنا ١: ٥.
(٨) يعقوب ١: ١٧.
(٩) ١. تيموثيئوس ٦: ١٦.

وجاء فى «قانون الإيمان» عن الله الكلمة أنه «نور من نور» (١).

المسيح له المجد، إذن، هو النور فى ذاته، وهو «النور الحقيقى» والنور الأصيل، والنور الكامل.

ثم هو «نور العالم» لأنه **بتعاليمه أنار العالم** وقد دعانا من الظلمة إلى **نوره العجيب**» (٢)، «لأن الله الذى قال: «ليشرق من الظلمة نور» **هو الذى أضاء نوره فى قلوبنا، لإنارة معرفة مجد الله، فى وجه يسوع المسيح**» (٣).

* * *

لهذا صارت كنيسة المسيح أيضاً «منارة» لأنها هى التى تحمل إلى العالم «نور المسيح». وصار للكنيسة فى عمارتها «منارة» يوضع بها «نور» يضىء على الناس، ويجذب إنتباههم من بعيد، وتشير إلى نور المسيح فيها، وكأنها تناديهم برسالة المسيح نورها الحقيقى «إلتفتوا إلى واخلصوا ياجميع أقاصى الأرض، لأنى أنا الله وليس آخر» (٤). وقد قال المسيح له المجد «أنتم نور العالم. لا يمكن أن تخفى مدينة مقامة على جبل، ولا يوقد سراج ثم يوضع تحت مكيال، وإنما على منارة فيضىء لكل من فى البيت. **فليضىء نوركم هكذا أمام الناس**» (٥).

* * *

ولهذا الغرض عينه، **تضاء الكنيسة بالأنوار**. فلا يكتفى بأن تكون لها منارة مضيئة بالنور لتنير للناس من بعد، وترشدهم إليها وإلى طريق الخلاص بالمسيح، وإنما أمر الآباء الرسل أن تضاء الكنيسة من الداخل بالأنوار، لاسيما أثناء قراءة الكتب المقدسة «سراج لرجلى كلامك، ونور لسبيلى» (٦)، «لأن الوصية مصباح والشريعة نور، وتوبيخات الأدب طريق الحياة» (٧).

جاء فى الدسقولية (تعاليم الرسل):

«وأن تكون (الكنيسة) منيرة بأنوار كثيرة كمثل السماء، ولاسيما عند قراءة فصول الكتب المقدسة» (٨).

«وتكون لامعة جداً، بالشمع والقناديل» (٩).

* * *

---

(١) انظر قانون الإيمان النيقاوى فى الخولاجى، وكتب الصلوات.

(٢) (١ . بطرس ٢ : ٩)، (أعمال الرسل ٢٦ : ١٨).

(٣) ٢ . كورنثوس ٤ : ٦.

(٤) إشعياء ٤٥ : ٢٢.

(٥) (متى ٥ : ١٤ - ١٦)، (مرقس ٤ : ٢١)، (لوقا ٨ : ١٦)، (١١ : ٣٣).

(٦) مزمور ١١٨ : ١٠٥.

(٧) أمثال ٦ : ٢٣.

(٨) الدسقولية، الباب ٣٥.

(٩) المجموع الصفوى لجامعه الشيخ الصفى بن العسال، الباب الأول.

وكما قال السيد المسيح لتلاميذه القديسين ورسله الأطهار: «أنتم نور العالم» (١). شهد كذلك عن يوحنا المعمدان أنه كان نوراً، وقال: «ذاك كان هو السراج الموقد المنير، وقد كنتم تريدون أن تتهللوا بنوره ساعة» (٢). وقال الرسول القديس بولس لمؤمنى فيلبى: «لتكونوا بغير لوم، وبغير مكر، وأبناء الله بلاعيب، فى وسط جيل معوج ومتلو، **تضيئون فيه ضياء النيرات فى الكون**» (٣) وقال المسيح له المجد عن الصديقين: «حينئذ **يضىء الأبرار مثل الشمس فى ملكوت أبيهم**» (٤).

* * *

من أجل هذا يصور الفنانون القديسين يشع من عيونهم بريق الطهارة والقداسة، وتحيط رءوسهم هالة من النور. هذه الهالة تشير إلى أن الأبرار قد استناروا (٥) بنور المسيح، وبهذا النور الذى اكتسبوه من المسيح أصبحوا هم بدورهم أنواراً مضيئة فى ملكوت المسيح.

* * *

ولقد أمرت الكنيسة المقدسة أن يوقد أمام صورالقديسين المنتقلين وإيقوناتهم، **بالقناديل والشموع**. ذلك لأن القديسين هم كقول المسيح الرب «نور العالم». إنهم عاشوا أنواراً فى العالم، أضاءوا الناس بنور سيدهم، وأناروا العالم بسيرتهم الطاهرة وحياتهم المستقيمة، وبتعاليم مخلصهم وفاديهم، فأرشدوا الكثيرين إلى البر، وإلى الحياة الأبدية.

جاء فى كتب الكنيسة، إن الكنيسة «تكون لامعة جداً بالشمع والقناديل».

ومع أن المصابيح الكهربائية أقوى نوراً من القناديل والشموع وأسطع منها ضياء، لكن الكنيسة الأرثوذكسية تؤثر وضع القناديل والشموع أمام صور القديسين وإيقوناتهم، وأما المصابيح الكهربائية فتستخدمها فى إضاءة سماء الكنيسة ومنارتها، بحيث تتدلى من فوق، من القباب ومن سقف الكنيسة.

إن الشمع أوضح دلالة على سيرة القديسين. فكما أن الشمعة تحترق لتضىء، كذلك القديسون احترقوا بالجهاد والآلام فأناروا الناس وهدوهم إلى طريق الخلاص، والحياة الأبدية.

* * *

---

(١) متى ٥: ١٤.
(٢) يوحنا ٥: ٣٥.
(٣) (فيلبى ٢: ١٥). انظر ٢. كورنثوس ٦: ١٤.
(٤) متى ١٣: ٤٣.
(٥) (٢. كورنثوس ٤: ١٦)، (العبرانيين ٦: ٤)، (١٠: ٣٢).

هنا يجب أن نتوقف لنسأل أنفسنا أمام الرب.

هل نحن حقاً من «أبناء النور؟» (١).

هل نضيء الناس بسيرتنا؟.

هل نزين تعاليم مخلصنا؟.

هل استطعنا بالفعل أن نمارس قول فادينا: «فليضيء نوركم هكذا أمام الناس حتى يروا أعمالكم الصالحة، فيمجدوا أباكم الذى فى السموات؟» (٢).

يقول الرسول القديس يوحنا: «من قال إنه فى النور وهو يبغض أخاه، فهو فى الظلمة حتى الآن. من أحب أخاه كان مقيماً فى النور، وليس فيه عثار. وأما من أبغض أخاه فهو فى الظلمة، وفى الظلمة يسلك، ولا يدرى إلى أين يتجه، لأن الظلمة قد أعمت عينيه» (٣).

إن الفحم الذى نستخدمه فى المجمرة جسم معتم، بل وأسود، وحالك السواد، ومن مسك به اتسخ. أما إذا اتحد الفحم بالنار، فيحترق ويتوهج ويصير جسما متوهجاً بالحرارة، لامعا بالنور والنار. هكذا نحن البشر، إن لنا أخطاءنا وخطاياانا، ونحن مظلمو الفكر (٤). والنفس بالخطيئة. فإذا إلتصقنا بالمسيح وإتحدنا به، فالظلمة التى فينا تتحول إلى نور ونار، نور يضيء، ونار تحرق.

يقول الرسول القديس بولس: «فإنكم كنتم حينا ظلمة، أما الآن فأنتم نور فى الرب فسيروا سيرة أبناء النور» (٥).

ولنقل مع الرسول بولس أيضاً: «قد تناهى الليل، واقترب النهار. فلنخلع أعمال الظلمة، ولنلبس أسلحة النور» (٦).

* * *

فقال يسوع: أتيت أنا دينونة للعالم حتى يبصر الذين لايبصرون، ويعمى الذين يبصرون (يوحنا ٩: ٣٩).

هذا كلام رهيب، يقوله الرب يسوع! فما معناه؟.

---

(١) (لوقا ١٦: ٨)، (يوحنا ١٢: ٣٦)، (أفسس ٥: ٨)، (١. تسالونيكى ٥: ٥).
(٢) متى ٥: ١٦.
(٣) ١. يوحنا ٢: ٩- ١١.
(٤) أفسس ٤: ١٨.
(٥) أفسس ٥: ٨.
(٦) رومية ١٣: ١٢.

الذين لايبصرون، هم العميان عن جهل ممن لايعرفون الكتب، مثلهم مثل المولود أعمى، ومن إليه من البسطاء. هؤلاء البسطاء إذا طلبوا الخلاص وجدوه، واستنارت عيون قلوبهم بنور المسيح الحقيقى. **فيصبحون مبصرين**. فكم من الخطاة البسطاء تابوا..، وكم من الجهال الأبرياء عرفوا طريق الخلاص.. وكم من أشرار ومجرمين ندموا على شرهم بعد أن استنارت عقولهم، فتحولوا إلى أبرار وقديسين.. كانوا عميانا فصاروا مبصرين.. وكانوا مظلمين ومعتمين فأصبحوا مستنيرين ومنيرين..

وأما المبصرون فى نظر أنفسهم ممن يقولون إنهم مبصرون، ولكن قلوبهم مفعمة بالعمى الروحى، فهؤلاء، على الرغم من أنهم يزعمون بأنهم مبصرون، لكنهم - لعنادهم وكبريائهم وغرورهم، ولرفضهم لنور المعرفة فى المسيح - سيهملهم الله إهمالاً تاماً لقساوة قلوبهم ،وكما أنهم لم يستحسنوا أن يستبقوا الله فى معرفتهم، أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض، ليفعلوا مالا يليق، (١). وبذلك يزدادون عمى على عمى، ويفقدون إلى الأبد ما كان لهم من بعض النور فى حياتهم.

* * *

معنى هذا أن النور مع أنه خير وبركة ورحمة، إلا أنه يمكن أن ينقلب إلى دينونة وعقاب، للذين لاينتفعون به. إنه يضىء الطريق أمام الضالين عن جهل، لكن يمكن أن يعشى به الذين لايستحقونه، وهؤلاء هم المعاندون المكابرون والرافضون فيما جاء به الرب يسوع نوراً وخلاصاً وهدى وإرشاداً للتائهين والضالين عن جهل، من أمثال المولود أعمى والسامرية.. لكن أناساً كالكتبة والفريسيين وأمثالهم من رؤساء كهنة اليهود، الذين رفضوا النور، ،وأحبوا الظلمة أكثر من النور، (٢)، سيصير لهم نور المسيح سبباً لمضاعفة دينونتهم، وعلة لهلاكهم لأنهم يبصرون، ممن يدعون أنهم يبصرون، ويزعمون أنهم « قادة للعميان، ونور للذين فى الظلمة، (٣)، ولذلك قال الرب يسوع لهم: «تقولون إننا نبصر، فخطيئتكم باقية» (يوحنا ٩ : ٤١). ،وهكذا يكون مصير الرافضين النور، المعاندين ضد الحق، «الذين استبدلوا حق الله بالكذب» (٤).

* * *

---

(١) رومية ١ : ٢٨.
(٢) يوحنا ٣ : ١٩.
(٣) رومية ٢ : ١٩.
(٤) رومية ١ : ٢٥.

فلنصلِ لكى تلين قلوبنا أمام نعمته تعالى، وأن تشرق علينا وفينا أضواء رحمته، ولنطلب الخلاص لنفوسنا، وخلاص الله للشعوب.

ولنرتعب أمام جلاله القدوس، ولنطامن أمام عظمة هيبته، ولا نعاند صوته، ولا نقاوم مشيئته، لئلا ندان، فنهلك بسبب قساوة قلوبنا.

«أم تزدرى غنى لطفه وإمهاله وطول أناته، ولاتعلم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة؟ ولكنك بقساوتك وقلبك غير التائب تدخر لنفسك غضباً ليوم الغضب، واستعلان دينونة الله العادلة» (١).

«إنى أقول لكم:.. فإنكم مالم تتوبوا، ستهلكون بالمثل جميعاً» (٢).

فاذكر من أين سقطت وتب واعمل الأعمال الأولى، وإلا فانى آتيك وأزحزح منارتك عن مكانها إن لم تتب» (٣).

ونعمة الرب تشمل جميعنا.

ولعظمته تعالى المجد والإكرام والسجود الآن وكل أوان وإلى دهر الأدهار، آمين.

---

(١) رومية ٢: ٤، ٥.

(٢) لوقا ١٣: ٣، ٥.

(٣) (الرؤيا ٢: ٥)، (متى ٢١: ٤٣، ٤٤).

سلطان المسيح فى إخراج وطرد الشياطين والأرواح النجسة

ما أكثر البينات على سلطان المسيح له المجد على الشياطين والأرواح النجسة، فكان يشفى المرضى ممن كانت الشياطين والأرواح النجسة تتملكهم وتتسلط عليهم، وتعذبهم، بأن يأمر الشياطين والأرواح النجسة بأن تفارقهم، فتمتثل **الشياطين والأرواح النجسة لأمره، وتخرج صارخة مقرة بسلطانه عليها.**

جاء فى الإنجيل:

«وكان يسوع يطوف فى الجليل كله، يعلم فى مجامعهم وينادى ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب... **فكانوا يجيئون إليه بكل المعذبين بأمراض وأوجاع مختلفة والذين تسكنهم الشياطين، والمصابين بالصرع والفالج، فكان يشفيهم**» (متى ٤: ٢٣، ٢٤).

«وفى المساء بعد غروب الشمس شرعوا يحضرون إليه كل المرضى **والذين بهم شياطين**، وقد اجتمعت المدينة كلها عند الباب، **فشفى كثيرين من المصابين** بأمراض مختلفة، **وطرد كثيرين من الشياطين**، ولم يسمح للشياطين بالكلام، إذ عرفوه أنه هو المسيح» (مرقس ١: ٣٢- ٣٤)

«**جاءوا إليه بكثيرين ممن بهم شياطين فكان يطرد الأرواح بكلمة منه، ويشفى جميع المرضى**» (متى ٨: ١٦)

والشياطين والأرواح النجسة إذا سكنت فى الإنسان، فإنها تملكه وتسيطر عليه، وتحكمه، وتعذبه، وتصيبه بأمراض مختلفة، وتقيد حركته وقد تغلق فيه باباً أو أكثر من أبواب المعرفة، وتربط بعض أعضائه، ومنها العينان أو اللسان أو الأذنان، وقد تربط يديه أو رجليه أو ظهره أو عظامه...

جاء فى الإنجيل:

«ثم جيء إليه برجل **كان به شيطان وكان أعمى وأخرس، فشفاه، حتى إن الأعمى الأخرس أبصر وتكلم**» (متى ١٢: ٢٢).

فالعمى والخرس فى ذلك الرجل لم يكن بسبب مرض عضوى فى العينين أو اللسان،

وإنما بسبب الشيطان الساكن فيه وكان قد أغلق عينيه وعقد لسانه، وهذا هو ما يعرف بـ (**ربط الشياطين**). ولذلك فإنه بمجرد **أن خرج الشيطان من ذلك الرجل، انفتحت عيناه، وانحلت عقدة لسانه، فأبصر وتكلم بطلاقة.**

كذلك ذكر الإنجيل واقعة أخرى عن إمرأة دخلها الشيطان فربط ظهرها، **وأمست منحنية لمدة ثمانية عشر عاما** إلى أن **شفاها المسيح له المجد بطرد الشيطان منها، فانتصب ظهرها وانتصبت هى قائمة.** فلم يكن إنحناؤها عن علة عضوية فى ظهرها، وإنما نتيجة **ربط الشيطان لظهرها.**

قال الإنجيل:

«وإذا إمرأة كان قد **استولى عليها روح أصابها بمرض** منذ ثمانية عشر عاما، **فكانت منحنية ولم تكن لتستطيع أن تنتصب البتة**». فلما رآها يسوع دعاها إليه وقال لها: «أيتها المرأة إنك محلولة الوثاق من مرضك» ووضع يديه عليها، «**ففى الحال انتصبت قائمة ومجدت الله**» ثم قال المسيح له المجد لرئيس مجمع اليهود وللجمع يشرح حقيقة مرض هذه المرأة «وهذه إبنة إبراهيم **وقد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة.** أما كان ينبغى أن تحل من هذا الرباط... فلما قال هذا خزى كل الذين كانوا يقاومونه. وأما الشعب فكان يفرح كله بجميع الأعمال التى كانت تجرى على يديه» (لوقا ١٣: ١١- ١٧).

وذكر الإنجيل أيضا خبر أخريات من النساء **كانت تتملكهن الشياطين والأرواح النجسة، وشفاهن المسيح له المجد بطرد الشياطين عنهن بقوة سلطانه الإلهى...**

«**وبعض النسوة اللاتى كان قد أبرأهن من أرواح شريرة وأمراض**» وهن مريم التى تدعى المجدلية، **وكان قد أخرج منها سبعة شياطين**»... وحنة زوجة خوزا أمين خزانة هيرودس، وسوسنة، وأخريات كثيرات» (لوقا ٨: ٢، ٣).

وجاء فى الإنجيل قوله: جاء إليه بعض الفريسيين وقالوا له: «اخرج وامض من هنا فإن هيرودس يريد أن يقتلك». فقال لهم: اذهبوا وقولوا لهذا الثعلب. **ها أنا ذا أطرد الشياطين وأنجز أعمال الشفاء اليوم وغداً** وفى اليوم الثالث سأكمل. «غير أننى ينبغى لى أن أواصل مسيرتى اليوم وغدا واليوم الذى يليه ثم أمضى» (لوقا ١٣ : ٣١ - ٣٣).

* * *

ومن بينات سلطانه على الشياطين والأرواح النجسة ما صنعه مع مجنون أرض الجرجسيين

قال الإنجيل:

«ثم أرسوا عند أرض الجرجسيين على الشاطىء المقابل للجليل. فما أن نزل إلى البر حتى اتجه نحوه رجل من المدينة (خارج من القبور) كانت به شياطين منذ زمان طويل (وكان يقيم بين القبور)، ولم يكن يرتدى ثوباً، ولا يقيم فى بيت، وإنما فى القبور فما إن رأى يسوع حتى صرخ وارتمى عند قدميه قائلا له بصوت عظيم «مالك ولى يايسوع ابن الله العلى؟ ألتمس منك ألا تعذبنى». **إذ كان قد أمر الروح النجس بأن يخرج من الرجل.** وكان قد استحوذ عليه منذ زمان طويل، فكانوا يكبلونه بالسلاسل ويصفدونه بالأغلال، فيحطم القيود، ويسوقه الشيطان إلى البرارى (وكان لا يكف عن الصياح ليلاً ونهاراً فى القبور وفى الجبال وهو يجرح بالحجارة جسمه، فلما رأى يسوع من بعيد ركض وسجد له)، ثم صرخ بصوت عظيم قائلاً «ما لك ولى يا يسوع ابن الله العلى؟ أستحلفك بالله ألا تعذبنى» إذ كان يسوع قد قال له: «اخرج من الرجل أيها الروح النجس» فسأله يسوع قائلاً «ما أسمك؟» فقال «فيلق لأن شياطين كثيرين كانوا قد دخلوا فيه. وقد توسلوا **إلى يسوع ألا يأمرهم بالذهاب إلى الغور الذى لا قرار له.** وكان هناك قطيع من الخنازير يرعى عند الجبل **فتوسلوا إليه أن يأذن لهم بالدخول فيها فأذن لهم. فخرجت الشياطين من الرجل (على الفور) ودخلت فى الخنازير.** فاندفع القطيع الذى كان عدده نحو الألفين وهوى من فوق الجوف وغرق فى البحيرة. وإذ رأى الرعاة ما حدث هربوا، وذهبوا وأذاعوا الأمر فى كل المدينة وفى الضياع. فخرج الناس ليروا ما حدث. ولما جاءوا إلى يسوع **وجدوا الرجل الذى خرجت منه الشياطين جالساً عند قدمى يسوع، وقد ارتدى ثيابه واسترد عقله. فخافوا.**

وقد أخبرهم الذين شاهدوا ما حدث كيف شفى ذلك الذى كانت فيه الشياطين وبما حل بالخنازير فطلب إليه كل الذين فى أرض الجرجسيين ونواحيها أن يذهب عنهم، إذ اعتراهم خوف عظيم» (لوقا ٨: ٢٦- ٣٧)، (مرقس ٥: ١- ١٧).

* * *

ويروى الإنجيل للقديس متى قصة رجلين من ذات بقعة الجرجسيين كان بهما شياطين وقد طرد المسيح له المجد الشياطين منهما:

«ولما جاء إلى الضفة الأخرى، إلى أرض الجرجسيين لاقاه رجلان، بهما شياطين، خارجان من القبور. وكان شرسين جداً، حتى لم يكن أحد ليستطيع أن يمر من ذلك الطريق»، وإذا بهما يصرخان قائلين: «**ما شأنك بنا يايسوع ابن الله؟ أجئت إلى هنا لتعذبنا قبل الأوان؟**»، وكان هناك على مسافة منهما قطيع من خنازير كثيرة ترعى. **فتوسل الشياطين** إليه قائلين: «**إن كنت ستطردنا فدعنا نذهب وندخل فى قطيع الخنازير**». فقال لهم: «**اذهبوا**»، «**فخرجوا ودخلوا** فى قطيع الخنازير. وإذا القطيع كله قد اندفع من فوق الجرف إلى البحر ومات فى المياه. فهرب الرعاة ومضوا إلى المدينة، وأخبروا بكل شىء، وبما جرى لمن كانت بهما الشياطين فإذا المدينة كلها قد خرجت لملاقاة يسوع وحين رأوه طلبوا إليه أن ينصرف عن نواحيهم» (متى ٨: ٢٨- ٣٤).

* * *

إن هذه القصة عن مجنون الجرجسيين الذى كانت به الشياطين منذ زمان طويل وكان يقيم بين القبور ولم يكن يرتدى ثوباً والذى ما إن رأى الرب يسوع حتى صرخ وارتمى عند قدميه قائلاً له بصوت عظيم «ما لك ولى يا يسوع ابن الله العلى،ألتمس منك ألا تعذبنى»، قصة تكشف لنا عن **سلطان المسيح له المجد على الشياطين**، فالرجل الذى كانوا يكبلونه بالسلاسل ويصفدونه بالأغلال، فيحطم القيود، ولا يكف عن الصياح ليلاً ونهاراً، **ما إن رأى الرب يسوع من بعيد، حتى ركض وسجد له وارتمى عند قدميه وصار يتوسل إليه** «ما لك ولى يا يسوع ابن الله العلى، أستحلفك بالله ألا تعذبنى» لقد ارتمى عند قدميه وسجد له وتوسل إليه، بينما لم يكن أحد آخر قبل المسيح قادراً عليه إذ كانوا يكبلونه بالسلاسل ويصفدونه بالأغلال فيحطم القيود، الأمر الذى يكشف الفارق بين نظرته إلى المسيح ونظرته إلى الآخرين

من الناس، بما يؤكد على مكانة المسيح الإلهية وربوبيته. فالرجل وفيه الشياطين يصرخ بصوت عظيم معترفا بأن **يسوع المسيح هو ابن الله الحى**، ولذلك فإنه **ركض نحوه، وسجد له، وارتمى عند قدميه مؤديا واجبات الخضوع والاحترام والعبودية لجلاله.**

وكذلك الحال بالنسبة للرجلين اللذين يصفهما الإنجيل للقديس متى بأنهما (كانا شرسين جداً. حتى لم يكن أحد ليستطيع أن يمر من ذلك الطريق) فلما شاهدا الرب يسوع أخذا يصرخان مقرين بأن **يسوع هو ابن الله العلى**، ويتوسلان إليه بتضرع وابتهال وخشوع وخوف قائلين «ما شأنك بنا يايسوع ابن الله؟ أجئت إلى هنا لتعذبنا قبل الأوان» أى أوان محاكمة الشياطين فى يوم الحساب العظيم. وأضافا إلى إعترافهما، وبالتالى إعتراف الشياطين التى تسكنهما «إن كنت ستطردنا فدعنا نذهب وندخل فى قطيع الخنازير»، **وهذا إقرار ضمنى من الشياطين بأن المسيح يملك أن يطردهم من هذين الرجلين.** وهذا ما حدث فعلاً إذ أمر المسيح له المجد قائلاً: «اخرج من الرجل أيها الروح النجس»، فلم يعترض الروح النجس على الأمر، مع أنه لم يكن روحاً واحداً، وإنما كان «فيلق» أو «كتيبة» وكان (لجيون) وهو مصطلح عكسرى قوامه ٦٦٠٠ جندى ـ هذا العدد الضخم لم يستطع أن يرفض أو حتى أن يعترض على الأمر الصادر إليه من المسيح له المجد، وكل ما هنالك كانوا يتوسلون إلى المسيح له المجد قائلين: «إن كنت ستطردنا فدعنا نذهب وندخل فى قطيع الخنازير» **حقا إن هذه القصة تكشف عن سلطان المسيح على الشياطين والأرواح النجسة، وإقرار الشياطين بهذا السلطان الإلهى المطلق.**

ثم، إن توسل الشياطين إلى المسيح له المجد وتضرعهم إليه بأن لا يأمرهم بالذهاب إلى الغور الذى لا قرار له، يكشف عن **سلطان المسيح على الهاوية أو الجحيم**، لذلك **توسلت إليه الشياطين «أن لا يرسلهم إلى الغور الذى لا قرار له»، وهو الجحيم، وهو اعتراف ضمنى صريح بسلطان المسيح على مقر الشياطين والأرواح النجسة**، وأنه كما قال الكتاب المقدس «فإذا كان الله لم يشفق على الملائكة الذين أخطأوا، بل **طرحهم فى أسافل الجحيم**، مقيدين بسلاسل الظلمات محروسين للقضاء والعقاب» (٢ . بطرس ٢ : ٤) . أليس هو المسيح بعينه الذى يقول للقديس يوحنا فى الرؤيا «أنا الأول وأنا الآخر. والحى، وكنت ميتا، وهاءنذا حى إلى أبد الدهور. **وبيدى مفاتيح الموت والجحيم**» (الجليان ـ الرؤيا١ :١٨) ؟

ثم أضافت الشياطين فى توسلهم «أن **يأذن لهم الرب يسوع** بالدخول فى قطيع الخنازير». **فأذن لهم** وقال «**اذهبوا**». وهذا إعتراف **وإقرار بسلطانه له المجد عليهم وعلى الخنازير**، إنهم إذ **يستأذنونه**، أى **يطلبون منه أن يأذن لهم**، وكأنهم يُقِّرون **بأنهم لا يستطيعون ذلك ما لم يأذن لهم المسيح بذلك**، فهذا إعتراف بسلطانه له المجد عليهم، أى أنهم لا يستطيعون هم أن يدخلوا فى قطيع الخنازير ما لم يأذن لهم. **فلما أذن لهم بذلك، دخلوا فعلاً فى قطيع الخنازير. «فخرجت الشياطين من الرجل على الفور ودخلت فى الخنازير**»، فاندفع القطيع الذى كان عدده نحو الألفين وهوى من فوق الجرف وغرق فى البحيرة». فهذا الذى حدث برهان واضح على سلطان المسيح الإلهى على الطبيعة كلها، كما هو برهان فى الآن نفسه على أن الشياطين - وهى أرواح لها سلطانها وسطوتها - **لا تستطيع أن تتحرك بدون إذن منه**. أليس هو القائل «أليس عصفوران يباعان بمليم ومع ذلك لا يسقط واحد منهما على الأرض بغير مشيئة أبيكم الذى فى السماوات» (متى ١٠: ٢٩)، (لوقا ١٢: ٦)؟

* * *

ومن آيات سلطان المسيح له المجد على الشياطين والأرواح النجسة ما رواه الإنجيل عن الرب يسوع أنه بعد أن نزل من على جبل تابور، جبل التجلى، «استقبله جمع عظيم، وإذا رجل من الجمع (تقدم إليه وسجد له وصرخ قائلاً: يارب ارحم إبنى) أتضرع إليك أن تنظر إلى إبنى، فإنه وحيدى، (**الذى به روح أخرس**)، (**لأنه مصاب بالصرع، وهو يتعذب عذابا أليما**)، **وإن روحاً يتملكه**، (**حينما يتملكه يصرعه فيزبد**) **فيصرخ بغتة ويهزه بعنف ويصرعه فيرتمى وهو يزبد** (**ويصر على أسنانه ويتصلب**) (**فكثيرا ما يسقط فى النار، وكثيرا ما يسقط فى الماء**) **ثم لا يغادره إلا بالجهد مرضضا إياه**».

«وقد طلبت من تلاميذك أن يطردوه فلم يستطيعوا»

«فأجاب يسوع وقال أحضروه إلىّ» «أحضر لى إبنك هنا» (فأحضروه إليه فما إن رآه الروح حتى صرع الصبى فسقط على الأرض يتمرغ ويزبد). ففيما هو يتقدم إليه صرعه الشيطان، وهو يهزه بعنف. (فسأل يسوع أباه «منذ متى حدث له هذا؟ فقال: منذ طفولته. وكثيرا ما ألقى

به فى النار وفى الماء ليهلكه. فإن كنت تستطيع أن تفعل شيئا فأشفق علينا وأعنا»... وقد رأى يسوع الناس مقبلين وهم يركضون معاً، **فانتهر يسوع الروح النجس قائلا له: «أيها الروح الأخرس الأصم إننى آمرك فاخرج منه ولا تعد تدخله مرة أخرى»** (ثم انتهر يسوع الشيطان)، (**فصرخ وصرعه فى عنف وخرج منه**، وقد صار كالميت، حتى لقد قال كثيرون إنه قد مات. إلا أن يسوع **أمسك يده وأقامه فنهض**). **وشفى الغلام منذ تلك الساعة**. **وسلمه إلى أبيه**، **فذهل الجميع من عظمة الله**» (لوقا ٩: ٣٧- ٤٢)، (مرقس ٩: ١٥- ٢٦)، (متى ١٧: ١٤- ١٨).

* * *

أليس حقاً مثيرا أن يوجه المسيح له المجد الخطاب إلى الشيطان والروح النجس بهذه اللهجة القوية التى يبدو منها واضحاً سلطانه على الشياطين والأرواح النجسة. إنه ينتهر الروح النجس فى الصبى قائلاً له: «**أيها الروح الأخرس الأصم إننى آمرك فاخرج منه، ولا تعد تدخله مرة أخرى**». وأما الروح النجس فيستجيب للأمر الإلهى الصادر إليه من السيد المسيح فورا، ومن دون إبطاء، ويخرج من الصبى **فيسلم المسيح الصبى إلى أبيه وقد شفى تماما**، الأمر الذى جعل الجمع كله يذهل من عظمة الله؟

سلطان المسيح فى إخراج الشياطين والأرواح النجسة من بُعد:

من البينات على سلطان المسيح له المجد على الشياطين والأرواح النجسة أنه **كان يخرجها ويطردها بالأمر الصادر منه على بعد المسافات، وكانت تصدع لأمره فوراً**.

من ذلك **طرده للشيطان من إبنة المرأة الكنعانية الفينيقية**، وكانت هذه الإبنة المعذبة فى البيت، وذلك بناء على ضراعة أمها.

قال الإنجيل:

«ثم ذهب يسوع... ومضى إلى نواحى صور وصيدون، وإذا إمرأة كنعانية (وكانت هذه المرأة يونانية، تنتمى بجنسيتها إلى فينيقية السورية)، قد خرجت من تلك النواحى تصرخ قائلة: «**ارحمنى يارب**، يابن داود، **إن إبنتى بها شيطان يعذبها عذابا أليما**». أما هو فلم يجبها بكلمة وتقدم إليه تلاميذه ورجوه قائلين: «اصرف هذه المرأة فإنها لا تفتأ تصيح فى إثرنا». فأجاب وقال: «ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل». فجاءت إليه وسجدت له

قائلة: «يارب أعنى» (**وقد تضرعت إليه أن يطرد الشيطان من إبنتها**). غير أن يسوع قال لها: «دعى البنين يشبعون أولا، لأنه لا يليق أن يؤخذ خبز البنين ويلقى للكلاب». فأجابته قائلة: «حقا يارب ولكن الكلاب تأكل تحت المائدة من فتات البنين»، الفتات الذى يسقط من موائد أربابها، فأجاب يسوع وقال لها: «أيتها المرأة عظيم هو إيمانك» (من أجل قولك هذا) «**فليكن لك ما تريدين**» (**اذهبى فقد خرج الشيطان من إبنتك**). **فشفيت إبنتها فى تلك اللحظة نفسها**. (فلما عادت إلى بيتها وجدت إبنتها راقدة على الفراش **وقد خرج الشيطان منها**) (متى ١٥: ٢١– ٢٨)، (مرقس ٧: ٢٤– ٣٠).

أليس حقا أمراً مثيراً أن يستجيب الروح النجس لأمر المسيح، **فيخرج من الإبنة، إطاعة للأمر على الرغم من بعد المسافات** بين المكان حيث أصدر المسيح أمره، وبين البيت الذى كانت ترقد فيه الإبنة معذبة عذابا شديداً على حد تعبير أمها «ارحمنى يارب، يابن داود، إن إبنتى بها شيطان يعذبها عذاباً أليماً».

هذا إلى أن المسيح له المجد، مع ذلك لم يصدر الأمر مباشرة إلى الروح النجس، كما فعل مع الروح النجس الساكن فى الصبى الذى أتى به أبوه إلى المسيح بعد أن نزل من جبل التجلى. إن الأمر فى حالة الإبنة الصبية **لم يكن مباشراً**، إنه له المجد قال للمرأة الكنعانية «**ليكن لك ما تريدين. إذهبى، فقد خرج الشيطان من إبنتك. فشفيت إبنتها فى تلك اللحظة عينها، وخرج الشيطان منها**».

إن هذه الواقعة دلالة قاطعة على سلطان المسيح على الأرواح النجسة والشياطين. إنها تستجيب لأمره حتى لو كان الأمر الصادر إليها من بعد؟!.

* * *

سلطان المسيح على إقامة الموتى

لقد أظهر المسيح له المجد سلطانه الشامل على الإنسان فى شفاء جميع الأمراض البدنية والنفسية والعصبية والعقلية والروحية، وبكل الطرائق.

على أنه أيضا **أقام الموتى**، وأعاد إلى الحياة كثيرين.

جاء فى الإنجيل عن المسيح له المجد أنه جعل «العمى يبصرون، والمقعدون يمشون، والبرص يطهرون، والصم يسمعون، **والموتى يقومون**» (متى ١١: ٥)، (لوقا ٧: ٢٢).

لقد أقام المسيح عدداً من الموتى كثيرين، ولكن الإنجيل ذكر ثلاثة من أحداث القيامة كعينات فقط، وكأمثلة ظهر فيها واضحا سلطانه على الحياة، وهو الذى قال لمرثا أخت لعازر «**أنا هو القيامة والحياة**» (يوحنا ١١: ٢٥)، وقال فيه الإنجيل للقديس يوحنا «كل شىء به كان، وبغيره لم يكن شىء مما كان. **فيه كانت الحياة**» (يوحنا ١: ٣، ٤)، وقال: «لأنه كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم، هكذا **الابن يحيى من يشاء**» (يوحنا ٥: ٢١)، وقال: «إن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية، **وأنا أقيمه فى اليوم الأخير**» (يوحنا ٦: ٤٠)، (٦: ٣٩، ٤٤).

- ١ -

إقامة الصبية إبنة يايروس رئيس المجمع من الموت.

وهى الحادثة الأولى التى أختص بذكرها الإنجيل:

«وجاء إليه أحد رؤساء المجمع اسمه يايروس، ولما رآه خر عند قدمى يسوع»، وأخذ يضرع إليه فى إلحاح قائلاً: «إن إبنتى مشرفة على الموت. تعال ضع يدك عليها، فتنجو وتحيا» فذهب معه، وتبعه جمع كثير متزاحمين عليه... وبينما كان يتكلم جاءوا إلى رئيس المجمع يقولون له «**قد ماتت إبنتك**، فلماذا تتعب المعلم؟» فسجد له قائلا: «**قد ماتت الآن إبنتى** لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا» فلما سمع يسوع الكلام الذى قالوه، قال لرئيس المجمع، لا تخف وإنما آمن فقط. (ولما جاء إلى البيت لم يسمح لأحد بالدخول معه إلا لبطرس ويعقوب ويوحنا وأبى الصبية وأمها). فلما بلغوا بيت رئيس المجمع رأوهم يضجون ويبكون ويولولون كثيراً. (وكان الجميع يبكون عليها ويندبونها). فدخل وقال لهم لماذا تضجون وتبكون؟ إن الصبية لم تمت ولكنها نائمة «**فضحكوا ساخرين منه**» (**إذ كانوا يعلمون أنها قد ماتت**. ولكنه

أخرجهم جميعا) ثم أخذ معه أبا الصبية وأمها والذين كانوا يصحبونه، **ودخل إلى حيث كانت الصبية مسجاة**. وأمسك بيد الصبية وقال لها: «**طليثا قومى أى «ياصبية قومى** (انهضى)، (**فعادت روحها إليها**) **وفى الحال قامت الصبية ومشت**»، إذ كانت فى الثانية عشرة من عمرها. (وقد استولت الدهشة على أبويها (أعظم الدهشة) «فأمر بأن يعطوها لتأكل» (مرقس ٥: ٢٢- ٢٤، ٣٥- ٤٣)، (لوقا ٨: ٤١- ٤٣، ٤٩- ٥٦)، (متى ٩: ١٨- ٢٦).

فالصبية كانت قد ماتت فعلاً، حتى إن المسيح عندما قال عنها إن الصبية لم تمت لكنها نائمة ضحك الناس ساخرين منه، **إذ كانوا يعلمون أنها قد ماتت**، ولذلك كان الجميع يبكون عليها ويندبونها وهم يضجون ويبكون ويولولون كثيراً، فدخل المسيح إلى حيث كانت الصبية مسجاة، **وناداها بالأمر دون ضراعة أو ابتهال أو صلاة: طليثا قومى، أى يا صبية قومى، وأمسك بيدها فعادت روحها إليها بعد أن كانت قد خرجت منها بالموت. وقامت الصبية فى الحال ومشت**. وقد حدث كل هذا أمام أبوى الصبية وأمام ثلاثة من تلاميذه، بطرس ويعقوب ويوحنا، ليكونوا جميعا الشهود على أن الصبية كانت قد ماتت فعلا، **وأن المسيح أقامها من الموت، وأعادها إلى الحياة**، الأمر الذى جعل أبوى الصبية والتلاميذ الثلاثة تستولى عليهم الدهشة أعظم الدهشة. فهذه معجزة حقيقية أثبت بها المسيح له المجد سلطانه على الحياة والموت. حقا كما قال فى الرؤيا: «أنا الأول والآخر. والحى وكنت قد متُّ، وها أنا الحى إلى أبد الدهور، **وبيدى مفاتيح الموت والجحيم**» (الجليان ١: ١٧، ١٨).

- ٢ -

إقامة الشاب ابن أرملة نايين من الموت.

وثمت معجزة أخرى يتضح فيها سلطان المسيح له المجد على إقامة الموتى، وهى معجزة إقامة الشاب ابن أرملة نايين من الموت بعد أن حملوه فى نعش، وذهبوا به إلى خارج المدينة ليدفنوه وكانت أمه تبكى، ويصحبها جمع عظيم.

قال الإنجيل:

«ذهب يسوع إلى مدينة تدعى نايين، وكان يصحبه تلاميذه وجمع عظيم. فلما اقترب من باب المدينة، إذا ميت محمول، كان هو الابن الوحيد لأمه التى كانت أرملة، وكان معها جمع كبير من المدينة. فإذ رآها الرب تحنن عليها وقال لها: «لا تبكى»، ثم تقدم ولمس النعش، فوقف

الذين كانوا يحملونه، فقال «أيها الشاب لك أقول قم، فجلس الميت وبدأ يتكلم، فسلمه إلى أمه. وقد استولى الخوف على الجميع، ومجدوا الله... فذاع عنه هذا الأمر فى كل اليهودية والنواحى المحيطة بها» (لوقا ٧: ١١- ١٧)

فى هذه المعجزة أو الواقعة كان الشاب ابن أرملة نايين قد حملوه من البيت إلى المقابر، وهى خارج المدينة، وقد مرت فترة زمانية طويلة حيث تأكدوا من موته، ثم كفنوه، ووضعوه فى نعش، وحملوه إلى خارج المدينة، وكان مع أمه جمع كثير يشيعونه حتى بلغوا به إلى خارج المدينة، وأراد المسيح له المجد أن يلتقى به خارج المدينة وقد أوشك الحاملون أن يودعوا الميت إلى مثواه الأخير بين الموتى فى القبور. وهنا وقف الموت أمام رب الحياة. **إنه له المجد لمس النعش، فوقف الحاملون**، فقد أدركوا بحاستهم أن هذه اللمسة لها ما وراءها، وذلك بناء على أحداث سابقة. أما المسيح له المجد، فقد وجه الخطاب مباشرة إلى الشاب المسجى فى النعش وقال: «**أيها الشاب لك أقول قم**»، **ففى الحال، وفى غير زمن قام الميت على الفور وجلس وبدأ يتكلم.**

وبعد، فهل رأت البشرية منذ وجودها إنساناً له هذا السلطان على أن يحيى الموتى بأمره، ودون صلاة أو ضراعة كأنه يستمد القوة من كائن خارج عن ذاته.

لقد أقام النبى إيليا ابن أرملة صرفة صيدون ولكن بعد ضراعة وابتهال إلى الله «**وصرخ إلى الرب وقال: أيها الرب إلهى، لتعد روح الغلام إلى جوفه. فسمع الرب لصوت إيليا، وعادت روح الغلام إلى جوفه، وعاد حياً**. فأخذ إيليا الصبى وأنزله من العلية إلى البيت ودفعه إلى أمه... فقالت المرأة لإيليا. الآن علمت أنك رجل الله» (١ . الملوك ١٧: ١٧- ٢٤).

كذلك أقام إليشع ابن المرأة الشونمية من الموت ولكن لا بسلطانه هو، وإنما شرع يصلى ويتضرع إلى الله بحرارة. «ودخل إليشع البيت، فإذا بالصبى ميت مضطجع على سريره. فدخل وأغلق الباب عليهما، وصلى إلى الرب. ثم صعد وانبسط على الصبى، ووضع فمه على فمه، وعينيه على عينيه، وكفيه على كفيه، وتمدد عليه، فسخن جسد الصبى ثم عاد وتمشى فى البيت تارة إلى هنا وتارة إلى هناك، وصعد وتمدد عليه فعطس الصبى سبع مرات، ثم فتح الصبى عينيه» (٢ . الملوك ٤: ٣٢- ٣٥)

لقد أقام أليشع النبى ابن الشونمية بعد أن صلى إلى الرب (٢ . الملوك ٤ :٣٣)، وأقام إيليا النبى ابن أرملة صرفة صيدون لا بسلطانه، ولكن بصلاته إلى الله «وصرخ إلى الرب، **وقال أيها الرب إلهى، لتعد روح الغلام إلى جوفه. فسمع الرب لصوت إيليا، وعادت روح الغلام إلى جوفه، وعاد حياً**» (١ . الملوك ١٧ : ٢١، ٢٢).

أما المسيح له المجد، فلم يطلب كما صلى النبى إيليا، والنبى إليشع، إنما أقام الشاب المحمول فى النعش بأمره إليه «**أيها الشاب لك أقول قم، فقام الميت فى الحال، وجلس وبدأ يتكلم**. هذا هو الفارق الكبير بين العبد والرب، بين النبى وبين مرسل الأنبياء، **الذى بيده مفاتيح الحياة والموت الذى يقول أنا القيامة والحياة**» (يوحنا ١١ : ٢٥).

حقا كما يقول أحد الشعراء المسيحيين

كانت رجـــال اللـــه تحيى ميتا * * بصلاتهـــا ودعائها المتقدم

ونـراه يحيى المائتـين بأمـــره * * فهو الإلـــه ومن يشك فيندم

- ٣ -

معجزة إقامة لعازر من بين الأموات

أما المعجزة الثالثة التى يذكرها الإنجيل، والتى تقدّم دليلاً آخر على سلطان المسيح على الحياة، وإقامة الموتى، فهى معجزة إقامة لعازر من بين الأموات، بعد أن صار له فى القبر أربعة أيام

يقول الإنجيل:

«وكان رجل مريضاً اسمه لعازر من بيت عنيا قرية مريم وأختها مرثا... وقد أرسلت الأختان إلى يسوع قائلتين «يارب، هوذا الذى تحبه مريض... فلما سمع أنه مريض لبث فى الموضع الذى كان فيه يومين». ثم قال لتلاميذه بعد ذلك: « لنعد إلى اليهودية».. قال هذا، ثم بعد ذلك قال لهم: «إن لعازر حبيبنا قد نام، ولكننى سأذهب لأوقظه»... ومن ثم قال لهم يسوع بصراحة: «**إن لعازر قد مات**. وأنا أفرح من أجلكم - إذ لم أكن هناك - لتؤمنوا. ولكن هلموا نذهب إليه»... **فلما جاء يسوع وجد أن له فى القبر أربعة أيام**... فما سمعت مرثا أن يسوع قادم حتى خرجت تستقبله... وقالت مرثا ليسوع: «يارب لو كنت هنا ما كان أخى قد مات»... فقال لها يسوع: «سيقوم أخوك» قالت له مرثا: «أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة فى اليوم الأخير».

فقال لها يسوع: «**أنا هو القيامة والحياة**»... ثم ذهبت ودعت مريم أختها... وأما مريم فحين جاءت إلى حيث كان يسوع ورأته خرت عند رجليه قائلة له: يارب لو كنت هنا ما كان أخى قد مات» فلما رآها يسوع تبكى، ورأى اليهود الذين جاءوا معها أيضا يبكون تألم بالروح واضطرب وقال لهم: أين وضعتموه؟ فقالوا له: «يارب تعال وانظر»... فتحنن يسوع فى نفسه، وجاء إلى القبر، وكان مغارة قد وضع على بابها حجر، فقال لهم يسوع: «ارفعوا هذا الحجر» فقالت له مرثا أخت الميت: «**يارب، إنه قد أنتن، لأن هذا هو يومه الرابع**» فقال لها يسوع: «ألم أقل لك إنك إن آمنت ترين مجد الله». فرفعوا الحجر عن باب القبر... ثم صرخ يسوع بصوت عظيم: «**لعازر هلم خارجاً**» **فخرج الميت مربوطة يداه ورجلاه بأكفان، وملفوفاً وجهه بمنديل**. فقال لهم يسوع: «حلوه ودعوه يمضى» «ومن ثم فإن كثيرين من اليهود الذين كانوا قد جاءوا إلى مريم، إذ رأوا ما فعل يسوع آمنوا به...» (يوحنا ١١: ١- ٤٥).

وقام لعازر من الموت بعد أن صار له فى القبر أربعة أيام، وعاش بعد ذلك سنوات طويلة، وبعد قيامة المسيح له المجد، وصعوده إلى السماء، رسمه الآباء الرسل أسقفاً فى قبرص، وعاش لعازر بعد قيامته، أسقفاً فى قبرص لمدة أربعين سنة (السنكسار تحت ٢٧ بشنس).

* * *

وإذا كان المسيح له المجد قد ناجى الآب السماوى على مسمع من تلاميذه ومن جموع اليهود المحتشدة على قبر لعازر، فقد كانت مناجاته للآب السماوى **لتوكيد حقيقة علاقته الجوهرية بالآب السماوى، وحتى يتبينوا أنه ليس ثمت إله آخر غير الآب السماوى الكائن منذ الأزل مع الابن والروح القدس**، وليس غير إله واحد. على أن المسيح فى مناجاته لم يستمد من الآب السماوى قوة خارجة عن ذاته كما طلب إيليا، وإليشع، ولذلك **صرخ بصوت عظيم «لعازر هلم خارجا» فكان نداؤه للعازر، أمرا صريحا مباشراً بالخروج من القبر «فخرج الميت مربوطة يداه ورجلاه بأكفان، وملفوفاً وجهه بمنديل»** (يوحنا ١١: ٤١- ٤٤).

* * *

تلكم المعجزات الثلاثة ذكرها الإنجيل كعينات فقط للتدليل على سلطان المسيح على الموت والحياة: **الأولى معجزة إقامة صبية ماتت، وكانت مسجاة فى البيت، والثانية معجزة إقامة شاب حملوه فى النعش ليدفنوه خارج المدينة نايين. وأما الثالثة فهى معجزة إقامة لعازر الذى صار له فى القبر أربعة أيام...** عينات مختلفة صورها، لكنها وسائل إيضاح للتدليل على **سلطان المسيح له المجد على القيامة وإعادة الحياة للموتى**، الأمر الذى لم يسبق إليه فى كل تاريخ البشر، وكلها بينات على تفرد المسيح بهذا السلطان، لأنه هو الله وقد تلبس بجسد، وظهر فى الهيئة كإنسان من أجل خلاص الإنسان.

* * *

أما المعجزة الأعظم فهى فى قيامة المسيح ذاته من بين الأموات بسلطان لاهوته. لقد قام من القبر، والقبر مغلق، فى فجر الأحد، وهو اليوم الثالث لموته ودفنه وقبره كما أعلن ذلك مراراً من قبل إتمام صلبه (متى ١٦: ٢١)، (١٧: ٩، ٢٣)، (متى ٢٦: ٣٢، ٦١) ، (٢٧: ٤٠، ٦٣)، (٢٨: ٧)، (مرقس ٨: ٣١)، (٩: ٩، ١٠، ٣١)، (١٠: ٣٤) ، (١٤: ٥٨) ، (١٥: ٢٩) ، (لوقا ٩: ٢٢) ، (١٨: ٣٣) ، (٢٤: ٦، ٧) ، (يوحنا ٢: ١٩)، (٢٠: ٩).

انظر أيضا (يوحنا ٢: ٢٢)، (أعمال الرسل ١: ٢٢)، (٢: ٣١)، (٤: ٣٣)، (٥: ٣٠)، (١٠: ٤١)، (١٧: ٣١)، (رومية ١: ٤)، (٦: ٥)، (٨: ١١)، (١٤: ٩)، (١. كورنثوس ٦: ١٤)، (١٥: ٤، ١٢، ١٥)، (٢. كورنثوس ٤: ١٤)، (٥: ١٥)، (غلاطية ١: ١)، (أفسس ١: ٢٠)، (فيلبى ٣: ١٠)، (كولوسى ٢: ١٢)، (١. تسالونيكى ١: ١٠)، (٤: ١٤)، (العبرانيين ١٣: ٢٠)، (١. بطرس ١: ٢١)، (٣: ٢١).

* * *

وعندما قام المسيح من القبر، لم يقف على قبره أحد ليقيمه كما وقف هو بعظمته على قبر لعازر، وإنما قام المسيح له المجد بسلطان لاهوته ،لأنه لم يكن ممكنا للموت أن يستبقيه أسيراً له، (أعمال الرسل ٢: ٢٤).

التجلى المجيد

تجلى الرب يسوع المسيح بمجده الحقيقى على جبل شاهق، وبذلك كشف عن مجده الأسنى، فتغيرت هيأته متجلياً أمام ثلاثة من أخص تلاميذه الإثنى عشر.. تغير منظر وجهه، فأضاء كالشمس، وصارت ثيابه بيضاء كالنور، متألقة كالبرق، ناصعة البياض كالثلج، حتى ليعجز أى قصار على الأرض عن أن يجعلها فى مثل بياضها ثم ظهر لهم موسى وإيليا، وقد تراءيا فى مجد، وكانا يتكلمان مع يسوع، عن انطلاقه الذى كان مزمعا أن يتممه فى أورشليم. أما بطرس واللذان معه، فقد كانوا مثقلين بالنوم، فلما أفاقوا رأوا مجده، والرجلين الواقفين معه. وفيما هما منصرفان عنه، قال بطرس ليسوع: يارب، حسن لنا أن نكون هنا، فإن شئت، فدعنا نصنع هنا ثلاث مظال: واحدة لك، وواحدة لموسى، وواحدة لإيليا. إذ لم يكن يدرى ما هو قائل، فقد استولى عليه رعب شديد. وفيما هو يقول ذلك، إذا سحابة من نور ظهرت وظللتهم، فخافوا وهم يدخلون فى السحابة، وإذا صوت جاء من السحابة يقول: هذا هو ابنى الحبيب، الذى به سررت، فله اسمعوا. فلما سمع التلاميذ هذا سقطوا على وجوههم، وخافوا جداً ، فجاء يسوع إليهم ولمسهم قائلاً: قوموا لا تخافوا، ثم فجأة رفعوا أعينهم، ونظروا حولهم فلم يروا معهم أحداً إلا يسوع وحده. وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلاً: لا تخبروا أحداً بما رأيتم إلا متى قام ابن الإنسان من بين الأموات. فكتموا هذا الأمر فى أنفسهم متسائلين فيما بينهم: ما القيامة من بين الأموات، ولم يخبروا أحداً فى تلك الأيام بشيء مما رأوا.

فلمَا كان التجلى:

كان للتجلى ملابساته وأسبابه، فقد كان السيد المسيح يريد أن يكشف حقيقة من هو لتلاميذه، وللمؤمنين من بعدهم، خصوصا وأنه وهو الله الكلمة - قد اتخذ جسداً اتحد به، فصار لاهوته محجوباً بناسوته، فظنه الناس - ومن بينهم تلاميذه - إنساناً أى مجرد إنسان(١) أو نبياً، أى مجرد نبى (٢) وكأنه أحد الأنبياء(٣) أو على الأكثر نبيا عظيما، أى مجرد نبى عظيم(٤).

---

(١) (يوحنا ٩ : ١١)، (١٠ : ٣٣)، (لوقا ٢٤ : ١٩).

(٢) (متى ٢١ : ١١)، (يوحنا ٤ : ١٩)، (٩ : ١٧)، (لوقا ٢٤ : ١٩).

(٣) (مرقس ٦ : ١٥)، (لوقا ٩ : ٨، ١٩).

(٤) (لوقا ٧ : ١٦).

فكان لابد أن يكشف لهم عن طبيعته فى ذاته، ويظهر لهم حقيقة لاهوته المحتجب فى ناسوته، وبالأخص لأنه قد قاربت مهمته على الأرض نهايتها، واقتربت ساعة صلبه وموته لتحقيق الفداء والخلاص الذى من أجله نزل من السماء(١) . قال الإنجيل «ومنذ ذلك الوقت بدأ يسوع يبين لتلاميذه أنه ينبغى أن يمضى إلى أورشليم، ويعانى آلاماً كثيرة من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل ثم فى اليوم الثالث يقوم. فأخذه بطرس إليه وراح يكلمه بعنف قائلاً: حاشاك يارب أن يحدث لك هذا فإلتفت وقال لبطرس: اغرب عنى يا شيطان.. لأنك لا تفكر فيما لله بل فيما للناس(٢)».

ولما كان كشف ما سيعانيه من الآلام والصلب والموت محزناً لقلوب تلاميذه، ومؤلما لمشاعرهم، وقاضياً على آمالهم وأحلامهم حتى أن بطرس أحد رسله أخذه على حدة «وراح يكلمه بعنف قائلاً: حاشاك يارب أن يحدث لك هذا»(٣) فقد أراد أن يعزيهم ويطيب قلوبهم ويرفع معنوياتهم، بكشف أمجاده الحقيقية، حتى يطمئنوا أن ما سيكابده من آلام الصلب والموت، هو من أجل خلاص الإنسان، «الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء، الذين تنبأوا عن النعمة» التى من أجل الناس(٤) . ولكن سيعقب الموت قيامته من بين الأموات ثم يدخل المسيح إلى مجده (٥) ويعود إلى السماء التى نزل منها (٦) ويجلس على عرش الله فى ملكوت السماوات(٧) .

وتوكيداً لهذه المعانى الكبيرة، وأن المسيح «الذى هو صورة الله غير المنظور(٨) اتخذ جسداً، وبتجسده «أخلى نفسه (من صورة الرب) آخذاً صورة عبد، صائراً فى شبه الناس، إذ وجد فى الهيئة كإنسان(٩)، وعد تلاميذه والمؤمنين بأنه سوف يأتى مرة أخرى، فى مجيئه الثانى، فى مجد عظيم مع ملائكته القديسين، وعندئذ سيجازى كل إنسان على حسب أعماله(١٠)

---

(١) يوحنا ١٢ : ٢٧ .
(٢) (متى ١٦ : ٢١ ـ ٢٣)، (مرقس ٨ : ٣١ ـ ٣٣)، (لوقا ٩ : ٢٢) .
(٣) (مرقس ٨ : ٣٢)، (متى ١٦ : ٢٢) .
(٤) ١ . بطرس ١ : ١٠ .
(٥) لوقا ٢٤ : ٢٦ .
(٦) (يوحنا ٣ : ١٣، ٣١)، (٦ : ٣٨، ٤٢، ٥١) .
(٧) (العبرانيين ٨ : ١)، (الرؤيا ٤ : ١٠)، (١٩ : ٤) .
(٨) كولوسى ١ : ١٥ .
(٩) فيلبى ٢ : ٦ ـ ٨ .
(١٠) متى (١٦ : ٢٧)، (٨ : ٣٨) (لوقا ٩ : ٢٦) .

لذلك رأى تطمينا لتلاميذه أن يريهم شيئاً من مجده الذى أخلى ذاته منه من أجل خلاص الإنسان، والذى سيسترده بعد إنتهاء مهمته فى فداء المؤمنين به من نسل آدم، إذ سيقوم من بين الأموات، ويصعد إلى السماء بعد أن يكون قد أخضع جميع أعدائه تحت قدميه(١). فبعد أن تحدث عن آلامه وموته وقيامته من بين الأموات، ومجيئه الثانى ليدين الأحياء والأموات، ابتدرهم بقوله: الحق أقول لكم إن بعض الحاضرين الواقفين هنا لن يذوقوا الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى ملكوته، ملكوت الله، بقوة (٢)،

والمعنى المقصود هنا هو أنه سيكشف لبعض تلاميذه ممن كانوا حاضرين وواقفين يستمعون له، قبسا من مجده العظيم الذى أخلى نفسه منه، وسيسترده ثانية بعد الفراغ من مهمته على الأرض التى نزل من السماء من أجلها...

وسيكون هؤلاء شهوداً على تجليه، بلمحة من مجده الحقيقى، على جبل التجلى، يتحدثون بما رأوا عنه، ولكن بعد أن يقوم هو من بين الأموات، ويصعد إلى السماء عينها(٣)، فيتشدد إيمانهم به، ويعرفوه على حقيقته الإلهية (٤)، وتقوى معنوياتهم، وبالتالى يشددون بهذه الرؤيا إيمان زملائهم التلاميذ والمؤمنين من بعدهم.

ولقد وفى بما وعد به (بعد ستة أيام) من حديثه الوافى عن مجيئه فى لمحة من مجد ملكوته الآتى، وذلك بتجليه على جبل التجلى الذى صعد إليه مع ثلاثة من تلاميذه، هم : بطرس ويعقوب ويوحنا.

ولما كان التجلى قد حدث فى اليوم الثامن للوعد، وذلك باحتساب يوم الوعد، واليوم الذى تم فيه تحقيق الوعد، مضافا إلى ستة الأيام بينهما، لذلك قال الإنجيل بحسب القديس لوقا «وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام» بينما قال الإنجيل بحسب القديس متى، وبحسب القديس مرقس «وبعد ستة أيام» باحتساب الأيام المتوسطة بين يوم الوعد، ويوم تحقيق الوعد بالتجلى. وبهذا يتضح التوافق بين روايات الأناجيل الثلاثة وعدم التعارض بينها. ويلاحظ على الخصوص دقة تعبير

---

(١) (١. كورنثوس ١٥ : ٢٧)، (أفسس ١ : ٢٢) (العبرانيين ٢ : ٨).
(٢) (متى ١٦ : ٢٨)، (مرقس ٩ : ١)، (لوقا ٩ : ٢٧).
(٣) (العبرانيين ٩ : ٢٤).
(٤) يوحنا ١٤ : ٧.

الإنجيل للقديس لوقا فى قوله (بنحو ثمانية أيام، أى أنها ليست ثمانية أيام كاملة، إذا احتسبنا فيها يوم الوعد ويوم التجلى، على أساس أن الوعد قد تم فى جزء من اليوم السابق على ستة الأيام وكذلك تحقيق الوعد قد تم فى اليوم الثامن لإعطاء الوعد، وفى هذا رد على الذين زعموا أن بين الأناجيل تناقضا، مع أنه ليس هناك تناقض على الحقيقة.

وقد يتساءل بعض الناس قائلين: لماذا لم يصعد المسيح على جبل التجلى فور قوله؟ ولماذا تأخر الوفاء بالوعد ستة أيام كاملة أو نحو ثمانية أيام؟. ويجيب آباء الكنيسة بأن التدبير الإلهى اقتضى أن لا يتم هذا الكشف للجميع لئلا تتعطل بذيوع الخبر واتساع دائرة الإعلام، حكمة صلب المسيح «التى لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر، لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد(١)» وقد كان الرب يسوع حريصا على إخفاء سر «الحكمة المكتومة التى سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا» (٢). لذلك قال الإنجيل بعد التجلى «وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلاً: لا تخبروا أحداً بما رأيتم إلا متى قام ابن الإنسان من بين الأموات. فلزموا الصمت. ولم يخبروا أحداً فى تلك الأيام بشىء مما رأوا(٣)» أنظر أيضا(٤).

لهذا أخذ المسيح له المجد بعض تلاميذه على جبل التجلى بعد فترة من الوقت، ولم يأخذهم جميعاً، وحتى لا يكون من بينهم رجل مثل يهوذا الاسخريوطى الذى خانه وأسلمه، وحتى لا يثير تساؤلهم - برد فعل مباشر - عن سر هذه التفرقة بين تلاميذه واختيار البعض منهم دون الباقين.

وليس عبثاً أن يقع اختيار المعلم الأعظم على تلاميذه الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا ليكونوا شهوده على التجلى(٥)، فالواضح من الإنجيل أن المسيح له المجد كان يختص هؤلاء الثلاثة بثقته، فهم بعينهم التلاميذ الثلاثة الذين كانوا شهودا من بين تلاميذه فى إقامة إبنة يايروس رئيس المجمع اليهودى من الموت، قال الإنجيل «ولم يسمح لأحد بأن يتبعه سوى بطرس

---

(١) ١. كورنثوس ٢: ٨.
(٢) ١. كورنثوس ٢: ٧.
(٣) (متى ١٧: ٩)، (مرقس ٩: ٩).
(٤) (متى ٨: ٤)، (١٦: ٢٠)، (مرقس ٨: ٣٠)، (لوقا ٩: ٢١).
(٥) (متى ١٧: ١)، (مرقس ٩: ١)، (لوقا ٩: ٢٨).

ويعقوب ويوحنا أخى يعقوب... ثم أخذ معه أبا الصبية وأمها(١)». وكذلك أخذ هؤلاء الثلاثة عينهم ليكونوا بالقرب منه فى صراعه ومعاناته فى بستان جثسيمانى «ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا أبنى زبدى وبدأ يحزن ويرتاع ويكتئب. وقال عندئذ لهم: إن نفسى حزينة حتى الموت. فامكثوا أنتم هنا واسهروا معى. ثم ابتعد قليلاً وخر على وجهه على الأرض يصلى(٢)...».

ولابد أن يكون لهذا الاختيار أسبابه عند المسيح، فليس عند الله محاباة(٣). وقد شهد له أعداؤه من اليهود وقالوا له «يا معلم، نحن نعلم أنك لا تحابى وجه إنسان(٤)».

وقال بعض الآباء إن المسيح اختار بطرس لإيمانه وإخلاصه وسلامة اعترافه، فهو صاحب الاعتراف المشهور «أنت هو المسيح الله ابن الله الحى(٥)»، واختار يعقوب ابن زبدى، المعروف بيعقوب الكبير لأنه أول من سيستشهد على اسم المسيح من الرسل الإثنى عشر فقد قتله هيرودس بالسيف فيما بعد (٦)، واختار يوحنا لبتوليته وطهارته، وكان هو أحب تلاميذه إليه وهو الذى اشتهر بأنه التلميذ الذى كان يسوع يحبه(٧). وربما كان هذا الاختيار أيضاً لأن بطرس كان أكبر تلاميذه سناً، وكان يوحنا أصغرهم سناً، وأما يعقوب ابن زبدى، فهو أول شهيد على اسم المسيح من الإثنى عشر.

---

(١) (مرقس ٥: ٣٧، ٤٠).
(٢) (متى ٢٦: ٣٧ ـ ٣٩)، (مرقس ١٤: ٣٣ ـ ٣٥).
(٣) (رومية ٢: ١١).
(٤) (متى ٢٢: ١٦)، (مرقس ١٢ : ١٤) (لوقا ٢٠: ٢١).
(٥) (متى ١٦: ١٦) ، (مرقس ٨: ٢٩) (لوقا ٩: ٢٠).
(٦) (أعمال الرسل ١٢: ١).
(٧) (يوحنا ١٣: ٢٣)، (١٩: ٢٦) ، (٢٠: ٢)، (٢١: ٧، ٢٠).

ولقد عرف بطرس بإيمانه وأنه كان المتقدم فى الكلام. وأما يعقوب ويوحنا ابنا زبدى فاشتهرا بغيرتهما المتقدة، فقد لقبهما الرب يسوع (بوانرجس) أى ابنى الرعد(١)، ومن آيات غيرتهما أنهما طلبا مرة أن تنزل نار من السماء فتفنى أهل قرية للسامريين رفضوا دخول الرب يسوع قريتهم فزجرهما مخلصنا وقال لهما: لستما تعلمان من أى روح أنتما(٢). وإذا كان يعقوب بن زبدى أول من مات من رسل المسيح الإثنى عشر شهيداً، فإن يوحنا هو آخر من مات من الإثنى عشر(٣) فكان آخر شهيد وشاهد من بين الإثنى عشر.

وأما لماذا كان شهود التجلى ثلاثة فلأنه طبقاً للشريعة تقوم كل شهادة على فم شاهين أو ثلاثة(٤).

وكل من الشهود الثلاثة للتجلى عاشوا وماتوا وكانوا كل حياتهم يشهدون لعظمة السيد المسيح وجلاله وجماله وبهائه، فقد آمنوا بلاهوته، إذ رأوا بعيونهم ماوراء الحجاب، واستطاعوا أن يدافعوا عن حقيقة لاهوته المستترة وراء حجاب ناسوته.

أما يعقوب الكبير ابن زبدى، فقد أهلكته غيرته المتقدة، واحترق بنارها، فمات شهيد حبه لمعلمه وسيده ومخلصه، ولم تكن حياته ثمينة لديه، ولابد أن هيرودس ملك اليهود رأى فى يعقوب هذه الغيرة المتآكلة فى حب سيده المسيح، ورأى كراهية اليهود للمسيح وقد انصبت فى يعقوب وعليه أكثر مما انصبت على شخص آخر حتى إنه إذ أراد أن يرضى اليهود، بدأ أول مابدأ بقتل يعقوب لأن فيه تجسمت وتجسدت الغيرة على ديانة المسيح الناشئة التى رأى اليهود فيها الخطر الداهم على ديانتهم العريقة العتيقة. قال سفر أعمال الرسل «وفى ذلك الوقت مد هيرودس الملك يديه ليسىء إلى إناس فى الكنيسة. فقتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف. وإذ رأى أن ذلك يرضى اليهود عاد فقبض على بطرس أيضاً(٥)».

---

(١) (مرقس ٣: ١٧).
(٢) (لوقا ٩: ٥٢ ـ ٥٦).
(٣) (يوحنا ٢١: ٢٢، ٢٣).
(٤) (التثنية ١٧: ٦)، (١٩: ١٥)، (١. المكابيين ٢: ٣٧)، (متى ١٨: ١٦)، (٢. كورنثوس ١٣: ١)، (١. تيموثيوس ٥: ١٩)، (العبرانيين ١٠: ٢٨)، (١. يوحنا ٥: ٧، ٨).
(٥) (أعمال ١٢: ١ ـ ٣).

وأما بطرس فهو الصياد الذى صاده سيده المسيح، ودخل فى شبكة الخلاص سعيداً، وتحول إلى صياد روحانى يصيد الناس إلى شبكة سيده، وكان غيوراً جداً دخل حظيرة الإيمان وشبكة الإيمان مندفعاً إلى العمق بحماسة بالغة، فصار « (الأول) » بين رفاقه التلاميذ(١)، ليس بالنسبة إلى سنه فقط، بل وفى إيمانه بسيده ودفاعه عنه وغيرته عليه واستعداده لأن يموت لأجله لو لزم الأمر (٢)، على الرغم من أن اندراوس أخاه سبقه إلى اتباع المخلص وهو الذى دعاه قائلاً «قد وجدنا المشيح أى المسيح(٣)». ولقد تطور إيمانه ونما وتحول إلى هوى فاعترف اعترافاً صريحاً بقوله لسيده: أنت المسيح الله ابن الله الحى، وذلك بفعل المكاشفة الإلهية التى عبر عنها مخلصنا بقوله: مبارك أنت يا سمعان ابن يونا، لأنه ليس لحما ودما كشف لك هذا، وإنما أبى الذى فى السماوات(٤). وزاد على ذلك بمعاينة مجده الذى رآه رأى العيان على جبل التجلى، وظل طوال حياته يكرز بمجد لاهوته كما يتضح من إحدى رسائله حيث يقول بحرارة الإيمان «لأننا لم نتبع خرافات مصنعه إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه بل قد كنا معاينين عظمته. لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابنى الحبيب الذى أنا به سررت. ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء إذ كنا معه فى الجبل المقدس(٥)».

وأما يوحنا الحبيب، فهو أيضاً الرسول الذى اضطرم بمحبة سيده، وكان الأقرب إلى قلبه، واتكأ على صدره وفى حضنه(٦)، واشتعل بمحبة سيده، وزاد أوار المحبة بما رآه على جبل التجلى من مجده الأسنى الذى غشيت له عيناه، فتثقل مع رفيقيه بطرس ويعقوب، وسقطوا على وجوههم وقد استولى عليهم خوف شديد ورعب عظيم وذلك من هول ما رأوا من نور وهاج، فقد كان وجه سيدهم يضىء أقوى من الشمس، وثيابه صارت بيضاء كالنور، متألقة ناصعة البياض كالثلج، وليس كبياضها الناصع شىء أبيض فى كل الوجود، فعلم يوحنا ورفاقه أن سيدهم فى

---

(١) (متى ١٠: ٢).
(٢) (متى ٢٦: ٣٥)، (يوحنا ١٣: ٣٧).
(٣) (يوحنا ١ : ٤٠ ـ ٤٢).
(٤) (متى ١٦: ١٧).
(٥) (٢. بطرس ١ : ١٦ ـ ١٨).
(٦) (يوحنا ١٣: ٢٣)، (٢١: ٢٠).

حقيقته «نور من نور» وليس فيه ظلمة البتة(١)، وأنه هو بعينه «الساكن فى نور لا يدنى منه(٢)»، وأنه هو النور عينه، والنور الحقيقى الذى جاء إلى العالم(٣)». ولهذا أنشد يقول متأثراً بما رأى على جبل التجلى مما أشرق على قلبه من النور الإلهى المنبعث من وجه معلمه الإلهى، قال يصفه بأنه الأزلى الأبدى «الذى كان من البدء، الذى سمعناه، الذى رأيناه بعيوننا، الذى شاهدناه ولمسته أيدينا فإن الحياة أظهرت، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب، وأظهرت لنا، الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به(٤)». وزاد ما رآه فى رؤياه التى رآها وهو منفى فى جزيرة بطمس فى حكم دومتيانوس من بهاء نور المسيح ومجده على ما رآه مع رفيقه بطرس ويعقوب على جبل التجلى فأنشد يقول : «أنا يوحنا أخوكم وشريككم فى الضيقة وفى ملكوت يسوع المسيح... كنت فى الجزيرة التى تدعى بطمس من أجل كلمة الله، ومن أجل شهادة يسوع المسيح. وصرت فى الروح فى يوم الرب، وسمعت خلفى صوتا عظيماً كصوت بوق، قائلاً: أنا هو الألف والياء، الأول والآخر... فالتفت لأنظر الصوت الذى تكلم معى. ولما التفت رأيت سبع منائر من ذهب . وفى وسط المنائر السبع شبه ابن الإنسان متسربلاً بثوب إلى الرجلين ومتمنطقا عند ثدييه بمنطقة من ذهب. وأما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج وعيناه كلهيب نار. ورجلاه شبه النحاس النقى كأنهما محميتان فى أتون، وصوته كصوت مياه كثيرة... ومن فيه يخرج سيف ماض ذو حدين ووجهه يضىء كالشمس عند اشتدادها فلما رأيته سقطت عند قدميه كالميت، فوضع يده اليمنى على قائلاً لى: لا تخف أنا هو الأول والآخر. والحى، وقد كنت ميتا، وها أنا حى إلى أبد الآبدين، ولى مفاتيح الهاوية والموت(٥)».

وواضح أن من عرف ذاته ليوحنا الحبيب الرائى بأنه «هو الألف والياء، الأول والآخر» هو بعينه يسوع المسيح فى لاهوته المتحد بناسوته الذى تجلى ليوحنا فى (شبه ابن الإنسان متسربلا بثوب إلى الرجلين ومتمنطقاً عند ثدييه بمنطقة من ذهب. ثم يصف أيضاً رأسه وشعره وعينيه

---

(١) (١. يوحنا ١ : ٥).
(٢) (١. تيموثيوس ٦ : ١٦).
(٣) (يوحنا ١ : ٧، ٨، ٩)، (١. يوحنا ٢ : ٨).
(٤) (١. يوحنا ١ : ١ - ٣).
(٥) (الرؤيا ١ : ٩ - ١٨).

(كلهيب نار) ورجليه، وفمه ويصف وجهه وأنه يضيء كالشمس عند اشتدادها. ثم يقول إنى رأيته. «ولما رأيته سقطت عند قدميه كالميت» وبعد ذلك يقول إنه وضع يده اليمنى على رأسه.. ثم عاد يكرر ماقاله أولاً للتعريف بذاته «لا تخف أنا هو الأول والآخر والحى وقد كنت ميتا، وها أنا حى إلى أبد الآبدين ولى مفاتيح الهاوية والموت» وليس هناك غير المسيح من يصف ذاته على أنه (الحى وقد كنت ميتا) والإشارة بالطبع إلى موته من أجل الفداء والخلاص، ومع ذلك فهو الحى إلى أبد الآبدين، وله مفاتيح الهاوية والموت.. وهو مالا يجرؤ على أن ينسبه لذاته غير الله وحده.

كيف جرى التجلى

لم يشأ الرب يسوع أن يكون تجليه أمام تلاميذه فى الأرض، وإنما «صعد بهم على إنفراد إلى جبل مرتفع»؟ فالصعود إلى جبل شاهق يتيح الانعزال التام عن جماهير الناس، ويوفر الهدوء والسكون، ويخلق جوا مناسباً للسمو الروحانى، والتسامى النفسى على الأرضيات والترابيات، والاستشراف على المادة، والدخول فى عالم الروح والروحانيات. وهنا الجمال الجميل الذى تحن إليه الروح إذ تعود لتكون قريبة من وطنها الذى هبطت منه، والذى تغربت عنه فى رحلتها الطويلة أو القصيرة على الأرض. لهذا لم يستطع القديس بطرس الرسول أن يكتم شعوره بالسعادة فى ذلك الجو الروحانى والنورانى الذى عاش فيه هو ورفيقاه يعقوب ويوحنا، تلك اللحظات الحلوة، وقد تمنوا جميعاً أن تطول وتدوم إلى الأبد، فصرخ يقول: «يارب، إنه حسن لنا أن نكون هنا»، وإنه (لجميل) البقاء فى هذا الجبل حيث النور والبهاء والجمال، فأرواحنا مخلوقة من نور، ولذلك فالنور طبعها، والنور غذاؤها وطعامها وشرابها، وفى النور لذتها وسرورها ونعيمها، وإن أرواحنا تظل حزينة تائهة شاردة إلى أن تعود إلى النور... وتبقى قلقة حائرة إلى أن تهتدى إلى النور فتجد فيه راحتها.

ولم يكن جبل التجلى أى جبل بل كان جبلاً مرتفعاً، عالياً جداً، شاهقاً. ليتوافر فيه أكثر مما يتوافر فى غيره من الجبال الأقل ارتفاعاً، أكبر قدر ممكن من الهدوء والسكون، والارتفاع فوق الأرض، والاقتراب من السماء. وهو بهذا يكون الجبل الأكثر مناسبة للجو الروحانى المشبع بالروح والروحانيات الخالصة.

ولقد قال بعض علماء الكتاب المقدس إنه جبل (حرمون)(١)، المسمى أيضاً فى الكتاب المقدس باسم جبل سريون(٢) ، أو جبل سيئون(٣)، انظر أيضاً (٤)، وجبل حرمون هو الجبل المعروف بجبل (الشيخ) والذى يصل ارتفاعه إلى ٩١٦٦ قدماً فوق سطح البحر. ولكن بعض

---

(١) (يشوع ١١: ٣، ١٧).　　(٢) (التثنية ٣: ٨، ٩).

(٣) (التثنية ٤ : ٤٨).

(٤) (يشوع ١٢: ١، ٥) (١٣: ٥، ١١)، (١. الأيام ٥: ٢٣)، (مزمور ٤١: ٦)، (٨٨: ١٢)، (١٣٢: ٣)، (نشيد ٤: ٨)، (سيراخ ٢٤: ١٧).

آباء الكنيسة ومنهم القديس كيرلس الأورشليمى (١) يروى عن تقليد قديم أنه طور تابور أو جبل تابور على الرغم من أن ارتفاعه يصل إلى ١٨٤٣ قدماً فوق سطح البحر. ويساند هذا التقليد ما جاء فى ترنيمة أمانة اللص اليمين الذى آمن بالمسيح رباً وملكاً وهو على عود الصليب، وهى التسبيحة التى تنشد فى يوم الجمعة العظيمة، جمعة الصلبوت ؛ فى نهاية صلوات الساعة السادسة؛ حيث يقول المصلى موجهاً الخطاب إلى ديماس اللص اليمين «أيها اللص الطوباوى، ماذا رأيت، وماذا أبصرت، حتى اعترفت بالمسيح المصلوب بالجسد ملك السماء وإله الكل...؟ ما رأيت المسيح الإله متجلياً ⲙⲉⲧⲁⲙⲟⲣⲫⲱⲑⲉⲛⲧⲁ METAMORPHOTHENTA على طور تابور ⲑⲁⲃⲱⲣ THABOR فى مجد أبيه... وإنما رأيته...».

وجاء فى ذكصولجية عيد التجلى:

«يسوع المسيح الوحيد، صعد فوق جبل تابور، وأخذ معه تلاميذه بطرس ويعقوب ويوحنا، وتجلى أمامهم وكان وجهه يضىء أكثر من الشمس،.. إيليا وموسى القوى نظرا ثيابه فوق تابور...»(٢).

وجاء فى (قسمة) الأعياد السيدية من ترتيب الثلاثة القداسات التى تتلى فى الأعياد السيدية «... الذى تجلى على جبل تابور أمام تلاميذه القديسين وأضاء وجهه مثل الشمس...» (٣).

جاء فى الكتاب المقدس فى مدح جبل تابور «حى أنا يقول الملك، رب الجنود، اسمه كتابور بين الجبال» (٤)، أنظر أيضاً (٥).

---

(١) التعليم المسيحى ١٢، ١٦ .

(٢) عن كتاب الأبصلمودية السنوية.

(٣) كتاب الخولاجى ـ الثلاثة قداسات.

(٤) إرميا ٤٦: ١٨.

(٥) (يشوع ١٩: ٢٢)، (القضاة ٤: ٦، ١٢، ١٤)، (٨: ١٨)، (١. صموئيل ١٠: ٣)، (١. أخبار الأيام ٦: ٧٧)، (مزمور ٨٨: ١٢)، (هوشع ٥: ١).

جاء فى «كتاب الصلاة لإستعمال المؤمنين ذوى الطقس البيزنطى»: فى صلاة الغروب على اللحن السادس قوله فى عيد التجلى (٦ من آب):

«لما أردت أن ترسم قيامتك أيها المسيح الإله، أخذت تلاميذك الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا، وصعدت بهم إلى طور تابور. وعندما تجليت أيها المخلص غطى النور طور تابور..».

وجاء فى قطع الأبوستيخون على اللحن الأول:

«إن الذى فى القديم خاطب موسى على جبل سيناء برموز قائلاً أنا هو الكائن، يتجلى اليوم على جبل تابور لتلاميذه..».

وجاء فيها على اللحن السادس قوله:

«أيها الرب أنك اليوم على جبل تابور قد أظهرت مجد صورتك الإلهية لتلاميذك..».

وجاء فى صلاة السحر باللحن الرابع:

«قد تجليت أيها المخلص على طور تابور.

وفى الأودية التاسعة باللحن الثامن:

«أشرقت للرسل ولموسى مع إيليا على تابور بحال لا توصف...».

وفى الأكسابستلارى «أيها الكلمة النور... إننا بنورك الذى ظهر اليوم على تابور... أخذت الذين اخترتهم من تلاميذك الأطهار، وصعدت بهم أيها السيد على طور تابور.. لقد ولدت من سحابة العذراء يارب... وتجليت على طور تابور...».

وجاء فى لازمة الأنديفونة الثانية:

«خلصنا يا ابن الله، يا من تجلى على طور تابور، نحن المرنمين لك هللويا».

ثم فى ترنيمة الدخول للانديفونة الثالثة:

«تابور وحرمون باسمك يتهللان. خلصنا يا ابن الله، يا من تجلى على طور تابور، نحن المرنمين لك هللويا».

وفى الكينونيكون باللحن الثامن فى ترنيمة المناولة:

فى الحل: «... الذى تجلى بمجد على طور تابور أمام تلاميذه الرسل القديسين..».

وهناك تقليد قديم يروى أنه على هذا الجبل إلتقى إبراهيم الخليل بملكى صادق(١) .

وتبعاً لذلك التقليد أقيمت على جبل تابور منذ العصور الأولى للمسيحية عدة كنائس وأديرة، بل إنه قبل نهاية القرن السادس لميلاد المسيح بنيت على هذا الجبل ثلاث كنائس تذكاراً للمظال الثلاث التى اقترح القديس بطرس إقامتها على الجانب الجنوبى الشرقى من قمة الجبل. وحديثاً أقام اللاتين كنيسة فاخرة على قمة هذا الجبل، تابور.

وإذا كان الذين قالوا إن جبل التجلى هو جبل (حرمون) بنوا اعتقادهم هذا على أنه الجبل القريب من قيصرية فيلبس حيث جرى الحوار بين المسيح وتلاميذه عن حقيقة من هو، وإنه (المسيح الله ابن الله الحى) وحيث وعد بأن بعضاً منهم سيرونه آتياً فى ملكوته، ذلك لأن جبل (حرمون) يقع إلى الشمال قريباً من قيصرية فلسطين، بينما يقع جبل (تابور) فى جنوب الجليل وبعيدا كثيراً عن قيصرية فلسطين، ويقع على بعد خمسة ونصف ميل نحو الجنوب الشرقى من مدينة الناصرة ، ١٢ ميلا جنوب غربى بحيرة جنيسارات.

فإن الذين يرون أن جبل التجلى هو جبل (تابور) يعتبرون هذا البعد عن قيصرية فلسطين سبباً آخر يباعد بين الحدثين فى المكان كما باعد بينهما فى الزمان، حتى إذا اختار المسيح ثلاثة فقط من بين تلاميذه ليصعدوا معه على جبل التجلى، لا يكون هذا الاختيار مدعاة لإثارة التساؤلات والحرج بين التلاميذ الآخرين.

ثم إن الإنجيل أضاف تبريراً جديداً لهذا الاختيار الضيق، وذلك بقوله «وصعد إلى الجبل ليصلى»(٢) . والمعروف أن الصلاة تقتضى الإختلاء والاعتزال عن صحبة الكثيرين إلى أقل القليل، كما فعل له المجد فى بستان جثسيمانى حيث جاء معه تلاميذه، فقال لهم: اجلسوا أنتم هنا ريثما أذهب أنا وأصلى هناك... ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا.. ثم أبتعد قليلا... ليصلى(٣) .

---

(١) (التكوين ١٤: ١٨ ـ ٢٠).

(٢) (لوقا ٩: ٢٨).

(٣) (متى ٢٦: ٣٦ ـ ٣٩)، (مرقس ١٤: ٣٣ ـ ٣٥) . أنظر أيضاً (متى ١٤: ٢٣): (مرقس ١: ٣٥) (٦، ٤٦) (لوقا ٥: ١٦)، (٦: ١٢)، (٩: ١٨).

ومهما يكون من أمر فإن أبهى الرسالات السمائية أعلنت من فوق الجبال العالية(١) .

فمن فوق جبل سيناء (٢) المسمى بجبل الله حوريب(٣) تلقى النبى موسى شريعة الله ووصاياه، وسلمها له منقوشة على لوحى حجر(٤) سميا بلوحى العهد(٥) ولوحى الشهادة(٦) .

ومن فوق جبل المريا (٧)، تلقى إبراهيم الخليل وعد الله بالبركة وأن فى نسله وبنسله تتبارك جميع قبائل الأرض، وعلى هذا الجبل بنى سليمان هيكل الرب، حيث تراءى الرب أيضاً لداود أبيه (٨) .

ومن فوق الجبل أعلن الرب يسوع شريعة العهد الجديد، وألقى موعظة الأجيال التى عرفت بالموعظة على الجبل(٩) .

يقول سفر المزامير «أساسه فى الجبال المقدسة» (١٠) ويقول «أرفع عينى إلى الجبال من حيث يأتى عونى» (١١) .

«ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً فى رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجرى إليه شعوب، وتسير أمم كثيرة، ويقولون : هلم نصعد إلى جبل الرب» (١٢) .

ما الذى حدث فى التجلى:

إن التعبير العربى «تجلى» هو بمعنى «ظهر» أو «انكشف» . أما التعبير باللغة اليونانية التى كتب بها الإنجيل فهو(μετεμορφώθη) وهى الكلمة التى وردت هكذا فى رواية

---

(١) (مزمور ١٠٣: ١٨)، (إشعياء ٢: ١٤) .
(٢) (الخروج ١٩: ١١، ١٨، ٢٠، ٢٣).
(٣) (الخروج ٣: ١).
(٤) (التثنية ٤: ١٣).
(٥) (التثنية ٩: ٩).
(٦) (الخروج ٣٤: ٢٩).
(٧) (التكوين ٢٢: ٢).
(٨) (٢ . أخبار الأيام ٣: ١).
(٩) (متى ٥: ١).
(١٠) (مزمور ٨٦: ١).
(١١) (مزمور ١٢٠: ١).
(١٢) (ميخا ٤: ١، ٢).

الإنجيل بحسب ما كتبه القديس متى (١)، والقديس مرقس(٢). والمعنى الحرفى لهذه الكلمة اليونانية هو «تغير الصورة أو الشكل الخارجى». وأما الإنجيل بحسب ما كتبه القديس لوقا (٣) فقد عبر عن الكلمة الاصطلاحية المذكورة بعبارة أطول فقال: «تغير منظر وجهه». والمعنى واحد.

إن أول مظهر للتجلى حدث للسيد المسيح هو تغير فى منظر وجهه، والتغير ليس بمعنى تبدل فى طبيعة الوجه، ولكن بنور غمر الوجه وأضاءه وأشرق منه، فصار الوجه منيراً ومشعاً بالنور. قال الإنجيل «فأضاء وجهه كالشمس(٤). وضياء الوجه كالشمس معناه أن النور فى وجه المسيح كان من شدة اللمعان وقوة الوهج، بحيث يخطف البصر، فلا يقوى أحد على أن يواجهه أو يثبت فيه نظره. ولابد أن النور كان أقوى من نور الشمس، لأن التلاميذ «سقطوا على وجوههم» (٥) وليس أحد يسقط على الأرض بسبب نور الشمس، كما أن عيونهم غشيت من قوة البهاء، فصاروا «مثقلين بالنوم» (٦). وما هو بنوم، ولكنه حالة من العجز التام عن مواجهة النور الوهاج، فتمسى به العين غير قادرة على أن تنفتح لتواجه شدة الضوء، فتضطر إلى أن تنغلق تلقائياً، وكذلك يلحق بالمخ والجهاز العصبى نوع من الشلل، فيفقد الإنسان الحس والإحساس بوجوده، كما أنه يغيب عن الوعى، ويطير منه العقل شعاعاً، بمعنى أنه من فرط قوة أشعة النور عليه، يصيبه شلل، فيفقد الحس والوعى، ويذهب عنه الإدراك بنوعيه: الحسى والعقلى. وهذا هو ما عبر عنه الإنجيل بالنسبة للرسول بطرس «لم يكن يدرى ما هو قائل» (٧)، «ولم يكن يعى ما يقول (٨).

ولعلنا نجد فى وصف القديس يوحنا الرسول فى رؤياه وصفاً يفيدنا فى بيان قوة النور وبهائه عندما رأى المسيح متجلياً: قال «ووجهه يضىء كالشمس عند اشتدادها» (٩). وهذا توكيد على أن نور وجه المسيح فى التجلى كان أقوى من نور الشمس، ولذلك لم يكتف الرسول بأن

---

(١) (متى ١٧: ٢).
(٢) (مرقس ٩: ٢).
(٣) (لوقا ٩ : ٢٩).
(٤) (متى ١٧: ٢).
(٥) (متى ١٧: ٦).
(٦) (لوقا ٩: ٣٢).
(٧) (مرقس ٩: ٦).
(٨) (لوقا ٩: ٣٣).
(٩) (سفر الرؤيا ١: ١٦).

يقول إن وجه المسيح كان «يضيء كالشمس» وإنما أضاف إلى ذلك قوله «وهى عند اشتدادها» أى فى قوتها، عندما تكون الشمس عمودية، وغير محجوبة بالسحب. وليس هناك تعبير فى لغة البشر، وقريباً إلى فهمهم الحسى، أقوى من هذا التعبير الذى يشبه نور المسيح فى وجهه عندما يتجلى وينكشف ويظهر على حقيقته، بنور الشمس فى قوتها وعند اشتداد ضيائها ولمعانها وهى فى كبد السماء. ويضيف القديس يوحنا الرسول فى رؤياه مؤكداً على قوة هذا النور المنبعث من وجه المسيح له المجد، بقوله «فلما رأيته سقطت عند قدميه كالميت» (١)، وهذا أبلغ تعبير فى لغة الإنسان، يقرب إليه بلغته، كيف كان النور المنبعث من وجه المسيح من القوة والسطوع بحيث لا يقوى أحد من الناس على أن يواجهه ويظل حياً، إذ هو أقوى من إحتماله. وكما قال الله للنبى موسى فى القديم «لا يرانى إنسان ويعيش» (٢).

* * *

وشبيه بهذا نور المسيح الذى رآه القديس بولس الرسول وهو فى طريقه إلى دمشق.

جاء فى سفر الأعمال «أبرق حوله بغتة نور من السماء فسقط على الأرض... فنهض شاول عن الأرض، وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً، فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق. ولبث ثلاثة أيام لا يبصر، ولا يأكل ولا يشرب» ولقد أمر الرب القديس حنانيا أحد السبعين رسولاً أن يذهب إلى شاول الذى هو بولس فى الزقاق الذى يقال له المستقيم ليضع يديه عليه لكى يبصر «فمضى حنانيا ودخل البيت ووضع يديه عليه وقال: أيها الأخ شاول قد أرسلنى الرب يسوع الذى ظهر لك فى الطريق الذى جئت فيه لكى تبصر...فللوقت وقع من عينيه شىء كأنه قشور، فأبصر فى الحال» (٣).

وقال القديس بولس الرسول نفسه يصف بهاء النور الذى ظهر له «فحدث لى وأنا ذاهب وقد دنوت من دمشق أنه نحو نصف النهار أبرق حولى من السماء بغتة نور عظيم فسقطت على الأرض... والذين كانوا معى نظروا النور وارتعبوا ... وإذ كنت لا أبصر لبهاء ذلك النور، اقتادنى بيدى الذين كانوا معى فجئت إلى دمشق. وإن حنانيا رجلا تقيا بمقتضى الناموس

---

(١) (سفر الرؤيا ١ : ١٧).
(٢) (سفر الخروج ٣٣: ٢٠).
(٣) (أعمال الرسل ٩: ٣ ـ ١٨).

ومشهوداً له من جميع اليهود السكان أتى إلىّ ووقف عندى وقال لى أيها الأخ شاول: أبصر. ففى تلك الساعة نظرت إليه... (١).

وقال أيضاً فى خطابه فى حضرة الملك أغريباس: «ولما كنت ذاهباً فى ذلك إلى دمشق بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة، رأيت فى نصف النهار فى الطريق أيها الملك نوراً من السماء يفوق لمعان الشمس قد أبرق حولى وحول الذاهبين معى. فلما سقطنا جميعنا على الأرض، سمعت صوتاً يكلمنى...» (٢).

ومن ذلك يتضح أن نور المسيح له المجد والذى أبرق حول القديس بولس أنه كان نوراً من السماء، وأنه كان أشد ضياء من نور الشمس، وأنه بسبب قوة هذا النور سقط هو والذين معه من الرجال إلى الأرض، وأنه من شدة بهاء ذلك النور ظل وهو مفتوح العينين لا يستطيع أن يرى شيئاً لمدة ٣ أيام ولذلك اقتاده الذين معه بيده ودخلوا به إلى دمشق، وبقى فى البيت إلى أن أتى إليه القديس حنانيا الرسول ووضع يديه عليه فأبصر بعد أن سقط منهما شىء كأنه قشور.

* * *

نعم، عندما تجلى المسيح له المجد «تغير منظر وجهه» «فأضاء وجهه كالشمس». وهنا يجب أن نلاحظ أن النور الذى أضاء وجهه لم يكن من خارج، وإنما كان من باطن.... كان منه ولم يكن من غيره... كان منبعثاً منه ولم يكن منعكساً عليه... كان المسيح هو النور، ولم يكن هو عاكساً للنور... كان هو الشمس ولم يكن هو القمر. إن القمر جسم معتم فى ذاته، فإذا كنا نراه منيراً، لكن النور ليس أصيلاً فيه. النور ليس منه، وإنما هو من الشمس، وأما النور الذى فيه فليس هو نوره هو، لكنه نور الشمس منعكساً عليه. فليس هو إذن النور الحقيقى بل هو عاكس للنور...

قلنا إن النور الذى أضاء وجه المسيح لم يكن من خارج، إنما كان من باطن. كان منه ولم يكن من غيره.. كان نابعاً منه..، وخارجاً ومنبثقاً منه.. لأنه هو النور «والنور الحقيقى الذى يضىء» (٣)، ولذلك أضاء وجهه بلمعان أبهى وأقوى من لمعان الشمس وبهائها، وأضاء كل الوجود من حوله، وكان طبيعياً أن يضىء ثيابه «فصارت

---

(١) (أعمال الرسل ٢٢: ٦ - ١٣).
(٢) (أعمال الرسل ٢٦: ١٢ - ١٤).
(٣) (يوحنا ١: ٨، ٩)، (١. يوحنا ٢: ٨).

ثيابه بيضاء كالنور، متألقة كالبرق، ناصعة البياض كالثلج، حتى ليعجز أى قصار على الأرض عن أن يجعلها فى مثل بياضها» (١).

لقد ذكر الكتاب المقدس عن النبى موسى أنه عندما صعد إلى جبل سيناء، جبل الله حوريب، أنه بسبب وجوده مع الله، وبسبب مواجهته للبهاء الإلهى أن «جلد وجهه صار يلمع من مخاطبة الرب له. فنظر هرون وجميع بنى إسرائيل إلى موسى وإذا جلد وجهه يلمع، فخافوا أن يدنوا منه... ولما فرغ موسى من مخاطبتهم جعل على وجهه برقعاً. وكان موسى عند دخوله بين يدى الرب ليتكلم معه يرفع البرقع إلى أن يخرج. ثم يخرج ويكلم بنى إسرائيل بما يؤمر به. فكان بنو إسرائيل يرون وجه موسى أن جلده يلمع، فيرد البرقع على وجهه حتى يدخل ليتكلم معه(٢) .

فما أعظم الفرق بين نور المسيح، ونور موسى، كما وكيفا، إن النور الذى كان يلمع من وجه موسى لم يكن منه، إذ «لم يكن هو النور» (٣) .. كان «النور الحقيقى» هو نور الله الذى تجلى له فى الجبل. قال موسى للرب الإله «أرنى مجدك. قال أنا أجيز جميع جودتى أمامك، وأنادى باسم الرب قدامك... أما وجهى فلا تستطيع أن تراه، لأنه لا يرانى إنسان ويعيش. وقال الرب: هوذا عندى موضع. قف على صخرة. ويكون إذا مر مجدى أنى أجعلك فى نقرة من الصخرة، وأسترك بيدى حتى أجتاز، ثم أرفع يدى فتنظر ورائى. وأما وجهى فلا يرى(٤) .

وإذن فالنور الذى لمع من وجه موسى لم يكن فى الواقع نور موسى وإنما كان إنعاكساً على وجهه من فيض البهاء الإلهى الذى سطع على وجهه عندما كان فى نقرة من الصخرة واستطاع أن يلمح شيئاً من البهاء الربانى... أما النور الذى أضاء وجه المسيح وثيابه على جبل التجلى فلم يكن إنعكاساً من كائن آخر خارج عن ذاته، وإنما كان من ذاته، كما ينفجر نور الشمس منها، ومنها إلى غيرها من الكواكب والأقمار التى تقع فى فلكها وتدور فى مدارها.

---

(١) (متى ١٧ : ٢)، (لوقا ٩ : ٢٩)، (مرقس ٩ : ٣).
(٢) (سفر الخروج ٣٤ : ٢٩ ـ ٣٥).
(٣) (يوحنا ١ : ٨).
(٤) (الخروج ٣٣ : ١٨ ـ ٢٣).

لهذا سمى نور المسيح الذى أضاء وجهه وجعل ثيابه بيضاء كالنور متألقة كالبرق ناصعة البياض كالثلج، بالتجلى أو «الجليان»، لأن المسيح كشف على الجبل مجده وبهاءه، وأظهر سناءه، وأزاح الغطاء عن نوره، ورفع الحجاب عن ضيائه، فظهر شخصه على حقيقته، وأبان عن مجد لاهوته الذى كان متحجباً فى ناسوته.

لقد حجب «المسيح الله ابن الله الحى» لاهوته فى ناسوته، بتجسده إذ اتخذ جسداً من طبيعة جسدنا اتحد به واستتر فيه، وكان لابد من أن يحجب لاهوته عندما نزل على الأرض وإلا أحترقت الأرض ومات من وما عليها (١)، «لأن إلهنا هو نار آكلة» (٢)، لأنه «من منا يسكن فى النار الآكلة. ومن منا يسكن فى المواقد الأبدية» (٣)، ولئلا تغيب عن تلاميذ المسيح هذه الحقيقة، ويجهلون من هو المسيح فى حقيقته الباطنة، أراد أن يكشف عنها على الجبل للخاصة من تلاميذه فيكونوا على بينة منه، وعلى يقين من تلك الحقيقة التى عبر عنها القديس بطرس عندما سأل المسيح تلاميذه «وأنتم من تقولون إنى هو؟» (٤) فأجابه «أنت هو المسيح الله ابن الله الحى». فإن هذه الحقيقة هى الصخرة التى بنى المسيح كنيسته عليها (٥). ولابد أن يرى بعض التلاميذ بعيونهم بينة عليها، ولمحة منها على قدر ما تحتمل عيونهم أن ترى. ومع ذلك أوصاهم قائلاً: لا تخبروا أحداً بما رأيتم إلا متى قام ابن الإنسان من بين الأموات. وذلك حتى يظل فى المفهوم العام بين الناس على الأرض إلى يوم قيامته، فى صورة الإنسان، ابن الإنسان، ابن مريم، إلى أن يتمم عمل الفداء الذى من أجله نزل من السماء، وإلا تعطل الصليب «فإنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد» (٦). وأما بعد الصليب والقيامة فيسترد صورة البهاء التى أخلى نفسه منها حتى يتم الخلاص ومن ثم «يعود إلى مجده» (٧)، وهى صورة البهاء التى رآه عليها القديس يوحنا الرسول الحبيب، فى رؤياه (٨).

* * *

---

(١) (الخروج ٢٠: ١٩)، (التثنية ٥: ٢٥، ٢٦)، (١٨: ١٦).
(٢) (التثنية ٤: ٢٤)، (٩: ٣)، (العبرانيين ١٢: ٢٩).
(٣) (إشعياء ٣٣: ١٤).
(٤) (متى ١٦: ١٥).
(٥) (متى ١٦: ١٨).
(٦) (١. كورنثوس ٢: ٨).
(٧) (لوقا ٢٤: ٢٦).
(٨) (الرؤيا ١).

وشيء جميل آخر حدث على جبل التجلى، شيء يكمل تلك اللمحة المنيرة السعيدة التى شاء المسيح له المجد أن يريها لتلاميذه عن العالم الآخر وأمجاده، فرفع بصرهم فوق العالم المادى، والأرضى إلى السماوات العُلى. لقد حدثهم فى قيصرية فيلبس عن آلامه التى سيكابدها من شيوخ اليهود ورؤساء كهنتهم، وما سيلحق به من الامتهان والصلب والموت، ولكنه حدثهم أيضاً عن قيامته من بين الأموات فى اليوم الثالث لصلبه وموته، ثم وعدهم بمجيئه الثانى فى مجد أبيه مع ملائكته القديسين ليجازى كل إنسان على حسب أعماله. (١).

لذلك اقتضت حكمته، تثبتاً لإيمانهم، أن يريهم لمحة من أمجاد ملكوته بأن يتجلى أمامهم فى صورة البهاء والجمال، التى هى له بطبيعة ألوهتة، وفى هذا الجو الروحانى السماوى المشبع بالمجد والجلال يأتى ليكونا فى شرف حضرته، إثنان من كبار الأنبياء ممن رحلوا إلى العالم الآخر، يمثلان جميع الأنبياء والرسل، وينوبان عنهم فى موكب الملك المسيح، يتحدثان معه فى تدبير الفداء المزمع أن يتممه لخلاصهم وخلاص جميع المنتظرين (٢) من قديسى العهد القديم، هؤلاء الذين «نظروا المواعيد من بعيد وصدقوها وحيوها» (٣).

قال الإنجيل «ثم ظهر لهم موسى وإيليا، وقد تراءيا فى مجد، وكانا يتكلمان مع يسوع عن إنطلاقه الذى كان مزمعاً أن يتممه فى أورشليم. أما بطرس واللذان معه فقد كانوا مثقلين بالنوم، فلما أفاقوا رأوا مجده والرجلين الواقفين معه» (٤).

أما موسى فهو رئيس الأنبياء، وهو أيضاً صاحب الشريعة التى نسبت إليه، فقد تلقاها من السماء على جبل سيناء، ونقلها إلى بنى إسرائيل. وأما إيليا فهو النبى المعروف بغيرته على مجد الله، والذى تحدى أنبياء البعل عباد الأوثان الأربعمائة والخمسين وقتلهم (٥)، فموسى وإيليا يمثلان الشريعة والأنبياء معاً، ووجودهما على جبل التجلى أمام التلاميذ شهادة على أن فى المسيح الرب تركزت آمال الأنبياء وأحلامهم، وفيه كملت الشريعة وما اشتملت عليه

---

(١) (متى ١٦: ٢١ ـ ٢٧)، (مرقس ٨: ٣١ ـ ٣٨)، (لوقا ٨: ٢٢ ـ ٢٦).
(٢) (لوقا ٢: ٣٨، ٢٥).
(٣) (العبرانيين ١١: ١٣).
(٤) (متى ١٧: ٣)، (مرقس ٩: ٤)، (لوقا ٩: ٣٠، ٣١).
(٥) (١. الملوك ١٨: ٤٠).

من طقوس وذبائح ورموز. لقد التقت على جبل التجلى شريعة العهد القديم ممثلة فى النبى موسى الكليم، كما اجتمعت أقوال الأنبياء التى أنبأت بالمسيح الفادى مشتهى جميع الأجيال (١).

فظهور موسى وإيليا مع المسيح الرب على جبل التجلى يتحدثان معه عن انطلاقه الذى كان مزمعاً أن يتممه فى أورشليم، بينة على أن موضوع الفداء والخلاص أمنية ينشدها الجميع وهى تدبير إلهى يشغل اهتمام الله والقديسين، وأن على المسيح، من حيث هو إنسان ينوب عن الناس، ينعقد أمل الخلاص ورجاء الفداء لأنه «ليس بأحد غيره الخلاص» (٢).

ولعله من المثير للانتباه أن يلتقى بالمسيح الرب على جبل التجلى موسى وإيليا، على الرغم من أن موسى قد مات من مئات السنين (٣). أما إيليا فلم يمت، ولكن حملته مركبة من نار وخيل من نار وصعدت به فى العاصفة إلى السماء (٤). وهذا بينة واضحة على أن موسى الذى مات ودفن فى جبل نبو، «ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم» (٥). مازال حياً ولم تذهب روحه إلى العدم، فأرواح الناس خالدة «لأنه إنما خلق الجميع للبقاء» (٦). وقد قال السيد المسيح صراحة للصدوقيين الذين يقولون إنه ليس قيامة ولا روح (٧)، قال «أنا إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب. فليس الله إله أموات، وإنما هو إله أحياء، لأن الجميع عنده أحياء» (٨).

ولقد كان أمراً مثيراً حقاً ومشجعاً للإيمان أن يرى التلاميذ الثلاثة بعيونهم، موسى النبى الذى قرأوا عنه، ورددوا اسمه مراراً وتكراراً بإعتباره صاحب الشريعة والناموس وكليم الله، وكاتب التوراة... فيثقوا بأن هناك حياة بعد الموت... ويتبينوا خطأ مذهب الصدوقيين وأنهم كما قال المسيح لهم «على ضلال عظيم» (٩).

---

(١) (١. أخبارالأيام ١٦: ١٥)، (لوقا ١: ٤٨، ٥٠).
(٢) (أعمال ٤: ١٢).
(٣) (التثنية ٣٤: ٥ ـ ٨).
(٤) (٢. الملوك ٢: ١١).
(٥) (التثنية ٣٤: ٦).
(٦) (سفر الحكمة ١: ١٤).
(٧) (أعمال ٢٣: ٨).
(٨) (متى ٢٢: ٣٢)، (مرقس ١٢: ٢٦)، (لوقا ٢٠: ٣٧، ٣٨).
(٩) (مرقس ١٢: ٢٧)، متى ٢٢: ٢٩).

كذلك تبينوا أن إيليا النبى الذى لم يره مرفوعاً إلى السماء فى مركبة من نار غير اليشع النبى وحده، رآه التلاميذ الثلاثة رأى العيان، فآمنوا بأنه مازال حياً، وأنه وإن لم يمت، فلأنه محجوزاً لرسالة سينزل لأدائها قبل مجىء يوم الرب العظيم المخوف (١) يوم الدينونة والجزاء الأخروى. ولقد وجدوا أيضاً جواباً على سؤالهم «لماذا يقول الكتبة إذن أن إيليا ينبغى أن يجىء أولاً؟. فأجاب يسوع وقال لهم:.... إن إيليا قد جاء فعلاً فلم يعرفوه، وإنما فعلوا به كل ما أرادوا.. وعندئذ فهم التلاميذ أنه كان يكلمهم عن يوحنا المعمدان» (٢).

فبرؤيتهم إيليا رأى العيان، تبينوا فعلاً أن ما قاله الرب بفم ملاخى النبى عن مجىء إيليا قبل مجىء الرب، يتجه إلى نزوله حياً قبل المجىء الثانى للمسيح، أما لماذا كان هناك الاعتقاد بأن إيليا يأتى قبل مجىء المسيح الأول، فقد وضح أن المقصود به هو يوحنا المعمدان الذى شابه إيليا، وتقدم أمام المسيح الرب «بروح إيليا وقوته» (٣).

وهنا أيضاً فى هذا الظهور لموسى وإيليا على جبل التجلى جواب على الذين يسألون عما إذا كان القديسون الراحلون إلى العالم الآخر يعلمون بما يجرى على الأرض، فلقد ظهر موسى وإيليا مع سيدهم وكانا يخاطبانه ويتكلمان معه عن «انطلاقه الذى كان مزمعاً أن يتممه فى أورشليم» فلم يكونا جاهلين بالأحداث الجارية وإنما كانا يتكلمان فى موضوع معروف لديهما وهما يتابعان من عالمهما كل ما يتصل به عن قرب.

وفى هذا الظهور لموسى وإيليا على جبل التجلى رد على سؤال يثار عادة، ما إذا كان القديسون المنتقلون يلتقون ببعضهم هناك فى عالم الروح. فقد اجتمع موسى وإيليا والتقيا على الرغم مما بينهم من عشرات الميئات من السنين.

ولقد كان اليهود يظنون فى المسيح أنه إيليا، أو إرميا أو واحد من الأنبياء (٤). وقد نقل التلاميذ إلى معلمهم ذلك الاعتقاد عندما سألهم فى قيصرية فيلبس «من تقول الناس إنى هو، أنا ابن الإنسان». ومع أن سمعان بطرس اعترف له بقوله «أنت هو المسيح ابن الله الحى» بيد أنه هو ورفيقاه يعقوب ويوحنا إذ رأوا إيليا على جبل التجلى كما رأوا موسى إزداد يقينهم فى خطأ الظن

---

(١) (ملاخى ٤: ٥).
(٢) (متى ١٧: ١٠ - ١٣)، (مرقس ٩: ٩ - ١٣).
(٣) (لوقا ١: ١٧).
(٤) (متى ١٦: ١٤)، (مرقس ٨: ٢٨)، (لوقا ٩: ١٩).

الذى ظنه اليهود فيه، وعاينوا بعيونهم أن المسيح ليس هو إيليا، وليس هو إرميا أو موسى أو أحد الأنبياء، إنما هو «رب المجد» وأنه رب الأنبياء وسيدهم وخالقهم.

كذلك عرف التلاميذ الثلاثة مكانة معلمهم وسيدهم بإزاء أعظم الأنبياء موسى وإيليا، والفارق الذى لا يعبر بين مجده ومجدهم، وهو الفارق بين السيد وعبيده.

وبظهور موسى الكليم وإيليا العظيم على جبل التجلى تحقق التلاميذ الثلاثة أن فادينا يسوع المسيح جاء متمما لما قاله الأنبياء من قبله، ومتوجاً ومكللا لشهاداتهم عنه. وإذن فلم يأت المسيح من فراغ، وإنما مكملا للحلقة الأخيرة فى سلسلة التاريخ المقدس فى تدبير الخلاص، إذ هو المخلص الذى رآه الأنبياء قديماً بالروح، أما الآن فقد رآه بالنيابة عنهم موسى وإيليا.

ولسنا نجد صعوبة فى ظهور إيليا فى الجسد على جبل التجلى، ذلك أن إيليا لم يمت، ولقد حملته مركبة من نار وخيل من نار حيا إلى السماء. أما أن يظهر موسى أمام التلاميذ، بعد موته، فى شكل منظور، على الرغم من أنه مات ودفن فى جبل نبو، فهذا يدل على إمكانية الأرواح فى أن تتجسد، غير أن الجسد الذى تتخذه لتظهر فيه، لابد أن يكون جسداً أثيرياً، جسداً شبيهاً بالجسد الذى تتخذه الملائكة عندما تظهر للبشر، كما حدث مثلا لإبراهيم الذى أضاف ملائكة وغسل أرجلهم، وأعد لهم مائدة(١)، وكما حدث ليعقوب عندما ظهر له ملاك فى شكل إنسان وصارعه (٢)، وكما ظهر الملاك لجدعون فى شكل رجل (٣)، وكما ظهر ملاك الرب لأم شمشون فى شكل رجل وبشرها بحبلها بشمشون (٤)، وكما ظهر ملاك الرب جبرائيل لزكريا الكاهن وبشره بحبل إمرأته بيوحنا المعمدان (٥)، وكما ظهر أيضاً ذلك الملاك بعينه للعذراء القديسة مريم (٦).

والجسد الأثيرى ليس من طبيعة أجسادنا، لكن الروح سواء كانت روح ملاك أو روح إنسان، تكونه من الأثير تكوينا مؤقتاً حتى يتحقق به القصد من ظهورها، ثم تصرفه بعد ذلك، ويختفى

---

(١) (التكوين ١٨: ١٩).
(٢) (التكوين ٣٢ : ٢٤).
(٣) (القضاة ٦ : ١١، ١٢).
(٤) (القضاة ١٣: ٣ ـ ٢٠).
(٥) (لوقا ١ : ١١ ـ ٢٠).
(٦) (لوقا ١: ٢٦ ـ ٣٨).

من نظر البشر الجسدانيين. ألم يقل الكتاب المقدس أنه توجد «أجساد سماوية وأجساد أرضية؟ (١)

ولربما يكون من المتعذر علينا، إن لم يكن من المستحيل، أن نتصور السعادة العظمى التى عاشها التلاميذ الثلاثة على جبل التجلى فى حضرة المسيح الرب فى بهائه وجلاله «الأبرع والأبدع والأبهى جمالاً من بنى البشر(٢)»، وقد رأوا معه إثنين من أعاظم القديسين الراحلين، وبذلك أشرفوا على لمحة من سعادة القديسين التى سيحظون بها فى ملكوت السماوات.

لذلك كان بطرس الرسول سعيدا مع رفيقيه يعقوب ويوحنا بالبقاء طويلاً على جبل التجلى، وأبدى رغبة زميليه أن يمكثا على الجبل حيث كل هذه الأمجاد واللذات العقلية والروحانية، فأنشد - وهو الأكبر بينهم - يعبر بالأصالة عن نفسه، وبالنيابة عن شريكيه، عن رغبتهم فى طول الاستمتاع ببهاء المسيح ونور ضيائه قائلاً: «يارب، حسن لنا أن نكون هنا، فإن شئت فدعنا نصنع هنا ثلاث مظال: واحدة لك، وواحدة لموسى، وواحدة لإيليا، إذ لم يكن يدرى ما هو قائل، فقد استولى عليه رعب شديد».

على أن عبارة «حسن لنا أن نكون هنا» تنم عن إحساس واضح ليس فقط بأن البقاء على جبل التجلى (جميل) فى ذاته، بل وأيضاً على أنه (خير) بالنسبة للتلاميذ أنفسهم ولذلك فإنهم يرحبون بهذا البقاء، ويرغبون فيه، ويتمنونه أن يدوم. ومع ذلك فقد طلب الرسول بطرس أن يسمح الرب لهم بأن يصنعوا ثلاث مظال: واحدة لربهم وسيدهم وواحدة لموسى، وواحدة لإيليا. ولم يطلبوا هذه المظال أو بعضها لأشخاصهم وإنما طلبوها للرب، ولموسى وإيليا. وفى هذا ما فيه من الاعتراف بسعادتهم، كما أن فيه إنكاراً لذواتهم، وبالتالى دليلا على روح الإيثار والغيرية فيهم.

ولا ندرى لماذا كانت الحاجة ماسة إلى مظال على جبل التجلى؟

إن بعض الآباء يقول إن التجلى قد تم ليلا، كما هى عادة المسيح فى خلواته على الجبال.

---

(١) (١. كورنثوس ١٥: ٤٠).

(٢) (مزمور ٤٤: ٢).

يقول الإنجيل عن رب المجد يسوع بعد أن صنع معجزة إشباع الجموع من خمس الخبزات والسمكتين: «ومالبث يسوع أن ألزم تلاميذه بأن يركبوا السفينة ويسبقوه إلى الضفة الأخرى ريثما يصرف الجموع، حتى إذا صرف الجموع صعد إلى الجبل منفرداً ليصلى. فلما جاء المساء كان هناك وحده (١) . ويقول الإنجيل أيضاً فى مناسبة أخرى «وفى تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلى. وقضى الليل كله فى الصلاة» (٢) .

وعلى ذلك فالراجح أن يكون التجلى قد حدث ليلا، لا سيما أن الإنجيل للقديس لوقا يقول «وصعد إلى جبل ليصلى، وفيما هو يصلى تغير منظر وجهه...» (٣) .

فإذا كان التجلى قد صار ليلاً، فماذا كانت الحاجة إلى مظال؟

لعل القديس بطرس عندما رأى فى مبدأ الأمر نور المسيح وقد أضاء وجهه وثيابه حتى صارت متألقة بيضاء ناصعة البياض كالثلج، ظن - وهو فى غيبة عن عقله الواعى «إذ لم يكن يدرى ما هو قائل» فقد استولى عليه رعب شديد، إذ كان مبهوراً بالنور الوهاج - أن النور نور الشمس أو نور نجم آخر أقوى من الشمس وأقرب، فصاح يقول «فدعنا نصنع ثلاث مظال» وهذا بينة فى ذاته على شدة ذلك النور وقوته حتى إنه بدأ فى الليل الحالك وكأنه نور الشمس أو نور نجم أقوى من الشمس وأعظم. وإذا كان الأمر كذلك، فهذا بينة على لاهوت المسيح. فما من بشر يمكن أن يصدر عنه نور كذاك النور الذى انبعث من المسيح له المجد.

وهناك من المؤلفين والدارسين من عتب على القديس بطرس أو لامه على رغبته فى البقاء على جبل التجلى وقوله «حسن لنا أن نكون هنا» ورأى فى قوله هذا نوعاً من الأنانية تبدو فى نسيانه مسؤولياته التى تقتضيه النزول من جبل التجلى للعمل فى العالم بين الناس والقيام بمقتضيات الخدمة الروحية فى سبيل خلاص النفوس.

ولقد عبر القديس بولس الرسول عن حيرة نفسه بين رغبتين جامحتين تتنازعانه: كل منهما لها فى نفسه جاذبيتها ووجاهتها، قال.. لأن الحياة لى هى المسيح، والموت ربح لى. ولكن إن كانت الحياة فى الجسد هى لى ثمر عملى فلست أدرى ماذا أختار. فإنى محصور بين الإثنين:

---

(١) (متى ١٤: ٢٢، ٢٣) ، (مرقس ٦: ٤٥ - ٤٧)، (يوحنا ٦: ١٥، ١٦).

(٢) (لوقا ٦: ١٢). (٣) (لوقا ٩: ٢٨ ، ٢٩).

لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح، وذاك أفضل جداً ولكن أن أبقى فى الجسد أشد لزوماً من أجلكم. فإذ أنا واثق بهذا أعلم أنى سأمكث وأبقى مع جميعكم لأجل تقدمكم وفرحكم فى الإيمان (١)».

ومع ذلك فنحن لا نستطيع أن نلوم القديس بطرس على رغبته فى البقاء على جبل التجلى، فقد سبى جمال الوجود فى تلك الحضرة المقدسة عقله، وانطلق لسانه معبراً عن شعوره بالسعادة القصوى «إذ لم يكن يدرى ما هو قائل». وهذا وحده يكفينا ليصور لنا بلغة واحد منا بشرى، جمال الحياة الأبدية التى سيحياها القديسون فى فردوس النعيم ثم فى الملكوت الأبدى مع الله، والتى رأى القديس بطرس ورفيقاه، لمحة منها على جبل التجلى «كما هو مكتوب مالم تره عين ولا سمعت به أذن ولا خطر على قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه» (٢).

على أنه كان جميلاً من الرسول بطرس قوله لسيده المسيح: «فإن شئت، فدعنا نصنع». فهو لم يفرض على الرب ما يبدو له حسناً لهم، وإنما ترك الأمر للمشيئة الإلهية. فكثيراً ما يشاء الإنسان غير ما يشاء الله ويشاء الله غير ما يشاء الإنسان. وقد تتفق المشيئتان وتتحدان أحياناً، ولكن قد تختلفان وتفترقان وتتعارضان فى أحيان أخرى. ومن الخير للإنسان التقى البصير الذى يؤمن بعمق حكمة الله وجمال تدبيره وكماله، وشمول خيريته وجودته، وعلمه الكامل بالحاضر والمستقبل، أن يفصح لله عن رغبته ومشيئته، ثم يطرحها فى اتضاع بين يدى خالقه وسيده، ويسأله فى إيمان أن يصنع حسب مشيئته ما يحسن فى عينيه، ويقول «لتكن لا مشيئتى بل مشيئتك» (٣).

كذلك كان حلوا من بطرس قوله «فلنصنع». إنه لم يشأ أن يستأثر بصنع المظال بمفرده، بل أشرك معه زميليه، فلا يكون له وحده شرف العمل، وإنما جعل نفسه واحداً منهم، ولم يبرز ذاته على حساب رفيقيه. على جبل التجلى، وأمام روعة الجمال الإلهى، نسى بطرس ذاتيته، وآنيته، واندمجت ذاته فى ذوات الجماعة. أما فى ليلة آلام معلمه وسيده فنسى فضيلة فناء الذات، فبرزت ذاته فى حدة الاحساس بها عندما قال للمخلص «إن شك فيك الجميع فأنا لن أشك أبداً» (٤).

---

(١) (فيلبى ١: ٢١ ـ ٢٥).
(٢) (١. كورنثوس ٢: ٩).
(٣) (لوقا ٢٢: ٤٢)، (مرقس ١٤: ٣٦)، (متى ٢٦: ٤٢).
(٤) (متى ٢٦: ٣٣)، (مرقس: ١٤: ٢٩).

وقد أخذ من ذلك درساً قاسياً لا ينسى، كان كلما ذكره يبكى ويحزن (١).

ولم يجد بطرس جواباً لسؤاله، إذ هو نفسه «لم يكن يعى ما يقول». ولم تكن ثمة حاجة إلى مظال، فقد كان الوقت ليلاً، كما أن النور لم يكن ساقطاً عليهم من شمس وإنما كان منبعه وإشراقه من المسيح الرب «شمس البر والشفاء فى أجنحتها(٢).

قال الإنجيل المقدس إن التلاميذ الثلاثة من فرط سطوع النور والبهاء «كانوا مثقلين بالنوم، فلما أفاقوا رأوا مجده، والرجلين (موسى وإيليا) الواقفين معه (٣)».

بينما بطرس الرسول يطلب ثلاث مظال، إذا بمظلة كبيرة هى سحابة عظيمة كبيرة من نور ظهرت وظللتهم أو بالأحرى غمرتهم بنور آخر مضاف إلى نور المسيح المشرق من وجهه والذى أضاء ثيابه فصارت براقة كالنور، متألقة ناصعة البياض كالثلج، فأضافت نوراً على نور... ولم تكن هذه السحابة ظاهرة طبيعية، ولم تكن من نوع السحاب الغائم الذى يمنع النور، لكنها كانت سحابة نورانية من عالم الروح، سحابة هى مركبة من نور للجالس على الكاروبيم، ووجودها مظهر للتجلى الإلهى، تجلى الآب السماوى، أنها «مجد الرب قد ظهر فى السحاب» (٤)، فعندما أراد الله أن يتجلى على جبل سيناء ليعطى النبى موسى شريعته «نزل الرب فى السحاب» (٥). ويقول النبى فى مزاميره «أيها الرب إلهى لقد عظمت جداً. مجداً وجلالاً لبست. أنت الملتف بالنور كرداء... الجاعل السحاب مركبة له، السائر على أجنحة الريح» (٦)، ويقول أيضاً «الرب قد ملك ... السحاب والضباب من حوله» (٧). وجاء فى سفر نبوءة ناحوم «الرب فى الزوبعة... والسحاب غبار رجليه» (٨).

---

(١) (متى ٢٦: ٧٥)، (يوحنا ٢١: ١٧).
(٢) (ملاخى ٤: ٢).
(٣) (لوقا ٩: ٣٢).
(٤) (الخروج ١٦: ١٠).
(٥) (الخروج ٣٤: ٥)، (العدد ١٢: ٥).
(٦) (مزمور ١٠٣: ١ - ٣).
(٧) (مزمور ٩٦: ٢).
(٨) (ناحوم ١: ٣).

أنظر أيضاً (١).

وتوكيداً على أن الرب الإله فى السحاب وأن السحاب بينة على الحضور الإلهى، «وإذا صوت جاء من السحابة يقول: «هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت. فله اسمعوا». وكان هذا الصوت صوت الله الآب يشهد للابن الملتحف بالنور، والمضىء وجهه بنور أشد لمعاناً من نور الشمس وهى فى اشتدادها: هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت. فله اسمعوا.

أليست هى بعينها الشهادة التى شهد بها الله الآب عن المسيح فى يوم عماده من يوحنا المعمدان فى نهر الأردن «وإذا السماوات تنشق، والروح ينزل فى هيئة جسمية، فى شبه حمامة، ويستقر على رأسه، وكان صوت من السماء يقول: هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت» (٢).

إذن قد كان فى التجلى توكيد وتأييد وتكرار للشهادة عينها التى شهد بها الله الآب عن المسيح له المجد أنه: (الابن الحبيب).

وإذا قال (الابن)، فمعنى البنوة هنا هو (البنوة الروحية) لأن الله روح (٣)، ومن ثم فالله لايلد الولادة الجسدانية المادية المعروفة فى عالم الإنسان والحيوان، وإنما البنوة هنا للدلالة على أن (الكلمة المتجسد) هو من طبع الله الآب ومن جوهره (٤)، وأنه ضياء مجده وصورة جوهره. ولذلك قال المسيح «من رآنى فقد رأى الآب (٥)»، فالمسيح هو «صورة الله غير المنظور (٦)»، وبهذا المعنى نفهم البنوة فى قوله «هذا هو ابنى الحبيب».

ويقول بعض آباء الكنيسة، لقد كان التجلى على الجبل فرصة أخرى لتوكيد (الظهور الإلهى) الذى تجلى فى عماد المسيح فى نهر الأردن. فالله الآب يشهد عن المسيح المتجلى «هذا هو ابنى الحبيب...»

---

(١) (إشعياء ١٩: ١)، (مراثى إرميا ٣: ٤٤)، (مزمور ١٧ : ٩)، (٩٨: ٧)، (متى ٢٤: ٣٠)، (٢٦: ٦٤)، (مرقس ١٣: ٢٦)، (١٤: ٦٢)، (الرؤيا ١: ٧).

(٢) (مرقس ١: ١٠، ١١)، (لوقا ٣: ٢١، ٢٢)، (متى ٣: ١٦، ١٧).

(٥) (يوحنا ١٤: ٩).

(٦) (كولوسى ١: ١٥).

على أن فى التجلى إضافة جديدة لها دلالتها فى قوله «فله اسمعوا». وإذا كان هذا الصوت من الله الآب صوت (شهادة) فهو أيضاً (أمر) للتلاميذ بالطاعة لصوته والعمل بوصاياه، حتى يحملوا رسالته إلى أقطار المسكونة، وأن يكونوا هم بعد صعوده إلى السماء امتداداً لدعوته ورسالته، يسمع الناس منهم تعاليمه التى أودعهم إياها، ويرى الناس فيهم صورته وسيرته. ولقد قال المسيح له المجد لتلاميذه «من سمع منكم فقد سمع منى (١)»، والسمع المقصود هنا ليس مجرد الإصغاء بالآذان، وإنما بالأحرى الطاعة للصوت بالقبول والإذعان (٢).

ولابد أن الصوت الذى سمعه التلاميذ الثلاثة آتياً من السحابة كان رهيباً، لأنه لم يكن صوت إنسان. كان هو صوت الله الآب جل جلاله. وقد وصف القديس بطرس الرسول هذا الصوت الذى سمعوه على جبل التجلى بأنه «من المجد الأسنى» وأنه كان «مقبلاً من السماء». قال يتذاكر التجلى وما كشفه التجلى من عظمة معلمه وجلاله «لأننا لم نتبع خرافات مصنعه، إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنا معاينين جلاله، لأنه أخذ من الله الآب الكرامة والمجد، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت. وقد سمعنا نحن هذا الصوت مقبلاً من السماء، حين كنا معه فى الجبل المقدس (٣)».

ونحن لا نستطيع أن نتبين قوة (الصوت) الذى سمعه التلاميذ على جبل التجلى وما صاحبه من جلال وعظمة وجمال وما أحدثه فيهم وفى كل الجبل. إنه أمر نعجز نحن عن تصوره، وليس فى مقدورنا أن نتخيله أو ندركه. أما التلاميذ فقد سمعوه واضحاً قوياً رهيباً، وإن لم ينقلوا إلينا فى كتاباتهم ما يعيننا على تصوره على حقيقته كما سمعوه هم. فالقديس بطرس لم يزد على أن هذا الصوت (من الله الآب) وأنه (صوت من المجد الأسنى) وأنهم عندما سمعوه أدركوا أنه كان (مقبلاً من السماء). والقديس يوحنا لا يزيد على قوله «الذى كان من البدء، الذى سمعناه الذى رأيناه بعيوننا، الذى شاهدناه، ولمسته أيدينا.... فإن الحياة أظهرت، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب وأظهرت لنا. الذى رأيناه، وسمعناه

---

(١) (لوقا ١٠: ١٦).

(٢) (متى ١٠: ٤٠)، (يوحنا ١٣: ٢٠).

(٣) (٢. بطرس ١: ١٦ - ١٨).

نخبركم به (١)، وقال أيضاً «وقد أبصرنا مجده (٢)».

غير أننا نقرأ فى الإنجيل أنهم عندما سمعوا الصوت الرهيب ارتاعوا وارتموا على وجوههم سجداً وامتلأوا رعدة وجزعا «فلما سمع التلاميذ هذا سقطوا على وجوههم، وخافوا جداً (٣)».

كذلك قال القديس بولس الرسول «رأيت فى نصف النهار فى الطريق... نوراً من السماء يفوق لمعان الشمس قد أبرق حولى وحول الذاهبين معى.. فسقطنا جميعنا على الأرض (٤)»، ويقول أيضاً «والذين كانوا معى نظروا النور وارتعبوا (٥)». ولقد عبر القديس يوحنا الإنجيلى فى رؤياه تعبيراً أشد روعة عندما رأى المسيح له المجد وسمع صوته «صوتاً عظيماً كصوت بوق (٦)»، قال «سقطت عند رجليه كالميت (٧)».

وعلى الرغم من أن يوحنا قد رأى الرب يسوع على جبل التجلى قبل أن يراه فى رؤياه، وكان من المتوقع أن يكون قد ألف بهاءه وجلاله واعتاده، فإنه يصف رؤياه فى المرة الثانية وصفاً أقوى فيقول «سقطت عند رجليه كالميت» مما يدل على أن البهاء الذى رآه القديس يوحنا فى رؤياه كان أعظم من البهاء الذى رآه على جبل التجلى. وهذا بينة على أن المسيح بقدرة لاهوته كان يتحكم فى قدر البهاء والمجد الذى يسمح بظهوره لتلاميذه على قدر ما تحتمل قواهم وعلى قدر ما يريد هو. ثم لأن المسيح عندما رآه يوحنا فى المرة الثانية كان قد صعد إلى السماء بعد أن تمم الخلاص، ودخل إلى مجده(٨)، واسترد صورة البهاء والمجد التى كانت له منذ الأزل (٩)، والتى أخلى نفسه منها (١٠) عندما نزل من السماء (١١) ليقوم بعمل الفداء بديلاً عن الإنسان (١٢).

ولذلك أشفق الرب على تلاميذه الثلاثة بعد أن سقطوا على وجوههم من شدة الخوف، وأخفى بهاءه الذى كشف لهم لمحة منه، وتقدم نحوهم وهم على الأرض مرتعبين مرتاعين

---

(١) (١. يوحنا ١: ١، ٢).
(٢) (يوحنا ١: ١٤).
(٣) (متى ١٧: ٦).
(٤) (أعمال ٢٦: ١٣، ١٤)، (٩: ٤)، (٢٢: ٧).
(٥) (أعمال ٢٢: ٩).
(٦) (الرؤيا ١: ١٠)، (٤: ١).
(٧) (الرؤيا ١: ١٧).
(٨) (لوقا ٢٤: ٢٦).
(٩) (يوحنا ١٧: ٥).
(١٠) (فيلبى ٢: ٧).
(١١) (يوحنا ٣: ١٣).
(١٢) (إشعياء ٥٣: ٥ ـ ٨).

«فجاء يسوع إليهم ولمسهم قائلاً : قوموا لا تخافوا، حتى إذا رفعوا أعينهم نظروا حولهم فلم يروا معهم أحداً إلا يسوع وحده».

نعم، لقد رأى الرب أن تلاميذه لا يحتملون أكثر من هذا، وأن مزيداً من البهاء والجمال والجلال والصوت الإلهى الرهيب ليس فى مقدورهم إحتماله. لذلك منع ظهور بهائه، وأخفى مجد لاهوته عنهم. فجاء إليهم ولمسهم... ومما تجدر ملاحظته أنه هو الذى جاء إليهم، إذ رآهم فى حاجة إلى مجيئه... تلك هى صورة الحب التى قدمتها لنا المسيحية فى شخص المسيح. لقد كان الله فى مفهوم اليونان والرومان قبل المسيح، إلهاً أو آلهة تسكن أعالى الجبال وما وراء الجبال، ولا تحفل بالبشر ولا تبالى بآلامهم وأحزانهم.

أما المسيحية فقدمت لنا الله الذى جاء إلى البشر، ونزل إليهم، ليشاركهم حياتهم وآلامهم ويتلامس معهم فى أحزانهم فقال المسيح: وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة، وليكون لهم فضل (١)، وقال الرسول بولس عنه «إذن إذ قد اشترك الأبناء فى اللحم والدم اشترك هو كذلك فيهما(٢)...».

وليست هذه هى المرة الوحيدة التى ينزع المسيح الخوف من تلاميذه ويطمئنهم بوجوده معهم بقوله: «لا تخافوا». فمرة «رآه تلاميذه ماشياً على البحر فاضطربوا قائلين: إنه شبح. وصرخوا من الخوف. فكلمهم يسوع فى الحال قائلاً: اطمئنوا. أنا هو. لا تخافوا (٣)».

أنظر أيضاً (٤).

إن المسيح لم يكتف بأن يقول لتلاميذه من بعيد، «لا تخافوا» إنما جاء إليهم بنفسه ولمسهم، وقال «قوموا لا تخافوا»... وبهذا رسم للخدام ولجميع المصلحين والمعلمين أنه لا يكفى أن يلقى الخادم أو المعلم النصح من بعد، ولكن من أهم صفات المعلم الصالح أن يتحرك نحو من يخدمهم، فيجىء إليهم بروح الأبوة، ويقترب إليهم كطبيب، راثيا لحالهم ليرفعهم بيده من الهوة التى تردوا فيها، ثم يلمسهم بيده حانياً عليهم، يمد يده لمعونتهم ويلمسهم بها لمسة حنان وشفقة

---

(١) (يوحنا ١٠: ١٠).
(٢) (العبرانيين ٢: ١٤).
(٣) (متى ١٤: ٢٦، ٢٧)، (مرقس ٦: ٤٩، ٥٠)، (يوحنا ٦: ١٩، ٢٠).
(٤) (لوقا ١٢: ٣٢)، (٨: ٥٠)، (مرقس ٥: ٣٦).

ومودة ورحمة، ومن يده تسرى إليهم محبته فتنعشهم بالأمل وتنفث فيهم الرجاء، تشفيهم وتردهم إلى الحياة.

نهض التلاميذ مبهورين، فآمنوا وأيقنوا وعلموا أن سيدهم ومعلمهم (هو المسيح الله ابن الله الحى)، وأنه حقاً (نزل من السماء)، وأنه (كان ولم يزل على الكل إلهاً مباركاً إلى أبد الدهور(١)، وأن «فيه يحل كل كمال اللاهوت جسدياً (٢)، وأنه قبل أن يكون (ابن مريم) و(ابن الإنسان) هو الله (الكلمة) وهو (ابن الله) المتجسد. ولكنهم «لزموا الصمت»، كما أوصاهم ولم يخبروا أحداً فى تلك الأيام بشىء مما رأوا «طاعة لأمره»: «لا تخبروا أحداً بما رأيتم حتى يقوم ابن الإنسان من بين الأموات». لكنهم وإن كتموا الأمر فى أنفسهم، إلا أنهم «أخذوا يتساءلون فيما بينهم: ما القيامة من بين الأموات»؟

---

(١) (رومية ٩: ٥).

(٢) (كولوسى ٢: ٩).

عيد التجلى (١)

عيد التجلى هو أحد أعيادنا السيدية نظراً لأن ربنا يسوع المسيح كشف فيه عن جلاله ومجده وجماله. فمعروف أن سيدنا يسوع المسيح من أجل أن يخلص الإنسان نزل من السماء ولكى يجعل فى قدرة الناس أن يروه ولا يحترقوا بلاهوته، احتجب فى جسد إنسان، فصار لاهوته محجوباً عن الإنسان وتمشى بين الناس كأنه إنسان. ولذلك كان دائماً يتكلم عن نفسه بصفته ابن الإنسان أى بصفته ابن مريم الذى أخذ صورة الإنسان. وإذا قاربت مهمة المسيح على نهايتها أراد أن يكشف عن حقيقته لتلاميذه وللمؤمنين به.

قبل الصعود على جبل التجلى سأل المسيح تلاميذه فى نواحى قيصرية فيلبس من تقول الناس إنى هو، أنا ابن الإنسان؟ فقالوا: إن قوماً يقولون إنك يوحنا المعمدان، وآخرين إنك إرميا أو أحد الأنبياء. فقال لهم: وأنتم من تقولون إنى هو؟ إنه يريدهم أن يعرفوا حقيقته من هو لأنه جاء مختبئا فى جسم البشرية. لكن لأن مهمته كادت أن تنتهى بالصليب فيريد أن يعرفهم بذاته ويكشف لهم عن حقيقته. فسمعان بطرس باعتباره أكبر الرسل سناً ودائماً كان المتقدم فى الكلام قال له: «أنت هو المسيح الله ابن الله الحى. فقال له الرب يسوع. مبارك أنت يا سمعان بن يونا لأنه ليس لحماً ودماً هو الذى كشف لك هذا وإنما أبى الذى فى السماوات. وأيضاً أقول لك أنت بطرس، وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى»، على صخرة الإيمان بحقيقة المسيح أنه ابن الله الحى. ولكن لا بمعنى أن الله يلد كما يلد الإنسان أو الحيوان ولكن بمعنى أنه الصورة الحقيقية لله غير المنظور...، إن الله غير المنظور صار منظوراً فى المسيح، فالمسيح إذن هو ابن الله بهذا المعنى، بمعنى أنه من طبيعة الآب، ومن جوهره، نور من نور، إله حق من إله حق. هذا هو معنى أنه ابن الله أى لابمعنى أن الله يلد كما يلد الإنسان أو الحيوان حاشا... إنما بمعنى أنه من طبيعة الآب ومن جوهره، وأنه الصورة المنظورة لله غير المنظور. وقد قال المسيح: «الله

---

(١) ألقيت: بكنيسة مارجرجس بدير مارجرجس - بسدمنت صباح يوم الأحد الموافق ١٩ من أغسطس لسنة ١٩٧٩م - ١٣ من مسرى لسنة ١٦٩٥ ش.

لم يره أحد قط، يعنى أن أحداً لم ير اللاهوت ولكن الابن الذى فى حضن الآب أى (فى ذات الآب) هو الذى خبر أو أنبأ عنه (يوحنا ١ : ١٨) وكما قال الرسول بولس فى رسالته إلى كولوسى والأصحاح الأول إن المسيح هو صورة الله غير المنظور (١ : ١٥) يعنى أن من رآه فقد رأى الله غير المنظور. وهذا ما قاله المسيح نفسه «من رآنى فقد رأى الآب» (يوحنا ١٤ : ٩). من رآنى فقد رأى الآب يعنى بهذا أنه صورة الله غير المنظور. فبطرس الرسول قال أنت هو المسيح ابن الله الحى. بعد هذا الاعتراف الصريح الذى نادى به القديس بطرس الرسول معبراً عن رأى التلاميذ أيضاً تكلم المسيح له المجد مع تلاميذه على أنه ينبغى أن يصلب وأن يمتهن من اليهود وشيوخ الكهنة والكتبة والفريسيين ويحكموا عليه بالموت ثم يقوم من بين الأموات. كلمهم إذن عن صلبه وكلمهم عن قيامته. وبعد ذلك قال لهم سيأتى ابن الإنسان فى مجده مع ملائكته القديسين ويجازى كل واحد على حسب أعماله. أى أنه بعد الإعتراف تكلم عن صلبه وموته وقيامته وصعوده إلى السماء وعن مجيئه الثانى الذى فيه يدين الأحياء والأموات. وبعد ذلك أراد أن يعطيهم بينة على هذا المجد الذى له والذى أخلى نفسه منه من أجل أن يخلص الإنسان. فأراد أن يأخذ بعضاً من تلاميذه كعينة ليشاهدوا لمحة من مجده الحقيقى الذى أخلى نفسه منه. وهذا هو السبب الأساسى لماذا صعد المسيح ببعض تلاميذه إلى جبل التجلى ليريهم لمحة من مجده ويعرفهم بحقيقته، توكيداً لما قال لهم قبل ذلك من أنه سيموت وسيقوم من بين الأموات وسيصعد إلى السماء وسيأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات، ويأتى فى ملكوته بقوة. وبعد ذلك قال لهم: الحق أقول لكم إن بعض الواقفين الحاضرين هنا لن يذوقوا الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً فى ملكوته. فكان هذا وعداً بأن بعضاً من تلاميذه الواقفين والحاضرين معه سيرون لمحة من مجده، فوفاء بهذا الوعد، وبراً بهذا الوعد، أخذ بعضاً من تلاميذه، ثلاثة منهم، ليريهم لمحة من هذا المجد، ولكنه شاء أن يفى بالوعد بعد ستة أيام من هذا الكلام. أما إنجيل لوقا فقد قال «بنحو ثمانية أيام»، على أساس أنه حسب اليوم الذى وعد فيه المسيح هذا الوعد بأن يكشف عن مجده، وأيضاً اليوم الذى صعد فيه والذى أظهر فيه مجده على جبل التجلى: فأصبح هنا ثمانية أيام:

ستة أيام متوسطة + اليوم الأول الذى وعد به، + اليوم الذى وفى فيه بالوعد، فأصبح ثمانية أيام. وبهذا يتبين أنه لم يكن هناك خلاف بين كتبة الأناجيل فيما يتصل بهذه الأيام التى توسطت بين الوعد وبين تحقيق الوعد.

ولكن لماذا تأخر المسيح عن الوفاء بوعده ستة أيام، ولماذا لم يصعد فوراً على جبل التجلى؟... ذلك لأنه لم يرد أن يأخذ معه كل التلاميذ، لأن هذه المسألة كان يريدها أن تبقى سراً لا يعلم به الكل، إنما يعلم به بعض تلاميذه، ولذلك فقد طلب فعلاً من هؤلاء التلاميذ الثلاثة فيما هم كانوا نازلين من الجبل أن لا يعلموا أحداً بما رأوه إلا متى قام من بين الأموات. لأن السياسة العامة لربنا يسوع المسيح كانت إخفاء لاهوته، لأنهم لو عرفوه على حقيقته لتعطل الصليب، وهذا هو ماقاله الرسول القديس بولس «لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد» (١. كورنثوس ٢: ٨) فكان لابد أن يخفى لاهوته، وكان لابد أن يخفى تدبيره حتى يتمم عمل الصليب. ومع هذا أراد أن يبين لتلاميذه حقيقة من هو. ولكنه لم يكشف هذا لكل تلاميذه، وإنما أراد أن يكشفه لثلاثة منهم. وحتى لا يقع الباقون فى حرج، لذلك أخر الوفاء بالوعد ستة أيام وحتى لا يكون بين هؤلاء يهوذا الاسخريوطى أو الأشخاص الآخرون الذين قد يترتب على معرفتهم إذاعة الخبر. بينما أنه كان فى تدبيره أن لا يذاع هذا الخبر إلا بعدما يقوم من بين الأموات.

وهؤلاء هم التلاميذ الثلاثة الذين كانوا دائماً يختصهم بالأمور التى لها دلالة خاصة. فنحن نرى أنهم التلاميذ الثلاثة الذين سمح لهم أن يدخلوا معه إلى بيت يايرس رئيس المجمع ليقيم ابنة يايرس من بين الأموات. فلم يسمح لأحد أن يدخل معه البيت إلا بطرس ويعقوب ويوحنا وأبو الصبية وأمها... وهؤلاء هم التلاميذ الثلاثة الذين أخذهم معه فى صراعه فى بستان جثسيمانى. فقد أخذ معه إلى البستان جميع تلاميذه ثم أخذ ثلاثة منهم على مسافة قريبة منهم، وبعد ذلك ابتعد عن تلاميذه هؤلاء الثلاثة وأبتدأ يصلى الصلاة المذكورة قبيل صلبه أو فى ليلة آلامه. وهذا لا يرجع بالطبع إلى نوع من التحيز أو نوع من المحاباة للتلاميذ الثلاثة دون

الباقين، ولكن نظراً لما رآه المسيح فى هؤلاء الثلاثة من إمكانية أن يكونوا موضع ثقته أكثر من الباقين، وذلك لما فيهم من صفات ومؤهلات تجعلهم أكثر التلاميذ أهلية لأن يضع المسيح ثقته فيهم خصوصاً بالنسبة للأمور التى يريدها أن تكون سرية أو محجوبة عن الباقين. ولقد اختصهم أن يكونوا شهوداً على تجليه، أما بطرس فباعتباره أكبر الرسل سناً، وأما يوحنا فلأنه أصغرهم سناً، وأما يعقوب فلأنه أول شهيد من بين الإثنى عشر سيستشهد على اسم المسيح، وهو يعقوب الكبير ابن زبدى. ويمكن أن نقول إن هذا الاختيار مبنى على أن بطرس الرسول معروف بإيمانه ومعروف باعترافه وجرأته فى هذا الاعتراف، وأما يوحنا فمعروف ببتوليته وطهارته، وأما يعقوب فمعروف بغيرته حتى إن المسيح مرة سماه هو ويوحنا (بوانرجس) أى ابنى الرعد. كان هذان الإثنان مشهورين بالغيرة المتقدة الملتهبة... فأساس الإنتقاء والاختيار لهؤلاء التلاميذ إذن هو أن بطرس يتميز بالإيمان والاعتراف الصريح الصحيح السليم، ويوحنا يتميز ببتوليته وصغر سنه، ويعقوب يتميز بغيرته ولذلك كان هو أول شهيد من بين الإثنى عشر قتله هيرودس بالسيف كما يتضح من الأصحاح الثانى عشر من سفر الأعمال.

صعد بهم المسيح له المجد إلى جبل عال، وهذا الجبل عرف بأنه جبل طابور. وفى كتب الكنيسة سمى بطابور، وجبل تابور جبل فى الجنوب بعيد عن قيصرية فيلبس لأن قيصرية فيلبس كانت فى الشمال. وأما جبل طابور فهو فى الجنوب، وهذا سبب آخر لماذا أخر المسيح لمدة ستة أيام تحقيق الوعد الذى وعد به تلاميذه بأن بعضاً منهم لن يذوقوا الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً فى ملكوته...

صعد إلى جبل عال جداً. ويقول الإنجيل إن هيأته تغيرت. والتعبير المستخدم فى الكتاب المقدس عن تغير هيأته معناه تغير منظر وجهه أولاً، فما معنى تغير منظر الوجه؟

معناه أن وجهه أضاء كالشمس، كالشمس وهى فى اشتدادها وقوة سطوعها. ومما تجدر ملاحظته أن إضاءة وجه المسيح لم تأت من خارج وإنما أتت من باطن...

إن موسى النبى صعد على الجبل وكلم الله، فرأى بهاء الله، وسقط على وجهه هذا البهاء، فلمع وجهه. ولكن فرق بين لمعان وجه موسى وبين ما حدث على جبل التجلى بالنسبة للسيد المسيح... لقد لمع وجه موسى لأن البهاء وقع على وجهه،... لأن موسى أخذ الإنارة من الله. أما فى المسيح فشيىء آخر.. لقد تغير منظر وجهه وأشرق وجهه كالشمس.. ولم يقل الكتاب المقدس عن موسى إن وجهه أشرق كالشمس فى شدتها وقوتها، وإنما لمع وجهه... مجرد لمعان لوجهه، نظراً لإنعكاس النور عليه... إنما المسيح كان نوره من باطن، لم يلمع على وجهه نور، وإنما النور أتى منه... لأنه هو النور الحقيقى الذى يضىء لكل إنسان آت إلى العالم.... مثله مثل الفرق بين نور الشمس ونور القمر... فالقمر جسم معتم، فإذا كنا نراه منيراً، فالنور ليس منه، وإنما هو نور الشمس منعكساً عليه... هذا هو بالضبط وضع موسى النبى... إن موسى النبى كإنسان، النور الذى لمع على وجهه ليس منه... إنما كان من الله الذى كان يكلمه لأنه قال له : أنا أجيز جميع جودتى أمامك... ويكون إذا مر مجدى أنى أجعلك فى نقرة الصخرة، وأظللك بيدى حتى أجتاز، ثم أزيل يدى، فتنظر... وأما وجهى فلا يرى... فلا تستطيع أن تراه، لأنه لا يرانى إنسان ويعيش، (الخروج ٣٣: ١٩ ـ ٢٣). فمن وقع بهاء الرب على وجه موسى، لمع وجهه. أما المسيح فشىء آخر... إن وجهه أضاء كالشمس لأنه هو النور الحقيقى (يوحنا ١ : ٩)، (١ . يوحنا ٢ : ٨) فالنور آت من باطن، آت منه بإعتباره مصدر النور ونبع النور... وهذا طبعاً يرينا السبب، لماذا رأى المسيح أن يتجلى على الجبل؟ إنه تجلى لكى يكشف عن حقيقته، وهذا هو معنى التجلى.

ما معنى التجلى؟ التجلى معناه الكشف... وتجلى معناه أنه أظهر الشىء المحجوب وكشفه... فالنور الذى كان فى المسيح كان محجوباً، وكان المسيح حاجباً نوره بناسوته، «لأن إلهنا نار آكلة» (التثنية ٤: ٢٤) وكما يقول الكتاب المقدس «من منا يسكن فى النار الآكلة، ومن منا يسكن فى المواقد الأبدية (إشعياء ٣٣: ١٤). فكان لابد لله أن يحتجب. ولكن لما أراد أن يعرف تلاميذه والمؤمنين من هو، كشف هذا الحجاب، فظهر وجهه مضيئاً كالشمس وهى فى

اشتدادها. ويبدو أن النور الذى أضاء من وجه المسيح كان أعظم من الشمس. لأن الكتاب المقدس يقول إن تلاميذه سقطوا على الأرض، علماً بأننا جميعاً نرى الشمس ومع ذلك لا يسقط الإنسان منا على الأرض لذلك يبدو أن نور المسيح الذى ظهر على جبل التجلى كان أعظم من نور الشمس فى اشتدادها، حتى إن تلاميذه من بهائه سقطوا على الأرض وأيضاً تثقلت عيونهم بالنور بمعنى أنه حصل من شدة النور وشدة البهاء أن لم تستطع عيونهم أن تحملق فيه، فأصابهم النوم. وكل هذا يبين لنا كيف رأى التلاميذ الثلاثة عظمة المسيح وعاينوا جلاله، حتى أنهم من جهة سقطوا على الأرض، ومن جهة أخرى فإن عيونهم غشيت... عيونهم غشيت من بهائه... هذا المعنى نتذكره فيما يرويه القديس بولس الرسول لما ظهر له المسيح فى طريقه إلى دمشق فمن شدة البهاء والنور عمى واستمر ٣ أيام أعمى. ماسر هذا العمى؟ سره شدة النور وشدة البهاء التى ليس فى قدرة عين الإنسان أن تواجهها. وهذا بينة على أن نور المسيح كان أشد من نور الشمس.

لقد كشف المسيح له المجد بهاء لاهوته على جبل التجلى ولقد صارت ثيابه بيضاء كالنور ومتألقة كالبرق، ناصعة البياض كالثلج، مشعة بالنور حتى ليعجز أى قصار على الأرض أن يجعلها فى مثل بياضها. وإذن لم يكن هذا البياض من نوع عادى مألوف، وإنما كان براقا ومشعاً بالنور بصورة ليس لها نظير. وهذا كله طبعاً من فيض النور إذ لما أراد المسيح أن يكشف عن حقيقته لتلاميذه وأن يريهم لمحة من مجده أزاح الستار، وكشف الحجاب، وأماط اللثام، عن هذا المجد فظهر النور الحقيقى... هو نور، نعم إن إلهنا نور... إلهنا نور ونار آكلة.. لقد كشف عن هذا المجد بتجليه ولذلك لم يستطع تلاميذه الثلاثة بتاتاً أن ينسوا هذا النور الجميل والبهاء الأسنى من وجهه وثيابه فقد ورد فى فصل الكاثوليكون الذى قرىء اليوم ما قاله القديس بطرس الرسول عن عظمة معلمه وجلاله «لأننا لم نتبع خرافات مصنعة، إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنا معاينين جلاله لأنه أخذ من الله الآب الكرامة والمجد إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت. وقد سمعنا نحن هذا

الصوت مقبلاً من السماء حين كنا معه فى الجبل المقدس» (٢ بطرس ١: ١٦ ـ ١٨) فالقديس بطرس الرسول فى هذه الرسالة يشير إلى التجلى الذى تمتع به هو وزميلاه يعقوب ويوحنا ويقول أننا «قد كنا عاينا مجده، عاينا عظمته وجلاله، إذ كنا معه فى الجبل المقدس... وأصبح لهذا السبب جبل طابور، جبلاً مقدساً لأن الله قد حل عليه، من أجل هذا أيضاً نجد أن المزمور الذى يتلى اليوم قبل قراءة الإنجيل يقول «أساساته فى الجبال المقدسة» (مزمور ٨٦: ١). هذا الجبل، جبل طابور، الذى صار جبلاً مقدساً، لم نكن نسمع عنه من قبل ما نسمعه عنه الآن وذلك لأن المسيح إذ تجلى عليه اكتسب هذه القداسة وأصبح جبلاً مقدساً. «إذ كنا معه فى الجبل المقدس». فالعبارة نفسها التى قالها بطرس الرسول تدل على مبلغ ما يشعر به من الشرف والكرامة والسعادة إذ يتذكر المجد والجلال والبهاء الذى تمتع به هو وزميلاه يعقوب ويوحنا عندما كانوا معاً مع معلمهم على جبل التجلى، ولذلك يقول فى يقين وفى اعتزاز وانبهار «لأننا لم نتبع خرافات مصنعة، إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه. وبلغه أخرى إننا لم نكن مغفلين، ولا كنا مخدوعين. كلا إننا قد رأينا بأعيننا مجد المسيح وجلاله لما كنا معه فى الجبل المقدس...ما أجمل هذا التعبير! إنه يشير إلى الكرامة التى أخذها الثلاثة الذين تشرفوا وتمتعوا بهذه المتعة المقدسة، وقد استطاعوا أن يروا لمحة من مجده تعالى.

وفى نفس الوقت كان لابد للتلاميذ أن يروا لمحة من الملكوت الآتى. لقد تكلم المسيح عن مجده، وتكلم عن ملكوته وتكلم عن مجيئه الثانى، هذا المجيء الثانى لم يأت زمانه بعد. ومع ذلك فالمسيح له المجد رأى أن يرى تلاميذه لمحة من الملكوت الذى وعد به الأبرار المكملين عندما يأتى فى مجيئه الثانى ليدين الأحياء والأموات، وذلك بعد مئات السنين. لقد شاء المسيح أن يرى التلاميذ الثلاثة لمحة من هذا الملكوت الآتى... ومضة من هذا الملكوت الآتى الذى وعدهم به. وذلك لكى يشجعهم ويملأهم من الحماسة والحرارة والقوة، حتى إذا نزلوا من الجبل وانطلقوا للخدمة بعد قيامته المقدسة، تكلموا عن مجد الملكوت بيقين الإيمان لأنهم رأوا بعيونهم شيئاً من هذا الملكوت.

وإذن فقد كان الهدف الثانى من تجلى المسيح على الجبل أمام ثلاثة من تلاميذه، اختارهم كعينة من بين تلاميذه، هو أن يريهم لمحة من الملكوت الذى نزل منه إلى الأرض، لإتمام عمل الخلاص للإنسان، حتى يلهب قلوبهم بمذاق شىء من المجد الذى سينالونه بعد أن يتمموا جهادهم ويكملوا سعيهم وبعد أن يعملوا عمل الرب، ويسلكوا بحسب الدعوة المقدسة التى دعاهم إليها، خداماً لرسالته الإلهية، فيكون كل منهم بمثابة القديس بولس الذى يقول فى يقين الإيمان «لأننى عالم بمن آمنت، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى إلى ذلك اليوم» (٢ . تيموثيئوس ١ : ١٢) . فالتلاميذ الثلاثة عرفوا على جبل التجلى بمن آمنوا به، لأنهم رأوا مجده، وصارت لهم اليقينية الكاملة بحقيقة لاهوته، وأنه الله المتأنس، وأنه ابن الله الظاهر فى الجسد. ثم أصبحوا على يقين من جهة الأبدية السعيدة التى وعدهم الرب بها فقد رأوا على جبل التجلى لمحة من تلك السعادة وذلك المجد، على أنه كما يقول الرسول «إنى موقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى إلى ذلك اليوم» أى أنه موقن من جهة الله وقدرته، على أن يحفظ وديعته إلى يوم المجىء الثانى، ولكنه لا يدعى أنه موقن من جهة نفسه، فهو يعلم أنه يلزمه أن يجاهد وأن يصمد فى جهاده، وأن يثابر على الجهاد حتى لا يحرم من الملكوت. قال الرسول بولس «أقمع جسدى وأستعبده، حتى بعد ماكرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً» (١ . كورنثوس ٩ : ٢٧) .

والخلاصة أننا فى تأملنا لتجلى ربنا يسوع المسيح على الجبل، تبين لنا أن الهدف الأول من هذا التجلى، أن الرب يسوع بعد أن سأل تلاميذه عن اعتقادهم فيه، من هو فى حقيقته، وسمع من القديس بطرس اعترافه بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن رفقائه التلاميذ أنه هو المسيح الله ابن الله الحى، أراد أن يكشف لثلاثة منهم عن حقيقة لاهوته المحتجب فى ناسوته، فلا يكون اعتقادهم فيه مبنياً على كشف الآب السماوى فقط، وإنما بناء على رؤية عيانية، فيرونه بعيونهم فى لمحة من مجد لاهوته، فيصيروا إلى يقينية الإيمان بحقيقته كما هو فى ذاته.

والهدف الثانى أن يريهم لمحة من مجد الملكوت الذى وعدهم به، أن ينالوه فى مجيئه الثانى عندما يأتى ليدين الأحياء والأموات.

وحتى لا يظن التلاميذ أن المسألة مجرد حلم أو رؤيا، تطلعوا فرأوا معهم موسى وإيليا يتكلمان مع سيدهم ومعلمهم، ويخاطبانه فى شأن خروجه العتيد إلى أورشليم من أجل إتمام الفداء. فما أعظم دهشتهم وفرحهم إذ يرون بعيونهم موسى رئيس الأنبياء الذى مات منذ مئات السنين ودفن فى جبل نبو، ولا يعلم أحد قبره - كما يرون بعيونهم إيليا النبى العظيم، والجبار الذى حملته إلى السماء مركبة من نار وخيل من نار، ولم يره أحد فى هذا الاختطاف إلا أليشع وحده.. هذا إيليا يرونه الآن عياناً أمامهم... وإن موسى كرئيس للأنبياء يمثل الشريعة وإيليا أيضاً يمثل الأنبياء. وكأن بظهور موسى وإيليا معاً على جبل التجلى مع المخلص الذى شهدت عنه الشريعة وأنبأت به الأنبياء... توكيد لحقيقية المسيح الفادى، وأن فيه اجتمعت تعاليم الشريعة وأقوال الأنبياء، فهو الهدف الذى إلتقت عنده الشريعة والأنبياء.

على أن فى ظهور موسى وإيليا على جبل التجلى إجابة على سؤال الذين يتساءلون عن إمكانية الإلتقاء واللقاء بين من رحلوا إلى العالم الآخر.

فموسى على الرغم من أنه مات وشبع موتاً منذ مئات السنين، لكنه ظهر حياً مع المسيح على الجبل... وإيليا على الرغم من أنه خطفته مركبة من نار وخيل من نار، وصعدت به فى عاصفة إلى السماء، إلا أنه هو الآخر ظهر جليا على جبل التجلى.. وإذن ففى موسى وإيليا رأى التلاميذ الثلاثة أن الراحلين إلى العالم الآخر مازالوا أحياء أعظم ما تكون الحياة. وهذا مصداق قول الرب «أنا إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب. فليس الله إله أموات، وإنما هو إله أحياء، لأن الجميع عنده أحياء» (متى ٢٢: ٣٢)، (لوقا ٢٠: ٣٧، ٣٨). ثم إن إجتماع موسى وإيليا على الرغم مما بينهما من مئات السنين دليل على إمكانية اللقاء بين أشخاص الذين رحلوا من الراقدين المنتقلين، وأنهم يتابعون من عالمهم أحداث الأرض، وأنهم فيها يتحدثون ويتسامرون، وبها يهتمون ويشغلون.

وكل هذا يزيدنا نحن إيماناً ويزيدنا فرحاً وسروراً، ويفتح أمامنا باب الرجاء على مصراعيه. ونحن فى عيد التجلى نتذكر هذه المعانى لكى يتوكد أولاً إيماننا فى المسيح من هو، ونعرفه

على حقيقته، أنه وإن كان قد أخذ صورة الإنسان إنما هو فى حقيقته هو الله نفسه «من رآنى فقد رأى الآب» مبرهنا على أنه فى حقيقته هو ابن الله الحى.

وفى عيد التجلى نتطلع إلى الملكوت الآتى. ونعد أنفسنا للحياة الأخرى، ونجهز أنفسنا لهذا الملكوت، ونتجمل بالفضائل وبالنعمة وبالمعرفة وبالتقوى وبالأعمال الصالحة التى تجعلنا أهلاً لفردوس النعيم وملكوت الله.

عقيدة الثالوث القدوس

القيم الروحية فى عقيدة الثالوث القدوس

نؤمن بإله واحد هو الآب والابن والروح القدس، جوهر واحد ذى أقانيم ثلاثة.

فالذات الإلهية واحدة، لكن لها ثلاث خواص (١) جوهرية أو صفات ذاتية (٢)، هى الأقانيم الثلاثة الكائنة معاً فى الذات الإلهية منذ الأزل وإلى الأبد. وعلى ذلك فكل أقنوم منها هو الله مع خاصية فى الذات الإلهية، ومع ذلك فالذات الإلهية واحدة، والله ذاته واحد. فلا تعارض إذن بين وحدة الذات وتثليث الأقانيم، وديانتنا المسيحية ديانة توحيد.

هذه العقيدة ليست فلسفة بشرية، وإنما هى حقيقة إلهية أعلنتها الكتب المقدسة فى العهد الجديد (٣)، وأشارت إليها الكتب المقدسة فى العهد القديم (٤). ولم تعلن لنا لتكون سبب جدل ونقاش بين الناس، ولا لتكون علة إختلافات بين البشر، ولا لتكون نظرية عقلية يقبلها البعض ويرفضها البعض الآخر. وإنما أعلنت لنا ليكون فى إعلانها فهم لحقيقة الله وطبيعته، الله الذى أصبحت لنا به فى العهد الجديد علاقة حب، وعلاقة قرب، وعلاقة مثل أعلى نحاول أن نتشبه به.

وهذا هو الفارق بين التوحيد كما تعلم به المسيحية والتوحيد كما تعلم به الديانات التى لا تعرف الأقانيم الثلاثة فى الإله الواحد. الله واحد فى هذه الديانات ولكن وحدانيته وحدانية مصمتة، إذا جاز هذا التعبير، وأما الوحدانية فى المسيحية فوحدانية من طراز آخر، وحدانية فى الذات والجوهر، لكنها وحدانية عاقلة حية فيها تفكير وفيها حياة. والتفكير يقتضى التأمل كما

---

(١) انظر كتاب «كمال البرهان على حقيقة الإيمان» للقديس أثناسيوس الرسولى، الكتاب الأول - القسم الثانى. وكتاب «البينات الوافية والبراهين الثاقبة» للأسقف الأنبا إيسذوروس (القاهرة ١٨٨٧) صفحة ٤٢، ٤٣. وكتاب «الدر الثمين فى إيضاح الدين» للأنبا ساويرس بن المقفع، المقالة الأولى (القاهرة (١٩٢٥) صفحات ١٨، ٢٠، ٢٩. وكتاب «نهج السبيل فى تخجيل محرفى الإنجيل» للشماس الشيخ الصفى ابن العسال صفحة ١٤ وما بعدها.

(٢) انظر كتاب «البينات الوافية، والبراهين الثاقبة» صفحة ٤٠. وكتاب «المطالب النظرية فى المواضيع الإلهية» تأليف الأسقف الأنبا إيسيذوروس صفحة ١١٢ وما بعدها. وكتاب «الصحائح فى جواب النصائح» للشيخ الصفى ابن العسال، الأصل التاسع صفحة ٢٣، ٢٤. وكتاب «سلك الفصول فى مختصر الأصول»، لابن العسال، الباب ١٣ الفصل ٧، صفحة ٦٤.

(٣) (متى ٢٨: ١٩)، (يوحنا ١٤: ٢٦)، (يوحنا ١٥: ٢٦)، (٢. كورنثوس ١٣: ١٤)، (غلاطية ٤: ٦)، (يوحنا الأولى ٥: ٧).

(٤) التكوين: (١: ٢٦)، (٣: ٢٢)، (١١: ٧)، (الخروج ٣: ٦)، (مزمور ١١٠: ١)، (إشعياء ٦: ٣).

يقتضى الكلام فى داخل الفكر. والحياة أيضاً تقتضى الحركة والحركة معناها نشاط، وعمل، وإرسال.

والإنسان شبيه بالله لأن الله خلق الإنسان على صورته ومثاله (١). والإنسان أيضاً ذاته الإنسانية واحدة ومع ذلك فهى ذات عاقلة حية والعقل يقتضى التأمل، والتفكير، والكلام الباطنى، وليس غريباً على الإنسان أن يجرى فى ذاته كلام باطنى. فيكلم نفسه أو يكلم ذاته، ولذلك يقول أحياناً «قلت لنفسى» أو «قلت فيما بينى وبين نفسى»، ومع ذلك فذاته الإنسانية واحدة لم تنقسم ولكنها ليست وحدة مصمته وإنما وحدة حية فيها تفكير، والتفكير يقتضى الكلام الباطنى. والحياة فى الإنسان أيضاً تقتضى الحركة والنشاط والإرسال. ونحن لا نعنى الحركة الخارجية فقط ولكن الحركة الباطنية فى داخل الذات الإنسانية، وهى التى تفسر نشاط الفكر وعمل الحياة العقلية الباطنية. وهذا العمل وذلك النشاط يقتضيان الاتصال والإرسال بين قوى النفس الباطنية.

كذلك وعلى صورة أكمل وأسمى بقدر ما يسمو الله عن الإنسان تقدم المسيحية لنا طبيعة الله تعالى. فهو ذات، لها وجود وكيان عاقل حى. فالآب هو الوجود أو الكيان الإلهى، والابن هو العقل الإلهى، والروح القدس هو الحياة الإلهية. فالله عاقل والعقل يقتضى التفكير والكلام، ولذلك ليس غريباً أن يكلم الله الآب الله الابن، ويكلم الله الابن الله الآب دون أن يكون معنى هذا إنقساما فى الذات أو افتراقا فى الجوهر (٢). والحياة تقتضى الحركة والنشاط والإرسال، ولذلك لا نجد غرابة فى أن يقال فى الكتب المقدسة إن الله الآب أرسل ابنه إلى العالم (٣) أو بذل إبنه من

---

(١) التكوين (١: ٢٦، ٢٧)، (٥: ١)، (٩: ٦)، (كورنثوس الأولى ١١: ٧)، (أفسس ٤: ٢٤)، (كولوسى ٣: ١٠)، (يعقوب ٣: ٩).

(٢) من ذلك مثلاً إن الإبن كلم الآب قائلاً: «أيها الآب نجنى من هذه الساعة. ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة. أيها الآب مجد إسمك». فأجاب الآب الابن من السماء قائلاً «مجدت. وأمجد أيضاً». (يوحنا ١٢: ٢٧، ٢٨). ومن ذلك أيضاً كلام الابن للآب كما ورد فى مواضع متفرقة من الإنجيل (يوحنا ١٧: ١ – ٢٦)، (متى ٢٦: ٣٩، ٤٢)، (مرقس ١٤: ٣٦)، (لوقا ٢٢: ٤٢)، (لوقا ٢٣: ٣٤)، (متى ٢٧: ٤٦)، (مرقس ١٥: ٣٤)، (لوقا ٢٣: ٤٦).
وليس هذا بجديد. فالعهد القديم يشير إلى الكلام بين الأقانيم. «وقال الرب الإله: هوذا آدم قد صار كواحد منا» (التكوين ٣: ٢٢). وعندما شرع بنو آدم فى بناء برج بابل قال الرب «هلم ننزل ونبلبل هناك لغتهم» (التكوين ١١: ٧) كما يشير إلى كلام الآب مع الابن قائلاً «أنت ابنى، وأنا اليوم ولدتك» (مزمور ٢: ٧) (عبرانيين ١: ٥). وقول الرب الآب للرب الابن «قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (مزمور ١١: ١).
وقد أورد مخلصنا هذا النص مواجهاً به الفريسيين فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة (راجع متى ٢٢: ٤٤ – ٤٦)، (مرقس ١٢: ٣٦، ٣٧)، (لوقا ٢٠: ٤٢ – ٤٤)، (أعمال الرسل ٢: ٣٤، ٣٥)، (عبرانيين ١: ١٣).

(٣) (يوحنا ٣: ١٧)، (يوحنا ٥: ٢٣، ٢٤، ٣٠، ٣٦، ٣٧)، (٦: ٢٩، ٣٩، ٤٤، ٥٧)، (١٧: ١٨، ٢١)، (غلاطية ٤: ٤)، (يوحنا الأولى ٤: ٩).

أجل حياة العالم (١) والحياة تقتضى الحركة لذلك نزل الابن من السماء (٢) ونزل الروح القدس وحل فى شبه حمامة على الابن الغاطس فى نهر الأردن (٣).

* * *

والمعنى من هذا كله :

١ ـ أن عقيدة الثالوث الأقدس ذات قيمة كبرى، تعيننا على فهم طبيعة الله فهما يجعل الله قريباً من تصورنا، بحيث يمكن أن تنشأ بيننا وبينه علاقة واتصال وشركة.

٢ ـ وعقيدة الثالوث تقربنا إلى فهم علاقة الشبه بيننا وبين الله، وتفسر لنا كيف أن الله خلق الإنسان على صورته ومثاله.

٣ ـ وعقيدة الثالوث القدوس ترفع معنويات الإنسان وقيمته وتجعله يفهم كرامته الإنسانية التى بها يسمو على جميع الكائنات لأنه من دونها جميعاً قد خلقه الله على صورته ومثاله، كما تجعله قريبا من الله فى طبيعته لأنه فى مرتبة تسمح له بهذا الاقتراب.

٤ ـ وعقيدة الثالوث القدوس تيسر للإنسان سبيل التشبه بالله فى صفاته وكمالاته الإلهية، لأنه إذا كان الإنسان قد خلق فى مبدأ الأمر على صورة الله (٤)، فليس عسيرا على الإنسان بعد أن تجددت طبيعته التى سقطت (٥)، وولد من جديد من الماء والروح (٦)، أن يجاهد بالتأمل وسائر الرياضات والمجاهدات الروحية (٧) فيزداد التشابه بينه وبين الله، وأن ينمو عقله إلى مستويات أسمى مما كان عليها يوم خلق. قال القديس يوحنا الرسول أيها الاحباء نحن الآن أبناء الله، ولم يتبين بعد ماذا سنكون، غير إنا نعلم أنه إذا أظهر نكون نحن مثله لأننا سنعاينه كما هو (٨).

---

(١) (يوحنا ٣: ١٦)، (رومية ٨: ٣٢).
(٢) (يوحنا ٣: ١٣)، (٦: ٣٨، ٤٢).
(٣) (متى ٣: ١٦)، (لوقا ٣: ٢٢)، (يوحنا ١: ٣٢، ٣٣).
(٤) (التكوين ١: ٢٦، ٢٧)، (٥: ١)، (٩: ٦).
(٥) (التكوين ٣: ٧)، (رومية ١١: ٢٢)، (غلاطية ٥: ٤)، (عبرانيين ٦: ٦).
(٦) (يوحنا ٣: ٥)، (تيطس ٣: ٥)، (يعقوب ١: ١٨)، (بطرس الأولى ١، ٣، ٢٣)، (يوحنا ١: ١٣)، (يوحنا الأولى ٣: ٩).
(٧) (كورنثوس الأولى ٩: ٢٧)، (١٠: ١٢)، (فيلبى ٣: ١٢)، (تيموثيوس الأولى ٤: ٧، ٨)، (عبرانيين ٥: ١٤).
(٨) (يوحنا الأولى ٣: ٢).

التوحيد والتثليث فى المسيحية

المسيحية دين توحيد

فقانون الإيمان الذى يردده جميع المسيحيين فى صلواتهم الخاصة والعامة، ويتلونه فى كل خدمة دينية وفى كل قداس، وفى كل صلاة من الصلوات اليومية، باكرا ونهارا وعشية، ويرنمونه ترنيما، منذ القديم، واليوم، وإلى الأبد، يقولون فى مطلعه (**بالحقيقة نؤمن بإله واحد**).

والمسيحيون يؤمنون وينادون بأن **الله واحد، ولا يمكن إلاّ أن يكون واحداً**، ويقولون: إذا كان هناك إله آخر غير الله، فما عمل هذا الآخر وما هو إختصاصه؟ لأنه مادام الله غير محدود وغير متناه، فلا مجال لإله آخر، لأن وجود هذا الآخر يتعارض مع صفة اللانهائية واللامحدودية فى الله... فإنه طال ما أن الله يتصف باللانهائية واللامحدودية، فوجوده إذن يملأ كل مكان، ولا يخلو منه مكان... فكيف، ولماذا، وأين يوجد الإله الآخر؟ وهل هذا الآخر هو فى الكون أم خارج الكون؟ فإذا كان فى الكون، فهل هو فى كل مكان فى الكون، أم فى مكان دون مكان؟ فإذا كان فى كل مكان، فهو شريك مع الله فى وجوده... وبذلك يصبح وجود الواحد منهما فضلة زائدة مع الآخر... فإذا كان الآخر كائنا فى مكان دون مكان، فيترتب عليه أن يكون كل منهما محدودا فى المكان، وهذا يتعارض مع كونه الإله الحقيقى الكائن فى كل مكان ولا يخلو منه مكان.

ثم لما كان الله قادرا على كل شئ، فلماذا يكون ثمت إله آخر؟ وما هو إذن عمل هذا الآخر؟... هل يأخذ هذا الآخر شيئا من إختصاص الله؟... لو كان الأمر كذلك لترتب عليه أن يكون الله غير قادر على كل شئ أو يكون قادرا على أشياء دون أشياء، لأن هذه الأشياء تدخل فى إختصاص الإله الآخر المزعوم...

وهكذا يمكن منطقيا وعقليا رفض القول بأكثر من إله واحد... واعتباره محالا، لا يقبله العقل ولا يسيغه.

ولقد كتب آباء الكنيسة المسيحية إلى الوثنيين قديما، يثبتون لهم بالدليل العقلى **أن الله واحد، ولا يمكن إلاّ أن يكون واحداً، وأن القول بأكثر من إله لا يقبله العقل...**

وكان لابدّ لآباء الكنيسة أن يكتبوا للوثنيين مدافعين عن عقيدة التوحيد، بالدليل العقلى والمنطقى، ولا يكتفون بالأدلة النقلية المقتبسة من نصوص الكتب المقدسة، لأن الوثنيين لا يؤمنون بالكتب المقدسة.

وقال المسيحيون إن (الواحد) هو أصل الوجود، عليه يقوم كل شئ، وإليه يرتد كل شئ، ومنه يتركب ويتكون كل الوجود... ولا يوجد قبل (الواحد) شئ فهو الأصل، أو هو أصل الوجود... وإذن فالواحد هو الله، والله واحد، ولا يمكن إلاّ أن يكون واحداً، ولا يوجد غير إله واحد.

إنّ آباء الكنيسة ومعلّمى البيعة بذلوا جهودا كبيرة فى إثبات وحدانية الله ومحاربة الأثنينية وتعدد الآلهة توكيدا لأخص المبادئ المسيحية، وهو التوحيد، ضد المبادئ الوثنية المختلفة التى كانت منتشرة قبل المسيحية. ومنها ما كان يقول بإلهين إثنين، إله للخير وإله للشر، كالديانة الفارسية مثلا، ومنها ما كان يقول بآلهة متعددة كاليونان والرومان ومن إليهم...

وقد وضع الآباء كتبا ورسائل، ومن بين هذه الكتب، كتاب «الدفاع عن المسيحيين» الذى كتبه الأستاذ الفيلسوف أثيناغوراس مدير المدرسة اللاهوتية بالأسكندرية فى القرن الثانى للميلاد، فقد خص فصولا من كتابه لإثبات وحدانية الله، وتُعدُ كتاباته أول محاولة من نوعها أثبت فيها أثيناغوراس بالأدلة العقلية البحتة فضلا عن الكتابية. أن الأثنينية مستحيلة، وأن تعدد الآلهة أيضا محال ، وأن وحدانية الله هى المبدأ الوحيد الصحيح الذى لا مفر منه...

وليس هنا مجال التفصيل فى بيان هذه الأدلة العقلية والنقلية، وكل مرادنا أن نقول إن آباء الكنيسة ومعلّميها لم يؤمنوا بوحدانية الله فقط، وإنما هم الذين علّموا الناس بأن الله لا يمكن إلا أن يكون واحدا. فإذا كان بعض الناس يتهمون المسيحية بالشرك، فقد نسوا فضل الذين علّموهم أول درس فى التوحيد...

وأضاف المسيحيون إلى الأدلة العقلية والمنطقية التى واجهوا بها الوثنيين أدلة أخرى اقتبسوها من أسفارهم المقدسة، وكانوا - ومازالوا - يبرزونها للمؤمنين من المسيحيين، ولغير المسيحيين ممن يسألونهم عن أسانيدهم فى إعتقادهم بوحدانية الله.

ومن هذه النصوص :

(الرب هو الإله، **ليس آخر سواه**) (التثنية ٤ : ٣٥).

(الرب هو الإله فى السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل. **ليس سواه**) (التثنية ٤ : ٣٩).

(الرب إلهنا **رب واحد**) (التثنية ٦ : ٤).

(**الرب وحده... وليس معه إله**) (التثنية ٣٢ : ١٢).

(أنا أنا هو، **وليس إله معى**) (التثنية ٣٢ : ٣٩).

(**لأنه ليس غيرك**) (١ . صموئيل ٢ : ٢).

(وأعدوا قلوبكم للرب، **واعبدوه وحده**) (١ . صموئيل ٧ : ٣).

(قد عظمت أيها الرب الإله، لأنه ليس مثلك، **وليس إله غيرك**) (٢ . صموئيل ٧ : ٢٢).

(**لأنه من هو إله غير الرب**) (٢ . صموئيل ٢٢ : ٣٢).

(الرب **هو الله، وليس آخر**) (١ . الملوك ٨ : ٦٠).

(أيها الرب... **أنت هو الإله وحدك**) (٢ . الملوك ١٩ : ١٥).

(أنت الرب **الإله وحدك**) (٢ . الملوك ١٩ : ١٩).

(يارب، ليس مثلك، **ولا إله غيرك**) (١ . أخبار الأيام ١٧ : ٢٠).

(**أنت هو الرب وحدك**. أنت صنعت السماوات، وسماء السماوات وكل جندها، والأرض وكل ما عليها، والبحار وكل ما فيها، وأنت تحييها كلها، وجند السماء لك يسجد) (نحميا ٩ : ٦).

(إنك **أنت الإله الواحد** فى الأرض كلها) (طوبيا ٨ : ١٩).

(**لا إله قادرا على كل شئ سواه**) (طوبيا ١٣ : ٤).

(وسجدوا **لإله السماء الواحد**) (يهوديت ٥ : ٩).

(إنك أنت الإله **وليس آخر سواك**) (يهوديت ٩ : ١٩).

(**الباسط السماوات وحده**) (أيوب ٩ : ٨).

(**الله، وليس آخر. ليس إله غيره**) (إشعياء ٤٥: ١٤).

(خالق السماوات هو الله، مصوّر الأرض وصانعها... **أنا الربُّ وليس آخر**) (إشعياء ٤٥: ١٨).

(**أنا الربّ، ولا إله آخر غيرى... ليس سواى**) (إشعياء ٤٥: ٢١).

(**التفتوا إلىّ واخلصوا... فإنى أنا الله وليس آخر**) (إشعياء ٤٥: ٢٢).

(**لأنى أنا الله، وليس آخر، أنا الله وليس مثلى**) (إشعياء ٤٦: ٩).

(أنا هو. **أنا الأول وأنا الآخِر**) (إشعياء ٤٨: ١٢).

(**إنه لا نظير لك ياربّ**) (إرميا ١٠: ٦).

(ألستُ مالىء السماوات والأرض، يقول الربّ) (إرميا ٢٣: ٢٤).

(هذا هو إلهنا، **ولا يُعتبر حذاءه آخر**) (باروخ ٣: ٣٦).

(**فلستَ تعرف إلها غيرى، وليس مخلّص سواى**) (هوشع ١٣: ٤).

(أليس إله واحد خلقنا) (ملاخى ٢: ١٠).

انظر أيضا سفر الخروج (٣: ١٤)، (٨: ١٠)، (٩: ١٤)، التثنية (٦: ١٣)، (٧: ٩)، (١٠: ١٧)، (يشوع ٢٢: ٢٢)، (١. صموئيل ٧: ٤)، (١. الملوك ١٨: ٣٦، ٣٩، ٢١، ٢٤)، (الحكمة ١٢: ٢٧)، (إرميا ١٠: ١٠ – ١٢).

ومن تلك النصوص يتبين أنّ الله تعالى هو **الإله وحده، ولا شريك له، وليس كمثله شئ... هو الله، وليس غير الله إله، لم يكن قبله إله، ولا يكون بعده إله... هو الواحد والوحيد والمتفرّد بالألوهة... هو الواحد الأحد، والرب الصمد، والسرمد والسرمدى، الأزلى الذى لابداءة له، والأبدى الذى لا نهاية له.**

قال الإنجيل المقدس :

(للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد) (متى ٤: ١٠)، (لوقا ٤: ٨).

(فمن يقدر أن يغفر الخطايا إلاّ **الله الواحد وحده؟**) (مرقس ٢: ٧)، (لوقا ٥: ٢١).

(ليس الصالح إلاّ **واحد هو الله**) (مرقس ١٠: ١٨)، (لوقا ١٨: ١٩)، (متى ١٩: ١٧).

(إن الرب إلهنا **هو رب واحد**) (مرقس ١٢: ٢٩)، (متى ٢٢: ٣٧، ٣٨)، (لوقا ١٠: ٢٧).

(**وواحد كوّننا فى الرحم**) (أيوب ٣١: ١٥).

(**لأنه من هو إله غير الرب**) (مزمور ١٧: ٣١).

(**من مثلك يا الله**) (مزمور ٧٠: ١٩).

(إنك اسمك يهوه **وحدك العلىّ**) (مزمور ٨٢: ١٨).

(عظيم أنت... **أنت الله وحدك**) (مزمور ٨٥: ١٠).

(**منذ الأزل إلى الأبد أنت الله**) (مزمور ٨٩: ٢).

(ليسبّحوا اسم الرب، **لأنه قد تعالى اسمه وحده**) (مزمور ١٤٧: ١٣).

(**ليس إله إلا أنت**) (الحكمة ١٢: ١٣).

(**الاسم الذى لا يُشرِك فيه أحد**) (الحكمة ١٤: ٢١).

(**لا إله إلاّ أنت يارب**) (يشوع بن سيراخ ٢٦: ٢، ٥).

(إنك **أنت الرب إله الدهور**) (يشوع بن سيراخ ٣٦: ١٩).

(يارب الجنود... **أنت هو الإله وحدك**) (إشعياء ٣٧: ١٦).

(إنك **أنت الرب وحدك**) (إشعياء ٣٧: ٢٠).

(أنا الرب، **أنا الأول والآخِر**، أنا هو) (إشعياء ٤١: ٤).

(أنا الرب، هذا اسمى، **ومجدى لا أعطيه لآخر**) (إشعياء ٤٢: ٨).

(إنى أنا هو. **لم يُكَّون إله قبلى، ولا إله بعدى**) (إشعياء ٤٣: ١٠).

(أنا أنا الربّ، **وليس غيرى**) (إشعياء ٤٣: ١١).

(**أنا الأول وأنا الآخِر، ولا إله غيرى**) (إشعياء ٤٤: ٦).

(**هل يوجد إله غيرى؟**) (إشعياء ٤٤: ٨).

(أنا الرب **صانع كل شئ، ناشر السماوات وحدى، باسط الأرض. من معى؟**) (إشعياء ٤٤: ٢٤).

(أنا الرب **وليس آخر. ولا إله سواى**) (إشعياء ٤٥: ٥).

(**إنه ليس غيرى**. أنا الربّ، **وليس آخر**) (إشعياء ٤٥: ٦).

(**إن الله واحد، وليس آخر سواه**) (مرقس ١٢: ٣٢).

(كيف يمكنكم أن تؤمنوا وأنتم تقبلون المجد بعضكم من بعض، وأمّا المجدُ الذى من **الله الواحد وحده**، فلا تبتغونه) (يوحنا ٥: ٤٤).

(وهذه هى الحياة الأبدية، أن يعرفوك أنت **الإله الحقيقى وحدك**) (يوحنا ١٧: ٣).

(**لأن الله واحد**) (رومية ٣: ٣٠).

(**للجميع ربٌّ واحد**) (رومية ١٠: ١٢).

(**لا إله إلاّ واحد**) (١. كورنثوس ٨: ٤).

(**لنا إله واحد**) (١. كورنثوس ٨: ٦).

(**الله واحد** الذى يعمل الكلّ فى الكلّ) (١. كورنثوس ١٢: ٦).

(**الله واحد**) (غلاطية ٣: ٢٠).

(**واحد هو الله**، أبو الكل، الذى هو فوق الكل) (أفسس ٤: ٦).

(اهتديتم إلى الله، وتركتم الأوثان، لتعبدوا **الله الحىّ الحقيقى**) (١. تسالونيكى ١: ٩).

(ملك الدهور الذى لا يفنى، ولا يُرى، **الله وحده**، له الإكرام والمجد إلى دهر الدهور) (١. تيموثيئوس ١: ١٧).

(**لأنّ الله واحد**) (١. تيموثيئوس ٢: ٥).

(أنت تؤمن بأن **الله واحد**، فقد أصبتَ. والشياطين أيضا يؤمنون ويرتعدون) (يعقوب ٢: ١٩).

(**واحد هو واضع الشريعة، وهو الديّان**، الذى يقدر أن يخلّص ويهلك) (يعقوب ٤: ١٢).

(**للإله الوحيد** مخلّصنا... المجد، والعظمة، والعزة والسلطان، قبل كل زمان والآن، وإلى جميع الدهور) (يهوذا ٢٥).

(**أنا هو الألف والياء، البداءة والنهاية**، يقول **الرب الإله**) (الرؤيا ١: ٨)، (٢٢: ١٣).

(**أنا هو الأول والآخِر**) (الرؤيا ١: ١٧).

التثليث المسيحى

أماً التثليث المسيحى فلا يتعارض مع الإيمان بالتوحيد.

فالمسيحيون يؤمنون **بإله واحد، أحدىّ الذات مثلث الأقانيم والخاصيات.**

فالتوحيد للذات الإلهية، وأما **التثليث** فللأقانيم. والأقانيم خاصيات وصفات ذاتية أى بها تقوم الذات الإلهية.

فالله الواحد هو (أصل) الوجود، ولذلك فهو **(الآب)**. والآب لفظة سامية بمعنى (الأصل).

والله الواحد هو **(العقل)** الأعظم، ولما كانت المسيحية تنادى بأن الله قد ظهر وتجلّى فى المسيح، على نظير ما ظهر للنبى موسى فى العليقة، وتجلّى فى المكان دون أن يحده المكان، لذلك كان **المسيح هو (الكلمة). قال الإنجيل (فى البدء كان الكلمة)** (يوحنا ١ : ١). والكلمة تجسيد (للعقل) فإن (العقل) غير منظور، ولكنه يظهر فى (الكلمة) وهو أيضا **(الابن)** لا بمعنى الولادة فى عالم الإنسان، بل لأنه **(صورة الله الغير المنظور)** (كولوسى ١ : ١٥).

والله الواحد هو **(الروح)** الأعظم، وهو (أبو جميع الأرواح) (سفر العدد ١٦ : ٢٢)، (٢٧ : ١٦)، (العبرانيين ١٢ : ٩) ولهذا فهو (الروح القدس)، لأن الله قدّوس (سفر اللاويين ١١ : ٤٤، ٤٥)، (٢٠ : ٢٦)، (١. بطرس ١ : ١٦).

* * *

إنّ التثليث حقيقة مسيحية معروفة، وهى **حقيقة دينية** وليست فلسفية... **جاءتنا من الوحى الإلهى** ولم نأتِ نحن بها من بنات أفكارنا أو ابتكار عقولنا...

إذن **هى تعليم إلهى**، وليست من عند الناس، فلسنا أحرارا فى أن نقبلها أو أن نرفضها، فهى حقيقة من حقائق الديانة المسلّمة لنا من الله... ومن يرفضها فقد رفض الله، وأنكر الحق الإلهى... يقول القديس أثناسيوس (كل من يروم أن يخلص، يتحتم عليه أولا وقبل كل شئ أن يحفظ الإيمان... **ومن لا يحفظه بأكمله، ومن غير تعديل فيه يموت موتا أبديا...**).

من أين جاء التعليم بالتثليث؟؟

التثليث جاء القول فيه، فى الكتاب المقدس، وفى التقليد، وفى قوانين الإيمان، وفى المجامع المسكونية، وفى أقوال الآباء... .

أولاً - من الكتاب المقدس :

لم يأتِ التعليم بالتثليث لفظا، وإنما أتى فيه معنى، فكلمة الثالوث لم ترد بالنص فى الكتاب المقدس، ومع ذلك ورد التعليم نفسه، وأسماء الأقانيم نفسها فى العهد الجديد... .

قال السيد المسيح لتلاميذه الأطهار: اذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم، وعمدّوهم **باسم الآب والابن والروح القدس** (متى ٢٨: ١٩).

١ - فى قصة البشارة والميلاد :

تحددت الأقانيم الإلهية على النحو الآتى :

أ - **الله (الآب)** أرسل رئيس الملائكة المبشر جبرائيل (غبريال).

ب - **الله (الابن)** هو الذى بُشِّرَت العذراء بميلاده منها: وها أنت ذى ستحبلين وتلدين ابنا تسمينه يسوع. وسيكون عظيما، **وابنَ العلى** يُدعى (لوقا ١: ٣١، ٣٢).

(ها إنّ العذراء تحبل وتلد ابنا، ويُدعى **اسمه عِمانوئيل**، الذى تفسيره: **الله معنا**) (متى ١: ٢٣)، (إشعياء ٧: ١٤).

جـ - **الله (الروح القدس)** : قال الوحى عن العذراء: (لأن الذى سيولد منها إنما هو من (روح القدس) (متى ١: ٢٠)، (إن روح القدس سيحل عليك) (لوقا ١: ٣٥).

٢ - فى قصة العماد أو الغطاس :

أو ما يسمى بالظهور الإلهى حيث ظهرت الأقانيم الثلاثة :

أ- اقنوم **(الآب)** - ينادى من السماء هذا هو ابنى الحبيب (متى ٣: ١٧)، (لوقا ٣: ٢٢).

ب - اقنوم **(الابن)** - هو المعنىّ بالقول: (هذا هو ابنى الحبيب).

جـ - اقنوم **(الروح القدس)** - هو الموصوف فى حادثة العماد بأن السماء انفتحت لنزوله فى

صورة جسم يشبه حمامة، وأتى على الأقنوم الثانى المتجسد والغاطس فى نهر الأردن، وهو الذى سمّى فى (متى ٣: ١٦) إنه (**روح الله**) وسمى فى (لوقا ٣: ٢٢) أنه (**الروح القدس**).

٣ ـ وفى وعود السيد المسيح عن عمل الروح القدس بعد صعوده إلى السماء:

(وأما المعزّى (**الروح القدس**) الذى سيرسله الآب باسمى، فهو يعلّمكم) (يوحنا ١٤: ٢٦).

(ومتى جاء المعزّى الذى سأرسله أنا إليكم، من الآب (روح الحق) الذى من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لى) (يوحنا ١٥: ٢٦).

فهنا الأقانيم الثلاثة : (**الآب**) الذى يبثق الروح القدس، (**الابن**) الذى باسمه يرسل الآب الروح القدس. و(**الروح القدس**) المرسل من الآب ليشهد للابن.

٤ ـ وقد أورد القديس بولس الرسول، فى ختام رسالته الثانية إلى كنيسة كورنثوس صيغة البركة الرسولية التى تستعمل فى الكنيسة الأرثوذكسية، باسم الأقانيم الثلاثة: (نعمة (**ربّنا يسوع المسيح**)، ومحبة الله (**الآب**)، وشركة (**الروح القدس**) معكم جميعا) (٢. كورنثوس ١٣: ١٤).

٥ ـ وفى رسالته إلى كنيسة غلاطية يتكلم عن مسحة الروح القدس للمؤمنين قائلاً: (ثم بما أنكم أبناء، أرسل **الله روح ابنه** إلى قلوبنا) (غلاطية ٤: ٦) فالله (**الآب**) هو المُرسِل، و(**الروح القدس**) هو المُرسَل، و (**الابن**) هو سر هذه الإرسالية...

٦ ـ ويقول الرسول يوحنا (فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة: **الآب، والكلمة، والروح القدس**. وهؤلاء الثلاثة **هم واحد**) (١. يوحنا ٥: ٧).

* * *

ثانياً ـ من التقليد :

ويتضح إيمان الكنيسة بحقيقة التثليث أيضا من التقليد الذى عاش مع الكنيسة فى كل الأجيال، وفى كل مكان امتدت إليه كرازة الإيمان المسيحى، حتى أصبح القول بالتثليث من أخص عقائد الديانة المسيحية التى تميزت بها وعرفت عنها من أصحاب الديانات الأخرى.

ويظهر هذا التقليد واضحا:

١ ـ فى **البَسملة** التى يبدأ بها المسيحيون صلواتهم ويستخدمونها فى سّر العماد وسائر طقوس

الصلوات وهى (**باسم الآب والابن والروح القدس**) .

٢ ـ وفى الذكصولوجيات والتسابيح والألحان: (**المجدُ للآب والابن والروح القدس..**) .

٣ ـ كذلك يظهر أيضا فى قوانين الإيمان الثلاثة المعروفة ابتداء من العصر الرسولى الأول... .

أ ـ قانون إيمان الرسل :

وهو القانون الموجز : والمعروف بنسبته إلى الرسل فى جميع الكنائس شرقا وغربا... .

(**أؤمن بالله العظيم، الآب**، خالق السموات والأرض، **وبيسوع المسيح ابنه الوحيد**، ربنا الذى حبل به من الروح القدس، وولد من العذراء مريم... وأؤمن **بالروح القدس**...) .

ب ـ قانون الإيمان النيقاوى :

(**بالحقيقة نؤمن بإله واحد: الله الآب** ضابط الكل... ونؤمن **بربٍ واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد**، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق ـ واحد مع الآب فى الجوهر... ونؤمن **بالروح القدس** الرب المحيى، المنبثق من الآب، نسجد له ونمجده مع الآب والابن...) .

جـ ـ قانون الإيمان الأثناسيوسى :

(كل من يروم أن يخلص يتحتم عليه أولا وقبل كل شئ أن يحفظ الإيمان. ومن لا يحفظه بأكمله ومن غير تعديل فيه يموت موتا أبديا... وهذا الإيمان هو أن **نعبد إلها واحدا فى ثالوث، وثالوثا فى وحدانية**، من غير اختلاط فى الأقانيم ولا تقسيم فى الذات. لأن **اقنوم الآب هو غير اقنوم الابن، وغير اقنوم الروح القدس، ولكن الآب والابن والروح القدس ليسوا إلا إلها واحدا**، ومجدا واحدا، وعظمة أبدية واحدة...) .

ثالثا ـ تاريخ الكنيسة والمجامع المسكونية:

لقد ظهرت فى تاريخ الكنيسة هرطقات متنوعة ضد سر التثليث منها: بدعة أريوس الذى أنكر أزلية الابن مع الآب، ومنها بدعة مقدونيوس الذى أنكر ألوهية الروح القدس. ومنها بدعة

سابيليوس الذى أنكر التثليث وزعم أن الله اقنوم واحد، ظهر مرة على أنه الآب، وأخرى على أنه الابن، وأخرى على أنه الروح القدس.

وبسبب هذه البدع جرت مناقشات، وعُقدت مجامع مسكونية حكمت فيها الكنيسة المقدسة بسلطانها المعطى لها من الله على هذه الهرطقات بأنها إنحرافات عن الإيمان الرسولى الأول. وحكمت على أصحاب هذه الهرطقات بالحرمان من شركة الكنيسة، كما تحددت فى المجامع المسكونية عقيدة الإيمان فى صيغ محددة دقيقة جامعة مانعة، هى التى عُرفت بقانون الإيمان. فبسبب أريوس ومقدونيوس معا وضعت صيغة قانون الإيمان الرسولى، فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ومجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م.

* * *

الواحد فى الثالوث

ليس ثمت تناقض فى الإيمان المسيحى بين القول بالوحدانية، والقول بالثالوث القدوس... فالله واحد فى جوهره وذاته العلية... ولكن يوجد فى هذا الجوهر الواحد ثلاثة أقانيم... والأقنوم... هو خاصية أو صفة ذاتية فى الله... أى صفة أو خاصية تقوم بها الذات الإلهية، وبدونها تنعدم الذات الإلهية... .

وعلى ذلك **ففى الجوهر الإلهى ثلاث خاصيات أو صفات ذاتية:**

الخاصية الأولى هى خاصية الوجود..

ذلك أن **الله هو أصل الوجود**، وهو واجب الوجود، وبدونه لا يمكن تفسير الوجود، فإذا لم تكن لله صفة الوجود... فيكون الله معدوما... .

هذه الصفة الذاتية فى الله هى التى تسمى **(الآب)** ... .

والآب كلمة سامية سريانية معناها الأصل أو الوجود أو الكيان الإلهى... .

والخاصية الثانية... هى خاصية العقل والحكمة..

ذلك أن **الله عاقل**، وهو مصدر العقل والحكمة فى كل الوجود سواء فى الكائنات العاقلة أو فى الكائنات غير العاقلة التى تحكمها القوة العاقلة فى الكون المنظم الجميل... والذى ينطق جماله ونظامه بأن وراء الطبيعة عقلا جباراً هو عقل مهندس الكون الأعظم... .

فإذا لم يكن الله عاقلا فليس لله وجود، لأن الله عقل كله وليس فيه جسم.. هذه الصفة الذاتية، صفة العقل أو الحكمة فى الله هى التى نسميها **(الابن) أو الكلمة..** .

والخاصية الذاتية الثالثة هى خاصية (الحياة):

ذلك أن **الله حى**، وهو مصدر الحياة فى كل الوجود... فإذا لم يكن الله حيا، كان ميتا... وبالتالى ليس له وجود... فالله إذن حى، وهو الحياة..

هذه الخاصية الذاتية فى الله.. هى خاصية الحياة.. هى التى نسميها **(الروح القدس)** لأن الروح هى الحياة.. .

ومن هذا كله نتبين:

١ - **أنّ الأقانيم خاصيات فى ذات الإله الواحد**، وعلى ذلك فالجوهر واحد، لكن الخاصيات الذاتية ثلاث... .

٢ - إنّ الأُبُوّة بالنسبة للآب، والبُنُوّة بالنسبة للابن لا علاقة لهما بالأُبُوّة والبُنُوّة كما نفهما فى عالم الحس أو فى عالم الإنسان أو عالم الحيوان... .

أ - ذلك أن البُنُوّة فى عالم الحيوان أو الإنسان بُنُوّة حسية مادية جسدية لحمية تقتضى الذكر والأنثى والتوالد الجنسى... .

بينما أنّ البُنُوّة فى الثالوث القدوس ليست مادية على الإطلاق... هى **بُنُوّة روحية عقلية**، لأن الله روح وعقل وليس فيه مادة.. .

ب - والبُنُوّة فى عالم الحيوان أو الإنسان تقتضى الزمان، بحيث أن الوالد يكون أولاً ثم بعد ذلك يجئ الولد. الوالد إذن أسبق فى الزمان على ولده... .

أما البُنُوّة فى الثالوث القدوس فليست زمانية على الإطلاق. وهنا خطأ أريوس وخطأ شهود يهوه، لأن هؤلاء الأريوسيين فهموا البُنُوّة فى الثالوث القدوس على نفس المستوى مع البُنُوّة فى عالم الحيوان، لذلك يقولون إنه جاء وقت كان (الآب) فيه كائناً ولم يكن (الابن) كائناً معه. فالابن عند الأريوسيين وشهود يهوه ليس أزليا مع الآب... لأنهم قالوا مادام آب وابن، وولادة، فالآب أسبق فى الزمان، وفاتهم أنّ الألفاظ المستعملة بالنسبة إلى الثالوث القدوس بعيدة كل البعد عن معانيها فى اللغة البشرية... **(فالآب)** معناه كما قلنا **الأصل** أى **أصل الوجود** أو بالأحرى **إن الله هو أصل الأصول**، و **(الابن)** معناه **العقل الإلهى**، وكما أن العقل ينبع من الوجود ولكن ليس فى زمان، كذلك الله الابن مولود من الله الآب ولكن ليس فى زمان. بل إنه لم يمر زمان كان الآب كائنا، ولم يكن الابن كائنا معه، وإلا كيف يمكن أن نتصور الله كائنا لحظة واحدة من الزمان من دون أن يكون عاقلا بالاقنوم الثانى **(الابن)** أو حيا **(بالروح القدس)**.

(فالابن) إذن كائن مع (الآب) فى الذات الإلهية منذ الأزل وكذلك (الرُّوح القدس) كائن مع الآب والابن فى الذات الإلهية منذ الأزل... .

جـ - والبُنُوَّة فى عالم الحيوان أو فى عالم الإنسان تقتضى الانفصال والاستقلال بعد الولادة... فالولد يخرج من جسم أمه. ويصبح جوهرا جديدا وحيوانا جديدا مستقلا تماما عن أبيه وأمه بحيث قد يموت الأب أو تموت الأم ويبقى ولدهما حيا... .

أما البُنُوَّة فى الثالوث القدوس فليس فيها إنفصال ولا إستقلال عن الجوهر الإلهى والذات الإلهية. فالابن قائم مع الآب وفى الآب، (أنا فى أبى وأبى فى) (يوحنا ١٤: ١٠) وكما أنّ الابن كائن مع الآب فى الذات الإلهية منذ الأزل كذلك الابن كائن مع الآب، والروح القدس، فى الذات الإلهية **إلى الأبد**... .

وإذن فالبُنُوَّة فى الثالوث القدوس لا تربطها بالبنوة اللحمية أو الجسدية أو المادية أية رابطة، **فهى بُنُوَّة روحية، وبُنُوَّة عقلية، تناسب الذات الإلهية. والله روح ليس فيه مادة، وعقل وليس فيه جسم.. كما أنّ الله كائن لا فى زمان أو مكان. لأنّ أبعاد الزمان والمكان هى فقط بالنسبة للكائنات المادية والمحدودة. أما الله فهو غير متناه، وغير محدود.. وبسيط ليس فيه تركيب.. .**

وهنا ننبه إلى تحذير آخر... .

د - إنّ البُنُوَّة فى الثالوث القدوس مع هذا ليست بُنُوَّة بالوضع وإنما هو بُنُوَّة (بالطبع) . فآدم مثلا سمى (ابن الله) ولكن بالوضع لا بالطبع. وكذلك المؤمنون بالمسيح المعمّدون باسم الثالوث القدوس صاروا أبناء الله (وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم السلطان لأن يكونوا أبناء الله، أولئك هم المؤمنون باسمه، الذين وُلِدوا لا من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة إنسان، وإنما من الله وُلِدوا) (يوحنا ١: ١٢، ١٣) لكنّ هذه البُنُوَّة بُنُوَّة بالوضع لا بالطبع كما قلنا. مثلها فى عالمنا الحاضر مثل الذى ليس له ولد من صلبه، فيتبنّى ولدا ينفق عليه ويعوله ويربيه، كأنه إبنه، ولكن ليس هو إبنه على الحقيقة.

أمّا البُنُوة فى الثالوث القدوس فليست بُنُوة بالوضع أبداً، وإنّما هى بنوة **(بالطبع)** ... أى أن **(الابن) هو من ذات جوهر (الآب) وطبيعته**، (يوحنا ٧: ٢٩) (نور من نور، إله حق من إله حق) إنه والآب **(جوهر واحد)** وطبيعة واحدة.. .

وعلى العموم يجب أن نُطلِّق من أذهاننا كل تصوّر بشرى وكل فهم مادى عندما نتأمل علاقة الأقنوم الثانى بالأقنوم الأول فى الثالوث القدوس.. إنها بنوة فريدة من نوعها.. ليس لها نظير أبدا فى عالم المادة. ولذلك سمّى الكتاب المقدس الأقنوم الثانى أنه **(الابن الوحيد الجنس)** (يوحنا ١: ١٨)، (١: ١٤)، (٣: ١٦، ١٨)، (١ . يوحنا ٤: ٩).

لماذا سُمِّىَ الأقنوم الثانى بالابن؟

فإذا لم يكن الأقنوم الثانى إبنا بالمعنى اللفظى الحسّى المفهوم فى عالمنا المادى، فلماذا سمّاه الكتاب المقدس بالابن، وابن الله، وابن الله الوحيد؟ ولماذا خلق الكتاب المقدس لنا هذا الارتباك الذى قد يقود إلى الهرطقة والزيغان عن الإيمان؟؟

الواقع أنّ السبب مرجعه إلى **ضيق لغة البشر**... واللغة البشرية ليست ضيقة فقط، ولكنها **مادية** أيضا، بمعنى أن اللغة فى نشأتها محاكاة لأصوات الطبيعة. ولذلك فإن معانى الكلمات فى أصلها مادية، وبعد ذلك تجئ الاستعمالات المعنوية والاستعارات والمعانى المجردة. وهذا هو السبب فى أن لفظاً واحدا قد يأتى فى جملة ما بمعنى خاص، بينما يأتى فى جملة أخرى بمعنى آخر.. والذى يدعونا إلى الأخذ بهذا المعنى وترك المعنى أو المعانى الأخرى إنما هو السياق والقرائن التى يستعمل فيها اللفظ.. .

فإذا كنا نجد هذه الصعوبة فى المعانى البشرية كما ترد فى كتب العلماء والفلاسفة والمفكرين، فكم تكون الصعوبة إذن فى التعبير عن الطبيعة الإلهية؟؟..

عندما تكلم مخلّصنا مع نيقوديموس عن الولادة من فوق، وقع معلّم الناموس فى حيرة، ولم يفهم، فسمع القضية من المعلّم الأعظم، «إن كنتُ قد كلمتكم عن الأرضيات، ولم تؤمنوا، فكيف تؤمنون إن كلّمتكم عن السمائيات؟» (يوحنا ٣: ١٢) فإذا كانت الولادة الثانية التى من فوق، تُعدُّ فى نظر مخلّصنا من الأرضيات، بمعنى أنها فى مستوى حياتنا الأرضية ولغتنا البشرية، فكم تكون حقا الأمور السمائية..؟ وكم يكون أصعب منها التعبير عن طبيعة الذات الإلهية التى لا يمكن أبداً إداركها ولا فهمها، أو حتى الاقتراب منها؟؟..

لهذا فإنّ الوحى عبر عن العلاقة بين الأقنوم الأول والأقنوم الثانى بلفظى **(الآب)**، و**(الابن)**، وذلك فقط لأنهما اللفظان البشريان المناسبان، والقريبان إلى لغتنا، وإلى فهمنا. ومع

ذلك **فالفرق واسع جدا** بين معنى اللفظ فى لغتنا البشرية وبين الحقيقة كما هى فى طبيعة الله نفسه.

وهناك سبب واحد.. لاستعمال لفظ الآب والابن بالنسبة للأقنوم الأول والثانى ذلك هو سر **التجسد**... الذى عن طريقه ظهر الأقنوم الثانى فى عالمنا. ولما كان الأقنوم الثانى المتجسد قد أظهر لنا فى شخصه صفات الله الغير المنظور، بحيث أننا فى شخص الأقنوم الثانى عرفنا صفات الله الغير المنظور، لذلك عبر الكتاب المقدس عن الأقنوم الثانى **بالابن** وعن الأقنوم الأول **بالآب**، تماما كما يحدث لنا عندما نعرف إنسانا من ابنه عن طريق الصفات المشتركة بينهما فى السحنة والشكل... ولعل هذا هو السبب فى أن سر التثليث لم يُعلَن إلاّ فى العهد الجديد بعد التجسد. وهناك سبب آخر هو أن اليهود فى العهد القديم كانت أذهانهم قريبة من فكرة تعدد الآلهة، فإعلان حقيقة الثالوث لم يكن مناسبا فى العهد القديم.

* * *

وعلى ذلك **فإيمان المسيحيين بالتثليث لا يتعارض مع إيمانهم بالتوحيد. لأن التثليث ليس تثليث ذوات، لكنه تثليث أقانيم**، والأقانيم صفات وخاصيات فى الإله الواحد، لكنها صفات وخاصيات ذاتية وليست مجرد صفات نسبية. **والصفات والخاصيات الذاتية ما تقوم به الذات.**

وعندهم **إن الله الواحد كائن بذاته، ناطق بكلمته، حىّ بروحه**. ولذلك يقولون فى البسملة (**باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد**).

والخلاصة، إنّ المسيحية قدمّت عن الله درسين متممين الواحد للآخر: **الدرس الأول** عن **التوحيد، والدرس الثانى عن التثليث، والدرسان لا يتعارضان**، وإنما الدرس الثانى ينبنى على الدرس الأول، وهو يكمل معرفتنا عن الله الواحد، إذ يدخل بنا إلى طبيعته وصفاته. ولم تُقَدَّم الدرس الثانى إلاّ بعد أن استقر الدرس الأول فى أذهان الناس: **إنّ الله واحد أحد، وليس غيره إله.**

مقتبسات
من كتب ومصادر كنسية

١ ـ مطلع قوانين المجمع الإكليريكى العام
فى عهد البابا كيرلس الثالث

جاء فى **مطلع القوانين التى أقرها المجمع الإكليريكى العام برئاسة البابا كيرلس بن لقلق، البابا الخامس والسبعين من بطاركة الكرسى المرقسى (١٢٣٥ - ١٢٤٣م):**

«باسم الله الأَحَدِىّ الذات، المثلّث الصفات، خالق الأرض والسماوات..»

«هذا المكتوب صادر عنى أنا الحقير كيرلس عبد يسوع المسيح المدعو بنعمة الله وأحكامه بطريركاً على الكرسى المرقسى...» (١)

---

(١) (انظر كتاب القوانين الذى جمعه الشيخ الصفّى العالم ابن العسال من كتب القوانين وألفه فى سنة ٩٥٥ للشهداء الأبرار ـ طبعة الأنبا إيسيذوروس سنة ١٩٢٧م ـ الملحق صفحة ٩).

٢ ـ كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة لابن كبر

جاء فى كتاب «مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة» (١) لأبى البركات المعروف بابن كبر.

الباب الأول ـ فى الاعتقاد وأصوله

أ ـ فصل فى الذات ومعانى الصفات.

ذات البارى تعالى جوهر واحد موصوف بثلثة أقانيم، وهى التى يعبر عنها النصارى بالآب والابن والروح القدس. فالآب هو الجوهر مع صفة الأبُوّة، والابن هو الجوهر مع صفة البُنُوّة، والرّوح القدس هو هذا الجوهر الواحد مع صفة الانبثاق. فالموضوع أعنى الذات واحد، والمحمول أى الصفات المعّبر عنها بالأقانيم، ثلثة. والجوهر قائم بذاته والأقانيم قائمة بالجوهر.

ب ـ فصل فى معنى الأقانيم وهى الصفات وأنها غير الذات مع تعلقها به.

«... القُنوم هو مجموع الجوهر الواحد مع الصفة المخصوصة وهو اسم مشترك لأنه يُشار به تارة إلى الآب، وتارة إلى الابن، وتارة إلى الروح القدس... والأقانيم الثلثة هى الصفات الشرعية التى أمرنا الشارع بإعتقادها بقوله لرسله المؤيدين: علّموا الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس».

جـ ـ فصل فى وجود وصف البارى تعالى بالتوحيد والتثليث الذى وصفه به النصارى.

«... ولما ثبت أن البارى تعالى جوهر واحد بطل أن يكون ذاته وكلمته وحياته ثلثة أكيان أو ثلث قوى مركبة أو ثلثة أعراض. وثبت أنها ثلثة أقانيم. ولما كانت حكمته وحياته ذاتيتين غير منفصلتين من ذاته ولا متبعضتين من كيانه صح أن صفاته الثالوثية ذاتية».

---

(١) «كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة» لأبى البركات المعروف بابن كبر ـ صفحات ٦٠، ٦١، ٦٢، ٧٢.

٣ ـ كتاب تفسير سفر التكوين لآباء الكنيسة

جاء فى كتاب «تفسير التكوين» لآباء الكنيسة (١):

الله واحد أحدىّ الذات مثلّث الأقانيم والصفات.

«وروح القدس الذى هو روح الله المنبثق منه ليس هو نسمة غريبة من الله يتنسم بها من خارج كما نتنسم نحن بالهواء، ولا هى مضمحلة تدخل وتخرج مثل نسمتنا نحن الغريبة منا، بل هى منه منبثقة دائما ذاتيا من ذاته بلا إنقطاع، صفة تامة كصفته التى هى منبثقة منه ذات وجود وقدوة كالآب والكلمة. وبهذا علمنا وتحققنا **أنّ الله عز وجل ثلاث صفات كاملة تامّة ذاتية غير مضمحلة ولا زائلة ولا منفصلة ولا مختلطة إختلاطا يضيع به وجود الصفات، بل كل واحدة منها غير مفارقة للأخرى. فالكلمة والروح، الآب علتهما. وهما منه لم يزالا موجودين وجودا بغير إنفصال. الابن والروح هما يداه اللذان بهما يفعل كلّ أفعاله.. ليس هما كيدينا أجزاء أو أبعاض بل هما صفتان كاملتان ككمال الصفة التى هما منها، ثلاث صفات كاملات دائمات الوجود، حالة فى بعضها بعضا بغير تشويش، مثل قول الابن: أنا فى أبى وأبى فىّ. ذات واحدة، ومشيئة واحدة، وفعل واحد، وقوة واحدة لاهوتية واحدة، وربوبية واحدة»** (١).

---

(١) تفسير سفر التكوين لآباء الكنيسة مخطوط رقم ٩ ـ لاهوت.

٤ ـ من رسالة البابا زكريا

وهو الرابع والستون من بطاركة الكرسى المرقسى (١٠٠٤ – ١٠٣٢)م إلى البطريرك يوحنا الأنطاكى:

«نؤمن أن **الله جوهر واحد فى ثلاثة أقانيم الآب والابن والروح القدس.. الثالوث القدوس الواحد باللاهوت**.. ملكه وسلطانه وفعله واحد، مسجود له ومعبود **بتثليث أقانيمه، توحيد كامل بتثليث كامل...**» (١).

٥ ـ من رسالة البابا شنوده الثانى

(وهو الخامس والستون من بطاركة الكرسى المرقسى ـ ١٠٣٢ ـ ١٠٤٦)م إلى البطريرك ديونيسيوس الرابع الأنطاكى.

«**إننا نؤمن بالآب والابن والروح القدس، الثالوث القدوس... الجوهر المسجود له، المعبود**... الخالق، غير المخلوق، الأزلى الذى لا إبتداء له ولا إنقضاء، صانع كل ما يرى وما لا يرى، القوة العزيزة التى لا يقدر أحد أن يقاومها، المدبر سائر الخليقة الحسية والعقلية، العلّة الأزلية التى لا علّة قبلها، التى ليست من علّة أخرى ولا من سبب آخر، الماسك الكلّ، الذى يحوى الكلّ ولا يحويه شئ. النور الأزلى الذى لا يعلم أحد ماهيته ولا كيفيته، ولا تُدركه العقول، ولا تحيط به الأفكار، الذى يرى الكلّ وهو لا يُرى. الذى لا شبه له ولا مثيل، الحىّ الغير المائت... الذى هو أبعد من الكل وقريب من الكل، المفهوم والمعقول من المخلوقين، وهو أفضل من كل ما يُعقل. **نؤمن ونعترف ونسجد لهذا الجوهر الأزلى الثالوث القدوس.. الواحد بالجوهر الإلهى**، الذى يتنزه عن الإنقسام وعن الحصر **الموحد بالتثليث، والمثلث بالتوحيد**... ولهذا نقول **إن الله واحد، جوهر واحد، ثالوث قدوس الآب والابن والروح القدس...**» (٢).

---

(١) عن كتاب «إعترافات الآباء» انظر الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة لمؤلفه الأنبا ايسيذوروس، الجزء الثانى ـ القاهرة ١٩٢٣ صفحة ٣٣١.

(٢) عن «إعترافات الآباء» الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة، للأنبا ايسيذوروس ـ الجزء الثانى، طبعة القاهرة ١٩٢٣ صفحة ٣٣٥ – ٣٣٦...).

٦ ـ من كتاب «صلاح المؤمنين»
للأنبا يوساب الأبح

جاء فى كتاب «**صلاح المؤمنين**» (١) للأب المكرم الطاهر الأنبا يوساب أسقف مدينة جرجا وإخميم.

«**المجد لله الواحد بالذات المثلّث بالأقانيم والصفات، الجوهر الواحد** الواجب الوجود، الإله الخالق لكل الخلائق، العالى المعبود، **المتفرد بالوحدانية، المثلث بالصفات الإلهية، الأقانيم. وفى الجوهر معروف بالوحدانية المسمّى بالذات والنطق والحياة، الذى لا إله سواه... الذات معروفة بالآب... والنطق معروف بالابن، والحياة معروفة بالروح القدس...**

هكذا نعتقد نحن فى **الإله أنه ذو ثلاث خواص: ذات** ثم **نطق** ثم **حياة...** فقد تبين لنا الآن أن **الإله** الذى كوّن العالم وأحدث المخلوقات أنه **جوهر واحد حاوٍ ثلاث صفات** وإن شئت ثلاث خواص، وإن أردت **ثلاثة أقانيم... أعنى الأبُوّة والبنُوّة، والانبعاث أعنى الآب والابن... والروح القدس.**

---

(١) مخطوط لكتاب «صلاح المؤمنين» للأنبا يوساب أسقف مدينة جرجا وإخميم المعروف بالأبح من آباء القرن الثالث عشر.

٧ ـ من كتاب «نفى الشك والكفر عن النصارى»
للعلامة بطرس السدمنتى

يقول العلامة **القس بطرس السدمنتى** من آباء وعلماء القرن الثالث عشر فى مقال له **«فى نفى الشك والكفر عن النصارى الموحّدين»** (١).

«كثير من الخارجين عنا فى الأمانة، إذا سمعونا نقول **«الآب والابن والروح القدس»** ينسبونا إلى الشرك والكفر. ويعتقد من يسمع هذا القول أنا نعتقد ثلاثة أرباب. ومن يسمع أن المسيح ابن الله، يعتقد أن الله تزوج وولد المسيح. معاذَ الله من هذا الكلام القبيح الردئ! جل الله تعالى عن كل ذلك، وعلا علوا كثيرا.

معنى الأقانيم الثلاثة أن **علّة العلل موجود... هذا الموجود بسيط، غير مركب، وأنه ناطق بغير لغة، ولا لسان**، فلما حكم القياس العقلى بأن الله **موجود (كائن بذاته)**، وبأنه **ناطق**. أوجب حكم القياس أيضا **أن يكون حيا، وأن حياته فى روحه.**

«كما سميت هذه الثلاث الصفات (أى الموجود (الكائن)، الناطق، الحىّ) الآب والابن والروح القدس. فهذه أسماء صفات الخالق الذاتية.

وأما أن المسيح ابن الله فهو أن كلمة الله وُلِد... مثل مولد الكلمة من العقل، والضوء من الشمس، والنور من النور... وليس فى هذه الولادة شئ من مخالطة البشر، جلّ الله عن ذلك، وعلا علوا كثيرا.

أمانة النصارى الموحّدين:

وهذه أمانتنا فى **توحيد الخالق، وتثليث صفاته**، والإبعاد عنا كل شرك والإقرار بالوحدانية.

---

(١) نقلا عن مخطوطة الفاتيكان رقم ١٢٦ عربى ـ وهى مخطوطة قبطية نسخت سنة ١٦٨٧م ـ نشرها الأب المحترم سمير خليل اليسوعى فى مجلة (صديق الكاهن) ـ التى يصدرها المعهد الإكليريكى للأقباط الكاثوليك بالمعادى ـ السنة التاسعة عشرة ـ العددان الأول والثانى ـ يناير وأبريل ١٩٧٩ صفحة ٤٤ – ٦٠.

وهكذا نقول معشر النصارى الموحِّدين:

نؤمن برب واحد، الإله الأزلى، خالق الأشياء، ما يُرى وما لا يُرى. ليس له مثال فى الذاتية ولا نظير فى الربوبية، ولا صاحب يعاونه، ولا ضدّ يقاومه، ولا ندّ ينازعه. وأنه غير جسم وغير مركب، وغير مؤلف، وغير محسوس، وغير متجزئ وغير متبعض، وغير مستحيل، لا يشغل حيزًا ولا يقبل عرضاً، ولا يحويه مكان، ولا يحصره زمان، قديم بلا إبتداء، باق بغير إنتهاء، خفّى فى ذاته، ظاهر فى أفعاله، متفرِّد بالقدرة والكمال، موحَّد بالعظمة والجلال، معدن النعم وينبوع الحكم، مُحْدِث كلّ شئ لا من شئ، ومنشئ الموجودات من غير مادة... **إله واحد، معبود واحد، خالق واحد، لا إله قبله ولا بعده، ولا خالق إلاّ هو، ولا معبود سواه.**

ونعتقد أن الثلاث صفات، أعنى الوجود والنطق والحياة جوهر واحد، ثلاثة أقانيم، وصفها الشرع بالآب والابن والروح القدس...

ونتبرأ من كل من يعتقد أن هذا الجوهر مخلوق، أو أن هذه الأقانيم ثلاثة جواهر، أو ثلاثة أرباب... أو ثلاثة أجزاء متبعضة مما يقتضى التجزؤ والتبعض...».

٨ ـ أرجوزة الشيخ الأسعد ابن العسال

جاء فى مطلع أرجوزة للشيخ الأجل الأسعد ابن العسال تتضمن ميراث النصارى (١):

الشكر لله الوحيد الذات ... سبحانه مثلث الصفات

٩ ـ أرجوزة فى الاعتقاد

نظم القديس أنبا بطرس السدمنتى (٢)

أحمد من انفرد بالذات ... والأحدية مع الصفات

وإنما صفاته الذاتية ... كثيرة كذلك الفعلية

تعمها ثلاثة فى الحق ... وجُودُهُ والروح والنطقُ

وما بقى من سائر الصفات ... قد أدمجت فى تلك ياساداتى

---

(١) «كتاب القوانين لابن العسال طبعة جرجس فيلوثاؤس عوض صفحة ٤٣٢ .

(٢) انظر كتاب القوانين الذى جمعه الشيخ الصفىّ العالم ابن العَسّال ـ طبعة الأنبا إيسيذوروس سنة ١٩٢٧ الملحق صفحة ٥٣ .

١٠ ـ أرجوزة للمرحوم عبد الله أفندى فريج
الشاعر المشهور (١)

المجـــد لله القـــديم الأزلى ... ذاك الـــذى لـــيـــس لـــه أول
فـــهـــو الإله الواحـــد الجليل ... من ليس له فى خلق له مـــثـــيل
وإنما صـــفـــاته الذاتيـــة ... ثلاثة لازمـــة أصليـــة
ثلاثة قـــامت بهنّ الذات ... **وجـــوده والنطق والحـــيـــاة**
منزه عن ســـائر الأضـــداد ... ومـــا له فى الخلق من أنداد
هيـــهـــات أن يحـــدّه الزمـــان ... كـــلا ولا يحـــصـــره المكان
فـــالآب والابن كـــلاهمـــا مـــعـــاً ... بذلك **الروح المعـــزى** اجـــتـــمـــعـــا
وبدون أن يزد شى فى العـــد ... سبحانه فقل هو **الفرد الصمد**
سـرّ به **التـــثليث والتـــوحـــيـــد** ... حـــارت به الأحـــرار والعـــبـــيـــد
لكنه عند ذوى العـــقـــول ... لم يعـــتـــرهم فـــيـــه من ذهول
فـــمن تراه منكرا ذا المعـــتـــقـــد ... وقـــال مـــهـــلا كـــيف تثليث الأحـــد
قل صـــاح هذا حق مـــا فـــيـــه خلل ... واضـــرب له بالشـــمس ذياك المثل
جـــرم ونور مع حـــرور زائدة ... **ثلاثة والكل شـــمس واحـــدة**
مـــتـــحـــد جـــمـــيـــعـــهـــا إتحـــادا ... بلا إنفـــصـــال يقـــبل الأعـــدادا

---

(١) كتاب القوانين الذى جمعه الشيخ الصفى العالِم ابن العسال ـ طبعة الأنبا إيسيذوروس ١٩٢٧ الملحق صفحة ٥٧.

مقالات للمؤلف

١ ـ من الذى قام بخلْق العالم؟ (١)

لئن كان الله واحداً فى جوهره إلا أنَّ أقانيم الثالوث القدوس متمايزة فى العمل. فإذا كان الآب قد أراد خلق العالم، فإن الابن هو الذى قام بعملية الخلْق، والروح القدس هو الذى بثَّ الحياة فى المادة.

ودليلك على ذلك أنَّ نصوص الكتاب المقدس واضحة فى إجماعها على نسبة الخلق للابن أو الكلمة (اللوجوس) أو الأُقنوم الثانى من الثالوث القدوس.. وأنها إذا نسبت الخلْق إلى الآب فبوصفه الإرادة أو المشيئة، ولكنها تعود فتنسب عملية الخلْق بالفعل إلى الأقنوم الثانى أى الابن.

من ذلك قول القديس يوحنا الإنجيلى «فى البدء كان الكلمة (اللوجوس)... **كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان**... كان فى العالم، **وكان العالم به**» (يوحنا ١: ١، ٣، ١٠).

---

(١) مقال نشر بمجلة (مدارس الأحد) السنة الثالثة ـ العدد الثانى (مايو لسنة ١٩٤٩) صفحتى ٣٣، ٣٤.

عمل الروح القدس (١)

من الإصحاح الثانى من رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل فيلبى بركاته علينا. آمين.

فإن كان وعظ ما فى المسيح إن كانت تسلية ما للمحبة، إن كانت شركة ما فى الروح إن كانت أحشاء ورأفة، فتمموا فرحى حتى تفتكروا فكراً واحداً ولكم محبة واحدة بنفس واحدة، مفتكرين شيئاً واحداً، لا شيئاً بتحزب أو بعجب، بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسكم، لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً، فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً، الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس، وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب. إذاً يا أحبائى كما اطعتم كل حين ليس كما فى حضورى فقط، بل الآن بالأولى جداً فى غيابى تمموا خلاصكم بخوف ورعدة، لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة، افعلوا كل شئ بلا دمدمة ولا مجادلة، لكى تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاد الله بلا عيب فى وسط جيل معوج وملتو يضيئون بينهم كأنوار فى العالم، متمسكين بكلمة الحياة لإفتخارى فى يوم المسيح بأنى لم أسع باطلاً ولا تعبت باطلاً، لكننى وإن كنت انسكب أيضاً على ذبيحة إيمانكم وخدمته أسر وأفرح معكم أجمعين. وبهذا عينه كونوا أنتم مسرورين أيضاً وافرحوا معى على أنى أرجو فى الرب يسوع أن أرسل إليكم سريعاً تيموثاوس لكى تطيب نفسى إذا عرفت أحوالكم، لأن ليس لى أحد آخر نظير نفسى يهتم بأحوالكم بإخلاص، إذ الجميع يطلبون ما هو لأنفسهم لا ما هو ليسوع المسيح، وأما اختباره فأنتم تعرفون أنه كولد مع أب خدم معى لأجل الإنجيل. هذا أرجو أن أرسله أول ما أرى أحوالى حالاً وأثق بالرب أنى أنا أيضاً سآتى إليكم سريعاً، ولكنى حسبت من اللازم أن أرسل إليكم أفرودتس أخى والعامل معى والمتجند معى ورسولكم والخادم لحاجتى إذ كان مشتاقاً إلى جميعكم ومغموماً لأنكم سمعتم أنه كان مريضاً، فإنه مرض قريباً من الموت لكن الله رحمه وليس إياه وحده بل إياى أيضاً لئلا يكون لى حزن على حزن، فأرسلته إليكم بأوفر سرعة حتى إذا رأيتموه تفرحون

---

(١) عظة لأسرة القديس بولس الرسول الجامعية (كلية التجارة) فى مساء الأحد الموافق ٥ يونيه ١٩٧٧م - ٢٨ بشنس ١٦٩٣ ش بمبنى الأنبا رويس بالعباسية.

أيضاً وأكون أنا أقل حزناً، فاقبلوه فى الرب بكل فرح وليكن مثله مكرماً عندكم، لأنه من أجل عمل المسيح قارب الموت مخاطراً بنفسه لكى يجبر نقصان خدمتكم لى. نعمة الله الآب فلتحل على أرواحنا آمين.

الموضوع الذى سنتكلم عنه الليلة إن شاء الله: عمل الروح القدس.

من هو الروح القدس ؟:

الروح القدس هو الله، لأن الله روح، والقدس، لأنه قدوس، «نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة». «القدوس المولود منك يدعى ابن الله» فالله هو روح، هو الروح القدس، أو الروح القدس هو الله، لماَ نقول الروح القدس هو الله، لأن الله واحد، لكن عندما ننظر إلى الله من حيث هو أصل الحياة وباعث الحياة ومبدئ الحياة فهو الروح القدس. يعنى أحياناً نقول الله هو الآب، وأحياناً نقول الله هوالكلمة، وأحياناً نقول الله هو الروح القدس، لكن ليس ثلاثة آلهة، ولكن من أى زاوية ننظر إلى الله ومن أى خاصية، وعن أى خاصية فى الله نتكلم، فحينما نتكلم عن خاصية الحياة فى الله. فالله هو أصل الحياة أو حسب التعبير الذى نجده فى الكتاب المقدس رئيس الحياة، هو رأس الحياة، أصل الحياة، مبدئ الحياة، باعث الحياة، هو الذى بدأ الحياة، لم يكن قبله حياة فهو بادئ الحياة وأصل الحياة وباعث الحياة، فمن هذه الزاوية الله هو الروح القدس، لأن الله روح وليس مادة، هو روح مثل ما قال مخلصنا له المجد للمرأة السامرية كما تجدونه فى يوحنا ٤ عدد ٢٤ «الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا» الله روح ليس مادة وليس جسد، والقدس، لأنه قدوس، كلمة قدوس لا تطلق إلا على الله، يقولوا الإنسان قديس إنما الله هو القدوس، ولذلك إشعياء النبى رأى الملائكة فى السماء كانوا ينشدون قائلين «قدوس قدوس قدوس»، وطبعاً كما نرى فى سفر الرؤيا، الملائكة فى السماء تنشد قائلة «قدوس قدوس قدوس»، ونحن نرددها فى الكنيسة عدداً من المرات بنفس الطريقة التى سمعها إشعياء النبى والتى سمعها أيضاً يوحنا الرسول، أن الملائكة تنشد لله مسبحة قائلة قدوس قدوس قدوس، فمن حيث أن الله روح، ومن حيث أنه قدوس فهو الروح القدس، لا يوجد غيره، لأن الله إله أرواح جميع البشر، كل واحد فينا له روح، والملائكة أرواح مرسلة للخدمة، لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص، الملائكة أرواح هذا تعريف الكتاب المقدس للملائكة أنهم أرواح مرسلة للخدمة، وكل منا له روح، وفى الكتاب المقدس يكلم الله «يا إله أرواح جميع بنى البشر»، إذن إله الأرواح لابد أن يكون روح، فاقد الشئ لا يعطيه، إذن هو الروح الأعظم. لأن منه تنبع

كل الأرواح، هو الروح الأعظم وهو القدس لأنه قدوس، قدوس لأنه كلى النقاء كلى القداسة، «إلى ملائكته ينسب حماقة» حتى الملائكة ليسوا أطهار أمامه، أو بإزائه أو بالنسبة إليه فهو وحده القدوس، إذن الله هو الروح القدس أو الروح القدس هو الله.

الفرق بين الروح القدس كأقنوم والروح القدس كمواهب:

وهنا نحب فى مقدمة الحديث أن نفرق ما بين الروح القدس كأقنوم والروح القدس كمواهب وعطايا.

الروح القدس هو الله، هنا المعنى الأقنومى باعتبار أننا نتكلم عن هذه الخاصية، الله هو باعث الأرواح، أصل الأرواح، مبدئ الحياة وأصل الحياة ورأس الحياة. هذا هو معنى الروح القدس أقنومياً، وطبعاً الله واحد، وثلاثة أقانيم بمعنى ثلاثة خاصيات، فى الذات الإلهية الواحدة، فإذن عندما نتكلم عن الروح القدس أقنومياً نتكلم عن الله من حيث هو أصل الحياة، وباعث الحياة ورأس الحياة، وخالق الأرواح أو الروح الأعظم، وإذا تكلمنا عن مواهب الروح القدس، فالروح القدس يمنح عطايا وهبات وهذه العطايا والهبات هى قوات وقدرات، لذلك عندما تقرأوا فى الكتاب المقدس يقول : وامتلأ فلان من الروح القدس، امتلأ بطرس مثلاً من الروح القدس أو انسكب الروح القدس على الرسل فى يوم الخمسين أو حل الروح القدس على العذراء مريم.

هذا الحلول هو حلول لنعمة من قبل الروح القدس، وليس الروح القدس أقنومياً إنما من قبل الروح القدس، من نحن لكى يحل علينا الروح القدس أقنومياً؟ مستحيل ... من فينا يستطيع أن يسع الروح القدس؟ لا يمكن للإنسان أن يحتمل حلول الروح القدس أقنومياً؟ أحياناً أجد بعض الناس يسألوا هذا السؤال، مستحيل وليس من المعقول أن الذى حل على السيدة العذراء أو على الرسل الروح القدس أقنومياً، ولكن الذى حل عليهم هى قوة من الروح القدس، موهبة من الروح القدس، عطية من الروح القدس، جزء بسيط من طاقة الروح القدس، على قدر ما يحتمل الإنسان، الإنسان لا يحتمل حرارة الشمس رغم المسافة التى بيننا وبين الشمس ٩٣ مليون ميل، والإنسان لا يطيق الأشعة الآتية من الشمس، نحن نقول حرارة الشمس، أشعة الشمس، ضوء الشمس، القوة الآتية من الشمس، لكن الجرم نفسه، الشمس نفسها لو قربت أقل من ٩٣مليون ميل ماذا يحدث؟! نحن نرى أشعة الشمس تعطينا الضوء وتعطينا الحرارة والدفء لكن لا نرى الشمس نفسها، هذه الأشياء منها، لكن الجرم نفسه يساوى مليون مرة وثلث من الأرض، الأرض

ليس لها قيمة بجوار الشمس، فليس من المعقول أن تنزل الشمس على الأرض.. ومع ذلك هناك نسبة معقولة ما بين الأرض والشمس، لكن ما هى نسبتنا نحن إلى الله، نسبة غير معقولة، لا يمكن أن تحسب، نسبة الأرض واحد على مليون وثلث من الشمس، لكن أنا وأنت ماذا نساوى بالنسبة للروح القدس ذاته، بالنسبة لله ذاته لأن الروح القدس هو الله، ماذا نساوى؟ أنا أجاوب على سؤال يتردد كثيراً فى أذهان الناس، ونريد أن نصحح هذا التفكير. الكتاب المقدس عندما يقول الروح القدس حل على التلاميذ، أو الروح القدس حل على العذراء مريم، أو الروح القدس يحل عليك، هنا فيه حاجة مستترة، فالمقصود قوة من الروح القدس وليس الروح القدس ذاته، العذراء لا تحتمل الروح القدس ذاته، ماذا تساوى العذراء بالنسبة للروح القدس؟ إذن هى قوة من قبل الروح القدس، ولذلك اللغة القبطية لغة دقيقة جداً، يمكن أحسن لغة استطاعت أن تعبر بدقة، عندما يقول الروح القدس حل على العذراء يقول «أو ابنفيما اثؤواب» أو «ابنفما اثؤواب» يعنى روحاً مقدساً أو روح القدس، لكن فى الترجمة الحديثة التى تطبعها دار المعارف قلنا روح القدس، وليس الروح القدس، روح القدس كلمة روح هنا غير معرفة، القدس معرف، روح القدس وليس الروح القدس، لكى نكون أكثر دقة الذى حل على العذراء والذى حل على التلاميذ والذى حل على أى واحد من الرسل، والذى نأخذه فى سر الميرون هو روح القدس يعنى قوة من الروح القدس، طاقة من الروح القدس، موهبة من الروح القدس، عطية من الروح القدس، يقولوا حل الروح القدس كنوع من أنواع الاختصار، لكن مفروض أنه واضح مجمل وجوباً أنه ليس المقصود الروح القدس أقنومياً، إنما موهبة الروح القدس، ولذلك الكاهن عندما يدهن الإنسان بالميرون بعد المعمودية يقول: ختم موهبة الروح القدس، ختم موهبة هو الذى يحل على أعضاء الإنسان ٣٦ عضو لكى يدشنها ويقدسها، ولكى يحصل الامتلاء من الروح القدس، وبتدشين أعضاء الإنسان تصبح أعضاء المسيح مقدسة، له ختم موهبة الروح القدس أو ختم الموهبة من قبل الروح القدس فالمحصلة واحد، هذه عطية من الروح القدس، هذا هو الفرق ما بين الحلول الأقنومى وحلول الموهبة، فبالنسبة للبشر عموماً ابتداء من الست العذراء إلى أى إنسان آخر، هى قوة من الروح القدس التى يأخذها الإنسان. ولا نتكلم عن الروح القدس أقنومياً إلاّ حينما نتكلم عن الثالوث القدوس. وإلاّ عندما نتكلم عن الله ذاته، عندما نقول الآب والابن والروح القدس معاً فى جوهر واحد، هنا الروح القدس «بى ابنفيما اثؤواب» «بى» أداة التعريف الـ روح القدس، فعندما نتكلم عن الثالوث القدوس وعن الذات الإلهية هنا فى هذه الحالة نتكلم عن الروح القدس

أقنومياً، وفيما عدا ذلك حينما نتكلم عن حلوله على الرسل أو على العذراء أو على أى إنسان آخر، فنتكلم عن حلول عطية من عطايا الروح القدس على هذا الإنسان. مثل ما يقول الكتاب «أنواع مواهب مختلفة ولكن الروح واحد»، نحن نأخذ مواهب مختلفة فى أسرار الكنيسة، يوجد سبعة مواهب، كل سر له موهبة، كل سر فيه عطية من عطايا الروح القدس، ففى المعمودية فيه عطية من الروح القدس، هذه العطية تنسكب وتنحدر على مياه المعمودية فيتكهرب الماء بكهرباء الروح القدس ويصير الماء خلاّقاً، وكما أن الروح القدس خلق من المياه فى العهد القديم الأسماك والطيور، هكذا فى العهد الجديد الروح القدس فى حلوله على مياه المعمودية حينما ينحدر عليها بصلوات الكهنة، يكهرب المياه ويكسبها القدرة الخلاّقة، فتخلق الإنسان خلقاً جديداً ويتم الميلاد الثانى.

وفى سر الميرون تنحدر موهبة أخرى من مواهب الروح القدس على أعضاء الإنسان، لكى تصبح مدشنة مكرسة مخصصة مكرسة لله، مثل ما قال الرسول «هل آخذ أعضاء المسيح واجعلها أعضاء زانية» فتصبح أعضاء المسيح بحلول الروح القدس عليها.

والروح القدس أيضاً ينحدر على العناصر الخبز والخمر فى سر الإفخارستيا، ويحول وينقل هذه العناصر إلى جسد الرب وإلى دمه، وفى سر التوبة أيضاً ينحدر الروح القدس ليمنح الغفران، وفى سر مسحة المرضى يمنح الشفاء من الأمراض الجسدية المتسببة عن علل روحية ونفسية، وفى سر الزيجة ينحدر على العروسين ليربط بينهما ويجعل منهما جسداً واحداً، وفى سر الكهنوت يحل الروح القدس على الشخص المدعو، ليعطيه موهبة بها يكون قادراً على خدمة المؤمنين وتوزيع مواهب الروح القدس على الآخرين. يكفى هذا لبيان التفرقة ما بين الروح القدس باعتباره الذات الإلهية، وباعتباره خاصية الحياة فى الله وأنه باعث الحياة وأصل الحياة، وبين مواهب وعطايا الروح القدس التى تنسكب على الناس.

ما الذى انحدر على المسيح فى نهر الأردن:

واحد يسأل سؤال ويقول ما الذى انحدر على المسيح فى نهر الأردن؟

عندما يقول الكتاب المقدس حل الروح القدس على المسيح، المسيح يجمع بين كونه إلهاً وبين كونه إنساناً. فإذا تكلمنا عن المسيح من حيث هو إله، فلا نستطيع أن نتكلم عن حلول الروح القدس، مستحيل لأن حلول الروح القدس هنا معناه أن المسيح لم يكن فيه الروح القدس وحل عليه، وهذا خطأ لأن الروح القدس أقنومياً مع الآب والابن منذ الأزل.

فإذن لا نستطيع أن نتكلم بالنسبة للمسيح كإله عن حلول الروح القدس، إنما ممكن نتكلم عنه من حيث هو إنسان. لا من حيث هو إله، من حيث هو إله الروح القدس معه منذ الأزل فلا يوجد حلول، لا يوجد شئ جديد، الحلول معناه شئ لم يكن موجود وحل، لكن إذا كان الروح القدس منذ الأزل مع الآب والابن أقنومياً فلا نتكلم إذن عن حلول للروح القدس على المسيح كإله أبداً. وفى هذه الحالة ممكن أن نتكلم عن الذى حدث فى يوم الغطاس ونسميه ظهور الروح القدس، ولذلك يسمى عيد الظهور الإلهى، عندما نتكلم عن المسيح كإله ونتكلم عن حلول الروح القدس هنا لانعنى الحلول بمعنى أنه لم يكن موجود، وإنما بمعنى ظهر، ولذلك يسمى عيد الغطاس عيد الظهور الإلهى، بمعنى أنه أمام الناس، الآب يتكلم ويقول هذا هو ابنى الحبيب، والابن فى الماء، والروح القدس مثل حمامة ومستقر عليه، فهذا هو الظهور، كلمة ظهور يعنى يبدى، يكشف للعيان وللناس عن حقيقة التثليث، الآب والابن والروح القدس معاً، من هذه الزاوية يسمى عيد الظهور الإلهى. لكن إذا تكلمنا عن المسيح إنسانياً من حيث هو إنسان، لأننا نقول المسيح يجمع بين كونه إلهاً وبين كونه إنساناً، فمن حيث هو إله لا يحل عليه الروح القدس. إنما كإنسان حبل به فى البطن، وكإنسان ولد، وكإنسان نما قليلاً قليلاً، وكإنسان كان لابد أن يحل عليه الروح القدس، ولذلك نحن قياساً على المسيح بعد المعمودية نمسح بمسحة الروح القدس وهى الميرون، مثل ما حدث بالنسبة للمسيح، فكإنسان نعم حل عليه الروح القدس.

عمل الروح القدس فى العهد القديم:

بعد هذا التعريف نتكلم عن عمل الروح القدس.. هناك بعض الناس يفتكروا أن الروح القدس بدأ يوم الخمسين، لكن الذى يقرأ منكم الإصحاح الأول من سفر التكوين، والعدد ٢ ، «وكان روح الله يرف على وجه المياه»، إذاً روح الله منذ ابتداء الخليقة، وهو الذى خلق من المياه الأسماك والزحافات البحرية والطيور.

إذن الروح القدس يعمل منذ الابتداء، وأتذكر فى المزمور الخمسين تقولوا «روحك القدوس لا تنزعه منى»، فإذن الروح القدس كان موجود فى العهد القديم، كذلك فى المزمور نقول «روحك القدوس يهدينى إلى الاستقامة»، الروح القدس إذن عمله منذ الابتداء. أولا الروح القدس مثل ما قلنا هو الله من حيث هو اقنوم، ومن حيث عمله فى الخليقة منذ ابتداء الخليقة وما قبل الخليقة، لأنه مثل ما قال المسيح «أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل»، فعمل الله قديم ولا زال العمل مستمر، فإذن عمل الروح القدس منذ الابتداء، ويوجد مسحة الروح القدس التى كان يمسح بها الملوك

والأنبياء والكهنة فى العهد القديم، كان الملك يسكبوا عليه ما يعرف بدهن المسحة، ودهن المسحة كان يتركب تركيب معين من أشياء معينة، مازالت فى العهد الجديد يتركب منها ما يعرف بالميرون. وهى مسحة الروح القدس كما جاء عنها فى رسالة يوحنا الرسول الأولى «وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شئ، ولستم فى حاجة أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها، وهى حق وليست كذباً كما تعلمكم هكذا تثبتون فى الحق».

فهناك مسحة الروح القدس فى العهد الجديد وهناك أيضاً مسحة الروح القدس فى العهد القديم، وكانت مسحة الروح القدس فى العهد القديم لها تركيب معين، وفيها موهبة غيرمنظورة، وهى القوة الإلهية التى تنحدر من خلال أو عن طريق هذه المسحة، فإذا سكبت هذه المسحة على إنسان يمتلئ من الروح القدس، مثل ما قال الكتاب إن شاول مسح وبعد المسحة تنبأ، فقالوا أشاول بين الأنبياء، ولما مسح صار ملكاً وأصبح يسمى مسيح الرب، حتى أن داؤد النبى لما كان شاول يطارده وتمكن منه مرة وكان يمكن أن يقتله قال: كيف أمد يدى إلى مسيح الرب؟ مسيح الرب هو ممسوح من الرب والممسوح من الرب هو الذى دهن بالمسحة فحل عليه الروح القدس، فالأنبياء والملوك والكهنة ، حتى الكاهن فى العهد القديم على الرغم من أنه من نسل هرون كان لابد بعد اختياره لكى يكون بلا عيب من الناحية الجسدية، أن يدهنوه ويسكبوا عليه من دهن المسحة فينحدر عليه الروح القدس، وكان محتوم عليه أنه يستمر سبعة أيام فى الهيكل لا يفارقه حتى لو مات أبوه أو أمه أو أحد أقاربه، لايخرج أبداً لأى ظرف لمدة سبعة أيام على الأقل.

إذن الروح القدس كان يعمل منذ الابتداء من أول أيام الخليقة، مثل ما قلنا كان روح الله يرف على وجه المياه وكان روح الله يخلق من المياه، خلق من المياه كل الزحافات والأسماك والطيور وهى الحيوانات البحرية، وحتى التى يسموها البرمائية مثل الضفادع والتماسيح وما إليها، ثم الروح القدس يشار إليه فى المزامير، ويشار إليه فى أسفار الأنبياء، ويشار إليه فى الأسفار التاريخية، وكان يحل على الأنبياء والملوك والكهنة.

عمل الروح القدس فى العهد الجديد:

إن عمل الروح القدس فى العهد الجديد ابتداء من يوم الخمسين، هنا علامة محددة، هنا خط فاصل، هنا فارق بين عمل الروح القدس فى العهد القديم، وبين عمل الروح القدس فى العهد الجديد، فى العهد القديم كان يحل على أشخاص معينين لهم مهام معينة ومسئوليات محددة إما نبى أو ملك أو كاهن. أما فى العهد الجديد «اسكب من روحى على كل بشر» هنا اسكب من

روحى على كل بشر ويتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاماً ويرى شبابكم رؤى، الشيوخ والشباب والعبيد والإماء لا يوجد فرق بين رجل وإمرأة فى حلول الروح القدس، لا يوجد فرق بين شيخ وشاب أو بين عبد وحر. العبيد والأحرار الكل سواء، موهبة الروح القدس تنحدر عليهم جميعاً، هنا الفرق، هنا العلامة المميزة بين عمل الروح القدس قديماً وعمل الروح القدس جديداً، لأنه فى القديم كان يعمل الروح القدس فقط فى إناس لهم مهام ومسئوليات مخصوصة، أما فى العهد الجديد فهناك فيه فيض، هذا الفيض «من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من باطنه أنهار ماء حى»، هنا الفرق بين الروح القدس كعطية تعطى محدودة لإناس معينين بمهام مخصوصة وبقدر، وبين الروح القدس الذى يعطى بغنى على كل البشر ما دام البشر مؤمن، ومادام البشر يرغب، «افغر فاك فأملأه». كل بشر مستعد لقبول هذه النعمة يأخذها، من آمن بى تجرى من باطنه أنهار ماء حى، ومَنْ البشر؟ على كل البشر على العبيد وعلى الإماء يرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلاماً، على كل البشر على البنين والبنات، لم يكن الروح القدس فى العهد القديم يحل على المرأة، لأنه لا يوجد لها مهام معينة، إنما فى العهد الجديد حل الروح القدس على ستنا مريم، وكل إنسانة تدهن بالميرون بعد المعمودية، فهنا العلامة المميزة الفرق بين عمل الروح القدس قبل يوم الخمسين وعمل الروح القدس بعد يوم الخمسين.

فأولاً عمل الروح القدس: فى العماد تدفق سيل جارف من النعم والمواهب والامتلاء، ولذلك كل واحد يتعمد يمسح بالميرون بعد المعمودية مباشرة ويأخذ مسحة الروح القدس، ونصبح بموجب هذه المسحة أنبياءً وملوكاً وكهنة، كل مسيحى يمسح بالروح القدس يصبح نبى وملك وكاهن، طبعاً بالمعنى العام وليس بالمعنى الخاص. فنبى بمعنى اطلاعنا على أسرار العهد الجديد، فلا يوجد فى العهد الجديد معلومات معينة تقال لمسيحى دون مسيحى آخر. كل علم الكتاب المقدس والمعرفة الروحية ممكن تعطى لكل واحد. هذا معنى النبوءة، كذلك ملك بالمعنى العام للكلمة بمعنى ملك على ذاته أنه يصبح سيد نفسه، وضابط روحه كما يقول سليمان الحكيم خير من فاتح مدينة، يملك ذاته يملك لسانه فيصبح الإنسان ملكاً، ملكاً على ذاته لا يملكه أحد لا يسيطر عليه أحد، لا يملكه الشيطان، هو سيد ذاته. وكاهن لأنه يقدم ذبيحة حية مقبولة أمام الله، وكاهن لأنه يقدم ذبيحة الصلاة، والصلاة ذبيحة بهذا المعنى، ثم كاهن لأنك تقدم أيضاً ذبيحة العطاء مثل ما قال الرسول بولس لا تنسوا فعل التوزيع والعطاء لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله، فكأن العطايا والقرابين التى نحن نعطيها للفقراء والمساكين والملاجئ وللمحتاجين هذا

العطاء ذبيحة، فالصلاة ذبيحة، والعطاء لله ذبيحة، وأيضاً أن يقدم الإنسان ذاته ذبيحة حيّة مقدسة عبادتكم العقلية هذه ذبيحة، وهذا ما يسمى بالكهنوت العام، جعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه، كما جاء فى سفر الرؤيا. الكهنوت العام لجميع المسيحيين بالمسحة المقدسة، بالميرون كل واحد يصبح كاهناً، الكهنوت العام غير الكهنوت الخاص الذى يعطى بموهبة أخرى، وعطية أخرى وهو سر الدرجة وسر الكهنوت، الذى يعطى لبعض الناس لكى يقدروا به أن يمارسوا عمل الخدمة وتوزيع مواهب الروح القدس على الآخرين، وهذا هو الفرق بيننا وبين البلموس الذين يسموا أحياناً بالأخوة، أنهم يقولوا كلنا كهنة، نحن نقول أن المؤمنين المسيحيين المعمدين الممسوحين بمسحة الروح القدس لهم الكهنوت العام، وهو غير الكهنوت الخاص الذى يعطى لأشخاص لكى يتأهلوا بهذه الموهبة الخاصة وهى سر الدرجة أو سر الكهنوت ليقوموا بالخدمة لآخرين. لأن هناك بعض الناس فى العهد القديم لما سمعوا ربنا يقول أنتم كهنوت مقدس وأمة مقدسة، قام جماعة قورح وداثان وابيرام قالوا خلاص الأمة كلها مقدسة، لا يوجد ميزة، تساوت الرؤوس، لا داعى أبداً لموسى ولا للكهنوت ولا لهارون. فاغتاظ موسى وصرخ لربنا فقال له الله اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم. فدخل إلى الهيكل ٢٥٠ واحد وكل واحد أخذ مجمرة أو مبخرة (شورية) وهم يبخروا، فنزلت عليهم نار من السماء وأحرقتهم جميعاً وماتوا، فموسى قال لهارون دع اللاويين يشدوهم ويخرجوهم ثم دفنوهم ثم كان هناك آخرين متعصبين ثائرين وأصبح فيه مظاهرة، لأنه لم يكن الـ ٢٥٠ فقط لوحدهم، ولكن كان معهم آخرين بعائلاتهم وأولادهم متعصبين معهم، فربنا قال لهم اعتزلوا هؤلاء، ففتحت الأرض فاها وابتلعتهم جميعاً، فنزلوا كما قال الكتاب أحياء إلى الهاوية، وكان هذا درس أعطاه الله فى العهد القديم للذين تعدوا على الكهنوت، أو يزعموا أنهم يستطيعوا بناء على سوء فهمهم بكلمة كلكم كهنوت وأمة مقدسة، أن كل الناس سواء، كل الناس كهنة، فبنفس الفكرة فى العهد الجديد. فى سفر الرؤيا قال الرسول «كهنوت مقدس» فلا يفهم منه ما فهمه البلموس، وإنما يفهم منه كما فهمته الكنيسة باستمرار، أنه يوجد الكهنوت العام وهذا الكهنوت العام يعطى لجميع الذين يمسحون بمسحة الروح القدس، وهذا غير الكهنوت الخاص.

اضرام المسحة المقدسة:

المهم أنه بعد ذلك هذه المسحة المقدسة تحتاج إضرام، يقول «اضرم موهبة الله التى فيك» اشعلها، عندك نور، عندك نار، لازم أولاً تحافظ عليها، عندك لمبة لازم تضع لها وقود وإلاّ

الوقود ينتهى، لازم تنظف مفاتيح اللمبة حتى الغبار لا يعوق مرور النور، لازم تصلح الفتيل، تسقط الأشياء المحترقة من الفتيل لئلا تمنع توهج الضوء، فلكى تضمن أن اللمبة تستمر والضوء يبقى متوهج، أولاً لازم تزودها بالوقود، ويكون لها نصيب من الأوكسجين مستمر، لأنك لو كتمت على اللمبة من فوق ومنعت عنها الأوكسجين تنطفئ. لابد أيضاً تنظف المفاتيح، ولازم تنظف الفتيل، أى هناك عمليات ثانية ، الأول الشعلة، وبعد الشعلة محتاج إنك تحافظ عليها وتنميها، إذن نحن أخذنا مسحة الروح القدس لكن لازم ننمى عطية الله، وهذا هو دور العبادة، هذه هى خدمة العبادة التى تضرم موهبة الروح القدس، تشعل موهبة الروح القدس، الصلاة، والقراءات، والتأملات المقدسة، والتأمل فى سير القديسين، ومراقبة النفس مراقبة مستمرة، ومحاسبتها محاسبة مستمرة، ودوام الاعتراف، والتناول، التقدم للأسرار المقدسة، كل هذا يشعل ويضرم موهبة الله وينظف أول بأول الفتيل ويشعل ويعطى وقود مستمر، يضمن استمرار الموهبة وإلاّ تنطفئ يقول «لا تطفئوا روح الله». إذن فى إمكاننا أن نطفئ، تقدر أن تطفئ وتقدر أن تضرم، الإشعال هنا هو دور العبادات أو الرياضات الروحية، المقصود بها أنت وقد أخذت موهبة الروح القدس فى سر الميرون، مطلوب منك وسائط الخلاص التى تكون لإضرام وإشعال وإلهاب وتطهير وتنقية جسمك، وتنقية الأشياء المعطلة التى تعطل عمل الروح القدس.

إذا أضرمت عمل الروح القدس، يتولد عنه روح السلام، وروح المحبة، روح الإيمان الذى بلا فحص، يزداد عندك روح الرجاء الذى لا ينقطع ولا يخيب، روح الحب الذى يرتفع للعالم كله، ومواهب الخدمة تتوالد، وموهبة تميز الأرواح تتولد، موهبة الإفراز، موهبة العلم الإلهى، ويكون الجميع متعلمين من الله العلم الذى يسموه العلم اللدونى الذى من لدن الله، مثل ما يقول «ولستم فى حاجة أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها وهى حق وليست كذباً» ومثل ما قال سيدنا له المجد عن الروح القدس: «ويعلمكم كل شئ » ويعلمكم، تجد فيه نور فى الداخل ينير القلب، يرشدك لحالة لم تكن تعرفها، نوع من بثق المعرفة فى قلبك نتيجة إضرام موهبة الروح القدس التى أخذتها، عندما تنير تكشف أولاً ما فى قلبك من خبايا، تعرفك بالنقائص التى فيك، تنور شعورك وإحساسك ومحبتك، تجد نفسك ازددت حساسية وازددت رقة فى نظرتك إلى الأمور وفى نظرتك إلى الآخرين، وحتى فى نظرتك إلى الحيوان وإلى الحشرات تمتلئ بالعطف على الخليقة، تمتلئ بالعطف على الحيوان، كل هذه مواهب تتولد، تتولد شيئاً فشيئاً روح القداسة، روح القداسة ينمو فيك، غيرتك الروحية على القداسة والطهارة والنقاء، كراهيتك

تخطيئة وكراهيتك للشر، «كونوا كارهين الشر ملتصقين بالخير»، هذه الكراهية تتولد عن الروح القدس إذا أُضرم، لكن ما لم يضرم الروح القدس تظل فيك حياة الصراع بين الخير والشر، وتستمر تميل للشر وقلبك متعلق به، لكن كل ما أُضرم بالعبادة عمل الروح القدس فى القلب يزداد، تجد قلبك نفسه أصبح يكره الخطيئة مثل ما يكون قطعة لحم معفنة لا تطيقها، تكون كريهة بالنسبة لك كونوا كارهين الشر ملتصقين بالخير.

فعمل الروح القدس باضرام بالعبادات الروحية يصل بنا إلى المواهب والعطايا، يصل بنا إلى الإيمان الذى بلا فحص، إلى الرجاء، إلى الحب، يصل بنا إلى عمل المعجزات، أحياناً يخبركم بأمور آتية، فى بعض القديسين العاديين ليسوا من الكهنة ولا من رجال الدين ولا من الرهبان، تجد الروح القدس يكشف لهم المستقبل إلى أمور آتية، مثل قطار السكة الحديد لما الكشاف يرمى كيلو أمامه، فيستطيع السائق أن يرى الذى أمامه، فالروح القدس يتحول إلى نور يرمى للأمام، يجعل الإنسان يرى أشياء فى المستقبل، وهى روح النبوءة بالمستقبل، وهكذا مواهب مختلفة يعطيها الروح القدس بعد الإضرام بالعبادات والرياضات الروحية.

نكتفى بهذا ونعمة الرب تشملنا جميعاً، ولإلهنا الإكرام والمجد إلى الأبد آمين.

شرح مبسط
لقانون الإيمان

شرح قانون الإيمان

مقدمة تاريخية عامة عن قانون الإيمان

ومن الذى وضعه

قانون الإيمان الذى مطلعه «نؤمن بإله واحد». كل الناس المؤمنين بالمسيح يعرفونه ويرددونه، شرقاً وغرباً. إنه معروف فى كل العالم المسيحى، معروف عند الشرقيين وعند الغربيين أيضاً.

إنه يرجع فى تاريخه إلى عام ٣٢٥م، وهى السنة التى انعقد فيها المجمع المسكونى الأول المعروف بمجمع نيقية، وهى مدينة من مدن آسيا الصغرى (وهى الآن تركيا) بدعوة من الامبراطور قسطنطين الكبير للنظر فى بدعة أريوس الرجل الذى كفر بلاهوت السيد المسيح، وزعم أنه ليس أزلياً مع الآب. فانعقد هذا المجمع من ٣١٨ أسقفاً، من أبرز وأعلم أساقفة العالم المسيحى يمثلون جميع البلاد المسيحية. وقد حضر هذا المجمع من بلادنا المصرية البابا الكسندروس الأسكندرى (وهو التاسع عشر فى سلسلة باباوات الأسكندرية وبطاركة الكرازة المرقسية)، وتلميذه الشاب البطل الغيور القديس الشماس أثناسيوس الذى صار فيما بعد بابا الأسكندرية الملقب بالبابا أثناسيوس الرسولى (وهو العشرون فى سلسلة باباوات الإسكندرية). (٢٩٩- ٣٧٣)م.

انحرف أريوس عن الإيمان الأرثوذكسى فى السيد المسيح، وقال إن المسيح ليس أزلياً، فراجعه البابا الكسندروس مبيناً له التعليم الصحيح الذى تسلمته الكنيسة منذ تأسيسها، وهو أن السيد المسيح هو الله الظاهر فى الجسد، وأن السيد المسيح له وجودان، وجود قبل الزمان أى منذ الأزل، ووجود آخر فى الزمان عندما حل بلاهوته فى سيدتنا مريم العذراء، واتّخذ منها جسداً بشرياً كاملا. وإذن فربنا يسوع المسيح كان كائناً قبل ظهوره فى الجسد، كان كائناً قبل خلق العالم، وقبل كل الدهور، وهو مع الآب والروح القدس إله واحد، كائن منذ الأزل وإلى الأبد.

وفى سنة ٣٨١م انعقد المجمع المسكونى الثانى، المعروف بمجمع القسطنطينية المسكونى بسبب بدعة أثارها رجل اسمه مقدونيوس، وأكمل هذا المجمع الجزء الثانى من قانون الإيمان فى صيغته الحالية، شارحاً الكلام عن أقنوم الروح القدس ولاهوته وتحدث أيضاً عن علامات

الكنيسة الأربع ولقبها بالكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية وعن سر المعمودية المقدس، وعن عقيدة قيامة الموتى والحياة الأخرى.

وعلى ذلك فقانون الإيمان وضعه مجمع نيقية المسكونى سنة ٣٢٥ وأكمله مجمع القسطنطينية المسكونى سنة ٣٨١م.

نص قانون الإيمان

نؤمن بإله واحد.

الله الآب، ضابط الكل (القادر على كل شيء)، خالق السماء والأرض، ما يرى وما لا يرى.

و (نؤمن) برب واحد، يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، واحد مع الآب فى الجوهر، الذى به كان كل شيء، هذا الذى من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء. تأنس، وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى، وتألم وقبر، وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب، وصعد إلى السماوات، وجلس عن يمين أبيه، وأيضاً يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات، الذى ليس لملكه إنقضاء.

و (نؤمن) بالروح القدس، الرب المحي، المنبثق من الآب. نسجد له ونمجده مع الآب والابن، الناطق فى الأنبياء.

وبكنيسة واحدة، مقدسة، جامعة، رسولية.

ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا.

وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى آمين.

وفيما يلى شرح لنصوص هذا القانون، وأهم ما يشتمل عليه من عقائد:

أولا - الله والخليقة

نظام العالم وقوانين الطبيعة برهان قاطع على وجود الله.

نقول فى قانون الإيمان «نؤمن بإله واحد» وهذه العبارة تنطوى على حقيقتين.

الحقيقة الأولى: إننا نؤمن بوجود الله.

والحقيقة الثانية: إن الله واحد.

ونتناول هنا الكلام عن وجود الله.

يقول العامة «الله لا يره أحد، ولكن الناس عرفوه بالعقل» وهذا صحيح، بمعنى أنه ليس فى مقدور الإنسان فى إمكانياته الحاضرة أن يشاهد لاهوت الله كما هو فى حقيقته، ولكنه يمكن أن يحكم بعقله أن الله كائن، وهو الذى أوجد العالم وخلقه من العدم.

ويقول الرب نفسه لموسى النبى عندما اشتهى موسى أن يراه «لا تستطيع أن ترى وجهى لأنه لا يرانى إنسان ويعيش» (سفر الخروج ٣٣: ٢٠). وقال عنه مار بولس «الذى له وحده الخلود، ساكناً فى نور لا يقترب منه، الذى لم يره أحد من الناس، ولا يقدر أن يراه» (١. تيموثيئوس ٦: ١٦).

نعم نحن لا نقدر الآن أن نرى الله، ولكننا سنراه فيما بعد، عندما نترك هذا الجسد وهذه الحواس الجسدية المحدودة وهى الحواس الخمس: النظر والسمع والشم والذوق واللمس، عن طريق العين والأذن والأنف واللسان واليد، ونذهب إلى العالم الباقى بعد الموت.

أما ونحن فى هذا الجسد الحاضر، وبهذه الحواس المحدودة، فلا نستطيع أن نرى الله، لأنه إذا كنا لا نستطيع أن نرى الأشياء البعيدة جداً، ولا نستطيع أن نسمع الأصوات من مسافات بعيدة، لأن عيوننا وآذاننا ليس فى مقدورها ذلك، فبالأحرى لا نستطيع أن نرى الله بعيوننا.

لكننا نفهم بعقولنا أن الله كائن.

فأنت لا ترى الهواء لكنك تؤمن بوجوده عندما يتحرك فيحرك الشباك أو الباب أو ورق الأشجار ويثير التراب فى الجو.

فإذا أردت أن ترى الله هنا فى هذا العالم، فيمكنك أن **تراه فى مصنوعاته وخلائقه، وفى نظام الكون العجيب، وفى قوانين الطبيعة**، لأن كل هذه الأشياء تبرهن على وجود إله ذى عقل جبار صنع كل شىء بحكمة وترتيب محكم جميل.

تأمل **نجوم السماء** وهى كثيرة جداً لا يحصيها العد، وكل نجم منها أكبر كثيراً من الأرض التى نعيش عليها، ومع ذلك فهذه النجوم التى تزيد فى عددها عن الملايين تدور حولنا وتتحرك بسرعة هائلة، وعلى الرغم من أنها معلقة فى الفضاء الواسع بدون أعمدة تسندها ولا حبال تربطها، ولكنها ثابتة لا تسقط على الأرض، ولا تصطدم ببعضها بعضاً ولا تصطدم بالأرض، لأن الله الذى خلقها وضع لها مسارات محددة لا تتعداها ولا تتخطاها.

تأمل كذلك **الشمس** التى تشرق علينا بنورها فتضىء الكون كله، وترسل لنا الحرارة والدفء اللازمين لحياة النبات والحيوان والإنسان، هى أيضاً تبعد عن أرضنا بمسافة تبلغ نحو ٩٣ مليون ميل. فلو أن هذه المسافة نقصت إلى ٩٢ مليون ميل لاحترقت الأرض وما عليها بفعل حرارة الشمس المحرقة. ولو أن هذه المسافة زادت عن وضعها الحالى لتجمدت الأرض

وماتت الناس والحيوانات والنباتات من شدة البرد. ومعنى ذلك أن الشمس تبعد الآن عن الأرض المسافة اللازمة لحفظ الحياة على الأرض. وهذا يدل على أن هذه المسافة هى من تدبير العقل الإلهى الذى يحكم الكون بحكمة مذهلة.

تأمل أيضاً هذه **الشمس المشرقة**، كيف أن الأرض تدور حولها، ونتيجة لهذا الدوران تتكون فصول السنة الأربعة من ربيع إلى صيف إلى خريف إلى شتاء، كل منها يمتد إلى ثلاثة شهور كاملة. والربيع يجيء دائماً فى ٢١ من مارس، والصيف فى ٢١ من يونيه، والخريف فى ٢٣ من سبتمبر، والشتاء فى ٢٢ من ديسمبر. وهذه الفصول تذهب وتجيء فى كل عام فى أوقاتها المحددة بلا تخلف، مما يدل على أن حركة الأرض حول الشمس حركة منظمة. وبناء عليها يصير طول النهار كطول الليل فى الاعتدال الربيعى (٢١ من مارس) والاعتدال الخريفى (٢٣ من سبتمبر)، بحيث يكون النهار ١٢ ساعة والليل ١٢ ساعة مثله. أما النهار فى ٢١ يونيه فيبلغ فى بلادنا ١٤ ساعة، بينما الليل يبلغ ١٠ ساعات والعكس فى ٢٢ من ديسمبر فيصير الليل ١٤ ساعة والنهار ١٠ ساعات.

وتأمل **القمر** أيضاً الذى يضيء علينا بالليل وكيف يدور حول الأرض كل شهر دورة تكتمل فى نحو ٢٩ يوماً. تأمله وهو هلال صغير يكبر ضوؤه يوماً فيوماً إلى أن يبلغ كماله فى الرابع عشر من الشهر، فيصير بدراً تاماً. ثم يأخذ فى النقص حتى يصير فى المحاق. كل هذا يحدث فى كل شهر بنظام ثابت دقيق لا يتغير ولا يتبدل مما يدل على قوة جبارة، وعقل كبير يحكمه، وهو عقل الله الذى يملأ مجده السماوات والأرض.

وهذا القمر الذى يدور حول الأرض يعكس علينا نور الشمس فى الأوقات التى يختفى ضوؤها عنا حتى لا تحرم من النور أثناء الليل، ألا يدلنا هذا على رعاية الله لنا وعنايته بنا؟

وهذا القمر يبعد عن أرضنا نحو ٣٠٠,٠٠٠ ميل أو على الدقة ٢٧٦,٠٠٠ ميل، وهو لذلك يحفظ وضع المحيطات والبحار فى أماكنها. فلو أن القمر اقترب إلينا أكثر من وضعه الحالى فماذا كان يحدث؟ سوف يجذب المياه إليه، ويحدث نتيجة هذا ما يسمى بالمد، ولكنه سيكون فى هذه الحالة مداً عظيماً جداً بحيث تخرج المياه من المحيطات والبحار وتغرق الأرض كلها، فيموت الناس والحيوان ويموت النبات أيضاً، ولكن قوة الله هى التى رسمت أن يبعد القمر عن الأرض مسافة معينة محدودة، هى المسافة التى تحفظ حياة البشر وحياة سائر الكائنات.

وتأمل **النبات** أيضاً فماذا ترى؟

ألا ترى أن الأرض واحدة ومع ذلك تنبت عليها نباتات متنوعة من الحشائش والأشجار والخضروات والبقول والفواكه، وكل نوع منها يتميز بمميزات خاصة يعرف بها بحيث يمكن أن نقول إن هذه برتقالة، وهذه بصلة، وهذه جزرة، وهذه بطيخة.. الخ لأن كلا منها له صفات معينة يتميز بها فى حجمه، وشكله، ولونه، وطعمه، ورائحته، وكل منها ينتسب إلى عائلة نباتية معينة.

خذ على سبيل المثال الرمانة وتأمل تركيبها وفصوصها، وكيف أن حباتها متجاورة بنظام هندسى خاص تفصل بينها فواصل بيضاء رقيقة وتضمها جميعها قشرة من نوع خاص ولها صلابة خاصة،وشكل خاص تتميز به عن البرتقالة أو عن الكمثرى أو عن جوز الهند أو الفجل أو الطماطم. ألا يدل هذا كله على عقل عظيم صنع كل شيء بنظام وحكمة عالية؟

ثم انظر كيف أن كل نبات يمتص من الأرض الأملاح التى تناسبه، وبالمقادير التى يحتاج إليها بالضبط، وهكذا يأخذ من الشمس النور، والحرارة، واللون، والطعم، والرائحة.

خذ مثلا التفاحة أو البطيخة، أو واحدة من الطماطم، تجدها تمتص من التربة شيئا من السكر، وشيئا من الملح، وشيئا من الكربون، وغيره، بمقادير معينة تختلف فى التفاح، عنها فى البطيخ، عنها فى الطماطم، مما يدل على أن هناك عقلا يحكم هذا التركيب الكيميائى.

وما نقوله عن النباتات نقوله عن **الحيوانات** ونقوله أيضاً عن تركيب **جسم الإنسان**.

تأمل كيف يتكون **جسم الإنسان** من أعضاء كالعينين والأذنين والأنف والفم واليدين والرجلين وتأمل تركيبه الداخلى كالقلب والرئتين والمعدة والأمعاء والكبد والكليتين إلى غيرها من الأعضاء الصغيرة والشرايين والأوردة والأعصاب والعضلات والعظام. كل منها مركب تركيباً فنياً يدل على حكمة عالية وغاية سامية لمصلحة الجسم كله، وهى تتعاون معاً فى تآلف وانسجام تحت رقابة العقل. الذى يشرف عليها ويوجهها.

خذ مثلا **العين** وتأمل تركيبها وكيف تستقبل صور المرئيات من خلال عدستها. وفى سبيل الإبصار تتعاون أجزاؤها المختلفة كالقرنية والقزحية والشبكية والعصب البصرى، كل جزء منها يؤدى عملا يختلف عن الآخر.

وتأمل **المخ** وكيف يستقبل المعلومات والأخبار والمعارف المختلفة فى شتى أنواع العلوم والدراسات، ومع ذلك تصير هذه المعلومات متميزة غير مختلطة بحيث يمكن للإنسان أن يسترجعها عندما يريد.

وهكذا قل عن **الأذن** التى تتألف من أذن خارجية، وأذن وسطى، وأذن داخلية وستة آلاف وتر، **واللسان** الذى يتألف من تسة آلاف حلمة، بعضها يختص بمذاق الأشياء الحلوة، وبعضها لتذوق الأشياء المرة، وبعضها الثالث لتذوق الأشياء الحاذقة أو الحريفة. **وتأمل الأسنان** وعددها فى كل إنسان، اثنتان وثلاثون سنة، فى كل فك أربعة قواطع لتقطيع الطعام وقضمه، ونابان لتمزيقه وأربعة ضروس أمامية لمضغه، وستة ضروس خلفية لطحنه.

وقل مثل ذلك فى كل عضو من أعضاء الجسم، وفى كل جهاز من أجهزته المختلفة، ففى كل منها يبدو النظام والتوافق كما تبدو الحكمة العجيبة فى تركيبه وفى عمله.

وبالإجمال، إن التأمل فى الطبيعة الجامدة والحية، والنظر فى السماوات والأرض وما اشتمل عليه كل ذلك من نظام بديع يدلنا على وجود خالق حكيم، أبدع السماوات والأرض بهندسة رائعة وفن عظيم ودقة كاملة.

لذلك قال سفر المزامير «**السماوات تنطق بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه**» (مزمور ١٨: ١).

وجاء فى سفر أيوب «**اسأل البهائم فتعلمك، وطيور السماء فتخبرك، استفهم الأرض فتلقنك وأسماك البحر تحدثك، من لا يعلم من كل هؤلاء أن يد الرب صنعت هذا**» (أيوب ١٢: ٧).

ويقول القديس أوغسطينوس « سألت الأرض فأجابت لست أنا هو الله. سألت البحر وأعماقه وما فيه من زواحف وأحياء فأجابتنى كلها: لست أنا الله. سألت النسيم العليل والعاصفة العاتية والهواء وما فيه من عناصر فقيل لى أنت مخطىء أنا لست الله. سألت السماء والشمس والقمر والكواكب فأجابتنى كلها: لست أنا مطلبك. ناجيت جميع الخلائق التى تحيط بمنافذ حواسى الجسدية فقالت لى: إن الله ليس هنا. إذن نبئينى أين هو؟ **فصرخت كلها بصوت واحد: هو الذى صنعنا**». (١)

---

(١) كتاب «الاعترافات» للقديس أوغسطينوس، الكتاب العاشر الفصل السادس.

ثانيا ـ وحدانية الله

يقول البند الأول من قانون الإيمان «نؤمن **بإله واحد**». وهذا معناه أن الكنيسة المسيحية تؤمن بوحدانية الله، وأن الله إله واحد، وليس غيره إله، وهى فى هذا ترفض مبدأ الشرك، مبدأ الذين يقولون بآلهة كثيرة، وهم الوثنيون الذين يقولون بتعدد الآلهة.

١ ـ ولقد اهتم آباء الكنيسة بنشر مبدأ الوحدانية والدفاع عنه، وذلك فى كل العصور ولا سيما العصور الأولى حيث كان الوثنيون ينادون بآلهة متعددة. وأخذ الآباء يبرهنون للوثنيين بالدليل العقلى على أن الشرك محال لا يقبله العقل السليم، **وأن الله يجب أن يكون واحداً، ولا يمكن إلا أن يكون واحداً**. وقد وضعوا فى هذا مؤلفات تعد الآن تراثاً ثميناً للكنيسة.

نصوص الكتاب المقدس:

٢ ـ ونصوص الكتاب المقدس صريحة فى تقرير مبدأ الوحدانية.

يقول النبى موسى «اعلم اليوم وردد فى قلبك أن الرب هو الإله فى السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل، **ليس سواه**» (التثنية ٤ : ٣٩).

ويقول الرب «إنى أنا هو **ولا إله معى**» (التثنية ٣٢ : ٣٩) ويقول أيضاً «أنا الأول وأنا الآخر **ولا إله غيرى**» (إشعيا ٤٤ : ٦). «أنا الرب وليس آخر ولا إله سواى» (إشعيا ٤٥ : ٥) «أنا الرب ولا إله آخر غيرى. إله بار ومخلص، ليس سواى» (إشعيا ٤٥ : ٢١).

٣ ـ وجاء أيضاً فى العهد الجديد توكيداً لوحدانية الله.

«إن **واحداً** هو الصالح وهو الله» (إنجيل متى ١٩ : ١٧)، (مرقس ١٠ : ١٧)، (لوقا ١٨ : ١٩).

«فإن **الله واحد**» (رومية ٣ : ٣٠).

«**لا إله غير واحد**» (١ . كورنثوس ٨ : ٤).

«لنا **إله واحد** الآب الذى منه كل شىء» (١ . كورنثوس ٨ : ٦).

«لكن **الله واحد**، الذى يعمل الكل فى الكل» (١ . كورنثوس ١٢ : ٦).

«**إله واحد** وآب واحد للكل الذى على الكل» (أفسس ٤ : ٦).

البسملة :

٤ ـ ولا تنس ـ وأنت ترسم الصليب على وجهك، أنك تعترف بهذه الوحدانية. فأنت تضع أصبعك السبابة على جبهتك إشارة إلى أن الله فوق جميع الخلائق، وتقول: «باسم الآب». وتنزله على صدرك وتقول: «والابن» إشارة إلى نزول المسيح من السماء وتجسده. ثم تضعه على كتفك الأيسر وتنقله إلى الأيمن وأنت تقول: «والروح القدس»، إشارة إلى انتقالنا بعمل الروح القدس فى المعمودية من أهل اليسار إلى أهل اليمين. ثم تختم بقولك: «**الإله الواحد**» توكيداً لعقيدة التوحيد...

٥ ـ وهكذا أيضاً تردد دائما فى صلواتك الخاصة فى البيت وفى الكنيسة، قانون الإيمان فتبدأ بهذه العبارة «نؤمن **بإله واحد**».

وفى صلوات القداس يردد الكاهن فى أوشية السلام قوله «اقتنا لك يا الله مخلصنا، فإننا **لا نعرف (إلهاً) آخر سواك**»

الله واحد فى الجوهر
مثلث الأقانيم

١ ـ بعد أن عرفنا أن الله واحد، شاء الله نفسه أن يكشف لنا عن طبيعته، ويدخل بنا خطوة أخرى متقدمة فى سبيل فهم طبيعة هذه الوحدانية، فعلمنا عن تثليث أقانيمه. والأقانيم جمع أقنوم وهى كلمة سريانية سامية دخلت إلى العربية واستخدمت فى استعمال خاص بالنسبة لله ـ فالأقانيم صفات وخاصيات تقوم عليها الذات الإلهية، ومن دونها لا تقوم الذات الإلهية.

٢ ـ والتثليث تعليم سماوى أعلنه الله نفسه لنا فى كتابه المقدس. وقد أشار إليه أولا فى العهد القديم وتحدث عنه صريحاً فى العهد الجديد.

ففى العهد الجديد أعلنه المسيح له المجد بنفسه عندما أمر تلاميذه القديسين ورسله الأطهار قائلا «فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (الإنجيل للقديس متى ٢٨ : ١٩) فالآب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم فى الله الواحد، ولذلك لم يقل «بأسماء» الآب والابن والروح القدس بل قال «باسم الآب والابن والروح القدس» نظراً لأن الله واحد.

٣ ـ وقد ظهر الثالوث القدوس علناً عند عماد السيد المسيح فى نهر الأردن، فبعد أن غطس يسوع المسيح فى ماء نهر الأردن وصعد منه، إذا السماوات قد انفتحت له، والروح القدس ينزل عليه من السماء بهيئة جسمية، مثل حمامة واستقر عليه، وصوت ينادى من السماء ويقول «هذا هو ابنى حبيبى الذى به سررت» (متى ٣: ١٦، ١٧)، (مرقس ١ : ٩– ١١)، (لوقا ٣: ٢١، ٢٢)، (يوحنا ١ : ٣٢– ٣٤). لذلك يسمى «عيد الغطاس» عندنا بعيد «الظهور الإلهى» (الابيفانيا) أيضاً، لأن الله الواحد ظهر فيه بأقانيمه الثلاثة، الآب من السماء يقول «هذا هو ابنى حبيبى الذى به سررت»، والابن هو الكلمة المتجسد، الغاطس فى نهر الأردن، وأما الروح القدس فقد ظهر بهيئة جسمية مثل حمامة واستقر على رأس الكلمة المتجسد. والواقع أن الروح القدس كائن مع الابن وكذلك الآب كائن مع الابن والروح القدس. وأما هذا الحلول فهو «ظهور» من أجل الناس الذين كانوا يشاهدون، ومن أجلنا نحن أيضاً لكى نعرف من هو المسيح المحتجب لاهوته فى الجسد.

٤ ـ وكذلك ينص على القول به صراحة ماريوحنا الرسول فى رسالته الأولى بقوله «فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة، والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد.» (رسالة يوحنا الأولى ٥: ٧).

٥ ـ على أنه ليس هناك تعارض أو تناقض بين القول بالوحدانية والقول بالتثليث. كان يمكن أن يكون هناك تناقض لو قلنا بثلاثة آلهة، لكنه ثالوث أقانيم فى الإله الواحد. فالوحدانية من جهة، وأما التثليث فمن جهة أخرى. الله واحد لأن اللاهوت واحد، والجوهر الإلهى واحد، والذات الإلهية واحدة. إنه تثليث أقانيم وليس تثليث ذوات أو جواهر.

٦ ـ ونحن عندما نرسم الصليب نذكر الأقانيم الثلاثة: الآب والابن والروح القدس، لكننا نختم بترديد هذه العبارة المهمة «**الإله الواحد**» فنحن على الرغم من تثليث الأقانيم نؤمن إذن **أن الله واحد**.

٧ ـ ومع ذلك فليس التثليث معناه أن الله منقسم إلى ثلاثة أقانيم، لأن الله روح بسيط لا يقبل الانقسام لأنه ليس جسمانياً ولا مادياً، لكن كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة هو الله نفسه متميزاً بخاصية معينة. **فالآب هو الله** من حيث هو أصل الوجود. **والابن هو الله** من حيث هو حكمة الله وهو القوة العاقلة العظمى. **والروح القدس هو الله** من حيث هو أصل الحياة وباعث الحياة فى كل الوجود.

٨ ـ ونحن نردد فى قانون الإيمان اعتقادنا بالإله الواحد المثلث الأقانيم. فبعد أن نقول «نؤمن **بإله واحد**» نقول:

الله الآب ضابط الكل:

وصف قانون الإيمان الله الآب بأنه (ضابط الكل) لأنه هو الذى يحكم الكون ولا يقع فيه شىء من دون علمه، ولا يحدث شىء من غير إذنه وسماحه. **فهو القدير، القادر على كل شىء.**

خالق السماء والأرض؛ ما يرى وما لا يرى:

وهو أيضاً الخالق للسماوات وللأرض وكل ما فيها من كائنات وموجودات حية، مرئية وغير مرئية. أما الموجودات المرئية فى الأرض فهى الجبال والبحار والنباتات والحيوانات والناس. وأما الموجودات غير المرئية فهى الملائكة والأرواح الناطقة العاقلة التى لا جسد لها من طبيعة جسدنا، وقد تظهر أحياناً لبعض الناس فى بعض الظروف ولكنها فى طبيعتها غير منظورة.

و (نؤمن) برب واحد يسوع المسيح:

بعد أن تكلم قانون الإيمان عن الأقنوم الأول، انتقل إلى الكلام عن الأقنوم الثانى وهو الرب يسوع المسيح، وهو رب واحد لأننا لا نؤمن إلا بإله واحد ورب واحد وهو يسوع المسيح الذى هو كلمة الله ظاهراً فى الجسد.

ابن الله الوحيد:

يسوع المسيح هو ابن الله لأننا رأينا فيه الله الغير المنظور، وهو ابن الله لأنه فى لاهوته من طبيعة الله وجوهره. وليس فى لغة البشر غير تعبير «الابن» للدلالة على المطابقة التامة بين «الرب يسوع المسيح» وبين «الله الآب». ولهذا السبب قال المسيح له المجد لفيلبس تلميذه «**من رآنى فقد رأى الآب**... صدقونى أنى فى أبى وأن أبى فىّ» (يوحنا ١٤: ٩- ١١) ويقول «أنا وأبى نحن معاً واحد» (يوحنا ١٠: ٣٠).

وهو ابن الله «**الوحيد**» لأنه ليس له نظير فى هذه البنوة. لأن البنوة المقصودة فى الوحدة الثالوثية ليست كالبنوة الطبيعية فى مملكة الحيوان أو فى مملكة الإنسان.

فالبنوة فى عالم الحيوان أو الإنسان بنوة مادية جسمانية تقتضى التوالد كما أنها تقتضى أن يكون الوالد أسبق من ولده فى الزمن. فإذا قلنا إسحق بن إبراهيم فمعروف أن إبراهيم كان موجوداً أولا ثم جاء إسحق بعد ذلك. أما الابن فى الوحدة الثالوثية فهو أزلى مع الآب ولا يمكن أن نتصور لحظة واحدة من الزمان كان فيها الآب ولم يكن الابن كائناً معه.

المولود من الآب قبل كل الدهور:

وإذن فالابن كائن قبل التجسد، وقبل الخليقة، وقبل كل الدهور. هو إذن كائن منذ الأزل.

نور من نور:

إن هذه البنوة ليست بنوة جسدية ولا بنوة زمنية بل هى بنوة روحانية هى كولادة النور من النور.

يقول الأنبا ساويرس بن المقفع من آباء القرن العاشر: «تريد الآباء فى هذا الموضع أن تبين لنا كيفية ولادته من الآب قبل كل الدهور، فقالوا أن مولده من الآب كتولد النور من النور، تعنى بقولها أن هذا الضوء الذى نراه ونشاهده، متولد من النور بلا زمان، وبلا انفصال، وأنه يوجد أبداً بوجوده. وأيضاً فإن شعاع الشمس متولد من ذات الشمس، وضوء النار متولد من النار.

فولادة الابن من الآب هو على هذه الجهة، وإن كان أعلى من كل صفة، وفوق كل معرفة. فمن أراد أن يفهم ولادة ابن الله فليفهمه على الوجه الذى ذكره معلمونا الفاضلون أئمة الدين، لا على وجه ولادة المخلوقين. وقد شبه بعض آبائنا أيضاً بتولد الكلمة من العقل والنطق من النفس» (١).

إله حق من إله حق:

لأن الابن هو من طبيعة الآب ومن جوهره. فالمسيح ابن الله ليس كما سمى آدم ابن الله، وليس كما ندعى نحن أولاد الله بالتبنى عن طريق سر المعمودية، لأن بنوتنا نحن أبناء الله بنوة غير طبيعية أو قل هى بنوة نسبية بالتبنى. أما المسيح فبنوته من نوع آخر أى بنوة طبيعية، بمعنى أن لاهوته هو بعينه لاهوت الآب وجوهره والابن إله حقيقى كما أن الآب إله حقيقى، ومع ذلك ليس هناك إلهان بل إله واحد.

مولود غير مخلوق:

إن الابن قد تجسد فى الزمان، لكنه بلاهوته غير مخلوق. هو مولود بأسلوب يعلو عن أفهامنا وبصورة لا نفهمها. لأنه ليس لها نظير فى عالم الموجودات، ومع ذلك فهو غير مخلوق لأنه أزلى مع الآب والروح القدس.

واحد مع الآب فى الجوهر:

لقد قال له المجد: «أنا وأبى نحن معاً واحد» (يوحنا ١٠: ٣٠) وبمعنى آخر أنا والآب جوهر واحد، لاهوت واحد، ذات إلهية واحدة. وليس هناك إلا جوهر واحد، هو جوهر الآب والابن والروح القدس معاً. وإذن فالابن قائم مع الآب والروح القدس فى جوهر واحد.

الذى به كان كل شىء:

وهذا معناه أن الابن هو الخالق، وهى ذات الصفة التى يتصف الله بها، لأن الآب «خالق السماء والأرض ما يرى وما لا يرى». وأما عن الابن فقد قال الكتاب «فى البدء كان الكلمة والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة هو الله. كان منذ الأزل لدى الله، **كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان**، فيه كانت الحياة» (يوحنا ١: ١- ٤) وقال ماريولس الرسول

---

(١) عن مختصر من شرح الأمانة للأسقف ساويرس بن المقفع أورده ابن كبر فى كتاب «مصباح الظلمة» الباب الأول صفحة ١٤٣، ١٤٤، ١٢٦ Patrologia Orientalis XXp. 717, 718, 700.

«الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه الذى جعله وارثا لكل شىء، الذى به أيضاً عمل العالمين» (العبرانيين ١ : ١، ٢).

هذا الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء:

تلك البنود السابقة ينص فيها قانون الإيمان عن المسيح قبل التجسد، وبعدذلك يتكلم عنه من حيث التجسد. فالمسيح الذى نؤمن به أزلى، وهو كائن قبل كل الدهور، لكنه أراد أن يخلص آدم من خطاياه ويخلصنا من الخطيئة الأصلية التى تلوثنا بها عن طريق الوراثة، بولادتنا بالطريق الطبيعى من أبينا آدم وهو أبو الجنس البشرى، لذلك نزل الكلمة من السماء وأخذ صورة البشر، وصار له كيان جسدى منظور ومحسوس وملموس، ولكن هذا الجسد لم يأت بالتوالد الطبيعى كأجسادنا نحن، بل جاء من الروح القدس ومن مريم العذراء. فالروح القدس حل على سيدتنا مريم العذراء، وكون من دمها ولحمها جسداً ذا نفس ناطقة، واتّحد به لاهوت الكلمة. فصار الإله متأنساً، وولد من مريم العذراء الإله المتأنس. ولهذا استحقت مريم لقب (والدة الإله) لابمعنى أنها أصل اللاهوت الذى حل فيها، بل لأنها حملته فى أحشائها بصورة تعلو عن التصور، وولدته بصورة تسمو عن كل تعبير.

تألم وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى وتألم وقبر وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب، وصعد إلى السماوات، وجلس عن يمين الآب، وأيضاً يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات:

وهذا اعتراف بعمل الفداء الذى قام به المسيح الرب. فقد صلب حقاً وتألم فى الجسد، وقبر من غير أن يفارق لاهوته ناسوته، ثم قام منتصراً على الموت فى اليوم الثالث لدفنه. وبعد أربعين يوماً صعد إلى السماوات وهو الآن فى أسمى مكان فى السماء، فى الأعالى، يراقبنا ويقبل صلواتنا. وفى اليوم الأخير المعين يأتى فى مجيئه الثانى للدينونة وللحساب، فيدخل الأبرار إلى النعيم الأبدى فى ملكوت السماوات، والأشرار إلى العذاب الأبدى فى جهنم النار.

الذى ليس لملكه انقضاء:

وهذا معناه أن المسيح كما هو أزلى لا بداءة له، كذلك هو أبدى لا نهاية له. وقد قال عنه الملاك غبريال (جبرائيل) يوم أن بشر العذراء مريم «ولن يكون لملكه انقضاء» (لوقا ١ : ٣٣)

وقال عنه النبى دانيال فى رؤياه «سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول، وملكوته مالا ينقرض» (دانيال ٧: ١٤) والأزلية والأبدية لا يتصف بهما غير الله وحده. وهذا يدل على أن المسيح هو الله ظاهراً فى الجسد أو هو الله المتأنس.

و (نؤمن) بالروح القدس، الرب المحيى المنبثق من الآب:

هذا هو الأقنوم الثالث وهو الروح القدس. والروح القدس هو الله لأن «الله روح» ولأنه قدوس كامل القداسة لذلك فهو الروح «القدس». وهو الله من حيث هو أصل الحياة، وباعث الحياة، وهذا معنى أنه الرب المحيى، لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد. وأما أنه منبثق من الآب فلأن الله ذاته جوهر واحد، والابن والروح القدس قائمان معه فى هذا الجوهر. مثل الثلاثة الأقانيم مثل الشمس: قرصها (أو جرمها) وأشعتها وحرارتها شمس واحدة وليست ثلاث شموس، ومع ذلك فالقرص متميز عن الأشعة وعن الحرارة، ولو أن الأشعة متولدة عن القرص، والحرارة منبعثة من القرص، لكنها منذ وجودها قائمة كلها معاً، فلا يمكن أن نتصور قرص الشمس من غير أشعة ومن غير حرارة، هكذا الله وإن كان ليس له شبيه ومثال، ولكن مَثَل الشمس يقرب لنا تثليث الأقانيم مع وحدانية الجوهر. وكيف أن ولادة الابن من الآب، وانبثاق الروح القدس من الآب ليس معناها أن الله الآب أسبق فى الزمن على الابن والروح القدس، لأنه لا يمكن أن نتصور لحظة زمانية كان فيها الآب وحده ولم يكن الابن والروح القدس معه.

وإذن فالأقانيم الثلاثة كائنة معاً فى جوهر اللاهوت الواحد منذ الأزل وإلى الأبد.

نسجد له ونمجده مع الآب والابن:

لأن الله واحد، والثالوث إله واحد، فنحن نسجد للروح القدس مع الآب والابن سجوداً واحداً للإله الواحد.

الناطق فى الأنبياء:

والروح القدس هو الذى ألهم الأنبياء ويلهمهم، وأوحى إليهم ويوحى إليهم، لأنه هو سر الحياة وسر الحرارة الروحية، وسر الفعالية المقدسة فى كل واحد من الأنبياء والقديسين، وهو الذى أوحى إليهم فكتبوا أسفار الكتاب المقدس.

ويكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية:

١ ـ كنيسة واحدة:

إن وحدة الكنيسة تقوم فى أن جميع المؤمنين المتفرقين على وجه الأرض، يتكون منهم جسد واحد، والمسيح هو رأس هذا الجسد. «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه». (أفسس ٥: ٣٠).

«لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة. (أفسس ٥: ٢٣).

ويجب أن يكون لجميع المؤمنين إيمانا واحد مستقيم الرأى، ويتجه إلى غاية واحدة هى الخلاص النهائى. لذلك فإنه لوحدة الكنيسة يجب أن يتوافر أمران:

أولهما: اتفاق الاعتقادات القويمة ووحدتها.

ثانياً: ألفة المؤمنين ومحبتهم بعضهم لبعض.

يقول ماربولس الرسول فى رسالته إلى أهل أفسس: «فاطلب إليكم، أنا الأسير فى الرب، أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم بها، بكل تواضع ووداعة وبطول أناة محتملين بعضكم بعضاً فى المحبة. مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام. جسد واحد وروح واحد، كما دعيتم أيضاً فى رجاء دعوتكم الواحد. رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة. إله واحد وآب واحد للكل الذى على الكل وبالكل وفى كلكم». (أفسس ٤: ١ – ٦).

ولكن كما أنه إذا انفصل عضو عن الجسد فإنه لا يمكن أن يعد هذا العضو جسداً آخر بل عضواً منفصلاً. كذلك فإنه إذا خرج أناس على الكنيسة، وعاشوا بمعتقد آخر غير المعتقد الأول الأصيل، فإنه لا يمكنهم أن يكوّنوا كنيسة جديدة، بل يعدون هراطقة منفصلين عن الكنيسة الأم، كنيسة المسيح.

قال ماربطرس الرسول فى رسالته الثانية: «ولكن كان أيضاً فى الشعب أنبياء كذبة كما سيكون فيكم أيضاً معلمون كذبة الذين يدسون بدع هلاك. وإذ هم ينكرون الرب الذى اشتراهم يجلبون على أنفسهم هلاكاً سريعاً. وسيتبع كثيرون تهلكاتهم. الذين بسببهم يجدف على طريق الحق. وهم فى الطمع يتجرون بكم بأقوال مصنعة الذين دينونتهم منذ القديم لا تتوانى وهلاكهم لا ينعس». (٢. بطرس ٢: ١ – ٣).

وقال ماريوحنا الرسول: «منا خرجوا. لكنهم لم يكونوا منا ، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا، لكن ليظهروا أنهم ليسوا جميعهم منا». (١ . يوحنا ٢ : ١٩) .

إن وحدة الكنيسة هى مسرة قلب المسيح الذى قال: «ليكونوا جميعهم فى وحدة، كما أنك أنت أيها الآب فىّ وأنا أيضاً فيك، ليكونوا هم أيضاً فى وحدة فينا، كى يؤمن العالم بأنك أنت الذى أرسلتنى» (يوحنا ١٧ : ٢١) .

٢ ـ مقدسة :

فقد نص عنها الرسول بقوله: «... أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، لكى يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة. لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شىء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب» (أفسس ٥: ٢٥– ٢٧) .

٣ ـ جامعة :

فهى تشبه الشبكة المطروحة فى البحر جامعة من كل نوع (متى ١٣ : ٤٧) ومن كل جنس ولون ولسان أى أن رسالتها إلى كل العالم، كما أنها باقية على مر الأزمان.

٤ ـ رسولية :

وذلك لأن كنيسة المسيح الحقيقية يجب أن تكون هى المبنية «على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية». (أفسس ٢ : ٢٠) .

لذلك فإن من يدعى لنفسه الكهنوت دون أن توضع عليه اليد من رؤساء شرعيين رسوليين متصلة سلسلة خلافتهم بالرسل أنفسهم فإنه لا يمكن الاعتراف بدرجته الكهنوتية. كما أوصى مجمع نيقية فى قراراته بإعادة معمودية من عمدوا بيد هراطقة.

٥ ـ ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا :

قال السيد المسيح لنيقوديموس: «الحق الحق أقول لك إن الإنسان ما لم يولد من الماء والروح لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله». (يوحنا ٣ : ٥) .

وقال أيضاً لتلاميذه قبيل صعوده للسماء: «فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨ : ١٩) .

وقال الرسول بولس: «رب واحد إيمان واحد معمودية واحدة» (أفسس ٤: ٥). والمعمودية لا تعاد لأنها مثل موت الرب ودفنه وقيامته من بين الأموات. قال معلمنا بولس أيضاً «مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذى أقامه من بين الأموات». (كولوسى ٢: ١٢).

٦ ـ وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى آمين:

نحن نؤمن أن نفوسنا روحانية، وأنها خالدة لا تموت، وأنها بالموت تنفصل عن أجسادها. فبينما يرقد الجسد فى القبر تصعد النفس إلى الفردوس أو تهبط إلى الجحيم. وتظل كذلك إلى يوم الدينونة العامة حين يبوق رئيس الملائكة فتدخل الأرواح فى أجسادها ويقوم الموتى فى المسيح أولاً، وتتغير أجساد الأحياء، ويختطف هؤلاء وأولئك ـ أعنى القديسين ـ لملاقاة الرب فى الهواء، ويأتى ربنا يسوع المسيح فى مجيئه الثانى ومعه جمهور الملائكة والقديسين الذين اختطفوا فى السحب، ويجلس على عرش مجده، ويدين جميع الناس بحسب ما صنعوا فى الجسد خيراً كان أو شراً، ويرسل الأشرار إلى العذاب الأبدى فى جهنم النار كما يرسل الأبرار إلى الحياة الأبدية. وفضلا عن كون هذه العقيدة هى الحقيقة، فإن لها فوائد عظمى بالنسبة للفرد والمجتمع، كما أنها نافعة للحياة الحاضرة والمستقبلة أيضاً.

قانون إيمان الرسل (١)

١ ـ أؤمن بإله واحد.

٢ ـ الله الآب الضابط الكل (القادر على كل شيء).

٣ ـ وابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا.

٤ ـ والروح القدس المحيى.

٥ ـ وقيامة الجسد.

٦ ـ والواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية، الكنيسة.

٧ ـ آميـن.

---

(١) ويسمى فى الكنيسة الغربية: Symbolum Apostolicum

يرد هذا القانون فى كتاب (المعمودية المقدسة) ويردده المؤمن الذى يطلب العماد، فى أثناء ممارسة طقس (جحد الشيطان) وقبل نزوله فى جرن المعمودية.

قانون إيمان أورشليم (١)

يرجع إلى عام ٣٤٨م

ويقوم أساساً على تعليم القديس كيرلس الأورشليمى

(٣١٥- ٣٨٦)م

نؤمن بإلـه واحـد، الآب القـادر على كل شـيء (ضابـط الكـل)، خـالق السمـاء والأرض، وكل ما يرى ومالا يرى.

وبرب واحد، يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب، وهو إله حق قبل كل الدهور، به كان كل شيء.

تجسد، وتأنس، وصلب، ودفن، وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث، وصعد إلى السماوات، وجلس عن يمين الآب، وسيأتى فى مجد ليدين الأحياء والأموات، وليس لملكه انقضاء.

وبالروح القدس، المعزى (الباراقليط)، الناطق فى الأنبياء.

وبمعمودية واحدة للتوبة لمغفرة الخطايا.

وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة.

وبقيامة الجسد.

وبالحياة الدائمة إلى الأبد.

---

(١) انظـــر:

CREEDS, COUNCILS, AND CONTROVERSIES,

edited by J. STEVENSON, London, 1972 p. 26.

EARLY CHRISTIAN CREEDS, By J. N. D. KELLY, London, 1971.

قانون الإيمان الأثناسيوسى (١)

١ ـ كل من يروم أن يخلص يجب عليه أولا وقبل كل شىء أن يحفظ الإيمان الجامع الشامل ويتمسك به.

٢ ـ ومن لا يحفظ هذا الإيمان بأكمله ومن غير إفساد أو تعديل فيه يهلك هلاكاً أبدياً.

٣ ـ والإيمان الجامع الشامل هو أن نعبد إلهاً واحداً فى ثالوث ونعبد الثالوث فى وحدانية.

٤ ـ ويجب ألا نخلط بين الأقانيم، ولا أن نفصل فى الجوهر أو نقسم الذات.

٥ ـ فإن للآب أقنوماً، وللابن أقنوماً آخر، وللروح القدس أقنوماً آخر.

٦ ـ ولكن الآب والابن والروح القدس، ليسوا إلا إلهاً واحداً ومجداً واحداً وعظمة أبدية واحدة.

٧ ـ وكما هو الآب كذلك الابن وكذلك الروح القدس.

٨ ـ فالآب غير مخلوق، والابن غير مخلوق، والروح القدس غير مخلوق.

٩ ـ الآب غير محدود، والابن غير محدود، والروح القدس غير محدود.

١٠ ـ الآب سرمدى، والابن سرمدى، والروح القدس سرمدى.

١١ ـ ومع ذلك فهم ليسوا ثلاثة سرمديين بل سرمدى واحد.

---

(١) المعروف أن هذا القانون كتب أولا باللغة اللاتينية

MIGNE, PATROLOGIA LATINA, 88, 575

وترجم بعد ذلك إلى اليونانية.

MIGNE, PATROLOGIA GRAECA, 38, 1582- 1583.

وأما الترجمة العربية فلم تعرف قبل القرن الثامن عشر، وهى موجودة فى مخطوط بالمتحف القبطى بمصر القديمة عنوانه: «اعتقاد مار أثناسيوس الرسولى» (مخطوط رقم ٧٤ـ لاهوت ٣٤٩ـ صفحات ٢٢ـ ٢٦).

انظر: مرقس سميكة باشا: فهارس المخطوطات القبطية والعربية، الجزء الأول صفحة ٣٨ ثم جبرائيل روفائيل الطوخى: كتاب حامى الإيمان القويم، القاهرة ١٩٣٣ صفحات ١٤١ـ ١٤٣.

أما عند الغربيين، فيرد القانون الأثناسيوسى فى كتاب السواعى (الأجبية) اللاتينية فى صلاة الساعة الأولى من يوم الأحد PRIME كما يرد استخدامه فى طقس جحد الشيطان وصلوات التعزيم على الأرواح النجسة.

EXCORCISMUS OBSESSORUM.

انظر مقالا للأب المحترم جيرارفيو راعى كنيسة فاقوس الكاثوليكية تحت عنوان (قانون الإيمان المنسوب إلى القديس أثناسيوس الرسولى) بمناسبة الذكرى المئوية السادسة عشرة لوفاة القديس أثناسيوس الرسولى.

١٢ ـ وكذلك ليسوا ثلاثة غير محدودين، ولا ثلاثة غير مخلوقين، بل واحد غير مخلوق، وواحد غير محدود.

١٣ ـ كذلك الآب قادر على كل شيء، والابن قادر على كل شيء، والروح القدس قادر على كل شيء.

١٤ ـ ومع ذلك ليسوا ثلاثة قادرين على كل شيء بل واحد قادر على كل شيء.

١٥ ـ فالآب هو الله، والابن هو الله، والروح القدس هو الله.

١٦ ـ ولكن ليسوا ثلاثة آلهة، بل إله واحد.

١٧ ـ كذلك الآب هو الرب، والابن هو الرب، والروح القدس هو الرب.

١٨ ـ ولكن ليسوا ثلاثة أرباب، بل رب واحد.

١٩ ـ وكما أن الديانة المسيحية تأمرنا بأن نعترف بأن كل أقنوم من الأقانيم هو بذاته إله ورب، كذلك تنهانا عن القول بثلاثة آلهة أو ثلاثة أرباب.

٢٠ ـ والآب لم يكونه أحد آخر، وهو غير مصنوع، وغير مخلوق، وغير مولود.

٢١ ـ والابن مولود من الآب وحده، وهو غير مصنوع، وغير مخلوق، بل مولود.

٢٢ ـ والروح القدس منبثق من الآب، ولم يكن مصنوعاً ولا مخلوقاً، ولا مولوداً.

٢٣ ـ فالآب إذن واحد، لا ثلاثة آباء. والابن واحد لا ثلاثة أبناء. والروح القدس واحد، لا ثلاثة أرواح قدس.

٢٤ ـ وليس فى هذا الثالوث من هو أسبق من الآخر فى الزمن أو متخلف عنه أو أكبر منه، أو أصغر منه، وإنما الأقانيم الثلاثة جميعاً سرمدية ومتساوية.

٢٥ ـ ولهذا فى جميع الأمور كما ذكرنا ينبغى أن يُعبدَ الثالوث فى وحدانية، والوحدانية فى ثالوث.

٢٦ ـ فمن شاء إذن أن يخلص، عليه أن يكون هذا هو اعتقاده فى الثالوث.

٢٧ ـ كذلك يلزم للخلاص الأبدى أن نؤمن عن يقين بتجسد ربنا يسوع المسيح.

٢٨ ـ لأن الإيمان المستقيم هو أن نؤمن ونعترف بأن ربنا يسوع المسيح ابن الله، هو إله وإنسان معاً.

٢٩ ـ هو إله مولود من جوهر الآب قبل العالمين. وهو إنسان مولود من جوهر أمه فى العالم.

٣٠ ـ هو إله تام، وهو إنسان تام ذو نفس ناطقة وجسد بشرى ذو كيان (ووجود).

٣١ ـ هو مساوى للآب بحسب لاهوته، وهو دون الآب بحسب ناسوته.

٣٢ ـ وهو ـ وإن يكن إلهاً وإنساناً معاً ـ لكنه ليس اثنين وإنما هو مسيح واحد.

٣٣ ـ هو واحد لا بتحول اللاهوت إلى ناسوت، وإنما باتخاذ اللاهوت للناسوت.

٣٤ ـ هو واحد فى الجملة، لكنه لا باختلاط الجوهر وإنما بوحدانية الأقنوم.

٣٥ ـ لأنه كما أن النفس الناطقة والجسد هما معاً إنسان واحد، كذلك الإله والإنسان هما معاً مسيح واحد.

٣٦ ـ هو الذى تألم لأجل خلاصنا، وهو الذى نزل إلى الجحيم (الهاوية) وهو الذى قام من بين الأموات فى اليوم الثالث.

٣٧ ـ وهو الذى صعد إلى السماوات، وجلس عن يمين الله الآب القادر على كل شىء. ومن هناك سوف يأتى ليدين الأحياء والأموات.

٣٨ ـ وعند مجيئه يقوم جميع الناس بأجسادهم، ويؤدون أمامه الحساب عن أعمالهم الخاصة.

٣٩ ـ فالذين عملوا الصالحات يدخلون الحياة الأبدية، والذين عملوا السيئات يدخلون إلى النار الأبدية.

٤٠ ـ هذا هو الإيمان الجامع الشامل الذى لا يستطيع الإنسان أن يخلص دون أن يؤمن به يقيناً.

مجمع القسطنطينية المسكونى

فى مثل هذا اليوم (اليوم الأول من أمشير) من سنة ٣٨١ لميلاد المسيح، انعقد المجمع المسكونى الثانى فى مدينة القسطنطينية (الآن استنبول) فى عهد الأمبراطور ثيئودوسيوس الكبير (٣٤٦- ٣٩٥)م من مائة وخمسين أسقفاً من مختلف بلاد العالم يمثلون جميع كنائس المسكونة للنظر فى بدعة مقدونيوس MACEDONIUS بطريرك القسطنطينية.

وكان من أبرز الأساقفة الذين حضروا هذا المجمع، الأنبا تيموثيئوس الأول (٣٧٩- ٣٨٥)م بابا الأسكندرية الثانى والعشرون، وكان له دور طليعى وقيادى فى إدارة المناقشات وفى مقارعة مقدونيوس - وفى مقدمة الحضور أيضاً الأنبا كيرلس بطريرك أورشليم، والأنبا بطرس بطريرك أنطاكية. وأما الأنبا داماسوس DAMASUS بابا روما (٣٦٦- ٣٨٤) فدعى ولكنه لم يتمكن من الحضور، فأرسل نواباً عنه.

وفى عام ١٩٨١- احتفل العالم المسيحى بمرور ستة عشر قرناً على هذا الحدث التاريخى، وهو انعقاد مجمع القسطنطينية المسكونى، الذى ثبت وأيد قرارات المجمع المسكونى الأول الذى انعقد فى نيقية سنة ٣٢٥م من ٣١٨ أسقفاً من أساقفة المسكونة للنظر فى بدعة أريوس القسيس الليبى ثم وضع ما يعرف بـ (قانون الإيمان) الذى يرتله اليوم وقوفاً كافة المسيحيين شرقاً وغرباً ويرددون فيه «نؤمن بإله واحد» مثلث الأقانيم: الآب والابن والروح القدس، وإن الأقانيم الثلاثة خاصيات فى الذات الإلهية الواحدة، وليست أجزاء فيه، لأن الله واحد، ووحدانيته بسيطة لا تقبل التقسيم أو التجزئة. وأن المسيح وهو الله الكلمة قبل الزمان، اتخذ له فى الزمان جسداً من مريم العذراء ظهر فيه، وتمم به وفيه الحكم بالموت الذى كان قد أصدره الله على آدم وذريته. وبهذا الموت فى الصليب، كان المسيح هو الفادى الذى «ليس لأحد بغيره الخلاص» (أعمال ٤: ١٢). فالمسيح هو الله الكلمة (يوحنا ١: ١)، ومن ثم فهو «الله الغير المنظور» (كولوسى ١: ١٥) وقد صار منظوراً فى الجسد، فهو إذن «الله الظاهر فى الجسد» (١. تيموثيئوس ٣: ١٦)، وليس ميلاده من العذراء مريم غير «تجسد». أما وجوده فهو أزلى قبل الزمان (ميخا ٥: ٢)، (متى ٢: ٦)، «الأول قبل كل خليقة» (كولوسى ١: ١٥)، (الرؤيا ٣: ١٤) و «قبل كل الدهور».

وكان مجمع نيقية قد ختم قانون الإيمان بإله واحد أحد، مثلث الأقانيم: الآب والابن والروح القدس، بقوله: «نعم نؤمن بالروح القدس» فرأى مجمع القسطنطينية بعد أن ثبت قانون الإيمان

النيقاوى أن يضيف سبع عبارات، هى بنود تكميلية، فصارت خاتمة قانون الإيمان الذى أصبح يعرف بقانون الإيمان النيقاوى القسطنطينى على النحو الآتى:

و (نؤمن) بالروح القدس.

الرب المحيى.

المنبثق من الآب.

نسجد له ونمجده مع الآب والابن.

الناطق فى الأنبياء.

وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية.

ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا.

وننتظر قيامة الأموات، وحياة الدهر الآتى آمين.

وكان مقدونيوس قد أنكر لاهوت الروح القدس وزعم أنه مخلوق، فأثار بذلك ثائرة الآباء الأمناء على التراث المسيحى، الحارسين للإيمان الأرثوذكسى بإله واحد، أحدى الذات مثلث الأقانيم والخاصيات، واعتبروا تعليم مقدونيوس هرطقة خرج بها على الإيمان، فلزم مواجهته ومجادلته وإقناعه بالعدول عن تعليمه الفاسد، فإذا لم يقتنع اتخذوا قراراً بعزله، وتجريده من جميع درجاته الكهنوتية، وأعلنوا أن تعليمه شاذ وردئ، تعليم انحرف بعيداً عن التعليم المسيحى الأصيل.

وقد كان. وإذ أن بدعة مقدونيوس - وهو بطريرك العاصمة - قد أثارت اعتراضاً عاماً وشاملاً من جانب أساقفة العالم المسيحى، فلم يجد الأمبراطور ثيئودوسيوس الكبير مفراً من ضرورة عقد مجمع مسكونى من جميع كنائس المسكونة للنظر فى هذا التعليم الجديد الذى علم به مقدونيوس. فوافق على عقد هذا المجمع بناء على نصيحة الناصحين المخلصين. ولا بد أنه بصفته الامبراطور خشى من أثر هذه البدعة على مملكته أن تنشق عنه بسبب تعليم جديد يدعو له بطريرك العاصمة.

فانعقد المجمع المسكونى فى مدينة القسطنطينية ذاتها، واجتمع الآباء الآساقفة وبينهم مقدونيوس وناقشوه رأيه، وقارعوه الحجة، وأثبتوا له من نصوص الكتاب المقدس والتراث

المسيحى أن الروح القدس هو روح الله، أو هو الله ذاته، لأن «الله روح» (يوحنا ٤: ٢٤)، (٢ . كورنثوس ٣: ١٧) وهو (الروح الأعظم)، وهو لذلك «إله أرواح جميع البشر» (سفر العدد ١٦: ٢٢)، (٢٧: ١٦) لأن بيده تعالى «نفس كل حى، وروح كل بشر» (أيوب ١٢: ١٠)، (دانيال ٥: ٢٣)، وهو أيضاً «أبو الأرواح» (العبرانيين ١٢: ٩)، بمعنى أنه أصلها أى (خالق الأرواح) وجابلها وصانعها (الجامعة ١٢: ٧)، (إشعيا ٤٢: ٥)، (٥٧: ١٦)، (زكريا ١٢: ١).

الله إذن هو (الروح القدس)، و (الروح القدس) هو الله. ذلك لأنه بطبيعته الإلهية روح، بل هو «الروح» الأول - معرفاً بالألف واللام - لأن جميع الأرواح هى منه، فهو خالق الأرواح الملائكية والأرواح الآدمية، فهو إذن أبوها لأنه (الأصل) فيها، ومنه صارت وبه وجدت، إذ هو العلة الأولى لكل روح. وليس يمكن تفسير وجود الروح فى الإنسان أو فى الملائكة إلا بأن خالقها هو (الروح الأعظم) الذى أبدعها وأوجدها، وهو الله.

على أن الله هو الروح الكامل، الكلى الكمال، فلا يشوبه نقص من أى نوع. ومن هنا فإنه (الروح القدس)، لأنه (قدوس)، والكلى القداسة (اللاويين ١٩: ٢)، (إشعياء ٥٧: ١٥)، (مزمور ١١٠: ٩)، (لوقا ١: ٤٩)، (١ . بطرس ١: ١٥).

وبما أن الله هو الروح القدس، والروح القدس هو الله، فالروح القدس (ليس مخلوقاً)، بل (هو الخالق).

وإذن فالروح القدس ليس غريباً عن الله، وإنما هو (أقنوم الحياة الإلهية).

ونحن نعلم أن (الله حى)، «حى أنا يقول الرب» (العدد ١٤: ٢٨) «حى أنا يقول رب الجنود» (صفنيا ٢: ٩)، (وهو الحى الأول) و «وفيه كانت الحياة» (يوحنا ١: ٤) و (الحى منذ الأزل) قبل الوجود، و «الحى إلى الأبد» (دانيال ٤: ٣٤)، (١٢: ٧) و «الحى إلى أبد الآبدين» (الرؤيا ٤: ٩، ١٠)، (١٠: ٦).

وإذن فالله روح، وهو حى فى ذاته وبذاته، لم يستمد حياته من كائن آخر، وإذن فهو (حى بروحه). وعلى ذلك فالروح القدس هو الله الحى بروحه، وهو (أقنوم الحياة الإلهية). والأقنوم خاصية فى الذات الإلهية. والأقانيم الثلاثة هى الخاصيات الثلاث الإلهية، التى بها تقوم الذات الإلهية، ومن دونها لا وجود للذات الإلهية.

ذلك أن أقنوم (الآب) هو خاصية (الوجود) الإلهى، لأن الله موجد الوجود، (أو أصل) الوجود. ولفظ (الآب) فى اللغات السامية والشرقية معناه (الأصل)، ومنها أخذت جميع اللغات. (فالآب) ليس جزءاً من الله، وإنما (الآب) هو الله ذاته لأنه هو (أصل) الوجود. فأقنوم (الآب) هو خاصية (الوجود) فى الله باعتباره (أصل) الوجود.

و (الابن)، وهو (الكلمة)، هو (العقل) الإلهى. والعقل الإلهى ليس جزءاً من الله، ولكنه هو الله من حيث هو (العقل) الأعظم. فالعقل الإلهى خاصية فى الذات الإلهية لا يمكن أن يكون لله وجود بغيرها، ولا يمكن أن نتصور الله من دونها، وإلا كيف نفسر وجود الحكمة والعقل فى الكائنات العاقلة ما لم يكن الخالق ذاته الذى خلقها هو العلة الأولى العاقلة. ولما كان العقل غير منظور، ولكنه يتجسد فى (الكلمة)، لذلك (فالكلمة) و (العقل) بمعنى واحد: أحدهما ظاهر والآخر غير ظاهر، لكنهما فى الحقيقة واحد. لذلك وصف الأقنوم الثانى فى الذات الإلهية بأنه (الكلمة) لأن العقل الإلهى قد تجسد فى المسيح. فالمسيح إذن ليس جزءاً من الله، لكنه الله ذاته: العقل والعاقل والمعقول لذاته، وقد تجسد. وهو بهذه الصفة يسمى (الابن) بمعنى أن من رآه فقد رأى الله الآب (يوحنا ١٤: ٩).

و (الروح القدس) هو الله ذاته الحى بذاته أى بروحه، لأن الله روح. وإذن فالروح القدس ليس جزءاً من الله، إذ أن الله لا يتجزأ، ولكنه هو الله من حيث هو الحى الأول، وأصل الحياة، وباعث الحياة، ومبدئ الحياة.

وبعد، فهل يمكن أن يكون لله وجود من غير أقانيمه الثلاثة؟

هل يمكن أن يكون لله وجود، إذا لم تكن له خاصية الوجود أو أقنوم الوجود (وهو الآب) باعتبار أنه تعالى هو أصل الوجود؟

و هل يمكن أن يكون لله وجود، إذا لم تكن له خاصية (العقل) أو أقنوم العقل (أو الكلمة) باعتبار أنه تعالى هو العقل الأعظم؟

و هل يمكن أن يكون لله وجود، إذا لم تكن له خاصية الحياة أو أقنوم الحياة وهو (الروح القدس) باعتبار أنه تعالى هو (الروح الأعظم)؟

فالأقانيم الإلهية الثلاثة هى الخاصيات الإلهية الثلاث التى تقوم بها وعليها الذات الإلهية، ومن دونها لا وجود للذات الإلهية.

والأقانيم الإلهية الثلاثة هى إذن الخاصيات الذاتية التى يقوم عليها وبها كيان الذات الإلهية، وهى تتميز عن سائر الصفات الإلهية الكثيرة الحسنى.

والفرق بين الأقانيم والخاصيات الإلهية الثلاث، وسائر الصفات الإلهية الكثيرة: أن هذه الصفات الأخيرة يمكن أن نتصور الله بها أو بغيرها دون أن يتأثر بها الكيان الإلهى بزيادة أو بنقص. أما الأقانيم الإلهية الثلاثة فهى الخاصيات الذاتية التى تقوم بها وعليها الذات الإلهية، ومن دونها لا يمكن أن يكون لله وجود أو كيان. وهذا هو معنى الأقنوم أو الهيبوستاس HYPOSTASIS (به وعليه تقوم الذات الإلهية الواحدة).

انبثاق الروح القدس من الآب

يتلخص موقف الكنيسة الأرثوذكسية بالنسبة لقضية انبثاق الروح القدس من الآب، ورفضها إضافة (والابن) التى أدخلتها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية على قانون الإيمان، فى النقاط الآتية:

أولا - إن المسيح له المجد عندما تكلم عن موضوع الانبثاق، قال صراحة «ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من عند الآب روح الحق **الذى من عند الآب ينبثق**، فإنه سيشهد لى» (يوحنا ١٥ : ٢٦).

ويلاحظ أن هذا النص هو الوحيد الذى يرد فيه تعبير (الانبثاق) بالنسبة للروح القدس والآب.

ولقد ورد فى الإنجيل أن (الابن) (يرسل) الروح القدس فى المواضع الآتية:

لوقا ٢٤ : ٤٩

«وها أنا ذا أرسل إليكم ذلك الذى وعد بى أبى، فامكثوا فى مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالى».

يوحنا ١٥ : ٢٦

«ومتى جاء المعزى سأرسله أنا إليكم من عند الآب...»

يوحنا ١٦ : ٧

«إن لم أنطلق لن يأتيكم المعزى. ولكننى إن مضيت أرسله إليكم»

يبقى بعد ذلك أن (**الانبثاق**) هو غير (**الإرسال**). **أما الانبثاق فلم ينسب إلا إلى الآب**. وهو ما نطق به فم المسيح له المجد.

وإذن فتعبير الانبثاق من الآب، أو انبثاق الروح القدس من الآب هو التعبير الإنجيلى السليم والمنطوق به على فم المسيح له المجد.

وقد يكون التعبير سليماً لو قلنا «نعم نؤمن بالروح القدس المرسل من الآب والابن» أما إذا أردنا أن نلتزم بتعبير (الانبثاق) فليس من حقنا أن ننسب إلى الروح القدس أنه (منبثق) من الآب والابن. إذ نكون هنا لم نلتزم بنص الإنجيل. هذا من جهة، ومن جهة أخرى نكون قد خلطنا مفهوم (الانبثاق) بمفهوم (الإرسال)، وجعلنا منهما مفهوماً واحداً. وهذا ليس من حقنا خصوصاً

وأن الموضوع يتصل بالطبيعة الإلهية التى تعلو عن تصورنا ولا نستطيع أن نحيط بها أو ندركها، فهى أعلى من منالنا، ولا بد لنا ولا مفر من أن نلتزم فى التعبير عنها بكلام الله ذاته عن طبيعته.

هذا إلى أن (الانبثاق) من الآب فعل (أزلى) أى أن الروح القدس ينبثق من الآب منذ الأزل. أما (ارسال) الروح القدس على التلاميذ، فهو فعل زمنى، وعد الآب به ثم تحقق فى يوم الخمسين لقيامة المسيح الرب من بين الأموات.

ثانياً - إن من الخطورة بمكان عظيم أن يكون فى تعليمنا المسيحى أن الروح القدس ينبثق من الآب والابن، إذ ينطوى هذا القول ضمناً على وجود مصدرين فى الثالوث القدوس (لبثق) الروح القدس، الآب والابن، وبالتالى يؤدى إلى معنى الاثنينية فى الله الواحد، وهو أمر مرفوض فى المسيحية، ونحن نجاهر بقولنا «نؤمن بإله واحد» كما نقول إن هناك مصدراً واحداً للألوهة. فى الله، πηγή θεότητος هو الآب. فالروح القدس ينبثق من الآب.

ثالثاً - إن قانون الإيمان الذى وضعه مجمع نيقية المسكونى سنة ٣٢٥ وثبته مجمع القسطنطينية المسكونى سنة ٣٨١ والمجامع التالية، إلتزم بنص الإنجيل كما علم به المسيح له المجد، قال: «**نعم نؤمن بالروح القدس المنبثق من الآب**».

وليس هناك أدنى شك فى أن الآباء فى تلك العصور القديمة الذين كانوا موعبين بتعليم الكتاب المقدس والتقليد الرسولى لم تغب عن بالهم النصوص الواردة فى الإنجيل عن (إرسال) الروح القدس من الآب والابن. ولكنهم كانوا حريصين على أن ينسبوا (الانبثاق) للروح القدس من الآب، على حسب ما قال المسيح.

رابعاً - سارت الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة على هذا التعليم، حريصة على الالتزام بنص الإنجيل ونص مجمعى نيقية والقسطنطينية المسكونيين قروناً كثيرة. ومن الثابت تاريخياً أن إضافة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية قولها (والابن) إلى قانون الإيمان، جاء متأخراً، وكان سبباً رئيسياً فى انشقاق مجموعة الكنائس الشرقيةوالتى تعرف بالكنائس الأرثوذكسية البيزنطية من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية فى عام ١٠٥٤ لميلاد المسيح.

والمعروف أن البطريرك فوتيوس PHOTIUS بطريرك القسطنطينية المسكونى (٨١٠- ٨٩٥)م هاجم إضافة (والابن) مهاجمة عنيفة، وفى منشور بطريركى أصدره سنة ٨٦٧

شرح اعتراضاته اللاهوتية على تلك الإضافة الرومانية. وفى هذه السنة عينها عقد مجمعاً أصدر فيه قراراً بشجب إضافة (والابن) إلى قانون الإيمان، وحرم الحبر الرومانى.

وإلى اليوم تشكل هذه القضية سبباً للانفصال بين الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من جانب، والكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة والكنائس الخلقيدونية البيزنطية من جانب آخر.

خامساً - يصرح اليوم عدد من كبار اللاهوتيين فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بأن هذه المسألة ينبغى أن لا تكون موضوعاً للخلاف، ولا يليق أن تكون عقبة فى طريق وحدة الإيمان بين الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية، ويدللون على ذلك بأن هذه الإضافة (والابن) اعترض عليها الحبر الرومانى نفسه ليو الثالث LEO III (٧٩٥- ٨١٦)م وبالتالى اعتبرت إضافة مستحدثة، تثبتت، فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بنفوذ الملك شارلمان، CHARLEMAGNE (٧٤٢- ٨١٤)م ولذلك فإن اللاهوتيين اليوم فى داخل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية يحاولون التخلص من النتائج اللاهوتية المنطقية لهذه الإضافة بأن يقدموا تفسيراً أو تأويلا جديداً لهذه الإضافة بقولهم «إن الروح القدس منبثق من الآب عن طريق الابن».

سادساً - مع أن هذا التأويل الجديد يعد إسهاماً طيباً لحل مشكلة خلقتها إضافة (والابن)، ويعتبر دليلا على إدراك اللاهوتيين لنتائج هذه الإضافة وما انطوت عليه من أخطار لاهوتية لم تخدم الإيمان وإنما أضافت عقبة فى طريق الكنيسة، وأدت إلى انشقاق محزن - إلا أن هذا التأويل لا يحل المشكلة لاهوتياً، ولا لغوياً...

(أ) أما لاهوتياً - فلأن (انبثاق الروح القدس من الآب عن طريق الابن) لا سند له فى الكتاب المقدس، فضلا عن أنه يجر إلى سلسلة من النتائج التى تضر إيماننا فى وحدانية الله، وإلى التمايز الأوتولوجى بين الأقانيم الإلهية، وإلى نوع من الترتيب بين الأقانيم شبيهة بتعليم (الصدور) الذى قالت به بعض المذاهب الفلسفية، وترفضه المسيحية.

(ب) هذا إلى أنه من الوجهة اللغوية لا يستطيع أحد أن يوافق على أن الإضافة FILI-OQUE باللاتينية تعنى (عن طريق الابن) .فالمعروف أن حرف (que) باللاتينية حرف إضافة يقابله فى العربية (حروف الواو - للإضافة والجمع) . وكذلك الحال بالنسبة لجميع اللغات التى ترجم إليها النص اللاتينى فى جميع البلاد التابعة لإيمان الكنيسة الرومانية الكاثوليكية.

سابعاً ـ ليس لنا بعد هذا العرض الموجز لهذه القضية اللاهوتية العقائدية إلا أن نؤكد على أنه فى سبيل إزالة العقبات أمام طريق الوحدة الإيمانية بين كنيستنا الأرثوذكسية والكنيسة الرومانية الكاثوليكية يجب أن نلتزم بنص الإنجيل وبنص المجمع النيقاوى الذى ثبته مجمع القسطنطينية المسكونى وحمله إلينا عبر العصور تقليد الكنيسة الجامعة الرسولية.

إن هذه الصيغة الإنجيلية التى صرح بها المسيح له المجد، والتى نص عليها قانون الإيمان الأرثوذكسى الذى وضعته الكنيسة الجامعة فى نيقية والقسطنطينية، هى الصيغة التى نستخدمها فى سر العماد، والتى تشترطها الكنيسة على المتقدمين إلى العماد، وباعترافهم بالإيمان المسيحى الذى يؤهل المعتمد لقبول موهبة الروح القدس للميلاد الثانى.

أما إضافة (والابن) فتطعن صحة الاعتراف، وأرثوذكسية الإيمان ـ وتعوق عند الأرثوذكس قبول معمودية الكنيسة الرومانية الكاثوليكية التى بإضافتها (والابن)، أحدثت فى صيغة الإيمان إضافة، جعلت الاعتراف بإله واحد مثلث الأقانيم بمفهوم مختلف على نوع ما عن الاعتراف الذى تشترطه الكنيسة الأرثوذكسية لصحة العماد.

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسوعة الأنبا غريغوريوس

٦ـ اللاهـــوت العقيـــدى « الجزء الأول »
لاهـوت السـيد المسيح

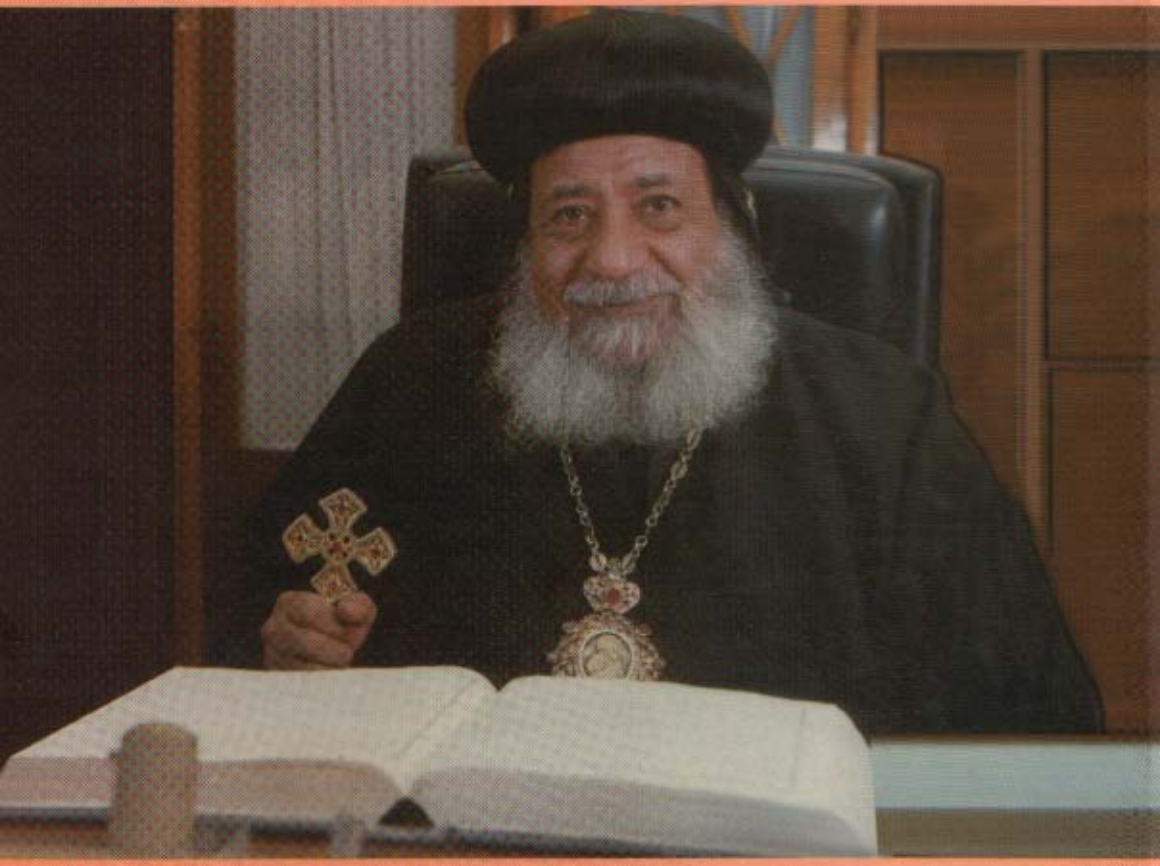

للمتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عـام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

موضوعات
وإجابات على أسئلة

موضوعات وإجابات على أسئلة : ٥٧٩
١ ـ حول الأقانيم الثلاثة. ٥٨٠
٢ ـ الثالوث القدوس. ٥٨٢
٣ ـ المسيح الكلمة صورة الله الغير منظور. ٥٨٤
٤ ـ التثليث المسيحى. ٥٨٧
٥ ـ من آيات التلاقى بين المسيحية والاسلام. ٥٩٠
٦ ـ العلاقة بين الأقانيم الثلاثة. ٥٩٨
٧ ـ خطاب إلى الشيخ محمد متولى الشعراوى. ٥٩٩

صفحة

٨ ـ خطاب إلى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ٦٠٤
٩ ـ تعقيب على تعقيب. ٦٠٦
١٠ ـ إلى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى. ٦١٠
١١ ـ خطاب إلى فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر. ٦١٧
١٢ ـ الله واحد والأقانيم خاصيات. ٦٢٠
١٣ ـ الله وأقانيمه وهى صفاته الذاتية. ٦٢١
١٤ ـ الثالوث القدوس والثالوث الأقدس. ٦٢٤
١٥ ـ الروح القدس لاهوتيا. ٦٢٦
١٦ ـ انبثاق الروح القدس من الآب. ٦٢٩
١٧ ـ موهبة من لدن الروح القدس. ٦٣٢
١٨ ـ التجديف على الروح القدس. ٦٣٤
١٩ ـ قد يحل الروح القدس للإقناع والإهتداء. ٦٣٨
٢٠ ـ عمل الروح القدس فى العهدين. ٦٤١
٢١ ـ عمل الروح القدس فى العهد الجديد. ٦٤٦
٢٢ ـ التثليث فى المسيحية وعند الفراعنة. ٦٥٠
٢٣ ـ ولادة الابن وانبثاق الروح القدس. ٦٥١
٢٤ ـ هل للسيد المسيح روح؟. ٦٥٢
٢٥ ـ كيف ينمو المسيح فى الحكمة وهو الإله الكامل؟. ٦٥٣
٢٦ ـ هل كان مترددا؟. ٦٥٩
٢٧ ـ ألا يعرف المسيح اليوم والساعة؟. ٦٦١
٢٨ ـ حول لاهوت المسيح. ٦٦٤
٢٩ ـ ابن الإنسان وابن الله. ٦٦٨
٣٠ ـ أنا الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والأخر. ٦٧٢
٣١ ـ لمن يصلى؟. ٦٧٤
٣٢ ـ هل كان فى السماء وعلى الأرض فى وقت واحد؟. ٦٧٨
٣٣ ـ مسيحى زوجته من شهود يهوه. ٦٧٩
٣٤ ـ قدوس الحى الذى لا يموت. ٦٨٠
٣٥ ـ مولود غير مخلوق. ٦٨٢
٣٦ ـ ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعلمها أحد. ٦٨٥
٣٧ ـ الله الغير منظور صار منظورا فى المسيح. ٦٨٦
٣٨ ـ أبعد عن هذه الكأس. ٦٨٧

صفحة

٣٩ ـ المسيح وهو أقنوم الرحمة هو الذى سيدين بالعدل. ٦٨٩
٤٠ ـ عن السنكسار: المسيح ابن الله، بنوة روحية أزلية. ٦٩١
٤١ ـ من التاريخ: المسيح روح الله وكلمته وليس نبياً فقط. ٦٩١
٤٢ ـ خطاب أرسلناه لرئيس حزب الأحرار. ٦٩٢
٤٣ ـ أين كان المسيح من سن ١٢ إلى ٣٠؟. ٦٩٤
٤٤ ـ أأنت هو الآتى أم ننتظر أخر؟. ٦٩٩
٤٥ ـ المسيح صعد إلى السماء عينها واستوى على عرش العظمة فى الأعالى. ٧٠٥
٤٦ ـ هل صعد إلى السماء بجسده؟. ٧٠٩
٤٧ ـ واحد مع الآب فى الجوهر. ٧١٤
٤٨ ـ اتّخذ المسيح وهو الإله إنسانية كاملة من روح ومن جسد. ٧١٦
٤٩ ـ المسيح كلمة الله مبدىء كل خليقة. ٧٢١
٥٠ ـ سلطان المسيح الشامل لشفاء جميع الأمراض. ٧٢٣
٥١ ـ المسيح يجمع بين كونه إلهاً وإنساناً. ٧٢٦
٥٢ ـ ما معنى كلمة «أبى أعظم منى»؟. ٧٢٩
٥٣ ـ جلوس المسيح عن يمين الله. ٧٣٠
٥٤ ـ سؤال له جواب. ٧٣٣
٥٥ ـ سؤال من أحد أبنائنا فى المهجر. ٧٣٤
٥٦ ـ عيد الغطاس المجيد ـ عيد الظهور الإلهى. ٧٤١
٥٧ ـ المسيح هو الله الكلمة. ٧٤٦
٥٨ ـ دراسة بعض معجزات المسيح. ٧٥١
٥٩ ـ المسيح حسب الجسد هو رب داود وهو الله بذاته وقد اتّخذ جسدا. ٧٦٤
٦٠ ـ جسد المسيح محدود أما بهاء اللاهوت المتحد به فيملأ السموات والأرض. ٧٦٦
٦١ ـ فى المسيح اتّحد اللاهوت بالناسوت وناسوته من جسد وروح إنسانية. ٧٦٩
٦٢ ـ للمسيح من حيث هو إنسان روح إنسانية. ٧٧١
٦٣ ـ لماذا نزل إلى الجحيم؟. ٧٧٣
٦٤ ـ نزل المسيح إلى العالم السفلى ونقل الأبرار إلى الفردوس. ٧٧٨
٦٥ ـ المسيح جالسا على العرش. ٧٨١
٦٦ ـ المسيح وجسده المجيد. ٧٨٢
٦٧ ـ المسيح هو ابن الإنسان وهو الله وابن الله. ٧٩٠
٦٨ ـ هل فارق اللاهوت الناسوت؟. ٧٩٣
٦٩ ـ هل اللاهوت انفصل عن الناسوت. ٧٩٩

صفحة

٧٠ ـ تفسير «صار جسداً» ٨٠٠
٧١ ـ صلاة السيد المسيح. ٨٠١
٧٢ ـ كيف يسمح المسيح لتوما بأن يلمسه ويمنع مريم؟. ٨٠٢
٧٣ ـ هل يصدر الشر عن الله؟. ٨٠٣
٧٤ ـ معجزة تحويل الماء إلى خمر غير مسكرة. ٨٠٩
٧٥ ـ طبيعته لا تمكنه أن يعاين ملكوت الله. ٨١١
٧٦ ـ يا أبتاه اغفر لهم. ٨١٣
٧٧ ـ علم الله السابق. ٨١٥
٧٨ ـ تفسير «ومتى أخضع له الكل». ٨١٦
٧٩ ـ هل جسد السيد المسيح محدود؟. ٨١٩
٨٠ ـ نور من نور. ٨٢٢
٨١ ـ الجسد الأثيرى. ٨٢٤
٨٢ ـ تفسير قول يوحنا المعمدان «أنا لم أكُن أعرفه». ٨٢٦
٨٣ ـ لماذا لم تذكر الأناجيل طفولة السيد المسيح؟. ٨٢٨
٨٤ ـ من يقول الناس أنى أنا؟. ٨٣٣
٨٥ ـ الله يظهر لآدم وحواء فى الجنة. ٨٣٦
٨٦ ـ ظهور الله لابراهيم. ٨٣٨
٨٧ ـ ظهور الله ليعقوب أبى الأسباط فى المغارة. ٨٤٢
٨٨ ـ ظهور الله لموسى النبى فى العليقة فى سينا. ٨٤٥
٨٩ ـ الله يظهر فى صورة رئيس جند الرب. ٨٤٧
٩٠ ـ الله يظهر لموسى النبى فى صورة مجسمة. ٨٥٠

١ ـ حول الأقانيم الثلاثة (١)

سؤال: من أحد القراء:

نحن نقول إن الله جل شأنه ذات وكلمة وروح، وإن الذات سُمّى أباً، والكلمة تجسد ودعى ابناً لأنه صادر عن الآب، ثم الروح سُمّى الروح القدس لطهارته، فهؤلاء ثلاثة أقانيم لله الواحد، ولكن كيف تدعى ذات الله ذاتاً إذا لم تكن ناطقة أو حية، أى ذات روح؟ وكيف نجرد ذات الله عن النطق والحياة ثم ندعوها بعد ذلك ذاتاً؟ ولو قلنا إن الذات تُدعى ذاتاً بالكلمة والروح لما كان من داع لتكرار أقنومية الكلمة والروح، حينئذ يصير الله أقنوماً واحداً!!

ثم كيف ندعو الكلمة أقنوماً وهو مجرد عن الذات؟ أليس له وجود؟ وهل هو مجرد عن الروح، أليست له روح؟ فيتحتم أن يكون للكلمة ذات وروح. وكذلك الروح القدس يتحتم أن يكون له ذات وكلمة. ومن ثم يستنتج بأن كل أقنوم ذات وكلمة وروح. وهذا يقتضى وجود تسعة أقانيم، وحاشا لله من ذلك.

«وإذا قلنا إن ذات الله واحدة فى ثلاثة الأقانيم لأنها غير محدودة ولا منفصلة، فيتحتم أن تندمج الكلمة أيضاً فى الذات، وكذلك الروح. ولكننا نرى السيد المسيح له المجد يخاطب الآب والآب يرد عليه. وفى هذا التخاطب إثبات لوجود ذاتين. أو بعبارة أوضح إثبات لوجود إلهين كاملى الصفات، لكل منهما ذات وكلمة وروح، وحينئذ تتعدد الذات والكلمة والروح؟!

الجواب:

الله وجود عاقل حىّ، أو هو ذات حيّة ناطقة (عاقلة)، أو هو كائن بذاته، حى بروحه، ناطق بكلمته، فالوجود، والنطق (العقل) والحياة **صفات ذاتية**، بمعنى أنها **قائمة فى الله قياماً ذاتياً** لا عرضياً، بحيث تنعدم الذات الإلهية بانعدام أى منها. فلو انعدمت صفة **الوجود** عن الله لم يعد بعد إلهاً، ولو انعدمت صفة **العقل**، فلا يمكن أن يعد إلهاً من لا عقل له، إذ أنّ الله هو **العقل الأعظم وعلة جميع العقول**، ولو انعدمت صفة **الحياة** عن الله، لما أمكن أن يُحسب إلهاً، إذ كيف يكون الإله بلا حياة، وهو المصدر الذى يفسر لنا وجود الحياة فى الكون؟!

---

(١) مقال نشر بمجلة (مدارس الأحد) السنة الخامسة ـ العدد السابع ـ (أغسطس ـ آب لسنة ١٩٥١م) صفحتى ٣٢، ٣٣.

فصفات **الوجود، والعقل، والحياة صفات ذاتية** بهذا المعنى، أى أنه **لا غنى للذات الإلهية عن أى منها ولا قيام لها إلا بها جميعاً**، وتمييزاً لها عن صفات أخرى كالمقدرة والخلق والرحمة والعدل والخير.. مما لا حصر له من الصفات النسبية، خصّ آباء الكنيسة الصفات الذاتية بكلمة الأقانيم. فهى اصطلاح فريد يقال عن الصفات الذاتية فى الله.

من هنا يبدو لك جلياً أن **الذات الإلهية واحدة، ولكن الأقانيم ثلاثة**. ولا يمكن أن يكون معنى الوجود هو معنى العقل أو الحياة، لأنه يمكن تصور موجودات بلا عقل أو حياة كالجمادات. ولا يجوز أن يختلط فى ذهنك معنى العقل والحياة، لأنه توجد كائنات حية ولكن لا عقل لها كالحشرات والحيوانات العجماوات.

وإذن فلا بد من أجل إيضاح حقيقة قيام هذه الصفات الثلاثة معاً فى الله من أن نفرق بينها هذه التفرقة، ولا ندمج إحداها فى الأخرى، لأن لكل منها وظيفة خاصة فى الله تختلف عن وظيفة الأخرى. **فالوجود** هو الوجود بغض النظر عن صفة العقل، **والحياة** هى الحياة بغض النظر عن صفة العقل، وإن كانت جميعها **صفات لذات واحدة، أو قائمة فى ذات واحدة**.

فليس صحيحاً ما ذهب إليه فهمك من أن الله أقنوم واحد، مادمنا قد آمنا أن المقصود بالأقانيم هو الصفات الذاتية، **فهو حقاً ذات واحدة لكنه أقانيم ثلاثة**.

وليس صحيحاً أيضاً أن للكلمة ذاته وروحاً، إنما الصحيح أن **الكلمة هو العقل، قائم أو كائن فى الذات حىّ بالروح**. هذا الروح الذى هو صفة ذاتية أى قائم فى الذات لكنه ليس له كلمة ولا روح، ولو صح استنتاجك هذا لكانت لدينا عدة ذوات، وهذا كفر وشرك، لأنه بمثابة قول بتعدد الآلهة، وأنت تعلم أن **المسيحية تقول بالتوحيد ، وتنكر التعدد فى الذات الإلهية**. وما أبعد الفرق بين تعدد الذوات وتعدد الأقانيم!

كما أن الآب يخاطب الابن، والابن يخاطب الآب، فليس فى هذا التخاطب ما يدل على أن هناك ذاتين. فكثيراً ما يرجع الإنسان إلى نفسه، أو يناجى نفسه، أو يراجع عقله أو يستشير عقله، وهى كلها عبارات مألوفة فى استعمالنا اللغوى دون أن تدل على أكثر من ذات فى الإنسان نفسه، فهل تستبعد بعد هذا أن يخاطب الابن الآب أو يكلم الآب الابن بهذا المعنى؟!

والخلاصة أن **مصدر الارتباك فى فهم التثليث المسيحى هو الخلط بين معنى الذات الإلهية ومعنى الأقانيم**، وهو ما نرجو أن يكون قد أوضحناه فى هذا العرض إيضاحاً كافياً.

٢ ـ الثالوث القدّوس (١)

إن الثالوث الذى تقول به المسيحية هو ثالوث أقانيم وليس ثالوث آلهة. والتعليم بالتثليث لا يتعارض مع الاعتقاد بالتوحيد لأن التوحيد هو من جهة الجوهر الإلهى، وأما التثليث فمن جهة الأقانيم التى يقوم عليها وبها الجوهر الإلهى الواحد، ومع ذلك فالأقانيم ليست أجزاء أو أقساماً فى الجوهر الواحد، لأن الله جوهر بسيط كامل لا يقبل التجزئة ولا يقبل التقسيم. ولئن كان عدد من آباء الكنيسة شرح الأقانيم بأنها خاصيات للذات الإلهية أو صفات لها، وقال بعضهم إن الله أحدىّ الذات مثلث الصفات، لكن الأقانيم ـ فى الواقع ـ ليست مجرد خاصيات أو صفات لئلا نقع فى خطأ الخلط بين **الصفات الذاتية** (التى تقوم عليها الذات الإلهية ومن دونها لا يكون للذات الإلهية وجود)، وبين سائر الصفات التى يتصف بها الله، وهى كثيرة. لذلك رأى آباء الكنيسة أن يستعيروا لفظاً سريانياً (وهو **أقنوم** وجمعه: **أقانيم**) وصاروا يستعملونه اصطلاحياً بمعنى خاص به فى دائرة العلوم اللاهوتية للدلالة على المفهوم الأحد الذى تتميز به الأقانيم فى الجوهر الإلهى.

ولقد استخدم آباء الكنيسة لفظاً آخر أخذوه من اليونانية التى كان يستعملها العالم المسيحى كله فى العصور الأولى، خصوصاً أثناء المناقشات اللاهوتية والجدلية، ونقلوه إلى جميع لغات العالم بنطقه اليونانى للدلالة على الأقانيم الإلهية وقيامها فى الجوهر الإلهى. وهذا اللفظ اليونانى هو ὑπόστασις (HYPOSTASIS) وهو كما نرى يتألف من مقطعين: الأول Hypo ὑπό أى «تحت» والثانى στάσις stasis بمعنى «قيام» أو «كيان» واللفظ بمقطعيه يفيد ما «تحت القيام» أو «ما يقوم عليه الكيان». وعلى ذلك **فالأقانيم هى «ما يقوم عليه الكيان الإلهى»** أى **«ما يقوم به وعليه الجوهر الإلهى»**. وقد ورد هذا اللفظ بهذا المعنى فى العهد الجديد. انظر الرسالة إلى العبرانيين (١: ٣)، (٣: ١٤)، (١١: ٢١)، ثم (٢. كورنثوس ٩: ٤)، (١١: ١٧).

وهنا يجب التفريق بين خصائص وصفات يقوم بها وعليها الكيان الإلهى ذاته بحيث لا يقوم لله وجود بغيرها، وبين صفات وخصائص أخرى كثيرة تنسب إلى الله عادة ولكن لا يقوم عليها

---

(١) عن مقال كتب بتاريخ ٣١ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٧٢م ـ ٢٤ من أبيب لسنة ١٦٨٨ش وأرسل إلى مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر (القاهرة ـ نيويورك) رقم ١٠٨١ شارع كورنيش النيل ـ بجاردن ستى ـ بناء على طلب المؤسسة.

كيان الله ووجوده، ولعلّه من بينها قولنا إن الله لطيف - جميل - حسن .. إلخ. وللإيضاح يمكن - مثلاً - بالنسبة إلى الإنسان نفسه أن نميز بين صفات للإنسان تقوم بها إنسانيته، وبين صفات أخرى يمكن أن يوصف بها ومع ذلك لا يقوم عليها كيانه البشرى. نقول فى تعريف الإنسان «إنه حيوان ناطق» أى (عاقل). فهو أولاً كائن ذو وجود منظور، ثم هو حىّ، ثم هو عاقل. هذه الخصائص الثلاث تجمع كل ما يتصف به «الإنسان» وبها تتميز «إنسانيته» ومن دون هذه الخصائص الثلاث لا يكون إنساناً.

ومع ذلك فهناك صفات أخرى غير هذه يمكن أن يوصف بها إنسان ما، فقد يوصف بأنه صالح - طاهر - سليم - جميل - لطيف - ودود .. إلى آخر هذه الصفات الطيبة. على أن هذه الصفات ليست صفات ضرورية لكيان الإنسان، فقد يوصف شخص آخر بأنه شرير - نجس - مريض - قبيح - شرس - حقود.. إلخ أفهل تخرجه هذه الصفات المضادة من دائرة المملكة الإنسانية؟ بالطبع لا.

وإذن فالصفات الذاتية للكائن هى ما تقوم عليها وبها ذاته وكيانه، ومن دونها لا يكون لذاته قيام أو وجود...

بهذا التحديد نفهم لماذا شرح بعض آباء الكنيسة الأقانيم الإلهية بأنها خصائص وصفات ذاتية بها تقوم الذات الإلهية ومن دونها لا يكون للذات الإلهية كيان أو وجود.

٣ ـ المسيح الكلمة صورة الله الغير المنظور (١)

سؤال: من السيد بهيج جاب الله كندس ـ البلينا.

كيف نوفق بين قول السيد المسيح «أنا والآب واحد» وقوله «أبى أعظم منى». وكيف نقول باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد؟

الجواب:

ليس بين هذه النصوص والأقوال تناقض أو تعارض أو تضاد أو اختلاف. إنها جميعاً حقيقة واحدة، وعقيدة إيمانية واحدة، تقوم **على الإيمان بإله واحد مثلث الأقانيم والصفات**، وبعبارة أخرى **إننا كمسيحيين نؤمن بإله واحد، أحدىّ الذات، مثلث الصفات والخاصيات. إن الله واحد فى جوهره، وحقيقة ذاته، وألوهته، لكن هذه الوحدانية وحدانية حية عاقلة**. ليست وحدانية الله وحدانية صماء مصمتة ميتة، وإنما هى وحدانية حية، وليست وحدانية جامدة، وإنما هى وحدانية عاقلة مدبرة.

فالله الواحد، هو أصل الوجود، ولذلك يوصف بأنه (الآب) والآب فى لغة البشر، وفى اللغات السامية على الخصوص، هو (الأصل)، ومن هذه التسمية يسمّى والد الطفل (بالأب) لأنه (أصل) وجوده.

والله الواحد هو **العقل الأعظم**، وهو الكلىّ الحكمة، والكلىّ العلم، وهو الخالق لكل العقول، فى كل الكائنات العاقلة. ولما كان العقل الإلهى يظهر ويتجلى فى نظام الكون وجمال الطبيعة وفى قوانين الكون وهى تنطق بعظمة (العقل الأعظم)، وتشير إليه وتدل عليه، وتتحدث عنه، لذلك سمى بعض الفلاسفة اليونان نظام العالم، وقوانين الطبيعة، وجمال الكون، باسم (اللوغوس) أو (**الكلمة**) لأنها **تجسيد للعقل الأعظم**، أو هى (الكلمة). لأن العقل الإلهى غير منظور، لكنه يبدو منظوراً فى نظام العالم وقوانين الطبيعة.

ولقد استعار الإنجيل المقدس تعبير (**الكلمة**) أو (اللوغوس) للدلالة على الكيان المنظور للإله الغير المنظور، والكيان المنظور متجسداً فى (المسيح) هو (الكلمة)، أو هو العقل الإلهى متجسداً فى (الكلمة) لأن العقل غير منظور، ولكنه يصير منظوراً ومتجسداً فى الكلمة.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) ـ الأحد ١٥ من يناير (كانون ثان) ١٩٧٨م ـ ٧ طوبة ١٦٩٤ش.

وهذا هو معنى أن المسيح ابن الله، لا بمعنى أن الله يلد كما يلد الإنسان أو الحيوان، معاذ الله! لكنه ابن الله بمعنى أن الله الغير المنظور صار منظوراً فى المسيح. فالمسيح إذن هو الصورة المنظورة لله الغير المنظور. ولذلك قال المسيح له المجد « إن من رآنى فقد رأى الآب» (يوحنا ١٤: ٩)، (١٤: ٧)، (١٢: ٤٥) وقال الكتاب المقدس أيضاً إن «المسيح صورة الله» (٢. كورنثوس ٤: ٤) وقال كذلك إنه «صورة الله الغير المنظور» (كولوسى ١: ١٥).

المسيح إذن هو «كلمة الله» «فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة هو الله» (يوحنا ١: ١).

وهو **«حكمة الله»** (١. كورنثوس ١: ٢٤)، (لوقا ١١: ٤٩).

وهو **«صورة الله»** (٢. كورنثوس ٤: ٤)، (كولوسى ١: ١٥). وهو لذلك **«ابن الله الحى»** (متى ١٦: ١٦).

وإذا كان يسمى بالأقنوم الثانى، فليس لأنه أقل من الآب فى الجوهر ولا لأنه متأخر عنه فى الزمان، حاشا، ولكن هذا الترتيب هو بالنظر إلى معرفة البشر بالله، فهم يعرفون الله بصفة كونه الآب، قبل أن يعرفوه بصفة كونه «الابن»، ذلك لأن التجسد جاء متأخراً فى الزمان.

وكذلك **الروح القدس، الأقنوم الثالث**، لا بترتيب الأسبقية ولا بترتيب الزمان ذلك لأن الروح القدس أزلى أبدى، والروح القدس هو الله ذاته، لأن الله روح وهو قدوس، فهو الروح القدس. وهو الله ذاته من حيث هو الحى الأول، والحى القيوم، الحى الذى به وعليه يقوم الوجود. فهو الحى، وهو الحياة ذاتها، وباعث الحياة فى الوجود، وأصل الحياة، ومنشئ الحياة، ومبدئ الحياة.

ليس الله إذن ثلاثة جواهر، لكنه **«جوهر واحد»** أو **«واحد فى الجوهر»** إنما **ثلاثة أقانيم** (لا ثلاثة جواهر) **والأقانيم خاصيات، وصفات ذاتية أى صفات تقوم عليها وبها الذات الإلهية الواحدة، ومن دونها تنعدم الذات الإلهية ولا يكون لها وجود.**

ولسنا نحن المسيحيين الذين ابتكرنا عقيدة الوحدة الثالوثية أو الإله الواحد **أحدىّ الذات مثلث الأقانيم والصفات**، لكن هو الله ذاته الذى أعلن عن ذاته فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. وقد قال المسيح له المجد لتلاميذه ورسله الأطهار «فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨: ١٩).

وعلى ذلك فقول المسيح «أنا وأبى نحن معاً واحد» (يوحنا ١٠ : ٣٠) معناه أن **(الابن) و(الآب) جوهر واحد، وإله واحد، وذات إلهية واحدة.** وهذا هو مبدأ التوحيد الذى نقرره فى قانون الإيمان «**بالحقيقة نؤمن بإله واحد**».

أما قوله « **أبى أعظم منى**» (يوحنا ١٤ : ٢٨) فالإشارة هنا إلى الفرق فى عظمة (الحال). فإن الابن «اتّخذ صورة العبد صائراً فى شبه الناس» (فيلبى ٢ : ٧) ففيما هو «صورة الله الغير المنظور» قد أخلى نفسه من صورة الرب، واتّخذ صورة العبد، (وصورة الرب) أعظم من (صورة العبد). ويلاحظ أن السيد المسيح قال إن (أبى أعظم منى) لأنه كان فى صدد تعزية تلاميذه عن مفارقته لهم بالجسد، عند مغادرته لهم بصعوده إلى السماء. فقد قال لهم «قد سمعتم قولى إننى سأذهب ثم أجئ ثانية إليكم. فلو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون بأنى أمضى إلى أبى» لأن أبى أعظم منى» (يوحنا ١٤ : ٢٨) فالآب ليس أعظم من الابن فى الجوهر، **لأن الآب والابن جوهر واحد، وفى جوهر واحد، وواحد فى الجوهر.** لكن الابن وهو على الأرض لابساً (صورة العبد فى شبه الناس) كان فى (حال) من الكرامة والبهاء والمجد أقل من (حال) الآب وهو فى كمال البهاء والمجد، فإذا عاد الابن إلى السماء استرد البهاء والمجد الذى كان له «من قبل كون العالم» (يوحنا ١٧ : ٥).

٤ ـ التثليث المسيحى (١)

يواصل الأستاذ أحمد حسين مهاجمته للمسيحية تحت ستار دعوته إلى الإسلام فى خطاب يوجهه إلى كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية. وفى غير صدق وفى غير حق، يعمد إلى السخرية بالعقيدة المسيحية، وتقديمها بصورة شوهاء، ومع بالغ الأسف، مدعياً العلم، على الرغم من أن معلوماته فى الموضوع، معلومات سطحية خاطئة مبتورة، ولغته جارحة مؤلمة، وأسلوبه كله تحقير وازدراء، مشحون كراهية، وهو يرشق المسيحية والمسيحيين بألفاظ مثيرة، يقول: «**وقد فزعت المسيحية للكنيسة من القول بتعدد الآلهة، فاخترعت لذلك تعبير الأقانيم الثلاثة وإنها مظاهر لله الواحد. وضربوا لذلك الأمثلة، ولكن مضمون هذه الأقانيم يدل على أن الذوات متباينة. فالقول على أنه فى يوم الدينونة يجلس الابن على يمين الآب لمحاكمة البشر ومحاسبتهم، أى أنه يوجد للابن دور خاص يقوم به وتشخيص متميز، يبدو عليه. وهكذا نرى أن «حيلة» الآب والابن والروح القدس الكل إله واحد، لا تخرجنا من دائرة تعدد الآلهة الذى هو عقيدة وثنية، وأسطورة أوزوريس وإيزيس وحورس، هى عقيدة مصرية قديمة، وقد سادت عبادة إيزيس حوض البحر الأبيض المتوسط قبيل ظهور المسيحية.. إلى أن يقول «ولمّا كان لم يوجد أحد من المسيحيين قد اجترأ على القول بالثالوث فإن مجمع نيقية لم يتحدث إلا عن ألوهية الآب والابن، ثم رؤى فى لاحق، أن يلحق بهما روح القدس. وهكذا كانت الأقانيم الثلاثة.. والمهم أن القول بتعدد الآلهة، هو قول للكنيسة تبرأ منه المسيحية**».

ماذا نقول لهذا الرجل الذى أباح لنفسه عن حقد وعن جهل أن يتّهم المسيحية بأنها تقول (بتعدد الآلهة)، وأن الكنيسة (اخترعت) تعبير الأقانيم الثلاثة، وأن القول بالآب والابن والروح القدس (حيلة) لا تخرجنا عن دائرة تعدد الآلهة، وهى عقيدة وثنية، وأنه (لم يوجد أحد من المسيحيين قد اجترأ على القول بالثالوث) وأن مجمع نيقية لم يتحدث إلا عن ألوهية الآب والابن.

هل يوجد تشويه فى الدنيا كمثل هذا التشويه؟ لماذا هذا الافتراء؟ وهذا التطاول؟ وكيف أجزت لنفسك أن تردد عدداً من الافتراءات والأغاليط والأخطاء والأكاذيب فى فقرة واحدة؟ ولماذا هذا؟

---

(١) مقال بين عدد من مقالات كانت رداً على مقال للأستاذ أحمد حسين ـ نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٢٠ من أغسطس ـ أب لسنة ١٩٧٨م ـ ١٤ من مسرى لسنة ١٦٩٤ش.

وهل تظن أنك بهذا التشويه وهذه الافتراءات تستطيع أن تقنع المسيحيين بترك دينهم؟

إنه لحرام عليك كل هذا الشر.. وهذا الإيلام، وهذا الإتلاف..

من قال لك يا رجل إن المسيحية تقول بتعدد الآلهة؟ وقانون إيماننا الذى يتلوه المسيحيون فى صلواتهم الخاصة والعامة يصرخ بالحق «**بالحقيقة نؤمن بإله واحد**» ونحن إذ نقول باسم الآب والابن والروح القدس نتبعه بالقول «**الإله الواحد**» ونحن توكيداً لهذه الوحدانية نبدأ البسملة (**باسم**) ولا نقول (بأسماء) لأننا نشير إلى اسم الإله الواحد... وكيف تفرض أنت على المسيحيين القول بتعدد الآلهة، وفى كتابهم المقدس **عشرات ومئات النصوص الصارخة بأن الله واحد ولا يمكن إلا أن يكون واحداً**. ولقد أوردنا على صفحات هذه الجريدة (وطنى)، ثلاث مقالات ذكرنا فيها عشرات الآيات الناطقة بوحدانية الله (١).

أريدك أن تعرف أن المسيحيين قد تعلّموا من الله هذا الدرس، منذ ألوف السنين، **وقد علّموه للناس** ولقّنوه لجميع الخلق.. ولقد وقفت المسيحية ورجالها وقفات كثيرة قوية ضد تعدد الآلهة عند الوثنيين، وضدّ القائلين بإلهين: أحدهما إله الخير والثانى إله الشر، وأنكرت على هؤلاء وأولئك القول بغير إله واحد، ودعت إلى تحطيم التماثيل والأوثان، **ونادت بروحانية الله وكمال صفاته**..

هذا هو الدرس الأول، وقد وعيناه وحفظناه **ولسنا فى حاجة إلى من يعلّمنا هذا الدرس الأولىّ، فقد علّمناه لغيرنا**.. ولكن الله أراد بنا خيراً، إذ شاء أن يعطينا درساً آخر بعد أن حفظنا الدرس الأول ووعيناه..

والدرس الأول هو التوحيد، وأمّا الدرس الثانى فهو تثليث الأقانيم أو الصفات الذاتية فى الله الواحد. والدرس الثانى يدخل بنا إلى طبيعة الله وصفاته الذاتية.. والدرس الثانى لا يتعارض مع الدرس الأول ولكنه يكمله. فهو لا على نقيضه بل على امتداده. ومثل البشرية بالنسبة للدرسين مثل من أتمّوا المرحلة الابتدائية فانتقلوا إلى المرحلة الثانوية. **والمرحلة الثانوية أرقى من المرحلة الابتدائية، وهى امتداد لها، وتقوم عليها..**

---

(١) جريدة (وطنى) فى أعدادها الصادرة صباح الأحد ١٤ من مايو- أيار ثم ٢٨ من مايو- أيار ثم ١١ من يونيه - حزيران لسنة ١٩٧٨م.

كان يمكن أن يقال إنّ هناك تناقضاً بين الدرسين وبين المرحلتين لو أننا قلنا فى المرحلة الأولى بإله واحد، ثم قلنا فى المرحلة الثانية بثلاثة آلهة.. لكن هذا لم يحدث .. إنّ ما تقوله أنت على المسيحية هو محض افتراء، ومحض تشويه، ومحض اختلاق.. وماذا أقول: إنك تدّعى الفهم والمعرفة، ولكن فهمك لهذا الموضوع فهم بعيد عن الحق والصواب.. إننا نقول «بإله واحد، **ولكن لهذا الإله الواحد ثلاثة أقانيم (وليست آلهة) والأقانيم صفات ذاتية تقوم بها الذات الإلهية الواحدة**.. وإذا كانت أقانيم.. فيكفى أن تعرف أنها **صفات ذاتية**، وليست آلهة..

وليس المسيحيون هم الذين اخترعوا القول بتثليث الأقانيم، إنما هو المسيح له المجد هو الذى علّمنا عن الذات الإلهية وقال لتلاميذه «اذهبوا إذن **وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس**» (متى ٢٨: ١٩).

وكيف تدّعى أيها الأخ أن مجمع نيقية الذى انعقد سنة ٣٢٥م لمناقشة بدعة أريوس، لم يتحدث إلا عن ألوهية الآب والابن، ثم رئى فى مجمع لاحق أن يلحق بهما روح القدس!،،.. مع بالغ الأسى والأسف إن كلامك غير صحيح.. فمجمع نيقية قال «**بالحقيقة نؤمن بإله واحد، الله الآب ونؤمن برب واحد يسوع المسيح.. ونؤمن بالروح القدس**». لقد تحدث عن أقنومى الآب والابن، ولم يهمل الكلام عن أقنوم الروح القدس.. وكل ما هنالك أنه لم يفصل القول عن أقنوم الروح القدس كما فصل القول عن أقنوم الآب والابن، وذلك لأن بدعة أريوس كانت ضد أقنوم الابن.. وفى ختام القانون قال «**نعم نؤمن بالروح القدس**» ولما جاء مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م فصل الكلام عن الروح القدس، وذلك رداً على بدعة رجل اسمه مقدونيوس ظهر بعد أريوس...

أما قولك «إنه فى يوم الدينونة يجلس الابن على يمين الآب لمحاكمة البشر ومحاسبتهم أى أنه يوجد للابن دور خاص يقوم به وتشخيص متميز يبدو عليه. وهكذا نرى أن حيلة الآب والابن والروح القدس الكل إله واحد لا تخرجنا من دائرة تعدد الآلهة الذى هو عقيدة وثنية وأسطورة أوزوريس وإيزيس وحورس» ففيه خلط واضح، فالمسيحيون لا يقولون إنه فى يوم الدينونة يجلس الابن على يمين الآب لمحاكمة البشر ... إنما يقولون ما قاله المسيح له المجد عن يوم الدينونة والحساب إنه هو بذاته المسيح الديّان.. «ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وكل الملائكة القديسين معه، يجلس عندئذ على عرش مجده، وتجتمع أمامه كل الشعوب، فيفرز بعضهم من بعض كما يفرز الراعى الخراف من الجداء ثم يقيم الخراف عن يمينه. وأما الجداء فعن يساره ...» (متى ٢٥: ٣١ – ٤٦).

٥ ـ من آيات التلاقى بين المسيحية والإسلام (١)

لعله مما يخدم قضية الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين، وهم أبناء بلد واحد، مصر الحبيبة ذات الحضارة التليدة بل منبع الحضارات، وملتقى الديانات، أن يتبين أبناء هذا البلد، الأمور التى تجمع بينهم، روحيا وعقائديا مما يدعم المحبة بينهم، ويوطد وشائج المودة، ويقوى أواصر الوحدة، فيجعل منهم أمة لا تدحر، صلبة لا تقهر.

ليست هذه دعوة إلى نبذ الخصائص المميزة للإسلام أو للمسيحية، ولا هى مناداة بنوع من الميوعة الدينية العقائدية، معاذ الله! فما قصدنا إلى شىء من هذا!

إنما جُلُّ قصدنا أن نهدىء من حرارة حمى الخلافات العقائدية بين الإسلام والمسيحية، حتى لا يتصاعد منها بخار خانق لمحبتنا، ونحن أبناء عائلة واحدة، ويتحول إلى غمام قاتم يحجب رؤيتنا لما يجمع بيننا فى الواقع فى أصول واحدة مشتركة عزيزة على جميعنا.

أفهل هناك من شكٍ فى أن المسيحية والإسلام تدعوان إلى عبادة الله الواحد الأحد الصمد، الذى لم يكن له كفوا أحد، والذى ليس كمثله شىء، السميع، البصير، الغفور، الرحمن، الرحيم، القوى، العزيز، رب العرش الكريم، وهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شىء عليم؟، وأنهما تأمران بالخير والمعروف وإقامة الصلاة، وتنهيان عن الفحشاء والمنكر والبغى والإثم والعدوان؟

أليس الإسلام والمسيحية يأمران بإكرام الوالدين وينديان أن اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا؟

ألا يدعو دين المسيح ودين محمد بالنهى عن القتل والزنى والسرقة والكذب وشهادة الزور وأن لا يجعل المؤمنون الله عرضة لإيمانهم؟

ألا يأمر الدين الإسلامى والدين المسيحى المؤمنين أن أركعوا واسجدوا واعبدوا وافعلوا الخير، وأن يقضوا بالحق، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل؟

ألا يتفق الدين المسيحى مع الدين الإسلامى على أن متاع الدنيا قليل، والآخرة خير لمن اتقى، والدار الآخرة خير للذين يتقون، وأن المتقين هم أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة،

---

(١) نشر بمجلة (الهلال) فى عدد يناير ـ كانون ثان لسنة ١٩٨٠م، وبجريدة (وطنى) صباح الأحد ٩من مارس ـ آذار لسنة ١٩٨٠م ـ ٣٠ من أمشير لسنة ١٦٩٦ش.

وأن الآخرة هى دار القرار، وأن الآخرة خير وأبقى؟

فى كل أولئك يلتقى المسلمون والمسيحيون، يؤمنون بالله واليوم الآخر، يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة، ويرجون الله واليوم الآخر.

والمعروف أن الإسلام دين توحيد. والدعوة الإسلامية دعوة للإيمان بالله الواحد، وعبادته، وعدم الإشراك به، وما أكثر النصوص القرآنية التى تدعو إلى التوحيد صراحة، وتضمينا:

«وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم» (١٦٣م البقرة ٢)

«إنما الله إله واحد» (١٧١م النساء ٤)

«وما من إله إلا إله واحد» (٧٣م المائدة ٥)

«قل إنما هو إله واحد وإننى برىء مما تشركون» (١٩ك الانعام ٦)

«قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار» (١٦م الرعد ١٣)

«وليعلموا إنما هو إله واحد» (٥٢ك ابراهيم ١٤)

«إلهكم إله واحد» (٢٢ك النحل ١٦)

«وقال الله لا تتخذوا إلهين إثنين إنما هو إله واحد» (٥١ك النحل ١٦)

«إنما إلهكم إله واحد» (١١٠ك الكهف ١٨) - (١٠٨ك الانبياء ٢١) - (٦ك فصلت ٤١)

«فإلهكم إله واحد» (٣٤م الحج ٢٢)

«إن إلهكم لواحد. رب السموات والأرض وما بينهما» (٤ك الصافات ٣٧)

«وما من إله إلا الله الواحد القهار» (٦٥ك ص ٣٨)

«سبحانه هو الله الواحد القهار» (٤ك الزمر ٣٩)

«لمن الملك اليوم لله الواحد القهار» (١٦ك غافر ٤٠)

«قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق إلها واحداً» (١٣٣م البقرة ٢)

«وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو» (٣١م التوبة ٩)

كذلك المسيحية دين توحيد:

فقانون الإيمان الذى يردده جميع المسيحيين فى صلواتهم الخاصة والعامة ويتلونه فى كل

خدمة دينية وفى كل قداس، وفى كل صلاة من الصلوات اليومية، باكرا ونهارا وعشية، ويرنمونه ترنيما، منذ القديم، واليوم، وإلى الأبد، يقولون فى مطلعه «بالحقيقة نؤمن بإله واحد».

والمسيحيون يؤمنون وينادون بأن الله واحد، ولا يمكن إلا أن يكون واحدا، ويقولون: إذا كان هناك إله آخر غير الله، فما عمل هذا الآخر؟ وما هو اختصاصه؟ لأنه ما دام الله غير محدود وغير متناه، فلا مجال لإله آخر، لأن وجود هذا الآخر يتعارض مع صفة اللانهائية واللامحدودية فى الله... فإنه طال ما أن الله يتصف باللانهائية واللامحدودية، فوجوده إذن يملأ كل مكان، ولا يخلوا منه مكان... فكيف، ولماذا، وأين يوجد الإله الآخر؟ وهل هذا الآخر هو فى الكون أم خارج الكون؟ فإذا كان فى الكون، فهل هو فى كل مكان فى الكون، أم فى مكان دون مكان؟ فإذا كان فى كل مكان، فهو شريك مع الله فى وجوده... وبذلك يصبح وجود الواحد منهما فضلة زائدة مع الآخر... فإذا كان الآخر كائنا فى مكان دون مكان، فيترتب عليه أن يكون كل منهما محدودا فى المكان، وهذا يتعارض مع كونه الإله الحقيقى الكائن فى كل مكان ولا يخلو منه مكان.

ثم لما كان الله قادرا على كل شىء، فلماذا يكون ثمت إله آخر؟ وما هو إذن عمل هذا الآخر؟... هل يأخذ هذا الآخر شيئا من اختصاص الله؟... لو كان الأمر كذلك لترتب عليه أن يكون الله غير قادر على كل شىء، أو يكون قادرا على أشياء دون أشياء، لأن هذه الأشياء تدخل فى اختصاص الإله الآخر المزعوم...

وهكذا يمكن منطقيا وعقليا رفض القول بأكثر من إله واحد... واعتباره محالا، لا يقبله العقل ولا يسيغه.

ولقد كتب آباء الكنيسة المسيحية إلى الوثنيين قديما، يثبتون لهم بالدليل العقلى أن الله واحد، ولا يمكن إلا أن يكون واحدا، وأن القول بأكثر من إله أمر لا يقبله العقل... وكان لا بد لآباء الكنيسة أن يكتبوا للوثنيين مدافعين عن عقيدة التوحيد، بالدليل العقلى والمنطقى، ولا يكتفون بالأدلة النقلية المقتبسة من نصوص الكتب المقدسة، لأن الوثنيين لا يؤمنون بالكتب المقدسة.

وقال المسيحيون إن (الواحد) هو أصل الوجود، عليه يقوم كل شىء، وإليه يرتد كل شىء، ومنه يتركب ويتكون كل الوجود... ولا يوجد قبل (الواحد) شىء، فهو الأصل، أو هو أصل الوجود... وإذن فالواحد هو الله، والله واحد، ولا يمكن إلا أن يكون واحدا، ولا يوجد غير إله واحد.

وأضاف المسيحيون إلى الأدلة العقلية والمنطقية التى واجهوا بها الوثنيين أدلة أخرى اقتبسوها من أسفارهم المقدسة، وكانوا - ومازالوا - يبرزونها للمؤمنين من المسيحيين، ولغير المسيحيين ممن يسألونهم عن أسانيدهم فى اعتقادهم بوحدانية الله.

ومن هذه النصوص:

«الرب هو الإله. ليس آخر سواه» (التثنية ٤: ٣٥)

«الرب هو الإله فى السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل. ليس سواه» (التثنية ٤: ٣٩)

«الرب إلهنا رب واحد» (التثنية ٦: ٤)

«الرب وحده ... وليس معه إله» (التثنية ٣٢: ١٢)

«أنا أنا هو، وليس إله معى» (التثنية ٣٢: ٣٩)

«لأنه ليس غيرك» (١ . صموئيل ٢: ٢)

«وأعدوا قلوبكم للرب، واعبدوه وحده» (١ . صموئيل ٧: ٣)

«قد عظمت أيها الرب الإله، لأنه ليس مثلك، وليس إله غيرك» (٢ . صموئيل ٧: ٢٢)

«لأنه من هو إله غير الرب» (٢ . صموئيل ٢٢: ٣٢)

«الرب هو الله، وليس آخر» (١ . الملوك ٨: ٦٠)

«أيها الرب... أنت هو الإله وحدك» (٢ . الملوك ١٩: ١٥)

«أنت الرب الإله وحدك» (٢ . الملوك ١٩: ١٩)

«يارب، ليس مثلك، ولا إله غيرك» (١ . أخبار الأيام ١٧: ٢٠)

«أنت هو الرب وحدك. أنت صنعت السماوات وسماء السماوات وكل جندها، والأرض وكل ما عليها، والبحار وكل ما فيها، وأنت تحييها كلها، وجند السماء لك يسجد» (نحميا ٩: ٦)

«إنك أنت الإله الواحد فى الأرض كلها» (طوبيا ٨: ١٩)

«لا إله قادرا على كل شىء سواه» (طوبيا ١٣: ٤)

«وسجدوا لإله السماء الواحد» (يهوديت ٥: ٩)

«إنك أنت الإله وليس آخر سواك» (يهوديت ٩: ١٩)

«الباسط السماوات وحده» (أيوب ٩: ٨)

«وواحد كوننا فى الرحم» (أيوب ٣١: ١٥)

«لأنه من هو إله غير الرب» (مزمور ١٧: ٣١)

«من مثلك ياالله» (مزمور ٧٠: ١٩)

«إنك اسمك يهوه وحدك العلى» (مزمور ٨٢: ١٨)

«عظيم أنت... أنت الله وحدك» (مزمور ٨٥: ١٠)

«منذ الأزل إلى الأبد أنت الله» (مزمور ٨٩: ٢)

«ليسبحوا اسم الرب، لأنه قد تعالى اسمه وحده» (مزمور ١٤٧: ١٣)

«ليس إله إلا أنت» (الحكمة ١٢: ١٣)

«الاسم الذى لا يشرك فيه أحد» (الحكمة ١٤: ٢١)

«لا إله إلا أنت يارب» (يشوع بن سيراخ ٢٦: ٢، ٥)

«إنك أنت الرب إله الدهور» (يشوع بن سيراخ ٣٦: ١٩)

«يارب الجنود... أنت هو الإله وحدك» (إشعياء ٣٧: ١٦)

«إنك أنت الرب وحدك» (إشعياء ٣٧: ٢٠)

«أنا الرب، أنا الأول والآخر، أنا هو» (إشعياء ٤١: ٤)

«أنا الرب، هذا اسمى، ومجدى لا أعطيه لآخر» (إشعياء ٤٢: ٨)

«أنى أنا هو. لم يكون إله قبلى، ولا إله بعدى» (إشعياء ٤٣: ١٠)

«أنا أنا الرب، وليس غيرى» (إشعياء ٤٣: ١١)

«أنا الأول وأنا الآخر، ولا إله غيرى» (إشعياء ٤٤: ٦)

«هل يوجد إله غيرى» (إشعياء ٤٤: ٨)

«أنا الرب صانع كل شىء، ناشر السماوات وحدى، باسط الأرض. من معى» (إشعياء٤٤: ٢٤)

«أنا الرب وليس آخر. ولا إله سواى» (إشعياء ٤٥: ٥)

«إنه ليس غيرى. أنا الرب، وليس آخر» (إشعياء ٤٥: ٦)

«الله، وليس آخر. ليس إله غيره» (إشعياء ٤٥: ١٤)

«خالق السماوات هو الله. مصور الأرض وصانعها... أنا الرب وليس آخر» (إشعياء ٤٥: ١٨)

«أنا الرب، ولا إله آخر غيرى... ليس سواى» (إشعياء ٤٥: ٢١)

«التفتوا إلى واخلصوا... فإنى أنا الله وليس آخر» (إشعياء ٤٥: ٢٢)

«لأنى أنا الله، وليس آخر، أنا الله وليس مثلى» (إشعياء ٤٦: ٩)

«أنا هو. أنا الأول وأنا الآخر» (إشعياء ٤٨: ١٢)

«إنه لا نظير لك يارب» (إرميا ١٠: ٦)

«ألست مالىء السماوات والأرض، يقول الرب» (إرميا ٢٣: ٢٤)

«هذا هو إلهنا، ولا يعتبر حذاءه آخر» (باروخ ٣: ٣٦)

«فلست تعرف إلها غيرى، وليس مخلص سواى» (هوشع ١٣: ٤)

«أليس إله واحد خلقنا» (ملاخى ٢: ١٠)

انظر أيضا سفر الخروج (٣: ١٤)، (٨: ١٠)، (٩: ١٤)، التثنية (٦: ١٣)، (٧: ٩)، (١٠: ١٧)، (يشوع ٢٢: ٢٢)، (١. صموئيل ٧: ٤)، (١. الملوك ١٨: ٣٦، ٣٩، ٢١، ٢٤)، (الحكمة ١٢: ٢٧)، (إرميا ١٠: ١٠- ١٢).

* * *

ومن تلك النصوص يتبين أن الله تعالى هو الإله وحده، ولا شريك له، وليس كمثله شىء... هو الله، وليس غير الله إله، لم يكن قبله إله ولا يكون بعده إله... هو الواحد والوحيد والمتفرد بالألوهة... هو الواحد الأحد، والرب والصمد والسرمد، الأزلى الذى لا بداءة له والأبدى الذى لا نهاية له.

قال الإنجيل المقدس:

«للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد» (متى ٤: ١٠)، (لوقا ٤: ٨)

«فمن يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله الواحد وحده ؟» (مرقس ٢ : ٧)، (لوقا ٥ : ٢١)

«ليس الصالح إلا واحد هو الله» (مرقس ١٠ : ١٨)، (لوقا ١٨ : ١٩)، (متى ١٩ : ١٧)

«إن الرب إلهنا هو رب واحد» (مرقس ١٢ : ٢٩)، (متى ٢٢ : ٣٧، ٣٨)، (لوقا ١٠ : ٢٧)

«إن الله واحد، وليس آخر سواه» (مرقس ١٢ : ٣٢)

«كيف يمكنكم أن تؤمنوا وأنتم تقبلون المجد بعضكم من بعض وأما المجد الذى من الله الواحد وحده، فلا تبتغونه» (يوحنا ٥ : ٤٤)

«وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك» (يوحنا ١٧ : ٣)

«لأن الله واحد» (رومية ٣ : ٣٠)

«للجميع رب واحد» (رومية ١٠ : ١٢)

«لا إله إلا واحد» (١ . كورنثوس ٨ : ٤)

«لنا إله واحد» (١ . كورنثوس ٨ : ٦)

«الله واحد الذى يعمل الكل فى الكل» (١ . كورنثوس ١٢ : ٦)

«الله واحد» (غلاطية ٣ : ٢٠)

«واحد هو الله، أبو الكل، الذى هو فوق الكل» (أفسس ٤ : ٦)

«اهتديتم إلى الله، وتركتم الأوثان، لتعبدوا الله الحى الحقيقى» (١ . تسالونيكى ١ : ٩)

«ملك الدهور الذى لا يفنى، ولا يرى، الله وحده، له الإكرام والمجد إلى دهر الدهور» (١ . تيموثيئوس ١ : ١٧)

«لأن الله واحد» (١ . تيموثيئوس ٢ : ٥)

«أنت تؤمن بأن الله واحد، فقد أصبت. والشياطين أيضا يؤمنون ويرتعدون» (يعقوب ٢ : ١٩)

«واحد هو واضع الشريعة وهو الديان، الذى يقدر أن يخلص ويهلك» (يعقوب ٤ : ١٢)

«للإله الوحيد مخلصنا... المجد، والعظمة، والعزة والسلطان، قبل كل زمان والآن، وإلى جميع الدهور» (يهوذا : ٢٥)

«أنا هو الألف والياء، البداءة والنهاية، يقول الرب الإله» (الرؤيا ١ : ٨)، (٢٢ : ١٣)

«أنا هو الأول والآخر» (الرؤيا ١ : ١٧)

أما التثليث المسيحى فلا يتعارض مع الإيمان بالتوحيد:

فالمسيحيون يؤمنون بإله واحد، أحدىّ الذات مثلث الأقانيم والخاصيات.

فالتوحيد للذات الإلهية، وأما التثليث فللأقانيم. والأقانيم خاصيات وصفات ذاتية أى بها تقوم الذات الإلهية.

فالله الواحد هو (**أصل**) الوجود، ولذلك فهو (**الآب**). والآب لفظة سريانية بمعنى (**الأصل**).

والله الواحد هو (**العقل**) **الأعظم**، ولما كانت المسيحية تنادى بأن الله قد ظهر وتجلى فى المسيح، على نظير ما ظهر للنبى موسى فى العليقة، وتجلى فى المكان دون أن يحده المكان، لذلك كان المسيح هو (**الكلمة**)، قال الإنجيل «فى البدء كان الكلمة». والكلمة تجسيد (للعقل) فإن (العقل) غير منظور، ولكنه يظهر فى (الكلمة). وهو أيضا (الابن) لا بمعنى الولادة فى عالم الإنسان، بل لأنه «صورة الله الغير المنظور» (كولوسى ١ : ١٥).

والله الواحد هو (**الروح**) الأعظم، وهو «أبو جميع الأرواح» ولهذا فهو (**الروح القدس**)، لأن الله قدوس.

وعلى ذلك **فإيمان المسيحيين بالتثليث لا يتعارض مع إيمانهم بالتوحيد. لأن التثليث ليس تثليث ذوات، لكنه تثليث أقانيم، والأقانيم صفات وخاصيات فى الإله الواحد**، لكنها صفات وخاصيات ذاتية وليست مجرد صفات نسبية. والصفات والخاصيات الذاتية ما تقوم به الذات.

وعندهم أن الله الواحد كائن بذاته، ناطق بكلمته، حى بروحه.

ولذلك يقولون فى البسملة «باسم الآب والابن والروح القدس، **الإله الواحد**».

والخلاصة أن المسيحية قدمت عن الله درسين متممين الواحد للآخر:

الدرس الأول عن **التوحيد**، والدرس الثانى عن **التثليث**. **والدرسان لا يتعارضان.** وإنما الدرس الثانى ينبنى على الدرس الأول، وهو يكمل معرفتنا عن الله الواحد، إذ يدخل بنا إلى طبيعته وصفاته. ولم تقدم الدرس الثانى إلا بعد أن استقر الدرس الأول فى أذهان الناس: **إن الله واحد أحد، وليس غيره إله.**

٦ ـ العلاقة بين الأقانيم الثلاثة (١)

سؤال : من الأخ لويس شاكر بشبرا.

نقول نحن فى تفسيرنا المنطقى للأقانيم الثلاثة هكذا : الله موجود بذاته : الآب. والله ناطق بكلمته : الابن. والله حى بروحه : الروح القدس ولكننا نعلم أن كل أقنوم من هذه الأقانيم لازم الوجود والنطق والحياة، وإذن فكل أقنوم يساوى ثلاثة وهكذا.. فكيف السبيل إلى ذلك؟!.

الجواب :

إذا كان الله موجودا بذاته، ناطقاً بكلمته، حيا بروحه، فالله واحد، والأقانيم ثلاثة : الأب هو الوجود، والابن (الكلمة) هو النطق أو العقل أو الحكمة، والروح القدس هو الحياة.

والآب كائن بذاته، ناطق بالكلمة، حى بالروح القدس : هو الأصل، والد الكلمة، وباثق الروح القدس.

والكلمة هو عقل الله : كائن بالآب، وحى بالروح القدس. فهو مولود من الآب. والروح القدس هو الحياة فى الله : كائن بالآب، وناطق بالكلمة.

وإذا كان يمكن تصور الآب بلا عقل ولا روح فقد تجرد الآب عن صفتين ذاتيتين فيه، من دونهما ينعدم وجوده وجوهره. وكيف يمكن تصور باثق الحياة فى المادة، ومبدع العقل فى الوجود، بلا حياة أو عقل؟!.

فإذا كان ذلك مستحيلا فقد تبين حقيقة الجوهر الواحد فى الأقانيم الثلاثة. فليس بين الأقانيم إنفصال بل هى صفات ذاتية فى جوهر الله. على أن كل أقنوم يتميز عن الأقنومين الآخرين بصفة ينفرد بها، أو وظيفة يقوم بها، لكنه فى الآن نفسه مرتبط فى الجوهر الإلهى بالأقنومين الآخرين، اللذين ينفرد كل منهما بصفة أو وظيفة تخصه ولكنه مرتبط أيضاً فى الجوهر الإلهى بالأقنومين الآخرين : الآب هو الوجود الإلهى، والابن هو العقل الإلهى، والروح القدس هو الحياة فى الله.

يقول القديس أثناسيوس الرسولى فى قانونه المسمى باسمه «وكل من يروم أن يخلص يتحتم عليه أولا وقبل كل شئ أن يحفظ الإيمان، ومن لا يحفظه بأكمله، من غير تعديل فيه، يموت موتاً أبدياً. وهذا الإيمان هو أن يعبد إلهاً واحداً فى ثالوث وثالوثاً فى واحدانية، من غير اختلاط فى الأقانيم ولا تقسيم فى الذات. لأن أقنوم الآب هو غير أقنوم الابن وغير أقنوم الروح القدس. ولكن الآب والابن والروح القدس إله واحد».

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٤ عدد ١٠ ديسمبر ١٩٥٠ م.

٧ ـ خطاب إلى الشيخ محمد متولى الشعراوى (١)

ما كان يخطر لبالى يوما من الأيام أننى سأضطر إلى أن أكتب إلى الشيخ محمد متولى الشعراوى خطابا مفتوحا يُنشر فى صحيفة عامة، ولكن الذى حملنى على أمر لا أريده، ولا أؤمن بجدواه، أن الشيخ سمح لنفسه أن يستغل التليفزيون ـ وهو أداة إعلامية عامة ليست قاصرة على واحد من عنصرى الأمة ـ لتشويه العقيدة المسيحية ومهاجمتها بأسلوب ساخر، ويظهر أن الشيخ قد بلغ من كمال المعرفة والحكمة والفهم بحيث صار من السهل عليه أن ينقد المسيحية فى صميم معتقداتها، وكأنه يكلم أطفالا صغارا يلقنهم ـ وهو العالم الكبير ـ حروف الهجاء، أو يخاطب أناسا بلهاء فاقدى الوعى وكأنه هو العالم وحده المحيط بكل الأسرار، وهو لذلك يهتاج وينفعل، ثم يندهش لأن المسيحيين وأهل الكتاب (أغبياء وحمقى) فلم يستطيعوا أن يرتفعوا إلى شئ من القامة العالية التى بلغها سيادته.

ولقد ذهب الشيخ فى غلواء التطرف إلى السخرية من عقيدة المسيحيين فى المسيح أنه ابن الله، وأنه الله المتجسد، والسخرية من التثليث المسيحى، والسخرية من التجسد، ومن الصلب والفداء وكل عقائد المسيحية العظمى والاستهزاء أيضا بمعنى المعمودية المسيحية... الخ وإذ وجد من يمدحه بأنه الداعية الإسلامى الكبير، فمن فرط إنفعاله بالمدح ذهبت به غلواؤه فى ثقته بنفسه أن يسخر حتى بالمسيح، الأمر الذى ينفرد به الشيخ، فلم نر ولم نقرأ ولم نسمع شيئا من هذا القبيل من أى من إخوتنا المسلمين القدماء والمحدثين. ونحن لا نريد أن نردد هنا ما قاله ويقوله الشيخ عن المسيح لئلا يفرح الشيطان بترويجنا لأفكار شريرة من خلال ردنا عليه، وهو المنهج الذى اتبعه الإمام الغزالى، فقد قال الشيخ الغزالى (١٠٥٩ – ١١١١) أنه لا يريد أن يذكر آراء كثير من الفرق التى انحرفت عن تعاليم الإسلام لئلا يعلق بأذهان من يقرأون كتابه الأفكار الضالة والمنحرفة أكثر مما يعلق بأذهانهم رده الصائب عنها.

لقد كنا نرجو للشيخ الشعراوى أن يقصر شروحه على الإسلام. أما أن يتجاوز شرح الإسلام إلى مهاجمة المسيحية والسخرية بعقائد المسيحيين، فهذا أمر لا يقره ضمير منصف، أن ينزل الرجل إلى حلبة للتحدى فى ميدان عام لا يقف آخر ينازله، ليقارعه الحجة بالحجة والدليل بالدليل.

---

(١) يرجع تاريخ هذا المقال الذى لم ينشر إلى أواخر سنة ١٩٨٠.

ونحن كمسيحيين لا نكاد نفهم لماذا سمح الشيخ لنفسه أن يدخل فى هذا التحدى وهو يعلم أنه ليس أمامه فى التليفزيون شخص آخر مقابله. فكيف يثبت الشيخ نجاحه فى هذا التحدى، دون أن يكون له فى هذا المضمار شخص آخر يقف ضده؟ إن المحاربين منذ أقدم العصور كانوا يثبتون كفاءتهم القتالية بأن يعرضوا بشرف استعدادهم وترحيبهم بمنافسيهم وذلك ليستمتع المتفرجون بهذه الرياضة المزدوجة بين فريقين، يبذل كل فريق جهده للانتصار على غريمه. وفى هذا تشجيع وتقوية للروح الرياضية فى المجتمع وما تعود به على المجتمع من فوائد روحية وإجتماعية وبدنية، وفيه أيضا متعة نفسية للمشاهدين، وتربية وجدانية، وذهنية وعاطفية للجماهير.

لسنا نفهم كيف غاب عن عقل الشيخ أن البرنامج الدينى فى التليفزيون ليس هو المجال الطبيعى المناسب للدخول فى هذا التحدى السافر للمسيحية فى صميم عقائدها العظمى، وكيف قبل على نفسه أن يدخل فى تحد علنى وجهارى وليس أمامه فى المضمار إنسان آخر، يمكنه على الأقل أن يدخل معه فى هذا الحوار أو هذا التحدى.

لسنا نفهم هذا الأمر من جانب الشيخ الشعراوى. **على أنه إذا كنا نعرف لماذا انزلق الشيخ إلى هذا المنزلق ليجرح مشاعر المسيحيين، فإننا لا نكاد نفهم الموقف كله من جانب المسئولين عن البرنامج الدينى فى هيئة تليفزيون جمهورية مصر العربية حتى لو قيل إن الشيخ لا يتعرض للمسيحية إلا من خلال شرحه للنصوص القرآنية التى تتناول العقائد المسيحية. فقد يكون لهذا المنطق ما يبرره بعض التبرير لو كان هذا الشرح مقصورا على أحد المساجد، أو فى حلقة من حلقات الأزهر. أما أن يتناول الشرح تشويه المسيحية ومهاجمة عقائدها فى التليفزيون وهو أداة عامة لجميع المواطنين، فالمسيحيون يفهمون أن هذا تحرش بهم، وإثارة لها أخطارها الكبيرة على سلامة جبهتنا الداخلية، وهو أسلوب سيعود بنا إلى عقلية العصور الوسطى ومنهجها فى التشهير بعقائد الآخرين.**

إننا نتساءل مرة أخرى هل المسؤولون فى هيئة التليفزيون، عن البرنامج الدينى يعلمون أن الشيخ متولى الشعراوى يتحرش فى شروحه بالمسيحية والمسيحيين ويؤذى مشاعرهم فى المسيح وعقائد المسيحية العظمى، وبهذا يُنشئ

ويخلق حربا دينية، أو أنهم لا يعلمون؟. وإذا كانوا يعلمون، فلماذا؟ وإذا لم يكونوا يعلمون، فما هو موقفهم بعد أن علموا؟!.

هل يتوقع الشيخ الشعراوى أن المسيحيين سيقفون مكتوفى الأيدى إزاء هذا التحدى الصارخ للعقيدة المسيحية والسخرية بها... هل يتوقع أنهم سيرفعون الراية البيضاء ويستسلمون لمنطقه، ويقولون إن ديانتهم العريقة خاطئة وأن عقائدهم متهافتة؟... إن هذا الأسلوب المثير لن يجدى فى كسب المسيحيين إلى الإسلام. إنه سيثيرهم بالأكثر وسيحفزهم إلى الرد على الشيخ، بما يعرفون. وأما من لا علم لهم فسيلجأون إلى علمائهم ورجال الدين عندهم يسألونهم عن صحة ما قاله ويقوله الشيخ الشعراوى، وسيرتد كل ذلك بالخير على المسيحية والمسيحيين، وكما يقولون «رب ضارة نافعة»، «فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا». وفى الكتاب المقدس عبارة فى هذا الصدد «من الآكل خرج أكل، ومن الجافى خرجت حلاوة» (القضاة١٤: ١٤) وأيضاً «أن كل الأشياء تعمل معا للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده» (رومية ٨ : ٢٨).

إننا نريد أن نطمئن الشيخ محمد متولى الشعراوى أننا غير منزعجين ولا مضطربين مما قاله أو يقوله... إننا نتوقع منه المزيد، ونحن مطمئنون تماما إلى ديانتنا ونعرف حقيقة الأرض الصلبة القائمة عليها مسيحيتنا. وكما قال الرسول القديس بولس «لهذا السبب أحتمل هذه المحن أيضا، غير أنى لا أستحيى بها، لأنى عالم بمن آمنت، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى إلى ذلك اليوم» (٢ . تيموثيوس ١ : ١١، ١٢).

وكل ما نريده أيها الشيخ أن تبقى كما أنت فى مكانتك العلمية والدينية التى تحتلها، ولا تنزل عنها. وأعتقد أنك تعلم أن العالِم يظل عالما حين يتكلم بما يعلم... أما إذا أقحم نفسه فبدأ يتكلم بما لا يعلم فهنا، وهنا يبدأ العالِم أن ينزل عن مستواه.

والواضح وضوح الشمس فى رائعة النهار أنك فى كل ما قلته عن المسيحية أنك لا تعرف عن المسيحية شيئاً إلا من خلال النصوص القرآنية التى حصرت ذاتك فيها، وهى نصوص لا تخصنا نحن المسيحيين.

هل تعلم أيها الشيخ أنك فى كلامك عن المسيحية تردد أقوال النساطرة الذين كانت لهم أديرتهم ورهبانهم فى بلاد العرب أثناء الدعوة الإسلامية. وما تقوله أنت الآن فى الربع الأخير من القرن العشرين كان يقوله النساطرة، ومنهم الراهب النسطورى المدعو (بحِيرا) والمعروف عنه أنه كان يتعاطى النجامة والسِحْر (انظر معجم المنجد) و (الموسوعة العربية الميسرة) بإشراف محمد شفيق غربال صفحة ٣٣٠، ١٦٥٧.

لقد كان النساطرة - ومازال لهم وجود ضعيف هزيل فى العراق - مطرودين محرومين من الكنيسة المسيحية لأنهم إنحرفوا فى فهم المسيحية فاستقروا فى بلاد العرب، ولم يهدأوا، بل كانوا موتورين، وصاروا يهاجمون المسيحية الأرثوذكسية، ولكى يسهل عليهم نقد المسيحية، كانوا يشوهون تعاليمها ليسهل عليهم نقدها والتشهير بها.

فأنت إذ تردد «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم» و «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة» و «يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله» و «إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد» و «بديع السموات والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة».

كل هذه النصوص وأمثالها مما تردده، ليست جديدة علينا، إنها بعينها الاتهامات التى كان يرددها النساطرة أثناء نشأة بدعتهم فى القرن الخامس والتى انعقد بسببها المجمع المسكونى الثالث فى أفسس فى سنة ٤٣١م، والذى رأسه البابا كيرلس الأول المسمى عمود الإيمان، وهو الرابع والعشرون من بطاركة الكرسى المرقسى والذى يعتبره المسيحيون اليوم شرقاً وغرباً بأنه (الأب لجميع المسيحيين) الأرثوذكس منهم والكاثوليك، وقد احتفل العالم المسيحى فى عام ١٩٤٤ بمرور ستة عشر قرنا (١٦٠٠سنة) على وفاته وقد كانت - ومازالت - تعتبر رسائله العقائدية الثلاثة دستورا للإيمان وتعليما يلتزم به المسيحيون جميعا شرقاً وغرباً، وكتاباته تعد أصدق تعبير عن العقيدة المسيحية... أما النساطرة، أيها الشيخ، فهم الذين حرمهم مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م، ومازالوا محرومين، وقد نفى نسطور زعيمهم إلى مدينة أخميم فى صعيد مصر، إذ وجد الإمبراطور أن خير مكان ينفى إليه نسطور هو أخميم حيث كان الأقباط بزعامة الراهب شنوده المعروف برئيس المتوحدين فى مستوى إيمانى بلاهوت المسيح بحيث لا يستطيع نسطور بكل بلاغته أن يزحزح منه شيئا. وأما قومه فنفوهم خارج حدود الإمبراطورية الرومانية فاستقروا فى بلاد العرب، وصارت لهم فى بلاد العرب أديرتهم...

هؤلاء النساطرة كانوا فى دعوتهم يعملون كل جهدهم على تشويه المسيحية، وهم الذين كانوا يرددون هذه الأقوال، تشويها للمسيحية الأرثوذكسية ودفاعا عن أنفسهم، وترويجا لمبادئهم الضالة المنحرفة عن المفهوم المسيحى السليم.

لذلك فإن كل ما قلته وما تقوله فى مهاجمتك للمسيحية، معروف لدينا سابقا، ومعروف أن مصادره نسطورية، وهى بدعة وهرطقة مسيحية، أراد دعاتها أن يوسعوا من قاعدة المؤمنين، بمذهبهم، فليس ما يقوله ويردده الشيخ محمد متولى الشعراوى إلا امتداداً للنسطورية.

إنه ليس علينا بجديد. فهون على نفسك. وليس من الإنصاف الذى يتصف به كل عالم حقيقى أن يتبنى رأيا دون أن يعرف ما وراءه وما تحته من أسانيد وبراهين روحانية عقلانية، ودون أن يعود إلى التاريخ، لئلا ينزلق فى مطب، حيث يدخل فى خصومة مع غيره من دون داع ومبرر، خصوصا وأن هذا الأمر لن يحدث من ورائه لك أو للمسلمين من فائدة حقيقية. أما الذين سوف يستفيدون حقا من هذا الجدل العقيم فهم الملحدون وأعداء الدين، كل دين.

إن جوهر الدين - أى دين - هو دعوة روحية لعبادة الله الواحد الأحد، ونشر الخير بين الناس والدعوة إلى الفضيلة، الأمر الذى كنا نود أن توليه إهتمامك، فإن الناس فى زماننا أحوج ما يكونون إلى من يدعوهم إلى الفضيلة وإلى العمل الصالح، بدلا من أن توزع جهودهم فى مهاجمة الأديان الأخرى.

٨ ـ خطاب إلى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى (١)

فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هل يسمح فضيلتكم أن أناقش معكم تعبيراً وتفسيراً تكرر منكم عشرات المرات فى كتاباتكم ومقالاتكم فى (اللواء الإسلامى) والتى يسجلها عنكم فى يوميات جريدة (الأخبار) الأستاذ أحمد زين مدير تحرير الأخبار، فضلاً عن حلقاتكم ولقاءاتكم بالتليفزيون.

لقد تكرر عشرات المرات قولكم فى نقد إعتقاد النصارى فى المسيح (أيوجد ابن بلا أب) وردكم المألوف (لقد جاء بدون أب.. لكن آدم جاء بدون أب وبدون أم).

وإنى أسألكم يا فضيلة الشيخ الشعراوى : ما وجه الغرابة فى أن يجئ آدم بدون أب وبدون أم، حيث أن آدم هو أول إنسان خلقه الله تعالى؟

ومع ذلك يبقى السؤال قائماً، وعليكم أن تردوا عليه الجواب : هل حدث من بعد آدم أن جاء إنسان من غير أب إلا المسيح عيسى أو يسوع ؟

ما هو جوابكم على هذا السؤال ؟

ألم يخطر ببالكم ولو مرة واحدة هذا السؤال ؟ وبعد، فما هو جوابكم ؟

نريد منكم جواباً يرضى العقل والقلب غير قولكم المتكرر (إنها طلاقة القدرة).

لا جدل فى أن الله تعالى كلى القدرة، لكن لماذا كان المسيح عيسى (يسوع) وحده هو الذى يجئ بغير أب من الناس ؟

ما معنى هذا ؟

ولماذا كان هذا ؟

ثم أريد أن أسالكم، أو بالأحرى أن أسأل العقل والقلب فى فضيلة الشيخ الشعراوى.

هل حدث فى كل تاريخ الإنسانية منذ آدم إلى اليوم : أن وليداً ينادى أمه من تحتها ساعة مولده ؟

---

(١) أرسل بتاريخ ٤ من نوفمبر ـ تشرين ثان لسنة ١٩٨٥م.

ألم يقل القرآن فى سورة مريم : (٢٣) (فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا(٢٤) وهُزِّى إليك بجزع النخلة تسقط عليك رطباً جنيا (٢٥) فكلى واشربى وقرى عينا فإما ترينَّ من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا) .

وهل حدث فى كل تاريخ البشر على وجه الأرض أن وليدا يكلم الناس وهو فى المهد، فى يوم ميلاده ؟

ألم يقل القرآن فى سورة مريم.

(٢٦) فأتت به قومها تحمله قالوا يمريم لقد جئت شيئا فريا.

(٢٧) يأخت هرون ما كان أبوك امرأ سَوء وما كانت أمك بغيا.

(٢٨) فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا.

(٢٩) قال إنى عبد الله اتنى الكتب وجعلنى نبيا (٣٠) وجعلنى مباركاً أين ما كنت وأوصنى بالصلوة والزكوة ما دمت حيا (٣١) وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً (٣٢) والسَّلمَ على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) .

يا فضيلة الشيخ الشعراوى.

إنى لا أتوقع أن ترد علىّ بخطاب، فالنصارى فى نظرك كفار ومشركون وقد حرفوا كتب أنبيائهم ولذلك ـ أعدت لهم جهنم مقراً ومستقراً ـ وأما أنتم فالمؤمنون وحدكم، ولكم وحدكم الجنة ... إنما هذا سؤالى أوجهه إلى ضميركم الباطن المستور عن عيون الناس، فإن الروح الإنسانية فيكم التى خلقها الله وأودعها فيكم تطلب جواباً مريحاً عن هذا السؤال. فهل لكم أن تجيبوا على السؤال إجابة مرضية مقنعة شافية بكل الأمانة التى يتطلبها ضمير أهل الجنة ؟

مع تمنياتى لفضيلتكم بالخير ـ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٩ ـ تعقيب على تعقيب (١)

كتب فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف الأسبق فى جريدة الأهرام بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٨٥ تعقيباً على ما كتبه الأستاذ الدكتور محمد عبد الهادى الشقنقيرى عن السيد المسيح، فى تفسير أن المسيح كلمة الله وروح منه، وانبرى سيادته يناقش عقيدة المسيحيين فى ألوهية المسيح، ويورد صريح ما نص عليه القرآن الذى يكفر من يقول بألوهية المسيح «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم» «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد» (٧٢، ٧٣ من سورة المائدة) ويقول (القرآن) «إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه» ١٧١ من سورة النساء.

ولو أن فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر اكتفى بما أورده القرآن صراحة فى تكفير من يقول بألوهية المسيح لبيان عقيدته الإسلامية فى السيد المسيح، لما كان لنا أن نناقشه أو نراجعه فيما قال... إلا أنه شاء أن يضيف من عنده أنه «قد جاء فى الأناجيل ما جاء فى القرآن من ناحية «عدم ألوهية المسيح، واقتصاره على الرسالة فحسب». ثم يورد فضيلته بضع نصوص مبتورة من الأناجيل انتزعها سيادته انتزاعاً متعمداً مما قبلها ومما بعدها، وعزلها عزلاً تاماً عن سياقها فى جرأة شديدة، وليصل بسرعة هائلة إلى النتيجة التى ترضيه إذ يقول فضيلته «جاء فى الأناجيل ما جاء فى القرآن من ناحية عدم ألوهية المسيح». ثم يضيف قائلاً: «وبذلك تتلاقى هذه النصوص الإنجيلية مع القرآن فى نفى الألوهية عنه... والقرآن يكفر من يقول ذلك».

فإذا كان القرآن يقول صراحة «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم» فمعناه أن **الاعتقاد فى ألوهية السيد المسيح ليس بدعة جديدة استحدثها المسيحيون، لكنها عقيدة قديمة كانت معروفة قبل القرن السابع للميلاد**، وقد كفر القرآن القائلين بها، فكيف جاز لفضيلة الدكتور عبد المنعم النمر أن يزعم أنه قد «جاء فى الأناجيل ما جاء فى القرآن من ناحية عدم ألوهية المسيح»؟ وما يكرره بعد إيراد ما شاء أن يورده من بعض النصوص الإنجيلية مما ظنه «يتلاقى مع القرآن فى نفى الألوهية عنه».

ألا يؤمن فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر بالقرآن ؟

لقد قال القرآن صراحة «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم» إذن هناك من قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، وهؤلاء كافرون أو كفار، فكيف ينفى الإنجيل ألوهية السيد المسيح التى يكفر القرآن من يقول بها، ومع ذلك «تتلاقى النصوص الإنجيلية مع القرآن فى نفى الألوهية عن السيد المسيح»؟!!

---

(١) نشر بجريدة وطنى فى ٧ من يوليو ١٩٨٥م - ٣٠ من بؤونه ١٧٠١ ش.

شكراً لله أولا وقبل كل شئ، فإن القرآن بقوله «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم» أعفانا من التدليل على أن ما يقوله المسيحيون عن ألوهية السيد المسيح هو بعينه ما كانوا يقولونه من قبل القرن السابع للميلاد، فلم يستحدث المسيحيون عقيدة ألوهية السيد المسيح، وإنما هى عقيدتهم بعينها منذ الابتداء، وهى عقيدة المسيحيين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم. إنها عقيدتهم بالإجماع شرقاً وغرباً، سواء الأرثوذكس منهم أو الكاثوليك أو البروتستانت... لا خلاف بينهم على أن المسيح هو «الله الكلمة متجسداً» (يوحنا ١ : ١٤) «الله الظاهر فى الجسد» (١. تيموثيوس ٣ : ١٦) الله وقد تجلى فى كيان منظور هو المسيح، وهذا هو معنى أنه (ابن الله)، لا بمعنى أن الله يلد كما يلد الإنسان أو الحيوان، معاذ الله من ذلك، لكنه هو ابن الله بمعنى أنه «صورة الله الغير المنظور» (كولوسى ١ : ١٥)، أى أن الله وهو الغير المنظور بطبيعته (يوحنا ١ : ١٨) قد تلبس بإنسانيتنا، ليصير منظوراً للناس. فالمسيح هو الله الغير المنظور وقد صار منظوراً. ولماذا صار منظوراً؟ لينجز مهمة الفداء والخلاص التى ما كان يمكن لغير الله أن يقوم بها. فالله قد تجسد فى المسيح من أجل الفداء والخلاص. فالفداء كان هو الغاية، والتجسد كان هو الوسيلة.

أما النصوص الإنجيلية التى انتزعها فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر، من سياقها فيحتاج الأمر فى شرحها إلى بيان طويل ليس هنا مجاله، وقد كتبنا فى الموضوع سلسلة كتب تحت عنوان «أنت المسيح ابن الله الحى» أخرجنا منها حتى الآن ستة أجزاء... (١)

وملاك القول إننى أريد أن أؤكد لفضيلة الدكتور عبد المنعم النمر، إننا سعداء بقول القرآن «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم»... هذه عقيدتنا ونحن سعداء بها، ونحن لا نغضب أن يقال عنا من جانب الذين لا يعرفون المسيح على حقيقته، إننا كفار... فالمسيحيون كفار وكافرون بعقيدة من لا يؤمن بلاهوت المسيح.

لابد أن يعلم فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر أن قضية طبيعة المسيح، وأنه فى ذاته وحقيقته هو الله وقد تجسد، وأنه لذلك هو الله وهو ابن الله فى الآن نفسه... هى نقطة الخلاف الكبرى والعظمى بين الإسلام والمسيحية ؟، إنها كانت ومازالت، وستظل إلى يوم الدين، هى جوهر الخلاف ومحور الإختلاف بين الدينين، بل أقول إن رسالة الإسلام الأولى التى نهض من أجلها، هى مناهضة العقيدة المسيحية فى لاهوت المسيح التى فهمت على أنها تتعارض مع (التوحيد)

(١) وصل عددهم إلى تسعة أجزاء وقد تم تجميعهم فى هذا المجلد.

والتوحيد هو الإسلام، والإسلام هو التوحيد.

فكيف إذن نغضب نحن المسيحيين من قول القرآن «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم» ؟

ثم أسأل فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر : إذا كان حقاً ما يقوله فضيلته «إن النصوص الإنجيلية تتلاقى مع القرآن فى نفى الألوهية عن المسيح»، فلماذا أورد فضيلته بعض النصوص بعد أن انتزعها من سياقها، ودفعها دفعاً، وهى نصوص لو أنه تأملها سيادته بأمانة لخرج بنتيجة تتعارض جذرياً مع ما توصل إليه فضيلته من نتيجة سريعة. وهو ماشرحه علماء المسيحيين فى كتاباتهم وتواليفهم بمقارنة النصوص، وفهمها فى سياقها الصحيح...

لكننا مع ذلك نسأل فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر، إذا كان حقاً ما يقوله من أن النصوص الإنجيلية تتلاقى مع القرآن فى نفى الألوهية عن المسيح، فما رأى فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر فى قول الإنجيل للقديس يوحنا فى مطلعه «**فى البدء كان الكلمة**. والكلمة كان لدى الله. **وكان الكلمة هو الله. كان منذ الأزل لدى الله. كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان**. كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتياً إلى العالم. **كان فى العالم، وكان العالم به**، والعالم لم يعرفه. إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله...» (الإنجيل للقديس يوحنا ١ : ١ - ١١) ؟

وما قول فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر فيما قاله المسيح له المجد لتلاميذه فى ليلة آلامه التى صلب فى غدها «أنا هو الطريق والحق والحياة. لا يأتى أحد إلى الآب إلا بى. لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى (الآب السماوى) أيضاً. ومنذ الآن تعرفونه. **وقد رأيتموه (فىّ)** فقال له فيلبس : يارب أرنا الآب وكفانا. قال له يسوع : **أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى بعد يا فيلبس ؟ من رآنى فقد رأى الآب**، فكيف تقول أنت أرنا الآب؟. ألا تؤمن بإنى فى أبى، وأن أبى فىّ. إن الكلام الذى أكلمكم به لا أتكلم به من نفسى أنا وحدى، وإنما **الآب الكائن فىّ** هو الذى يعمل الأعمال. صدقونى **أنى فى أبى، وأن أبى فىّ**، وإلا فصدقونى من أجل الأعمال نفسها» (يوحنا ١٤ : ٦ - ١١).

وماذا يقول فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر فى قول المسيح له المجد وهو **ينسب إلى ذاته ما لا ينسب إلا إلى الله الواحد وحده : «أنا هو الألف والياء، البداءة والنهاية... الكائن والذى كان والدائم، والقادر على كل شئ»**، وقوله «**أنا هو الأول والآخر، والحى**، وكنت قد مت (بالجسد فى الصلب) **وها أنا الحى إلى أبد الآبدين**، ولى مفاتيح الهاوية والموت» (سفر الرؤيا ١ : ١٠، ١٧، ١٨) ؟

والآن هل من شك فى أن المسيحيين كافرون وكفار لأنهم كانوا ومازالوا وسيظلون يعتقدون فى لاهوت المسيح ؟

أرجو أن يعلم فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر أن **عقيدة لاهوت المسيح، وأنه هو الله وقد ظهر فى الجسد، وقد تجلى فى إنسانية الناس من أجل خلاص آدم وذريته، هى الصخرة التى بنى عليها المسيح كنيسته**. قال السيد المسيح له المجد : «**وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها**» (متى ١٦ : ١٨). وقال الملاك جبرائيل وهو يبشر العذراء مريم بالحمل الإلهى منها «**القدوس الذى سيولد منك يدعى ابن الله.. فيملك.. إلى الأبد. ولن يكون لملكه إنقضاء**» (الإنجيل للقديس لوقا ١ : ٣٣، ٣٥) ؟

وهنا سؤال عابر، مجرد سؤال :

ألم يقل القرآن عن المسيح فى سورة مريم ١٦ : ١٩ : ٢٣ – ٢٥ «فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا. وهزى إليك بجزع النخلة تسقط عليك رطباً جنيا. فكلى واشربى وقرى عينا، فإما ترين من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا».

أفهل حدث فى تاريخ البشرية منذ آدم أن فتاة تلد وهى عذراء؟ هل حدث ذلك يوما ما؟ ثم إذا كان لكل إنسان أب، والمسيح كإنسان ولد من أم بغير زرع رجل، فمن يكون أباه؟ ثم هل حدث فى كل التاريخ الإنسانى منذ آدم إلى يومنا هذا أن وليدا فى اللحظة الأولى لولادته ينادى أمه من تحتها ويكلمها على النحو الذى رواه القرآن ؟

ثم هل حدث فى كل تاريخ البشرية أن وليدا يكلم الناس إذ أتت به مريم قومها تحمله فقد جاء فى القرآن «فأشارت إليه، قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً. وجعلنى مباركاً أين ما كنت وأوصانى بالصلوة والزكوة مادمت حيا، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً. والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا» (١٦ : ١٩ : ٢٨ – ٣٢).

إنه مجرد تساؤل : **هل حدث هذا لنبى أو غير نبى؟ من قبل أو من بعد** ؟ أعرف إجابتكم على هذا السؤال مسبقاً : أقصد إجابتكم التقليدية. ستقولون إن هذا مرده إلى طلاقة القدرة الإلهية.. ومع ذلك يبقى السؤال قائماً : **لماذا هذا ؟ وهل حدث مثله بالنسبة لكائن آخر نبياً أو غير نبى، فى كل التاريخ منذ آدم وقبل آدم؟. لماذا؟ لماذا؟ وما معنى هذا؟**

إنه مجرد سؤال مطروح ؟

١٠ ـ إلى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى (١)

يواصل الشيخ محمد متولى الشعراوى بغير هوادة هجومه فى جريدة (اللواء الإسلامى) وفى حلقاته التليفزيونية، على إعتقاد المسيحيين فى لاهوت المسيح، ويهزأ ويسخر من حقيقة صلب المسيح وعمل الفداء.

فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبت لفضيلتكم قبل الآن خطاباً بتاريخ ١٩٨٥/١١/٤ ورجوتكم فيه أن تسألوا العقل فيكم والضمير، لماذا كان المسيح عيسى وحده بحسب ما جاء عنه فى القرآن كلم والدته العذراء الطهور مريم ساعة ميلاده منها (فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا. وهزى إليك بجزع النخلة تسقط عليك رطبا جنياً) الأمر الذى لم يسبق إليه عند أحد من بنى آدم من يوم الخليقة حتى الآن، سواء كان نبياً أو غير نبى ؟

وسألت فيكم العقل والقلب والضمير أن تجيبوا بكل الأمانة التى يقتضيها ضمير أهل الجنة، هل حدث من يوم أن خلق الله آدم أن يتكلم أحد وهو فى المهد كلاماً كثيراً كذلك الذى رواه القرآن عن المسيح يسوع عيسى (فأتت به قومها تحمله قالوا يمريم لقد جئت شيئاً فريا. يأخت هرون ما كان أبوك أمرأ سوء وما كانت أمك بغياً. فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً. قال إنى عبد الله. أتنى الكتب وجعلنى نبيا. وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيا، والسلّم علىّ يوم ولدت، ويوم أموت، ويوم أبعث حيا) ؟

واليوم أضيف إلى ما سبق سؤالاً ثالثاً أوجهة أيضاً إلى ضميركم : لماذا وصف القرآن المسيح عيسى، وحده، بأنه كلمة الله وروح منه ؟ (إذ قالت الملئكة يمريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم) (٤٥ م آل عمران ٣) (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقَها إلى مريم وروح منه) (١٧١ النساء ٤).

---

(١) أرسل بتاريخ ٧ من سبتمبر ـ أيلول لسنة ١٩٨٦م ـ ٢ من الشهر الصغير (النسئ) لسنة ١٧٠٢)ش.

هل قيل هذا الوصف عن شخص آخر منذ بدء الخليقة، نبياً أو غير نبى؟

وإذا لم يكن قد قيل عن شخص آخر عن المسيح فلماذا؟ وما دلالة هذا ؟ هل يمكنك وأنت الداعية الإسلامى الكبير أن تجد تفسيراً لهذا ؟

وسؤال آخر أسأله للعقل فيك والضمير يا من جندت ذاتك لمحاربة لاهوت المسيح، والاستهزاء بتعبير (ابن الله) ؟ وتقول إن من يقول هذا قد ارتكب شيئاً إدّاً أى فظيعاً.

سؤال يا فضيلة الشعراوى :

المسيح عيسى كإنسان ظهر فى الهيئة والوجود كإنسان، فمن هو أبوه ؟

كل إنسان من بعد آدم لابد أن يولد من أب. ولم يحدث بتاتاً أن وجد إنسان بعد آدم من غير أن يكون له أب ؟

والمسيح عيسى من حيث هو إنسان ولد من إمرأة، لكن من هو أبوه ؟

ستقول إجابتك المعهودة المتكررة التى تحاول أن تقنع بها ذاتك وتقنع بها من يسمعونك من الناس مسلمين وغير مسلمين (إنها طلاقة القدرة).

هل هذه إجابة مقنعة ؟ وهل يمكن أن تريح عقلك ؟

لا شك فى أن الله كلىّ القدرة ولكن الحق يسوس العالم والخليقة بالقوانين، والقوانين الطبيعية حتمية، ولا تتخلف. وقانون التوالد لم يحدث فيه غير مرة واحدة أن وليدا ولد من غير أب - وإلا فهل فى استطاعتك أيها الداعية الإسلامى الكبير أن تأتينا بمثل واحد غير المسيح يسوع ولد من غير أب ؟

إذن لماذا تتعجب، وتندهل، وتعتبر من الكفر أن يقال عن المسيح يسوع من حيث هو إنسان (ظهر فى الهيئة كإنسان) (فيلبى ٢ : ٨) ليس له أب لأن إنسانيته لم تأت من زرع رجل كما هو الحال بالنسبة لكل بشر آخر. إذن ما هو وجه العجب، إذا لم يكن للمسيح يسوع عيسى أب من الناس، أن يكون الله الآب وهو أصل الوجود، هو أباه، بمعنى أن المسيح عيسى ليس له أب من بين الناس؟ فيكون الله الآب أباه، ويكون هو ابن الله بهذا المعنى ؟

ما هو وجه الغرابة ؟ وما هو الكفر فى هذا ؟

لماذا تسخّر قلمك ولسانك لمحاربة عقيدة المسيحيين فى لاهوت المسيح ؟

لماذا يكون مفهوم البنوة عندكم يقتضى الذكر والأنثى ؟

لماذا يكون معنى البنوة لله أن الله تكون له صاحبة كما تكون للرجل صاحبة، ومنها يلد الولد؟

لماذا يقتصر معنى الولادة عندكم على المفهوم المادى الحسى والجنسى ؟

حاشا لله أن يلد كما يلد الإنسان أو الحيوان ؟

ولماذا لا يتسع مفهوم الولادة فيصير معنوياً وروحياً ؟

إذا كان المسيح عيسى أو يسوع قد وصف بأنه (كلمة الله وروح منه) - ومادام الله هو العقل الأعظم، فلماذا لا تكون بنوته للآب السماوى كبنوة الكلمة للعقل ؟ والعقل كما تعلم فضيلتكم قوة غير منظورة أو محسوسة، ولكنه يظهر فى الكلمة. فالكلمة تجسيد للعقل. والكلمة تتولد من العقل من دون أن يكون هناك الذكر والأنثى، أو الرجل وصاحبته.

لماذا تحصرون مفهوم البنوة فى هذا المفهوم الحسى الضيق، ومن هنا تتهمون المسيحيين بأنهم (أغبياء) ينسبون إلى الله التزاوج، من حيث أن البنوة عندكم لها مفهوم واحد ضيق، هى بنوة الإنسان للإنسان وبنوة الحيوان للحيوان؟!

يا فضيلة الشيخ الشعراوى !

ألا يتولد الماء من النبع ؟

ألا يتولد النور من الشمس ؟

ألا تتولد الحرارة من النور ومن النار ؟

إذا قال المسيحيون إن المسيح ابن الله، فالبنوة هنا بنوة حقيقية لا نسبية، لكنها ليست جسدية أو مادية.

إنها على نظير ولادة الماء من النبع، وولادة النور من الشمس، وولادة الحرارة من النور ومن النار.

إنها نوع من الانبعاث أو الصدور التلقائى من غير زمان.

فنحن لا نستطيع أن نتصور فارقاً زمنياً بين الشمس والنور المتولد منها، لأنه منذ أن كانت الشمس شمساً فمنها يصدر النور، وإلا فكيف تكون شمساً ولا يصدر منها نور ؟

كما إننا لا نستطيع أن نتصور لحظة من الزمن كان النبع ولم يكن ينبع منه الماء. فالماء ينبع من النبع منذ أن كان النبع نبعاً.

هذا هو مفهومنا المسيحى بالنسبة للمسيح، ابن الله، فإنه لم تمر لحظة واحدة من الزمان كان فيها الله ولم يكن الابن قائماً معه وفيه ومنه، وإلا كان الله الآب كائناً من غير أن يكون عاقلاً، علما بأن الله هو العقل الأعظم.

فالمسيح قبل التجسد هو العقل الإلهى. فلماذا تجسد، أو تلبس بصورة الإنسان، سمى بالكلمة من حيث أنه تجسد. قال الإنجيل (**فى البدء كان الكلمة. والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة هو الله. كان منذ الأزل لدى الله. كل شئ به كان. وبغيره لم يكن شئ مما كان. فيه كانت الحياة**، والحياة كانت نور الناس) (الإنجيل للقديس يوحنا ١ : ٤).

يا فضيلة الشيخ الشعراوى !

إن الأقانيم الإلهية الآب والابن والروح القدس ليست أقساماً أو أجزاء فى الذات الإلهية، معاذ الله ؟ لأن الذات الإلهية واحدة لا تنقسم ولا تتجزأ، كما تزعم وكما كتبتم فى (اللواء الإسلامى : بتاريخ ١٧ من يوليو- تموز لسنة ١٩٨٦).

فالآب ليس جزءاً من الله وإنما الله ذاته هو الآب، لأنه أصل الوجود، بل أصل الأصول. فالأب كلمة شرقية فى جميع اللغات تفيد (الأصل) ومنها : أبو الإنسان أى والده لأنه هو سبب وجوده. أما أصل الوجود كله فهو (الآب) ممدودة.

والروح القدس ليس جزءاً من الله، حاشا!، وإنما الله هو الروح الأعظم وهو القدوس. فالروح القدس هو الله من حيث هو منشئ الحياة، وأصل الحياة، وباعث الحياة، ومبدئ الحياة.

ولما كان الله هو العقل الأعظم، وهو الخالق للوجود- والعقل الأعظم قد تجسد فى المسيح. فالمسيح إذن هو (الكلمة) أو هو العقل الإلهى متجسداً. قال

الوحى الإلهى (عظيم هو سر التقوى. الله ظهر فى الجسد). فالمسيح إذن هو ابن الله بمعنى أنه (التجلى الأعظم لله) أى أن الله ظهر فى المسيح.

ليست الأقانيم الإلهية إذن غير صفات الله الذاتية أى التى تقوم عليها الذات الإلهية، **ومن دونها لا يكون للذات الإلهية وجود أو كيان. هذه الصفات الذاتية هى الآب والابن والروح القدس. فالله هو الآب لأنه أصل الوجود، والابن هو العقل الأعظم للذات الإلهية، والروح القدس هو الروح الأعظم القدوس.**

أما الصفات الأخرى الكثيرة، فهى صفات نسبية لكنها لا تقوم عليها الذات الإلهية ومنها أنه رحمن، ورحيم، وجميل...

والفرق بين الصفات الذاتية والصفات النسبية يمكن أن نجد له نظيراً فى الإنسان. فالإنسان يوصف بأنه حيوان ناطق عاقل أو ذات حية عاقلة.

أما أن يقال عن (زيد) من الناس إنه رحيم أو خير فليست الرحمة أو الخيرية من الصفات الضرورية فى كيان الإنسانية، فقد يكون (عمرو) غير رحيم أو غير خير - ومع ذلك فهو إنسان لأن له ذاتاً حية عاقلة.

من هنا قال آباء الكنيسة فى تحديد عقيدة المسيحيين فى الذات العلية : **(الله أُحدّى الذات، مثلّث الأقانيم والصفات).**

يا فضيلة الشيخ الشعراوى.

أنت لا تكف عن مهاجمة عقيدة المسيحيين فى لاهوت المسيح، فى حلقاتك التليفزيونية وفى مقالاتك المتتابعة بجريدة (اللواء الإسلامى).

من أجل الله، ومن أجل مصر، أرجو أن تتوقف عن هذا الخط الهدّام. إن تعاليمك وكلماتك يحملها بعض الناس فى كتب ونشرات يرسلونها إلى الكهنة فى كنائسهم وإلى المسيحيين فى بيوتهم، ويدعونهم إلى (ترك ديانة الكفر إلى الإسلام)، وهم يستخدمون ذات الكلمات التى تستخدمونها (إن الرسالات السابقة على الإسلام قد انتهت بمجئ القرآن!) والمفاد من هذا كله أن الإسلام قد ألغى وأبطل الديانات السابقة، والقرآن أيضاً ألغى وأبطل الكتب المقدسة السابقة!

إلى من نشكوك أيها الشيخ الشعراوى ؟

إننا نشكوك أولاً إلى ضميرك الإنسانى والوطنى.

ثم نشكوك إلى أصدقائنا الكثيرين من شيوخ المسلمين الأحياء والسابقين، ثم نشكوك إلى ضمير مواطنينا من المسلمين المعتدلين، وهم بحمد الله كثيرون.

فإذا كنت لاتزال مصرا على أن تحمل لقب (خومينى) مصر، وعلى أن تحمل لقب (الأب الروحى) للمتشددين، فعزاؤنا كمسيحيين إننا نستقبل قريباً المجئ الثانى للمسيح له المجد، وهو الملك الديان الذى سيدين الأحياء والموتى.

وأعلم أيها الشيخ الشعراوى أن ظهور العذراء منذ الثانى من إبريل لسنة ١٩٦٨ إلى اليوم فى حلقات متتابعة إنما هو بهدف كبير هو التحضير للمجئ الثانى للمسيح، كما أرسل يوحنا المعمدان للتحضير لمجيئه الأول فى الجسد.

وعندما يجئ المسيح الرب فى المجئ الثانى سيأتى بمجد عظيم وجميع الملائكة القديسين معه (متى ٢٥ : ٣١). وعندما يأتى سيظهر أمامه الصليب من نور لأن الصليب هو علَمه، وعلم مملكته (متى ٢٤ : ٣٠) فهو فخرنا وعزنا وكرامتنا، ولن نقبل بالصليب بديلاً أيها الشيخ الشعراوى. وسيجلس المسيح الإله على عرش مجده وتجتمع أمامه جميع الشعوب ليدينهم، وأنت منهم، لأنه وحده الديان (متى ٢٥ : ٣١).

تقول أنت أيها الشيخ الشعراوى فى اللواء الإسلامى أن المسيح عيسى (سيصلى خلف واحد من أمة محمد بن عبد الله، وبعد ذلك يكسر الصليب ويقتل الخنزير (اللواء الإسلامى بتاريخ ١٧/ يوليو ١٩٨٦) وقلتم هذا الكلام مراراً فى اللواء الإسلامى وفى حلقاتكم التليفزيونية.

لا وكلا، وألف كلا، أيها الشيخ الشعراوى !

سوف يأتى المسيح فى مجيئه الثانى لا ليصلى كعبد وابن بشر بل ليدين الأحياء والأموات، وأنت منهم. وسوف لا يكسر الصليب كما تزعم أيها الشيخ الشعراوى، وإنما سيجلس على كرسيه للقضاء، وفى المكان عينه الذى انتصب فيه صليبه لعمل الفداء والخلاص. وحينئذ سيرتعب غير المؤمنين بالصليب وعمل الفداء، والذين لا يستحقون الخلاص، (وسيقولون للجبال والصخور سقطى علينا وللآكام غطينا واخفينا عن وجه الذى على العرش استوى. لأنه جاء يوم غضبه العظيم، فمن يطيق الوقوف!) (سفر الرؤيا ٦ : ١٦) ، (لوقا ٢٣ : ٣٠) ، (هوشع ١٠ : ٨).

أعلم أيها الشيخ الشعراوى، أنك لن تستطيع أن تهدم إعتقاد المسيحيين فى لاهوت المسيح، وفى عمل الصليب والفداء والخلاص، لأن لاهوت المسيح هو الصخرة التى بنى المسيح كنيسته عليها (وأبواب الجحيم لن تقوى عليها) (متى ١٦ : ١٨).

وأعلم أيها الشيخ الشعراوى أنك وضعت ذاتك وبإرادتك ومشيئتك فى مركز صعب وخطير، ولسوف تذهب يوماً إلى مصيرك المحتوم الذى اخترته لنفسك - وستمضى كما مضى من قبلك الذين سبقوك ممن ظنوا مثلك أنهم علماء - وتحدوا لاهوت المسيح وأنكروا الصليب. أما المسيح له المجد فسيظل وحده الدائم إلى الأبد.

يا فضيلة الشيخ الشعراوى.

إنى أذكرك بقول المسيح له المجد، حتى لو كنت لا تؤمن به.

(من يؤمن بالابن له الحياة الأبدية. ومن لا يؤمن بالابن لن يرى الحياة، وإنما يحل عليه غضب الله) (الإنجيل للقديس يوحنا ٣ : ٣٦).

والسلام عليكم ورحمته تعالى...

١١ ـ خطاب إلى فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر (١)

الصديق العزيز فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر.

السلام عليكم، ورحمة الله وبركاته.

أكتب لفضيلتكم هذا الخطاب تحية وشكراً على خطابكم المفعم مودة، وتقديراً للروح الكريمة التى كتبتم بها.

جميل منكم قولكم (الذى يهمنى هو أن يتكاتف أهل الأديان لغرس الأخلاق وحماية أتباعهم من الإلحاد الذى ينهشهم جميعاً، ويشد البساط من تحت أرجلهم) هذا قول عذب. كنت دائماً ومازلت أعتقد بما عبرتم عنه بصدق وحق (لأنها (أى المناقشة لعقيدة المسيحيين) لا تعنينى الآن، وليس من ورائها جدوى مطلقاً اللهم إلا الشر.. فلكم دينكم ولى دين) إنى أتفق قلبياً مع فضيلتكم أنه (لا جدوى من هذا الجدل الدينى العقيم الذى لن يفيد منه الإسلام ولن تفيد منه المسيحية، إنما يفيد منه أعداء بلدنا الذين يتفرجون علينا فيشمتون). وقد كانت هذه عبارتى كما نطق بها لسانى فى الندوة التى دعت إليها منظمة تضامن الشعوب الأفريقية والأسيوية، والتى عُقدت بنقابة الصحفيين فى ١١ من فبراير ـ شباط لسنة ١٩٨١ وكان زميلى فى الندوة آنذاك فضيلة الدكتور عبد الله عبد الشكور وكيل وزارة الأوقاف لشئون الدعوة.

لقد كان هذا منهجى منذ شبابى المبكر، إنى لا أرضى ولا أقبل فى أى مناقشة دينية أن أهاجم المسلمين فى عقيدتهم الإسلامية. كنت دائماً أحرص على أن أجيب على من يسألنى عن عقيدتى المسيحية فى المسيح، وفى التثليث، وفى التجسد، والفداء، والمصير الأخروى، بما فى المسيحية وكتابها المقدس من معطيات دون أن أتعرض بهجو أونقد للإسلام. وشكراً لله إننى فى كل موقف كسبت صداقة إخوتنا المسلمين ومحبتهم.

وفى كل كتاب ومقال، كنت أشرح عقيدتنا المسيحية دون أن أتعرض لعقيدة المسلمين، لإننى أؤمن أننا على قول فضيلتكم، قد تجاوزنا هذه المرحلة الجدلية، وأولى بنا أن نوفر جهودنا للإيجابيات النافعة البانية، ونركز على القيم الروحية والأبدية التى يجب ولا سيما الآن، أن نعمل على تثبيتها وترسيخها فى نفوس شبابنا.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٢١ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٨٥م – ١٤ من أبيب لسنة ١٧٠١ش.

وأصارحكم القول إنه على الرغم من العتب فى قلبى على الكثير مما يكتبه الكتاب والمؤلفون ممن يسمونهم بالكتاب الإسلاميين من نقد واضح يصل أحياناً إلى السخرية بعقائد المسيحيين، وعلى الرغم من التنوية صراحة وتضميناً فى كتاباتهم إلى أن الكتاب المقدس كتاب حرفه أهل الكتاب، وعلى الرغم من الهجوم الصريح من المتحدث الدينى فى التليفزيون على المسيحية وعقائدها وكتابها المقدس، ووصفهم بالكفار، ومن الدعوة الصريحة لإلزامهم بدفع الجزية لأنهم فى حماية المسلمين، وعلى الرغم من السخرية العلنية بالمعمودية المسيحية، وبسر المائدة الربانية، وما إلى ذلك من عقائد المسيحية وممارستها.

أقول على الرغم من هذا كله، وأنه فى مقدورنا أن نرد - على الأقل فى كنائسنا - على هذا الهجوم المتوالى فى وسائل الإعلام، هجوماً مباشراً وغير مباشر، وعلى الرغم من أننا أصبحنا نسمع فى التليفزيون أن الإسلام قد صفى الأديان السابقة عليه، وأن القرآن قد صفى الكتب السابقة عليه، والتصفية هنا معناها الإلغاء والإبطال، حتى إن بعض المتطرفين اقتبس هذه التعبيرات عينها، وأرسلها إلى المسيحيين فى بيوتهم وكنائسهم فى خطابات يدعو فيها المسيحيين إلى أن يتركوا كفرهم إلى الإيمان بالإسلام، فإن الإسلام قد صفى الأديان السابقة، وعليهم أن يتركوا كتابهم فهو محرف ويكتفوا بالقرآن فهو الكتاب الأوحد الذى أنزله الله، وقد صفى ما سبقه من كتب...

كل هذا بتنا نقرأه ونسمعه من وسائل الإعلام، من صحافة إلى إذاعة إلى تليفزيون بأسلوب جارح، وبكبرياء الذين يعتقدون فى نفوسهم أنهم قد وصلوا إلى الحقيقة المطلقة الكاملة التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

أقول، على الرغم من كل ما بتنا نسمعه ونقرأه فى كل يوم، وعلى الرغم من أننا قادرون بإذن الله على الرد روحياً وعلمياً، لكننا لا نفعل ذلك إيماناً منا بأن بلدنا مصر فى حاجة إلى الاستقرار والأمان، فلنتجنب من جانبنا كل سبب للإثارة حتى لو كان الرد دفاعاً عن النفس، والدفاع عن النفس من حقوق الإنسان.

أما لماذا كتبت مقالى تعقيباً على مقالكم فلأنكم تجاوزتم فى تصحيحكم لمسلم (على حد تعبيركم) إلى إتهام الإنجيل بأنه يؤيد القرآن فى عدم ألوهية المسيح. **هنا كان لابد لنا أن نتكلم وأن ننطق**، لأن مقالكم قد تجاوز تصحيح عقيدة مسلم فى الإسلام إلى إتهام الإنجيل بأنه يؤيد القرآن الذى يكفر القول بألوهية المسيح.

لذلك قلت فى مقالى :

(لو أن فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر اكتفى بما أورده القرآن صراحة فى تكفير من يقول بألوهية المسيح لبيان عقيدته الإسلامية فى السيد المسيح، لما كان لنا أن نناقشه أو نراجعه فيما قال... إلا أنه شاء أن يضيف من عنده أنه (قد جاء فى الأناجيل ما جاء فى القرآن من ناحية عدم ألوهية المسيح، واقتصاره على الرسالة فحسب) ثم يورد فضيلته بضع نصوص مبتورة فى الأناجيل انتزعها سيادته انتزاعاً متعمداً مما قبلها ومما بعدها، وعزلها عزلاً تاماً عن سياقها فى جرأة شديدة، وليصل بسرعة هائلة إلى النتيجة التى ترضيه، إذ يقول فضيلته (جاء فى الأناجيل ما جاء فى القرآن من ناحية عدم ألوهية المسيح) ثم يضيف قائلاً : (وبذلك تتلاقى هذه النصوص الإنجيلية مع القرآن فى نفى الألوهية عنه....)

وفى نهاية هذا الحديث، أعود لأشكر فضيلتكم لإهتمامكم بتوضيح موقفكم وبيان أنكم ما قصدتم إلا (تصحيح ما ذكره الأستاذ المسلم أو ما جاء فى الترجمة عن عقيدة المسلمين) على نحو ما جاء بمقالكم.

وفقنا الله جميعاً، مسلمين ومسيحيين، إلى طاعة الله والعمل بوصاياه وإعداد أنفسنا، روحياً وذهنياً، للأيام المقبلة التى سيُمتحن فيها الإيمان إمتحاناً قاسياً وشديداً، فنتأهل للجزاء الأخروى للصالحين العاملين بتقوى الله ومخافته.

١٢ ـ الله واحد، والأقانيم خاصيات

سؤال : من الابن نادر راشد.

إذا كان الله له ذات وكلمة وروح، فبأى معنى نقول عن السيد المسيح أنه هو الله ؟.

الجواب :

اعلم أيها الابن أن الله واحد، وأما **الأقانيم الثلاثة فهى خاصيات فى الذات الإلهية، تقوم عليها وبها الذات الإلهية الواحدة.**

فالله بوصفه أصل الوجود، فهو (الآب) (بمد الألف).

إن لفظ الأب فى اللغات الشرقية يعنى (الأصل). فأبو الإنسان هو أصل وجوده. أما **(الآب)** السماوى (بمد الألف) فهو أصل الأصول.

والله أيضاً هو **العقل الأعظم**. ولما كان الله قد تجسد فى المسيح. فالمسيح هو **(الكلمة)**، لأن الكلمة تجسيد للعقل الذى لا يرى. وهو أيضا **(الابن)** لأن فيه تجلى الله. فالمسيح هو الله ذاته متجسدا (حقاً عظيم هو سر التقوى : **الله ظهر فى الجسد)** (١. تيموثيئوس ٣ : ١٦). وقال المسيح له المجد **(من رآنى فقد رأى الآب)** (يوحنا ١٤ : ٩).

والله أيضا هو **الروح الأعظم**، وهو أبو الأرواح جميعا، أرواح الملائكة والناس، وهو لذلك **(الروح القدس)** لأنه القدوس.

فالآب والابن والروح القدس خاصيات فى الذات الإلهية الواحدة، من غير إنفصال أو تجزئة.

الله هو بذاته (الآب)، وهو بذاته (الابن)، وهو بذاته (الروح القدس).

١٣ ـ الله وأقانيمه وهى صفاته الذاتية

سؤال : من الابن ف. أم. ل محافظة قنا.

يقول : لماذا يقال فى المسيحية عن العقل الإلهى إنه هو الله ؟ كما يقال عن الذات الإلهية إنها الله، وكذلك يقال عن الروح القدس إنه هو الله ؟

الجواب :

نعم، أيها الابن، لأن الله واحدا ولا يتجزأ، لكن الله جل جلاله، خصائصه وصفاته الذاتية، التى تقوم عليها ذاته الإلهية، ثلاثة، متميزة ولكنها غير منفصلة.

فالله تعالى أَحَدِىُّ الذات، أى أن ذاته واحدة، ولا تتعدد، وهو أصل الوجود (كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان) (يوحنا ١ : ٣). وبهذا المعنى هو (الآب)، أى أنه يسمى (الآب) لأنه أصل الوجود. و (الآب) لفظ شرقى يعنى (الأصل) فى كل شئ. (الآب) إذن هو الله من حيث هو أصل الوجود، وأصل الأصول.

فالآب ليس جزءاً من الله، لأن الله لا يتجزأ ولا ينقسم. إنما الله كله هو (الآب).

ثم إن الله هو (الروح) الأعظم وأبو جميع الأرواح. وهو (الروح القدس) لأنه (القدوس). (اللاويين ١١ : ٤٤)، (١٩ : ٢)، (٢٠ : ٢٦).

وإذن فالروح القدس ليس جزءاً من الله. وإنما الله كله هو (الروح القدس)، من حيث هو (أبو الأرواح) (العبرانيين ١٢ : ٩) وهو أصل الحياة، ومنشئ الحياة، ومبدئ الحياة (فيه كانت الحياة) (يوحنا ١ : ٤).

وعلى ذلك فالله هو (الآب) بصفته أصل الوجود.

والله هو (الروح القدس) بصفته منشئ الحياة، وهو الحى القيوم.

وهنا نلاحظ أن صفته أنه (الآب) أصل الوجود تتميز عن صفته (الروح الأعظم) باعتبار أنه الحى الأعظم، ومنشئ الحياة، ومبدئ الحياة وأصل الحياة، والحى الأول، والحى القيوم، وواهب الحياة.

وكذلك الله هو (العقل الأعظم) بصفته مهندس الكون الأعظم، ومدبر الوجود، كلى الحكمة، وكلى العلم، والعليم والعارف بكل شئ.

وأما أنه تعالى هو (العقل الأعظم) فهذه صفته التى تتميز عن صفته باعتباره (أصل الوجود)، كما تتميز عن صفته باعتباره (الحى بذاته)، لأنه لا يستمد حياته من كائن آخر، فهو الحى الأول، المنشئ الحياة فى كل كائن حى.

ومع ذلك فهذه (الصفات الذاتية) أو (الأقانيم) التى تقوم عليها (الذات الإلهية) ليست منفصلة، ولكنها متميزة.

وليس غريبا أن يجتمع فى الكائن الأول فى الوجود وهو الله، أكثر من صفة يعرف بها، ومع ذلك فالله واحد أحد لا يتعدد.

ألا ترى إلى أن (الله ذات حية عاقلة) لقد اجتمع فى ذاته أنه حى وأنه **عاقل**، ومع أن صفة (الحياة) متميزة عن صفة (العقل)، مع ذلك **فالحياة فيه لا تنفصل عن ذاته، والعقل فيه لا ينفصل عن ذاته. فهو الذات العلية، وهو بعينه العقل الأعظم، وهو بذاته الحى الأول، منشئ الحياة.**

ولما كان العقل الأعظم وهو الله قد تجسد، أو اتّخذ جسداً (يوحنا ١ : ١٤) فى الزمان، لذلك سمى فى الكتاب المقدس بـ (الكلمة) لأن الكلمة تجسيد للعقل. فالعقل غير منظور، لكنه يتجلى ويظهر ويتجسد فى (الكلمة).

وبين العقل والكلمة علاقة (بنوة) لأن (الكلمة) من (العقل) وبالعقل.

لذلك وصف العقل الإلهى متجسداً بأنه (ابن الله). على أن البنوة هنا بمعنى (التجلى أو الظهور). فالله وهو غير منظور بطبيعته لكنه بالتجسد صار منظوراً فى المسيح. **فالمسيح هو الله وقد صار منظوراً. فهو الله فى حقيقته، وهو (ابن الله)** لأنه التجلى الأعظم لله الذى لا يرى **(عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد)** (١. تيموثيوس ٣ : ١٦).

ولذلك فلا فرق بين قول المسيحيين عن المسيح إنه الله، وفى نفس الوقت هو **(ابن الله)** لكن البنوة ليست كما هى فى عالم الإنسان أو عالم الحيوان. **البنوة فى الثالوث القدوس هى الظهور الإلهى أو هى التجلى الإلهى** فى الكون.

المسيح هو الله وقد اتّخذ جسداً.

المسيح هو الله وقد تلبّس فى صورة إنسان.

المسيح هو الله وقد استتر فى إنسانيتنا.

المسيح هو الله وقد احتجب لاهوته فى ناسوته لأن (إلهنا نار آكلة) (التثنية ٤ : ٢٤) ، (٩ : ٣) ، (العبرانيين ١٢ : ٢٩).

فكيف يظهر فى الأرض، وكيف يتجلى بين الناس مالم يحتجب فى جسد، وإلا احترق الوجود كله من (بهاء مجده) (العبرانيين ١ : ٣) ؟

(مَن مِنا يسكن فى نار آكلة؟ مَن مِنا يسكن فى وقائد أبدية) ؟ (إشعياء ٣٣ : ١٤).

١٤ ـ الثالوث القدوس والثالوث الأقدس (١)

سؤال : من الابن رفعت خليل باسيلى ـ سوهاج.

يقول سمعتُ أحد الناس يعبر عن الثالوث القدوس بقوله (الثالوث المقدس) وآخرين يقولون (الثالوث الأقدس) فأيها الأصح ؟

الجواب :

إن التعبير الأكثر لياقة بالله هو (**الثالوث القدوس**) أما المقدس والأقدس فيمكن أن يعبر بها عن غير الله العلى. فيقال (**الكتاب المقدس**) (**والكنيسة المقدسة**)، وكذلك لفظ (الأقدس) تقال فى الألحان والمردات عن (البطريرك) فيوصف بأنه (الأب الأقدس) (Agiotatos).

أما لفظ (**القدوس**) **فلا يقال إلا عن الله**. من ذلك قول الوحى الإلهى (إنى أنا الرب إلهكم.. وكونوا قديسين فإنى أنا **قدوس**) (سفر اللاويين ١١ : ٤٤، ٤٥) ، (وكونوا لى قديسين لأنى **قدوس أنا الرب**) (سفر اللاويين ٢٠ : ٢٦) ، (يشوع ٢٤ : ١٩) ، (١. صموئيل ٢ : ٢)، (مزمور ٩٨ : ٣، ٥، ٨) ، (١١٠ : ٩) (نبوءة دانيال ٩ : ٢٤) ، (لوقا ١ : ٤٩) ، (أعمال٢ :٢٧)، (١٣ : ٣٥) ، (العبرانيين ٧ : ٢٦) ، (الرؤيا ١٥ : ٤) ، (طوبيا ١٠ : ١١) ، (سيراخ ٤٧ : ٩، ١٢) ، (٤٨ : ٢٢).

(**فإن الرب إلهنا قدوس**) (مزمور ٩٨ : ٩) ، (باروخ ٤ : ٢٢ ، ٣٧) ، (٥ : ٣٥).

(**قدوس قدوس قدوس رب الجنود** الأرض كلها مملوءة من مجده) (إشعياء ٦ : ٣)

(**قدوس قدوس، قدوس الرب الإله القدير**) (الرؤيا ٤ : ٨).

وكذلك قال الملاك جبرائيل للسيدة العذراء عن المسيح له المجد (**القدوس** الذى سيولد منك يدعى ابن الله) (لوقا ١ : ٣٥).

(أنتم أنكرتم **القدوس البار** وطالبتم أن يُطلق لكم رجل قاتل) (أعمال الرسل ٣ : ١٤).

(فإنه حقاً تحالف فى هذه المدينة (أورشليم) على ابنك **القدوس يسوع**.... هيرودس وبيلاطس البنطى) (أعمال ٤ : ٢٧).

---

(١) كتب فى ١١ من مارس لسنة ١٩٩٢م ـ ٢ برمهات لسنة ١٧٠٨ ش.

(كما أن الذى دعاكم هو **قدوس**، فكذلك كونوا أنتم أيضا قديسين فى سيرتكم كلها. لأنه مكتوب : (كونوا قديسين لأنى **أنا قدوس**) (١ . بطرس ١ : ١٥، ١٦) .

(إليك ما يقول **القدوس الحق** الذى بيده مفتاح بيت داود) (الجليان ـ الرؤيا ٣ : ٧) .

(إلى متى، ياسيدنا **القدوس الحق**، لاتدين الساكنين على الأرض) (الجليان ـ الرؤيا ٦ : ١٠) .

لذلك نرى أنه من الأفضل والأليق أن نصف الله بأنه (**الثالوث القدوس**) وهو التعبير الذى ينفرد الله به وحده، ولا يقال عن غير الله.

* * *

وبالمثل نقول إن لفظ (الآب) بمد الهمزة يجب أن يختص به الله وحده . فنقول عن والد الإنسان إنه (الأب) بقطع الهمزة لأنه الأصل فى وجوده، وكذلك يقال عن الكاهن أنه (الأب) الروحى بقطع الهمزة، وكذلك الأسقف أو المطران أو البطريرك.

الله وحده هو (الآب) (بمد الهمزة) لأنه وحده أصل الأصول، إذ أن كلمة (أب) فى اللغات السامية والشرقية تعنى (الأصل) ـ أما الله فهو أصل الأصول ولذلك فهو وحده (**الآب**) .

١٥ ـ الروح القدس لاهوتيا (١)

الروح القدس هو الله ذاته (فالرب هو الروح) (٢ . كورنثوس ٣ : ١٧)، بل هو (إله أرواح جميع البشر) (العدد ١٦ : ٢٢) ، (٢٧ : ١٦) ، (أبو الأرواح) (العبرانيين ١٢ : ٩).

والله ذاته هو الروح القدس، لأنه القدوس (وتكونون قديسين، لأنى أنا قدوس) (اللاويين١١:٤٤، ٤٥) ، (١٩ : ٢٠) ، (١ . بطرس ١ : ١٥ ، ١٦).

أما أن الروح القدس ينطق باسمه بعد الآب والابن، فليس بين الأقانيم الإلهية أسبقية وجودية، لأن الآب والابن والروح القدس كيان واحد منذ الأزل وإلى الأبد. فالأقانيم خاصيات ذاتية فى جوهر الإله الواحد الأحد. فالله هو الآب من حيث هو أصل الوجود، والابن هو الله الخالق «كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان» (يوحنا ١ : ٣)، لكنه (اتخذ جسداً) (يوحنا١ :١٤)، (وظهر بهيئة إنسان) (فيلبى ٢ : ٨)، فهو (الله الذى ظهر فى الجسد) (١ . تيموثيوس ٣ : ١٦)، وهو المسيح له المجد، ولأنه (الصورة المنظورة لله الآب الذى لا يرى) ـ (كولوسى ١ : ١٥)، فسمى (بالابن) لأنه هو الذى أظهر لنا نور الآب، وقال لذلك (إن من رآنى فقد رأى الآب). (يوحنا ١٤ : ٩). وأما أن الله هو الروح القدس فلأن (فيه كانت الحياة) (يوحنا ١ : ٤).

وإذن فالله واحد، وأقانيمه ثلاثة، والأقانيم هى الخاصيات الذاتية التى تقوم عليها الذات الإلهية. وبعبارة أخرى، الله هوالكائن بذاته، والناطق بكلمته، والحى بروحه القدوس.

ولذلك، ولأن الإنسان خلق على صورة الله ومثاله (التكوين ١ : ٢٦، ٢٧) ، (١ . كورنثوس ١١ : ٧) فهو يتميز عن سائر الخلائق بأنه ذات ناطقة حية. فالإنسان واحد، له ذات، وهو ناطق وحى بروحه. فبالأحرى، خالق الإنسان، وهو الحى الأول، والحى القيوم، هو أيضا (الكائن بذاته، والناطق بكلمته والحى بروحه)، فهو بذاته الآب، وهو بذاته الابن، وهو بذاته الروح القدس.

ولما كان الله هو الروح الأعظم، الذى فيه الحياة، ومنه الحياة، فى كل كائن حى، فهو العامل والفاعل فى الإنسان وفى كل الوجود. لذلك كان الروح القدس وهو الروح الأزلى، والبدء الذى لابداءة له وهو المبدئ للحياة وأصل الحياة (ورئيس الحياة) (أعمال ٣ : ١٥)، يعمل مع الإنسان وفى الإنسان، منذ الخلق، وقبل الخلق، وبعد الخلق.. وعمل الروح القدس فى الإنسان هو معوناته

---

(١) تقديم لكتاب للدكتور سمير هندى ـ فى ١٢ من يناير ١٩٩٣م ـ ٤ من طوبه لسنة ١٧٠٩ش.

وقدراته وطاقاته وفعاله وأفاعيله في روحه وجسده وكيانه، وهى ما يسمى بمواهب الروح القدس، وعطاياه. وهى متنوعة (هناك مواهب متنوعة، ولكن الروح واحد) (١ كورنثوس١٢: ٤).

لذلك يلزم التمييز بين الروح القدس ذاته وبين مواهبه وعطاياه. فالروح القدس هو مانح المواهب والعطايا، والروح القدس هو الواحد، أما عطاياه فمتعددة، ومتنوعة.

ومن بينات الجمال فى اللغة القبطية التمييز الواضح بين الروح القدس ذاته، من حيث هو أصل الحياة، وبين مواهب الروح القدس. فحيثما يكون المقصود هو الروح القدس، فيرد اسم (الروح القدس) معرفا بأداة التعريف ⲡⲡⲛⲉⲩⲙⲁ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ من ذلك قول المسيح له المجد (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس -ⲡⲡⲛⲉⲩⲙⲁ ⲉⲑ ⲟⲩⲁⲃ (متى٢٨ : ١٩) بينما يقول الإنجيل إنه بعد أن قام المسيح له المجد من بين الأموات إنه (نفخ فى وجوه تلاميذه وقال لهم : (اقبلوا روح القدس) (يوحنا ٢٠ : ٢٢) فى هذا النص المقدس يرد باللغة القبطية (روح القدس) مسبوقا بأداة التنكير على هذا النحو ⲟⲩⲡⲛⲉⲩⲙⲁ ⲉϥⲟⲩⲁⲃ

هذه التفرقة وهذا التمييز بين أقنوم الروح القدس وبين مواهب الروح القدس نجده واضحاً فى عديد من النصوص المقدسة باللغة القبطية.

١٦ - انبثاق الروح القدس من الآب

يتلخص موقف الكنيسة الأرثوذكسية بالنسبة لقضية انبثاق الروح القدس من الآب، ورفضها لإضافة (والابن) التى أدخلتها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية على قانون الإيمان، فى النقاط الآتية:

أولاً : أن المسيح له المجد عندما تكلم عن موضوع الانبثاق، قال صراحة «ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من عند الآب روح الحق **الذى من عند الآب ينبثق**، فإنه سيشهد لى» (يوحنا ١٥ : ٢٦).

ويلاحظ أن هذا النص هو الوحيد الذى يرد فيه تعبير (الانبثاق) بالنسبة للروح القدس والآب.

ولقد ورد فى الإنجيل أن (الابن) (يرسل) الروح القدس فى المواضع الآتية :

لوقا ٢٤ : ٤٩

«وها أنا ذا أرسل إليكم ذلك الذى وعد به أبى، فامكثوا فى مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالى».

يوحنا ١٥ : ٢٦

«ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من عند الآب...».

يوحنا ١٦ : ٧

«إن لم أنطلق لن يأتيكم المعزى. ولكننى إن مضيت أرسله إليكم».

يبقى بعد ذلك أن **(الانبثاق)** هو غير **(الإرسال)**. **أما الانبثاق فلم ينسب إلاّ إلى الآب**. وهو ما نطق به فم المسيح له المجد.

وإذن فتعبير الانبثاق من الآب، أو انبثاق الروح القدس من الآب هو التعبير الإنجيلى السليم والمنطوق به على فم المسيح له المجد.

وقد يكون التعبير سليما لو قلنا «نعم نؤمن بالروح القدس المرسل من الآب والابن» أما إذا أردنا أن نلتزم بتعبير (الانبثاق) فليس من حقنا أن ننسب إلى الروح القدس أنه (منبثق) من الآب والابن.. إذ نكون هنا لم نلتزم بنص الإنجيل. هذا من جهة، ومن جهة أخرى نكون قد خلطنا مفهوم (الانبثاق) بمفهوم (الإرسال)، وجعلنا منهما مفهوما واحدا. وهذا ليس من حقنا خصوصا

وأن الموضوع يتصل بالطبيعة الإلهية التى تطر عن تصورنا، ولا نستطيع أن نحيط بها أو ندركها، فهى أعلى من منالنا، ولابد لنا ولا مفر من أن نلتزم فى التعبير عنها بكلام الله ذاته عن طبيعته.

هذا إلى أن (الانبثاق) من الآب فعل (أزلى) أى أن الروح القدس ينبثق من الآب منذ الأزل. أما (إرسال) الروح القدس على التلاميذ، فهو فعل زمنى، وعد الآب به ثم تحقق فى يوم الخمسين لقيامة المسيح الرب من بين الأموات.

ثانيا : إن من الخطورة بمكان عظيم أن يكون فى تعليمنا المسيحى أن الروح القدس ينبثق من الآب والابن، إذ ينطوى هذا القول ضمنا على وجود مصدرين فى الثالوث القدوس (لبثق) الروح القدس، الآب والابن، وبالتالى يؤدى إلى معنى الإثنينية فى الله الواحد، وهو أمر مرفوض فى المسيحية، ونحن نجاهر بقولنا «بالحقيقة نؤمن بإله واحد» كما نقول أن هناك مصدرا واحدا للألوهة فى الله، πηγή θεότητος هو الآب. فالروح القدس ينبثق من الآب.

ثالثا : أن قانون الإيمان الذى وضعه مجمع نيقية المسكونى سنة ٣٢٥ وثبته مجمع القسطنطينية المسكونى سنة ٣٨١ والمجامع التالية، إلتزم بنص الإنجيل كما علم به المسيح له المجد، قال : «**نعم نؤمن بالروح القدس المنبثق من الآب**».

وليس هناك أدنى شك فى أن الآباء فى تلك العصور القديمة الذين كانوا موعبين بتعليم الكتاب المقدس والتقليد الرسولى لم تغب عن بالهم النصوص الواردة فى الإنجيل عن (إرسال) الروح القدس من الآب والابن. ولكنهم كانوا حريصين على أن ينسبوا (الانبثاق) للروح القدس من الآب، على حسب ما قال المسيح.

رابعا : سارت الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة على هذا التعليم، حريصة على الإلتزام بنص الإنجيل ونص مجمعي نيقية والقسطنطينية المسكونيين قرونا كثيرة. ومن الثابت تاريخيا أن إضافة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية قولها (والابن) إلى قانون الإيمان، جاء متأخرا، وكان سببا رئيسيا فى إنشقاق مجموعة الكنائس الشرقية والتى تعرف بالكنائس الأرثوذكسية البيزنطية من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية فى عام ١٠٥٤ لميلاد السيح.

والمعروف أن البطريرك فوتيوس PHOTIUS بطريرك القسطنطينية المسكونى (٨١٠-٨٩٥)م هاجم إضافة (والابن) مهاجمة عنيفة، وفى منشور بطريركى أصدره سنة ٨٦٧

شرح إعتراضاته اللاهوتية على تلك الإضافة الرومانية. وفى هذه السنة عينها عقد مجمعا أصدر فيه قرارا بشجب إضافة (والابن) إلى قانون الإيمان، وحرم الحبر الرومانى.

وإلى اليوم تشكل هذه القضية سببا للإنفصال بين الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من جانب، والكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة والكنائس الخلقيدونية البيزنطية من جانب آخر.

خامسا : يصرح اليوم عدد من كبار اللاهوتيين فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بأن هذه المسألة ينبغى أن لا تكون موضوعا للخلاف، ولا يليق أن تكون عقبة فى طريق وحدة الإيمان بين الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية، ويدللون على ذلك بأن هذه الإضافة (والابن) اعترض عليها الحبر الرومانى نفسه ليو الثالث LEO III (٧٩٥ – ٨١٦)م وبالتالى اعتبرت إضافة مستحدثة، تثبتت فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بنفوذ الملك شارلمان CHARLEMAGNE (٧٤٢ – ٨١٤) م ولذلك فإن اللاهوتيين اليوم فى داخل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية يحاولون التخلص من النتائج اللاهوتية المنطقية لهذه الإضافة بأن يقدموا تفسيرا أو تأويلا جديدا لهذه الإضافة بقولهم «أن الروح القدس منبثق من الآب عن طريق الابن».

سادسا : مع أن هذا التأويل الجديد يعد إسهاما طيبا لحل مشكلة خلقتها إضافة (والابن)، ويعتبر دليلا على إدراك اللاهوتيون لنتائج هذه الإضافة وما انطوت عليه من أخطار لاهوتية لم تخدم الإيمان وإنما أضافت عقبة فى طريق الكنيسة، وأدت إلى إنشقاق محزن. إلا أن هذا التأويل لا يحل المشكلة لاهوتيا، ولا لغويا...

أ. أمّا لاهوتيا. فلأن (انبثاق الروح القدس من الآب عن طريق الابن) لا سند له فى الكتاب المقدس، فضلا عن أنه يجر إلى سلسلة من النتائج التى تضر إيماننا فى وحدانية الله، وإلى التمايز الأونتولوجى بين الأقانيم الإلهية، وإلى نوع من الترتيب بين الأقانيم شبيه بتعليم (الصدور) الذى قالت به بعض المذاهب الفلسفية، وترفضه المسيحية.

ب. هذا إلى أنه من الوجهة اللغوية لا يستطيع أحد أن يوافق على أن الإضافة FILIOQUE باللاتينية تعنى (عن طريق الابن). فالمعروف أن حرف (que) باللاتينية حرف إضافة يقابله فى العربية (حرف الواو. للإضافة والجمع). وكذلك الحال بالنسبة لجميع اللغات التى ترجم إليها النص اللاتينى فى جميع البلاد التابعة لإيمان الكنيسة الرومانية الكاثوليكية.

سابعا : ليس لنا بعد هذا العرض الموجز لهذه القضية اللاهوتية العقائدية إلاّ أن نؤكد على أنه فى سبيل إزالة العقبات أمام طريق الوحدة الإيمانية بين كنيستنا الأرثوذكسية والكنيسة الرومانية الكاثوليكية يجب أن نلتزم بنص الإنجيل وبنص المجمع النيقاوى الذى ثبته مجمع القسطنطينية المسكونى وحمله إلينا عبر العصور تقليد الكنيسة الجامعة الرسولية.

أن هذه الصيغة الإنجيلية التى صرح بها المسيح له المجد، والتى نص عليها قانون الإيمان الأرثوذكسى الذى وضعته الكنيسة الجامعة فى نيقية والقسطنطينية، هى الصيغة التى نستخدمها فى سر العماد، والتى تشترطها الكنيسة على المتقدمين إلى العماد، بإعترافهم بالإيمان المسيحى الذى يؤهل المعتمد لقبول موهبة الروح القدس للميلاد الثانى.

أما إضافة (والابن) فتطعن صحة الإعتراف، وأرثوذكسية الإيمان - وتعوق عند الأرثوذكس قبول معمودية الكنيسة الرومانية الكاثوليكية التى باضافتها (والابن)، أحدثت فى صيغة الإيمان إضافة، جعلت الاعتراف بإله واحد مثلث الأقانيم بمفهوم مختلف على نوع ما عن الاعتراف الذى تشترطه الكنيسة الأرثوذكسية لصحة العماد.

١٧ ـ موهبة من لدن أقنوم الروح القدس

سؤال : من الأب الموقر القمص دوماديوس بخيت عبد النور.

كاهن دير الشهيد ماريقطر ـ حجازة ـ قوص.

يقول : هل كان حلول روح القدس على السيدة العذراء مريم وقت البشارة حلول مواهب أم هو حلول أقنومى، وما هو عمل الروح القدس ؟

الجواب :

إن حلول الله الكلمة فى أحشاء العذراء مريم يقتضى أن يُكَوِّن منها، أى يصوغ من دمها، جسداً يستتر به لاهوته، وإلا احترقت العذراء بحلول الله الكلمة فيها (فإن إلهنا نار آكلة) (العبرانيين١٢ :٢٩) ، (التثنية ٤ : ٢٤) ، (٩ : ٣) . ويقول الوحى الإلهى (من منا يسكن فى نار آكلة. من منا يسكن فى وقائد أبدية) (إشعياء ٣٣ : ١٤) . إذن كان لابد أولا أن يعد الجسد الذى سيتخذه الله الكلمة، قبل حلوله بالفعل، حتى يكون الحلول الإلهى فى بطن العذراء ممكنا، من دون أن تحترق العذراء وكل الأرض معها بحلول الله (وهو نار آكلة) (إشعياء ٦٦ : ١٥) ، (مزمور ٤٩ : ٣) ، (٩٦ : ٣) ، (٢ . تسالونيكى ١ : ٨) .

لذلك قال المسيح له المجد عند دخوله العالم، بالتجسد (ما أردت ذبيحة ولا قربانا، لكنك **هيأت لى جسداً**) (العبرانيين ١٠ : ٥) ، (مزمور ٣٩ : ٦) .

فالجسد تهيأ أولاً قبل حلول الله الكلمة، ليكون للاهوت حجابا وستارا يخفى به لاهوته لئلا تحترق العذراء بنار اللاهوت.

وكيف يتهيأ الجسد من دم العذراء، من دون زرع رجل؟ هنا حل الروح القدس بنعمته على العذراء مريم ليصوغ من دمها الجسد الذى يستتر فيه اللاهوت. وهذا هو جواب الملاك جبرائيل على العذراء مريم عندما جاء يبشرها بالحبل الإلهى فاعترضته هى فى دهشةٍ قائلة (كيف يكون لى هذا، وأنا لا أعرف رجلاً؟) (لوقا ١ : ٣٤) (أجاب الملاك وقال لها : **إن روح القدس** سيحل عليك وقوة العلى ستظللك) (لوقا ١ : ٣٥) .

وروح القدس هنا فى هذا النص القدسى هو (**قوة**) **من قبل الروح القدس** الكفيلة بأن تصوغ من دم العذراء الجسد الذى يتخذه الله الكلمة حجابا وستاراً وهكذا كل حلول للروح القدس على أى بشر لا يكون أقنوميا إنما هو حلول (**القوة**) **من قبل اقنوم الروح القدس**.

ولذلك فإن المقابل باللغة اليونانية، وكذلك باللغة القبطية يبين بوضوح أن (**روح القدس**) **الذى حل على العذراء مريم هو (قوة) من قبل اقنوم الروح القدس** بدليل أنه أورد الاسم فى صيغة التنكير وغير معرف بأداة التعريف. ومن الملاحظ أن النص القبطى على الخصوص يورد الاسم مسبوقا بأداة التعريف عندما يكون المقصود (**أقنوم**) **الروح القدس** أى PIPNEYMA ETHOYAB ⲡⲡⲛ̅ⲁ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ، كما فى قوله (عمدوهم باسم الآب والابن **والروح القدس**) (متى ٢٨ : ١٩). أما عندما يكون المقصود هو (**موهبة**) **الروح القدس** فيرد الاسم فى صيغة التنكير أى بدون أداة التعريف وذلك فى مواضع متفرقة، ومن بينها النص : فى قول الملاك جبرائيل (روح القدس يحل عليك) فالاسم يرد فى صيغة التنكير على النحو الآتى OYPNEYMA EFOYAB ⲟⲩⲡⲛⲉⲩⲙⲁ ⲉⲫⲟⲩⲁⲃ ويلاحظ أيضاً نفس الشئ فى صفة (القُدس) فإنها ترد فى صيغة التنكير EFOYAB ⲉⲫⲟⲩⲁⲃ كذلك، بينما عندما يكون المقصود هو اقنوم الروح القدس ذاته، ترد على نحو متميز ومختلف أى فى صيغة ETHOYAB ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ.

١٨ ـ التجديف على الروح القدس

سؤال : من السيد د. ج. ر.ـ ميت غمر.

ماذا يقصد السيد المسيح بقوله «إن كل خطيئة وكفران يغفر للناس، أما الكفران بالروح القدس فلن يغفر للناس، ومن قال كلمة ضد ابن الإنسان يغفر له، أما من تكلم ضد الروح القدس فلا يغفر له، لا فى هذا الدهر ولا فى الآتى»؟ (متى ١٢ : ٣١، ٣٢).

الجواب :

إن التجديف على ابن الإنسان، وهو المسيح يسوع الذى أخذ صورة الإنسان وولد من إنسان وهو مريم العذراء، يغفر، بشرط التوبة طبعا، لأن من يجدف على ابن الإنسان جهلا بحقيقة لاهوته، ثم يقدم توبة عن خطيئته التى صنعها بجهل، فإن مراحم الرب تشمله.

ألم يجدف شاول الطرسوسى، الذى هو بولس الرسول، على الرب يسوع؟

لقد شهد القديس بولس الرسول عن نفسه قائلا : «وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذى قوانى، أنه حسبنى أمينا إذ جعلنى للخدمة. أنا الذى كنت قبلا مجدفا ومضطهدا ومفتريا ولكننى رحمت لأنى فعلت بجهل فى عدم إيمان» (١ . تيموثيئوس ١ : ١٢، ١٣).

ولم يكن شاول الطرسوسى مجدفا فقط، بل كان يضطر المسيحيين إلى التجديف على اسم المسيح يسوع. قال القديس بولس فى إعترافاته «فأنا ارتأيت فى نفسى أنه ينبغى أن أصنع أمورا كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصرى. وفعلت ذلك أيضاً فى أورشليم، فحبست فى سجون كثيرين من القديسين، آخذا السلطان من قبل رؤساء الكهنة... وفى كل المجامع كنت أعاقبهم مرارا كثيرة، واضطرهم إلى التجديف» (أعمال الرسل ٢٦ : ٩ – ١١).

فخطيئة التجديف عن جهل، يمكن أن تغفر، إذا ما تاب عنها الإنسان مستغفرا، ومعترفا بخطيئته تلك. قال الرسول القديس بولس «لأنى أصغر الرسل، أنا الذى لست أهلا لأن أدعى رسولا، لأنى اضطهدت كنيسة الله» (١ . كورنثوس ١٥ : ٩)، وقد صلى مستغفرا (أعمال٩:١١)، ثم اعتمد من القديس حنانيا الرسول أحد السبعين، وبالمعمودية غسل خطاياه داعيا باسم الرب (أعمال ٢٢ : ١٦).

أما خطيئة التجديف على الروح القدس، فهى خطيئة روحية باطنية، ولا تحدث أبدا عن جهل، إنها خطيئة يصنعها صاحبها عن علم وعن عمد، وإصرار. خطيئة التجديف على الروح

القدس هى خطيئة الرفض التام للنداءات الباطنية، الداعية إلى الخير وتجنب الشر، هى خطيئة إنكار الحق الواضح، بإصرار وعناد، تشبثا بالشر والإثم، وتعلقا بمحبة الخطيئة، وكراهية للحق.

ولعل المثل الواضح على خطيئة التجديف هو مثل الكتبة والفريسيين ورؤساء كهنة اليهود، الذين جاءهم حراس قبر المسيح وأعلموهم بأن يسوع المسيح قد قام من بين الأموات، فلم يقبلوا شهادتهم عنادا ومكابرة. قال الإنجيل بحسب ما كتبه القديس متى «إذا بعض الحراس قد جاءوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما حدث، فاجتمعوا بالشيوخ وتشاوروا، ثم أعطوا الجند مالا كثيرا قائلين : «قولوا أن تلاميذه قد أتوا ليلا وسرقوه فيما نحن نيام. فإذا بلغ مسامع الوالى أقنعناه ودفعنا عنكم الأذى «فأخذوا المال وقالوا كما لقنوهم» (متى ٢٨ : ١١ – ١٥).

فقد كان المفروض فى رؤساء كهنة اليهود، إذا كانوا مخلصين للحق، أن يندموا على خطيئتهم، ويكفروا عنها بعد أن تحققوا من قيامة المسيح، بأدلة من شهود كثيرين، من بينهم حراس القبر مجتمعين، فضلا عن شهادة رجال كثيرين ونساء كثيرات، بل كان يمكنهم أن يتحققوا بأنفسهم ويشهدوا المسيح بعد قيامته كما رآه الكثيرون. لكنهم بإصرار وعناد وكبرياء ومكابرة رفضوا الحق الواضح، وحجبوا نور الشمس بأيديهم بعد أن أغمضوا عيونهم، فأنكروا القيامة، ورشوا الجند بالمال ليقولوا كما لقنوهم أن تلاميذ المسيح أتوا ليلا وسرقوه والحراس نيام. ولو كانوا مخلصين للحق، فلماذا يرشون الحراس بالمال الكثير؟ أن المفروض أنهم يعاقبون الحراس على غفلتهم ولا يرشونهم، لأنهم هم الذين طلبوا أولئك الحراس من بيلاطس البنطى، ففى صباح السبت، تالى يوم الصلب «اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون عند بيلاطس قائلين : «إننا نذكر يا سيدنا أن ذلك المضل قال وهو حى أنى بعد ثلاثة أيام أقوم، فاصدر أمرك بحراسة القبر حراسة محكمة حتى اليوم الثالث، لئلا يأتى تلاميذه ليلا ويسرقوه ويقولوا للشعب أنه قام من بين الأموات فتكون الضلالة الأخيرة شرا علينا من الأولى. فقال لهم بيلاطس : «أن عندكم حراسا فاذهبوا واحرسوه كما يبدو لكم»، فذهبوا وأحكموا إغلاق القبر وختموه وأقاموا الحراس عليه» (متى ٢٧ : ٦٢ – ٦٦).

ولو كانوا مخلصين للحق لما سقطوا فى هذا الغباء، ولما نسبوا إلى تلاميذ المسيح أنهم أتوا ليلا وسرقوه والحراس نيام، وقد فاتهم وهم الذين طلبوا الحراس من بيلاطس الوالى أن تلاميذ المسيح كانوا فى حالة يأس ومرارة، وقد أغلقوا من دونهم الأبواب خوفا من اليهود (يوحنا ٢٠ : ١٩). وكيف لتلاميذ المسيح أن يسرقوا جثة لميت؟ وما هى منفعتهم بها؟ ثم إذا كان الحراس نياما

فكيف وهم نيام علموا أن الذين سرقوا الجثة كانوا تلاميذ المسيح؟ وكيف لرؤساء الكهنة أن يكافئوا الحراس على غفلتهم وإهمالهم لمهمة الحراسة التى أنيطت بهم رسميا، بأن يعطوهم مالا كثيراً، ويتولوا الدفاع عنهم أمام الحاكم الرومانى ليدفعوا عنهم الأذى؟؟؟

تلك على كل الأحوال، صورة لخطيئة التجديف على الروح القدس، خطيئة الإنكار للحق الواضح، والإصرار على الإنكار بعناد ومكابرة، والرفض الدائم لنداءات الضمير، وصوت الروح القدس.

وقد سبق لمخلصنا أن نسب إلى الكتبة والفريسيين ورؤساء الكهنة أنهم سقطوا فى خطيئة التجديف على الروح القدس، إذ قالوا عن المسيح الرب «أن هذا لا يطرد الشياطين إلا ببعل زبول رئيس الشياطين (متى ١٢ : ٢٤) ، (٩ : ٣٤) ، (مرقس ٣ : ٢٢) فقال : «الحق أقول لكم أن كل خطيئة وكل كفر سيغفر لبنى البشر. وأما الذى يكفر بالروح القدس فلا مغفرة له إلى الأبد، وإنما يستوجب دينونة أبدية. قال ذلك لأنهم كانوا يقولون أن به روحا نجسا» (مرقس ٣ : ٢٨ – ٣٠).

وعلى ذلك فخطيئة التجديف على الروح القدس هى خطيئة رفض النور الباطنى، والإصرار على الخطأ الواضح، وهى العناد بالباطل. ولا مغفرة لهذه الخطيئة، لأن صاحبها سوف لا يطلب التوبة عنها. وكيف يطلب التوبة من لا يعترف بخطيئته، ولا يندم عليها، ولا يرجع عنها. إن صاحبها يفقد الإحساس نهائيا بالإثم، وتنقلب أمام عينيه المعايير، فيمسى عنده الخير شرا، والشر خيرا، لأنه فقد البصيرة، وأصابه عمى القلب، فصار كالسفينة التى ضاعت ابرتها أو بوصلتها أو خربت، ولذلك لا مفر من أن يتخبط فى الظلام الدامس.

ولقد قال آباء الكنيسة، ومنهم القديس يوحنا ذهبى الفم «لا توجد خطيئة بلا مغفرة إلا التى ليس لها توبة» ومعنى ذلك أن الذين سقطوا فى خطيئة التجديف على الروح القدس، لا مغفرة لهم، لأنه ليست لهم توبة. وهم لا توبة لهم لأنهم لا ندامة لهم على خطيئتهم، إذ هم مكابرون معاندون رافضون لصوت الحق دائما بإصرار. قال ربنا يسوع المسيح «أما الكفران بالروح القدس فلن يغفر للناس» (متى ١٢ : ٣١) وقال «وأما الذى يكفر بالروح القدس فلا مغفرة له إلى الأبد» (مرقس ٣ : ٢٩) (لوقا ١٢ : ١٠) وقال القديس اسطفانوس رئيس الشمامسة لليهود «يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان، أنتم دائما تقاومون الروح القدس» (أعمال الرسل ٧ : ٥١).

على أن فى تصريح مخلصنا يسوع المسيح «أما من تكلم ضد الروح القدس فلا يغفر له، لا فى هذا الدهر ولا فى الدهر الآتى» (متى ١٢ : ٣٢) دليلا على أن هناك مغفرة فى الدهر الآتى. وهذا هو أحد البينات التى تستند إليها كنيستنا الأرثوذكسية فى حكمة الصلاة من أجل الراقدين، فما دامت ثمت إمكانية للغفران فى العالم الآتى، فلماذا لا تنتهز الكنيسة المجاهدة هذه الفرصة، وتستغلها فى طلب المغفرة عن الخطايا غير المميتة التى ربما اقترفها المؤمنون قبل الموت، ولم يمارسوا قانون التوبة عنها. والخطايا غير المميتة هى خطايا الملل، والضجر، والتوانى، والكسل، والتفريط، والخطايا الخفية والمستترة عن الضمير، والخطايا التى يصنعها المؤمنون بغير إرادة، أو بغير معرفة، وما إليها من الهفوات والسهوات التى يندر من يشعر بها (مزمور ١٨ : ١٢).

قال الكتاب المقدس «إن رأى أحد أخاه يخطئ خطيئة ليست للموت، يطلب فيعطيه حياة للذين يخطئون ليس للموت... وتوجد خطيئة للموت» (١ . يوحنا ٥ : ١٦، ١٧). أما الذين يموتون متلبسين بخطيئة مميتة، أى ماتوا وهم متعلقون بالخطيئة، متشبثون بها، عن معرفة وعلم ومحبة للخطيئة، فهؤلاء لا منفعة لهم بالصلاة عنهم بعد الموت. يقول الكتاب المقدس «توجد خطيئة للموت، ليس لأجل هذه أقول أن يطلب» (١ . يوحنا ٥ : ١٦، ١٧).

١٩ ـ قد يحل روح القدس للإقناع والاهتداء (١)

سؤال : من أحد القراء :

هل الروح القدس حل على بيت كرنيليوس قبل عمادهم (أعمال الرسل : ١٠) فكيف ذلك والكنيسة تمارس سر العماد أولاً ثم سر الميرون بعد ذلك ؟

الجواب :

قد يحل روح القدس على الشخص عدة مرات، ولكنه فى كل مرة يهب للنفس منحة وموهبة خاصة تتميز فى نوعها وأثرها عن سائر مواهب الروح القدس وعطاياه. فالروح القدس يحل على المعتمد المصطبغ فى مياه المعمودية ليهبه نعمة التجديد، والتبرير، والميلاد الثانى من الله... ويحل عليه فى سر الميرون، ليهبه نعمة الثبات وقوة للكفاح ضد الشيطان، وليرتقى من مرتبة ابن فى ملكوت الله إلى مرتبة جندى متسلح فى جيش الخلاص. والفرق واضح بين المواطن والجندى فى أية مملكة... ويحل على الخبز والخمر فى المائدة الربانية لينقلهما إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين... ويحل على المعترف فى سر التوبة ليمنحه الحل والغفران... ويحل على المريض الممسوح بزيت القنديل ليمنحه الشفاء روحا وجسداً.. ويحل على العروسين فى سر الزواج ليربط بين روحيهما ويؤلف بين جسديهما فيصيران جسداً واحداً،... ويحل على المرشح لإحدى درجات الكهنوت لينال بوضع اليد نعمة وسلطانا على النفوس ليعلّمها ويرعاها ويدبرها ويكون وكيلا لله مؤتمنا عليها.

فالروح القدس واحد. ولكن مواهبه كثيرة ومتنوعة. وفضلا عن المواهب العامة التى يمكن أن تكون من نصيب كل من يتقدم إلى أسرار الكنيسة، فثمة مواهب أخرى تفيض من الروح القدس عينه، ولكنها لا تعطى للجميع، بل بحسب مشيئة الله يعطيها كما يشاء بحكمته لتدبير الكنيسة. ولولا ذلك لما قال الوحى على فم القديس بولس الرسول (وهناك مواهب كثيرة متنوعة. ولكن الروح واحد.. فإنه لواحد يُعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر، كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر (يُعطى) إيمان بالروح الواحد. ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوات،

---

(١) نشر بمجلة (مدارس الأحد)، السنة الثانية، العدد السادس، (نوفمبر ـ تشرين ثان لسنة ١٩٤٨م ـ هاتور لسنة ١٦٦٥ش) صفحة ٢٧ – ٢٩.

ولآخر نبوءة، ولآخر تمييز الأرواح، ولآخر أنواع ألسنة، ولآخر ترجمة ألسنة، ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسما لكل واحد بمفرده كما يشاء) (١ . كورنثوس ١٢ : ٤ – ١١).

على أن روح القدس يحل على غير المؤمن، لا ليهبه إمتيازات المؤمنين ومواهب المؤمنين، بل لكى يخضع قلبه لنور الإيمان ويشعره بقيمة الإيمان الذى يدعى إليه. أو بعبارة أدق، لكى يقنعه بقوة الإيمان، ويفحمه بصحته وسلامته وضرورة إعتناقه والاستمساك به. وهذا هو بالضبط ما يعنيه الرسول بقوله (ولا يقدر أحد أن يقول إن يسوع هو الرب إلا بروح القدس) (١ . كورنثوس ١٢ : ٣) فالروح القدس إذن يعمل فى غير المؤمنين لكى يقنعهم ويؤثر فيهم، ويجعل للتبشير بالمسيح قوة فى قلوبهم. ويلح عليهم بضرورة الإيمان بالمسيح والإنضمام إلى رعوية الكنيسة المسيحية. وبهذا المعنى كان حلول روح القدس على كورنيليوس سابقا على نيله لسر المعمودية، لأنه كان من الطبيعى أن يستضئ قلبه بنور الإيمان قبل أن يقتبل سر المعمودية.

بيد أن موهبة التكلم بالألسنة أو اللغات التى نالها كورنيليوس. وجميع الذين كانوا يستمعون إلى ما كان يقوله القديس بطرس، كانت برهاناً قاطعاً على عمل الله فى قلوب الناس جميعاً، يهوداً كانوا أو من الأمم غير اليهودية. ذلك أن مبدأ قبول الأمم من غير اليهود فى حظيرة الإيمان المسيحى لم يكن قد تقرر فى نفوس المسيحيين حتى إن القديس بطرس قد اضطر أن يفتتح خطابه التبشيرى لكورنيليوس ومن اجتمع إليه من الأمم بقوله (أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودى أن يلتصق بأحد أجنبى أو يأتى إليه. وأما أنا فقد أرانى الله أن لا أقول عن إنسان ما إنه دنس أو نجس. فلذلك جئت من دون مناقضة إذ قد استدعيتمونى) (أعمال الرسل ١٠ : ٢٨ و ٢٩).

فكان لابد من إعلان سماوى يظهر إرادة الله فى قبول الأمم من غير اليهود فى الإيمان المسيحى، وكان هذا الإعلان هو موهبة التكلم بالألسنة أو اللغات التى يعرف المسيحيون أجمعون أنها موهبة مسيحية، ولو لم يعلن الله قبوله للأمم غير اليهودية بهذا الأسلوب المعجزى الظاهر، لما أمكن أن يرضخ المؤمنون من اليهود لهذه الفكرة. والدليل على ذلك أنهم إذ سمعوا الأمم من غير اليهودية يتكلمون باللغات كما تكلم بها المسيحيون من اليهود، لم يقتبلوا هذه الحقيقة قبولاً عادياً بل بدهشة وعجب. ولذلك قال الكتاب (فاندهش المؤمنون الذين من أهل الختان، كل من جاء مع بطرس، لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً، لأنهم كانوا يسمعونهم يتكلمون بألسنة ويعظمون الله)(أعمال ١٠ : ٤٥ و ٤٦).

وأما هذا الوضع الإلهى فلم يستطع القديس بطرس وسائر المؤمنين من اليهود إلا أن يقبلوه بدون معارضة، حتى لأمكن أن يشعر الجميع بأهلية الأمم غير اليهودية لقبول سر العماد. حينئذ تكلم بطرس وقال : (أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين نالوا الروح القدس مثلنا نحن) (أعمال ١٠ : ٤٧).

والخلاصة أن موهبة الروح القدس قد حلت على كورنيليوس والمؤمنين من الأمم من غير اليهود أولا قبل العماد لإقناعهم بضرورة الإيمان بالمسيح، وبطريقة ظاهرة لإقناع القديس بطرس والمؤمنين من اليهود، بمبدأ قبول الله الأمم غير اليهودية حتى يدخلوا فى حظيرة المسيح. وأنه يمكنهم أن ينالوا سر العماد، كما يناله المؤمنون من اليهود سواء بسواء. فإذا كان الله قد أعطاهم الموهبة عينها التى أعطاها لنا نحن الذين آمنا بالرب يسوع المسيح، فمن أكون أنا لأخالف الله (أعمال ١١ : ١٧) (راجع أعمال ١٠ : ٤٧) ، (١١ : ٤٧).

وبعد ذلك الإعداد من الروح القدس نالوا أيضاً سر العماد (وأمر أن يعتمدوا باسم الرب) (أعمال ١٠ : ٤٨) بفاعلية الروح القدس فى هذا السر، ولاشك أنهم نالوا من بعد ذلك موهبة التثبيت بوضع أيدى الرسل كما كان يحدث ذلك دواماً أن ينال المعمدون سر المسحة بالروح القدس بعد المعمودية مباشرة. من ذلك ما حدث مع المؤمنين بأفسس الذين عمدهم القديس فيلبس (أعمال ٨ : ١٤ – ١٧) ، (أعمال ١٩ : ١ – ٦).

٢٠ ـ عمل الروح القدس فى العهدين

ليس معنى حلول روح القدس على تلاميذ المسيح ورسله والمؤمنين به فى يوم الخمسين، بناء على وعد المسيح له المجد لهم، أن الروح القدس لم يبدأ العمل مع تلاميذ المسيح إلاّ فى يوم الخمسين، فلقد منح المسيح موهبة روح القدس لتلاميذه قبل ذلك، واهبا إياهم سلطان الحل لخطايا الناس وعقدها وإمساكها عليهم، وذلك فى مساء يوم قيامته المجيدة عندما ظهر لهم فى العلية، وكانت أبوابها مغلقة خوفاً من اليهود وقال لهم : السلام لكم... ولما قال هذا نفخ فى وجوههم وقال لهم : اقبلوا روح القدس. من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم ومن أمسكتموها عليهم تمسك عليهم، (يوحنا ٢٠ : ٢١، ٢٢) ، ومعنى هذا أن حلول روح القدس فى يوم الخمسين، هو منحهم مواهب جديدة من مواهب الروح القدس الكثيرة.

أما عمل الروح القدس فهو قديم وسابق على يوم الخمسين.

والمسيحيون يعلمون أن الروح القدس هو الله ذاته : فالله هو الروح (بالألف واللام) لأن الله فى طبيعته (روح) كما قال المسيح له المجد (يوحنا ٤ : ٢٤) وهو (الروح الأعظم)، وهو «أبو الأرواح» (العبرانيين ١٢ : ٩) بمعنى أنه أصل الأرواح وخالقها ومبدئها، بل هو «إله الأرواح» (سفر العدد ١٦ : ٢٢) ، (٢٧ : ١٦) ثم أن الله هو الروح القدس لأنه «قدوس» (اللاويين١١ : ٤٤، ٤٥) ، (٢٠ : ٢٦) ، (١. بطرس ١ : ١٦).

فإذا كان الروح القدس هو الله، فالروح القدس أزلى، ليس له بداءة كما أن ليس له نهاية وبالتالى، فإن عمله أزلى، ليس له بداءة.

وبالنسبة للكون، بدأ عمل الروح القدس فيه منذ بداءة الخلق.

جاء فى سفر التكوين «فى البدء خلق الله السماوات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة. وروح الله يرف على وجه المياه» (التكوين ١ : ١ ، ٢) أى أن عمل الروح القدس فى الكون بدأ بالتكوين والخلق، فقد كان يرف على وجه المياه فيخلق منها وفيها كل ذى نفس حية من الأسماك والطيور والزحافات البحرية، فضلا عن النباتات والحيوانات البرية والبرمائية.

وعمل الروح القدس فى الخلق مقرر فى غير موضع من أسفار الوحى الإلهى :

جاء فى سفر أيوب : «روح الله صنعنى، ونسمة القدير أحيتنى» (أيوب ٣٣ : ٤).

وجاء فى سفر المزامير «ترسل روحك فتخلق، وتجدد وجه الأرض» (مزمور ١٠٣ : ٣٠).

وجاء فى سفر حزقيال النبى «وأجعل فيكم روحا فتحيون» (حزقيال ٣٧ : ٦، ٩، ١٠، ١٤)، (٣٦ : ٢٧).

وعمل الروح القدس فى الناس أيضاً قديم فقد كان روح القدس يحل على الناس ذوى المهام الإلهية ليتزودوا بقوة وسلطان ونعمة تكفل لهم القيام بالمهام الموكولة إليهم والمسئوليات المناطة بهم، وهم على الخصوص : الأنبياء والملوك والكهنة.

فلقد شهد الكتاب المقدس عن موسى النبى أنه كان عليه روح القدس، ولما أراد الرب أن يريح عبده موسى من مهمته الثقيلة ويشرك معه فى هذه المسئولية سبعين شيخا من شيوخ بنى إسرائيل، قال له «فأنزل أنا وأتكلم معك هناك، وآخذ من الروح الذى عليك، وأضع عليهم، فيحملون معك ثقل الشعب، فلا تحمل أنت وحدك» (العدد ١١ : ١٦، ١٧) «فنزل الرب فى سحابة وتكلم معه، وأخذ من الروح الذى عليه، وجعل على السبعين رجلا الشيوخ. فلما حلت عليهم الروح، تنبأوا» (العدد ١١ : ٢٥).

وكذلك بالنسبة إلى يشوع بن نون الذى حمل المسئولية بعد موسى النبى، وضع موسى يده عليه كأمر الرب، فحل عليه روح القدس وامتلأ به روح حكمة. «قال الرب لموسى خذ يشوع بن نون رجلا فيه روح وضع يدك عليه... ففعل موسى كما أمره الرب. أخذ يشوع وأوقفه قدام ألعازر الكاهن... ووضع يديه عليه» (العدد ٢٧ : ١٨ – ٢٣) «ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه» (التثنية ٣٤ : ٩).

وداود النبى والملك، حل عليه روح الله، روح القدس - ولذلك كان يقول فى صلاته : «روحك القدوس لا تنزعه منى» (مزمور ٥٠ : ١١)، (٥١ : ١٠) وقال : «روحك الصالح يهدينى» (مزمور ١٤٢ : ١٠).

وقد كان إنسكاب روح القدس على الأنبياء والملوك والكهنة يتم بوضع اليد أو اليدين ممن فيه روح الرب كما حدث بالنسبة ليشوع بن نون إذ وضع موسى يديه عليه ثم ينضح المسحة المقدسة على رأس الممسوح، ولهذا يسمى «مسيح الرب». (١. صموئيل ١٢ : ٣)، (٢٤ : ٦)،

(٢٦ : ٩، ١١، ١٦) ، (٢ . صموئيل ١ : ١٤). ولما كان الممسوح بالمسحة المقدسة يصير بالمسحة معينا فى إحدى الوظائف الثلاث، نبيا أو ملكا أو كاهنا، صارت كلمة المسيح لها معنى «المعين» من الله نبياً أو ملكاً أو كاهناً.

١ ـ فالأنبياء يحل عليهم روح القدس، وبروح القدس يتنبأون (١ .صموئيل ١٠: ٥، ١٠-١٣) ، (١٩ : ٢٠ - ٢٤).

قال الكتاب المقدس عن السبعين شيخا الذين أخذ الرب من الروح الذى على نبيه موسى وسكب على السبعين فتنبأوا «فنزل الرب فى سحابة، وتكلم معه، وأخذ من الروح الذى عليه وجعل على السبعين رجلا الشيوخ. فلما حلت عليهم الروح تنبأوا» (العدد ١١ : ٢٥) ، (١١ : ٢٦ - ٢٩).

ولذلك جاء فى قانون الإيمان عن الروح القدس أنه «الناطق فى الأنبياء» وقال الكتاب المقدس «لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون محمولين بالروح القدس» (٢ . بطرس ١ : ٢١).

أنظر (٢ . صموئيل ٢٣ : ٢) ، (متى ٢٢ : ٤٣).

٢ ـ والملوك أيضاً كانوا يمسحون، فيحل عليهم روح القدس ليتزودوا بقوة فيحكموا بالحق والعدل والخير والبر، مزودين بنعمة من الله (١ . صموئيل ٢ : ١٠).

فشاول مسحه صموئيل النبى «فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه وقبله. وقال أليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيساً» (١ . صموئيل ١٠ : ١) ، (٩ : ١٦).

وكذلك فعل صموئيل بالنسبة إلى داود، إذ مسحه ملكا بعد شاول «فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه فى وسط إخوته، وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً». (١ . صموئيل ١٦: ١٣، ٣، ١٢) ، (٢ . صموئيل ٣ : ٣٩) ، (٥ : ٣) ، (١٢ : ٧) ، (١ .أخبار الأيام ١٤ : ٨) ، (مزمور ٢٢ : ٥) ، (٨٨ : ٣٠).

وكذلك سليمان بن داود مسحه صادوق الكاهن وناثان النبى ملكا على إسرائيل. «فأخذ صادوق الكاهن قرن الدهن من الخيمة ومسح سليمان» (١ . الملوك ١ : ٣٤، ٣٩).

وكذلك ياهو مسحه أليشع النبى ملكا على إسرائيل «فقام ودخل البيت فصب الدهن على رأسه وقال له : هكذا قال الرب إله إسرائيل قد مسحتك ملكا على شعب الرب إسرائيل» (٢ . الملوك ٩ : ١ – ٦) ، (٢ . أيام ٢٢ : ٧) .

٣ ـ والكهنة أيضاً كانوا يمسحون بالمسحة المقدسة فيحل عليهم روح الرب لتقديسهم.

فهرون الكاهن مسحه النبى موسى. قال الرب «وتأخذ دهن المسحة وتسكبه على رأسه وتمسحه» (الخروج ٢٩ : ٧) ، (مزمور ١٣٢ : ٢) . «وتمسح هرون وبنيه وتقدسهم، فيكهنوا لى» (الخروج ٣٠ : ٣٠) «ثم أخذ موسى دهن المسحة... وصب من دهن المسحة على رأس هرون ومسحه لتقديسه» (اللاويين ٨ : ١٠ – ١٢) ، (٦ : ٢٠) ، (١٠ : ٧) ، (٢١ : ١٢) ، (٤ : ٢) .

إذن قد كان للروح القدس عمل فى القديم فهو الذى خلق ويخلق فى تكوين الكون والخليقة، وهو الذى كان يحل على الأشخاص ذوى المهام الإلهية من أنبياء وملوك وكهنة ليرشدهم ويلهمهم ويقدسهم.

أما فى العهد الجديد، فصار عمل الروح القدس له من الشمول بحيث صار يحل على كل بشر، طالما كان قابلا لهذا الحلول، مستعدا له، مهيأ لفعاليات النعمة المنحدرة عليه.

وعن هذا الحلول بالشمول قال النبى يوئيل متنبئا عن عمل الروح القدس فى العهد الجديد، عهد النعمة :

«ويكون بعد ذلك أنى أسكب روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويحلم شيوخكم أحلاما، ويرى شبابكم رؤى. وعلى العبيد أيضاً، وعلى الإماء أسكب روحى فى تلك الأيام... ويكون أن كل من يدعو باسم الرب، يخلص» (يوئيل ٢ : ٢٨ ، ٢٩) ، (أعمال الرسل٢ :١٧-٢١) .

فى هذا النص يتضح الفرق بين عمل الروح القدس فى العهد القديم، وعمله فى العهد الجديد. فبينما كان حلوله فى العهد القديم قاصرا على الأنبياء والملوك والكهنة، أصحاب المهام الإلهية، صار حلوله فى العهد الجديد ممكنا على كل مؤمن، لا فرق فى ذلك بين ملك ورعيته، أو بين ذكر وأنثى، أو بين سيد وعبد، أو بين شيخ وشاب أو بين بالغ وطفل.. «كل بشر...» .

وفعاليات هذا الحلول تشمل الشيوخ والشباب،... البنين والبنات... السادة والعبيد والإماء... الرجال والنساء، الذكور والإناث.

ولذلك فإن جميع الذين يؤمنون بالمسيح، ويعتمدون باسم الثالوث القدوس، يمسحون بالمسحة المقدسة (الميرون) حال خروجهم من جرن المعمودية، فيحل عليهم روح القدس، ويثبتهم، ويقدسهم، ويدشن أعضاءهم فتصير أعضاؤهم للمسيح (١ . كورنثوس ٦ : ١٥)، ويمتلئون من نعمة الروح القدس حتى يفيض عنهم كما قال المسيح له المجد «من آمن بى فكما قال الكتاب ستجرى من باطنه أنهار ماء حىّ. وإنما قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به عتيدين أن ينالوه، لأن الروح لم يكن قد أعطى بعد، إذ لم يكن يسوع بعد قد تمجد» (يوحنا ٧ : ٣٨، ٣٩).

٢١ ـ عمل الروح القدس فى العهد الجديد

إذا كان الروح القدس هو الله ذاته من حيث هو أصل الحياة، وباعث الحياة، ومبدئ الحياة... وهو الحياة ذاتها.. وهو (الروح الأعظم) . وهو (أبو جميع الأرواح) ، و (إله كل الأرواح) .. فالروح القدس هو (الروح الأزلى الأبدى) .. الروح السرمد والسرمدى.. ليس له بداءة، وليس له نهاية.. وهو لذلك (الحى الأول) ، الذى منه تصدر الحياة فى كل حى وإلى كل حى... وهو إذن (الحى القيوم) الذى به تقوم الحياة، وعليه يقوم الوجود وكل موجود... به نحيا، وبه نتحرك، وبه نوجد (أعمال الرسل ١٧ : ٢٨) .

وإذا كان الروح القدس هو الروح الأزلى فعمله قديم وأزلى.. هو روح الحياة فى الذات العلية، لأن (**الله حى بروحه**) ... وناطق بكلمته... والموجود بذاته.

فالروح القدس يعمل فى الوجود منذ إبتداء الوجود، أى أن الروح القدس يعمل (خالقاً) منذ بدء الكون (وروح الله يرف على وجه المياه) (التكوين ١ : ٢) فهو الذى خلق من المياه الأسماك والطيور وكل الزحافات البحرية والحيوانات البرمائية، (التكوين ١ : ٢٠ – ٢٣) وخلق من تراب الأرض النبات والحيوانات البرية والبهائم والوحوش ثم الإنسان (التكوين ١ : ٢٤ – ٢٨) . (٢ : ٧) . يقول أيوب الصديق (روح الله صنعنى، ونسمة القدير أحيتنى) (أيوب ٣٣ : ٤) .

وكان الروح القدس (**يعمل فى الناس**) أيضا، يحركهم، ويثيرهم، وينيرهم، ويرشدهم، ويوحى إليهم، ويهديهم... من حيث هم أرواح خلقت على صورة الله ومثاله.. ولكنه كان يعمل بالأكثر والأولى والأحرى مع الذين تؤهلهم صفاتهم الأخلاقية وفضائلهم الروحية، لإقتبال إلهاماته ونفحاته وفيوضاته.. وهؤلاء عادة هم (**الأنبياء والملوك والكهنة**) **أصحاب المهام الإلهية** .

وظل الأمر كذلك طوال حقبة طويلة من الزمان هى التى عرفت بالعهد القديم.. كان فيها الروح القدس يعمل مع الناس من خلال أناس منهم يحل الروح القدس عليهم بواسطة (**مسحة مقدسة**) أمر الله بتركيبها من الدهن والأطياب، من بينها زيت الزيتون، يضاف إليه مر قاطر، وقرفة عطرة، وقصب الذريرة، وسليخة (الخروج ٣٠ : ٢٢ – ٣٣) وكانت بعد تقديسها (الخروج ٣٧ : ٢٩) تودع فى قرن بهيمة ويسمى لذلك (قرن الدهن) (١ . الملوك ١ : ٣٩) وكان يسكب منه على رأس (**المعين**) **نبياً أو ملكاً أو كاهناً** . ولم يكن هذا الحلول للروح القدس يجرى

على هذا النحو، إلا بالنسبة (لأصحاب المهام الإلهية) . فهم وحدهم أصحاب هذا الإمتياز، وكان السكب من دهن المسحة على رؤوسهم علامة إلهية واضحة أمام الشعب على تعيينهم لتلك المهام الإلهية، فيرى الشعب ويخضع لإرادة الله وإختياره، ويعترف بهم، وبوظائفهم ويحترم إختصاصهم ويتعامل معهم على أنهم معينون من قبل الله، وليسوا هم أدعياء من قبل أنفسهم.

على أن الله تعالى أراد أن يعمم هذا الإمتياز ويجعله شاملا لكل أحد طالما أنه قابل ومستعد باطنيا بالتقوى والعبادة لعمل الروح القدس، فوعد على يد النبى يوئيل، وبفمه، أن يحل بروحه القدوس (**على كل بشر**)، فليس عند الله محاباة، وليس فضل لإنسان على آخر إلا بما ينطوى عليه قلبه وروحه من تقوى صادقة، وإيمان بلا فحص، ومحبة لله، ورغبة فى نعمته، فقال : (ويكون بعد ذلك أنى أسكب روحى **على كل بشر**، فيتنبأ **بنوكم وبناتكم**، ويحلم شيوخكم أحلاما، ويرى شبابكم رؤى. وعلى العبيد. وعلى **الإماء** أسكب روحى فى تلك الأيام) (يوئيل ٢ : ٢٨، ٢٩).

هذا الوعد بحلول الروح القدس حلولاً عاما **شاملا على جميع الناس**، وليس فقط على أصحاب المهام الإلهية من الأنبياء والملوك والكهنة، هو النقلة الجديدة إلى العهد الجديد الذى يصير فيه الإمتياز القديم إمتيازا لكل أحد طال ما أن هذا الأحد قابل ومستعد ومهيأ روحيا ونفسيا وذهنيا لهذا الحلول.

... وليست هذه **الأرستوقراطية الروحية** مبنية على إمتياز الحسب والنسب، ولا على قانون الوراثة، ولا على إمتياز الفهم والإدراك والعلم والعرفان... ولا على إمتياز الجنس.. أو السن... ولكنها **أرستوقراطية روحية مبنية على تسليم القلب والروح لعمل الروح القدس بغير مقاومة، وبغير معارضة، وبغير مجادلة، وبغير محاسبة، «فإن الله يعطيه الروح بغير مقدار**(يوحنا ٣ : ٣٤) (**ومن ملئه نحن جميعنا أخذنا. ونعمة أخذنا بدلاً من نعمة**) (يوحنا ١ : ١٦)... **إنها أرستقراطية روحية مبنية على تقبل الإنسان لعمل الروح القدس فى باطنه من غير عائق منه**، من خطيئه تعلق بها القلب أو إعتراض يثيره العقل المادى أو المنطق الحسى واللحمى...

ولقد بر الله بوعده، ووفى بكلمته على فم نبيه... ووكّده المسيح له المجد بقوله (**من آمن بى كما قال الكتاب ستجرى من باطنه أنهار ماء حى. وإنما قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به عتيدين أن ينالوه**. لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد، إذ لم

يكن يسوع بعد قد تمجد) (يوحنا ٧ : ٣٨، ٣٩) . وقال (وسأطلب إلى الآب، فيعطيكم معزيا آخر ليقيم معكم إلى الأبد. روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه، ولا يعرفه. وأما أنتم فتعرفونه لأنه يقيم معكم ويكون فيكم... حتى إذا جاء المعزى وهو الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فسيعلمكم كل شئ، ويذكركم بكل ما قلته لكم) (يوحنا ١٤ : ١٦، ١٧، ٢٦) (ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من عند أبى، روح الحق المنبثق من الآب فهو يشهد لى) (يوحنا ١٥ : ٢٦) (لأننى إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى. أما إذا مضيت فإننى أرسله إليكم) (يوحنا ١٦ : ٧) (فمتى جاء ذاك الذى هو روح الحق، فهو يرشدكم إلى الحق كله، لأنه لا يتكلم من عنده .. وسيخبركم بأمور آتية) (يوحنا ١٦ : ١٣) .

ولما قام المسيح من بين الأموات، واجتمع بتلاميذه لمدة أربعين يوما يكلمهم عن الأمور المختصة بملكوت الله. قال لهم وهو يودعهم قبيل صعوده إلى السماء (وها أنا ذا أرسل إليكم ذلك الذى وعد به أبى، فامكثوا فى مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا بقوة من الأعالى) (لوقا ٢٤ : ٤٩) وجاء فى سفر الأعمال (اليوم الذى صعد فيه إلى السماء بعد أن أصدر أوامره بالروح القدس إلى الرسل الذين اختارهم... وفيما هو يأكل معهم أوصاهم بألا يبرحوا أورشليم قائلا : انتظروا موعد الآب الذى سبق أن سمعتموه منى. فإن يوحنا عمد بالماء وأما أنتم فستعمدون بروح القدس، بعد أيام غير كثيرة... لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم) (أعمال الرسل ١ : ٢، ٤، ٥، ٨) .

قلنا لقد بر الله بوعده ووفى بكلمته... فأرسل على التلاميذ والرسل روح القدس فى يوم الخمسين لقيامة المسيح المجيدة .

قال الكتاب المقدس (ولما حل يوم الخمسين كانوا كلهم مجتمعين فى مكان واحد. وبغتة حدث صوت جاء من السماء كأنه دوى ريح عاصفة، وملأ كل البيت الذى كانوا موجودين فيه وظهر لهم ما يشبه ألسنة من نار منقسمة وحلت على كل واحد منهم. فامتلأوا جميعا من روح القدس، وطفقوا يتكلمون بلغات أخرى غير لغتهم حسبما وهبهم الروح أن يجهروا بالكلام) (أعمال الرسل ٢ : ١ - ٤) . ولما ذهل الناس المجتمعون - وهم يهود أتقياء من كل أمة تحت السماء - وقالوا : (فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته هو التى ولد فيها) ونشأ عليها، شرح القديس بطرس ما حدث بأنه تحقيق لوعود سابقة من الله (ولكن هذا هو ما قيل بفم يوئيل النبى القائل : وسيحدث فى الأيام الأخيرة هكذا قال الله إنى سأسكب من روحى على كل بشر، فيتنبأ بنوكم وبناتكم،

ويرى شبابكم رؤى، ويحلم شيوخكم أحلاما. وعلى عبيدى وإمائى سأسكب من روحى فى تلك الأيام فيتنبأون..) (أعمال الرسل ٢ : ٦، ٨، ١٦ – ١٨).

فإذا كان الروح القدس هو الله ذاته، وإذا كان يعمل منذ الأزل، ويعمل منذ إبتداء الخليقة فى الكون، وفى الناس، فلماذا كان الوعد بحلول جديد للروح القدس ؟

إذن فى العهد الجديد، ليس الروح القدس غيره فى العهد القديم، وإنما هو الروح القدس بعينه الأزلى العامل فى الكون، وفى الناس.. **وكل الفارق بين العهدين، لا فى الروح القدس ذاته، بل فى المواهب والعطايا التى يمنحها للناس... ففى القديم كان يمنح عطايا ومواهب... وفى العهد الجديد صار يمنح بالإضافة إلى العطايا والمواهب الأولى، عطايا ومواهب جديدة وفيوضات جديدة...**

الفرق إذن بين عمل الروح القدس فى العهدين هو فرق فى نوع المواهب التى يمنحها (إن للمواهب أنواعا. أما الروح فواحد) (١. كورنثوس ١٢ : ٤)، (العبرانيين ٢ : ٤).

الفرق إذن بين العهدين هو فرق فى مواهب الروح القدس من حيث عدد المواهب، ومن حيث نوعياتها، ومن حيث مدى شمولها بالتخصيص أو التعميم..

وبعبارة أخرى الفرق بين عمل الروح القدس فى العهدين هو فرق فى مواهب الروح القدس، من حيث الكم والكيف والمدى. أما الروح القدس فهو هو ذاته لم يتغير، ولا ولن يتغير، لأنه هو بشخصه وأقنومه هو الله. والله أزلى أبدى. ليس له بداءة وليس له نهاية، كما أنه لا يتغير.

٢٢ ـ التثليث فى المسيحية وعند الفراعنه

سؤال :

البعض يأخذ على المسيحية أن فيها بعض العقائد التى يوجد مثلها فى الديانات الوثنية، مثل عقيدة التثليث عند المسيحيين والتثليث عند الفراعنة.. فما هو ردكم ؟

الجواب :

نحن قلنا أن هناك بعض المعتقدات توجد فى الديانة الوثنية، مثل الإيمان بالله، الإيمان بالتعبد أو الرهبنة وهى موجود مثلها فى البوزية مثلا، الرهبنة موجودة فى كل شعوب العالم. ووجودها فى مصر القديمة قبل المسيحية، أيضاً موضوع التثليث وجوده فى الديانات الأخرى يثبت حقيقة التثليث ولا يكون ضدها، ولكن مع التحفظ أن التثليث المسيحى لابد أن نعبر عنه تعبيرات دقيقة، لا نخلط بينها وبين التثليث الوثنى، فمثلا عند الفراعنة عندما نقول الثالوث «إيزيس وأوزوريس وحورس» الأب والابن والمرأة، يمكن أن يجد الواحد نظائر له فى كل عائلة، رجل وابن وإمرأة، لكن الفرق بعيد جدا جدا جدا بين هذا التثليث والتثليث المسيحى، لأن الله واحد والتثليث تثليث خصائص، وليس تثليث الزواج، وهذا هو الخلط الذى يحدث عند البعض فيقول أن الله لم تكن له صاحبه، هذا كلام عند الوثنيين، نحن لا يوجد عندنا فى التثليث المسيحى مثل هذا الكلام، هذا من سوء الفهم والتشويه. فإذا وجد تثليث فى الديانات الأخرى، هذا لا يكون ضد فكرة التثليث المسيحى ولكن بالعكس يثبتها، كل ما هنالك أن المسألة تحتاج إلى تنقية لكى نميز بين التثليث المسيحى، والتثليث الذى وجد فى العالم القديم أو فى العالم الوثنى.

٢٣ - ولادة الابن وانبثاق الروح القدس

سؤال :

يقول نشوء الابن عن الآب يسمى ولادة، ونشوء الروح القدس يسمى إنبثاق فلماذا هذا الإختلاف؟

الجواب :

الحقيقة هذا اصطلاح ليس لنا يد فيه، هذا التعبير قاله السيد المسيح نفسه، كلمة الروح القدس المنبثق من الآب، إنما آباء الكنيسة وجدوا مثال يوضح ذلك، مجرد تقريب للحقيقة العالية، فمثلا الشمس ذاتها، النجم على بعد ٩٣ مليون ميل، إنما ترسل أشعتها، فالأشعة التى هى النور تتولد من الشمس، فهنا نوع من الميلاد أو الولادة، ولادة النور، المهم الولادة بالنسبة لله أزلية، بمعنى كما أن النور منذ أن كانت الشمس شمسا فالنور كان يخرج منها، وإلا لا يكون هناك شمس، فلا يوجد فرق زمنى بين الشمس نفسها، وبين النور الخارج منها، هكذا نسب إلى الابن الأقنوم الثانى أنه مولود من الآب، أما الروح القدس مثل الحرارة والدفء تنبثق من الشمس وأيضاً بدون فارق زمنى، لأنه منذ أن كانت الشمس شمسا النور موجود وكذلك الدفء أو الحرارة المنبثقة، إنما فيه مسميات كلمة الشمس هو النجم نفسه، ثم النور مولود من الشمس، ثم الدفء والحرارة منبثقة، يقول تعال نجلس فى الشمس، على الرغم أننا لا نجلس فى النجم نفسه، إنما فى النور والأشعة الواصلة إلينا إلى الأرض. وفى الصيف يقول ابعد من الشمس، وحتى الكتب الصحية يقول اجلس فى الشمس، وأبعد من الشمس، فنحن لا نستطيع أن نفصل بين الشمس والنور وأيضاً الحرارة.

كذلك الله، الله واحد والأقانيم هذه خصائص فى الذات الإلهية، الآب يمثل العدل، الابن يمثل الرحمة، الروح القدس هو الحياة فى الله، لأن الله حى وحى قيوم، فهذه خصائص وليست كيانات مستقلة، وهذا ما يفرق بين التثليث المسيحى والتثليث فى الديانات السابقة أو فى الوثنية ففى الديانات السابقة يوجد أزوريس وإيزيس وحورس فهنا يوجد أشخاص وكيانات، كل واحد منهم كيان لوحده، إنما بالنسبة للآب والابن والروح القدس لا يوجد كيان لكل واحد منهم، حتى سيدنا له المجد فى تصريحاته يقول «الآب الحال فىّ» لكى يبين أنه لا يوجد كيانات مختلفة، هو كيان واحد، على كل حال تعبير الإنبثاق هذا، تعبير المسيح نفسه استخدمه.

٢٤ ـ هل للسيِّد المسيح روح؟ (١)

سؤال: من أحد القراء.

هل للسيِّد المسيح له المجد روح؟ أم أنّ لاهوته هو روحه؟

الجواب :

لربِّ المجد إنسانية كاملة كأىّ واحد منا، أى له روح وجسد بخلاف لاهوته. وقد زعم أبوليناريوس (فى أواخر القرن الرابع) أنّ الكلمة الأزلى اتّخذ من السيدة العذراء جسداً بلا روح أو نفس أو عقل فكان لاهوته بدلاً من النفس. ولكنّ الكنيسة الجامعة المقدسة فندت هذا الزعم الخاطئ وحرمته، لأنّ اللاهوت اتّحد بناسوت كامل وقد أسلم السيد روحه على الصليب دون أن يفارق اللاهوت ناسوته.

---

(١) مقال نُشِر بمجلة (مدارس الأحد) السنة الثانية العدد ٤ من سبتمبر ـ أيلول لسنة ١٩٤٨م صفحة ٤٣.

٢٥ - كَيْفَ ينمو المسيحُ فى الحكمة وهو الإلهُ الكاملُ؟ (١)

سؤال: من أحد القراء.

قال الكتاب المقدس «وكان يسوع ينمو فى القامة والحكمة والنعمة عند الله والناس» (لوقا ٢: ٥٢).

فكيف ينمو المسيح فى الحكمة وهو الإله الكامل فى حكمته؟

الجواب:

لم يكن المسيح يكتسب شيئاً من الحكمة بالتعلم من مصدر خارج عن ذاته، لأن الحكمة والعلم قائمان فيه من حيث هو الكلمة الأزلى، ومن حيث هو حكمة الله، ومن حيث هو الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس، ومن حيث هو الإلهُ المتجسد.

ولم يكن المسيح فى حاجةٍ إلى علْم ومعرفة تأتيه من خارج، وإنما كان يُظهِر من الحكمة الكامنة فيه، والمختزنة فيه بسر التجسّد كلّما نما قدّه، وازدادت قامته، فتأهلت لإبراز هذه الحكمة المكتومة.

فإذا خفى عليك أمر هذا الكُمُونُ والظهور، فسأقرّب لك تصوره بالكلام عن الإنسان: وأظنّك تعلَم أنّ فى الإنسان ميولاً طبيعية وغرائز موروثة لا تظهر فى سلوكه إلا فى زمن معين أو مرحلة من حياته تلائم ظهور هذه الغرائز، مع أنها فى الحقيقة كامنة فيه كُموناً غريزياً وقائمة فيه وفى الجنْسِ البشرى بأسره. ذلك لأنّ ظهور هذه الغريزة أو تلك، فى حياة الفرد، يتوقف على نموه الجسمانى واكتمال نضج الأعضاء الخاصة بالغريزة. وكذلك الحال فى الاستعدادات العقلية والملكات الذهنية، فإنها تتفتح وتتكشف كلما نما الجسم وتهيأ لظهورها. وقد تتوقف عن الظهور فى شخص إذا تعطل نُمُوُّه الجسمانى. حتى إنه على الرغم من بلوغه سناً كبيرة، لايزال فى تفكير الطفل وإدراكه. وقد يختل جهاز الغدد الصمّاء فى الجسم، فينمو البدن أو بَعْضُ

---

(١) مقال نُشِر بمجلة (مدارس الأحد) السنة الثالثة العدد ٨ (أكتوبر- تشرين أول لسنة ١٩٤٩م) صفحة ١٠ - ١٤.

أعضائه ومع ذلك يظل النموّ العقلى معطلاً... فكأنّ الإتحاد القائم بين النفس والجسد يجعل كلاً منهما يتأثر بالآخر، ينمو بنموه، ويذبل بذبوله وضعفه.

وإذا كان هذا كله يصدق على الإنسان، فهو يصدق أيضاً على مُخلّصنا من حيث أنه اتّخذ له ناسوتاً كاملاً، والناسوت يتألف من جسم وروح، وهذان ينموان على غرار ما ينمو جسم الإنسان وروحه، ونحن نعلم أن الإنسان يكتسب العِلْم:

١ ـ إما من ملاحظة الظواهر الطبيعية ومحاولة استنباط قوانينها (كما فى علوم الفلك والطبيعة والكيمياء والطب والهندسة.. والاجتماع وما إلى ذلك).

٢ ـ أو من التعلّم والاكتساب من معلّم أو مُرَبٍ خارج عن ذاته.

٣ ـ أو مما ينبثق فى نَفْسه بفعل التأمُّل من معرفة باطنية.

٤ ـ أو مما يهبط على قلب ذوى الإشراق الإلهى من معرفة لدنّية (من لدن الله) وبما يكتسبونه من قدرة على التبصر وكشف الحجب والتنبؤ والتكلّم باللغات وسائر المواهب الروحانية والإلهية، بعد أن تصفو نفوسهم من أدرانها، وتطهر قلوبهم من أكدارها، وتستضئ عقولهم حين تتخلّص من تعلقات المادة، وتسمو عن شواغل الحس وترقى على عالم الشهادة والتجربة الحسية.

وكذلك المسيح له نفس أو روح بشرية خالصة تختلف إختلافاً طبيعياً، وجوهرياً، وذاتيا، عن اللاهوت المتحد بها إتحاداً لم يلاشِ أو يغير صفات أيهما، وإنما احتفظ الاتحاد بينهما بالتمايز بينهما فى جميع الخصائص والصفات التى تتميز بها كل من الطبيعتين قبل الاتحاد.

وعلى ذلك فالنفس البشرية فى المسيح كالنفس البشرية فينا قبل أن يدخل عليها النقص والفساد بالخطيئة، أو كالنفس البشرية فى آدم الأول يوم أن خلقه الله بغير فساد وبغير شر. ويوم ذاك كانت نفس آدم طاهرة صافية تتصف بالحكمة والعلم والعرفان. ومن هنا لم يكن عبثاً أن يذكر الكتاب المقدّس عن آدم أنّ الله أحضر إليه كل حيوانات البرية، وكلّ طيور السّماء، ليرى ماذا يُسمّيها، «فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السّماء وجميع حيوانات البرية. «وكل ما دعا به آدم ذاتَ نفسٍ حيّةٍ فهو اسمُها» (التكوين ٢: ١٩، ٢٠).

فلا غرابة إذن فى قول الكتاب المقدّس عن المسيح إنّه كان ينمو فى القامة والحكمة والنعمة عند الله والناس (لوقا ٢: ٥٢) أو قوله قبل ذلك «وكان الطّفْلُ ينمو ويتقوّى بالرُّوحِ، ممتلئاً حكمةً،

وكانت نعمةُ الله عليه، (لوقا ٢ : ٤٠) . فالكلام هنا ينصرف على الناسوت فى المسيح، والذى لا يفترق مطلقاً عن طبيعتنا البشرية فيما عدا أنه طاهر، عار عن الشر والخطأ والفساد والنقص الذى دخل على طبيعتنا بالخطيئة. أما من حيث خصائصها ومقوماتها وطبيعة تكوينها، وقابليتها لسائر الإحساسات (من جوع وعطش وتعب وألم..)، وجميع المشاعر والوجدانات والإنفعالات (من فرح وحزن وغضب..) وشتّى العواطف (من حب وعطف..) ففى هذا كلّه قد اشترك المسيح معنا بناسوته كاملاً من غير أن يداخله فساد أو يعتوره إلتواء أو إنحراف.. وكذلك الأمر فى المسيح من حيث العِلْم الطبيعى: نفس المسيح هى النفس المخلوقة على صورة الله ومثاله، فهى نفس ناطقة، طاهرة، حكيمة، صافية، مضيئة، مشرقة، نافذة، عارفة.

ولسنا نفتكر فى كمال الناسوت، وننسى أنّه مُتّحد باللاهوت اتحاداً بلا إفتراق، ولا إنفصال. وإذا كان اللاهوت هو النور، وهو العِلْم، وهو الحقُّ، ففى هذا أيضاً يفترق علْم المسيح الإلهى عن علْم الإنسان الإلهى. فالإنسان بصفاء النفس وتحررها من شواغل المادة ورغبات الحواس وعلائق الجسم، وبالتأمل العقلانى والنظر الرُّوحانى، يصل إلى الله ويبلغ الاتحاد به، فيعرفه ويستضئ بإشراقه ووحيه. ولكن ما فيه من العلم الإلهى قد أخذه لا من نفسه، بل من طبيعة الله التى تفترق عن طبيعته هو إفتراقاً وجودياً وليس اعتبارياً فحسب.. وأما العِلْم الإلهى فى المسيح فهو علم بالاتحاد الطبيعى الذى تمّ فى سرِّ التجسُّد بين الطبيعتين الإلهية والإنسانية فى أقنوم واحد وطبيعة واحدة بغير إفتراق ولا إنفصال.

وإذن يُمكِن القول إنّ المسيح كان ينمو ويتقوّى بالروح ممتلئاً حكمة، أو كان ينمو فى القامة والحكمة والنعمة عند الله والناس، لا بمعنى أنه كان يتلقى هذه الحكمة من مصدر آخر خارج عن ذاته الإلهية كلّية الحكمة، ولا بمعنى أنه لم يكُنْ فى طفولة إنسانيته مكتملاً كلَّ مكنونات العِلْم والحكمة من حيث هو إله، بل بمعنى أنّ **ناسوت المسيح «كان يزداد حكمة من قِبَل الكلمةِ المتّحد به، من حين إلى حين** على ما يقول القديس أثناسيوس الرّسولى، والقدّيس كيرلس الكبير عمود الإيمان، وبعبارة أخرى **إنّ هذه الحكمة المكنونة والمدّخرة فى أقنوم ذاته كإله متأنس، كانت تبدو وتظهر كُلّما تقدّم سنه الناسوتى واكتملت قامته الإنسانية. وكان لابدّ لهذه الحكمة أن تَظَلّ مَخْفِيّة وأن تظهر بالتدريج باطّراد نموه الجسمانى، لأنه شاء بتدبيره من أجل خلاص البشرية أن يستر لاهوته**

ويخفيه، كما إنه لم يدع طبع اللاهوت فيه أن يوقف أو يبطل طبع الناسوت، وإنّما ترك للناسوتية أن تتجلى فيه بصورة طبيعية بحتة، وأن يمر هو بجميع مراحلها وأطوارها، وأن يجتاز بحركاتها ودوافعها، ويختبر فى شخصه جميع إنفعالاتها ومشاعرها، دون أن يُخِلّ هذا كله أو يحل عقدة الإرتباط الوثيق التام، والإتحاد الكامل بين اللاهوت والناسوت. وبهذا كان المسيح إلهاً كاملاً، ولكنه كان أيضاً إنساناً كاملاً دون أن يكون كمالُ ناسوته بفعل (أو بفضل) لاهوته، وإن كان يُعَدُّ دليلاً على حقيقة لاهوته، من حيث أنّ الكمال التام لم يتوافر فى شخص مخلوق بمثل ما توافر فى المسيح، فهو فى المسيح دليل سُمّوه على جميع المخلوقين والمحدودين..

وإذا كان كمال ناسوت فادينا طبيعياً وأدبياً، فهو من هذه الجهة مَثَلُ الإنسانية الأعلى، يجب أن نقتفى أثر خطواته، ولا يصح أن نعتذر بالعجز والقصور عن متابعته بحجة أنه إله، فلقد أبانّا أنّ الكمال فى المسيح لا من حيث هو إله فحسب (فهو تحصيل حاصل) بل من حيث هو إنسان أيضاً.

وعلى ذلك فالحكمة، وكذلك النِّعمة، فى المسيح تختلف عنها فى الناس، من حيث أنها فى المسيح طبيعية بينما فى الناس مُفاضة عليهم من الله وهى عالية عن طبيعتهم، وهى فى المسيح خير محض بينما هى فى الناس من أجل أن تعلو على الفساد فيهم، وهى فى المسيح كاملة بينما فى الناس بحسب درجات صفائهم واقترابهم من الله، وهى فى المسيح لا تنقص ولا تزيد، وإن كانت تظهر بالتدريج بينما فى الناس قابلة للزيادة والنقصان تبعاً للمجاهدات الباطنية والرياضات الروحية.

* * *

أجل لقد رأى بعض الهراطقة (الخوارج) أنّ فى قول الكتاب المقدّس عن المسيح «وكان الطِّفْلُ يَنْمو ويَتَقَوّى بالرُّوح، ممتلئاً حِكمة، وكانَتْ نعمة الله عليه» (لوقا ٢ : ٤٠) وقوله «وكان يسوع ينمو فى القامة والحكمة والنعمة عند الله والناس» (لوقا ٢ : ٥٢) ما يطعن فى حقيقة لاهوت السيد المسيح. أو تعبيراً لا يليق بابن الله لو كان حقاً أنه إله وكأن الإنجيل لم يفرق بينه وبين يوحنا

المعمدان الذى قال عنه أيضاً «أما الطفل فكان ينمو ويزداد قوةً فى الروح» (لوقا ١ : ٨٠).

ولكن هذا التعبير ذاته الذى سوى بين المسيح وبين عبده يوحنا، قد أبرز حقيقة ناسوته. وأكد أنه **عاش بين البشر كواحد منهم، وأنه أخضع نفسه بفعل تدبيرى لكل ما يخضعون له، مما يُعَدُّ برهاناً قاطعاً** على خطأ مذهب بعض الهراطقة الذين ظهروا فى صدر المسيحية مثل الدوكيتيين DOCETISM الذين أنكروا أن يكون جسد المسيح حقيقياً ومادياً، وادّعوا أنه جسد خيالى وهمى. ومثل الغنوسيين GNOSTICS الذين زعموا أنه هبط من السماء مركباً من عناصر سماوية وأنه مر ببطن العذراء مريم كما يمر الماء بالقناة، دون أن يولد منها على الحقيقة، أو يتّخذ من جِسْمِها ودمائها شيئاً... نقول إنّ عبارة الوحى عن نمّو المسيح فى القامة تؤكد **حقيقة الجَسَدِ الذى اتّخذه المسيح، وأنه مادىّ، وقابل للنمو، وأنه لم يهبط من السماء كبيراً بل وُلِد على غرار البشر.**

وعلى النقيض من هؤلاء الهراطقة، هراطقة آخرون لم ينكروا الجسد وإنما أنكروا النفس البشرية فى المسيح. فذهب الأريوسيون إلى أنّ اللاهوت يقوم مقام النفس فى المسيح، ورأى أبوليناريوس أنّ فى المسيح نفساً غير أنها حيوانية بهيمية تصدر عنها أفعال الحس والحركة والنمو. أما أفعال النطق والعقل فتصدر عن اللاهوت.

ولكن الكتاب المقدّس إذ ينسب للمسيح أنه كان ينمو ممتلئاً حكمة ونعمة فقد أبان أن **له نفساً بشرية تتصف بالحكمة وتقتبل النعمة مع تقدم السنّ والقامة وتطور النمو الجسمانى.**

كل ما هنالك من فارق، أنّ نُمُوّ يوحنا بالروح كان من أجل نفسه، وأما نمو المسيح فهو من أجلنا، بإعتباره مظهراً لسر التجسد الذى كان أيضاً سبيلاً لتحقيق عمل الفداء والخلاص.

ونحن نميل إلى ما ذهب إليه بعض الآباء من أنّ أبانا آدم الأول خُلِقَ فى الثلاثين من عمره كاملاً فى نفسه وجسده ممتلئاً حكمة وعرفاناً. لكنه سَقَطَ فى الخطيئة ففقد إمتيازاته السامية. وإذ أراد المسيح أن يُعيد إلينا ما فقدناه بالمعصية، لم يظهر فى الثلاثين من عمره. بل بدأ طريقه من قبل ذلك بثلاثين عاماً. **بدأه منذ الحمل به فى أحشاء الطوباوية مريم إلى أن وُلِدَ فنما رضيعاً فطفلاً، فصبياً، فغلاماً، فيافعاً، فشاباً، فرجلاً... رجع إلى الوراء**

ليخط بنفسه طريق الكمال من جديد. ويعين فى كل مرحلة من مراحل حياته على الأرض المثل الأعلى للإنسان على الأرض، بعد أن فقد الإنسان فى شخص آدم الأول صفات الكمال، وطريق الكمال.

وإذا كانت «النِّعْمَةُ» هى الفضل أو اللطف الإلهى مفاضاً على طبعنا البشرى، فليست كذلك النعمة فى المسيح. وإنّما هى مجد الله ظاهراً فى المسيح، وفضل الله على الجنس البشرى معلناً فى شخص المسيح وما قام به من أجلنا. أو بعبارة أخرى هى صفات الله وكمالاته وقدراته ظاهرة فى المسيح الذى هو صورة الله فى الجسد. وربما يبدو ذلك أولاً فى عصمته من الشّر وثانياً فى ضروب المعجزات وخوارق العادات التى يُجريها بسلطانه الذاتى، وفى ذلك يختلف عن الأنبياء الذين يجرون بعضها بعد الإستغاثة بالله والصلاة إليه، مستمدين من الله سلطاناً لم يكن لهم كبشر فانين ومخلوقين.

٢٦ ـ هل كان المسيح مُتردداً؟ (١)

سؤال: من أحد القراء.

«قرأت فى أحد الكتب الإسلامية بعنوان «نظرة فى كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية» فن علم الكلام ب رقم ١٩٥٩٥ مطبوع بدار الكتب الأهلية بميدان أحمد ماهر. وقد شحن هذا الكتاب بالانتقادات، واسترعى نظرى فى إطلاعى عليه إستغلال الآيات الواردة بإنجيل (يوحنا ٧: ٦، ٨، ١٠) فى إظهار أنّ يسوع ليس إلهاً وقال ما ملخصه «إن كان هناك لاهوت مع ناسوته، فلماذا لم يقدر هذا اللاهوت أن يعرف أذاهب هو أم لا، ولكنه كان متردداً...

أرجو رجاء حاراً كقارئ مسيحى أن تكتبوا لنا ما يوضح هذا الغموض..؟»

الجواب :

لابد لنا هنا من أن نثبت نصوص هذه الآيات ونَرْدُفُها بالتعليق عليها :

«فقال لهم يسوع: إنّ وقتى لم يأت بعد. وأما أنتم فوقتكم مُهيأٌ فى كل حين. إنّ العالم لا يمكن أن يبغضكم. أمّا أنا فيبغضنى، لأنى أشهد عليه بأن أعماله شريرة. فاصعدوا أنتم إلى العيد، وأما أنا فلن أصعد الآن إلى هذا العيد، لأن وقتى لم يحن بعد. قال لهم هذا ومكث فى الجليل. ثم بعد أن صعد إخوته صعد هو أيضاً إلى العيد، ولكن ليس علانيةً بل كمستتر» (يوحنا ٧: ٦ – ١٠).

أفهل يرى القارئ ما رآه **صاحب كتاب «عقائد النصرانية»** من أنّ هناك دليلاً على نقص المعرفة فى المسيح؟ قطعاً لا، لأنّ المسيح لم يتردّدْ أو لم يَعدِلْ عن رأيه الأول، بل كشف لأقاربه الذين عرضوا عليه أن يصعد إلى أورشليم علانية ويعلن نفسه للعالم «إن كنت تعمل هذه الأعمال فأظهر نفسك للعالم» (يوحنا ٧: ٤) فأجابهم بأنّ وقته لم يَحِنْ بَعْدُ، لأنه كإلهٍ عالم بكل شئ قد اختط خطة ووضع تدبيراً لا ينقض، ورتب لكل شئ وقته المناسب. ولو أنه تعالى أجاب مطلبهم وصعد إلى الهيكل علانية، لثار عليه اليهود وصلبوه، بينما أنّ وقت تسليم نفسه للصّلب

---

(١) مقال نُشر بمجلة (مدارس الأحد) السنة الخامسة العدد السابع (أغسطس ـ آب لسنة ١٩٥١م) صفحتى ٣٤ – ٣٥.

وبجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٣١ أغسطس ـ آب لسنة ١٩٨٠م ـ ٢٥ من مسرى لسنة ١٦٩٦ش.

لم يحن بعد، ولابد من أن لا يتعجّل هذا الوقت لأنه لابد أن يتمم رسالته فى الدعوة إلى الإنجيل، وهذا تعليم ثمين للإنسان أن يتريث فلا يندفع وراء التضحية بحياته من غير موجب. فقد يكون بقاء الإنسان فى الحياة لازماً له أو لإتمام رسالته بين الناس، على ما يقول مار بولس الرسول : «فإنى محصور بين الإثنين: لى إشتهاء أن أنطلق لأكون مع المسيح، وذلك هو الأفضل جداً غير أن بقائى فى الجسد أشد ضرورة لكم من أجلكم. فإذ أنا واثق بهذا، أعلم أنى أمكث وأبقى مع جميعكم لأجل تقدمكم وفرحكم فى الإيمان» (فيلبى ١ : ٢٣ – ٢٥).

فإذا كان المسيح لم يصعد إلى أورشليم علانية وفى أول أيام العيد، إلا أنه صعد بعد ذلك عندما إنقضت نصف أيام العيد، (يوحنا ٧ : ١٤) فى الخفاء وظهر بغتة فى الهيكل وصار يُعلّم هناك، أى أنه لم يدخل الهيكل بمجد ظاهر كما حدث ذلك فيما بعد قُبيل آلامه حيث أثار ذلك حقد كهنة اليهود الكامن فهاجوا عليه وصلبوه... وهذا يكشف لنا عن غرضه فى رفض العرض الذى عرضه عليه بعض أقاربه.

ومهما يكن من أمر، فليس فى النصوص التى يدور حولها محور حديثنا، ما يدل على أنّ المسيح كان متردداً أو كانت تنقصه المعرفة، بل على العكس، تدل على معرفة تامة بالتدبير الحكيم الذى كان يُدبّر به مدة بقائه على الأرض وبالزمن الملائم لكل خطوة من خطوات هذا التدبير المحكم الدقيق.

أيا يسوع المسيح ربى، علمنا كيف نسلك بالحكمة والتعقل، فلا يخلبنا المجد ولا نجرى وراء المديح والتهليل، كما أبيت أنت أن تظهر أمام الجماهير، لتعرفنا كيف ينبغى أن نختفى عندما تثور من حولنا العواصف والأنواء، فليس من الحكمة أن نجابه الشرور دائماً، شروراً ظاهرة كانت أو شروراً باطنة!!

٢٧ ـ ألا يعرف المسيح اليوم والساعة؟ (١)

سؤال: من أحد القراء.

جاء فى الإنجيل: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلمهما أحد، ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن، إلا الآب» (مرقس ١٣: ٣٢).

أليس المسيح هو الله؟ فكيف لا يعرف اليوم والساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان ثانيا؟

الجواب :

هذه الآية على جانب كبير من الأهمية، فقد استند إليها أريوس فى دعواه بأنّ المسيح أقل من الآب فى الجوهر نظراً لما رآه فيها من الإشارة إلى نقص العلم فى الابن بالنسبة إلى الآب، كما يعتمد عليها اليوم فريق من الهراطقة المعروفين «بشهود يهوه» هؤلاء الذين جددوا فى دعواهم مذهب أريوس الهرطوقى، وعادوا يجاهرون بإنكار لاهوت المسيح ومساواته للآب، ووحدته فى الجوهر مع الآب والروح القُدُس كما تُعلّم به الكنيسة الأرثوذكسية متنكّرين لكل هذا التاريخ الطويل، ومتجاهلين الجدل العنيف الذى صرَعَت به الكنيسة هذه البدعة الأريوسية الدقيقة، فى مجمع نيقية، وظلت تقاومها بعد ذلك بزعامة البابا أثناسيوس الرسولى نحو نصف قرن من الزمان حتى قضت عليها نهائياً؟ فأثارها جماعة شهود يهوه مرة أخرى، فى وقت فترت فيه الرُّوحانية، لعلّ الشّيطان يصل إلى غاية مرامه بالقضاء على الصخرة التى بنيت عليها البيعة المسيحية عندما ينجح فى إبطال عقيدة لاهوت المسيح طبقاً لما قال رب المجد نفسه «وإنّى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى» (متى ١٦: ١٨).

ونحن نجيب على الأريوسيين، وخلفائهم من شهود يهوه، بأنّ أوّل قاعدة من قواعد التفسير التى ينبغى أن يلتزم بها من يروم أن يكون أميناً فى تفسيره للكتاب المقدّس، هى أن لا يتشبّث بنصّ واحدٍ بعينه ويهمل سائر النصوص، فالكتاب المقدّس يجب أن يُنظر إليه ككل، ولابد من فهم كل جزء من اعتبار الكّل. ولسنا فى ذلك نقرر أمراً شاذاً، بل هذا هو المبدأ الذى يراعى فى

---

(١) نُشِر بمجلة (مدارس الأحد) السنة الخامسة العدد الثانى (فبراير ـ شباط لسنة ١٩٥١م) صفحة ٣٦ – ٤٠.

شتى العلوم والمعارف الإنسانية، بل وأيضاً فى فهم أى نص من النصوص الأدبية أو العلمية، أو الدستورية أو القانونية. يجب أن لا تقوم الحقائق العلمية على واقعة جزئية، ولا تقام القوانين والمبادئ العامة على نص واحد يفهم مستقلاً عن غيره من النصوص. نعم يجب للمبدأ العام أن يُفسِّر جميع الجزئيات التى تدخل فى نطاقه، ولكن يجب أن لا يُستقرأ القانون العام من ظاهرة مفردة لا تجمعها مع الظواهر الأخرى أصول عامة مشتركة.

وإذا راجعنا تاريخ المسيحية منذ نشأتها لم نجد بدعة من البدع ظهرت فى وقت ما إلا كانت وليدة تجاهل هذه القاعدة المهمة من قواعد التفسير.

والقاعدة الثانية أنّ كل نص فى الكتاب المقدّس يجب أن يؤخذ أولاً على معناه الحرفى إلا إذا كانت هناك قرينة تمنع من قبول هذا المعنى الحرفى، كأن يكون مضاداً للعقل أو مضاداً للواقع أو مضاداً لنصوص أخرى واضحة فى لفظها أو معناها.

بناء على هاتين القاعدتين ينبغى أن نراجع الآية التى نحن بصددها «وأما ذلك اليومُ وتلك السَّاعةُ، فلا يعلَمُهما أحدٌ، ولا الملائكة الذين فى السمَّاء ولا الابن، إلا الآبُ».

قد يفهم من حرفية النص أنّ المسيح لا يعلم باليوم والساعة التى تكون فيها نهاية العالم، ولكن هذا المعنى الحرفى لا يستقيم مع النصوص الأخرى التى تتحدّث عن ألوهية المسيح، وتصوره بأنه كائن مع الآب وفى الآب (يوحنا ١ : ١) وأنه هو الله الظاهر فى الجسد (١ . تيموثيئوس ٣ : ١٦) وأنّ كُلّ شئ به كان. وبغيره لم يكن شئ مما كان (يوحنا ١ : ٣) وأنه هو والآب معاً **واحد** (يوحنا ١٠ : ٣٠) وقد أجاب على طلب فيلبس عندما سأله «يارب أرنا الآب وكفانا» بقوله «أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى بعد يا فيلبس؟ **مَنْ رآنى فقد رأى الآب** فكيف تقول أنت أرنا الآب؟ ألا تؤمن **بأنى أنا فى أبى وأن أبى فىّ**. إن الكلام الذى أكلمكم به لا أتكلم به من نفسى أنا وحدى، **وإنما الآب الكائن فىّ** هو الذى يعمل أعماله، صدقونى أنى فى أبى وأن أبى فىّ» (يوحنا ١٤ : ٨ – ١١). وقال أيضاً «لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً. ومنذ الآن تعرفونه، **وقد رأيتموه**» (يوحنا ١٤ : ٧) وكلها نصوص ترينا فى أجلى بيان أن الاتحاد قائم بين أقنومى الآب والابن، فكيف يمكن أن نحمل قوله إنّ الابن لا يعرف اليوم والساعة على المعنى الحرفى؟

ثُمَّ إذا كان الكتاب المقدَّس عينه ينسب للمسيح الأزلية فيقول: «مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل» (ميخا ٥: ٢) كما ينسب له الأبدية فى قوله: «يولد لنا ولد، ونعطى إبناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً، إلهاً قديراً، **أبا الأبد**، رئيس السلام» (إشعياء ٩: ٦) فإذا كان المسيح أزلياً وأبدياً، فهو الله. وإذا كان هو الله فكيف تخفى عليه تدبيراته؟؟ !!

ثُمَّ إنَّ المسيح نفسه يقول صراحة «فإنَّ الآب يُحبُّ الابن، وهو يريه كُلَّ ما يَعْمَلُ...» (يوحنا ٥: ٢٠) فكيف إذن يَعْلَمُ الآبُ بيوم القيامة وساعتها، ولا يعلم بهما الابن، وهما جوهر واحد، وكيان واحد، وذات إلهية واحدة؟؟!!

كما أنَّ الكتاب المقدَّس فى مواضع كثيرة جداً ينعت المسيح بأنه حكمة الله وأنه المذَّخر والذى تكمن فيه جميع كنوز الحكمة والمعرفة (كولوسى ٢: ٣)، (١. كورنثوس ١: ٢٤)، (٢: ٦، ٧)، (١٢: ٦) (أفسس ١: ٨).. ويكفى أنه دُعِى «الكَلِمَة» (يوحنا ١: ١). (والكلمة) هنا ترجمة للكلمة اليونانية (اللوجوس). واللوجوس فى الفلسفة اليونانية هو العقل الإلهى مُطْلَقاً فى الكون.. فإذن الابن هو حكمة الله أو هو عقل الله، والله يعرف ويعلم بالعقل أو اللوجوس أو الابن. **فليست إذن معرفة فى الآب إلا وهى فى الابن**. ومن تحصيل الحاصل أن نورد نصوصاً من الكتاب المقدَّس تبين كيف امتد علْمُ المسيح إلى كل شئ، وكيف كان يعرف خفايا القلوب، ويُنْبِئ بالغيب المستور، بل وفى ذات الموضع الذى وردت فيه الآية التى نحن بصدد مناقشتها، يتنبأ السيد المسيح بمستقبل الأيام بصورة العالم بكل ما سيحدث. وحقاً إنه لأمر عجيب أن نتصوَّر أنه لا يعرف الوقت، وقد تَحدَّث عن كل ما يسبق القيامة ويلحق بها!!

فإذا كانت كُلُّ هذه قرائن تمنع من أن نؤخذ هذه الآية على معناها الظَّاهر، فقد تعيَّن علينا أن نوضِّح ما يمكن أن تشير إليه.

ويبدو لنا من مراجعة نص الآية باللغات اليونانية والقبطية فضلاً عن اللاتينية والألمانية والفرنسية.. أن المقصود بالابن «المسيح نفسه»: وأن الآب هو الأقنوم الأول.

فكيف نفى المسيح عن نفسه المعرفة؟ ذلك بإعتبارين:

أمَّا أوَّلاً، فلأنَّ المسيح كما هو ابن الله كذلك هو ابن الإنسان. وهو **يعرف اليوم والساعة بصفته كائناً فى الآب ومتَّحداً معه فى الجوهر والذات ولكنه لا يعرفهما بوصفه ابن الإنسان.**

ولو كان يقصد الابن من حيث هو أزلى، ففى قوله «إلا الآب» كأنه ينفى المعرفة عن الروح القدس وهو الأقنوم الثالث من اللاهوت، وهو روح الله، وكيف يمكن أن نتصور الله يعرف أمراً لا يعرفه روحه؟؟ وإذن فالمسيح لا يتكلم عن نفسه من حيث هو إله، ولكنه من حيث هو إنسان، وابن إنسان، فبهذه الصفة لا يعرف زمن القيامة.

حقاً إنّ المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين، وأنه لا إنقسام فى شخصه، فإذا كان يعلم بالساعة من حيث هو إله، فهو عالم بها على كل حال، ولا فرق، ولكنه يمكنه بهذه الصورة أن ينكر المعرفة عن نفسه دون أن يكون فى هذا الإنكار تجاوز للحقيقة، أو مخالفة للواقع: فقد يجمع الشخص بين صفتين مختلفتين أحياناً ويتصرف وفقاً لكل صفة تصرفاً قد يتعارض أو يتناقض مع تصرفه بالصفة الأخرى: مثله فى ذلك مثل المعلّم الذى يجيب على تلميذ يسأله ساعة الإمتحان عن أمر لا يجوز أن يجيب عنه بشئ، أو بعد الإمتحان عن نجاحه أو سقوطه.. بقوله «لا أعلم». أو مثل السياسى الحصيف الذى يُجيب على أسئلة السائلين بقوله: «لا أعلم» بمعنى (لا أريد أن أصرح)، لما فى التصريح من أضرار فردية أو إجتماعية. وهذا التعبير أصبح مألوفاً عندَ جميع الناس، حتى صار من الصيغ المقررة التى يمكن أن يفهمها الإنسان كما هو الحال بالنسبة إلى كلمات كثيرة فى جميع اللغات: يكون لها أكثر من معنى، يمكن التوصل إليه بحسب ملابسات اللفظ والظروف التى يقال فيها.

قال القدّيس أثناسيوس الرسولى: إجابة على إعتراض أريوس «إنّ السيّد المسيح قال لتلاميذه عن يوم وساعة مجيئه إنه لا يعرفهما أحد ولا الابن، لئلا يسألوه عن هذا السر الذى لا يجوز لهم أن يطلعوا عليه كما يقول صاحب السرّ إنى لا أعلم هذه المسألة، أى لا أعلمها علماً يُباح به، لأن بطرس قال له «يارب أنت تعلم كل شئ».

أمّا لماذا أنكر المسيح عن نفسه هذه المعرفة، فلأن لله حكمة فى أن يظلّ يوم الساعة مخفياً عن النّاس حتى لا يتوانوا عن الجهاد والعمل والنشاط كالمعلّم الذى يُنبئ التلاميذ بإمتحان يعقده فى يوم مجهول، حتى يكون التلاميذ فى حالة إستعداد دائم.

وقد بادرهم الربُّ يسوع بهذه العبارة لكى لا يدع لهم فرصة فيسألوه.

ومما يلفت النظر حقاً أنّ كلمة «ولا الابن» لم ترد فى غير إنجيل مارمرقس، فقد وردت هذه

العبارة بتمامها فى إنجيل القديس متى (٢٤ : ٣٦) خلوا من هذه اللفظة. قال «وأمّا ذلك اليوم وتلك السّاعة فلا يَعْلَمُهما أحد ولا حتّى ملائكةُ السّماوات، إلا الآب وحده». فربما كان هنا قصد من إيرادها فى إنجيل كتب إلى الرومان، وهم الذين أذاع فيهم سيمون الساحر الشك فى إنسانية السيِّد المسيح، وكأن المسيح لاهوت صرف، وليس الجسد فيه إلا خيال بحت، فمثل هذه العبارة التى ينفى بها المسيح المعرفة عن نفسه، من شأنها أن تؤكد الناسوت فى المسيح، وأن تشير إلى مشاركته لنا فى طبعنا البشرى وعلمنا المحدود، وأنه شَابهنا فى كل شئ ماعدا الخطيئة وحدها.

المسيح إذَن من حيث هو إله يَعْلَمُ باليوم والسّاعة التى ينحلُّ فيها الكون، ولكنه مع ذلك ينكر المعرفة عن نفسه بوصفه إنساناً بناسوتية كاملة حقيقية، ومن الخير لنا أن يظلّ يوم النهاية مجهولاً لنا حتى نكون على أهبة الرحيل فى كلّ حين: وليتداركنا الإله برحمته لنلتفت إلى ما فى هذه الآية الرهيبة من معان روحية مثيرة.

٢٨ ـ حول لاهوت المسيح (١)

سؤال: من السيد بولس حنا ـ بقلّوصنا.

كيف نُفسِّر قول معلمنا بولس الرسول: «لا أزال شاكراً من جهتكم وذاكراً إياكم فى صلواتى، كى يُعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان فى معرفته» (أفسس ١: ١٦، ١٧)؟

الجواب:

لا يزعجك هذا التعبير، مادمت تعرف أنّ الرّسول يتكلم هنا عن «ربنا يسوع المسيح» أى أنه لا يتكلّم عن «الابن» أو «الأقنوم الثانى» مجرّداً عن الناسوت، بل عن «يسوع المسيح» الإله المتأنس. فهو إله من حيث لاهوته، وإنسان من حيث ناسوته، **وإذا كنا نؤمن أنّ ربنا يسوع المسيح ذو ناسوتية كاملة، فبصفة الناسوتية يُعَدُّ الله الآبُ إذن إلهاً له بهذه الصفة، وإن كان بصفة اللاهوتية يُعَدُّ الابن واحداً مع الآب والروح القدس فى الجوهر الإلهى أو الذات الإلهية.**

ولم تكن هذه هى المرة الوحيدة التى تكلّم فيها الوحى عن ربنا يسوع المسيح بهذه الصفة، فقد قال السيد نفسه مرة لمريم «لكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إننى سأصعد إلى أبى الذى هو أبوكم، **وإلهى الذى هو إلهكم**» (يوحنا ٢٠: ١٧)، علماً بأنه فرق هنا تفرقة واضحة بين علاقته بالآب، وعلاقة التلاميذ بالآب، وإلا لكان يقول: «أبينا، وإلهنا»؟!!

ستقول إذن: لكن الرسول لا يقول «إله الناسوت» بل إله ربنا يسوع، فأجيب بأن الكتاب المقدّس ينسب ما هو للناسوت «ليسوع المسيح» أو «للربّ يسوع» لأن اللاهوت متحد فيه بالناسوت، إتحاداً تاماً بغير إفتراق أو إنفصال لحظة واحدة أو طرفة عين. وهذا دليل على خطأ القائلين بالإنفصال بين الطبيعتين، لأنه لو كان ثمة إنفصال لما جاز أن يُقال عن الآب إنه «إله ربنا يسوع المسيح»!! إذ أنه إلهه من حيث الناسوت فقط، لكن الاتحاد التام هو الذى يُجيز للرسول أن يسمى الآب «إله ربنا» ومن هنا أيضاً نفهم لماذا نسمى السيدة العذراء والدة الإله، مع أنها

---

(١) مقال نشر بمجلة (مدارس الأحد) ـ السنة السادسة العدد الأول ـ يناير ـ كانون ثان لسنة ١٩٥٢م صفحة ٢٥، ٢٦.

ليست أصلا للاهوت، ولكن اللاهوت قد حل فى أحشائها، واتخذ منها الناسوت، فهى والدة الناسوت، كما أنها والدة اللاهوت باعتبار الاتّحاد القائم بين اللاهوت والناسوت وأنه اتحاد تام بغير إفتراق، لأن الذى خرج من أحشائها عند الولادة، إله متأنس وليس إنساناً فقط.

وليس يخفى عليك أنه يمكن أن تكون للكائن الواحد صفتان بغير تعارض. فالجمر مُحرق ومُحترق فى آنٍ واحد. هو مُحرِق من حيث أنه نار تَحرِقُ، ومحترِق من حيث هو خشب أو فحم، وقد احترق باتّحاده بالنارِ المحرِقة.

هكذا ربنا يسوع المسيح، إله متأنس. فهو إله من حيث لاهوته، ولكنّ له إلهاً من حيث ناسوته، وهذا الإله هو الكائن فى السماء أو هو المتحد بالناسوت أيضاً، ولا فرق.

٢٩ ـ ابن الانسان وابن الله

سؤال: من السيد / فنيار جرجس عياد ـ ديروط.

ما الفرق بين ابن الإنسان، وابن الله ؟

الجواب :

المسيح له المجد جمع بين كونه ابن الإنسان، وابن الله معاً. فهو ابن الإنسان، لأنه نزل من السماء، واتّخذ صورة الإنسان. فعندما أراد أن يتجسد من أجل خلاص البشرية، حل بلاهوته فى بطن العذراء مريم، واتّخذ منها جسداً بروح عاقلة، واتّحد به اتحاداً كاملاً، وبعد تسعة شهور كاملة، خرج به من بطن العذراء مريم، إلهاً متأنساً، أى أنه إله ظهر فى إنسانية كاملة. فظهر طفلاً وهو الله الكلمة (يوحنا ١ :١). إذن مع أنه إله لكنه اتحد بالناسوت، وظهر إنساناً كاملاً، مثله مثل أى إنسان آخر، فى كل ما للإنسان من صفات الإنسانية وخصائصها. وعلى هذا النحو، صار إنساناً، وإبن إنسان لأنه ابن مريم، إذ أنه ولد منها، وخرج من أحشائها إنسانا كاملاً.

وقد حرص المسيح له المجد على أن يلقب ذاته بأنه ابن الإنسان، توكيداً لحقيقة تجسده تجسداً كاملاً، وبياناً منه له المجد، بأنه اتخذ له جسداً من طبيعة جسدنا، فلم يكن جسده شبحاً أو خيالاً، أو شبه جسد. ولم يكن جسده جسداً أثيرياً، وإنما كان جسداً مطابعاً لجسدنا، جسداً من مادة جسدنا، ومن طبيعته. فقد شابهنا فى كل شئ (العبرانيين ٢ :١٧) فيما عدا الخطيئة وحدها.

يقول الكتاب المقدس «والكلمة اتّخذ جسداً» (يوحنا ١ :١٤) ومعناه أن الكلمة أخذ جسداً أو «صار له جسد».

ويقول «إذن إذ قد اشترك الأبناء فى اللحم والدم، اشترك هو كذلك فيهما، لكى يبطل بموته من كان له سلطان الموت أعنى إبليس» (العبرانيين ٢ :١٤).

ويقول أيضاً إنّ الله «أرسل ابنه فى شبه جسد الخطيئة» (رومية ٨ :٣).

ويقول «فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً، الذى إذ هو فى صورة الله، لم يكن يعتد مساواته لله إختلاساً، لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد، صائراً فى شبه الناس. وظهر بهيئة إنسان، وضع نفسه، وأطاع حتى الموت، موت الصليب» (فيلبى ٢ :٥-٧).

ويقول «من بولس عبد يسوع المسيح، المدعو ليكون رسولاً، المفروز لإنجيل الله، الذى وعد به من قبل على ألسنة أنبيائه فى الكتب المقدسة، عن ابنه، الذى صار من ذرية داود، بحسب الجسد» (رومية ١: ١-٣).

ويقول «فلما تَم الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من إمرأة» (غلاطية ٤: ٤).

ويقول «وبالإجماع عظيم هو سر التقوى، الله ظهر فى الجسد» (١ . تيموثيئوس ٣: ١٦). أنظر أيضاً (أعمال ٢: ٣)، (١ . يوحنا ١: ٢)، (٤: ٢).

هذا هو المعنى من أن المسيح يلقب **بابن الإنسان**، لأنه وهو الله الكلمة، ولد من مريم وهى إنسان، ولأنه اتخذ صورة الإنسان، وشكل الإنسان، وجسد الإنسان.

وقد كان المسيح له المجد حريصاً على هذا اللقب، لأنه برهان حبه للإنسان.

«وحين جاء يسوع إلى نواحى قيصرية فيلبس، سأل تلاميذه قائلاً: من تقول الناس إنى هو، أنا ابن الإنسان؟» (متى ١٦: ١٣).

«ومتى جاء **ابن الإنسان** فى مجده وكل الملائكة القديسين معه، يجلس عندئذ على عرش مجده» (متى ٢٥: ٣١).

«وحينئذ سيرون **ابن الإنسان** آتياً على السحاب بقوة عظيمة ومجد» (مرقس ١٣: ٢٦).

«سعداء أنتم إذا أبغضكم الناس ونبذوكم وعيّروكم وأهانوا اسمكم مفترين الشر عليكم من أجل **ابن الإنسان**» (لوقا ٦: ٢٢).

«ما من أحد صعد إلى السماء إلا ذلك الذى نزل من السماء، **ابن الإنسان** الذى هو فى السماء» (يوحنا ٣: ١٣).

«وكما رفع موسى الحية فى البرية، هكذا ينبغى أن يرفع **ابن الإنسان**» (يوحنا ٣: ١٤).

«ونحن لا نستطيع أن نحصى المواضع التى وردت فى الإنجيل والتى لقب فيها المسيح له المجد ذاته بلقب «**ابن الإنسان**» إنها كثيرة جداً.

أنظر على سبيل المثال (متى ٨: ٢٠)، (٩: ٦)، (١٠: ٢٣)، (١١: ١٩)، (١٢: ٨، ٣٢، ٤٠)، (١٣: ٤١)، (١٦: ٢٧، ٢٨)، (١٧: ٩، ١٢، ٢٢)، (١٨: ١١)، (١٩: ٢٨)، (٢٠: ١٨، ٢٨)، (٢٤: ٢٧، ٣٠، ٣٧، ٣٩، ٤٤)، (٢٥: ١٣)، (٢٦: ٢، ٢٤، ٤٥، ٦٤).

وغير ذلك، وعشرات النصوص فى الأناجيل الأخرى.

وأما أن المسيح هو **ابن الله**، فلأنه **صورة الله** الغير المنظور (كولوسى ١:١٥)، (٢. كورنثوس ٤:٤)، (فيلبى ٢:٦)، (العبرانيين ١:٣)، أى أن الله وهو الغير المنظور صار منظوراً فى المسيح. وتوكيداً لذلك قال المسيح له المجد «**من رآنى فقد رأى الآب**» (يوحنا ١٤:٩)، (يوحنا ١٢:٤٥).

ثم إنّ المسيح هو **ابن الله**، لأنه من حيث لاهوته هو من طبع الله الآب، ومن جوهره، أى أنه من ذات طبيعته، ومن ذات جوهره. هو منه، وفيه، بغير إفتراق. وقد قال المسيح له المجد عن ذاته من حيث لاهوته «**أنا وأبى نحن معاً واحد**» (يوحنا ١٠:٣٠)، (يوحنا ١٧:١١، ٢٢)، (١٤:٢٠).

* * *

معاذ الله أن يلد الله كما يلد الإنسان أو كما يلد الحيوان. فإن الولادة فى عالم الإنسان والحيوان تقتضى الجسد، بينما أن الله روح (يوحنا ٤:٢٤).

إنما المسيح ابن الله، لأننا رأينا فيه الله الذى لا يرى، قال الإنجيل «**الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد** الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه» (يوحنا ١:١٨). وحضن الآب هو ذات الآب، وجوهره.

وبهذا المعنى ورد عن المسيح أنه ابن الله فى ما لا حصر له من النصوص المقدسة.

قال الملاك جبرائيل للعذراء مريم «إنّ روح القدس سيحل عليكِ، وقوة العلى ستظللكِ ولذلك فإن القدوس الذى سيولد منكِ، يدعى **ابن الله**» (لوقا ١:٣٥).

«أما يسوع فظل صامتاً. فأجاب رئيس الكهنة وقال له: أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا: **هل أنت المسيح ابن الله** ؟ فقال له يسوع: نعم أنا هو كقولك» (متى ٢٦:٦٣، ٦٤).

وجاء فى الإنجيل للقديس مرقس «هذه بداية بشارة **يسوع المسيح ابن الله**» (مرقس ١:١).

وجاء فى الإنجيل للقديس لوقا «وكانت الشياطين تخرج من كثيرين، وهى تصرخ قائلة: **أنت هو المسيح ابن الله**» (لوقا ٤:٤١).

وجاء فى الإنجيل للقديس يوحنا: «وقد صنع يسوع أمام تلاميذه آيات أخرى كثيرة، لم تكتب فى هذا الكتاب. وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا بأن يسوع **هو المسيح ابن الله**» (يوحنا ٢٠: ٢٣، ٣١).

وجاء فى رسالة القديس يوحنا الرسول الأولى: فكل من اعترف بأن يسوع **هو ابن الله**، أقام الله فيه وهو يثبت فى الله» (١. يوحنا ٤: ١٥).

«من ذا الذى يغلب العالم إلا ذاك الذى يؤمن بأن يسوع هو ابن الله» (١. يوحنا ٥: ٥).

أنظر أيضاً (متى ٣: ١٧)، (٤: ٣)، (١٤: ٣٣)، (١٦: ١٦)، (١٧: ٥)، (٢٨: ١٩) (مرقس ١: ١١)، (٣: ١١)، (٩: ٧)، (لوقا ٩: ٣٥)، (يوحنا ١: ٣٤، ٤٩)، (٦: ٦٩)، (٩: ٣٥، ٣٧)، (١٠: ٣٦)، (١١: ٢٧)، (أعمال الرسل ٨: ٣٧)، (٩: ٢٠)، (١٣: ٣٣) (رومية ١: ٣، ٤)، (١. يوحنا ٥: ١٣).

٣٠ ـ أنا الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والآخر

سؤال: من أحد القراء.

ما المقصود من قول السيد المسيح «أنا هو البداءة والنهاية، الألف والياء» مع أن الله ليس له بداءة ولا نهاية؟

الجواب:

لقد قال السيد المسيح «أنا هو الألف والياء، البداءة والنهاية»، في مواضع متفرقة (الرؤيا ١: ٨)، (٢١: ٦)، (٢٢: ١٣).

وقال أيضاً «أنا هو الأول والآخر» (الرؤيا ١: ١٧)، (٢: ٨)، (٢٢: ١٣). والمعنى من قوله له المجد «أنا هو الألف والياء، البداءة والنهاية» أنه الأول الذى لا أول له، والآخر الذى لا آخر له. وبلغة أخرى أنه الأزلى الأبدى، السرمدى والسرمد. هو مبدىء الوجود، وأصل الحياة، فهو الأول الذى لم يسبق وجوده شئ، أى أنه الأول الذى أبدأ غيره، وأوجد غيره، لكنه لم يبدئه أحد. هو الألف، لأنه ليس هناك حرف آخر قبل الألف. وإذن فهو الأول الذى ليس له بداءة، لأنه لو كانت له بداءة، لكان مخلوقاً، أبدأه غيره. فلا بد أن يكون إذن هو الأول، ولا يسبقه فى الوجود آخر. ثم هو الياء، والياء هى نهاية الأبجدية، وليس ثمت بعدها حرف آخر. فهو الياء أى هو النهاية. لكنه هو لا ينتهى، لأنه لو كانت له نهاية لكانت له بداءة، وبذلك يكون مخلوقاً. ولو كانت له نهاية، لكان هناك آخر أقوى منه يضع له نهاية، وبالتالى يبقى بعده.

إذن هو الياء، وهو النهاية، وليست بعده نهاية. وهذا معناه أنه أبدى، والأبدى ما لا نهاية له، ولكنه هو يكون النهاية لكل كائن آخر غيره، أى هو الباقى دائماً، أى الأبدى.

إذن فالقول بأن المسيح هو الألف والياء، هو كقوله: أنا هو البداءة والنهاية، وهو كقوله «أنا هو الأول والآخر» أى أنه الأزلى الأبدى، الأزلى الذى لا بداءة له، والأبدى الذى لا نهاية له.

وهى الصفات التى لا يتصف بها إلا الله وحده. وهذا التعبير، قاله الله عن نفسه بفم إشعياء النبى:

«أنا الرب، الأول ومع الآخرين أنا هو» (إشعياء ٤١: ٤).

«قبلى لم يُصوَّر إله، وبعدى لا يكون» (إشعياء ٤٣: ١٠).

«أنا الأول، وأنا الآخِر، لا إله غيرى» (إشعياء ٤٤: ٦).

«أنا هو، أنا الأول، وأنا الآخِر» (إشعياء ٤٨: ١٢).

وفى سفر الرؤيا يجمع المسيح له المجد جميع تلك الصفات، التى لا تنسب لغير الله تعالى، وينسبها إلى ذاته، فيقول:

«أنا الألف والياء، البداءة والنهاية، الأول والآخِر» (الرؤيا ٢٢: ١٣).

٣١ ـ لمن يُصلَّى ؟

سؤال : من السيد / عبد الملاك جريس برايا ـ شبرا مصر.

أعتقد أن السيد المسيح عندما كان يُصلِّى، كان الناسوت يُصلِّى إلى الله، فهل الله يصلى، ولمن يُصلِّى، لأنه هو فوق الجميع ونحن الذين نصلِّى إليه ؟

الجواب :

نعم إن السيد المسيح عندما كان يُصلِّى، كان يُصلِّى كإنسان، لأنه أخذ إنسانية كاملة. وللإنسانية روح وجسد، وكما يُصلِّى الإنسان بروحه (١ ـ كورنثوس ١٤: ١٤) كان المسيح يُصلِّى بروحه الإنسانية.

وأكثر ما ورد عن صلاة المسيح جاء على الخصوص فى الإنجيل للقديس لوقا، لأنه الإنجيل الذى اهتم إهتماماً واضحاً بإبراز الصفة الناسوتية فى المسيح، وأنه أخذ إنسانية كاملة، وبها شاركنا فى كل شئ، فيما خلا الخطيئة وحدها. ولما كان الإنجيل للقديس لوقا قد كُتب لليونان أولاً، وكانت اليونان تستثيرهم الفضائل الإنسانية، فقد قدم المسيح لهم من هذه الزاوية، مشاركاً للإنسانية فى كل شئ إنسانى، ما عدا الخطيئة. والصلاة إحدى الخصائص الإنسانية لأنها الصلة بين الإنسان وخالقه. والصلاة أنواع، منها صلاة التسبيح، وصلاة التمجيد، وصلاة التأمل، وصلاة الشكر، وصلاة الاسترحام، وصلاة الطلب، وصلاة الشفاعة، فى الآخرين...

فقد ورد عن المسيح أنه صلَّى، وهو ينال العماد من يوحنا المعمدان «وفيما كان يُصلِّى انفتحت السماء، ونزل عليه الروح القدس فى صورة جسم يشبه الحمامة» (لوقا ٣: ٢١).

كما ورد عنه أيضاً أنه «كان يعتزل فى القفار ويُصلِّى» (لو ٥: ١٦).

وفى الليلة السابقة على إختياره لتلاميذه الإثنى عشر، ورد:

«وفى تلك الأيام صعد إلى الجبل ليُصلِّى. وهناك قضى فى الصلاة إلى الله الليل كله. فلما طلع النهار دعا إليه تلاميذه، واختار منهم إثنى عشر» (لوقا ٦: ١٢، ١٣).

وقبيل سؤاله لتلاميذه عمن يكون هو فى حقيقته:

«وفيما كان يُصلِّى على إنفراد وكان تلاميذه معه، فسألهم قائلاً: من تقول الناس إنى أنا؟» (لو ٩: ١٨).

وعندما صعد إلى جبل التجلى:

«وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام أخذ بطرس ويعقوب ويوحنا، وصعد إلى الجبل ليُصلِّى» (لوقا ٩ : ٢٨).

وقبل أن يُعلِّم تلاميذه الصلاة الربانية:

«وكان يُصلِّى فى بعض المواضع، فلما فرغ قال له أحد تلاميذه: «يارب، علِّمنا أن نُصلِّى، كما علَّم يوحنا تلاميذه». فقال لهم: «متى صلَّيتم فقولوا: أبانا الذى فى السماوات» (لوقا ١١ : ١، ٢).

وبعد أن صنع معجزة إشباع الجموع من خمس الخبزات والسمكتين، وصرف الجماهير وألزم تلاميذه أن يسبقوه إلى عبر بحيرة طبرية:

«حتى إذا صرف الجموع صعد إلى الجبل، منفرداً، ليُصلِّى. فلما جاء المساء كان هناك وحده» (متى ١٤ : ٢٣)، (مرقس ٦ : ٤٦)، (يوحنا ٦ : ١٥).

وورد عنه أيضاً فى موضع آخر:

«وفى الصباح نهض مبكرا جدا، وخرج ومضى إلى موضع قفر ومكث هناك يُصلِّى» (مرقس ١ : ٣٥)، (لوقا ٤ : ٤٢، ٤٣).

ولئن لم يرد فى جميع النصوص الآنفة الذكر منطوق الصلوات التى صلاها المسيح، كما لا نعرف من أى طراز كانت تلك الصلوات: أكانت صلوات تأمل، أو تمجيد، أو تسبيح، أو شكر، ولكنها على جميع الأحوال كانت (**مناجاة**). على أننا نلتقى فى بستان جثسيمانى، وفى ليلة آلامه، بصلاة طلب صريحة، وكانت مصحوبة بجهاد وعرق.

قال الإنجيل:

«ثم جاء معهم يسوع إلى ضيعة تدعى جثسيمانى، وقال لتلاميذه: «اجلسوا أنتم هنا ريثما أذهب أنا وأُصلِّى هناك. ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا إبنى زبدى وبدأ يحزن ويرتاع ويكتئب. وقال عندئذ لهم: إن نفسى حزينة حتى الموت. فامكثوا أنتم هنا واسهروا معى. ثم ابتعد قليلاً نحو رمية حجر، وخرَّ على وجهه على الأرض، وصلَّى لكى تعبر عنه الساعة إن أمكن، قائلاً: أبتِ، أيها الآب، إن كل شئ مستطاع لك، إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس. ولكن لا

كمشيئتى أنا، بل كمشيئتك أنت. ثم جاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً، فقال لبطرس: أنائم أنت يا سمعان؟ أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة؟ اسهروا، وصلّوا لئلا تدخلوا فى تجربة. إنّ الروح نشيط مستعد وأما الجسد فضعيف. ثم ذهب ثانية وصلّى قائلاً: يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس ولم يكن بد من أن أشربها فلتكن مشيئتك. ثم عاد فوجدهم نياما أيضاً، إذ كانت أعينهم مثقلة بالنعاس، فلم يدروا بماذا يجيبونه، فتركهم وذهب أيضاً وصلّى للمرة الثالثة قائلاً، تلك الكلمات بعينها. وإذ كان يكابد آلاماً عنيفة أخذ يُصلّى بأشد حرارة وهو جاث على ركبتيه، وكان عرقه كقطرات الدم يتساقط على الأرض، ثم نهض من الصلاة وجاء إلى تلاميذه، (متى ٢٦: ٣٦ – ٤٥)، (مرقس ١٤: ٣٢ – ٤١)، (لوقا ٢٢: ٣٩ – ٤٥).

على أنه مما تجدر الإشارة إليه وتقريره بوضوح، **أن المسيح فى بستان جثسيمانى قد صلّى كإنسان صلاة الطلب، لأنه كان فى تدبير الفداء بديلاً عنا، أى أنه صلّى كنائب عن البشرية وشفيع فيها، وفادٍ لها.**

وفيما عدا ذلك، تكون صلاته إلى الآب السماوى، من حيث لاهوته الكائن مع الآب فى جوهر الذات الإلهية، من قبيل المناجاة بين أقنوم الابن وأقنوم الآب فى داخل الوحدة الثالوثية، على غرار المناجاة التى تدور فى داخل الإنسان بينه وبين نفسه، فيقول مثلاً: «قلت لنفسى، أو قلت فيما بينى وبين نفسى». **لأن الابن - من حيث لاهوته ليس أقل من الآب فى الجوهر** حتى يطلب منه كما يطلب العبد من الرب. وقد قال المسيح له المجد صراحة فى ذلك «ولا أقول لكم إنّنى سأطلب إلى الآب من أجلكم» (يوحنا ١٦: ٢٦).

ولبيان **الوحدة الجوهرية بين أقنوم الابن وأقنوم الآب**، قال المسيح له المجد «إنّنى لست وحدى لأن أبى معى» (يوحنا ١٦: ٣٢) وقال أيضاً «من رآنى فقد رأى الآب. إنّى أنا فى أبى وأن أبى فىّ... صدقونى إنى فى أبى، وإن أبى فىّ... فكل ما تطلبون باسمى أنا أفعله لكم لكى يتمجد الآب فى الابن. فإن طلبتم شيئاً بإسمى أفعله...» (يوحنا ١٤: ٩ – ١٤)، وقال أيضاً «أنا وأبى نحن معاً واحد» (يوحنا ١٠: ٣٠) **أى أن الابن والآب قائمان معاً فى جوهر واحد، وذات إلهية واحدة.**

ومن قبيل المناجاة بين أقنوم الابن وأقنوم الآب فى داخل الوحدة الثالوثية، قول المسيح ينادى الآب على مسمع من تلاميذه ومن الجماهير المحيطة به، «يا أبتاه مجِّد إبنك. فجاء صوت من السماء يقول: قد مجَّدت، وسأظل أُمجِّد. فلما سمع الجمع الذين كانوا واقفين قالوا: إنه رعد قد أرعد. وقال آخرون إن ملاكاً هو الذى كلَّمه. فأجاب يسوع وقال: ليس من أجلى كان هذا الصوت ولكن من أجلكم» (يوحنا ١٢: ٢٨ - ٣٠).

إن هذه المناجاة ليست طلباً، لكنها مخاطبة باطنية تجرى بين أقنومين فى جوهر واحد، متساويين فى جميع الصفات والكمالات الإلهية، لأن الله واحد، ووحدانيته ليست وحدانية مصمتة بل هى وحدانية حية ذات خاصيات ثلاث متميزة، هى الأقانيم الثلاثة فى الإله الواحد.

٣٢ ـ هل كان فى السماء وعلى الأرض فى وقت واحد؟

سؤال: من السيد يوحنا شكرى معوض يوسف ـ قنا.

كيف كان السيد المسيح فى السماء وعلى الأرض فى وقت واحد، وهل خلا كرسى عظمته فى السماء أثناء تجسده على الأرض؟

الجواب :

السيد المسيح كائن بلاهوته منذ الأزل، أى أنه كان يملأ بوجوده السماوات والأرض قبل أن يتجسد وقبل أن يصير له كيان منظور محسوس. وعندما تجسد كان ولم يزل يملأ السماوات والأرض من وجوده، وكان بلاهوته يملأ كل مكان، أى أنّه عندما كان بكيانه المحسوس على الأرض كان ولم يزل بلاهوته يملأ السماوات. وبعبارة أخرى كان فى الأرض، ومع ذلك كان جالسا على العرش فى السماء يدير حركة الكون ويدبر شئون الأحياء فى كل الوجود.

وعن هذه الحقيقة الإلهية يقول الرب يسوع نفسه «ما من أحد صعد إلى السماء، إلا ذلك الذى نزل من السماء، ابن الإنسان الذى هو فى السماء» (يوحنا ٣: ١٣).

والمعنى من ذلك أنّ السماء العليا، أو سماء السماوات، حيث العرش الإلهى، لم يصعد إليها بعد أحد من الناس. إنّما المسيح، مع أنّه فى صورة الإنسان، هو الوحيد الذى يملك أن يصعد إليها، لأنّه نزل منها، وهو كائن فيها على الرغم من أنّه فى نفس الوقت قائم على الأرض بكيانه المحسوس.

ومثل المسيح فى كيانه المحسوس على الأرض مثل المصباح المتوهج بالنور. فعلى الرغم من أنّ له جسما، لكن النور ينفذ من خلال الجسم الزجاجى وينتشر فى المحيط الخارجى فى جميع الجهات، شرقا وغربا وشمالاً وجنوباً.

ولا ننسى أن نذكر فى هذا الصدد قصة العلّيقة التى رآها موسى النبى تشتعل بالنار، وصوت الله يكلمه منها قائلا: «اخلع نعلك من رجليك، لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة... أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب» (الخروج ٣: ٥، ٦)، فهل أخلى الله السماء من وجوده عندما كلّم موسى فى العليقة؟ كلا، فإن ظهور الله وتجلّيه بصورة محسوسة منظورة فى مكان ما لا يبطل وجوده فى السماء فى نفس الوقت، مثله مثل النور فى المصباح، لا يحده المكان ولا يحجبه. هكذا المسيح له المجد، كان بتجسده كائناً على الأرض، وهو بلاهوته كائن فى السماء فى الوقت الذى كان على الأرض وفى كل مكان.

٣٣ ـ مسيحى زوجته من شهود يهوه

سؤال : من أحد المسيحيين فى بلاد المهجر.

الجواب :

قرأت أكثر من مرة خطابك المؤرخ ٢ من سبتمبر لسنة ١٩٨٠ وتألمتُ كثيرا للمشكلة التى تعيشها. إنّ قلبى معك، وأحسُّ بإحساسك. لقد أخذتم درسا عمليا فى نتائج الزواج بإمرأة تختلف عنك عقيدةً وإيمانا. إن شهود يهوه يكفرون بالمسيح ولا يؤمنون به إلها، وهم يعرفون عند الشرقيين والغربيين بالأريوسيين، ويعرف مذهبهم بالأريوسية الجديدة New Arianism ولذلك فإن مجلس الكنائس العالمى رفض إنضمامهم إليه على أساس أنهم غير مسيحيين. إنهم فى حقيقتهم يهود، ويهود صهاينة. يريدون العودة إلى اليهودية، وينكرون التثليث، والحياة الآخرة، ويتنكرون لكل ما جاء به المسيح له المجد فى العهد الجديد.

فإن أصرّت هذه الزوجة على مبادئها، يمكنك أن تطلب التطليق منها، ليس مدنيا فقط، بل كنسياً أيضا. ذلك لأنّها تحسب أنها قد اعتنقت دينا آخر. ويمكنك بعد ذلك أن تستصدر من الكنيسة تصريحا بالزواج بأخرى، أرثوذكسية. أمّا أولادك منها فإن لم تستطع أن تضمهم إليك ـ وأحسب أنّ ذلك ممكن نظرا لأن الزوجة صارت تتبع دينا غير الدين المسيحى ـ فأنصح أن يكون للكنيسة دور إيجابى فى تربية الأولاد على المبادئ المسيحية الأرثوذكسية. ولابدّ للآباء الكهنة أن يعاونوك فى حلّ رباطك من هذه الزوجة، وأن يتعهدوا أولادك بالرعاية الأبوية.

٣٤ ـ قدوس الحىّ الذى لا يموت

سؤال : من الإكليريكى غطاس زكى حنا.

يتساءل كثير من الناس قائلين: كيف نوفق بين قولنا فى تسبيحة (الثلاثة التقديسات). «قدوس الله، قدوس الحىّ الذى لا يموت»، وبين قولنا فى تسبيحة أخرى فى نفس القداس «بموتك يارب نبشر..»؟

الجواب :

عندما نقول «قدوس الله، قدوس الحىّ الذى لا يموت» فالمعنى المقصود يتجه إلى المسيح **من حيث لاهوته**. أمّا عندما نقول «بموتك يارب نبشر» فنحن نتجه إلى المسيح **من حيث ناسوته. فالمسيح الإله (قد ذاق الموت بالجسد)**.

نعم، إنّ المسيح له المجد هو الله ذاته متجسدا. وهو لذلك يجمع بين كونه إلها، وبين كونه إنسانا. فهو إله كامل فى ألوهته، وفى نفس الوقت إنسان كامل فى إنسانيته. ولاهوته قد اتّحد بالناسوت الذى اتّخذه من العذراء مريم من طبيعة جسدنا فى كل شئ، فيما عدا الخطيئة وحدها. وبقوة هذا الاتّحاد صار المسيح هو الله متأنسا، طبيعة واحدة من طبيعتين، أى طبيعة واحدة لها خصائص وصفات الطبيعتين مجتمعة معا، بغير اختلاط ولا امتزاج، ولا تغيير.

ولما كان اتّحاد اللاهوت بالناسوت اتّحادا حقيقيا وكاملا، فهو اتّحاد لا يقبل الانفصال أو التجزئة أو التقسيم.

ولذلك يمكن أن نقول عن المسيح إنّه (حىٌّ لا يموت)، إذا قصدنا الكلام عن لاهوته، إذ أنّ لاهوته هو بعينه لاهوت الآب والروح القدس، لاهوت واحد، لأن الله واحد، والله حىّ لا يموت.

أمّا إذا قلنا «بموتك يارب نبشر» فالموت هنا، ليس للاهوت لأن اللاهوت لا يموت، ولكن الموت للناسوت. وموت الناسوت مثله مثل الموت فى كل إنسان، هو افتراق الروح من الجسد. فكما أن الإنسان تفترق بالموت روحه عن جسده، هكذا المسيح قد ذاق الموت فى جسده، فافترقت روحه الإنسانية عن جسده مع دوام اتّحاد كل من روحه الإنسانية وجسده بلاهوته الذى لا يموت.

لذلك لما قال الإنجيل، عن المسيح وهو على الصليب أنه «أسلم الروح» (متى ٢٧ : ٥٠)، (مرقس ١٥ : ٣٧)، (لوقا ٢٣ : ٤٦) كان المقصود بهذه الروح، ليس اللاهوت، وإنّما **الروح الإنسانية**، لأن المسيح لم يتخذ جسدا بدون روح، بل **اتّخذ له إنسانية كاملة من روح وجسد معا.**

وإذن اللاهوت لم يفارق الناسوت على الصليب، وإنما المفارقة كانت بين الروح الإنسانية والجسد. ولذلك ظل جسد المسيح حياً باللاهوت، على الرغم من مفارقة الروح الإنسانية له. وهذا هو سبب تدفق الدم والماء من جنبه عندما طعنه الجنديّ بعد أن أسلم الروح (يوحنا ١٩ : ٣٤)، الأمر الذى لا يحدث بتاتا لميت، ولذلك فإنّ الجنديّ صرخ قائلا: «حقا كان هذا الإنسان هو ابن الله» (مرقس ١٥ : ٣٩)، (متى ٢٧ : ٥٤).

وملاك القول أنّ **المسيح من حيث لاهوته (هو الحىّ الذى لا يموت)، وأمّا من حيث ناسوته فقد (ذاق الموت بالجسد). ولاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة أو طرفة عين.**

٣٥ ـ مولود غير مخلوق (١)

سؤال : من الأب الموقر القمص ميخائيل منصور كاهن كنيسة السيدة العذراء بأبو المطامير ـ بحيرة.

يقول : (ما معنى قول قانون الإيمان «إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، وهل تنطبق هذه العبارة على المسيح أم على لاهوته أم على ناسوته) ؟

الجواب

إن المسيح له المجد مولود غير مخلوق، أولا من حيث لاهوته. على أنه لما كان لاهوته متحدا بناسوته اتحادا تاما، فما يقال على اللاهوت قبل التجسد يقال على مخلصنا وفادينا يسوع المسيح من غير تفريق بين لاهوته وناسوته، حيث أن فيه اتحد اللاهوت بالناسوت اتحادا كاملا من غير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير.

ولا يخفى أن قانون الإيمان قد وضعه آباء مجمع نيقية ليكون تحديدا للعقيدة الأرثوذكسية فى لاهوت السيد المسيح له المجد، ردا على أريوس الهرطوقى الذى أنكر أزلية المسيح يسوع ووجوده السابق على تجسده المنيف.

وعلى ذلك اهتم المجمع النيقاوى بإبراز وجود الله الكلمة، وهو الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس، منذ الأزل، قبل كل الدهور. ولا شك **أن المقصود هو الإلحاح على أزلية الابن، وأنه لم يبدأ وجوده من مريم العذراء، وإنما كان كائناً بلاهوته قبل كون العالم، لأن مخارجه منذ القدم، منذ أيام الأزل** (ميخا ٥ : ٢). وكما يقول الإنجيل «فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة هو الله» (يوحنا ١ : ١). والبدء فى هذا النص القدسى هو الأزل الذى لا بدء له.

ولما لم يكن عند أريوس والأريوسيين شك فى ميلاد المسيح الجسدى من الروح القدس ومريم العذراء، وكانت البدعة الأريوسية منصبة على وجود المسيح السابق على التجسد، لذلك فإن

---

(١) مقال للمؤلف نشر فى مجلة (الكرازة) السنة الثالثة ـ عدد ١، ٢ ـ يناير ـ فبراير لسنة ١٩٦٧م.

عبارة «مولود غير مخلوق» تتجه أصلا وبالذات إلى لاهوت المسيح، وأنه أزلى، وبالتالى فهو «غير مخلوق».

ودليلنا على هذا مفهوم البدعة الأريوسية من جهة، ثم منطق وتسلسل التحديد العقيدى الوضاح فى العبارات السابقة على عبارة «مولود غير مخلوق». يقول القانون النيقاوى «نؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، **مولود غير مخلوق**، واحد مع الآب فى الجوهر، الذى به كان كل شئ، الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء...».

فواضح من هذا المنطق والتسلسل المتتابع أن السياق العام السابق واللاحق لعبارة «**مولود غير مخلوق**» **يقتضى أن يكون معناها منصبا على الله الكلمة، الأقنوم الثانى قبل التجسد، من حيث لاهوته الأزلى الكائن قبل كل الوجود، وقبل كل الدهور.** وفى هذا التوكيد رد مباشر على البدعة الأريوسية والأريوسيين ومن يذهب مذهبهم فى إنكار أزلية المسيح ووجوده السابق على التجسد منذ الأزل، من أمثال شهود يهوه، وهم أصحاب الأريوسية الجديدة. وبديهى أن تعبير «مولود» **مقصود به لا الميلاد الزمنى من الروح القدس ومريم العذراء، وإنما المقصود به أولا الميلاد الأزلى حيث أن الله الكلمة هو الابن، والابن الوحيد لله الآب، ولكنه مولود لا كما يولد الإنسان من الإنسان أو الحيوان من الحيوان، وإنما كما يولد النور من النور، ولذلك شرح القانون حقيقة هذا الميلاد بقوله «نور من نور».**

وأما قوله «غير مخلوق» فهو رد مباشر على أريوس الذى زعم أن الله قد خلق المسيح، وأنكر بذلك لا أزلية الابن فقط بل أنكر عقيدة الثالوث القدس أيضا، وأراد أن يجعل من المسيح مخلوقا مثل سائر الناس، الأمر الذى رفضه آباء مجمع نيقية فى شدة وفى حزم، لأنه يخالف نصوص الكتب المقدسة وتعاليم الرسل المستقرة بالتقليد فى الكنيسة المقدسة.

وهنا نجيب على سؤال آخر :

هل جسد المسيح مخلوق ؟

أقول نعم إن الجسد من حيث هو جسد، مخلوق، وقد تكوّن بالروح القدس من مريم العذراء، من دمها ولحمها.. «فلذلك يقول عند دخوله العالم : ذبيحة وتقدمة لم تشأ لكنك هيأت لى جسدا» (العبرانيين ١٠ : ٥) أنظر (يوحنا ١ : ١٤) ، (العبرانيين ٢ : ١٤) ، (٥ : ٧) ، (١. بطرس ٢ : ٢٤).

ومع ذلك بعد التجسد لا نجرؤ على أن نفصل بين ناسوت المسيح ولاهوته، لأنهما منذ التجسد قد اتحدا بغير افتراق ولا انفصال، ولا يجوز بتاتا أن نميز أو نفصل بين الناسوت واللاهوت أو نفرق بينهما، وإذا فصلنا بين خصائص الناسوت وخصائص اللاهوت، فنفصل بين الخصائص فصلا ذهنيا فقط، لا فصلا واقعيا، لأنه فى الواقع لم يعد فى الإمكان أن نفصل بينهما بعد الاتحاد، لأنه اتحاد كامل لا يقبل الانفصال أو الافتراق.

٣٦ ـ ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعلمهما أحد (١)

سؤال : من الابن محسن مقار برتى.

نجل الدكتور برتى جندى صاحب الصيدلية الجديدة ـ بأبو تيج.

يسأل عن تفسير قول المسيح له المجد «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمهما أحد، ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن، إلا الآب» (مرقس١٣: ٣٢).

الجواب :

وللإجابة أقول ـ أنت تعلم أن المسيح يجمع فى شخصه المبارك بين اللاهوت والناسوت، فهو باللاهوت متحد مع الآب ومع الروح القدس، وبالناسوت متحد مع الناس فى الإنسانية. فالمسيح لا يعلم يوم القيامة بصفة ناسوته، ولكنه يعلم يوم القيامة بصفة لاهوته.

وللمسيح إلهنا قصد فى هذا التعبير حتى يخفى معرفة يوم القيامة عن التلاميذ وعن سائر الناس ليكونوا دائما مستعدين لهذا اليوم وتلك الساعة.

ومثل المسيح له المجد فى ذلك مثل المعلم الذى يرفض الإفضاء بنتيجة تلميذه فى الامتحان قبل أن تعلن رسميا بمعرفة إدارة المدرسة، ولو أنه أفضى بها قبل إعلانها رسميا لكان بذلك متجاهلا الحكمة فى عدم إعلانها قبل أن تستكمل من جميع الوجوه. فلله حكمة فى أن يظل يوم القيامة مجهولا، وإعلان المسيح عن هذا اليوم يتعارض مع هذه الحكمة. لذلك وحتى يغلق الباب أمام تلاميذه فلا يسألونه، قال : إنه لا يعلمها، أى لا يعلمها العلم الذى يفضى به إليهم أو إلى الجماهير. وهو فعلا لا يعلمها بصفته الناسوتية وإن كان يعلمها بصفته اللاهوتية (٢).

---

(١) تاريخ الجواب على الخطاب ٩ من مارس لسنة ١٩٧٠م ـ ٣٠ من أمشير لسنة ١٦٨٦ش.
(٢) لقد عالجنا هذا الموضوع بتفصيل أكثر فى إجابة السؤال رقم ٢٧ ص ٦٥٥ – ٦٥٩.

٣٧ ـ الله الغير المنظور صار منظوراً فى المسيح (١)

سؤال : من السيد اسحق سدرة القمص ـ شارع رقم ٤٢ سيدى بشر ـ بالأسكندرية.

يقول : لقد عاش السيد المسيح ثلاثين سنة على الأرض، وقد رآه الناس.. والمسيح هو الله... والله لم يره أحد.. أرجو التكرم بتوضيح ذلك.

الجواب :

لقد قال الإنجيل للقديس يوحنا : «**الله لم يره أحد قط**، الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه» (يوحنا ١ : ١٨).

وقال الوحى الإلهى على فم القديس الرسول بولس أيضا «الذى وحده له عدم الموت ساكنا فى نور لا يدنى منه، الذى **لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه**» (١ . تيموثيئوس ٦:١٦) وقال الوحى الإلهى على فم القديس يوحنا الرسول «الله لم ينظره أحد قط» (١ . يوحنا ٤ : ١٢).

والكلام هنا منصرف إلى اللاهوت قبل التجسد، أى إلى اللاهوت من دون الناسوت.

وهذا هو السبب فى أن الله ليجعل نفسه منظورا احتجب لاهوته فى الناسوت واستتر به واختفى فيه. فالسيد المسيح وهو الإله المتأنس. فيه اللاهوت محتجب فى الناسوت. ولذلك فهو الله الغير المنظور، وقد صار منظورا. يقول الرسول بولس «الذى هو صورة الله الغير المنظور» (كولوسى ١ : ١٥) أى أن السيد المسيح هو الصورة المنظورة لله الغير المنظور.

لذلك قال الرب يسوع لفيلبس «من رآنى فقد رأى الآب» (يوحنا ١٤ : ٩) أى أن الآب غير منظور، ولا يرى لأنه غير متجسد، لكن التجسد جعل الله وهو الغير المنظور، منظورا. فمن رأى المنظور فقد رأى فى نفس الوقت الغير المنظور. لأن المنظور للناس هو فى حقيقته وجوهره الغير المنظور بعد أن احتجب فى الناسوت، وصارت رؤيته ممكنة للناس.

---

(١) مقال للمؤلف نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٥ من يناير ـ كانون ثان ـ لسنة ١٩٧٥م ـ ٢٧ كيهك لسنة ١٦٩١ش.

٣٨ ـ أبعد عنى هذه الكأس (١)

سؤال : من الابنة آمال ف. ش. بشبرا.

صلى السيد المسيح فى بستان جثسيمانى قائلا :

«أبَتِ، أيها الآب، إن كل شئ مستطاع لك، فأبعد عنى هذه الكأس، ولكن لا كمشيئتى أنا، بل كمشيئتك أنت» (مرقس ١٤ : ٣٦)، فلماذا يطلب المسيح ذلك، وقد جاء من السماء لهذا الغرض؟

الجواب :

إن السيد المسيح هو الإله المتأنس، أى أنه يجمع بين كونه إلها وبين كونه إنسانا. فمن حيث هو إله كان له نفس تدبير الآب من أجل خلاص الإنسان. ولذلك فقد نزل خصيصا من السماء لتحقيق الخلاص، واتّخذ شكل الإنسان، ليكون بديلا عن الإنسان، فيفديه، بأن يحتمل فى جسده الحكم الذى حكم به العدل الإلهى على الإنسان.

ثم هو، من حيث أنه أخذ صورة الإنسان، فبهذه الصفة يتكلم أى بصفته إنسانا، معبرا عن فداحة الألم الذى احتمله فى إنسانيته، حيث أنه قد اتّخذ إنسانية كاملة غير ناقصة فى شئ، فكان لابد أن يتألم آلاما حقيقية. ولما كان عالما بهذه الآلام النفسية والجسدية التى احتملها، والتى هو مقدِم عليها كما يقول الإنجيل «فخرج يسوع وهو عالم بكل ما سيأتى عليه» (يوحنا ١٨ : ٤)، فكان لابد له كإنسان أن يرتاع، وأن يحزن، وأن يكتئب، (متى ٢٦ : ٣٧) ، (مرقس ١٤ : ٣٣). مما هو مقدِم عليه، لأنه اتّخذ إنسانية مطابعة لإنسانيتنا، أى من ذات طبيعتنا، وإذن لم يكن قوله، له المجد، «أبعد عنى هذه الكأس»، استعفاء من الصليب، وإنما كان قوله فى الواقع بيانا وإفصاحا عن حقيقة آلامه، وأنها كانت آلاما مريعة تفزع منها طبيعة الإنسان نظرا لقسوتها، وإن كانت ضرورية ولازمة لخلاص آدم وذريته، من عقوبة الموت الأبدى، ولرفع الحكم الذى أصدره العدل الإلهى على الجنس البشرى بأسره.

ومن هذا القبيل ما عبر عنه الرب يسوع مرة أخرى قبل صلبه «نفسى الآن قد اضطربت، فماذا أقول؟ يا أبتاه، نجنى من هذه الساعة، ولكننى من أجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يوحنا ١٢ : ٢٧).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ١٦ من مايو ـ آيار لسنة ١٩٧٦م ـ ٨ من بشنس لسنة ١٦٩٢ش.

أما قوله «ولكن لا كمشيئتى أنا، بل كمشيئتك أنت» فلا يفهم منه أن مشيئة الابن تغاير مشيئة الآب، أو تختلف عنها، أو تتعارض معها، لأن المسيح له المجد سبق فأبان أنه وضع ذاته ضحية عن البشر وفداء عنهم، بمحض إرادته ومشيئته، فقد قال : «ما من أحد ينتزعها منى، وإنما أبذلها أنا وحدى من ذاتى. فلى سلطان أن أبذلها، ولى سلطان أن أستردها» (يوحنا ١٠ : ١٨).

وإذن فمشيئة الابن هى مشيئة الآب، وليس هناك انقسام ولا اختلاف بين مشيئتين، لأن للابن والآب مشيئة واحدة، إذ هما أقنومان فى جوهر واحد غير منقسم. وقد قال المسيح له المجد «أنا وأبى نحن معا واحد» (يوحنا ١٠ : ٣٠) أى أن الابن والآب جوهر واحد، وذات إلهية واحدة، وإله واحد، لأنه لا يوجد غير إله واحد (١ . كورنثوس ٨ : ٤، ٦)، (رومية ٣ : ٣٠)، (غلاطية ٣: ٢٠).

إنما قول المسيح «لا كمشيئتى أنا، بل كمشيئتك أنت» بيان وإيضاح لوحدانية المشيئة بالفعل، وأن هذه المشيئة هى مشيئة الآب، لكنها أيضا فى نفس الوقت مشيئة الابن».

كذلك قول المسيح له المجد بيان لوحدانية المشيئة فى ناسوت الرب يسوع ولاهوته. فليس للاهوت مشيئة، وللناسوت مشيئة أخرى. إنما مشيئة اللاهوت هى المشيئة الفاعلة، ومشيئة الناسوت متحدة مع مشيئة اللاهوت، لأن الناسوت واللاهوت طبيعة واحدة من طبيعتين، فمشيئة الرب يسوع هى مشيئة واحدة من مشيئتين، وكما أن الناسوت اتحد باللاهوت فى تجسد الكلمة، اتحادا جوهريا كاملا وتاما، بحيث لم يعد فى المسيح طبيعتان، وإنما طبيعة واحدة لها جميع خصائص الطبيعتين معا، كذلك اتحدت مشيئة الناسوت مع مشيئة اللاهوت، فصار لهما بالاتحاد مشيئة واحدة غير منقسمة.

وإذا كان قول المسيح له المجد «لا كمشيئتى أنا، بل كمشيئتك أنت» يظهر فيه تفرقة بين مشيئتين، فهذه التفرقة تفرقة ذهنية وليست واقعية أو فعلية، شأنها شأن التفرقة بين اللاهوت والناسوت، فهى تفرقة ذهنية على ما يقول البابا كيرلس الأول عمود الإيمان «أما فى المسيح بالفعل فلا نستطيع أن نفرق أو نفصل بين اللاهوت والناسوت، لأن المسيح إله متأنس، يجمع بين اللاهوت والناسوت، لا على سبيل المصاحبة بل بفعل الاتحاد. واتحاد الإثنين يجعلهما واحداً. وإلاّ فلا يكون الاتحاد حقيقيا».

٣٩ ـ المسيح وهو أقنوم الرحمة هو الذى سيدين بالعدل (١)

سؤال : من السيد / نادر فرنسيس ميخائيل وقرينته السيدة / هلجا أمان.

ردا على خطابكم واستفساركم عما قاله لكم شهود يهوه، أرجو أولا أن تقرأوا ما كتبناه فى موضوع «أنت هو المسيح ابن الله» فى هذا الجزء من الموسوعة.

غير أنكم ذكرتم فى خطاباكم أنكم تودون تفسير ما ورد فى رسالة بولس الرسول الأولى إلى كورنثوس ابتداء من عدد ٢٠ – ٢٨ إلآ إنكم لم تذكروا الإصحاح.

ولكن ربما تقصدون ما ورد فى الأصحاح الخامس عشر «ومتى أخضع له كل شئ، فحينئذ سيخضع الابن هو نفسه لذاك الذى أخضع له كل شئ، فيكون الله كل شئ فى كل شئ» (١ كورنثوس ١٥ : ٢٨).

وبصفة مؤقتة وموجزة، أقول فى تفسير هذه الآية، إن الرسول يتكلم عن سيادة الله تعالى وسلطانه المطلق على الخليقة وعلى الشيطان وسلطانه على الموت. والمعروف أن الله هو واحد، ولكن صفاته الذاتية، أو أقانيمه ثلاثة، كما علمنا المسيح له المجد «عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨ : ١٩). لكنه فى تدبير الفداء والخلاص للبشرية اشترك بأقانيمه الثلاثة فى تدبير هذا الفداء. فالآب (وهو الله من حيث هو أصل الوجود، وهو دائما يمثل الحاكم العادل ـ وهو أيضا الذى أصدر حكمه على الإنسان بالموت عندما أخطأ). والابن (وهو الله ذاته من حيث هو حكمة الله ورحمته) هو الذى قام بعمل الفداء بأن اتّخذ إنسانيتنا وتجسد... وصلب ومات... وقام وصعد إلى السماء، ودخل فى السماء بذبيحة نفسه، فوجد بصفته نائبا عن البشرية الفداء، وحقق لنا الخلاص. والروح القدس (وهو الله من حيث هو أصل الحياة وباعث الحياة)، أخذ استحقاقات المسيح الفادى ونقلها إلينا فى قنوات الأسرار المقدسة كالمعمودية والتناول وباقى الأسرار.

أما خضوع الابن للآب، فهو معنوى، بمعنى خضوع صفة الرحمة التى يمثلها الله الابن، لصفة العدل التى يمثلها الله الآب.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٦ من فبراير ـ شباط لسنة ١٩٧٧م ـ ٢٩ من طوبه لسنة ١٦٩٣ش.

ذلك لأن الله، وإن كان رحم البشر، وفداهم، لكنه عين أخيرا يوما للحساب والدينونة. فهل الحساب سيكون حسب الرحمة أم سيكون حسب العدل؟ طبعا سيكون حسب العدل. إذن عمل الرحمة ممثلا فى الله الابن سينتهى بالدينونة والحساب وهو عمل الله الآب. لأن الله بصفته الآب قد حكم على جنس البشر بالموت، وهو الذى تطلب الفداء لخلاص الإنسان وعودته إلى الفردوس، وهو الذى سيتطلب العدل فى محاسبة المخلَّصين فى يوم الدين والحساب.

هذا هو معنى خضوع الابن للآب، أى خضوع الرحمة للعدل، ليتم الحساب حسب عدل الله لا على حسب رحمته، لأنه «سيجازى كل واحد على حسب أعماله» (متى ١٦ : ٢٧)، (رومية٢ : ٦).

ومع ذلك، فالله الابن هو الذى سيتولى الدينونة والحساب، على الرغم من أنه هو الله الفادى. يقول الإنجيل للقديس متى «ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده... يجلس عندئذ على عرش مجده، وتجتمع أمامه كل الشعوب، فيفرز بعضهم من بعض.. إلخ» (متى ٢٥: ٣١، ٣٢). وإذن فالله هو العادل وهو الرحيم وهو الديان أيضا. هو الحاكم أولا بصفته الله الآب، والرحيم بصفته الله الابن، والديان بصفته الآب. لكن الله الابن هو الذى سيقوم بالدينونة وبالمجازاة. قال المسيح «فإن الآب لا يدين أحداً، وإنما سلم القضاء كله للابن، ليمجد الجميع الابن كما يمجدون الآب» (يوحنا ٥ : ٢٢، ٢٣).

٤٠ ـ عن السنكسار ـ تحت اليوم السابع عشر من شهر أمشير
المسيح ابن الله بنوته روحية أزلية

القديس مينا وكان راهبا متعبدا قبل أن يملك العرب. فلما ملك العرب البلاد وسمع بأنهم ينكرون أن يكون لله ابن من طبيعته ومن جوهره، مساو له فى الأزلية، عز عليه هذا القول واستأذن رئيس الدير، وذهب إلى الأشمونين، وتقدم إلى قائد العسكر هناك، وقال له : أحقا تقولون إنه ليس لله ابن من طبيعته وجوهره. فقال له : نعم، نحن ننفى عن الله هذا القول، ونتبرأ منه. فقال له القديس : إنما **يجب أن تتبرأ منه إذا كان ذلك عن طريق التناسل الأبوى، ولكن اعتقادنا أن الرب يسوع إله من إله نور من نور...** فقال له القائد : هذا فى شريعتنا كفر. فقال له القديس اعلم أن الإنجيل يقول «من يؤمن بالابن له الحياة الأبدية، ومن لا يؤمن بالابن لن يرى الحياة، وإنما يحل عليه غضب الله» (١) فغضب القائد جدا من هذا القول، وأمر جنوده فقطعوا القديس بالسيوف إربا إربا، وطرحوه فى البحر. فجمع المؤمنون أجزاء جسده، وكفنوه ودفنوه (٢).

٤١ ـ من التاريخ :
المسيح روح الله وكلمته وليس نبيا فقط

«قال البابا البطريرك الأنبا يوحنا الخامس البابا ٧٢ من بطاركة الكرسى المرقسى (١١٤٧ – ١١٦٦)م، للصالح الوزير : ما قولكم فى موسى فى نظر المسلمين؟ قال إنه نبى. قال : وما قولكم فى المسيح؟ قال : **(روح الله وكلمته)**. قال البطريرك : **هل تستطيع أن تقول إن روح الله وكلمته نبى؟ قال : لا.** قال البطريرك : **إن روح الله وكلمته أعظم وأشرف من الأنبياء، لأنه خالق الخلائق كلها بكلمته، الذى قال بها لكل الخلائق : كونى، فكانت كلمح البصر، فالكلمة خالقة الخلائق والأشياء كلها**، فسكت الوزير (٣).

---

(١) (يوحنا ٣ : ٣٦).
(٢) السنكسار تحت يوم ١٧ من أمشير.
(٣) عن كتاب «تاريخ البطاركة» ـ المجلد الثالث ـ الجزء الأول صفحة ٥٥.

٤٢ ـ خطاب أرسلناه لرئيس حزب الأحرار
فى ٢١ من يونيه ـ حزيران لسنة ١٩٨٣

السيد الأستاذ الكبير مصطفى كامل مراد رئيس حزب الأحرار ورئيس مجلس إدارة جريدة (الأحرار).

السيد الأستاذ وحيد غازى رئيس تحرير (الأحرار)

تحية طيبة وبعد :

لقد لفت نظرى ما كتبته جريدة الأحرار فى عددها رقم ٢٥٤ بتاريخ ١٩٨٣/٦/٦ تحت عنوان (توحيد الله وتنزيهه) قول صاحب المقال الذى لم يذكر اسمه :

«(لم يلد ولم يولد) ينزه الله عن أن يلد أحد، ويشير إلى فساد رأى القائلين بأن له إبنا أو بنات ـ وهم **مشركو** العرب والهند **والنصارى** وغيرهم... وهو جل شأنه ـ منزه عن ذلك. (لم يولد) يصرح ببطلان **ما يزعمه بعض أرباب الأديان أن ابنا لله يكون إلها ويُعبد عبادة الإله**، ويقصد فيما يقصد إليه الإله، **بل لا يستحى المغالون منهم أن يعبروا عن والدته «بأم الله القادرة»**، فإن المولود مادى ودعوى أنه **أزلى مع أبيه مما لا يمكن تعقله** ولا تغير عن حقيقة الأمر شيئا».

ونحن لا نريد أن نرد على هذا الكاتب الذى يهاجم العقيدة المسيحية وهو لم يدرسها ولم يفهمها، ويخيل إليه فى زعمه الساذج أن المسيحيين بهذه الدرجة من الغباء حتى يعتقدوا أن الله يلد كما يلد الإنسان والحيوان. ويسرنى أن أرسل لسيادتكم نسخة من الحلقة الرابعة من كتابنا (أنت المسيح ابن الله الحى) وفيه أجبنا على هذا السؤال «**لماذا سمى يسوع المسيح ابن الله**» (١) ولكننا قبل هذه الصفحة أوضحنا مفهوم البنوة عند المسيحيين وهو بعيد كل البعد عن ذلك المفهوم الأشوه الذى يتصوره كاتب المقال.

---

(١) ابتداء من ص ٢٠٤ – ٢٠٩ فى هذا الكتاب.

فهو قد وصف تارة بأنه «النجار»، كما وصف أيضاً بأنه «ابن النجار» (متى١٣ :٥٥) وليس فى هذا تعارض، لأنه النجار وابن النجار معاً. خصوصاً إذا عرفنا أن يوسف توفى عندما بلغ ١١١ سنة وعندما توفى كان للمسيح فى الجسد ١٦ سنة، فصار يسوع فى هذه السن هو عائل الأسرة، فاشتغل بالنجارة.

أما زعم القائلين بأن المسيح قد غادر فلسطين بعد سن الثانية عشر، فهو زعم خاطئ لا أساس له من الصحة.

١ ـ فليس هناك دليل واحد يساند هذا الزعم لا فى كتب اليهود ولا فى كتب الهنود، ولا فى أقوال المؤرخين. ولا يستطيع المدعون أن يؤيدوا صحة دعواهم بدليل واحد.

٢ ـ وإذا راجعنا نصوص الأناجيل المقدسة بتدقيق، تبين لنا أن مخلصنا كان مصرا على أن يلتزم الإقامة فى فلسطين، وقال صراحة «ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل» (متى ١٥ : ٢٤).

بل إنه لم يسمح لتلاميذه حتى أن يدخلوا مدينة للسامريين، مع أن السامريين كانوا يسكنون بالقرب من اليهود، وكانت السامرة قريبة جداً من أورشليم وإقليم اليهودية : «هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً : «إلى طريق الوثنيين لا تتجهوا، وفى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (متى ١٠ : ٥، ٦).

٣ ـ ويظهر إصرار السيد المسيح على البقاء فى بلاد فلسطين من قصة (أبجر) ملك الرها، وهى أوديسا Odessa على البحر الأسود، وكان يلقب «بملك الأسود» الذى أرسل رسولاً من قبله إلى السيد المسيح وطلب منه أن يذهب إليه فى الرها، بحجة أن اليهود يطلبون قتله على ما تناهى إلى سمعه، وأما الرها فهى مدينة هادئة يحسن أن يهرب إليها من أعدائه اليهود، ثم إنه بمجيئه إلى الرها يصنع خيراً بملك الرها ويشفيه من مرضه العضال، وفيها أيضاً يمكنه أن يدعو أهلها إلى دعوته السمائية حيث يجد عندهم آذاناً صاغية وأرضاً مستعدة، وهم فى ذلك يختلفون عن اليهود الأشرار، المتمردين العصاة. **فأبى المخلص أن يقبل دعوة إبجاروس، ورفض أن يغادر فلسطين**، وقال لرسول الملك : إنه سيبقى فى فلسطين إلى أن يتم رسالته، وبعد صعوده إلى السماء سيرسل إلى الملك وأهل الرها أحد تلاميذه، فيشفى الملك من دائه

٤٣ ـ «أين كان المسيح من سن ١٢ إلى سن ٣٠» (١)

سؤال : من الإكليريكى الإيبودياكون د. ج. د

يقول : سألنى بعض الناس : أين كان السيد المسيح بعد ظهوره فى الهيكل فى سن الثانية عشرة من عمره إلى أن بلغ الثلاثين، حيث بدأ خدمته العلنية جهراً، إنى أريد أن أعرف جواباً شافياً أكثر مما قدمت للذين سألونى.

الجواب :

نحن نعلم أن بعضاً من غير المسيحيين زعموا أن مخلصنا غادر بلاد فلسطين واليهودية فى هذه الفترة إلى بلاد أخرى تلقى فيها العلم من بعض المصادر الشرقية القديمة وخصوصاً بلاد الهند.

ولكننا نستطيع أن نجزم بأن فادينا لم يغادر بلاد فلسطين قط فى هذه الفترة، بل وإلى يوم صلبه وقيامته وصعوده إلى السماء، وإنما ظل فى «الناصرة حيث نشأ» (لوقا ٤ : ١٦) ساكناً مع والدته العذراء مريم وخطيبها يوسف النجار (متى ٢ : ٢٣) ولابد أنه كان يختلف إلى كُتّاب أو مدرسة القرية الملحقة بالمجمع اليهودى شأنه فى ذلك شأن أطفال القرية.

ولابد أنه بعد ذلك إحترف حرفة النجارة مساعداً للبار الصديق يوسف الذى كان متقدما فى السن. وقد كان أمراً مفروضاً على كل صبى يهودى أن يتعلم حرفة : فقد ذاع بين اليهود المثل القائل «من لم يعلم ابنه حرفة، فقد ورثه الفقر». فحتى لو كان الصبى ابنا لأب غنى، كان العرف السائد، والشرعة المتبعة بين الجميع على حد سواء، أن يعلم الوالد ابنه حرفة ما، يقى بها نفسه غائلة الفقر إذا ما ضاقت يده فى مستقبل الأيام. وهذا هو ما عرف عن السيد المسيح، ووصفه به اليهود: «أليس هذا هو النجار ابن مريم» (مرقس ٦ : ٣)

---

(١) نشر فى جريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٢٠ من مارس ـ آذار لسنة ١٩٧٧م – ١١ من برمهات لسنة ١٦٩٣ش ـ وعددها الصادر فى ٢٧ من مارس ـ آذار لسنة ١٩٧٧م ـ ١٨ من برمهات لسنة ١٦٩٣ش.

فهو قد وصف تارة بأنه «النجار»، كما وصف أيضاً بأنه «ابن النجار» (متى١٣ :٥٥) وليس فى هذا تعارض، لأنه النجار وابن النجار معاً. خصوصاً إذا عرفنا أن يوسف توفى عندما بلغ ١١١ سنة وعندما توفى كان للمسيح فى الجسد ١٦ سنة، فصار يسوع فى هذه السن هو عائل الأسرة، فاشتغل بالنجارة.

أما زعم القائلين بأن المسيح قد غادر فلسطين بعد سن الثانية عشر، فهو زعم خاطئ لا أساس له من الصحة.

١ ـ فليس هناك دليل واحد يساند هذا الزعم لا فى كتب اليهود ولا فى كتب الهنود، ولا فى أقوال المؤرخين. ولا يستطيع المدعون أن يؤيدوا صحة دعواهم بدليل واحد.

٢ ـ وإذا راجعنا نصوص الأناجيل المقدسة بتدقيق، تبين لنا أن مخلصنا كان مصرا على أن يلتزم الإقامة فى فلسطين، وقال صراحة «ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل» (متى ١٥ : ٢٤).

بل إنه لم يسمح لتلاميذه حتى أن يدخلوا مدينة للسامريين، مع أن السامريين كانوا يسكنون بالقرب من اليهود، وكانت السامرة قريبة جداً من أورشليم وإقليم اليهودية : «هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً : «إلى طريق الوثنيين لا تتجهوا، وفى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (متى ١٠ : ٥، ٦).

٣ ـ ويظهر إصرار السيد المسيح على البقاء فى بلاد فلسطين من قصة (أبجر) ملك الرها، وهى أوديسا Odessa على البحر الأسود، وكان يلقب «بملك الأسود» الذى أرسل رسولاً من قبله إلى السيد المسيح وطلب منه أن يذهب إليه فى الرها، بحجة أن اليهود يطلبون قتله على ما تناهى إلى سمعه، وأما الرها فهى مدينة هادئة يحسن أن يهرب إليها من أعدائه اليهود، ثم إنه بمجيئه إلى الرها يصنع خيراً بملك الرها ويشفيه من مرضه العضال، وفيها أيضاً يمكنه أن يدعو أهلها إلى دعوته السمائية حيث يجد عندهم آذاناً صاغية وأرضاً مستعدة، وهم فى ذلك يختلفون عن اليهود الأشرار، المتمردين العصاة. **فأبى المخلص أن يقبل دعوة إبجاروس، ورفض أن يغادر فلسطين**، وقال لرسول الملك : إنه سيبقى فى فلسطين إلى أن يتم رسالته، وبعد صعوده إلى السماء سيرسل إلى الملك وأهل الرها أحد تلاميذه، فيشفى الملك من دائه

ويهديه هو وأهل الرها إلى الإيمان الحقيقى. (يوسابيوس : تاريخ الكنيسة، الجزء الأول، فصل ١٣: فقرة ١ – ٢٢).

٤ ـ كذلك لم يذكر البشيرون الأربعة صراحة ولا تضميناً، أن المسيح له المجد غادر فلسطين إلى الهند أو إلى غيرها فى الفترة بعد سن الثانية عشرة ولم يذكروا غير مجيئة إلى مصر (متى٢: ١٣ – ١٥) وهو طفل لم يتجاوز السنة الثانية من عمره مع أمه العذراء مريم ويوسف، هاربين من وجه هيرودس ملك اليهودية، وبمجرد أن مات هيرودس ظهر الملاك ليوسف فى حلم وأمره أن يأخذ الطفل الإلهى وأمه ويعود به إلى أرض فلسطين (متى ٢ : ١٩ – ٢٣) وسكنوا جميعاً فى الناصرة بإقليم الجليل، ولو كان المسيح قد غادر فلسطين بعد ذلك لكان البشيرون ذكروا ذلك كما ذكر القديس متى قصة مجيئه إلى مصر.

٥ ـ إن القديس لوقا البشير لم يذكر شيئاً عن مغادرة مخلصنا لبلاد فلسطين بعد سن الثانية عشرة مع أنه أخذ يروى فى إنجيله «قصة تلك الأحداث التى جرت بيننا كما تسلمناها من أولئك الذين رأوا بأعينهم، وكانوا خداما للكلمة، رأيت أنا أيضاً، إذا قد تتبعت كل شئ منذ الابتداء بتدقيق» (لوقا ١ : ١ – ٣).

٦ ـ ثم هل هناك ما يدعو السيد المسيح إلى أن يسافر إلى بلاد الهند؟ هل كانت تعوزه حكمة أم كانت تنقصه معرفة؟ ألم يكن وهو فى سن الثانية عشرة «موضع دهشة العلماء وحيرتهم؟ إذ كان فى الهيكل «جالساً فى حلقة العلماء، يستمع إليهم ويسألهم. وكان الذين يسمعونه مشدوهين من علمه وأجوبته» (لوقا ٢ : ٤٦، ٤٧).

٧ ـ يذكر القديس لوقا الرسول عن المسيح له المجد، بعد أن روى قصته مع علماء الشريعة فى الهيكل وهو فى سن الثانية عشرة أنه «جاء إلى الناصرة حيث نشأ. وذهب كعادته إلى المجمع فى يوم السبت، وقام ليقرأ» (لوقا ٤ : ١٦) وهذه بينة من الإنجيل، ومن كاتب الإنجيل الذى تتبع كل شئ منذ الابتداء بتدقيق، وكتب قصة حياة المسيح عن مصادرها الأصيلة «كما تسلمناها من أولئك الذين رأوا بأعينهم وكانوا خداما للكلمة» (لوقا ١ : ٢) على أن السيد المسيح قد نشأ أى تربى فى الناصرة. ولو كان المسيح غادر الناصرة لذكر القديس لوقا ذلك، لأن عمل التربية لا ينتهى عند سن الثانية عشرة بل يمتد إلى الثلاثين حيث كان الاعتقاد منذ القديم ومازال إلى

اليوم، أن الطفل يظل ولداً حتى يبلغ الثلاثين من عمره، وهو سن اكتمال الرجولة كما يقرر علماء النفس وعلماء التربية معاً.

ثم إن القديس لوقا يضيف أن السيد المسيح «ذهب كعادته إلى المجمع فى يوم السبت» مقرراً بهذا أن ذهاب المسيح إلى المجمع فى كل يوم سبت كان عادة، والعادة لا تسمى كذلك إلا إذا كانت عملاً يتكرر. ولابد أن هذه العادة تنسحب على الفترة قبل سن الثلاثين لأنه بعد الثلاثين كان المسيح لا يقيم فى مدينة بعينها بل «كان يسوع يطوف بكل المدن والقرى، يعلم فى مجامعهم» (متى ٩ : ٣٥) ، (٤ : ٢٣) ، (مرقس ١ : ٢١، ٣٩) ، (٦ : ٦) ، (لوقا ٤ : ١٥، ٤٤)، (١٣ : ٢٢).

٨ ـ ثم إن اليهود أنفسهم كانوا يعرفون حياة السيد المسيح وكانوا يتابعون سيرته ولا سيما أهل إقليم الجليل، وأهل بلدته بالذات وهى الناصرة التى سميت بوطنه، ومع ذلك لم ينسب واحد منهم إليه أنه غادر بلاد فلسطين إلى الهند أو إلى غيرها، ولو عرفوا ذلك عنه لعيروه بذلك، ولذكروا ذلك فى حديثهم إليه أو عنه. قال عنه أهل الناصرة عندما كان يعلم فى مجمع مدينتهم الناصرة «من أين له هذه الحكمة وهذه القدرات؟ أليس هذا هو ابن النجار؟ أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا؟ أو ليست أخواته جميعهن عندنا» (متى١٣ : ٥٥، ٥٦) ، (مرقس ٦ : ١ – ٣) ، (لوقا ٤ : ٢٢) . وقالوا أيضاً «أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذى نحن نعرف أباه وأمه، فكيف يقول الآن : إنى نزلت من السماء؟» (يوحنا٦ :٤٢) .

فلو كان أهل الناصرة ـ وهم أهل مدينته التى نشأ وتربى بها، وهم يعرفونه جيدا، ويعرفون أنه النجار وابن النجار، وأن أمه مريم، وأنه ابن يوسف وأن إخوته هم يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا، (وهم فى الحقيقة أولاد خالته مريم زوجة كلوبا ـ وأولاد العمومة والخؤولة يدعون عند الشرقيين إخوة) وأن له أخوات معروفات عند أهل الناصرة وفى إقليم الجليل ـ نقول لو كان أهل الناصرة يعلمون أن السيد المسيح قد غادر فلسطين إلى بلاد الهند مدة ثمانى عشرة سنة كما يزعم بعض الناس، كيف يتكلمون عن الرب يسوع بهذا اليقين وبهذا الوضوح فى المعرفة، وكيف لم ينسبوا إليه أنه غادر مدينتهم أو بلادهم وذهب إلى الهند ليتلقى العلم هناك ؟

٩ ـ والغريب أننا لا نقرأ فى العهد الجديد شيئاً عن حكمة بلاد الهند. لقد تكلم السيد المسيح عن «ملكة سبا ملكة الجنوب» «التى أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان» (متى١٢: ٤٢)، (لوقا ١١ : ٣١) ... ولم يذكر شيئاً عن حكماء من الهند ولا شيئاً من حكمتهم.

إن السيد المسيح اقتبس الكثير من أقوال الأنبياء السابقين، وذكر إبراهيم وموسى وداود وسليمان وإشعياء وإرمياء ودانيال، ولم يذكر فى حديث له أى زعيم هندى ولم يذكر حديثاً واحداً لأى منهم ولا مثلاً واحداً مأخوذاً من حكماء الهند ولا شيئاً من أقوالهم.

١٠ ـ ولقد اتهم اليهود الرب يسوع اتهامات كثيرة، ونسبوا إليه أنه سامرى وبه شيطان وقالوا له : «ألم نكن على صواب إذ قلنا إنك سامرى، وبك شيطان؟» (يوحنا ٨ : ٤٨). وكان إتهامه بأنه سامرى إهانة بالغة، فهو إتهام له بأنه وثنى كالسامريين، وهو نوع من السب والشتم والتحقير نظراً لأن بين اليهود وبين السامريين عداوة شديدة (يوحنا ٤ : ٩)، (لوقا ٩ : ٥٢-٥٦) ولو كان اليهود ولا سيما أهل الناصرة يظنون أنه غادر فلسطين إلى بلاد الهند، كيف لم يعيروه بأنه هندى، واليهود على ما نعلم قوم متعصبون لبلادهم، وديانتهم ولكل تراثهم، ويحتقرون غيرهم من الشعوب؟

وهل كانوا يقبلون السيد المسيح لو علموا أنه ذهب إلى بلاد الهند وتثقف بثقافة هندية ؟

والخلاصة أن زعم القائلين بأن المسيح غادر بلاد فلسطين بين سن الثانية عشرة والثلاثين زعم باطل، ليس له سند واحد يؤيده أو يسانده، بل هناك من القرائن والبينات ما يجعلنا نؤكد أنه أمر غير مقبول ولا معقول، وهو محال أو مستحيل. ويبقى بعد ذلك أن السيد المسيح قضى هذه الفترة فى بلدته الناصرة بين أهله ومع يوسف ومريم، تلميذاً يذهب إلى مدرسة القرية يتلقى فيها العلم كما كان يتلقاه الأطفال والصبيان من أهل زمانه، ويتعلم بعد ذلك حرفة النجارة على يد يوسف البار، يعاونه فى حانوته يصنع الشبابيك والأبواب وما إليها من أعمال الخشب. ويروى تقليد قديم أن المائدة التى أكل عليها المسيح مع تلاميذه الفصح، وصنع فوقها العشاء الربانى، وجلس إليها يحدثهم حديثه الوداعى ليلة آلامه، كانت أيضاً من صنع يديه.

٤٤ ـ أأنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟ (١)

سؤال : من السيد / عوض منصور أبسخيرون ـ بورسعيد.

جاء فى الأصحاح الحادى عشر من الإنجيل كما كتبه القديس متى البشير قوله «ولما سمع يوحنا (المعمدان) وهو فى السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه يقولان له : أأنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟ فأجاب يسوع وقال لهما : «اذهبا وأخبرا يوحنا بما تريان وما تسمعان : العمى يبصرون، والمقعدون يمشون، والبرص يطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يبشرون، وسعيد من لا يشك فىّ» (٢ – ٥) فكيف يشك المعمدان فى المسيح مع أنه هو الذى عمده وأبصر «السماوات قد انفتحت له، ورأى روح الله نازلاً مثل حمامة ومقبلا عليه، وإذا صوت يجئ من السماء قائلاً : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت» (متى ٣ : ١٥ – ١٧)؟

الجواب :

ليس معقولاً أن يشك يوحنا المعمدان فى حقيقة المسيح، وأنه هو المسيا المنتظر، وإنما الشك كان فى قلب التلميذين اللذين أرسلهما يوحنا المعمدان إلى المسيح. ولقد أرسلهما يوحنا المعمدان لأنهما كان التلميذين الوحيدين الباقيين معه، ولم يتبعا المسيح كما تبعه الآخرون من تلاميذ يوحنا. ولما كان يوحنا المعمدان مسجوناً، وقاربت حياته على نهايتها، وقد أدى رسالته على أحسن ما يكون الأداء، فاقتضاه الإخلاص لرسالته أن يسلم تلميذيه الباقيين لسيده المسيح، على أن يكون ذلك برضاهما واقتناعهما. لذلك أرسلهما إليه يقول بلسان تلميذيه، وكأنه هو الذى يطلب الجواب على السؤال : أأنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟». وكان جواب المسيح على السؤال من شقين : أحدهما عملى، والآخر نظرى. أما العملى فكما يروى الإنجيل كما كتبه القديس لوقا البشير «فجاء الرجلان إليه وقالا : «إن يوحنا المعمدان قد أوفدنا إليك لنسألك : أأنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟. وفى تلك الساعة شفى كثيرين من أمراضهم وعللهم ومن الأرواح الشريرة، ووهب البصر لعميان كثيرين» (لوقا ٧ : ٢٠، ٢١). وأما الجواب النظرى فهو قوله «اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما : العمى يبصرون، والمقعدون يمشون، والبرص يطهرون، والصم يسمعون،

---

(١) نشر بجريدة وطنى فى عددها الصادر صباح الأحد ١٨ من سبتمبر ـ أيلول لسنة ١٩٧٧م – ٨ من توت لسنة ١٦٩٤ش.

والمـوتى يقـومـون، والمسـاكين يبشرون، ومغبوط من لا يشك فى» (متى ١١ : ٤، ٥)، (لوقا ٧: ٢٢، ٢٣) ولم يكن الكلام موجها إلى يوحنا المعمدان، ولكنه كان موجها أولا وبالذات إلى تلميذى يوحنا اللذين كانا فى حاجة إلى أن يريا بعيونهما معجزات المسيح الفائقة، فيؤمنان، ويتبعان المسيح شأنهم شأن سائر تلاميذ يوحنا.

قلنا إن يوحنا المعمدان كان يفهم رسالته أن يعد القلوب لربه، ويقدم تلاميذه ليتبعا سيده. وقد ذكر الإنجيل كما كتبه القديس يوحنا الحبيب موقفاً من هذه المواقف، «وفى الغد رأى يوحنا (المعمدان) يسوع مقبلا إليه، فقال : «هوذا حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم... ثم فى اليوم التالى كان يوحنا واقفاً مع اثنين من تلاميذه. وإذ أبصر يسوع ماشياً، قال : «هذا هو حمل الله. فلما سمع التلميذان قوله، تبعا يسوع فالتفت يسوع ورآهما يتبعانه، فقال لهما : «ماذا تطلبان؟» فقالا له : «رابى - الذى ترجمته «يا معلم»، أين تقيم؟» فقال لهما : «تعاليا وانظرا». فأتيا ونظرا أين يقيم، ومكثا عنده ذلك اليوم.... وكان أندراوس أخو سمعان بطرس أحد الاثنين اللذين سمعا يوحنا (المعمدان) وتبعا يسوع...» (يوحنا ١ : ٢٩، ٣٥ - ٤٠).

وأغلب الظن أن التلميذ الآخر كان هو يوحنا الحبيب نفسه كاتب الإنجيل، ولم يشأ أن يذكر اسمه تواضعاً، وإنكاراً لذاته.

وليست هذه هى المرة الوحيدة التى شجع يوحنا المعمدان تلاميذه على الاتصال بسيده المسيح، فى حياته وقبل أن يسجن، فقد جاءوا إليه مرة يسألونه فى قضية الصوم. يقول الإنجيل «ثم جاء إليه (إلى الرب يسوع) تلاميذ يوحنا قائلين : «لماذا نصوم نحن والفريسيون كثيراً، أما تلاميذك فلا يصومون؟» (متى ٩ : ١٤) ، (مرقس ٢: ١٨) ، (لوقا ٥ : ٣٣)، وقد سمعوا منه جوابه على سؤالهم.

ومرة أخرى وبعد أن قطع هيرودس رأس يوحنا، ومات يوحنا شهيداً يروى الإنجيل للقديس متى قائلا «وجاء تلاميذه فحملوا الجسد، ودفنوه ثم ذهبوا وأخبروا يسوع» (متى ١٤ : ١٢) ويقول الإنجيل للقديس مرقس «وحين سمع تلاميذه بما حدث جاءوا وأخذوا جثته ووضعوها فى قبر» (مرقس ٦ : ٢٩) وإذ تدل عبارة الإنجيل للقديس مرقس على أن تلاميذ يوحنا كانوا بعيدين عنه عندما قتله هيرودس، تدل عبارة الإنجيل للقديس متى على أن تلاميذ يوحنا كانوا على صلة

وثيقة بالرب يسوع حتى إنهم ذهبوا وأخبروه بما جرى ليوحنا، فقد كانوا قد تبعوه وصاروا له تلاميذ، بعضهم من الاثنى عشر، وبعضهم من السبعين أو ممن كانوا يسمعون تعليمه ويتتبعونه.

والخلاصة أن الرسالة المتبادلة بين القديس يوحنا المعمدان، وبين المسيح له المجد كان المقصود بها تلميذى يوحنا المعمدان اللذين لم يكونا بعد قد تبعا السيح، وكانا يشكان فى حقيقة أنه المسيا المنتظر، لذلك أرسلهما يوحنا المعمدان إلى سيده، ليشاهداه ويشهدا معجزاته وآياته، ويسمعان منه مباشرة، فيؤمنان.

وهل من المعقول أن يشك يوحنا المعمدان فى المسيح، وهو الذى تعين من السماء ليكون صوت الصارخ فى البرية، والسابق الجارى أمام المسيح الرب ليعد الطريق أمامه؟، وقد تنبأ عنه أبوه زكريا بالروح القدس وهو لم يزل فى المهد ابن يوم واحد «وأنت أيها الطفل ستدعى نبى العلى، لأنك ستتقدم أمام وجه الرب لتهيئ طرقه، ولتعطى شعبه معرفة الخلاص» (لوقا ١ : ٧٦، ٧٧). مبيناً أن فيه أيضا تحقيق ما قاله الرب بفم النبى ملاخى «هأنذا أرسل ملاكى فيهيئ الطريق أمامى» (ملاخى ٣ : ١)، بل هذا ما شهده عنه الإنجيل للقديس مرقس (١ : ٢ – ٤) وأكثر من هذا فإن رب المجد يسوع المسيح قال عن يوحنا المعمدان بعد أن مضى تلميذا يوحنا المعمدان إلى معلمهما، فإن هذا هو الذى كتب عنه : ها أنذا أبعث أمام وجهك رسولى الذى يهيئ طريقك أمامك» (متى ١١ : ١٠) ، (لوقا ٧ : ٢٧).

بل إن يوحنا المعمدان نفسه شهد عن المسيح أنه الرب، وأنه، أى يوحنا، قد تعين ليكون صوت الصارخ أمامه يهيئ له الطريق، وقد وضح لليهود وقادتهم مركزه بالنسبة للمسيح، وهو إيضاح من نبى يفهم جيداً مهمته. يقول الإنجيل «وهذه هى شهادة يوحنا (المعمدان)، حين أرسل اليهود إليه من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه «من أنت؟» فاعترف ولم ينكر، وأقر قائلا : «لست أنا المسيح» فسألوه : «ماذا إذن؟ أأنت إيليا؟» قال : «لست إياه» فقالوا له : «فمن أنت لنعطى إجابة للذين أرسلونا؟ ماذا تقول عن نفسك؟» قال : «أنا صوت الصارخ فى البرية : أعدوا طريق الرب، كما قال إشعياء النبى» ...

فسألوه قائلين : «لماذا تعمد إذن مادمت لست المسيح...؟ أجابهم يوحنا قائلاً : «أنا أعمدكم بالماء، ولكن بينكم قائم ذلك الذى لستم تعرفونه، الذى وإن أتى بعدى ـ كان قبلى، وأنا لست بمستحق لأن أحل أربطة حذائه» (يوحنا ١ : ١٩ – ٢٧).

ويضيف الإنجيل أن يوحنا المعمدان كان يؤكد كثيراً أن المسيح هو المسيا المنتظر، وهو حمل الله الذى سيرفع خطيئة العالم.

«وفى الغد رأى يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال: «هوذا حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم. هذا هو الذى قلت عنه: يأتى بعدى رجل يتقدمنى لأنه كان قبلى. وأنا لم أكن أعرفه، ولكن من أجل أن يظهر لإسرائيل جئت أنا أعمد بالماء». وشهد يوحنا (المعمدان) قائلاً: «إنى قد أبصرت الروح نازلاً عليه من السماء فى هيئة حمامة، واستقر على رأسه. وأنا لم أكن أعرفه، ولكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء هو الذى قال لى : إن الذى تبصر الروح ينزل ويستقر على رأسه هو الذى يعمد بروح القدس. وأنا قد أبصرت وشهدت بأن هذا هو ابن الله» (يوحنا ١ : ٢٩ – ٣٤).

أفهل يعقل أن يشك يوحنا المعمدان في حقيقة المسيح له المجد، بعد أن شهد عنه هذه الشهادة القوية الواضحة، وأجاب علي اليهود إجابات قاطعة صريحة بأنه أبصر بعينيه روح القدس مستقراً على رأسه، وأنه سمع صوت الآب السماوى يقول هذا هو ابنى الحبيب، بل إن يوحنا أضاف من عنده قائلاً: «وأنا قد أبصرت وشهدت بأن هذا هو ابن الله»؟ وهل لو كان حقاً أن يوحنا المعمدان شك فى حقيقة المسيح بعد كل هذا الذى قاله، هل كان يمكن أن يرده إلى اليقين شهادة تلميذيه اللذين أرسلهما إلى السيد المسيح؟ هذا غير ممكن.

وزاد يوحنا المعمدان على كل أقواله السابقة شهادة أخرى تدعم شهاداته السابقة وتؤكدها، عندما «جرت بين تلاميذ يوحنا (المعمدان) وبعض اليهود مجادلة بشأن التطهير. فجاءوا إلى يوحنا وقالوا له :«يا معلم، إن الذى كان معك فى عبر الأردن، ذلك الذى شهدت له، هوذا يعمد، والجميع يقبلون إليه». فأجاب يوحنا، وقال: «لا يستطيع الإنسان أن يدال شيئا ما لم يعطاه من السماء. أنتم أنفسكم تشهدون بأنى قلت إننى لست أنا المسيح، وإنما أنا مرسل أمامه. إن الذى له العروس فهو العريس. وأما صديق العريس الذى يقف ويسمعه، ففرحا يفرح لصوت العريس. ومن ثم فإن فرحى قد اكتمل. إنه ينبغى أن يزداد هو. أما أنا فأنقص. إن الذى يأتى من فوق هو فوق الجميع... الذى يأتى من السماء فهو فوق الجميع... وكل من قبل شهادته فقد أقر بأن الله حق... إن الآب يحب الابن، وقد جعل فى يده كل شئ. فمن يؤمن بالابن فله الحياة الأبدية، ومن لا يؤمن بالابن فلن يرى الحياة، وإنما يحل عليه غضب الله» (يوحنا ٣ : ٢٥ – ٣٦).

إن يوحنا المعمدان كان يفهم مهمته جيداً، ولم يسمح لأحد أن يثيره ليحوله عن فهم رسالته : إنه جاء ليهيئ الطريق أمام سيده المسيح، وسيده هو بعينه المسيا المنتظر الذى جاء من السماء، ليرفع خطيئة العالم، فهو الحمل وهو الفادى الذى شهدت عنه الأنبياء واشتهوا مجيئه وظهوره، ولقد تشرف يوحنا المعمدان بأن يكون هو السابق الجارى أمام الرب ليعد الطريق أمامه، معلناً أنه هو حمل الله، وأنه هو ابن الله، وأن من يؤمن به تكون له الحياة الأبدية، ومن لا يؤمن به لن يرى الحياة، وإنما يحل عليه غضب الله.

وهناك الدليل الحاسم على أن يوحنا المعمدان، إذ أرسل تلميذيه ليسأل المسيح : أأنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟ لم تكن إرساليته للتلميذين عن شك من جانبه هو، وإنما كان لإعطاء فرصة للتلميذين حتى يتشجعا فيأتيا إلى المسيح ويسألاه باسم يوحنا المعمدان، ثم ينظرا المسيح ومعجزاته فيؤمنان به، وبهذا يفرح يوحنا ويُسَرُّ، لأنه ليس هو العريس بل صديق العريس. والدليل الحاسم هو دفاع المسيح عن يوحنا المعمدان ذلك الدفاع المجيد العظيم بعد أن مضى تلميذا يوحنا المعمدان إليه. فقد كان لابد أن تثير إرسالية يوحنا المعمدان إلى المسيح، دهشة عند جمهور الناس الذى سمعوا سؤال التلميذين وإجابة المسيح عليه. فأراد المسيح له المجد أن يطمئن الناس من جهة إيمان يوحنا به، وأنه لم يعتور إيمانه شك. قال الإنجيل «فلما ذهبا» (أى تلميذا يوحنا المعمدان) بدأ يسوع يقول للجموع عن يوحنا : «ماذا خرجتم إلى البرية لتروا؟ أقصبة تهزها الريح؟ بل ماذا خرجتم لتروا؟ أإنسانا يرتدى ثوباً ناعماً؟ ها هم أولاء الذين يرتدون الثياب الناعمة، فى بيوت الملوك. بل ماذا خرجتم لتروا؟ أنبيا؟ نعم أقول لكم وأكثر من نبى، فإن هذا هو الذى كتب عنه : هاأنذا أبعث أمام وجهك رسولى الذى يهيئ طريقك أمامك. الحق أقول لكم إنه لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان..» (متى ١١ : ٧ – ١١) ، (لوقا٧ :٢٤ – ٢٨).

هذه الشهادة من فم المسيح له المجد، قاطعة فى أن يوحنا المعمدان لم يتزعزع إيمانه فى السيد المسيح، وهذا يتضح خصوصاً من قول رب المجد «ماذا خرجتم إلى البرية لتروا؟ أقصبة تهزها الريح؟» ما هذا إلا بيان واضح أن يوحنا المعمدان لم يكن بتاتاً متردداً أو شاكاً، أو مهزوزاً فى إيمانه، ولم يتغير موقفه من نحو المسيح، ولا اهتز فيه اعتقاده، بل ظل إيمانه راسخاً قوياً كما كان سابقاً. على أن هذه الشهادة من جانب فادينا، خصوصاً بعد أن انطلق تلميذا يوحنا، هى

خير دفاع عن يوحنا المعمدان، وشرح لموقفه، وأن تفسير إرساليته للتلميذين ليس كما هو ظاهر، ولا كما فهم بعض السطحيين الذى أخذوا كلام يوحنا الذى نقله التلميذان، على ظاهره. أما يسوع المسيح فهو يعرف جيدا حقيقة خادمه يوحنا، وأنه المخلص الأمين الوفى لسيده، وأنه ليس هو الذى يشك فى حقيقة المسيح. على العكس إن المسيح كشف عن حقيقة يوحنا وفضائله بما لا يعرف الناس عنه، فشهد عنه أنه الثابت الراسخ، والمؤمن به شديد الإيمان، وأنه الزاهد فى مظاهر الترف والنعيم، وأنه أكثر من نبى، وأنه الملاك المرسل من السماء ليهيئ الطريق أمام المسيح، وأنه لم ينحرف مطلقاً عن فهم رسالته ومهمته. لذلك فهو أكثر من نبى، وأنه لم يقم بين المولودين من الناس من هو أعظم منه، إلا الأصغر منه سنا فى الجسد، وهو مخلصنا وفادينا وربنا يسوع المسيح، إذ ولد بعد يوحنا المعمدان بسته شهور، وإن كان هو أسبق منه فى الوجود، كما قال يوحنا المعمدان عنه : «الذى - وإن أتى بعدى - كان قبلى» (يوحنا ١ : ٢٧).

٤٥ ـ المسيح صعد إلى السماء عينها
واستوى على عرش العظمة فى الأعالى (١)

سؤال : من ى.س ـ أسيوط.

يقول : ما الفرق بين صعود السيد المسيح، وصعود كل من السيدة العذراء مريم وأخنوخ وإيليا؟ وأين ذهب كل منهم بعد الصعود ؟

الجواب :

أما صعود السيد المسيح له المجد، فكان فى يوم الأربعين لقيامته المجيدة، وقد صعد أمام تلاميذه والمؤمنين من فوق جبل الزيتون، إلى السماء عينها، أى إلى سماء السماوات، إلى الملكوت السماوى، وجلس على عرش العظمة فى السماوات، وجاءت الملائكة ورؤساء الملائكة وخضعوا أمامه ساجدين.

قال الإنجيل للقديس مرقس :

«وبعد أن كلمهم الرب يسوع بهذا **ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله**» (مرقس١٦ : ١٩).

وقال الإنجيل للقديس لوقا :

«ثم خرج بهم إلى بيت عنيا، ورفع يديه وباركهم. وفيما هو يباركهم افترق عنهم **وصعد إلى السماء**، فسجدوا له، ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم» (لوقا ٢٤ : ٥٠ – ٥٢).

ويقول الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول :

«فهذا الذى نزل هو نفسه الذى **صعد إلى ما فوق السماوات كلها ليملأ كل شئ**» (أفسس ٤ : ١٠).

«**الذى وهو بهاء مجده، وصورة جوهره، وضابط الكون بكلمة قدرته، بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا، استوى على يمين العظمة فى العُلى**» (**العبرانيين**١ :٣).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد أول فبراير ـ شباط لسنة ١٩٧٨م – ٢٤ من طوبه لسنة ١٧٠٣ش.

«فإذ لنا رئيس كهنة عظيم، يسوع ابن الله، قد اجتاز السماوات، فلنتمسك باعترافنا به» (العبرانيين ٤ : ١٤).

«وخلاصة القول هى أن لنا رئيس كهنة هذه عظمته، **جلس عن يمين عرش الجلال فى السماوات**» (العبرانيين ٨ : ١).

«لأن المسيح لم يدخل إلى الأقداس التى صنعتها أيدى الناس رمزاً للأقداس الحقيقية، بل دخل إلى السماء عينها ليتراءى الآن فى حضرة الله من أجلنا» (العبرانيين٩ : ٢٤).

ويقول الوحى الإلهى على فم القديس بطرس الرسول :

«يسوع المسيح **الذى صعد إلى السماء، وهو عن يمين الله، تخضع له الملائكة والسلاطين والقوات**» (١. بطرس ٣ : ٢٢).

انظر واقرأ، (أعمال الرسل ١ : ٩، ٢) ، (٣ : ٢١) ، (رومية ١٠ : ٦) ، (أفسس ١ : ٢٠) ، (٤ : ٨) ، (كولوسى ٣ : ١) ، (١. تيموثيوس ٣ : ١٦) ، (العبرانيين٧:٢٦)، (٩ : ١٢) ، (١٠:١٢) ، (١٢ : ٢) ، (سفر الأمثال ٣٠ : ٤).

* * *

وهنا الفرق بين المسيح له المجد وبين العذراء الطهور مريم. فالمسيح الإله قد صعد بجسده إلى السماء أمام أعين تلاميذه وسائر المؤمنين الحاضرين، على جبل الزيتون، وصعد بذاته وبقوة لاهوته، ولم ترفعه الملائكة. إنما الملائكة صحبته فى موكبه مهللة مسبحة، لأنه «دخل إلى حيث مجده» (لوقا ٢٤ : ٢٦) وعاد إلى مقره السماوى الذى منه نزل» (يوحنا ٣ : ١٣) ، (٦ : ٣٨، ٤١، ٤٢، ٥٠، ٥١، ٥٨، ٦٢).

جاء فى سفر المزامير :

«**صعد الله بهتاف. الرب بصوت البوق.** رنموا لله رنموا. رنموا لملكنا رنموا. فإن الله هو ملك الأرض كلها. رنموا قصيدة. ملك الله على الأمم. الله استوى على عرش قدسه» (مزمور ٤٦ : ٥ – ٨).

أما العذراء القديسة الطاهرة مريم فقد ماتت ميتة طبيعية، أى أنها لفظت روحها، شأنها شأن كل إنسان. وقد أكرمها المسيح له المجد بأن نزل من السماء بذاته وتسلم بيده روحها الطاهرة، ثم سلم روحها إلى رئيس الملائكة ميخائيل فصعد بها إلى السماء. أما جسدها فقام الآباء الرسل بدفنه فى الجثمانية (بالقرب من بستان جثسيمانى) فى قبر لا يزال قائماً إلى اليوم، وقد ظل الآباء الرسل في الجثمانية يسمعون ترتيل الملائكة إلى اليوم الثالث لدفنها. وفى اليوم الثالث حمل الملائكة جسد العذراء مريم على أجنحتهم إلى السماء الثالثة، إلى الفردوس. (انظر السنكسار تحت اليوم السادس عشر من شهر مسرى - وكتاب ميامر وعجائب السيدة العذراء والدة الإله الكلمة على حسب ما وضعه آباء الكنيسة الأرثوذكسية، ومنها على الخصوص الميمر الحادى عشر - الخاص بصعود جسد السيدة العذراء الذى وضعه الأب القديس البابا كيرلس الأول بطريرك الأسكندرية الرابع والعشرون، نقلاً عن القديس يوحنا الحبيب الرسول).

* * *

أما **أخنوخ**، وهو السابع بعد آدم (رسالة القديس يهوذا : ١٤) وقد عاش ٣٦٥ سنة فالمعروف عنه أنه «سار مع الله، ولم يوجد **لأن الله أخذه**» (التكوين ٥ : ٢٢، ٢٤).

وقال عنه الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول :

«بالإيمان **نقل أخنوخ** لكى لا يرى الموت، ولم يوجد **لأن الله نقله** إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله» (العبرانيين ١١ : ٥).

وجاء عنه فى سفر يشوع بن سيراخ «أخنوخ أرضى الرب فنقل وَسُينادِى الأجيال إلى التوبة» (٤٤ : ١٦)، وأيضاً «لم يخلق على الأرض أحد مثل **أخنوخ الذى نقل عن الأرض**» (٤٩ : ١٦).

ويرد فى كتب الكنيسة ما يفيد أن **رئيس الملائكة ميخائيل هو الذى حمله إلى السماء، حمله بجسده على البكرات السمائية**. وهذا هو ما يعرف بالاختطاف بالجسد.

فأخنوخ لا يزال حياً فى جسده الطبيعى، وقد اختطفه رئيس الملائكة ميخائيل على نظير ما اختطف روح الرب فيلبس الشماس ونقله من (غزة) إلى (أشدود) (سفر أعمال الرسل ٨:٢٦-٤٠)، وعلى نظير ما حدث مع حبقوق النبى «فأخذ ملاك الرب بجمته وحمله بشعر رأسه

ووضعه فى بابل عند الجب، وحمل حبقوق النبى الطعام إلى دانيال النبى وهو فى جب الأسود ،وقام دانيال وأكل. ورد ملاك الرب حبقوق من ساعته إلى موضعه (فى فلسطين، فى أرض يهوذا)، (دانيال ١٤ : ٣٤ – ٣٨).

* * *

وأما **إيليا النبى فقد حملته إلى السماء ،مركبة من نار وخيل من نار، فصعد إيليا فى العاصفة إلى السماء.** وكان أليشع يرى وهو يصرخ : يا أبى يا أبى مركبة إسرائيل وفرسانها ولم يره بعد، (٢ . الملوك ٢ : ١١ ، ١٢). وقد ظهر إيليا على جبل التجلى مع النبى موسى، وكانا يتكلمان مع الرب يسوع المسيح، ورآهما التلاميذ الثلاثة : بطرس ويعقوب ويوحنا (متى ١٧ : ٣، ٤) ، (مرقس ٩ : ٤ ، ٥) ، (لوقا ٩ : ٣٠ – ٣٣). وقد وعد الرب على فم ملاخى النبى بعودة إيليا النبى قبل المجئ الثانى للمسيح ،هاءنذا أرسل إليكم إيليا النبى قبل مجئ يوم الرب، اليوم العظيم والمخوف، (ملاخى ٤ : ٥). ولذلك كان بعض اليهود يترك مقعداً خالياً على مائدة عيد الفصح لإيليا النبى.

ولما كان ،قد وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة، (العبرانيين ٩ : ٢٧) ، (التكوين ٣ : ١٩) ، (الجامعة ٣ : ٢٠) و ،أى إنسان يحيا ولا يرى الموت، (مزمور ٨٨ : ٤٨) ، فأخنوخ وإيليا - وهما الوحيدان اللذان لم يموتا بعد.. لابد أن يعودا مرة أخرى إلى الأرض. فهما قد اختطفا إلى موضع فى السماوات، وسيعودان لأداء رسالة قبل المجئ الثانى للمسيح رسالة خطيرة تنتظرهما. فهما الآن محتجزان إلى أن يأتى الوقت المعين لأداء هذه الرسالة. ولعلهما النبيان المشار إليهما فى سفر الرؤيا بأنهما ،الزيتونتان والمنارتان القائمتان أمام رب الأرض، (الرؤيا ١١ : ٤) وسيقودان شعب الله فى زمن الدجال والوحش ،الذى سيبيده الرب يسوع بنفخة فيه، ويمحقه بظهور مجيئه، (٢ . تسالونيكى ٢ : ٨).

٤٦ ـ هل صعد المسيح إلى السماء بجسده ؟ (١)

سؤال : من الآنسة/ آمال فهيم داود ـ أسيوط.

تقول : وهل صعد السيد المسيح إلى السماء بجسده الذى قام به من بين الأموات ؟

الجواب :

نعم، لأنه عندما قام المسيح له المجد من بين الأموات بسلطان لاهوته، قام بجسد حقيقى، هو بعينه الجسد الذى ذاق فيه الموت من أجل إتمام عمل الفداء لخلاص الإنسان.

١ ـ ولكى يؤكد على حقيقة قيامته بذات الجسد الذى سمر على الصليب، احتفظ فيه بآثار المسامير التى سمرت فيه بالصليب، وبأثر الطعنة التى طعنه بها الجندى الرومانى فى جنبه الأيمن. وقد اتخذ له المجد من هذه الآثار فى يديه ورجليه وجنبه وسيلة إيضاح يقنع بها تلاميذه، عندما ظهر لهم بعد قيامته، بحقيقة قيامته من الموت، وبأنه قام بجسد حقيقى هو بعينه ذات الجسد الذى سمر بالصليب ودفنوه فى القبر. فلما تجلى أمامهم فى العلية التى كان تلاميذه مجتمعين فيها، وكانت مُغْلَقة بسبب خوفهم من اليهود، ظنوه للوهلة الأولى خيالاً أو شبحاً، أو روحاً فى شبح أو خيال.

قال الإنجيل المقدس «وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه فى وسطهم، وقال لهم : «السلام لكم». ففزعوا وارتعبوا، وقد ظنوا أنهم يرون روحاً. فقال لهم : «ما بالكم مضطربين، ولماذا تثور شكوك فى قلوبكم؟ **انظروا إلى يَدَىَّ وإلى قَدَمَىَّ**. إنى أنا هو بنفسى. **جسونى وتحققوا، فإنه ليس للروح لحم ولا عظام كما ترون لى**» وفيما كان يقول هذا **أراهم يديه وقدميه**. وإذ كانوا لايزالون غير مصدقين أنفسهم من فرط الفرح والدهشة قال لهم : «أعندكم هنا ما يؤكل؟» فقدموا له بعضاً من السمك المشوى وشهد العسل. **فأخذ وأكل أمامهم**» (لوقا ٢٤ : ٣٦ – ٤٣). انظر أيضاً (يوحنا ٢٠ : ١٩ – ٢٣).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ١٣ من أبريل ـ نيسان لسنة ١٩٨٠م – ٥ من برمودة لسنة ١٦٩٦ش.

ولعله لهذا التحقق بالرؤية واللمس قال الرسول القديس يوحنا فى رسالته التى كتبها بعد قيامة السيد المسيح، يقول عنه «ذاك الذى كان منذ البدء، ذاك الذى سمعناه، ذاك الذى رأيناه بعيوننا، ذاك الذى تأملناه، **ذاك الذى لمسته أيدينا**، من جهة كلمة الحياة» (١ . يوحنا ١ : ١).

وبهذا برهن الرب يسوع المسيح على أنه قام **بجسد حقيقى من طبيعة جسدنا، من لحم وعظام**، وأنه جسد تنظره العين **وتلمسه اليد، وهو بذاته الجسد الذى سمروه بالصليب، بغير تغير**، كما جاء فى صلاة الحجاب للقداس الغريغورى قوله : «أنت الذى جاء إلينا **بجسده الغير المتغير**».

٢ ـ وجاء فى الإنجيل أيضاً أن مخلصنا يسوع المسيح ظهر لتلاميذه مرة أخرى فى اليوم الثامن لقيامته حيث كان توما الرسول حاضراً مع رفاقه التلاميذ، ولم يكن معهم فى المرة الأولى، فلما قال له زملاؤه التلاميذ : «إننا قد رأينا الرب»، لم يصدق وزاد على ذلك بقوله : «إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير وأضع فى موضع المسامير إصبعى، وأضع يدى فى جنبه لا أؤمن».

يقول الإنجيل «ثم بعد ثمانية أيام، كان التلاميذ مجتمعين فى الداخل أيضاً، وكان توما معهم. فدخل يسوع والأبواب مُغلّقة، ووقف فى وسطهم، وقال لهم : «السلام لكم». ثم قال لتوما : «**هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدى، وهات يدك، وضعها فى جنبى**، ولا تكن غير مؤمن، بل مؤمنا. فأجاب توما (بعد أن لمس بإصبعه أثر المسامير فى يدى المخلص وقدميه، ووضع يده فى جنبه الأيمن الذى طعنه الجندى الرومانى بالحربة) وقال له : «ربى وإلهى»! قال له يسوع : «لأنك رأيتنى يا توما آمنت. طوبى للذين لم يروا وآمنوا» (يوحنا ٢٠ : ٢٦ – ٢٩).

وبهذا الظهور الثانى للتلاميذ ومعهم توما الرسول قدم المسيح له المجد توكيداً جديداً لقيامته بذات الجسد الذى علقوه على الصليب وسمروه بالمسامير وطعنوه بالحربة فى جنبه اليمين، محتفظاً فيه بآثار المسامير فى يديه وقدميه، وأثر الطعنة فى جنبه. ولقد تقدم توما الرسول كأمر سيده **ولمس بإصبعه أثر المسامير فى يديه وقدميه ووضع يده فى جنبه**. فلما لمس بنفسه بعد أن رأى بعينيه صرخ بإيمان قائلاً : «ربى وإلهى»!

٣ ـ ويروى الإنجيل المقدس خبر ظهور الرب يسوع المسيح لتلاميذه، للمرة الثالثة، وكانوا فى هذه المرة سبعة من التلاميذ ذهبوا لصيد السمك فى بحر طبرية فى إقليم الجليل، ولم يصيبوا فى

تلك الليلة شيئاً من السمك، فظهر لهم مخلصنا على شاطئ البحيرة، وناداهم وهم على بعد منه فى البحيرة قائلاً : «يا فتيان ألديكم شئ يؤكل» أجابوه : «لا». فقال لهم : «ألقوا الشبكة إلى الجانب الأيمن للسفينة، فتجدوا»، فألقوها، وعندئذ لم يستطيعوا أن يجذبوها إلى فوق من كثرة السمك. فقال التلميذ الذى كان يسوع يحبه لبطرس : «إنه الرب». فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب اتزر بثوبه... وأما التلاميذ الآخرون، فجاءوا بالسفينة... ثم أخذوا يجرون شبكة السمك. فلما جاءوا إلى الأرض تطلعوا فرأوا جمراً وسمكاً موضوعاً عليه وخبزاً. وقال لهم يسوع : «قدموا من السمك الذى اصطدتم الآن... فقال لهم يسوع : «هلموا تناولوا الطعام» ولم يجسر أحد من تلاميذه على أن يسأله : «من أنت؟» لأنهم عرفوا أنه هو الرب. ثم تقدم يسوع، وأخذ الخبز وناولهم، وكذلك السمك. وكانت هى المرة الثالثة التى أظهر يسوع فيها نفسه لتلاميذه، بعد قيامته من بين الأموات» (يوحنا ٢١ : ١ – ١٤).

ولم يكن فادينا يسوع المسيح فى حاجة إلى طعام، ولكنه بهذا أراد أن يبرهن لتلاميذه على حقيقة قيامته، وعلى أنه قام بجسد حقيقى يمكنه أن يأكل وأن يشرب. وهذا هو الغرض الحقيقى من سؤاله لتلاميذه وهم فى البحيرة : «يا فتيان ألديكم شئ يؤكل؟» ثم إنهم عندما خرجوا إلى الشاطئ تطلعوا فرأوا جمراً، وسمكاً موضوعاً عليه وخبزاً وقال لهم يسوع : «قدموا من السمك... ثم تقدم يسوع، وأخذ الخبز وناولهم، وكذلك السمك». انظر أيضاً (مرقس ١٦ : ١٤).

٤ ـ إلى هذا وذاك يتضح أيضاً من الإنجيل المقدس أنه بعد أن أراهم نفسه حياً ببراهين كثيرة واضحة، وقد ظل أربعين يوماً يظهر لهم، ويكلمهم عن ملكوت الله (أعمال الرسل ١ : ٣)، أراد أن يودعهم قبيل انطلاقه إلى السماء وأن يمنحهم البركة، برفع يديه وبسطهما عليهم. قال الإنجيل «ثم خرج بهم إلى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم. وفيما هو يباركهم افترق عنهم وصعد إلى السماء، فسجدوا له، ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم» (لوقا ٢٤ : ٥٠ – ٥٢)، (مرقس١٦ :١٩)، (أعمال الرسل ١ : ٢).

٥ ـ وهذا معناه أن الناسوت لم يفارق اللاهوت، لا قبل القيامة ولا بعد القيامة. كما أنه بالناسوت أكل مع تلاميذه، وفى الناسوت ظهرت آثار المسامير وطعنة الحربة، وبالناسوت بسط الرب يسوع يديه وبارك تلاميذه، وبالناسوت ارتفع أمام عيونهم صاعدا إلى السماء، على مشهد منهم، وعلى مشهد من عدد كبير من المؤمنين بلغوا أكثر من خمسمائة أخ (١ .كورنثوس١٥ : ٦)

ومن عدد أكثر من ذلك ممن كانوا قد تجمعوا فوق جبل الصعود، وعلى سفح الجبل، وتحت ذلك الجبل المأهول بالسكان، وذلك توكيداً لا لحقيقة قيامته فقط بل ولحقيقة صعوده إلى السماء بذات الجسد الذى صلب فيه، وقام من الموت.

ولقد رآه الجميع رؤيا العيان صاعداً بجسده إلى السماء، وهو يرتفع أمامهم رويداً رويداً، وهم يشخصون إليه محملقين بعيونهم ويتابعونه بالنظر وهو يصعد أمامهم إلى السماء إلى أن ظهرت سحابة فحجبته عن أعينهم.

٦ ـ ويضيف سفر الأعمال أنه بينما كان التلاميذ والمؤمنون يشخصون إلى السماء والرب يسوع المسيح يصعد أمامهم إلى السماء إذاً بملاكين يظهران لهم فى شكل رجلين بلباس أبيض ويطمئناهم بعودة المسيح فى المجئ الثانى. يقول الكتاب المقدس : «وفيما كانوا شاخصين نحو السماء وهو منطلق، إذا برجلين بملابس بيضاء، قد ظهرا لهم. وقالا لهم : «أيها الرجال الجليليون، ما بالكم واقفين تتطلعون إلى السماء. إن يسوع هذا الذى ارتفع عنكم إلى السماء سيجئ ثانية هكذا كما رأيتموه وهو منطلق إلى السماء» (أعمال الرسل ١ : ٩ – ١١). فكان هذا الحديث من الملاكين تثبيتاً وتوكيداً لوعد المسيح لهم بالمجئ الثانى عندما قال : «أنا ذاهب لأعد لكم مكاناً. ولئن ذهبت وأعددت لكم مكاناً، سأجئ ثانية وآخذكم إلىّ، حتى تكونوا أنتم معى حيث أكون أنا» (يوحنا ١٤ : ٢، ٣). وقال أيضاً «لن أترككم يتامى. وإنما سأجئ إليكم» (يوحنا١٤ : ١٨). وقال كذلك «قد سمعتم قولى إننى سأذهب ثم أجئ ثانية إليكم» (يوحنا١٤ :٢٨). انظر أيضاً (متى ١٦ : ٢٧)، (٢٤ : ٣٠)، (٢٥ : ٣١)، (٢٦ : ٦٤)، (مرقس ٨ : ٣٨)، (١٣ : ٢٦)، (لوقا ٩ : ٢٦)، (٢١ : ٢٧).

٧ ـ ثم إن الكتاب المقدس يبين أن المسيح له المجد بعد أن صعد إلى السماء جلس على العرش فى السماء، وسجدت له الملائكة ورؤساء الملائكة وجميع الطغمات السمائية إذ أنه «دخل إلى حيث مجده» (لوقا ٢٤ : ٢٦).

والجلوس على العرش ينسب إلى المسيح لا من حيث لاهوته، فاللاهوت غير محصور وغير محدود (بعرش) أو كرسى، كذلك فعل (الجلوس) لا ينسب إلا لمن له جسد.

قال الإنجيل «وبعد أن كلمهم الرب يسوع بهذا ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله» (مرقس ١٦ : ١٩) ، (أعمال ٧ : ٥٥، ٥٦) . والجلوس عن يمين الله معناه الجلوس على عرش الله فى الملكوت، لأن اللاهوت غير محدود فليس له يمين أو شمال.

وجاء فى الرسائل «فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله» (كولوسى ٣ : ١)، «بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا، استوى عن يمين العظمة فى العُلى» (العبرانيين ١ : ٣) «لنا رئيس كهنة هذه عظمته، جلس عن يمين عرش الجلال فى السماوات» (العبرانيين ٨ : ١) . «فبعدما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس عن يمين الله إلى الأبد» (العبرانيين ١٠ : ١٢) «احتمل الصليب مستهينا بالخزى، فجلس عن يمين عرش الله» (العبرانيين ١٢ : ٢) . «يسوع المسيح الذى صعد إلى السماء، وهو عن يمين الله، تخضع له الملائكة والسلاطين والقوات» (١ . بطرس ٣ : ٢٢) .

أنظر أيضاً (مزمور ١٠٩ : ١) ، (رومية ٨ : ٣٤) ، (أفسس ١ : ٢٠) ، (العبرانيين ١ : ١٣) .

وأما أن المسيح عرشه فى السماء، وقد جلس عليه بناسوته، وهو عرش الله ذاته لأن اللاهوت غير محصور فليس له عرش، فهذا ما يتضح من النصوص الآتية :

(العبرانيين ٨ : ١) ، (١٢ : ٢) ، (سفر الرؤيا ١ : ٤) ، (٤ : ٢، ٥، ١٠) ، (٥ : ٦) ، (٥:١٢) ، (١٤ : ٣) ، (١٦ : ١٧) ، (١٩ : ٤) ، (١ . الملوك ٢٢ : ١٩) ، (إشعياء ٦ : ١) ، (حزقيال ١ : ٢٦) ، (دانيال ٧ : ٩) .

٤٧ ـ واحد مع الآب فى الجوهر (١)

سؤال : من الابن عماد زكى حبيب الخادم بكنيسة القديس مرقس الرسول ـ بمدينة ملوى.

يسأل عن التعبير الوارد بقانون الإيمان عن ربنا يسوع المسيح من حيث لاهوته أنه (واحد مع الآب فى الجوهر) وهل هذا التعبير هو الأصح لاهوتيا فإن بعض الناس يقرأونه (مساوٍ للآب فى الجوهر) فأى التعبيرين أصح ؟

الجواب :

إن التعبيرين معناهما واحد، وكل منهما ترجمة للعبارة اليونانية

ὁμοούσιος τῷ Πατρί

على أن التعبير الدقيق الذى يعبر بأمانة ودقة عن الكلمة اليونانية هو **(واحد مع الآب فى الجوهر) HOMOOYSIOS**

وأعلم أيها الابن أن قانون الإيمان الذى قرره مجمع نيقية المسكونى فى عام ٣٢٥م وضع أصلاً باللغة اليونانية، لأن اللغة اليونانية كانت هى اللغة العالمية المستخدمة فى المجامع المسكونية، وبها كانت تجرى المساجلات اللاهوتية. وبعد ذلك ترجم النص إلى اللغات المحلية، فترجم إلى اللغة القبطية واللغات الأخرى التى تصلى بها كل كنيسة من كنائس المسكونة ففى النص القبطى يرد هكذا :

(HOMOOYSIOS PE NEM EPHIOT) ⲟⲩⲟⲙⲟⲟⲩⲥⲓⲟⲥ ⲡⲉ ⲛⲉⲙ ϩⲓⲱⲧ

بيد أن الكلمة اليونانية التى تعبر عن وحدانية الذات الإلهية، وبالتالى وحدة الأقانيم الإلهية فى الذات الإلهية الواحدة ـ الكلمة اليونانية هى ὁμοούσιος (HOMOOYSIOS) والتى تعبر عن الوحدة الجوهرية القائمة بين الآب والابن والروح القدس فى الذات الإلهية الواحدة.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ١١ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٨٧م – ٥ من أبيب لسنة ١٧٠٣ش.

وإذا تأملت الكلمة اليونانية ὁμοούσιος (HOMOOYSIOS) تجد أنها تتألف فى تركيبها اللغوى من مقطعين ـ أولهما ὁμο (HOMO-) وثانيهما هو οὐσιος (-OYSIOS)

أما οὐσιος (-OYSIOS) فهى الصفة الفاعلية من كلمة οὐσία (OYSIA) ومعناها (جوهر).

أما المقطع الأول وهو ὁμο (HOMO) فهو يفيد حرفياً (مع) أو (معاً).

أى أن الآب والابن والروح القدس (معاً) جوهر واحد ـ أى ذات إلهية واحدة. وهذا التعبير مأخوذ من نص النطق الإلهى الذى نطق به السيد المسيح (أنا وأبى نحن معاً واحد) (يوحنا ١٠ : ٣٠) كما جاء فى الترجمة القبطية للنص المقدس

ⲁⲛⲟⲕ ⲛⲉⲙ ⲡⲁⲓⲱⲧ ⲁⲛⲟⲛ ⲟⲩⲁⲓ

(ANOK NEM PAIOT ANON OYAI)

ومن هذه الدراسة يتضح لك أن التعبير اليونانى والقبطى ليس فيه ما يبرر ترجمتها بلفظ (مساوٍ) للآب فى الجوهر، فضلاً عن أن تعبير (مساوٍ) فى الجوهر قد ينقل إلى الأذن العربية ما يفيد بالإثنينية فى داخل الذات الإلهية الواحدة، وهو الأمر الذى يجب أن نتحاشاه حتى لا يساء إلى وحدة الذات الإلهية.

علماً بأن الكلمة اللاتينية المقابلة للتعبير اليونانى ὁμοούσιος هى CON-SUBSTANTIALIS والتى نقلت إلى الإنجليزية والفرنسية من اللاتينية فصارت Consubstantial علماً بأن البادئة Cum أو con ليس فيها ما يقابل الكلمة العربية (مساوٍ) بل بالأحرى إن معناها (مع).

ومهما يكن من أمر فإن الترجمة الأكثر دقة، وهى أبلغ فى المعنى والتى تتمشى مع مقولة السيد المسيح (أنا وأبى نحن معاً واحداً) (يوحنا ١٠ : ٣٠) هى قولنا عن ربنا يسوع المسيح إنه «**واحد مع الآب فى الجوهر**» أى أنه «من نفس جوهر الآب ومن ذات طبيعته».

٤٨ ـ اتَّخذ المسيحُ وهو الإله إنسانية كاملة من روح ومن جسد (١)

سؤال : من الابن حنا بشرى اسكاروس ـ ملوى.

يقول : نحن نعلم أن السيد المسيح له المجد عندما تجسد من السيدة العذراء بحلول الروح القدس فى أحشائها، أخذ صورة إنسان كامل، جسداً وروحاً ونفساً، وعاش على الأرض إلى اللحظة التى قدم فيها نفسه فداءً غالياً عن جميع الناس على الصليب، عندما قال «يا أبتاه فى يديك أستودع روحى».. فهل تلك الروح التى ذكرها السيد المسيح هى الروح القدس أم هى روح إنسانية، شأنها شأن كل أرواح القديسين التى فارقت أجسادهم إلى الفردوس كما قال له المجد للص اليمين : «اليوم تكون معى فى الفردوس».

وإن كانت روحاً إنسانية فهل يعنى هذا أن للسيد المسيح روحين، وهما الروح القدس واهب الحياة وأحد الأقانيم الثلاثة، والروح الإنسانية التى فى الفردوس مثل أرواح القديسين ؟

الجواب :

اعلم أيها الابن أن السيد المسيح له المجد هو فى ذاته، الله الأزلى الأبدى، لكنه اتَّخذ له فى الزمان جسداً استتر فيه واحتجب به، حتى لا تحترق الأرض وسكانها من وهج لاهوته، «لأن إلهنا هو نار آكلة» (العبرانيين ١٢ : ٢٩) وجاء على لسان النبى إشعياء «من منا يسكن فى النار الآكلة ؟ ومن منا يسكن فى المواقد الأبدية ؟» (إشعياء ٣٣ : ١٤).

ولما كان مجئ المسيح له المجد إلى العالم وظهوره هو لخلاص الإنسان ولأداء مهمة الفداء التى لم يكن ممكناً لأحد آخر أن يقوم بها، لذلك اقتضت حكمة الله أن يتخذ الله صورة الإنسان. يقول الكتاب المقدس «المسيح يسوع الذى مع أنه فى صورة الله.. لكنه أخلى نفسه متخذاً صورة العبد، وصار شبيهاً بالبشر. وظهر بمظهر الإنسان ووضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب» (فيلبى ٢ : ٥ – ٨).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٦ من سبتمبر ـ أيلول لسنة ١٩٨٧م – أول النسئ ـ ١٧٠٣ش.

وإذن فالسيد المسيح وهو «الله الكلمة» اتّخذ صورة العبد، مثل الناس وظهر فى العالم على مثال البشر. فهو قد اتّخذ لا جسداً فقط، بل اتخذ إنسانية كاملة، من روح وجسد...

هذه الروح هى روح إنسان، لأن الخلاص هو للإنسان، وليس للحيوان كما قال آباء الكنيسة فى الرد على أبوليناريوس APOLLINARIUS (٣٢٦ - ٣٩٢) م الذى زعم أن المسيح اتخذ جسداً فقط، وأن اللاهوت حل محل الروح الإنسانية. لذلك قرر آباء مجمع نيقية فى قانون الإيمان رداً على بدعة أبوليناريوس :

«نؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، واحد مع الآب فى الجوهر، الذى به كان كل شئ، هذا الذى من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء.

«**تأنس** وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى **وتألم**، وقبر وقام من بين الأموات، وصعد إلى السماوات، وجلس عن يمين أبيه...»

وهنا يلاحظ أن آباء مجمع نيقية أرادوا أن يوضحوا حقيقة التجسد الإلهى وأن الله الكلمة لم يتخذ مجرد جسد بغير روح، لذلك قالوا فى قانون الإيمان (**تأنس**) أى **اتّخذ إنسانية كاملة، من روح وجسد**. وهذه هى الروح التى أشار إليها المسيح له المجد. وهو على الصليب بقوله «يا أبتاه فى يديك أستودع **روحى**» (لوقا ٢٣ : ٤٦) «وإذ قال هذا أسلم **الروح**» (لوقا ٢٣ : ٤٦) ، (متى ٢٧ : ٥٠) ، (مرقس ١٥ : ٣٧) ، (يوحنا ١٩ : ٣٠) ، (١٠ : ١٨).

واعلم أيها الابن أننا بهذا المعنى نفهم ما جرى على الصليب من أجل خلاصنا، أن **الروح الإنسانية للمسيح قد فارقت الجسد**، ليتم عمل الموت فداء عن الإنسان مع فارق عظيم، هو أنه فى موت الإنسان تفارق الروح الجسد إلى مقر مؤقت تبقى فيه إلى يوم الدينونة والحساب. **أما بالنسبة للمسيح له المجد فإن المفارقة بين الروح والجسد كانت مفارقة لبضع ساعات، لأنه قام من بين الأموات فى اليوم الثالث لصلبه - ثم إن هذه المفارقة كانت فى محيط اللاهوت المتحد بكل من الجسد والروح الإنسانية وعلى ذلك كان المسيح على الصليب حياً بلاهوته على الرغم من**

مفارقة الروح الإنسانية للجسد، ولذلك فإن آباء مجمع **نيقية كانوا حريصين على أن لا يقولوا عن المسيح فى قانون الإيمان إنه مات**. ثم إن الإنجيل لم يقل عن المسيح صراحة إنه مات، وإنما قال «فتعجب بيلاطس **من أنه مات سريعاً هكذا**، واستدعى إليه قائد المائة وسأله عما إذا كان قد مات فعلاً وانتهى» (مرقس ١٥ : ٤٤) وقال : «وأما يسوع فلما جاءوا إليه وجدوه قد مات، فلم يكسروا ساقيه» (يوحنا ١٩ : ٣٣)، فالموت هنا تعبير عن مفارقة الروح الإنسانية للجسد، هذه المفارقة فهمها قائد المائة الذى أشرف على عملية الصلب، أنها موت على نظير ما يحدث للناس. ولذلك عبر الإنجيل للقديس يوحنا عن ذلك قائلاً : «**وجدوه قد مات**» فكأن الموت هنا هو كما (رآه) الذين عاينوا أنه أسلم الروح. **أما هذه المفارقة بين الروح والجسد فى المسيح فكانت مفارقة فى نطاق الناسوت، ولكنها لم تهدم الإتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت**. وكما جاء فى صلوات القداس «**إن لاهوته لم ينفصل قط لا من نفسه ولا من جسده**».

ولهذا لم يرد فى قانون الإيمان صراحة أن المسيح مات، لئلا يفهم من هذا أنه مجرد إنسان، مع أنه هو الله الكلمة الذى اتّخذ صورة إنسان، وظهر فى هيئة إنسان، **لكن الله حى لا يموت**.

جاء فى قانون الإيمان «**تأنس** وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى. **تألم وقبر وقام** من بين الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب» أى أنه لم يرد صراحة عن المسيح فى قانون الإيمان أنه (مات). **فإنه بصفته (الإله) لا يموت**.

ولذلك أيضاً نقول فى صلواتنا «قدوس الله، قدوس القوى، **قدوس الحى الذى لا يموت**. يا من صلب عنا ارحمنا...».

وفى قطع صلوات الساعة التاسعة فى كتاب (الأجبية) يقول المصلى «**يا من ذاق الموت بالجسد** فى وقت الساعة التاسعة من أجلنا نحن الخطاة...» وهذا توكيد لاعتقادنا فى المسيح **أنه هو الله الكلمة، والله لا يموت**، لكنه «**ذاق الموت بالجسد**».

ولذلك أيضاً ترتل الكنيسة فى الساعة الثانية عشرة من يوم الجمعة العظيمة، (جمعة الصلب) وهى الساعة التى دفن فيها جسد المسيح فى القبر قول المزمور «عرشك يا الله إلى دهر الدهور،

قضيب استقامة قضيب ملكك» (مزمور ٤٤ : ٦) ، (العبرانيين ١ : ٨) وذلك توكيداً لحقيقة لاهوت المسيح الفادى، **وأن لاهوته لم يفارق ناسوته حتى مع مفارقة الروح الإنسانية للجسد ونزول الجسد إلى القبر**، فإننا نعرف أنه **من القبر نزل المسيح إلى العالم السفلى واقتحمه بسلطان لاهوته، ونقل آدم وبنيه المنتظرين الفداء، إلى الفردوس**. إنه نزل أولاً إلى أعمق أعماق الأرض. وهذا الذى نزل هو نفسه الذى صعد إلى العلى، إلى ما فوق السماوات كلها (أفسس ٤ : ٨ – ١٠).

* * *

على أن الآباء الرسل قالوا فى رسائلهم بعد ذلك **أن المسيح مات**، ولكن بعد أن استقر الاعتقاد فى أن موت المسيح هو **بمعنى مفارقة الروح الإنسانية للجسد مع بقاء الاتحاد قائماً بين اللاهوت الذى لا يموت وبين الناسوت**، ولذلك فإنه على الرغم من هذه المفارقة فإنه وهو على الصليب وبعد تلك المفارقة خرج منه على الفور «دم وماء» (يوحنا١٩ : ٣٤) مما يدل على أنه وإن كان الناس «رأوه قد مات» إلا أنه كان **حياً بلاهوته**.

قلت إن الآباء الرسل قالوا عن المسيح **إنه مات، ولكنهم حرصوا على بيان أنه مات كإنسان من أجل الفداء، ولكنه لم يمت كإله فإن الله حى لا يموت**.

جاء فى الرسالة إلى رومية «من هو الذى يدين؟ **يسوع المسيح هو الذى مات بل بالحرى قام أيضاً** الذى هو أيضاً عن يمين الله» (رومية ٨ : ٣٤) وجاء أيضاً «وإذ كنا بعد ضعفاء **مات** المسيح فى الوقت المعين لأجل الفجار... الله بين محبته لنا لأننا ونحن بعد خطاة **مات المسيح لأجلنا**، فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب» (رومية ٥ : ٦ – ٩).

وقال المسيح له المجد فى الرؤيا للقديس يوحنا الرائى «لا تخف، أنا الأول والآخر. أنا الحى **وقد مت** وها أنا حى إلى أبد الدهور، آمين، وبيدى مفاتيح الموت والجحيم» (الرؤيا ١ : ١٧، ١٨).

* * *

والخلاصة أن الروح التى أسلمها المسيح له المجد على الصليب هى **روحه الإنسانية**، التى بدونها لا يكون المسيح اتَّخذ إنسانية كاملة.

أما الروح القدس فهو الله ذاته لأن الله هو (الروح الأعظم). وعلى ذلك فالروح القدس هو أقنوم الحياة فى الله. فالله هو الحى الأعظم، والحى القيوم الذى هو أصل الحياة. وأما المسيح أو الابن فهو أقنوم العقل والحكمة فى الله، لأن الله هو (العقل الأعظم)، ولما تجسد صار يعرف بأنه (الكلمة) لأن العقل لا يُرى ولكنه يظهر متجلِّياً فى (الكلمة)، لأن الكلمة تجسيد للعقل. ولذلك قال المسيح له المجد «**من رآنى فقد رأى الآب**» (يوحنا ١٤ : ٩). **فالله وهو فى ذاته الغير المنظور، صار منظوراً فى المسيح**. ومن هنا سمى المسيح (ابن الله). لأن الله لا يلد كما يلد الإنسان أو الحيوان، حاشا، إنما **لأن الله قد تجلى ظاهراً فى المسيح** (١ .تيموثيئوس٣:١٦)، لذلك سمى المسيح ابن الله كما سمى «المسيح الذى هو **صورة الله الغير المنظور**» (كولوسى ١ : ١٥).

فالأقانيم الثلاثة هى صفات الله الذاتية. فالله هو الواحد الأحد، وأما الصفات التى تقوم بها وعليها ذاته العلية الواحدة فهى الأقانيم الثلاثة. وبهذا المعنى قال آباء الكنيسة «**الله أحَدِىُّ الذات، مثلّث الأقانيم والصفات**» وقالوا أيضاً : **الله هو الكائن بذاته، الناطق بكلمته، الحى بروحه القدوس، فهو الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد**. آمين.

٤٩ ـ المسيح كلمة الله مُبدئُ كل الخليقة (١)

سؤال: من الابن عياد حنين جرجس ـ حمامات ـ سيدى جابر ـ الأسكندرية.

يقول إنه يريد تفسير ما جاء فى سفر الرؤيا عن السيد المسيح أنه «بداءة خليقة الله» (الرؤيا ٣: ١٤).

الجواب:

المقصود بكل وضوح أن المسيح له المجد هو البدء، قبل الخليقة، أى أنه به بدأ الوجود، وبه كان الخلق، فهو البدء الذى لا بداءة له، أى أنه الأزلى الذى لا بداءة له. وهذا ما يقرره الإنجيل للقديس يوحنا «فى البدء كان الكلمة وكان الكلمة هو الله. كان منذ الأزل ... كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان. فيه كانت الحياة» (يوحنا ١: ١ – ٤).

ومعنى أن «كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان» أنه هو الخالق للوجود، «والبدء» قبل الخليقة، وهو «الذى أنشأ العالمين» (العبرانيين ١: ٢). (١١: ٣)، «به خلق كل شئ مما فى السماوات ومما فى الأرض، ما يرى وما لا يرى، عروشاً كان أو سيادات أو رئاسات أو سلاطين. كل شئ خلق به وله. كان قبل كل شئ وبه قوام كل شئ» (كولوسى ١: ١٦، ١٧)، وهو «مبدئ الحياة» (أعمال ٣: ١٥)، (يوحنا ١٤: ٦)، (١١: ٢٥)، (٥: ٢٦) «من أجله كل شئ، وبه كل شئ» (العبرانيين ٢: ١٠) «فكل شئ هو منه وبه وإليه، فله المجد أبد الدهور» (رومية ١١: ٢٦) «يسوع المسيح، به كان كل شئ وبه نحن قائمون» (١. كورنثوس ٨: ٦).

على أن العبارة اليونانية التى ترجمت «بداءة خليقة الله» هى:

ἡ ἀρχὴ τῆς κτίσεως τοῦ θεοῦ

He ARKHE TES KTI SEWS TOU THEOU

وكلمة ἀρχή ، ARKHE تفيد «بدء» أو «رأس» ، أو «رئيس» أو «مُبدئ» بضم الميم وجرّ الدال وفى قواميس اللغة العربية يقال «بَدأَ اللهُ الخلقَ أو ابدأ اللهُ الخَلْقَ أى برأهم، خلقهم من العدم، فهو تعالى **بادِئُ الوجود**، و«**مُبدِئُ الخليقة**» بضم الميم وكسر الدال».

ويقابلها بالإنجليزية The Head of the Creation, The Beginning of the Creation

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٢٣ من سبتمبر ـ أيلول لسنة ١٩٩٠م ـ ١٣ من توت لسنة ١٧٠٧ش.

«رأس الخليقة». «بادئ الخليقة».

وكذلك باللغة العبرانية «ريشيت Reshet רֵאשִׁית أى «رأس الخليقة» وبعض الترجمات الإنجليزية أعطت The Origin of God's Creation .

وعلى ذلك فإن المسيح له المجد هو مُبدِئُ الخليقة أى بارئها وموجدها من العدم وهو «أصل» الخليقة أى «مصدر» الخليقة.

وتوكيداً لهذا المعنى يقول المسيح له المجد «أنا هو الألف والياء، البَدء والنهاية» (الرؤيا ١ : ٨)، (٢١ : ٦)، (٢٢ : ١٣).

وقال «أنا هو الأول والآخر» (الجليان ـ الرؤيا ٢٢ : ١٣)، (١ : ١١، ١٧)، (٢ : ٨).

فالمسيح إذن هو «البدء» و «البداءة» أى هو «الأول» قبل الوجود، وهو «رأس» الخليقة وهو «مُبدِئُ» الخليقة، وهو «أصل الخليقة» ومصدرها.

وهذا هو أيضاً معنى أنه «صورة الله الغير المنظور، بكر كل الخلائق» (كولوسى ١ : ١٥) أى أنه «قبل الخلائق كلها، وأعظم منها بأجمعها πρωτότοκος Prototokos أى السابق على كل الخلائق، ورأس كل الخلائق، و«الكائن السابق وجوده على جميع الخلائق».

٥٠ ـ سلطان المسيح الشامل لشفاء جميع الأمراض وراثية أو ولادية، أو نفس جسمية، أو عصبية (١)

سؤال: من الابن الدكتور ألفونس ميخائيل سعد ـ رشيد.

يقول كان يُعتقد قديماً أن المرض من عمل الأرواح الشريرة، وكان السيد المسيح له المجد يشفى المرضى فى حالات كثيرة بإخراج الأرواح الشريرة. ولكن قد تمّ اكتشاف أن أسباب الأمراض هى الميكروبات والفيروسات والوراثة وخلافه ـ فهل كان الشفاء يتم على مستوى مفهوم الناس فى ذلك الوقت؟

الجواب:

ليست كل الأمراض من عمل الأرواح الشريرة.

فهناك أمراض وراثية.

وهناك أمراض ناجمة عن أخطاء الإنسان نفسه، بتعدّيه قوانين الطبيعة فى حفظ جسده وصيانته من كل ما يتلفه ويضره بما يأكله وما يشربه وما يهلكه ويدمّره، وهو ما ينهى عنه الوحى الإلهى بقوله «فما من أحد يبغض جسده بل يغذيه ويعتنى به» (أفسس ٥: ٢٩). ومن ذلك قوله: «**لا تكن بين شريبى الخمر، بين المتلفين أجسادهم**» (سفر الأمثال ٢٣: ٢٠). وقوله «اهربوا من الزنى، فكل خطيئة غير هذه يقترفها الإنسان هى خارجة عن جسده **أما من يزنى فقد أذنب إلى جسده**» (١. كورنثوس ٦: ١٨) وقوله «فإن هذه هى مشيئة الله، قداستكم، فتمتنعوا عن الزنى. وأن يعرف كل واحد منكم كيف يصون جسده بالقداسة والكرامة، فلا يدع الشهوة تستولى عليه كالوثنيين الذين لا يعرفون الله... **لأن الرب هو المنتقم عن هذه الأشياء كلها**» (١. تسالونيكى ٤: ٣ – ٦). وقوله «لا تكن شريراً كثيراً ولا تكن جاهلاً. لماذا تموت فى غير وقتك؟» (الجامعة ٧: ١٧).

وهناك أمراض جسدية تتسبب عن علل نفسية ومنها الهموم والأحزان ـ من ذلك قوله: «حياة الجسد هدوء القلب، والحسد نخر العظام» (سفر الأمثال ١٤: ٣٠) وقوله «الغم فى قلب الرجل يحنيه» (الأمثال ١٢: ٢٥) وقوله «ليست فى جسدى صحة من قبل غضبك. ولا لعظامى راحة، من قبل خطيئتى» «إن كليتىّ قد امتلأتا احتراقا وليست بجسدى صحة. خُدرتُ وانسحقت إلى الغاية كنت أئنّ من زفير قلبى» (مزمور ٣٧: ٣ – ٨).

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر بتاريخ ٧ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٩١م ـ ٣ من بؤونة لسنة ١٧٠٧ش.

على أن المسيح له المجد لم يكتف أثناء وجوده على الأرض بشفاء الأمراض المتسببة عن ضربات الأرواح الشريرة كما هو الحال فى شفاء الولد المصروع بإخراج الروح الشرير الذى كان يسكنه (متى ١٧: ١٤ – ١٨)، (مرقس ٩: ١٤ – ٢٧)، أو كما هو الحال فى شفائه للمجنون الأعمى والأخرس بطرد الروح النجس منه، فتكلّم وأبصر وعاد عاقلاً (متى ١٢: ٢٢)، أو كما شفى المرأة التى كانت منحنية لمدة ثمانية عشر عاماً ولم تكن تستطيع أن تنتصب البتّة، فلما أخرج الروح النجس منها انتصبت قائمة (لوقا ١٣: ١١ – ١٣).

وإنما بسلطانه الإلهى شفى المسيح له المجد مرضى كثيرين بأمراض عضوية متنوعة. فقد كان «يشفى جميع المرضى. لكى يتم ما قيل بفم إشعياء النبى القائل: «إنه أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا» (متى ٨: ١٦، ١٧).

وقال الإنجيل «وتبعته جموع عظيمة فشفاهم جميعاً» (متى ١٢: ١٥)، (متى ١٩: ٢)، «فلما خرج يسوع ورأى جمعاً عظيماً تحنّن عليهم وشفى مرضاهم» (متى ١٤: ١٤). «فأقبل عليه جمع عظيم، وقد جاءوا معهم بمقعدين وعميان وصم وخرس وذوى عاهات وآخرين كثيرين وألقوا بهم عند قدمى يسوع، فشفاهم، حتى لقد دهش الجمع **إذ رأوا الخرس يتكلمون وذوى العاهات يبرأون والمقعدين يمشون والعميان يبصرون والصم يسمعون**، فمجّدوا إله إسرائيل» (متى ١٥: ٣٠، ٣١) «وتقدم إليه فى الهيكل العمى والمقعدون فشفاهم» (متى ٢١: ١٤) «فشفى كثيرين من المصابين بأمراض مختلفة» (مرقس ١: ٣٤) «كان جميع الذين لديهم مرضى بعلل مختلفة قد جاءوا بهم إليه، فكان يضع يديه على كلّ منهم فيشفيهم» (لوقا ٤: ٤٠) «**والمحتاجون منهم إلى الشفاء شفاهم**» (لوقا ٩: ١١) «وكان يسوع يطوف فى الجليل كله، يعلّم فى مجامعهم وينادى ببشارة الملكوت، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب. فذاعت شهرته فى سوريا كلها، فكانوا يجيئون إليه بكل المعذبين بأمراض وأوجاع مختلفة ... والمصابين بالصرع والفالج، فكان يشفيهم» (متى ٤: ٢٣ – ٢٥) «وكان يسوع يطوف بكل المدن والقرى، يعلّم فى مجامعهم، وينادى ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب» (متى ٩: ٣٥) «وكان الجميع يتهافتون عليه ليلمسوه لأن قوة كانت تخرج منه فتبرئهم جميعاً» (لوقا ٦: ١٩).

وقال أيضاً المسيح له المجد لتلميذى يوحنا «العمى يبصرون، والمقعدون يمشون، والبرص يطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون...» (لوقا ٧: ٢٢)، (متى ١١: ٥).

ليست إذن الأمراض التى شفاها المسيح له المجد بسلطان لاهوته، هى المتسببة فقط عن الأرواح الشريرة النجسة. وإنما شفى أيضاً الأمراض الأخرى المتسببة عن علل طبيعية، سواء منها الأمراض الوراثية، أو الأمراض الولادية Congenital أى التى يصاب بها الجنين أو الطفل أثناء الحمل أو أثناء الولادة بفعل المرأة نفسها أو أثناء عملية الولادة. ثم الأمراض الناجمة أثناء الرضاعة أو بسبب نقص التغذية فى فترة الطفولة وما بعدها أو بسبب المكيفات والعادات الضارة أو من مخلفات الحميات، أو الحوادث التى يتعرض لها الإنسان البالغ، والصدمات التى تصيبه خطأ أو جهلاً أو عمداً، منه أو من آخرين، كل تلك الأمراض العضوية والبدنية المختلفة كان المسيح له المجد يشفيها، بسلطان لاهوته، وليست فقط الأمراض المتسببة عن مس الشياطين والأرواح النجسة.

من ذلك وعلى سبيل المثال لا الحصر شفاء حماة سمعان من الحمى التى كانت مُصابة بها. «كانت حماة سمعان ترقد محمومة، فأخبروه على الفور بأمرها، فدنا منها وأمسك بيدها وأنهضها ففارقتها الحمى فى الحال، وراحت تخدمهم» (مرقس ١: ٣٠، ٣١) ولم تكن هذه الحمى بسبب الأرواح الشريرة.

كذلك المفلوج فى بركة بيت حسدا، وكان عليلاً لمدة ثمان وثلاثين سنة، لم تكن علته بسبب الأرواح الشريرة، وإنما بسبب خطيئته التى دمرت جهازه العصبى وصيرته مشلولاً شللاً كلياً (يوحنا ٥: ١ – ٨).

وكذلك المولود الأعمى الذى لم تكن له عينان، لأنه ولد من بطن أمه أعمى، قد خلق له المسيح عينين من الطين الذى طمس به مقلتيه الفارغتين، لم تكن علته بفعل الأرواح الشريرة، وإنما كانت مرضاً طبيعياً من طائفة الأمراض الولادية الخلقية وليست له علاقة بالأرواح الشريرة.

ومجمل القول إن الأمراض أنواع، وليس كل مرض ينجم من عمل الأرواح الشريرة التى تدخل أحياناً فى جسم الإنسان، فهناك الأمراض العضوية يمرض بها عضو من أعضاء البدن كالعين أو الأذن أو اليدين أو الرجلين أو البدن كله.. وهناك الأمراض البدنية المتسببة عن علل نفسية ومنها مرض السكر أو الضغط أو الربو أو السرطان. وهناك الأمراض العصبية بأنواعها. وهناك أيضاً الأمراض العقلية. ثم هناك الأمراض المتسببة عن ربط الشياطين والأرواح النجسة.

٥١ ـ المسيح يجمع بين كونه إلهاً وإنساناً ـ هو الله وظهر فى هيئة إنسان (١)

سؤال: من الابن الأستاذ المحاسب عونى عبد اللاهوت بولس جرجس. المطرية.

إجابة على تساؤلكم فيما يختص بقول الرسول القديس بولس لأهل أفسس «ما أزال شاكراً الله لأجلكم وذاكراً إياكم فى صلواتى، لكى يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح حكمة يكشف لكم عنه لتعرفوه حق المعرفة وأن ينير بصائر قلوبكم، لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى المجد الذى جعله لكم ميراثاً بين القديسين، وما هى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين على حسب عمل شدة قوته التى أظهرها فى المسيح إذ أقامه من بين الأموات وأجلسه إلى يمينه فى السماويات، فوق كل رئاسة وكل سلطان وكل قوة وكل سيادة، وفوق كل اسم يسمّى لا فى هذا الدهر فقط، بل فى الدهر الآتى أيضاً، وأخضع كل شئ تحت قدميه، وجعله فوق كل شئ رأساً للكنيسة، التى هى جسده، وملؤه، وهو الذى يملأ كل شئ فى كل شئ» (أفسس ١: ١٦ – ٢٣).

وسؤالكم كيف، ونحن نؤمن أن المسيح هو الله وقد تجسد، يفرق الرسول بين الله وبين يسوع المسيح، فيقول «إله ربنا يسوع المسيح». ثم كيف ونحن نعتقد أن المسيح قام من بين الأموات بسلطان لاهوته يقول القديس بولس إن الله «أقامه من بين الأموات وأجلسه إلى يمينه فى السماويات فوق كل رئاسة»؟

الجواب:

إن المسيح له المجد يجمع بين كونه إلهاً وإنساناً فى الوقت نفسه، فبصفته إلهاً أقام الأموات بأمره، وطرد الشياطين وأخرجهم من أجسام الناس بكلمة من فيه، وفى جميع المعجزات صنعها بقدرة لاهوته ولم يطلب قوة خارجاً عن ذاته لأن «قوة كانت تخرج منه» (لوقا ٦: ١٩) «وبسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج» (لوقا ٤: ٣٦). وفى بستان جثسيمانى وهو فى معاناته آلام الفداء، إذ وضع ذاته فداء عن الإنسان «ظهر له ملاك من السماء يقول له لك القوة» (لوقا ٢٢: ٤٣). وعن الملاك أخذت الكنيسة المقدسة هذه التسبحة تتلوها فى يوم الجمعة

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٢٩ من ديسمبر ـ كانون لسنة ١٩٩١م ـ ١٩ من كيهك لسنة ١٧٠٨ش.

العظيمة، جمعة الصلب «لك القوة والمجد والعزة والتسبيح والسلطان يا عمانوئيل إلهنا وملكنا». وهى بعينها التسبحة التى تسبحه بها الملائكة فى السماء ويقولون «يا ربنا وإلهنا، لك يحق الحمد والمجد والحكمة والعزة والشكر والإكرام والقوة والقدرة والغنى إلى أبد الدهور» (الجليان ـ الرؤيا ٧: ١٢)، (٤: ١١)، (٥: ١٢)، (١٩: ١).

ولكن المسيح بصفته إنساناً «شارك البشر وشابههم فى كل شئ» (العبرانيين ٢: ١٤، ١٧) فيما عدا الخطيئة، فقد تنازل بتجسده، فولد كإنسان، وحملته العذراء فى بطنها كإنسان، ونما جسده قليلاً قليلاً كإنسان (لوقا ٢: ٥٢)، واعتمد أو تعمّد كإنسان، وصام كإنسان، وصلب كإنسان، ومات كإنسان، وتمم بذلك عمل الفداء والخلاص، ثم دفن فى القبر كإنسان، ولما كان هو «قائدنا إلى الخلاص» (العبرانيين ٢: ١٠) بصفته إنساناً أيضاً، لذلك قال الرسول بولس إن الله «أقامه من بين الأموات وأجلسه إلى يمينه فى السماويات فوق كل رئاسة، وكل سلطان». نعم إن الرسول بولس يتكلم عن المسيح له المجد، هنا، بصفته إنساناً لأنه عندما صلب من أجل الفداء، صلب من حيث هو إنسان، نيابة عن الإنسان، ولفداء الإنسان. وبهذا المعنى قال الرسول بولس «لأن الله واحد، والوسيط بين الله والناس واحد، هو المسيح يسوع الإنسان، الذى بذل نفسه فدية لجميع الناس» (١ . تيموثيئوس ٢: ٥، ٦) إذن المسيح عندما قام بعمل الفداء، قام به بصفته «المسيح يسوع الإنسان» لا بصفته إلهاً، فإنه كإله لا يكون وسيطاً، أو شفيعاً. إنما بصفته أقنوم الرحمة قَبِلَ أن يكون بديلاً أو بدلاً من الإنسان، واحتمل فى جسده الحكم الذى حكم به العدل الإلهى على الإنسان، وهو الموت، عندما قال الله لآدم «وأمّا شجرة معرفة الخير والشر، فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت» (التكوين ٢: ١٧) وأكل آدم وحواء فحق عليهما حكم الموت (رومية ٥: ١٢)، (٦: ٢٣)، (١ . كورنثوس ١٥: ٢١)، (يعقوب ١: ١٥) وبهذا المعنى صار يسوع المسيح بصفته إنساناً «وسيطاً لعهد أفضل» (العبرانيين ٨: ٦) «وهو الوسيط لعهد جديد، ينال فيه المدعوون الميراث الأبدى الموعود لأنه مات كفارة للمعاصى المرتكبة فى العهد الأول» (العبرانيين ٩: ١٥)، (٧: ٢٢)، (١٢: ٢٤).

فإذا قال الرسول بولس عن المسيح له المجد إن الله «أقامه من بين الأموات»، فهو يتكلم عن المسيح بصفته إنساناً قام بعمل الفداء كوسيط نائباً عن الإنسان، علماً بأن المسيح هو الله ذاته لابساً صورة إنسان «الذى إذ هو صورة الله لم يحسب مساواته لله غنيمة له، لكنه تخلّى عن مجده واتّخذ صورة العبد، وصار فى شبه البشر، وظهر فى هيئة

إنسان، وضع نفسه وأطاع حتى إلى الموت، الموت على الصليب. فلذلك رفعه الله جداً وأعطاه الاسم الذى يفوق كل اسم، لكى تجثو لاسم يسوع كل ركبة مما فى السماء ومما على الأرض وما تحت الأرض، (فيلبى ٢: ٦ - ١٠) فكان حقاً وعدلاً أنه بعد أن قام بالفداء كإنسان، أن يصعد إلى السماء التى منها نزل (يوحنا ٣: ١٣)، (يوحنا ٦: ٣٨، ٤١، ٤٢، ٥١، ٥٨) ويجلس على العرش بصفته الله وتتعبد له كل الكائنات ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، وهذا لا يجوز لغير الله وحده، إذ أن الله هو المعبود الذى يحق له وحده السجود من كل الكائنات ممن فى السماء وهم الملائكة، ومن على الأرض وهم البشر وغير البشر، ومن تحت الأرض ممن هم فى الجحيم من الشياطين، والبشر الأشرار.

والخلاصة أن مثل هذه التعبيرات على نظير قوله «أقامه الله.. رفعه الله.. وأجلسه» وأمثالها قيلت وتُقال عن المسيح له المجد من حيث هو إنسان، اتَّخذ له جسداً مطابقاً لجسدنا، وفيه قَبِلَ الصلب والموت كإنسان، على أن الله الذى أقامه ليس آخر، وإنما هو بعينه اللاهوت المتحد بإنسانيته.

* * *

كذلك فى قول الرسول القديس بولس «من بولس عبد الله ورسول يسوع المسيح» (تيطس ١: ١)، وقوله «من بولس رسول المسيح يسوع بأمر الله مخلصنا وربنا يسوع المسيح رجائنا» (١. تيموثيئوس ١: ١) لا فرق بين الله وبين يسوع المسيح إلا من حيث أن يسوع المسيح هو الله ظاهراً فى الجسد، خصوصاً وأن الرسول بولس عندما صار رسولاً، تجلَّى له المسيح له المجد وهو لابس الجسد الذى اتَّخذه بتجسده، وإن كان فى «نور أبهى من شعاع الشمس» (أعمال الرسل ٢٦: ١٣)، لأن جسد المسيح بعد أن صعد به المسيح إلى السماء، لم يعد يحجب بهاء اللاهوت كما كان يحجبه وهو على الأرض. لذلك قال إنه رسول المسيح يسوع، وقال إنه «رسول بأمر الله مخلصنا وربنا يسوع المسيح رجائنا». وواضح أنه ينسب إلى المسيح صراحة وبكل وضوح أنه «**الله مخلصنا وربنا يسوع المسيح**» وغنى عن الكلام أن **الله مخلصنا هو يسوع المسيح، ويسوع المسيح هو الله مخلصنا وربنا له المجد إلى أبد الدهور.**

٥٢ ـ ما معنى كلمة «أبى أعظم منى» ؟ (١)

سؤال: من الابن الأناغنوستيس متياس رفائيل القس بطرس.

ما المقصود من كلام يسوع المسيح «لأن أبى أعظم منى» (يوحنا ١٤: ٢٨) وهل يوجد تناقض فى هذا القول وإيماننا بالقدوس الله، كلمة الله، روح الله. فالله واحد، والواحد فى ثلاثة أقانيم بما لا يمكن أن يكون أقوى أو أضعف، ولا سابق ولا لاحق، ولا أكبر ولا أصغر، بل مساواة تامة فى الاعتبار والتقديس والتقدير ثم لقد قال المسيح له المجد «أنا وأبى نحن معاً واحد».

الجواب:

لقد قال المسيح له المجد «أنا وأبى نحن معاً واحد» (يوحنا ١٠: ٣٠) فالابن والآب جوهر واحد، وإله واحد، وذات إلهية واحدة. وهذا هو مبدأ التوحيد الذى يجاهر به المسيحيون فى قانون الإيمان الذى يتلونه فى صلواتهم الإنفرادية والعامة «بالحقيقة نؤمن بإله واحد».

وهذا هو معنى أن المسيح ابن الله، لا بمعنى أن الله يلد كما يلد الإنسان أو الحيوان، معاذ الله! لكنه ابن الله بمعنى أن الله الغير المنظور صار بالتجسد منظوراً فى المسيح. فالمسيح إذن هو الصورة المنظورة لله الغير المنظور، ولذلك قال المسيح له المجد «من رآنى فقد رأى الآب». (يوحنا ١٤: ٩)، (١٤: ٧)، (١٢: ٤٥). وقال الكتاب المقدس أيضاً إن «المسيح هو صورة الله» (٢. كورنثوس ٤: ٤) وقال كذلك إنه «صورة الله الذى لا يرى» (كولوسى ١: ١٥).

أما قوله «أبى أعظم منى» (يوحنا ١٤: ٢٨) فالإشارة هنا إلى الفرق فى عظمة (الحال). فإن الابن تخلّى عن مجده و اتخذ صورة العبد وصار فى شبه البشر، وظهر بهيئة إنسان» (فيلبى ٢: ٧) ففيما هو «صورة الله» الغير المنظور قد أخلى نفسه من «صورة الرب»، واتّخذ «صورة العبد» وصورة الرب أعظم من صورة العبد. ويلاحظ أن السيد المسيح قال إن «أبى أعظم منى» لأنه كان فى صدد تعزية تلاميذه عن مفارقته لهم بالجسد، عند مغادرته لهم بصعوده إلى السماء. فقال لهم: «قد سمعتم قولى إننى سأذهب ثم أجئ ثانية إليكم. فلو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون بأنى أمضى إلى أبى، لأن أبى أعظم منى» (يوحنا ١٤: ٢٨) فالآب ليس أعظم من الابن فى الجوهر، لأن الآب والابن جوهر واحد، وفى جوهر واحد، وواحد فى الجوهر. لكن الابن وهو على الأرض وقد اتّخذ «صورة العبد وصار فى شبه البشر» كان فى «حال» من الكرامة والبهاء والمجد أقل من «حال» الآب وهو فى كمال البهاء والمجد، فإذا عاد الابن إلى السماء استرد البهاء والمجد الذى كان له «من قبل كون العالم» (يوحنا ١٧: ٥).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٣٠ من يناير ـ كانون ثان لسنة ١٩٩٤م ـ ٢٢ من طوبة لسنة ١٧١٠ش.

٥٣ ـ جلوس المسيح عن يمين الله (١)

سؤال: من أحد القراء :

قال الكتاب المقدس «وبعد أن كلمهم الرب يسوع بهذا ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله» (مرقس ١٦ : ١٩) فهل لله يمين حتى إن المسيح يجلس عن يمينه؟

الجواب:

ليس لله جسم، كما أنه ليس محدوداً فى المكان حتى تكون له يمين أو شمال. وحيث تكون ثمّت قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلى لكلمة (اليمين)، فلابد أن يكون اللفظ قد خرج عن معناه الحرفى إلى **معنى مجازى**. فهنا **استعارة مكنية**، شبّه الله فيها بإنسان، والإنسان له يمين ويسار، وكم من مرة ترد فى الكتب المقدسة أمثال هذه الاستعارات المكنية، والتشبيهات المجازية فيقال:

إن لله **وجهاً** : «**وجهك** يا رب ألتمس، لا تحجب **وجهك** عنى» (مزمور ٢٦ : ٨، ٩).

وإن لله **يداً** : «أمّا الله الذى **بيده** نسمتك.. فلم تمجده» (دانيال ٥ : ٢٣).

وإن لله **قدماً** «وقال لى يا ابن آدم هذا موضع عرشى وموضع **أخامص قدمىّ** حيث أسكن فى وسط بنى إسرائيل» (حزقيال ٤٣ : ٧).

وإن لله **عيناً** : «هوذا **عين** الرب على خائفيه الراجين رحمته» (مزمور ٣٢ : ١٨).

وإن لله **أذناً** : «والآن فإن عينىّ تكونان مفتوحتين، **وأذنىّ** تكونان مصغيتين إلى صلاة هذا المكان» (٢ . أخبار الأيام ٧ : ١٥).

والواقع أننا لا نستطيع لضيق المقام أن نسرد لك جميع الآيات التى تنسب لله يداً وعيناً وأذناً وفماً ووجهاً وقدماً، فهى أكثر من أن تحصى، ولعلّك تلتقى بها كثيراً لدى قراءتك للكتاب المقدس، ولكننا نكتفى بتلك على سبيل المثال، ونذكر لك أيضاً هذا النص «هـا إن **يد** الرب لم تقصر عن أن تخلّص، ولم تثقل **أذنه** عن أن يسمع، بل آثامكم.. سترت **وجهه**..» (إشعياء ٥٩ : ١) حيث نرى ذكر **يد الله وأذنه ووجهه** فى نص واحد.

---

(١) مقال نشر بمجلة (مدارس الأحد) السنة الثالثة ـ العدد الخامس ـ أغسطس ـ آب لسنة ١٩٤٩م صفحتى ٣٧، ٣٨.

وليس قول الإنجيل للقديس مرقس (١٦: ١٩) هو النص الوحيد الذى ورد فيه أن لله **يميناً**، لاحظ قوله مثلاً: «**يمينك** يا رب معتزة بالقدرة، **يمينك** يا رب تحطم العدو.. تمد **يمينك** فتبتلعهم الأرض» (الخروج ١٥: ٦، ١٢) راجع (أيوب ٤٠: ١٤)، (مزمور ٥: ٥)، (٨٩: ٢٥)، (٩٧: ١)، (مزمور ١٦: ١).

وعلى ذلك فقول الكتاب عن السيد المسيح إنه جلس عن يمين الآب، لا يفهم على معناه الظاهرى طالما أن الله روح وليس له مكان ولا حدود، بل يجب أن يُحمل على معناه المجازى والاستعارى ليشير به إلى **موضع الكرامة والمجد**. ومن الأمثلة على ذلك ما يذكره الكتاب عن الديان فى يوم الدين من أنه يقيم الخراف (الأبرار) عن **يمينه**، وأمّا الجداء (الأشرار) فعن **يساره** (متى٢٥: ٣٣)، وأما جلوس الابن (الأقنوم الثانى) عن يمين الآب (الأقنوم الأول)، فهو يشير إلى **المساواة فى الربوبية والسلطان والمجد وسائر الصفات والكمالات الإلهية**.

معنى جلوس الابن عن يمين الآب

على أن جلوس الابن عن يمين الآب قيل، لا فى الدينونة، بل قيل عنه فى صعوده إلى السماء. قال الإنجيل «وبعد أن كلّمهم الرب يسوع بهذا ارتفع إلى السماء، **وجلس عن يمين الله**» (مرقس ١٦: ١٩) وقال المسيح له المجد عن ذاته أثناء محاكمته أمام رئيس الكهنة اليهودى وأمام مجمع السنهدريم «ولسوف ترون ابن الإنسان **جالساً عن يمين القدرة**» (مرقس ١٤: ٦٢)، (متى ٢٦: ٦٤) «**جالساً عن يمين قدرة الله**» (لوقا ٢٢: ٦٩).

وجاء فى سفر أعمال الرسل عن القديس اسطفانوس أثناء رجمه «فرأى مجد الله ويسوع **قائماً عن يمين الله**، فقال: ها أنا أنظر السماوات مفتوحة، وابن الإنسان **قائماً عن يمين الله**» (أعمال الرسل ٧: ٥٥، ٥٦).

وقال الوحى الإلهى بفم بولس الرسول «اطلبوا ما فوق حيث المسيح **جالس عن يمين الله**» (كولوسى ٣: ١)، (رومية ٨: ٣٤)، (أفسس ١: ٢٠) وقال «فبعد ما قدّم (المسيح) عن الخطايا ذبيحة واحدة، **جلس إلى الأبد عن يمين الله**» (العبرانيين ١٠: ١٢) «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمّله يسوع الذى من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب .. **فجلس فى يمين عرش الله**» (العبرانيين ١٢: ٢) «بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا، جلس فى يمين العظمة فى الأعالى» (العبرانيين ١: ٣) «إن لنا رئيس كهنة (**يسوع المسيح**) .. **قد جلس فى يمين عرش العظمة فى السماوات**» (العبرانيين ٨: ١) انظر أيضاً (مزمور ١٠٩: ١)، (أعمال الرسل ٢: ٣٣، ٣٤)، (العبرانيين ١: ١٣)، (١. بطرس ٣: ٢٢).

ولما كان الله غير محدود، وبالتالى فإن لاهوت الله لا يحده يمين أو شمال، فيكون المعنى من قول الكتاب المقدس (**جلس عن يمين الله**) أو (**فى يمين الله**) أو (**فى يمين القدرة**) أو (**فى يمين قدرة الله**) أو (**فى يمين عرش الله**) أو (**فى يمين العظمة فى الأعالى**) أو (**فى يمين عرش العظمة فى السماوات**) **أن المسيح له المجد صعد بجسده، وجلس بجسده على عرش العظمة الإلهى فى السماء**. وليس (اليمين) فى هذا الصدد غير تعبير لغوى يدل فى لغة الناس على أسمى مكان وأعلى مكان فى السماء، أى أن **المسيح دخل إلى مجده، (لوقا ٢٤: ٢٦) واستوى على العرش السماوى.**

٥٤ ـ سؤال له جواب

العزيز الابن عزت ناجى إرمانيوس (١).

رداً على خطابكم بتاريخ ٢١/ ١٠/ ١٩٧٩، نجيب بأننا إذا قلنا إنّ الله مثلث الأقانيم والصفات، فالمقصود بالصفات هنا هو الخاصيات التى تقوم عليها الذات الإلهية، ومن دونها لا يكون للذات الإلهية وجود.

هذه الصفات أو الخاصيات هى الصفات الذاتية وهى غير الصفات النسبية. فالصفات النسبية كثيرة جداً لكن لا تقوم عليها الذات الإلهية. فإذا قلنا إن الله (جميل) أو لطيف فليس الجمال أو اللطف من الصفات الذاتية، لأنه يمكن أن نتصور الله من غيرها.

أما الصفات الذاتية فهى: الوجود، والعقل، والحياة. فالله كائن أزلى أبدى وهو العقل الأكبر وهو الحياة.

٥٥ ـ سؤال من أحد أبنائنا فى المهجر (١)

سؤال: من السيد / سامى لبيب شنوده ـ سيدنى ـ استراليا.

هنا باستراليا أثيرت نفس المشكلة التى قابلتنى بالقاهرة وظننت أنى فهمتها ولكن فهمى لها لم يكن كاملاً...

الموضوع هو أن الله موجود فى كل مكان. ولما حدث التجسد بحلول كلمة الله وهو الابن الكلمة فى بطن العذراء وفى الأرض. إذن أصبح يوجد الابن على الأرض والآب فى السماء، أفهل يعنى ذلك أنهما شخصان، أم أنهما شخص واحد موجود على الأرض وموجود فى السماء وفى كل مكان ومنتشر فى كل العالم؟ فما الحكمة إذن فى تقسيمهم إلى ثلاثة؟ وهل هم ثلاثة أقانيم فى أقنوم واحد ولكن هذا يقتضى التقسيم مع أننا نحن الأرثوذكسيين لا نؤمن بالتقسيم إطلاقاً.

ثم إننا نقول إن الله هو المسيح، ونقول أيضاً إن المسيح هو ابن الله فكيف يكون هذا هو فى وقت واحد؟

عندما سأل التلاميذ السيد المسيح قائلين: «أرنا الآب وكفانا» قال لهم «أنا فى أبى، وأبى فىّ ومن رآنى فقد رأى الآب» وفى إنجيل مرقس الأصحاح الأول عدد ١ «بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله» ولم يقل الله مباشرة..

الجواب:

اعلم يا ابنى أن الله واحد. وهذا ما نردده فى صلواتنا فيما يعرف بقانون الإيمان «بالحقيقة نؤمن بإله واحد». ويقول مار بولس الرسول «لأن الله واحد» (رومية ٣: ٣٠)، (غلاطية ٣: ٢٠). انظر أيضاً رسالة مار يعقوب (٢: ١٩). ويقول أيضاً **«لنا إله واحد»** (١. كورنثوس ٨: ٦) بل والسيد المسيح نفسه يقول لليهود موبخاً لهم «كيف يمكنكم أن تؤمنوا .. وأما المجد الذى **من الله الواحد وحده، فلا تبتغونه»** (يوحنا ٥: ٤٤).

وحينما ننطق بما يعرف بالبسملة نقول «باسم الآب والابن والروح القدس **الإله الواحد**»..

وإذن فالثالوث الذى نؤمن به هو **ثالوث أقانيم** وليس **ثالوث آلهة. والتثليث الذى نقول به لا يتعارض مع إيماننا بالتوحيد**، لأن التوحيد هو من جهة الجوهر الإلهى. وأما التثليث فمن جهة الأقانيم التى يقوم عليها الجوهر الإلهى الواحد. **ومع ذلك فالأقانيم ليست**

أجزاء أو أقساماً فى الجوهر الإلهى الواحد، لأن الله جوهر بسيط كامل لا يقبل التقسيم ولا يقبل التجزئة.

ولئن كان عدد من آباء الكنيسة أراد أن يشرح معنى الأقانيم فى الذات الإلهية، فقال إنها خاصيات للذات الإلهية أو صفات للذات الإلهية، وقال بعضهم إن الله أُحدىّ الذات مثلث الصفات لكن الأقانيم - فى الواقع - ليست مجرد خاصيات أو صفات، لئلا نقع فى خطأ الخلط بين الصفات الذاتية (التى تقوم عليها الذات الإلهية ومن دونها لا يكون للذات الإلهية وجود) وبين سائر الصفات التى يتصف بها الله (وهى متعددة). لذلك رأت الكنيسة أن تستعير لفظاً سريانياً (وهو أقنوم وجمعه أقانيم) وصار يستعمل اصطلاحياً بمعنى خاص به فى دائرة العلوم اللاهوتية للدلالة على المفهوم الأحد الذى تتميز به الأقانيم فى الجوهر الإلهى.

ولقد استخدم آباء الكنيسة لفظاً آخر أخذوه من اليونانية ونقلوه إلى جميع لغات العالم بنطقه اليونانى للدلالة على الأقانيم وقيامها فى الجوهر الإلهى أو الذات الإلهية. هذا اللفظ اليونانى هو ὑπόστασις ونكتبه بالقبطية ϩⲩⲡⲟⲥⲧⲁⲥⲓⲥ ويكتب باللاتينية Hypostasis وهو كما ترى يتألف من مقطعين Hypo أى (تحت) ثم stasis أى (قيام) أو (كيان). واللفظ كله يعنى (ما تحت القيام أو الكيان) أو (ما يقوم به الكيان) وعلى ذلك **فالأقانيم** - بلغة اليونان التى كان يستخدمها العالم المسيحى كله فى العصور القديمة، خصوصاً أثناء المناقشات اللاهوتية والجدلية، هى «**ما يقوم عليها الكيان الإلهى**» أى «**ما يقوم به وعليه الجوهر الإلهى**».

وهنا يجب التفريق فى ذات الله بين خاصيات وصفات يقوم بها وعليها الكيان الإلهى ذاته، بحيث لا يقوم لله وجود بغيرها، وبين صفات وخاصيات أخرى كثيرة تنسب إلى الله عادة ولكن لا يقوم عليها كيان الله ووجوده. ومن بين هذه الصفات الأخيرة أن الله لطيف جميل - حسن.. إلخ.

وعلى سبيل المثال للإيضاح والبيان لا على سبيل المطابقة الدقيقة يمكن مثلاً بالنسبة إلى الإنسان أن يفرق بين خاصيات وصفات للإنسان تقوم بها إنسانيته، وبين صفات أخرى يمكن أن يوصف بها ولكن لا يقوم عليها كيانه البشرى، فتقول فى تعريف الإنسان إنه «حيوان ناطق» (أى عاقل)، فهو أولاً كائن ذو وجود منظور ثم هو حى، ثم هو عاقل. هذه الخصائص الثلاثة تجمع كل ما يتصف به ذلك الكائن الذى نسميه «الإنسان» وبها تتميز «إنسانيته» ومن دون هذه

الخصائص الثلاثة لا يكون إنساناً. فإذا قلنا إنه «موجود» فصفة الوجود لا تقتصر عليه وحده. وإذا قلنا إنه «موجود حي» فالكائنات الحية منها النبات ومنها الحيوان ومنها الإنسان. وأما إذا قلنا إنه «حيوان ناطق» فقد عرفنا الإنسان تعريفاً جامعاً مانعاً، جامعاً يجمع كل خصائصه التى يتميز بها عن غيره من الكائنات المنظورة فى الوجود المادى، ومانعاً لأنه ينفرد بهذه الخصائص ولا يشاركه فيها غيره من الكائنات المنظورة فى الوجود المادى.

ومع ذلك فهناك صفات أخرى غير هذه يمكن أن يوصف بها إنسان ما، فيقال إنه صالح، طاهر، سليم، جميل، حسن، لطيف، ودود... إلى آخر هذه الصفات.. وهنا نتساءل هل هذه الصفات الأخيرة صفات ضرورية لكيان الإنسان؟ ألا يمكن أن يكون إنسان آخر شريراً أو نجساً أو مريضاً أو قبيح الصورة، أو قاسياً أو حقوداً... إلخ؟ أفهل وصفه بالشر والنجاسة والقبح والشراسة أخرجه من كونه إنساناً يُحسب بين الناس كواحد منهم؟ بالطبع لا.

وإذن فالصفات الذاتية للكائن، هى التى تقوم عليها ذاته، ومن دونها لا يكون لذاته قيام أو وجود.. أما الصفات الأخرى التى يمكن أن يتصف بها ولكن لا يؤثر وجودها أو عدمها على كيان الكائن ووجوده فتسمى بالصفات النسبية.

بهذا التحديد نفهم لماذا شرح بعض آباء الكنيسة الأقانيم الإلهية بأنها خاصيات وصفات ذاتية أى تقوم بها الذات الإلهية ومن دونها لا يكون للذات الإلهية كيان أو وجود.

ونحن نجد فى القداس الإلهى فى أكثر من موضع أن المسيح أو الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس يوصف بأنه «الكلمة الذاتية» أو الكلمة الذاتى، أى الكلمة الكائن فى الذات الإلهية والواحد مع الآب فى الجوهر.

ففى صلاة تقدمة الخبز والكأس بالقداس يصلى الكاهن موجهاً الصلاة إلى الله الكلمة قائلاً: «أيها السيد الرب يسوع المسيح، الكائن فى الذات الإلهية، وكلمة الآب الطاهر، الواحد مع الآب فى الجوهر ومع الروح القدس».

وفى صلاة الحجاب للقداس الغريغورى يقول:

«ونسألك أيها الكلمة الكائن فى الذات الإلهية».

وجاء أيضاً فى صلاة القسمة التى تقال فى صوم الميلاد وعيد الميلاد «يسوع المسيح الكلمة الكائن فى الذات الإلهية».

* * *

ولسنا فى حاجة بعد ذلك إلى أن نؤكد أن القول بالتثليث أو الأقانيم الثلاثة لم يكن من اختراع آباء الكنيسة. فالمسئول الأول عن هذا التعليم هو الله نفسه. فالمسيح له المجد هو الذى نطق بالأقانيم الثلاثة فى موضع واحد عندما أمر تلاميذه القديسين «فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨: ١٩) وهنالك نصوص أخرى كثيرة متفرقة فى العهد الجديد وفى العهد القديم تنطق صراحة أو تلميحاً بحقيقة التثليث مع التوحيد ليس هنا مجال سردها.

* * *

تقول كيف يكون المسيح هو الله وهو أيضاً ابن الله؟ كيف يكون ذلك فى وقت واحد؟

ونجيب، إن اسم المسيح لم يعرف به الابن إلا بعد أن تجسد ومُسح ناسوتياً بالروح القدس فى نهر الأردن. **فالمسيح هو الله نفسه متجسداً. وبعبارة أخرى إن الله وهو غير منظور، قد صار فى المسيح منظوراً. وليس فى لغة الناس تعبير يقرب العلاقة بين الله - وهو غير منظور من الناس - وبينه وقد صار منظوراً أعظم من تعبير الابن والآب، لأن الابن من الآب، أى من طبيعته ومن جوهره.**

ولكن يجب ألا نظن أن المسيح هو ابن الله كما يفهم من ولادة الإنسان من الإنسان أو الحيوان من الحيوان. ففى عالم الإنسان الوالد أكبر من الولد وأقدم منه. أما فى الله فلا يمكن أن نتصور أسبقية فى الزمن بين الأقانيم. إذن تلقيب المسيح بابن الله هو لا بمعنى الولادة الجسدانية، وحاشا لله أن يلد بهذا المعنى.

لكن الأقنوم الثانى نور من نور، من دون أن تمر لحظة من الزمن كان فيها الأقنوم الأول موجوداً من دون أن يكون الأقنوم الثانى والثالث كائنين معه فى نفس الوقت، أى أن الأقانيم الثلاثة قائمة معاً فى الذات الإلهية منذ الأزل وإلى الأبد، بغير افتراق وجودى أو زمانى.

وبهذا المعنى أوضح المسيح له المجد علاقته بالآب فى قوله «أنا وأبى نحن معاً واحد»

(يوحنا ١٠ : ٣٠) أى أن الأقانيم جوهر إلهى واحد، وكيان إلهى واحد، وذات إلهية واحدة، وقال «إنى أنا فى أبى وإن أبى فىّ» (يوحنا ١٤ : ١٠)، (١٧ : ٢١) أى أن وحدة الجوهر هى بغير افتراق. وقال رداً على سؤال فيلبس أرنا الآب «أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى بعد يا فيلبس؟ من رآنى فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب؟ ألا تؤمن بأنى أنا فى أبى، وأن أبى فىّ» (يوحنا ١٤ : ٨ – ١٠) مبيّناً بهذا على أنهما جوهر إلهى واحد، وأنه قد صار منظوراً فى الجسد ومرئياً من الناس لا فرق فى الجوهر الإلهى بينه وبين الآب إلا فى أن الآب غير منظور «الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه» (يوحنا ١ : ١٨).

* * *

وهنا ننتقل إلى القسم الثالث من السؤال الخاص بالتجسد.

إن الله بمحض رحمته، واستجابة لدعاء الأتقياء من بنى الناس، شاء أن يتجسد، آخذاً صورة الناس ليخلّص الإنسان من الحكم الواقع عليه بالموت، وذلك بأن يفديه، فيقبل فى الجسد الذى اتخذه، حكم الموت، وبذلك يقبل الموت كبديل عن الإنسان، فيصير به الفداء لجنس الإنسان، حتى يستحق الإنسان الحياة، ويعود إلى الفردوس الذى طرد منه بسبب خطيئته...

وإذا اتّخذ الله جسد إنسان فلا يفقد الله بالتجسد لاهوته أو ألوهيته، فالله اتّخذ جسداً، ومع ذلك لم يزل هو الله، أى أنه لم يتحول إلى إنسان، ولم يتغير فى جوهره وحقيقته، لكنه باتحاده بطبيعتنا الإنسانية لم يفقد هو جوهره الإلهى. وعلى ذلك فالمسيح جمع بين الله والإنسان. فهو الله الذى يملأ بلاهوته كل الوجود، منظوراً كان أو غير منظور، وهو فى نفس الوقت إنسان كامل له كل خصائص الإنسان وصفاته. وبهذا الجمع أو بالأحرى بهذا الاتحاد بين اللاهوت كاملاً والناسوت كاملاً، صار المسيح هو الله المتأنس، والله المتجسد. وبناسوته صار نائباً عنا وفادياً لنا، وبلاهوته غفر لنا ورحمنا وقبل ذبيحة جسده قربان رضى، فهو الغافر والمغفور له «الذى صار خطيئة لأجلنا» (٢ . كورنثوس ٥ : ٢١) وهو القربان والمقرّب له. فيه «الرحمة والحق إلتقيا، والعدل والسلام تلاثما» (مزمور ٨٤ : ١٠).

وحذار أن يفهم من هذا أن حلول الله الكلمة فى بطن العذراء مريم أو حلوله فى الأرض معناه أن السماء خلت من وجود الله. حاشا فتجسد الله الكلمة لم يغير من الجوهر الإلهى، ولم يصر بالتجسد محدوداً أو محصوراً فى بطن العذراء مريم، أو محصوراً فى الهيكل الإنسانى الذى

ظهر به. فإذا كان الله قد تكلم مع موسى من العليقة، فلم ينحصر وجوده فى العليقة دون كل الوجود. وكذلك عندما كان المسيح يحبو بناسوته على الأرض كان يدير السماوات والأرض. وعندما كان يرضع بجسده من العذراء مريم كان يُشبع الخليقة كلها من غنى خيراته. وعندما كان فى بستان جثسيمانى يصارع الخوف والحزن كإنسان، كان جالساً فى نفس الوقت على العرش فى السماء يتقبل تسبيح الملائكة والأربعة والعشرين كاهناً وهم يخرون له سُجّداً وقد طرحوا أكاليلهم أمامه قائلين: لك القدرة والمجد والبركة والسلطان (سفر الرؤيا ٤: ١٠، ١١)، (٥: ١١ - ١٤)، (٧: ١١، ١٢). (١)

وهنا نقف لنصحح خطأ فى الفهم قد يقع فيه كل من يسمع تعبيراً مسيحياً يقول: إن الله نزل من السماء. لأن الله لا ينزل كما ينزل إنسان من طابق أعلى إلى طابق أسفل، إذ الإنسان عندما ينزل إلى الطابق الأسفل فقد أخلى الطابق الأعلى من وجوده، لأنه كائن محدود لا يمكن أن يوجد فى مكانين فى وقت واحد. أما إذا قلنا إن الله نزل من السماء وحل بيننا، فمعناه أنه مع وجوده فى السماء صار له كيان منظور على الأرض. وإذن فنزول الله وحلوله على الأرض هو تنازله ليكون له على أرضنا كيان جسدانى منظور من الناس، لا بمعنى أنه أخلى السماء من وجوده. وإذن فهو نزول إلى الأرض، بالنسبة إلى الإنسان الذى يعرف أن الله يسكن السماوات وليس له على الأرض وجود منظور ملموس.

* * *

على أنك تريد أن تعرف لماذا نُسب التجسد إلى الأقنوم الثانى، ولم ينسب إلى الأقانيم الثلاثة معاً؟

والجواب، إننا فى الواقع لا نستطيع أن نفصل بين الأقانيم فصلاً وجودياً أو كيانياً، كما لا نستطيع أن نفصل بينها فصلاً زمانياً.

فلا يمكن أن نقول إن الآب كان فى السماء فقط فى الوقت الذى كان فيه الابن على الأرض فقط، لأن الابن كائن مع الآب ومع الروح القدس فى الجوهر الواحد بغير افتراق وبغير انفصال.

---

(١) وهى ذات التسبحة التى نترنم بها فى أسبوع الآلام، لئلا نحسب المصلوب عنا مجرد إنسان ضعيف مسكين، ولئلا نظن أن الحداد وإشارات السواد التى نجلل بها كنائسنا هى علامات حزن على المسيح!! قال الإنجيل «والكلمة اتخذ جسداً وحل بيننا» (يوحنا ١: ١٤).

ولا يمكن أن نقول إنه فى الوقت الذى كان فيه الابن على الأرض لم يكن الآب معه فى ذات الزمن على الأرض وفى السماء.

وإذا كنا لا نفصل ولا نفرق بين الآب والابن فصلاً وجودياً أو كيانياً، ولا فصلاً زمانياً، لكننا نستطيع أن نميز بين عمل الآب، وعمل الابن، وعمل الروح القدس فى ذات الجوهر الواحد. وهذا هو سر التمايز بين أقانيم ثلاثة وإلا كانوا جميعاً أقنوماً واحداً.

ومع أنه من الصعب أن نجد تشبيهاً فى عالمنا يقرب لنا هذا التمايز بين الأقانيم، لكننا نسوق التشبيه التالى، ولو أن الله ليس له شبه أو مثال. إنما نسوق التشبيه كوسيلة إيضاح تساعد عقولنا القاصرة عن الفهم وعلى تقريب المعانى اللاهوتية العالية عن إدراكنا.

ألا يمكن أن نجد لشخص واحد من بنى البشر أكثر من صفة يتحدث بها أو يتصرف بها؟

فقد يتفق لوزير أن يشغل وزارتين، لكنه لابد أن يميز فى توقيعه على الأوراق بين الصفتين، فلا يوقع على أوراق إحدى الوزارتين إلا بصفته وزيراً لتلك الوزارة فقط.

وقد يتفق لملك أو لرئيس جمهورية بلد من البلاد، أن يجمع بين صفته كرئيس للدولة وبين صفة أو أكثر من الصفات الأخرى، كأن يكون فى نفس الوقت القائد الأعلى للقوات المسلحة، أو رئيساً للوزراء.. وقد يتفق له أيضاً أن تكون له صفة مهنية أخرى كأن يكون طبيباً أو مهندساً أو محامياً .. على أنه يجب دائماً عند توقيع أى قرار أن يوقع عليه بالصفة المعينة التى يتبعها هذا القرار.. وإذا شاء أن يضيف صفته العامة كرئيس الجمهورية، لكن لابد أن يعين الصفة الأخرى التى تبيح له إصدار القرار، ليكون من جهة الاختصاص المعنية.. فيقول مثلاً رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة.. إلخ.

ذاك مجرد تشبيه أو مثل نسوقه لإيضاح ما نحن بصدده من بيان **أن التجسد هو من عمل الأقنوم الثانى بصفته ممثلاً للرحمة الإلهية**. وبهذه الصفة قبل الفداء نائباً عن الإنسان أمام الآب بصفته ممثلاً للعدالة الإلهية.

ومهما يكن من أمر هذا التمايز بين عمل الأقانيم، لكنه تمايز فى العمل والصفة المميزة، ولكنه لا يُعبر بحال ما عن انقسام أو تجزئة بين الأقانيم. فالأقانيم ثلاثة فى إله واحد، بغير إنفصال أو افتراق أو تجزئة أو تقسيم، لأن الله فى كيانه الإلهى وجوهره الواحد وذاته العلية، لا يقبل تجزئة ولا إنقساماً. لأن الله واحد ولا يمكن أن يكون غير إله واحد.

٥٦ ـ عيد الغطاس المجيد. عيد الظهور الإلهى (١)
الله واحد، أحدىّ الذات مثلث الأقانيم والصفات

عيد الغطاس المجيد هو عيد العماد للسيد المسيح، وكان هو بدء خدمته العامة الجهرية، وكان فى سن الثلاثين لميلاده بالجسد، أو للتجسد الإلهى، وهى عند بنى إسرائيل، وغير بنى إسرائيل، سن اكتمال الرجولة النفسية والذهنية والجسدية، أو هى سن الإنسان الكامل.

وفى عيد الغطاس أو العماد أعلن الآب السماوى، بصوت واضح مسموع، أن يسوع الذى غطس وتعمد هو (ابن الله)، (صورة الله الغير المنظور)، بمعنى أن يسوع فى صورة الإنسان هو بذاته الصورة المنظورة لله الذى لا يرى. فيسوع هو (ابن مريم)، وفى نفس الوقت هو (ابن الله). وهو (ابن الله) لا بالمفهوم الجسداني المادى والحسّى كما فى عالم الإنسان والحيوان، ولكن بالمفهوم الروحانى (نور من نور). وشهد الآب السماوى قائلاً: «أنت هو ابنى حبيبى الذى به سررت» (مرقس ١: ١١)، (لوقا ٣: ٢٢)، «هذا هو ابنى حبيبى الذى به سررت» (متى ٣: ١٧).

وقد كان هذا الصوت الإلهى من السماء واضحاً، وعلى مسمع من الجميع، وكان مصحوباً بظواهر حسّية مرئية ومسموعة من يوحنا المعمدان ومن جميع الناس، ومن الكائنات غير المنظورة من الملائكة و الشياطين... قال الإنجيل «وفى تلك الأيام جاء يسوع من الناصرة، بإقليم الجليل إلى يوحنا فى الأردن ليعتمد منه ولكن يوحنا اعترض قائلاً: أنا محتاج أن أنال المعمودية منك وأنت تأتى إلىّ؟! فأجاب يسوع قائلاً: اسمح بهذا الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نتمّ كل بر، ومن ثمّ طاوعه، واعتمد من يوحنا فى الأردن، حتى إذا اعتمد يسوع صعد توا من الماء، وعلى الفور فيما كان صاعداً من الماء رأى السماوات تنشق، قد انفتحت له، ونزل عليه الروح القدس، روح الله، فى صورة جسم يشبه الحمامة ومقبلاً عليه، ويستقر على رأسه. وإذا صوت يجئ من السماء، قائلاً: «أنت هو ابنى حبيبى الذى به سررت..» (متى ٣: ١٣ – ١٧)، (مرقس ١: ٩ – ١١)، (لوقا ٣: ٢١، ٢٢).

هذه الشهادة العلنية بصوت من السماء، بعد أن انشقت السماء وانفتحت ونزل منها الروح القدس، روح الله، بهيئة جسمية مثل حمامة، مقبلاً على يسوع المسيح وهو صاعد من الماء بعد عماده توآ، وصوت الآب السماوى «أنت هو ابنى حبيبى الذى به سررت..» أوضحت حقيقتين عظيمتين:

---

(١) نشر بجريدة وطنى فى عددها الصادر بتاريخ الأحد ٢٦ من يناير كانون ثان لسنة ١٩٨٦م ـ ١٨ من طوبة لسنة ١٧٠٢ش.

الحقيقة الأولى: أن **يسوع بن مريم هو (ابن الله)** بمعنى أنه من طبيعة الله ومن جوهره، وأنه فيه يرى الناس «الله الذى لم يره أحد من الناس قط» (يوحنا ١: ١٨) «ولا يستطيع أن يراه» (١. تيموثيئوس ٦: ١٦).

الحقيقة الثانية: أن الله الواحد فى طبيعته وجوهره وذاته العلية، ذو ثلاثة أقانيم. (فالآب) يشهد عن (الابن). و(الروح القدس) روح الله يظهر فى هيئة جسمية فى شبه حمامة، ويُقبل على الابن المتجسد ويستقر على رأسه.

ولهذا يسمى عيد الغطاس باسم آخر له دلالته، وهو «عيد الظهور الإلهى» (ثيئوفانيا THEOPHANIA) بمعنى أن الله الواحد الأحد أظهر ذاته فى ثلاثة أقانيم بغير انقسام. والأقانيم ليست أجزاء فى الله الواحد، لأن الله لا ينقسم ولا يتجزأ، ولكنه واحد ذو ثلاث خاصيات أو صفات ذاتية تقوم بها ذاته العليّة. وقال آباء الكنيسة (الله أحديّ الذات، مثلّث الأقانيم والصفات).

وصفات الله الذاتية أو أقانيمه هى غير صفاته النسبية.

إن لله صفات نسبية كثيرة، تعد بالعشرات أو المئات وربما أكثر.

إنما **صفاته الذاتية** التى تقوم بها ذاته العليّة **ثلاث:** فهو **(أصل)** الوجود **(الكائن)** بذاته، ولذلك فهو **(الآب)**. و**(الآب)** لفظة سريانية تعنى **(الأصل)**.

والله الواحد هو **(العقل)** الأعظم أبو جميع العقول. ولما كان الله قد تجسد فى المسيح. فالمسيح هو **(الله الكلمة)** لأن الكلمة تجسيد للعقل.. إذ العقل غير منظور، لكنه يظهر ويتجلّى ويتجسد فى الكلمة.. ومع أن الكلمة من العقل لكنها لا تنفصل منه، والعقل لا يسبق الكلمة فى الزمن، والكلمة لا تتخلف عن العقل فى الزمن، لأنه حيثما كان العقل ففيه الكلمة باطنة أو ظاهرة، **هى منه، ومعه، وفيه، ولا تنفصل عنه.**

ولما كان الله قد تجسّد فى المسيح، فالمسيح هو **(الابن)** فى الثالوث. لأنه من طبيعة الله **(الآب)** ومن جوهره. ولأن «من رآه فقد رأى الآب» (يوحنا ١: ١٨)، (١٤: ٩).

و**(الابن)** من **(الآب)** ولكنه لا ينفصل عنه.

مثله مثل أشعة الشمس إلى الشمس ذاتها، منها وفيها ولا تنفصل عنها ثم هى معها منذ وجودها، فحيثما كانت الشمس كانت أشعتها، منها وفيها ومعها بغير انفصال.

وبهذا المعنى قال (المسيح) إنه مرسل من (الآب)، والإرسال هنا ليس من خارج الذات الإلهية كإرسال الأنبياء والرسل، ولكنه كإرسال الشمس لأشعتها، إرسال من الذات وفى الذات. وبهذا المفهوم قال المسيح «الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذى فى حضن الآب (أى فى ذات الآب) هو الذى أخبر عنه» (يوحنا ١: ١٨).

وأما (**الروح القدس**) فهو روح الله، لأن الله (**روح**) لا مادة. وعلى ذلك فالروح القدس ليس جزءاً من الله، لكنه **هو الله الحى بروحه**.

وإذن فالله الواحد هو (**الآب**) وهو (**الكائن بذاته**) وهو (**الآب**) لأنه (**الأصل**) الأول لكل الوجود.. وهو (**العقل**) الأعظم، والناطق (**بكلمته**) فهو (**العقل**) وهو (**الكلمة**) وهو (**الابن**).

والله هو الروح الأعظم وهو لذلك **الحى الأعظم، الحىّ القيوم و(الحى بروحه)**.

فالتثليث المسيحى ليس تثليث ذوات، بل هو تثليث أقانيم. أما الله فواحد أحد. والمسيحيون يجهرون فى قانون الإيمان الذى يرددونه فى صلواتهم الخاصة والعامة بقولهم «**بالحقيقة نؤمن بإله واحد**». وإذ ينطقون البسملة يقولون «**باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد**». فالله (واحد) واسمه واحد. ولذلك يرددون القول (**باسم**) أى أن (الاسم) واحد بالمفرد وهو اسم الله **الواحد الأحدى الذات المثلث الأقانيم والصفات**.

والمسيحيون لا يجدون تعارضاً أو تناقضاً بين قولهم بالله الواحد وبين قولهم بثالوث الأقانيم. فالوحدانية هى من حيث الذات، وأما التثليث فهو من حيث الأقانيم أى الخاصيات والصفات الذاتية التى تقوم بها الذات الإلهية.

وعلى ذلك فالتثليث فى المسيحية يختلف إختلافاً جذرياً وأساسياً عن أى نوع آخر من التثليث قال به الوثنيون. فقد كان قدماء المصريين يقولون بثالوث هو (أزوريس، وايزيس وحوروس). لكن هذا التثليث المصرى القديم هو ثالوث آلهة لا تثليث أقانيم. فأزوريس إله، وإيزيس إلهة، وحوروس إله، فهم ثلاثة آلهة، لكل منهم كيانه وشخصيته مستقلاً عن الآخر. ثم إنّ التثليث المصرى القديم تثليث خلقه التزاوج بين ازوريس وإيزيس، وكان حوروس هو نتيجة التزاوج بين ازوريس وايزيس. فهو تثليث له نظائره فى كل أسرة وعائلة من بين الناس. فالرجل يتزوج بإمرأة، ومنهما يولد ولد هو ثمرة التزاوج بين الرجل والمرأة...

فما أبعد الفرق بين الثالوث القدوس الذى أعلن عن ذاته فى نهر الأردن بمناسبة عماد المسيح أو الغطاس، وبين الثالوث الذى قال به المصريون القدماء فى العهد الوثنى.

وكذلك قل عن أى تثليث آخر من نوع التثليث الذى عرفه المصريون القدماء، أو عند الهنود أو عند العرب فى الجاهلية.

إنه **تثليثنا المسيحى ليس كمثله** شئ.. إنه تثليث أقانيم أو خاصيات أو صفات ذاتية، وليس تثليث آلهة أو ذوات.

فالله واحد ولا يمكن إلا أن يكون واحداً.

قال الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول «لا إله إلاّ واحد. وإن وجد ما يسمّى آلهة فى السماء كان أو على الأرض، ... وأما عندنا، الله واحد الآب الذى منه كان كل شئ ونحن أيضاً به» (١ . كورنثوس ٨: ٤ – ٦).

«وثمت أعمال متنوعة، ولكن **الله واحد**، الذى يعمل الكل فى الكل» (١ . كورنثوس ١٢: ٦).

«**واحد هو الله**، أبو الكل، الذى هو فوق الكل، وبالكل، وفى الكل» (أفسس ٤: ٦).

على أن التثليث المسيحى ليس من ابتكار المسيحيين، بل هو حقيقة أعلنها الله ذاته عن ذاته. وليس للمسيحيين فيها دور أكثر من أنهم قبلوها كإعلان إلهى وآمنوا بها بعد أن أعلنها الله ذاته، مثلها مثل جميع الحقائق الدينية المعلنة فى الكتب المقدسة.

فالإنجيل يتكلم عن **الله الواحد**، ويتكلم عن الآب والابن والروح القدس معلناً ومبيناً أن الآب والابن والروح القدس إله واحد، ويتكلم عن الله الآب، ويتكلم عن الله الابن، ويتكلم عن الله الروح القدس. ويقول عن الآب إنه الله، وعن الابن أو الكلمة أو المسيح إنه الله، وعن الروح القدس إنه الله. وليس هناك نص واحد يقول إن الآب والابن والروح القدس ثلاثة آلهة، كما أنه ليس هناك نص واحد يدل على إنقسام فى الذات الإلهية أو انفصال بين الأقانيم أو تجزئة، أو أن هناك ثلاثة كيانات مستقلة أحدها عن الآخر. وإنما على العكس هناك عشرات النصوص التى تدل دلالة قاطعة على وحدانية الذات الإلهية. ولذلك فإن ترديد المسيح المستمر أنه مرسل من الآب هو لبيان أنه ليس إلهاً بذاته منفصلاً عن الآب، وذلك لكى يطمئن بنى إسرائيل وغير بنى إسرائيل على أنه وإن كان عمل أعمالاً لم يعملها أحد غيره (يوحنا ١٥: ٢٤)، وكان يجرى كل أنواع المعجزات بسلطانه المطلق، ومن دون أن يستمد قوة من خارج ذاته، لكنه مع ذلك كان

حريصاً على بيان أنه **واحد مع الآب** (يوحنا ١٠: ٣٠)، وأن كل ما يصنعه من معجزات **يعمله مع الآب**، وليس منفصلاً عن الآب. وهذا هو معنى قوله «الحق الحق أقول لكم: إن الابن لا يسعه أن يعمل من نفسه شيئاً» (يوحنا ٥: ١٩) أى أن جميع أعماله يعملها مع الآب لأنه على ما قال مراراً «إنى أنا فى أبى، وأبى فىّ» (يوحنا ١٤: ١٠، ١١، ٢٠)، (١٠: ٣٨)، (١٧: ٢١).

نعم، إن التثليث المسيحى ليس اختراعاً بشرياً، إنما هو حقيقة إلهية منزلة من السماء.

قال المسيح لتلاميذه وهو يوصيهم بعد قيامته بنشر دعوته «اذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨: ١٩).

ومن هنا كانت المعمودية المسيحية التى رسمها المسيح بعماده فى نهر الأردن وأمر بها تلاميذه، هى باسم الثالوث القدوس: الآب والابن والروح القدس، ولذلك جرت المعمودية حسب التعليم الإنجيلى والتقليد الرسولى بثلاث غطسات فى جرن المعمودية على اسم الثالوث القدّوس.. ومن ثم حرصت الكنيسة المسيحية على الالتزام بصيغة واحدة للعماد على اسم الثالوث القدوس. أعمّدك (يا فلان) باسم الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس.

وكذلك (البركة الرسولية) يمنحها الرسل، والأساقفة والكهنة من بعدهم، باسم الثالوث القدوس.

يقول الرسول القديس بولس لأهل كورنثوس فى ختام رسالته الثانية إليهم «نعمة **ربنا يسوع المسيح**، ومحبة الله **(الآب)** وشركة **الروح القدس**، **معكم جميعاً آمين**» (١٣: ١٤).

* * *

إن **عيد الغطاس هو عيد تأسيس المعمودية المسيحية** بعماد المسيح بالتغطيس فى نهر الأردن، راسماً بذاته الطريق والمدخل إلى ملكوت السماوات فى الأرض وفى السماء «الحق الحق أقول لك: إن الإنسان ما لم يولد ثانية من فوق لا يمكنه أن يرى ملكوت الله. الحق الحق أقول لك: إن الإنسان ما لم يولد من الماء والروح لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله» (يوحنا ٣: ٣، ٥).

كما أنه هو عيد الظهور الإلهى، فيه أعلن الله بذاته عن ذاته، وأنه الواحد الأحد، وهو الآب والابن والروح القدس، معاً، ثالوث فى واحد، وواحد فى ثالوث، من غير انفصال فى الذات، ثالوث متمايز الصفات، أحدىّ الذات.

٥٧ ـ المسيح هو الله الكلمة

فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة هو الله. كان منذ الأزل لدى الله. كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيئا مما كان. فيه كانت الحياة... كان فى العالم، وكون العالم به... والكلمة اتخذ جسداً، وحل بيننا. (الإنجيل للقديس يوحنا ١: ١- ١٤).

ذاك ما يقوله الإنجيل. لكن فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى يقول عن المسيح له المجد شيئاً آخر، كما جاء فى جريدة (الأخبار) فى عددها الصادر يوم الجمعة ٨ من مايو ١٩٩٢م، يقول فضيلته (سمى عيسى عليه السلام (كلمة) لأنه صدر عن كلمة هى: (كن)!!) مع لفت النظر إلى أن هناك علامتى تعجب!! كما سجلها محرر صفحة مقال الشيخ الشعراوى الذى يصفه المحرر بأنه (إمام الدعاة إلى الله)، وكأنه، كعادة الشيخ الشعراوى، يسخر ويهزأ بعقيدة المسيحيين والنصارى فى المسيح (كلمة الله).

أحقا ما تقول أيها الشيخ الشعراوى؟ إن المسيح (سمى(كلمة) لأنه صدر عن كلمة هى: (كن)!!).

أهذا يكون تفسيرك لما جاء فى القرآن (إنما المسيح عيس ابن مريم رسول الله **وكلمته ألقاها** إلى مريم وروح منه) (١٧١م النساء ٤) وقوله (إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك **بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم** وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين) (٤٥م آل عمران ٣) وقوله (والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها **من روحنا** وجعلناها وابنها آيه للعالمين) (٩١ك الأنبياء ٢١) وقوله (ومريم إبنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه **من روحنا**) (١٢م التحريم ٦٦).

لماذا لم يوصف (إبراهيم) أبو الأنبياء، أو اسحق، أو يعقوب، أو موسى الكليم، أو نوح أو داود.. بهذا الوصف المتميز؟

بل إن آدم نفسه وهو أبو الجنس البشرى كله، وهو أول من خلق الله، لم يصفه القرآن بأنه **(كلمة الله وروح منه)**.

لا أظن أن واحدا من الدعاة أو العلماء القدامى أو المحدثين يوافقكم على هذه المقولة، وهذا التفسير...

وإذا كان حقا ما تقول إن المسيح عيسى سمى كلمة لأنه صدر عن كلمة هى: (كن)!! فقد نزلت بالمسيح له المجد منزلة أى شىء آخر خلقه الله، نباتاً كان أو حيواناً... فإن الله تعالى خلق كل موجود من البهائم والحشرات والهوام حتى الميكروبات بقوله لها (كن).

أيها الشيخ الشعراوى، أتجعل المسيح له المجد مثله مثل الدبيب، وعشب الأرض فتزعم قائلا: (إن المسيح عيس سمى (كلمة) لأنه صدر عن كلمة (كن)!!)

كلا أيها الشيخ الشعراوى، إن المسيح عيسى ابن مريم هو (الله الكلمة بذاته)، لكنه اتّخذ جسداً، وهذا من منطلق حبه ورحمته من أجل الفداء لأنه هو وحده الفادى والمخلص (وليس بأحد غيره الخلاص) (الأعمال ٤: ١٢)

المسيح، أيها الشيخ الشعراوى، هو الله تعالى بذاته، وقد احتجب فى جسد، واستتر فيه، لكنه هو بذاته الله، وقد سمى بالكلمة لأنه به تم الخلق لكل الوجود. **(فى البدء - كان الكلمة، والكلمة هو الله. به كان كل شىء، وبغيره لم يكن شىء مما كان... كان فى العالم، وكون العالم به).**

أيها الشيخ الشعراوى

المسيح لنا نحن المسيحيين والنصارى (هو الذى خلصنا من سلطان الظلمات، الذى نلنا فيه الفداء بدمه، أى غفران الخطايا. **هو صورة الله الذى لا يرى، هو الأول قبل الخلائق كلها. فإنه به خلق كل شىء مما فى السماوات ومما فى الأرض، مايرى ومما لايرى، أأصحاب عرش كانوا أم سيادة أم رئاسة أم سلطان. كل شىء خلق به، وله. وهو كائن قبل كل شىء، وبه يقوم كل شىء، وهو رأس الجسد،** أى رأس الكنيسة. هو البدء، وبكر من قام من بين الأموات، **ليكون له المقام الأول فى كل شىء.** لأن فيه سر الله أن يحل بكل ملئه، وأن يصالح به الجميع مع نفسه، سواء ما فى الأرض أو ما فى السماوات، صانعاً به السلام بدم صليبه) (كولوسى ١: ١٣- ٢٠).

جاء عنه فى الكتاب المقدس **(فإنه منه وبه وله كل شىء له المجد إلى الأبد.** آمين) (رومية ١١: ٣٦)

،وأما عندنا نحن، فليس إلا إله واحد، هو الآب الذى منه كل شىء، ونحن أيضا له، وربنا واحد هو يسوع المسيح الذى به كل شىء. ونحن به كائنون، (١. كورنثوس ٨: ٦).

هو إذن (**الوارث لكل شيء، والذى خلق الكون كله**) (العبرانيين ١: ٢) و (**الكون كله قد برز إلى الوجود بكلمة منه**) (العبرانيين ١١: ٣).

وهذا هو السبب فى أنه سمى الكلمة، لأنه **هو الذى خلق الوجود بالكلمة**. والكلمة ليست لفظاً، **وإنما الكلمة هو الكلمة الفاعل أو الخالق**، لأنه بالكلمة خلق الله الوجود، فهو الخالق. ومن هنا فهو (**الكلمة**)، لذلك قال الإنجيل (**فى البدء كان الكلمة**)و (**كان**) فى هذا النص ليس هو (**كان**) الفعل الماضى الناقص فى لغة العرب، وإنما (**كان**) من فعل (**الكينونة**) ولذلك يقول (فى البدء (**كان**) **الكلمة**). والكلمة فى اللغة اليونانية التى كتب بها الإنجيل هو (اللوغوس). والـلوغوس فى الفلسفة هو (**العقل الإلهى ظاهرا فى الكون**) ويكتبونها فى اللغات الحديثة بالحروف الكبيرة تمييزاً لها عن الكلمة الملفوظة، فيكتبونها بالإنجليزية (The Word) وأما بالفرنسية فيكتبونها Le Verbe (أى فى البدء كان الفعل) أى أن الكلمة فى هذا النص هو (**فعل الخلق لله الخالق**).

ولعلك تعلم أو لا تعلم، أيها الشيخ الشعراوى، أن زرادوشت ZOROASTER زعيم المجوسية ونبيهم الذى ظهر حوالى منتصف القرن السابع قبل الميلاد وتوفى حوالى سنة ٥٨٣ق. م، قد أخبر ذويه بظهور السيد المسيح، وأمرهم بأن يحملوا إليه قرابينهم عند ظهوره، وأنبأهم بأنه فى آخر الزمان يكون أن بكرا تحبل بجنين من غير أن يمسها رجل. (وعند ميلاده يظهر بالنهار كوكب تُرى فى وسطه صورة صبية عذراء. وأنتم ياأولادى ستحسون بظهوره قبل جميع الأمم. فإذا شاهدتم هذا الكوكب، فاذهبوا معه إلى حيث يقودكم، **واسجدوا لذلك المولود**، واحملوا إليه قرابينكم، من الذهب واللبان والمر، **فهو الكلمة مقيم السماء**) وهذا ما كتبه العلامة أبو الفرج مفريان الشرق الشهير بابن العبرى فى كتابه (تاريخ مختصر الدول).

وجاء عن المسيح الكلمة فى سفر الجليان ـ الرؤيا (ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا حصان أبيض يسمى راكبه (الأمين والصادق) الذى يقضى ويحارب بالعدل، وعيناه كلهيب نار، وعلى رأسه أكاليل كثيرة، وقد كتب على جبهته اسم لا يعرفه أحد إلا هو وحده، وهو يرتدى ثوباً مغمساً بالدم (لأنه هو المخلص والفادى الذى قام بعمل الفداء بسفك دمه). **أما اسمه فهو (كلمة الله)** ... واسمه مكتوب على ثوبه وعلى فخده: (**ملك الملوك ورب الأرباب**)، (الجليان ـ الرؤيا ١٩: ١١ – ١٦).

وجاء فى الإنجيل أن أحد تلاميذ المسيح وهو فيلبس سأله قائلا: (يارب، أرنا الآب وكفانا) قال له يسوع: أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى بعد يافيلبس؟ **من رآنى فقد رأى الآب.** فكيف تقول أنت أرنا الآب؟ ألا تؤمن **بأنى أنا فى أبى وأن أبى فىّ... صدقونى أنى فى أبى وأن أبى فىّ...**

وقال أيضا لتلاميذه (لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضا. ومنذ الآن تعرفونه، وقد **رأيتموه)** (يوحنا ١٤: ٧- ١١)

فكيف يقول المسيح لتلاميذه عن الآب السماوى (**وقد رأيتموه**) إلا أن يكون المقصود أنهم يرون الآب السماوى فى المسيح، أى أنه صورة الله الذى لايرى.

وهذا هو السبب فى أن المسيح له المجد سمى (**ابن الله**)، لابمعنى الولادة كماهى فى عالم الإنسان أو الحيوان، حاشا، وإنما لأن المسيح صورة الله الذى لايرى، وقد صار منظوراً فى الأرض بالجسد، ثم لأن كيانه الظاهر على الأرض لم يتخذه من أبٍ من بين الناس، فمن هو إذن أبوه بصفته ظاهرا بين الناس؟ إلا أن يكون **ابن الله** بمعنى أنه الذى نزل من السماء فهو إذن (**ابن الله**) لأنه لم يأت كيانه الجسدانى والإنسانى من أب من بين الناس.

(الذى وهو الكائن فى صورة الله لم يحسب مساواته لله خلسة أو غنيمة له، لكنه تخلى عن مجده، واتّخذ صورة العبد، وصار فى شبه البشر، وظهر بهيئة إنسان. وضع نفسه وأطاع حتى إلى الموت، الموت على الصليب) (**فيلبى ٢ : ٦- ٨**)

(مستحق أنت ياربنا وإلهنا المجد والإجلال والقدرة، **لأنك خلقت الأشياء كلها، وهى بإرادتك كائنة، وقد خلقت**) (الجليان- الرؤيا ٤: ١١)

وأيا كان قولك، أيها الشيخ الشعراوى، فإنك لا تستطيع بتفسيرك أن تهدم عقيدتنا نحن المسيحيين **فى المسيح وأنه هو الله بذاته** (وحقاً عظيم هو سر التقوى، الله ظهر فى الجسد) (١. تيموثيوس ٣: ١٦)، وأنه استتر فى جسد إنسان، **وظهر بهيئة إنسان** من أجل الخلاص والفداء، وذلك من منطلق محبته للناس ورحمته بهم، ولكنه أيضا لن تكون رحمته على حساب عدالته وحكمه الذى أوقعه على آدم بالموت، فمات آدم وكل بنى آدم، لأنهم ورثوا منه وصمة الخطيئة بالتوالد (من أجل ذلك، كما أن الخطيئة دخلت فى العالم بإنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، هكذا سرى الموت إلى جميع الناس، لأنهم جميعاً خطئوا فيه) (رومية ٥: ١٢).

ألا ليتك، أيها الشيخ الشعراوى، تقصر همك على شرح الإسلام للمسلمين، أما المسيحيون والنصارى فإذا كانوا فى نظرك أغبياء وكفاراً، لكنك (لست عليهم بمسيطر).

إن المتشددين، وأنت إمامهم، يحملون تعاليمك، ويلتزمون بها، ويزعمون لذواتهم الحق الإلهى فى أن يحكموا بالعنف والقتل من يخالفهم رأيهم.

إننا نسألك، أيها الشيخ الشعراوى، أن ترحم مصر والمصريين من نظرتك المتشددة التى خلقت وتخلق الفتنة الطائفية، والتى يعلم الله وحده ما أحدثته من شرخ فى وحدتنا الوطنية، ونتائجها البعيدة المدى فى حاضر مصر ومستقبلها.

٥٨ ـ دراسة بعض معجزات المسيح

مقدمة عامة

ماهى المعجزة.

هى فعل يستثير الإعجاب، لأنه فى غير مقدور الإنسان أن يصفه. وبعبارة أخرى، لأن البشر عموما يعجزون عن صنعه، فلذلك يسمى بالمعجزة.

وفيما يلى سترى أمثله من معجزات أجراها سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح وهى تدل على سلطانه المطلق وقدرته على كل شىء وهى دليل على لاهوته.

ونريد هنا أن نقرر بعض الحقائق الهامة التى يجب أن تتأملها وتعيها فى فكرك وقلبك.

أولا ـ أن المسيح له المجد لم يصنع معجزة واحدة لنفسه. أنه صنع معجزات جميعها للآخرين. أما هو فصنع ما له من قدرة لكنه أخضع نفسه لقوانين الطبيعة وأحكام الشريعة فى كل شىء، فعندما صام أربعين يوما وأربعين ليلة وجاع أخيراً، تقدم إليه إبليس المجرب وقال له: إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا. (متى ٤ : ٣) فلم يشأ سيدنا أن يصنع من الحجارة خبزا ليأكله.

وعندما أراد هيرودس الملك أن يقتل المسيح وهو طفل صغير، كان المسيح فى مقدوره أن يميت هيرودس ولكنه لم يفعل، وصنع ما يجب أن يصنعه من يهرب من الشر، فهرب ليلاً مع أمه ويوسف الصديق وأتى إلى أرض مصر، وتحمل متاعب كثيرة كان يمكنه أن يتجنبها بأعمال معجزية ولكنه لم يفعل.

وهكذا ضرب وأهين وصلب وعانى كل صنوف الآلام كاملة ولم يتدخل بسلطان لاهوته ليصنع معجزات يخفف بها آلامه، أو يوقف بها شر صالبيه والمتآمرين عليه.

ثانيا ـ أن المسيح له المجد صنع معجزاته جميعها للخير وإشفاقاً على البشر ورحمة بهم.

أنه لم يصنع معجزة ليستثير بها إعجاب الناس كما يفعل الحواة حتى ينال مدحا من الناس أو شكرا أو تهليلاً أو كسبا ماديا أو أدبيا أو منفعة من أى نوع. كل معجزاته هى أعمال رحمة وإشفاق بالإنسانية المعذبة. إنها أفعال خير للخير فى ذاته ومع ذلك فإن أمثال هذه المعجزات أفعال عجيبة تدل على سلطان فاعلها وقدرته وبرهان على ألوهيته.

ثالثا ـ هناك فرق كبير وحاسم بين معجزات السيد المسيح ومعجزات عبيده من الأنبياء والرسل.

لقد صنع الأنبياء معجزات وكذلك فعل رسل المسيح «شفوا مرضى، أخرجوا شياطين، أقاموا موتى لكنهم صنعوا ما صنعوا باسم المسيح، وصلوا لله يطلبون قوة، ويسألون معونة، فاستجاب الله صلواتهم».

أما المسيح له المجد فصنع المعجزات من دون أن يطلب قوة من خارج ذاته، كان يشفى المرضى ويخرج الشياطين ويقيم الموتى ويسيطر على الطبيعة بقدرته وسلطانه، وكانت منه تخرج القوة لصنع المعجزات، وهذا دليل على قدرة ذاتية فى شخصه المبارك وبرهان أيضا على أن فيه يحل كل ملء اللاهوت.

* * *

١ ـ معجزة تهدئة البحر وإسكات العاصفة:

هذه معجزة ذات دلالة كبيرة على سلطان المسيح له المجد على الطبيعة غير الناطقة. وقد ورد خبر هذه المعجزة فى (إنجيل متى ٨: ١٨، ٢٣)، (إنجيل مرقس ٤: ٢٥ – ٤١)، (إنجيل لوقا ٨: ٢٢ – ٢٥).

قال سيدنا لتلاميذه «وكان الوقت مساء لنعبر إلى عبر البحيرة ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه فأقلعوا وفيما هم سائرون نام. فنزل نوء ريح عظيمة فى البحيرة. وإذا اضطراب عظيم قد حدث فى البحر، فكانت الأمواج تضرب السفينة حتى غطتها وصارت تمتلىء ماء. وصاروا فى خطر. وكان هو فى المؤخرة على وسادة نائما. فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين ياسيد نجنا فإننا نهلك. يامعلم يامعلم، أما يهمك أننا نهلك.

فقال لهم ما بالكم خائفين يا قليلى الإيمان. ثم قام وانتهر الرياح والبحر وقال للبحر اسكت. ابكم. فسكتت الرياح وصار هدوء عظيم.

فخافوا خوفا عظيما، وتعجبوا قائلين بعضهم لبعض: من هو هذا؟ أى إنسان هذا، فأنه يأمر الرياح أيضا والماء، وهى جميعا تطيعه.

* * *

هذه هى المعجزة العظيمة. الطبيعة تثور، نوء عظيم يصير فى البحر والأمواج تضرب السفينة، وتدخل المياة السفينة حتى امتلأت السفينة بالماء فصار التلاميذ فى خطر محقق. والمسيح مع ذلك نائم على وسادة ليعطى التلاميذ فرصة يظهر فيها إيمانهم ساعة الضيق وهو بعيد عنهم ظاهريا. فلما يتحققون من خيبتهم وفشلهم يلجأون إليه يستغثون به وبقدرته، فينهض وينتهر الريح والبحر. بل ويكلم البحر بسلطان. ويقول للبحر اسكت. ابكم. فيطيعه الريح والبحر، فتسكن الريح ويصمت البحر، ويصير فى الحال هدوء عظيم.

وهنا نلاحظ أن المسيح لم يصلِ ولم يطلب قوة لإسكات العاصفة وتهدئة البحر ولكنه كلم البحر والريح كأشياء خاضعة لسلطانه فصدعت لأمره، حتى تعجب التلاميذ وكل الذين كانوا فى السفينة وقالوا من هو هذا، أى إنسان هذا. وهذه عبارات التعجب والذهول عند قوم يدركون أنه لم يحدث من قبل أن إنسانا يأمر البحر والريح فيطيعانه. لذلك خافوه كإله، وأيقنوا أن له سلطانا عجيبا على كل الطبيعة لا يمكن أن يتوافر لإنسان، وهذا برهان لاهوته ودليل على أنه الله الظاهر فى الجسد.

* * *

٢ ـ معجزة شفاء بارتيماوس الأعمى:

(إنجيل القديس مرقس ١٠: ٤٦- ٥٢)، (متى ٢٠: ٢٩- ٣٤)، (لوقا ١٨: ٣٥- ٤٣)

وكما أظهر مخلصنا سلطانه على الطبيعة، كذلك أظهر أيضا سلطانه على شفاء أمراض البشر جميعها، بما فيها العاهات المستعصية. فلقد رد البصر إلى العميان وفتح أذان الصم، وأنطق ألسنة الخرس، فضلا عن أنه طهر البرص، ومنح الشفاء للمشلولين، شللا جزئيا أو كليا، وكل هذا بسلطان عجيب وقدرة من ذاته لم يستمدها من قوة خارجة عنه.

ومن بين هذه المعجزات. معجزة شفائه لبارتيماوس الأعمى ابن تيماوس. كان الرب يسوع المسيح داخلا بلدة تسمى أريحا، وكان يصحبه كما هو فى الحال دائما ـ تلاميذه وجمع غفير. وكان الرجل بارتيماوس الأعمى جالسا كعادته على الطريق يمد يده ويطلب رحمة من كل من يمر بالطريق، فسمع ضجة الجموع الغفيرة من الناس سائرين حول مخلصنا فسأل ما هذا؟ فأخبروه بأن «يسوع الناصرى عابر»، ولا بد أنه سمع من إناس كثيرين عن سيدنا وقدراته العجيبة فائقة الطبيعة وكيف أنه شفى كثيرين من المرضى وأصحاب العاهات ففرح لأن الفرصة حانت له لينال هو أيضا الشفاء من عماه، فلما سمع بأنه يسوع الناصرى ابتدأ يصرخ ويقول «يايسوع ابن داود، ارحمنى، فزجره كثيرين ليسكت فازداد صراخا: يا ابن داود ارحمنى. فوقف يسوع وأمر أن يدعوه. فدعوا الأعمى قائلين له: ثق وانهض فإنه يدعوك. فطرح رداءه ونهض، وجاء إلى يسوع، ولما اقترب (الأعمى) سأله (يسوع) قائلا. ماذا تريد أن أصنع لك فقال له الأعمى ياسيدى أن أبصر «فتحنن يسوع ولمس عينيه، وقال له أبصر، إن إيمانك قد شفاك وفى الحال أبصر وتبعه فى الطريق وهو يمجد الله. وجميع الشعب الذين رأوه سبحوا الله»

وفى قصة هذه المعجزة نلاحظ.

أولا ـ أن بارتيماوس الأعمى عندما علم أن مخلص العالم عابر أراد أن ينتهز الفرصة المواتية ليطلب منه أن يشفيه من عماه. وبقدر ما كان الناس يزجرونه وينتهرونه ويأمرونه بالسكوت ازداد هو صراخا وهو يقول: يايسوع ابن داود ارحمنى وهذا معناه أن بارتيماوس كان يعرف سابقا عن ربنا يسوع المسيح وقدرته الفائقة على الشفاء ولابد أنه سمع قصصا كثيرة من هذا القبيل. ولولا ذلك لما كان يصرخ بإيمان ويطلب من المسيح أن يرحمه.

ثانيا ـ أن مخلصنا أصغى لصوت الأعمى وصراخه على الرغم من إلتفاف الجماهير من حوله وهذا يدل على إهتمامه بكل أحد. أنه لا ينسى الفرد فى زحمة الجموع، بل يصغى لكل صوت من كل أحد لأنه أبونا وراعينا الأكبر، ونحن شعبه وغنم رعيته. والراعى الصالح يعرف خاصته بأسمائها، ويهتم بها ويبذل نفسه عنها.

ثالثا ـ أن مخلصنا طلب أن يُقَدّم له الأعمى، ونهض الرجل فعلا عندما دعوه لمقابلة السيد. ومن فرحه ترك رداءه وقام مسرعا، فلما اقترب إلى المسيح سأله ماذا تريد أن أصنع لك ولا بد أن الرب يعلم مسألة الأعمى وطلبه ولكنه بهذا السؤال مهد له أن يفصح عن هذا الطلب، ويحدده، وهذا إمتحان للنفس في رغبتها التى تسألها. والله دائما يسر بنا أن نسأله إحتياجاتنا مع أنه يعلمها علما سابقا، لكنه يريدنا أن نفصح عن إحتياجاتنا أمامه حتى تكون لنا فرصة لفحص هذه الطلبات. فإذا نلناها عرفنا أيضا مسئوليتنا بإزاء ما طلبناه لأننا طلبناه بذواتنا ولم يقهرنا أحد على الطلب أو السؤال.

رابعا ـ أفصح الأعمى عن طلبه وقال: أريد، ياسيدى أن أبصر فتحنن يسوع ولمس عينيه وقال له أبصر. هذا الحنان يرينا أن المسيح رحيم وينظر إلينا كأب. ولكنه أعظم من الأب فى حنانه وأقوى من الأب فى قدرته.

خامسا ـ إن وسيله شفاء الأعمى كانت بسيطة ولكنها عجيبة. لمس عينيه وقال له: أبصر. كم من مره لمس الأعمى عينيه ولم يبصر، وكم من مره لمسه آخرون، ولم يبصر، لكن المسيح عندما لمس عينيه وقال له: أبصر. فأبصر فى الحال. وهذا يبين قدرة المسيح له المجد وسلطانه المطلق على الشفاء أنه لم يُصلِ كما يصلى الأنبياء والرسل لكى يطلب قوة ومعونة. ولكنه لمس ثم أمر. فمنه خرجت قوة للشفاء. وهذا برهان لاهوته ،وأنه هو فعلا الله الظاهر فى الجسد.

٣ ـ معجزة شفاء الأبرص:

(إنجيل القديس متى ٨: ٢- ٤)، (مرقس ١: ٤٠- ٤٥)، (لوقا ٥: ١٢- ١٦)

١- كان البرص من الأمراض المستحيلة الشفاء. ولما كان من الأمراض المعدية أيضا. فقد كانت الشريعة فى العهد القديم تمنع السليم أن يختلط بالأبرص أو حتى أن يقترب إليه أو يمسه. فإذا مسه صار نجسا مثله. لذلك كان يطلب من الأبرص إذا سار فى الطريق أن ينادى عن نفسه قائلا: (أنا) نجس، وذلك حتى لا يقترب إليه أحد ولا يمسه وإلا صار نجسا هو أيضا نظير الأبرص.

فإذا كان إنسان أبرص فلا يعينه أحد، لأنه لا يمكنه أن يقترب إليه أو يمسه حتى إمرأته وأولاده إذا كان متزوجا، أو حتى أبوه وأمه وإخوته لا يستطعون أن يقتربوا إليه أو يمسوه. ومعنى هذا أن الأبرص يظل بائسا يائسا مهملا من كل أحد.

٢- وقد أظهر مخلصنا يسوع المسيح قدرته على شفاء هذا المرض المستعصى على الشفاء وسلطانه على تطهير المصاب به منه، كما أظهر فى نفس الوقت حنانه على البرص، بشفائهم منه. وقد طهر السيد المسيح برصا كثيرين وشفاهم بلمسة من يده وكلمة من فمه حتى قال الوحى المقدس فى وقت ظهور المسيح وصنعه للعجائب والمعجزات «أن العمى يبصرون والعرج يمشون، والبرص يطهرون» (متى ١١: ٥)، (لوقا ٧: ٢٢).

ومن بين معجزاته الكثيرة بالنسبة لمرضى البرص، المعجزة التالية:

«وإذا رجل مغطى بالبرص، فلما رأى يسوع خر على وجهه وسجد له وسأله قائلا يارب إن شئت فأنت قادر أن تطهرنى. فتحنن عليه يسوع. ومد يده، ولمسه، وقال له. قد شئت فاطهر. وفيما هو يكلمه للوقت ذهب عنه البرص وطهر، فانتهره وصرفه سريعا. وقال له: انظر لا تقل لأحد. ولكن امض فأرى نفسك للكاهن، وقدم عن تطهيرك القربان الذى أمر به موسى شهادة لهم. إلا أنه لما خرج جعل ينادى كثيرا ويذيع الخبر فازداد خبره شيوعا حتى أنه لم يعد يستطيع أن يدخل مدينة علانية، فبقى فى الخارج فى مواضع مقفرة. وكان الناس يأتونه من كل جهة ليسمعوه ...».

٣- مع أن الرجل كان مغطى بالبرص أى كان جسمه مملوءا برصا، وكان من المستحيل شفاؤه بالوسائل الطبية الطبيعية لكن المسيح له المجد شفاه بلمسة من يده وكلمة من فمه وهذا

يدل على قدرة رب المجد وسلطانه على جميع الأمراض، لأنه إن كان يشفى البرص فهو يشفى أيضا سائر الأمراض الأخرى، إذ أن البرص من الأمراض المستعصية ولا سيما فى الأزمنة القديمة.

٤- أظهر الأبرص تعبدا وخضوعا وإيمانا بالمسيح، فلما رأى يسوع خر على وجهه وسجد له وسأله قائلا: يارب إن شئت تقدر أن تطهرنى، فهو مؤمن بقدرة المسيح على تطهيره وآمن بأن شفاءه موقوف على مشيئة المسيح. أما قدرته على الشفاء فلا شك فيها مطلقا ونظرا لهذا التعبد والخضوع والإيمان، منحه مخلصنا الشفاء مكافأة له وتقديرا لأدبه وخضوعه وإيمانه.

٥- عندما خر الأبرص على وجهه وسجد للمسيح الرب، وسأله بإيمانه قائلا «يارب، إن شئت فأنت قادر أن تطهرنى، تحنن عليه الرب وأشفق عليه كأب». وهذا يرينا مشاعر مخلصنا نحو المرضى والمتألمين والمبلوين والمتعبين روحيا أو نفسيا أو جسديا. ولكن لكى ينالوا الخلاص من متاعبهم يلزمهم أن يأتوا إلى المسيح الرب ويخروا بوجوههم أمامه ويسجدوا له ويعترفوا بألوهيته، ويقولوا له. يارب إن شئت تقدر أن تخلصنى.

٦- إن المسيح له المجد لمس الأبرص على الرغم من أن هذه اللمسة معدية وخطرة بالنسبة للإنسان العادى. أما المسيح فهو الطبيب الشافى. أنه لا يفزع من المرض ولا يخشاه، ولكن المرض هو الذى يفزع من المسيح ويخشاه، بل يهرب من أمامه.

٧- إن مخلصنا لم يُصَلِّ لكى يشفى المريض الأبرص كما يفعل الأنبياء ورجال الدين وإنما مد يده ولمس الأبرص ثم قال له قد شئت فأطهر. فالشفاء إذن قد تم له بالأمر، فلم يتوسل المسيح إلى قوة أخرى خارجا عنه، ذلك لأن فيه هو القوة وله القوة والمجد والسلطان إلى الأبد.

٨- شفى الرب الأبرص، ومع ذلك أمره أن يذهب ويرى نفسه للكاهن ويقدم القربان لله. ومعنى هذا إن صلة الإنسان بالله توجب عليه بأمر من الله أن يذهب إلى الكاهن ويعترف له بخطاياه، ويكاشفه بكل ما يحدث له. لأن الكاهن هو خادم الله ووكيل أسرار الله، المؤتمن على خدمة النفوس ورعايتها وتدبيرها. وعلى الخاطىء التائب أن يستشير الكاهن فى كل ما يلزم حتى تكون توبته مقبولة. وعليه أن يطيع الكاهن وينفذ بدقة وأمانة كل ما يأمر به الكاهن من صلوات وأصوام وأعمال صالحة.

٤ ـ معجزة شفاء الأعمى منذ ولادته:

(إنجيل القديس يوحنا ٩: ١ – ٤١)

وهذه أيضا معجزة أخرى من معجزات السيد المسيح الشفائية والتى تدل على سلطانه الإلهى المطلق على الشفاء.

هى أيضا معجزة شفاء أعمى لكنه أعمى منذ ولادته. ولقد شفى المسيح عميانا كثيرين، ومنهم بارتيماوس الأعمى، الذى كان يجلس على الطريق فى أريحا يستعطى. وأهمية المعجزة التى نتكلم عنها فى هذا الفصل هى فى أن الرجل الأعمى الذى شفاه المخلص كان أعمى منذ ولادته. ومعنى هذا أنه ليس كالعميان الذين أصيبوا بالعمى وهم كبار أو صغار بسبب مرض أصاب عيونهم بعد ولادتهم، بل أنه ولد فاقدا نهائيا لحاسة البصر. وكان له من العمر عندما شفاه المسيح نحو أربعين سنة وهذا يضاعف من إستحالة الشفاء بأية وسيلة طبيعية وفى نفس الوقت يظهر قيمة المعجزة. ويقول بعض العلماء والآباء أن هذا الرجل الأعمى لم تكن له عينان أصلا، وأن المسيح خلق له عينين خلقا.

وتظهر عظمة المعجزة أيضا فى الوسيلة التى تمت بها. لقد رأينا أن المسيح شفى بارتيماوس الأعمى بأن لمس عينيه ثم قال له. أبصر، فأبصر فى الحال. أما بالنسبة إلى المولود الأعمى فاتبع وسيلة أخرى جديدة. أنه تفل على التراب، وصنع من تفلته طينا، وطلى بالطين عينى الأعمى. وقال له: اذهب واغتسل فى بركة سلوام،... فمضى واغتسل وعاد بصيرا. وفى هذا يظهر المسيح له المجد على إنه خالق، خلق للأعمى عينين لأنه لم تكن له عينان. وقد صنع فى هذا الخلق ما صنعه الله فى بدء الخليقة يوم خلق آدم. فإن الرب الإله جبل الإنسان ترابا من الأرض، ونفخ فى أنفه نسمة حياة، (سفر التكوين ٢: ٧). ومن هنا نفهم أن المسيح له المجد شفى المولود الأعمى بهذه الوسيلة ليبرهن على أنه هو الله الخالق بعينه، وقد لبس جسدا وحل فيما بيننا.

وهنا نلاحظ أيضا أن المسيح الرب لم يُصَلِّ ليطلب قوة لهذه المعجزة، ولم يسأل أحدا آخر فى عمل هذه المعجزة كما يفعل الأنبياء والرسل. ولكنه صنع صنيع الخالق ذاته. تفل على التراب وصنع من تفلته طينا، وطلى بالطين عينى الأعمى، وقال له اذهب واغتسل فى بركة سلوام،... فمضى واغتسل وعاد بصيرا.

على أن هذه المعجزة أحدثت أثرا عجيبا لم يسبق إليه من قبل سواء فى نفس الأعمى الذى أبصر، أو فى نفوس الناس الذين رأوا الأعمى قبل أن يبصر ورأوه بعد أن أبصر.

أما الأعمى نفسه فكان منذهلا من هول المعجزة وغرابتها وقد قال لليهود الذين سألوه «لم يسمع منذ الدهر أن أحدا فتح عينى من ولد أعمى».

وأما اليهود الأخرون الذين رأوا الأعمى قبل أن يبصر ورأوه بعد أن أبصر، فكانت دهشتهم تفوق التصور، فلم يقرأوا من قبل ولا سمعوا بتاتا عن أحد ما كائنا من كان أنه فتح عينى إنسان ولد أعمى. إنها معجزة لم تصنع من قبل. ولذلك جاءوا يسألون الأعمى ليتحققوا منه خبر المعجزة وسألوه، كيف انفتحت عيناك؟ أجاب وقال: هذا الرجل الذى يقال له يسوع صنع طينا وطلى به عينى، وقال له اذهب إلى بركة سلوام واغتسل، فمضيت واغتسلت فأبصرت وسألوه مرة أخرى من شدة دهشتهم «كيف أبصر. فقال لهم جعل على عينى طينا ثم اغتسلت فأبصرت» ثم سألوه مرة ثالثة بعد ذلك «فقالوا له ماذا صنع بك، وكيف فتح عينيك؟ فأجابهم الرجل بما صنع الرب له».

ولقد ذاع صيت هذه المعجزة فى كل أنحاء البلاد حتى أنه لما مات لعازر قال بعضهم أما كان يقدر هذا الذى فتح عينى الأعمى أن يجعل هذا أيضا لا يموت (إنجيل القديس يوحنا ١١: ٣٧) وهذا معناه أنهم أدركوا أن الذى يصنع هذه المعجزة العجيبة، معجزة شفاء أعمى منذ ولادته، يقدر أيضا أن يقيم لعازر من بين الأموات بعد موته ودفنه فى القبر بأربعة أيام وفى هذه المعجزة كما فى تلك يظهر واضحا سلطان سيدنا وقدرة لاهوته، ويبين أيضا أن كل شىء مستطاع لديه وأنه لا يعسر عليه أمر.

وأخيرا فإن الرجل الأعمى الذى أبصر مع أنه قال لليهود صراحة، لم يسمع منذ الدهر أن أحدا فتح عينى من ولد أعمى، لكنه عندما سألوه، ماذا تقول أنت عن الذى فتح عينيك فقال لهم: أنه نبى. لكن لم يحدث بتاتا فى كل التاريخ أن نبيا استطاع أن يفتح عينى مولود أعمى. لذلك أشفق مخلصنا على هذا الرجل وأراد أن يرفع إيمانه به ويعرفه بحقيقته: فلقيه وقال له أتؤمن أنت بابن الله. فأجاب وقال. ومن هو ياسيد لأومن به، فقال له يسوع: قد رأيته وهو الذى يكلمك. فقال له: قد آمنت يارب، وسجد له أى أن الرجل ارتقى إيمانه بالمسيح من كونه نبيا إلى كونه ابن الله بمعنى أنه من طبع الله ومن جوهره. وبناء على ذلك سجد له سجود العبادة كما يسجد لله. والمسيح له المجد لم يرفض سجود الرجل بل قبله منه لأنه جدير به كخالق وقادر على كل شىء.

٥ ـ معجزة شفاء المفلوج (أو المخلع) :

هل تعرف من هو المفلوج؟ أو هل سبق لك أن رأيت إنسانا مفلوجا؟

المفلوج هو المشلول، العاجز عن تحريك أعضاء جسده. وأحيانا يكون الشلل جزئيا، وأحيانا يكون كليا. أما الشلل الجزئى فهو شلل يصيب بعض الأعضاء كاليد أو الرجل أو الإثنين معا، وقد يصيب نصف الوجه أو إحدى العينين أو اللسان بحيث يكون العضو المصاب بالشلل يابسا وعاجزا عن الحركة. وأما الشلل الكلى فهو ما يصيب الجسم كله بحيث يمسى الإنسان عاجزا عجزا تاما عن تحريك كل أعضائه.

ولقد شفى سيدنا كثيرين من المصابين بالشلل الجزئى أو الشلل الكلى ممن عجز الأطباء عن معالجتهم، وممن ظلوا تحت وطأة المرض سنين كثيرة.

وفيما يلى نذكر معجزتين بارزتين عن شفاء إثنين من المصابين بالشلل الكلى أو الشلل التام لمدة طويلة. ولم يستطع الطب حيالهما شيئا.

أ ـ معجزة شفاء مفلوج كفر ناحوم:

(إنجيل القديس متى ٩: ١ – ٨)، (مرقس ٣: ١ – ١٢)، (لوقا ٥: ١٧ – ٢٦)

أما المعجزة الأولى فوقعت فى بيت من بيوت مدينة كفر ناحوم بالأراضى المقدسة. وكان مخلصنا فى هذا البيت يعظ ويعلم. فلوقت اجتمع هناك كثيرون حتى لم يعد يسع البيت ولا ما حول الباب. فكان (يسوع) يخاطبهم بالكلمة. وإذا برجال أربعة يحملون على فراش إنسانا مخلعا وكانوا يحاولون أن يدخلوا به ويضعونه قدامه. ولما لم يجدوا من أين يدخلون به لسبب الجمع صعدوا به على السطح وكشفوا السقف حيث كان يسوع وبعد ما نقبوه دلوا السرير الذى كان عليه المخلع مضطجعا عليه فى الوسط قدام يسوع. فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمخلع. ثق يابنى مغفورة لك خطاياك وكان قوم من الكتبة والفريسيين جالسين هناك يفكرون فى قلوبهم قائلين. ما بال هذا يتكلم هكذا بتجاديف فمن يقدر أن يغفر خطايا إلا الله الواحد وحده. فلوقت علم يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا فى أنفسهم. فقال لهم: لماذا تفكرون بهذا الشر فى قلوبكم، أيما أيسر أن يقال للمخلع مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال قم واحمل سريرك وامشى. ولكن لكى تعلموا أن ابن الإنسان له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا. حينئذ قال للمخلع: أما أنت فلك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك ففى الحال قام قدامهم وحمل السرير الذى كان

مضطجعا عليه، وخرج أمام الجميع ومضى إلى بيته وهو يمجد الله. فلما رأى الجموع ذلك تعجبوا ومجدوا الله، وامتلأوا خوفا قائلين لم نر أحدا مثل هذا قط، إنا قد رأينا اليوم عجائب.

وهنا نلاحظ بالنسبة لهذه المعجزة الأولى.

أولا - أن المخلع كان مصابا بشلل كلى وكان مضطجعا على سرير ولم يكن قادرا على أن يمشى أو يتحرك، فحمله أربعة رجال بناء على طلبه. وقصدوا إلى البيت الذى كان فيه مخلص العالم يطلبون شفاء مريضهم. وهذا يعطينا صورة لهذا المرض الخبيث وما يصنعه فى المصاب به بحيث يمسى عاجزا تماما عن الحركة.

ثانيا - كان الرجال الأربعة ذوى مروءة لأنهم حملوا هذا المريض على سرير ولما وجدوا صعوبة فى الوصول إلى الرب يسوع بسبب ازدحام الناس فى البيت وما حوله لم يتراجعوا عن قصدهم الصالح، بل أن إهتمامهم بشفاء مريضهم أملى عليهم أن يلجأوا إلى وسيلة عجيبة تدل على شدة إلحاحهم على شفاء المريض وهى أنهم صعدوا إلى سطح المنزل، وكشفوا سقف الموضع الذى كان الرب يعلم فيه، ودلوا المريض بسريره وأنزلوه فى الوسط قدام السيد المسيح.

فبرهنوا بذلك على إهتمامهم بالمريض وشدة رغبتهم فى شفائه وعلى قوة عزيمتهم أمام الصعوبات كما برهنوا على عمق إيمانهم بمخلصنا وبقدرته على الشفاء.

ثالثا - إن إيمانهم كان موضع رضى سيدنا وتقديره. ولذلك فإنه شفى المريض نظرا لإيمانهم فكان إيمانهم هم شفيعا فى المريض لأنه بسببهم نال المريض الشفاء ولم يقل الكتاب فلما رأى يسوع إيمانه، وإنما قال: «فلما رأى يسوع إيمانهم». أى أن إيمان الرجال الأربعة كان شفيعا فى المريض سواء مع إيمان المريض أو بدونه وكم من مرة يصيبنا خير، أو ننجو من شر، بشفاعة بعض القديسين وبتوسلاتهم وبركاتهم.

رابعا - أن السيد شفى المخلع بكلمة الأمر وحدها. قال للمفلوج «أما أنت فلك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك». فلم يتوسل بالصلوات، بل أصدر أمره إلى المريض بسلطان واقتدار ففى الحال قام المريض المشلول شللا تاما كاملا، وقام أمام جميع الناس الحاضرين فى ذلك الوقت. ولم يقم فى ضعف أو تخاذل كما يقوم أى مريض بعد إيقاظه من مرضه بل قام قويا شديدا قادرا لاعلى حمل نفسه فقط وإنما أيضاً على حمل الأثقال فحمل سريره الذى جاء مضطجعا عليه، وخرج قدام جميع الناس ومضى إلى بيته وهو يمجد الله، إن أمر المسيح له

المجد للمشلول المخلع شبيه بأمر الله فى الخليقة الأولى كان يقول للشيء كن فيكون. وهذا دليل على لاهوت المسيح، واقتداره على كل شيء.

خامسا - إن هذه المعجزة صنعها المسيح له المجد ليس حنانا بالرجل فقط، وإنما إظهارا أيضا لسلطانه على مغفرة الخطايا. وهذا برهان آخر على لاهوت سيدنا، لأنه من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله الواحد وحده، وقد أكد الرب يسوع أن له هذا السلطان على مغفرة الخطايا فقال: إن ابن الإنسان له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا وأما ابن الإنسان فهو السيد المسيح لأنه هو كلمة الله تجسد ولبس صورة إنسان فصار بذلك ابن الإنسان ونحن نعلم أنه صار ابن مريم.

سادسا - إن الذين شاهدوا المعجزة تحيروا وتعجبوا وامتلأوا خوفا ومجدوا الله. وشهدوا بأنهم لم يروا أحدا مثل هذا قط من قبل. فالشفاء تم فى الحال. ثم كان شفاءً كاملا بصورة مذهلة، لأن الرجل لم يشف فقط بل أنه دخل وهو محمول وخرج وهو حامل السرير الذى كان مضطجعا عليه مشلولا شللا كاملا ثم أن الشفاء تم بكلمة من فم المسيح بكلمة الأمر الذى أصدره من فيه، وهذا كله لا يمكن أن يصنعه غير الله نفسه. فلم يسبق لهم أن رأوا أو سمعوا عن نبى يشفى بهذا السلطان ومن دون أن يطلب قوة من خارج ذاته.

إن هذه المعجزة تدل على رحمة الله بالمريض وتحننه عليه وعلى أمثاله كما تدل فى نفس الوقت على سلطانه فى غفران الخطايا وفى شفاء الأمراض المستعصية...

ب - معجزة شفاء مفلوج بركة بيت حسدا:

(إنجيل القديس يوحنا ٥: ١- ١٥)

أما المعجزة البارزة الثانية بالنسبة إلى مرض الفالج أو الشلل فهى معجزة شفاء مفلوج بركة بيت حسدا الواردة فى الأصحاح الخامس من إنجيل القديس يوحنا.

كان مطروحا على هذه البركة بين أروقتها الخمسة عدد غفيرمن مرضى بأمراض مختلفة كالعمى والعرج ويبوسة الأعضاء. وكانوا جميعا ينتظرون تحريك الماء بفعل ملاك كان ينزل أحيانا فى البركة، فمن كان ينزل أولا بعد تحريك الماء كان يبرأ من أى مرض اعتراه، وكان بينهم مريض بالشلل التام أزمن مرضه جدا لأنه كان له ثمانية وثلاثون عاما، هذا رآه يسوع مضطجعا، وعلم أنه قضى زمانا كثيرا. فقال له أتريد أن تبرأ. أجاب المريض ياسيد. ليس لى إنسان حتى إذا تحرك الماء يلقينى فى البركة، فبينما أنا آت ينزل قدامى آخر قال له يسوع قم،

احمل سريرك وامش فللوقت برىء الإنسان وحمل سريره ومشى.

وهنا نلاحظ بالنسبة لهذه المعجزة الثانية.

أولا ـ أن المريض كان مشلولا شللا تاما وكليا بدليل أنه كان مطروحا على البركة ومع ذلك لم يكن قادرا على أن يتحرك فيلقى نفسه فى البركة، متى نزل الملاك وحرك الماء فى البركة، وهذا دليل شدة مرض الفالج.

ثانيا ـ أن المريض قضى ثمانية وثلاثين عاما يعانى مرض الفالج، ولم يتماثل إلى الشفاء بل كان فى أشد حالات العجز حتى عن أن يرمى بنفسه إلى البركة مع أنه كان مطروحا على حافتها وهذا دليل آخر على استفحال المرض، وعلى أنه بسبب طول المدة أمسى مريضا مستحيل الشفاء بالوسائل الطبية العادية.

ثالثا ـ أن الطبيب الحقيقى يسوع المسيح عندما تقدم ليشفى هذا المخلع لم يُصلِّ كما يفعل الأنبياء والرسل من بنى البشر وإنما بكل قوة وسلطان أصدر أمره إليه قائلا: «قم احمل سريرك وامشى» وهذا هو الأسلوب الذى اتبعه المخلص دائما فى كل معجزاته لأن له سلطاناً على كل أحد، وعلى كل شىء. ولأن قوة كانت تخرج منه للشفاء.

رابعا ـ لقد أطاع المرض أمر المسيح له المجد، فترك المرضُ المريض. فشفى المريض فى الحال دون إبطاء. وفضلا عن ذلك قام المشلول كزميله مفلوج كفر ناحوم فحمل سريره ومشى وهذا كله برهان قوة المعجزة، وأن الشفاء كان حقيقيا وشاملا وكاملا، وأن الرجل قد تحول من مشلول عاجز عن أيه حركة قليلة إلى رجل قوى قادر على حمل الأثقال لأنه حمل سريره مسافة طويلة من بركة بيت حسدا إلى بيته.

خامسا ـ أن سيدنا هو الذى تقدم نحو المريض المشلول ليشفيه ومع ذلك سأله. هل تريد أن تبرأ؟ وبهذا مهد له الطريق ليسأل الشفاء بلسانه، لأن الله لا يشاء أن يقهر أحدا على أمر لا يرضاه. فقال الرجل بمرارة ليس لى إنسان حتى إذا تحرك الماء يلقينى فى البركة. فبينما أنا آت ينزل قدامى آخر. وهذا إعتراف مر لا يشرف الناس. وفى نفس الوقت نجد أن القصة ذاتها بينة على حنان المسيح ورأفته. وكما يقول النبى «أبى وأمى قد تركانى وأما الرب فقبلنى» فإذا رأيت مريضا وجب عليك أن تساعده وتخدمه وتعمل على راحته وأن تقربه إلى المسيح، أو على الأقل أن تصلى من أجله لكى يرحمه الرب ويشفيه ويغفر له خطاياه.

٥٩ ـ المسيح حسب الجسد هو رب داود
وهو الله بذاته وقد اتَّخذ جسداً

سؤال: من الابنة ماريانا اميل مترى ـ مصر الجديدة.

جاء فى الإنجيل «ثم أجاب يسوع وقال وهو يُعلِّم فى الهيكل، كيف يقول الكتبة إن المسيح ابن داود، لأن داود نفسه قال بالروح القدس قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك، فداود نفسه يدعوه ربا، فمن أين هو ابنه» (مرقس ١٢: ٣٥- ٣٧) فكيف يقول الله للمسيح، والله هو المسيح؟

الجواب:

إذا سأل المسيح له المجد سؤالاً، فلكى يثير من يسأله، حتى يفكر التفكير الذى يقوده إلى الجواب، وهو خير منهج للتعليم، وما أكثر المواقف التى نرى المسيح له المجد يثير السؤال، ليحمل المسئول فردا أو جماعة على أن يكتشفوا الجواب بأنفسهم فلا تكون الإجابة مفروضة عليهم.

قال الإنجيل «وفيما كان يسوع يُعلِّم فى الهيكل قال: كيف يقول الكتبة إن المسيح هو ابن داود». فى حين أن داود نفسه يقول بالروح القدس. قال «الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك تحت قدميك. فداود نفسه يقول عنه إنه الرب، فكيف يكون ابنه؟» (مرقس ١٢: ٣٥- ٣٧)، (متى ٢٢: ٤١- ٤٥)، (لوقا ٢٠: ٤١- ٤٤).

وحقاً إن النبى داود قال فى المزمور «قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك تحت قدميك» (مزمور ١٠٩ (١١٠): ١).

أما أن المسيح هو ابن داود، فلأن المسيح وهو الله الظاهر فى الجسد اتَّخذ جسدا من مريم العذراء، ومريم تنتسب إلى بيت داود، وكذلك يوسف النجار خطيبها كان يوصف بأنه يوسف بن داود (متى ١: ٢٠).

لذلك دعى وسمى يسوع المسيح حسب الجسد بأنه **(ابن داود)** (متى ١: ١)، (٩: ٢٧)، (١٢: ٢٣)، (١٥: ٢٢)، (٢٠: ٣٠، ٣١)، (٢١: ٩، ١٥)، (٢٢: ٤٢)، (مرقس ١٠: ٤٧، ٤٨)، (لوقا ١٨: ٣٨، ٣٩).

أما من حيث **لاهوته فهو ابن الله** (متى ١٦ : ١٦)، (١٤ : ٣٣)، (مرقس ١ : ١)، (لوقا ٣ : ٣٨)، (يوحنا ١ : ٣٤)، (٩ : ٣٥).

وإذن فقول النبى داود فى المزمور «قال الرب لربى: اجلس عن يمينى» يشير إلى حقيقة عودة المسيح له المجد إلى السماء التى منها نزل، فبعد أن تمم عمل الفداء، صعد فى اليوم الأربعين لقيامته المجيدة، وجلس على العرش.

(فالرب) فى قول داود بروح النبوءة، «قال **الرب**» هو الله الآب السماوى، وأما **(ربى)** فى قول داود «قال الرب لربى»، فهو الله ذاته وقد اتّخذ جسدا، وهو المسيح له المجد الذى سمى **(ابن داود حسب الجسد)**.

والنص كله هو لبيان دعوة المسيح إلى السماء فى يوم صعوده فى يوم الأربعين لقيامته المجيدة بعد أن تمم عمل الفداء، فعاد إلى السماء التى منها نزل، «ودخل إلى حيث مجده» (لوقا ٢٤ : ٢٦) ثم استوى على العرش فى السماء، وجلس عن يمين الله (مرقس ١٦ : ١٩).

٦٠ ـ جسد المسيح محدود
أما بهاء اللاهوت المتحد به
فيملأ السماوات والأرض وكل الكون

الابن العزيز هانى زاهر سعيد ـ المنشية الجديدة ـ شبرا الخيمة.

سلام ونعمه وبركة من ربنا يسوع المسيح.

ردا على خطابكم، وفى الوقت نفسه، ماهو تعليقنا على إجابتكم لسؤال أحد الدارسين فى اجتماع إعداد الخدام بأن (جسد المسيح فادينا له المجد محدود، لكن إمكانيات جسد المسيح غير محدودة لأن طبيعة السيد المسيح المتجسد طبيعة غير محدودة، لأنه هو الله، الله المتجسد)

نقول إن إجابتكم صحيحة وسليمة.

ذلك أن جسد المسيح فادينا هو (**محدود**) **من حيث كيانه المادى، فى الطول والعرض، والقامة، ومحدود فى (الزمان) فقد تكوّن بحلول الروح القدس، على العذراء الطاهرة القديسة مريم، ليصوغ من دمها جسداً ليكون للاهوت ستاراً وحجاباً**، حتى لا تحترق العذراء مريم ولايحترق الناس جميعا بحلول اللاهوت فى كامل بهائه فى الأرض فإن (إلهنا نار آكلة) (العبرانيين ١٢ : ٢٩)، (من منا يسكن فى نار آكلة. من منا يسكن فى وقائد أبدية) (إشعياء ٣٣ : ١٤).

وهو ما أجاب به الملاك جبرائيل على سؤال العذراء الطاهرة مريم عندما أعلنها بالحمل الإلهى فى أحشائها (كيف يكون لى هذا وأنا لا أعرف رجلاً؟) (لوقا ١ : ٣٤) فأجابها الملاك وقال لها: (إن روح القدس سيحل عليك وقوة العلى ستظللك، ولذلك فإن **القدوس** الذى سيولد منك يدعى ابن الله) (لوقا ١ : ٣٥).

وإذن (لما حان ملء الزمان)، و (تم الزمان) (غلاطية ٤ : ٤) للفداء والخلاص، اتّخذ الله الكلمة جسداً (يوحنا ١ : ١٤).

ولما كانت المرأة التى اتّخذ الله جسده منها، عذراء بكراً لم تعرف رجلاً، فكيف يتكون الجسد من غير زرع رجل؟، لذلك كان لابد من حلول للروح القدس على مريم وفيها، ليصوغ من دمها الجسد الذى يكون للاهوت عندما يحل فيها، ستاراً وحجاباً حتى لا تحترق العذراء مريم بنار اللاهوت.

وإذن كان لابد للجسد أن يتكون عند حلول الكلمة فى أحشاء مريم، وهذا ما أعلنه الوحى الإلهى بقوله بلسان الكلمة الأزلى (لذلك يقول المسيح **عند دخوله العالم..... أعددت لى جسداً**) (العبرانيين ١٠: ٥)، (٢: ١٤)، (٥: ٧)، (١. بطرس ٢: ٢٤).

فالجسد الذى أعده الروح القدس، هو الجسد الذى (ظهر) به المسيح (بهيئة إنسان) (فيلبى ٢: ٨)، (وحقاً عظيم هو سر التقوى، الله ظهر فى الجسد) (١. تيموثيوس ٣: ١٦).

على أن هذا **الجسد الذى اتّخذه الله الكلمة، ولئن كان محدودا فى الزمان والمكان، ومحدوداً فى الطول والعرض والقامة، لكنه بحلول الله الكلمة فيه، صار جسداً ملتهباً بالنور والنار**، على أنه باتحاد اللاهوت به لم يفقد خصائصه وصفاته، الجسدانية. مثله مثل الجمر فى المجمرة، الفحم متحد بالنار، وبهذا الاتحاد يجمع الجمر بين خصائص الفحم من حيث الكتلة والحجم والوزن والشكل، وخصائص النار من حيث الإضاءة والإحراق والتوهج، هو اتحاد بغير اختلاط، ولا امتزاج، ولا تغيير.

على **أن جسد المسيح كان مع ذلك يستر بهاء لاهوته المتحد به، وكان المسيح بقدرة لاهوته يتحكم فى قدر البهاء الذى يسمح بإظهاره وفقا لحكمته وتدبيره.**

فلما صعد على جبل التجلى قبيل آلامه سمح بومضة من ومضات لاهوته أن تشرق منه، فأضاء وجهه كالشمس فى اشتدادها وصارت ثيابه متألقة بالنور، وبيضاء كالثلج (متى ١٧: ١- ٣)، (مرقس ٩: ١- ٣)، (لوقا ١٩: ٢٨- ٣٠).

فلما صعد إلى السماء لم يعد فى حاجة إلى أن يستر بهاء لاهوته، فرآه شاول الذى هو بولس وكان ذلك فى منتصف النهار، ووجهه وكل جسده يشع بالنور بلمعان أكثر من الشمس وهى فى اشتدادها فغشيت عينا شاول أو بولس، وأمسى أعمى حتى أمسك به المرافقون له وقادوه بيده ليدخل إلى دمشق (أعمال ٩: ٣- ٩)، (٢٢: ٦- ١١)، (٢٦: ١٢، ١٣).

ولما ظهر المسيح له المجد للقديس يوحنا الرسول، وهو فى جزيرة بطمس، رآه فى بهاء عظيم، حتى سقط يوحنا عند رجلى المسيح له المجد كميت، مع أنه رآه على جبل التجلى، مما يدل على أن المسيح له المجد سمح أن يظهر فى جزيرة بطمس ببهاء أعظم مما ظهر به على جبل التجلى (الجليان - الرؤيا ١: ٩- ١٨).

وقول القديس يوحنا عن المسيح له المجد (وقعت عند قدميه) (الرؤيا ١ :١٧) ثم (وضع يده اليمنى علىّ) (الرؤيا ١ : ١٧) يدل على أن المسيح صعد إلى السماء بذات جسده وهو الآن جالس بجسده على العرش، لكن هذا الجسد، على الرغم من أنه محدود فى طوله وعرضه وقامته، لكن البهاء يخترق جسده، ويخرج منه، كما يخترق نور الشمس زجاج النافذة وهى مغلقة، أو كما يخترق نور المصباح الكهربائى زجاج المصباح وينفذ منه إلى خارج المصباح وينتشر فى الوجود الخارجى كله.

والخلاصة إن جسد المسيح محدود فى تكونه عند التجسد، محدود فى المكان والزمان، وفى الطول والعرض والقامة، ولكن اتحاد اللاهوت به وحلوله فيه صير الجسد المحدود غير محدود فى إمكاناته وقدراته وامتدادات البهاء الإلهى الذى يملأ السماوات والأرض، والكون كله، وما وراء الكون، إذ هو الله الذى اتّخذ الجسد ستارا يحجب بهاء لاهوته حتى يتمم عمل الفداء والخلاص للإنسان.

٦١ ـ فى المسيح اتحد اللاهوت بالناسوت وناسوته من جسد وروح إنسانية (١)

سؤال: من الابن بطرس كامل.

يقول ـ لقد جاء فى الإنجيل عن السيد المسيح أنه على الصليب (أسلم الروح) (متى ٢٧ : ٥)، (مرقس ١٥ : ٣٧)، (لوقا ٢٣ : ٤٦)، فأين ذهبت روح السيد المسيح؟، وهل معنى ذلك أن اللاهوت فارق الناسوت؟

الجواب:

الروح التى أسلمها المسيح مخلصنا، وهو على الصليب، هى الروح الإنسانية فى المسيح.

فالمسيح له المجد إله وإنسان، وقد اتحد فيه اللاهوت والناسوت اتحاداً كاملاً بغير اختلاط ولا امتزاج ولاتغيير، فى طبيعة واحدة لها خصائص اللاهوت والناسوت معاً، مثله مثل الجمر فى المجمرة اتحد فيه الفحم بالنار، اتحادا بغير انفصال يجمع بين خصائص الفحم من حيث الحجم والكتلة والصلابة، وخصائص النار من حيث الإضاءة والتوهج.

ولما كان المسيح له المجد قد نزل من السماء من أجل عمل الفداء، فكان لابد من أن يحتمل حكم الموت بدلاً من الإنسان لكى يفدى الإنسان ويرفع بموته حكم الموت عن الإنسان.

ولما كان للمسيح له المجد إنسانية كاملة، وإنسانيته أو ناسوته يجمع نظير كل إنسان ـ بين روح وجسد. فالموت الذى اقتبله على الصليب من أجل مهمة الفداء والخلاص، كان طبيعيا أن يتم بمفارقة الروح للجسد، على أن الروح التى فارقت الجسد على الصليب هى الروح الإنسانية. أما اللاهوت فلم يفارق لا الجسد، ولا الروح لحظة واحدة أو طرفة عين.

مرة أخرى نريد أن نؤكد على أن المسيح له المجد كانت له روح إنسانية، مثلنا، والروح الإنسانية هى طبعا غير اللاهوت.

وهذا هو التعليم الأرثوذكسى الذى قرره المجمع المسكونى الثانى المنعقد فى القسطنطينية فى عام ٣٨١م ضداً لبدعة أبوليناريوس الذى أنكر أن تكون للمسيح روح إنسانية وزعم أن اللاهوت حل محل الروح، فحرمه المجمع المسكونى. وقال آباء المجمع إنه كان لابد أن يكون للمسيح الإله روح إنسانية لأن الفداء هو للإنسان كله، والإنسان روح وجسد معاً. ولذلك جاء فى القداس

---

(١) كتب فى ١٠ من فبراير لسنة ١٩٩٣م / ٣ من أمشير لسنة ١٧٠٩ ش.

الإلهى قوله (تجسد **وتأنس**) والتأنس معناه أن المسيح الإله اتّخذ طبيعة الإنسان كله من روح وجسد معاً، وليس مجرد جسد فقط.

لذلك فإن الروح التى أسلمها المسيح على الصليب هى روحه الإنسانية. أما اللاهوت فلم يفارق الروح أو الجسد.

ومثلنا فى ذلك مثل حبة ذات فلقتين فى داخل كوب ممتلىء بالماء. فإذا فصلنا بين الفلقتين فى داخل كوب الماء، فقد باعدنا بين الفلقتين شرقا وغربا أو شمالا وجنوبا، ولكن دون أن نرفع إحداهما عن الماء فى الكوب. هكذا فى موت المسيح فارقت الروح الجسد فى محيط اللاهوت المالىء السماوات والأرض، أى أن اللاهوت لم يفارق الجسد، ولم يفارق الروح الإنسانية، وإنما المفارقة تمت بين الروح الإنسانية والجسد، اللذين يتركب منهما الناسوت الذى لم يفارقه اللاهوت لحظة واحدة أو طرفة عين.

هذه المفارقة بين الروح الإنسانية فى المسيح وبين جسده كان لابد منها لتحقيق الموت، الذى كان لابد منه أيضا لتحقيق الفداء والخلاص للإنسان.

ومع ذلك، فإن هذه المفارقة بين الروح الإنسانية فى المسيح وبين جسده، كانت لوقت محدود عادت بعده الروح والجسد إلى الاتحاد معاً كما كان الحال قبل الموت الآنىّ، وهو ما يقرره نص القداس الإلهى كما جاء فيما يعرف بالقسمة السريانية.

(هكذا بالحقيقة تألم كلمة الله بالجسد، وذبح وانحنى بالصليب، **وانفصلت نفسه من جسده، إذ أن لاهوته لم ينفصل قط، لا من نفسه، ولا من جسده**)...

ثم **أتت نفسه واتحدت بجسده**... واحد هو عمانوئيل، وغير مفترق من بعد الاتحاد، وغير منقسم إلى طبيعتين.

لذلك عندما نزل المسيح له المجد من القبر إلى العالم السفلى واقتحم الجحيم، وأخرج آدم والقديسين الذين كانوا ينتظرون الخلاص نزل إلى العالم السفلى بلاهوته وكامل ناسوته روحا وجسدا، (إنه نزل أولا إلى أسافل الأرض، فهذا الذى نزل هو نفسه الذى صعد إلى ما فوق السماوات كلها، ليملأ كل شىء) (أفسس ٤: ٩، ١٠).

لذلك جاء بالقداس الإلهى قوله (ونزل إلى الجحيم) أى أنه نزل إلى العالم السفلى، وأخرج المنتظرين الخلاص ودخل بهم إلى الفردوس الذى كان مغلقاً منذ أن سقط آدم وحواء فى الخطيئة الأولى، وفقا لوعده للص اليمين (إنك اليوم تكون معى فى الفردوس) (لوقا ٢٣: ٤٣) وهو (سبت الفرح) (يوحنا ٨: ٥٦).

٦٢ ـ للمسيح من حيث هو إنسان روح إنسانية

سؤال: من الابن مجدى عزيز ـ القاهرة.

يقول إن السيد المسيح له المجد أخذ صورة إنسان كامل، جسداً وروحاً ونفساً. وعندما قال يا أبتاه فى يديك استودع روحى، فهل تلك الروح التى ذكرها المسيح هى الروح القدس أم هى روح إنسانية شأنها شأن كل أرواح القديسين التى فارقت أجسادهم إلى الفردوس؟ وإن كانت روحاً إنسانية فهل معنى هذا أن للسيد المسيح روحين، الروح القدس والروح الإنسانية مثل أرواح القديسين؟

الجواب:

إن السيد المسيح اتّخذ إنسانية كاملة، والإنسانية تتألف من روح ومن جسد، هذه الروح الإنسانية هى التى قال عنها على الصليب «يا أبتاه فى يديك استودع روحى» (لوقا ٢٣: ٤٦)، ولما كان المسيح له المجد جاء لخلاص الإنسان فكان لابد أن يتخذ جسداً به روح ناطقة عاقلة، فالإنسانية بالروح والجسد معاً. واعلم أن أبوليناريوس APOLLINARIUS (٣١٠-٣٩٠) م قد وقع فى خطأ عندما ظن أن اللاهوت حل محل الروح الإنسانية فى المسيح، وقد رفض الآباء فى مجمع القسطنطينية المسكونى سنة ٣٨١م بدعة أبوليناريوس وأعلنوا أنه قد سقط فى بدعة أثيمة وهرطقة مرفوضة، ولذلك أعلنوا فى قانون الإيمان هذا التعبير (تجسد وتأنس) وذلك إيضاحاً لحقيقة كمال ناسوت المسيح **بالروح والجسد معاً**. ثم صار هذا التعبير منصوصاً عليه فى القداس (**تجسد وتأنس**).

هذه الروح الإنسانية فى المسيح هى فيه بصفته الإنسانية. أما الروح القدس فهو مع الآب والابن فى الوحدة الثالوثية منذ الأزل وإلى الأبد.

وقال آباء الكنيسة فى الرد على أبوليناريوس واستنكاراً لبدعته، مادام المسيح قد جاء لخلاص الإنسان. فكان لابد أن تكون معه روح إنسانية وإلا كانت إنسانية المسيح ناقصة. فالمسيح بتأنسه اتّخذ جسداً بروح ناطقة عاقلة.

هذه الروح الإنسانية فى المسيح هى غير الروح القدس الكائن معه منذ الأزل وإلى الأبد فى لاهوته.

هذه الروح الإنسانية فى المسيح هى التى ذكر عنها الإنجيل أن المسيح أسلمها على الصليب (متى ٢٧ : ٥٠)، (مرقس ١٥ : ٣٧)، (لوقا ٢٣ : ٤٦).

قال الإنجيل عن المسيح له المجد فى طفولته «وكان الطفل ينمو **ويتقوى بالروح** ممتلئاً حكمة» (لوقا ٢ : ٤).

وجاء عنه وهو على قبر لعازر عندما جاءت إليه مريم أخت لعازر باكية فلما رآها يسوع تبكى، ورأى اليهود الذين جاءوا معها أيضاً يبكون «**تألم بالروح واضطرب**» (يوحنا ١١ : ٣٣).

كذلك جاء عن المسيح له المجد بعد أن غسل أرجل تلاميذه فى ليلة آلامه أنه «**اضطرب بالروح** وصرخ قائلاً: الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيُسلمنى» (يوحنا ١٣ : ٢١).

انظر أيضاً (متى ٢٦ : ٣٨)، (مرقس ١٤ : ٣٤)، (يوحنا ١٢ : ٢٧).

٦٣ ـ لماذا نزل إلى الجحيم

سؤال: من أحد القراء.

يُذكر فى القداس الإلهى «ونزل إلى الجحيم من قبل الصليب، فما المقصود من قوله «ونزل إلى الجحيم، وهل نزل السيد المسيح إلى الجحيم فعلاً؟

الجواب:

إن الذى ورد عن المسيح له المجد فى القداس الإلهى من أنه نزل إلى الجحيم، تعليم جاء فى الكتاب المقدس فى أكثر من موضع.

فقد ورد فى رسالة القديس بطرس الأولى قوله:

«فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكى يقربنا إلى الله، مماتاً فى الجسد، ولكن محيى فى الروح، الذى فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن، (١ . بطرس ٣: ١٨، ١٩).

وواضح من هذا النص أن المسيح له المجد بعد أن صلب من أجل خطايانا، وتألم من أجل خلاصنا، ولكى يزيل العداوة بيننا وبين العدل الإلهى، مضى بعد موته على الصليب، وبشر الأرواح المحبوسة فى الجحيم، والتى كانت تنتظر العتق والخلاص من عبودية الجحيم، وهى أرواح القديسين من القدماء الذين انتقلوا إلى العالم السفلى ولم يستطعوا أن يدخلوا إلى الفردوس، إذ كان الفردوس مغلقاً فى وجه جميع الناس بعد أن سقط آدم أبوهم فى الخطيئة، فطرده الرب من الفردوس ولم يقدر لا هو، ولا أحد من نسله أن يقترب إلى الفردوس (التكوين ٣: ٢٣، ٢٤)، (حزقيال ٣١: ١١).

ومعنى قوله «مماتاً فى الجسد، ولكن محيى فى الروح، أن المسيح نزل إلى الجحيم ليبشر الموتى من القديسين، بالخلاص الذى حققه بموته على الصليب.

لقد نزل المسيح إلى الجحيم بعد موته. وموت المسيح معناه انفصال بين عنصرى ناسوته: الروح والجسد، مع استمرار اتحاد كل منهما باللاهوت. فاللاهوت لا يموت. ولذلك نردد دائماً فى القداس قولنا «قدوس الله قدوس القوى، قدوس (الحى) الذى لا يموت... يا من صلب عنا ارحمنا...، فالذى مات على الصليب ليس هو اللاهوت، وإنما موت المسيح معناه انفصال جسده

من روحه الإنسانية، وهو ما عبر عنه الإنجيل بقوله «وأسلم الروح» (متى ٢٧ : ٥٠)، (مرقس ١٥ :٣٧)، (لوقا ٢٣ : ٤٦)، (يوحنا ١٩ : ٣٠).

إذن قبل أن ينزل المسيح إلى الجحيم ليبشر الموتى من القديسين، كان قد مات بالمعنى الذى شرحناه، لكنه فيما كان ميتاً كان حياً أيضاً «محيى فى الروح» ذلك لأن روحه الإنسانية التى خرجت من جسده كانت فى نفس الوقت متحدة بلاهوته، ولم تنفصل عن اللاهوت، وهكذا مضت الروح متحده باللاهوت إلى عالم الأرواح لتبشرهم بالخلاص وبالعتق وبالفداء.

ولم يبشرهم المسيح بالخلاص فقط بل إنه نقلهم إلى الفردوس، نقل آدم وبنيه من القديسين إلى الفردوس الذى كان مغلقاً قبلاً فى وجوههم، ففتحه المسيح بصلبه وموته، وبعمل الفداء الذى تممه. ولهذا أصبح الصليب مفتاح الفردوس. وبهذا تحقق وعد المسيح على الصليب إلى ديماس اللص اليمين عندما قال له «الحق أقول لك أنك اليوم تكون معى فى الفردوس» (لوقا ٢٣ : ٤٣).

وجاء أيضاً فى رسالة القديس بطرس الرسول الأولى قوله:

«فإنه لأجل هذا بشر الموتى أيضاً، لكى يدانوا حسب الناس بالجسد، ليحيوا حسب الله بالروح» (١. بطرس ٤ : ٦).

فهنا فى هذا النص أيضاً، يؤيد الرسول القديس بطرس ما سبق أن قاله عن تبشير الموتى من سكان العالم السفلى. وهذه البشرى هى بشرى الخلاص الذى تممه المسيح على الصليب، فداء عنهم وعن جميع الناس. ولما كانوا فى الجحيم مغلقاً عليهم فيه، فكان نزول المسيح إليهم هو البشرى التى بشرهم بها، والتى ترتب عليها إنتقالهم من الجحيم إلى الفردوس الذى كانوا يترقبونه ولم يكن ممكناً لهم أن يدخلوا إليه، من غير المسيح الفادى.

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى كنيسة أفسس:

«لذلك يقول، إذ صعد إلى العلاء، سبى سبياً، وأعطى الناس عطايا. وأما أنه صعد فما هو إلا أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى. الذى نزل هو الذى صعد أيضاً فوق جميع السماوات، لكى يملأ الكل» (أفسس ٤ : ٨-١٠).

المسيح إذن نزل أولاً إلى أقسام الأرض السفلى، إلى العالم السفلى بأقسامه ومستوياته متدرجة من سافلها إلى أسفلها، وذلك كان بعد موته على الصليب. وإذ نزل إلى هناك بشر الموتى من القديسين، ففرحوا به، وانضموا تحت لوائه، فصاروا مسبيين وتابعين له، فقد عتقهم من أسر

إبليس والجحيم، وإذ صعد إلى الفردوس، إلى السماء الثالثة (٢ . كورنثوس ١٢ : ٢ ، ٣) نقلهم معه، وأدخلهم إلى الفردوس. أما هو فبعد أن أدخلهم إلى الفردوس إلى السماء الثالثة، صعد بمفرده إلى سماء السماوات واستوى على العرش حيث لا يستطيع أحد من الناس أن يدخل قبل يوم الحساب العظيم.

«وسماء السماوات» هي عرش الله ذاته.

(التثنية ١٠ : ١٤)، (١ . الملوك ٨ : ٢٧)، (نحميا ٩ : ٦)، (مزمور ٦٧ : ٣٣)، (١٤٧ : ٤).

وهي أيضاً ما عبر عنه الكتاب المقدس بأنها «فوق جميع السماوات» (أفسس ٤ : ١٠) (العبرانيين ٤ : ١٤)، (٧ : ٢٦).

وهي أيضاً دعاها بأنها «السماء بعينها» (العبرانيين ٩ : ٢٣ ، ٢٤).

وبالإضافة إلى ما جاء بالقداس الباسيلي «نزل إلى الجحيم عن طريق الصليب» فقد جاء أيضاً في القداس الغريغوري قوله

«أعطيت إطلاقاً لمن قبض عليهم في الجحيم».

وجاء في قسمة القداس التي تتلى في عيد القيامة والخمسين قوله: «مخلصنا يسوع المسيح، الذي بواسطة صليبه، **نزل إلى الجحيم**، ورد آبانا آدم وبنيه إلى الفردوس».

ثم يقول:

«المسيح... بالموت داس الموت، والذين في القبور أنعم عليهم بالحياة الأبدية.

وجاء أيضاً في قسمة الابن التي تقال للقيامة «أيها المسيح إلهنا... هذا هو الذي **نزل إلى الجحيم**، وأبطل عزة الموت، وسبى سبياً، وأعطى الناس كرامات... ورفع قديسيه إلى العلى معه...».

وجاء في صلاة القسمة التي تقال في قداس سبت الفرح.

«يا يسوع المسيح ذا الاسم المخلِّص، الذي بكثرة رحمته، **نزل إلى الجحيم** وأبطل عزة الموت.

ويقول القديس أثناسيوس الرسولى:

«وأشرق نوره فى الجحيم بسرعة، ونزل ربنا الجحيم بروحه لا بجسده. فقلق الجحيم واضطرب من أساساته.

...بروحه نزل إلى الجحيم وشفى الذين هناك، وسبى الجحيم، وسبى كل الخليقة. وجسده أقام الموتى الذين على الأرض، ونفسه حلت الأنفس التى فى الجحيم. وتلك الساعة التى كان جسد الرب على الصليب فيها، انفتحت القبور وأبصره بوابو الجحيم، فهربوا، وتحطمت الأبواب النحاس، وانكسرت المتاريس الحديد، وحملت نفسه المقدسة أنفس الأبرار التى فى الجحيم» (عن كتاب اعترافات الآباء).

وجاء فى مديح القيامة الذى يرتل فى ليلة عيد القيامة «وسحقت قوة الموت أيها المخلِّص، وأقمت آدم معك، وعتقته من الجحيم».

وجاء فى تذاكية الأحد التى تقال من عيد القيامة لغاية آخر شهر هاتور.

«مضيت إلى الجحيم، واصعدت إلى السبى من ذلك المكان».

وجاء فى ابصالية آدام للقيامة التى تقال على الهوس الأول:

«وأيضاً ذهب إلى أسافل الأرض، فى الجحيم، برحمته، وكسر تماما المتاريس الحديدية وأخرج مختاريه بغير خزى... حينئذ حملهم معه إلى العلو فى مواضع راحته بفرح وتهليل».

وجاء فى ابصالية آدام للقيامة، وتقال على الهوس الرابع «فليفرح الآن أبونا آدم وليفتخر ابراهيم... أبواب الجحيم سحقها من أساساتها التى صنعها... وخلّصت المسبيين من يد المغتصب المضاد».

وجاء فى ابصالية آدم للقيامة وتقال ثانى يوم للقيامة (أى يوم شم النسيم):

«المسيح إلهنا قام من بين الأموات لكى يخلّص الراقدين. كل الذين ماتوا ذهبوا إلى الجحيم، فخلصهم ونجاهم ابن الله.

«جنس البشر والصديقون حملهم محب البشر إلى الفردوس. المسيح الرب قام من بين الأموات، وخلص المسبيين الذين رقدوا...وأبواب الجحيم والمتاريس الحديد سحقها ابن الله الذى رفع على السحاب».

... سمعوا صوته فدخل إليهم، وأبطل أنينهم وخلصهم... **كل الأنفس التى كانت فى وسط الجحيم سنين عدة، خلصها ابن الله.**

وجاء فى ابصالية واطس للقيامة التى تقال على الأحد الجديد لتوما.

«كل أعين الأنبياء كانت تراقبه مع الأبرار ورؤساء الآباء، لكى يحملهم إلى النعيم. «لأنه هو خلاصنا. **خلص الذين أرضوه من الجحيم المخيف**، وحملهم معه إلى العلا.

«كل الأنفس المربوطة فى الجحيم السفلى فككتها بقوتك أيها الإله الرؤوف».

٦٤ ـ نزل المسيح إلى العالم السفلى
ونقل الأبرار إلى الفردوس (١)

سؤال: من الابن ب. س. ب ـ القاهرة.

يقول: تعترف كنيستنا الأرثوذكسية بأن جميع الذين رقدوا قبل المسيح له المجد ذهبوا إلى الجحيم، أى مكان الانتظار، (لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة) ـ ولكن السيد المسيح ذكر فى مثل الغنى ولعازر كما جاء فى الإنجيل للقديس لوقا والأصحاح السادس عشر، أن الغنى كان معذباً فى اللهيب بينما أن لعازر كان فى حضن إبراهيم وبينهم هوة قد أثبتت فلا أحد يستطيع العبور من وإلى الآخر، فكيف ظهر موسى وإيليا معه على الجبل، كما أنه يرد فى القداس الإلهى عن المسيح له المجد أنه رد آدم وبنيه إلى الفردوس.

الجواب:

نعم، إن جميع الذين ماتوا قبل مجىء المسيح له المجد، نزلت أرواحهم إلى الجحيم أو إلى العالم السفلى. والجحيم هو غير جهنم. فجهنم هى البحيرة المتقدة بالنار والكبريت (الرؤيا ١٩: ٢٠)، (٢٠: ١٠) والتى لم تفتح بعد، ولكنها ستفتح بعد يوم الدينونة والحساب، وإنما قال عنها المسيح له المجد إنها (النار الأبدية المعدّة لإبليس وملائكته) (متى ٢٥: ٤١).

أما الجحيم فهو مقر الأرواح غير السعيد تهبط إليه الأرواح فى باطن الأرض (متى ١٦: ١٨)، (لوقا ١٦: ٢٣)، (متى ١١: ٢٣).

وقد هبطت إليه فى القديم أرواح جميع الناس بما فيهم قديسو العهد القديم قبل مجىء المسيح وقبل قيامه بعمل الفداء. ولقد ذكر الكتاب المقدس أن النبى العظيم صموئيل والذى وصف بأنه صموئيل الرائى، والذى مدحه الرب وحسبه من بين كبار القديسين (إرميا ١٥: ١)، عندما ظهر بعد موته لشاول الملك، (قد صعدت روحه من باطن الأرض) (١. صموئيل ٢٨: ١١، ١٥). ثم رجعت إلى باطن الأرض ثانية.

كذلك الحال مع النبىّ إبراهيم الخليل فإنه أيضاً بعد موته نزل إلى الهاوية، مقر الأرواح فى العالم السفلى، (التكوين ٢٥: ٨) حيث نزل أيضاً إسحق (التكوين ٣٥: ٢٩)، ويعقوب أبو الأسباط (التكوين ٣٧: ٣٥)، (٤٢: ٣٨)، (٤٤: ٢٩، ٣١) وأيوب الصديق (ايوب ١٤: ١٣)

---

(١) كتب فى ١٤ من يناير لسنة ١٩٨٧م.

(١٧ : ١٣ ، ١٦) وداود النبى والملك (مزمور ٦٨ : ١٥) ، (٨٧ : ٣) وجميع الآباء بغير استثناء، فإن الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله (رومية ٣ : ٢٣) (فى الإيمان مات أولئك جميعاً ولم يحصلوا على المواعد، بل رأوها وحيوها عن بعد) (العبرانيين ١١ : ١٣) وقد تحققت فى المسيح الذى نزل إليهم بعد أن تمم الفداء بموته، ومن القبر نزل واقتحم أبواب الجحيم والعالم السفلى (وبشر الأرواح التى فى السجن) (١ . بطرس ٣ : ١٩) بالخلاص الذى حققه بموته على الصليب فداء عنهم، وكان يرجوه (إبراهيم الذى كان قد تهلل مشتهياً أن يراه، فرآه وفرح) (يوحنا ٨ : ٥٦) . ولهذا السبب سُمى يوم السبت الكبير بـ (سبت الفرح) ثم نقل المسيح الرب آدم وبنيه من القديسين، ومعهم اللص اليمين، إلى الفردوس (لوقا ٢٣ : ٤٣) ، (فذاك الذى نزل أولاً إلى أقسام الأرض السفلى هو نفسه الذى صعد إلى ما فوق السماوات، صعد إلى العلى، سبى سبياً وأعطى الناس عطايا) (أفسس ٤ : ٨-١٠) ، (ترنمى أيتها السماوات لأن الرب قد فعل. اهتفى يا أسافل الأرض، اندفعى بالترنيم أيتها الجبال والغابات وكل شجر فيها لأن الرب قد افتدى يعقوب وتمجد بإسرائيل) (إشعياء ٤٤ : ٢٣) (فإنكم بفرح تخرجون وبسلام تحضرون) (إشعياء ٥٥ : ١٢) .

على أن العالم السفلى أو الجحيم وهو مقر الانتظار للأرواح، هو فى الواقع عالم كبير، ومن ثم ففيه مستويات مختلفة رأسية، وبينهما أيضاً فواصل أفقية، وهذا يتضح من قول الكتاب المقدس (أقسام الأرض السفلى) τὰ κατώτερα μέρη τῆς γῆς (أفسس ٤ : ٩) ، (أساقل الأرض) (مزمور ٦٢ : ٩) . والكلمة اليونانية المستخدمة هنا تفيد أن فى الجحيم مستويات رأسية (سافل والأسفل) κατώτερα كذلك قوله (أقسام) تفيد باليونانية μέρη بما يفيد أيضاً (أقسام أو جهات أو نواحى أفقية) تفصل بينها فواصل. هذا إلى أن للجحيم كما قال السيد المسيح، (أبواباً، أو بوابات) (متى ١٦ : ١٨) πύλαι أى أن له مداخل كثيرة، وهذا يدل على سعته وعلى مستوياته الأفقية.

إذا كان ذلك كذلك فيكون إبراهيم الخليل، على ما يروى الإنجيل للقديس لوقا، كان قبل إتمام عمل الفداء بموت المسيح، قائماً فى العالم السفلى وفى حضنه لعازر الفقير، فى مستوى من الجحيم أعلى من المستوى الذى كان فيه الغنى، بدليل أنه على ما يقول المسيح له المجد (وفى الجحيم رفع عينيه) ... فرأى إبراهيم من بعيد ولعازر فى حضنه، فنادى وقال: (يا أبى إبراهيم ارحمنى وأرسل لعازر ليغمس فى الماء طرف إصبعه ويبرد لسانى، لأننى اتعذب فى هذا اللهيب) (لوقا ١٦ : ٢٣ ، ٢٤) أى أن إبراهيم والغنى، كان الإثنان فى الجحيم، ولكن فى مستويين

مختلفين: إبراهيم ولعازر فى حضنه فى المستوى الأعلى ولم يكن يتعذب، وإن كان لم ينتقل إلى الفردوس بعد الذى طرد الله منه آدم وذريته بسبب سقوطه ومخالفته، ولم يفتحه إلا المسيح بعد أن تمم الخلاص، فنزل أولاً إلى الجحيم وبشر الأرواح التى فيه بالخلاص (وأشرق بنور عظيم على الجالسين فى أرض الموت وظلاله (متى ٤: ١٦)، (إشعياء ٩: ١، ٢) ثم نقل آدم وبنيه من القديسين إلى الفردوس (لوقا ٢٣: ٤٣)، (أفسس ٤: ٨).

أما الهوة العظيمة الراسخة التى أشار إليها المسيح له المجد فى قول إبراهيم للغنى، (إن بيننا وبينكم هوة عظيمة راسخة، بحيث إن الذين يريدون العبور من هنا إليكم لا يستطيعون، كما لا يستطيع ذلك الذين يريدون العبور من عندكم إلينا((لوقا ١٦: ٢٦)، فهى الفاصل الرأسى بين المستوى العالى الذى كان يشغله إبراهيم ولعازر الفقير فى حضنه، وبين المستوى الواطىء الذى يشغله الغنى فى الجحيم. ومع ذلك كان المستويان فى عالم واحد وهو الجحيم. ولذلك أمكن أن يجرى الحوار بين الإثنين، وأمكن للغنى أن (ينادى) إبراهيم ويقول له: (يا أبى إبراهيم، ارحمنى وأرسل لعازر) وقد سمع إبراهيم من مستواه العالى صوت الغنى وأجابه (تذكر يا بنى أنك فى حياتك قد استوفيت مسراتك وأما لعازر فقد استوفى بلاياه، ومن ثم فهو الآن يتعزى وأنت تتعذب) (لوقا ١٦: ٢٥). وعاد الغنى يرجو إبراهيم (فقال: أتوسل إليك إذن يا أبتاه أن ترسله إلى بيت أبى، حيث لى خمسة إخوة، حتى ينذرهم لئلا يجيئوا هم أيضاً إلى مكان العذاب هذا) (لوقا ١٦: ٢٧، ٢٨).

أما عن النبى موسى، وكيف ظهر على جبل التجلى (متى ١٧: ٣، ٤) (مرقس ٩: ٤، ٥)، (لوقا ٩: ٣٠، ٣٣) فقد استُدعى من العالم السفلى إلى جبل التجلّى، بأمر إلهى. وجبل التجلّى هو على الأرض وليس فى الفردوس.

وأما إيليا النبى، فلم يكن فى الجحيم أو فى العالم السفلى حينما استُدعى للقاء الرب يسوع المسيح على جبل التجلّى، لأن إيليا لم يمت بعد، وإنما اختطفته (مركبة من نار وخيل من نار... فصعد إيليا فى العاصفة إلى السماء) (٢. الملوك ٢: ١١). والسماء هنا هى إحدى السماوات، وليست (سماء السماوات) (١. الملوك ٨: ٢٧) وليست (السماء عينها) (العبرانيين ٩: ٢٤) التى نزل منها المسيح له المجد (يوحنا ٣: ١٣) ثم صعد إليها بعد أربعين يوما من قيامته المجيدة (مرقس ١٦: ١٩)، (لوقا ٢٤: ٥١).

٦٥ ـ المسيح جالساً على العرش

الابن الإكليريكى يسرى عبد المسيح القمص ـ سوهاج ـ الكشح.

رداً على سؤالك فى معنى أنّ (المسيح على العرش استوى)، هو أنّ المسيح له المجد عندما صعد إلى السّماء فى يوم الأربعين لقيامته المجيدة من بين الأموات) جلس على عرش الله فى السّماء (أعمال الرسل ٢ : ٣٣، ٣٤)، (٧ : ٥٥، ٥٦) وهو الآن (الجالس على العرش فى الأعالى) (العبرانيين ١ : ٣)، لأنّ المسيح قد صعد إلى السّماء بجسده، على مرأى من تلاميذه وجميع المؤمنين، وعلى مشهد من كلّ الناس المقيمين على جبل الزيتون. وكيف يجلس على العرش إلاّ من له جسد ؟

ولقد رآه النبى إشعياء فى رؤياه فقال : (رَأَيْتُ السَّيِّد جالساً على عرش عالٍ رفيع، وأذياله تملأ الهيكل) (إشعياء ٦ : ١)، ووصفه النبى حزقيال فى رؤياه بقوله : (وعلى شبه العرش، شبه كمنظر إنسان عليه من فوق) (حزقيال ١ : ٢٦)، (مزمور ١٠٩ : ١).

وما أكثر النصوص التى وردت فى العهد الجديد لبيان أنّ المسيح له المجد، بعد أن صعد إلى السّماء فى اليوم الأربعين لقيامته المجيدة (دخل إلى حيث مجده) (لوقا ٢٤ : ٢٦)، (دخل إلى السّماء بعينها) (العبرانيين ٩ : ٢٤)، أى (إلى سماء السّماوات) (التثنية ١٠ : ١٤)، (١. الملوك ٨ : ٢٧)، (نحميا ٩ : ٦)، (مزمور ١٤٨ : ٤)، وجلس على عرش الجلال فى السماوات) (العبرانيين ١٢ : ٢)، (٨ : ١)، (وجلس إلى الأبد) (العبرانيين ١٠ : ١٢) (وأتت جميع الملائكة ورؤساء الملائكة وخضعوا أمام عظمته ساجدين) (١. بطرس ٣ : ٢٢). انظر أيضاً واقرأ (رومية ٨ : ٣٤)، (أفسس ١ : ٢٠)، (كولوسى ٣ : ١).

وردا على سؤالك الثانى، كيف أنّ السماء والأرض ستزولان (متى ٥ : ١٨)، (لوقا١٦ :١٧)، (٢. بطرس ٣ : ١٠)، (إشعياء ٥١ : ٦) بينما أنّ الدينونة ستكون على الأرض فى وادى يهوشافاط المجاور لجبل الجلجثة أو الجمجمة الذى من فوقه ارتفع المسيح مصلوبا كقول النّبىّ (لتنهض الأُمَمُ وتَصْعَدْ إلى وادِى يهوشافاط، فإنّى هُناكَ أَجْلِسُ لأَدين جميعَ الأُمم من كلّ ناحية) (يوئيل ٣ : ١٢، ٢) ؟

نقول، نعم، إنّ هذا صحيح، فقد وعدنا الله بأنه سيخلق (سماوات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر) (٢. بطرس ٣ : ١٣)، (إشعياء ٦٥ : ١٧).

٦٦ ـ المسيح وجسده المجيد (١)

سؤال : من السيدة غالية عجيب بخيت سمعان ـ بورسعيد.

أرجو التفضل بالإجابة على السؤال التالى :

ما معنى أن السيد المسيح له المجد قام من بين الأموات بجسد ممجّد. وهل هذا الجسد الممجّد يختلف عن جسده المقدس الذى اقتبل آلام الصليب ؟

الجواب :

إن معلوماتنا كما نستقيها من الإنجيل المقدس أن المسيح له المجد قام بذات الجسد الذى تسمر بالصليب، ودفن فى القبر، وأن جسد المسيح الذى اتّخذه من العذراء مريم لم، ولا، ولن يتغير. وكما جاء عنه فى القداس الإلهى (**جسده غير المتغير**) (صلاة الحجاب فى القداس الغريغورى).

والدليل الواضح من الإنجيل، هو أن المسيح له المجد دخل على تلاميذه وهم مجتمعين، وذلك بعد قيامته المجيدة، (وقف يسوع نفسه فى وسطهم، وقال لهم : (السلام لكم) ففزعوا وارتعبوا، وقد ظنوا أنهم يرون روحاً. فقال لهم : (مابالكم مضطربين، ولماذا تثور شكوك فى قلوبكم؟ **انظروا إلى يَدَىَّ وإلى قَدَمَىَّ إنى أنا هو بنفسى، جسونى وتحققوا، فإنه ليس للروح لحم ولا عظام كما ترون لى**). وفيما كان يقول هذا أراهم **يديه وقدميه**. وإذ كانوا لا يزالون غير مصدقين أنفسهم من فرط الفرح والدهشة قال لهم : (أعندكم هنا ما يؤكل؟) فقدموا له بعضاً من السمك المشوى وشهد العسل، **فأخذ وأكل أمامهم**) (لوقا٢٤ :٣٦-٤٣).

وهنا نلاحظ :

أولا ـ إن المسيح له المجد احتفظ فى جسد القيامة بالثقوب فى يديه وقدميه مؤكدا **أنه قام بذات الجسد الذى صلب ودقت المسامير فى يديه وقدميه، وطعن فى جنبه بالحربة.**

---

(١) كتب فى ٢٨ من سبتمبر ١٩٩١م ـ ١٧ من توت ١٧٠٨ش.

ثانياً - إنه له المجد **قام بجسد مادى يتألف من لحم وعظام**. قال لتلاميذه (وقد ظنوا أنهم يرون روحا) : (**انظروا إلى يَدَىَّ وإلى قَدَمىَّ. إنى أنا هو بنفسى. جسونى وتحققوا، فإنه ليس للروح لحم، ولا عظام، كما ترون لى**) ثم أتبع هذا التصريح بأن (**أراهم يديه وقدميه**).

ثالثاً - إن جسد المسيح له المجد بعد قيامته من بين الأموات كان جسداً له ذات الأبعاد التى كانت له قبل الصليب، فى الطول والعرض والارتفاع ثم إنه جسد له أطراف.. **له يدان، وله قدمان**، وبالتالى له أيضا قامة، ورأس، ووجه، وعينان، وفم، ولسان، وأسنان، **وكل مركبات الجسم الكامل**..

رابعا - إن المسيح له المجد قام بجسد يأكل ويشرب. قال لتلاميذه ليؤكد لهم حقيقة جسده المادى (أعندكم هنا ما يؤكل؟) فقدموا له بعضاً من السمك المشوى وشهد العسل. **فأخذ وأكل أمامهم**) .

خامسا - وتوكيدا لهذه الحقيقة وإلحاحا عليها طلب من تلاميذه عندما أظهر نفسه لهم مرة أخرى على بحر طبرية (يافتيان ألديكم **شئ يؤكل؟**) (يوحنا ٢١ : ٥) قال الإنجيل (ثم تقدم يسوع، وأخذ الخبز وناولهم، وكذلك السمك) (يوحنا ٢ : ١٣).

فما هى أهمية الأكل إلا لكى يؤكد هذه الحقيقة أن جسد القيامة جسد مادى يأكل ويشرب، وله مركبات ومكونات الجسد قبل الموت، الفم واللسان والأسنان...

سادسا - ثم إن المسيح له المجد (بعد ثمانية أيام) من قيامته المجيدة (وكان التلاميذ مجتمعين فى الداخل أيضا، وكان توما معهم، فدخل يسوع والأبواب مغلقة ووقف فى وسطهم وقال لهم : (السلام لكم) ثم قال لتوما (**هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدى، وهات يدك وضعها فى جنبى**، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً). فأجاب توما (بعد أن لمس بيده أثر المسامير فى يدى سيده وقدميه وجنبه) وقال له : (ربى وإلهى). قال له يسوع (لأنك رأيتنى يا توما آمنت. طوبى للذين لم يروا وآمنوا) (يوحنا ٢٠ : ٢٦ - ٢٩).

وهذا دليل آخر على **أن المسيح له المجد قام بجسده المثقوب فى جنبه ويديه وقدميه، مما يؤكد أنه الجسد بذاته الذى ثقبوه بالصليب فى يديه وقدميه، وأنه الجسد الذى طعنوه بالحربة وهو على الصليب ليتأكدوا من موته.**

وهو إصرار من جانب المسيح له المجد على أن الجسد الذى قام به المسيح هو ذاته الجسد المصلوب.

وإذا ظن بعض الناس أن فى دخول المسيح له المجد إلى تلاميذه وهم مجتمعين فى الداخل، والأبواب مغلّقة ظاهرة جديدة يستنبطون منها أن جسد المسيح بعد القيامة اكتسب خاصية جديدة لم تكن له من قبل، نقول: **كلا، ليس فى الأمر جديد بالنسبة للسيد المسيح، فإنه بقدرة لاهوته، يمكنه أن يدخل إلى داخل والأبواب المغلقة، الأمر المستحيل بالنسبة لأى بشر. ألم يخرج من بطن العذراء، وختوم البكارة مصونة ؟ ألم يخرج من القبر، والقبر مغلق ؟**

إن هذه القدرة ينفرد بها المسيح له المجد وذلك بالنسبة لحقيقته الإلهية، والتى لا يشاركه فيها أحد من الناس.. إذ لا يمكن لإنسان له جسد من لحم وعظام، أن يدخل إلى مكان مغلق بغير نافذة أو باب. **إنما المسيح وحده هو الذى يمكنه ذلك بجسده، وذلك مرده إلى قدرة لاهوته مما لا يشاركه فيه بشر.**

جَسَدُ مُجدِه :

أما (**جسد المجد**) بالنسبة للمسيح كما جاء فى قول الكتاب المقدس (الذى سيغير شكل جسدنا الفاسد، فيجعله على صورة **جسد مجده**) (فيلبى ٣ : ٤) فهو جسده ذاته ولكن فى صورة البهاء التى ظهر بها.

أولاً : لتلاميذه الثلاثة على **جبل (تابور)، عندما تجلى عليه قبيل صلبه. فقد** صعد على جبل تابور ومعه تلاميذه الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا، وإذ أراد أن يكشف لهم عن ومضة من ومضات لاهوته، بوصفه الإله الذى اتّخذ له جسداً، فحتى يعرفوه على حقيقته، **أماط** اللثام، وأزاح الستار، وكشف القناع عن بهائه، وعندئذ (تغيرت هيئته متجليا أمامهم، **فأضاء وجهه كالشمس، وصارت ثيابه متألقة كالبرق، بيضاء كالنور ناصعة البياض كالثلج**) (متى ١٧ : ١، ٢) ، (مرقس ٩ : ١، ٢) ، (لوقا ٩ : ٢٨، ٢٩).

ثانيا : وجسد المجد هو بعينه جسده الذى ظهر به للقديس بولس الرسول، وهو فى طريقه إلى دمشق، وكان ذلك فى منتصف النهار (**فبغتة أبرق حوله نور عظيم من السماء**

فسقط على الأرض.. وكان هو نور المسيح له المجد. ولشدة بهاء ذلك النور أصيب بولس أو شاول بالعمى (**فنهض شاول عن الأرض وهو لا يبصر شيئاً مع أن عينيه كانتا منفتحتين**، فاقتادوه بيده.. **فلبث ثلاثة أيام مكفوف البصر** (أعمال الرسل٩ :٣-٩) وشهد شاول أو بولس عن بهاء نور المسيح فقال (**على أنى عدت لا أبصر لشدة بهاء ذلك النور** فاقتادنى رفقائى باليد) (أعمال ٢٢ : ٦ - ١١)، ووصفه مرة أخرى للملك أغريباس (**وفى الطريق عند الظهر**، رأيت، أيها الملك، **نوراً من السماء أبهى من شعاع الشمس قد سطع حولى**) (أعمال ٢٦ : ١٣).

ثالثا : وهو بعينه **جسد المجد** الذى ظهر به السيد المسيح له المجد للقديس يوحنا الرائى فى جزيرة بطمس. (**ووجهه يضئ كالشمس فى أبهى شروقها**. فلما رأيته وقعت عند قدميه كالميت،.....) (الجليان- الرؤيا ١ : ١٦، ١٧).

جسد المجد هذا ليس جسداً آخر، هو بعينه **جسد المسيح الذى عاش به على الأرض، لكنه الآن ولاسيما بعد صعوده** إلى السماء، لم يعد يحجب بهاء لاهوته. فالمخلص عندما كان على الأرض كان يخفى بجسده بهاء لاهوته. فكان جسده حجابا يستر بهاء لاهوته. ولكنه كان وهو على الأرض يتحكم فى قدر البهاء الذى يسمح به على مقتضى الحال. فعندما صعد على جبل تابور كشف عن شئ من بهاء لاهوته، فلما نزل من فوق الجبل ستر بهاء لاهوته الذى أظهره وهو على الجبل فلم يعد وجهه مضيئا كالشمس، ولم تعد ملابسه متألقة بالنور.

وفى بستان جثسيمانى سمح ببعض بهائه الإلهى أن يظهر على الجند والخدام الذين جاءوا من عند رؤساء الكهنة والفريسيين، فخرج يسوع إليهم وقال لهم (من تطلبون؟) أجابوه قائلين : (يسوع الناصرى) فقال لهم يسوع : (أنا هو) فلما قال لهم : **إنى أنا هو، ارتدوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض**) (يوحنا ١٨ : ٤ - ٦) فلقد رجعوا إلى الوراء مع أنهم عدد كبير، وسقطوا على الأرض، وذلك من تأثير بعض بهائه عليهم.

مرة أخرى نريد أن نؤكد على هذه **الحقيقة اللاهوتية العقائدية فيما يتصل بجسد المسيح له المجد أنه لم ولا ولن يتغير. أنه الآن فى السماء وهو جالس على العرش، هو بذات الجسد الذى كان يمشى به على الأرض أثناء رحلته فى مجيئه**

الأول. كل الفارق ليس فى الجسد نفسه من حيث طبيعته، ولكن فى قدر وكم البهاء الإلهى الذى أخفاه وهو على الأرض، أما الآن وهو فى المجد فبهاء مجده عظيم لأنه ليس هناك الآن ما يبرر إخفاء مجد لاهوته بعد أن أتم مهمة الفداء وصعد إلى السماء، إذ هو الله **(اللابس النور كثوب)** (مزمور ١٠٣ : ٢) نعم (إن الله نور) (١ . يوحنا ١ : ٥) و (أبو الأنوار) (يعقوب ١ : ١٧) و (ساكناً فى نور لا يدنى منه) (١ .تيموثيوس ٦ : ١٦) وقد رآه النبى دانيال فى رؤياه، قبل التجسد بقرون طويلة، ووصفه بما وصفه به القديس يوحنا الرائى فى سفر الجليان **(لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقى، وعرشه لهيب نار وبكراته نار متقدة)** (دانيال ٧ : ٩) ، (الجليان- الرؤيا ١ : ١٣ – ١٧) .

على صورة جسد مجده :

قلنا إن **جسد المسيح له المجد لم ولا ولن يتغير.** إنه بعد القيامة كما كان قبل القيامة، وهو جسد كامل وطاهر ولم ينله فساد، لا فساد روحى، ولا فساد مادى. أما الفساد الروحى فهو الخطيئة، والمسيح لم تعرف الخطيئة طريقها إليه. قال مخلصنا لليهود (من منكم يستطيع أن يثبت علىّ خطيئة) (يوحنا ٨ : ٤٦)، وقال عنه الكتاب المقدس (فليس لنا حبرٌ لا يستطيع أن يرثى لضعفاتنا، بل لقد جرب فى كل شئ مثلنا ماعدا الخطيئة) (العبرانيين ٤ : ١٥) (رئيس كهنة .. قدوس طاهر بلا شر متنزه عن الخطاة، وقد صار أعلى من السماوات) (العبرانيين٧:٢٦) (ذاك الذى لم يعرف خطيئة) (٢ . كورنثوس ٥ : ٢١) (إنه لم يرتكب خطيئة ولا عرف فمه المكر) (١ . بطرس ٢ : ٢٢) (وهو الذى لا خطيئة فيه) (١ . يوحنا ٣ : ٥) .

وأما الفساد المادى وهو التعفن فلم ينل من جسد المسيح على الرغم من الصلب، والدفن فى القبر.

جاء عن المسيح فى سفر أعمال الرسل : (وأما أنه أقامه من بين الأموات ولن يعود إلى الفساد...) ولذلك قال أيضا فى مزمور آخر لن تترك قدوسك ينال منه الفساد. لكن داود بعد ما خدم فى جيله بمشيئة الله، رقد ودفن بجوار آبائه فنال منه الفساد. وأما الذى أقامه الله (أى المسيح) فما نال منه الفساد) (أعمال الرسل ١٣ : ٣٤ – ٣٧) وداود (قد سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح قائلا إن روحه لن تترك فى الجحيم وأن جسده لن يناله الفساد) (أعمال ٢ : ٣١) .

هذا عن المسيح أنه لم ينل جسده الفساد، لا الفساد الروحى وهو الخطيئة، ولا الفساد المادى وهو التعفن الذى يصاحب عملية الموت.

أما بالنسبة للبشر، فجسد الإنسان ينال منه الفساد، وأما فى القيامة العامة، فستقوم الأجساد فى غير فساد..

يقول الكتاب المقدس (وهذه هى الحال فى قيامة الأموات. **يزرع (الجسم) بفساد ويقام بغير فساد. يزرع فى هوان ويقوم بمجد**، يزرع فى ضعف ويقوم بقوة) (١ كورنثوس١٥: ٤٢، ٤٣).

وهنا نأتى إلى المعنى من قول الكتاب المقدس (**الذى سيغير شكل جسدنا الفاسد، فيجعله على صورة جسد مجده**، بما له من قدرة يخضع بها كل شئ) (فيلبى ٣ : ٤) أى أن أجساد الناس دخلها الفساد بالخطيئة، وينالها الفساد بالموت والتعفن. ولذلك لابد فى القيامة العامة من أن تتغير هذه الأجساد، لتتطهر من فسادها، وتلبس عدم الفساد. وهذا هو التغير الموعود به بالنسبة لأجساد البشر (هوذا سر أقوله لكم : إننا سوف لا نرقد كلنا ولكننا **سنتغير كلنا**، فى لحظة، **فى طرفة عين، عند النفخ فى البوق الأخير، فإنه سينفخ فى البوق فيقوم الأموات غير فاسدين، ونحن نتغير، لأنه لابد لهذا الجسد الفاسد أن يلبس ما ليس بفاسد** ولهذا الجسد المائت أن يلبس ما لا يموت. **ومتى لبس هذا الجسد الفاسد ما ليس بفاسد**، ولبس هذا الجسد المائت ما لايموت، فحينئذ تتم الكلمة المكتوبة : (قد ابتلع الموت فى الغلبة). فأين غلبتك أيها الموت ؟ وأين يا موت شوكتك؟.... أما شوكة الموت فهى الخطيئة..) (١. كورنثوس ١٥ : ٥١ – ٥٦).

ولكن يبقى السؤال إذا كان سيغير فى القيامة العامة شكل جسدنا الفاسد إلى عدم فساد، فما معنى قوله (**فيجعله على صورة جسد مجده**) (فيلبى ٣ : ٤) ؟

ما هى صورة جسد مجده ؟

هى صورة البهاء والمجد والجمال، أى كما أن المسيح على جبل التجلى (**أضاء وجهه كالشمس**) (متى ١٧ : ٢). وفى تجليه للقديس بولس الرسول فى طريقه إلى دمشق كان نوره (**أبهى من شعاع الشمس**) (أعمال ٢٦ : ١٣) وفى تجليه للقديس يوحنا فى

جزيرة بطمس (**وجهه يضئ كالشمس فى أبهى شروقها**) (الجليان ـ الرؤيا ١ : ١٦) ـ هكذا فى القيامة (**يضئ الأبرار مثل الشمس فى ملكوت أبيهم**) (متى ١٣ : ٤٣) (والفاهمون يضيئون كضياء الجلد. والذين ردوا كثيرين إلى البر **كالكواكب إلى أبد الدهور**) (دانيال ١٢ : ٣).

على أن نور الأبرار يختلف إختلافاً جوهرياً عن نور المسيح. فنور المسيح هو (**النور الحقيقى**) (يوحنا ١ : ٩) ، (١. يوحنا ٢ : ٨) أما نور الأبرار فنور مستعار، كنور القمر ليس منه وإنما هو نور منعكس عليه من الشمس، إذ القمر هو فى ذاته جسم معتم، ولكننا نراه منيراً بفضل النور المنعكس عليه من الشمس ـ **كذلك نور الأبرار هو مفاض عليهم من النور الحقيقى الكامل، بفضل وجودهم فى حضرة المسيح النور الحقيقى، فيضيئون من فيض شخوصهم، وتأملهم فيه ووجودهم فى حضرته.**

وعلى سبيل المثال وللإيضاح، جاء عن النبى موسى، أنه صعد إلى جبل حوريب فى سيناء، ليتلقى الشريعة (فنزل الرب فى السحاب، فوقف عنده هناك.. فاجتاز الرب قدامه ونادى الرب.. فأسرع موسى وخر على الأرض وسجد.. وكان هناك عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة... وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة فى يد موسى... **أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار مشعاً من مخاطبة الرب له.** فنظر هرون وجميع بنى إسرائيل إلى موسى **فإذا جلد وجهه مشع، فخافوا أن يدنوا منه.. ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعل على وجهه برقعاً.** وكان موسى عند دخوله أمام الرب ليتكلم معه يرفع البرقع إلى أن يخرج، ثم يخرج ويكلم بنى إسرائيل بما يؤمر به. فكان بنو إسرائيل يرون وجه موسى أن جلده مشع فيرد البرقع على وجهه...) (سفر الخروج ٣٤ : ٥ – ٣٥).

ويقول الكتاب المقدس :

(فإذا كانت خدمة الموت المنقوشة حروفها فى ألواح من حجر قد أحيطت بالمجد، حتى إن بنى إسرائيل لم يستطيعوا أن يتفرسوا فى وجه موسى بسبب مجد طلعته، مع أنه مجد زائل، فكيف يكون بالأحرى مجد خدمة الروح؟ وإذا كانت خدمة ما أدّى إلى الحكم على البشر مجيدة، فكم تفوقها مجداً خدمة ما يؤدى إلى تبريرهم... **لأنه إذا كان للزائل مجد فكم**

بالأحرى يكون مجد الدائم. وليس كما كان موسى يضع برقعاً على وجهه لكى لا ينظر بنو إسرائيل مجد وجهه الزائل... **ونحن جميعا ننظر مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرآة، نتغير إلى تلك الصورة بعينها من مجد إلى مجد، وذلك بفضل روح الرب)** (٢ . كورنثوس ٣ : ٧ – ١٨).

نعم إن وجود النبى موسى على جبل سيناء مع الرب لمدة أربعين يوما جعل جلد وجهه مشعاً بالنور (فنظر هرون وجميع بنى إسرائيل موسى فإذا جلد وجهه مشع، فخافوا أن يدنوا منه. مما اضطره إلى أن (جعل على وجهه برقعاً) مع أن الرب لم يظهر لموسى على جبل سيناء بكامل جلاله، **فكم يكون نصيب الأبرار فى القيامة العامة من النور الذى يسقط عليهم وهم فى حضرة الله وهو بكمال لاهوته فى السماء؟؟**

هكذا نفهم معنى قول الكتاب المقدس إنه (**سيغير جسدنا الفاسد فيجعله على صورة جسد مجده، بماله من قدرة يخضع بها كل شئ**) (فيلبى ٣ : ٤).

٦٧ ـ المسيح هو ابن الإنسان وهو الله وابن الله

سؤال : من الابن الدكتور الفونس ميخائيل سعد ـ رشيد ـ البحيرة.

يقول : إنى أتساءل لماذا سمى المسيح ابن الله وابن الانسان؟، رغم وجود اختلاف جوهرى بين البنوتين، فبنوة المسيح لله بنوة روحية جوهرية منزهة عن المادة، أما ابن الإنسان فهى تعنى بنوة مادية حسية، فيها والد وولد؟ أرجو التوضيح.

الجواب :

نعم إن السيد المسيح هو (ابن الله)، وهو أيضا فى الوقت نفسه (ابن الإنسان).

والمسيح هو (ابن الإنسان) من حيث ناسوته، وهو (ابن الله) من حيث لاهوته.

المسيح (ابن الإنسان) من حيث أنه «ظهر فى الهيئة كإنسان» (فيلبى ٢ : ٨).

وهو (ابن الإنسان) لأنه «ولد من مريم حسب الجسد».

(متى ١ : ١٦، ٢٠)، (لوقا ١ : ٣١، ٣٥)، (٢ : ٧)، (رومية ١ : ٣)، (٨ : ٣)، (غلاطية ٤ : ٤).

وما أكثر المواضع التى قال السيد المسيح عن ذاته إنه (ابن الإنسان). يقول الإنجيل وحين جاء يسوع إلى نواحى قيصرية فيلبس، سأل تلاميذه قائلا : «من تقول الناس إنى هو **أنا ابن الإنسان**؟» (متى ١٦ : ١٣)، وقال «فإن من يخجل منى ومن كلامى فى هذا الجيل الفاسق الآثم، سيخجل منه **ابن الإنسان** متى جاء فى مجد أبيه مع ملائكته القديسين» (مرقس٨ :٣٨).

انظر (متى ٨ : ٢٠)، (٩ : ٦)، (١٠ : ٢٣)، (١١ : ١٩)، (١٢ : ٨)، (١٣ : ٤١)، (١٦ : ٢٧، ٢٨)، (١٧ : ١٢، ٢٢)، (١٨ : ١١)، (١٩ : ٢٨)، (٢٠ : ١٨)، (٢٤ : ٢٧، ٣٧، ٣٩، ٤٤)، (٢٥ : ١٣، ٣١)، (٢٦ : ٢٤، ٦٤)، (مرقس ١٠ : ٤٥)، (١٣ : ٢٦)، (١٤ :٢١، ٦٢)، (لوقا ٥ : ٢٤)، (٧ : ٣٤)، (٩ : ٥٦)، (١٢ : ٨، ١٠)، (١٧ : ٢٤)، (٢١ :٢٧)، (يوحنا ٥ : ٢٧)، (٦ : ٦٢)، (٨ : ٢٨)، (أعمال الرسل ٧ : ٥٦).

ثم قال لهم «**إن ابن الإنسان** هو رب السبت (لوقا ٦ : ٥) وقال «ما من أحد صعد إلى السماء إلا ذلك الذى نزل من السماء، **ابن الإنسان** الذى هو فى السماء. وكما رفع موسى الحية فى البرية، هكذا ينبغى أن يرفع **ابن الإنسان**، لكى لا يهلك كل من يؤمن به، وإنما ينال الحياة الأبدية» (يوحنا ٣ : ١٣، ١٤).

أما أن السيد المسيح هو (ابن الله) فلأنه «هو صورة الله الذى لا يرى، الأول قبل الخلائق كلها، فإنه به خلق كل شئ مما فى السماوات ومما فى الأرض، ما يرى وما لا يرى، أأصحاب عرش كانوا أم سيادة أم رئاسة أم سلطان. كل شئ خلق به وله، وهو كائن قبل كل شئ، وبه يقوم كل شئ، وهو البدء، لأن فيه سر الآب أن يحل الملء كله» (كولوسى ١ : ١٥ - ١٩).

وهو (ابن الله) لأنه «**هو الله الكلمة**»، الذى «**كان منذ الأزل**»، «**وكل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان وفيه كانت الحياة**»، وهو «**أصل الحياة**»، «**ومبدئ الحياة**»، «**اتّخذ جسداً فى الزمان** (يوحنا ١ : ١ - ١٤)، **وظهر فى الهيئة كإنسان**» «**وحقاً عظيم هو سر التقوى : الله ظهر فى الجسد**» (١ .تيموثيئوس ٣: ١٦).

وهو (ابن الله)، لأن الله لم يره أحد قط، وأما المسيح فهو الذى وهو فى حضن الآب، وكائن مع الآب، وكائن فى ذات الآب، وفى جوهره هو الذى فى ظهوره أخبر عن الآب (يوحنا١ :١٨).

وهو (ابن الله) لأنه **هو الله وقد اتّخذ جسداً** (يوحنا ١ : ١٤) «وإذن لما كان الأبناء شركاء فى الدم واللحم، شاركهم يسوع كذلك فيهما، ليقضى بموته على ذاك الذى فى يده سلطان الموت أى إبليس» (العبرانيين ٢ : ١٤).

وهو (ابن الله) لأنه وهو **الكائن مع الآب**، و «**واحد معه فى الجوهر**» (يوحنا١٠:٣٠) **صار فى شبه البشر، ورأينا مجده مجد الله الآب** (يوحنا ١ : ١٤)، (١٠ : ٣٠).

وهو (ابن الله) لأن فيه وبه رأى الناس (النور الحقيقى)، هو (النور الحقيقى) الذى احتجب فى الجسد» (يوحنا ١ : ٩)، (١. يوحنا ٢ : ٨) وهو (ابن الله) بمعنى أننا قد رأينا الله فيه.

وليست هذه البنوة بنوة جسدية مادية حسية كالبنوة فى عالم الحيوان أو الإنسان، وليست بنوة

زمانية تقتضى الأسبقية فى الزمان، إنها بنوة روحية حقيقية مثلها مثل بنوة النور من الشمس. فالنور من الشمس منذ أن كانت الشمس. النور منها وفيها ولا ينفصل عنها. وهذا هو معنى قول المسيح له المجد، إنى أنا فى أبى، وأن أبى فىّ، (يوحنا ١٠ : ٣٨) ، (١٤ : ١٠، ١١، ٢٠) ، (١٧ : ٢١، ٢٣).

وهذا أيضا معنى قول المسيح له المجد «الآب الكائن فىّ هو الذى يعمل أعماله» (يوحنا١٤:١٠).

ومعنى قوله له المجد «من رآنى فقد رأى الآب» (يوحنا ١٤ : ٩) ، (١٢ : ٤٥) وقوله «لو كنتم عرفتمونى لعرفتم أبى أيضا ومنذ الآن تعرفونه، وقد رأيتموه» (يوحنا ١٤ : ٧).

المسيح إذن (ابن الله) بمعنى أنه هو الله بذاته وقد نزل إلى الأرض لابسا جسداً (يوحنا١ :١٤) ، (١. تيموثيوس ٣ : ١٦) ، (١. يوحنا ٤ : ٢) ، (كولوسى ١ : ١٥ – ١٩).

هو (ابن الله) وهو «بهاء مجده وصورة جوهره، وضابط الكون بكلمة قدرته» (العبرانيين١ :٢، ٣).

٦٨ ـ هل فارق اللاهوت الناسوت ؟ (١)

سؤال : صرخ السيد المسيح وهو على الصليب قائلا «إلهى إلهى لماذا تركتنى» فكيف يخاطب الآب بقوله إلهى، وهل تدل هذه العبارة على مفارقة اللاهوت للناسوت»؟!

الجواب :

لو رجعت إلى المزمور **الثانى والعشرين** من مزامير النبى داود، لألفيته يبدأ بهذه العبارة : «إلهى إلهى لماذا تركتنى» ثم يمضى النبى فيصور آلاماً تطابق آلام سيدنا على الصليب مطابقة تامة. من ذلك قوله «كل الذين يروننى يستهزئون بى، يغمزون الشفاه (أو يمصون الشفة) وينفضون الرأس قائلين : اتكل على الرب فلينجه، لينقذه لأنه سر به» ومنه قوله : «أحاطت بى ثيران كثيرة، أقوياء باشان اكتنفتنى، فغروا على أفواههم.. كالماء انسكبت، **انفصلت كل عظامى**، صار قلبى كالشمع.. يبست مثل شقفة قوتى ولصق لسانى بحنكى.. **جماعة من الأشرار اكتنفتنى، ثقبوا يدى ورجلى**، أحصى كل عظامى، وهم ينظرون ويتفرسون فى، **يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون..**»

وجدير بالذكر أن شيئاً من ذلك لم يحصل للنبى داود فى حياته الخاصة، وإلا فمتى ثقبت يداه ورجلاه؟ ومتى اقتسموا ثيابه واقترعوا على لباسه إلى غيرها من التفاصيل التى ذكرها فى هذا المزمور. فليس من شك أنه نطق بما نطق، بروح النبوءة مشيراً إلى السيد المسيح فى أحداث الصليب. ولو تابعت بدقة ما ذكره البشيرون جميعاً، لاقتنعت بأن الروح القدس سبق فأعلم الأنبياء بما سيحدث للفادى وما سيعانيه من آلام.

فإذا قال السيد على الصليب : «إلهى إلهى لماذا تركتنى؟» **إنما هو يردد مطلع المزمور الثانى والعشرين لينبه اليهود، وهم حفظة الكتاب المقدس، إلى أنهم يتممون بأيديهم ما سبق وأشار إليه النبى داود من قبل.** فليس المسيح إذن مضلا أو مجدفا على الله كما كانوا يدعون، وإنما هو المسيا المنتظر، والذى تم فى شخصه كل ما ذكره الأنبياء عنه بوحى الروح القدس ولقد كان السيد المسيح حريصاً كل الحرص على أن يبين هذه الحقيقة دائماً لتلاميذه أثناء حياته المقدسة على الأرض قبل الصليب، بل وبعد قيامته كذلك «وقال لهم هذا هو الكلام الذى قلته لكم، إذ كنت معكم أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى ناموس

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٤ العدد ٥ مايو ١٩٥٠م.

موسى، والأنبياء. **والمزامير** حينئذ فتح قلوبهم ليفهموا الكتب. وقال لهم : إنه هكذا كتب (وهكذا ينبغى) أن يتألم المسيح ويقوم من بين الأموات فى اليوم الثالث...» (لو ٢٤ :٤٤-٤٦).

ومن قبل ذلك وبخ تلميذى عمواس على شكهما فى حقيقة شخصه «فقال لهما يا عديمى الفهم، وبطيئى القلب فى الإيمان **لكل ما نطقت به الأنبياء.. وبدأ من موسى، ومن جميع الأنبياء يفسر لهما ما فى جميع الكتب من أجله..**» (لو ٢٤ : ٢٥ - ٢٧).

ولقد ذهب بعض مفسرى الكنيسة إلى أن المخلص قد ردد سراً، فى الغالب، المزمور الثانى والعشرين كله من أوله إلى آخره، وأنه صرخ حينما تلا أول عبارة فيه، وصرخ كذلك حين ردد آخر عبارة فيه «قد أكمل» استنادا إلى أن عبارة «**قد فعل**» التى يختتم بها المزمور الثانى والعشرون يقابلها فى اللغة العبرانية «قد أكمل». وليس لدينا ما ينفى صحة هذا الرأى، وإنما تسنده إحتمالات منطقية، وروحية، ونقلية.

* * *

وإذا كان حقا أن المسيح له المجد أراد أن ينبه اليهود إلى ما قاله النبى داود بروح النبوة، لكن داود نفسه كان يصور حقيقة واقعة على الصليب. والعبارة نفسها تدل على أن **الترك حقيقة مؤكدة**، فهى بلغة الماضى «**لماذا تركتنى ؟**» فلابد من أن نعالج هذه المسألة كذلك.

لقد ظن بعض الهراطقة الذين كانوا ينكرون لاهوت المسيح أنها عبارة تفيد معنى الافتراق بين الابن والآب. ولكن المسيح نفسه ينفى هذا الفهم بقوله : «إن لم تؤمنوا بى، فآمنوا بالأعمال لتعلموا وتعرفوا (وتؤمنوا) **أنى أنا فى أبى وأبى فىّ**» (يو ١٠ :٣٨).

وقال أيضاً لتلاميذه «لو كنتم عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً. ومن الآن تعرفونه **وقد رأيتموه**. قال له فيلبس «يارب أرنا الآب وحسبنا. قال له يسوع أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى يا فيلبس؟!. **من رآنى فقد رأى الآب**، فكيف تقول أنت : أرنا الآب؟ **ألست تؤمن أنى أنا فى أبى وأبى فىّ** ؟ الكلام الذى أكلمكم به لا أتكلم به من نفسى وحدى، **بل الآب الحال فىّ هو الذى يعمل أعماله. آمنوا بى أنى أنا فى أبى وأبى فىّ**» (يو ١٤ :٧-١١).

أرأيت إذن إلى حقيقة الاتحاد القائم بين أقنومى الآب والابن؟ وأن الآب قائم فى الابن والابن قائم فى الآب. ولعل هذا هو السبب الذى من أجله سمى الأقنوم الثانى باللوغوس (أى

الكلمة) . فاللوغوس فى الفلسفة اليونانية هو العقل الإلهى. ولا يمكن تصور إله بلا عقل، وإلا فكيف يكون العقل فى المعلول أو المخلوق ولا يكون فى العلة أو الخالق؟ ولا يمكن تصور الله أن يكون فى لحظة ما بلا عقل، لا فى الماضى. ولا فى الحاضر، ولا فى المستقبل. فالابن إذن قائم فى الآب قياما أزليا، وقياما أبديا لا انفكاك فيه ولا افتراق. ومن أجل هذا سمى الابن «بالكلمة» تصدر عن العقل، ومع ذلك فقد كانت فيه منذ وجوده : لأنه لا يمكن تصور عقل بلا فكر فى أية لحظة زمانية، كما أن الكلمة وقد صدرت من العقل، فهى لا تفترق عنه بل قائمة فيه بلا انفصال أو افتراق.

فليس كلام المسيح على الصليب «لماذا تركتنى» فيه معنى افتراق الابن عن الآب، لأنه معنى لا يتفق وطبيعة الله العاقلة.

* * *

كذلك رأى النساطرة والخلقيدونيون وأصحاب الطبيعتين أن قوله «لماذا تركتنى؟» يؤيد وجهة نظرهم فى أن المسيح طبيعتان، وأن الطبيعة اللاهوتية قد افترقت عن الطبيعة الناسوتية؟!.

ولكن لو صح هذا، أفهل كان يجرؤ أحد من المسيحيين على القول بأن ابن الله قد صلب؟ وهل يكون معناه أن الذى صلب عن العالم إنسان محض؟ وحينئذ هل كان يتم خلاص العالم؟! إن نظرية الفداء تقوم على أساس أن الفادى لا يمكن أن يكون مجرد بشر، وإلا لما كان ثمة داع لتجسد الأقنوم الثانى!!. ثم إن إنسانا لن يفدى غير نفسه وإن كان حقا أن مدينا لا يستطيع أن يفى عن مدين فكيف يمكن لإنسان أن يفى أو يكفر عن خطايا البشر جميعا؟! فلا ملاك ولا رئيس آباء ولا رئيس أحبار ولا نبى يمكنه أن يقوم بعمل الفداء. «فرأى **أنه ليس إنسان، وتحير من أنه ليس شفيع، فخلصت ذراعه لنفسه**،.. ويأتى الفادى إلى صهيون..» (إش ٥٩ : ١٦ – ٢٠).

وإذا كان اللاهوت قد فارق الناسوت على الصليب، فلِمَ سال من جنب مخلصنا بعد أن أسلم روحه، دم وماء؟ ونحن نعلم أن الميت يسيل منه الماء، ولكن الدم لا يسيل من غير الأحياء. أليس حقا أنه أمر عجيب يدل على أن المصلوب جمع بين الموت والحياة. الموت فى ناسوته والحياة فى لاهوته؟ ألا حقا إن المصلوب لم يكن مجرد إنسان. وإنما كان الإله المتأنس ولعله بسبب هذا ولأسباب أخرى نطق يوسف ونيقوديموس بهذه التسبيحة التى ترتل بها لا كنيستنا بل

وسائر الكنائس الرسولية التقليدية فى الشرق والغرب «قدوس الله، قدوس القوى، قدوس الحى الذى لا يموت.. الخ».

وإذا كان اللاهوت قد فارق الناسوت، فكيف يجرؤ الرسول على القول إلى مجمع الأساقفة فى أفسس «لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه» (أع ٢٠ : ٢٨) فالدم هو دم الله وليس دم إنسان!!

ويقول القديس بولس «قد صولحنا مع الله **بموت إبنه**» (رؤ ٥ : ١٠) «الذى لم يشفق على **إبنه** بل بذله لأجلنا» (رو ٨ : ٣٢)، «الذى لنا فيه **الفداء** (بدمه) غفران الخطايا، الذى هو صورة الله غير المنظور» (كو ١ : ١٤) الذى وهو **بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته** بعد ما صنع بنفسه **تطهيراً لخطايانا**» (عب ١ : ٣).

«هذا يقوله **الأول والآخر**، الذى كان ميتا فعاش» (رؤ ٢ : ٨) «لا تخف **أنا هو الأول والآخر**، والحى وكنت **ميتا**، وها أنا حى إلى أبد الآبدين، ولى مفاتيح الهاوية والموت» (رؤ ١ : ١٧، ١٨) (راجع أيضاً ١ . بط ١ : ١٩) وهى جميعها، وغيرها كثير، ناطقة الدلالة فى أن المصلوب عنا لم يكن مجرد إنسان فارقه اللاهوت، بل إله متأنس، حسب كل ما وقع على ناسوته من ألم واقعاً أيضاً على لاهوته، غير أن اللاهوت لم يتألم ألما ماديا حاشا!!، وإنما هى آلام أدبية لا مادية تلك التى وقعت على اللاهوت، من حيث هو متحد بالناسوت إتحاداً كاملا بلا افتراق أو انفصال، وبغير هذا لا يمكن تعليل أو تأويل النصوص الرسولية الناطقة بأن المصلوب إنما هو الإله المتأنس وأنه الميت الحى، وأنه بذلك تم خلاص العالم.

* * *

وإذن لماذاصرخ المسيح هكذا؟.. لماذا تركتنى؟

إن المخلص وإن كان إلهاً متأنساً كما قلنا، وهو «**طبيعة واحدة للكلمة المتجسد**» (على حد تعبير القديس أثناسيوس الرسولى)، طبيعة من طبيعتين، وجوهر من جوهرين، باتحاد طبيعى، ذاتى، بلا اختلاط، ولا امتزاج، ولا تغيير، لكن حقيقة هذا الاتحاد احتفظت بصفات اللاهوت كاملة كما احتفظت بخصائص الناسوت كاملة، كما هو الحال فى اتحاد الروح بالجسم، واتحاد الفحم بالنار فى الجمر، أو اتحاد الحديد بالنار(وهى التشبيهات التى يسوقها القديس كيرلس الأول عمود الدين بطل مجمع أفسس الأول). فطبيعة المسيح الناسوتية قائمة كاملة لم يبطلها اللاهوت المتحد بها. وهو بهذه الصفة يقوم بعمل النيابة عنا.

وإذا كان المسيح الإله متروكا على الصليب ليحتمل صنوف الآلام النفسية والحسية فبوصفه نائباً عن البشرية يحتمل فى شخصه كل ما استحقه البشر قصاصاً على التمرد والعصيان. ولقد وقعت الآلام عليه كاملة لأنه ينوب عن الجبلة الآدمية وكان لابد أن يقع عليه كل ما يتطلبه العدل الإلهى من ألم ليكون فى آلامه : التغطية، والكفارة، والترضية. وصراخ المسيح على الصليب كان برهانا على أن الآلام وقعت عليه شديدة ومرة، وعلى أنها كانت آلاما حقيقية، وعلى أن الناسوت الذى اتحد به كان ناسوتا كاملا، وحقيقيا، وطبيعيا، وأنه أخذ صورة الإنسان حقاً، وأن الابن وحده هو الذى تألم دوناً عن الآب والروح القدس.

والمسيح لم يصرخ على الصليب كأنه يرجو خلاصاً من الألم، فقد جاء لأجل هذه الساعة (يو١٢ : ٢٧) وكان ينبئ تلاميذه بأنه «ينبغى أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، **ويقتل** وفى اليوم الثالث يقوم» (مت ١٦ : ٢١). وكان يقول : «الكأس التى أعطانى الآب ألا أشربها؟» (يو ١٨ : ١١) ويحدثنا الرسول بأن دم المسيح معروف سابقاً قبل تأسيس العالم (١. بط ١ : ٢٠).

ولم يصرخ المسيح عن ضعف، ولذلك يذكر عنه الكتاب أنه «صرخ بصوت عظيم» (مت٢٧ :٤٦) ليبرهن على أنه القوى الجبار الذى لم يقهره أو يجبره على الموت أحد. بإرادته ومسرته أسلم نفسه للموت «وليس أحد يأخذها منى **بل أضعها من ذاتى وحدى**، لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها» (يو ١٠ : ١٨).

فعبارة «لم تركتنى» لا تجرى مجرى الاستغاثة، ولا هى سؤال لطلب المعرفة أو سبب الترك، وإنما هى استفهام خرج عن معناه الطبيعى قصد منه إلى إعلان تخلى الرحمة الإلهية عن المصلوب، ليجد العدل فى آلامه ترضية وإيفاء لحقه على البشرية ممثلة فى شخص المسيح.

ويمكن أن نضيف إلى هذا كله سبباً آخر ذكره الآباء، وهو أن صراخ المسيح هكذا **ليعطى للشيطان فرصة ليجرؤ فيقترب منه**، كما كان يفعل مع كل بشر فى لحظة موته ليقبض على روحه ويمضى بها إلى الجحيم. وعن هذا يشير المخلص بقوله : «لست أكلمكم كلاما كثيرا

بعد فإن رئيس هذا العالم آت وليس له فى شئ» (يو ١٤ : ٣٠) ومن أجل هذا كانت ظلمة على الأرض كلها من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة (مت ٢٧ : ٤٥) وهى المدة التى بلغت فيها الظلمة ذروة سلطانها (لو ٢٢ : ٥٣)، ولكن المسيح لم يقل «قد أكمل» إلا بعد أن انقشعت الظلمة وانبلج النور رمزاً لانتصار المسيح على الشيطان، هذا الانتصار الذى أصبح بسببه يفزع الشيطان من ذكر الصليب وعلامة الصليب، حتى أن المسيحيين أصبحوا يتحصنون بالصليب ضد قوات الظلمة.

فالمسيح إذن صرخ قائلا : لم تركتنى، نيابة عنا، ومن أجلنا، لأنه أخذ طبيعتنا، واحتمل فيها عمل الفداء. وقد تخلت الرحمة عن الابن، ليذوق الآلام كاملة لننال فيه الفداء.

* * *

ويتبقى بعد ذلك إشكال صغير، كيف يصرخ المسيح للآب مناديا «**إلهى، إلهى**» ؟! فهلا يعد ذلك اعتراضاً على لاهوته ؟ والجواب أنه بذلك يظهر حقيقة ناسوته، فينتفى بذلك كل شك فى أن المسيح تجسد على الحقيقة، وأنه اتحد **بجسم ونفس مخلوقين**، وأن حقيقة الصليب لم تكن حلماً ولا خيالا ولا مظهراً من المظاهر الخيالية. وقد أكد المسيح له المجد هذا المعنى مرة أخرى بعد قيامته المجيدة. «إنى أصعد إلى أبى الذى هو أبوكم وإلهى الذى هو إلهكم» (يو٢٠:١٧) ولعل هذه الآية وغيرها هى بعض أدلتنا فى إثبات ناسوتية المسيح التى أنكرها بعض الهراطقة فى زمان قديم.

ولا اختلاف بين رواية القديس مرقس «ألوى ألوى لما شبقتنى» (مر ١٥ : ٣٤) ورواية القديس متى «إيلى، إيلى لما شبقتنى» (مت ٢٧ : ٤٦).

فالعبارة الأولى باللغة السريانية، والعبارة الثانية باللغة العبرية ـ مشتقة من كلمة إيل بمعنى إله، ولذلك أوردتهما النسخة أو الترجمة القبطية بألفاظ واحدة.

٦٩ ـ هل اللاهوت إنفصل عن الناسوت (١)

كيف نقول إن المسيح قد تألم بالجسد فقط، هل فارق اللاهوت عند آلامه الناسوت ؟

ـ لنفرض أن الملك قد كتب أمراً وأرسله إلى شعبه فأمسك الناس بكتاب الملك ومزقوه، فإننا لا نقول إن الناس قد مزقوا «الحروف» المطبعية أو الكتابة الظاهرة فى الكتاب الملكى، وإنما نقول إنهم مزقوا «كلام» الملك. ومع ذلك فليس تمزيقهم لكلام الملك معناه إزالة كلام الملك من الوجود، فإن كلام الملك الذى أصدره لا زال موجوداً فى عقل الملك ومعروفاً عند الناس، وإنما تمزق الكلام من حيث هو «كلام مكتوب» بحروف.

هكذا لا نقول إن «جسد» المسيح قد مات، وإنما نقول إن المسيح الإله المتجسد قد مات. وفى ذلك يقول الرسول «ارعوا رعية الله التى اقتناها **بدمه**» **(أى بدم الله)**. غير أننا نقول إن المسيح قد مات بالجسد، أى أن الموت لم يلحق باللاهوت المالئ كل مكان والذى لا يعتريه موت أو تغيير، وإنما لحق بالجسد القابل للموت، تماماً كقولنا إن الناس قد مزقوا «كلام» الملك ولكن دون أن يتمزق الكلام إلا من حيث هو كلام مكتوب وبعد، فإن كل تشبيه ـ ولا سيما فى الأمور اللاهوتية ـ هو تشبيه غير منطبق كل الانطباق، ولكنه يقرب المعنى إلى الذهن بعض التقريب.

هل فى سر التناول نتناول اللاهوت مع الناسوت ؟ (٢)

يقول الكاهن فى نهاية القداس «.. أؤمن.. أن هذا هو الجسد المحيى الذى أخذه ابنك الوحيد.. من سيدتنا وملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم. وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير..» إذاً فالجسد الذى نتناوله هو المتحد بلاهوته ولذلك قال رب المجد «فمن يأكلنى فهو يحيا بى» (يو ٦ : ٥٧) غير أنه وإن كان كل ما يحدث للمسيح ينسب للاهوت والناسوت معا فليس معنى ذلك أنه يصيب اللاهوت. فنحن إن قلنا إن الرب قد مات على الصليب، فمع أن الذى مات ليس مجرد الناسوت بل الإله المتجسد فإن اللاهوت لم يمت، فعلى هذا القياس إن كنا نأكل جسد المسيح الذى جعله واحداً مع لاهوته فإن الأكل والمضغ والتمزيق والهضم لا يصيب اللاهوت.

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة الأولى العدد ١٢ فى ديسمبر ١٩٤٧م.

(٢) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة الثانية العدد ٤ فى سبتمبر ١٩٤٨م.

٧٠ ـ تفسير «صار جسداً»

سؤال : قال معلمنا يوحنا (يو ١ : ١٤) : والكلمة صار جسداً. فكيف تجوز الصيرورة على كلمة الله الموجودة منذ الأزل وإلى الأبد لا تتغير، إذ لا يتحول ولا يصير إلا المخلوق. فما قصد الرسول؟

الجواب :

إن الله لا يتحول ولا يتبدل ولا يتغير، على ما تقول. ولكن الصيرورة هنا يجب أن تحمل على معنى ظاهرى لا حقيقى. لأن الكلمة هو الله ظاهراً فى الجسد. ولا شك أن هذا تحول ولكن لا فى الجوهر بل فى المظهر. وعلى ذلك فقوله «صار جسداً» معناه «اتّخذ جسداً» والكلمة القبطية تفيد هذا المعنى ⲁϥϩⲓⲡ ⲟⲩⲥⲁⲣⲝ (١) لأن المقابل الحرفى لها «عمل جسداً» أو «تجسد». وربما كانت الترجمة القبطية كما ترى أدق فى الدلالة على المعنى بصورة سليمة تنأى بالقارئ عن اللبس والإبهام.

ولا مراء فى أن الكلمة الإلهى لم يتخذ جسداً فقط، ولكنه اتخذ نفساً ناطقة متحدة بهذا الجسد. ولكن الرسول يوحنا أراد أن يتحدث عن مظهر التجسد البارز والذى يتمثل فى الجسد. ولعل السبب فى ذلك، على ما نعلم، أن الرسول كتب إنجيله يرد به على بدع وتعاليم ضالة روج له قوم مفسدون ضد التعليم الأرثوذكسى المستقيم، ومنها أن جسد المسيح لم يكن إلا خيالا وظهوراً فقط. ولما كانت مثل هذه البدعة خبيثة هدامة، تلغى عمل الفداء الذى قام به المخلص فى جسده الذى سمر بالصليب، وتفوت على البشر حكمة الله فى التجسد، فقد عبر الرسول عن ظهور الكلمة بعبارة يؤكد فيها حقيقة الجسد الذى اتّخذه المسيح واتحد به فصار مع لاهوته طبيعة واحدة.

على أن هذه «الصيرورة الظاهرية» لا تفيد اندماج اللاهوت فى الناسوت أو اختلاطه به على ما يذهب أوطاخى، بدليل قوله بعد ذلك مباشرة «وحل بيننا ورأينا مجده» وإنما هى عبارة قوية الدلالة على مبلغ الاتحاد التام بين اللاهوت والناسوت بحيث «أصبحا» «طبيعة واحدة بغير امتزاج ولا تداخل ولا اختلاط ودون انفصال أو افتراق أو انقسام.

ولعل هذه الآية وحدها كافية للبرهنة على خطأ ما يذهب إليه اخواننا الكاثوليك من القول بالفصل بين الطبيعتين فى المسيح، وصحة ما يصر، على القول به، آباء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية : «طبيعة واحدة للكلمة المتجسد».

---

(١) راجع ترجمة الكلية الاكليريكية للبشائر الأربع.

٧١ ـ صلاة السيد المسيح

سؤال:

ظهر ملاك للرب وهو يصلى ليقويه كما جاء فى إنجيل لوقا فهل الرب يصلى باللاهوت أم الناسوت؟

الجواب:

طبعاً المسيح هنا يصلى كإنسان، لأنه فى بستان جثسيمانى، المسيح نائباً عن البشرية، وهذا هو الموضع الوحيد الذى فيه يصلى المسيح صلاة الطلب، ورد عن المسيح حوالى ٨ مرات أنه صلّى، إنما صلاة المسيح دائماً كإله كانت مناجاة، ولم تكن أبداً صلاة الطلب، مناجاة لبيان العلاقة بينه وبين الآب فى داخل الوحدة الثالوثية، مثل ما الإنسان أحياناً يناجى ذاته. يقول قلت لنفسى أو قلت فيما بينى وبين نفسى، كما لو كانت نفسه إثنين أى واحد يقول والثانى يسمع ما يقول، وكذلك.. أى نوع من التفكير، ما هو التفكير بالنسبة للإنسان؟ هو عبارة عن نوع من المناجاة الداخلية. فى داخل النفس البشرية. فالمسيح نسب إليه أنه صلى، لم تكن أبداً صلاته صلاة الطلب إلا فى بستان جثسيمانى، إنما فيما عدا بستان جثسيمانى كانت صلاته مناجاة بينه وبين الآب، لبيان الوحدة الثالوثية بينه وبين الآب، إنما فى بستان جثسيمانى هنا المعركة النهائية وهى معركة الفداء، فهو نائباً عن البشرية. يقول «وضع الرب عليه إثم جميعنا، الذى لم يعرف خطيئة صار خطيئة لأجلنا». المسيح صار خطيئة. نحن الخطاة، لكن هو فى وضع النائب عنا، ولذلك هو صلب فمات، فالحكم الصادر على الإنسان أخذه على نفسه فأصبح هو المدين، هو المديون، هو الخاطئ وهذا معنى الفداء. كلمة الفداء معناها الإبدال، فالمسيح صار بديلاً عن الناس، فهو صار الخاطئ، ولذلك يقول الذى لم يعرف خطيئة صار خطيئة لأجلنا. فهنا الموضع الوحيد الذى فيه المسيح صلى صلاة الطلب كنائب عن البشرية، المسيح صلى كإنسان، إنما كإله طبعاً لا يصلى، لذلك فى صنع المعجزات لم يحدث أبداً أن المسيح كان يصلى ليطلب معونة، ولكن يقول أيها الشاب لك أقول قم، يا صبية قومى .. إلخ.

٧٢ ـ كيف يسمح المسيح لتوما بأن يلمسه ويمنع مريم؟

سؤال:

يقول: عند قيامة السيد المسيح من بين الأموات وقفت مريم المجدلية على باب القبر، وعند ظهور السيد المسيح قال لها: لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى، ولكن عند اجتماع التلاميذ والأبواب مغلّقة دخل فى وسطهم، وقال لتوما أن يلمسه فكيف أن توما يلمسه ومريم لاتلمسه؟

الجواب:

بكل بساطة أن مريم المجدلية لما رأت المسيح كان ذلك مباغتة لها، لأنها لم تكن تتوقع قيامته من بين الأموات، فهى أمسكت به بقوة خوفاً أن يتركها ويمضى، فالحقيقة كلمة «لا تلمسينى» إنما معناها «لا تتشبثى بى هكذا» فهو أراد أن يطمئنها أن وقت صعوده لم يأت بعد، إنه سيستمر معهم مدة أربعين يوماً، هذا هو السبب، والسؤال نفسه يقول أنه عندما دخل إلى العلية والأبواب مغلّقة، قال لتلاميذه تعالوا جسونى وانظرونى وتحققوا منى، فإن الروح أو الشبح ليس له عظام ولحم كما ترون لى. وقال لتوما تعال امسك وضع يدك ... إلخ. فالكلمة «لا تلمسينى» بمعنى لا تتشبثى بى هكذا.. لأنها أرادت أن تمسكه.

٧٣ - هل يصدر الشر من الله؟

سؤال: من السيدة المحترمة قرينة الأستاذ المحاسب أنطون سيدهم.

لقد جاء فى سفر إشعياء قول الرب «أنا الرب وليس آخر. أنا مبدع النور وخالق الظلمة، صانع السلام، وخالق الشر. أنا الرب صانع هذه كلها» (إشعياء ٤٥: ٦، ٧) فكيف يمكن أن يقول الرب عن نفسه أنه «خالق الشر»؟

الجواب:

حقاً إنه لأمر غريب أن ينسب الله إلى ذاته أنه «خالق الشر». أما إذا عرفنا أن من الناس من كانوا يعتقدون فى أن الوجود يتقاسمه إلهان إثنان: إله للخير، وإله للشر، وأنهما يتنازعان، فعندما ينتصر إله الخير، فالخير يسود، وعندما ينتصر إله الشر، فالشر يسود. وعندهم أن هذا الاعتقاد يفسر وجود الخير والشر فى العالم، ويشرح الصراع القديم بين الخير والشر فى الوجود. وممن قالوا بهذا الاعتقاد أهل الفرس قديماً، وقد عرفت ديانتهم بديانة الشراكسة. وإله الخير هو (أورموزدا)Ormuzd هو صانع الخير وخالقه، وأما إله الشر فهو (أهريمان) Ahriman.

ولما كان الرب فى سفر إشعياء يوجه الخطاب إلى قورش (أو كورش) Cyrus مؤسس الإمبراطورية الفارسية (نحو ٥٦٠ - ٥٢٩)ق. م، وكان قد استولى على بلاد مادای وآسيا الصغرى وبابل، وهو الذى منح الإذن لليهود بأن يعودوا من سبى (أو جلاء) بابل إلى فلسطين، فإن الرب يريد أن يعرف قورش ملك الفرس بذاته، ويعلن له أنه هو الإله الحق، ولا إله غيره، وأنه يدعوه باسمه قورش مع أن قورش نفسه لا يعرفه، وأنه سينصره ويوفقه وينجح طريقه، وأنه هو الذى ألهمه أن يأذن لشعبه بنى إسرائيل المسبيين أن يعودوا من أرض الجلاء إلى فلسطين.

يقول فى مطلع الفصل، الذى ورد فيه النص موضوع حديثنا:

«هكذا يقول الرب لمسيحه، لكورش، الذى أمسكت بيمينه لأخضع الأمم بين يديه، وأحل أحقاء الملوك، لأفتح أمامه المصراعين، والأبواب لا تغلق. أنا أسير قدامك، والهضاب أمهد. أكسر مصراعى النحاس، وأقصف مغاليق الحديد. وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابئ، لكى تعرف أنى أنا الرب الذى يدعوك باسمك، إله إسرائيل. إنى لأجل عبدى يعقوب، وإسرائيل مختارى، دعوتك باسمك، لقبتك وأنت لا تعرفنى» (إشعياء ٤٥: ١ - ٤).

ولما كان قورش (أو كورش)، كأهل الفرس القدماء، يعتقد بوجود إلهين، إله للخير وإله للشر، فإن الرب الإله يريد أن يعرف قورش وجميع الفرس، ومن يعتقد إعتقادهم، أنه لا يوجد غير إله واحد، وأن الخير يصدر منه، وأنه لا يوجد إله للشر يقف أمام الله الند للند كإله آخر يتقاسم معه الوجود، ويتنازع سلطانه. ولذلك نسب الله إلى ذاته أنه خالق الظلمة.. وأنه خالق الشر، وذلك لكى ينفى وجود إله آخر حتى لو كان وجوده تفسيراً معقولاً لوجود الشر فى الكون. وهذا كله توكيد وإلحاح على حقيقة وحدانية الله وتفرده، وأنه هو وحده أصل الوجود. وعليه فلنتأمل قوله تعالى فى هذا الصدد «أنا الرب وليس آخر. لا إله سواى.. لكى يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها، إنه ليس غيرى. أنا الرب، وليس آخر. أنا مبدع النور، وخالق الظلمة، صانع السلام، وخالق الشر. أنا الرب صانع هذه كلها... أنا صنعت الأرض وخلقت الإنسان عليها، يداى أنا نشرتا السماوات وأنا أمرت جميع جندها .. الله فيك، وليس آخر، ليس إله غيره... خالق السماوات هو الله، جابل الأرض وصانعها، هو الذى أقرها.. للسكن جبلها. إنى أنا الرب، وليس آخر.. أنا الرب ولا إله غيرى. إله عادل ومخلّص، ليس سواى. التفتوا إلىّ واخلصوا يا جميع أقاصى الأرض، فإنى أنا الله وليس آخر. (إشعياء ٤٥: ٥ – ٢٢).

حقاً إن الله - وهو دائماً كلّى الجودة والخير - لا يمكن أن يكون علة أولى للشر. ولكن الشرّ موجود، ولابد من تفسير للشر فى الوجود.. على أن الشر يصدر من كائنات عاقلة تنكبت طريق الخير وانحرفت نحو الضلال. ولما كانت هذه الكائنات العاقلة مخلوقة، وخالقها هو الله، فإن الشر الذى يصدر عنها ومنها بصفة مباشرة يعتبر الله مسؤولاً عنه، من حيث أنه هو خالقها والأصل فى وجودها ... لذلك، ومن هذه الجهة، يعد الله خالق الشر، أى أنه خالق لمن يخلق الشر. وبهذا المعنى يكون الله خالقاً للشر..

ومهما يكن من أمر، فإن الله لا يمكن أن يكون المصدر الأول لخلق الشر.. فالمصدر الأول للشر هو الكائنات العاقلة المريدة، وأعنى بها الشيطان وجنوده وكذلك الأناس من الأشرار. وبلغة أخرى يمكن أن يقال أن الله هو العلة الأولى للخير، ولكنه العلة الثانية للشر.. أما العلة الأولى للشر فهم الشياطين والأشرار من بين الناس. جاء فى الكتاب المقدس «حاشا لله من الشر، وللقدير من الظلم، لأنه يجازى الإنسان على فعله، وينيل الرجل على حسب سبيله. فحقاً أن الله لا يفعل سواء» (أيوب ٣٤: ١٠ – ١٢).

وتوكيداً على وحدانية الله، وأنه لا يوجد غير إله واحد، يقول الله تعالى فى نفس سفر إشعياء «إنى أنا هو. لم يكون إله قبلى، ولا يكون بعدى. أنا أنا الرب ولا مخلص غيرى.. أنا هو، ولا منقذ من يدى. أفعل ومن يرد..» (إشعياء ٤٣: ١٠ - ١٣).

«هكذا يقول الرب... رب الجنود. أنا الأول، وأنا الآخر، ولا إله غيرى. ومن مثلى.. هل من إله غيرى.. هكذا يقول الرب فاديك، وجابلك من البطن. أنا الرب صانع كل شئ، ناشر السماوات وحدى، وباسط الأرض بنفسى. من معى. (إشعياء ٤٤: ٦ - ٢٤).

«أنا الله وليس آخر. أنا الله وليس مثلى» (إشعياء ٤٦: ٩).

«أنا هو. أنا الأول وأنا الآخر» (إشعياء ٤٨: ١٢).

وجاء أيضاً فى مواضع أخرى «الرب هو الإله. ليس إله سواه» (التثنية ٤: ٣٥).

«الرب هو الإله فى السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل. ليس سواه» (التثنية ٤: ٣٩).

«إننى أنا هو، ولا إله معى. أنا أميت وأحيى.. وليس من ينقذ من يدى» (التثنية ٣٢: ٣٩).

«لأنه ليس أحد سواه» (١. صموئيل ٢: ٢).

«لأنه من إله غير الرب» (٢. صموئيل ٢٢: ٣٢).

انظر أيضاً (مرقس ١٢: ٣٢)، (الرؤيا ١: ٨، ١١، ١٧)، (٢: ٨)، (٢١: ٦)، (٢٢: ١٣).

ثم لأن الله وهو سيّد الكون والوجود، هو صاحب الأمر والنهى، فيمكنه أن يلغى الشر ويبطله. فإذا لم يلغه ولم يبطله، فقد سمح به وأجازه. فمن هذه الوجهة أيضاً يعتبر الله مسؤولاً عن الشر، وبالتالى فهو أساسه وعلته، وإن كان فى الحق لا يمكن أن يكون الله علة الشر الأولى.

إن القليل من الناس يعرفون الفرق بين أن يريد الله الشر، وبين أن يسمح به.. فالله - وهو كلى الخير والجودة - لا يمكن أن (يريد) الشر، أنه يمقته ويكرهه: يقول سفر المزامير «لأنك لست إلهاً يسر بالشر.. سافك الدماء والماكر يمقته الرب» (مزمور ٥: ٤، ٦).. ومع ذلك فلأن الله خلق الكائنات العاقلة حرة. فهو لا يجبرها ولا يقهرها على عمل الخير..فإذا صنعت الشر، فتصنعه بإرادتها هى لا بإرادة الله، ولكن لأن الله كان يمكنه أن يمنعها، ولم يمنعها، لذلك فهو قد سمح لها بأن تصنع الشر.. ولأنه سمح لها بالشر الذى تختاره بحريتها ولم يمنعها، فهو المسؤول عن الشر الذى يصدر منها.. وبهذا المعنى يكون الله صانعاً للشر.

جاء فى الكتاب المقدس أيضاً «أم يكون فى المدينة شر، ولم يفعله الرب» (عاموس ٣: ٦).

هنا، فى هذا النص كما فى النص الوارد فى (إشعياء ٤٥: ٧) القائل: «أنا الرب وليس آخر، أنا مبدع النور وخالق الظلمة، صانع السلام وخالق الشر» المعنى المقصود هو الإلحاح على أن هناك إلهاً واحداً للكون، ولا يوجد غير إله واحد، وهو المسؤول عن الخير، كما هو المسؤول عن الشر باعتباره سيد الكون الأوحد، وليس غيره السيد والرب الواحد وحده الحقيقى. وهو صانع الخير والخيرات لأنه كلى الخير، وهو الذى خلق الكائنات التى تصنع الخير والكائنات التى تصنع الشر بإرادتها واختيارها. ولما كان هو خالقها جميعاً والمهيمن عليها فهو المسؤول عن أعمالها. ثم لأنه فى مقدوره أن يمنعها من أن تصنع شراً، ولكنه لا يمنعها لأنه خلقها حرّة، فهو أيضاً المسؤول عن الشر الذى تصنعه هذه الكائنات الحرة العاقلة المريدة، لأنه وإن كان لا يريد الشر، لكنه يسمح به ويأذن به، لحكمة عنده، ولامتحان إرادة مخلوقاته فى إختيارها الخير والشر، فإذا عاقبها فى يوم الحساب، فلا يكون قد ظلمها أو عاقبها على شر لم تكن هى حرّة فى إختياره وفى عمله.

وإذن فلا يوجد غير إله واحد، هو الآمر بالخير والناهى عن الشر، وهو أيضاً خالق الكائنات التى تصنع الشر بإرادتها، وبالتالى هو الخالق لكل ما يصدر عنها.. أى أنه الخالق لخالق الشر.. فليس إذن إلا إله واحد، وليس غيره إله.

حقاً إن الشيطان يسمّى «إله هذا الدهر» (٢. كورنثوس ٤: ٤) و«قد أعمى بصائر غير المؤمنين لئلا تضئ لهم بشارة مجد المسيح بنورها. وهو صورة الله» كما وصفه المسيح له المجد بأنه «رئيس هذا العالم» (يوحنا ١٢: ٣١)، (١٤: ٣٠)، (١٦: ١١). انظر أيضاً (أفسس ٦: ١٢).

لكن الشيطان، مع كونه إله هذا الدهر وإله الشر، لكن الشيطان ذاته مخلوق من الله. فهو إذن إله بالنسبة لمن تسلط عليهم من الأشرار، لكنه على كل حال ليس إلهاً آخر على نظير الله تعالى، ولا يقف أمام الله على نحو ما صوره أهل الفرس قديماً بأنه إله يتقاسم مع إله الخير سلطان الوجود، بمثابة شقيق، له ما لله الحقيقى من قدرة وسلطان. يقول الكتاب المقدس عن الشيطان وجنوده أنهم أيضاً «يؤمنون بأن الله واحد، ويرتعدون» (يعقوب ٢: ١٩).

* * *

ثم أن هناك نوعاً من الشر غير الشر الأخلاقى، وهو ما يُسمّى بـ (الشر الطبيعى) . والشر الطبيعى هو الكوارث والنوازل والمصائب التى تنزل بالأفراد وبالشعوب ومن بينها:

الأوبئة والأمراض المعدية التى تنتشر بين الناس فيموت بسببها كثيرون من الخلق.

والزلازل التى تحل بأماكن فتدمر المدن والقرى فيهلك بسببها الإنسان والحيوان.

والبراكين التى تثور فتنزل منها الحمم فتقتل أعداداً غفيرة من المخلوقات من الناس والبهائم.

والفيضانات التى تغرق الأراضى، والمنازل، وتزهق بها الأرواح وتنفق بها الماشية.

والعواصف العاتية والأعاصير والرياح الصرصر التى تجرف فى طريقها الناس وسائر الخلائق الحية والجامدة.

ومنها كذلك البرد القارس والحرّ اللافح الذى يقتل الإنسان كما يقتل النبات فضلاً عن الحيوانات العجماوات.

وأخيراً وليس آخراً، الحشرات الفتاكة بالنبات وسائر الكائنات الحية وغير الحية ومنها الجراد والديدان والعقارب والحيات وما إليها من القوارض والمبيدات.

كل تلك شرور يبتلى بها الناس، يسمح بها الله لتأديب الناس عقاباً على خطاياهم وتعدياتهم.

جاء فى الكتاب المقدس: «إن لم تسمع لصوت الرب إلهك، لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه ورسومه.. تأتى عليك هذه اللعنات كلها وتدركك. فتكون ملعوناً فى المدينة وملعوناً فى الحقل، وتكون ملعونة سلتك ومعجنك. وتكون ملعونة ثمرة بطنك وثمرة أرضك ونتاج بقرك وإناث غنمك... يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر فى جميع ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى سريعاً من أجل سوء أعمالك إذ تركتنى ويلصق بك الرب الوبأ إلى أن يستأصلك من الأرض.. يضربك الرب بالسلّ والحمّى والبرداء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول، فتتبعك حتى تفنيك. وتكون سماؤك التى فوق رأسك نحاساً، والأرض التى تحتك حديداً. ويجعل الرب مطر أرضك غباراً وتراباً ينزل عليك من السماء حتى تهلك. يجعلك الرب منهزماً أمام أعدائك.. يضربك الرب بقرحة مصر وبالبواسير والجرب والحكة حتى لا تستطيع الشفاء. ويضربك الرب بالجنون والعمى وحيرة القلب. فتتلمس فى الظهيرة كما يتلمس الأعمى فى الظلمة ولا تنجح فى طرقك، بل لا تكون إلاّ مظلوماً مغصوباً طول الأيام وليس لك منقذ.. وتدفع غنمك إلى أعدائك، وليس لك منقذ. وبنوك وبناتك يسلّمون إلى شعب آخر.. وثمر أرضك وجميع تعبك يأكله شعب لاتعرفه، فلا تكون إلاّ مظلوماً ومسحوقاً كل الأيام. وتكون مجنوناً ..

يضربك الرب بقرح خبيث على الركبتين وعلى الساقين حتى لا تستطيع الشفاء من أخمص قدمك إلى قمة رأسك .. تخرج بذاراً كثيراً إلى الحقل وقليلاً تجمع إذ يقضمه الجراد. وتغرس كروماً .. ولا تجنى بل يأكلها الدود. ويكون لك زيتون.. وبزيت لا تدهن لأن زيتونك ينتثر.. جميع أشجارك وأثمار أرضك يستولى عليه الصرصر.. وتأتى عليك جميع هذه اللعنات وتتبّعك وتدركك حتى تهلك، لأنك لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحفظ وصاياه ورسومه التى أوصاك بها.. يسوق الرب عليك أمة من بعيد.. أمة جافية الوجه.. فتأكل ثمر بهائمك وثمر أرضك حتى تهلك، ولا تبقى لك قمحاً ولا خمراً ولا زيتاً ولا نتاج بقرك ولا إناث غنمك حتى تفنيك.. ويرد عليك جميع أوبئة مصر.. وكل مرض وكل ضربة .. هذا يسلطه الرب عليك حتى تهلك.. » (سفر التثنية ٢٨ : ١٥ – ٦٥).

أنظر أيضاً (١ . الملوك ٨ : ٣٧)، (٢ . أخبار الأيام ٦ : ٢٨)، (٢٠ : ٩)، (يوئيل ٢ : ٢٥)، (عاموس ٤ : ٩)، (حجى ٢ : ١٧).

تلك عينات من (الشر الطبيعى) والتى يسمح الرب بها لتنزل بالناس، عقاباً وتأديباً على خطاياهم وشرهم (الأخلاقى).

ومن قبيل هذا ما قاله أيوب الصديق لزوجته بعد أن نزلت به نوازل فماتت بقره وغنمه وجماله ثم أولاده وبناته، وضربه الشيطان بقرح ردئ من باطن قدمه إلى هامته: «أنقبل الخير من عند الله ولا نقبل منه الشر؟» (أيوب ٢ : ١٠). وعندما رفع الرب عنه ضربة الشيطان «جاء إليه كل إخوته وكل أخواته وكل معارفه .. وعزوه عن كل الشر الذى أنزله الرب به..» (أيوب ٤٢ : ١١).

وعن هذا النوع من (الشر الطبيعى) نقرأ فى الكتاب المقدس، فى مواضع متفرقة، مثلاً (التكوين ١٩ : ١٩)، (٢ . أخبار الأيام ٣٤ : ٢٤)، (مزمور ٢٢ : ٤)، (٦٩ : ٢)، (٧٠ : ١٣، ٢٤)، (٨٩ : ١٥)، (٩٠ : ١٠)، (١٠٨ : ٥، ٢٠)، (الأمثال ١٢ : ٢١)، (الجامعة ٦ : ١)، (إشعياء ٤٧ : ١١)، (إرميا ٥ : ١٢)، (٦ : ١٩)، (١١ : ١١)، (٤٩ : ٣٧)، (دانيال ٩ : ١٢)، (عاموس ٩ : ٤)، (ميخا ٣ : ١١)، (صفنيا ٣ : ١٥).

وبهذا المعنى عن (الشر الطبيعى) يقول الكتاب المقدس «فندم الرب على الشر، وقال للملاك المهلك الشعب: كفى، فكفّ الآن يدك» (٢ . صموئيل ٢٤ : ١٦). والمقصود بالندم هو عدول الرب عن الاستمرار فى إنزال غضبه على الشعب ـ وذلك بوقف الوباء الذى نزل بالشعب. انظر (يوئيل ٢ : ١٣، ١٤)، (يونان ٣ : ٩).

٧٤ ـ معجزة تحويل الماء إلى خمر غير مسكرة

تعد هذه المعجزة أولى المعجزات التى صنعها رب المجد يسوع المسيح فى بدء خدمته الجهرية. يقول الإنجيل المقدس: «وقد كانت هذه هى المعجزة الأولى التى صنعها يسوع فى قانا الجليل، وأظهر مجده، فآمن به تلاميذه» (يوحنا ٢ : ١١).

وإذن فهذه المعجزة تُعد الأولى فى قانا الجليل وقد صنعها أمام تلاميذه فآمنوا به إذ رأوا مجده أى جلاله وسلطانه وقدرته.

ولكنها بالطبع ليست هى المعجزة الأولى منذ نزوله على الأرض، فلقد سبقتها معجزات كثيرة. فإنّ الحمل به فى بطن عذراء لم تعرف رجلاً، معجزة، وولادته منها مع احتفاظها ببكارتها، معجزة، ومجئ المجوس إليه من أرض بعيدة ليسجدوا له، معجزة، ومجيئه إلى مصر ونجاته من سيف هيرودس، معجزة، وتحطّم الأوثان فى مصر أمام جلاله (إشعياء ١٩ : ١) معجزة بل معجزات، وإقامته فى مصر قد صاحبها الكثير من المعجزات بما لا يعيه الحصر. ولابد أن العذراء مريم ويوسف النجار وأهل الناصرة التى تربى فيها (متى ٢ : ٢٣)، (لوقا ٤ : ١٦) قد رأوا فى حياته بينهم عشرات المعجزات...

ولقد رأت الكنيسة فى معجزة تحويل الماء إلى خمر فى عرس قانا الجليل عدة حقائق مهمة:

الحقيقة الأولى: هى قدرة المسيح اللاهوتية، وسلطانه على المادة بتحويلها من صورة إلى أخرى، من ماء إلى خمر حقيقى. وهذه القدرة ذاتية لم يستمدها من كائن خارج عن ذاته. فهو لم يتذرع بالصلاة والطلب كما يفعل الأنبياء والرسل، إذ يطلبون من الله فيستجيب الله لصلواتهم توكيداً لقدرته تعالى، وإثباتاً لإرساليتهم من الله. أما المسيح فعندما حوّل الماء إلى خمر لم يرفع صلاة، وإنما أصدر أمراً إلى الخادمين «املأوا القدور ماء، فملأوها إلى أعلاها. فقال لهم: اغترفوا الآن، وقدّموا إلى رئيس الوليمة، فقدموا. فلمّا ذاق رئيس الوليمة الماء الذى تحوّل إلى خمر.. دعا .. العريس» (يوحنا ٢ : ٧ – ٩).

ولقد انبهر رئيس الوليمة من المعجزة، وشهد بأن هذه الخمر هى أجود أنواع الخمور، وقال للعريس «كل إنسان يقدم للمدعوين الخمر الجيدة أولاً، حتى إذا سكروا قدم لهم ما هو دونها جودة. أما أنت فأبقيت الخمر الجيدة إلى الآن» (يوحنا ٢ : ١٠، ١١) كما انذهل للمعجزة المدعوون، ومن بينهم تلاميذ المسيح، فآمن به تلاميذه (٢ : ١١).

تلك (القوة) الذاتية التى منها ينبع سلطان المسيح الإلهى على صنع المعجزات، قد عبّر عنها له المجد صراحة عندما لمسته «إمرأة كانت مصابة بنزف دم منذ إثنى عشر عاماً، وقد عانت كثيراً من أطباء كثيرين وأنفقت كل ما تملك (على الأطباء)، فلم تجد أى فائدة، وإنما بالأحرى ازداد حالها سوءاً، فلما سمعت عن يسوع جاءت من خلفه فى الزحام (ولمست طرف ثوبه)، لأنها قالت فى نفسها: «لو أننى لمست فقط رداءه لشفيت». فجف معين نزفها فى الحال، وأحسّت فى جسمها بأنها قد برئت من ذلك الداء. **وعلى الفور علم يسوع فى نفسه بالقوة التى خرجت منه**. فأدار عينيه فى الجمع، وقال: «من لمس ثيابى؟» فأنكر الجميع وقال بطرس والذين معه: «يا معلم، إن الجمع يتزاحمون من حولك ويضغطون عليك، ثم تقول: من لمسنى؟ فقال يسوع: إن ثمة من لمسنى، لأننى عالم بالقوة التى خرجت منّى. فلما رأت المرأة أن أمرها لم يكن خافياً عليه جاءت مرتعدة، وارتمت على قدميه، ثم اعترفت أمام كل الشعب بالسبب الذى من أجله لمسته، وكيف أنها شُفيت على الفور. فقال لها: «تشجعى يا إبنتى، إن إيمانك قد خلصك» (مرقس ٥: ٢٥ – ٣٤)، (لوقا ٨: ٤٣ – ٤٨)، (متى ٩: ٢٠ – ٢٢).

٧٥ ـ طبيعته لا تمكنه أن يعاين ملكوت الله

سؤال:

نعتقد جميعاً ولا شك أن الله يريد خلاص البشرية بمعرفته ولكنه سمح مع ذلك بوجود عدة أديان غير المسيحية، ومما لا شك فيه أنه إذا نشأ إنسان على ديانة أو مبدأ معين فيكون ذلك شبه مستحيل أن يحيد عنه. فلماذا يحرم هؤلاء الناس من رؤية ملكوت السموات؟

الجواب:

أولاً لا نستطيع أن نقول أن الذى نشأ على مبدأ معين يستحيل أن يحيد عنه. صحيح أنه عادة يستمر الإنسان على ما نشأ عليه فى الصغر، لكن ليس مستحيل، إنه فعلاً الإنسان على مدى التاريخ يقدر أن يغير.

أما من جهة الحساب أو دخول ملكوت السموات، فهذا طبعاً مبدأ مقرر فى الكتاب المقدس إن الذين لا شريعة لهم أو لا ناموس لهم فهناك الناموس الطبيعى وهو ناموس الضمير، لأن كل إنسان فى الخليقة له ضمير به يميز بين الخير والشر، ويشعر بإلزام من الداخل أنه يجب أن يعمل الخير ويجب أن يتجنب الشر، ففى حالة إذا كان الفرد لا يعرف المسيح سيكون حسابه على أساس شريعة الضمير، إنما موضوع دخول ملكوت السموات فهذا إمتياز لأنه حصل شقوق للطبيعة البشرية ولا يمكن أبداً إصلاحه إلا بأن تتغير الطبيعة البشرية. فلو فرض أن عندنا لوح زجاج كُسر، لا يمكن أبداً أن يعود، من الممكن ترميمه ترميماً مؤقتاً، لكن لكى يرجع مرة أخرى مثل الأصل لا يمكن ـ فلا بد أن يتغير اللوح كله. وهذا ما قاله القديس أوغسطينوس، والمعروف طبعاً فى المسيحية، أن الطبيعة البشرية فسدت فساد لا يمكن إصلاحه إلا بالتغيير الكلى. ونحن كلنا ولدنا من آدم وأصبحنا فى حكم الطبيعة مثل المرض الوراثى، فإذا كان الأب وريث لمرض فطبيعى أولاده يكونون مصابين بهذه المرض الوراثى، هذا شئ طبيعى جداً، عندما يكون واحد فقير ابنه يكون فى ظروف أبوه فيكون فقيراً أيضاً مثله، إنما كونه فقير لأن أبوه فقير هذا ليس خطيئته، فلا يُحاسب على خطيئة أبوه إلا إذا كان هو نفسه يعمل خطيئة أبوه. فمن جهة العقاب، لا يُعاقب الإنسان الذى يكون من ديانة ثانية أو لم يعتمد إلا على خطيئته، لكن موضوع دخول ملكوت السموات هذا إمتياز آخر، هذا موضوع آخر فيه فرق، مثلاً عندما نسأل بالنسبة للأطفال الصغار غير المعمدين ما هو مصيرهم؟ الآباء قالوا لا يعذبون ولا يمجدون، لا يعذب لأنه لم

يصنع خطيئة فى هذا الوقت، لكن كونه يتمجد بمعنى أنه يرى ويعاين ملكوت الله لا.. فيكون مثل واحد عيونه ضعيفة أو ولد أعمى، فبطبيعة أنه أعمى لا يرى، لكن لا يوجد عذاب فعلى بالنسبة له، كل ما هناك لا يقدر أن يرى لأنه لا يوجد له الإمكانية. فالإنسان غير المعمد إذا لم يكن قد أخطأ خطيئة فعلية مثل الأطفال، ففى هذه الحالة لا يعذب، لكن لأنه مولود بالطبيعة فهذه الطبيعة لا تمكنه أنه يعاين ملكوت الله، لأن طبيعته لا تتحمل الوجود فى الحضرة الإلهية. على كل حال الله هو الحكم والله هو الديان، وطبعاً الله سيحاسب كل إنسان على حسب إمكانياته. الله لا يظلم أحد أبداً، فمن جهة العقاب الإنسان لا يعاقب إلا عن الشئ الذى صنعه فعلاً.

موضوع أننا نرث الخطيئة كلنا، يوجد كثير من الناس الغير مسيحيين لا يفهموها، نحن نرث من أبينا آدم ليس الخطيئة نفسها ولكن نرث الحالة، ولذلك لا يوجد عقوبة إلا على الخطيئة الفعلية التى صنعها الإنسان بنفسه، لكن باعتبار أننا نرث الحالة نفسها فلا نقدر أبداً أن نعاين ملكوت الله، لأن طبيعتنا لا تتحمل هذا الإمتياز إلا بعد المعمودية. المهم أن الله لا يظلم وأن الحساب دائماً على حسب إمكانيات الإنسان، إنما موضوع دخول ملكوت الله ومعاينة ملكوت الله هذا إمتياز يتصل بالطبيعة البشرية كلها.

٧٦ - يا أبتاه اغفر لهم.....

سؤال:

هنا واحد يقول: السيد المسيح قال وهو على الصليب يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون أو ما هم فاعلونه. والسيد المسيح قبل الصليب كان يقول اذهب مغفورة لك خطاياك، ما الفرق بين القولين؟ فالأول يطلب من الآب والثانى بسلطان ذاته.

الجواب:

الفرق أنه وهو على الصليب يبدى إستعداداً أن يغفر، هذا فى الوقت الذى فيه يضربوه ويجلدوه أبدى استعداداً أنه يغفر للذين أساءوا إليه، وهذا تطبيقاً للكلام الذى قاله: «باركوا لاعنيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم» إنما هنا سؤال: هل غفر لهؤلاء الناس؟ الناس الذين أخطأوا عن غير معرفة، ممكن أنهم وجدوا طريق الخلاص والمسيح أبدى استعداده أن يغفر لهم، فمثلاً عندما نتأمل الخطأ الذى وقع فيه بطرس الرسول، عندما يقول أنا لا أعرف ذلك الرجل، وحلف أنه ليس له علاقة به، ومع ذلك عندما بكى بكاءاً مراً غفر له. لو كان يهوذا لم ييأس كان من الممكن أن ربنا يغفر له لأنه ندم. وقال أخطأت إذ سلمت دماً بريئاً، فهنا أكيد أن ربنا بمحبته ممكن أن يغفر. ولكن يهوذا يئس وقطع رجاءه فذهب وخنق نفسه.

فهنا النص الأول يشير إلى استعداد الله أن يغفر، وطبعاً هذا الغفران بالذات متجه أكثر للذين أخطأوا عن غير معرفة، إنما الناس الذين يخطئون بمعرفة، هنا مسألة الغفران تتوقف على استعداد الشخص نفسه أن يعترف بخطاياه وأن يندم، لكن إذا لم يعترف وإذا لم يندم فلا يشمله الغفران وهذا ما قاله الكتاب «أنه لا مغفرة له لا فى هذا الدهر ولا فى الآتى».

فالنص الأول واضح جداً بالنسبة للأشخاص الذين يخطئون، إن من قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له بمعنى يغفر له إذا تاب وإذا اعتذر، فلابد أن يكون لديه استعداد أن يعتذر لكى يغفر له، أما إذا كان هو لا يريد فلا مغفرة له، فلابد دائماً من الإرادة وإلا فالخطيئة قائمة والعقاب قائم، فعندما قال للشاب مغفورة لك خطاياك، أدرك المسيح بمعرفته كإله، أن هذا الإنسان تاب وأنه ندم على خطئه، فأراد أن يطمئنه وقال له ثق يا بنى مغفورة لك خطاياك، فلأنه صاحب السلطان أدرك قصد قلب هذا الإنسان أنه تاب. فكلمة اغفر لهم، هذا كلام مطلق عام، القصد منه إظهار استعداد الله أن يغفر للإنسان إذا رجع الإنسان تائباً وكان خطئه عن غير معرفة.

تكملة للسؤال: لماذا لم يقل مغفورة لكم خطاياكم؟

الجواب: كيف يكون ذلك؟ هذا موقف وهذا موقف، هذا رجل مفلوج ولكى يبين أنه قبل أن يشفيه من جسده يشفيه من روحه أولاً، وهذا نوع من أنواع إظهار وإبراز أن الخطيئة أصلاً مرض يصيب الروح، فلا شفاء للجسد قبل أن تشفى الروح أولاً، إنما كلام المسيح على الصليب إظهار إستعداده بأن يغفر لمن أساء إليه، بشرط أنه هو يتوب. لأن الذى حدث بالنسبة لليهود هناك إناس مثل اللص اليمين لما قال «اذكرنى يا رب»، وإن كان قد جدف أولاً وشتم على المسيح، فالمسيح غفر له وقال له اليوم تكون معى فى الفردوس، ومثلاً لونجينوس الذى طعنه بالحربة أيضاً غفر له. لونجينوس أصبح قديس، وأصبح فى يوم من الأيام من الخدام فى الكنيسة وله يوم نياحة، رغم أنه طعن المسيح فى جنبه طعنة شديدة ولكن استعداد المسيح أنه قابل الشر بالخير، إن الدم اندفق ووصل إلى عين لونجينوس فأحياها، وهذا ما دفع لونجينوس وقال حقاً هذا الإنسان كان ابن الله. لكن هناك آخرين لن يغفر لهم، اليهود الذين عانوا هذه المعاناة ألفين سنة، والمتاعب الشديدة التى لاقوها لأنهم رفضوا، فهناك عقاب يشملهم حتى اليوم، على كل حال الله يبدى استعداده أن يغفر وهذا نوع من أنواع الاتساع والحب، لكن لابد أن الواحد يعتذر أو يقول أنه أخطأ، لكن إذا كان الإنسان مصراً على أنه غير مخطئ فلا يوجد غفران.

٧٧ - علم الله السابق

سؤال:

واحد يسأل ما معنى أحب الرب يعقوب وأبغض عيسو هل عند الرب محاباة؟

الجواب:

أنت نفسك تقدر أن تجاوب على هذا السؤال، و هل من الأدب أن أقول عند الرب محاباة. لماذا المحاباة؟ لماذا؟ الإنسان عندما يحابى إنسان آخر يكون لمصلحة أو لغرض، لكن ربنا يحابى لماذا؟ احترسوا من التعبيرات التى من هذا القبيل، التى تكون فيها إهانة للجلالة، ببساطة تكتب وتقول هل عند الله محاباة؟ المفروض أنك أنت ترفض هذا الكلام إبتداءاً، الإنسان يحابى من أجل مصلحة؟ لكن ماذا يريد الله من الإنسان؟ إذن كلمة أحببت يعقوب وأبغضت عيسو، لأنه رأى مسبقاً أن يعقوب سيختار لنفسه الخير فأحبه من أجل هذا، وعيسو اختار لنفسه الشر فأبغضه من أجل هذا. ولأن الله يحيا فى غير زمان، فلا يوجد ما يسمى بالنسبة له الحاضر أو الماضى أو المستقبل، ولأن الله غير محدود فيمكن أن يرى الإنسان قبل أن يُخلق، ويعلم أنه سيكون خيّراً، ويعرف أن الإنسان الآخر سيكون شريراً، ويحب هذا قبل أن يولد، لكن ما هى مصلحة ربنا أن يجعل الواحد خيّراً والثانى شريراً. لا يوجد أى مصلحة إطلاقاً الإنسان هو الذى يختار لنفسه، وهذا ما قاله الله ها أنا جعلت أمامكم الحياة والموت تختاروا لأنفسكم الحياة لتحيوا.

٧٨ ـ تفسير: «ومتى أُخضع له الكل...»

سؤال:

هنا سؤال تفسيرى ورد فى الرسالة الأولى إلى كورنثوس الأصحاح ١٥ عدد ٢٨ «ومتى أُخضع له الكل فحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذى أُخضع له الكل كى يكون الله الكل فى الكل» ما تفسير أخضع له الكل؟

الجواب:

المسيح له المجد عندما تمم عمل الخلاص، وقام من بين الأموات، وصعد إلى السموات فى اليوم الأربعين لقيامته، ودخل إلى السماء بعينها أو إلى سماء السماوات، فهذا الدخول بهذا الشكل العلنى معناه أن المسيح دخل بذبيحة نفسه، إلى الأقداس فوجد فداءاً أبدياً، المسيح له المجد نائب عن البشرية ومعنى الفداء أنه هناك من ينوب عن الباقين فيفديهم، أى أن الموت كان محكوماً به على جنس البشر، فالمسيح له المجد أخذ وضع البشرية كلها، وصار هو الحمل الذى يحمل خطيئة العالم، ويقول الكتاب المقدس أن الرب وضع عليه إثم جميعنا، فصارت خطيئة البشرية كلها على المسيح، هذا هو معنى الفداء، وفى موضع آخر يقول الذى لم يعرف خطيئة صار خطيئة لأجلنا، وهو من أصعب التعبيرات فى الكتاب المقدس أن يقال عن المسيح أصبح خطيئة وهو تعبير أصعب من كلمة خاطئ، والمسيح ليس خاطئ فى ذاته لأنه قال من منكم يثبت علىَّ خطيئة، لكن طبيعة الفداء وعملية الفداء معناها أنه تم نقل خطيئة البشرية كلها على المسيح، وعندما يموت المسيح فبموته ينفذ الحكم الإلهى، وبهذا يعفى البشر من هذه الخطيئة. أو يعفى البشر من الحكم المحكوم به على جنس البشر، فمعنى دخول المسيح بعد ٤٠ يوماً للصعود العلنى، والمسيح لم يصعد فى الخفاء إنما ظهر جهاراً على مرأى من جميع تلاميذه، ومن الرسل ومن كافة المؤمنين فى ذلك الوقت، بل وأيضاً على مرأى من جميع الذين كانوا على جبل الزيتون فى ذلك الوقت، لأن المسيح صعد من فوق جبل الزيتون. وجبل الزيتون جبل مأهول بالسكان، ليست كجبالنا جرداء، الذى يذهب إلى فلسطين يجد الجبل مأهول بالسكان، وعليه قرى وبلاد مثل جبل لبنان، ولبنان كله جبل، هذا الصعود الجهارى مقصود، ليس الآن مجال الكلام عن النواحى الأخرى من هذا الصعود الجهارى لأن صعود المسيح للسماء قضية لاهوتية كبيرة جداً، ولها معانى كثيرة، إنما أحد هذه المعانى أن المسيح كفادى للبشرية، صعد إلى السماء حاملاً ذبيحة نفسه، أى هو نفسه ذبيحة، وهذا فى مقابل ما كان يصنعه رئيس الكهنة قديماً، فكان

رئيس الكهنة فى العهد القديم يذبح الذبيحة ويحرق المحرقة أو يضعها على المذبح وتحرق بالنار، المهم الذى يحمل الذبيحة يأخذ من دم الذبيحة. ويضعه فى قسط من الذهب ويضعه على رأسه ويدخل إلى قدس الأقداس. وعادة الدخول إلى قدس الأقداس كان مرة فى السنة، ولاحظوا أن هذا الكلام له معنى. مرة فى السنة يحمل رئيس الكهنة دم الذبيحة عن نفسه وعن خطايا الشعب، يحملها على رأسه ويدخل بها إلى قدس الأقداس، وقدس الأقداس هنا يشير إلى السماء، وبهذا كان رمزاً لما سيصنعه المسيح بعد أن يتم عمل الفداء، يحمل ذبيحة نفسه ويدخل بها إلى قدس الأقداس وهو السماء وهذا معناه نجاح مهمة الفداء، دخل المسيح إلى السماء كفادى عن البشرية فوجد فداءاً أبدياً. هذا التعبير فى الكتاب المقدس وجد فداءاً أبدياً، ليس لنفسه ولكن لنا نحن أيضاً لأنه هو النائب عنا.

ثم جلس على العرش وحينئذ أتت الملائكة ورؤساء الملائكة وخضعت له، هنا تعبير الكتاب المقدس وخضعت له الملائكة ورؤساء الملائكة، ولكن يقول الكتاب المقدس فى رسالة العبرانيين، منتظراً إلى أن يخضع له جميع الأعداء، معنى هذا الكلام أن المسيح فى دخوله إلى السماء بعد أن تمم عملية الفداء، انتصر على أعدائه لكن ليس عليهم جميعاً. لازال للمسيح أعداء وآخر عدو هو المسيح الدجّال باعتباره أنه هو العدو النهائى. هذا معنى كلمة ومتى أُخضع له الكل فحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذى أخضع له الكل، لكن ما معنى أن المسيح يخضع؟ لمن يخضع؟ المسيح هنا هو الفادى، والذى يمثل صفة الرحمة وهو الابن، المسيح فى المجئ الأول جاء رحمة، ولذلك رفض أن يدين وقال لم آتى لأدين بل لأخلص العالم، ورفض أن يدين المرأة، ورفض أن يقضى وأن يحكم لرجل قال له قل لأخى أن يقاسمنى الميراث، لماذا؟ لأنه وضح أن المجئ الأول رحمة، المجئ الأول للخلاص، أما المجئ الثانى فللدينونة، فى المجئ الأول المسيح يمثل الرحمة الإلهية، لأنه قبل على نفسه أن يقوم بعمل الفداء نيابة عن البشر، وهذا هو منتهى الرحمة والحب، ليس حب أعظم من هذا أن يموت أحد لأجل أحبائه، أنتم أحبائى، فالمسيح يمثل الرحمة، يمثل صفة الرحمة فى الإله، بعد أن يكون المسيح قد أخضع له الكل، حينئذ الابن نفسه سيخضع للذى أخضع له الكل، هنا ينتهى عمل الرحمة ليبدأ عمل العدل. معنى خضوع الابن للآب هنا هو خضوع الرحمة للعدل، ليس بالمعنى اللاهوتى، من الخطأ أن يتصور البعض هذا، خضوع الابن يعنى إنتهاء عهد الرحمة ليبدأ العدل، ومع ذلك من الذى يقوم بعمل العدل؟ هو أيضاً المسيح. من الذى سيقوم بالدينونة؟ أيضاً المسيح، المسيح هو الذى قام بالرحمة وهو الذى

يقوم بالعدل، لكن الرحمة أولاً وبعد ذلك ينتهى عمل الرحمة ليبدأ عمل العدل فى الله الواحد، الله واحد فالابن يمثل صفة الرحمة فى الإله لكن لن تكون الرحمة للأبد! لابد أن الله يعاقب ولابد أن الله يدين، وليس هناك رحمة فى يوم الدين، لمن لم يعمل الرحمة. ثم يقول أنه سيجازى كل واحد على حسب أعماله فهناك عدل، اليوم الرحمة تأخذ وقتها، ولذلك الله ترك كل فرد يعمل ما يريد الخاطئ يخطئ، والظالم يظلم حتى يقول فى سفر الرؤيا «من يظلم فليظلم» الله أعطى الحرية ولا يتدخل إطلاقاً إلا فى أضيق النطاق أحياناً، لكن الظلم موجود ومستمر والشر موجود ومستمر، السرقة والخطيئة، والزنى والنجاسة، الله لا يستغل سلطانه لمنع الخطيئة، فكل شخص يود أن يعمل شئ فله الحرية، ولكن فى نهاية الأمر لابد أن يكون هناك وقت يقف فيه عمل الرحمة ليبدأ عمل العدل، هذا هو معنى خضوع الابن للآب معناه خضوع الرحمة للعدل، لكن مع هذا من الذى سيقوم بعمل العدل؟ هو المسيح ولذلك يقول فى متى ٥ « الآب لا يدين أحداً فلقد أعطى القضاء كله للابن»، إذن من هنا نفهم أن هذا الموضوع معناه خضوع الرحمة أو لإنتهاء عهد الرحمة، ليبدأ عهد العدل، ومع ذلك الابن نفسه هو الذى يمثل العدل وهو أيضاً يمثل الرحمة. يقول فى متى ٢٥ «متى جاء ابن الإنسان» وهنا الإصرار على كلمة ابن الإنسان، لم يقل المسيح أو أى لقب آخر، قال ابن الإنسان ومن الذى أخذ صورة الإنسان؟ هو المسيح، «حينئذ يجلس على عرش مجده، فيجتمع أمامه جميع الشعوب ويفصل بعضهم عن بعض، كما يفرز الراعى الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره، ويقول الملك للذين عن يمينه «تعالوا أيها المباركون الآن رثوا الملكوت المعد لكم» هنا المسيح هو الذى يدين. فهذا تفسير هذه الآية «ومتى أخضع له الكل حينئذ الابن نفسه سيخضع للذى أخضع له الكل».

٧٩ ـ هل جسد السيد المسيح محدود؟

سؤال:

هل جسد السيد المسيح محدود أم غير محدود؟ وإذا كان محدوداً، فكيف يكون موجوداً على المذبح فى كافة الكنائس، وكيف يكون كل منا يأخذ سر التناول كاملاً، علماً بأن الأب الكاهن فى الاعتراف يشير إلى الجسد ويقول: أؤمن أن هذا هو الجسد الذى اتخذه سيدنا؟

الجواب:

طبعاً جسد السيد المسيح الفيزيقى محدود، هذا فى الأصل، فمثلاً إذا كان الفحم شكله أسود ومحدود، لكن عندما يتحد بالنار تصبح له قوة الإضاءة والإحراق إلى مدى بعيد. أقصد ضوء وحرارة النار تمتد أبعد من حجم قطعة الفحم، ولذا كنا نقول أن النور لا يحجز فهو ينفذ من خارج الجسم الزجاجى للمصباح الكهربائى، هذا مجرد وسيلة إيضاح، كيف أنه باتحاد اللاهوت بالناسوت صار الناسوت نفسه متوهجاً، بالنار وبالنور، والله نوره غير نور لمبة الكهرباء المحدود، لأنه إذا كان الكاروبيم وهو أقرب الملائكة إلى العرش، وهم من نور ومن نار، مع ذلك يستروا وجوههم بجناحين ويغطون أرجلهم بجناحين لماذا؟ يستروها من ماذا؟ يستروها من الأعظم الذى لا يقاس نورهم بإزائه، هذا مثل يعطينا فكرة عن النور الإلهى، الله نور وساكن فى نور لا يدنى منه لا يستطيع أحد أن يقترب إليه، ويقول فى موضع آخر إلهنا نار آكلة ثم يقول «من يسكن فى وقائد أبدية» لا تنسى كيف أن بولس الرسول بمجرد ما رأى نور المسيح عمى ٣ أيام، وهو على هذا البعد البعيد، هذا يعطينا صورة عن العظمة والبهاء والجمال والنور ثم يوحنا الرسول فى الإصحاح الأول من سفر الرؤيا يقول «سقطت عند رجليه كميت»، مع العلم أنه رآه على جبل التجلى. إنما البهاء والنور الذى رآه فوق جبل التجلى لا يقاس إلى البهاء والنور الذى رآه فى الرؤيا، لأنه على جبل التجلى ظهر شيئاً من البهاء، لأن المسيح له المجد كان يتحكم فى قدر البهاء والنور الذى يسمح به، على قدر ما يقتضيه الموقف. فأراهم على جبل التجلى ومضة من ومضات لاهوته، ومع ذلك أيضاً سقطوا وبطرس الرسول طار عقله وأخذ يتحدث بكلام لا معنى له، لنصنع لك ثلاث مظال واحدة لموسى وواحدة لك وواحدة لإيليا. والكتاب المقدس يقول لأنه كان لا يدرى ما يقول. ماذا جعله أن لا يعى ما يقول؟ سقوط الإضاءة القوية على عينيه عملت تشتت فى الإنتباه وعدم قدرة على التركيز.

فنقول أن جسد المسيح باتحاد اللاهوت به، صارت له الإضاءة والإحراق وهذا هو السبب لماذا نتناول؟ سر التناول له فوائد كثيرة جداً وتكلمنا فى كتاب القيم الروحية لسر القربان عن ١٢ فائدة، إنما فى ناحية من النواحى أن اللاهوت المتحد بجسد المسيح (ناسوته) يصير به إضاءة، نور روحانى يضئ فى القلب، وأيضاً قوة إحراق للخطيئة الفعلية، لأننا فى سر المعمودية نغسل الخطيئة الأصلية كما قال حنانيا لشاول الذى هو بولس «قم واعتمد واغسل خطاياك، المعمودية هى غسل للخطيئة. الخطيئة الجدية والخطايا الفعلية السابقة على المعمودية، أما فيما يتصل بالخطايا اللاحقة بعد المعمودية فهذا هو عمل سر التناول. به تتم غفران الخطيئة الفعلية اليومية، وهذا هو السبب فى احتياجنا إلى التناول. لماذا نتناول باستمرار؟ نعتمد مرة واحدة، أما التناول فلماذا باستمرار؟ لأن بالتناول تتم عملية طهارة، عملية تطهير، «ودم يسوع المسيح إبنه يطهرنا من كل خطيئة» وهذا هو السبب أن الكاهن بعد ما يسجد يقول «ربنا يسوع المسيح يعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه» فنحن المطهر الدائم لنا كل يوم فى سر التناول، ولكن هناك خطيئة لشعبنا الذى يتحول عنده القداس إلى اسطوانة، يقول أنا سأذهب أحضر القداس، أسمع القداس. واليوم ممكن أن لا يذهب إلى الكنيسة من الكسل، ويسمع القداس فى الراديو أو فى التسجيل، وممكن يقول أن القداس فى التسجيل كان أحسن من الكنيسة. أو القداس فى الإذاعة يكون الصوت أحسن. ليس لهذا الغرض وجد سر التناول أو القداس، القداس ليس إسطوانة، القداس وليمة. ونحن مدعوين للوليمة فلازم نأكل. لو فرد دعاك لوليمة وذهبت ثم رفضت أن تأكل، تُسأل لماذا؟ إما حضرتك لا يعجبك الأكل، أو أنت متعالى على الباقين، كان أولى أن لا تحضر، كيف تدعى للوليمة ولا تأكل منها؟ المفهوم الخاطئ الذى وصل إليه اليوم بعض من شعبنا يقول أنا تناولت يوم الزواج، أو تناولت يوم العماد، البعض الأحسن يقول أنه يتناول مرة فى السنة يوم سبت النور أو خميس العهد، وهذا الإنسان لا يدرى أنه بإرادته جذب نفسه وقطعها من شركة المسيح بدون حكم، أى بدون أن يصدر ضده قرار كنسى بالحرمان، هو جذب الحبل وقطع نفسه من جسم الكنيسة من شركة المسيح والكنيسة، لأن شركة المسيح والكنيسة هى سر التناول، من هنا نفهم خطأنا بالتأخير عن سر التناول. سر التناول لم يوجد لكى يكون اسطوانة، ونحكم على القسيس صوته حلو أو لأ.. والقداس اليوم تعزينا به، بماذا تعزى؟ تعزى من الصوت، من الجائز أن يكون هناك واحد صوته موهوب، ومن الجائز يكون ألحان الشمامسة أو الخوروس لطيفةجداً، موسيقى لكن ليس لهذا الغرض كان القداس، سر التناول

وليمة. ولذلك فى الخولاجى يقول ويتناول كل الشعب، الكهنة والشمامسة وكل الشعب. كلمة «كل» تجدها فى الخولاجى وتجدها فى قوانين الكنيسة «كل الشعب يتناول» القاعدة أن الكل يتناول، الاستثناء للناس المحرومين لسبب أو لآخر. أو الغير مستعدين أو الذين صدر ضدهم حكم من الكاهن أب الاعتراف منعه لسبب خطيئة مانعة، قد يكون ذلك مرة أو بضع مرات، لكن القاعدة أنى أتناول. وكل الشعب يتناول، هذه هى القاعدة، سيدنا له المجد ينزل على المذبح ليكون مأكلاً ونقول له لأ .. نحن نحتاج أن يتغير هذا المفهوم ونفهم بالضبط وظيفة القداس فى الكنيسة ووظيفة سر التناول.

فهنا صحيح أن المسيح جسده محدود من حيث أنه أخذه من مريم. تركب من دم مريم وهو طبعاً محدود من هذه الوجهة، لكن باتحاد اللاهوت به صارت له القدرة والفاعليات غير المحدودة، وذلك بطبيعة اللاهوت المتحد به تصير لهذا الجسد الفاعليات غير المحدودة.

٨٠ ـ نور من نور

سؤال:

عندما نقول نؤمن برب واحد، يسوع المسيح.. نور من نور، يتضح لنا. أن النور خرج من نور آخر، هل المقصود بأحد النورين هو النور الذى كان فى البدء، والوارد فى بداية سفر التكوين؟

الجواب:

لا.. النور الوارد فى سفر التكوين الذى منه الشمس والقمر، ومنه النجوم والذى يسمى النور الأول، ومنه خلقت الملائكة فى بدء الخلق، لكن المقصود بكلمة نور من نور أن الله نور. فيه نصوص فى الكتاب المقدس تقول أن الله نور، لأن طبيعة الله نور، ويسكن فى نور لا يقترب منه، أو لا يدنى منه، ولذلك الكاروبيم والساروفيم يسترون وجوههم، مع العلم بأنهم من نور، وفى سفر حزقيال النبى خصوصاً الأصحاح الأول والعاشر أن الملائكة الكاروبيم من نور ونور وهاج، بل كلمة الساروفيم نفسها تفيد التوهج، ولما ظهر الملاك ميخائيل عند قيامة السيد المسيح وفتح القبر يقول الإنجيل كان النور عظيماً، حتى أن الحراس من شدة البهاء والخوف، سقطوا على وجوههم كالأموات، يقول عن النساء كن منكسات بوجوههن إلى الأرض، لا يستطعن أن ينظرن فى نور الملاك، وفى سفر الرؤيا أصحاح ١٨ يقول أن ملاك نزل على الأرض فاستضاءت الأرض من بهائه. انظر الأرض عندما تكون لمبة فى حجرة يمكن أن تنيرها، لكن لمبة صغيرة فى بيداء أو صحراء غير ممكن، لكن كون الملاك عندما يظهر تستضئ الأرض من بهائه هذا معناه قوة إضاءة الملاك، أو قوة النور عظيمة جداً، وعندما ظهر الملاك فى ليلة الميلاد، يقول نور أضاء فى البادية، هذا لأن الملائكة من نور ونور قوى جداً. إذا كانت السيدة العذراء وهى إنسانة عندما كانت تظهر فى الزيتون، كان هناك نور يضئ فى القبة، فهنا كلمة نور من نور التى نقولها فى قانون الإيمان عن السيد المسيح، هذا النور غير نور الملائكة، نور الملائكة أقل جداً، لأنه إذا كان الكاروبيم يسترون وجوههم بجناحين، وبجناحين آخرين يسترون أرجلهم، يستروها من ماذا؟ يستروها من نور الله نفسه. لأن نور الإنسان أو نور الملاك لا يقاس بشئ إزاء النور الإلهى، فالله ذاته نور، لأن الله ليس له مادة وليس له جسد، طبعاً حدث أن المسيح اتخذ له جسداً، لكن الله ذاته فى طبيعته نور، كلمة نور من نور، يعنى أنه نور خالص، هذا مصطلح معناه نور خالص، لا يوجد به شئ من المادة، نور من نور، تعبير للدلالة على أنه

نور خالص أو نور دامس فى النورانية. وقد قال المسيح له المجد، «أنا منه» أى من الآب أى من طبيعة الآب، ومن جوهره، هذا هو معنى نور من نور، ونحن نشرح ذلك فنقول لو أنك أحضرت شمعتين وأنرت شمعة من الأخرى لا تستطيع أن تقول النور الذى فى هذه الشمعة متأخر فى الزمان عن النور الذى فى الشمعة الثانية.. أبداً. لأن هذا النور من هذا النور، وبدون أسبقية فى الزمن، النور فى ذاته الذى فى هذه الشمعة هو بعينه الذى فى الشمعة الثانية. لم يحدث أبداً فارق زمنى فى النور نفسه، إنما فيه فارق زمنى فى عملية الإنارة أنك أنت أخذت نور من هذه الشمعة إلى الشمعة الأخرى، لكن النور هو بعينه. فعملية التجسد تمت فى الزمان، لكن المسيح فى ذاته من نور ذات الآب، ومن جوهره، ومن طبيعته.

٨١ ـ الجسد الأثيرى

سؤال:

قلتم فى موضوع التجسد أن الجسد أثيرى، فكيف أكل مع إبراهيم وما نوع هذا التجسد؟

الجواب:

نوع التجسد، جسد يتكون، ثم يصرف بعد ذلك ونحن شرحنا هذا الكلام وقلنا أن الملاك يأخذ جسد، هذا الجسد يسحبه من الأثير ثم يصرفه مرة أخرى. أنا أذكر جيداً فى أيام ظهور السيدة العذراء فى الزيتون سنة ١٩٦٨، كان يوجد حمام يظهر، وهذا الحمام طبعاً ليس حمام عادى، لأن الحمام عادة لا يطير فى الليل، كان يظهر فجأة ويختفى فجأة، ثم أنه كان مشع بالضوء الأبيض، من فوق ومن تحت، ومن كل الاتجاهات، كل هذه قرائن على أنه ليس حمام عادى، ففى ليلة من الليالى، أنا كنت هناك حوالى الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل، وكنت أستند على العصا، وكنت داخل فناء كنيسة الزيتون، فلما ظهر الحمام، كان هناك حمامتين ظهرا فى سماء الكنيسة لم يأتيا من بعيد. هناك فرق بين شئ يجئ من بعيد وشئ يظهر فجأة ثم أن الحمامتين يطيران معاً، بجوار بعضهما ويحتفظان بمسافة بينهما وظلا وهما طائران محتفظين بنفس المسافة حتى اختفيا، هناك حمامة منهما متقدمة والحمامة الثانية متأخرة، بشكل يشعر على أن الحمامة المتقدمة إما أن تكون هى العذراء «الحمامة الحسنة» أو تكون إحدى القديسات، لكن فى كرامة أكثر من الحمامة الأخرى، لأن الحمامة الأخرى متخلفة عنها قليلاً، ودائماً تعطيها الفرصة أنها تسبقها بنفس المسافة، وظلت الحمامتين محتفظين بنفس المسافة طول مدة الطيران، فأنا أردت أن أحملق لأن هذا المنظر شفاه أكثر من مرة. أنا أردت أتتبع بالضبط الحمامتين أين يذهبا وعندما يختفيا كيف يختفيا فظللت أتتبع، تتبعت الحمامتين وظللت أحدق بشدة بعينى، لكى أرى لحظة الاختفاء، فلاحظت أن الحمامتين دخلتا فى السماء، لكن قبل أن يدخلا فى السماء حدث تحال. تحولا إلى قطع من السحاب أو قطع نور مبعثرة، أصبحا عدد من هذه القطع الصغيرة، ظلت تذوب مثل قطع ثلجية تدوب، حتى اختفيا فى السماء. بعد دقائق أنا أذكر هذا جيداً رجعت الحمامتين للإتجاه العكسى تماماً من نفس المنطقة التى اختفيا فيها، رجعا مرة ثانية حمامتين كاملتين، وهذا يدل على أن هذه ظاهرة روحية حقيقية، وأن هذا الجسد أو هذا الشكل الذى تأخذه الحمامة هو عبارة عن شئ تكونه، أى أن لها قدرة على أنها تمتص من الأثير أو من الهواء، وتتخذ لها شكل تتلبس به، وبمجرد ما تنتهى من مهمتها فى هذا الظهور،

تصرفه مرة ثانية فيرجع إلى مكوناته الأصلية. هذه ظاهرة أنا أذكرها شرحاً لهذا الكلام. الجسد الأثيرى يتكون بأنه يمتص أو يسحب من الهواء أو من الأثير ثم يتكون ثم ينصرف مرة أخرى، وأذكر أيضاً ليلة من الليالى فى كنيسة الزيتون كانت ليلة ٢٤ بشنس، وكان يوم سبت صابح الأحد، وكنا نلقى حديث عن رحلة العائلة المقدسة فى الكنيسة. وقبيل نهاية الحديث سمعت فى فناء الكنيسة هتافات فأدركت أن فيه ظهور للسيدة العذراء خارج الكنيسة، فأنهينا الكلمة وخرجنا، وجلست فى شارع خليل على كرسى مواجه للقبة البحرية الشرقية، فلاحظت الآتى: أن القبة تكون مظلمة لأنه ليس بها نور، القبة البحرية الشرقية لأنها مقفولة أيضاً من تحت، فهى قبة مغلقة، مظلمة جداً، فوجدت نور بسيط أبيض مشرب بشئ من الزرقة الخفيفة، يبدو صغيراً جداً جداً فى حجم بلية أو فى حجم بذرة، ثم يكبر ويكبر حتى يأخذ حجم كرة، بهذا الوضع الأول يكون كالبذرة ثم يكبر، وكل ما يكبر يزداد اللون الأبيض وضوحاً. فى الأول يكون لون أبيض خفيف مشرب بشئ من الزرقة الخفيفة، فمع عملية النمو يصل إلى حجم الكرة وتكون بيضاء جميلة وتأخذ الشكل الدائرى. ثم تتحرك الكرة لتكون قريبة إلى الخارج من الفتحات الموجودة بالقبة، وكلما تخرج أجد الكرة تتشكل وإذا بها العذراء نفسها مثل إنسانة تنظر من الشباك فى شكل نصفى أى النصف الأعلى من جسدها، الرأس كاملة واليدين تمدهما، والوجه والعيون تماماً، وأحياناً كانت تخرج خارج القبة، وعلى الحافة العليا لمبنى الكنيسة وتبقى واقفة، وتمد يديها. هنا فى هذه الحالة تكون الناس فى حالة روحية البعض يصلى والبعض يهتف وآخرين يرتلوا، ثم بعد دقائق قليلة ترجع مرة أخرى العذراء تدخل إلى الداخل، وكل ما تدخل إلى الداخل الشكل يختفى ويتحول لكرة ثم تصغر الكرة حتى تكون فى حجم البلية ثم تجد أنها انطفأت والمكان رجع ظلام حالك.

نضرب هنا مثل كيفية تكوين هذا الجسد، فالجسد الذى كانت تظهر به العذراء فى الزيتون ليس جسدها الطبيعى، لأن هذا الجسد صعد إلى السماء، وله وضع آخر، إنما الجسد الذى كانت تظهر به فى الزيتون لم يكن الجسد الفيزيقى أو الطبيعى مثل جسدنا أو الذى عاشت فيه، الروح لها قدرة على أن تكون هذا الجسد ، تسحبه وتسحب المكونات التى تتخذها لتظهر بها كشكل معين. فربنا عندما ظهر لإبراهيم بنفس المثل، ظهور الملائكة أو أرواح القديسين حتى اليوم يظهر بهذا الشكل.

٨٢ ـ تفسير قول يوحنا المعمدان «أنا لم أكن أعرفه..»

سؤال:

كيف يقول يوحنا المعمدان «وأنا الذى لم أكن أعرفه لكن الذى أرسلنى قال لى الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه يكون هو المسيح» ؟

الجواب:

أنت تقول اقتباس من الكتاب المقدس، اذكر الآية كما جاءت فى الكتاب المقدس. لم يقل هو المسيح. ولكن تكملة الآية.. قال «الذى ترى الروح مستقراً ونازلاً عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس» المفروض أن يراعى الدقة فى كل شئ، نحن مطلوب منا الدقة. الكتاب المقدس يقول «اسلكوا بتدقيق» فأين التدقيق؟ حتى آية الكتاب المقدس يذكرها محرفة، كان يستطيع أن يتعب نفسه بعض الشئ ويرجع للنص نفسه، ونراه يقول للسيد المسيح «أنا المحتاج أن أعتمد منك» وكيف عرف أنه هو المسيح قبل ظهور الروح عليه؟ يوحنا المعمدان يقول أنا لم أكن أعرفه، أى لا يوجد معرفة جسدية سابقة، لأن يوحنا المعمدان منذ أن كان طفلاً رضيعاً خطفه الملاك ومضى به إلى البرية، وعاش فى البرية إلى أن أصبح رجلاً. لأنه فى أيام قتل الأطفال بأمر الملك هيرودس، انتشر الجنود فى المنازل، يمسكوا الأطفال لكى يقتلوهم، وكان من بين الأطفال الذين ينطبق عليهم قرار هيرودس يوحنا المعمدان، لأنه كان من ابن سنتين فما أقل بحسب الزمن الذى تحققه من المجوس، فيوحنا المعمدان لأنه كان يسبق المسيح بستة شهور، كان من ضمن الأطفال الذين يصدق عليهم القرار، فعندما ذهب الجنود إلى منزل زكريا، وقد جاءه يوحنا المعمدان بعد زمن طويل مملوء بالصلاة والرجاء لله، رفض زكريا تسليم يوحنا للجنود وقال لهم «أنا أسلمه لكم من المكان الذى أخذته منه» فأمسك بالطفل وجرى به وذهب إلى الهيكل وصرخ لله وهو واقف على المذبح وقال له هذا هو الطفل الذى أمرتنى به بعد السن الكبير وهم يريدون قتله، فاختطفه ملاك الرب، فلما الجنود لم يجدوا الطفل قتلوا زكريا. ولذلك سيدنا قال «يأتى عليكم كل دم ذكى سفكتموه على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح، كان زكريا هذا هو أبو يوحنا المعمدان الذى قُتل وذهب شهيداً. فعندما خطف الملاك يوحنا المعمدان كان فى هذا الوقت سنه حوالى سنة أو سنة ونصف، وبتدبير إلهى عاش يوحنا كطفل رضع من لبن الغزلان حتى كبر، ولذلك فى الكتاب المقدس يقول خرجت إليه الجماهير. أى أن الناس هم الذين كانوا يذهبون إليه فى البرية. فكلمة أنا لم

أكن أعرفه أى لا توجد علاقة المعرفة الجسدانية لكن الذى أرسلنى قال لى وهذا يدل على أن يوحنا المعمدان فى البرية أخذ إرسالية، وهذه هى الكشوف الإلهية التى سمح الله بها ليوحنا نتيجة الروحانية التى أصبح عليها، كما أن هناك معنى آخر لهذه العبارة «أنا لم أكن أعرفه» أى لا يوجد تواطؤ بينى وبينه عندما شهدت له، لا يوجد اتفاق سابق كل ما أعرف أننى تلقيت رسالة قال الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه هو الذى يعمد ولكن السؤال كيف عرف أنه المسيح قبل أن يرى الروح نازلاً عليه؟ عرفه عندما طلب منه المسيح أن يعمده فقال له أنا المحتاج أن أعتمد منك وهذا لأن الناس الروحانيين يكون عندهم جلاء بصرى، فرأى علامات على وجه المسيح أحسّ معها بتواضع أمامه، لاشك أن فيه شئ من الإلهام، وهذا الإلهام ممكن أن يحدث خصوصاً لرجل قديس مثل يوحنا المعمدان.

٨٣ ـ لماذا لم تذكر الأناجيل طفولة السيد المسيح؟

سؤال:

لماذا لم يذكر الكتاب المقدس حياة ربنا يسوع المسيح فى مرحلة الطفولة؟ أو قبل الثلاثين من عمره هل لأنه لا يهمنا كثيراً أن نعرف عن هذه المرحلة أى شئ أم هذا كان مقصوداً؟

الجواب:

أولاً الاعتماد الأساسى فى الأناجيل أنها كتبت للتعريف بالمسيح، وفى الواقع مهمة الآباء الرسل كانت أولاً مهمة كرازة وتبشير، والإنتقال بأنفسهم إلى الأماكن المختلفة، ليعرفوا الناس بسيدهم وينقلوا إليهم بشرى الخلاص، ويدعوهم إلى الإيمان بالمسيح. فالاعتماد أصلاً فى الكرازة على عمل الرسل أنفسهم، وليس على الكتابة وهذا هو أساس التقليد المسيحى، المسيح لما أرسل الآباء الرسل لم يطلب منهم أن يكتبوا الأناجيل بل قال: اذهبوا واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها. اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم جميع ما أوصيتكم به. فالأصل فى الكرازة لا أن يكتب الآباء الرسل كتباً، إنما أن يذهبوا بأنفسهم وأن يكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، فكتابة الكتب فى عمل الكرازة لها القيمة الثانوية، إنما أساساً الكرازة تقوم على مبدأ النقل بأشخاصهم، والتعريف بالمسيح عن طريق ذهاب الرسل أنفسهم إلى الأماكن المتفرقة، وهذا فى الواقع يكشف عن مبدأ مهم جداً من مبادئ المسيحية، إن المسيحية أصلاً تعتمد على مبدأ التلمذة لا على كتابة الكتب، كتابة الكتب تأتى فى المرحلة الثانية، عندما يكون هناك عدم إمكانية للوصول إلى الناس الذين يكرز لهم، إنما أساساً المسيحية تقوم على مبدأ التلمذة. والتلمذة معناها أن الرسول أو المعلم يذهب بنفسه إلى الأماكن ويكرز شفاهة، ويعلم الناس وينقل إليهم كما قال المسيح جميع ما أوصيتكم به، وهذه الحقيقة فخر الكنائس التى تسمى رسولية، بمعنى أن الرسل ذهبوا إلى الأماكن وكرزوا وسلموا وديعة الإيمان، وتلمذوا كثيرين فمبدأ التلمذة رقم واحد ثم الكتابة بعد ذلك. أولاً التلمذة والتلمذة تقتضى سفر الرسول وانتقاله إلى الأماكن وأن يكوّن تلاميذ. ومن هنا جاءت أهمية التقليد فى الكنيسة. التقليد الشفاهى والتقليد العملى، التقليد الشفاهى هو الكرازة بالتعليم والتلمذة، والتقليد العملى بالممارسة، ثم التقليد الكتابى بالتحرير، ولذلك كتب الرسول بولس مرة يقول لأهل كورنثوس «أمدحكم على أنكم تحفظون التقليدات كما سلمتها إليكم، سواء كان بالكلام، أم برسالتنا» فأولاً يحدد بالكلام ثم بالرسالة المكتوبة، بناء على ذلك لاحظنا أن الآباء الرسل الذين كتبوا الأناجيل، منهم إثنين فقط من

الإثنى عشر وإثنان من السبعين، فمتى ويوحنا من الـ ١٢ ولوقا ومرقس من الـ٧٢، إذن أين أناجيل الآباء الرسل الآخرين؟ وعندما نقرأ إنجيل مثل إنجيل مرقس ممكن أن تفرغ منه فى ساعتين لأنه ١٦ أصحاح، فليس من المعقول أن حياة المسيح كانت فقط فى هذه المعلومات البسيطة التى قدمها مرقس الرسول، فى هذه الكلمات القليلة وهذه الأوراق القليلة. أود أن أقول أن الاعتماد أصلاً كان على الكرازة وعلى التلمذة، ولذلك نحن محتاجين أن نأخذ صورة كاملة عن حياة المسيح على الأرض، نأخذ جزء منها من الأناجيل لأنها هى التقليد المكتوب، وأيضاً نضيف إليها التعليم الشفاهى والتقليد العملى الذى سلمه الآباء الرسل بأنفسهم، وهذا يقتضى عملية متابعة للآباء الرسل فى الأماكن التى ذهبوا إليها وما تركوه من تراث. الكنيسة لها تراث، هذا التراث يجمع من نواحى متفرقة منها الأناجيل، باعتبار أنها التقليد المكتوب وتعد وثائق مكتوبة، لكن هناك أيضاً وثائق أخرى وهى التقليد الشفاهى ثم التقليد العملى، مثلاً بولس الرسول يقول «أما الأمور الباقية فعندما أجئ أرتبها»، معنى ذلك أن هناك أمور لا يستطيع أن يوفيها بالكتابة فلابد أن يذهب بنفسه لكى يرتبها، فالكنيسة تسير على مبدأ التسليم وهذا هو ما يسمى بالتقليد، وهى الشئ الذى يسلم من يد إلى يد، ومن أب إلى ابن ومن سلف إلى خلف، فإذا أردنا أن نكوّن فكرة كاملة لابد أننا نحفظ التراث كله، وهذا التراث يتألف من الأناجيل والرسائل باعتبارها وثائق تحريرية، وأيضاً عن كرازة الرسل أنفسهم، وهذا هو الجزء الأهم وهذا طبعاً مودع فى الكنائس التى تسلمت من الرسل أنفسهم الكرازة المسيحية، لذلك الكنيسة المسيحية كنيسة إنجيلية تقليدية، الإنجيل فيها جزء من تراثنا والتقليد جزء آخر من التراث، بل يمكن دون مبالغة أن نقول أن الإنجيل نفسه تقليد، لأنه سلم إلينا، هذه الوثائق المكتوبة مسلمة، يجدها الطفل فى منزله ويكون صغير وهو لا يفهم شئ إنما يجد ما يعرف بالكتاب المقدس فى المنزل ويعرف أن هذا كتاب ربنا، الطفل لم يتحقق بنفسه من الكتاب المقدس ولم يدرسه بعد، ولم يقارنه بغيره من الكتب، إنما من السابقين عليه تسلم أن هذا هو الكتاب المقدس. فإذا أردنا أن نحفظ تراثنا، لابد أن نعترف أن تراثنا لا يتألف من الإنجيل فقط، وإنما من التراث الشفاهى والتراث العملى التقليدى، وحمداً لله أن التراث الشفاهى نفسه دُوّن فى كتب الكنيسة التى نعتمد عليها. وهى الكتب الكنسية وأيضاً كتب الآباء الأولين أما الكتب الكنسية هى التى تشرح كيفية مباشرة الأسرار المقدسة، كيف يتم التعميد كيف تتم مسحة المرضى وكيف تتم المسحة المقدسة وهى الميرون وكيف ينفذ سر التناول، وكيف يباشر القداس، لأن كل رسول من الرسل سلم فى المكان

الذى ذهب إليه طريقة الصلاة، وطريقة عمل القداس وعرف بقداس الرسل الإثنى عشر، وهكذا أيضاً فى موضوع طقس الزواج وصلواته وتدشين الكنائس والمذابح والأماكن المقدسة. وأيضاً الرسامات الكهنوتية فى الدرجات المختلفة، كل هذه أشياء كانت تباشر بالطريق الشفاهى والطريق العملى، ولكن بعد ذلك دونت أيضاً فأصبحت مدونة فى كتب الكنيسة، وأيضاً بالإضافة إلى هذه الكتب الكنسية هناك كتابات الآباء الأولين. وتشتمل أولاً على حياة الرسل وبالتالى على حياة المسيح، وأيضاً على الآباء الرسوليين الذين تسلموا من الرسل وعاشوا بعدهم، مثل بوليكاربوس وتيطس وتيموثاوس طبعاً عشرات وعشرات، وأغناطيوس الذورانى أو المتوشح بالله... إلخ. هؤلاء الذين عاشوا مع الرسل وعاشوا بعدهم وهم الذين يسموا الآباء الرسوليين، وسلموا أيضاً لآخرين، لأن هؤلاء أخذوا من الآباء الرسل الذين أخذوا من المسيح، فتراث الكنيسة أصبح مدوناً، ولم يعد معتمد على التسليم الشفاهى، إنما بعد أن وصل هذا التعليم الشفاهى وأيضاً التقليد العملى دونت هذه فى كتب الكنيسة، ودونت فى كتابات الآباء الأولين، لا نستطيع أبداً أن نتجاهل كتابات بنتينوس أو يوستينوس هؤلاء الناس الذين دافعوا عن المسيحية ثم الآباء الذين جاءوا بعد ذلك مثل كيرلس الأورشليمى وكيرلس الأول عمود الإيمان وباسيليوس الكبير ويوحنا ذهبى الفم، كل هؤلاء الآباء المعتبرين أعمدة فى الكنيسة ومعلمين فى الكنيسة، لأنهم أيضاً استندوا فى تعليمهم ليس فقط على معلوماتهم من الكتب المقدسة، إنما على معلومات أخرى أخذوها من الآباء الرسل وسلمت إليهم، ونحن لا نستطيع أبداً أن ننكر أهمية التقليد فى الديانة. فمثلاً موسى النبى هو أول من كتب الأسفار الخمسة، إنما الآباء من آدم إلى موسى، هذه الفترة الطويلة آلاف السنين، كيف كانوا يعيشون ويسلكون مع الله لم يكن هناك كلام مكتوب ولا شريعة مكتوبة إنما كان هناك تقليد، ومع ذلك هناك أمور أخرى حتى لم تدون فى نفس الأسفار التى كتبها موسى، فمثلاً بولس الرسول يشير إلى قول موسى «أنا مرتعب ومرتعد» عندما تبحث فى سفر الخروج أو الأسفار التى بعد ذلك لا نجد هذا التعبير. إذن من أين أتى بولس الرسول بهذا التعبير؟ بالتقليد وأيضاً فى موضع آخر يقول قال الرب يسوع: «مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ» وعندما تبحث فى الأناجيل لا تجد هذا التعبير موجود، فمن أين أتى لبولس الرسول؟ ينسب إلى المسيح أنه قال «مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ» من أين أتى بهذا الكلام؟ وهو غير مدون فى الأناجيل، إذن فيه هناك أقوال أخرى وصلت إلى الأجيال بالتعليم الشفاهى مثل القداس، ومثل المسلمات الكنسية، وهذا هو الفرق بين الكنيسة الأرثوذكسية وبين مثلاً إخواننا

البروتستانت الذين لا يعتمدوا إلا على الإنجيل، الحقيقة هذه طريقة مبتورة، عندما تمسك الإنجيل لوحده أنت تبتر جزء مهم من التراث المسيحى، لأن الإنجيل أحد مصادرنا لكن ليس كل مصادرنا، أشياء كثيرة لم تدون، حتى فى الأناجيل يقول المسيح استمر مع الناس ثلاثة أيام، ثم قال للتلاميذ الجمع معى ثلاثة أيام ولم يأكلوا هذه الـ ٣ أيام لم يُذكر الإنجيل شيئاً عنها إطلاقاً، ثم يذكر المعجزة التى عملها بعد ذلك وهى إشباع الخمسة آلاف من الخمسة خبزات، مرة ثانية، يقول فى مرقس أصحاح ٢ أنه كان يعلم فى بيت، وكان هناك جمع مزدحم إلى ما وراء الباب، ولم يذكر شيئاً من هذا التعليم إطلاقاً فى الإنجيل، إنما ذكر الذين أخذوا المفلوج وصعدوا إلى السقف ودلّوه أمام الرب يسوع، يذكر المعجزة ولكن ترك التعليم نفسه، لأنه كما قال يوحنا الرسول وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع لم تكتب فى هذا الكتاب، فإن كتبت واحدة واحدة لست أظن أن العالم كله يسع الكتب المكتوبة، إنما هذه قد كتبت لكى تؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله الحى، ولكى تكون لكم إذا آمنتم به الحياة الأبدية، . فالهدف من الكتابة ليس سرد كل شئ، فالعالم كله لا يسع الكتب المكتوبة، إنما هذا القليل كتبناه لكى تؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، لأنه كان وقت يوحنا الرسول ظهر الغنوسيون والهراطقة ومن إليهم من الناس الذين أخطأوا فى فهم طبيعة المسيح، وهذا كان شئ طبيعى أن المسيح بإعتباره جاء مختفى فى الجسد، فكان مجال لأن يخطئ الناس فى فهم حقيقته، فكتب يوحنا الرسول الإنجيل لكى يعطى الصورة الحقيقية للمسيح، ولذلك الإنجيل لم يذكر شيئاً عن طفولة المسيح، ولم يذكر شيئاً عن الميلاد الذى تكلم عنه إنجيل متى أو إنجيل لوقا بالإختصار، إنما اهتم أولاً بأن المسيح له وجود قبل الزمان، «فى البدء كان الكلمة والكلمة ..» ثم يقول فى الآخر والكلمة اتخذ جسداً، دون أن يشير إلى الميلاد من مريم العذراء. فإذن الأناجيل حتى وإن كتبت فهى لم تكتب كل شئ، ركزت على الهدف الأساسى من كتابة الأناجيل وهو حقيقة الإيمان بالمسيح أنه ابن الله، أى إظهار لاهوت المسيح. أما موضوع الطفولة فليس لأنه غير مهم، ولكن لأنه بالنسبة للهدف الكبير لم يكن له أهمية، فالمسيح فى طفولته كان يذهب إلى الكُتّاب والكُتّاب كان ملحق بالمعبد وفى المعابد يقرأوا فصول فى الكتاب المقدس، بعضها من التوراة وبعضها من الأنبياء، ثم كلمات الوعظ والتعليم، إنما لا يوجد ذبيحة ولا بخور ولا أى عمل من أعمال الكهنوت، لأن هذه لا تباح فى المعابد، إنما تكون مقصورة على الهيكل فقط، فكان ملحق بكل مجمع من هذه المجامع أو هذه المعابد كُتّاب لتعليم الأطفال الصغار، فالمسيح ذهب كواحد من بين الصغار، ولكن فى

نفس الوقت كان يعمل صبى نجار مع يوسف، إلى أن بلغ السيد المسيح سن ١٦ سنة، كان يوسف قد أصبح شيخاً وتعدى المائة من عمره ربما ١٢٠ سنة، مذكور فى السنكسار كان المسيح سنه فى الجسد فى هذا الوقت ١٦ سنة. طبعاً بعد أن مات يوسف أصبح على المسيح أن يقوم بعمله كنجار، حتى يقال أن المائدة التى جلس عليها ليلة العشاء الربانى كانت من صنع المسيح نفسه،وقالوا عنه هذا هو النجار ابن النجار. الأناجيل اكتفت أنها أشارت أنه نجار وعمل نجار، وطبعاً ذلك لكى يعول الأسرة وينفق عليها، نقول هذا الكلام أيضاً نفياً لبعض آراء الناس الذين ظنوا أن المسيح فى هذه الفترة اختفى، فنحن ننفى هذا لأن المسيح لم يخرج من فلسطين فى هذه الفترة إطلاقاً، ركز على بقائه فى فلسطين، وعندنا قصة عن ملك مدينة الرها التى هى أوديسا وهى اليوم على البحر الأسود، عندما أرسل إلى المسيح وقال له: أنا أعلم أن اليهود يريدون قتلك وأنا عندى هنا مدينة هادئة على البحر كما أنى محتاج لك أن تشفينى من مرضى لأنى مريض، فالمسيح اعتذر أو رفض أن يذهب وقال له لابد أن أتمم رسالتى فى فلسطين، ثم أرسل إليك أحد تلاميذى يهديك أنت وقومك إلى الإيمان. فالمسيح لم ينتقل من بلاد فلسطين فى فترة وجوده على الأرض، من يوم خروجه من أرض مصر ذهب إلى الناصرة وعاش هناك فى الناصرة كطفل، وكان يحضر المجمع ويحضر أيضاً الكُتّاب وبعد ذلك عمل كصبى نجار مع يوسف، وهذا معنى كلمة وكان خاضعاً لهما (ليوسف ومريم)، فكون المسيح يقبل أو يتنازل أن يشتغل تحت وصاية يوسف كنجار، ويعمل ما يطلبه منه من الأعمال، لاشك أن هذا معنى الخضوع لهما وبعد أن توفى يوسف أصبح هو المسئول وأصبح هو النجار الذى يعمل، ولا شك أنه هو أفاد ليس فقط فى إعالته لمريم، ولكن لابد أن أهل المدينة كلها استفادوا من أعمال النجارة، لأنه إلى جانب أعمال النجارة، كان لابد من كلمات للمسيح وتعاليم، شئ لابد منه وإن كانت الأناجيل لم تدونها، وإذا كنا نحن أطفالنا الصغار عندما يتكلموا نحافظ على كلامهم. فمن باب أولى فادينا ومخلصنا يسوع المسيح وهو الإله الظاهر فى الجسد. لابد أنه كان له كلمات وتعاليم وتصرفات كثيرة فى طفولته لم يدونها الإنجيل، لأن الإنجيل لم يكن مهيئ لأن يكتب كل شئ عن حياة المسيح له المجد.

٨٤ ـ من يقول الناس أنى أنا ؟

سؤال : يقول لماذا سأل السيد المسيح تلاميذه قائلاً : من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان؟ ألم يكن يعلم ما يقوله الناس عنه ؟

الجواب :

هذا نوع من السؤال الذى لايؤخذ على بسيط السؤال، سؤال من النوع الذى نسميه السؤال التوليدى، سؤال المعلم لتلاميذه لا لأنه يجهل الإجابة، ولكنه يجعل التلاميذ هم الذين يفكرون فى الإجابة على هذا السؤال. ولأنه يترتب عليه إجابة التلاميذ ما هو بعد هذه الإجابة من حقائق، ليس دائما كل سؤال يكون على بسيط الحال، وهذه طريقة سيدنا له المجد، كثيرا ما نجده أنه يُسأل سؤال فيجيب هو بسؤال، مرة جاء إليه شاب مؤدب جدا، وهو غنى ورئيس، وجثا على ركبتيه بأدب، وقال له أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لكى أرث الحياة الأبدية؟ فكانت إجابة سيدنا بسؤال : قال له لماذا تدعونى الصالح؟ وهنا لا أنسى أن اللغة القبطية كانت أجمل ما ترونه من ترجمات أخرى، لماذا تدعونى الصالح وليس لماذا تدعونى صالحا! لماذا تدعونى الصالح؟ وليس أحد هو الصالح إلا واحد هو الله. القبطى أصر على آداب التعبير «الصالح» (Ⲡⲓⲁⲅⲁⲑⲟⲥ) وهذه لها معنى كبير، تعمل فرق لأنه ممكن أن يقال عن أى إنسان أنه صالح، تقول فلان صالح لكذا، وناس كثيرين صالحين فى مقابل الأشرار والطالحين، إنما الصالح هو واحد بمعنى الصالح صلاحا مطلقا، هو الصالح بالألف واللام، وهو وحده كلى الصلاح. المهم أن المسيح أجاب على السؤال الموجه إليه، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ فبدلا من أن يجاوبه على سؤاله، سأله سؤال يقول له لماذا تدعونى الصالح؟ ليس أحدا الصالح إلا واحد هو الله، يعنى واحدة من إثنين، إما أنك تسألنى هذا السؤال وأنت تعلم أنى الصالح، وهذه صفة من صفات الله لا يتصف بها إلا الله وحده، وفى هذه الحالة تكون أنت من نفس كلامك، ومن نفس منطق لسانك، تعترف أنى أنا هو الله الذى يتصف بصفات لا يتصف بها إلا الله وحده، أم أن قولك هذا نفاق، ثم رجع مرة ثانية يجاوب على السؤال الأساسى، وقال له ماذا تقرأ؟ إلى آخر هذه الإجابة.

مرة أخرى اليهود سألوه، قالوا له بأى سلطان تفعل هذا ؟ قال لهم وأنا أيضاً أسألكم معمودية يوحنا أمن الناس كانت، أم من الله؟ فهذه كانت طريقة سيدنا له المجد، وهذه أعظم طريقة تربوية وهو أن المعلم يسأل التلاميذ، يجعل التلميذ يخرج الإجابة من عنده، فيعتز بها التلميذ

ويتمسك بها. كما أن هذا السؤال يثير التلميذ على التفكير، وهذا يعد أعظم منهج علمى تربوى، وهو طريقة الإجابة على سؤال بسؤال.

فهنا سيدنا يسأل التلاميذ من يقول الناس عنى، أنا ابن الإنسان؟ هل ليس لأنه لا يعرف الإجابة، لا.. ولكن لكى يدفعهم أن يفكروا ويسمع منهم، ولذلك قالوا له هناك أناس يقولوا أنك أنت إرميا، وآخرين يقولوا أنك أنت يوحنا المعمدان قمت من بين الأموات، والبعض الأخر يقولوا أنك أحد الأنبياء. قال لهم وأنتم من تقولون ؟ هنا السؤال المباشر وأنتم ما رأيكم فىّ؟ من تقولون أنى أنا؟ فأجابه سمعان بطرس وقد كان أكبرهم سنا، ومن الآداب فى ذلك الوقت أن الكبير إذا تكلم يصمت الباقون خاصة إذا كان الكبير يتكلم نيابة عن الباقين، فقال له «أنت المسيح ابن الله الحى» وهنا مرة أخرى نشير إلى قيمة النص القبطى، فإنه فى إنجيل لوقا يقول «أنت المسيح الله». فى متى «ابن الله الحى» يبقى هو أنت المسيح الله ابن الله الحى. الحقيقة أننا كنا لا نعرف قدر النص القبطى. النص القبطى الحقيقة هو نص فى غاية الأهمية، وعلماء العالم فى الخارج تنبهوا إلى أهمية النص القبطى، لدرجة أن بعضهم يقول اليوم أن النص القبطى يعد شقيق للنص اليونانى الحاضر وليس ابن له. ولذلك بعض اليونانيين يقولوا إذا فقد النص اليونانى، لا نستطيع أن نعتمد إلا على النص القبطى. النص القبطى فى غاية الأهمية، ونحن نعمل فى الترجمة نكتشف دقة هذا النص وجماله، واللفتات البسيطة جدا جدا التى تدل على أن الأقباط الذين قاموا بترجمة الكتاب المقدس، وهم علماء مدرسة الأسكندرية اللاهوتية، كانوا يعرفون اللغتين اليونانية والقبطية بدرجة واحدة، ولذلك لا تعد الترجمة القبطية ترجمة فى مستوى أى ترجمة أخرى، إنما كانت عبارة عن فهم دقيق للنص الأصلى، ولذلك الحقيقة من يوم إلى آخر يزداد إحساسنا بقيمة هذا النص القبطى، لأن الإنسان عندما يشكل عليه فى فهم آيه وترجع للنص القبطى، نجد النص القبطى يغنينا عن التفسير. مثلا الآية فى يوحنا ١٠ عدد ٣٠، «أنا والآب واحد» النص القبطى يقول (أنا وأبى نحن معا واحد) وهذا جميل جميل جميل، يعنى لا يعلوه جمال، وضح كيف أن الابن مع الآب من جوهر واحد. من جوهر واحد، أو واحد معه فى الجوهر، «أنا وأبى نحن معا واحد» هذا هو النص القبطى. فى العربى الحاضر الذى نقرأه «أنا والآب واحد» إنما القبطى كان أجمل وأجمل وأجمل وأدق وأحسن «أنا وأبى نحن معا واحد». لذلك عندما نقول «واحد مع الآب فى الجوهر» يكون هذا الكلام مطابق فعلا لما قاله المسيح له المجد كما جاء فى النص القبطى، نرجع للسؤال من يقول الناس أنى أنا ابن الإنسان؟ ليس معنى هذا أن المسيح كان

يجهل، إنما هذا نوع من السؤال المثير لكى يثير التلاميذ، ويفكروا فى هذه الإجابة، ولأن المسألة لا تنتهى بمجرد الإجابة، لأنه يحركهم أن يفكروا، ثم رجع مرة أخرى يقول لهم وأنتم من تقولون إنى أنا ابن الإنسان؟ ثم سمعان بطرس قال له أنت المسيح الله ابن الله الحى. وبذلك رتب المسيح على هذا الكلام أهميته، قال له على هذه الصخرة، على صخرة الإيمان، والاعتقاد بهذا اللاهوت، أبنى كنيستى وبوابات الجحيم، أنا أميل أن ننطقها بوابات وليس أبواب، ولو أن الكلمة واحد، لكن الباب دائما بابٍ صغير، إنما النص اليونانى والقبطى يترجم «بوابات»، وهى البوابات الكبيرة التى نجدها فى المعابد المصرية القديمة، فهناك فرق بين الباب الصغير مثل أبواب الحجرات والشقق. نرى فى أديرتنا العظيمة مثل دير المحارب أو بعض الأديرة الأخرى، الباب الكبير وهو الواسع جدا والعالى جدا، وشبيه ببوابات المعابد المصرية القديمة، هذا نسميه بوابة، فالمسيح يقول بوابات وليس أبواب صغيرة، لأن الجحيم عالم، وعالم كبير ومن غير المعقول أن المداخل الخاصه به تكون عبارة عن أبواب صغيرة، إنما هى بوابات، بوابات الجحيم لن تقوى عليها.

٨٥ ـ الله يظهر لآدم وحواء فى الجنة

وعلى الرغم من أن الإنسان سقط بإرادته وعصى أمر الله إستجابة لشهوته، واستحق الحكم الإلهى عليه بالموت، فإن الله تعالى بحنانه الأبوى أقبل عليه فى الجنة، يتفقده فيها وقبل أن يطرده منها، لعله يفتح له بذلك سبيل الاستغفار..

ولعل هذه هى **أول صورة من صور الظهور**. قال الكتاب المقدس عن آدم وحواء بعد أن أكلا من الشجرة المنهى عنها وعلما أنهما عريانان فخاطا من ورق التين وصنعا لهما منه مآزر «**فسمعا صوت الرب الإله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار**، فاختبأ آدم وإمرأته من وجه الرب الإله فيما بين شجر الجنة. وإذن ظهر الرب الإله لآدم وحواء وهما لايزالان فى الجنة، وسمعا صوته وهو متمشٍ فى الجنة عند نسيم النهار، فاختبأ آدم وإمرأته من وجه الرب» (التكوين ٣ : ٨).

وهنا يعطينا الكتاب المقدس أول صورة من صور الظهور. **الإله يمشى أو يتمشى فى الجنة، ولمشيته صوت سمعه آدم وحواء**. ثم، إذ سمع آدم وإمرأته صوت الرب الإله ماشيا فى الجنة، اختبأ آدم وإمرأته من وجه الرب الإله فى وسط الجنة، ومن هذا الوصف يتضح أن الرب الإله اتخذ صورة إنسان يمشى ولمشيته صوت، وبسبب ذلك اختبأ آدم وإمرأته فى وسط الجنة. فكيف لرجل وإمرأته أن يختبئا، فى وسط الجنة، إلا لأنهما فعلاً سمعا صوت الرب الإله وقد أخذ صورة إنسان يمشى ولمشيته صوت، فاختبأ آدم وإمرأته من وجه الرب الإله فيما بين شجر الجنة» (التكوين ٣ : ٨).

وبعد ذلك حدث الحوار الآتى، وبصوت مسموع سمعه آدم وإمرأته حواء. «فنادى الرب الإله آدم، وقال له : أين أنت؟ فقال (آدم) : إنى سمعت صوتك فى الجنة، فخشيت لأنى عريان فاختبأت. فقال (الرب) : فمن أعلمك أنك عريان، هل أكلت من الشجرة التى نهيتك عن أن تأكل منها؟ فقال آدم المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت. فقال الرب الإله للمرأة : ما هذا الذى فعلت؟ فقالت المرأة : الحية أغوتنى فأكلت. فقال الرب الإله للحية : إذ صنعت هذا فأنت ملعونة من بين جميع البهائم وجميع وحوش البرية، على بطنك تسعين، وترابا تأكلين كل أيام حياتك. وأجعل عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها، هو يسحق رأسك، وأنت ترصدين عقبه. وقال للمرأة : لأكثرن مشقات حملك، بالألم تلدين أولاداً، وإلى رجلك تنقاد أشواقك، وهو يسود عليك. وقال لآدم لأنك سمعت لقول إمرأتك، فأكلت من الشجرة التى نهيتك

قائلاً : لا تأكل منها، فملعونة الأرض بسببك، بمشقة تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكل عشب الصحراء. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها، لأنك تراب وإلى تراب تعود. وصنع الرب الإله لآدم وإمرأته أقمصة من جلد وكساهما، (التكوين ٣ : ٩ - ٢١).

٨٦ - ظهور الله لإبراهيم الخليل

جاء فى الكتاب المقدس :

وظهر (وتجلى) له **الرب** عند بلوطات ممرا، وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار. فرفع (إبراهيم) عينيه ونظر، فإذا ثلاثة رجال واقفون أمامه. فلما رآهم ركض لاستقبالهم من باب الخيمة، وسجد إلى الأرض. وقال **ياسيدى** إن نلت حظوة **فى عينيك** فلا تجز عن **عبدك**. فيقدم لكم قليل ماء فتغسلون أرجلكم، وتتكئون تحت الشجرة. وأقدم كسرة خبز فتسندون بها قلوبكم، ثم تمضون بعد ذلك، فإنكم لذلك قد مررتم على عبدكم. فقالوا : اصنع كما قلت.

فأسرع إبراهيم إلى الخيمة، إلى سارة، وقال : أسرعى بثلاث كيلات من دقيق سميذ، فاعجنيها واصنعى خبز ملة. ثم ركض إبراهيم إلى البقر، فأخذ عجلاً رخصاً وجيداً، ودفعه إلى الغلام، فأسرع ليعمله. ثم أخذ زبداً ولبنا والعجل الذى أصلحه، ووضعها قدامهم، وهو واقف أمامهم تحت الشجرة، فأكلوا.

وقالوا له أين سارة إمرأتك، فقال : ها هى فى الخيمة. **فقال : إنى سأرجع إليك** فى مثل هذا الوقت من قابل، ويكون لسارة إمرأتك ابن. وكانت سارة سامعة فى باب الخيمة، وهى وراءه. وكان إبراهيم وسارة شيخين طاعنين فى السن. وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء. فضحكت سارة فى باطنها قائلة : أبعد فنائى يكون لى تنعم، وسيدى قد شاخ. **فقال الرب لإبراهيم** : لماذا ضحكت سارة قائلة : أفبالحقيقة ألد، وأنا قد شخت. **هل يستحيل على الرب شئ**. فى مثل هذا الوقت من قابل، **أعود إليك**، ويكون لسارة ابن، فأنكرت سارة قائلة : لم أضحك، لأنها خافت. فقال : لا، بل ضحكت.

ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم. وكان إبراهيم ماشيا معهم ليشيعهم. **فقال الرب : هل أخفى عن إبراهيم ما أنا صانعه** ؟ وإبراهيم سيكون أمةً كبيرة وقوية ويتبارك به جميع أمم الأرض. **وقد علمت** أنه سيوصى بنيه وأهله من بعده، بأن يحفظوا طريق الرب ليعملوا براً وعدلاً حتى ينجز الرب لإبراهيم ما وعده به. **وقال الرب** : إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر، وخطيئتهم قد عظمت جداً. **أنزل وأرى** هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتى إلىّ **وإلاّ فأعلم**. وانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم، **وأما إبراهيم فكان لم يزل قائماً واقفا أمام الرب**.

فتقدم إبراهيم وقال : **أفتهلك البار مع الأثيم** ؟ عسى أن يكون خمسون باراً فى المدينة، **أفتهلك** المكان **ولا تصفح عنه** من أجل الخمسين باراً الذين فيه؟ **حاشا لك أن تصنع مثل هذا، أن تهلك البار مع الأثيم**، فيكون البار كالأثيم **حاشا لك! أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً؟ فقال الرب إن وجدت** فى سدوم خمسين باراً فى المدينة **فإنى أصفح عن المكان كله من أجلهم**. فأجاب إبراهيم وقال : إنى قد شرعت **أكلم المولى**، وأنا تراب ورماد : إن نقص الخمسون باراً خمسة. **أفتهلك** جميع المدينة بالخمسة؟ **فقال : لا أهلكها إن وجدت هناك خمسة وأربعين**. فعاد يكلمه أيضا وقال : عسى أن يوجد هناك أربعون. فقال : **لا أفعل من أجل الأربعين**. فقال : **لا يسخط المولى** فأتكلم : عسى أن يوجد هناك ثلاثون. فقال : **لا أفعل إن وجدت هناك ثلاثين**. فقال : إنى قد شرعت **أكلم المولى** : عسى أن يوجد هناك عشرون. فقال : **لا أهلكهم من أجل العشرين**. فقال : **لا يسخط المولى** فأتكلم هذه المرة فقط. عسى أن يوجد هناك عشرة. فقال. **لا أهلكهم من أجل العشرة**. **ومضى الرب** عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم، ورجع إبراهيم إلى موضعه (سفر التكوين ١٨ : ١ – ٣٣).

فالنص واضح لبيان أن الرب هو الذى ظهر وتجلى لإبراهيم.

(١) فالوحى الإلهى يقول صراحة «**وظهر (أو تجلى) له الرب** عند بلوطات ممرا» (التكوين ١٨ : ١).

(٢) ومع أن إبراهيم نظر (وإذا ثلاثة رجال واقفون أمامه وركض لاستقبالهم لكنه تبين أن واحداً من الثلاثة هو الرب، حتى **أنه سجد** ثم خاطبه بالمفرد قائلا : (**يا سيدى، إن نلت حظوة فى عينيك، فلا تجز عن عبدك**).

(٣) وبعد أن أكلوا قال الرب «**إنى سأرجع إليك** فى مثل هذا الوقت من قابل ويكون لسارة إمرأتك ابن» ولما ضحكت سارة، قال الرب «لماذا ضحكت سارة، هل يستحيل على الرب شئ. فى مثل هذا الوقت من قابل، **أعود إليك** ويكون لسارة ابن» ولما أنكرت سارة وقالت : لم أضحك، (**قال الرب : لا، بل ضحكت**).

(٤) ثم لما قام الرجال وتطلعوا نحو سدوم، «**قال الرب : هل أخفى عن إبراهيم ما أنا صانعه**، وإبراهيم سيكون أمة كبيرة.. **وقد علمت** أنه سيوصى بنيه.

(٥) ثم **قال الرب** : إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر... **أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام** حسب صراخهم **الآتى إلىّ، وإلاّ فاعلم.**

(٦) ثم يقول الوحى الإلهى وأما إبراهيم **فكان لم يزل واقفاً أمام الرب.** فتقدم إبراهيم وقال : **أفتهلك** البار مع الأثيم، عسى أن يكون خمسون باراً فى المدينة، **أفتهلك المكان ولا تصفح عنه.. حاشا لك أن تصنع مثل هذا، أن تهلك البار مع الأثيم.. حاشا لك.. أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً؟. فقال الرب : إن وجدت فى** سدوم خمسين بارا فى المدينة **فإنى أصفح عن المكان كله من أجلهم.**

(٧) ثم يعود إبراهيم ويلح قائلاً للرب «إنى قد شرعت **أكلم المولى**، وأنا تراب ورماد.. **لا يسخط المولى** فأتكلم... رانى قد شرعت **أكلم المولى لا يسخط المولى** فأتكلم هذه المرة فقط.. وفى كل مرة يتكلم الرب بصفته صاحب الحق فى الصفح قائلا : **إن وجدت** فى سدوم خمسين بارا... **فإنى أصفح** عن المكان كله من أجلهم... **لا أهلك المدينة إن وجدت** هناك خمسة وأربعين... **لا أفعل** من أجل الأربعين... **لا أفعل أن وجدت** هناك ثلاثين... **لا أهلكهم** من أجل العشرين... **لا أهلكهم** من أجل العشرة... فالمتكلم هو (**الرب**) وهو (**المولى**) وهو (**الديان**) وهو صاحب الحق فى (**الصفح**) ... وأخيرا يقول النص الإلهى صراحة «**ومضى الرب** عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم، ورجع إبراهيم إلى موضعه»... وكلها بينات ناطقة على **أن الرب بذاته هو الذى ظهر وتجلى لإبراهيم** عند بلوطات ممرا.

ويضيف الكتاب المقدس بعد ذلك فى الأصحاح التالى : «فجاء الملاكان إلى سدوم» (التكوين١٩ : ١) وكان قد قال قبل ذلك «ومضى الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم» (التكوين ١٨ : ٣٣) مما يتبين معه أن الرب **كان هو الأوسط بين الثلاثة**، وأما الملاكان المصاحبان للرب، فقد ذهبا إلى سدوم، وهما كما يقول آباء الكنيسة، هما الملاك ميخائيل والملاك جبرائيل.

جاء فى الكتاب (الدفنار) تحت اليوم الواحد والعشرين من هاتور :

«ثلاثة رجال أتوا إلى أبينا إبراهيم وقت الظهيرة، وهو فى الخباء : ميخائيل العظيم رئيس الملائكة، وغبريال (جبرائيل)، **والرب فى وسطهما**»

جاء فى البارلكس الذى يقال فى العاشر من شهر بشنس، على لحن الثلاثة الفتية القديسين: «ثلاثة رجال مُكرَّمين جاءوا لضيافة إبراهيم، أى ميخائيل وغبريال، **وكان مُخلِّصنا فى الوسط بينهما**» (عن كتاب التماجيد المقدّسة).

وفى موضع آخر من نفس كتاب (التماجيد المقدّسة): (ميخائيل رئيس الملائكة الطاهر قائم عن يمين الله...).

وجاء أيضا فى موضع آخر من مصادرنا الكنسية عن رئيس الملائكة ميخائيل (هو- مع غبريال (جبرائيل) .. هو الذى استضافه أبو الآباء إبراهيم الخليل، **لمّا تجلّى له البارى عند بلوطات ممرا وهو جالس عند باب خبائه**).

٨٧ ـ ظهور الله ليعقوب أبى الأسباط فى المغارة

بعد عشرين سنة من تغرب يعقوب عند خاله لابان، هرباً من وجه أخيه عيسو الذى اعتزم أن يقتله حقداً عليه، وحسداً له، من أجل البكورية والبركة التى حصل عليها يعقوب... (سفر التكوين ٢٧: ٤١ – ٤٥).

«قال الرب ليعقوب: ارجع إلى أرض آبائك وعشيرتك، وأنا أكون معك (التكوين ٣١: ٣)، (٢٨: ١٥).

«وأرسل يعقوب رسلا قدامه إلى عيسو أخيه، إلى أرض سعير، بلاد أدوم، وأمرهم قائلا: هكذا قولوا لسيدى عيسو: «هكذا قال عبدك يعقوب: «إنى تغربت عند لابان ولبثت إلى الآن، وقد صار لى بقر وحمير وغنم وعبيد وإماء، وأرسلت لأخبر سيدى لأنال حظوة فى عينيك». فرجع الرسل إلى يعقوب قائلين: أتينا إلى أخيك، إلى عيسو وهو أيضا قادم للقائك، ومعه أربع مئة رجل. **فخاف يعقوب جداً، وضاق به الأمر**، فقسم القوم الذين معه والغنم والبقر والجمال إلى جيشين... وقال إن جاء عيسو إلى الجيش الواحد وضربه يكون الجيش الباقى ناجيا. ثم قال يعقوب: يا إله أبى إبراهيم، وإله أبى اسحق، الرب الذى قال لى: ارجع إلى أرضك وإلى عشيرتك، وأنا أحسن إليك. صغير أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التى صنعت. فإنى بعصاى عبرت هذا الأردن، والآن قد صرت جيشين. **نجنى من يد أخى عيسو، لأنى خائف منه أن يأتى ويضربنى الأم مع البنين**. وأنت قد قلت إنى أحسن إليك، وأجعل نسلك كرمل البحر الذى لايحصى لكثرته..».

«فبقى يعقوب وحده. **فصارعه إنسان حتى مطلع الفجر**. ولما رأى أنه لايقدر عليه ضرب حق فخذه. فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه. وقال: «أطلقنى لأنه قد طلع الفجر. فقال: «**لاأطلقك إن لم تباركنى**». فقال له: ما اسمك؟» فقال: يعقوب: فقال: «**لايدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل. لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت**». وسأله يعقوب، وقال: «**أخبرنى، ما اسمك؟**» فقال: «**لماذا تسأل عن اسمى**» **وباركه هناك**. فدعا يعقوب اسم المكان **فنيئيل** قائلاً: **لأنى رأيت الله وجها لوجه ونجيت نفسى**. وأشرقت له الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يخمع على فخذه. ولذلك لايأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذى على حق الفخذ إلى هذا اليوم لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا» (سفر التكوين ٣٢: ٣ – ٣٢).

فمن كان هذا الإنسان الذى ظهر ليعقوب؟ ثم صارعه، وفى مصارعته له أظهر نفسه ضعيفا أمام يعقوب، حتى غلبه يعقوب، ومع ذلك ضرب يعقوب على حق فخذه، فانخلع حق فخذه، فصار يعقوب يخمع أى يعرج كل أيام حياته، مما يدل على قوة هذه الضربة، وهو ما جعل يعقوب يتنبه إلى قدرة هذا المصارع وعظمته، لذلك سأل يعقوب هذا الإنسان المصارع له أن يباركه، مما يقطع فى الدلالة على أن هذا المصارع ليس مجرد إنسان عادى حتى إن يعقوب طلب منه بركته.

وإذن لقد أدرك يعقوب أنه هو ذاته أصغر من هذا المصارع له لأن «الأصغر هو الذى يُبارَك من الأكبر» (العبرانيين ٧: ٧) فلما سأله المصارع أن يطلقه قال له يعقوب: «لا أطلقك إن لم تباركنى» فإذا به يجيب على يعقوب قائلا: «لايدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل». ومعنى إسرائيل «يجاهد الله» فمن يكون هذا الكائن المصارع. إلا أن يكون هو الله ذاته، وهو الذى أعطاه اسم (إسرائيل) وفسر له سبب هذه التسمية؟ «لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت»؟. وأخيراً، يسأله يعقوب عن اسمه، فلا يجيبه «أخبرنى باسمك» فيجيبه بقوله: «لماذا تسأل عن اسمى؟» ويضيف الوحى الإلهى قائلاً «وباركه هناك» مما جعل يعقوب يدرك أن هذا المصارع الذى صارعه فى صورة إنسان هو **الله ذاته**، الذى أشفق عليه لأنه كان فى اكتئاب وخوف شديد بعد أن عرف أن أخاه عيسو قادم إليه ومعه أربع مئة رجل، فاعتقد أنه قادم إليه ليقتله هو وإمرأته وأولاده، لذلك ظهر له الله استجابة لاستغاثته بالله، إذ صلى قائلا: «نجنى من يد أخى، من يد عيسو، لأنى خائف منه أن يأتى ويضربنى الأم مع البنين» واستجابة لإستغاثته وصلاته ظهر الله له فى صورة إنسان يصارعه ثم يظهر نفسه ضعيفا أمام يعقوب ليعطى ليعقوب فرصة حتى يغلبه، وبهذا يجد يعقوب إجابة على إستغاثته بأسلوب واقعى تصويرى، فيعرف أن الله سينصره على أخيه، وبهذا ترتفع معنوياته بعد أن أصابه وهن وضعف وإنهيار وخوف شديد... وقد تبين يعقوب بهذه الصورة أن ظهور هذا الكائن والإنسان هو إستجابة لصلاته، وأن الله من فيض إشفاقه عليه جاء إليه بذاته، فى صورة إنسان يصارعه وينهزم أمامه ليطمئنه على أنه سيؤازره ويعينه على أخيه عيسو. ولقد أدرك يعقوب بهذه الوسيلة التوضيحية معنى هذه الوسيلة الإيضاحية، لذلك طلب من هذا الكائن العظيم أن يباركه، وهذا من منطلق إحساسه بعظمة هذا الكائن الذى ظهر فى شكل إنسان لكنه أقوى منه بما لا يقاس، حتى إنه خوفاً على يعقوب من أن ينخدع فى نفسه ويظن نفسه أنه حقاً أقوى من هذا المصارع له، فضربه على حق فخذه، فانخلع

حق فخذ يعقوب، وصار لذلك يعقوب يخمع ويعرج كل أيام حياته، فكان ذلك ليعقوب درساً قاسيا، لازمه كل أيام حياته حتى لا ينسى هذا الدرس من ذاكرته... وهو أيضا ما جعل يعقوب يلح فى طلب معرفة اسم هذا الكائن العظيم الذى ظهر له فى شكل إنسان يصارعه. والغريب، أن هذا الكائن لم يشأ أن يجيبه على سؤاله، ولم يشأ أن يكشف له عن اسمه، غير أن يعقوب استطاع أن يدرك روحيا حقيقة هذا الكائن العظيم، لذلك دعى المكان أو الموضع الذى ظهر له فيه (فنيئيل) ومعناه «**الله ظهر**»، وإذن فقد عرف يعقوب أخيراً، أن هذا الإنسان المصارع هو فى حقيقته **الله ظهر له فى شكل إنسان** ليطمئنه على إنتصاره على أخيه عيسو.

٨٨ ـ ظهور الله لموسى النبى فى العليقة فى سينا

جاء فى الكتاب المقدس :

«وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان. فساق الغنم إلى ماوراء البرية. وجاء إلى جبل الله حوريب. **فتجلى له ملاك الرب فى لهيب نار من وسط عليقة**. فنظر فإذا العليقة تتوقد بالنار، والعليقة لم تكن تحترق. فقال موسى : «أميل الآن، لأنظر هذا المنظر العظيم، لماذا لا تحترق العليقة». فلما رأى الرب أنه قد مال لينظر، فناداه الله من وسط العليقة، وقال : «موسى، موسى». فقال : «هآءنذا». فقال : «لا تقترب إلى ههنا. اخلع نعليك من رجليك، فإن الموضع الذى أنت قائم فيه أرض مقدسة. ثم قال : «أنا إله أبيك، إله إبراهيم، وإله إسحق، وإله يعقوب». **فغطى موسى وجهه، لأنه خاف أن ينظر إلى الله**. فقال الرب «إنى قد نظرت إلى مذلة شعبى الذى فى مصر، وسمعت صراخهم من قبل مسخريهم. إنى علمت أوجاعهم، **فنزلت لأنقذهم** من أيدى المصريين، وأخرجهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة، إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً، إلى موضع الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين، والحويين، واليبوسيين. والآن هوذا صراخ بنى إسرائيل قد بلغ إلىّ، ورأيت أيضا الضيقة التى يضايقهم بها المصريون. فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر...»

فقال موسى لله : «ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم : إله آبائكم أرسلنى إليكم. فإذا قالوا لى : ما اسمه، فماذا أقول لهم؟» فقال الله لموسى : **أنا هو الكائن أهيه الذى أهيه**. وقال : «هكذا تقول لبنى إسرائيل : **الكائن أهيه أرسلنى إليكم**». وقال الله لموسى ثانية : «هكذا تقول لبنى إسرائيل **يهوه إله آبائكم**، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم. هذا اسمى إلى الأبد، وهذا ذكرى إلى جيل فجيل. اذهب واجمع شيوخ إسرائيل وقل لهم : الرب إله آبائكم، إله إبراهيم وإسحق ويعقوب **تجلى لى قائلا** : إنى افتقدتكم وما صنع بكم فى مصر، فقلت إنى أخرجكم من مذلة المصريين إلى أرض الكنعانيين والحثيين والأموريين، والفرزيين والحويين واليبوسيين إلى أرض تفيض لبنا وعسلاً...» (سفر الخروج ٣ : ١ – ٢١).

والآن، أليست هذه صورة من صور الظهور الإلهى؟ الله يتجلى فوق عليقة فى أرض سينا فى لهيب نار، بما وصف أنه (**ملاك الرب**) ، وتكلم مع موسى بصوت مسموع، وكان ظهوره فى شكل منظور حتى إن موسى غطى وجهه **لأنه خاف أن ينظر إلى الله**. وناداه الله من

وسط العليقة وأمره : «موسى، موسى، لا تقترب إلى ههنا. اخلع نعليك من رجليك، فإن الموضع الذى أنت قائم فيه، وواقف عليه، أرض مقدسة». وقد صارت الأرض مقدسة بحلول الله فيها وتجليه من فوقها وظهوره بشكل منظور ومحسوس، ويقول الله تعالى، وهو الساكن فى الأعالى : «**إنى قد نظرت إلى** مذلة شعبى الذى فى مصر، وسمعت صراخهم، إنى علمت أوجاعهم، **فنزلت لأنقذهم**» وهذا تعبير واضح وصريح عن **نزوله تعالى إلى الأرض**، وقد تجلى فوق العليقة. ولئن وصف المتجلى أنه **ملاك الرب** فى لهيب نار من وسط العليقة، لكن الله كشف بكل الوضوح أنه هو **الله ذاته**، «**أنا هو الكائن، أهيه الذى أهيه**»، وقال لموسى «هكذا تقول لبنى إسرائيل **الكائن أهيه أرسلنى إليكم، يهوه إله آبائكم** إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم. هذا اسمى إلى الأبد، وهذا ذكرى إلى جيل فجيل». فالمتكلم إذن، والذى تجلى فى العليقة لموسى، **ليس كائناً آخر، غير الله ذاته فى بهاء وشكل منظور، فهو الله ذاته متجسدا فى شكل منظور، هو (يهوه) الكائن الأزلى** الذى لابداءة له، والأبدى الذى لا نهاية له، هو الله السرمد والسرمدى، الساكن فى الأعالى، **وقد نزل على العليقة فى شكل منظور**، ويقول صراحة له المجد وبكل الوضوح وبغير لبس «إنى قد نظرت إلى مذلة شعبى الذى فى مصر، وسمعت صراخهم، وعلمت أوجاعهم **فنزلت لأنقذهم**»... ومعنى النزول : أنه وهو الساكن فى الأعالى، صار له كيان منظور على الأرض، وهذا إرهاص ونذير **بالنزول العظيم الذى تحقق بالتجسد من مريم العذراء، فى المسيح الذى نزل من السماء لمهمة الفداء والخلاص. وإذن فنزوله فى سيناء على العليقة هو صورة من صور التجلى.**

٨٩ ـ الله يظهر فى صورة رئيس جند الرب

جاء فى الكتاب المقدس :

«وحدث لما كان يشوع عند أريحا أنه رفع عينيه ونظر فإذا رجل واقف قبالته وسيفه فى يده مسلولاً. فسار يشوع إليه وقال له : «ألنا أنت أم لأعدائنا؟» فقال : «كلا، بل **أنا رئيس جند الرب. الآن جئت**». فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض، وسجد، وقال : «**بماذا تأمر عبدك يارب**». فقال رئيس جند الرب ليشوع : «**اخلع نعليك من رجليك، فإن الموضع الذى أنت قائم فيه مقدس**». **ففعل يشوع كذلك**.

«**فقال الرب ليشوع** : انظر : إنى قد دفعت أريحا وملكها إلى يدك مع جبابرة البأس. تدورون حول المدينة، جميع رجال الحرب، كل يوم مرة واحدة، هكذا تفعلون ستة أيام. ويحمل سبعة كهنة سبعة أبواق الهتاف أمام التابوت. وفى اليوم السابع تطوفون حول المدينة سبع مرات، وينفخ الكهنة فى الأبواق. ويكون إذا امتد صوت قرن الهتاف إذا سمعتم صوت البوق أن جميع الشعب يهتفون هتافاً شديداً، فيسقط سور المدينة فى موضعه، فيصعد الشعب كل واحد على وجهه». فدعا يشوع بن نون الكهنة، وقال لهم : «احملوا تابوت العهد. وليحمل سبعة كهنة سبعة أبواق هتاف قدام تابوت الرب». وقالوا للشعب : «اجتازوا وطوفوا حول المدينة، وليسر كل متجرد أمام تابوت الرب». فكان كما قال يشوع للشعب. اجتاز السبعة الكهنة حاملين سبعة أبواق الهتاف أمام الرب، ونفخوا فى الأبواق، وتابوت عهد الرب سائر وراءهم، وكل متجرد سائر قدام الكهنة النافخين فى الأبواق، ولفيف الساقة سائرون وراء التابوت، كانوا يمشون وينفخون فى الأبواق. وأمر يشوع الشعب قائلا : «لا تهتفوا ولا تسمعوا أصواتكم، ولا تخرج من أفواهكم كلمة حتى يوم أقول لكم اهتفوا، فحينئذ تهتفون». فطاف تابوت الرب حول المدينة مرة واحدة، ثم عادوا إلى المحلة، وباتوا فى المحلة.

«ثم بكر يشوع فى الغداه، وحمل الكهنة تابوت الرب. والسبعة الكهنة حاملو سبعة أبواق الهتاف قدام تابوت الرب، يسيرون وينفخون فى الأبواق، والمتجردون سائرون أمامهم، ولفيف الساقة سائرون وراء تابوت الرب، يمشون وينفخون فى الأبواق. فى اليوم الثانى طافوا حول المدينة مرة واحدة ثم رجعوا إلى المحلة. وهكذا فعلوا ستة أيام. ولما كان اليوم السابع بكروا عند مطلع الفجر، وطافوا حول المدينة على هذا المنوال سبع مرات. فى ذلك اليوم فقط طافوا حول المدينة سبع مرات. فلما كانت المره السابعة نفخ الكهنة فى الأبواق، فقال يشوع للشعب : «اهتفوا

فقد أسلم الرب إليكم المدينة. ولتكن المدينة بكل مافيها مُبسلَة (محرماً) للرب...، فهتف الشعب، ونفخوا فى الأبواق، فكان حين سمع الشعب صوت البوق، أن الشعب هتفوا هتافا عظيماً، فسقط السور فى مكانه. فصعد الشعب إلى المدينة، كل واحد على وجهه، وأخذوا المدينة...، (سفر يشوع بن نون ٥ : ١٣ – ١٥) ، (٦ : ١ – ٢٠).

وبنظرة سريعة، قيل إن هذا الذى ظهر ليشوع بن نون عند أريحا هو رئيس الملائكة ميخائيل لأنه هو (رئيس جند الرب).

فقد ورد فى الكتاب المقدس عن الملاك ميخائيل أنه رئيس جند الرب. ففى رسالة القديس يهوذا الرسول جاء عنه صراحة (ميخائيل رئيس الملائكة) (يهوذا : ٩). وكذلك جاء عنه بهذه الصفة فى سفر نبوءة دانيال، وعلى فم الملاك جبرائيل (دانيال ١٠ : ١٣) ، (١٠ : ٢١)، كما وصفه الملاك جبرائيل بأنه (**ميخائيل الرئيس العظيم**) (دانيال ١٢ : ١). وكذلك جاء عنه فى سفر الجليان ـ الرؤيا (١٢ : ٧).

على أنه يستوقفنا عن المضى فى هذا التفسير هو قول الوحى الإلهى (فسقط يشوع على وجهه على الأرض، وقال : «بماذا تأمر عبدك يارب». فقال رئيس جند الرب ليشوع : «اخلع نعليك من رجليك، فإن الموضع الذى أنت قائم فيه هو مقدس». فصنع يشوع كذلك).

نقول إنه لو كان حقا الذى ظهر ليشوع هو رئيس الملائكة ميخائيل بعينه، لما كان يأمر يشوع بقوله «اخلع نعليك من رجليك، فإن الموضع الذى أنت قائم فيه هو مقدس».

فهو ذات الأمر الذى خاطب به الرب نفسه موسى عندما ظهر له فى جبل الله حوريب (فناداه الله من وسط العليقة وقال : «موسى، موسى». قال «هآءنذا». قال «لا تقترب إلى هنا. **اخلع نعليك من رجليك، فإن الموضع الذى** أنت قائم فيه أرض مقدسة». ثم قال : «**أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب**». **فستر موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله**) (سفر الخروج ٣ : ٤ – ٦).

حقا إنه من المستبعد أن يطلب الملاك ميخائيل من يشوع بن نون أن يخلع نعليه من رجليه، ولم يخلع يشوع نعليه من رجليه فقط، ولكنه سقط على وجهه على الأرض، وقال : «بماذا تأمر عبدك يارب». بينما أننا نقرأ فى سفر الجليان ـ الرؤيا عن القديس يوحنا الرسول الرائى أنه ظن بالملاك الذى قال له : اكتب طوبى للمدعوين إلى عشاء عرس الحمل.. ظن أنه المسيح له المجد

فسجد له سجود العبادة فمنعه الملاك من ذلك. جاء فى سفر الجليان ـ الرؤيا : «فخررت أمام قدميه لأسجد له». فقال لى : «**انظر، لا تفعل. أنا عبد معك** ومع إخوتك الذين معهم شهادة يسوع. اسجد لله» (الجليان ـ الرؤيا ١٩ : ١٠).

ومرة أخرى جاء فى سفر الجليان ـ الرؤيا قول القديس يوحنا الرائى : «وأنا يوحنا الذى سمع هذه ورآها، وبعد أن سمعت ورأيت خررت لأسجد أمام قدمى الملاك الذى أرانى هذه : فقال لى: «**انظر، لا تفعل. لأنى عبد معك** ومع إخوتك الأنبياء الذين يحفظون أقوال هذا الكتاب. **فاسجد لله**» (الجليان ـ الرؤيا ٢٢ : ٨، ٩).

وأضاف الكتاب المقدس ما يؤكد حقيقة الذى ظهر ليشوع بن نون بقوله (فقال **الرب** ليشوع : «انظر : **إنى قد دفعت أريحا وملكها إلى يدك** مع جبابرة البأس» ثم أمر الرب قائلا : «تطوفون حول المدينة جميع رجال الحرب كل يوم مرة واحدة هكذا تفعلون ستة أيام... وفى اليوم السابع تطوفون حول المدينة سبع مرات...) (يشوع ٦ : ١ – ٥) وصنع يشوع كذلك كأمر الرب.

من هذه البينات نخلص إلى **هذه الحقيقة** أن الذى ظهر ليشوع بن نون هو فى حقيقته **الرب نفسه**، ولكن **فى هيئة رئيس جند الرب**. وهى واحدة من ظهورات (الرب) فى العهد القديم «بأنواع وطرق كثيرة» (**العبرانيين** ١ : ١).

لذلك فإننا نرى فى **ظهور الكائن الذى** رآه يشوع بن نون فى هيئة رجل وسيفه فى يده مسلولاً أنه هو (**الرب**) **نفسه فى هيئة (رئيس جند الرب)**.

٩٠ ـ الله يظهر لموسى النبى
فى صورة مجسمة، وله يد ووجه وظهر

عندما شاء الله أن يعطى الشريعة، تجلى على جبل سيناء. «وقال الرب لموسى : اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغداً وليغسلوا ثيابهم. ويكونوا مستعدين لليوم الثالث، فإنه فى اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء (الخروج ١٩ : ١٠، ١١).

«وحدث فى اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً، فارتعد جميع الشعب الذى فى المحلة. وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله، فوقفوا فى أسفل الجبل. وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب **نزل عليه بالنار**، وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جداً» (الخروج ١٩ : ١٦ – ١٨).

«**ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل** ودعا الله موسى إلى رأس الجبل، فصعد موسى» (الخروج ١٩ : ٢٠).

«وكان جميع الشعب يشاهدون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن. ولما رأى الشعب ذلك ارتعدوا ووقفوا من بعيد... أما موسى فاقترب إلى الضباب حيث كان الله» (الخروج ٢٠ : ١٨ – ٢١).

على أن شعب بنى إسرائيل **لم ير صورة الله**، إنما شاهد فقط الرعود والبروق والسحاب الكثيف، بما جعله يرتعب ويرتعد.

وهذا ما صرح به الكتاب المقدس على فم النبى موسى إلى شعب بنى إسرائيل «فتقدمتم ووقفتم فى أسفل الجبل والجبل يضطرم بالنار إلى كبد السماء بظلام وسحاب وضباب، فكلمكم الرب من وسط النار، وأنتم سامعون صوت كلام **ولكن لم تروا صورة** بل صوتا فقط... فاحتفظوا جدا لأنفسكم. **فإنكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب فى حوريب من وسط النار**، لئلا تفسدوا وتعملوا لأنفسكم تمثالاً منحوتا على شكل صورة ما» (التثنية ٤ : ١١، ١٢، ١٥، ١٦).

أما موسى النبى فقط ظهر الرب له فى **صورة مجسّمة**.

جاء فى سفر الخروج أيضا «ويكلم الرب موسى **وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه**» (الخروج ٣٣ : ١١)، (سفر التثنية ٥ : ٤)، (٣٤ : ١٠).

وفى سفر العدد قال الرب «وأما عبدى موسى... **فما إلى فم وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز، وشِبه الرب يعاين**» (العدد ١٢ : ٧، ٨).

وجاء فى سفر الخروج أيضا إن موسى النبى سأل الرب «فقال أرنى مجدك. فقال أنا أجيز كل جودتى قدامك. وأنادى باسم الرب قدامك.. وقال أما وجهى فلا تستطيع أن تراه، لأنه لا يرانى إنسان ويعيش. وقال الرب هوذا عندى مكان، قف على الصخرة ويكون متى مر مجدى أنى أضعك فى نقرة من الصخرة **وأسترك بيدى حتى أجتاز ثم أرفع يدى فتنظر ورائى. وأما وجهى فلا يرى**» (الخروج ٣٣ : ١٨ - ٢٣).

من ذلك يتضح أن ظهور الرب الإله على جبل سيناء كان رهيبا فى رعود وبروق وسحاب كثيف.

أما بالنسبة لموسى النبى، **فكان فى صورة مجسمة** بدليل أن موسى عندما سأل الرب قائلا «أرنى مجدك»، فقال له الرب «أنا أجيز كل جودتى قدامك»، «وأنادى باسم الرب قدامك» معلنا أنه الرب. ثم يقول الرب «**أما وجهى فلا تستطيع أن تراه، لأنه لا يرانى إنسان ويعيش**» - ثم يضيف الرب قائلا : هوذا عندى مكان. قف على الصخرة، ويكون متى مر مجدى، أنى أضعك فى نقرة من الصخرة، **وأسترك بيدى** حتى أجتاز **ثم أرفع يدى فتنظر ورائى. وأما وجهى فلا يرى** وهنا ينسب الرب إلى ذاته صراحة «وجه» ثم (يد) ويقول لموسى، «إنى أضعك فى نقرة من الصخرة، وذلك حتى لا يرى موسى بعينيه إلا شيئا من بهاء الرب وجودته ثم يقول «**وأسترك بيدى**» ناسبا الله إلى ذاته أن له «**يداً**» يستر بها موسى ويظلله «ثم بعد أن يمر ويجتاز الرب بمجده، يقول «**ثم أرفع يدى، فتنظر ورائى. وأما وجهى فلا يرى**».

وهكذا يتضح أن الرب أكرم موسى بأن ظهر له فى صورة مجسمة، **وله وجه، ويد، وظهر** - على أن **وجه الرب** من عظمة بهائه ومجده لا يستطيع إنسان يراه ويعيش، وهذا ما قاله المسيح له المجد «الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه» (يوحنا ١ : ١٨). وقال له المجد أيضا «**لا أحد قد رأى الآب إلا الذى هو من الله. فهذا هو الذى قد رأى الآب**» (يوحنا ٦ : ٤٦)، وهو المسيح له المجد، لأنه هو الله ذاته وقد لبس جسداً. انظر أيضاً (يوحنا ٧ : ٢٩) ، (٨ : ١٩) ، (متى ١١ : ٢٧) ، (لوقا ١٠ : ٢٢) ، (١ . تيموثيئوس ١ : ١٧) ، (العبرانيين ١١ : ٢٧).

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى القديس تيموثيئوس «الذى هو وحده لا يموت، ويسكن فى نور لا يقترب منه **وهو الذى لم يره إنسان ولا يستطيع أن يراه**، الذى له الإكرام والقدرة الأبدية» (١ . تيموثيئوس ٦ : ١٦).

وفى الرسالة الأولى للقديس يوحنا «ما من أحد رأى الله» (١ . يوحنا ٤ : ١٢) ، (٤ : ٢٠).

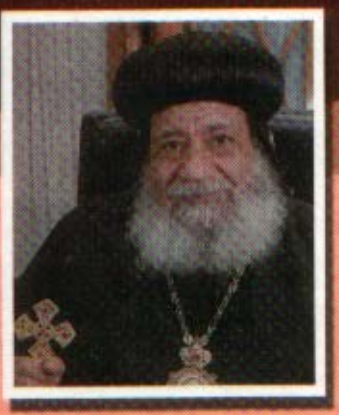

« حياة أنبا غريغوريوس تتلخص فى كلمتين « التكريس والعلم »... كانت الإكليريكية هى جزء من حياته ، وكان العلم يشغل كل وقته.. كان الأنبا غريغوريوس يتميز بالشمولية فى العلم ....

كان أنبا غريغوريوس عالما ، إذا كتب يستفيض في الكتابة حتى لاتعرف كم من المعلومات يقول ... كان كثير القراءة إلى حد بعيد ، وكان عميق الدراسة إلى حد بعيد.. له مئات من الآباء الكهنة كانوا أبناءه واستقوا العلم على يديه ، والذى لم يستق العلم على يديه استقاه من كتبه ومؤلفاته ، وله عشرات من الكتب فى كل فنون العلوم الكنسية ، .. كان أيضاً إنساناً وطنياً يحب بلاده ويحب مصر .

له معلومات كثيرة وكتب كثيرة فى الوطنية .. وعن سير القديسين ... هو موسوعة من المعلومات .

الأنبا غريغوريوس على الرغم من علمه الكبير جداً ، كان إنساناً بسيطاً يجمع بين البساطة فى النفسية والعمق فى العقلية ..هو مثل من الأمثلة التى لا تتكرر كثيراً فى العلم الكبير.. »

قداسة البابا شنوده الثالث

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسوعة الأنبا غريغوريوس

٧ـ اللاهوت العقيدى «الجزء الثانى»
سرّ التجسد والفداء

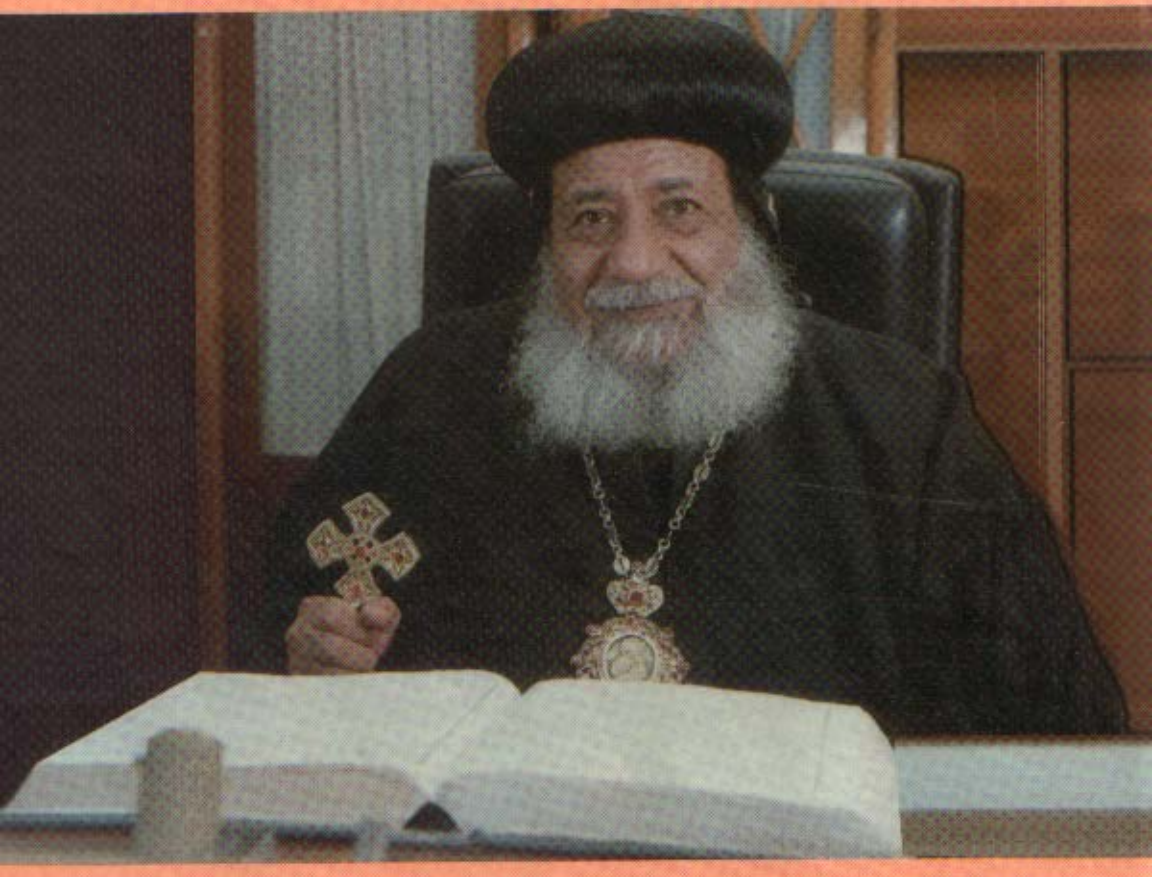

للمتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسـوعة الأنبا غريغوريوس
٧ - اللاهوت العقيدى

الجزء الثانى
فى سرّ التّجسد والفداء

بقلم
المتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

اكتوبر ٢٠٠٤م

الكتاب : موسوعة الأنبا غريغوريوس ٧ ـ اللاهوت العقيدى ـ الجزء الثانى.

المؤلف: المتنيح الأنبا غريغوريوس.

إعداد : الإكليريكى منير عطية.

الناشر : مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس.

دير الأنبا رويس بالعباسية مصر ت: ٦٨٢٤٩٦٢ـ ٤٨٨٢٥٢٢.

المطبعة : شركة الطباعة المصرية ـ العبور ت: ٦١٠٠٥٨٩.

الجمع : شركة فاين للطباعة والتوريدات ت: ٤٨٢٠٩٠٣.

رقم الإيداع بدار الكتب : ١٧٨٣١ / ٢٠٠٤

حقوق الطبع محفوظة لمكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس.



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث



نيافة الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس

مقدمة

هذا هو الجزء السابع من موسوعة الأنبا غريغوريوس، وقد سبقه ستة أجزاء، كان الجزء الأول فى اللاهوت المقارن والثانى فى اللاهوت الأدبى والثالث فى الرهبنة، والرابع فى الدراسات الفلسفية والخامس فى اللاهوت الطقسى والسادس فى لاهوت المسيح.

أما هذا الجزء فيشمل سرى التجسد والفداء، وهو يجمع كل ما كتبه نيافته إلى جانب جميع الإجابات على الأسئلة التى قدمت إليه حول هذه الموضوعات.

هذه هى الثمرة السابعة، وهى من نتاج العالم والمعلم الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس، الذى قال عنه قداسة البابا شنوده الثالث.

«حياة أنبا غريغوريوس تتلخص فى كلمتين «التكريس والعلم» ... وكان العلم يشغل كل وقته.. بهذا التكريس للخدمة، وبهذا العلم كان بإستمرار معتكفا فى مسكنه، يقابله الناس وهو مشغول بين الكتب والكتابة...

«كان الأنبا غريغوريوس يتميز بالشمولية فى العلم... كان فى أساتذة الإكليريكية من هو متخصص بالكتاب المقدس، ومن هو مختص بالعقيدة، ومن هو مختص بالقانون. أو فى الطقس إلى آخره..، ولكنه كان يشمل كل هذه العلوم معا.. وفى الواقع كان معلما قديرا... له معلومات كثيرة... هو موسوعة من المعلومات... كان مثلا من الأمثلة التى لا تتكرر كثيرا فى العلم الكبير...»

وسنفرد أجزاء من هذه الموسوعة لتشمل كل ماكتبه فى اللاهوت العقيدى وسير من شخصيات الكتاب المقدس ومن القديسين، وستكون هناك أجزاء أخرى للموضوعات الكنسية والروحية والموضوعات العامة، بعد تبويبها، بحيث تشمل أجزاء هذه الموسوعة كل كتابات المتنيح الأنبا غريغوريوس التى لم تنشر أو نفذت بعد نشرها.

والرب وحده قادر أن يكمل مشروعنا هذا ويكلله بالنجاح، بصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث، أدام لنا الرب حياة قداسته، ومتعنا الرب برئاسته للكنيسة ولنا، أبا وراعيا، وحفظ الله قداسته بكل سلامة متمتعا بكامل الصحة والعافية، ونفعنا الرب ببركة صلوات غبطته.

الإكليركى

منير عطيه

فهرس الموضوعات

	الصفحة
مقدمة.	٧
إهداء.	٨
فى سر التجسد.	٩
القيم الروحية فى سر التجسد.	١٠
من أهداف التجسد.	١٢
مقدمة فى تجسد الكلمة.	١٣
تجسد الكلمة ـ نصوص من أقوال القديس أثناسيوس.	١٨
تجسد الكلمة ـ نصوص من أقوال البابا بطرس.	١٨
تجسد الكلمة ـ نصوص من أقوال البابا ثيئوفيلوس الأسكندرى.	١٩
تجسد الكلمة ـ نصوص من أقوال القديس ديديموس الضرير.	٢٠
تجسد الكلمة ـ نصوص من أقوال داماسوس أسقف روما.	٢١
تجسد الكلمة ـ نصوص من أقوال غريغوريوس النيسى.	٢٢
من أقوال البابا كيرلس الأسكندرى ـ فى بيان أن مخلصنا اتخذ جسدا ذا نفس عاقلة.	٢٥
اتحاد الكلمة بالناسوت.	٣١
من أقوال البابا كيرلس الأسكندرى بشأن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت.	٣٣
البابا كيرلس الأسكندرى ينفى الثنائية فى السيد المسيح.	٣٦
التدبير.	٥١
مشكلة آلام المسيح.	٥٥
مسألة آلام المسيح كما يعالجها البابا كيرلس الأسكندرى.	٥٦
فى «الخوف».	٥٩
فى «الترك».	٦١

صفحة

فى «الاضطراب» ٦٢

فى «المحاورات» ٦٦

فى كتاب تفسير إنجيل القديس يوحنا ٦٩

النصوص التى وصلت إلينا بالتقليد المباشر ٧٠

بركات سر التجسد الإلهى ٨٠

تنازل الإله فى تجسده ٨١

الشرف الذى اكتسبته البشرية بتجسد المسيح ٨٢

عظيمة هى ديانتنا المسيحية بهذا التعليم الجديد ٨٢

البشرية انتظرت المخلص وعبرت عن ذلك بواسطة فلاسفتها وأنبيائها ٨٢

بمجىء المسيح تغيرت صورة الإله فى نظر الإنسان ٨٣

المسيحية أثرت فى غير المسيحيين أيضاً ٨٤

كيف عبر الإنسان عن حبه لله مخلصه وفاديه ٨٤

ما الذى كسبناه أيضاً من تجسد المسيح؟ ٨٦

موضوعات وإجابات على أسئلة: ٨٩

١ ـ والكلمة اتخذ جسدا ٩٠

٢ ـ التجسد من مريم العذراء ١٠١

٣ ـ لما تم الزمان ظهر الله الكلمة متجسداً ١٠٥

٤ ـ عيد الميلاد هو عيد التجسد الإلهى ١١٠

٥ ـ فى عيد الميلاد المجيد ١١٣

٦ ـ روح السلام فى ملك السلام وصانع السلام ١١٦

٧ ـ المولود ملكاً... وملكا إلى الأبد ١٢١

٨ ـ الاختيار الملهم لفصول القراءة فى ليلة عيد الميلاد المجيد ١٢٦

٩ ـ ترقب البشرية مجىء السلام ١٣٢

١٠ ـ والكلمة اتخذ جسدا ١٣٥

١١ ـ ولدته وبكارتها مختومة. ١٣٦
١٢ ـ الميلاد الأزلى والميلاد الزمنى. ١٣٨
١٣ ـ لاهوته لم يفارق ناسوته. ١٤٦
١٤ ـ للمسيح وهو كلمة الله المتجسد روح إنسانية. ١٥٢
١٥ ـ طهارة جسد المسيح من لوثة الخطيئة الأصلية. ١٥٣
١٦ ـ كيف ولدت العذراء المسيح وهى دائمة البتولية. ١٥٨
١٧ ـ المسيح هو الله وقد اتخذ جسدا وجسده لا يحجب بهاء لاهوته. ١٦٣
١٨ ـ جسد المسيح مخلوق لكن لاهوته أزلى غير مخلوق. ١٦٦
١٩ ـ هل كان يأكل السيد المسيح كما يأكل البشر؟. ١٦٧
٢٠ ـ المسيح هو الله وقد اتخذ جسدا وظهر فى الهيئة كإنسان. ١٧٢
٢١ ـ الروح الناسوتية للسيد المسيح. ١٧٤
٢٢ ـ ناسوت السيد المسيح. ١٧٥
٢٣ ـ جسد السيد المسيح. ١٧٦
٢٤ ـ يسوع بن يوسف. ١٧٨
٢٥ ـ سر التجسد وضرورته. ١٨٠
٢٦ ـ لماذا يارب.. لماذا؟. ١٨٣
٢٧ ـ فى ميلادك يارب نتأمل فنتعلم. ١٨٨
٢٨ ـ ترتيب قراءات فصول الإنجيل. ١٩١
٢٩ ـ صانع السلام. ١٩٥
٣٠ ـ السلبية والإيجابية. ١٩٧
٣١ ـ لماذا ولدت يارب فى بيت لحم؟. ٢٠٠
٣٢ ـ لماذا أعطى الله وصية لآدم وهو يعلم أنه سيعصيها؟. ٢٠٥
٣٣ ـ هل كان الله ينتظر آدم أن يعترف بخطيئته؟. ٢٠٧

صفحة

سـر الفـداء ٢٠٩

القيم الروحية فى عقيدة الفداء ٢١٠

أهمية الفداء فى الديانة المسيحية ٢١٣

ما هى الخطيئة؟ ٢١٥

خطيئة الإنسان الأول ٢١٧

لماذا أعطى الله وصية لآدم؟ ٢١٨

لماذا لم يخلق آدم معصوما من الخطيئة؟ ٢٢٠

لماذا خلق الله آدم حرا مع علمه السابق بأن آدم سيعصاه؟ ٢٢٠

نتائج خطيئة آدم ٢٢٢

أولاً: فقد آدم إمتيازات الحياة فوق الطبيعية ٢٢٢

فيم يشبه الإنسان الله وفيم يماثله ٢٢٤

ثانياً: فقد آدم مشاهدة الجلال الإلهى ٢٣٠

ثالثاً: فقد آدم إمتيازات أخرى كثيرة ٢٣٠

رابعاً فقد العلم وصار جاهلاً ٢٣١

خامساً: أمسى آدم عرضة للألم والمشقة والتعب ٢٣٣

سادساً: أمسى أدم عرضة للمرض ٢٣٤

سابعاً: أمسى آدم محكوما عليه بالموت ٢٣٥

انتشار الخطيئة الأصلية ٢٣٧

لماذا الصليب؟ ٢٤١

مفهوم الخلاص فى الكنيسة الأرثوذكسية ٢٥١

معنى الخلاص ٢٥٢

كيف تم خلاصنا بالمسيح؟ ٢٥٧

كيف ينتقل خلاص المسيح إلينا؟ ٢٦١

أهمية دور المعمودية فى تحقيق الخلاص. ٢٦٣
الخلاص النهائى. ٢٦٥
موضوعات وإجابات على أسئلة: ٢٦٩
١ ـ العقاب لآدم الإنسان على خطيئته بالروح والجسد معا. ٢٧٠
٢ ـ الغفران بدم المسيح. ٢٧٣
٣ ـ التبرير من الخطيئة الأصلية. ٢٧٥
٤ ـ لماذا سقط آدم وهو على صورة الله؟. ٢٧٦
٥ ـ هل غفرت الخطيئة لمريم العذراء قبل صلب المسيح؟. ٢٧٩
٦ ـ خطاب إلى أحمد حسين. ٢٨١
٧ ـ خطاب إلى أحمد حسين ـ إنتشار الخطيئة الأصلية. ٢٨٥
٨ ـ أرواح الموتى قبل الفداء ـ أين ذهبت؟. ٢٩٣
٩ ـ لماذا نشقى بالخطيئة الأولى؟. ٢٩٥
١٠ ـ الخطيئة الأصلية. ٣٠٠
١١ ـ قيمة دم المسيح. ٣٠٦
١٢ ـ الخلاص الأولى والخلاص الأبدى. ٣٠٧
١٣ ـ كيف تم خلاصنا بالمسيح؟. ٣١٢
١٤ ـ المسيح وحده هو الفادى وليس لأحد بغيره الخلاص. ٣١٨
١٥ ـ لماذا كان الحمل يشير إلى ذبيحة الخلاص؟. ٣٢٢
١٦ ـ ليس بأحد غيره الخلاص. ٣٢٥
١٧ ـ هل الخلاص للعالم كله؟. ٣٢٧
١٨ ـ آمن تخلص. ٣٢٨
١٩ ـ وعلمنا وسائط الخلاص. ٣٣٠
٢٠ ـ لماذا تألم المسيح أما كان يكفى أن يخلص الإنسان بكلمة؟ ٣٣٣
٢١ ـ المسيح الإله لا يموت إنه ذاق الموت بالجسد. ٣٣٨

صفحة

٢٢ ـ هل الجسد الذى صلب هو بعينه الذى قام؟ ٣٤١

٢٣ ـ هل ظل المسيح فى القبر ثلاث أيام وثلاث ليالٍ كاملة؟ ٣٤٣

٢٤ ـ أين ذهبت روح المسيح بعد الصلب؟ ٣٥٠

٢٥ ـ لماذا المطانيات فى يوم الجمعة العظيمة؟ ٣٥٢

٢٦ ـ كفن السيد المسيح فى تورينو ٣٥٦

٢٧ ـ إلهى إلهى لماذا تخليت عنى؟ ٣٥٧

٢٨ ـ إعتراف اللص اليمين كان سابقا على الظواهر الطبيعية ٣٥٩

٢٩ ـ لماذا نلوم الذين صلبوه؟ ٣٦٢

٣٠ ـ صلب المسيح تم فى الساعة السادسة أما الحكم ففى الثالثة ٣٦٦

٣١ ـ اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك ٣٦٩

٣٢ ـ إنهم لا يدرون ما هم فاعلون ٣٧٤

٣٣ ـ أما هو فظل صامتا ٣٧٨

٣٤ ـ المسيحية مملكة سمائية لا أرضية والصليب رمز وعلم لهذه المملكة ٣٨٢

٣٥ ـ بالحقيقة صلب وبالحقيقة قام ٣٨٩

٣٦ ـ صاحب القبر الفارغ ٣٩٤

الفهارس: ٣٩٩

١ ـ فهرس الآيات المقتبسة من الكتاب المقدس ٣٩٩

٢ ـ فهرس الموضوعات ٤١١

فهرس الموضوعات

	الصفحة
مقدمة.	٧
إهداء.	٨
فى سر التجسد.	٩
القيم الروحية فى سر التجسد.	١٠
من أهداف التجسد.	١٢
مقدمة فى تجسد الكلمة.	١٣
تجسد الكلمة ـ نصوص من أقوال القديس أثناسيوس.	١٨
تجسد الكلمة ـ نصوص من أقوال البابا بطرس.	١٨
تجسد الكلمة ـ نصوص من أقوال البابا ثيئوفيلوس الأسكندرى.	١٩
تجسد الكلمة ـ نصوص من أقوال القديس ديديموس الضرير.	٢٠
تجسد الكلمة ـ نصوص من أقوال داماسوس أسقف روما.	٢١
تجسد الكلمة ـ نصوص من أقوال غريغوريوس النيسى.	٢٢
من أقوال البابا كيرلس الأسكندرى ـ فى بيان أن مخلصنا اتخذ جسدا ذا نفس عاقلة.	٢٥
اتحاد الكلمة بالناسوت.	٣١
من أقوال البابا كيرلس الأسكندرى بشأن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت.	٣٣
البابا كيرلس الأسكندرى ينفى الثنائية فى السيد المسيح.	٣٦
التدبير.	٥١
مشكلة آلام المسيح.	٥٥
مسألة آلام المسيح كما يعالجها البابا كيرلس الأسكندرى.	٥٦
فى «الخوف».	٥٩
فى «الترك».	٦١

صفحة

فى «الاضطراب» ٦٢

فى «المحاورات» ٦٦

فى كتاب تفسير إنجيل القديس يوحنا ٦٩

النصوص التى وصلت إلينا بالتقليد المباشر ٧٠

بركات سر التجسد الإلهى ٨٠

تنازل الإله فى تجسده ٨١

الشرف الذى اكتسبته البشرية بتجسد المسيح ٨٢

عظيمة هى ديانتنا المسيحية بهذا التعليم الجديد ٨٢

البشرية انتظرت المخلص وعبرت عن ذلك بواسطة فلاسفتها وأنبيائها ٨٢

بمجىء المسيح تغيرت صورة الإله فى نظر الإنسان ٨٣

المسيحية أثرت فى غير المسيحيين أيضاً ٨٤

كيف عبر الإنسان عن حبه لله مخلصه وفاديه ٨٤

ما الذى كسبناه أيضاً من تجسد المسيح؟ ٨٦

إهـــــــداء

إلى القديس العظيم بطل الأرثوذكسية الأشهر

البابا أثناسيوس الرسولى

إليك يا سيدى البابا نهدى سلسلة المباحث اللاهوتية والعقائدية، لأنها من وحيك وإلهامك، وبفضل توجيهك وإرشادك، وثمرة لكفاحك وجهادك!

فيك رأينا أرثوذكسية الإيمان وأرثوذكسية السيرة معاً!

ومنك تعلمنا كيف يكون الوفاء للحق، والاستمساك بالتقوى، والحرص على وديعة الإيمان.

ولقد وهبك الرب عقلاً شاخصاً فى الإلهيات، فكان تعليمك سليماً كل السلامة، وكان تعبيرك دقيقاً غاية الدقة!

ولم يكن طريقك سهلاً... كان قولك مؤذياً لمسامع المنحرفين، وكان شخصك ثقيلاً على أنفاسهم الفاسدة، فكرهوك ولعنوك... ومع ذلك لم يقووا على أن يقاوموا النعمة الساكنة بجنانك، أو يناقضوا الحكمة الناطقة على لسانك!

أثاروا عليك حرباً شعواء وطاردوك ونفوك، ولكنك صمدت وقاومت وأخيراً غلبت ونجحت، لأن الحق الذى فيك أعظم من الباطل الذى فيهم!

لولاك ياسيدى البابا لكان الإيمان الذى عندنا غير الإيمان الذى تسلمته أنت من أسلافك أيها البطريرك الرسولى!

لهذا نحييك تحية للفضيلة فى شخصك، ونطأمن رأسنا أمام عظمة أبوتك، تقديراً لتاريخك، وإقتداء بسيرتك فى الإيمان، يا حامى الإيمان!

من ابنك

غريغوريوس

باخوم المحرقى - وهيب عطا الله

فـى
سر التجسد

القيم الروحية فى سر التجسد

إننا نؤمن بتجسد ابن الله، وهو كلمة الله، والأقنوم الثانى من الثالوث القدوس، طبقاً لقول الوحى المقدس «والكلمة صار جسداً» (١).

ونحن لم نكتشف هذه العقيدة بعقولنا، ولكنها أعلنت لنا من الله، فهى حقيقة من حقائق الإيمان.

أما نفعها لجنسنا فمما لا يمكن التعبير عنه أو الإحاطة به، ومع ذلك فما أعظم أثر هذه الحقيقة فى نفوس الأتقياء.

١ ـ أنها تلهب قلوبهم بمحبة الله الفائقة، فقد تنازل ليأخذ صورة طبيعتهم ليتمشى بينهم ويعيش معهم، يكلمهم، ويسمع أنينهم ويلمس أوجاعهم، ويحتمل متاعبهم، ويشفى أمراضهم، ويخفف آلامهم. لقد رآه الذين أمكنهم أن يروه فشبعوا بمرآه، وتنعموا بصوته وبلمسته، وسعدوا بمشيته بينهم. فما أبعد الفرق بين إله غير منظور، وإله تفضل فجعل نفسه منظوراً لخلقه. لذلك كان المسيح دائماً موضوع تأملات عميقة، وعبادات حارة، وتضحيات كبرى، من جانب أتقياء المسيحيين: تضحيات بالجهد، والوقت، والمال بل بالحياة.. ومن أجل هذا تغنى العباد بأغانى التسبيح والشكر تعبيراً عن الامتنان لهذا التنازل العظيم من جانب الله الذى تفضل فتجسد وعاش بين الناس، حتى بارك بعضهم ـ ومنهم القديس أوغسطينوس ـ خطيئة آدم التى كانت سبباً فى تجسد ابن الله وإن لم تكن السبب الوحيد لتجسده الكريم.

٢ ـ ومن أجل هذا تفنن الرسامون، والمصورون، والنحاتون وكل أرباب الفنون، فى رسم المسيح الرب معبرين عن عمق محبتهم له و إعجابهم به وتأثرهم بتنازله العجيب فى تجسده المنيف.

٣ ـ ومن أجل هذا أيضاً كتب الكتاب والأدباء كتباً، نثرا وشعرا، صوروا فيها مشاعر الإجلال لشخصه والانجذاب لحبه. كل هذا ما كان ليكون لولا ما أحدثه تجسد ابن الله من أثر عميق فى نفوس الناس.

٤ ـ بل هذا هو سر الحرارة التى كرز بها الرسل الأطهار ومنهم القديس يوحنا الذى يعبر عن حرارة حبه التى أضرمها فعل التجسد الإلهى فى نفسه فيصف ابن الله قائلاً «الذى كان من

---

(١) يوحنا ١: ١٤.

البدء، الذى سمعناه، الذى رأيناه بعيوننا. الذى شاهدناه ولمسته أيدينا» (١) ويقول فى موضع آخر «ونحن قد عاينا ونشهد أن الآب قد أرسل الابن مخلصاً للعالم» (٢).

وبهذا أيضاً يفتخر مار بطرس قائلاً: «لأننا لم نتبع خرافات مصنعة إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه بل قد كنا معاينين عظمته» (٣).

* * *

ولما كان فعل التجسد من جانب الله موضوعاً لتأمل الأتقياء وتعبدهم ومثيرا لصلواتهم وأعمال محبتهم، كان إنكار التجسد الإلهى جحوداً بالله، استحق من الرسل مقاومتهم، فكتبوا عن المنكرين يصفونهم بأضداد المسيح والمعاندين له، وحثوا المؤمنين على مجانبتهم وعدم مخالطتهم. من ذلك ما يقوله القديس يوحنا الرسول «أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هى من الله. لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم. وبهذا تعرفون روح الله. كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد هو من الله. وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فليس من الله وهذا هو روح ضد المسيح الذى سمعتم أنه يأتى» (٤) «لأنه قد دخل إلى العالم مضلون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح آتيا فى الجسد. هذا هو المضل والضد للمسيح... فلا تقبلوه فى البيت ولا تقولوا له سلام. لأنه من قال له سلام فقد اشترك فى أعماله الشريرة» (٥).

---

(١) رسالة القديس يوحنا الأولى ١: ١.

(٢) رسالة القديس يوحنا الأولى ٤: ١٤.

(٣) (رسالة مار بطرس الثانية ١: ١٦) أنظر أيضاً (متى ١٧: ١، ٢)، (مرقس ٩: ٢).

(٤) رسالة القديس يوحنا الأولى ٤: ١- ٣.

(٥) رسالة القديس يوحنا الثانية ٧: ١٠، ١١.

من أهداف التجسد

«فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس» (يوحنا ١ : ٤).

«كما أن الآب له حياة فى ذاته، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة فى ذاته» (يوحنا ٥ : ٢٦).

«لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم» (يوحنا ٦ : ٣٣).

«بهذا أظهرت محبة الله فينا، أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكى نحيا به» (١ . يوحنا ٤ : ٩).

«ونحن قد نظرنا، ونشهد أن الآب أرسل الابن مخلصاً للعالم» (١ . يوحنا ٤ : ١٤).

«وهذه هى الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هى فى ابنه. من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة» (١ . يوحنا ٥ : ١١، ١٢).

مقدمة فى تجسد الكلمة

نحن نعرف أن المسيح له المجد عندما تجسد كان الهدف خلاص الإنسان، فالتجسد وسيلة لغاية، والغاية هى خلاص الإنسان، لأن الإنسان لما سقط فى الخطيئة وأصبح مطروداً من الفردوس ومحكوما عليه بالموت أظهر الإنسان ندامة، وعبر عن هذا بالاعتراف والصلوات من آدم حتى غيره من أولاده. وأيضاً عبر عن ندامته بالذبائح التى قدمها الإنسان فى مختلف العصور، ومعنى الذبيحة أنه فى حاجة إلى فادى، لأنه كان من المستحيل أن يكون الحيوان وسيطا بينه وبين الله، لأن الوسيط لابد أن يكون أرفع وأعظم مرتبة من الإنسان وله دالة عند الله...

من ذلك أدرك آدم وذريته أنهم فى حاجة إلى وسيط ولم يأت زمانه بعد، ولذلك حلت الذبائح مؤقتا، فكأن هذه الذبائح مجرد تذكرة للإنسان بحاجته إلى هذا الوسيط، وحتى لا ينسى حاجته إلى هذا الوسيط، أمرت الشريعة بعمل الذبيحة...

من هنا كان الحيوان تذكرة ورمزاً وإشارة إلى الذبيح والوسيط والفادى الحقيقى الذى لم يأت زمانه بعد، ولما أتى الذبيح الحقيقى وقَبِلَ فى جسده الحكم الذى لفظ به الله على آدم وذريته، وبهذا الوضع مات المسيح عن الإنسان. وهذا هو معنى الفداء...

معنى الفداء... أن هناك وسيط ينقذ الآخر، وهنا الفداء «والرب وضع عليه إثم جميعنا» أو ما يقوله بولس الرسول «أن المسيح مات عن الجميع» أو «ليس حب أعظم من هذا أن يموت أحد عن أحبائه... أنتم أحبائى»...

إذن عبر الإنسان عن ندامته باعترافه وصلواته وذبائحه. وكل أنواع العبادات التى قدمها الإنسان كان فيها مبرهنا على الخطأ الذى وقع فيه، وهذا هو السبب فى أن مراحم الله امتدت نحو الإنسان وغمرته بالعطف وبالرعاية، ولولا توبة الإنسان وندامته وتقديمه صنوف العبادات ترضية لله، لكان شأنه شأن الشيطان الذى أخطأ ولكنه لم يخلص، لأنه لم يطلب التوبة ولا وجدت عنده سبيلا، فالشيطان مكابر ومعاند ومقاوم ومضاد، وهذا هو معنى الاسم الذى اشتهر به (ابليس) وهى كلمة غير عربية مشتقة من الكلمة اليونانية διάβολος .

والله تعالى إذ رغب فى أن يرحم الإنسان وأن يفديه ما كان يمكن أن يتمم عمل الرحمة بطريقة تتعارض مع إحترامه لعدالته وإحترامه للحكم الذى نطق به، فالله بقدر ما هو رحيم

رحمة بغير حدود، هو أيضاً عادل عدالة بغير حدود، والله يحترم كلمته والحكم الذى يصدر منه، بل السماء والأرض تزولان ولا تسقط كلمة واحدة ولا حرف من كلمة ينطق الله بها.

من هنا كان الحل الوحيد الذى لم يكن غيره حل وهو أن يأخذ الله صورة الإنسان ويتخذ شكله محتجبا فى جسد، ويقبل فى هذا الجسد نفس الحكم الذى أصدره هو على الإنسان وفى هذا كل الرحمة وكل العدل. كل الرحمة لأنه ليس هناك حب أعظم ولا رحمة أوسع من أن يقبل الله على ذاته القدوسة أن يتخذ له جسدا ترابياً، ويقبل فيه كل صنوف الضعف والهوان والمذلة والصلب والألم والموت... وكل العدل لأنه ليس أدل على هذه العدالة المطلقة من أن يقبل على نفسه تنفيذ الحكم الذى أصدره هو بنفسه على الإنسان، ولا شك أن فى قبول الله ذلك معنى العدالة ومعنى احترام الحكم الذى أصدره الله على الإنسان، حتى أنه لما كان تنفيذ هذا الحكم على بديل آخر للإنسان، لا يجد له مفراً آخر غير أن يقوم الله بنفسه به، لم يتوان الله فى سبيل إحترامه لكلمته من أن يقبل هذا الحكم على نفسه فى جسده الذى اتخذه له...

وغاية ما نريده من هذا كله... أن الصليب كان ضرورة ولم يكن فضلة زائدة، وأن الخلاص بالأسلوب الذى تم به فى العهد الجديد كان أمراً ضرورياً، ولم يكن هناك سبيل آخر لخلاص الإنسان غير الطريق الذى تم به، ولو كان هناك طريق آخر غير هذا لما كان هناك داع لإتخاذ هذا الطريق بالذات، وفى هذا رد على الذين يقولون أنه لا حاجة إلى الفداء مادام الله يتصف بالغفران والرحمة. أن الله لا يستطيع أن يغفر من دون ترضية كافية لعدالته، وفى هذا أيضا رد على أتباع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية التى تنادى بأن العذراء حبل بها من غير دنس الخطيئة الأصلية بدعوى أن العذراء قد استثنيت من دون جميع الناس وأنها أعفيت من الخطيئة الأصلية بأسلوب خاص تنفرد به عن غيرها... وردنا واضح أنه لو كان الأمر كذلك... لكان عمل المسيح الفدائى فضلة زائدة وليس ضرورة لخلاص جميع الناس، ومادام يمكن للعذراء أن تكون فى غنى عن الخلاص فلماذا لا يكون غيرها على نفس القياس. وفى هذا كله نقض لقضية الفداء وهدم للعقيدة الأولى من العقائد المسيحية التى على أساسها يقوم بناء المسيحية الشامخ...

هذا هو الغرض الأول والهدف الأكبر من تجسد المسيح، فلولا الفداء لما كان التجسد، ومن هنا كانت عظمة عيد القيامة بازاء جميع الأعياد لأنه لولا القيامة لما كان الميلاد... وما لم يكن المسيح قد قام مبرهنا بقيامته على لاهوته من جهة، وعلى تحقيقه الخلاص من جهة أخرى، لما كنا فى حاجة لأن نحتفل فى عيد الميلاد لرجل عاش ثم مات، وبموته انتهت قضيته. لكننا

نحتفل بعيد ميلاده لأننا نعرف من هو ونعرف مقامه اللاهوتى ومركزه فى الخلاص، فنحن لا نحتفل بميلاد القديسين وإنما نحتفل فقط بميلاد المسيح، لأنه الله الظاهر فى الجسد والذى بواسطته كان الخلاص...

ويمكن أن يضاف إلى هذا الهدف هدف أكبر للتجسد هدف آخر على قدر أهميته وعظمته لكنه ثانوى القيمة بالنسبة للهدف الأول، ويمكن أن يقال أن الله فى تجسده حقق هدفا كبيراً فى لقائه بالإنسان، وفى هذا اللقاء دليل عناية الله بالإنسان. فلم يعد الله إلها يسكن وراء الجبال كما تقدمه لنا الميثولوجيا اليونانية وأساطير الرومان... ولكنه صار فى المسيحية قريبا إلى الإنسان وقد نزل خصيصا ليعيش مع الإنسان. ويشاركه فى اللحم والدم، ويشاركه آلامه ومتاعبه، ويكفكف من دموعه ويشفى أوجاعه، وهكذا كان المسيح صورة صادقة للرحمة الإلهية وقد نزلت إلى الأرض وعاشت مع الإنسان وشاركته نصيبه فى الآلام والمتاعب، والذى يقرأ الإنجيل يرى ولا سيما فى إنجيل لوقا صورة الله المشترك مع البشرية فى آلامها، لم يُر قط ضاحكا كما يقول بيلاطس فى تقريره الذى رفعه إلى طيباريوس قيصر، والذى وجد على لوحه نحاسية فى روما تحت الحفريات. وإنما رؤى المسيح باكياً وراثياً ومشفقاً وحزينا ومتألماً. عانى كل ما يعانيه أبأس الناس وأفقرهم وأضعفهم، بحيث لا نكاد نجد صورة من الناس أشد إعداما وإملاقا وفقرا، من الصورة التى قدمها لنا الإنجيل، فى المسيح الذى لم يجد له مكانا يأوى إليه حتى فى وقت ميلاده، نزل ضيفا على مملكة الحيوان، وبدلا من السرير كان مزود البقر له مهدا، وقد قال مرة «للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكاراً أما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه» عاش نجارا يحصل قوته بكده وتعبه وعرقه وكفاحه ونضاله كعامل بسيط، وبعد أن تفرغ للخدمة الجهارية عاش مسكينا على صدقات المحسنين من الرجال والنساء اللواتى كن يخدمنه بأموالهن، وكان له صندوق وهذا الصندوق كان يحمله التلميذ الخائن... وكان على شهادة أحد زملائه يحمل ما كان فى الصندوق...

عاش المسيح إذن فقيراً بكل ما فى الكلمة من معنى، ولا يمكن أن نتصور حالة من الفقر أوضح من الحالة التى عاش بها المسيح، وبهذا يجد الفقير المسكين عزاء... لأن الله عندما أخذ صورة الإنسان أخذ صورة أفقر فقير يمكن أن تخطر ببال أحد من البشر، ولم يكن له أثواب وإنما كان له ثوب واحد وكان هذا الثوب إحسانا قُدِم إليه... وأما طعامه فكان من أبسط الأنواع فكان هو الطعام السائد الذى يتمتع به كل فقير فى بلد كان يعتمد كثيرا على السمك، ولم نقرأ فى

الكتب المقدسة ما يشير إلى أن المسيح تمتع بطعام خاص، وحقا أنه قبل دعوات من أشخاص كثيرين كان أكثرهم عشارين وخطاة، وكان يتكيء في بيوتهم وعلى موائدهم لكنه كان مشغولا بخلاص نفوسهم، ولم يكن الطعام بالنسبة له غير طعم يجذب به كصياد حكيم السمكة ليخرجها من يم الخطايا وبحر الآثام ويردها إلى شاطيء الأمان...

إذن تَجَسّدَ المسيح، وفي تَجسُده خير وبركة للإنسان، لأنه عرف الله فيه والله غير منظور لكنه صار منظورا في المسيح، وكل صفات الله وكمالاته كانت معروفه في أكثرها، معرفة نظرية عن طريق الكتب المقدسة أو عن طريق كتابات الفلاسفة والمفكرين، ولكنه في العهد الجديد أمكن للإنسان أن يعرف صفات الله وكمالاته، معرفة مباشرة في المسيح الذي هو صورة الله غير المنظور، ولم تعد صفات الله في نظر الإنسان مجرد صفات يقرأها ويدرسها في كتاب ويسمعها من معلم، ولكنه صار يراها واضحة أمامه في المسيح الذي عاش معهم وشاركهم حياتهم وتعامل معهم، ولذلك صار يعرف بابن البشر...

وهذا هو المعنى الذي حينما تأمله القديس أوغسطينوس بارك من أجله خطيئة آدم، لأنه لولا خطيئة آدم لما كان جاء المسيح، وفي مجيء المسيح تحقق كل هذا الخير للإنسان، وكل هذه البركة، وظهر كل هذا الحنان، وهذا الاشفاق، وتعلم الإنسان العلم كله من فم الله، رآه بعينيه وسمعه بأذنيه وشاهده ولمسته يداه على ما يقول يوحنا الرسول. لذلك قال أوغسطينوس (مباركة خطيئة آدم التي جلبت للإنسان كل هذا الخير).

* * *

كل آباء الكنيسة تناولوا موضوع التجسد وخطروا فيه وكتبوا عنه كتابات، بروحانية كبيرة وتقوى واتصال وعمق ومحبة تقوية وتعبد، وكان التجسد مثيرا لهم فحركهم ليعبروا عن مشاعرهم في صلوات عميقة وفي تهليل وتسبيح وشكر وتمجيد، خلفته لنا كتاباتهم الباقي بعضها إلى اليوم، والتي تدل في مجملها وتفصيلها على مدى ما أحدثه موضوع التجسد فيهم من أثرعميق، ومن شدة بهتهم وتعجبهم وشعورهم بهول المفاجئة وشدة الكرامة التي نالها الإنسان بتجسد المسيح الإله، تحدثوا دائماً عن التجسد في تهيب ووقار، وعبروا عن اتضاع عقولهم وعدم قدرتهم على أن يصوروا حقيقة التجسد التصوير الدقيق، وعبروا عن عجز عقولهم عن فهم هذا التجسد والدخول إلى أعماقه، وعبروا عن ذهولهم وعدم قدرتهم على أن يفهموا كيف أن الله ضابط الكل الذي هو روح مطلق يقبل أن يتخذ صورة آدمية ترابية... وعبروا عن عجز

عقولهم عن أن يفهموا كيفية الاتحاد بين اللاهوت والناسوت، ولذلك وصفوا هذا الاتحاد بأنه اتحاد لا يدرك ولا يعبر عنه، ولا يمكن تصوره ولا يمكن فهمه، وليس فى مقدور العقل الإنسانى لا أن يتصوره ولا أن يشرحه أو يعبر عنه تعبيراً أمينا دقيقا، ولذلك وصفوا التجسد بأنه «سر»، تعبيرا عن عجزهم عن إدراكه، وأنهم مهما تكلموا عنه وأوضحوا حقيقته فسيبقى لا قدرة لعقل الإنسان أن يعيها أو يفهمها أو يعبر عنها، وسيبقى التجسد أمراً خفيا ومستورا. ويظهر هذا الاتجاه فى التفكير خصوصا عند آباء كنيسة الأسكندرية، وهذا هو الطابع الخاص الذى يميز لاهوت مدرسة الأسكندرية... أنه طابع التهيب والاتضاع فى كل ما يتصل بالإلهيات، طابع فيه يُخضع رجال الكنيسة وعلماؤها منطق الفكر لمنطق الإيمان، ويخضعون العقل للروح ويحلون التناقض بالحل الروحانى، ويعلون على التناقض الذى قد يصطدم به فكر الإنسان بالإيمان وبالروحانيات وبالأسرار الخفية العميقة...

وإذا كنا سنتخذ كتاب القديس أثناسيوس الرسولى بمثابة نص للدراسة فليس لأن أثناسيوس وحده هو الذى كتب فى هذا الموضوع، ولكن كتابات أثناسيوس فوق أنها كتابات سليمة كل السلامة من جهة أرثوذكسيتها، حتى قال القديس غريغوريوس الثيئولوغوس«إذا وجدت كلاما لأثناسيوس ولم تجد ورقا فاكتبه على ثيابك»، فإنها كتابات رجل عاش عشرات السنين فى هذه المشكلة، وأخذ يناضل ويكافح البدعة الأريوسية خمسين سنة من الزمان، كفاحا شمل كل نقطة من دمه وكل خليّة من جسمه، وكل عصب من أعصابه، وكل دقيقة من دقائق حياته، عاش أثناسيوس يغلى بفكره، التجسد بمفهومه الأرثوذكسى، وتصحيح مفهومات الأريوسية فيما يتصل بموضوع التجسد، لذلك فإن كتاباته تعد كتابات من الطراز الأول الذى يغنينا، كتابات تتميز بالدقة والوضوح والعمق والأصالة والتجربة الحية، كتابات كتبها وهو مطرود أو منفى أو معزول عن كرسيه، أو يعانى بسبب إيمانه عذابات متصلة من كل الاتجاهات...

من أجل هذا فإن كتاب تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس، يعد نموذجا لكتابات الآباء الذين جمعوا بين الروحانية والعلم، وكانوا ناطقين بالإلهيات بعد أن دخلت هذه الإلهيات إلى أعماقهم وأشرقت فيهم، وأضاءت عقولهم ونّورت الطريق أمامهم، وألهمت أفكارهم وأمسكت بأيديهم، فسجلوا ما سجلوا بفاعلية الروح القدس الذى نفخ فيهم ونفخ بقوته فى عقولهم وحرك أقلامهم...

فنحن إذن...

سنكون إزاء نص من النصوص التى يندر أن نجد لها نظيراً فى روحانيتها ودقتها وأصالتها.

تجسد الكلمة

نصوص من أقوال: القديس أثناسيوس

«أن الكلمة صار إنسانا متخذاً جسداً *σάρκα λαβών προσλαβών* من العذراء مريم».

«كيف يتصورون أن الجسد الذى استرده المسيح وأحياه، هو الذى جلب إلى الكلمة المحيى كمال اللاهوت؟ فإنه بالأحرى جدا أن الجسد الإنسانى هو الذى نال كمالا عظيماً نتيجة اشتراكه مع الكلمة واتحاده به».

...ἐκ τῆς τοῦ Λόγου πρὸς αὐτοῦ κοινωνίας τε καὶ ἑνώσεως

* * *

نصوص من أقوال: البابا بطرس (خلف القديس أثناسيوس)

«من لا يقر أن المخلص قد خلص بمجيئه الإنسان كله، فقد انفصل عن الله وهلك هلاكا كاملا أبدياً. وإذا كان قد خلصه كله بالتمام، فلأنه اتخذه كله بالتمام، لا لكى يعينه على الخلاص، ولكن من أجل خلاصه كله». (non in zadjutorium salvationis, sed ad totius salvationem) (١).

* * *

---

(١) من شذرة حفظها لنا فيكوندس Facundus Hermianus

أنظر. P. G., 33, 1291 C (FACUNDUS HERM., PRO Defensione Trium Capitulorum, IX, 2)

راجع أيضاً THEODORET, Hist. eccl., v, 10

ED. WEIGL: Christologie vom Tode des hl, Athanasius Zum Ausbruch des nestorianischen Streites (373- 429), Munich 1925, p. 99- 100.

نصوص من أقوال: البابا تيئوفيلوس الأسكندرى (١)

(٣٨٥- ٤١٢)م

«لم يكن للمسيح جسد بدون نفس، وأن الله الكلمة لم يحل فيه (= فى هذا الجسد) محل النفس العاقلة كما يتخيل ذلك أتباع أبوليناريوس فى أحلامهم. وعندهم أنه بقوله (= المسيح) فى الإنجيل «الآن نفسى قد اضطربت» لا يثبت إلا أن لاهوته قد خضع للاضطراب، وهى النتيجة التى ينتهى إليها الذين يدعون أن اللاهوت حل محل النفس فى جسده» (٢).

«يجب أن يعرف... أنه (= المسيح) قد اتخذ مثيل حالتنا تماما، وأنه إذ قد شاركنا ليس فقط فى جسد أو نفس غير ناطقة وبلا عقل (Sensu) νοῦς ولكن فى الجسد كله والنفس كلها، فقد أظهر فيه إنسانا كاملاً».

* * *

(1) H. LIETZMANN, Apollinaris von Laodicea und Seine Schule, Tubingen, 1904, P. 37- 75- 76.

ED. WEIGL, Christologie vom Tode des Athanasius bis zum Ausbruch des nestorianischen Streites (373- 429), Munchen 1925, p. 113, sq.

R. DELOBEL & M. RICHARD, Theophile d' Alexandrie, dans Dictionaire de theol. Ca th.

(٢) من رسالته الفصحية السابع عشرة لعام ٤٠٢م الفقرة ٤ والخطاب محفوظ فى رسائل القديس ايرونيموس (جيروم).

S. JEROME, Epist. 98, edit. HILBERG, Corpus Script. eccl. de Vienne, t. LV, p. 185- 211.

نصوص من أقوال القديس ديديموس الضرير (١)

«كيف كان يمكن أن يثبت بوضوح أنه (= الكلمة) قد صار جسدا حيا ἔμψυχος في الحقيقة لا في الظاهر، إذا كان المانويون يعتقدون أنه كان له شبه جسد، والأريوسيون (يعتقدون) أنه كان من غير نفس ἄψυχος ما لم يكن قد قال «نفسي حزينة»، وما لم يكن قد أظهر الخوف، وتناول من الطعام والشراب والنوم؟ لأن هذا لا يوافق اللاهوت، ولا الجسد من غير نفس (٢) ...

فإن مثل هذه (الضعفات) لا تليق لا باللاهوت ولا بالجسد بدون نفس. فمن جهة الجسد، نحن لا نرى إلا الآلام الضارة بالجسد، على وجه الدقة، وليست، قطعا، تلك (الآلام) التي تدهمنا نتيجة لعدم وجود التأملات λογισμῶν المفيدة. ومن جهة النفس. نلتقي بالاهتمامات المتسببة عن الآلام» (٣).

وقال في موضع آخر:

«ظهر ناسوته لنا في كل شيء، فيما عدا الخطيئة ولم يكن جسده بغير نفس (٤) ... إن نفس يسوع عاقلة ومطابعة لنفوس الناس (أو من ذات جوهرها)، كما أن جسده الخارج من مريم كان مطابعا لأجساد الناس (أو من ذات جوهرها) (٥).

* * *

---

(1)G. BARDY, Didyme l'Aveugle, paris, 1910, p. 30- 31 .

Ed. WEIGL, Christol. vom Tode Des Athanasius., p. 100 sq.,

J. LEIPOLDT, Texte und Untersuchungen, XXIX (N. F., XIV)

Didymus der Blinde von Alexandrien (Leipzig, 1905).

(2) DIDYMUS, De Trinitate, III, 21; P. G., 39, 904 AB; III, 2, 797A;

4, 829G; 21, 900A; 30, 949B.

(3) DIDYMUS, In Psalm. XV 1233 BC;cf. In Psalm. XXII, 1297 B;

XXXIX 1253 D- 1256 A; LXVII, 1444 A; LXVIII, 1436 C; LXX; 1465A; LXXI, 1465C.

(4) J. LIEBAERT, La doctrine christologique de Saint Cyrille d'Alexandrie avant la guerelle nestorienne, Lille, 1951. p. 136 n, 1.

(5) DIDYMUS. In Psalm. XV, P.G., 39, 1232 C.

نصوص من أقوال داماسوس أسقف روما

«يلزم أن نعترف بأن الحكمة ذاته، الكلمة، ابن الله اتخذ جسدا ونفساوعقلا(sensum) νοῦς بشريين، أعنى آدم كله، وبعبارة أوضح كل إنساننا العتيق، فيما عدا الخطيئة».

ثم أضاف:

«فمن قال أن الكلمة، قد حل، فى جسد المخلص، محل العقل الإنسانى (sensum) νοῦς فالكنيسة الجامعة تحرمه» (١).

«فإذا كان الإنسان الناقص هو الذى اتخذه (الكلمة) فتكون عطية الله ناقصة، وخلاصنا ناقصا، لأنه لم يخلص الإنسان كله. ولا تتم كلمة الرب: أن ابن الإنسان قد أتى ليخلص ما قد هلك تماما أعنى فى النفس، وفى الجسد، وفى العقل (sensum) νοῦς وفى كل جوهر طبيعته... فنحن إذن الذين نعلم أننا قد نلنا الخلاص كاملا وبالتمام، نقرّ، حسب إقرار الكنيسة الجامعة، أن الله كاملا اتخذ الإنسان كاملاً» (٢).

* * *

---

(١) من رسالة البابا الرومانى داماسوس إلى ياولينوس عن الابن per Filium علم ٣٧٥، يصحح به خطأه الذى وقع فيه أولا بقبوله قيتاليوس الأبوليناريوسى فى شركته. وكان قيتاليوس قد خدعه (وهذا خير رد على القائلين بعصمة باباوات روما).

(٢) هذه الشذرة للبابا الرومانى داماسوس يرجع تاريخها إلى عام ٣٧٦ كتبها بعد أن كتب القديس باسيليوس يحذر من خطر البدعة الأبوليناريوسية، وقد وردت I llud Sane, P.L., 13, col. 352 B- 353 A. B. أما عن تاريخ هذه الشذرة.

LIETZMANN (H.), Apollinaris von Laodicea und Seine Schule, Tuhingen, 1904 P. 55.

من أقوال القديس غريغوريوس النيسى

«تكلم القديس غريغوريوس النيسى فى موضوع اتحاد اللاهوت بالناسوت، لكنه عبّر عن الاتحاد بلفظ «الاختلاط، أو الامتزاج» وهما التعبيران اللذان عدل عنهما فيما بعد بسبب بدعة أوطيخا».

«هوذا الخليط الجديد: الله وإنسان، واحد من اثنين، واثنان فى واحد»

Εἷς ἐξ ἀμφοῖν καί δι' ἑνὸς ἀμφότερα

ولهذا السبب، اختلط الله بجسد بتوسط نفس، والأشياء المنفصلة ارتبطت بفضل اتخاذ الاثنين عن طريق الوسيط (١).

* * *

يقول القديس غريغوريوس رئيس أساقفة الأرمن فى صلاته

«ارحم بعظمة صلاحك هذه الكورة الأرمنية ليعرفوك أنت وحدك، وابنك الوحيد يسوع المسيح ربنا، الذى أرسلته فلبس بشريتنا وقبل صورة ومثال وشبه خلقة يديه حتى أنه قبل جسد البشر وجذب إليه البشرية بجنسية جنسهم، لأنه لا يمكن لبشر حتى يصير الناس مستحقين اللاهوت» (٢).

* * *

ويقول القديس ألكسندروس بابا الأسكندرية المقدم فى مجمع نيقية، فى الميمر الذى وضعه

«ما هى الضرورة الموجبة أن ينزل الله الكلمة على الأرض ويتجسد من العذراء ويلف بخرق، ويجعل فى مزود ويرضع اللبن من إمرأة، ويعتمد فى الأردن... ويعلق على خشبه ويجعل فى مقبرة وينبعث فى اليوم الثالث، أليس هو من أجلنا ليقيمنا نحن الذين هلكنا» (٣).

* * *

---

(1) orat., 1, s 23; P. G., 35, 432 C.

(٢) عن كتاب اعترافات الآباء بالدير المحرق، مخطوط رقم ٦٠ لاهوت ورقة ١٦.

(٣) عن كتاب اعترافات الآباء بالدير المحرق، مخطوط رقم ٦٠ لاهوت ورقة ١٦، ١٧.

يقول القديس غريغوريوس صانع العجائب

«نقول أن كلمة الله صار إنساناً من أجل خلاصنا لتنال صورة الإنسان السمائى، ويصيرنا آلهة كصورة الابن الحقيقى ابن الله» (١).

* * *

ويقول القديس غريغوريوس رئيس أساقفة الأرمن

الشهيد بلا سفك دم فى صلاته

«صار مثلنا ليصيرنا آلهة لأن هذه هى إرادته» (٢).

وقال أيضاً:

«أن الأمم أحبوا صور وأشباه الشر من أخشاب نحتها الصناع. فلأجل هذا صار هو صورة إنسان بحق، حتى يرى أيضاً صانعوا الصور والتصاوير فيتعبدوا لصورة لاهوتيته... ولأجل هذا صار ابنك الوحيد فى جسد وصورة إنسان» (٣).

* * *

يقول القديس اغناطيوس أسقف أنطاكية وتلميذ ماربطرس الرسول

«قد نجد آخرين فى التاوماحوسيس أى محاربى الله، هكذا يظنون بالجسد الذى بناه الله من لحم ودم العذراء... يقولون عنه أنه جسد بلا نفس، ويقولون أن اللاهوت هو نفسه، فهل ترى خرجت منه اللاهوتية ومات الجسد بالجملة؟ فليفتضح الآن من يقول هذا الكفر هكذا، وليسمعوا قول الرب «أن نفسى حزينة حتى الموت» (٤).

«نؤمن هكذا أنه أخذ إنسانا كاملا من مريم العذراء والدة الإله، ومن الروح القدس، وليس هو من زريعة (= زرع) بشر. له جسد ونفس بالحقيقة، لا بالفكر وهكذا خلص الناس بكمال» (٥).

---

(١) و (٢) و (٣) عن اعترافات الآباء. بالدير المحرق، مخطوط رقم ٦٠ لاهوت ورقة ١٦.

(٤) عن اعترافات الآباء، بالدير المحرق، مخطوط رقم ٦٠ لاهوت.

(٥) عن اعترافات الآباء، بالدير المحرق، مخطوط رقم ٦٠ لاهوت ورقة ١٩.

* * *

قال أطيفوس تلميذ الرسل بطريرك القسطنطينية فى ميمره على الميلاد

«اليوم قبل المسيح الرب ميلاد البشر، وهو الأزلى من البدء. المولود من الآب، كلمة الله اتضع وهو غير متضع فى جوهره. اتضع بارادته ولبس صورة العبد. الذى بلا جسد لبس جسدا من أجلك أيها الإنسان. الكلمة الذى تجسد غير الملموس بجوهر لاهوته لمس من أجلك أيها الإنسان. الذى ليس له ابتداء بلاهوته لبس جسدا تاما يرى. الغير متغير تجسد بالجسد المتغير. الغنى حل فى مسكن اللاوى. الذى يظلل السماء بالغمام لُف فى خرق. والملك جُعل فى مزود» (١).

(١) عن اعترافات الآباء، بالدير المحرق، مخطوط رقم ٦٠ لاهوت.

من أقوال البابا كيرلس الأسكندرى
فى بيان أن مخلصنا
اتخذ جسداً ذا نفس عاقلة

«(يجب أن) يعرف أن جسد الرب المأخوذ من مريم كانت له أيضاً نفس، ليس كتلك التى تمتلكها الكائنات غير العاقلة، وإنما (كتلك التى تمتلكها) الأناسىّ العاقلة، فإن ألم الخوف لا ننتظره لا من اللاهوت الذى لا يقبل الألم، ولا من الجسد. إن هذا الألم يختص فى الواقع بتأملات النفس لا بالجسد، فإذا اضطربت الكائنات غير العاقلة فمما ترى لا مما عندها فى الفكر. أما الرب فقد اضطرب لا مما رأى، ولكن مما كان يتوقعه، وأعنى به اقتراب الصليب منه». (١)

«أن الكلمة، وهو الله بالطبيعة، صار إنساناً مثلنا لكى يخلصنا».

«أن الله الكلمة قد سكن فى هيكل كان خاصاً به فالجسد أخذ من إمرأة، وزود بنفس عاقلة»

ψυχὴν ἔχοντι τὴν λογικήν

وقال القديس كيرلس الأسكندرى فى تفسيره على إنجيل القديس يوحنا، شارحاً النص الوارد فى (٦ : ٢٧).

«اعملوا لا للطعام البائد، بل للطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الإنسان، لأن هذا الله الآب قد ختمه».

«يجب أن نلاحظ أنه بالقول أن ابن الإنسان يوزع الخيرات السمائية، وأنه هو ختم وصورة الله الآب، أنه (= المسيح) لا يخضع لتقسيم فاصلاً عن البنوة الحقيقية الهيكل الذى ولد من العذراء، لكنه قد حدّ نفسه بنفسه، ويريد أن يعرف أنه واحد. وفى الحقيقة والواقع أن المسيح واحد معنا ملتحف كما بثوب برفير ملكى، بلباسه الخاص، أعنى الجسد الإنسانى أو الهيكل (المركب) بكل وضوح من نفس ومن جسم، ولو أن المسيح واحد من إثنين» (٣).

(١) فى تفسير إنجيل القديس يوحنا (١٢ : ٢٧).
of. P. G., 74, 88C- 92D. PUSEY, 11, 315, 18- 32023.
J.LLEBAERT, La Doctrine Christologique de S. Cyrille d'Alexandrie, Lille, 1951 P.13334 n.8.

(٢) عن الرسالة الفصحية الثامنة لعام ٤٢٠م
HOM. Pasch. VIII, P.G., 77, 573 B.

(3) In jo., P. G., 73, 484 B (1, 442, 17-26).

...καθάπερ ἀλουργίδα βασιλικὴν τὸ ἴδιον φόρημαπερικείμενος, φημὶ δὲ τὸ ἀνθρώπινον σῶμα ἥτοιναὸν τόν ἐκ ψυχῆς δηλονότι καὶ σώματος, εἰ καὶ εἷς ἐξ ἀμφοῖν ὁ Χριστός

ويقول البابا كيرلس فى موضع آخر:

«ابن واحد، من قبل أن يتلقى (يتحد) بالجسد وعندما اتحد (حرفياً: اقترن) بالجسد. فبالجسد نسمى الإنسان كاملاً، أعنى (الإنسان) المؤلف من نفس ومن جسد» (١).

.....Εἷς γὰρ καὶ μόνος υἱὸς καὶ πρὸ τῆς σαρκὸςσυνόδου, καὶ ὅ τε συνῆλθε σαρκὶ διὰδὲ τῆς σαρκὸς ὁλοκλήρως τὸν ἄνθρωπον ὁ νομάζομεν, τὸν ἐκ ψυχῆς καὶ σώματος λέγω.

ويقول البابا كيرلس أيضاً فى تفسيره على إشعياء خصوصاً قوله «أنت الله، وليس إله آخر غيرك» «فى المسيح يسكن كل ملء اللاهوت جسدياً» (٢) «كان هو الله، وليس منقسماً إلى ابنين، لأن الكلمة اتخذ جسداً له خاصة، هذا الذى قيل أنه سكن فيه. وإذن، فبهذا أيضاً عرف المسيح أنه الله، كالنفس فى الجسد الإنسانى، ومن ثم هو ابن وإله واحد. فينبغى أن يعرف فى الحقيقة أننا نقول أن جسد الرب حى «بنفس عاقلة».

.....οὐκοῦν κάν τούτῳ νοεῖται θεὸς, καθάπερ ἐν ἀνθρωπίνῳ σώ ματι ψυχή· ἀλλ' οὖν εἷς υἱός ἐστιν ὁ θεός.
Ἰστέον γε μὴν ὅτι τὴν τοῦ κυρίου σάρκα φαμὲν ἐψυχῶσθαι (ἐμ ψυχώσθαι) ψυχῇ νοερᾷ.

(1) P. G., 73, 1012 A (11, 200, 27-29).

(٢) الإشارة إلى كولوسى (٢: ٩).

فالشعوب إذن تعترف «أن الله فيك، وليس هناك إله آخر سواك» (١).

ويقول القديس كيرلس فى تفسيره لكلمات النبى ملاخى: «وبغتة يأتى إلى هيكله، الرب الذى تطلبونه، وملاك العهد الذى ترغبونه».

«إنه يقول أنه سيأتى إلى هيكله، أو بالحرىّ، لأن الكلمة صار جسداً وسكن فى الجسد كلى الطهارة (الذى ولد) من القديسة العذراء، كما فى هيكل، أو بالحرى لأنه قد سكن فى إنسان كامل، أعنى (المركب) من نفس ومن جسد، الذى نعتقد أنه اتحد به مباشرة، وحسب التدبير» (٢).

ἤγουν ἀνθρώπῳ τελείῳ, τῷ ἐκ ψυχῆς λέγω καὶ σώματος ἀμέσ ως τε καὶ οἰκονομικῶς ἡνῶσθαι πεπιστευμένῳ

ويقول كذلك فى كتاب آخر:

«نؤكد أن عمانوئيل مؤلف فى مسيح وابن واحد من (عنصرين) كاملين *ἐκ δυοῖν τελείοιν*، اللاهوت والناسوت. إذ أننا لا نقبل رأى الذين يظنون أن هذا الهيكل الإلهى المولود من القديسة العذراء، والذى حمله الله الكلمة، كان خلواً من نفس عاقلة. ولكن كما أنه كان كاملاً فى لاهوته كذلك كان كاملاً فى ناسوته، ولو أنه مركب فى واحد بصورة لا يعبر عنها ولا يمكن إدراكها» (٣).

---

(1) In is., XLV, 14, P. G., 70, 973 AB.

(2) IN MALACH., III, I, P. G., 72, 332 A.

(3) Glaphyres in Gen., VI, P. G., 69, 297 C.

كما يقول هو نفسه:

«كان هو الله الحقيقى فى الجسد، وكان حقاً هو الجسد فى الله» (١).

ويقول البابا كيرلس الأسكندرى فى بيان أن الجسد (خاص) بالكلمة.

«أن الجسد الذى اتخذه لم يكن غريباً عنه، لكنه جسده الخاص به» (٢).

«أن الجسد الذى تألم كان بجسده الخاص به» (٣).

ἴδιον ἐποιήσατο

«لقد صار يخصه ما كان بعيداً عن جوهره الإلهى السامى، بما لا يقاس، وأعنى به الجسد» (٤).

وقال فى تفسيره لإنجيل القديس يوحنا:

أنه (المسيح) بطبيعته الله فى الجسد وبالجسد وقد صار هذا (الجسد) خاصاً به ὡς ἰδίαν ومن حيث هو الله، صار الكلمة المولود من الآب جسداً كما قال يوحنا، ولكنه لم يتحول إلى جسد وإنما صار الهيكل المولود من القديسة العذراء جسده الخاص به» (٥).

ويقول القديس كيرلس الأسكندرى تعليقاً وتفسيراً على أمثال (٨: ٢٣) «قد مُسحتُ منذ الأزل».

(1 Thesaurus, P. G., 7475, 389 A: Cf. C. Arian. III, S 41, P. G., 26, 412 A.; Thesaurus, 392 A, 393 C, 428 A.

(2) Glaphyres., P. G. 69, 561 B, Cf 576 B.

أن الجسد كان جسده ولم يكن لباساً φόρημα غريباً.

(3) Thesaurus, P. G., 75, 429A; f Cf. 281 C. 361 C, 384 D. Cf. In jo, P. G., 73, 776 B(1, 713,8).

(4) Dialogues VI, P. G., 75, 1021 A; Cf., V, 961 A; VI, 1024 C, 1028 B, 1064 A.

(5) In jo., P. G., 74, 300 C (11, 505, 19- 22).

انظر أيضاً بخصوص التعبير ἰδία σάρξ

De A dor., P. G., 68, 653 D; Glaphyres, P. G., 69, 480 A; Hom, pasch. VII, P. G., 77,552 A;= VIII, 569 C; In Is., P. G., 70, 181 C, 316 A, 973 B; In jo., P. G., 73, 581 AB (I, 532, 26;

«كان منذ البدء عند الله، وكان هو الله، ولكن حيث أنه كمثل حجر قطع من جبل بغير تدخل أيد (بشرية) أى صادراً (أو آتياً) من جوهر الآب، قد لبس جسدنا كما لو كان من الأرض.

.....καθάπερ τινὰ γῆν τὴν ἡμετέραν σάρκα περιεβάλετο

لذلك فهو يؤكد أنه قد صار أساساً، وكأنه يقول: حيث أننى الكلمة والابن الحقيقى، فقد ألبسنى الآب جسداً ترابياً، حتى أصير أساساً ومبدءا لهؤلاء الذين سيبنون علىّ بالإيمان، كما أن الحجر الذى يطمر ويدفن فى التراب يصير أساساً للبناء» (١).

ويقول البابا كيرلس الأسكندرى تعليقاً على (أمثال ٩ : ١).

«لقد صار بيتاً οἶκος للحكمة، مبنياً بها، هذا الجسد العادى المولود من القديسة العذراء، الذى تفضل فسكن فيه جسدياً ملء اللاهوت حسب تعبير بولس» (٢).

وقد شبه البابا كيرلس الجسد الذى اتخذه الكلمة بالخيمة أو المسكن فى العهد القديم. وذلك فى تفسيره لإنجيل القديس يوحنا:

«عندما بنت الحكمة بيتاً οἶκος كما هو مكتوب، وشّيدت الخيمة σκηνή الحقيقية، أعنى الهيكل المولود من العذراء، نزل فيها الله الكلمة الذى هو فى حضن الآب، بكيفية إلهية لا يمكن تصورها» (٣).

533, 7) 793 D (II, 2, 12- 20); 74, 276 A (II, 482, 26) etc., etc.

انظر بخصوص التعبير ἴδιον σῶμα

De Ador., 744 C; Glaphyres, 577 B; In Is, 253 D; In jo., P. G., 73, 577 C (I, 530, 13); 74, 549 A (II, 725, 29-31), etc.

(1) Thesaurus, P. G., 75, 289 D; Cf., Contra Arianos II, S 74, P. G. 26, 305 A.

(2) Thesaurus, P. G., 75, 261 C.

(3)In jo., P. G., 73, 616 B- 621 B (1, 565- 569).

In Amos, P. g., 71, 577 A انظر أيضاً

كذلك استخدم البابا كيرلس تعبير الهيكل ναός في الكلام عن الجسد الذى اتخذه الكلمة وله فى ذلك أقوال كثيرة (١) ذكرنا بعضها سابقاً، ومن ذلك أيضاً قوله: وهو يجيب على سؤال: كيف أن الروح الإلهى، ولا كمّ له ولا حدود، يمكن أن ينحصر فى جسد إنسان واحد؟ فيجيب البابا قائلاً:

«أن طبيعة الكلمة» لا يمكن بتاتاً أن تحد على الرغم من أننا نقول أنه يسكن كما فى هيكل مقدس، «فى الجسد المولود من القديسة العذراء».

«أما أن نفهم (كيف) يكون ذلك، فهذا ما يجب أن نكف عنه، ونعترف بأننا نجهله».

---

(1) De Ador., P. G., 68, 597 C, 661 B, 672A; Glaphyres P. G., 69, 353 D, 365 B, 576 B, Hom. Pasch. VIII, P. G., 77, 569 B; XIII, 708 A. Thesaurus, P. G., 75, 204 C, 364 B, 428 C; Dialogues, V, P. G., 75, 964 C; VI, 1017 A, 1025 B.

In jo., P. G., 73, 161 AB (1, 140, 17; 141, 2) 237 AB (1, 212, 16 sq) etc.

لاحظ خصوصاً التعبير οἰκεῖος ναός

De Ador., 597 D; Hom. pasch. VIII, 592 A, 573 B; In jo., P. G., 73, 601 B (1, 551, 6-7), 880 A (11, 80, 2) etc.

وأما التعبير οἰκεῖος ναός فقد ورد:

Hom.pasch. V, 473 B; In jo., P. G., 74, 276 A (11, 482, 29) 549 C (11, 726, 21), etc.

اتحاد الكلمة بالناسوت

يستخدم البابا كيرلس تعبير «الاتحاد» اتحاد الكلمة بالناسوت الذى أخذه من مريم العذراء. وأحياناً يتحدث عن اتحاد الكلمة بالجسد، أو اتحاد الكلمة بالناسوت أو الجنس البشرى، وكلها عنده بنفس المعنى.

ويتحدث تارة عن اتحاد الكلمة بالجسد (١)، أو بالجسم (٢)، أو بطبيعتنا (٣) وتارة أخرى بالعكس يتحدث عن اتحاد الجسد (٤)، أو الجسم (٥)، أو الهيكل (٦) بالكلمة.

وكثيراً ما يستخدم كلمة «اتحاد» ἕνωσις (٧)، أو أحياناً ἑνότης (٨)، وقليلاً ما يستخدم تعبير συνδρομή (٩)، بمعنى: اتحاد. مشاركة. تعاون، أو

---

(1) ἑνοῦσθαι σαρκί In Each., P. G., 72, 116 B; Dialogues 1, P. G., 75, 680 B, 693 B (of. 693 D); V, 936 A; In jo., P. G., 73, 357 C (1, 325, 1), 581 A (1, 538, 18) 604 B (1, 552, 26), 621 A (1. 569, 5-6) 921 D (11, 120, 16); P. G., 74, 280 B (11, 486, 10), 528 C (11, 707,21).

(2) ἑνοῦσθαι σώματι In jo., P. G., 74, 181 A (11, 402, 12), 528 B (11, 707, 3) 585 B (111, 21, 2).

(3) ἑνοῦσθαι φύσει In jo., P. G., 73, 532 B (1, 487, 18); P. G., 74, 545 D. ...ἀῤῥήτως ἑαυτὸν ἑνώσας τῇ ἡμετέρᾳ φύσει (11, 724, 4).

(4)In jo., P. G., 73, 156 D (1, 136, 8), 577 B (1, 530, 5).

(5) Ibid., 160 C C1, 139, 12), 577 B (1, 529, 27).

(6) Dial. VI, P. G., 75, 1025 B.

(7) ..τὸν ἀπαῤῥήτως ἑνωθέντα μοι ναὸν ἕνωσις πρὸς σάρκα De Ador., P. G., 63, 593 B, Glaph., P. G., 69, 480 A . «اتحاد بالجسد أو بالناسوت أو بالطبيعة اتحاداً كاملاً»

ἕνωσις πρὸς τὸ .... σαρκίον Hom. pasch. XVI, P. G., 77, 565 C.

ἕνωσις πρὸς σῶμα In jo, P. G., 74, 557 D (11, 734, 26), 737 C (III, 155, 2-3)

ἕνωσις πρὸς τὸ ἀνθρώπινον Dial. VI, P. G., 75, 1025 A.

بغير تحديد : Hom, pasch. XIII, 705 B; Dial. 1, 693 B; In jo., P. G., 73, 581 AB (1, 532, 21; 533,8 ; 565 D (1, 520, 6) id.; 692 C (1, 577, 10); id.

(8) ἑνότης De Ador., P. G., 68, 621 A; Hom. pasch. VIII, P G., 77, 569 CD; Dial. 1, P. G., 75, 693 AB.

(9) συνδρομὴ πρός (εἰς) σάρκα Glaph., P. G., 69, 632 C; Dial, V, P. G., 75, 933 BC: =

σύνοδος (١)، بمعنى (لقاء، إلتقاء، اتفاق)، ونادراً ما يستخدم تعبير *συνάφεια* (٢) بمعنى اقتران. اجتماع، أو *συμπλοκή* (٣) بمعنى ارتباط، اتصال، التصاق أو *συνουσία* (٤) بمعنى علاقة.

ومما هو جدير بالذكر أن القديس كيرلس الأسكندرى يستخدم تعبير الاتحاد، والتعبيرات الأخرى بمعنى فعّال من جانب الكلمة. فالاتحاد عنده ليس هو اتحاد الكلمة والجسد، أو مع الجسد، وإنما هو اتحاد الكلمة بـ الجسد ولذلك يستخدم دائماً حرف الجر *πρός, εἰς* وفحوى هذا أن القديس كيرلس لا ينظر إلى اللاهوت والناسوت كما لو كانا عنصرين على نفس المستوى كما يفعل اللاهوتيون القائلون بالطبيعتين، وإنما «الاتحاد» عنده هو تعبير آخر يعبر به عن الحقيقة التى يؤكدها القديس أثناسيوس واللاهوت الأسكندرى «أن الكلمة اتخذ جسداً» (٥).

τῆς πρὸς σάρκα καθ' ἕνωσιν συνδρομῆς

940 B; VI, 1033A; In jo, P. G., 73, 601 A (1, 550, 24); of. Dial. 1, 693 B.

συνδρομὴ ἐκ δυοῖν εἰς ἕν τε

(1) *σύνοδος πρός (εἰς) σάρκα* Glaph., P. G., 69, 129 B; Hom. pasch XI, 664B; Dial. 111, P. G., 75, 816 BCD; In jo., P. G. 74, 548D.

σύνοδος τῆς σαρκός In Jo,P.G.73; 1012 A

σύνοδος τῆς θεότητος καὶ ἀνθρωπότητος (ἑνότης τῆς συνόδου) Hom. pasch. VIII, 572 A., 569 C

X, 609 C; In jo., P. G., 73, 577 B (1, 530, 3).

(2) *συνάφεια* Dial. VI, P. G., 75, 1032 D:

.....πρὸ τῆς πρὸς σάρκα συνδρομῆς καὶ τῆς καθ' ἕνωσιν συναφε ίας

(3) *συμπλοκὴ πρὸς σάρκα* De Ador., P. G., 68, 636 A; Cf., In jo, P. G., 73, 160 B (1. 139, 11).

ἀσύμπλοκος τῆς σαρκός (تعبير يصف الكلمة قبل التجسد)

In jo., P. G., 73, 305 B (1, 277, 18), 533 A (1, 489, 3); of. P. G., 74, 704 C (111, 126, 6-7). Glaph., P. G., 69 632 C.

(4) *συνουσία* In jo., P. G., 74, 520 A (11, 599, 31 sq): *τῇ συνουσίᾳ τοῦ ἐνώθεντος αὐτῇ Λόγου*

(٥) يقول القديس أثناسيوس الرسولى فى رسالة له إلى ابسيلتيتوس:

«كيف يتصورون أن الجسد الذى استرده المسيح وأحياه هو الذى جلب إلى الكلمة المحى كمال اللاهوت؟ فإنه بالأحرى جداً أن الجسد الإنسانى هو الذى نال كمالاً عظيماً نتيجة اشتراكه مع الكلمة واتحاده به».

...ἐκ τῆς τοῦ Λόγου πρὸς αὐτὸν κοινωνίας τε καὶ ἑνώσεως

ATHANASIUS (S), AD EPICT., 9, P. G., 26, 1065 A.

من أقوال البابا كيرلس الأسكندرى
بشأن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت
(قبل عام ٤٢٨ م)

«ابن واحد (مؤلف) من إثنين، الطبيعة الإلهية والإنسانية مشتركتان ومتوافقتان فى واحد.

συνδεδραμηκότων καὶ συνενεχθέντων εἰς ἓν

بصورة تفوق الوصف، ولا يعبر عنها، ومؤتلفتان فى وحدة *εἰς ἑνότητα συντεθειμένων* بكيفية من المستحيل تصوّرها» (١).

«الابن الوحيد الجنس، وهو الله بالطبيعة، حمل الجسد من القديسة العذراء، وكأنه مؤلف من إثنين أعنى: من الطبيعة التى من عل، ومن الناسوت، بصورة لا يعبر عنها، ولا يمكن إدراكها» (٢).

ومن التعبيرات السائدة فى كتابات البابا كيرلس قبل عام ٤٢٨م، والتى تدل على الاتحاد: أن المسيح بعد الاتحاد هو «الواحد بعينه» (٣).

Εἷς που πάντως καὶ ὁ αὐτὸς

«واحد من إثنين» (٤) *Εἷς ἐξ ἀμφοῖν* «الكلمة هو» واحد ووحيد بالطبيعة، وأسمى ما يكون السمو، قبل الجسد، وبعد الجسد» (٥).

Εἷς καὶ μόνος φυσικῶς τε καὶ ἐξαιρέτως καὶ πρὸ σαρκὸς καὶ με τὰ σαρκός

---

(1) Dial., 1, P. G., 75, 693 B.

(2) Glaph., P. G., 69, 560 C.

(3) Glaph., P. G., 69,129 B.

(4)DE ADOR., P. G., 68, 345 C; GLAPH., P. G., 69, 576 BC; IN JO., P. G., 73, 161 A (1, 140, 17), 249 C (1, 224, 21-22), 484 B (1, 442, 25), 581 A (1, 532, 25); P. G., 74, 157 A (11, 381, 28- 29) OF. HOM. PASCH. VIII, P. G., 77, 573 B:

ἕνα τὸν ἐξ ἀμφοῖν ἀρρήτως κεκερασμένον يجب أن نعبد

(5) In jo., P. G., 73, 629 BC (1, 577,3- 4).

وأنه «واحد» ...εἷς , ἕν , ἕν τι مع جسمه، مع جسده، مع هيكله».

ومن ذلك قوله: ان الكلمة «ليس آخر بالنظر إلى جسده، أو (بالنظر إلى) الهيكل المولود من العذراء، لكنه يفهم على أنه واحد ἕν معه، حسب الاتحاد الذى قيل فيه أنه صار جسداً (١)، وقوله: أن الجسد «يعتبر أنه له، ويفهم على أنه واحد εἷς معه» (٢).

وقوله: ان الكلمة والهيكل هما «واحد» ἕν بموجب الاتحاد (حرفياً: الالتقاء) والمشاركة اللذين لا يمكن تصوّرهما».

وقوله: أن الجسد الخاص، به هو واحد ἕν مع الكلمة (٣).

وقوله: يجب أن يعتبر ويعد الكلمة والهيكل ὡς ἕν τι (٤).

وقوله: أن الجسد «يعتبر على أنه واحد ἕν معه (٥).

وقوله: «نحن نفهم الكلمة على أنه واحد ὡς ἕν τι مع جسده الخاص به» (٦).

ومن تعبيرات البابا كيرلس الواردة فى كتاباته عن اتحاد اللاهوت بالناسوت، أن الطبيعة الإلهية والناسوت اتحدا فيه إلى واحد εἷς ἕν (٧).

ومن تعبيراته أيضاً: أن المسيح فى نفس الوقت ἐν ταυτῷ إله وإنسان، لا يقبل التجزئة بتاتاً، بعد التجسد». من ذلك قوله: أن المعرفة فى موضوع المسيح تتألف من شيئين وهى أنه إله وفى نفس الوقت ἐν ταυτῷ إنسان، ومع ذلك فهو ابن واحد ومسيح واحد من اثنين ἐξ ἀμφοῖν (٨).

---

(1) Hom. pasch., XIII, 708 A:

ويتصل بهذا قوله: أن الكلمة «ليس آخر بالنظر إلى جسده الخاص به».

In jo., P. G., 73, 161 A (1, 140, 7-8); 581 B (1, 533, 6-7); P. G., 74, 181 A (11, 402, 18 sq), etc.

وقوله «نحن لا نعتبر الجسد الخاص بالكلمة غريباً عنه».

In jo., P. G., 73, 601 A (1, 351, 1-2).

(2)In jo., P. G., 73, 577 BC (1, 529, 28-29).

(3)In jo., P. G., 73, 604 B (1, 553, 3).

(4) P. G., 74, 157 A (11, 381, 25).

(5) 564, AB (111, 2, 5-6).

(6) 737 C (111, 155, 10- 11).

(7) Dial. 1, P. G., 75, 693 A; Glaph., P. G., 69, 560 C.

(8) De Ador., P. G., 68, 345 C. cf. ibid., 593 B.

وقوله: «أنه يفهم على أنه إله وإنسان فى نفس الوقت ἐν ταυτῷ ». (١)، «فإن المسيح واحد ولا يقبل التجزئة» (٢).

Εἷς γὰρ καὶ ἀμέριστος ὁ Χριστός

(1) De Ador., P. G., 68, 637 A; Dial, 1, P. G., 75, 693 B; In jo., P. G., 74, 557 D (11, 734, 29).

(2)Glaph., P. G., 69, 129 C; 669 A; Cf. De Ador., P. G., 68. 593 B; In jo., P. G., 73, 601 A (1, 550, 22). In jo., P. G., 73, 249 C (1, 224, 23) 577 B (1, 529, 29), 629c (L, 577, 9) 1012 B (11, 201, 14).

البابا كيرلس الأسكندرى
ينفى الثنائية فى السيد المسيح

يقول مشيراً إلى الهراطقة، وذلك فى تفسيره لإنجيل القديس يوحنا:

«ليس هذا من اليوم فقط أن بعضا حتى من هؤلاء الذين يقال عنهم أنهم مسيحيون ولم يفهموا بالضبط هدف التدبير (الإلهى) من التجسد، قد تجرأوا على أن يفصلوا ἀποδιελεῖν عن الله الكلمة، الهيكل المأخوذ من المرأة من أجلنا، وقسّموا κατεμέρισαν إلى ابنين إثنين، الابن الوحيد الحقيقى، وذلك لأنه صار إنساناً. وفى الواقع، أنهم يظنون، كما يبدو أنه لا يليق بهم أن يعترفوا بما حسبه الابن الوحيد الجنس لائقاً أن يصنعه من أجلنا. لأنه إذ كان فى صورة الله، كما هو مكتوب، لم يحسب مساواته لله إختلاساً (حرفياً : لم يحتفظ بمساواته لله جشعا) لكنه أخلى نفسه (حرفيا أفنى نفسه) آخذاً صورة عبد، ليصير إنساناً مثلنا (حرفياً : بكل وضوح) فيما عدا الخطيئة. فهؤلاء بتصوّرهم الغريب، إذ يلومون بكيفية ما، مشيئة الله الخيّرة نحو الناس، وينفون بحسب ما تسيغ لهم أفكارهم الخاصة، الهيكل المأخوذ من المرأة، عن البنوة الحقيقية، لا يقّرون الإذلال ὅσον εἰς οἰκείας ἐννοίας (- الذى قبله ابن الله) وإذ يرتأون رأياً ضالا وبعيداً عن الحقيقة، يقولون أن الابن الوحيد الجنس المولود من الله الآب، أعنى الكلمة المولود من جوهره، شىء ἕτερον ، وأما الابن المولود من المرأة فشىء آخر ἕτερον δὲ πάλιν .

ويضيف البابا كيرلس بأن الهراطقة يقسمون الابن الواحد الحقيقى، إلى إثنين، ويتكلمون عن «إنسان المسيح» (١) · ὁ ἄνθρωπος τοῦ Χριστοῦ ·

ويقول أيضاً فى موضع آخر.

«أنهم يمزّقون κατά τέμνουσι (المسيح) إلى إنسان وإلى الله الكلمة، كل على حدة، حتى بعد الاتحاد والالتقاء بالجسد، الالتقاء الذى لا يعّبر عنه ولا يمكن إدراكه، وهكذا يضلّون،

1. In Jo., P.G., 73, 1009 C. 1012 B (11,200`201).

وإذ يتيهون على نوع ما بعيدا عن الحقيقة، فقد أنكروا السيد الذى أفتداهم» (١).

وفى الرسالة الفصحية لعام ٤٢٠م يكتب القديس كيرلس معلقا على قول ماربولس الرسول:

«المسيح يسوع هو أمساً واليوم وإلى الأبد» (٢) ويقول: أن المسيح «هو الله بالطبيعة، قبل الجسد، وبعد الجسد» ثم يردف قائلاً: «فأنت ترى كيف أنه (القديس بولس) لا يقسم عمانوئيل إلى ابنين اثنين، ولا ينسب الثبات المطلق إلاّ للكلمة المولود بالبهاء من الله الآب من حيث هو مجّرد وفى ذاته. لكنه يعترف به على أنه الابن الواحد والوحيد بالطبيعة الذى تجسد، ويسميه المسيح يسوع» (٣).

ويقول فى بيان حقيقة الاتحاد التام بحيث أن ما ينسب للاهوت ينسب إلى الناسوت:

«لا يمكن أن ينسب (صفات) الكلمة الحىّ الأزلى للهيكل المولود فى الأزمنة الأخيرة ما لم يحسب القسمة *τὸ διατεμεῖν* كفرا، وينكر فصل الابن الوحيد الحقيقى إلى إثنين» (٤).

ويقول تعليقاً على قول مخلصنا فى إنجيل يوحنا «وليس أحد صعد إلى السماء إلاّ الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء» (٥)

وقوله: «فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولا» (٦).

فنحن نرى كيف أنه يضم «الكلمة» فى الوحدة ضماً من غير تخلخل، وبدون فصم الالتقاء (= الاتحاد) الذى لا يعبر عنه. *ἀδιαστάτῳ τε καί*

...ἀδιορίστῳ περσφίγξας ἑνότητι τῆς ἀπορρήτου συνόδου τὸν Λόγον

---

(1) p.g., 74, 737 C(111,155,1-5) of. ibid., 152 B.

(٢) عبرانيين ١٣: ٨.

(3) 568 BC.

(4) 568 D; 569 A.

(٥) يوحنا ٣: ١٢، ١٣.

(٦) يوحنا ٦: ٦٢، ٦٣.

يريد (المسيح) منا أن نعترف به على أنه مسيح واحد قبل الجسد وبعد الجسد... فما يختص به بالطبيعة، ينسبه فى الواقع لجسده الخاص به، كأنه ليس شيئاً آخر بالنظر إلى جسده، حسبما تحتمل الوحدة (الناجمة أو الناتجة)، وحدة التدبير (الإلهى)..

ὅσον εἰς ἑνότητα τήν ἐκ τῆς οἰκονομίας

ونحن سوف لا نباعد بين هذه الأشياء (غير المتشابهة) فى طبيعتها، نظراً لاتحادها التام أعنى من جهة: بهاء الآب (أى الكلمة) يظل حسب طبيعته الخاصة *διὰ τὸ εἰς ἄκρον ἑννοῦν* ومن جهة أخرى الجسد الترابى، أو الإنسان بالمعنى الكامل. أما وقد ميّزنا *κατ' ἴδιον λόγον* بين هذه الأشياء، ولم نفّرق بين طبيعة كل منهما الخاصة إلاّ فى الذهن. *διεγνωκότες*

.....καὶ μόναις διελόντες ταῖς ἐννοίαις τὸν ἐφ' ἑκάστῳ λόγον

فنحن سنضمها من جديد فى وحدة من دون تخلخل، فإن الكلمة صار جسداً كما يقول البشير القديس، لا بالتناسخ فى جسد. فلم يقل هذا. ولكنه دعا الجسد وسمّاه إنساناً بالمعنى الكامل، (١)

ويقول أيضاً فى بيان طبيعة الوحدة القائمة بين اللاهوت والناسوت، مع عدم تغيّر أحدهما إلى الآخر:

«أن الكلمة لم يتغير إلى الجسد، فإن كلا منهما ظل على طبيعته كما هو، والمسيح واحد من إثنين» (٢). *Εἷς ἐξ ἀμφοῖν*.

وفى تفسيره لإنجيل القديس يوحنا يقول :

«المسيح، لا يقبل التقسيم بعد التجسد إلاّ بالقدر الضرورى للاعتراف بأن الكلمة الآتى من الآب، ثم الهيكل المولود من العذراء، ليسا من جوهر واحد بالطبيعة. إذ أن الجسد ليس من جوهر الكلمة المولود من الله. لكنهما واحد بموجب الاتحاد (حرفياً: الالتقاء) والمشاركة اللذين لا يمكن تصوّرهما» (٣).

---

(1) (P.G., 77), 569 CD.

(2) P.G., 73 , 581 A (1, 532 , 22 - 25).

(3) In Jo.. P.G., 73,577 B; CF., P.G., 74, 564A B (111, 2, 2 sq).

ونحن لا نتصور الكلمة المولود من الله غريبا ἕτερον τι عن الجسد الذى سكن فيه (١).

فمن حيث هو الله الكلمة فيعتبر آخر بالنسبة إلى الجسد، ومن حيث هو جسد فيعتبر آخر غير الكلمة. ولكن من حيث هو الكلمة المولود من الله الآب وقد صار إنساناً، فليس مجال بعد للسؤال إذا كان هو الواحد أو الآخر، وذلك بفضل الاتحاد والمشاركة اللذين لا يعبّر عنهما(٢).

تعلّمنا الكتب المقدسة أن نعتقد فيمن صلب ومات وقام من بين الأموات على أنه ليس آخر غير الكلمة (الذى يسكن) فيه (= فى الجسد). ولست أعنى بذلك أنهما من جوهر واحد - لأن الجسد هو جسد وليس هو الكلمة، مع أنه جسد الكلمة - لكن من أجل موضوع البنوة الحقيقية(٣).

ويقول أيضاً:

«أن المسيح لا يسمح بالقول، أن الهيكل المأخوذ من العذراء بالضرورة هو ابن، وأن الكلمة المولود من الآب هو ابن آخر، إلاّ بالقدر الذى يحتمله التمييز διορισμός الذى يناسب كلاً منهما حسب طبيعته، إذ كما أنه هو الكلمة المولود من الله، كذلك هو أيضاً الإنسان المولود من المرأة» (٤).

ويقول كذلك:

«يجب أن نعتبر، أن الكلمة المولود من الله الآب، والهيكل المأخوذ من القديسة العذراء هما واحد ὡς ἓν τι ، لا كأنهما من جوهر واحد، ولكن لأن فكرة التقسيم، بعد الاتحاد الذى لا يعبّر عنه، فكرة كفرية» (٥).

ثم يصف البابا كيرلس الاتحاد بين اللاهوت والناسوت أنه اتحاد بدون اختلاط وبدون تناسخ وبدون تغيير، كما أنه ليس اتحاداً على النحو الطبيعى كما هو الحال فى الأجسام، وفى تفسير إنجيل القديس يوحنا يقول البابا كيرلس تعليقاً على أصحاح ١٧: ٢٢ - ٢٣ «وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد أنا فيهم، وأنت فىّ».

(1) P.G., 73, 629 BC (1, 577, 11 - 12).
(2) P.G., 73, 1009 C (11, 200, 22-26).
(3) P.G. 74, 181 A (11, 402, 16-22).
(4) P.G. 73, 249 C (1. 224, 15 sq).
(5) P.G., 74. 157 A (11, 381, 25- 29).

«لأن كيفية الاتحاد بالله لا تحتمل وسيلة أخرى، أيضاً بالنسبة إلى المسيح، من حيث أنه قد ظهر وسمىّ إنساناً. وواضح أن الجسد قد تقدّس بفضل الاتحاد بالروح، حسب كيفية الاتحاد (حرفيا: الالتقاء) الذى لا يعبّر عنه، وقد سما إذن إلى الاتحاد الذى بلا اختلاط، بالله الكلمة، وبالآب عن طريقه (= الله الكلمة) . فهو قطعاً ولا شك σχετικῶς لا على نحو طبيعى φυσικῶς (١) .

ويقول فى بيان أنه ليس ثمت قطع τομή بين اللاهوت والناسوت بعد التجسد أو بعد الاتحاد:

«أنه ابن ومسيح واحد، وليس ثمت قطع (أو شق) بعد التجسد، لكنه إذ كان هو الله فيعتبر كذلك حتى بعد الجسد» (٢) .

وقال أيضاً فى بيان أنه لا يمكن الفصل بين اللاهوت والناسوت فى المسيح كل على حدة:

«كمثل حجر المذبح (سفر الخروج ٢٠ : ٢٤ ، ٢٥) كذلك المسيح لا ينقسم ولا يدنس، ولا ينقسم بين الله والعالم، حتى وقد صار جسداً، لكنه وهو كلىّ القداسة، لا ينفصل إلى الله على حدة ἰδία ، وإلى الإنسان على حدة ἰδικῶς ، بعد الاتحاد الذى لا يعبّر عنه أو الالتقاء بالجسد، وإنما يظل هو نفسه واحداً: إله وإنسان. إذ أنه لا ينقسم بصورة ما، كما يكتب الحكيم بولس» (٣) .

«ونحن نعبده (المسيح) كإله بدون أن نقسمه إلى اثنين، أو نعتبر الإنسان على حدة ἰδία والكلمة البهى (المولود) من جوهر الله الآب على حدة ἰδιαζόντως وإذ لا نقبل بتاتاً أى تقطيع τομή أو تقسيم μερισμός تحت علاقة البنوة بعد الاتحاد بالجسد، معترفين بابن واحد، فإننا نكرمه (أو نعظمه) باعتباره الابن الوحيد الجنس، والابن البكر» (٤) .

---

(1) P.G. 74, 564 AB (111, 2, 12, sq).

(2) In Jo., P.G. 74, 85 A (11, 311, 18sq); Hom. Pesch. X1, P.G., 77, 664 A .

(3) De Ador, P.G. 68, 593 B.

(4) Hom. Pasch., Xl. P.G. 77, 664 B.

«ابن واحد» والهيكل المأخوذ من إمرأة لم يكن موضوعاً على حدة ἐν μέρει ، لأن الجسد جسده الذى يخصه. وبعد التجسد، لا يجوز القول بالتقسيم فى العلاقة الولادية، دون الوقوع فى كفر» (١).

«وإذن فإذا فصلنا، وجعلنا الجسد والساكن فيه كلا على حدة، فقد جرؤنا على القول بابنين. ونحن نعلم أن هذا لا يصدق إلا على الجسد» (٢).

وقد شرح البابا كيرلس أن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت كان بغير تخلخل ἀδιάστατος ومن غير افتراق أو فصل ἀδιόριστος ويضيف فى تفسيره لسفر ملاخى، بأن هذا الاتحاد مباشر ومن غير واسطة ἀμέσως (٣) وفى المحاورة الأولى من محاوراته يستخدم لفظاً آخر يصف به الاتحاد بأنه بغير تمزيق أو تقطيع ἀδιασπάστως .

«أن الله الكلمة وهو جمال الله الآب وبهاؤه خالصا، وهو شكله وصورته والمولود منه وفيه، قد وضع نفسه وأخلى ذاته ليس تحت إكراه أو قهر أيًا كان، ولكن لطفا من الآب وبمقتضى إرادته، وصار إنسانا، محتفظا فى نفسه بعظمة طبيعته الخاصة سالمة كاملة وبدون تغيّر على الاطلاق، وبالتدبير (الإلهى) اتخذ الناسوت، مفهوماً على أنه الابن الوحيد من إثنين Εἷς ἐξ ἀμφοῖν νοούμενος υἱός .

فالطبيعة الإلهية والناسوت اتحدا (حرفياً: اتفقا) ووجدا متوافقين فى واحد.

συνδεδραμηκότων καὶ συνενεχθέντων εἰς ἓν

εἰς ἑνότητα συντεθειμένων على نحو يفوق الوصف ولا يعبر عنه ومؤتلفين فى وحدة

بكيفية يستحيل تصوّرها. وفى الحقيقة، أننا لا نقول أن كلمة الله تغيّر إلى طبيعة الجسد الترابى أو إلى جسد الكلمة نفسه: إذ أن هذا عندى علامة على الجنون المطبق. لكن كلاً منهما (اللاهوت والناسوت) ظل على ما هو عليه فى مداه وفى خصائصه.

---

(1) In Jo., P.G., 73, 776 C (1, 713, 7-10).

(2) P. G.., 74, 181 A (11, 402,13-16).

(3) In Mal., P.G., 72, 332 A.

ὥσπερ ἐν ἰδίῳ μένοντος ὅρῳ τε καὶ λόγῳ

أما اتحادهما (حرفيا: اتفاقهما) الكامل وبغير واسطة فى الوحدة

τήν εἰς ἄκρον τε καὶ ἀδιασπάστως ἔχουσιν εἰς ἑνότητα συνδρομήν

فيظهر من اسم العهد، *σύμβασις* الذى نحن بصدده هنا، (١).

ويلَح البابا كيرلس على أن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت جمع بين شيئين مختلفين ومتباينين فى جوهرهما، لكنهما بلطف من الله ومن أجلنا ومن أجل خلاصنا اتحدا. ومع ذلك فهو اتحاد يفوق الوصف ولا يعبر عنه، ولا يمكن إدراكه ومن المستحيل تصوّره،

ἀπόρρητος, ἄρρητος, ἄφατος, ἀπερινόητος

وهو سّر يعلو على العقول البشرية *ὑπὲρ νοῦν* ولا يمكن قبوله بغير الإيمان...

فيقول فى رسالته الفصحية لعام ٤٢٠م:

«وعلى ذلك، فكما قال أيضاً فى كتاباته أبونا وأسقفنا أثناسيوس، الجدير بكل ثناء، وهو قاعدة الإيمان الأرثوذكسى التى لا تنحرف، أن هناك إتحاداً (حرفيا: مشاركة) فى ذات الحقيقتين المتباينتين بطبيعتهما (وهما) اللاهوت والناسوت..

.....δύο πραγμάτων ἀνομοίων κατὰ τὴν φύσιν ἐν τούτῳ γέγνε σύνοδος , θεότητος δηλονότι καὶ ἀνθρωπότητος

أن المسيح واحد من اثنين. على أن كيفية الامتزاج *ὁ τῆς ἀνακράσεως τρόπος* لا يعبر عنها ولا يمكن إدراكها مطلقاً، ومع ذلك فبالإيمان يمكن أن يقبل عمق السرّ. لأن ما يفوق عقولنا وإدراكنا، لا نوقره أبدا بالفضول، وإنما بالايمان فقط» (٢).

---

(1) Dial. L, P.G., 7475, 693 AB.

(2) P.G., 77, 572 A.

ومع أن هذا الاتحاد سر يفوق العقل فيه يلتقى الكلمة وهو بطبيعته الله، بالجسد وهو ترابى، فى اتحاد حقيقى بدون تخلخل ولا يقبل الانفصال أو التجزئة أو التقطيع أو التمزيق أو التقسيم، لكنه أيضاً بدون اختلاط أو امتزاج أو تغيير فكل من اللاهوت والناسوت يحتفظ فى هذا الاتحاد بخصائصه. فلا اللاهوت يمتزج بالناسوت أو يختلط أو يتحول إليه. ولا الناسوت كذلك..

ويتقدم البابا كيرلس بتشبيه هذا الاتحاد باتحاد آخر طبيعى يوجد فينا ونعرفه، وهو اتحاد النفس بالبدن فى الإنسان. ومع ذلك فهذا الاتحاد الأخير هو مجرد تشبيه وقياس مع الفارق، لأن اتحاد النفس بالبدن قابل للانفصال بالموت، أما اتحاد اللاهوت بالناسوت فلا يقبل الانفصال مطلقاً.

يقول البابا كيرلس فى تفسيره لإنجيل القديس يوحنا: «إذا تأملنا من حيث الطبيعة (حرفيا : إذا وضعنا أنفسنا فى وجهة نظر الطبيعة)، وفكرنا فى موضوع المسيح، فنحن نقر بأن الجسد غير الله الكلمة (المولود) من الآب، و(الكائن) فى الآب. لكننا إذا بحثنا فى معنى الاتحاد به، وإذا سبرنا بقدر الامكان، هذا السر غير العادى والذى يفوق العقل فنعتبر الكلمة على أنه واحد ἕν τι مع جسده الذى يخصه، والذى لم يتحول إلى جسد. إذ نحن لا نقول بهذا. لأن طبيعة الكلمة فى الواقع ثابتة ولا تتغير على الاطلاق، وغير قابلة لأى تغيّر. ولكن لأن يسوع حسب كتابنا المقدس الملهم من الله يعتبر على أنه من هيكل إلهى له كامل حد (أو فهوم) ὅρος الناسوتية، ومن الكلمة الحى، فهو قطعاً مسيح وابن واحد. لو ننظر أن هذا نفسه حقيقى فينا كما أنه أيضاً طبيعىّ بالنسبة لنا. فنحن فى الواقع نتألف فى إنسان واحد من نفس ومن جسم. والجسم غير النفس (القائمة) فى الجسد. ولكل خصائصه.

κατά γε τόν ἐφ' ἑκατέρῳ λόγον

ومع ذلك يتفقان فى ابراز كائن واحد حى ولا يقبلان الانفصال مطلقا مع اتحادهما συμπλοκή المشترك، (١).

ويكرر القديس كيرلس الاستعانة بهذا التشبيه: تشبيه النفس والبدن وتطبيقه على علاقة اللاهوت والناسوت وبيان أن الناسوت لم يعد غريبا على اللاهوت بعد الاتحاد الشريف:

«الجسد ليس غريباً على الكلمة، كما أن جسدنا ليس غريباً على نفسنا» (٢).

ومن التعبيرات المألوفة لدى الآباء، ولدى البابا كيرلس الأول عن تجسد الكلمة، تعبير «السكنى» والنصوص كثيرة منها:

قول البابا كيرلس:

«ولو أنه ظهر إنساناً مثلنا بالتدبير (الإلهى مع ذلك سكن فيه كل ملء اللاهوت، وأعنى حسب كيفية الإتحاد ἑνώσεως τρόπος (٣).

يتميز اللاهوت الأسكندرى كما نرى على الخصوص عند القديس أثناسيوس الرسولى، والقديس كيرلس الأول المعروف بالأسكندرى، بالنظر إلى السيد المسيح لا على أنه إله وإنسان اجتمعا معاً أو اتحدا معاً، فهذه على كل حال ثنائية لا يسيغها اللاهوت الأسكندرى وإنما على أنه الإله المتأنس، أو الإله المتجسد.

وكما نقول بالفرنسية Verbe-Chair, Berbe-Tncarné .

ويذهب اللاهوت الأسكندرى فى فهم الاتحاد التام بين اللاهوت والناسوت فى المسيح إلى تبرير قبول الكلمة لخاصيات الضعف البشرية، واتصاف الناسوت بخصائص اللاهوت وصفاته، وهو ما يعرف فى علم اللاهوت باشتراك الخواص. فالكلمة اتخذ الخواص الإنسانية ἀνθρώπινα على أساس أن الجسد هو جسد الكلمة الخاص ἴδιον فمن ثم فخاصيات الضعف. ἴδια بهذا الجسد أمكن أن يقال عنها أنها أيضاً خواص ἴδιαι الكلمة.

(1) P.G., 74, 737 C (111, 155, 5- 24).

(2) P.G., 74, 344 B (11, 543, 25 - 27).

(3) In Is., P.G., 72, 181 C.

ويقول البابا كيرلس أن الكلمة اتخذ خاصيات الضعف الإنسانية التى يدعوها بأسماء مختلفة فيدعوها τὰ ἀνθρώπινα أو τὰ πάθη σαρκός أو τὰ ἴδια أو ἀναλαμβάνειν كل ما أتخذ ἀνθρωπότητος ἴδια τὰ μέτρα τῆς ἀνθρωπότητος لنا (١)، وجعله خاصاً به οἰκειοῦν (٢) ἰδιοποιεῖσθαι (٣)، والعكس أيضاً صحيح فقد خصّ الكلمة بجسده الخاص بامتيازاته الإلهية.

ومن ذلك قوله: «أنه ينسب إلى جسده الخاص به، ما يختص به (الكلمة) وكأنه ليس شيئاً آخر بالنسبة له (الجسد) (٤).

ويقول فى رسالته الفصحية لعام ٤٢٠م:

«من ثم لم يكن يعتبر جسده كأنه غريب عنه، بل بالأحرى قد جعله هيكله الخاص، لذلك ومع أنه صار إنساناً يسجد له من الملائكة القديسين، إذ يقول «متى أدخل من جديد البكر إلى العالم، يقول: ولتسجد له كل ملائكة الله» (٥) و (٦).

ثم يقول فى موضع آخر تعليقاً على أن المسيح هو البكر:

«كيف يكون هو (= الكلمة) فى الواقع الابن الوحيد الجنس، إذا كان هو البكر؟ فإنه إذا كان هو الابن الوحيد الجنس، فلا يمكن أن يكون هو البكر. لكن المسيح هو ذاته κατὰ τουτόν الإثنان. ومن المستحيل إذا قسم الابن الواحد الوحيد إلى إثنين، أن ينسب إلى الواحد (لقب) البكر، وإلى الآخر (لقب) الابن الوحيد الجنس... والواقع، أن بولس يعترف

---

(1) Thes., P.G. 75, 75, 69A 269D, 400D, 425B, 469 A.

(2) Claph., P.G. 69, 480A; Hom. Pasch. VII, P.G., 77, 549D; Thes., P.G., 75, 69A; Dial. V, P. G. 75, 964C; VI, 1017 A; In Jo., P.G. 73, 209 C (1,187,23); P.G., 74,700 C (111,122,29).

(3) Thes., 281 C, 333A, 384 D, 400 CD; Dial, VI, P.G., 75, 1064 D; In Jo., P.G., 73,249 C (1, 224,25)

(4) Hom. Pasch. VIII, P.G. 77,569 C.

(٥) عبرانيين ١: ٦

(6) Hom. Pasch. VIII, P.G. 77, 572 A.

بالمسيح على أنه الواحد بعينه، ولو أنه يقدم أحياناً على أنه الكلمة وأحياناً أخرى على أنه إنسان، ويعلّم بولس بخصوصه أيضاً «الذى لنا فيه الفداء، وغفران الخطايا. الذى هو صورة الله غير المنظور، بكر كل خلق» (١) و (٢).

ويقول أيضاً:

«أنه الله وإنسان معا... وكما أن اسم الابن الوحيد الجنس، وهو خاص بالكلمة، قد أدّخر له أيضاً حيث أنه متحد بالجسد، كذلك (اسم الابن البكر ولو أنه لا يختص به على الدقة، لكنه صار خاصا به مع الجسد» (٣).

ويعود كيرلس الأسكندرى إلى فكرة الاتحاد بين اللاهوت والناسوت، وكيف أن السيد المسيح جمع بينهما بغير فصل، ولكنه كان يتصرف كإله بالتدبير وكإنسان بالتدبير أيضاً، ومع ذلك فهو ابن واحد وليس اثنين ἕτερον ἄρα καὶ ἕτερον υἱόν (٤).

«أنه (المسيح) يمزج من جديد الناسوت باللاهوت (فى كلماته). وهو لا يسمو إلى المجد الخالص، ولا يتوقف كُلية فى حدود الناسوت، لكنه يسلك بالاثنين ἔρχεται δι' ἀμφοῖν بكيفية غير عادية ومحكمة، معاً، لأنه إله وإنسان، فى نفس الوقت» (٥).

كذلك يوضح عمود الدين كيف أن العبادة والسجود لا يوجهان إلى الكلمة وحده بمعزل عن لباس الجسد، وإنما إلى الواحد ذاته الذى اتحد فيه اللاهوت والناسوت معاً على نحو لا يعبر عنه، لأن الله الكلمة سكن فى هيكل خاص» (٦).

---

(١) كولوسى ١: ١٤ ـ ١٨

(2) Hom. Pasch., VII, P.G. 77,572 BC; CF. Hom. Pasch. XL, 664 B.

(3) Dial. 1, P.G. 75, 693 B.

(4) Hom. Pasch. VIII, P.G. 77, 572 D-573 A.. CF. In Jo., P.G., 73,384 A (1, 347, 8S q).

(5)P.G. 74, 256B (11, 466, 9sq); ibid., 488 D (11, 671, 9sq) 512d. 513 AB (11, 694-695).

(6) Hom. Pasch. VIII, P.G. 77, 573 B.

ويفسر أيضاً كيف يتصف المسيح بصفات تصدق فى الواقع على اللاهوت فقط، كما يتصف أيضاً بصفات لا تصدق إلاّ على الناسوت فقط، ومع ذلك بسبب الاتحاد التام بين اللاهوت والناسوت يمكن أن يتصف المسيح بصفات اللاهوت والناسوت معاً.

«لقد مات المسيح بسببنا، ومن أجلنا. وكما أنه عندما مات جسده قيل عنه أنه احتمل ذلك هو نفسه، مع أنه بطبيعته لا يموت، كذلك عندما خُلِقَ جسده، قيل أنه هو نفسه مخلوق مع أنه بجوهره غير مخلوق، وفى الواقع، حيث أن الجسد جسده هو وليس جسد شخص آخر، فهو يخصه بما يحدث له» (١).

وقال أيضاً عن الألم وكيف نسب إلى الكلمة مع أن اللاهوت بطبيعته لا يقبل الألم.

«الكلمة يختص ذاته بالألم، لأن الجسد جسده هو، وليس جسد شخص آخر» (٢).

وكذلك قال بالنسبة إلى تقدم المسيح فى القامة والحكمة عند الله والناس..

«إذا كنت تعلم أن الكلمة قد صار جسداً بالتمام وولدَ إنساناً، كما يقول الكتاب المقدس، فلماذا لا تُنْسبَ إليه أنه يقبل أيضاً ما يُناسبَ الإنسان، فيماعدا الخطيئة؟؟ والواقع أنه حيث أن الجسد خاضع للتقدم فيمكن أن يقال «أنه (الكلمة) يتقدم بما أنه قد صار فيه (فى الجسد) وقد اختص بنفسه أيضاً الآلام غير الأثيمة. فالجسد فى الحقيقة، لم يكن جسداً لشخص آخر، لكنه جسد الكلمة ذاته. وكما نقول أنه (الكلمة) تألم بالجسد *σαρκί* مع أن الجسد وحده هو الذى تألم لأنه ولو أنه لم يتألم كإله لكن الجسد المتألم كان جسده خاصة، كذلك أيضاً يمكن أن يقال أنه (الكلمة) يتقدم مع أنه لا يقبل لأى تقدم بصفته الله، لكن يقال أنه يتقدم بسبب تقدم جسده فيه» (٣).

وقال فى محاوراته:

«إذا كان هو (=الكلمة) قد اتخذ الناسوت، وأصبح هذا خاصاً به، فليس ما يمنع أن نتصور بل أن نؤكد أنه قد حمل، تدبيريا، مع الناسوت، خصائصه» (٤).

---

(1) Thes., P.G., 75, 281C: Cf. Athanasius, C, Arian.II, S66, P. G. 26, 285 C- 288 A.

(2) Hom. Pasch. V, P.G., 77, 496 D.

(3) Thesa urus, P.G., 75, 429A; Of. A thanasius, C. Arian III, 53, P.G. 26, 433 C-436A.

(4) Dialogues, Vi, P.G. 75, 1064 A.

وواضح من هذا كله أن كيرلس الأسكندرى يسير فى منطق ثابت: حيث أن جسد الكلمة هو جسده خاصة فيعتبر كالكلمة ذاته ὡς αὐτὸς λελόγισται (١).

ويقول فى تفسيره لإنجيل القديس يوحنا. لما كان الجسد هو جسد الكلمة لذلك فقد قيل فيه (الكلمة) أنه احتمل الموت، وأنه قد تقدس (٢)، ولهذا السبب عينه صار جسد المسيح محييا فى الافخارستيا.

«فالكلمة هو حياة، لكن «جسده محيى» وليس أقل منه فى أنه محيى كذلك، حيث أنه مشترك مع الكلمة المحيى الكل بكيفية ما، ومتحد به على نحو لا يعبّر عنه. ولهذا السبب يعتبر على أنه له، ويفهم على أنه واحد Εἷς معه» (٣).

ويؤكد البابا كيرلس أنه وإن كان بسبب الاتحاد التام بين اللاهوت والناسوت يجوز أن تنسب إلى الكلمة صفات الناسوت وخصائص الضعف البشرى من جوع وعطش، وتعب وصلب وموت، وأكل وشرب ونوم وما إلى ذلك، لكن يجب أن نوضح أن هذه الصفات ليست من طبيعة اللاهوت، لكنها صارت تنسب إلى الكلمة باعتبار أن الجسد هو جسد الكلمة الخاص به.

«حيث أنه اتخذ جسداً فانياً وقابلاً للفساد، وخاضعاً لهذه الآلام، فقد اختص (الكلمة) ذاته، بالضرورة مع الجسد، بآلام الجسد. ولما كان هذا (الجسد) خاضعاً لها، فقد قيل أنه (الكلمة) هو ذاته قد كابدها، لهذا فى الواقع نقول أنه (الكلمة) قد صلب ومات، لأن الجسد هو الذى عانى هذا وليس الكلمة على الدقة، وفى ذاته. لأن الكلمة لا يقبل الآلام، وهو لا يموت» (٤).

«ونحن نُقِرُ أن (الابن الوحيد الجنس) هو بعينه وقبل الاتحاد بالجسد بل وعندما صار جسداً، مع أن بعضا من أدنأ وأحقر الأشياء قيلت فيه بسبب الناسوت» (٥).

---

(1) Cf. Athanasius, C. Arian. 111, s 38, 405B.

(2) In Jo., P.G. 74, 549 ABC (11, 726).

(3) Ibid., P.G. 73, 577 B (1, 529, 26-29) 530, 581BC (1, 533) 601 CD (1, 551-552); Cf. 604 CD (1, 553); P.G. 74, 344 AB (11, 543), 528 B (11, 707).

(4) Thes., P.G. 75, 396CD; of. Athanasius, C. Arian. 111,

(5) Dial., V,P.G., 75,940 B.

«إن الكتب المقدسة تعلمنا أن نعتقد فيمن صلب، ومات وقام من بين الأموات» على أنه لم يكن شيئاً آخر غير الله الكلمة (الكائن) فيه (الجسد) ... ولكن إذا كنا نبدو لأحد الناس أننا لا نتكلم كلاماً دقيقاً حتى يأتي ويبين أن الكلمة المولود من الله قد مات من حيث هو الله، وهو أمر مستحيل، بل وأكثر من هذا، أنه كفر، فشيء من هذا لم نفكر فيه» (١).

ويقول أيضاً:

«وإذن فالمسيح قطعاً واحد من اثنين، وهو لا ينقسم من حيث البنوة الإلهية ومن حيث المجد الإلهي، بما أنه، بكيفية ما، يختص الهيكل المولود من العذراء بما يناسب الكلمة وحده مجردا، وفي مقابل ذلك يختص ذاته بما ينسب للجسد» (٢).

ويقول على سبيل الحصر:

«كلما كان الكلام عن الابن من حيث الولادة والبنوة الحقيقيتين بواسطة الله الآب، فالكلام عن الولادة البشرية لا يختص بالابن، لكنه مع ذلك يخصه من حيث أنه قد ظهر إنسانا» (٣).

ومما هو جدير بالملاحظة أن آباء الأسكندرية من أمثال القديس أثناسيوس الرسولي، والقديس كيرلس الأسكندرى، إذا تكلموا عن اتخاذ الكلمة لصفة من صفات الضعف البشرى كالجوع والعطش والتعب والألم والاضطراب والموت وما إلى ذلك، كانوا دائماً يضيفون تعبيرا للدلالة على أن هذه الصفة تابعة للناسوت وليست من صفات اللاهوت.

فالقديس أثناسيوس أبان فى رده على الأريوسية أن الكلمة كان يصنع تلك الأفعال، أو يتصف بتلك الصفات البشرية جسدياً *σαρκί* (٤).

وعلى العموم فما كان القديس أثناسيوس يصف الكلمة بصفة بشرية دون أن يضيف تعبيرا بيانيا مثل

.....σαρκικῶς, ἀνθρωπίνως, ὡς ἄνθρωπος διὰ τὴν σάρκα

وأحياناً يقول أنه يتكلم عن الكلمة «من حيث هو الكلمة»، أو «لا من حيث هو الكلمة» (٥).

---

(1) In Jo., P.G. 74, 181 A (11, 402,16 - 25).

(2) In Jo., P.G. 73, 249C (1, 224, 21- 25).

(3) In Jo., P.G. 74, 513 D-516A (11, 696, 9-11).

(4) C. Arianos, 111, S 34.

(5) M. RTCHARD, S. Athanasius et la psych, du Christ, Mélanges de Sc. religieuse, vol.IV (ILLE, 1947) P. 23.

وبالمثل نرى البابا كيرلس عمود الدين لا يصف الكلمة بصفة من صفات الجسد أو الناسوت إلاّ ويضيف تعبيرات بيانية تفيد ذلك، منها: *σαρκί* (١).

مثلاً : *παθόντος ὑπὲρ ἡμῶν σαρκί* (٢).

διὰ τὴν σάρκα (٣).

κατὰ τὴν σάρκα (٤).

فمثلاً يقول «ألا نرى أن الموت أمر غريب كل الغرابة عن الكلمة الذى يحيى الكل؟ سنقول أنه احتمل هذا (الموت) حسب الجسد *κατὰ τὴν σάρκα* لأن الجسد يقبل الموت. لهذا السبب قيل إنه مات، لأن جسده الخاص به قد مات» (٥)

(٦) *ἀνθρωπίνως*

(٧) *ἀνθρωπινώτερον*

(٨) *διὰ τὸ ἀνθρώπινον*

(٩) *κατὰ τὸ ἀνθρώπινον*

«من حيث هو الكلمة» (١٠)

«بما أنه صار إنساناً» (١١)

«باعتباره الله، باعتباره إنساناً» (١٢)

(١٣) *διὰ τὴν ἀνθρωπότητα*

---

(1) Thes., P.G. 75, 429 A; DIAL. IV, P.G. 75, 877 D. (2) Glaph., P.G. 69,60 D.

(3) Thes., P. G. 75, 388 C; Dial. V, 937 C. (4) Dial, IV, P.G. 75, 912 C; VI, 1008 C, 1033 D.

(5) In Jo., P.G. 74, 549 A (11, 725, 24-29). (6) Thes., P.G., 120 B, 377 A; Dial. VI, 1033 D;In Jo., P. G. 74, 497 B (11, 679, 13) 505 C (11, 687 5).

(7) Thes., P.G., 75, 377 A, 400B; In Jo., P.G., 75, 373 C(11, 569, 28), 472A (11,654, 30 - 31).

(8) Dial. IV, P.G., 75, 888 C, 940 B, etc. (9) Glaph., P.G. 69, 100 A, 129 C; Dial IV, P.G.75, 1028D, 1048; In Jo., P.G., 74, 300D (11, 506, 13). (10) Thes., P.G. 75, 369 C, 373 A.

(11)Ibid., 384 C, 389 C; Dial. V, 961 A, etc. (12) Glaph., P.G., 69,348 B, 365 B,377 D;In Zach., P.G. 72, 252A; Thes., P.G., 75,117 CD, 377 AB; Dial. VI, 1064 B; In Jo., P.G. 73,845D-848A (11,50-51)P.G. 74,508 B (11,689,6sq) etc.

(13) In Jo., P.G., 74,552 A (11,727,24).

التدبيـــــر

كذلك نجد تعبيراً هاماً يرد كثيراً فى كتابات البابا كيرلس الأول، وإن كان قد ورد كذلك فى كتابات غيره من الآباء من أمثال القديس أثناسيوس الرسولى (١)، وديديموس الضرير (٢)، بل ورد أيضاً فى كتابات القديس باسيليوس (٣)، هذا التعبير هو تعبير «التدبير» *οἰκονομία*

يقول كيرلس الأسكندرى أن المسيح تألم أو كابد الألم البشرى من جوع وعطش وتعب وموت.. إلخ «تدبيرياً».

οἰκονομικῶς

δι' οἰκονομίαν

οἰκονομῶν

أو يصف الألم بأنه «تدبيرى».

(٤) *οἰκονομικὴ ἀσθένεια*

(٥) *οἰκονομικὴ ταπείνωσις*

(٦) *οἰκονομικὴ κένωσις*

أما صيغة الحال وهى: *οἰκονομικῶς*

أى «تدبيريا»، فعند كيرلس الأسكندرى للدلالة ببساطة على «أى نوع من العمل أو النشاط المقصود».

---

(١) ولئن لم يرد هذا التعبير فى الجزء الثالث من الرد على الأريوسية Contra Arianos III للقديس أثناسيوس الرسولى، لكنه ورد فى مواضع أخرى من نفس الكتاب للدلالة مباشرة على التجسد. (C. Arian, 1, P. G. 26, 125 C, 133 C, 145 B; 11, 165 A 189 A, 305 B) أو بمعنى «عمل مقصود من أعمال الكلمة» (11, 241 C, 256 A) أو بمعنى «تدبير الخلاص» (11, 305 C).

(٢) عند ديديموس الضرير، «التدبير» هو عمل «التجسد».

G. BA RDY; Didyme L' Aveugle, p. 115. cf. Didymus. Adv. Eunom. Iv, P.G. 29, 697 B, 701 AB. etc., De Trinit., III, P.G., 39, 817 B, 93 D, etc.

(٣) وكذلك عند القديس باسيليوس: «التدبير هو سر التجسد» وهو حجته الرئيسية ضد الأريوسيين.

K. Holl, Amphilochius ..... p. 156.

(4) Thes., P. G. 75, 416 A.

(5) Dial. III, 828 B.

(6) Hom. Pasch. XIV, P. G. 77, 725 C.

من ذلك، كما يقول البابا كيرلس: أن يوحنا المعمدان عندما أرسل اثنين من تلاميذه، يسألان المسيح إذا كان هو المسيّا المنتظر، قد افتعل الجهل أو تظاهر به «تدبيريا» (١).

وفى حالات أخرى، يمكن أن يحتمل هذا التعبير οἰκονομικῶς معنى مختلفاً كل الاختلاف: فهو يستخدم للدلالة على «قصد الله فى الفداء» (٢) وفى أغلب الحالات يتضمن الإشارة إلى «التجسد» مباشرة، مثلاً عندما يؤكد البابا كيرلس أن المخلص «قال أن الآب أعظم منه تدبيرياً» أو إذا شئت، من حيث أنه صار إنساناً» (٣) وفى مواضع أخرى يستخدم البابا كيرلس الأسكندرى هذا التعبير مع أحد التعبيرات المذكورة سابقاً فى وقت واحد، فمثلاً:

«تدبيرياً كإنسان» (٤)

«تدبيرياً من حيث قد صار إنساناً» (٥)

«تدبيرياً بسبب التجسد» (٦)

أمّا صيغة الاسم «التدبير» οἰκονομία فيستخدم أيضاً فى معان متنوعة:

فهو يدل أحياناً على نيّة أو قصد أيّا كان (٧).

ويدل أحياناً أخرى على توزيع الله للخيرات الروحية (٨).

ويدل أحياناً ثالثة على ما نسميه بتدبير الخلاص (٩).

(1) Thes., P,G. 75, 169 A, 172 A; Glaph., P,G. 69, 501 C, 589 B; De Ador., P. G., 68, 616 C; In Jo., P.G., 73, 213 A (1, 190, 3), 252 D (1, 226, 20), etc.

(2) cf. De Ador., P. G. 68. 620 B, 661 B 757 A; Glaph., P.G., 69, 180 A, 337 A, 436 B; Hom. pasch. Xl, P, G., 77 654D; XVL. 768 A.

(3) Thes., P,G, 75, 149 D; of. 144B; Dial, VI, 1033 BC. 1064 A etc.

(4) Thes., 117 CD, 120 B.

(5) Thes., P.g. 75, 120 A.

(6) Glaph., P.G. 69, 429 C.

(7) Thes., P. G. 75, 173 B, 181 A, 372 A, 376 B; Dial. VI, 1061 A; In Jo., P. G., 73, 476 C (1, 435, 15).

(8) Thes., 217 B.

(9) De Ador., P. G., 68, 221 A, 388 B; Glaph., P. G. 69, 60 B, 401 A; Hom. Pasch. V, P. G. 77, 496 B, 497 A; XV, 741 B; In Is., P. G., 70, 1189 B; Thes., P. G. 75; 68C 397 A; Dial. VI, P. G. 75, 1048 B.

وأخيراً يستخدم غالباً بمعنى «التجسد ذاته».

وبهذا المعنى الأخير «التجسد» يستخدم لفظ «التدبير» بمفرده (١)، أو مع مخصصات متنوعة:

(٢) *ἡ καθ' ἡμᾶς οἰκονομία*

(٣) *ἡ μετὰ σαρκὸς οἰκονομία*

(٤) *ἡ ἐν σαρκὶ οἰκονομία*

وأخيراً صيغة الفعل: يُدبّر *οἰκονομεῖν* تعيّن بكل بساطة بعض أفعال تممها المخلص بقصد مخصوص، مثل وضع أسئلة كان يعلم هو جوابها (٥).

هذه التعبيرات تستخدم أحياناً للتفسير، من الناحية الظاهرية الخارجية فقط، لصفات الضعف البشرى التى اتخذها المسيح. فلفظ «التدبير» *οἰκονομία* إذن يفسر القصد أو الغرض الذى انتواه المسيح. وكمثل عملىّ على ذلك يقدمه البابا كيرلس مبيناً أن هناك دافعاً مزدوجاً من الناحية الظاهرية لاختصاص المسيح ذاته بالخصائص الإنسانية. *ἀνθρώπινα*

«إن الكلمة المتجسد اتخذ هذه الخصائص ليظهر حقيقة كإنسان ثم لكي يشفيها» (٦)

وقد يكون لهذا التعبير «التدبير» أحياناً قيمته كتبرير باطنى للإشارة إلى سر التجسّد ذاته:

«فالكلمة قد اتخذ صفات الضعف البشرى لأن الجسد هو جسده، بموجب التدبير، وليس إلا واحداً معه».

وعلى كل حال، فاتخاذ الكلمة لصفات الناسوت هو عمل «تدبيرى»، أى بحسب ما يراه البابا كيرلس، هو عمل «حقيقى» لكنه يتميز بكل وضوح عن عمل الخصائص الطبيعية. فالكلمة فى

---

(1) Glaph., P. G., 69, 88 B, 129 B, 308 D, Hom. Pasch. VIII P. G. 77, 569 C; XV, 744 D; Thes., P. G. 75, 12oc, 369B etc.; Dial. IV, P.G. 75, 924 C; V. 940 B, B 977 A, etc.

(2) Thes., p. G. 75, 269 D, 280 A etc.

(3) Ibid., 393B, 424 D; Dial. IV, 924 B; VI, 1033 BC etc.

(4) Thes., 293A, 333B.

(5) cf. Thes., P. G. 75, 376 BC, 377AD etc.

(6) In Jo., P. G. 74, 88D (11, 316, 6sq) et P. G. 73, 293 C (1, 266, 17sq).

نظر القديس كيرلس، هو الفاعل الوحيد فى موضوع اتخاذ المسيح للصفات البشرية، ومع ذلك فهو لا يقبل الألم فى ذاته. وهذا الاتحاد «تدبيرى» بمعنى أنه ليس مجرد اتحاد بميل إرادى، وإنما له طابع اسمى بحت، أو قل رمزى، لكنه ليس اتحاداً طبيعياً بالمعنى الدقيق.

وإذا كان القديس أثناسيوس الرسولى يرى أن الكلمة قد اتخذ صفات الناسوت، وأن الناسوت بدوره قد ساهم فى أعمال المسيح الإلهية (١) فالقديس كيرلس الأسكندرى يتبنى هذه الفكرة فى أحد كتبه ويؤكد أن الكلمة المتجسد قد صنع معجزاته بالجسد διὰ τῆς σαρκός «لكنها لم تكن أعمال الجسد» (٢).

ويرى كيرلس رأى سلفه فى جسد المسيح أنه «أداة ὄργανον اللاهوت الحال فيه» (٣) وأن الجسم هو «المساعد» συνεργάτης فى عمل معجزات المسيح (٤).

يتضح من كل هذا، أنه - كما يرى كيرلس الأسكندرى - لا يوجد فى الكلمة المتجسد غير فاعل واحد فى الاتحاد هو الذى يجب أن تنسب إليه الأفعال الإلهية والأفعال البشرية أيضاً. فإن: «هذا الذى قال، وبإتضاع كابد هذه الأشياء (البشرية)، هو الذى قال، وبجلال صنع هذه الأشياء الأخرى (المعجزات) بصفته الله» (٥).

والكلمة من حيث هو متحد بالجسد فهو إنسان فى الواقع، وإليه من حيث هو متحد بالجسد طبيعياً، تنسب الخصائص والصفات الناسوتية. يقول البابا كيرلس:

«ومن ثمّ، يجب أن ينسب إليه (= الكلمة) من حيث هو الله ما هو من الله، (وأن ينسب) إليه من حيث قد صار شبيهاً بنا ما يتناسب معنا، أعنى الصفات البشرية» (٦).

---

(1) cf. M. Richard, Art. Cit., p. 23 - 24.

(2) Thes., P. G. 75, 388C cf. In Is., P. G. 70, 181 C.

(3) Thes., 429 C, cf. Athanas., C, Arianos, III. S 53, P. G. 26 436 A.

(4) In Jo., P. G. 73, 577 C (I, 530, 10). cf. Inis. P. G. 70, 181 C.

(5) Thes., P. G. 75, 393A; cf. Injo., P. G. 73, 964D (II, 1584sq) cf. Athanasius, C. Arian. III, S 35, P. G. 26, 397 B.

(6) Dialogues, I P.G. 75, 681 C.

مشكلة آلام المسيح

قال مخلصنا «نفسى قد اضطربت» (يوحنا ١٢ : ٢٧).

وقال أيضاً «نفسى حزينة جداً حتى الموت» (مرقس ١٤ : ٣٤).

وقال البشير القديس متى عن معلمه «وابتدأ يحزن ويكتئب، فقال لهم نفسى حزينة جداً حتى الموت» (متى ٢٦ : ٣٧، ٣٨).

وقال البشير القديس يوحنا «فلما رآها يسوع تبكى واليهود الذين جاءوا معها يبكون، انزعج بالروح واضطرب.. بكى يسوع.. فانزعج يسوع أيضاً فى نفسه» (يوحنا ١١ : ٣٣، ٣٨).

وقال أيضاً «ولما قال يسوع هذا اضطرب بالروح» (يوحنا ١٣ : ٢١)، وقال مخلصنا «يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذا الكأس» (متى ٢٦ : ٣٩).

* * *

من هذه النصوص يتضح أن مخلصنا كابد الخوف، والاضطراب والحزن وما إليها من إنفعالات إنسانية..

ولما كان الأريوسيون ينكرون وجود نفس إنسانية فى المسيح، فقد أبرزوا هذه النصوص لتأييد نظريتهم ضد لاهوت المسيح قائلين: إن الكلمة هو الذى اضطرب وحزن، وانزعج.

وقد عالج القديس كيرلس هذا الموضوع فى الفصل ٢٤ من كتابه Thesaurus (١)، مستخدماً مباشرة الحل الذى عرضه القديس أثناسيوس الرسولى فى «رده على الأريوسية» Con-tra Arianos ، كما عاد إلى الكلام عليه فى مواضع متفرقة من «تفسيره لإنجيل القديس يوحنا» (٢).

---

(1) P. G. 75, 389 D, 401 B.

(٢) لم يتعرض البابا كيرلس فى تفاسيره للعهد القديم، لمسألة آلام المسيح، ولكنه أشار فى موضعين إلى نصوص من العهد الجديد لبيان أن المخلص كان حقاً شبيهاً لنا فى كل شئ.

Glaph. in Ex., II, P. G. 69, 476 CD; Inis. P. G. 70, 1172 CD.

والنصان يذكران الآلام النفسية: أولهما يتحدث عن الحزن بينما يقتبس النص الثانى من يوحنا ١٢ : ٢٧، مرقس ١٤ : ٣٤، متى ٢٤ : ٣٧ دون أى تفسير.

مسألة آلام المسيح
كما يعالجها البابا كيرلس الأسكندرى
أولاً
فى الفصل الرابع والعشرين من كتاب
Thesaurus

أولاً، يجب التنويه إلى أن البابا كيرلس عالج هذه المسألة فى الفصل الرابع والعشرين من كتاب Thesaurus بنفس الحل الذى عرضه القديس أثناسيوس الرسولى فى كتابه «الرد على الأريوسية» (١).

وفى الفقرة ٢٦ من الجزء الثالث من كتاب «الرد على الأريوسية» Contra Arianos, III, P. 26 يعرض القديس أثناسيوس للنصوص الكتابية التى يستند إليها الأريوسيون فى إثبات أن الابن ليس بالطبيعة قوة الآب: «نفسى قد اضطربت» (يوحنا ١٢ : ٢٧)، «يا أبتاه، إن أمكن، فلتعبر عنى هذه الكأس» (متى ٢٦ : ٣٩)، «ولما قال يسوع هذا، اضطرب بالروح» (يوحنا ١٣ : ٢١)، ويردد القديس أثناسيوس ما يقوله الأريوسيون مرة أخرى فى الفقرة ٥٤ من نفس كتابه، ويقول بلسانهم:

«هوذا قد بكى، وقال: «نفسى قد اضطربت» وطلب أن تُعبر عنه الكأس. فكيف إذن يكون هو الله وكلمة الآب، إذا كان قد قال ذلك» (٢).

أما البابا كيرلس ففى كتابه Thesaurus يورد النصوص الكتابية السابقة التى يتذرع بها الأريوسيون والتى ذكرها القديس أثناسيوس، ثم يضيف إليها نصاً آخر، هو «نفسى حزينة جداً» (متى ٢٦ : ٣٨) ويقول بلسان الأريوسيين، كما فعل أثناسيوس:

«كيف يمكن أن يكون هو الله بالطبيعة من بكى، وخاف، وحزن؟ إن مثل هذه الأشياء فى الواقع تناسب الناس» (٣).

---

(١) ردّ القديس أثناسيوس على الاعتراضات الأريوسية فى الفقرات ٥٤ – ٥٨ ومن الجزء الثالث من كتابه «الرد على الأريوسية».

(2) C. Arian, III, P. G. 26 54, 5436 B.

(3) P. G. 75, 392 D.

ويتابع القديس كيرلس سلفه أثناسيوس فى عرض المسألة والرد عليها. كل ما هنالك أن أثناسيوس يتكلم أولاً عن موضوع ترك الآب للمسيح (ف ٥٦)، ثم خوفه من الموت واضطراب نفسه (ف ٥٧) بينما أن القديس كيرلس يعالج أولاً موضوع «الخوف من الموت» (٣٩٦ د - ٣٩٧ د). ثم موضوع «الترك»: (٣٩٧د - ٤٠٠أ) وأخيراً موضوع «الاضطراب»: (٤٠٠أ - ٤٠١ب).

وقبل أن ندخل فى تفصيلات لإيضاح ردود القديس كيرلس على الاعتراضات الأريوسية فيما يتصل بآلام المسيح، لابد من الإشارة إلى الحجّة الأولية والأساسية التى يستند إليها ردّ البابا كيرلس ومن قبله البابا أثناسيوس...

أما القديس أثناسيوس فيذكر الضعفات النفسية ويشير إلى بكاء (١) المسيح، وتعبه، وآلامه وغيرها من الضعفات الجسدية (٢) وينسبها جميعها وبلا تفريق إلى الجسد، ثم يقول «إن الأريوسيين يريدون أن يقولوا أنه بكى، وأموراً أخرى مثيلة بهذا، ولكنهم يجب أن يعترفوا بأنها خصائص الجسد» (٣).

ويقول القديس أثناسيوس أن الكلمة أمكن أن يكابد الدموع، والجوع، وأمور الجسد الأخرى ἴδια τοῦ σώματος لأنه كان قد اتخذ له جسداً أو جسماً قابلاً للألم (٤).

σῶμα παθητόν, σάρκα παθητήν

أما القديس كيرلس فيقول: إن الكلمة المتجسد كان ينبغى أن يظهر نفسه على أنه إله حقيقى فى نفس الوقت، ولذلك «فقد جعل الجسد، والناسوت τῷ σώματι καὶ τῇ ἀνθρωπότητι أن يحتمل الآلام الملازمة للطبيعة نفسها» (٥).

ويقول القديس أثناسيوس عن الأريوسيين «أنهم يريدون أن يقولوا أنه بكى، وتصبب عرقاً، وتألم، ولا يعتبرون الجسد، ولهذا السبب يجعلون فى عداد المخلوقات من به تكوّنت الخليقة» (٦)

ويقول القديس كيرلس:

«ولأنهم (=الهراطقة) وجدوا فى الأناجيل كل ما له كإنسان، وما احتمله وما يبدو وما قيل من أنه بكى، وحزن، وما إليها من أشياء مماثلة، فلا يعزونها إلى الناسوت ἐπὶ τὴν ἀνθρωπότητα لكنهم ينسبونها على الفور إلى الكلمة، لكى يثبتوا أنه لا يكون من يكابدها هو الله» (٧).

---

(1) P. G. 26, 436 C, 737 C, 440 C.
(2) Ibid., 440 C.
(3) Ibid., 440 B.
(4) P. G. 26 S 55, 437 C, 440 A.
(5) P. G. 75, 393 C.
(6) P.G. 26, S 55, 44oA.
(7) P. G. 75, 396 A.

يقول القديس أثناسيوس:

«وإذا قالوا أنه بكى وما إلى ذلك من أشياء مشابهة، فكان يجب أن يقال أن هذه (الآلام) خاصة بالجسد» (١).

ويقول القديس كيرلس:

«فإذا أردت أن تقول من جديد، فى موضوعه: أنه بكى، وحزن ، وخاف، وابتدأ أن يكتئب، فعليك أن تفكر أيضاً فى أنه إنسان فى نفس الوقت الذى هو فيه الله، وأن ننسب إلى الناسوت τῇ ἀνθρωπότητι ما يرتد إليه» (٢).

ويضيف البابا كيرلس قائلاً:

«حيث أنه، فى الواقع، كان قد اتخذ جسداً فانياً وقابلاً للفساد، وخاضعاً لمثل هذه الآلام، فكان من الضرورى أن يختص ذاته مع الجسد بهذه الآلام. ولما كان الجسد قد كابدها، فقد قيل أنه هو ذاته قد احتملها وإذن، فى الحقيقة، إذا قلنا أنه صُلب وأنه مات، فإنما كان للجسد هو الذى احتمل هذه (الأشياء)، وليس الكلمة فى ذاته، وبالمعنى الدقيق، لأنه (الكلمة) غير قابل للآلام، وهو لا يموت» (٣).

ويستطرد أيضاً ويقول:

«فنحن إذن نفسر هذه الكلمات بأرثوذكسية كاملة، بأن ننسب إلى اللاهوت (الأقوال) الإلهية ونخصّ الجسد (بالأقوال) التى قيلت فى شأنه، حيث أنها قد صدرت عنه (الجسد) عن طريق الميول الطبيعة التى تظهر فينا، وإذ يكون للعقل ὁ νοῦς الإحساس αἴσθησις بها. فإنه يحرّك (حرفياً، يفجّر) اللسان بما يهمس به باطنياً بكيفية غير منظورة وصامتة» (٤).

ويقول القديس ساويرس الأنطاكي تعليقاً على هذا النص المأخوذ من كتاب الـ Thesaurus.

«وإذن كما أنه فى خلقة الإنسان بصفة عامة، العقل هو الذى يتكلم على الرغم من أنه هو الذى ينطق بالكلمات كأنها صادرة من الجسد، هكذا أيضاً فى التجسد الإلهى: إن الله الكلمة هو الذى يتكلم، وإليه ينسب الألم على الرغم من أن الألم يبدو فى الجسد المزوّد بنفس وعقل، وتصدر الكلمات كأنها آتية منه (الجسد) وتتعلّق به» (٥).

(1)P. G 26, S 56, 440 B.
(2) P. G. 75, 396 C.
(3) P. G. 75, 396 CD.
(4) 396 D.
(5) Contra Grammaticum, III, 6 Trd. Lebon, t.v., p. 54.

مسألة آلام المسيح

الخوف

يخصص البابا كيرلس الأسكندرى ثلاث فقرات (١) من الفصل الرابع والعشرين من كتابه Thesaurus لبحث موضوع «الخوف» الذى كابده المسيح أمام الموت إن أمكن، «فلتعبر عنى هذه الكأس» (متى ٢٦ : ٣٩).

ففى الفقرة الأولى يسترجع البابا كيرلس ما ذكره القديس أثناسيوس فى الجزء الثالث (٢) من ردّه على الأريوسية وهو المبدأ الذى بموجبه أراد المسيح أن يتجسد: وهو أن يمزج συγκεράσας - أو على حد تعبير كيرلس - ἀναμείξας خصائصه الإلهية بضعفاته، حتى ينقل إلى طبيعتنا قوّته الإلهية. ثم يعرض رأى أثناسيوس وحجته أن الكلمة ما كان يخشى الموت لأنه كان يريده.

«وإذن، إذا كان يظهر أنه (= الكلمة) يخشى الموت، وقد قال: إذا كان يمكن، فلتعبر عنى هذه الكأس، فكّر أيضاً أن الجسد الذى يخشى الموت كان يعلم - وذلك بمساعدة الكلمة - أنه لا (يقدر على أن) يحتمل الألم بعد (أعنى : الخوف من الموت). والواقع أنه قال لأبيه: ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت».

ويقول البابا كيرلس:

«فمن جهة، فى الواقع هو ذاته (: كلمة الله) ما كان يخشى الموت، من حيث هو الكلمة وهو الله، لكنه كان متعجلاً أن يتتبع التدبير إلى النهاية. فإنه كانت فيه إرادة الآب. ومن جهة أخرى، أنه يبين أيضاً رفضه للموت، لأن الجسد بطبيعته يرفض الموت. لهذا، فإنه إذ كان يريد أن يعلم الناسوت أن لا يعاود فيفكر فى غرائزه τὰ αὐτῇ προσόντα بل أن يطلب إرادة الله، قال كإنسان: لا كما أريد أنا، بل كما تريد أنت. وبسبب هذا فى الواقع نرى أنه يضيف أيضاً الروح قوى، أما الجسد فضعيف».

فهذا التردد أمام الموت هو إذن تمرد من جانب الجسد أو قل هو ردّ فعل غريزى من جانب الناسوت ἀνθρωπότης وواضح أن الناسوت تعبير استخدم هنا بمعنى عام أى الطبيعة:

---

(1) P. G. 75, 396 D -397 C, cf., C. Arian. III, S 57 441 B - 444A.

(2) S 57, 441 C.

طبيعة كل إنسان، مثلنا فى ذلك كلمة الجسد σάρξ كما وردت فى عبارة سابقة للقديس كيرلس: «الجسد الذى يخشى الموت كان يعلم - وذلك بمساعدة الكلمة، أنه لا (يقدر أن) يحتمل الألم بعد».

وأما فى الفقرتين الأخيرتين من كتاب Thesaurus فيبين فيهما القديس كيرلس، على نظير ما فعل القديس أثناسيوس فى كتابه الرد على الأريوسية - الجزء الثالث (١): إن المسيح لا يمكن أن يخشى الموت لأنه هو الذى منح الآخرين القدرة على الاستخفاف بالموت والاستهانة به، لكن كان من الضرورى أن يحمل المخلص آلامنا حتى يحررنا منها:

«كما أن الموت لم يكن ليبطل لو لم يمت (الكلمة المتجسد) هكذا كل ألم من آلام الجسد. وفى الواقع إذا لم يخف (الكلمة المتجسد) ما كانت الطبيعة تتخلص من الخوف، وإذا لم يحزن ما كانت طبيعتنا تعتق من الحزن، وإذا لم يضطرب ما كانت تتحرر من هذا (الاضطراب) مطلقاً. فإذا اتبعت نفس القياس (حرفياً: البرهان) على كل أمر من الأمور التى تممت ناسوتياً، ستجد أن آلام الجسد تحركت فى المسيح لا لكى تسود فهى كما هو الحال فينا، بل لكى إذا ساد هو عليها بطلت بقوة الكلمة الساكن فى الجسد».

ومن هذا يتضح أن خوف المسيح لم يكن فى تفسير القديس كيرلس «خوفاً وهمياً» أو «مصطنعاً»، وإنما كان خوفاً حقيقياً، لكنه لم يؤثر إلا على الجسد. وإذن فهو ألم جسدى τῆς σαρκὸς πάθη وكذلك الحزن والاضطراب.

(1)S 57, 444 A

مسألة آلام المسيح

الترك

عالج القديس كيرلس الأسكندرى موضوع «الترك» فى فقرة واحدة (١) من الفصل الرابع والعشرين من كتابه Thesaurus وقد تأثر فيها بما قاله القديس أثناسيوس فى ردّه على الأريوسية.

قال القديس أثناسيوس الرسولى:

«الواقع أنها كانت كلمات بشرية قوله: فلتعبر الكأس، ولماذا تركتنى؟ لكنه هو نفسه صنع بقوة إلهية كسوف الشمس وقيامة الموتى» (٢).

وكذلك فعل القديس كيرلس: أنه لم يهتم بموضوع الترك إلاّ من حيث نهايته وأعنى: وصف العجائب التى حدثت وشهادة الحاضرين: كان هذا بالحقيقة هو ابن الله. وإذن فحلّ المشكلة كما يراه القديس كيرلس، فهو أن المسيح أراد أن يظهر كإله حقيقى وأيضاً كإنسان حقيقى، «ولهذا السبب قال بما يناسب إنساناً: إلهى إلهى لماذا تركتنى؟، لتعبر عنى هذه الكأس» .

ولكن فى نفس الوقت، إن المعجزات التى صنعها تبيّن فيه أنه الله المتجسد

Θεὸς ἐνανθρωπήσας

قال المسيح: لماذا تركتنى؟ لكن القديس كيرلس يبدو أنه لا يعتقد أن هذا الترك حقيقى.. وقد تبع فى هذا رأى القديس أثناسيوس الذى يقول صراحة وبكل وضوح:

«إن المخلص ما كان يمكن أن يترك حتى بصفته إنساناً» (٣).

---

(1)P. G. 75, 397 C -400A.

M. G.Joussard: "L'abondon du christ en croix dans la tradition grecque des Ive et ve siècles (Revue des Sciences Religieueses, t. v., 1925, P. 620 - 621).

(2) C. Arian. III, S 57, 444 B, Ibid. S 56, 440C- 441B.

(3) C. Arian., III, S 56, 441 A.

M. Richard, Art. cit., P. 33 - 34.

مسألة آلام المسيح

الاضطراب

«الآن نفسى قد اضطربت (١)» (يوحنا ١٢ : ٢٧)

يعد هذا النص من أهم النصوص التى استند إليها الأريوسيون فى اعتراضهم على لاهوت المسيح...

أما القديس أثناسيوس فيتمسك كل التمسك بأن الكلمة فى ذاته غير قابل للألم، وقد بذل القديس أثناسيوس كل جهده فى ردّ هذا الاضطراب إلى حركة جسدية بحتة (٢).

وأما القديس كيرلس فيعرض للمشكلة فى ثلاث فقرات من الفصل الرابع والعشرين من كتابه Thesaurus فى الفقرة الأولى يذكر مبدءاً عاماً: إذا كان الكلمة قد صار إنساناً، فليس لكى يتكلم أو يتصرف بصفته الله فقط كما كان الحال قبل التجسد، ἐνανθρώπησις ولكن لكى يتكلم أيضاً كإنسان بفضل التدبير بعد التجسد.

ἡ μετὰ σαρκὸς οἰκονομία

فلا ينبغى أن نُعثر إذن إذا سمعناه يتكلم على نحو إنسانى فله سلطان أن يتكلم كإله، وله سلطان أيضاً أن يتكلم كإنسان..

ويقول البابا كيرلس:

«الواقع أنه قال ناسوتياً: الآن نفسى قد اضطربت، لكنه قال أيضاً لاهوتياً: لى سلطان أن أمنحها ولى سلطان أن أستردها (٣). فكونه قد اضطرب هو إذن ألم خاص بالجسد، أما سلطان المنح والاسترداد فعمل فى سلطان الكلمة».

ويعود البابا كيرلس فيقرر:

«إذا قال الكلمة شيئاً بلاهوته أو من الناحية اللاهوتية فيجب أن نفكر، «فى الكلمة الساكن فى الجسد». أما إذا تكلم كإنسان فيجب أن نذكر أنه صار إنساناً من أجلنا وأنه يقول ما يناسب الحالة الإنسانية τῇ ἀνθρωπότητι .

(1)P. G., 75, 400B - 401B. C. Arian. III, S 57, P. G. 26, 444BC.

(2) CF. M. Richard, art. cit., p. 36 - 37.

(٣) يوحنا ١٠ : ١٨ «لى سلطان أن أضعها، ولى سلطان أن آخذها».

وفى الفقرتين الأخريين من كتاب Thesaurus يخلص البابا كيرلس إلى أن موت المسيح لم يحدث فى الكلمة تغييراً ما، لأن الجسم هو الذى مات (١) . والجسد هو الذى احتمل الموت (٢) . وفى مواضع أخرى يبين عمود الدين أن الكلمة قد اختص ذاته حقاً بموت جسده (٣) بل وينسب إلى الكلمة ذاته، منفصلاً بالطبع عن جسمه، النزول إلى الجحيم. وهو فى هذا يردد ما قاله القديس أثناسيوس من قبل فى كتابه الرد على الأريوسية.

وبتعبير القديس كيرلس الأسكندرى:

«كيف لا يكون قد تجاوز كل كفر من يقول بأنه (الكلمة) خشى الجحيم، هذا الذى لمنظره فقط أصاب حرّاسه (=الجحيم) الدهش.. إلخ» (٤).

الاضطراب إذن الذى خبره المسيح هو كما يقول البابا كيرلس (٥)، تابع لناسوت المسيح، فالمسيح بفضل تجسده أمكنه أن يتكلم أحياناً كإله وأحياناً كإنسان. وحينما قيل عنه أنه اضطرب كان اضطرابه كإنسان، بينما أن السلطان الذى نسب إليه من حيث المنح والاسترداد أو الأخذ هو سلطانه من حيث هو الله.

ومن أقوال القديس كيرلس:

«هل نحسب أن الحزن والاضطراب يغمّان الطبيعة الإلهية، وأن هذه يسودها الخوف من الموت».

وفى هذا التعبير الاستنكارى تظهر الحقيقة التى دافع عنها البابا مراراً: إن المسيح قال ذلك، أو قيل فيه ذلك من حيث هو إنسان، أو لأنه كان فى الجسد، أو فى الناسوت..

---

(1) Thes., XV, P. G. 75, 7281 C.

(2) Ibid., XXIV, 396 D. cf. Hom. Pasch. X, P. G. 77 633A. (موت الجسد المقدس)
ويقول القديس كيرلس فى تفسير إنجيل القديس يوحنا: «نكس (يسوع) رأسه، وأسلم الروح» (يوحنا ١٩ : ٣٠) إن المسيح احتمل الموت (بالجسد) أو (حسب الجسد) . وقد نكّس رأسه عندما مات لأن الأعصاب ترتخى عندما تنطلق الروح πνεῦμα أو النفس ψυχή التى تحفظ الوحدة والتوتر فى الجسم. وقوله «أسلم الروح» معناه أن المسيح رد نفسه إلى أبيه In Jo., P. G. 74, 668 D- 669 AB (III, 96 - 97) Cf. De Ador., X, P. G. 68, 697 B.

(3) Glaph. in Ex., II, P. G. 69, 480 AB.

(4) Thes., XXIV, P. G. 75, 392 A cf. C. Arian. III S 54 437 A et S 56, 441 A.

(5) Thes., X, 120 B - 121 A.

وفى الفقرة الثانية (١) التى عالج فيها معلم الأسكندرية مشكلة الاضطراب يطوّر حجة عامة توجد فكرتها الأساسية عند القديس أثناسيوس وهى : أن الكلمة بتجسده نقل إلينا امتيازاته الإلهية متخذاً ضعفاتنا البشرية وأعنى بها «آلام الجسد» ..

وأما فى الفقرة الأخيرة (٢)، فيعود البابا كيرلس من جديد على الخصوص إلى مشكلة الاضطراب الذى أدرك المخلص:

«لقد قال الله بعض أشياء عن طريق الأنبياء القديسين متهماً بنى إسرائيل ببعض الخطايا: إنهم أجازوا بنيهم فى النار، الأمر الذى لم آمرهم به ولا صعد إلى قلبى» (٣) وكما خاطب أورشليم: «لقد أحزنْتنى فى كل هذه الأمور» (٤) وبصدد أخطاء أخرى «ألا أغضب بسبب هذه الأشياء يقول الرب ألا تنتقم نفسى من مثل هذا الشعب» (٥) والآن، كما هو واضح للجميع أن كلمة الله هو الذى نطق هذه الأشياء فى الأنبياء، فماذا يصنع أعداء المسيح؟ ألا ينسبون إليه نفساً وقلباً ويقولون أنه قد ساد عليه ألم الحزن وألم الغضب، حتى يبدو وكأنه لا يزيد شيئاً عن إنسان، مع أنه كلمة الله الذى هو فوق كل خليقة، ومساو للآب؟ ولكن ربما يتحاشون هذا ويؤكدون أن هذه الأمور قالها الكلمة استعارة ومجاراة» ...

هذا الجزء الأول من حجة القديس كيرلس يذكرنا بحجة مماثلة قدمها القديس أثناسيوس الرسولى عندما كان بصدد أسئلة وجهها المسيح. فتقدّم مؤلف الرد على الأريوسية بأسئلة منسوبة إلى الله فى العهد القديم وبعد أن ذكر بعضاً من هذه الأسئلة، أضاف قائلاً:

«ما الذى ترونه مستحيلاً أو غريباً حتى تصيروا هكذا معاندين، إذا كان الابن، من حيث هو الله سبق فسأل، فهذا الابن نفسه لابساً الجسد، يسأل الآن أيضاً، التلاميذ، بصفته إنساناً» (٦).

وكل من حجة أثناسيوس وكيرلس تقوم على هذه الفكرة، إنه إذا كان الكلمة، قبل التجسد، أمكن أن ينطق بأقوال بدت فى ظاهرها دالة على النقص، فبالأحرى يمكنه وقد تجسد، أن ينطق بأقوال نظيرها كإنسان. ومعنى هذا أن النقص حتى فى الحالة الأخيرة لم يكن نقصاً فى الحقيقة، وإنما فى الظاهر فقط...

---

(1)400 CD.
(2) 400 D-401 B.
(3)Jer., XIX, 5.
(4) Jer., XIX, 13.
(5) Jer., IX, 9.
(6) C. Arian III, S 50, 429A.

وبعد أن أوضح البابا كيرلس أن نصوص العهد القديم التى ورد فيها أن الكلمة تكلم عن مشاعر قلبه ونفسه، ليس لها إلا معنى المشابهة البحتة، يأخذ فى تطبيق ذلك على كلام المسيح:

«وعلى ذلك، إذا راعينا لابن الله القائل هذه الكلمات العظمة اللائقة به، وأكدنا أنه كان بلا حزن ولا غضب ولا ألم أيا كان حتى لو أنه تظاهر بمكابدتها لأن ذلك نافع، فكيف لا يكون محالاً، وقد صار إنساناً ونزل فى الجسد القابل لهذه الآلام، أن لا ننسب إليه أنه ظل غير قابل للألم عندما قال هذه الأشياء، لأن هذه (الآلام) تتعلق طبيعياً بالجسد الذى اتخذ من أجلنا، مع كل ما يرتبط به طبيعياً؟ لكن هذه خاصية الناسوت *ἀνθρωπότητος δὲ ἴδιον* أن يبكى وأن يضطرب وأن يكتئب، وأن يرفض الموت وأن يحتمل (الآلام) المشابهة لهذه».

* * *

وهذه هى الحجة الأخيرة للقديس كيرلس. إنه حاول أن يقرب بين أقوال الكلمة فى العهد القديم وكلمات المسيح فى الإنجيل، فعلى أى أساس أقام هذه المقارنة؟ لا شك أنه أقامها على الأساس الآتى: فى الحالين تكلم الكلمة، من حيث هو الكلمة كما لو كان قابلاً للألم. والواقع أنه لم يكابد أى ألم، فكلماته إذن يجب أن تفسر حرفياً: إن التفسير الحرفى يؤدى فى الحالين إلى نسبة الآلام إلى الكلمة نفسه. فعندما قال المسيح: نفسى قد اضطربت، فهذا يكون معناه حرفياً أن الكلمة قد اضطرب، وهذا ما فهمه الأريوسيون، ولهذا السبب ناقش كل من أثناسيوس وكيرلس هذه المسألة على هذا الأساس..

* * *

إن نصوص العهد القديم تشبيهية بحتة، وهى تشبه الله بالبشر. إن المسيح هو الذى تكلم فى العهد القديم، ولكن على حد تعبير القديس كيرلس «استعارة، ومجاراة» أو «لأن ذلك كان مفيداً». ولم يكن كذلك كلام المسيح فى الأناجيل. إن الاضطراب الذى تحدثنا عنه الأناجيل كان اضطراباً حقيقياً، ولم يكن مجازياً، ولكن كيف شرحه القديس كيرلس. الحل عند كيرلس كما هو عند أثناسيوس، إن هذا الاضطراب ألم من آلام الجسد الذى نزل فيه الكلمة، إنه من مقتضيات الحالة البشرية التى لبسها مثل الدموع، والاكتئاب، والخوف..

وعلى الإجمال يتضح من مقارنة الفصل الرابع والعشرين من كتاب Thesaurus للقديس كيرلس الأسكندرى بالجزء الثالث من «الرد على الأريوسية» للقديس أثناسيوس، أن فكر كيرلس، على الرغم من بعض الاختلافات فى التعبير، كان قريباً جداً من فكر أثناسيوس.

مسألة الام المسيح
فى المحاورات
لكيرلس الأسكندرى

لم يتعرض القديس كيرلس لهذه المسألة فى المحاورة السادسة ومع ذلك فهناك بعض نصوص قليلة متفرقة لها علاقة بالمسألة...

أنه فى أماكن عدة يشير إلى المبدأ الأثناسيوسى بوجوب التفرقة فى «الأزمنة» الأمر الذى إذا أهملناه أدى بنا إلى نتائج يستحيل على العقل أن يقبلها. فإذا لم تفرق فى الأزمنة فهذا يقودنا إلى أن ننسب إلى الكلمة ضعفات كالجوع، والنوم، والتعب (١)، والموت وأوجاع الآلام (٢). وهنا يجب أن نلاحظ أن هذه الآلام جسدية...

وفى المحاورة الخامسة يفرق القديس كيرلس بين حالتين فى الكلمة، ويميز بينهما بالخصائص المرتبطة بكل منهما. وبعد أن يشير إلى الامتيازات الإلهية للابن يأخذ فى تعديد الضعفات المتصلة بحالته الإنسانية ويعبر عنها بالتعبير *τὰ σαρκὸς ἤτοι διὰ τὴν σάρκα*

«الذى لا يلمس أصبح ملموسا... غير المنظور صار منظورا... وفى الواقع، متى، وأين، وكيف، جاء الله منظورا لنا... إذا لم يكن عندما صار الابن الوحيد الجنس إنسانا، والذى لا تراه خليقة ما ظهر عيانا بالجسد، وتعب من الطريق عندما اجتاز بمدينة السامريين، وزيادة على ذلك كان فى حاجة إلى الطعام الجسدى، مع أنه هو الذى يعطى القوة للجائعين كما يقول النبى؟ هذا الذى به نحيا ونتحرك ونوجد الذى قيل فيه أنه كان معنا إلى موت الجسد»...

هذه هى الضعفات التى «لها معنى ترابى وبشرى» والتى يجب أن تفسر «تدبيريا» (٣) *οἰκονομικῶς*، وهى فى مقابل الصفات والخصائص الإلهية التى تعلو على طبيعتنا...

وفى المحاورة الرابعة عدّد القديس كيرلس بالمثل «خصائص الجسد»

τὰ σαρκὸς ἤτοι διὰ τὴν σάρκα

---

(1) Dial I, P. G. 75, 680 D.

(2) Dial. 111, 816 D- 817 A; Dial. VI, 1024 AB.

(3) Dial V, 937 BCD.

فالكلمة «...صار خاضعا للناموس، منظورا وملموساً أقل قليلا من الملائكة، وعُدَّ بين الأشرار، سيق كشاة إلى الذبح، وهكذا كابد موتا يثير الإشفاق» (١).

ونحن لا نجد إشارة إلى ضعفات نفسية إلا فى تفسيرين موجزين كتبهما القديس كيرلس للنص الوارد فى الرسالة إلى العبرانيين:

«الذى فى أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت، و (قد) سمع له من أجل تقواه، مع كونه إبنا تعلم الطاعة مما تألم به» (٢).

وفى الفقرة الأولى (٣) أبرز القديس كيرلس أن القديس بولس ينسب إلى المسيح «طلبات ودموع» «فى أيام جسده»،

«أعنى، عندما صار الكلمة جسدا، حسب الكتب، وهو الله، ولم يصر فى إنسان كما فى القديسين».

وإذن فالقديس كيرلس لا يفهم الضعفات التى يتكلم عنها الرسول إلا على أنها ضعفات الجسد بالمعنى الدقيق (٤).

ويقول بعد قليل معلقا على نفس النص:

«تأمل حالة الناسوت *τὸ τῆς ἀνθρωπότητος μέτρον* (٥) وليس الذى مات فى الواقع هو رسم الآب، لأنه أيضاً فى أيام الجسد صار التضرع. والخوف هو فعل الجسد، والخوف من الموت بالمعنى الكامل هو فعل الناسوت» (٦).

فالجسد *σάρξ* أو الناسوت *ἀνθρωπότης* هو الفاعل فى المشاعر البشرية التى كابدها المسيح.

---

(1) Dial.. IV, 913 B. CF. Dial. V1, 1024 A.

(٢) عبرانيين ٥: ٧، ٨.

(3) Dial.. 1, 681 C.

(٤) عبرانيين ١: ٣.

(5)CF. DIDYMUS, De Trinit., 111, 21, P. G. 39, 916 AB

(6) Dial.. V. 976 A

وفى كتاب آخر Glaphyres يعدد القديس كيرلس بعض آلام الجسد التى عاناها السيد المسيح وهو يعنى الآلام الطبيعية لا آلام الخطيئة...

بعد القيامة ،نحن لا نعرفه (المسيح) بعد حسب الجسد، أو كما كان كذلك فى آلام الجسد، وأعنى: الآلام الطبيعية، لا آلام الخطيئة. لأنه قبل الصليب الكريم، قيل عنه أنه جاع، وتوجع من تعب الطريق، وحزن، (١).

* * *

(1) Glaph. in EX. 11, P. G. 69, 476 CD.

مسألة آلام المسيح
فى كتاب تفسير إنجيل القديس يوحنا
لكيرلس الأسكندرى

تناول القديس كيرلس فى كتابه «تفسير إنجيل القديس يوحنا» موضوع آلام المسيح، ولم ينكر حقيقتها. وقد نجد فى كتاباته بعض تعبيرات لم يستعملها القديس أثناسيوس...

«إذا لم يكن قد ظهر ἔδειξε أنه قبل (الآلام) كإنسان، وأنه أيضاً قد تألم كواحد منا، فكيف يمكن أن نبين أنه قد اتضع» (١).

«إن الكلمة، تظاهر συνεσχηματίζετο أنه خضع لضعفاتنا» (٢).

ولقد حاول القديس كيرلس الأسكندرى أن يشرح موضوع الآلام على نحو آخر غير Λόγος παθητός الذى قال به الأريوسيون (٣).

ويتبين لنا من قراءة نصوص كتاب «تفسير إنجيل القديس يوحنا» أن اتجاه القديس كيرلس فى هذا الكتاب ظل فى نطاق اتجاهه فى كتابيه Thesaurus و Dialogues . وبالإيجاز يمكن أن يقال أنه ينسب الآلام إلى الجسد أو إلى الناسوت.

فمثلا، يقول فى تفسيره لإنجيل يوحنا ٣: ١٢، ١٣: يشير إلى الضعفات «التى تناسب الجسد وحده» وأن الكلمة اختص ذاته بها، ويقول:

«أنه خاف، وانزعج، وتعذب فى وقت الآلام، واختص ذاته بالآلام المناسبة للناسوت فقط، وكأنه هو ذاته قد تألم» (٤).

وزيادة على ذلك، ففى تفسير (يوحنا ٤: ٦)، حيث يذكر البشير تعب المسيح، يبرز القديس كيرلس الاعتراض الأريوسى كما أبرزه فى كتاب Thesaurus. لكنه لم يشرح هذا الاعتراض لكن تفسيره لهذا النص يفترض بوضوح أن الأريوسيين يتخذون من هذا الضعف وهو ضعف

---

(1) In Jo., 1, 32- 33, P. G. 73, 208 B: 1, 185, 11- 13.

(2) CF. Ibid., P. G. 73, 429A (1, 392, 27- 28).

(3)In Jo., 1, 32- 33, P. G. 73, 201C (1, 180, 16- 17).

(4)P. G. 73, 249 CD: 1, 224.

فيزيقى كله، حجة ضد لاهوت الكلمة، وقد أبان القديس كيرلس جيدا أن هذا الضعف هو ضعف الجسد وليس ضعف ابن الله من حيث هو كذلك...

ويقـول:

«أتريدون أن تظهروا لنا رب القوات كما لو كان عاجزا ضعيفا، وتنسبون تعب الطريق للابن الوحيد الجنس ذاته (المولود) من الآب، حتى يعتبر من الآن فصاعدا، قابلا للألم، وهو الذى لا يعرف الألم؟ أو ترفضون بحق أن تفكروا على هذا النحو، وتختصون بطبيعة الجسد وحدها الآلام التى من هذا النوع، قائلين أن التعب يناسب الناسوت، لا الكلمة من حيث هو كذلك، وبالنظر إليه مجردا، وفى ذاته» (١).

أن القديس كيرلس يعرض فى تفسيره لإنجيل القديس يوحنا لموضوع الخوف والاضطراب اللذين عاناهما المسيح، ولكن من الضرورى أن نفرق هنا بين النصوص التى وصلت إلينا بالتقليد المباشر، وبين تلك النصوص التى لا نعرفها إلا بالتسلسل ومن ثم نشك فى صحتها.

* * *

النصوص التى وصلت إلينا بالتقليد المباشر

فى الأجزاء التى وصلت إلينا من تفسير إنجيل القديس يوحنا، سالمة كاملة، لم يتناول القديس كيرلس مسألة آلام المسيح إلا مرتين، الأولى، فى تفسيره يوحنا ٦: ٣٨، ٣٩ (كتاب ٤)، والثانية، فى تفسير يوحنا ١٣: ٢١ (جزء ٩)...

ففى تفسير النص الأول:

«قد نزلت من السماء، ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى» .

يبين القديس كيرلس أن المسيح احتمل الآلام بإرادته، لكن إذا كان يمكنه أن يخلصنا من دون تلك الآلام فكان سيتجنبها. ويؤيد رأيه هذا بالاستناد إلى صلاة المخلص: «يا أبتاه، إذا كان يمكن، فلتعبر هذه الكأس». وفيما يلى يبرر القديس كيرلس فزع الكلمة المتجسد أمام ألم الموت...

«أن الكلمة، من حيث هو الله، لا يموت، ولا يقبل الفساد، بل من حيث هو بطبيعته الحياة

(1) P. G. 73, 293 AB (1, 265, 18 Sq)

ذاتها، ما كان يمكن أن يخشى الموت. وإنى اعتقد أن هذا الأمر واضح كل الوضوح للجميع. لكنه اختص الجسد، بما أنه هو كائن فى الجسد، أن يحتمل ما يختص به، وقد سمح له أن يضطرب أمام الموت العتيد منذ الآن، حتى يبدو إنسانا حقيقيا كأكمل ما تكون الحقيقة... فأنت ترى كيف أن طبيعه الإنسان - وهو فى المسيح ذاته - تظهر ضعيفة، لمن هو من هذه الطبيعة، ولكنها قد ردت إلى القوة اللائقة بالله، بواسطة الكلمة الذى اتحد بها، (١).

فالخوف من الموت فى نظر القديس كيرلس، تمرد من الجسد وهو أمر عادى فى طبيعة الإنسان...

وفى تفسير النص الثانى: «اضطرب يسوع بالروح».

اضطر القديس كيرلس إلى أن يواجه المشكلة من زاوية سيكولوجية (٢) وهى الناحية التى يثيرها الأريوسيون، ولحل هذه المشكلة أخذ القديس كيرلس ينبه إلى جفاف παχύτης لغتنا البشرية وعجزها عن التعبير الدقيق عن الحقائق الإلهية. فإن الكتاب المقدس يتكلم عن بغض الله وغضبه بينما أن الجوهر الإلهى لا يكون موضوعا لإنفعال بشرى أيا كان...

يقول القديس كيرلس:

«فالبشير الإلهى يقول هنا أيضاً أن المسيح قد اضطرب بالروح، وعنده أن الاضطراب هو حركة الروح فى نفورها من الشر. والواقع، أنه ليس فى الإمكان كما يبدو، أن يعبر عنها بطريق آخر. ثم أنه من الطبيعى بكل تأكيد، أن الجسد، وهو لا يقوى على احتمال حركة اللاهوت، ينزعج قليلا، ويحتمل الاستعداد للاضطراب، ويبدى علامات الغضب، كما كتب فى الواقع عن موضوع لعازر أن «يسوع، انزعج فى نفسه، وجاء إلى القبر»، لأنه بنفس الأسلوب سمى بالفزع الانذار الشديد ضد الموت، وهكذا سمى باللفظ اضطرب، الحركة ضد الخائن الكافر» (٣).

---

(1) In Jo., V1, 38- 39, P. G. 73, 532 AB (1, 487, 4 Sq). CF. P. G. 75, 396 D- 397 A.

(2) ATHANASIUS, Contra Arianos, 111, S 26.

(3)In Jo., XIII, 21, P. G. 74, 136 ABC (11, 363)

وإننا نجد نفس التفسير، ونفس الاتجاه عند ثيودوروس أسقف المصيصة الذى يضيف لتفسيره τῷ πνεύματι معنى «الروح القدس». انظر تفسيره لإنجيل القديس يوحنا فى:

Corp. Script. Christ. Orient. Série 4, tome 111, trad.

J-M-Vosté, P. 185, 1. 19 Sq

أما الروح πνεῦμα التى يتكلم عنها البشير يوحنا، فهى الكلمة. وقد قيل أنه اضطرب، تشبيها لله بالإنسان، وهذا للدلالة على ردّ الفعل فى الطبيعة الإلهية أى «حركة اللاهوت» أمام الشر الذى تمقته وتنفر منه. لكن أليس لهذا الاضطراب طابع إنفعالى؟ نعم، إن الإنفعال فى الجسد يظهر بالفزع الظاهرى حركة اللاهوت الداخلية...

وهكذا يصل القديس كيرلس إلى معالجة النص الإنجيلى الذى يتكلم عن إنفعال حقيقى وداخلى. فهناك اضطراب حقيقى، فى الجسد، وهذا الاضطراب تثيره حركة داخلية، هى كراهية الله الكلمة للشر...

شذرات من الجزئين ٧، ٨

يحتوى هذا القسم من إنجيل القديس يوحنا الذى فسره القديس كيرلس فى الجزئين السابع والثامن من كتابه (١) على نصوص صعبة عن «الاضطراب» الذى أظهره السيد المسيح. وهذا التفسير هو لحادثة قيامة لعازر، إذ يقول البشير «يسوع... انزعج بالروح واضطرب» (يوحنا ١١: ٣٣)، «فانزعج يسوع أيضاً فى نفسه وجاء إلى القبر» (١١: ٣٨)، ثم لقول المخلص نفسه: «الآن نفسى قد اضطربت» (يوحنا ١٢: ٢٧) وهو النص الذى فسره القديس كيرلس فى الفصل الرابع والعشرين من كتابه Thesaurus ونحن لا يمكننا إلا أن نأسف على فقد تفسير هذه النصوص. فلم يبقى لنا منها غير شذرات...

ويبدو أن الشذرات التى تتناول تفسير (يوحنا ١١: ٣٣، ٣٨) والتى تشتمل عليها طبعة Pusey (٢)، جدّ صحيحة وموثوق بها. ونحن نجد فيها فى الواقع تفسيرا هو بعينه التفسير الذى قدمه القديس كيرلس فى الجزء التاسع عن (يوحنا ١٣: ٢١)...

---

(١) الجزءان السابع والثامن هما تفسير ليوحنا ١٠: ١٨ – ١٢: ٤٨.

(٢) ثلاث شذرات عن تفسير (يوحنا ١١: ٣٣)، الأوليان منهما تتصل بمشكلة الاضطراب. وشذرتان عن تفسير (يوحنا ١١: ٣٨) تختص أولهما فقط بنفس المشكلة.

أما الشذرة الأولى، عن (عدد ٣٣) فتبدأ كما يلى:

«من حيث أن المسيح، لأنه لم يكن فى طبيعته الله فقط، ولكنه كان إنساناً أيضاً، فقد احتمل الناسوتية مثل سائر الناس. وإذ أن الحزن بدأ أن يعمل فيه بكيفية ما، كما أن الجسد المقدس يميل فى الحاضر إلى الدموع، فلم يسمح له أن يعانى ذلك دون مانع، حسب العادة المتبعة عندنا. «أنه انزعج فى الروح» أعنى أنه ضبط بكيفية ما جسده بقوة الروح القدس، وإذ لم يستطع هذا (الجسد) أن يحتمل حركة اللاهوت المتحد به، لذلك فقد اضطرب واتخذ الميل إلى الاضطراب وهذا، على ما أعتقد، معنى الكلمات «أنه اضطرب» (١).

فدموع الجمع أثارت يسوع. وهذا الحزن الذى عزاه القديس كيرلس إلى ميل الجسد إلى الدموع، هو الذى يدعو إلى الانزعاج بالروح، فالروح حبس هذا الانفعال، وتدخّله ولّد اضطرابا جديدا فى الجسد. فتدخل اللاهوت وهزات الجسد تفسر الانفعال الذى وصفه البشير. وهذا التفسير يتمشى مع حجة القديس كيرلس، وكذلك القديس أثناسيوس إذا حاول أن يفسر هذا النص ما كان يمكن أن يصنع غير هذا.

وتمضى الشذرة فى متابعة بعض الأفكار التى قد التقينا بها فى كتاب Thesaurus. أن الكلمة لا يمكن أن يضطرب فى طبيعته الإلهية لكنه يُضبَط الجسد بالروح حتى يعلّمه أن «يشعر بما يتجاوز طبيعته الخاصة» (٢).

ويقول القديس كيرلس:

«إن الكلمة قد تجسد» ... لكى يقوّى - بفضل قوة روحه الخاصة - ضعفات الجسد، ويخلص الطبيعة (البشرية) من كل فكر ترابى، ويحولها إلى ما يرضى الله. وإذن هو ضعف فى الطبيعة البشرية أن تكون خاضعة للدموع، وهذا قد أبطل أيضاً مع سائر (الضعفات) فى المسيح أولا، حتى ننتفع نحن أيضاً به» (٣).

---

(1) PUSEY, 11, 279, 14- 280, 3.

(2) PUSEY, 11, 280, 3- 7 CF. Thes., P. G. 75, 397A.

(3) PUSEY, 11, 280, 8- 14.

وفى شذره ثانية نقرأ تفسير آخر مقبولا للنص :

«أو بالحرى، يجب أن تفهم (العبارة) هكذا : أنه انزعج بالروح واضطرب، حتى - وقد تحرك بالشفقة بسبب بكاء الجمع - أمر بكيفية ما روحه الخاصة بأن تنتصر على الموت نفسه قبل الوقت، وأن يقيم لعازر» (١).

وتبعا لهذا التفسير الثانى، فإن الإنفعال الذى سجله القديس يوحنا ليس له معنى مادى جسدى. أنه حركة باطنية بحتة، من قبل إرادة المسيح الإلهية وقد اتخذت، أمام الحداد العام، قرارا بإقامة لعازر، وأعلمت روحه (٢) بهذا الأمر. فالألفاظ التى استخدمها البشير القديس يوحنا ليس لها إلا طابع تشبيهى بما يحدث فى عالم الإنسان (٣).

أما احدى الشذرتين الباقيتين لنا عن تفسير عدد ٣٨ فقد تناولت هذه الفكرة وربطتها هذه المرة بشرح مادى جسدى، وذهبت إلى تدخل اللاهوت وقرر أن يسلب الموت :

«هناك (أو بالحرى : على ذلك) نفهم الانزعاج على أنه الإرادة والحركة (التى) فى قوته، و(نفهم) أن قد قمع كآبته بصرامة، والدموع المستعدة لأن تنذرف بسبب كآبته. لأنه من حيث هو الله، حكم الناسوت نحو غرض تربوى، وأمره بأن يكون شهما فى الحزن، أو بالحرى قد قرر، بحركة إلهية، أنه يجب منذ الآن أن يصرع قوة الموت. وهذا يظهره عن طريق جسده، فحركة الجسد تعنى الحركة المستترة فى الداخل. وهذا ما يبينه التعبير، أنه انزعج «أعنى : يميل الجسد قصد الحركة المستترة» (٤)

وفى هذا النص نلاحظ أن الإرادة التى يتحدث عنها هى الإرادة الإلهية للكلمة، كما أن الحركة التى أمرت بها هى أيضا حركة إلهية..

---

(1) PUSEY, 11, 280, 15 - 19.

(٢) أن القدرة على القيامة، وخصوصا قيامة المسيح ذاته ينسبها القديس كيرلس دائما إلى روح المسيح..

(٣) وكذلك تفسير ثيودوروس أسقف المصيصة من نفس النوع، أن إنزعاج المسيح هو غضب الكلمة الإلهى ضد اليهود.

THEOD. MOPS., In Jo., X1, 33 trad.

J. M. VOSTE P. 162, 1. 3. 6.

(4) PUSEY, 11, 283, 7 - 16.

ومهما يكن من أمر فهذا الشرح، يمكن أن يسمى شرحا باطنيا لا سيكولوجيا، وهو لا يفترق عن منهج البرهنة الذى اتبعه القديس كيرلس فى كتابه Thesaurus .

أما عن البكاء وتعليل دوافعه فى السيد المسيح فللقديس كيرلس فيه نص طويل نوعا ما، جاء فى بعض الشذرات المحفوظة لنا فى تفسير عدد ٣٥ لإنجيل يوحنا ١١ «بكى يسوع» وفى هذا النص يجد القديس كيرلس أنه من الضرورى أن يقرر أن ليس فى الأمر شئ عجيب. لأن الدموع «ألم خاص بالجسد، ولا يليق باللاهوت».

أما فى تعليل الباعث على هذه الدموع فيقول القديس كيرلس :

«أن الرب بكى لكى يمسح دموعنا عنا، كما أنه مات لكى يعتقنا من الموت. وبكى لكى لا يظهر غير بشرى، وقد منع دموعه فى الحال ليعلمنا أن لا نبكى أمواتنا أكثر مما يجب..» .

(وهى نفس الملاحظة غير المتوقعة التى أبداها ثيودوروس أسقف المصيصة (THEODORE MOPS., op.cit., p. 162, 1. 13 - 14) .

«وأخيرا، أنه فى بكائه لعازر قد بكى الطبيعة البشرية الخاضعة لسلطان الموت» (١) .

تفسير يوحنا ١٢ : ٢٧

بقى تفسير يوحنا ١٢ : ٢٧ «الآن نفسى قد اضطربت» ونجد فى نص طويل فى الجزء الثامن من «تفسير إنجيل القديس يوحنا» وقد طبعه تبعا للتسلسل، منى (٢) Migne، كما طبعه أيضا مع بعض تغييرات قليلة الأهمية، بوسية (٣) Pusey حيث نجد على التتابع تطورا فى تفسير معنى الاضطراب الذى عاناه السيد المسيح (يوحنا ١٢ : ٢٧ أ)، ثم شرحا لصلاته إلى الآب (يوحنا ١٢ : ٢٧ ب) «أيها الآب، نجنى من هذه الساعة»، ثم شرحا لتمجيده بمعرفة الآب (يوحنا ١٢ : ٢٨) : أيها الآب مجد اسمك أو ابنك (٤) يضاف إليه شذرة ختامية (٥) عن آلام المسيح بصفة عامة.

---

(1) In Jo., X1, 35. PUSEY, 11, p. 281, 16 - 283, 3).

(2) P. G., 74, 88 c - 92 D.

(3) 11, 315, 18 - 320, 23.

(٤) مجد اسمك، هى القراءة المألوفة فى أغلب النسخ.

(5) PUSEY 11, 320, 13 - 23 Thes.,
XXIV, P. G., 75, 397C.

وهذه هى النصوص مقسمة إلى فقرات تسهيلا لتحليلها وفهمها :

(أ) «الآن نفسى قد اضطربت. وماذا أقول؟ أيها الآب نجنى من هذه الساعة. ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يوحنا ١٢ : ٢٧).

«ثم تأمل مليا فى هذا. فمن جهة، ميل الطبيعة البشرية إلى الاضطراب وقابليتها للخوف، ومن جهة أخرى عدم قابلية العزة الإلهية التى لا يعبر عنها للألم والجرح على الإطلاق، واتجاهها الذى لا مثيل له إلى أعمال الشجاعة التى تليق بها. إذ أن فكر الموت، يحاول أن يزعج يسوع بأن ينساب إليه شيئا فشيئا، لكن قدرة اللاهوت تسيطر فى الحال على الألم وهو يتحرك، وتحول حالا ما كان مغلوبا بالخوف إلى القوة التى لا تضارع» (١).

(ب) «ونحن نتصور فى الواقع، أن خصائص الناسوت ἀνθρώπινα كانت تعمل فى المسيح الفادى ذاته، بضررة مزدوجة، فإنه كان يلزم أنه بهذه الخصائص، يظهر أنه إنسان، مولودا من المرأة، لا فى الظاهر، ولا بالوهم، وإنما بالأحرى حقا وبالطبيعة، حاملا كل خصائص الناسوت ἀνθρώπινα فيما عدا الخطيئة وحدها. فالخشية والخوف هما فينا آلام طبيعية، ولا يسلكان بين الخطايا. وزيادة على ذلك، فالخصائص الناسوتية ἀνθρώπινα تعمل أيضاً فى المسيح عملا نافعا، لا لكى تتمكن وتنمو فى حركاتها كما هو الحال فينا، ولكن حتى إذا أثيرت يوما ما وتحطمت بقوة الكلمة، فإن الطبيعة تجد نفسها وقد تحولت فى المسيح أولا إلى حالة أفضل، وإلهية. فإنه بهذا وليس بطريق آخر أمكن للشفاء أيضاً أن يصل إلينا» (٢).

(جـ) «إن فى المسيح، وهو الباكورة، قد رفعت فى الواقع طبيعة الإنسان إلى حدة الحياة، وفيه قد حصلنا على الخيرات فائقة الطبيعة. لهذا السبب سمى فى الكتب المقدسة بآدم الثانى. وكما أنه بصفته إنسانا جاع وتعب، هكذا اختبر الاضطراب الناجم من الألم باعتباره شيئا بشريا. إنه لم يضطرب مثلنا، ولكن فقط بقدر ما هو ضرورى فليصل إلى الإدراك αἴσθησις (٣) بالشئ. وبعد ذلك يرقى حالا إلى القوة εὐτολμία التى تلائمه» (٤).

---

(1) PUSEY, 11, 315, 18-316, 6 (cf. P. G., 74, 88C, 14 - D3).

(2) PUSEY, 11, 316, 619 (88D 3 - 89 A 5).

(٣) تبعا لأفلوطين الـ αἴσθησις غير قابل للألم ἀπαθής لأنه من طبيعة عاقله. والكلمة يمكن أن يكون له αἴσθησις لاضطراب من دون أن يتألم به. لذلك فترجمتها «بالإدراك» أنسب من ترجمتها «بالإحساس».

(4) PUSEY, 11, 316, 19-317, 7 (89 A 5 - 14).

(د) «من هذا يتضح أنه كان له أيضا نفس عاقلة ψυχὴ λογικὴ فإنه كما أن العطش مثلا أو اختبار أى ضعف من الضعفات التى من نفس النوع هو ألم خاص بالجسد، هكذا الاضطراب بخاطر μνήμη (الوقوع فى) الخطر قد يكون ألما للنفس العاقلة، به وحده ينساب إلينا الخاطر عن طريق التصورات» (١).

«والواقع، أن المسيح، بدون أن يكون على الصليب ذاته، قد عانى الاضطراب مقدما، لأنه سبق فرأى المستقبل قبل حدوثه. ولأنه أقتيد بالفكر إلى أن يتأمل λογισμός ما هو عتيد أن يحدث، فنحن نعلم أن ألم الخوف ليس من اللاهوت الذى لا يقبل الألم، كما أنه بكل تأكيد ليس من الجسد. إن هذا الألم يختص فى الواقع بتأملات λογισμοί النفس، لا بالجسد. فإذا كان الكائن المزود بنفس غير عاقلة يضطرب ويهتز، فإنه مع ذلك لا يساق إلى الخوف، عن طريق الفكر أو لأنه يسبق فيرى بالفكر λογισμός الألم فى المستقبل قبل وقوعه، ولكن عندما يصبح فريسة للشرور ذاتها، فحينئذ بالكاد يدرك الخطر المحيط به. أما الرب فقط اضطرب لا بما رأى

---

(1) .....ἡ καὶ μόνη ἡμῖν διὰ τῶν ἐνθυμήσεων ἐπεισκρίνεται μνή μη

إن كلمة (ἐπεισκρίνεσθαι) لفظة نادرة لكننا نجد عنها الإشارات الآتية فى كتاب :

Thesaurus Linguae graecae.

ἐπεισκρίνω : Immisceo, Indo. Greg. Nyss, Vol. l, P. 126 c.

ἐπεισκρίνομαι : Ingredior, Insinue me. creg., De homine (vol. 1, p, 119 E).

Bud. interprete Carnem subeuntis ante se formatam (Rectius carnem ante formatam pra estantiorom anima postea indita. conf. ib. 123E, 804 C. pro auo postea ἐπεισέρχεσθαι

But Hesychius (Le Lexicographe).

ἐπεισκρινόμενον interp.

ἐπεισερχόμενον Hippocr. 380, 49 :

ἡ ἔξωθεν συνεχὴς ἐπεισκριθεῖσα

τροφή Liddel and Scott citent HIPPOCR. Alim., 5 et SEXTUS EMP IRICUS Quest. Pyrrhon., 3, 82.

وهذا تعبير محبوب عند ديديموس الضرير وقد استعمله أحيانا كيرلس.

ولكن بسبب ما هو فى فكره، وما يتوقعه أيضا، هذا والمسيح لا يقول بعد : أن جسدى قد اضطرب، ولكن : نفسى، وبهذا دحض مقدما ابتداعات الهراطقة، فإذا اعترضت بأن الله قال أيضاً فى العهد القديم لليهود : «أن نفسى كرهت أصوامكم واعتكافكم وأعيادكم» وأعدادا من أشياء أخرى مماثلة، فسنقول أنه يستخدم بالحرى طرائقنا (فى الكلام) بنوع من التلطف بنا، تماما كما ينسب إلى نفسه ضدا للواقع :

καταχρηστικῶς وجها وعينين وأعضاء أخرى من الجسد، وأما بعد التجسد، فإذا أعطينا لكلماته نفس المعنى، فكأنه هو لم يكن غير صورة أو مظهر أو ظل، لا إنسانا بالحقيقة كما زعم مانى الكافر. فالله الكلمة قد اتحد إذن بطبيعة الإنسان كلها، حتى يُخلّص كلّه. فإن ما لم يتخذه (الله الكلمة) لم يُخلّص بعد (١).

(هـ) «وإذا قال بكل تأكيد : إنها اضطربت، فهو لم يصمت لكنه حول الألم إلى قوة εὐτολμία وقال تقريبا : ليس الموت شيئا، لكننى سمحت للجسد أن يخاف حتى أحوله إلى قوة εὐτολμία فإنى قد أتيت لأبعث الحياة فى سكان الأرض لهذا أيضا كنت حساسا للألم» (٢).

ومن الملاحظات التى تستحق التسجيل هنا :

(أولا) أن القديس كيرلس لا يجد مانعا من أن ينسب إلى السيد المسيح الضعفات النفسية البشرية كالاضطراب والخوف والحزن كما ينسب إليه الضعفات البشرية الأخرى كالجوع والعطش والتعب والنوم، والموت وما إليها غير أنه يسمى هذه جميعا بالضعفات الطبيعية وليس فيها خطيئة أو إثم..

(ثانيا) يستخدم البابا كيرلس مصطلحات وتعبيرات نادرة منها :

الفعل ἐπεισκρίνεσθαι وهو فعل استخدامه نادر جدا فى الأدب اليونانى.. وكذلك μνήμη بمعنى الفكر ممتدا إلى الماضى كما إلى المستقبل.

ثم ἐνθύμησις بمعنى التفكير λογισμός .

وهى كلها مصطلحات ليس من السهل ترجمتها ترجمة دقيقة، والتفريق بينها تفرقة واضحة متميزة.

---

(1) PUSEY, 11, 317, 7- 318, 10 (P. G., 74, 89A 14 - D2).

(2) PUSEY, 11, 318, 11 - 16 (89 D2 - 8).

(ثالثا) يقرر القديس كيرلس حقيقة سوتيريولوجية هى : «أن الله الكلمة قد اتحد بطبيعة الإنسان كلها، حتى يخلّص الإنسان كله، فإن ما لم يتخذه (الله الكلمة)، لم يخلص بعد».

وفى تفسيره لقول الإنجيل «والكلمة صار جسدا» (١) Verbum caro factum est يبين أن الجسد، وقد فقد الخلود نتيجة الخطيئة، كان لابد أن يشفى باتحاده بالكلمة المحيى (٢)، لكنه لم يطبق هذه الفكرة على النفس.

---

(١) يوحنا ١ : ١٤

(2) In Jo., P. G., 73, 160 BC : PUSEY, 1, 139.

بركات سر التجسد

نستقبل فى السادس عشر من هاتور الموافق ٢٥ من نوفمبر صوم الميلاد المجيد المعروف بالصوم الصغير ومدته ٤٣ يوما، لأننا نتهيأ فى هذا الوقت ذهنيا وعاطفياً وروحياً لإستقبال عيد الميلاد المجيد الذى فيه نذكر دواما مجئ ربنا يسوع المسيح إلينا ليرفعنا إليه، ويردنا إلى رتبتنا التى سقطنا منها بخطيئة أبينا آدم الأول.

والكنيسة المقدسة تجد فى صوم موسى النبى أربعين يوما وأربعين ليلة وهو يستقبل كلمة الله مكتوبة على لوحين من حجر، رمزا وإشارة لاستقبال كلمة الله المتجسد الموجود والكائن والقائم منذ الأزل مع الآب والروح القدس، فنصوم أربعين يوماً نتهيأ ذهنياً وعاطفياً وروحياً لاستقبال هذا العيد العظيم، عيد الميلاد المجيد الذى يمثل محبة الله وتنازله لافتقاد بنى إسرائيل.

معجزة نقل جبل المقطم وعلاقتها بزيادة صوم الميلاد المجيد ثلاثة أيام:

أما ثلاثة الأيام المضافة على الأربعين يوما فقد أضيفت فى القرن العاشر للميلاد تخليدا لذكرى معجزة نقل جبل المقطم التى تمت على يدى البابا ابرآم بابا الأسكندرية فى عهد الخليفة المعز الفاطمى الذى ألزمه بنقل جبل المقطم إثباتا وتحقيقا لكلمات السيد المسيح فى الإنجيل:

«الحق أقول لكم إنكم لو كان لديكم من الإيمان مثل حبة الخردل، لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل» (متى ١٧: ٢٠)، (٢١: ٢٢) ، (مرقس ١١: ٢٣).

قال الخليفة المعز الفاطمى بإيعاز من يعقوب بن كلس اليهودى الذى كان قد أسلم. إن كان دينكم صحيحاً فأثبتوا لنا صحة هذه الآية، وإلا فلا معنى لوجودكم فى البلاد. واعتكف بابا الأسكندرية فى كنيسة المعلقة بمصر القديمة ثلاثة أيام مصليا صائما باكيا يطلب معونة الله. وفى فجر اليوم الثالث أشرفت عليه العذراء الطاهرة من أيقونتها وقالت:

«أبشر أيها البابا القديس فإن صلواتك قد قبلت».

وذهب البابا ابرآم وذهب الخليفة إلى حيث الجبل، جبل المقطم، ورفع البابا الصلوات ونادى بمطانيات، فكان هو والاكليروس والشعب ومعهم سمعان الخراز، وأخذ الكل يتضرع، والكل يبتهل. فانتقل جبل المقطم من تل الكبش إلى الفسطاط، بزلزلة عظيمة انخلع لها قلب الخليفة المعز وسقط هو وجنوده مغشيا عليهم.

فتخليدا لهذه الحادثة الهامة التى تحقق فيها عمليا وعد المسيح إلهنا فى الإنجيل حيث صار التحدى لكلمات المسيح... أقول، تخليدا لهذه الحادثة، وهذه الواقعة التاريخية الإيمانية، أضافت

الكنيسة منذ القرن العاشر للميلاد - وهو القرن الذى تمت فيه هذه الواقعة فى أيام البابا ابرآم وهو الثانى والستون من سلسلة باباوات الأسكندرية وفى أيام الخليفة المعز الفاطمى - ثلاثة أيام إلى الأربعين يوما التى كان يصومها الأقباط وغير الأقباط منذ أقدم أيام المسيحية، فأصبح بذلك صوم الميلاد ثلاثة وأربعين يوما.

تنازل الإله فى تجسده :

نحن الآن فى أواخر شهر هاتور وبعد أيام يبدأ شهر كيهك الشهر المبارك الذى فى التاسع والعشرين منه تحتفل الكنيسة بعيد الميلاد وقد خصصت الكنيسة هذا الشهر للتسبيح والشكر، والتمجيد لله، على اهتمامه بنا نحن البشر، إذ قد تنازل فضلا، من غير استحقاقنا، وقبل أن تكون له صورة الإنسان. اتحد بطبيعتنا، ولبس صورتنا، وظهر بيننا كأنه واحد منا وهو ملك السموات والأرض. إنه لم يخل السماء من وجوده حينما نزل، فوجوده يملأ السموات والأرض. وإنما أخلى نفسه من صورة المجد، وقبل صورة الهوان، أخلى نفسه من مجده كرب وسيد، وقبل صورة العبد، وهو المسجود له مع الملائكة ورؤساء الملائكة والمعبود من السمائيين والأرضيين، وله تجثو كل ركبة فى السماوات وعلى الأرض وما تحت الأرض.

لقد قبل الإله تفضلا، وحنانا، وتكرما، وإشفاقا علينا، واهتماما بنا، أن ينزل إلينا ليرى ذلنا ويرى مرارة ماوصل إليه جنس بنى الإنسان، الذين خلقهم الله على صورته ومثاله، ولكن الخطيئة أفسدت هذه الصورة وأساءت إليها فلم يشأ الله - كما يقول القديس أثناسيوس الرسولى - أن تبقى صورته المجيدة ملطخة بالإثم وملوثة وفاسدة، فتحرك حنانه، وتحرك قلبه، وتحرك تدبيره، ليخلص الإنسان ويرد إعتباره، ويرد له كرامته، ويرد له الصورة الأصلية التى خلقه الله عليها.

لذلك تجسد الله الكلمة، وفى تجسده كل الحب، وما من حب أعظم من هذا أن يقبل الإله صورة الهوان، صورة التراب، وهو رب المجد، الساكن فى نور لايدنى منه، والنار الآكلة.

قَبِلَ على نفسه أن يأخذ صورة التراب، وشاء أن يتحد بها. فلا يكون اتحاده بصورة الإنسان وضعا مؤقتا، كأى ظهور لكائن روحانى يتشكل فى وقت ما بشكل ما ويتركه بعد حين. لم يشأ المسيح ذلك بل رأى أن يتحد بهذا الشكل الترابى، وأن يبقى هذا الاتحاد دائما اتحادا كاملا، اتحادا جوهريا لا عرضيا، اتحادا إقنوميا ثابتا لا يتغير ولا يتبدل.

الشرف الذى اكتسبته البشرية بتجسد المسيح:

فما أعظم الشرف الذى أضفاه الله على جنسنا بتجسده المنيف لأننا نحن صرنا متحدين به فى المسيح، وصرنا نحن فى المسيح لأنه أخذ طبيعتنا.

بل وصارت طبيعتنا نحن فيه، ومعه، ثم حملها معه إلى السماء، وصعد بها إلى الأعالى، وأدخلها إلى المجد.

فما أرفع الإنسان بعمل المسيح، وما أمجده، وما أشرفه لأن الإله أخذ طبيعته.

عظيمة هى ديانتنا المسيحية بهذا التعليم المجيد:

الله قبل صورة الإنسان، فكان قبوله هذه الصورة أعظم حب يمكن أن يطمح إليه الإنسان، ويطمع فيه أو يمكن أن يحلم به. الله الكلمة المنقذ والمخلص، والفادى صاحب المجد والكرامة، قبل صورة الإنسان. نزل الإله إلى الإنسان تفضلاً، وتكرما، والإنسان لم يكن مستحقا. وهنا عظمة الحب. ما فضلك أنت إن أحسنت إلى من أحسن إليك؟ «إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم» (متى ٥: ٤٦، ٤٧) إنما الحب الحقيقى يظهر إذا كان تنازلا من الأعلى إلى الأدنى، وإذا لم يكن له مقابل بل يكون من قبيل الفضل والإحسان. هكذا صنع المسيح بنا.

هل كانت البشرية مستحقة لظهوره يوم أن جاء المسيح إلينا؟!!

كلا.. إنما كانت البشرية تستصرخ هذا المجئ وتستحقه لا بمعنى إنها جديرة به، لكن بمعنى أنها فى حاجة إليه.

البشرية انتظرت المخلص والمنقذ وعبرت عن ذلك بواسطة فلاسفتها وأنبيائها:

قال سقراط أحد كبار الفلاسفة فى العصور القديمة: «لاسبيل إلى معرفة الحقيقة إلا إذا جاء رب الحقيقة نفسه وأعلن ذاته للبشر».

قال هذا بعد أن تعب سقراط من المناقشات والجدل ومن المساجلات الكلامية عن الحق والحقيقة، بين المفكرين البارزين من بنى الإنسان. فلما تناقش الناس، وتعارضوا وانقسموا، واختلفوا، قال سقراط «لا سبيل إلى حل هذا الخلاف بين البشر إلا إذا تفضل رب الحقيقة وأعلنها بذاته للبشر».

فسقراط الوثنى كان بمثابة نبى فى العالم الوثنى، أنبأ بحاجة البشرية إلى هذا المخلص، وإلى هذا الحق الذى يكشف ذاته للبشر.

وإلى جانب الأمم الوثنية كانت هناك أمة بنى إسرائيل التى تخيرها الله فى وقت ما لكى تكون عينة من عينات البشر يجرى فيها وبها تدبير الخلاص. فقد عبر أنبياء العهد القديم عن حاجة بنى الإنسان إلى المخلص وإلى الفادى، كلهم تحدثوا عن هذا المجئ، وتوقعوه، وحيوه وأنبأوا به فمنهم من قال: «أراه ولكن ليس حاضرا، أبصره ولكن ليس قريبا، يبرز كوكب من يعقوب ويقوم صولجان من إسرائيل» (العدد ٢٤ : ١٧) ومنهم من قال: «لخلاصك انتظرت يارب» (التكوين ٤٩ : ١٨) ومنهم من قال: «ارجعوا إلى الحصن ياأسرى الرجاء» (زكريا ٩ : ١١، ١٢) وقصد بذلك الجحيم الذى انطلقت إليه أرواح القديسين فى العهد القديم وظلوا هناك محبوسين، لأنه لم يكن مباحا بعد للإنسان أن يقترب من الفردوس المغلق فى وجه الإنسان.

إنّ حنه ابنه فنوئيل. وكانت أرملة نحو أربع وثمانين سنة لا تبرح الهيكل حينما رأت المسيح طفلا على يدى سمعان الشيخ، وسمعان يقول: «الآن اطلق ياسيدى عبدك بسلام، وفقا لكلمتك فإن عينى قد أبصرتا خلاصك، الذى أعددته أمام كل الشعوب» - جاءت وشكرت الرب وحدثت عنه كل من كان ينتظر فداء فى أورشليم (لوقا ٢ : ٢٨ - ٣٨) وتشكره لأنه جاء الوقت الذى فيه تفقّد الله شعبه وأشرق على الجالسين فى الظلمة نور، وظهر، وفى ظهوره فتح باب الرجاء أمام النفوس اليائسة. فبنو إسرائيل وأنبياؤهم جميعا، عبروا عن حاجة البشرية إلى هذا المخلص، وإلى هذا الفادى الذى بمجيئه يكون الخلاص والفداء للإنسان ورجوعه إلى الفردوس الذى كان مغلقا فى وجهه.

فاليهود إذن وغير اليهود من الأمم ومن الوثنيين، هؤلاء وأولئك جميعا عبروا عن حاجة البشر إلى الخلاص. ومن أجل هذا جاء المسيح فى الوقت الذى اشتدت فيه الحاجة إليه، وتحقق جميع الناس ذلك.

لذلك قال الكتاب: «فلما تم الزمان، أرسل الله ابنه مولودا من إمرأة، مولودا تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى» (غلاطية ٤ : ٤).

فمجئ المسيح برهان حبه لنا، ولطفه بنا، وعنايته واهتمامه بجنسنا. «تفقدنا المشرق من العلاء» (لوقا ١ : ٧٨) جاءنا وعاش معنا، وعاش ظروفنا وأحوالنا، ولمس متاعبنا، لا لأنه كان جاهلا بطبيعتنا، ولا لأنه كان غير عارف بظروفنا وآلامنا، إنّما لكى يشعرنا نحن بأنه أبونا وراعينا، وأنه مهتم بنا، لذلك جاء إلينا.

بمجئ المسيح تغيرت صورة الإله فى نظر الإنسان :

لقد غير المسيح له المجد بمجيئه الصورة التى كان يعرفها الناس عن الإله. كان الإله فى

نظر اليونان والرومان إلها متعاليا مترفعا يسكن وراء الجبال ولا يحفل بالبشر، ولا يهتم بهم. ما علاقته بهم؟ هو فى سموه وعلوه أعلى وأعظم وأشرف من أن يحفل بالإنسان...

أما فى المسيح فقد تغيرت الصورة، فرأينا - فى المسيح - الله الذى يحفل بالبشر. الله الذى يرعى الناس، ويهتم بهم..

الإله الذى علاقته بالإنسان علاقة الأب بابنه..

الإله الذى ينزل إلينا ليعيش معنا كأنه واحد منا.

المسيحية أثرت فى غير المسيحيين أيضاً :

فى أحد المؤتمرات العالمية، وكان مؤتمرا للأديان الحية، أذكر كلمة قالها أمامنا واحد من غير المسيحيين، قال: «من المسيحية تعلمنا شيئا جديداً، رأينا الله الذى يشارك الإنسان فى الألم. هذه الصور غير موجودة فى أى دين آخر لكنها موجودة فى الديانة المسيحية وحدها، وقد إنفردت ديانة المسيح بهذا الأمر، أنها تقدم لنا الله متألما مع البشر».

لقد تأثرت وأنا أسمع من رجل غير مسيحى هذا التعليق، إنه أدرك أن المسيحية ديانة تقدم لنا الله، لا إلها متعاليا مترفعا بعيدا عن الإنسان، لا يحفل به، ولا يهتم بأمره، إنما تقدمه على أنه إله محب، إله أب. وأب، بكل معنى الأبوة! لم يرضَ أن يحيا فى غنى عن الإنسان بل جعل مسرته فى بنى الإنسان «بالناس المسرة» (لوقا ٢ : ١٤).

شكرا يارب.. شكرا لك يارب إذ جعلت يا إلهى مسرتك فى الناس. هذا معناه أنك تحب الناس.. وتسعد بهم..

وبعد، كيف يمكن للإنسان أن يتنكر لهذا الحب؟!!

كيف عبر الإنسان عن حبه لله مخلصه وفاديه:

أيمكن للإنسان إلا أن يقابل الحب بحب «نحن نحبه لأنه قد أحبنا هو أولا» (١ . يوحنا ٤ : ١٩).

نحبه لأنه هو أحبنا أولا.. هو صاحب الفضل الأول، ونحن نرد له حبا بحب. هو صاحب الجميل ونحن نرد له بعض الجميل. من أجل هذا عبر الروحانيون من بنى البشر، عن تأثرهم بهذا الحب، وعن تعلقهم به.

عبروا عنه بصلواتهم الحارة التى رفعوها عبر كل العصور. والتى تعبر وتنطق بتأثر الإنسان بفضل الله، وفضل محبته.

اجمعوا صلوات القديسين العميقة فى هذه المئات من السنين، واقرأوها وتأملوها، تجدوا كيف عبر الإنسان عن حبه لله وأفصح له بأنه أسير له. وأنه مديون لمحبته له، غارق فى هذا الدين، ولا يقدر أن يفى به.

ومن القديسين من رأى أن الصلوات لا تكفى، وأن الأصوام لا تكفى، وأن القرابين والعطايا وكل أنواع الضحايا لا تكفى، تعبيرا عن هذا الحب. لذلك تحركوا عمليا لكى ينقطعوا لخدمة هذا الرب، تعبيرا عن الحب.. «فاختارت مريم النصيب الصالح» لتجلس عند قدميه، لا تعمل شيئا إلا أن تصغى، وأن تتأمل.. وأن تحيا فى عاطفة الحب.. وتشبع منها.. وتتغذى بها. وكل الذين على مسيرة مريم ساروا، هؤلاء الذين وجدوا بقاءهم فى الدنيا ومشاغلها يعوقهم عن هذه المناجاة الروحية الباطنية، فالبعض منهم خرج من الدنيا وتعجل الآخرة وأراد أن يحيا فى العالم الآخر وهو فى العالم الحاضر.

فمنهم من أراد أن يهرب بذهنه وبعقله، من الدنيا ومشاغلها، ويفر من ضجيجها وعجيجها، إلى الجبال وإلى الصحارى، وإلى شقوق الأرض، والمغاور والكهوف؟!! فمن كلّفهم بذلك؟!! ومن أمرهم أن يمضوا إلى الجبال؟!! وأن يعيشوا فى شقوق الأرض ومغاورها وكهوفها، يعانون قسوة الحياة وشظف العيش، ويمارسون النسك والحياة القاسية الجافة؟.

من كلّفهم بذلك؟!! من ذا أمرهم به؟!! إنه الحب. هو الذى استثارهم وجذبهم وشدهم، وقد شعروا أن الإخلاص فى الحب واجب مقابل يفرضه الوفاء، ذهبوا ليعبروا عن محبتهم من دون أن يطلب أحد منهم ذلك. خرجوا إلى الجبال، إلى شقوق الأرض، من أجل عظم محبتهم فى الملك المسيح، وأعطوا حياتهم «للصلاة بلا إنقطاع» (تسالونيكى الأولى ٥: ١٧) حتى النوم! وهو أمر طبيعى، وكل إنسان فى حاجة إليه، شعروا بأنهم يجب أن يقللوا منه ما أمكن لكى يقضوا مع المسيح أطول مدة ممكنة! حتى النوم وهو طبيعى! رأوا فيه عائقا عن هذه المناجاة التى يعبرون بها عن حبهم مقابل الحب الذى أحبهم المسيح به.

وكل تاريخ البشرية.. وكل تاريخ المسيحيين، فى هذين الألفين من السنين.. فى العشرين قرنا التى مضت.. عبر فيها أتقياء المسيحيين، بمختلف الوسائل عن وفائهم لهذا الجميل.

فمنهم من صلى، ومنهم من كتب كتبا، ومنهم من وعظ وعلم، ومنهم من عبر عن حبه بفنون التصوير، والنحت، والموسيقى، وكلها وسائط تعبير عن التأثر، وعن الحب الذى فى قلوبهم نحو المسيح، الذى أحبهم أولا.

وبقدر ما يكون الفنان متأثرا بعمق، بقدر ذلك ينجح فى التعبير عن شعوره، ويستطيع أن ينقل نقلا صادقا وعميقا ما يشعر به. ولذلك يرتفع الفن فى كل بلد من بلاد المسيحية، كلما كان فى هذا البلد شعور أكثر بمحبة المسيح، وتأثر أكثر بمحبة المسيح التى غلبت والتى سيطرت على قلب الإنسان، وملكت عليه، وأسرته، وجعلته أسيراً لها.

كل هذه مظاهر حبنا للمسيح. تعبيرا عن وفائنا للمسيح الذى أحبنا، والذى جاء من السماء من أجلنا.

ما الذى كسبناه أيضا من تجسد المسيح؟:

ولكن شيئا آخر قد كسبناه فى طبيعتنا. وليس التجسد معناه فقط أن الله إهتم بالإنسان، وأنه أحبه، وأنه أتى لخلاصه، ولكن الإنسان كسب من مجئ المسيح شيئا دخل إلى صميم طبيعته. إن الله أخذ طبيعتنا، ونحن أيضا أخذنا من طبيعته. «وهو أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له».

ما أعظم كسبنا! ما أعظم ربحنا! إنه أخذ منا طبيعتنا، فلم نخسر ما أعطيناه إياه، بل على العكس إزداد الذى أعطيناه له شرفا وكرامة ورفعة وجلالا، فقد رفع المسيح فى المجد جسدنا وأصعده إلى السماء. فكان صعوده بجسد بشريتنا باكورة. فتح أمامنا طريق الخلاص، فتح أمامنا الفردوس المغلق فى وجوهنا.

ثم إننا أخذنا من طبيعته هو، أخذنا منه.. أخذنا الذى له.. أخذنا ما رفعنا فوق شهواتنا.. وفوق رغباتنا.. وفوق حياتنا الدنية. بعد أن كنا نشتاق ونتحرق نحو الترابيات والجسديات والحسيات، صار البعض منا على الأقل، ممن أخذوا طبيعة المسيح فى المعمردية، وصانوا الحلة الأولى التى أخذوها فى المعمودية، ورعوها بالمجاهدات الروحية، بالصلوات والأصوام والتأملات والقراءات وفحص الضمير وما إليها من أعمال التقوى ووسائط الخلاص.. قد تساموا فوق الترابيات والجسديات والحسيات.. وكسبوا لطبيعتهم ولإنسانيتهم قوة بل قوى.. أخذوا موهبة بل مواهب، رفعتهم فوق مستوى طبيعتهم البشرية، ردتهم لا إلى طبيعة آدم الأول فقط، ولكن أعطتهم إمتيازات أعظم، فقد قال المسيح «أن الأصغر فى ملكوت السماوات أعظم من أعظم مواليد النساء». (متى ١١: ١١)، (لوقا ٧: ٢٨) لأن أصغر إنسان فى الكنيسة قد نال بإستحقاقات المسيح مواهب وإمتيازات وعطايا لطبيعته، أعظم مما ناله يوحنا المعمدان أعظم أنبياء العهد القديم.

هذا هو المعنى الذى كان فى ذهن القديس أوغسطينوس يوم أن إمتلأ شعوره بالشكر والامتنان للرب حتى بارك خطيئة آدم. قال «مباركة هى خطيئة آدم التى جلبت لجنسنا كل هذا الخير وكل

تستغنى، وثيابا بيضا حتى تلبس ولا يظهر خزى عريتك، واثمدا تكحل به عينيك حتى تبصر» (الرؤيا ٣: ١٧، ١٨).

لقد كسانا المسيح ببره فلنحفظ الحلة... لنحفظ للحلة كرامتها... والحلة إذا اتسخت نغسلها بدموع التوبة.. ونصلى.. ونتفاضل ونتنافس فى الخير.. ونجاهد من أجل الحياة الأفضل، «جدوا للمواهب الروحية» (١ . كورنثوس ١٤: ١). «أطلبوا تعطوا، ابحثوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم..» (متى ٧: ٧).

«تغيروا.. تغيروا.. تغيروا عن شكلكم، بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة (رومية ١٢: ٢).

ما الذى يعوزنا:

يعوزنا أن نتغير فى الذهن بعد أن تغيرنا فى المعمودية، وأخذنا الطبيعة التى أعطانا المسيح إياها، ولبسنا الحلة الأولى الجميلة الناصعة البياض... فلنحفظ للحلة كرامتها، ولنحفظ للحلة بياضها، وإذا إتسخت نغسلها... فباب التوبة مفتوح وليس كل من يقول عن نفسه إنه تاب يكون قد تاب فعلا توبة حقيقية صادقة.. فلربما أن يكون قد خدع نفسه أو خدع غيره.

أما إذا كانت توبتنا صادقة، فالله يقبلها ويمحو خطايانا... ويطهرنا من كل إثم.. ويرد إلينا طبيعتنا المجيدة، طبيعته المقدسة المقامة من بين الأموات.

فليبارك المسيح علينا جميعنا ويحفظنا فى اسمه المبارك غير عاثرين فى شئ.

له المجد والكرامة وله المجد إلى الأبد آمين،

تستغنى، وثيابا بيضا حتى تلبس ولا يظهر خزى عريتك، واثمدا تكحل به عينيك حتى تبصر» (الرؤيا ٣: ١٧، ١٨).

لقد كسانا المسيح ببره فلنحفظ الحلة... لنحفظ للحلة كرامتها... والحلة إذا اتسخت نغسلها بدموع التوبة.. ونصلى.. ونتفاضل ونتنافس فى الخير.. ونجاهد من أجل الحياة الأفضل، «جدوا للمواهب الروحية» (١ . كورنثوس ١٤: ١). «أطلبوا تعطوا، ابحثوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم..» (متى ٧: ٧).

«تغيروا.. تغيروا.. تغيروا عن شكلكم، بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة (رومية ١٢: ٢).

ما الذى يعوزنا:

يعوزنا أن نتغير فى الذهن بعد أن تغيرنا فى المعمودية، وأخذنا الطبيعة التى أعطانا المسيح إياها، ولبسنا الحلة الأولى الجميلة الناصعة البياض... فلنحفظ للحلة كرامتها، ولنحفظ للحلة بياضها، وإذا إتسخت نغسلها... فباب التوبة مفتوح وليس كل من يقول عن نفسه إنه تاب يكون قد تاب فعلا توبة حقيقية صادقة.. فلربما أن يكون قد خدع نفسه أو خدع غيره.

أما إذا كانت توبتنا صادقة، فالله يقبلها ويمحو خطايانا... ويطهرنا من كل إثم.. ويرد إلينا طبيعتنا المجيدة، طبيعته المقدسة المقامة من بين الأموات.

فليبارك المسيح علينا جميعنا ويحفظنا فى اسمه المبارك غير عاثرين فى شئ.

له المجد والكرامة وله المجد إلى الأبد آمين،

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسوعة الأنبا غريغوريوس

٧ـ اللاهوت العقيدى «الجزء الثانى»
سرّ التجسد والفداء

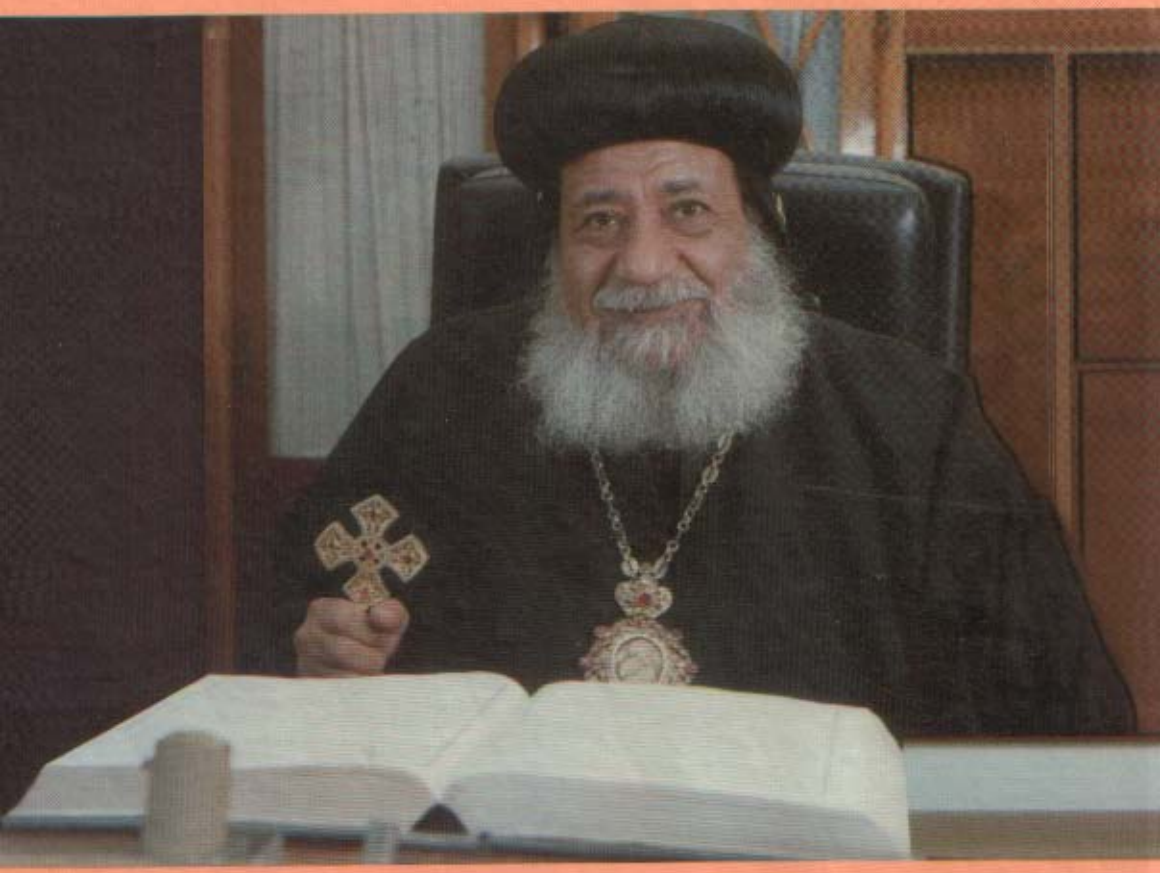

للمتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

فى
سر التجسد

موضوعات وإجابات على أسئلة

موضوعات وإجابات على أسئلة: ٨٩
١ ـ والكلمة اتخذ جسدا. ٩٠
٢ ـ التجسد من مريم العذراء. ١٠١
٣ ـ لما تم الزمان ظهر الله الكلمة متجسداً. ١٠٥
٤ ـ عيد الميلاد هو عيد التجسد الإلهى. ١١٠
٥ ـ فى عيد الميلاد المجيد. ١١٣
٦ ـ روح السلام فى ملك السلام وصانع السلام. ١١٦
٧ ـ المولود ملكاً... وملكا إلى الأبد. ١٢١
٨ ـ الاختيار الملهم لفصول القراءة فى ليلة عيد الميلاد المجيد. ١٢٦
٩ ـ ترقب البشرية مجيء السلام. ١٣٢
١٠ ـ والكلمة اتخذ جسدا. ١٣٥

صفحة

١١ ـ ولدته وبكارتها مختومة. ١٣٦
١٢ ـ الميلاد الأزلى والميلاد الزمنى. ١٣٨
١٣ ـ لاهوته لم يفارق ناسوته. ١٤٦
١٤ ـ للمسيح وهو كلمة الله المتجسد روح إنسانية. ١٥٢
١٥ ـ طهارة جسد المسيح من لوثة الخطيئة الأصلية. ١٥٣
١٦ ـ كيف ولدت العذراء المسيح وهى دائمة البتولية. ١٥٨
١٧ ـ المسيح هو الله وقد اتخذ جسدا وجسده لا يحجب بهاء لاهوته. ١٦٣
١٨ ـ جسد المسيح مخلوق لكن لاهوته أزلى غير مخلوق. ١٦٦
١٩ ـ هل كان يأكل السيد المسيح كما يأكل البشر؟. ١٦٧
٢٠ ـ المسيح هو الله وقد اتخذ جسدا وظهر فى الهيئة كإنسان. ١٧٢
٢١ ـ الروح الناسوتية للسيد المسيح. ١٧٤
٢٢ ـ ناسوت السيد المسيح. ١٧٥
٢٣ ـ جسد السيد المسيح. ١٧٦
٢٤ ـ يسوع بن يوسف. ١٧٨
٢٥ ـ سر التجسد وضرورته. ١٨٠
٢٦ ـ لماذا يارب.. لماذا؟. ١٨٣
٢٧ ـ فى ميلادك يارب نتأمل فنتعلم. ١٨٨
٢٨ ـ ترتيب قراءات فصول الإنجيل. ١٩١
٢٩ ـ صانع السلام. ١٩٥
٣٠ ـ السلبية والإيجابية. ١٩٧
٣١ ـ لماذا ولدت يارب فى بيت لحم؟. ٢٠٠
٣٢ ـ لماذا أعطى الله وصية لآدم وهو يعلم أنه سيعصيها؟. ٢٠٥
٣٣ ـ هل كان الله ينتظر آدم أن يعترف بخطيئته؟. ٢٠٧

١- «والكلمة اتخذ جسدا» (١)

(يوحنا ١ : ١٤)

من هذا الذى ولد فى مثل هذا اليوم من ١٩٨٣ سنة؟

ولد فى فلسطين وظهر فى أحقر إقليم فيه، هو إقليم الجليل الذى كانوا يقولون عنه «إنه لا يقوم نبى من الجليل» (يوحنا ٧: ٥٢).

وانتمى المسيح إلى أحقر مدينة من مدن الجليل، هى «الناصرة» وسمى لذلك يسوع الناصرى، مع أنهم قالوا عنها «أيمكن أن يخرج من الناصرة شئ صالح؟» (يوحنا ١: ٤٦).

وانتسب المسيح إلى أحقر بيت من بيوت الناصرة، هو بيت يوسف النجار، ومريم العذراء اليتيمة والفقيرة...

وعندما ولد المسيح، ولد فى بيت لحم تلك القرية التى وصفت بأنها «الصغرى بين ولايات يهوذا» (متى ٢: ٦)، (ميخا ٥: ٢).

وفى بيت لحم لم يكن له حتى فى الفندق أو الخان الذى نزلت فيه أمه مكان، «فولدته وقمطته وأضجعته فى مذود» (لوقا ٢: ٧).

وعاش المسيح فقيراً جداً «ليس له موضع يسند إليه رأسه» (متى ٨: ٢٠)، (لوقا ٩: ٥٨).

ومن آيات فقره إنه لم يكن لديه ما قيمته قرشان، فلما طالبه جباة الخراج أو الجزية بالمبلغ الذى فرضوه عليه عن غير حق، قال لتلميذه سمعان بطرس «اذهب إلى البحر وألق صنارة، وأول سمكة تخرج أمسكها، فحين تفتح فاها ستجد إستارا (= أربعة دراهم فضة)، فخذه وأعطهم عنى وعنك» (متى ١٧: ٢٧).

* * *

وإذا كان هذا هو شأنه، ولد فقيرا وعاش فقيراً، فلماذا اهتمت بمولده ملائكة السماء تبشر بميلاده الأمر الذى لم يسبق إليه فى كل تاريخ البشرية.

---

(١) ألقيت فى الإحتفال بعيد الميلاد المجيد - ٧ من يناير ١٩٨٣م - ٢٩ من كيهك ١٦٩٩ش.

قال الملاك لرعاة الغنم فى ليلة ميلاده وكانوا بالبادية يتناوبون السهر بالليل فى حراسة قطعانهم «وإذا بملاك الرب يظهر فجأة قبالتهم، ومجد الرب يضئ من حولهم، فارتعبوا ارتعاباً شديداً. فقال الملاك لهم: لا تخافوا. فها أناذا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب، إذ ولد لكم اليوم فى مدينة داود (= بيت لحم) مخلص هو المسيح الرب... ثم ظهرت بغتة مع الملاك كوكبة من جند السماء يسبحون الله قائلين: المجد لله فى الأعالى، وعلى الأرض السلام، وبالناس مسرته» (لوقا ٢ : ٨ – ١٤).

وقبل أن يحبل به فى البطن جاء رئيس الملائكة جبرائيل إلى العذراء الطاهرة مريم، وبادرها بتحية لم تسمعها إمرأة من قبل «السلام لك أيتها الممتلئة نعمة. الرب معك. مباركة أنت فى النساء». ولما اضطربت من قوله، وأخذت تفكر ما عسى أن يكون معنى هذه التحية، قال الملاك لها... إنك قد نلت نعمة عند الله. وها أنت ذى ستحبلين وتلدين إبناً تسمينه يسوع. وسيكون عظيماً، وابن العلى يدعى، وسيعطيه الرب الإله عرش داود ابيه، فيملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولن يكون لملكه إنقضاء» (لوقا ١ : ٢٧ – ٣٣).

وإذن فذاك الذى ولد فقيراً وعاش فقيراً هو يسوع المسيح ابن الله العلى، وهو ابن الله لأنه ليس له أب من الناس، ولم يولد من زرع بشر، فأمه عندما ولدته كانت عذراء. وبعد أن ولدته ظلت عذراء، بل العذراء معرفة بالألف واللام، لأنها الدائمة البكارة والدائمة البتولية.

ثم إن ذاك الذى ولد فقيراً وعاش فقيراً هو الوارث بالجسد لداود الملك، وهو ملك بنى إسرائيل إلى الأبد، «ولن يكون لملكه إنقضاء».

هذا الذى ولد فقيراً وعاش فقيراً هو «المسيح الرب كما قال الملاك ليلة ميلاده وهو المسيح الملك» (لوقا ٢٣ : ٢) كما أنبأت عنه الأنبياء من قبل مجيئه فى الجسد بأجيال كثيرة، لكنه ليس ملكاً من طراز هيرودس أو طيباريوس قيصر، فعندما سأله بيلاطس قائلاً: «أأنت ملك اليهود؟» أجابه ليطمئنه أنه ليس من ملوك الأرض «إن مملكتى ليست من هذا العالم. ولو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يقاتلون عنى.. والآن فإن مملكتى ليست من هذا العالم. فقال له بيلاطس «أفأنت إذن ملك؟ أجابه قائلاً: نعم أنا ملك كقولك. ولأجل هذا ولدت أنا، ولأجل هذا جئت إلى العالم كى أشهد للحق» (يوحنا ١٨ : ٣٦، ٣٧)، وكما يقول الوحى الإلهى «القدير وحده

ملك الملوك ورب الارباب» (١ . تيموثيئوس ٦ : ١٥)، وعلى ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب «ملك الملوك ورب الأرباب» (الرؤيا ١٩ : ١٦)، (١٧ : ١٤).

لكن اليهود لم يفهموا فقالوا لبيلاطس «إن أنت أطلقت سراحه فلست محبا لقيصر، لأن كل من يجعل نفسه ملكاً إنما يقاوم قيصر.. ليس لنا ملك إلا قيصر» (يوحنا ١٩ : ١٢، ١٥).

لقد أنكر اليهود على المسيح أنه «ملك اليهود» حتى إنه لما وضع بيلاطس لافتة على الصليب وكتب فيها بالعبرانية واللاتينية واليونانية «يسوع الناصرى ملك اليهود» اعترض رؤساؤهم قائلين لبيلاطس «لا تكتب إنه ملك اليهود بل إنه هو قال أنا ملك اليهود» (يوحنا ١٩ : ١٩ - ٢١).

ولم ينتبه اليهود إلى معنى دخول المسيح أورشليم فى أحد السعف راكباً على أتان وجحش ابن أتان وهو الذى كان دائما يسير على رجليه، وإن ذلك كان إتماما لمقولة الوحى الإلهى على لسان النبى زكريا «اهتفى يابنت أورشليم، قولوا لإبنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعاً وراكبا أتاناً وجحشاً ابن أتان» (متى ٢١ : ٥)، (زكريا ٩ : ٩).

ولم يتنبهوا لهتاف الجموع الذين كانوا يسيرون أمامه والذين كانوا يسيرون خلفه وكانوا يهتفون قائلين «المجد لمخلصنا ابن داود. مبارك الآتى باسم الرب. المجد لمخلصنا فى الأعالى. مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب. مبارك الملك الآتى باسم الرب ملك إسرائيل. السلام فى السماء، والمجد فى الأعالى» (متى ٢١ : ٩)، (مرقس ١١ : ١٠)، (لوقا ١٩ : ٣٨)، (يوحنا ١٢ : ١٣).

والعجيب فى تدبير العناية الإلهية أن الذى لم يتنبه له اليهود على الرغم من أقوال الأنبياء السابقين، تنبه له المجوس الذين أتوا إلى أورشليم من المشرق، من إيران، بلاد الفرس على ما يقول كثيرون، منهم: أكليمنضس الأسكندرى، وديودوروس الطرسوسى ويوحنا ذهبى الفم، وكيرلس الأسكندرى، قائلين: «أين هو المولود ملك اليهود، فإننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له» (متى ٢ : ١، ٢).

فقد كان زرادوشت ZARATHUSTRA زعيم المجوسية ونبيهم فى زمن الملك قمبيز، (وكان زرادشت ZOROASTER قد ظهر) حوالى منتصف القرن السابع قبل الميلاد (وتوفى حوالى ٥٨٣ ق.م) كما روى عنه العلامة أبو الفرج (غريغوريوس مفريان الشرق) الشهير بابن

العبرى (١٢٢٦ – ١٢٨٦) فى كتابه «تاريخ مختصر الدول» أنه قد أخبر ذويه بظهور السيد المسيح وأمرهم بأن يحملوا إليه قرابينهم عند ظهوره، وأنبأهم بأنه فى آخر الزمان يكون أن بكرا تحبل بجنين من غير أن يمسها رجل. وعند ميلاده يظهر بالنهار كوكب، ترى فى وسطه صورة صبية عذراء. وأنتم ياأولادى ستحسون بظهوره قبل جميع الأمم. فإذا شاهدتم هذا الكوكب، فاذهبوا معه إلى حيث يقودكم، واسجدوا لذاك المولود، وقربوا إليه قرابينكم، فهو الكلمة مقيم السماء. ويروى ابن العبرى بعد ذلك فى صفحة ١١٠ من كتابه «تاريخ مختصر الدول» أن المجوس ساروا بهدى النجم إلى أن وصلوا أورشليم القدس، واختفى هناك عن أعينهم فدخلوا أورشليم، وجعلوا يتساءلون قائلين: «أين هو المولود ملك اليهود، فإننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له». فلما نما الخبر إلى هيرودس الملك استدعاهم وسألهم عن حقيقة ما جاؤا لأجله بهذا الركب العظيم الذى يتقدمه ثلاثة من ملوكهم (على ما يذكر العلامة أوريجينوس - وترتليانوس) وهم فى نفس الوقت رؤساء كهنتهم، وهم جسبار CASPAR وميلشيور MELCHIOR وبالثاسر BALTHASAR قالوا له: إن زعيمنا قد أنبأنا بأنه سيولد فى فلسطين «مولود أصله من السماء، وسوف يتعبد له كثيرون، وفى وقت ميلاده يظهر نجم غريب» ولسوف تهتدون بهذا النجم إلى حيث هذا المولود الإلهى، فمتى رأيتم النجم سيروا وهو يتقدمكم، واحملوا معكم إلى المولود قرابينكم من الذهب واللبان والمر.

ويقول الإنجيل «فلما سمع هيرودس الملك ذلك اضطرب هو وكل أورشليم معه، وجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم: أين ينبغى أن يولد المسيح؟ فقالوا له: فى بيت لحم التى بإقليم اليهودية لأنه هكذا كتب بواسطة النبى: «وأنت يابيت لحم بأرض يهوذا، لست الصغرى بين ولايات يهوذا، لأن منك يخرج الحاكم الذى يرعى شعبى إسرائيل. وعند ذلك اختلى هيرودس بالمجوس، وتحقق منهم عن الوقت الذى ظهر فيه النجم. ثم بعث بهم إلى بيت لحم قائلا: اذهبوا وابحثوا عن الصبى بتدقيق فإذا وجدتموه فأخبرونى لكى أجئ أنا أيضا وأسجد له. فاستمعوا إلى الملك وانصرفوا، وإذا النجم الذى كانوا قد رأوه فى المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق الموضع الذى كان فيه الصبى. فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جدا. وحين أتوا إلى البيت رأوا الصبى مع مريم أمه، فخروا وسجدوا له، ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا من ذهب ولبان ومر. ثم أوحى إليهم فى حلم ألا يرجعوا إلى هيرودس، فانصرفوا من طريق آخر إلى بلادهم» (متى ٢: ١ – ١٢).

ولعله إلى هذا يشير سفر المزامير إذ يقول عن المسيح المنتظر «أمامه يجثو أهل البرية، وأعداؤه يلحسون التراب. ملوك يحملون إليه الهدايا، ملوك... يقربون له العطايا. ويسجد له جميع الملوك. وتتعبد له كل الأمم... ويؤدون إليه ذهب شبأ... النهار كله يباركونه.. يكون اسمه إلى الأبد. مادامت الشمس، (ينمو) يمتد اسمه، ويتبارك فيه جميع قبائل الأرض وتغبطه كل الأمم» (مزمور ٧١: ٩ – ١٧).

فالمجوس طائفة من الحكماء والعلماء والكهنة والعباد لأورموزدا ORMAZD أو OR-MUZD مبدأ الخير، ورب الحكمة، اشتهروا أولا فى ميديا، وهى منطقة فى شمال غربى ايران ولهم زيهم الخاص ويسكنون منفردين عن سائر الناس وقد امتد نفوذهم الدينى ووضعهم الإجتماعى وصاروا مشهورين بالعلم والقدرة على تفسير الأحلام، وكانوا أيضا علماء بالتنجيم والإنباء بالمستقبل القريب والبعيد، وكانوا فى مبدأ الأمر مستشارى الملك ومشيرى المملكة، وهم لذلك يحتلون مركزاً متوسطا بين الملك والشعب. ثم أخذ نفوذهم يمتد ويقوى حتى صار بعضهم رؤساء فى المملكة أو رءوساً أو ملوكاً لأنه لم يكن يتم شئ فى المملكة من غير رأيهم ومشورتهم، لأن بيدهم مفاتيح المعرفة، وهم الواقفون على أسرار العالم المجهول، (والكلمة نفسها (مجوس) معربة عن ميخ كوش بالفارسية، ومعناها (صغير الأذنين).

يقول فورفوريوس PORPHYRY «الذين يسمون بالمجوس، بين الفرس، هم الحكماء والعلماء فى الإلهيات، ومن يقوم على خدمتهم»، ويقول هيزيخيوس HESYCHIUS «إن العباد واللاهوتيين أو الكهنة والقسيسين يسمون عند الفرس بالمجوس وهم يتعبدون للنار المقدسة ويمارسون التطهر بالماء ويزاولون رصد النجوم..»

ويقول هيرودوت HERODOTUS إن المجوس طائفة من الميديين MEDES الذين يدّعون تفسير الأحلام، ويمارسون رسميا الطقوس الدينية المقدسة. وبالإيجاز هم طائفة العلماء والكهنة الذين كان من المفروض فيهم أن يستخرجوا من الكتب، وعن طريق رصد النجوم وبالبصيرة الخارقة يستلهمون أحداث المستقبل. ولقد صار لهم بفضل ذلك نفوذ عظيم، وكانوا دائما يستشارون فى الأمور الهامة.

* * *

ومع ذلك يبقى أمر النجم الذى ظهر للمجوس غريبا: ما نوع هذا النجم الذى يسير فى السماء نهاراً أمام المجوس، ويختفى عندما يصلون إلى أورشليم، وبعد أن يتنبه هيرودس واليهود إلى حقيقة الميلاد لملك اليهود، يخرج المجوس من أورشليم صوب بيت لحم، فيظهر لهم النجم من جديد، ويتقدمهم حتى يجئ ويقف فوق الموضع الذى كان فيه يسوع المسيح طفلا، ويفرحون فرحاً عظيماً جداً برؤية النجم الذى كان قد اختفى عن نواظرهم عند اقترابهم من أورشليم حتى خرجوا منها؟

هل كان هذا النجم من طراز تلك النجوم المعروفة فى قبة السماء؟

بالتوكيد كلا؟ بدليل قول المجوس «إننا رأينا (نجمه) فى المشرق، فأتينا لنسجد له». وإذن فهو نجم خاص بالمولود الإلهى. تأمل هاء النسبة: (نجمه).

ثم إنه نجم متميز، نجم يحمل علامات تدل على أنه مرتبط فى أذهان المجوس بنبوءة تحققت بظهوره. ولذلك فإن المجوس حين رأوه تحركوا وسافروا من إيران إلى أورشليم، وهذا يؤكد أنها بالفعل نبوءة زرادشت زعيم المجوسية، مما يدل على أن النجم نجم يتميز بعلامات رآها المجوس فتحققوا بها أنه النجم الذى أنبأهم عنه زرادشت زعيمهم ونبيهم، والذى رأوا فيه صورة صبية عذراء؟

ثم ما هو هذا النجم الذى يتحرك فى السماء فى اتجاه مرسوم ليهدى المجوس، ويسير أمامهم ويسيرون هم وراءه ثم يتجه بالضبط إلى أورشليم ثم يختفى هناك ثم يظهر من جديد فى الطريق الذاهب إلى بيت لحم ثم يقف فى السماء فوق الموضع الذى كان فيه الصبى الإلهى؟

لابد أن يكون هذا النجم ظاهرة غير طبيعية، وخصوصا أنه ظهر للمجوس نهاراً. (فلربما كان ملاكاً نورانيا مرسلاً من السماء لهداية المجوس من بلاد بعيدة). وهذا وحده بينة على أن المسيح وإن كان هو ملك اليهود كما قال عنه المجوس، وكما دلتهم على ذلك نبوءة سابقة تناقلتها الأجيال منذ أنبأهم بها زرادشت فى القرن السابع قبل الميلاد، وظلت محفوظة فى تراثهم إلى أن تحققت بظهور هذا النجم الخاص، إنما أيضاً هذا دليل على أن المسيح جاء ليس لليهود وحدهم وأن أهميته ليست مقصورة على شعب اليهود، ولكن لشعوب أخرى غير اليهود.

ولعل هذا النجم أو الكوكب اللامع هو الذى أنبأ به نبى من غير أنبياء اليهود وهو بلعام بن بعور وهو من فتور، وهى قرية فيما بين النهرين، قال عن المسيح «وحى بلعام بن بعور وحى الرجل المفتوح العينين. وحى الذى يسمع أقوال الله ويعرف معرفة العلى، الذى يرى رؤيا القدير... وهو مكشوف العينين . أراه، ولكن ليس الآن. أبصره ولكن ليس قريبا. يبرز كوكب من يعقوب ويقوم صولجان من إسرائيل... ويكون أدوم ميراثاً له، ملكاً له...» (سفر العدد ٢٤: ١٥ – ١٨).

أغلب الظن أن يكون هذا النجم الهادى للمجوس حكماء المشرق ليس نجماً عاديا كسائر النجوم التى تظهر فى السماء والتى يرصدها علماء الفلك، وعلماء التنجيم، ولعله ملاك نورانى، أو كائن منير بصير، عاقل وفهيم، يتحرك بخطة مرسومة وهادفة، أرشد المجوس إلى الملك المولود، ومن خلالهم هدى الفرس وبلاد المشرق إلى الحدث العظيم بميلاد الكلمة مقيم السماء كما قال زرادشت فى نبوءته، وأوصاهم وهم عباد أورموزدا إله الخير أن يتنبهوا لظهور هذا الملك الإله الذى من السماء يأتى، وينزل على الأرض فى صورة إنسان يولد كما يولد الإنسان، لكنه لا يولد من زرع رجل، وإنما يتخذ جسده من إمرأة عذراء بكر بتول لم ولا تعرف رجلاً معرفة الأزواج، يُكَوِّن منها جسده بقدرة خارقة. ومن هنا فإنه ليس ابن رجل من بين الناس، وإن كان قد اتخذ له صورة إنسان وشكل إنسان، يحتجب فيه ويستتر به الكلمة غير المنظور ليصير له كيان منظور كما يقول الإنجيل «والكلمة اتخذ جسدا، وحل بيننا.. ورأينا مجده... (يوحنا ١: ١٤).

وإذن هذا المولود من مريم ليس له أب من الناس، فمن يكون أباه إلا الله الواحد وحده؟ إذن هو ابن الله، لكن لا بمعنى أن الله ولده كما يلد الإنسان ابنه من صلبه ومن زرعه. حاشا لكنه ابن الله بمعنى أنه صورة الله الغير المنظور (كولوسى ١: ١٥). الله الغير المنظور بطبيعته لأنه نور (١. يوحنا ١: ٥) ومسكنه نور لا يقترب منه، وهو الذى لم يره إنسان ولا يستطيع أن يراه (١. تيموثيئوس ٦: ١٦) عندما أراد أن يصير له على الأرض كيان منظور، كان لابد أن يتخذ له جسداً يستتر به حتى يصير ممكناً للناس أن ينظروه. ولقد قال الله للنبى موسى عندما اشتهى أن يراه «أما وجهى فلا تستطيع أن تراه لأنه لا يرانى إنسان ويعيش» (الخروج ٣٣ : ٢٠).

من هنا فليس ميلاد المسيح كميلاد أى طفل آخر. كل طفل متى ولد فقد وجد، لأنه لم يكن له قبل ميلاده وجود. أما المسيح فهو الكلمة مقيم السماء والأرض، وقال عنه الإنجيل «فى البدء كان

الكلمة، والكلمة كان لدى الله. والكلمة هو الله. كان منذ الأزل لدى الله. كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان. فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس» (يوحنا ١: ١ – ٤).

إذن المسيح قبل أن يولد من العذراء مريم كان كائناً منذ الأزل، فميلاده ليس فى الواقع إلا تجسد. قال المسيح لليهود «لقد تهلل أبوكم ابراهيم مشتهياً بأن يرى يومى. وقد رأى وفرح. فقال له اليهود: إنك لم تبلغ الخمسين بعد أفرأيت إبراهيم؟ قال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» (يوحنا ٨: ٥٦ – ٥٨).

والنجم الذى ظهر للمجوس لم ينبه المجوس وحدهم إلى «المولود ملك اليهود» لكنه باختفائه عند مدخل أورشليم أيقظ أيضاً اليهود الغافلين، فلما جمع هيرودس كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وعلمائهم وسألهم «أين ينبغى أن يولد المسيح»؟ كان جواب الأئمة حاضراً، فقالوا له على الفور «فى بيت لحم التى بإقليم اليهودية لأنه هكذا كتب بواسطة النبى» (متى ٢: ٣ – ٥).

وهكذا أيقظ النجم، بلاد الفرس، كما أيقظ اليهود أيضاً لذلك «لما سمع هيرودس الملك ذلك اضطرب هو وكل أورشليم معه».

ما هو المعنى إذن من أن يظهر ملاك من السماء للرعاة فى البيداء بنور يضئ من حولهم حتى ارتعبوا ارتعاباً شديدا، ويبشرهم قائلا: هاأناذا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب، إذ ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب... وتظهر مع الملاك بغتة كوكبة من جند السماء يسبحون الله قائلين «المجد لله فى الأعالى، وعلى الأرض السلام، وبالناس مسرته» ثم يظهر فى السماء للمجوس فى بلاد المشرق نجم خاص بهذا المولود الملك، يهدى المجوس إليه فيحملون إليه قرابينهم وهداياهم من ذهب، ولبان، ومر...

إن البشرى لم تكن من الأرض، ولكنها من السماء: ملاك يبشر الرعاة بميلاد مخلص هو المسيح الرب، وكوكبة من جند السماء تسبح الله بالقول «المجد لله فى الأعالى»، ويخصون الأرض بالقول «وعلى الأرض السلام. وبالناس مسرته» أى أنه على الأرض ولد، ومن أجل السلام جاء إلى الأرض، وميلاده أو بالأحرى تجسده هو رحمة بالناس ومحبة لهم لأن مسرته بهم «فنعيمه ولذّاته مع بنى آدم (أمثال ٨: ٣١) إذ هم خليقته لا ينساهم، وإنما نزل من السماء ليخلصهم، إذ لم يكن لهم منهم فاد ومخلص، لأن الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. فرأى الرب وساء فى عينيه... فرأى أنه ليس إنسان وبهت أنه ليس شفيع، فخلصت له ذراعه، وبره هو

عضده . فلبس البر كدرع، وخوذه الخلاص على رأسه.. ويأتى الفادى إلى صهيون وإلى التائبين عن المعصية من يعقوب، يقول الرب» (إشعياء ٥٩: ١٥ - ٢٠).

ولماذا قدم المجوس قرابينهم للمسيح المولود من ذهب، ولبان، ومر؟

إن (الذهب) يشير إلى أنه ملك. قالوا «أين هو المولود ملك اليهود»؟

وأما (اللبان) فيرمز إلى أنه (إله ومعبود) يجب له التبخير والسجود. قالوا «فإننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له».

وأما (المر) فيرمز إلى أنه سيتألم. وهذه نبوءة مسبقة للدلالة على أنه جاء ليكون الفادى والمخلص. ألم يقل الملاك للقديس يوسف النجار خطيب العذراء مريم عن العذراء «وستلد ابنا وتسميه يسوع، لأنه هو الذى يخلص شعبه من خطاياهم» (متى ١: ٢١) وقال الملاك للرعاة فى البادية عندما ظهر لهم «ولد لكم اليوم فى مدينة داود «مخلص» هو المسيح الرب» (لوقا ٢: ١١) وكيف يتم الخلاص إلا بالفداء. والفداء معناه أن يموت المسيح بديلاً عن البشر، وبهذا يفديهم. وإذن المسيح نزل من السماء من أجل «خلاص» البشر، نزل ليكون «الفادى»، فيقبل من فرط محبته، الموت المحكوم به على آدم وبنيه من بعده، من أجل أن يهبهم الحياة، والخلاص من الهلاك الأبدى. «لأنه إلى هذا المدى أحب الله العالم حتى إنه بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به، وإنما ينال الحياة الأبدية» (يوحنا ٣: ١٦). وهو ما يردده المسيحيون فى قانون الإيمان قائلين «ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، واحد مع الآب فى الجوهر، الذى به كان كل شئ، هذا الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس وصلب عنا.. تألم وقبر وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث... وصعد إلى السماوات..

يقول القديس أثناسيوس الرسولى فى كتابه تجسد الكلمة:

«من كان يمكنه أن يرد الإنسان الفاسد إلى عدم الفساد غير كلمة الله ذاته الذى من البدء خلق كل شئ من العدم. لقد كان عليه هو وحده أن يرد الفاسد إلى عدم الفساد، وفى نفس الوقت أن يوفى مطلب العدل الإلهى المطالب به الجميع، لأنه هو وحده، بصفته كلمة الآب وفوق الجميع يمكنه أن يخلق كل شئ من جديد، وأن يتحمل الآلام بدلاً من الجميع، وأن يكون شفيعاً عند الآب عن الجميع» (تجسد الكلمة، الفصل ٧: ٥).

* * *

والآن فإن عيد الميلاد هو عيد السلام، وهو عيد المبادرة الإلهية بالمصالحة للناس «الله هو الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح.. أى أن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه» (٢. كورنثوس ٥: ١٨، ١٩).

إن الله الكلمة نزل إلى أرضنا، وحل بيننا وحل فينا أى فى طبيعتنا، واتخذ من طبيعتنا جسداً اتحد به (لاهوته)، فشاركنا حياتنا وظروفنا، فأفضى على طبيعة البشر شرفاً، وأى شرف أعظم من هذا أن يحمل كلمة الله جسد إنسان؟... وبعد أن تمم عمل الفداء والخلاص، صعد إلى السماء، وعندما صعد إلى السماء صعد بالجسد الذى أخذه منا، فصرنا نحن فى المسيح جالسين الآن فى السماء على عرش المجد.

فلنردد تسبيحة الميلاد أو بالأحرى عيد التجسد الإلهى «المجد لله فى الأعالى، وعلى الأرض السلام، وبالناس مسرته».

* * *

وفى ختام هذه الكلمة الروحية نوجه من فوق منبر الكاتدرائية المرقسية التحية إلى فخامة الرئيس محمد حسنى مبارك، رئيس جمهوريتنا المحبوب المناضل من أجل السلام بكل امتداداته فى الخارج والداخل.

إنه فى الداخل يعمل بخطط مدروسة مع العلماء والخبراء وقادة الفكر لتحقيق الأمن والأمان والاستقرار والسلام الإجتماعى والوحدة الوطنية، ماداً يده مبسوطة، وقلبه مفتوح، إلى كل القوى الوطنية للعمل معه، بإيجابية فعالة من أجل مصر وخيرها وسلامها ورخائها وازدهارها؟ إقتصاديا وإجتماعيا وحضاريا...

وفى الخارج يبذل جهوداً جبارة فى إجتماعات ولقاءات مع رؤساء العالم، يذهب فى سبيل السلام وتحقيق البناء من غير حرب، إلى الشمال والجنوب، إلى الغرب والغرب الأقصى وإلى الشرق والشرق الأقصى، فى حكمة وبصيرة، ينشر ويمد أواصر الصداقة والمحبة والتعاون على أساس من عدم الانحياز مع الاحترام المتبادل بين الشعوب، ورفض الهيمنة والاستعمار بكافة صوره مع الإلحاح المستمر على حل المشكلة الفلسطينية باعتبارها محور النزاع فى الشرق الأوسط، ومساندة الشعب الفلسطينى فى حقه الطبيعى فى تقرير مصيره.

ومع أن الكنيسة بصفتها هذه لاتقحم ذاتها أو رجالها فى السياسة، لكننا كمواطنين نحب بلدنا من حقنا بل من واجبنا أن نشيد بقيادتنا الوطنية، إذ نراها تبذل جهوداً مخلصة ورائدة وقوية فى سبيل الخير والسلام، ولا تتقوقع فى داخلها غافلة عن وضعها فى ملتقى القارات، ولاتتقاعس عن القيام بدورها الحضارى كعضو حى عامل وغير خامل فى الأسرة البشرية والعائلة الإنسانية العالمية، خصوصا وأن مصر كان لها دائما ولايزال رصيد حضارى ضخم فاضت به على كل الحضارات اللاحقة فى الشرق والغرب.

إننا ندعو الله أن يحفظ بلادنا، سماءها وأرضها ونيلها وزرعها وهواءها، وأن يحفظ رئيس مصر ودولتها وحكومتها وشعبها الواحد، مسلمين ومسيحيين وأن يحفظ وحدتنا الوطنية إلى الأبد مصونة وأن يقويها، وأن يجعل العام المقبل عام خير وبركة وسلام للعالم بأسره.

ومن فوق هذا المنبر نرسل التحية إلى قداسة البابا شنودة الثالث الذى من أجل مصر قبل راضيا أن يعتكف بالدير، وقال إذا كان سلام مصر الإجتماعى يتحقق بوجودى بالدير إلى حين، فإن هذه التضحية من جانبنا تعد مساهمة متواضعة فى الخير الأعظم الذى نعمل جميعا كمصريين لتحقيقه من أجل مصر الغالية وسلامها.

ونحن بعد هذا نرجو أن يحفظ الله حياة قداسته ونثق فى حكمة الرئيس مبارك فى اختيار الوقت المناسب لخروج البابا من خلوته.

٢ - التجسد من مريم العذراء

قال الإنجيل المقدّس:

«في البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، والكلمة هو الله... كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان. فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس. والنور يضئ في الظلمة، والظلمة لم تدركه.

«كان النور الحقيقي الذي ينير كُل إنسان آتيا إلى العالم. **كان في العالم**، والعالم به كون، **والعالم لم يعرفه.**

«**والكلمة اتّخذ جسداً وحلّ بيننا**، وقد أبصرنا مجده، مجد الابن الوحيد لأبيه» (يوحنا ١: ١ - ١٤).

إنها الحقيقة الجميلة والسعيدة لجنس البشر التي عرفناها في المسيح، أنّ الله تعالى، وهو في ذاته «لا يُرى، ولا يقدر أحد أن يراه» (١. تيموثيئوس ٦: ١٦)، وجوهره تبارك تعالى لا يُدرك ولا يُحاط به، وهو أعلى من مثالنا، وأسمى من كل تصوّر للكائنات العاقلة، فضلاً عن الكائنات غير العاقلة من الجمادات والنباتات والحيوانات... يشاءُ بنعمته وفضل عنايته بالإنسان، ومحبّته لخليقته العاقلة، أن يتّخذ له جسداً حتى يُمكن للإنسان أن يراه ويلمس وجوده بحواسّه الممنوحة له، وهي أبواب المعرفة التي تُطل منها روحه على العالم الخارج عن ذاته.

إنّ الله في ذاته العليّة في غنى عن أن يُظهر ذاته لأحد من خليقته، لأنه المستشرف على المادة بكل صورها، «فإنّ الله روح» (يوحنا ٤: ٢٤) بل هو «الروح» الأعظم (٢. كورنثوس ٣: ١٧)، لكنّه أحبّنا، وأحبّنا قبل أن يخلُقنا، ولهذا قد خلقنا وهو في غنيً عنا، هو «الله أبونا الذي أحبّنا» (٢. تسالونيكي ٢: ١٦) ومن فيض حبّه يشاءُ أن يتّخذ له جسداً ليتلامس معنا، ونتلامس نحن معه..

شكراً يارب، شكراً وشكراً وشكراً.. وألف شكر!

إنّ المسيحية تعلّمنا عن الله وعن أُبوّته ومحبته بصورة لم يعرفها اليُونان والرُّومان وغيرهم من شعوب العالم.. كانت الآلهة عند اليونان والرّومان تسكنُ سعيدةً فوق الجبال، ولا تحفل بالبشر، بل إنّ بعض الفلاسفة القُدامى علّم بأنّ الله مُستشرِف على المادة، وهو أسمى من أن

يتصل بالمادة، فلكى يخلُق الوجود من جماد ونبات وحيوان وإنسان، خلَقَ كائناً متوسطاً، ليخلُق به سائر الموجودات. إلى هذا المدى رأى الفلاسفة استشراف الله على المادة وعلى سائر الموجودات. أما المسيحية فتقدِّم لنا الله تعالى فى المسيح فى صورة الله الذى من قبل أن يخلُقنا أحبَّنا ،لأنه إلى هذا المدى أحبّ الله العالم، (يوحنا ٣: ١٦)، فهو خلقنا من فيض حُبِّه لنا، فهو أبونا مع أنه سيِّدنا وربنا وأصل وجودنا، فما أجملها صورة عن الله، خالقنا وسيِّدنا وربنا، إنه أيضاً أبونا الذى أحبنا وخلقنا من فيض حبه لنا.

وخلق الله الإنسان، ومن اعتزازه به ومحبته له خلقه على صورته ومثاله، وهذه ميزة للإنسان وكرامة لم يمنحها الله لأى من خلائقه الأخرى، «فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه» (سفر التكوين ١: ٢٦)، فكرامة الإنسان وشرفه أنه «صورة الله ومجده» (١. كورنثوس ١١: ٧). «وجبل الربُ الإله آدم تُراباً من الأرض، ونفخ فى أنفه نسمة حياة، فصار آدم الإنسان نفساً حية» (التكوين ٢: ٧) هذه الروح التى نفخها الله فى الإنسان «هى من الله» (الجامعة ١٢: ٧)، (زكريا ١٢: ١)، «وعلى صورة الله ومثاله»، فيملك بها على كلّ الخليقة الجامدة والحيّة من نبات وحيوان، «وقال الله لِنصنع **الإنسان على صورتنا كمثالنا، وليتسلَّط على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى البهائم، وعلى جميع الأرض، وعلى كل الدبابات التى تدب على الأرض.** فخلق الله الإنسان، **على صورته، على صورة الله خلقه**... وباركهم الله، وقال لهم... املأوا الأرض وأخضعوها، **وتسلَّطوا على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى جميع الحيوان الدّاب على الأرض**» (التكوين ١: ٢٦ – ٢٨).

ومن محبة الله للإنسان أنه من أجله، وعناية به، «غرس الرب الإله جنة فى عدن شرقا، وجعل هناك آدم الإنسان الذى جبله. وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيّدة للأكل، **وشجرة الحياة فى وسط الجنة**» (التكوين ٢: ٨، ٩) «وأخذ الرب الإله آدم الإنسان وجعله فى جنة عدن ليفلحها ويحرسها» (التكوين ٢: ١٥).

ولما كانَ الإنسان قد خُلق فى الزمان، فليس له الخلود، فكل ما له بداية لابدّ أن تكون له نهاية، لكن الله من فيض حبه للإنسان الذى خلقه على صورته ومثاله أراد له الخلود، أى أنه

أراد له الحياة. فجعل له «شجرة الحياة فى وسط الجنة» (التكوين ٢ : ٩)، فإذا مدّ يده، فيأخذ من شجرة الحياة ويأكل فيحيا إلى الأبد» (التكوين ٣ : ٢٢).

على أنّ الله تعالى أظهر للإنسان شجرة الحياة فى وسط الجنة، ولم يُعطه وصيّه فيها. أظهرها له كما جاء فى القداس، قداس القديس غريغوريوس الثيئولوغوس «أظهرت لى شجرة الحياة. وعرّفتنى شوكة الموت. غُرس واحد نهيتنى عن أن آكل منه.

هذا الذى قلتَ لى: لا تأكل منه وحده. فأكلتُ بإرادتى، وأهملتُ شريعتك برأيى وتغافلت عن وصاياك، فانتزعت لنفسى الحكم بالموت».

وجاء فى الكتاب المقدس أنّ الله أعطى آدم وصيّة بالنسبة إلى شجرة معرفة الخير والشر، وأوصى الرب الإله آدم قائلاً: من جميع شجر الجنّة تأكل (أكلا). وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، فإنك يوم تأكل منها تموت موتا» (التكوين ٢ : ١٦، ١٧)، واعترفت حواء للحية بأنّ الله حذّرها وآدم وأنذرهما وتوعدهما بالعقاب إذا أكلا من ثمر شجرة معرفة الخير والشر أو مسّاه «وأمّا ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه ولاتمساه (١) لئلا تموتا» (التكوين ٣ : ٣).

جاء فى الرسالة إلى كورنثوس «حسن للرجل أن لايَمَسّ إمرأة» (١ . كورنثوس ٧ : ١).

فشجرة الحياة أظهرها الله لآدم ولكن لم يمنعه عنها وإنما جعلها له للحياة الأبدية، إذا مدّ يده وأكل منها. أمّا شجرة معرفة الخير والشر فهى التى أمر الله آدم وأوصاه أن لا يأكل منها ولا أن يَمَسّها، فإذا أكل منها أو مسّها مات موتاً.

وواضح أنّ شجرة معرفة الخير والشر التى فى وسط الجنة كانت شجرة معنوية، وإلاّ فلماذا لم يذكر الكتاب المقدّس لها اسما من أنواع النباتات، ولو كانت من النباتات لذكر لها اسماً، بل ولم يزد بعد ذلك أنّ الله منع الإنسان من أكل أى نوع من النباتات، مما يتبين معه أنّ الشجرة المنهىّ عنها هى قطعاً شجرة معنوية، لانباتية...

وعصى الإنسان أمر خالقه فأكل من الشجرة المنهىّ عنها «رأت المرأة أنّ الشجرة جيّدة للأكل، وشهية للعيون، وأنّ الشجرة منية للعقل، فأخذت من ثمرها، وأكلت، وأعطت رجلها أيضا

(١) جاء فى الرسالة إلى كورنثوس: «حسن للرجل أن لا يمسّ إمرأة» (١ . كورنثوس ٧ : ١).

معها فأكل، فانفتحت أعينهما، فعلما أنهما عُريانان، فخاطا من ورق التين وصنعا لهما منه مآزر، (التكوين ٣: ٦، ٧).

لقد سقط الإنسان فى خطيئة العصيان، فحق عليه العقاب الذى توعده الله به (موتاً تموت).

مات الإنسان وتعرّى، وكان لابدّ أن يموت موتاً أبديا، فضلاً عن الموت الجسدى، وكان لابدّ من أن يُحرم من الحياة الأبدية التى كان سينالها إذا أكل من شجرة الحياة، **وما كان له أن يأكل من شجرة الحياة بعد أن أكل من شجرة معرفة الخير والشر التى أمره الله** وأوصاه بأن لا يأكل منها ولا يَمَسّها، كيلا يموت «من يَغلب فسأُعطيه مِنَ المن الخفيّ» (الجليان - الرؤيا ٢: ١٧)، (يوحنا ٦: ٤٩، ٥٠) طوبى للذين يعملون بوصايا الله... ليكون لهم سلطانٌ على شجرة الحياة، (الجليان - الرؤيا ٢٢: ٢، ١٤).

قالَ الكتاب المقدّس «**فأخرجه الرب الإله من جنة عدن،... فطرد آدم الإنسان**» وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلّب لحراسة طريق شجرة الحياة، (التكوين ٣: ٢٣، ٢٤) (الجليان - الرؤيا ٢: ٧)، (٢٢: ٢، ١٤) حتى يمنع الإنسان من أن يقترب إلى شجرة الحياة، لأنه لم يعد مستحقا أن يأخذ منها، وإذا تجاسر واقترب ضربه الكروبيم بسيفه الملتهب ناراً فيحرقه. وقال المسيح له المجد «أنا هو الخبز الحىّ الذى نزل من السماء. من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى سأعطيه أنا هو جسدى الذى سأبذله من أجل حياة العالم» (يوحنا ٦: ٥١) «وإذن فمن أكلَ من هذا الخبز أو شرب من كأس الرب بغير استحقاق، يكون مُجرماً إلى جسد الرب ودمه. ولكن ليمتحن الإنسان نفسه، ومن ثم فليأكل من الخبز ويشرب من الكأس، لأن من يأكل ويشرب بغير استحقاق، يأكل ويشرب دينونةً لنفسه، إذ لم يميز جسد الرب. من أجل هذا كثر فيكم المرضى والضعفاء، وكثيرون منكم يموتون. فلو أننا حاسبنا أنفسنا لتجنبنا الحكم علينا. وإذ قد حكم الرب علينا، إنما يؤدبنا الرب، حتى لا ندان مع العالم» (١. كورنثوس ١١: ٢٧ - ٣٢).

٣ ـ لما تمّ الزّمان ظهر الله الكلمة متجسّداً

فى التاسع والعشرين من شهر كيهك المبارك تحتفل كنيستنا القبطية الأرثوذكسية وجميع الكنائس التى تتبع التقويم الشرقى بعيد الميلاد المجيد. وقد خصصت الكنيسة هذا الشهر للتسبيح والشكر والتمجيد لله، على إهتمامه بنا نحن البشر، إذ قد تنازل فضلاً، من غير استحقاقنا، وقَبِلَ أن تكون له صورة الإنسان. اتّحدَ بطبيعتنا، ولبس صورتنا، وظهر بيننا كأنه واحد منا، وهو ملك السماوات والأرض. إنه لم يُخلِ السماء من وجوده حينما نزل، فوجوده يملأ السماوات والأرض. وإنما أخلى ذاته من صورة المجد، وارتضى صورة الهوان، أخلى ذاته من صورة الرب، وارتضى صورة العبد، وهو المسجود له من الملائكة ورؤساء الملائكة والمعبود من السمائيين والأرضيين، (وله تجثو كلُّ ركبة مما فى السماوات ومما على الأرض ومما تحت الأرض) (فيلبى ٢: ١٠).

لقد ارتضى الإله تفضلاً، وحناناً، وتكرُّماً، وإشفاقاً علينا، واهتماماً بنا، أن ينزل إلينا ليرى ذلنا ويرى مرارة ما وصل إليه جنس بنى الإنسان، الذين خلقهم الله على صورته ومثاله، ولكن الخطيئة أفسدت هذه الصورة وأساءت إليها، فلم يشأ الله ـ كما يقول القديس أثناسيوس الرسولى ـ أن تبقى صورته المجيدة ملّطخة بالإثم وملوثة وفاسدة، فتحرك حنانه وتحرّك قلبه، وتحرّك تدبيره، ليخلّص الإنسان ويرد له اعتباره، ويرد له كرامته، ويرد له الصورة الأصلية التى خلقه عليها.

لذلك تجسد الله الكلمة، وفى تجسّده كلّ الحبّ، وما من حب أعظم من هذا أن يَقبَلَ الإله صورة الهوان، صورة التراب، وهو رب المجد، (الساكن فى نور لا يقترب منه) (١ . تيموثيوس ٦: ١٦)، (والنار الآكلة) (العبرانيين ١٢: ٢٩) لقد قبل الرب على نفسه أن يأخذ صورة التراب، وشاء أن يتّحد بها. فلا يكون اتحاده بصورة الإنسان وضعا مؤقتا، كأى ظهور لكائن روحانى يتشكل فى وقت ما بشكل ما ويتركه بعد حين. لم يشأ الرب ذلك، بل رأى أن يتّحد بهذا الشكل الترابى وأن يظل هذا الإتحاد باقيا دائماً إتحاداً كاملا، إتحاد جوهريا لا عرضيا، اتحادا اقنوميا ثابتا لا يتغير ولا يتبدّل.

الشرف الذى اكتسبته البشرية بتجسد الكلمة:

فما أعظم الشرف الذى أضفاه الله على جنسنا بتجسده المنيف، لأننا نحن قد صرنا متحدين به فى المسيح، وصرنا نحن فى المسيح لأنه أخذ طبيعتنا. بل وصارت طبيعتنا نحن فيه، ومعه، ثم حملها معه إلى السماء، إذ صعد بها إلى الأعالى، وأدخلها إلى المجد.

فما أرفع الإنسان بعمل المسيح، وما أمجده، وما أشرفه، لأن الإله أخذ طبيعته.

عظيمة هى ديانتنا المسيحية بهذا التعليم المجيد:

الله ارتضى وقبل أن يأخذ صورة الإنسان، فكان فى قبوله هذه الصورة أعظم حبّ يمكن أن يطمح إليه الإنسان، ويطمع فيه أو يمكن أن يحلم به. الله الكلمة المنقذ والمخلّص، والفادى صاحب المجد والكرامة، قَبِل وارتضى صورة الإنسان. نزل الإله إلى الإنسان تفضُّلا، وتكرما والإنسان لم يكن مستحقا. وهنا عظمة الحب. مافضلك أنت إن أحسنت إلى من أحسن إليك؟ (لأنكم إن أَحببتُم الذين يُحبّونكم فأى أجرٍ لكم؟ (متى ٥: ٤٦، ٤٧) إنما الحبّ الحقيقى يظهر إذا كان ثمت تنازل من الأعلى إلى الأدنى، وإذا لم يكن له مقابل بل يكون من قبيل الفضل، والإحسان. هكذا صنع الله الكلمة بنا.

هل كانت البشرية مستحقة لظهوره يوم أن جاء المسيح إلينا؟

كلاّ.. إنما كانت البشرية تتطلب هذا المجئ وتستحقه، لكن لا بمعنى أنها جديرة به بل تستحقه بمعنى أنها فى حاجة إليه.

البشرية انتظرت المخلّص والمنقذ وعبّرت عن ذلك بواسطة فلاسفتها وأنبيائها:

قال (سقراط) (نحو ٤٧٠ – ٣٩٩ ق.م) أحد كبار الفلاسفة فى العصور القديمة: لا سبيل إلى معرفة الحقيقة إلا إذا ظهر رب الحقيقة وأعلن ذاته للبشر.

قال هذا بعد أن تعب سقراط من المناقشات والجدل، ومن المساجلات الكلامية عن الحق والحقيقة، بين المفكرين البارزين من بنى الإنسان. فلما تناقش الناس، وتعارضوا وانقسموا، واختلفوا، قال سقراط لا سبيل إلى حسم هذا الخلاف بين البشر إلا إذا تفضل رب الحقيقة وأعلنها بذاته للبشر.

فسقراط الوثنى كان بمثابة نبىّ فى العالم الوثنّى، أنبأ بحاجة البشرية إلى هذا المخلّص، وإلى هذا الحق الذى يكشف ذاته للبشر.

تنبّأ عنه الشّاعر الرُّومانى (فرجيل) VIRGILIUS (٧١ – ١٩ ق.م)، وهو أعظم شعراء روما ومؤلف ملحمة الانياذة ENEIDE، وقال: (العذراء عائدة الآن... وينزل جنس إنسانى جديد من عُلا السماوات. وهذا يتحقق بميلاد طفل به ينتهى عصر الإنسانية الحديدى، وبه يبدأ عصرها الذهبى).

وقد خاطب فرجيل هذا الطفل المنتظر قائلا: (من أجلك، أيها الطفل، تأتى الأرض بعطاياها، طواعية، ومن دون حرث. ومن عهدك تنبعث الزهور المزمنة الحائية. أما الحية فسوف تموت)

وكان (زُرادشت) ZOROASTER (توفى حوالى ٥٨٣ ق.م) وهو نبّى الفرس الأقدمين وأصله من اذربيجان، وهو زعيم المجوسيّة فى منتصف القرن السابع قبل الميلاد، كما يروى العلاّمة ابن العبرى فى كتابه (تاريخ مختصر الدول) قد أخبر ذويه بظهور (المسيح الملك) وأمرهم بأن يحملوا إليه قرابينهم عند ظهوره، وأنبأهم بأنه فى آخر الزمان يكون أنّ بكرا تحبل بجنين من غير أن يمسّها رجل. وعند ميلاده، يظهر بالنهار كوكب، تُرى فى وسطه صورة صَبِيّه عذراء. وأنتم ياأولادى ستُحسُّون بظهوره قبل جميع الأمم. فإذا شاهدتم هذا الكوكب، فإذهبوا معه إلى حيث يقودكم، واسجدوا لذلك المولود، وقرّبوا إليه قرابينكم، فهو الكلمة مقيم السماء).

وجاء فى الكتاب المقدس أنّ (نبوخذنّصر) ملك بابل (٦٠٥ – ٥٦٢ ق.م) وهو وثنى رأى حلما وانزعجت له روحه: رأى وإذا بتمثال عظيم كثير البهاء، ومنظره هائل. رأس هذا التمثال من ذهب خالص، وصدره وذراعاه من فضة، وبطنه وفخذاه من نُحاس، وساقاه من حديد، وقدماه بعضهما من حديد، والبعض من خزف.. ثم نظر الملك، فإذا **حجر انقطع لا باليدين، فضرب التمثال** على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما، فانسحق الحديد والخزف والنُحاس والفضة والذهب معاً، وصارت كعُصافة البيدر فى الصيف، فحملتها الريح، فلم يوجد لهما مكان. **أمّا الحجر الذى ضَرَب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلّها**. وقال النبّى دانيال فى تفسير هذا الحلم الذى أُغلق تفسيره على جميع حكماء بابل **إنّ الحجر الذى انقطع لا بيدين فسحق الحديد والنُحاس والخزف والفضة والذهب، يرمز إلى ميلاد ملك، مملكته لن تنقرض أبداً، وملكه لا يترك لشعبٍ آخر. إنها تسحق وتُفنى جميع الممالك، وهى تثبت إلى الأبد)** (دانيال ٢: ١ – ٤٥).

كذلك الإمبراطور (أوغسطس قيصر) AUGUSTUS (٦٣ ق.م- ١٤م) رأى حلما روّعه، رأى نقطة من الزيت نزلت من السماء، ولم تلبث أن كبرت طولاً وعرضاً حتى صارت بركة أو بحيرة صغيرة ثم كبرت البركة، فصارت نهراً، وكَبُرَ النهر فصار بحراً، وكَبُرَ البحر فصار محيطاً، وأخذ الماء فى المحيط يعلو ويعلو حتى غطّى الأرض كلّها ووديانها وجبالها حتى وصل علوه إلى السماوات، وأحس الإمبراطور إنه قد غرق هو نفسه واستيقظ مذعوراً، ولم يفهم لهذا الحلم معنى، فجمع العلماء وسألهم التفسير، فأنبأوه أن هذا الحلم نذير أو بشير بميلاد إله تُعطّى ديانته وعبادته الأرض كلّها والسماء.. ولما لم يتوصل إلى حقيقة هذا الإله الجديد، أمر أن يقام له فى كل أنحاء الإمبراطورية، مذبح ويكتب عليه (إلى الإله الذى لا نعرفه). فلما ذهب القديس بولس إلى أثينا ورأى هذا المذبح والمكتوب عليه، وقف فى وسط الأرياباغس وقال: يا أهل أثينا.. فى مرورى ومعاينتى لمعبوداتكم وجدتُ مذبحاً مكتوبا عليه (إلى الإله الذى لا نعرفه، فهذا الذى تعبدونه ولا تعرفونه، هو الذى أنا أبشركم به) (أعمال الرسل ١٧: ٢٢، ٢٣).

وواضح من حلم أوغسطس قيصر الذى فى عهده وُلد المسيح له المجد (لوقا ٢: ١)، إنه هو نبع الزيت الذى نزل من السماء، ثمّ كبر وعلا حتى غطى الأرض كلّها والسماوات، وهو ما يشير إلى امتداد ملكوته أو مملكته. فهو كما قال عنه الملاك للعذراء مريم (ويملك.. إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية) (لوقا ١: ٢٢).

وإلى جانب الأمم الوثنية كانت هناك أمة بنى إسرائيل التى اختارها أو تخيّرها الله فى وقت ما لكى تكون عينة من عينات البشر يجرى فيها وبها تدبير الخلاص. فقد عبّر أنبياء العهد القديم عن حاجة بنى الإنسان إلى المخلّص وإلى الفادى، كُلُّهم تحدّثوا عن هذا المجئ وتوقعوه، وحيّوه وأنبأوا به. فمنهم من قال: (أراهُ، ولكن ليس الآن، أُبصره ولكن ليس قريبا، يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم صولجان من إسرائيل) (سفر العدد ٢٤: ١٧) ومنهم من قال (خلاصك انتظرت يارب) (التكوين ٤٩: ١٨) ومنهم من قال بفم الرب (بدم عهدك قد أطلقتُ أسراك من الجُبِّ الذى لاماء فيه. إرجعوا إلى الحصن يا أسرى الرجاء) (زكريا ٩: ١١، ١٢) والمقصود بالجُبِّ الذى لاماء فيه هو الجحيم الذى انطلقت إليه أرواح القديسين فى العهد القديم وظلوا فيه هناك محبوسين، لأنه لم يكن مباحاً بعد للإنسان أن يقترب من الفردوس المغلق فى وجه الإنسان، بسبب الخطيئة التى ارتكبها آدم وحواء.

وإنَّ حنة ابنة فنوئيل. وكانت قد ظلت أرملة مدة أربع وثمانين سنة، لا تبرح الهيكل، متعبدة بالصوم والصلاة ليلاً ونهاراً، إذ رأت المسيح يسوع وهو طفل في حضن العذراء مريم، في يوم الأربعين لميلاده، تقدَّمت نحوه، وأخذت تحمد الله بشأنه، وتحدث عنه كل من كان ينتظر الخلاص في أورشليم. وكذلك سمعان الشيخ حمله على ذراعيه، وبارك الله ثم قال: الآن أطلق ياسيدى عبدك بسلام وفقاً لكلمتك. فإن عيني قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته أمام كل الشعوب، نوراً يتجلي للوثنيين، ومجداً لشعبك إسرائيل... ثم قال لمريم أمه: إن هذا قد جعل لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل... (لوقا ٢: ٢٥ – ٣٨).

لقد جاء الوقت الذى تفقد الله فيه شعبه ليفتديه، وأشرق على الجالسين فى الظلمة نوره، وظهر، وفى ظهوره فتح باب الرجاء أمام النفوس البائسة. فبنو إسرائيل وأنبياؤهم جميعا، عبروا عن حاجة البشرية إلى هذا المخلص، وإلى هذا الفادى الذى بمجيئه يكون الخلاص والفداء للإنسان ورجوعه إلى الفردوس الذى كان مغلقا فى وجهه، بعد أن سقط فى الخطيئة الأب الأول آدم، وفيه ماتت كل ذريته من بعده.

فاليهود إذن وغير اليهود من الأمم ومن الوثنيين، هؤلاء وأولئك جميعا عبروا عن حاجة البشر إلى الخلاص. ومن أجل هذا جاء المسيح - وهو الله الكلمة - فى الوقت الذى اشتدت فيه الحاجة إليه وتحقق جميع الناس ذلك.

لذلك قال الكتاب المقدس: (فلما تمَّ الزمان، أرسل الله ابنه مولودا لإمرأةٍ، مولوداً فى حكم الشريعة ليفتدى (= ليشترى من جديد) الذين هم فى حكم الشريعة، فنحظى بالتبنى (= حتى نصير نحن أبناء الله) (غلاطية ٤: ٤).

فمجيء المسيح برهان حبه لنا، ولطفه بنا، وعنايته واهتمامه بجنسنا (فبفضل رحمة إلهنا تفقَّدنا المُشرقُ من العَلاء) (لوقا ١: ٧٨). لقد جاءنا وعاش معنا، وعاش ظروفنا وأحوالنا، ولمس متاعبنا لا لأنه كان جاهلاً بطبيعتنا، ولا لأنه كان غير عارف بظروفنا وآلامنا، إنّما لكى يشعرنا نحن بأنه أبونا وراعينا، وأنه مهتم بنا، لذلك جاء إلينا.

٤ - عيد الميلاد هو عيد التجسّد الإلهى

الغرض الأول والهدف الأكبر من تجسد المسيح هو الفداء، فلولا الفداء لما كان التجسد. ومن هنا كانت عظمة عيد القيامة بإزاء جميع الأعياد، لأنه لولا القيامة لما كان الميلاد... ومالم يكن المسيح قد قام مبرهنا بقيامته على لاهوته من جهة وعلى تحقيقه الخلاص من جهة أخرى، لما كنا فى حاجة لأن نحتفل فى عيد الميلاد لرجل عاش ثم مات، وبموته انتهت قضيته. لكننا نحتفل بعيد ميلاده لأننا نعرف من هو ونعرف مقامه اللاهوتى ومركزه فى الخلاص، وأنه هو الله الظاهر فى الجسد والذى بواسطته كان الخلاص..

ويمكن أن يضاف إلى هذا الهدف الأكبر للتجسد، هدف آخر له أهميته وقيمته، بحيث يمكن أن يقال إنّ الله فى تجسّده حقّقَ هدفا كبيرا فى لقائه بالإنسان، وفى هذا اللقاء دليل عناية الله بالإنسان. فلم يعد الله إلها يسكن وراء الجبال، كما تقدّمه لنا الميثولوجيا اليونانية وأساطير الرومان. ولكنه صار فى المسيحية قريبا إلى الإنسان وقد نزل خصيصا ليعيش مع الإنسان. ويشاركه اللحم والدم، ويشاركه آلامه ومتاعبه، ويكفكف من دموعه ويشفى أوجاعه. وهكذا كان المسيح صورة صادقة للرحمة الإلهية، وقد نزل إلى الأرض وعاش مع الإنسان، وشاركه فى الآلام والمتاعب. والذى يقرأ الإنجيل يرى ولاسيما فى إنجيل لوقا، صورة الله المشترك مع البشرية فى آلامها وأنه لم يُرَ قط ضاحكا، كما يقول بيلاطس البنطى فى تقريره الذى رفعه إلى طيباريوس قيصر، والذى وُجِدَ على لوحة نحاسية فى روما وإنما رُئِى المسيح باكيا ورائيا ومشفقا وحزينا ومتألما. عانى كلّ ما يعانيه أبأس الناس وأفقرهم وأضعفهم بحيث لانكاد نجد صورة فى الناس أشد إعداما وإملاقا وفقرا من الصورة التى قدمها لنا الإنجيل عن المسيح، الذى لم يجد له مكانا يأوى إليه حتى فى وقت ميلاده، فنزل ضيفا على مملكة الحيوان، وبدلا من السرير كان مذود البقر له مهداً، وقد قال مرة (إنّ للثعالب أوجرةً، ولطيور السماء أوكارا، أما ابن الإنسان فليس له موضع يسند إليه رأسه) (متى ٨: ٢٠)، (لوقا ٩: ٥٨).

عاش نجاراً يُحصّل قوته بكدّه وتعبه وعرقه وكفاحه ونضاله كعامل بسيط، وبعد أن تفرّغ للخدمة الجهارية عاش مسكينا على صدقات المحسنين، وكان له صندوق، وهذا الصندوق كان يحمله التلميذ الخائن.. وكان على شهادة الإنجيل يستولى على ما كان فى الصندوق (يوحنا ١٢: ٦).

عاش المسيح إذن فقيرا بكل ما فى الكلمة من معنى ولا يمكن أن نتصور حالة من الفقر أوضح من الحالة التى عاشها المسيح. وفى هذا يجد الفقير المسكين عزاءه. لأن الله عندما أخذ صورة الإنسان أخذ صورة أفقر فقير يمكن أن تخطر ببال أحد من البشر، ولم تكن له أثواب وإنما كان له ثوب واحد.. وأما طعامه فكان من أبسط الأنواع فكان هو الطعام السائد الذى يتمتع به كل فقير فى بلد كان يعتمد كثيرا على السمك، ولم نقرأ فى الكتب المقدسة ما يشير إلى أن المسيح تمتع بطعام خاص، وحقا إنه قَبِل دعوات من أشخاص كثيرين كان أكثرهم عشارين وخطاة وكان يجلس فى بيوتهم وعلى موائدهم، لكنه كان مشغولا بخلاص نفوسهم ولم يكن الطعام بالنسبة له غير طُعم يجذبهم به، كصياد حكيم يجذب السمكة ليخرجها من يَمّ الخطايا وبحر الآثام ليردّها إلى شاطئ الأمان.

إذن لقد تجسد المسيح، وفى تجسده خير وبركة للإنسان، لأنه عرف الله فيه، والله غير منظور لكنه صار منظورا فى المسيح. وكل صفات الله وكمالاته كانت معروفة فى أكثرها معرفة نظرية عن طريق الكتب المقدّسة أو عن طريق كتابات الفلاسفة والمفكرين، وأما فى العهد الجديد فأمكن للإنسان أن يعرف صفات الله وكمالاته معرفة مباشرة فى المسيح، الذى هو صورة الله الغير المنظور، ولم تعد صفات الله فى نظر الإنسان مجرد صفات يقرأ عنها ويدرسها فى كتاب أو يسمعها من معلّم، ولكنه صار يراها واضحة أمامه فى المسيح الذى عاش مع الناس وشاركهم حياتهم وتعامل معهم، ولذلك صار يعرف بابن الإنسان.

هذا هو المعنى الذى حينما تأمله القديس أوغسطينوس بارك من أجله خطيئة آدم، لأنه لولا خطيئة آدم لما كان جاء المسيح، وفى مجئ المسيح تحقق كل هذا الخير للإنسان، وكل هذه البركة، وظهر كل هذا الحنان، وهذا الإشفاق وتعلّم الإنسان العِلم كُلّه من فم الله، رآه بعينيه، وسمعه بأذنيه، وشاهده ولمسته يداه على ما يقول يوحنا الرسول. (ذلك الذى منذ البدء، ذاك الذى سمعناه، ذاك الذى رأيناه بعيوننا، ذاك الذى تأملناه، ذلك الذى لمسته أيدينا، من جهة كلمة الحياة (١. يوحنا ١: ١) .

إنّ كُلّ آباء الكنيسة تناولوا موضوع التجسد، وتأملوا فيه، وكتبوا عنه كتابات بروحانية كبيرة وتقوى واتصال وعمق ومحبة تقوية وتعبد. وكان التجسد مثيرا لهم، فحرّكهم ليعبروا عن مشاعرهم فى صلوات عميقة وفى تهليل وتسبيح وشكر وتمجيد، خلفته لنا كتاباتهم الباقى بعضها

إلى اليوم، والتى تدل فى مجملها وتفصيلها على مدى ما أحدثه موضوع التجسد فيهم من أثر عميق، ومن شدة انبهارهم وتعجبهم وشعورهم بهول المفاجأة، وعظمة الكرامة التى نالها الإنسان بتجسد المسيح الإله، تحدثوا دائما عن التجسد فى تهيب ووقار وعبّروا عن اتضاع عقولهم وعدم قدرتهم على أن يصوروا حقيقة التجسد التصوير الدقيق، وعبّروا عن عجز عقولهم عن فهم هذا التجسد والدخول إلى أعماقه وعبّروا عن ذهولهم وعدم قدرتهم على أن يفهموا كيف أن الله وهو حاكم الكون، وهو روح مطلق، يقبل أن يتخذ صورة آدمية ترابية.. وعبّروا عن عجز عقولهم عن أن يفهموا كيفية الاتحّاد بين اللاهوت والناسوت، ولذلك وصفوا هذا الاتحاد بأنه اتّحاد لا يُدرك ولا يعبّر عنه، ولا يمكن تصورّه، ولا يمكن فهمه، وليس فى مقدور العقل الإنسانى أن يتصوره ولا أن يشرحه أو يعبر عنه تعبيرا أمينا دقيقا، ولذلك وصفوا التجسد بأنه (سر)، وذلك تعبيراً عن عجزهم عن إدراكه، وأنهم مهما تكلّموا عنه وأوضحوا حقيقته، فسيبقى لا قدرة لعقل الإنسان أن يعيها أو يفهمها أو يعبر عنها، وسيبقى التجسد أمراً خفياً ومستوراً. ويظهر هذا الاتجاه فى التفكير خصوصاً عند آباء كنيسة الأسكندرية، وهذا هو الطابع الخاص الذى يميّز لاهوت مدرسة الأسكندرية.. إنه طابع التهيب والاتضاع فى كل ما يتصل بالإلهيات، طابع فيه يُخضع رجال الكنيسة وعلماؤها منطق الفكر لمنطق الإيمان، ويُخضعون العقل للروح، ويحلون التناقض بالحل الروحانى، ويعلون على التناقض الذى قد يصطدم به فكر الإنسان بالإيمان وبالروحانيات وبالأسرار الخفيّة العميقة.

٥ ـ فى عيد الميلاد المجيد

لو لم يأتِ السيّدُ المسيح بجديد لما قامت الدنيا بأسرها وقعدت لمجيئه، وقد تأثر جميع الناس بمبادئه سواء كان هذا التأثر تأثرا بالقبول أو بالرفض. وإذا كان المسيح له المجد لم يظهر إلاّ بعد فترة طويلة من الزمن، تناول الفلاسفة وعباقرة الفكر فيها الحقيقة من كلّ جانب، وأعملوا فيها قرائحهم، وحاولوا أن يصلوا إلى نتيجة يرضى عنها العقلُ من جهة، والضمير من جهة أخرى، إلاّ أنهم باءوا جميعا بالفشل وسلّموا صاغرين بأن الحقيقة عالية عن مستواهم، بعيدةٌ عن منالهم، وقد تفرّقت كلمتهم فلم يُجمعوا على رأى، وبعد أن ملك الغرور قلوبهم، وكانوا لا يؤمنون بغير عقولهم، عادوا فأقرّوا بعجز العقل وقصوره عن أن يصل إلى الحقيقة المطلقة الجامعة الكاملة، وازداد يقينهم فى ضعف المقاييس البشرية عن أن تبلغ بهم إلى الحقيقة فى ذاتها... فلماذا إذن أقبل كثير من الخلق، ومنهم فلاسفة مبرزون، على دين المسيح فى ذلك الزمن؟..

لابدّ أنهم رأوا فيه ما يقنع عقولهم من جهة، ويُشبع قلوبهم من جهة أخرى، ولابد أنه كان فى مبادئ المسيح جدّة وطرافة، تعلو على كل ماعرفته الإنسانية فى كل ماضيها الطويل! ...

ولسنا نريد أن نتناول هنا غير المبادئ الإنسانية العامة، والقيم الخلقية التى تبرز فى تعاليم المسيح له المجد.

فقد أعلن المسيح فضيلة الحبّ بصورة جديدة وطريفة، فما كان الناس يعرفون فى الوثنية عن الإله إلا أنه القوىّ، القاهر، المنتقم من كلّ من يتجاوز أوامره، وكان العابد فى صلاته يمثل أمام معبوده فى فزع وهلع، يقدم الضحية ليتقى بها شرّ الإله عن نفسه وعن عياله، أما الله كما علّم به المسيح، فهو الأب الشفوق، الذى أحبّ الناس فخلقهم، وهو يهتم بهم كأولاده، يرعاهم من العُلى، ويراقب ضمائرهم وأفعالهم، يحنو عليهم ويرثى لهم، ويغمرهم بآلائه ونعمائه، يتلطف بهم إن أخطأوا، ويغفر لهم إذا تابوا، ويفرح بهم إذا تمموا مشيئته فنشروا فى العالم الخير الذى يصدر عنه ويفيض منه، فهم أبناؤه، ودعاة جودته وصلاحه، يقاومون الشر بالخير، ويطردون الظلام بالنور، سلاحهم الإيمان، وسيفهم البرهان، وما زاد على ذلك فهو من الشرير.

هذا هو الحبّ الإلهى، الذى يغمر قلب الإنسان فيمسك عنه مشاعره ويستلب لبّه، فيصير لربّه عبداً، ولحبه أسيرا، يتأمل الله فيؤمن به، ويتعلّق به، فيصبح الله معشوقه الأول، فيهبه كلّ قلبه

وكل عقله، حتى يفنى عن نفسه، فتفنى أنانيته، ويغدو شبيها بالله، تفكيره فى الله ومن الله، أو إن شئت فقل: هذا هو الشخوص فى الله، والاتحاد مع الله، أو هو الفناء، والبقاء بعد الفناء...

ثم مدّ المسيح من آفاق الحبّ فجعله فضيلة إنسانية أو إجتماعية، فلا سيطرة، ولا نفعية أو أثرة أو أنانية أو إنتقام أو ثأر، ولكنه الحبّ الذى يجب أن يسود بين الناس فى صلتهم بمن يعيشون معهم ويعايشونهم.

إنه حب... وأى حب؟... حب عامر غامر من القلب، حب كامل بغير حدود أو قيود أو سدود، حبّ شامل لجميع الناس، من كل الأجناس ومن كل الأديان، ومن كل اللغات، ومن كل الطبقات، وللجميع فى كل العصور، ألا سحقا للعداوة أو الكراهية، فهى صفة ليست للناس، بل لمن أرادوا أن يحيوا كالوحوش الضارية، يصرع القوى منهم الضعيف... أما من يسلكون بالحب، فهم أبناء أبيهم الذى فى السماوات، فإنه يجعل شمسه تشرق على الأشرار والصالحين، وينزل المطر على الأبرار والظالمين...

ومعنى هذا أيضا أنّ الحبّ يمتد فيشمل الأعداء، فضلا عن الأصدقاء «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعينكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلّوا من أجل الذين يُسيئون إليكم ويضطهدونكم، باركوا ولا تلعنوا... «إن جاع عدوّك فأطعمه، وإن عطش فأسقه».

وليس الحبّ فلسفة فكرية، وإنما هو حياة عملية. وليس هو بالكلام واللسان، وإنما بالحق والعمل، فهو حب طاهر بغير غرض، دعامته الإخلاص، وقوامه التضحية، فكل أعمالنا فى المجتمع من تعليم للأطفال إلى إهتمام بالمرضى إلى علاج للشواذ والمجرمين، كلّ هذه بدون الحب لا مبرر لها، ولا دافع إليها، ولا نفع منها يرتجى...

وإذا كان الحب للجميع، فالجميع أقرباء بالحب لا بالحسب أو النسب... هذا هو مبدأ الإنسانية "HUMANISME" أن يحيا الناس جميعا أخوة متحابين لا أعداء متنابذين.

ومن الحب تنبع القيم الإنسانية والإجتماعية، أما الإنسانية فلأنّ الفرد فى نظر المسيح شخص له كيانه الذاتى، وليس وسيلة، ولكنه غاية فى ذاته، ومادام كل شخص آخر غاية فى ذاته، فالناس جميعا سواء. «فلا يهودى أو يونانى، ولا عبد أو حر، ولا رجل أو إمرأة».

وهكذا قضى المسيح على النعرة الجنسية، وأبدلها بالإخوة البشرية والمساواة الإنسانية، وقضى على عبودية المرأة، وعبودية الرقيق، وقد نسى ابراهام لنكولن مبادئ المسيح يوم أن قاد حربا أهلية طاحنة بين الولايات المتحدة الأمريكية ليقرر مبدأ حرية العبيد، وقد انتصر العبيد أخيرا ولكن ليحيوا مشَّردين بلا مأوى أو قوت تُلح عليهم ضرورات الحياة على طلب الأود بالسلب والنهب وضروب الفساد...

إنَّ المسيح لم يقد حركة إجتماعية، ولم يدعُ إلى قلْب نظام إجتماعى قائم، ولو قصد لفعل، ولكن هذه ليست مهمته لأنَّ رسالته أن يصلح الفرد، ولأنّ النظام مهما يكن صالحا قابل للفساد إذا أشرفت على تطبيقه شخصيات فاسدة، ويوم أن سألوه: أنعطى جزية لقيصر؟.. تناول دينارا، وسألهم: لمن هذه الصورة والكتابة؟.. فأجابوا: لقيصر... قال: إذن أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله.

فليست العبرة بالنظام، بل بالأشخاص، فالفرد إذا كان قلبه طاهرا، وروحه عالية، كان حاكما صالحا إذا ملك، أو رأس، وكان لأسرته ولمجتمعه نافعا، أبا بارا بأولاده، أو زوجا وفيا لإمرأته، أو سيّدا كريما رحيما بمرؤوسيه وخدمه.

وكذلك الخادم إذا صلحت حياته الخاصة أصبح خادما أمينا فلسنا فى حاجة إلى ثورة إجتماعية مدمرة مهلكة، نقتل فيها المخالفين المارقين، فليتجه الإصلاح للفرد أولا، وبعد أن ينضج وعى الجميع، يصبح الكل مواطنين صالحين، يوم ذاك يسود الخير بين الجميع، ويطهر المجتمع وينقى، ويرقى فى مدارج العلى قدما...

سيدى يسوع المسيح، هل يتدارس الناس اليوم مبادئك من جديد - المسيحيون أولا قبل غيرهم - لعلّهم يفيقون، فقد نسوا أنك مخلص العالم...

٦ - روح السلام فى ملك السلام وصانع السلام

لم يكن بغير قصد أو تدبير أن يجئ المسيح إلى دنيانا فى سكون الليل وهجعة الخليقة، فقد كان السكون بهذا المعنى يلائم طبيعته، وطبيعة الرسالة التى جاء من أجلها. ولذا لم يشأ أن يزعج بقدومه أحداً، أو يثير من حوله ضجة، بل أتى والناس نيام، فلم ينتبه لمجيئه فى ليلة الميلاد غير رعاة ساهرين أنبأتهم بمجيئه ملائكة من السماء. فكان ذلك علامة على روح السلام فى ملك السلام.

وُلِد المسيح بالجسد بعيدا عن الأهل والأصدقاء والجيران، بعيدا عن كل أحد حتى فى الخان أو الفندق الصغير الذى وُلِد فيه، بالفعل لم يكن له فيه مكان «فولدت (مريم) ابنها البكر وقمَّطته وأضجعته فى مذود، إذ لم يكن لهما مكان فى الفندق». فلما لم يشأ أحد من الناس أن يُفسح له فى منزله مكانا لم يشأ هو أن يقهر أحدا على قبوله. وهكذا ارتضى المسيح أن ينزل ضيفا على مملكة الحيوان، بعيدا عن الناس وإن كان قد جاء من أجل الناس.

ولئن كان هذا شرفا حَظِى به الحيوان وحُرِم منه الإنسان، لكنه تدبير عجيب، يُنبئ عن روح السلام فى رئيس السلام.

مظاهرة روحانية

إنّ ملائكة السماء أبت إلا أن تجئ معه فى موكبه السماوى. وقد أدركت ما حلّ على الأرض من خير وبركة وسلام، فأضاءت البادية وهى تلتحف بالظلماء، وأشرق على رعاة الغنم نور عظيم، وظهر جمهور من الجند السماويين يُسبحون الله ويُنشدون نشيدا ما أحلاه: «المجد لله فى العُلى، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة». فكانت هذه المظاهرة الروحانية السماوية علامة أخرى على روح السلام فى مَلِك السلام. نعم، وعلى الأرض السلام!

فمهما مادت الأرض بالنزاعات والحروب والمخاصمات التى يثيرها الناس لسبب أو لآخر، سواء كان ذلك فى الماضى أو الحاضر أو المستقبل القريب أو البعيد، فالمسيح له المجد كان ولم يزل وسوف يظل دوما ملك السلام.

مَن مِنَ الناس زفَّته الملائكة يوم مولده كما فعلت ليلة ميلاد المسيح فى بيت لحم؟! أليس هذا بيِّنة على طبيعته وطبيعة الرسالة التى جاء يغزو بها عقول الناس وقلوبهم، وهى رسالة هادئة

صافية طاهرة، ومع ذلك فهى أيضاً رسالة عميقة نافذة وفاعلة، أحدثت على الرغم من هدوئها ثورة حقيقية قلبت مفاهيم، وحطمت مبادئ، وأقامت بدلا منها مفاهيم جديدة، ومبادئ جديدة، وستظل مبادئه دائما جديدة لا تبلى ولا تفنى، مطبوعة بطابع الأبد.

روح السلام :

ولم يكن مسلكه يوم مولده فى بيت لحم مسلكا خلصا اقتضته ضرورة الساعة، فإنّ السيد المسيح قد سلك طريق الوداعة والسلام على الدوام، لم يستعمل العنف أو القسوة، ولم يلجأ إلى القهر والتجبر، بل كان يترك للبشر حرياتهم، ويكتفى بأن ينير الطريق أمامهم، فيُبصّر الناس بالخير ويقنعهم بالحجة والدليل ويهديهم سواء السبيل.

لقد ذهب مرة إلى قرية فرفض أهلها أن يقبلوه فلم يشأ أن يدخلها. ولو شاء لقدر. فغضب تلميذان من حوارييه، وأراداه أن يُنزل على القرية وأهلها نارا من السماء لتحرقها وتُدمّرها، فأبى وقال: لستما تعلمان من أى روح أنتما، لأننى لم آتِ لأهلك نفوس الناس بل لأحييها، معلّما إياهما أنّ روح المسيح روح سلام.

وقد سار تلاميذه المخلصون على طريق معلّمهم، فلم يعرفوا الغلظة أو التجبر، بل كانوا يُضيئون طريق الناس بالتعليم الصحيح ثم يتركونهم بعد ذلك أحراراً يقبلون تعليمهم أو ينصرفون عنه.

وليست روح السلام كما علّمها المسيح روح السلبية أو الخنوع، وليست هى روح الضعف أو الاستكانة أو الذلة، وليست هى الهرب حتى من الألم.

قوة الضعف :

مع وداعته وطهره وكمال صفاته، ومع إنه لم يصنع بأحد شراً، وإنما صنع بالناس كل خير، لكن اليهود خاصموه وقاوموه، وأخيراً تجمهروا عليه وصلبوه.

ولما وقف للمحاكمة أمام بيلاطس الوالى الرومانى، كان صامتاً وساكناً وكان قادة اليهود يوجهون الإتهامات إليه فلا يجيب بشئ.. فقال له بيلاطس: «أما تسمع كل هذا الذى يشهدون به عليك؟». فلم يُجبه بكلمة حتى لقد دهش الوالى جدا. فقال له بيلاطس: «لماذا لا تكلّمنى؟ أما تعلم أن لى سُلطانا أن أصلبك؟ وسلطانا أن أطلق سراحك؟». فلما قال له الوالى هذا أجابه المسيح على الفور: «ليس لك علىّ سلطان البتة مالم تكن قد أُعطيت من فوق».

تكريم للفقراء

كل من أصغى إلى المسيح أحبَّه وهابه. لذلك كانت تتبعه الجماهير بالألوف وعشرات الألوف حتى كان يدوس بعضهم بعضا. وكانوا يجدون فى تعليمه «قوة جاذبة» وقوة «فاعلة. وكانت تخرج منه قوة، لشفاء النفوس وشفاء الأجساد، وإقامة الموتى، وطرد الشياطين.

لقد علَّم المسيح بالسلام لا عن ضعف، بل عن قوة، لأن روح السلام هى روح القوة. أما العُنف فهو الضعف، ضعف النفس عن ضبطها لذاتها. ولذلك فإنّ من حسبوا مبادئ المسيح مبادئ ضعف، لم يفهموا روح السلام، ولا معنى السلام.

والناس قد يتخاصمون ويتحاربون بدافع النزوات العارضة. وفى القديم كانت كلمة واحدة يقولها ملك أو رئيس تثير ملكا آخر أو رئيسا آخر، فيعلنها حرباً شعواء يفنى فيها خلق كثير. أما اليوم، وقد تبين الناس بلايا الحروب وأنها تجهز على الأخضر واليابس، ولا فرق فى ذلك بين غالب ومغلوب، صار الناس جميعاً مؤمنين بقوة السلام.

ثم لنتأمل ميلاد المسيح فى مذود للبقر لنتعلَّم حبه ورحمته.

كيف وُلِد من أفقر عذراء فى أفقر بقعة فى الوجود، مذود للبقر؟!

هل لفقير فى الوجود أن يُنافس المسيح فى فقره؟

هل للفقراء بعد ذلك أن يحزنوا أو يتذمروا أو يُجدِّفوا على الله؟

إنّ المسيح بميلاده فى مذود للأبقار فى خان صغير وحقير، قد شَرَّف الفقر، وكَرَّم الفقراء إذ صار كواحد من أفقر فقرائهم بل لعله ارتضى أن يكون بالفعل أشدهم ضنكا وأرقهم حالا. وبذلك أنصفهم إذ انحاز إليهم وجعل ذاته واحدا منهم، فجذب إليهم عن هذا الطريق قلوب المترفعين عليهم والمنعزلين عنهم.

عاش يعمل بيديه

انضمَّ إليهم فجبر كسرهم ورد اعتبارهم ولفت الأنظار إليهم، ورفع معنوياتهم وأشعرهم أنه عارف بأحوالهم، وأنه مهتم بهم أكثر من غيرهم، لذلك نزل إليهم وشاركهم فقرهم وشقاءهم.

أية إشتراكية اسمى دلالة من إشتراكية المسيح الذى اختار أن يولَد فى مذود للأبقار فى قرية صغيرة مغمورة، وهى قرية بيت لحم؟! ولكن لم تعد قرية بيت لحم مغمورة ولعلها أصبحت أشهر

من كبرى عواصم العالم! لقد صارت مزارا ومحجا لكل الشعوب. قصدها الملوك ووضعوا على أرضها تيجانهم، تعبيرا عن اتضاع أمام الغنيّ الذى من أجل الناس افتقر، حتى نغتنى نحن بفقره.

وشاء دائما أن يُواصل عمل الفقير، فعاش طوال فترة وجوده على الأرض فقيرا يأكل ما يأكله الفقراء ويلبس ما يلبسون، ويشتغل بيديه كنجّار يصنع بابا أو يُصلح نافذة ويقنع بالقليل من كل شئ..

وعندما أعلن ذاته كقائد روحى كان دائما ينحاز إلى الفقراء، يحنو عليهم ويُنصت إلى شكواهم ويمدّ يده إلى معونتهم. وكان يمشى معهم وإليهم وعلى قدميه، يزحمونه فيحتملهم. وهمُّوا يوماً من فرط إعجابهم به ومحبتهم له أن يختطفوه ليقيموه ملكا. فلم يناقشهم حتى لا يجرح شعورهم، أو يصد رغبتهم بل اكتفى أن يتحول عنهم ويمضى، فلم يشعروا به عندما اختفى عنهم وابتعد. وحتى فى اليوم الذى قبل فيه تحيتهم وهتافهم له، وسعف النخل فى أيديهم وهم يصيحون «أوصنّا» أى «خلّصنا» لم يشأ أن يدخل أورشليم ممتطيا صهوة جواد، كما يفعل الملوك، لكنه دخل أورشليم كفقير، راكبا على جحش صغير ما ركبه أحد من الناس قط..

لهذا أحبه الفقراء :

هذا هو مولود بيت لحم الذى قضى على أرضنا نيفا وثلاثة وثلاثين عاماً عانى فيها كل أسباب الفقر حتى لقد قال مرة يصف فقره «إن للثعالب أوجرة، ولطيور السماء أوكارا، وأما ابن الإنسان فليس له موضع يُسند إليه رأسه». وقال عنه أحد رسله «افتقر لأجلكم وهو الغنى لتغتنوا أنتم بفقره»

هذا هو المسيح الذى بشرت بميلاده الملائكة، رعاة فى البيداء فذهبوا إليه، وقدموا له خضوعهم وولاءهم قبل أن يسجد له المجوس الأغنياء.

هذا هو المولود العجيب، الكائن السماوى في صورة طفل، هو شفيع الفقراء وحاميهم. ولقد دافع عنهم دفاعا لم يعرفه العالم من قبل أو من بعد، حتى أنه دعاهم «إخوته». وقال إنه يوم ينزل للحساب ديانا فلسوف يسأل الأغنياء عما فعلوه بالفقراء.

لهذه الأسباب أحبه الفقراء وعامة الشعب لأنهم رأوا حنانه عليهم ورفقه بهم، ولمسوا فيه أنه كان يدافع عنهم ويوبخ الرؤساء والأغنياء من أجلهم.

ولهذه الأسباب نفسها كرهه زعماء اليهود وقادتهم، وأخذوا يحيكون له الفخاخ ويتربصون به الدوائر. ومع ذلك لم يفلحوا فى حمل الناس على كراهيتهم له.

إن أورشليم القدس سُمِّيت كذلك لأنها مدينة السلام وهى مدينة المسيح، لأنه هو سلامها.. فلما جاء إلى أهلها يمد إليهم يد السلام رفضوه وقاوموه، فنعاها باكيا عليها لأنهم لم يفهموا رسالته.. وقال «يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها!»

هل يدرك العالم اليوم هذا الدرس الثمين فى يوم ميلاد رب السلام وملك السلام وصانع السلام؟!.

٧ ـ المولود... ملِكاً... وملَكاً إلى الأبد (١)

للمسيح وجودان: وجود قبل الزمان، ووجود فى الزمان. ووجوده فى الزمان هو ما اصطلح عليه بالميلاد. وميلاد المسيح ليس كميلاد أي طفل آخر. إن ميلاد طفل هو بدء وجوده. أما ميلاد المسيح فشئ آخر. ميلاده هو وجوده فى الزمان.. وعيد ميلاده هو عيد تجسده فى الزمان..

عندما جاء المجوس من بلاد المشرق وهى بلاد الفرس أو ايران إلى أورشليم فى موكب عظيم، يتقدمهم ثلاثة من عظمائهم وحكمائهم وعلمائهم وهم أيضاً رؤساؤهم أو ملوكهم، جاءوا يقولون ويتساءلون (أين هو **المولود ملك اليهود**، فإننا رأينا نجمة فى المشرق وأتينا لنسجد له) (متى ٢ : ٢). فهذا المولود ملك، وقد أتى المجوس من بلادهم، وساروا فى موكبهم مدة تقدر بثلاثة أشهر ليسجدوا للمولود الملك، ويقدموا له وهو وليد، هداياهم، وقرابينهم من الذهب واللبان والمر، وقالوا: إنّ زعيمنا زرادشت (وقد نبغ حول منتصف القرن السابع قبل الميلاد وتوفى حوالى ٥٨٣ ق.م) قد أنبأنا بأنه سيولد فى فلسطين مولود أصله من السماء، وسوف يتعبد له كثيرون. وفى وقت ميلاده يظهر نجم غريب. ولسوف تهتدون بهذا النجم إلى حيث هذا المولود الإلهى. فمتى رأيتم النجم سيروا وهو يتقدمكم، واحملوا معكم إلى المولود قرابينكم من الذهب واللبان والمر، فإنه الكلمة مقيم السماء. أمّا الذهب فلأنه ملك. وأما اللبّان فلأنه معبود، وأما المرّ فلأنه الفادى والمخلّص.

وقد تم بهذا ما أنبأ به الوحى الإلهى فى سفر المزامير (أمامه يجثو أهل البادية، وأعداؤه يلحسون التراب. ملوك ترشيش والجزائر يحملون إليه الهدايا، ملوك شبأ وسبأ يقربون له العطايا. ويسجد له جميع الملوك، وتتعبد له كل الأمم) (مزمور ٧١: ٨ – ١١).

وعندما جاء الملاك جبرائيل إلى العذراء القديسة مريم ليبشرها بحملها للمسيح الكلمة قال لها: السلام لكِ أيتها الممتلئة نعمة. الربّ معك، مباركة أنتِ فى النساء... قد نلتِ نعمة عند الله. وها أنت ذى ستحبلين وتلدين ابنا تسمينه يسوع وسيكون عظيماً وابن العلىّ يدعى، وسيعطيه الربُّ الإله **عرش داود أبيه، فيملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولن يكون لملكه**

---

(١) كتب الثلاثاء ٢٥ من ديسمبر ١٩٨٤م ـ ١٦ من كيهك ١٧٠١ ش.

إنقضاء (لوقا ٢ : ٢٨ – ٣٣) . فالذى ولد من مريم، وهو المسيح يسوع ملك، وملك إلى الأبد، ولن يكون لملكه إنقضاء (إرميا ٢٣ : ٥، ٦) .

هذا هو الذى أنبأ عنه النبى دانيال فى القديم قائلا إنه (أوتى **سلطانا ومجداً وملكا**، فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه. **وسلطانه سلطان أبدى مالن يزول، وملكه لا ينقرض**) (دانيال ٧ : ١٣، ١٤) وقال عنه أيضاً (**وسيكون ملكه ملكا أبديا** ويعبده جميع السلاطين ويطيعونه) (دانيال ٧ : ٢٧)، (٦ : ٢٦)، (مزمور ٢ : ٨) .

لهذا لم يكن عبثا أن تتحرّك ملائكة السماء لتستقبل مجيئه فى ليلة ميلاده، وتعلن عنه للرعاة فى البادية (وإذا بملاك الرب يظهر فجأة قبالتهم، ومجد الرب يضئ من حولهم، فارتعبوا إرتعابا شديدا. فقال الملاك لهم: لا تخافوا، فها أنا ذا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب، إذ ولد لكم اليوم فى مدينة داود (بيت لحم) مخلّص هو المسيح الرب... ثم ظهر بغتة مع الملاك كوكبة من جند السماء يسبحّون الله قائلين: (المجد لله فى الأعالى، وعلى الأرض السلام، وبالناس مسرته) (لوقا ٢ : ٨ – ١٤) .

ولذلك كانت دائما ملائكة السماء فى خدمته، كما جاء مثلا فى (متى ٤ : ١١)، (لوقا ٢٢ : ٤٣)، (متى ٢٦ : ٥٣) .

وقبيل نهاية رحلته على الأرض شاء أن يدخل أورشليم، قبل صلبه بستة أيام، راكبا على جحش، فى موكب رسمى، معلنا أنه بعينه الملك الذى أنبأ عنه الوحى الإلهى فى سفر نبوءة النبى زكريا، مخاطبا أورشليم (ابتهجى جداً يابنت صهيون، واهتفى يابنت أورشليم، هوذا **ملكك** يأتى إليك، هو عادل ومنصور ووديع، وراكب على أتان وجحش ابن أتان) (زكريا ٩ : ٩) . ومع أن السيد المسيح كان دائما يسير على قدميه، لكنه فى هذه المرة رأى أن يدخل أورشليم راكبا على جحش ليلفت النظر إلى حقيقة أنه الملك الذى أنبأت عنه الأنبياء بوحى من الله، فى القديم، خصوصا وأن وقت عودته إلى السماء التى نزل منها قد اقترب، فكان لابدّ أن يبرز هذه الحقيقة الخلاصية حتى لا تغيب عن الأذهان فى خضم الأحداث المتتابعة.

هذا هو اليوم المعروف بأحد الشعانين أو أحد السعف، حيث (بسط جمع عظيم جداً ثيابهم فى الطريق، وقطع آخرون أغصانا من الشجر وفرشوها فى الطريق، والجموع الذين كانوا يسيرون

أمامه والذين كانوا يسيرون خلفه، كانوا يفرحون ويسبحون الله بصوت عظيم على كل ماشاهدوا من القوات، يهتفون قائلين: المجد لمخلّصنا ابن داود، مبارك **الملك** الآتى باسم الرب. السلام فى السماء. والمجد فى الأعالى. مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب. المجد لمخلّصنا فى الأعالى. مبارك الآتى باسم الرب **ملك إسرائيل**) (متى ٢١: ٨، ٩)، (مرقس ١١: ٨ – ١٠)، (لوقا ١٩: ٣٦ – ٣٨)، (يوحنا ١٢: ١٢، ١٣).

وقد روى الإنجيل للقديس متى ـ قصة دخول المسيح ملكا فى أحد الشعانين، راكبا على جحش ثم عقّب قائلاً: (وقد كان هذا ليتمّ ما قيل بفم النبى القائل: قولوا لإبنة صهيون: هوذا **ملكك** يأتيك وديعاً راكباً أتانا وجحشا ابن أتان) (متى ٢١: ٤، ٥). وكذلك روى الإنجيل للقديس يوحنا قصة دخول المسيح ملكا إلى أورشليم وعقّب قائلا: (كما هو مكتوب: لا تخافى يا إبنة صهيون، هوذا **ملكك** يأتى إليك راكباً على جحش ابن أتان) (يوحنا ١٢: ١٤، ١٥).

وقال فيه الوحى الإلهى بفم النبى إشعياء يصف ميلاده فى الزمان أو بالأحرى تجسده وأنه المولود ملكا (لأنه يولد لنا ولد، ونعطى إبنا، وتكون **الرئاسة على كتفه**، ويُدعى اسمه عجيبا مشيرا، إلها قديراً، أبا الأبد، رئيس السلام. **لنمو رئاسته وللسلام لا نهاية له، على عرش داود ومملكته**، ليثبتها ويوطدها بالحق والعدل، من الآن إلى الأبد) (إشعياء ٩: ٦، ٧). ولنذكر هنا ما قاله الملاك جبرائيل للعذراء القديسة مريم (وسيعطيه الرب الإله **عرش داود أبيه، فيملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولن يكون لملكه إنقضاء**) (لوقا ١: ٢٢، ٣٣) وبهذا المعنى وبهذا التعبير هتف نثنائيل أو برثولماوس الذى صار فيما بعد أحد تلاميذ المسيح الإثنى عشر، وقد انبهر من علمه بماضيه من أول لقاء له به (يامعلّم أنت ابن الله، أنت **ملك إسرائيل**) (يوحنا ١: ٤٩).

ولقد اتخذ قادة اليهود من هذه الحقيقة المعروفة عندهم عن المسيح بحسب أقوال الأنبياء موضوعاً لإتهام يسوع الناصرى أمام الحاكم الرومانى لإثارته بتهمة التمرد على قيصر الرومان، حتى يحكم عليه بالصلب، (وأخذوا يتهّمونه قائلين: إننا وجدنا هذا يفسد الأمة... مدّعيا **أنه المسيح الملك**) (لوقا ٢٣: ٢) ولما رأوا أنّ بيلاطس يريد أن يُطلق سراحه (أخذوا يصيحون قائلين: إن أنت أطلقت سراحه فلست محبا لقيصر، لأنّ كل من يجعل نفسه ملكا إنما يقاوم قيصر) (يوحنا ١٩: ١٢).

ولذلك وقع بيلاطس فى حرج (ودعا إليه يسوع، وقال له: **أأنت ملك اليهود ؟** فأجابه يسوع قائلا: أمن نفسك تقول هذا أم قال لك آخرون ذلك عنى؟) ثم أضاف ليطمئنه قائلا: (إنَّ **مملكتى ليست من هذا العالم**... فقال له بيلاطس: أفأنت إذن **ملك ؟** أجاب يسوع قائلا: **نعم، أنا هو كقولك**. لأجل هذا ولدت أنا، ولأجل هذا جئت إلى العالم) (يوحنا ١٨ : ٣٣ – ٣٧)، (متى ٢٧ : ١١)، (مرقس ١٥ : ٢).

ولذلك فإنهم لكى يسخروا منه (ألبسوه رداء قرمزيا) كرداء الملوك، وبدلا من التاج الذهب الذى يضعه الملوك فوق رؤوسهم (ضفروا **تاجاً** من الشوك ووضعوه على رأسه، ووضعوا **قصبة فى يمينه**، ثم راحوا يجثون على ركبهم أمامه ويهزأون به قائلين: السلام **يامَلك اليهود**..) (متى ٢٧ : ٢٨، ٢٩)، (مرقس ١٥ : ١٢، ١٧، ١٨)، (يوحنا ١٩ : ٣).

(ووضع بيلاطس لافتة على الصليب، كتب فيها: يسوع الناصرى **ملك اليهود**.. وكانت مكتوبة بالعبرانية واللاتينية واليونانية. فقال رؤساء كهنة اليهود لبيلاطس: (لا تكتب أنه **ملك اليهود**، بل إنه هو قال: أنا **ملك اليهود**. فأجاب بيلاطس قائلا: ما كتبتُ قد كتبتُ) (يوحنا ١٩ : ١٩ – ٢٢)، (متى ٢٧ : ٣٧)، (مرقس ١٥ : ٢٦)، (لوقا ٢٣ : ٣٨).

بل واتّخذ اليهود من هذا الموضوع مادة لسخريتهم بالمسيح المصلوب. قال الإنجيل (وكذلك رؤساء الكهنة كانوا يهزأون به مع الكتبة والشيوخ قائلين: خلَّص آخرين ولا يستطيع أن يخلِّص نفسه، إن كان هو **ملك إسرائيل** فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به) (متى ٢٧ : ٤١، ٤٢)، (مرقس ١٥ : ٣١، ٣٢).

وجنود الرومان أيضاً اتخذوا من المسيح المصلوب نفس الموقف. قال الإنجيل (وكذلك الجنود كانوا يسخرون منه، وقد دنوا منه وقدّموا له خلاً، قائلين له: إن كنت أنت **ملك اليهود** فخلِّص نفسك) (لوقا ٢٣ : ٣٦، ٣٧).

وبيلاطس البنطى الحاكم الرومانى عندما كان قادة اليهود أمامه يشكون إليه يسوع المسيح قال لهم إنه لم يجد فيه ما يستوجب الحكم عليه ثم سألهم (ولما كانت قد جرت العادة عندكم أن أطلق لكم فى الفصح سراح واحد، فهل تريدون أن أطلق لكم سراح **ملك اليهود ؟**) (يوحنا ١٨ : ٣٩)، (مرقس ١٥ : ٩) ثم (قال بيلاطس لليهود: **ها هوذا ملككم**. أما هم فصاحوا قائلين: ارفعه، ارفعه، اصلبه. قال لهم بيلاطس: **أأصلب ملككم ؟** فأجاب رؤساء الكهنة قائلين: ليس لنا ملك إلا قيصر) (يوحنا ١٩ : ١٥).

وقد أكد المسيح سلطانه كملك فى قوله لتلاميذه بعد قيامته المجيدة من بين الأموات (إنى قد أُعطيت كل سلطان فى السماء وعلى الأرض) (متى ٢٨: ١٨)، (٢٦: ٦٤)، (١١: ٢٧)، (يوحنا ٣: ٣٥)، (١٣: ٣)، (١٧: ٢).

وقد أوضح العهد الجديد أن اسم المسيح **(يفوق كل اسم)** وأنه **(تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض، ومن تحت الأرض)** (فيلبى ٢: ٩، ١٠)، وأنه الملك **(فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة، وفوق كل اسم يسمّى، ليس فى هذا الدهر فقط، بل فى الدهر الآتى أيضاً)** (أفسس ١: ٢١)، (أعمال الرسل ١٧: ٧)، وأنه **(رب يسود على الأموات والأحياء)** (رومية ١٤: ٩)، **(وإنه أخضع كل شئ تحت قدميه)** (١. كورنثوس ١٥: ٢٧) **ويملك على الكل** (١. كورنثوس ١٥: ٢٥) وأنه **(هو رأس كل رئاسة وكل سلطان وكل قوة)** (كولوسى ٢: ١٠)، (١. كورنثوس ١٥: ٢٤)، **وطغمات (الملائكة والسلاطين والقوات)** (١. بطرس ٣: ٢٢)، (العبرانيين ١: ٦). ثمّ إنه (له على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب: **ملك الملوك** ورب الأرباب) (سفر الرؤيا ١٩: ١٦)، (١٧: ١٤)، (١. تيموثيئوس ٦: ١٥) وهو **(الملك الديان)** (متى ٢٥: ٣٤، ٤٠)، وهو **(ملك القديسين)** (الرؤيا ١٥: ٣)، (٢٠: ٤، ٦)، **(وله ملك العالمين، وسيملك إلى أبد الآبدين)** (الرؤيا ١١: ١٥، ١٧) ومن هنا كان دعاء ديماس اللص الذى صلب عن يمينه، فقد آمن بأنه الملك الذى يملك وسيملك إلى أبد الدهور فصاح وهو على الصليب إلى المسيح المصلوب قائلا: (أذكرنى يارب متى جئت **فى ملكوتك)** (لوقا ٢٣: ٤٢) وذات المطلب سأله إياه تلميذاه يعقوب ويوحنا (أن نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك **فى ملكوتك)** (متى ٢٠: ٢١)، (مرقس ١٠: ٣٧). وهى المملكة الأبدية التى أشار إليها النبى دانيال بقوله: (يقيم إله السماوات **مملكة لن تنقرض أبدا، ومَلِكُها لا يترك لشعب آخر، فتسحق وتفنى جميع تلك الممالك، وهى تثبت إلى الأبد)** (دانيال ٢: ٤٤).

* * *

وها إننى، ياسيدى ويامولاى، يامن بغير تحوّل تجسّدت وتأنست، أهتف نحوك فى ضراعة وابتهال (أذكرنى يارب، متى جئتَ فى ملكوتك).

٨ - الإختيار الملهم لفصول القراءة
فى ليلة عيد الميلاد المجيد

مما يثير الإنتباه حقاً ويدعو إلى التأمل والاعتبار، إختيار فصول القراءة فى صلوات ليلة عيد الميلاد المجيد. ذلك أنّ فصل الإنجيل الذى يُتلى فى رفع بخور باكر مأخوذ من الإنجيل للقديس يوحنا، ويبدأ بقول الوحى الإلهى (والكلمة اتّخذ جسداً) (يوحنا ١: ١٤). ثم يمضى النصّ قائلا: (وحلّ بيننا، وقد أبصرنا مجده، مجدَ الابن الوحيد لأبيه، المملوءَ من النِّعمة والحقّ. وقد شهد يوحنّا له، ونادى قائلاً: (هذا هو الذّى قُلتُ عنه إنّ الذى يأتى بعدى قد تقدّمنى، لأنه كان قبلى. ومن ملئه نحن جميعُنا أخذنا. ونعمةً أخذنا بدلاً من نعمة. لأنّ الشريعة بموسى أعطيت، وأمّا النِعمة والحق فبيسوع المسيح كانا) (يوحنا ١: ١٤ – ١٧).

بينما أنّ فصل إنجيل القدّاس مأخوذ من الإنجيل للقديس متى الذى يروى قصّة مجئ المجوس إلى أورشليم باحثين عن (المولود ملك اليهود) ليسجدوا له وليقدموا له هداياهم، وذلك بناء على نبوءة سابقة كان قد أنبأهم بها زرادشت زعيم المجوسية فى تاريخ سابق (وإذ وُلِدَ يسوع فى بيت لحم التى بإقليم اليهودية فى أيام هيرودس الملك، إذا مجوس جاءوا من المشرق إلى أورشليم قائلين (أين هو المولود ملك اليهود، فإننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له) (متى ٢: ١، ٢).

وهنا يتساءل الإنسان: كيف يُقرأ فى الكنيسة فى ليلة عيد الميلاد، فى رفع بخور باكر، وفى القدّاس، فصلان، لا يتحدث أى منهما عن قصة الميلاد ذاتها كما رواها الإنجيل للقديس لوقا حيث يتناول ظهور الملاك للرعاة الساهرين فى البيداء، وتبشيره لهم بميلاد المسيح له المجد فى ذلك اليوم عينه، بقوله: «وكان فى تلك الناحية رعاة بالبادية يتناوبون السّهر بالليل فى حراسة قطعانهم. وإذا بملاك الربّ يظهر فجأة قبالتهم، ومجد الرب يضئ من حولهم، فارتعبوا إرتعاباً شديداً. فقال الملاك لهم (لا تخافوا فها أنا ذا أُبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب، إذ وُلِدَ لكم اليوم فى مدينة داود مخلّص هو المسيح الرب. وإليكم هذه العلامة: إنكم ستجدون الطّفل مقمّطاً ومضجعاً فى مذود). ثُمّ ظهرت بغتةً مع الملاك كوكبة من جند السّماء يُسبّحون الله قائلين (المجدُ لله فى الأعالى، وعلى الأرض السّلامُ وبالناس مسرّتُه) (لوقا ٢: ٨ – ١٤).

إن رواية الميلاد كما أوردها الإنجيل للقديس لوقا تُقرأ فى القدّاس فى اليوم السابق مباشرة على يوم عيد الميلاد، أى أنها تُقرأ فى إنجيل القدّاس الذى يُتلى فى برامون عيد الميلاد، ولكنها

لا تقرأ فى ليلة عيد الميلاد، مع أنه من المتوقع منطقيا تلاوتها فى ليلة العيد التى نحتفل فيها بعيد الميلاد الجيد.

فلماذا هذا؟

لماذا رتبت الكنيسة فى صلوات ليلة عيد الميلاد، تلاوة فصلين لا يتحدثان عن وقائع الميلاد نفسه؟

نجيب بأنّ هذا الترتيب لم يكن عبثا أو اعتباطا، وإنما هو ترتيب حكيم، ينطوى على حكمة روحية وعلى قصد نبيل، وتدبير جميل، وفهم عميق وبعيد.

تريد الكنيسة، بهذا الترتيب الحكيم، أن تبين أنّ من نحتفل بعيد ميلاده، وهو المسيح يسوع، لم يبدأ وجوده بميلاده من مريم، كما هو الحال بالنسبة لجميع البشر. فالمسيح له المجد كائن بوجوده قبل أن يولد من مريم العذراء، إنه كائن منذ الأزل إنه البدء الذى لابداءة له، وكما أنبأ عنه النبّى ميخا قائلا: (أما أنتِ يابيتَ لحم أفراتَه. إنّك صغيرة فى ألوف يهوذا، ولكن منك يخرج لى من يكون مُتسلّطاً على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزل) (ميخا ٥: ٢)، (متى ٢: ٥، ٦). انظر (مزمور ٨٩: ٢)، (سفر الأمثال ٨: ٢٣).

وإذن فالمسيح لم يبدأ وجوده بميلاده من العذراء مريم. كلا، إنه الكائن قبل كل الدهور... إنه الأزلىّ، والسرمدىّ والسرمد.. إنه هو بذاته (يهوه) (الكائن الذى كان والدائم إلى الأبد) (سفر الرؤيا والجليان ١: ٤، ٨)، (سفر الخروج ٣: ١٤) ... هو (الألف والياء، وهو البداءة والنهاية، وهو الأوّل والآخر) (الرؤيا والجليان ١: ٨، ١١، ١٧).

هو المسيح له المجد الذى قال لليهود صراحة وعلانية: (الحقّ الحقّ أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن) (يوحنا ٨: ٥٨).

وقال أيضاً إنّ مجده كائن من قبل كون العالم) (يوحنا ١٧: ٥) وإنّ مجده قبل إنشاء العالم (يوحنا ١٧: ٢٤) (وهو كائن قبل كل شئ) (كولوسى ١: ١٧)، (فيلبى ٢: ٦).

لهذا، وحتى لايظنّ أحد من الشّعب المسيحى بخاصةٍ أو من الناس بعامةٍ، أننا عندما نحتفل بعيد الميلاد المجيد، نحتفل بميلاد المسيح من مريم كما يحتفل سائر الناس بميلاد أحد الأنبياء أو أحد الناس عامة، وهذا الظن فيه ما فيه من خطر ومن خطأ سوء الاعتقاد فى المسيح كما لو كان مجرد إنسان.

لذلك رأت الكنيسة مرتشدة بالروح القدس أن تقرأ على المؤمنين فى ليلة عيد الميلاد الفصول الإنجيلية **التى تنصُّ على وجود المسيح الإلهى منذ الأزل، وقبل أن يولد كإنسان من مريم العذراء، ولكى يتبين جميع الناس أنَّ عيد الميلاد بالنسبة للسيدِّ المسيح له المجد إنما هو فى حقيقته، عيد لتجسّده الإلهى**، أى أنَّ عيد الميلاد هو اليوم الذى فيه شاء الله الكلمة أن يتَّخذ جسداً، حلّ فيه وبه بين الناس (يوحنا ١ : ١٤) (الذى وهو صورة الله لم يحسب مساواته لله غنيمة له. لكنه تخلّى عن مجده، واتخذ صورة العبد، وصار فى شبه البشر، وظهر فى هيئة إنسان. وضع نفسه وأطاع حتى الموت، الموت على الصليب) (فيلبى ٢ : ٦ – ٨)، (رومية ٨ : ٣)، (العبرانيين ٢ : ١٧).

من أجل توكيد هذا المعنى وتثبيته فى أذهان الشعب المسيحى بخاصة، وجميع الناس بعامة، رتبت الكنيسة المقدَّسة أن يُتلى فى رفع بخور باكر فى ليلة عيد الميلاد، قول الإنجيل للقديس يوحنا (والكلمة اتَّخذ جسداً، وحلّ بيننا) (يوحنا ١ : ١٤) وأن يُتلى فى إنجيل القدّاس الفصل الخاص بمجئ المجوس من بلاد المشرق (متى ٢ : ١ – ١٢) بناء على ظهور النجم لهم، وهو النجم الذى كان قد أنبأهم عن ظهوره بنحو سبعة قرون قبل الميلاد، زعيمهم زرادشت ZO-ROASTER فقد قال لذويه كما يروى ابن العبرى فى كتابه (تاريخ مختصر الدول) صفحة ٨٣: إنَّ فى آخر الزمان بكراً تحبل بجنين من غير أن يمسَّها رجل. وعند ولادته يظهر كوكب يُضئ بالنهار ويرى فى وسطه صورة صبيَّة عذراء. وأنتم يا أولادى، قبل كل الأُمم تُحسُّون بظهوره. فإذا شاهدتم الكوكب امضوا حيث يهديكم، واسجدوا لذلك المولود، وقرِّبوا قرابينكم فهو الكلمة مقيم السماء..)

ولماّ جاء المجوس إلى أورشليم وكان النجم الذى تقدَّمهم من بلادهم ايران قد اختفى، قالوا لهيرودس الملك كما جاء فى كتاب (تاريخ مختصر الدول) لابن العبرى صفحة ١١٠: إنَّ عظيماً كان لنا قد أنبأنا بكتاب وضعه، ذكَرَ فيه أنه سيولد فى فلسطين مولود أصله من السَّماء، وسيتعبَّد له أكثر العالم. وآية ظهوره أنكم ترون نجماً غريباً، وهو يهديكم إلى حيث هو. فإذا رأيتموه، فاحملوا ذهبا ومراً ولبانا، وانطلقوا إليه ولاطفوه بها، لئلا ينالكم بلاء عظيم.

وجاء المجوس فى موكب عظيم من بلاد الفرس وهى ايران، وكانوا قد هيأوا أنفسهم ليسجدوا له وليقدموا له هداياهم. وعندما دخلوا المدينة، أُورشليم القدس أخذوا يتساءلون (أين هو المولود ملكُ اليهود، فإنَّنا رأينا نجمه فى المشرق، وأتينا لنسجد له) (متى ٢ : ١، ٢).

وإذن فالمولود الذى جاء المجوس من بلاد المشرق يسألون عنه ليس مولودا عاديا، لكنه **(ملك) ثم هو إله معبود ينبغى له السجود**.. وليس هذا المولود طفلاً سيصير ملكا فيما بعد، لكنه منذ ظهوره هو ملك، وهو أيضاً إله معبود، خليق به السجود له، والعبادة.

هذه القضية غاية فى الأهمية، لتوكيد أنّ المسيح يسوع له المجد، وإن كان قد ظهر بيننا طفلاً صغيراً رضيعاً وأخذ ينمو جسمه قليلاً قليلاً شبه البشر، إلاّ أنّه **فى حقيقته كائن قبل ظهوره فى الجسد**. وتجسّده جاء فى الزمان لخلاص آدم وبنيه.

فلا ننسى إذن أنّ **المسيح يسوع فى حقيقته هو الله ظاهراً فى جسد إنسان**.

(وحقاً عظيمٌ هو سرُّ التقوى

الله ظهر فى الجسد

وتبرَّر فى الروح

وتراءى للملائكة

وبُشِّر به فى الأُمم

وأُومِنَ به فى العالم

وارتفع فى المجد) (١ . تيموثيئوس ٣: ١٦) - (رومية ١٦: ٢٥، ٢٦)، (١ . بطرس ١: ٢٠)، (١ . يوحنا ٣: ٥، ٨).

إنّ ميلاد المسيح ليس معناه أنه بميلاده من مريم قد وُجد، كما هو الحال بالنسبة لأىّ بشر آخر. فكل إنسان إذا وُلِد فقد وُجد. أمّا المسيح له المجد فهو كائن قبل ميلاده من مريم، **كائن فى السماء ثم نزل من السماء** (يوحنا ٦: ٣٨، ٤١، ٥١، ٥٨) وتلبّس بالجسد الذى أخذه من مريم العذراء وظهر به إنسانا مثلنا فى كل شئ ما خلا الخطيئة (العبرانيين ٤: ١٥).

وكما يقول القديس أثناسيوس الرسولى حامى الإيمان:

إنّ المسيح كان ولم يزل إلها إلى الأبد. فميلاده من مريم العذراء إنما هو تجسُّد.

على أنه (هو الكائن على كل شئ إلها مباركا إلى الأبد) (رومية ٩: ٥)، (١: ٢٥).

(ففيه يحِلُّ كل ملء اللاهوت) (كولوسى ٢: ٩).

لهذا عندما تكلم يوحنا الرسول عن التجسد، لم يتحدث عن الميلاد من مريم العذراء كما تكلم الإنجيليون الآخرون ولم يحك رواية الميلاد كما حكاها الإنجيل بحسب ما كتبه القديس متى والقديس لوقا، ولم يذكر مريم ويوسف، ولا تكلم عن بشارة الملاك جبرائيل بالحبل الإلهى ولا عن بشارة الملائكة للرعاة بالميلاد... كل هذا تركه يوحنا الرسول ليبرز وجود المسيح الأزلى قبل الميلاد. فقد كانت مهمة القديس يوحنا الرسول بعد استشهاد جميع الآباء الرسل أن يُظهر حقيقة المسيح اللاهوتية توكيدا لأزليته وتثبيتا لحقيقة وجوده قبل الزمان، وأنه كائن قبل كل الدهور حتى لا يختلط فى ذهن الناس أو يظنوا أن المسيح بدأ من مريم - حاشا - لأن المسيح كائن قبل مريم أى منذ الأزل، لأنه ليس له بداءة كما قال الرب يسوع للقديس يوحنا فى سفر الرؤيا «أنا هو الأول والآخر. أنا الألف والياء. البداءة والنهاية» (الرؤيا ١: ٨، ١١).

فمن هذا الذى يقول عن نفسه أنه الأول والآخر إن لم يكن هو الله؟!.

* * *

وبناء عليه تتضح لنا الحكمة فى اختيار فصل الإنجيل من يوحنا ١: ١٤ – ١٧ ليتلى فى رفع بخور باكر ليلة عيد الميلاد المجيد حتى يتبين الشعب حقيقة المولود، وأنه ليس إنسانا كسائر الناس، وإن كان قد أخذ صورة الناس، لكنه فى حقيقته هو الله الكائن منذ الأزل، وقد اتخذ له فى ملء الزمان جسدا احتجب فيه، واستتر به حتى يمكن أن يراه الإنسان ولا يموت (الخروج ٣٣: ٢٠)، فإن إلهنا نار آكلة (الخروج ٢٤: ١٧)، (العبرانيين ١٢: ٢٩)، (التثنية ٤: ٢٤)، (٩: ٣).

ثم هو، وإن تجسد فى الزمان، لكنه كائن منذ الأزل قبل تجسده أى أنه على قول القديس أثناسيوس الرسولى «إنه كان، وما زال إلها».. كان قبل التجسد إلها، ولا يزال بعد التجسد كما كان، ولم يتغير فى طبيعته الإلهية...

إنه نزل من السماء وتجسد من العذراء مريم، وقد ألح المسيح له المجد كثيرا على أنه نزل من السماء. فقال: «إنى قد نزلت من السماء» (يوحنا ٦: ٣٨، ٤٢) وقال «أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء» (يوحنا ٦: ٤١، ٥٠، ٥١، ٥٨) وقال أيضاً «من الله خرجت. خرجت من الآب، وجئت إلى العالم، ثم اترك العالم وانطلق إلى الآب» (يوحنا ١٦: ٢٧، ٢٨، ٣٠)، (١٧: ٨)، (أفسس ٤: ٩، ١٠).

على أن نزول المسيح له المجد من السماء كان بتجسده الإلهى من مريم العذراء، ومع ذلك لم يخل السماء من وجوده. ففيما كان على الأرض، كان فى نفس الوقت ساكنا فى السماء، ويملأ بلاهوته الكون كله. وفى ذلك يقول له المجد «ما من أحد صعد إلى السماء إلا ذلك الذى نزل من السماء، ابن الإنسان الذى هو فى السماء» (يوحنا ٣: ١٣)، (يوحنا ٦: ٦٢) أى إنه فيما كان على الأرض ماشيا أو جالسا كان أيضا بلاهوته فى السماء على العرش، وفى كل الوجود، وفى كل الكون.

وإذا قلنا أن المسيح نزل من السماء، فليس نزوله من قبيل نزول الإنسان من الطابق الأعلى فى بيته إلى الطابق الأسفل، فالإنسان محدود، ولا يمكن أن يوجد فى مكانين فى وقت واحد. فإذا نزل من الطابق الأعلى إلى الطابق الأسفل، فقد أخلى الطابق الأعلى من وجوده. وليس كذلك الله، فإن الله لا يحل فى مكان لم يكن كائنا فيه من قبل، فإنه حال بلاهوته فى كل مكان، ولا يخلو منه مكان. إنما نزول المسيح من السماء، وحلوله على الأرض، معناه إنه وهو فى جلاله ساكن السماوات، تنازل واتخذ له جسدا، وصار له على الأرض كيان منظور فى جسد إنسان. فإن كان المسيح قد نزل بالنسبة للناس، إذ صار له على الأرض كيان منظور. أما فى لاهوته فلم ينزل، لأنه كان ومازال كائنا فى السماء وعلى الأرض... مثل وجوده على الأرض مثل النور فى المصباح، إنه فى المصباح وخارج المصباح فى آن واحد، ويملأ بنوره المكان، ولا يحصره ولا يحده المكان، فى المصباح أو خارج المصباح. إن المسيح كان فى الأرض بتجسده، ولكنه كان فى السماء، وفى كل الكون. ولم يحجب ناسوته لاهوته إلا بالنسبة للبشر على الأرض، حتى يعيشوا ولا يموتوا.

إنه تجسد من أجلنا، لكى يراه الناس، ومن غير التجسد ما كان يمكن أن يراه أحد ويعيش... ولقد تجسد لكى يحمل طبيعتنا، فيطهرها ويقدسها ثم يصعد بها إلى السماء عند صعوده وعودته إلى السماء التى نزل منها.

قال القديس أثناسيوس الرسولى: لقد صار الإله إنسانا، لكى يجعل الإنسان إلها.

شكرا أيها الرب، فإنك شرفت طبيعتنا بحلولك فيها، وبصعودك بها وجلوسك على العرش صرنا نحن فيك جالسين على العرش...

المجد لك، دائما وأبدا.

٩ - ترقب البشرية مجئ السلام (١)

تنشر فيما يلى الكلمة الرائعة التى سجلها الأستاذ الإرشيدياكون الدكتور وهيب عطاالله بمناسبة عيد الميلاد المجيد لما تضمنته من معان وأفكار جديدة تنشر لأول مرة.

فى ليلة من ليالى البرد القارس، والناس نيام، جئت إلينا يارب فى صورة طفل رضيع فى ركن مجهول من أركان الدنيا الواسعة الرحيبة وفى مذود للبقر من الناصرة، وهى أحقر بلد فى أحقر إقليم من بلاد فلسطين وهى الجليل.

لم ينتبه لمجيئك أحد، ولا كان فى استقبالك من البشر غير من تشرفت بحملك فى أحشائها وحتى يوسف البار تروى التقاليد عنه أنه مضى ليحضر القابلة، فعاد ومعه القابلة، ولكن بعد أن خرجت ياربى من بطن العذراء كما دخلت العلية بعد ذلك بسنين وكانت أبوابها مغلقة لم تفتح ولم تمس، خرجت منها كما دخلت بقدرة لاهوتك.

إلا إنك يارب لا تحفل بالناس جئت مخفيا جلالك عن عيون الناس؟ ولكنك تحفل بالناس، ولا تحفل بهم فقط بل ومن أجل خلاصهم قد جئت فلماذا تخفيت يارب؟!

لقد عرفناك يارب على كل حال، وعرفنا أنك «من أجلنا قد افتقرت وأنت الغنى لنستغنى نحن بفقرك»، ولبست الضعف وأنت القوى لترفع نفوس الضعفاء وتشفى شقاءهم.

لم تستقبلك طلقات المدافع المدوية كما تستقبل كل طفل ملكى، ولكن استقبلتك أبواق الملائكة النقية.

لم تضأ لك الثريات الكهربائية، ولكن أضاءت مقرك الصغير الكبير أنوار سمائية وأضواء روحانية بهية.

لا ياسيدى لست أنت بشرا، وإن دعوت نفسك «ابن البشر» ولم تكن فى طبيعتك الأزلية إنسانا، وإن كنت قد اتخذت «فى ملء الزمان» صورة الناس وطبيعة الناس.

وإلا فلماذا اهتزت السماء بميلادك وطاولت الأرض؟ صمت الناس وتكلمت الملائكة وأنشدت طغماتهم ألوفا وربوات «المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام»؟

---

(١) نشر بمجلة الإيمان - السنة الثلاثون العدد الخامس - فى عام ١٩٦١م.

ولماذا وقف ملاك الرب بالرعاه، ومجد الله أشرق حولهم، فخافوا خوفا عظيماً جداً؟!

ولماذا وصف الملاك الفرح بميلادك بأنه «فرح عظيم لجميع الشعب؟»

ولماذا قال «إنه قد ولد لكم اليوم فى مدينة داود (بيت لحم) مخلص هو المسيح الرب؟»

إذن فلست يا إلهى مولودا طفلا كسائر المولودين، ولكنك الرب فى صورة طفل وليد.

ولماذا جاء رئيس الملائكة يبشر العذراء البتول بميلادك منها، ويحيها بأجمل تحية عرفتها إمرأة فى تاريخ البشر «مباركة أنت فى النساء»! ويصفك لها بأنك «القدوس» الذى «يملك على آل يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه إنقضاء» ؟

وذلك أنك الأزلى الأبدى، والسرمدى الذى لا بداية له ولا نهاية!!

ألست أنت بعينك من رآه دانيال النبى قديما فى صورة ابن بشر، ومع ذلك «سلطانه أبدى لن يزول، وملكه لا ينقرض» «وتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة» ؟!

ألست أنت بذاتك الذى تغنى النبى ميخا بأزليته وأخذ يناجى القرية التى ولدت فيها ميلادك فى الزمان «وأنت يابيت لحم افراته، أنك صغيرة فى ألوف يهوذا، ولكن منك يخرج لى من يكون متسلطا على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل» ؟!

ومن أين عرف المجوس بميلادك، وكيف عرفوا بقدرك وألوهتك حتى جاءوا ليسجدوا لك كإله، ويقدموا لك قرابينهم ذهبا ولبانا ومرا؟

إن زرادشت حكيمهم أنبأهم بأن فى آخر الزمان بكرا تحبل بجنين. وأنتم يا أولادى أول من يعلم بمجيئه من شعوب الأرض. فإذا رأيتم نجمه، فامضوا إليه واسجدوا له، وقدموا هداياكم لئلا يصيبكم بلاء عظيم، فإنه الكلمة مقيم السماء.

وطبقا لنبوءة زرادشت رأى المجوس يالإلهى نجمك، ورأوا فيه صورة عذراء تحتضن وليدها، فمضوا والنجم يتقدمهم حتى بلغوا بيت لحم، ووقف النجم حيث كنت يارب، فدخلوا وسجدوا لعظمتك، وقدموا لجلالك هداياهم.

ألست أنت هو بعينك النبع الأزلى الأبدى الذى رآه الإمبراطور أوغسطس فى رؤياه، وكأنه نقطة من الزيت نبعت من مصدر مجهول ثم كبرت فصارت نهرا فبحرا فمحيطا غطى الأرض

كلها ثم السماء، وقد غرق فيه كل الكون، فاستيقظ الإمبراطور مذعورا وجمع من حوله العرافين والمنجمين يسألهم عن تفسير لحلمه، فأنباؤه بمولد إله عظيم يغطى ملكه ومجده السماء والأرض. ولما لم يعرف قيصر عن هذا الإله شيئا أمر بأن يقام مذبح فى كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية وأن يكتب عليه أنه «لإله مجهول». وفعلا ذهب ماربولس أحد رسلك إلى أثينا ورأى بعينيه ذلك المذبح فصرخ فى محفل أريوس باغوس وقال «يارجال أثينا.. بينما كنت أجتاز وأنظر إلى معبوداتكم وجدت أيضا مذبحا مكتوبا عليه «لإله مجهول» فهذا الذى تعبدونه وأنتم تجهلونه، به أنا أبشركم. أن هذا الإله الذى صنع العالم وجميع ما فيه إذ هو رب السماء والأرض.. يعطى للجميع حياة ونفسا وكل شئ».

ولم يكن هذا الإله المجهول لقيصر وللرومان واليونان غيرك أنت يارب يامن جئت إلينا متخفيا فى صورة طفل رضيع.

فافرحى ياأرض لأن الذى نزل إليك من السماء وصار فى شبه الناس، لازال كما هو فى السماء. وطفل المذود هو بعينه الكلمة الذى خلق العالمين.

١٠ ـ والكلمة اتَّخَذَ جسداً (١)

سؤال: من أحد القراء.

قال معلّمنا يوحنا (يوحنا ١ : ١٤): «والكلمة صار جسداً» فكيف تجوز الصيرورة على كلمة الله الكائن منذ الأزل وإلى الأبد لا يتغير، إذ لا يتحول ولا يصير إلا المخلوق. فما قصد الرسول؟

الجواب :

إن الله لا يتحول ولا يتبدل ولا يتغير، على ما تقول، ولكن الصيرورة هنا يجب أن تحمل على معنى ظاهرى لا حقيقى. لأنَّ الكلمة هو الله ظاهراً فى الجسد. ولا شك أن هذا تحول ولكن لا فى الجوهر بل فى المظهر. وعلى ذلك فقوله «صار جسداً» معناه «اتّخذ جسداً» والكلمة القبطية تفيد هذا المعنى لأنَّ المقابل الحرفى لها «أخذ جسداً» أو «تجسّد». وربما كانت الترجمة القبطية كما ترى أدق فى الدلالة على المعنى بصورة سليمة تنأى بالقارئ عن اللبس والإبهام.

ولا مراء فى أنَّ **الكلمة الإلهى لم يتّخذ جسداً فقط، ولكنه اتَّخذ أيضاً معه روحاً أو نفساً ناطقة متحدة بهذا الجسد.** ولكنَّ الرسول يوحنا أراد أن يتحدَّث عن مظهر التجسّد البارز والذى يتمثل فى الجسد. ولعّل السبب فى ذلك، على ما نعلم، أنَّ الرسول كتب إنجيله يرد به على بدع وتعاليم ضالة روّج لها قوم مفسدون ضدَّ التعليم الأرثوذكسى المستقيم، ومنها أنَّ جسد المسيح لم يكن إلا خيالاً وظهوراً فقط. ولما كانت مثل هذه البدعة خبيثة هدامة، تلغى عمل الفداء الذى قام به المخلّص فى جسده الذى سُمِّر بالصَّليب، وتُفوِّت على البشر حكمة الله فى التجسد، فقد عبّر الرسول عن ظهور الكلمة بعبارة يؤكد فيها حقيقة الجسد الذى اتخذه المسيح واتحد به فصار مع لاهوته طبيعة واحدة.

على أنَّ هذه «الصيرورة الظاهرية» لا تفيد إندماج اللاهوت فى النّاسوت أو إختلاطه به على ما يذهب أوطاخى، بدليل قوله بعد ذلك مباشرة «وحلَّ بيننا ورأينا مجْدَه» وإنما هى عبارة قوية الدلالة على مبلغ الاتّحاد التام بين اللاهوت والناسوت بحيث «أصبحا» طبيعةً واحدةً بغير **امتزاج ولا تداخل ولا اختلاط ودون إنفصال أو افتراق أو إنقسام.**

ولعلَّ هذه الآية وحدها كافية للبرهنة على خطأ ما يذهب إليه النساطرة من القول بالفصل بين الطبيعتين فى المسيح، وصحّة ما يُصرُّ، على القول به، آباء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: **«طبيعة واحدة للكلمة المتجسد».**

---

(١) مقال نُشر بمجلة (مدارس الأحد) السنة الرابعة العدد الثانى (فبراير ـ شباط لسنة ١٩٥٠م) صفحة ٣٢.

١١ ـ ولدته وبكارتها مختومة

سؤال : من أحد القراء:

كيف ولدت السيدة العذراء السيد المسيح وبتوليتها مختومة رغم العوامل الطبيعية التى تسبق الولادة ؟

وهل يصدق القول أنها ولدته من جنبها؟

الجواب :

تلك معجزة يصعب تفسيرها بمنطق القوانين الطبيعية، وهى البرهان على أن **المولود من العذراء مريم لم يكن إنساناً. إنها واقعة لم يحدث لها نظير من قبل ولم تتكرر، ولن تتكرر.**

وقد قال آباء الكنيسة فى ذلك أن المسيح عندما قام من بين الأموات خرج من القبر وهو مغلق، وكذلك دخل إلى العلية وأبوابها مغلقة (يوحنا ٢٠: ١٩) ليثبت أنه **خرج من بطن العذراء وختوم البكارة مصونة.**

إن المعروف بالنسبة لكل عذراء أنها إذا ولدت فلا بد أن تزول بكارتها بفعل الجنين عند نزوله من رحمها. أما العذراء مريم فهى وحدها من بين جميع العذارى التى ولدت رب المجد يسوع المسيح، ولم يخدش بنزوله منها بكارتها، **وذلك مردّهُ إلى قدرة لاهوته المتحد بناسوته لأن المولود لم يكن مجرد إنسان، بل كان كلمة الله المتجسد،** (يوحنا ١: ١٤) **،الله الظاهر فى الجسد،** (١. تيموثيوس ٣: ١٦).

ولقد قال الرب بفم حزقيال النبى «هذا الباب يكون مغلقاً، لا يفتح، ولا يدخل منه إنسان، لأن الرب إله إسرائيل دخل منه، فيكون مغلقاً» (حزقيال ٤٤: ٢). وقال آباء الكنيسة إنّ هذه النبوءة قيلت عن العذراء مريم، التى خرج الرب يسوع منها، طفلاً، ولم يثلم بكارتها ولم يجرح علامة عفتها.

وقد جاء فى صلاة القسمة التى تتلى فى القداس فى صوم الميلاد المجيد: «أيها السيد الرب إلهنا الخالق، غير المرئى، وغير المحوىّ، وغير المتغير، الذى لا تدركه أعماقه.

الذى أرسل **نوره الحقيقى، ابنه الوحيد، يسوع المسيح، الكلمة الذاتى.**

الكائن فى حضنه الأبوى كل حين، أتى وحل فى الحشا البتولى غير الدنس، ولدته وهى عذراء **وبكارتها مختومة...»**

هذا وتؤكد مصادرنا الكنسية أن ولادة العذراء مريم للسيد المسيح كانت ولادة طبيعية، بمعنى أنها ولدته بالمخاض والطلق، وإن كان من غير ألم.

قال القديس أثناسيوس الرسولى عن ولادة العذراء للمسيح، إنها:

«ولادة بلا دنس، طلقة بلا وجع، ... (إعترافات الآباء - مخطوط رقم ٦٠/ لاهوت، ورقة رقم ٣٣ - بدير العذراء بالمحرق).

وجاء فى الابصلمودية السنوية، فى التفسير الثانى من المعقب القبطى الذى يقال على تذاكية يوم السبت فى صلاة عشية، فى شهر كيهك:

«ولدته على الأرض من غير ألم».

وجاء فى ميمر للقديس كيرلس رئيس أساقفة أورشليم فى القرن الثالث (٣١٥ - نحو ٣٨٦) أنه عندما «شعرت العذراء بقرب وضع الجنين حالاً، أخبرت يوسف، فأسرع إلى البلدة ليستحضر قابلة لمساعدتها... ولما وصلا المغارة ودخلا فيها وجدا أن العذراء ترضع ابنها الحبيب، ولم تظهر عليها أدنى علامة ولا تعب كبقية النساء، حتى تعجبت تلك القابلة من هذا المنظر... وسألتها بقولها: يا أيتها السيدة: ألم ينزل الخلاص (المشيمة) المعتاد للنساء فلم تجاوبها قط، بل ظلت ساكته ترضع الطفل. فوضعت القابلة يدها لتنظر، فلم تجد سوى عذراء بكر بتول كما هى، فتعجبت تلك المرأة وتركتها. وقامت مسرعة لتدخل بيت لحم، وقد صادفتها سالومه القابلة الشهيرة، فقصت عليها الخبر من أوله. فقالت إنى فى شك وعدم تصديق لذلك الخبر الغريب حتى أتوجه وأنظر بعينى. وقد كان. وعادت الإثنتان مسرعتين وبوصولهما نظرت سالومه الطفل وأمه، وقد تهورت بجسارة، ومدت يدها تريد أن تكشف العذراء، فوقفت يدها، ونشف دمها، وصارت تستغيث، وصرخت بصوت عظيم، وقالت: ياإلهى، ذنبى عظيم. اغفر لى. **وسجدت أمام الطفل، ووضعت يدها عليه، فشفيت فى الحال...»** (عن كتاب ميامر وعجائب السيدة العذراء، على حسب ما وضعه آباء الكنيسة الأرثوذكسية).

ولعل هذا مصداق ما قاله الوحى الإلهى بفم إشعياء النبى:

«قبل أن يأخذها الطلق ولدت. قبل أن يأتى عليها المخاض ولدت ذكراً» (إشعياء ٦٦: ٧).

١٢ ـ الميلاد الأزلى والميلاد الزمنى

يحتفل المسيحيون بميلاد المسيح، ويعيدون له عيداً يعرف بعيد الميلاد، وإلى هذا الميلاد تنسب السنة الميلادية، فنقول مثلاً: هذه السنة هى سنة ١٩٨٣ لميلاد المسيح.

على أن هذا هو الميلاد الزمنى للسيد المسيح، وليس هذا الميلاد كميلاد أى إنسان آخر. فالمعروف أن ميلاد الإنسان يحدد وجوده، بمعنى أنه إذ وُلِدَ فقد وُجِدَ. أمّا قبل ميلاده فلم يكن له وجود.

أما المسيح فليس كمثله شئ، إذ هو الوحيد الذى ولد، ومع ذلك **كان له وجود قبل ميلاده فى الزمان من العذراء مريم**. إن تاريخ ميلاده فى الأرض هو تاريخ تجسده. ولكن قبل أن يتخذ له جسداً كان كائناً، وكينونته منذ الأزل. وإذن لم يكن ميلاده من مريم، فى الحقيقة، غير تجسد. أما وجوده فقبل الزمان.

إن المسيح حسب الجسد هو «ابن إبراهيم» (متى ١ : ١)، ولكنه **كان كائناً قبل إبراهيم**. قال له المجد لليهود «الحق الحق أقول لكم: **قبل أن يكون إبراهيم، أنا كائن**» (يوحنا ٨: ٥٨). (قارن سفر الرؤيا ١ : ٤، ٨)، (٤ : ٨)، (١١ : ١٧)، (١٦ : ٥).

والمسيح حسب الجسد هو «ابن داود» (متى ١ : ١)، (٩ : ٢٧)، (١٥ : ٢٢)، (٢٠ : ٣٠، ٣١)، (٢١ : ٩، ١٥)، ولكن داود دعاه بالروح ربّه... ولقد وجه المسيح إلى الفريسيين سؤالاً حيّرهم ولم يجدوا له جواباً «سألهم يسوع قائلاً: «ماذا تظنون فى المسيح؟ ابن من هو؟ فقالوا له: «ابن داود». قال لهم: كيف يقول الكتبة إن المسيح هو ابن داود فى حين أن داود نفسه يقول بالروح القدس فى كتاب المزامير: قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك تحت قدميك؟ **فداود نفسه يقول عنه إنه الرب، فكيف يكون ابنه؟** فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة» (مرقس ١٢ : ٣٥ – ٣٧)، (متى ٢٢ : ٤١ – ٤٦)، (لوقا ٢٠ : ٤١ – ٤٤)، (مزمور ١٠٩ : ١)، (٤٤ : ٦، ٧)، (أعمال الرسل ٢ : ٣٤ – ٣٦)، (١ . كورنثوس ١٥ : ٢٥)، (العبرانيين ١ : ١٣، ٣)، (١٠ : ١٢، ١٣).

والمسيح حسب الجسد كان أصغر من يوحنا المعمدان لأنه وُلِدَ بعد يوحنا بستة شهور، لكن «يوحنا شهد له ونادى قائلاً: هذا هو الذى قلت عنه: إن الذى يأتى بعدى قد تقدمنى، **لأنه كان**

قبلى، وقال عندما رأى المسيح مقبلاً إليه: «هوذا حمل الله الذى يحمل خطيئة العالم. هذا هو الذى قلت عنه: يأتى بعدى رجل يتقدمنى لأنه **كان قبلى**» (يوحنا ١: ١٥، ٣٠). فعلى الرغم من أن المسيح جاء فى الجسد بعد يوحنا، لكنه كان أسبق عليه فى الزمان.

لقد نسب المسيح إلى ذاته بأن مجده «كان **قبل كون العالم**» (يوحنا ١٧: ٥). وأنه كان مع الله الآب «**قبل إنشاء العالم**» (يوحنا ١٧: ٢٤). وقال عنه الوحى على فم القديس بولس الرسول «**والبكر قبل الخلائق كلها**»... فإنه فيه خلق كل شئ، مما فى السماوات ومما فى الأرض، ما يرى وما لا يرى،... «**كل شئ به وله قد خلق؟. كان هو قبل كل شئ، وفيه يقوم كل شئ.. هو البدء**» (كولوسى ١: ١٥ – ١٨). وقال يوجه الخطاب إليه «وأنت يارب، أنت أسست الأرض منذ البدء، والسماوات من صنع يديك» (العبرانيين ١: ١٠)، (مزمور ١٠١: ٢٥).

وعلى هذا جاء فى قانون الإيمان الذى يردده جميع المسيحيين فى صلواتهم الخاصة والعامة: أن يسوع المسيح كائن «**قبل كل الدهور**».

وإذا كان المسيح كائناً قبل إبراهيم، وداود، ويوحنا المعمدان، وسائر الأنبياء والآباء، بل إنه كائن قبل إنشاء العالم، وقبل كل شئ، وأنه الأول قبل الخليقة، وهو الذى أسس السماوات والأرض، فهو الكلمة مقيم السماء. قال الإنجيل «**فى البدء كان الكلمة.. وكان الكلمة هو الله... به كان كل شئ، وبغيره لم يكن شئ مما كان. فيه كانت الحياة**» (يوحنا ١: ١– ٤) «**وبه خلق الدهور**» (العبرانيين ١: ٢). ويقول الوحى أيضاً على فم القديس بولس الرسول «وربنا واحد وهو يسوع المسيح، **الذى به كان كل شئ**، ونحن به» (١. كورنثوس ٨: ٦).

ولهذا السبب وتوكيداً لحقيقة أن المسيح هو الخالق، صنع معجزة الخلق لعينين فى رجل مولود أعمى لم تكن له عينان فى موضع العينين، بأن تفل على الأرض وصنع من التفل طيناً، وطلى بالطين عينى الأعمى ففتح عينيه فأبصر، وذلك ليثبت أنه بنفس الكيفية التى خلق الله تعالى بها آدم إذ «جبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ فى أنفه» (التكوين ٢: ٧) خلق المسيح له المجد للمولود أعمى عينين، من تراب الأرض بعد أن تفل عليه فصار طيناً (يوحنا ٩: ٦، ١١،

١٤، ١٥). ولقد انبهر اليهود بهذه المعجزة، لأنها **معجزة خلق**، وليست مجرد معجزة شفاء عادية حتى إنّ بعض اليهود لما رأوا المسيح واقفاً على قبر لعازر من بعيد، وقد أنتن بعد أن صار له فى القبر أربعة أيام، قالوا عن المسيح «أما كان هذا الذى فتح عينى الأعمى منذ ولادته قادراً على أن لايترك هذا (لعازر) أيضاً يموت» (يوحنا ١١: ٣٧) وكأنهم أرادوا أن يقولوا إن الذى يقدر على الأصعب والأعسر لابدّ أن يقدر على الأيسر والأسهل، إذ الخلق من العدم أشق وأصعب من إقامة ميت من الموت.

على أن يسوع المسيح نسب إلى ذاته أنه (**ابن اللّه الوحيد**) وقال «لأنه إلى هذا المدى أحب الله العالم حتى إنه بذل **ابنه الوحيد** لكى لايهلك كل من يؤمن به وإنما ينال الحياة الأبدية. لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم، وإنما ليخلص به العالم. فالذى يؤمن به لايدان. وأما الذى لايؤمن به فقد أدين لأنه لم يؤمن باسم **ابن الله الوحيد**» (يوحنا ٣: ١٦-١٨). وقال الإنجيل: «الله لم يره أحد قط، **الابن الوحيد** الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه» (يوحنا ١: ١٨) وبعد أن خلق للمولود أعمى عينين بأن تفل على الأرض وصنع من التفل طيناً وطلى بالطين مقلتيه، وإلتقى به عندما أخرجه اليهود من مجمعهم، قال الرب يسوع «**أتؤمن بابن الله؟ أجاب المولود أعمى الذى أبصر وقال: من هو ياسيدى، لأومن به؟ فقال له يسوع المسيح: «إنك تراه، وهو الذى يكلمك. فقال أؤمن ياسيدى، ثم سجد له**» (**يوحنا ٩: ٣٥-٣٨**) **أى أن الرب يسوع نسب إلى ذاته فى حديثه مع المولود أعمى أنه هو ابن الله**. كذلك سأله رئيس الكهنة قيافا وهم يحاكمونه فى ليلة آلامه «وقال له: أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا: **هل أنت المسيح ابن الله؟** فقال له يسوع: **نعم، أنا هو كقولك**... وعندئذ مزّق رئيس الكهنة ثيابه قائلاً: لقد جدّف» (متى ٢٦: ٦٣-٦٥)، (مرقس ١٤: ٦٢-٦٤)، (لوقا ٢٢: ٦٦-٧١). ولما سأل تلاميذه فى قيصرية فيلبس «وأنتم من تقولون إنى هو؟ وأجابه سمعان بطرس وقال: أنت هو المسيح الله ابن الله الحى. فأجاب يسوع وقال له: مبارك أنت يا سمعان بن يونا، لأنه ليس لحماً ودماً الذى كشف لك هذا، وإنما أبى الذى فى السماوات... وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى» (متى ١٦: ١٣-١٨)، (مرقس ٨: ٢٧-٢٩)، (لوقا ٩: ١٨-٢٠)، (يوحنا ٦: ٦٩).

وقال المسيح لليهود «**أنا وأبى نحن معاً واحد**» (يوحنا ١٠ : ٣٠) فالتقط اليهود عندئذ حجارة مرة أخرى ليرجموه. فأجابهم يسوع قائلاً: إن أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من لدن أبى. فبسبب أى عمل منها ترجمونني؟ أجابه اليهود قائلين: إننا نرجمك لا بسبب عمل حسن، وإنما بسبب التجديف، لأنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً. فأجابهم يسوع قائلاً:... أتقولون أنتم للذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم إنك تجدّف، لأنى قلت إننى أنا ابن الله. إن لم أكن أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى. ولكن إن كنت أعمل أعماله فإن لم تؤمنوا بى، آمنوا بالأعمال لتعلموا وتعرفوا أنى أنا فى أبى، وأن أبى فىَّ» (يوحنا ١٠ : ٣٠-٣٨).

ومعنى ذلك أن المسيح نسب إلى ذاته أنه **ابن الله**، بل **أنه والآب معاً جوهر واحد، وذات إلهية واحدة**، وأنه لذلك ليس منفصلاً عن الآب، ولكنه كائن فى الله الآب، والله الآب كائن فيه.

وليس المسيح ابن الله بمعنى أن الله يلد كما يلد الإنسان، معاذ الله!، ولكن لأن الله وهو بلاهوته غير منظور، قد صار بالتجسد منظوراً. فبهذا المعنى نفهم أن المسيح هو ابن الله، أى أنه «**صورة الله** الغير المنظور» (كولوسى ١ : ١٥) ولهذا قال المسيح أيضاً «من رآنى فقد رأى الآب... **إنى أنا فى أبى، وأن أبى فىَّ... الآب الكائن فىَّ** هو الذى يعمل أعماله...» (يوحنا ١٤ : ٩، ١٠). وقال الإنجيل «الله لم يره أحد قط، **الابن الوحيد الذى فى حضن الآب** هو الذى أخبر عنه» (يوحنا ١ : ١٨).

ومرة أخرى يروى الإنجيل المقدس أن يسوع المسيح قال لليهود: إن أبى حتى الآن يعمل وأنا أيضاً أعمل. فاشتدت رغبة اليهود فى قتله، لأنه لم ينقض السبت فحسب، وإنما قال أيضاً : الله أبى، **مساويا نفسه بالله**» (يوحنا ٥ : ١٧، ١٨).

ومعنى ذلك أن المسيح إذ نسب إلى ذاته أنه ابن الله وأنه هو صورة الله الغير المنظور، أى أن الله - وهو الغير المنظور - صار منظوراً فى المسيح، بالتجسد. ولهذا **فالمقصود من قوله أنه ابن الله، أنه معادل لله، ومساو له، وأنه واحد معه فى جوهر الألوهة والذات.** أنظر (فيلبى ٢ : ٦).

ويقول سفر الرؤيا عن المسيح بعد أن صعد إلى السماء ودخل إلى مجده، واسترد صورة البهاء والمجد التى كانت له منذ الأزل وكان قد أخلى نفسه منها آخذاً بالتجسد صورة عبد «**أنا الألف والياء، البداءة والنهاية**، يقول الرب الإله الكائن والذى كان والذى سيأتى، القادر على كل شئ» (الرؤيا ١: ٨) «**أنا الأول والآخر، أنا الحّى، وقد مت، وهاءنذا حّى إلى أبد الدهور. وبيدى مفاتيح الموت والجحيم**» (الرؤيا ١: ١٧، ١٨) (٢: ٨) «**أنا الألف والياء، البداءة والنهاية**» (الرؤيا ٢١: ٦) «**أنا الألف والياء، البداءة والنهاية، الأول والآخر**» (الرؤيا ٢٢: ١٣)، قارن (الخروج ٣: ١٤)، (إشعياء ٤١: ٤)، (٤٣: ١٠، ١١)، (٤٤: ٦، ٨، ٢٤)، (٤٥: ٥، ٦، ١٤، ١٨، ٢١، ٢٢)، (٤٦: ٩)، (٤٨: ١٢)، (هوشع ١٣: ٤).

ولم يلتقط اليهود حجارة ليرجموه فقط ولكنهم حقدوا عليه وصلبوه أيضاً من أجل ما نسبه إلى ذاته من أنه ابن الله. فلما علقوه على الصليب. «كان المارة يسبّونه وهم يهزون رؤوسهم قائلين... إن كنت **ابن الله** فانزل عن الصليب. وكذلك رؤساء الكهنة كانوا يهزأون به مع الكتبة والشيوخ قائلين: خلّص آخرين ولا يستطيع أن يخلّص نفسه، إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به... لأنه قال أنا ابن الله» (متى ٢٧: ٣٩ – ٤٣).

ولقد شهد له الآب السماوى وهو صاعد من الماء بعد عماده من يوحنا المعمدان فى نهر الأردن. وإذا السماوات تنشق، والروح القدس ينزل عليه فى صورة جسم يشبه الحمامة، ومقبلاً عليه ويستقر على رأسه. وإذا صوت يجئ من السماء، قائلاً: هذا هو **ابنى الحبيب** الذى به سررت (مرقس ١: ٩ – ١١)، (متى ٣: ١٦، ١٧)، (لوقا ٣: ٢١، ٢٢). ومرة أخرى شهد له الآب السماوى عندما صعد على جبل التجلى وتغيّرت هيئته متجلياً أمام ثلاثة من تلاميذه «فأضاء وجهه كالشمس، وقد أصبحت ثيابه بيضاء كالنور متألقة ناصعة البياض كالثلج، حتى ليعجز أى قصار على الأرض عن أن يجعلها فى مثل بياضها... وكان ثمة سحابة من نور غمرتهم، وإذا صوت من السحابة يقول: «**هذا هو ابنى الحبيب** الذى به سررت، فله اسمعوا» (متى ١٧: ١ – ٥)، (مرقس ٩: ١ – ٧)، (لوقا ٩: ٢٨ – ٣٥).

وقد «شهد يوحنا (المعمدان) قائلاً: إنى قد أبصرت الروح نازلاً عليه من السماء فى هيئة حمامة، واستقر على رأسه. وأنا لم أكن أعرفه. ولكنّ الذى أرسلنى لأعمدّ بالماء هو الذى قال لى: إنّ الذى تبصر الروح ينزل ويستقر على رأسه هو الذى يعمدّ بروح القدس. وأنا قد أبصرت وشهدت بأن **هذا هو ابن الله**» (يوحنا ١: ٣٢ – ٣٤).

وشهد له بذلك نثنائيل قبل أن يصير تلميذاً له باسم برثولماوس، بعد أن أعلمه المسيح الرب أنه قد رآه وهو طفل رضيع وكانت أمه قد وضعته فى سفط وخبأته من جند هيرودس فى تعريشه التينة ،فأجاب نثنائيل وقال له: يا معلّم **أنت ابن الله**. أنت ملك إسرائيل. أجاب يسوع وقال له: لأني قلت لك إنى رأيتك تحت شجرة التين آمنت؟ لسوف ترى أعظم من هذا، (يوحنا ١: ٤٧ – ٥٠). وشهد له تلاميذه وغير تلاميذه بأنه ابن الله، عندما كانوا فى السفينة وسط البحر، وكانت السفينة تتقاذفها الأمواج، إذ كانت الريح مضادة لها فذهب إليهم ماشياً على البحر. فلما رآه تلاميذه ماشياً على البحر اضطربوا قائلين: إنه شبح، وصرخوا من الخوف لأنهم رأوه كلّهم واضطربوا. فكلّمهم يسوع فى الحال قائلاً: اطمئنوا. أنا هو. لا تخافوا... واتجه نحوهم وركب السفينة فسكنت الريح، فذهلوا ذهولاً عظيماً، وقد استولت الدهشة عليهم، فجاء الذين كانوا فى السفينة وسجدوا له قائلين: **«حقاً أنت ابن الله»** (متى ١٤: ٢٣ – ٣٣)، (مرقس ٦: ٤٧ – ٥١)، (يوحنا ٦: ١٦ – ٢١).

وشهدت له مرثا أخت لعازر الذى أقامه الرب يسوع من بين الأموات، بعد أربعة أيام من دفنه ،قال لها يسوع أنا هو القيامة والحياة. من آمن بى وإن مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بى، فلن يموت إلى الأبد. أتؤمنين بهذا؟ قالت له: نعم يارب. إننى أؤمن بأنك **أنت المسيح ابن الله** الآتى إلى العالم، (يوحنا ١١: ٢٥ – ٢٧).

وشهد له لونجينوس قائد المائة الذى كان يشرف على عملية الصلب، وكان هو الذى طعنه بالحربة فى جنبه الأيمن ليتحقق من موته، فإذ رأى أنه قد جرى من جنبه بعد موته دم وماء، ثم إذا زلزلة عظيمة حدثت ،الأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقد قام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور... ودخلوا المدينة المقدسة، وظهروا لكثيرين. أما قائد المائة والذين كانوا معه يحرسون يسوع فحين رأوا الزلزال وما حدث خافوا خوفاً عظيماً قائلين: **حقاً كان هذا هو ابن الله**، (متى ٢٧: ٥١ – ٥٤)، (مرقس ١٥: ٣٧ – ٣٩)، (يوحنا ١٩: ٣٣، ٣٤).

بل وحتى الشياطين والأرواح النجسة كانت ،أيضاً تخرج من كثيرين، وهى تصرخ قائلة: **أنت هو المسيح ابن الله**، (لوقا ٤: ٤١) وصرخ واحد منهم قائلاً: ،مالك ولنا يا يسوع الناصرى؟ أجئت لتهلكنا؟ إننا نعرف من أنت. **أنت قدوس الله**، (مرقس ١: ٢٣، ٢٤) ،أما

الأرواح النجسة فكانت حين تراه تخرّ ساجدة له، وتصرخ قائلة: «**إنك أنت هو ابن الله**» (مرقس ٣: ١١).

ولما كانت هذه الحقيقة المسيحية (أنّ المسيح هو ابن الله الحّى) هى الصخرة التى بنيت عليها الكنيسة المسيحية، وأنّ المسيح له المجد صرّح قائلاً: «على هذه الصخرة سأبنى كنيستى» (متى ١٦: ١٨) فإن الإنجيل المقدس على حسب ما كتبه القديس يوحنا، بعد أن أورد عدداً من المعجزات الخارقة التى صنعها المسيح الرب، بسلطان لاهوته، من دون أن يستمد فيها قوة من خارج ذاته، على نحو ما يفعل الأنبياء والرسل، بل إنما أعلن أنّ معجزاته كان يصنعها «**بالقوة التى كانت تخرج منه**» (مرقس ٥: ٣٠)، (لوقا ٨: ٤٦)، (٥: ١٧). (٦: ١٩). نقول إن الإنجيل للقديس يوحنا يقرر أخيراً «وقد صنع يسوع أمام تلاميذه آيات أخرى كثيرة لم تكتب فى هذا الكتاب. وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم إن آمنتم الحياة الأبدية باسمه» (يوحنا ٢٠: ٣٠، ٣١).

ولهذا كان كل من يؤمن بالمسيح ويتبع دين المسيح، كان يصرح علانية بإيمانه بالمسيح أنه ابن الله الحى.

فالوزير الحبشى، وزير كنداكة ملكة الحبشة، المؤتمن على جميع خزائنها، عندما آمن بالمسيح طلب من القديس فيلبس أن يعمده «فقال فيلبس: إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز. فأجاب وقال: إنى أؤمن بأن يسوع المسيح هو ابن الله» (أعمال الرسل ٨: ٣٦-٣٨).

والقديس بولس، كان قبل إيمانه بالمسيح، يهودياً متزمتاً، وكان يضطهد المسيحيين ويلقيهم فى السجون وقد صنع بهم شروراً كثيرة، فلما رأى مجد المسيح بعد صعوده إلى السماء، عندما تجلى له بنور عظيم أعظم بهاء ولمعاناً من نور الشمس، حتى إنه أصيب بالعمى لمدة ثلاثة أيام من شدة بهاء نور المسيح (أعمال الرسل ٩: ٣، ٨، ٩)، (٢٢: ٦، ١١)، (٢٦: ١٣) لم يؤمن فقط بالمسيح أنه ابن الله، بل صار يكرز بهذه الحقيقة فى معابد اليهود ومجامعهم وفى كل مكان فى المسكونة «وللوقت أخذ يكرز فى المجامع بيسوع بأنه هو ابن الله» (أعمال الرسل ٩: ٢٠)، (١٣: ٣٣)، (رومية ١: ٤)، (العبرانيين ١: ٥، ٨)، (٥: ٥).

وجاء فى رسالة القديس يوحنا الرسول الأولى «فكل من اعترف بأن يسوع هو ابن الله، أقام الله فيه، وهو يثبت فى الله» (١ . يوحنا ٤ : ١٥) وأيضاً «من ذا الذى يغلب العالم إلا ذاك الذى يؤمن بأن يسوع هو ابن الله... إن كنا نقبل شهادة الناس، فشهادة الله أعظم، لأن هذه هى شهادة الله التى قد شهد بها لابنه... من يؤمن بابن الله، فعنده شهادة الله فى نفسه. ومن لا يؤمن بابن الله، فقد جعله كاذباً لأنه لم يؤمن بالشهادة التى قد شهد بها الله لابنه. وهذه هى الشهادة أن الله أعطانا الحياة الأبدية، وأن هذه الحياة هى فى ابنه. من كان له ابن الله كانت له الحياة، ومن لايكون له ابن الله فلا تكون له الحياة. قد كتبت إليكم بهذا لتعلموا أن الحياة الأبدية لكم، أنتم الذين يؤمنون باسم ابن الله» (١ . يوحنا ٥ : ٥ – ١٣) .

١٣ ـ لاهوته لم يفارق ناسوته

سؤال : من أحد القراء .

نعتقد نحن المسيحيين الأرثوذكسيين بأن لاهوت المسيح لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين، فكيف نفسر ذلك فى موت المسيح ودفنه، ونحن نعلم أنّ اللاهوت لا يمكن أن يُدفن فى القبر؟

الجواب :

إن الإتحاد بين لاهوت المسيح وناسوته، أى إنسانيته، إتحاد تام وحقيقى وكامل، ولذلك فإنه لا يقبل المفارقة أو الافتراق لحظة واحدة أو طرفة عين كما قررت المجامع المسكونية، وكما جاء فى القداس الإلهى، فى الاعتراف الأخير الذى يتلوه الكاهن فى كل قداس.

وإذا كان السيد المسيح قد فاه على الصليب بما جاء فى مطلع المزمور الواحد والعشرين «إلهى إلهى لِماذا تَخَلَّيْتَ عنى» (متى ٢٧ : ٤٦)، (مرقس ١٥ : ٣٤) فليس معناه أن اللاهوت قد فارق الناسوت، إنّما معناه أنه خلّى بينه وبين الألم، ولم يتدخل لتخفيف الألم أو إنقاصه، بل جعله يعانى الآلام كاملة غير منقوصة. وهذا بيّنة ودليل على شدة الآلام التى تحمّلها المسيح الفادى، وأنّها **آلام روحية، ونفسية، وجسدية، كاملة.**

هى آلام روحية لأنّ المسيح «الذى لم يعرف خطيئة، صار خطيئة لأجلنا لنصير نحن برّ الله فيه» (٢ .كورنثوس ٥ : ٢١). فإذا كان قد صار خطيئة لأجلنا، فقد حل عليه الغضب الإلهى الذى يقتضيه العدل الإلهى على البشرية كلها، لأن المسيح على الصليب كان هو الفادى، ومن ثَمّ كان ممثلا للبشرية، ونائبا عنها.

ويقول عنه إشعياء النبى بروح النبوءة «لكنّ أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحمّلها، ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا. وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه... والربُّ وضع عليه إثم جميعنا» (إشعياء ٥٣ : ٤ – ٦).

ويقول القديس بطرس الرسول «الذى لم يفعل خطيئة... حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة لكى نموت عن الخطايا، فنحيا للبر، الذى بجلدته شفيتم» (١ .بطرس ٢ : ٢٢ – ٢٤) ويقول القديس بولس الرسول أيضا «المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا» (غلاطية ٣ : ١٣)

ذلك هو معنى الآلام الروحية التى تحمّلها المسيح كاملة، فهو بصفته الفادى صار بدلا عنا فى خطيئتنا، أى أنه صار هو الخاطئ والملعون أمام العدل الإلهى، من أجلنا، فكان لابد ليفدينا أن يحتمل الغضب الإلهى كاملا، نيابة عنا، حتى يرتفع عنا العقاب الذى نستحقه. هنا الآلام الروحية ليست هى آلام الصليب فى جسد المخلّص، لكنّها آلام القصاص الإلهى فى نائب البشرية وفاديها الذى وضع ذاته بديلا عنها.

وأمّا **الآلام النفسية**، فهى آلامه كإنسان خانه تلميذه وأسلمه لأعدائه، وأنكره تلميذه الآخر الذى زعم قائلا «إن شكّ فيك الجميع فلن أشك أنا أبداً.. إنّنى ولو اضطررت أن أموت معك لن أنكرك»، فأنكره ثلاث مرات أمام جارية، «وأخذ يلعن ويحلف قائلا: إنّى لا أعرف هذا الرجل...»، ورؤساء الكهنة قادة اليهود الروحيون حاكموه محاكمة ظالمة خلت من كل مبادئ روحية وإنسانية، والجماهير التى أحسن إليها وشفى مرضاهم وأقام موتاهم، كانوا يهتفون، «اصلبه اصلبه»، وآثروا عليه باراباس اللص وكان من المشاغبين الذين ارتكبوا جرائم قتل.. إلى غيرها من صنوف الآلام النفسية ولا سيما أنه كان يراها سابقا ويعلمها مسبقا.. «فخرج يسوع وهو عالم بكل ما سيأتى عليه» (يوحنا ١٨ : ٤).

هذا إلى **الآلام الجسدية** من صراع فى بستان جثسيمانى حتى صار عرقة يتصبب كقطرات الدم نازلة على الأرض.. إلى ستّ محاكمات مرهقة طوال الليل، ثلاث منها دينية، وثلاث منها مدنية، إلى الجلد والضرب وإكليل الشوك وحمل الصليب، ودقّ المسامير فى يديه ورجليه، ورفعه فوق الصليب، ونزف دمه، ويبوسة حلقه وجفاف الماء من جسمه حتى قال أنا عطشان.. إلى غيرها من الآلام التى شاء أن يتحمّلها كاملة حتى إنهم أعطوه خمرا ممزوجة بمرارة ليشرب، فلما ذاقها أبى أن يشربها (متى ٢٧ : ٣٤) ذلك أن هذا الشراب كانوا يعطونه للمصلوبين بمثابة مخدّر، ليخفف عنهم آلام الصلب. أمّا المسيح فأبى أن يشرب حتى هذا المخدّر، لكى يشرب كأس الألم كاملة حتى الثمالة.

تلك الآلام الروحية والنفسية والجسدية احتملها المسيح كاملة، ولم يشأ أن يتدخل لاهوته لينقص منها حتى يأخذها كاملة غير منقوصة. وهذا هو معنى قوله «إلهى إلهى لماذا تخلّيت عنى»، وهو تعبير عن قسوة الآلام التى تحمّلها، والتى لم يتدخل اللاهوت لتخفيفها أو إنقاصها.

وإذن فلم يفارق اللاهوت الناسوت، ولو حدثت المفارقة جدلا، لكان الخلاص - الذى من أجله جاء المسيح - لم يتم، ولكان الصلب قد وقع على إنسان - مجرد إنسان - وفى هذه الحالة لا يفدى بالجهد غير واحد فقط. يقول الرسول بولس «فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار. ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضا أن يموت» (رومية ٥: ٧). إنّما الذى أعطى موت المسيح قيمته اللانهائية لفداء جميع البشر، هو اتّحاد اللاهوت بالناسوت، فصار الدم ثمينا، وقيمته لا نهائية، هى قيمة الله ذاته، حتى جاز للرسول بولس أن يُسمى دم المسيح دم الله ذاته، فقال عن الكنيسة «إن الله اقتناها بدمه» (أعمال الرسل ٢٠: ٢٨). فلو لم يكن اللاهوت متحّدا بالناسوت عند الصلب لما جاز أن يُسمّى دم المسيح دم الله ذاته. فاللاهوت ليس له دم، بل الدم دم الناسوت، لكن لأنّ اللاهوت متّحد بالناسوت اتحادا تاما، فقد صار ما ينسب إلى الناسوت ينسب إلى اللاهوت، وما ينسب إلى اللاهوت ينسب إلى الناسوت، بطبيعة الاتّحاد القائم بينهما.

فلو أن اللاهوت فارق الناسوت عند الصلب لأمسى تجسد الكلمة خرافة، ولصار عمل الفداء هراء ومهزلة. لأنه كيف يفارق اللاهوت الناسوت فى اللحظة الحاسمة التى من أجلها كان تجسد الكلمة. ولقد قال المسيح له المجد «يا أبتاه نجّنى من هذه الساعة، **ولكننى من أجل هذا أتيتُ إلى هذه الساعة**» (يوحنا ١٢: ٢٧). وطلب النجاة كان نظير صلاته فى بستان جثسيمانى لبيان شدة الآلام، وحقيقة ناسوته، وأن المسيح كإنسان كان لابدّ أن يُعبّر عن قسوة الآلام بطلب النجاة منها، لكنه فى نفس الوقت قبلها بإرادته لأنه جاء من السماء، وتجسد، لأجلها، لأنها طريق الخلاص لآدم وذريته.

إنّ الذين يقولون بمفارقة لاهوت المسيح لناسوته يهينون تدبير التجسد، ويهدمون تدبير الفداء، ويجعلون آلام المسيح بلا قيمة، ويهدرون خلاص الإنسان.

فإذا قالت ديانتنا أنّ المسيح مات لأجلنا (رومية ٥: ٨) فاللاهوت فى المسيح لا يموت. وتوكيدا لهذه الحقيقة الإيمانية نردد نحن فى القداس هذه الترنيمة «قدوس الله، قدوس القوى، قدوس (**الحىّ**) **الذى لا يموت**. يامن صلب عنا ارحمنا»، أى أننا فيما نقرر أنّ المسيح قد ذاق الموت بالجسد، نقرر أيضا أن اللاهوت لا يموت.

أما موت المسيح فمعناه أن الروح الإنسانية فى المسيح قد فارقت الجسد مع استمرار اتحّاد كلّ منهما باللاهوت... أى أن موت المسيح هو انفصال بين الروح والجسد المكونين لناسوت المسيح أو إنسانيته. أمّا لاهوته فلا يموت، ولم يفارق لا الروح، ولا الجسد.

وهذا ما نقوله فى القداس الإلهى، فيما يعرف بالقسمة السريانية: «هكذا بالحقيقة تألم كلمة الله بالجسد، وذُبح، وانحنى بالصليب، **وانفصلت نفسه (روحه الإنسانية) من جسده. إذ لاهوته لم ينفصل قط، لا من نفسه (روحه)، ولا من جسده**»، وبعد أن قام بسلطان لاهوته، «**أتت نفسه (روحه) واتحدت بجسده**».

وعلى الصليب ظهرت آية عظيمة برهنت على أنّ لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين.

ذلك أنّ المسيح بعد أن أسلم الروح الإنسانية فيه على الصليب، (متى ٢٧ : ٥٠)، (مرقس ١٥ : ٣٩)، (لوقا ٢٣ : ٤٦)، (يوحنا ١٩ : ٣٠) وبذلك يكون قد مات، بانفصال روحه من جسده (يوحنا ١٩ : ٣٣) طعن أحد العسكر جنبه - بعد موته - بحربة، «وللوقت خرج دم وماء» (يوحنا ١٩ : ٣٤).

ولقد اهتم الإنجيل بذكر هذه الحادثة لأهميتها، ولدلالتها اللاهوتية.

قال الإنجيل «فجاء الجند وكسروا ساقى أول اللذين كانا مصلوبين معه ثم كسروا ساقى الآخر. وأما يسوع فلما جاءوا إليه وجدوه قد مات فلم يكسروا ساقيه. إلاّ ان واحدا من الجند طعن جنبه بحربة **فخرج منه على الفور دم وماء**. والذى أبصر ذلك قد شهد، وشهادته حق، وهو يعلم أنه قال الحق لتؤمنوا أنتم» (يوحنا ١٩ : ٣٢ - ٣٥).

وأهمية هذه الحادثة هى فى غرابتها عن المألوف، لأنه من المعروف أن الإنسان إذا مات هرب دمه من عروقه، وتجلّط فى القلب. ولذلك فإنّ الأطباء إذا أرادوا أن يتثبتوا من موت إنسان غرسوا فى جسمه إبرة فإذا خرجت وبها دم استدلّوا على أنّه مازال حياً. أما إذا لم يخرج فيها دم تحققوا من موته. فكيف إذن يجرى من جنب المخلّص بعد موته دم وماء منفصلين؟ إنّ هذه الحادثة دليل على أنّ المسيح فيما كان ميتا كان أيضا حيا.. نعم، كان ميتا بانفصال روحه من جسده، ولكنّه كان حياً بلاهوته. ولذلك خرج من جنبه بعد موته دم وماء. وهذا دليل على أنّ اللاهوت لم يفارق الناسوت حتى بعد الموت.

ولأهمية هذه الحادثة ودلالتها اللاهوتية أوردها القديس يوحنا فى إنجيله، وعقّبَ عليها تعقيبا يؤكد دلالتها اللاهوتية. قال: «والذى أبصر ذلك قد شهد، وشهادته حق، وهو يعلم أنه قال الحق، لتؤمنوا أنتم» (يوحنا ١٩: ٣٥) وبخاصة لأنه الإنجيلى الذى كتب إنجيله ليبرهن بما أورده من حوادث ومعجزات، على لاهوت المسيح، وأنه ابن الله: يقول «وقد صنع يسوع أمام تلاميذه آيات أخرى كثيرة لم تكتب فى هذا الكتاب. وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا بأن **يسوع هو المسيح ابن الله** ولتكون لكم إن آمنتم الحياة الأبدية باسمه» (يوحنا ٢٠: ٣٠، ٣١).

ولأهمية هذه الحادثة ودلالتها اللاهوتية أوردها القديس يوحنا مرة أخرى فى رسالته الأولى مؤكدا على أهميتها وقيمتها، قال «من ذا الذى يغلب العالم إلاّ الذى يؤمن بأن **يسوع هو ابن الله. هذا هو الذى أتى بالماء والدم، يسوع المسيح، لا بالماء فقط، بل بالماء والدم**» (١. يوحنا ٥: ٥، ٦).

ولأهمية هذه الحادثة ولدلالتها اللاهوتية، أمرت الكنيسة **بمزج الخمر بالماء** فى كأس سر القربان، توكيدا وتخليدا لما حدث عند الصليب، إذ خرج من المسيح بعد موته «ماء ودم».

وقد كتب آباء الكنيسة فى هذا الموضوع كثيرا وعلقوا عليه تعليقات روحية، ومنهم البابا كيرلس الأول عمود الإيمان الذى رأى فى خروج الماء والدم دلالة خلاصية، **فالماء يشير إلى المعمودية، والدم يشير إلى دم المسيح** فى سر القربان.

والبينّة الأخرى على اتّحاد اللاهوت بالناسوت وعدم إفتراقهما لحظة واحدة ولا طرفة عين، أنّ جسد المسيح وقد دُفِن فى القبر لم يتعفن ولم يفسد. وذلك بقوة اللاهوت المتّحد به.

ولقد اهتم بهذه البينة الكتاب المقدس، وأوردها القديس بطرس الرسول فى خطابه العظيم يوم الخمسين أمام اليهود الذين كانوا قد جاءوا من كل أمة تحت السماء. قال: «أيُها الرجال الإسرائيليون اسمعوا أقوالى هذه: إنّ يسوع الناصرى وهو إنسان أظهره الله لكم بمعجزات وعجائب وآيات... قد أقامه الله ففك إسار أوجاع الجحيم لأنه لم يكن ممكنا للجحيم أن يستبقيه أسيرا له، إذ يقول داود عنه: إننى كنت أرى الرب أمامى فى كل حين... لأنك لن تترك نفسى فى هاوية الموتى، **ولن تدع قدوسك ينال منه الفساد**... أيُها الرجال الأخوة، ينبغى أن يقال لكم صراحة أن رئيس الآباء داود قد مات ودُفِن ولا يزال قبره عندنا إلى هذا اليوم. فإذ كان

نبيًا وعلم أن الله أقسم له بيمين أنّه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على عرشه، قد سبق فرأى وتكلّم عن قيامة المسيح قائلا إن روحه لن تترك فى الهاوية، وأن جسده لن يناله الفساد. فيسوع هذا أقامه الله. ونحن جميعا شهود بذلك» (أعمال الرسل ٢: ٢٢ – ٣١)، (مزمور ١٥: ١٠).

فالقديس بطرس الرسول يبين فى هذا النص أن نبوءة داود النبّى إنّما قيلت عن المسيح ولا تنطبق إلا عليه وحده. ولا شكّ أن إهتمام الرسول بطرس بهذه الواقعة إنّما هو بالنظر إلى دلالتها اللاهوتية، **لأن الذى حفظ جسد المسيح بغير فساد هو لاهوته المتّحد به.**

ونظرا لأهمية هذا الموضوع وتوكيدا لدلالته اللاهوتية، أورده الرسول القديس بولس فى خطابه إلى اليهود فى أنطاكية بيسيدية،حيث قال: «أيُّها الرجال الإسرائيليون والذين يتّقون الله، اسمعوا... أقام الله لإسرائيل مخلّصا، يسوع... ولما تمموا كل ما كتب عنه أنزلوه عن الخشبة ووضعوه فى القبر. ولكن الله أقامه من بين الأموات... إنه أقامه من بين الأموات غير عتيد أن يعود أيضا إلى فساد... ولذلك قال أيضا فى مزمور آخر: **لن تدع قدوسك ينال منه الفساد.** لأن داود بعد ما خدم جيله بمشورة الله رقد وانضم إلى آبائه ورأى فسادا. **وأمّا الذى أقامه الله فلم ينله الفساد،** (أعمال الرسل ١٣: ١٦ – ٣٧).

إن اللاهوت لا يموت، ولا يدفن، ولكنه باتّحاده بالجسد، حفظ الجسد من أن يناله فساد أو تعفن أو تحلل. ولولا هذا لما اهتم الكتاب المقدس بهذه الحادثة ولما أولاها كل هذا الاهتمام ولما خصها بالذكر كل من الرسولين القديس بطرس، والقديس بولس، فى خطابين مهمين إلى اليهود، أحدهما فى أورشليم والثانى فى أنطاكية بيسيدية، مع بعد الحقبة الزمنية بينهما.

١٤ ـ للمسيح وهو كلمة الله المتجسد روح إنسانية أيضا

سؤال: من السيد / ادمون وليم جوده ـ بنى سويف.

يقول، إن الله روح، وهو بذاته الروح القدس، والروح الأعظم. فلما تجسد فى المسيح، فهل كان للمسيح روح إنسانية؟ أو كيف نميّز فى المسيح بين روح الله وروح الإنسان؟

الجواب :

نعم، إن «الله روح» (يوحنا ٤ : ٢٤)، «وأمّا الرب فهو الروح» (٢ . كورنثوس ٣ : ١٧) وهو أيضا «الروح القدس»، لأن الله قدوس «لأنى قدوس أنا الرب» (اللاويين ٢٠ : ٢٦)، (١٩ : ٢)، (مزمور ٩٨ : ٩، ٣، ٥)، (١ . بطرس ١ : ١٦).

وحيث أن «الله الكلمة» (يوحنا ١ : ١٤)، «قد أخلى ذاته متّخذا صورة العبد صائرا فى شبه الناس وظهر بهيئة إنسان» (فيلبى ٢ : ٧، ٨)، لهذا السبب صار يعرف بأنه «الإنسان يسوع المسيح» (١ . تيموثيئوس ٢ : ٥)، كما يعرف أنه «ابن الإنسان» (متى ٨ : ٢٠) من حيث هو ابن مريم.

وحيث أنّه قد اتّخذ إنسانية كاملة، والإنسانية فى الإنسان تتألف من روح ومن جسد، فقد انبنى عليه أن يكون للمسيح من حيث هو إنسان، روح إنسانية.

هذه الروح الإنسانية فى المسيح هى التى قال عنها الإنجيل «تألم بالروح واضطرب» (يوحنا ١١ : ٣٣) و «اضطرب بالروح» (يوحنا ١٣ : ٢١) وهى هذه الروح الإنسانية التى أسلمها على الصليب بموته. قال الإنجيل «ثم صرخ يسوع بصوت عظيم، وأسلم الروح» (مرقس ١٥ : ٣٧)، (متى ٢٧ : ٥٠)، (لوقا ٢٣ : ٤٦)، (يوحنا ١٩ : ٣٠)، (١٠ : ١٨).

وعلى ذلك فالمسيح ـ وهو الله الكلمة متجسدا ـ جمع بين كونه «الروح الأعظم» وبين كونه إنسانا، ذا روح إنسانية.

أمّا الروح القدس فبصفته الأقنومية هو كائن فى الذات الإلهية مع الآب والابن منذ الأزل (متى ٢٨ : ١٩)، ولقد نزل على يسوع المسيح بعد عماده فى نهر الأردنّ، متّخذا هيئة جسمية فى شبه حمامة (متى ٣ : ١٦)، (مرقس ١ : ١٠)، (لوقا ٣ : ٢٢) لينال كإنسان لقب (المسيح)، وألقاب (ملك ونبّى وكاهن).

١٥ ـ طهارة جسد المسيح من لوثة الخطيئة الأصلية (١)

سؤال : من السيد / الدكتور فهيم زكى إبراهيم ـ بالأسكندرية.

يقول : نريد إيضاحا لهذه الحقيقة، أن جسد السيد المسيح إلهنا، كان طاهراً من الخطيئة الأصلية التى ورثتها العذراء مريم بالطبيعة عن طريق الوراثة؟

الجواب :

نعم، إن جسد المسيح يسوع، له المجد، كان طاهرا من الخطيئة الأصلية، أو الجدية، وهذا هو السبب الحقيقى فى أن المسيح ولد من عذراء بغير زواج، عذراء لم يعرفها رجل معرفة الأزواج، لأن هذا كان هو الطريق الأوحد لضمان عدم سريان الخطيئة الجدية إلى المسيح يسوع الذى حملت به العذراء وولدته مثلنا فى كل شئ (العبرانيين ٤ : ١٥) إلا فى خلوه تماما من لوثة الخطيئة الأصلية (٢ . كورنثوس ٥ : ٢١) ، (العبرانيين ٤ : ١٥) ، (٧ : ٢٦) ، (١ .بطرس٢ :٢٢) ، (١ . يوحنا ٣ : ٥).

فجميع الناس يولدون ملوثين بالخطيئة الأصلية الجدية، إلا المسيح يسوع وحده.

نعم إن المسيح وحده هو الذى حملت به العذراء مريم من غير زرع بشر، أى بلا رجل أب يعطى زرعا. وهذا هو السبب فى اهتمام الكتاب المقدس بالتوكيد على بتولية العذراء مريم قبل حملها بالمسيح يسوع، وقوله عن مريم ويوسف : «أما ميلاد يسوع المسيح فكان هكذا : كانت أمه مريم مخطوبة ليوسف، وقبل أن يجتمعا، وجدت حبلى من روح القدس» (متى ١ : ١٨).

وقد أبان الوحى الإلهى بهذا النص القدسى أن الحبل بيسوع المسيح قد تم بعمل الروح القدس، ولم يكن ثمرة الاجتماع بين يوسف ومريم. وفى هذا البيان العظيم من جانب الوحى المقدس، إثبات وإعلان عن خلو المسيح يسوع من وصمة الخطيئة الأصلية التى تنتقل عادة من الآباء إلى الأبناء عن طريق التوالد بالزواج. هكذا يقول النبى داود «بالإثم حبل بى، وبالخطيئة اشتهتنى أمى» (مزمور ٥٠ : ٥). ويقول المزمور أيضا «زاغ الخطاة من الرحم، ضلوا من البطن» (مزمور٥٧ : ٣) ، ويقول الله بفم إشعياء النبى «ومن البطن سميت عاصيا» (إشعياء ٤٨ : ٨).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٣ من ديسمبر ـ كانون أول لسنة ١٩٧٨م – ٢٤ من هاتور لسنة ١٦٩٥ش.

ويقول العلامة القديس ديديموس الضرير رئيس مدرسة الأسكندرية اللاهوتية فى القرن الرابع (٣١٣ – ٣٩٨) : «إن خطيئة الأبوين الأولين (آدم وحواء) هى الخطيئة القديمة التى طهرنا منها يسوع المسيح فى معموديته... إن جميع أولاد آدم قد ورثوها، وانتقلت إليهم بالخلفة والتوالد عن طريق المعاشرة الجنسية بين الوالدين. وهذا هو السبب فى أن المسيح ولد من عذراء لم تتلوث أو تتلطخ بها. وبالمعمودية يتطهر الإنسان من الخطيئة الأصلية» (١).

فالجسد الذى اتّخذه الله الكلمة، من مريم، لم يكن من زرع رجل، بل من عمل الروح القدس رأسا. وهذا هو معنى قوله تعالى «لذلك عند دخوله إلى العالم، يقول : ذبيحة وقربانا لم ترد، ولكن هيأت لى جسدا» (العبرانيين ١٠ : ٥) ، (١ : ٦) ، (مزمور ٣٩ : ٦) أى أن الله الكلمة عندما أراد أن يدخل إلى عالم الأرض، بالتجسد، لم يأخذ بذرة هذا الجسد من أب بشرى (كما هو الحال بالنسبة لكل إنسان) لكن هذه البذرة التى حملتها العذراء مريم ومنها تكون جسد المسيح يسوع، كانت من صنع الروح القدس، ولم تكن من رجل.

وهذا هو المعنى من قولنا نحن المسيحيين فى (قانون الإيمان) : «وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنس».

وجاء فى القداس الباسيلى : «وفى آخر الأيام، ظهرت لنا نحن الجلوس فى الظلمة وظلال الموت، بابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. هذا الذى من الروح القدس، ومن العذراء القديسة مريم».

وجاء فى القداس الإلهى الغريغورى «أنت الكائن فى كل زمان، أتيت إلينا على الأرض، أتيت إلى بطن العذراء».

وعندئذ يأخذ الكاهن من حق البخور، يد بخور واحدة، بالمستير (ملعقة الكأس) ويضعها فى المبخرة (أو المجمرة)، بيانا عن حلول الله الكلمة فى بطن العذراء مريم. فهو (الكلمة) البخور العطر، وهى العذراء المجمرة حاملة البخور (المجمرة الذهب النقى الحاملة جمر النار المبارك. المجمرة الذهب هى العذراء، وعنبرها هو مخلصنا، ولدته وخلصنا، وغفر لنا خطايانا) ثم يمسح الكاهن المستير (ملعقة الكأس) ويردها إلى مكانها.

(١) من كتاب القديس ديديموس الضرير «فى الثالوث» ٢ : ١٢.

والمغزى الروحى العظيم من هذا، هو أن جسد المسيح لم يكن من زرع أب جسدى، لكنه وهو (الكلمة) حل فى أحشاء العذراء مباشرة. ومنها، ومن الروح القدس اتّخذ له جسدا ظهر فيه «والكلمة اتّخذ جسدا» (يوحنا ١ : ١٤).

ومن الإنجيل نعلم أن يوسف النجار إذ رأى أن العذراء حملت، ولكن ليس منه، شك فى أمرها، واعتقد أنها حملت سفاحا، ولما كان رجلا صديقا وبارا لم يشأ أن يفضح أمرها، فرأى أن يخلى سبيلها سرا، وبينما هو يفكر فى ذلك ظهر له ملاك الله وأعلمه أن الحمل ليس من زرع رجل بل من الروح القدس.

قال الإنجيل المقدس : «أما ميلاد يسوع المسيح فكان هكذا : كانت أمه مريم مخطوبة ليوسف، وقبل أن يجتمعا، وُجدَت حُبْلى من روح القدس. وإذ كان يوسف رجلها بارا، ولم يشأ أن يشهر أمرها، أراد أن يخلى سبيلها سرا. ولكنه فيما كان يفكر فى ذلك، إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا : «يا يوسف بن داود، لا تخف أن تستبقى مريم إمرأتك، لأن الذى سيولد منها إنما هو من روح القدس... لأنه هو الذى يخلص شعبه من خطاياهم» (متى ١ : ١٨ – ٢١).

كذلك نعلم من الإنجيل الطاهر أن الملاك جبرائيل إذ جاء يبشر العذراء مريم بالحبل الإلهى منها، اعترضت هى على قوله، منذهلة أن يتم لها حمل بغير زرع رجل، فأجابها الملاك بأن هذا الحمل ليس بالطريق المألوف، المعروف، وأن (جسد) القدوس الذى سيولد منها، ليس من زرع رجل، لكنه من صنع الروح القدس.

«فقالت مريم للملاك : كيف يكون لى هذا، وأنا لا أعرف رجلا؟! فأجاب الملاك وقال لها : إن روح القدس سيحل عليك، وقوة العلى ستظللك، ولذلك فإن القدوس الذى سيولد منك يدعى ابن الله» (لوقا ١ : ٣٤، ٣٥).

ولقد قدم الملاك جبرائيل فى رده على العذراء مريم، تفسيرا بسيطا لتلقيب المسيح يسوع بلقب (ابن الله) ذلك لأن يسوع المسيح ولد كإنسان وليس له أب جسدى، فمن يكون أباه إلا الله؟! إذن هو (ابن الله) لأنه ليس له أب من الناس.

وهذا هو ردنا البسيط على الذين يعترضون على تلقيب المسيح يسوع بأنه (ابن الله) ويقولون إن الله لم يلد ولم يولد، وهذا حق، فالله لا يلد كما يلد الإنسان لأن الله روح، ولكن المسيح يسوع

ولد من العذراء مريم وليس له أب جسدى، فالله إذن هو أبوه. وبهذا المعنى قال المسيح لتلاميذه «إنى أصعد إلى أبى الذى هو أبوكم» (يوحنا ٢٠ : ١٧).

والخلاصة أن فى ولادة المسيح يسوع لم يكن هناك رجل يعطى بذرة (الجسد)، لكن كانت هناك إمرأة حملت (البذرة) الآتية لا من رجل، بل من الروح القدس.

وهذا هو السبب فى أن الروح القدس حل على العذراء مريم مباشرة بعد أن قبلت بشارة الملاك لها، وذلك لكى يتولى الروح القدس إعداد (الجسد) فى بطنها حتى يحل الله الكلمة فيه ويتحد به، فيصير المولود منها هو الكلمة المتجسد.

وما حدث فى سر التجسد، يحدث نظيره فى سر القربان على المذبح : يحل الروح القدس على الخبز المهيأ حملا فيتحول إلى جسد المسيح، تماما كما حل الروح القدس فى بطن العذراء، فهيأ منها ومن دمها، جسدا له. وكما حل الله الكلمة فى (التجسد) المتكون من الروح القدس ومن مريم العذراء، واتحد به، فصار المولود من مريم هو الله الكلمة متجسدا، هكذا فى سر القربان يحل الروح القدس على الخبز المهيأ حملا، فيصير بالروح القدس جسدا يحل فيه كلمة الله.

وكما ظهر فى تدبير التجسد تضامن الأقانيم الثلاثة الآب والابن والروح القدس، هكذا يتضح فى سر القربان التدبير المتضامن بين أقانيم الثالوث القدوس.

هذا هو المفهوم الواحد بعينه فى السرين معا... ففى سر القربان نرى تجسد الكلمة مرة أخرى.. وليس هذا تجسدا جديدا مختلفا متباينا عن التجسد الأول، ولكنه التجلى من جديد للتجسد الإلهى بعينه، وإن كان غير منظور، ولا محسوس، إلا أنه تجسد حقيقى كامل. ولذلك يقول الكاهن فى القداس الإلهى، عند بدء تقديس الخبز والخمر وقبل استدعاء الروح القدس للنزول على العناصر لتحويلها وإعدادها لتكون جسد المسيح «ووضع لنا هذا السر العظيم، سر التقوى».

فما هو سر التقوى؟ أليس هو سر التجسد؟ ألم يقل الكتاب المقدس «عظيم هو سر التقوى، الله ظهر فى الجسد» (١ . تيموثيوس ٣ : ١٦) ؟

إذن فى سر القربان يحدث تجسد أيضا.. أى أننا فى كل مرة نقيم القداس يحدث تجسد لله الكلمة، وإن كان غير منظور. وهذا هو السبب فى أننا بعد التقديس، وقبيل حلول الروح القدس لنقل العناصر، يردد الكاهن عبارة على فم السيد المسيح «لأن كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس، تبشرون بموتى، وتعترفون بقيامتى، وتذكروننى إلى أن أجئ».

ويجيبه الشعب بعد ذلك مباشرة : «آمين (حقا) آمين (حقا) آمين (حقا)، بموتك يارب نبشر، وبقيامتك المقدسة، وصعودك إلى السماوات نعترف...» وهذا معناه أن سر القربان هو تجسد لله الكلمة. وكلما أقمنا القداس تكرر فى أذهاننا تجسد الكلمة.. وليس هذا من قبيل التذكر الذهنى لحدث مضى وانتهى، وإنما هو من قبيل التذكر الذهنى لحدث يتكرر وقوعه وحدوثه. وفى كل مرة يقع، نذكر كل ما يتصل به عند حدوثه لأول مرة وذلك بمناسبة حدوثه ووقوعه جديداً... وهو ما يتضح مما يرد فى جميع القداسات.

جاء مثلا فى القداس الغريغورى قوله :

«وأيضا يا سيدنا، فيما نحن نصنع ذكر (نزولك على الأرض) وموتك المحيى وقبرك ثلاثة أيام، وقيامتك من بين الأموات، وصعودك إلى السماوات.. نقرب لك قرابينك مما لك...».

وإذن ففى إقامة القداس يتم تجسد حقيقى كامل فى سر القربان، باتحاد الكلمة الإلهى بالخبز المتحول بالروح القدس إلى جسد، وبهذا نذكر من جديد (نزولك على الأرض)، وما تم بعد ذلك من صلب وموت وقيامة وصعود إلى السماء.. فالتجسد يتم إذن فى سر القربان تماما كما تم من الروح القدس ومن العذراء مريم، وإن كان فى سر القربان يتم بطريقة سرية غير منظورة. وهذا هو الفارق بين هذا التجسد وبين التجسد الذى تم فى ملء الزمان من إمرأة (غلاطية ٤ : ٤) هى العذراء القديسة مريم - ذاك تجسد سرى غير منظور، أما هذا فتجسد منظور «الله ظهر فى الجسد» (١ . تيموثيوس ٣ : ١٦).

وتوكيدا لهذا المفهوم، وبيانا لتضامن الأقانيم الثلاثة فى سر القربان المقدس، أسوة بتضامن الأقانيم الثلاثة فى سر التجسد من الروح القدس ومن العذراء مريم، يبخر الكاهن يديه على المجمرة، عند بدء تقديس العناصر، ثلاث مرات، أى أن التبخير ثلاث مرات فى عمل سر القربان يشير إلى تضامن الأقانيم الثلاثة، فالكلمة هو الذى يحل بلاهوته فى القربان، والروح القدس يحل على الخبز فيعده ويحوله إلى جسد المسيح، والآب مشارك للكلمة والروح القدس فى تدبير الخلاص، تماما كما حدث هذا التضامن بين الأقانيم فى سر التجسد من الروح القدس ومريم العذراء.

١٦ - كيف ولدت العذراء المسيح وهى دائمة البتولية ؟ (١)

سؤال : من الشماس سامى سيدهم عبد المسيح - دير أبو حنس مركز ملوى.

يقول : **سمعت أقوالا مختلفة عن كيفية ولادة السيد المسيح من العذراء مريم، ولذلك أريد أن أعرف الحقيقة فى هذا الموضوع. وهل أزالت الولادة بالمسيح بكارة العذراء مريم، أم أنه ولد من غير أن يفضّ بكارتها؟ على نحو ما يحدث فى كل ولادة طبيعية ؟**

الجواب :

الحقيقة واحدة كما أعلنها الوحى الإلهى فى الكتب المقدسة فى العهدين القديم والجديد، وفى كتب الكنيسة وأقوال الآباء، والتقليد المقدس.

وهذه الحقيقة هى أن القديسة مريم كانت عذراء قبل ولادتها للسيد المسيح، وظلت عذراء طوال حياتها إلى أن أوفت أيامها وانتقلت بالموت إلى فردوس النعيم. ولذلك فإنها تلقب فى كتب الكنيسة بأنها (العذراء الدائمة البتولية)، و (العذراء الدائمة البكارة) و (العذراء دائما وكل حين) ، و (العذراء العروس التى بغير زواج).

إن كل فتاة لم تتزوج تسمى (عذراء). أما مريم فتلقب بـ (العذراء) معرّفة بالألف واللام، أى أنها وحدها بين جميع العذارى التى عذراويتها استمرت كنية عنها، ولقباً دائما لها، تعرف به على ممر العصور والأجيال.

فكل فتاة غير متزوجة تسمىّ عذراء لكنها قد تتزوج، وقد لا تتزوج. أما مريم فهى وحدها بين جميع العذارى التى لم يكن ولن يكون هناك أدنى احتمال فى تغيرها من عذراء إلى غير عذراء، وإنما هى (العذراء) من غير منازع، ومن غير شك.

ولذلك فإذا قرأت أو سمعت لفظ «العذراء» (معرّفة بالألف واللام) أيقنت أنها (مريم) هى بعينها، حتى لو لم يذكر اسم مريم صراحة.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٢٦ من أغسطس - آب لسنة ١٩٧٩م - ٢٠ من مسرى لسنة ١٦٩٥ش.

وكما أن اسم (المسيح ـ معرفاً بالألف واللام) لا يقال إلا عن واحد أحد، وهو الرب يسوع، كذلك اسم (العذراء) معرفا بالألف واللام ـ لا يقال إلا عن واحدة، ولا أحد سواها، وهى القديسة مريم والدة الإله الكلمة.

وبهذا اللقب (العذراء) معرفة بالألف واللام، أشار إليها الوحى الإلهى فى العهد القديم على فم إشعياء النبى، فقد ورد قوله : «ها إن (العذراء) تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل» (إشعياء٧ : ١٤) . وأورد العهد الجديد هذا النص عينه مبينا أنه قيل عن العذراء القديسة مريم فى حملها وولادتها للسيد المسيح «وستلد ابنا وتسميه يسوع... وقد كان ذلك كله ليتم ما قاله الرب بفم النبى القائل : ها إن **العذراء** تحبل وتلد ابنا ويدعى اسمه عمانوئيل، الذى تفسيره : الله معنا» (متى ١ : ٢١ – ٢٣) .

وأما الولادة فقد كانت ولادة حقيقية بعد حمل استغرق مدة تسعة أشهر كاملة.

ومع ذلك فقد انفردت العذراء مريم بأن ولادتها للسيد المسيح لم تخدش بكارتها. ولهذا اعتبرت ولادتها للمسيح له المجد أمرا لا يمكن إدراكه، وهو يعلو فى سموه عن كل تصور بشرى، وهذا يدخل فى دائرة المعجزات، وهو برهان على قدرة لاهوت المسيح. فليس لمثل هذه الولادة نظير فى كل التاريخ.

أمام هذا السر العظيم وقف آباء الكنيسة حيارى : معلنين عجزهم عن تفسيره بغير قدرة لاهوت المسيح.

ولذلك ورد فى كتب الصلوات، توجيه الخطاب إلى العذراء مريم بقولنا «نمجد ميلادك غير المدرك» (من صلوات قطع الخدمة الثانية لصلاة نصف الليل)، وقولنا «نمجد ميلادك الطاهر فى كل حين من أجل خلاص نفوسنا» (من صلوات قطع الخدمة الثالثة لصلاة نصف الليل).

ولا شك أن المقصود بقولنا «ميلادك» ليس ميلادها هى من أمها حنة، وإنما المقصود هو ميلادها أو ولادتها للسيد المسيح. فميلادها للسيد المسيح هو الميلاد الطاهر لأنه لم يكن من زرع رجل، وإنما من روح القدس، فهو (**ميلاد طاهر فى كل حين**) ثم هو (**ميلاد غير مدرك**) **لأنه لا يمكن إدراكه بالعقل، ولا يعبر عنه.** ⲡⲉϫⲓⲛⲙⲓⲥⲥⲓ ⲛⲁⲧⲥⲁϫⲓ ⲙⲙⲟϥ

PEGINMISSI ENATSSAGI EMMOF

ولا يوصف، إذ لا يمكن أن يتصور العقل أن تلد عذراء بمولود، وتحتفظ مع ذلك ببكارتها مصونة، فقد خرج المسيح من مستودع العذراء مريم كما ينفذ شعاع الشمس من زجاج النافذة دون أن يخدشه.

وقد قال الآباء فى ذلك إن المسيح له المجد خرج من القبر عند قيامته، والقبر مغلق وعليه الختوم (متى ٢٧ : ٦٤ – ٦٦) ، ودخل العلية بعد قيامته وأبوابها مغلقة (يوحنا ٢٠ : ١٩، ٢٦) ، (لوقا ٢٤ : ٣٦ – ٣٩)، ليبرهن أيضا على أنه خرج من بطن العذراء مريم وختوم البكارة مصونة لم تخدش كما ينفذ شعاع الشمس من الزجاج ولا يخدشه.

وقال الوحى الإلهى على فم النبى حزقيال فى نبوءته عن العذراء مريم وولادتها للمسيح له المجد ،قال لى الرب : **هذا الباب يكون مغلقا، لا يفتح**، ولا يدخل منه إنسان، **لأن الرب إله إسرائيل دخل منه، فيكون مغلقا،** (حزقيال ٤٤ : ٢).

جاء فى صلاة القسمة التى تتلى فى القداس فى صوم الميلاد المجيد : «أيها السيد الرب إلهنا الخالق، غير المرئى، غير المحوى، غير المتغير، الذى لا تدرك أعماقه».

«الذى أرسل نوره الحقيقى، ابنه الوحيد، يسوع المسيح، الكلمة الذاتى».

«الكائن فى حضنه الأبوى كل حين، أتى وحل فى الحشا البتولى غير الدنس، **ولدته وهى عذراء، وبكارتها مختومة**».

ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم : «فأما السيد المسيح ابن الله مخلصنا الذى ولد من العذراء الطاهرة مرتمريم **ولم يفك بتوليتها، لكنه دخل وخرج والباب مختوم**، كما قال حزقيال النبى» (فى العظة عن دخول العذراء الهيكل).

ويقول القديس يعقوب السروجى «دخل إلى التلاميذ والأبواب مغلّقة غير مفتوحة، ليريهم أنه **لما خرج لم يحل البتولية**. دخل العلية كما خرج من البطن لكى لا يتعبوا بالفحص كيف ولد... صور الحكيم الأبواب المغلّقة ببتولية أمه، وعلّمهم بالقريبات البعيدات... نظر التلاميذ البتولية المختومة بالأبواب المغلّقة **لأنه لم يفتح لما دخل، ولا أباد ختوم البتولية لما خرج**... حل فى العلية والمتاريس مغلّقة عند التلاميذ، **وخرج من البطن وخواتم البتولية مختومة، خرج من البطن جسدانيا وهى مختومة**، وإن تطلب منى لم أعرف أن أفسر

لك هذا أيضا. دخل العلية المغلّقة... ولم يفتحها. ليس روحا دخل من الأبواب، بل جسدا وعظاما كما اعترف هو، (القديس يعقوب السروجي في عظة على أحد توما).

ويقول مار يعقوب السروجي إن العذراء مريم ولدت مولودها العجيب وهي بتول، بنوع يفوق الناموس الطبيعي، وبشكل لا تستطيع الكلمة وصفه.. إن الطبيعة قهرت بهذه الولادة ووقفت عن بعد حائرة مذهولة، إذ ليس بحسب الطبيعة ولد لعذراء. فمتى ولدت عذراء فمولودها هو الإله. ذلك أن الله وحده يستطيع أن يلج العناصر الصماء وهي مغلّقة، ولا يحتاج إلى فتح الباب متى دخل ولا إلى ترك أثر متى خرج. هكذا دخل الله إلى العالم من باب مغلّق أي بواسطة عذراء مختومة. وظهر في الجسد ولا يبحث أمره (رسالته في الإيمان). وقال في رسالته إلى رؤساء الأديار القسوس مار انطيوخ وصحبه : «فإن الذين ضلوا... يقولون إن مريم لم تلبث بكرا بعد ولادتها دون أن يتبصروا رؤيا حزقيال (النبي) الذي تحدث بجلاء عن أمر الفتاة، مشبها إياها بالباب المغلق... **وبديهي أن الله لا يحتاج إلى فتح الباب عند خروجه**. ولأجل هذا فإن الأشقياء لا يصدقون أن الباب ظل مغلقا، إذ لا يؤمنون بأن الذي خرج منه هو الله نفسه. **وكل من آمن بأنه الله، آمن أيضا بأنه خرج إلى العالم حين جاء إلى العالم، من باب مغلق لم يفتح**». وقال في رسالته إلى أوطيخين أسقف دارا : «تجسد ابن الله من العذراء... **وظلت العذراء ببتوليتها كنبوءة حزقيال**». وقال في رسالته إلى القوميس قورا: «الإله صار إنسانا وظل إلها. **وولدته البتول وظلت بتولا**. لذلك تعرف مريم بأنها بتول حقا وأم حقا، وليست إثنتين.. لكنها واحدة، أي أنها أم وبتول معا» (١).

وجاء في ميمر للقديس كيرلس رئيس أساقفة أورشليم في القرن الثالث (٣١٥ - نحو ٣٨٦) إنه «عندما شعرت العذراء بقرب وضع الجنين حالا، أخبرت يوسف، فأسرع إلى البلدة ليستحضر قابلة لمساعدتها... ولما وصلا المغارة ودخلا فيها وجدا أن العذراء ترضع ابنها الحبيب.. وسألتها القابلة بقولها : «يا أيتها السيدة ألم ينزل الخلاص (المشيمة) المعتاد للنساء؟ فلم تجاوبها قط، بل ظلت ساكتة ترضع الطفل. فوضعت القابلة يدها لتنظر، **فلم تجد سوى عذراء بكر بتول كما هي**، فتعجبت تلك المرأة وتركتها. وقامت مسرعة لتدخل بيت لحم، وقد صادفتها سالومه

(١) انظر كتاب «هبة الإيمان» أو الملفان مار يعقوب السروجي أسقف بطنان، تأليف البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث، بطريرك انطاكية وسائر المشرق، طبعة ١٩٧١ صفحة ٥٨ – ٦٠.

القابلة الشهيرة، فقصت عليها الخبر من أوله. فقالت : إنى فى شك وعدم تصديق لذلك الخبر الغريب حتى أتوجه وانظر بعينى. وقد كان. وعادتا الإثنتان مسرعتين. وبوصولهما نظرت سالومه الطفل وأمه، وقد تهورت بجسارة، ومدت يدها تريد أن تكشف العذراء، فوقفت يدها، ونشف دمها، وصارت تستغيث، وصرخت بصوت عظيم، وقالت : يا إلهى، ذنبى عظيم. اغفر لى. وسجدت أمام الطفل، ووضعت يدها عليه، فشفيت فى الحال، (١).

(١) عن كتاب ميامر وعجائب السيدة العذراء، على حسب ما وضعه آباء الكنيسة الأرثوذكسية - طبعة ١٩٢٧ صفحة ٥٣.

١٧ ـ المسيح هو الله وقد اتخذ جسداً
وجسده لايحجب بهاء لاهوته إلا
وفقا لمشيئته وإرادته وتدبير حكمته

سؤال: من الابن المحاسب يوسف مكارى ـ طنطا.

أسأل عن جسد الرب يسوع المسيح، هل بعد قيامة الرب من بين الأموات فى اليوم الثالث هل صار هذا الجسد غير محدود، يملأ السماوات والأرض أم أن المقصود أنه يضم المؤمنين فى الكنيسة المنتصرة والكنيسة المجاهدة لأجل تدبير الخلاص؟

الجواب:

إن جسد المسيح له المجد محدود فى حجمه من حيث الطول والعرض، وهو الذى اتّخذه بالميلاد من العذراء القديسة مريم بحلول الروح القدس عليها ونما قليلاً قليلاً مثل البشر. (لوقا ٢: ٤٠) إلى أن بلغ إلى قامة الإنسان الكامل (أفسس ٤: ١٣).

فالمسيح له المجد هو بذاته الله العظيم وقد شاء من فيض حبه للبشر الذين خلقهم على مثاله وصورته لكى يردهم إلى الحالة السامية التى خلقهم عليها، وكانوا قد فقدوها بالخطيئة، شاء أن يتخذ له جسداً على شاكلتهم، ليقبل فيه بدلاً منهم، حكم الموت الذى استحقوه، وبذلك يفديهم من الموت، ويعيدهم إلى الحياة الأبدية.

المسيح هو الله وقد اتّخذ جسداً «وحقاً عظيم هو سر التقوى، الله ظهر فى الجسد، (١ . تيموثيوس ٣: ١٦).

هذا الجسد محدود، فى حجمه لأنه جسد إنسان، أما لاهوت الإله المتحد به ولم يفارقه لحظة واحدة أو طرفة عين، فيملأ بهاؤه السماوات والأرض وكل الكون وسائر الأكوان، ولما كان الله نوراً ونارا (العبرانيين ١٢: ٢٩)، (التثنية ٤: ٢٤)، فقد شاء فى زمن تجسده لخلاص البشر، أن يحجب بهاء لاهوته بجسده حتى لا تحترق الأرض وما عليها، ولكنه بمشيئته وإرادته كان يسمح أحيانا ببعض ومضات بهائه أن تظهر لتكشف عن حقيقته الإلهية، وقد حدث ذلك مثلاً على جبل تابور الذى تجلى عليه المسيح يسوع أمام ثلاثة من تلاميذه (متى ١٧: ١ – ٦)، (مرقس ٩: ٢ – ٨)، (لوقا ٩: ٢٨ – ٣٦)، ليتبينوا حقيقة لاهوته،ولكنه عاد فحجب بهاء لاهوته،

ونزل من على الجبل فى هيئة إنسان (متى ١٧ : ٩)، (مرقس ٩ : ٩)، حتى يتمم مهمة الفداء والخلاص للإنسان «ولو عرفوا لما صلبوا رب المجد» (١ . كورنثوس ٢ : ٨).

وفى بستان جثسيمانى عندما جاء الجند والخدام من عند رؤساء الكهنة اليهود والفريسيين، ومعهم المشاعل والمصابيح والأسلحة، ليقبضوا على يسوع المسيح ويسلموه للرومان وحاكم الرومان للموت، سمح المسيح له المجد لبعض البهاء أن يظهر من مجد لاهوته. ولذلك فإنه له المجد خرج إليهم وقال لهم: «من تطلبون؟» أجابوه قائلين: يسوع الناصرى»، فقال لهم يسوع: «أنا هو». فلما قال لهم: «إنى أنا هو» **ارتدوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض، وذلك من بهاء لاهوته** (يوحنا ١٨ : ٣- ٨).

فلما تمم المسيح له المجد مهمة الفداء بالصليب، وكان لابد أن يموت بدلاً من الإنسان، وتم له الموت بانفصال مؤقت بين روحه الإنسانية وجسده. أما لاهوته فلم يفارق روحه أو جسده. ولذلك فإنه على الرغم من هذه المفارقة المؤقتة بين الروح الإنسانية والجسد، فإن الدم الذى تدفق من جسد المخلص بفعل الموت أو المفارقة المؤقتة بين الروح الإنسانية والجسد، قد جرى ووصل إلى عين لونجينوس قائد المائة الذى ضرب جنب المسيح بالحربة، فأحيا عين لونجينوس، وكانت من قبل مفقودة، الأمر الذى جعل لونجينوس نفسه ومن معه من الجند، أن يصرخوا قائلين: «**حقا كان هذا الإنسان ابن الله**» (متى ٢٧ : ٥٤)، (مرقس١٥: ٣٩)، (لوقا ٢٣ : ٤٧)، (يوحنا ١٩ : ٣٤، ٣٥).

ونزل المسيح إلى القبر وجسده متحد بلاهوته، ومن القبر دخل إلى العالم السفلى وأخرج آدم والقديسين المؤمنين المنتظرين عمل الفداء، ونقلهم إلى الفردوس فى يوم السبت المعروف بسبت الفرح، كما وعد المسيح اللص وهو على عود الصليب بقوله «**اليوم تكون معى فى الفردوس**» (لوقا ٢٣ : ٤٣). وأما إعلان القيامة فكان فى فجر الأحد «وما المعنى من قوله صعد سوى أنه نزل أولاً إلى أسافل الأرض. فهذا الذى نزل هو نفسه الذى صعد إلى ما فوق السماوات كلها، ليملأ كل شىء» (أفسس ٤ : ٩، ١٠).

على أنه بعد أن صعد المسيح له المجد إلى السماء واستوى على العرش السماوى لم تعد به حاجة إلى أن يحجب بهاء لاهوته. لذلك فإنه وهو على العرش فى السماء كان ولايزال لاهوته يملأ السماوات والأرض، وبالتالى فإن بهاء لاهوته يمتد إلى كل الأرض والسماوات وجميع الأكوان، ذلك لأن بهاء اللاهوت يخترق الجسد، فلا يحجبه الجسد، مثلما يخترق النور جسم

المصباح الزجاجى، فينتشر النور فى المحيط الواسع خارج جسم المصباح الزجاجى ولايعوقه جسم المصباح الزجاجى، لذلك عندما ظهر للقديس يوحنا الرائى فى جزيرة بطمس رأى يوحنا وجه المسيح كالشمس وهى تضىء فى أبهى شروقها وقال «فلما رأيته وقعت **عند قدميه** كالميت، فوضع **يده اليمنى** علىّ»، وقال: «لاتخف، أنا الأول وأنا الآخر» (الجليان - الرؤيا ١: ١٦، ١٧)، كان هذا هو بهاؤه وهو فى الجسد ولذلك جاء قوله «**وجهه... قدميه... يده اليمنى**» **فبهاء اللاهوت يخترق الناسوت ويمتد إلى الأرض وأقصى السماوات، ولايحجب الناسوت بهاء اللاهوت.**

إن جسد المسيح فى السماء وهو على العرش يخرج منه النور وينتشر فى السماوات والأرض وماوراء السماوات وكل الأكوان، لأن الله نور السماوات والنور لايحجبه ولا يحده الجسم مهما كانت صلابته وكثافته.

المسيح فى لاهوته نور ونار - كان ولا يزال وسيظل إلى الأبد نور السماوات والأرض وكل الكون بل وجميع الأكوان - له المجد والعظمة والسلطان فى كل مكان وكل زمان الآن وكل أوان وإلى أبد الدهور كلها، آمين.

١٨ ـ جسد المسيح مخلوق
لكن لاهوته أزلى غير مخلوق

سؤال: من الابن مجدى عزيز ـ القاهرة.

يقول إن السيد المسيح له المجد «مولود غير مخلوق» من حيث لاهوته كما ورد فى قانون الإيمان. وجسد المسيح قد تكوّن بالروح القدس من مريم العذراء من دمها ولحمها.

وهنا سؤال: هل جسد المسيح مخلوق؟ وإن كان مخلوقا فهو محدود، فلذلك يقول عند دخوله العالم «ذبيحة وتقدمة لم تشأ، لكنك هيأت لى جسداً».

الجواب:

نعم، إن جسد المسيح مخلوق، وهو حادث فى الزمان، ذلك لأنه لم يكن سابقاً موجوداً ثم وجد فى زمن التجسد. فجسد المسيح ليس أزليا، أما الأزلى الأبدى فهو لاهوته.

نعم إن جسد المسيح قد خلق فى الزمان، وذلك بحلول روح القدس فى بطن العذراء، فصاغ من دمها هذا الجسد ليكون للاهوت ستاراً وحجاباً، وإلا فإن العذراء كانت ستحترق بحلول اللاهوت فيها، لأن الله نار آكلة (العبرانيين ١٢ : ٢٩)، فكيف يحل اللاهوت فى مريم، ثم تبقى مريم حية دون أن تحترق. فالجسد إذن مخلوق، لأنه لم يكن موجودا من قبل ثم أوجده الله فى الزمان المحدود. وهذا هو المعنى من قوله «أعددت لى جسدا» (العبرانيين ١٠ : ٥).

ومع ذلك اتحد اللاهوت بالجسد اتحادا لايقبل الانفصال، مثله مثل الفحم الذى يتحد بالنار، ويصير الفحم متوهجاً بالنار بحيث لا يمكن الفصل بين الفحم والنار.

كذلك كما يقول البابا كيرلس عمود الإيمان، إذا وضع الحديد فى النار، فيتوهج الحديد، وصار متحدا بالنار بحيث لايمكن الفصل بينهما.

لذلك يقول البابا كيرلس الأول عمود الإيمان إنه باتحاد اللاهوت بالناسوت اتحادا تاما بغير اختلاط ولا امتزاج ولاتغيير، ومن ثم فإن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين، طبيعة واحدة لها خصائص الطبيعتين معاً.

١٩ ـ هل كان يأكل السيد المسيح كما يأكل البشر؟ (١)

سؤال: من الابن ميشيل جرجس عبد المسيح ـ طما ـ سوهاج.

يقول: يشغل فكرى كثيراً ويراودنى فى كل حياتى ما جاء فى الكتاب المقدس عن السيد المسيح، أنه (جاع أخيراً) (متى ٤: ٢) وقوله (إنى منذ الآن لن أشرب من نتاج الكرمة هذا حتى اليوم الذى فيه أشربه جديداً معكم فى ملكوت أبى) (متى ٢٦: ٢٩)، بينما أن ملكوت الله ليست أكلاً وشرباً، وقوله عن شجرة التين «وفيما كان عائداً فى الصباح إلى المدينة جاع، وإذ رأى شجرة تين فى الطريق دنا منها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط. فقال لها: لا يخرج منك ثمر بعد إلى الأبد، ففى الحال جفت شجرة التين» (متى ٢١: ١٨، ١٩)، (مرقس ١١: ١٢-١٤) وقوله على الصليب (أنا عطشان) (يوحنا ١٩: ٢٨).

أفهل كان السيد المسيح يأكل كما يأكل البشر؟ وهل كان فى حاجة إلى الأكل والشرب؟ ثم ما هو مصير هذا الأكل والشرب بالنسبة للسيد المسيح؟ أرجو شرح هذا الموضوع بالتفصيل؟

الجواب:

(وحقاً عظيم هو سر التقوى. الله ظهر فى الجسد) (١ . تيموثيئوس ٣: ١٦). إن السيد المسيح فى إيماننا واعتقادنا وكما جاء فى الكتب المقدسة هو الله ذاته وقد استتر فى جسد. **(الذى إذ هو الكائن فى صورة الله لم يحسب مساواته لله خلسة أو غنيمة له، لكنه تخلى عن مجده، واتّخذ صورة العبد، وصار فى شبه البشر، وظهر بهيئة إنسان، وضع نفسه**، وأطاع حتى إلى الموت، الموت على الصليب) (فيلبى ٢: ٦-٨).

انظر (يوحنا ١: ١، ٢)، (١٧: ٥)، (٢ . كورنثوس ٤: ٤)، (كولوسى ١: ١٥)، (العبرانيين ١: ٣)، (يوحنا ٥: ١٨)، (١٠: ٣٣)، (يوحنا ١: ١٤)، (رومية ١: ٣)، (٨: ٣)، (غلاطية ٤: ٤).

وقال الكتاب المقدس ايضاً:

(وإذن لما كان الأبناء شركاء فى الدم واللحم، **شاركهم يسوع كذلك فيهما** ليقضى بموته على ذاك الذى فى يده سلطان الموت، أى أبليس، ويحرر جميع الذين كانوا طوال حياتهم فى

---

(١) كتب فى ٢٤ من يونيه لسنة ١٩٩٢م - ١٧ من بؤونه لسنة ١٧٠٨ش.

العبودية خوفاً من الموت. **فإنه حقاً لم يتخذ طبيعة الملائكة، فقد جاء ليساعد نسل إبراهيم. فمن ثم كان عليه أن يشابه إخوته في كل شيء**، حتى يكون رئيس كهنة رحيماً أميناً في خدمة الله، فيكفر عن خطايا الشعب. لأنه فيما هو قد تألم وتجرب يمكنه أن يُعين المجربين) (العبرانيين ٢: ١٤-١٨).

وقال عنه الوحي المقدس:

(فليس لنا حبرٌ لا يستطيع أن يرثى لضعفاتنا، بل لقد **جرب في كل شيء مثلنا ماعدا الخطيئة**) (العبرانيين ٤: ١٥).

انظر (٢. كورنثوس٥: ٢١)، (العبرانيين ٧: ٢٦)، (١. بطرس ٢: ٢٢)، (١. يوحنا ٣: ٥).

وعلى ذلك، ولما كان المخلص وهو الرب يسوع المسيح، قد نزل من السماء ليخلص آدم وبنيه، فقد اتّخذ جسداً وصار في شبه الناس، وظهر بهيئة إنسان.

وتوكيداً لحقيقة إنسانيته كان يأكل ويشرب كما يأكل الناس، ويشربون، لأنه شابههم في كل شيء فيما عدا الخطيئة.

لذلك ورد عنه في الإنجيل أنه أكل.

(وفيما **كان يجلس إلى مائدة الطعام** في بيته (بيت متى)، كان كثيرون من العشارين والخطاة جالسين مع يسوع وتلاميذه، لأن كثيرين منهم كانوا هناك وكان قد تبعه الكتبة والفريسيون، فلما رأوا **أنه يأكل مع العشارين والخطاة** قالوا لتلاميذه: (**ما بال معلمكم يأكل ويشرب مع العشارين والخطاة؟**). فلما سمع يسوع قال لهم: (لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى، فما جئت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة) (مرقس ٢: ١٥-١٧)، (متى ٩: ١٠-١٣).

وجاء عن المسيح له المجد (وكان جميع العشارين والخطاة يدنون منه ليسمعوه فتذمر الفريسيون والكتبة قائلين: (إن هذا يقبل الخطاة **ويأكل معهم**) (لوقا ١٥: ١، ٢).

بل إن المسيح له المجد قال عن نفسه إنه يأكل.

جاء في الإنجيل وقال الرب: (بماذا أشبه أناس هذا الجيل؟ من يشبهون؟ إنهم يشبهون صبية جالسين في السوق ينادي بعضهم بعضاً قائلين: زمرنا لكم فلم ترقصوا نحنا لكم فلم تبكوا. فقد

جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزاً ولا يشرب خمراً فقلتم إن به شيطاناً. **وجاء ابن الإنسان يأكل ويشرب** فقلتم هوذا رجل أكول وشريب خمر، محب للعشارين والخطاة) (لوقا ٧: ٣١-٣٤)، (متى ١١: ١٦-١٩).

وجاء أيضاً فى الإنجيل أنه عندما ذهب المخلص المسيح يسوع إلى السامرة، وجلس على البئر فى سوخار (وكان تلاميذه قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاماً، فلما جاء تلاميذه يقول الإنجيل (طلب إليه تلاميذه قائلين: **(يا معلم قم تناول الطعام)**. فقال لهم: (إن لى طعاماً آكله لا تعرفونه أنتم) فقال تلاميذه فيما بينهم: (ألعل أحداً جاءه بما يأكل) مما يتبين معه أن التلاميذ كان مألوفاً لديهم أن يروا معلمهم **يأكل من الطعام الذى يأكلونه هم**. انظر (يوحنا ٤: ٨، ٣١-٣٣).

بل إنه بعد أن قام من بين الأموات، أكل أمام تلاميذه ليؤكد لهم حقيقة قيامته بذات الجسد الذى اتّخذه من العذراء مريم.

قال الإنجيل إن المسيح له المجد ظهر بعد قيامته لتلميذى عمّاوس، لوقا وكليوباس، (حتى إذا اقتربوا من القرية التى كانا يقصدان إليها، بدا كما لو كان متجهاً إلى مكان أبعد. فتشبثا به فى قوة قائلين: (امكث معنا، لأنه حان المساء وقد انقضى النهار). فدخل ليمكث معهما. ولما جلس معهما **تناول الطعام** أخذ الخبز وباركه وقسمه وناولهما) (لوقا ٢٤: ١٣، ٢٨-٣٠).

ومرة أخرى شهد عنه الإنجيل أنه بعد قيامته ظهر لتلاميذه الأحد عشر والذين معهم مجتمعين... (وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه فى وسطهم، وقال لهم: (السلام لكم) ففزعوا وارتعبوا، وقد ظنوا أنهم يرون روحاً. فقال لهم. (ما بالكم مضطربين... انظروا إلى يدىّ وإلى قدمىّ إنى أنا هو بنفسى. جسونى وتحققوا، فإنه ليس للروح لحم ولا عظام كما ترون لى). وفيما كان يقول هذا أراهم يديه وقدميه. وإذ كانوا لا يزالون غير مصدقين أنفسهم من فرط الفرح والدهشة. قال لهم: **(أعندكم هنا ما يؤكل؟)** ... فقدموا له بعضاً من السمك المشوى وشهد العسل. **فأخذ وأكل أمامهم)** (لوقا ٢٤: ٣٦-٤٣).

ومرة ثالثة يروى الإنجيل أن المسيح أظهر ذاته لسبعة من تلاميذه على بحر طبرية وقال لهم: **(يا فتيان ألديكم شىء يؤكل؟)** أجابوه (لا) فقال لهم (ألقوا الشبكة من الجانب الأيمن للسفينة فتجدوا)، فألقوها، وعندئذ لم يستطيعوا أن يجذبوها إلى فوق من كثرة السمك... ثم أخذوا يجرون شبكة السمك. فلما جاءوا إلى الأرض تطلعوا فرأوا جمراً وسمكاً موضوعاً عليه وخبزاً.

وقال لهم يسوع: (قدموا من السمك الذى اصطدتم الآن) ... ويقول الإنجيل (فقال لهم يسوع: (هلموا تناولوا الطعام) ... ثم تقدم يسوع، **وأخذ الخبز وناولهم، وكذلك السمك... وبعد تناول الطعام** قال يسوع لسمعان بطرس...) (يوحنا ٢١: ١، ٥، ٦، ٨-١٠).

وجاء فى سفر أعمال الرسل شهادة الرسول سمعان بطرس عن المسيح يسوع له المجد (ونحن شهود على كل ما فعل... **نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من بين الأموات)** (أعمال الرسل ١٠: ٣٩-٤١).

والخلاصة أن السيد المسيح له المجد كان يأكل مثلنا ويشرب، لأنه اتّخذ جسداً، من طبيعة جسدنا، صاغه وكونه من دم العذراء مريم، وتلك هى حكمته فى التجسد، من أجل الفداء والخلاص لآدم وذريته، **فكان لابد أن يتخذ جسداً مطابعاً لجسدنا** يقبل فيه الحكم بالموت الذى صدر ضد آدم وذريته بسبب خطيئه آدم (من أجل ذلك، كما أن الخطيئة دخلت فى العالم بإنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، هكذا سرى الموت إلى جميع الناس، لأنهم جميعاً خطئوا فيه) (رومية ٥: ١٢).

ولقد حرص المسيح له المجد على **أن يأكل ويشرب** أمام تلاميذه وأمام الناس **توكيداً لحقيقة إنسانيته**. وفى هذا رد على بعض الهراطقة، وخصوصاً أوطاخى الذى زعم أن المسيح أخذ جسداً خيالياً لا حقيقياً، وذهب أيضاً إلى أن ناسوته أو إنسانيته ذابت وغاصت فى لاهوته كما تذوب نقطة من الخل فى بحر أو محيط من الماء.

لذلك وبوصف المسيح هو حمل الله الذى حمل خطيئة العالم، عانى الاكتئاب والآلام فى بستان جثسيمانى ليلة آلامه حتى نزل عرقه كقطرات الدم على الأرض، فلم يتدخل لاهوته لانقاص آلام ناسوته حتى يأخذ الآلام كاملة، فيكون فى صلبه وآلامه وموته، الفداء والخلاص لآدم وذريته (وإذ كان يكابد آلاماً عنيفة، أخذ يصلى بأشد حرارة وهو جاث على ركبتيه، وكان عرقه كقطرات الدم يتساقط على الأرض) (لوقا ٢٢: ٤٤).

وحتى يقبل الآلام كاملة (حتى إذا بلغوا موضعاً يسمى الجلجثة، أى موضع الجمجمة، أعطوه خمراً ممزوجة بمرارة ليشرب، فلما ذاقها أبَى أن يشربها) (متى ٢٧: ٣٣، ٣٤)، (مرقس ١٥: ٢٢، ٢٣) ذلك لأن الخمر الممزوجة بمرارة كانوا يعطونها لمن يصلبونه لتكون بمثابة مخدر فتخفف عنه الألم. أما المسيح الفادى فأبى أن يشرب هذا المخدر حتى يقبل الآلام كاملة فى جسده.

كذلك عانى العطش وقال على الصليب (أنا عطشان) (يوحنا ١٩: ٢٨) ولم يتدخل اللاهوت لينقص ألم العطش حتى يأخذ المسيح الفادى الآلام كاملة. ولهذا ولبيان عدم تدخل اللاهوت لإنقاص آلام المسيح الفادى صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: ايلى ايلى لما شبقتنى، أى، (إلهى إلهى لماذا تخليت عنى؟) (متى ٢٧: ٤٦)، وهذا تعبير عن عدم تدخل اللاهوت لإنقاص آلام الناسوت ليأخذ المسيح الآلام كاملة، فيفدى الإنسان بإحتماله كل الآلام والموت فى جسده.

أما أن يقال عن المسيح يسوع أنه جاع (متى ٤: ٢) فهو ما يسمى بالجوع التدبيرى، أى أنه وهو الإله بحكمته قصد أن يدخل على ذاته الجوع ليعطى لإبليس فرصة ليتقدم فيجربه.

كذلك عندما قال للمرأة السامرية (أعطينى لأشرب) (يوحنا ٤: ٧)، كان عطشه أيضاً تدبيرياً، أى أنه أدخل على ذاته العطش ليخلق تبريراً مناسباً حتى يدخل مع المرأة السامرية فى حوار، ليكسبها ويكسب شعب السامرة من بعدها للخلاص... ومما يجدر ملاحظته أن المسيح قال للمرأة السامرية (أعطينى لأشرب)، ومع ذلك لم يشرب، بل إنه كشف للمرأة بسؤاله لها عن حقيقة شخصيته الإلهية، إذ ظنت هى أنه فى حاجة إلى أن يشرب من ماء البئر، (فأجاب يسوع وقال لها: (لو كنت تعرفين عطية الله، **ومن هو الذى يقول لك أعطينى لأشرب، لطلبت أنت منه، فأعطاك ماء حياً**) (يوحنا ٤: ١٠).

أما عن السؤال: **ما هو مصير الأكل بالنسبة للسيد المسيح؟** فجوابنا عليه: إنه مصير الأكل فى كل إنسان. لأن المسيح أخذ جسداً مطابعاً لجسدنا، ومن ثم يخضع لكل العمليات البيولوجية التى يخضع لها الأكل فى جسم الإنسان، فالمسيح شابهنا فى كل شىء، فيما عدا الخطيئة. فهو ولد كإنسان، ونما فى القامة كإنسان، وختن فى اليوم الثامن كإنسان، وتعمد كإنسان، وصام كإنسان، وتألم كإنسان وصلب ومات كإنسان، لكنه قام من بين الأموات بسلطان لاهوته.

إنه من أجل الإنسان، ومن أجل عمل الفداء والخلاص، اتّخذ جسداً مطابعاً لجسدنا، وشابهنا فى كل شىء، فيما عدا الخطيئة.

٢٠ ـ المسيح هو الله وقد اتخذ جسداً، وظهر فى الهيئة كإنسان

سؤال : من الابن أ. فؤاد الياس.

يقول : جاء فى الإنجيل للقديس لوقا : «أما يسوع فرجع من الأردن وهو ممتلئ من الروح القدس، وكان يقتاد بالروح فى البرية» (لوقا ٤ : ١) فما معنى أن يسوع رجع من الأردن ممتلئا من الروح القدس، ونحن نقول إن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة، فما معنى أنه امتلأ منه والروح القدس بداخله مع الآب منذ ميلاده حتى صعوده له المجد إلى السماء، فكيف يمتلئ منه وهو فيه ؟

الجواب :

إن يسوع المسيح هو الله ذاته وقد اتّخذ جسداً، على أنه من حيث هو إنسان سلك أمامنا وأمام الناس كنموذج ومثال لنتبع خطواته «فإن المسيح أيضا تألم لأجلنا، وجعل لنا من نفسه قدوة لنسير على خطاه» (١ . بطرس ٢ : ٢١) «إنّ من يقول إنه ثابت فيه، فقد وجب عليه أنه كما سلك ذاك، هكذا يسلك هو أيضا» (١ . يوحنا ٢ : ٦) ، (متى ١١ : ٢٩) ، (يوحنا ١٣ : ١٥) فهو الله من حيث لاهوته، وهو آدم الثانى من حيث ناسوته. لذلك، فإنه اعتمد من يوحنا وهو فى غير حاجة إلى المعمودية، لأن المعمودية هي لغفران الخطايا، والمسيح لم يكن فى حاجة إلى غفران الخطايا ـ ولذلك لما جاء المسيح يسوع إلى يوحنا المعمدان فى الأردن ليعتمد منه، اعترض يوحنا قائلاً : «أنا محتاج أن أنال المعمودية منك وأنت تأتى إلىّ؟» فأجاب يسوع قائلا له: «اسمح بهذا الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نتم كل بر» «ومن ثم طاوعه» (متى ٣ : ١٣ – ١٥).

كذلك **حل عليه الروح القدس بصفته إنسانا تماما كما يحل على كل معتمد من المؤمنين، وهذا هو (سر المسحة) الذى يمسح به المؤمن بعد المعمودية مباشرة، فيمتلئ بموهبة الروح القدس.**

على أن المسيح من حيث لاهوته كائن مع الآب والروح القدس منذ الأزل. لذلك سمى عماد المسيح فى المصطلح الكنسى بعيد (الظهور الإلهى)، **فالعماد كان للمسيح من حيث ناسوته**، لكنه هو عيد الظهور الإلهى «حتى إذا اعتمد يسوع صعد تواً من الماء، وإذا السماوات

قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة ومقبلاً عليه. وإذا صوت يجئ من السماء، قائلاً: «هذا هو ابنى حبيبى الذى به سررت» (متى ٣ : ١٦، ١٧).

والخلاصة إن المسيح له المجد هو الله ذاته وقد اتَّخذ له جسداً، «تخلى عن مجده، واتَّخذ صورة العبد، وصار فى شبه البشر، وظهر بهيئة إنسان» (فيلبى ٢ : ٧، ٨). ليكون نموذجا ومثالاً للإنسان لكى نتبع خطواته. فهو على الأرض بمثابة آدم الثانى، صنع ما يجب أن يصنعه الإنسان ليرد آدم إلى رتبته الأولى التى فقدها بالخطيئة.

نعم إنه ولد كإنسان، وسكن فى بطن العذراء تسعة أشهر كإنسان، وختن فى اليوم الثامن لميلاده، كإنسان، واعتمد من يوحنا المعمدان كإنسان، **ومسح بالروح القدس كإنسان، وامتلأ بالروح القدس كإنسان.**

كل ذلك لأن المسيح هو ابن الله وهو أيضا ابن الإنسان. هو ابن الله من حيث لاهوته وهو ابن الإنسان من حيث ناسوته أو إنسانيته.

هو ابن الله بمعنى أنه صورة الله الغير المنظور «عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد» (١ . تيموثيئوس ٣ : ١٦)، وهو ابن الإنسان لأنه اتَّخذ جسداً وظهر بهيئة إنسان، ولأنه ولد من مريم «لما تم الزمان، أرسل الله ابنه مولودا لإمرأة، مولودا فى حكم الشريعة» (غلاطية ٤ : ٤).

٢١ - الروح الناسوتية للسيد المسيح

سؤال:

هل الروح الناسوتية للسيد المسيح خلقت عندما تجسد فى بطن العذراء؟

الجواب:

طبعاً الروح الناسوتية مخلوقة، فالروح الناسوتية غير اللاهوت، لأن المسيح وهو الإله اتخذ إنسانية كاملة، والإنسانية الكاملة لابد أن يكون فيها الروح والجسد، لأنه كنائب عن البشرية لابد أن يكون روح وجسد. إذا كان الله أخذ جسد إنسان ولم يأخذ روحاً، يكون المسيح بهذا صار فادياً عن الحيوان، إنما إذا كان المسيح جاء لفداء الإنسان، فالإنسان كله يتركب من روح وجسد، فعندما نقول «الناسوت» أو «الإنسانية» معناها أن المسيح أخذ إنسانية كاملة، من روح ومن جسد. هذه الروح الناسوتية غير اللاهوت، وهى التى قال عنها الكتاب أنه على الصليب أسلم الروح. هنا الروح الإنسانية هى التى أسلمها على الصليب، لأنه حصل فصل ما بين الروح والجسد الإنسانى، أما اللاهوت فمازال متحداً بكل من الروح والجسد.

٢٢ ـ ناسوت السيد المسيح

سؤال:

واحد يقول من ناحية ناسوت المسيح له المجد هل كان يفعل كإنسان، هل كان يمرض كإنسان، هل كانت له رغبات مثل سائر البشر؟ أم كان جسده مماثل لجسد آدم قبل الخطيئة؟

الجواب:

الكلام الذى قاله الكتاب المقدس، «شابهنا فى كل شئ ما خلا الخطيئة وحدها»، وهذا هو الذى نقوله فى القداس الغريغورى، شابهتنا فى كل شئ ما عدا الخطيئة وحدها»، الناسوت فعلاً شابهنا فى كل شئ فكان فى البطن تسعة أشهر، وأخضع نفسه لكل شئ، الميلاد فى الموعد المحدد، والغطاس فى سن ٣٠ سنة. والختان فى اليوم الثامن. ولما تعب جلس على البئر، كل هذه الأشياء، وفى الصليب دخل الشوك فى جبينه وأدماه، ولذلك المسيح فعلاً تألم آلاماً حقيقية لم تكن آلاماً تمثيلية ظاهرية، لذلك قال «نفسى حزينة حتى الموت» فعلاً كانت أحزان شديدة جداً على قلبه من الناحية النفسية أيضاً غير الناحية الجسدية، ولذلك لولا مساندة اللاهوت للناسوت كان المسيح سيموت قبل الصليب، لأن العرق كان ينزل من جبينه مثل قطرات الدم، وهذا معناه أنه حصل اضطراب فى الغدد الصماء أدى إلى أن العرق ينزل كقطرات دم، فالمسيح أخذ جسد حقيقى مطابع لجسدنا مثل ما يقول الآباء. جسد قابل للتعب وللألم ولكل شئ لكن فيما عدا الخطيئة. وأيضاً خضع للحرب وسمح أن الشيطان يحاربه لكن يحاربه من الخارج، عن طريق الفكر مثل ما قاله له ارم نفسك من فوق إلى أسفل لأنه مكتوب، ويقول الكتاب «فيما هو قد تألم مجرباً قادر أن يعين المجربين» المسيح شابهنا فى كل شئ وشاركنا مثل ما يقول الرسول بولس فى العبرانيين شاركنا مشاركة لكن طبعاً ما عدا الخطيئة، لأن الجسد الذى أخذه جسد حقيقى وليس جسد خيالى، وهذا رد على أوطاخى لأن أوطاخى زعم إن جسد المسيح كان جسداً خيالياً، وطبعاً الكنيسة رفضت الأوطاخية، ولذلك نقول أن المسيح أخذ جسد مطابع لجسدنا وشابهنا فى كل شئ، وكل الآلام تحملها لذلك اللاهوت ساند الناسوت لأنه لولا مساندة اللاهوت للناسوت، لكان المسيح انهار ومات قبل الصليب كإنسان، لأن الآلام كانت شديدة جداً عليه، آلام جسدية وآلام نفسية وآلام روحية، لأنه كان فى موضع المغضوب عليه، لأنه أخذ وضع الإنسان والرب وضع عليه إثم جميعنا، والذى لم يعمل خطيئة صار خطيئة، هذا التعبير صعب جداً، أن المسيح صار خطيئة فطبعاً أكيد أنه كانت هناك آلام روحية إلى جانب الآلام النفسية والآلام الجسدية وآلام نتيجة إنكار يهوذا، وإنكار بطرس، واليهود الذين صنع معهم الخير، فهو شابهنا فى كل شئ ما عدا الخطيئة.

٢٣ - جسد السيد المسيح

سؤال : الله قبل التجسد كان بلا جسد، والله بعد التجسد كائن بجسده، فهل سيظل الله بجسد السيد المسيح له المجد إلى الأبد، لمجرد أخذ الجسد ليفدينا على الصليب أم أن الجسد المقدس انتهت خدمته بالفداء العظيم ؟

الجواب :

المسيح لما صعد إلى السماء صعد بجسده، وهذا هو السبب أو أحد الأسباب - لماذا صعد المسيح صعودا جهارياً علانياً أمام الجميع؟ صعد بجسده الذى هو من طبيعة جسدنا، ودخل به إلى السماء فوجد فداءاً أبدياً، وهذا هو الجمال فى أن المسيح بصعوده إلى السماء بهذا الوضع الجهارى العملى، أثبت أنه كفادٍ دخل إلى السماء بذبيحة نفسه، فالمسيح جسده مازال مرتبطا به، وحينما رآه يوحنا الرائى رآه فى الجسد، ولذلك أخذ فى سفر الرؤيا والأصحاح الأول يصف جلاله ووجهه ورأسه، ويصف عينيه أنهما كلهيب نار، ويصف يديه ورجليه كأنهما محميتان فى أتون، وبعد ذلك يقول «سقطت عند رجليه كميت» فهنا يصف أنه سقط عند رجليه، فله رجلان، ثم وضع يده اليمنى على رأسى، وقال لى لا تخف أنا هو الأول والآخر الألف والياء، البداءة والنهاية، الحى وقد مت فها أنا حىّ إلى أبد الآبدين، فرآه فى شكل إنسان له رأس وله وجه منير كالشمس وقت اشتدادها، وله عينان وله يدان، وله رجلان، ومتسربل بثوب من نور حتى قدميه، وهناك منطقة من ذهب عند ثدييه، فوصف كل الصورة الجسدانية التى له. وهذا هو المجد الذى أبقاه المسيح على طبيعتنا، أنه أخذ طبيعتنا الترابية واتحد بها وصعد بها إلى المجد وأجلسها على العرش. وهذا هو معنى ما جاء فى القداس الإلهى «أصعدت باكورتى إلى السماء» فجسد الإنسان الذى لم يكن له أن يدخل إلى السماء صار جسد المسيح، وهو من طبيعتنا، وهو الباكورة التى دخلت إلى السماء. وبعد ذلك يدخل البشر بعد يوم الدينونة والحساب. أصعدت باكورتى إلى السماء، ويعتبر أننا نحن الآن فى المسيح جالسين عن يمين الآب. لأنه أخذ طبيعتنا وجلس بها. ولكن ما نود أن نقوله أن هذا الجسد لا يحصر بهاء اللاهوت، ولو أن الله ليس له شبيه ولا مثال، إنما يمكن أن نقول أن مثل ذلك مثل ضوء المصباح، مع العلم أن هناك جسم زجاجى وهذا الجسم الزجاجى له طول وله عرض وله حدود، إنما النور يخرج من الجسم الزجاجى وينتشر فى أضعاف المساحة التى يشغلها الجسم الزجاجى فالمسيح على الأرض كان يحجب لاهوته فى ناسوته «لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد» إنما على جبل التجلى سمح للبهاء أن يظهر وكان

قدر البهاء ضئيل جدا بالنسبة للبهاء الحقيقى الكامل الذى هو عليه فى السماء، بدليل أن شاول (بولس) عندما رآه ووصف مجده قال: وهو فى رائعة النهار أنه رآه فى لمعان أكثر من لمعان الشمس، ولذلك أصيب بالعمى ثلاثة أيام من شدة البهاء، وهذه الصورة رآها الأنبياء قبل التجسد من مريم : حزقيال عندما رأى المسيح على جبل التجلى قال «رأيت السيد الرب جالسا على كرسى عال وأذياله تملأ الهيكل، أولا جالس على كرسيه (العرش)، وفى كل الأديان ينسب إلى الله أنه يجلس على عرش ثم يصف حزقيال النبى الكاروبيم وبهاء الكاروبيم وفوق الكاروبيم مقبب مثل البلور وفوق المقبب عرش أو شبه عرش. وفوق العرش شبه إبن إنسان أو شبه إنسان. وكلمة شبه هنا معناها أنه من كثرة البهاء والنور الشديد جدا، فالخطوط الخارجية حدود الجسد أو حدود العرش لا تكاد ترى من كثرة البهاء، وكذلك دانيال النبى يرد فى الأصحاح السابع من سفره أنه رآه شبه ابن إنسان فهذه أيضاً رؤيا للتجسد سابقة على التجسد من مريم العذراء وهذا ما نسميه التجسد، قبل التجسد.

٢٤ - يسوع بن يوسف (يوحنا ١ : ٤٥)

إنه ابن يوسف النجار على مقتضى التدبير الإلهى الذى شاء أن يتم بين يوسف ومريم عقد زواج رسمى عقده الكهنة بينهما قبل أن تنتقل مريم من بيت النذيرين فى الهيكل إلى بيت يوسف، وبالتالى قبل أن يبشرها الملاك جبرائيل بالحبل الإلهى منها. على أن هذا الزواج كان من نوع الزواج البتولى الذى لا يجرى فيه اختلاط جسدى بين الرجل وزوجته بدليل أن العذراء مريم اعترضت على قول الملاك لها «وها أنت ذى ستحبلين وتلدين إبنا تسمينه يسوع» (لوقا ١ : ٣١) قائلة «كيف يكون لى هذا وأنا لا أعرف رجلا ؟» (لوقا ١ : ٣٤) على الرغم من أن بشارة الملاك لها كانت بعد أن عقد الكهنة عليها وعلى يوسف، وبعد أن أخذها يوسف إلى بيته، مما يدل على أنها كانت معتزمة على حفظ بكارتها على الرغم من العقد الرسمى بينها وبين يوسف، حتى أن الملاك ظهر ليوسف فى الحلم وقال له يا يوسف بن داود، لا تخف أن تستبقى مريم إمرأتك، لأن الذى سيولد منها إنما هو من روح القدس... فلما نهض يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب واستبقى مريم إمرأته (متى ١ : ٢٠ - ٢٤).

ولو لم تكن مريم قد انتقلت بالفعل إلى بيت يوسف بعد إتمام عقد الزواج الرسمى، ثم قبلت بشرى الملاك لها هناك، لما قال الإنجيل عن يوسف «وإذا كان يوسف رجلها بارا، ولم يشأ أن يشهر أمرها، أراد أن يخلى سبيلها سرا» (متى ١ : ١٩) فهو إذن رجلها، ثم بعد أن رأى علامات الحمل عليها وهى فى بيته، وهو يعلم أن هذا الحمل ليس منه، أراد أن يخلى سبيلها سراً لأنه لم يشأ أن يشهر أمرها، وذلك بأن يخرجها من بيته خفية من دون أن يعلم أحدا بموضوعها حتى لا ترجم بموجب الشريعة. ثم يذكر الإنجيل بعد ذلك «ولكنه فيما كان يفكر فى ذلك إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا : يا يوسف بن داود، لا تخف أن تستبقى مريم إمرأتك لأن الذى سيولد منها إنما هو من روح القدس» (متى ١ : ٢٠).

وإذن فمريم زوجة رسمية ليوسف بموجب العقد الرسمى الذى بينهما وبناء عليه انتقلت بالفعل إلى بيت يوسف، وبعد ذلك ظهر لها الملاك جبرائيل وبشرها بالحمل الإلهى. وقد ذكر الإنجيل ذلك صراحة أن يوسف رجل مريم، وأن مريم إمرأة يوسف. يقول «ويعقوب أنجب يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح» (متى ١ : ١٦)، وأيضاً «وإذ كان يوسف رجلها بارا» (متى ١ : ١٩)، ثم «يا يوسف بن داود، لا تخف أن تستبقى مريم إمرأتك» (متى ١ : ٢٠)

وكذلك «فلما نهض يوسف من النوم، فعل كما أمره ملاك الرب، واستبقى مريم إمرأته» (متى ١ : ٢٤).

أما اعتراض مريم على بشرى الملاك لها وقولها له «كيف يكون لى هذا وأنا لا أعرف رجلا» (لوقا ١ : ٣٤) فيدل ليس فقط على أنها كانت بتولا قبل الحبل بيسوع المسيح (متى ١ : ١٨) وإنما أيضاً على أنها كانت قد نذرت البتولية لتظل بتولا كل أيام حياتها مقدسة جسدا وروحا، إذ كيف لفتاة عقد عليها عقد زواج رسمى، وانتقلت إلى بيت رجلها بالفعل، وقد ذكره الإنجيل صراحة أنه رجلها وهى إمرأته - كيف لفتاة هذا وضعها تعترض على بشرى الملاك مع أنه يكلمها بلغة المستقبل قائلا «وها أنت ذى ستحبلين وتلدين إبنا» (لوقا ١ : ٣١) وتقول بلغة الحسم «كيف يكون لى هذا وأنا لا أعرف رجلا» لو لم تكن قد نذرت نفسها للبتولية الدائمة والعفة الكاملة كل أيام حياتها؟!

ثم أن الملاك جبرائيل لم يوبخها على هذا الاعتراض ولم يلمها، ولكنه فى احترام وفى أدب جم أدرك مغزى إعتراضها مبينا لها أن هذا الحبل سوف لا يتعارض مع إحتفاظها ببتولتها، لأنه سوف يكون بالروح القدس، لا بزرع رجل «أن روح القدس سيحل عليك وقوة العلّى ستظللك» (لوقا ١ : ٣٥). فلما اقتنعت بأنها فيما ستكون أُماً ستظل عذراء دائما، عذراء دائمة البتولية، خضعت لمشيئة الله وإرادته وقالت على الفور «ها أنا ذا أمة الرب، فليكن لى حسب قولك» (لوقا ١ : ٣٨).

٢٥ ـ سر التجسد وضرورته

فى التاسع والعشرين من شهر كيهك (ويقابل الآن السابع من يناير) تحتفل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وجميع الكنائس التى تتبع التقويم الشرقى (ومنها اثيوبيا، وروسيا) بعيد الميلاد المجيد، وتحتفل به الكنائس التى تتبع التقويم الغربى فى الخامس والعشرين من ديسمبر ـ كانون أول ـ فقد جعلوه فى عيد الشمس، وبدلا منه، لأن المسيح هو «شمس البر والشفاء فى أجنحتها» كما جاء فى سفر ملاخى (٤ : ٢)، ومن عيد الميلاد تظهر ضرورة التجسد الإلهى.

قال آباء الكنيسة، ومنهم على الخصوص القديس أثناسيوس الرسولى فى كتابه «تجسد الكلمة»...

إنّ البشرية قد فسدت بالخطيئة فسادا تاما فلم يعد ثمت سبيل إلى إصلاحها. لذلك كان لا مفر من تغييرها تغييرا كاملا، وهذا ما تم بالفداء. وهو بعينه ما علم به أيضاً القديس أوغسطينوس مبرهنا بدوره على أن التجسد الإلهى كان ضرورة إقتضاها التدبير الإلهى لخلاص الإنسان.

فالمسيح له المجد فى حقيقته هو «الله الظاهر فى الجسد». (١ . تيموثيئوس ٣ : ١٦) وفيما هو ابن الله هو فى نفس الوقت ابن مريم أو ابن الإنسان. وهو ابن الله لا بمعنى أن الله يلد كما يلد الإنسان، لكنه ابن الله بمعنى أنه من طبيعة الآب ومن جوهره، ثم لأنه كلمة الله المتجسد، ولأنه صورة الله الغير المنظور. (كولوسى ١ : ١٥).

أما أنه ابن الإنسان، فلأنه أخذ صورة الإنسان وشكل الإنسان، وولد من مريم بحسب الجسد... على أنه وإن أخذ شكل الإنسان لكنه لم ينحصر بلاهوته فى ناسوته، وإنما مثله مثل النور فى المصباح الكهربائى، فالجسم الزجاجى لا يحدّ النور ولا يحصره، كذلك بهاء اللاهوت لم يحجبه الناسوت ولم يحصره الجسد الذى اتحذه الله الكلمة.

على أن اللاهوت اتحد بالناسوت فى المسيح إتحادا كاملاً وتاما، ولكن بدون إختلاط أو امتزاج أو تغيير.. فصار المسيح واحدا لا إثنين، طبيعة واحدة من طبيعتين، طبيعة واحدة لها خصائص الطبيعتين من دون إختلاط.. هذا الإتحاد التام ليس له نظير فى عالم المادة، لكنه يشبه من بعض الوجوه إتّحاد الروح بالجسد فى الإنسان، هذا الاتحاد الذى يجعل من الإنسان طبيعة واحدة تجمع صفات الروح وصفات الجسد فيما يسمى بـ «الطبيعة البشرية»، وهى لذلك طبيعة واحدة ولكنها طبيعة تتميز بأن فيها خصائص الروح وخصائص الجسد متحدة معا من دون إنقسام ومن دون إنفصال أو إنفصام.

واتحاد اللاهوت بالناسوت فى المسيح هو على غرار اتحاد النار بالحديد فيما لو وضعنا فى النار قضيبا من الحديد إلى أن صار الحديد متوهجا بالنار.. فالقضيب المتوهج يجمع بين النار وهى لها طبيعتها، والحديد وله طبيعته، لكنه صار يجمع بين خصائص الطبيعتين جمعا لا يمكن فيه الفصل بين النار والحديد، وهو جمع لا من قبيل المزج أو الإختلاط، ولا من قبيل التحول الكيميائى، لكنه اتحاد تام يعسر بل يستحيل معه الفصل بين النار والحديد.

ومع ذلك يجمع بين خصائص النار وهو التوهج والإضاءة والإحراق وبين خصائص الحديد وهى الصلابة والكتلة والوزن وما إليها من صفات..

هذا الموضوع جد مهم وخطير ويحتاج إلى جهد فى شرحه وتبيانه، للمسيحيين وغير المسيحيين، حتى يتحققوا أن التجسد سر عظيم، لكنه أيضاً يحمل معنى حب الله العظيم لخليقته. إنه من أجلنا ومن أجل خلاصنا اتخذ الله جسدا وحل بيننا (يوحنا ١ : ١٤) كما أنه حل فينا أى حل فى طبيعتنا، فصرنا نحن فى المسيح «شركاء الطبيعة الإلهية». (٢ . بطرس ١ : ٤).

إنَّ سر التجسد هو أيضاً سر الحب العظيم الذى أحبنا الله به «إلى هذا المدى أحب الله العالم» حتى إنه «نزل من السماء» (يوحنا ٣ : ١٣، ١٦)، (٦ : ٣٨، ٤٢، ٣٣، ٥٠) و «شاركنا فى اللحم والدم» (العبرانيين ٢ : ١٤)، وشابهنا فى كل شئ (رومية ٨ : ٣، ٢٩) ، (فيلبى ٢ : ٧) ، (العبرانيين ٢ : ١٧) ما خلا الخطيئة وحدها، لذلك «نحبه لأنه هو الذى أحبنا أولاً» (١ .يوحنا٤ :١٩).

ولا مراء فى أن الكلمة الإلهى فى تجسده لم يتخذ جسدا فقط، ولكنه اتخذ أيضاً معه روحا أو نفسا ناطقة متحدة بهذا الجسد. ولكن الإنجيل للقديس يوحنا بقوله «والكلمة اتخذ جسدا» (يوحنا ١ : ١٤) أراد أن يتحدث عن مظهر التجسد البارز والذى يتمثل فى الجسد. ولعل السبب فى ذلك، على ما نعلم، أن الرسول كتب إنجيله يرد به على بدع وتعاليم ضالة روج لها قوم مفسدون ضد التعليم الأرثوذكسى المستقيم، ومنها أن جسد المسيح لم يكن إلاّ خيالا وظهورا فقط. ولما كانت مثل هذه البدعة خبيثة هدامة، تلغى عمل الفداء الذى قام به المخلص فى جسده الذى سمرّ بالصليب، (كولوسى ٢ : ١٤) وتفوت على البشر حكمة الله فى التجسد، فقد عبر الرسول يوحنا عن ظهور الكلمة بعبارة يؤكد فيها حقيقة الجسد الذى اتخذه المسيح واتحد به فصار مع لاهوته طبيعة واحدة.

على أن عبارة الإنجيل «والكلمة اتخذ جسدا» (يوحنا ١ : ١٤) لا تفيد إندماج اللاهوت فى الناسوت أو اختلاطه به على ما يذهب أوطاخى، بدليل قوله بعد ذلك مباشرة «وحل بيننا ورأينا مجده» وإنما هى عبارة قوية الدلالة على مبلغ الاتحاد التام بين اللاهوت والناسوت بحيث «أصبحا» طبيعة واحدة بغير إمتزاج ولا تداخل ولا إختلاط ودون إنفصال أو إفتراق أو إنقسام.

ولعل هذه الآية وحدها كافية للبرهنة على خطأ ما يذهب إليه النساطرة من القول بالفصل بين الطبيعتين فى المسيح، وصحة ما يصر على القول به، آباء الكنيسة وعلى رأسهم البابا كيرلس الأول عمود الإيمان : «طبيعة واحدة للكلمة المتجسد».

٢٦ ـ لماذا يارب... لماذا؟ (١)

لماذا ولدت يارب فى بيت لحم..؟ هل كان ذلك صدفة؟ كلا، فنحن نؤمن أن شيئا ما ـ خصوصا بالنسبة لك ـ لا يمكن أن يقع مصادفة واتفاقا، فأنت يا مخلصى وخالقى ضابطُ الكون ومدبره.

إذن لماذا ولدت فى بيت لحم، ولماذا لم تولد فى الناصرة وهى موطن العذراء، أمك بالجسد... وموطن البار يوسف النجار الذى اتخذته لك أبا اعتباريا وهو ليس أباك على الحقيقة؟ لماذا؟

أكان ذلك لأن النبى ميخا تنبأ عن مولدك أنه سيكون فى بيت لحم؟

فى يقينى إنه لو لم يكن مقرراً من لدنك أن تولد فى بيت لحم لما كان النبى أنبأ عن ذلك... إذن فقرارك بمولدك فى بيت لحم كان أسبق من قول النبى بقرون وأجيال... بل لعله كان أيضاً قبل كل الدهور...

أحقا كان السبب، كل السبب، هو المرسوم الذى أصدره أوغسطس AUGUSTUS قيصر بإجراء تسجيل لسكان العالم كله، وأنه كان لابد لمريم ويوسف أن يسجلا اسميهما فى بيت لحم التى يصعد نسبهما إليها وأنك وقد أخضعت ذاتك بإرادتك لكل نظام عام، إحتراماً للنظام وتقديساً له، شئت أن تتم ولادتك فى ظروف ضيقة عسيرة كهذه، حتى تعطى لنا مثالا عمليا فى الخضوع للنظام المرسوم والمقرر والموضوع سابقا، وأنه واجب مقدس ينبغى أن يخضع له الجميع بغير إستثناء لأحد حتى لو كان هو الرب يسوع ذاته ؟

ومع ذلك يبقى، يا إلهى، السؤال قائما : لماذا شئت أن تولد فى زمن التسجيل الذى أمر به مرسوم أوغسطس قيصر.. إذ لولا هذا المرسوم لكان ميلادك جرى فى الناصرة؟ لماذا إذن لم تولد قبل ذلك أو بعد ذلك ؟

هل هناك قصد فى أن تولد بعيدا عن البلدة التى تقيم الأسرة فيها، حتى تتم ولادتك فى هدوء بعيداً عن الأهل والأقرباء والجيران... غريبا عن كل أحد... فتعانى الغربة والعزلة.... وتشارك المغتربين عزلتهم ووحدتهم وإهمال الناس لهم ؟

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ـ ٥ من يناير ـ كانون ثان لسنة ١٩٧٥م ـ ٢٧ من كيهك لسنة ١٦٩١ش.

لابد إذن أن يكون لك قصد، يا إلهى، فى أن يكون مولدك فى بيت لحم، لا فى الناصرة، ولا فى أورشليم.. وأن يقع ميلادك فى الزمن الذى تم فيه بالضبط، لا قبله بوقت، ولا بعده بوقت.. لابد أن يكون لك غرض فى إختيار مكان ميلادك وزمانه...

ثم لماذا ياربى، شئت أن تولد فى الليل، لا فى النهار ؟ أما كان النهار أفضل وأليق حيث الشمس ساطعة والناس فى صحو يغدون ويروحون؟ لماذا اخترت أن تحين ساعة ميلادك فى ظلام الليل حيث كل شئ راقد خامد هادئ... لماذا ؟

لماذا آثرت، ياسيدى، أن لا تعلم بمجيئك أحدا من كبار الناس وعظمائهم ؟

ثم لماذا لم يعلم بمجيئك هيرودس أو بيلاطس... وهم من حكام بلاد فلسطين.. وإنما علم به مجوس فى بلاد المشرق، فجاءوا من بعيد ليسجدوا ويقدموا لك هداياهم...؟

لماذا لم يعلم به رؤساء كهنة اليهود والكتبة وعلماء الشريعة، مع أنهم كانوا يتوقعونه قبل غيرهم، ويعرفون قبل كل الشعب أنه لابد آت، حتى إن هيرودس عندما جاء المجوس يسألون : «أين هو المولود ملك اليهود؟» جمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب، وسألهم : «أين ينبغى أن يولد المسيح؟» كانت إجابتهم حاضرة ومستعدة فقالوا له : «فى بيت لحم، بإقليم اليهودية لأنه هكذا كتب بواسطة النبى».

لماذا لم يعلم أولئك العلماء بمجيئك، وعلم به الرعاة البسطاء ؟

ثم لماذا شئت أن تولد فى ظروف قاسية ضيقة فلا يتوافر لك بيت ولا خان... فاستضافك الحيوان، ونزلت ضيفاً فى مذود للأبقار والأغنام؟

أى ربى!، أهذا منك إحتجاج أم زهد؟ أم هو عزاء للمتعبين والمضطهدين والمشردين والمظلومين من بنى الناس حتى يتبينوا أنه مهما أصابهم من ضيق ومن ضغوط فلن تبلغ بحال إلى مثل هذه الصورة الجافة القاسية التى رسمتها لنا فى مولدك ؟

لكن لماذا يا إلهى، لم تشفق حتى على جسدك الغض الذى اتخذته وتلبست به لتظهر فيه بيننا...؟ كيف رقدت فى مذود للبهائم، على العشب والقش والحب الخشن؟ إن الأرض الجرداء لأرق على طفل، لحمه طرى، من هذا المذود الجاف المتعظم... فلماذا كل هذه المعاناة ؟

ألعلك تريد أن تعزى الفقراء والمعوزين والمساكين والمسجونين والمأسورين والمنفيين والمعذبين فى الأرض ممن يعانون ضنك الحياة وقسوتها، بأنك قد بلغت فى شظف العيش

وجفاف الحياة ما لم يبلغه إنسان فى الوجود، فلن يتصور أحد أن يولد طفل لأفقر فقير فى مثل هذه الظروف الجافة القاسية التى ولدت أنت فيها.

نعم، هذا درس ثمين فى الإحتمال والصبر، درس فى المعاناة والألم،.... درس فى الزهد والحرمان، درس فى العزوف والصدوف عن أبسط صور الرفاهية.

ثم لماذا يارب، هربت من وجه هيرودس، حين بحث عنك ليقتلك ؟ هل خفت منه ومن غدره ؟ أما كان فى مقدورك أن تأمر الأرض فتفتح فاها وتبتلعه؟ أما كان فى استطاعتك أن تتخلى عنايتك عنه، فيهجم عليه الكارهون له - وهم كثيرون ممن عانوا من ظلمه وجوره - فيقتلونه ويخلصون الناس من شره ؟ أما كان فى إمكانك - على الأقل - أن تخلى رعايتك عنه، فتنال منه ميكروبات الأمراض، فيخر صريعا للمرض والموت ؟

لماذا يارب.. تترك الأمر إلى هذا الحد، فيطمع فيك أعداؤك..؟ لماذا تترك شر الرجل يستشرى ؟... فيشقى بشره الآخرون.. ألا تصنع يا إلهى معجزة فيؤمن الناس بقدرتك وأنت فى صورة طفل رضيع ؟... ويتنفسون الصعداء من ملك غادرشرير أشبع سيفه بالقتل، وأغرق الأرض بالدماء ؟.

لكنك يا مخلصى آثرت الهرب على البقاء... والهرب ليلا فى جنح الظلام... فطمع فيك هيرودس أكثر فأكثر، وقوى قلبه وتشجع، ووثق بنفسه وتجبر.. ولما تحقق أنك هربت من وجهه فرح ثم عاد فحزن... فرح لأنك بهربك منه اعتقد فى نفسه أنه انتصر.. وإلا فلماذا هربت ؟.. وفرح لأنه اطمأن إلى قوته.. وصدق نفسه أنه ملك إلى الأبد! ثم حزن لأنه كان يريد أن يشبع رغبته فى الإنتقام، فأفلت غريمه من بين يديه... يا للخسارة! إذن كيف يترك الأمر هكذا... إنه لن يهدأ له بال، ولن يغمض له جفن حتى يرى غريمه وقد مات.. وكيف يستطيع أن يرقد على فراشه هانئا، وغريمه حى ؟!.

لكن غريم هيرودس قد هرب إلى مصر وإلى برارى مصر... ومصر وبراريها ليست فى حدود مملكته، ولا تدخل ضمن نطاق إختصاصاته، ومع ذلك فليمض به غروره إلى ما هو أبعد.. ليرسل إلى مصر جواسيس من لدنه يرقبون ويتربصون بغريمه الدوائر، لعلهم يعثرون به ويقبضون عليه حيا، ويأتون به إليه.. فيتشفى به، ويضحك ملء شدقيه لأنه بهذا يكمل إنتصاره.

مسكين هيرودس، مسكين لا لأنه غبى... بل مسكين لأنه ذكى... إنه وضع تخطيطا محكما ليقتل المسيح، وأتاح له مركزه كملك أن ينجح فيما قصده، فتحت يده كل شئ... كل شئ... تحت يده الناس لأنه ملك، فإذا تكلم قال الناس : آمين. وتحت يده جند كثير... يأتمرون بأمره، ويتشرفون بتنفيذ إشارته لأنه ملكهم، ولأن واجبهم يقتضيهم أن يخضعوا لملكهم.. والمال ينساب بين يديه حلالاً لكل من يخضع.. وأهم من هذا كله أن بيده سلطان الأمر والنهى، ثم بيده السيف أيضا... لا سيف واحد بل سيوف وأسياف... يكفى أن يرتفع سيفه هو... لترتفع بإشارته كل سيوف جنوده من تحته...

مسكين هيرودس.. لأن ذكاءه الخارق قد أملى عليه أن يمسك سيفاً على طفل أعزل من كل سلاح.. طفل لا يملك غير اسمه.. مسكين هيرودس لأنه منزعج القلب مضطرب الفؤاد على الرغم من سلطانه، وعلى الرغم من أمواله، وعلى الرغم من سيفه، وعلى الرغم من سيادته على الناس بحكم مركزه ومنصبه... مسكين لأن طفلا ولد فى ظروف قاسية قد أقض مضجعه... ولكى يطمئنه أكثر هرب من أمام وجهه فى جنح الليل ليؤكد له أنه لا يريد من الدنيا شيئا.. وحتى بيت لحم التى يحسبها هيرودس أنها من نطاق مملكته... تركها له بالكلية.. بل ترك له بلاد فلسطين بأسرها.

فليس لهذا الطفل الإلهى مطمع فى أرض ولا فى ثراء ولا فى منصب، ولا فى شئ مما يحرص عليه هيرودس.. إن هذا الطفل الإلهى جاء من السماء لهدف كبير سام لا علاقة له أصلاً بمملكة هيرودس.. وإذن فليبق هيرودس حيا إلى أن تنطفئ شمعة حياته من ذاتها، وليبق لهيرودس ملكه وصولجانه، ولتبق له جنوده والناس من حوله.. ما شاء وما شاءوا،... وليضعوا على رأسه لا تاجا بل تاجين... أما أنت يارب، فما جئت لتدخل فى صراع رخيص مع هيرودس المسكين.. وإنما جئت لتعينه على أمره، لو كان يفهم.. ما أتيت لتهدمه بل أتيت لتبنيه لو كان يعقل.. إن ذكاءه من الأرض، لأنه من الأرض جاء.. وكذلك تخطيطه الذكى من تحت.. لأنه أرتضى لنفسه أن يكون مع الذين هم من تحت..

شكراً لك ياربى، وإلهى ومخلصى، لأنك قد ارتفعت فوق عداوة هيرودس... وحولت شره إلى خير... هربت منه فجعلته يفرح بهربك ويعتقد أنه تخلص منك، ولم تمسسه بسوء..

نعم لقد حولت، ياسيدى شره إلى خير... لأنه لولا شر هيرودس لما تباركت بلادنا مصر بمجيئك. إن هربك إذن لم يكن عن جبن واستخذاء، إنما هو عن حكمة إلهية تفوق عقل

هيرودس وعقول الناس جميعا... وليس فى هربك إنعزالية ولا سلبية لكنه سبيل الذى لا يقاومون الشر بالشر... لقد تركت هيرودس فى عاصمة ملكه يشهر سيفه يريد أن يقتل... وهربت.. فظل سيفه واقفا فى الهواء... ثم تعب المسكين من حمل سيفه فهوى، وهوى سيفه على رقبته. مسكين هيرودس.. أما أنت يارب فعظيم ومجدك ملء كل الأرض.

٢٧ - فى ميلادك يارب نتأمل فنتعلم (١)

هل رأت البشرية ميلاداً مشرقاً بالنور والطهر مثل ميلادك؟ يوم أن شئت أن تجئ إلينا، فى أرضنا، وتحل بيننا، وفينا أى فى طبيعتنا، وفى جسم بشريتنا، وتتلبس بإنسانيتنا كأنك منا، وواحد من بيننا، رغبت عن كل مظهر فى مظاهر الحفاوة المادية، ونافست فى زهدك وفقرك، جميع الزهاد وأفقر الفقراء، فلم يكن حتى فى الخان مكان، فاستضافك الحيوان.

ومع ذلك الإغفال من جانب الناس، تحركت الملائكة من السماء فى شبه مظاهرة روحانية، أضاءوا بنورهم ظلمات البيداء، وذهبوا يبشرون رعاة الأغنام.

وكان فى تلك الناحية رعاة بالبادية يتناوبون السهر بالليل فى حراسة قطعانهم. وإذا بملاك الرب يظهر فجأة قبالتهم، ومجد الرب يضئ من حولهم، فارتعبوا ارتعاباً شديدا. فقال الملاك لهم: «لا تخافوا فهاأنذا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب، إذ ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب».. ثم ظهرت بغتة مع الملاك كوكبة من جند السماء يسبحون الله قائلين : «المجد لله فى الأعالى، وعلى الأرض السلام، وبالناس مسرّته» (لوقا ٢ : ٨ - ١٤).

لقد كان أمراً رائعاً، بل أكثر من رائع، أن ملائكة السماء هم أول من حمل بشرى ميلادك إلى البشر. حدث هذا فى وقت كان الملك والحكام وجميع الناس نياما غافلين عن أعظم حدث غيّر وجه التاريخ.

وهنا يقف الإنسان مبهوراً ليسأل : هل جاءت الملائكة أو واحد منها ليبشر بميلاد نبى من قبل، أيا كان هذا النبى؟ إبراهيم الخليل؟ أو موسى الكليم رئيس الأنبياء؟ أو صموئيل الرائى ؟ أو داود مرنم إسرائيل الحلو ؟ أو إيليا الجبار الذى رفعته إلى السماء مركبة من نار؟ أو أليشع المكشوف العينين الذى كان يخبر ملك بنى إسرائيل بما يتحدث به ملك أرام وهو فى مخدع فراشه؟ أو إشعياء الذى رأى السيد الرب فى بهاء عظيم مستويا على عرش عال ومرتفع، وأذيال ثوبه تملأ الهيكل، والسارافيم واقفون من حوله..؟ أو إرميا النبى الذى كلمه الرب قائلا : «قبل أن أصورك فى البطن عرفتك، وقبل أن تخرج من الرحم قدستك، وجعلتك نبيا للشعوب..؟» أو حزقيال الذى تأهل أن يرى، فى رؤياه، الكروبيم حملة العرش الإلهى فى نار متواصلة ولمعان

---

(١) نشر فى جريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد - ٤ من يناير - كانون ثان لسنة ١٩٧٦م - كيهك لسنة ١٦٩٢ش.

رهيب ومن فوقهم يستوى الرب شبه إنسان..؟ أو دانيال كاشف الرؤى والأحلام الذى ناداه الملاك جبرائيل «يا دانيال أيها الرجل المحبوب..».

مَنْ مِنْ كل أولئك، أو غيرهم فى سلسلة الأنبياء جاءت ملائكة السماء تحمل البشرى بميلاده يوم ميلاده؟ من ؟

مَنْ مِنْ الملوك من قبل، أو من الكهان، جاء ملاك من السماء متهللا يبشر أهله أو غيرهم كما فعلت الملائكة يوم ميلادك، أيها المسيح الرب.. هل صنعت الملائكة ذلك يوم ميلاد داود أو فرعون أو الأسكندر المقدونى، أو كسرى أنَو شروان، أو داريوس أو هانيبال، أو نبوخذ نصر، أو حامورابى أو غيرهم من عظماء التاريخ أو الأباطرة أو القواد أو الفاتحين، ممن سجل التاريخ أسماءهم، وحسبوهم فى سجل الخالدين..؟

مَنْ مِنْ كل أولئك فرحت السماء بميلاده قبل الأرض، وجاءت الملائكة تحمل بشرى مولده إلى البشر، بمثل تلك المظاهرة النورانية الروحية التى أضاءت البيداء الغارقة فى ظلام دامس وسكون رهيب، كمثل ما فعلت الملائكة يوم ميلادك ؟

ولكن الملائكة لم تصنع ذلك يوم ميلادك فقط، لكنها رافقتك فى المذود من حولك ومن فوقك ومن تحت قدميك، وتابعتك فى هربك من وجه هيرودس، إلى مصر، وفى دخولك المبارك إلى أرض بلادنا حيث شرفتنا وباركت شعبك فى مصر، فذاب قلب مصر فى داخلها، وتحطمت تحت قدميك أوثانها وأصنامها، وهربت من وجهك شياطينها، وشاهدت بلادنا وأهلها آيات وعجائب لم يزل أثرها بل أثارها باقيا على الأيام فى كل محطة، حط فيها رحالك مع العذراء مريم والصديق البار يوسف خادم سر التجسد الإلهى..

فعندما انتوى هيرودس الملك أن يقتلك، ظهر الملاك ليوسف فى حلم قائلا : «قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر، وأمكث هناك حتى أقول لك، فإن هيرودس سيبحث عن الصبى ليهلكه». فلما مات هيرودس، إذا ملاك الرب يظهر فى حلم ليوسف فى مصر، قائلا : «قم وخذ الصبى وأمه وأذهب إلى أرض إسرائيل، فقد مات الذين كانوا يبتغون قتل الصبى» (متى ٢ : ١٣ -٢٠). وبعد العماد، وهو يوم الظهور الإلهى، صعدت إلى جبل التجربة حيث أتحت لإبليس فرصة ليقترب منك ويجربك، فلما انتهى من محاولاته الفاشلة، وارتد مدحورا مهزوما مبهورا أمام جلالك جاءت ملائكتك وراحوا يخدمونك (متى ٤ : ١١) ، (مرقس ١ : ١٣).

وتابعتك الملائكة تخدمك فى صورة منظورة أحيانا، وفى صورة غير منظورة أحياناً أخرى، حتى إنه يوم أن تكلمت مع الآب مناجيا إياه على مسمع من تلاميذك ومن جماهير الشعب وقلت للآب : «يا أبتاه مجد ابنك». فجاء صوت من السماء يقول : «مجدت وسأظل أمجد». فلما سمع الجمع الذين كانوا واقفين قالوا : «إنه رعد قد أرعد». وقال أخرون : «إن ملاكا هو الذى كلمه» (يوحنا ١٢ : ٢٨، ٢٩) مما يدل على أن خدمة الملائكة لك، يا سيدى، كانت أمرا مألوفا عند الجماهير التى عرفتك.

وتتابعت خدمة الملائكة لسيادتك الربانية، حتى إنه عندما هجم عليك، قواد جند الهيكل يصحبهم جمع عظيم بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب اليهودى، وأنت فى بستان جثسيمانى ليقتادوك إلى المحاكمة أمام مجمع السنهدريم - أعلى محكمة دينية عند اليهود - مد تلميذك بطرس يده واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى، قلت لتلميذك فى الحال «رد سيفك إلى مكانه، لأن كل من يأخذ بالسيف، بالسيف يهلك. أتظن أنى لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبى فيقدم لى فى الحال أكثر من إثنى عشر جيشاً من الملائكة؟» (متى٢٦ :٥٢، ٥٣).

ثم فى بستان جثسيمانى وقبل أن يهجم عليك قواد جند الهيكل ليعتقلوك، ظهر لك، فى البستان ملاك من السماء يقول لك : «لك القوة» (لوقا ٢٢ : ٤٣).

نعم لك القوة، ولك المجد. وعنك قال الأنبياء : «متى أدخل ابنه البكر إلى العالم يقول ولتسجد له جميع ملائكة الله» (العبرانيين ١ : ٦) ، (التثنية ٣٢ : ٤٣) (مزمور ٩٦ : ٧).

وبعد أن أتممت تدبير الفداء للبشرية، قمت من بين الأموات بسلطان لاهوتك، وصعدت إلى السماء بقدرة ذاتك، واستويت على العرش. وفى هذا يقول الوحى أيضا إنه «الذى صعد إلى السماء وهو عن يمين الله تخضع له الملائكة والسلاطين والقوات» (١ . بطرس ٣ : ٢٢).

مع الملائكة نسجد ممجدين لاهوتك، ومع المجوس على الأرض نسجد طالبين رحمتك علينا وعلى كل بشر، وعلى مصرنا، بلدنا المحبوب، وعلى كل بلاد المعمور، فإن الأرض كلها وما عليها لك إلى الأبد، آمين.

٢٨ ـ ترتيب قراءات فصول الإنجيل (١)

عجيب وجميل ترتيب قراءات فصول الإنجيل فى كنيستنا الأرثوذكسية فى ليلة عيد الميلاد المجيد. كان من المتوقع أن يُقرأ فى هذه الليلة العظيمة، فصل الإنجيل الذى يروى كيف ولدت العذراء مريم إبنها وأضجعته فى مذود البقر، إذ لم يكن لهما مكان فى الفندق. وفى الوقت نفسه ظهر الملاك لرعاة يتناوبون السهر بالليل فى حراسة قطعانهم، فارتعبوا إرتعابا شديداً، فقال الملاك لهم : «لا تخافوا فها أنا ذا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب، إذ ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب. وإليكم هذه العلامة : إنكم ستجدون الطفل مقمطا ومضجعاً فى مذود». ثم ظهرت بغتة مع الملاك كوكبة من جند السماء يسبحون الله قائلين : المجد لله فى الأعالى، وعلى الأرض السلام، وبالناس مسرته» (لوقا ٢ : ١ – ٢٠).

ذاك الفصل من الإنجيل الذى يروى قصة الميلاد، فى أوانها والأحداث التى صاحبتها لا تقرأه الكنيسة ليلة عيد الميلاد، كما هو متوقع، وإنما يقرأونه فى يوم آخر، يقرأونه فى اليوم السابق على ليلة العيد، وهو المسمى ببرمون الميلاد. أما فى ليلة عيد الميلاد وهى الليلة العظيمة التى نحتفل فيها بالميلاد فعلا، فيقرأون فصولا أخرى تباعد بين المحتفلين بالعيد وبين وقائع ليلة الميلاد ذاتها.

فما معنى هذا؟ ولماذا كان هذا؟

فى ليلة العيد، يقرأون من الإنجيل فصلين : فصلاً من القسم الأول من طقوس العيد المسمى رفع بخور باكر، وفصلا فى نهاية قراءات القداس نفسه.

أما فى رفع بخور باكر، فيتلون فصلاً من الإنجيل للقديس يوحنا مطلعه : «**والكلمة اتخذ جسداً، وحل بيننا**، وقد أبصرنا مجده، **مجد الابن الوحيد لأبيه**، الممتلئ من النعمة والحق. وقد شهد يوحنا (المعمدان) له ونادى قائلاً : «هذا هو الذى قلت عنه، **إن الذى يأتى بعدى قد تقدمنى، لأنه كان قبلى**. ومن ملئه جميعنا أخذنا. ونعمة أخذنا بدلاً من نعمة، لأن الشريعة بموسى أعطيت، وأما النعمة والحق فبيسوع المسيح كانا. الله لم يره أحد قط. **الابن الوحيد الذى فى حضن الآب** هو الذى أخبر عنه» (يوحنا ١ : ١٤ – ١٨).

---

(١) نشر بجريدة (وطني) فى عددها الصادر صباح الأحد ـ ٩ من يناير ـ كانون ثان ١٩٧٧م ـ ٢ من طوبة لسنة ١٦٩٣ش.

وكأن الكنيسة بقراءتها لهذا الفصل من الإنجيل للقديس يوحنا فى ليلة عيد الميلاد، تريد أن تعلمنا **أن المسيح لم يولد كما يولد أى نبى أو بشر.** فالأنبياء، والبشر عموما، يولدون ويميلادهم يوجدون، وقبل ميلادهم لم يكن لهم سابقا وجود. **أما المسيح فغيرهم جميعا.**

المسيح له وجودان : وجود قبل الزمان وقبل كل الدهور، ووجود فى الزمان بتجسده من العذراء مريم. أما وجوده السابق على ميلاده الزمنى من العذراء فهو وجوده الأزلى ،فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، **وكان الكلمة هو الله. كان منذ الأزل لدى الله. كل شئ به كان. وبغيره لم يكن شئ مما كان...** كان فى العالم. **وكان العالم به،** (يوحنا ١ : ١ – ١٠).

وإذن فلئن كان المسيح قد ولد فى الزمان فى صورة إنسان، لكنه كان كائنا بوجوده منذ الأزل. وأما ما نسميه بالميلاد، فى عيد الميلاد، **فهو فى حقيقته عيد تجسده: ،والكلمة اتخذ جسداً،** (يوحنا ١ : ١٤)، أو صار له جسد. **وإذن فالمسيح كان ولم يزل إلها**، كما يقول القديس أثناسيوس الرسولى. **أى أنه كان إلها قبل ميلاده الزمنى، ولم يزل إلها بعد ميلاده الزمنى.**

إن الإنجيل للقديس يوحنا لم يورد شيئا عن قصة الميلاد من العذراء مريم، تلك القصة التى رواها الإنجيل للقديس متى والإنجيل للقديس لوقا، ليس فقط لأنه أكتفى برواية متى ولوقا، ولكن لأنه أراد أن يحول النظر إلى الحقيقة الأعظم والأهم، وهى أن **ميلاد المسيح من العذراء مريم هو فى حقيقته ظهوره متجسدا. أما وجوده فأزلى قبل الزمان.** وهى الحقيقة التى وكَّد عليها الإنجيل للقديس متى أيضا، عندما أورد شهادة الوحى على فم أحد أنبياء العهد القديم، وهى شهادة تنطق **بأزلية الكلمة قبل التجسد.** لأنه هكذا كتب بواسطة النبى : ،وأنت يابيت لحم بأرض يهوذا، لست الصغرى بين ولايات يهوذا، لأن منك يخرج الحاكم الذى يرعى شعبى إسرائيل، **ومخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزل،** (متى ٢ : ٦)، (ميخا ٥ : ٢).

وبهذا أيضا شهد يوحنا المعمدان عن سيده المسيح. فعلى الرغم من أن يوحنا ولد قبل أن يولد المسيح جسديا بستة شهور، إلا أن يوحنا ،نادى قائلا : ،هذا هو الذى قلت عنه **إن الذى يأتى بعدى قد تقدمنى، لأنه كان قبلى،** (يوحنا ١ : ١٥) أى أن المسيح ظهر فى الجسد وفى خدمته بعد يوحنا بزمن، لكنه مع ذلك **يتقدمه فى الكرامة وفى الزمن : ،لأنه كان قبلى،**.

والمسيح له المجد قد أكد على حقيقة أزليته مرارا، فقد قال لليهود مرة «لقد تهلل إبراهيم أبوكم مشتهيا أن يرى يومى، وقد رأى وفرح»، فقال له اليهود : «إنك لم تبلغ الخمسين بعد، أفرأيت إبراهيم؟» قال لهم يسوع : «الحق الحق أقول لكم : قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» (يوحنا ٨ : ٥٦ – ٥٨) وكلمة «كائن» هنا لها رنين الكينونة الدائمة التى لا يتصف بها غير الله وحده. وهذا هو التعبير المستعمل فى سفر الرؤيا كثيرا.

«النعمة لكم والسلام من لدن **الذى هو كائن، والذى كان والذى سيأتى**» (الرؤيا١ :٤).

«أنا الألف والياء، البداءة والنهاية، يقول الرب الإله **الكائن والذى كان والذى سيأتى** القادر على كل شئ» (الرؤيا ١ : ٨).

«ولكل من الحيوانات الأربعة ستة أجنحة... ولا تزال ليلاً ونهاراً تقول : قدوس قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شئ، **الذى كان والكائن والذى سيأتى**» (الرؤيا ٤ : ٨).

«فَخَرَّ الأربعة والعشرون شيخا الجالسون أمام الله على عروشهم، وسجدوا على وجوههم لله قائلين : «نشكرك أيها الرب الإله القادر على كل شئ، **الكائن والذى كان والذى سيأتى**» (الرؤيا ١١ : ١٦، ١٧).

وفى مواضع أخرى من الإنجيل يتكلم المسيح مناجيا الآب متحدثا عن «**المجد الذى كان لى عندك من قبل كون العالم**» (يوحنا ١٧ : ٥) كما يقول للآب «لأنك أحببتنى **قبل إنشاء العالم**» (يوحنا ١٧ : ٢٤).

هذا هو السبب الحقيقى فى اختيار الكنيسة لفصل الإنجيل للقديس يوحنا، الذى يتحدث عن تجسد الكلمة فى ليلة عيد الميلاد، واستبعاد الفصل الذى يتحدث عن ميلاده الزمنى، حتى لا تنسحب أفكار المحتفلين بالعيد إلى أن المسيح بدأ وجوده بميلاده من مريم، بل بالأحرى **يتعلمون أن ميلاده هو فى حقيقته، ظهوره فى الجسد الذى اتخذه من مريم ليحتجب به لاهوته**..

وأما الفصل الآخر الذى يتلى ليلة عيد الميلاد فهو المأخوذ من الإنجيل للقديس متى، والذى يروى قصة المجوس الذين جاءوا من المشرق إلى أورشليم، ووصلوا إلى هناك بعد ميلاده

بشهور، قائلين : «**أين هو المولود ملك اليهود**، فإننا رأينا نجمه فى المشرق **وأتينا لنسجد له**»، ولما رأوه «خروا وسجدوا له، ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا من ذهب ولبان ومر» (متى ٢ : ١ - ١٢).

٢٩ ـ صانع السلام (١)

المسيح له المجد دعى «رب السلام» (٢ . تسالونيكى ٣ : ١١)، و «رئيس السلام» (إشعياء ٩ : ٦)، و «صانع السلام» (أفسس ٢ : ١٥)، وقد هتفت ملائكة السماء فى ليلة (ميلاده)، أو بالأحرى (تجسده) قائلة «المجد لله فى الأعالى، وعلى الأرض السلام» (لوقا ٢ : ١٤).

لذلك كانت رسالته التى جاء من السماء من أجلها هى رسالة «صنع السلام» و «المصالحة» بين الله الآب وبين الناس. أما الآب فهو الله ذاته من حيث (عدله) غير المحدود وغير المتناهى، الذى حكم على آدم وذريته بالموت الأبدى، والعزل الأبدى عن الله، والنفى الأبدى عن الحضرة الإلهية فى ملكوت السماوات. ولكن لقد رأى الله ذاته من حيث (رحمته) غير المحدودة وغير المتناهية، أن الإنسان تاب واستغفر، ولكنه لا يستطيع أن يقدم لله الآب الترضية الكافية لعدالته غير المحدودة.. **فرأى بمحبته ورحمته أن يقوم هو ذاته بهذه الترضية الكافية، فاتخذ جسدا ينفذ فيه حكم العدل الإلهى بالموت، وبهذا يفدى الإنسان إذ يموت بدلا من الإنسان، لأنه أخذ طبيعة الإنسان. ولما كان المسيح هو الله متأنسا، أو الكلمة الإلهى متجسدا، فقد صار الموت الذى يذوقه فى الجسد الذى اتخذه، ترضيه للعدالة الإلهية غير المحدودة، نظراً لأن اللاهوت المتحد بالجسد هو لاهوت الله الأبدى**، ومن ثم صار دم المسيح المصلوب عن آدم وبنيه دما ثمينا، وقيمته ليست قيمة دم إنسان وإنما قيمة الله ذاته الذى اتحد بالإنسان فى المسيح. **ومن هنا كان دم المسيح كفيلا برفع العقوبة الأبدية التى استحقها آدم ومعه كل ذريته فى جميع الأجيال إلى نهاية الدهر.**

يقول الكتاب المقدس فى سفر إشعياء النبى «فرأى الرب وساء فى عينيه، أنه ليس عدل. فرأى أنه ليس إنسان، وتحير من أنه ليس شفيع، فخلصت ذراعه لنفسه، وبره هو عضدة. فلبس البر كدرع، وخوذة الخلاص على رأسه،... ويأتى الفادى إلى صهيون، وإلى التائبين عن المعصية من يعقوب يقول الرب» (إشعياء ٥٩ : ١٥ – ٢٠)

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ـ ٨ من يناير ـ كانون ثان لسنة ١٩٧٨م ـ ٢٠ من كيهك لسنة ١٦٩٤ش.

ويقول الرب «**فنظرت ولم يكن معين، وتحيرت إذ لم يكن من عاضد، فخلصت لى ذراعى**» (إشعياء ٦٣ : ٥).

إذن الله ذاته الذى حكم علينا بالموت، فصرنا له أعداء، هو «**الذى صالحنا مع نفسه بيسوع المسيح**» (٢ . كورنثوس ٥ : ١٨) لأنه هو (المسيح) سلامنا الذى جعل الإثنين - اليهود وغير اليهود - شعباً واحداً، وهدم بجسده حائط السياج الحاجز الذى يفصل بينهما، أى العداوة، وأبطل بجسده شريعة الوصايا وما فيها من أحكام، ويصالح بينهما وبين الله فى جسد واحد بصليبه وقد قضى على العداوة فيه. جاء وبشركم بالسلام أنتم الذين كنتم بعيدين، كما بشر بالسلام الذين كانوا قريبين لأن لنا به جميعا سبيل الوصول إلى الآب فى روح واحد (أفسس ٢ : ١٤ – ١٨)، وفى المسيح، الكلمة المتجسد، تم لقاء السلام بين الله والإنسان «لأن فيه سر الآب أن يحل الملء كله، **وأن يصالح به الجميع مع نفسه، سواء ما فى الأرض أو ما فى السماء، صانعا به السلام بدم صليبه**» (كولوسى ١ : ١٩، ٢٠).

إنه حقاً أمر عجيب أن يتفضل الله فيصالحنا بنفسه، مع نفسه، ويصنع السلام معنا، وبنا، وفينا.

إنه هو الذى تقدم فصنع مبادرة السلام، هو الذى جاء إلينا، ومد يده إلينا ليصافحنا، ويصالحنا بمجيئه، وبعد ذلك بعمل الفداء الذى قام به، كنائب عنا، إذ وضع ذاته عنا، ومن أجلنا.

كيف إذن لا نحبه؟. إننا نحبه لأنه أحبنا فضلا «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولا» (١ .يوحنا٤ :١٩).

منك يارب نتعلم أن نحب إخوتنا. وإخوتنا هم إخوتنا فى الإنسانية وأن نمد أيدينا لهم بالسلام والمصالحة، وبذلك تتحول العداوة إلى وفاق وإلى خير للجميع.

«وسعداء هم صانعو السلام، فإنهم أبناء الله يدعون» (متى ٥ : ٩).

٣٠ ـ السلبية والإيجابية (١)

عندما جئت إلينا، يارب، لم نكن لك أحباء.. وإنما كنا لك أعداء.. **فجئت أنت إلينا، بذاتك، لتصالحنا معك**.. لقد أرسلت إلينا قبل مجيئك الوسطاء من الأنبياء، فطردناهم وقتلناهم. ومع ذلك، ومن فيض حبك ورحمتك، أتيت إلينا بنفسك حتى لو كان مصيرك معنا مصير الأنبياء من قبل.

أنت الذى أحببتنا أولاً (١. يوحنا ٤ : ١٩)، وأحببتنا فضلاً وتفضلا، فهل من فضيلة فينا أو من فضل.... إذا أحببناك نحن فى مقابل حبك لنا ورحمتك بنا؟

لقد أحببناك بعد أن أحببتنا مع مافينا من شر وإثم... ولقد أحببتنا لأننا خليقتك، فأنت الذى صنعتنا وجبلتنا وخلقتنا لك... وصنعتنا وخلقتنا لأنك أحببتنا، **فأنت «لا تمقت شيئا مما صنعت، فإنك لو أبغضت شيئاً لم تكونه**. وكيف يبقى شئ لم تُرِدْهُ، أم كيف يحفظ ما لست أنت داعيا له. **إنك تشفق على جميع الأكوان لأنها لك** أيها الرب المحب للنفوس (سفر الحكمة ١١ : ٢٥ – ٢٧).

مددت يدك لمصالحتنا (٢. كورنثوس ٥ : ١٨، ١٩)، ومددتها حتى إلى الصليب.... لتدفع عنا الثمن.... وبعد أن كنا مبيعين تحت الخطيئة (رومية ٧ : ١٤)، مستعبدين تحت أركان العالم (غلاطية ٤ : ٣) اشتريتنا بدمك من جديد، وأطلقتنا أحرارا لأنفسنا حتى لا نكون عبيداً للناس (١. كورنثوس ٧ : ٢٣).

جئت يا سيدى لخير البشرية، ولصالحها، فماذا صنعت البشرية فى مقابل حبك؟

لم يفهموك، فعادوك، وطاردوك... وظنوا أنك مقتحم ومغتصب... جئت لكى تؤسس لك على الأرض ملكاً (لوقا ١٩ : ١٢) ثم تعود... فانزعجوا خوفا على أنفسهم، وعلى نفوذهم، وعلى إختصاصاتهم... نهض هيرودس ملك اليهود، ليقضى على الفتنة فى مهدها... هكذا ظن نفسه مدافعا ومحاميا عن الحدود التى أنت تعديتها كما فهموا، أو كما شاءوا أن يفهموا...

وطردوك، يا سيدى... فقد أعلنوا أنهم لا يريدونك... ثم طاردوك... طردوك من بلاد فلسطين، فهربت منها إلى مصر فى جنح الليل... ولما علموا بهربك لم يستريحوا لقرارك فى أن

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ـ ٧ من يناير ـ كانون ثان لسنة ١٩٧٩م ـ ٢٩ من كيهك لسنة ١٦٩٥ش.

تبقى فى الوجود... لقد أصدر عليك الأغبياء قراراً : أن يلغوا هم وجودك، ووضعوا خطة ذكية محكمة لتنفيذ قرارهم ..... فلما أفلتّ، يا سيدى من بين أيديهم، تميزوا بالغيظ فقرروا أن يطاردوك فى كل مكان... ذهبت إلى مصر، فليذهبوا هم أيضا إلى مصر... بعيونهم وجواسيسهم، يترصدونك ويتتبعونك...

لكن، لماذا يا سيدى هربت؟ وهل مثلك يهرب؟ وممن تهرب؟ هل خشيت هيرودس؟ أما كان فى قدرتك أن تصرعه وتقتله وتلغى من الدنيا وجوده ؟

هل أجرؤ، يا سيدى، أن أقول ما يقوله أهلنا وأبناء عصرنا المثقفون والمتدينون، بلغة العصر العلمانية : لماذا كانت منك هذه السلبية ؟ لماذا ؟

أو ماذا هم يتوقعون منك لتكون إيجابيا فى نظرهم؟... هل ينتظرون أن تدخل فى صراع وحرب مع هيرودس.. هل هذه هى الإيجابية؟ إن هيرودس يرى فيك شوكة تقض مضجعه، وتخنق حريته... فلماذا تضايقه؟ لذلك تركت له الجو كله يسرح ويمرح كما يشاء، وليس من يمنع يده أو يقول له : ماذا تفعل؟

إذا تنازع إثنان على أمر، كل يرى فيه رأيا، فرأى أحدهما أن يتركه لخصمه، ويوفر على نفسه جهده وأعصابه ووقته ليبذلها فى أمر نافع، فهل يلام على ذلك أم يشكر؟ ولماذا يتهمونه بالسلبية..؟ إنه بذلك الترك يتجنب الصراع، ويتفادى الخصام، ويشترى السلام... إنه يهرب من الهدم ليتوافر على البناء... يهرب من الشر ليزرع الخير فى جانب آخر من الأرض.. وهذه هى الإيجابية الحقيقية.

ألم يقل الحكيم «الذكى يبصر الشر، فيتوارى» (الأمثال ٢٢ : ٣)، (٢٧ : ١٢). ألم تقل أنت ياربى «ومن أراد أن ينازعك ويأخذ ثوبك فاترك له رداءك أيضاً» (متى٥:٤٠)؟

إذا كانت هذه، يارب، سلبية، فأنعم بها من سلبية... ويالليت الإيجابية كما يفهمها أهل دنيانا تكون كهذه السلبية النافعة المسالمة المترفقة المذعنة والبناءة الفعالة الخلاقة!

لقد كان فى قدرتك، يا سيدى، أن تقتل هيرودس، فإن حياته بيدك، ولكنك لم تشأ أن تعدمه الحياة.. واتخذت عداوته ومطاردته لك ذريعة يُبرِّر بها مجيئك إلى مصر. **وهكذا قصد هيرودس بك شرا، فتحول شره إلى خير لبلدنا مصر، فتباركت بك!**

آه، يارب، هل نقول إن هيرودس صنع بنا نحن المصريين خيرا؟!

نعم، لأنه لو لم يعتزم هيرودس قتلك، هل كنت ستأتى إلى مصر؟ إنك لم تذهب إلى بلد آخر. **هذا شرف لمصر وللمصريين لم ينله شعب آخر أو أرض أخرى..** أليس لهذا صرخ النبى إشعياء قديما بلسان الرب «**مبارك شعبى مصر**» (١٩ : ٢٥) ؟

هل هناك إذن من يجرؤ فى صدق على أن يقول «إن الهرب من وجه الشر، سلبية؟ أليس هو الإيجابية عينها فى الحقيقة والجوهر؟!

وإذا كان ما فعله الرب يسوع سلبية، فالإيجابية كيف تكون؟!

٣١ ـ لماذا ولدت يارب فى بيت لحم ؟ (١)

إذا قلنا (الميلاد) فنحن نعنى (التجسد). فعيد الميلاد هو عيد التجسد الإلهى، إذ كيف يكون للإله ـ وهو أزلى ـ ميلاد بالمعنى المتداول للميلاد بالنسبة لكل بشر؟!

إنما المسيح ولد (بحسب الجسد)، أى أن «**الكلمة اتخذ جسداً**» (يوحنا ١ : ١٤) ... هذا الجسد لم يكن له سابقا وجود، فتكون من الروح القدس ومن دم العذراء مريم، ثم اتحد به (الكلمة) الذى حل به وفيه، **من دون أن يخلى السماء وكل الكون من وجوده وحضوره الدائم**، كما حل فى العليقة وكلم منها النبى موسى (**الخروج ٣ : ٢ - ١٢**) **من دون أن يخلى السماء وكل الكون من وجوده وحضوره الدائم** (الرؤيا ١ : ٨). ولما لم يكن هذا الجسد موجوداً من قبل أن يظهر فيه الكلمة، لذلك جاز أن نقول عن هذا التجسد إنه ميلاد، ونعيّد للتجسد ما يعرف بعيد (الميلاد). «**ذاك الذى كان منذ البدء**». ذاك الذى رأيناه بعيوننا، ذاك الذى تأملناه، ذاك الذى لمسته أيدينا.. **فإن (الحياة) تجلت**. فرأيناها ونشهد **ونبشركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب، وتجلت لنا**. ذاك الذى رأيناه وسمعناه...» (١. يوحنا ١ : ١ - ٣). فالأزلى **الذى كان منذ البدء، وهو «الحياة»** (يوحنا ١١ : ٢٥)، «**ظهر فى الجسد**» (١. تيموثيوس ٣ : ١٦).

لكن لماذا يا إلهى عندما أردت أن تتخذ جسدا تظهر فيه، اخترت أن يكون ظهورك الأول، أو ميلادك، فى بيت لحم، هذه القرية الصغيرة... ولم تشأ أن يكون هذا الظهور أول ما يكون فى عاصمة كبيرة مثل أورشليم أو غيرها من عواصم العالم حتى يكون ظهورك عيانا لأكبر عدد من الناس، ولأهمهم وأوضحهم وأبرزهم وأغناهم، وأميزهم فى الحسب والنسب والمنصب؟ **لماذا اخترت أن يكون ظهورك الأول فى مكان منزوى، فى قرية لا فى المدينة؟**

أليس لأن (بيت لحم) هى مدينة داؤد النبى والملك (لوقا ٢ : ٤)، (يوحنا ٧:٤٢) ... وأنت يا سيدى عندما ظهرت فى الجسد، ظهرت فى المكان الذى ينتسب إلى الملك داود (١. صموئيل ١٧ : ١٢، ١٥)، (٢٠ : ٦، ٢٨)، وهو الذى يفخر اليهود بنسبتهم إليه،

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ـ ١١ من يناير ـ كانون ثان لسنة ١٩٨١م ـ ٣ من طوبة لسنة ١٦٩٧ش.

ليس فقط لأنه من سبط يهوذا أو قبيلة يهوذا، بل لأنه أعظم ملوكهم شأنا وأقربهم إلى الله وقد شهد الرب عنه «وجدت داود بن يسى رجلا حسب قلبى الذى يصنع كل مشيئتى» (أعمال١٣: ٢٢) ، (مزمور ٨٨ : ٢٠)، (١ . صموئيل ١٣ : ١٤)، وهو الذى وعده الرب قائلا «ومملكتك إلى الأبد أمامك. عرشك يكون ثابتا إلى الأبد» (٢ . صموئيل ٧ : ١٦، ١٣) ، (مزمور٨٨ : ٣٦، ٣٧) ، (١٣١ : ١١، ١٢).

ولما جئت يا مخلصى من نسل داود حسب الجسد (رومية ١ : ٣)، (٩ : ٥) ، (متى ١ : ١)، ودعيت لذلك (ابن داود) (متى ٢٢ : ٤٢، ٤٥)، كان لابد أن تجلس ملكا على عرش داود إلى الأبد «**ولن يكون لملكه إنقضاء**» (لوقا ١ : ٣٢، ٣٣) ، (دانيال ٢ : ٤٤).

لقد قال النبى ميخا «وأنت يا بيت لحم أفراته إنك صغيرة، فى ألوف يهوذا. ولكن منك يخرج لى من يكون متسلطاً على إسرائيل. ومخارجه منذ القديم، **منذ أيام الأزل**... ويكون هذا سلاما» (ميخا ٥ : ٢ – ٥) وكانت نبوءة ميخا النبى، هى عنك يا سيدى الرب. فأنت الذى **اتخذت جسدا مع أنك الأزلى الذى لا بداءة له** «مخارجه منذ القديم، **منذ أيام الأزل**، «فى البدء أسست الأرض، والسماوات هى صنع يديك. هى تزول **وأنت تبقى**» (مزمور١٠١: ٢٥) «**منذ البدء.. من الأزل مسحت، من الأول** من قبل أن كانت الأرض... قبل أن أقرت الجبال وقبل التلال..» (الأمثال ٨ : ٢٢ – ٢٤) ثم فى ملء الزمان، وعندما حان الوقت (غلاطية ٤ : ٤) وفقا للتدبير الإلهى، شئت أن تتخذ لك جسدا، من أجل خلاصنا. ولدت كإنسان، وكإنسان صرت رئيس خلاصنا (العبرانيين ٢ : ١٠)، (أعمال ٥ : ٣١) **وملكا متسلطا على إسرائيل القديم وإسرائيل الجديد**. أما إسرائيل القديم فهو اليهود بنو إسرائيل وأنت الملك عليهم كما أنبأتهم أنبياؤهم «أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل» (يوحنا ١ : ٤٩) ، (١٢ : ١٣) ، (متى ٢٧ : ٤٢) ، (مرقس ١٥ : ٣٢) . وأما إسرائيل الجديد، إسرائيل حسب الروح، فهى كنيسة المسيح، كنيسة العهد الجديد (رومية ٢ : ٢٧، ٢٨) وأنت بالحقيقة «ملك إسرائيل» الجديد (يوحنا ١٨ : ٣٣، ٣٩) ولذلك جاء المجوس من المشرق عند ميلادك يقولون «أين هو المولود ملك اليهود. فإننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له» ومما له دلالة هنا أن المجوس أتوا يقولون أين هو المولود ملك اليهود، فإذا بهيرودس يجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب ويسألهم : «أين ينبغى أن يولد المسيح؟» مما يدل على أن الملك فى أذهان اليهود إنما هو المسيح بذاته، وفى الوقت نفسه. وقد كان رؤساء الكهنة على علم تام بذلك بحسب ما ورد فى

أسفار الأنبياء السابقين، وكانت الإجابة فى أفواههم حاضرة ومسنودة بأقوال الأنبياء، «فقالوا له : فى بيت لحم التى بإقليم اليهودية لأنه هكذا كتب بواسطة النبى : «وأنت يا بيت لحم بأرض يهوذا، لست الصغرى بين ولايات يهوذا، لأن منك يخرج الحاكم الذى يرعى شعبى إسرائيل» (متى٢ :١- ٦).

إذن يسوع المسيح هو ملك إسرائيل الموعود به بالأنبياء (زكريا ٩ : ٩)، وملكه أبدى، وليس له إنقضاء (دانيال ٧ : ١٤، ١٨، ٢٧) «ومملكته على الكل تسود» (مزمور ١٠٢ : ١٩) وميلاده فى بيت لحم كان ليبان أنه هو بعينه الملك الذى أنبأ عنه الأنبياء أنه سيولد فى بيت لحم مدينة الملك داؤد، وأنه هو الذى سيقوم على عرش داود الروحى ملكا إلى الأبد.

إذن، كيف بعد هذا كله، يتنكر لك اليهود، ويرفضونك ملكاً عليهم؟ كيف بعد أن شهد الأنبياءعنك، وبعد أن تحقق جميع ما قاله الأنبياء فيك يعود اليهود فينكرون عليك أنك المسيح المنتظر، وملك إسرائيل الحقيقى، وينصرفون عنك إلى آخر ينتظرونه، إلى اليوم ويتوقعون ظهوره فى مستقبل الأيام؟!

كيف عميت عيونهم، واظلمت بصيرتهم، فلم يفهموا، ولم يدركوا أنك أنت بذاتك ملكهم ومسيحهم الذى جاء لخلاصهم وخلاص العالم؟!

لقد أعمى الحسد (متى ٢٧ : ١٨) والحقد قلوب رؤسائهم، لأنك وبختهم على تبلد إحساساتهم وكبريائهم ورياءهم، وبكتهم على طمعهم وجشعهم وتحجر عقولهم وإنصرافهم عن جوهر الشريعة وعمق حكمتها إلى شكليات بلا روح، فأساءوا إلى الشريعة من حيث ظنوا أنهم حفاظها وحراسها. وقاوموك وناهضوك وأخيرا ثاروا عليك وصلبوك...

ويبرر يهود اليوم رفض آبائهم لك بأنك لم تخلصهم من نير الرومان، فكيف تكون أنت (المخلص) الذى وعدهم به الأنبياء؟. لقد سألوك : إذا كان يجوز لهم أن يعطوا الجزية لقيصر، فلم تحارب من أجلهم قيصر ولا رفعت نيره عنهم، بل قلت لهم : أعطوا إذن ما لقيصر لقيصر، وما لله لله (متى ٢٢ : ٢١)، فاستنبطوا من إجابتك، أو هكذا برروا رفضهم لك، بأنك لست المخلص الموعود به، إذ كان الخلاص فى مفهوم قادتهم هو الخلاص ليس من الخطيئة أو العقوبة الأبدية فى جهنم النار الأبدية كما تشير أقوال الأنبياء، إنما الخلاص كما أرادوه هو الخلاص من أعدائهم الجسدانيين، وهم الرومان...

وهذا هو المفهوم الذى مازال مسيطرا على عقول يهود اليوم. إنهم ينتظرون مسيحا آخر من طراز شمشون الجبار ومن إليه من قضاة بنى إسرائيل وقادتهم الحربيين ليخلصهم من الفلسطينيين بخاصة، ومن العرب بصفة عامة.

هذه هى الصورة الذهنية التى يرى فيها يهود اليوم فى إسرائيل، وخارج إسرائيل، المسيح المنتظر، المسيح المخلص. إنه الذى يعلن ذاته ملكا عليهم، يحارب أعداءهم بالسيف والنار، ويجعل منهم مملكة قوية، ومن فلسطين أرضا لمملكتهم، ومن أورشليم عاصمة لحكومتهم، ومن الهيكل كرسياً للحكم... وهذا هو حلم الصهيونية الكبير : المملكة... والأرض،... وأورشليم القدس عاصمة للمملكة،... ثم الهيكل وفيه الكرسى الذى يجلس عليه وفيه المسيح حاكما وملكا وإلها على الجميع... ليس على الإسرائيليين وحدهم، ولكن على جميع الخلق فى جميع الأمم...

هذا هو المسيح الدجال، وهو حلم إسرائيل اليوم، والمخلص المنشود، وقد وصفه القديس بولس الرسول بأنه «إنسان الخطيئة، ابن الهلاك، المعاند والمترفع فوق كل من يدعى إلها أو معبودا، حتى إنه يجلس فى هيكل الله كإله، مظهرا نفسه أنه هو الله... ويكون مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة، وبالعلامات والعجائب الكاذبة، وبكل خديعة الإثم فى الهالكين، لأنهم لم يقبلوا محبة الحق ليخلصوا... وأما نهاية (الدجال) فستكون على يد الرب يسوع المسيح فهو الذى سيبيد الدجال «بنفخة فمه، ويبطله بظهور مجيئه» (٢. تسالونيكى ٢ : ١ - ١٢).

ومهما يكن من أمر، **فإنك يا سيدى بميلادك فى (بيت لحم) قد جعلت من هذه القرية الصغيرة، والتى كانت تحسب حقيرة بين جميع مدن فلسطين، أشهر بلدة فى العالم**... فليس يعد المكان عظيما وشهيرا بموقعه، ولا بما يتوافر له من أسباب الرفاهية، ولكن بما يناله من شرف من يحل ويقيم فيه. وأى شرف تناله قرية أو مدينة أعظم من الشرف الذى نالته بيت لحم بميلاد الرب يسوع فيها!

بيت لحم، تفسيرها بالعبرانية «**بيت الخبز**» - ومازالت بيت لحم هى بيت الخبز، غير أن الخبز هنا ليس هو الخبز المادى، ولا هو المن الذى أكله بنو إسرائيل فى البرية وماتوا.. **إنما الخبز هنا هو الخبز السماوى، هو يسوع المسيح، هو أنت أيها الرب الإله.**

وليس من عندنا أتينا بهذا المعنى، فأنت يا سيدى هو الآتى من السماء، النازل من السماء، والذى يهب الحياة للعالم.

لقد قلت وناديت «**أنا هو خبز الحياة**. آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا. **أما هذا فهو الخبز النازل من السماء، ليأكل منه الإنسان فلا يموت. أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء. من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى أعطيه أنا هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم... هذا هو الخبز الذى نزل من السماء**. وهو ليس كالمن الذى أكله آباؤكم ثم ماتوا. من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد» (يوحنا ٦ : ٤٨ - ٥٨).

نعم، أنت يارب قد نزلت من السماء، لتهب الحياة للعالم، واتخذت لك جسداً، وباتحاد اللاهوت به، **صار جسدك ليس حيا إلى الأبد فقط، بل صار أيضاً قادراً على أن يهب الحياة، لقد صار الجسد الحى والمحيى.**

والكنيسة، صارت هى (بيت لحم)، بيت الخبز السماوى، لأنه فيها ننال الخبز السماوى، فيها نأكل من المائدة الربانية، ووليمة العرس السمائى.

شكراً يارب لسر التكاثر، سر المائدة الرَّبيَّة. لقد كان لبنى إسرائيل فى القديم بيت لحم واحدة يحجون إليها لأنها مدينة الملك داود. أما فى العهد الجديد، فقد صار لنا فى كل كنيسة مقامة بيت لحم، أى صار لنا عدد من بيت لحم بقدر ما لنا من كنائس!

٣٢ ـ لماذا أعطى الله وصية لآدم وهو يعلم أنه سيعصيها

سؤال: من الابن الدكتور الفونس ميخائيل سعد.

يقول لماذا أعطى الله المحب وصية لآدم وهو يعلم بسابق علمه أنه سيعصاها؟

الجواب:

لقد أعطى الله وصية لآدم، وهو يعلم أنه سيعصيها.

إن الله خلق آدم وأعطاه وصية هى لخير آدم ولصالحه، وحتى يحيا آدم سعيداً وناجحاً وسليماً بالروح والذهن والبدن.

ونحن نعلم أن الله خلق الإنسان لخير الإنسان، لأن الوجود خير من العدم. ذلك لأن الله فى ذاته فى غنى عن الإنسان، لكنه خلق الإنسان لخير يعود على الإنسان. وذلك لينعم مع الله، إذ الله هو الخير الأقصى والجمال والكمال، بغير حدود، ولأنه هو تعالى الخير الكامل، فأراد أن يخلق الإنسان ليشاركه سعادته ولكى يسعد هو بالوجود مع الله.

أما الوصية فهى نور للإنسان، ليعرف كيف يحيا بها الإنسان سعيداً، ولا يتعثر أو يضل، فيشقى. فالوصية هى نصح من الحكيم وحده، كلىّ العلم وكلىّ الحكمة. الله الآب، محب البشر، الذى خلق الإنسان لخير الإنسان، فالوصية هى إرشاد وتنوير، فإذا عمل بها الإنسان انتفع بها، وصار بها وجوده سعيداً، فالله الخالق للإنسان يرشده بالوصية وينير طريقه، فهو بمثابة الأب المختبر الحكيم الذى ينصح ابنه نصائح لنفعه وليتجنب بها الزلل والخطأ.

والمتأمل فى جميع الوصايا التى وردت بالكتاب المقدس يتبين أنها جميعها هى ارشادات لخير الإنسان ونفعه ولن تجد وصية واحدة لمجرد التحكم أو لامتحان الإنسان.

خذ مثلاً لذلك الوصايا العشر جميعها واحدة واحدة تجدها كلها إرشادات إذا عمل بها الإنسان يحيا سعيداً وناجحاً ونافعاً لنفسه وللأغيار من الناس بل وأيضاً لجميع الخلائق الحية والجامدة.

ثم بالتأمل أيضاً فى الوصايا الخاصة بالطاهر والنجس، والحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة، جميع الوصايا هى نافعة لصحة البدن والروح، فأكل الدم والمخنوق والجيفة وما إليها هى كلها ضارة بصحة الإنسان روحاً ونفساً وبدناً.

وإذن فالوصية للإنسان هى لخير الإنسان وليست ثمت وصية واحدة فى كل الكتاب المقدس إلا وهى نصيحة حكيمة من أب حكيم يبغى صالح الإنسان ونفعه.

أما أن الله يعلم بأن الإنسان سيعصى الوصية، فهذا العلم السابق لا يمنع ولا يحبس عن الله وصيته إلى الإنسان التى يبتغى فيها وبها خير الإنسان ونفعه وسعادته.

٣٣ ـ هل كان الله ينتظر آدم أن يعترف بخطيئته؟ (١)

سؤال: يقال أن الله كان ينتظر إعتراف آدم بخطيئته فيصفح عنه. كيف يكون هذا مع أنه لابد من حكم الموت حسب عدله؟

إن هذا القول لا تعلم به كنيستنا، لأنه يتناقض تناقضا تاماً مع نظرية الفداء التى تقوم عليها المسيحية. والتى يمكن أن نقول فيها إنها نقطة الارتكاز التى تدور عليها الديانتان اليهودية والمسيحية معاً.

حقاً إن الله أخذ يسائل آدم بعد السقوط ليمهد له سبيل الإعتراف بخطئه، ولكن الإعتراف لن يكون كافياً أمام العدالة الإلهية، وإن كان لازماً لتجد الرحمة لها سبيلاً للاتفاق مع العدالة فى حل للمشكلة الإنسانية. ويبدو أن آدم وخيرة أبنائه من بعده، قد نجحوا فى هذا الإعتراف والإقرار بحاجتهم إلى الخلاص فى هذه الذبائح التى كانوا يقدمونها ليستدروا مراحم الله عليهم من جهة، ويقروا بحاجتهم إلى شفيع ووسيط يكون فى دمه وسيلة الخلاص والكفارة والفداء. وليس دم الذبائح غير رمز وإشارة للدلالة على دم الذبيح الأعظم الذى يتوقعون ظهوره فى مستقبل الأيام. ولما كانوا ينتظرونه ويترجونه بعين الإيمان، فكان لابد من هذه الذبائح ليكون سفك دمها إلحاحاً مستمراً، وتذكرة دائمة بحاجتهم إلى خلاص المسيح وإيمانهم به وفيه.

فالإعتراف يستدر الرحمة الإلهية، ولكنه لا يُرضى العدالة الإلهية. والتوفيق بينهما تم على الصليب حيث «الرحمة والحق تلاقيا، والعدل والسلام تلاثما» (مزمور ٨٤: أو ٨٥: ١٠، ١١).

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد لسنة ٣ عدد ٦، ٧ ـ سبتمبر ١٩٤٩م.

سـر الفـــداء

صفحة

سـر الفـداء ٢٠٩

القيم الروحية فى عقيدة الفداء ٢١٠

أهمية الفداء فى الديانة المسيحية ٢١٣

ما هى الخطيئة؟ ٢١٥

خطيئة الإنسان الأول ٢١٧

لماذا أعطى الله وصية لآدم؟ ٢١٨

لماذا لم يخلق آدم معصوما من الخطيئة؟ ٢٢٠

لماذا خلق الله آدم حرا مع علمه السابق بأن آدم سيعصاه؟ ٢٢٠

نتائج خطيئة آدم ٢٢٢

أولاً: فقد آدم إمتيازات الحياة فوق الطبيعية ٢٢٢

فيم يشبه الإنسان الله وفيم يماثله ٢٢٤

ثانياً: فقد آدم مشاهدة الجلال الإلهى ٢٣٠

ثالثاً: فقد آدم إمتيازات أخرى كثيرة ٢٣٠

رابعاً فقد العلم وصار جاهلاً ٢٣١

خامساً: أمسى آدم عرضة للألم والمشقة والتعب ٢٣٣

سادساً: أمسى أدم عرضة للمرض ٢٣٤

سابعاً: أمسى آدم محكوما عليه بالموت ٢٣٥

انتشار الخطيئة الأصلية ٢٣٧

لماذا الصليب؟ ٢٤١

مفهوم الخلاص فى الكنيسة الأرثوذكسية ٢٥١

معنى الخلاص ٢٥٢

كيف تم خلاصنا بالمسيح؟ ٢٥٧

كيف ينتقل خلاص المسيح إلينا؟ ٢٦١

أهمية دور المعمودية فى تحقيق الخلاص. ٢٦٣
الخلاص النهائى. ٢٦٥

وهذه عقيدة الكفارة التى قدمها كلمة الله المتجسد بموته عن آدم ونسله المحكوم عليهم بالموت لتعديهم فى آدم وصية الله الذى أصدر وعيده بل حكمه قائلاً: «وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، فإنك يوم تأكل منها تموت موتاً» (١) وفعلاً قد مات آدم (٢) «لأن أجرة الخطيئة هى الموت» (٣) ومات فى آدم جميع ذريته «من أجل ذلك كما أنها بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس بالذى جميعهم خطئوا فيه» (٤) «وبسبب زلة واحدة (وهو آدم) قد مات الكثيرون» (من ذريته) (٥) «لأن الدينونة هى من زلة واحدة للقضاء علينا» (٦) «وبخطيئة واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة» (٧) «وفى آدم يموت الجميع» (٨).

لذلك تجسد كلمة الله وتأنس ليأخذ حكم الموت فى جسده «الذى إذ هو فى صورة الله لم يكن يعتد مساواته لله إختلاساً. لكنه أخلى ذاته آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه البشر. وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب» (٩) «فالمسيح.. مات مرة من أجل الخطايا، البار عن الأثمة ليقربنا إلى الله مماتاً فى الجسد محيى فى الروح» (١٠) «وحمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة لكى نموت عن الخطايا فنحا للبر وبجراحه شفيتم» (١١).

١ ـ فلما مات المسيح عنا بدلاً منا، فدانا بموته من الموت الأبدى، وخلصنا من أسر الشيطان، وأنقذنا من الهلاك ومن عبودية الجحيم، واشترانا لنفسه من جديد، وأحيانا حياة جديدة به وفيه، وصرنا له شعباً وصار هو لنا ملكاً ورباً وفادياً ومخلصاً.

---

(١) التكوين ٣: ١٧، (٣: ٣).
(٢) التكوين ٣: ١٩.
(٣) رومية ٦: ٢٣.
(٤) رومية ٥: ١٣.
(٥) رومية ٥: ١٥.
(٦) رومية ٥: ١٦.
(٧) رومية ٥: ١٨.
(٨) كورنثوس الأولى ١٥: ٢٢.
(٩) فيلبى ٢: ٦ – ٨.
(١٠) رسالة مار بطرس الأولى ٣: ١٨.
(١١) رسالة القديس بطرس الأولى (٢: ٢٤) انظر أيضاً نفس الرسالة (٤: ١)، (عبرانيين ٩: ٢٨)، ثم (إشعياء ٥٣: ٤ ـ ١١).

٢ ـ وعقيدة الفداء توقفنا على محبة الرب الذى افتدانا وعتقنا من حكم الموت، لأنه «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يبذل نفسه عن أحبائه» (١) «فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار. ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت. ولكن الله بين محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (٢).

٣ ـ وعقيدة الفداء تثير فينا كذلك محبتنا لله. يقول القديس يوحنا «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً» (٣).

٤ ـ وعقيدة الفداء تثير فينا محبتنا بعضنا لبعض. «وبهذا قد عرفنا المحبة أن ذاك قد بذل نفسه من أجلنا، فيجب علينا أن نبذل نفوسنا من أجل الإخوة» (٤).

٥ ـ وعقيدة الفداء تعلمنا أن الله عادل وأن كلمة من فيه لا تسقط. لقد حكم الله بالموت على آدم لو خطئ آدم. وخطئ آدم فحكم عليه بالموت. ولم يعفه من حكم الموت ولو أدى ذلك إلى نزول المسيح وموته بديلاً عن آدم وذريته، وهذا من شأنه أن يثير فينا تقوى الله ومخافته، فلا نستهين بوصاياه ونواهيه، ولا نتعلل بمقدرة الله على الغفران. فالحق أن الله لا يغفر من غير ترضية كافية لعدالته.

٦ ـ وعقيدة الفداء تحل لنا الإشكال الخطير: فالله كلى الرحمة ولا حد لرحمته، والله كلى العدالة ولا حد لعدالته. لقد خطئ الإنسان، فعدل الله يقتضى معاقبة الإنسان بعقوبة تتناسب مع جلال الله وكرامته. ورحمة الله تقتضى غفرانه وصفحه عن الإنسان. فكيف يمكن أن تلتقى رحمة الله بعدله بإزاء خطيئة الإنسان؟ والحل جاء من السماء حينما اتخذ الله صورة الإنسان، وأنفذ فى جسده حكم الموت المحكوم به على الإنسان، فكان فداؤه رحمة وعدلاً معاً. وبذلك تم فى الصليب قول النبى «الرحمة والحق تلاقيا. العدل والسلام تلاثما» (٥).

٧ ـ وعقيدة الفداء تفسر لنا معنى الذبائح والقرابين التى كان يقدمها الأتقياء قديماً بمشورة الله تعبيراً عن حاجتهم إلى الفادى، ورمزاً لإعتمادهم على دمه العتيد أن يسفك من أجلهم، هؤلاء «المنتظرين فداء فى أورشليم» (٦) الذين نظروا المواعيد «وحيوها من بعيد» (٧).

---

(١) يوحنا ١٥: ١٣.
(٢) رومية ٥: ٧، ٨.
(٣) رسالة القديس يوحنا الأولى ٤: ١٩.
(٤) رسالة القديس يوحنا الأولى ٣: ١٦.
(٥) مزمور ٨٤، (٨٥): ١١.
(٦) لوقا ٢: ٣٨.
(٧) عبرانيين ١١: ١٣.

٨ ـ وعقيدة الفداء تفتح أمام المؤمنين باب الرجاء من جديد فى الفردوس المفقود، وتحرك فيهم الاجتهاد والجهاد للفوز بالإكليل السعيد ولنيل الجعالة العليا فى ملكوت السماوات المعد لهم من قبل إنشاء العالم.

* * *

فعقيدة الفداء إذن تثيرنا للتأمل فى محبة الله ورحمته وعدالته، وتحرك قلوبنا نحو مخافته وإتقاء ما ينافى رضاه، وتثيرنا للجهاد والسهر والمثابرة، بعد أن أحيت فينا الأمل من جديد للحياة الأبدية فى فردوس النعيم وملكوت السماوات.

سر الفداء

أهمية الفداء فى الديانة المسيحية:

الفداء هو أساس المسيحية كلها، وهو دعامتها التى يقوم عليها كل بنيانها الشامخ. وهذه هى الحقيقة المسيحية العظمى التى علمت وسوف نعلم بها أبداً بالنسبة لله وبالنسبة للإنسان.

أما بالنسبة لله فلأن الفداء:

أولاً: هو إعلان محبة الله التى لا حدود لها، هذه المحبة التى اقتضته أن يدبّر للإنسان خلاصاً من خطاياه حتى يرده إلى رتبته الأولى، ولمّا لم يكن للإنسان من سبيل إلى الخلاص إلا بأن يأخذ الله صورة الإنسان ويموت بديلاً عنه لم يحجم الله عن أن يقوم بهذا العمل المذهل العجيب تعبيراً عن حبه، وبرهاناً على جودته وخيّريته وصلاحه وإهتمامه بالإنسان ورغبته فى أن يرد إليه بنوّته وبالتالى ميراثه الأبدى.

يقول مخلصنا «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى أنه بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به» (١).

ويقول ماربولس الرسول «لكن الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن خطاة مات المسيح لأجلنا» (٢) ويقول «لكن الله لكونه غنياً بالرحمة ومن أجل كثرة محبته التى أحبنا بها، حين كنا أمواتاً بالزلات أحيانا مع المسيح فإنكم بالنعمة مخلصون» (٣).

ويقول ماريوحنا الرسول «بها تتبين محبة الله لنا أن الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لنحيا به، وإنما المحبة فى هذا لم تكن نحن أحببنا الله، بل هو أحبنا فأرسل ابنه كفارة عن خطايانا» (٤) .. ويقول أيضاً: «يسوع المسيح الشاهد الأمين، وبكر الأموات ورئيس ملوك الأرض الذى أحبنا وغسلنا بدمه من خطايانا» (٥).

ثانيا: وفى الفداء إعلان لعدالة الله.. التى لا حد لها، ودليل على احترامه لكلمته والحكم الذى صدر من فيه على الإنسان. فالله عظيم عظمة بغير حدود، وكلامه لذلك لا يسقط ولا يزول، ولن يتغير حكمه بغير ترضية كافية لعدالته، ولن يكون غنى جوده على حساب

(١) يو٣: ١٦.
(٢) رومية ٥: ٨.
(٣) أفسس ٢: ٤، ٥.
(٤) يوحنا الأولى ٤: ٩، ١٠.
(٥) الرؤيا ١: ٥.

عدالته الكاملة. ومع أن هذه الترضية لعدالته اقتضته أن يقوم هو ذاته بها لكنه لم يبخل بذاته وفى هذا الحب كل الحب.. كما أن فيه العدل كل العدل.

ثالثاً: وفى الفداء إعلان لسرّ الواحد فى الثالوث والثالوث فى الواحد.. الآب والابن والروح القدس .. ثلاثة الأقانيم التى اشتركت جميعاً فى عمل الفداء. كل أقنوم منها حسب خاصيته فى الجوهر الواحد.

وأما بالنسبة للإنسان، فلأن الفداء هو **كفارة لخطيئة الإنسان**، فالإنسان هو الذى أخطأ التصرف وخالف الوصية الإلهية، وهذا دليل حريته، ولما تعدّى الإنسان الوصية أفسد صورة الله فى طبيعته التى خلقها الله كاملة مقدّسة، وفقد الامتيازات العالية على الطبيعة التى كانت له من حيث أن الله خلقه على صورته ومثاله، أما بالفداء فقد ردّ الله للإنسان كل ما خسره بالخطيئة إلا الموت الجسمانى الذى تركه له منبهاً ومحذراً حتى لا يعود للخطيئة مرة أخرى.. ففى الفداء إذن إعلان لطبيعة الإنسان الروحية فوق الماديّة ومعاملته بصفته كائناً ذا نفس ناطقة عاقلة حرّة مريدة، وخالدة تمتد إلى ما وراء الموت المادىّ الجسمانى.

ولما كان الفداء هو عمل الله لخلاص الإنسان، حتى ينعم من جديد بالفردوس المفقود وبميراثه الأبدى فى ملكوت السماوات، فالفداء حقيقة ضرورية بالنسبة للإنسان، لأنها تتعلق بمصيره الأبدى.

لهذا كله كان الفداء هو الحقيقة الدينية الكبرى التى تعلّم بها المسيحية لأن فيها إعلانا لجميع الحقائق المسيحية التى تتصل بالله، ولجميع الحقائق الأساسية التى تتصل بالإنسان.

قلنا أن الفداء هو الحقيقة الدينية الكبرى.. لأن جميع الحقائق الأخرى منطوية فى حقيقة الفداء ومستورة فيها، والفداء يدل عليها ويشير إليها ويكشف عنها. فوجود الله وطبيعته وصفاته ووحدانية جوهره وتثليث أقانيمه وعنايته بالإنسان. وكذلك طبيعة الإنسان وحقيقة نفسه الحرّة الخالدة ومصيرها الأبدى هذا وذاك كله ينطوى عليه مفهوم الفداء العجيب.

وحتى سرّ التجسد مع ما فيه من جلال.. محيّر لعقل الإنسان. وما فيه من خير وبركة لكل جنسنا. ما كان ليكون لولا سرّ الفداء.. لأن الله الكلمة تجسد من أجل خلاص الإنسان.. فقد كان التجسد وسيلة لغاية .. وكانت الغاية هى الفداء .. فلولا الفداء ما كان التجسد، ولولا الفداء لما عرفنا حقيقة الذى تجسد ومقامه الإلهى.. لأنه تبعاً لمنطق الفداء وضرورته كان لابد للفادى أن يكون هو الله نفسه، فإنه ليس لأحد بغيره الخلاص.

وليس فى تقريرنا لأهمية الفداء بالنسبة لله وبالنسبة للإنسان.. مبالغة إذا وكّدنا مرة أخرى ما قلناه أولاً.. إن الفداء هو أساس الديانة المسيحية ودعامتها التى تقوم عليها وتستند إليها.

لهذا لا نقبل فى هذه الحقيقة مساومة.. وإذا لم تبق هذه الحقيقة فى مكانها الأول بين حقائق ديانتنا العظمى، نكون قد حوّلنا النظر عن بؤرة الشعور فى كل كياننا الدينى المسيحى، ولابد للبناء كله من أن ينهار وتمسى مسيحيتنا ديانة أخرى غير ديانة المسيح الذى جاء من أجل خلاصنا.

ومن هنا كان الصليب ضرورة ولا يمكن أن نقبل بغير الصليب ديناً، كما لا يمكن أن نقبل للصليب بديلاً.. فى الصليب إيماننا.. وفى الصليب رجاؤنا .. وفى الصليب مصيرنا.

والذين يشفقون على المسيح من الصليب، استنكاراً أو إعلاء، ليسوا أصدقاءنا، وإنما هم أعداء لنا ونفوسهم أولاً.

إن المسيحى لا يخجل من الصليب ولا يحاول أن ينكره أو حتى أن يستره بل بالأحرى أن يفخر به ويعتز، وهو يدرك معنى قول الرسول: «وأما من جهتى فحاشا لى أن أفتخر إلاّ بصليب ربنا يسوع المسيح، الذى به قد صلب العالم لى وأنا للعالم» (١).

ما هى الخطيئة؟

الخطيئة والخطأ من أصل اشتقاقى واحد. أما الخطأ فهو ضد الصواب وبمعنى آخر، هو ما جانب الصواب وحاد عنه.. ويقال فى اللغة أخطأ فلان الهدف أو المرمى أو الغرض بمعنى أنه لم يصبه.

والخطأ قد يكون عمداً أو غير عمد، ولو أنه ينصرف فى الغالب إلى ما لم يتعمد منه.

والخطأ أوسع شمولاً من الخطيئة.. فهو ما جانب الصواب من أى نوع وما حاد عن الحق فى أى مجال، وليس يقتصر على الدائرة الدينية، ويشمل الخطأ الظاهر كما يشمل الباطن.

وأما الخطيئة .. فهى مخالفة الشريعة الإلهية.. وغالباً ينصرف المعنى إلى المخالفة التى تصدر من باطن الإنسان عن اختيار وتعمّد.. وهى تشمل كل فعل أو قول أو فكر تعدّى الشريعة أو تجاوزها أو انحرف عنها.. ولا ينحصر كلامنا هنا عن الشريعة الإلهية على الشريعة المكتوبة والمسطورة فى الكتب المقدسة، ولكنه يمتد كذلك إلى الشريعة الطبيعية المستورة فى ضمير الإنسان.

---

(١) غلاطية ٦: ١٤.

ويمكن أن نصف الخطيئة في طبيعتها.. بأنها فشل الإنسان عن التحقق بمصيره وخيبة أمله في البلوغ إلى الغرض الحقيقي من وجوده.. حيث أن الغاية من وجود الإنسان هي أن يصير كالله، وأن تطابق إرادته إرادة الله مطابقة تامة ومن ثم ينعم بوجوده معه إلى الأبد.

والخطيئة تعدّ على ناموس الله، كما أنها تمرّد على الله بصفته أباً للجنس البشري، وحاكماً على شعبه، فهي خروج على طاعته، وعدم ولاء له، وعصيان لوصاياه، وتحدّ لإرادته وإهانة لاسمه القدوس..

والخطيئة لذلك تنطوي على شك في الله وارتياب، ورغبة في مخادعته وخيانته.

وبالنسبة لنا، الخطيئة ضلال وانحراف عن الحق والخير والواجب، بل هي إفساد لطبيعتنا، وإتلاف لها وتعويج، وهدم للتوازن بين قواها وقدراتها، وهي تجعلنا ميالين للشر.

والخطيئة هي التي تقذف بالإنسان خارجاً عن نفسه، وتزعزع أركان طبيعته. ليست الخطيئة إذن تضيف شيئاً جديداً على طبيعة الإنسان، وإنما هي في حقيقتها تشويش لعناصره وإحداث للاضطراب والاختلال فيما بينها.

فالخطيئة قلق واضطراب وكأنها أمواج البحر تقذف بطبيعة الإنسان وتدفع بها على الدوام، وتجعلها في اضطراب متصل، فالجسد ضد الروح ، والعقل ضد الميول، والرغبات متضادة الواحدة منها ضد الأخرى، وهناك حب التغير والإثارة والتهييج، فضلاً عن أنه ليس ثمت رضى، والحق أن الإنسان لا يمكن أن يجد الراحة إلا في الله فإذا لم يكن الله مركز الدائرة عنه فسيظل متردداً شارداً ضالاً، وكأنه نجم تائه، أو كغمامة بلا ماء.. أو كزبد يغلي...

والخطيئة مشقّة وتعب، والشر عمل شاق وكدّ بلا ثمر، وعناء مؤلم مكدّر، فهي حزن وهمّ، ولا فائدة من كل الجهود التي تبذل في سبيل الخطيئة، إذ أن أعمال الظلمة هي بلا ثمر، والخطيئة زهو وغرور وفراغ وعدم، والأشرار كما يقول الوحي عصافة تذروها الريح، ولا يحصدون من كل تعبهم شيئاً.

وأخيراً وليس آخراً .. إن الخطيئة تخريب للنفس وتدمير لها، بل وتحطيم لقواها وتفتيت لقدراتها.. وحيث يكون الإثم، الإيذاء والإضرار، والشر والرداءة والإساءة فهناك العداوة والبليّة والمحنة والشقاء والاضصراب.

وبالإجمال، فإن الخطيئة هي مخالفة إرادية لوصايا الله، تصدر عن شك وإرتياب في الله، وتؤدي إلى التشويش والقلق والاضطراب.

* * *

خطيئة الإنسان الأول

حدثنا الوحى الإلهى فى سفر التكوين بأن الإنسان الأول قد سقط فى الخطيئة، فقد أعطاه الله وصيّة وخالف هو هذه الوصية، قال الله للإنسان الأول الذى أقامه فى جنّة عدن وصنع له معيناً، وهى المرأة التى خلقها له من أحد أضلاعه بعد أن أوقع عليه سباتاً «من جميع شجر الجنّة تأكل (أكلاً) . وأما شجرة معرفة الخير والشر، فلا تأكل منها، فإنك يوم تأكل منها موتاً تموت» (١) .. وجاء على لسان حواء «من ثمر شجر الجنّة نأكل، وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة، فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمسّاه كيلا تموتا» (٢) .. وعندما أكل آدم وإمرأته من الشجرة المحرّمة وعلما أنهما عريانان سمعا صوت الرب الإله يقول لآدم: «هل أكلت من الشجرة التى نهيتك عن أن تأكل منها» (٣) .. فلما حكم الله على آدم بالعقوبة أعاد كلامه عن الوصية، وقال لآدم: «لأنك سمعت لصوت إمرأتك فأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها، فملعونة الأرض بسببك» (٤) فقد كانت خطيئة آدم وإمرأته حواء هى خطيئة المخالفة لوصيّة الله تعالى وواضح من الكتاب المقدس أنهما خالفا الوصيّة بإرادتهما وأكلا من الثمرة المحرّمة باختيارهما، حقاً كان للشيطان دور، هو دور التشكيك ثم الإغراء، فقالت (الحيّة) للمرأة: «أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة» (٥) ولما أجابتهما المرأة بالوصيّة على حقيقتها عادت الحيّة تقول «لن تموتا، إنما الله عالم أنكما فى يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتصيران كالله (٦) عارفى الخير والشر» فرأت المرأة أن الشجرة طيّبة للمأكل وشهيّة للعيون، وإن الشجرة منية للعقل» (٧) على أنه : لا الشيطان ولا الحيّة أجبرا حواء أو آدم على المخالفة لكن حواء وآدم خطئا بإرادتهما واختيارهما وكان فى مقدورهما أن يصمدا أمام الإغراء أو يدفعا أفكار الشيطان كما فعلت حواء فى مبدأ الأمر عندما سألتها الحية فى خبث «أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة» ، فقالت المرأة للحيّة: «من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة، فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمسّاه كيلا تموتا» (٨) .

---

(١) تك ٢: ١٦، ١٧ .
(٢) تك ٣: ٢ .
(٣) تك ٣: ١١ .
(٤) تك ٣: ١٧ .
(٥) تك ٣: ١ .
(٦) أو كآلهة.
(٧) تصير الواحد حكيماً، التكوين ٣: ٤ – ٦ .
(٨) تك ٣: ١ – ٣ .

وإذن فخطيئة آدم هى مخالفة لوصيّة الله وعصيان لأمره تعالى، وقد انطوت فيما انطوت على مجموعة خطايا أخرى منها الشك والارتياب فى محبة الله كأب وفى صدقه وإخلاصه ودقة أحكامه، وفى هذا إهانة بالغة لجلاله ومنها الاستهتار بأوامر الله وعدم الثقة فى جدّيتها وصرامتها، ومنها عدم الولاء لربوبيته والوفاء لأفضاله وآلائه، ومنها الفضول والاشتهاء الأثيم والطمع والتطلع إلى ما لا ينبغى التطلع إليه، وإلى فوق ما ينبغى، وهذا هو الكبرياء والغرور والإدعاء وما إليها من صفات يسلب فيها الإنسان حقوق الله ويدعى لنفسه ما ليس له متجاوزاً حدوده كإنسان مخلوق محدود، ولهذا كله اعتبرت خطيئة الكبرياء أول خطيئة فى تاريخ البشرية، وقالت الآباء إذا كانت الكبرياء أول خطيئة فإن التواضع هو أول فضيلة.

ولسنا فى حاجة إلى إيراد النصوص الكثيرة التى سجّلت على آدم وحواء تلك الخطيئة العظمى التى جلبت الموت والشقاء عليهما وعلى الجنس البشرى كلّه، ففى الكتاب المقدس إشارات لا حصر لها إلى هذه الخطيئة، ويكفينا على سبيل المثال قول الوحى: «بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم» (١) وقوله «بخطيئة الواحد قد ملك الموت بالواحد» (٢).

* * *

لماذا أعطى الله وصيّة لآدم؟

كثيراً ما يثير الناس هذا السؤال، أما كان الله يعلم بأن آدم سيعصى أمره، فلماذا يعطيه وصيّة يعلم الله سابقاً أن آدم سيخالفها؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول:

أولاً: إن الله يبعدُ أن يعطى وصيّة لمجرد امتحان طاعة الإنسان، لأنه فى هذه الحالة يكون قد أعطى وصيّة للتحكم. ونحن لم نلاحظ فى أيّة وصية أخرى جاءت فى الكتاب المقدس أنها كانت لمجرد الامتحان أو التحكم، لأن الله خيّر وصالح وهو أبونا الذى خلقنا لا لخير يعود عليه هو، وإنما لنتمتع نحن بخيره الذى لا يستقصى وغناه الذى لا يفرغ فكل وصيّة لابد أن يكون فيها ذاتها خير للإنسان، ومثل الله فى ذلك مثل أب ناصح يأمر ولده بألاّ يأكل من شئ يضرّه أو لا يمس شيئاً فيه هلاكه، وعلى ذلك فالثمرة المحرّمة هى شئ فى ذاته ضار بالإنسان وكان لابد له كأب أن يوصى آدم وحواء بألاّ يأكلا من ثمرة الشجرة، ولا يمسّاه لئلا يموتا.

---

(١) رو ٥: ١٢.

(٢) رو ٥: ١٧ انظر أيضاً (يوحنا ٨: ٤٤)، (كورنثوس الثانية ١١: ٣)، (تيموثيئوس الأولى ٢: ١٤).

ثانياً: أن الله أعطى الإنسان وصيّة يعلم أن فى مقدور الإنسان أن يطيعها فينتفع بحكمتها.. وكان الإنسان مزوداً بالنعمة كما كان مزوداً بالحكمة والعقل والحرّية، ولم تكن فيه شهوة بعد تميله إلى الشر، بل كان على صورة الله فى الحكمة والقداسة والقدرة، فالوصية إذن أمر نافع للإنسان ولم تكن فوق قدرة الإنسان.

ثالثاً: إن معرفة الله السابقة بأن الإنسان سيعصاه لا تمنعه تعالى من أن ينصح الإنسان وينهاه عما يضرّه ويؤذيه، وإلا كانت معرفة الله السابقة قيداً على كل أعمال الله مع أنها كلها لخير الإنسان. ومثل المعترضين بمعرفة الله السابقة مثل من يقول للوالدين والمربين والمصلحين أن عليهم أن يوفّروا جهودهم لأن من الناس من لا يأبه بنصائحهم ووصاياهم، ولا ينتفع بنداءاتهم وتحذيراتهم. إن الوصيّة فى ذاتها خير، وهى بيّنة على محبة الله لخليقته وعنايته بها ورعايته لها واهتمامه بخيرها ونفعها، وليس لمعرفة الله السابقة أن تعطل محبّته التى لا حدّ لها.

رابعاً: ولو أن الله امتنع عن الوصية نظراً لسبق علمه بأن الإنسان يعصاه لكان معناه أن الله لا يصنع الخير لأنه يخشى الشر، وفى هذا المنطق ما ينسب لله الخوف من الشر، والضعف عن أن يحوّل الشر إلى خير.

خامساً: إن الله أعطى للإنسان وصيّة يعلم تعالى أن الإنسان سيعصاها ومع ذلك أعطاه الوصيّة. وحقاً أن الإنسان سقط فى الشر، لكنه مع ذلك عرف أن يقوم من سقطته وينتفع من غلطته ويعود مرة أخرى إلى الفردوس الذى فقده بخطيئته ومعصيته، ثم أن الله الذى تفضل فأوجد منفذاً للإنسان وأتاح له سبيل الخلاص صار صاحب فضل جديد على الإنسان زاد من حب الإنسان له وتقديره لصنيعه، ولذلك تغاير بنو آدم على أعمال الصلاح والعبادة والشكر وازدادت رابطتهم بالله ومحبتهم له وتفانيهم فى خدمته بعد أن لمسوا حنانه بافتقاده لهم ورحمته بهم، مما جعل بعض القديسين كبولس الرسول وأوغسطينوس يرون فى خطيئة الإنسان الأول فضيلة، لأنها قادت البشرية إلى خيرات العهد الجديد التى ما كان للبشرية أن تحصل عليها لولا خطيئة آدم وحواء.

سادساً: ثم أن الوصيّة ليست امتحاناً فقط لكنها فرصة للتدريب .. وإعداد الإنسان لمسئوليات أعظم يقام عليها إذا نجح فى الجولة الأولى لكنه لم يفشل نهائياً، ولم يدعه الله يفشل، بل أعانه وقدّم له وسائط الخلاص بعد أن طلب بنفسه الخلاص، وعبّر عن ندامته وتوبته، فلو أن سبق علم الله بمعصية الإنسان عطّل الوصيّة، لكان الإنسان قد حرم من تدريب قواه وطاقاته النفسية والعقلية وقدراته بما ينميها ويغذيها ويشحذها ويستحثها للعمل، فتقوى وتنشط وتنتعش.

* * *

ولماذا لم يخلق آدم معصوماً من الخطيئة؟

العصمة من الخطأ صفة من صفات الكائن غير المحدود، وهو الله، فليس يمكن أن يكون آدم معصوماً من الخطأ أو الخطيئة.

ثم إن الكائنات العاقلة كالملائكة والبشر لا تعصم من الخطأ لأنها وهبت عقلاً به يمكن أن تميّز بين الصواب والخطأ، فليست فى حاجة إلى عصمة، لأن العصمة فى هذه الحالة هبة تتعارض مع هبة العقل.

كذلك العصمة تتعارض فى الكائنات المحدودة مع الحرية الموهوبة لها، وإلاّ أصبحت الحرّية غير ذات موضوع، وهذا هو السبب فى أن العجماوات لا تخطأ لأنها تحكمها الغريزة ولا يحكمها العقل وليس لها حرّية، وبالتالى فلا تستحق ثواباً أو عقاباً، ولا يحكم لها أو عليها ولا يقال عنها أنها فعلت خيراً أو شراً.

ولهذا كان مما يشرف الإنسان أن الله خلقه عاقلاً حراً مريداً، ولم يخلقه معصوماً من الخطأ، حتى يكون مناط أمره بيده وليكون مستحقاً للثواب إذا أصاب وللعقاب إذا أخطأ، ولأنه مزوّد بالعقل الذى خلق له نوراً يرشده ويكشف أمامه الطريق ويبصره بالخير والحق ويجنبه الخطأ والعثار.

* * *

ولماذا خلق الله آدم حراً مع علمه السابق بأن آدم سيعصاه؟

ذلك أن الحرية خير، والله كلى الخيرية والجودة، فكان أن خلق الإنسان حراً، ولو كان الله يغيّر إرادته الخيّرة نحو الإنسان بسبق علمه بسقوط الإنسان لكان معناه أن الله يخشى الشر ويتقيه، ولكان معناه، أن الشر يمكنه أن يبطل الخير الذى يريده الله، ولكان معناه أيضاً أن علم الله يتدخل فيما هو من شأن الإنسان، والله تعالى لا يخشى الشر إذا وقع من جانب الإنسان، كما أن الشر لا يمكنه أن يبطل الخير الذى يريده الله لأن الله يستطيع أن يحوّل الشرّ إلى خير، كذلك لا يتحكم علم الله السابق فيما هو من شأن الإنسان، لأن الله خلق الإنسان حراً، ولا يشاء الله أن يلغى حرّية الإنسان أو يبطلها، خاصة وإن الله قد هيأ للإنسان كل الأسباب التى تكفل له استخدام حرّيته فيما يحقق له السعادة التامة، فلا لوم على الله إذا أساء الإنسان استخدام حرّيته وسقط فى الخطيئة، بل يلام الإنسان وحده على ذلك.

هذا، وقد كان لابد أن يخلق الإنسان حراً، وإلاّ فلا معنى لأن يعطيه وصيّة وأن يرتب على

مخالفتها نتائج سيئة، فحيثما يكون جزاء للفعل لابد أن تكون هناك حرّية لأداء الفعل، لأن الجزاء مرتب على الفعل.

* * *

وقد يقال إذا كان الله يعلم علماً سابقاً بأن الإنسان سيعصاه.. فلماذا لم يمنعه عن ذلك؟

ونجيب على ذلك، بأن تدخل الله لمنع الإنسان عن فعل العصيان انتقاص لحرية الإنسان لا يرتضيه الله نفسه ولا يرتضيه الإنسان، ولا يمكن أن تكون الطاعة فضيلة ما لم يصنعها الإنسان بحريته واختياره.. كما أن منع الإنسان من العصيان يزيد رغبة الإنسان فيه.

فإذا قيل: لماذا لم يمنع الله آدم من العصيان مع إحتفاظه بحرّية إرادته؟

قلنا، أن هذا الافتراض غير منطقي، أو هو محال لا يقبله العقل، فكيف يكون آدم حراً حرية حقيقية، وفي نفس الوقت يجبره الله على طاعته أو يمنعه من العصيان؟.. إن الله الذى خلق آدم حراً يأبى أن يجبر آدم على فعل يتعارض مع الحرّية التى سبق فمنحها له، وإلاّ فلا تكون هذه الحرّية كاملة ولا حقيقية.

وقال بعض الناس: إذا كان لابدّ من أن يعطى آدم وصيّة.. فلماذا لم يسهل الله له سبل الطاعة والفوز فى هذا الإمتحان؟

ونقول نحن، إن هذا ما حدث بالفعل.. فالله قد خلق الإنسان فى طبيعة طاهرة خيّرة على صورة الله ومثاله، كما أنه خلقه بعد أن وفّر له كل أسباب الحياة الرخيّة الهنيّة، وجعله فى جنّة عظيمة مليئة بالأشجار ولم تكن الشجرة التى نهاه عن الأكل منها هى وحدها دون غيرها، ثم أن الله لم يدعه فى ظروف تضطره إلى الأكل من الشجرة التى نهاه عن الأكل منها، ولا سمح لكائن ما أن يقهره على ذلك، فالشيطان أغراه عن طريق الحيّة ولكنه لم يضع الثمرة فى فمه على الرغم منه، وإنما أخذ آدم بمشيئته وبإرادته، وتناول الثمرة المحرّمة بيده وأكل منها برغبته ولم يضطره أحد إلى ذلك. بل كانت كل الإمكانيات متوافرة لآدم حتى يصمد أمام إغراء الخطيئة.. وكان له مع ذلك تحذير كاف ومعرفة سابقة.. فلا حجّة له ولا عذر فى سقطته، ثم كان له من الحرّية والعقل ونور البصيرة ما يكفل له الفوز والانتصار.. هذا ولم تكن له شهوة ولا ميل ولا جهل يطغيه أو يسوقه إلى الخطيئة.

لقد أعطاه الله وصيّة ولكنه أعطاه قبل ذلك.. كل الإمكانيات.. وكل المواهب.. التى تكفل له الظفر والفوز فى إمتحان طاعته لله، لكنه سقط، من تلقاء ذاته، فكان سقوطه عظيماً.

* * *

نتائج خطيئة آدم

خطىء آدم وسقط فى عصيان الوصيّة المقدسة فكان لابد لخطيئته من نتائج أدركته وأدركت كل جنسه معه.

.. فماذا أحاق بآدم رأس الجنس البشرى؟؟؟

أولا: لقد فقد آدم إمتيازات الحياة فوق الطبيعية

وهى الإمتيازات التى منحه الله إياها، وهى ما تسمى بحياة النعمة...

فالصورة التى يقدمها لنا سفر التكوين عن خلقة الإنسان الأول الممتازة والحياة التى كان ينعم بها قبل السقوط فى الخطيئة، صورة جميلة مشرقة. لكن آدم قد فقدها بسقوطه ومخالفته للوصية الإلهية.

لقد خلق الله من الماء (١) الأسماك والطيور، ومن الأرض (٢) خلق البهائم والدواب والوحوش. وأما الإنسان فقد تميّز فى خلقه عن سائر الكائنات الحيّة من نبات وحيوان فى مسألتين.

الأولى فى كيفية الخلق...

الثانية فى طبيعة الخلق...

أما عن كيفية الخلق، فكما يروى سفر التكوين «وجبل الرب الإله آدم (أو الإنسان) تراباً من الأرض، ونفخ فى أنفه نسمة حياة، فصار آدم (الإنسان) نفساً حية» (٣).

وهذا نص قدسى يشهد بأن الإنسان يتألف من جوهرين أحدهما مادّى وهو الجسم أو البدن، والثانى روحى وهو النفس أو الروح. الجوهر الأول من التراب أو من الأرض (٤)، أما الجوهر الثانى فمن الله (٥). بالجوهر المادىّ يشترك الإنسان مع الحيوان. وأما بالجوهر الروحى فيتميز الإنسان عن الحيوان ويسمو عليه.

---

(١) التكوين ١: ٢٠ (٢) التكوين ١: ٢٤.

(٣) التكوين ٢: ٧ انظر كورنثوس الأولى ١٥: ٤٥.

(٤) (التكوين ٣: ١٩، ٢٣)، (أيوب ٣٣: ٦)، (مزمور ١٠٢ (١٠٣): ١٤)، (الجامعة ١٢: ٧)، (كورنثوس الأولى ١٥: ٤٧).

(٥) (أيوب ٣٣: ٤)، (٢٧: ٣)، (الجامعة ١٢: ٧)، (زكريا ١٢: ١)، (أعمال ١٧: ٢٥).

فرواية سفر التكوين تشهد بامتياز الإنسان وسموه عن الحيوان فى خلقته وهذا السموّ يقوم أصلاً وبالذات على نفخة الله التى ألقاها إلى آدم من عنده الأمر الذى لم يحدث بالنسبة إلى الحيوان.

وأما عن طبيعة الخلق، فلأن آدم دون غيره من الكائنات «قد خلق على صورة الله ومثاله». وهذا هو كلام الوحى «وقال الله لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا.. فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه» (١). *συνδρομὴ πρός (εἰς) σάρκα*

בְּצַלְמֵנוּ כִּדְמוּתֵנוּ . . . . .

בְּצֶלֶם אֱלֹהִים בָּרָא אֹתוֹ

وفى الترجمة السبعينية اليونانية:

....καὶ εἶπεν ὁ Θεὸς ποιήσωμεν ἄνθρωπον κατ' εἰκόνα ἡμετέραν καὶ καθ' ὁμοίωσιν·

....καὶ ἐποίησεν ὁ Θεὸς τὸν ἄνθρωπον κατ' εἰκόνα Θεοῦ ἐποίησεν αὐτόν·

وكلمة صورة وهى بالعبرانية צֶלֶם ، εἰκών تعنى حرفياً «الظل، الخيال». وكذلك كلمة مثال أو شبه وهى بالعبرانية דְּמוּת وباليونانية ὁμοίωμα تعنى حرفياً «الدمية»، وهى المثال أو الشبه، وتشتق فى اللغة العبرانية من דָּם أى الدم.

ومعنى هذا كله أن الله خلق آدم شبيهاً به تعالى، وهذا تعبير لم يرد مثله فى خلقه الحيوان وهو يدل على سمو مرتبة الإنسان وعلى أن الإنسان ظل الله على الأرض يشبهه ولكنه لا يساويه، أى أن بينهما علاقة شبه وتماثل.

---

(١) (التكوين ١: ٢٦، ٢٧). وقد ورد هذا المعنى كثيراً فى الكتاب المقدس، انظر مثلاً (التكوين ٥: ١)، (٩: ٦)، (كورنثوس الأولى ١١: ٧)، (أفسس ٤: ٢٤)، (كولوسى ٣: ١٠)، (يعقوب ٣: ٩).

ففيم يشبه الإنسان الله، وفيم يماثله؟

فى الجسم؟ طبعاً لا، لأنه ليس لله جسم. لأن ما له جسم فهو مركب، وما هو مركب فهو قابل للإنحلال. ومن ثم للفناء. وما يقبل الإنحلال والفناء فهو الحادث، وهو المخلوق. أما الله فهو الخالق الأزلى الأبدى، الذى ليس له بداية كما أنه ليس له نهاية.

وإذا كان يرد فى الكتاب المقدس قول الرب، «يداى نشرتا السماوات» (١) «وستكون **عيناى وقلبى** هناك كل الأيام» (٢)، «فإن **عينى** تكونان مفتوحتين **وأذنى تكونان مصغيتين** إلى صلاة هذا المكان» (٣)، «أولئك (الأشرار) دخان فى **أنفى**» (٤) «السماء عرشى والأرض موطئ **قدمىّ**» (٥) .. إلخ فإنه فى مثل هذه النصوص التشبيهية يشبه الله فيها نفسه بالإنسان، لينقل إليه المعنى الذى يريده باللغة التى يمكن أن يفهمها الإنسان، ولكن ليس لله عينان جسديتان ولا أذنان ولا يدان ولا رجلان ولا أنف، لأنه ليس له جسم.

وإذن ففيم يشبه الإنسان الله؟

والجواب إنه يشبهه فى كيانه الروحى وما يتصف به من صفات، ومن ذلك:

أولاً: الإنسان يشبه الله فى الروحانية:

ذلك أن «الله روح» (٦) كما يقول رب المجد يسوع المسيح، «والرب هو الروح» (٧) كما يقول الوحى على فم الرسول بولس. فالإنسان خلق على صورة الله ومثاله، لأن الله خلق فيه روحاً من عنده «ونفخ فى أنفه نسمة حياة، فصار الإنسان نفساً حية» (٨) يقول النبى زكريا فى نبوءته

---

(١) إشعياء ٤٥: ٢.

(٢) سفر الملوك الأول ٩: ٣.

(٣) سفر أخبار الأيام الثانى ٧: ١٥.

(٤) إشعياء ٦٥: ٥.

(٥) إشعياء ٦٦: ١.

(٦) يو ٤: ٢٤.

(٧) ٢. كو ٣: ١٧.

(٨) تك ٢: ٧، ١. كو ١٥: ٤٥.

«يقول الرب باسط السماء ومؤسس الأرض، وجابل روح الإنسان فيه» (١). ويقول النبى إشعياء «الرب خالق السماوات وناشرها، باسط الأرض مع ما ينبت منها، الذى يعطى الشعب عليها نسمة، والسالكين فيها روحاً» (٢) ويقول سفر أيوب عن الله «الذى فى يده نفس كل حى وأرواح البشر أجمعين» (٣) لكن فى البشر روحاً (٤) ويقول: «روح الله هو الذى صنعنى، ونسمة القدير أحيتنى» (٥) لذلك سمى الله بأبى الأرواح كما يقول الرسول بولس «أفلا نكون بالحرى خاضعين لأبى الأرواح، فنحيا» (٦) كما يدعى «إله أرواح جميع البشر» (٧).

ثانيا: الإنسان يشبه الله فى العقل والحكمة:

فالله كلى الحكمة، وأما الإنسان فله بعض الحكمة لأن فيه روحاً عاقلة ترشده إلى الصواب والحق والخير. يقول سفر أيوب «لكن فى البشر روحاً ونسمة القدير تعقلهم» (٨) ويقول الحكيم سليمان «تعقل الإنسان يبطئ غضبه» (٩) ولذلك يمكن أن يوصف الإنسان بالحكيم (١٠) وجاء فى سفر أيوب «الذى رفعنا على بهائم الأرض علماً، وعلى طيور السماء حكمة» (١١).

ثالثاً: الإنسان يشبه الله فى الحرية:

فكما أن الله حر، يتصرف كيف يشاء.. ولا يوجد من يمنعه أو يقول لله ماذا تفعل (١٢) كذلك خلق الله الإنسان حراً مثله، له أن يريد (١٣)، ويفعل ما يريد (١٤).

رابعاً: الإنسان يشبه الله فى الخلود وعدم الفناء:

كل شئ فانٍ، جماداً كان أو نباتاً أو حيواناً، ولكن الإنسان وحده من بين الكائنات الأرضية الذى يخلد ولا يموت، وهو خالد بروحه لا بجسده، لأن الجسد أيضاً فانٍ وقابل للموت والفساد والتعفن والتحلل. وهو موجود إما بالحياة الأبدية (١٥) وإما بالعذاب الأبدى (١٦) وقد أقام الله له شجرة الحياة التى يأكل منها فيحيا إلى الأبد (١٧).

---

(١) زكريا ١٢: ١.
(٢) إشعياء ٤٢: ٥.
(٣) أيوب ١٢: ١٠، ٢٧: ٣.
(٤) أيوب ٣٢: ٨.
(٥) أيوب ٣٣: ٤.
(٦) عب ١٢: ٩.
(٧) عدد ١٦: ٢٢، ١٧: ١٦.
(٨) أيوب ٣٢: ٨.
(٩) أمثال ١٩: ١١.
(١٠) التكوين ٤١: ٣٣، ٣٩ ـ الخروج ٣١: ٦، ٣٥: ١٠ ـ الملوك الأول ٢: ٩، ٣: ١٢، ٥: ٧.
(١١) أيوب ٣٥: ١١.
(١٢) دانيال ٤: ٣٥
(١٣) يوحنا ٥: ٦.
(١٤) لوقا ١٣: ٣٤، متى ١٩: ٢٦، مرقس ٨: ٢٣.
(١٥) يوحنا ٣: ١٥، ٦: ٥٤، ١٠: ٢٨، ١٧: ٢.
(١٦) متى ٢٥: ٤٦.
(١٧) التكوين ٣: ٢٢.

خامساً: الإنسان يشبه الله فى القداسة ومحبة الحق والبر:

وهذا ينطبق أساساً على روح الإنسان لا على جسده. لأن الجسد من حيث هو مخلوق من تراب ينجذب طبيعياً إلى الترابيات والحسيات والماديات وأما الروح فلأنها من الله وقد نفخها فى آدم بعد أن جبله تراب من الأرض (١) فهى بطبيعتها روحانية ومقدسة وطاهرة وسامية. وهذا واضح من الصورة التى يقدمها لنا سفر التكوين عن آدم فى طهارته وقداسته الأولى، فقد كان هو وإمرأته عريانين (وهما لا يخجلا) (٢). ومعناه أن فكر الإنسان الأول كان طاهراً، ولكنه بالخطيئة تدنس ولذلك علما أنهما عريانان، فخاطا من ورق التين وصنعا لهما منه مآزر (٣) وقال سفر الجامعة يصف آدم قبل السقوط «إن الله صنع الإنسان مستقيماً» (٤) وقال عنه الرسول بولس إنه «خلق الإنسان على مثال الله فى البر وقداسة الحق» (٥).

ولم يفقد الإنسان قداسته إلا بالخطيئة، ولكن مخلصنا ردنا إلى تلك الصورة الأولى بعمل الفداء وخلقة الإنسان الجديد (٦) التى تتم فى المعمودية المقدسة (٧) ، وتصان بممارسة التوبة اليومية ووسائط الخلاص، وعلى رأسها سر التقوى وهو سر التناول.

سادساً: الإنسان يشبه الله فى إستعداده للعمل بلا توقف، وفى أنه بروحه لا ينام:

فإذا كان الجسد لأنه مركب، ولأنه من تراب الأرض، يحتاج إلى الراحة والتعويض عن التعب بالنوم، فإن الروح لا تتوقف عن العمل، ولا تنام نهاراً ولا ليلاً فالفكر لا يتوقف عن التفكير لحظة واحدة، وإذا أراد أن يتوقف عن التفكير فلا يستطيع بحال ما، وفيما يظن الإنسان أنه يضبط نفسه عن مواصلة التفكير يجد ذاته يواصل التفكير فى كيف يضبط نفسه عن التفكير!!

وفى أوقات النوم يتخدر الجسد وتخمد حركة الأعضاء ولكن الروح مع ذلك تظل متيقظة صاحية، ويقظتها الدائمة تظهر فى الأحلام، إذ الأحلام دليل على يقظة الروح وأنها لا تهدأ ولا تنام، ثم أن الروح تواصل أثناء نوم الجسد التفكير فيما كان الإنسان مشغولاً به قبل النوم، أو فى الأمانى والرغبات والمطامع التى يصبو الإنسان إلى التحقق بها.

---

(١) التكوين ٢: ٧.
(٢) التكوين ٢: ٢٦.
(٣) التكوين ٣: ٧.
(٤) الجامعة ٧: ٢٩.
(٥) أفسس ٤: ٢٣.
(٦) غلاطية ٦: ١٥.
(٧) كولوسى ٢: ١١، ١٢.

وقد قال مخلصنا: «أما الروح فنشيط، وأما الجسد فضعيف» (١) وأما أن الروح فى نشاطها وعملها المتواصل بلا توقف شبيهة بالله، فلأن الله لا ينعس ولا ينام (٢)، وقد قال مخلصنا: «أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل» (٣).

أما أن الله استراح (٤) فى اليوم السابع من عمله الذى عمله، فليست الراحة هنا بمعنى التوقف عن العمل، لكنها بمعنى الفراغ (٥) من عمل الخليقة الأولى. على أن الله يخلق من جديد فى كل يوم كائنات جديدة من نباتات وحيوانات وبشر ثم هو يربى كل خلائقه ويحفظها لأنه ضابط الكون، وعصفور واحد منها لا يسقط على الأرض من غير إذنه (٦). وقد عرفنا أنه لا زال حتى الآن يقوت العصافير والغربان وطيور السماء (٧).

سابعاً: الإنسان يشبه الله فى سيادته على الطبيعة وسائر المخلوقات وحق التصرف فيها:

الواضح من سفر التكوين أن الله خلق آدم سيداً على المخلوقات، وأعطاه سلطاناً على تدبيرها وسيادتها والتصرف فيها، وقال الله: لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا، وليتسلط على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم، وعلى جميع الأرض وعلى كل الدبابات الدابة على الأرض، فخلق الله الإنسان على صورته، وعلى صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم، وباركهم الله وقال : انمو وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها، وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء، وعلى جميع الحيوان الداب على الأرض.. (٨). ويقول صاحب المزامير عن الإنسان «كللته بالمجد والكرامة، سلطته على أعمال يديك، وأخضعت كل شئ تحت قدميه: الغنم والبقر كلها وبهائم الصحراء أيضاً، وطير السماء وسمك البحر السائر فى سبل البحر» (٩).

ويقول يشوع بن سيراخ: خلق الرب الإنسان من الأرض وأعاده إليها، جعل لهم وقتاً وأياماً معدودة، وأتاهم سلطاناً على كل ما فيها. ألقى رعبه على كل ذى جسد، وسلطه على الوحش والطير» (١٠).

---

(١) متى ٢٦: ٤١، مرقس ١٤: ٣٨.
(٢) مزمور ١٣٠ و ١٢١: ٣.
(٣) يوحنا ٥: ١٧.
(٤) التكوين ٢: ٢، ٣.
(٥) التكوين ٢: ٢.
(٦) متى ١٠: ٢٩.
(٧) متى ٦: ٢٦، ١٠: ٢٩، ٣١، لوقا ١٢: ٦، ٧، ٢٤.
(٨) التكوين ١: ٢٦ – ٢٨.
(٩) مزمور ٨: ٥ – ٨.
(١٠) ابن سيراخ ١٧: ١ – ٤.

وكعلامة على سيادة آدم على المخلوقات، وبينة على تسلطه من الله عليها، منحه الله امتياز تسميتها بأسماء، وقد صارت الحيوانات بالاسم الذى أطلقه عليها آدم، وجبل الرب الإله من الأرض جميع حيوانات البرية وجميع طير السماء، وأتى بها آدم ليرى ماذا يسميها، فكل ما سمّاه به آدم من نفس حية فهو اسمه فدعا آدم جميع البهائم وطير السماء، وجميع حيوانات البرية بأسماء» (١).

وقد جاء فى صلاة الحجاب بقداس القديس باسيليوس قوله: «أيها الرب إلهنا.. الذى كوّن كل شئ بحكمته، وبحكمتك خلقت إنساناً ليكون رئيساً على المخلوقات التى صنعتها من قبلك، ويسوس العالم بقداسة وبر...».

على أن آدم الإنسان الأول خلق أيضاً رئيساً وسيداً على إمرأته حواء.. ولذلك لامه الرب ووبخه، بل وعاقبه، على سماعه لصوت حواء وخضوعه لمشورتها ولم يفلح اعتذار آدم فى ذلك لأنه أولاً وقبل كل شئ هو المسئول الأول أمام الله «وقال لآدم لأنك سمعت لصوت إمرأتك، فملعونة الأرض بسببك، بمشقة تأكل منها طول أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكل عشب الصحراء. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها» (٢).

ووبخ الرب حواء على مخالفتها، وعرفها بسيادة آدم عليها، وقال للمرأة: «لأكثرن مشقات حملك، بالألم تلدين البنين، وإلى بعلك تنقاد أشواقك، وهو يسود عليك» (٣).

ولهذا يقول يشوع بن سيراخ: «غضب ووقاحة وفضيحة عظيمة، المرأة التى تتسلط على رجلها.. إن لم تسلك طوع يدك تخزيك أمام أعدائك» (٤) ... ويقول إشعياء النبى منددا بما صار إليه سوء أحوال بنى إسرائيل: «شعبى سخروه أولاد. والنساء يتسلطن عليه» (٥). وجاء فى سفر الحكمة يصف الحكمة الأزلية قائلاً: «هى التى حفظت أول من جبل أباً للعالم لما خلق وحده وأنته قوة ليتسلط على الجميع» (٦).

وعلى هذا فإن آدم خلق ليكون سيد المخلوقات جميعاً، وليكون سيداً لحواء أيضاً. ولهذا قال الكتاب أيضاً: «لتخضع النساء لرجالهن كما للرب.. لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح هو رأس الكنيسة... فكما تخضع الكنيسة للمسيح فكذلك لتخضع النساء لرجالهن فى كل

---

(١) التكوين ٢: ١٩، ٢٠.
(٢) التكوين ٣: ١٧ – ١٩.
(٣) التكوين ٣: ١٦.
(٤) ابن سيراخ ٢٥: ٢٩، ٣٠، ٣٥.
(٥) إشعياء ٣: ١٢.
(٦) الحكمة ١٠: ١، ٢.

شئ..» (١). وقد أوصى الكتاب المقدس الرجال بأن يحبوا نساءهم (٢) ولكنه أوصى النساء بالخضوع لرجالهن فى كل شئ كما تخضع الكنيسة للمسيح، وكخضوع الجسد للرأس (٣) ومما يقوله أيضاً: «وكذلك أنتن أيتها النساء اخضعن لرجالكن.. بمثل ذلك تزينت النساء القديسات اللائى توكلن على الله، وخضعن لرجالهن، كما كانت سارة تطيع إبراهيم وتدعوه سيدها» (٤).

وفى هذه السيادة على جميع الخلائق، يشبه الإنسان الله فى سيادته كخالق على كل الطبيعة، وللإنسان بصفة عامة، وللرجل بصفة خاصة، شرف أيما شرف أن يكون ظل الله على الأرض، فى حكمه وتسلطه على كل الموجودات.

ثامناً: ولهذا كله تشرّف آدم لا بأن يصبح شبيهاً بالله فقط بل بأن يتبناه الله وينسب إليه ويسمى من قبيل التبنى بابن الله:

هكذا جاء فى إنجيل القديس لوقا والأصحاح الثالث وهو يسرد سلسلة النسب الملكى لربنا يسوع المسيح من حيث الجسد، ويبدأ من يوسف بن هالى على ما كان يظن، ويصعد فى سلّم النسب إلى «أنوش بن شيث بن آدم بن الله» (٥) وآدم لا يسمى ابن الله إلا بالتبنى ومن حيث أنه قد خلق على صورة الله ومثاله، وهو فى هذا رمز إلى مخلصنا يسوع المسيح ابن الله الوحيد، بالطبع لا بالوضع، وبالحقيقة لا بالتبنى...

فلما سقط الإنسان الأول آدم فقد بسقوطه كل تلك الامتيازات العالية على الطبيعة التى جعلت منه شبيهاً بالله تعالى وكما قال القديس غريغوريوس النيسى، «لنرجع كلنا إلى هذه النعمة الإلهية التى زيّن الله بها منذ البدء الإنسان الذى خلقه بقوله نعمل الإنسان على صورتنا كمثالنا». فلقد فقد الخلود والأبدية وصار عرضة للموت، وفقد الحرية لأنه صار عبداً للخطيئة، وفقد نور العقل لأنه أمسى فى ظلام، وفقد سيادته على الطبيعة لأن الطبيعة أخذت تعصى عليه وتنبت له الشوك والحسك، والحيوانات أيضاً صارت تطارده وتعاديه، وفقد القداسة والروحانية أيضاً لأنه صار دنساً بالنفس والجسد وأمسى كائناً مظلماً فاسداً. قال القديس إيريناوس بلسان آدم وهو ينعى حاله «لقد فقدت ثوب القداسة الذى أعطانيه الروح القدس».

فقد آدم كل هذا، بالخطيئة التى سقط فيها، وبذلك شوّه الصورة الطاهرة الجميلة التى خلقه الله عليها بكل إمتيازاتها، وفقدت نفسه صفاءها الأول، نعم لقد اهتزت صورة الله فيه ولم يعد

---

(١) أفسس ٥: ٢٢ – ٢٤، كورنثوس الأولى ١١: ٣.
(٢) أفسس ٥: ٢٥ – ٣٣.
(٣) كورنثوس الأولى ١٤: ٣٤، تيموثيلوس الأولى ٢: ١١، ١٢ تيطس ٢: ٥.
(٤) التكوين ١٨: ١٢. بطرس الأولى ٣: ١، ٥، ٦، كولوسى ٣: ١٨.
(٥) لوقا ٣: ٣٨.

آدم متوافقاً مع الله ولم تعد الصورة الجديدة التى صار إليها متطابقة مع الصورة الأولى التى خلقه عليها.

ثانياً: وفقد آدم مشاهدة الجلال الإلهى

كان آدم فى جنة عدن يتمتع بصحبة الله ومعاشرته يتكلم معه ويجيب عليه. ولا نزعم أن آدم كان يرى الله رؤية تامة فى كمال لاهوته، ولكن لا أقل من أنه كان يراه بعض الرؤيا ويتحقق من وجوده. لأنه عندما سقط هو وإمرأته فى الخطيئة «سمعا صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وإمراته من وجه الرب الإله فيما بين شجر الجنة فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت؟ قال إنى سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت» (١) وهذه قصة مثيرة تطالعنا على أن آدم قد ألف أن يرى الله ويسمع صوته ويشعر بوجوده، لذلك فعندما سمع صوته فى الجنة كعادته، اختبأ هو وإمرأته من أمام وجه الرب لأنه تعرّى بسبب خطيئته...

ولقد فقد آدم هذا كله، بل وطرد من حضرة الرب ومن فردوس النعيم وصار ممنوعاً من الاقتراب إليه بقوة الكروبيم ولهيب سيف متقلب (٢) لحراسة طريق شجرة الحياة...

ثالثاً: وفقد آدم بالخطيئة إمتيازات أخرى كثيرة

وكان آدم مصوناً من الشهوة، وبخطيئته صار محارباً من شهوته

لم يكن آدم قبل السقوط يعرف الشهوة أو يحس بها، ولم تكن تجذبه إليها أو تميله نحوها. ولم يكن يشعر بقابلية نحو الشر أو رغبة فى الخطيئة.. ولم تكن للذات الحسّية أشواق عنده، ولا للمتاع الأرضى جاذبية فى قلبه.. كان مجرداً من هذا الميل، ومرتفعاً فوق الرغبة والشهوة. كان كائناً آخر غيره اليوم. كان العقل يُبصّره.. والإرادة الحرّة تُوجهه. أما الشهوة فلم يكن لها وجود عنده ...

حقاً إن الشهوة ليست فى ذاتها شر لكنها على كل حال قابلة للشر.. وانجذاب نحو اللذات الحسية والبدنية والأرضية يسهل لنا الخطيئة والشر..

وهذه فى الواقع هى الصورة الجميلة التى يقدمها لنا الوحى المقدس عن الأبوين الأولين قبل أن يسقطا فى الخطيئة فقد «كانا كلاهما عريانين آدم وإمرأته وهما لا يخجلان» (٣).

(١) التكوين ٣: ٨ – ١٠. (٢) التكوين ٣: ١٣، ٢٤. (٣) التكوين ٢: ٢٥.

فلم تكن لآدم قبل السقوط شهوة الجنس أو شهوة الجسد أو شهوة العيون. كان يخلو من ألم الشهوة خلواً تاماً. كان هادئ النفس سعيداً وكان طهر البدن فى حركات الشهوة وشغبها.

فلما سقط آدم وإمرأته فى الخطيئة صارت فيهما الشهوة وتحركت الرغبة وأمست لهما قابليات نحو اللذات الحسّية والبدنية والأرضية وميل أو ميول إلى طلب هذه اللذات وإيثارها على الخيرات الروحية، وبذل الخيرات الروحية فى سبيل اللذات المادية...

فبمجرد أن قبلت المرأة مشورة الحيّة واستسلمت للعصيان «رأت المرأة أن الشجرة طيّبة للمأكل وشهيّة للعيون، وأن الشجرة منية للعقل، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت بعلها أيضاً معها فأكل، فانفتحت أعينهما، فعلما أنهما عريانان، فخاطا من ورق التين وصنعا لهما منه مآزر.. فأخرجه الرب الإله (هو وإمرأته حواء) من جنة عدن... وعرف آدم حواء إمرأته فحملت وولدت» (١).

وصارت الشهوة لا فى آدم وحواء وحدهما وإنما أيضاً فى الجنس البشرى كله المولود حسب الطبيعة من آدم وحواء.

ومع أن المسيح مخلصنا قد عتقنا بموته من خطيئة آدم ومن عقوبتها، لكنّ الشهوة لا تزال فينا.. وهذا يدل على أن خلوّ آدم من الشهوة، وهو فى حال البرارة الأولى كان أمراً لاطبيعياً، لكنه كان إمتيازاً فقده آدم ضمن ما فقد من إمتيازات عالية على الطبيعة كانت له فى بدء الخليقة، ذلك أن الشهوة ليست فى ذاتها شراً لكن «الشهوة إذا حبلت تلد خطيئة، والخطيئة إذا تمت تنتج الموت» (٢).

رابعاً: وكان آدم مصوناً من الجهل، وبخطيئته فقد العلم وصار جاهلاً

وكان لابد لآدم أن يكون مخلوقاً على درجة عالية من العلم والمعرفة كسبها من الله الذى خلقه على صورته ومثاله، وهذه المعرفة وذاك العلم كانا لازمين له بوصفه أيضاً الإنسان الأول فى الخليقة، حتى يفهم نسبته إلى الكون، ويعرف أن يتسلط على الحيوانات ويستغلها للخير والمنفعة، وكبيّنة على ما كان لآدم من علم ومعرفة قال الكتاب المقدس «وجبل الرب الإله من

---

(١) التكوين (٢: ٦ – ٧، ٢٣). (٣: ١).

(٢) يعقوب ١: ١٥.

الأرض جميع حيوانات البرية وجميع طير السماء وأتى بها آدم ليرى ماذا يسميها. فكل ما سماه به آدم من نفس حيّة فهو اسمه. فدعا آدم جميع البهائم وطير السماء وجميع وحش الصحراء بأسماء» (١).

ولكن آدم لم يكن سيداً للطبيعة فقط بل هو أب للجنس البشرى أيضاً، فكان لابد له من نصيب وافر من العلم والمعرفة كأب للبشر ومعلّم لهم ورئيس عليهم.

ومن آيات علمه على ما يقول بعض آباء الكنيسة معرفته بأن حواء من عظمه ومن لحمه على الرغم من أنها أخذت من ضلعه بعد أن أوقع الرب عليه سباتاً فنام، كما أنه أنبأ بما ستصير عليه علاقة كل رجل بإمرأته وأنهما سيصبحان جسداً واحداً، قال الوحى الإلهى «فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام فاستّل إحدى أضلاعه وملأ مكانها لحماً. وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم إمرأة، فأتى بها آدم. فقال آدم هذه الآن عظم من عظمى ولحم من لحمى. هذه تُسمى إمرأة لأنها من امرئ أُخذت. ولذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم إمرأته فيصيران جسداً واحداً» (٢).

غير أننا لا نغالى فنتوهم أن العلم الذى كان لآدم علم مطلق أو كامل وتام فهذا النوع من العلم المطلق هو من صفات الله جلّت قدرته لأنه وحده المطلق وغير المحدود. ومع ذلك فقد كان علم آدم كافياً حتى يدرك به محبة الله التى لا تدرك وخيريته وسائر صفاته وكمالاته الإلهية، ولأن يفهم مركزه بالنسبة لله وما له من إمتياز وسموّ على جميع الخلائق، ولأن يدرك ما جبل عليه من مجد وبهاء وجلال، ولأن يعلم ما هو ضرورى لحياته ونافع لها، ولأن يتصرف فى الخليقة الحيّة والخليقة الجامدة التصرف الحسن ويستغلها الاستغلال المناسب.

ومع ذلك فهذه المعرفة قابلة للازدياد، والنمو بنموّ الخيرات والاحتياجات وذلك لأنه كائن محدود وحرّ وعاقل.

فلما سقط آدم فى الخطيئة سقط عنه علمه ومعرفته وأمسى جاهلاً لأن الخطيئة أظلمت عقله وبصيرته وشوّشت قدراته الخلاّقة، وأذهبت بحدّة ذكائه ولمعان عقله، وأنسته معرفته الثاقبة النافذة، وأفقدته ذاكرته وحافظته وقدرته على التفكير الخصب القوى...

ولا شك أن العلاقة كانت ولا تزال إلى اليوم قائمة بين الفضيلة والبصيرة كما بين الرذيلة والبلاهة والغباوة والعمى وما إلى ذلك. قال الحكيم: «الناس الأشرار لا يفطنون للقضاء والذين

---

(١) التكوين ٢: ١٩، ٢٠.

(٢) التكوين ٢: ٢١ – ٢٤.

يلتمسون الرب يفطنون لكل شئ» (١) ويقول المزمور على المنافقين «أنهم لا يعلمون ولا يفهمون، يسلكون فى الظلمة» (٢).

خامساً: وكان آدم مصوناً من الألم والتعب والمشقّة ولكنه بخطيئته أمسى عرضة لهم

الألم الطبيعى شئ عادى فى حياة الكائن الجسمانى، ونحن نعنى بالألم الطبيعى كل أنواع التعب الجسمانى والإرهاق الناجم عن العمل وكل فنون النشاط، ونعنى به أيضاً المرض بأنواعه المختلفة متدرجة حسب خطورتها على حياة الإنسان الطبيعية وما يفضى منها إلى الموت وهو نهاية الحياة المادية.

ومع أن الألم والتعب والإرهاق والمرض والموت كلّها أمور طبيعية فى حياة كل كائن حىّ ذى نفس حسّاسة إلا أن آدم الإنسان الأول كان فى حال من السعادة بحيث كانت حياته تخلو من الألم بكل أنواعه. كان آدم قوياً لا يتعب وسليماً صحيحاً لا يمرض ولا يجد الإرهاق إليه سبيلاً مع أنه كان يعمل فى الجنة يفلحها ويحرسها (٣) وكان يملك على الطبيعة الجامدة والحيّة يحكمها ويتسلط عليها (٤)، ويتصرف فيها (٥) تصرف المالك فيما يملك. كان آدم يعمل فى الجنة قبل أن يطرد منها أى أنه كان يعمل قبل أن يقع فى الخطيئة (٦) وإذن فليس العمل عقاباً على الخطأ، لكنه فى طبيعة الإنسان منذ ابتداء وجوده، بل أن العمل من غايات وجود الإنسان على الأرض.. قال الوحى الإلهى «وأخذ الرب الإله آدم وجعله فى جنة عدن ليفلحها ويحرسها» (٧) فقد كان العمل للإنسان لذة وسروراً، كما كان العمل شرفاً لآدم وتوكيداً لسيادته على الطبيعة، وإثباتاً لحقّه فى التصرف فيها.. ولذلك كان آدم يعمل وهو سعيد وهو لا يحس بألم فى العمل. وإذا كان الإنسان اليوم عندما يكون سعيداً تطغى سعادته على شعوره بالتعب، فيعمل بسرور من أجل سعادته وسعادة غيره من أعضاء الأسرة البشرية بمعناها الضيّق أو بمعناها الواسع، فكم يمكن أن نتصور أن تكون سعادة الإنسان الأول وهو يعمل من دون أن تكون ثمت منغصات أو مكدرات، ومن دون أن يكون هناك فشل أو توقع للفشل كما حدث للإنسان بعد أن

---

(١) أمثال ٢٨: ٥.
(٢) مزمور ٨١ (٨٢): ٥.
(٣) التكوين ٢: ١٥.
(٤) التكوين ١: ٢٦، ٢٨، ٢٩.
(٥) التكوين ٢: ٢٠.
(٦) قارن التكوين (٢: ١٥)، (٣: ٦).
(٧) التكوين ٢: ١٥.

سقط فى الخطيئة، فأمست الطبيعة متمردة على آدم بعد أن تمرّد على خالقه وسيّده. وصار آدم يتوقع الشر والفشل، ولم يعد مطمئناً إلى شئ، وصارت الأرض تنبت له شوكاً وحسكاً. فتبدلت حالته النفسية، وتبعاً لهذا تبدلت حياته المادية فصار يشعر بالإرهاق والتعب، ودخل الشقاء والشعور بالإخفاق إلى نفسه، وصار يتوقع الفشل والشر وخيبة الرجاء. فقد قال الله لآدم «إذ سمعت لصوت إمرأتك فأكلت من الشجرة التى نهيتك قائلاً لا تأكل منها، فملعونة الأرض بسببك. بمشقة تأكل منها طول أيام حياتك. وشوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكل عشب الصحراء (أو الحقل). بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها، لأنك تراب، وإلى التراب تعود» (١) قال لامك بعد أن ولد نوحاً «هذا يعزينا عن أعمالنا وعن مشقّة أيدينا فى الأرض التى لعنها الرب» (٢) وجاء فى سفر أيوب تعبيراً عن شدّة شقاء الإنسان الذى أدركه «يولد الإنسان للمشقة كما تولد الجوارح لتحلق فى الطيران» (٣) وقوله «الإنسان مولود المرأة قليل الأيام، كثير الشقاء» (٤) وقال الله للمرأة «لأكثرن مشقات حملك، بالوجع تلدين البنين. إلى بعلك تنقاد أشواقك وهو يسود عليك» (٥).

وإذن فالألم والتعب والمشقة كلها دخيلة على حياة الإنسان وقد كان قبل الخطيئة مصوناً منها.

سادساً: وكان آدم مصوناً من المرض بكل أنواعه ولكنه بالخطيئة أمسى عرضة للمرض

فعندما كان آدم بلا خطيئة كان صحيحاً سليماً فى الروح والنفس والجسد. فالمرض يصيب الروح والنفس أولاً، وبعد ذلك يصيب الجسد. ولذلك كان مخلصنا يشفى النفس أولاً قبل أن يشفى الجسد، وشفاء النفوس يقوم أساساً على خلاص النفس من متاعبها المتسببة عن الخطيئة ولذلك قال للمفلوج المخلع: «ثق يا بنى، مغفورة لك خطاياك» (٦) قبل أن يقول له «قم احمل سريرك (وامش) واذهب إلى بيتك» (٧) وكذلك صنع مع المفلوج المخلّع الذى وجده عند بركة بيت حسدا، قال له بعد أن شفاه من مرضه كلّه، نفساً وجسداً «ها أنك قد عوفيت فلا تخطأ بعد لئلا

(١) التكوين ٣: ١٧ – ١٩.
(٢) التكوين ٥: ٢٨ قارن رومية ٨: ٢٠ – ٢٢.
(٣) أيوب ٥: ٧.
(٤) أيوب ١٤: ١.
(٥) التكوين ٣: ١٦ قارن تيموثيوس الأولى ٢: ١٥.
(٦) متى ٩: ٢، مرقس ٢: ٥، لوقا ٥: ٢٠.
(٧) متى ٩: ٦، مرقس ٢: ١١، لوقا ٥: ٢٤.

يصيبك أعظم» (١)، مما يدل على العلاقة الوثيقة بين الخطيئة وهى مرض الروح والنفس وبين المرض الجسدانى وكذلك صرّح له المجد عندما شفى إمرأة بها روح مرض منذ ثمانى عشرة سنة وكانت منحنية لا تستطيع أن تنتصب البتة، وقال عنها «هذه إبنة إبراهيم التى ربطها الشيطان منذ ثمانى عشر سنة» (٢) وشهد الآباء الرسل فى كرازتهم بأن مخلصنا يسوع المسيح كان «يشفى جميع المتسلط عليهم إبليس» (٣).

فالعلاقة بين الخطيئة والمرض علاقة وطيدة ومقررة فى إعلانات الوحى الإلهى فبالخطيئة دخل المرض بأنواعه إلى طبيعة الإنسان، وكان قبل الخطيئة مصوناً منه تماماً.

سابعاً: وكان آدم مصوناً من الموت ولكن بخطيئته أمسى محكوماً عليه بالموت

والدليل على أن الموت دخيل على طبيعة آدم أن الله توعده به إذا هو خالف وصيته وأكل من الشجرة التى نهاه عن أن يأكل منها. قال سفر التكوين: «وأمر الرب الإله آدم قائلا: من جميع شجر الجنة تأكل. وأما شجرة معرفة الخير والشر، فلا تأكل منها فإنك يوم تأكل منها تموت موتاً» (٤). وقد رددت حواء للحيّة إنذار الله لآدم ولها قائلة: «من ثمر شجر الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة، فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسّاه كيلا تموتا» (٥) وهكذا «أنتجت الخطيئة الموت» (٦)، «لأن أجرة الخطيئة هى الموت» (٧) ولم يمت آدم وحده بالخطيئة. ففيه مات جميع الناس (٨) الذين ولدوا بالطبيعة من آدم، ولا زالوا يموتون «من أجل ذلك كما أنها بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت. وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس بالذى جميعهم خطئوا فيه» (٩) حتى قال النبى أيضاً: «أى إنسان يحيا ولا يرى الموت (١٠).

---

(١) يوحنا ٥: ١٤.
(٢) لوقا ١٣: ١٦ قارن لوقا ١٣: ١١ – ١٣.
(٣) أعمال ١٠: ٣٨.
(٤) التكوين ٢: ١٦، ١٧.
(٥) التكوين ٣: ٢، ٣.
(٦) يعقوب ١: ١٥.
(٧) رومية ٦: ٢٣ أنظر أيضاً رومية ١: ٣٢، ٦: ٢١، ٨: ٦، ١٣ وتيموثيوس الأولى ٥: ٦.
(٨) كورنثوس الأولى ١٥: ٢٢.
(٩) رومية ٥: ١٢ انظر رومية ٥: ١٤، ٢١.
(١٠) مزمور ٨٨ (٨٩): ٤٨.

وإذن كان آدم سيخلد نفساً وجسداً لو لم يخطأ. لكن الخطيئة هى التى جلبت الموت إلى طبيعته، يقول سفر الحكمة: «فإن الله خلق الإنسان خالداً وصنعه على صورة ذاته. لكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم» (١).

وفى هذا الموضوع أصدرت المجامع قرارات واضحة من ذلك ما أصدره مجمع قرطاجنة عام ٤١٧م بصدد بدعة بيلاجيوس والبيلاجيين، فى قانونه رقم ١٢٠ «من قال بأن آدم الإنسان الأول قد خلق قابلاً للموت سواء أخطأ أو لم يخطأ وأنه كان سيموت بالجسد، بمعنى أنه يفارق الجسد لا لأنه يستحق هذا المصير بسبب الخطيئة، ولكن بسبب ضرورة مجبولة فى طبيعته، فليكن محروماً.

(١) سفر الحكمة ٢: ٢٣، ٢٤ وقد اقتبس هذا النص المقدس فى صلاة الصلح لقداس القديس باسيليوس «والموت الذى دخل إلى العالم بحسد إبليس، هدمته»، وهو بيّنة على اعتقاد الكنيسة الأرثوذكسية فى قانونية سفر الحكمة الذى حذفه البروتستانت من الكتاب المقدس طبعتهم.

انتشار الخطيئـــة الأصليـــة

لقد عصى آدم ربه، فأكل من الشجرة التى نهاه عن أن يأكل منها، فجلب على نفسه الموت الذى توعده الله به. ولما كان آدم لا يمثل نفسه فقط، فقد شمل الحكم جميع البشر المولودين من صلبه وصاروا به وفيه خطاة ومستوجبين للموت، من حيث هو أبوهم، وقد ولدوا منه وهو فى حالة الخطيئة، وبعد أن صدر الحكم عليه بالموت...

يقول الكتاب المقدس: «من أجل ذلك كما أنها بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس بالذى جميعهم خطئوا فيه» (١) وهذا النص المقدس يقرر مبدأ انتشار الخطيئة من الإنسان الأول الذى هو آدم إلى كل الناس، كما يقرر أن هذا الانتشار كان عن طريق آدم أب الجنس البشرى.

ويمتد النص فى تأييد هذا المعنى بقوله «ليست الموهبة على قدر الزلّة لأنه إن يكن بسبب زلة واحد قد مات الكثيرون فبالأحرى كثيراً وفرت نعمة الله وعطيته للكثيرين بالنعمة التى لإنسان واحد هو يسوع المسيح» (٢) ومعناه أولاً أن خطيئة آدم جلبت الموت على كل ذريته وثانياً إنه بنفس القياس قد فاضت نعمة المسيح على جميع الناس كما أن خطيئة آدم شملت جميع الناس.

---

(١) رومية ٥: ١٢ ويلاحظ أن الترجمة البيروتية البروتستانتية قد أوردت هذا النص مبتوراً فقالت «وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع» ولكن النص اليونانى والنص القبطى والترجمة اللاتينية المعروفة بالفولجاتا كلها أوردت النص على النحو الذى أثبتناه فى متن الموضوع. فالنص اليونانى يقول:

.....καὶ οὕτως εἰς πάντας ἀνθρώπους ὁ θάνατος διῆλθεν ἐφ' ᾧ πάντες ἥμαρτον.

والنص القبطى يقرأ: ⲁⲡⲓⲙⲟⲩ ⲉⲧⲉϩⲟⲩⲛ ⲉⲣⲱⲙⲓ ⲛⲓⲃⲉⲛ
ⲫⲏ ⲉⲧⲁⲩⲉⲣⲙⲟⲃⲓ ⲛϩⲏⲧⲟ

والترجمة اللاتينية تقول: *in quo omnes peccaverunt*

(٢) رومية ٥: ١٥.

ويكرر الكتاب المقدس نفس المعنى مرة أخرى قائلاً: «وليست الهبة كمثل ماجَرَّت من العواقب خطيئة إنسان واحد، فإذا كان الحكم على إنسان واحد قد أفضى بالبشر إلى الهلاك، فإن هبة النعمة بعد كثير من الخطايا، أفضت بهم إلى التبرير فإذا كان الموت قد ملك على البشر بخطيئة إنسان واحد بسبب ذلك الإنسان الواحد. فبالأولى تسود الحياة بيسوع المسيح وحده، أولئك الذين ينالون فيض النعمة وهبة البر، فإذن كما أن بخطيئة إنسان واحد صار الحكم على جميع الناس بالهلاك، هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة. وكما أنه بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطأة كذلك بطاعة واحد يجعل الكثيرون أبراراً... حتى أنه كما أن الخطيئة ملكت للموت كذلك تملك النعمة بالبرّ للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا» (١).

فلم يكن آدم فى نظر الشريعة الإلهية معزولاً عن الجنس البشرى الذى ولد منه، ولكنه حسب له رئيساً وأباً ووليا ومعلماً ونبياً، فالحكم الذى صدر عليه شملهم جميعاً بدون إستثناء، كما يصدر الحكم على رجل فتصادر أمواله فيصير أولاده جميعاً تحت الحكم بعينه.

ولم يظلم الله البشر فى هذا الحكم لأنه هو الذى خلقهم على هذا النحو بحيث كان آدم هو رأس العائلة البشرية وهو المسئول الأول عنها، وعلى نفس هذا المبدأ نفهم إلى اليوم وإلى الأبد مسئولية كل أب، وكل ربّ أسرة إنها مسئولية تتعدى شخص الأب إلى جميع أفراد أسرته...

لقد خطئ آدم أبو الجنس البشرى وتعدّى وصية الله، فطرد من الجنة، وسرى الحكم إلى جميع ذريته فقد كانوا فى صلبه، فلم يتمكن واحد من كل نسله من الدخول إلى الفردوس أو حتى من الإقتراب إليه لا فى الحياة ولا بعد الموت، إلاّ بعد أن جاء المسيح وفداهم بموته، وظل كل الجنس البشرى مطروداً من الجنة، يشقى فى الأرض التى أمست تنبت له الشوك والحسك، وهو ذات الحكم الذى صدر على آدم أبيهم الأول (٢)، لأنهم ولدوا منه وهو فى حالة الخطيئة، مطروداً من حضرة الله ومن الجنة، مثلهم فى ذلك مثل الأولاد الذين يولدون من أب فقير فيعنون بسببه طفولة فقيرة معدمة محرومة من كل أسباب النعيم الأرضى، وهذا قانون طبيعى، وقد قال الله فى الوصية الثانية من الوصايا العشر: «أنا الرب إلهك إله غيور، أفتقد ذنوب الآباء

---

(١) رومية ٥: ١٦ – ٢١.

(٢) التكوين ٣: ١٨.

فى البنين إلى الجيل الثالث والرابع من مبغضىّ (١). كما يقول فى موضع آخر: «مفتقد ذنوب الآباء فى البنين، وفى بنى البنين إلى الجيل الثالث والرابع» (٢).

هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإن آدم إذ قبل غواية الحية، استعبد نفسه للشيطان الذى اقتنصه لإرادته. ولم يملك الشيطان آدم وحده لكنه ملك أيضاً على كل ذريته، لأن من ملك عبداً ملك أولاده أيضاً (٣) وملك الموت أيضاً على آدم وجميع نسله من بعده. يقول مار بولس الرسول «لأنه إذا كان الموت بسبب زلة واحدة قد ملك بواحد» (٤). وجاء أيضاً هذا المعنى فى قداس القديس باسيليوس «وبذل (المسيح) ذاته فداء عنا إلى الموت الذى ملك علينا، هذا الذى كان مقبوضاً علينا به، ومبيعين بسبب خطايانا».

وعلى هذا المبدأ أيضاً نفهم قانون التكاثر والوراثة فى كل الخليقة الحية بما فيها النبات والحيوان أيضاً. فكل منها كقول الوحى «يزر بزراً بحسب صنفه، ويخرج ثمراً بزره فيه بحسب صنفه» (٥). لقد سقط آدم، فخلّف لذريته من بعده طبيعة بشرية معتلة ورثتها عنه، فصار جميع الناس يولدون بطبيعة فاسدة عاجزة عن الصلاح مثلهم فى ذلك مثل من يولد من أبوين مريضين فيرث عنهما المرض والضعف. وهذا قانون طبيعى لهذا قال النبى داود «إنى فى الإثم ولدت (٦)، وفى الخطيئة حبلت بى أمى» (٧) فبالولادة انتشرت الخطيئة الأصلية، وبالوراثة صارت الخطيئة فى طبيعة الإنسان، وصارت ذات الطبيعة التى يولد بها الإنسان فاسدة ومن ثم صار فيها الميل إلى الخطيئة والانجذاب نحوها، وأمسى الإنسان محارباً من طبيعته الفاسدة (٨) فهى من جهة تجذبه إلى الخطيئة وتميله نحوها وترغبه فيها، ومن جهة أخرى تعوقه عن عمل الصلاح والخير بسبب الفساد الذى فيها، وبالتالى صارت الرذيلة ميسورة لدى الإنسان مرغوباً

---

(١) الخروج ٢٠: ٥، التثنية ٥: ٩.

(٢) الخروج ٣٤: ٧.

(٣) راجع الدر الثمين لإيضاح الدين للأنبا ساويروس أسقف الأشمونين الشهير بالمقفع طبعة القاهرة ١٩٢٥م المقالة الرابعة صفحة ١٣١، المقالة الثانية صفحة ٦٧، ٦٨، ٩٢، ٩٦.

(٤) رومية ٥: ١٧.

(٥) التكوين ١: ٢٩.

(٦) أو صورت، أو كونت، أو شكلت.

(٧) مزمور ٥٠ (٥١): ٥.

(٨) مقالة للأنبا بطرس السدمنتى فى اعتقاد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ـ مجلة الكرمة للأرشيدياكون حبيب جرجس ـ السنة ١٢ العدد الخامس (مايو ١٩٢٦) صفحة ٢٣٠.

فيها، بعكس الفضيلة التى أصبحت صعبة لا يعملها إلا بالجهد والمقاومة ولم يظلم الله البشر فى هذا الحكم، لأنه كما شمل الحكم بالموت جميع ذرية آدم كذلك كان سيشملهم الحكم بالحياة لو أن آدم ثبت فى طاعة الله ولم يعص وصيّته. «فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكراً وإنثى خلقهم. وباركهم الله ، وقال لهم أنموا وأكثروا واملأوا الأرض، وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وطيور السماء وجميع الحيوان الداب على الأرض. وقال الله ها قد أعطيتكم كل عشب يبزر بزراً على وجه الأرض كلها وكل شجر فيه ثمر يبزر بذراً يكون لكم طعاماً. (١) .. وفعلاً قد صار وإلى اليوم نمو الناس وتكاثرهم، وتسلطهم على سمك البحر وطير السماء وجميع الحيوان الداب على الأرض. مما يدل على أن ذرية آدم قد تمتعت فعلاً بما تمتع به آدم أبوهم وكان يمكن أن يتمتعوا بخيرات أعظم وبحياة أبدية لا تعرف الموت، وبسعادة لا يشوبها الشقاء، لو أن آدم أباهم قد ثبت فى حالة البرارة والقداسة التى خلقه الله عليها.

ولم يظلم الله البشر فى هذا الحكم لأنه كما شمل الحكم بالموت جميع البشر الذين ولدوا من آدم وماتوا فيه، كذلك شملهم جميعاً عمل الفداء الذى قام به المسيح الفادى الذى صار موته موتاً لجميع الناس، وقيامته قيامة لجميعهم.

يقول الرسول فى رسالة أخرى «لأنه بما أن الموت بإنسان، فبإنسان أيضاً قيامة الأموات، فكما فى آدم يموت الجميع، كذلك فى المسيح سيحيا الجميع» (٢) وبهذا يقرر الوحى أن الموت قد انتشر إلى جميع الناس، بآدم وفى آدم. وقد شاء الله أنه كما يموت جميع الناس فى آدم كذلك اقتضى العدل الإلهى أن تكون فى قيامة المسيح حياة لجميع الناس. لأنه على نفس القاعدة كان آدم الأول نائباً عن الجنس البشرى كله من حيث أن آدم أبوهم جميعاً، كذلك صار المسيح نائباً عن البشر وبموجب هذه النيابة صار صلبه فداء عن كل البشر الذين اشترك هو فى طبيعتهم.

---

(١) التكوين ١ : ٢٧ – ٢٩.

(٢) كورنثوس الأولى ١٥ : ٢١، ٢٢.

«لماذا الصليب» ؟

لماذا جئنا اليوم ؟ أجئنا لنقول أن المسيح مات ؟

من هو المسيح ؟ هو الله أولا وقد اتخذ صورة البشر. والله حي لا يموت.

هو الحي الأول، وباعث الحياة فى كل الوجود، فهو أصل الحياة، فكيف يموت ؟ لكنه قَبِل الموت فى إنسانيته التى لبسها، واتخذها، واصطنعها، واتحد بها.

فالمسيح الذى نكس رأسه وقال الناس عنه إنه مات، كان فى نفس الوقت مالكاً كل الحياة، لأنه لا يموت، ولذلك تردد الكنيسة دائماً، وفى جمعة الصلبوت بالذات قولها «قدوس الله، قدوس القوى، قدوس الحى الذى لا يموت، يامن صلب عنا، ارحمنا».

فما معنى موت المسيح إذن ؟

لقد اتخذ الله الكلمة ناسوتا له، وناسوته جسد ذو روح عاقلة حية. فللمسيح - وهو الله - جسد وروح إنسانية .. وإلا، فهل جاء الله ليخلص الحيوان، أم جاء ليخلص الإنسان روحاً وجسداً؟ إذن كان لابد أن يتخذ المسيح كل طبيعتنا البشرية، وأن يتحد الإله بجسد ذى روح عاقلة، هذه هى الروح الإنسانية التى أسلمها على الصليب. فإذا قال الإنجيل عن المسيح فى ساعة موته إنه «أسلم الروح» (١) فالمقصود بالروح هنا ليس لاهوت المسيح، حاشا، فاللاهوت حى لا يلفظ ولا يسلم، لأنه يملأ السماوات والأرض، ثم أن لاهوت الكلمة قد اتحد بالناسوت إتحاداً جوهرياً حقيقياً كاملاً وتاماً، فلا يمكن أن يفارق الناسوت لحظة واحدة أو طرفة عين. إنما الروح التى أسلمها على الصليب هى الروح الإنسانية التى بها كمال ناسوته وكمال بشريته .. وإذن فموت المسيح معناه إنفصال مؤقت بين عنصرى ناسوته، إنفصال بين الروح الإنسانية والجسد .. أما اللاهوت فظل متحداً بكل من الروح والجسد.

والدليل على ذلك، إنه بعد أن أسلم المسيح الروح، وطعنوا جنبه بحربة ليتحققوا من موته، «جرى دم وماء» (٢) من جنبه، الأمر الذى لا يمكن أن يحدث لميت. فالميت يهرب الدم منه ويتجمد ويتجلط كما هو معروف. ولذلك فإن الطبيب لكى يتحقق من موت إنسان يغرس فى جسمه دبوساً، فإذا لم يخرج بدم كان هذا برهاناً على موته. وإذا طعنوا قلبه بخنجر نزف ماء

---

(١) (متى ٢٧ : ٥٠)، (مرقص ١٥ : ٣٧)، (يوحنا ١٩ : ٣٠)، (لوقا ٢٣ : ٤٦).

(٢) (يوحنا ١٩ : ٣٤).

أصفر يسمونه بلازما. أما بالنسبة للمسيح، فعندما طعنوه بعد موته تدفق من جنبه دم وماء متميزين الواحد عن الآخر، وهو دليل على أن المسيح - وقد مات بناسوته - كان حياً بلاهوته، وعلامة حياته الدم والماء اللذان تدفقا وجريا من جنبه الإلهى بعد موته، مما لم يحدث ولن يحدث لكائن بشرى آخر. فلما رأى ذلك قائد المائة الرومانى - وهو رجل وثنى - صاح بالإعتراف المسيحى «حقاً كان هذا الإنسان هو ابن الله» (١) وهذا هو السبب فى أن القديس يوحنا الذى كتب إنجيله من أجل إثبات لاهوت المسيح وقال فى ختامه «وآيات أخرى كثيرة صنع يسوع أمام تلاميذه، لم تدون فى هذا الكتاب، وإنما كتبت هذه لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله» (٢) قد اهتم أكثر من غيره من الإنجيليين بواقعة جريان الدم والماء من جنب المخلص بعد موته، لما لها من دلالة لاهوتية، وقال معقباً عليها «والذى عاين شهد وشهادته حق، وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم» (٣).

والذى عاين أى رأى بعينى رأسه هو نفس الرسول يوحنا كاتب الإنجيل، لأنه كان الرسول الوحيد القريب من الصليب وهو الذى أوصاه المخلص بأمه العذراء وقال له «هذه أمك» (٤). وهو الذى شهد تلك الواقعة أى كان من بين شهودها، وكان صادقاً فى شهادته عنها لأنه عاينها بنفسه وقد أوردها فى إنجيله لما لها من أهمية بالنسبة للإيمان المسيحى بأن المسيح ابن الله وهى القضية العظمى التى كتب إنجيله من أجل إثباتها. ولم يهمل الرسول يوحنا أن يؤكد على أهمية تلك الواقعة مرة أخرى، نظراً لدلالتها اللاهوتية، وذلك فى رسالته الأولى حيث يقول: «من ذا الذى يغلب العالم إلا الذى يؤمن أن المسيح هو ابن الله. هذا هو الذى أتى بالماء والدم، يسوع المسيح، لا بالماء فقط بل بالماء والدم» (٥).

لماذا يا يوحنا تعطى لتلك الواقعة كل هذه الأهمية، وتوردها أكثر من مرة وتربط بينها وبين الإيمان بالمسيح أنه ابن الله؟ ذلك أنه لو لم يكن المسيح ابن الله لما جرى من جنبه بعد موته دم وماء متميزين. لو كان المسيح مجرد إنسان لهرب الدم إلى القلب، وجمد وتجلط، وهذا هو برهان الموت عند كل إنسان. أما المسيح فعلى الرغم من موته بإنفصال روحه عن بدنه، لكن لاهوته

---

(١) (متى ٢٧: ٥٤)، (مرقس ١٥: ٣٩).

(٢) (يوحنا ٢٠: ٣٠، ٣١).

(٣) (يوحنا ١٩: ٣٥).

(٤) (يوحنا ١٩: ٢٧).

(٥) (رسالة يوحنا الأولى ٥: ٥، ٦).

لم يفارق لا روحه ولا بدنه، لذلك فإن جسد المسيح وهو على الصليب، كان حياً باللاهوت المتحد به ولم يفارقه لحظة واحدة ولا طرفة عين.

ونظراً أيضاً لأهمية جريان الدم والماء من جنب فادينا، ودلالته اللاهوتية تأمر الكنيسة المقدسة بأن يخلط الماء بالخمر فى الكأس أثناء القداس، تذكيراً للمؤمنين بما جرى عند الصليب وتنبيهاً إلى الدم والماء اللذين تفجرا من جنب المسيح الفادى، وذلك حتى لا ينسوا أنهم فيما يقدمون ذبيحة الشكر فى سر الشكر، أن مسيحهم حى لا يموت، حى بلاهوته، وإن كان قد ذاق الموت فى الجسد.

وهذا هو السبب أيضاً فى أن المؤمنين حينما يتقدمون إلى الأسرار المقدسة، يتناولون من الخبز السماوى ثم من الدم الكريم. ولماذا الفصل بين الإثنين؟ لماذا الفصل بين دم المسيح وجسده؟ أليس جسد المسيح به أيضاً دمه؟ أو هل جسد المسيح يخلو من دمه،؟ حاشا. إذن لماذا نتناول من العنصرين منفصلين؟ الجواب: أن الكنيسة تريدنا أن لا ننسى دم المسيح الذى تدفق من جنبه الإلهى على الصليب، وانسكب على الأرض للخلاص، فتجمعه فى كأس منفصل عن جسده، لأن دمه الذى تدفق من جنبه، جرى خلاصاً لنا، ولازال يجرى، وفى جريانه يخلص كل الذين يتقدمون به إلى الآب، لأنه حى يشفع فينا بكفارته واستحقاقاته الخلاصية لأنه «ليس بأحد غيره الخلاص لأنه ليس اسم آخر تحت السماء ممنوحاً للناس به ينبغى أن نخلص» (١).

وثمة دليل آخر على أن المسيح فيما كان ميتاً على الصليب، بانفصال روحه من بدنه، كان جسده حياً بلاهوته المتحد به ولم يفارقه على الرغم من الموت، هو أن جسده لم يهمل فى الهاوية، ولم يتعفن ولم يفسد ولم يتحلل كما يحدث لكل جسد آخر، بل ظل مصوناً من كل فساد إلى أن قام من بين الأموات فى اليوم الثالث بقوة لاهوته المتحد به، وبالآب وبالروح القدس. وقد اتخذ القديس بطرس الرسول هذه الحقيقة ليبرهن بها على لاهوت المسيح، وليكشف لليهود بشاعة جريمتهم عندما صلبوا «رئيس الحياة» (٢) ظناً منهم أنهم استطاعوا أن يبيدوه ويستأصلوه. وما أبادوه وما استأصلوه، وإنما قام من بين الأموات «ناقضا أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يمسكه الموت، لأن داود يقول فيه ... لأنك لا تترك نفسى فى الجحيم ولا تدع قدوسك يرى فساداً ... أيها الرجال الإخوه، أنه يسوغ أن يقال لكم جهراً عن داود رئيس الآباء أنه قد مات ودفن وقبره عندنا إلى اليوم .. فإذ كان نبياً وعلم ... وتكلم عن قيامة المسيح بأنه لم يترك

(١) (أعمال الرسل ٤: ١٢). (٢) (أعمال الرسل ٣: ١٥).

فى الجحيم ولم ير جسده فساداً .. فليعلم يقيناً جميع آل إسرائيل أن الله قد جعل يسوع هذا الذى صلبتموه ربا ومسيحاً. فلما سمعوا نخسوا فى قلوبهم، وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة. فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم باسم يسوع المسيح لمغفرة الخطايا، فتقبلوا موهبة الروح القدس» (١).

إذن المسيح مات، لكنه فى الوقت نفسه هو حى لا يموت. الموت لا يقع على لاهوته، لكنه وقع على ناسوته، ومع ذلك لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين. وبعبارة أخرى أن الموت وقع على الناسوت فعلا بانفصال عنصرى الناسوت وهما الروح الإنسانية والجسد، والموت لم يقع على اللاهوت لأن اللاهوت لا يموت، كما أن اللاهوت لا يتألم مادياً ولا فيزيقياً ولكن الألم نسب أيضاً للاهوته إعتبارياً ومعنوياً، بطبيعة الإتحاد التام القائم بين اللاهوت والناسوت، لأن الذى أعطى لموت المسيح وآلامه القيمة اللانهائية لتغطية وكفارة خطايا جميع البشر هو اللاهوت المتحد بالناسوت. ولولا هذا الاتحاد لكان المصلوب عنا مجرد إنسان. وفى هذه الحالة لا يكاد يفدى الإنسان إلا إنساناً واحداً فقط (٢)، إنما اللاهوت المتحد بالناسوت هو الذى أعطى الفداء كل قيمته، وأعطى لدم المسيح ثمناً لانهائياً فى قيمته لتغطية خطايا جميع البشر. وهذا هو السبب فى تجسد الله الكلمة لأن الله الكلمة تجسد من أجل أن يقوم بالفداء، ولولا الفداء لما كان التجسد. وقد كان الفداء ضرورة لخلاص الإنسان، ولم يكن فى مقدور الإنسان أن يخلص نفسه أو يفدى نفسه، فكان لابد من فاد. وإذا لم يكن ممكناً أن يكون هذا الفادى من الناس، فلا يمكن أن يكون من بين الملائكة، لأن الإنسان هو الذى أخطأ وتعدى على الله. ولما كانت خطيئة آدم شنيعة وبشعة لأنها تعد على الله، فكان لابد أن يكون عقابها الموت الأبدى، والنفى إلى الأبد من حضرة الله ومن نعيمه. إن من صفع أخاه ليس كمن صفع أباه، ومن صفع زميلاً له ليس كمن صفع رئيساً، فبقدر مكانة المصفوع تعظم الجريمة، فإذا كانت الإساءة ضد الله، فجريمة الإنسان لانهائية فى بشاعتها مع أن مرتكبها إنسان محدود، لكن لأن الله الذى ارتكبت فى حقه لانهائى فى جلاله ومهابته وقداسته، لذلك كانت جريمة الإنسان لا يكفر عنها، ولا يغطيها إلا فاد يمكنه أن يحتمل عقوبة غير محدودة، ليخلص الإنسان من الموت الأبدى، ومن النفى إلى الأبد من حضرة الله ومن نعيمه. فلكى يعفى الإنسان من هذا الموت، ويرد إلى رتبته الأولى، كان لابد لفاد له طبيعة غير محدودة يتحد بالإنسان، ويقبل فى إنسانيته الحكم

---

(١) (أعمال الرسل ٢: ٢٢-٣٨).
(٢) (رومية ٥: ٧).

الأبدى الصادر على الإنسان، وهذا ما صنعه الله الكلمة، إذ اتخذ إنسانيتنا، وفى الصليب احتمل فى جسده الحكم بالموت، ففدانا من الموت بموته، ولولا أنه هو بعينه كلمة الله لما كان موته كافياً لغفران خطيئة آدم وحدها، لكنه إذ هو كلمة الله، فالموت الذى قبله فى جسده كان ذا قيمة أبدية، لانهائية، تكفى لتغطية وغفران لا خطيئة آدم وحدها بل خطايا جميع البشر الذين أخطأوا فى آدم، وغفران جميع الخطايا الأخرى التى ارتكبها الناس جميعاً بعد آدم. فليس للمسيح حاجة بعد إلى أن يصلب مرة أخرى عن كل خطيئة أخرى. بل دمه الثمين يكفى لتطهير جميع الخطايا إذا أقبل الإنسان إليه بتوبة صادقة. فما الذى جعل لدم المسيح كل هذه القيمة اللانهائية؟ لأن الدم هو دم المسيح، كلمة الله المتجسد. فاتحاد اللاهوت بالناسوت جعل دم المسيح هو بقيمة الله نفسه. وبهذا المعنى نسب الوحى المقدس دم المسيح إلى الله ذاته مع أنه ليس للاهوت دم. قال الرسول بولس يعظ الأساقفة: «فخذوا الحذر إذن لأنفسكم، ولجميع الرعية التى أقامكم فيها الروح القدس أساقفة، لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه هو ذاته» (١).

فقد وصف الرسول بولس الكنيسة بأنها «كنيسة الله التى إقتناها بدمه هو ذاته» (٢) وبهذا نسب الوحى المقدس دم المسيح إلى الله ذاته.

من هنا لا يمكن أن يكون اللاهوت فارق الناسوت على الصليب، لأنه لو حدثت هذه المفارقة لكان تدبير الفداء قد فشل، وبكون الخلاص للبشرية قد تعطل، وكيف تتم المفارقة فى اللحظة التى نزل كلمة الله من أجلها. ألم يقل المسيح نفسه «من أجل هذه الساعة قد أتيت» (٣). فإذا كان المسيح قد قال وهو على الصليب «إلهى إلهى لماذا تخليت عنى» فهو يعبر بإنسانيته، عن شدة الآلام التى تحملها حقاً فى جسده من دون أن يتدخل اللاهوت لتخفيفها، أى أن المسيح يصرح كإنسان بأن الآلام التى يعانيها على الصليب هى آلام الحكم بالموت الأبدى كاملة غير منقوصة، لأن العدل الإلهى ممثلاً فى الآب قد تخلى عنه كخاطئ إذ «وضع الرب عليه إثم جميعنا» (٤) «وذلك الذى لم يعرف الخطيئة جعله خطيئة من أجلنا لكى نصير نحن بر الله فيه» (٥).

---

(١) (أعمال الرسل ٢٠: ٢٨) كما فى اليونانى والقبطى.

(٢) (يوحنا ١٢: ٢٧).

(٣) (متى ٢٧: ٤٦)، (مرقص ١٥: ٣٤)، أنظر أيضاً (مزمور ٢٢: ١).

(٤) (إشعياء ٥٣: ٦).

(٥) (رسالة كورنثوس الثانية ٥: ٢١).

ولذلك كان عمل الفداء حيوياً لخلاص الإنسان. إن المستهينين بكرامة الله وجلاله يظنون الفداء غباوة وجهالة وربما رأوا فيه تعقيداً لا يتناسب مع رحمة الله. لقد ضلوا وأخطأوا. ألم يعط الله للإنسان وصية؟ ألم يكسر الإنسان هذه الوصية؟ ألم يكن عدلاً أن يقع عليه الحكم بالموت الذى أنذره الله به؟ فإذا لم يقع الحكم على الإنسان بالموت بعد أن أخطأ، فمعناه أن الله قد كذب، أو أن كلام الله لا ينفذ، وحكمه يمكن أن يسقط!

وإذا كان الحكم الذى يصدر من قاض أو من ملك أرضى لابد أن ينفذ لأنه لا يمثل نفسه بل يمثل الدولة والأمة، فكيف يصدق عن الله أنه يرجع فى حكمه؟! وحتى لو أمكن للملك أو للقاضى أن يتراجع فلأنه كائن جاهل ينقصه كمال المعرفة أو يعوزه كمال القدرة. أما الله فلا تنقصه المعرفة ولا تعوزه القدرة، فاذا حكم فحكمه لابد نافذ، أنه ليس إنساناً فيكذب، ولا ابن بشر فيندم، هل يقول ولا يفعل أو يتكلم ولا يفى (١). أنه يقول للشئ كن فيكون، وما يقضى به يتم فى حينه «تزول السماء والأرض، أما كلامى فلا يزول» (٢). إذن مادام الله قد حكم على الإنسان بالموت، فلابد أن يموت الإنسان موتاً أبدياً، وأن ينفى من حضرة الله إلى الأبد، وأن يطرد من الفردوس إلى الأبد، ولن يعود إليه مرة أخرى. وهنا تحركت الرحمة الإلهية لتخلص الإنسان، ولكن كيف؟ هل بتراجع الله عن حكمه، حاشا! هل بإلغاء الله قضاءه؟ كلا أيضاً وحاشا!! فما هو الحل.؟ هل يغفر الله من غير ترضية كافية لعدالته؟ حاشا لله أيضاً. الحل قدمه الله نفسه، وقدمه بنفسه.

«فرأى أنه ليس إنسان، وتحير من أنه ليس شفيع، فخلصت ذراعه لنفسه، وبره هو عضده، فلبس البر كدرع، وخوذة الخلاص على رأسه. وتسربل بثياب الإنتقام لياساً، واشتمل بالغيرة كرداء» (٣) «وقد تطلبت من بينهم رجلاً يشيد جداراً ويقف على الثلمة أمامى مدافعاً عن الأرض لكى لا أدمرها فلم أجد. فصببت عليهم سخطى، وأفنيتهم بنار غضبى. وجعلت طريقهم على رؤوسهم، يقول السيد الرب» (٤) «إنى دست المعصرة وحدى، ومن الشعوب لم يكن معى أحد ... وقد نظرت ولم يكن من ناصر، وتحيرت إذ لم يكن من عاضد، فخلصت لى ذراعى» (٥).

---

(١) (العدد ٢٣: ١٩).
(٢) (متى ٢٧: ٣٥)، (مرقس ١٣: ٣١)، (لو ٢١: ٣٣).
(٣) (إشعياء ٥٩: ١٦، ١٧).
(٤) (حزقيال ٢٢: ٣٠، ٣١).
(٥) (إشعياء ٦٣: ٣، ٥).

فأخذ الله صورة الإنسان، واتحد اللاهوت بالناسوت واحتمل الله فى ناسوته الحكم الأبدى الذى حكم به على الإنسان، ومات هو بديلاً عن الإنسان، فافتدى الإنسان، وخلص بهذا الإنسان من الحكم الأبدى، فانعتق الإنسان، وتبرأ الإنسان، وتبرأ فى المسيح وبالمسيح، ونعم بالحياة من جديد، وعاد إلى الفردوس الذى طرد منه. وعاد آدم وجميع الأبرار من أولاده ممن مضوا إلى الجحيم لأن الفردوس كان مغلقاً فى وجه بنى آدم حتى فتحه المسيح بصليبه. فمنذ الأصحاح الثالث من سفر التكوين الذى يروى قصة طرد آدم من الفردوس لم يسمع الإنسان كلمة الفردوس إلا على الصليب حيث قالها المسيح للص اليمين «اليوم تكون معى فى الفردوس» (١) كما ورد فى الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيل معلمنا لوقا. ولهذا السبب، وتعبيراً عن فرحة الإنسان بعودته إلى الفردوس، وإنفتاح الطريق أمامه بعد اليأس القاتل الذى خيم على البشرية آلاف السنين، رأى قبط مصر أن ينقلوا عيد شم النسيم - وهو عندهم عيد الربيع وعيد الطبيعة - ليجعلوه اليوم التالى لعيد القيامة تعبيراً عن عودة الإنسان إلى الفردوس بصلبوت المسيح وقيامته. فإذا دخلوا الحدائق والجنات بعد عيد القيامة، ذكروا الفردوس الذى فتح أمام الإنسان بعد أن ظل مغلقاً فى وجوه الأبرار والصديقين عشرات المئات من السنين.

هذا هو الحل الذى قدمه الله لخلاص الإنسان.

ففى الصليب إلتقى عدل الله برحمته ومحبته. أما عدل الله فقد برز واضحاً فى أن حكم الموت قد نفذ فعلاً، ولم يتراجع الله عن قضائه إحتراماً لكلمته التى حكم بها على آدم، وأما رحمة الله ومحبته فقد وضحت فى أنه تنازل بذاته وقَبِل أن يتخذ شكل الإنسان، ويموت بديلاً عن الإنسان «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يبذل نفسه عن أحبائه» (٢). نعم فى الصليب «الرحمة والحق تلاقيا، العدل والسلام تلاثما» (٣).

فالصليب إذن كان ضرورة لا مفر منها لخلاص الإنسان. وفيه إلتقت محبة الله بعدالته. لهذا نحن لا نخجل من الصليب بل نفخر بالصليب «أما أنا فحاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به صلب العالم لى وأنا صلبت للعالم» (٤).

---

(١) (لوقا ٢٣: ٤٣).
(٢) (يوحنا ١٥: ٣).
(٣) (مزمور ٨٥: ١٠).
(٤) (غلاطيه ٦: ١٤).

فى الصليب فخارنا لأن به خلاصنا، وفى الصليب عزنا لأن الذى صلب عليه هو ربنا، وفى الصليب شَرَفنا لأنه رد المسيح به إعتبارنا، وأعادنا إلى الفردوس لننعم به إلى الأبد. فنحن لا نقبل بالصليب بديلاً، ولا نقبل فيه مساومة. إنه إكليلنا وابتهاجنا، وسلاحنا نرفعه فوق رؤوسنا، ونعلقه فى صدورنا، ونرسمه على جباهنا، ونحمله كسلاح فى أيدينا، نخزى به الشياطين، ونطفئ به قوة النار، وندوس به القائمين علينا والمناهضين لنا. هو علم مملكتنا السمائية، لأن الكنيسة أمنا هى ملكوت السماوات على الأرض، والمسيح هو ملكنا، والصليب هو علامة مخلصنا.

هذا اليوم، يوم جمعة الصلبوت، لا نبكى فيه بل نفرح. وإن كنا نبكى فإنما نبكى خطايانا التى جعلت كلمة الله يقبل صورة الهوان من أجلنا، ويعلق على الصليب كأحد المجرمين. «يا بنات أورشليم، لا تبكين عليّ بل إبكين على أنفسكن وعلى أولادكن» (١) فإذا كنا نجلل الكنيسة بالسواد، فليس حزنا على المسيح ولا حدادا عليه، وإنما ذلك من قبيل تصوير ماضى البشرية التى كانت تحيا قبل الفداء فى الظلمة وظلال الموت، فتبدل الظلام بالنور، وتبدل الحزن بالفرح. لذلك سمى السبت الكبير بسبت النور، وبسبت الفرح، لأن الأرواح التى كانت قائمة فى الجحيم فى الظلمة وظلال الموت أشرق عليهم نور المسيح إذ مضى إليهم بعد الصليب وبشرهم بالخلاص، وسباهم سبيا إلى العتق وإلى فردوس النعيم.

لذلك فإن الكنيسة تشفق علينا من أن نظن أن اليوم حزن على المسيح المصلوب، حاشا وكلا، فإنه لذلك تغنى الكنيسة لحن الإنتصار، وتبارك المسيح المصلوب الذى أظهر بالضعف ما هو أعظم من القوة. ولذلك أيضا توجه إليه التسبحة العظيمة التى يتغنى بها الملائكة أمام عرشه السماوى وهو فى المجد، وتناديه «لك القوة، والمجد، والتسبيح، والعزة، إلى الأبد، يا عمانوئيل إلهنا وملكنا».

وعندما نحتفل بذكرى دفنه فى القبر - وذلك فى الساعة الثانية عشرة من يوم جمعة الصلبوت - نسبحه موجهين إليه كلمات المزمور «عرشك يا الله إلى دهر الدهور» (٢).

إذن إن كنا نبكى، فلنبك خطايانا ولنبك آثامنا. إن المسيح مات من أجلنا لأنه أحبنا. فأى جريمة عظيمة نرتكبها فى حق من أحبنا وبذل نفسه من أجلنا إن كنا نخونه.. إن كنا ننكره.. إن كنا نبيعه من أجل شهوة عارضة.. لماذا تلومون على يهوذا الأسخريوطى الذى باعه بثلاثين

(١) (لوقا ٢٣ : ٢٨). (٢) (مزمور ٤٥ : ٦).

من الفضة.. إن يهوذا موجود فى كل جيل، وفى كل عصر.. المسيح له فى كل مكان وفى كل زمان من يبيعه بثلاثين من الفضة، ... ربما من أجل شهوة، من أجل رغبة، من أجل مركز.. من أجل منصب.. من أجل مال.. من أجل فتاة يحبها شاب ويتعلق بها ويبيع بسببها مسيحه.. أو من أجل شاب تحبه فتاة وتتعلق به وتبيع بسببه مسيحها ومخلصها.. من أجل أمور زائلة يخون الإنسان المسيح، .. وبعد أن جحد الشيطان فى المعمودية وأعلن إنفصاله من مملكة الشيطان وإنضمامه لمملكة المسيح، يعود فيتردى من جديد فى أحضان الشيطان ويخون سيده الخيانة العظمى... يالها من حماقة، ويالها من غباوة.. لو كان لك النظر البعيد لكنت تنضم إلى الأقوى.. ومن هو الأقوى؟ الأقوى هو المسيح لأنه الرب، ثم لأنه أيضا الديان. وهو الذى سيحاكمك.. هو الذى سيدينك ويحاسبك.. كيف لا تخجل أن تخونه وأنت ستقف أمام منبره المهوب المخوف فى اليوم العظيم حيث «تزول السماوات بدوى قاصف، وتنحل العناصر متقدة وتذوب، وتحترق الأرض وما فيها من المصنوعات» (١).

أخشى أن تقرع على بابه فى ذلك اليوم فلا يفتح لك.. أخشى أن تذكر له اسمك واسم عائلتك، فتسمع صوته من الداخل : اذهب عنى لا أعرفك... «فكل من يعترف بى أمام الناس أعترف أنا كذلك به أمام أبى الذى فى السماوات ومن ينكرنى أمام الناس انكره أنا كذلك أمام أبى الذى فى السماوات» (٢). «صادقة هى الكلمة، إن متنا معه فسنحيا معه. إن صبرنا فسنملك معه، وإن أنكرناه فسينكرنا هو أيضا. إن كنا غير أمناء ظل هو أمينا لأنه لا يمكن أن ينكر نفسه (٣).

أيها الإخوة والأبناء:

ما جئتم اليوم لتحتفلوا بمناسبة تأتى ثم تمضى وتعود إلينا فى كل عام .. ما جئنا هنا لعرض مسرحى .. مهما كان جمال الطقوس فى هذا اليوم العظيم .. ومهما كان أثرها العميق فى جذب العدد الأكبر من المؤمنين .. إنما أتينا لنذكر ما صنعه المسيح من أجلنا، لنبكى خطايانا بندامة، لنذرف دم القلب قبل دمع العين ندامة وتوبة أمام الله .. ولنعترف بتقصيراتنا وإهمالنا وتعدياتنا.

---

(١) (رسالة بطرس الثانية ٣ : ١٠ - ١٢).

(٢) (رسالة بطرس الثانية ٣ : ١٠ - ١٢).

(٣) (رسالة تيموثيوس الثانية ٢ : ١١ - ١٣).

بعد قليل، وبعد إتمام صلوات الساعة الثانية عشرة من ساعات يوم جمعة الصلبوت، تقفون جميعا تستمطرون مراحم الرب على العالم بأسره، فتتجهون أولا إلى الشرق، ثم إلى الغرب، ثم إلى الشمال ثم إلى الجنوب.. وفى كل إتجاه تؤدون مائة مطانية أى مائة سجدة .. تطلبون بذلك رحمة الله على جميع الناس فى كل مكان...

كانت الكنيسة اليهودية وقفا على الشعب اليهودى الذى كان يرى فى ذاته أنه الشعب المختار، وأما سائر الشعوب والأمم فكلاب وأنجاس.. لكن المسيح ركب الجحش النجس فى نظر اليهود والذى يرمز عندهم إلى الشعوب والأمم النجسة، ودخل به فى يوم أحد الشعانين إلى أورشليم، معلنا بذلك أنه دخل بالأمم الوثنية إلى حظيرة الإيمان إتماما لقوله «ولى خراف أخرى ليست من هذه الحظيرة، فينبغى أن آتى بها أيضا، وستسمع صوتى، وتكون هناك رعية واحدة وراع واحد» (١).

فلا تنسوا فى هذا اليوم حينما تؤدى المطانيات والسجدات أن تذكروا أنفسكم، وعائلاتكم.. بل أذكروا جميع الناس.. أذكروا الضالين والتائهين.. وغير المؤمنين .. صلوا من أجل خلاص الله لكل الشعوب.

والمسيح الذى فدانا بموته، واشترانا بدمه الزكى الثمين نسأله أن يبارك حياة الجميع .. نسأله أن يتلطف بالخطاة .. وأن يقبل توبة التائبين وطلبات المعترفين .. وأن يحفظ بلادنا وسلامها .. وأن يقوى جهود المسئولين، الروحيين والمدنيين، على إختلاف درجات المسئولية .. وأن يجعل لنا نصيبا وميراثا مع القديسين.

له السجود، والمجد، والسبح، دائما، أبديا آمين ..

---

(١) (يوحنا ١٠ : ١٦).

مفهوم الخلاص فى الكنيسة الأرثوذكسية (١)

هذا الموضوع فى غاية الأهمية من حيث أن لكنيستنا المسيحية الارثوذكسية تاريخا طويلا فى هذه المسألة. ومن حيث أيضا أن هناك مفهومات جديدة بدأت تعمل فى وسط شعبنا. مفهومات جديدة لأنها أسلوب جديد وانحراف جديد عن الفهم الصحيح الذى تركز فى كل تاريخنا. ولأول مرة تطرق آذان شعبنا أسئلة جديدة. أناس يسألون عن الخلاص، ويوجهون إلى المؤمنين بالمسيح والعابدين فى كنيسة المسيح أسئلة فى معنى الخلاص، كما لو كان هؤلاء القوم المتسائلون هابطين من السماء، يسألون هؤلاء الكفرة والملحدين وغير المؤمنين أن يلتفتوا إلى خلاص أنفسهم.

بدأ بعض المؤمنين يثار من هذه الجهة ويسأل عن الخلاص، وبدأت تثار مشاكل، وبدأ الناس ينقسمون بازاء هذا المفهوم فى أكثر من اتجاه، وبدأت الحركة تنتقل وتتحرك من مدينة إلى مدينة حتى أصبحت هذه المفهومات المنحرفة تشكل خطرا على كنيسة المسيح، وما لم يكن رجال الدين فى الطليعة دائما، يقودون شعبهم قيادة سليمة ويجيبون على الأسئلة التى توجه إليهم وإلى شعبهم إجابة سليمة تتفق مع الحق الإلهى وتتفق وتقاليد الكنيسة العريقة المجيدة، وتتفق والإيمان المسلم لنا من القديسين والذى عشنا عليه هذه الأزمنة الطويلة، أقول ما لم يكن رجال الدين فى الطليعة فى معرفة هذه الحقائق الأرثوذكسية التى تثار الآن وكأنها موضوع جديد هبط علينا من السماء، وكأن لم تكن له أصول قديمة... ما لم يكن رجال الدين فى الطليعة فكيف يمكنهم أن يشرحوا لشعبهم وأن يجيبوا على الأسئلة التى توجه إليهم فى هذا الموضوع؟. لذلك رأينا أن نتدارس هذه المشكلة، وطبعا قصدنا أولا أن نفتح أبوابا فى هذا الموضوع، وفى نفس الوقت أرجو أن يكون هناك مجال لأسئلة وأن يجاب على هذه الأسئلة. ولهذا أطلب من الإخوة المسئولين عن النظام أن يوزعوا أوراقا بيضاء على أعضاء هذه الدراسات حتى يمكنهم أن يكتبوا ما يعن لهم من أسئلة قد يثيرها كلامنا فى هذا الموضوع أو أسئلة أخرى قد لا نتعرض لها فى هذه المحاضرة.

---

(١) محاضرة ألقيت فى الحلقات الدراسية التى عقدت لخريجى الكلية الإكليريكية فى الفترة من ٦ إلى ٩ فبراير ١٩٦٧، ونشرت بمجلة الكرازة السنة الثالثة ـ العددين الخامس والسادس ـ يونيه ويوليو لسنة ١٩٦٧م.

معنى الخلاص :

كلمة الخلاص فى اللغة معناها **النجاة أو الإفلات من خطر أو من شر ما**. هذا الخلاص نجده فى الكتاب المقدس بثلاثة معان:

المعنى الأول : الخلاص من عدو ظاهر أو من شدة أو من مرض أو من شر مادى، بهذا المعنى نجد نصوصا كثيرة فى الكتب المقدسة. فموسى النبى كان يكلم شعبه حينما خرجوا، وخرج من ورائهم فرعون وكل جنوده وأدركوهم عند البحر الأحمر، وحينئذ خاف الشعب جداً وارتجفوا ولكن موسى أخذ يعزيهم ويقول لهم «قفوا وانظروا **خلاص الرب** الذى يجريه لكم اليوم» (١).

وطبعا الخلاص المقصود هنا هو الخلاص من فرعون وكل جنوده. وقال داود النبى مشيرا إلى هذا الخلاص فى سفر المزامير «خلصهم من يد المبغض وفداهم من يد العدو» (٢). وطبعا يقصد مرة أخرى المبغض والعدو الظاهر.

وبهذا المعنى أيضا يقول نبى الله يحزئيل بن زكريا للملك يهوشافاط ملك يهوذا، عندما هاجمهم بنو موآب وبنو عمون وكان معهم العمونيون وجمهور كثير جداً، حتى خاف الملك يهوشافاط خوفاً شديداً جداً، فجاء يحزئيل بن زكريا النبى إلى يهوشافاط وإلى شعب يهوذا وقال لهم: «لا تخافوا ولا ترتاعوا بسبب هذا الجمهور الكثير لأن الحرب ليست لكم بل لله، وغدا انزلوا عليهم.. قفوا اثبتوا وانظروا **خلاص الرب** معكم» (٣). هنا كلام يحزئيل ابن زكريا نبى الله «اثبتوا وانظروا خلاص الرب معكم»، يقصد به خلاص مادى، خلاص شعب يهوذا والملك يهوشافاط من العمونيين والموآبيين الذين تربصوا بهم وأرادوا أن يبيدوهم ودخلوا معهم فى حرب.

كذلك أيضا يشير إشعياء النبى فى ص ٦٣ من سفره، إلى هذا النوع من الخلاص المادى أو الخلاص من العدو الظاهر بقوله «فصار لهم **مخلصا**، فى كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته **خلصهم**، بمحبته ورأفته هو فكهم (٤).

---

(١) الخروج ١٤: ١٣.

(٢) مزمور ١٠٥ (١٠٦): ١٠.

(٣) أخبار الأيام الثانى ٢٠: ١٥ – ١٧.

(٤) إشعياء ٦٣: ٨، ٩.

وإشعياء النبى هنا يشير إلى الشدائد وإلى الضيقات والمتاعب البشرية المادية التى لقيها الشعب وإلى خلاص الله لهم منها، بمعنى أن الله افتقدهم وأقام لهم قضاة ورعاة وأقام لهم قادة فى الحرب، وأبطالا فى المعارك الحربية استطاعوا أن ينقذوا هذا الشعب ويخلصهم من مضايقيهم، ومن الأعداء الظاهرين.

كذلك بهذا المعنى أيضا قال الرسول بولس عن نوح النبى «بالإيمان نوح لما أوحى إليه عن أمور لم تر بعد خاف فبنى فلكا **لخلاص بيته**» (١).

هذا الخلاص لبيت نوح هو أيضا خلاص مادى - فقد نجاهم الرب من الطوفان الذى تعرضت له البشرية فى زمن نوح، وكذلك يقول ماربطرس الرسول «بنى الفلك الذى **خلص** فيه نفر قليل، أى ثمان أنفس بالماء» (٢). هذا الخلاص هو خلاص الشعب - خلاص نوح وزوجته وأولاده ونساء أولاده من الطوفان الذى كان يهدد البشرية.

كذلك يمكن أن يقال إنه بهذا المعنى المادى الواضح كلام مخلصنا حينما تكلم عن الأبرص الذى كان قد شفاه من برصه قال له «قم وامض **إيمانك خلصك**» (٣) وطبيعى أن هذا الخلاص هو من مرض البرص على وجه الإجمال.

هذا هو الخلاص بمعناه الأول - وهذا هو المعنى الأولى من مفهوم الخلاص، إنه خلاص من شر مادى، خلاص من عدو ظاهرى أو من مرض، خلاص من شدة أو من ضيقة، خلاص من شر ما من الشرور المادية.

أما المعنى الثانى للخلاص هو :

الخلاص من الهلاك الأبدى: أو مما يؤدى إلى هذا الهلاك وأعنى به الخطية. وينطوى تحت هذا المفهوم، الخلاص من الخطية، والخلاص من عبودية الشيطان، والخلاص من الجحيم، والخلاص من جهنم النار الأبدية.

وبهذا المعنى يقول الوحى الإلهى «فى وقت مقبول سمعتك وفى يوم الخلاص أعنتك، هوذا الآن وقت مقبول، هوذا الآن يوم **خلاص**» (٤).

---

(١) العبرانيين ١١: ٧.
(٢) بطرس الأولى ٣: ٢٠.
(٣) لوقا ١٧: ١٩.
(٤) كورنثوس الثانية ٦: ٢.

وبهذا المعنى أيضا يقول مار يعقوب الرسول «من رد خاطئا عن ضلال طريقه قد **خلص نفسا من الموت**» (١). فالخلاص من الموت هنا خلاص من الموت الروحى لأنه خلاص من الضلال.

ويقول مار بولس الرسول أيضاً «وسينقذنى الرب من كل عمل ردئ **ويخلصنى** لملكوته السماوى». (٢).

وطبعا من أجل هذه المهمة الخطيرة جاء مخلصنا من السماء. وهذا هو السبب فى أن اليهود لم يفهموا مسيحنا على حقيقته ولذلك رفضوه لأنهم ظنوه مخلصا من الشر المادى ومن الأعداء الظاهرين، من طراز شمشون الجبار أو يفتاح الجلعادى أو باراق بن ابينوعم، ظنوه مخلصا بهذا المعنى، ظنوه بطلا فى الحروب، رجلا يركب الدابة أو الحصان ويقود بنفسه حربا من ذلك النوع الذى قاده يشوع بن نون أو غيره من قضاة إسرائيل، فلما رأوه قد أتى على غير ماكانوا يتوقعونه بحسب فهمهم الضيق ويخلصهم من الرومان أو يرفع عنهم عبء العبودية، بهذا المعنى الضيق المادى، رفضوه.

وإلى اليوم ينتظر اليهود مخلصا من طراز شمشون الجبار، لأن مخلصنا الرب يسوع كما ظهر لا يرضى رغبتهم، ولا يرضى أمانيهم ولا يرضى المفهوم المادى الذى فهموه عن الخلاص.

ومع ذلك كان هناك قوم من اليهود ينتظرون المسيح المخلص بالمعنى الحقيقى للخلاص، وهو الخلاص من العبودية والخلاص من الخطيئة الأصلية، ولذلك نقرأ فى الكتاب المقدس أن الأنبياء الكبار عبروا بتعبيرات واضحة عن توقعهم وانتظارهم لهذا الخلاص. فيعقوب أبو الآباء عندما جمع أولاده فى نهاية حياته حول سريره ليباركهم وليتنبئهم بما سيكون لهم فى آخر الأيام قال لرأوبين «أنت بكرى قوتى وأول قدرتى»، وقال ليهوذا أنه «شبل أسد»، «ولا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه حتى يأتى شيلوه وله يكون خضوع شعوب...». أما عن دان فقال «يكون دان حية على الطريق، وأفعوانا على السبيل». ويبدو أن يعقوب تذكر هنا الحية القديمة فصرخ بعد ذلك مباشرة وقال «**لخلاصك انتظرتك يارب**» (٣).

---

(١) يعقوب ٥: ٢٠.

(٢) تيموثيوس الثانية ٤: ١٨.

(٣) التكوين ٤٩: ١٨.

وعن هذا الخلاص تكلم سمعان الشيخ عندما حمل الطفل يسوع على يديه وبارك الله قائلا «الآن ياسيدى تطلق عبدك بسلام حسب قولك فإن عينى قد أبصرتا **خلاصك** الذى أعددته أمام جميع الشعوب» (١).

وكذلك فعلت حنة بنت فنوئيل، وكانت «أرملة نحو أربع وثمانين سنة لا تفارق الهيكل متعبدة بالأصوام والصلوات ليلا ونهارا.. ففى تلك الساعة حضرت تعترف للرب وتحدث عنه كل من كان ينتظر خلاص إسرائيل» (٢).

وإذن فليس كل اليهود كانوا يفهمون الخلاص بمعناه السامى، وإنما كانت هناك بعض الشخصيات من اليهود كانت قلوبهم متفتحة وفهمهم من نوع عميق، فلم يكن يعنيهم الخلاص من أعداء ظاهرين وإنما كان يعنيهم الخلاص من العدو الباطن، الخلاص من الشيطان، الخلاص من الخطيئة القديمة، الخلاص من حالة الإنسان المطرود من الجنة، ومن الفردوس والذى أمسى محروما من حضرة الله. وعن هذا الخلاص قال مخلصنا : «أبوكم ابراهيم تهلل أن يرى يومى فرأى وفرح» (٣).

وعن هذا الخلاص قال مار بولس الرسول وهو يعدد بركات الإيمان الذى كان عند الآباء قديماً «فى الإيمان مات أولئك كلهم غير حاصلين على المواعيد بل إنما نظروها وحيوها من بعيد» (٤).

وعن هذا الخلاص أيضا قال النبى زكريا فى نبوءته «وبدم عهدك أنت أيضاً أطلق أسراك من الجب الذى لا ماء فيه» (٥). ولابد أن النبى يتكلم عن الخلاص من الجحيم لأن الجحيم هو «الجب الذى لا ماء فيه» والذى نزلت إليه أرواح البشر جميعا صالحين وأشرارا، لأن الفردوس كان مغلقا فى وجه الإنسان. فابراهيم واسحق ويعقوب وموسى، وصموئيل، وكل قديسى العهد القديم عندما ماتوا، ذهبت أرواحهم إلى الجحيم، وظلت محبوسة فيه إلى أن جاء المسيح

---

(١) لوقا ٢: ٢٩ – ٣١.
(٢) لوقا ٢: ٣٦ – ٣٨.
(٣) يوحنا ٨: ٥٦.
(٤) العبرانيين ١١: ١٣.
(٥) زكريا ٩: ١١.

مخلصنا، ومات بديلا عن الإنسان، لأن المسيح الفادى ذهب بالروح الإنسانية التى أسلمها على الصليب، ونزل إلى الجحيم وأشرق على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت، وبشرهم ونقل الذين كانوا أسرى الرجاء إلى الفردوس.

ويقول مار بطرس الرسول «الذى به (بالروح الإنسانى) انطلق فبشر الأرواح التى فى السجن» (١). وجاء فى القداس الإلهى قوله «نزل إلى الجحيم عن طريق الصليب». ويقول ماربطرس الرسول أيضاً «فإنه لأجل هذا بشر الموتى» (٢).

ويكرر ماربولس الرسول نفس المعنى فيقول: «لما صعد إلى العلا سبى سبيا وأعطى الناس عطايا. فكونه صعد هل هو إلا أنه نزل أولا إلى أقسام الأرض السفلى» (٣).

وهذا هو السبب فى أنه منذ الاصحاح الثالث من سفر التكوين الذى يروى طرد الإنسان من الفردوس لم نعد نقرأ أو نسمع عن الفردوس إلا فى الاصحاح الثالث والعشرين من إنجيل القديس لوقا حيث يرد وعد المسيح على الصليب للص اليمين أن يدخل معه إلى الفردوس، لأن الفردوس كان مغلقا فى وجه الإنسان لم يفتحه إلا سيدنا بموته وتتميمه عمل الفداء والخلاص. ولذلك نقل الأقباط عيد شم النسيم وهو عيد الربيع الذى يذهب فيه الناس إلى الحدائق والفراديس، نقلوه ليقع دائما تالى يوم عيد القيامة للدلالة على أنه بموت المسيح وقيامته فتح الفردوس فى وجه الإنسان، ونقلت النفوس التى كانت محبوسة فى الجحيم إلى الفردوس المفقود.

إذن هذا هو المعنى الثانى للخلاص، أى الخلاص من الخطيئة، والخلاص من عبودية الجحيم، الخلاص من الهلاك الأبدى، وهذا الذى كان يشير إليه مخلصنا باستمرار عندما كان يقول «لأن ابن البشر إنما أتى ليطلب **ويخلص ما قد هلك**» (٤):

بل والملاك نفسه حينما ظهر فى حلم ليوسف خطيب سيدتنا مريم العذراء قال له «وستلد ابنا فتسميه يسوع لأنه هو الذى **يخلص شعبه من خطاياهم**» (٥) محددا معنى الخلاص هنا بأنه خلاص من الخطايا.

---

(١) بطرس الأولى ٣: ١٩.
(٢) بطرس الأولى ٤: ٦.
(٣) أفسس ٤: ٨، ٩.
(٤) (لوقا ١٩: ١٠)، (متى ١٨: ١١).
(٥) متى ١: ٢١.

وقال السيد المسيح فى بيان مهمته المقدسة «فإنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل **ليخلص به العالم**» (١). وقال أيضا «أنا هو الباب. إن دخل بى أحد **فيخلص**» (٢). ويقول ماربطرس الرسول عن سيده وسيدنا «**وليس بأحد غيره الخلاص** لأن ليس اسم آخر تحت السماء ممنوحا للناس به ينبغى أن **نخلص**» (٣) ويقول مار بولس الرسول عن فادينا الرب يسوع «**الذى خلصنا** ودعانا دعوة مقدسة» (٤).

ويدخل فى هذا النطاق أيضاً كلام المسيح إلى المرأة الخاطئة لما قال لها «**إيمانك خلصك** فاذهبى بسلام» (٥) وهو يقصد بالطبع الخلاص من خطاياها.

كيف تم خلاصنا بالمسيح:

نعلم أن أبانا آدم عندما أخطأ صدر عليه الحكم بالموت (٦). ولم يمت آدم وحده، بل ماتت معه كل ذريته (٧). لأن هذه الذرية ولدت من آدم بعد أن سقط فى الخطيئة، وبعد أن صدر عليه الحكم بالموت، ولذلك فقد ورثت ذرية آدم حالة آدم نفسها، وصارت خاطئة، ومحكوما عليها بالموت. ومثل الخطيئة مثل المرض، فمن يمرض يرث أولاده الذين يولدون منه وهو فى حالة المرض، نفس المرض. ومثل الخطيئة أيضاً مثل الفقر فمن يلد أولادا وهو فقير يرث أولاده عنه فقره لأنهم ولدوا منه وهو فى حالة الفقر. ولهذا السبب لم يستطع أحد من أولاد أبينا آدم أن يدخل إلى الفردوس، وظل الفردوس مغلقا فى وجه آدم وفى وجه أولاد آدم، ولهذا يقول الرسول بولس صراحة «بخطيئة واحد صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة» و«فى آدم يموت الجميع» (٧).

---

(١) يوحنا ٣: ١٧.
(٢) يوحنا ١٠: ٩.
(٣) أعمال ٤: ١٢.
(٤) تيموثيوس الثانية ١: ٩.
(٥) لوقا ٧: ٥٠.
(٦) التكوين (٢: ١٧)، (٣: ٣، ١٩).
(٧) كورنثوس الأولى ١٥: ٢٢.

هذا هو مبدأ إنتشار الخطيئة الأصلية، وهو عقيدة مسيحية من عقائد ديانتنا، وعلى أساسها يقوم عمل الفداء والخلاص والكفارة بموت المسيح بديلا عنا «لأنه كما فى آدم يموت الجميع، هكذا فى المسيح سيحيا الجميع» (١).

ولقد ولدنا نحن من آدم بعد أن تلوثت طبيعته فورثنا منه طبيعة ملوثة فاسدة، وقد تغلغل الفساد إلى أعماقها ولم يعد فى الإمكان إصلاح الطبيعة البشرية فاقتضى الأمر أن تتغير هذه الطبيعة بكمالها.

فلا مفر إذن من أن تتغير هذه الطبيعة تغيرا كاملا جذريا، وتستأصل استئصالا تاما، وهذا هو ما يتم على نحو حقيقى فى المعمودية المقدسة فى العهد الجديد.

والمسيح تمم الخلاص على عود الصليب. إن المسيح بصلبه جعل نفسه بديلا عن الإنسان، فأصبحت عقوبة الخطيئة ومسئولية الخطيئة التى على الإنسان منقولة على رأس المسيح، وبهذا المعنى يقول إشعياء النبى «الرب وضع عليه إثم جميعنا» (٢).

وهذا هو معنى الفداء : الفداء معناه أن واحدا يكون بالنيابة عن آخر فيفديه ويكون بديلا عنه، فهنا أصبح المسيح بديلا عن الإنسان فنقلت خطيئة البشرية على رأس المسيح، وهذا هو السبب فى أن المسيح فى بستان جثسيمانى عانى آلاما شديدة، وكانت نفسه حزينة جداً حتى الموت (٣).

وتعبير «حتى الموت» لا يمكن أن يفهم بمعنى المبالغة، لأن المسيح لا يبالغ حينما يقول «نفسى حزينة جداً حتى الموت». لقد كان المسيح فعلا حزينا جداً حتى الموت، والمسيح صلى فى بستان جثسيمانى لا لكى يتخلص من آلام الصليب لأنه من أجل الصليب جاء. وقد قال «لكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (٤). وإنما كان هناك خطر أعظم الخطر أن هذه الآلام كانت كافية لأن تقضى على حياة المسيح الجسدية قبل أن يصلب، ولولا مساندة اللاهوت للناسوت لكان المسيح فعلا قد مات قبل الصليب.

---

(١) كورنثوس الأولى ١٥ : ٢٢.

(٢) إشعياء ٥٣ : ٦.

(٣) (متى ٢٦ : ٣٨)، (مرقس ١٤ : ٣٤).

(٤) يوحنا ١٢ : ٢٧.

والمسيح حينما كان يصلى فى بستان جثسيمانى كان يمثل الإنسانية المطرودة، الإنسانية المحكوم عليها بالموت، الإنسانية وهى تحت قضاء الحكم الإلهى، الإنسانية التى بينها وبين الله عداوة، الإنسانية وهى تحت السيف المسلط عليها، سيف العدالة الذى يتطلب موتها عقابا على خطيئتها، وعلى تخطيها إرادة الله السامية.

إن المسيح فى بستان جثسيمانى ليس فى وضع الله وإن كان لاهوته لم يفارق ناسوته، وإنما كان فى وضع الإنسان. وتدخل اللاهوت هنا موقوف بإرادة اللاهوت نفسه ليكون عمل الناسوت كاملا من غير تدخل اللاهوت لإيقاف الألم، وإن كان اللاهوت لم يفارق الناسوت لحظة واحدة ولا طرفة عين.

إن اللاهوت والناسوت متحدان معا، ولكن هناك فى أوقات معينة يظهر عمل اللاهوت واضحا كما عندما يصنع المسيح معجزة، أو حينما يأمر البحر فيهدأ، أو حينما يأمر الريح فتسكن، أو حينما يأمر الأرواح النجسة فتخرج. وفى هذه المعجزات وأمثالها ليس للناسوت مدخل وإن كان الناسوت متحدا باللاهوت.

كذلك حينما يصلى فى بستان جثسيمانى، وحينما يعانى الآلام إنما هنا فى وضع خاص حيث الناسوت متروكا من اللاهوت لا بمعنى المفارقة، حاشا. ولكن متروكا للألم، متروكا لكمال الألم دون أن يتدخل اللاهوت فينقص من آلام الناسوت لكى تكون آلام الناسوت كاملة لكى يتم عمل الفداء والخلاص، لكى يكون اقتصاص العدالة الإلهية من الجنس البشرى كاملا غير منقوص. ومن أجل ذلك كان الناسوت هنا متروكا للألم. قلت وأقول وأكرر القول «متروكا» هنا لا بمعنى المفارقة ولكن متروكا للألم دون أن يتدخل اللاهوت لإنقاص الآلام حتى يكون الفداء للإنسان كاملا. لقد كان يجب أن يكون اقتصاص العدالة الإلهية من الناسوت إقتصاصا كاملا. ولكن ما هى قدرة هذا الناسوت أن يتحمل هذه الآلام العظيمة؟.

كانت آلام المسيح من ثلاثة أنواع فى بستان جثسيمانى: كانت هناك:

(١) آلام جسدية، آلام إنسان مرهق ومتعب من هول الصراع حتى تعكر دمه. فصار عرقه يتصبب كقطرات دم على الأرض، وستزداد هذه الآلام أكثر بالشوك الذى على الرأس، وبالطعنات التى فى الجنب، وبالثقوب التى فى اليدين والقدمين، وبحمل الصليب وبالجلد، وبكل أنواع العذاب التى تقبلها المسيح فى جسده.

(٢) ولكن كانت هناك آلام نفسية أيضا، ذلك لأن المسيح كان كإنسان يستقبل الصلب، ولابد أن يكون فى استقبال الصلب عذاب نفسى عجيب كأى إنسان يستقبل حكما بالإعدام، كم تكون نفسه مريضة ومهمومة؟ والمسيح أيضا لقى من تلاميذه، ومن الناس أشياء كثيرة أمرّت روحه، وجعلت نفسه حزينة لأن عمله قوبل بشر. وما أمر على النفس البشرية من أن تصنع خيرا فيقابل صنيعها بشر. ما أعظم الخيانة وما أشد وقعها على الإنسان؟.

المسيح كإنسان عانى هذه الآلام النفسية على أشدها، ولكن كانت هناك فوق ذلك:

(٣) آلام روحية أعظم شأنا من الآلام الجسدية، ومن الآلام النفسية أيضاً وهذه الآلام هى التى قلنا عنها إنها مسئولية البشرية كلها. وهى اقتصاص العدالة الإلهية من الطبيعة البشرية، ومن الإنسانية كلها، كل هذا كان على رأس المسيح.

كانت إذن آلامه فظيعة وشديدة، لذلك كانت نفسه حزينة جداً حتى الموت. وكان من الممكن لولا الصلاة التى صلاها ولولا استجابة هذه الصلاة بتدخل اللاهوت لمساندة الناسوت لكان المسيح قد مات قبل الصليب.

فاللاهوت ساند الناسوت، وقواه، حتى يمكنه أن يتحمل الألم حتى النهاية. ولو كان المسيح قد مات قبل الصليب. لكان تدبير الله كله قد انتهى إلى لا شئ، ويكون الشيطان قد كسب المعركة ويكون خلاص الإنسان قد تعطل.

لذلك صلى المسيح لكى يتقوى باللاهوت، فيستطيع الناسوت أن يتمم عمل الصليب حتى النهاية ولذلك خرج المسيح من معركة جثسيمانى، قويا، ووقف أمام تلاميذه، ووقف أمام الجماهير بجبروت لا يمكن أبداً أن يفهم، لو كان المسيح متروكا بغير مساعدة اللاهوت. ووقف أمام الجماهير ويقول من تريدون، يقولون يسوع الناصرى. قال لهم : أنا هو، وعند سماع كلمة «أنا هو» رجعوا إلى الوراء وسقطوا على وجوههم، وكان سقوطهم أمامه دليلا على سلطان لاهوته من جهة، ودليلا من ناحية أخرى على أن المسيح لو كان أراد أن يهرب من الصليب لكانت الفرصة سانحة له أن يهرب حينما سقطت الجماهير على وجوهها من هيبة عظمته. ومرة أخرى يقول لهم من تريدون؟ يقولون يسوع الناصرى، فيقول قلت لكم أنا هو. إن آلام المسيح كانت شديدة وكانت تكفى لأن تجعل

المسيح يموت جسديا قبل أن يتمم الصليب، ولكن اللاهوت ساند الناسوت، على أنه سانده إلى الدرجة الكافية، بحيث أنه بعد أن تمم المسيح عمل الصليب مباشرة مات ومات سريعا، ولم يبق على الصليب أكثر من ثلاث ساعات، على الرغم من أن أى مصلوب عادى كان يقضى على الصليب مدة قد تصل أحيانا إلى ٤٨ ساعة، لأن المصلوب يموت عادة بفعل تمزق بطئ فى شرايين القلب، ولا يكفى هذا للموت سريعا وإنما يأخذ هذا النزيف وقتا طويلا حتى تنتهى حياة المصلوب. وهذا هو السبب فى أن اليهود لما أرادوا أن ينزلوا المصلوبين حتى لا تبقى أجسادهم على الصلبان فى عيد الفصح، سألوا بيلاطس أن تكسر سيقانهم، فجاء الجند وكسروا ساقى الأول والآخر اللذان صلبا معه. أما يسوع فلما انتهوا إليه ورأوه قد مات لم يكسروا ساقيه (١). حتى أن بيلاطس لما علم بموت المسيح «استغرب بيلاطس أنه قد مات هكذا سريعاً واستدعى قائد المائة وسأله هل مات؟ (٢).

ذلك أن المسيح مخلصنا كان من الوجهة الجسدية شابا سليما من كل مرض، وكان طبيعيا أن تطول حياته جداً أكثر من حياة اللصين اللذين صلبا معه. وعلى الرغم من ذلك مات المسيح قبل أن يموت اللصان، مما يدل على أن آلامه لم تكن من نوع واحد، وعلى أنها كانت آلاما شديدة ومريعة، وعلى أن اللاهوت لم يتدخل لينقص من هذه الآلام شيئا.

بقى سؤال كيف ينتقل خلاص المسيح إلينا؟

المسيح تمم الخلاص على الصليب، ولكن كيف ينتقل هذا الخلاص إلى كل فرد منا؟ إن مجرد تعليق المسيح على الصليب ليس هو الذى يخلص الإنسان وإلا لكان قايين قد خلص وكذلك عيسو، وسائر الأشرار الذين كانوا مع ابراهيم واسحق ويعقوب فى الجحيم.

إن المسيح فادينا قد وفى بموته العدل الإلهى، وقبل فى جسده الحكم الذى حكم به الله على آدم وعلى جنسنا، **لكن خلاص الإنسان موقوف على إرادته هو، ولا يمكن أن يفرض الخلاص على الإنسان فرضا، لابد أنه هو يطلب بنفسه هذا الخلاص، ويقبله إذا عرض عليه**، وعلى ذلك فقديسو العهد القديم الذين نظروا المواعيد من بعيد وحيوها وصدقوها اشتهوا الخلاص وطلبوه بإلحاح.

---

(١) يوحنا ١٩: ٣١ - ٣٣.

(٢) مرقس ١٥: ٤٤.

هؤلاء المنتظرون خلاص الله ذهب المسيح إلى الجحيم وبشرهم ففرحوا. أنهم قدموا القرابين فى حياتهم، وقدموا أعمال الطاعة المختلفة، ولكنهم لم يخلصوا بذبائحهم ولا بأعمالهم التى قدموها. ولكنهم بتقديم الذبائح الحيوانية، وبطاعتهم للشريعة وأعمالهم الصالحة برهنوا على استحقاقهم للخلاص عندما يتم، فكان إذن خلاصهم مرجأ إلى يوم صلب المسيح الفادى، وقد برهنوا على استحقاقهم لهذا الخلاص المرجأ. فيوم أن تمم المسيح الفداء، وكان لهم صك بالخلاص أمكنهم أن يصرفوه يوم الفداء، يوم علق المسيح على الصليب.

أما الآخرون الذين جاءوا بعد المسيح فلا يمكن أن نتصور أنهم قد خلصوا إلا بناء على طلب منهم. ولذلك قال مخلصنا «من آمن واعتمد يخلص، ومن لم يؤمن يدان» (١).

فإذا لم يؤمن الإنسان فلا يمكن أن يتم له الخلاص بالمسيح. والإيمان هو الخطوة الأولى التى تفتح القلب لقبول هذا الخلاص، ومع ذلك ليس الإيمان هو الذى يخلص الإنسان. الإيمان هو استعداد القلب لقبول الخلاص لكن ليس هو الذى يحقق الخلاص. أما الذى يخلص الإنسان فهو المعمودية. لماذا؟ لأن الخلاص هو من المسيح، واستحقاقات موت المسيح.

أرجو أن تلاحظوا هذه المسألة لأنها مهمة وضرورية، وهى جديرة بإنتباهنا. ليس الإيمان هو الذى يخلص الإنسان. الإيمان هو الخطوة الأولى لقبول الخلاص، هو البرهان على أن الإنسان طالب هذا الخلاص، البرهان على أن الإنسان لا يفرض عليه الخلاص فرضاً.

الإيمان هو برهان الحرية وبرهان على أن المؤمن قَبِل خلاص المسيح بإرادته، ولكن ليس هو الذى يخلص الإنسان، الذى يخلص الإنسان هو المعمودية. فما دور المعمودية فى الخلاص؟

---

(١) مرقس ١٦: ١٦.

أهمية دور المعمودية فى تحقيق الخلاص :

إن المعمودية هى الواسطة التى وضعها الرب لكى تكون القناة الموصلة بين بحر الخلاص الذى تفجر فى الصليب، وبين الإنسان طالب الخلاص. ليكن البحر عظيما جداً، وليكن محيطاً، لكن ما لم يصل بين هذا البحر وبين قلب الإنسان قناة فكيف يمكن أن يصل خلاص المسيح إلى الإنسان؟

ولكن من الذى يقوم بهذا العمل؟ هو الروح القدس. قال فادينا عن الروح القدس أنه يأخذ مما لى ويخبركم (١). فنحن فى المعمودية لا ننزل إلى ماء عادى ولكن ننزل إلى ماء حل عليه الروح القدس بناء على استدعاء الكاهن. **والروح القدس الذى كان يرف على وجه المياه قديما (٢) فأكسبها القدرة على أن تخلق الكائنات الحية التى خلقت فى القديم كالزحافات والأسماك والحيتان والطيور، هو بعينه الروح القدس الذى يرف على مياه المعمودية بناء على استدعاء الكاهن ويكسب مياه المعمودية هذه القدرة على أن تسحق الشيطان وكل قواته الشريرة، وعلى أن تلد الإنسان من فوق ميلادا جديدا من الماء والروح،** يقول الوحى «وبه أيضاً ختنتم ختانا ليس من فعل الأيدى بأن خلع عنكم جسد خطايا البشرية بختان المسيح مدفونين معه فى المعمودية» (٣).

ففى المعمودية تتم عملية نزع واستئصال الإنسان القديم، وفيها أيضاً تتم عملية خلق من جديد، وهى عملية سرية باطنية غير منظورة لكنها مع ذلك عملية خلق حقيقية، ولولا أن الروح القدس ينقل إلينا فى المعمودية استحقاقات المسيح الكفارية لما كان يمكننا نحن أن نخلص. فالمعمودية إذن هى التى تخلص الإنسان من الخطيئة الجدية، ومن الخطايا الفعلية التى فعلها قبل المعمودية إذا كان بالغا عند عماده. يقول الرسول عن فلك نوح «الذى مثاله يخلصنا نحن الآن أى المعمودية (٤). **فالمعمودية إذن هى التى تخلص وليس الإيمان،**

---

(١) يوحنا ١٦: ١٤، ١٥

(٢) التكوين ١: ٢.

(٣) كولوسى ٢: ١١، ١٢.

(٤) بطرس الأولى ٣: ٢١.

وإلا لو كان الإيمان هو الذى يخلص لما كانت هناك قيمة للمعمودية، ولكانت المعمودية فضلة زائدة لا قيمة حقيقية فيها كالزائدة الدودية. وهذا هو السبب فى أن البروتستانت وجمعيات خلاص النفوس البروتستانتية لا يجدون فى المعمودية أية فائدة لأنهم يقيمون كل شئ على أساس الإيمان وحده، ويزعمون أن الإيمان وحده هو الذى يخلص الإنسان وبذلك يخطئون المسيح نفسه له المجد. وقد قال مرة أحد زعمائهم أن المعمودية كالقش.. «ولو لم يقل الكتاب المقدس أن المسيح عمد، لما مددت يدى وعمدت أحدا».. وكأنه يريد أن يقول أن المسيح لم يكن مصيبا فى اشتراطه المعمودية لتحقيق الخلاص.. «ولكنى لا أجرؤ على أن أقول أن المسيح مخطئ، ولذلك لا نستطيع أن ننكر نحن البروتستانت المعمودية، ولكنها فى نظرنا لا قيمة لها، إنها كالقش عديمة القيمة ولا فائدة منها».

أما كنيستنا الأرثوذكسية، التى تعرف قوة كلمات ربنا يسوع المسيح فلا توافق على هذه المزاعم البروتستانتية وتعتبرها هراء فى هراء، وهرطقة وبدعة وتجديفا على الروح القدس، وتعلم **أن الإيمان ليس هو الذى يخلص بل المعمودية. إن الإيمان يجعل القلب فى حالة القبول والإستعداد للخلاص، ولكنه لا يخلص. والخلاص لا يتم بغير المعمودية، التى ينقل بها الروح القدس إلينا استحقاقات المسيح الكفارية، وخلاصه الذى تممه فى الصليب، وليس الماء الذى ينزل فيه المعمد عاديا لكنه ماء حل عليه الروح القدس. وكما يحل الروح القدس على الخبز والخمر فيحولهما إلى جسد المسيح ودمه، هكذا الروح القدس يحل على مياه المعمودية فيكسبها القدرة على أن تخلق الإنسان من جديد فيولد بها ميلادا ثانيا من فوق، ولهذا السبب تسمى المعمودية سرا لأن فيها يتم عمل خفى غير منظور، وعمل لا يقع تحت الحواس لا تراه العين ولا تسمع به الأذن، ولا يدخل فى نطاق الحواس الخمس.**

وهنا أريد أن أسأل عن معنى كلمة السر عند البروتستانت. يقولون لك أننا نؤمن بسرين: سر المعمودية وسر العشاء الربانى.. فما معنى كلمة «سر» هنا؟

ما معنى السر فى المفهوم البروتستانتى؟ سلهم هل تؤمنون بتحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح وإلى دمه؟ يقولون لا. الخبز عندنا خبز فقط والخمر خمر فحسب، فأين إذن السر فى هذا؟ سلهم ما قولكم فى المعمودية؟ هل فيها نعمة غير منظورة؟ يقولون لا، وإذن فما معنى استخدامكم لكلمة «سر» بالنسبة إلى القربان وبالنسبة إلى المعمودية؟

لقد أمست المعمودية فى المفهوم البروتستانتى مجرد علامة ظاهرية أو شهادة علنية كما يقولون! ولكن ليس لها من الوجهة الروحية قيمة حقيقية، إنها صارت شيئا لا قيمة له ولا معنى على الإطلاق.

وإذن كان من المنطق الطبيعى عند البروتستانت أن نمسى المعمودية بلا قيمة حقيقية، وتصير فعلا كالقش؟!!!

ولكن انظروا إلى تعليم مخلصنا، وتأملوا عبارته المقدسة، «من آمن واعتمد خلص» (١). لم يقل من آمن خلص بل قال من آمن **واعتمد** خلص. **وأما قوله من لم يؤمن يدان، فلأن الإيمان هو الخطوة الأولى التى تمهد للخلاص، فإذا لم يوجد للإنسان الإيمان فإنه يدان على عدم الإيمان. ولكن إذا وجد الإيمان فليس بالإيمان يخلص ما لم تأت الخطوة التالية، وهى خطوة المعمودية التى بها ينقل الروح القدس خلاص المسيح إلى الإنسان، لأن الخلاص هو عمل المسيح.**

وإذا وجدتم نصوصاً فى الكتب المقدسة تشير إلى أهمية الإيمان كقول مار بولس لحافظ السجن «آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك» فمعناه أيضاً أن الإيمان هو الخطوة الأولى التى تقود إلى الخلاص لكن ليس معناه أنها الخطوة الأخيرة.

الخلاص النهائى :

لكن هناك خلاص بالمعنى الثالث للكلمة: فقد يؤمن الإنسان بالمسيح ويعتمد باسم المسيح، لكن يمكن بعد دقيقة واحدة أن يقع فى الخطأ من جديد ما لم يثابر، وما لم يحرص بمجاهدات روحية على الخلاص الذى تمتع به بإيمانه بالمسيح وبالمعمودية المقدسة. وهذا هو فضل الجهاد وفضل الكفاح، وفضل

---

(١) مرقس ١٦:١٦.

الحرب، وفضل النضال ضد الخطيئة وضد الجسد، وضد كل عوامل الشر المتلفة للإنسان، لذلك يجب على الإنسان أن يكافح ويناضل فى سبيل أن يتمتع بالخلاص ويحتفظ به. ومن هنا أهمية فضيلة الثبات والمثابرة. إذ من الممكن للإنسان أن يحرم من الخلاص. من أجل هذا يقول سيدنا «من يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (١).

ويقول مار بطرس الرسول «إن كان البار بالجهد يخلص فالخاطئ والفاجر أين يظهران» (٢).

فلولا جهاد الأبرار كان يمكن للإنسان أن يقع فى حالة الخطيئة من جديد ويرتد إلى حالة العبودية.

إن ما صنعه آدم هو أنه خالف وصية الله، وكل منا يمكن أن يقع فيما وقع فيه آدم من قبل. **فهل إذا أخطأنا بعد المعمودية نحتاج إلى عمل المسيح الكفارى من جديد؟ كان يمكن أن نحتاج فعلا إلى صلب المسيح من جديد لو لم يكن فى دم المسيح الكفاية لفداء البشر فى كل العصور، لأن دم المسيح دم ثمين وقيمته أبدية هى قيمة الله نفسه، وهذا هو سر اتحاد اللاهوت بالناسوت ليعطى الفداء قيمته اللانهائية، لذلك رتب الروح القدس فى الكنيسة سر التوبة، وهو بالنسبة للمعمودية بمثابة معمودية ثانية كما تقول الكنيسة المقدسة وهو يتخذ كل قوته من استحقاقات دم المسيح الكفارية التى يستند إليها أيضا سر المعمودية وكل أسرار الكنيسة الأخرى. فإذا كنا بسر المعمودية تغفر لنا الخطيئة الجدية والخطايا السابقة على المعمودية إذا وجدت، فبسر التوبة تغفر لنا الخطايا الفعلية التى ارتكبناها بعد المعمودية. إذن لولا سر التوبة لتجددت مشكلة آدم بالنسبة لكل منا فى كل يوم، وصار محتاجا إلى الخلاص بنفس الإسلوب الذى تم به الخلاص الأول.**

هذا هو الرد الذى نرد به على الذين يسألوننا: هل يمكن أن يفقد الإنسان خلاص المسيح الذى حصل عليه فى المعمودية؟ أقول نعم لو أنه لم يكافح. لو أنه لم يثابر، لو أنه لم يستمر على طريق الجهاد وطريق الخلاص، وهذا هو

---

(١) (متى ١٠: ٢٢)، (٢٤: ١٣)، (مرقس ١٣: ١٣).

(٢) بطرس الأولى ٤: ١٨.

السبب فى أن الكتاب المقدس يوصينا بالصحو الدائم وباليقظة المستمرة. ويوصينا بالكفاح والإجتهاد فى الدخول من الباب الضيق، ويقول لا يكفى للخلاص أن يقول الإنسان يارب يارب من دون أن يفعل مشيئة الله الذى فى السماوات. وعلى ذلك فالأعمال الصالحة ضرورية، ولولا الكفاح الذى يحفظ للإنسان حياة النعمة كان يمكن أن يرتد الإنسان من جديد إلى حالة العبودية وإلى حالة الطرد، ويمكن أن يفقد خلاص المسيح الذى حصل عليه فى المعمودية.

هذا هو الخلاص بالمعنى النهائى، ولا يمكن أن نزعم أننا حصلنا عليه الآن. فما دام المؤمن فى الجسد، فلم يخلص بعد هذا الخلاص النهائى. يمكن أن يقول المسيحى أنه خلص بالمعنى الثانى للخلاص الذى تكلمنا عنه باعتباره إنه عمل المسيح الفدائى الذى حصل عليه فى المعمودية. **أما الخلاص النهائى فلا يجرؤ أحد على القول بأنه حصل عليه طالما هو فى أرض هذا العالم.** هب أن دولتين فى حالة حرب فهل يمكن قبل أن تضع الحرب أوزارها نهائيا أن يقال أن هذه الدولة أو تلك قد انتصرت؟ بالطبع لا. إنه يمكن أن تكون هناك بعض مظاهر لإنتصار أحدهما على الأخرى، ولكن الإنتصار النهائى لا يتم إلا بعد أن تتوقف الحرب. أما الإنتصار فى بعض مواقف أو مواقع فهو إنتصار لا يعول عليه كثيراً لأنه يمكن أن يتحول بعد قليل إلى هزيمة نكراء. كذلك من يجرى فى السباق يمكن أن يظهر منتصراً على زملائه، ولكن هل لأحد أن يقول بأنه فاز نهائيا؟ كلا، فمن المحتمل أن يكبو جواده ويسقط صريعا أو يتخلف، ويسبقه غيره. **هكذا نحن إذا لم نثابر ونجاهد ونكافح، ونظل فى حال من الصحو الدائم يمكن أن نفقد الخلاص الأول الذى حصلنا عليه فى المعمودية.** ألم يذكر بولس الرسول ديماس بين أتباعه؟ (١)، ولكنه يعود فيقول عنه فى رسالة أخرى «ديماس قد تركنى إذ أحب العالم الحاضر» (٢).

لهذا قال الرسول أيضاً «اذكروا مدبريكم الذين كلموكم بكلمة الله انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم» (٣). إنه لم يقل انظروا إلى سيرتهم بل **إلى نهاية سيرتهم**، ولهذا أيضاً قال له المجد فى سفر الرؤيا «كن أميناً إلى الموت فسأعطيك اكليل الحياة» (٤).

---

(١) كولوسى ٤: ١٤.
(٢) تيموثيوس الثانية ٤: ١٠.
(٣) العبرانيين ١٣: ٧.
(٤) الرؤيا ٢: ١٠.

ويقول أيضاً «تمسك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك» (١). مما يدل على أن الإكليل أيضا يمكن أن يفقده الإنسان لو أنه لم يثابر على الجهاد إلى النهاية.

ألم يكن الشيطان نفسه ملاكا بل رئيس ملائكة، ومع ذلك فقد مركزه على قول الرسول يهوذا «والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا منزلتهم أبقاهم لقضاء اليوم العظيم» (٢).

وآدم نفسه ألم يكن فى قداسة وبر ثم فقد هذا كله وسقط فى الخطيئة؟ فلا يخدع الإنسان منا نفسه ويخلط بين الخلاص الأول الذى نلناه فى المعمودية **والخلاص النهائى الذى يحتاج إلى مثابرة وجهاد، ولن نحصل عليه إلا أخيرا.**

وعلى ذلك فإذا سألك أحد من البروتستانت أو من جمعية خلاص النفوس البروتستانتية قائلا: يا أخ هل أنت خلصت؟ تجيبه قائلا: إنى خلصت بالمعنى الأول لأنى خلصت فى المعمودية من خطاياى الجدية، وخطاياى السابقة على المعمودية، ولكنى لم أخلص بعد بالخلاص بمعناه النهائى. لأن الرسول بولس فى رسالته إلى فيلبى فى الأصحاح الثانى يقول: «تمموا خلاصكم بخوف ورعدة» (٣). وكأن الخلاص ناقص ويحتاج إلى تتميم، لأن الخلاص الأول الذى تم فى المعمودية يحتاج إلى مثابرة وإلى مجاهدة كاللؤلؤة الثمينة التى ينبغى أن يحافظ الإنسان عليها وإلا فقدها.

فى كنيستنا وفى تحليل صلاة نصف الليل الذى يتلوه الكاهن عبارة مؤثرة لها معنى قوى فى المفهوم الأرثوذكسى حينما يصلى ويقول: «أعنا على سكرات الموت وما قبل الموت وما بعد الموت».

بعض القديسين يقولون لنا أن الأرواح بعد أن تفارق الجسد أيضاً يحاربها الشيطان، وهى فى طريقها إلى العالم الآخر محاولا أن يسحب منها الخلاص، يريد أن يصيبها بسهم من سهامه، ولو بسهم الغرور والكبرياء.

فالجهاد مطلوب من المؤمن إلى آخر نسمة من حياته فى مثابرة دائمة ويقظة مستمرة، وبذلك يتحقق للإنسان خلاصه النهائى.

---

(١) الرؤيا ٣: ١١.
(٢) يهوذا : ٦.
(٣) فيلبى ٢: ١٢.

سر الفداء

موضوعات وإجابات على أسئلة

موضوعات وإجابات على أسئلة: ٢٦٩
١ ـ العقاب لآدم الإنسان على خطيئته بالروح والجسد معا. ٢٧٠
٢ ـ الغفران بدم المسيح. ٢٧٣
٣ ـ التبرير من الخطيئة الأصلية. ٢٧٥
٤ ـ لماذا سقط آدم وهو على صورة الله؟. ٢٧٦
٥ ـ هل غفرت الخطيئة لمريم العذراء قبل صلب المسيح؟. ٢٧٩
٦ ـ خطاب إلى أحمد حسين. ٢٨١
٧ ـ خطاب إلى أحمد حسين ـ إنتشار الخطيئة الأصلية. ٢٨٥
٨ ـ أرواح الموتى قبل الفداء ـ أين ذهبت؟. ٢٩٣
٩ ـ لماذا نشقى بالخطيئة الأولى؟. ٢٩٥
١٠ ـ الخطيئة الأصلية. ٣٠٠
١١ ـ قيمة دم المسيح. ٣٠٦
١٢ ـ الخلاص الأولى والخلاص الأبدى. ٣٠٧
١٣ ـ كيف تم خلاصنا بالمسيح؟. ٣١٢
١٤ ـ المسيح وحده هو الفادى وليس لأحد بغيره الخلاص. ٣١٨
١٥ ـ لماذا كان الحمل يشير إلى ذبيحة الخلاص؟. ٣٢٢
١٦ ـ ليس بأحد غيره الخلاص. ٣٢٥
١٧ ـ هل الخلاص للعالم كله؟. ٣٢٧
١٨ ـ آمن تخلص. ٣٢٨
١٩ ـ وعلمنا وسائط الخلاص. ٣٣٠
٢٠ ـ لماذا تألم المسيح أما كان يكفى أن يخلص الإنسان بكلمة؟ ٣٣٣
٢١ ـ المسيح الإله لا يموت إنه ذاق الموت بالجسد. ٣٣٨

صفحة

٢٢ ـ هل الجسد الذى صلب هو بعينه الذى قام؟ ٣٤١

٢٣ ـ هل ظل المسيح فى القبر ثلاث أيام وثلاث ليالٍ كاملة؟ ٣٤٣

٢٤ ـ أين ذهبت روح المسيح بعد الصلب؟ ٣٥٠

٢٥ ـ لماذا المطانيات فى يوم الجمعة العظيمة؟ ٣٥٢

٢٦ ـ كفن السيد المسيح فى تورينو ٣٥٦

٢٧ ـ إلهى إلهى لماذا تخليت عنى؟ ٣٥٧

٢٨ ـ إعتراف اللص اليمين كان سابقا على الظواهر الطبيعية ٣٥٩

٢٩ ـ لماذا نلوم الذين صلبوه؟ ٣٦٢

٣٠ ـ صلب المسيح تم فى الساعة السادسة أما الحكم ففى الثالثة ٣٦٦

٣١ ـ اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك ٣٦٩

٣٢ ـ إنهم لا يدرون ما هم فاعلون ٣٧٤

٣٣ ـ أما هو فظل صامتا ٣٧٨

٣٤ ـ المسيحية مملكة سمائية لا أرضية والصليب رمز وعلم لهذه المملكة ٣٨٢

٣٥ ـ بالحقيقة صلب وبالحقيقة قام ٣٨٩

٣٦ ـ صاحب القبر الفارغ ٣٩٤

١ ـ العقاب لآدم الإنسان على خطيئته
ـ بالروح وبالجسد معاً ـ (١)

سؤال : من مدرس للدين المسيحى فى إحدى مدارس اللغات بالقاهرة.

يقول: فى بداية العالم كانت الروح (الإنسانية) سوف تعيش إلى الأبد، لكن عندما أخطأ آدم عاقبة الله بالموت، فهل هذا العقاب هو موت الجسد أم ماذا؟، مع العلم بأن الجسد، كما نعلم سوف يموت، وهل هذا العقابُ هو طرد الإنسان من الفردوس فقط أم غير ذلك؟، وما هو عقاب الإنسان بخطيئة آدم؟.

الجواب :

جاء فى الكتاب المقدس «وجبل الرب الإله آدم (الإنسان) تراباً من الأرض، ونفخ فى أنفه نسمة حياة، فصار آدم (الإنسان) نفساً حية» (التكوين ٢ : ١٧)، (٣ : ١٩).

وإذا كان الإنسان الأول قد خُلق فى الزمان، ولم يكن له وجود أزلى مع الله، فله إذن بداية. وما له بداية، له نهاية. على أن النهاية يمكن أن تكون بالإختفاء أو الزوال. أما الموت بمعنى التحلّل والفساد والتعفّن فهو عقاب أنزله الله بالإنسان بعد أن عصى وصية الله وخالف أمره بأن أكل من الشجرة التى نهاه عن أن يأكل منها أو يمسّها، وهى الشجرة التى عرفت بشجرة معرفة الخير والشر. «وأوصى الرب الإله آدم (الإنسان) قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر، فلا تأكل منها، فأنك يوم تأكل منها تموت موتاً» (التكوين ٢ : ١٦، ١٧)، (٣ : ٢، ٣)، (يعقوب ١ : ١٥). «فإن أجرة الخطيئة هى موت» (رومية ٦ : ٢٣)، (١٦)، (١ : ٣٢)، (٨ : ٦، ١٣)، (غلاطية ٦ : ٨).

ولما كان الله قد أراد للإنسان الحياة الدائمة معه، فأظهر له «شجرة الحياة فى وسط الجنة» (التكوين ٢ : ٩) حتى يمد يده إذا شاء ويأخذ منها «فيحيا إلى الأبد» (التكوين ٣ : ٢٢)، (الجليان ـ الرؤيا ٢ : ٧)، (٢٢ : ٢، ١٤).

فلما عصى آدم الإنسان الوصية الإلهية وأكل من شجرة معرفة الخير والشر بإغراء حواء التى نظرت إلى الشجرة فرأتها جيدة للأكل وبهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر، عاقب الله الإنسان بالموت الذى أنذره به «تموت موتاً»، وطرده من الجنة وأقام شرقى الجنة الكروبيم

(١) كتب فى ٥ من يوليو لسنة ١٩٩٣م – ٢٨ من بؤونه لسنة ١٧٠٩ ش.

ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة، وبذلك منعه من أن يمد يده ليأخذ من شجرة الحياة حتى لا يحيا إلى الأبد (التكوين ٣: ٢٣، ٢٤).

فالموت إذن عقاب، وهو دخيل ومستحدث، ولم يكن له وجود قبل الخطيئة، وهو قد أدرك الإنسان بعد سقوطه فى الشهوة وفى الخطيئة.

وقد قال آباء الكنيسة صراحة فى مقررات المجامع المسكونية والإقليمية والمحلية إن من يقول إن آدم كان سيموت من غير أن يخطأ فليكن محروماً.

جاء فى قوانين مجمع قرطاجنة الذى انعقد فى قرطاجنة أو قرطاجة سنة ٤١٨م «**فليكن مُبسلاً (محروماً) كل من يقول إن آدم الإنسان الأول خُلق إنساناً مائتاً أى أنه معرض للموت بالجسد، سواء أخطأ أو لم يخطأ، وأنه كان مزمعاً أن يُفارق الجسد، لا قصاصاً على خطيئته، بل لأن ذلك من خصائص طبيعته نفسها**» (القانون ١٠٩).

والموت لآدم هو **موت للروح والجسد معاً**.

أما **موت (الروح)** فهو الانفصال عن الله **والطرد من حضرته ومن فردوس النعيم** (التكوين ٣: ٢٤)، (حزقيال ٣١: ١١)، (التثنية ١٨: ١٢) وبالتالى فهو الهلاك الأبدى فى جهنم النار والعذاب الأبدى، وهو ما يعرف بـ «**الموت الثانى**» كما جاء فى سفر الجليان - الرؤيا «**الطرح فى بحيرة النار، هذا هو الموت الثانى**» (الجليان - الرؤيا ٢٠: ١٤، ٦) وقوله «من يغلب فلا يؤذيه **الموت الثانى**» (الجليان - الرؤيا ٢: ١١) «**البحيرة المتقدة بالنار والكبريت التى هى الموت الثانى**» (الجليان ٢١: ٨).

وأما (**موت الجسد**) فهو الموت الأول، الذى يتم بافتراق الروح من الجسد، ثم يعود الجسد إلى التراب كما كان، ويرجع إلى الأرض التى أُخذ منها (التكوين ٣: ١٩). جاء فى سفر الجامعة وصف لعملية الموت «**فيرجع التراب إلى الأرض كما كان**»، وترجع الروح إلى الله الذى أعطاها» (الجامعة ١٢: ٧) «**الجسد من التراب وإلى التراب يعود**» (الجامعة ٣: ٢٠)، (مزمور ١٠٢: ١٤) «يسلم الروح كل بشر جميعاً، ويعود (جسد) الإنسان إلى التراب» (أيوب ٣٤: ١٥)، (١٠: ٩)، (٧: ٢١).

وإذن **فالعقاب بالموت شمل الروح والجسد**، أما **(الروح) فبالانفصال التام عن الله** ثم بالهلاك الأبدى فى البحيرة المتقدة بالنار والكبريت، والعذاب فى جهنم النار الأبدية.

وأما الموت (بالجسد) فبالعودة إلى تراب الأرض.

ومع (الموت) دخل **(المرض)** (فيلبى ٢ : ٢٧) ثم تحلل الجسد **والفساد** (مزمور ١٥ : ١٠)، (غلاطية ٦ : ٨)، (١ . كورنثوس ١٥ : ٤٢)، **والتعفن** (إشعياء ٣ : ٢٤)، (٥ : ٢٤) وما إلى ذلك من توابع الموت ونتائجه.

٢ - الغفران بدم المسيح (١)

سؤال : من أحد الآباء الكهنة.

يقول بلسان بعض المسيحيين إذا كان عطاء المسيح له المجد فى سر القربان والمائدة الربانية هو عطاء آخر غير ذبيحة الصليب، فما هو الفرق بين الغفران الذى يناله المؤمنون بتناولهم من المائدة الربانية، والغفران الذى يناله المؤمنون من ذبيحة الصليب، أو بالأحرى لماذا كانت ذبيحة الصليب؟

الجواب :

الفرق بين الغفران الذى يناله المؤمنون فى المائدة الربانية، والغفران الذى ينالونه فى ذبيحة الصليب، **أن الغفران فى سر القربان والمائدة الربانية هو عن الخطايا الفعلية اليومية التى ارتكبها ويرتكبها الإنسان بعد المعمودية. أما فى ذبيحة الصليب فقد قبل المسيح الفادى موت الصليب فى جسده بدلاً من آدم وبنى آدم**، ففداهم من الحكم بالموت المحكوم به عدلاً على آدم وبنيه (**إن الخطيئة دخلت فى العالم بإنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، هكذا سرى الموت إلى جميع الناس لأنهم جميعاً أخطأوا فيه**) (رومية ٥: ١٢)، (التكوين ٢: ١٧)، (٣: ٣، ١٩)، (٦: ٢٣)، (يعقوب ١: ١٥)، (١. كورنثوس ١٥: ٢١)، (رومية ٥: ١٧).

إن المسيح بموته على الصليب كان كفّارة عن آدم وبنيه (**فهو كفارة عن خطايانا**، وليس عن خطايانا وحدها، بل عن خطايا العالم كله) (١. يوحنا ٢: ٢). (ولكنهم نالوا البرّ مجاناً بنعمته، **بفضل الفداء الذى قام به المسيح يسوع، والذى جعله الله كفارة فى دمه لكل من يؤمن به**) (رومية ٣: ٢٤، ٢٥) (بل هو الذى أحبنا وأرسل ابنه **كفارة لخطايانا**) (١. يوحنا ٤: ١٠)، (٢. كورنثوس ٥: ١٨، ١٩) فإذا كنا، ونحن أعداء، **قد تصالحنا مع الله بموت ابنه**) (رومية ٥: ١٠)، (أفسس ٢: ١٦) (الذى لم **يضن بابنه، بل بذله إلى الموت من أجلنا أجمعين**) (رومية ٨: ٣٢).

والغفران الذى حققه المسيح الفادى بموته على الصليب بدلاً من الإنسان، يناله المؤمنون فى المعمودية. ذلك أن المعمودية هى القناة التى ينقل بها الروح

---

(١) كتب فى ٣٠ أبريل لسنة ١٩٩٢م – ٢٢ من برموده لسنة ١٧٠٨ ش.

القدس فى سر العماد استحقاقات المسيح الفادى الكفارية (فمن آمن واعتمد خلص) (مرقس ١٦: ١٦) (توبوا وليعمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح فتغفر خطاياكم) (أعمال (٢: ٣٨)، (أعمال ١٦: ٣٠- ٣٣) (وكان هذا رمزاً **للمعمودية التى تُخلصكم** الآن أنتم أيضاً، لا بإزالة وسخ الجسد، بل بعهد صادق النية مع الله بقيامة يسوع المسيح) (١. بطرس ٣: ٢١) (أحب المسيح الكنيسة **وضحى بنفسه من أجلها ليقدسها ويطهرها بماء الاغتسال وبالكلمة**) (أفسس ٥: ٢٦)، (الجليان ـ الرؤيا ١: ٥).

أما الخطايا التى يرتكبها المؤمن بعد المعمودية، وبها يُكررُ من جديد خطيئة آدم الأول، الأمر الذى يحتاج إلى دم المسيح (وليس بأحد غيره الخلاص) (أعمال الرسل ٤: ١٢)، (متى ١: ٢١) **هذه الخطايا تغفر فى سرّ القربان** (ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطيئة) (١. يوحنا ١: ٧)، (١. كورنثوس ٦: ١١)، (أفسس ١: ٧)، (العبرانيين ٩: ١٤)، (١. بطرس ١: ١٩).

من هنا فإن المائدة الربانية وسر القربان هى بعينها ذبيحة الصليب ولكن من غير سفك دم المسيح من جديد، لأنه سُفك مرة واحدة على الصليب، وأما استحقاقاته فتشمل الذين يأخذون منه فى سر القربان إلى الأبد، وهذا هو معنى قوله (إذ هو حىٌ كل حين ليشفع فيهم) (العبرانيين ٧: ٢٥)، (٩: ٣٤)، (رومية ٨: ٣٤)، (١. تيموثيوس ٢: ٥)، (١. يوحنا ٢: ١).

٣ ـ التبرير من الخطيئة الأصلية ؟! (١)

العزيز الأب المحترم يوسف مظلوم.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، أرجو لكم موفور الصحة والتوفيق.

وبمناسبة صوم الميلاد، وعيد الميلاد المجيد، أهنئكم وأرجو مصلياً أن يحفظ الله حياتكم بموفور السلام والتوفيق في خدمتكم الراعوية والكهنوتية والصحفية.

لقد استوقفني في تعليق الأب المحترم الفونس عبد الله على فصل الإنجيل في الأحد الأول من كيهك (كما جاء في لمساجي في عددها الصادر في ١٢/ ديسمبر ١٩٩٣ـ الصفحة ٣) قوله «إن عظمة يوحنا تظهر أول ما تظهر في ميلاده... **وفي تبريره من الخطيئة الأصلية، وهو في بطن أمه**، فذهلت حقاً وتعجبت، كيف يقول الأب الفونس إن يوحنا تبرر من الخطيئة الأصلية، وهو في بطن أمه،،؟ إن هذا التعبير يتعارض مع قضية الفداء بصلب المسيح له المجد وموته، فإذا كان يوحنا، أو حتى مريم العذراء، يمكن أن يتبرر من الخطيئة الأصلية وهو في بطن أمه، أي من قبل أن يتمم المسيح له المجد مهمة الفداء بصلبه وموته، يكون أيضاً مجيء المسيح من السماء لا معنى له ولا داعي له. إن قضية الفداء بموت المسيح هي الحقيقة العظمى التي يقوم عليها كل بناء المسيحية الشامخ. إن تعليم المسيحية أنه ما من أحد من الأبرار والقديسين أمكنه أو يمكنه أن ينال الخلاص إلا بعمل المسيح الكفاري، وعندنا كمسيحيين أن يوحنا المعمدان بعد أن مات نزلت روحه إلى أسفل، إلى الجحيم، وظل هناك مع (المنتظرين الفداء) إلى أن نزل المسيح له المجد من القبر واقتحم بسلطان لاهوته أبواب الجحيم وأخرج آدم وكل القديسين المنتظرين، من الجحيم، ونقلهم إلى الفردوس، (أفسس ٤: ٩).

«وما المعنى من قوله (صعد) سوى أنه نزل أولاً إلى أسافل الأرض.

«سبى سبياً وأعطى الناس عطايا، (أفسس ٤: ٨).

«وليس لأحد بغيره الخلاص» (أعمال الرسل ٤: ١٢).

مع تحياتي وإعزازي أرجو لكم أطيب التمنيات،

---

(١) كتب في ٢٢ من ديسمبر ١٩٩٣م- ١٣ من كيهك ١٧١٠ ش.

٤ ـ لماذا سقط آدم وهو على صورة الله؟

سؤال : من الابن الدكتور الفونس ميخائيل سعد ـ رشيد ـ البحيرة.

يقول لماذا سقط آدم وهو على صورة الله؟

الجواب :

نعم إن آدم خُلق على صورة الله. على أن الله خلق الإنسان حراً، وفى هذه الحرية هو على صورة الله لأن الله هو الحر الأعظم «إن إلهنا فى السماء. كلما شاء صنع» (مزمور ١١٥: ٣) «كل ما شاء الرب صنع فى السماوات وفى الأرض، فى البحار وفى كل اللجج» (مزمور ١٣٤: ٦).

هذه الحرية شرف الإنسان وكرامته على سائر المخلوقات، الحية وغير الحية.

فالحيوانات العجماوات، ومنها الوحوش والبهائم والطيور والدواب والحشرات وسائر الهوام والميكروبات كلها تتحرك بدافع من غريزتها، فالأسد والنمر والذئب والضبع والكلب ليس لها حرية فى حركتها وتصرفاتها، وكذلك الحمامة واليمامة والعصفور ـ ثم العقرب والعنكبوت والبعوضة والذبابة والفراشات بأنواعها، ثم جميع الميكروبات والكائنات الصغيرة ليس لها فى سلوكها حرية، فتحكمها غريزتها. ولذلك فإنها لا تختلف فى حركاتها وسكناتها عن بعضها البعض. فكل أسد يتصرف تصرف الأسد الآخر، وكل كلب يفعل ما يفعله الكلب الآخر... وهكذا كل عجل وكل حمار وكل حمامة وكل عصفورة وكل ذبابة لا فرق فى تصرفها عن تصرف الأخرى إذا كانت من نفس الفصيلة.

أما بالنسبة للإنسان، فالأمر يختلف. فالأخ يختلف عن أخيه شقيقه وهما من أب واحد وأم واحدة، حتى لو كانا توأمين. فقايين وهابيل كانا شقيقين ومع ذلك كان هابيل صالحاً تقياً، وكان قايين طالحاً شريراً. وكذلك يعقوب وعيسو... وهكذا، أما فى الحيوانات العجماوات فلن تجد إختلافاً بين إثنين منها إذا كانا من نفس النوع أو الفصيلة، ذلك لأنها كائنات لا حرية لها.

أما الإنسان فهو الحيوان الوحيد الذى يتميز بالحرية، وهو وحده الذى يملك أن يختار طريقه. ولذلك يقول أحد الفلاسفة «الإنسان هو الحيوان الوحيد الذى يقدر على أن يخطىء أو يخطأ».

والحق أيضاً إن البشر والملائكة هم دون سائر المخلوقات يتميزون بأنهم **كائنات حُرة عاقلة مريدة مسئولة** ـ أما الكائنات الأخرى من غير البشر والملائكة فلا حرية لها ولا إرادة، لأنها

كائنات غير عاقلة، وبالتالى فهى غير مسئولة، بمعنى لا جزاء لها ولا عقاب، وليس لها أمام الله حساب كما للبشر والملائكة حساب.

لذلك فإن الإنسان على الرغم من أنه حقاً على صورة الله ومثاله، لكنه يمكنه أن يخطأ أو يخطىء، لأنه كائن حر، والحرية هى شرف الإنسان وكرامته، بها يسمو عن سائر المخلوقات الحية والجامدة.

فالخطأ والخطيئة واردان فى حياة الإنسان لأنه كائن حر.

أما الخطأ فهو الفعل الخاطىء غير المتعمد وغير المقصود وغير المنتوى، وقد يرجع إلى جهل الإنسان أو علمه المحدود، أو تسرعه فى الحكم وما يعرف بخداع الحواس، كمن يرى السراب مثلاً فيحسب أنه ماء، أو قد يرى الملعقة فى الكوب أو المجداف فى الماء مكسوراً، أو يتطلع إلى السماء فيحكم أنها زرقاء، ويطلق على البحر مسميات هى كما تبدو له فيقول عن البحر إنه أبيض أو أسود أو أزرق... وغير ذلك من أخطاء فى الحساب أو الهندسة أو فى عالم البصريات والمسموعات وغيرها.

وأما الخطيئة فهى الخطأ المقصود والمتعمد للوصايا الإلهية بدافع الرغبة والشهوة، والقصد فى المخالفة، تحقيقاً للميول والنزوات والإصرار على التصرفات الأثيمة، بروح العناد والكبرياء التى تمثلت فى إبليس أو الشيطان الذى لم يخطأ فقط، ولكنه أصر على الخطأ، ولم يتب عنه ولم يعترف حتى الآن بخطئه وإنما مازال مصراً عليه بروح العناد والكبرياء والتجبر.

والخلاصة إن الإنسان سقط فى الخطيئة والمعصية على الرغم من أنه خُلق على صورة الله، لأنه وهو كائن حر، اختار لنفسه الشر- لا عن جهل- ولكن بإرادة متعمدة على الرغم من أن الله أنذره وتوعده، بنتيجة خطيئته. وقال له «من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت» (التكوين ٢: ١٦، ١٧) ولما خالف آدم الوصية وتعرى حاول أن يتنصل من مسئولية فعلته، فلما سأله الرب الإله ليمهد له طريق التوبة بالإعتذار، أجاب قائلاً «المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت» (التكوين ٣: ١٢) وبهذا أزاح المسئولية عن نفسه وأحالها على حواء إمرأته وعلى الله الذى خلق له حواء معينة.

وكذلك فعل الله مع قايين قبل أن يقتل أخاه هابيل، إنه أنذره قائلاً «لماذا اغتظتَ ولماذا سقط وجهُك. إن أحسنت، أفلا رفع. وإن لم تُحسن فعند الباب خطيئة رابضة **وإليك إشتياقها**، وأنت تسود عليها» (التكوين ٤: ٦، ٧). ولكن على الرغم من إنذار الله لقايين، لم ينتفع قايين بالإنذار، وقال قايين لهابيل أخيه: لنخرج إلى الصحراء. فلما كانا فى الصحراء وثب قايين على هابيل أخيه فقتله» (التكوين ٤: ٨).

فاللوم أخيراً واقع على الإنسان الذى لم ينتفع بالوصية التى أعطيت له لخيره وخير المجتمع الإنسانى كله، لأن الإنسان هو الذى بحريته وإختياره أراد أن يعصى الله منجذباً إلى شهوته وميوله، وكان يمكنه إذا أراد أن ينتصر عليها «إن أحسنت أفلا رفع»؟.

٥ ـ هل غفرت الخطيئة لمريم العذراء قبل صلب المسيح

سؤال: من أحد الحضور فى الكنيسة.

هل غفرت الخطيئة الجدية لمريم العذراء قبل الصليب؟

الجواب:

كلا البتة. إن مريم العذراء كانت فى حاجة إلى الخلاص من الخطيئة الجدية، شأنها فى ذلك شأن جميع الناس من بنى آدم وحواء، وذلك لأنها ولدت بحسب الطبيعة من أب وأم، رجل وإمرأة، فكان لابد لها من أن ترث حالة الخطيئة الأصلية التى صار فيها آدم وحواء نتيجة مخالفتهما للوصية الإلهية بالأكل من الشجرة المنهى عنها. «لأن أجرة الخطيئة هى الموت» (رومية ٦: ٢٣)، (التكوين ٢: ١٧)، (يعقوب ١: ١٥).

ولما كان دم آدم قد تلوث بالخطيئة، ولما كان آدم لم يلد أولاداً إلا بعد أن تلوث بالخطيئة، فكان طبيعياً أن يرث أولاده من دمه لوثة الخطيئة، فيتلوثوا بها إذ أنه «قد صنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على وجه الأرض كلها» (أعمال الرسل ١٧: ٢٦). ولما كان كل إنسان يخلق من دم آدم الذى يصل إليه من والده بالزواج، فكان لابد أن تصل لوثة الخطيئة الأصلية إلى كل إنسان من خلال دم والده طال ما أنه يولد بحسب الطبيعة من رجل وإمرأة. وهذا ما يعرف بإنتشار الخطيئة الأصلية، قال الكتاب المقدس «بإنسان واحد (وهو آدم) دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة (دخل) الموت. وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس بالذى جميعهم أخطأوا فيه» (رومية ٥: ١٢)، (التكوين ٣: ٦)، (١ .. كورنثوس ١٥: ٢١). ومعنى إجتياز الموت إلى جميع الناس أن الموت ـ بمعنييه الأبدى والزمنى ـ وقد سرى إلى جميع الجنس البشرى من خلال الدم الملوث بالخطيئة الأصلية والذى تلوث أولاً فى آدم، ثم انتقل إلى كل ذرية آدم بالزواج. ولهذا قال النبى داود «ها أنذا بالإثم حبل بى، وبالخطيئة اشسهتنى أمى» (مزمور ٥٠: ٥)، وجاء فى سفر المزامير أيضاً «زاغ الخطاة من الرحم، ضلوا من البطن» (مزمور ٥٧: ٣). وجاء فى سفر إشعياء «ومن البطن سميت عاصياً» (إشعياء ٤٨: ٨). ويقول العلامة القديس ديديموس الضرير رئيس مدرسة الأسكندرية اللاهوتية فى القرن الرابع (٣١٣: ٣٩٨) «أن خطيئة الأبوين الأولين هى الخطيئة القديمة التى طهرنا منها يسوع المسيح فى معموديته» (فى الثالوث ٢: ١٢) «أن جميع أولاد آدم قد ورثوها، وقد انتقلت إليهم بالخلفة (أى بالتوالد) عن طريق المعاشرة الجنسية بين الوالدين وهذا هو السبب فى أن المسيح ولد من عذراء» (فى الرد على المانويين: ٨).

ولهذا السبب ولد المسيح من عذراء لم تعرف رجلاً. فإن الجسد الذى اتخذه الله الكلمة من مريم واتحد به، لم يختلط به زرع رجل، وإنما تكّون بالروح القدس، ولهذا لم يرث المسيح لوثة الخطيئة الأصلية، لأن الجسد الذى اتخذه لم يأت من دم رجل، فلم تنتقل إليه لوثة الخطيئة الأصلية.

وعلى ذلك فالمسيح، والمسيح وحده، هو الذى حبل به من غير دنس أما العذراء القديسة مريم فقد إنتقلت إليها لوثة الخطيئة الأصلية لأنها ولدت ثمرة لزواج والديها يواقيم وحنة.

من ثم فإن العذراء مريم كانت فى حاجة إلى الخلاص من لوثة الخطيئة الأصلية بدم الفادى الوحيد، والمخلص يسوع المسيح «لأنه ليس لأحد بغيره الخلاص» (أعمال الرسل ٤: ١٢)، (١٠: ٤٣)، (متى ١: ٢١)، (١. تيموثيوس ٢: ٥، ٦).

ولهذا جهرت العذراء الطاهرة بهذه الحقيقة فى تسبحتها التى فاهت بها قائلة «تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى» (لوقا ١: ٤٦، ٤٧).

ولوكان ممكناً أن العذراء مريم تغفر خطيئتها الأصلية التى وصلت إليها من أبويها، قبل الصليب، لكان معنى هذا أن صلب المسيح لم يكن ضرورياً للخلاص. فإذا لم يكن صلب المسيح ضرورياً للخلاص، فلا يكون لمجيئه وتجسده معنى، بينما أنه له المجد قال أنه جاء ليخلص العالم (متى ١: ٢١)، (يوحنا ٣: ١٧)، (١٢: ٢٧، ٤٧)، (١. يوحنا ٤: ١٤)، فقد أتى ليخلص من وما قد هلك (متى ١٨: ١١)، (لوقا ٩: ٥٦)، (١٩: ١٠)، (أعمال ٤: ١٢)، (١٣: ٢٣)، (١. تيموثيوس ١: ١٥)، (العبرانيين ٩: ٢٦)، (١. يوحنا ٣: ٥).

فالعذراء الطاهرة مريم، نالت الخلاص من الخطيئة الأصلية، بموت المسيح بدلاً من الإنسان، شأنها شأن كل من ولد من آدم.

٦ ـ خطاب إلى أحمد حسين (١)

كتب الأستاذ أحمد حسين مقالاً من صفحتين، فى مجلة (الدعوة) فى عددها الرابع والعشرين (غرة جمادى الثانية ١٣٩٨ ـ مايو ١٩٧٨) تحت عنوان «رسالة إلى الرئيس الأمريكى جيمس كارتر، يدعوه فيها إلى الإسلام، ويقول له صراحة، اسلم تسلم.

ولست أنكر عليك أن تكتب لكارتر وغير كارتر تدعوه إلى الإسلام. ولكنى أتساءل لماذا تكتب مثل هذه الرسالة باللغة العربية، وتنشرها بين قراء العربية، مالم يكن هدفك أن تدعو إلى الإسلام كل من يدين بالمسيحية... وذلك من خلال رسالة مفتوحة إلى رئيس دولة مسيحى...

هل الفداء أسطورة كنسية ؟

وياليتك تدعو إلى الإسلام فى ذاته مبرزاً فضائله شارحاً ما فى تعاليمه من جمال ونفع... فهذه دعوة إيجابية لا ننكرها عليك، فهى من حقك، ومن حق كل من آمن بدين أن يدعو إلى دينه... إنما الذى دهشنا له كما دهش له كل مسيحى قرأ مقالك، أن تكون دعوتك إلى الإسلام على حساب سخريتك الواضحة بالمسيحية... فلقد أبحت لنفسك أن تهاجم المسيحية فى عقائدها، واتهمتها بالشرك والوثنية فى أكثر من موضع فى مقالك. وذهبت إلى أن عمل الفداء الذى قام به المسيح له المجد إنما هو «أسطورة كنسية» لا أساس لها من الكتاب المقدس... ومضيت فى طريقك تهدم وتحطم من غير حساب... حتى تتساءل فى جرأة غريبة وتقول «إذا كان موضوع المسيح هو هذه القصة، قصة الفداء والكفارة، فلماذا لم يصرح بها المسيح مرة واحدة لا عن قرب أو بعد، وترك الأمر للكنيسة لتصوغه بعد أربعة قرون، لتفرضه على الناس بقوة الحديد والنار ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً...»، وقد تجاهلت النصوص الكثيرة التى نطق بها فم المسيح له المجد قبل صلبه منبئاً عن صلبه وموته وقيامته، وأن هذا الصلب والموت كان لا مفر منه لخلاص الإنسان، وأنه لأجل هذا الغرض والقصد قد جاء من السماء... «فهو حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم» (يوحنا ١ : ٢٩ ، ٣٦) وهذا دليل محبته للبشر، ورغبته فى خلاصهم بعد أن صار هذا الخلاص متعذراً على الإنسان... وهو الخلاص الذى اشتهاه الأنبياء والقديسون إبتداء من آدم بعد أن طُرد من الفردوس عقاباً على خطيئته، كما تنطق بذلك أقوال الأنبياء فى كل أسفار العهد القديم... ولقد ظل الفردوس مغلقاً فى وجه جميع البشر، بنى آدم، فإنحدروا جميعاً بعد موتهم

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٣٠ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٧٨م ـ ٢٣ من أبيب لسنة ١٦٩٤ش.

إلى الجحيم فى العالم السفلى ولم يخرجوا منه إلا بعد أن قدم المسيح الكفارة عنهم، بموته فى الجسد (لأن لاهوته لا يموت) وبذلك فداهم، من الهلاك الأبدى، وبعد موته اقتحم الجحيم (مزمور ١٠٦: ١٦) وأخرج منه آدم وبنيه من الأنبياء والقديسين المنتظرين الخلاص والفداء (التكوين ٤٩: ١٨)، (مزمور ١١٨: ١٦٦، ١٧٤)، (زكريا ٩: ١١، ١٢) ونقلهم إلى الفردوس. ولقد وعد وهو على الصليب، اللص المصلوب عن يمينه بعد أن آمن به مخلصاً وملكاً وناداه «اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك» (لوقا ٢٣: ٤٢) ... وقال له مصرحاً «اليوم تكون معى فى الفردوس» (لوقا ٢٣: ٤٣) وقد بر بوعده، إذ بعد أن تمم الخلاص والفداء والكفارة نزل إلى العالم السفلى وأشرق بنوره على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت (لوقا ١: ٧٩)، (إشعياء ٩: ٢)، وبشرهم بالخلاص (١. بطرس ٣: ١٩)، (٤: ٦)، (إشعياء ٤٩: ٩)، (٦١: ١)، ففرحوا به وتعبيراً عن فرحتهم «قام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة، وظهروا لكثيرين» (متى ٢٧: ٢، ٥٣) وقال المسيح له المجد «لقد تهلل إبراهيم أبوكم مُشتهياً أن يرى يومى، وقد رأى وفرح» (يوحنا ٨: ٥٦) ثم نقل جميع القديسين والأنبياء إلى الفردوس، فكان هذا النقل سبياً سعيداً إلى الفردوس، «لما صعد إلى العُلى أخذ أسرى كثيرين، وأعطى الناس عطايا. وما المراد بقوله صعد سوى أنه نزل أولاً إلى أسافل الأرض. فهذا الذى نزل هو نفسه الذى صعد إلى فوق السماوات كلها ليملأ كل شىء» (أفسس ٤: ٨- ١٠).

المسيح هو الذى أنبأ بعمل الفداء

وإذا شئت، فها هى بعض النصوص من أقوال المسيح له المجد التى تثبت أن الفداء كان ضرورة للخلاص، وأن المسيح قد جاء من السماء من أجل إنجاز الفداء والخلاص للإنسان بموته على الصليب.

«ومنذ ذلك الوقت بدأ يسوع يبين لتلاميذه **أنه ينبغى أن يمضى إلى أورشليم، ويعانى آلاماً كثيرة من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتل ثم فى اليوم الثالث يقوم.** فأخذه بطرس إليه وراح يكلمه بعنف قائلاً «حاشاك يارب أن يحدث لك هذا» فإلتفت وقال لبطرس: «**اغرب عنى يا شيطان. إنك عثرة لى، لأنك لا تفكر فيما لله بل فيما للناس**» (متى ١٦: ٢١: ٢٣)، (مرقس ٨: ٣١- ٣٣)، (لوقا ٩: ٢٢) مما يدل على أنه كان قد وضع الصليب أمامه، لأنه بموت المسيح يكون الفداء للبشر.

«لأنه كان يعلم تلاميذه قائلاً لهم: إن ابن الإنسان سوف يسلم إلى أيدى الناس فيقتلونه، وفى اليوم الثالث يقوم. بيد أنهم لم يفهموا هذا القول، وتهيبوا أن يسألوه» (مرقس ٩: ٣١، ٣٢)، (لوقا ٩: ٤٤، ٤٥).

«وفيما هم راجعون إلى الجليل، قال لهم يسوع: «إن ابن الإنسان سوف يُسلم إلى أيدى الناس، فيقتلونه، وفى اليوم الثالث يقوم، فحزنوا جداً» (متى ١٧: ٢٢، ٢٣).

«وكانوا فى الطريق صاعدين إلى أورشليم، يتقدمهم يسوع، وكانوا يتبعونه مضطرين خائفين. فانتحى بالإثنى عشر مرة أخرى وراح ينبئهم بما سيحدث له قائلاً لهم: «ها نحن أولاً صاعدون إلى أورشليم ولسوف يُسلم ابن الإنسان إلى رؤساء الكهنة وإلى الكتبة، فيحكمون عليه بالموت، ويسلمونه إلى الوثنيين. فيهزأون به ويبصقون عليه ويجلدونه ثم يقتلونه، وفى اليوم الثالث يقوم» (مرقس ١٠: ٣٢- ٣٤)، «ويجلدوه ويصلبوه وفى اليوم الثالث يقوم» (متى ٢٠: ١٧- ١٩)، (لوقا ١٨: ٣١- ٣٤).

وفى موضع آخر، ومناسبة أخرى، تكلم قبل آلامه فى الأيام السابقة على صلبه، مشيراً بوضوح إلى أنه جاء من السماء من أجل فداء الإنسان وخلاصه، وقال «من أجل هذا قد أتيت إلى هذه الساعة» (يوحنا ١٢: ٢٧).

وقال أيضاً عن نفسه «فإن ابن الإنسان نفسه لم يأت ليُخْدَم بَل ليَخْدُمَ. وليبذل نفسه فدية عن كثيرين» (متى ٢٠: ٢٨)، (مرقس ١٠: ٤٥) وقال: «هذا هو دمى للعهد الجديد الذى يُسفك عن كثيرين لمغفرة خطاياهم» (متى ٢٦: ٢٨)، (مرقس ١٤: ٢٤)، (لوقا ٢٢: ٢٠) وقال «لأن ابن الإنسان إنما جاء ليسعى فى طلب الذى قد ضاع ويخلصه» (لوقا ١٩: ١٠)، (متى ١٨: ١١).

وعندما قام الرب يسوع من بين الأموات بسلطان لاهوته، قال الملاكان للنسوة اللائى ذهبن إلى القبر فى فجر يوم أحد القيامة حاملات الحنوط لتضميخ جسده «لماذا تطلبن الحى بين الأموات؟ إنه ليس هنا، وإنما قد قام. اذكرن ما كلمكن به وهو بعد فى الجليل: قائلاً إن ابن الإنسان **ينبغى أن يُسلم إلى أيدى أناس خطاة ويُصلب**، وفى اليوم الثالث يقوم، **فتذكرن كلامه**، وعدن من القبر، وأخبرن الأحد عشر والباقين جميعاً بهذا كله» (لوقا ٢٤: ١- ٩).

ولما ظهر المسيح له المجد بعد قيامته المجيدة من بين الأموات، لإثنين من تلاميذه «منطلقين فى ذلك اليوم إلى قرية عمّاوس وكانا يتحدثان معاً عن يسوع المسيح وأحداث الصلب والقيامة «كيف أن رؤساء الكهنة وحكامنا قضوا عليه بالموت وصلبوه، وقد كنا نرجو أن يكون هو المزمع أن يخلص إسرائيل. ولكن مع ذلك كله، فإن هذا هو اليوم الثالث منذ أن حدث ذلك، غير أن بعض النسوة من جماعتنا قد أدهشننا إذ ذهبن باكراً إلى القبر، فلم يجدن جسده، وقد جئن قائلات إنهن رأين منظر ملائكة قالوا إنه حى. وقد مضى بعض الذين كانوا معنا إلى القبر فوجدوا كما قالت النسوة. أما هو فلم يروه. فقال لهما (الرب يسوع): «**أيها الغبيان والبطيئا القلب فى الإيمان بكل ما نطقت به الأنبياء. أما كان ينبغى أن يكابد المسيح هذه الآلام ثم يدخل إلى حيث مجده؟ ثم أخذ يفسر لهما مبتدئاً من موسى ومن جميع الأنبياء الأمور المختصة به فى كل الأسفار المقدسة**» (لوقا ٢٤: ١٣- ٢٧).

ولما ظهر لتلاميذه وهم مجتمعون فى العلّية قال لهم: «**هذا هو الكلام الذى كلمتكم به وأنا بعد معكم، إذ قلت لكم إنه لابد أن يتم كل ما هو مكتوب عنى فى شريعة موسى ونبوءات الأنبياء والمزامير. حينئذ فتح أذهانهم ليفهموا الأسفار المقدسة.** وقال لهم: «**هكذا هو مكتوب، وهكذا كان ينبغى أن يتألم المسيح ثم يقوم من بين الأموات فى اليوم الثالث، وينبغى أن يُبشر باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا بين كل الأمم...**» (لوقا ٢٤: ٤٤- ٤٧) ويقول الوحى الإلهى بفم القديس بولس الرسول «صادقة هى الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع إنما جاء إلى العالم ليخلص الخطأة» (١. تيموثيوس ١: ١٥).

٧ ـ خطاب إلى أحمد حسين
«إنتشار الخطيئة فى نسل آدم وذريته» (١)

هل المسيحيون عميان وأغبياء:

ولقد بلغ بك الأمر أن اتهمت المسيحيين فى عقولهم، كما لو كانوا عمياناً جهالاً، أغبياء لا يفطنون ولا يفقهون، من ذلك قولك عن عقيدة إنتشار الخطيئة فى آدم وذريته «ولم يقف مسيحى واحد ليسأل نفسه. وما هو ذنب البشر منذ أيام آدم حتى مجىء المسيح وهم مئات وألوف الملايين حتى يحملوا خطيئة آدم مهما كانوا محسنين. ولم يسأل مسيحى واحد نفسه، وماذا كان الشأن بالنسبة للأنبياء والرسل قبل المسيح، ما هو الشأن بالنسبة لإبراهيم وإسحق، ويعقوب، ويوسف، وموسى، وكل الأنبياء الذين سبقوا السيد المسيح، أكلّ هؤلاء كانوا يعيشون فى الخطيئة بإعتبارهم سابقين على عملية الكفارة»؟.

إنتشار الخطيئة فى نسل آدم وذريته:

أليس عجباً وعجيباً أن تفترض فى نفسك أن المسيحيين لم يكن فيهم مسيحى واحد ذكى يمكنه أن يسأل سؤالك المعجز الذى لم يخطر على قلب بشر منهم... تقول «ولم يقف مسيحى واحد ليسأل نفسه: ما هو ذنب البشر منذ أيام آدم حتى مجىء المسيح وهم مئات وألوف الملايين حتى يحملوا خطيئة آدم» ... وإنى أطمئنك أن المسيحيين ليسوا أغبياء كما تظنهم... وليس سؤالك الذكى العبقرى قد غاب عن ذكائهم، ولكنهم قد وجدوا الجواب على هذا السؤال فى كتابهم المقدس، وعرفوا أن الابن يرث المرض من أبيه وجده... ذلك أن أبناء آدم قد وُلدوا منه وهو فى حالة الخطيئة، وقد فسدت بالخطيئة طبيعته... فكان لابد لأولاده أن يرثوا عنه الفساد... ألا ترى أن الشجرة تنبت ثمراً من جنسها، فشجرة التفاح تُنتج تفاحاً من نوع الشجرة ومن صنفها، وشجرة الحنظل تُنتج حنظلاً من جنسها ونوعها... وهكذا قل فى كل شجرة... وفى كل زرع، بل إنه قانون الوراثة فى عالم الحيوان كما هو فى عالم الإنسان. فالابن يرث صفات الأب وخصائصه ويحمل صفاته ومميزاته كما يرث ضعفاته. جاء فى سفر التكوين «وعاش آدم مائة وثلاثين سنة وولد ولداً على شبهه كصورته ودعا اسمه شيثا (التكوين ٥: ٣). وقال المسيح له المجد «فهل يجنى الناس من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً؟ هكذا فإن كل شجرة طيبة تعطى

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٦ من أغسطس ـ آب لسنة ١٩٧٨م – ٣٠ من أبيب لسنة ١٦٩٤ش.

ثمراً طيباً . أما الشجرة الرديئة فإنها تُعطى ثمراً رديئاً. لا يُمكن لشجرة طيبة أن تُعطى ثمراً رديئاً، ولا لشجرة رديئة أن تعطى ثمراً طيباً (متى ٧: ١٦- ١٨)، (لوقا ٦: ٤٣- ٤٤) وقال «إن كانت الشجرة صالحة كان ثمرها صالحاً، وإن كانت فاسدة، كان ثمرها فاسداً» (متى ١٢: ٣٣).

إذن كان لابد لأولاد آدم أن يرثوا حالة الفساد التى صارت لأبيهم آدم بعد الخطيئة، لأنهم وُلدوا منه بعد أن فسدت طبيعته بالخطيئة، ولذلك ورثوا عنه حالة الفساد، طبقاً لقانون الوراثة.

قال النبى داود «بالآثام صورت، وفى الخطيئة حبلت بى أمى» (مزمور ٥٠: ٥).

وقال النبى داود أيضاً: «زاغ الأشرار من الرحم، ضلوا فى البطن». (مزمور ٥٧: ٣).

وقال النبى أيوب «مَنْ يُخرج الطاهر من النجس. لا أحد» (أيوب ١٤: ٤).

إن موضوع إنتشار الخطيئة الأصلية من الأب الأول آدم إلى كل ذريته حقيقة دينية، وهى أيضاً حقيقة كونية، لأنها قانون طبيعى يحكم كل إنسان، طالما أن الناس يتوالدون ويتناسلون بالتوالد من أب وأم، من شجرة واحدة وأُرومة واحدة، ويسرى فيهم دم واحد، هو دم الأب الأول آدم، لأن الله «خلق البشر كلهم من أصل واحد، ليسكنوا على وجه الأرض كلها» (أعمال الرسل ١٧: ٢٦).

وقال الوحى الإلهى بفم الرسول بولس «فكما أن الخطيئة دخلت فى العالم على يد إنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، فكذلك سرى الموت إلى جميع الناس بالذى جميعهم خطئوا فيه» (رومية ٥: ١٢، ١٧)، (١. كورنثوس ١٥: ٢١) وقال أيضاً «وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كسائر الناس» (أفسس ٢: ٣)، (يوحنا ٣: ٦).

هل أنت الآن فى الجنة؟

ثم تعال لأسألك بدورى سؤالاً أرجو أن تجيب عليه بإخلاص وصدق: لقد كانا أبونا آدم فى الجنة، فلما أخطأ طرده الله منها... فأين أنت الآن من الجنة؟ وأين كل أولاد آدم؟ هل استطاع واحد منهم أن يدخل الجنة بعد أن طرد أبوهم آدم منها؟ ألست أنت وجميع أولاد آدم قد شملهم القرار الذى صدر على أبيهم الأول آدم...؟ أليست كل إمرأة تلد بالأوجاع والمخاض أولاداً؟ أليس معنى هذا أن الحكم الذى صدر على حواء الأولى بسبب خطيئتها «بالألم تلدين البنين» (التكوين ٣: ١٦) قد شمل جميع بنات جنسها، لأنهن ولدن منها...

إذن هو قانون طبيعى يحكم الناس، أن يرث الأبناء حالة والديهم... وأن يعانوا الظروف والأحوال التى عاشها آباؤهم

ما القول بالنسبة للأنبياء والرسل؟

وهنا آتى إلى سؤالك الثانى أو بالأحرى إلى تساؤلك فى دهشة. واستغراب، وفى تحقير لعقول المسيحيين واستهزاء بهم، تقول فى دهشة: «**ولم يسأل مسيحى واحد نفسه وماذا كان الشأن بالنسبة للأنبياء والرسل قبل المسيح، ما هو الشأن بالنسبة لإبراهيم، وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى وكل الأنبياء الذين سبقوا السيد المسيح، أكل هؤلاء كانوا يعيشون فى الخطيئة بإعتبارهم سابقين على عملية الكفارة؟**».

أليس تساؤلك هذا جارحاً لمشاعر المسيحيين... أليس أمراً مُثيراً حقاً أن تفترض فى ذهنك أن المسيحيين جميعاً غافلون أو مغفلون، وليس بينهم (مسيحى واحد) خطر على باله أن يسأل سؤالك الذكى العبقرى الذى تضعه فى صيغة بالغة الإيلام والتحدى...

إننى أترك لك مرارة أسلوبك لضميرك،... وإنى أعتقد أن ضميرك سيؤرقك، وأعتقد أيضاً أن الكثيرين من إخوتنا المسلمين لا يوافقونك على مثل هذا الأسلوب الساخر فى التحدى للمسيحية والمسيحيين.

ومع ذلك فلندع لك هذا الشتم وهذه الإهانة، ونسأل لك الغفران.

وجوابنا على سؤالك، حاضر ومستعد: إن جميع الأنبياء والرسل قبل المسيح، بما فيهم إبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى، وُلدوا وارثين حالة الخطيئة، بالتالى كانوا تحت الحكم وقضاء الله على الجنس البشرى بالإقصاء من الفردوس والجنة... وعندما ماتوا لم تذهب أرواحهم إلى الفردوس الذى طرد منه أبوهم آدم، وإنما نزلوا إلى العالم السفلى. إلى الجحيم (والجحيم غير جهنم - فالجحيم مقر إنتظار للأرواح يبقون فيه إلى يوم الحساب العظيم بعد القيامة العامة - قيامة الأجساد. أما جهنم فهى مقر العذاب الأبدى المعد لإبليس وملائكته ولغير التائبين من بنى الناس، وهو عذاب للروح والجسد).

نعم إن أولئك الأنبياء والرسل والقديسين لم يذهبوا إلى الفردوس بعد موتهم، لأن الفردوس كان مغلقاً فى وجه الإنسان... ولقد تنبهت أرواح هؤلاء الأنبياء فى حياتهم إلى أن هناك الفادى الذى ينتظرونه مخلصاً لهم وللجنس البشرى، ليقدم الكفارة والترضية التى يتطلبها العدل الإلهى، وبذلك يتم الغفران... فإن الله وهو لانهائى فى رحمته هو لانهائى أيضاً فى عدالته... **وهو وإن كان غفوراً رحيماً، لكن غفرانه لا يكون على حساب عدله وقضائه... أى أن الله لا يغفر من دون ترضية كافية لعدالته...**

ولما كان الجلال الإلهى غير محدود فى عظمته، **فترضية عدله غير المحدود تقتضى الفادى غير المحدود فى عظمته... وليس أحد غير محدود إلا الله وحده... لذلك فإن الله الذى يريد خلاص الإنسان... لم يكن غير الله قادراً على تتميم هذا الخلاص...** «فرأى أنه ليس إنسان، وبُهت أنه ليس شفيع، فخلصت له ذراعه» (إشعياء ٥٩: ١٦). لذلك فإن الله اتخذ جسداً، وهذا هو المسيح. المسيح هو الله ذاته متجسداً، اتخذ طبيعة الإنسان، وصار فى صورة الإنسان... أى أنه تأنس من دون أن يتغير الله... فالمسيح هو الله الذى كان ولم يزل إلهاً، وليس التجسد غير صورة من صور الحلول من دون أن يكون هناك انحصار لله فى الجسد المحدود. فالله عندما خاطب موسى وناداه من وسط العلّيقة (الخروج ٣: ٤) كان الوجود الإلهى متجلياً فى النار التى ظهرت فى العليقة ولكن من دون أن يكون ذلك معناه أن الله قد انحصر فى العلّيقة... فهو هو بذاته الله الذى يملأ بنوره السماوات والأرض... ووجوده فى العلّيقة نوع من التجلّى ولكن من غير انحصار... هكذا حلول اللاهوت فى الناسوت فى المسيح. فالله إذ حل فى الإنسان، واتحد لاهوته بانسانية الإنسان لم يُخل السماء من وجوده، فكان فى السماء وهو على الأرض. قال المسيح له المجد «ما من أحد صعد إلى السماء إلا ذلك الذى نزل من السماء، ابن الإنسان الذى هو فى السماء» (يوحنا ٣: ١٣) أى أن المسيح فيما كان على الأرض كان بلاهوته فى السماء وعلى الأرض فى آن واحد.

إذن خلاص الإنسان اقتضى أن يتخذ الله صورة الإنسان، فيتجسد، وفى تجسده يصير بديلاً عن الإنسان وفادياً عن الإنسان بموته بدلاً منه، تنفيذاً للحكم الصادر على الإنسان بالموت عقاباً على مخالفته. ولما كان المسيح الفادى غير محدود من حيث لاهوته، ففى موت المسيح بالجسد وفاء للعدل الإلهى غير محدود.

فى الفداء تجلت محبة الله وعدالته: (١)

وهنا تجلت محبة الله وعدالته:

أما المحبة فلأن الله أراد الخلاص للإنسان رحمة به، ثم لأنه أخذ صورة الإنسان، وقبل فى الجسد الذى اتخذه الحكم بالموت. قال المسيح له المجد «مامن حب أعظم من أن يبذل أحد نفسه عن أحبائه وأنتم تكونون أحبائى» (يوحنا ١٥: ١٣، ١٤)، (١٠: ١١، ١٥) وقال له المجد أيضاً «أنا هو الراعى الصالح، والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف» (يوحنا ١٠: ١١) «أنا هو الراعى الصالح... وسأبذل نفسى عن خرافى» (يوحنا ١٠: ١٤، ١٥) وقال أيضاً «لأنه إلى هذا المدى أحب الله العالم حتى إنه بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به، وإنما ينال الحياة الأبدية» (يوحنا ٣: ١٦)، (رومية ٨: ٣٢). وهنا الابن الوحيد لله هو المسيح، لا بمعنى أن الله يلد كما يلد الإنسان، معاذ الله! ولكن لأن الله وهو الغير المنظور صار منظوراً فى المسيح... أى أن العالم رأى الله فى المسيح «الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذى فى حضن الآب (أى فى ذات الآب) هو الذى أخبر عنه» (يوحنا ١: ١٨) فالمسيح ابن الله بهذا المعنى، لأنه هو الصورة المنظورة لله الغير المنظور فى لاهوته... ولذلك قال المسيح «من رآنى فقد رأى الآب» (يوحنا ١٤: ٩، ٧).

قال الوحى الإلهى بفم القديس بولس الرسول «فإنه لا يكاد يموت أحد لأجل بار، وربما جرأ أحد لأجل الصالح أن يموت ولكن الله بين محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح من أجلنا. فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب. لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه، فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته. وليس ذلك فقط بل إننا نفتخر بالله أيضاً بربنا يسوع المسيح الذى نلنا به الآن المصالحة» (رومية ٥: ٧- ١١). ويقول كذلك «اسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً وبذل نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة مرضية» (أفسس ٥: ٢) «والإيمان بابن الله الذى أحبنى وضحى بنفسه من أجلى» (غلاطية ٢: ٢٠) ويقول الوحى الإلهى بفم القديس يوحنا الرسول «بهذا قد عرفنا المحبة أن ذاك (الرب يسوع المسيح) قد بذل نفسه فى سبيلنا، فيجب علينا أن نبذل نفوسنا من أجل الإخوة» (١. يوحنا ٣: ١٦) ويقول «بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكى نحيا به. وإنما

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ١٣ من أغسطس - آب لسنة ١٩٧٨م - ٧ من مسرى لسنة ١٦٩٤ش.

المحبة فى هذا أننا لم نكن نحن أحببنا الله، بل إنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة عن خطايانا» (١. يوحنا ٤: ٩، ١٠).

أما عدل الله فقد تجلى فى عمل الفداء والكفارة، لأن الله إذ حكم على الإنسان بالموت (التكوين ٢: ١٧)، فما كان ممكناً أن يسقط كلام الله: «تزول السماء والأرض، أما كلامى فلا يزول» (متى ٢٤: ٣٥)، (مرقس ١٣: ٣١)، ولذلك **فإن الله الذى أراد الخلاص للإنسان لم يغفر له بغير كفارة، قام بها الله ذاته فى المسيح، إذ اتخذ له جسداً، فنفذ عدل الله فى المسيح بدلاً من الإنسان، ففدى بذلك الإنسان، وهذا هو معنى الفداء... أى أن الله لم يغفر للإنسان من دون ترضية كافية لعدالته.** ولكنه من عظم محبته، تنازل فصار هو بديلاً عن الإنسان، وبموته فى الجسد نفذ الحكم الإلهى كاملاً، فأرضى بذلك عدله...

وبهذا يكون عمل الفداء فى الصليب، تجلى فيه عدل الله، كما تجلت فيه محبته،... ولقد حقق الله الخلاص للإنسان بفيض محبته غير المتناهية، لكن لا على حساب عدالته... وظهر عدل الله كاملاً لكن لا على حساب محبته.

قال الوحى الإلهى بفم الرسول بولس «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى تقدم الله فجعله كفارة... بدمه لإظهار برّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة» (رومية ٣: ٢٤، ٢٥) وقال كذلك «الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح... أى أن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم» (٢. كورنثوس ٥: ١٨، ١٩) وقال أيضاً «الذى لنا فيه (أى المسيح) الفداء بدمه غفران الخطايا على حسب غنى نعمته» (أفسس ١: ٧)، (كولوسى ١: ١٤) وقال «لأنه هو (يسوع المسيح) سلامنا الذى جعل الإثنين واحداً، ونقض حائط السياج المتوسط، أى العداوة، مبطلاً بجسده ناموس الوصايا فى فرائض، لكى يخلق الإثنين فى نفسه إنساناً واحداً جديداً، صانعاً سلاماً، ويصالح الإثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به...» (أفسس ٢: ١٤- ١٦) «عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته» (كولوسى ١: ٢٠) «وأنتم... قد صالحكم الآن فى جسد بشريته بالموت» (كولوسى ١: ٢١) «الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع» (١. تيموثيئوس ٢: ٦) «مخلصنا يسوع المسيح الذى بذل نفسه لأجلنا ليفتدينا (تيطس ٢: ١٣، ١٤)، (غلاطية ١: ٤)، (رومية ٤: ٢٥)، (العبرانيين ٩: ٢٦، ٢٨)، (١. بطرس ٣: ١٨)، (١. كورنثوس ٧: ٢٣) «عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى، بفضة أو ذهب... بل بدم كريم كما من

حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد أُظهر فى الأزمنة الأخيرة من أجلكم» (١ . بطرس ١ : ١٨ – ٢٠) «الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة لكى نموت عن الخطايا، فنحيا» (١ . بطرس ٢ : ٢٤) «يسوع المسيح البار، وهو كفارة عن خطايانا وليس عن خطايانا فقط، بل عن خطايا العالم كله أيضاً» (١ . يوحنا ٢ : ٢) «إن ذاك (المسيح) قد أظهر ذاته لكى يرفع خطايانا، وهو الذى لا خطيئة فيه» (١ . يوحنا ٣ : ٥)، (الرؤيا ٥ : ٩) وقال سفر الأعمال «احترزوا لأنفسكم، ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه» (أعمال الرسل ٢٠ : ٢٨) .

قلنا إن الأنبياء والرسل القديسين السابقين على مجىء المسيح الفادى، وصلبه وعمله الكفارى... جميعهم عندما ماتوا نزلوا إلى الجحيم، إلى العالم السفلى، وظلوا هناك منتظرين يوم الفداء...

ولقد هتفوا فى حياتهم طالبين الخلاص، لأنهم كانوا يعلمون أن حكم الله وقضاءه على آدم وذريته كان بالموت الأبدى والهلاك... ولكنهم كانوا موعودين بمجىء الفادى والمخلص الذى يسحق الشيطان رأس الحية (التكوين ٣ : ١٥)، (رومية ١٦ : ٢٠)، (كولوسى ٢ : ١٥)، (العبرانيين ٢ : ١٤)، (١ . يوحنا ٣ : ٨) وبه تتبارك جميع قبائل الأرض والأمم (التكوين ١٢ : ٣)، (١٨ : ١٨)، (٢٢ : ١٨)، (٢٦ : ٤)، (٢٨ : ١٤)، (أعمال الرسل ٣ : ٢٥)، (غلاطية ٣ : ٨)، وقد سُمى بـ «مشتهى كل الأمم» (حجى ٢ : ٧) .

ولقد قال يعقوب أبو الأسباط «لخلاصك انتظرت يارب» (التكوين ٤٩ : ١٨)، (٤٩ : ١٠) .

وقال النبى داود «رجوت خلاصك يارب» (مزمور ١١٨ : ١٦٦) «اشتقت إلى خلاصك يارب» (مزمور ١١٨ : ١٧٤) «تاقت نفسى إلى خلاصك» (مزمور ١١٨ : ٨١) «كلت عيناى إشتياقاً إلى خلاصك» (مزمور ١١٨ : ١٢٣) .

وقال أحد الأنبياء «أراه ولكن ليس الآن. أبصره ولكن ليس قريباً» (العدد ٢٤ : ١٧) .

وقال الوحى الإلهى بفم القديس بطرس الرسول: «الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء» (١ . بطرس ١ : ١٠) .

وقال المسيح له المجد «فالحق أقول لكم إن أنبياء وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا» (متى ١٣ : ١٧)، (لوقا ١٠ : ٢٤) وقال الوحى

الإلهى بفم القديس بولس الرسول «فى الإيمان مات أولئك كلهم، دون أن يحصلوا على المواعد، بل إنما رأوها وحيوها عن بعد» (العبرانيين ١١: ١٣).

فأولئك الأنبياء والرسل والقديسون قبل مجيء المسيح كانوا فى حياتهم يتطلعون إلى المخلص الآتى، فلما ماتوا نزلوا إلى الجحيم وظلوا فيه منتظرين إلى يوم الخلاص، حيث صُلب المسيح ومات بالجسد، وفى صلبه وموته فدى البشر من الحكم الأبدى المحكوم به على آدم وذريته، وحينئذ نزل إليهم المسيح وبشرهم بالخلاص، فأشرق على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت، فى الجحيم (إشعياء ٤٢: ٧)، (متى ٤: ١٦) ثم نقل الأنبياء والرسل والقديسين المنتظرين الفداء، إلى الفردوس (لوقا ٢٣: ٤٣)، (أفسس ٤: ٨- ١٠).

ودليلك على هذا التوقع والانتظار أن سمعان الشيخ عندما حمل المسيح طفلاً على ذراعيه بعد أربعين يوماً من ميلاده بالجسد «بارك الله ثم قال: الآن أطلق يا سيدى عبدك بسلام وفقاً لكلمتك، **فإن عينى قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته أمام كل الشعوب**» (لوقا ٢: ٢٨- ٣٠) «وكان ثمة نبية اسمها حنة بنت فنوئيل من سبط أشير، وكانت طاعنة فى السن، وقدعاشت مع زوجها سبع سنوات منذ بكوريتها. ثم ظلت أرملة مدة أربع وثمانين سنة، لا تبرح الهيكل، متعبدة بالصوم والصلاة ليلاً ونهاراً. ففى تلك الساعة تقدمت نحوه، وأخذت تحمد الله بشأنه، وتحدث عنه **كل من كان ينتظر الخلاص فى أورشليم**» (لوقا ٢: ٣٦- ٣٨، ٢٥) انظر أيضاً (لوقا ١: ٦٨)، (٣: ٦)، (٢٤: ٢١)، (مرقس ١٥: ٤٣).

٨ ـ أرواح الموتى قبل الفداء... أين ذهبت؟ (١)

وجاءنا السؤال التالى من مدارس الأحد القبطية الأرثوذكسية بالقصر.

أين كانت تذهب أرواح القديسين والأشرار، قبل إتمام عملية الفداء؟، ومن كان يتسلم أرواحهم عند الموت؟

الجواب:

لا شك أنها كانت تمضى إلى الجحيم، لأنها جميعاً أخطأت بخطيئة آدم، فأدركها الحكم بالموت الذى أدرك آدم «بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع» (رومية ٥: ١٢).

وهذا هو السر فى حاجة البشرية إلى الفادى، لأنه بدونه لا يمكنهم أن يخلصوا من حكم الموت الأبدى، وبدونه لا يستطيعون أن يدخلوا ملكوت السموات. ولا أن يعاينوها (يو ٣: ٣، ٥).

من أجل هذا قدّم المتعبدون فى العهد القديم ذبائح الحيوان، لحاجتهم إلى وسيط بينهم وبين الله. ولم يكن الحيوان هو الوسيط الحقيقى، وإنما كان رمزاً موقوتاً بظهور «الحمل الذى يرفع خطيئة العالم». كان ظهور المخلص ضرورياً ليفتدى الذين أضلهم إبليس وابتاعهم لنفسه فارتبط مصيرهم به وأمسوا محرومين نظيره من أمجاد السماء (مت ٢٥: ٤١).

لذلك هتف أتقياء العهد القديم بنداء الخلاص من مصيرهم الحزين: فقال يعقوب «**لخلاصك انتظرت يارب**» (تك ٤٩: ١٨)، وقال داود «**رجوت خلاصك يارب...**» «**اشتقت إلى خلاصك يارب**» (مز ١١٩: ١٦٦، ١٧٤) وسمعان الشيخ «كان باراً تقياً، **ينتظر تعزية إسرائيل**» (لو ٢: ٢٥)، فلما أخذ الطفل يسوع على ذراعيه، بارك الله وقال «الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام، لأن عينى قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته قدام وجه جميع الشعوب، نور اعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل» (لو ٢: ٣٩) وحنة بنت فنوئيل وقفت فى تلك الساعة «تسبح الرب، وتكلمت عنه **مع جميع المنتظرين فداء فى أورشليم**» (لو ١: ٣٨).

لهذا صلب المسيح ومات فداءاً عن المسبيين الذين سباهم الشيطان إلى مملكته ومضى بهم إلى الجحيم، فانطلق المسيح إلى ذات الجحيم لينقذ الخراف من فم الذئب «وأما أنه صعد فما هو

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة الحادية عشر ـ العدد الأول ـ يناير ١٩٥٧م.

إلا أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى، (أف ٤: ٩) ورد الذين اختطفهم إبليس، ونقلهم من الجحيم إلى الفردوس «سبى سبياً وأعطى الناس عطايا» (أف ٤: ٨).

أجل «نزل المسيح إلى الجحيم» كما جاء فى القداس طبقاً للنصوص السابقة، وطبقاً لقول الرسول أيضاً «ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن» (١ . بط ٣: ١٩) وبهذا هتف روح النبوءة «بدم عهدك قد أطلقت أسراك من الجب الذى ليس فيه ماء. إرجعوا إلى الحصن يا أسرى الرجاء» (زك ٩: ١١، ١٢) نعم، رجع الذين «نظروا المواعيد من بعيد، وصدقوها وحيوها» (عب ١١: ١٣) رجعوا إلى الحصن الذى يركض إليه الصديق ويتمنع (أم ١٨: ١٠)، رجعوا إلى الفردوس الذى كان مغلقاً فى وجه البشرية منذ سقطة آدم الأول (تك ٣: ٢٤)، ولم يفتحه إلا المسيح بالصليب (لو ٢٣: ٤٣).

٩ ـ لماذا نشقى بالخطيئة الأولى
مع أن المسيح قد افتدانا منها (١)

ورد إلينا من أحد قراء المجلة سؤال عن الخلاص الذى نلناه بموت فادينا وربنا يسوع المسيح على الصليب، ومع ذلك لازلنا نعانى جميعاً الآلام المترتبة على الحكم الإلهى الصادر على آدم نتيجة خطيئته، ولماذا لا تعود البشرية مرة أخرى فتحصل على سعادتها المفقودة، ما دامت جريمة الخطيئة ونتائجها قد زالت زوالاً تاماً بفعل الخلاص بالدم المسفوك، فنرى الرجل يأكل خبزه بعرق جبينه إلى اليوم وهو عقاب آدم، ونرى المرأة تحبل وتلد بالآلام والأوجاع وهو عقاب حواء؟؟!!

الجواب:

لكى نجيب على هذا السؤال، لابد لنا من أن نضع نصب عينى السائل والقارىء هذه الحقائق التالية:

الحقيقة الأولى أن الأبوين الأولين كانا يتمتعان بسعادة كاملة لا يعرف الشقاء إليها سبيلاً، وبنور المعرفة الوضاح الذى أضاء عقليهما استطاعا أن يكونا عالمين بجميع المعارف الطبيعية اللازمة لهما ليعيشا سيدين على الطبيعة غير الناطقة من جمادات ونباتات وحيوانات، ثم بوصفهما أبوى الخليقة الناطقة، ومهمتهما فى كلا الحالين تقتضيهما معرفة واسعة وعلماً كاملاً.

ولما كان الأبوين فى حال البراءة والطهارة والقداسة، فلم تكن لهما شهوات دنسة تعكر صفو الجو السماوى الروحانى البرىء الذى كانا ينعمان به.

وإذا كانت روحاهما طاهرتين كاملتين، وكانا جسداهما نقيين سليمين كاملين فلم تلحق بنفسيهما أو جسديهما آلام تشقيهما فكل الخير كان موفراً للنفس والجسد فليس ثمة ضعف أو تعب أو مرض أو فساد.

ولما كانا مخلوقين على صورة الله وكانا شديدى الشبه بالله (فى اللغة العبرية جاء النص هكذا «نعمل الإنسان على الصورة الأشد مشابهة لنا»)، وكانا سعيدين وكاملين فقد كان طبيعياً إذا نجحا فى إمتحانهما أن يخلدا مع الله وأن يُنقلا من الفردوس إلى الملكوت الأبدى، بدون الحاجة إلى ألم الموت والتوجع بسكراته.

---

(١) نشر بمجلة الإيمان السنة السادسة عشر ـ العدد ٤ ـ ديسمبر ١٩٤٦م.

الحقيقة الثانية أما هذه الإمتيازات الرفيعة وهذا السمو فوق الجهل والفقر والمرض والألم والموت، فلم يكن إمتيازاً أو سمواً تقتضيه طبيعة آدم الترابية، بل كانت حالة فائقة عن الطبيعة أنعم الله بها على آدم لتكون غنى وكمالاً لسعادته، ثم لكى تكون سلاحاً فى يده يدفع به عن نفسه أسباب الغواية والضلال والهبوط إلى مستويات الحيوانات الترابية الأرضية أو الإنسياق لمشورة القوات الشريرة التى سقطت، والتى يعلم الله أنها لن تألو جهداً فى سبيل إغراء الإنسان على الضلال وإفساد سعادته.

ثم أن هذه الإمتيازات، كما كانت سلاحاً فى يد الأبوين لصيانتهما بإرادتهما عن الشر أن ينفذ إلى نفسيهما، كانت كذلك حجة على الأبوين لما سقطا فى الشر، فلم يكن لهما سبيل إلى الإعتذار عن خطئهما، ولذلك أوقع الله بهما العقاب على الرغم من أن الشر جاء إليهما خارجاً عنهما. وهذا معناه أن الأبوين بما حصلا عليه من إمتيازات فائقة للطبيعة كان فى مقدورهما بما كانا عليه من علم وقداسة وبر وخلو من آلام الشهوة والضعف والفقر والفساد، أن يرفضا مشورة إبليس، فليست خطيئتهما إذن غصبية إضطرارية إرغامية بل خطيئة إرادية إختيارية.

الحقيقة الثالثة أن سقوط الأبوين فى المعصية - وقد كان بمحض إختيارهما، وعلى الرغم من الإمتيازات الرفيعة التى كانت كفيلة فى ذاتها لأن تصونهما (لو أرادا) من كل شر وشبه شر - نقول إن سقوط الأبوين فى المعصية كان هو علة حرمانهما من هذه الإمتيازات.

فكان طبيعياً أى موافقاً للقوانين الطبيعية أن الشهوة وقد نفذت إلى قلب الإنسان أن تحبل وأن تلد فتنتج فساداً فى الفكر والميل. ولما كان الفاسد الشرير العاصى لا يستطيع أن ينال ملكوتاً طاهراً، لا بنفسه لأنها تلوثت وقبلت أن تصير نظيرة لله الذى خلقهما وأحسن إليها، أى أنها قد تغطرست وتكبرت على خالقها والمنعم عليها بوجودها، ولما كانت خطيئة الكبرياء هى التى بسببها أسقط الشيطان من السماء مع أنه رئيس ملائكة العلى، ولما كان الله يكره أن يبصر الشر والأشرار ولا يطيق أن يكون له وجود فى محضره، فقد كان طبيعياً أن تحرم النفس من رؤية الله والتنعم بشخصه، وكان طبيعياً أن الفساد الذى نفذ إليهما سيمتد ويعظم، كما يمتد العطب فى الجسم المادى إمتداداً طبيعياً، ثم تظلم روح الإنسان وعقله فيفقد نور الإلهام الباطنى ويصير فهمه محدوداً طبيعياً.

كذلك جسم الأبوين، وقد تدنس بالشهوة والدنس، لم يعد أهلاً للسماء فلابد أن يعود إلى التراب الذى أخذ منه ولابد أن يفقد الإمتيازات الفائقة التى اكتسبها ولابد إذن من أن يخضع لمؤثرات

الطبيعة فيتوجع ويتألم ويقبل لكل المؤثرات الخارجية وفعل الكائنات الطبيعية فيه، فيجرح ويتقطع، ويصير مطمعاً لحيوانات البر أن تطارده لتأكله وللحيوانات الصغيرة (الميكروبات) أن تدخل إلى داخله لتتغذى بدمه فتفسده، ومن ثم يمرض ويضعف وتنتهك قواه وهكذا ينحل رويداً رويداً ـ خضوعاً لقوانين الطبيعة، إلى أن تفنى قواه (بصرعها مع قوى الطبيعة) حتى يموت.

وإذن فسقوط الإنسان فى العصيان أدى إلى الحرمان من حضرة الله وفقدان السمو الروحانى، بل وإلى معاناة آلام الشهوة والفقر والمرض والإعياء والتعب والشقاء والجهل، وهى كلها آلام طبيعية لابد للإنسان من أن يعانيها لفقدانه لإمتيازاته الرفيعة التى تخلى عنها بإرادته.

الحقيقة الرابعة أن الإنسان بسقوطه فى المعصية قد باع نفسه لمشورة الشيطان، ثم حرم من ملكوت السموات، ولذلك فأرواح القديسين والأشرار كان الشيطان يقبض عليها ويمضى بها إلى الحبوس أى الجحيم إلى أن صلب المسيح الفادى واسترضى بصلبه العدالة الإلهية، فغفرت الخطيئة ومحيت العقوبة الأبدية، وأصبح الإنسان بإستحقاقات المسيح وحده أهلاً لملكوت المسيح.

الحقيقة الخامسة إن آدم عندما أخطأ، لم يخطأ بصفته الفعلية فقط، ولكنه أخطأ بوصفه أباً للجنس البشرى، ومن ثم فقد ولد الناس جميعاً من دماء تلوثت بالخطيئة وأصبحنا جميعاً من جهة ميلادنا وتسلسلنا من آدم خطأة ناقصين، والابن عادة يرث حالة أبيه فقيراً كان أو مريضاً وبذلك غدونا جميعاً فى حالة الخطيئة وسرت علينا العقوبة بالحرمان من السماء قال الرسول (بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع).

وقال النبى (بالآثام حبل بى وبالخطيئة اشتهتنى أمى).

الحقيقة السادسة إن آدم هو الذى أخطأ بالفعل أما نحن فقد وجدنا فى حالة الخطيئة فالعقوبة بالنسبة لآدم عقوبة على خطيئة فعلية، أما العقوبة بالنسبة لنا فهى عقوبة على حالة لم يكن لنا ذنب مباشر فيها.

ومن ثم فسقطه آدم استحقت موتاً وعذاباً أبدياً، أما سقطتنا فى آدم فلا تستوجب غير حرمان من الإمتيازات الفائقة الطبيعة بمعنى أن آدم لولا خلاص الفادى الذى منحه إياه كان يهلك هلاكاً أبدياً وينال إستحقاق تعديه وخطيئته التى لا نهاية لعظمتها (من حيث أنها إهانة لإله غير محدود) أما أبناء آدم، فإنهم لا ينالون عن خطيئة آدم عذاباً فعلياً ولكنهم يحرمون بسببها من

المجد والنور والاستمتاع بمحضر الله وميراث الملكوت، فعقوبتهم بالنسبة للخطيئة الجدية عقوبة سلبية وليست عقوبة إيجابية.

أما وأن السيد المسيح قد فدى الجنس الآدمى بموته على الصليب، وفتح لنا سبيل الفردوس الذى أغلق فى وجه الإنسان، فقد صار العتق من العبودية وإمتياز البنوية وإرث المواعيد السماوية للذين يؤمنون بالمسيح وعمله الفدائى ويشتركون معه فى موته بالمعمودية.

فإذا آمن الإنسان بفاديه وإلتجأ ونال سر العماد باسمه فإنه ينال الخلاص وإلا فعليه الغضب الأبدى (من يؤمن بالابن فله حياة أبدية، ومن لا يؤمن بالابن فليست له الحياة بل يمكث عليه غضب الله، من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن).

وإذن كما أن فى آدم يموت الجميع، هكذا بالمسيح يحيا الجميع وينالون الحياة الأبدية على شرط أن يقدروا عمل المسيح الفدائى فيؤمنون به ويعتمدون على اسمه ويعملون الأعمال الصالحة التى ترضيه لئلا يفقدوا بشرورهم هذه الإمتيازات مرة أخرى.

فهذه الإمتيازات الروحية لا تقدم للناس غصباً أو قهراً، كما أنها هى ذاتها لا تقهرهم ولا تغصبهم على السلوك فى الفضيلة بل لازالوا أحراراً مريدين مختارين يفعلون ما يشاءون دون قهر أو إلزام.

الحقيقة السابعة لما كانت العقوبات المادية التى أوقعها الرب على آدم وحواء لم تكن إلا حرماناً من إمتيازات السمو الروحانى التى جعلتهما فى منأى عن الجهل والمرض والشهوة والموت، وكان سقوطهما فى الخطيئة علة لحرمانهما من هذا السمو وبالتالى أن يسقطا فريسة للآلام الطبيعية التى تلائم الجسد الترابى الذى يتألف من أعصاب ولحم ودم، فليس العتق من عبودية الشيطان والخلاص بدم المسيح يقتضى فى ذاته ضرورة عودة هذه الإمتيازات بل يقتضى فقط نوال الخلاص من أسر الشيطان وحبوس الجحيم ويقتضى كذلك الإنعام بالحياة الأبدية. أما الآلام الأرضية فلم يجد الله داعياً لأن يعتق الإنسان منها ولا سيما أنها آلام طبيعية كما قلنا.

وإلا فهل أخطأ الحيوان حتى أنه يشقى كما نشقى نحن بالجسد، ويتعب مثلما نتعب ويمرض مثلما نمرض ويموت أيضاً مثلما نموت؟! أليست هذه الآلام التى تنتهى بالحيوان إلى الموت برهان على أنها آلام طبيعية تابعة للجسم الترابى من حيث أن له إحساساً يتأثر بما يقع عليه ويؤثر فيه؟!.

فاذا أحس الإنسان بالألم الجسمانى كما يحس به الحيوان، أفليس ذلك أمراً طبيعياً تقتضيه طبيعته الجسمانية؟؟!!.

«وإذن فالخلاص الذى تم فى العهد الجديد لا يقتضى السمو فوق الطبيعة، ولا سيما أن الخلاص ليس لجميع الناس بل للذين يقبلونه فحسب، فليس معقولاً أن يعيش البعض من البشر بلا ألم ولا مرض ولا تعب، ويبقى الآخرون أشقياء؟ بالمرض والجهل والموت» !!!.

فاذا تصورنا أن الخلاص يقتضى هذا، أليس يكون المعنى من كل ذلك أن الله يدعو الناس إلى الخلاص بالترغيب فى الخير المادى؟ بل أليس معناه أن الناس يقبلون إلى الإيمان لا بروح الإيمان بل بروح الإنتفاع المادى؟ وهل يريد الله أن يقبل الناس إلى الفضيلة بغير الدوافع الروحانية النبيلة؟.

ثم أن الله كان لابد أن يتركنا للآلام الطبيعية لتكون تذكرة لنا بالخطيئة الأولى فنرتدع عنها ونبغضها ونوقن بعدالة الله وكراهيته للشر. وليس الشقاء من عقوبة الخطيئة الأبدية يتعارض مع بقاء علامات المرض عبرة وتذكرة فقد يجرح المرء فى يده جرحاً بليغاً ثم يلتئم الجرح ويشفى، ومع ذلك تبقى علامة الجسم كلما تطلع إليها الإنسان تذكر الجرح القديم الذى جرح به.

على أن الله الذى منح الإنسان الأول إمتيازات جسدانية فائقة الطبيعة وهى الخلو من الألم والتعب والمرض والموت لتكون سلاحاً يمكنه أن يستخدمه فيقيه شر الوقوع فى الخطيئة إذا أراد أن يعتصم به، شاء بإرادته كذلك أن يقدم للمؤمنين به فقط أسلحة روحية بالغة الأثر فى نفعها وعظيمة الفعل فى تنشيط قوى النفس ودعمها بما يكفل لها تماماً القدرة على قهر الشيطان وإطفاء الشهوة وهى الأسرار السبعة التى رتبها الروح القدس فى الكنيسة معونة للنفس فى سبيل الكمال الروحانى والنمو فى الفضيلة والمعرفة الروحية.

ولا شك أن هذه الأسلحة هى للمؤمنين فقط ولكل من يؤمن بابن الله (فلا يهلك من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية) ولذلك فهى أسلحة روحية لا جسدية فتكون من نصيب المؤمنين، أما من حيث المرض والتعب والموت فهم شركاء مع غير المؤمنين فيها من حيث أن الناس جميعاً ما داموا فى عالم واحد فلابد أن يتمتعوا بإمتيازات واحدة وهذه هى سياسة الله فى خلقه (أنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين) ومع ذلك فقد أحال الآلام إلى أسباب للإشتراك معه فى المجد وجعل الموت طريقاً للإنتقال إلى فردوس النعيم وملكوت السموات؟.

١٠ ـ الخطيئة الأصلية

سؤال : هل الخطيئة الأصلية مرض حتى تورث؟ وما هو المقصود بفساد الطبيعة البشرية؟ وما هى فاعلية المعمودية مع العلم بأن الإنسان من بعد المعمودية ممكن أن يخطىء فماذا فعلت المعمودية إذن؟

الجواب :

الحقيقة هذه عدة أسئلة فى سؤال واحد:

هل الخطيئة الأصلية مرض حتى تورث؟

نعم إنها مرض وهذا المعنى هو ما يقوله الكتاب المقدس «بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس» وهنا اجتاز بمعنى سَرَى. والقبطى يقول «بالذى جميعهم أخطأوا فيه» ويقصد آدم، يعنى فخطيئة آدم انتشرت فى الطبيعة البشرية كيف ذلك؟ على أساس طريقة الخلق، فالله خلق الإنسان على أساس أنه أصل، ومن الأصل تتفرع فروع مثل فروع الشجرة، فمن كرمة واحدة خلق الله البشرية وهذه حكمته، وهذا موضوع يمكن أن يكتب فيه كتاب، فالله فى حكمته خلق إنساناً واحداً، ومن هذا الإنسان خلق كل إنسان آخر، فمن آدم خلقت حواء، ومن آدم وحواء خلق قايين وهابيل إلى آخره، فنحن كلنا من أب واحد، ومن شجرة واحدة فطبيعة أصل الشجرة لابد تبعاً لقانون الوراثة أن تَنتقل إلى الفروع، ونحن كلنا نعلم أنه عندما نزرع بذرة شجرة تفاح لابد أن تثمر تفاح، شجرة رمان تثمر رمان، شجرة حنضل تثمر حنضل، وحتى سيدنا استخدم هذا التعبير عندما قال أفايجنون من الشوك عنباً، هل ممكن أن يخرج من الشوك عنبا؟ أو من العليق تيناً؟ لأ. فمن هنا كان من الطبيعى جداً أن الفساد الذى دخل إلى طبيعة آدم أن ينتقل بما يعرف اليوم بقانون الوراثة، ولذلك نجد أن الإبن أو الإبنة أى النسل يرث صفات الأبوين الجسمية والنفسية والذهنية والأخلاقية، فنجد شخص فى شكله يظهر أنه شكل أبوه حتى من الدم، ولذلك عندما يكون رجل فى حالة شك من أن الطفل ليس منه، فيذهب لطبيب التحليل ويحلل دم الإبن، ويحلل دم الأب، ويحكم إذا كان هذا الإبن من ذاك الأب أو لا. فالوراثة قانون وليس نظرية، قانون من قوانين الطبيعة، يمكن أن تكون البيئة لها أثر أو تتفاعل مع الوراثة لكن لا تلغى الوراثة. فالوراثة قانون وهذا القانون حتمى، ومهما كان للبيئة الذهنية والبيئة الإجتماعية من أثر على الإنسان فهى لا تلغى الوراثة. فالبيئة لا يمكن أن تغير فى الوراثة، ويوجد مثل صغير مضحك، أن رجل أراد أن يعمل تجربة،

ومن المعروف أن الذئب عدو الخراف، ودائماً الراعى يخاف على نعاجه وعلى الخراف من الذئب (الديب) فالرجل قال أنا أعمل تجربة جديدة لكى أرفع العداوة ما بين الذئب والخراف، فأحضر ذئب صغير فى المرحلة الأولى من مراحل تكوينه، وجعله يرضع من لبن النعجة. كأن النعجة أصبحت أم لهذا الذئب، فشرب من لبنها والرجل كان فرح جداً من نفسه، لأنه رأى الإثنين يحبوا بعضاً والذئب يقترب من الشاة ويأخذ منها اللبن، والشاة تعطف على الذئب وتعطيه من لبنها، وظن أن هذه التجربة نجحت فعلاً فى أنها ترفع العداوة التى بينهما، وبعد أن كبر الذئب وفى وقت ما من الأوقات انصرف الرجل عنهما بعض الوقت ثم عاد فوجد الذئب فتح بطن الشاة التى هى أمه وأكلها فأنشد بعض الأبيات الشعرية يقول فيها:

بقرت شويهتى وفجعت قلبى وأنت لشاتنا ولد ربيب

فمن أدراك أن أباك ديب

ثم أنشد يقول:

إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

فالوراثة لها أثرها لأنها قانون حتمى فى الطبيعة، ولكن البيئة سواء كانت بيئة فكرية عن طريق التدريس أو التعليم أو صقل المواهب، أو البيئة الإجتماعية وهى بيئة الأسرة أو بيئة المجتمع بالمعنى العام، لابد للبيئة من أثر، لكن أثر البيئة مهما كان لا يلغى قانون الطبيعة وهو قانون الوراثة.

بناء على ذلك ولأن الله خلق الإنسان آدم، ومن آدم خلقت حواء ومن آدم وحواء خلقت سائر الخليقة، فهناك ما سماه الكتاب «دم واحد» وهو دم آدم، وينتقل هذا الدم عن طريق التناسل، أو مثل ما قال القديس ديديموس الضرير وهو مدير المدرسة اللاهوتية فى القرن الرابع، قال عن طريق التزاوج يحدث إنتقال الدم إلى دم، لأن عملية التزاوج فيها نقل من دم إلى دم، فدم الأب يصل للابن، وهذا هو السبب الحقيقى لماذا ولد المسيح من عذراء بدون زرع رجل، هنا لا يوجد هذه الوصلة التى توصل الدم الملوث، وبعضهم ضرب مثل وقال افرض أنك أنت عندك برميل فيه ماء، ثم رميت فيه بعض من الحبر الأزرق أو الأحمر أو من أى لون، فتجد أن البرميل كله تلون بهذا اللون، فنقطة الحبر هذه رغم أنها صغيرة دخلت فى كل البرميل من فوق لتحت، فأصبح صعب عليك أنك أنت تنزع أثر هذا الحبر من أى جزء من البرميل كله، البرميل كله دخل فيه الحبر، فانتشر فحصل هناك نوع من الإنتشار، لذلك كلمة «بإنسان واحد دخلت الخطيئة

إلى العالم، وبالخطيئة الموت وهكذا «اجتاز» وبالقبطى سرى، فسرى الموت إلى جميع الناس، وطبعاً مع الموت المرض ولذلك كلنا نموت، وكلنا نمرض، والمرض يعد تابع لعملية الموت.

فهل الخطيئة الأصلية مرض حتى تورث؟ نعم.

وما هو المقصود بفساد الطبيعة البشرية؟

شرحنا أن آدم الأصل وهو الدم الذى ينتقل، وأنتم تعلمون أنه من ضمن قوانين الطبيعة أو قوانين الوراثة أن الإنسان يأخذ الثلثين من الأب والأم، لذلك أثر الأب والأم أكبر من أثر الجدود، ويأخذ من جدود الدرجة الأولى ١ على ١٦، ومن الجدود الذين فوقهم أى الدرجة الثانية، يأخذ ١ على ٣٢، ومن الذين فوقهم يأخذ ١ على ٦٤ ثم ١ على ١٢٨ من الذين فوقهم، وهكذا حتى نصل إلى آدم فالطفل الذى يولد اليوم فيه أثر وصلة من آدم وليس من أبوه وأمه فقط، صحيح أن الأثر الأكبر من الأب والأم، ولكن هناك نسبة معينة من الذين فوقهم ... حتى نصل إلى الأب الأول آدم، ومثل ما قلنا أن المسألة مثل الشجرة تماماً، ولذلك عندما تكون جذور الشجرة لسبب أو لآخر معطبة فتظل ثمارها أيضاً معطبة ومضروبة، لأن الأصل مضروب، فهذا قانون طبيعى ولا نريد أن ندخل فى تفسير أكثر من هذا، لأن هذا يدخل فى سياسة الله وحكمته.

ما هى فاعلية المعمودية؟

المعمودية ترفع وزر الخطيئة، أو ترفع العقوبة الأبدية، لأن الخطيئة لها نتيجتان، نتيجة أبدية ونتيجة زمنية، النتيجة الأبدية هى الموت الأبدى، وهو الحرمان من الله، وبالتالى يحرم من فردوس النعيم ومن ملكوت السموات، ويكون مصيره الطرد من الحضرة الإلهية، هذا هو الموت الأبدى وهذا ما قال عنه الكتاب «طوبى لمن له نصيب فى القيامة الأولى هؤلاء ليس للموت الثانى سلطان عليهم، والموت الثانى هو الهلاك فى البحيرة المتقدة بالنار والكبريت وهو الهلاك الأبدى.

«طوبى لمن له نصيب فى القيامة الأولى»، القيامة الأولى هى التوبة، لأن القيامة الثانية هى قيامة الأجساد، وهى التى ستحدث فى نهاية العالم. فالذى يتوب سيعفى من الهلاك الأبدى، ففى المعمودية الإنسان يحضر بإرادته إلى عمل الفداء الذى صنعه المسيح، قد تقول إن السيد المسيح عمل فداء عن العالم كله، صحيح أن السيد المسيح قدم ذاته فداء عن البشرية هذا صحيح، لكن ليس كل فرد استفاد أو يمكن أن يستفيد، لأن الله لا يمكن أن يفرض على الإنسان الخلاص،

إنما الإنسان يطلب الخلاص. فالكبار عندهم الإرادة واضحة، لذلك قال «من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن» أو يدان، بالنسبة للطفل يعتبر أنه مؤمن لأن لا يوجد عنده إرادة مانعة إنما الإنسان الكبير ممكن أن يكون عنده إرادة مانعة، يقبل أو لا يقبل. ولذلك قال بالنسبة للكبار «من آمن واعتمد خلص» لم يقل من اعتمد خلص..؟، ولما بطرس الرسول كان يكلم الناس فى يوم الخمسين قال: ماذا نصنع أيها الرجال... توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا...» إذن هناك شيء يسبق المعمودية، لكن لكى تعطى له المعمودية وفوائد المعمودية فلابد أن يطلبها ويسعى إليها، وهذا طبعاً لابد أن يتوافر فى جميع الأسرار الكنسية، الإنسان هو الذى يطلب. من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن، فليس كل واحد إذن استفاد من خلاص المسيح، «المسيح علق على الصليب» ونقول فى التعبير الدينى «خلص البشرية» ونقول «فدى الانسانية» ونقول أمثال هذه التعبيرات، هذا من وجهة الكلمة العامة، لكن كل إنسان على حدة لابد يأخذ من هذا الفداء بإرادته، مثل نهر النيل عندنا هو ماء الحياة بالنسبة لنا، لابد أن نشرب من ماء النيل، لكن ماء النيل لا يأتى حتى فمى، لابد أن أذهب وأطلب هذا الماء، اليوم يوجد مواسير ونفتح الحنفية، ونأخذ بكوب ونشرب، لكن الماء لابد أن أسعى إليه وأطلبه. الأسرار هى هذه المواسير التى توصلنا لبحر الخلاص، لكن أنا لابد أن أمد يدى، لذلك «من آمن واعتمد خلص» إذن ليس كل واحد يخلص بعد ما قدم المسيح عمل الفداء، حقاً أن الفداء كافى، فداء المسيح أو عمل المسيح فيه غنى وكفاية، الكفاية تعنى الغنى الذى يكفى لخلاص البشرية كلها، أما الخلاص بالنسبة للإنسان فخلاص فردى، لابد أنه هو الذى يطلب الخلاص. ويسعى إليه ثم يتعمد، ومن هنا جاءت ضرورة المعمودية، لذلك يعمد الطفل، لأنه لو كان خلاص المسيح تم بالنسبة للبشرية كلها، يكون لا داعى للطفل أن يتعمد، لكن الذى يجعل الطفل لابد أن يتعمد أن المعمودية ضرورية لخلاصه، ولذلك لما ظهر رجل من الهراطقة اسمه بيلاجيوس، وأنكر حاجة الأطفال إلى المعمودية، وقال أن الطفل يولد برىء ... طبعاً الكنيسة وقفت ضد هذا التعليم الغريب، ويوجد قرارات مجمعية قالوا فيها أن الذى يقول أن عبارة «نؤمن بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا» أن هذا التعبير مجرد ألفاظ، وأن هذا التعميد ليس لغفران الخطايا يكون محروم، نحن نقول ونؤمن بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، فعندما يقول بيلاجيوس لا... الطفل ليس فى حاجة إلى المعمودية، فآباء الكنيسة فى المجمع قالوا الذى يقول هذا الكلام خطأ، والذى يقول أن آدم كان يمكن أن يموت حتى لو لم يخطىء يكون محروم، لأن الموت دخل إلى آدم بسبب الخطيئة، فآدم لو كان نجح فى الإمتحان الذى وضعه أمامه الله، كان الله أعطاه أن يأكل من

شجرة الحياة فيحيا إلى الأبد، فكان لا يذوق الموت، والذى يقول غير ذلك الكنيسة تحرمه، الخلاصة أن المعمودية ترفع العقوبة الأبدية، لكنا نحن قلنا أن الخطيئة لها عقوبتان عقوبة أبدية وعقوبة زمنية.

العقوبة الزمنية باقية كأثر وهذا الأثر له قيمة، أولاً لكى يبين أن قصة آدم وحواء لم تكن قصة خرافية أو قصة أدبية، ولكنها قصة حقيقية تاريخية، لذلك باقى إلى اليوم أن الرجل يأكل خبزه بعرق جبينه، وباقى إلى اليوم أن الإنسان يموت الموت الذى هو إنفصال الروح عن الجسد، مثل ما قال الكتاب المقدس «وضع للناس أن يموتوا مرة» وهذا حكم على جميع الناس لا يوجد فرد فى الدنيا لا يموت، حتى أخنوخ وإيليا لابد أن ينزلا ويموتا. والمرأة باقى إلى اليوم أنها تلد بالأوجاع أولاد، فأثر الخطيئة باقى، لأنه لولا هذا لكان ممكن أن يقال أن قصة آدم وحواء هذه قصة خيالية. أو قصة أدبية أو معنوية. لكى يتعلم منها الناس.

الأمر الثانى أن الآثار الباقية لها قيمة أخرى عملية وهى أنها تنبه الإنسان إلى فظاعة الخطيئة وإلى آثار الخطيئة. فعندما يجرح الإنسان يبقى أثر الجرح على يده، على الرغم أنه قد يكون شفى، لكن يبقى ما نسميه بالندبة فى الجلد، هذه الندبة فى جلده تذكره بسبب هذا الجرح، ولولا وجود هذه الندبة فى جسده لما تذكر، وهذا التذكر له قيمته فى توقى الأخطاء المستقبلة، فالإنسان عندما يُلسع يخاف أن يصنع هذا الشىء الذى تؤدى به إلى هذا الأمر، فيحترس، ومن هنا جاء ما نسميه بالحذر. الإنسان يعمل حسابه لأنه سبق قبل ذلك وأخذ درس، فالمهم باقى فى طبيعتنا آثار، وهذه الآثار لها قيمتان على الأقل، القيمة الأولى أنها تثبت التاريخ، كلما تذهب وترى الأهرامات أو المقابر أو المعابد المصرية القديمة تتأكد من القصة التاريخية، التى تقال فى المدارس وفى الجامعة، لولا وجود هذه الآثار كان التاريخ نفسه يحتمل الصدق والكذب، مثل أى خبر فى الدنيا يحتمل الصدق والكذب، لكن الآثار تثبت التاريخ وتبين حقيقته. فهذه الفائدة الأولى.

الفائدة الثانية أنها تعمل حذر للمستقبل وإنتباه للمستقبل، فلا أعود أخطىء نفس الخطأ مرة أخرى. وبهذه الطريقة يحدث أن الأب أو الأم لطول خبرته فى الحياة يعطى الدرس لأولاده أو لبناته، ويقول لهم يا أولادى أنا أخطأت مرة فى شبابى وعملت وعملت، وكانت النتيجة كذا ... فأنا أريد أن أقيكم هذه النتائج لئلا تقعوا من جديد وهذه قيمة الشيخوخة أو قيمة الأب أو الأم فى هذه الزاوية.

ماذا فعلت المعمودية؟

المعمودية ترفع العقوبة الأبدية، من آمن واعتمد خلص، بالخلاص ترفع العقوبة الأبدية.

علماً بأن الإنسان بعد المعمودية ممكن أن يخطىء؟

نعم ممكن أن يخطىء لأن المعمودية لا تعصم الإنسان من الخطأ، لأنه لو كانت المعمودية تعصم الإنسان من الخطأ، تكون سلبته خصيصة أساسية من خصائصه الإنسانية، هذه الخصيصة هى الحرية، فالإنسان كائن حر، ومادام حر له أن يختار، وليس من المعقول أبداً أن الله يعطينا نعمة لكى يسحب فى مقابلها نعمة كبيرة، وهى نعمة الحرية والحرية هى كرامة الإنسان، التى ترفعه فوق مستوى الحيوان. لأن الحيوان تحكمه الغريزة، أما الإنسان فكائن حر، فإذا فى غاية الأهمية أن نعلم أن المعمودية لا تعصم الإنسان من الخطيئة، ولكن الله رحمة بنا أعطانا بعد المعمودية وسائل أو وسائط، هى مواهب الروح القدس التى تساعدنا على أننا نستفيد من الخلاص الذى حصلنا عليه بالمعمودية، حتى لا نعود إلى الخطيئة من جديد، أعطانا نعمة جديدة وهى نعمة المسحة أو التثبيت، وأعطانا أيضاً أسرار أخرى مثل سر التناول الذى به نأخذ قوتاً لأرواحنا نتقوى به حتى ضد الضعف الإنسانى.

كذلك المعمودية شخصية:

لا فرق بين طفل ولد من أبوين غير معمدين، وطفل ولد من أبوين معمدين، فالمعمودية شخصية، لذلك كل فرد لابد أن يتعمد، حتى أن هناك قوانين مجمعية ترد على سؤال: عندما تكون أم حامل وفى بطنها جنين وهذه المرأة كانت غير مؤمنة وآمنت بالمسيح، تتعمد أولاً؟ قالوا تتعمد، وطفلها؟ قالوا الطفل لابد أن يتعمد أيضاً، لكن الطفل كان فى بطنها وقت العماد؟ قالوا لا...، لابد من عماد الطفل، الجنين بعد أن يولد لازم يتعمد، لأن المعمودية شخصية، فمعمودية الأم لا تصلح أن تكون حجة لإعفاء الإبن من المعمودية. لأنه كما قلنا أن مواهب الله لا تعطى بالقوة ولا بالقهر، فالإنسان لابد أن يطلب هذا، ولا ينفع أن يتعمد أحد بالنيابة عن واحد آخر.

١١ ـ قيمة دم المسيح

سؤال : لقد كان الحكم على أبينا آدم بالموت الأبدى لأنه خالف الوصية، ولكن الموت الذى ماته السيد المسيح فداء للبشرية لم يكن موتاً أبدياً، فأرجو توضيح هذه النقطة؟

الجواب :

كيف يموت المسيح موت أبدى؟ المسيح مات وفى موته كان كفاية، الخلاص الذى صنعه المسيح بموته فيه الكفاية بأن يغطى خطايا البشر إلى الأبد، وهذا هو السبب الحقيقى لماذا المسيح وهو الإله لبس صورة الإنسان وتجسد، ذلك لأن الموت الذى ماته المسيح لم يقع على اللاهوت إنما وقع على الناسوت، لأن الناسوت هو الذى تألم الآلام الفيزيقية، لأن اللاهوت لا يموت لذلك نقول قدوس الله قدوس القوى قدوس الحى الذى لا يموت الذى صلب عنا، فاللاهوت لا يموت، ولكن لأن الجسد الذى مات متحد باللاهوت، فصار قيمة موت هذا الجسد قيمته أبدية، لأن المتحد به هو اللاهوت وقيمته أبدية، فمن هنا كان قيمة فداء المسيح وقيمة دم المسيح هى قيمة الله ذاته. لذلك يقول الكتاب «كنيسة الله التى اقتناها بدمه» وفى اليونانية تعنى «دمه هو نفسه» هذا الدم الذى انسكب من الجسد سمى دم الله، ولو أن اللاهوت ليس له دم، لكن الاتحاد بين الناسوت واللاهوت جعل دم الناسوت هو بعينه له قيمة اللاهوت ذاته، ولما كان اللاهوت أبدى ولذلك كان فداء المسيح يعد فداءً أبدياً، لأن القيمة فى دم المسيح وليست فى دم إنسان، لأنه مادام اللاهوت متحد بالناسوت فصار دم المسيح له القيمة الأبدية وبالتالى له الكفاية بأن يغطى جميع البشر.

١٢ ـ الخلاص الأولى... والخلاص الأبدى (١)

سؤال: من الإكليريكى أمير سعيد عبد الملاك ـ ديروط ـ بانوب ظهر الجمل.

يقول: يوجد اليوم قوم يثيرون حول موضوع الخلاص أسئلة نرجو الإجابة عنها بإفاضة للفائدة العامة.

هل خلاص الإنسان الأبدى مقصور على عمل المسيح الفدائى على الصليب؟ وهل للإنسان دور فى الخلاص؟ وما هو هذا الدور؟ وهل يكفى الإيمان بالمسيح للحصول على الخلاص الأبدى؟

سؤال آخر: من السيد/ منز فهيم نصير ـ طهطا

ما هو مفهوم الخلاص فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وكيف يناله المسيحى؟ وبأى طريقة؟ أرجو الشرح؟

الجواب : الخلاص هو أولاً النجاة من الخطيئة، ومن نتائجها، ومن عقوبتها الأبدية، وبالتالى من الهلاك الأبدى فى جهنم النار الأبدية.

والخلاص الأبدى عمل مشترك بين الله والإنسان فالله له دور فيه، والإنسان له دور.

ودور الله هو رفع العقوبة الأبدية، ولكن بشرط أن يطلب الإنسان الخلاص، ويسعى إليه، ويكون مستحقاً لعمل الله وجديراً به. فإن الخلاص لا يفرض على الإنسان فرضاً. وقد أصاب القديس أوغسطينوس بقوله: (إن الله الذى خلقك بدونك، لا يقدر أن يخلّصك بدونك) بمعنى أنه فى عمل الخلق، لم يكن الإنسان موجوداً، فلم يؤخذ رأيه فى خلقه، وإنما خُلق بدون رأيه. أما فى الخلاص، فلابد من رأى الإنسان، وإرادته، فلا يتم الخلاص من غير مشيئته ومن غير إرادته.

لهذا كان لآدم خلاص، ولم يكن للشيطان خلاص. لأن آدم طلب الخلاص، أما الشيطان فلم يطلب الخلاص. لقد مارس آدم وبنوه الأتقياء، عمل التوبة: فصلوا وصاموا وتضرعوا، وقدموا الذبائح إيماناً منهم بحاجتهم إلى الفداء. ولم يكن دم الثيران والتيوس كافياً فى ذاته، لأن الحيوانات العجماوات أقل فى مرتبة الوجود من الإنسان، فكيف يقف الحيوان وسيطاً بين الإنسان وبين الله؟ إذن لم تكن الثيران والتيوس هى الوسيط الحقيقى (العبرانيين ٩: ٩، ١٠). إن الوسيط الحقيقى هو الفادى لم يكن قد جاء بعد فى زمن آدم، ولكن قد كان هناك وعد بمجيئه فى ملء

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ١٤ من أغسطس ـ آب لسنة ١٩٧٧م – ٨ من مسرى لسنة ١٦٩٣ش.

الزمان وهو الذى يسحق الشيطان رأس الحية (التكوين ٣: ١٥)، فكان تقديم الذبيحة من الثيران والتيوس بمثابة مشير إلى الفادى، يذكر الإنسان بحاجته إلى المخلص الذى لم يأت زمانه بعد، وكما قال أحدهم (أراه ولكن ليس الآن، أبصره ولكن ليس قريباً) (العدد ٢٤: ١٧). أما الغفران الحقيقى فلم يتم بتقديم تلك الذبائح الحيوانية (العبرانيين ٩: ١٢). كان الإنسان بتقديم الذبيحة يُثبت طاعته للشريعة، وحاجته إلى الفادى، واستحقاقه للخلاص عندما يتم، أما الغفران نفسه فكان مؤجلاً (غلاطية ٣: ٢٣، ٢٤) إلى أن يأتى الوسيط الحقيقى والفادى (وليس بأحد غيره الخلاص، وما من اسم آخر تحت السماء منح للناس به ينبغى أن يخلصوا (أعمال الرسل ٤: ١٢). ولهذا السبب فإن جميع القديسين من أولاد آدم قبل مجىء المسيح الفادى لم يستطيعوا على الرغم مما قدموه من ذبائح أن ينالوا الخلاص، ولم يتمكنوا من العودة بعد موتهم، فمضوا إلى العالم السفلى، إلى الجحيم، لكنهم نظروا المواعد من بعيد وصدّقوها وحيّوها (العبرانيين ١١: ١٣) ولكن لم يحصلوا عليها إلا عندما مات المسيح فداء عن الناس، وبموته أطلق سراح المحبوسين فى سجن الجحيم على رجاء الخلاص، فقد نزل إلى أقسام الأرض السفلى، وسبى الذين كانوا فى الجحيم معتقلين وردهم إلى الفردوس (أفسس ٤: ٨، ٩)، (١. بطرس ٣: ١٩).

هذا هو دور الله، فى الخلاص. الإنسان طلب الخلاص ولكن لم يكن بإمكانه أن يحصل عليه من غير الفادى والمخلّص (لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها... هو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه. وبحبرة شفينا. كلنا كغنم ضللنا. والرب وضع عليه إثم جميعنا) (إشعياء ٥٣: ٤-٦).

وأما دور الإنسان فهو إعترافه بإثمه، وبحاجته إلى الخلاص وتطلعه إلى المخلص، وسعيه نحو الخلاص.

وإذا كان الخلاص بحراً، من مياه حلوة قد تفجر عند الصليب بعمل الله فى المسيح الفادى، فعلى الإنسان أن يسعى بنفسه إلى البحر، ويغترف بيديه من بحر الخلاص. فالبحر لا يصل إليه ما لم يسع هو إليه بذاته وبإختياره وإرادته، وهذا هو دور الإيمان بالمسيح والعماد بإسمه (فمن آمن واعتمد خلُص، ومن لم يؤمن أُدين) (مرقس ١٦: ١٦).

إن الإيمان من جانب الإنسان هو بيّنة على قبوله عمل الله، حراً مختاراً. وأما العماد فهو الموصّل الحقيقى لعمل الفداء، لأن الروح القدس فى سّر العماد ينقل إستحقاقات عمل المسيح الفدائى إلى المؤمن (يأخذ مما لى) (يوحنا ١٥: ١٤، ١٥) فالمؤمن يخلص فى الواقع لا بالإيمان

بل بالعماد. الإيمان دليل القبول بالحرية والإختيار، وأما الخلاص فهو عمل المسيح الذى يناله المؤمن فى المعمودية حيث يفعل الروح القدس الفعاليات الباطنية فى طبيعة المؤمن. وهذا هو معنى قول الوحى المقدس (وكان هذا رمزاً للمعمودية التى تُخلِّصكم الآن أنتم أيضاً، لا بإزالة وسخ الجسد، بل بعهد صادق النية مع الله بقيامة يسوع المسيح) (١ . بطرس ٣ : ٢١). فبالمعمودية يتم الخلاص وليس بالإيمان وحده. لأن المعمودية هى عمل الله. أما الإيمان فهو عمل الإنسان. فى المعمودية يعمل الله، إذ ينحدر الروح القدس ويرف على وجه المياة (التكوين ١ : ٢١) فيخلق فى المؤمن الخليقة الجديدة (٢ . كورنثوس ٥ : ١٧)، (غلاطية ٦ : ١٥)، والطبيعة الجديدة، طبيعة المسيح القائم من بين الأموات. أما الطبيعة القديمة، والإنسان العتيق (رومية ٦ : ٦)، (أفسس ٤ : ٢٢)، (كولوسى ٣ : ٩) فيسحقه الروح القدس فى مياة المعمودية (ليقدسها ويطهرها بماء الاغتسال وبالكلمة) (أفسس ٥ : ٢٦). وهذا هو معنى قوله أيضاً حين ظهر لطف مخلِّصنا الله وإحسانه، (لا اعتبارا لأعمال برّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثانى لحياة جديدة بالروح القدس الذى سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلِّصنا) (تيطس ٣ : ٤ – ٦).

وإذن فالخلاص الذى نلناه هو عمل الله بالفداء فى يسوع المسيح الذى صُلب عنا، لكن هذا الخلاص حصلنا عليه فى سر المعمودية حيث نقل إلينا الروح القدس بركات الفداء وإستحقاقات الخلاص الذى أنجزه المسيح بموته. وهذا هو التضامن بين عمل الإيمان وعمل المعمودية. إن الإيمان يقربنا إلى الله، أما المعمودية فتمنحنا الخلاص، لأنها هى بالفعل عمل المسيح الفادى (وكان هذا رمزاً للمعمودية التى تخلِّصكم الآن أنتم أيضاً) (١ . بطرس ٣ : ٢١).

وبعد، فهذا هو الخلاص الذى تم، والذى حصلنا عليه فى المعمودية المقدسة... لكن ليس هذا هو الخلاص النهائى، فإن حياتنا الممتدة بعد العماد تحتاج إلى جهاد من أجل المحافظة على الخلاص الذى نلناه، ولكى نعيش فيه إلى يوم خروجنا من هذا العالم، فإنه يمكن أن نفقده بالإهمال أو التعدّى، أو الوقوع فى الخطيئة من جديد... وإلا لما قال الرسول بولس للمؤمنين المسيحيين فى كورنثوس (من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط) (١ . كورنثوس ١٠ : ١٢) أى أن هناك إحتمالاً بالسقوط فى الخطيئة بعد نيل الخلاص منها (رومية ١١ : ٢٠ – ٢٢)، وإلا لما قال المسيح له المجد لأسقف كنيسة فيلادلفيا (ها أنا آتى سريعاً. تمسك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك) (الرؤيا ٣ : ١١) أى أن الإحتمال قائم بأن يفقد المؤمن المسيحى - بل وأيضاً الخادم،

شماساً كان أو كاهناً، أو أسقفاً - إكليله الأبدى، إذا لم يتمسك بالخلاص الذى حصل عليه، وبمقتضيات هذا الخلاص، ألم يقل الرسول القديس بطرس (إن كان البار بالجهد يخلص، فالفاجر والخاطىء أين يظهران) (١ . بطرس ٤ : ١٨) فلابد إذن من الجهاد للحفاظ على المكاسب التى حصل المؤمن عليها بإيمانه بالمسيح وعماده باسمه، وإلا فإنه يفقدها.

لقد آمن سيمون الساحر بالمسيح بإندهاش عظيم ثم اعتمد أيضاً (أعمال الرسل ٨ : ١٣) . ولكنه لم يثبت فى تعليم المسيح، فقال له القديس بطرس الرسول (لتكن فضتك معك للهلاك... لأن قلبك ليس مستقيماً أمام الله. فتب من شرك هذا، واطلب إلى الله عسى أن يغفر لك فكر قلبك، لأنى أراك فى مرارة المر، ورباط الظلم) (أعمال ٨: ٢٠- ٢٢) .

وآمن ديماس بالمسيح واعتمد باسمه (وهو غير ديماس اللص اليمين الذى آمن بالمسيح وهو على الصليب، ودخل معه إلى الفردوس) وصار ديماس مرافقاً للقديس بولس الرسول فى جهاده، وقد ذكره القديس بولس فى رسائله كأحد زملائه العاملين معه فى الخدمة (كولوسى ٤ : ١٤)، (فليمون : ٢٤) . ولكن ديماس هذا عاد وانحرف عن طريق الخلاص، فقال عنه الرسول بولس حزيناً (ديماس قد تركنى إذ أحب العالم الحاضر) (٢ . تيموثيوس ٤ : ١٠) .

وآمن آخرون غيرهم بالمسيح واعتمدوا باسمه، ثم عادوا وسقطوا فى الخطيئة من جديد، وتنكبوا عن طريق الخلاص. وقد قال الرسول القديس بولس (لأن كثيرين يسيرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً، والآن أذكرهم أيضاً باكياً، وهم أعداء صليب المسيح) (فيلبى ٣ : ١٨) .

لهذا قال الرسول القديس بولس بالوحى المقدس (اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله. انظروا إلى نهاية سيرتهم، فتمثلوا بإيمانهم) (العبرانيين ١٣ : ٧) . لأن كثيرين بدأوا حسناً، آمنوا واعتمدوا وساروا على الطريق، ثم انحرفوا وهلكوا. أما الذين ساروا ثابتين إلى النهاية، فقليلون، هؤلاء هم الذين ينبغى أن يتمثل المؤمنون بهم، فلا يتمثلون إلا بالذين استطاعوا أن يصمدوا فى طريق الخلاص إلى نهايته.

ولهذا أيضاً يقول المسيح له المجد لأسقف كنيسة أزمير (سميرنا) (كن أميناً حتى الممات، فأعطيك إكليل الحياة) (الرؤيا ٢ : ١٠) . ويقول له المجد أيضاً (ولكن ذاك الذى يصمد إلى النهاية هو الذى يخلص) (متى ٢٤ : ١٣) (متى ١٠ : ٢٢) .

هذا هو السبب فى قول الرسول بولس بالوحى الإلهى، ناصحاً المؤمنين بالمسيح فى كنيسة الله التى فى فيلبى (واعملوا لخلاصكم بخوف ورعدة) (فيلبى ٢: ١٢) فكأن خلاصهم الذى نالوه فى المسيح بالإيمان والمعمودية يجب أن يحفظوه بالجهاد (بخوف ورعدة) وبدون الجهاد من جانبهم، يضيع الخلاص، فيفقدون الإكليل. لابد إذن للخلاص الذى نالوه أن يكمل ويتمم بالجهاد والمثابرة على وسائط الخلاص ليحصلوا فى نهاية الحياة على الخلاص الأبدى.

١٣ ـ كيف تم خلاصنا بالمسيح؟

عندما أخطأ أبونا آدم، صدر عليه الحكم بالموت (التكوين ٢ : ١٧)، (٣ : ٣، ١٩) (رومية ٦ : ٢٣)، (يعقوب ١ : ١٥). ولم يمت آدم وحده، وإنما ماتت معه كل ذريته (١. كورنثوس ١٥ : ٢٢)، ذلك أن هذه الذرية وُلدت من آدم بعد سقوطه فى الخطيئة وبعد أن صدر عليه الحكم بالموت. لذلك فقد ورثت ذرية آدم حالة آدم نفسها، وصارت كل الذرية خاطئة، ومحكوماً عليها بالموت. ومثل الخطيئة مثل المرض. فمن يمرض يرث أولاده الذين يولدون منه وهو فى حالة المرض، نفس المرض. ومثل الخطيئة أيضاً مثل الفقر. فمن يلد أولاداً وهو فقير، يرث أولاده عنه فقره، لأنهم ولدوا منه وهو فى حالة الفقر. لهذا لم يستطع أحد من أولاد آدم أن يدخل بعد موته إلى الفردوس. وقد ظل الفردوس مغلقاً فى وجه آدم وبنيه من بعده. ولهذا يقول الوحى الإلهى صراحة **(بخطيئة إنسان واحد صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة)** (رومية ٥ : ١٨).

وهذا هو مبدأ انتشار أو سريان الخطيئة الأصلية فى جميع بنى آدم، وهو عقيدة أساسية من عقائد ديانتنا المسيحية، وعلى أساسها يقوم عمل الفداء والخلاص والكفارة بموت المسيح بدلاً من آدم وبنيه **(وكما يموت جميع الناس فى آدم فكذلك هم سيحيون فى المسيح)** (١. كورنثوس ١٥ : ٢٢).

لقد وُلدنا نحن من آدم بعد أن تلوثت طبيعته، فورثنا منه طبيعة ملوثة فاسدة. وقد تغلغل الفساد فى أعماقها، ولم يعد فى الإمكان إصلاح الطبيعة البشرية الفاسدة، فكان لابد لهذه الطبيعة أن تتغير بكمالها.

لا مفر إذن من أن تتغير طبيعة الإنسان الفاسدة تغيراً كاملاً، وتُستأصل استئصالاً تاماً. وهذا **هو ما يتم بالفعل فى المعمودية المقدسة بفعالية الروح القدس الذى ينحدر على ماء المعمودية.**

لقد تمم المسيح عمل الفداء بموته على الصليب بدلاً من الإنسان، بعد أن نُقلت عقوبة الخطيئة ومسئوليتها على رأس المسيح الفادى بصفته بدلاً من الإنسان (كلنا ضللنا كالغنم، كل واحد مال إلى طريقه، **ووضع الرب عليه إثم جميعنا)** (إشعياء ٥٣ : ٦).

وهذا هو معنى الفداء. معناه أن يقبل واحد حكم الموت نيابة عن آخر، فيفديه لأنه صار بديلاً عنه. فالمسيح يسوع صار فى عمل الفداء بديلاً عن الإنسان فانتقلت خطيئة آدم إلى رأس المسيح فصار هو **(حمل الله الذى يحمل خطيئة العالم)** (يوحنا ١: ٢٩، ٣٦)، (١. يوحنا ٣: ٥).

(ذاك الذى لم يعرف الخطيئة جعله الله خطيئة من أجلنا كيما نصير به برّ الله) (٢. كورنثوس ٥: ٢١)، (١. بطرس ٢: ٢٢).

هذا هو السبب فى أن المسيح عانى فى بستان جثسيمانى آلاماً شديدة وقال **(إن نفسى حزينة جداً حتى الموت)** (متى ٢٦: ٣٨)، (مرقس ١٤: ٣٤)، (يوحنا ١٢: ٢٧).

وإذ قال المسيح فادينا (إن نفسى حزينة جداً حتى الموت) فعلينا أن نفهم هذا التعبير بمعناه الدقيق، فإن المسيح صادق ومُحق فيما يقول. إنه لا يتوهم الألم ولا يبالغ كما يفعل سائر الناس. فلقد كانت نفسه حزينة جداً بكل ما فى كلمة الحزن من معنى من دون مبالغة أو تهويل. وقد كانت آلامه شديدة حتى إنها كانت كافية لموته قبل الصليب. ولو مات المسيح قبل الصليب بفعل شدة الآلام على كيانه الإنسانى، لكان قد تعطّل عمل الفداء، وبالتالى لكان قد فشل تدبير الفداء والخلاص للإنسان. لهذا ولكى ينجح تدبير الفداء ويتم الخلاص كان لابد أن يساند اللاهوت الناسوت ويقويه لكى يحتمل الناسوت الآلام كاملة حتى الصلب والموت. وتوكيداً لحقيقة هذه الآلام قال مخلصنا وفادينا (نفسى الآن قد اضطربت، فماذا أقول؟ **يا أبتاه نجّنى من هذه الساعة، ولكننى من أجل هذا أتيت إلى هذه الساعة)** (يوحنا ١٢: ٢٧) معبراً بهذا عن شدة الآلام من جهة، ولكن عن ضرورة إحتماله لها حتى نهايتها من جهة أخرى، ومبيناً أن عمل الفداء هو الهدف الكبير لمجيئه من السماء، وتجسده. وقال أيضاً وهو يعانى الآلام فى بستان جثسيمانى وقبل الصليب: **(يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس. ولكن لا كمشيئتى بل كمشيئتك)** (متى ٢٦: ٣٩)، (مرقس ١٤: ٣٦)، (لوقا ٢٢: ٤٢) ثم قال ثانية وهو لم يزل فى بستان جثسيمانى **(يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس ولم يكن بد من أن أشربها فلتكن مشيئتك)** (متى ٢٦: ٤٢). **وليس هذا معناه أن مشيئة المسيح غير مشيئة الآب السماوى، فإن الله واحد، وأقانيمه الثلاثة لا تعارض بينها فى تدبير الخلاص.** إنما قول المسيح مخلصنا فيه بيان واضح وتعبير صريح عن شدة آلامه وأنها آلام حقيقية كاملة تنفر منها طبيعة الإنسان، وتهرب منها لقسوتها، ومع ذلك **فإنه بمشيئته الإلهية ارتضاها وقبلها من أجل خلاص الإنسان، لأنه لم يكن ثمة سبيل**

آخر لتحقيق الخلاص لآدم وذريته. فالحكم الإلهى قد صدر على الإنسان بالموت، وكلمة الله لا تسقط أبداً ولا تزول (١ . صموئيل ٣ : ١٩)، (متى ٥ : ١٨)، فأخذ الله الكلمة صورة الإنسان، ووضع نفسه بدلاً من الإنسان، ليفدى الإنسان من حكم العدل الإلهى عليه. وهو البيِّنة على إلتقاء رحمة الله بعدالته بدون إهدار أحدهما على حساب الأخرى.

فالمسيح فى بستان جثسيمانى وهو يصلى طالباً أن تعبر عنه كأس الصليب لو أمكن، كان يمثل بناسوته، الإنسان المطرود من الفردوس، والإنسان المحكوم عليه بالموت، والإنسان وهو تحت قضاء الحكم الإلهى، الإنسانية التى بينها وبين الله عداوة، الإنسانية وهى تحت سيف العدالة المسلط عليها، سيف العدالة الذى يطلب موتها عقاباً لها على خطيئتها، وعلى تعديها وصية الله المقدسة.

وإذن فالمسيح فادينا كان يصلى كإنسان لا كإله، لأنه بصفته الإنسانية قام بعمل الفداء نائباً عنا. ومع ذلك فلاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة أو طرفة عين. فهو قد تألم كإنسان. ومع أن اللاهوت متحد بالناسوت إتحاداً كاملاً وتاماً، لكنه لم يتدخل لينقص آلام الناسوت، حتى يتحمل المسيح الآلام كاملة نيابة عن الإنسان. إن اللاهوت ساند الناسوت حتى لا ينهار من وطأة الآلام، ولكى يقبل الآلام كاملة وبغير نقص كما يتطلبها العدل الإلهى. وبلغة أخرى، **نقول إن اللاهوت ترك الناسوت يتألم، ولكنه لم يفارقه. تركه يتألم ولم يتدخل لينقص الآلام أو يخففها، إنما تخلى عنه ليتجرع كأس الآلام حتى الثمالة، ولكنه لم يفارقه بتاتاً، لأن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت إتحاد كامل وتام ولا يقبل الإفتراق أو المفارقة.**

أما آلام المسيح فى بستان جثسيمانى ومعاناته فى عمل الفداء، فكانت آلاماً متنوعة: آلاماً جسدية، وآلاماً نفسية ثم آلاماً روحية.

أما آلامه الجسدية، فتتمثل فى صراعه ومعاناته وما أصاب جسده من إرهاق وتعب، جعلته يتصبب عرقاً، بل (كان عرقه كقطرات الدم يتساقط على الأرض) (لوقا ٢٢ : ٤٤) وهذا معناه أنه حدث اضطراب فى الغدد الصماء فى جسد الفادى، من فرط الآلام، هذا فضلاً عما احتمله بعد ذلك من ضرب بالقصبة على رأسه (مرقس ١٥ : ١٩) وأخذوا يلطمونه على وجهه (لوقا ٢٢ : ٦٤) ويبصقون فى وجهه (متى ٢٧ : ٣٠) ثم جلدوه (يوحنا ١٩ : ١)، (متى ٢٧ : ٢٦)

(وضفروا تاجاً من الشوك ووضعوه على رأسه) (متى ٢٧: ٢٩)، (مرقس ١٥: ١٧)، (يوحنا ١٩: ٢) ثم حمّلوه خشبة الصليب (يوحنا ١٩: ١٧)، وصلبوه (متى ٢٧: ٣٥)، (مرقس ١٥: ٢٤) وسمّروه فى يديه وقدميه (يوحنا ٢٠: ٢٥)، (لوقا ٢٤: ٣٩)، وطعنوا جنبه بحربة (يوحنا ١٩: ٣٤)، وما تبع كل ذلك من آلام...

وأما آلامه النفسية فشديدة. فقد كان يعلم مسبقاً بكل الآلام التى سيحتملها (يوحنا ١٨: ٤). ولابد أن يكون هذا العلم نفسه مصدر آلام شديدة على نفسه، وعلى جسده. فالمحكوم عليه بالإعدام إذا مرت فترة زمنية طويلة بين الحكم وبين تنفيذه فإنه بقدر معرفته، وبطول الزمن الذى يسبق تنفيذ الحكم، يزداد عذابه النفسى وتتفاقم آلامه.

فإذا أضفنا إلى كل ذلك تنكر اليهود له، وهو الذى جاء إليهم هادياً ومرشداً ومخلصاً، فرفضوه وأهانوه وشتموه وآثروا عليه لصاً مجرماً هو باراباس، وطالبوا الحاكم الرومانى بإطلاق سراحه (يوحنا ١٨: ٣٩، ٤٠) بينما طالبوه بصلب المسيح الذى شهد له بيلاطس نفسه بأنه بار ولم يعمل شيئاً يستحق من أجله الموت (يوحنا ١٨: ٣٨)، (٩: ٤). ولقد شفى مرضاهم، وأقام موتاهم، وأشبعهم من جوع، وصنع بهم كل خير، فكافأوه بشر عظيم، وظلموه واضطهدوه، وقالوا عنه إنه (سامرى وبه شيطان) (يوحنا ٨: ٤٨)، وإنه (ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين) (متى ١٢: ٢٤) وبدلاً من أن يشكروه على ما صنع بهم من خير، صاروا يهتفون فى وجه الوالى: (اصلبه، اصلبه) (يوحنا ١٩: ٦، ١٥). (إن أنت أطلقت سراحه فلست محباً لقيصر) (يوحنا ١٩: ١٢).

وماذا كان من شأن تلاميذه؟ إن واحداً منهم هو يهوذا الاسخريوطى باعه بثلاثين من الفضة (متى ٢٦: ١٥)، وخانه شر خيانه، وتنكر له، وتآمر مع أعدائه ليسلمه لهم حتى يصلبوه ويقتلوه. وأما تلاميذه الآخرون فتركوه كلهم وهربوا (مرقس ١٤: ٥٠، ٥١). وحتى تلميذه بطرس وهو الأول فى قائمة الإثنى عشر، وكان قد زعم بحرارة وحمية أنه لو شك فيه الجميع فلن يشك هو فيه أبداً (متى ٢٦: ٣٣) أنكره أمام جارية وقال عنه (لست أعرفه يا إمرأة) (لوقا ٢٢: ٥٢) وضعف إيمانه بسيده ومعلّمه (فراح يلعن ويحلف قائلاً: إنى لا أعرف هذا الرجل الذى عنه تتكلمون) (مرقس ١٤: ٧١).

وأما آلامه الروحية فكانت أكثر آلامه، لأنه وهو الخالق، يعرف ما أصاب خليقته من فساد، وما صار يتهددها من الهلاك الأبدى، فكان لا بدّ لأحشائه من أن تتمزق أسى وحزناً على مصير الخليقة التى أعوزها مجد الله. ثم إنه وقد نزل من السماء لخلاصها كان عليه أن يحمل خطاياها على رأسه **(جعل الذى لم يعرف خطيئة خطيئة لأجلنا)** (٢. كورنثوس ٥: ٢١) **فصار وهو القدوس خاطئاً، بل خطيئة، وحمل خطايانا وأوزارنا، وجعل نفسه هو المغضوب عليه الذى بحكم العدل الإلهى قبل أن يحل به حكم الموت كخاطىء.** فما أعظمها تضحية قام بها المسيح يسوع، ليس فقط فى قبوله الحكم بالصلب والموت كفاد ونائب عن آدم وكل ذريته، ولكن فى قبوله أن يكون هو الخاطىء وهو الأثيم (وضع الرب عليه إثم جميعنا) (إشعياء ٥٣: ٦) (إنه سكب للموت نفسه، وأحصى مع أثمة، **وهو حمل خطيئة كثيرين وشفع فى المذنبين)** (إشعياء ٥٣: ١٢).

كانت إذن آلام المسيح يسوع قاسية وشديدة. لذلك كانت نفسه (حزينة جداً حتى الموت) (مرقس ١٤: ٣٤) **(ولولا مساندة اللاهوت للناسوت لكانت آلام المسيح يسوع كافية لأن تقضى على حياته الإنسانية قبل الصليب.** ولكن مساندة اللاهوت للناسوت جعلته يخرج قوياً لمن تجمهروا عليه وجاءوا ليعتقلوه (وقال لهم: من تطلبون؟ أجابوه قائلين: يسوع الناصرى. فقال لهم يسوع: أنا هو... فلما قال لهم: إنى أنا هو، ارتدوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض. فسألهم ثانية: من تطلبون؟ قالوا: يسوع الناصرى. فأجاب يسوع قائلاً: قد قلت لكم إنى أنا هو) (يوحنا ١٨: ٤-٨) **فكان سقوطهم أمامه دليلاً على هيبته وقوته وسلطان لاهوته من جهة، ودليلاً من ناحية أخرى على أن المسيح يسوع لو أراد الهرب من الصليب لكانت الفرصة سانحة له أن يهرب حين سقطوا على وجوههم من هيبة عظمته.**

على أن مساندة اللاهوت للناسوت كانت لتكفى أن تجعله يتمم الصلب وعمل الفداء بحيث أنه بعد أن أتم الفداء والخلاص، مات جسدياً على الفور، مع أن أى مصلوب آخر كان يبقى على الصليب مدة قد تصل إلى يومين أو ثلاثة أيام، ثم يموت بفعل تمزق بطىء فى شرايين القلب. ولذلك (فلئلا تبقى الأجساد على الصليب يوم السبت... فجاء الجند وكسروا ساقى أول اللذين كانا مصلوبين معه، ثم كسروا ساقى الآخر. **وأما يسوع فلما جاءوا إليه وجدوه قد مات،** فلم

يكسروا ساقيه) (يوحنا ١٩: ٣١- ٣٣) حتى إن بيلاطس لما علم **(فتعجب بيلاطس من أنه مات سريعاً هكذا)** (مرقس ١٥: ٤٤).

وهذا الموت السريع دليل على أن المسيح مات متأثراً بضغط الآلام النفسية والروحية على قلبه، فمات المسيح كإنسان بإنفجار فى شرايين القلب نتيجة لضغط الآلام النفسية وهو ما أنبأ به النبى داود بقوله: **(قد كسر قلبى العار)** (مزمور ٦٨: ٢٠).

١٤ ـ المسيح وحده هو الفادى
وليس لأحد بغيره الخلاص

سؤال : من الابن الدكتور الفونس ميخائيل سعد ـ رشيد ـ البحيرة.

يقول إنى أتساءل «بدون سفك دم لا تحصل مغفرة» (العبرانيين ٩ : ٢٢) فهل معنى هذا أن الله يرضى بالفِدية أو يفرح بسفك الدم حتى يصفح عن البشر؟

الجواب :

إن ما جاء فى الرسالة إلى العبرانيين «بدون سفك دم لا تحصل مغفرة» يُشيرُ إلى قضية الفداء والخلاص، فإنه عندما أخطأ آدم وحواء، فأكلا من شجرة معرفة الخير والشر، وهى الشجرة التى نهى الله الإنسان عن أن يأكل منها وأنذره قائلاً «من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها فإنك يوم تأكلُ منها تموت موتاً» (التكوين ٢ : ١٦) وأكلت حواء وأكل آدم من الثمرة المنهى عنها، فوجب عليها الحكم بالموت، وحرما من شجرة الحياة، وانطردا من الجنة (التكوين ٣ : ٢٤) «فانفتحت أعينهما فعلما أنهما عريانان، فخاطا من ورق التين وصنعا لأنفسهما مآزر» (التكوين ٣ : ٧) فرأى الرب الإله ما صنعه آدم وحواء عملاً ناقصاً فى تغطية عورتيهما بأوراق التين «وصنع الرب الإله لآدم وإمرأته أقمصة من جلد وكساهما» (التكوين ٣ : ٢١).

وإذن فلم يكن ما صنعه آدم وحواء بتغطية عورتيهما بورق التين كافياً، فتدخل الرب الإله، وصنع هو لهما **أقمصة من جلد** وكساهما. فالذى صنع الأقمصة هو الله، وما صنعه الله هو **أقمصة من الجلد**، وبعد أن صنع الأقمصة من الجلد، تفضل هو بجلاله فكسا آدم وحواء. ولكل فعل من هذه الأفعال دلالته، وكل فعل منها كان الله هو فاعله.

وهنا نتوقف لنتأمل:

ما هو الجلد؟

المعروف أن **الجلد** هو البشرة الخارجية للحيوان بعد ذبحه وسلخه.

فمن أين كان الجلد فى زمن آدم وحواء؟

أما أولاً فلم يكن الإنسان يذبح الحيوان ليأكله، **فقد كان الإنسان الأول يأكل النباتات، ولم يكن مسموحاً للإنسان آنذاك بأكل اللحوم إلا بعد الطوفان** فى زمن نوح، وهى فترة من الزمن يقدرونها بمئات السنين - نحو ٢٢٥٦ سنة على الأقل.

جاء فى الأصحاح الأول من سفر التكوين بعد خلق آدم وجنس البشر «وقال الله **ها إنى قد أعطيتكم كل عشب يبزر بزراً على وجه الأرض كلها. وكل شجر فيه ثمر يبزر بزراً، يكون لكم طعاماً،** (التكوين ١ : ٢٩) «وأمر الرب الإله آدم قائلاً **من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً،** (التكوين ٢ : ١٦) «**وتأكل عشب الحقل،** (التكوين ٣ : ١٨).

قلنا إن الله لم يسمح للإنسان بأكل اللحوم إلا بعد الطوفان.

جاء فى الأصحاح التاسع من سفر التكوين - بعد أن جفت المياة - مياه الطوفان عن الأرض (التكوين ٨ : ١٢) «وبارك الله نوحاً وبنيه وقال لهم: أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض... **كل دابة تكون لكم طعاماً. كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع،** غير أن لحماً بحياته دمه لا تأكلوه» (التكوين ٩ : ١ - ٤)، (التثنية ١٢ : ١٥)، (١٤ : ٤، ٩، ١١).

وإذن **فمن أين الجلد** وهو البشرة الخارجية للحيوان بعد ذبحه ثم سلخه، من أين الجلد لآدم ولم يكن مسموحاً له بأكل اللحوم؟ ثم إن الحيوان إذا أكل حيواناً، فلا يفصل بين الجلد واللحم، وإنما يأكل لحم الحيوان بجلده؟

فالاحتمال الباقى أن يكون الجلد الذى كسا الله به آدم وحواء جاء بعد ذبح حيوان بهدف الاستغفار والتكفير عن خطيئة آدم وحواء، وهو رمز للفادى الحقيقى الذى لم يأت زمانه بعد، وهو المسيح الحمل الحقيقى الذى وعد الله به آدم وحواء بعد أن سقطا فى المعصية، معلناً أن الفادى من نسل المرأة «هو الذى يسحق رأس الحية - الشيطان» (التكوين ٣ : ١٥)، (رومية ١٦ : ٢٠)، (كولوسى ٢ : ١٥)، (العبرانيين ٢ : ١٤، ١٥)، (١ . يوحنا ٣ : ٨)، (لوقا ١٠ : ١٨)، (يوحنا ١٦ : ١١)، (١٢ : ٣١)، (أعمال الرسل ٢٦ : ١٨)، (أفسس ٢ : ٢).

وإذن هو الله الذى أعلن للإنسان الأول، وهو آدم، أنه لكى يستغفر عن خطيئته لابد له من أن يذبح حيواناً، فيكون موت الحيوان بدلاً من الإنسان، فينجو الإنسان بموت حيوان بدلاً منه، وبهذا يفدى الحيوان الإنسان، وهذا رمز للفادى الحقيقى الذى سيجىء زمانه فيما بعد والذى قيل فيه «**لما تم الزمان** أرسل الله ابنه مولوداً لإمرأة، مولوداً فى حكم الشريعة ليفتدى (ليشترى من

جديد) الذين هم فى حكم الشريعة، فنحظى بالتبنى (حتى نصير نحن أبناء الله)، (غلاطية ٤: ٤، ٥)، (التكوين ٤٩: ١٠)، (دانيال ٩: ٢٤)س، (مرقس ١: ١٥)، (أفسس ١: ١٠).

ذلك لأنه ليس من المعقول أو المقبول أن حيواناً من العجماوات يفدى الإنسان، أو أن يشفع فى الإنسان، وهو أعلى فى مرتبة الوجود من الحيوان الأعجم...

وإذن فالذبيحة الحيوانية من حمل أو خروف هى مجرد رمز وإشارة، لذبيح آخر هو أعلى مقاماً ومرتبة فى سلم الوجود من الإنسان، حتى تكون شفاعته لدى العدل الإلهى مبرراً لرفع الحكم بالموت الذى صدر على آدم وبنيه من بعده. «لأن الله واحد، **والوسيط بين الله والناس واحد، هو المسيح يسوع الإنسان**، الذى بذل نفسه **فدىً لجميع الناس**» (١. تيموثيئوس ٢: ٥، ٦)، (العبرانيين ٨: ٦)، (٩: ١٤) وعلى ذلك، فهو الله الذى أعلن للإنسان الأول سبيل الخلاص، بالكفارة، وعلّمه أن يذبح الحيوان من الخراف أو الغنم، فبذبحه وسفك دمه يكون قد فدى الإنسان بموته بدلاً من الإنسان، ثم يكتسى الإنسان بجلد الحيوان بعد سلخه فيغطى بالجلد عورة الإنسان التى إنكشفت بالخطيئة.

وفى هذا المعنى يجىء عمل الروح القدس فى المعمودية المسيحية، وهى فى حقيقتها موت مع المسيح «لأنكم تعمدتم جميعاً فى المسيح، **فلبستم المسيح**» (غلاطية ٣: ٢٧) وقوله «**البسوا الرب يسوع المسيح**» (رومية ١٣: ١٤) «**وتلبسوا الإنسان الجديد** الذى خلقه الله على صورته فى البر وقداسة الحق» (أفسس ٤: ٢٤) «لأنكم خلعتم الإنسان القديم وخلعتم معه أعماله، **ولبستم الإنسان الجديد** الذى يتجدد فى المعرفة على صورة خالقه» (كولوسى ٣: ١٠).

وبعد، فهذا هو المعنى لما جاء فى الرسالة إلى العبرانيين «بدون سفك دم لا تحصل مغفرة (العبرانيين ٩: ٢٢) والدم المقصود أولاً وبالذات، **هو دم المسيح الفادى الذى** «**ليس بأحد غيره الخلاص**» (أعمال الرسل ٤: ١٢) وله يشهد جميع الأنبياء، **بأن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران خطاياه**» (أعمال الرسل ١٠: ٤٣) «لأن الله واحد، والوسيط بين الله والناس واحد، **هو المسيح يسوع الإنسان، الذى بذل نفسه فدى لجميع الناس**» (١. تيموثيئوس ٢: ٥، ٦) «**اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم**» (متى ١: ٢١)، (أعمال الرسل ٥: ٣١)، (١٣: ٢٣، ٣٨).

وإذا كان أول من قدم الذبيحة بأمر الله هو آدم، رمزاً لذبيحة المسيح الكفارية وبها تم ويتم الفداء، فإن على غرار آدم الأب الأول قدمّ جميع الأتقياء مبدأ **الذبيحة أو الضحية** قبل مجيء المسيح.

فهابيل وهو ابن آدم مباشرة «**قدم هابيل من أبكار غنمه ومن سمانها**، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه» (التكوين ٤: ٤) أما قايين فلم يقدم ذبيحة من الحيوان، مكتفياً بتقدمة من أثمار الأرض فلم ينظر الرب إلى تقدمته (التكوين ٤: ٥) «وبنى نوح مذبحاً للرب وأخذ من جميع البهائم الطاهرة ومن جميع الطيور الطاهرة، **فأصعد محرقات على المذبح**، فتنسم الرب رائحة الرضى...» (التكوين ٨: ٢٠، ٢١).

وهكذا صنع أبرام وهو إبراهيم الخليل، «فبنى مذبحاً للرب» (التكوين ١٢: ٧، ٨)، (١٣: ٤، ١٨)، وإسحق أيضاً (التكوين ٢٦: ٢٥)، ويعقوب (التكوين ٣٥: ٤) وجدعون (القضاة ٦: ٢٦) وصموئيل (١. صموئيل ٧: ٩، ١٠) وأيوب (١: ٥)، (٤٢: ٨) وجميع الأنبياء.

بل إن مبدأ تقديم الذبيحة للتكفير ساد في جميع الشعوب من بني آدم فعرف عند اليونان وعند الرومان وغيرهم....

وإذن فمبدأ **تقديم الذبيحة بدأ بآدم** وامتد إلى كل بني آدم ذلك أن **الله هو الذي علم آدم أن يقدم الذبيحة تكفيراً واستغفاراً، وذلك رمزاً لذبيحة المسيح التي تممها بموته على الصليب**، وهذا هو المعنى من قول يوحنا المعمدان عن المسيح «**هوذا حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم** (يوحنا ١: ٢٩، ٣٦)، (١. كورنثوس ١٥: ٣)، (غلاطية ١: ٤)، (العبرانيين ١: ٣)، (٢: ١٧)، (٩: ٢٨)، (١. بطرس ٢: ٢٤)، (٣: ١٨)، (١. يوحنا ٢: ٢)، (٣: ٥)، (٤: ١٠)، (الجليان ـ الرؤيا ١: ٥).

١٥ ـ لماذا كان الحمل يُشير إلى ذبيحة الخلاص؟ (١)

سؤال: من الإبنة سعاد نجيب بولس ـ شبين الكوم.

لماذا كان الحمل هو المختار لكى يشير إلى ذبيحة الخلاص، وهى السيد المسيح؟

الجواب :

الحمل هو الخروف الصغير، وهو الجَذَعَ من صغار الضأن.

والحمل لصغره يُمثل البراءة والوداعة.

قال المسيح له المجد لتلاميذه ورسله: (اذهبوا ها أنا ذا أرسلكم كحملان بين ذئاب) (لوقا ١٠: ٣)، (متى ١٠: ١٦) وقال (احذروا من الأنبياء الكذبة الذين يجيئون إليكم فى ثياب **الحملان**، ولكنهم فى باطنهم ذئاب خاطفة) (متى ٧: ١٥).

ولقد أمر الله بنى إسرائيل أن يقدموا فى الفصح، وفى كل مرة يريد الواحد منهم أن يستغفر الله عن خطيئته، محرقة هى: **حمل حولى أى ابن سنة.**

جاء عن النبى صموئيل: (فأخذ صموئيل **حملاً رضيعاً**، وأصعده بجملته محرقة للرب، وصرخ صموئيل إلى الرب من أجل إسرائيل) (١ . صموئيل ٧: ٩).

وفى الفصح (**حَمَل صحيح ذكرٌ حَولىّ ابن سنة يَكونُ لكم من الضأن أو المَعز تأخُذونَهُ**) (الخروج ١٢: ٥) (مشوياً بالنار مع فطير، على أعشاب مرة... مشوياً بالنار، رأسه مع أكارعه وجوفه) (الخروج ١٢: ٨– ١٠).

ولقد رسم الله فى الشريعة أن يضع الكاهن أو مُقدم الذبيحة **يده على رأس الذبيحة** قبل ذبحها أو جزها، ثم يذبحها أمام الرب ويأخذ من دم الذبيحة ويجعله على قرون المذبح بإصبعه وسائر الدم يصبه إلى أسفل المذبح ويأخذ كل الشحم الذى يغشى الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشحم الذى عليهما ويوقدها على المذبح. وأما لحم الذبيحة وجلدها وفرثها فيحرقها بنار خارج المحلة هو **ذبيحة خطيئة.**

أما وضع اليد على رأس الذبيحة فمعناه أن الخاطىء ينقل بهذه الوسيلة خطيئته ويجعلها على رأس الذبيحة، ثم يذبح الحيوان ويسفك دمه بدلاً من الإنسان، **(فيفدى الحيوان الإنسان).**

---

(١) كتب فى ١١ من يوليو ١٩٩١م – ٤ من أبيب ١٧٠٧ ش.

ولكن هل يُعقل أن يفدى الحيوان الإنسان؟ إن قيمة الإنسان أكبر كثيراً من أن يحل محلّه الحيوان أمام الله.

إن الأصل فى هذا كله **أن الحكم بالموت قد صدر على الإنسان** (وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت) (التكوين ٢: ١٧)، ولا سبيل إلى الخلاص من الحكم بالموت، لأنه قضاء الله على الإنسان (**لأن أجرة الخطيئة هى الموت**) (رومية ٦: ٢٣)، (١: ٣٢).

ولما كان الله قد وعد الإنسان بالخلاص (التكوين ٣: ١٥).

والخلاص يكون بسفك دم المخلص الفادى (**الذى ليس لأحد بغيره الخلاص**) (أعمال الرسل ٤: ١٢)، (١٠: ٤٣)، (متى ١: ٢١)، (١. تيموثيئوس ٢: ٥)، (لوقا ٢: ١١)، (يوحنا ٤: ٤٢)، (أعمال ٥: ٣١)، (أعمال ١٣: ٢٣) (**ولا مغفرة إلا بسفك الدم**) (العبرانيين ٩: ٢٢)، (اللاويين ١٧: ١١).

ولما كان المخلص لم يكن آنذاك قد جاء، وعلى قول أحد الأنبياء قديماً (**أراه ولكن ليس الآن. أبصره ولكن ليس قريباً**) (سفر العدد ٢٤: ١٧).

لذلك رسمت الشريعة، حتى لا ينسى الإنسان أو يتناسى حاجته إلى الفادى الحقيقى والمخلص الآتى، (**الذى ليس لأحد بغيره الخلاص**) (أعمال ٤: ١٢)، أن يستغفر عن خطيئته بأن يُقدم الذبيحة من الحيوان بدلاً منه، **وهذا وضع مؤقت إلى أن يأتى الفادى الحقيقى فى وقته المعين** (غلاطية ٤: ٤) فيضع الإنسان الخاطىء يده على رأس الذبيحة ويعترف بخطيئته، وبهذا ينقل خطيئته إلى رأس الحيوان، فيصبح الحيوان هو الخاطىء بدلاً من الإنسان، وبإراقة دم الحيوان يموت الحيوان بدلاً من الإنسان وبهذا يفديه، فلا يموت الإنسان. **وهو فداء مؤقت. ولا تتم به مغفرة حقيقية. وليس له إلا قيمة رمزية لتذكير الإنسان بحاجته إلى الفادى الحقيقى الذى لم يكن زمان مجيئه قد حان.**

فلما جاء المسيح فادينا ومخلصنا، وهو الموعود به على أفواه الأنبياء قديماً، كان بموته على الصليب وسفك دمه خلاص الإنسان، فقد مات فداء الإنسان، وبعمل الفداء حصل الإنسان على الإعفاء الحقيقى من الحكم الصادر بموته، وقد قال المسيح له المجد مراراً إنه نزل من السماء ليخلص الإنسان (**لقد جاء ابن الإنسان ليخلص**) (متى ١٨: ١١)، (لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم، وإنما ليخلص به العالم)، (لوقا ١٩: ١٠)، (٩: ٥٦)، (يوحنا ٣: ١٧)، (١٢: ٤٧)، (١٢: ٢٧)، (٦: ٣٣، ٣٨، ٥١)، (١. يوحنا ٤: ١٤).

وهذا هو المعنى من قول يوحنا المعمدان عن المسيح له المجد، عندما أشار إليه قائلاً: (**هوذا حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم**) . هذا هو الذى قلت عنه: يأتى بعدى رجل يتقدمنى لأنه كان قبلى) (يوحنا ١ : ٢٩، ٣٠) (ثم فى اليوم التالى كان يوحنا واقفاً مع إثنين من تلاميذه، وإذ أبصر يسوع ماشياً، قال: (**هذا هو حمل الله**) (يوحنا ١ : ٣٦) وقال الوحى الإلهى (عالمين أنكم لم تفتدوا من سيرتكم الباطلة التى تقلدتموها من آبائكم، بالفانى من الفضة أو الذهب، بل بدم كريم، **دم الحمل الذى لا عيب فيه ولا دنس، وهو المسيح**) (١. بطرس ١ : ١٨، ١٩)، (العبرانيين ٩ : ١٤).

وجاء عنه فى سفر الجليان - الرؤيا أن المسيح **هو الحمل المذبوح**، الحمل المستحق أن ينال القدرة والغنى والحكمة والعزة والإكرام، له المجد والبركة) (الجليان - الرؤيا ٥ : ٦، ٨، ١٢، ١٣)، (١ : ٦).

انظر أيضاً (إشعياء ٥٣ : ٧)، (أعمال ٨ : ٣٢).

أما لماذا وُصف المسيح بأنه **الحمل**، فذلك **لأنه برىء وبلا عيب ووديع، ولقد وضع الرب عليه إثم جميعنا ليفدينا.**

(أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحملها... جُرح لأجل معاصينا وسُحق لأجل آثامنا، فتأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا. كلنا ضللنا كالغنم، كل واحد مال إلى طريقه، **والرب وضع عليه إثم جميعنا**. ظُلم، أما هو فتذلّل ولم يفتح فاه... **كحَمَلٍ صامتٍ أمام الذين يَجُزُّونَهُ ولم يفتح فاه... إنه ضرب من أجل ذنب شعبى... على أنه لم يعمل ظلماً، ولم يكن فى فمه غش. جعل نفسه ذبيحة إثم... إنه سَكَبَ للموت نَفسَهُ... وهو حَمَلَ خطايا كثيرين وشَفَعَ فى المذنبين**) (إشعياء ٥٣ : ٤ - ١٢).

(ذاك الذى لم يعرف خطيئة جعله الله خطيئة من أجلنا لنصير نحن بر الله فيه) (٢. كورنثوس ٥ : ٢١)، أى لنصير نحن به أبراراً عند الله (١. يوحنا ٣ : ١٦).

(فالمسيح افتَدانا من لعنة الشريعة إذ صار لعنة من أجلنا، لأنه مكتوب: (ملعون كل من علق على خشبة) (غلاطية ٣ : ١٣)، (سفر التثنية ٢١ : ٢٣).

انظر أيضاً (العبرانيين ٤ : ١٥)، (٧ : ٢١)، (١. بطرس ٢ : ٢٢)، (١. يوحنا ٣ : ٥)، (رومية ٨ : ٣)، (٣ : ٢٤، ٢٥)، (٤ : ٢٥).

١٦ ـ ليس بأحد غيره الخلاص

سؤال: من الابن نبيل فاخر عبد المسيح ـ أبو تيج.

عندما اعترف زكا رئيس العشارين بخطاياه السابقة التى تاب عنها، وقال للسيد المسيح «ها أناذا يارب سأعطى الفقراء نصف أموالى. وإن كنتُ قد غبنت أحداً فى شىء فسأرد له أربعة أضعافه» قال له الرب يسوع «اليوم قد صار الخلاص لهذا البيت، إذ أنه هو أيضاً ابن إبراهيم، لأن ابن الإنسان إنما جاء ليسعى فى طلب الذى ضاع ويخلصه» أفهل حصل زكا على الخلاص من دون المعمودية؟.

الجواب:

إن ما صرح به (زكا) رئيس العشارين كان إعلاناً لتوبته وإعترافاً منه بأخطائه وخطاياه. وأما جواب المسيح له المجد على إعتراف زكا، فهو إعلان لقبول توبة زكا وشهادة من العليم بما فى ذات الصدور أنها توبة صادقة توافر فيها الندم على الماضى، والعزم الصادق على تجديد السيرة وتغيير السلوك والاعتراف بالخطايا، متعهداً بتحمل نتائجها والعمل على تصحيحها بتقديم نصف أمواله للفقراء، وتعويض من غبنهم أربعة أضعاف ما غبنهم فيه، ممتلئاً فى الآن نفسه بالرجاء والفرح فى قبول المسيح لتوبته.

وقد كان السيد المسيح له المجد فى قصة توبة زكا هو الرب، وهو صاحب الحق فى منح زكا الحل عن خطاياه بعد إقراره وإعترافه العلنى بخطاياه وذلك بقوله له «**اليوم قد صار الخلاص لهذا البيت**».

على أن (الخلاص) هنا فى قول المسيح له المجد **لزكا ليس معناه أن زكا قد حصل بالفعل فى ذلك اليوم على الخلاص كاملاً، من دون عمل الفداء الذى قام به المسيح بصفته الفادى والمخلص** كفارة عن آدم وذريته، وإنما معناه أن زكا بتوبته الصادقة قد برهن على استحقاقه الخلاص يوم أن يتم هذا الخلاص بعمل الفداء، وصار ضامناً له بوعد المسيح إياه، حتى إذا تمم المسيح عمل الفداء حصل زكا على الخلاص الكامل «لأنه ليس بأحد غيره الخلاص» (أعمال الرسل ٤: ١٢) وكأن زكا بتوبته وإعترافه قد حصل على إيصال يعطيه الحق فى الخلاص يوم أن يقوم المسيح بعمل الفداء والخلاص.

وكذلك الأمر بالنسبة للمرأة الخاطئة التى دخلت بيت سمعان الفريسى ووقفت من وراء المسيح عند قدميه باكية وأخذت تبلل قدميه بدموعها وتمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه، وتضمخهما بالطيب قال لها المسيح له المجد، إذ قبل توبتها «**إن إيمانك قد خلصك، فإذهبى بسلام**» (لوقا ٧: ٥٠) والمعنى من ذلك **إن إيمانها قد جعلها أهلاً للخلاص الذى حققه المسيح له المجد بعمل الفداء الذى نزل من السماء لإتمامه**، فهى لم تحصل على **الخلاص الكامل إلا بعمل الفداء** «لأنه ليس لأحد بغيره الخلاص» (أعمال ٤: ١٢) إنما بتوبتها الصادقة صارت مستحقة للخلاص بالمسيح الفادى.

وكذلك بالمثل عندما قال المسيح له المجد للأبرص الذى شفاه ورجع إليه يمجد الله بصوت عظيم وخر على وجهه عند قدميه شاكراً إياه: «انهض وامض فى سبيلك، **إن إيمانك قد خلصك**» (لوقا ١٧: ١٩).

وأيضاً عندما قال المسيح للمرأة نازفة الدم بعد أن لمست رداءه فجف معين نزفها «يابنتى إن إيمانك **قد خلصك**» (مرقس ٥: ٣٤).

وكذلك إذ قال له المجد للأعمى بعد أن شفاه «اذهب فإن إيمانك **قد خلصك**» (مرقس ١٠: ٥٢).

انظر أيضاً (لوقا ١٨: ٤٢).

ثم إن فى قول الرب لزكا «اليوم قد صار الخلاص لهذا البيت، بياناً لأهمية رب البيت بالنسبة لأهله وعياله، وإبرازاً لدوره القيادى فى توبة أهل بيته، وبينة على مسئوليته عنهم بصفته رأس الأسرة وراعيها وقائدها.

١٧ ـ هل الخلاص للعالم كله؟ (١)

سؤال: من أحد القراء

هل الخلاص بدم المسيح قاصر على فئة معينة من الناس، أم هو للعالم كله؟ وإذا كان لفئة معينة من الناس، فيكون الإيمان إذن هو العامل الأول للخلاص، لأننا نؤمن بدم المسيح.

الجواب:

الخلاص بالمسيح مقدم ومعروض لجميع الناس، وليس لفئة بعينها من الناس ـ على أن العامل الأول للخلاص هو الإيمان بالمسيح. والإيمان فعل الإرادة فمن الناس من يؤمن، ومن الناس من يرفض، لأن الإنسان كائن حر مناط أمره بيده. فهو حر مختار، وبحريته وإرادته يؤمن إذا شاء، وبحريته وإرادته يرفض إذا شاء ـ فليس أحد من الناس مقهوراً على الإيمان.

والإيمان هو الخطوة الأولى فى الخلاص. ومع ذلك فليس الإيمان وحده هو الذى يخلص الإنسان. إن الخلاص عمل مشترك بين الإنسان وبين الله. للإنسان دور فى الخلاص، ولله فيه دور. ودور الإنسان أن يؤمن ثم يطلب الخلاص ويسعى إليه. الإيمان يؤهل الإنسان للخلاص، لكن ليس الإيمان هو الذى يمنح الخلاص، وإنما الخلاص يتم أولاً فى سر المعمودية، وهذا هو عمل الله الذى تم بفداء المسيح على الصليب، ينقله الروح القدس إلى الإنسان فى سر المعمودية. لأن المسيح وحده هو المخلص وهو الفادى، (وليس بأحد غيره الخلاص. وما من اسم آخر تحت السماء منح للناس به ينبغى أن يخلصوا) (أعمال الرسل ٤: ١٢).

فالخلاص إذن هو عمل النعمة، عمل المسيح. **والمعمودية هى عمل المسيح، والروح القدس ينقل إلينا فى المعمودية استحقاقات المسيح الكفارية.** أما الإيمان فهو عمل الإنسان. الإيمان هو التصديق القلبى الذى به يقبل الإنسان عمل الله. ومن ثم فالإيمان ليس هو الذى يخلّص، إنه يزيل العائق الذى يمنع الإنسان البالغ من قبول عمل الروح القدس فيه، فيؤهله لقبول خلاص المسيح الذى يتم فى سر المعمودية.

---

(١) نشر بمجلة (الكرازة) فى السنة الثالثة ـ العددين الخامس والسادس ـ يونيه ويوليو لسنة ١٩٦٧م صفحة ٧٥.

١٨ ـ آمن... تخلص (١)

سؤال: من أحد القراء.

ما معنى قول الكتاب المقدس: (آمن بالرب يسوع المسيح، تخلص أنت وأهل بيتك) (أعمال الرسل ١٦: ٣١).

الجواب:

تلك العبارة (آمن بالرب يسوع المسيح، تخلص أنت وأهل بيتك) قالها الرسولان القديسان بولس وسيلا للرجل سجان مدينة فيلبى عندما سألهما الرجل وهو مرتعد من شدة تأثره بعمل الله المبهر مع الرسولين وقال: يا سيدى، ماذا يجب علىّ أن أعمل لأنال الخلاص؟ (قالا له: **آمن بالرب يسوع المسيح، تخلص أنت وأهل بيتك**).

ذلك لأنه لما كان الرسولان بولس وسيلا يكلمان رجلاً غير مؤمن بالمسيح فلابد أن يكلماه عن أول شيء يجب عليه أن يعمله. ولم يكن من المستساغ أن يرشداه إلى كل شيء، وإنما يكفى أن يعرفاه مبدئياً **بالخطوة الأولى، فى طريق الخلاص، وهى الإيمان بالرب يسوع المسيح**. لكن ليس معنى هذا أن مجرد الإيمان بالرب يسوع المسيح يكفى لتحقيق الخلاص الكامل، خصوصاً وأن كلمة (**تخلُص**) جاءت فى اللغات الأصلية فى الزمن (**المستقبل**) لا فى الزمن الماضى، مما يدل على أن خلاص سجان فيلبى لم يتم بمجرد الإيمان، ولكنه سيتم مستقبلاً **إذا تحقق الإيمان كخطوة أولى، وتلاه ما بعد الإيمان من خطوات، من بينها (المعمودية) وما بعد المعمودية من جهاد وأعمال صالحة.**

ودليلنا على ذلك أن سجان فيلبى دعا الرسولين بولس وسيلا إلى بيته، وهناك فى بيته حدثاه وجميع أهل بيته بكلمة الرب وشرحا له ولذويه عقائد الإيمان المسيحى، وبعد ذلك (**عمداه هو وأهل بيته أجمعين**) (أعمال الرسل ١٦: ٣٢، ٣٣).

فلو كان الإيمان وحده كافياً للخلاص لما كان هناك داع للمعمودية. ولكانت المعمودية أمراً زائداً لا قيمة له. فسجان فيلبى لم يخلص بالإيمان وحده، وإنما كان الإيمان بالمسيح هو أول خطوة فى طريق خلاصه، أى أن الإيمان بالرب يسوع المسيح هو الذى أهله للخلاص. فالخلاص لا يفرض على الإنسان فرضاً وإنما ينبغى أن يتأهب له بالإيمان أولاً وهو

---

(١) نشر بمجلة (الكرازة) ـ السنة الثالثة ـ العددين الخامس والسادس ـ يونيه ويوليو لسنة ١٩٦٧م صفحة ٧٥، ٧٦.

دليل قبوله للخلاص بحريته وإرادته. وكما قال القديس أوغسطينوس **إن الله الذى خلقك من دونك لا يقدر أن يخلصك من دونك)**.

إن الخلاص عمل مشترك بين الله والإنسان: الله له دور، والإنسان له دور فى هذا الخلاص. ليس الخلاص عمل الله فقط وإلا فلا يكون الإنسان حراً. إن الله لا يشاء أن يمنح الخلاص إلا للذين يطلبون الخلاص ويسعون إليه، لذلك **فإن سجان فيلبى لم يخلص بالإيمان وحده، وإنما كان الإيمان بالرب يسوع المسيح هو الخطوة الأولى، وتلتها بعد ذلك خطوة تقدمه إلى سر المعمودية المقدسة، وفى المعمودية المقدسة ينال المؤمن استحقاقات المسيح الكفارية ينقلها الروح القدس إليه عن طريق التعميد.**

١٩ - وعلمنا وسائط الخلاص

سؤال: من الإكليريكى أمير سعيد عبد الملك.

ديروط قبلى - بانوب ظهر الجمل.

يقول: سمعت فى صلوات القداس بعض الآباء الكهنة يقولون باللغة العربية (علّمنا طرق الخلاص)، وبعضاً آخر يقول (وأعطانا نعمة الخلاص)، وبعضاً ثالث يقول: (وعلمنا وسائط الخلاص)، فما هو القول الصحيح من الناحية اللاهوتية والعقائدية؟ أرجو الإفادة فى جريدة وطنى للمنفعة العامة.

الجواب:

إن النص القبطى فى هذه القطعة من القداس يستوجب ترجمتها إلى العربية **(وعلمنا وسائط الخلاص)**.

أما النص القبطى فيقرأ:

ⲟⲩⲟⲟⲥ ⲁϥⲧⲥⲁⲃⲟⲛ ⲉⲃⲁⲛⲙⲟⲓⲧ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲟⲩⲅⲁⲓ

OYOH AFETSAVON EHANMOIT ENTE PIOYGAI

والكلمة القبطية ⲙⲟⲓⲧ تفيد بالعربية - طريق - أو سبيل - أو واسطة... وكلها مترادفات، (والمترادفات غير متساويات).

فإذاً كانت الكلمة القبطية يمكن ترجمتها بأكثر من كلمة عربية، فالأمانة تقتضى أن يختار المترجم، **الكلمة العربية المناسبة للمعنى المقصود بحسب سياق ومضمون الفقرة، أو القطعة من القداس.**

وهنا نقول أن ترجمتها بكلمة (طريق - أو طرق) يتعارض مع حقيقة لاهوتية عقائدية، ذلك لأنه ليس هناك (طرق) للخلاص، **فطريق الخلاص واحد، هو المسيح له المجد.** وقد قال بفمه الإلهى **(أنا هو الطريق والحق والحياة.** لا يأتى أحد إلى الآب إلا بى) (يوحنا ١٤: ٦).

فطريق الخلاص **واحد هو المسيح (أنا هو باب الخراف، فإن دخل بى أحد يخلص)** (يوحنا ١٠: ٩).

(يسوع المسيح الناصرى... **وليس بأحد غيره الخلاص، وما من اسم آخر تحت السماء مُنح للناس به ينبغى أن يخلصوا**) (أعمال الرسل ٤: ١٠-١٢).

وقد جاء فى الأنبياء قديماً: هكذا قال الرب: قفوا على الطرق وانظروا واسألوا عن السبل القديمة، أين هو الطريق الصالح، وسيروا فيه فتجدوا راحة لنفوسكم) (إرميا ٦: ١٦).

انظر (متى ١: ٢١)، (أعمال الرسل ١٠: ٤٣)، (١. تيموثيوس ٢: ٥، ٦).

٢- ولما كان النص القبطى فى القداس أورد الكلمة بالجمع EHAN-ⲈⲈⲘⲚⲞⲨⲦ MOIT فلا يجوز إذن ترجمتها عربياً (طرق الخلاص) فهذه الترجمة تتعارض لاهوتياً وعقائدياً مع حقيقة أن المسيح له المجد **هو وحده (الطريق - أنا هو الطريق)** (يوحنا ١٤: ٦).

ولذلك فإن بعض الكهنة يقرأها (وعلّمنا طريق الخلاص) وهذه ترجمة خاطئة أيضاً لأنها تتعارض مع النص القبطى الذى أورد الكلمة **بالجمع** لا بالمفرد.

٣- فإذا أضفنا إلى هذا كله أن سياق القطعة من القداس يتجه إلى **مفاعيل سرى المعمودية والمسحة المقدسة. ولما كانت أسرار الكنيسة هى القنوات والوسائط لتوصيل عمل الخلاص إلينا، الخلاص الذى تفجَّر فى الصليب بعمل الفداء الذى قام به المسيح وحده، فهو وحده المخلص** ووحده الفادى (لأن الله واحد، والوسيط بين الله والناس واحد، وهو المسيح يسوع الإنسان الذى ضحى بنفسه فِدىً لجميع الناس((١. تيموثيوس ٢: ٥، ٦).

ودليلنا على أن سياق هذه القطعة من القداس يقتضى الإشادة **بسر المعمودية وسر المسحة (الميرون)** - والأسرار كما قلنا هى القنوات والوسائط التى ينقل بها الروح القدس خلاص المسيح الفادى إلى المؤمنين باسمه (إنه يمجدنى **لأنه يأخذ مما لى ويخبركم**) (يوحنا ١٦: ١٤، ١٥).

نقول دليلنا على أن المعنى المقصود فى القداس هو سر المعمودية وسر المسحة المقدسة هو قوله: مباشرة (**منعماً علينا بالميلاد الثانى الذى من فوق بواسطة الماء والروح** - وهذا هو سر المعمودية - الميلاد الثانى) وجعلنا له شعباً مجتمعاً، وصيَّرنا أطهاراً بروحك القدوس... وهذا هو عمل **سر المسحة** وهو السر الثانى بعد المعمودية.

لهذا كله، ولهذه القرائن اللاهوتية والعقائدية مجتمعة، نرى أن عبارة (وعلمنا وسائط الخلاص) هى الترجمة المناسبة.

OYOH AFETSAVON EHANMOIT ENTE PIOYGAI

للنص القبطى، وهى تعبّر تعبيراً صادقاً ودقيقاً عن المعنى المقصود فى النص القبطى.

٢٠ ـ لماذا تألم المسيح؟
أما كان يكفى أن يُخلِّص الإنسان بكلمة؟

سؤال: من الابن الدكتور الفونس ميخائيل سعد ـ رشيد ـ البحيرة.

يقول «أما كانت كلمة من الله تكفى لخلاص الإنسان كما خلقه الله أصلاً بكلمة، بدلاً من كل هذا الألم والموت؟، وكيف يتألم المسيح (تألم المسيح لأجلنا) (١ . بطرس ٤ : ١) ويموت (المسيح مات من أجل خطايانا) (١ . كورنثوس ١٥ : ٣)؟

الجواب:

قال القديس أوغسطينوس (٣٥٠ ـ ٤٣٠) م «إنّ الله الذى خلقك من دونك **لا يقدر أن يُخلِّصك من دونك**» والمعنى أن الله عندما خلق الإنسان لم ينتظر فى الخلق سؤالا أو طلبا من الإنسان، لأن الإنسان لم يكن موجوداً آنذاك، فالله خلق الإنسان بإرادته تعالى وهو حاكم الإنسان وسيد الوجود. نعم إنه تعالى خلق الإنسان من دون أن يستشير الإنسان أو يستأذنه فى أمر الخلق، وإنما خلقه بمحض إرادته تعالى، ولم يكن الله تعالى فى حاجة إلى الإنسان، ولكنه أراد للإنسان أن يوجد لكى يستمتع مع الله ويشاركه فى سعادته وخيريته التى لا تستقصى، أى أنه **خلق الإنسان لخير الإنسان وليس لغرض آخر يعود على الله**. وإنما خلق الإنسان لأنّ الوجود للإنسان خير له من العدم، ووجوده يعطيه أن يتمتع وينعم مع الله فى سعادته وجودته وخيريته.

أما (الخلاص) فلا يُفرض على الإنسان قهراً من غير إرادته، لأنّ الإنسان كائن حرّ، مخيّر.

والمعنى من قول القديس أوغسطينوس الله **لا يقدر أن يُخلِّص الإنسان من دونه**، أى من دون إرادة الإنسان نفسه لا يتنافى بتاتا مع أنّ الله قادر على كل شئ. لأنه إذا قال الكتاب المقدّس «إن كنا غير أمناء فهو يبقى أمينا، لأنه لن يقدر أن ينكر نفسه» (٢ . تيموثيئوس ٢ : ١٣)، (العدد ٢٣ : ١٩)، فمعناه أنّ الله لا يتعارض مع ذاته، وهذا دليل القوة، لأنّ إنكار الكائن لذاته هو برهان الضعف، تماما كما نقول عن شخص من الناس إنه (**لا يقدر**) أن يكذب. فهذا الوصف هو مدح للشخص لا ذم له، لأنّ الكذب ضعف، أما الصدق فهو القوة. ومثله قول الكتاب المقدّس «كلُّ من هو مولود من الله لا يعمل خطيئة، لأنّ طبيعة الله صارت ثابتة فيه، **ولا يستطيع (يقدر) أن يخطأ (يخطئ)** لأنه قد وُلِد من الله».

(١ . يوحنا ٣ : ٩)، (٥ : ١٨).

كذلك المعنى من قول القديس أوغسطينوس إنّ الله الذى خلقك من دونك **لا يقدر أن يخلّصك من دونك**، ذلك لأنّ الله خلق الإنسان حراً، فلا يشاء أن يسلب منه حريته، فيخلّصه قهراً ومن دون إرادته أو يقهره على الخلاص على الرغم منه.

فكيف إذن يهب الله الخلاص للإنسان بكلمة، كما يقول للشئ كن فيكون؟ إنّ الله حقا غفور رحيم، **ولكنه لا يغفر من دون أن يطلب الإنسان منه الغفران**، وإلاّ كان معناه أنّ الله يُخلّص الإنسان من دون رغبته، وبالتالى يكون الخلاص للإنسان أمرا قهريا، وهذا يتعارض مع حرية الإنسان، بل ويسلبه إمتيازه على سائر المخلوقات. فالإنسان كائن حرّ وهذه هى كرامته وميزته، والإنسان خُلِق على صورة الله ومثاله فى الحرية.

ومن جهة أخرى، الله لا يغفر للإنسان من دون ترضية كافية لعدالته، وإلا فإن الله بذلك **يُهين ذاته، ويهدر هيبته** ويسقط صفة العدل والحق فيه.

لقد أعطى الله وصية لآدم وأنذره قائلا «من جميع شجر الجنة تأكل أكلا. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها **لأنك يوم تأكل منها موتا تموت**» (التكوين ٢ : ١٦، ١٧). فأكل آدم من الشجرة المنهى عنها، **فكان لابدّ أن يموت**، لأنّ كلمة الله لا تسقط أبدا. يقول الله « تزول السماء والأرض، أما كلامى، فلا يزول» (متى ٢٤ : ٣٥)، (٥ : ١٨)، (مرقس ١٣ : ٣١)، (إشعياء ٥١ : ٦).

وما دام الإنسان قد أخطأ، واستحق بذلك الموت، فلم يكن ثمت سبيل إلاّ بأن يموت الإنسان - والموت للإنسان معناه الحكم عليه بالإقصاءِ الأبدىّ من خالقه، وبالتالى بالهلاك الأبدى.

بذلك فقد الإنسان بخطيئته ونجاسته قرابته لله الذى خلقه على صورته ومثاله، فبعد أن كان طاهرا أمسى نجساً، والنجاسة ضدّ طبيعة الله، لأنّ الله قُدُّوس فخطيئة النجاسة باعدت بين الإنسان وبين الله. ثم إنه بها حرِم من السعادة الأبدية التى أرادها الله له، فقد أظهر له (**شجرة الحياة**) فى وسط الجنة (التكوين ٢ : ٩) لكى يحيا بها إلى الأبد (التكوين ٣ : ٢٢)، (الجليان - الرؤيا ٢ : ٧)، (٢٢ : ٢) فلما أخطأ الإنسان حرِم من أن يأكل من شجرة الحياة، وبالتالى لم يعد مستحقا أن يأكل من شجرة الحياة، ليحيا إلى الأبد، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن، «فطرد الإنسان وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة» (التكوين ٣ : ٢٣ ، ٢٤)، ليمنع الإنسان من أن يمد يده إلى شجرة الحياة، حتى لا يحيا إلى الأبد - (التكوين ٣ : ٢٢).

فالموت للإنسان ليس فقط بإفساد طبيعته وبإنفصاله عن الله القدوس، ولكن بحرمانه من أن يأكل من شجرة الحياة، حتى لا يحيا إلى الأبد.

وبذلك دخل الموت إلى آدم، ومع الموت دخل المرض وكل عوامل الفساد التى جلبها الإنسان على نفسه بخطيئته.

لذلك لم يكن ممكنا أن تزول لوثة الخطيئة لأنّ الفساد قد دخل إلى طبيعة الإنسان، وكما يقول آباء الكنيسة إنّ الطبيعة البشرية قد فسدت بالخطيئة فسادا لا يمكن إصلاحه إلاّ بعملية خلق من جديد. ويقدّمون لذلك مثلاً بلوح من زجاج إذا انكسر فلا إصلاح له إلاّ بتغييره تغييرا تاما. ولذلك فإنّ المسيحىّ لاينال الخلاص إلاّ بأن يخلع فى التعميد ملابسه، وينزل فى مياه المعمودية عاريا، فالروح القدس الذى ينحدر بصلوات الكاهن على مياه المعمودية يحوّل الماء عن طبعه إلى نار، لتحرق الطبيعة القديمة، وتخلق الإنسان خلقاً من جديد - وهو ما قاله يوحنا المعمدان عن المعمودية المسيحية فى المسيح «أنا أعمدكم بالماء من أجل التوبة، أما الذى يأتى بعدى، فهو أقوى منى ... إنه **سيعمدّكم بروح القدس وبالنار**» (متى ٣ : ١١)، (مرقس ١ : ٨)، (يوحنا ١ : ٣٣).

وكما أنّ الخليقة الأولى كانت من الماء والروح إذ كان «روح الله يرفّ على وجه المياه» (التكوين ١ : ٢) كذلك **الخليقة الثانية تتم فى المعمودية من الماء، والروح القدس**، الذى ينحدر على مياه المعمودية، فيكهربها ويحيلها إلى نار تحرق الطبيعة الأولى الخاطئة الملوّثة وتخلق للإنسان من جديد طبيعة جديدة تماما.

من هنا معنى قول الكتاب المقدس إذا كان **أحدٌ فى المسيح فهو خليقة جديدة**، قد زال القديم. ها هوذا كل شئ جديد. وهذا كله من الله الذى صالحنا مع نفسه بيسوع المسيح، أى أنّ الله كان فى المسيح مصالحا العالم مع نفسه، غير حاسب عليهم خطاياهم. (٢. كورنثوس ٥ : ١٧، ١٨، ١٩) وقوله «لأنه فى المسيح يسوع لا الختانُ ولا عدمُ الختان ينفع الإنسان، وإنما الذى ينفعه أن يكون خليقة جديدة» (غلاطية ٦ : ١٥).

وإذا كانت الطبيعة البشرية قد فسدت بالخطيئة فساداً لا يمكن إصلاحه، وأنّ الخلاص من لوثة الخطيئة الأصلية ونتائجها لا يمكن إلاّ بتغيير هذه الطبيعة تغييرا كاملاً وجذريا، وخلق طبيعة جديدة، فمن كان قادراً من البشر على أن يقوم بخلق الطبيعة من جديد؟! فإنّ الجميع (جميع الناس) قد أخطأوا وأعوزهم مجد الله (رومية ٣ : ٢٣)، (٣ : ٩)، (١١ : ٣٢).

لذلك فإنّ الله شاء من فيض حبه للإنسان ومن عمق إرادته الخيّرة أن يردّ للإنسان ما فقده بالخطيئة، ويخلقه خلقاً من جديد، بأن يتخذ الله له جسداً مطابعا لجسد الإنسان ويظهر فى الهيئة إنسانا، يحمل كل طبيعة الإنسان ويقبل فى جسده الحكم بالموت الذى استحقه الإنسان بخطيئته، وبذلك يفدى الله الإنسان من حكم الموت.

فالتجسد الإلهى والموت الذى قبله المسيح فى جسده بدلاً من الإنسان وبه فدى الإنسان كان ضرورة لا مفرّ منها، حتى يسترد الإنسان مكانته التى فقدها بالخطيئة، وحتى ينال الخلاص بالفداء.

وإذن فبالتجسد وموت المسيح على الصليب نال الإنسان الخلاص وبهذا يبدو واضحاً أنّ الله فى الصليب جمع بين رحمته وعدله من دون أن يهدر عدله - وهكذا قال المسيح له المجد « ما من حبّ أعظم من أن يبذل أحد نفسه عن أحبائه» (يوحنا ١٥ : ١٣)، (١٠ : ١١، ١٥). وقال الكتاب المقدس أيضا «ولكن الله قد برهن على محبّته لنا إذ أننا وقد كنا بعد خطأة مات المسيح عوضاً عنا (لأجلنا) » (رومية ٥ : ٨) «أما الآن فى المسيح يسوع، أنتم الذين كنتم حينا بعيدين، صرتم قريبين بدمِ المسيح لأنه هو (المسيح) سلامنا الذى جعل الإثنين (اليهود وغير اليهود) واحداً، **وهدم بجسده حائط السياج الحاجز الذى يفصل بينهما أى العداوة، وأبطل بجسده شريعة الوصايا وما فيها من أحكام، ليخلق فى شخصه من الإثنين إنسانا واحِدا جديداً صانعا سلاماً، ويصالح بينهما وبين الله فى جسد واحدٍ بصليبه، وقد قضى على العداوة فيه...**» (أفسس ٢ : ١٣ - ١٨).

«لأن فيه (فى المسيح) سرّ الآب أن يحل الملء كله، **وأن يصالح به الجميع مع نفسه، سواء ما فى الأرض أو ما فى السماوات، صانعا به السلام بدم صليبه. وأنتم الذين كنتم قبلاً غرباء عن الله وأعداء له بأفكاركم وأعمالكم الشريرة، قد صالحكم الآنَ فى جسد المسيح البشرى، إذ أسلمه إلى الموت ليجعلكم فى حضرته قديسين بلا عيب ولا لوم**» (كولوسى ١ : ١٩ - ٢٢) «**فإن المسيح أيضا نفسه مات عنا مرة واحدة من أجل خطايانا، مات وهو البار من أجل الأثمة لكى يقربنا إلى الله، فمات فى جسده البشرى ولكنه أُحيى فى الروح**، الذى بهذا الروح نفسه أيضا ذهب فبشر الأرواح السجينة، إذ عصت قديما حين كانت أناة الله تنتظر مرة وذلك فى أيام بنَى نوح الفلك، فنجا فيه بالماء عدد قليل أى ثمانية أشخاص. **وكان هذا رمزا للمعمودية التى**

تخلصكم الآن أنتم أيضا، لا بإزالة وسخ الجسد، بل بعهد صادق النية مع الله بقيامة يسوع المسيح، (١ . بطرس ٣ : ١٨ ـ ٢١)، بهذا قد عرفنا المحبة بأنّ ذاك **(المسيح) بذل نفسه لأجلنا**، (١ . يوحنا ٣ : ١٦) «بهذا أظهرت محبة الله فينا أنّ الله **أرسل ابنه الأوحد إلى العالم لكى نحيا به**. تلك هى المحبة أننا لم نكن نحن الذين أحببنا الله، بل إنه **هو الذى أحبّنا وأرسل إبنه كفارة لخطايانا**، (١ . يوحنا ٤ : ٩، ١٠).

٢١ ـ المسيح الإله لا يموت
إنه ذاق الموت بالجسد

سؤال : من الدكتور وصفى لبيب واصف ـ المنيا.

قرأت للأسف الشديد ما قد أحزن نفسى جداً، ما نشرته جريدة الأخبار فى عددها رقم ١٢١٦ الصادر يوم الجمعة ١٠/ مايو ١٩٩١ تحت عنوان (المسيح لم يمت على الصّليب، نظرية جديدة تتحدث عنها بريطانيا) ـ وتقول هذه النظريّة إنّ الجلّد الذى تلقّاه المسيح على الصليب أصابه بالإغماء مما دعا حرّاسه إلى الإعتقاد بأنه مات وأُنزِل من على الصّليب بعد مضى وقت أقصر جداً من المعتاد ـ وتقول جريدة الأخبار إنّ مجلة الكلية الملكية للأطباء فى بريطانيا نشرت دراسة تؤكد أنّ المسيح لم يمت على الصليب وأنه أُصيب فقط بالإغماء أو أنه كان يتظاهر بالموت لينجو من الصلب ..

وإننى كطبيب إخصائى الأمراض الباطنية والقلب، إستأت من هذا الادّعاء الكاذب، ولابدّ أن يكون هذا الخبر قد أزعج الكثيرين، فالرجاء معالجة هذا الموضوع على صفحات جريدة وطنى، لأهميته القصوى..

الجواب :

نحن نعلم على اليقين أنّ **المسيح إله، والله حىّ لا يموت**. ونحن نردّد فى صلواتنا بغير فتور (قدوس الله، قدوس القوىّ، **قدوس الحىّ الذى لا يموت. يا من صُلب عنّا إرحمنا**). ولذلك نهتف فى صلاة الساعة التاسعة من صلواتنا اليومية ونقول (**يا من ذاق الموت بالجسد فى وقت الساعة التاسعة**)، توكيداً لحقيقة إيماننا بأن المسيح إله، **وبصفته إلهاً لا يموت**، ولكن الموت وقع على الجسد، وذلك بمفارقة الروح الإنسانية للجسد، وفقا لقول الإنجيل (ثُمّ صرخ يسوع بصوتٍ عظيم وأسلم الرُّوح) (مرقس ١٥ : ٣٧)، (متى ٢٧ : ٥٠)، (لوقا ٢٣ : ٤٦) (ثم أمال رأسه وأسلم الرُّوح) (يوحنا ١٩ : ٣٠).

وتوكيدا لهذه الحقيقة أنّ المسيح بوصفه الله الظاهر فى الجسد لايموت كإله، لا نذكر فى قانون الإيمان الذى نردده فى صلواتنا الخاصة والعامة، أن المسيح الإله مات. إنّنا نقول إنه (نزل من السماء وتجسّد من الرُّوح القُدس ومن مريم العذراء، وتأنّس، وصُلب عنا على عهد بيلاطس البنطى، **وتألّم وقُبر** وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث، وصعد إلى السّماوات).

---

(١) نشر بجريدة وطنى فى عددها الصادر بتاريخ ١٦ من يونيه ١٩٩١م ـ ٩من بؤونه ١٧٠٧ش.

نقول إنه (**تألَّم وقُبر**)، ولا نقول إنه مات، لأننا فى قانون الإيمان نعلن إيماننا بالمسيح الإله أنه نزل من السَّماء، **فهو بوصفه إلهاً لايموت، ولكنه ذاق الموت بالجسد.**

إنّ فعل الموت لم يقع على اللاهوت وإنما وقع على الجسد، وقع على كيانه الإنسانى، لأن المسيح يجمع بين كونه إلها، وإنسانا فى الوقت نفسه.

وفعلُ الموت بالنسبة للمسيح يسوع الإنسان تمّ بمفارقة روحه الإنسانية لجسده (أسلم الرُّوح). ومع ذلك لم يفارق اللاهوت كيانه الإنسانى، بدليل أنه خرج منه بعد موته دم وماء مفترقين، الأمر الذى لا يمكن أن يحدث للإنسان بعد موته. وهو ما أثار لونجينوس قائد المائة المشرف على عملية الصَّلب، (والذى كان واقفا تجاهه، والذين كانوا معه يحرسون يسوع، فحين رأوا الزلزال وما حدث خافوا خوفا عظيما قائلين : (حقا كان هذا الإنسان هو ابن الله) (متى ٢٧ : ٥٤)، (مرقس ١٥ : ٣٩).

ويروى الإنجيل للقديس يوحنا فى دقة خروج الدم والماء من جسد المسيح بعد موته، مبيّنا وشارحاً أهمية هذه الواقعة ودلالتها اللاهوتية فى أن المسيح وقد وقع على جسده فعل الموت، وأما لاهوته فلم يفارق ناسوته بالموت، أى أنه فيما كان ميتا بجسده كان حياً بلاهوته، ولذلك اندفق من جسده بعد موته الدم والماء متميزين مما يدل قطعا على أنه كان حيّاً بلاهوته فيما كان ميتا بجسده.

قال الإنجيل (ولئلا تبقى الأجساد على الصليب يوم السَّبت، لأَن يوم السبت هذا كان عظيماً، طلب اليهود إلى بيلاطس أن يكسروا سيقانهم ويرفعوهم. فجاء الجند وكسروا ساقى أول اللذين كانا مصلوبين معه، ثم كسروا ساقى الآخر. **وأمّا يسوع فلما جاءوا إليه وجدوه قد مات**، فلم يكسروا ساقيه. إلاّ أنّ واحدا من الجند طعن جنبه بحربة، فخرج منه على الفور دم وماء - والذى أبصر ذلك قد شهد (وهو القديس يوحنا الرسول الذى كان واقفا تحت الصليب) وشهادته حق، وهو يعلم أنه قال الحق، لتؤمنوا أنتم) (يوحنا ١٩ : ٣١ - ٣٥).

ومجمل القول **إنّ يسوع المسيح مات بصفته إنسانا، وما مات بصفته إلهاً. وموته كإنسان كان ضرورة لإتمام عمل الفداء والخلاص الذى كان ينتظره آدم** وكل ذريته. وقد قال المسيح يسوع (**من أجل هذا أتيت إلى هذه الساعة**) (يوحنا ١٢ : ٢٧).

جاء فى الكتاب المقدس (لأنَّه لما كُنَّا ضُعفاء، مات المسيحُ فى الوقت المعيَّن من أجل الخاطئين... ولكنَّ اللهَ قد برهَنَ عن محبَّتِه لنا، إذ أنَّنا، وقد كُنَّا بعدُ خطأة، مات المسيحُ عنَّا) (رومية ٥ : ٦ - ٨).

وأمَّا الموت الذى وقع على يسوع بصفته إنسانا، فهو فى حقيقته **مفارقة بين الروح والجسد اللذين تتألف منهما إنسانيته ولكن مع عدم مفارقة اللاهوت لكل من الروح والجسد**. فالمفارقة كانت فى إطار الناسوت بين الروح والجسد. **أما اللاهوت فلم يفارق الجسد ولم يفارق الروح، بل ظل الاتحاد قائماً بين اللاهوت والناسوت على الرغم من المفارقة الجزئية بين الروح الإنسانية والجسد** - مثلما نفصل بين فلقتين لحبة من ذوات الفلقتين موضوعة فى كوب ملئ بالماء - فالفلقتان افترقتا من بعضهما لكنهما لم تخرجا من كوب الماء. **هكذا المفارقة بين الروح والجسد فى ناسوت المسيح كانت مفارقة داخلية بين مركّبى الناسوت. أما اللاهوت فظل متحدا بهما معاً وهما مفترقان**. قال المسيح له المجد يؤكد سلطان لاهوته فى بذل جسده وحياته لمهمة الفداء (أبذل نفسى... ما من أحدٍ ينتزعها منى، وإنما أبذلها أنا وحدى من ذاتى، فلى سلطان أن أبذلها، ولى سلطان أن أستردها) (يوحنا ١٠ : ١٨).

أما الذين قالوا إنّ المسيح لم يمت على الصليب، وإنه أُصيب فقط بالإغماء أو إنه كان يتظاهر بالموت، فلعلهم قصدوا أن ينفوا الموت عنه كإله، ولكنهم خانهم التعبير الدقيق، عن حقيقة موته كإنسان، وأنه (ذاق الموت بالجسد) فقد كان موته كإنسان ضرورة لإتمام عمل الفداء، فهو لم يمت عن ضعف وإنما مات وفقا لتدبير محكم (لأنه ليس لأحد بغيره الخلاص).. (أعمال ٤ : ١٢) وهذا ما نردده فى صلواتنا يوم الجمعة العظيمة، جمعة الصلبوت (**يا من أظهر بالضعف ما هو أعظم من القوة**).

تباركت أيّها الرب الإله الّذى فى الصّليب إلتقت محبة الله بغير حدود مع عدله غير المحدود (**الرحمة والحق إلتقيا. العدل والسلام تلاثما. الحق من الأرض أشرق، والعدل من السماء تطلع**) (مزمور ٨٤ : ١٠، ١١).

٢٢ ـ هل الجسد الذى صلب هو بعينه الذى قام؟

سؤال : من السيد / جرجس عدلى سليمان ـ الزقازيق.

هل الجسد الذى صلب فيه ربنا ومخلصنا يسوع المسيح هو الذى قام به وصعد به ويظهر به لقديسيه أم جسد آخر نورانى؟

الجواب :

نعم إن الجسد الذى قام به رب المجد يسوع المسيح هو بعينه الجسد الذى صلب به. والدليل الواضح على هذا هو أنه عندما قام، كان جسده مثقوبا فى اليدين والرجلين فى موضع المسامير، كما كان جنبه مثقوبا فى موضع الحربة.

قال الرب يسوع لتلاميذه، عندما ظهر لهم فى العلية «انظروا إلى يدي وإلى قدمي إنى أنا هو بنفسى. جسونى وتحققوا... وفيما كان يقول هذا، أراهم يديه وقدميه» (لوقا ٢٤: ٣٩، ٤٠). انظر أيضا (يوحنا ٢: ٢٠)

وبعد ثمانية أيام من ظهوره لتلاميذه، ظهر لهم مرة أخرى، وكان توما الرسول معهم، وكان توما قد قال لزملائه الرسل «إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير، وأضع اصبعى فى أثر المسامير، وأضع يدي فى جنبه لا أومن» ـ «فجاء يسوع والأبواب مغلقة، ووقف فى الوسط، وقال: سلام لكم. ثم قال لتوما: هات اصبعك إلى هنا، وأبصر يديّ وهات يدك، وضعها فى جنبى: ولاتكن غير مؤمن بل مؤمنا» (يوحنا ٢٠: ٢٥ ـ ٢٧) فتقدم توما ووضع اصبعه فى أثر المسامير فى اليدين والرجلين. ولما لمس بيديه الآثار واضحة فى جسد المخلص، صرخ وقال له: ربى وإلهى. قال له يسوع : لأنك رأيتنى ياتوما آمنت. طوبى للذين لم يروا وآمنوا» (يوحنا٢٠: ٢٨، ٢٩).

ثم إن الجسد الذى صلب به المخلص، ودفن فى القبر لم ير فسادا، حتى يمكن أن يقال أنه تغير كما تتغير أجساد البشر فى القيامة العامة. وقد أوضح القديس بطرس الرسول هذه المسألة فى خطابه العظيم فى يوم الخمسين.

«أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصرى رجل قد تبرهن من قبل الله بقوات وعجائب وآيات... هذا أخذتموه... وبأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه. الذى أقامه الله ناقضا أوجاع الموت، إذ لم يكن ممكنا أن يمسك منه. لأن داود يقول فيه كنت أرى الرب أمامى فى كل حين إنه عن يمينى لكى لا أتزعزع. لذلك سر قلبى وتهلل لسانى حتى جسدى أيضا سيسكن

على رجاء. لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية، ولاتدع قدوسك يرى فسادا.... أيها الرجال الإخوة يسوغ أن يقال لكم جهارا عن رئيس الآباء داود أنه مات ودفن وقبره عندنا حتى هذا اليوم. فإذ كان نبيا وعلم أن الله حلف له بقسم أنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح أنه لم تترك نفسه فى الهاوية ولا رأى جسده فسادا. فيسوع هذا أقامه الله، ونحن جميعا شهود بذلك» (أعمال الرسل ٢ : ٢٢ ـ ٣٢)

ومن هذا النص يتضح أن القديس بطرس الرسول أبان أن نبوءة النبى عن المسيح «لاتدع قدوسك يرى فسادا» أنها لا تنطبق إلا على السيد المسيح. أما داود نفسه فقد مات ودفن ورأى جسده فسادا. وقد اتخذ القديس بطرس هذه النبوءة برهانا على قيامة المسيح وعلى أنه قام «ناقضا أوجاع الموت» وأن الموت قد انهزم أمام سلطانه إذ هو رئيس الحياة (أعمال ٣ : ١٥).

وأنه لذلك لم يكن ممكنا للموت أن يحكمه أو يمسك به «إذ لم يكن ممكنا أن يمسك منه»

وعلى ذلك فالمسيح فيما كان ميتا كان حيا بلاهوته. ولذلك، وبسبب اتحاد اللاهوت بجسده، لم ير جسده فسادا، ولم يتعفن أو يتحلل، أو يتغير على نحو ما سوف تتغير أجساد البشر فى يوم القيامة على ما يقول الوحى الإلهى «لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير، فى لحظة، فى طرفة عين، عند البوق الأخير. فأنه سيبوق فيقام الأموات عديمى فساد ونحن نتغير. لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد» (١ . كورنثوس ١٥ : ٥١ ـ ٥٣).

ونظرا لأهمية هذا الموضوع، وتوكيدا له كبرهان على قيامة المسيح بذات الجسد الذى صلب به ودفن، يقول القديس بولس الرسول «أقام الله لإسرائيل مخلصا، يسوع... ولما تمموا كل ماكتب عنه أنزلوه عن الخشبة، ووضعوه فى قبر. ولكن الله أقامه من بين الأموات... إنه أقامه من بين الأموات غير عتيد أن يعود أيضا إلى فساد....».

ولذلك قال أيضا فى مزمور آخر «لن تدع قدوسك يرى فسادا. لأن داود بعد ما خدم جيله بمشورة الله رقد وانضم إلى آبائه، ورأى فسادا. وأما الذى أقامه الله فلم ير فسادا» (أعمال الرسل ١٣ : ٢٣ ـ ٣٧).

وإذن فما دام جسد المسيح الذى دفن فى القبر لم ير فسادا، فلم تنل منه عوامل التغير، أى أنه قام بذات الجسد الذى مات ودفن، وكان اللاهوت متحدا به. وهذا هو سر عدم فساده. وعلى الرغم من إنفصاله عن الروح الإنسانية لكنه ظل باللاهوت المتحد به.

٢٣ ـ هل ظل المسيح فى القبر ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، كاملة؟

سؤال : من العزيز الابن الدكتور عماد بولس عبده ـ بنى سويف.

إنَّ المسيح قد صُلب يوم الجمعة ثم قام فى يوم الأحد... وبذلك يكون قد بقى فى القبر يومين وليلتين ـ فكيف يتفق ذلك مع قول السيد المسيح له المجد (كما مكث يونان ثلاثة أيام وثلاث ليال فى جوف الحوت، كذلك يمكث ابن الإنسان ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ فى جوف الأرض) (متى ١٢: ٤٠).

الجواب :

لقد ذهب بعض المفسّرين إلى احتساب مساء خميس العهد وهى ليلة الجمعة التى تألم فيها المسيح الفادى وعانى الحزن والاكتئاب، **من بين الثلاثة الليالى**، ولأنّ فيها صنع العشاء الربانى، وأعطى تلاميذه سرّ المائدة الربانية.

وجاء فى كتاب **الدسقولية** باللغة السريانية ما يفيد احتساب يوم الجمعة الذى صُلب فيه المخلّص حتى الساعة السادسة من النهار (الثانية عشرة ظهراً) يوما كاملاً، ومن الساعة التاسعة (الثالثة بعد الظهر) إذ أشرقت الشمس، إلى مساء الجمعة (٦ مساء) يوما ثانيا، ثم يوم السبت يوما ثالثا.

أما **الليالى الثلاثة** فيمكن أن تحتسب على النحو الآتى: من الساعة السادسة (الثانية عشرة ظهرا) إلى التاسعة (الثالثة بعد الظهر) **ليلة أولى** حيث (صارت ظلمة على الأرض كلها) (متى ٢٧: ٤٥)، (مرقس ١٥: ٣٣)، (لوقا ٢٣: ٤٤) ثم من غروب الشمس مساء الجمعة إلى نهار السبت ليلة ثانية، ثم مساء السبت حتى صباح الأحد باكرا **ليلة ثالثة** ـ وعلى هذا النحو يكون حساب الثلاثة الأيام والثلاث ليالٍ

The DIDASCALIA APOSTOLORUM IN ENGLISH, Translated from the Syriac by M.D.GIBSON, M.R.A.S., London, 1903, P.94,95

+ W.C.ALLEN, A CRITICAL AND EXEGETICAL COMMENTARY ON THE GOSPEL ACCORDING TO S. MATTHEW, Edinburgh, 1912, P. 138, 139.

انظر أيضا كتاب (القول الصحيح فى آلام السيد المسيح تأليف القديس بطرس السدمنتى - الفصل التاسع والثلاثون - القاهرة سنة ١٩٢٦ صفحة ٤٥٢ - ٤٥٩ .

على أنّ جوهر الحقيقة التى يركز عليها هذا النص المقّدس للإنجيل هو بقاء المسيح له المجد فى باطن الأرض مخفياً عن الأنظار مدة ثلاثة أيام. وفى هذا الأمر يصدق التشابه بين يونان النبى وبين المسيح له المجد. وهنا تظهر الرمزية الروحية بين الشبه والمشبّه به.

ومما له دلالة هنا أنّ بنى إسرائيل كانوا فى (**يوم الكفارة**) (**YOM KIPPUR**) (ويقع فى العاشر من الشهر السابع - اللاويين ٢٣ : ٢٧ ، ٢٨ - اللاويين ٢٥ : ٩ - ١٦ ، ٢٩ ، ٣٠) (العدد ٢٩ : ٧) يقرأون سفر يونان كلّه - لأنه فى هذا اليوم يسألون الله الغفران لمن يتوب عن خطاياه كما فعل الله مع أهل نينوى الذين تابوا بمناداة يونان (١ - ٤) انظر B Meg. 31 a - هكذا جاء فى التلمود البابلى - مدرجة ٣١ أ

. Babylonian Talmud - Megillah 31 a

. M.D. Goulder, MIDRASH AND LECTION IN MATTHEW, London, 1974, P.334

هذا هو جوهر الحقيقة التى تربط بين الرمز (وهو يونان النبّى) وبين المرموز إليه (وهو السيد المسيح له المجد)

أما مدة بقاء المخلّص فى العالم السُفلىّ مخفياً عن الأنظار **فهى ثلاثة أيام بلياليها. واليوم هو النهار والليل معاً**، وحسابه المألوف عادة هو ٢٤ ساعة. على أنّ طول النهار وطول الليل يختلفان فى الأرض كلّها بحسب الزمان والمكان. فنحن نعلم أنه فى المناطق المعتدلة يتساوى طول النهار وطول الليل فى زمن الاعتدال الربيعى وفى زمن الاعتدال الخريفى فتكون مدة كل منهما فى الاعتدالين ١٢ ساعة (أى فى ٢١ مارس، ٢٣ سبتمبر). وفيما عدا هذين اليومين يطول النهار ويقصر، ويطول الليل ويقصر بمعدل حسابى، قدره دقيقة وثلث دقيقة فى كل يوم عن سابقه أو لاحقه - فبعد الاعتدال الربيعى ٢١ مارس يزيد النهار بمقدار دقيقة وثلث دقيقة، وبالتالى ينقص الليل عن النهار بمقدار دقيقة وثلث دقيقة، إلى أن يصل طول النهار فى ٢١/ يونيه إلى ١٤ ساعة وطول الليل إلى ١٠ ساعات. والعكس فى يوم ٢٢ ديسمبر حيث يصل طول الليل إلى ١٤ ساعة والنهار إلى ١٠ ساعات ثم يأخذ طول الليل فى النقصان

بعد ٢٢/ ديسمبر وطول النهار فى الزيادة بدقيقة وثلث دقيقة حتى يوم ٢١/ مارس حيث يتعادل الليل مع النهار، فيكون كل منهما ١٢ ساعة. وكذلك الأمر بعد ٢١/ يونيه يأخذ النهار فى النقصان والليل فى الزيادة بنفس النسبة إلى يوم ٢٣/ سبتمبر، الذى فيه يتعادل مرة أخرى طول النهار مع طول الليل.

هذا فى المناطق المعتدلة. وليس الأمر كذلك فى المناطق الأُخرى من الأرض. ففى بعض المناطق قد يصل طول الليل فى بعض أيام السنة إلى ٢٤ ساعة وفى غيرها يصل طول النهار إلى ٢٤ ساعة.

وعلى ذلك، فالقضية الأساسية والقاعدة العامة المعروفة أنّ حساب اليوم فى كوكب الأرض هو ٢٤ ساعة. أما طول الليل وطول النهار فهو متغير، ولكن مجموعهما معاً هو ٢٤ ساعة. فإذا طال النهار عن ١٢ ساعة طبقا لحركة الأرض بالنسبة للشمس، نقص الليل عن ١٢ ساعة، وإذا نقص النهار عن ١٢ ساعة، زاد الليل بنفس القدر.

من هنا فإنّ كلمة (يوم) **هى النهار والليل معاً، وليست هى النهار وحده دون الليل، وإن كان طول أيهما يزيد أو ينقص وفقاً للزمان والمكان، وتبعا لحركة الأرض حول الشمس.**

لذلك فإنّ حساب المدة التى ظلّ فيها المسيح له المجد مخفياً عن أنظار الناس يجب أن يدخل فى نطاق هذا المفهوم لليوم، **وهو أنه يشمل النهار والليل معاً، فلا يُحتسب النهار منفصلاً عن الليل، ولا الليل منفصلاً عن النهار. فهما يتعاقبان بغير إنفصال أو إفتراق. وطول النهار يأخذ من طول الليل، وطول الليل يأخذ من طول النهار، لأنهما معاً كُلٌّ واحد لا يتجزأ.**

وإذا كان النصّ المقدّس فى الإنجيل قد ذكر الأيام والليالى معاً فهو من قبيل **التوكيد على مدة الثلاث الأيام**. وهذا أمر مألوف فى جميع اللغات. وللتوكيد أيضا على أنّ المقصود باليوم ليس هو النهار دون الليل، إنّما الأيام بما فيها لياليها.

ومهما يكن من أمر، فإن مدة بقاء المسيح له المجد فى باطن الأرض، هى **ثلاثة أيام بصفة عامة**، الليل فيها مكمّل للنهار، والنهار فيها مكمّل لليل، حيث أنّ النهار والليل يكمّل أحدهما الآخر فى كل يوم.

والحقيقة الثانية التى يبرزها النصّ المقدّس فى الإنجيل فيما يختص بالمدة التى ظلّ فيها المسيح فى باطن الأرض هى فى الرقم ٣ **(ثلاثة)**. فللأرقام فى تدبير سيدّ الطبيعة حكمتها. ولاشكّ أنّ للأرقام فى الدين والدنيا وضعها ومكانتها. وفى هذا الميدان يمكن أن نجد مادة غزيرة جداً، نجمعها من التأمل فى الطبيعة الجامدة والحية من جهة، وفى الكتاب المقدّس من جهة أخرى، ونستنبط منها فى عشرات الأمثلة على أنّ **(العدد) له فى سياسة الخالق حكمته العميقة**. ونحن نعلم أنّ من الفلاسفة القدامى ومنهم فيثاغورس من أقام فلسفته كلها على (العدد).

وليس هنا مجال إبراز أهمية العدد ١، والعدد ٢، والعدد ٣، والعدد ٤، والعدد ٥، والعدد ٦، والعدد ٧ والعدد ١٠، والعدد ١٢، والعدد ٤٠ الخ فى الطبيعة وفى الكتاب المقدّس، وأنّ من الظواهر الكونية والدينية ما يقوم على العدد ١ - ومن الظواهر الكونية والدينية ما يقوم على العدد ٢ ومن الظواهر الكونية والدينية ما يقوم على العدد ٣ وهكذا...

ولعله من بين الظواهر والحقائق الدينية التى تقوم على العدد ٣ هو **بقاء المسيح له المجد فى باطن الأرض ٣ ثلاثة أيام.**

وبناء على ما تقدم، يمكن أن نتبين **أنّ بقاء المسيح له المجد فى باطن الأرض ثلاثة أيام هو جوهر الحقيقة الدينية والكونية.**

على أننا على ضوء ما شرحناه فى أنّ **(اليوم) هو اليوم بنهاره وليله**، وهو أمر يختلف فيه طول كل من النهار والليل وفقاً للزمان والمكان بحسب حركة الأرض حول الشمس، لا نتوقع فى حسابنا أن يكون بقاء المسيح فى باطن الأرض هو ٧٢ ساعة كاملة (على أساس ٣ × ٢٤ ساعة = ٧٢).

أما أولاً فلأن **أى جزء من اليوم هو اليوم كله**، وهذه حقيقة مقررة فى جميع اللغات. وذلك مرده إلى تداخل **النهار فى الليل، والليل فى النهار بحيث يصعب الفصل بينهما وتحديد الحدّ الفاصل بينهما**. وعلى ذلك فقد يقول قائل: (قابلت (اليوم) صديقى فى المدينة)، فاليوم هنا **هو أى جزء من اليوم، حتى لو كان ساعة واحدة**. وكذلك إذا قال قائل منذ **ثلاثة أيام** حدث هذا الحادث أو ذلك، فلا نتطلب فى حساب هذه الأيام الثلاثة أن تكون على الدقة ٧٢ ساعة.

ويبدو أنّ هذا هو فعلاً المفهوم السائد أى أنّ **الجزء من اليوم يعد كاليوم الكامل**.

من ذلك ما ورد بالكتاب المقدّس فى مواضع متفرقة:

جاء فى **سفر أخبار الأيام الثانى**: إنّ رحبعام الملك ابن الملك سليمان قال ليربعام بن نباط وشعب بنى إسرائيل (ارجعوا إلىّ **بعد ثلاثة أيام**.. فجاء يربعام وجميع الشعب إلى رحبعام **فى اليوم الثالث** كما تكلّم الملك قائلا: ارجعوا إلىّ **فى اليوم الثالث**) (٢. أخبار الأيام ١٠: ٥، ١٢) وهذا معناه أنّ عبارة (**بعد ثلاثة أيام**) فُهمت لا على أنها ثلاثة أيام كاملة أى ٧٢ ساعة، وإنما على أنها فى مدى ثلاثة أيام بحيث أنّ اليوم الثالث منها يقع فى نطاق الثلاثة الأيام.

كذلك **جاء فى سفر الملوك الأول** (فنزل هؤلاء مقابل أولئك **سبعة أيام**. ولما كان **اليوم السابع** التحمت الحرب) (١. الملوك ٢٠: ٢٩) وإذن كان اليوم السابع الذى التحمت فيه الحرب داخلاً فى نطاق السبعة الأيام التى نزل فيها الأراميون تجاه الإسرائيليين.

جاء أيضا فى سفر استير أنها قالت لمردخاى (اذهب واجمع جميع اليهود الموجودين فى شوشن، وصوموا لأجلى ولا تأكلوا ولاتشربوا **ثلاثة أيام**، ليلا ونهارا. وأنا أيضا وجوارىّ نصوم كذلك، ثمّ أدخلُ على الملك... وكان فى **اليوم الثالث** أن لبست استير ثياب الملك...) (استير ٤: ١٦)، (٥: ١). وإذن كان **اليوم الثالث** الذى دخلت فيه استير على الملك أحشويروش من بين **الأيام الثلاثة** التى صامت فيها وكل اليهود معها، ولم تكن خارجها أو بعدها.

جاء أيضا فى **الإنجيل للقديس متى**:

(اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون عند بيلاطس قائلين: (إننا نذكر ياسيّدنا أنّ ذلك المضلّ قال وهو حىٌّ **إنى بعد ثلاثة أيام أقوم**، فأصدر أمرك بحراسة القبر حراسة محكمةً حتى **اليوم الثالث**، لئلا يأتى تلاميذه ليلا ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام من بين الأموات) (متى ٢٧: ٦٢ - ٦٤) وإذن لقد كان **اليوم الثالث** بالنسبة لرؤساء الكهنة هو فى نطاق ما وعد به المسيح بدليل أنهم طالبوا بيلاطس بحراسة القبر **حتى اليوم الثالث** فقط، وليس بعد الأيام الثلاثة.

وجاء فى **الإنجيل للقديس مرقس** (وبدأ يعلّمهم أن ابن الإنسان ينبغى أن يتألم كثيرا ويُمتهن من الشيوخ ومن رؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل **وبعد ثلاثة أيام يقوم**) (مرقس ٨: ٣١)

بينما جاء بعد ذلك قوله (لأنه كان يعلّم تلاميذه قائلا لهم: (أن ابن الإنسان سوف يُسلَّم إلى أيدى الناس فيقتلونه، **وفى اليوم الثالث يقوم**) (مرقس ٩: ٣١)، (ولسوف يُسلَّم ابن الإنسان إلى رؤساء الكهنة وإلى الكتبة فيحكمون عليه بالموت ويُسلّمونه إلى الوثنيين، فيهزأون به ويبصقون عليه ويجلدونه ثم يقتلونه، **وفى اليوم الثالث يقوم**) (مرقس ١٠: ٣٣، ٣٤).

كذلك جاء فى **الإنجيل للقديس لوقا** (ولما بلغ الطفل **يومه الثامن**، وهو اليوم الذى ينبغى فيه ختانه..) (لوقا ٢: ٢١) ويلاحظ أن نصّ الوصيّة الإلهية إلى إبراهيم هى (**ابن ثمانية أيام يُختن منك كلُّ ذكر** فى أجيالكم) (التكوين ١٧: ١٢)

وبالإجمال فهذا هو المعمول به فى حساب الأيام **أن بعض اليوم أو جزءا منه هو كاليوم الكامل تماما قياسا على قاعدة أن الجزء يعبر عن الكل، والكل يطلق على البعض، والبعض يطلق على الكل**، وهو ما يسمونه فى اللغة (بالمجاز المرسل).

ثانيا - إنّ المسيح له المجد قال مرارا وتكرارا إننى (**فى اليوم الثالث أقوم**). وهذا ينفى نفيا جازما احتساب الثلاثة الأيام كاملة أى ٧٢ إثنتين وسبعين ساعة كاملة. لأنه لو كان بقاء المخلّص فى باطن الأرض ثلاثة أيام كاملة (٧٢ ساعة) لكانت قيامته تصير فى اليوم الرابع، لا فى اليوم الثالث:

جاء فى **الإنجيل للقديس متى**:

(ومنذ ذلك الوقت بدأ يسوع يُبيّن لتلاميذه أنه ينبغى أن يمضى إلى أُورشليم ويُعانى آلاماً كثيرة من الشُيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتَل ثم **فى اليوم الثالث يقوم**) (متى ١٦: ٢١)

(وفيما هم راجعون إلى الجليل، قال لهم يسوع: (إنّ ابن الإنسان سوف يُسلَّم إلى أيدى النّاس، فيقتلونه. **وفى اليوم الثالث يقوم**) (متى ١٧: ٢٢، ٢٣).

(وقال لهم: (ها نحن أولاء صاعدون إلى أورشليم. ولسوف يُسلَّم ابن الإنسان إلى رؤساء الكهنة وإلى الكتبة فيحكمون عليه بالموت، ويُسلّمونه إلى الوثنيين ليهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه **وفى اليوم الثالث يقوم**) (متى ٢٠: ١٨، ١٩).

وجاء فى **الإنجيل للقديس مرقس**:

(لأنه كان يُعلّم تلاميذه قائلاً لهم : (إنّ ابن الإنسان سوف يُسلَّم إلى أيدى النّاس فيقتلونه، **وفى اليوم الثالث يقوم**) (مرقس٩: ٣١)

(ولسوف يُسلَّم ابن الإنسان إلى رؤساء الكهنة وإلى الكتبة فيحكمون عليه بالموتِ ويسلمونه ويجلدونه ثم يقتلونه **وفى اليوم الثالث يقوم**) (مرقس ١٠: ٣٣، ٣٤).

(لابُدَّ لابن الإنسان أن يتألَّم كثيرا وأن يَنبذه الشّيوخُ ورؤساءُ الكهنةِ والكتبة ويقتلوه **وفى اليوم الثالث يقوم**) (لوقا ٩: ٢٢).

(فإنهم سيسلّمونه إلى الوثنيين، ويهزءون به ويُهينُونَهُ ويَبصُقُون عليه. وبعد أن يَجلِدوه يَقتُلونَه **وفى اليوم الثالث يقوم**) (لوقا١٨: ٣٢، ٣٣).

وجاء فى **الإنجيل للقديس لوقا:**

(اذكرنَ ما كلمكُنَّ به وهو بعدُ فى الجليل، قائلا إنَّ ابن الإنسان ينبغى أن يُسلَّم إلى أيدى أُناس خُطاةٍ ويُصلبَ **وفى اليوم الثالث يقوم**) (لوقا ٢٤: ٦، ٧).

(وقال لهم: هكذا هو مكتوب، وهكذا كان ينبغى أن يتألَّم المسيح ثم يقوم **من بين الأموات فى اليوم الثالث**) (لوقا ٢٤: ٤٦).

انظر أيضا (أعمال الرسل ١٠: ٤٠)، (متى ٢٧: ٦٤)

وإذن قد بقى المسيح له المجد فى باطن الأرض ثلاثة أيام، وفى اليوم الثالث قام من بين الأموات - الحقيقة واحدة ولاتعارض ولاتناقض فيها. فإن قيامته له المجد فى اليوم الثالث لا تنفى أنه ظل فى باطن الأرض ثلاثة أيام.

وعلى هذه القاعدة نقيم نحن فى الكنيسة **صلاة الثالث للمتوفى فى اليوم الثالث لوفاته**، فإذا وقعت وفاته قبل غروب الشمس بساعة واحدة، دخل يوم وفاته فى حساب الثلاثة الأيام **باحتساب أىّ جزء من اليوم يوما كاملاً**. فإذا وقعت وفاته مثلاً فى أى ساعة قبل غروب يوم الجمعة أقيمت صلاة الثالث فى يوم الأحد - ولو وقعت وفاته قبل غروب الأحد بساعة واحدة أقيمت صلاة الثالث يوم الثلاثاء وهكذا...

٢٤ - أين ذهبت روح المسيح بعد الصلب؟

سؤال : من أحد القراء.

أين ذهبت روح السيد المسيح بعد الموت على الصليب؟

الجواب :

روح السيد المسيح الإنسانية، عندما انطلقت من جسده (متى٢٧: ٥٠)، (مرقس ١٥: ٣٧)، (لوقا ٢٣: ٤٦)، (يوحنا١٩: ٣٠) مضت وهى متحدة باللاهوت إلى العالم السفلى، إلى الجحيم، لتبشر الأرواح المحبوسة هناك بالخلاص، وبالعتق من أسر إبليس وعبودية الجحيم.

ولذلك يسمى يوم السبت الذى قضاه المسيح هناك بسبت النور، على الرغم من أنه كان هو السبت الحزين بالنسبة لتلاميذ المسيح «وقد كانوا ينوحون ويبكون» (مرقس ١٦: ١٠) «وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود» (يوحنا ٢٠: ١٩) لكنه يسمى «بسبت النور» بالنسبة للقديسين فى العالم السفلى، فى الجحيم حيث كانوا منتظرين إطلاق سراحهم من الحبس وخلاصهم من بيت السجن، إذ كانوا جالسين فى الظلمة (إشعياء ٤٢: ٧) متوقعين الفداء، فدخل المسيح إليهم فأشرق عليهم بنوره، «الشعب الجالس فى الظلمة أبصر نورا عظيما، والجالسون فى أرض الموت وظلاله أشرق عليهم نور» (متى ٤: ١٦)، (إشعياء٩: ١، ٢)، (لوقا ١: ٧٩)

كما يسمى بـ «سبت الفرح» لأن أرواح القديسين المنتظرين الخلاص والذين نظروا المواعيد من بعيد وصدقوها وحيوها (العبرانيين ١١: ١٣)، فرحوا بالخلاص الذى حققه المسيح بعمل الفداء. وقد قال السيد المسيح «أبوكم إبراهيم اشتهى متهللا أن يرى يومى، فرأى وفرح» (يوحنا ٨: ٥٦)

وليس الحوار الذى يجرى فى كنائسنا ليلة عيد القيامة، والأنوار مطفأة، والظلام دامس، بين الكهنة فى داخل الهيكل وخارجه، إلا صورة للحوار الذى جرى فى العالم السفلى بين حراس بوابات الجحيم من داخل، وبين الملائكة الذين صحبوا المسيح فى رحلته إلى العالم السفلى بعد موته على الصليب

فالملائكة من خارج ينبهون الملائكة الواقفين على حراسة بوابات الجحيم يقولون لهم ثلاث مرات «المسيح قام» فيجيبون بأنهم يعلمون ذلك «وأنه بالحقيقة قام»

عندئذ يقول الملائكة المصاحبون لرب المجد مخاطبين حراس بوابات الجحيم «افتحوا أيها الملوك أبوابكم، وارتفعى أيتها البوابات الدهريات» (مزمور ٢٣ : ٧) فلا يجيبونهم من هول المفاجأة فيقولون لهم ثانية «افتحوا أيها الملوك أبوابكم، وارتفعى أيتها البوابات الدهريات» فلا يجيبونهم أيضا. وعندئذ يصيح الملائكة المصاحبون لرب المجد بأمر وقوة «افتحوا أيها الملوك أبوابكم وارتفعى أيتها البوابات الدهريات ليدخل ملك المجد» (مزمور ٢٣ : ٧، ٩) فيجيبهم حراس بوابات الجحيم قائلين: «من هو هذا ملك المجد؟» (مزمور٢٣ :٨، ١٠) فيجيبهم الملائكة قائلين: «الرب، العزيز، القوى، الجبار، القاهر فى الحروب هو ملك المجد» (مزمور ٢٣ : ٨، ١٠) وحينئذ يقرعون باب الهيكل، فيفتح الباب وتضاء الأنوار، تمثيلا لإقتحام المسيح الجحيم وكسر أبوابه، ودخوله، وإذ يدخل يضئ الجحيم بنوره، ويعتق الأسرى من القديسين ويسبيهم ويمضى بهم معه إلى الفردوس.

وهذا الحوار والحدث تعبر عنه الترنيمة التى تسمى البرلكس التى نرتلها ليلة عيد القيامة، والتى مطلعها «ياكل الصفوف السمائيين، رتلوا لإلهنا بنغمات التسبيح، وابتهجوا معنا اليوم فرحين، بقيامة السيد المسيح،، ويجئ فيها:

«وسبى الجحيم سبيا، وحطم أبوابه النحاس، وكسر متاريسه الحديد كسرا، وأبدل لنا العقوبة بالخلاص»

«وأعاد آدم إلى الفردوس، بفرح وبهجة ومسرة، هو وبنوه الذين كانوا فى الحبوس، محل النعيم دفعة أخرى».

وقد جاء فى سفر المزامير، بروح النبوءة ماصنعه المسيح له المجد، باقتحامه الجحيم، وإطلاق المأسورين من القديسين فيه:

«الجلوس فى الظلمة وظلال الموت موثقين بالذل والحديد... صرخوا إلى الرب فى ضيقتهم، فخلّصهم من شدائدهم. أخرجهم من الظلمة وظلال الموت، وقطع قيودهم فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبنى آدم، لأنه كسر مصاريع نحاس، وقطع عوارض حديد» (مزمور ١٠٦ : ١٠ - ١٦).

٢٥ ـ لماذا المطانيات فى يوم الجمعة العظيمة ؟

سؤال : من الابن / أيوب أنور سامى، والابنة استير أنور سامى ـ قرية المرين ـ مركز أرمنت.

يقولان : جاء فى كتاب ترتيب أسبوع الآلام : يضرب المؤمنون ١٠٠مائة مطانية لكل جهة، ثم بعد ذلك يضربون ١٢ إثنتى عشرة مطانية إلى جهة الشرق، فالرجاء شرح هذا الطقس ومعناه.

الجواب :

فى هذا اليوم (الجمعة العظيمة) الذى تمّ فيه عمل الفداء والخلاص بصلب المسيح له المجد وموته نيابة عن آدم وبنيه، بوصف أنّ المسيح يسوع وهو الله الذى ظهر فى هيئة إنسان، ولبس صورة الجسد، ليكون الحمل الذى حمل خطيئة آدم وجميع ذريته الذين سرت إليهم وفيهم لوثة الخطيئة الأصلية، وصاروا فى حاجة إلى المخلِّص والفادى الذى ينوب عنهم، ويقبل فى جسده حكم الموت الذى صدر عليهم، (التكوين ٢ : ١٧)، (٣ : ١١، ١٧، ٢٣)، وبهذا يفديهم من الموت ويحييهم، ليستردوا من جديد صورة البهاء التى خلق الله عليها آدم و «يردهم ويعيدهم إلى رتبتهم الأولى» (القداس الغريغورى) ولم يكن من سبيل آخر للخلاص غير هذا الذى صنعه المسيح الرب وذلك من فيض محبته للبشر، هذه المحبة الفائقه غير المحدودة واللانهائية «لأنه إلى هذا المدى أحب الله العالم» (يوحنا ٣ : ١٦) «فما من حب أعظم من أن يبذل أحد نفسه عن أحبائه» (يوحنا ١٥ : ١٣) «والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف» (يوحنا ١٠ : ١١) «إنى أبذل نفسى، كى استردها» (يوحنا ١٠ : ١٧).

فى هذا اليوم، يوم الجمعة العظيمة، الذى تمّ فيه الخلاص وعمل الفداء، تقف الكنيسة، كهنة وشمامسة وشعبا، لتشكر إله الآلهة وتُسبِّحُهُ على أعمال محبته، والثمن الغالى الذى اشترانا به، فصرنا ملكا له، وتمجِّده على الخلاص الذى أنجزه للمؤمنين به، ولكنها بضراعة وابتهال تطلب أيضا الإنعام بالخلاص لجميع الخلق فى العالم بأسره، شرقا وغرباً وشمالاً وجنوباً.

والكنيسة المفدية بدم المسيح، وهى تُقِّر بفضل الذى فدانا وإنعامه، تُقَدِّم ضراعتها وابتهالها بالخضوع والإمتنان، والإتضاع، بالسجود والإكرام، والمطانيات.

والمطانيات جمع **مطانية**، والمطانيات هى **ركعات وسجدات** أمام العزة الإلهية تعبيرا عن الإتضاع والعبودية لخالق السماوات والأرض ومالك الأكوان وحاكمها، وتذلُّلا أمام عظمته

تعالى، وتعبّدا له واسترحاما واستغفارا، وإقراراً بجلالته وسيادته. «أمامه تجثو أهل البرية... ويسجد له جميع الملوك، وتتعبد له كل الأمم» (مزمور ٧١: ٩ - ١١).

على أنّ المطانية تحمل أكثر من معنى فلئن كان معناها الظاهر «سجدة» إلى الأرض، بالرُكوع وخفض الرأس ووضع الجبهة على الأرض، تعبّداً وخشوعاً وأدباً واحتراماً وتكريماً لله جلّ جلاله، لكنها فى عمق معناها هى تعبير عن **(التوبة)** والندم على الخطايا والزلّات والتعديات على الوصايا الإلهية، ذلك أنّ المطانية هى فى اشتقاقها اللغوى كلمة قبطية ويونانية METANIA تفيد معنى **(التوبة)** وبتعبير آخر هى تغيير إتجاه الفكر والشعور والنية والقصد، وبالتالى فهى **(النَدَم)** على الماضى الأثيم **والتأسف** على ما صنع الإنسان من خطايا وشرور. على أنّ الندم هو ندم الإنسان كله، **روحاً وجسداً**، **(فالروح)** تستغفر بكل ما فيها من إحساس وشعور ونيّة وقصد، **(والجسد)** ينحنى ويُطأطِئُ الرأس ويرتمى على الأرض، ويَخِرُّ بالإنثناء والركوع ووضع الجبهة على الأرض..

على أنّ الكنيسة فى (يوم الجمعة العظيمة) تنوب عن النّاس جميعا فى استرحامها وتذللها أمام سيّد الخليقة كلها.

لكنها لا تستغفرُ عن الماضى فحسب، ولكنها **تستمطر مراحم الله على كل الخليقة.** ومن هنا معنى إتّجاهها فى المطانيات إلى جميع الإتجاهات الأصلية الأربعة : **(الشرق والغرب، والشمال والجنوب)**، أى فى جميع الإمتدادات إلى نهاية العالم والوجود المادى والمعنوى.

إنها تسأل الله العظيم القدير أن يمد آفاق مراحمه لتشمل الناس وكل الخليقة، فهى بوصفها **(الأمّ)** الرحيمة **ترجو وتطلب خلاص الله لجميع الناس كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، العالِم منهم والجاهل، الأبرار منهم والأشرار.**

ومع أنّ الكنيسة تأمر أبناءها أن يتجهوا فى صلواتهم إلى **(الشرق)** دائماً، من حيث أنّ الشرق هو مطلع الأنوار «وتُشرِقُ لكم أيها المتّقون لإسمى شمس البِرّ والشفاء فى أجنحتها» (ملاخى ٤: ٢)، لكنها فى يوم الجمعة العظيمة تتجه إلى جميع الإتجاهات الأصلية معلنة **وجود الله فى كل مكان، وتستمطر مراحم الله على كل الخليقة فى كل مكان، وتسأل الله الخلاص الأبدى لجميع الناس فى كل مكان.**

ومع ذلك وتمشياً مع منطق الشروق وإعلان مجد المسيح من الشرق، وصعوده إلى السماء نحو الشرق ،رنّموا لله الذى صعد إلى سماء السماوات نحو المشارق، (مزمور ٦٧ : ٣١) تبدأ المطانيات متجهة إلى (**الشرق**) أولا، بمائة مطانية، ثُمّ بعد ذلك إلى (**الغرب**) بمائة مطانية، ثم إلى (**الشمال**) (البحرى) بمائة مطانية، ثمّ إلى (**الجنوب**) (القبلى) بمائة مطانية. وأخيرا نعود إلى (**الشرق**)، بإثنتى عشرة مطانية.

ولماذا (المائة) ؟

نعم إنّ (**المائة**) من أعداد الكمال، وقال المسيح له المجد فى تدبير الخلاص ،رجل كان له **مائة** خروف ثمّ ضلّ واحدٌ منها ...، (متى ١٨ : ١١، ١٢) فهى تستمطر مراحم الله كاملة على كل الخليقة، وفى جميع الإتجاهات بالتساوى، وبغير إنحياز، أو ميل لشعب دون آخر. إنها تطلب الخلاص لجميع النّاس، وفى كل إتجاه بكل إمتدادات الإتجاهات الأصلية فى ملكوت الله العظيم وجلال إقتداره.

ثم يعودُ المؤمنون إلى (**الشرق**)، **بإثنتى عشرة مطانية.**

أما العودة إلى (الشرق)، فلأنّ (**الشرق**) هو قِبلَتهم وإتجاههم، وعندما خلق الله الجنّة ،غرسها فى عدن **شرقا**، ووضع هناك آدم الذى جبله، (التكوين ٢ : ٨)، (حزقيال ٢٨ : ١٣).

وأما رقم (١٢) فهو أيضا من **أعداد الكمال**.

وجاء فى سفر الجليان ـ الرؤيا عن (شجرة الحياة) التى سيكون للقديسين الغالبين سلطان أن يأكلوا منها فيحيون إلى الأبد (الجليان ـ الرؤيا ٢٢ : ١٤) أنها ،تثمر **إثنتى عشرة** ثمرة، وتُعطِى فى كل شهر ثمرها، وورق الشجرة لشفاء الأمم، (الجليان ـ الرؤيا ٢٢ : ٢).

وأورشليم السمائية الموعود بها للمؤمنين القديسين لها سُورٌ عظيم شامخ ولها **إثنا عشر بابا**، **وعلى الأبواب إثنا عشر ملاكا**، وعليها أسماءٌ مكتوبةٌ وهى أسماء أسباط بنى إسرائيل **الإثنى عشَرَ**. إلى **الشرق** ثلاثة أبواب، وإلى الشّمال ثلاثة أبواب، وإلى الجنوب **ثلاثة أبواب**، **وإلى الغرب ثلاثة أبواب. ولسور المدينة إثنا عشر أساسا** كُتبت عليها أسماءُ رسل **الحمل الإثنى عشَرَ**... والمدينةُ مربّعة، وطولها قدرُ عرضها. فقاسَ المدينةَ بالقصبة فكانت **إثنى عشر ألف غلوة**، وهى متساوية الطول والعرض والارتفاع ثمّ قاس عرض السور، فتبيّن أنّه يساوى **مائة وأربعا وأربعين** (مضاعف ١٢) ذراعا بطول ذراع الإنسان.

وأساسات سور المدينة مزينة بكل حجر كريم. الأساس الأول يشب.. **الثانى عشر** جمَشتٌ. أما الأبواب **الإثنا عشَرَ فهى إثنتا عشرَةَ لؤلؤة**، كل باب منها لؤلؤة واحدة.. ولا حاجة للمدينة إلى نور الشمس ولا إلى القمر ليُضيئا فيها، لأنَّ مجدَ الله يُنيرها والحملُ مصباحها. وستمشى شعوب المخلَّصين فى نورها،.. وأبوابها لن تُغلقَ نهاراً لأنَّ الليل لا يأتى عليها وستُحمل إليها كنوز الأمم وأمجادها، ولن يدخلها شئ نجس ولا مايصنع رجساً وكذبا إلا المكتوبين فى سفر الحياة للحمل. (الجليان ـ الرؤيا ٢١ : ١٠ـ ٢٧).

٢٦ ـ كفن السيد المسيح فى تورينو

سؤال : من العزيز الإبن الشماس / باسم ناجى شاكر عبد الملك الجاولى ـ أسيوط.

إذا كان كفن السيد المسيح لايزال فى إيطاليا، وماهو هذا المكان ؟

الجواب :

نعم، إنّ كفن السيد المسيح لايزال فى مدينة تورينو (TURIN (ITAL. TORINO بإيطاليا، وهو معروض فى الكاتدرائية وفوق المذبح الكبير لكى يراه كل أحد ـ ومازالت أفواج كثيرة من البشر تتوافد يومياعلى الكاتدرائية من كل بلاد العالم، بالمئات والألوف وعشرات الألوف ـ كذلك هناك لوحات كبيرة تبلغ نحو الثلاثين لوحة معروضة فى فناء المدرسة اللاهوتية المجاورة للكاتدرائية، كل منها يعرض جزءا من صورة الكفن المعروض كاملاً بالكاتدرائية ـ فمثلاً **لوحة** لبيان مكان الحربة التى طُعن بها السيد المسيح وهو على الصليب فى جنبه الأيمن، ومكانها بين الضلع الخامس والضلع السادس من جنبه الأيمن فى القفص الصدرى ـ **ولوحة أخرى** لبيان الكدمات الكثيرة الظاهرة على ظهر مخلّصنا بفعل المقرعة الثلاثية التى جُلد بها على ظهره ـ **ولوحة ثالثة** لبيان موضع المسامير فى اليدين والقدمين وأنّ كلاً من مسمارى اليدين دقوه فى الرُّسغ (وهو المفصل ما بين الساعد والكف) ـ **ولوحة رابعة** لبيان موضع المسمار فى القدمين، وأن إحدى الرجلين وُضِعَت على الصليب والأخرى فوقها، وأما المسمار فقد دقوه فى مفصل القدم العليا فاخترق مفصل القدم الأخرى، أى أن مسمار القدمين كان مسمارا واحدا كبيرا إخترق مفصل القدمين معاً...

على أن جميع هذه اللوحات التوضيحية أُخذت عن الكفن المعروض بالكاتدرائية بعد المؤتمر العلمى الذى عقده العلماء من مختلف التخصصات فى ٦ من اكتوبر عام ١٩٧٨ وأقروا بالإجماع حقيقة هذا الكفن وأنه بالفعل هو كفن السيد المسيح.

أما اللوحات المعروضة بالمدرسة اللاهوتية فكل منها مشروح شرحاً علميا دقيقا وبخمس لغات هى الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية، والأسبانية.

فالكفن مازال معروضاً واللوحات الإيضاحية أيضا. والطريق مفتوح أمام كل من يرغب فى أن يرى بنفسه هذه القطعة الأثرية الثمينة.

ونعمة الرب تشملكم،،،

٢٧ - إلهى إلهى لماذا تخليت عنى ؟

سؤال : من أحد القراء.

لماذا قال السيد المسيح له المجد على الصليب : إلهى إلهى لماذا تركتنى، ولم يقل أبى أبى لماذا تركتنى ؟

الجواب :

هذه العبارة «إلهى إلهى لماذا تركتنى» أو بالأحرى «لماذا تخليت عنى» عبارة وردت فى مطلع المزمور الواحد والعشرين، وهو المزمور الذى يصف آلام السيد المسيح وعذاباته ويعددها واحدة بعد الأخرى، وكأن صاحب المزمور واقف تحت صليب المسيح يشهد آلامه ويصفها وصف العيان، حتى وصفه بعض علماء الكتاب المقدس بأنه النبى الإنجيلى. من ذلك قوله :

«كل الذين يرونني يستهزئون بى. يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين : اتكل على الرب، فلينجه. لينقذه لأنه سر به... أحاطت بى ثيران كثيرة، أقوياء باشان اكتنفتنى. فغروا علي أفواههم كأسد مفترس مزمجر. كالماء إنسكبت. إنفصلت كل عظامى. صار قلبى كالشمع. قد ذاب فى وسط أمعائى. يبست مثل شقفة قوتى، ولصق لسانى بحنكى... لأنه قد أحاطت بى كلاب. جماعة من الأشرار إكتنفتنى. ثقبوا يدى ورجلى. أحصى كل عظامى. وهم ينظرون ويتفرسون فىّ . يقسمون ثيابى بينهم، وعلى لباسى يقترعون...»

وكأن السيد المسيح، وهو ينطق بهذه العبارة «إلهى إلهى لماذا تخليت عنى» وهو على الصليب، (متى ٢٧ : ٤٦)، (مرقس ١٥ : ٣٤) يُذكّر قادة اليهود، حفظة الشريعة أن جميع ما يحدث له، سبق للنبى أن أنبأ عنه فى المزمور، وهو إذ يذكر العبارة الأولى من المزمور، ينبه إلى المزمور كله الذى تكلم بالتفصيل عن صلب المسيح وآلامه جميعا. ولما كان داود النبى لم تثقب يداه أو رجلاه، ولم يقتسموا ثيابه، أو يلقوا على لباسه قرعة، ولم يعان اليبوسة فى حلقه ولسانه ما عاناه المسيح على الصليب حتى قال «أنا عطشان» ولا أصاب قلبه ما أصاب المسيح فى قلبه وهو مصلوب.. فقد ظهر من ذلك، أن ماجاء فى المزمور الحادى والعشرين كان نبوءة عن السيد المسيح الفادى المصلوب.

وإذن فالسيد المسيح بترديده عبارة «إلهى إلهى لماذا تخليت عنى» إنما يُذّكر قادة اليهود بالمزمور الحادى والعشرين، وما اشتمل عليه هذا المزمور من تفصيلات قيلت عن المسيح بروح

النبوءة... لعله بذلك ينبه اليهود إلى أنهم إذ يصلبونه، ينفذون خطة التدبير التى سبق النبى فأنبا عنها.

أما كيف يقول المسيح له المجد «إلهى إلهى» بينما هو ذاته هو الله متجسدا، فلأنه قد اتخذ إنسانية كاملة، فيمكنه أحيانا أن يتكلم عن ذاته بصفته إنسانا مع أنه فى ذات الوقت إله. فبصفته الإنسانية يمكن أن يناجى الآب، إلهى إلهى، وعلى هذا النحو قال لمريم المجدلية بعد قيامته من بين الأموات «إذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم» (يوحنا ٢٠: ١٧).

٢٨ ـ إعتراف اللص اليمين كان سابقاً للظواهر الطبيعية

نيافة الحبر الجليل جزيل الإحترام الأنبا .....

بعد المصافحة الأخوية، والقبلة الرسولية، أرجو لنيافتكم موفور الصحة.

لقد سرتنى ملاحظة نيافتكم على ما قلناه عن اللص اليمين، وأنه لابد أن **نطق باعترافه** الجميل فى **لحظة صفاء نفسى**، فأشرقت على قلبه هذه المعرفة الروحية. وأما قولنا فى صلاة الساعة التاسعة (لما أبصر اللص رئيس الحياة على الصليب معلقاً قال : لولا أن المصلوب معنا إله متجسد، ما كانت الشمس أخفت شعاعها ولا الأرض ماجت مرتعدة...) **فهذا تعبير كنسى من وضع آباء الكنيسة توكيداً لحقيقة لاهوت المسيح له المجد ـ وضعه آباء الكنيسة بحكمة روحية على فم اللص اليمين، تثبيتا للإعتقاد فى لاهوت المسيح**، وإن كان الإنجيل لم ينص على أن عبارة اللص ديماس (اذكرنى يارب..) كانت لاحقة على إخفاء الشمس شعاعها وتزلزل الأرض ـ وإنما الذى نعلمه من الإنجيل للقديس متى أن الأرض تزلزلت والصخور تشققت بعد أن أسلم المسيح روحه.

قال الإنجيل (ثم صرخ يسوع مرة أخرى بصوت عظيم **وأسلم الروح. وإذا حجاب الهيكل** قد إنشق نصفين من أعلاه إلى أسفله، والأرض تزلزت، والصخور تشققت والقبور تفتحت) (متى ٢٧ : ٥٠-٥٢).

ومع ذلك يمكن أن يكون اللص اليمين قد **توكد إيمانه** بألوهة المسيح بالظواهر الطبيعية، فكانت الظلمة والزلزلة وسائل إيضاح أضافت إلى قلبه يقينية فى حقيقة ألوهية المسيح، تماما كما حدث لبطرس ويعقوب ويوحنا على جبل التجلىّ بعد أن نطق القديس بطرس بإعترافه المشهور بإلهام سماوى، وإعلان إلهى من قبل الآب السماوى كما قال له المسيح له المجد (ليس لحما ودما الذى كشف لك هذا، وإنما أبى الذى فى السماوات) (متى ١٦ : ١٧).

وبنفس الروح نفهم ماجاء فى أمانة اللص التى نرتلها فى يوم الجمعة العظيمة :

(أيها اللص الطوباوى، ماذا رأيت وماذا أبصرت، حتى **اعترفت** بالمسيح المصلوب بالجسد، ملك السماء، وإله الكل..

(ما رأيت المسيح إلهنا متجلياً على طور تابور فى مجد أبيه، بل رأيته معلقا على الاقرانيون، فلوقتك صرخت قائلاً : اذكرنى .... (**آمنت** لما رأيت السماء والأرض اضطربتا، والشمس

والقمر اظلمًا، والأموات قامت، والصخور تشققت، وستر الهيكل انشطر نصفين، فللوقت صرخت قائلا : اذكرنى...)

والواضح أن اللص اليمين ديماس (اعترف) بالمسيح بإعلان لروحه الصافية، وبعد ذلك توكد صحة هذا الإعتراف بظواهر الطبيعة (الشمس والقمر اظلمًا، والأرض اضطربت).

وخلاصة القول **إننا لانعلم على الحقيقة إذا كان إيمان اللص اليمين هو نتيجة للظواهر الطبيعية أم أن الظواهر الطبيعية التى حدثت قد وكدت صحة إعتراف اللص بالمسيح رباً وملكاً.** أما أمانة اللص فيمكن أن نفهمها على أنها **(تأمل روحى) جعلته الكنيسة على فم اللص، لتثبيت إيمان شعب الكنيسة والمؤمنين بحقيقة ألوهية السيد المسيح له المجد.**

وإلاّ فلماذا لم يؤمن اللص الآخر على الرغم من أن الحوادث الطبيعية هزت نفوس الكثيرين (وَكُلُّ الجموع الذين احتشدوا عند هذا المشهد لما رأوا ماحدث رجعوا وهم يقرعون صدورهم) (لوقا ٢٣ : ٤٨).

ومما له دلالة هنا أن الإنجيل للقديس لوقا يروى خبر إعتراف اللص اليمين بالمسيح رباً وملكا قبل حدوث الظلمة التى خيمت على الأرض كلها وقبل إنشطار حجاب الهيكل إلى نصفين (لوقا ٢٣ : ٣٩ ـ ٤٦).

(وأخذ أحد المجرمين المصلوبين معه يُجَدِّف عليه قائلا : (ألستَ أنت المسيح ؟ إذن خلِّص نفسك وخلِّصنا). فأجاب الآخر وانتهره قائلا : (أما تخاف الله... ثُمَّ قال ليسوع : (اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك) فقال له يسوع : (الحقَّ أقولُ لكَ إنَّكَ اليوم تكون معى فى الفردوس). ثم فى نحو السَّاعة السادسة **وقعت ظلمة على الأرض كلها حتى السَّاعة التَّاسعةِ وقد احتجبت الشمس، وانشطر حجاب الهيكل إلى نصفين)** (لوقا ٢٣ : ٣٩ ـ ٤٥).

ومهما يكن من أمر فإن أمانة اللص كما نتلوها فى يوم الجمعة العظيمة تجعل **الإيمان** لاحقا على الظواهر الطبيعية ونتيجة لها، وأما **الاعتراف** بالمسيح رباً وإلهاً وملكاً، فقد جاء سابقاً على الظواهر الطبيعية.

وبهذا كان اللص اليمين شبيها بالقديس بطرس الذى كان إعترافه بالمسيح أنه ابن الله سابقاً على التوكيد الذى وصل إليه بطرس بعد أن رأى بعينيه مجد المسيح على جبل التجلّى.

مرة أخرى أشكر نيافتكم على إثارتكم لهذه المسألة الدقيقة، راجياً صلواتكم، وداعياً لكم بدورى بالصحة والعمر الطويل فى خدمتكم الرعوية لشعبكم بخاصةٍ وللكنيسة بعامةٍ.

ونعمة الرب تشملنا جميعاً،،،

٢٩ ـ لماذا نلوم الذين صلبوه؟

سؤال : من السيد / سوريال بباوى ـ محرم بك بالأسكندرية.

لقد صلب المسيح بإرادته وبتدبير سابق ليحمل خطايا العالم بصلبوته، فلماذا نلوم الذين قدموه للمحاكمة، ولماذا نصب عليهم الويلات، وبخاصة يهوذا الإسخريوطى الذى سلمه؟

الجواب :

نعم إن المسيح له المجد قد أتى من السماء من أجل تدبير الفداء، وكان الصليب هو الضرورة التى لا مفر منها لتحقيق خلاص الإنسان. وقد قال السيد المسيح نفسه «من أجل هذا أتيت إلي هذه الساعة» (يوحنا ١٢ : ٢٧).

فلو كان الذين صلبوا المسيح فعلوا ما فعلوا من أجل خلاص العالم لكانوا يعتبرون قديسين لأنهم ساهموا فى عمل الخلاص.

لكنهم إذ حاكموه، وصلبوه لم يفعلوا ذلك بنية حسنة، وقصد خير، إنما صنعوا ما صنعوا بنية شريرة وقصد أثيم، مدفوعين ببواعث وضيعة، ومحمولين بروح الخبث، والشر، والحقد، ورغبة فى الخلاص منه. ولقد أبرزوا عداوتهم سافرة، ومثلوا به أشنع تمثيل، واحتالوا على النيل منه والكيد له، والغدر به. ولا شك أن النية والقصد لهما أهمية قصوى فى الحكم على الأفعال الإنسانية، وعلى الفاعل، لبيان خيره من شره ـ وكذلك أهمية الوسيلة التى يتذرع بها الفاعل لتحقيق هدفه وغايته.

فيهوذا الإسخريوطى لم يسلم سيده ومعلمه إيمانا منه بقضية الفداء والخلاص، وأن الرب يسوع هو المخلص وهو الفادى، وإنما سلمه إرضاء لرؤساء كهنة اليهود ولكى يقبض الثمن بموجب الإتفاق بينه وبينهم.

قال الإنجيل: وعندئذ ذهب أحد الإثنى عشر الذى يدعى يهوذا الإسخريوطى إلى رؤساء الكهنة وقال لهم: «ماذا تعطونى وأنا أسلمه إليكم؟» فاتفقوا معه على أن يعطوه ثلاثين قطعة من الفضة. ومنذ ذلك الحين أخذ يترقب فرصة ليسلمه إليهم، (متى ٢٦ : ١٤ ـ ١٦)، (مرقس١٤ : ١٠، ١١).

وإذن فقد ذهب يهوذا الإسخريوطى بنفسه إلى رؤساء الكهنة يعرض خدماته، ويبدى إستعداده لأن يبيع سيده ومعلمه فى مقابل مبلغ من المال يدفعونه له، وتمت الموافقة والصفقة

الغادرة. ويقول الإنجيل أيضاً عن رؤساء الكهنة «فلما سمعوا فرحوا ووعدوا بأن يعطوه فضة فأخذ يترقب فرصة ليسلمه» (مرقس ١٤: ١١).

ويقول الإنجيل للقديس لوقا «وإذ دخل الشيطان قلب يهوذا الملقب بالإسخريوطى، وهو أحد الإثنى عشر مضى وتحدث مع رؤساء الكهنة وقواد الجند بشأن الوسيلة التى بها يسلمه إليهم. ففرحوا واتفقوا معه على أن يعطوه فضة فواعدهم وأخذ يترقب فرصة ليسلمه إليهم بعيدا عن أعين الشعب (لوقا ٢٢: ٣ ـ ٦).

ويقول الإنجيل للقديس يوحنا إن يهوذا الإسخريوطى إستاء مما فعلته مريم أخت لعازر إذ سكبت الطيب كثير الثمن على قدمى يسوع وقال: لماذا لم يبع هذا الطيب بثلاثمائة دينار ويعط للفقراء. ويعقب الإنجيل على إعتراض يهوذا بهذه العبارة:

«قال هذا ليس لأنه كان يبالى بالفقراء، بل لأنه كان سارقاً، وكان الصندوق عنده، وكان يحمل ما يلقى فيه» (يوحنا ١٢: ٦).

وإذن تسليم يهوذا للمسيح لم يكن لهدف الخلاص، وإنما كان صفقة تجارية باع فيها سيده وخان معلمه فى مقابل ثلاثين قطعة من الفضة تساوى نحوا من أربعة جنيهات مصرية.

هذا عن هدف يهوذا وقصده ونيته. أما الوسيلة فكانت دنيئة شريرة وهى قبلة غاشة غادرة.

قال الإنجيل للقديس متى «وفيما هو يتكلم إذا يهوذا أحد الإثنى عشر قد أقبل، ومعه جمع عظيم بسيوف وعصىّ من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب.

وكان الذى سيسلمه قد أعطاهم علامة قائلاً: أنه هو الذى سأقبله فامسكوه، ثم تقدم على الفور إلى يسوع وقال له: «السلام يا معلم» وقبله.. فقال له يسوع: أهذا يا صاحبى ما جئت من أجله؟ وعندئذ تقدموا وقبضوا على يسوع وأخذوه» (متى ٢٦: ٤٧ ـ ٥٠)، (مرقس ١٤: ٤٣ ـ ٤٦).

ويقول الإنجيل للقديس لوقا «وفيما هو يتكلم إذا جماعة من الغوغاء مقبلة يتقدمها المدعو يهوذا أحد الإثنى عشر، وقد اقترب من يسوع ليقبله، فقال له يسوع: «يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الإنسان؟» (لوقا ٢٢: ٤٧، ٤٨) انظر أيضاً (يوحنا ١٨: ٢، ٣).

ولو كان يهوذا قد سلم سيده ومعلمه لهدف نبيل وغاية حسنة، من أجل خلاص العالم لما ندم على تصرفه، ولما رد الثلاثين قطعة من الفضة إلى رؤساء الكهنة، ولما مضى وشنق نفسه. قال الإنجيل «إذ رأى يهوذا الذى سلمه أنه قد صدر عليه الحكم بالموت ندم ورد الثلاثين قطعة من

الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ، قائلاً: «إنى قد خطئت إذ سلمت دما بريئاً فقالوا «مالنا وهذا؟ أنت وشأنك» فرمى بقطع الفضة فى الهيكل وانصرف، ثم مضى وشنق نفسه» (متى ٢٧ : ٣ - ٥).

وقال عنه القديس بطرس الرسول فى خطابه الذى دعا فيه إلى إختيار بديل عن يهوذا «يهوذا الذى صار دليلاً للذين قبضوا على يسوع... إقتنى حقلاً من أجرة الظلم وإذ سقط على وجهه، انشق من الوسط، فانسكبت أحشاؤه كلها.. لأنه مكتوب فى سفر المزامير: لتصر داره خراباً، ولا يكن فيها ساكن، وليأخذ وظيفته آخر» (أعمال الرسل ١ : ١٦ - ٢٠). وأما المزمور الذى اقتبس منه القديس بطرس بعض فقراته، وقد قيل بروح النبوءة عن يهوذا الإسخريوطى، فهو يشرح مسئولية يهوذا فى الشر الذى صنعه بالمسيح، وأنه ارتكبه برغبته فى الشر، لا رغبة فى خير البشرية وخلاص العالم «وضعوا علىّ شرا بدل خير، وبغضاً بدل حبى.... إذا حوكم فليخرج مذنباً، وصلاته فلتكن خطيئة. لتكن أيامه قليلة، ووظيفته ليأخذها آخر. ليكن بنوه أيتاماً، وإمرأته أرملة... من أجل أنه لم يذكر أن يصنع رحمة، بل طرد إنساناً مسكيناً وفقيراً، والمنسحق القلب ليميته، وأحب اللعنة فأتته، ولم يسرّ بالبركة فتباعدت عنه، ولبس اللعنة مثل ثوبه، فدخلت كمياه فى حشاه، وكزيت فى عظامه... هذه أجرة مبغضى، من عند الرب ، وأجرة المتكلمين شرا على نفسى....» (مزمور ١٠٩ : ٥ - ٢٠).

ولو لم يكن يهوذا الإسخريوطى قد سلم سيده عن خيانة وشر وغدر وحب فى المال، لما قال عنه الإنجيل للقديس لوقا «وإذ دخل الشيطان قلب يهوذا الملقب بالإسخريوطى» (لوقا ٢٢ : ٣)، والإنجيل للقديس يوحنا «فحين كان العشاء وقد ألقى الشيطان فى قلب يهوذا سمعان الإسخريوطى أن يسلمه» (يوحنا ١٣ : ٢، ٢٧).

ولما قال عنه رب المجد «وواحد منكم شيطان» وقال عن يهوذا سمعان الإسخريوطى، لأن هذا كان مزمعا أن يسلمه، وهو واحد من الإثنى عشر» (يوحنا ٦ : ٧، ٧١).

ولو كان يهوذا قد سلم معلمه من أجل خلاص العالم، لكان يعد أمام الله قديساً، ولما قال عنه رب المجد «الويل لذلك الرجل الذى بواسطته يسلّم ابن الانسان. كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد» وعندئذ أجاب يهوذا الذى كان مزمعاً أن يسلمه وقال: هل أنا هو يا معلم؟ فقال له : نعم أنت هو» (متى ٢٦ : ٢٤، ٢٥)، (مرقس ١٤ : ٢١).

وما قلناه عن يهوذا الإسخريوطى ومسئوليته عن خيانته لمعلمه، ينسحب على رؤساء كهنة اليهود، فإنهم لم يسلموه للوالى حبا فى خلاص البشرية، وإنما كرها وحسدا، وعن رغبة فى الخلاص منه، وحتى بيلاطس البنطي الوالى الرومانى عرف نية القوم وبواعث نفوسهم.

قال الإنجيل كان (بيلاطس) يعلم أن رؤساء الكهنة سلموه حسدا (مرقس ١٥ : ١٠)، (متى ٢٧ : ١٨).

وجاء فى سفر الأعمال قول القديس بطرس فى خطابه إلى اليهود بعد شفاء الرجل الأعرج «إن إله ابراهيم واسحق ويعقوب، إله آبائنا، مجد فتاه يسوع، الذى أسلمتموه أنتم وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس وهو حاكم بإطلاقه. ولكن أنتم أنكرتم القدوس البار، وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل. ورئيس الحياة قتلتموه» (أعمال الرسل ٣ : ١٣ ـ ١٥)، (٧ : ٥٢).

ولو لم يكن رؤساء الكهنة قد سلموا الرب يسوع حسدا، لما كانت لهم خطيئة، لكن السيد المسيح كشف عن خطيئتهم ومسئوليتهم فى صلبه بقوله لبيلاطس البنطى «الذى أسلمنى إليك له خطيئة أعظم» (يوحنا ١٩ : ١١) أى أن بيلاطس لزمه الإثم فى حكمه على المسيح بالصلب، لكن خطيئة رؤساء الكهنة كانت أعظم من خطيئة بيلاطس.

٣٠ ـ صلب المسيح تم فى الساعة السادسة أما الحكم ففى الثالثة

سؤال : من الإبن الدكتور صلاح لوقا موسى.

يقول إنه جاء فى الإنجيل للقديس مرقس «وكانت الساعةُ الثالثةُ حين صلَبوهُ» (مرقس ١٥ : ٢٥)

بينما أنه جاء فى الإنجيل للقديس متى «ومنذُ الساعةِ السادسةِ صارت ظُلمَةٌ على الأرض كلِّها إلى الساعةِ التاسعة» (متى ٢٧ : ٤٥)

وجاء فى الإنجيل للقديس لوقا: «ثُمَّ فى نحو الساعة السادسة وقعَت ظُلمَةٌ على الأرضِ كلِّها حتى الساعةِ التاسعة» (لوقا ٢٣ : ٤٤) ـ نرجو الإيضاح.

الجواب :

بمقارنة نصوص الإنجيل كما كتبها القديسون متى ومرقس ولوقا، يتضح أنَّ صُدورَ الحكمِ على المسيح بالصلب كان فى الساعة الثالثة، وهى تقابل عندنا اليوم التاسعة صباحاً. أمَّا رفع المسيح على الصَّليب فكان فى الساعة السادسة أى فى الثانية عشرة ظهراً.

ومنذ الساعة السادسة إلى التاسعة صارت ظُلمَةٌ على وجه الأرضِ كلها.

ولابدّ أن يكون ثَمَّت وقت قد مضى بين نُطق الحاكم الرُّومانى بيلاطس بالحكم، وبين إجراءات التنفيذ. يقول الإنجيل «وأما يسوعُ فجلده ثُمَّ سلَّمه ليُصلَب، فأخذَ عندئذٍ جُندُ الوالى يسوع إلى دارِ الولاية، وجمعوا عليه الكتيبةَ كلَّها، ثم نزعوا عنه ثيابه، وألبسوه رداءً قرمزياً. وضفروا تاجاً من الشوك ووضعوه على رأسه، ووضعوا قصبةً فى يمينه، ثم راحوا يجثون على ركبهم أمامه، ويهزأون به قائلين «السلام يا ملك اليهود» ثُمَّ راحوا يبصقون فى وجهه.، وأخذوا القصبة وراحوا يضربونه على رأسه، حتى إذا أوسعوه سُخريةً نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به ليصلبوه. وفيما هم خارجون وجدوا رجلاً قيروانياً اسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه، حتى إذا بلغوا موضعاً يُسمَّى الجُلجُثة، أى موضع الجمجمة، أعطوه خمراً ممزوجة بمرارة ليشرب. فلما ذاقها أبى أن يشربها. ثم صلبوه (متى ٢٧ : ٢٦ ـ ٣٥).

وجاء فى الإنجيل للقديس مرقس «وأما يسوع فجلده (الحاكم الرومانى)، ثم سلمه ليصلب. فأخذه الجنود إلى داخل دار الولاية، وجمعوا عليه الكتيبة كلها، ثم ألبسوه رداءً أرجوانياً وضفروا

تاجاً من الشوك ووضعوه على رأسه، وراحوا يحيونه قائلين: «عليك السلام يا ملك اليهود» وهم يضربونه بقصبة على رأسه ويبصقون فى وجهه، ثم يجثون على ركبهم ساجدين له، حتى إذا أوسعوه سخرية نزعوا عنه الأُرجوان وألبسوه ثيابه ومضوا به ليصلبوه. وكان بين المارة رجل قادم من الحقل يدعى سمعان القيروانى، وهو أبو الأسكندر وروفوس، فسخروه ليحمل صليبه، وأتوا به إلى موضع الجلجثة، أى مكان الجمجمة، وأعطوه خمراً ممزوجة بالمر، ولكنه لم يأخذها، ثم صلبوه» (مرقس ١٥: ١٥ - ٢٤).

وهكذا جاء فى الإنجيل للقديس لوقا بما يدل على أنه لابد أن مر وقت بين صدور الحكم بالصلب وبين مجموعة الإجراءات الكثيرة التى تمت بعد صدور الحكم إلى أن إنتهت برفع المسيح على الصليب بعد أن ثقبوا يديه ورجليه بالمسامير، وقد تم ذلك فى الساعة السادسة. وليس غريباً أو مستبعداً أن يمر نحو ثلاث ساعات بين صدور الحكم وبين رفع المسيح على الصليب، علماً بأن الساعة هى ستون دقيقة. فإذا قيل إن النطق بالحكم قد صدر فى الساعة الثالثة، فمجال الساعة الثالثة هو ستون دقيقة، وكذلك مجال الساعة السادسة التى علق فيها المسيح على الصليب هى أيضاً ستون دقيقة.

ووفقاً لنصوص الإنجيل، والتقليد الرسولى، رتبت الكنيسة فى نصوص الصلوات، ما يتلوه المصلى فى صلاة الساعة السادسة من كل يوم، موضحاً ومبيناً أنَّ المسيح له المجد قد صُلِبَ فى اليوم السادس من الأسبوع (أى يوم الجمعة) وفى الساعة السادسة.

١ - «**يا منَ فى اليوم السادس وفى الساعة السادسة سمرت على الصليب** من أجل الخطيئة التى جرؤ عليها أبونا آدم فى الفردوس، مزق صك خطايانا أيها المسيح إلهنا ونجنا....».

٢ - «يا يسوعُ المسيحُ إلهُنا **الذى سُمرت على الصليب فى الساعة السادسة، وقتلت الخطيئة بالخشبة**، وأحييت الميت بموتك، الذى هو الإنسان الذى خلقته بيديك، الذى مات بالخطيئة، اقتل أوجاعنا بآلامك الشافية المحيية، **وبالمسامير التى سُمرت بها** أنقذ عقولنا من طياشة الأعمال الهيولية...

٤ - صنعت خلاصاً فى وسط الأرض كُلِّها، أيها المسيحُ إلهُنا، **عندما بسطت يديك الطاهرتين على عودِ الصليب**،.. لتنجى الذين خلقتهم من عبودية العدو.....

٥ ـ نسجد لشخصك غير الفانى، أيها الصالح، طالبين مغفرة خطايانا، لأنَّ بمشيئتك سُررت **أن تصعدَ على الصليب** لتُنجى الذين خلقتهم من عبودية العدو.

٦ ـ أنت هى الممتلئة نعمة، يا والدة الإله العذراء، نحمدك، **لأن من قبل صليب إبنك إنهبط الجحيم، وبطل الموت**. أمواتا كنا فنهضنا، وإستحققنا الحياة الأبدية، ونلنا نعيم الفردوس الأول.

ويقول المصلّى فى تحليل صلاة الساعة السادسة «نشكرك يا ملكنا ضابط الكل، أبا ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، ونمجدك، لأنك جعلت أوقات آلام إبنك الوحيد أوقات عزاء وصلاة. إقبل إليك تضرعنا، وامحُ عنا صك خطايانا المكتوب علينا **كما مزقته فى هذه الساعة المقدسة، بصليب إبنك الوحيد يسوع المسيح ربنا** ومخلص نفوسنا، هذا الذى هدمت به كل قوة العدو...

والخلاصة، إن الحكم الذى أصدره بيلاطس البنطى على المسيح بالصلب كان فى الساعة الثالثة من نهار الجمعة، أما الصَّلبُ فكان فى الساعة السادسة. وأمّا الموتُ فكان فى الساعة التاسعة: «**يا من ذاق الموت بالجسد فى الساعة التاسعة من أجلنا نحن الخطاة...**»

ومن الساعة السادسة إلى التاسعة كانت الظلمة التى خيمت على كل الأرض، وهو ما يعرف بالكسوف الكلى للشمس.

٣١ ـ اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك (١)

كانت قيامتك، يارب، من بين الأموات، بينة على حقيقة ألوهتك، وأن بيدك مفاتيح الحياة والموت (الرؤيا ١ : ١٨). لم يقف على قبرك أحد ليقيمك من الموت، كما وقفت أنت بجلالك على قبر لعازر وأقمته من بين الأموات بأمرك، بعد أن صار له فى القبر أربعة أيام، فمن هو الأقوى منك حتى يمنحك القوة **فلقد قُمت يا سيدى بقوة لاهوتك المتحد بناسوتك... نعم إن لك القوة، والمجد والعزة والتسبيح والسلطان، يا عمانوئيل إلهنا وملكنا ومخلصنا الصالح.**

ولقد جاءت قيامتك نُصرة على الموت وعلى الجحيم. فلم يعد الجحيم فى العالم السفلى قادراً على أن يضبط الموتى من القديسين الذين كانوا مقيمين فيه، ينتظرون الخلاص. فلما تحقق الخلاص بموتك على الصليب وقيامتك من بين الأموات، تهللت الطبيعة، وتهلل معها الراقدون، (فالقبور تفتحت، وقد قام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة، وظهروا لكثيرين) (متى ٢٧ : ٥٣).

كان هذا هو الهتاف التعبدى الذى هتف به نحوك الملاك الذى ظهر لك وأنت فى بستان جثسيمانى، تقوم بمهمة الفادى كنائب عن البشرية وبديل عن الإنسانية، تمثلها وكأنك آدم الثانى بدلاً من آدم الأول الذى بمعصيته وبخطيئته مات، موتاً أدبياً وأبدياً، وفيه مات جميع الناس (١. كورنثوس ١٥ : ٢٢) الذين ولدوا منه الولادة الأولى،... أنت الذى لم تعرف، يا سيدى، خطيئة، فصرت خطيئة لنصير نحن بر الله فيك (٢. كورنثوس ٥ : ٢١)، (١. بطرس ٢ : ٢٢) والعدل الإلهى (وضع عليك، بإرادتك، إثم جميعنا) ... (إشعياء ٥٣ : ٦).

ظهرت فى بستان جثسيمانى كإنسان، وكفادى عن البشرية تألمت وحزنت، وعانيت صراعاً رهيباً، وكان حزنك شديداً، حزناً كان قميناً أن يفضى بجسدك إلى الموت (متى ٢٦ : ٣٨).. وبالفعل لقد عمل الموت فى جسدك عملاً قاسياً، حتى تصبب عرقك (كقطرات الدم يتساقط على الأرض) (لوقا ٢٢ : ٤٤)، وهو علامة التسمم فى جسدك... ولولا مساندة اللاهوت للناسوت لكان الموت قد حصل لجسدك. لذلك، ولأنك حى بلاهوتك، ولاهوتك حى لا يموت، جاءك الملاك فى بستان جثسيمانى يهتف بك قائتاً عابداً، قائلاً (لك القوة، لك القدرة) (لوقا ٢٢ : ٤٣) ... وهى بعينها التسبحة التى يسبحك بها الملائكة فى السماء (الرؤيا ٤ : ١٠، ١١)،

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ـ ٦ من أبريل ـ نيسان لسنة ١٩٨٠م – ٢٨ من برمهات لسنة ١٦٩٦ش.

(٥: ١١، ١٢) ... وهى بذاتها التسبحة التى تُسبحك بها كنيستك فى أسبوع الآلام، لئلا يظن أحداً أن آلامك التى احتملتها كانت عن ضعف... حاشاك يارب (القدوس القوى يا من أظهر بالضعف ما هو أعظم من القوة) كما نردد فى ذلك لحن (أيها الابن الوحيد) الذى ننشده ونرتله فى يوم الجمعة العظيمة.

لم يكن أمراً عادياً أن ينطق ديماس اللص الذى علقوه عن يمينك باعترافه الخطير، ويصيح قائلاً: (اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك) (لوقا ٢٣: ٤٢).

ما رآك ديماس اللص اليمين متجلياً على جبل تابور بمجد عظيم، وقد أضاء وجهك كالشمس وهى فى اشتدادها... وإنما رآك مصلوباً ورأسك يعلوه إكليل الشوك، ووجهك ملطخ بالدم والتراب والطين (لا صورة له ولا جمال) (إشعياء ٥٣: ٢)... فكيف يناديك: «اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك...»؟.

إنه لم يبصرك ياربى وأنت (تزجر الحمى) فى حماة سمعان، ففارقتها الحمى فى الحال وقامت على الفور تخدمهم) (لوقا ٤: ٣٩)... ولم ينظرك وأنت تنتهر الريح الصرصر والأمواج العاتية وتقول (للبحر: أصمت، أسكت) (فسكنت الريح وساد هدوء عظيم)، حتى خاف الناس الذين كانوا فى السفينة (وقال بعضهم لبعض (من عساه أن يكون هذا الذى حتى الريح والبحر يطيعانه) (مرقس ٤: ٣٩- ٤١)... وإنما نظرك يا مخلصى معلقاً على الصليب مشدودة ضلوعك على الخشبة، ويداك مسمرتان فى الصليب، وقدماك موثقتان إحداهما فوق الأخرى بمسمار طويل سميك نافذ فى مفصلى القدمين... فكيف وقد رآك هكذا منهكاً وضعيفاً يصيح على الرغم من ذلك، ويقول: (اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك)؟.

ما رآك (يا ملكى) على قبر لعازر تأمره، بعد أن أنتن فى القبر إذ صار له فيه أربعة أيام، وتناديه وروحه وهى فى عالم الموتى مع الأرواح فى قبضة الجحيم فى العالم السفلى، قائلاً بصوت عظيم جلجل فى كل الكون المنظور وغير المنظور: (لعازر هلم خارجاً) (فخرج لعازر الميت) مربوطة يداه ورجلاه بأكفان وملفوفاً وجهه بمنديل... (يوحنا ١١: ٤٣، ٤٤).

ولا أبصرك (يا خالقى)، وأنت تخلق للمولود أعمى عينين فى موضع العينين الفارغتين، ولذلك تفلت فى الأرض وصنعت من التفل طيناً وطمست به مقلتى الأعمى لتخلق له عينين، بنفس الطريقة التى خلقت بها آدم إذ جبلته تراباً من الأرض (يوحنا ٩: ٦، ٧، ١١، ١٥). قارن (التكوين ٢: ٧).

ولا نظرك (يا قدوس) إسرائيل - القديم والجديد - وأنت تنتهر الروح النجس عندما تطرده من جسم المصروع به قائلاً: (اخرس واخرج منه) فيصرخ بصوت عظيم ويخرج وهو يقول (مالك ولنا يا يسوع الناصرى؟ أجئت لتهلكنا؟ إننا نعرف من أنت: أنت قدوس الله). فذهل الناس جميعاً ،حتى لقد أخذوا يتساءلون فيما بينهم قائلين: (ما هذا؟ إنه لتعليم جديد! فإنه بسلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه) (مرقس ١: ٢٣- ٢٧)،. (أما الأرواح النجسة فكانت حين تراه تخر ساجدة له وتخرج وهى تصرخ قائلة: (إنك أنت هو المسيح ابن الله) (مرقس ٣: ١١)، (لوقا ٤: ٤١).

ما أبصرك اللص اليمين تصنع المعجزات وتجترح العجائب... ما أبصرك وأنت تشبع الألوف من خمس الخبزات والسمكتين، وبعد أن أكلوا (رفعوا من الكسر التى تبقت إثنتى عشرة قفة ممتلئة) (متى ١٤: ٢٠)... ولا أبصرك وأنت تشفى جميع الأمراض بلمسة منك أو بكلمة من فيك بل لقد (كانوا يضعون المرضى فى الشوارع والأسواق ويتضرعون (إليك) (أن يلمسوا ولو طرف (ردائك)، (فكان كل من يلمسك يشفى) (مرقس ٦: ٥٦) وحتى (المرأة المصابة بنزف دم منذ إثنى عشر عاماً وقد أنفقت كل ما تملك على الأطباء فلم يستطع أحد شفاءها) قد جاءت من الخلف فى الزحام ولمست طرف (ثوبك) (فتوقف على الفور نزفها)، وذلك بفعل (القوة) التى خرجت منك (لوقا ٨: ٤٣- ٤٦).

لم يرك اللص اليمين فى شىء من مظاهر قوتك الحقيقية، بل رآك معلقاً على خشبة الصليب، ورأى (المارة (يسبونك) وهم يهزون رؤوسهم قائلين: (يا هادم الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام، خلص نفسك). إن كنت أنت ابن الله فأنزل عن الصليب. وكذلك رؤساء الكهنة كانوا يهزأون (بك)مع الكتبة والشيوخ قائلين: (خلص آخرين ولا يستطيع أن يخلص نفسه)، إن كان هو ابن الله المختار. إن كان هو المسيح ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب لنرى فنؤمن به. لقد اتكل على الله فلينقذه الآن إن كان راضياً عنه، لأنه قال أنا ابن الله) (متى ٢٧: ٣٩- ٤٣)، (مرقس ١٥: ٢٩- ٣٢) وكذلك الجنود كانوا يسخرون منك، وقد دنوا منك وقدموا لك خلا قائلين لك: (إن كنت أنت ملك اليهود، فخلص نفسك) (لوقا ٢٣: ٣٦، ٣٧).

ورأى وسمع اللص الآخر المصلوب عن يسارك يجدف عليك قائلاً: (ألست أنت المسيح؟ إذن خلص نفسك وخلصنا) (لوقا ٢٣: ٣٩).

فما هو ذا الذى عمل فى قلب ديماس على الرغم مما رآه فيك من ضعف، وعلى الرغم من أنه رأى إستهزاءً جماعياً من الصالبين والمارة ورؤساء الكهنة وعلماء الشريعة والكتبة... حتى انتهر زميله بعنف قائلاً: (أما تخاف الله وأنت نفسك تحت هذا القصاص بعينه؟ نحن بعدل جُوزينا، لأننا ننال جزاء أعمالنا. أما هذا فلم يفعل سوءاً) ... ثم أردف قائلاً ليسوع المسيح المصلوب (اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك) (لوقا ٢٣ : ٣٦- ٤٢).

واعجبا، كيف باللص اليمين أن يخرج على الإجماع، ولا يستنكر فقط المعاملة الظالمة التى عُومل بها يسوع المسيح، ولكنه ينتقل إلى إيمان عميق، بأن يسوع المسيح (رب) وأنه أيضاً (ملك) وأن له مملكة، ومملكته آتية، وأبدية، وأن يسوع المسيح وإن صلب ومات ولكنه سيظهر مرة أخرى، آتياً فى مجده وملكوته... بل وآمن أيضاً بأنه هو- أى اللص- سوف يقوم من بين الأموات فى نهاية هذا الدهر، ولذلك يرجو أن يكون له نصيب فى الملكوت الآتى، وأن يحسبه المسيح فى مجيئه الثانى من رعاياه قائلاً: (اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك)!

لا نعتقد أنه نمى إلى اللص اليمين ما صرح به المسيح له المجد أثناء محاكمته أمام مجلس السنهدريم اليهودى- أعلى سلطة دينية- عندما سأله رئيس الكهنة وقال له: (استحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟) فقال له يسوع: "نعم أنا هو كقولك. وإنى لأقول لكم كذلك إنكم منذ الآن سترون ابن الإنسان جالساً عن يمين القدرة وآتياً على سُحب السماء) (متى ٢٦ : ٥٧- ٦٤)، (مرقس ١٤ : ٥٣- ٦٢)، (لوقا ٢٢ : ٦٩، ٧١).

إن اللص اليمين فى اعترافه بيسوع أنه المسيح الملك، وأنه سيأتى مرة أخرى، وله فى المجيء الثانى مملكة... كان ملهماً، ولعل روحه فى لحظة صفاء تلامست مع قوة الله العليا، وبفاعلية هذا التلامس أضاءت نفسه وأشرقت فيها معرفة من عل، وهذا هو الإستشراق، والعلم اللدنى، العلم الذى من لدن الله، والذى يمكن أن ينزل على قلب الإنسان عندما يكون فى لحظة صفاء، فيضيء قلبه ويشرق على نفسه... فكان بهذا شبيهاً بالقديس بطرس عندما نطق باعترافه المشهور إجابة على سؤال الرب يسوع له ولرفاقه (وأنتم من تقولون إنى هو؟ فأجاب سمعان بطرس وقال: (أنت هو المسيح الله ابن الله الحى) (لوقا ٩ : ٢٠)، (متى ١٦ : ١٦) فأجاب يسوع وقال: (مبارك أنت يا سمعان بن يونا، لأنه ليس لحماً ودماً الذى كشف لك هذا، وإنما أبى الذى فى السماوات) (متى ١٦ : ١٧).

لم يكن لحماً ودماً هو الذى كشف للص اليمين أن يعترف بيسوع الناصرى أنه المسيح الملك السماوى، وأنه سوف يجىء مرة أخرى فى مجىء ثانٍ... لا فى هوان كما كان فى المجىء الأول. وإنما فى مجد عظيم ولسوف يكون مجيئه الثانى للدينونة والجزاء كما قال إنه (سيجىء فى مجده وكل الملائكة القديسين معه، ويجلس عندئذ على عرش مجده، وتجتمع أمامه كل الشعوب، فيفرز بعضهم من بعض كما يفرز الراعى الخراف من الجداء، ثم يقيم الخراف عن يمينه، وأما الجداء فعن يساره) (متى ٢٥: ٣١- ٣٣) وقال: (لأن ابن الإنسان سيأتى فى مجد أبيه مع ملائكته، وعندئذ سيجازى كل إنسان على حسب أعماله) (متى ١٦: ٢٧).

إن اليهود فى إسرائيل يتطلعون هم أيضاً إلى مجىء المسيح. ولما كانوا قد رفضوا المسيح (الحقيقى) فى مجيئه الأول، لكنهم على ما جاء فى الكتاب المقدس يؤمنون بأن المسيح هو ملك إسرائيل الحقيقى، وإنه المخلص لهم من أعدائهم، وأن سلطانه، أبدى لن يزول وملكه لا ينقرض (دانيال ٧: ١٤)، «ملكوته ملكوت أبدى، وجميع السلاطين إياه يعبدون ويطيعون» (دانيال ٧: ٢٧)، (وأنه يملك على بيت يعقوب، ويجلس على عرش داود إلى الأبد، ولن يكون لملكه إنقضاء) (ومملكته لن تنقرض إلى الأبد، وملكها لا يترك لشعب آخر، وتسحق وتفنى جميع تلك الممالك، وهى تثبت إلى الأبد وإلى أبد الأبدين) (دانيال ٢: ٤٤)، (٤: ٣، ٣٤)، (٦: ٢٦)، (٧: ١٨)، (ميخا ٤: ٧)، (إشعياء ٩: ٧)، (٢٤: ٢٣)، (عوبديا ٢٧)، (حزقيال ٣٧: ٢٥)، (مزمور ٤٤: ٦، ٧)، (٨٨: ٣٦). قارن (لوقا ١: ٣٢، ٣٣)، (يوحنا ١٢: ٣٤)، (العبرانيين ١: ٨)، (١٢: ٢٨)، (الرؤيا ١١: ١٥)، (١٢: ١٠).

لذلك سيظهر عندهم (المسيح الدجال) (١. يوحنا ٢: ١٨)، (٤: ٣) (إنسان الخطيئة، ابن الهلاك، المعاند والمرتفع على كل من يُدعى إلهاً أو معبوداً حتى إنه يجلس فى هيكل الله كإله، مُظهراً نفسه أنه إله... ويكون مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبالعلامات والعجائب الكاذبة، وبكل خديعة الإثم فى الهالكين، لأنهم لم يقبلوا محبة الحق لينالوا الخلاص).

وسيخيب أمل اليهود فى هذا المسيح الدجال (الذى لا شريعة له، ذاك الذى يبيده الرب يسوع بنفخه من فمه، ويبطله بظهور مجيئه) (٢. تسالونيكى ٢: ٣- ١٢).

إن ما قاله اللص اليمين، ديماس، نردده نحن اليوم بحرارة الإيمان بالمسيح الحقيقى ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا (اذكرنى يارب، يا ملكى، يا قدوس، متى جئت فى ملكوتك)!

٣٢ - «إنهم لا يدرون ما هم فاعلون» (١)

إن قيامتك، ياربى، من بين الأموات عزاء لكل مصلوب على شبهك ومثالك... عذبوك وأهانوك، جرحوك وسمروك، ... جلدوك وصلبوك...، وما أبادوك كما أرادوا، وإنما شبه لهم، وكيف يبيدوك وأنت أصل الحياة؟ (أعمال ٣: ٥) وباعث الحياة، ومُبْدِىءُ الحياة (يوحنا ١: ٤) بل أنت هو الحياة بذاتها (يوحنا ١٤: ٦).

وما أبعد الفرق بينك وبيننا، ولئن اتّخذت لذاتك خصائص طبيعتنا البشرية وجميع صفاتها إلا أنك لم تخطأ قط. فإذا كنا نتألم فى الأرض، فآلامنا هى ثمرة لخطايانا وأخطائنا، وعلى قول اللص اليمين لرفيقه «نحن بعدل جوزينا، لأننا ننال جزاء أعمالنا. وأما هذا (المسيح) فلم يفعل سوءاً» (لوقا ٢٣: ٤١) وحتى بيلاطس البنطى الحاكم الرومانى صرخ فى وجه رؤساء كهنة اليهود وشيوخهم «لماذا؟ أى شر فعل؟» (متى ٢٧: ٢٣)، (لوقا ٢٣: ٢٢).

إن آلامك يا سيدى تُخجلنا وتفضح فساد البشر... كيف فقد الرؤساء الروحانيون عقولهم، وضاع منهم منطق الروحانيات والأخلاقيات... فأمسى عندهم القدوس، شريراً ومجرماً، حتى شكوه إلى الحاكم الوثنى «وقالوا له: «لو لم يكن هذا فاعل شر، لما أسلمناه إليك» (يوحنا ١٨: ٣٠).

أحقاً ما قالوا: إن يسوع المسيح فاعل شر، وأنهم يطلبون قتله مدفوعين بغيرة على الحق، ومحبة فى الخير، ودفاعاً عن القيم الروحية التى أهدرها يسوع المسيح؟

لقد كان بيلاطس الوثنى، أصدق حساً من رؤساء كهنة اليهود، «فأخذ ماء وغسل يديه أمام الجمع قائلاً: «إنى برىء من دم هذا البار، أنتم وشأنكم... «إذ كان يعلم أنهم سلموه حسداً» (متى ٢٧: ٢٤، ١٨).

وكانت إمرأة بيلاطس، وهى وثنية، أصدق حساً من رؤساء كهنة اليهود، فقد أرسلت إلى زوجها أثناء مهزلة المحاكمة، قائلة «إياك وذاك البار، فإنى توجعت الليلة كثيراً فى الحلم من أجله» (متى ٢٧: ١٩).

يا للعار، الذى تلطخ به رؤساء كهنة اليهود، ولصق بهم إلى الأبد. لقد فقدوا نور البصيرة، وأفلت منهم قياد النفس العاقلة، وصاروا يندفعون فى تصرفات

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد - ٢٥ من أبريل - نيسان لسنة ١٩٧٦م - ٢١ من برموده لسنة ١٦٩٢ش.

هوجاء، تسوقهم إليها بواعث نفسية، أرضية شهوانية، لا تربطها رابطة روحية سامية، مما يُنتظر من رجال دين، وظيفتهم الأولى أن يقدموا النموذج، والمثل، والقدوة، ويزينوا تعاليمهم بالسيرة العملية.

كيف أمسى رؤساء الكهنة اليهود فى حاجة إلى أن يتلقوا الدروس الأولية فى الروحانيات والأخلاقيات... وصاروا مفتقرين إلى من يذكرهم بالأوليات والبدهيات... حتى بدا الوثنى الذى لا عرفان له، أكثر إدراكاً للحق والعدل والخير ممن عرفهم الناس بأنهم حفظة الإيمان وحراس الشريعة؟.

هذا برهان على صدق تعليم كتابنا المقدس فى أن الإنسان خُلق على صورة الله ومثاله... فكل إنسان من أى دين، فيه جوهرة روحه العاقلة الخالدة، وهى وديعة الله فيه، وبها يمكنه أن يعرف الحق، وأن يُحب الحق... فإذا أسلم الإنسان قيادة حياته لنزواته، ولم يعقل إنفعالاته بعقال الحكمة الإلهية، اهتزت صورة الله فيه، حتى لو كان من بين رجال الدين، وأمسى من لا دين له أصدق حساً منه وأكثر قرباً إلى الله.

إنك، يا سيدى، على الرغم من كل ما فعله بك اليهود ورؤساؤهم، بسطت يديك على الصليب، وناديت الآب السماوى قائلاً: «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يدرون ما هم فاعلون» (لوقا ٢٣: ٣٤).

أما أن تغفر لمن أساءوا إليك، فهذا هو قمة الحكمة، وذروة المحبة.

إن العالم قبل المسيح لم يعرف غفراناً من هذا النوع، وبهذا الكم والكيف... إنك لم تصفح فقط، ولكنك طلبت من الآب السماوى أن يصفح هو أيضاً عمن أساءوا إليك أنت. إنك تنازلت عن حقك، ومن غير مقابل، ولم تشترط لغفرانك إعتذاراً من جانب الذين أساءوا إليك، ولم تطلب استسماحاً كتابياً أو شفهياً... إنك صفحت، بإعفاء عام وتام لأن قلبك قلب أب، وبحنان لم يعرفه أب من قبل.

لم تُطالب بحقك، ولم تشر حتى مجرد إشارة، إلى أن لك حقاً، وقد تنازلت أنت عنه... وإنما توجهت إلى الآب السماوى أن يغفر هو كذلك لمن أساءوا إليك... لم تقم الحجة عليهم بأنهم إذ أساءوا إليك فقد أساءوا إلى الله تعالى،

وإلى الحق والعدل والخير وكل القيم الروحية والدينية والأبدية،... وبهذا علمتنا أن نغلق بالغفران كل نافذة يمكن أن يتسلل منها روح الإنتقام للكرامة الشخصية.

لكن كيف، يا سيدى، تعتذر أنت عن المسيئين إليك بأنهم لا يدرون ما هم فاعلون، من دون أن يعتذروا هم عن أنفسهم.

مَنْ مِن كل أولئك كان طفلاً لم يبلغ إلى سن الإدراك والفهم؟

إنهم جميعاً رجال، وكبار، وناضجون، بل وفقهاء ومعلمون، وعلى رأسهم رؤساء كهنة، «حرضوا الجمع على أن يطلبوا... إهلاك يسوع» (متى ٢٧: ٢٠).

مَنْ مِن كل أولئك الذين ساهموا فى تلك المأساة كان لا يدرى ما هو فاعله؟

هل كان يهوذا الإسخريوطى، ذلك التلميذ الخائن، هو أيضاً لا يدرى ما هو فاعله؟

هل كان يهوذا طفلاً ساذجاً؟ هل كان مخموراً؟ هل كان مخبولاً؟...

ألم يكن ذا حيثية حتى إنه ذهب إلى رؤساء الكهنة، وقال لهم: «ماذا تعطونى وأنا أسلمه إليكم؟» فاتفقوا معه على أن يعطوه ثلاثين قطعة من الفضة. ومنذ ذلك الحين أخذ يترقب فرصة ليسلمه إليهم» (متى ٢٦: ١٥، ١٦).

هل كان قيافا رئيس الكهنة لا يدرى ما هو فاعله؟ أليس هو الذى قاد المعركة كلها، وحبك المؤامرة، وأجرى المحاكمة الدينية باعتباره المسئول الأول عن قيادة اليهود الروحية، وألبس عداوته للمسيح لباساً دينياً، وستر حقده الشخصى بستر المصلحة العامة، كما كان يزعم «فعقد رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعاً، وقالوا: «ماذا نعمل فإن هذا الإنسان يصنع معجزات كثيرة. فإن تركناه هكذا آمن الجميع به...» فقال لهم قيافا... «إنكم لا تعرفون شيئاً، ولا تدركون أنه خير لكم أن يموت إنسان واحد عن الشعب، ولا تهلك الأمة كلها.» (يوحنا ١١: ٤٧- ٥٠).

إذن لقد كان قيافا يثق فى قدراته العقلية، وكفاءته القيادية، وكان يعتقد فى نفسه أن لديه من الذكاء الخارق ما يجعله يحكم على جميع أعضاء المجمع اليهودى بأنهم «لا يعرفون شيئاً... ولا يدركون».

وسائر الذين اشتركوا فى مأساة صلب المسيح، من رؤساء الكهنة وشيوخ اليهود، والجماهير التى أهاجوها وكانت تصرخ وتقول لبيلاطس «اصلبه» (لوقا ٢٣ : ٢١) الذين استأجروهم ليشهدوا ضد المسيح زوراً، وقادة جند الهيكل، ثم بيلاطس وهيرودس، وقائد المائة الذى قام بتنفيذ الصلب. كل أولئك كانوا كباراً عاقلين ولم يكونوا أطفالاً طائشين، فكيف اعتذرت يا سيدى عنهم، وأنت على الصليب، وقلت للآب السماوى «يا أبتاه أغفر لهم فإنهم لا يدرون ما هم فاعلون؟» (لوقا ٢٣ : ٣٤) نعم، **هم لا يدرون على الرغم من أنهم يدرون.** إنهم يدرون بأنهم يريدون أن يقتلوا يسوع بزعم أنه «يهيج الشعب» وهو يعلم وأنه «يفسد الشعب» ... ولكنهم **لا يدرون مبلغ جريمتهم، وبشاعة شرهم، وضراوة عداوتهم، ومرارة خصومتهم،... فقد أعمت البغضاء عيونهم وبصائرهم، فلم يعودوا يدركون ما هم فاعلون. ثم هم لا يدرون مكانة الذى ناصبوه العداء، ولا عظمة قدره ولا يدرون جسامة مسئوليتهم عن المحاكمة الظالمة التى حاكموه بها، وأنهم ضغطوا على بيلاطس، حتى أطلق لهم سراح لص كان من بين المشاغبين وممن ارتكبوا جرائم قتل** كثيرة «وأما يسوع فجلده ثم سلمه ليصلب» (متى ٢٧ : ٢٦).

لو كان زعماء اليهود يدرون على الحقيقة شناعة ما فعلوه، لطلبوا هم الغفران أنفسهم، ولحكموا على ذواتهم كما حكم يهوذا على نفسه، قائلاً «إنى قد خطئت إذ سلمت دماً بريئاً»، وانصرف، ثم مضى وشنق نفسه» (متى ٢٧ : ٤، ٥).

إن الأذكياء نوعان: أذكياء بالعقل، وأذكياء بالقلب. والأذكياء بالعقل وحده أكثر الناس عرضة لإغفال أبسط القضايا الروحية، لأنهم إذ يصابون بالغرور يتصرفون بحماقة «فلا يدرون ما هم فاعلون».

إن الذين صلبوك، يارب، قد زالوا وزالت دولتهم. لقد تعجلوا فأخطأوا... أفهل كانوا يدرون أن الذى يصلبونه اليوم سيقوم بعد قليل من بين الأموات، ظافراً بأعدائه، وقاهراً دولة الطغيان... ولقد غفرت لهم، فإنهم أغبياء فيما ظنوا أنهم حكماء. أفهل كانوا، ومازالوا، مستحقين للغفران؟.

٣٣ ـ أما هو فظل صامتاً! (١)

منك نتعلم الصمت حين يجمل الصمت!

لكنه الصمت، الأبلغ من الكلام!

والبلاغة من التبليغ. **فللصمت رسالة تتكلّم وتصل، ولكن بغير جلبة وبغير دَوِيّ... بل لعلها تصل فى سرعة وفى قوة، لأنها تنفذ فى غفلة من وعى الصاخبين....**

شتموك وأهانوك، فصمت... سخروا منك وهزأوا بك، فصمت...

اتّهموك وشهدوا عليك شهادات زور، فصمت...

فلماذا يارب هذا الصمت؟!

هل هو صمت العجز؟ طبعاً، لا

هل هو صمت الفشل واليأس؟ معاذ الله!

قال الإنجيل «أما الذين قبضوا على يسوع فمضوا به إلى قيافا رئيس الكهنة حيث كان الكتبة والشيوخ مجتمعين... وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يبتغون شهادة زور ضد يسوع ليقتلوه، ولكنهم لم يجدوا، مع أن كثيرين شهدوا ضده زوراً، غير أن شهاداتهم لم تكن متطابقة. ثم قام قوم وشهدوا عليه كذباً قائلين: «إننا سمعناه يقول إنى أهدم هذا الهيكل المصنوع بالأيدى ثم فى ثلاثة أيام أبنى آخر مصنوعاً بغير الأيدى». ولكنهم حتى فى هذا لم تتطابق شهاداتهم. فوقف رئيس الكهنة فى الوسط، وسأل يسوع قائلاً: «**أما تجيب بشىء؟ ما هذا الذى يشهد به أولئك عليك؟**»... «**أما يسوع فظل صامتاً. ولم يجب بشىء...**» (مرقس ١٤: ٥٣- ٦١)، (متى ٢٦: ٥٧- ٦٣).

لماذا هذا الصمت يارب؟

ألعله ذلك الصمت المثير... المحرك للضمير.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ـ ٣٠ من أبريل ـ نيسان لسنة ١٩٧٨م – ٢٢ من برموده لسنة ١٦٩٤ش.

لقد تركت شهود الزور يهذون ويهرفون... تركتهم يخطبون ويثرثرون... تركتهم يتكلمون فلا تقاطعهم... يروون أحاديث ومواقف، ... فلا تجادلهم ولا تناقشهم... يعلُون بأصواتهم ويصرخون بحناجرهم ليبرهنوا على صدق أكاذيبهم، فلا تواجههم ولا تحاسبهم... تركتهم ليأخذوا فرصتهم كاملة، فيظهروا أمام أنفسهم شجعاناً وأبطالاً، وغيورين على الحق أخياراً... تركتهم... لعل ضمائهم تبكتهم حينما لا يسمعون إلا صوت أنفسهم... تركتهم لأذهانهم لعلها تبدو أمامهم فارغة تافهة... تركتهم ولم تُحاججهم... لعلهم يدركون من ذواتهم أن أدلتهم متداعية متهافتة... وأما رئيس الأحبار في تلك السنة، ورؤساء الكهنة معه وكل المجمع... فأثارهم صمتك، وكانوا يريدون أن يسمعوك تناقش الشهود، لا لكى يعدلوا عن محاكمتك... ولا لكى يتبينوا وجه الحقيقة... فالحقيقة معروفة عندهم، والنية مُبيَّتة لديهم... إنما يريدونك أن تتكلم، حتى «يصطادوك بكلمة»، تقولها فلا ترضيهم، فيثوروا، ويجدوا تبريراً يُرضى ضمائرهم الموسومة والمريضة... لمحاكمتك، وللحكم عليك... فلم تعطهم بصمتك هذه الفرصة.

فلماذا يارب هذا الصمت المثير؟

ولكى تُرضيهم، وتفرح قلوبهم بما كانوا يبتغون... أجبت فى هدوء واتزان على قيافا رئيس كهنة اليهود عندما أثاره صمتك، فاستحلفك بالله الحى أن تجاوب على سؤاله هو: «أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟»... عندئذ أجبته على الفور: «نعم أنا هو كقولك. وإنى لأقول لكم كذلك منذ الآن سترون ابن الإنسان جالساً عن يمين القدرة وآتياً على سحب السماء»... وإذ سمع قيافا جوابك فرح فى داخله، لكنه تظاهر بالغضب المقدس، ومزق ثيابه، وقال لأعضاء المجمع «لقد جدف. فما حاجتنا بعد إلى شهود؟ ها أنتم أولاء قد سمعتم الآن تجديفه. فماذا ترون؟ فأجابوا وقالوا: «إنه يستحق الموت»، وعندئذ راحوا يبصقون فى وجهك ويلكمونك وراح آخرون يغطون وجهك ثم يلطمونك قائلين: «تنبأ لنا أيها المسيح من الذى لطمك الآن وراح الخدم يصفعونك...» (متى ٢٦: ٦٢- ٦٨)، (مرقس ١٤: ٦١- ٦٥).

صمت يا سيدى عندما اتهموك وجعلوا يكيلون لك شهادات زور... ولكنك تكلمت عندما كان لابد أن تشهد للحق... صمت عندما ضربوك ولكموك

وصفعوك، وهزأوا بك... ولكنك تكلمت حين صار الكلام ضرورة، وعملاً مقدساً... وبياناً للحقيقة... ودفاعاً عن الحق الصراح...

ولقد تكرر منك نفس الموقف، إبان محاكمتك أمام السلطة المدنية أمام بيلاطس وأمام هيرودس...

قال الإنجيل «ثم أوثقوا يسوع وساقوه وأسلموه إلى بيلاطس البنطى... ووقف يسوع أمام الوالى فسأله الوالى قائلاً: أأنت ملك اليهود؟ فقال له يسوع: «نعم. أنا هو كقولك». وكان رؤساء الكهنة والشيوخ يوجهون إليه إتهامات كثيرة وهو لا يجيب، فقال له بيلاطس: «أما تجيب بشىء؟ أنظر كم من إتهامات يوجهونها إليك؟» **فلم يُجبهُ يسوع بكلمة، حتى لقد دهش الوالى جداً**» (مرقس ١٥: ١-٥)، (متى ٢٧: ٢، ١١- ١٤).

ولقد أرسلك بيلاطس إلى هيرودس، وهناك أيضاً مارست الصمت ولم تتكلم.

قال الإنجيل «ولما رأى هيرودس يسوع ابتهج ابتهاجاً عظيماً لأنه كان يتوق لأن يراه منذ زمن بعيد، بسبب ما كان يسمعه عنه، وكان يود أن يرى إحدى العجائب التى تجرى على يديه. وقد سأله بكلام كثير، **ولكنه لم يجبه بشىء**. وكان رؤساء الكهنة والكتبة واقفين، وقد أخذوا يتهمونه بعنف، فهزأ به هيرودس مع جنوده، وسخر منه وألبسه ثوباً براقاً ثم أعاده إلى بيلاطس...» (لوقا ٢٣: ٨-١١).

ومرة أخرى عندما عادوا بك إلى بيلاطس، سألك بيلاطس فصمت لسؤال ولم تصمت لسؤال آخر.

قال الإنجيل «وقال (بيلاطس) ليسوع: «من أين أنت» **ولكن يسوع لم يجبه**. فقال له بيلاطس: «**لماذا لا تكلمنى**؟ أما تعلم أن لى سلطاناً أن أصلبك، وسلطاناً أن أطلق سراحك؟» أجاب يسوع قائلاً: «**ليس لك علىّ سلطان البتة، ما لم تكن قد أعطيت من فوق. ولذلك فإن الذى أسلمنى إليك خطيئته أعظم**» (يوحنا ١٩: ٩-١١).

أملَك الكلام يصمت...؟! أمعلم الأجيال يصمت؟ كيف... ولماذا؟ لقد شهد عنك الجواسيس الذين أرسلهم زعماء اليهود ليقبضوا عليك فلما رجعوا إلى سادتهم وسألوهم: «لماذا لم تأتوا به؟»، فأجاب الجند «ما تكلم إنسان قط بمثل ما يتكلم به هذا الإنسان» (يوحنا ٧: ٤٥، ٤٦).

فهل نتعلم منك يا سيدى، متى نصمت ومتى نتكلم؟ متى يكون الصمت فضيلة... ومتى يكون الصمت جريمة... متى نزهد فى الكلام ونَصْدُف عنه... ومتى يلزمنا أن نتكلّم ولا نصمت... فإذا صمتنا كان صمتنا شراً...

فلقد يصمت المسيحى إذا أهين فى شخصه... إذا شتموه أو قذفوه بالسباب... فلا يرد الشتيمة بمثلها... بل يُسلم أمره لمن يحكم بالعدل (١ . بطرس ٢ : ٢٣) ... أما إذا استُشْهِد للحق، فهنا يتكلم ولا يصمت... هنا يصرخ ويجأر بالحق... ولا يتخاذل ولا يتوارى... بل يرفع صوته عالياً جهوراً، قوياً لا يخاف، صلباً لا يلين، شجاعاً لا يَمِينُ... لأنه هنا لا يدافع عن نفسه... وإنما يدافع عن الحق... والله هو الحق. قال القديس يوحنا ذهبى الفم: كما كان المسيح حملاً وأسداً، هكذا ينبغى على كل مسيحى أن يكون حملاً وأسداً... عليك أن تُرتب وداعتك وشجاعتك... فلا تكن كالأسد فى حديثك (عن نفسك)، ولا كالحمل فى الدفاع عن قضية صالحة...

والآن لقد قمت يا سيدى من الموت، منتصراً على أقوى عدو، قمت بجبروت وجلال، فأين أولئك المتشكون عليك، الهازئون بك؟ هل كانوا يتوقعون لك وأنت صامت أمامهم هذه القيامة؟... الآن لقد خرست حناجرهم، وأصيبوا بذهول... لقد صمتوا هم، صمت القبور... وتناثرت كلماتهم... وضاعت إتهاماتهم... فلنتعلم أن هناك الله، وأن الله هو المحامى عن المظلومين... وأن من يتكلم اليوم بشر، سيخرس لسانه غداً وسيصمت... وأما الصامت عن حقه، فيتكلم الله عنه... الله يُخرج مثل النور بره، وحقه مثل الظهيرة... (مزمور ٣٦ : ٦).

٣٤ ـ المسيحية مملكة سمائية لا أرضية
والصليب رمز وعلم لهذه المملكة (١)

لقد صُلب الرب يسوع المسيح فى الجسد (١ . بطرس ٢ : ٢٤) ومات بالجسد بانفصال الروح الإنسانية فيه عن جسده، من دون أن يُفارق لاهوته ناسوته المتكوِّن من روح ومن جسد. فاللاهوت حى ولا يموت، ولكن الموت بالنسبة للمسيح الرب هو موت لناسوته فقط، وذلك بانفصال مؤقت بين الروح الإنسانية والجسد الإنسانى اللذين يتألف منهما ناسوته أو إنسانيته. وعلى الرغم من الانفصال الذى تم على الصليب بين الروح والجسد، إلا أن اللاهوت لم يفارق لا الروح ولا الجسد. فبالروح متحداً باللاهوت نزل المسيح إلى العالم السفلى ليُبشر أرواح الموتى المنتظرة بالجحيم (١ . بطرس ٣ : ١٩)، لعمل الفداء والخلاص، فأنار على الأرواح المنتظرة الخلاص، وأشرق عليهم بنوره الإلهى، ولذلك سُمى يوم السبت التالى ليوم الجمعة العظيمة (جمعة الصلبوت)، بسبت (النور) لأن المسيح أشرق بالنور على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت (متى ٤ : ١٦). وسُمى أيضاً ذلك السبت بسبت (الفرح) توكيداً لما قاله المسيح له المجد «لقد تهلل إبراهيم أبوكم مُشتهياً أن يرى يومى، وقد رأى وفرح» (يوحنا ٨ : ٥٦).

كذلك لم يفارق اللاهوت جسد المسيح، بدليل أنه بعد إنفصال الروح الإنسانية من الجسد، بالموت، «فخرج منه على الفور دم وماء» (يوحنا ١٩ : ٣٤)، (١ . يوحنا ٥ : ٦)، مما لا يحدث من جسد ميت، الأمر الذى عاينه قائد المائة (لونجينوس) المشرف المسئول على عملية الصلب، عندما طعن جنب المسيح المصلوب بحربته، فصاح بصوت عظيم ومجد الله، مؤمناً بألوهة المسيح المصلوب قائلاً: «حقاً كان هذا هو ابن الله» (متى ٢٧ : ٥٤)، (مرقس ١٥ : ٣٩)، وبدليل آخر هو أن جسد المسيح القدوس لم ينل منه فى القبر، الفساد، بسبب اتحاد اللاهوت به (أعمال الرسل ٢ : ٢٧ – ٣٢).

فلاهوت المسيح لم يفارق، فى عملية الصلب والموت، لا روحه الإنسانية ولا جسده. لهذا يهتف المسيحيون عن إيمان وإعتقاد بأن لاهوت المسيح لم يفارق بالموت

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ـ ٢٦ من أبريل ـ نيسان لسنة ١٩٨١م – ١٨ من برموده لسنة ١٦٩٧ش.

ناسوته (أى إنسانيته) لحظة واحدة أو طرفة عين. وليس موت المسيح بعد الصلب إلا إنفصال مؤقت بين جوهرى إنسانيته (وهما الروح والجسد)، هذه الروح الإنسانية هى التى عناها الإنجيل بقوله عن المسيح المصلوب أنه «أسلم الروح»، أو لفظ الروح (متى ٢٧ : ٥٠)، (مرقس ١٥ : ٣٧)، (لوقا ٢٣ : ٤٦)، (يوحنا ١٩ : ٣٠). نعم، لأن المسيح هو «الله الظاهر فى الجسد» (١ . تيموثيوس ٣ : ١٦) وهو «صورة الله الغير المنظور» (كولوسى ١ : ١٥)، أى أن اللاهوت حل فى الناسوت، والناسوت إنسانية كاملة، والإنسانية تتألف لا من جسد فقط بل ومن روح إنسانية أيضاً. وبذلك صار المسيح يجمع فى شخصه بين الله والإنسان، لاهوت كامل متحد بإنسان كامل، إتحاداً حقيقياً كاملاً لكن من دون اختلاط، ومن دون امتزاج، ومن دون تغيير. **فالمسيح هو الله متجلياً فى الأرض، متجسداً فى شكل إنسان، ولكن من دون أن يتغير بالتجسد لاهوته، أو يدخل على لاهوته تغيير، لأن الله لا يتغير (يعقوب ١ : ١٧)**.

لقد صُلب المسيح، ومات بالجسد، أو ذاق الموت بالجسد (الرؤيا ١ : ١٨)، ودُفن بالجسد فى القبر... وفى اليوم الثالث قام من بين الأموات... «فقد قام كما كان قد قال» (متى ٢٨ : ٦)، (لوقا ٢٤ : ٦ – ٩).

وعندما قام، لم يقف على قبره أحد ليناديه بالقيامة كما وقف هو - له المجد - على قبر لعازر وأقامه بسلطانه على الحياة والموت بعد أن صار لأليعازر فى القبر أربعة أيام (يوحنا ١١ : ٣٩، ٤٣، ٤٤). **أما المسيح، المدفون جسده فى القبر، فقد قام بسلطان لاهوته...**

إنه قام من القبر، والقبر كان ولا يزال مغلقاً وعلى بابه حجر عظيم، والحجر مختوم بأختام المملكة، والحراس واقفين وساهرين (متى ٢٧ : ٦٦)، (مرقس ١٥ : ٤٦).

ولم ينزل رئيس الملائكة ميخائيل ليدحرج الحجر عن باب القبر، إلا بعد أن قام المسيح أولاً بسلطان لاهوته، وذلك لكى يعلن رئيس الملائكة أن القبر فارغ وأن سيده قد قام كما كان قد قال (متى ٢٨ : ٢ – ٧). (مرقس ١٦ : ٢ – ٧)، (لوقا ٢٤ : ٢ – ٩)، (يوحنا ٢٠ : ١).

لقد قام المسيح من بين الأموات، **لأنه «ما كان يمكن أن يُمسكه الموت»** (أعمال الرسل ٢ : ٢٤) وما كان يمكن أن يمنعه القبر من القيامة «أين غلبتك أيها الموت؟ وأين ياموت شوكتك» (١ . كورنثوس ١٥ : ٥٥).

كل نبى مات ودفن وقُبر، وجسده لا يزال فى القبر مدفوناً. **أما المسيح فهو وحده فى صورة الإنسان الذى مات ودُفن جسده، لكن قبره فارغ لأنه قام بجسده حياً فى القبر، ظاهراً للجميع مدة أربعين يوماً** (أعمال ١ : ٣) بعدها صعد إلى السماء (مرقس ١٦ : ١٩)، (لوقا ٢٤ : ٥١) ... صعد فى العلانية، من فوق جبل الزيتون، على مرأى ومشهد من جميع تلاميذه، وأكثر من خمسمائة مؤمن (١ . كورنثوس ١٥ : ٦)، غير الكثيرين من المقيمين فوق الجبل وعلى سفح الجبل...

وليس قبر المسيح فارغاً فقط، ولكنه منذ قيامته من بين الأموات **وقبره ينبلج منه فى كل سنة نور، ما زال يبصره فى (سبت النور) كل من يحج إلى كنيسة القيامة بالقدس** ... وفى هذا تفسير لنبوءة النبى إشعياء قبل ظهور المسيح فى الجسد بمئات السنين. فقد أنبأ إشعياء عن صلب المسيح الفادى، من حيث هو وحده المخلص، الذى خلص الإنسان بموته عنه بدلاً منه، وذلك فى الجسد الذى اتخذه من طبيعة جسدنا وليكون فيه بديلاً عنا (١ . بطرس ٤ : ١)، فيفدينا بموته من الحكم الذى صدر من الله الآب، على آدم وذريته... لكنه بعد أن تمم عمل الفداء قام من الموت حياً، وصعد إلى السماء ولم يدخلها بدم التيوس والعجول بل بدم ذبيحة نفسه فوجد فداء أبدياً (العبرانيين ٩ : ١٢) ... ودخل إلى حيث مجده (لوقا ٢٤ : ٢٦)، دخل بجسده الذى من طبيعتنا إلى الأقداس السمائية، وجلس به على العرش، وصار بدخوله إلى السماء كفادينا ضمان لنا نحن أيضاً بغفران خطايانا، وقبول الله الآب للإنسان الذى كان سابقاً مطروداً من الفردوس لخطيئته (التكوين ٣ : ٢٤) ... قال النبى إشعياء... «ويكون فى ذلك اليوم أن أصل يسى (أنا يسوع، أصل وذرية داود، كوكب الصبح المنير ـ الرؤيا ٢٢ : ١٦) القائم راية للشعوب، إياه تترجى الأمم، **ويكون مثواه مجيداً**» (إشعياء ١١ : ١٠). والمثوى هو القبر والمدفن.

لقد أنكر إبراهيم باشا الكبير (١٧٨٩ – ١٨٤٨م) ابن الوالى الأمير (محمد على) رأس العائلة المالكة الغابرة ـ وكان إبراهيم باشا حاكم القدس... أنكر حقيقة النور الذى يظهر فى كل سنة من قبر المسيح فى يوم سبت النور (اليوم السابق مباشرة على أحد عيد القيامة)، وظنه خرافة يتعلّق بها المسيحيون، وكان قد أوعز إليه بذلك بعض الأشرار، فلم يصدق هذا الأمر غير المألوف، إذ كيف يخرج النور من غير نار، ومما أيد شكوكه الزعم القائل بأن النور لا يخرج إلا على يد بطريرك الروم اليونان فأرسل إلى مصر فى طلب البابا بطرس السابع المعروف بالجاولى (البابا

المائة والتاسع من بطاركة الكرسى المرقسى (١٨٠٩ - ١٨٥٢م)، فذهب البابا إلى القدس وهو لا يعلم لماذا استدعاه إبراهيم باشا الكبير، فلما علم الباشا بقدوم البابا خرج لاستقباله ومعه حاشيته وقواد جيشه، ثم دنا منه وقال له: أتعلم يا بابا لماذا استقدمتك؟ فأجاب البابا بأنه لا يعلم. قال الباشا، لكى يفيض على يدك النور، فرد البابا على الفور وقال: إن النور سيفيض على يدك، يا أفندينا. عندئذ طلب إبراهيم باشا من البابا بطرس أن يباشر الخدمة من دون مشاركة أحد آخر، فاعتذر البابا بأن هذا الأمر قد ترتب عليه عداوة بين الروم والقبط، ولكنه بناء على طلب الباشا يمكنه أن يشارك بطريرك الروم على أن يكون الباشا معهما ليزول منه الشك. فقبل الباشا ذلك، وقد أضمر الشر للنصارى إذ تخلل الأمر غش، ثم أمر بأن يحتشد العسكر فى داخل كنيسة القيامة وخارجها - وكان البابا بطرس وبطريرك الروم قد لازما الصوم لمدة ثلاثة أيام، حتى إذا جاء يوم سبت النور ازدحمت كنيسة القيامة بالزائرين، فأمر إبراهيم باشا بإخراج الفقراء والعامة إلى الفسحة الكبيرة خارج الكنيسة. ولما حان وقت الصلاة دخل البابا بطرس وبطريرك الروم ومعهما الباشا إلى حيث القبر المقدس، وباشر البابا بطرس والبطريرك الصلاة، وعندئذ انبلج النور من القبر ووصل إلى خارج الكنيسة حتى شق النور أحد الأعمدة عند الباب الغربى للكنيسة، فارتعب إبراهيم باشا، وصار فى حالة ذهول وصرخ يردد قوله باللغة التركية (أمان بابا) أى (آمنت يا بابا)، وكاد يسقط على الأرض فاحتضنه البابا حتى أفاق. ثم انسحب الباشا هو وجيشه بعد أن تبين له صدق وحقيقة ما ظنه هو ورجاله مجرد خرافة، وكذب. وقد زادت هذا الحادثة من مكانة البابا بطرس عند إبراهيم باشا، فصار يحترمه ويهابه، وقد مكنه من القيام بعمارة فى كنيسة القيامة... ونحن نشكر الله لأن ذلك العمود المشقوق بالنور لا يزال إلى الآن موجوداً عند الباب الغربى خارج كنيسة القيامة، وبه الشق، وآثار النور المشتعل بالنار ظاهرة محفورة مغطاة بلون أسود هو لون الحريق بالنار... علامة لكل من يشك، فيرى ويؤمن... بالإضافة إلى النور الذى ينبلج فى كل عام فى موعد ثابت.

لقد قام المسيح... بالحقيقة قام، ومع ذلك ظل الصليب رمز المسيح ورمز المسيحية كلها، وظل المسيح يُرسم أمامنا مصلوباً... ويقول الكتاب المقدس «أنتم الذين قد رسم أمام عيونكم يسوع المسيح مصلوباً» (غلاطية ٣ : ١) فمنذ صُلب المسيح، وتَمَّم بالصليب خلاصنا من عبودية الشيطان، وأسر الجحيم، وانفتح بالصليب طريق الحياة والخلود، وباب الفردوس (لوقا ٢٣ : ٤٣)، وصار الصليب للمسيحية رمزاً وفخاراً، وعلماً وشعاراً، وصار يُرسم

أمامنا فى صدر الكنيسة وأعلى حجاب الهيكل، وفوق المنارات والقباب، وعلى الأبواب... بل صرنا نحمله على صدورنا وفوق رءوسنا، ونرسمه على وجوهنا، وندقه بالوشم على معاصمنا وأيدينا، ونرفعه عالياً على بيوتنا، وسلاحاً روحانياً نُشهره ضدّ الشيطان، ولكى ندوس به الحيات والعقارب وكل قوة العدو الشرير... ونحن نردد دائماً «وأما أنا فحاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به صار العالم مصلوباً بالنسبة لى، وصرت أنا مصلوباً بالنسبة إلى العالم» (غلاطية ٦: ١٤) ... لماذا؟

لماذا ظل الصليب على الرغم من القيامة، رمز المسيح... وشعار المسيحى... وعَلَمَ المسيحية؟ لماذا...؟ لأنه على الصليب قام بناء المسيحية الشامخ... منذ سقط آدم الإنسان الأول وطُرد من الفردوس وحكم الله الآب عليه بالموت عدلاً، وبالتالى على كل ذرية آدم الذين وُلدوا منه بعد سقوطه، فشملهم الموت وشملهم الفساد «فكما أن الخطيئة دخلت فى العالم على يد إنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، فكذلك سرى الموت إلى جميع الناس بالذى جميعهم خطئوا فيه (وهو آدم)»، إذ «فى آدم مات الجميع» (رومية ٥: ١٢)، (١ . كورنثوس ١٥: ٢٢) ... منذ سقط آدم، وعد الله البشرية بالمخلص والفادى (التكوين ٣: ١٥)، الذى ليس بأحد غيره الخلاص لأن ما من اسم آخر تحت السماء قد أعطى للناس به ينبغى أن نخلص» (أعمال ٤: ١٢). ولما لم يكن وقت مجيئه قد حان، فقد شرع آدم بتوجيه من الله أن يترضى وجه الله بذبيحة من الحيوان يضع يده على رأسها معترفاً بخطاياه، ثم يسفك دمها علامة على العداوة القائمة بين الله والناس، وإشارة إلى الفادى الذى لم يأت زمانه بعد وعنه قال أحد الأنبياء فى القديم «أراه ولكن ليس الآن، أبصره ولكن ليس قريباً» (سفر العدد ٢٤: ١٧) ... لأنه كيف يُستساغ أن يكون الحيوان وسيطاً بين الإنسان وبين الله، والحيوان أقل مرتبة من الإنسان؟! **وإذن لم يكن بذبح الحيوان غفران حقيقى، إنما كان ذبح الحيوان ضرورة مؤقتة تُذكر الإنسان حتى لا ينسى حاجته إلى الفداء وإلى الفادى الحقيقى الذى لم يأت زمانه بعد،...** وعنه قال يعقوب أبو الأسباط «**لخلاصك انتظرت يارب**» (التكوين ٤٩: ١٨)، وقال النبى داود «تاقت نفسى إلى خلاصك... كلت عيناى إشتياقاً إلى خلاصك... رجوت خلاصك يارب... اشتقت إلى خلاصك يارب...» (مزمور ١١٨: ٨١، ١٢٣، ١٦٦، ١٧٤).

وليس آدم وحده الذى قدم الذبيحة من حيوان، إعترافاً منه بخطيئته وإعلاناً بحاجته إلى الفادى والمخلص، وإنما جميع أولاد آدم بغير إستثناء... قايين، وهابيل، وشيث، ونوح... وأيوب... وإبراهيم، وإسحق، ويعقوب، وموسى، وبنو إسرائيل، وصموئيل، وداود... كلهم قدموا الذبيحة طلباً للفداء «فى الإيمان مات هؤلاء كلهم، ولم ينالوا المواعِد، بل إنما رأوها عن بعد، وصدقوها، وحيوها...» (العبرانيين ١١: ١٣)... هذا هو «الخلاص الذى فتش وبحث عنه الأنبياء» (١. بطرس ١: ١٠).

وهنا التساؤل الكبير... لماذا قدم الناس جميعاً إبتداء من آدم، ذبيحة طلباً للفداء والخلاص...؟ نعم جميع بنى آدم قدموا الذبيحة بغير إستثناء... حتى الذين شردوا من حظيرة الله الواحد الأحد، واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق (رومية ١: ٢٥)، وسجدوا لمخلوقات السماء، وأقاموا لأنفسهم أصناماً وأوثاناً عبدوها وسجدوا لها... حتى هؤلاء كانت الذبيحة ضرورية فى عباداتهم... ولم تخل أمة ولا ديانة فى كل الأرض، منذ آدم حتى اليوم، من فكرة الذبيحة والفداء... لماذا؟ لولا أن هذه الذبيحة هى الفداء الذى أعلنه الله لآدم، وصار البشر جميعاً يطلبونه إبتغاءً للخلاص، والعودة إلى الفردوس... **فلما جاء الفادى الحقيقى، الذى لم تكن ذبيحة الحيوان إلا رمزاً إليه وإشارة، قام هو وحده بالفداء، الذى لم يكن أحد غيره من بنى آدم قادراً على أن يقوم به، وسفك دمه على الصليب، لا لخطيئة صنعها هو، وإنما تكفيراً عن خطيئة آدم وذريته صار هو بدلاً منا فى وضع الخاطىء**، وبذلك كان كما أشار إليه يوحنا المعمدان «**هوذا حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم**» (يوحنا ١: ٢٩) وكما قال عنه الرسول القديس بولس «ذاك الذى لم يعرف خطيئة جعله الله خطيئة من أجلنا، لنصير نحن بِرّ الله فيه» (٢. كورنثوس ٥: ٢١).

لهذا كله لا نقبل بالصليب بديلاً... سيظل الصليب علامة المسيح، وقد دعى اسمه يسوع المسيح لأنه خلص ويخلص شعبه من خطاياهم (متى ١: ٢١) ولسوف يظهر أمامه عند مجيئه الثانى للقضاء والحكم ولكى يدين الأحياء والأموات، صليب من نور، يتقدمه كعلم «وعلامة له فى السماء» (متى ٢٤: ٣٠).

وسيظل الصليب دائماً وأبداً علامة للمسيحى والمسيحية.

وإذا كان المسيح هو ملكنا، فله على الأرض مملكته، كما له فى السماء مملكة، لكن مملكته على الأرض روحية لا زمانية، وقد قال لبيلاطس الحاكم

الرومـانى: «نعم أنا ملك كـقـولك». لكن مملكتى ليست من هذا العـالم» (يوحنا ١٨ : ٣٧، ٣٦)

ومملكته أو ملكوته على الأرض هو الكنيسة.

وإذا كانت المسيحية مملكة أسسها المسيح على الأرض، ولكل مملكة علَمٌ، فمملكة المسيح لها علم هو الصليب،... والصليب يرمز للألم، لكنه الألم الذى يتبدل إلى خلاص، والألم الذى تعقبه القيامة...

ونحن كمسيحيين لابد لنا أن نحمل صليبنا (مرقس ٨ : ٣٤)، ونسير مع المسيح فى درب الصليب، ولا نستحى منه ولا نخجل، لا نرد الشر بالشر، أو الشتيمة بالشتيمة، بل بالعكس مباركين فنرث البركة عالمين أننا لهذا الأمر دعينا (١. بطرس ٣ : ٩) «فإن آلامنا فى هذا الزمان الحاضر لا تستحق أن تقارن بالمجد العتيد أن يتجلى فينا» (رومية ٨: ١٨) «فمن ذا الذى يضركم إذا كنتم غَيارى على الخير؟ ولكن لو تألمتم فى سبيل الحق فهنيئاً لكم» (١. بطرس ٣: ١٣، ١٤).

نعم لابد أن يكون بعد الصليب قيامة مجيدة، ونصرة جديدة.

هذا المقال، والمقال السابق المنشور فى الأحد الماضى «لماذا سُمى المسيح ابن الله» نهديهما إلى المتحدث فى البرنامج الدينى للتليفزيون، الشيخ محمد متولى الشعراوى، الذى آل على نفسه - على مدى بضعة شهور إلى الآن - أن يُهاجم العقيدة المسيحية فى (أن المسيح ابن الله، وأنه هو المخلص الذى صُلب من أجل خلاص البشرية)، مستغلاً التليفزيون - وهو أداة إعلامية لجميع المواطنين - فى هذا الهجوم السافر الساخر.

وإليه نوجه ما قاله المسيح له المجد إلى شاول الطرسوسى قبل أن يُصبح بولس الرسول: «شاول، شاول، لماذا تضطهدنى؟... إنه لصعب عليك أن ترفس مناخس المهماز» (أعمال الرسل ٩: ٤، ٥)، (٢٦: ١٤، ١٥).

وما قاله الشاعر العربى:

كناطِحِ صخرةٍ يوماً ليُوهنَها ... فلم يَضُرّها بَلْ أوهَى قَرنَهُ الوعلُ

يا نافِخَ القَمَرِ الزّاهِى لِيُطفِئَهُ ... تُفنِى قُواكَ، ولا يدرِى بِكَ القَمَرُ

٣٥ ـ بالحقيقة صلب وبالحقيقة قام (١)

المسيح قام من بين الأموات، وهو الذى ليس له فى القبر جسد أو رفات، وإنما قبره فارغ وقد تحول إلى مذبح تقدم فيه وعليه القرابين، ومنه يبزغ نور فى كل عام، فى السبت الذى يعرف بالسبت الكبير، وسبت النور، وسبت الفرح... قبر ليس فيه عظام... وليس فيه هوان الفناء للإنسانية، وإنما أشرق ويشرق فيه نور، ويتجدد منه وفيه الأمل والرجاء والإيمان بقيامة الأموات والحياة فى الدهر الآتى. قال الوحى الإلهى بفم النبى إشعياء عن المسيح «إياه تترجى الأمم، ويكون مثواه مجيداً» (إشعياء ١١ : ١٠).

ولقد مات المسيح يسوع، لأنه كان لابد أن يموت، لكى يفدى بموته الجنس البشرى كله، المحكوم عليه بالموت جزاء التعدى والمخالفة والمعصية التى فعلها آدم أبوهم، وفيه يموت جميع الناس (١ . كورنثوس ١٥ : ٢٢).

ولذلك فإن موت المسيح ليس عاراً للمسيحيين، لكنه طريق الخلاص من العقاب الأبدى ولرفع وزر الخطيئة. مات المسيح ليهبنا خلاصاً وليمنحنا السلام القائم على العدل الإلهى، ولكى يردنا إليه فى كنف أبوته، ولكى نحظى معه بمجده فى فردوس النعيم وملكوت السماوات.

لكن المسيح يجمع بين كونه إلهاً وبين كونه إنساناً، فى وقت واحد. وبصفته إلهاً لا يموت، لأن الله حى لا يموت، ولا تقبل طبيعته الموت... وإنما الذى مات هو الإنسان يسوع المسيح أى يسوع المسيح بصفته إنساناً (١ . تيموثيئوس ٢ : ٥).

وموت يسوع المسيح معناه إنفصال وإفتراق بين جسده وروحه اللذين يتكون منهما ناسوته أو إنسانيته. على أن لاهوته المتحد بناسوته لم يُفارق لا روحه الإنسانية ولا جسده.

لذلك كان المسيح حياً فى موته... كان حياً بلاهوته المتحد بناسوته، لأن اللاهوت لا يموت، ولكن الكتاب المقدس يقرر أن المسيح مات بمعنى أنه أسلم روحه الإنسانية على الصليب (متى ٢٧ : ٥٠)، (مرقس ١٥ : ٣٧)، (لوقا ٢٣ : ٤٦)، (يوحنا ١٩ : ٣٠) فافترقت من جسده. **أما اللاهوت فظل متحداً بكل من الروح والجسد، ولم يفارق لا روحه**

---

(١) فى عيد القيامة المجيد ـ الأحد ٢٢ ابريل ـ نيسان لسنة ١٩٧٩م ـ ١٤ من برموده لسنة ١٦٩٥ش.

ولا جسده. وهذا هو السبب فى أنه على الرغم من الموت بهذا المعنى، فإنه عندما طعنه قائد المائة (لونجينوس) بالحربة فى جنبه الأيمن جرى من جنبه ماء ودم (يوحنا ١٩ : ٣٤)، (١. يوحنا ٥ : ٦، ٨)، وهو أمر لا يمكن حدوثه لميت، **إذن فيما مات المسيح، بانفصال مؤقت فى ناسوته بين الروح والجسد، كان حياً باللاهوت المتحد به. ذاك إذن هو الميت الحى.**

«قدوس الله، قدوس القوى، قدوس الحى الذى لا يموت الذى صُلب عنا، ارحمنا».

وهذا هو السبب فى أننا لا نخجل من أن نقول إن مسيحنا مات، **لأنه لم يمت عن ضعف، وإنما عن قوة، لكى ينتزع لنا بالموت حقنا فى الحياة إلى الأبد... فموته إذن هو عن حب، ولأجل خير يعود علينا «ما من حب أعظم من أن يبذل أحد نفسه عن أحبائه» (يوحنا ١٥ : ١٣).**

وفى هذا المفهوم الروحانى، نعيش أحداث الصلب والصليب فى يوم الجمعة العظيمة ونحن نردد مع القديس أثناسيوس الرسولى، حامى الإيمان الأرثوذكسى:

«قدوس الله الذى من أجلنا تأنس من دون تغير، وهو الإله».

قدوس القوى الذى أظهر بالضعف ما هو أعظم من القوة.

«قدوس الذى لا يموت الذى صلب من أجلنا، وصبر على موت الصليب، وقبله فى جسده، وهو الأزلى الذى لا يموت...».

وعلى ذلك فيوم الجمعة الذى نحتفل فيه بصلب المسيح هو يوم عظيم وكبير وجليل، ولذلك يُسمى يوم (الجمعة العظيمة) أو (الجمعة الكبيرة). وذلك لأنه قد تم فيه الخلاص. هكذا نؤثر أن نسميه، وذلك نظراً لخطره وقيمته فى تدبير الفداء والخلاص.

وشكراً لله، فإن الكفن الذى وُضع على جسد المخلص ولفوه به بعد أن أنزلوه من على الصليب ووضعوه فى قبر جديد (متى ٢٧ : ٥٩، ٦٠)، (لوقا ٢٣ : ٥٣)... هذا الكفن المحفوظ الآن فى مدينة (تورينو) TORINO بإيطاليا إرتسمت عليه صورة المخلص، وآثار الدم والجروح التى كانت على جسده، **بفعل الحرارة المنبعثة من جسده الذى كان حياً باللاهوت المتحد به**، فلم يبرد برودة الموت وكان هذا فى الوقت نفسه بينة مسبقة على أنه سوف يقوم

من الموت «ففك إسار أوجاع الجحيم، لأنه لم يكن ممكناً للجحيم أن يستبقيه أسيراً له (أعمال الرسل ٢ : ٢٤).

والأمر الذى حير العلماء والباحثين الذين فحصوا هذا الكفن من الكتان فحصاً علمياً دقيقاً، وأخضعوه للتحليل العلمى الشامل، تبينوا بالتدقيق أنه يرجع إلى ألفى عام واكتشفوا عليه **حبوب لقاح لنباتات منقرضة كانت تنمو فى فلسطين من ألفى سنة مضت.**

ومما هو جدير بالذكر أنه ليس على الكفن أى أثر لرسم بيد إنسان، والأمر الذى هو أغرب من الغرابة **أن آثار الجسد على الكفن هى بالسلب** (IN NEGATIVE)وذلك فى لغة التصوير الفوتوغرافى، فالأجزاء المضيئة داكنة، والداكنة مضيئة بينما **أن بقع الدم على الكفن هى (صورة موجبة)** (IN POSITIVE) **فهى بلون قرمزى قاتم...**

ويحمل الكفن المقدس - كما يقول العلماء بعد فحصه فحصاً علمياً دقيقاً - الدليل على «**إنفجار القوة**» (EXPLOSION OF ENERGY) انبعث من الجسد. **وهذا مرده إما إلى قوة الحياة الإلهية فى الجسد بفعل اللاهوت المتحد به، أو إلى قوة الحياة المنبعثة منه عندما قام من الموت، أو إلى الإثنين معاً.**

ولما كان الصلب قد تم فى يوم الجمعة، ووقع عيد الفصح اليهودى فى يوم السبت، وكان الاستعداد للعيد يبدأ فى غروب اليوم السابق (مرقس ١٥ : ٤٢)، (لوقا ٢٣ : ٥٤)، فلم يكن هناك وقت لغسل جسد المسيح بعد أن أنزلوه من على الصليب، وكان هذا خيراً، فإن آثار الدم فى مواضع كثيرة من الجسد ظهرت على الكفن عندما لفوه فيه، ومنها **بقع الدم على جبهة الرأس وعلى العنق، ومنها أيضاً آثار الجروح والتمزيقات على جلد الجسد**، وذلك من فعل عملية الجلْد بالمقرعة ذات السيور الثلاثة (فقد ظهرت على الكفن آثار نحو مائة وعشرين ضربة بالمقرعة على الرغم من أن عددها القانونى عند العبرانيين ٣٩ جلدة - أربعين جلدة إلا واحدة (٢ . كورنثوس ١١ : ٢٤)، (التثنية ٢٥ : ٣)... ومنها أيضاً آثار المسامير فى رُسغ أو معصم يديه وقدميه... ومنها أثر طعنة الحربة فى جنبه الأيمن، ثم آثار أشواك الإكليل التى إنغرست بقسوة فى رأسه وجبهته»... ومنها آثار الرضوض والسَّحْجات (الخدوش والتقشيرات والتقطيعات فى الجلد) التى أحدثها حمل الصليب الثقيل على كاهله وعلى لوح الكتف الأيسر وأعلى الكتف الأيمن، بميل قدره عشرون درجة، وقد ظهر أن الرَّضَّ والسَّحْق فى لوحة الكتف الأيسر أكبر وأعمق من ذاك على الكتف الأيمن، **مما يدل على أن الكتف الأيسر قد**

عانى أكثر من الأيمن، وذلك من ضغط خشبة الصليب، كما يدل على أن الطرف الأدنى من الصليب كان مربوطاً إلى الكاهل الأيسر. وكذلك بفعل اللوحة النحاسية التى كتبوا عليها بيان تُهمة صلبه (متى ٢٧ : ٣٧)، (مرقس ١٥ : ٢٦)، (لوقا ٢٣ : ٣٨)، (يوحنا ١٩ : ١٩)، والتى كانت موضوعة على الصليب من خلف رأس المخلص ونازلة على كتفيه...

كل ذلك ظهر مطبوعاً على الكفن المقدس، **وبذلك أضاف هذا الكفن دليلاً أثرياً ناطقاً بحقيقة كل ما أورده الإنجيل المقدس عن حقيقة الصلب بكل تفصيلاتها ودقائقها.**

بل إن الآثار المنطبعة على الكفن المقدس أوضحت بمالا يدع مجالاً للشك تفصيلات دقيقة كثيرة عن عملية الصلب نفسها، وموضع المسامير فى يدى المخلص المصلوب **وأن المسامير قد دُقت فى رسغ اليد أى المعصم (وليس فى الكف) عند العصب المتوسط. أما القدمان فقد وُضعت القدم اليسرى منهما بعنف وشدة فوق القدم اليمنى الموضوعة مباشرة على الصليب، ودُق مسمار واحد نفذ فى الكاحل أو رسغ القدم اليسرى، ومنها إلى رسغ القدم اليمنى، ومنها نفذ إلى خشبة الصليب. وأما الطعنة فى الجانب، فقد ظهرت فى الكفن أنها أصابت الجانب الأيمن من جسد المخلص عند الضلع السادسة فى المسافة الخامسة بين الأضلاع.**

وكشف الكفن المقدس أن إكليل الشوك الذى وضعوه على رأس مخلصنا كان من طراز مختلف من الأكاليل الدائرية، فقد كان يغلو الرأس بحيث إنغرست أشواكه الطويلة فى قمة الرأس والجبهة.

كما كشف الكفن المقدس آثار قَرَت (دم جامد يابس) وكدمة وورم فى منتصف الجبهة يدل على أن المخلص كان قد سقط على وجهه أثناء حمله للصليب إلى موضع الجلجثة، ومن أثر ذلك أيضاً تورم وإنتفاخ فى الشفة العليا للفم، وورم فى الفك الأسفل والذقن، ثم تشوه فى الحاجز الأنفى فيما بين الحاجز الأنفى أو قصبة الأنف وبدء غضروف الأنف، وهذا يشير إلى تفتت وكسر فى هذا الجزء من الأنف ترك أثره على الكفن بظهور منطقة صغيرة منخفضة عميقة نوعاً ما، وهذا يؤكد مرة أخرى **أن المخلص سقط تحت الصليب على وجهه من الأمام.**

وظهر على الكفن أيضاً ورم على حاجب وعلى جفن العين اليسرى، وتورم أو إنتفاخ على الركبة اليسرى ثم ورم آخر فى عظمة الخد الأيمن وإنتفاخ فى الخد ذاته مما يدل على **سقوط**

آخر تحت الصليب على الجانب الأيسر تارة وسقوط ثالث على الجانب الأيمن. وهذا يُضيف دليلاً على صحة التقليد الذى يروى أن المسيح **فادينا قد سقط تحت حمل الصليب الثقيل وهو معيى ثلاث مرات.**

كذلك كشفت الآثار على الكفن المقدس أن **وجه المسيح من الأمام قد مسحت من عليه بُقع الدم** بينما ظهرت بُقع كثيرة على جانبى الرأس وعلى العنق، وهذا يؤيد التقليد المنحدر عبر الأجيال عن فتاة تقية اسمها فيرونيقا VERONICA رأت فادينا فى طريق الصليب، ووجهه قد تلطخ بالدم والطين بفعل العرق المتصبب منه على تراب الأرض إذ سقط تحت حمل الصليب، فتقدمت نحوه، ومسحت وجهه بمنديلها، فانطبعت صورة الوجه المقدس على المنديل مكافأة لها على صنيعها الجميل.

أيها الرب يسوع، ربنا، ملك الملوك ورب الأرباب (١ . تيموثيوس ٦ : ١٥)، (الرؤيا ١٧ : ١٤)، (١٩ : ١٦)، إننا كما نفخر بقيامتك المجيدة من الموت، غالباً ومنتصراً، فاتحاً أمامنا الرجاء بالقيامة التى أقمتنا فيها معك (كولوسى ٢ : ١٢) **نمجد أيضاً صلبوتك الذى فيه وبه كان لنا حبك ورحمتك بغير حدود، ونفتخر بالصليب ولا نعتبره عاراً بل مجداً وفخاراً، نحمله فى قلوبنا، وفوق رؤوسنا، وعلى صدورنا وأيدينا، مرددين مع الرسول بولس قوله «أما أنا فحاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح»** (غلاطية ٦ : ١٤).

«أنت يا سيدى ملكنا الروحى والسماوى، والصليب هو علم مملكتك، «وعلمه فوقى محبة» (نشيد الأناشيد ٢ : ٤).

٣٦ ـ صاحب القبر الفارغ (١)

إخوتنا الأحباء فى بلاد الشرق الأوسط، ومن بلاد الشرق الأوسط من الناطقين باللغة العربية.

شكراً فائضاً لله تعالى الذى أعطانا أن نتمتع ببركات هذا العيد السعيد، الذى يُعيد لأذهاننا ذكرى قيامة مخلصنا من بين الأموات وإنتصاره على الموت بقوة لاهوته المحيى، معلناً بقيامته حقيقة شخصيته الإلهية، التى أخفاها فى جسم بشريته من أجل تدبير الخلاص، الذى نزل هو من السماء لإتمامه لجنسنا.

فالمسيح له المجد هو وحده صاحب القبر الفارغ، والذى لم يستطع قبره أبداً أن يحتفظ بجسده أكثر من ساعات لأنه فى اليوم الثالث قام (١ . كورنثوس ١٥ : ٤) ولم ينل جسده الفساد (مزمور ١٥ : ١٠)، (أعمال ٢ : ٢٧ ، ٣١)، (١٣ : ٣٥) وخرج من القبر ـ والقبر مغلق بحجر عظيم (مرقس ١٥ : ٤٦) ومختوم بخاتم المملكة (متى ٢٧ : ٦٦) ـ وبعد قيامته وخروجه من القبر نزل ميخائيل رئيس الملائكة ،ودحرج الحجر عن باب القبر، (متى ٢٨ : ٢) ليُعلن أن القبر فارغ وأن رب المجد قام حياً من بين الأموات. فليس القوى الجبار فى حاجة إلى ملاك يُسهل له سبيل الخروج من القبر، فقد خرج من بطن البتول الطهور مريم العذراء وأختام بتولتها مصونة عذراء ـ ودخل على تلاميذه مراراً والأبواب من دونهم موصدة ومغلّقة بسبب الخوف من اليهود (يوحنا ٢٠ : ٢٦).

وبقيامته المجيدة أنار طريق الموت وكسر شوكته عن المؤمنين المعمدين، الذين نالوا بدم المصلوب العتق من عبودية الشيطان والجحيم. فلم يعد للموت ولا للجحيم سلطان على المفديين بدم المخلص لأن ربنا يسوع نزل بنفسه إلى الجحيم (أفسس ٤ : ٩) مقر الأرواح المقيدة وبشر المأسورين هناك بالإطلاق (١ . بطرس ٣ : ١٩) المأسورين الذين كانوا ينتظرون الفداء والخلاص (زكريا ٩ : ١٢) ونقلهم إلى الفردوس الذى كان مغلقاً منذ أخطأ آدم أبو الجنس البشرى ـ وطرد من الفردوس عقاباً له (التكوين ٣ : ٢٤) ففتحه السيد المسيح بصليبه (لوقا ٢٣ : ٤٣) وأدخل إليه كل النفوس المؤمنة التى كانت مبيعة تحت الخطيئة واشتراها المسيح بدمه الإلهى الثمين (أفسس ٤ : ٨).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ـ ١٠ من أبريل ـ نيسان لسنة ١٩٧٧م ـ ٢ من برموده لسنة ١٦٩٣ش. وألقى فى عيد القيامة المجيد بالإذاعة البريطانية فى أبريل ١٩٧٧م.

أيها الإخوة

إن قضية الفداء أو الخلاص هى محور إيماننا ونقطة الارتكاز فى ديانتنا، بدونها لا نفهم السبب الذى من أجله تجسد ابن الله، لأن مسيح الله قد جاء من السماء خصيصاً لهذه المهمة التى لم يكن ممكناً لغيره أن يقوم بها.

فالخطيئة التى أخطأها آدم كانت عظيمة بهذا القدر، حتى إن نبياً أو قديساً أو رسولاً لم يكن فى مقدوره أن يكفر عنها وفاء للعدل الإلهى الذى حكم بالموت على آدم. ونحن نعلم أن الخطأ تقاس فداحته بمقام الذى أسىء إليه لا بمقام الذى أساء. وهكذا يقتضى العدل أن يكون وفاؤه فى شخص غير محدود، ليرد حق الله غير المحدود الذى أسىء إليه بمعصية آدم. لذلك لم يكن فى سلطان ملاك أو قديس أن يقوم بعمل الكفارة، وتغطية الخطأ الجسيم الذى وقع فيه الإنسان الأول لأن المخلوق المحدود لا يكفر عن خطأ غير محدود.

وليس بخاف عليكم - أيها الإخوة - أن الله كلى العدالة كما أنه كلى الرحمة . وعلى ذلك فلا معنى للظن أن التوبة من جانب الإنسان كافية لترضية العدل الإلهى. إن الله يغفر ولكن ليس من دون شرط. والذى يزعم غير هذا مخطىء كل الخطأ. وكأن الخطيئة أمر هين وكأن الله يساء إليه دائماً وهو يغفر دائماً من غير قيد!! أى زعم هذا الذى يبنى على غيره معرفة بطبيعة الله وحقيقة صفاته؟ إنه رأى ينطوى على فهم خاطىء واستهتار بالقدوس الكامل الذى يتطلب من المؤمنين أن يكونوا كاملين كما أنه هو كامل (متى ٥: ٤٨)، وأن يكونوا نظيره قديسين فى كل سيرة (١ . بطرس ١: ١٥).

ولو كان الله يغفر من دون ترضية كافية لما رسم فى شريعة العهد القديم أن يقدم الناس ذبائح عن خطاياهم. ولم تكن الذبائح الدموية كافية فى ذاتها للترضية ولكنها بينة على الطاعة للشريعة. ولم يتم بتلك الذبائح غفران حقيقى - لأن الغفران الحقيقى كان مؤجلاً إلى أن يأتى الوسيط الحقيقى وهو المسيح الفادى الذى ليس لأحد بغيره الخلاص (أعمال ٤: ١٢). وهو الذى جمع فى شخصه وطبيعته إنسانية آدم ولاهوت الله. وجمع المسىء والمساء إليه معاً وصالح الإنسان مع الله، بأن قدم فى ناسوته الترضية التى يتطلبها العدل الإلهى، حتى يغفر للإنسان ذنبه الذى عصى به وصيَّة الله.

وإذن لقد جاء المسيح من السماء من أجل أن يُصلب لتتم بصلبه الترضية المطلوبة ويوفى العدل الإلهى وتغفر الخطيئة الأولى التى أخطأها أبونا آدم الأول. قال السيد المسيح «الكأس التى أعطانيها أبى، ألا أشربها» (يوحنا ١٨: ١١) وهو يعنى كأس الصليب، وقال مرة أخرى: «يا أبتاه نجنى من هذه الساعة، ولكننى من أجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يوحنا ١٢: ٢٧). وكان دائماً يقول «إن ابن الإنسان ينبغى أن يتألم كثيراً ويمتهن من الشيوخ ومن رؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وبعد ثلاثة أيام يقوم» (مرقس ٨: ٣١)، (لوقا ٩: ٢٢).

وإذن فالصليب ضرورة، وموت ابن الله بناسوته أمر لا مفر منه لخلاص الإنسان من حكم الموت، ولنجاته من سلطان الجحيم الذى ينتظره جزاءً وفاقا على جريمته. فبالصليب تمت الكفارة ودفع الثمن المستحق واشترى الإنسان من جديد. فانعتق من دائرة الشيطان الذى كان قد اقتنصه لإرادته (٢. تيموثيوس ٢: ٢٦).

على أن الخطأ الذى وقع فيه آدم قد شمل كل جنسنا. ذلك أن آدم كان أباً للجنس البشرى ونائباً عنه. وفى آدم أخطأ الجميع. قال الوحى «فكما أن الخطيئة دخلت فى العالم على يد إنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، فكذلك سرى الموت إلى جميع الناس بالذى جميعهم خطئوا فيه» (رومية ٥: ١٢). وعلى ذلك فلم تكن خطيئة آدم مجرد خطيئة شخصية، ولكن الجنس البشرى كله قد سقط فى آدم.

كان آدم يتمتع بميزات كثيرة عالية فى الطبيعة. كان يتمتع بالصلاح والقداسة والطهارة والبراءة. وكان ينعم بسمو الفكر ودقة الفهم وسعة الإدراك وصفاء الذهن وقوة النفس، وكان يمتلك السيادة والقدرة على نفسه وعلى الطبيعة فى شتى مظاهرها ومرافقها. وكان أيضاً يعمل بلا تعب ولا مشقة ولا فشل، كما كان عالياً على الضعف والمرض والموت. وبالإجمال كانت له عطايا كثيرة فوق الطبيعة، وقد فقدها جميعاً بسقطته. فانحطت نفسه واظلم عقله، وملكت على قلبه الشهوات والميول والإنعطافات الجسدية والمادية، ودب إليه الضعف والإنحلال والمرض والموت، نفساً وجسداً.

وقد ورث الجنس البشرى كله حالة آدم بعد السقوط لأن الجنس البشرى قد ولد من آدم بعد أن سقط وطرد من الجنة وسقطت عنه كل المواهب العالية على الطبيعة التى كان يتمتع بها الإنسان قبل سقوطه.

هذه الوراثة مسألة طبيعية وهى واضحة فى مملكة الناس. فمن يُحبل به من والدين فى حالة مرضهما الوراثى يرث حالهما عند ولادته ولا يستطيع أن يفلت من تبعات هذه الحالة ومقتضياتها لأنه ولد فيها.

ولعل الدليل الدامغ على أننا ورثنا حالة آدم الأول التى صار إليها بعد السقوط هو أننا نعيش الآن لا فى جنة عدن بل فى أرض الشقاء، نأكل خُبزنا بعرق جبيننا. وما زالت المرأة تلد بالأوجاع أولاداً. ومَنْ مِنَ الناس يقوى على مغالطة نفسه حتى ينكر هذه الحقيقة الواقعة؟

ولقد ينظر بعض الناس إلى عقيدة الخطيئة الأولى أو الخطيئة الأصلية بنظرة قاتمة. ولكن فى هذا هرب من الواقع وإنكار لحقيقة واضحة تنطق بها أفواه الناس وتصرفاتهم فى كل يوم، بل فى كل لحظة من لحظات وجودهم «إذ أن جميع الناس قد خطئوا فأعوزهم مجد الله» (رومية ٣: ٢٣). وقد جاهر مار بولس بالقول «فإنى أسر بشريعة الله بحسب الإنسان الباطن فىّ، ولكنى أرى فى أعضائى شريعة أخرى تحارب شريعة عقلى، وتأسرنى لشريعة الخطيئة التى هى فى أعضائى» (رومية ٧: ٢٢، ٢٣).

ولا عبرة أيضاً بالقول إن الخطيئة الأولى فكرة قاسية تجعل الإنسان يؤخذ بذنب لم يقترفه بالفعل. **فالحق أن الإنسان لا يؤخذ بذنب آدم ولا يعاقب عن خطيئته وإنما يرث حالته فقط.** ولذلك فإن الطفل غير المعمد إذا مات فإنه لا يُعذب ولكنه «لا يمكنه أن يرى ملكوت الله» (يوحنا ٣: ٣) «ولا يمكنه أن يدخل ملكوت الله» (يوحنا ٣: ٥) فهو لا يرث ذنب آدم وإنما يرث حالته بعد السقوط لأنه وُلد فيها. وهذا هو معنى ما جاء فى أوشية الراقدين «فإنه ليس أحداً طاهراً من دنس ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض» هذا عن الخطيئة الجدية. أما عن الخطيئة الفعلية فيقول الوحى «كل واحد بإثمه يموت» (إرميا ٣١: ٣٠) «النفس التى تخطأ هى تموت، الابن لا يحمل إثم الأب، والأب لا يحمل إثم الابن» (حزقيال ١٨: ٢٠).

فإذا كنا نحن قد ورثنا حالة آدم، فحُسبنا فيه أمواتاً لأنه أبونا. فلا نحتج لأننا نحن قد أخذنا أيضاً بر المسيح بالإيمان وبسر العماد «لأنه كما يموت جميع الناس فى آدم، فكذلك هم فى المسيح سيحيون» (١ . كورنثوس ١٥: ٢٢) «لأنكم تعمدتم جميعاً فى المسيح فلبستم المسيح» (غلاطية ٣: ٢٧).

فشكراً لله الذى جعلنا وارثين للبر الذى فى المسيح (غلاطية ٣: ٢٩). وقد أخذنا من المسيح فى الصليب بركات وفيرة لا يعبر عنها وقد طُعمنا - ونحن أغصان فى زيتونة برية - فى جسد المسيح، فصار لنا قوتاً وخلاصاً وثباتاً. وأصبح القديسون فى العهد الجديد يتمتعون بإمتيازات أعظم من الإمتيازات التى كان يتمتع بها آدم، ويحصلون على مواهب وقدرات أعظم من المواهب والقدرات التى حصل عليها آدم.

هذه تأملات ينبغى أن نضعها نصب أعيننا دائماً، لا سيما ونحن نذكر سر الفداء فى عيد قيامة مخلصنا يسوع المسيح. فلنبارك الرب على أفضاله وآلائه، ونشكره على نعمائه. ولنعيد له عيداً روحانياً، ولنصنع الخير لجميع الناس. لنبهج قلب المسيح إلهنا، ولنصالح إخوتنا ونصنع السلام مع كل أحد، حتى نعيد لا بخمير الخبث والشر بل بفطير الإخلاص والحق، ولنطيِّب قلب مخلصنا بعمل كريم يليق باسمه فى عيده العظيم ولنحرص على إتمام ما يُرضيه وتجنب ما يغضبه.

ويسرنا فى ختام هذه الرسالة أن ندعو لجميعكم بالبركة - ونطلب السلام والرفاهية والعزة لجميع الناس، شعوباً وحكومات وأفراداً، أعاد الله عليكم أمثال هذا العيد بكل أسباب السعادة الروحية والنفسية.

ولإلهنا المجد والإكرام إلى الأبد، آمين.

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسوعة الأنبا غريغوريوس

٨ ـ اللاهوت العقيدى «الجزء الثالث»
فى أسرار الكنيسة السبعة (١)

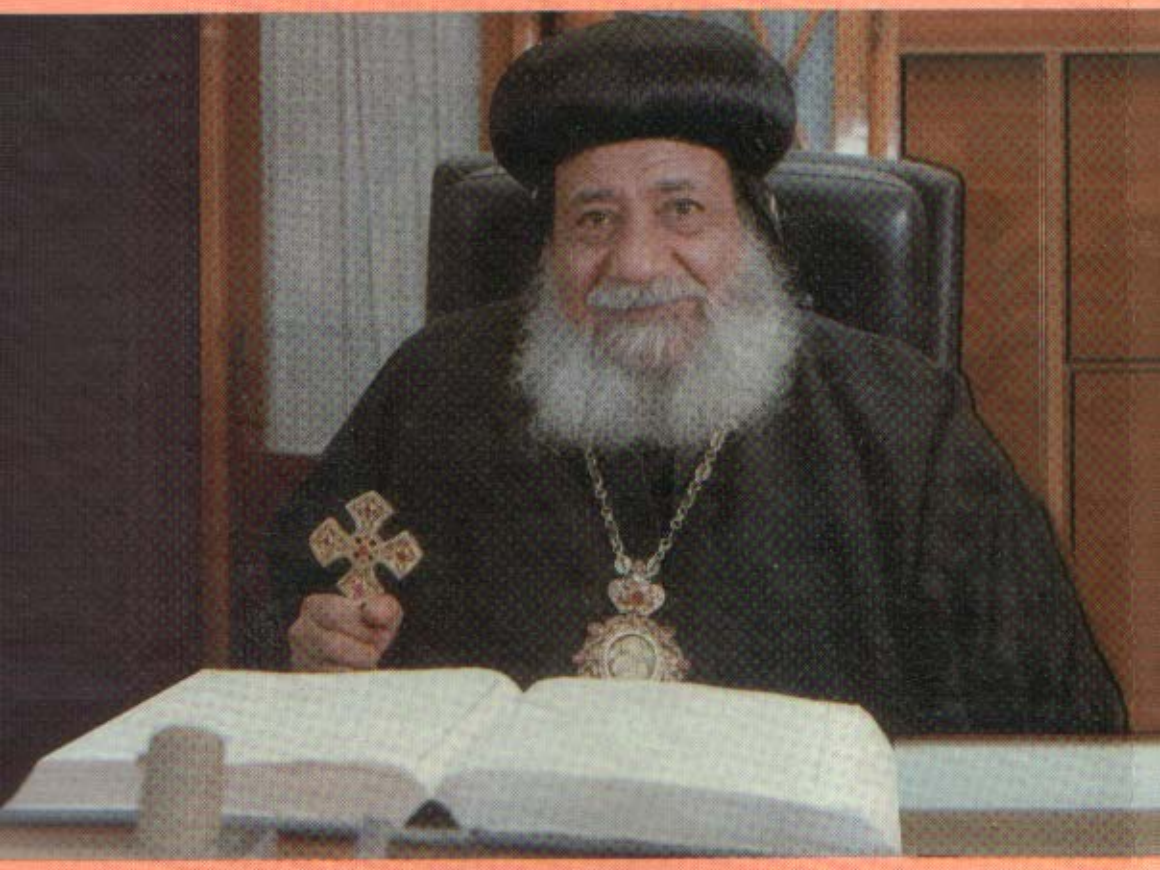

للمتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موســـوعة الأنبا غريغوريوس

٨ - اللاهوت العقيدى «الجزء الثالث»

فى أسرار الكنيسة السبعة

(١)

للمتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

الكتاب : موسوعة الأنبا غريغوريوس ـ ٨ ـ القيم الروحية فى أسرار الكنيسة السبعة.

المؤلف : المتنيح الأنبا غريغوريوس.

إعداد : الإكليريكى منير عطية.

الناشر : مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس.

دير الأنبا رويس بالعباسية مصر ت: ٦٨٢٤٩٦٢ ـ ٤٨٨٢٥٢٢.

المطبعة : شركة الطباعة المصرية ت: العبور ٦١٠٠٥٨٩.

الجمع والغلاف: شركة فاين للطباعة والتوريدات ت: ٤٨٢٠٩٠٣

رقم الإيداع بدار الكتب : ٣٣٤٢ / ٢٠٠٥

حقوق الطبع محفوظة للناشر



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث



نيافة الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس

مقـــدمة

هذا هو الجزء الثامن من موسوعة الأنبا غريغوريوس، وقد سبقه سبعة أجزاء، الجزء الأول في اللاهوت المقارن، والثاني في اللاهوت الأدبي، والثالث في الرهبنة، والرابع في الدراسات الفلسفية، والخامس في اللاهوت الطقسي، والسادس في لاهوت السيد المسيح، والسابع في سر التجسد والفداء.

أما هذا الجزء الثامن فيعد الجزء الأول عن القيم الروحية في خمسة من أسرار كنيستنا المقدسة وهي المعمودية والميرون والقربان والتوبة ومسحة المرضى.

هذه هي الثمرة الثامنة وهي من نتاج العالم والمعلم الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس الذي قال عنه قداسة البابا شنوده الثالث.

«حياة أنبا غريغوريوس تتلخص في كلمتين «التكريس والعلم» ... وكان العلم يشغل كل وقته.. بهذا التكريس للخدمة، وبهذا العلم كان بإستمرار معتكفاً في مسكنه، يقابله الناس وهو مشغول بين الكتب والكتابة..

«كان الأنبا غريغوريوس يتميز بالشمولية في العلم.. كان في أساتذة الإكليريكية من هو متخصص بالكتاب المقدس، ومن هو مختص بالعقيدة، ومن هو مختص بالقانون. أو في الطقس إلى آخره..، ولكنه كان يشمل كل هذه العلوم معاً.. وفي الواقع كان معلماً قديراً.. له معلومات كثيرة.. هو موسوعة من المعلومات... كان مثلاً من الأمثلة التي لا تتكرر كثيراً في العلم الكبير..».

وستفرد أجزاء من هذه الموسوعة لتشمل كل ما كتبه في اللاهوت العقيدي، وسير من شخصيات الكتاب المقدس ومن القديسين، وستكون هناك أجزاء أخرى للموضوعات الكنسية والروحية والموضوعات العامة، بعد تبويبها، بحيث تشمل أجزاء هذه الموسوعة كل كتابات المتنيح الأنبا غريغوريوس التي لم تنشر أو نفذت بعد نشرها.

والرب وحده قادر أن يكمل مشروعنا هذا ويكلله بالنجاح، بصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث، أدام لنا الرب حياة قداسته، ومتعنا الرب برئاسته للكنيسة ولنا كراعياً، وحفظ الله قداسته بكل سلامة متمتعاً بكامل الصحة والعافية، ونفعنا الرب ببركة صلوات غبطته.

الإكليريكي

منير عطية

إهـــــــداء

إلى القديس العظيم بطل الأرثوذكسية الأشهر

البابا أثناسيوس الرسولى

إليك يا سيدى البابا نهدى سلسلة المباحث اللاهوتية والعقائدية، لأنها من وحيك وإلهامك، وبفضل توجيهك وإرشادك، وثمرة لكفاحك وجهادك!

فيك رأينا أرثوذكسية الإيمان وأرثوذكسية السيرة معاً!

ومنك تعلمنا كيف يكون الوفاء للحق، والاستمساك بالتقوى، والحرص على وديعة الإيمان.

ولقد وهبك الرب عقلاً شاخصاً فى الإلهيات، فكان تعليمك سليماً كل السلامة، وكان تعبيرك دقيقاً غاية الدقة!

ولم يكن طريقك سهلاً ... كان قولك مؤذياً لمسامع المنحرفين، وكان شخصك ثقيلاً على أنفاسهم الفاسدة، فكرهوك ولعنوك ... ومع ذلك لم يقووا على أن يقاوموا النعمة الساكنة بجنانك، أو يناقضوا الحكمة الناطقة على لسانك!

أثاروا عليك حرباً شعواء وطاردوك ونفوك، ولكنك صمدت وقاومت وأخيراً غلبت ونجحت، لأن الحق الذى فيك أعظم من الباطل الذى فيهم !

لولاك يا سيدى البابا لكان الإيمان الذى عندنا غير الإيمان الذى تسلمته أنت من أسلافك أيها البطريرك الرسولى!

لهذا نحييك تحية للفضيلة فى شخصك، ونطأمن رأسنا أمام عظمة أبوتك، تقديراً لتاريخك، وإقتداء بسيرتك فى الإيمان، يا حامى الإيمان!

من ابنك

غريـغوريـــوس

باخوم المحرقى - وهيب عطا الله

فهرس الموضوعات (١)

صفحة

مقدمة ٧
إهداء ٨

القيم الروحية فى سر المعمودية

مقدمة ١٠
أولاً : فى المعمودية يعتق المؤمن من الخطية الجدية ١٥
ثانياً: فى المعمودية غسل ومحو للخطايا وتطهير بالروح القدس من جميع الأدناس.. ٢٠
ثالثاً : فى المعمودية المسيحية صبغة باطنية ٢٤
رابعاً : فى المعمودية عملية ختان روحية، بفاعلية الروح القدس..... ٢٦
خامساً : المعمودية ختم لا ينفك وسمة لا تمحى ٢٩
سادساً : فى المعمودية يولد المؤمن من جديد ولادة من فوق ٣٢
سابعاً : فى المعمودية ينال المؤمن إنارة روحية ٣٩
ثامناً : المعمودية تفتح لنا أبواب فردوس النعيم وتؤهلنا لملكوت السماوات ٤٢
معمودية الدم أو الشهادة ٤٣
أهمية المعمودية للأطفال ومصير الأطفال غير المعمدين ٤٥
عماد الأبوين لا يغنى عن تعميد الأطفال ٥١
مصير الأطفال غير المعمدين ٥٦
إبتهال ٥٧
موضوعات وإجابات على أسئلة ٥٩
١ ـ التطهير والمعمودية ٥٩
٢ ـ مصير الأطفال الذين ماتوا بغير عماد ٦٠
٣ ـ أحد التناصير ٦٤
٤ ـ بركة الملائكة والسمائيين للمعمدين وبركة الرب يسوع المسيح لهم ٦٦
٥ ـ الزيت الساذج وزيت الغاليلاون ٦٩
٦ ـ اضطراب وحيرة وسجس فى طنطا ٧٤
هل الإيمان وحده يخلص الإنسان ٧٥
الإيمان وحده لا يخلص، إنما المعمودية هى التى تخلص ٧٨
٧ ـ أكاليل المعمدين ٨٢
نوع الأكاليل ومادتها ٨٤
هل أبطلت الكنيسة وضع الأكاليل على المعمدين ٨٥

(١) فهرس النصوص المقتبسة من الكتاب المقدس لجميع الأسرار سينشر فى الجزء الثانى من الأسرار السبعة.

من خطاب نيافة مار ساويريوس زكا عيواز ٨٥
٨ ـ هل المعمودية تعصم الإنسان من الخطيئة ؟ ٨٨
٩ ـ حول عماد الأطفال ٩٢
١٠ ـ الإنضمام للكنيسة القبطية الأرثوذكسية يقتضى قبول سر المعمودية ٩٤
١١ ـ لا يجوز التقدم إلى الأسرار المقدسة لغير المعمدين ٩٥
١٢ ـ هل يجوز تعميد طفل غير مسيحى؟ ٩٧
١٣ ـ معمودية هذه السيدة صحيحة ٩٨
١٤ ـ هل يجوز تعميد طفل هو ثمرة علاقة محرمة بين رجل وإمرأة؟ ١٠٠
١٥ ـ هل تعاد لـه المعمودية ؟ ١٠١
١٦ ـ عماد الكبار ١٠٢
١٧ ـ العماد الشرعى وهل يمكن العماد ثانية فى حالة الشك ؟ ١٠٣
١٨ ـ التعميد بالتغطيس ١٠٥
١٩ ـ طفل مات بغير عماد ١٠٦
٢٠ ـ هل يعمد الطفل بعد موته؟ ١٠٧
٢١ ـ لابد من العماد ضماناً لصحة الانضمام ١٠٩
٢٢ ـ هل يلحقهما إثم ؟..... ١١٠
٢٣ ـ عندما يكون هناك شك فى حقيقة العماد ١١١
٢٤ ـ يشكو موت الأطفال ١١٢
٢٥ ـ الاسم (يوحنا) ومعناه ١١٤
٢٦ ـ هل ينال العماد وهو كبير بالغ؟ ١١٦
٢٧ ـ ماذا بعد المعمودية ؟ ١١٨
٢٨ ـ السحرة عملة مع الشيطان ١٢١
٢٩ ـ هل يجوز التقرب للأسرار المقدسة لمن لم ينل سر العماد؟ ١٢٣
٣٠ ـ سؤال عن الماء فى جرن المعمودية ١٢٤
٣١ ـ لماذا يعمدون الذكر قبل الأنثى؟ ١٢٥
٣٢ ـ قانونية سرى المعمودية والتناول فى الكنيسة الكاثوليكية ١٢٦
٣٣ ـ معمودية النساء ١٢٨
٣٤ ـ هل يمكن تعميد طفلة من أم مسيحية وأب غير مسيحى؟ ١٣١
٣٥ ـ معمودية الكنائس الأخرى التى تقرها كنيستنا القبطية الأرثوذكسية ١٣٢
٣٦ ـ فى طقس تعميد المرأة البالغة ١٣٤
٣٧ ـ لا حاجة إلى إعادة المعمودية ١٣٥

٣٨ ـ الزمن المناسب للتعميد ١٣٦
٣٩ ـ مصير الأطفال غير المعمدين ١٣٧
٤٠ ـ الطفلة إذا ماتت بغير عماد ١٣٨
٤١ ـ الطفل يعمد ولو كان ابن يوم واحد ١٣٩
٤٢ ـ لماذا تمنع المرأة النفساء من دخول الكنيسة؟ ١٤٠
٤٣ ـ معمودية الكنائس التى تعمد بالتغطيس ١٤٥
٤٤ ـ معمودية التلاميذ قبل حلول الروح القدس ١٤٧
٤٥ ـ لماذا يحتاج الطفل المولود من أبوين مسيحيين إلى العماد؟ ١٥٠
٤٦ ـ هل الخلاص للعالم كله؟ ١٥٢
٤٧ ـ آمن ..... تخلص ١٥٣
٤٨ ـ لماذا لا نؤخر العماد إلى سن الثلاثين؟ ١٥٥
٤٩ ـ مفهوم الخلاص فى الكنيسة الأرثوذكسية ١٥٦
معنى الخلاص ١٥٦
كيف ينتقل خلاص المسيح وعمله الفدائى إلى الإنسان ١٦١
عمل المعمودية فى الخلاص ١٦٢
الخلاص النهائى ١٦٣
٥٠ ـ فى أحد التناصير ١٦٧
٥١ ـ فى أحد التناصير، المسيح يخلق للمولود أعمى عينين ١٧٣
٥٢ ـ لنتذكر الأم ١٧٦
٥٣ ـ أحد التناصير ١٧٨
٥٤ ـ المسيح وحده حبل به بغير دنس الخطيئة ١٨٤
٥٥ ـ انتشار الخطيئة الأصلية ١٨٧
٥٦ ـ لماذا إنجيل المولود أعمى فى أحد التناصير ١٨٩
٥٧ ـ لا داعى لإعادة تعميد الزوجات اللواتى سبق إنضمامهن للكنيسة ١٩١
٥٨ ـ عماد أطفال غير المؤمنين ١٩٢
٥٩ ـ هل نال تلاميذ المسيح المعمودية ؟ ١٩٣
٦٠ ـ الإنضمام للكنيسة لا يكون إلا بالعماد ١٩٥
٦١ ـ صيغة الإيمان الذى يتم على أساسه العماد ١٩٦
٦٢ ـ سر المعمودية وسر الميرون يطبعان فى النفس سمة لا تمحى ١٩٨
٦٣ ـ الأطفال يعمدون لمغفرة الخطيئة ٢٠١
٦٤ ـ المعمودية قبل التناول من المائدة الربانية ٢٠٣

القيم الروحية فى سر المسحة (الميرون)

سر المسحة (الميرون) ٢٠٦
أولاً : سر المسحة هو سر التثبيت للنفس..... ٢٠٩
ثانياً : المسحة (الميرون) ختم الله على النفس ٢١٣
ثالثاً : سر المسحة هو سر التدشين والتقديس للنفس المؤمنة..... ٢١٧
رابعاً: سر المسحة يجعل المؤمنين المعمدين ملوكا روحيين وكهنة وأنبياء ٢١٩
خامساً : سر المسحة (الميرون) هو سر النمو الروحانى ٢٢٢
سادساً : سر المسحة (الميرون) هو سر التبكيت على الخطيئة ٢٢٤
سابعاً : سر المسحة (الميرون) هو سر التعزيات الروحية ٢٢٦
ثامناً : سر المسحة (الميرون) سر الشفاعة فينا ٢٢٧
تاسعاً : سر المسحة يمنح لمن يقبله الإنارة الروحية ٢٢٨
عاشراً : سر المسحة (الميرون) سر الحق ٢٣٢
حادى عشر : سر المسحة يمنح القوة الروحية والشجاعة والثبات ٢٣٤
ثانى عشر : سر المسحة سر يلد ويولّد مواهب روحية جديدة ٢٣٧
إبتهال ٢٤٠
موضوعات وإجابات على أسئلة : ٢٤٣
١ ـ دهن المعمدين بالميرون فى ٣٦ موضعاً ٢٤٣
٢ ـ المؤمنون المعتمدين هم هياكل لله ٢٤٥
٣ ـ عند نضح الميرون ٢٥٠
٤ ـ هل للقسيس أن يضع يده بالميرون وينفخ بالروح القدس؟..... ٢٥١

القيم الروحية فى سر القربان المقدس

أولاً : بسر القربان ننال الخلاص وغفران الخطايا..... ٢٥٦
الغفران بين سرى التوبة والقربان ٢٦٢
ثانياً : سر القربان ذبيحة مرفوعة عن جميع الناس ٢٦٤
ذبيحة الإفخارستيا بعينها ذبيحة الصليب ٢٦٤
ذبيحة الإفخارستيا شفاعة قائمة متصلة ٢٦٥
ثالثاً : سر الشكر قرباناً أيضاً عن الراقدين ٢٧٢
رابعاً : سر القربان ذبيحة شكر لله ٢٧٦
خامساً : سر القربان ذكرى عينية بالرب إلى مجيئه الثانى ٢٧٨
سادساً : سر القربان غذاء للنفس وقوت للروح ٢٨٢
سابعاً : سر القربان يقاوم الضعف الطبيعى ويقى الروح من الأمراض ٢٨٩

ثامناً : سر القربان هو رأس وسائط النمو والتقدم ٢٩٢
فصل فى وجوب تناول الأطفال ٢٩٤
تاسعاً : سر القربان هو سر الاتحاد ٢٩٦
١ ـ درجة الدخول فى عهد مع الله ٢٩٧
٢ ـ درجة الثبات فى المسيح ٢٩٩
٣ ـ درجة الاتحاد الكامل ٣٠٢
عاشراً : سر القربان هو سر الشركة ٣٠٧
حادى عشر : بسر القربان نحصل على امتياز القيامة المجيدة ٣٠٩
ثانى عشر : سر القربان يعدُنا للأبدية السعيدة وللأمجاد السمائية ٣١١
فصل فى وجوب التناول بتواتر من الأسرار المقدسة ٣١٣
إبتهال ٣١٩
موضوعات وإجابات على أسئلة : ٣٢٣
١ ـ الاستحقاق للمائدة السمائية ٣٢٣
٢ ـ الخبز المختمر فى ليلة الفصح فى خميس العهد ٣٢٧
٣ ـ الروح هو الذى يحيى وأما الجسد فلا يجدى نفعاً ٣٢٩
٤ ـ متى يتحول الخبز والخمر ؟ ٣٣٣
٥ ـ ما معنى الفصح والفرق بينه وبين العشاء الرباني ؟ ٣٣٥
٦ ـ ننال الغفران بحق دم المسيح ٣٣٨
٧ ـ هل يجوز التقرب للأسرار المقدسة لمن لم ينل سر العماد؟ ٣٤٠
٨ ـ ارفع عقلك فوق الحسابيات والهندسيات ٣٤١
٩ ـ لا يتأخر المسيحى عن التناول أكثر من أربعين يوماً ٣٤٤
١٠ ـ جسد المسيح الذى نتناوله هو الذى ولد به والذى قام به ٣٤٨
١١ ـ ترتيب التناول من القربان المقدس ٣٥٠
١٢ ـ لماذا ذاق المسيح قبل أن يعطيهم الكأس؟ ٣٥٢
١٣ ـ الوضع الأمثل فى توزيع الأسرار على المتناولين ٣٥٤
١٤ ـ الغفران بدم المسيح ٣٥٦
١٥ ـ بالتناول ننال الخلاص والغفران والحياة الأبدية ٣٥٨
١٦ ـ لماذا الصوم قبل تناول سر القربان ؟ ٣٦١
١٧ ـ واجبات ما بعد التناول ٣٦٤
١٨ ـ مصير القربان فى المائدة الربانية ٣٦٦
١٩ ـ التقدم للمائدة الربانية يتطلب نظافة الروح والذهن والجسد ٣٦٨

٢٠ ـ من الذى يصلح لتوزيع الأسرار إذا توفى الكاهن أثناء الصلاة؟ ٣٦٩
٢١ ـ سر المائدة الربانية بعد عشاء الفصح بوقت غير قليل ٣٧٠
٢٢ ـ الخمر فى سر التناول ٣٧٢
٢٣ ـ ليس من اللياقة إلقاء العظة أثناء توزيع الأسرار المقدسة ٣٧٥
٢٤ ـ رحمة السلام، ذبيحة التسبيح ٣٧٦
٢٥ ـ هل يحق للدياكون أن يحمل الكأس؟ ٣٧٧
٢٦ ـ هل يجوز توزيع القربان على الناس فى مناسبات الجنازات والأكاليل؟ ٣٧٨
٢٧ ـ أكثر من صينية وكأس ٣٧٩
٢٨ ـ معنى خروج الكاهن بالصينية إلى باب الهيكل ٣٨٠
٢٩ ـ لماذا لا يقام أكثر من قداس على مذبح واحد؟ ٣٨١
٣٠ ـ فترة انقطاع الطفل الرضيع قبل التناول ٣٨٢
٣١ ـ اللوح المقدس ومتى بدأ استعماله ٣٨٣
٣٢ ـ لماذا يوضع الاسباديقون مقلوباً فى الكأس ؟ ٣٨٦
٣٣ ـ هل يضع البخور فى ملعقة الكأس ؟..... ٣٨٧
٣٤ ـ هل تغطى الصينية المقدسة باللفافة ؟..... ٣٨٩
٣٥ ـ اللفافة التى يلف بها الحمل ٣٩٠
٣٦ ـ أسئلة حول التناول من الكأس ٣٩١
٣٧ ـ هل يجوز مناولة النساء أكثر من مرة من الجسد والدم؟ ٣٩٣
٣٨ ـ هل يجوز تناول مسيحى تعرض لقتل أحد أقربائه؟ ٣٩٣
٣٩ ـ هل يحل التناول لمن طلق زوجته؟ ٣٩٤
٤٠ ـ الصوم الإنقطاعى بعد ممارسة سر التناول ٣٩٤
٤١ ـ الترتيب المتبع لمناولة أحد المرضى ٣٩٥
٤٢ ـ لماذا لا يستبقى شىء من القربان المقدس؟ ٣٩٧
٤٣ ـ لا يجوز أن يتسبب إنسان فرد فى وقف خدمة القداس ٣٩٩
٤٤ ـ مسئولية الكاهن كحارس لسر التناول ٤٠٠
٤٥ ـ لا مانع من التناول من الأسرار المقدسة ٤٠٢
٤٦ ـ لا يحق للرجل وزوجته أن يتقربان من المائدة الربانية إلا بعد الانضمام للكنيسة.. ٤٠٣
٤٧ ـ المفطرون وتناولهم الأسرار المقدسة ٤٠٤
٤٨ ـ هل يجوز التناول للمنحرفين فى العقيدة ؟..... ٤٠٦
٤٩ ـ سر التناول هو مطهرنا اليومى ٤٠٩
٥٠ ـ حقيقة إيماننا بتحول الخبز والخمر إلى جسد ودم ٤١٠

سر التوبة والاعتراف ٤١٤
ضرورة الاعتراف السرى على الكاهن ٤١٧
سلطان الربط والحل فى الطقوس الكنسية ٤٢٥
موضوعات وإجابات على أسئلة ٤٣٢
١ ـ اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات ٤٣٢
٢ ـ هل يعترف بجميع خطاياه ؟ ٤٣٣
٣ ـ كم من الوقت بين اعتراف وآخر؟ ٤٣٥
٤ ـ هل يذكر التنفاصيل ؟ ٤٣٦
٥ ـ هل يكفى مجرد الشعور بالإثم ؟ ٤٣٨
٦ ـ هل يغفر لمريض مشرف على الموت؟ ٤٣٩
٧ ـ هل يجوز الاعتراف بالمراسلة؟ ٤٤١
٨ ـ هل يجوز الاعتراف بالتليفون؟ ٤٤٢
٩ ـ الاعتراف بالكتابة ٤٤٣
١٠ ـ هل يحال القاتل إلى القضاء ؟ ٤٤٥
١١ ـ مؤهلات أب الأعتراف ٤٤٦
١٢ ـ هل يجوز تغيير أب الاعتراف ؟ ٤٤٧
١٣ ـ ظروف تغيير أب الاعتراف ٤٤٨
١٤ ـ هل يعيد الاعتراف؟ ٤٤٨
١٥ ـ هل للراهب أن يسمع الاعتراف؟ ٤٤٩
١٦ ـ هل يجوز تأجيل الإعتراف إلى ما بعد التناول ؟ ٤٥٠
١٧ ـ هل يجوز إخفاء خطيئة أثناء الاعتراف ؟ ٤٥٢
١٨ ـ الاعتراف والنسيان ٤٥٣
١٩ ـ هل يلزم الاعتراف دائماً قبل التناول؟ ٤٥٤
٢٠ ـ فرق بين المرشد الروحى وأب الاعتراف ٤٥٥
٢١ ـ الاعتراف على يد الكاهن هو المرحلة الأخيرة من مراحل التوبة ٤٥٦
٢٢ ـ للاعتراف على يد الكاهن شق إلهى وشق إنسانى ٤٥٨
٢٣ ـ الاعتراف لله على يد الكاهن ٤٥٩
٢٤ ـ إذا حدث خلاف بين المعترف والكاهن هل يجوز الاعتراف بالمراسلة..... ٤٦٠
٢٥ ـ هل للمرشد الروحى من غير الكهنة أن يفرض تأديبات كنسية ؟ ٤٦٢
٢٦ ـ روح الأبوة فى أب الاعتراف ٤٦٣

٢٧ ـ هل يجوز الاعتراف بالمراسلة من بلد بعيد ؟ ٤٦٤
٢٨ ـ لماذا لا يجوز الاعتراف بالتليفون ؟ ٤٦٥
٢٩ ـ لا يبيح الكاهن سر فتاة لخطيبها ٤٦٧
٣٠ ـ ننال الغفران بحق دم المسيح ٤٦٨
٣١ ـ هل يعترف الزوج أو الزوجة كل منهما للآخر؟ ٤٧٠
٣٢ ـ الرهبان يعترفون على الرهبان ٤٧٢
٣٣ ـ لماذا لا نعترف على الله رأساً مكتفين من الكاهن بالحل الكهنوتى؟ ٤٧٤
٣٤ ـ عالجى النسيان بالكتابة ٤٧٧
٣٥ ـ الفرق بين سلطان المسيح بالغفران والسلطان الممنوح للكهنة ٤٧٧
٣٦ ـ اصمدى ولا ترجعى للوراء ٤٧٩
٣٧ ـ فى الاعتراف لا يشكو المعترف غير نفسه ٤٨٠
٣٨ ـ هل يعترف بالخطايا الماضية ؟ ٤٨٠
٣٩ ـ دور الكنيسة فى ميدان الصحة النفسية ٤٨١
٤٠ ـ التوبة وما بعد التوبة ٤٨٥
٤١ ـ هل بعد الموت توبة؟ ٤٨٦
٤٢ ـ التوبة المقبولة ٤٩١
٤٣ ـ لماذا لم يجد منفذا لإبليس ؟ ٤٩٢
٤٤ ـ التوبة الصادقة ترفع العقاب الأبدى لكنها لا تعفى من العقاب الزمنى ٤٩٦
٤٥ ـ هل يتزوج ابنتها؟ ٤٩٩
٤٦ ـ لشاب يصارع الخطيئة ٥٠٠
٤٧ ـ شاب يشكو ماضيه ٥٠١
٤٨ ـ نصائح لشاب ٥٠٤
٤٩ ـ الإنسان صانع مصيره ٥٠٦
٥٠ ـ يشكو نفسه بأنه عصبى المزاج ويحقد على الناس ٥٠٧
٥١ ـ للعادة السرية مضارها العصبية والبدنية ٥٠٩
٥٢ ـ هذه المتاعب من معاكسات الأرواح الشريرة ٥١٠
٥٣ ـ التوبة عزم صادق على تجديد السيرة ٥١٤
٥٤ ـ ننصح لك بالزواج ٥١٥
٥٥ ـ الصوم نافع لك ثم الهرب من المثيرات ٥١٨
٥٦ ـ اشغل وقتك بالعمل دائماً ٥١٩
٥٧ ـ الصديق يسقط سبع مرات ويقوم ٥٢١

٥٨ ـ يجب أن يمارس فعل الندامة والتوبة؟ ٥٢٢
٥٩ ـ تراوده الأفكار فى الحمام ٥٢٣
٦٠ ـ هل يجوز للمغلوب من طبيعته أن يتناول من الأسرار المقدسة ٥٢٣
٦١ ـ حرب الأفكار ٥٢٤
٦٢ ـ قد يسلم الخاطىء للشيطان لهلاك الجسد ولكن لكى تخلص الروح ٥٢٥
٦٣ ـ التدخين خطيئة وجريمة قتل ٥٢٩
٦٤ ـ صلاة الأشرار غير مقبولة ٥٣٢
٦٥ ـ الاعتراف ركن من أركان التوبة ٥٣٤
٦٦ ـ أب الاعترف مرشد يلزم طاعته فى الروحيات ٥٣٥
٦٧ ـ هل غفرت خطاياى؟ ٥٣٦
٦٨ـ أب الاعتراف يجب أن يكون حيث يكون ابنه وتلميذه ٥٣٨
٦٩ ـ أب الاعتراف يجب أن يكون كاهنا شيخاً مشهوداً له ٥٤٠
٧٠ ـ أخطاء الماضى يمكن بالتوبة تغتسل منها بدم المسيح ٥٤١
٧١ ـ الحل الكهنوتى لمن يعترف لله على يد الكاهن ٥٤٢
٧٢ ـ شروط أب الاعتراف ٥٤٤
٧٣ ـ ليكن أب الاعتراف فى البلد التى تقيم فيها ٥٤٧
٧٤ ـ عدم الراحة بعد التوبة مرده للذكريات المؤلمة ٥٤٨
٧٥ ـ شروط التوبة الصادقة ٥٥٠
٧٦ ـ مرارة الخجل فى الاعتراف جزء من العلاج ٥٥١

القيم الروحية فى سر مسحة المرضى

وظيفة سر مسحة المرضى واختصاصه ٥٥٤
الرابطة بين المرض والخطيئة ٥٥٥
موضوعات وإجابات على أسئلة ٥٥٨
١ ـ ليس بالطب البشرى وحده يشفى المريض ٥٥٨
٢ ـ سر مسحة المرضى ينبغى أن يمارس كاملاً ٥٦٦
٣ ـ هل يلزم أن يكون المريض والكاهن صائمان قبل ممارسة سر مسحة المرضى،
وهل تقال الصلوات السبع جميعاً ؟ ٥٦٩
٤ ـ مريضة بالاكتئاب النفسى ٥٧٥
٥ ـ يهملون أوشية المرضى ٥٧٨
إبتهال ٥٧٩
فهرس الموضوعات ٥٨٤

فهرس الموضوعات (٢)

صفحة

مقدمة ٧
إهداء ٨
القيم الروحية فى سر الزيجة ٩
سر الزيجة فى الكنيسة الأرثوذكسية ١٠
غايات الزواج ٢٧
الغاية الأولى : التعاون بين الرجل والمرأة ٢٧
الزواج البتولى ٣٢
الغاية الثانية : الإنسال وولادة الأولاد ٣٩
الغاية الثالثة : الحصانة من الزنى والنجاسة ٤٤
خصائص الزيجة المسيحية ٤٨
١ ـ وحدانية الزيجة المسيحية ٤٨
٢ ـ عدم انحلال الزيجة ٥٤
الزيجة الثانية ٦١
الزيجة الثالثة ٦٩
مابعد الزيجة الثالثة ٧١
الزواج فى المفهوم المسيحى ٧٢
شروط الزواج المسيحى ٧٤
خصائص الزواج المسيحى ٧٩
موضوعات وإجابات على أسئلة ٨٣
١ ـ الميل الجنسى عند آدم وحواء ومتى تولّد ٨٣
٢ ـ مفهوم التعاون بين آدم وحواء فى الجنة ٨٨
٣ ـ كيف كان آدم وحواء عريانين وهما لا يخجلان ؟ ٩٤
٤ ـ الزواج رابطة مقدسة باركها الله ٩٩
٥ ـ سر الزواج مقدس، وفراش الزوجية غير نجس ١٠٦
٦ ـ الاختلاط الجنسى بين الرجل وزوجته باركه الله ١١٣

٧ ـ أين ومتى أدان الله الرغبات الجنسية ؟..... ١١٩
٨ ـ هل للمسيحى أن يتزوج أكثر من واحدة ؟ ١٢٦
٩ ـ هل تبيح المسيحية تعدد الزوجات؟ ١٢٩
١٠ ـ هل تحل المعاشرة الزوجية قبل عقد الإكليل أو من دون الإكليل؟ ١٣٢
١١ ـ هل يجوز للرجل، إذا زنت زوجته أن يتزوج بأخرى؟ ١٣٣
١٢ ـ هل حرّم الله الزواج ؟ ١٣٤
١٣ ـ سر الزواج وسر الكهنوت ١٣٦
١٤ ـ وحدانية الزيجة فى المسيحية ١٤٥
١٥ ـ يجب أن يكون العروسان أرثوذكسيين ١٤٨
١٦ ـ يجب أن يكون للزوجان بيت مستقل ١٥٠
١٧ ـ يجب أن تهربى من كل لقاء به ١٥١
١٨ ـ هل يجوز للمرأة المطلقة أن تتزوج ؟ ١٥٣
١٩ ـ هل يجوز للأهل أن يجبروا إبنتهم على الزواج من رجل بعينه؟ ١٥٥
٢٠ ـ هل يجوز الطلاق ؟ ١٥٦
٢١ ـ هل يجوز الزواج فى الصوم؟ ١٥٨
٢٢ ـ ترك الزوجة لزوجها خمس سنوات ١٥٩
٢٣ ـ هل لقائمة الزواج سند كنسى ؟ ١٦١
٢٤ ـ من حق الإبنة الشابة أن يكون لها رأيها فى إختيار شريك حياتها ١٦٢
٢٥ ـ زواج المطلق أو المطلقة ١٦٣
٢٦ ـ ما جمعه الله لا يفرقه الإنسان ١٦٤
٢٧ ـ لا يجوز إجبار الفتاة على الزواج ١٦٥
٢٨ ـ لا تنتظر فى أمر الزواج حلما أو رؤيا ١٦٦
٢٩ ـ لا تخرج المرأة على طاعة زوجها ١٦٧
٣٠ ـ لا تتوقع أن يتوافر فى فتاتك كل صفات الكمال المطلق ١٦٩
٣١ ـ فى صلوات الإكليل والزواج ١٧٠
٣٢ ـ عند الزواج يجب أن يتبع الزوجان شريعة واحدة ١٧٣

٣٣ ـ أنت مقترن بإمرأة فلا تطلب الانفصال ١٧٥
٣٤ ـ عقم الزوجة ليس سبباً شرعياً للطلاق ١٧٦
٣٥ ـ سمو الرابطة الزوجية ١٧٧
٣٦ ـ صلوات الاكليل فى الكنيسة ضرورية لشرعية الزواج المسيحى ١٧٩
٣٧ ـ زواج أرملة ابن الأخ المتوفى غير جائز ١٨٠
٣٨ ـ رأى فى التصريح بزواج رجل ترفض امرأته مصالحته ١٨٠
٣٩ ـ ثناؤك لها شهادة على استحقاقها كل تكريم ١٨٥
٤٠ ـ تشكو من تسلط حماتها ١٨٦
٤١ ـ تأخر زواج الفتاة ليس دليلاً على عمل سحرى ١٨٨
٤٢ ـ بدعة القرعة الهيكلية فى اختيار الزوجة ١٩٠
٤٣ ـ ليحرص كل منكما على أن يرضى رفيقه ١٩٥
٤٤ ـ كثرة الأسفار الطويلة مدمرة للحياة الزوجية ١٩٧
٤٥ ـ امتحن مشاعرك وادرس سيرة الفتاة ١٩٩
٤٦ ـ لا تتراجعى عن هذا الخط الروحى ٢٠١
٤٧ ـ الكشف الطبى للمقبلين على الزواج ٢٠٣
٤٨ ـ الزوجة تكسب محبة زوجها برقتها وحنانها وتفانيها فى خدمته ٢٠٥
٤٩ ـ الزوجة الحكيمة مع شريك حياتها ٢٠٧
٥٠ ـ الزواج مسألة شخصية تتم بكامل حرية الإنسان فى الاختيار. ٢٠٨
٥١ ـ الزواج لا يتعارض مع البتولية ٢١٠
٥٢ ـ مسئولية الزواج المسيحى ٢١٢
٥٣ ـ الزواج العرفى لا تبيحه المسيحية ٢١٥
٥٤ ـ الزواج المسيحى هو أولاً وقبل كل شىء مسئولية روحية ٢١٧
٥٥ ـ مدة الخطبة قبل الاكليل ٢١٨
٥٦ ـ التوافق النفسى والفكرى ٢٢٠
٥٧ ـ الأسباب الرئيسية لإنحلال الرابطة الزوجية ٢٢٢
٥٨ ـ أقوى سلاح عند المرأة هو ضعفها أمام زوجها ٢٢٦

٥٩ ـ أعتقد أن الزواج يناسبك ٢٢٧
٦٠ ـ اطلبى إحالة موضوعك على المجلس الاكليريكى ٢٢٨
٦١ ـ أسئلة عن الزواج ٢٢٩
٦٢ ـ إذا غاب الزوج غيبة منقطعة ٢٣١
٦٣ ـ اختيار الزوجة يكون بناء على التوافق النفسى والفكرى ٢٣٢
٦٤ ـ تعدد الزوجات فى اليهودية ٢٣٣
٦٥ ـ تعليق على مقال القول الفصل ٢٣٥
٦٦ ـ متى لا يجوز المعاشرة الزوجية ؟ ٢٤٥
٦٧ ـ هل يجوز إجراء الاكليل مساء الثلاثاء أو مساء الخميس؟ ٢٥٣
٦٨ ـ هل يجوز عقد الاكليل فى يوم الأربعاء أو الجمعة؟ ٢٥٥
٦٩ ـ هل يجوز الزواج فى يوم رفاع الصوم؟ ٢٥٦
٧٠ ـ الاختلاط بين الطلبة والطالبات ٢٥٧
٧١ ـ الأفضل أن تعالج عند طبيبة امرأة ٢٥٩
٧٢ ـ الامتناع بالاتفاق ٢٦٠
٧٣ ـ انحلال الرابطة الزوجية بالبطلان ٢٦٢
٧٤ ـ التطليق بالبطلان ٢٦٣
٧٥ ـ الحكم فى رجل متزوج زنى بفتاة بكر ٢٦٤
٧٦ ـ الزواج توافق بين روحين ٢٦٥
٧٧ ـ الزواج رابطة إلهية مقدسة وتعقد فى الكنيسة ٢٦٦
٧٨ ـ الزواج رابطة مقدسة، فلا تحتقره بحجة الرهبنة ٢٦٧
٧٩ ـ الزواج رسالة ورسالتك زوجك وإبنتك ٢٧٠
٨٠ ـ الطلاق لا يجوز فى المسيحية إلا بسبب الزنى أو الموت ٢٧٢
٨١ ـ المانويون وليس المسيحيون هم الذين ينهون عن الزواج ويحرمون أكل اللحوم ٢٧٨
٨٢ ـ المرأة الحكيمة ترضى زوجها وبهذا تشده إليها ٢٨٣
٨٣ ـ تريد طفلاً تتبناه ٢٨٥
٨٤ ـ العلاقة الجنسية نتيجة طبيعية لنمو المحبة والمودة والألفة ٢٨٧

٨٥ ـ شاء لفضيلته أن يستر خطيئتها ٢٩٠
٨٦ ـ فى سر الزواج ٢٩٢
٨٧ ـ قديسون من المتزوجين ٢٩٧
٨٨ ـ لا يترك الرجل زوجته ولا تفارق المرأة رجلها ٣٠٠
٨٩ ـ مشكلة الزوج إذا فارقته زوجته ٣٠١
٩٠ ـ نصيحة إلى شاب فى اختيار زوجته ٣٠٤
٩١ ـ هل الزواج قسمة ونصيب ؟ ٣٠٥
٩٢ ـ هل تجوز القبلة بين الخطيبين؟ ٣٠٩
٩٣ ـ هل كل إنسان مطالب بأن يتزوج ؟ ٣١٠
٩٤ ـ هل يجوز الزواج من شاب هو ثمرة الزواج الثانى بعد الطلاق؟ ٣١٢
٩٥ ـ يشكو زوجته ٣١٣
القيم الروحية فى سر الكهنوت ٣١٥
الكهنوت ومعناه ٣١٦
كهنوت العهد الجديد ٣١٩
مهمة الكهنوت على الأرض ٣٢٣
رتب الكهنوت ٣٤٤
كرامة الكهنوت المسيحى ٣٤٨
وأعطانا خدمة المصالحة ٣٥٤
موضوعات وإجابات على أسئلة ٣٦١
١ ـ ما هى درجات الكهنوت؟ ٣٦١
٢ ـ رجل الدين كطبيب وأب ٣٦٣
٣ ـ معنى (بطريرك) ثم (بطريركية) ٣٦٦
٤ ـ هل بابا الأسكندرية هو أسقف الأسكندرية؟ ٣٦٧
٥ ـ أساقفة الإيبارشيات وكيف يختارونهم ٣٧٠
٦ ـ الأسقف العام ٣٨٦
٧ ـ الأسقف والبتولية ٣٩١

٨ ـ الفضائل الإثنا عشرة ٣٩٧
٩ ـ عصا الرعاية للأسقف ٤١٢
١٠ ـ هل كان مطارنة الأقباط يُختارون من المتزوجين ؟ ٤١٨
١١ ـ الفرق بين السيمونية والشرطونية ٤٢٠
١٢ ـ اختيار الشعب لرجال الكهنوت مسئولية خطيرة ٤٢٢
١٣ ـ ملابس الكهنة ٤٢٥
١٤ ـ قواعد التقدم بين الكهنة آداب عامة ٤٢٨
١٥ ـ هل يحمل رجل الله سيفاً ؟ ٤٣١
١٦ ـ هل يجوز للكهنة فقط الوعظ والتعليم؟ ٤٣٨
١٧ ـ هل يجوز للكاهن أن يتزوج بعد وفاة زوجته؟ ٤٤١
١٨ ـ هل يجوز لزوجة الكاهن إذا ترملت أن تتزوج بآخر؟ ٤٤٣
١٩ ـ زواج الكاهن غير الأرثوذكسى ٤٤٦
٢٠ ـ رسامة إكليريكى بتول قسيساً ٤٤٧
٢١ ـ هل يجوز رسامة ابن الزوجة الثانية كاهناً ؟ ٤٤٨
٢٢ ـ مفهوم الحوار مع الأسقف والكاهن ٤٥٠
٢٣ ـ الكاهن يتخذ بكراً عذراء زوجة له ٤٥٣
٢٤ ـ تقدم إلى أب الإعتراف وهو يحلك من النذر ٤٥٦
٢٥ ـ لا يجوز رسامة كاهن من كان ابن إمرأة راجع ٤٥٧
٢٦ ـ مسئولية الكاهن تجاه الأسرار المقدسة ٤٥٩
٢٧ ـ السلطان الممنوح للكهنة ليس مجالاً للتفاخر ٤٦١
٢٨ ـ تهنئة للرسامة الكهنوتية ٤٦٣
٢٩ ـ رسالة إلى كاهن ٤٦٥
٣٠ ـ لماذا الخلوة الأربعينية للكاهن؟ ٤٦٦
٣١ ـ أحييك على طاعتك للكاهن ٤٦٧
٣٢ ـ هل يجوز له الوعظ ؟ ٤٦٨
٣٣ ـ هل للشماس أن يصلى على ميت؟ ٤٦٩

٣٤ ـ زى الكاهن إذا جرد ٤٧٠
٣٥ ـ هل تجوز رسامته شماساً ؟..... ٤٧١
٣٦ ـ درجة الشماسية ٤٧٢
٣٧ ـ رسامة الأطفال شمامسة ٤٧٣
٣٨ ـ الشماس أو رئيس الشمامسة إذا توفت زوجته ٤٧٤
٣٩ ـ الشماس الدياكون طقسه وواجباته ٤٧٦
٤٠ ـ الإيبودياكون له أن يتزوج قبل رسامته أو بعد رسامته ٤٨٢
٤١ ـ مبادىء عامة ٤٨٣
٤٢ ـ إيضاح ٤٨٥
٤٣ ـ الأرمل ورتب الكهنوت ٤٨٨
٤٤ ـ الملابس البيضاء والملابس السوداء للكهنة ٤٨٩
٤٥ ـ لماذا تغيير الأسماء ؟ ٤٩٠
٤٦ ـ فى حالة حدوث مكروه للكاهن أثناء القداس ٤٩١
٤٧ ـ هل يجوز للكاهن أن يمسك عصا الرعاية ٤٩٢
٤٨ ـ مخالفات كنسية (١) ٤٩٤
٤٩ ـ مخالفات كنسية (٢) ٤٩٧
٥٠ ـ كيف يختار الأسقف ؟ ٥٠٠
٥١ ـ هل يجوز الزواج الثانى لأصحاب الرتب الشماسية الصغيرة؟ ٥٠٣
٥٢ ـ يسمح للكاهن أن يعظ فى كنيسة بروتستانتيه ولكن لا يسمح العكس ٥٠٤
٥٣ ـ وظيفة الأسقف وأهلية الأستاذ الأرشيدياكون حبيب جرجس للأسقفية
وموافقة ترشيحه للقوانين الكنسية ٥٠٦
إنتخاب البطريرك ٥١٧
تصدير وإبتهال ٥١٨
نص الخطاب الذى أرسله المؤلف إلى نيافة قائم مقام البابا البطريرك ٥١٩
خطاب آخر حرره المؤلف ولم يرسله ٥٢١
السيد المستشار وكيل المجلس الملى بالأسكندرية ٥٢٣

القيم الروحية
فى سرّ المعمودية

فهرس الموضوعات (١)

صفحة

مقدمة ٧
إهداء ٨

القيم الروحية فى سر المعمودية

مقدمة ١٠
أولاً : فى المعمودية يعتق المؤمن من الخطية الجدية ١٥
ثانياً: فى المعمودية غسل ومحو للخطايا وتطهير بالروح القدس من جميع الأدناس.. ٢٠
ثالثاً : فى المعمودية المسيحية صبغة باطنية ٢٤
رابعاً : فى المعمودية عملية ختان روحية، بفاعلية الروح القدس..... ٢٦
خامساً : المعمودية ختم لا ينفك وسمة لا تمحى ٢٩
سادساً : فى المعمودية يولد المؤمن من جديد ولادة من فوق ٣٢
سابعاً : فى المعمودية ينال المؤمن إنارة روحية ٣٩
ثامناً : المعمودية تفتح لنا أبواب فردوس النعيم وتؤهلنا لملكوت السماوات ٤٢
معمودية الدم أو الشهادة ٤٣
أهمية المعمودية للأطفال ومصير الأطفال غير المعمدين ٤٥
عماد الأبوين لا يغنى عن تعميد الأطفال ٥١
مصير الأطفال غير المعمدين ٥٦
إبتهال ٥٧

مقدمة

لم تُمنح الديانة المسيحية للإنسان إلا لنفعه وخيره، وليصير بها أفضل مما يكون بدونها.

وإذا كان للمسيحية عقائدها، فهذه العقائد هى مجموعة الحقائق التى يدين بها المسيحى وتنعقد عليها نفسه، من أجل أن يحيا بها حياة مثمرة سعيدة، فى الحياة الحاضرة والحياة الآخرة.

وقد أوضح السيد المسيح الهدف من رسالة المسيحية بالنسبة إلى من يدين بها، عندما حدد الغرض من مجيئه الأول فى قوله «أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل» (يوحنا ١٠: ١٠). وهو بعينه المعنى الذى عبر عنه الرسول القديس يوحنا فى ختام إنجيله «وقد صنع يسوع أمام تلاميذه آيات أخرى كثيرة، لم تكتب فى هذا الكتاب. وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم إن آمنتم الحياة الأبدية باسمه» (يوحنا ٢٠: ٣٠، ٣١).

وفحوى هذا كله أن المسيح قد أتى ليمنحنا بمجيئه حياة أبدية بعد أن كان محكوماً علينا بالموت الأبدى، ولكى يجعل حياتنا أفضل مما كانت، ولكى يصيّرها حياة موفورة الكرامة، حياة سامية نبيلة مثمرة نافعة صالحة، ذات قيمة وذات معنى. بل والهدف من رسالة المسيحية والهدف من الكرازة والتعليم المسيحى، ومن التبشير بأعمال المسيح ومعجزاته وأقواله، أن يؤمن الإنسان بالمسيح الرب فيتحقق له بهذا الإيمان وكل متعلقاته الحياة الأبدية السعيدة، وهذه الحياة الفضلى التى تبدأ منذ عمل التجديد الذى يتم فى المعمودية وتتصل بالحياة الأخرى بعد الموت، التى لا تضمحل ولا تفنى، لأنها حياة الأبد فى ملكوت السماوات.

وعلى هذا الأساس يظهر أن الهدف من كل عقيدة من عقائد ديانتنا هو الخير لنفوسنا فى الحياتين الحاضرة والعتيدة. ولن تجد عقيدة فى الكنيسة الأرثوذكسية المقدسة تشذ عن هذه القاعدة، وإلا كانت هذه العقيدة عبثاً لا طائل تحته ولا غناء فيه، وحاشا لله أن يجعل فى ديانته حقيقة من غير فائدة.

لكل عقيدة فى ديانتنا، إذن، فائدة روحية. وإذا تناولت العقائد فى عمق تبين لك نفعها وخيرها للنفس الباطنية، وهو ما تؤيده النصوص الكتابية من جهة، والخبرات الروحية العملية من جهة أخرى. فإذا خيل إليك أن هناك عقيدة فى الكنيسة من غير فائدة روحية، فإما أن لا

تكون هذه عقيدة حقيقية من عقائد الإيمان، أو تكون أنت جاهلاً بأثر هذه العقيدة فى الحياة الروحية وهو ما يقتضيك الفحص والبحث والإمتحان، والتأمل الملى، والتمعن العميق الدقيق.

ليست إذن عقيدة من عقائد الإيمان بلا عمل للإيمان. إنها لم تصبح عقيدة لتؤلف بنداً من بنود الدين، ولم تصبح عقيدة لتصير موضوعاً من موضوعات الجدل بين أصحاب العقائد المتفرقين. ولم تصبح عقيدة لكى تصير نظرية ذهنية نناقشها بعقولنا وأذهاننا. كلا، ليست العقائد فى ديانتنا المسيحية لشىء من هذا كله. إنها وجدت فى ديانتنا من أجل أن تصبح أساساً لسلوكنا فى الحياة. فهى تلهم السلوك وتبعث على التصرف الملائم لها. إنها تبصر العقل، وتلهب القلب، وتثيرنا على العمل. إنها دائماً تتحول إلى نشاط وإلى تعبير فى الواقع الخارجى. إنها لا تكمن فى الذهن، وإنما تتحول إلى تعبيرات وإلى ممارسات ومباشرات عملية.

نعم إن العقائد لم تنشأ للنقاش والجدل النظرى، بل لتكون باعثاً على النشاط والعمل. وقبل أن يخرج الهراطقة على الكنيسة ويتشيعوا إلى مذاهب كان لديانتنا عقائدها وطقوسها.

وها نحن أولاء نقدم فى سبيل إثبات هذه القضية الكبرى بعض الأمثلة، لندلل على حكمة ديانتنا فى كل عقيدة من عقائدها، ومهما بدت هذه العقيدة فى درجة أهميتها بالنسبة لنا.

القيم الروحية
فى سرّ المعمودية

المعمودية من حيث مباشرتها **طقس**، ولكن من حيث الإيمان بمعناها وأهميتها وضرورتها وفعالياتها، **عقيدة**.

وهى (سر مقدس) لأنّ فعالياتها باطنية وغير منظورة، ولا تقع تحت الحواس الظاهرة.

وبالمعمودية يُولد المؤمن **(من جديد)** (يوحنا ٣: ٣)، ميلاداً **(من فوق)** (يعقوب ١: ١٧)، **(من الله)** (يوحنا ١: ١٣) **(ميلاداً ثانياً)** (تيطس ٣: ٥)، (١. بطرس ١: ٣، ٢٣)، (يعقوب ١: ١٨) **(ميلاداً من الماء والروح)** (يوحنا ٣: ٥)، (٣: ٦، ٨) (أفسس ٥: ٢٦)، (تيطس ٣: ٥).

وفى المعمودية المسيحية يحل الروح القدس على الماء ليخلق المؤمن من جديد خليقةً أخرى، خليقةً ثانية. وكما أن **الخليقة الأولى كانت من الماء والروح** (سفر التكوين ١: ١، ٢) (١). كذلك تُصنع **الخليقة الثانية من الماء والروح - والماء هو ماء المعمودية، والروح هو روح القدس الذى ينحدر من السماء** على المياه ليخلق منها الإنسان **من جديد**.

يقول الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول (وإذا كان أحد فى المسيح، **فإنه خلق جديد)** (٢. كورنثوس ٥: ١٧). (لأنه فى المسيح يسوع، لا الختان ولا عدم الختان ينفع الإنسان، بل الذى ينفعه، **الخليقة الجديدة)** (غلاطية ٦: ١٥).

والروح القدس يحل بنعمته على مياه المعمودية التى يغطس فيها المؤمن **ثلاث غطسات، على اسم الثالوث القدوس:** الآب والابن والروح القدس. يقول المسيح له المجد **(وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس)** (متى ٢٨: ١٩).

ولما كانت المعمودية للمؤمن، موتا مع المسيح، وعن طريقها يحصل المؤمن على بركات الخلاص الذى تم بموت المسيح على الصليب فداء للإنسان، إذ ينقل إليه الروح القدس فى المعمودية استحقاقات المسيح الفادى...

---

(١) (فى البدء خلق الله السماوات والأرض... وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يُرِف على وجه المياه) (التكوين ١: ١، ٢).

ولما كان السيد المسيح قد مات كإنسان، ودُفن فى القبر لثلاثة أيام...

فإن المؤمن يغطس فى مياه المعمودية **ثلاث غطسات بعدد الأيام التى قضاها السيد المسيح فى القبر مدفوناً كإنسان** (مرقس ٨: ٣١)، (متى ١٦: ٢١)، (١٧: ٢٣)، (٢٠: ١٩)، (لوقا ٩: ٢٢).

يقول الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول: (وفيه خُتنتم ختاناً، لا بالأيدى، بل بخلع جسم الخطايا البشرى، إنه ختان المسيح، ذلك أنكم **دُفنتم معه فى المعمودية، وأقمتم معه أيضاً**، لأنكم آمنتم بقدرة الله الذى أقامه من بين الأموات. كنتم أمواتا بخطاياكم... فأحياكم الله معه، وصفح لنا عن جميع خطايانا، ومحا الصكّ الذى علينا، وكان ضداً لنا، وأزاله، مسمرا إياه على الصليب) (كولوسى ٢: ١١- ١٤).

وإذن ففى سر العماد يتم بفاعلية الروح القدس **خلع جسم الخطايا البشرى، ونزعه، ومنح المؤمن طبيعة جديدة**، طبيعة الرب يسوع التى قام بها من بين الأموات.

وإذن ففى المعمودية المسيحية **ختان جديد**، ولكن لا بفعل الأيدى، **بل بفعل الروح القدس** الذى ينزع من المؤمن طبيعته التى ولد بها من أبويه، وهى الطبيعة الملوثة بالخطيئة الأصلية ونتائجها، التى انتقلت إليه بالتوالد (مزمور٥٠: ٥)، (٥٧: ٣)، (إشعياء ٤٨: ٨) وسرت إليه مع الدم الملوث بالفساد الواصل إليه من آدم الإنسان الأول الذى أخطأ وعصى الله وأكل من الشجرة المنهى عنها. (فكما أن الخطيئة دخلت فى العالم على يد إنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، **فكذلك سرى الموت إلى جميع الناس**) (رومية ٥: ١٢).

وهذا هو **ختان المسيح، أو ختاننا فى المسيح**. ففى المعمودية يتم بعمل الروح القدس الذى ينحدر على مياه المعمودية ويرف عليها، **يتم موت وإحياء... خلع ونزع للطبيعة القديمة الفاسدة الملوثة بالخطيئة الأصلية، ثم زرع أو خلق لطبيعة جديدة، وهذه هى الخليقة الجديدة، أو الخلق من جديد**. والطبيعة المخلوعة المنزوعة هى الطبيعة القديمة الموروثة بالتوالد من الأب والأم، وأما الطبيعة الجديدة فهى طبيعة المسيح يسوع الذى بلا خطيئة وحده (يوحنا ٨: ٤٦)، (٢. كورنثوس ٥: ٢١)، (العبرانيين ٤: ١٥)، (٧: ٢٦)، (١. بطرس ٢: ٢٢)، (١. يوحنا ٣: ٥).

فى المعمودية المسيحية إذن **خلع للإنسان القديم** الملوث بالفساد عن طريق الوراثة بالتوالد ثم **إرتداء واكتساء بطبيعة المسيح** فى بر كامل وطهارة من لوثة الخطيئة الأصلية ومن كل خطيئة فعلية.

ولهذا السبب، وتوكيدا لهذا المعنى، فى الخلع للإنسان القديم والاكتساء بالإنسان الجديد، المسيح يسوع، آدم الثانى، رسمت الكنيسة **أن يخلع المؤمن قبل نزوله إلى مياه المعمودية كل شىء عليه** (١) ... **فإذا صعد من الماء بعد العماد يرتدى حلة جديدة بيضاء**، ويكتسى بملابس البهاء، توكيدا على ما يقوله الوحى الإلهى (فإنكم، وقد اعتمدتم جميعا فى المسيح، **قد لبستم المسيح**) (غلاطية ٣: ٢٧). هذا هو بر المسيح الذى يكتسى به المؤمن فى المعمودية والذى رمز إليه الرب قديماً بالقميص من الجلد الذى ألبسه الرب لكل من آدم وحواء بعد أن تعريا بالخطيئة (وصنع الرب الإله لآدم وامرأته **أقمصة من جلد وألبسهما**) (سفر التكوين ٣: ٢١). قارن (التكوين ٣: ٧).

لهذا كله كان للمعمودية، من حيث هى عقيدة، ومن حيث هى طقس أيضاً عمل كبير وخطير فى حياتنا الروحية.

فالمعمودية ليست نظرية للمتعة الفكرية، ولكنها **عمل مقدس، ذو فعالية سرّية قوية فى حياة المؤمنين بالمسيح، الذين يقبلونه ويمارسونه.**

---

(١) (ولا ينزل أحد بشىء غريب معه إلى الماء) (قوانين هيبوليتوس ـ قانون ١٩).
وجاء فى كتاب ترتيب المعمودية المقدسة: (ويأمر الكاهن «الذين يتعمدون» بخلع كل شىء من آذانهم وأرجلهم وأياديهم).

أولاً - فى المعمودية المسيحية يُعتق المؤمن من الخطيئة الجدّية

والخطيئة الجدّية هى الخطيئة الأصلية القديمة التى ارتكبها أبونا آدم بالفعل، بأن أكل من الشجرة التى نهاه الله تعالى عن أن يأكل منها (سفر التكوين ٢: ١٦، ١٧)، (٣: ١، ٣، ٦، ١١، ١٧).

هذه الخطيئة الأصلية تلوثت بها كل ذرية آدم من بعده، لأنهم ولدوا منه وهو فى حال الخطيئة، فورثوا منه حالته تبعا لقانون الوراثة.

يقول الوحى الإلهى (**فكما أن الخطيئة دخلت فى العالم** على يد إنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، **فكذلك سرى الموت إلى جميع الناس بالذى جميعهم خطئوا فيه**) (رومية ٥: ١٢)، (٥: ١٥، ١٧، ١٨).

ولقد مات آدم طبقاً لحكم الله عليه (التكوين ٢: ١٧)، (٣: ٣، ١٩)، (رومية ٦: ٢٣)، (١ . كورنثوس ١٥: ٢١)، (يعقوب ١: ١٥).

كذلك وبالتبعية **ماتت فى آدم ومعه، كل ذريته، وطُردت معه من فردوس النعيم.**

يقول الكتاب المقدس (**فى آدم يموت جميع الناس**) (١ . كورنثوس ١٥: ٢٢) (فأخرجه الرب الإله من جنة عدن... فطرد الإنسان) (التكوين ٣: ٢٤).

ومن ثم كانت **الضرورة ماسة إلى الفداء، والحاجة الملحة إلى الفادى الذى يموت فداء عن آدم وذريته**، لأن حكم الله لا يزول، وقضاءه لا يسقط أبداً (متى ٥: ١٨)، (٢٤: ٣٥)، (مرقس ١٣: ٣١)، (لوقا ٢١: ٣٣).

قال أبونا يعقوب أبو أسباط بنى إسرائيل (**لخلاصك انتظرتُ يارب**) (التكوين ٤٩: ١٨).

وكذلك قال مرتل المزامير (**انتظرتُ خلاصك يارب**) (مزمور ١١٨: ١١٦) (**اشتقتُ إلى خلاصك يارب**) (مزمور ١١٨: ١٧٤).

وقال سمعان الشيخ، عندما حمل المسيح يسوع على ذراعيه، فى يوم الأربعين للتجسد الإلهى (الآن أطلق ياسيدى عبدك بسلام وفقا لكلمتك. فإن عينى قد أبصرتا **خلاصك، الذى أعددته أمام كل الشعوب**) (لوقا ٢: ٢٧- ٣١).

وغير أولئك كثيرون ممن كانوا ينتظرون الفداء والخلاص فى أورشليم (لوقا ٢: ٣٨)، (مرقس ١٥: ٤٣)، (لوقا ٢: ٢٥)، (٢٤: ٢١)، (١: ٦٨)، (مزمور١١٠: ٩).

وكان العدل الإلهى يتطلب ترضية كافية. وقد تمت هذه الترضية المناسبة فى موت المسيح الفادى على الصليب، وذلك فداءً عن آدم وذريته من البشر.

جاء على لسان النبى إشعياء عن المسيح فادينا (لكن أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحملها... **وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا**، تأديب سلامنا عليه، **وبحبره شفينا**. كلنا كغنم ضللنا... والرب وضع عليه إثم جميعنا... سيق إلى الذبح... فلم يفتح فاه... **إنه ضرب من أجل ذنب شعبى**... لم يصنع جوراً، ولم يكن فى فمه غش... **جعل نفسه ذبيحة إثم**... ومسرة الرب تنجح على يده... **يبرر كثيرين، وهو يحمل آثامهم**... أفاض للموت نفسه، وأحصى مع أثمة، **وهو حمل خطايا كثيرين، وشفع فى المذنبين**) (إشعياء ٥٣: ٤ – ١٢).

وعلى فم القديس بولس الرسول (**فدخل قدس الأقداس مرة واحدة**، ولم يدخله بدم التيوس والعجول، **بل بدمه هو، فكسب لنا الخلاص الأبدى**) (العبرانيين ٩: ١٢)، (دانيال ٩: ٢٤) (**وأما المسيح، فقدّم إلى الأبد، ذبيحة واحدة كفارة للخطايا**) (العبرانيين١٠: ١٢)، (٩: ١٤)، (١٠: ١٤).

ولما كان المسيح يسوع هو الإله المتأنس، وقد جمع بين كونه إلها وكونه إنساناً، فإن فى دمه الثمين قيمة لا نهائية، بقيمة اللاهوت المتحد بناسوته. ففى موت وسفك دمه على الصليب **كفاية غير محدودة لخلاص جميع من يؤمنون به، ويحتمون فيه وينضوون تحت لواء صليبه، فى الماضى والحاضر والمستقبل. إن فيه الخلاص التام بالكفاية والعدل.**

على أنّ هذا الخلاص مع غناه وكماله وكفايته لجميع الناس فى كل الأزمنة والعصور، **لا يناله إلا الراغبون فيه، الساعون إليه**. إنه لا يمنح لهم على الرغم منهم، ولا يُفيد منه غير الذين يطلبونه ويرغبون فيه، ويسألونه مؤمنين (متى ٧: ١١).

قال المسيح له المجد لتلاميذه (اذهبوا إلى العالم أجمع، وبشروا بالإنجيل كل الخليقة. فمن آمن واعتمد خلص) (مرقس ١٦: ١٥، ١٦). فلا يخلص إلا من يعتمد، ولا يعتمد إلا من يؤمن. والإيمان فعل الإرادة، فلا قهر فيه ولا إلزام.

وقد شاء الرب أن يتم **الخلاص من الخطيئة الجدية، فى المعمودية** التى رسمها - له المجد - بشخصه المبارك لتكون واسطة الروح القدس لمنح الخلاص للذين يطلبونه. انظر (متى ٣: ١٣-١٥)، (يوحنا ٣: ٢٢)، (٤: ١، ٢).

وإذا كان الحكم قد صار قديما على آدم وذريته بالموت (التكوين ٣: ١٩، ٣)، (٢: ١٧)، فلا مفرّ من الموت، ولكن المسيح يسوع مات بدلاً من المحكوم عليهم بالموت، وعوضاً عنهم، **ففداهم بموته، وصار هو الفادى والمخلّص** (ولكن الله برهن على محبته لنا **بأن المسيح قد مات من أجلنا**) (رومية ٥: ٨)، **(بذل نفسه فى سبيلنا)** (١. يوحنا ٣: ١٦)، (رومية ٥: ٦، ١٠)، (١٤: ١٥)، (١. كورنثوس ٨: ١١)، (يوحنا ١٥: ١٣)، (١. بطرس ٣: ١٨)، (٤: ٩، ١٠).

فالمعمودية هى الطريق البديل الذى رسمه المسيح له المجد ليتم به الحكم علينا بالموت. إن الموت يتم فعلاً فى المعمودية بطريقة سرية روحانية غير منظورة، بفعل روح القدس الذى ينحدر على مياه المعمودية.

وعلى ذلك فالمعمودية هى الواسطة التى رسمها الرب فى كنيسته المقدسة **لينال بها المؤمنون باسمه والراغبون فى الخلاص، استحقاقات المسيح الفادى الكفارية.**

فالمؤمنون بالمسيح يموتون مع المسيح فى المعمودية، وفيه يقومون.

أما كيف يموتون ويقومون، فهذا هو **عمل (الروح القدس الذى يأخذ مما للمسيح ويعطيهم)** (يوحنا ١٦: ١٥).

إن **الروح القدس ينزع من المؤمن طبيعته الأولى** التى ينزل بها إلى المعمودية - وهذا هو معنى الموت فى المعمودية - **ويمنحه طبيعة جديدة**، هى طبيعة المسيح، آدم الثانى، وهذا هو معنى القيامة فى المسيح، والحياة الجديدة فى المسيح.

ومن هنا **كان اليوم الأفضل والأنسب للتعميد هو يوم الأحد، اليوم الذى قام فيه المسيح من بين الأموات** (متى ٢٨: ١)، (مرقس ١٦: ٩)، (لوقا ٢٤: ١)، (يوحنا ٢٠: ١).

جاء فى الكتاب المقدس: **(إنكم دُفنتم معه (مع المسيح) فى المعمودية، وأقمتم معه أيضا... كنتم أمواتا بخطاياكم... فأحياكم الله معه)** (كولوسى ٢: ١٢، ١٣).

(ألا تعلمون أننا حين تعمَّدنا لنتحد بيسوع المسيح، إنما **تعمدنا لنموت معه، فدُفنا معه فى المعمودية، وشاركناه فى موته، حتى كما أقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب، كذلك نسلك نحن أيضا فى حياة جديدة؟ فإذا كنا اتحدنا به فى موت يشبه موته، فكذلك نتحد به فى قيامته.**

ونحن نعلم أن الإنسان القديم فينا صُلب مع المسيح حتى يزول سلطان الخطيئة فى جسدنا، فلا نبقى عبيدا للخطيئة، لأن الذى مات تحرر من الخطيئة **فإذا كنا قد متنا مع المسيح، فنحن نؤمن بأننا سنحيا معه)** (رومية ٦: ٣-٨).

فالمعمودية المسيحية إذن موت مع المسيح ودفن معه، فى الماء بدلاً من القبر، وقيامة معه. هى موت حقيقى لطبيعتنا الأولى أو إنساننا القديم، وقيامة حقيقية بطبيعة جديدة. وكل من الموت والقيامة، يتم بطريقة روحانية خفية غير خاضعة لحواسنا الظاهرة، يتم بعمل نعمة الروح القدس التى تنحدر من السماء، باستدعاء الكاهن المعمِّد، وفقا لما رسم المسيح له المجد فى كنيسته المقدسة.

ليست المعمودية إذن ماء على بسيط الحال يغطس فيه المؤمن، أو يُبلل به جسده من الظاهر. إنها ماء يرف عليها الروح القدس (التكوين ١: ٢) الذى يُستدعى بالصلوات فيتقدس الماء به ويتدشّن (١. تيموثيوس ٤: ٥).

* * *

يقول القديس كيرلس الأورشليمى (٣١٥ - ٣٨٦)م: (الماء يغمر المُعمَّدَ من الخارج، **وأما الروح فإنه يعمِّد النفس داخليا بلا انقطاع)**(١).

ويقول القديس غريغوريوس النيسى (٣٣٥ - ٣٩٤)م: (حينما تدخلون فى الماء، **لاتجدون بعدُ ماءً بسيطا، بل تنتظرون خلاصاً بالروح القدس**، لأنكم تستطيعون بلا مانع **أن تصلوا إلى الكمال**. وهذا الكلام ليس كلامى، بل كلام الرب يسوع نفسه الذى له السلطة التامة فى هذا السر، كما فى كل سر غيره، وهو (إن الإنسان مالم يولد من الماء والروح لايمكنه أن يدخل ملكوت الله)، الذى معناه أن **لاتكون المعمودية بماء فقط**، لأن الذى يتعمَّد بالماء فقط لايستحق نعمة الله ولا ينالها كاملة، كما أن الذى لم ينَل ختم الماء، مهما كان صالحا

---

(١) عظة ٣: ٢.

بأعماله، لايستطيع أن يدخل ملكوت السماوات. هذا الكلام صعب، ولكنه ليس كلامى لأن الرب يسوع هكذا تكلّم) (١).

ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم (٣٤٧ - ٤٠٧)م: (لأن الحمامة ظهرت وقتئذ (عند عماد المسيح) لهذه الغاية، أعنى لتكون بمثابة إصبع، تشير للحاضرين وليوحنا المعمدان، عن ابن الله... وليس لتلك الغاية وحدها فقط، بل **لكى تتعلّم أنت أيضا أن الروح القدس يأتى عليك عندما تُعمَّد**) (٢).

ويقول القديس يوحنا الذهبى فمه: (حين نُغطّس الرأس تحت الماء كأنه قبر، **تُدفن وتغطس كل إنسانيتنا القديمة**.. وإذ نخرج بعدئذ، فإنما يطفو **ويخرج إنسان جديد**. وكما أنه يسهل علينا أن نغطس ذواتنا ثُمّ نطفو، هكذا يسهل على الله **أن يدفن الإنسانية القديمة، ويلبسنا الإنسان الجديد**) (٣).

* * *

أما عن غفران الخطيئة الجدية **بفعل المعمودية**، وبالتالى كل خطيئة أخرى صنعها الإنسان قبل التعميد، فيقول القديس امبروسيوس (٣٤٠ - ٣٩٧)م: (**كل خطيئة تُغفر فى المعمودية**) (٤). ويقول هو نفسه أيضا (إن لم يتعمد الموعوظ باسم الآب والابن والروح القدس، فلا يستطيع أن **ينال غفران الخطايا**، ولامنحة النعمة الروحية) (٥).

ويقول القديس أوغسطينوس (٣٥٤ - ٤٣٠)م: (من يترك هذه الحياة حالاً بعد المعمودية، لم يبق عليه شئ يكفر عنه، **لأن كل شئ غُفر له**) (٦).

ويقول القديس الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين (من آباء القرن العاشر الميلادى).

(فبالمعمودية المقدسة ينعتق الإنسان من سلطان إبليس، ويصير مولودا من غير نُطفة مثل ناسوت المسيح، لأنّ الروح القدس يقدّسه من ميلاد النُطفة، فلا يبقى للشيطان عليه سلطان، مادام روح المسيح فيه) (٧).

---

(١) عظة ٣: ٢.
(٢) فى تفسيره للإنجيل للقديس متى، مقالة ١٢: ٢ (٣).
(٣) الميمر ٢٥ على الإنجيل للقديس يوحنا، الرقم ٢.
(٤) فى الأسرار ٣: ١٧.
(٥) فى الأسرار، فصل ٤.
(٦) عظة فى قانون الرسل، فصل ١٠.
(٧) كتاب (الدر الثمين فى إيضاح الدين)، طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥، المقالة الثالثة صفحة ١٢١.

ثانيا: فى المعمودية المسيحية
غسل ومحو للخطايا وتطهير بالروح القدس
من جميع الأدناس والنجاسات

إن **من أفاعيل المعمودية غفران جميع خطايا المعتمِد، الأصلية الجدية، ثم الخطايا الفعلية** التى صنعها الإنسان بنفسه قبل التعميد. هذه وتلك جميعها تُغفر بالمعمودية، وتغسل فى مياه المعمودية، بحيث يخرج المؤمن من جرن المعمودية معتقاً من جميع خطاياه السابقة على زمن التعميد، ومعفياً من القصاص الأبدى(١) الذى كانت تستوجبه خطاياه فى الحياة الأخرى لو أنه لم ينل العماد (**فلا إدانة بعد الآن على الذين هم فى المسيح يسوع**، السالكين سبيل الروح لاسبيل الجسد) (رومية ٨: ١).

يقول الوحى الإلهى على فم القديس بطرس الرسول: (توبوا وليتعمد كل واحد منكم باسم يسوع المسيح، **فتغفر خطاياكم**) (أعمال الرسل ٢: ٣٨)، ويقول القديس يوحنا المعمدان يصف معمودية المسيح له المجد (أنا أعمدكم بالماء من أجل التوبة، أما الذى يأتى بعدى، فهو أقوى منى وأنا لست مستحقاً أن أحمل حذاءه. **إنه سيعمدكم بروح القدس وبالنار**) (متى ٣: ١١)، (لوقا ٣: ١٦)، (مرقس ١: ٨)، (يوحنا ١: ٢٣)، (أعمال الرسل ١: ٥).

وهذا معناه أن **المعمودية تُطهر المؤمن المعمد من خطاياه وتحرقها بنار إلهية**، فيخرج المؤمن المعتمد من جرن المعمودية **نقياً وطاهراً ومصفى بالنار**. وليس هناك تعبير آخر أكثر دلالة على فاعلية المعمودية المسيحية فى تطهير المؤمن المعتمد من خطاياه السالفة، لأن النار تأكل وتحرق وتطهر.

---

(١) على أنه **لايُعفى المعتمد من القصاص المترتب على الخطيئة فى الحياة الدنيا**. فما زال المرض والموت ببشاعته، والأتعاب والأوجاع (التكوين ٣: ١٩) والشهوة والتجارب والآلام وما إليها من نتائج الخطيئة الأصلية، وأتعاب المرأة فى الحمل والوضع وولادة الأولاد.... هذه الأتعاب والآلام مازالت من نصيب الإنسان فى الحياة الحاضرة، ولايتخلص منها بالمعمودية. ولعل فى هذا القصاص الزمنى للإنسان تذكيراً له بالخطيئة التى جلبت عليه المتاعب والآلام، وتنبيهاً له وتحذيراً من عملها حتى يبتعد عنها، وحتى لايجلب على نفسه من جديد نتائج خطيئة آدم الأولى بخطاياه الفعليّة. ثم إن فى القصاص الزمنى للإنسان محكاً للفضيلة فيه، وامتحانا لصموده وصبره، فإذا احتمل وثبت أمام الإغراءات، ولم يفشل بسبب ما يلاقيه فى الدنيا من أتعاب وأحزان، نجح وصار خليقاً بفردوس النعيم وملكوت السماوات، (لأن ضيقنا الحالى الخفيف ينشئ لنا ثقل مجد أبديا لا حد له) (٢. كورنثوس ٤: ١٧) و (إن آلام الزمان الحاضر لاتقاس بالمجد الذى سيتجلّى فينا) (رومية ٨: ١٨). انظر أيضا (متى ٥: ١٢)، (١. بطرس ١: ٦)، (٥: ١٠).

وفى موضع آخر يقارن الوحى الإلهى بين فلك نوح الذى خلص فيه ثمان أنفس بالماء، وبين المعمودية التى يتم فيها خلاص نفس المؤمن من أدناس خطاياه، بما يشهد بأن ما تم فى العهد القديم بفلك نوح كان رمزا لما يتم فى المعمودية المسيحية فى العهد الجديد. يقول الوحى الإلهى على فم القديس بطرس: (كانت أناة الله تنتظر مرة، وذلك أيام بنى نوح الفلك فنجا فيه بالماء عدد قليل، أى ثمانية أشخاص. **وكان هذا رمزاً للمعمودية التى تخلّصكم الآن أنتم أيضا، لا بإزالة وسخ الجسد، بل بعهد صادق النّية مع الله بقيامة يسوع المسيح)** (١ . بطرس ٣: ٢٠، ٢١).

ويقول الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول فى نفس المعنى: (أيها الرجال، أحبّوا نساءكم مثلما أحب المسيح الكنيسة وضحى بنفسه من أجلها، **ليقدّسها ويطهّرها بماء الاغتسال وبالكلمة)** (أفسس ٥: ٢٥، ٢٦)، أى أن **التطهير من الخطايا السالفة يتم بالاغتسال بالماء** الذى يكتسب القدرة على التطهير عندما **يحل عليه روح القدس** بتلاوة الكلمة الإلهية والصلوات (لأن كلام الله والصلاة **يُقَدّسانه)** (١ . تيموثيوس ٤: ٥). وهذا كله يتم فى المعمودية المسيحية.

وجاء فى سفر أعمال الرسل أن حنانيا الرسول أحد السبعين ذهب بتكليف من الرب يسوع إلى شاول الذى هو بولس بعد أن تراءى له الرب يسوع المسيح وهو فى طريقه إلى دمشق وقال له: (والآن، ماذا انتويتَ أن تعمل؟ **قم تعمد واغسل خطاياك**، داعيا باسم الرب) (أعمال الرسل ٢٢: ١٦). **ففى المعمودية غسل للخطايا السالفة، وتطهير منها** (أعمال ٩: ١٨).

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل كورنثوس من المؤمنين المعمدين، قوله (ولقد كان بعضكم على هذه الحال (فاعلى شر)، ولكنكم **اغتسلتم**، بل تقدّستم، بل تبررتم باسم ربنا يسوع المسيح وبروح إلهنا) (١ . كورنثوس ٦: ١١)، (١ . كورنثوس ١: ٣٠).

وجاء أيضا فى رسالة القديس بولس إلى العبرانيين (فلنَدنُ بقلب صادق وإيمان كامل، وقلوبنا مُطَهّرةٌ من سوء النية **وأجسادنا مغسولة بماء طاهر)** (العبرانيين ١٠: ٢٢). **والماء المطهر هو ماء المعمودية.**

وجاء كذلك فى رسالة القديس بولس الرسول إلى الأُسقف تيطس عن المسيح له المجد، أنه (لااعتباراً لأعمال بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته **خلَّصنا بغُسل الميلاد الثانى، لحياة جديدة بالروح القدس**) (تيطس ٣: ٥) مبيِّنًا بهذا أنه **بهذا الغُسل، وهو غُسل المعمودية، تم لنا الخلاص من خطايانا والتطهير من آثامنا**، كما تحقق لنا الميلاد الثانى لحياة جديدة وذلك بفعل الروح القدس الذى انحدر من السماء على مياه المعمودية فحولها إلى **ماء نارى يُطهر ويغسل المعتمدين من خطاياهم وينُقيهم من دنس آثامهم السالفة**، فيولدون بالروح القدس ميلاداً ثانياً، ويتجددون فيصيرون به أطهاراً فى حياة جديدة (٢ . تيموثيئوس ١: ٩).

* * *

يقول القديس الفيلسوف **يوستينوس** الشهيد (١١٠ – ١٦٥)م: (يجب أن نُفتَّش ونعرف من أى طريق يمكننا أن ننال صفح الخطايا ونمتلك رجاء ميراث الخيرات الموعود بها. ولنا فى ذلك **طريق واحدة** وهى: **أن نعرف يسوع، ونغتسل بالمعموديّة لغفران الخطايا**. وهكذا نبتدئ أن نعيش بالقداسة) (١).

ويقول القديس **يوستينوس** أيضاً: (**إننا نحصل بالماء على مغفرة الخطايا السالفة**) (٢).

ويقول العلامة الفيلسوف **أكليمنضس الأسكندرى** (١٥٠ – ٢١٥/٢١٦)م: (ويدعى فعل المعمودية بأسماء كثيرة، أعنى: نعمة، واستنارة، **وكمالاً وحميما، فهو حميم** λουτρόν (LOYTRON) لأننا **به نغسل خطايانا**، ونعمة إذ **به نترك عقوبات خطايانا**) (٣).

ويقول القديس برنابا (نحو سنة ١٠٠)م: **تتمم المعمودية لغفران الخطايا**، فننزل فى الماء ممتلئين من الخطايا والرجاسات، ونخرج منها مثقلين بالثمار وفى قلوبنا الخشية ومالكين الرجاء بيسوع المسيح فى روحنا) (٤).

ويقول القديس **غريغوريوس الثيئولوغوس** المعروف **بالنازيانزى** (نحو ٣٢٩ – ٣٩٠)م: (**إن نعمة المعمودية تُنقى الإنسان من كل خطيئة، وتغسله غسلاً كاملاً من الأوساخ والأقذار اللاحقة به من الرذيلة**... وهى من حيث أنها نجدة للولادة الأولى **تجعلنا جدداً من عتق**، وإلهيين بدلاً مما نحن عليه) (٥).

---

(١) فى خطاب يوستينوس إلى تريفون، فصل ٤٤. (٢) كتاب الدفاع ليوستينوس، كتاب ١، فصل ٦١.

(٣) كتاب (المربى) لإكليمنضس الأسكندرى كتاب ١، فصل ٦: ٢٦. (٤) رسالة القديس برنابا، فصل ١١.

(٥) خطبة له فى المعمودية المقدسة ف ٧، ٨.

ويقول القديس **يوحنا ذهبى الفم** (٣٤٧ – ٤٠٧)م: (**إن معمودية النعمة تُطهر كل إنسان سواء كان فاسداً أو زانيا، عابداً للأصنام أو غير ذلك، لأنه مهما كان غارقا فى الخطية، فحالما يدخل مياه المعموديّة يخرج من هذه المياه الإلهية أنقى من أشعة الشمس عينها، وليس نقياً فقط، بل قديساً، بل باراً أيضا**، لأن الرسول (بولس) لم يقل (واغتسلتم) فقط، بل قال (**بل تقدّستم، بل تبررتم** باسم ربنا يسوع المسيح وبروح إلهنا) (١) ثم إنه **فضلاً عن نيلنا بالمعمودية صفح الخطايا والتنقية من الآثام والمظالم**، فإننا نولد بعد المعمودية ولادة ثانية ونُخلق ونصور بها) (٢).

ويقول القديس **أوغسطينوس** (٣٥٤ – ٤٣٠م): (**إن المعمودية تمحو جميع الخطايا: الخطيئة الأصلية، والخطايا الفعلية، خطايا الفكر والقول والعمل، الخطايا التى يتذكرها الإنسان. والخطايا المنسية**. فالذى صنع الإنسان يجدد الإنسان. **من ترك هذه الحياة حالاً بعد المعمودية لم يبق عليه شئ ليكفر عنه، فكل شئ غفر له**) (٣).

ويقول القديس **أوغسطينوس أيضا**: (**إننا بميلادنا من الماء والروح القدس نتطهر من كل خطيئة، سواء كانت من آدم الذى به خطئ الجميع أو بفعلنا وقولنا، لأننا نُغسل منها بالمعمودية**) (٤).

---

(١) ١. كورنثوس ٦: ١١.

(٢) العظة الثالثة.

(٣) عظة فى قانون الرسل، فصل ١٠.

(٤) رسالة ١٧٨: ٢٨.

ثالثا: فى المعمودية المسيحية صبغة باطنية

وهذا يتضح من لفظها اليونانى βάπτισμα (BAPTISMA) المشتق كصيغة مبالغة من الفعل βάπτω (BAPTO) بمعنى (صبغ – (يَصبَغُ - يَصبِغُ - يَصبُغُ) صبغاً. ومنها أيضا اشتق الفعل (BAPTIZO) βαπτίζω بمعنى (غطَّس، غرَّق، أغرق، غسل) ذلك أن صبغ الثوب يصير بتغطيسه فى السيَّال المراد الاصطباغ به وإغراقه فيه جيداً وكبسه حتى يكتسب اللون المطلوب. ولن يتم صبغ الثوب جيداً ما لم يتشبع تماماً بالسيال وينفذ السيّال نفاذا تاماً إلى نسيجه.

وفى اللغة اللاتينية BAPTISMA بنفس المعنى. وفى اللغة الإنجليزية BAPTISM، وفى الفرنسية BAPTÉME وفى الإيطالية BATTESIMO.

أما فى اللغة القبطية، فتستخدم عادة الكلمة القبطية المصرية (ⲱⲙⲥ) (OMS) وهى أيضا كالكلمة اليونانية بمعنى واحد: الصبْغة - التغطيس - الغَسل - الحميم.

أما فى اللغة العربية فقد اصطلح على تسمية هذا السرّ بـ (المعمودية) أو بـ (العماد) أو بـ (الاعتماد) وهو (الغسل بالماء). واللفظة سريانية الأصل أو مولدة مأخوذة من (العَمَد) أى البال (١).

والمعمودية صبغةٌ، لا بالنظر إلى طريقة ممارستها فقط، بل نظراً بالأحرى إلى فعلها وعملها السرّى الذى يجرى ويسرى فى طبيعة الإنسان المؤمن الذى يقبل المعمودية. وكما أن الصبغة تُلوِّن الثوب وتُغيِّره من صورة إلى أخرى، كذلك تصنع المعمودية فى قابلها، إنها تُلوِّن من يقبلها بلون باطنى جديد، وتُغيِّر من طبيعته.

---

(١) على أنه يمكن أن يُقال إنّ (العماد) كلمة من أصل عربى، (فعماد) الشئ سنده الذى يُرفَعُ به ويقوم عليه، ومنه أيضا (العمود) و(العُمْدة) و(العميد) وما إلى ذلك من مشتقات. ولما كان سر الصبغة المقدسة هو الباب الذى يدخل منه المؤمن بالمسيح إلى مملكة المسيح ويصبح به من المنضوين تحت لوائه. لذلك فإن (العماد) كلمة مشتقة من (عمد - يعمد - عمدا)، وذلك لبيان أهمية المعمودية للخلاص، وأنها باب النصرانية وعمودها الذى يستند إليه بنيانها، وبدونها لايكون دخول إلى مملكة المسيح.

وفى اللغة العبرانية أيضا עָמַד (AMAD) (عَمَد) بمعنى (وقَفَ) أو (أقام). فالمعمودية يقوم عليها كيان النصرانية.

يقال فى كتب اللغة العربية (صبغونى فى عينيك) أى غيّرونى عندك بإساءة قولهم فىّ(١).

وكما يختفى فى الصِبغة، اللون الأول، ويظهر الثوب فى لون جديد، هكذا فى المعمودية يختفى الإنسان العتيق المولود بالطبيعة من الأبوين بالولادة الأولى، ويتخذ طبيعة جديدة ولوناً جديداً.

لذلك تأمر الكنيسة بأن يلبس المُعَمَّدُ، بعد خروجه من جُرن المعمودية ثوباً جديداً أبيض، تحريكا للمشاعر وتنبيهاً إلى الطبيعة الجديدة والصبغة الجديدة النقية التى صار يصطبغ بها المعمّدون. أمّا ثيابهم الأولى فقد نزعوها عند جرن المعمودية، وغسلوها (وبيضوها فى دم الحمل) (سفر الرؤيا ٧: ١٤)، (٢٢: ١٤) إنهم (اكتسوا برداء البرّ ولبسوا ثياب الخلاص) (إشعياء ٦١: ١٠) الذى اشتهاه القدماء، حتى صرخ واحد بلسانهم (إغسلنى، فأبيض أكثر من الثلج) (مزمور ٥٠: ٧)، (إشعياء ١: ١٨)، بل هو أيضا ثوب المخلصين المطهرين فى السماء، كما وعد الرب قائلاً: (وسيمشون معى فى ثياب بيضاء لأنهم مستحقون)، (سفر الرؤيا ٣: ٤)، (٣: ٥، ١٨)، (٧: ٩، ١٣)، (١٩: ٨)، (دانيال ١٢: ١٠).

---

(١) انظر (أساس البلاغة) للزمخشرى، تحت كلمة (صَبَغَ) - و(المنجد فى اللغة والأدب والعلوم) تحت نفس الكلمة (صبغ).

رابعا: فى المعمودية المسيحية
عمليةختان روحيّة، بفاعلية الروح القدس

إنّ **فى المعمودية المسيحية عملية ختان روحية لا جسدية**. وإذا كان الختان فى مفهومه اللفظى والمادى والجسدى هو (قطع قُلفَة الصبى)، فإنّ المعمودية ختان لا للجسم كما كان الحال فى العهد القديم (التكوين ١٧: ١٠ – ١٤)، عهد الرموز والظلال (كولوسى ٢: ١٧)، (العبرانيين ٨: ٥)، (١٠: ١)، وإنما **المعمودية** فى العهد الجديد **هى ختان للقلب بالروح** (رومية ٢: ٢٩)، (٧: ٦)، (٢. كورنثوس ٣: ٦)، (فيلبى ٣: ٣) (١).

فى المعمودية المسيحية **يتم خلع ونزع وقطع** لا لجزء من الجسم كما كان ختان العهد القديم، **بل هو نزع وخلع وقطع للطبيعة القديمة التى يُولد بها الإنسان ملوَّثة بوصمة الخطيئة الأصلية** (مزمور ٥٠: ٥).

يقول الوحى الإلهى:

(وفيه (فى المسيح) خُتنتم ختانا، لا بالأيدى، بل بخلع جسم الخطايا البشرى. إنّه ختان المسيح، ذلك أنكم دُفِنتم معه فى المعمودية وأقمتم معه أيضا، لأنكم آمنتم بقدرة الله الذى أقامه من بين الأموات **كنتم أمواتاً بخطاياكم وبكونكم غير مختونين فى أجسادكم فأحياكم** الله معه (= مع المسيح) وصفح لنا عن جميع خطايانا، ومحا الصك الذى علينا، **وكان ضداً لنا، وأزاله مسمِراً إياه على الصليب) (كولوسى ٢: ١١-١٤)**.

كما يقول فى موضع آخر مؤكداً على عملية الخلع التى تتم بفاعلية الروح القدس فى سر المعمودية (لأنكم **خلعتم الإنسان القديم، وخلعتم معه كل أعماله**، ولبستم الإنسان الجديد، ذاك الذى يتجدّد فى المعرفة على صورة خالقه) (كولوسى ٣: ٩، ١٠). انظر أيضا (رومية ٦: ٦)، (أفسس ٤: ٢٢-٢٤).

وبعبارة أخرى إننا بالمعمودية **ننزع ونقطع من الزيتونة البرية**، ونُطعَّمُ فى الزيتونة الجيدة (رومية ١١: ٢٤).

---

(١) قارن (سفر التثنية ١٠: ١٦)، (٣٠: ٦)، (إرميا ٤: ٤)، (٩: ٢٥، ٢٦).

هذا الخلع للطبيعة القديمة، والاكتساء بالطبيعة الجديدة، أو ببر المسيح (رومية ٥: ١٨)، (٣: ٢٥، ٢٦)، (١٠: ٤)، (غلاطية ٥: ٥)، (فيلبى ٣: ٩) **يتم بفعل الروح القدس فى المعمودية بطريقة سرية غير منظورة**، ولذلك **فقد أمرت الكنيسة أن يَخلع المؤمن عند جرن المعمودية كل ملابسه**، وبعد أن يغطس فى المعمودية ويخرج منها بعد تعميده، **يلبس ملابس جديدة بيضاء، لتكون رمزاً ظاهريا للاكتساء الباطنى الذى اكتسى به المعمد ببر المسيح**، وللطبيعة الجديدة التى لبسها بالمسيح، حتى يمكنه أن يهتف بهتاف الفرح الذى أشار إليه الوحى الإلهى بروح النبوءة على فم النبى إشعياء (فرحا أفرح فى الرب، وتبتهج نفسى بإلهى، لأنه قد **ألبسنى ثياب الخلاص، وكسانى رداء البر**) (إشعياء ٦١: ١٠). ويتم للمسيحى المعمد قول الرب للنفس الإنسانية (**كنت عريانة ومتجردة.... فبسطت ذيل ثوبى عليك وسترت عورتك**... ودخلت معك فى عهد، يقول السيد الرب، فصرت لى. **فحممتك بالماء، وغسلت عنك دماءك، ثم مسحتُك بالدهن وألبستُك مطرزة، ونَعَلتُك بجلد سمنجونى، وحزمتك بالبز، وكسوتك بالحرير، وحليتك بالحلى**، وجعلت أسورة فى يديك، وطوقاً فى عنقك... وإكليل فخر على رأسك... **وكان ملبوسك البزّ والحرير والمطرز**... وتناهيت فى الجمال حتى صلحت للملك. **فذاع اسمك فى الأمم لجمالك، لأنه كان كاملاً ببهائى الذى جعلته عليك**، يقول السّيد الرب) (حزقيال ١٦: ٧ – ١٤).

هذه الطبيعة الجديدة هى (**الحُلَّة الأولى**) (لوقا ١٥: ٢٢) التى تلبسها النفس الباطنة بالمعمودية، وتكتسى بها لأنها بر المسيح، فلا يظهر خزى عريها) (الرؤيا ٣: ١٨)، بعد أن عادت إلى أحضان الآب السماوى (لوقا ١٥: ٢٠)، ورد إليها بنوتها (لوقا ١٥: ٢٢، ٢٤) التى كانت قد فقدتها بالخطيئة الأصلية.

كذلك المعمودية هى (**ثوب العُرس**) (متى ٢٢: ١١، ١٢) التى بها يستحق الإنسان المؤمن أن يحضر عرس ابن الملك (متى ٢٢: ٢، ١٢)، وأن (يدخل ملكوت الله) (يوحنا ٣: ٥).

إن من ليس له (**ثوب العرس**) (يطرد من حضرة الملك، ويُحرم من مشاهدة (عرس ابن الملك) (متى ٢٢: ١٣). وليس (ثوب العرس) إلا (**الحُلة الأولى**) بعينها. لأن الحلة الأولى) تسمى (الأولى **من حيث أولويتها لا من حيث أوليتها فقط**، أى من حيث مكانتها ومقامها وجمالها وقيمتها، لا من حيث أن هناك حلة أخرى غيرها.

فالمعمودية المسيحية (**معمودية واحدة**) (أفسس ٤ : ٥) لاتتكرر. فإذا اتسخت الحلة الأولى بالخطايا الفعّلية، فليس لنا حلة غيرها، وإنما منح لنا أن **نغسلها بدموع (التوبة)**، فيعود إليها بياضها (مزمور ٥٠ : ٧)، (إشعياء ١ : ١٨) ناصعاً كما كان. ولذلك قال الآباء إن **المعمودية (توبة ثانية)** لأنها ترد إلينا الحالة الأولى التى كسبناها بالمعمودية.

* * *

يقول القديس **افرآم السريانى** الملقب بكنارة الروح القدس، وهو من آباء القرن الرابع (٣٠٦ – ٣٧٣م):

(إنّ الرب وصى تلاميذه **أن ينقوا بمياه المعمودية خطايا الطبيعة** البشرية، مرة واحدة) (١).

ويقول العلامة **يوحنا الدمشقى**، (نحو ٦٧٥ – ٧٤٩م): (إن الرب أمرنا أن نُعيد ولادتنا بالماء والروح، إذ يحل الروح القدس على الماء بعد التضرع والدعاء... أما الروح فليجدد الصورة التى فينا، والمثال الذى عليه خلقنا. **وأما الماء فلينقى الجسد من الخطيئة بنعمة الروح القدس، وينقذه من الهلاك**) (٢).

---

(١) كتاب الإيمان ٤ : ٩ (صفحة ٢٢٦).

(٢) كتاب الإيمان ٤ : ٩.

خامسا: المعمودية المسيحية ختم لاينفك وسمة(١) لاتمحى

المعمودية تطبع النفس باطنيا وروحيا بسمة لاتُمحى، ومن ثم فتسمى أيضا وَسْماً للنفس أبديا.

يقول الوحى الإلهى عن إبراهيم الخليل (وقبل سمة الختان خاتماً للبر الذى حصل عليه بالإيمان) (رومية ٤: ١١) (٢).

فإذا كان الختان فى العهد القديم سمة σημεῖον وخاتماً σφραγίς للبر لأنه يترك فى الجسد علامةً وأثراً، فالمعمودية سمة وخاتم وختم ثابت للروح تعرف به فى عالم الروح، علامة تميّزها وتتميز بها إلى الأبد.

ولما كان **الختان فى العهد القديم يرمز إلى المعمودية فى العهد الجديد** (وفيه (= فى المسيح) **خُتنتم ختانا لا بالأيدى، بل بخلع جسم الخطايا البشرى. إنه ختان المسيح**، ذلك أنكم دُفنتم معه فى المعمودية...) (كولوسى ٢: ١١، ١٢)....

فإن الختان، هو سمة فى الجسد، وختم يترك أثراً فانيا، **أما المعمودية فإنها سمة أبدية، وختم ثابت قائم لاينفك ولن يمحى.**

ليست المعمودية إذن مجرد رسوم وعلامات ظاهرية للمواعد أو الوعود الإلهية لإنهاض الإيمان كما ذهب مارتين لوثير M. LUTHER (١٤٨٣ – ١٥٤٦م) مؤسس المذهب البروتستانتى، وليست مجرد إشارات ورموز للنعمة والحياة الروحية كما قال كلفين J. CAL-VIN (١٥٠٩ – ١٥٦٤م). وليست المعمودية مجرد طقوس خارجية للحياة الروحية.

إن المعمودية سر عظيم ذو فاعلية روحية حقيقية لا اسمية فى النفس الباطنية، وهى تطبع فى النفس أثرا روحيا سريا باطنيا - يبقى ويظل مطبوعا فى أعماقها، فى الحياتين الحاضرة والآخرة.

ومعنى أن المعمودية سمة لاتمحى وختم لاينفك ولايمحى ولا يزول، أنها تظل مع الإنسان الذى قبلها وتبقى فيه دائما منذ أن تختم بها نفسه وروحه إلى مالا نهاية. فإذا دخلت النفس إلى فردوس النعيم وإلى ملكوت السماوات، لازمتها سمة المعمودية هناك، وبها يتميز المعمد كابن لله

---

(١) فى اللغة: وسم يسِم وسماً وسمة، ووسمَة أى كواه وأثر فيه بِسِمَةٍ، أى جعل له علامة يعرف بها. فالسمة هى العلامة أو أثر الكىّ - العلامة التى تترك أثراً.

(٢) انظر أيضا (٢ - تيموثيوس ٢: ١٩).

قد ولد منه بالنعمة، لا من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة إنسان) (يوحنا ١: ١٣) وبها يعرف أمام ملائكة السماء وجمهور القديسين، ويصير وارثا لملكوت الله، لأنها علامة الملك الذى ينضوى المؤمنون المخلصون تحت لوائه.

فإذا أقصى المعمد من حضرة الله الديان، وأُبعد إلى جهنم النار الأبدية تبقى معه سمة المعمودية لخزيه وتخجيله، علامة على خيانته العظمى لسيده الذى فتح له بابه ليقبله بالإيمان. وهى خيانة أعظم من خيانة الغريب وأفدح شراً (٢ . صموئيل ١٦: ١١).

* * *

يقول الفيلسوف العلامة **أكليمنضس الأسكندرى** (نحو ١٥٠ - ٢١٥/٢١٦م): (إن المعمودية ختْم مبارك) (μακαρία σφραγίς) (١).

ويقول القديس **كيرلس الأورشليمى** (٣١٥ - نحو ٣٨٦م) (عظيمة هى المعمودية، المعدة فداءً عن المأسورين و..... **وختماً مقدساً لاينفك**) (٢) (σφραγίς ἁγία ἀκατάλυτος) (٣).

ويقول القديس **كيرلس الأورشليمى** أيضا (إن الروح القدس فى المعمودية **يسم النفس ويمنحها ختماً** ترتجف منه الشياطين خوفاً، **ختماً سماويا وإلهيا**).

ويقول القديس باسيليوس الكبير (٣٢٩ - ٣٧٩م): (المعمودية فدية المأسورين.. **وختم لاينفك**) (٤).

كذلك القديس **امبروسيوس** (AMBROSIUS) (٣٣٩ - ٣٩٧م)، يدعو المعمودية (**ختماً روحيا**) (٥).

---

(1) KAYE'S WRITINGS OF CLEMENT OF ALEXANDRIA, London, 1835, P. 439.

(٢) لاينفك، أو لاينحل، أو لاينكسر أو لايفض، أو لايزول. والكلمة اليونانية ἀκατάλυτος استخدمت فى (العبرانيين ٧: ١٦) بمعنى حياة (لاتزول - أو ليس لها زوال).

(٣) تعليم ابتدائى للموعوظين. (PROCATECHESIS) فصل ١٦

ST. CYRIL OF JERUSALEM'S LECTURES ON THE CHRISTIAN SACRAMENTS, edited by F.L. CROSS, London, 1951, P. 10.

PATROLOGY, by J. QUASTEN, 1960 P. 374.

(٤) مقالة ١٣.

(٥) كتاب فى الروح القدس، رأس ٦: ٧٨.

ويقول القديس **ديديموس الضرير** (٣١١ – ٣٩٦م) رئيس مدرسة الأسكندرية اللاهوتية: (عندما نغطس فى جرن المعمودية، فبفضل صلاح الله الآب وبنعمة روحه القدوس، نتعرى من خطايانا إذ نتخلص من الإنسان العتيق، ونتجدد، **ونُختم** بقوته (بقوة الله) لملكيته الخاصة. ولكن عندما نخرج من جرن المعمودية نلبس المسيح مخلصنا كثوب لا يبلى، مستحقا لكرامة الروح القدس عينها، الروح القدس الذى جددنا، ودمغنا بختمه) (١).

ويقول القديس **ديديموس** أيضا: (لا أحد يمكنه أن يحصل على المواهب السماوية ما لم يتجدد بروح الله القدوس، **ويختم بختم قداسته، ولو كان كاملاً** فى حياة بلا عيب فى كل شئ آخر) (٢).

ويقول القديس **ايرونيموس** (JEROME - HIERONYMUS) (٣٤٢ – ٤٢٠م): (**إن المعمودية هى ختم الله**. وكما خلق الإنسان الأول على صورة الله ومثاله، هكذا الذى يتبع الروح القدس يختم منه، ويأخذ صورة الخالق)(٣).

ويقول القديس أوغسطينوس AUGUSTIN (٣٥٤ – ٤٣٠م): (تمسك بما نلته، فإنه لايتغير، **فهو وسم ملكى**) (٤).

ويقول القديس **أوغسطينوس** أيضا: (إن المعمد فى الكنيسة إذا ترك الكنيسة يحرم قداسة الحياة، ولكنه لايحرم **وسم السر**) (٥).

ويقول القديس **أوغسطينوس** كذلك: (**فالسمة السيدية لاتمحى البتة** عن الذين نتقبلهم، ولا نعمدهم ثانية) (٦).

وهكذا عبر كثير من آباء الكنيسة الأولى فى كتاباتهم (٧).

---

(١) فى الثالوث ٢ : ١٢.
(٢) فى الثالوث ٢ : ١٢.
(٣) على رسالة أفسس ١ : ١٣.
(٤) مقالة فى يوحنا عدد ١٦.
(٥) عظة ٨.
(٦) رسال ١٨٥ إلى بونيفاتيوس (BONIFATIUS): فصل ٢٣.
(٧) انظر كتاب (الرّاعى) لهرماس (HERMAS): ٣ : ٩ : ١٦ وكتاب (من هو الغنى الذى يَخلُص) أكليمنضس الأسكندرى: ٤٢ ومقالة ٣ : ٧ للقديس يوحنا ذهبى الفم، على رسالة بولس الرسول الثانية إلى كنيسة كورنثوس.

سادسا: فى المعمودية المقدسة يولد المؤمن من جديد ولادة من فوق

من أفاعيل المعمودية المسيحية أنه فيها وبها يولد المؤمن ولادة ثانية، غير ولادته الأولى من أبيه وأمه، يولد ولادة روحانية حقيقية جديدة، ولادة من فوق، من السماء، من الله، فيصير بها ابنا لله بالتبنى، وذلك بفعل الروح القدس الذى ينحدر بنعمته على مياه المعمودية فيكسبها هذه الفاعلية الوالدية، حتى إن المعمودية تصير للمؤمن أما ثانية، بالإضافة إلى أمه الطبيعية التى ولدته بالجسد. **ثم إنه لهذه الصفة يصير الكاهن المُعمد أبا روحيا(١) للمولود بالروح من الله بالإضافة إلى الأب الطبيعى الذى ولده بالجسد، يحق للمعمد بواسطته أن يدعوه (أبى).**

يقول السيد المسيح له المجد فى حديثه إلى نيقوديموس معلم الناموس (الحق الحق أقول لك إن الإنسان مالم يُولد ثانية من فوق لا يُمكنه أن يرى ملكوت الله. فقال له نيقوديموس: كيف يمكن أن يولد إنسان وهو شيخ؟ ألعله يقدر أن يدخل مرة أخرى فى بطن أمه ثم يولد؟ أجاب يسوع: الحق الحق أقول لك إن الإنسان **مالم يُولد من الماء والروح** لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله. فالمولود من الجسد هو جسد، والمولود من الروح هو روح. لاتعجب إذا قلت لك إنكم **ينبغى أن تولدوا ثانية من فوق)** (يوحنا ٣: ٣ – ٧).

ومن تصريح الرب يسوع المسيح يتضح أن الميلاد الذى من فوق، هو الميلاد الثانى، وهو الميلاد الذى من الماء والروح. والماء هو ماء المعمودية، والروح هو الروح القدس الذى ينحدر بنعمته على مياه المعمودية.

وهذا هو الميلاد الذى تحدث عنه الإنجيل بقوله: (وأما كل الذين قبلوه، فأعطاهم السلطان لأن يكونوا **أبناء الله**، أولئك هم المؤمنون باسمه. الذين ولدوا لا من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة إنسان، وإنما **من الله وُلدُوا**) (يوحنا ١: ١٢، ١٣).

وفى هذا النص الإلهى يشرح الإنجيل حقيقة هذه البُنوة التى يُنعم بها على من يقبلون المسيح بالإيمان، وأنها بنوة بالإنعام لا بالطبع، وهذا هو التّبنى - وهى تفترق عن البنوة الطبيعية للأب والأم بالجسد - هذه تتم بمشيئة الجسد بالزواج بين الرجل والمرأة، وبالتالى فهى مشيئة

---

(١) (غلاطية ٤: ١٩)، (١. تيموثيوس ١: ٢)، (٢. تيموثيوس ١: ٢)، (٢: ١)، (تيطس ١: ٤)، (فليمون: ١٠)، (١. بطرس ٥: ١٣)، (١. يوحنا ٢: ١، ١٢، ٢٨)، (٣: ٧، ١٨)، (٤: ٤)، (٥: ٢١)، (٣. يوحنا : ٤)، (يوحنا ١٣: ٣٣).

إنسان هو الرجل والمرأة. أما تلك البنوة الروحية التى يحصل عليها الذين قبلوا المسيح بالإيمان فهى بنوة حقيقية لكنها روحية، يصير بها المؤمن ابنا لله بالتبنى، ويكتسب بها هذا الحق، وهذا السلطان، حق البنوة لله، وسلطان البنوة لله، فتصير بنوته لله حقاً مكتسبا له، ويصير بها صاحب حق وسلطان فى أن يرث ملكوت الله، وامتيازات العهد الجديد الذى أنعم بها المسيح على المؤمنين به.

ويقول الوحى الإلهى مؤكدا على نفس الحقيقة، على فم القديس بولس الرسول شارحاً للخلاص الذى يناله المؤمنون بالمسيح فى المعمودية المقدسة وأنه بالإنعام والفضل لا بالاستحقاق: (لا اعتباراً لأعمال بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته **خلصنا بغسل(١) الميلاد الثانى** لحياة جديدة بالروح القدس) (تيطس ٣: ٥).

ويقول الوحى الإلهى على لسان القديس بطرس الرسول: (فأنتم وُلدتم ولادةً ثانيةً، لا من زرع فاسد، بل من زرع غير فاسد، وهو كلمة الله الحىّ الباقى) (١بطرس ١: ٢٣). وهنا أيضا الإشارة واضحة إلى حقيقة **الميلاد الثانى** التى يحصل عليها المؤمنون فى المعمودية المقدسة بالروح القدس الذى ينحدر على المياه بالصلوات وتلاوة الكلمة المقدسة. **هذا الميلاد الثانى من الماء والروح القدس** هو متميز عن الميلاد الأول من الأب والأم، فإن هذا الأخير هو ثمرة التزاوج بين الرجل والمرأة: الرجل زارع، والمرأة هى الحقل الذى يقبل الزرع ويحمله ليثمر جنيناً، ومع ذلك فهو بالقياس إلى فعل الروح القدس فى مياه المعمودية زرع فاسد، وقابل للفساد، أما الزرع الذى يزرعه الروح القدس فى المؤمنين، بحلول الروح القدس على مياه المعمودية فليس بفاسد، ولا يقبل الفساد، لأنه به يرث المؤمن ملكوت الله، فيحيا مع المسيح إلى الأبد.

وإذن فالميلاد الثانى بالمعمودية ليس فقط يتميز عن الميلاد الأول من الأب والأم ولكنه يعظم عنه شرفاً ومجداً، لأن الميلاد الأول مآله إلى فساد وفناء وزوال بالموت. **أما الميلاد الثانى فيهب حياة أبدية لاتزول.**

ويقول أيضا الوحى الإلهى على فم القديس بطرس الرسول (تبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذى شملنا بوافر رحمته، **فولدنا** بقيامة يسوع المسيح من بين الأموات، **ولادة ثانية** لرجاء حى ولميراث لايفسد ولا يتدنس ولايضمحل، محفوظ لكم فى السماوات) (١. بطرس ١: ٣، ٤) مبينا الروح القدس بهذا النص المقدس أننا باستحقاقات المسيح خلصنا

(١) الغسل: الاسم من غسل (القواميس العربية).

فنلنا بتغطيسنا فى المعمودية **الميلاد الثانى**. ولما كنا فى المعمودية ندفن الطبيعة القديمة ونلبس طبيعة المسيح ونكتسى ببره، وبعد الدفن والموت قيامة، فنحن بالمعمودية أيضا نقوم مع المسيح. ولذلك كان اليوم الأنسب والأفضل للتعميد هو **يوم الأحد، يوم القيامة**، وإذ نموت ثم نقوم، فنولد من جديد **الولادة الثانية من الماء والروح**، وبحقّ هذه الولادة الثانية يصير لنا حق الوارثين لملكوت السماوات، وهو ميراث لايفسد ولا يفنى، ولايتدنس، ولايضمحل، كما هو الحال بالنسبة لميراث الأرض الذى يحصل عليه الإنسان بحق الميلاد الأول من أبويه بالجسد. إنما الميراث الذى يناله المخلصون بالمعمودية، ميراث ثابت خالد باق محفوظ لهم فى السماوات.

ويقول الكتاب المقدس فى رسالة القديس يعقوب الرسول: (شاء **(الله) فولدنا بكلمة الحق** لنكون باكورة لخلائقه) (يعقوب ١: ١٨). وهذا توكيد لحقيقة الميلاد الثانى الذى نلناه من الله بعمل الروح القدس الذى انحدر بنعمته من فوق على ماء المعمودية، بعد استدعائه **بالصلوات وتلاوة الكلمة المقدسة** (أفسس ٥: ٢٦)، **فصرنا بحق هذه الولادة الجديدة أبناء لله، لا بالطبيعة بل بالإنعام والتبنّى** (رومية ٨: ١٥)، (غلاطية ٤: ٥)، (أفسس ١: ٥) وبهذا صار لنا بالمعمودية وبالميلاد الثانى **التقدُّم** على جميع الخلائق الأخرى، لأننا قد صرنا له أبناء، وحسب الموعد ورثة، وللابن الوارث حقوق تفوق جميع العبيد والخدم، فهو المقدّم على الجميع لأنه **البكر والباكورة** والأول والأولَى بالميراث الأبدى.

وجاء فى الكتاب المقدس، فى الرسالة إلى كنيسة غلاطية: (فأنتم كلكم **أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع، لأنكم تعمّدتم جميعاً فى المسيح فلبستم المسيح**، ولا فرق الآن بين يهودى وغير يهودى، بين عبد وحر، بين رجل وامرأة، فأنتم كلكم واحد فى المسيح يسوع. فإذا كنتم للمسيح فأنتم، إذن، نسل إبراهيم ولكم الميراث حسب الوعد) (غلاطية ٣: ٢٦-٢٩).

انظر (رومية ٨: ١٤، ١٦، ١٧، ١٩) (٩: ٨)، (١. كورنثوس ١٢: ١٣)، (٢. كورنثوس ٦: ١٨)، (١. يوحنا ٣: ١، ٢، ١٠)، (الرؤيا ٢١: ٧).

* * *

يقول العلامة الفيلسوف **اكليمنضس الأسكندرى** (نحو ١٥٠ - ٢١٥/٢١٦م): (هذا الأمر عينه يحصل لنا أيضا نحن الذين قد صار لنا المسيح مثالاً. **فإذ نعتمد نستنير، وإذ نستنير نُتبنَّى. وإذ نُتبنَّى نكمل**) (١).

(١) كتاب (المربى)، كتاب ١، فصل ٦: ٢٦.

ويقول العلامة ترتوليانوس TERTULLIANUS (حوالى ١٦٠ – نحو ٢٢٠م) (لقد تقرر بشريعة ان لا خلاص لأحد بدون العماد).

ويقول القديس **كيرلس الأورشليمى** (٣١٥ – نحو ٣٨٦م): (عظيمة هى المعمودية، المعدة فداء عن المأسورين، وصفحاً للأوزار، وموتا للخطيئة، **وولادة ثانية للنفس**، وثوبا نيراً، وختماً مقدساً لا ينفك، ومركبة إلى السماء، ونعيم الفردوس، وسبباً للملكوت، ومنحة التبنى)(١).

ويقول القديس كيرلس الأورشليمى أيضا: (حينما تدخلون فى الماء (ماء المعمودية)، لاتجدون بعد ماء بسيطاً، بل تنتظرون خلاصاً بالروح القدس.. فيقول الكتاب إن بطرس بعد هذه النعم الروحية كلها، عمدهم (عمد كورنيليوس وأهل بيته)(٢) باسم يسوع المسيح لكى تعاد ولادة النفس) (٣).

ويقول القديس باسيليوس الكبير (٣٢٩ – ٣٧٩م): (يوحنا كان ينادى بمعمودية التوبة... **والرب ينادى بمعمودية التبنى**) (٤).

ويقول القديس باسيليوس فى موضع آخر (من أين نحن مسيحيون؟ فكل يجيب أننا بالإيمان مسيحيون. وبأى وجه نخلص؟ أمر واضح **أننا بولادتنا بنعمة المعمودية نخلص**)(٥).

ثم يقول القديس باسيليوس أيضا: (المعمودية فدية للمأسورين، وصفح للأوزار، وموت الخطيئة، **وإعادة ولادة النفس**، و... وختم لا ينفك، ومركبة إلى السماء تؤدى إلى الملكوت، **ومنحة التبنى**) (٦).

ويقول القديس **غريغوريوس النيصى** (نحو ٣٣٥ – ٣٩٤م): (فالمعمودية إذن هى تنقية من الخطايا، وترك المآثم، وعلة التجديد **والولادة الثانية**) (٧).

ويقول القديس **يوحنا ذهبى الفم** (٣٤٧ – ٤٠٧م): (إن الذين كانوا قبل عمادهم أسرى فإنهم يتمتعون الآن ببهاء الحرية، وصاروا أعضاء الكنيسة سالكين فى نور البر البهى، بعد ما كانوا سائرين فى فيافى الضلال الحالك وظلام الخطيئة القاتم. حقا إنهم الآن محررون، وليس

---

(١) تعليم ابتدائى للموعوظين، فصل ١٦.
(٢) أعمال الرسل ١٠: ٤٧، ٤٨.
(٣) عظة ٣: ٢.
(٤) مقالة للقديس باسيليوس على المعمودية: ١.
(٥) فى الروح القدس، فصل ١٠.
(٦) مقالة ١٣.
(٧) فى معمودية المسيح.

ذلك فقط بل قديسون، فأبرار، **فأبناء، فورثة**، فإخوة المسيح وارثون معه، فأعضاء جسده الطاهر، فهياكل الروح القدس. فتأمل فى العطايا الجزيلة والمواهب الثمينة التى يمنحها سر العماد. إن كثيرين يظنون أنه يغفر الخطيئة فقط، وأما نحن فقد أحصينا له عشرة أفاعيل تجعل النفس فى مركز سام ومقام جليل لايوصف) (١).

ويقول القديس يوحنا الذهبى فمه أيضا: (على ذلك المنوال، فى العماد بواسطة الماء، وهو حقيقة حسية، تعطى وتخول النعمة، ويتم على وجه روحى **الميلاد الجديد، تجديد طبيعتنا**) (٢).

ويقول القديس أوغسطينوس (٣٥٤ – ٤٣٠م): (**إن لنا ميلادين: أحدهما** أرضى، **والآخر سماوى**. الأول من الجسد، **والثانى من الروح**. الأول صادر عن مبدأ قابل للفناء، **والثانى عن مبدأ أبدى**، الأول عن الرجل والمرأة، **والثانى من الله والكنيسة**، الأول يجعلنا أبناء الجسد، والثانى أبناء الروح. الأول يصيرنا أبناء الموت، **والثانى أبناء القيامة**. الأول يجعلنا أبناء الدهر، **والثانى أبناء الله**. الأول يجعلنا أبناء اللعنة والغضب، **والثانى أبناء البركة والمحبة**. الأول يقيدنا بأغلال الخطيئة الأصلية، **والثانى يحلنا من رباطات كل خطيئة**)(٣)

* * *

وإذن **فالمعمودية المسيحية هى سر التجديد فى العهد الجديد**، بها وفيها يولد المؤمنون بالمسيح ولادة ثانية، **ويخلقون من جديد خلقاً روحيا، بتجديد الطبيعة البشرية التى فسدت بالخطيئة الأصلية**، وهذا هو معنى (الخليقة الجديدة) بالقياس إلى الخليقة الأولى.

جاء فى الكتاب المقدس، فى رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس (إذا كان أحد فى المسيح، **فهو خليقة جديدة**، قد زال القديم. ها هوذا **كل شئ جديد**) (٢ . كورنثوس ٥ : ١٧) . وفى رسالته إلى أهل غلاطية: (لأنه فى المسيح يسوع، لا الختان ولا عدم الختان ينفع الإنسان، وإنما الذى ينفعه أن يكون **خليقة جديدة**) (غلاطية ٦ : ١٥) .

---

(١) فى خطاب له إلى الموعوظين المرشحين للعماد. (٢) الميمر ٨٢ على الإنجيل للقديس متى، الرقم ٤ .

(٣) تفسير الإنجيل للقديس يوحنا، فصل ١٩ .

هنا يجدر بنا أن نميز ولا نخلط بين **التجديد الكامل الشامل للطبيعة البشرية الذى يتم مرة، وإلى الأبد، فى سر المعمودية**، وبين **التجديد الذهنى** الذى **يحدث بسر التوبة**، والذى تلزم ممارسته مراراً فى حياة القديسين السائرين فى طريق السماء، السالكين فى مدارج الكمال.

ففى المعمودية يتم دفن الطبيعة القديمة الواصلة إلى الإنسان بالولادة الأولى من الأب والأم **(مدفونين معه =مع المسيح، فى المعمودية)** (رومية ٦: ٤)، (كولوسى ٢: ١٢)، **وخلق الطبيعة الجديدة (بالماء والروح)** (يوحنا ٣: ٣، ٥)، ويصعد الإنسان من الماء، مولودا جديداً (تيطس ٣: ٥) لابساً المسيح (غلاطية ٣: ٢٧).

ذاك هو التجديد الشامل الكامل للطبيعة البشرية فى المعمودية. أما التجديد الذهنى فهو ما يتم فى التوبة اليومية، والذى يباشر بفعل الإرادة والنية والقصد. ويقول فيه الوحى الإلهى: (ولا تتشبهوا بما فى هذه الدنيا، بل تغيروا عن شكلكم **بتجديد أذهانكم**، لتختبروا ما هى مشيئة الله، وما هو صالح، وما هو مرضى، وماهو كامل) (رومية ١٢: ٣)، ويقول **(وتجددوا روحا وذهنا، والبسوا الإنسان الجديد** الذى خلقه الله على صورته فى البر وقداسة الحق) (أفسس ٤: ٢٤). انظر (٢. كورنثوس ٣: ١٨).

والتوبة فى حقيقتها هى تغيير النية والقصد.

ويلاحظ أن (التوبة) باللغة اليونانية هى **μετάνοια** وهى تتألف من مقطعين: الأول (**μετά**) بمعنى (بعد) والثانى (**νοῦς**) بمعنى (العقل - الفكر - الغرض - القصد - النية). فالتوبة **μετάνοια** هى إعادة الفكر - تصحيح الفكر - تغيير العقل والفكر أو النية أو القصد. أى أن التوبة هى والتجديد الذهنى، بمعنى واحد.

كذلك (التوبة) فى اللغة العربية فهى الرجوع، والعدول عن المعصية وتغيير المسار، والاعتراف والندم والإقلاع، والعزم على ألا يعاود الإنسان ما اقترفه. والفعل: هو تاب - يتوب بمعنى رجع عن المعصية.

* * *

يقول الفيلسوف العلامة **أكليمنضس** الأسكندرى (١٥٠ – ٢١٥/٢١٦م): (إن المربى يَخلقُ الإنسان من تراب، **ويُجدده بالماء**، وينميه بالروح) (١).

ويعقد القديس **أكليمنضس** الأسكندرى مقارنة بين عمل الخليقة فى العهد القديم، وبين التجديد بالمعمودية فى العهد الجديد ثم يقول: (إن الرب الذى أخرجنا من الاضطراب، ينيرنا ويقتادنا إلى النور الذى ليس له ظلال، لا إلى النور المادى. وكما أن **كل تولّد يصير بالماء والروح، هكذا التجديد**) (٢).

وفى موضع آخر يقول العلامة **أكليمنضس** الأسكندرى أيضا: (فلنسرع إلى الخلاص، **إلى التجديد** *ἐπὶ τὴν παλιγγενεσίαν*) إلى الاتحاد بالجوهر الفرد (*τῆς μοναδικῆς οὐσίας*) (٣).

ويقول القديس **باسيليوس** الكبير (نحو ٣٣٠ – ٣٧٩م): (إن النفس **تتجدد بالمعمودية**) (٤).

ويقول القديس **غريغوريوس النازيانزى** الشهير **بالثيولوغوس** (نحو ٣٢٩ – ٣٩٠م): (المعمودية تطهير الخطايا، وغفران الذنوب، **وعِلّة التجديد والميلاد الثانى**)(٥).

---

(1) KAYE'S Writings of Clement of Alexandria, London, 1835, P. 437.

(٢) عن كتاب أكليمنضس الأسكندرى (شواهد من كتابات الأنبياء)، نفس المرجع صفحة ٤٤٣.

(٣) نفس المرجع صفحة ٤٣٩. (٤) ميمر ١٣: ٥. (٥) فى خطابه على معمودية المسيح.

سابعاً: فى المعمودية المسيحية ينال المعمد إنارة روحية

يقول الوحي الإلهي علي لسان القديس بولس الرسول في رسالته إلي العبرانين : (**فالذين أُنيروا مرة وذاقوا الهبة السماوية وصاروا مُشاركين في الروح القدس واستطابوا كلمة الله الصالحة ومعجزات العالم المُقبل**، ثم سقطوا ، يستحيل تجديدهم وإعادتهم إلى التوبة لأنهم يصلبون ابن الله ثانية لخسرانهم ويشهرونه) (العبرانيين ٦ : ٤-٦).

والإنارة هنا في هذا النص القدسى هي الإنارة التى ينالها المعمدون في سر العماد (العبرانيين ١٠ : ٣٢) **وهى الهبة السماوية** (يوحنا ٤ : ١٠)، (٦ : ٣٢)، (أفسس ٢ : ٨)، **وبها صاروا مشاركين فى الروح القدس** (العبرانيين ٢ : ٤)، (غلاطية ٣ : ٢، ٥)، **واستطابوا كلمة الله الصالحة ومعجزات العالم المقبل** (العبرانيين ٦ : ٥).. فإذا سقطوا باختيارهم، لا عن خوف بل عن إنطفاء نور الروح القدس في قلوبهم بعد حصولهم على الإنارة الباطنية الروحية يستحيل تجديدهم وإعادتهم إلى التوبة، ذلك **التجديد الكامل الشامل الذى يتم مرة فى المعمودية بالروح القدس** (تيطس ٣ : ٥). فإن هذا التجديد لا يتكرر، وإنما يناله المؤمن مرة وإلى الأبد، ولما كانت المعمودية فى حقيقتها صلبا وموتا للإنسان القديم، مع المسيح وقيامة معه (رومية ٦ : ٤، ٦)، والمسيح مات مرة واحدة وقام (رومية ١٤ : ٩)، (٦ : ٩)، (١ . تسالونيكى ٤ : ١٤)، فالذين يسقطون باختيارهم عن نعمة الله بعد حصولهم على الإنارة الأولى، يستحيل تجديدهم وأعادتهم إلى التوبة، (ولا مغفرة لهم لا فى هذا الدهر ولا فى الآتى) (متى ١٢ : ١٣، ٣٢)، (فلا مغفرة له إلى الأبد ، وإنما يستوجب دينونة أبدية) (مرقس ٣ : ٢٩)، (لوقا ١٢ : ١٠)، (العبرانيين ١٠ : ٢٦)، (٢ . بطرس ٢ : ٢٠، ٢١)، (١ يوحنا ٥ : ١٦).

ومن هنا كانت **المعمودية المسيحية واحدة، ولاتتكرر. ولاتجوز إعادتها طالما أنها قائمة على إيمان سليم ومستقيم بالمسيح** (غلاطية ٣ : ٢٦، ٢٧)، (مرقس ١٦ : ١٦)، **وبالثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس** (متى ٢٨ : ١٩). يقول الوحى الإلهى (رب واحد، وإيمان واحد، **ومعمودية واحدة**) (أفسس ٤ : ٥).

ولعل السبب فى قول الوحى الإلهى عن المعمدين إذا سقطوا أنه (يستحيل تجديدهم وإعادتهم إلى التوبة) أنهم (**سقطوا**) باختيارهم بعد إنارتهم. والسقوط ليس هو مجرد الزلل، وإنما هو إستمراء السقوط وانطفاء الرغبة فى القيام، حباً فى الخطيئة. فهم لايجدون للتوبة مكاناً لأنهم

بعد أن عرفوا طريق البر والصلاح، ارتدوا باختيارهم عن الوصية المقدسة التى سُلِّمَت إليهم. (لقد صدق فيهم المثل القائل: عاد الكلب إلى قيئه يلحسه. والخنزيرة التى اغتسلت عادت إلى التمرغ فى الوحل) (٢ . بطرس ٢ : ٢١ ، ٢٢) .

وليس معنى هذا أن باب التوبة مغلق من جانب الله، لكن الذين أُنيروا ثم سقطوا لا يطلبون التوبة ولا يسعون إليها.

أما لو أنهم تابوا حقاً توبة صادقة فإن الله لايرفضهم، فقد وعد المسيح له المجد قائلاً: (ومن يقبل إلى لا أُلقى به خارجا) (يوحنا ٦ : ٣٧) .

فإذا تابوا توبة صادقة فلا حاجة لهم إلى العماد مرة أخرى، فإنهم لو فعلوا (يصلبون ابن الله ثانية لخسرانهم ويُشهرونه) .

* * *

يقول القديس **يوحنا ذهبى الفم** (٣٤٧ – ٤٠٧م) فى تعليقه على هذا الفصل من الرسالة إلى العبرانيين: (ولم يقُل (الرسول) إنه غير لائق أو غير ملائم، بل **غير ممكن (أو يستحيل)** ... فإن نقض مناقض قائلا: ماذا نقول؟ أننبذ التوبة ونطرحها؟ أجيبه: كلا، لا أن **نرفض التوبة بل نرفض معاودة التجديد بالحميم** (أى المعمودية) . والدليل على ذلك أنه ما قال لأنه غير ممكن أن تتجددوا بالتوبة أيضاً وصمت، بل أتبع ذلك بما دل على وجه الامتناع من أين هو، وهو قوله: (لأنهم يصلبون ابن الله ثانية لخسرانهم ويُشهرونه) لأن تجديدهم مردود إلى الحميم (المعمودية) وحده .. فأما مايختص بالتوبة، فبعد أن يكونوا قد تجددوا ثم يُستعبدون للذنوب، فالتوبة تنقذهم من هذه العبودية وتحررهم وتقويهم. أما أن ترقيهم إلى درجة الحميم، فلا يمكن. لأن كل ما هو للتوبة هو للنعمة. وقال (لأنهم يصلبون ابن الله ثانية لخسرانهم ويشهرونه) . إن العماد هو صلب. وفى هذا المعنى قال: (ونحن نعلم أن إنساننا القديم قد صلب مع المسيح (رومية ٦ : ٦) ، وقوله (فدفنا معه بالمعمودية وشاركناه فى موته) (رومية٦ : ٤) ... فإذن المعتمد ثانية **إنما يُعيد إليه الصلب** . وكما أن السيد المسيح جل وعز مات بالصليب هكذا نحن بالعماد) (١) .

---

(١) فى تفسير رسالة العبرانيين للقديس الجليل يوحنا ذهبى الفم، المقالة التاسعة على (العبرانيين ٦ : ١–٦) من نسخة خطية نشرها القمص إبراهيم إبراهيم.

ويقول القديس **يوستينوس الشهيد** (نحو ١١٠ – ١٦٣) م: (وهذا **الاغتسال**، أى المعمودية، يسمى تنويرا، لأن الذين يتعلمون هذه الأمور **ينالون الإنارة فى أفهامهم**) (١).

ويقول الفيلسوف **أكليمنضس الأسكندرى** (نحو ١٥٠ – ٢١٥/٢١٦م): (هذا الأمر عينه يحصل لنا نحن الذين قد صار المسيح لنا مثالاً. فإذ نعتمد **نستنير**... ويدعى هذا الفعل ـ العماد ـ بأسماء كثيرة، فيسمى نعمة ـ **أو استنارة** φώτισμα وكمالاً، وحميما. فهو حميم لأننا به نغسل خطايانا، ونعمة إذ به نترك عقوبات خطايانا، واستنارة φώτισμα إذ به **نرى ذلك النور المقدس الخلاصى**. أعنى أننا به نشخص (أو إنّ نظرنا يقوى للإحداق فى الطبيعة الإلهية) إلى اللاهوت) (٢).

ويقول القديس **اكليمنضس الأسكندرى** أيضاً (إن خطايانا تغفر بدواء واحد عظيم، بمعمودية الكلمة (λογικῶ βαπτίσματι). إننا بالمعمودية نتطهر من جميع خطايانا، ونصير فى الحال مبرئين من الشر، وهى بعينها نعمة الإنارة حتى إننا لانبقى بعد إهتدائنا (τὸν τρόπον) (٣) كما كنا قبل أن نغتسل، نظراً إلى أن المعرفة تبزغ مع الإستنارة، وتضئ حول العقل. ونحن الذين كنا بلا معرفة (ἀμαθεῖς) أصبحنا على التو متعلمين μαθηταί هذه المعرفة قد أُنعم علينا بها.... لأن التعليم التهذيبى يقود إلى الإيمان، والإيمان يلقن لنا بالروح القدس فى المعمودية) (٤).

ويقول القديس **كيرلس الأورشليمى** (٣١٥ – نحو ٣٨٦م): (عظيمة هى المعمودية المعدة فداء عن المأسورين، وصفحا للأوزار، وموتا للخطيئة، وولادة ثانية للنفس، وثوباً نيراً (ἔνδυμα φωτεινόν) (٥) (أو ثوبا منيراً أو حلة نورانية) (٦).

ويقول القديس **باسيليوس الكبير** (نحو ٣٣٠– ٣٧٩م): (فبثلاث غطسات، ودعاء مساو لها فى العدد، يتم سر المعمودية العظيم، لكى يتصور رسم الموت، **وتستنير نفوس المعتمدين** بتسليم معرفة الله) (٧).

---

(١) الدفاع (الاحتجاج) كتاب ١ فصل ٦١.

(٢) كتاب المربى لأكليمنضس الأسكندرى، كتاب ١ فصل ٦: ٢٦.

(٣) حرفيا: نغير طريقنا.

(4) KAYE'S Writings of Clement of Alexandria, London, 1835, P. 437.

(٥) يلاحظ أن الكلمة اليونانية φωτεινή استخدمت فى الإنجيل فى وصف السحابة التى شاهدها تلاميذ المسيح على جبل التجلى (إذا سحابة نمن نور φωτεινή ، غمرتهم) (متى ١٧: ٥).

(٦) تعليم ابتدائى للموعوظين، فصل ١٦، مقالة ١٣.

(٧) فى الروح القدس لامفيلوشيوس، فصل ١٥.

ثامناً: المعمودية المسيحية تفتح لنا أبواب فردوس النعيم، وتؤهلنا لملكوت السماوات

ولما كانت المعمودية ننال عن طريقها استحقاقات ربنا يسوع المسيح الفادى الخلاصية، **وبها نتطهر من الخطيئة الأصلية ومن الخطايا الفعلية السابقة على المعمودية، إن وجدت**، وذلك بالنسبة إلى الكبار البالغين. أما الأطفال الصغار فليست لهم خطايا فعلية، لكنهم يولدون ملوثين بالخطيئة الأصلية (مزمور ٥٠: ٥)، (٥١: ٣)، (أيوب ١٤: ٤)، (إشعياء ٤٨: ٨)، (يوحنا ٣: ٦)، (رومية ٥: ١٢)، (١. كورنثوس ١٥: ٢١)، (أفسس ٢: ٣).

فالمعمودية هى التى تؤهلنا الآن للدخول إلى فردوس النعيم الذى فتحه المسيح مخلصنا، بموته على الصليب فداء عنا (لوقا ٢٣: ٤٣). ومن ثم تؤهلنا المعمودية، بعد يوم الدينونة العامة **لملكوت السماوات** حسب قول فادينا له المجد: **(إن الإنسان مالم يُولد ثانية من فوق لايمكنه أن يرى ملكوت الله... إن الإنسان ما لم يُولد من الماء والروح لايمكنه أن يدخل ملكوت الله)** (يوحنا ٣: ٣، ٥).

وعلى ذلك فكل من مات بعد عماده مباشرة يحظى بفردوس النعيم، وبعد الدينونة العامة، يدخل ملكوت الله. أما من يموت بغير عماد فلا يمكنه أن يحظى بفردوس النعيم ولايمكنه أن يدخل ملكوت الله، ولو كان من الأتقياء الصالحين.

معمودية الدم أو الشهادة

والمعمودية سر الخليقة الجديدة. وكما كانت الخليقة الأولى من الماء والروح (التكوين ١: ٢، ٢٠-٢٢) هكذا تتم الخليقة الجديدة بالماء والروح (يوحنا ٣: ٥). والبديل عن معمودية الماء والروح هى **معمودية الدم أو الشهادة** (الإستشهاد). فإن المعمودية فى حقيقتها موت مع المسيح (**فدفنا معه بالمعمودية**) (رومية ٦: ٤)، (كولوسى ٢: ١٢).

وفى هذا المعنى يقول القديس **غريغوريوس النازيانزى الشهير بالثيئولوغوس** (٣٢٩- ٣٩٠)م فى خطاب له فى عيد الظهور الإلهى أو الغطاس: (إننى أعرف معمودية أخرى، وهى **معمودية الشهادة والدم**، المعمودية التى تعمدها مخلصنا نفسه (متى ٢٠: ٢٢)، (مرقس ١٠: ٣٨، ٣٩)، هذه المعمودية هى أكثر مجداً من غيرها) (١).

ويقول **القديس قبريانوس** (حوالى ٢١٠- ٢٥٨)م (لا يجهل أحد أن الموعوظين بعد استشهادهم لا يكونوا غير معمدين، **لأنهم اصطبغوا أعظم صبغة وأشرفها، أى صبغة الدم الذى تكلم عنها المخلص. والرب يؤكد أيضا أن المعتمدين بدمهم والمقدسين بالتعذيبات يضحون كاملين، ويأخذون نعمة الموعد الإلهى**(٢)

ويقول العلامة ترتوليانوس TERTULLIANUS (حوالى ١٦٠- نحو ٢٢٠م) (إن عماد الدم بمفعوله يقوم مقام عماد الماء، إذا فات عماد الماء، ويعيده إذا فقد)(٣).

ويقول القديس كيرلس الأورشليمى (٣١٥ - ٣٨٦م) (من لايقبل المعمودية فلا خلاص له، **ماعدا الشهداء وحدهم الذين بدون الماء ينالون الخلاص، لأن** المخلص لما كان يفتدى العالم كله بالصلب نخس فى جنبه، فخرج منه دم وماء، ليعتمد البعض بالماء فى أوقات السلام، **والبعض الآخر بدمهم فى أوقات الإضطهادات. إن المخلص نفسه دعا الشهادة صبغة** بقوله: (أفتستطيعان أن تشربا الكأس التى سأشربها أنا، وأن تصطبغا بالصبغة التى سأصطبغ أنا بها) (٤).

ويقول القديس باسيليوس (٣٢٩ - ٣٧٩م) (إن بعضا نالوا الموت بالجهاد الذى هو عن حسن العبادة لأجل المسيح **حقيقة**، لا اقتداء، **ولم يحتاجوا إلى شئ من الرسوم التى من الماء لخلاصهم، لأنهم تعمدوا بدمهم**)(٥).

---

(١) خطاب فى عيد الظهور الإلهى ٣٩: ١٧.

(٢) انظر ترتوليانوس - المعمودية ١٦: ١.

(٣) الرسالة ٧٣: ٢٢.

(٤) عظة ٣: ٨.

(٥) لامفيلوشيوس فى الروح القدس رأس ١٥.

ويقول القديس أوغسطينوس (٣٥٤ – ٤٣٠م). عن أطفال بيت لحم: (الطوبى لكم، لأنكم بعد الولادة وقبل المحاربة قد تكللتم بالظفر. وإنى لا أرتاب فى **أن استشهادكم قد استحق لكم إكليل عدم الموت**، كما لا أرتاب فى أن المعمودية مفيدة للأطفال)(١).

* * *

وتدليلاً على هذه الحقيقة الخلاصية الأساسية رتبت الكنيسة الأرثوذكسية أن يتلى فصل إنجيل **المولود أعمى** (يوحنا ٩: ١ – ٤١) فى يوم الأحد المعروف بـ (أحد التناصير) فقد كان هذا الأحد، مخصصاً منذ البدء، لتعميد الموعوظين غير المتنصرين. **فالإنسان، كل إنسان، يولد من بطن أمه (أعمى) بسبب الخطيئة الأصلية** التى يولد ملوثاً بها، وبالتالى فلا يمكنه أن يدخل ملكوت الله أو يراه مالم يولد من الماء والروح، أى مالم يغتسل أولاً فى جرن المعمودية المرموز إليها فى قصة المولود أعمى ببركة سلوام (يوحنا ٩: ٧، ١١).

* * *

يقول القديس **ديديموس** الضرير (٣١١ – ٣٩٦م): (إن الروح القدس، من حيث هو الله، يجددنا فى المعمودية... ويوائم بيننا وبين صورة ابن الله، **ويجعلنا وارثين معه**، وإخوة له، نحن الذين سنمجد معه، وسنملك معه، **وهو يعطينا السماء فى مقابل الأرض، ويمنحنا الفردوس** بيد سخية ويجعلنا أكثر كرامة من الملائكة. وهو يطفئ نار جهنم التى لاتطفأ، فى المياه المقدسة، مياه جرن **المعمودية**)(٢).

ويقول القديس **كيرلس الأورشليمى** (٣١٥ – ٣٨٦م): (عظيمة هى المعمودية، المعدة فداء عن المأسورين، و..... **مركبة إلى السماء، ونعيم الفردوس، وسببا للملكوت**) (٣).

Μέγα, τὸ προκειμένον βάπτισμα ὄχημα
πρὸς οὐρανὸν παραδείσου τρυφή
βασιλείας πρόξενον

---

(١) انظر عظة ١٥٩: ١ ـ مدينة الله ١٣: ٧.

(٢) فى الثالوث ٢: ١٢.

(٣) تعليم ابتدائى للموعوظين فصل ١٦ (PROCATECHESIS)

أهمية المعمودية للأطفال ومصير الأطفال غير المعمدين

لما كانت المعمودية ضرورية للخلاص، ونظراً لما لها من فعاليات حيوية قوية فى أعماق النفس البشرية، أمرت الكنيسة بتعميد الأطفال، وشددت على الوالدين حتى لا يهملوا تعميد أطفالهم، فلا يحرموهم من فاعليات هذا السر المقدس فى حياتهم، وحتى ينشأ الأطفال منذ صغرهم فى حياة النعمة، ولكى ينموا أيضا فى التقوى المسيحية مع نمو أجسامهم وأذهانهم.

وقد أمرت الكنيسة الوالدين أن لايتأخر تعميد الطفل السليم صحيا عن أربعين يوما إذا كان ذكرا، أو عن ثمانين يوما إذا كان أنثى. **أما إذا كان الطفل فى خطر الموت قبل أن يبلغ تلك السن، وجب على الأم فى هذه الحالة أن ترسل بطفلها مع غيرها أى والده وإشبينه، (١) إلى الكنيسة فيعمده الكاهن من غير إبطاء حتى لايحرم من العماد وهو فى خطر الموت، فلا يحرم بالتالى من دخول ملكوت السماوات لو أنه مات من غير عماد. (على أن ترضعه غير أمه ثلاثة أيام) (٢).**

---

(١) الإشبين أو الشَبين هو بالسريانية، الحارس أو الوصى، أو الوكيل أو العراف أو القيم الذى أمرت به الكنيسة أن يتسلم الطفل مع والديه عند عماده ليكون له بمثابة أب روحى يرعى حياته روحيا، ويكون مسئولا مع والديه عن تربيته التربية المسيحية وتقويمه فى مخافة الله وتعليمه حقائق الإيمان إلى أن يبلغ الطفل الثانية عشرة من عمره، ويتعهد بذلك أمام الكنيسة. وتقديساً لهذه العلاقة يصير الإشبين فى حكم الأب وتصبح هذه الرابطة الروحية من المحارم فى الزيجة، حكمها فى الزيجة حكم الأب، فلا يتزوج أحدهما بالآخر إذا كان الطفل أنثى والإشبين ذكراً (المجموع الصفوى، الجزء الثانى، الباب ٢٤، الفصل ٢ فقرة ٣٢).

قال القديس ديونيسيوس الأريوباغى وهو تلميذ القديس بولس الرسول «إن هذا الأمر، افتكر به معلمونا الإلهيون (- الرسل) ورأوه موافقاً، أن يقبل الأطفال على هذا الوجه الشريف، أعنى أن يسلم الوالدان الطبيعيان ولدهما لمرب صالح من المسارين للإلهيات، وأن يبقى الولد فيما بعد تحت إدارته كأنه تحت عناية أب إلهى وكفيل لخلاص مقدس، فمتمم السر يرفعه وهو معترف إلى الحياة المقدسة طالبا رفض الشيطان والإقرار الشريف) (فى رئاسة الكهنوت ٧: ١١).

ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم: (وإن كان المعمدون أطفالاً أو طرشا لايستطيعون استماع التعليم، فليجاوب أشابينهم عنهم، وهكذا يعمدون حسب العادة) (على مزمور ١٤). (جناديوس فى العقائد الكنسية فصل ٥٢). ويقول القديس أوغسطينوس: (إننا نؤمن ونصدق بتقوى وصواب أن إيمان الوالدين والأشابين يفيد الأطفال، وعلى هذا الإيمان يعمدون) (فى السلطة الذاتية ٣: ٢٢: ٦٧ ورسالة ١٩٣: ٣).

(٢) يقول الأنبا اثناسيوس أسقف قوص فى القرن الثانى عشر فى مقال له عن التعاليم التى يحتاجها الكاهن فى ظروف خصوصية (وإن لم يجدوا مرضعا ترضعه غير ذلك اليوم، فحل زناره آخر النهار ودع أمه ترضعه، وليس عليها لوم (ملام) (انظر المجموع الصفوى طبعة جرجس فيلوثاؤس عوض) - الباب الثالث الحاشية صفحة ١٧.

فإذا أهمل الوالدان فى تعميد طفلهما، وهو فى خطر الموت، ثم مات الطفل من غير عماد، **فرضت الكنيسة تأديبا كنسيا على الوالدين**، قوامه الصوم لمدة عام كامل مع الحرمان من شركة الأسرار المقدسة.

وبيان ذلك أن مخلصنا الرب يسوع المسيح **لم يستثن الأطفال عندما قرر المعمودية شرطا لدخول ملكوت الله**. فقد قال قولا حازما قاطعا يشمل الجميع، كبارا وصغارا (الحق الحق أقول لك إن الإنسان ما لم يُولد ثانية، من فوق، لايمكنه أن يرى ملكوت الله... الحق الحق **أقول لك إن الإنسان مالم يولد من الماء والروح لايمكنه أن يدخل ملكوت الله**) (يوحنا ٣: ٣، ٥).

فالأطفال يُولدون من أب وأم، فيولدون ملوثين بوصمة الخطيئة الأصلية التى يحملها إليهم الدم الواصل إليهم من آدم بالتوالد، وهو ما يعبر عنه قول النبى فى المزمور (**إنى فى الإثم ولدت** (١)، **وفى الخطيئة حبلت** (٢) **بى أمى**) (مزمور ٥٠: ٥). وقوله (من يأتى بطاهر من نجس؟ لا أحد) (أيوب ١٤: ٤) وقوله (زاغ الأشرار من الرحم، ضلوا من البطن) (مزمور ٥٧: ٣)، وقوله (**ومن البطن سُميت عاصيا**) (إشعياء ٤٨: ٨). ولقد قال الوحى الإلهى على لسان القديس بولس الرسول فى رسالته إلى روما (رومية): «فكما أن الخطيئة دخلت فى العالم على يد إنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، فكذلك **سرى الموت إلى جميع الناس** بالذى جميعهم خطئوا فيه» (رومية ٥: ١٢) وأيضا (**كنا بطبيعتنا أبناء الغضب**، كسائر الناس) (أفسس ٢: ٣). انظر أيضا (يوحنا ٩: ٣٤).

فكيف إذن يمكن للأطفال من غير عماد أن يروا ملكوت الله. أو يدخلوا إليه؟

إن من يُعلّم بعدم حاجة الأطفال إلى المعمودية بحجة أن الأطفال الصغار أبرياء وأنهم لم يخطأوا خطيئة فعلية، يهدم عمل الفداء الذى قام به المسيح الفادى، وينكر ضرورته لخلاص الإنسان، وفى آن واحد ينكر حقيقة سريان وصمة الخطيئة الأصلية وانتشارها فى الجنس البشرى كله من آدم، وهى الحقيقة التى قام عليها عمل الفداء بصلب المسيح وموته فداء عن جنس البشر، وبسببها نزل الله الكلمة، من السماء واتخذ له جسداً. فالفداء هو سبب التجسد. ألم يقل المسيح له المجد (**من أجل هذا أتيت** إلى هذه الساعة؟) (يوحنا ١٢: ٢٧).

---

(١) ولدت أو صورت، أو كونت أو شكلت، أو أصغت - حرفيا: تجمعت أو تألفت.

(٢) حبلت، أو اشتهتنى أو تمنتنى.

فلو أن الأطفال غير المعمدين كانوا فى غير حاجة إلى عماد ليدخلوا إلى ملكوت الله، لكان عمل الفداء عبثا لاطائل تحته ولا غناء فيه، ولأمسى باطلاً تعليم الكتاب المقدس بعهديه، فى سريان وصمة الخطيئة الأصلية إلى كل الناس.

إن الكنيسة الأرثوذكسية علمت دائماً بأن **المعمودية ضرورية لخلاص الناس جميعا، كبارا كانوا أو أطفالاً**. وتنادى بصوت مخلصها وفاديها (دعوا الأطفال يأتون إلى ولاتمنعوهم) (متى ١٩: ١٤)، (مرقس ١٠: ١٤)، (لوقا ١٨: ١٦) (الحق الحق أقول لك إن الإنسان مالم يولد ثانية من فوق لايمكنه أن يرى ملكوت الله... الحق الحق أقول لك إن الإنسان ما لم يولد من الماء والروح لايمكنه أن يدخل ملكوت الله) (يوحنا ٣: ٣، ٥).

* * *

يقول العلامة ترتوليانوس (TERTULLIANUS) (حول ١٦٠ - نحو ٢٢٠م) (لقد تقرر بشريعة أن لاخلاص لأحد بدون عماد) (١).

ويقول القديس غريغوريوس:

(فيلزم المؤمنين المبادرة **بعماد أولادهم لئلا يدهمهم الموت** ويهلكهم الرب بسببهم... من توانى فى عماد ولده إلى أن منعه الدخول إلى ملكوت السماوات **يجب أن يمنع من تناول القربان المقدس** الذى هو عربون الحياة الأبدية) (٢).

ويقول الأنبا ميخائيل أسقف أتريب ومليج فى كتاب (الطب الروحانى): (المعمودية واجبة على كل أحد.... ولو أطلق لنا من المهلة للأولاد المعافين الذين لم يظهر لنا من مرضهم إشارة ولا علامة بل فى غاية الصحة الجارى بها عادتهم، **فينتظر الذكر إلى أربعين يوما، والأنثى إلى ثمانين يوما. وإن حصل ثم مرض أو علامات مرض، فلنبادر إلى العماد قبل ذلك. لأن القانون يقول إن المولود ينتظر إلى أن تطهر أمه من دم الولادة. فإن خيف عليه من الموت فليدخل به إلى الكنيسة من غير والدته، ويعمد ولو قبل الموت بساعة واحدة**)(٣). فإن مات الطفل الذكر قبل الأربعين أو الأنثى قبل الثمانين بغير مرض ولم يظهر فيه شئ من آثار المرض ولا الأسباب الدالة عليه، فقد تبرأ

---

(١) فى المعمودية فصل ١٢.

(٢) عن كتاب (الطب الروحانى، للأنبا ميخائيل أسقف أتريب ومليج، نشره الشماس ميخائيل شحاته فى كتابه (سر التوبة) القاهرة سنة ١٩٠٥) الباب السابع والعشرين صفحة ٣٦١.

(٣) نفس المرجع، نفس الصفحة.

والداه من خطيئته، ولا يلزمهما عن موته بلا عماد، قانون، بل يلزمهما أن يتوبا عن خطيئتهما لذاتهما، لأنه لو لم تكن لهم خطايا لما تخلى الله عنهما إلى أن مات ولدهما بغير عماد... **وإن كان قد زاد عن الأربعين، ولو بيوم واحد، ثم مات بغير عماد، فلابد لوالديه من القانون**(١).

ويقول الأنبا أثناسيوس أسقف قوص، فى مقالة له يجيب فيها على أسئلة مختلفة، وهو يوجه الخطاب إلى الكاهن:

سؤال ٢١ :

(ماذا يلزم من أَخَّر عماد ولده بعد الأربعين (يوما إلى سنة؟)

الجواب:

(قانونه الصوم والصلاة، والامتناع من السرائر (الأسرار) المقدسة مدة سنة).

سؤال ٢٢ :

(فإن أَخَّره لملبوس أو لأمر دنيوى؟).

الجواب:

(ضاعف عليه القانون ليرتدع غيره ويرعوى؟).

سؤال ٢٣ :

(فإن أَخَّره لإنتظار كاهن ملائكى السيرة؟).

الجواب:

(زده قانوناً، ليحسن هو وغيره الظن فى الكهنة والسريرة).

سؤال ٢٤ :

(فإن أَخَّره ليتوجه به إلى بيعة معينة مفردة؟)

الجواب:

(شدِّد عليه القانون، ليتضح للكل أن البيعة والمعمودية واحدة موحدة)(٢).

---

(١) عن كتاب (الطب الروحانى) للأنبا ميخائيل أسقف اتريب ومليج، الباب ٢٧ (فى المعمودية) صفحة ٣٦١، ٣٦٢.

(٢) عن المجموع الصفوى لابن العسال، لناشره جرجس فيلوثاوس عوض، الطبعة الأولى سنة ١٦٢٤ للشهداء، الباب الثالث، صفحة ١٦، ١٧ - حاشية (١).

وجاء فى كتاب (مجموع القوانين) للصفى ابن العسال: (**إن المولود إذا خيف عليه من الموت قبل طهر أمه من دم نفاسها، فيدخل الكنيسة مع غيرها ويُعمد.** لأن المرأة التى تلد تبقى بعيدة عن الموضع المقدس أربعين يوما إن ولدت ذكرا، وثمانين يوما إن ولدت أنثى... كما يقول هيبوليطوس فى قانونه الثامن عشر) (١).

ويقول العلامة يوحنا بن زكريا الشهير بابن السباع: (رتبت الآباء **أن كل طفل ذكر يولد**، فبعد تطهير والدته من أيام نفاسها أى بعد مدة أربعين يوما، **يعمد بلا تأخير، وكل طفلة أنثى** بعد ثمانين يوما مدة تطهير والدتها **تعمد أيضا. وهذا لئلا يفوتهم ملكوت الله**) (٢).

وحتى الأطفال اللقطاء يجب تعميدهم. وقد جاء فى القانون ٨٠ من قوانين مجمع قرطاجنة سنة ٤١٩م.

(قد استحسن المجمع أنه حيث لايوجد شهود ثقة يشهدون بأن الأطفال قد عمدوا، وهؤلاء لصغر سنهم لايدركون أن يعطوا جوابا عن أنفسهم إذا كانوا قد نالوا هذا السر، فيجب أن يعمدوا بدون تردد لئلا يحرموا لهذا السبب من نعمة التطهير والتقديس) (٣).

---

(١) القوانين للشيخ الصفى ابن العسال، لناشره جرجس فيلوثاوس عوض، القاهرة ١٦٢٤ للشهداء ـ الباب الثالث صفحة ١٦ حاشية(١).

(٢) + الجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة صفحة ٥٠.

+ اللالئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة ـ للقمص يوحنا سلامة ـ الجزء الثانى الفصل السادس صفحة ٤٧ – ٥٣.

+ الخلاصة القانونية فى الأحوال الشخصية لكنيسة الأقباط الأرثوذكسيين للايغومانس فيلوثاوس إبراهيم، طبعة ١٩٣٣ ـ الفصل الأول، المسألة العشرون، صفحة ٢٧.

+ مقال للمؤلف بمجلة مدارس الأحد السنة السادسة ـ أبريل لسنة ١٩٥٢ صفحة ٣١ وآخر بنفس المجلة عدد مايو لسنة ١٩٥٢ صفحة ٢٠، ٢١.

(3) THE RUDDER, OF THE ORTHODOX CHRISTIANS OR ALL THE SACRED AND DIVINE CANONS, by D. CUMMINGS, chicago, 1957, P. 652.

مجموع الشرع الكنسى صفحة ٧٠٧.

ويقول القديس امبروسيوس AMBROSIUS (٣٣٩ – ٣٩٧م): (إنه «المسيح له المجد» لم يستثن أحداً حتى ولا الأطفال فى أية حالة وجدوا) (١).

وجاء فى قوانين المجمع الإكليريكى العام فى عهد البابا كيرلس الثالث: (١٢٣٥ – ١٢٤٣م).

(ومن كان له ولد ابن سنة فصاعدا ولم يعمده، إن كان كاهنا يمنع من التصرف، وإن كان علمانيا يمنع من التقريب (٢)، ولا يحل (لا يُقبل) لمن هذه حاله، قربان إلى أن يعمد ولده، اللهم إلا إن كانت له ضرورة قاطعة، مثل سفر أو مرض. ومن يتهاون إلى أن يموت له ولد بلا معمودية، فهو آثم ممنوع مدة طويلة. وعلى رأى الحاكم تكون طولة مدته، لأنه كان سببا فى منعه الدخول ملكوت الله) (٣).

---

(١) كتاب ٢ على إبراهيم فصل ١١.

(٢) أى التقرب إلى الأسرار المقدسة.

(٣) المجموع الصفوى لابن العسال ـ طبعة الأسقف ايسيذوروس سنة ١٩٢٧ ـ الملحق صفحتى ١٦، ١٧.

عماد الأبوين لايغنى عن تعميد الطفل

ولقد علمت الكنيسة الأرثوذكسية دائما وتعلم **أن معمودية الأب والأم لاتغنى عن تعميد الطفل بعد ولادته، فإن الطفل الوليد كائن آخر مستقل له شخصيته، وهو يحتاج إلى المعمودية، وهى ضرورية له للخلاص**، لأنه كائن له نفس وروح وجسد، **وقد ولد من رجل وامرأة، ملوثاً بوصمة الخطيئة الأصلية التى حملها إليه الدم الواصل إليه من أدم بالتوالد** (فالمولود من الجسد هو جسد) (يوحنا ٣: ٦).

وقد أصدر (مجمع قيصرية الجديدة) المنعقد سنة ٣١٥م قراراً واضحاً وحاسماً فى هذه القضية.

ذلك أن بعض الناس فى ذلك الزمان كانوا يقولون بأن المرأة غير المسيحية إذا رغبت فى اعتناق المسيحية وقبول سر العماد، وكانت حاملاً بجنين، عليها أن تؤجل عمادها إلى أن تضع ولدها حتى لايعمد طفلها مرتين: المرة الأولى مع أمه عندما كان فى داخلها، والثانية بعد أن يولد ويخرج إلى الحياة. فمجمع قيصرية الجديدة حسم هذا الأمر مبينا أن **عماد المرأة لايعد عمادا لجنينها** مع أنه كان فى رحمها عند عمادها، ذلك **لأن للجنين كياناً مستقلاً عن كيان أمه، ولذلك يجب تعميده بعد ولادته من أمه.**

جاء فى **القانون السادس** من قوانين مجمع قيصرية الجديدة الخمسة عشرة مانصه: (فيما يختص بالمرأة الحبلى، تقرر بأنه **يجب عليها أن تستنير بالمعمودية متى أرادت، لأن الأم لا تشارك الطفل فى هذا الأمر، ذلك لأن لكل شخص إرادته الخاصة**، وهى تظهر فى إعترافه بالإيمان) (١).

وجاء فى قوانين المجمع الإكليريكى العام فى عهد البابا كيرلس الثالث (١٢٣٥ – ١٢٤٣م).

(ولا تمنع الحبالى من المعمودية. **ولا تحسب معمودية الحامل معمودية لحملها، بل يعمد بمفرده**. والحائض تتأخر عن التعميد إلى أن تطهر) (٢).

وظهر بيلاجيوس PELAGIUS الهيراطيقى (٣٦٠ – نحو ٤٣٠م) فأنكر عقيدة الخطيئة الأصلية وضرورة النعمة، وزعم أن خطيئة آدم أضرته هو وحده ولم تنتقل إلى الجنس البشرى،

---

(1) The RUDDER, by D. CUMMINGS, chicago, 1957, P. 511 - 513.

(٢) المجموع الصفوى لابن العسال ـ طبعة الأنبا ايسيذوروس ـ القاهرة ١٩٢٧ ـ الملحق صفحة ١٦.

وعلى ذلك فالأطفال الصغار لا حاجة لهم إلى العماد لأنهم على قوله يولدون فى الحالة التى كان عليها آدم الأول قبل السقوط. فانبرى آباء الكنيسة للرد على هذه الهرطقة التى نادى بها بيلاجيوس الراهب البريطانى، مبرهنين على صحة عقيدة انتشار الخطيئة الأصلية فى الجنس البشرى كله، بأدلة ونصوص من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وبالتالى على **حاجة الأطفال المولودين حديثا إلى المعمودية للحصول على الخلاص والتجديد والميلاد الثانى، وعلى استحقاق الدخول إلى ملكوت الله، فإن المعمودية هى واسطة الخلاص التى عينها المسيح له المجد للتطهير من وصمة الخطيئة الأصلية التى يحملها الدم الواصل إليهم من آدم بالولادة الأولى من الأب والأم بالجسد.** وكان على رأس هؤلاء الآباء، قديس شمال أفريقيا الغربية، القديس العظيم أوغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠)م أسقف هيبون (١) HIPPONE.

وبسبب بدعة بيلاجيوس تلك، انعقدت عدة مجامع محلية وإقليمية فى أفريقيا وفلسطين، من بينها مجمع (قرطاجنة)(٢) فى عام ٤١٢م، ومجمع أورشليم فى عام ٤١٥م ومجمع (اللد)(٣) أو ديوسبوليس فى عام ٤١٥م، ومجمع قرطاجنة أيضاً فى عام ٤١٦م، ومجمع (ميليوم) (٤) فى شمال أفريقيا عام ٤١٦م ومجمع (اورانج) (٥) ORANGE فى عام ٥٢٩م.

ولعل أهم هذه المجامع فى معالجة هذه القضية العقائدية رداً على بدعة بيلاجيوس هو مجمع (قرطاجنة) الذى انعقد بهذه المدينة (قرطاجنة) فى عام ٤١٨/٤١٩م من أكثر من مائتى(٦) أسقف، برئاسة (أوريليوس).

---

(١) مدينة فى (الجزائر) تسمى الآن عنابة (بونه سابقاً) ولا يزال فيها قبر القديس أوغسطينوس.

(٢) قرطاجنة - قرطاجا CARTHAGE وهى الآن خربة، ولكن من أطلالها وعلى بعد ١٢ ميلاً منها بنيت مدينة (تونس) الحالية (أسستها (ديدون) الفينيقية أخت بغماليون ملك صور فى القرن ٩ ق.م.، صارت عاصمة امبراطورية جبارة قاومت روما مدة (المنجد).

(٣) االد مدينة فى فلسطين، محطة سكة حديدية على بعد ٢٠ كيلو مترا من يافا، ٦٨ كيلو مترا من القدس (المنجد). وقيل إنها مسقط رأس القديس مارجرجس الرومانى، وقد دفن فيها بعد استشهاده وأقيمت على جثمانه أول كنيسة باسم أمير الشهداء.

(٤) (ميليوم) MILEUM أو MILEVE وهى تقع فى نوميديا NUMIDIA بلاد فى أفريقيا الشمالية بين قرطاجة CARTHAGE والمغرب، وهى الآن فى إقليم (الجزائر) ALGERIA.

(٥) (اورانج) إحدى ولايات أفريقيا الجنوبية وهى من دول الاتحاد الأفريقى الجنوبى، تقع فى شمال شرق البلاد، عاصمتها بلومفونتاين BLOEMFONTEIN.

(٦) قال بعض المؤرخين أن عددهم كان ٢١٤ أسقفاً، وقال غيره ٢١٧ وقال آخر ٢٢٥ أسقفاً.

وقد حضره القديس العظيم أوغسطينوس AUGUSTIN (٣٥٤- ٤٣٠)م أسقف هيبون HIPPONE، وقد استمر المجمع منعقداً لمدة ست سنوات، أى أنه اختتم أعماله فى سنة ٤٢٤م. وأصدر المجمع ١٤٠ مائة وأربعين قانوناً، كما حكم بحرم بيلاجيوس وتلميذه شيليستيوس COELESTIUS وأتباعهما.

جاء فى **القانون رقم ١٢١** من قوانين مجمع قرطاجنة الذى انعقد من ٤١٨/٤١٩- ٤٢٤)م قوله:

(يسر المجمع أن يأمر **بأن كل من ينكر أن الأطفال المولودين حديثاً من أرحام أمهاتهم يحتاجون إلى المعمودية لمغفرة الخطايا** أو يعترف بذلك، ولكنه يزعم أنهم يعتمدون لمغفرة الخطايا لكنهم لم يرثوا من آدم الخطيئة الأصلية التى تضطرهم لأن يتطهروا منها فى جرن الولادة الثانية (المعمودية)، مما يترتب عليه أن تمسى عبارة (لمغفرة الخطايا) المستخدمة في المعمودية، تستعمل بالنسبة لهؤلاء الأطفال لا بمعنى حقيقى، بل بمعنى وهمى - فليكن مُبْسَلا (محروماً) (١) فإن عبارة الرسول (كما أن الخطيئة دخلت فى العالم على يد إنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، فكذلك **سرى الموت إلى جميع الناس** بالذى جميعهم **خطئوا** فيه) يجب ألا تفهم بفهم (٢) آخر إلا كما فهمتها دائماً الكنيسة الجامعة المنتشرة والممتدة فى كل مكان، وبناء على قاعدة الإيمان هذه، فحتى **الأطفال الذين لم يستطيعوا بذواتهم أن يرتكبوا أية خطيئة من الخطايا** تجعلهم مذنبين بها، **يعتمدون حقاً لمغفرة الخطايا، حتى تتطهر فيهم بواسطة الولادة الثانية، كل خطيئة ورثوها عن طريق الولادة الأولى من أجدادهم)** (٣).

هذا وعندما انعقد **مجمع أفسس الأول**، وهو المجمع المسكونى الثالث برئاسة البابا كيرلس الأول (٣٦٦- ٤٤٤)م المعروف بكيرلس الكبير الأسكندرى وعمود الإيمان وذلك فى أفسس عام ٤٣١م، قرأ قرار مجمع قرطاجنة المحلى، وثبته وثبت حكمه على بيلاجيوس وتلميذه

---

(١) أو مفرزا أى ليفرز ويقطع من شركة الكنيسة. (٢) أوبمعنى آخر.

(3) The RUDDER,

by, D. CUMMINGS, Chicago, 1957, P. 688.

(الأنوار فى الأسرار) لجراسيموس مسرة، بيروت ١٨٨٨ الفصل الخامس صفحتى ٦٥، ٦٦.

مجموع الشرع الكنسى صفحة ٧٣١.

BETTENSON (H.), Documents of the Christian Faith, Oxford, 1950 P. 83.

شيليستيوس وأتباع بدعتهما. وقد جاء فى أعمال مجمع أفسس الأول، المجمع المسكونى الثالث أنه **(صادق على قرار مجمع قرطاجنة بالإجماع)**.

* * *

وكثير من آباء الكنيسة تكلموا قصداً أو عرضاً فى حاجة الأطفال المولودين حديثاً إلى المعمودية، وضرورتها لخلاصهم، وفاعلياتها فيهم.

قال القديس **إيريناوس** IRENEUS (بين ١٢٠/ ١٤٠- ٢٠٢)م: (إن يسوع المسيح **قد أتى ليخلص جميع البشر بذاته**، أعنى جميع الذين ولدوا به ثانية لله، سواء أكانوا **أطفالا** أو شبانا أو شيوخا)(١).

ويقول العلامة **أوريجينوس** (١٨٥- ٢٥٤)م: **(إن الكنيسة قد تسلمت من الرسل تقليد عماد الأطفال (وحقيقة وجوب منح المعمودية لهم) أيضا. فالأطفال يعمدون لمغفرة الخطايا، فيغتسلوا من الوسخ الجدّى، بسر المعمودية)** (٢).

ويقول القديس **كبريانوس** (المتوفى عام ٢٥٨م): (إذا كان الذين أخطأوا سابقا أمام الله، إذ يؤمنون يأخذون صفح خطاياهم، ولا يمنع أحد منهم عن المعمودية والنعمة، وإن كان قد فعل خطايا غير محصاة، **فالأطفال** الذين ضميرهم غير متفتح، **ولم يخطأوا فى شئ، والذين نظراً للخطيئة الجدية الكامنة فيهم وتدنسوا بها وصاروا مشاركى الموت الآدمى، يحتاجون هم أيضاً إلى المعمودية لأنها شرط لنوال الخلاص والصفح، ليس عن الخطايا الشخصية، بل الأبوية**. ولذا أيها الأخ الحبيب قد حدد مجمعنا ما يأتى وهو: (إنه لا يجوز أن نمنع أحداً من المعمودية ونعمة الله الذى هو صالح ورؤوف بالجميع. **فالمعمودية هى للجميع، وخصوصا للأطفال الصغار**، الذين بنوع خصوصى يستميلون إنتباهنا وصلاح الله) (٣).

ويقول القديس **غريغوريوس النازيانزى** الشهير **بالثيولوغوس** (نحو ٣٢٩- ٣٩٠م): **(هل عندك طفل؟** فلا يأخذن فيه الشر فرصة، بل **ليُقدس وهو رضيع، وليُكرس للروح**

---

(١) ايريناوس : (الرد على الهرطقات) أو (ضد البدع) كتاب ٢ فصل ٢٢ عدد ٩- ١١ فصل ٥:١٥.

(٢) فى تفسيره لرسالة القديس بولس الرسول إلى أهل روما (رومية) فصل ٥ رسالة ٦ عدد ٩ - ومقالة ١٤ على الإنجيل للقديس لوقا، ٨ على سفر اللاويين.

(٣) رسالة ٥٩.

منذ نعومة أظفاره. إنك تخافين أيتها الأم من الختم، بسبب ضعف الطبيعة بما أنك ضعيفة النفس وقليلة الإيمان، لكن حنة قبل أن تلد صموئيل وعدت الله به، وبعد ولادته حالاً كرسته، وبالحلة الكهنوتية ربته، ولم تخف من الضعف البشرى، بل آمنت بالله (١).

ويقول القديس **أوغسطينوس** (٣٥٤- ٤٣٠م): **(إن المعمودية** تقليد رسولى، **وإن الكنيسة تتمسك دائماً بتعميد الأطفال، متسلمة إياه من السلف، ولم تزل حافظة إياه إلى الآن، وسوف تحفظه إلى الانقضاء أيضاً)** (٢).

وقال القديس أوغسطينوس أيضاً (من يقل إن الأطفال يحيون فى يسوع المسيح حين إنتقالهم من الحياة وإن لم يكونوا قد قبلوا سر العماد فهو يناقض على خط مستقيم ما بشر به الرسل، ويخطئ **الكنيسة كلها التى تبادر إلى عماد الأطفال لإعتقادها أن هؤلاء الأطفال لا يمكنهم بغير ذلك أن ينالوا الحياة بيسوع المسيح** (٣).

---

(١) خطاب فى المعمودية المقدسة.

(٢) خطاب (عظة) ١٧٦ عدد ٢.

(٣) رسالة ١٦٦

مصير الأطفال غير المعمدين

أما عن مصير الأطفال إذا ماتوا غير معمدين، فالجواب عنه هو ما يقوله مخلصنا صاحب الشريعة (الحق الحق أقول لك **إن الإنسان مالم يولد ثانية من فوق لا يمكنه أن يرى ملكوت الله... الحق الحق أقول لك إن الإنسان مالم يولد من الماء والروح لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله**) (يوحنا ٣:٣، ٥).

فالأطفال غير المعمدين إذا ماتوا لا يمكنهم أن يروا ملكوت الله، ولا يمكنهم أن يدخلوا ملكوت الله.

على أن الأطفال المولودين حديثا لما كانوا لم يخطأوا بعد خطايا فعلية، فهم إذا ماتوا لا يعذبون، وإنما يكونون فى حالة أو رتبة متوسطة، (قلنا حالة متوسطة لا مكان متوسط، فليس ثمت مكان متوسط بين الفردوس والجحيم أو بين الملكوت وجهنم) **هى حالة لا ينعمون فيها بالمجد العظيم فى ملكوت الله الذى يناله الأطفال الذين تعمدوا.**

يقول القديس **غريغوريوس** النازيانزى الشهير بالثيئولوغوس (نحو ٣٢٩- ٣٩٠)م: (**إن الأطفال غير المعمدين لا يمجدون ولا يعذبون** من الحاكم (الديان) العادل الأبدى، لأنهم وإن كانوا غير مستنيرين وغير مقدسين بالمعمودية، لم يخطأوا خطيئة شخصية. ولذا لا يستحقون كرامة ولا قصاصا) (١).

---

(١) خطابه فى المعمودية - فى الخطايا ١: ١٦.

ابتهـــال

شكراً يا إلهى ومخلصى يسوع المسيح على هذا السر العظيم، سر المعمودية، والميلاد الثانى من الماء والروح، الذى به ولدنا من فوق، وفيه نلنا التبنى، فصرنا مستحقين أن ندعى أولاد الله بعد أن كنا (أبناء الغضب)، وأصبحنا مستحقين أن نرى ملكوت الله، وأن ندخل ملكوت السماوات، بعد أن كنا مطرودين فى آدم أبينا من فردوس النعيم... وصرنا مبررين بدم المسيح بعد أن كان محكوما علينا بالموت بالأبدى فى جهم النار التى لا تنطفئ أبداً.

شكراً ياسيدى الرب لأنك أوجدت المنفذ، وفتحت لنا طريق الخلاص.. فنحن إذ نتقدم بالإيمان ونجحد الشيطان وكل أعماله النجسة وكل جنوده الشريرة، ثم نغطس فى الماء الذى حلت عليه من الأعالى قوة الروح القدس باستدعاء الكاهن، يموت فينا الإنسان القديم الذى ورثناه بحسب الطبيعة بميلادنا الأول من الأب والأم. وإذ ننهض ونقوم، يحيا فينا الإنسان الجديد الذى نلبسه فى المسيح يسوع.

فى جرن المعمودية خلعنا الإنسان القديم ولبسنا الإنسان الجديد.. خلعنا صورة آدم الأول، ولبسنا صورة آدم الثانى، ربنا يسوع المسيح، فصرنا به وفيه خلقاً جديداً وخليقة جديدة.

إن روحك، يارب، الذى كان يرف على المياه قديما، فى بدء الخليقة الأولى، فخلق منها الكائنات الحية من الأسماك والزحافات البحرية والطيور، هو بعينه الذى يرف على مياه المعمودية فى العهد الجديد، فيخلق من جديد لملكوتك السماوى، الذين يولدون بالروح من جديد، ثم يمسحون بمسحة الروح القدس، فيصيرون مقدسين وقديسين.

لقد صنعت بنا، يارب، لطفا ورحمة، وأعددت لنا فى المعمودية خلاصاً من السماء.

لقد أخذنا فى المعمودية استحقاقات الخلاص، وكسبنا لأنفسنا الحياة الأبدية، وصرنا ورثة لملكوتك بعد أن كان مغلقاً علينا فى المعصية، وممنوعين من الاقتراب إلى الفردوس، ومن شجرة الحياة.

كيف ننسى، يا إلهى حبك، وكيف نكفر بفضل نعمتك !!

فإذا نسينا بسبب ضعفنا وقصورنا فأنت لا تنسانا، بل تفضل وأرسل إلينا ما، ومن ينبهنا، حتى نصحو من جديد ونتبين قدر الحلة الروحانية التى خلعتها علينا بعد عودتنا إليك، فنحافظ على سلامتها، ونسهر على طهارتها، حتى لا نفقدها، فنطرد من جديد من عرسك، أيها الملك السماوى.

ياربنا، ويا أبانا الذى فى السماوات، أذكرنا دائماً أمامك، ولا تُهملنا حتى لو أننا ضللنا.

أدبنا فنرجع إليك. فأنت أبونا، وأى ابن لا يؤدبه أبوه؟

أدبنا بأدبك حتى نبقى فى حظيرتك، فليس لنا إله غيرك.

لا ملجأ لنا يارب أكثر أماناً من حضنك.

أنت لنا فى السماء. ومعك لا نريد شيئاً فى الأرض.

بك آمنا، وعلى الإيمان بالثالوث القدوس تعمدنا.

إياك لبسنا، وبك خلصنا، وباسمك صرنا معروفين بين الناس والملائكة.

فخذ بيدنا يارب، فإننا لك، وأنت لنا.

أنت سلامنا، وأنت شفاؤنا، وأنت خلاصنا، وأنت قيامنا وقيامتنا. يارب!

القيم الروحية
فى سرّ المعمودية

موضوعات وإجابات على أسئلة ٥٩
١ ـ التطهير والمعمودية ٥٩
٢ ـ مصير الأطفال الذين ماتوا بغير عماد ٦٠
٣ ـ أحد التناصير ٦٤
٤ ـ بركة الملائكة والسمائيين للمعمدين وبركة الرب يسوع المسيح لهم ٦٦
٥ ـ الزيت الساذج وزيت الغاليلاون ٦٩
٦ ـ اضطراب وحيرة وسجس فى طنطا ٧٤
هل الإيمان وحده يخلص الإنسان ٧٥
الإيمان وحده لا يخلص، إنما المعمودية هى التى تخلص ٧٨
٧ ـ أكاليل المعمدين ٨٢
نوع الأكاليل ومادتها ٨٤
هل أبطلت الكنيسة وضع الأكاليل على المعمدين ٨٥

(١) فهرس النصوص المقتبسة من الكتاب المقدس لجميع الأسرار سينشر فى الجزء الثانى من الأسرار السبعة.

من خطاب نيافة مار ساويريوس زكا عيواز ٨٥
٨ ـ هل المعمودية تعصم الإنسان من الخطيئة ؟ ٨٨
٩ ـ حول عماد الأطفال ٩٢
١٠ ـ الإنضمام للكنيسة القبطية الأرثوذكسية يقتضى قبول سر المعمودية ٩٤
١١ ـ لا يجوز التقدم إلى الأسرار المقدسة لغير المعمدين ٩٥
١٢ ـ هل يجوز تعميد طفل غير مسيحى؟ ٩٧
١٣ ـ معمودية هذه السيدة صحيحة ٩٨
١٤ ـ هل يجوز تعميد طفل هو ثمرة علاقة مجرمة بين رجل وإمرأة؟ ١٠٠
١٥ ـ هل تعاد لـه المعمودية ؟ ١٠١
١٦ ـ عماد الكبار ١٠٢
١٧ ـ العماد الشرعى وهل يمكن العماد ثانية فى حالة الشك ؟ ١٠٣
١٨ ـ التعميد بالتغطيس ١٠٥
١٩ ـ طفل مات بغير عماد ١٠٦
٢٠ ـ هل يعمد الطفل بعد موته؟ ١٠٧
٢١ ـ لابد من العماد ضماناً لصحة الانضمام ١٠٩
٢٢ ـ هل يلحقهما إثم ؟..... ١١٠
٢٣ ـ عندما يكون هناك شك فى حقيقة العماد ١١١
٢٤ ـ يشكو موت الأطفال ١١٢
٢٥ ـ الاسم (يوحنا) ومعناه ١١٤
٢٦ ـ هل ينال العماد وهو كبير بالغ؟ ١١٦
٢٧ ـ ماذا بعد المعمودية ؟ ١١٨
٢٨ ـ السحرة عملة مع الشيطان ١٢١
٢٩ ـ هل يجوز التقرب للأسرار المقدسة لمن لم ينل سر العماد؟ ١٢٣
٣٠ ـ سؤال عن الماء فى جرن المعمودية ١٢٤
٣١ ـ لماذا يعمدون الذكر قبل الأنثى؟ ١٢٥
٣٢ ـ قانونية سرى المعمودية والتناول فى الكنيسة الكاثوليكية ١٢٦
٣٣ ـ معمودية النساء ١٢٨
٣٤ ـ هل يمكن تعميد طفلة من أم مسيحية وأب غير مسيحى؟ ١٣١
٣٥ ـ معمودية الكنائس الأخرى التى تقرها كنيستنا القبطية الأرثوذكسية ١٣٢
٣٦ ـ فى طقس تعميد المرأة البالغة ١٣٤
٣٧ ـ لا حاجة إلى إعادة المعمودية ١٣٥

٣٨ ـ الزمن المناسب للتعميد ١٣٦
٣٩ ـ مصير الأطفال غير المعمدين ١٣٧
٤٠ ـ الطفلة إذا ماتت بغير عماد ١٣٨
٤١ ـ الطفل يعمد ولو كان ابن يوم واحد ١٣٩
٤٢ ـ لماذا تمنع المرأة النفساء من دخول الكنيسة؟ ١٤٠
٤٣ ـ معمودية الكنائس التى تعمد بالتغطيس ١٤٥
٤٤ ـ معمودية التلاميذ قبل حلول الروح القدس ١٤٧
٤٥ ـ لماذا يحتاج الطفل المولود من أبوين مسيحيين إلى العماد؟ ١٥٠
٤٦ ـ هل الخلاص للعالم كله؟ ١٥٢
٤٧ ـ آمن ..... تخلص ١٥٣
٤٨ ـ لماذا لا نؤخر العماد إلى سن الثلاثين؟ ١٥٥
٤٩ ـ مفهوم الخلاص فى الكنيسة الأرثوذكسية ١٥٦
معنى الخلاص ١٥٦
كيف ينتقل خلاص المسيح وعمله الفدائى إلى الإنسان ١٦١
عمل المعمودية فى الخلاص ١٦٢
الخلاص النهائى ١٦٣
٥٠ ـ فى أحد التناصير ١٦٧
٥١ ـ فى أحد التناصير، المسيح يخلق للمولود أعمى عينين ١٧٣
٥٢ ـ لنتذكر الأم ١٧٦
٥٣ ـ أحد التناصير ١٧٨
٥٤ ـ المسيح وحده حبل به بغير دنس الخطيئة ١٨٤
٥٥ ـ انتشار الخطيئة الأصلية ١٨٧
٥٦ ـ لماذا إنجيل المولود أعمى فى أحد التناصير ١٨٩
٥٧ ـ لا داعى لإعادة تعميد الزوجات اللواتى سبق إنضمامهن للكنيسة ١٩١
٥٨ ـ عماد أطفال غير المؤمنين ١٩٢
٥٩ ـ هل نال تلاميذ المسيح المعمودية ؟ ١٩٣
٦٠ ـ الإنضمام للكنيسة لا يكون إلا بالعماد ١٩٥
٦١ ـ صيغة الإيمان الذى يتم على أساسه العماد ١٩٦
٦٢ ـ سر المعمودية وسر الميرون يطبعان فى النفس سمة لا تمحى ١٩٨
٦٣ ـ الأطفال يعمدون لمغفرة الخطيئة ٢٠١
٦٤ ـ المعمودية قبل التناول من المائدة الربانية ٢٠٣

موضوعات وإجابات
على أسئلة

١ ـ التطهير والمعمودية(١)

سؤال : من أحد القراء.

حصل بيني وبين صديق لي حديث عن التطهير الذي كتب بالناموس في عهد موسى مثل غسل الجسم بعد حصول عارض سواء للذكور أو الإناث، فكان جوابي: إن المعمودية طهرتنا، والمسيح عتقنا من ثقل الناموس، وإننا تبررنا بدم المسيح... ولكن جواب صديقي: إن المسيح لم ينقض بل أتى لكي يكمل، فأرجو من حضرتكم إفادتنا بالصواب.

الجواب :

كتب القديس العلامة الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين المعروف بابن المقفع، فصلا مستفيضا في هذا الموضوع في كتابه (الدر الثمين في إيضاح الدين)، وهو المقالة الثامنة في بيان الصوم، وكيف ينبغي أن يكون... يحسن جداً الرجوع إليه.

وخلاصته: إنه وإن كانت هذه العوارض تعتبر نجاسة في العهد القديم، لكنها في العهد الجديد، حكمها حكم الإفطار من صوم، فليس المسيحي بحاجة فيها إلى أكثر من اغتسال موضعي ليتمكن من إقامة الصلاة أو الدخول إلى الكنيسة، ولكنه لا ينبغي أن يتقدم إلى القربان المقدس في اليوم التالي من حيث أنه قد أفطر، فالصوم ليس امتناعا عن الطعام والشراب فقط، وإنما هو بالأولى وبالأحرى الامتناع عن الشهوات، والشهوة الجنسية على الخصوص، وعلى حد تعبير المؤلف، إنها (فطر، والذي يفطر لا يمتنع عن الصلاة من أجل أنه فاطر، ولا عن دخول الكنيسة، ولا عن حضور القداس بل عن تناول القربان فقط).

وثمة حالة واحدة يجب الامتناع فيها عن حضور الكنيسة وهي حالة الحيض أو الطمث بالنسبة للنساء سواء بسبب الدورة الشهرية، أو بسبب الولادة عند المرأة النفساء.

وذلك أن هذه الحالة ليست كالعوارض الوقتية التي مر ذكرها بل إنها لتستمر إلى بضعة أيام في الدورة الشهرية أو أربعين يوماً بالنسبة لوالدة الذكر، وثمانين يوما بالنسبة لوالدة الأنثى. ولا ينقطع خضوع المرأة لهذه الحالة إلا بعد تمام الأيام المحددة.

على أن الغرض من الاغتسال الموضعي أو الاغتسال الكامل هو نظافة الجسد فقط أو تطهيره من أوساخه الظاهرية، فلا قوة له على تطهير النفس أو الروح والعقل؛ وعلى حد قول الأنبا ساويرس: (فليس الماء يطهر النجس، بل يطهر وسخ الجسد فقط... (لكن) الزنا هو النجس. ولا يطهر من زنى ولو استحم بكل ماء البحار والأنهر، بل يطهر إذا هو ندم وتاب عن زناه).

---

(١) نشر بمجلة (مدارس الأحد) ـ السنة الثالثة ـ العدد الخامس ـ أغسطس ـ آب لسنة ١٩٤٩م ـ أبيب لسنة ١٦٩٥ش ـ صفحة ٣٥، ٣٦.

٢ - مصير الأطفال الذين ماتوا بغير عماد(١)

سؤال : من الابن رمسيس تادرس الحناوى الخادم بمدارس أحد جنود المسيح بطهطا.

يقول الكتاب المقدس (إن الإنسان ما لم يولد من الماء والروح لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله) (يوحنا ٣:٥)، ونعرف أن الماء والروح هما سر العماد، ونعرف أيضاً أن أحكام الله لا نقض فيها ولا استثناء، ولكن فى نفس الوقت الرب عادل ورحيم فلا يعاقب أحداً بدون ذنب جناه. فكيف نوفق بين حكمه السابق وبين مصير الطفل البرئ الذى مات قبل العماد... أو ذلك البدائى الذى عاش فى إحدى المجاهل ولم يسمع هو أو والداه من قبل عن الله أو عن العماد، فعبد النار أو أحد الأصنام مخلصاً ظاناً وموقناً أن هذا هو الله ؟

الجواب :

يقول القديس غريغوريوس الشهير بالثيولوغوس إن الأطفال غير المعمّدين لا يُمجَّدون ولا يُعذَّبون من الحاكم (الديان) العادل الأبدى، لأنهم وإن كانوا غير مستنيرين وغير مقدّسين بالمعمودية، لم يخطأوا خطيئة شخصية، ولذا لا يستحقون كرامة ولا قصاصاً (٢).

أما أن الأطفال غير المعمَّدين لا يمجَّدون، فلأنهم مازالوا تحت حكم الدينونة إذ (بخطيئة واحد (وهو آدم) صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة) (رومية ٥:١٨) ومازالوا لابسين طبيعة آدم الساقطة (١ . كورنثوس ١٥:٤٩)، (مزمور ٥٠:٥)، (٥١:٣)، (إشعياء ٤٨:٨)، ولذلك، لا يقدرون أن يعاينوا ملكوت الله (يوحنا ٣:٣) ولا يقدرون حتى أن يدخلوا ملكوت الله (يوحنا ٣:٥).

إن القضية مطلقة لا استثناء فيها، والناطق بها هو السيد المسيح نفسه: (إن الإنسان ما لم يولد ثانية من فوق لا يمكنه أن يرى ملكوت الله) (يوحنا ٣:٣)، وقوله (لا يمكنه) تعبير حاسم صارم لا يسمح بتأويل يخرج عن حرفيه الحكم.

قال القديس امبروسيوس (إنه (المسيح له المجد) لم يستثنِ أحداً حتى ولا الأطفال فى أية حال وجدوا) (٣).

---

(١) نشر بمجلة (مدارس الأحد) - السنة العاشرة - العدد الخامس - مايو سنة ١٩٥٦م - بشنس ١٦٧٢ش - صفحة ٢٦ - ٢٩.

(٢) خطابه فى المعمودية - فى الخطايا ١:١٦.

(٣) كتاب ٢ على ابراهيم فصل ١١.

وقال القديس أوغسطينوس (لا تعتقد ولا تقل ولا تعلم أن الأطفال الذين يموتون بدون عماد يستطيعون أن ينالوا غفران الخطيئة الأصلية)(١) . وقال أيضاً من يقل إن الأطفال يحيون فى يسوع المسيح حين إنتقالهم من الحياة، وإن لم يكونوا قد قبلوا سر العماد، فهو يناقض على خط مستقيم ما بشر به الرسل، ويخطئ الكنيسة كلها التى تبادر إلى عماد الأطفال لاعتقادها أن هؤلاء الأطفال لا يمكنهم بغير ذلك أن ينالوا الحياة بيسوع المسيح)(٢) .

ويقول العلامة أوريجينوس (اسمعوا داود يتكلم قائلا بالإثم حبل بى، وبالخطيئة ولدتنى أمى)، مبيناً أن كل نفس تولد فى الجسد قد تدنست بقذر الخطيئة والإثم، ولهذا كما قلنا سابقا إنه ليس أحد طاهراً من الدنس ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض.

(وإلى جانب هذا، فإن معمودية الكنيسة تعطى لمغفرة الخطايا، ولهذا السبب يُعمَدّ الأطفال، كما هى العادة المرعية فى الكنيسة. فإذا لم يكن ثمت فى الأطفال ما يحتاج إلى المغفرة والرحمة، أمست نعمة المعمودية لا حاجة إليها عندهم(٣) .

ويقول فى عظة أخرى (وإنى بهذه المناسبة أذكر أمراً يثير كثيراً من التساؤل بين الإخوة، إن الأطفال يعمدون لمغفرة الخطايا. أية خطايا؟ ومتى أخطأوا؟.. لكن طبقا لهذا المعنى الذى تكرناه الآن وهو (ليس أحد طاهراً من دنس الخطيئة، ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض، ولهذا السبب يُعمَدّ الأطفال، لأنه بسر المعمودية ينزع الدنس الذى نولد به)(٤) .

لا مفر إذن من حرمان الأطفال غير المعمّدين من أمجاد الملكوت، وإلا صارت عملية الفداء التى قام به المسيح، لا موجب لها. ونظرية الفداء قائمة على فكرة الخطيئة الجدية التى سقط فيها آدم وحكم عليه بالموت بسببها، كما على كل نسله من بعده: (فكما أن الخطيئة دخلت فى العالم على يد إنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، فكذلك سرى الموت إلى جميع الناس بالذى جميعهم خطئوا فيه) (رومية ٥:١٢) . فلو أمكن للأطفال غير المعمّدين أن ينالوا الملكوت بلا معمودية، لأمكن القول إن الأطفال يولدون أبرياء من الخطيئة الجدية، فيكون المسيح قد جاء بلا سبب.

---

(١) كتاب ٣ فى أصل النفس.

(٢) رسالة ١٦٦ .

(٣) عظة ٨ على سفر اللاويين فصل ١٢ .

(٤) عظة على لوقا ١٤ .

إن منطق نظرية الفداء يقتضى حتما أن يكون الأطفال مولودين بالخطيئة الأصلية: (بالآثام حبل بى وبالخطيئة اشتهتنى أمى) (مزمور ٥٠:٥)، (زِاغِ الأشرار من الرحمِ، ضلوا من البطن) (مزمور ٥٧:٣)، (لم تسمع ولم تعرف.. ومن البطن سميت عاصيا) (إشعياء ٤٨:٨).

وجاء فى القانون رقم ١٢١ من قوانين مجمع قرطاجنة الذى انعقد سنة ٤١٨م قوله:

يَسُر المجمع أن يأمر **بأن كل من ينكر أن الأطفال المولودين حديثاً من أرحام أمهاتهم يحتاجون إلى المعمودية لمغفرة الخطايا** أو يعترف بذلك، ولكنه يزعم أنهم يعتمدون لمغفرة الخطايا لكنهم لم يرثوا من آدم الخطيئة الأصلية، التى تضطرهم لأن يتَطَهرُوا منها فى جُرن الولادة الثانية (المعمودية)، مما يترتب عليه أن تُمسى عبارة (لمغفرة الخطايا) المستخدمة فى المعمودية، تستعمل بالنسبة لهؤلاء الأطفال لا بمعنى حقيقى، بل بمعنى وهمى- فليكن مُبسَلا (محروما) (١) فإن عبارة الرسول (كما أن الخطيئة دخلت فى العالم على يد إنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، فكذلك سرى الموت إلى جميع الناس بالذى جميعهم خطئوا فيه) يجب ألا تفهم بفهم (٢) آخر إلا كما فهمتها دائماً الكنيسة الجامعة المنتشرة والممتدة فى كل مكان. وبناءً على قاعدة الإيمان هذه، فحتى **الأطفال الذين لم يستطيعوا بذواتهم أن يرتكبوا أية خطيئة من الخطايا** تجعلهم مذنبين بها، **يعتمدون حقاً لمغفرة الخطايا، حتى تتطهر فيهم بواسطة الولادة الثانية، كل خطيئة ورثوها عن طريق الولادة الأولى من أجدادهم)** (٣).

ولما كان للمعمودية هذه الأهمية وهذه الخطورة بالنسبة لمصير الطفل، فقد رتبت الكنيسة أن يُعمَّد الطفل الذكر إذا بلغ أربعين يوما من ولادته، والأنثى إذا بلغت ثمانين يوماً من ولادتها(٤) وهى فى كلا الحالين المدة التى لا يجوز فيها للوالدة أن تدخل إلى الكنيسة

---

(١) أو مفرزا أى ليفرز ويقطع من شركة الكنيسة .

(٢) أو بمعنى آخر.

(٣) The RUDDER, by D. CUMMINGS, Chicago, 1957, P. 688

(الأنوار فى الأسرار) لجراسيوس مسرة، بيروت ١٨٨٨ الفصل الخامس صفحتى ٦٥، ٦٦

مجموعة الشرع الكنيسى صفحة ٧٣١

BETTENSON (H.), Documents of the Christian Faith, Oxford, 1950 P. 83.

(٤) الجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة للعلامة يوحنا بن زكريا المعروف بابن السباع الباب الثلاثون.

لتعميد طفلها(١) . فإذا تعرضت حياة الرضيع لمرض أو خطر مفاجئ فى خلال هذه المدة وجب حمل الطفل إلى الكنيسة مع غير أمه لتعميده . فإذا انقضت هذه المدة ولم يُعمَّد الطفل ثم مرض ومات، عُدَّ الوالدان مقصرين فى تعميد طفلهما حتى لو جاءه الموت مفاجئاً.

وقد حكمت الكنيسة على الوالدين فى مثل هذه الأحوال، بالصوم والصلاة والامتناع عن الأسرار المقدسة لمدة سنة(٢)، تأديباً لهما على إهمالهما وتهاونهما. كذلك شددت على الكاهن أن لا يتوانى عن التعميد، حتى لا يترتب على هذا التوانى، حرمان الطفل من بركات المعمودية المقدسة، فإذا قصَّر الكاهن تعقبه القانون بتأديب صارم يوقعه عليه أسقفه.

وإذا كان الأطفال غير المعمَّدين لا يقدرون أن يروا ملكوت الله، ولا يستطيعون أن يدخلوها، فبالأحرى البالغين من الشعوب الذين لم تصلهم رسالة المسيح المخلص، فإنهم أيضاً لا يقدرون أن يروا ملكوت الله أو يدخلوها، ما لم يختتنوا بختان المسيح (أى المعمودية)، فيخلعوا به خطايا البشرية (لوقا ٢ :١١) التى ولدوا ملوثين بها من بطون أمهاتهم، وما لم يعتمدوا فيلبسوا المسيح.

لكنهم وإن كانوا سيحرمون من معاينة الملكوت ومن دخوله إلا أنهم سوف لا يُعذَّبون إلا بقدر ما يرتكبون من أخطاء فعلية، قد تعدوا بها على الناموس المكتوب على قلوبهم (لأن كل من أخطأ بدون الناموس، فبدون الناموس يهلك.. لأنه الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو فى الناموس، فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم، الذين يظهرون عمل الناموس مكتوباً فى قلوبهم شاهداً أيضاً ضميرهم.. فى اليوم الذى فيه يدين الله سرائر الناس) (رومية ٢ :١٢ – ١٦).

هذه الحقيقة تفسر معنى الأمر الصادر إلى رسل المسيح (اذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم..) (متى ٢٨ :١٩). وتحدد مسئولية الكنيسة نحو العالم بأسره، والذين يعلمون بأن دخول ملكوت السموات ميسور لغير المؤمنين بالمسيح المعتمدين باسم الثالوث القدوس، يحكمون بأن المسيح جاء بلا سبب، ويسقطون من حسابهم نظرية الفداء بالمسيح.

---

(١) بوليدس (هيبوليتوس) قانون ٣٨. قارن سفر اللاويين ١٢ :١ – ٦.

(٢) راجع الأنبا أثناسيوس أسقف قوص من آباء القرن الثانى عشر، والمنشور بكتاب اللآلئ النفيسة لشرح طقوس ومعتقدات الكنيسة ـ للقمص يوحنا سلامه. الجزء الثانى. الباب الأول. الفصل السادس.

٣ ـ أحد التناصير(١)

سؤال : من الابن الإكليريكى الايبودياكون جورج حبيب بباوى بجامعة كيمبردج بانجلترا:

كانت المعمودية فى الكنيسة الأولى تتم فى عيد الفصح ليلة العيد. فمتى استحدثت الكنيسة أحد التناصير؟ وما هى الوثائق التى تشير إلى هذا؟

الجواب :

ليس هناك شك فى أنه فى الأربعة القرون الأولى للمسيحية كانت تتم معمودية الموعوظين الراغبين فى الدخول إلى المسيحية، ليلة العيد الكبير. ومازالت بعض الفصول التى كانت تتلى قديما تقرأ إلى يومنا هذا فى يوم السبت الكبير وعشية أحد القيامة.

ويبدو أنه رئى ـ بعد القرن الرابع للميلاد ـ التعجيل بعماد الموعوظين المؤهلين لقبول هذا السر، فى الأحد السابق على أحد الشعانين وأسبوع الآلام، حتى يشاركوا فى أفراح ومباهج عيد الشعانين وفى صلوات وطقوس أسبوع الآلام، لا كموعوظين بل كمؤمنين معمدين. هذا من جهة، ومن جهة أخرى ربما رئى أن إجراءات تعميد الموعوظين كانت تشغل اهتمام الكنيسة وقتا طويلا، وتصرف منها جهداً كبيراً، أحرى بها أن تكرّسه للصلوات التعبدية العميقة التى تبدأ بأحد الشعانين، والتى كان المؤمنون يتعطلون أثناءها عن مباشرة جميع أعمالهم وأشغالهم المدنية العالمية ليتفرغوا للعبادة تفرغاً تاماً. ومازالت آثار هذه العادة باقية إلى اليوم فى البلاد الغربية التى احتفظت بهذا التقليد مثل انجلترا وغيرها.

هذا وتؤكد المصادر التاريخية أن المسيحيين الأوائل كانوا ـ فى أوائل المسيحية ـ يحتفلون بأسبوع الآلام منفصلاً عن الصوم الأربعينى المقدس، وذلك لأن السيد المسيح صام الأربعين المقدسة بعد عماده مباشرة، وأما آلامه فجاءت بعد صومه بزمن طويل. لكن الكنيسة رأت فيما بعد أن تضم أسبوع الآلام إلى الأربعين المقدسة حتى يدخل المؤمنون إلى أسبوع الآلام بمدخل طويل من صوم تعبدى، فيبلغون إلى أسبوع الآلام بنسك لائق وتعبد شديد.

والدليل الحاسم على أن أسبوع الآلام هو فى حقيقته صوم آخر ملحق بالصوم الأربعينى، هو أن هذا الصوم الأربعينى ينتهى بما يعرف بـ (جمعة ختام

---

(١) السؤال والجواب بتاريخ ٢٦ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٦٦م.

الصوم) وهى تسبق أسبوع الآلام مباشرة، وتعامل فى الطقس معاملة العيد أو الفطر من حيث التلاوات والألحان.

وهذا معناه أن تخصيص الأحد السابق مباشرة على أحد الشعانين لعماد الموعوظين - وهو ما يُعرف بأحد التناصير - جاء بعد القرن الرابع للميلاد، عندما رئى أن يشارك الموعوظون فى أحد الشعانين وفى عبادات أسبوع الآلام، لا كموعوظين بل كمؤمنين معمدين وأعضاء فى جسد المسيح.

والحق أن تقديم عماد الموعوظين أسبوعين لايضر الكنيسة إيمانيا أو طقسيا، بل على العكس يوفر لها وقتا مناسبا وكافيا تكرّسه للطقوس التعبدية التى تزداد بصورة واضحة فى أسبوع الآلام، ويتيح للموعوظين أن يساهموا فى هذه الطقوس مع سائر المؤمنين، فيزدادون فى التقوى وانتعاش الروح. وليس هناك شك فى أن للكنيسة سلطان التصرف فيما يؤول لخير المؤمنين وحسن رعايتهم وتدبيرهم . (١تيموثيئوس ٣: ١٥).

٤ ـ بركة الملائكة والسمائيين للمعمدين
وبركة الرب يسوع المسيح لهم (١)

سؤال : من الإبن الإكليريكى الإيبودياكون جورج حبيب بباوى بجامعة كيمبردج ـ انجلترا.

ما المقصود بقول الكاهن بعد مسح المعمَّد أو الطفل بمثال الصليب، فى ستة وثلاثين موضعا **(تكون مباركا ببركات السمائيين، وبركات الملائكة. يباركك الرب يسوع المسيح ويباسمه)** ؟ وهل تتضمن هذه البركة فكرة الـ HIERARCHY (التسلسل الهرمى) أو PRO-GRESSION (التقدم ـ التعاقب) حيث سادت الفكرة القائلة بأن المسيح (رأس كل شئ)، أو أنه جمع فى نفسه ما فى السماء وما على الأرض، وجعل وحدة بين الخليقة المنظورة وغير المنظورة؟

ويسأل أيضاً: ما المقصود بـ **(بركة الملائكة)** وهى ترد كثيرا فى صلواتنا؟ وما معنى القول **(يباركك الرب يسوع المسيح ويباسمه)** ؟

الجواب :

المقصود بالسمائيين، سكان السماوات بدرجاتهم وبطغماتهم. فمنهم البشر، وهم القديسون، وعلى رأسهم والدة الإله القديسة مريم العذراء.

ومنهم الأرواح العلوية أو الأجناد السمائية، وفيهم الملائكة، ورؤساء الملائكة، والكاروبيم، والسيرافيم، والرئاسات، والعروش، والربوبيات (السيادات)، والسلاطين.. وفيهم الأربعة الحيوانات غير الجسدانيين، والأربعة والعشرون كاهنا، والجمع الذى لايحصى للقوات السمائية.

والدليل على أن كلمة (السَّمائيين) تشمل البشر كما تشمل الأجناد الروحية، ما جاء فى الوحى الإلهى على لسان القديس بولس الرسول فى رسالته الأولى إلى كورنثوس فى قوله (وعلى مثال السَّماوىّ يكون السَّماويُّون) (١ . كورنثوس ١٥ : ٤٨). وعندما يقول (بركة الملائكة) فهو يخصص بعد التعميم، والملائكة هم طغمة الكائنات الروحانية التى كان ومازال لها الاتصال المباشر بالأرض أكثر من غيرها. ولذلك ذكرهم يعقوب أبو الأسباط وهو يبارك ابنى يوسف بقوله (الملاك الذى خلصنى من كل شر يبارك الغلامين) (التكوين ٤٨ : ١٦).

---

(١) كتب بتاريخ ٢٦ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٦٦م.

وأما المعنى من (بركة الملائكة) فبركتهم هى رعايتهم وحراستهم وشفاعتهم، ومصاحبتهم للمعمّدين ومرافقتهم لهم وحفظهم من كل سوء. وهنا فكرة (الملاك الحارس). فكما أن رئيس الشياطين يعين لكل مولود، شيطانا ليضلّه ويغويه ويُميله نحو الشر، يعين الله جل اسمه، لكل إنسان بعد جحده الشيطان وقبوله سرّ العماد، ملاكا لحراسته. وقد أشار مخلصنا له المجد إلى الملائكة الحراس فى قوله عن الأطفال (إن **ملائكتهم** فى السمّاوات يُعاينون كل حين وجه أبى الذى فى السماوات) (متى ١٨ : ١٠). وجاء عن القديس بطرس الرسول أنه لما خرج من السجن وجاء إلى بيت مريم أم يوحنا الملّقب مرقس، فقرع باب الدهليز حيث كان المؤمنون مجتمعين، فلم يصدقوا أنه بعينه القديس بطرس، فقالوا (**هذا ملاكه**) (أعمال الرسل ١٢ : ١٥).

فبركة الملائكة تشمل كل أنواع العون التى يُقدمّها الملائكة لخدمة المؤمن المعّمد مما يجعل حياته فى نمو روحى مطرد وتقدم وازدهار، فيتوافر له النجاح، والظفر والغلبة على الصعوبات الروحية والمشكلات التى تعترض حياته.

كذلك (**بركات السمائيين**) عموما، فهى كل مساعداتهم للمؤمنين المعّمدين، وكل أنواع العون التى يقدّمونها لخدمتهم مما ينفعهم ويجعل حياتهم مثمرة وحافلة بأسباب النجاح والتقدم والازدهار والسعادة الحقيقية.

أمّا **بركات الرب يسوع** فهى مواهبه التى يمنحها للمؤمنين المعمّدين، وعطاياه، وكل ظواهر وبواطن حبه ورعايته وحدبه عليهم، مما يكفل للمؤمن حياة روحية ناجحة مليئة بأعمال صالحة، تجعلها غنية وخصبة، كالنبات الذى يُباركه الرب فلا يصيبه السوس أو الدود ولايلفحه البرد، بل يثمر الثمر الصالح: ثلاثين وستين، ومائة، ويحصد منه الزارع أضعاف أضعاف ما زرع.

وحقاً إنّ الربّ يسوع المسيح هو (رأس كل شئ) (أفسس ١ : ٢٢)، (كولوسى ١ : ١٧)، (٢ : ١٠)، ويجتمع فيه، وفى اسمه المبارك، كل خير فى السماء وعلى الأرض، وفيه تلتقى الخليقة المنظورة بالخليقة غير المنظورة. فبركة الرب يسوع يمكن أن تفهم بكل بساطة بالمضمون العام لبركة الرب الإله، وهى على نظير قول الوحى الإلهى فى سفر العدد (**يُباركك الرب ويحرسك**) (٦ : ٢٤) (مباركا تكون فى دخولك، ومباركا تكون فى خروجك) (التثنية ٢٨ : ٦) (خلص شعبك، بارك ميراثك. ارعهم وارفعهم إلى الأبد) (مزمور ٢٧ : ٩) وكما فعل المسيح له المجد مع الأطفال الذين قدموهم إليه (احتضنهم ووضع يده عليهم

وباركهم) (مرقس ١٠: ١٦)، وكما صنع له المجد مع تلاميذه قبيل صعوده إلى السماء (خرج بهم إلى بيت عنيا ورفع يديه **وباركهم)** (لوقا ٢٤: ٥٠).

وعلى العموم، فقول الكاهن للمعمَّد **(يُباركك الرب يسوع المسيح)** هو دعاء من الكاهن للمعمَّد أن ينميه الرب فى النعمة، وفى المعرفة، وأن يزيده تقوى وروحانية، ويجعل حياته خصبة بالأعمال الصالحة، فيها خير كبير ونفع جزيل لنفسه وللناس جميعا.

وأما قوله **(وباسمه)** أى فليكن المعمَّد مباركا باسم الرب يسوع، لأنه (ما من اسم آخر تحت السماء منح للناس به ينبغى أن يخلصوا) (أعمال الرسل ٤: ١٢) فباسم المسيح له المجد يخلُص المؤمنون المعمَّدون من تجارب الأعداء الروحيين والجسديين، وباسمه تجرى القوات والعجائب والمعجزات فى حياة المؤمنين (أعمال ٣: ٦، ١٦)، (٤: ١٠، ٣٠)، (١٦: ١٨)، (١٩: ١٣)، وفى خدمة الكنيسة، وباسمه ينالون كل ما يطلبونه فى صلواتهم (متى ٢١: ٢٢)، (مرقس ١١: ٢٤).

والمؤمن المعمَّد يصير **مباركا باسم الرب يسوع المسيح** لأنه قد دُعى عليه اسم الرب يسوع المسيح، إذ صار مسيحيا منسوبا ومنتميا إلى المسيح يسوع. ثم إنه بجحده الشيطان قبيل تعميده، قد أعلن انفصاله عن الشيطان وقطع علاقته به، واستنكر تبعيته له، وأعلن بإرادته انضمامه إلى رعوية المسيح، وانضواءه تحت لوائه، وصيرورته عضوا فى مملكته. فصار المسيح ملكا عليه، وصار هو من أتباع يسوع المسيح الناصرى، وأصبح الصليب له شعاراً وعلَماً.

٥ ـ الزيت الساذج وزيت الغاليلاون(١)

سؤال : من الإبن الإكليريكى چورچ حبيب بباوى ـ كمبريدج ـ انجلترا.

ما هو زيت الغاليلاون؟ وهل هو زيت الموعوظين أو هل هو الزيت الساذج، وهو زيت طرد الشياطين؟

الجواب :

زيت الغاليلاون هو غير الزيت الساذج.

فالزيت الساذج هو الزيت النقى، الزيت الطيب الفلسطينى المأخوذ من شجرة الزيتون، وغير المخلوط بزيت آخر أو بمادة أخرى.

والزيت الساذج، ويسّمى بالقبطية ⲡⲓⲛⲉϩ ⲛⲁⲕⲣⲁⲧⲟⲛ الزيت الصرف الصافى (غير الممزوج) ἄκρατος, ον تمييزا له عن الميرون μύρον - ⲙⲩⲣⲟⲛ الذى يتركب من زيت الزيتون، والزيت الطيب الفلسطينى، ومن المرّ القاطر، والقرفة العطرة، وقصب الذريرة، والسليخة، وخميرة الميرون السابق (وفيها الطيوب والعطور التى أخذت من جسد المخلص).

والزيت الساذج ⲛⲁⲕⲣⲁⲧⲟⲛ هو الزيت المستخدم فى سر مسحة المرضى (أو القنديل) ويحسن أن يكون من زيت الأبوغالمسيس (الأبوكالبسيس ـ الرؤيا أو الجليان) الذى يتلى عليه سفر الرؤيا فى ليلة السبت الكبير، المعروف بسبت الفرح أو سبت النور.

والزيت الساذج به تدهن المرأة النفساء بعد قراءة التحليل عليها عند إتمامها المدة التى تمنع فيها من دخول الكنيسة بسبب النفاس، وبعد ذلك تدخل إلى الكنيسة وتتناول من الأسرار المقدسة.

والزيت الساذج ⲛⲁⲕⲣⲁⲧⲟⲛ هو الذى يسكب منه الكاهن على الماء فى جرن المعمودية، بمثال الصليب مرتين: فى كل مرة ثلاثاً على اسم الثالوث القدوس، الآب والابن والروح القدس.

والزيت الساذج يسمى أيضا بالزيت المقدس ⲡⲓⲛⲉϩ ⲉⲕⲟⲧⲁⲃ .

---

(١) كتب بتاريخ ٢٦ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٦٦م.

والزيت الساذج هو المستخدم فى إنارة القناديل فى الكنائس، ولا سيما قنديل الشرقية فى شرق المذبح، وأمام حجاب الهيكل (وهو حامل الإيقونات) Iconostasis وأمام أيقونات القديسين.

ولما كان الزيت الساذج غير مخلوط بشئ آخر من الزيوت أو المواد الأخرى، لذلك يسمى أحياناً بـ (زيت الزيتون النقى) أو الزيت النقى أو الزيت الطيب الفلسطينى.

وأما زيت الغاليلاون ⲁⲅⲁⲗⲗⲓⲉⲗⲁⲓⲟⲛ ، فزيت مركب، لأنه يتألف من زيت الزيتون، الزيت الطيب الفلسطينى، مضافاً إليه أثقال الطيوب المختلفة التى تتبقى من الميرون بعد تصفيته فى طبخاته الأربعة، وقد صُلّيت عليه صلوات خاصة قبل استخدامه فى الأغراض الكنسية لدهن الموعوظين فى الفترة التى تسبق تعميدهم وتهيئتهم لاقتبال سر المعمودية، فيمسحون به أثناء أداء طقس (جحد الشيطان) السابق مباشرة على نزولهم فى جرن المعمودية.

ويلاحظ أن (زيت الغاليلاون) ⲁⲅⲁⲗⲗⲓⲉⲗⲁⲓⲟⲛ يُقدّس فى اليوم الذى يصنع فيه الميرون ⲙⲩⲣⲟⲛ - μύρον ، فيقام على يمين ويسار المذبح الرئيسى الكبير فى الهيكل، وهو مذبح الأسرار المقدسة، مذبحان من الخشب. فالمذبح الخشبى الأيمن يوضع عليه الميرون المقدس، وأما المذبح الخشبى الأيسر فيوضع عليه الغاليلاون ويُقدّس كل من الميرون والغاليلاون بعد صنعهما على المذبحين الخشبيين إبتداء من يوم الخميس الكبير (المسمى خميس العهد)، وبعد صلوات الساعات الثالثة والسادسة والتاسعة من البصخة المقدسة (اسبوع الآلام). ويُقدّس كل من الميرون والغاليلاون بمعرفة البابا البطريرك، كما هو مدون فى كتاب التكريس. ويظل المذبحان الخشبيان فى مكانهما على يمين ويسار المذبح الرئيسى، ويقدس عليهما البابا البطريرك القداس الإلهى فى يومى سبت الفرح، وليلة عيد القيامة المجيد.

وفى فجر عيد القيامة. يضاف إلى الغاليلاون الجديد، الخميرة القديمة الباقية من الغاليلاون القديم.

ويقدس البابا البطريرك على كل من الميرون والغاليلاون فى ثانى وثالث أيام العيد الكبير أى فى صباح يومى الأثنين والثلاثاء التاليين لأحد القيامة المجيد (١).

---

(١) أنظر كتاب الكنز الأنفس فى الرحلة البطريركية وعمل الميرون المقدس، تأليف القمص دوماديوس البرموسى ـ القاهرة ١٩٣٠ صفحة ٥٠ – ٨٤.
ـ كتاب اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة للقمص يوحنا سلامة ـ الجزء الأول ـ القاهرة صفحة ٨٢ – ٩٨.

وإذن ليس الغاليلاون زيتا بسيطا أو ساذجا، وإنما هو زيت مخلوط معه أثقال الطيوب المصفاة من الميرون بعد طبخه طبخاته الأربعة، وقدّس بمعرفة البابا البطريرك على مذبح خاص به فى وقت تقديس الميرون المقدّس، وأضيف اليه (الغاليلاون) القديم كخميرة تخمر الغاليلاون الجديد، ثم أقيمت على مذبحه الخشبى الذبيحة المقدسة فى أيام سبت الفرح وعيد القيامة وثانى يوم العيد وثالثه.

هذا و(الغاليلاون) هو الذى يُدهن به الموعوظون (من غير المؤمنين الذين لم يتعمّدوا بعد ممن يرغبون فى العماد) فى الفترة التى يتأهبون فيها لقبول سرّ العماد المقدس، ليبدد عنهم قوة الشياطين المحيطة بهم أو التى تسكنهم، وليطرد عنهم قوتها، وكل سحر، وكل رقية، وكل تعزيم، وكل فعل مضاد للخير من عدو الخير، وليطرد عنهم أيضا كل دنس وكل ظلمة من أجسادهم، وكل فكر تجديف أو مقاوم للإيمان، أو مضاد له. وإن كان فيهم روح شرير أو نجس مختف فيهم أو فى عقولهم، فيكشف أمره، ويعلن سره حتى يطرد من حياتهم طردا نهائياً.

ولعله لهذا السبب يسمى هذا الزيت:

بـ (زيت الموعوظين) ⲡⲓⲛⲉϩ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲓⲕⲁⲧⲏⲭⲟⲩⲙⲉⲛⲟⲥ

أو (زيت مسحة وموعظة) ⲟⲩⲛⲉϩ ⲛ̀ⲑⲱⲥϩ ⲛ̀ⲕⲁⲧⲏⲭⲏⲥⲓⲥ

أو دهن موعظة ⲟⲩⲛⲉϩ ⲛ̀ⲕⲁⲧⲏⲭⲏⲥⲉⲟⲥ

أو ⲉϩⲗⲁⲓⲟⲛ ⲕⲁⲧⲏⲭⲏⲥⲉⲟⲥ

وذلك لأن الموعوظين (الراغبين فى العماد) يُدهنون به فى الفترة السابقة على قبولهم سرّ العماد. وقد كان هؤلاء الموعوظون يتلقون عظة كل صباح فى الكنيسة فى أيام الصوم الكبير، ويمسحون بالغاليلاون قبل انصرافهم من الكنيسة وذلك قبل بدء قداس المؤمنين.

وكما يسمى (الغاليلاون) بزيت الموعوظين، يسمى ايضاً بـ (زيت الاستقسام) أو (زيت الاستحلاف) (١) ⲡⲓⲛⲉϩ ⲛⲉⲍⲟⲣⲕⲓⲥⲙⲟⲥ

ذلك أنّ الموعوظين (الداخلين إلى العماد) كان يمتحنهم الأسقف ومساعدوه من الكهنة، وكان الأسقف يختار منهم اللائقين لقبول سر المعمودية، ويدرج أسماءهم فى قائمة المستنيرين. وكانت تتلى عليهم بعد القراءات والفصول الكنسية والعظة، صلوات خاصة تسمّى بـ (صلوات الاستقسام أو الاستحلاف)، يتضرع الكاهن فيها أن يرفع الله عن الموعوظين أو المستنيرين، كل

(١) انظر كتاب (قوانين القديس هيبوليطوس (النص القبطى).
PAULI DE LAGARDE, AEGYPTIACA, Conones Ecclesiastici, Göttingen 1883 P.

عمى القلب، ويحطم عنهم كل أغلال الشيطان التى ربطوا بها، وأن ينير الله عقولهم، ويؤهلهم لقبول نعمة المعمودية. وفى هذه الصلوات كلمات موجهة إلى الشيطان، يأمره فيها الكاهن، بالخروج من المستنير، وهو يدهنه على جبهته (بالغاليلاون) برسم الصليب وواضعاً يده عليه، ويقول: باسم الآب والابن والروح القدس. ولذلك سُمّيت هذه الصلوات بالاستقسام، لأن الكاهن يقسم فيها على الشيطان، ويستحلفه، للخروج من المستنيرين، ويقول: (أخرج أيها الروح النجس) وصار يعرف الكاهن الذى يباشر هذا الطقس، باسم (المستحلف) أو المستقسم (Exorcist) ἐξορκιστής ـ ЄΞΟΡΚΙϹΤΗϹ أى الذى يطرد الأرواح الشريرة.

وإذا كان الذى يدهن المستنيرين بالغاليلاون، قسيساً وكان الأسقف حاضراً، فالأسقف يُصلّى على الزيت ويدفعه إلى القسيس ليدهن به المستنير.

ويلاحظ أنّ كل هذه المراسم والطقوس تمارس حتى الآن بما يعرف بطقس (جحد الشيطان) ἐξορκισμός EXORCISM فيدهن الكاهن بزيت الغاليلاون على جبهة المستنير أو الطفل، وقلبه (صدره)، وذراعيه، ويديه، وظهره.

ويُسمى زيت (الغاليلاون) أيضا بزيت الفرح أو التهليل أو الابتهاج ΟΥΝΕϹ ΝΘΕΛΗΛ لأن الكاهن إذ يدهن به الموعوظين المستنيرين أو الأطفال قبل نزولهم إلى جرن المعمودية يقول:

(أدهنك يا (فلان) بدهن الفرح (التهليل) ضداً لكل أفعال المضاد (الشيطان) لتغرس فى شجرة الزيتون اللذيذة (أو الحلوة)، فى المقدسة الجامعة الرسولية، كنيسة الله، آمين (بالمعمودية المقدسة).

ولعل هذا يفسر لماذا يسمى هذا الزيت بالغاليلاون، فإن (الغاليلاون) كلمة يونانية معناها زيت الابتهاج، ويسمى باليونانية ἔλαιον ἀγαλλιάσεως

وكلمة ἔλαιον معناها (زيت) وإن كانت خُصّصت فى مبدأ الأمر بزيت الزيتون، إلا أنها أصبحت فيما بعد تقال على (الزيت) جملة.

وأما كلمة ἀγαλλίασις فهى تفيد التهليل والابتهاج exultation أو الفرح الشديد العظيم fervent Joy.

ومن هنا فنحن نرى أن كلمة (الغاليلاون) ⲁⲅⲁⲗⲗⲓⲉⲗⲁⲓⲟⲛ ترجع غالبا إلى دمج كلمة ⲁⲅⲁⲗⲗⲓ بمعنى زيت مع كلمة ⲉⲗⲁⲓⲟⲛ - ἔλαιον المشتقة من ἀγαλλίασις بمعنى (التهليل) أى أن (الغاليلاون) هو (زيت التهليل).

ثم إن زيت (الغاليلاون) تدهن به أيضا الكهنة والملوك (١).

(١) أنظر كتاب الصلوات المقدسة لأجل رسامات المختارين لدرجات أهل الاكليروس والكهنة.. وتقديس الميرون والكنيسة - الطوخى - الجزء الأول صفحة ٣٦١.

٦- إضطراب وحيرة
فى طنطا ومن طنطا (١)

عشرات من الرسائل ترد إلينا، من طنطا ومن غير طنطا من مختلف بلاد الجمهورية، يعبر فيها أصحابها بحزن عميق مرير عن جهود منحرفة يبذلها أتباع جميعة خلاص النفوس البروتستانتية فى طنطا لهدم كيان الأرثوذكسية بها، ويتبناها ويعطف عليها ويتزعمها أحد رجال الدين فى كنيسة أرثوذكسية بطنطا.

عشرات وعشرات من الكهنة والوعاظ وأبناء الكنيسة المخلصين الغيورين أرسلوا يستغيثون من هذه الحملات المنظمة على كنيستنا الأرثوذكسية وعقائدها وطقوسها وتراثها التليد، بطريق مباشر وغير مباشر، تنظمها قيادة روحية معوجة من داخل كنيسة أرثوذكسية بطنطا.

عظات تلقى فى طنطا وغير طنطا، ونشرات تصدر من كنيسة أرثوذكسية بطنطا هى أشد بروتستانتية من كل ما أصدره البروتستانت من كتب ومن نشرات.

ولولا أن هذه النشرات المطبوعة التى انتشرت فى كل أنحاء طنطا - وقد وصل إلينا عدد منها - لولا أن هذه النشرات يقول عنها ناشرها إنها تطلب من القمص ..... بطنطا لقلت إن مذهبا بروتستانتيا جديدا ظهر فى طنطا هو أكثر انحرافا وشذوذا من كل المذاهب البروتستانتية السبعة والعشرين الذين ظهروا حتى الآن فى بلادنا.

إننى أحكم، تحت مسئوليتى الشخصية، أن كاتب هذه النشرات تلقى ثقافته الدينية من ينابيع غير أرثوذكسية، ولم يقنع بهذا، بل زاد عليها شيئا جديدا من شخصيته. فجاءت نشراته أبعد بروتستانتية من كل ما عرفنا من مذاهب البروتستانت..

أسلوب جديد وغريب على طنطا وعلى غير طنطا من بلاد الأرثوذكسية وغير بلادنا من العالم الأرثوذكسى فى أنحاء المسكونة، بدأ يغزو شعبنا، ويثير شكوكا فى القيم الأرثوذكسية المستقرة.

بدأ الناس يسمعون نغمة جديدة تشككهم فى قيمة أعمال الجهاد الروحى ووسائط الخلاص المودعة فى الكنيسة المقدسة.

---

(١) مقال فى أهمية المعمودية للخلاص، نشر بمجلة (الكرازة) السنة الثالثة العددين ٣، ٤ - مارس - آذار، وأبريل - نيسان لسنة ١٩٦٧م صفحة ٦١ - ٦٨.

بدأ الناس يرسلون إلينا من طنطا وغير طنطا ممن وصلت إليهم شظايا تلك المواعظ والنشرات يستغيثون من الشكوك التى أثارتها فى محيط المؤمنين، شكوك فى قيمة سرّ المعمودية، وسر التناول، وسر التوبة والاعتراف، وسر الكهنوت، وفى جدوى الرياضات الروحية من صلوات وأصوام وأعمال الرحمة والخير. لأن تلك المواعظ والنشرات أضاعت قيمة الجهاد والأعمال الصالحة، وقصرت الحياة الروحية على الإيمان بالمسيح والاعتراف به مخلصا، كما لو كان كاتب تلك النشرات ومصنف تلك المواعظ يجد نفسه المؤمن الفريد بين كفرة وملحدين.

هل الإيمان وحده يخلص الإنسان؟

لقد ذهب كاتب تلك النشرات (التى تطلب من القمص زكريا بطرس بطنطا) إلى أن الشرط الأساسى للخلاص هو أن تؤمن بأن يسوع المسيح نفسه هو الوسيلة الوحيدة.. فهو الوحيد الذى مات عوضا عنك ليحمل جرم آثامك... إلى أن يقول الكاتب بالحرف الواحد (فمتى آمنت بأن المسيح حمل كل خطاياك خلصت منها تماما. فعندما سأل أحد الخطاة الرسل قائلا ماذا أفعل لكى أخلص؟ قالوا له: (آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص) (أعمال ١٦: ٣١) (عن إحدى النشرات المسمومة بعنوان (أتريد أن تخلص صفحة ٣).

وإنى أريد أن أسأل كاتب تلك النشرات الطنطاوية، ما هذا الهراء؟ أحقاً إنه إن آمن إنسان بأن المسيح حمل كل خطاياه فقد خلص منها تماما؟ إذا كان الأمر حقا كما تقول فقد تحوّلت الديانة فى نظرك إلى مجموعة إيحاءات سيكولوجية وبطل (فى نظرك أيضا) كل عمل للتوبة، ولم يعد الخاطئ التائب فى حاجة لا إلى صلوات أو أصوام أو اعتراف بخطاياه أو تناول من الأسرار المقدسة، وسائر الوساط الخلاصية التى أقام الرب الكنيسة من أجل أن تكون حارسة عليها ومانحة لها لبنيان النفوس فى طريق الخلاص؟

ومن أين لك هذا التعليم العجيب؟ ومن أى المصادر قد استقيته؟ وكيف تجرؤ على أن تعلم الناس تعليما لن تجد له سندا لا فى الكتاب المقدس ولا فى كتب الآباء، تعليما لايقره منطق المسيحية ولا روحها؟

ستقول فى سرعة إن السجان أو حافظ السجن بمدينة فيلبى سأل القديسين بولس وسيلا قائلا: يا سيدى، ماذا يجب على أن أعمل لأخلص. فقالا له: (آمن بالرب يسوع المسيح، تخلص أنت وأهل بيتك). (أعمال الرسل ١٦: ٢٥ – ٣٥).

قلت وأقول يجب أن ننتبه أولا إلى أن السجان رجل وثنى وخاطئ. فلما سأل الرسولين عن سبيل الخلاص، كانا لابد أن يعرفاه بأول خطوة فى هذا الطريق، وأول **خطوة فى الطريق هو الإيمان بالمسيح. لكن هذه الخطوة الأولى ستتلوها بعد ذلك خطوات حتى يحصل الرجل على الخلاص التام من خطاياه السالفة. وبعد أن يحصل على الخلاص التام من خطاياه السالفة عليه أن يرعى نفسه ويراقب ذاته فى حال من الصحو الدائم لئلا يفقد خلاصه الذى حصل عليه. ومن هنا معنى قول الرسول بولس (واعملوا لخلاصكم بخوف ورعدة)**(١) (فيلبى ٢ : ١٢).

والدليل على أن الإيمان بالمسيح كان هو الخطوة الأولى التى نصح بها الرسولان للسجان الوثنى ما رواه سفر أعمال الرسل فى نفس الفصل، مباشرة بعد قوله (فقالا: آمن بالرب يسوع المسيح، تخلص أنت وأهل بيتك) يقول: (وكلماه هو وجميع من فى بيته بكلمة الرب. فأخذهما فى تلك الساعة من الليل وغسل جراحهما، وتعمد من وقته، هو وذووه أجمعون) (أعمال الرسل ١٦ : ٣٢، ٣٣).

ولو كان إيمان الرجل بالمسيح قد خلصه (تماما) لما كان هناك داع لعماده، ولأصبح العماد، بالتالى، فضلة زائدة ليست لها قيمة حقيقية أو فعالية روحية؟

وإذن قد كان إيمان الرجل بالمسيح هو الخطوة الأولى فى الطريق إلى الخلاص، لكنه ليس هو الخطوة الأولى والأخيرة معا، وبناء عليه يكون من الخطأ الواضح الفاضح أن يزعم كاتب تلك النشرة (التى تطلب من القمص زكريا بطرس بطنطا) أنك (متى آمنت أن المسيح حمل كل **خطاياك خلصت منها تماماً**).

وإنى أريد أن أسأل مرة أخرى، من أين جاء كاتب تلك النشرة بهذا الزعم الحاسم (خلصت منها تماماً)؟ إن الرسولين قالا للسجان (آمن بالرب يسوع المسيح تخلص أنت وأهل بيتك) (أعمال ١٦ :٣١).

---

(١) وأما قوله: (اعملوا لخلاصكم) فهو ترجمة للعبارة نفسها باليونانية

τὴν ἑαυτῶν σωτηρίαν κατεργάζεσθε

وتساويها بالقبطية ⲁⲣⲓⲥⲱⲃ ⲉ ⲡⲉⲧⲉⲛⲟⲩⲧⲁⲓ وبالإنجليزية Work out your own Salvation وبالفرنسية Travaillez à votre Salut.

إنهما لم يقولا له ما قاله صاحب تلك النشرة (إن آمنت.. فقد خلصت تماماً).

ولا قالا له: إن آمنت.. خلُصت (بحذف (تماماً)).

وكل ما قالاه له (آمن بالرب يسوع المسيح، تخلص أنت وأهل بيتك). **ومما هو جدير بالذكر أن كلمة (تخلص) هنا قد جاءت فى اللغات الأصلية فى الزمن (المستقبل) لا فى الزمن الماضى، مما يدل على أن الخلاص لم يتم بمجرد الإيمان، ولا يتم بالإيمان، ولكنه سيتم مستقبلا إذا تحقق الإيمان كخطوة أولى، وتلاه ما بعد الإيمان من جهاد روحى (بخوف ورعدة).**

وها هو نص العبارة القدسية باللغة اليونانية: *καὶ σωθήσῃ σὺ*

والفعل اليونانى المستخدم هنا هو فى زمن المستقبل، وترجمته حرفيا (فستخلص).

وكذلك يقول النص القبطى ⲟⲩⲟⲥ ⲉⲕⲉⲛⲟⲥ،ⲉⲙⲛⲟⲟⲕ ومعناه (فستخلص) أنت أى أن الخلاص سيتم مستقبلا وليس الآن.

وكذلك الترجمة الإنجليزية تقرأ : And thou shall be saved

و أيضاً الفرنسية : et tu seras sauvé

وحتى التعبير العربى نفسه (تخلص) يفيد أيضاً أن الخلاص سيتم مستقبلا لا حاضراً.

ثم إن الرسولين قالا للسجان (آمن بالرب يسوع المسيح، تخلص أنت وأهل بيتك).

فما قولك فى خلاص أهل بيت ذلك السجان؟ وإذا تمشينا مع زعمك أن السجان قد خُلص بإيمانه بالمسيح (وهو زعم باطل كما أثبتنا) فهل خلص أهل بيت السجّان أيضاً بإيمان السجان، إذا كان الخلاص قد تم فى الماضى حسب قولك (فمتى آمنت.. فقد خلُصت تماماً)؟

أهل يمكن أن نتصور أن أناساً يخلصون بإيمان لم يسمعوا به بعد، ولم يكونوا قد بشروا به بعد؟

ألا يتضح لك أن مفهوم عبارة الرسولين التى اقتبستها أنت تأييداً لرأيك ومساندة لقولك، بعيد كل البعد عما ذهبت إليه؟. إذ أن الرسولين يجيبان بهذه العبارة على سؤال رجل وثنى لا يعرف عن المسيح شيئاً، لا بالنظر ولا بالعمل، يسألهما عن سبيل الخلاص. **فكان من الطبيعى أن يهدياه إلى الخطوة الأولى وهى الإيمان بالمسيح، فإذا خطاها أرشداه إلى الخطوة التالية. وهذا ما حدث فعلاً، لأن الرجل بعد ذلك دعاهما**

إلى بيته فشرحا له ولذويه عقائد الإيمان المسيحى، وبعد ذلك عمداه هو وأهل بيته أجمعين. وبالمعمودية دخل إلى الكنيسة وصار عضوا فيها، يجاهد ويتعب ويسهر من أجل خلاصه النهائى فى يوم الحساب.

وهنا أسأل صاحب تلك النشرة من أين لك هذا الزعم الأثيم (فمتى آمنت أن المسيح حمل كل خطاياك **خلصت منها تماما**)؟

وكيف جاز لك أن تقتبس عبارة الرسولين بولس وسيلا (آمن بالرب يسوع المسيح تخلص أنت وأهل بيتك) وتسرقها لتساند زعما فاسدا وتعليما هرطقيا شريرا هداما، يهدم كل تعاليم المسيح ورسله وقديسيه، ويتلف كل تراث الكنيسة الروحى وثروة أسرارها المقدسة المستودعة لديها لخلاص النفوس؟

الإيمان وحده لا يُخلِّص
إنما (المعمودية) هى التى تخلِّص

اسمعنى وسأريك كيف أن تعليمك ذاك ينقض تعاليم سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح فيما تزعم أنك معلم الخلاص.

إن مخلصنا وهو معلمنا الأعظم الذى منه تعلم الرسل وكل آباء الكنيسة المعتبرون أنهم أعمدة، هو الذى يعلمنا معنى الخلاص وسبيل الخلاص. لقد قال لتلاميذه الأطهار فى وصيته الختامية إليهم قبيل صعوده علنا إلى السماء:

(اذهبوا إلى العالم أجمع، وبشروا بالإنجيل كل الخليقة، فمن آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن أدين) (مرقس ١٦ :١٥- ١٦).

وهنا أسأل كاتب النشرة لماذا لم يقل المسيح وهو معلمنا الأعظم (من آمن خلص)؟ **لماذا أضاف على الإيمان شرطا آخر، وهو المعمودية؟**

إذا كان لكل كلمة قالها مخلصنا معنى يجب ألا نتجاهله وإلا هلكنا، فكيف تتجاهل أنت قول سيدنا وتزعم ضدا لتعليمه أن الإيمان وحده يخلص الإنسان أو كما تقول (فمتى آمنت.. فقد خلصت تماما)؟!

لعلك أيها الكاتب لتلك النشرة متأثر لا بتعليم مخلص العالم بل بتعليم سبرجن C.H SPUR-GEON ١٨٣٤- ١٨٩٢ أحد قادة البروتستانت الذى نسب إليه أنه قال على أحد المنابر فى

إحدى عظاته: (المعمودية كالقش. ولو لم يقل الكتاب المقدس أن المسيح عمد لما مددت يدى وعمدت أحداً) !!

لو كان الإيمان وحده يكفى للخلاص، فلماذا قال المسيح له المجد لنيقوديموس الذى كان يؤمن بالمسيح فعلا وقد جاء إليه بنفسه (وقال له يا معلم نحن نعلم أنك جئت من الله معلما لأنه ما من أحد يقدر أن يصنع هذه الآيات التى أنت تصنع ما لم يكن الله معه) ؟ لماذا قال رب المجد له **(الحق الحق أقول لك إن الإنسان ما لم يولد ثانية من فوق لا يمكنه أن يرى ملكوت الله)** ؟ ولما سأله نيقوديموس عن هذه الولادة الثانية وكيف يمكن أن تحدث لرجل شيخ **(أجاب يسوع وقال له: الحق الحق أقول لك إن الإنسان ما لم يولد من الماء والروح لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله)** (يوحنا ٣ :١- ٥) .

وإذن فمخلصنا هو الذى أضاف إلى شرط الإيمان به شرطا آخر هو المعمودية. ولا يمكن أن تكون المعمودية علامة ظاهرية كما يزعم البروتستانت لأن مخلصنا لا تعنيه العلامات الظاهرية، وإنما يعنيه القلب أولا وما يحدث فى القلب من تغيرات نتيجة لفعاليات الروح القدس، الذى يحل فى مياه المعمودية فيكسبها القدرة الخالقة على أن تلد الإنسان الذى ينزل فيها ميلادا ثانيا من فوق، فيدفن (كولوسى ٢ :٢٢)، (رومية ٦ :٤، ٥) فى مياه المعمودية الإنسان العتيق (رومية ٦ :٦) ، (افسس ٤ :٢٢) ، (كولوسى ٣ :٩) . ويلبس الإنسان الجديد ذاك الذى يتجدد فى المعرفة على صورة خالقه المسيح (كولوسى ٣ :١٠) ، (افسس ٤ :٢٤) ، (غلاطية ٣ :٢٧) .

فإذا سقط الإنسان بعد المعمودية فى خطايا من جديد - وهذا ممكن - وندم على خطاياه وأراد أن يعود إلى حياة القداسة من جديد، فليباشر أعمال التوبة. وحينئذ، إذا كانت توبته صادقة وغير غاشة، فإن الروح القدس الفاعل فى سر التوبة ينقل إليه استحقاقات دم المسيح، فيتطهر من جديد، من خطاياه الفعلية، ويعود إلى حالة البرارة والقداسة التى كان قد حصل عليها فى سر المعمودية.

فالإيمان بالمسيح ليس هو الذى يخلص الإنسان، وإنما الإيمان هو الخطوة الأولى التى لابد منها لكل من يريد أن يخلص.

والخلاص فى المسيحية خلاصان، الخلاص الأول أو الأولى هو من عمل الله والإنسان معا، وهو الخلاص من الخطايا الأصلية والخطايا الفعلية السابقة على المعمودية (إن وجدت) ويتم

بالإيمان (وهذا هو عمل الإنسان) وبالعماد (وهذا هو عمل الله). لأن الروح القدس هو الذى يعمل بفعاليات مستورة وغير منظورة ليخلق الإنسان من جديد.

وعلى ذلك فالإيمان هو إستعداد الإنسان لعمل الله، أما عمل الله فيتم بالمعمودية.

وإذن فليس الإيمان هو الذى يخلص، لكن المعمودية هى التى تخلص لأن فيها يأخذ الإنسان عمل المسيح بفعالية الروح القدس.

ولذلك قال مخلصنا (فمن آمن واعتمد خلص)، ولم يقل من آمن فقط خلص أى أنه اشترط المعمودية للخلاص، ولم يقل إن الإيمان هو الذى يمنح الإنسان الخلاص.

إن الإيمان هو الذى يفتح السبيل للخلاص، ولكنه لايخلص. فإذا لم يتوافر الإيمان كان عدم توافره إغلاقاً من جانب الإنسان لباب الخلاص. ولذلك قال المعلم الأعظم (ومن لم يؤمن أدين). فكما أن الإيمان يفتح أمام الإنسان باب الخلاص، كذلك عدم الإيمان يُغلق أمامه سبيل الخلاص.

ودليلك على أن المعمودية هى التى تُخلِّص، وليس مجرد الإيمان، قول الكتاب المقدس (الفلك، فدجا فيه بالماء عدد قليل، أى ثمانية أشخاص، وكان هذا رمزا للمعمودية التى تخلصكم الآن أنتم أيضاً، لا بإزالة وسخ الجسد، بل بعهد صادق النية مع الله بقيامة يسوع المسيح(١). وقول الوحى الإلهى أيضا على فم القديس بولس الرسول (فلما تجلى لطف الله مخلصنا ومحبته للبشر، خلصنا هو، لا اعتبارا لأعمال برّ عملناها نحن، **بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى لحياة جديدة بالروح القدس**) (تيطس ٣: ٤، ٥) إلى آخرها من النصوص التى تثبت لنا بكل وضوح **أن الإيمان يمهد ويفتح لنا سبيل الخلاص، أو قل يضعنا على الطريق، ويخطو بنا أول خطوة فى الطريق، ولكنه ليس هو الذى يخلص. لكن المعمودية، وفيها ننال عمل المسيح واستحقاقات الفداء بفعالية الروح القدس، هى التى تخلّصنا.**

ويعد المعمودية يلزمنا الثبات والصبر والكفاح والجهاد لنبلغ أخيرا إلى الخلاص الآخر أو هو الخلاص النهائى، وهو الخلاص الذى تكلم عنه

---

(١) (١. بطرس ٣: ٢٠، ٢١) حسب النصوص اليونانية والقبطية.

الوحى بقوله (اعملوا لخلاصكم بخوف ورعدة) والذى تحدث عنه مخلّصنا بقوله (ولكن الذى يصمد إلى النهاية يخلص). (متى ١٠: ٢٢)، (٢٤: ١٣)، (مرقص ١٣: ١٣).

أرأيت إذن أيها الأخ إلى أن تعبيرك (فمتى آمنت... فقد خلصت تماماً) تعبير يتعارض مع تعليم المخلص، وتعليم رسله القديسين، وآباء الكنيسة؟

صدقنى إن البروتستانت أنفسهم لايجرؤون على أن يعبّروا عن الخلاص بهذه الصورة التى تجاوزت كل حدود. ولا أذكر أننى قرأت فى كتاب بروتستانتى ما تكتبه أنت فى نشرة تصدر من كنيسة أرثوذكسية (وتطلب من القمص ..... بطنطا)؟ من يجرؤ فى كل الدنيا على أن يقول (متى آمنت.. خلصت تماماً)؟

إنه يصعب على أن أصدق أن شخصا تربى فى أحضان الكنيسة الأرثوذكسية يقول مثل هذا الكلام.

إنه يستحيل علىّ أن أصدق أن رجلا رضع ألبان الكنيسة الأرثوذكسية واستنشق من أنفاس آبائها وأعلامها، وشرب من روحها وعاش بين طقوسها وأنغامها وألحانها، وعب من رحيقها، وتنسم رائحة بخورها وقرابينها.. يمكنه أن يقول مثل هذا الكلام، أو حتى يستسيغه.

إنى أثق كل الثقة أن إبنا حقيقيا للكنيسة، تتملذ على آبائها وعلمائها الأرثوذكسيين، لايمكن أن يصدر عنه مثل هذا القول المنحرف ولايمكن أن يقبله، ولا يقبل أن يسمعه. ولذلك كان من الطبيعى أن مثل هذه النشرات المسمومة تتأذى لها مسامع الأرثوذكسيين من كهنتنا وشعبنا، فتقيأوها ولفظوها، لأنها كانت بالنسبة لهم غير مقبولة ولا معقولة ولا مهضومة. لقد كانت ولا تزال كجسم غريب دخل رئة إنسان سليم، أو عينه، فلابد للرئة السليمة من السعال لتطرد عنها الجسم الغريب، ولابد للعين السليمة من أن تدمع لتلفظ هذا الغريب.

ياليت لهذا الجسم الغريب أن يحس أنه غريب، غريب، وأنه سيظل غريبا عن جسم الكنيسة وروحها وعقلها وتراثها، وأنه سيذهب كما ذهب غيره من الغرباء (فأبواب الجحيم لن تقوى عليها) (متى ١٦: ١٨).

---

(١) متى ١٦: ١٨.

٧- أكاليل المعمدين(١)

سؤال : من الإبن الإكليريكى الإيبودياكون جورج حبيب بباوى بجامعة كيمبردج - انجلترا.

يقول : إن استعمال الأكاليل فى سر مسحة الميرون أمر غريب جدا، وهو طقس تنفرد به الكنيسة القبطية وحدها.. ويلاحظ أن التيجان أو الأكاليل كانت تستخدم فى عيد المظال عند يهود الشتات، ثم استخدمت عند الغنوسيين مع إضافة الملابس البيضاء.. ترى هل يمكن القول إن استخدام الأكاليل قديم جدا فى الكنيسة، وإنه مستعار من اليهودية، خصوصا وأن المسيحية انتشرت بين يهود الشتات أولا فى الاسكندرية.

وسؤال آخر يتفرع من الأول: ما هو نوع التيجان المستخدمة، هل هى من نبات الغار أو الآس myrtle أم من المعدن أم ماذا؟

وسؤال ثالث: متى أبطلت الكنيسة وضع الأكاليل على رؤوس المعمدين؟ وهل توجد لدينا نصوص أخرى تؤكد استخدام الأكاليل فى سر الميرون؟

الجواب :

إن الأكاليل التى توضع على رؤوس الأطفال المعمدين بعد ارتدائهم ملابسهم البيضاء الجديدة، وشد وسط كل واحد منهم بزنار بمثال الصليب، ليس لها علاقة بالأكاليل أو التيجان التى كان يستخدمها يهود الشتات فى عيد المظال عندهم، أو التى كان يستعملها الغنوسيون. إن تلك الأكاليل التى يلبسها أطفالنا، طقس مسيحى، لحما ودما، يشير إلى الغلبة والنصرة التى نالها المعمد باسم ربنا يسوع المسيح، وإلى الحرية الجديدة، والعتق من عبودية الشيطان، والفكاك من أسر الجحيم وقيوده، وإلى المجد والكرامة التى صارت لمن ولد من الله بالمعمودية المقدسة، وقد أصبح بسر الميرون الذى مسح به عقب خروجه من جرن المعمودية، ملكا ونبياً وكاهناً.

ومن مفاعيل سر الميرون أنه يُصيِّر الذين ينالونه ملوكا، وكهنة (١بطرس ٢ : ٥، ٩)، (سفر الرؤيا ١ : ٦)، (٥: ١٠). قارن (الخروج ١٩ : ٦)، (العدد ١٦ : ٣، ٢٠-٣٥). وأنبياء:

ملوكا على أنفسهم وأجسادهم، فيسيطرون على ميولها وشهواتها...

---

(١) نشر بمجلة (الكرازة) السنة الثالثة، العددين ٣، ٤ - مارس (آذار)، وأبريل (نيسان) لسنة ١٩٦٧م – صفحة ٧٢ – ٧٦.

وكهنة يقدمون أنفسهم وأجسادهم لله ذبيحة مقدسة مرضية عند الله (رومية ١٢ : ١)، (٦ : ١٣، ١٦، ١٩)، (١كورنثوس ٦ : ١٣، ٢٠)، (١بطرس ٢ : ٥). ويقدمون عن أنفسهم صلوات وأصواما وصدقات وذبائح التسبيح. أى ثمار شفاه معترفة باسمه (العبرانيين ١٣ : ١٥). أنظر أيضاً (مزمور ٤٩ : ١٤، ٢٣)، (١٠٦ : ٢٢)، (١١٥ : ١٧)، (هوشع ١٤ : ٢). ثم ذبائح الخير والرحمة والعطاء والتوزيع (العبرانيين ١٣ : ١٦)، (٢كورنثوس ٩ : ١٢، ١٣)، (افسس ٤ : ٢٨)، (رومية ١٢ : ١٣)، (فيلبى ٤ : ١٨)..

ثم **أنبياء** لأن الرُّوح القدس يهبهم روح النبوءة والحكمة والفهم والمشورة والمعرفة. (إشعياء ١١ : ٢).

فإذا كان المعمَّد ينال بسر الميرون امتلاء الروح القدس. (لوقا ٤ : ١)، (أعمال الرسل ٢ : ٤)، (٤ : ٨، ٣١)، (٦ : ٣، ٥)، (٧ : ٥٥)، (٩ : ١٧)، (١١ : ٢٤)، (١٣ : ٩، ٥٢). ويصير ملكا على ذاته، وعلى جسده، بعد أن كان مملوكا للشيطان وأسيرا فى مملكة إبليس، فالإكليل الذى يلبسه، هو علامة ظاهرية للإشارة إلى النعمة الباطنية التى وشحه بها الروح القدس الذى فاض عليه بغزارة فى سر مسحة الميرون.

يقول الكتاب المقدس (لأنه إن كان بخطيئة الواحد قد ملك الموت بالواحد، فبالأولى كثيرا الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون فى الحياة بالواحد، يسوع المسيح.. حتى إنه كما أن الخطيئة ملكت للموت كذلك تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح). (رومية ٥ : ١٧، ٢١). أنظر أيضاً (رومية ٦ : ١٢).

ويقول القديس امبروسيوس AMBROSIUS (٣٣٩ – ٣٧٩م) (إنَّ كلَّ مؤمن يُمسح **كاهنا، وملكا... ملكا روحيا**، وكاهنا روحيا يقرب لله ذبائح وتقدمات الشكر والتسبيح) (١). ويقول القديس يوحنا الذهبى فمه (٣٤٧ – ٤٠٧م) (إن الذين كانوا يُمسحون فى العهد القديم هم: إما كهنة، وإما أنبياء، وإما ملوك. **أما نحن المسيحيين، أصحاب العهد الجديد، فيجب أن نُمسح لكى نصير ملوكا متسلطين على شهواتنا، وكهنة ذابحين أجسادنا ومقدمين إياها ذبيحة حية مقدسة مرضية، عبادتنا العقلية، وأنبياء لاطلاعنا على أسرار عظيمة جدا وهامة للغاية**).

---

(١) فى الكهنوت، جزء ٤.

ومما يدل على أن الأكاليل التى يلبسها المعمدون بعد دهنهم بسر الميرون يشار بها إلى النعمة الباطنية التى ينالونها بهذا السر المقدس، ما يقوله الكاهن فى صلاته على هذه الأكاليل:

(أيها الرب الإله القادر على كل شئ، أبا ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذى كلَّل رسله القديسين الأطهار، وأنبياءه وشهداءه الذين أرضوك، بأكاليل لا تذوى، بارك الآن أيضا هذه الأكاليل التى هيأناها لنضعها على عبيدك الذين اتحدوا بالمعمودية المقدسة، لكى تكون لهم أكاليل مجد وكرامة، آمين، أكاليل فضيلة وبر، آمين، أكاليل حكمة وفهم، آمين، قوهم ليتمموا وصاياك وأوامرك، ويفوزوا بخيرات ملكوت السماوات..)(١).

ويقول الكاهن وهو يضع الإكليل على رأس كل واحد من المعمدين الممسوحين بمسحة الميرون المقدس:

(ضع أيها السيد الرب على عبيدك أكاليل من السماء، آمين؛ أكاليل مجد، آمين، أكاليل إيمان لايغلب ولايقاوم، آمين، أكاليل ثبات، آمين، أكاليل البر... بالمجد والكرامة كلله..) (١).

وبعد الانتهاء من وضع الأكاليل يرتل المرتلون قائلين (أكاليل لاتذوى وضعها الرب على الذين نالوا المعمودية المقدسة التى ليسوع المسيح) (١).

هذا هو معنى الأكاليل التى يضعها الكاهن على رأس كل واحد من المعمدين بعد نيله سرى المعمودية والميرون.

نوع الأكاليل ومادتها

لم يُعين كتاب(١) المعمودية والميرون المستخدم فى كنيستنا المادة التى تصنع منها هذه الأكاليل. ويظهر أن الكنيسة تركت أمرها لظروف الزمان والمكان. فقد تكون من الغار، أو من الآس، أو من المعدن. ويقول بتلر A.J. BUTLER المؤرخ البريطانى فى كتابه الذى وضعه سنة ١٨٨٤م إن هذه الأكاليل صغيرة من الزهور (garlands) (٢). تتوج بها رأس المعمّد.

---

(١) عن كتاب المعمودية المقدسة المستعمل فى كنيستنا الأرثوذكسية، كنيسة الأسكندرية.

(2) (A.J. BUTLER, The Ancient Coptic Churches of Egypt, Oxford, 1884, Vol. 11, P. 271, 273)

هل أبطلت الكنيسة وضع الأكاليل على المعتمدين

إن الكنيسة لم تبطل هذه الأكاليل بدليل أنه مازال منصوصا على وجودها فى كتاب الصلوات الذى بين أيدينا والذى يستخدم اليوم. وقد يكون هناك من أهملها. لكن الإهمال خطأ وتقصير، وليس قاعدة ولا قياسا يقاس به أو عليه.

هل انفردت كنيستنا بهذا الطقس

أقول لا. إن الكنيسة السريانية الأرثوذكسية الشقيقة تشترك معنا فى هذا الطقس، وتنص عليه فى كتبها وتمارسه عمليا.

يقول القديس افرآم السريانى (٣٠٦ – ٣٧٣م) موجها خطابه إلى المعَمدين الممسوحين بالميرون ومشيرا إلى الأكاليل التى وضعت على رؤوسهم:

(ملابسكم تلمع، وإكليلكم يُضئ، وبهاء البكر (أى المسيح له المجد) قد ستركم بواسطة قميصه).

ويقول مارفليكسينوس يوحنا دولبانى مطران ماردين وتوابعها للسريان الأرثوذكس فى كتابه (المختار فى الأسرار): (ووضع الإكليل رمز إلى الحرية التى نالها المسيح، إذ عتقه بالعماد من عبودية الشيطان والخطية. وأضحى باتحاده معه غالبا منصورا. ولذا يعقد على رأسه اكليل الظفر) (١).

من خطاب نيافة مار ساويريوس زكا عيواز
مطران الموصل وتوابعها بالعراق، للسريان الأرثوذكس

كنت قد أرسلت إلى صديقنا الوفى الحبيب صاحب النيافة الحبر جزيل الاحترام مارساويريوس زكا عيواز مطران الموصل وتوابعها بالعراق، للسريان الأرثوذكس (الآن صاحب القداسة البطريرك ماراغناطيوس زكا عيواص بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس) أسأله عن استخدام الأكاليل للمعَمدين بالكنيسة السريانية الأرثوذكسية الشقيقة، فتفضل نيافته فأرسل إلينا نبذة كتبها خصيصا لهذا الغرض، نقتبس منها مايلى:

---

(١) (المختار فى الأسرار) تأليف مارفيلكسينوس يوحنا دولبانى، حلب، ١٩٥٥ – صفحة ١٤ بند ١٩.

(وحال إصعاد المعتمد من جرن المعمودية، يدهن الكاهن جسمه بالميرون المقدس، أى يمنحه سر التثبيت).

(ثم يلبس ثوبا أبيض إشارة إلى خلع الإنسان العتيق ولبس الجديد وصيرورته بواسطة المعمودية نورا فى الرب، كما يشير الثوب الأبيض أيضا إلى حلّة الخلود النيرّة التى سيتوشح بها المعتمد بعد القيامة).

(ثم يصعد المعتمد إلى المذبح، إذا كان ذكرا (وأما الأنثى فتحملها الاشبينة أمام باب الهيكل من الخارج) **ويضفر الكاهن للمعتمد إكليلا (وهو قطعة من القماش الأبيض يشدها الكاهن فى رأس المعتمد أو المعتمدة)**. وأثناء هذا يصلى الكاهن قائلا: **(كلل يارب عبدك هذا (أو أمتك هذه) بالبهاء، والمجد. ووفقه لما يرضيك وتمجيد جلالك، أيها الآب والابن والروح القدس، إلى الأبد)**.

(ثم يرنم الشمامسة بالسريانية الأنشودة التى ترجمتها:

(رتلوا يا إخوتنا مجدا لابن رب الكل، الذى ضفر لكم أكاليل من نهر الأردن.

(لتتلألأ ملابسكم يا إخوتى كالثلج، وليضئ بهاؤكم مثل الملائكة.

(إذ صعدتم اليوم من نهر الأردن بقوة الروح القدس كالملائكة طهرا.

(والثمرة التى لم يذقها آدم فى الفردوس وضعت اليوم بفرح فى أفواهكم).

وعند إنشاد السطر الأخير يناول الكاهن المعتمد القربان المقدس.

(قال مارسويريوس يعقوب البرطلى مطران دير مار متى (١٢٤١ +) فى كتابه (الكنوز) ما ترجمته:

إنّ الإكليل الذى يضفر فى رأس المعتمد يرمز إلى الحرية التى حصل عليها المعتمد من المسيح بواسطة المعمودية، وإلى تحرره من الشيطان.

ودخول المعتمد إلى المذبح يشير إلى التقدم إلى شجرة الحياة التى مُنع آدم من الأكل منها. كما يشير تناول القربان المقدس إلى أنّ المعتمد قد إتحد بكلمة الإله (المتجسد) وأصبح عضوا فيه، وإلى ذبح العجل المسمن له، لأنه كان ميتا فعاش).

وفى ختام خطابه يذكر نيافة مارساويريوس زكا عيواص بعض المصادر السريانية، التى رجع إليها نيافته وهى:

الهدايات ـ لمارغريغوريوس ابن العبرى (١٢٨٦+)

الأشعة ـ لمارغريغوريوس ابن العبرى

الكنوز ـ لمارسويريوس يعقوب البرطلى (١٢٤١+)

طقس العماد ـ طبعة المثلث الرحمة البطريرك افرآم الأول برصوم سنة ١٩٥٠ الصفحة ١٣٥، ١٦٧.

٨ ـ هل المعمودية تعصم الإنسان من الخطيئة ؟(١)

سؤال : من أحد القراء:

إذا كان الإنسان بالمعمودية تنزع منه الخطيئة، فكيف يمكن بعد ذلك أن يخطئ والقديس يوحنا يقول (المولود من الله لايخطئ، والشرير لايمسه) (١ . يوحنا ٥ : ١٨) .

الجواب :

الحقيقة إن هذا السؤال مزدوج. وهو عبارة عن سؤالين معا، لا سؤال واحد:

١ – هل المعمودية تعصم الإنسان من الخطيئة ؟

بالطبع لا، وإلا يكون الله قد أعطانا عطية ليسحب منا عطية أخرى. فعطية الحرية التى أعطيت للإنسان كيف تسحب منه بالمعمودية؟ إن المعمودية لاتغّير من الحرية، بل المعمودية هى التى ترد للإنسان حريته بعد أن كان مستعبدا للخطيئة. إن المعمودية تجعل الإنسان أكثر حرية وأكثر تحررا، بل هى التى تحرره بالفعل من خطاياه.

المعمودية هى تطهير للإنسان، وهى التى ترده إلى الصورة الأولى التى كان الإنسان عليها قبل أن يخطئ. من قال لكم إن الإنسان الأول كان معصوما من الخطأ أو الخطيئة؟

إذن الإنسان يمكن أن يعتمد، وبعد العماد يقع فى الخطأ من جديد. وهذه هى الحكمة من منح سر الميرون فى الكنيسة بعد سر المعمودية مباشرة. لأنه بالمعمودية يُعتق الإنسان من خطيئته الأولى، ولكن لأنه قابل بعد المعمودية لأن يُخطئ بفضل الحرية التى له كإنسان، لذلك رأى الروح القدس فى الكنيسة ـ أن الإنسان فى حاجة إلى قوة جديدة تثبته فى حالة العتق من الخطيئة الأولى، وتحفظ له حالة العتق من العبودية، وهى الحالة التى حصل عليها فى المعمودية.

يحتاج الإنسان إلى فيض جديد من مواهب الروح القدس، لكى يثبت فى حالة عدم العبودية، ويثبت فى حالة القداسة الأولى. وهذا هو سر التثبيت، وهو أيضا سر المسحة المقدسة. هذا هو سر الميرون. وسر الميرون رُتب من قبل الله فى الكنيسة بسبب حرية الإنسان، حتى يكون له عونا يساعده ويحفظه، ومع ذلك فسر الميرون نفسه أيضا لايعصم الإنسان من

---

(١) نشر بمجلة (الكرازة) السنة الثالثة ـ العدد السابع ـ سبتمبر ـ ايلول لسنة ١٩٦٧م ـ صفحات ٣٤ – ٣٧.

الخطيئة، وإن كان يعطيه إمكانيات جديدة ونعمة جديدة تكون تحت طلبه حتى تحفظه فى حالة العتق من الخطيئة.

لنفرض مثلا أن رجلا كان مدينا بمبلغ ١٠٠٠ ألف جنيه، وقُبض عليه وسجن. لكن واحدا ترفق بالرجل وأراد أن يخلصه من دينه، فدفع له المبلغ واعتقه من السجن. لكن هذا الرجل المدين بهذا الدين، ما لم يعط مبلغا آخر إضافيا، فإنه سيضطر إلى الاستدانة من جديد بعد دقيقة واحدة من دفع الدين، لأنه فى حاجة إلى مبلغ جديد ينفق منه على احتياجاته الضرورية. هكذا من الوجهة الروحية إنه يلزمنا، بعد خروجنا مباشرة من جرن المعمودية وتحريرنا من خطايانا الأصلية والفعلية، قوة فيض جديد لنعوض بها عما نفقده فى كل يوم بسبب حربنا مع الجسد، ومع الشيطان، ومع الناس. وسر الميرون هو الذى يعطى هذا التعويض، لأنه فيض جديد من مواهب الروح القدس، به يمتلئ الإنسان، وبه يقدر أن يصمد أمام الأزمات الجديدة، ويستطيع أن يسحب من هذه القوة ليغالب الحروب، ويغالب الاحتراقات، ويعوض عن الخسائر التى تحصل له فى حياته الجديدة.

إذن سر الميرون أيضا فى الكنيسة دليل جديد على أن الإنسان حر، وعلى أن المعمودية لاتعصمنا من الخطأ. وإنما المعمودية تحررنا من أنفسنا، لكنها لاتحرمنا من نعمة الحرية، فيمكن للإنسان أن يخطأ من جديد إذا شاء.

ب ـ الجزء الثانى من السؤال: مامعنى قول الرسول (ابن الله لايقدر أن يخطئ والشرير لايمسه؟)

الجواب: إن المولود من الله لايخطئ فى حالة كونه مولودا من الله، ولو احتفظ بهذه الامتيازات لايقدر أن يخطئ. لماذا؟ لأنه فى حالة الامتلاء من الروح القدس وفى حالة القداسة التى أصبح إليها، تمسى الخطيئة غير مقبولة لديه، وتمسى مكروهة جدا لديه، وتمسى شنيعة فى عينيه، بل تصير عفنة وقذرة لايقدر أن يتطلع إليها بعينيه.

خذ مثلا لذلك قطعة من اللحم المتعفن. فحيثما تكون هذه القطعة من اللحم يتحرك فيها الدود ولها هذه العفونة، هل تقدر أنت أن تُقبل عليها؟ بالطبع لا. لو أن واحدا قربها إلى فمك، لأشحت عنها وجهك وسددت أنفك، لأنك لاتقدر أن تقبلها. وقد تكون جائعا، ومع ذلك لايمكن أن تقبلها ولا تستسيغها ولاتقدر أن تأكلها، فبمثل هذه الشناعة، تمسى الخطيئة شنيعة جدا،

وتمسى الخطيئة مكروهة للإنسان المولود من الله، والذى يحتفظ بحالة الولادة من الله، ويحفظها ويصونها بوسائط الخلاص المعدة له فى الكنيسة.

هذه هى مشاعر القديسين عندما يكونون فى حالة الروحانية العالية، إذ تصبح الخطيئة مكروهة لهم جدا، ولايقدر واحد منهم أن يتطلع إلى الخطيئة، إذ يكون قد وصل إلى مرحلة يعلو فيها على الحرب ويطو فيها على الصراع. ونلاحظ أن الكلام الذى قاله الرسول (الجسد يشتهى ما هو ضد الروح، والروح يشتهى ماهو ضد الجسد (غلاطية ٥: ١٧) يصف فيه مرحلة أولية من حياة التوبة، ويعبر فيها الرسول عن مرحلة التماس بين حالة الخطيئة وحالة التوبة.

هذه المرحلة التى يكون فيها الإنسان قد خرج من حالة الخطيئة ودخل فى حالة النعمة. هنا فى هذه المرحلة يكون الإنسان فى حالة حرب شديدة: قوة تشده من هنا، وأخرى تشده من هناك، إنما هذه الحالة لاتستمر طويلا، هذا النزاع بين الروح والجسد لا يستمر طويلاً، بل شيئا فشيئا يبدأ الإنسان فى حالة النعمة ودخوله فى دائرة الفضيلة يعلو شيئا فشيئا على مرحلة التماس ويعلو على مرحلة الصراع، ولا تكون الخطيئة بعد جذابة ولا يكون لها إغراء. وقد تحاول الخطيئة أن تدخل إلى مجال الإنسان النقى أو القديس لكن عن غير طريق الخطيئة الواضحة، تدخل إليه مستورة متسترة، تدخل إليه لابسة لباسا غير لباسها، لأن يوم أن تدخل الخطيئة بلباسها الحقيقى تكون شنيعة جدا فى نظر القديسين.

وربما يصل الإنسان فى حالة الفضيلة إلى مرحلة معها تسقط عنه الحرب الداخلية، لكن ليس معنى ذلك أن الإنسان يصل إلى مرحلة تسقط عنه كل الحروب. فالروحانيون حربهم فى الغالب أصبحت حربا خارجية، بعد أن يكونوا بالمجاهدات الروحية قد طردوا الشهوات من حياتهم ووصلوا إلى مرحلة الاتحاد بالله، وبعد أن يكونوا قد وصلوا إلى فعل الإماتة، بأن يموت الإنسان عن نفسه ويصل إلى المرحلة التى عبر عنها الرسول (فما أنا أحيا بعد، بل إنما المسيح يحيا فى) (غلاطية ٢: ٢٠) يكون قد مات بمعنى الإماتة الجسمانية، وفعل الإماتة معناه أن يموت الإنسان نهائيا عن رغباته، وتسقط عنه كل شهوة وتصبح إرادة الله هى إرادته ومشيئة الله هى مشيئته، وتصبح شهواته كلها صالحة.

إن كبار الروحانيين يصلون إلى هذه المرحلة، فمعها تسقط الحرب الداخلية، لكن مع هذا تكون هناك حرب من الخارج. والشيطان يحاربهم عن طريق المثيرات الخارجية لكن قد لا

تكون لها أثر عليهم، وأيضاً عن طريق الاضطهادات، أو عن طريق الحروب، أو عن طريق المعاكسات من الناس، أو معاكسات من أى قوة خارجية، أو أنواع من الضيق والشدائد التى يقعون فيها، أو أى نوع من الظلم الذى يصيبهم من الناس. نعم يمكن أن يصل كبار الروحانيين إلى مرحلة معها تسقط عنهم الحروب الداخلية أو على الأقل تقل جداً إلى الدرجة التى تصبح معها تكاد أن تكون معدومة.

فى هذه المرحلة فقط يمكن أن نقول فعلا إن المولود من الله لا يخطأ، والشرير لايمسه. لأنه وصل إلى مرحلة فيها نفسه قد ارتفعت فوق الحرب الداخلية، وأصبح ـ وهو مولود من الله ـ محتفظاً وصائنا لهذه الحالة، وهذه الصورة التى أخذها من الله. وطبعا هذا يحتاج إلى المجاهدات الروحية من صلوات وأصوام وتأملات وسماع سير القديسين، والمراقبة المستمرة للنفس، ومحاسبة الضمير، ومحاسبة النفس محاسبة مستمرة، وعلى رأس وسائط الخلاص سر التناول، وهو سر القربان المقدس، الذى هو سر التقوى.

كل هذا يرينا أنه من الممكن أن يصل الإنسان، وقد وصل فعلا كبار الروحانيين، إلى المرتبة التى فيها يقول الرسول يوحنا (المولود من الله لا يخطئ، والشرير لا يمسه). لكن مرة أخرى لا يفهم من هذا، أن الإنسان يصل إلى حالة العصمة أو يصبح بلا حرية. كلا. ولكنه بحريته أخضع نفسه وحريته لله، ولهذه الحياة الروحانية الكبيرة العالية.

٩- حول عماد الأطفال (١)

سؤال : من أحد القراء :

قال الكتاب المقدس (من آمن واعتمد خلص) (مرقس ١٦ : ١٦) فالطفل كيف يمكن أن يؤمن؟ والآن فقد نقص شرط من شروط المعمودية، وبناء عليه يجب ألا يعمد الطفل حتى يدرك الإيمان.

الجواب :

(من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن أدين) . إن كنا نريد تفسير أى نص فى الكتاب المقدس تفسيراً سليما، يجب أن نضع فى الاعتبار المناسبة والسياق الذى قيل فيه هذا النص، لأن نصوص الكتاب المقدس لا تتعارض مع بعضها بعضا.

فسيدنا ومخلصنا عندما قال: (من آمن واعتمد خلص) كان يتكلم مع الآباء الرسل بخصوص الكرازة. وقال لهم (اذهبوا إلى العالم أجمع، وبشروا بالإنجيل كلّ الخليقة، فمن آمن واعتمد خلص . ومن لم يؤمن أدين) (مرقس ١٦ : ١٥، ١٦) . فهنا يكلّم السيد تلاميذه عن الكرازة بالإنجيل، والكرازة بالإنجيل هى للكبار الناضجين لا للأطفال الصغار، فكان لابد بالنسبة للكبار أن يشترط الإيمان. على أن هذا لا يطعن بتاتا فى عمل المعمودية، لأن يوم أن أراد المسيح أن يتكلم عن فاعلية المعمودية لم يشترط الإيمان، فيوم أن تكلم مع نيقوديموس لم يأت بفكرة الإيمان، إنما قال: (إن الإنسان ما لم يولد ثانية من فوق لايمكنه أن يرى ملكوت الله) (يوحنا ٣ : ٣) لأنه كان فى مجال بيان قيمة المعمودية وأهميتها وأنها الولادة الجديدة وأنها ضرورية للخلاص، ولم يشترط المسيح الإيمان. لأن الإيمان كل قيمته أن يزيح العوائق التى تكون من قبل الإنسان، أما الطفل فلا عائق عنده من عمل الروح القدس. ونحن نعلم أن الأطفال يمكن أن يعمل الروح القدس فيهم. وقصة المعمدان ليست ببعيدة، فالروح القدس حل على يوحنا المعمدان وهو جنين فى بطن أمه (لوقا ١ : ٤١- ٤٤) . إذن عمل الروح القدس فى الطفل لايتوقف أبدا لا على الإيمان ولا على العقل ولا على المستوى الفكرى، وإنما هو عمل الله مباشرة. إن أهمية الإيمان هى فى حالة الإنسان الكبير الذى يضع فى ذهنه عوائق تعوق عمل الروح القدس، لكن العمل هو عمل الروح القدس وليس عمل الإنسان.

---

(١) نشر بمجلة (الكرازة) السنة الثالثة، العدد السابع - سبتمبر - ايلول لسنة ١٩٦٧م - صفحات ٣٨، ٣٩.

الإيمان بالنسبة للإنسان البالغ برهان على أنه أزال العوائق البشرية التى تعوق عمل الروح القدس. هذه هى قيمة الإيمان. لكن الإيمان ليس هو سبب فعالية الروح القدس. معنى الإيمان بالنسبة للكبار أنهم تركوا معطلات عمل الروح القدس. أما فعاليات الروح القدس فلا يشترط فيها الإيمان ولا يشترط فيها العقل ولا مستوى الإدراك، بل إن عمل الروح القدس يعمل فى الطفل بحرية أكثر مما يفعل فى الإنسان البالغ، لأن الإنسان البالغ قد يعيق عمل الروح القدس أو يعطل انطلاق عمل الروح القدس واندلاع والتهاب عمل الروح القدس فى قلب الإنسان، ولذلك يكون الطفل أكثر صلاحية من الإنسان الكبير للمعمودية.

نرجو أن نكون بهذا قد أوضحنا أن دور الإيمان فى المعمودية هو البرهان على أن الإنسان أزال من طريقه العوائق التى تمنع عمل الروح القدس فى حياته، لأن الروح القدس لا يمكن أن يسرى عمله فى الإنسان على الرغم منه. أما الطفل فلا يشترط فيه الإيمان، ثم إن الطفل لديه استعداد للإيمان أكثر من الإنسان البالغ. لهذا السبب ترجئ الكنيسة موضوع الإيمان بالنسبة للطفل، وتعمد الطفل على إيمان والديه. وتكتفى بأن تلزم الوالدين بتربية طفلهما فى الإيمان، وتطلب منهما أن يتعهدا بذلك أمام الكاهن.

سؤال آخر: على أساس عدم أهمية الإيمان للأطفال هل يجوز عماد أطفال غير المؤمنين ؟

الجواب:

عماد الأطفال غير المؤمنين ممكن، لو كان لنا ضمان بأن يكون هؤلاء الأطفال فى رعاية مسيحية. وهنا على الخصوص تبدو أهمية الإشبين الذى يتعهد أمام الكنيسة بتربية الطفل تربية مسيحية. أما من جهة عمل الروح القدس، فالروح القدس يمكن أن يعمل فى الطفل المولود من أبوين غير مسيحيين كما يعمل فى الطفل المولود من أبوين مسيحيين، سواء بسواء.

وهنا لايفوتنى أن أنوه إلى أن بعض الوالدين غير المسيحيين يعمدون أحيانا أطفالهم من أجل أن يعيشوا، فهم لايعمدونهم لكى يعيشوا مسيحيين، إنما يعمدونهم فقط لكى لايموتوا، ولكنهم ينشئونهم تنشئة غير مسيحية. هذا خطأ كبير ويجب منع هذه الظاهرة، لأننا فى هذه الحالة نعطى الأسرار لغير مستحقيها، وهذا خطأ عظيم.

١٠- الانضمام للكنيسة القبطية الأرثوذكسية يقتضى قبول سر المعمودية فيها (١)

الابن المبارك س. ج. ك .

بعد منحكم البركات وصالح الدعوات.

وصلنا خطابكم المؤرخ فى ١٩٦٨/٢/٢٤م ونشكر الله لأنه أرشدكم بروحه القدوس إلى أن الكنيسة الأرثوذكسية هى كنيسة الله الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية.

إن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية هى هى الكنيسة الرسولية الأولى التى احتفظت بالإيمان المستقيم وبالتسليم الرسولى كما هو ، دون تغيير ودون إضافة أو حذف.

ولكى تنضموا إلى هذه الكنيسة المقدسة، ينبغى أن تقبلوا سر المعمودية على يد كاهن قبطى أرثوذكسى فى أى بلدة. لكى تستطيعوا بعد ذلك تناول الأسرار المقدسة وممارسة جميع طقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

والله قادر أن يقود خطواتكم إلى ما فيه خلاص نفسكم، وإلى حياة النمو فى النعمة وفى معرفة ربنا يسوع المسيح.

ونعمة الرب تشملكم،،،،، .

---

(١) الخطاب بتاريخ ٩ من يوليو- تموز لسنة ١٩٦٨م.

١١- لايجوز التقدم إلى الأسرار المقدسة لغير المعمدين فى الكنيسة الأرثوذكسية (١)

الابن المبارك القس ع. د.

ردا على سؤالكم الخاص بأسرة، الأب فيها بروتستانتى والأم أرثوذكسية والأولاد نصفهم معمد أرثوذكسى، والنصف الباقى غير معمد. والنصف غير المعمد سمح له بعض الآباء الكهنة بالتناول من الأسرار، وبلغت أعمارهم سن الجامعة من ١٩ - ٢١ سنة أو أكثر.

نقول. لايجوز تقديم أحد إلى سر التناول ما لم يكن معمدا أولا.

أما تصرف الآباء الكهنة الذين سمحوا لغير المعمدين بالتناول من الأسرار المقدسة فهذا تصرف غير صحيح. وربما يرجع إلى عدم معرفة الكاهن بما إذا كان هؤلاء الأطفال أو الشباب قد تعمدوا أو لم ينالوا العماد بعد.

على كل حال فالواجب أن ينال أولئك الأطفال والشباب سر العماد حتى لو كانوا قد نالوا سر القربان خطأ.

من هذا يتضح:

أولا: إنه يجب دائما عمل توعية مستمرة للآباء والأمهات بتقديم الأطفال إلى سر المعمودية كلما بلغ الولد أربعين يوما والبنت ثمانين يوما ولا يتأخر الوالدان عن ذلك بحجة الانتظار إلى أحد التناصير أو الانتظار ريثما يتم العماد فى كنيسة معينة أو دير من الأديرة.

ويلزم نشر هذه التوعية فى البيوت أى كلما دخل الكاهن بيتا سأل عن كل طفل أو ولد أو بنت إذا كان قد نال العماد أم لا.

ثانياً: يلزم التأكد قبل تقديم الأطفال من سر التناول إذا كانوا قد نالوا سر العماد أولاً.

ثالثاً: يلزم أيضاً أن تكون هناك سجلات فى الكنيسة للعماد، وكل من يعمد يعطى شهادة بعماده، وتحتفظ الكنيسة بصورتين ترسل إحداهما إلى المطرانية.

---

(١) الخطاب بتاريخ ٦ من يوليو - تموز لسنة ١٩٧٠م - ٢٩ من بؤونة لسنة ١٦٨٦ش.

الإجابة على السؤال الثانى:

وردا على سؤالكم الثانى الخاص بأسرة، الزوج فيها أرثوذكسى والزوجة بروتستانتية ولاتزال وكل أهلها بروتستانت وقام أحد الكهنة بعمل إكليل طبقا لطقوس كنيستنا الأرثوذكسية.

والجواب: إن أول المبادئ المسجلة فى كتب الزواج الأرثوذكسى أنه عند الزواج ينبغى التأكد من أن يكون كل من الزوجين أرثوذكسيا، فإذا كان أحدهما غير أرثوذكسى ينبغى أن ينضم إلى الكنيسة الأرثوذكسية وينال سر العماد الأرثوذكسى إذا لم يكن معمدا فى الكنيسة الأرثوذكسية.

وعلى ذلك فبالنسبة للحالة التى تسألون عنها بالذات يلزم مصارحة كل من الزوج والزوجة بذلك، وينبغى تعميد الزوجة إذا لم تكن قد عُمِّدت بعد فى الكنيسة الأرثوذكسية - وعند تعميد الزوجة يستعين الكاهن بإمرأة ناضجة أو بفتاة بالغة حتى (لايتأمل الرجال النساء ولا النساء الرجال) عند خلع الملابس للتعميد. فيصلى الكاهن على الماء فى جرن المعمودية وبعد أن يفرغ من الصلوات إلى نهايتها، ويأتى دور التغطيس، يخرج الكاهن من بيت المعمودية ويترك للمرأة الشماسة أن تتولى مساعدة طالبة العماد فى خلع ملابسها ودخولها إلى جرن المعمودية وجلوسها فيها، وبعد ذلك يأتى الكاهن فيضع يده على رأسها ويكمل الطقس - ثم يخرج خارجا لترتدى المعمدة ملابسها باشراف المرأة الشماسة.

أما المسح بالميرون، ففى حالة المرأة البالغة تأمر الدسقولية (تعاليم الرسل) بأن يقوم الكاهن بدهن المواضع الظاهرة وهى فى الرأس والذراعين والقدمين، وتقوم المرأة الشماسة - بتكليف خاص - بدهن سائر المواضع الأخرى.

١٢ - هل يجوز تعميد طفل غير مسيحى؟ (١)

سؤال : من الأب المحترم القس أثناسيوس بشرى كاهن كنيسة العذراء بالفكرية - أبو قرقاص.

ماذا يفعل الكاهن إذا جاءت إمرأة غير مسيحية وتقول وسط المتّعمدين (نصر لى ده يا أبونا لأن دى عادة فى أولادى كلهم من قبل: ده منذور للعجايبى، وده للشهيد، وده للست العذراء، ماذا يفعل الكاهن وسط الناس؟).

الجواب :

يؤجل الكاهن موضوعها إلى أن يفرغ نهائيا من تعميد الأطفال أبناء المسيحيين. وبعد أن ينصرف هؤلاء جميعا وأمهاتهم وأقرباؤهم يصارح الكاهن المرأة غير المسيحية بأن التنصير معناه تصيير ولدها مسيحيا. فهل تقبل هى كذلك؟ فإذا قبلت عمده بشرط أن يجعل له إشبينا (أو إشبينة مسيحية) ليتعهده بالتربية المسيحية. وغالبا ما ترفض الأم هذا الوضع. فإذا أصرت على التعميد لنيل البركة، وبهدف أن يعيش، وما إلى ذلك، فنحن ننصح بأن يعد الكاهن لمثل هذه الحالة وعاء آخر يغطس فيه الطفل فى ماء عادى مع صلوات إلى الله من قلبه وطلبة أن يهيئ لهذا الطفل الخلاص الأبدى، وأن يبارك حياته لتكون صالحة ومرضية أمام الله. أى أن الكاهن لايعمد الطفل فى هذه الحالة ولايغطسه فى مياه المعمودية بل فى وعاء آخر به ماء عادى غير مصلى عليه صلوات المعمودية. أو يصلى على ماء صلاة بركة ثم يرش به الطفل.. على أنه لايجوز تعميد الطفل غير المسيحى معمودية الطفل المسيحى إذا كانت أمه لاتقبل أن يصير مسيحيا، ولكن لاضير من مباركة الطفل غير المسيحى بماء نصلى عليه صلوات التبريك العادية ثم يرش عليه الماء أو يغطس فيه ويسلم للقديس مارمينا العجائبى أو للست العذراء أو.. فالصلاة على كل حال نافعة وفيها خير وبركة. ومن يدرى ربما تحل عليه بركة خاصة من قبل الروح القدس من قبيل نعمة الروح القدس التى حلت على كورنيليوس قبل أن ينال سر المعمودية.. وقد تنمو فعاليتها فى نفسه فى مستقبل الأيام وقد يتغير ويتحول ويصير مسيحيا ويهتدى إلى المسيح الرب.. من يدرى؟ لانعلم.

---

(١) الخطاب بتاريخ ٢٦ من ديسمبر - كانون أول لسنة ١٩٧١م - ١٦ من كيهك لسنة ١٦٨٨ش.

١٣ ـ معمودية هذه السيدة صحيحة (١)

سؤال : من الابن مراد أنيس رزق ـ جزيرة بدران.

إجابة على استفساركم الخاص بالسيدة الوالدة وهى فى سن السبعين من عمرها، وقد تعمدت وهى فى خطر الموت بمعمودية الكنيسة الأمريكانية حسب تعبيركم، على أن خالها القمص بكنيسة الأقباط الأرثوذكس بكنيسة مسجد وصيف أخذها ليكمل لها ما يجب بالناموس والشريعة والطقس، امتنع عن عمادها لكنه أجرى لها سر الميرون المقدس وناولها من الأسرار المقدسة وعاشت حياتها فى أحضان الكنيسة الأرثوذكسية، وتزوجت بإكليل أرثوذكسى، غير أنها وهى الآن فى السبعين من عمرها وقد مرضت وطلبت التناول، امتنع أحد الكهنة عن مناولتها من الأسرار المقدسة إلا إذا أعادت المعمودية حسب الطقس الأرثوذكسى، وتطلبون رأى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية فى الموضوع، وتصريحا للكاهن بأن يناولها من الأسرار المقدسة.

الجواب :

إننا نعتبر معمودية هذه السيدة وهى طفلة تحت خطر الموت معمودية صحيحة لأنه عند خطر الموت يجوز للشماس وللمسيحى المؤمن أن يعمد. وفى تاريخ الكنيسة قصة المرأة القادمة من انطاكية إلى الأسكندرية لتعمد ولديها، فثارت فى أثناء سفرها بالبحر عاصفة قوية، فأيقنت المرأة أنها ستغرق، فجرحت ثديها الأيمن، ورسمت بعلامة الصليب على كل منهما وقالت له: (أعمدك باسم الآب والابن والروح القدس) ولكن العاصفة هدأت، ونجت السفينة فذهبت المرأة إلى البابا بطرس خاتم الشهداء، البابا الـ ١٧ وطلبت منه عماد ولديها ولم تخبره بما حدث، فلما أنزل كلاً من ولديها فى جرن المعمودية، جمد الماء، فتركهما وعمد غيرهما ثم عاد وأخذ الولدين ليعمدهما فجمد الماء، وجرى هذا الأمر على ثلاث مرات. فانذهل البابا وسأل المرأة فأخبرته بما حدث منها. فحكم أن معموديتها لولديها صحيحة، لأنها مسيحية.

لكن السيدة الوالدة أخذها خالها القمص إلى الكنيسة وأتم لها مايجب فى الشريعة والناموس، ثم مسحها بالميرون المقدس، وناولها من الأسرار المقدسة.. وهذا الإجراء من الكاهن الأرثوذكسى الذى حملها على يديه، وبالنية الأرثوذكسية، والاعتراف الأرثوذكسى، ثم مسحه لها بالميرون المقدس طبقا للطقس الأرثوذكسى ومناولتها من الأسرار المقدسة مرات كثيرة. كل

---

(١) الرد بتاريخ ٢٣ من أغسطس ـ آب لسنة ١٩٧٤م ـ ١٧ من مسرى لسنة ١٦٩٠ش.

هذا جعل معموديتها كاملة، وفى غير حاجة إلى تعميدها من جديد. هذا وإن الصلوات المتكررة على رأسها طوال حياتها وتلاوة التحليل عند مباشرة سر التوبة ـ والتوبة فى الكنيسة الأرثوذكسية تسمى معمودية ثانية ـ فضلا عن صلوات الإكليل وصلوات القنديل (مسحة المرضى) كل هذا معا قد أكمل لها كل شئ، ولم تعد فى حاجة إلى عماد آخر.

١٤ ـ هل يجوز تعميد طفل
هو ثمرة علاقة محرمة بين رجل وإمرأة؟ (١)

سؤال : من الأب الموقر القمص فيكتور اخنوخ ـ ملبورن ـ استراليا.

عن طفل ثمرة علاقة محرمة بين رجل وإمرأة، هل يجوز عماده أم ينتظر لحين إتمام زواج أبويه شرعيا؟

الجواب :

الطفل لاذنب له فى جريمة والديه. لذلك يمكن تعميده وبدون تأخير. على أن لايجيب عن الطفل أحد أبويه وقت العماد، وإنما يتولى الكاهن تعيين اشبين للطفل، ويكون الكاهن والاشبين مسئولين عن الطفل.

ويجيب الإشبين عنه وقت العماد، ويظل أبا روحيا له إلى سن ١٢ سنة حين يسلمه إلى الكنيسة، ويعرفه أنه صار مسئولا عن نفسه. وقد رتبت الكنيسة طقسا خاصا بذلك، عند بلوغ الطفل الثانية عشرة من عمره إذ يقف الإشبين أمام الهيكل، ويوجه إلى الصبى عبارات يشعره فيها ببلوغه السن التى ينبغى فيها أن يطيع الوصايا الإلهية ويواظب على حضور الكنيسة، والتأدب بآدابها، والقيام بواجباته الروحية كعضو فيها.

---

(١) نشر بمجلة (مدارس الأحد) السنة ٢٨ ـ عدد ٢٩ ـ نوفمبر ـ وديسمبر لسنة ١٩٧٤م ـ صفحة ٥٠.
وبمجلة (مارمرقس) التى تصدر فى ملبورن ـ استراليا ـ العدد ٧٢ ـ اكتوبر ـ تشرين أول لسنة ١٩٨٣م.

١٥ ـ هل تعاد له المعمودية؟ (١)

سؤال : من السيد/ هنرى يوحنا ـ زفتى غربية.

عن رجل متزوج ترك دينه المسيحى واعتنق دينا آخر ثم ندم على تصرفه، ورغب فى العودة إلى دينه المسيحى وهو متزوج من مسيحية، أفهل تعاد معموديته من جديد عند عودته؟ وما هو موقف الزوجة فى الحالتين؟

الجواب :

إذا كان الرجل قد نال العماد من قبل، فلا تعاد معموديته عند توبته ورجوعه إلى المسيحية. فالمعمودية تطبع سمة فى النفس لاتمحى، ولذلك لايجوز إعادتها، ونحن نقول فى قانون الإيمان: (ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا).

أما الزوجة فهى زوجته. كانت ومازالت زوجته ولايحتاج إلى أن يعقد عليها من جديد، بعد عودته إلى المسيحية.

كنسيا وروحيا يجب أن يمارس الرجل فعل الندامة والتوبة عن خطيئته بخيانته للمسيح. ويقبل تأديبا كنسيا من الكاهن. فإذا كانت توبته صادقة يمنحه الكاهن الحل ثم يناوله من الأسرار المقدسة ليباشر حياته المسيحية كمؤمن سائر فى طريق السماء.

أما الزوجة فإذا خرج زوجها عن دينه المسيحى، فلا تُسرع بالزواج من غيره، وإنما تنتظر عودته، محاولة من جانبها أن تزيل أسباب الجفوة التى أدت به إلى ترك دينه والتى ربما يكون لها دور فيها، وتصلى من أجله وتطلب الرحمة له ولنفسها.

فإذا تبينت بعد مرور فترة كافية تقررها الكنيسة أنه لا أمل فى عودته، فيمكنها أن تطلب من الكنيسة التصريح لها بالزواج، إذا شاءت.

---

(١) نشرفى جريدة (وطنى) صباح الأحد ٦ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٧٥ ـ ٢٩ من بؤونة لسنة ١٦٩١. ١٠ من مايو ـ آيار لسنة ١٩٨١ ـ ٢ من بشنس لسنة ١٦٩٧.

١٦- عماد الكبار(١)

سؤال : من السيد/ لويز اسكندر وهبة - ملبورن - استراليا.

رجل اعتنق المسيحية. كيف يتم عماده وهو بالغ وكبير السن والحجم، علما بأن جرن المعمودية لا يسعه؟

الجواب :

إذا كان الرجل قد اعتنق المسيحية عن اقتناع كامل، ومر بفترة الاختبار الضرورية تحت إشراف خبير روحى، ووجد مستحقاً للمعمودية، فإن لم يوجد جرن للمعمودية يكفى لتغطيسه فيه حتى يغمره الماء من كل ناحية كما يقضى بذلك طقس التعميد، فليعد له جرن خاص من البلاستيك أو من الفخار على أن يكون جديدا، وبعد التعميد يكسر الإناء أو يوقف على هذا الغرض، فلا يجوز استخدامه بعد ذلك لغرض آخر مادى، لأنه أصبح مقدسا ومدشنا بالصلوات وسكب الميرون فيه.

ويمكن أيضا أن يجرى تعميد الكبار فى نهر أو فى بحر، أو فى نبع ماء جارى، على أن تتلى على الماء كل الصلوات الخاصة بالتعميد.. ويحسن أن يجرى ذلك فى مكان منزو بعيد عن عيون الناس.. وهو الأسلوب الذى كانت تجرى به معمودية الكبار فى العصر الرسولى الأول، فالذين تعمدوا فى يوم الخمسين وكانوا نحو ثلاث آلاف رجل (أعمال الرسل ٢ : ٤١) لم يتعمدوا فى جرن للمعمودية صغير، وإنما تعمدوا غالبا فى نهر الأردن حيث كان يوحنا المعمدان يعمد (متى ٣ : ٦) (مرقس ١ : ٥)، (لوقا ٣ : ٣) وحيث اعتمد الرب يسوع أيضا (متى ٣ : ١٣)، (مرقس ١ : ٩) (لوقا ٣ : ٢١)، (٤ : ١). وكذلك تعمد الخصى الحبشى وزير كنداكه ملكة الحبشة من يد فيلبس فى مجرى ماء وليس فى جرن صغير (أعمال الرسل ٨: ٣٦ - ٣٩).

على أنه يجب أن يراعى دائما أن يكون جرن المعمودية بكل كنيسة كبيرا يكفى للكبار والصغار، أو يكون بالكنيسة جرنان : أحدهما للكبار والثانى للصغار. ولا نفترض أن جميع المعمدين أطفال فهناك كبار لم يتعمدوا لوجودهم فى أماكن نائية، أو تأخروا عن العماد بحجة نذر خاطئ أو لأسباب أخرى..

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٩ من نوفمبر - تشرين ثان لسنة ١٩٧٥م - ٢٩ من بابه لسنة ١٦٩٢ش. ونشر أيضا بمجلة (مارمرقس) التى تصدر بمدينة ملبورن باستراليا - العدد ٧٣ - نوفمبر - تشرين ثان لسنة ١٩٨٣م صفحة ٢٠، ٢١.

١٧- العماد الشرعى وهل يمكن العماد ثانية فى حالة الشك؟ (١)

سؤال : من الأستاذ نظيم شنوده المحامى بسوهاج.

ردا على استفساركم بتاريخ ١٩٧٣/١١/٢٩ الخاص بصديقكم الموجه بوزارة التربية والتعليم الذى ولد من أبوين ينتميان إلى مذهب الإخوة البليموث، ثم فى سن الرجولة انتمى للكنيسة الأرثوذكسية، وتزوج بها وتناول من الأسرار المقدسة، غير أنه يشك الآن فى أن يكون أبواه قد عمداه عمادا شرعيا، وبناء عليه تقدم إلى كاهن كنيسة مارجرجس بسوهاج طالباً العماد فامتنع الكاهن حتى يعرض الأمر علينا.

يسرنى أن أفيد بأن **تعميد من لم يكن واثقاً من عماده وهو صغير، لايتعارض مع إيماننا فى (معمودية واحدة)** . الخطأ هو أن تعاد معمودية من سبقت معموديته يقيناً. **أما فى حالة الشك فلا جناح ولا إثم إذا تعمد الإنسان من جديد**، بل نحن نرى كمن رحمه الرب أن يكون أمينا : **أن المعمودية فى حالة الشك واجبة، وليست جائزة فقط.**

ثم إن لزوم المعمودية فى حالة صديقكم أكثر ضرورة، ذلك لأنه، على قولكم، قد ولد من أبوين ينتميان إلى مذهب الإخوة البليموث. فالغالب أنه لم ينل العماد، وحتى لو كان قد صار تعميده عند الإخوة البليموث، فكنيستنا لاتعترف بهذه المعمودية أصلاً، لا شكلا ولا موضوعاً. **فتعميد هذا الأخ واجب وضرورى.**

ولايحل سر الزواج، أو التناول من الأسرار المقدسة محل المعمودية إذا لم تكن المعمودية قد تمت طبقا للإيمان الأرثوذكسى ووفقاً للطقس الأرثوذكسى.

إن المعمودية هى السر الأول من أسرار العهد الجديد وهى (الحلة الأولى) التى يلبسها الابن العائد إلى أبيه السماوى، ومن دونها لايقدر أن يدخل أحد إلى ملكوت الله، وبالتالى إلى الكنيسة التى هى مملكة المسيح على الأرض... وعلى ذلك فكل سر آخر يناله إنسان قبل المعمودية لاتكون له فعالياته فى المعمدين. وإلا فهل نجيز لغير مسيحى أن يتناول من الأسرار المقدسة، ولن نعقد له عقد الزواج المقدس، حتى لو كان مؤمنا بحقائق الدين المسيحى؟

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٢٨ من ديسمبر- كانون أول لسنة ١٩٧٥م- ١٨ من كيهك لسنة ١٦٩٢ش.

الخلاصة إن هذا الأخ الأرثوذكسى يجب أن ينال أولا سر المعمودية كاملاً، ثم سر الميرون بعد ذلك بجميع رشومه وختومه الستة والثلاثين ثم سر التناول ثالثاً - وأن يجرى له أيضا سر الزواج أخيراً. ويمكن أن يتم عقد الزواج الكنسى فى المنزل - للضرورة - من غير إجراءات التوثيق..

هذا هو الوضع الصحيح الذى يجب أن تسير فيه الخطوات متدرجة الواحدة بعد الأخرى، إبتداء من سر المعمودية، وهو مفتاح الحياة المسيحية الكاملة والمدخل إلى ملكوت المسيح.

١٨ ـ التعميد بالتغطيس (١)

سؤال : من السيد/ سعدى هلال سعيد ـ الأقصر.

هل يوجد إثبات من الكتاب المقدس على أن التعميد يجب أن يكون بالتغطيس؟

الجواب :

الأصل فى التعميد أن يكون بالتغطيس، لأن كلمة العماد نفسها لفظة سريانية الأصل أو مولّدة مأخوذة من (العمد) أى (البلل) وهو الغسل بالماء (قاموس المنجد فى اللغة والإعلام) وفى لغات الكتاب المقدس القديمة معناها الدفن، والتغطيس، والصبغ. فالكلمة اليونانية الواردة بالإنجيل βάπτισμα (BAPTISMA) تعنى (الصبغة) و(الغمر) وكذلك الكلمة القبطية ⲧⲱⲙⲥ (DWMC) تعنى غطس، أو غرق، أو دفن. ثم إن مخلصنا تعمد بالتغطيس (وعلى الفور فيما كان صاعدا من الماء (مرقس ١ : ١٠) (حتى إذا اعتمد يسوع صعد توا من الماء) (متى ٣: ١٦).

وكذلك تعمد الخصى وزير ملكة الحبشة بالتغطيس كما يتضح من أعمال الرسل (٨: ٣٦). ولو كان العماد بالرش لكان يمكن لفيلبس أن يعمد الخصى بكوب ماء مما معه فى المركبة، لكنه نزله على المياه الكثيرة (ولما صعدا من الماء خطف روح الرب فيلبس..) (أعمال ٨: ٣٩).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٤ من أبريل ـ نيسان لسنة ١٩٧٦م ـ ٢٦ من برمهات لسنة ١٦٩٢ش.

١٩ ـ طفل مات بغير عماد (١)

سؤال : من سيدة.

طفلى مات عقب ولادته. وبذلك لم نتمكن من عماده، هل هناك مسئولية علينا؟ وما مصير هذه الروح؟

الجواب :

إذا نزل الجنين ميتا، أو إذا مات عقب ولادته مباشرة بحيث لم يكن من المتيسر عماده، فلا مسئولية على الوالدين إذا مات بغير عماد.

فإذا تنبه أحد إلى أن الطفل بعد ولادته فى خطر الموت، وأمكن استدعاء الكاهن لتعميده كان ذلك خيرا. فإذا لم يكن استدعاء الكاهن ميسورا، أو كان الطفل فى خطر الموت قبل وصول الكاهن، يمكن لشماس، أو لمؤمن مسيحى مُعَمَّد وممسوح بالميرون المقدس، أن يقوم بتعميد الطفل وذلك برشه بالماء ثلاث مرات على اسم الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس، كإجراء سريع اقتضته الضرورة، ضرورة إشراف الطفل على الموت ـ فإذا لم يتيسر ذلك ومات الطفل فلا مسئولية أيضا على الوالدين، فى مثل هذه الحالة.

أما مصير الطفل إذا مات بغير عماد، فتعليمنا الأرثوذكسى (أن الأطفال غير المعَمَّدين إذا ماتوا بغير عماد لايُمَجَّدون ولايُعَذَّبون). إنما سيكونون فى حالة متوسطة. نقول فى حالة متوسطة، لا فى مكان متوسط، فليس فى المصير بعد الموت إلا مقر للأرواح السعيدة، ومقر آخر للأرواح غير السعيدة.

فمقر الأطفال غير المعَمَّدين لعله المقر الذى ذهبت إليه أرواح القديسين قبل مجئ المسيح، من أمثال إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وصموئيل وداود وغيرهم. لكنهم لايُعَذَّبون فيه لأنهم لم يرتكبوا خطايا فعلية، أى أنهم لايعاينون الفردوس أو الملكوت، ولاينالون مجد المعمَّدين. فقد قال المسيح له المجد (الحق الحق أقول لك: إنّ الإنسان ما لم يولد ثانية من فوق، لايمكنه أن يرى ملكوت الله... الحقّ الحقّ أقول لك: (إن الإنسان ما لم يولد من الماء والروح، لايمكنه أن يدخل ملكوت الله) (يوحنا ٣: ٣، ٥).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٧ من نوفمبر ـ تشرين ثان لسنة ١٩٧٦م ـ ٢٨ من بابه لسنة ١٦٩٣ش.

٢٠ ـ هل يعمد الطفل بعد موته؟ (١)

سؤال : من إحدى السيدات:

هل يجوز أن يعمد طفل، توفى بعد ميلاده بلحظات؟

الجواب :

يجوز أن يعمد الطفل الحى بعد ميلاده مباشرة. أما إذا مات، فلا معمودية.

إن المعمودية هى الميلاد الثانى للإنسان كلّه، روحا وجسدا. أما إذا خرجت الروح، فلا معمودية للجسد الميت بعد أن تفارقه الروح.

والكنيسة الأرثوذكسية تفرض على الأم والأب قانون توبة، إذا أهملا تعميد طفلهما فمات بغير عماد. أما إذا مات بعد ميلاده بلحظات كما تقول السائلة، ولم يكن هناك سبيل لتعميده قبل موته المفاجئ، فلا إثم على الوالدين فى ذلك.

عندما أمر الله بالختان فى العهد القديم حدد أن يتم الختان فى اليوم الثامن لمولد الطفل.

«ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر فى أجيالكم... وأمّا الذكر الأغلف الذى لايُختن فى لحم غرلته، فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدى» (التكوين ١٧: ١٢-١٤). فإذا مات الطفل قبل اليوم الثامن فلا إثم، وبالتالى فلا عقوبة.

كذلك فى المعمودية. لقد أمرت الكنيسة أن يُعَمَّد الطفل ـ فى الأحوال العادية ـ بعد أربعين يوما من مولده إذا كان ذكرا، وبعد ثمانين يوما إذا كان أنثى. أما فى حالة المرض، أو خطر الموت فيمكن أن يعمد الطفل ولو كان ابن يوم واحد. وفى هذه الحالة يدخل الطفل الكنيسة مع غير أمه، لأن الأم النفساء لاتدخل الكنيسة قبل أربعين يوما إن كان مولودها ذكرا، وقبل ثمانين يوما إن كان مولودها أنثى.

فإذا مات الطفل فى أيام نفاس أمه، بغير عماد، فجأة وبغير إنذار، لايلحق بوالديه إثم. أما إذا مات بعد فترة النفاس، بغير عماد، لحق والديه إثم، ولو جاء موته فجأة وبغير إنذار. وقد فرضت الكنيسة على الوالدين فى هذه الحالة صوما لمدة سنة مع الحرمان من التقدم إلى سر القربان

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٧من نوفمبر ـ تشرين ثان لسنة ١٩٧٦م ـ ٢٨ من بابه لسنة ١٦٩٣ش.

المقدس، تأديبا لهما، لأنهما أهملا فى تعميد طفلهما، فمات بغير عماد. وقد قال المسيح له المجد «الحقَّ الحقَّ أقول لك إن الإنسان ما لم يولد ثانية من فوق لايمكنه أن يرى ملكوت الله... الحقَّ الحقَّ أقول لك: إنّ الإنسان ما لم يولد من الماء والروح لايمكنه أن يدخل ملكوت الله» (يوحنا ٣: ٣، ٥).

٢١ ـ لابد من العماد ضماناً لصحة الانضمام (١)

سؤال : من د. ن. ف. ى.

ردا على استفساركم بخطابكم بتاريخ ١٢ نوفمبر ١٩٧٦ بخصوص إمكانية زواجكم من فتاة ارتضى كل منكما أن يتخذ الآخر قريناً له، وقد وافق أهل الفتاة على زواجها منكم، موافقة مبدئية، ثم عادوا إلى الاعتراض بأن والديك يتبعان المذهب الإنجيلى.

وحيث أنك تقول فى خطابك إنك تربيت فى مدارس الأحد الأرثوذكسية وفى اجتماعات الشباب القبطية.

وحيث أنك تقول أيضا إنك على استعداد لأن تعيش فى أحضان الكنيسة الأرثوذكسية وأن تنال نعمة المعمودية فى الكنيسة الأرثوذكسية، وأن تمارس كل الأمور التى يمارسها ابن بار بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

فنحن لا نرى مانعا من جهة المبدأ من إتمام الزواج، وبرضى والدى الفتاة، بالشروط الآتية:

أولاً: أن تنضم أنت انضماما رسميا كاملا للكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وأن يكون هذا الانضمام بخطاب رسمى يقدم لنيافة مطران الإيبارشية.

ثانياً: أن يكون هذا الانضمام عن اعتقاد بالإيمان الأرثوذكسى.

ثالثاً: أن تقبل سر العماد المقدس فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وتحمل شهادة بذلك.

رابعا: أن ترتبط بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية ارتباطا كاملا، وتتبع نظامها فى حضور القداسات بانتظام، والتناول فيها من الأسرار المقدسة، وتمارس كل وسائط الخلاص الأخرى من توبة وإعتراف وصلوات وأصوام، وتتخذ لك كاهنا مرشدا وأبا لذمتك.

فإذا راعيتم كل ذلك، وانضممتم رسميا للكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وقبلتم سر العماد فيها حسب المعتقد الأرثوذكسى والطقس الأرثوذكسى، ومارستم روحيا وقلبيا حياتكم الدينية فى الكنيسة الأرثوذكسية وفقا للإيمان الأرثوذكسى، فلا مانع من جهة المبدأ من زواجكم بالفتاة التى ارتضيتم بها وارتضت بكم، على أنه ينبغى أن يكون ذلك برضى والدى الفتاة.

---

(١) الرد بتاريخ ٢٧ من ديسمبر ـ كانون أول ـ لسنة ١٩٧٦م ـ ١٨من كيهك لسنة ١٦٩٣ش.

٢٢ ـ هل يلحقهما إثم؟ (١)

سؤال : من السيد/ بطرس عبد السيد فرج ـ كفر الدوار.

اعتزم الوالدان عماد طفلهما فى الغد وكان الطفل بصحة جيدة، غير أنهما وجداه فى اليوم التالى قد فارق الحياة فلم يعمداه، فهل يلحق بالوالدين إثم فى ذلك؟

الجواب :

إذا كان الطفل ذكرا، ولم يكن قد بلغ أربعين يوما، ومات فجأة وبدون إنذار بمرض، فلا إثم على والديه فى ذلك، وكذلك إذا كان أنثى ولم تبلغ بعد الثمانين يوما من عمرها. فإن القانون الكنسى يمنع المرأة النفساء من دخول الكنيسة قبل أربعين يوما من ميلاد طفلها إذا كان ذكرا، وثمانين يوما إن كان أنثى. فإذا مرض الطفل قبل كمال أيام نفاس أمه، يمكن أن تحمله إلى الكنيسة غير أمه، ويعمد ولو كان ابن يوم واحد. أما إذا مات فى هذه الفترة بدون سابق إنذار، أى فجأة وبدون مرض ينذر بموته. فلا إثم يلحق بوالديه، ولا مسؤولية. لكن إذا مات بعد كمال أيام نفاس أمه فيلحق بوالديه ذنبه، ولو كان موته فجأة وبدون مرض.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٦ من مارس ـ آذار لسنة ١٩٧٧م ـ ٢٧ من أمشير لسنة ١٦٩٣ش.

٢٣ ـ عندما يكون هناك شك
فـى حـقيقـة العمـــاد (١)

سؤال : من السيد/ م. ع. ج ـ المنيا.

إذا كبر الإنسان، وكان هناك شك فيما إذا كان قد نال العماد، فما هو الحل، علما بأنه ليس له من الأقارب من يدله على أنه قد نال المعمودية أم لا؟

الجواب :

إذا كان الشخص على غير يقين من أنه نال العماد، فيجب فى هذه الحالة أن يطلب من الكنيسة عماده. فالمعمودية ضرورية للخلاص وقد قال المسيح له المجد «الحق الحق أقول لك: إن الإنسان ما لم يولد من الماء والروح لايمكنه أن يدخل ملكوت الله» (يوحنا ٣: ٥). ولاتعتبر هذه المعمودية، معمودية ثانية، لأنه ليس هناك يقين فى أن هناك معمودية أصلا. «نحن نؤمن بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا» كما نقول فى قانون الإيمان. لكن حيثما يكون شك، فلا يتعارض مع قانون الإيمان، طلب العماد من جديد.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٢ من أكتوبر ـ تشرين أول لسنة ١٩٧٧م ـ ٢٢ من توت لسنة ١٦٩٤ش.

٢٤ ـ يشكو موت الأطفال (١)

سؤال : من السيد ى. زكى. ى.

رزقت بطفلة توفيت فى سن ثمانية شهور، ثم رزقت بطفلة أخرى عاشت ثمانية شهور ثم ماتت هى الأخرى، ورزقت طفلة ثالثة لا تزال حية لكنها لم تبلغ بعد ثمانية شهور، وينتابنى وزوجتى خوف شديد أن يحدث لها ما حدث للطفلتين السابقتين. وزوجتى على الخصوص ينتابها فزع شديد كلما كانت فى البيت وحيدة، لأنها ترى خيالات وصورا تحاورها فى كل مكان فى البيت، ولذلك تصرخ خائفة إذا ظلت فى البيت بمفردها، علما أن عملى يقتضينى أن أبيت أحيانا خارج البيت. وترى زوجتى أنها ترى أحلاما مفزعة. وفى كل مرة تموت فيها طفلتها كانت زوجتى ترى إمرأة تأتى وتضرب الطفلة على ظهرها. وفعلا كنا نرى عند تغسيل الطفلة بعد موتها أصابع اليد ظاهرة على ظهر جثة الطفلة، إنى أضع هذه المشكلة أمام قداستكم، راجيا أن أجد حلا لمشكلتنا.

الجواب :

إننا ننصح لكم بالآتى:

أولاً: ينبغى تعميد الطفل بعد أربعين يوما من ميلاده إذا كان ذكرا، وبعد ثمانين يوما من ميلاده إذا كان أنثى. وإذا مرض الطفل مرضا مفاجئا يمكن تعميده ولو كان ابن يوم واحد، لكنه لايدخل مع أمه إلى الكنيسة قبل أيام طهرها، بل تحمله إمرأة أخرى. إن الروح القدس يسحق الشيطان عن الطفل فى جرن المعمودية. ثم إن الكاهن يمسح الطفل بعد عماده بالميرون المقدس فى ٣٦ موضعا من جسم الطفل، وهى منافذ الشيطان إلى جسم الطفل. والميرون هو مسحة الروح القدس التى تدشن أعضاء الطفل وتقدسها فلا يستطيع الشيطان أو الروح الشرير أن يقترب إليه لأن أعضاءه ومفاصله تكون قد تحصنت بحصانة إلهية روحانية، وبعد ذلك يتناول من الأسرار المقدسة.

ثانياً: مع ما قلناه سابقا يلزم استدعاء الكاهن إلى البيت ليصلى صلوات تبريك البيوت، ويرش أنحاء البيت بالماء المصلى عليه. وقد يلزم استدعاء الكاهن أكثر من مرة لنفس الغرض، فإن صلوات تبريك البيوت هى صلوات طاردة للأرواح الشريرة المعاكسة والتى قد تكون ساكنة

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ١٢ من يونيه ـ حزيران لسنة ١٩٧٧م ـ ٥ من بؤونة لسنة ١٦٩٣ش.

بالبيت. وقد كان عادة الأقباط منذ القديم كلما سكنوا بيتا جديدا، أن يستدعوا الكهنة لتبريك البيت بالصلاة. وفى أيام خميس العهد، وعيد الغطاس، وعيد الرسل، يحملون زجاجات ماء إلى الكنيسة لتتبارك بصلوات اللقان فى تلك الأيام المقدسة، ويعودون إلى بيوتهم يرشون أركانها بالماء المصلى عليه، حتى يتبارك البيت بالماء المقدس، فتهرب من البيت الأرواح الشريرة والنجسة.

ثالثاً: مع النصيحتين السابقتين نضيف أهمية تلاوة المزامير فى صلواتكم الخاصة بالبيت. فصلوات المزامير لها فعاليات جبارة فى طرد الأرواح الشريرة والمعاكسة والضارة. كذلك يلزمكم التقدم إلى الأسرار المقدسة باستحقاق، بتواتر بحيث لايزيد إنقطاعكم عنها عن أربعين يوما على الأكثر.

٢٥ - الاسم (يوحنا) ومعناه (١)

سؤال : من السيد /منير سعد ميخائيل - مركز طامية - محافظة الفيوم.

ما معنى كلمة (يوحنا)، وما هو الأصل الذى كتبت به؟ وهل حدث بها تحريف؟ وهل حقا أن أصلها (يحيى) كما يقول بعضهم؟ ولماذا سمى (المعمدان)، ولم يُسم (المعمِّد)؟

الجواب :

يوحنا - هو الاسم الموجز للاسم العبرانى الكامل (يهوحانان) أو (يهوحنان)، وتفسيره (يهوه حنون) أى (الرب حنون) أو (يهوه حنان) أى (الرب حنان).

وقد ورد الاسم كاملا فى الكتاب المقدس بالعبرانية فى الصور الآتية:

يهوحانان - فى أسفار (أخبار الأيام الأول ٢٦: ٣)، (أخبار الأيام الثانى ٢٣: ١)، (٢٨: ١٢)، (عزرا ١٠: ٦، ٢٨)، (نحميا ٦: ١٨)، (١١: ١٣، ٤٢).

يوحانان - ورد هذا فى أسفار (أخبار الأيام الأول ٣: ١٥، ٢٤)، (٦: ٩، ١٠)، (١٢: ٤، ١٢)، (عزرا ٨: ١٢)، (نحميا ١٢: ٢٢، ٢٣)، (إرميا ٤٠: ٨، ١٣، ١٥، ١٦)، (٤١: ١١، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦)، (٤٢: ١، ٨)، (٤٣: ٢، ٤، ٥).

يوحنان - جاء هكذا فى سفر الملوك الثانى ٢٥: ٢٣. وقد انتقل هذا الاسم إلى جميع اللغات القديمة والحية فى صورة قريبة من أصله العبرانى، فصار فى اليونانية IOANNES أو IWANNES وفى القبطية الصعيدية IOHANNES (يوحنيس)، وباللاتينية JOANNES وكذلك بالألمانية JOHANNES وفى الانجليزية JOHN وبالفرنسية JEAN وبالطليانية أو الإيطالية GIOVANNI.

وفى الترجمة العربية للكتاب المقدس صار الاسم يكتب مختصرا (يوحنا). انظر على سبيل المثال (متى ٣: ١)، (مرقس ١: ٤)، (لوقا ١: ١٣)، (يوحنا ١: ٦).

أما لماذا سُمِّى يوحنا الصابغ بيوحنا المَعمدان، ولم يُسمَّ بيوحنا المعمِّد فالواقع أن (المعْمَدان) و(المعمِّد) هما بمعنى واحد، غير أن (المعمَدان) لفظ سريانى الأصل أو مولد، أى دخيل فى

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٤ من ديسمبر - كانون أول لسنة ١٩٧٧م - ٢٥ من هاتور لسنة ١٦٩٤ش.

اللغة العربية بمعنى خاص. فالعماد أو المعمودية هو «أول أسرار الدين المسيحى، وباب النصرانية» و(العمَد) فى اللغة السريانية هو «البلل». والفعل (عَمَّدَ) الصبى، بمعنى (غسله بالماء) باسم الآب والابن والروح القدس، والفعل (تَعَمَّد، واعتمد) بمعنى (قَبِلَ المعمودية).

٢٦ ـ هل ينال العماد وهو كبير بالغ؟ (١)

سؤال : من السيد /م. غ. حلوان.

أنا شاب مسيحى فى الثالثة والعشرين من عمرى، مواظب على الصلاة والصوم وسائر الطقوس المسيحية منذ سنوات، وفجأة اكتشفت وتحققت أننى لم أنل سر العماد المقدس، فأتعبنى ضميرى، أن استمر هكذا، وأنا أعلم أننى غير معمد، إذ نشأت فى قرية نائية من إحدى قرى محافظة أسيوط، وأهمل أهلى فى عمادى، فماذا أعمل، علما بأننى أخجل أن أطلب العماد وأنا فى سنى الكبير هذا؟

الجواب :

مادمت تعلم أنك لم تنل سر العماد، وتعلم أهميته وضرورته للخلاص، فلا عذر لك فى التأخير عن طلب العماد. قال السيد المسيح له المجد «الحق الحق أقول لك إن الإنسان ما لم يولد ثانية من فوق لايمكن أن يرى ملكوت الله.. الحق الحق أقول لك إن الإنسان ما لم يولد من الماء والروح لا يمكن أن يدخل ملكوت الله» (يوحنا ٣: ٣، ٥).

وقال القديس حنانيا أحد الرسل السبعين لشاول الذى هو بولس «والآن، ماذا انتويت أن تعمل، قم تعمد واغسل خطاياك» (أعمال الرسل ٢٢: ١٦).

أما الخجل فلا مبرر له.

إن شاول الذى هو بولس اعتمد وهو رجل، وكذلك الحجيج من الرجال الذين كانوا فى أورشليم يوم الخمسين، واستمعوا إلى عظة القديس بطرس والرسل الآخرين «وخزتهم قلوبهم، وقالوا لبطرس ولسائر الرسل: ماذا علينا أن نعمل، أيها الرجال الإخوة؟ فقال لهم بطرس: توبوا وليعمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح، فتغفر خطاياكم وتنالوا موهبة الروح القدس» (أعمال ٢: ٣٧، ٣٨).

والخصى الحبشى وزير كنداكة ملكة الحبشة وكان خازن جميع أموالها، كان رجلا كبيرا جاء من الحبشة إلى أورشليم ليسجد لله، ونال العماد وهو كبير، بعد أن بشره فيلبس بالمسيح «ونزل كلاهما إلى الماء، هو وفيلبس، فعمده فيلبس» (أعمال ٨: ٣٩).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٩ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٧٨م ـ ٢ من أبيب لسنة ١٦٩٤ش.

وكورنيليوس قائد مائة إيطالى تعمد وهو كبير، هو وأهل بيته (أعمال ١٠: ٤٧، ٤٨).

وكثيرون وخصوصا فى القرون المسيحية الأولى نالوا العماد وهم كبار بعد أن عرفوا الإيمان المسيحى.

على أننا ننصح لك أن يكون عمادك يوم الأحد، وهو اليوم الأكثر مناسبة للتعميد، لأنه يوم قيامة الرب من بين الأموات.. ولايكون عمادك فى يوم أحد التناصير، ولا فى مكان يزدحم فيه عدد المعمدين لئلا يكون هناك إهمال فى مباشرة طقوس التعميد كما ينبغى ودهن أعضاء المعمد ومفاصله بالميرون أو المسحة المقدسة فى ٣٦ موضعا، لتمتلئ من الروح القدس، ولكى تتدشن أعضاؤك وتتقدس وتصير أعضاء المسيح (١ . كورنثوس ٦: ١٥).

٢٧ ـ ماذا بعد المعمودية؟ (١)

سؤال : من أحد القراء.

إذا كنا قد لبسنا المسيح فى المعمودية، وأخذنا طبيعة جديدة مقدسة، فكيف نعود ونخطىء مرة أخرى رغم أن الإنسان العتيق قد مات.

الجواب :

نعم إنّ من يتعمّد بالماء والروح، يولد ولادة ثانية من فوق، (يوحنا ٣: ٣، ٥)، يولد من الله (يوحنا ١: ١٢، ١٣)، فينال التبرير والفداء والتبنى (رومية ٣: ٢٤)، (٥: ٩) ويكتسى ببر المسيح (لأنكم تعمدتم جميعا فى المسيح، فلبستم المسيح) (غلاطية ٣: ٢٧) فتكون له الطبيعة الجديدة، والخليقة الجديدة (لأنه فى المسيح يسوع، لا الختان ولا عدم الختان ينفع الإنسان، وإنما الذى ينفعه أن يكون خليقة جديدة) (غلاطية ٦: ١٥) (إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة. قد زال القديم. ها هوذا كل شئ جديد) (٢. كورنثوس ٥: ١٧).

على أن هذه الامتيازات العظيمة التى ينالها المؤمن بالمسيح فى المعمودية، وبالمعمودية، لاتسلبه نعمة الحرية. نعم لقد حررنا المسيح (غلاطية ٥: ١)، من خطايانا السالفة، وحررنا من عبودية الشيطان وعبودية الجحيم، ولكنه لم يستعبدنا له (فإن حرركم الابن فبالحقيقة تصيرون أحرارا) (يوحنا ٨: ٣٦).

والحر من يملك التصرف، والقدرة على الاختيار.

فالمسيحى الذى تحرّر من خطاياه، يمكنه إذا شاء أن يعود إليها من جديد، وذلك بمحض أنه حر، مثله فى ذلك مثل آدم الأول: فقد كان آدم طاهرا نقيا لأن الله خلقه على صورته ومثاله (التكوين ١: ٢٦، ٢٧) ومع ذلك سقط فى الخطيئة بمحض إرادته الحرة، ولم يقهره أحد على ذلك.. وكان الشيطان ملاكا طاهرا، ولكنه عصى الله خالقه، وتجبر، وتكبر، وذلك بمحض إرادته الحرة..

فالمعمودية تخلّصنا من خطايانا السالفة (١. بطرس ٣: ٢١)، (تيطس ٣: ٦)، ولكنها لاتقيد حرية المعمدين ولا تسلبهم قدرتهم على الاختيار، ولا تفقدهم إمتيازاتهم فى إرادة الخير والشر.. فالإنسان كائن حر عاقل، فإذا فقد حريته فقد إنسانيته.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٣٠ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٧٨م ـ ٢٣ من أبيب لسنة ١٦٩٤ش.

لقد نال سيمون الساحر العماد، بعد أن آمن بالمسيح (أعمال الرسل ٨: ١٣) ومع ذلك أخطأ بعد العماد، بأن قدم لرسل المسيح دراهم ليأخذ منهم السلطان، بأن يضع يديه على الناس فيقبلوا منه عطية الروح القدس. فقال له القديس بطرس: (لتكن فضتك معك للهلاك، لأنك ظننت أن تقتنى موهبة الله بدراهم. ليس لك نصيب ولا قرعة فى هذا الأمر، لأن قلبك ليس مستقيما أمام الله. فتب من شرك هذا، واطلب إلى الله عسى أن يغفر لك فكر قلبك. لأنى أراك فى مرارة المر ورباط الظلم) (أعمال الرسل ٨: ١٨ – ٢٣).

لقد نال سيمون بالمعمودية غفران خطاياه السالفة ثم عاد وسقط فى الخطيئة من جديد، مثله مثل من تحرر من دينه القديم، ثم عاد فاستدان من جديد. فسقوطه فى خطيئة جديدة، لايطعن فى الامتيازات التى نالها بالمعمودية.

قال القديس بولس الرسول (لأنّ كثيرين يسيرون ممن كُنت أذكرهم لكم مرارا، والآن أذكرهم أيضا باكيا، وهم أعداء صليب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك، الذين إلههم بطنهم ومجدهم فى خزيهم، الذين يفتكرون فى الأرضيات) (فيلبى ٣: ١٨، ١٩).

وقال الرسول نفسه أيضا (فالذين أُنيروا مرة، وذاقوا الهبة السَّماويَّة، وصاروا مشاركين فى الروح القدس، واستطابوا كلمة الله الصالحة ومعجزات العالم المقبل، ثم سقطوا، يستحيل تجديدهم وإعادتهم إلى التوبة..) (العبرانيين ٦: ٤-٦) مبينا بهذا حرية الذين تخلصوا من خطاياهم، واستناروا بالروح القدس، فى أن يسقطوا من جديد..

ويقول كذلك شارحا نفس التعليم (فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق، لاتبقى بعد ذبيحة عن الخطايا، بل قبول دينونة مخيف، وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين. من خالف ناموس موسى، فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة. فكم عقابا أشر تظنون أنه يحسب مستحقا من داس ابن الله وحسب دم العهد الذى قدس به دنسا وازدرى بروح النعمة)؟ (العبرانيين ١٠: ٢٦-٢٩).

فلقد أوضح الرسول بولس فى رسالته إلى العبرانيين أنّ الإنسان الذى تحرّر بنعمة المسيح فى المعمودية يمكن أن يخطأ من جديد وذلك بحريته واختياره. لاحظ قوله (فإنه إن إخطأنا باختيارنا) ثم يؤكد الرسول على أنّ من يعود إلى الخطيئة باختياره بعد أن تطهر بدم المسيح

يصير مستحقاً لدينونة مخيفة، تزيد فى عقوبتها وجزائها كثيراً على عقوبة من خالف الشريعة القديمة التى عرفت بناموس موسى.

والخلاصة فى النقاط الآتية:

١- إنّ المؤمن بالمسيح ينال فى المعمودية، وبالمعمودية، إمتيازات كثيرة: إنه ينال غفران خطاياه السابقة، ويحصل على التبرير والفداء كما ينال التبنى، وحق الدخول فى ملكوت السماوات...

٢- إن الإمتيازات التى ينالها فى المعمودية لاتحرمه نعمة الحرية، وإلا فقد بالمعمودية إنسانيته إذا فقد حريته.

٣- إنه إذا عاد للخطيئة من جديد، أو سقط باختياره فى خطيئة أخرى جديدة، فلسوف يدان عنها بعقوبة أعظم، وبدينونة مخيفة حيث (أنه داس ابن الله وحسب دم العهد الذى قدس به دنسا، وازدرى بروح النعمة).

ومما تقدم يتبين الخطأ العظيم الذى يقع فيه أولئك المغرورون الذى يزعمون، ثم يعلمون، بأنهم بعد أن آمنوا بالمسيح لايمكن أن يسقطوا فى الخطيئة، ولايمكن أن يهلكوا... ويتضح كذلك بالتالى خطأ الذين يزعمون، ويعلمون، بأنهم صاروا بإيمانهم بالمسيح ضامنين للخلاص الأبدى، وحاصلين بالفعل على الملكوت السماوى، متجاهلين أن المؤمنين فى حالة حرب قائمة مع الشيطان وقوات الشر، غافلين عن واجب الجهاد وموالاة اليقظة والسهر، وناسين وصية المسيح فادينا إلى القديسين (كن أميناً حتى الممات. وأنا أعطيك إكليل الحياة) (الرؤيا ٢: ١٠).

٢٨- السحرة عملة مع الشيطان(١)

سؤال : من فتاة م. ك. ب.

تقول هل هناك حقا أشخاص يقومون بعمل سحر بقصد الإضرار بشخص يكون فى خلاف معهم؟

وإذا كان هناك حقا مثل هؤلاء الأشخاص، فلماذا يسمح الله بذلك، أى لماذا يمكنهم من الإضرار بالبشر، ولايمنعهم؟

وهل هناك من طريق إلى إبطال السحر أو فك العمل السحرى؟

الجواب :

١- هناك أشخاص هم عملاء للشيطان، يقومون بهذا العمل والسحر باعتباره عملا شيطانيا، مذكور فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وفى كتب الطقس الكنسى.

٢- لماذا يسمح الله بذلك؟

الجواب: سماح الله بحدوث الشر هو غير إرادته ومشيئته. ولماذا يسمح؟ ذلك لأنه أعطى للبشر الحرية. ولذلك فإن هناك من يقتل، ومن يسرق ومن يزنى ومن يظلم. وكل هذا يحدث بغير إرادة الله، فإن الله لايريد الشر بل ينهى عن الشر، وكل وصايا الكتاب المقدس ومواعظه نهى عن الشر، ولكنه لايمنع الشر بالقوة، بل بالوصية لأنه منح الإنسان الحرية، وعن الحرية مسئولية، وجزاء بالثواب والعقاب....

٣- هل هناك أحد من الآباء الكهنة يستطيعون أن يحلوا أو يفكوا ذلك العمل؟ وما هو الحل فى رأيكم؟

الجواب: الصراع بين الخير والشر صراع قديم ودائم- ومثل هذا الصراع كشد الحبل، الأقوى هو الغالب. فإذا كانت فيك قوة روحية أعظم، فإن السحر لا قوة له عليك. ولايقوى السحر والعمل على أحد مالم يكن هذا الأحد ضعيفا روحيا. ولذلك فإذا كنت محصنة بالأسرار المقدسة (الميرون وسّر التناول فضلاً عن المعمودية) وبالصلاة والصوم، فإن قوة السحر تبطل أمام قوة الله فيك، وسهام السحر والعمل الشرير ترتد خائبة مدحورة لأنك محصنة بدرع البر.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٢٠ من مايو- أيار لسنة ١٩٧٩م- ١٢ من بشنس لسنة ١٦٩٥ش.

وهذا هو السبب فى أن المسيحيين يتحصنون بالمعمودية، وبالميرون، وبسّر التناول، وبالصلاة والصوم، ضد سهام الشرير الملتهبة نارا، ولا تستطيع قوة السحر والعمل الشياطينى أن يكون لها أثر على المحصنين بالوسائط الروحانية القوية.

ويمكن الاستعانة بصلوات الكهنة والرهبان القديسين ضد أعمال الشر المظلمة، فإنّ المسيح وهب رسله الأطهار السلطان على الأرواح النجسة ليخرجوها.

٢٩- هل يجوز التقرب للأسرار المقدسة لمن لم ينل سر العماد على الطقس الأرثوذكسى؟ (١)

سؤال : من الابن رأفت شوقى فهمى.

ردا على خطابك غير المؤرخ بتاريخ بخصوص إنسان بروتستانتى يريد على قولك أن يتناول من الأسرار المقدسة ويعترف ويتعمد، فرفض الكاهن أن يجرى له شيئا من ذلك ما لم ير دليلا على استحقاقه لنيل تلك الأسرار فذهب إلى كاهن آخر فناوله على الفور.

نجيب بأنه من حق الكاهن بل من واجبه أن يتثبت من استحقاق الشخص لنيل الأسرار المقدسة. وإذا لم يتريث الكاهن واندفع بدون حساب للعواقب، إلى تقديم الشخص للأسرار المقدسة، فإن الدينونة عظيمة لذلك الكاهن المهمل لمقتضيات مسؤوليته الكهنوتية.

إنّ مثل الكاهن المؤتمن على الأسرار المقدسة مثل صرّاف البنك. فإذا صرف مبلغاً لإنسان ما لم يتثبت من استحقاق ذلك الإنسان للمبلغ فإنه يدان عن إهماله، فضلاً عن أنه يطالب بالمبلغ الذى صرفه لإنسان لا يستحقه. إن دينونة الكاهن أعظم من دينونة صراف البنك. قال الرسول بولس (فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله. ثم يسأل فى الوكلاء لكى يوجد الإنسان أمينا) (١ . كورنثوس ٤: ١، ٢).

هذا ومما يجب الإشارة إليه أن هذا الأخ البروتستانتى يلزم بعد أن يتقابل مع الكاهن ويتثبت منه، أن يقبل سر العماد أولاً قبل أن يتقدم إلى سر التناول، إلا إذا كان قد سبق عماده فى الكنيسة الأرثوذكسية. فنحن لا نعترف بمعمودية البروتستانت لعدد من الأسباب.

---

(١) الخطاب بتاريخ ٦ من نوفمبر- تشرين ثان لسنة ١٩٧٩م- ٢٦ من بابه لسنة ١٦٩٦ش.

٣٠- سؤال عن الماء فى جرن المعمودية(١)

سؤال : من أحد الكهنة - الأب المحترم الراهب القس تادرس الأنبا بيشوى والأنبا باخوميوس بحاجر ادفو.

كم يوما يمكن أن يترك ماء المعمودية بغير صرفه (إلى ماء جار) واستخدامه فى تعميد آخرين؟

الجواب :

إنّ أقصى مدة يمكن ترك الماء فى جرن المعمودية بغير تصريف هى ثلاثة أيام. ذلك لأن الماء المتروك لأكثر من ذلك قد يتعرض لأن يأسن أو يفسد، لأنه من جهة هو ماء محبوس، ومن جهة أخرى امتزج به الزيت ثم الميرون.

ولما كان كلّ سرّ يلزم عدم تغير مادته لبقاء فعالياته، لذلك فبقاء الماء فى جرن المعمودية أكثر من ثلاثة أيام قد يعرضه للفساد، مثله فى ذلك مثل الخمر والخبز فى سرّ الإفخارستيا. وهذا هو أهم سبب لماذا لانحتفظ (بذخيرة التناول) كما يحتفظ بها غيرنا من الكنائس الأرثوذكسية القديمة، والكنائس البيزنطية فضلا عن الكاثوليكية، ذلك لأن حرارة الجو فى بلادنا تعرض العناصر الخارجية (الخبز والخمر) للتغير والفساد، فيرتفع السر.

أما الميرون، وزيت مسحة المرضى، فيمكن حفظهما لمدة طويلة من دون خطر التعرض للفساد.

أما ماء المعمودية، فقابل لأن يأسن فى جرن المعمودية أو يتعفن أو يفسد.

لهذا فمن غير المأمون أن يبقى الماء محبوسا فى جرن المعمودية وبه الزيت والميرون، على صورته النقية من دون التعرض للفساد، إلى أكثر من ٣ أيام.

---

(١) نشر بجريدة وطنى صباح الأحد ١١ من نوفمبر - تشرين ثان لسنة ١٩٧٩م - أول هاتور لسنة ١٦٩٦ش.

٣١- لماذا يعمدون الذكر قبل الأنثى ؟(١)

سؤال : من أحد الكهنة - الأب المحترم القس تادرس الأنبا بيشوى، والأنبا باخوميوس بحاجر ادفو.

لماذا إذا كان الكاهن سيعمد فى جرن المعمودية طفلا ذكرا وطفلة أنثى، يبدأ بتعميد الطفل الذكر ومن بعده الطفلة الأنثى؟

الجواب :

إنّ سبب تعميد الطفل الذكر قبل الأنثى مرده إلى سبب طبيعى وهو أن آدم خلق أولا ثم حواء. والذكر دائما وفى كل شئ صورة الله ومجده (١ . كورنثوس ١١ : ٣، ٧، ٨) . ونفس المبدأ يُراعى فى توزيع الأسرار المقدسة، فالرجال يتناولون قبل النساء - وهذا المبدأ ينسحب على جميع الأسرار والمباشرات والخدمات الكنسية. قال الرسول: (أريد أن تعلموا أنّ **رأس كل رجل هو المسيح**. وأما رأس المرأة فهو الرجل.. **فإن الرجل.. صورة الله ومجده**. وأما المرأة فهى مجد الرجل. **لأنّ الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل. ولأنّ الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل..**) (١ . كورنثوس ١١ : ٣-٩) .

وفى كتاب التعميد ينص على أن يعمد الذكور أولا قبل الإناث. وكذلك الدسقولية، وكتاب (القوانين) لابن العسال - باب ٣ .

أما وضع الصليب فى الماء قبل تعميد البنت، فهو وإن كان لم ينص عليه، لكن لابأس بهذا الإجراء على نفس المبدأ السابق، وهو تقديم الذكر على الأنثى مع إضافة أن (**آدم جبل أولا ثم حواء .. ولم يغو آدم، بل المرأة هى التى أغويت، فوقعت فى المعصية**) (١ . **تيموثيئوس** ٢ : ١٣، ١٤) .

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٢٥ من نوفمبر - تشرين ثان لسنة ١٩٧٩م - ١٥ من هاتور لسنة ١٦٩٦ش.

٣٢- قانونية سرى المعمودية والتناول فى الكنيسة الكاثوليكية(١)

سؤال : من ابراهيم جرجس ابراهيم.

بخطابكم المؤرخ ١٥ من نوفمبر لسنة ١٩٧٩ وضعتم سؤالا عما إذا كان الروح القدس يتم فى الأسرار على يد الأب الكاهن الكاثوليكى القانونى تماما مثلما يتم عمله على يد الأب الكاهن الأرثوذكسى القانونى، باعتبار أنّ الكنيسة الكاثوليكية كنيسة رسولية، وخصوصا فيما يتصل بسرّ التناول وسرّ المعمودية.

وجوابنا على هذا السؤال هو أننا نعترف بالكنيسة الكاثوليكية أنها كنيسة رسولية. ومع ذلك، فإننا لم نصل بعد إلى الوحدة المنشودة للكنيسة الواحدة الجامعة. وإن كنا نسعى فى سبيل تحقيق هذه الوحدة.

ولقد تشكلت لجنة رسمية على مستوى الرئاستين القبطية الأرثوذكسية والرومانية الكاثوليكية منذ زيارة البابا شنوده الثالث للبابا بولس السادس فى مايو لسنة ١٩٧٣. وقد عقدت اللجنة المشتركة خمسة إجتماعات كبيرة على مدى سبع سنوات تقريبا، وقد وصلنا إلى خطوات لا بأس بها مشجعة فى طريق الوحدة الإيمانية الكاملة. ولكن لاتزال بعض أمور معلقة إلى أن تعلن هذه الوحدة كاملة.

لذلك، فما زلنا فى مرحلة الإنفصال فى شركة الأسرار المقدسة، وبلغة أخرى No Inter-communion أى لا شركة فى الأسرار. وقد شرحنا ذلك فى مؤتمراتنا العالمية ومحادثاتنا الرسمية وغير الرسمية، أننا منذ عام ٤٥١ أى منذ مجمع خلقيدونية الذى انشقت فيه أو انقسمت الكنيسة إلى كنيستين: شرقية بزعامة كنيسة الأسكندرية فى عهد البابا ديوسقورس، وغربية برئاسة بابا روما، أمست الكنيستان دائرتين مغلقتين إحداهما عن الأخرى، ولا شركة بينهما (◯) × (◯) فعمل الروح القدس فى داخل كل كنيسة يجعل الأسرار ذات فاعلية فى دائرة كل كنيسة على حدة بدون شركة أو اتصال بين الدائرتين أو بين الكنيستين. وبلغة الكهرباء، التيار سار فى كل دائرة، ولكنه غير موصول بين الدائرتين.

---

(١) كتب بتاريخ ٢٠ من فبراير - شباط لسنة ١٩٨٠م - ١٢ من أمشير لسنة ١٦٩٦ش.

بناء على ذلك فلا يجوز لأرثوذكسى أن يتناول من الأسرار المقدسة فى كنيسة كاثوليكية، ولا لكاثوليكى أن يتناول الأسرار المقدسة فى كنيسة أرثوذكسية.

وما دام الأمر كذلك فيما يتصل بسرّ التناول، وهو سرّ الشركة، وهو شركتنا مع المسيح ومع الكنيسة، فالمعمودية الكاثوليكية أيضا لانعترف بها ما لم تتم الوحدة الإيمانية أولاً ثم الاتحاد فى سرّ التناول وهو سرّ الشركة.

وما قلناه عن المعمودية ينسحب أيضا على سرّ الزيجة وسائر الأسرار.

ولذلك فإننا نعيد معمودية الكاثوليكى أو الكاثوليكية إذا أراد أن يتزوج بأرثوذكسية أو أرثوذكسى قبل أن يباشر لهما عقد الإكليل الأرثوذكسى.

والخلاصة أنه مع الاعتراف بأن الكنيسة الكاثوليكية كنيسة رسولية، لكن ليس هناك اعتراف أو إقرار بأرثوذكسية الأسرار التى تتم فى الكنيسة الكاثوليكية عندما ينتقل الكاثوليكى إلى عضوية الكنيسة الأرثوذكسية.

٣٣- معمودية النساء(١)

سؤال : من السيد/ جورج زكى يوسف - سيدنى - استراليا.

يقول: إنّ جميع الذين تعمدوا فى حياة يوحنا المعمدان كلهم من الرجال، ولم أقرأ عن إمرأة واحدة أنها تعمّدت، علما بأنهم جميعا آمنوا بالرب يسوع المسيح وتمتعوا برؤياه حتى الصليب. وفى تاريخ أعمال الرسل أيضا لم أقرأ عن إمرأة تعمّدت، فهل أجد تفسيرا يساعدنى على معرفة مصير النسوة اللائى لم يتعمدن على الرغم من إيمانهن بربنا يسوع المسيح، وما هو مصيرهن.

الجواب :

وجوابنا على ذلك **إنّ المعمودية ضرورية للخلاص، للمرأة كما للرجل سواء بسواء.**

يقول الكتاب المقدس (فإنكم كلكم أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع، لأنكم، **تعمدّتم جميعا فى المسيح**، فلبستم المسيح. ولا فرق الآن بين يهودى وغير يهودى، بين عبد وحرّ، بين رجل وإمرأة، فأنتم كلكم واحد فى المسيح يسوع) (غلاطية ٣: ٢٦-٢٨).

فقول الكتاب المقدس هذا دليل واضح على أن **المرأة تنال المعمودية كما ينالها الرجل سواء بسواء، وأنه لا فرق بينهما فى ذلك، وأن المرأة مع الرجل واحد فى المسيح بالإيمان وبالمعمودية.**

لقد كانت شريعة الختان خاصة بالذكور فقط، إذ لا ختان للأنثى. قال الله لإبراهيم.. هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك. يُختن كل ذكر منكم.. ابن ثمانية أيام يختن كل ذكر منكم..) (التكوين ١٧: ٩، ١٠، ١٢).

أما المعمودية فهى لجميع الناس على السواء ذكورا وإناثاً، ذلك لأنّ واضع شريعة العماد، رب المجد يسوع المسيح، رسم هذا السر لكل إنسان آمن به، ولم يخص الذكور دون الإناث. قال المسيح له المجد (إنّ الإنسان ما لم يولد ثانية من فوق لا يمكنه أن يرى ملكوت الله .... إن الإنسان مالم يولد من الماء والروح لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله) (يوحنا ٣: ٣، ٥). ويلاحظ أن اللفظ اليونانى ⲧⲓⲥ (TIS) وبالقبطى ⲟⲩⲁⲓ (OUAI) يفيد (أحد من الناس).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٣ من مايو - آيار لسنة ١٩٨١م - ٢٥ من برمودة لسنة ١٦٩٧ش.

فالمعمودية إذن لكل أحد من الناس، وضرورية للخلاص لكل إنسان، بغير تمييز بين رجل وإمراة، ذكر وأنثى.

وتطبيقاً لهذا المبدأ العام كرز رسل المسيح لجميع الناس، **وعمدوهم رجالاً ونساء**. قال الرسول القديس بطرس للحجيج من الرجال والنساء المجتمعين بأورشليم فى عيد الخمسين:

(توبوا **وليعمّد كل واحد منكم** على اسم يسوع المسيح فتغفر خطاياكم وتنالوا موهبة الروح القدس) (أعمال الرسل ٢: ٣٨) وأضاف (لأن الموعد إنما **هو لكم ولأبنائكم، ولكل البعيدين، ممن يدعوهم الرب إلهنا جميعاً**) (٢: ٣٩).

فالمعمودية هى للجميع، (**ليعمد كل واحد منكم**) والدعوة **للجميع** بغير استثناء لا فرق فى ذلك بين رجل وإمرأة، ذكر وأنثى.

ولذلك فإن جميع من آمنوا بالمسيح، اعتمدوا باسم المسيح، الجميع رجالاً ونساء.

وقد ورد عن كورنيليوس القائد الرومانى أنه **جمع فى بيته إلى أسرته الخاصة أنسباءه وأصدقاءه** ليسمعوا كلمة الحياة على فم القديس بطرس الرسول، وبعد أن قبلوا الإيمان، (أمر أن يعتمدوا باسم الرب) (أعمال ١٠: ٢٤ ـ ٤٨). ومن الطبيعى **أن النساء تعمدن أيضاً**، لأن الموعد هو لكل من يؤمن.

كذلك ورد عن السّجان فى فيلبى أنه استدعى القديسين بولس وسيلا إلى بيته ليسمع منهما عن الخلاص **هو وأهل بيته** (وكلماه **هو وجميع من فى بيته** بكلمة الرب. فأخذهما فى تلك الساعة من الليل وغسل جراحهما، **واعتمد من وقته هو والذين له أجمعون**.. وابتهج مع جميع أهل بيته إذ كان قد آمن بالله) (اعمال الرسل ١٦: ٣٢: – ٣٤).

وواضح أنّ العماد لم يكن وقفا على السّجان بل إن السّجان تَعَمّدَ (**مع جميع أهل بيته**) (**هو والذين لهم أجمعون**) بما فيهم النساء بطبيعة الحال.

بل لقد ورد صراحة عن **ليدية** بياعة الأرجوان أنها إذ سمعت تعليم القديس بولس فى فيلبى (**اعتمدت هى** وأهل بيتها) (أعمال الرسل ١٦: ١٤، ١٥).

ثم جاء أيضاً عن أهل السامرة أنهم استمعوا إلى كرازة القديس فيلبس ونالوا العماد. قال سفر الأعمال إنهم (اعتمدوا رجالاً **ونساء**) (أعمال ٨: ١٢) وهذه بيّنة دامغة على أن النساء نلن المعمودية كما نالها الرجال سواء بسواء.

أضف إلى هذا ما جاء فى التقليد الرسولى والكنسى عن تعميد المرأة. جاء فى الدسقولية (تعاليم الرسل) توجيه إلى الأسقف أنه فى حاجة إلى إقامة شماسات من النساء لخدمة النساء (وتقسم أيضاً شماسات نسوة مختارات قديسات لأجل خدمة النساء.. لأنك تحتاج إلى الشماسات النساء فى أعمال كثيرة. وأول ذلك **لأجل إمرأة تتعمد..**) و(**يدهن الأسقف رأس المرأة**، وبعده تدهن الشماسة الإمرأة كلها، لأنه لا يجوز للرجال أن يتأملوا النساء إلا بوضع اليد عليهن لاغير..) (باب ٣٤).

وجاء فى قوانين الرسل (.. وليبتدئوا أن يعّمدوا الأطفال.. ومن بعد يعمدون الرجال الكبار، **وأخيراً النساء**. ويحل شعورهن ويضعن عنهن حليهن، الذهب الذى عليهن، ولا ينزل أحد بشىء غريب معه إلى الماء) (رسطب ٣٤) وجاء مثل هذا النص فى القانون ٢١ من قوانين هيبوليتوس.

وجاء فى قوانين هيبوليتوس أيضاً فى قانون العماد ٠ (**وإن اتفق أن يلحق المرأة طمث، فلتتأخر إلى يوم آخر إلى أن تطهر**) (قانون ٢٠).

وفى قوانين مجمع قيصرية الجديدة سنة ٣١٥م (**المرأة الحامل يمكن أن تُعَمَّد حينما تشاء**. ولا يكون جنينها مشتركاً فى المعمودية..) (قانون ٦).

وسئل الأنبا أثناسيوس أسقف مدينة قوص (**هل يجوز عماد الحامل؟**) فأجاب (**نعم، أسرع وعمدها**. ويحسب ذلك لها دون الجنين) (سؤال رقم ١٦).

وسئل أيضاً (**هل يجوز عماد الحائض؟**) فأجاب (**لا، بل أخرّها إلى أن تطهر** ولو كانت ذات نجار مالك) (سؤال رقم ١٨).

٣٤ ـ هل يمكن تعميد طفلة
من أم مسيحية وأب غير مسيحى؟ (١)

سؤال من السيد : لويز اسكندر وهبه ـ ملبورن / استراليا.

تزوج رجل غير مسيحى بامرأة مسيحية، واتفقا على أن الولد يتبع الأب والبنت تتبع الأم. وحملت المرأة وأنجبت بنتاً وأرادت أن تعمدها، فما هو موقف الكنيسة من ذلك؟

الجواب :

أما البنت الصغيرة فيمكن تعميدها، على أن يعين لها الكاهن إشبيناً أو إشبينة من المؤمنين الأتقياء يكون وكيلاً عن الابنة أثناء تعميدها، وينوب عنها فى جحد الشيطان والاعتراف بالإيمان المسيحى الأرثوذكسى، ويتعهد بأن يكون مسئولاً عن تربيتها التربية المسيحية الأرثوذكسية، وتنشئتها حتى تكبر.. وفى سن الرشد يوقفها أمام الهيكل كطقس الكنيسة فى الإشبين، ويسلّمها لنفسها أمام الكاهن محملاً إياها المسئولية كاملة عن نفسها.

أما أم الطفلة فلا تستطيع أن تحمل ابنتها إلى الكنيسة لأنها بزواجها من رجل غير مسيحى صارت خارج الكنيسة. ذلك أنّ زواجاً كهذا لا يمكن أن يكون قد تمّ داخل الكنيسة الأرثوذكسية. فالكنيسة الأرثوذكسية لا تسمح بمباشرة سر الزواج إلا لزوجين مسيحيين أرثوذكسيين. فإذن هذه المرأة تزوجت خارج الكنيسة وربما بعقد زواج مدنى أو عرفى.. وعلى كل حال مادام زواجها غير أرثوذكسى، وتزوجت برجل غير مسيحى فلا تستطيع أن تتقدم إلى الأسرار المقدسة، وبالتالى فهى خارجة عن شركة الكنيسة، وقد تعطلت تماماً عن كل مباشرات الكنيسة وأسرارها.. إن حياتها فى داخل الكنيسة قد انقطعت.

---

(١) الرد بخطاب بتاريخ ٢٩ من أغسطس ـ آب لسنة ١٩٧٤م ـ ٢٣ مسرى لسنة ١٦٩٠ش. ونشر بمجلة (مارمرقس) التى تصدر بمدينة ملبورن ـ استراليا ـ العدد ٧٣ ـ نوفمبر ـ تشرين ثان لسنة ١٩٨٣م صفحة ٢٠.

٣٥ ـ معمودية الكنائس الأخرى
التى تقرها كنيستنا القبطية الأرثوذكسية (١)

الأب المحترم الراهب القس مكسيموس الأنبا بيشوى ـ كاهن كنيسة العذراء ومارجرجس ـ بعمان ـ الأردن.

رداً على خطابكم المرسل من عمان عاصمة الأردن فى ٢ من نوفمبر لسنة ١٩٨٤م (٢٣ من بابه ١٧٠١ش) بخصوص توضيح موقف الكنيسة القبطية من الطوائف المختلفة ـ الروم الأرثوذكس ـ الروم الكاثوليك، الأرمن، السريان الأرثوذكس والكاثوليك ـ اللاتين ـ الفرنسيسكان ـ الموارنة ـ الطوائف البروتستانتية المختلفة، من كافة النواحى العقائدية، والطقسية واللاهوتية، وجميع الجوانب الكنسية لتعريف أبناء الكنيسة ـ وخصوصاً من جهة إتمام أى سر من أسرار الكنيسة المقدسة لدى هذه الطوائف المذكورة، حيث أن كثيرين من أبناء الكنيسة القبطية يقومون بالزواج والتناول وممارسة الأسرار لديهم..

يسرنى أن نجيب:

أولاً: بأن السريان الأرثوذكس، ثم الأرمن الأرثوذكس هم من أتباع الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة التى تدخل كنيستنا القبطية الأرثوذكسية فى نطاقها وإطارها.

وعلى ذلك فإن بين كنيستنا القبطية الأرثوذكسية والكنيسة السريانية الأرثوذكسية، والكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية، شركة روحية إيمانية تجيز وتبيح شركة جميع أسرار الكنيسة لجميع أعضاء هذه الكنائس، ومنها سر التناول، وسر الزيجة، والكهنوت.. فضلاً عن المعمودية والتوبة، ومسحة المرضى.. أى أن السريانى والأرمنى الأرثوذكسى يعامل معاملة القبطى بغير فارق.

ثانياً: أما الروم الأرثوذكس، فكنيستنا القبطية الأرثوذكسية تقبل اعتماد معموديتهم لأن قانون الإيمان هو بعينه فى الكنيستين. ولكن كنيستنا تتطلب دهنهم بالميرون فى ٣٦ موضعاً حسب طقس كنيستنا ـ هذا فى حالة إنضمام أحدهم إلى كنيستنا. وهذا يبيح له سرى التناول والزواج فى كنيستنا القبطية الأرثوذكسية.

ثالثاً: أما الروم الكاثوليك، والسريان الكاثوليك، واللاتين، والفرنسيسكان، والموارنة.. فكل هذه الطوائف كاثوليكية، وتتبع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية.

---

(١) الخطاب بتاريخ ١٣ من ديسمبر ـ كانون أول لسنة ١٩٨٤م ـ ٤ من كيهك لسنة ١٧٠١ش.

وكنيستنا تحترم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بصفتها كنيسة رسولية، تؤمن وتمارس جميع الأسرار السبعة، إيمانيا وعقائدياً ولاهوتياً وكنسياً.

أما إذا أراد أحد من أتباع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية (بمختلف طوائفها وطقوسها) **التناول أو الزواج فى الكنيسة الأرثوذكسية، فكنيستنا تشترط فى هذه الحالة العماد من جديد على أساس قانون الإيمان الأرثوذكسى وطبقاً للطقس القبطى.** وغير خاف أن صيغة قانون الإيمان الأرثوذكسى تختلف عنها صيغة قانون الإيمان فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من حيث إضافة **(والابن)** فى قضية انبثاق الروح القدس من الآب..

وليس فى اشتراط المعمودية على الإيمان والطقس الأرثوذكسى إهانة للكنيسة الرومانية الكاثوليكية وكهنوتها وأعضائها - لكنه **ضرورة تقتضيها (صحة الانضمام) أى أن فى التعميد ضماناً لصحة الانضمام. فكنيستنا تشترط لإتمام سر الزيجة أن يكون العروسان - الرجل والمرأة - أرثوذكسيين قبل إتمام مراسم سر الزيجة.**

وعلى نفس الأساس، وبنفس الروح، وعلى ذات القياس، نحن من جانبنا لا نغضب فى حالة إنضمام أرثوذكسى إلى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، بسبب التناول، أو الزواج، إذا طلبوا تعميده من جديد. فليس فى الأمر، كما يُظن إهانة ولكنه ضمان لعدم الخلط، وما يعرف بالزواج المختلط، وما يثيره ويتخلف عنه من مشاكل رعوية وأسرية، وما يفتح المجال لتطبيق الشريعة الإسلامية عند حدوث خلاف بين الزوجين.

إننا تفادياً لكل تلك النتائج الضارة روحياً وعائلياً وإجتماعياً واتقاء لتطبيق الشريعة الإسلامية، تتطلب كنيستنا فى حالة إنضمام أحد من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لكنيستنا القبطية الأرثوذكسية بغرض التناول من الأسرار المقدسة أو بغرض إتمام سر الزيجة.. أن يعمد من جديد على الإيمان الأرثوذكسى، والطقس الأرثوذكسى، ضماناً لصحة الانضمام. **ونحن لا نمانع فى نفس الوقت أن تشترط الكنيسة الرومانية الكاثوليكية التعميد من جديد لإنسان قبطى فى حالة إنضمامه للكنيسة الرومانية الكاثوليكية سواء بسواء.**

رابعاً: أما البروتستانت بمختلف طوائفهم، فبالأحرى والأولى **أن لا يُسْمَحَ لأى منهم بالتناول أو بالزواج عندنا إلا بعد الإنضمام التام للكنيسة الأرثوذكسية، إيمانيا وعقائدياً وكنسياً وطقسياً.. وبالطبع لابد أن يعمد على الإيمان الأرثوذكسى وطبقاً للطقس القبطى الأرثوذكسى، ويمسح بالميرون قبل أن يسمح له بالتناول من الأسرار المقدسة، وبالتالى بالتقدم إلى سرّ الزيجة.**

٣٦ ـ فى طقس تعميد المرأة البالغة (١)

سؤال :

الابن المبارك والأب المحترم القس مقار يوسف حنا ـ كاهن كنيسة الشهيد مارجرجس ـ طوخ ـ قليوبية.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

أمامى خطاب قديم منكم تستفسرون فيه عن تعميد سيدة كاثوليكية منعتموها من التقدم من الأسرار المقدسة حتى تنال المعمودية طبقاً للإيمان والطقس الأرثوذكسى.

وجوابنا هو أنه لابد لكم من الاستعانة بسيدة مسيحية قبطية أرثوذكسية تتخذونها شماسة لتساعدكم فى تعميد الكبار من السيدات والبنات كما تنص على ذلك الدسقولية فى الباب الرابع والثلاثين.

فالكاهن بعد أن يفرغ تماماً من صلواته على جرن المعمودية بما يسمى (قداس المعمودية)، يغادر المكان، ويعهد للمرأة الشماسة أن تقوم بمساعدة المرأة الراغبة فى المعمودية على خلع كل ملابسها ثم تنزل إلى جرن المعمودية وتغطس فيه تماماً، ولا يبقى منها إلا رأسها ويكون وجهها إلى الشرق. يأتى الكاهن بعد ذلك من الخارج باستدعاء المرأة الشماسة، ويضع يده على رأس المرأة المزمع تعميدها، ويردد صيغة التعميد: **أعمدك يافلانة باسم الآب، والابن، والروح القدس**، وهو يغطس رأسها فى الماء، **ثم يخرج من المكان**. وعندئذ تنهض المرأة المعمدة من جرن المعمودية وتساعدها الشماسة على ارتداء الثوب الأبيض الشامل الذى يغطى كل جسدها، ثم يأتى الكاهن، ويمارس سّر المسحة **بأن يدهن بالميرون أعضاء المرأة الظاهرة فقط مثل النافوخ والعينين والأذنين والمنخرين والفم ثم معصمى اليدين، ويترك للمرأة الشماسة أن تدهن الأعضاء الداخلية للمرأة تتمة لستة وثلاثين موضعا ـ وهذا بموجب تفويض من الكنيسة للمرأة الشماسة** كما تنص على ذلك الدسقولية فى الباب الرابع والثلاثين:

جاء فى كتاب (الدسقولية) وهو تعاليم الرسل **الباب ٣٤ :**

---

(١) الخطاب بتاريخ ١٣ من ديسمبر ـ كانون أول لسنة ١٩٨٤م ـ ٤ من كيهك لسنة ١٧٠١ش.

(لأجل هذا يا أسقف اقسم الشماسة كما يرضى الله... وتقسم أيضا شماسات نسوة مختارات قديسات لأجل خدمة النساء... ولأنك تحتاج إلى الشماسات النساء فى أشياء (أعمال) كثيرة. وأول ذلك لأجل إمرأة تتعمّد... تدهن الشمّاسة، الإمرأة كلها، لأنه لا يجوز للرجال أن يتأملوا النساء إلا بوضع اليد عليهن لا غير. لكن يدهن الأسقف (أو القسيس) رأس المرأة.

وبعد هذا تتقدم المرأة بعد تعميدها ومسحها بالميرون للتناول من الأسرار المقدسة.

٣٧ ـ لا حاجة إلى إعادة المعمودية (١)

سؤال : من السيد نصر ناجى بسكالس:

يقول إنه منذ حوالى ٢٦ سنة حدثت له حادثة فأجريت له عملية، وقد استلزمت العملية تغيير دمه كله ـ أفهل يتطلب وضعه إعادة المعمودية؟

الجواب :

لا حاجة إلى إعادة المعمودية، ولكننا نرى الحاجة إلى إعادة الدهن بالميرون (المسحة المقدسة) فى ٣٦ ستة وثلاثين موضعا كطقس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٤ من أغسطس ـ آب ـ لسنة ١٩٨٥م – ٢٨ من أبيب لسنة ١٧٠١ ش.

٣٨ ـ الزمن المناسب للتعميد (١)

سؤال : من السيد ميشيل جرجس عبد المسيح ـ مينيسوتا ـ امريكا.

ما هو الوقت المناسب لتعميد طفل ، أيكون ذلك قبل القداس أم بعده ؟

وماهو طقس ربط وحل الزنار؟

الجواب :

الوقت المناسب لتعميد الطفل هو أولا يوم الأحد، لأن يوم الأحد هو يوم القيامة. وثمة رابطة روحية بين المعمودية وبين قيامة المسيح له المجد ـ فالمعمودية موت مع المسيح، ودفن معه ثم قيامة معه (إنكم دفنتم معه فى المعمودية، وأقمتم معه أيضاً) (كولوسى ٢ : ١٢) (ألا تعلمون أننا حين تعمدنا لنتحد بيسوع المسيح، إنما تعمدنا لنموت معه، فدفنا معه فى المعمودية للموت وشاركناه فى موته، حتى كما أقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب كذلك نسلك نحن أيضاً فى حياة جديدة؟ فإذا كنا اتحدنا به فى موت يشبه موته، فكذلك نتحد به فى قيامته) (رومية ٦ : ٣- ٥).

ثانياً ـ أما عن الوقت بالنسبة للقداس، **فالأفضل هو مباشرة التعميد قبل القداس، حتى يتناول الطفل المعَمَّد من الأسرار المقدسة.**

ولا يُعَمَّد الطفل بعد القداس إلا للضرورة القصوى، وبشرط أن يستبقى الكاهن بعضا من جواهر القربان المقدس، ليناوله منها.

ويمكن فى ظروف خاصة، وللضرورة أيضاً، أن يتم تعميد الطفل مساء السبت بعد رفع بخور عشية الأحد. فمساء السبت بعد السادسة مساء، يعدكنسيا وطقسيا، من يوم الأحد.

أما طقس ربط الزُنَّار فالمقصود منه ربط المعَمَّد ـ بعد دهن أعضائه بالميرون المقدس ـ عن الاغتسال والاستحمام (الكامل) لمدة سبعة أيام.

وفى اليوم الثامن للتعميد يستحم المعَمَّد وتُغسل معه ملابسه، ويُطرح ماء الغسيل لجسده وملابسه، فى ماء جار أو فى مكان به زرع، توقيرا (للميرون) الذى مسح به الجسد.

وفى كتاب التعميد صلوات وطقوس تُباشر فى اليوم الثامن للتعميد تعرف بصلوات حل الزنار، يحل بعدها الاستحمام والغسل الكامل لجسم المعمد وملابسه.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٢٥ من أغسطس ـ آب ـ لسنة ١٩٨٥م - ١٩ من مسرى لسنة ١٧٠١ ش.

٣٩ ـ مصير الأطفال غير المعمدين (١)

سؤال : من السيد فؤاد غالى نخله صليب.

رداً على سؤالكم بخطابكم المؤرخ ١٩٨٥/٥/٢٢ بخصوص طفلكم المولود حديثاً، والذى توفى بعد ستة عشر يوما من ميلاده دون عماد، وسؤالكم عن مصير هذا الابن، وما هو مسئوليتكم تجاهه؟

الجواب :

أجيب بأن الطفل (بيتر) كان يمكن تعميده ولو كان ابن يوم واحد، إذا كان فى خطر... وكان يمكن أن تحمله غير أمه وتدخل به إلى الكنيسة، فإنّ القانون الكنسى الذى يأمر بتعميد الطفل، فى الأربعين يوما من ميلاده إذا كان ذكراً والثمانين يوما إذا كان أنثى ـ هو خاص بالأم لا بالطفل.

فإن المرأة النُفَسَاء هى التى تُمنع من دخول الكنيسة مدة أربعين يوماً إذا كان مولودها ذكراً، ومدة ثمانين يوما إذا كان مولودها أنثى. أما الطفل فيمكن تعميده ولو كان ابن يوم واحد، لكن فى هذه الحالة لا تحمله أمه لأن القانون الكنسى يقول «لا تدخل إمرأة حائض إلى الكنيسة»

ويقول قانون آخر «يعاقب الكاهن الذى أدخل إمرأة حائض إلى الكنيسة ولو كانت من بنات الملوك».

أمّا إذا تُوفىَ الطفل فجأة قبل الأربعين ولم يتنبه أبواه إلى خطورة حالته، فلا إثم يلحق بالأبوين فى هذه الحالة لأنّ الوفاة حدثت فجأة ودون إنذار مسبق.

أما الطفل نفسه الذى يموت بغير عماد، فيقول فيه آباء الكنيسة «أنه لا يُعَذّب ولا يمجّد»... لا يُعَذّبُ لأنه لم يخطأ خطيئة بالفعل. ولا يُمَجّد لأنه يشمله القانون الإلهى الذى رسمه رب المجد يسوع المسيح بقوله «الحقّ الحقّ أقول لك إن الإنسان مالم يولد ثانية من فوق لا يمكنه أن يرى ملكوت الله... الحق الحق أقول لك إنّ الإنسان مالم يولد من الماء والروح لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله» (يوحنا ٣: ٣، ٥).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٨ من سبتمبر ـ ايلول لسنة ١٩٨٥م – ٣من النسىء ١٧٠١ش.

وعلى ذلك، فإذا كان الطفل قد تُوفي فجأة وهو ابن ستة عشر يوما، ولم يظهر عليه خطر الوفاة فأمره متروك لله، وهكذا شأن طفل يموت وهو جنين فى بطن أمه، أو يموت لحظة ميلاده، أو بعدها بقليل.

لقد أمرت شريعة العهد القديم بأن يُختتن الطفل فى اليوم الثامن لميلاده، «وأما الذَكَرُ الأغلف الذى لا يختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها» (التكوين ١٧ : ١٤)، فإذا مات الطفل قبل اليوم الثامن، فلا يلحقه هذا الوعيد، ولا يلحق والديه إثم عدم ختانه.

وعلى ذلك فإن مات الطفل، من دون عماد، ولم تكن وفاته فجأة، وظهر منه ما يدل على أنه فى خطر الموت، ولم يعمد فإن قوانين الكنيسة فرضت على الأب والأم فى هذه الحالة قانون توبة، وأعطت للكاهن مسئولية فرض صوم ومطانيات استغفار، وفقا لما يراه الكاهن مناسباً «حسب تقويمك» ياكاهن (العدد ١٨ : ١٦)، (اللاويين ٢٧ : ١، ٨).

٤٠ ـ الطفلة إذا ماتت من غير عماد (١)

من المهندس صفوت بشرى ينى.

ردا على سؤالكم بخصوص طفلتكم الجميلة التى عاشت لمدة أربعة شهور ونصف ثم ماتت من غير عماد، ينبغى أن نقرر أن من الخطأ تأخير الطفل أكثر من المدة المقررة لدخول الأم إلى الكنيسة، وهى أربعون يوما إن كان مولودها ذكرا، وثمانون يوما إن كان مولودها أنثى.

على أنّ الطفل إذا كان فى خطر المرض يمكن أن يُعَمَّد ولو كان ابن يوم واحد. وفى هذه الحالة تحمله غير أمه إلى الكنيسة.

ويمكن عند الضرورة القصوى أو المرض الخطير جدا أن يُعَمَّد فى البيت.

إننا لم نستطع من خطابك أن نفهم لماذا تأخرتم عن تعميد الطفلة مدة أربعة شهور ونصف؟

على كل حال، فلنترك الأمر فى يد الرب ذاته وهو يعلم نيتكم، وهو برحمته يتغمدها بنعمته. علما بإن تعليم الكنيسة ينص على أن الطفل غير المعمد لا يعذب ولو أنه لا ينال مجد الأطفال المعمدين.

إننا جميعا بيد الرب، ونسأل عفوه وغفرانه.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٣ من أغسطس ـ آب ـ لسنة ١٩٨٦م – ٢٧ من أبيب لسنة ١٧٠٢ش.

٤١ ـ الطفل يعمّد ولو كان ابن يوم واحد (١)

سؤال : من أحد القراء.

ما التصرف الكنسى تجاه طفل مريض على وشك الموت، وفى أحد التناصير لا يكون قد بلغ الأربعين يوما، واشتد عليه المرض جداً فى اسبوع الآلام، هل يجوز تعميده قبل الأربعين؟

الجواب :

نعم، إن الطفل يجوز تعميده فى أى وقت بعد ولادته، **ولو كان ابن يوم واحد.**

على أنه فى هذه الحالة لا يدخل الكنيسة مع أمه، وإنما يحمله إنسان آخر.

واعلم **أن الأم أو المرأة النُفَسَاء** هى التى لا يجوز لها أن تدخل الكنيسة قبل أربعين يوما إذا كان مولودها ذكرا، وقبل ثمانين يوما إذا كان مولودها أنثى.

الأم **النُفَساء** هى التى لا يحل لها أن تدخل الكنيسة قبل المدة المقررة فى الكتاب المقدس وكتب الكنيسة قبل أن تطهر. وفى تمام المدة يصلى الكاهن على رأسها صلاة الحل المنصوص عليها فى كتاب المعمودية المقدسة.

جاء فى كتاب (مجموع القوانين) للشيخ الصفّى ابن العسال (**إنّ المولود إذا خيف عليه من الموت قبل طهر أمه من دم نفاسها، فليدخل الكنيسة مع غيرها ويُعَمّد، لأنّ المرأة التى تلد تبقى بعيدة عن الموضع المقدس أربعين يوما إن ولدت ذكراً، وثمانين يوما إن ولدت أنثى**) (الباب الثالث).

أمّا (أحد التناصير) فلم يرتب كنسيا لتعميد الأطفال، وإنما رتبته الكنيسة لتعميد الكبار من الرجال والنساء.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ١٩من أبريل ـ نيسان لسنة ١٩٨٧م – ١١من برموده لسنة ١٧٠٣ش.

٤٢ ـ لماذا تمنع المرأة النُفَسَاء من دخول الكنيسة؟ (١)

سؤال : من الابن فوزى شحاته راشد ـ بهجورة.

يقول:

١ ـ لماذا يعمد الطفل الذكر بعد أربعين يوما والأنثى بعد ثمانين يوماً؟

٢ ـ ولماذا لا يصرح بدخول أم المولود إلى الكنيسة إلا بعد أربعين يوما والمولودة إلا بعد ثمانين يوما؟ كما أرجو أن تبينوا لى إن كان قد ورد عنها بمؤلفات عن المعمودية؟

الجواب :

الطفل يمكن تعميده ولو كان ابن يوم واحد، إذا كان ثمت خطر يتهدد حياته. وفى هذه الحالة لا يدخل الكنيسة مع أمه. إنما يحمله إنسان آخر، رجل أو إمرأة.

أما فى الأحوال العادية، **فيعمد الطفل بعد أربعين يوما من ميلاده إذا كان ذكرا، أو بعد ثمانين يوما من ميلاده إذا كان أنثى، ذلك لأن المرأة النُفَسَاء محظور عليها أن تدخل الكنيسة والمواضع المقدسة قبل تطهيرها من دم نفاسها.**

وهذا المنع هو أمر إلهى ورد النص عليه فى الكتاب المقدس:

(أية إمرأة حبلت فولدت ذكرا، فلتكن نجسة سبعة أيام كحكم أيام طمثها يكون حكم نجاستها.. وثلاثة وثلاثين يوما تقيم فى دم تطهيرها، **لا تلامس شيئا من الأقداس، وإلى المقدس لا تجىء حتى تكمل أيام تطهيرها.** فإن ولدت أنثى، فلتكن نجسة أسبوعين كحكم طمثها، وستة وستين يوما تقيم فى دم التطهير) (سفر اللاويين ١٢: ٢ـ ٥).

ولقد أطاعت الكنيسة المسيحية هذا الأمر الإلهى، عبر كل العصور..

وأول سيدة خضعت لهذا الأمر الإلهى فى العهد الجديد كانت العذراء القديسة مريم، فإنها على الرغم من أنها حبلت بالمسيح يسوع من غير دنس الخطيئة (مزمور٥٠: ٥)، فإنها لم تأت إلى الهيكل قبل إتمام أيام **التطهير المنصوص عليها فى الشريعة.** وعلى الرغم من طهارة القديسة مريم، وأن ولادتها للمسيح يسوع ولادة لم تتلوث بلوثة الخطيئة الأصلية،

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٢٨ من يونيه ـ حزيران لسنة ١٩٨٧م ـ ٢١ من بؤونه لسنة ١٧٠٣ش.

فإنها جاءت إلى الهيكل بعد أربعين يوما من ولادتها للمسيح يسوع. يقول الإنجيل (**ثم لما تمت أيام التطهير على مقتضى شريعة موسى**، صعدوا به إلى أورشليم ليقدماه للرب، عملاً بما هو مكتوب فى شريعة الرب.. وليقدما الذبيحة التى تفرضها شريعة الرب) .. (لوقا ٢ : ٢٢ – ٢٤) .

ومما هو جدير بالذكر أن كنيستنا الأرثوذكسية تحتفل بدخول المسيح طفلاً وتقديمه للهيكل فى الأربعين لميلاده، أى تجسده، فى اليوم **الثامن من أمشير** (ويقابل عادة الخامس عشر من شهر فبراير)، **أى بعد أربعين يوما من عيد الميلاد** أو التجسد الذى يقع فى **التاسع والعشرين من شهر كيهك** (ويقابل عادة ٧ من يناير). **وهذا التحديد لهذا العيد فى موعده هو مؤشر صريح، يدل على إلتزام الكنيسة المسيحية بالمدة المحددة فى الشريعة كما جاءت فى سفر اللاويين.**

وتوكيدا وترسيخاً للأمر الإلهى، فإن كتاب التعميد المستخدم فى كنيستنا ينص على **وجوب منح المرأة الحلّ بعد إتمام أيام تطهيرها**، فيقرأ الكاهن على رأسها صلوات وتحليلاً يبيح لها دخول الكنيسة والمقادس.

ولا يباح للمرأة أن تجيب عُنَ طفلها يوم تعميده قبل أن يقرأ الكاهن على رأسها الصلوات والتحليل الذى يخول لها الدخول إلى المواضع المقدسة.

جاء فى كتاب (مجموعة صلوات الخدمات فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية) وفى (ترتيب المعمودية المقدسة) أنه قبل أن يباشر الكاهن صلوات المعمودية، وقبل أن يعمد الطفل، يتلو الكاهن على المرأة الأم (**تحليل المرأة**) أولاً، **إذا ولدت ذكرا تأتى إلى الكاهن بعد أربعين يوما**)، فيصلى صلاة الشكر، ويقرأ فصلا من رسالة القديس بولس إلى العبرانيين ومن المزامير، ثم يتلو فصلاً من الإنجيل للقديس لوقا (٢ : ٢١ – ٣٥) **وهو الفصل الخاص بمجىء العذراء مريم بالسيد المسيح طفلاً إلى الهيكل بعد الأربعين يوما لميلاده**، وبعد أن يصلى صلوات أخرى، يتلو على رأس المرأة طلبة يقول فيها: (.. نسأل ونطلب منك يا محب البشر **لكى تتطلع على أمتك (عبدتك) (فلانة) حتى يتجدد روح قدسك فى أحشائها. طهرها من أدناسها، لتتجدد نفسها وجسدها وروحها**. اعتقها من كل لائمة، ومن جميع أعمالها القديمة، غفرانا لجميع آثامها..)

وفى طقس المعمودية، ينص الكتاب على صلوات أخرى تتلى على المرأة **وتحليل المرأة إذا ولدت أنثى** يقول: (**تأتى المرأة إلى الكاهن بعد ثمانين يوماً**، فيصلى الكاهن عليها صلوات وقراءات من الرسائل ومن الإنجيل ثم يصلى الطلبة).

وأخيراً، يتلو الكاهن فى جميع الأحوال (**التحليل**) الآتى على رأس المرأة:

(أيها السيد الرب الإله القادر على كل شىء، خالق الدهور الذى أمر عبده موسى فى الناموس، **وعرفه حدود الطهارة الواجبة على كل النساء اللواتى يلدن، أن يلبثن أياماً قلائل كما رسمت لهن، لكى لا يمسسن شيئاً من قدسك**، بل حفظتهن ليخلصن.. كذلك أيضاً يا سيدنا، نطلب ونتضرع إلى صلاحك عن أمتك (عبدتك) هذه التى حفظت ناموسك، وأكملت وصاياك، **واشتهت أن تدخل إلى موضع قدسك، وتسجد أمام هيكلك، مشتاقة إلى التناول من أسرارك المجيدة..**).

(نسأل ونطلب إليك أيها الصالح محب البشر، بارك عبدتك، **وحاللها، وطهرها من كل نجاسة غريبة من طهرك، ولتستحق شركة أسرارك المقدسة بغير وقوع فى دينونة..**).

بعد ذلك، أى بعد تلاوة (التحليل) على رأس المرأة، يقول كتاب الصلوات والمعمودية المقدسة (ثم يدهن الكاهن المرأة بالزيت، **وتدخل إلى الكنيسة**، وتتناول من الأسرار المقدسة)، أى أنه قبل ذلك **لا يجوز للمرأة قبل إنقضاء مدة طهارتها أن تدخل الكنيسة**، وبالتالى أن تتناول من الأسرار المقدسة.

ونفس المعنى تؤكد عليه مصادرنا الكنسية الأخرى.

جاء فى القانون الثامن عشر من قوانين الكنيسة والوصايا التى كتبها أبوليدس أو هيبوليتوس HIPPOLYTUS (نحو ١٧٠ - ٢٣٥م) (**المرأة التى تلد، لتقم خارجاً عن الموضع المقدس، إن كان الذى ولدته ذكرا أربعين يوما، وإن كانت أنثى فثمانين يوما**).

وجاء فى كتاب (مجموع القوانين) للصفى ابن العسال قوله:

(فى بعض القوانين أن المولود إذا خيف عليه من الموت قبل طهر أُمه من دم نفاسها، فليدخل الكنيسة مع غيرها ويعمد. **لأن المرأة التى تلد، تبقى بعيدة عن الموضع**

المقدس أربعين يوما إن ولدت ذكراً، وثمانين يوما إن ولدت أنثى) (الباب الثالث - طبعة سنة ١٩٠٨، صفحة ١٦ حاشية ١) طبعة ١٩٢٧ صفحة ٢٠.

ويقول العلامة يوحنا بن زكريا الشهير بابن السباع (رتبت الآباء أن كل طفل ذكر يولد، فبعد تطهير والدته من أيام نفاسها، **أى بعد مدة أربعين يوما**، يعمد بلا تأخير، **وكل طفلة أنثى بعد ثمانين** يوما، مدة تطهير والدتها، تعمد أيضاً. وهذا لئلا يفوتهم ملكوت الله) (الجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة، الباب الثلاثون، صفحة ٥٠).

وجاء فى كتاب (قانون الكنيسة القبطية) أى (كتاب الخلاصة القانونية فى الأحوال الشخصية لكنيسة الأقباط الأرثوذكسيين) للإيغومينوس فيلوثاؤس إبراهيم، رئيس الكنيسة الكبرى المرقسية بالقاهرة.

(يمتنع الرجل عن زوجته.. أيام نفاسها، أعنى، **أربعين يوما إن كان المولود ذكراً، وثمانين إن كان أنثى، بحيث لا تدخل الكنيسة إلا بعد تمام أيام النفاس. وحينئذ تمضى للكنيسة بعد أيام نفاسها ليبارك عليها الكاهن، ويمسحها بالزيت المقدس، وكذا فى أيام حيضها لا تدخل الكنيسة)** (لاحظ اللاويين ١٢: ١- ٥). (قانون الكنيسة القبطية.. الفصل الأول، المسألة العشرون، طبعة القاهرة ١٩٣٣ صفحة ٢٧- المتن، والحاشية صفحة ٢٨).

* * *

أما لماذا تمنع المرأة النُفَسَاء من دخول الكنيسة مدة أربعين يوما إذا كان مولودها ذكراً، وثمانين يوما إذا كان مولودها أنثى، أى لماذا تضاعف المدة فى حالة الطفلة الأنثى؟ فهذا مرده إلى أمر الشريعة كما جاء فى سفر (اللاويين ١٢: ١- ٥) وقد سارت عليه الكنيسة فى العهد الجديد، لأنه فى هذا الأمر لا فرق بين العهدين، إذ أن الشريعة واحدة، وواضعها واحد، هو رب العهد القديم وهو ذاته رب العهد الجديد.

والمتأمل فى عمق، يتضح له أن السبب الأساسى والعلة الحقيقية وراء هذا التمايز بين المولود الذكر والمولود الأنثى **هو عقاب لجنس المرأة بسبب الخطيئة الأصلية التى سقطت فيها الأم حواء قبل آدم.**

يقول الوحى الإلهى على لسان القديس بولس الرسول فى تعليل عدم السماح للمرأة بأن تعلّم أو تتسلط على الرجل:

(ولم يغو آدم، بل المرأة هى التى أغويت، فوقعت فى المعصية) (١ . تيموثيئوس ٢ : ١٤).

وكما عوقبت المرأة إلى اليوم بالعقاب الذى حكم الله به على حواء عندما اشتهت شهوة فأكلت من الشجرة المنهى عنها، وأغرت رجلها وأعطته فأكل معها (التكوين ٣ : ٦، ١٢) فصارت إلى اليوم تشقى بأوجاع الحمل والوضع.

(وقال الله للمرأة لأكثرن مشقات حملك. بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك تنقاد أشواقك، وهو يسود عليك) (التكوين ٣ : ١٦)، ولم يرفع الله هذه العقوبة عن جنس المرأة فى الدنيا، وإن كان قد رفع عنها العقوبة الأبدية بالخلاص والفداء الذى تممه المسيح الفادى بموته، وذلك **لتبقى آلام الحمل والوضع أثراً على الخطيئة الأولى فلا تنسى المرأة هذا الدرس، فتتحذر من ضعفها أمام إغراءات الخطيئة.**

أنظر (٢ . كورنثوس ١١ : ٣)، (١ . تسالونيكى ٣ : ٥)، (يعقوب ١ : ١٤، ١٥)، (١ . يوحنا ٢ : ١٦)، (الرؤيا ١٢ : ٩، ١٥)، (يوحنا ٨ : ٤٤).

٤٣ ـ معمودية الكنائس التى تُعمَّد بالتغطيس

سؤال : من أحد القراء.

هل معمودية الطوائف التى تعمد بالتغطيس تعاد عندما يريد شخص الإنضمام إلى الكنيسة الأرثوذكسية أم يكتفى بدهن هذا الشخص بزيت الميرون المقدس؟

الجواب :

من جهة الأروام الأرثوذكس ومن إليهم مثل الروس وغيرهم من أتباع الكنائس الخلقيدونية أو الكنائس الأرثوذكسية البيزنطية. لو فرضنا أنّ أحدا منهم أراد أن ينضم إلى الكنيسة الأرثوذكسية المرقسية فيكتفى بدهنه بالميرون فى ٣٦موضعا. وذلك لأن قانون الإيمان الذى على أساسه يتعمد التابعون للكنائس البيزنطية الأرثوذكسية هو بعينه قانون الإيمان الذى نردده، أى ليست فيه إضافة (والابن) التى أضافتها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، فيقولون: (نعم نؤمن بالروح القدس المنبثق من الآب). أما الكاثوليك فيقولون: (نعم نؤمن بالروح القدس المنبثق من الآب (والابن). وهذه الإضافة نعدها نحن ومعنا الكنائس البيزنطية خطأ لاهوتياً عظيماً، لأنها تنطوى على خلط ما بين مفهوم الانبثاق، وهو أزلى، ومفهوم الإرسال، وهو زمنى. فالروح القدس منبثق من الآب، وهو ما نطق به المسيح له المجد (يوحنا ١٥: ٢٦). وإذا كان المسيح قد قال (الروح المعزى الذى سأرسله أنا إليكم) (يوحنا ١٥: ٢٦) فإن الإرسال هو غير الانبثاق. الانبثاق فعل أزلى من الآب، أما الإرسال هنا فهو إرسال لنعمة الروح القدس، فى يوم الخمسين (أعمال الرسل ٢). وليس كذلك الانبثاق فهو أزلى. لقد خلط الكاثوليك ما بين فعل الانبثاق وهو أزلى، وفعل الإرسال وهو زمنى. ففى مفهوم الكنيسة الأرثوذكسية الفرق بين الاثنين كبير، وله معانى بعيدة المدى، ليس هنا مجال الكلام فيها. على أن هذه الإضافة من جانب الكنيسة الرومانية الكاثوليكية كانت سبباً أو من ضمن الأسباب التى جعلت الكنائس البيزنطية تنفصل عن الكنيسة الغربية فى سنة ١٠٥٤م وهو الانشقاق الثانى فى التاريخ المسيحى. الانشقاق الأول كان سنة ٤٥١م فى مجمع خلقيدونية حيث انقسمت الكنيسة إلى شرقية وإلى غربية. إنما ظلت الكنائس الغربية جميعها بما فيها الروم والروس ومن إليهم من مجموعة الكنائس الخلقيدونية معاً إلى القرن الحادى عشر، ثم انشقت أسرة الكنائس الخلقيدونية البيزنطية عن الكنيسة الغربية بسبب إضافة (والابن) إلى قانون الإيمان وهى الإضافة التى عرفت بإضافة FILIOQUE أى (والابن) وبسبب ذلك أصدر البطريرك البيزنطى فوتيوس

حرما ضد البابا الرومانى فى ذلك الوقت، لأنه قَبِلَ إضافة (والابن) على قانون الإيمان. هذا هو السبب فى أنه بالنسبة لأتباع الكنائس الأرثوذكسية البيزنطية إذا أراد أحد منهم أن ينضم للكنيسة الأرثوذكسية القبطية المرقسية، يكتفى بدهنه بالميرون على أساس أن المعمودية صحيحة، لأن قانون الإيمان الذى يعتمدون بموجبه صحيح. أما بالنسبة لغير هؤلاء، فالمعمودية لابد أن تعاد، لأن نص قانون الإيمان مختلف. الأمر الثانى إن فى هذا ضماناً لحقيقة الإنضمام. فالانضمام شفاها أو حتى بالكتابة على ورق لا يكفى. فلكى نضمن صحة هذا الإنضمام وحقيقة هذا الانضمام، وأنه ليس مجرد إجراء شكلى وحيلة مؤقتة لإتمام الزواج يعود بعده كل من الرجل والمرأة إلى عقيدته الأولى، تتطلب كنيستنا المعمودية على الإيمان الأرثوذكسى، وعلى الطقس الأرثوذكسى، على أنه ينبغى أن نؤكد إن إعادة المعمودية لا تحمل تحقيرا للمعمودية الكاثوليكية، لكن كنيستنا الأرثوذكسية تتطلب إعادة المعمودية ضماناً لصحة الانضمام، ومنعا من أن يعود كل من الزوجين إلى عقيدته الأولى بما يهدد وحدة الأسرة الروحية، ويربك أذهان الأطفال ويوقعهم فى حيرة بين والدين مختلفى العقيدة - فضلا عن خطر تطبيق الشريعة الإسلامية بسبب اختلاف المِلّة عند حدوث خلاف بين الزوجين. لذلك نعلن أن الزوجين يجب أن يكونا كلاهما على عقيدة واحدة، ويتبعان كنيسة واحدة، عند إتمام عقد الزواج. لذلك وتفاديا للإشكالات، نطالب بأن يكون الزوجان إما أرثوذكسيين معا أو كاثوليكيين معا. ولضمان صحة الانضمام يلزم تعميد غير الأرثوذكسى بالمعمودية الأرثوذكسية. وما نتطلبه نحن لا نأباه على غيرنا. فإذا انضم أرثوذكسى إلى الكنيسة الكاثوليكية، وأعيد عماده، فلن نغضب لذلك، بل سنعتبر عماده ضمانا لصحة إنضمامه إلى الكنيسة الكاثوليكية، وتفاديا لأخطار أكبر روحية وتربوية وشرعية.

٤٤ ـ معمودية التلاميذ قبل حلول الروح القدس

سؤال : من أحد المسيحيين.

يقول: جاء فى الإنجيل لمعلمنا يوحنا البشير(اصحاح ٣: ٢٦) أن يسوع له المجد كان يعمد والجميع يأتون إليه، فهل كانت هذه المعمودية ـ وهى قبل القيامة أى قبل أن يؤسس سر المعمودية ـ بفاعلية الروح القدس، أو بدونه؟ وإذا كانت بدونه كمعمودية يوحنا فهل كانت للمسيح له المجد إذن معموديتان: معمودية قبل القيامة بدون فاعلية الروح القدس؟ ومعمودية بعد القيامة بفاعلية الروح القدس؟ وهى المعمودية الحقيقية؟ وبهذه المناسبة أيضاً هل كانت معمودية التلاميذ الذين أخذوا هذا السلطان بلا شك من رب المجد، بفاعلية الروح القدس أو بدونه؟

الجواب :

لقد ورد عن السيد المسيح له المجد (أنه اتّخذ تلاميذ كثيرين وأنه يعمد أكثر من يوحنا) (يوحنا ٤: ١) وورد قبل ذلك أن بعض اليهود جاءوا إلى يوحنا المعمدان ليثيروه ضد المسيح يسوع، وقالوا له (يا معلم، إن الذى كان معك فى عبر الأردن، ذاك الذى شهدت له هوذا يعمد والجميع يقبلون إليه) (يوحنا ٣: ٢٦) وكأنهم يريدون أن يقولوا ليوحنا: إن ذاك الذى أحسنت إليه وخدمته وشهدت له، أخذ عملك واختصاصك، وتنكر لك، وجذب الناس إليه وصرفهم عنك فأساء بذلك إليك، وردّ جميلك عليك بِشَرٍ.. أما يوحنا المعمدان فلأنه كان مخلصا وأمينا لسيده، ولم ينحرف عن فهم رسالته، وهى إعداد الناس لسيده المسيح، فقد رد على أولئك اليهود رداً أخجلهم، وقال لهم: (أنتم أنفسكم تشهدون بأنى قلتُ إننى لستُ أنا المسيح، وإنما أنا مرسل أمامه. إن الذى له العروس فهو العريس. وأما صديق العريس الذى يقف ويسمعه ففرحاً يفرح لصوت العريس. ومن ثم **فإن فرحى قد اكتمل**. إنه ينبغى أن يزداد هو. أما أنا فأنقص. إن الذى يأتى من فوق، هو فوق الجميع. والذى من الأرض هو أرضى، ومن الأرض يتكلم. أما الذى يأتى من السماء فهو فوق الجميع..) (يوحنا ٣: ٢٨ – ٣٢) لقد كان يوحنا عظيماً فى جوابه على اليهود بما أثبت أمانته لسيده ولرسالته، وإلتزامه بها، وعدم إنحرافه عنها.

ثمّ قال يوحنا المعمدان فى بيان الفارق العظيم بين معموديته وبين معمودية سيده المسيح: (**أنا أعمدكم بالماء من أجل التوبة**، أما الذى يأتى بعدى، فهو أقوى

منى، وأنا لستُ مستحقا أن أحمل حذاءه. **إنه سيعمّدكم بروح القدس وبالنار)** (متى ٣: ١١)، (مرقس ١: ٨).

ومن هنا يتضح الفارق بين معمودية يوحنا المعمدان ومعمودية المسيح. معمودية يوحنا كانت تمهيدية لمعمودية المسيح. ثم إنها ليست لها قوة وفاعلية لغفران الخطايا أو لتطهير النفس، إنما كانت لأجل التوبة: فكانت بمثابة شهادة على مسيرة الإنسان فى طريق الله، والبعد عن طريق الخطيئة والإثم، **أى أنها كانت مجرد إعلان عن التوبة. فمعمودية يوحنا المعمدان لا قوة لها على النفاذ للنفس الداخلية. إنها مجرد بلل بالماء كما يدل على ذلك معنى كلمة (عمّد) باللغة السريانية أى (بلل بالماء) أما معمودية المسيح فهى بالروح القدس والنار. ومعنى ذلك أنها تأكل وتحرق الخطيئة وتغسل النفس من خطاياها**، كما قال حنانيا الرسول لشاول الذى هو بولس **قم تعمد واغسل خطاياك)** (أعمال ٢٢: ١٦).

على أن الإنجيل للقديس يوحنا يقول مستدركاً **(إن يسوع نفسه لم يكن يعمد، وإنما تلاميذه)** (يوحنا ٤: ٢).

وإذن فمعمودية المسيح التى تكلم يوحنا المعمدان عن قوتها وفعالياتها لم يباشرها المسيح له المجد قبل عمل الفداء، ولذلك **فإن معمودية تلاميذ المسيح قبل صلب المسيح وعمل الفداء لم تكتسب قوتها وفعاليتها كمعمودية المسيح إلا بعد قيامة المسيح وحلول نعمة الروح القدس على التلاميذ** يوم الخمسين. وإذن فمعمودية المسيح قبل صلبه وقيامته لم تكن تفترق كثيرا من حيث فعاليتها عن معمودية يوحنا. مع ذلك فمعمودية المسيح تسمو عن معمودية يوحنا المعمدان من حيث أنها قائمة على الإيمان بالمسيح الذى أتى بالفعل، ثم هى أيضاً بأمر المسيح وتكليف منه لتلاميذه، **ولابد أن يكون فيها نعمة من قبل المسيح لمن يقبلها باسمه، غير أنها لم تكن بقوة النعمة التى أخذها التلاميذ فيما بعد بحلول نعمة الروح القدس عليهم فى يوم الخمسين**، بعد قيامة المسيح وصعوده إلى السماء وإرسال نعمة الروح القدس عليهم.

فمعمودية المسيح أو معمودية التلاميذ بعد موت المسيح وقيامته وحلول نعمة الروح القدس عليهم **اكتسبت معنى جديداً وهو الموت مع المسيح: (ذلك أنكم دفنتم معه فى المعمودية، وأقمتم معه أيضا)** (كولوسى ٢: ١٢) **(ألا تعلمون أننا حين تعمدنا**

لنتحد بيسوع المسيح، إنما تعمدنا لنموت معه، فدفنا معه فى المعمودية، وشاركناه فى موته، حتى كما أقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب، كذلك نسلك نحن أيضاً فى حياة جديدة. فإذا كنا اتحدنا به فى موت يشبه موته، فكذلك نتحد به فى قيامته. ونحن نعلم أن الإنسان القديم فينا، صلب مع المسيح حتى يزول سلطان الخطيئة فى جسدنا،... فإذا كنا قد متنا مع المسيح، فنحن نؤمن بأننا سنحيا معه) (رومية ٦: ٣- ٨).

مع ذلك، ومع أن معمودية تلاميذ المسيح كانت سابقة على صلب المسيح وموته وقيامته، لكننا لا نستطيع أن نقول إنها فى مرتبة معمودية يوحنا المعمدان، **إذ أن معمودية يوحنا المعمدان لم تكن بالروح القدس، وإنما كانت مجرد (بلل بالماء) إعلانا لتوبة الإنسان الذى يقبلها، وكان يوحنا المعمدان فى معموديته يمهد الناس بالتوبة للإيمان بالمسيح الآتى**. أما معمودية تلاميذ المسيح قبل صلب المسيح وقيامته، وإن لم تكتسب قوتها إلا بعد الصلب والقيامة، لكنها **على نوع ما لم تكن مجرد بلل بالماء كمعمودية يوحنا بل كان فيها نعمة من قبل المسيح له المجد** الذى أقام التلاميذ بسلطانه الإلهى ومنحهم نعمة وسلطانا لم ينله يوحنا...ولذلك فإن من عمدهم تلاميذ المسيح لم يحتاجوا إلى العماد ثانية، إنما نالوا موهبة الروح القدس الذى حل على التلاميذ والمؤمنين يوم الخمسين. وهذا ما قاله سفر أعمال الرسل عن المسيح له المجد بعد قيامته من بين الأموات. إنه (أصدر أوامره بالروح القدس إلى الرسل الذين اختارهم، والذين أيضاً بعد أن تألم أراهم نفسه حياً ببراهين كثيرة واضحة، وقد ظل أربعين يوماً يظهر لهم ويكلمهم عن ملكوت الله. وفيما هو يأكل معهم أوصاهم بألا يبرحوا أورشليم قائلاً: انتظروا موعد الآب الذى سبق أن سمعتموه منى. فإن يوحنا عمد بالماء. **وأما أنتم فستعمدون بالروح القدس بعد أيام غير كثيرة**) (أعمال الرسل ١: ٢- ٥).

٤٥ – لماذا يحتاج الطفل المولود من أبوين مسيحيين إلى العماد؟

هنا نجيب على سؤال يتردد على أذهان بعض الناس ؟

إذا كان الأب والأم قد نالا العماد، فلماذا يحتاج الابن المولود منهما إلى العماد ؟

وجوابنا على ذلك :

أولا : إذا كان الأب قد رفعت عنه عقوبة الخطيئة الجدية بمعموديته، فإن كلا من الأب والأم بعد عماده لم يظل على صورة النقاء والطهر التى كان عليها بعد معموديته مباشرة، بل لابد أن يكون قد ارتكب خطايا فعلية كثيرة. **وكل خطيئة فعلية هى تكرار لخطيئة آدم الأول**، لأن الخطيئة هى المخالفة لوصايا الله. وكما أخطأ آدم، يخطئ الناس من أولاد آدم فى كل يوم.

ثانياً : إن المعمودية ترفع عقوبة الخطيئة الجدية - وهى التى لم يرتكبها المعمد بالفعل - **لكن لخطيئة آدم آثاراً جانبية لحقت بكل الذرية الآدمية، وهذه الآثار شاء الله أن تبقى، ولا ترفع، لأنها نتائج طبيعية للخطيئة، ولكى يكون بقاؤها أثراً يذكر الإنسان بالخطيئة وبنتائجها، ويحذره منها**، مثل ذلك مثل الأثر الذى يتركه جرح قديم فى جسم الإنسان بعد شفائه منه. فكلما تطلع الإنسان إلى أثر الجرح فى جسده، ذكر السبب، فيعتبر.

إن من آثار خطيئة آدم الباقية على الرغم من رفع العقوبة بصلب المسيح وموته، الموت الذى دخل إلى العالم بالخطيئة، (التكوين ٢ :١٧)، (الحكمة ٢ :٢٤)، (رومية ٦ :٢٣)، ومع الموت المرض، والشقاء، فمازال الإنسان يأكل خبزه بعرق جبينه، ومازالت الأرض تنبت للإنسان شوكا وحسكا. ومازالت حواء تلد البنين بالأوجاع (التكوين ٣ : ١٥ - ١٩)، ومازالت العداوة قائمة بين الحية وبين حواء ونسلها (التكوين ٣ :١٥)، وذلك كله حسب العقوبة حين توعد الله آدم بهذا كله.

ومن بين آثار خطيئة آدم، الميل إلى الخطيئة الباقى فى طبيعتنا.

لذلك فإن المعمودية ترفع عقوبة الخطيئة، لكنها لا تُعفى من الآثار الجانبية للخطيئة الجدية. ومن بين تلك الآثار الميل والشهوة، هذا الميل وهذه الشهوة

يبقيان فى الجنس، ويتنقلان بالوراثة عن طريق التوالد باجتماع الرجل والمرأة. ومن هنا كان كل طفل يولد عن هذا الطريق، يجب تعميده حتى يعفى من لوثة الخطيئة الجدية التى انتقلت إليه بالوراثة عن طريق التوالد.

من أجل هذا أوجب القانون الكنسى عماد الطفل على الرغم من عماد والديه.

جاء فى القانون السادس من قوانين مجمع قيصرية الجديدة المنعقد سنة ٣١٥ لميلاد المسيح :

(فيما يختص بالمرأة الحبلى نقضى بأنها ينبغى أن تستنير بالمعمودية متى شاءت. لأنه فى هذه الحالة **ليس بين المرأة وولدها شركة فى المعمودية**، نظراً لأن لكل إنسان إرادته الخاصة التى يبديها فى إقراره بالإيمان).

THE RUDDR .... P. 511

وقد أورد الصفى ابن العسال فى كتابه (مجموع القوانين) فحوى هذا القانون السادس من قوانين مجمع قيصرية الجديدة، منسوباً إلى قرطاجنة كما يلى:

(والحبالى لا يمنعن من التعميد أى وقت شئن. **وليس بين الوالدة والولد شركة فى المعمودية، لأن كل إنسان يجب أن يظهر إقراره منفرداً**) (الباب الثالث).

وجاء فى قوانين المجمع المقدس المنعقد فى عهد البابا كيرلس الثالث، قوله:

(ولا تحسب معمودية الحامل معمودية لحملها، بل يعمد بمفرده).

٤٦ - هل الخلاص للعالم كله؟ (١)

هل الخلاص بدم المسيح قاصر على فئة معينة من الناس، أم هو للعالم كله؟ وإذا كان لفئة معينة من الناس، فيكون الإيمان إذن هو العامل الأول للخلاص، لأننا نؤمن بدم المسيح.

الجواب :

الخلاص بالمسيح مقدم ومعروض لجميع الناس وليس لفئة بعينها من الناس - على أن العامل الأول للخلاص هو الإيمان بالمسيح. والإيمان فعل الإرادة. فمن الناس من يؤمن، ومن الناس من يرفض، لأن الإنسان كائن حر، مناط أمره بيده. فهو حر مختار، وبحريته وإرادته يؤمن إذا شاء، وبحريته وإرادته يرفض إذا شاء - فليس أحد من الناس مقهورا على الإيمان.

والإيمان هو الخطوة الأولى فى الخلاص. ومع ذلك فليس الإيمان وحده هو الذى يخلص الإنسان. إن الخلاص عمل مشترك بين الإنسان وبين الله. للإنسان دور فى الخلاص، ولله فيه دور. ودور الإنسان أن يؤمن ثم يطلب الخلاص ويسعى إليه. الإيمان يؤهل الإنسان للخلاص، لكن ليس الإيمان هو الذى يمنح الخلاص، وإنما الخلاص يتم أولاً فى سر المعمودية. وهذا هو عمل الله الذى تم بفداء المسيح على الصليب، ينقله الروح القدس إلى الإنسان فى سر المعمودية. لأن المسيح وحده هو المخلص وهو الفادى، (وليس بأحد غيره الخلاص. وما من اسم آخر تحت السماء منح للناس به ينبغى أن يخلصوا) (أعمال الرسل ٤ :١٢).

فالخلاص إذن هو عمل النعمة، عمل المسيح. **والمعمودية هى عمل المسيح. والروح القدس ينقل إلينا فى المعمودية استحقاقات المسيح الكفارية.** أما الإيمان فهو عمل الإنسان. الإيمان هو التصديق القلبى الذى به يقبل الإنسان عمل الله. ومن ثم فالإيمان ليس هو الذى يخلص، إنه يزيل العائق الذى يمنع الإنسان البالغ من قبول عمل الروح القدس فيه، فيؤهله لقبول خلاص المسيح الذى يتم فى سر المعمودية.

---

(١) نشر بمجلة (الكرازة) فى السنة الثالثة - العددين الخامس والسادس - يونيه ويوليو لسنة ١٩٦٧م صفحة ٧٥.

٤٧ - آمن ... تخلص (١)

ما معنى قول الكتاب المقدس: (آمن بالرب يسوع المسيح، تخلص أنت وأهل بيتك) (أعمال الرسل ١٦: ٣١)؟

الجواب :

تلك العبارة (آمن بالرب يسوع المسيح، تخلص أنت وأهل بيتك) قالها الرسولان القديسان بولس وسيلا للرجل سجان مدينة فيلبى عندما سألهما الرجل وهو مرتعد من شدة تأثره بعمل الله المبهر مع الرسولين وقال: ياسيدى، ماذا يجب علىّ أن أعمل لأنال الخلاص؟ (قالا له: **آمن بالرب يسوع المسيح، تخلص أنت وأهل بيتك**).

ذلك لأنه لما كان الرسولان بولس وسيلا يكلمان رجلاً غير مؤمن بالمسيح فلا بد أن يكلماه عن أول شئ يجب عليه أن يعمله. ولم يكن من المستساغ أن يرشداه إلى كل شئ، وإنما يكفى أن يعرفاه مبدئيا **بالخطوة الأولى، فى طريق الخلاص، وهى الإيمان بالرب يسوع المسيح**. لكن ليس معنى هذا أن مجرد الإيمان بالرب يسوع المسيح يكفى لتحقيق الخلاص الكامل، خصوصا وأن كلمة (**تخلص**) جاءت فى اللغات الأصلية فى الزمن (**المستقبل**) لا فى الزمن الماضى، مما يدل على أن خلاص سجان فيلبى لم يتم بمجرد الإيمان، ولكنه سيتم مستقبلا **إذا تحقق الإيمان كخطوة أولى، وتلاه ما بعد الإيمان من خطوات، من بينها (المعمودية) وما بعد المعمودية من جهاد وأعمال صالحة**.

ودليلنا على ذلك أن سجان فيلبى دعا الرسولين بولس وسيلا إلى بيته، وهناك فى بيته حدثاه وجميع أهل بيته بكلمة الرب وشرحا له ولذويه عقائد الإيمان المسيحى، وبعد ذلك (**عمداه هو وأهل بيته أجمعين**) (أعمال الرسل ١٦: ٣٢، ٣٣).

فلو كان الإيمان وحده كافيا للخلاص لما كان هناك داعٍ للمعمودية. ولكانت المعمودية أمرا زائدا لا قيمه له. فسجان فيلبى لم يخلص بالإيمان وحده، وإنما كان الإيمان بالمسيح هو أول خطوة فى طريق خلاصه، أى أن الإيمان بالرب يسوع المسيح هو الذى أهله للخلاص. فالخلاص لا يفرض على الإنسان فرضاً وإنما ينبغى أن يتأهب له بالإيمان أولاً وهو دليل قبوله للخلاص بحريته وإرادته. وكما قال القديس أوغسطينوس (**إن الله الذى خلقك من دونك لا يقدر أن يخلصك من دونك**).

---

(١) نشر بمجلة (الكرازة) - السنة الثالثة - العددين الخامس والسادس - يونيه ويوليو لسنة ١٩٦٧م صفحة ٧٥، ٧٦.

إن الخلاص عمل مشترك بين الله والإنسان: الله له دور، والإنسان له دور في هذا الخلاص. ليس الخلاص عمل الله فقط وإلا فلا يكون الإنسان حرا. إن الله لا يشاء أن يمنح الخلاص إلا للذين يطلبون الخلاص ويسعون إليه. لذلك **فإن سجان فيلبى لم يخلص بالإيمان وحده، وإنما كان الإيمان بالرب يسوع المسيح هو الخطوة الأولى، وتلتها بعد ذلك خطوة تقدمه إلى سر المعمودية المقدسة، وفى المعمودية المقدسة ينال المؤمن استحقاقات المسيح الكفارية ينقلها الروح القدس إليه عن طريق التعميد.**

٤٨- لماذا لا نؤخر العماد إلى سن الثلاثين ؟(١)

لقد تعمد المسيح له المجد فى سن الثلاثين، فلماذا تأمر الكنيسة بتعميد الطفل بعد أربعين يوما من ميلاده إذا كان ذكرا؟ ولماذا لا نتمثل بسيدنا يسوع المسيح، ونؤخر عماد الأطفال إلى سن الثلاثين ؟

الجواب :

حقا، إن مخلصنا يسوع المسيح اعتمد وهو فى سن الثلاثين (لوقا ٣:٢٣) لأنه كان لابد كمعلم أن يعتمد فى السن التى يعد فيها هو المثال والقدوة والمعلم، وكانت هى سن الثلاثين لأنها سن اكتمال الرجولة.

ثم إن معمودية يوحنا المعمدان هى غير المعمودية المسيحية التى نعتمد بها نحن الآن. إن معمودية يوحنا المعمدان كانت معمودية تمهيدية (من أجل التوبة) (متى ٣:١١)، ومن أجل إعداد الناس إلى الإيمان بالمسيح. فلا نخلط بين معمودية يوحنا المعمدان وبين المعمودية المسيحية.

أما الطفل فيعمد فى طفولته، ولو كان ابن يوم واحد - إذا كان فى خطر الموت، حتى لا يحرم من ملكوت السماوات، وهذا ما قرره المسيح له المجد فى تعليمه **(الحق الحق أقول لك إن الإنسان مالم يولد ثانية من فوق لا يمكنه أن يرى ملكوت الله... الحق الحق أقول لك إن الإنسان مالم يولد من الماء والروح لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله)** (يوحنا ٣:٣، ٥).

هذا، ولو اكتفينا بتعليم الطفل وتربيته من غير تعميد، فالتعليم والتربية من دون التعميد لا يكون لهما أثرهما الفعال كما يكون لهما بعد التعميد، أى بعد أن تتغير طبيعته القديمة المولود بها، وهى الملوثة بوصمة الخطيئة الأصلية والتى انتقلت إليه بالدم الواصل إليه بالتوالد من أبويه. فنحن فى العهد الجديد نعمد الطفل أولاً حتى تتغير بالتعميد طبيعته ويلبس طبيعة جديدة، طبيعة الرب يسوع، ثم بعد ذلك يجئ دور التربية والتعليم، فيكون البناء على أساس جديد، مما يجعل التعليم والتربية أسهل وأكثر فعالية. قال المسيح له المجد (وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به) (متى ٢٨:١٩، ٢٠) فالتعميد أولاً، ثم التعليم بعد التعميد بالنسبة للأطفال على الخصوص، هو الطريق الأفضل والأمثل.

---

(١) نشر بمجلة (الكرازة) السنة الثالثة - العددين الخامس والسادس - يونيه ويوليو لسنة ١٩٦٧م صفحتى ٧٦، ٧٧.

٤٩- مفهوم الخلاص
فى الكنيسة الأرثوذكسية (١)

هذا الموضوع فى غاية الأهمية من حيث أن لكنيستنا المسيحية الأرثوذكسية تاريخاً طويلاً فى هذه المسألة، ومن حيث أن هناك مفهومات مغايرة بدأت تعمل عملها فى وسط شعبنا، وفيها انحراف عن الفهم الصحيح الذى استقر فى أذهاننا على مدى التاريخ الطويل. فلأول مرة تطرق أذهان شعبنا تساؤلات جديدة يتعارض ذكرها مع تراثنا المسيحى. أناس يسألون الأرثوذكسيين عن الخلاص ويوجهون إليهم الخطاب بأسلوب ساخر فيه كثير من التحدى، كما لو كان هؤلاء القوم المتسائلون هابطين من السماء، وقد حصلوا وحدهم على الخلاص دون غيرهم!

وبدأ بعض المؤمنين الأرثوذكسيين يسأل عن الخلاص، وما إذا كانوا قد نالوا الخلاص، وظهر فى الناس انقسام فى مفهوم الخلاص فى أكثر من إتجاه، وأخذت هذه الحركة تنتقل من مدينة إلى أخرى، تحت تأثير جمعية خلاص النفوس البروتستانتية، حتى أمست هذه المفهومات الخاطئة تشكل خطرا على المؤمنين الأرثوذكسيين بخاصة، وعلى كنيسة المسيح بعامة.

وما لم يكن الكهنة والخدام فى الكنيسة متنبهين إلى واجباتهم الراعوية، وعلى دراية كبيرة بهذه الحقيقة الخلاصية، كيف يمكن أن تكون الرعية على وعى سليم بالخلاص بحيث يمكنهم أنه يتبينوا موقعهم من قضية الخلاص، وبالتالى أن يجيبوا على الأسئلة التى توجه إليهم خصوصا من أتباع جمعية خلاص النفوس ومن تأثروا بدعوتهم، إجابة سليمة صحيحة تطابق الحق الإلهى وتتفق فى الآن نفسه مع تقاليد الكنيسة العريقة المجيدة، بالنسبة (للإيمان المسلم مرة من القديسين) (يهوذا : ٣) والذى عشناه وعايشناه هذه الأزمنة الطويلة، منذ القديم وإلى اليوم.

معنى الخلاص

أولاً : المعنى المادى والأرضى للخلاص:

كلمة (الخلاص) لغويا معناها **النجاة أو الإفلات من خطر أو من شر ما**. نقول (خلص، يخلص) أى صفا من الكدر، أو انتفى عنه الغش. و(خلص يخلص) بمعنى نجا أو

(١) نشر بمجلة (الكرازة) السنة الثالثة - العددين الخامس والسادس - يونيه (حزيران) ويوليو (تموز) لسنة ١٩٦٧م صفحات ٦٠ - ٧٤.

سلم من شر. والخلاص فى المفهوم المسيحى هو (**النجاة**) **من الهلاك الأبدى ومن النار الأبدية، والفوز بآخرة صالحة.**

وإذن فالخلاص له معنى مادى أرضى، وله معنى دينى روحى:

أما الخلاص بمعناه المادى الأرضى فهو النجاة من عدو ظاهر، أو من شدة أو ضيقة، أو من مرض، أو من شر يهدد حياة الإنسان على الأرض.

وبهذا المعنى المادى الأرضى وردت كلمة (الخلاص) فى مواضع متفرقة من الكتاب المقدس:

فعندما خرج بنو إسرائيل من أرض مصر بقيادة النبى موسى، وخرج فرعون وكل جنوده وراءهم، ليعودوا بهم إلى مصر أو ليهلكوهم، فزع شعب بنى إسرائيل جدا وصرخوا إلى الرب وإلى موسى، (قال موسى للشعب: لا تخافوا. قفوا وانتظروا **خلاص الرب** الذى يصنعه لكم اليوم... الرب يحارب عنكم وأنتم صامتون) (الخروج ١٤: ١٣، ١٤). وتمم الرب وعده، فقد عبر بنو إسرائيل البحر الأحمر بسلام. أما فرعون وجنوده فغرقوا فى البحر. وقال سفر الخروج: (**فخلص الرب فى ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين**) (الخروج ١٤: ٣٠) وقال سفر المزامير (**وخلصهم من يد المبغض**، وافتداهم من يد العدو) (مزمور ١٠٥: ١٠).

كذلك وبهذا المعنى المادى جاء قول يحزيئيل بن زكريا من بنى آساف عندما حارب بنو موآب وبنو عمون الإسرائيليين فى أيام يهوشافاط ملك يهوذا، وخاف يهوشافاط وطلب وجه الرب بالتضرع والصوم، قال يحزيئيل بروح الرب ليهوشافاط وشعب يهوذا (قفوا واثبتوا، **وانظروا خلاص الرب** معكم يا يهوذا وأورشليم. لا تخافوا ولا ترتاعوا) (٢. أخبار الأيام ٢٠: ١٧). وتم الخلاص للملك يهوشافاط ولشعب يهوذا وأورشليم من الموآبيين والعمونيين، وعادوا بالفرح (**لأن الرب فرحهم فى أعدائهم**) (٢. أخبار الأيام ٢٠: ٢٧).

وبهذا المعنى جاء فى سفر إشعياء (اذكر رأفة الرب وتسبيح الرب لأجل كل ما كافأنا به الرب، ولأجل كثرة خيره إلى آل إسرائيل.... إذ قال إنهم شعبى حقاً... فصار لهم **مخلصا**. فى كل مضايقهم تضايق، وملاك حضرته **خلصهم**. بمحبته وشفقته افتداهم، ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة) (إشعياء ٦٣: ٧-٩). والإشارة هنا إلى الشدائد والضيقات والمتاعب التى لقيها

شعب بنى إسرائيل، وإلى تخليص الرب لهم منها، فتخلصوا من أعدائهم ونجوا من الأخطار والشرور التى واجهتهم.

وبهذا المعنى المادى الأرضى للخلاص جاء قول الكتاب المقدس عن نوح (بالإيمان أوحيت إلى نوح أمور لم تكن بعد مرئية، فخاف وبنى فلكا **لخلاص أهل بيته**، دان به العالم) (العبرانيين ١١ :٧). والخلاص هنا أيضا **خلاص من الغرق والموت بالطوفان** الذى حدث فى زمن نوح. وفيه قال الوحى الإلهى (بنى نوح الفلك **فنجا (خلص)** فيه بالماء عدد قليل، أى ثمانية أشخاص) (١ . بطرس ٣ :٢٠) والذين نجوا أو خلصوا من الغرق فى طوفان الماء هم نوح وزوجته وأبناؤه الثلاثة: سام وحام ويافث، وزوجاتهم، وعددهم جميعا ثمانية.

وبهذا المعنى أيضاً نفهم معنى قول المسيح له المجد للأبرص الذى شفاه من مرض البرص: (انهض وامض فى سبيلك. إن **إيمانك قد خلصك**) (لو ١٧ :١٩) أى أن إيمان الأبرص قد أهله **وجعله أهلاً لأن ينال الشفاء من مرض البرص. فالخلاص هنا هو الشفاء والنجاة من المرض**. انظر (لو ١٨ :٤٢)، (متى ٩ :٢٢).

* * *

ذاك هو **المعنى المادى والأرضى للخلاص، أى النجاة من عدو ظاهر، أو الشفاء من مرض، أو الإفلات من شدة أو ضيقة أو شر من الشرور المادية الأرضية**.

ثانياً : المعنى الروحى للخلاص:

على أن هناك معنى آخر للخلاص، وهو **النجاة من الهلاك الأبدى**، أو مما يؤدى إلى هذا الهلاك، وهو **الخطيئة** التى تفضى إلى الهلاك وإلى النار الأبدية. وينطوى تحت هذا المفهوم **الخلاص أيضاً من عبودية الشيطان، والخلاص من الجحيم، والخلاص من جهنم** النار الأبدية.

وبهذا المعنى الروحى يقول الوحى الإلهى: (فى وقت مقبول سمعتك، وفى **يوم الخلاص** أعنتك. فها هوذا الآن وقت مقبول. وها هوذا **الآن يوم الخلاص**) (٢ . كورنثوس ٦ :٢). ويقول أيضا (من رد خاطئا عن طريق ضلاله **خلص نفسا من الموت**) (يعقوب ٥ :٢٠).

والخلاص من الموت هو **الخلاص من الهلاك الأبدى** وهو ما يعرف بـ **(الموت الثانى)** (سفر الرؤيا ٢ :١١)، (٢٠ :٦، ١٤). ويقول القديس بولس الرسول : (وسينقذنى الرب من كل عمل ردئ، **ويخلصنى لملكوته السماوى**) (٢ . تيموثيوس ٤ :١٨). ولا شك أن هذا الخلاص هو **الخلاص الأبدى، والنجاة من الهلاك فى جهنم.**

وعن هذا النوع من الخلاص الروحى تكلم يعقوب أبو الأسباط وهو ينبئ ابنه دان بما يكون مصيره فى مستقبل الزمان، قال: (يكون دان حية على الطريق، وأفعوانا على السبيل، يلسع عقبى الفرس، فيسقط راكبه إلى الوراء. **لخلاصك انتظرت يارب**) (التكوين ٤٩ :١٦-١٨). ولابد أنه يشير بالحية إلى الشيطان، (الحية القديمة)، (سفر الرؤيا ١٢ :٩، ١٥)، (٢٠ :٢)، (التكوين ٣ :١)، (٢ . كورنثوس ١١ :٣). والخلاص منها بالمسيح الفادى. وقد رأى آباء الكنيسة فى هذه النبوءة إشارة إلى المسيح الدجال وأنه سيأتى من سبط دان، (الذى يبيده الرب يسوع المسيح بنفخة من فمه، ويمحقه بضياء مجيئه) (٢ . تسالونيكى ٢ :٨).

وعن هذا الخلاص تكلم سمعان الشيخ عندما حمل المسيح على ذراعيه وبارك الله ثم قال: (الآن أطلق ياسيدى عبدك بسلام وفقا لكلمتك. **فإن عينىّ قد أبصرتا خلاصك** الذى أعددته أمام كل الشعوب) (لوقا ٢ : ٢٨- ٣١).

وكذلك فعلت حنة بنت فنوئيل وهى نبية من سبط أشير وكانت طاعنة فى السن، (ففى تلك الساعة تقدمت نحوه، وأخذت تحمد الله بشأنه، وتحدث عن كل من كان **ينتظر الخلاص** فى أورشليم) (لوقا ٢ : ٣٦- ٣٨).

وإذن فليس كل اليهود كانوا يفهمون الخلاص بمعناه المادى دون الروحى، وإنما كانت هناك بعض الشخصيات من اليهود، قلوبهم متفتحة، ولهم نوع من الفهم الروحى العميق، فلم يكن يعنيهم مجرد الخلاص من الأعداء الظاهرين، وإنما كان يعنيهم بالأحرى **الخلاص من العدو الباطن، الخلاص من الشيطان، الخلاص من الخطيئة القديمة، الخلاص من عبودية الجحيم.** وقد قال المسيح له المجد: (لقد تهلل إبراهيم أبوكم **مشتهيا أن يرى يومى**، وقد رأى وفرح) (يوحنا ٨: ٥٦).

وعن هذا الخلاص قال الكتاب المقدس: (فى الإيمان مات أولئك كلهم، دون أن يحصلوا على المواعد، بل إنما رأوها وحيوها عن بعد) (العبرانيين ١١: ١٣).

وعن هذا الخلاص أيضا جاء فى سفر نبوءة زكريا (وبدم عهدك أنت أيضا أطلق أسراك من الجب الذى لا ماء فيه) (زكريا ٩: ١١). ولا بد أن النبى يتكلم هنا عن **الخلاص من الجحيم**، لأن الجحيم هو (الجب الذى لا ماء فيه) والذى نزلت إليه أرواح البشر جميعا، صالحين وأشراراً، ذلك أن الفردوس كان مغلقا فى وجه الإنسان منذ أن طرد أبوانا آدم وحواء من جنة عدن بسبب خطيئتهما. فإبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وصموئيل، وكل قديسى العهد القديم عندما ماتوا نزلت أرواحهم إلى الجحيم، وظلت محبوسة فيه إلى أن جاء مخلصنا، ومات بديلا عن الإنسان، ونزل من القبر إلى الجحيم وأشرق على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت (مزمور ١٠٦: ١٠، ١٤)، (إشعياء ٩: ٢، ٣)؛ (متى ٤: ١٥، ١٦) وبشرهم ونقل الذين كانوا أسرى إلى الفردوس.

وجاء فى رسالة القديس بطرس الأولى عن المسيح مخلصنا أنه بعد موته ودفنه (انطلق **فبشر الأرواح التى فى السجن**) (١. بطرس ٣: ١٩) (**لأنه لهذا بشر الأموات**) (١. بطرس ٤: ٦). وجاء فى القداس الإلهى (ونزل إلى الجحيم عن طريق الصليب).

وجاء فى الرسالة إلى أفسس (لما صعد إلى العلى أخذ أسرى كثيرين وأعطى الناس عطايا. وما المراد بقوله: صعد سوى أنه **نزل أولاً إلى أسافل الأرض**) (أفسس ٤: ٨، ٩).

وهذا هو السبب فى أنه منذ الأصحاح الثالث من سفر التكوين حيث طرد الإنسان من الفردوس لم نعد نقرأ عن الفردوس إلا فى الأصحاح الثالث والعشرين من الإنجيل للقديس لوقا حيث يرد وعد المسيح مخلصنا على الصليب للص اليمين (إنك اليوم تكون معى فى الفردوس) (لوقا ٢٣: ٤٣). فقد كان الفردوس مغلقا فى وجه الإنسان ولم يفتحه إلا المسيح له المجد بموته وصلبه، متمما عمل الفداء والخلاص. لهذا نقل الأقباط عيد شم النسيم - وهو عيد الربيع الذى يذهب فيه الناس إلى الحدائق العامة - وجعلوه يقع دائما فى يوم الاثنين، ثانى يوم عيد القيامة، للدلالة على أنه بموت المسيح وقيامته انفتح الفردوس أمام الإنسان، وانطلقت أرواح الناس التى كانت محبوسة فى الجحيم إلى الفردوس المفقود.

وإذن فهذا هو المعنى الثانى للخلاص، أى **الخلاص من الخطيئة، والخلاص من عبودية الجحيم، والخلاص من الهلاك الأبدى**، وهو ما كان دائما يشير إليه مخلصنا وفادينا عندما كان يقول (لأن ابن الإنسان إنما جاء ليسعى فى **طلب الذى ضاع ويخلصه)** (لوقا ١٩: ١٠) **(لقد جاء ابن الإنسان ليخلص الضالين)** (متى ١٨: ١١).

ثم إن الملاك جبرائيل عندما ظهر فى حلم ليوسف خطيب سيدتنا العذراء مريم قال له (وستلد ابنا **وتسميه يسوع، لأنه هو الذى يخلص شعبه من خطاياهم)** (متى ١: ٢١).

وقال السيد المسيح له المجد فى بيان مهمته المقدسة على الأرض فى تجسده (لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم، **وإنما ليخلص به العالم)** (يوحنا ٣: ١٧) (لأننى **ما جئت لأدين العالم بل لأخلص العالم)** (يوحنا ١٢: ٤٧) وقال أيضا (أنا هو باب الخراف، **فإن دخل بى أحد يخلص** ويدخل ويخرج ويجد مرعى) (يوحنا ١٠: ٩). وجاء فى سفر أعمال الرسل عن مخلصنا وفادينا (**وليس بأحد غيره الخلاص. وما من اسم آخر تحت السماء منح للناس** به ينبغى أن يخلصوا) (أعمال ٤: ١٢). انظر (أعمال ١٠: ٤٣)، (١ . تيموثيئوس ٢: ٥). وجاء فى الرسالة الثانية إلى تيموثيئوس عن ربنا يسوع المسيح (**الذى خلصنا** ودعانا دعوة مقدسة) (٢ . تيموثيئوس ١: ٩).

ويدخل فى نطاق هذا المعنى قول المسيح له المجد إلى المرأة الخاطئة (**إن إيمانك قد خلصك)** (لوقا ٧: ٥٠) والمعنى أن إيمانها قد أهلها لتنال الخلاص من خطاياها.

كيف ينتقل خلاص المسيح وعمله الفدائى إلى الإنسان لكى يخلص؟

إن المسيح له المجد هو الذى تمم الفداء والخلاص بقبوله الصلب والحكم بالموت، لكن كيف ينتفع الإنسان بهذا الخلاص، أو كيف ينتقل إليه؟ وكيف يناله ويحصل عليه؟

إن خلاص الإنسان موقوف على إرادته هو، فلا ينال الخلاص مالم يطلبه هو أولاً ويسعى إليه.

أما القديسون قبل مجئ المسيح فى الجسد، فهؤلاء عند موتهم نزلوا إلى الجحيم، وظلوا فيه منتظرين الخلاص، لقد رأوا المواعد وصدقوها وحيوها عن بعد (العبرانيين ١١: ١٣) ولكن لم

ينالوا الخلاص بالفعل إلا عندما تمم المسيح الفادى عمل الفداء والكفارة ثم نزل إليهم بعد موته، نزل من القبر إلى حيث كانوا محبوسين فى الجحيم وأشرق عليهم بنوره، وبشرهم بالخلاص (١ . بطرس ٣:١٩) .. لقد قدموا الذبائح والقرابين وسائر أعمال الطاعات، ولكنهم لم يخلصوا بذبائحهم الحيوانية التى ذبحوها قربانا واستغفارا، ولا بأعمالهم الصالحة التى صنعوها.. إن ذبائحهم وأعمال الطاعات التى قدموها فى حياتهم قد أهلتهم لأن ينالوا استحقاقات الخلاص بدم المسيح الذى سفكه على الصليب. **فالخلاص إذن بدم المسيح، لكن أعمال الطاعات أهلتهم لنيل الخلاص الذى حققه المسيح يسوع بعمل الفداء.**

أما بعد صلب المسيح، فالخلاص لا يناله إلا من آمن بالمسيح وتعمد باسم الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس (متى ٢٨:١٩) . **ففى المعمودية ينقل إليه الروح القدس استحقاقات المسيح الكفارية فى الصليب. قال المسيح له المجد (من آمن واعتمد خلص**، ومن لم يؤمن أدين) (مرقس ١٦:١٦) .

فمن لا يؤمن بالمسيح لا ينال الخلاص بالمسيح. **إن الإيمان هو الخطوة الأولى التى تفتح القلب لقبول الخلاص، لكن ليس الإيمان هو الذى يخلص الإنسان. إن الإيمان يؤهله لقبول الخلاص، وهو البرهان على أن الإنسان يطلب الخلاص بإرادته حرا مختارا. بيد إن الخلاص يتم فى المعمودية، إذ أن الروح القدس ينقل بها وفيها استحقاقات الخلاص الذى حققه المسيح بموته فداء عن الإنسان.**

عمل المعمودية فى الخلاص

إن المعمودية هى الواسطة التى عن طريقها يتم الخلاص للمؤمن الذى يطلبها، **فهى القناة الموصلة بين بحر الخلاص الذى تفجر فى الصليب وبين المؤمن الذى يطلب الخلاص ويسعى إليه**. على أن الروح القدس هو الذى يقوم بهذا العمل: **يأخذ مما للمسيح الفادى ويعطى المؤمن** (يوحنا ١٦:١٥) . فالمعتمد لا ينزل فى جرن المعمودية إلى ماء عادى على بسيط الحال، وإنما إلى ماء حل عليه الروح القدس بناء على استدعاء الكاهن.

وإذا كان الروح القدس كان يعمل فى القديم منذ بدء الخليقة، فكان يرف على وجه المياه (التكوين ١:٢) فخلق من الماء فى الحقبة الخامسة، الزحافات والتنانين البحرية والأسماك

والطيور (التكوين ١:٢٠- ٢٢)، **فكذلك ينحدر الروح القدس على مياه المعمودية، فيخلق الإنسان الخلق الجديد، وهذه هى الولادة الجديدة من فوق، الولادة من الماء والروح** (يوحنا ٣:٣، ٥): ويقول الوحى الإلهى: وفيه ختنتم ختانا، لا بالأيدى، بل بخلع جسم الخطايا البشرى. إنه ختان المسيح، ذلك أنكم دفنتم معه فى المعمودية) (كولوسى ٢:١١، ١٢).

ففى المعمودية تتم عملية نزع واستئصال وخلع الإنسان القديم، وخلق الإنسان الجديد. وهى عملية سرية باطنية غير منظورة، لكنها مع ذلك عملية خلق حقيقية. ولولا أن الروح القدس ينقل إلى الإنسان فى المعمودية استحقاقات المسيح الكفارية لما كان يمكن للإنسان أن يخلص.

فالمعمودية إذن هى التى تخلص الإنسان من الخطيئة الجدية، ومن الخطايا الفعلية السابقة على المعمودية، إن وجدت، كما هو الحال بالنسبة للكبار البالغين. ويقول الكتاب المقدس عاقدا المقارنة بين فلك نوح فى القديم والمعمودية فى الجديد (كانت أناة الله تنتظر مرة، وذلك أيام بنى نوح الفلك فنجا فيه بالماء عدد قليل، أى ثمانية أشخاص. **وكان هذا رمزا للمعمودية التى تخلصكم الآن أنتم أيضا)** (١. بطرس ٣:٢٠، ٢١). **فالمعمودية هى التى تخلص الإنسان وليس مجرد الإيمان، على أن الإيمان هو الذى يؤهل الإنسان ويجعله مستحقا للعماد الذى فيه وبه يتم الخلاص باستحقاقات المسيح الفادى.**

ثالثاً : الخلاص النهائى:

وثمت خلاص بالمعنى الثالث للكلمة هو ما يمكن أن يسمى **بالخلاص النهائى.** فقد يؤمن الإنسان بالمسيح ويعتمد باسم الثالوث القدوس، لكنه يمكن أن يقع فى الخطيئة من جديد بعد دقيقة أو دقائق من تعميده، **مالم يثابر على الجهاد الروحى الذى يصون به المكاسب الروحية التى حصل عليها بالإيمان وبسر المعمودية المقدس.** وهذه هى قيمة الجهاد وفضل الكفاح والنضال والحرب المقدسة ضد الخطيئة وضد شهوات الجسد، وضد كل عوامل الشر المتلفة لقامة الإنسان الروحية ومسيرته فى الفضيلة نحو الكمال المسيحى. **لذلك وجب على المؤمن بعد نيله سر العماد المقدس أن يواصل كفاحه ونضاله وجهاده ضد**

الخطيئة، حتى يمكنه أن يحتفظ بالخلاص الذى حصل عليه بفضل نعمة الله، وإلا فإنه بتهاونه يمكن أن يفقد خلاصه الذى حصل عليه.

يقول المسيح له المجد (الذى يصمد إلى النهاية هو الذى يخلص) (متى ٢٤: ١٣)، (١٠: ٢٢)، (مرقس ١٣: ١٣). وجاء فى رسالة القديس بطرس الأولى (إذا كان البار يخلص بعد جهد، فالخاطئ والفاجر أين يظهران؟) (١. بطرس ٤: ١٨).

إن ما صنعه آدم أبو الجنس البشرى هو أنه خالف وصية الله (التكوين ٣: ٦)، وهو ما يمكن أن يصنعه كل بشر آخر لأنه كائن حر. فهل إذا أخطأ المسيحى بعد تعميده يحتاج إلى أن يموت المسيح من أجله مرة أخرى حتى يحصل على مغفرة خطاياه؟ كان يمكن أن يقال هذا لو لم يكن فى دم المسيح مخلصنا الكفاية لفداء الناس جميعا، لكن دم المسيح فادينا دم ثمين، وقيمته أبدية، هى قيمة الله نفسه. وهذا هو سر اتحاد اللاهوت بالناسوت ليعطى الفداء قيمته الأبدية اللانهائية. **لقد رتب الروح القدس سر التوبة وهو فى الكنيسة يعتبر معمودية ثانية، ويتخذ كل قوته من استحقاقات دم المسيح الكفارية التى يقوم عليها ويستند إليها سر المعمودية وسائر أسرار الكنيسة، وهو الذى يؤهل الخاطئ التائب لأن تغسل خطاياه بسر القربان الذى (يعطى خلاصا، وغفرانا للخطايا، وحياة أبدية لمن يتناول منه).**

وهذا هو جوابنا على الذين يسألون: هل يمكن أن يفقد الإنسان خلاص المسيح الذى حصل عليه فى المعمودية؟

نقول: نعم، يمكن أن يفقد المؤمن خلاصه لو أنه لم يثابر على طريق الجهاد ضد الخطيئة. وهذا هو السبب فى أن الكتاب المقدس يوصينا بالصحو الدائم، وباليقظة المستمرة، وبالكفاح والنضال فى الفضيلة، ولا يتذرع الإنسان بالقول (يارب، يارب) دون أن يفعل مشيئة الله. يقول المسيح له المجد (ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السماوات، **بل ذاك الذى يعمل إرادة أبى الذى فى السماوات)** (متى ٧: ٢١)، (ولماذا تدعوننى يارب يارب **ولا تعملون** بما أقول لكم؟) (لوقا ٦: ٤٦).

فالأعمال الصالحة بعد الإيمان والمعمودية، ضرورية للخلاص. ومن دون الجهاد الروحى والأعمال الصالحة يمكن أن يفقد الإنسان خلاصه الأبدى.

هذا هو الخلاص بمعناه النهائى، وهو مالا يزعم أحد أنه قد حصل عليه. إنه يمكن للمسيحى بعد تعميده أن يقول إنه قد حصل على الخلاص بالمعنى الثانى للخلاص، وهو عمل المسيح الفدائى الذى يناله الإنسان فى سر المعمودية. أما الخلاص النهائى فلا يجرؤ أحد على القول بأنه قد حصل عليه بالفعل وهو مازال فى الأرض. هب أن دولتين فى حالة حرب، فهل يجوز لأى منهما قبل أن تضع الحرب أوزارها أن تزعم أنها قد انتصرت على الأخرى النصر النهائى؟ إن النصر النهائى لا يتم إلا بعد أن تتوقف الحرب، أما الانتصار فى بعض المواقع فلا يعول عليه، لأنه يمكن أن يتحول بعد زمن إلى هزيمة نكراء. ومن يجرى فى السباق لا يستطيع أن يزعم أنه يستحق الجائزة لمجرد أنه وهو فى حلبة السباق أمكنه أن يسبق غيره، ما لم يتحقق له الفوز نهائيا فى نهاية السباق. هكذا نحن فى مسيرتنا الروحية **يلزمنا الثبات ومواصلة الجهاد إلى نهاية الحياة**. ولا تجرؤ الآن على القول بأننا حصلنا على الخلاص النهائى إلا بعد أن تنتهى رحلتنا على الأرض بنجاح وتوفيق.

ألم يقل الرسول بولس عن ديماس إنه تركه حباً فى الدنيا والعالم الحاضر (٢ . تيموثيوس ٤: ١٠) مع أنه كان يشيد به قبل ذلك كأحد معاونيه (كولوسى ٤: ١٤)؟

لهذا قال الكتاب المقدس: اذكروا مدبريكم الذين كلموكم بكلمة الله. انظروا إلى نهاية سيرتهم، فتمثلوا بإيمانهم) (العبرانيين ١٣: ٧). **فالعبرة بنهاية السيرة، لأنه يمكن أن يبدأ الإنسان حسنا، ثم يتخلف عن مواصلة السيرة الحميدة، فيقع فى الخطيئة من جديد بعد أن يكون قد نال المغفرة بالمعمودية.**

وقال المسيح له المجد فى سفر الرؤيا (**كن أمينا حتى الممات. وأنا أعطيك إكليل الحياة**) (الرؤيا ٢: ١٠) وقال (**احتفظ بما عندك لئلا يسلب أحد إكليلك**) (الرؤيا ٣: ١١) مما يشير إلى أن الإنسان يمكن أن يفقد إكليله لو أنه لم يثابر على الجهاد ضد الخطيئة إلى النهاية.

ألم يكن الشيطان نفسه ملاكا بل رئيس ملائكة (الرؤيا ١٢: ٧- ١٠) ومع ذلك خسر مكانته وطرحه الله إلى أسافل الجحيم (٢ . بطرس ٢: ٤)، (يهوذا :٦)؟

فاحتمالات السقوط بعد الخلاص الثانى واردة، ولذلك وجب السهر واليقظة ومواصلة الثبات والجهاد ليحفظ الكائن ثباته وخلاصه. وجاء فى الكتاب المقدس (**واعملوا لخلاصكم بخوف ورعدة**) (فيلبى ٢ :١٢) فالخلاص النهائى يحتاج إلى عمل، **كما أنه يجب أن يكون هناك حذر وخوف بل ورعدة أو ارتعاد من أن يسقط الإنسان من جديد فيفقد خلاصه نهائياً.** لأن احتمال فقدان خلاصه وارد، ما لم يواصل الجهاد ضد الخطيئة، بكل حرص وحذر، وحيطة، لئلا تغفل عينه، ويسقط نتيجة لغفلته.

ومما له دلالة هنا قول الكاهن فى تحليل الكهنة بعد صلاة نصف الليل (... أعنا يالله على رضاك. **أعنا على العمل بوصاياك. أعنا على سكرات الموت، وما قبل الموت، وما بعد الموت**) وهو ما يفيد أن الحرب الروحية ممتدة حتى إلى ساعة الموت. ويقول بعض الروحانيين إن الشيطان يحارب روح الإنسان حتى بعد أن تفارق الجسد وهى فى طريقها إلى العالم الآخر محاولاً أن يصيبها بسهامه، ولو بسهم الغرور والكبرياء أو بتذكيرها بما يثيرها ويثير فيها رغبة أو شهوة غيرمقدسة، فترتد إلى الوراء، أو إلى الفشل أو اليأس.

فالجهاد، والثبات، ومواصلة العمل بانتباه وصحو ويقظة إلى آخر نسمة، كلها مطلوبة لنيل الخلاص النهائى.

٥٠ - فى أحد التناصير (١)

لما كان هذا اليوم منذ الأيام الأولى لنشأة المسيحية هو يوم تعميد الموعوظين من غير المؤمنين الراغبين فى التنصير، فقد رتبت الكنيسة أن يكون فصل إنجيل القداس مأخوذا من الأصحاح التاسع من الإنجيل للقديس يوحنا، الخاص بالمولود أعمى الذى طلى المسيح عينيه بالطين، وأرسله ليغسل وجهه فى بركة سلوام فاغتسل وعاد بصيرا.

وواضح سر اختيار هذا الفصل ومناسبته لمن يقبلون العماد فى هذا اليوم. فهم عميان، بالخطيئة، وولدوا عميانا بالخطيئة الأصلية، من بطون أمهاتهم. وبنعمة المسيح يغتسلون فى جرن المعمودية، وهى لهم بمثابة عين سلوام الجديدة، فينهضون بعد الاغتسال فيها، أطهارا من خطاياهم الجدية، والفعلية السابقة على المعمودية، وتنفتح عيونهم وبصائرهم الباطنية فيعاينون مالم يكونوا قادرين على معاينته قبل المعمودية. إذ المعمودية هى مدخلهم إلى الحياة الجديدة، إلى الكنيسة المسيحية بأسرارها وأمجادها وامتيازاتها الروحية، وإلى ملكوت الله.

المولود أعمى بالخطيئة الجدية :

أما لماذا يولد الإنسان أعمى من بطن أمه، فلأنه يولد متلبسا بالخطيئة الأصلية، وهى خطيئة الأبوين الأولين آدم وحواء.

وكيف يولد متلبسا بخطيئة لم يفعلها هو، بل ارتكبها الأبوان الأصليان آدم وحواء؟

والجواب على ذلك هو حكم **الوراثة :**

فالإنسان يرث من أبويه، بل ومن عائلته، السحنة والشكل الخارجى، كما يرث الاستعداد للصفات النفسية والأخلاقية، والميول العقلية والذهنية، ثم يرث صفات أخرى جسمية ونفسية، تنحدر إليه من جميع الآباء السابقين على أبويه القريبين، أى من جميع أصول الشجرة البشرية وأرومتها، موصولة بالأب الأول للجنس البشرى، آدم، الذى منه تفرع جميع الناس، ومنه ولدوا وتوالدوا، فانتشر فيهم جميعا دمه، وبالتالى صفاته وميوله، ولذلك صارت لجميع الناس صفات وخصائص مشتركة يشترك فيها جميعهم، وهى هذه الصفات والخصائص التى يتميز بها جنس الناس، وعليه يسمى جميع الناس بجنس واحد هو الجنس البشرى، أو جنس بنى آدم.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٨ من أبريل - نيسان لسنة ١٩٧٩م - ٣٠ من برمهات لسنة ١٦٩٥ش.

قال الكتاب المقدس فى ذلك: «**خلق الله البشر كلهم من أصل واحد، ليسكنوا على وجه الأرض كلها**» (أعمال الرسل ١٧ : ٢٦). ويقول النبى ملاخى «أليس إله واحد خلقنا» (ملاخى ٢ : ١٠).

وهذه الوراثة قانون طبيعى، مثلها مثل جميع القوانين الطبيعية فى ثباتها وحتميتها وعدم تخلفها.

وتقوم فاعلية قانون الوراثة على شرْعة التوالد وهو قانون التكاثر والتناسل فى الجنس البشرى. فالإنسان لا يخلق خلقا مباشرا منفصلا عن أبويه كما خلق الأب الأول آدم، وإنما يخلق كل بشر نتيجة للتزاوج بين رجل وامرأة، ويولد منهما معا، فينتقل الدم المختلط من جسديهما إليه، فيكون الولد بالطبيعة امتدادا لوالديه وقد انتشر دمهما فيه، وسرى فيه بالطبيعة كل ما سرى فى دمه من أبويه بالوراثة.

قال الكتاب المقدس «وعاش آدم مائة وثلاثين سنة، **وولد ولدا على شبهه كصورته ودعا اسمه شيثا**» (**التكوين ٥ : ٣**).

وعن طريق التزاوج والتوالد ينتشر دم الولد الجديد فى أولاده، وأولاد أولاده، كما سبق فانتشر دم والديه فيه، ودم جدوده فى والديه، ودم أجداد الجدود فى جدوده... وهكذا إلى دم جدنا الأكبر، آدم، أبى الجنس البشرى كله.

ومثل الإنسان فى ذلك مثل النبات والشجر. **فكل نبات وشجر يثمر ثمرا كصنفه** (التكوين ١ : ١١، ١٢) فشجر التفاح يثمر تفاحا ولا يخرج بصلا، والحنظل لا يثمر رمانا. يقول رب المجد «فهل يجنى الناس من الشوك عنبا أو من الحسك تينا» (متى ٧ : ١٦) ويقول «إن كانت الشجرة صالحة كان ثمرها صالحا، وإن كانت فاسدة، كان ثمرها فاسدا» (متى ١٢ : ٣٣) ويقول أيضا «لأنه ما من شجرة طيبة تعطى ثمرا رديئا، **وما من شجرة رديئة تعطى ثمرا طيبا**. فكل شجرة تعرف من ثمرها، **لأنهم لا يجنون من الشوك تينا، ولا يقطفون من العليق عنبا**» (لوقا ٦ : ٤٣، ٤٤) ويقول الرسول القديس يعقوب «هل تقدر يا إخوتى تينة أن تصنع زيتونة، أو كرمة تينا، **ولا كذلك ينبوع مالح يصنع ماء حلواً**» (يعقوب ٣ : ١٢).

ولما أن تم التوالد فى الجنس البشرى بعد أن سقط الأبوان الأولان فى الخطيئة ،وعرف آدم حواء إمرأته، فحبلت وولدت، (التكوين ٤:١) **فكان لابد لأولاد آدم أن يرثوا حالته الساقطة لأنهم ولدوا منه بعد سقوطه**. ولو كانوا ولدوا منه قبل السقوط لكانوا قد ورثوا منه حالته السامية التى كان عليها قبل سقوطه.

وإذا افتقر الأب والأم، فالأولاد المولودون منهما فى حالة الفقر لابد أن يعانوا نفس الحالة التى ولدوا فيها.

وإذا مرض الأب أو الأم، وأنجبا طفلا وهما فى حال المرض، فعانى الطفل من المرض الذى ابتلى به أبوه أو أمه، فلا عجب فى ذلك. وقد يرث الابن أو الابنة حالة من المرض أو الضعف أو الاستعداد لمرض انحدر إليه من أحد جدوده لأبيه أو أمه، وأحيانا من أحد أقارب الأب أو الأم. وهذا ما يعرف بالأمراض الوراثية، ولعل من بينها الربو، والسرطان، أو إلتهاب المرارة أو الكليتين أو الكبد أو البول السكرى، أو إلتهاب الأعصاب، أو تصلب الشرايين، أو عمى الألوان، وما إليها. ولذلك ينصح عادة بعدم التزاوج بين الأقارب خصوصاً أولاد العمومة وأولاد الخؤولة، إذ يكون نسلهم عرضة لسرعة ظهور الأمراض الوراثية.

وهذا هو المعنى من قوله (الله):

«أنا الرب إلهك، إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع من مبغضى» (الخروج ٢٠ : ٥)، (التثنية ٥ : ٩).

وقوله :

«الرب إله رحيم ورؤوف وطويل الأناة... ولكنه لن يبرئ إبراء. مفتقد إثم الآباء فى البنين، وفى بنى البنين إلى الجيل الثالث والرابع» (الخروج ٣٤: ٦، ٧) انظر كذلك (اللاويين ٢٦: ٤٠)، (العدد ١٤: ١٨)، (أيوب ٢١: ١٩)، (إشعياء ٦٥: ٧)، (إرميا ٣٢: ١٨).

فانتشار الخطيئة الأصلية من أبوينا آدم وحواء يتم طبقا للقانون الطبيعى، وبالتوالد عن طريق التزاوج.

ولهذا يقول النبى داود فى المزمور الخمسين.

«هاأنذا بالإثم حبل بى، وبالخطايا اشتهتنى أمى» (مزمور ٥٠ : ٥).

ويقول أيضا.

«زاغ الخطاة من الرحم، ضلوا من البطن» (مزمور ٥٧:٣).

وقال الله بفم إشعياء.

«ومن البطن سميت عاصيا» (إشعياء ٤٨ : ٨).

تلك النصوص وغيرها تشهد بأن الخطيئة بدأت فى جميع بنى آدم من قبل أن يولدوا، منذ أن كانوا فى البطن، وفى أرحام أمهاتهم، بل إنها منذ لحظة الحمل، وعند بدء تكوين الجنين، ولذلك فإن الجنين يتكون بالإثم ويتصور بالخطيئة، أى منذ أن تكون له صورة جنين.

ويقول الوحى الإلهى: **«من يخرج الطاهر من النجس. لا أحد!»** (أيوب ١٤ : ٤) - انظر أيضا (يوحنا ٣ : ٦)، (أفسس ٢ : ٣).

كيف إذن تصير الخطيئة لصيقة بالجنين منذ بدء تكوينه وتشكيله، حتى إنه يصير معجونا بها وهو فى اللحظة الأولى لنشأته مالم يكن الإثم موجودا فى الدم الذى منه يتكون الجنين؟ إذن فهذه الخطيئة ليست خطيئة الجنين الفعلية، وإنما هى الخطيئة التى انتقلت إليه من أبويه عن طريق التوالد، بفعل الحمل ذاته، عندما تحبل به الأم. هكذا يقول النبى داود «بالإثم حبل بى، وبالخطايا اشتهتنى أمى». إذن من خلال شهوة الجنس، وفعل الحمل أو الحبل، تصل إلى الأبناء وصمة الإثم، ولوثة الخطيئة الأصلية التى تسمى أيضاً بالخطيئة الجدية، خطيئة الجد الأول آدم.

وبعبارة أخرى، **إنه لولا التوالد بشهوة الجنس والحمل لما كانت الخطيئة الجدية تصل إلى الجنين وهو فى رحم أمه، أى أنه طالما كان التوالد باجتماع الرجل**

والمرأة فهناك الطريق إلى سريان الخطيئةالأصلية وانتشارها، من الجد الأول آدم إلى جميع ذريته.

يقول العلامة القديس ديديموس الضرير، رئيس مدرسة الأسكندرية اللاهوتية في القرن الرابع (٣١٣ – ٣٩٨).

«إن خطيئة الأبوين الأولين هى الخطيئة القديمة التى طهرنا منها يسوع المسيح فى معموديته..» (فى الثالوث ٢: ١٢). **«إن جميع أولاد آدم قد ورثوها، وانتقلت إليهم بالخلقة عن طريق المعاشرة الجنسية بين الوالدين. وهذا هو السبب فى أن المسيح ولد من عذراء لم تتلوث أو تتلطخ بها. وبالمعمودية يتطهر الإنسان من الخطيئة الأصلية وكل نتائجها، ومن الخطيئة الفعلية الشخصية»** (فى الرد على المانويين: ٨).

لهذا ولد المسيح من عذراء:

من هنا نفهم لماذا جاء المسيح من عذراء بغير زواج، عذراء لم يعرفها رجل معرفة الأزواج، لأن هذا هو الطريق الأوحد الذى يضمن عدم سريان الخطيئة الجدية إلى المسيح يسوع، الذى حملت به العذراء وولدته مثلنا تماما فى كل شئ، إلا فى خلوه تماما من لوثة الخطيئة الأصلية، فجميع الناس يولدون ملوثين بالخطيئة الجدية، إلا المسيح وحده. نعم، إن المسيح وحده هو الذى حملت به العذراء من غير زرع بشر. وهذا هو السبب فى اهتمام الوحى الإلهى بالتوكيد على بتولية العذراء مريم قبل حملها بالسيد المسيح، وقوله عن مريم ويوسف رجلها:

«أما ميلاد يسوع المسيح فكان هكذا: كانت أمه مريم مخطوبة ليوسف، وقبل أن يجتمعا، وجدت حبلى من روح القدس» (متى ١: ١٨).

مبينا الوحى الإلهى بهذا أن الحبل بيسوع المسيح قد تم بالروح القدس، ولم يكن ثمرة الاجتماع بين يوسف ومريم كما هو الحال فى كل حمل وولادة أخرى فى

بنى آدم. وقد كان هذا البيان من الوحى الإلهى هو الضمان الوحيد لخلو يسوع المسيح من وصمة الخطيئة الأصلية، الأمر الذى أهله ليكون - دون غيره من بين من أخذوا طبيعة الإنسان - الفادى الوحيد، والمخلص لأنه ،ليس بأحد غيره الخلاص. وما من اسم آخر تحت السماء منح للناس به ينبغى أن يخلصوا، (أعمال٤: ١٢) - انظر أيضا (١. تيموثيوس ٢ : ٥).

٥١ - فى أحد التناصير

المسيح يخلق للمولود أعمى عينين (١)

لما كان هذا اليوم هو واحداً من مناسبتين رتبتهما الكنيسة المقدسة لتعميد الكبار من المؤمنين الراغبين فى التنصير، حتى إذا أقبل عيد القيامة المجيد، اشتركوا مع المؤمنين المعمدين فى أفراح القيامة، بعد أن نالوا الخلاص مع المفديين بدم المسيح. لذلك رتبت الكنيسة أن يتلى فى إنجيل القداس، الفصل الخاص بالمولود أعمى الذى رد المسيح له البصر، بأن تفل على الأرض، وصنع من التفل طينا، وطلى به عينى الأعمى وأمره بأن يغسل وجهه فى بركة سلوام، فاغتسل وعاد بصيرا - وهو الفصل الوارد فى الإنجيل للقديس يوحنا (٩:١ - ٤١).

على أن المولود أعمى حدث له شئ جديد لم يحدث لأى أعمى من قبل. إن المعجزة التى تمت فى عينيه لم تكن مجرد تفتيح لعينين مغلقتين، كما فعل المسيح مع عميان آخرين إذ لمس بيديه عيونهم فانفتحت، (متى ٩:٢٧ - ٣١)، (٢٠:٢٩ - ٣٤) ... إن ما حدث مع المولود أعمى شئ أعمق من هذا وأعظم... إنه خلق لعينين لم تكونا موجودتين أصلا كما يتضح من الطريقة التى اتبعها المسيح له المجد فى صنعه للمعجزة وهى أنه (تفل على الأرض، وصنع من التفل طينا، وطلى بالطين عينى المولود أعمى) (يوحنا ٩:٦).

ولم تكن للأعمى عينان. إنما طلى المسيح بالطين موضع العينين فخلقهما له خلقا، بنفس الطريقة التى خلق الله بها آدم (وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض) (التكوين ٢:٧).

وعلى ذلك ففى معجزة المولود أعمى خلق من جديد.

وهذا سبب آخر لاختيار هذه المعجزة بالذات لتقرأ على الناس فى يوم أحد التناصير، لأن الكنيسة تريد من خلال هذه المعجزة أن تعلمنا أنه كما خلق المسيح له المجد للرجل المولود أعمى عينين جديدتين، فانفتح بهما على عالم جديد، **هكذا يصنع المسيح فيمن يقبلون المعمودية: يخلقهم خلقا جديدا، بل (ويلبسهم الإنسان الجديد الذى خلقه الله على صورته، فى البر وقداسة الحق)** (أفسس ٤:٢٤)، (٢:١٥). «لأنه، الإنسان الجديد ذاك الذى يتجدد فى المعرفة على صورة خالقه) (كولوسى ٣:١٠). (لأنه فى المسيح يسوع لا الختان ولا عدم الختان ينفع الإنسان، بل الذى ينفعه، أن يكون خليقة جديدة (غلاطية ٦:١٥).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٢٣ من مارس - آذار لسنة ١٩٨٠م - ١٤ من برمهات لسنة ١٦٩٦ش.

(إذن إن كان أحد فى المسيح، فهو خليقة جديدة. قد زال القديم. ها هوذا كل شئ جديد) (٢. كورنثوس ٥:١٧).

الخليقة الجديدة فى المعمودية

ويضيف الرسول بيانا عن كيفية الحصول على هذا الإنسان الجديد، وتلك الخليقة الجديدة فى المسيح، إن ذلك يتم عن طريق المعمودية المسيحية فيقول:

(نحن الذين متنا عن الخطيئة، كيف نحيا فيها من بعد؟ ألا تعلمون أننا حين تعمدنا لنتحد بيسوع المسيح، إنما تعمدنا لنموت معه، فدفنا معه فى المعمودية، وشاركناه فى موته، حتى كما أقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب كذلك نسلك نحن أيضاً فى حياة جديدة. فإذا كنا قد اتحدنا به فى موت يشبه موته، فكذلك نتحد به فى قيامته. ونحن نعلم أن الإنسان القديم فينا صلب مع المسيح حتى يزول سلطان الخطيئة فى جسدنا، فلا نبقى عبيدا للخطيئة. لأن الذى مات تحرر من الخطيئة. فإذا كنا قد متنا مع المسيح، فنحن نؤمن بأننا سنحيا معه، عالمين أن المسيح، بعد ما أقيم من بين الأموات، لن يموت ثانية، ولن يكون للموت عليه من سلطان، لأنه بموته قد مات عن الخطيئة مرة واحدة، وفى حياته يحيا لله. فكذلك أنتم احسبوا أنفسكم أنكم أموات عن الخطيئة ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا) (رومية ٦:٢- ١١).

والمعنى أن المعمودية المسيحية هى فى حقيقتها موت مع المسيح، ودفن معه. هذا الموت والدفن يتمان بعمل الروح القدس الذى ينقل إلى المعمدين استحقاقات المسيح الكفارية، فيموت فى جرن المعمودية الإنسان القديم، ويقوم المعمد إنسانا جديدا، وخليقة جديدة فى المسيح، آخذا طبيعة المسيح الذى قام من بين الأموات.

ويقول الرسول مرة أخرى مؤكدا على نفس المعنى بتعبير آخر.

(وفيه ختنتم ختانا لا بالأيدى، بل بخلع جسم الخطايا البشرى. إنه ختان المسيح. ذلك أنكم دفنتم معه فى المعمودية. وأقمتم معه أيضا. لأنكم آمنتم بقدرة الله الذى أقامه من بين الأموات. كنتم أمواتا بخطاياكم...، فأحياكم الله معه، وصفح لنا عن جميع خطايانا، ومحا الصك الذى علينا، وكان ضداً لنا، وأزاله مسمرا إياه على الصليب، وخلع الرئاسات والسلاطين وسخر بهم جهارا ظافرا بهم فيه) (كولوسى ٢:١١- ١٥).

وإذن فالمعمودية ليست مجرد ماء يغطس فيه الإنسان كما هو الحال عندما يستحم فى النهر ليغسل بالماء جسده، إنما المعمودية المسيحية فى حقيقتها شئ آخر. هى ختان روحانى كامل يجرى فى الإنسان القديم، به يزول لا جزء من الجسد كما هو الحال فى الختان الجسدى، بل يزول فيه الإنسان القديم كله ويخلع جسم الخطيئة، والإنسان العتيق، خلعا كاملا وتاما، ويصير المسيحى بالمعمودية إنسانا جديدا، وخليقة جديدة، لأن الإنسان القديم قد خلعه عمل الروح القدس بفعالياته، وبذلك تمحى الخطايا السالفة وتستأصل غرلة الإنسان العتيق، وينال المعمد العتق والخلاص من جميع خطاياه. لاحظ قوله: (كنتم أمواتا بخطاياكم..، فأحياكم الله معه وصفح لنا عن جميع خطايانا، ومحا الصك الذى علينا وكان ضداً لنا. وأزاله مسمرا إياه على الصليب).

إذن المعمودية ليست شيئا عاديا بسيطا، وماء المعمودية لا يبقى بعد حلول الروح القدس عليه ماء على بسيط الحال، ولكن الروح القدس يحل فيه وعليه، فيمنحه فعاليات جبارة لا تراها العين ولا تدركها الحواس، ولكنها فعاليات خلاقة، فتخلق وتزيل الإنسان القديم، وتغسل خطايا المعمد، وترفع عنه العقوبة، وتمحو الصك الذى عليه، والمضاد له، وتخرقه، وتمزقه، وتسمره مع المسيح الفادى، فتسقط حق العدالة بكفارة المسيح، ويزول نهائيا كل أثر للصك، بفعالية كفارة المسيح الذى مات فاديا لنا وبديلاً عنا.

٥٢- لنتذكر الأم

والأم أنواع: فهناك الأم الجسدانية والدة الطفل بالجسد، ولكن هناك الأم الروحية، وأمومتها معنوية. وبهذا المعنى الروحى تعتبر العذراء مريم - وهى أم المسيح بالجسد - أما للمسيحيين جميعا، كما يمكن أن تعتبر الكنيسة الجامعة المسيحية أما لهم. **كذلك المعمودية المسيحية توصف بأنها أم روحية لأن فيها وبها يولد المؤمن بالمسيح ميلادا ثانيا من فوق، ويصير بها إبنا لله، ووارثا لبر المسيح واستحقاقات الخلاص.**

المعمودية أمنا :

نعم لا يدخل أحد إلى الكنيسة، ملكوت المسيح على الأرض إلا من ولد من الماء والروح، ونال سر العماد المقدس.

فالذين يعتمدون ينزلون إلى جرن المعمودية ويغطسون فيه، وباختفائهم فى الماء يدخلون إلى عالم آخر، يدخلون إلى ملكوت السماوات على الأرض، يدخلون إلى الكنيسة.. ومن دون هذا المدخل يظلون خارج الكنيسة... خارج الباب.. ولكن بالمعمودية يدخلون إلى الكنيسة، ويصيرون فيها أعضاء حية.

فالمعمودية هى الباب، وهى المدخل إلى ملكوت السماوات على الأرض.. إلى الكنيسة وأعماقها وأسرارها...

والمعمودية بذلك هى الحلة الأولى (لوقا ١٥: ٢٢) التى يلبسها الابن الضال بعد رجوعه إلى الآب السماوى.. هى الحلة الأولى لأنها أول نعمة سماوية ينالها المؤمن فى ملكوت السماوات..

وكما أنها الحلة الأولى، هى كذلك حلة العرس (متى ٢٢: ١١، ١٢) السماوى، لأننا بها ندخل إلى العرس السماوى، ومن دونها نطرد من العرس ولا يكون لنا فيه نصيب.

هذه المعمودية التى تضمنا جميعا هى أمنا، لأننا بها نولد ميلاد ثانيا من فوق (يوحنا ٣: ٣، ٧)، (٢ . كورنثوس ٥: ١٧)، (غلاطية ٦: ١٥)، (تيطس ٣: ٥)، (يعقوب ١: ١٨)، (١ . بطرس ١: ٢٣). **أو من الأول أو من جديد،.. من الروح القدس** (يوحنا ٣: ٥، ٦، ٨)، (تيطس ٣: ٥).. **من الله** (يوحنا ١: ١٢، ١٣)، (١ . يوحنا ٣: ٩).. **وعن**

طريقها يصير لنا سلطان أن ندعى أولاد الله: (وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم السلطان لأن يكونوا أبناء الله، أولئك هم المؤمنون باسمه، الذين ولدوا لا من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة إنسان، وإنما من الله ولدوا) (يوحنا ١: ١٢، ١٣)، (١. يوحنا ٣: ٩).

فالمعمودية هى أمنا جميعا.. ونحن لذلك نسمى أبناء المعمودية المسيحية.

٥٣- أحد التناصير

يعرف هذا الأحد السادس من الصوم الكبير المقدس، بأحد التناصير. وهو إحدى مناسبتين رتبتهما الكنيسة المقدسة منذ إبتداء المسيحية لتعميد الكبار من غير المسيحيين الراغبين فى اعتناق المسيحية، والذين كانوا يعرفون فى المصطلح الكنسى بـ «الموعوظين» والذين رتبت الكنيسة لتعريفهم بالإيمان المسيحى الجزء الأول من الخدمة الروحية، وهو المعروف بـ «ليتورجيا الموعوظين» أى «قداس الموعوظين» والذى يبدأ من وقت تقديم الحمل إلى مابعد قراءة الإنجيل والعظة وصلاة الصلح قبل رفع الإبروسفارين.

وأما المناسبة الثانية فهى عيد الغطاس المجيد أو عيد الظهور الإلهى، ويقع عادة فى اليوم الحادى عشر من شهر طوبة القبطى.

فمن شهد الكهنة عنهم أنهم مستحقون لقبول العماد فى عيد الغطاس، قدموهم للمعمودية وصيروهم مسيحيين، وإلا أخروا عمادهم إلى المناسبة الأخرى: فى أحد التناصير، حتى إذا قبلوا العماد وصاروا مسيحيين، اشتركوا مع آلام المسيح فى أسبوع الآلام، وأفراح القيامة بعد ذلك كمسيحيين.

من هذا يتضح أن أحد التناصير لم يرتب لتعميد الصغار من أبناء المسيحيين، وإنما لتعميد الكبار من غير المسيحيين من الراغبين فى اعتناق المسيحية.

أحد التناصير ليس لتعميد الأطفال:

نقول هذا لننبه أبناء الكنيسة من شعبنا الذين يؤخرون عماد أطفالهم إلى أحد التناصير ظناً منهم أن هذا الأحد رتب لعماد الأطفال، أو يؤخرونهم لهذ المناسبة ظناً منهم أن الأطفال ينالون فى هذا اليوم بركة خاصة لاينالونها فى أيام أخرى.

١ ـ نحن هنا نريد أن نصحح تفكير بعض الناس من شعبنا الذين يؤخرون تعميد أطفالهم إلى أحد التناصير، **وقد يعرضونهم بهذا التأخير لخطر الموت بغير عماد فيحرمونهم من معاينة ملكوت السماوات** لأن المسيح له المجد يقول «الحق الحق أقول لك إن الإنسان مالم يولد ثانية من فوق لا يمكنه أن يرى ملكوت الله... الحق الحق أقول لك إن الإنسان مالم يولد من الماء والروح لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله» (١).

---

(١) يوحنا ٣: ٣، ٥.

لقد أمرت الكنيسة بأن يعمد الطفل بغير تأخير ولو كان إبن يوم واحد، إذا كان هناك خطر الموت.

أما فى الأحوال العادية - أى فى غير خطر الموت - فتدخل الأم الكنيسة مع طفلها لتعميده بعد أربعين يوماً من ميلاده إذا كان مولودها ذكراً، وبعد ثمانين يوماً من ميلاده إذا كان مولودها أنثى لأن القانون الكنسى يمنع المرأة النفساء أن تدخل إلى الكنيسة قبل إنقضاء المدة التى قررتها الأوامر الكنسية لنفاسها (١).

جاء فى القانون الثامن عشر من قوانين الكنيسة والوصايا التى كتبها أبوليدس، أو هيبوليتس Hippolytus (نحو ١٧٠ - ٢٣٥)م:

«المرأة التى تلد، لتقم خارجا عن الموضع المقدس، إن كان الذى ولدته ذكراً أربعين يوماً، وإن كانت أنثى فثمانين يوماً.

وجاء فى الكتاب المقدس «المجموع الصفوى» للصفى ابن العسال «ورد فى بعض القوانين أن المولود إذا خيف عليه من الموت **قبل طهر أمه من دم نفاسها، فليدخل الكنيسة مع غيرها ويعمد. لأن المرأة التى تلد تبقى بعيدة عن الموضع المقدس أربعين يوماً إن ولدت ذكراً، وثمانين يوماً إن ولدت أنثى» (٢).**

كذلك جاء فى مقال للأنبا أثناسيوس أسقف قوص فى القرن الثانى عشر:

«أيها الحبر المؤتمن على الشريعة... إن أحضروا إليك طفلا يقصدون عماده قبل طهر أمه، فعمده عاجلاً ولو أنه إبن يومه، ومرهم يا إمام ألا ترضعه أمه... إلى ثلاثة أيام» (٣).

ويقول العلامة يوحنا بن زكريا الشهير بابن السباع: «رتبت الآباء أن كل طفل ذكر يولد، **فبعد تطهير والدته من أيام نفاسها، أى بعد مدة أربعين يوماً،**

---

(١) سفر اللاويين ١٢: ٢ - ٥.

(٢) «القوانين» للصفى ابن العسال، الباب الثالث - طبعة جرجس فيلوثاؤس عوض، صفحة ١٦ حاشية ١.

(٣) اللآلىء النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، للقمص يوحنا سلامة، الجزء الثانى، الفصل السادس، الطبعة الثانية، صفحة ٥١ - وكتاب «القوانين» لابن العسال، الباب الثالث طبعة جرجس فيلوثاؤس عوض صفحة ١٦، ١٧.

يعمد بلا تأخير، وكل طفلة أنثى بعد ثمانين يوماً، مدة تطهير والدتها، تعمد أيضاً. وهذا لئلا يفوتهم ملكوت الله (١).

وجاء فى كتاب «قانون الكنيسة القبطية أى كتاب الخلاصة القانونية فى الأحوال الشخصية لكنيسة الأقباط الأرثوذكسيين، للايغومانس فيلوثاؤس إبراهيم، «أن يمتنع الرجل عن زوجته.. «أيام نفاسها أعنى أربعين يوماً إن كان المولود ذكراً، وثمانين إن كان أنثى، بحيث لا تدخل الكنيسة إلا بعد تمام أيام النفاس. وحينئذ تمضى للكنيسة بعد أيام نفاسها ليبارك عليها الكاهن، ويمسحها بالزيت المقدس، وكذا فى أيام حيضها لا تدخل الكنيسة (لاحظ اللاويين ١٢: ١- ٥) (٢).

وجاء فى كتاب «المعمودية المقدسة» المستخدم فى كنيستنا القبطية الأرثوذكسية ما يقوله الكاهن فى صلاة التحليل على أم الطفل حتى يسمح لها بدخول الكنيسة والمواضع المقدسة بعد إتمام مدة نفاسها المنصوص عليها بالنسبة لمولودها إذا كان ذكراً أو أنثى.

«أيها السيد الرب الإله القادر على كل شيء الذى أمر عبده موسى فى الناموس وعرفه حدود الطهارة الواجبة على كل النساء اللواتى يلدن، أن يلبثن أياماً قلائل كما رسمت لهن... لا يلمسن شيئاً من قدسك... كذلك أيضاً ياسيدنا نطلب ونتضرع إلى صلاحك عن أمتك هذه التى حفظت ناموسك، وأكملت وصاياك، **وإشتهت أن تدخل إلى موضع قدسك، وتسجد أمام هيكلك، مشتاقة إلى التناول من أسرارك المحيية**... بارك عبدتك وطهرها وحللها من كل نجاسة غريبة من طهرك، ولتستحق شركة أسرارك المقدسة بغير وقوع فى دينونة».

وبعد قراءة التحليل والبركة يدهن الكاهن المرأة بالزيت وتدخل إلى البيعة وتنال من الأسرار المقدسة (٣).

---

(١) الجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة - للعلامة يوحنا بن زكريا الشهير بابن السباع صفحة ٥٠.

(٢) قانون الكنيسة القبطية أى كتاب الخلاصة القانونية فى الأحوال الشخصية لكنيسة الأقباط الأرثوذكسيين - للايغومينوس فيلوثاؤس ابراهيم، الفصل الأول، المسألة العشرون، طبعة ١٩٣٣ صفحة ٢٧- المتن، والحاشية صفحة ٢٨.

(٣) كتاب المعمودية المقدسة المستخدم فى كنيستنا القبطية الأرثوذكسية.

ونفس المعنى تؤكد عليه مصادرنا الكنسية الأخرى (١).

ويقول الأنبا ميخائيل أسقف أتريب ومليج فى كتاب «الطب الروحانى».

«وأما الشريعة الحديثة فإن الآباء يقولون فى المحارم: «ولله على جميع النساء المؤمنات النصرانيات **الامتناع عن دخول الكنيسة وهن حائضات**. وعليهن الامتناع عن أخذ القربان وهن فى علة الطمث حتى تنقضى عدة أيامهن. **إلا أنهن لا يتركن التسبيح فى بيوتهن وذكر الله وإن كن حائضات**» الجزء الأول، الباب العاشر، الفصل الأول «فى حالة الطمث».

ويبدو أن مار إسطفان الدويهى قد اقتبس من هذا القانون قوله «**وهكذا حرم الله أيضاً على النساء دخول الكنيسة وهن حائضات**»، وأوجب عليهن الامتناع عن القربان فى حالة الطمث إلى أن تنقضى عدة أيامهن. لكن لا ينبغى أن يتركن التسبيح فى بيوتهن ولو كن حائضات، لئلا يميلهن العدو لطريق الباطل» (منارة الأقداس لمار إسطفان الدويهى الجزء الأول طبعة ١٨٩٥ صفحة ٢٧٤).

وورد فى القوانين التى وضعها المجمع الإكليريكى العام المقدس فى عهد البابا كيرلس الثالث سنة ١٩٥٥ للشهداء.

---

(١) جاء فى القانون الثانى من قوانين البابا ديونيسيوس المعترف، البابا الرابع عشر من بطاركة الكرسى المرقسى (٢٤٦- ٢٦٤)م: «فى ما يتعلق بالنساء الحائضات، فيما إذا كان يجب أن يدخلوا بيت الله مادمن فى تلك الحالة، أظن أنه ليس من الضرورى حتى أن يطرح هذا السؤال. فإنى أعتقد أنهن أنفسهن، إذا كن مؤمنات وتقيات لا يجرؤن حينما يكن فى هذه الحالة، على أن يقترين من المائدة المقدسة أو يلمسن جسد المسيح ودمه. لأنه حتى المرأة نازفة الدم لإثنى عشر عاماً لم تلمسه فعلا لكى تشفى، ولكنها لمست فقط هدب ثوبه. ليس ثمة إعتراض على أن يصلى الواحد، مهما يكن من أمره، أو على أن يذكر الرب فى أى وقت وفى أية حال، ويلتمس أن يجد عوناً، ولكن إذا لم يكن طاهراً كله فى النفس والجسد، يجب أن يمنع من أن يتقدم إلى أقداس الأقداس».

عن كتاب :

The RUDDER of The Orthodox Christians or all the Sacred and Divine Canons - by D. Cummings, 1957, p. 718.

ويقول البابا ديونيسيوس أيضاً:

«إن على الكاهن أن يمنع من دخول الكنيسة المرأة الواجب عليها أن تطهر» (كتاب «الكنز الثمين لراعى الكنيسة الأمين، أو تلخيص الحقوق الكنسية فى واجبات راعى الكنيسة» تأليف بطرس نتشايف الروسى طبعة ١٩٠٧ صفحة ١٣٧).

«ويحرم دخول الحائضات إلى الكنائس فى وقت حيضهن» (الفصل الثالث) انظر كتاب المجموع الصفوى لابن العسال ـ الملحق.

وعند إنقضاء مدة النفاس تدخل المرأة الكنيسة، ويتلو الكاهن على رأسها التحليل الخاص بذلك حتى يصير مباحا لها الدخول إلى المواضع المقدسة.

فتأخير عماد الطفل فى الأحوال العادية إلى تمام الأربعين لميلاده إذا كان ذكراً أو إلى إتمام الثمانين لميلاده إذا كان أنثى، ليس بسبب الطفل نفسه، ولكن بسبب أمه التى لا يباح لها الدخول إلى الكنيسة قبل تمام مدة نفاسها.

أما الطفل نفسه فيمكن دخوله إلى الكنيسة وتعميده ولو فى يوم ميلاده إذا اقتضى الأمر ذلك، أى إذا كان فى خطر الموت. وفى هذه الحالة يحمله أحد أقربائه الآخرين غير أمه إلى الكنيسة.

«ورد فى بعض القوانين أن المولود إذا خيف عليه من الموت قبل طهر أمه من دم نفاسها فليدخل الكنيسة مع غيرها ويعمد».

٢ ـ على أن هناك خطأ آخر يترتب على تأخير تعميد الأطفال إلى يوم أحد التناصير. وذلك هو إرهاق الكهنة بالعدد الضخم من مئات الأطفال مما يتسبب عنه أحياناً عدم التدقيق فى أداء طقوس التعميد، وإهمال مسح الطفل بالميرون فى ٣٦ موضعاً من جسمه، وهى مجموعة حواسه وأعضائه ومفاصله، علماً بأن الحكمة فى مسح الطفل بالميرون هى منع الشيطان الذى سحق فى مياه المعمودية من أن يعود ليدخل الطفل من جديد، وذلك بتحصين أعضائه وحواسه ومفاصله ـ وهى منافذ الشيطان ومداخله ومخارجه ـ وختمها بالأختام الملكية، مسحة الروح القدس، بالميرون وهو السر الثانى من أسرار الكنيسة السبعة الذى يمنح بعد المعمودية مباشرة.

فقد يحدث ـ وكثيراً ما يحدث خصوصاً فى التعميد فى الأيام الكبيرة مثل أحد التناصير ـ أن يهمل بعض الكهنة مسح أعضاء الطفل ومفاصله وحواسه بالميرون فى ٣٦ موضعاً، إكتفاء بالميرون الذى صبه الكاهن فى جرن المعمودية، مع أن الميرون الذى يصب فى جرن المعمودية هو لتدشين مياه المعمودية. أما بعد خروج الطفل من جرن المعمودية، فيجب أن تمسح أعضاؤه بالميرون حتى تتقدس أعضاء الطفل وحواسه ومفاصله، وتتدشن، وتمتلىء بنعمة الروح القدس، وتتحصن ضد محاولة الشيطان غزو الطفل مرة أخرى، والدخول إلى جسده من جديد.

لذلك صرنا نسمع مع الأسف عن مسيحى أو مسيحية به، أو بها، شيطان، الأمر الذى يدعونا إلى الشك فى أن هذا المسيحى أو المسيحية قد مسح بالميرون، بعد العماد مباشرة، فى أعضائه ومفاصله، تحصيناً له ضد الشيطان الذى لا يستطيع أن يقترب إلى موضع مسحة الميرون المقدس، لأنه مسحة الروح القدس.

٥٤ ـ المسيح وحده حبل به بغير دنس الخطيئة

المسيح وحده هو الذى حبل به بغير دنس الخطيئة الأصلية.

من هنا يتضح لنا لماذا لاتقبل كنيستنا الأرثوذكسية تعليم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية فى أن العذراء مريم حبل بها بغير دنس الخطيئة الأصلية.

لقد أصدر البابا الرومانى بيوس التاسع فى ٨ ديسمبر ١٨٥٤ براءة أو منشوراً باباويا حدد فيه عقيدة الحبل بلا دنس عند الكنيسة الرومانية الكاثوليكية قال فيه:

«إن مريم العذراء الكلية القداسة، وجدت منذ اللحظة الأولى للحبل بها مصونة ومنزهة من كل دنس الخطيئة الأصلية. وذلك بنعمة وامتياز خصها بهما الله الكلى القدرة، وبفضل استحقاقات يسوع المسيح مخلص الجنس البشرى» (١).

إن كنيستنا الأرثوذكسية لاتقبل القول بأن العذراء مريم حبل بها من غير دنس الخطيئة الأصلية.

أولا ـ لأنه تعليم ليس له أساس متين من الكتب المقدسة، ولا سند قوى من التقليد المقدس، ولا من أقوال آباء الكنيسة المعلمين المعتبرين فى الكنيسة أنهم أعمدة. **إنه لم يرد فى الكتب المقدسة لا صراحة ولا تضمينا. ولم يرد فى التقليد المقدس، ولا قال به آباء الكنيسة ومعلموها الأولون، بل أن بعضاً من مشاهير رجال الكنيسة الغربية وقديسيها رفضوه وقاوموه،** ومنهم القديس برنارد St. BERNARD ، واليكسندر الهالى ALEXANDER OF HALES والقديس ألبرت St. ALBERT والقديس بونا فنتورا St. BONAVENTURE والقديس توما الأكوينى St.THOMAS AQUINAS **وغيرهم.. وقالوا أن فى كل حبل طبيعى ينتقل دنس الخطيئة الأصلية، وحيث**

---

(1) BULL OF DEFINTION "INEFFABILIS DEUS"J. B. JAGGAR, THE IMMACULATE CONCEPTION, London 1951, . FATHER JAMES, THE DOCTRINE OF THE IMMACULATE CONCEPTION, Dublin, 1948.
THE OXFORD DICTIONARY OF THE CHRISTIAN FAITH Edited by F. L. CROSS London, 1963, P. 680 (b), 681(A).

أن مريم قد حبل بها بالطريق الطبيعى، فمريم إذن لم تعف، ولم تستثن، من هذا القانون.

ثانياً- إن هذا التعليم يفتح سبيلا للخلاص من غير عمل الفداء الذى قام به المسيح وحده باعتباره المخلص الوحيد. ولو كان من الممكن أن تخلص العذراء مريم من غير موت المسيح الكفارى، لم يعد موت المسيح إذن ضرورياً.

ثالثاً- ثم إن هذا التعليم يجعل تجسد المسيح غير ضرورى، ومن غير مبرر كاف. لأنه من المعروف أن كلمة الله قد تجسد من أجل إتمام عمل الفداء والخلاص.

رابعاً- لو أمكن استثناء القديسة مريم العذراء من لوثة الخطيئة الأصلية لكان موت المسيح عملا لا داعى له، ولأمست حكمة الفداء حماقة.

خامساً- ولو كانت العذراء حبل بها بغير دنس الخطيئة الأصلية لكان معنى هذا أن العذراء ولدت كالمسيح من غير زرع بشر. ولم تولد حسب الطبيعة من أب وأم. وهذا يجرنا إلى سلسلة من أخطاء، لأنه يصير معنى ذلك أن العذراء حبلت بها أمها بالروح القدس، وليس بقانون التوالد الطبيعى، وتصير بذلك كالمسيح تماماً.

سادساً- ومادام الاستثناء ممكناً بقدرة الله، وبغض النظر عن تعارض هذا الاستثناء مع عدل الله الذى يتطلب خلاص الإنسان بنفاذ حكم العدل فيه، فيكون من الممكن أن يخلص- بالاستثناء نفسه- أبونا ابراهيم الذى كان خليل الله، كما يمكن أن يخلص غير إبراهيم من قديسى العهد القديم كموسى وصموئيل وداود وغيرهم من أعاظم القديسين، والحال إن هؤلاء جميعاً لم يستطيعوا بعد موتهم أن يدخلوا إلى الفردوس إلا بعد أن فتحه المسيح بصلبه وموته، فمضوا جميعاً إلى الجحيم، وظلوا فيه منتظرين (١) فداء المسيح حتى تممه بصلبه، وعند ذاك مضى إليهم بنفسه، ونزل إلى الجحيم (٢). إلى أقسام الأرض السفلى (٣) ،الشعب الجالس فى الظلمة أبصر نوراً عظيماً، والجالسون فى أرض الموت وظلاله أشرق عليهم نور (٤)، ثم أخرج من هناك ،أسرى الرجاء، من الجب الذى ليس فيه ماء، (٥) ثم سباهم إلى الفردوس، ومن غيره لم يكن لأحد من بنى آدم أن يعود إلى الفردوس (٦) بعد أن طردوه منه (٧).

---

(١) لوقا (٢: ٣٨، ٢٥)، (١: ٦٨).
(٢) ١. بطرس (٣: ١٨، ١٩)، (٤: ٦).
(٣) أفسس ٤: ٩.
(٤) (متى ٤: ١٦)، (إشعياء ٩: ٢)، (٤٢: ٧).
(٥) زكريا ٩: ١١، ١٢.
(٦) لوقا ٢٣: ٤٣.
(٧) التكوين ٣: ٢٣، ٢٤.

سابعاً- إن تعليم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بأن العذراء حبل بها بغير دنس الخطيئة الأصلية، تعليم مدمر لحقيقة الفداء، وهادم لقضية الخلاص بالمسيح وحده، وهو تعليم يتعارض تعارضاً أساسياً وجوهرياً مع الحقائق المسيحية الأولية والجوهرية القائم عليها كل كيان المسيحية، وكل صرح الخلاص.

وإذا كان تعليم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية يستند إلى عبارة رددتها الفتاة الصغيرة برناديت BERNADETTE التى روت أن القديسة مريم العذراء ظهرت لها فى مدينة لورد LOURDESبفرنسا فى٢٥ من مارس (آذار) سنة ١٨٥٨ وعرفتها بنفسها بقولها «أنا الحبل بلا دنس» (١) فإن العبارة بعينها كما جاءت فى المصادر الرومانية الكاثوليكية، لا تفيد أن العذراء حبل بها بغير دنس الخطيئة.. أى أن العذراء مريم لم تقل لبرناديت «أنا التى حبل بها بلا دنس» ولكنها قالت لها: «أنا الحبل بلا دنس JE SUIS L'IMMACULEE CONCEPTION أعنى «أنا التى حبلت بالمسيح بلا دنس، وإذن فالمسيح، وليس العذراء مريم، هو الذى حبل به بلا دنس، لأنه ولد من العذراء من غير زرع بشر، فلم تصل إليه لوثة الخطيئة الأصلية التى تنتقل بالوراثة عن طريق اجتماع الأب والأم».

وحيث أن الكتاب المقدس قد أبان بوضوح أنه «كانت أمه مريم مخطوبة ليوسف» وقبل أن يجتمعا، وجدت حبلى من روح القدس» فقد كشف الوحى الإلهى بهذا سر **ولادة المسيح من عذراء لم يمسسها بشر، حتى لا يرث المسيح يسوع منها وصمة الخطيئة الجدية، فيولد بغير خطيئة، وهو مايؤهله دون غيره، لأن يكون هو وحده الفادى، ووحده المخلص.**

---

(١) كتاب «سيدة لورد» تأليف هنرى لاسر، بيروت سنة ١٩٣٥م، صفحة ١٣١ - ١٣٦.

٥٥ ـ إنتشار الخطيئة الأصلية

إن إنتشار الخطيئة الأصلية فى الجنس البشرى حقيقة من حقائق ديانتنا التى سجلتها كتبنا المقدسة المسطورة بالوحى الإلهى. وبسبب هذا الانتشار صار جميع الناس أمام الله، خطاة «فسدوا ورجسوا بأفعالهم، ليس من يعمل صلاحاً، الكل قد زاغوا معا، فسدوا، ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد» (١)، «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» (٢). ومن ثم كانت الحاجة إلى الفادى الذى يتم به وفيه خلاص الناس جميعاً... وكما انتشرت وصمة الإثم من آدم الأول إلى جميع جنسه، وأمسى كل بشر وارثا لتلك الوصمة عن طريق الميلاد من أبويه، هكذا وبفضل النعمة ينتشر بر المسيح الفادى واستحقاقات دمه الخلاصية، إلى جميع الناس عن طريق الميلاد الثانى أى المعمودية... وفى هذا يتجلى عدل الله ورحمته.

يقول الوحى الإلهى «بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس بالذى جميعهم خطئوا فيه» (٣).

ويقول أيضاً «لأنه إن كان بخطيئة الواحد قد ملك الموت بالواحد، فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر، سيملكون فى الحياة بالواحد، يسوع المسيح. فإذن كما بخطيئة واحد صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة» (٤).

وإذن فانتشار الخطيئة الأصلية من آدم إلى الجنس البشرى كله عقيدة من عقائدنا، وقاعدة من قواعد ديانتنا، انبنى عليها عمل الفداء والخلاص، وهو جوهر رسالة المسيح فى مجيئه إلى العالم.

لقد ولدنا جميعاً من آدم بعد سقوطه بالخطيئة، فكان طبيعياً ـ طبقاً لقانون الوراثة ـ أننا نرث بالتوالد حالة آدم أبينا بعد الخطيئة... هذا هو سر تلوث الجنس البشرى بالخطيئة الأصلية.

وعلى الرغم من أننا بالفداء، أى بموت المسيح ـ وباستحقاقاته الكفارية التى نالها بالروح القدس فى جرن المعمودية ـ ترفع عنا عقوبة الخطيئة الأصلية، لكن الفداء لم يهدم القانون الطبيعى، قانون الوراثة، فطالما كان توالد بالتزاوج، كان هناك انتشار للوثة الخطيئة الأصلية، وهذه اللوثة ترتفع عقوبتها من جديد بالمعمودية.

---

(١) مزمور (١٣: ١-٣)، (٥٢: ١-٣).
(٢) رومية ٣: ٢٣.
(٣) رومية ٥: ١٢.
(٤) رومية ٥: ١٧، ١٨.

ضرورة معمودية الأطفال للخلاص

وهذا هو السبب فى حاجة كل طفل إلى المعمودية لتطهيره من لوثة الخطيئة الأصلية، ولرفع عقوبتها الأبدية عنه، حتى يقدر أن يدخل ملكوت السماوات وأن يعاينه. ومن دون المعمودية لكل طفل لا يقدر أن يعاين ملكوت الله أو يدخله.

جاء فى قانون رقم ١٢١ من قوانين مجمع قرطاجنة المنعقد فى سنة ٤١٨/ ٤١٩ لميلاد المسيح:

«يسر المجمع أن يقضى **بأن كل من يرفض أن يمنح العماد للأطفال الصغار، المولودين حديثاً من أرحام أمهاتهم، أو يزعم أنهم يعمدون لمغفرة الخطايا ولكنهم لا يرثون الخطيئة الأصلية من آدم وهى التى يلزم أن يتطهروا منها بحميم الميلاد الجديد** (ومن ثم يترتب عليه أن يعتبر رسم المعمودية لمغفرة الخطايا، بالنسبة لهؤلاء الأطفال، ليس حقيقياً، بل مصطنعاً) فليكن محروماً، لأنه ليس هناك معنى آخر لما قاله الرسول، أعنى «بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم» (رومية ٥: ١٢).

وهكذا انتشرت الخطيئة فى جميع الناس. وعلى ذلك، فجميعهم قد أخطأوا، ولذلك يجب علينا أن لا نفهم هذا النص بمعنى آخر إلا كما فهمته دائماً الكنيسة الجامعة الممتدة والمنتشرة فى كل مكان. فبمقتضى هذا القانون للإيمان يصير الأطفال الصغار الذين لا يمكنهم أن يرتكبوا بذواتهم خطيئة ما من الخطايا، يعتمدون لمغفرة الخطايا، **حتى إن كل خطيئة ورثوها بالميلاد الأول يتطهرون منها بفعل الميلاد الجديد» (١).**

---

(1) The RUDDER OF THE ORTHODOX CHRISTIANS OR ALL THE SACRED AND DIVINE CANONS, by D. CUMMING, Chicage, 1957 p. 688.

٥٦ ـ لماذا إنجيل المولود أعمى فى أحد التناصير

إن الكنيسة تريد أن تعلمنا من خلال هذه المعجزة التى جرت للمولود أعمى، **عن أهمية المعمودية وضرورتها للخلاص**. فالمولود أعمى ما كان يبصر لو لم يطع أمر المسيح له المجد، ويغتسل فى بركة سلوام. فكان الإغتسال فى بركة سلوام ضرورياً لخلاصه من العمى، **الذى مثاله يخلصنا نحن الآن، أى المعمودية**، لا إزالة وسخ الجسد، بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح، (١).

كما تريد الكنيسة أن تعلمنا من خلال هذه المعجزة عن **فعاليات سر المعمودية الباطنية** فى البصيرة الداخلية، وأن بالمعمودية غسلا (٢) للخطيئة الأصلية الجدية، وللخطايا الفعلية إذا وجدت قبل المعمودية، وأن بها تطهيراً للنفس، وغفرانا لخطاياها، ورفعاً للعقوبة الأبدية، وإعفاء من الدينونة (٣) العظيمة التى كان محكوماً بها على الجنس البشرى الذى ورث خطيئة آدم الأول، بالخلفة والتوالد.

وكما أن المولود أعمى، عندما انفتحت عيناه نفذ النور إلى عينيه، فانفتح أمامه عالم جديد كان مغلقاً عليه، هكذا الذين يقبلون سر العماد ينفذ نور المسيح إلى أرواحهم، وينفتح أمامهم عالم روحانى جديد كان مغلقاً أمام عيونهم. قال الرب يسوع المسيح «أتيت أنا دينونة للعالم، حتى يبصر الذين لا يبصرون» (٤). وقال أيضاً «أنا نور العالم» (٥) وقال «أنا قد جئت نوراً للعالم» (٦) ووصفه الإنجيل بأنه «النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان» (٧).

ثم إنهم يدخلون بالنور الجديد إلى ملكوت السماوات بمعنييه القريب والبعيد...

---

(١) ١. بطرس ٣: ٢١.

(٢) قال حنانيا أحد السبعين لشاول الذى هو بولس: «قم واعتمد واغسل خطاياك» (أعمال الرسل ٢٢: ١٦)، (١. كورنثوس ٦: ١١).

(٣) «إذن لاشىء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد، بل حسب الروح» (رومية ٨: ١).

(٤) يوحنا ٩: ٣٩.

(٥) يوحنا ٩: ٥.

(٦) يوحنا ١٢: ٤٦.

(٧) يوحنا ١: ٩.

وملكوت السماوات بمعناه القريب هو الكنيسة (٨)، لأن الكنيسة هى مملكة المسيح على الأرض، بتعاليمها وأسرارها وأمجادها وإمتيازاتها الروحية.

وملكوت السماوات بالمعنى البعيد هو ملكوت الله النهائى، والمقر الأبدى يدخله الأبرار والصديقون ميراثاً لهم مع الآب السماوى عندما يقول الملك الديان، لهم فى يوم الحساب العظيم «تعالوا أيها المباركون من أبى لترثوا الملكوت المعد لكم منذ إنشاء العالم» (٩).

٥٧ ـ لا داعى لإعادة تعميد الزوجات اللواتى سبق إنضمامهن للكنيسة الأرثوذكسية (١)

الأب المحترم القمص .....

سلام ومحبة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

علمتُ من السيد الدكتور ..... أن قدسكم تريد أن تعرف رأينا الكنسى فيما يتصل **بالزيجات التسع** التى تمت منذ وقت طويل فى قرية ..... الرجل أرثوذكسى والمرأة كانت كاثوليكية ـ وقد تم الزواج الكنسى فى الكنيسة الأرثوذكسية، ومارست الزوجات بعد زواجهن كافة المراسم والأسرار الكنسية، وعلى رأسها سر التناول فى الكنيسة الأرثوذكسية منذ تاريخ الزواج وإلى الآن.

نقول، طالما أن هذه الزيجات التسع قد تمت فى زمن قديم، **وقد انضمت الكاثوليكيات إلى الكنيسة الأرثوذكسية وتمت مراسم سر الزيجة فى الكنيسة الأرثوذكسية**، وفى كل تلك المدة تقدمن إلى الأسرار المقدسة فى الكنيسة الأرثوذكسية، **فلا داعى بعد ذلك كله إلى إعادة تعميدهن.**

أولاً ـ لأنهن قد انضممن بالفعل إلى الكنيسة الأرثوذكسية من زمن.

وثانياً ـ لأنهن قد مارسن سر التناول وهو سر الأسرار، مراراً فى الكنيسة الأرثوذكسية، وبالتالى سائر الأسرار والطقوس الأخرى ـ ومنها سر التوبة والاعتراف.

على أننا نطلب الآن من كل كاثوليكى أو كاثوليكية إذا أراد أن يتزوج من قرين أرثوذكسى أن ينضم أولاً قبل الزواج إلى الكنيسة الأرثوذكسية حتى يباشر عقد الزواج بين رجل وامرأة أرثوذكسيين. **وضماناً لصحة الإنضمام نطلب إعادة المعمودية على قانون الإيمان الأرثوذكسى** بالنسبة للطرف غير الأرثوذكسى ـ **ثم تجنبا لتطبيق الشريعة الإسلامية فى حالة حدوث خلاف بين الزوجين**، بسبب اختلاف الملة.

وعلى ذلك نرى أنه لا داعى لإعادة تعميد الزوجات اللواتى سبق إنضمامهن إلى الكنيسة الأرثوذكسية. وتم بالفعل زواجهن فى الكنيسة الأرثوذكسية، ومارسن فعلاً أسرار الكنيسة وعلى رأسها سر الأسرار، وهو سر التناول، **خصوصا وأن أسرار الكنيسة لا تمنح قهراً أو على الرغم من اقتناع قابلها والمتقدم لها.**

ونعمة الرب تشملنا جميعاً ـ ولعظمته تعالى الشكر دائما،....

---

(١) كتب فى ٢٨ من مارس ١٩٨٧م ـ ١٩ من برمهات ١٧٠٣ش.

٥٨ ـ عماد أطفال غير المؤمنين

سؤال: على أساس عدم أهمية الإيمان للأطفال هل يجوز عماد أطفال غير المؤمنين؟

الجواب: ـ

عماد الأطفال غير المؤمنين ممكن، لو كان لنا ضمان بأن يكون هؤلاء الأطفال فى رعاية مسيحية. وهنا على الخصوص تبدو أهمية الإشبين الذى يتعهد أمام الكنيسة بتربية الطفل تربية مسيحية. أما من جهة عمل الروح القدس، فالروح القدس يمكن أن يعمل فى الطفل المولود من أبوين غير مسيحيين كما يعمل فى الطفل المولود من أبوين مسيحيين، سواء بسواء.

وهنا لا يفوتنى أن أُنوّه إلى أنّ بعض الوالدين غير المسيحيين يعمدون أحياناً أطفالهم من أجل أن يعيشوا، فهم لا يعمدونهم لكى يعيشوا مسيحيين، إنما يعمدونهم فقط لكى لا يموتوا، ولكنهم ينشئونهم تنشئة غير مسيحية. هذا خطأ كبير ويجب منع هذه الظاهرة، لأننا فى هذه الحالة نعطى الأسرار لغير مستحقيها، وهذا خطأ عظيم.

٥٩ ـ هل نال تلاميذ المسيح المعمودية؟ (١)

سؤال: من الابن ميشيل عزمى جاد الرب ـ محرم بك ـ الأسكندرية.

يقول: هل اعتمد تلاميذ المسيح؟، وإن لم يعتمدوا فهل يتفق هذا مع قول المسيح له المجد لنيقوديموس: (الحق الحق أقول لك إن الإنسان مالم يولد من الماء والروح، لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله...) (يوحنا ٣: ٥) وهل اعتمد تلاميذ المسيح قبل صلب المسيح أم بعده؟

أرجو الإفادة بآيات الكتاب المقدس التى تشهد بذلك.

الجواب: ـ

نعم، إن تلاميذ المسيح اعتمدوا بالماء والروح.

إنهم أولاً اعتمدوا بالماء...

اعتمدوا أولاً بمعمودية يوحنا المعمدان لأنهم كانوا تلاميذ يوحنا قبل أن يصبحوا تلاميذ المسيح.

ولقد جاء فى الكتاب المقدس (ظهر يوحنا المعمدان فى البرية، وكان يبشر بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا، **فخرج إليه جميع أهل بلاد اليهودية وأورشليم، ونالوا منه المعمودية** فى نهر الأردن معترفين بخطاياهم) (مرقس ١: ٤، ٥) (فلم يلبث أن خرج إليه **أهل أورشليم وكل اليهودية وكل الأرجاء المحيطة بالأردن، ونالوا منه المعمودية** فى نهر الأردن معترفين بخطاياهم) (متى ٣: ٥، ٦) (كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا فى البرية، وقد جاء **إلى كل نواحى الأردن، يدعو إلى معمودية التوبة لمغفرة الخطايا**) (لوقا ٣: ٢، ٣).

قلنا إن تلاميذ المسيح له المجد قد نالوا المعمودية بالماء على يد يوحنا المعمدان، فقد تتلمذوا على يوحنا قبل أن يختارهم المسيح له المجد، فقد كانت هذه هى مهمة يوحنا المعمدان التى أرسل من أجلها أى لكى يعد الطريق أمام سيده المسيح له المجد.

على أن تلاميذ المسيح له المجد، نالوا أيضاً المعمودية من المسيح له المجد فقد جاء فى الإنجيل (وبعد ذلك جاء يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية، **ومكث هناك معهم يعمد**) (يوحنا ٣: ٢٢).

ويقول الإنجيل أيضاً (ولما علم الرب يسوع أن الفريسيين سمعوا أنه اتخذ تلاميذ كثيرين، **وأنه يعمد أكثر من يوحنا**). (يوحنا ٤: ١، ٢) ثم يقول (فجاءوا إلى يوحنا وقالوا له:

(١) كتب فى ٣٠ من أبريل ١٩٩٢م ـ ٢٢ من برموده ١٧٠٨ش.

(يامعلم، إن الذى كان معك فى عبر الأردن، ذلك الذى شهدت له، **هوذا يعمد، والجميع يقبلون إليه**) (يوحنا ٤: ٢٦).

وإذن **فتلاميذ المسيح تعمدوا ثم صاروا هم أنفسهم يعمدون بتكليف وأمر من سيدهم**، وصار عدد الذين عمدهم تلاميذ المسيح أكثر ممن عمدهم يوحنا المعمدان.

ولابد أن **معمودية المسيح كانت أقوى وأعظم فعالية من معمودية يوحنا لأنه كما** قال يوحنا المعمدان (أنا أعمدكم بالماء من أجل التوبة، أما الذى يأتى بعدى، فهو أقوى منى، وأنا لست مستحقاً أن أحمل حذاءه. **إنه سيعمدكم بروح القدس وبالنار**) (متى ٣: ١١).

على أن تلاميذ المسيح له المجد تعمدوا بعد ذلك بالروح القدس، فقد حل عليهم الروح القدس فى يوم الخمسين.

جاء فى سفر أعمال الرسل: (أصدر (يسوع) أوامره بالروح القدس إلى الرسل الذين اختارهم، والذين أيضاً بعد أن تألم، أراهم نفسه حياً ببراهين كثيرة واضحة. وقد ظل أربعين يوماً يظهر لهم، ويكلمهم عن ملكوت الله. وفيما هو يأكل معهم أوصاهم بألا يبرحوا أورشليم قائلاً: انتظروا موعد الآب الذى سبق أن سمعتموه منى. فإن يوحنا عمد بالماء، وأما أنتم فستعمدون بروح القدس بعد أيام غير كثيرة) (أعمال الرسل ١: ٢- ٥).

وقد تم هذا التعميد لتلاميذ المسيح بروح القدس فى يوم الخمسين لقيامة المسيح له المجد (فامتلأوا جميعاً من روح القدس، وطفقوا يتكلمون بلغات أخرى غير لغتهم حسبما وهبهم الروح أن يجهروا بالكلام) (أعمال ٢: ٤).

وقد ردد القديس بطرس القول عن هذه الحقيقة فى بيت كورنيليوس (قال: (الرب) إن يوحنا عمد بالماء، وأما أنتم فتتعمدون بروح القدس) (أعمال الرسل ١١: ١٦)، (إشعياء ٤٤: ٣)، (يوئيل ٢: ٢٨)، (٣: ١٨)، (يوحنا ٧: ٣٩)، (١٦: ٧، ١٣)، (أعمال ٢: ١٧، ٣٣، ٣٨)، (رومية ٨: ٢)، (يوحنا ١٤: ١٦، ٢٦)، (١٥: ٢٦)، (أفسس ٤: ٨)، (لوقا ٢٤: ٤٩).

والخلاصة **إن تلاميذ المسيح تعمدوا بالماء قبل صلب المسيح، تعمدوا بمعمودية يوحنا المعمدان ثم بمعمودية المسيح.**

ثم تعمدوا بروح القدس بعد صلب المسيح له المجد وبعد قيامته المجيدة، **وذلك فى يوم الخمسين.**

أنظر أيضاً (أعمال الرسل ١٩: ٣- ٥).

وبذلك تحقق لهم وفيهم قول المسيح له المجد (الحق الحق أقول لك إن الإنسان مالم يولد من الماء والروح، لايمكنه أن يدخل ملكوت الله) (يوحنا ٣: ٥).

٦٠ ـ الإنضمام للكنيسة لا يكون إلاّ بالعماد

الأب الموقر القمص: .....

تسألنى عن تلك السيدة الكاثوليكية التى تزوجت بقبطى أرثوذكسى وهى تتناول من الأسرار المقدسة فى الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية ـ وكانت قد انضمت إلى الكنيسة الأرثوذكسية ـ بطلب رسمى... فأقول إن طلب الإنضمام لا قيمة له إلا إذا نالت العماد كاملاً فى الكنيسة الأرثوذكسية... ولقد رأيت فى قصة هذا الإنضمام دليلاً جديداً يؤيد ما شرحناه فى مؤتمر المحادثات الرسمية بين الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والكنيسة القبطية الذى انعقد للمرة الرابعة فى القاهرة فى مارس الماضى، وقد أثير فيه موضوع إعادة معمودية الكاثوليك الذين ينضمون للكنيسة القبطية، قلت إننا إذ نطلب فى كنيستنا إعادة المعمودية، فليس هذا إحتقاراً منا للمعمودية الكاثوليكية ولكنها البرهان عندنا على صحة الإنضمام إلى الكنيسة الأرثوذكسية، وبدونها يكون الإنضمام إجراء شكلياً، ويمكن أن يكون مؤقتاً فيعود المنضم إلى كنيسته الأولى...إنما البرهان على أن الإنضمام كان إنضماماً عن إيمان حقيقى وصادق بالحق الأرثوذكسى، هو الاقبال على إعادة المعمودية فى الكنيسة الأرثوذكسية ـ على ما فيه من تضحية نفسية ـ ثم أنه لما كانت المعمودية قائمة على إيمان بحقائق الإيمان الأرثوذكسى فيكون إعادة المعمودية هى العماد على أساس إيمانى مختلف عن عقائد الكنيسة الكاثوليكية ـ وثالثاً ـ إننا مضطرون إلى ذلك، لهدف رعوى، وذلك حتى لا نفتح الثغرة، بتطبيق الشريعة الإسلامية، لإختلاف الملة ـ فإعادة المعمودية هى البرهان الحاسم على أن إيمان الزوجين وكنيسة الزوجية واحدة، فلا سبيل إلى الشريعة الإسلامية، بل ستكون شريعة العقد هى شريعة الفصل فى الخصومة بينهما.

علماً بأن الزوجات الألمانيات الكاثوليكيات والبروتستانتيات، قد أجريت لهن فى ألمانيا المعمودية من جديد على هذا الأساس وقد تضايقن فى مبدأ الأمر ثم اقتنعن أخيراً، وساد مبدأ إعادة التعميد وليس يعفى من التعميد أن بعض الكهنة ناولها من الأسرار المقدسة فالمعمودية هى الباب الأول وبعده سائر الأسرار.

على أننى أرجو أن يكون هذا بالاقتناع والاقناع وليس بالقوة، لئلا يسبب لك هذا الأمر متاعب، ويمكنك عند اللزوم الاعتماد على تصريح رسمى من قداسة البابا... هذا مع العلم أن البابا شنوده يأمر بإعادة معمودية الكاثوليك وبالتالى البروتستانت.

٦١ ـ صيغة الإيمان الذى يتم على أساسه العماد

الابن العزيز السيد عبده ربه اسطاسى ميخائيل ـ الخرطوم.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، أرجو لكم موفور الصحة.

ردا على خطابكم بتاريخ ١٥/ ١٠/ ١٩٩٣ بخصوص ابنكم السيد نبيل الذى تعمد فى طفولته بالرش بالكنيسة الكاثوليكية، ثم انضممتم إلى الكنيسة الأرثوذكسية بإرشاد نيافة الحبر جزيل الاحترام الأنبا دانيال مطران الخرطوم والجنوب وأوغندا.

وتسألون فى خطابكم إذا كان من الضرورى عماد ابنكم السيد نبيل الذى يبلغ الآن أكثر من أربعين سنة فى الكنيسة الأرثوذكسية، نقول إن الكنيسة الأرثوذكسية تتطلب لصحة الإنضمام، التعميد فى الكنيسة الأرثوذكسية حسب الطقس الأرثوذكسى، وعلى صيغة الإيمان الأرثوذكسى «**نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب، نسجد له ونمجده مع الآب والابن، الناطق فى الأنبياء**»، فإن الكنيسة الكاثوليكية فى القرن الحادى عشر، أضافت إلى صيغة الإيمان على قانون الإيمان الذى وضعه آباء مجمع نيقية فى سنة ٣٢٥م وأكمله مجمع القسطنطينية فى سنة ٣٨١م، شيئاً جديداً، وهو «انبثاق الروح القدس من الآب **والابن**». ولقد خلقت إضافة (**والابن**) إلى صيغة الإيمان، مشكلة لاهوتية كبيرة، انسلخت بسببها ١٥ كنيسة من وحدتها مع كنيسة روما الكاثوليكية، وهو الانقسام الكبير فى تاريخ المسيحية فى القرن الحادى عشر، وقد عقد (فوتيوس) البطريرك المسكونى فى القسطنطينية آنذاك مجمعاً عاماً، وأصدر المجمع قراراً بحرم الإضافة الكاثوليكية التى عرفت باسم Filio Que وهو الصيغة اللاتينية ويقابلها بالعربية (**والابن**). وخطورة هذه الإضافة أن الكنيسة الكاثوليكية خلطت فعل الانبثاق من الآب وهو فعل أزلى، بإرسال موهبة روح القدس فى يوم الخمسين، وهو فعل زمنى ـ وهو أمر خطير من الناحية اللاهوتية، ولخطورته تسبب عنه انسلاخ خمس عشرة كنيسة عن وحدتها مع كنيسة روما الكاثوليكية، وهى هذه الكنائس المعروفة بالكنائس التى تتبع الطقس البيزنطى ومنها كنائس الروم الأرثوذكسى والروس، ورومانيا، وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا... وغيرها بقيادة كنيسة القسطنطينية، والتى يرأسها البطريرك المسكونى.

لهذا فإن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية تقر معمودية الكنائس البيزنطية، كنائس الأروام والروس ومن إليهم، ولا تتطلب عند الإنضمام إعادة المعمودية، لأن صيغة الإيمان التى يتم

على أساسها العماد واحدة فى جميع الكنائس الأرثوذكسية وهو التعبير المأخوذ من فم السيد المسيح له المجد «والروح القدس روح الحق **المنبثق من الآب** فهو يشهد لى» (يوحنا ٥: ٢٦).

فالسبب الكبير الذى من أجله لا تقر الكنيسة الأرثوذكسية المعمودية الكاثوليكية هو «صيغة الإيمان» الذى يتم التعميد على أساسها «من آمن واعتمد خلص» (مرقس ١٦: ١٦).

وعلى ذلك فرداً على سؤالكم فى خطابكم، يلزم لصحة الإنضمام للكنيسة الأرثوذكسية التعميد على الطقس الأرثوذكسى وصيغة الإيمان الأرثوذكسى حسب منطوق مجمع نيقية والقسطنطينية المسكونيين. وبهذا يحق التقدم لسر القربان للتناول من المائدة الربانية فى الكنيسة الأرثوذكسية.

ونعمة الرب تشملكم مع تحيات الإعزاز والحب لصاحب النيافة الحبر جزيل الإحترام الأنبا دانيال ـ وتمنياتنا لكم وللأسرة بالخير والبركة.

٦٢ ـ سر المعمودية وسر الميرون
يطبعان فى النفس سمة لاتُمحى
المعمودية واحدة والتوبة هى المعمودية الثانية

سؤال: من ابن يصف نفسه بأنه خاطىء يطلب الغفران ـ من بلدة (الواسطى).

يقول نحن نعلم أن الروح القدس يحل فى الإنسان بالمعمودية ويتثبت بالميرون، فهل إذا أخطأ الإنسان خطيئة من أى نوع يفارقه الروح القدس ويتخلى عنه ثم يعود إليه مرة أخرى، وهكذا عند كل خطيئة يستمر الروح القدس فى مفارقة وعودة؟.. وإذا صح هذا فبأى وضع يعود، ونحن نعلم أن سر المعمودية لا يتكرر. أرجو التكرم بالإجابة على هذا السؤال الذى أقلق الجميع حيث اختلفت الردود عليه؟.

الجواب:

نحن نعلم من الكتاب المقدس ومن تعليم آباء الكنيسة الأرثوذكسية أن **الروح القدس واحد وله مواهب متعددة.**

«إن المواهب على أنواع مختلفة، لكن الروح واحد» (١ . كورنثوس ١٢: ٤)، (رومية ١: ١١)، (١٢: ٦)، (١ . كورنثوس ١٤: ١، ٣٧)، (العبرانيين ٢: ٤)، (١ . بطرس ٤: ١٠، ١١).

ففى المعمودية تحل (موهبة) الروح القدس بناء على صلوات الكهنة فى قداس المعمودية، **تحل على الماء**، وبهذا الحلول يتكهرب الماء **ويتحول من ماء على بسيط الحال إلى ماء نارى**. وهذا ما عبر عنه يوحنا المعمدان مبينا الفرق بين عمل معموديته وعمل المعمودية المسيحية «أنا أعمدكم بالماء من أجل التوبة، أما الذى يأتى بعدى (المسيح له المجد) فهو أقوى منى، وأنا لست مستحقاً أن أحمل حذاءه. **إنه سيعمدكم بروح القدس وبالنار**» (متى ٣: ١١)، (١ . كورنثوس ١٢: ١٣).

وبعد خروج المعمد من جرن المعمودية، يدهن بالميرون، وهو المسحة المقدسة، وبهذا السر الثانى ينال المعمد موهبة أخرى من مواهب الروح القدس، فيحل عليه ويقدسه ويدشن أعضاءه فتصبح أعضاء المسيح، ويختم على أعضائه، وكل حواسه فتصير كل الأبواب والمنافذ محصنة بموهبة الروح القدس، حتى لا تقوى الشياطين والأرواح النجسة أن تدخل إلى جسده أو تنفذ إلى داخله، فيصير مدرعا بموهبة الروح القدس، وبالتالى مثبتا فى نعمة

البنوية الإلهية التى نالها بالمعمودية، ولذلك فإن سر الميرون أو المسحة المقدسة يسمى سر التثبيت فى نعمة الميلاد الثانى التى ينالها المؤمن فى المعمودية المسيحية.

على أن مواهب الروح القدس سواء فى المعمودية أو سر المسحة المقدسة **لاتعصم الإنسان من أن يقع فى الخطيئة إذا هو أراد**، لأن الحرية هى شرف الإنسان وكرامته الممنوحة له منذ الخلق، **فالإنسان كائن عاقل حر مريد ومسئول.**

فإذا تنبه الإنسان المعمد إلى خطيئته، وأراد التوبة فإنه يمكن أن يمارس التوبة.

وعناصر التوبة أربعة هى:

أولاً ـ الندم والانسحاق.

ثانيا ـ العزم الصادق على تجديد السيرة.

ثالثاً ـ الرجاء الذى لا يخيب فى الله.

رابعاً ـ الاعتراف لله على يد الكاهن.

فإذا كانت توبة المسيحى صادقة فإن الله يقبله حسب وعده الصادق «**ومن يقبل إلى لا ألقى به خارجاً**» (يوحنا ٦ : ٣٧). وقوله «إن خرافى أنا تسمع صوتى، وأنا أعرفها، فهى تتبعنى وأنا أيضاً أعطيها الحياة الأبدية، **فلا تهلك إلى الأبد**» ولا يقدر أحد أن يختطفها» (يوحنا ١٠ : ٢٨، ٢٩). ولما كان سر المعمودية وسر الميرون (المسحة المقدسة) وسر الكهنوت ـ هذه الأسرار الثلاثة المقدسة من مواهب الروح القدس تطبع فى النفس **سمة لا تمحى** (١ . بطرس ١ : ٢٣)، (١ . يوحنا ٣ : ٩) فإن الخطيئة إذا اقترفها المعمد لا تمحو السمة التى تطبعها المعمودية فى النفس ولذلك فإن المعمودية لا تعاد. وهذا هو المعنى من أن المعمودية واحدة (٣ : ٩). وكذلك المسحة المقدسة بالميرون «أما أنتم **فالمسحة التى نلتموها من الله ثابتة فيكم**» (١ . يوحنا ٢ : ٢٧)، (٣ : ٩).

فالمعمودية لا تعاد بالتوبة، لأن الخطيئة التى يرتكبها الإنسان المعمد بعد عماده لا تمحو السمة التى ينالها الإنسان بالمعمودية لأنها سمة لا تمحى، إلا أخيراً جداً وذلك إذا مات، بغير توبة. من هنا فإن التوبة تسمى فى المصطلح الكنسى هى المعمودية الثانية. لأن الخطيئة التى يرتكبها الإنسان بعد المعمودية لا تمحو السمة التى نالها بالمعمودية طالما هو حى ويمكن أن ترجى توبته، فإذا تاب فإنه يسترد مكانته ولا يحتاج إلى معمودية أخرى، ذلك أن

المعمودية نعمة وموهبة من مواهب الروح القدس التى بها ينال الميلاد الثانى، وهى **الحلة الأولى** (لوقا ١٥: ٢٢) التى أمر بها الآب السماوى للابن الضال، فإذا اتسخت بالخطيئة فالتوبة الصادقة تكفى لغسل الحلة الأولى مما علق بها، فتردها إلى طهارتها ونظافتها ونصاعتها. من هنا فإن التوبة الصادقة هى **المعمودية الثانية**.

«إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل فيغفر لنا خطايانا، ويطهرنا من كل إثم» (١ . يوحنا ١: ٩).

«نحن نعلم أن كل من ولد من الله لا يخطأ، بل المولود من الله يصون نفسه، فلا يمسه الشرير» (١ . يوحنا ٥: ١٨).

٦٣ ـ الأطفال يعمدون لمغفرة الخطيئة

سؤال: من الابن ا. فؤاد الياس.

يقول فى سر المعمودية يتطهر الإنسان من الخطيئة الجدية التى لآدم وحواء، فكيف يرث الأبناء هذه الخطيئة من والديهم المعمدين، وقد نال الوالدان وهم أطفال الخلاص والتطهير من خطيئة آدم وحواء، أى كيف يعطوا لأبنائهم خطيئة لم تعد بداخلهم بعد أن نالوا الخلاص منها بواسطة الروح القدس فى سر المعمودية المقدس؟

الجواب:

حقا إنه بسر المعمودية يتطهر المعمد من لوثة الخطيئة التى وصلت إليه بالولادة من أبويه «بالآثام حبل بى (صورت) وبالخطيئة اشتهتنى أمى» (مزمور ٥٠: ٥)، (أيوب ١٤: ٤)، (مزمور ٥٨: ٣) وكما يقول الوحى الإلهى «**من البطن سميت عاصياً**» (إشعياء ٤٨: ٨)، (رومية ٥: ١٢)، (أفسس ٢: ٣).

ففى المعمودية تنحدر موهبة الروح القدس على المياه بناء على استدعاء الكاهن للروح القدس فى قداس المعمودية الذى يقيمه الكاهن لتقديس الماء، فيتحول الماء عن طبعه إلى نار، وتكهرب الماء فيصير الماء ماء ناريا، وفقا لما نطق به النبى يوحنا المعمدان فى بيان الفرق بين معموديته ومعموديه المسيح. فقد نطق يوحنا بالروح القدس قائلاً: «أنا أعمدكم بالماء من أجل التوبة، أما الذى يأتى بعدى (المسيح) فهو أقوى منى... إنه سيعمدكم بروح القدس وبالنار» (متى ٣: ١١)، (مرقس ١: ٨)، (لوقا ٣: ١٦، ١٧) وبناء على ذلك لما ذهب حنانيا أحد السبعين رسولاً وهو أسقف دمشق بأمر المسيح له المجد الذى ظهر له وأمره أن يذهب ليعمد شاول الطرسوسى الذى هو بولس الذى دعاه المسيح له المجد ليكون رسولاً يكرز باسمه.

ذهب إليه حنانيا الرسول وقال لشاول «إن إله آبائنا قد سبق فاختارك لكى تعمد واغتسل من خطاياك» (أعمال الرسل ٢٢: ١٤ – ١٦)، (أعمال الرسل ٢: ٣٨)، (١. كورنثوس ٦: ١١)، (العبرانيين ١٠: ٢٢).

فبالمعمودية تغسل لوثة الخطيئة التى يرثها الإنسان بالدم الواصل إليه من أبويه. «وكما أن الخطيئة دخلت فى العالم بإنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، هكذا سرى الموت إلى جميع الناس لأنهم جميعهم خطئوا فيه» (رومية ٥: ١٢).

فلو أن الإنسان بعد المعمودية، مات مباشرة فإنه يمضى طاهراً، ويمكنه أن يرى ملكوت الله (يوحنا ٣: ٣، ٥) أما إذا عاش، فمتى أخطأ فهو يحتاج إلى الخلاص من جديد، وغفران خطاياه، غير أنه لا حاجة له إلى المعمودية مرة ثانية، وإنما بممارسة التوبة الصادقة، والتناول من المائدة الربانية ينال الغفران باستحقاقات دم المسيح الفادى فإنه «ليس بأحد غيره الخلاص» (أعمال ٤: ١٢)، (٥: ٣١)، (١٠: ٤٣)، (١٣: ٢٣، ٣٨)، (١. تيموثيئوس ٢: ٥، ٦)، (متى ١: ٢١). ولذلك تعتبر التوبة الصادقة معمودية ثانية.

هذا ولكن من جهة أخرى، فإن مولود المرأة بفعل الزواج تصل إليه من خلال الدم لوثة الخطيئة الأصلية، وهو ما يقوله القديس ديديموس الضرير مدير المدرسة اللاهوتية. وليس هذا معناه أن الزواج خطيئة فى ذاته فقد قال الوحى الإلهى «ليكن الزواج مكرما فى كل شىء، وليكن فراش الزوجية طاهراً» (العبرانيين ١٣: ٤)، لكن اللقاء بين الزوجين فيه شهوة «بالآثام حبل بى، وبالخطيئة اشتهتنى أمى» (مزمور ٥٠: ٥). ولهذا ولد المسيح من عذراء من غير زواج حتى لا تنتقل إليه لوثة الخطيئة. وهنا حكمة الله فى أن يولد المسيح من عذراء، ويصنع الروح القدس من دمها جسداً من غير زرع بشر، حتى يكون جسد المسيح طاهراً من لوثة الخطيئة التى تصل إلى الجنين عن طريق الزواج، كما يقول آباء الكنيسة، ومنهم ديديموس الضرير والقديس أوغسطينوس.

وأما بعد، فهذا هو السبب فى أن الأطفال يعمدون «لمغفرة الخطيئة» على الرغم من أن الأطفال لم يخطأوا خطيئة بالفعل. فالخطيئة ليست خطيئة الأطفال، كما يقول آباء الكنيسة، ولكنهم لأنهم ولدوا من أبوين بالزواج والشهوة.

وعلى الرغم من أن الوالدين قد نالا المعمودية، لكن معمودية الوالدين لا تعفى الأطفال من المعمودية لغفران الخطيئة. ومرة أخرى يؤكد آباء الكنيسة أن الخطيئة هنا ليست خطيئة الأطفال الصغار المولودين حديثا، وإنما بفعل التزاوج تنتقل إليهم بالدم لوثة الخطيئة بالشهوة.

٦٤ ـ المعمودية قبل التناول من المائدة الربانية

سؤال: من الابن ا. صبرى.

نحن نعلم أنه لا يجوز لأى شخص أن يتقدم إلى سر القربان ما لم يمارس المعمودية، فكيف تقدم تلاميذ المسيح ورسله إلى المائدة الربانية يوم خميس العهد؟

الجواب:

حقاً، هذا هو السبب فى أن المسيح له المجد قام عن العشاء، عشاء الفصح، وغسل أرجل تلاميذه قبل أن يتقدموا للمائدة الربانية، وهو الترتيب الجميل الذى تمارسه كنيستنا فى يوم خميس العهد، فنحن نمارس أولاً منذ الصباح صلوات البصخة فى الساعات الثالثة والسادسة والتاسعة. وبعد ذلك نمارس صلوات اللقان وغسل الأرجل فى قداس خاص يقام فى الخورس الثانى، يسبق القداس الكبير الذى يقام فى الهيكل والذى يتناول فيه المؤمنين العابدون من المائدة الربانية.

والمتأمل فى طقوس الكنيسة ومباشراتها الروحانية فى يوم خميس العهد يتبين أن طقس غسل الأرجل له فوق المعنى الروحى، معنى آخر لاهوتى وعقائدى.

أما المعنى الروحى فهو ممارسة فضيلة غسل الأرجل تعبيرا عن التواضع وعن روح البذل والخدمة للآخرين كما قال المسيح له المجد «أتفهمون ما قد صنعت بكم؟ أنكم تدعوننى المعلم والرب. وحسناً تقولون لأننى أنا كذلك. فإن كنت وأنا ربكم ومعلمكم قد غسلت أرجلكم، فأنتم أيضاً ينبغى لكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض، لأننى أعطيتكم مثالاً، حتى تصنعوا أنتم أيضاً بعضكم ببعض كما صنعت أنا بكم. الحق الحق أقول لكم إنه ما من خادم أعظم من سيده، وما من رسول أعظم ممن أرسله. إن عرفتم هذا فمباركون أنتم إن عملتم به» (يوحنا ١٣: ١٢- ١٧).

أما المعنى **اللاهوتى والعقائدى** لغسل الأرجل فهو **المعمودية** التى هى مدخل المؤمنين إلى العهد الجديد، والتى قال فيها المسيح له المجد «إن الإنسان ما لم يولد ثانية من فوق لا يمكنه أن يرى ملكوت الله... إن الإنسان ما لم يولد من الماء والروح، لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله» (يوحنا ٣: ٣، ٥).

وهو المعنى الوارد فى نصوص صلوات قداس اللقان وغسل الأرجل.

ولهذا أيضاً قال المسيح له المجد لتلميذه سمعان بطرس لما استعظم أن يغسل سيده رجليه وقال له: «لن تغسل رجلى أبداً فأجابه يسوع قائلاً: «إن لم أغسل رجليك **فليس لك معى نصيب**» (يوحنا ١٣: ٨) فلما قال سمعان بطرس للمسيح له المجد «يارب ليس رجلى فقط، بل يدى ورأسى أيضاً. فقال له يسوع: «**إن الذى استحم لا يحتاج إلا إلى أن يغسل قدميه، فإنه طاهر كله**» (يوحنا ١٣: ٩).

وهذا قول صريح لبيان أن تلاميذ المسيح تعمدوا قبل ذلك. والمعروف أن تلاميذ المسيح اعتمدوا أولا **بمعمودية يوحنا المعمدان** (لوقا ٧: ٢٩)، ثم بعد ذلك **بمعمودية المسيح له المجد** (يوحنا ٣: ٢٢، ٢٦)، (٤: ١، ٢)، والتى كملت بحلول الروح القدس عليهم فى يوم الخمسين لصعود المسيح إلى السماء وفقا لقوله له المجد لأن «يوحنا عمد بالماء وأما أنتم **فستتعمدون بالروح القدس**» (أعمال الرسل ١: ٥).

أما وأن تلاميذ المسيح قد **تعمدوا**، فصاروا **مؤهلين للتناول من المائدة الربانية**. ومع ذلك كان لا بد لهم من الاغتسال الذى يمارسه المؤمنون قبل التقدم للمائدة الربانية.

وإذن فهذه هى الحكمة من ممارسة طقس غسل الأرجل قبل التقدم للمائدة الربانية، لأن المعمودية لابد أن تسبق التناول من المائدة الربانية.

ومن هنا كانت حكمة **مباشرة طقس غسل الأرجل وقداس اللقان، قبل التقدم لسر القربان والمائدة الربانية**.

القيم الروحية
فى ســـر المسحةِ (الميرون)

القيم الروحية فى سر المسحة (الميرون)

سر المسحة (الميرون) ٢٠٦
أولاً : سر المسحة هو سر التثبيت للنفس..... ٢٠٩
ثانياً : المسحة (الميرون) ختم الله على النفس ٢١٣
ثالثاً : سر المسحة هو سر التدشين والتقديس للنفس المؤمنة..... ٢١٧
رابعاً: سر المسحة يجعل المؤمنين المعمدين ملوكا روحيين وكهنة وأنبياء ٢١٩
خامساً : سر المسحة (الميرون) هو سر النمو الروحانى ٢٢٢
سادساً : سر المسحة (الميرون) هو سر التبكيت على الخطيئة ٢٢٤
سابعاً : سر المسحة (الميرون) هو سر التعزيات الروحية ٢٢٦
ثامناً : سر المسحة (الميرون) سر الشفاعة فينا ٢٢٧
تاسعاً : سر المسحة يمنح لمن يقبله الإنارة الروحية ٢٢٨
عاشراً : سر المسحة (الميرون) سر الحق ٢٣٢
حادى عشر : سر المسحة يمنح القوة الروحية والشجاعة والثبات ٢٣٤
ثانى عشر : سر المسحة سر يلد ويولّد مواهب روحية جديدة ٢٣٧
إبتهال ٢٤٠

سرُّ المَسحة (الميرون)

وهو السرّ الثانى الذى يناله المؤمن بعد المعمودية مباشرة. وتبعا له يُسمَّى المؤمن مسيحا للربّ، أى ممسوحا بالمَسحة المقدسة، وهى الميرون.

فالسيّد المسيح حلَّ عليه الرُّوح القُدُس فى نهر الأردن بعد المعمودية مباشرة (مرقس ١: ١٠)، (متى ٣ : ١٦)، (لوقا ٣: ٢١، ٢٢)، (يوحنا ١: ٣١ ـ ٣٤). وكذلك فعل الآباء الرسل بالمؤمنين: كانوا يُحدرون موهبة الرُّوح القدُس بصلواتهم ووضع أيديهم على المؤمنين بالمسيح بعد تعميدهم مباشرة. انظر (سفر أعمال الرسل ٨: ١٤ ـ ١٧)، (١٩: ١ ـ ٦).

قال العلاّمة ترتوليانوس TERTULLIANUS (نحو ١٥٥ ـ ٢٢٢) وهو من آباء القرن الثانى: «بعد خروجنا من جُرن المعمودية مُسحنا بزّيت مُقدَّس» (١) وقال القديس كيرلس الأورشليمّى من آباء القرن الرابع (٣١٥ ـ ٣٨٦)م : «وأنتم أيضاً بعد خروجكم من جُرن الينابيع المقدسة أعطيت لكم المَسحة، وهى رسم المَسحة التى مُسح بها المسيح، فهذه هى (مسحة) الرُّوح القُدُس» (٢) وقال أيضاً «هذا الميرون يُعطَى للذين اعتمدوا حديثاً» (٣). وينصُّ القانون الثامن والأربعون من قوانين مجمع اللاذقيّة LAODICEA الذى انعقد عام ٣٦٤م على أنه «يجب على المستنيرين (=المعمَّدين) أن يُمسَحوا بعد المعمودية بمسحة سمائية، ويشتركوا فى ملكوت المسيح» (٤)

فالمسيحى يُسمَّى مسيحيا لأنه تابع للسيّد المسيح له المجد، ومؤمن به، بل ولأنه أيضاً قد مُسح بالمسحة المقدسة.

وفى هذ يقول القديس ثيوفيلوس Theophilos الأنطاكى وهو أسقف أنطاكية فى أواخر القرن الثانى للميلاد (وتوفى سنة ١٨١)م: «إن المسيحيين دعوا بهذا الاسم لأنهم ممسحون بزيت الله» (٥)

---

(١) فى المعمودية : ٧ وفى رفض الهراطقة فصل ٣٧ ـ وضد مركيانوس ٣: ٢٢.

(٢) محاضرة ٢١، مقالته الثالثة على الأسرار، تعليقاً على رسالة يوحنا الأولى (٢: ٢٠ ـ ٢٨).

(٣) تعليم ٢١.

(٤) أنظر كتاب قوانين المجامع

The Rudder of The Orthodox Christians or All The Sacred and Divine Canons, By D. Cummings, 1957, P. 570.

(٥) ك ١ إلى اوتوليكوس Autolycus فصل ١٢.

ويقول القديس كبريانوس، وهو من آباء القرن الثالث (قطع رأسه فى سنة ٢٥٨م): من اعتمد ينبغى أن يُمسح أيضاً لكى يصير بواسطة المسحة ممسوحاً لله، ويأخذ نعمة المسيح، (١)

ويقول القديس كيرلس الأورشليمى: «لا يصح أن تُدعى بصواب مسيحياً إلا بعد قبول موهبة الميرون المقدس» (٢) ويقول أيضاً «قد صرتم مسحاء إذ قبلتم (موهبة) الروح القدس» (٣).

وأما الميرون فكلمة يونانية μυρον وقبطية ⲙⲩⲣⲟⲛ بمعنى «طيب» أو «دهن». وفى المصطلح الكنسى هو خليط مطبوخ من عدد كبير من مختلف العقاقير والأطياب، يقدس بكلمة الله والصلاة، يمسح به بإشارة الصليب المقدس فى ستة وثلاثين موضعاً من أعضاء جسم المعمد، ليمتلىء من عطية الروح القدس.

وفى سر الميرون تنسكب موهبة الروح القدس على المعمدين للامتلاء به على غرار ما حدث للسيد المسيح بعد عماده فى نهر الأردن. قال الإنجيل «ورجع يسوع من الأردن **وهو ممتلىء من الروح القدس**، فذهب به الروح إلى البرية» (لوقا ٤: ١)، (قارن لوقا ٣: ٢١)، **وعلى نحو ما حدث للآباء الرسل فى يوم الخمسين «فامتلأوا جميعاً من روح القدس»** (أعمال الرسل ٢: ٤)، (٤: ٣١)، (١٣: ٥٢)، ومن بينهم القديس بطرس الرسول «**فقد امتلأ بطرس من روح القدس**» (أعمال الرسل ٤: ٨) وكذلك القديس بولس الرسول الذى كان اسمه قبلاً (شاول) وقد أصيب بالعمى عندما أبرق حوله نور المسيح الرب وهو فى طريقه إلى دمشق، فأرسل الرب إليه حنانيا الرسول، وهو أحد السبعين رسولاً وقد صار أسقف دمشق، **لكى يبصر ويمتلىء من روح القدس**» (أعمال الرسل ٩: ١٧). أنظر أيضاً (أعمال ١٣: ٩).

وقد صار الامتلاء من موهبة الروح القدس شرطاً أساسياً فى المدعوين إلى خدمة الرب. فعندما أراد الرسل الاثنا عشر أن يقيموا سبعة الشمامسة دعوا جمهور التلاميذ والمسيحيين وقالوا لهم: «فانتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال منكم مشهوداً لهم **ومملوئين من روح القدس** والحكمة» (أعمال الرسل ٦: ٣) «فاختاروا استفانوس رجلاً **ممتلئاً من الإيمان والروح القدس**» (أعمال الرسل ٦: ٥) وستة رجال آخرين معه. وظل القديس اسطفانوس إلى يوم استشهاده «**وهو ممتلىء من روح القدس**» (أعمال الرسل ٧: ٥٥). وكذلك وصف الوحى الإلهى القديس برنابا الرسول أنه «كان رجلاً صالحاً **وممتلئاً من روح القدس** ومن الإيمان» (أعمال الرسل ١١: ٢٤).

---

(١) رسالة ٧٠ (٢) تعليم ٢١ (٣) تعليم الأسرار ٣: ٣

وزاد الوحى الإلهى فطالب، ليس الخدام فقط، بل وجميع المؤمنين أيضاً بالامتلاء من موهبة الروح القدس، فقال «دعوا الروح يملأكم» (أفسس ٥: ١٨).

* * *

ولسر المسحة (الميرون) فعاليات روحية باطنية وآثار وفوائد جزيلة فى حياة الذين يقبلونه، وسنتكلم فيما يلى عن بعضها أو أهمها أو أبرزها:

أولاً: سر المسحة (الميرون)
هو سرّ التثبيت للنفس

فمن فوائد سرّ المسحة (الميرون) وفعالياته أنه **يمنح المعمد الذى يناله قوة روحانية تثبته فى حالة الخلاص وتحفظ له وجوده واستمراريته فى حياته الجديدة التى حصل عليها بالمعمودية. ولذلك يسمى سرّ التثبيت.**

فإذا كنا فى المسيحية نتطعم فى الزيتونة الجيدة (رومية ١١: ٢٤)، فإن (المعمودية) هى عملية اقتلاعنا وقطعنا من الزيتونة البرية (رومية ١١: ١٧، ٢٤) وإدخالنا وتطعيمنا فى الزيتونة الجيدة (رومية ١١: ٢٤). وأما الميرون فهو بمثابة الأربطة التى تشدنا إلى جزع الزيتونة وأصلها وتثبتنا فيه وفيها، حتى يتاح لعصارة الحياة أن تنتقل من الزيتونة إلى الأغصان المطعمة فيها، فتغتذى الأغصان بها، وبذلك تحيا الأغصان وتصير (شريكة فى أصل الزيتونة الجيدة ودسمها) (رومية ١١: ١٧)، كما تثبت فى الحياة الجديدة وتأتى بثمر. يقول المسيح له المجد «كما أن الغصن لا يمكنه أن يأتى بثمر من ذاته وحده إن لم يثبت فى الكرمة. هكذا أنتم **لا يمكنكم أن تأتوا بثمر إن لم تثبتوا فى**. أنا الكرمة وأنتم الأغصان. **فالذى يثبت فىّ وأنا فيه** يأتى بثمر كثير، لأنكم بدونى لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً. وأما الذى لا يثبت فى فيطرح خارجاً كالغصن فيجف، فيجمعونه ويطرحونه فى النار فيحترق» (يوحنا ١٥: ٤ ـ ٦).

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس «ولكن الذى يثبتنا وإياكم فى المسيح وقد مسحنا إنما هو الله، وهو الذى ختمنا بخاتمه ومنحنا عربون الروح فى قلوبنا» (٢. كورنثوس ١: ٢١، ٢٢).

وجاء فى رسالة القديس يوحنا الرسول الأولى: «أما أنتم **فالمسحة التى نلتموها من الله ثابتة فيكم**. ولذلك فلستم بحاجة إلى من يعلمكم الحق، فتلك المسحة عينها هى التى تعلمكم كل شىء، وهى حق وليست كذباً، فكما علمتكم اثبتوا فيه (فى المسيح)» (١. يوحنا ٢: ٢٧) ثم أيضاً «وبهذا نعرف أن الله يثبت فينا من الروح (القدس) الذى وهبه لنا» (١. يوحنا ٣: ٢٤).

ويقول القديس (امبروسيوس) من آباء القرن الرابع (٣٣٩ ـ ٣٩٧)م «إن الله الآب **وسمك بعلامة المسيح ربنا وثبتك، وأعطاك (موهبة) الروح القدس** عربون الخلاص كما يعلم الرسول» (١).

---

(١) فى الأسرار فصل ٧.

فإذا كنا بالمعمودية نعتق من ديوننا وهى خطايانا الجدية والفعلية السابقة على المعمودية، ونصير أحراراً منها معتقين من عبوديتها، فإننا إذا لم نزود بموهبة جديدة وقعنا فى أسر الدين من جديد، مثلنا فى ذلك مثل إنسان مدين لأحد من الناس بألف جنيه مثلاً وقد سجنه الدائن إلى أن يوفى الدين، فتعطف عليه محسن كريم ودفع عنه الدين، وأخرجه من السجن، فما لم يعطه هذا المحسن أو غيره مبلغاً آخر، فإنه بعد دقيقة واحدة من إطلاق سراحه سيستدين من جديد لتغطية نفقاته فى الحياة.

فسرّ المسحة أو الميرون، هو سرّ التثبيت، هو السرّ المقدس الذى ينال به المعمد فيضاً جديداً من مواهب الروح القدس تكفل له الاستمرار والثبات فى حياة العتق من دينه القديم والخلاص من أسر الخطيئة وعبوديتها (رومية ٨: ٢٣)، (٢. كورنثوس ٥: ٥). ولذلك فإنه يسمى أيضاً بـ «**مسحة الخلاص**» و «**ثوب الخلاص**» حسب التعبير الكنسى المستعمل عند مباشرة هذا السر فى الكنيسة، وكما ورد فى كتابات القديس كيرلس الكبير (٤١٢ - ٤٤٤)م.

ويقول القديس افرآم السريانى (٣٠٦ - ٣٧٣)م «إن سفينة نوح كانت تبشر بمجىء المزمع أن يسوس كنيسته فى المياه، وأن يرتد أعضاؤها إلى الحرية باسم الثالوث القدوس (أى فى المعمودية). **وأما الحمامة فكانت ترمز إلى الروح القدس المزمع أن يصنع مسحة هى سرّ الخلاص (أو سر الميرون أو التثبيت)**» (٢).

وكما أن المولود جسدياً يحتاج إلى قوة تحفظه وتحفظ له بقاءه واستمراره وصحته ضداً لعوامل المرض والموت والفناء، كذلك الحال بالنسبة إلى المؤمن فى حياته الروحية. إنه لا يكفيه أن يولد بالمعمودية ميلاداً ثانياً من فوق، من الماء والروح، فقد يسقط صريعاً أمام الخطيئة من جديد مالم تُوهب له نعمة أخرى يمكنه بها أن «يثبت» فى حياة النعمة والإيمان، ويقاوم عوامل الشر ومثيرات الخطيئة والانحراف والسقوط.

جاء فى رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس «وكل من يجاهد يمارس ضبط النفس فى كل شىء. أما أولئك فلكى يفوزوا بإكليل يفنى، وأما نحن فلنفوز بإكليل لا يفنى. إذن أنا أركض هكذا، لا كمن لا هدف له، وهكذا أُلاكِمُ أيضاً، لا كمن يلطم (يضرب) الهواء، بل

(٢) خطاب ١٩ ضد الفاحصين.

أقمع جسدى وأستعبده، مخافة أن أكون بعد ما بشرت للاخرين، أصير أنا نفسى مرفوضاً (١. كورنثوس ٩: ٢٥ ـ ٢٧).

أنظر (غلاطية ٢: ٢)، (٥: ٧)، (فيلبى ٢: ١٦)، (٣: ١٤)، (١. تيموثيئوس ٦: ١٢)، (٢. تيموثيئوس ٢: ٥)، (٤: ٧)، (العبرانيين ١٢: ١).

لهذا يسمى الميرون فى طقوس مباشرته بالكنيسة (حرز الحياة)، كما يسُمىَّ (درع القوة تجاه كل فعل شيطانى)، (درع الإيمان والحق). ويسمى (درع القوة) لأنه يحمينا ويقينا من سهام الشرير، كما يحمى الدرع جسم لابسه على ما يقول القديس كيرلس الأورشليمى.

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل أفسس: «وبعد، يا إخوتى، تقووا فى الرب، وفى عظمة قدرته. إلبسوا سلاح الله الكامل **لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس.** فإن حربنا ليست مع أعداء من لحم ودم، بل مع الرؤساء، مع أصحاب السلطان والسيادة على هذا العالم، عالم الظلمات مع الأرواح الشريرة فى الأجواء السماوية. لذلك احملوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تقاوموا فى يوم الشر، وبعد أن تتمموا كل شىء أن تثبتوا.

فاثبتوا إذن ممنطقين أحقاءكم بالحق ولابسين درع البر. وأنعلوا أقدامكم بالحمية فى إعلان إنجيل السلام وفى كل حال، احملوا الإيمان ترساً، فإنكم به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة (المشتعلة)، واتخذوا خوذة الخلاص وتقلدوا سيف الروح الذى هو كلمة الله، مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت فى الروح، وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة لأجل جميع القديسين» (أفسس ٦: ١٠ ـ ١٨).

أنظر أيضاً (٢. كورنثوس ٦: ٧)، (١. تيموثيئوس ١: ١٨).

«فلا ننامَنَّ (نَنَم) إذن كما يفعل سائر الناس، بل علينا أن نسهر ونصحو. فالذين ينامون إنما هم فى الليل ينامون،... وأما نحن أبناء النهار، فلنكن صاحين، **لابسين درع الإيمان، والمحبة وخوذة رجاء الخلاص**» (١. تسالونيكى ٥: ٦ ـ ٨).

انظر أيضاً (رومية ١٣: ١٢).

ويقول القديس أوغسطينوس (٣٥٤ ـ ٤٣٠)م

«إن اسم المسيح من **المسحة**. فكل مسيحى يقبل **المَسحة** إنما ذلك ليس للدلالة على أنه صار شريكاً فى الملكوت فقط، **بل صار من المحاربين للشيطان**».

ويقول القديس كيرلس الأورشليمى:

«بعد ذلك، (أى بعد المعمودية) تمسحون على صدوركم لكى تلبسوا درع العدل وتثبتوا لدى حيل الشيطان. وكما أن المسيح بعد المعمودية وحلول الروح القدس خرج وحارب المعاند، هكذا أنتم بعد المعمودية المقدسة **والمسحة السرية، تثبتون لدى القوة المضادة لابسين سلاح الروح القدس الكامل**، وتحاربونها قائلين مع الرسول: «إنى أستطيع كُلَّ شئ فى المسيحِ الّذى يُقوِّينى» (فيلبى ٤: ١٣) (١).

فإذا كنا بِسرّ المعمودية ندخلُ فى ملكوتِ المسيح، فبسرِّ الميرون أو المسحة نسعى ونجاهد ضد الخطيئة. وضد شهوات الجسد وضد مغريات العالم، ونحارب مع المسيح شهواتنا ورذائلنا وعاداتنا الرديئة. وبالروح القدس نميت أعمال الجسد، ونحيا لله: «لأنكم إذا حييتم حسب الجسد فستموتون، أما إذا أمتم بالروح أعمال الجسد فستحيون» (رومية ٨: ١٣).

انظر (رومية ٦: ٢)، (غلاطية ٥: ٢٤)، (أفسس ٤: ٢٢)، (كولوسى ٢: ٢٠)، (٣: ٥)، (١. بطرس ٢: ٢٤).

---

(١) فى الأسرار ٣: ٤.

ثانياً: المسحة (الميرون)
ختم الله على النفس

ومن مفاعيل سر المسحة (الميرون) أيضا **ختمه للنفس بختم مقدس**، فهو إذن **ختم الله على نفس الإنسان المؤمن بالروح القدس**.

جاء فى رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس: «ولكن الذى يثبتنا وإياكم فى المسيح وقد مسحنا إنما هو الله، **وهو الذى ختمنا بخاتمه** ومنحنا عربون الروح فى قلوبنا» (٢ . كورنثوس ١ : ٢١، ٢٢).

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل أفسس «الذى فيه أنتم أيضا، إذ سمعتم كلمة الحق، إنجيل خلاصنا، هذا الذى فيه أنتم أيضا إذ آمنتم **ختمتم بالروح القدس** الموعود، الذى هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده» (أفسس ١ : ١٣، ١٤). وجاء فيها أيضا «ولا تحزنوا روح الله الروح القدس، الذى به **ختمتم** ليوم الفداء (افسس ٤ : ٣٠).

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى القديس تيموثيئوس: «إن الأساس الراسخ الذى وضعه الله **يبقى ثابتا وعليه ختم هذا القول**: إن الرب يعرف الذين هم له: ليتجنب الإثم كل من يذكر اسم الرب» (٢ . تيموثيئوس ٢ : ١٩).

وجاء في أوامر الرسل: «أيها الأسقف أو القس قد رتبنا سابقاً، والآن نقول أن تمسح أولاً بزيت ثم تعمد بماء **وأخيرا تختم بالميرون**»(١).

وجاء فى القانون السابع من قوانين المجمع المسكونى الثانى الذى انعقد بالقسطنطينية سنة ٣٨١م «إننا نقبل أولئك الهراطقة الذين يرجعون إلى الأرثوذكسية، **ويختمون أولاً بالميرون المقدس على جباههم وعيونهم وأنوفهم وأفواههم وآذانهم**»(٢).

وعندما نختمهم نقول «**ختم موهبة الروح القدس**»(٣).

---

(١) ك ٧ ف ٢٢.

(٢) يبلغ عدد الرشوم على مختلف أعضاء جسم الممسوح بالميرون المقدس ستة وثلاثين رشماً.

(٣) انظر قوانين المجامع فى كتاب
THE RUDDER, OF THE ORTHODOX CHRISTIANS OR ALL SACRED AND DIVINE CANONS, BY D. CUMMINGS, 1957, P. 217.

ويقول القديس كبريانوس: «كما أن الرسولين بطرس ويوحنا بعد صلاة واحدة **استحدرا (موهبة) الروح القدس** على سكان السامرة **بوضع الأيادى** (أعمال الرسل ٨: ١٤ – ١٧). انظر (أعمال الرسل ١٩: ١ – ٧). هكذا الكنيسة أيضا منذ ذلك الحين، جميع المعمدين ينالون **(موهبة) الروح القدس، ويختمون بختمه عند دعاء الكهنة ووضع أياديهم»** (١) (إذ عندما يرفع الكاهن يمينه ليمسح بالميرون رأس المعمد وجبهته يكون **قد وضع يده عليه**). ويقول هو نفسه أيضاً «أنظروا كيف صرتم مشاركى اسم المسيح كهنوتيا، وكيف أعطى لكم **ختم شركة الروح القدس»** (٢).

ويقول القديس افرآم السريانى: «إن جميع قواكم النفسية **قد ختمت بختم الروح القدس**... وقد وضع الملك (= المسيح) عليكم رسالته، **خاتماً إياها بختم النار** (٣) **(= الروح القدس)** لكى لا يقرأها الغرباء ويحرفوها» (٤).

ويقول القديس امبروسيوس من آباء القرن الرابع ويمسحك الله **ويختمك المسيح**. وكيف ذلك؟ لأنك **تختم برسم صليبه وآلامه»**. (٥).

ويقول أيضاً «**قد قبلت الختم الروحى**... حافظ على ما اقتبلت... إن الله الآب وسمك بعلامة المسيح ربنا، وثبتك، وأعطاك (موهبة) الروح القدس» (٦) كما يقول «المعمودية يتلوها **الختم الروحى»** (٧).

وفى ترتيب طقس مسح المعمدين بالميرون المقدس لمنحهم سرّ التثبيت وختم الروح القدس، يقول الكاهن ولاسيما فى الرشم الرابع: «**مسحة مقدسة للمسيح إلهنا وختم غير منحل، أمين»**

---

(١) رسالة ٧٣ ضد الهراطقة.

(٢) عظة ٨ : ٢٣

(٣) الاشارة إلى قول يوحنا المعمدان عن المسيح «فهو سيعمدكم بروح القدس وبالنار» (لوقا ٣: ١٦).

(٤) تعليم الإيمان، فصل ٥.

(٥) فى الأسرار ٢: ٦ : ٧.

(٦) فى الأسرار فصل ٧.

(٧) فى أسرار البيعة ٣: ٢ : ٨ .

أنظر أيضاً اكليمنضس الأسكندرى (فى البديعيات ١١: ٣).

Ⲟⲩⲑⲱⲥⲥ ⲉⲛⲟⲩⲁⲃ ⲛ̀ⲧⲉ ⲠⲬⲤ Ⲡⲉⲛⲛⲟⲩⲧ ⲛⲉⲙ ⲟⲩⲥⲫⲣⲏⲥ ⲛⲁⲧⲃⲱⲗ ⲉⲃⲟⲗ ⲁⲙⲏⲛ.

والختم يستخدم عادة للتأييد والتثبيت. فالأمر المختوم لا يجوز أن يُمس بتغيير أو تعديل (دانيال ٦ : ١٧)، (متى ٢٧ : ٦٦). وكذلك **من يمنح خاتماً فى يده. صار صاحب حق مثبت لا ينازعه فيه أحد.**

ألم يذكر السيد المسيح له المجد هذا الخاتم، فى مثله عن الابن الضال عندما رجع إلى أبيه تائباً؟ فأبوه إذ أراد أن يرد إليه البنوة التى فقدها بضلاله. قال لعبيده «أخرجوا الحلة الأولى وألبسوه إياها، **وضعوا خاتماً فى يده**» (لوقا ١٥ : ٢٢).

أما الحلة الأولى فهى (المعمودية).

وإذ أراد أن «**يُثبته**» فى هذه الحياة الجديدة ويؤكدها له بصورة جازمة قاطعة قال: «**وضعوا خاتماً فى يده**» وهذا الخاتم هو «**الميرون**» **ختم (موهبة)** الروح القدس.

ولما كان **الميرون هو ختم الله على نفس المسيحى المعمّد**، فهو علامة مميزة للنفس التى لله تميزها عن غيرها من نفوس الناس بعامة، وهذه العلامة هى سمة باطنية لا تُمحى يعرف بها المختومون فى عالم الروح، «**وهم سينظرون وجهه، ويكون اسمه على جباههم**» - (سفر الجليان - الرؤيا ٢٢ : ٤)، (٣ : ١٢)، (٧ : ٣)، (١٣ : ١٦)، (١٤ : ١).

ومن له هذه **السمة أو الختم** «لا يمسه الشرير» (١ . يوحنا ٥ : ١٨)، إذ لا يستطيع روح أن يؤذى أو يضر «إلا الناس فقط الذين ليس لهم على جباههم **ختم (خاتم) الله**» (سفر الجليان - الرؤيا ٩ : ٤)، (١٤ : ١)، (٢٢ : ٤)، (٣ : ١٢)، (٧ : ٣).

فالميرون هو **السمة الروحية** التى يتميز بها المؤمنون المخلصون على عكس سمة (الوحش) على وجوه الأشرار الهالكين وجباههم (الجليان - الرؤيا ١٤ : ٩)، (١٩ : ٢٠)، (٢٠ : ٤).

ثالثاً: سرّ المسحة (الميرون) هو سرّ التدشين والتقديس للنفس المؤمنة

ومن مفاعيل الروح القدس في سر المسحة (الميرون) **تكريس النفس المؤمنة وتقديسها لله وتخصيصها لجلاله القُدُّوس**. وهو ما يُعبِّرُ عنه في الكتاب المقدس بأنه **تقديس الروح**، (٢ . تسالونيكي ٢ : ١٣)، (١ . بطرس ١ : ٢) . وإذا تكرست النفس لله بالروح القدس «فلا يحيا الانسانُ بقية عُمره في الجسد لشهوات الناس، بل لإرادة الله» (١ . بطرس ٤ : ٢) .

جاء في رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: «أما تعلمون أنكم هيكل الله، **وأن روح الله ساكن (حال) فيكم**؟ إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله، **لأن هيكل الله مُقدس، وهو أنتم**» (١ . كورنثوس ٣ : ١٦، ١٧) .

وقوله «ألا تعرفون أن أجسادكم **هي هيكل الروح القدس الذي فيكم**، الذي نلتموه من الله، وأنكم لستم لأنفسكم، لأنكم قد أشتريتم بثمن كريم فمجدوا الله إذن في أجسادكم **وفي أرواحكم** التي هي لله» (١ . كورنثوس ٦ : ١٩، ٢٠) .

وقوله «ولكنكم اغتسلتم، بل تقدستم، بل تبررتم باسم ربنا يسوع المسيح **وبروح إلهنا**» (١ . كورنثوس ٦ : ١١) .

أنظر أيضاً (أفسس ٥ : ٢٦)، (٢ . كورنثوس ٥ : ١٥)، (أعمال الرسل ٢ : ٣٢)، (٢٦ : ١٨) .

ويقول العلامة ترتوليانوس (نحو ١٥٥ ـ ٢٢٢)م.

«يُغسل الجسد لكي تتطهر النفس (وهذا بالمعمودية) **ويُقبل الجسد المسحة (أو الميرون) لكي تتكرس النفس**» (١) .

ويقول القديس كيرلُس الأورشليمي (٣١٥ ـ ٣٨٦)م.

«هذا الميرون (المسحة) يُعطى للذين اعتمدوا حديثاً، ولما يُمسح الجسدُ تتقدس النفسُ بالروح القدس» (٢) .

---

(١) قيامة الأجساد، فصل ٨ . (٢) تعليم ٢١ .

ويقول هو نفسه: «... لكن انظر واحترس من أن تظن ذاك الميرون بسيطاً، لأنه كما أن خبز الشكر بعد استدعاء الروح القُدُس ليس خبزاً بسيطاً، بل هو جسد المسيح، هكذا هذا **الميرون المقدس لا يعد ميروناً بسيطاً ولا عمومياً بعد الدعاء، بل هو موهبة المسيح، وحضور الروح القدس فاعلاً فعل ألوهيته**، فتمسح به على جبهتك وسائر حواسك، والمسيح هو الذى رسم. فإن الجسم يُدهن بالميرون الطاهر، ولكن **النفس تتقدس معاً بالروح القدس المحيى**». (١).

لذلك تسمى (موهبة) الروح القدس فى سر الميرون (أو المسحة) «بروح القداسة»، وإياه يطلب المصلى فى صلاة الساعة الثالثة من النهار، عندما يقول «أيها الرب الذى أرسلت روح قدسك على تلاميذك القديسين ورسلك المكرمين فى الساعة الثالثة، هذا لا تنزعه منا أيها الصالح، لكن نسألك أن تجدده فى أحشائنا، يارينا يسوع المسيح ابن الله الكلمة، **روحاً مُستقيماً ومحيياً، روح النبوة والعفة، روح القداسة والعدالة والسلطة**، أيها القادر على كل شىء، لأنك أنت هو ضياء نفوسنا، يا من يضىء لكل إنسان آتٍ إلى العالم، ارحمنا».

ولهذا الغرض عينه تمسح أيضاً بالميرون المقدس، الهياكل، والمذابح، وأوانيها، والصور والإيقونات، وسائر أثاثات الكنائس (سفر الخروج ٣٠: ٢٦ ـ ٢٨)، فتصير **مُقدسة لله، مُكرسة لخدمته تعالى، ومخصصة لعبادته، بحيث لا يجوز أن تستخدم لأى غرض آخر.** (الخروج ٢٩: ٣٧)، (٣٠: ٢٩)، (متى ٢٣: ١٩).

---

(١) تعليم الأسرار ٣: ٣.

رابعاً ـ سرّ المسحة (الميرون) سرّ يجعل المؤمنين المعمّدين ملوكا روحيين وكهنة وأنبياء

إن من مفاعيل سرّ المسحة (الميرون) أنه يُصيِّر الذين ينالونه ملوكاً وكهنة وأنبياء.

أولاً ـ ملوكاً :

ملوكاً، فإذا كان الموت قد ملك (ساد) البشر بخطيئة (بزلة) إنسان واحد بسبب ذلك الإنسان الواحد، فبالأولى أن **تسود الحياة بيسوع المسيح وحده أولئك الذين ينالون فيض النعمة وهبة البر**. فإذن كما أن بخطيئة إنسان واحد صار الحكم على جميع الناس بالهلاك، هكذا ببر واحد **صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة**. وكما أنه بمعصية الإنسان الواحد جُعل الكثيرون خطأة (خاطئين)، فكذلك **بطاعة الواحد سيصير الكثيرون أبراراً**. وجاءت الشريعة فكثرت الخطيئة، ولكن حيث كثرت الخطيئة ازدادت النعمة جداً، حتى إنه كما ملكت (سادت) الخطيئة للموت، **كذلك تملك (تسودُ) النعمة التى تبررنا (بربنا يسوع المسيح للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا)** (رومية ٥: ١٧ ـ ٢١).

أنظر (رومية ٦: ١٢).

نعم **ملوكاً**، ولكن ليس ملوكا أرضيين، وإنما ملوكاً روحيين، ملوكاً على أجسادهم، فيسيطرون على ميولها وشهواتها «بروح القوة» (إشعياء ١١: ٢).

نعم، «وجعلنا **ملوكاً** وكهنة لله أبيه» (الجليان ـ الرؤيا ١: ٦)، «وجعلت منهم **مملكة لإلهنا** وكهنة له، وسيملكون على الأرض» (الجليان ـ الرؤيا ٥: ١٠)، مُبارك هو ومقدس من الله من كان له نصيب فى القيامة الأولى. إن هؤلاء لا سلطان للموت الثانى عليهم، بل سيكونون كهنة لله والمسيح، **وسيملكون معه ألف سنة**» (الجليان ـ الرؤيا ٢٠: ٦) «**ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأعطوا سُلطة القضاء**... والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته، ولم يقبلوا على جباههم أو أيديهم سمة الوحش، قد عادوا إلى الحياة، **وملكوا مع المسيح ألف سنة**» (الجليان ـ الرؤيا ٢٠: ٤) **وسيملكون إلى أبد الآبدين (دهر الدهور ـ أبد الدهور)** (الجليان ـ الرؤيا ٢٢: ٥).

ويقول المسيح له المجد ، (وكل) من يغلب (ينتصر) سأعطيه أن يجلس معى فى عرشى كما غلبت أنا أيضاً، فجلستُ (فاستويت) مع أبى على عرشه، (الجليان ـ الرؤيا ٣ : ٢١).

أنظر (إشعياء ١١ : ٢)

ثانياً : وكهنة:

وكهنة يقدمون أنفسهم وأجسادهم لله **ذبيحة مُقدسة مرضية عند الله عبادتهم العقلية الروحية** (رومية ١٢ : ١) «وكونوا أنتم أيضاً كحجارة حية بانين أنفسكم بيتاً روحانياً **للكهنوت المقدس لإصعاد ذبائح روحية ومقبولة لدى الله**، بيسوع المسيح» (١. بطرس ٢ : ٥)، ويقدمون ذواتهم لله كمن هم أحياء من بين الأموات، وأعضاءهم آلات بر لله فى خدمة القداسة، (رومية ٦ : ١٣، ١٦، ١٩)، **فيمجدون الله فى أجسادهم، وهى هيكل الروح القدس، وفى أرواحهم التى هى لله،** (١. كورنثوس ٦ : ١٣ ـ ٢٠).

وكهنة

١ ـ يقدمون عن أنفسهم صلوات وأصواماً وصدقات وذبائح التسبيح، أى ثمار شفاه معترفة باسمه (العبرانيين ١٣ : ١٥)، (هوشع ١٤ : ٢)، (مزمور ٤٩ : ١٤، ٢٣)، (مزمور ١٠٦ : ٢٢)، (١١٦ : ١٧).

٢ ـ هذا إلى أن المسيحى بامتناعه عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس، وبممارسة الصوم عن الطعام ، والامتناع عن تحقيق ميوله ورغباته الجسدية والأرضية يمارس بهذا عمل الكهنوت العام الذى أعطى له بصفته مسيح الرب، والذى اكتسبه من المسيح له المجد رئيس الكهنة الأعظم الذى جعلنا «ملوكاً وكهنة لله أبيه» (الجليان ـ الرؤيا ١ : ٦) وجاء فى رسالة القديس بطرس الأولى قول الوحى الإلهى «وكونوا أنتم أيضاً كحجارة حية، بانين أنفسكم بيتاً روحانياً للكهنوت المقدس، لإصعاد ذبائح روحية ومقبولة لدى الله بيسوع المسيح... وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى، وأمه مقدسة، وشعب مقتنى (اقتناه الله)، لكى تخبروا بفضائل (الرب) الذى دعاكم من الظلمات إلى نوره العجيب» (١. بطرس ٢ : ٥ ـ ٩).

٣ ـ ولعل من أعمال الكهنوت العام لجميع المسيحيين أنهم بصفتهم مسيحيين يصلون من أجل الأخرين، مؤمنين وغير مؤمنين، وهذا هو **عمل الشفاعة التوسلية** ،مصلين بكل صلاة وطلبة، كل وقت فى الروح، وساهرين لهذا بعينه، **بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين،** (أفسس ٦ : ١٨) . وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى تيموثيوس : ،فأطلب، قبل كل شيء، أن تقام **طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات من أجل جميع الناس. ومن أجل الملوك وجميع ذوى السلطة**، لكى نعيش حياة مطمئنة هادئة فى كل تقوى وكرامة. إن هذا حسن ومقبول أمام الله مخلصنا، الذى يريد أن جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون، (١ . تيموثيوس ٢ : ١ ـ ٤) .

٤ ـ هذا بالإضافة إلى أن المسيحيين الممسوحين بالميرون المسحة المقدسة يقدمون أيضاً ذبائح الخير والرحمة والعطاء والتوزيع، ويقدمون ذبائحهم بروح التقوى ومخافة الرب.

جاء فى الرسالة إلى العبرانيين ،لا تنسوا عمل الخير والمعاونة (الإعانة)، فإن الله يرتضى مثل هذه الذبائح، (العبرانيين ١٣ : ١٦) .

أنظر أيضاً (رومية ١٢ : ١٣)، (٢ . كورنثوس ٩ : ١٢، ١٣)، (غلاطية ٦ : ٦)، (فيلبى٤ :١٨) .

ثالثاً: أنبياء

ثم (أنبياء) لأن الروح القدس يهبهم روح النبوة، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب (إشعياء ١١ : ٢) .

يقول القديس امبروسيوس (٣٣٩ ـ ٣٩٧) م: ،**إنّ كل مؤمن يمسح كاهناً وملكاً**، غير أنه لا يصير ملكاً أرضياً ولا كاهناً حقيقياً، بل ملكاً روحياً، وكاهناً روحياً يقرب لله ذبائح روحية وتقدمات الشكر والتسبيح، (١) ويقول هو نفسه أيضاً فى كتاب آخر ،**قد قبلت الختم الروحى، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح العلم والتقوى، روح مخافة الله**، فحافظ على ما اقتبلت. **إن الله الآب وسمك بعلامة المسيح ربنا، وثبتك وأعطاك (موهبة) الروح القدس** (٢)

---

(١) فى الكهنوت ، جزء ٤ (٢) فى الاسرار ، فصل ٧

ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم (٣٤٧ ـ ٤٠٧)م «إن الذين كانوا يمسحون فى العهد القديم هم إما كهنة، وإما أنبياء وإما ملوك. **أما نحن المسيحيين، أصحاب العهد الجديد، فيجب أن نُمسح لكى نصير ملوكاً متسلطين على شهواتنا، وكهنة ذابحين أجسادنا، ومقدمين إياها ذبيحة حية مقدسة مرضية، عبادتنا العقلية، وأنبياء لاطلاعنا على أسرار عظيمة جداً وهامة للغاية**».

على أن المسيحى الممسوح بالميرون يهبه الروح القدس روح النبوة، فيحمل رسالة المسيح إلى الآخرين، مسيحيين وغير مسيحيين، بقدوته وسيرته وسلوكه ثم بتعليمه وكرازته. ففيه يتنسم الناس رائحة المسيح الذكية «فإننا لله رائحة المسيح الذكية فى الذين سيخلصون وفى الذين سيهلكون» (٢ . كورنثوس ٢ : ١٥) وقال المسيح له المجد «ليضئ نوركم هكذا أمام الناس حتى يروا أعمالكم الصالحة فيمجدوا أباكم الذى فى السموات» (متى ٥ : ١٦).

ولهذا يصلى المسيحى فى صلاة الساعة الثالثة طالباً «أيها الرب الذى أرسلت روح قدسك على تلاميذك القديسين ورسلك المكرمين فى الساعة الثالثة، هذا لا تنزعه منا أيها الصالح، لكن نسألك أن تجدده فى أحشائنا، يا ربنا يسوع المسيح ابن الله الكلمة، روحاً مستقيماً ومحيياً، روح النبوة والعفة، روح القداسة والعدالة والسلطة أيها القادر على كل شىء. فإنك أنت هو ضياء نفوسنا. يا من يضىء لكل إنسان آتٍ إلى العالم، ارحمنا».

خامساً ـ سرّ المسحة (الميرون)

هو سرّ النمو الروحانى

ومن مفاعيل سر المسحة (الميرون) أيضاً أنه سر النمو فى الحياة الروحية. وكما أن الولادة الجسدية شىء والنمو فى الحياة شىء آخر، كذلك فعل المعمودية فى الحياة الروحية غير **فعل مسحة الميرون.**

وكما أنه لا يكفى للمولود حديثاً أن يولد، وإنما تلزمه قوة تكفل له النمو إلى أن يبلغ إلى ملء قامة الإنسان الكامل، كذلك الحال فى الحياة الروحية. فالمعمودية تعطى لمن ينالها امتياز الولادة الثانية، ولكن المولود يمكن أن يظل على الصورة التى ولد عليها ما لم يزود بسر النمو. **وسرّ النمو فى الحياة الروحية هو مسحة الروح القدس بالميرون**، وهو التثبيت الذى يكفل لمن يناله أن ينمو ويتقوى بالروح «إلى قامة الإنسان الكامل، إلى قياس قامة ملء المسيح. «فينمو فى كل شىء إلى ذاك الذى هو الرأس المسيح» (أفسس ٤: ١٣ ـ ١٥)، (كولوسى ١: ٢٨).

وإذا كنا بالمعمودية نتطهر من خطايانا وننال الخلاص وننجو من حكم الموت، **فبمسحة الروح القدس فى الميرون نتقوى ونثبت فى البرارة، ونتوطد فى الحياة الجديدة.**

وإذا كنا بالمعمودية ننال الميلاد الثانى، **فبمسحة الروح القدس فى سر الميرون ننال سر النمو الروحى الذى يكفل لنا البلوغ إلى النضج فى الإنسان الباطن والوصول إلى الكمال الروحانى** (متى ٥: ٤٨)، (لوقا ٦: ٣٦)، (كولوسى ١: ٢٨)، (٤: ١٢)، (يعقوب ١: ٤)، (١. بطرس ١: ١٥، ١٦).

ولما كان فى النمو تغير، وفى التغير تجديد، صار **التجديد من أعمال الروح القدس فى سر المسحة (الميرون)**. «خلصنا هو، لا اعتباراً لأعمال بر عملناها نحن، وإنما بمقتضى رحمته، وذلك بغسل (حميم) الميلاد الثانى (فى المعمودية) والتجديد الذى يجريه الروح القدس، الذى سكبه علينا بغنى، بيسوع المسيح مخلصنا» (تيطس ٣: ٥، ٦).

وتجديد الروح القدس عمل دائم فى حياة المعمدين الذين نالوا سر مسحة الميرون، عمل متواصل لا يتوقف، ومن أجل استمراره دائماً يطلب المصلى فى صلاة الساعة الثالثة من

النهار، وهى الساعة التى حل الروح القدس على التلاميذ الأطهار مثل ألسنة من نار: «روحك القدوس يارب الذى أرسلته على تلاميذك القديسين ورسلك المكرمين فى الساعة الثالثة، هذا لا تنزعه منا أيها الصالح، لكن جدده فى أحشائنا. قلباً نقياً أخلق فى يا الله، وروحاً مستقيماً جدد فى أحشائى».

وقال المسيح له المجد «من آمن بى كما قال الكتاب **ستجرى من باطنه أنهار ماء حى**». وإنما قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به عتيدين أن ينالوه» (يوحنا ٧: ٣٨، ٣٩).

انظر (الأمثال ١٨: ٤)، (إشعياء ١٢: ٣) (٤٤: ٣)، (٥٥: ١)، (٥٨: ١١)، (حزقيال ٤٧: ١، ٢)، (زكريا ١٤: ٨)، (يوئيل ٢: ٢٨)، (يوحنا ١: ٣٣)، (٤: ١٠)، (أعمال الرسل ٢: ١٧، ٣٣، ٣٨).

سادساً: سر المسحة (الميرون)

سر التبكيت على الخطيئة

ومن مفاعيل سر مسحة الروح القدس فى الميرون أنه يبكتنا على خطايانا كلما أخطأنا إلى الله أو أسأنا إلى الآخرين.

يقول السيد المسيح له المجد: «ومتى جاء هذا (= الروح القدس) فسيوبخ (فسيبكت) العالم على الخطيئة (يوحنا ١٦: ٨).

وحقاً إن الروح القدس يعمل عمل **التبكيت قبل التوبة، وقبل الإيمان بالمسيح، وقبل المعمودية**. وبذلك يقود الإنسان إلى الإيمان كما بكت اليهود فى يوم الخمسين «وخزتهم قلوبهم، وقالوا لبطرس ولسائر الرسل: ماذا علينا أن نعمل أيها الرجال الإخوة؟» (أعمال الرسل ٢: ٣٧).

وبه أيضاً نخس حافظ السجن الذى كان فيه بولس وسيلا، فقال لهما: «يا سيدى، **ماذا يجب على أن أعمل لأنال الخلاص؟**» (أعمال الرسل ١٦: ٣٠).

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس «ولا يستطيع أحد أن يقول «يسوع رب» **إلا بروح القدس**» (١. كورنثوس ١٢: ٣).

لكن للروح القدس فى سر المسحة (الميرون) **عمل التبكيت** أيضاً على الخطايا التى يقع فيها الإنسان بعد نيله المعمودية المقدسة. إنه **يلوم الإنسان عليها ويقرعه** (١. يوحنا ٣: ٢٠، ٢١)، (١. كورنثوس ٤: ٤) فيندم على أنه أخطأ إلى الله أو لأنه أساء إلى نفسه أو إلى الآخرين، أو لأنه أعثر غيره من المؤمنين أو من غير المؤمنين. وهذا التبكيت هو الذى يقود المؤمن إلى الحزن النافع له، وبالتالى إلى التوبة، والتوبة بالنسبة للمؤمنين المعمدين تعد بمثابة معمودية ثانية. جاء فى رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس «فأنا الآن أفرح، لا لأنكم أُحزنتم، بل لأن حزنكم حملكم (أدى بكم) على التوبة، وهو حزن بحسب مشيئة الله، حتى لا تتأذوا منا فى أى شىء. فإن الحزن الذى يوافق مشيئة الله ينتج **توبة تؤدى إلى الخلاص**، ولا ندم عليها. وأما حزن العالم فيؤدى (فيفضى) إلى الموت. فانظروا إذن هذا الحزن عينه الذى

يوافق مشيئة الله كم أنشأ (أنتج) فيكم من الاجتهاد، بل من الاحتجاج (الاعتذار)، بل من الغيظ، بل من الخوف، بل من الشوق، بل من الغيرة، بل من الانتقام، وقد بينتم (برهنتم) فى كل شىء على أنكم أبرياء من ذلك الأمر» (٢ . كورنثوس ٧ : ٩ ـ ١١)

أنظر (رومية ٨ : ٢٧)، (متى ٢٦ : ٧٥)، (٢ . صموئيل ١٢ : ١٣)، (الأمثال ١٧ : ٢٢).

سابعاً : سر المسحة (الميرون)

سر التعزيات الروحية

ومن مفاعيل سر مسحة الروح القدس فى الميرون أنه يعزينا بالتعزيات الروحية، فيغذى أرواح من يقبلون بالخصوبة الروحية، فيشعرون بالفرح والانتعاش الروحانى والسلام الداخلى والطمأنينة التامة. «**وأما ثمر الروح فهو المحبة والفرح والسلام**» (غلاطية ٥: ٢٢).

قال السيد المسيح له المجد «وسأطلب إلى الآب فيعطيكم معزياً آخر ليقيم معكم إلى الأبد» (يوحنا ١٤: ١٦). والمعزى الآخر هو الروح القدس الذى وعد المسيح له المجد تلاميذه بأن يرسله إليهم من الآب بعد صعوده إلى السماء. وإلى هذا المعزى أشار مخلصنا موضحاً حقيقته، وأنه هو الروح القدس، بقوله «حتى إذا جاء **المعزى وهو الروح القدس** الذى سيرسله الآب بإسمى، فسيعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم» (يوحنا ١٤: ٢٦) وقوله «ومتى جاء المعزى الذى **سأرسله أنا إليكم من عند أبى**، روح الحق المنبثق من الآب» (يوحنا ١٥: ٢٦) وقوله «إنه خير لكم أن أنطلق، لأننى إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى. أما إذا مضيت فإننى أرسله إليكم» (يوحنا ١٥ : ٢٦) **وقوله «إنه خير لكم أن أنطلق، لأننى إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى. أما إذا مضيت فإننى أرسله إليكم»** (يوحنا ١٦: ٧) وقد بر المسيح له المجد بوعده، فبعد صعوده إلى السماء بعشرة أيام أرسله إليهم فحل عليهم «فيما يشبه ألسنة من نار منقسمة **وحلت على كل واحد منهم فامتلأوا جميعاً من روح القدس**» (أعمال الرسل٢: ١ ـ ٤).

ومن بين أساليب العزاء بفاعلية الروح القدس معاضدته للمؤمنين المعمدين ومساعدته لهم «وأما الكنيسة (الكنائس) فى جميع اليهودية والجليل والسامرة فكانت فى سلام، وكانت تنمو وتسير فى مخافة الرب، وتتقوى **بتعزية الروح القدس**» (أعمال الرسل ٩: ٣١).

ثامناً : سر المسحة (الميرون)

سر الشفاعة فينا

ويتصل بهذا المعنى أن الروح القدس يشفع فينا بمعنى أنه يحرك مشاعرنا الروحية ويثيرها، ويلهب قلوبنا بالمحبة الإلهية ، ويثير فينا حاجتنا إلى الصلاة، بل ويلهمنا أيضاً ما نصلى من أجله. فهو إذن يشفع فينا، لأنه بمعونته تتحرك فينا رغبتنا فى الصلاة، وبه نعرف ما نصلى من أجله، سواء من أجل نفوسنا أو من أجل الآخرين.

جاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل رومية ،وكذلك الروح أيضاً يعضد ضعفنا، فإننا لا نعرف ماذا نصلى لأجله كما ينبغى (كما يجب)، **لكن الروح نفسه يشفع فينا بآنات لا توصف** (لا يعبر عنها - لا ينطق بها). والذى يفحص القلوب يعلم ما يريده الروح (ما هو اهتمام الروح) ، لأنه يشفع فى القديسين بما يوافق مشيئة الله، (رومية ٨: ٢٦ ، ٢٧).

وجاء فى رسالة القديس بولس إلى رومية أيضاً ،إذ قد نلتم لا روح العبودية الذى يردكم إلى الخوف، **بل نلتم روح التبنى الذى به نصرخ: أبا ، أيها الآب أبانا!**، (رومية ٨: ١٥).

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل غلاطية ،ثم بما أنكم أبناء، **أرسل الله روح ابنه إلى قلوبنا (قلوبكم) صارخاً (- هاتفاً) ،أبا، أيها الآب،** (غلاطية ٤: ٦)

أنظر (زكريا ١٢: ١٠)، (رومية ٥: ٥)، (٨: ٩)، (٢. كورنثوس ٣: ١٧).

تاسعاً : سر المسحة (الميرون) يمنح لمن يقبله
الإنارة العقلية الروحية

وإن من مفاعيل سر مسحة (الميرون) أن يمنحنا الروح القدس الإنارة الباطنية العقلية والروحية. وهذه عطية مثلثة تتجه بنورها الكشاف إلى الماضى ثم إلى الحاضر ثم إلى المستقبل.

أ ـ أما بالنسبة **إلى الماضى**، فالروح القدس فى سر المسحة «**يُذكرنا**» بوصايا الله، وأفضاله علينا، كما يذكرنا بعهودنا التى قطعناها فى الماضى مع الله، **ويذكرنا** بمركزنا فى العهد الجديد كأولاد لله، وينبهنا إلى مركزنا بالنسبة إلى العالم الذى صلب بالنسبة لنا، وصلبنا نحن بالنسبة له (غلاطية ٦ : ١٤).

يقول المسيح له المجد «إذا جاء المعزى، وهو **الروح القدس** الذى سيرسله الآب بإسمى،... **يذكركم بكل ما قلته لكم**» (يوحنا ١٤: ٢٦).

وفعلاً كان الروح القدس **يذكر** التلاميذ الأطهار بأقوال معلمهم ووصاياه.

قال الكتاب المقدس «ولم يفهم تلاميذه ذلك فى مبدأ الأمر، ولكنهم لما تمجد يسوع **تذكروا أن** ذلك مكتوب عنه، وأنهم فعلوا له هذا» (يوحنا ١٢: ١٦).

ويروى القديس بطرس الرسول أنه عندما حل الروح القدس على كورنيليوس وأهل بيته، فآمنوا وطلبوا تعميدهم «فتذكرت قول الرب: «إن يوحنا عمد بالماء، وأما أنتم فستتعمدون بروح القدس» (أعمال الرسل ١١: ١٦).

ب ـ وأما بالنسبة **إلى الحاضر** فالروح القدس الممنوحة لنا موهبته فى سر المسحة (الميرون) «**يعلمنا كل شىء**». والعلم الذى نناله بالروح القدس هو العلم الذى من لدن الله (العلم اللدنى) وهو غير العلم البشرى الذى يحصل عليه الإنسان باستخدام عقله الطبيعى، أو العلم الذى يتلقاه الإنسان من والديه أو من المعلمين فى المدارس، أو من الكتب التى يقرأها.

يقول معلمنا المسيح له المجد «إذا جاء المعزى وهو الروح القدس الذى سيرسله الآب بإسمى، **فسيعلمكم كل شىء**» (يوحنا ١٤: ٢٦)، ويقول له المجد أيضاً «فمتى جاء ذاك الذى **هو روح الحق، فهو يرشدكم إلى الحق كله**» (يوحنا ١٦: ١٣).

ويقول المسيح له المجد لتلاميذه «فمتى ساقوكم وأسلموكم إلى المجامع والحكام وذوى السلطان فلا يشغلكم الهم مقدماً بشأن ما عساكم أن تقولوا، أو بماذا تجيبون أو ماذا تقولون، **لأن الروح القدس سيلهمكم** فى تلك الساعة ما ينبغى أن تقولوا، لأنكم لن تكونوا أنتم المتكلمين، وإنما الروح القدس، روح أبيكم هو الذى يتكلم فيكم» (لوقا ١٢: ١١، ١٢)، (مرقس ١٣: ١١)، (متى ١٠: ١٩، ٢٠)، (لوقا ٢١: ١٤، ١٥).

ويقول المسيح له المجد أيضاً «إنه مكتوب فى أسفار الأنبياء **أن الجميع سيكونون متعلمين من الله**» (يوحنا ٦: ٤٥).

وجاء فى رسالة القديس الرسول يوحنا «وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس، **وتعلمون كل شىء**،.. ولذلك فلستم بحاجة إلى من يعلمكم الحق، فتلك المسحة عينها هى التى **تعلمكم كل شىء**، وهى حق، وليست كذباً، فكما **علمتكم** اثبتوا فيه (فى المسيح)» (١. يوحنا ٢: ٢٠، ٢٧).

وجاء فى الرسالة إلى العبرانيين: «لأن هذا هو العهد التى أعاهد به (عليه) بنى إسرائيل بعد تلك الأيام، يقول الرب: **إنى سأجعل شرائعى فى أذهانهم، وأكتبها على (فى) قلوبهم**، وأنا أكون لهم إلها، وهم يكونون لى شعباً» (العبرانيين ٨ : ١٠)، (١٠: ١٦).

ويقول القديس كيرلس الأورشليمى، تعليقاً على ما جاء فى رسالة القديس يوحنا الأولى:

«هذه المسحة احفظوها طاهرة، **لأنها تعلم كل شىء**، إذا لبثت فيكم كما سمعتم أقوال يوحنا المغبوط الذى قال أقوالاً حكيمة كثيرة فى هذه المسحة، لأن الروح القدس حرز للجسد وخلاص للنفس» (١).

ج - وأما بالنسبة إلى **المستقبل**، فالروح القدس الذى نناله فى سر المسحة (الميرون) يمكن **أن ينبئنا بما قد يحدث لنا فى مستقبل الأيام**، وهذه هى **موهبة النبوءة والكشف عن الغيب المحجب** التى تنبع من إضرام موهبة الروح القدس فى المؤمنين المعمدين الممسوحين بمسحة الميرون.

قارن (٢. تيموثيئوس ١: ٦) مع (١. تسالونيكى ٥: ١٩، ٢٠)، (١. كورنثوس ١٤: ١، ٣٩).

---

(١) فى الأسرار، عظة ٣: ٧

قال السيد المسيح له المجد «فمتى جاء ذاك الذى هو روح الحق، فهو يرشدكم إلى الحق كله، ... **وسيخبركم بأمور آتية**» (يوحنا ١٦: ١٣).

أنظر (الجليان - الرؤيا ١: ١ - ١٠)

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى رومية «لأن جميع الذين **ينقادون بروح الله** (**يقودهم روح الله**) هم أبناء الله» (رومية ٨: ١٤).

والإخبار بالأمور الآتية هو روح النبوءة. لذلك تسمى موهبة الروح القدس فى سر المسحة الميرون بـ «روح النبوءة» (الجليان - الرؤيا ١٩: ١٠)، (رومية ١٢: ٦)، (١. كورنثوس ١٢: ١٠، ٢٨)، (١٣: ٢)، (١٤: ١، ٦، ٢٩، ٣١)، (أعمال الرسل ١١: ٢٧).

ويقول سفر أعمال الرسل مشيراً إلى عمل سر المسحة (الميرون) فى العهد الجديد من حيث النبوءة: «هذا هو ما قيل بفم يوئيل النبى القائل: وسيحدث فى الأيام الأخيرة: هكذا قال الله: إنى سأسكب من روحى على كل بشر، **فيتنبأ بنوكم وبناتكم**، ويرى شبابكم رؤى، ويحلم شيوخكم أحلاماً، وعلى عبيدى وإمائى سأسكب من روحى فى تلك الأيام فيتنبأون» (أعمال الرسل ٢: ١٦ - ١٨)، (يوئيل ٢: ٢٨).

فبمسحة الروح القدس فى سر الميرون أمكن للآباء الرسل القديسين أن يُنبئوا بأمور مستقبلة، كما أمكن أيضاً لغير الرسل الاثنى عشر من الرسل السبعين، ومن غيرهم من المؤمنين المعمدين الممسوحين بمسحة الروح القدس أن يتنبأوا بأمور مستقبلية.

فقد ورد عن « نبى اسمه أغابوس أنه أخذ منطقة (حزام - زنار) بولس، وقيد بها (به) يديه ورجليه، وقال : «**هذا ما يقوله الروح القدس**: إن الرجل صاحب هذه المنطقة **سيقيده اليهود هكذا فى أورشليم، ويسلمونه إلى أيدى الأمم (غير اليهودية)**» (أعمال الرسل ٢١: ١٠، ١١).

وقد تمت هذه النبوءة بالفعل فقد «تراكض الشعب (اليهودى) كله وتجمعوا على بولس، **وأمسكوه** وجروه ثم أمر أمير الكتيبة والحامية الرومانية، قائد الألف جنوده **بأن يقيدوه بسلسلتين**..» (أعمال الرسل ٢١: ٣٠ - ٣٣).

وكثيرون من القديسن سواء كانوا من رجال الكهنوت أو من الرهبان أو من عامة المؤمنين كانوا ينبئون بأمور مستقبلة.

ولعل من بينهم الأنبا صموئيل المعترف رئيس دير القلمون.

والأنبا بسنتى (بيزنتيوس) (بسنتاءوس) ٥٤٨ ـ ٦٣١م.

والأنبا باخوميوس أب الشركة (نحو ٣٤٦)م

ولهذا فإن المصلى يطلب فى كل يوم فى صلاة الساعة الثالثة من النهار: «أيها الرب الذى أرسلت روح قدسك (روحك القدوس) على تلاميذك القديسين ورسلك المكرمين فى الساعة الثالثة، هذا لا تنزعه منا، أيها الصالح، لكن نسألك أن تجدده فى أحشائنا، ياربنا يسوع المسيح، ابن الله، الكلمة، روحاً مستقيماً ومحيياً، **روح النبوءة** والعفة، روح القداسة والعدالة (البر) والسلطة، أيها القادر على كل شىء، فإنك أنت هو **ضياء (نور) نفوسنا، يامن يضىء لكل إنسان** آت إلى العالم، ارحمنا» (القطعة الثانية).

عاشراً : سر المسحة (الميرون)
سر الحق

ومن مفاعيل الروح القدس فى سر المسحة أنه يحركنا **لنحب الحق** (مزمور ٩٨ : ٤)، (زكريا ٨ : ١٩)، (مزمور ٣٢ : ٥).

٢ ـ **ونفرح بالحق** (١ . كورنثوس ١٣ : ٦)، (٢ . يوحنا : ٤)، (مزمور ٥٠ : ٦)، (الأمثال ٢١ : ١٥).

٣ ـ **ونطلب الحق** (إشعياء ١ : ١٧)

٤ ـ **ونعرف الحق** (يوحنا ١٧ : ٣)، (١ . تيموثيئوس ٢ : ٤)، (٢ . تيموثيئوس ٢ : ٢٥)، (تيطس ١ : ١) ، (١ . يوحنا ٣ : ٢٤)، (٥ : ٢٠)، (٢ . يوحنا : ١).

قارن (٢ . تيموثيئوس ٣ : ٧) ، (العبرانيين ١٠ : ٦).

٥ ـ **ونقول الحق** (يوحنا ١٩ : ٣٥)، (٢ . كورنثوس ١٢ : ٦)، (مرقس ١٢ : ٣٢)، (١ . يوحنا ٢ : ٢١)، (الأمثال ٨ : ٨)، (١٢ : ٧)، (٢٢ : ٢١).

٦ ـ **ونقدس الحق** (أفسس ٤ : ٢٤).

٧ ـ **ونشهد للحق** (متى ١٢ : ١٨)، (٢٢ : ١٦)، (مرقس ١٢ : ١٤)، (لوقا ٢٠ : ٢١)، (يوحنا ١٨ : ٣٧)، (٢ . كورنثوس ٤ : ٢)، (٢ . تيموثيئوس ٢ : ١٥). قارن (الأمثال ١٩ : ٢٨).

٨ ـ **ونحكم بالحق** (لوقا ١٢ : ٥٧)، (يوحنا ٧ : ٤)، (التثنية ١ : ١٦)، (مزمور ٧١ : ٢)، (الأمثال ٢٩ : ١٤)، (إرميا ٢٢ : ٣)، (زكريا ٧ : ٩)، (٨ : ١٦).

٩ ـ **ونسير فى طريق الحق** (متى ٢١ : ٣٢)، (١ . يوحنا ٥ : ٢٠) ، (٣ . يوحنا : ٣، ٤، ٨)، (مزمور ٨٥ : ١١)، (١١٨ : ٣٠)،

(الأمثال ٢ : ٨)، (٨ : ٢٠)، (إشعياء ٣٣ : ١٥)، (٤٠ : ١٤).

١٠ ـ **ونطيع الحق ونطاوعه ونذعن له** (١ . بطرس ١ : ٢٢). قارن (رومية ٢ : ٨)، (غلاطية ٣ : ١)، (٥ : ٧).

١١ ـ **ونعبد الله بالروح والحق** (يوحنا ٤ : ٢٢، ٢٣)، (مزمور ١٤٤ : ١٨).

١٢ - **ونعمل بالحق** (١ . يوحنا ٣: ١٨)، (١ . كورنثوس ٥: ٨)، (الجامعة ٨: ١٠)، (حزقيال ٣٣: ١٤)، (ميخا ٦: ٨).

ونعمل كل شيء بروح الحق (متى ٢٢: ١٦)، (٢ . يوحنا : ١)، (٣ . يوحنا : ١).

لأن الروح القدس هو **روح الحق**، الذى لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه. وأما أنتم فتعرفونه **لأنه يقيم معكم ويكون فيكم**، (يوحنا ١٤: ١٧)، ولأن ثمر الروح **هو فى كل صلاح وبر وحق**، (أفسس ٥: ٩).

انظر أيضا (يوحنا ١٥: ٢٦)، (يوحنا ١٦: ١٣)، (١ . يوحنا ٤: ٦)، (٥: ٦).

حادى عشر - سر المسحة (الميرون)
سر يمنح القوة الروحية والشجاعة والثبات

ومن مفاعيل الروح القدس فى سر المسحة (الميرون) أنه يعطى الذين يقبلونه **القوة الروحية، والشجاعة فى قول الحق، والثبات على المبدأ، بلا تردد أو خوف، والصمود فى المواقف الصعبة، واحتمال الشدائد والصبر على المكاره فى سبيل الإيمان القويم.**

قال المسيح له المجد لتلاميذه القديسين «وها أناذا أرسل إليكم ذلك الذى وعد به أبى، فامكثوا فى مدينة أورشليم إلى أن **تلبسوا بقوة من الأعالى**» (لوقا ٢٤: ٤٩) وقال أيضاً «لكنكم ستنالون **قوة** متى حل الروح القدس عليكم، فتكونون لى شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض» (أعمال الرسل ١: ٨).

فبعد أن كان الآباء الرسل جبناء رعاديد حتى إنه عندما قبض اليهود على معلمهم «تركه التلاميذ كلهم وهربوا» (متى ٢٦: ٥٦)، بل بلغ الخوف ببطرس الذى زعم لسيده أنه «إن شك فيك الجميع فلن أشك أنا أبداً» (متى ٢٦: ٣٣)، (مرقس ١٤: ٣١)، بلغ به الأمر أنه أنكر سيده أمام جارية وأمام الخدم فى بيت رئيس الكهنة «وراح يلعن ويحلف قائلاً: إنى لا أعرف هذا الرجل الذى عنه تتكلمون» (مرقس ١٤: ٧١) وبعد أن صلب مخلصهم قبعوا فى العلية وأغلقوا من دونهم أبوابها، قال الإنجيل «وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين، خوفاً من اليهود» (يوحنا ٢٠: ١٩).

امتلأوا شجاعة وقوة بعد أن حل الروح القدس عليهم فى يوم الخمسين، فخرجوا إلى الناس وصاروا يعظون ويكرزون باسم الرب يسوع **بكل جرأة**. فبطرس الذى أنكر سيده أمام جارية وأمام الخدم وأخذ يلعن ويحلف قائلاً إنى لا أعرف هذا الرجل (متى ٢٦: ٧٤)، (مرقس ١٤: ٧١)، (لوقا ٢٢: ٥٧)، (يوحنا ١٨: ٢٦، ٢٧)، بطرس هذا وقف بشجاعة تامة ورفع صوته وأخذ ينادى ببشرى الخلاص لجميع الناس موبخاً زعماء اليهود بصرامة على رفضهم المسيح وصلبهم إياه ومما قاله: «أيها الرجال الإسرائيليون، اسمعوا أقوالى هذه، إن يسوع الناصرى، وهو إنسان أظهره الله لكم بمعجزات وعجائب وآيات... **أسلمتموه وبأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه** وقد أقامه الله ففك إسار أوجاع الجحيم... ونحن جميعاً شهود بذلك... ومن ثم فليعلم علم اليقين بيت إسرائيل جميعاً أن الله قد أقر يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم ربا ومسيحاً. فلما

سمعوا هذا وخزتهم قلوبهم، وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا علينا أن نعمل أيها الرجال الإخوة؟ فقال لهم بطرس : توبوا وليتعمّد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح فتغفر خطاياكم وتنالوا موهبة الروح القدس، لأن الموعد إنما هو لكم ولأبنائكم ولكل البعيدين ممن يدعوهم الرب إلهنا جميعاً ،وبأقوال أخرى كثيرة طفق يشهد لهم ويعظهم قائلاً لهم: انجوا بأنفسكم من هذا الجيل المعوج. فالذين تقبلوا كلامه اعتمدوا، وقد انضم فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس، (أعمال الرسل ٢: ٢٢ ـ ٤١).

وبعد ذلك وقف بطرس الرسول مواقف جبارة أمام رؤساء كهنة اليهود وجند الهيكل، وشهد للمسيح بكل شجاعة، وحملهم مسئولية صلبه. ولما هددوه هو وزميله القديس يوحنا الرسول ،بأن لا يكلما أحداً من الناس فيما بعد باسم يسوع الناصرى. وأوصوهما أن لا ينطقا البتة ولا يعلما باسم يسوع، فأجاب بطرس ويوحنا وقالا لهم: **احكموا أنتم، إن كان حقا أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله. أما نحن فإنه لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وما سمعنا**.

ثم يقول سفر أعمال الرسل: ،وامتلأوا جميعهم من الروح القدس، **وطفقوا ينادون بكلام الله بجرأة**... وكان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع بقوة عظيمة. وكانت عليهم جميعاً **نعمة عظيمة** ...، (أعمال الرسل ٤: ٨ ـ ٣٣).

ومرة أخرى استدعى القديس بطرس ورفاقه الرسل أمام رئيس كهنة اليهود الذى قال لهم ،أما أمرناكم مشددين عليكم أن لا تعلموا بهذا الاسم؟ وها أنتم أولاء قد ملأتم أورشليم كلها بتعليمكم وتريدون أن تجلبوا علينا دم هذ الإنسان. فأجاب بطرس والرسل، وقالوا: **إن الله أحق بأن يطاع أكثر من الناس**. إن إله آبائنا أقام يسوع الذى علقتموه أنتم على خشبة وقتلتموه. فهو الذى رفعه الله بيمينه رئيساً ومخلصاً ليمنح إسرائيل التوبة وغفران الخطايا، **ونحن شهود على هذه الأمور**، وكذلك يشهد الروح القدس الذى وهبه الله للذين يطيعونه، (أعمال الرسل ٥: ٢٧ ـ ٣٢).

وكذلك فعل الروح القدس فى القديس اسطفانوس رئيس الشمامسة ،**كان ممتلئاً من النعمة والقوة**، (أعمال الرسل ٦: ٨) وصار أول الشهداء (أعمال الرسل ٧: ٥٩، ٦٠).

وهكذا فعل الروح القدس فى جميع أبطال الإيمان فى كل تاريخ الكنيسة، دافعوا عن الحق الإلهى علانية وبكل شجاعة واحتملوا فى سبيل شجاعتهم الكثير من الآلام، ودفع بعضهم ثمن شجاعته حياته ودمه، ولعل من بينهم مارمرقس الرسول، والشهيد العظيم مارجرجس، والشهيد مرقوريوس أبو سيفين، والشهيد مارمينا العجائبى، والشهيدة القديسة دميانه، فضلاً عن أبطال الإيمان من أمثال القديس أثناسيوس الرسولى، والبابا ديوسقورس والقديس يوحنا ذهبى الفم وغيرهم كثيرون.

فإذا كنا بسر المعمودية قد صرنا من رعايا الملك المسيح ودخلنا أعضاء فى مملكته وملكوته، **فبسر المسحة** (الميرون) **صرنا للمسيح (جنوداً)** (فيلبى ٢ : ٢٥)، (فليمون : ٢)، (٢. تيموثيئوس ٢ : ٣، ٤) نعمل تحت قيادة رئيس خلاصنا يسوع المسيح (العبرانيين ٢ : ١٠) ونحارب عن الإيمان الأرثوذكسى ضد أعدائه.

وإذا كنا بسر المعمودية قد صرنا أبناء لله وأعضاء فى جسد المسيح المخلص، فبسر المسحة (الميرون) **نصير جنوداً فى جيش الخلاص** لامتداد ملكوته ومن **«معسكر القديسين»** (الجليان ـ الرؤيا ٢٠ : ٩).

يقول القديس أوغسطينوس :

«كل مسيحى يقبل ختم المسحة صار جندياً صالحاً لله».

ثانى عشر : سر المسحة (الميرون)
سر يلد ويولّد مواهب روحية جديدة

من مفاعيل سر المسحة (الميرون) أنه إذا أضرم بالعبادات والرياضات الروحية من صلوات وأصوام وقراءات وتأملات روحية وممارسات ومراقبة النفس ومحاسبتها بدقة وفحص الضمير وممارسة سرى التوبة والتناول من المائدة الربانية، فإن عمل الروح القدس فى المسيحى ينمو ويمتد ويلد ويولّد مواهب جديدة كلها صادرة عن الروح القدس، ومنها:

١ - موهبة إخراج الشياطين.

قال المسيح له المجد «بشروا بالإنجيل كل الخليقة. فمن آمن واعتمد خلص... وستتبع المؤمنين هذه الآيات **فيطردون الشياطين باسمى**» (مرقس ١٦: ١٧)، (لوقا ١٠: ١٧)، (أعمال الرسل ٥: ١٦)، (٨: ٧)، (١٦: ١٨)، (١٩: ١٢).

٢ - وموهبة شفاء المرضى.

يقول المسيح له المجد «بشروا بالإنجيل كل الخليقة. فمن آمن واعتمد خلص... وستتبع المؤمنين هذه الآيات، فيطردون الشياطين باسمى... **ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون** (مرقس ١٦: ١٥ - ١٨)، (أعمال الرسل ٥: ١٥، ١٦)، (٩: ١٧)، (٢٨: ٨)، (١. كورنثوس ١٢: ٩، ٢٨، ٣٠)، (غلاطية ٣: ٥).

٣ - موهبة النبوءة.

جاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى كورنثوس:

«الروح واحد... وإنما كل واحد يعطى موهبة... وآخر يعطى مواهب الشفاء بالروح الواحد، وآخر اجتراح المعجزات، وآخر **النبوءة** ..» (١. كورنثوس ١٢: ٤ - ١٣).

وجاء فى رسالة القديس بولس إلى أفسس «وهو الذى أعطى البعض أن يكونوا رسلاً وبعضهم أنبياء..» (أفسس ٤: ١ - ١٢).

انظر أيضاً (متى ٧: ٢٢)، (أعمال الرسل ١١: ٢٧)، (١٣: ١)، (١٥: ٣٢)، (٢١: ٤، ٩، ١٠)، (١. كورنثوس ١٢: ٢٨)، (١٣: ٢)، (١٤: ١، ٦، ٢٩، ٣١).

٤ ـ وموهبة التكلم باللغات أو الألسنة.

يقول المسيح له المجد «وبشروا بالإنجيل كل الخليقة. فمن آمن واعتمد خلص... وستتبع المؤمنين هذه الآيات ... **ويتكلمون بلغات جديدة**» (مرقس ١٦: ١٨)، وجاء فى سفر أعمال الرسل: «فامتلأوا جميعاً من روح القدس، **وطفقوا يتكلمون بلغات أخرى غير لغتهم حسبما وهبهم الروح أن يجهروا بالكلام**» (أعمال الرسل ٢: ٤) أنظر (أعمال الرسل ١٠: ٤٥، ٤٦)، (١٩: ٥ – ٧)، (١. كورنثوس ١٢: ١٠، ٢٨، ٣٠)، (١٣: ١)، (١٤: ٢، ٤ – ٦، ٩، ١٣، ١٤، ١٨، ١٩، ٢١ـ ٢٣ ، ٢٦، ٢٧، ٣٩).

٥ ـ وموهبة تمييز الأرواح.

جاء فى رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى كورنثوس «أن المواهب على أنواع مختلفة، لكن الروح واحد.. **وإنما كل واحد يعطى موهبة تتجلى الروح فيها** لأجل المنفعة.. فيعطى واحد بالروح كلام الحكمة، وآخر يعطى كلام المعرفة من هذا الروح عينه، وآخر يعطى إيماناً بذلك الروح عينه، **وآخر يعطى مواهب الشفاء بالروح الواحد**، ـ وآخر اجتراح المعجزات، وآخر النبوءة وآخر تمييز الأرواح، وأخر التكلم بلغات (أنواع الألسنة) وآخر ترجمة الألسنة.. فإننا جميعنا قد تعمدنا بروح واحد لجسد واحد، يهودا كنا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، **وقد سقينا جميعنا روحاً واحداً**» (١. كورنثوس ١٢: ٤ – ١٣)، (١٤: ٢٩).

وجاء فى رسالة القديس يوحنا الأولى : «أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل **امتحنوا (اختبروا) الأرواح (لتروا) هل هى من عند الله**، لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا (جاءوا) إلى العالم» (١. يوحنا ٤: ١).

وهذه المواهب المتنوعة يوزعها الروح القدس على المسيحيين المعمدين الذين نالوا المسحة المقدسة (الميرون) وأضرموا الروح بوسائط التنمية الروحية التى أعدها الله فى كنيسته لهذا الغرض. والتوزيع يرسمه الروح القدس تبعاً لاستعداد المسيحى، وحسب احتياجات الكنيسة.

جاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى أفسس «فأناشدكم إذن، أنا السجين (الأسير) فى الرب أن تسلكوا سلوكاً يليق بالدعوة التى إليها دعيتم... **ولكل واحد منا أعطيت النعمة على مقدار ما وهب له المسيح**... وهو الذى أعطى البعض أن يكونوا رسلاً، وبعضهم أنبياء، والبعض مبشرين، والبعض رعاة ومعلمين، لأجل تكميل القديسين للقيام بتلك الخدمة التى ترمى إلى بنيان جسد المسيح...» (أفسس ٤: ١ – ١٢).

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول الى رومية: «فإنه كما أن لنا فى جسد واحد أعضاء كثيرة، ولكن ليس لجميع هذه الأعضاء عمل واحد، فكذلك نحن الكثيرين جسد واحد فى المسيح، وكلنا أعضاء بعضنا لبعض. فلذلك إذ **لنا مواهب مختلفة باختلاف النعمة المعطاة لنا**، فمن وهب (أوتى) النبوءة فليتنبأ بحسب مقدار الإيمان (وفقا للإيمان). ومن وهب الخدمة فليخدم، ومن له موهبة التعليم فليعلم. ومن له موهبة الوعظ، فليعظ، أو العطاء فليعط بسخاء، أو القيادة فليقد باجتهاد، ومن يرحم فليرحم بسرور» (رومية ١٢: ٤ ـ ٨).

وجاء فى رسالة القديس بطرس الأولى «وليخدم كل واحد الآخرين بما نال من المواهب كما يليق بالوكلاء الصالحين على نعمة الله المتنوعة. إن كان أحد يتكلم فكأقوال الله (فليتكلم كلام الله)، وإن كان أحد يخدم فليخدم بما يمنحه الله من قوة لكى يتمجد الله فى كل شىء بيسوع المسيح» (١. بطرس ٤: ١٠، ١١).

أنظر (رومية ١٥: ١٤)، (١. كورنثوس ١: ٥)، (٢. كورنثوس ٢: ٦، ٧)، (٤: ١٣)، (٨: ٧)، (أفسس ١: ٨)، (كولوسى ١: ٩)، (العبرانيين ٢: ٤).

إبتهـــال

ماذا أردَ لك يارب، عن وفرة ما أعطيتنى!

ها قد منحتنى الخلاص بدمك الزكى الكريم، وفى جرن المعمودية انسحقت عنى كل قوات الجحيم، وفى مياهها تنسمت نسمة الحياة الجديدة، إذ صرت بها إنساناً جديداً حسب صورة خالقه.

ولم تشأ، مع ذلك، أن تتركنى لنفسى، مع أننى كائن حر. فقد خفت علَّى من ضعفى القديم أن أعود فأستدين من جديد، بعد أن اشتريتنى وفديتنى ودفعت ثمنى غالياً. وقلت لى، لن أتركك بغير نعمة جديدة تكفل لك الاستمرار فى حياة العتق والحرية. فالطريق أمامك طويل، وقد يرهقك ما سوف تجده فيها من أشواك خانقة لنفسك، ومتاعب تستنفذ طاقتك الروحية. لا يرضينى أن أتركك تسير فى الطريق الوعر من غير أن تساندك قوة من عندى جديدة، فأملؤك من روحى، فتتقوى وتتشدد، وتنمو وتزدهر، لا بل وتفيض منك أنهار ماء حى يشرب منها العطاشى ممن لم يدخلوا بعد فى حظيرتى، ولا ذاقوا مواهبى، ولا استناروا بنعمتى.

شكراً يا سيدى الرب!

فأنا لست ابناً فقط، مع أن هذا وحده شرف كبير لى، وإنما أنا جندى فى مملكتك السمائية التى على الأرض.

إن سر الميرون هو الذى جعلنى جندياً مسلحاً بسلاح الروح، ومختوماً بختمه المقدس، به تدشنت فتقدست لك يا إلهى، فصرت به وقفا عليك أنت وحدك أحارب فى مملكتك وتحت لواء صليبك، وأقاتل أعداءك، وأذود عن شعاراتك ومبادئك، وأناصر حلفاءك، وأنشر أعمالك وأقوالك، بأسلحة روحية غير مادية.

وبفضل هذا السر الذى ربطنى فى زيتونتك الجيدة، وثبتنى فى الحرية الجديدة التى أعدتها أنت لى يا إلهى باستحقاقات فدائك العجيب، صرت لا جندياً فقط، بل ونبياً وملكاً وكاهناً. وليس هذا شرفى وحدى، وإنما هو شرف جميع الذين نالوا بعد المعمودية بركات سر المسحة المقدسة.

ماذا؟

هل يصير كل مؤمنٍ دهن بهذا الطيب المقدس، كاهناً لك؟!

نعم يارب، فهذا هو الكهنوت العام الذى وهبته عن طريق هذا السر لجميع المسيحيين. لأن

الجميع يا إلهى يرفعون إليك ذبائح الحمد والشكر، ويقدمون إليك، وإليك وحدك، عطاياهم وقرابينهم ونذورهم. بهذا الكهنوت العام يصلون إليك يارب فى سرهم وعلنهم، فى البيت، وفى أماكن العمل، وفى الشارع، وفى كل مكان. ومن فوق مذابح قلوبهم ترتفع إليك صلواتهم فى كل يوم، بل فى كل لحظة ينادونك فيها.

هذا هو الكهنوت العام الذى أخطأ فهمه البعض، فظنوه يغنى كنيستك عن «الكهنوت الخاص» الذى لا يناله إلا المدعوون من قبلك، بأهلية خاصة، لتدبير كنيستك ورعاية شعبك.

هذه النعم الجزيلة، حاصرتنى بها يا مخلصى من كل جهة، حتى صرت غارقاً فيها.

يا لهذا السر العجيب يارب!

فلتعطنى أن أقدر هذه الموهبة الجديدة من مواهب روحك القدوس فى العهد الجديد!

وكما أن سر الحياة شيء، وسر النمو شيء آخر، وسر الاغتذاء شيء ثالث بالنسبة لكل كائن حى، هكذا فى العهد الجديد. فبالمعمودية منحتنى الحياة، وبالميرون النمو، وبالتناول قوتاً لروحى وغذاء لنفسى.

لذلك أسألك ربى أن تضرم موهبتك فىّ، وتشعلها، فتصير لى نوراً وناراً: نوراً ينير أمامى الطريق ويرشدنى السبيل ويبصرنى التصرف الحكيم، وناراً تحرق من أمامى ومن حولى المعطلات والأشواك، وتلهب القلب حمية مقدسة وغيرة آكلة على مجدك يا الله!

اضرم يارب النار التى أودعتها فى قلبى عندما أخذت هذا السر، سر الميرون، فيصير قلبى بها كشافاً، فأعرف أكثر فأكثر ضعفاتى ونقائصى ، وأعرف أيضاً واجباتى، فلا أهمل منها شيئاً ولا أنسى منها أمراً.

اضرم يا إلهى النور الذى أودعته فى روحى يوم نلت بيد الكاهن هذه المسحة المقدسة «مسحة الخلاص» حتى أصير فى كنيستك عضواً نافعاً، وحجراً حياً فى بنيان أسوار مدينة الله المقدسة فى أرض الشقاء والغربة.

اضرم يارب النار التى أدخلتها أنت فىّ عندما ختمونى على كل عضو من أعضاء جسدى فى ستة وثلاثين موضعاً، حتى أصير دائماً لك، ولك وحدك، وقفاً عليك وحراماً على الشيطان وكل قواته وجميع أعوانه وعملائه، فلا أستخدم أعضائى آلات إثم للخطيئة، بل تكون لك آلات بر وصلاح وقداسة وعمل نافع فى كنيسة الله.

اضرم يارب النور الذى تولد فىّ عندما لمسنى «ميرونك» هذا، حتى أكون به فرحاً للقديسين، ورعباً للأشرار وللشياطين!

اضرم يارب النار التى نفذت إلى أعضائى الباطنة والظاهرة عند ما ضمخوها بدهنك هذا المقدس، حتى أغار دائماً غيرتك، فأحب الحق دائماً وأتبعه بإخلاص كامل، وأغار عليه غيرة رب الجنود، وحتى يكون فىّ من الشجاعة والقوة والأمانة بحيث أخدمه على الدوام بغير توان وبلا فتور، متحملاً فى سبيله كل المتاعب من أعداء الحق الذين يكرهون الحق، أو يتملقون الباطل، أو يداهنون الشر، بل والذين يهادنون الباطل أحياناً باسم الحكمة!!

يا إلهى، ما دام ميرونك على أعضائى، وفى كل روحى وجسمى، أرجو صلاحك أن تجعلنى عبداً خاصاً بك وحدك، فلا أخدم سيدين، ولا أتعبد لكثيرين.

لك المجد والإكرام والسجود الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

القيم الروحية
فى ســـر المسحةِ (الميرون)

موضوعات وإجابات على أسئلة : ٢٤٣
١ ـ دهن المعمدين بالميرون فى ٣٦ موضعاً ٢٤٣
٢ ـ المؤمنون المعتمدين هم هياكل لله ٢٤٥
٣ ـ عند نضح الميرون ٢٥٠
٤ ـ هل للقسيس أن يضع يده بالميرون وينفخ بالروح القدس؟..... ٢٥١

موضوعات وإجابات على أسئلة

١ ـ دهن المعمدين بالميرون فى ٣٦ موضعاً (١)

سؤال : من الأب المحترم القس متى وديع سامى ـ سوهاج ـ سفلاق.

يقول بالنسبة لمعمودية الكبار فى السن، وبالذات السيدات نكتفى برشم الأعضاء الظاهرة، فهل هذا صحيح؟

الجواب :

السؤال هنا عن الدهن بالميرون، وهو سر المسحة المقدس، وهو السر الثانى بعد سر المعمودية.

والدهن بالميرون هو لجميع المعمدين، الكبار والصغار، **والدهن هو فى ستة وثلاثين موضعاً، وهى المنافذ التى ينفذ منها الروح النجس إلى جسم الإنسان.**

قال المسيح له المجد (إن الروح النجس إذا خرج من إنسان طاف بالقفار يلتمس راحة فلا يجد، وعندئذ يقول: سوف أرجع إلى دارى التى بارحتها فإذا جاء يجدها خالية مكنوسة مزينة. فيذهب ويأخذ معه سبعة أرواح آخرين أكثر منه شراً، وهناك يدخلون ويقيمون، فتكون أواخر ذلك الإنسان أسوأ من أوائله. هكذا سيكون لهذا الجيل الشرير (متى ١٢: ٤٣ – ٤٥)، (لوقا ١١: ٢٤ – ٢٦)، (أيوب ١: ٧)، (١. بطرس ٥: ٨).

ولما كان الكاهن ينفخ ثلاث مرات فى وجه الشخص قبل تعميده وتغطيسه فى جرن المعمودية، ويقول (اخرج أيها الروح النجس) ثم يعمده بتغطيسه ثلاث مرات على اسم الثالوث القدوس، فبعد خروجه من جرن المعمودية، يمسح الكاهن أعضاء المعمد، فى ستة وثلاثين موضعاً، وهى **النافذة التى ينفذ منها الروح النجس إلى جسم الإنسان**، فيغلقها بمسحة الميرون بمثال الصليب، حتى يمنع الروح النجس من أن يدخل إلى جسم المعمد بعد خروجه من جرن المعمودية. وهذا عملاً بما علم به المسيح له المجد الذى أفادنا بإمكانية عودة الروح النجس إلى جسم الإنسان بعد خروجه منه. ومما هو جدير بالذكر أنه إذا عاد، فلا يدخل بمفرده بل (يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح آخرين أكثر منه شرا. وهناك يدخلون ويقيمون، فتكون أواخر ذلك الإنسان أسوأ من أوائله).

---

(١) كتب أول مايو ـ أيار لسنة ١٩٩٢م ـ ٢٣ من برموده لسنة ١٧٠٨ ش.

من هنا الأهمية القصوى لغلق المنافذ بمسحة الميرون، بعد الخروج مباشرة من جرن المعمودية، حتى يمنع الروح النجس من أن يدخل إلى جسم الإنسان. وفى هذا بيان لجمال ترتيب كنيستنا القبطية، ومطابقته لتعليم المسيح له المجد.

وإذا قلنا، إن ترتيب الكنيسة بدهن المنافذ وختمها وإغلاقها بمسحة الميرون فى ستة وثلاثين موضعاً، فهذه المنافذ الستة والثلاثين هى كما جاء فى التقليد المسلّم إلينا من القديم، هى بالفعل المنافذ التى ينفذ منها الروح النجس إلى جسم الإنسان، كما وصل إلى العارفين من عالم الروح منذ آبائنا المصريين القدماء - وفى هذا تنفرد كنيستنا القبطية الأرثوذكسية عن جميع الكنائس الأخرى الأرثوذكسية الذين يكتفون بمسح الأعضاء الظاهرة.

أما بالنسبة للنساء والبنات البالغات فلقد أمرت الدسقولية بأن يستعين الكاهن بالمرأة الشماسة - فالكاهن يدهن الأعضاء الظاهرة فى المعمدات من النساء - وتدهن الشماسة أعضاءهن الداخلية.

جاء فى الدسقولية، الباب الرابع والثلاثين:

(ولأجل هذا يا أسقف أقسم الشمامسة... وتقسم أيضاً شماسات نسوة مختارات قديسات **لأجل خدمة النساء.... ولأنك تحتاج إلى الشماسات النساء فى أشياء كثيرة وأول ذلك لأجل امرأة تتعمّد**... الكاهن يدهن جبهتها... من الزيت المقدس، **وبعده تدهنه الشماسة الامرأة كلها**، لأنه لا يجوز للرجال أن يتأملوا النساء إلا بوضع اليد عليهم لا غير، لكن يدهن الاسقف رأس المرأة...) (الدسقولية - الباب٣٤).

والخلاصة أنه يجب دهن أعضاء جميع المعمدّين كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً **فى ستة وثلاثين موضعاً** حسب ترتيب كنيستنا القبطية وتقليدنا الحكيم المطابق تماماً لتعليم المسيح له المجد. **وفى حالة النساء يستعين الكاهن بالشماسة، لتدهن أعضاء المرأة الداخلية.**

٢ ـ المؤمنون المعتمدين هم هياكل لله (١)

سؤال : هل يعتبر غير المؤمنين هياكل لروح الله، أم فقط أولئك الذين ينالون سر الميرون المقدس؟ هل الضمير هو روح الله؟

الجواب :

فى كل مرة وردت كلمة «هيكل» بهذا المعنى فى الكتاب المقدس، كان الكلام ينصرف فيها إلى المسيحيين الذين نالوا مواهب الروح القدس.

١ ـ «**أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم**؟ إن كان أحد يفسد هيكل الله، فسيفسده الله، **لأن هيكل الله مقدس، الذى أنتم هو**» (١ . كو٣: ١٦، ١٧).

وهى عبارة يتوجه بها الرسول إلى المؤمنين بكنيسة كورنثوس فى سياق حديثه عن الإنقسامات بينهم إلى حزب التابعين للرسول بولس وحزب التابعين للقديس أبولوس.

٢ ـ «**أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم**، الذى لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم، **لأنكم قد اشتريتم بثمن**، فمجدوا الله فى أجسادكم (وفى أرواحكم التى هى لله)» (١ . كو٦: ١٩، ٢٠).

والكلام هنا أيضاً إلى مؤمنى كورنثوس الذين تعمدوا ونالوا سر حلول الروح القدس فى سر الميرون. وأظن أن الإشارة واضحة فى ذلك «لأنكم قد اشتريتم بثمن» وهو ما لا ينطبق على غير المؤمنين.

٣ ـ «**لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين**، لأنه أية خلطة للبر والإثم... **وأى نصيب للمؤمن مع غير المؤمن**.. وأية موافقة **لهيكل الله** مع الأوثان؟! **فانكم أنتم هيكل الله الحى**، كما قال الله: إنى سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً» (٢ . كو٦: ١٤ ـ ١٦).

وهو تعبير ناطق بأن المؤمنين وحدهم هم هياكل الله، فقد وصف غير المؤمنين. بصفات الإثم، وخلع عليهم ألقاب: الظلمة، وبليعال وأتباع الأوثان. كما يبين أن سر تسمية المؤمنين بهياكل الله، أن الله يسكن فيهم وهى نبوءة نطق بها رجال العهد القديم يشيرون بها إلى بركات العهد الجديد ولذلك وردت النبوءة بصيغة المستقبل لا الحاضر «سأسكن فيهم».

---

(١) نشر فى مجلة مدارس الأحد فى يونيه ١٩٥٠م.

٤ - «ولكن الآن فى المسيح يسوع، أنتم الذين كنتم قبلا بعيدين، صرتم قريبين بدم المسيح... فلستم إذن بعد غرباء ونزلاء، بل رعية مع القديسين، وأهل بيت الله، مبنيين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية. الذى فيه كل البناء مركباً معاً، ينمو هيكلاً مقدساً فى الرب، الذى فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله فى الروح» (أف ٢: ١٣، ١٩ - ٢٢).

كذلك هذا النص نلتقى به فى رسالة القديس بولس إلى كنيسة أفسس أو على حد تعبير الرسول نفسه، «**إلى القديسين الذين فى أفسس، والمؤمنين فى المسيح يسوع**» (أف ١: ١) ثم أنه فى هذا النص يخاطبهم بعد أن صاروا قريبين بدم المسيح ورعية مع القديسين وأهل بيت الله.

الميرون والروح القدس

من كل هذه النصوص يبدو واضحاً أن مقولة «هياكل الله» لا تصدق على غير المؤمنين بالمسيح وأن المؤمنين صاروا هياكل لله، لأن روح الله فيهم (١ . كو ٦: ١٩)، ويسكن فيهم (١ . كو ٣: ١٦) . (٢ . كو ٦: ١٦).

ولكن الروح القدس لا يكون فى المؤمنين ولا يسكن فيهم بمجرد إيمانهم بالسيد المسيح بل بحلول الروح القدس فيهم، بعمل خاص مستقل عن فعل الإيمان، وإن كان يتوقف على الإيمان.

قال السيد المسيح : «وأنا أسأل الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه، لأنه ماكث معكم ويكون فيكم» (يو ١٤: ١٦، ١٧)، فهو يعد التلاميذ الأطهار بأن يعطيهم شيئاً جديداً مستقلاً عن إيمانهم بالمسيح وقد كان متوفراً بطبيعة الحال.

ومرة أخرى يقول : «من يؤمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء الحياة. قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه، لأن الروح (المقدس) لم يكن قد حل بعد لأن يسوع لم يكن تمجد بعد» (يو ٧: ٣٨، ٣٩) فكأنه يشير إلى موهبة لم ينلها المؤمنون بالمسيح بعد، وأنهم سينالونها بعد أن يتمجد المسيح بقيامته من بين الأموات.

هذه الموهبة «هى التى نالها الآباء الرسل أولاً فى يوم الخمسين، يوم أن حل الروح القدس

عليهم فى شبه ألسنة نارية (أع ٢)، وقد رأى الرسل فى هذا الحلول تحقيقاً لوعد السيد المسيح لهم بالروح المعزى (أع ٢: ٣٣).

ولكن الآباء الرسل علّموا غير المؤمنين، بأن حلول الروح القدس بالنسبة لهم، لابد أن يسبقه الإيمان ثم التوبة، ونوال سر العماد: ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة؟ فقال لهم بطرس: **توبوا، وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس**، لأن الموعد هو لكم ولأولادكم ولكل الذين على بعد، كل من يدعوه الرب إلهنا، (أع ٢: ٣٧، ٣٩).

يؤيد هذا الترتيب الإلهى، ما نلاحظه فى الخطة التى جرت عليها الكنيسة المقدسة بالنسبة لغير المؤمنين: ففى مدينة السامرة، آمن كثيرون من أهلها بنداء القديس فيلبس، ويظهر أنهم نالوا سر العماد على يديه. ولما كان سر التثبيت أو سر حلول الروح القدس، أو سر المسحة أو الميرون كما تسميه الكنيسة، لا يهبه إلا أصحاب الدرجة الرسولية أو الكهنوتية العليا، فإن أهل السامرة نالوا العماد، ولم ينالوا سر حلول الروح القدس: «ولما سمع الرسل الذين فى أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله، أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا، اللذين لما نزلا، صليا لأجلهم لكى يقبلوا الروح القدس، **لأنه لم يكن قد حل بعد على أحد منهم، غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع**. حينئذ وضعا الأيادى عليهم، فقبلوا الروح القدس» (أع ٨: ١٤ - ١٧) ومن هنا فإن سر الميرون سر قائم بذاته، وله عمل خاص مستقل عن عمل سر العماد يؤيد هذه الحقيقة كذلك ما ذكره سفر الأعمال أيضاً عن المؤمنين الذين قبلوا دين المسيح فى أفسس، أن القديس بولس.. قال لهم: «هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم؟ قالوا له: ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس. فقال لهم: فبماذا اعتمدتم؟ فقالوا: بمعمودية يوحنا: فقال بولس: إن يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذى يأتى بعده، أى بالمسيح يسوع... **فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع، ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم، فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون**» (أع ١٩: ١ - ٧).

* * *

وبعد، فهذا هو سر حلول الروح القدس الذى لا يناله غير المؤمنين المعتمدين باسم الثالوث الأقدس، والذى أطلق عليه الرسل فى رسائلهم بعد ذلك اسم المسحة أو التثبيت: «ولكن الذى يثبتنا معكم فى المسيح، وقد مسحنا هو الله، الذى ختمنا أيضاً، وأعطى عربون الروح فى

قلوبنا» (٢ . كو ١ : ٢١ ، ٢٢) . ولقد احتفظت كنيستنا فى طقس هذا السر، بهذه التعبيرات التى أوردها الرسول فى مقالته: فتسمية «سر التثبيت» ، وسر «المسحة» وعندما يدهن الكاهن كل عضو من أعضاء المؤمن يقول: (« ختم» موهبة الروح القدس، آمين) .

وهكذا الرسول يوحنا يسميه المسحة: «وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم، بل تعلمكم هذه المسحة عينها، عن كل شىء» (١ . يو ٢ : ٢٧) ومنه تعرف أن سر المسحة هو بعينه سر الروح القدس، لأنه هو الذى وصفه السيد المسيح بأنه، «يعلمكم كل شىء» (يو ١٤ : ٢٦) .

ولعل السر فى هذا التحول بين سفر الأعمال، والرسائل، أن الرسل كانوا أولاً يتممون هذا السر بوضع أيديهم على المؤمنين بعد العماد، فلما كثر عدد المؤمنين، وأصبح من المتعذر على الرسل أن يضعوا أيديهم على هذا العدد الكبير من المؤمنين، فقد اتفقوا بارشاد الله على أن يصنعوا دهن المسحة أو الميرون من حنوط السيد المسيح، مضافاً إليه نحو ثلاثين صنفاً من العطور والأطياب الواردة بسفر الخروج (ص٣٠) ، وبعد تكريسها بكلمة الله والصلاة، يوزعوها على صغار الكهنة من القسوس فى الكنائس، فيدهنوا المعتمدين بدهن كرسه الرسل وهم أصحاب السلطان فى وضع الأيدى لحلول الرح القدس.

الضمير وروح الله

أما الضمير، فليس هو الروح القدس. لأن الضمير يوجد عند جميع الناس. بينما أن الروح القدس على ما أوضحنا لا يسكن فى غير المؤمنين المعتمدين (ونحن بطبيعة الحال نفرق بين حلول الروح القدس: فى العهد القديم كان يحل حلولاً خاصاً على بعض الناس ذوى المراتب الخاصة كالملوك، والكهنة، والأنبياء فقط، كما أنه كان يحل عليهم حلولاً موقوتاً بأداء مهمتهم، وقد يفارقهم بعد ذلك. أما بالنسبة للمؤمنين المعمدين فى العهد الجديد فبمجرد نوالهم سر الميرون يحل فيهم حلولاً دائماً، ويبقى فيهم، ويسكن فيهم، كما يقول السيد المسيح. وإذن فكل مسيحى معمد ينال بالميرون ما كان وقفاً على الملوك والكهنة والأنبياء فى العهد القديم، وبهذا المعنى نفهم كيف صرنا بالميرون «ملوكاً وكهنة لله»)

قلت، إن الضمير فى جميع الناس، مؤمنين وغير مؤمنين. أما الروح القدس فلا يقيم فى غير قلوب المؤمنين المعمدين وأظنك تعرف أن كلمة الضمير توجد فى جميع اللغات، وينطق

بها جميع الناس على إختلاف بيئاتهم وعصورهم. وهو هذا الشعور الباطنى الذى يلح على الإنسان باتباع الخير واجتناب الشر... أو هذا التمييز الطبيعى الذى يفرق به الإنسان بين الخير والشر كما يفرق بلسانه بين الحلو والمر، وبلمسة بين الناعم والخشن. وقد تحدث الرسول عن غير المؤمنين فقال إنهم يظهرون عمل الناموس مكتوباً فى قلوبهم، شاهداً أيضاً **ضميرهم**... (رو ٢: ١٥) كما أنه فى رسالته إلى تلميذه تيطس يقول: كل شىء طاهر للطاهرين؛ وأما للنجسين **وغير المؤمنين**، فليس شىء طاهراً، بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم (تى ١: ١٥) فلغير المؤمنين إذن ضمائر؛ وكل ما هنالك من فارق بينهم وبين المؤمنين، أن ضمائر غير المؤمنين قد تنجست وفسدت وفقدت كثيراً من خصائص التفريق بين الخير والشر، بسبب الخطيئة، الأمر الذى اقتضى تدخل الشريعة الموسوية أولا لإصلاح هذا الفساد مؤقتاً، إلى أن أتى زمن الإصلاح الحقيقى بمجىء السيد المسيح وعمل الفداء والتبرير والتطهير الذى قام به والذى يناله المؤمن بفاعلية سرى المعمودية والميرون «دم المسيح الذى بروح أزلى قدم نفسه لله بلا عيب، **يطهر ضمائركم** من أعمال ميتة لتخدموا الله الحى» (عب ٩: ١٤) «لنتقدم بقلب صادق فى يقين الإيمان، مرشوشة قلوبنا **من ضمير شرير**، ومغتسلة أجسادنا بماء نقى» (وهو إشارة واضحة إلى فعل سر المعمودية فى ضمائرنا البشرية) (عب ١٠: ٢٢).

فالضمير صوت من الله فى باطن الإنسان، لكنه صوت طبيعى للنفس الناطقة العاقلة التى خلقت على صورة الله، والتى تمقت الشر بطبيعتها من حيث هى نفخة من الله. ولكنه مع ذلك غير الروح القدس الذى هو موهبة أو عطية مفاضة على الطبع الآدمى من قبل الأقنوم الثالث من اللاهوت القدوس، حتى يكون ناراً تحرق الفساد، ونوراً يكشف الطريق إلى الكمال، وقد خص بهذه الموهبة من آمن بالمسيح، ومات معه فى المعمودية «ليثبت» فى المسيح، وينال «خاتم البنوة»، «وختم الروح»، ونور المعرفة والحكمة «والعلم»، والإرشاد إلى «أمور آتية».

٣ - عند نضح الميرون

سؤال : من الأخ چورچ حبيب بباوى بجامعة كامبريدج بانجلترا يقول:

كيف يطلب الكاهن حلول الروح القدس عند نضح الميرون، ويكرر هذا الطلب فى الرشومات الستة والثلاثين؟

الجواب : أقول أن الميرون رسم من الرسل الأطهار ليتحقق به حلول الروح القدس على من يدهن به، لأن الميرون قد تقدس بكلمة الله والصلوات(١)، وبالأطياب التى وضعت على جسد الرب(٢). وهذا لا يمنع أن يسأل الكاهن الله أن يمنح الميرون فعاليته فى قابله بلا مانع ولا عائق. وهو أمر لائق ومناسب حيث أن الأسرار هبات سماوية، ولله أن يعطى ويمنح بناء على استحقاقاته تعالى، وعلى أن لا يكون ثمت عائق أو مانع من قبل الإنسان نفسه. فالطلب من جانبنا دليل على شعورنا بحاجتنا إلى المواهب السماوية، وعلى أننا نحن الذين نطلبها ونرغب فيها، ولا نساق إليها أو تفرض علينا. ثم إذا طلبناها بأنفسنا كان فى طلبها معنى تقديرنا لها ومسئوليتنا بالتالى نحوها، لنصونها ونحفظها ونحفظ لها قدسيتها. ولهذا يقول المسيح له المجد فى هذا الصدد «فإذا كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى الآب الذى من السماء يعطى الروح القدس للذين يسألونه» (٣).

وأما فى الرشوم الستة والثلاثين، فالكاهن إذ يدهن كل عضو ويقول «مسحة نعمة الروح القدس، آمين، .. الخ. **فهنا فى كل رشم يقرر (ولا يطلب) أن هذه المسحة هى مسحة نعمة الروح القدس**. وبالدهن بالميرون يقدس الروح القدس العضو المدهون ويتسلم رعايته وحمايته من نفاذ الشيطان إليه بعد أن تم طرده منه. والحق أن هذا الطقس المقدس يذكرنا باسلوب الاحتلال الوطنى بعد طرد الاحتلال الاجنبى فى دولة كانت مستعبدة فأصبحت حرة، أى أن جنود الوطن يستردون المواقع التى كان يحتلها جنود الاستعمار بعد جلاء العدو من البلاد.

---

(١) تيموثيوس الأولى ٤: ٥.

(٢) (مرقص ١٦: ١)، (لوقا ٢٣: ٥٦)، (٢٤: ١)، (يوحنا ١٩: ٤٠).

(٣) (لوقا ١١: ١٣)، قارن (متى ٧: ١١).

٤ ـ هل للقسيس أن يضع يده بالميرون وينفخ بالروح القدس؟

سؤال : من الأخ چورچ حبيب بباوى ـ بجامعة كيمبريدج بانجلترا.

يرد فى كتاب طقس المعمودية أن الكاهن يصلى صلاة وضع اليد ثم ينفخ فى وجه المعتمد ويقول «اقبل الروح القدس». فهل أبقت الكنيسة المرقسية، كنيسة الأسكندرية على سر المسحة فى شكله الرسولى القديم أو الأصلى وهو وضع اليد والنفخة.. ثم أضيف إلى هذا، الرشم بالميرون عندما حل الميرون محل وضع اليد؟ ومما يؤيد هذا صلاة اليد المذكورة حيث يقول الكاهن فيها «أنت أيضاً الآن يا مالكنا أرسل عليهم نعمة روحك القدوس المعزى وأشركهم فى الحياة الأبدية...». هذا سؤال وهناك سؤال آخر: هل للقسيس أن يقوم بوضع اليد والنفخة؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل يؤيد هذا مزاعم بعض الفرق البروتستانتية التى تدعى أنه ليس هناك تفريق بين إختصاصات الأسقف واختصاصات القسيس؟

الجواب :

إن كتاب طقس المعمودية لم يذكر لا كلمة «أسقف» ولا كلمة «قسيس» وإنما ذكر كلمة «كاهن». **والكاهن كما تعلم يشمل الأسقف كما يشمل القسيس.** ويبدو أنه فى بعض الأحيان كان الأسقف يشترك فى بعض طقوس المعمودية وفى الدهن بالميرون المقدس خاصة بالنسبة للموعوظين (وهم غير المؤمنين الراغبون فى دخول الايمان المسيحى فى سن البالغين)، فكان الأسقف يفحصهم ويعاونه فى ذلك القسوس. ليختار منهم اللائقين لقبول سر العماد المقدس، وكان بالطبع يعظهم ويشرح لهم حقائق الإيمان الجديد يعاونه فى ذلك القسوس.

ولا يفوتنا أن نشير مرة أخرى إلى أن منح حق التعميد والدهن بالميرون، للقسوس، ليس معناه أن الأسقف لا يعمد ولا يدهن بالميرون. وإنما معناه أن أول اختصاص للأساقفة هو الكرازة والتعليم، فلكى لا يتعطل الأساقفة عن قيامهم باختصاصهم الأول والأعظم وهو الكرازة والتعليم، قدس أباؤنا الرسل الميرون ليمكنوا القسوس من القيام به بدلاً منهم. أما إذا كان الأسقف موجوداً واتسع وقته للتعميد وللدهن بالميرون ـ ولو فى بعض المناسبات على الأقل ـ فهو أولى من القسيس بذلك، لأن له كل ملء الكهنوت، والقسيس أخذ الموهبة بوضع يد الأسقف عليه.

وتاريخ الكنيسة يدلنا على أن الباباوات البطاركة كانوا يعمدون فى بعض المناسبات. وفى تاريخ كنيستنا الأرثوذكسية كثير من الشواهد على ذلك: فالبابا ثاؤنا (وهو السادس عشر) هو الذى عمد الطفل بطرس الذى أصبح فيما بعد البابا بطرس خاتم الشهداء (وهو السابع عشر). والبابا الكسندروس (وهو التاسع عشر) هو الذى عمد الطفل أثناسيوس الذى أصبح فيما بعد البابا أثناسيوس الرسولى (وهو العشرون)، والبابا بطرس خاتم الشهداء هو الذى عمد ولدى المرأة الانطاكية فتجمد الماء كالحجر (١) لأن المرأة سبقت فعمدت طفلها بدمها عندما ثارت فى البحر عاصفة هوجاء وخافت على ولديها من الغرق والموت من غير عماد.. والأمثلة من غير ما ذكرنا كثيرة.

لذلك فإن كتاب المعمودية المقدسة والميرون المقدس لم يخص التعميد أو الدهن بالميرون المقدس بالقسيس، بل بالكاهن عموماً على أساس أنه يمكن أيضاً للأسقف فى بعض الظروف أن يقوم بتعميد الموعوظين أو الأطفال فى بعض المناسبات إذا سمح وقته بذلك. أو إذا اقتضت الظروف الملحة ذلك.

وبناء على هذا. إذا وضع الأسقف يده على المعمد عند الدهن بالميرون ونفخ فى وجهه، فهذا من حقه واختصاصه كأسقف، له أن يضع اليد، وأن ينفخ نفخة الروح القدس. وفى هذه الحالة يكون الدهن بالميرون ليس عملاً اضافياً على وضع اليد، بل طقساً مسانداً ومؤيداً لفعالية هذا السر المقدس. وكلا وضع اليد والدهن بالميرون واسطتان لسريان عمل الروح القدس الواحد وفعاليته فى قابل السر. لكن حلول الروح القدس واحد، وهو لا يتكرر بتغير الواسطة أو باستخدام الواسطتين معاً. ومثلنا فى هذا مثل الكهرباء فإنها فى جوهرها لا تتغير بتعدد الأسلاك الموصلة. وكذلك الماء لا يتغير فى جوهره بتغير الأنابيب (المواسير) الحاملة له أو الصنابير التى يصل عن طريقها الماء إلى الناس.

وبهذه المناسبة يجدر بنا أن نقف هنا هنيهة لنشير إلى أنه إذا كان من الممكن للاسقف أن يعمد وأن يدهن بالميرون، فإن فى هذا حلاً طبيعياً مناسباً لمشكلة السيدات والفتيات اللاءى يتقدمن لسر الميرون فى سن البالغين. إذ يكفى فى هذه الحالة أن يقوم الأسقف بوضع اليد على رأس المرأة ودهن جبهتها والأعضاء الظاهرة (الرأس فالجبهة فالأنف فالأذن اليمنى فالعين اليمنى فاليسرى فالأذن

(١) أنظر السنكسار تحت اليوم التاسع والعشرين من شهر هاتور.

اليسرى، ومفصل عرقوب الرجل اليمنى وأعلاه وعرقوب الرجل اليسرى وأعلاه) ولا داعى للحرج الكبير الذى يقع فيه القسيس بدهن المرأة البالغ فى ستة وثلاثين موضعاً من جسمها، كما هو الحال بالنسبة للبالغين من الرجال أو بالنسبة إلى الأطفال.

ولما كان تعميد البالغات من السيدات والفتيات نادرا، فلن يضيق وقت الأسقف عن القيام بدهنهن بالميرون المقدس فى المواضع الظاهرة التى ذكرناها.

أما إذا كان الكاهن قسيساً ووضع يده على المعمد. فوضع اليد فى هذه الحالة هو للبركة فقط، وليس كما يضع الأسقف يده لحلول الروح القدس. وإذا نفخ القسيس فى وجه المعمد وقال له «اقبل الروح القدس» فهذه النفخة جائزة للقسيس فى أحوال كثيرة، وهو ينفخ فى الماء للبركة، كما ينفخ أحياناً فى وجوه المؤمنين. ذلك لأن القسيس هو كاهن أيضاً من قبل الروح القدس بوضع يد الأسقف عليه وقد أخذ منه وعن طريقه نعمة الروح القدس، فيمكنه أن يهب كما أخذ من موهبة الروح القدس الذى حل عليه واستقر فيه بالخلافة الرسولية. ومثل القسيس بالنسبة للأسقف فى هذا الأمر مثل المصرف أو القناة بالنسبة إلى النهر الذى يخرجان منه. فالقناة أو المصرف فرع وأما النهر فهو الأصل، لكن الماء الذى فى المصرف أو القناة هو نفس الماء الذى يجرى فى النهر، لأن منه وعنه قد أخذ.

أما قول الكاهن بعد دهن الميرون «أنت أيضاً الآن يا مالكنا أرسل عليهم نعمة روحك القدوس المعزى» فليس هذا معناه أن الروح القدس لم يحل بعد وإنما هذه الصلاة هى جزء متمم للطقس. ولعل الكاهن لا يطلب هنا نفس النعمة التى حلت أثناء الدهن بالميرون المقدس، وإنما يطلب عملاً آخر للروح القدس مكملاً ونابعاً من سر الميرون أو التثبيت وهو «الامتلاء من (عمل) الروح القدس»، حينما يبدأ الميرون يفعل سره فى المؤمن، ويبدأ المؤمن يهيىء للميرون استعداده الشخصى لفعالياته الكثيرة، فيثمر فى حياة المؤمن مواهب روحية جديدة، بعضها للنمو والتقدم فى حياة القداسة، وبعضها لخدمة جسد المسيح أى الكنيسة خدمة عضو حى فيها، وذلك الثمر وهذه المواهب الروحية الجديدة تتولد من سر الميرون بممارسة الرياضات الروحية من صلوات وأصوام وقراءات وتأملات وتناول من الأسرار المقدسة وغيرها من وسائط التقوى التى تضرم موهبة الروح القدس التى نالها المعمد فى سر الميرون.

ودليلك على أن نعمة جديدة للإمتلاء بالروح القدس مطلوبة مع حلول الروح القدس فى سر الميرون أن الكاهن يعود بعد ذلك ليطلب طلبات روحية لأجل الذين قبلوا المعمودية والميرون فيقول فى صلاة «وضع الأكاليل» على المعمدين : «قوهم لكى يكملوا وصاياك وأوامرك، ويفوزوا بخيرات ملكوت السماوات» ثم يقول أيضاً «امنح عبيدك أن يكونوا مملوئين من نعمة روحك القدوس» .

القيم الروحية

فى سر القربان المقدس

القيم الروحية فى سر القربان المقدس

أولاً : بسر القربان ننال الخلاص وغفران الخطايا ٢٥٦
الغفران بين سرى التوبة والقربان ٢٦٢
ثانياً : سر القربان ذبيحة مرفوعة عن جميع الناس ٢٦٤
ذبيحة الإفخارستيا بعينها ذبيحة الصليب ٢٦٤
ذبيحة الإفخارستيا شفاعة قائمة متصلة ٢٦٥
ثالثاً : سر الشكر قرباناً أيضاً عن الراقدين ٢٧٢
رابعاً : سر القربان ذبيحة شكر لله ٢٧٦
خامساً : سر القربان ذكرى عينية بالرب إلى مجيئه الثانى ٢٧٨
سادساً : سر القربان غذاء للنفس وقوت للروح ٢٨٢
سابعاً : سر القربان يقاوم الضعف الطبيعى ويقى الروح من الأمراض ٢٨٩

ثامناً : سر القربان هو رأس وسائط النمو والتقدم ٢٩٢
فصل فى وجوب تناول الأطفال ٢٩٤
تاسعاً : سر القربان هو سر الاتحاد ٢٩٦
١ ـ درجة الدخول فى عهد مع الله ٢٩٧
٢ ـ درجة الثبات فى المسيح ٢٩٩
٣ ـ درجة الاتحاد الكامل ٣٠٢
عاشراً : سر القربان هو سر الشركة ٣٠٧
حادى عشر : بسر القربان نحصل على امتياز القيامة المجيدة ٣٠٩
ثانى عشر : سر القربان يعدُنا للأبدية السعيدة وللأمجاد السمائية ٣١١
فصل فى وجوب التناول بتواتر من الأسرار المقدسة ٣١٣

فى سر القربان المقدس

وهو سر جميع الأسرار(١) به يغتذى المؤمن روحياً بجسد المسيح إلهنا وبدمه الثمين تحت أعراض الخبز والخمر، فبصلوات الكاهن المرتبة بالقداس الإلهى على الخبز والخمر يحل الروح القدس عليهما فيتحول ويتغير ويتبدل جوهر الخبز إلى جسد المسيح، وجوهر الخمر إلى دمه!! وعلى ذلك فالمؤمن لا يتناول خبزاً وخمراً على بسيط الحال وإنما يتناول فعلاً جسد المسيح الحى ودمه الطاهر المسفوك عن خلاصنا.

هذه هى عقيدتنا الأرثوذكسية فى سر الاستحالة، وهى قائمة على النطق الإلهى **«أنا الخبز الحى الذى نزل من السماء. من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذى سأعطيه(٢) أنا هو جسدى الذى سأبذله عن حياة العالم.. لأن جسدى هو مأكل حقيقى ودمى هو مشرب حقيقى»(٣)**، وقائمة أيضاً على فاعلية أمر مخلصنا وشهادته **«خذوا كلوا، فإن هذا هو جسدى... اشربوا من هذا كلكم فإن هذا هو دمى»(٤)**.

وليست هذه العقيدة للنظر والجدل بين من يؤمن بها ومن لا يؤمن ولكنها لفوائد روحية جزيلة.

ومن ذلك :

أولاً: بسر القربان ننال الخلاص وغفران الخطايا.

إن المسيح له المجد مات بديلاً عنا، وبموته فدانا من خطايانا(٥)، وعتقنا من الحكم علينا بالموت الأبدى الذى كان قد تقرر على جنسنا بخطيئة أبينا آدم وصرنا ننال إستحقاقات هذا الفداء فى المعمودية المقدسة. فقد أصبحت هى وسيلتنا للحصول على إستحقاقات الخلاص الذى تم فى الصليب مرة، بها نتطهر من خطايانا الجدية، وخطايانا الفعلية التى قد نكون قد ارتكبناها قبل المعمودية إذا كنا قبلنا المعمودية كباراً.

---

(١) عن صلاة الحجاب لقداس القديس مرقس الرسول المعروف بالقداس الكيرلسى «لأن القديس كيرلس الأول الشهير بعمود الدين هو الذى دونه».

(٢) فى صيغة المستقبل، والإشارة إلى زمن تسليمه السر المقدس ليلة آلامه (لوقا ٢٢: ١٩)، (كورنثوس الأولى ١١: ٢٤).

(٣) يوحنا ٦: ٥١، ٥٥.

(٤) (متى ٢٦: ٢٦ ـ ٢٨)، (مرقس ١٤: ٢٢ ـ ٢٤)، (لوقا ٢٢: ١٩ـ٢٠)، (كورنثوس الأولى ١١: ٢٤، ٢٥)

(٥) (عبرانيين ١: ٢).

أما الخطايا اليومية التى تقترف بعد المعمودية، فهذه تغتفر بسر القربان المقدس إذا قدمت عنها توبة صادقة، لأن سر القربان هو أيضاً ذبيحة الصليب عينها التى تمت بها الكفارة، ولا تزال استحقاقاتها تشملنا إلى الأبد.

من نصوص الكتاب المقدس:

قال مخلصنا فى بيان قيمة سر القربان من جهة غفران الخطايا: «والخبز الذى سأعطيه أنا هو جسدى الذى **سأبذله عن حياة العالم»** (١).

وقال الوحى الإلهى(٢) عن سيدنا فى ليلة تسليم هذا السر العظيم: «**وأخذ يسوع خبزاً، وشكر** وباركه(٣)، وقسمه(٤) وأعطى تلاميذه قائلاً خذوا كلوا(٥) فإن هذا هو جسدى(٦) الذى يقسم عنكم(٧) ويبذل من أجلكم(٨)لمغفرة الخطايا (٩) هذا اصنعوه لذكرى (١٠). وكذلك

---

(١) (يوحنا ٦: ٥١).

(٢) النص مأخوذ مما ورد فى الإنجيل للقديسين (متى ٢٦: ٢٦ ـ ٢٨)، (مرقس ١٤: ٢٢ ـ ٢٤)، (لوقا ٢٢: ١٩ ـ ٣٠)، ومما ورد فى رسالة مار بولس الرسول الأولى إلى (١. كورنثوس ١١: ٢٣ ـ ٢٦).

(٣) (متى ٢٦: ٢٦)، (مرقس ١٤: ٢٢).

وجاء فى القداسات «وباركه ، وقدسه» والتقديس أجمعت عليه جميع القداسات فى الكنائس الرسولية التقليدية وإليه يعزى معنى القداس ولفظه. أنظر قداس القديس باسيليوس، وقداس القديس غريغوريوس وقداس القديس كيرلس (وهو قداس القديس مرقس الرسول)، وقداس القديس يعقوب الرسول المستعمل فى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، وقداس الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية، وقداس القديس يوحنا ذهبى الفم (المستعمل فى الكنيستين اليونانية والروسية وما يتبعهما)، وسائر القداسات.

(٤) تبعاً للنص القبطى الوارد فى جميع الأناجيل ورسالة ماربولس الأولى إلى كورنثوس، فقد جاء هكذا ⲁⲛⲉϥϩⲁϥ ⲉϥϫⲱ كما ورد هذا فى جميع القداسات القبطية. راجع (متى ٢٦: ٢٦)، (مرقس ١٤: ٢٢)، (لوقا ٢٢: ١٩)، (كورنثوس الأولى ١١: ٢٤).

(٥) (متى ٢٦: ٢٦)، (مرقس ١٤: ٢٢)، (كورنثوس الأولى ١١: ٢٤).

(٦) (متى ٢٦: ٢٦)، (مرقس ١٤: ٢٢)، (لوقا ٢٢: ١٩)، (كورنثوس الأولى ١١: ٢٤).

(٧) (كورنثوس الأولى ١١: ٢٤). (٨) (لوقا ٢٢: ١٩).

(٩) وقد أجمعت على ذلك كل القداسات فى الكنائس الرسولية التقليدية ومنها كذلك قداس القديس يعقوب الرسول أنظر كتاب .A.A.King, The Rites of Eastern Christendom Rome, 1947

وقداس الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية أنظر كتاب : The Divine Liturgy of the Armenian Apostolic Orthodox Church, New York 1950 p.68,69.

(١٠) (لوقا : ٢٢: ١٩)، (كورنثوس الأولى ١١: ٢٤).

أخذ (١) الكأس أيضاً من بعد العشاء (٢)، وشكر (٣) قائلاً : هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى(٤) الذى يسفك عنكم (٥) وأعطاهم قائلاً: خذوا اشربوا منها كلكم(٦) فإن هذا هو دمى للعهد الجديد (٧) الذى يسفك من أجل كثيرين (٨) لمغفرة الخطايا(٩)، اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى(١٠) .. فشربوا منها كلهم، (١١).

من صلوات القداس الإلهى:

وجاء فى القداس الإلهى ما ينص على أن ذبيحة القداس هى لمغفرة الخطايا.

ففى الصلاة التى بعد الاستعداد لبدء القداس، وعند تقديم الحمل يقول الكاهن «امنح يارب أن تكون ذبيحتنا مقبولة أمامك عن **خطاياى خاصة وعن جهالات شعبك**».

وفى وقت حلول الروح القدس على الخبز والخمر لينقلهما إلى جسد الرب ودمه يقول الكاهن مرتين وهو باسط يديه وخاضع برأسه «ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، **يعطى لغفران الخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه**».

وبعد السجود وحلول الروح القدس وحصول الاستحالة يصلى الكاهن قائلاً: «إجعلنا كلنا مستحقين يا سيدنا أن نتناول من قدساتك **طهارة لأنفسنا وأجسادنا، وأرواحنا**».

وفى الاعتراف المقدس الأخير يقول الكاهن وهو رافع الصينية بيديه «آمين، آمين، آمين أؤمن، أؤمن، أؤمن وأعترف إلى النفس الأخير، أن هذا هو الجسد المحيى الذى أخذه ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح.. **يبذل عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا** وحياة أبدية لمن يتناول منه».

---

(١) (متى ٢٦ : ٢٧)، (مرقس ١٤ : ٢٣).

(١) (لوقا ٢٢ : ٢٠)، (كورنثوس الأولى ١١ : ٢٤).

(٣) (متى ٢٦ : ٢٧)، (مرقس ١٤ : ٢٣). وجاء فى جميع القداسات «وشكر، وباركها وقدسها» قياساً على ما فعل مخلصنا بالنسبة إلى الخبز (أنظر حاشية رقم ٣ صفحة ٢٥٩).

(٤) (لوقا ٢٢ : ٢٠)، (كورنثوس الأولى ١١ : ٢٥).

(٥) (لوقا ٢٢ : ٢٠).

(٦) (متى ٢٦ : ٢٧).

(٧) (متى ٢٦ : ٢٨)، (مرقس ١٤ : ٢٢).

(٨) (متى ٢٦ : ٢٨)، (مرقس ١٤ : ٢٢).

(٩) (متى ٢٦ : ٢٨).

(١٠) (كورنثوس الأولى ١١ : ٢٥) .

(١١) (مرقس ١٤ : ٢٣).

وفى الصلاة التى قبل التناول يقول الكاهن:

«إجعلنا كلنا مستحقين يا سيدنا أن نتناول من جسدك المقدس ودمك الكريم **طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا، ومغفرة لخطايانا وآثامنا**، «ولا يكون لنا دينونة لكن كما قلت لتلاميذك الأطهار خذوا من جسدى ودمى **لمغفرة خطاياكم**(١) يكون لنا شركة مع تلاميذك الأطهار، لننال بتناولنا من أسرارك المحيية **مغفرة لخطايانا وصفحاً لآثامنا، وطهراً لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا..**»

وفى صلاة القسمة للقداس الغريغورى يقول الكاهن:

«أعددت لنا خبزاً سمائياً جسدك المقدس هذا السرى والطاهر فى كل شىء، ومزجت (٢) لنا كأساً من كرمة حقيقية التى هى جنبك الإلهى غير الدنس،... هذان الصائران **طهراً لكل العالم**».

وفى صلاة القسمة للصوم الكبير المقدس يقول الكاهن:

«الذى أنقذنا من الموت وأعطانا جسده المقدس ودمه الكريم، لغفران خطايانا».

وفى صلاة القسمة التى تقال بمناسبة القيامة المجيدة يقول الكاهن:

«الذى أنعم علينا بهذا السر العظيم هو جسده المقدس ودمه الكريم، **لغفران خطايانا**».

---

(١) (متى ٢٦ : ٢٧) وأنظر الحاشية رقم ٩ صفحة ٢٥٧.

(٢) ولئن لم ينص الإنجيل المقدس صراحة على أن مخلصنا مزج الخمر بالماء فى ليلة آلامه، لكن التقليد المقدس إدخر لنا هذا الصنيع. وقد نصت عليه صراحة القداسات المستخدمة فى الكنائس الرسولية. راجع القداسات المستعملة فى كنيستنا المرقسية الأرثوذكسية. والقداسات الأربعة عشرة المستعملة فى الكنيسة الأثيوبية. كما أشار الآباء إلى هذا التقليد، منهم مثلاً إيريناوس فى كتابه الرد على الهراطقة كتاب ٥ فصل ١ فقرة ٣، ومنهم القديس يوستينوس الشهيد فى دفاعه الأول وتاريخه ١٥٠م يصف عمل الكاهن فى القداس الذى «يؤتى إليه بخبز وكأس خمر ممزوجاً بالماء» (الدفاع ١ فصل ٦٥).

ومنهم أيضاً القديس أثناسيوس الرسولى الذى يقول «ثم ناولهم (مخلصنا) كأساً فيها **مزيج خمر وماء**، وقال لهم اشربوا منها كلكم» (كمال البرهان على حقيقة الإيمان. القاهرة ١٩٤٧ صفحة ٨٨) ويكرر القديس أثناسيوس فى نفس الفصل مراراً تعبير «**مزيج الخمر والماء**» من صفحات ٨٦ ـ ٨٨ من نفس الكتاب. ويقول القديس كبريانوس: «فاعلم أننا قد أوصينا بأن نحفظ فى تقدمة الكأس تقليد الرب. وليس لنا أن نعمل شيئاً غير ما عمله الرب لأجلنا. وهو أن تكون الكأس المقدمة تذكاراً وتقدمه خمر ممزوجة بماء» (رسالة ٦٢ : ف٢). =

من أقوال الآباء:

وما أكثر أقوال آباء الكنيسة التى تشرح هذه الحقيقة: أن بالتناول من جسد الرب ودمه ينال المؤمن التائب غفران خطاياه اليومية الفعلية التى يكون قد ارتكبها بعد المعمودية، وخلاصه من الهلاك الأبدى.

قال القديس أثناسيوس الرسولى (٢٩٩ - ٣٧٣م):

«ثم أعطانا دواء آخر لمن أخطأ بعد تنقية المعمودية وتدنس بالذنوب، وهو القربان الذى يغفر الخطايا لمن تقرب إليه بإيمان به أنه جسد المسيح ودمه.. حقاً أعطانا إياه لمغفرة الخطايا».. لأن المسيح الذى ناول تلاميذه الخبز فقال لهم خذوا كلوا هذا هو جسدى

= وقال القديس كيريانوس أيضاً «حالما تمتزج الخمر التى فى الكأس بالماء حينئذ يتحد الشعب بالمسيح» (رسالة ٦٢ : ف ١٣).

وجاء فى القانون ٤٤ من قوانين مجمع قرطاجنة المنعقد فى قرطاجنة بأفريقيا عام ٤١٨/٤١٩م «لا يجوز أن يقدم فى الهيكل شىء آخر غير جسد الرب ودمه، كما أمر الرب نفسه أعنى خبزاً وخمراً ممزوجة بالماء»

أنظر كتاب The Rudder, by D. Cumings, Chicago, 1950 p. 630.

وممن تكلموا عن طقس مزج الخمر بالماء فى القداس ثيودوروس أسقف المصيصة (٣٨٣ - ٤٢٨)م فى كتاب (المواعظ التعليمية ١١٨، ١١٩).

ولعل مزج الخمر بالماء تذكار وإشارة إلى الدم والماء اللذين خرجا وجريا من جنب فادينا، بعد موته، متميزين، عندما طعن أحد العسكر جنبه بحربة (يوحنا ١٩ : ٣٤)، مما دل على أنه وإن كان قد مات بالجسد، «وانفصلت نفسه (الإنسانية) عن جسده» لكنه كان حياً بلاهوته «إذ أن لاهوته لم ينفصل قط لا عن نفسه، ولا عن جسده» ولذلك لم ير جسده فساداً (مزمور ١٥(١٦): ١٠)، (أعمال ٢ : ٢٧).

ومما يشهد على أن خروج الدم والماء من جنب الفادى بعد موته حقيقة لاهوتية هامة لها دلالتها الخطيرة على «أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين» أن القديس يوحنا الرسول يعقب على هذه الحادثة مباشرة بقوله «والذى عاين شهد، وشهادته حق، وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم» (يوحنا ١٩ : ٣٥).

ولابد أن الرسول نفسه كان يتأمل مخلصنا مصلوباً والدم والماء يخرجان من جنبه الإلهى عندما قال فيما بعد فى إحدى رسائله «هذا هو الذى أتى **بالماء والدم**، يسوع المسيح، لا بالماء فقط بل **بالماء والدم**» (يوحنا الأولى ٥: ٦).

وقال القديس كيرلس الأسكندرى عمود الإيمان إن الماء يشير إلى المعمودية وأما الدم فيشير إلى الإفخارستيا، وهما سرا الخلاص العظيم النابعان من جنب الفادى. وعلى ذلك فمزج الخمر بالماء فى القداس يشير إلى هذه الحقيقة المسيحية ذات الدلالة اللاهوتية الخلاصية.

الذى يصنع من أجلكم ومن أجل كثيرين ويقسم **لمغفرة الخطايا** (١). ثم ناولهم كأساً فيها مزاج خمر وماء (٢) فقال لهم أشربوا منه كلكم هذا هو دمى الذى يسفك عنكم وعن كثيرين **لمغفرة الخطايا** ثم قال افعلوا هذا لأجل ذكرى فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت ابن الإنسان وتبشرون بقيامته إلى أن يجىء(٣)، (٤).

وقال القديس أمبروسيوس (٣٤٠ - ٣٩٧م):

«إن تناولت منه قليلاً، أو شربت منه كثيراً تنال نعمة الفداء عينها كاملة بالمقدار عينه» (٥).

وقال القديس يوحنا ذهبى الفم (٣٤٧ - ٤٠٧م):

«حكم اليهود بأن المسيح لا يقدر أن يعطيهم جسده ليأكلوه، وأكدوا أن هذا مستحيل. ولكنه أبان لهم أنه ممكن. وليس ممكناً فقط بل ضرورى وإضطرارى وشرط لازم للحياة الأبدية، وإن لم يبين كيف يصير ذلك. فكما أنه فى الفصح اليهودى كان لحم الخروف ودمه ضروريين لنجاة الإسرائيليين من الهلاك الذى نزل بالمصريين، كذلك لا ينجو المؤمن من هلاك الخطيئة ولا تكون له حياة فيه مالم يأكل جسد ابن الإنسان ويشرب دمه» وقال «فياللعجب من كون المائدة مهيأة، وحمل الله قد قدم لأجلك ذبيحة، والنار الروحية قد أشرقت من مطلع المائدة الرهيبة، والكاروبيم محدقون بها والسارافيم ذو الستة الأجنحة يتطايرون وهم يحجبون وجوههم خوفاً، والقوات العلوية بأسرها المنزهة عن الأجسام تبتهل مع الكاهن فى شأنك، والنار الإلهية منحدرة من فوق لأجلك والدم الكريم مسفوك فى الكأس من الجنب الطاهر لتطهيرك وأنت تنهى عنها غير خائف ولا مرتعد!!» (٦).

ويقول القديس أوغسطينوس (٣٥٤ - ٤٣٠م):

«هذه التى نسميها جسد المسيح ودمه هى جوهر مأخوذ من أثمار الأرض، ولكنها إذ تقدست بصلوات التقديس فهى تناول لنا لخلاص نفوسنا» (٧).

---

(١) وورد هذا فى رشوم تقديس الخبز فى صلوات القداس «وقسمه وأعطاه لتلاميذه القديسين ورسله الأطهار قائلاً: خذوا كلوا منه كلكم لأن هذا هو جسدى الذى يقسم عنكم وعن كثيرين، **يعطى لمغفرة الخطايا**. هذا اصنعوه لذكرى.

جاء هذا فى صلوات قداس القديس باسيليوس والقديس أغريغوريوس والقديس كيرلس.

(٢) أنظر حاشية رقم ٢ صفحة ٢٥٩ - ٢٦٠.

(٣) قارن (كورنثوس الأولى ١١: ٢٦).

(٤) كمال البرهان على حقيقة الإيمان للقديس أثناسيوس الرسولى، القاهرة ١٩٤٧ صفحة ٨٦ - ٨٨.

(٥) (رسالة ٧ إلى يوستوس: ٨).

(٦) المقال ١٩ على (إشعياء ٦: ١ - ٧).

(الدر المنتخب فى مقالات القديس يوحنا فم الذهب) نقله من اليونانية إلى العربية السيد أثناسيوس البطريرك الأنطاكى، وطبعه ناشد سركيس. القاهرة ١٩٢٨ - صفحة ٢٥٨، ٢٥٩.

(٧) فى الثالوث، كتاب ٣ فصل٤، فقرة ١٠.

الغفران بين سرى التوبة والقربان

وقد يسأل سائل ويقول إذا كنا بسر التناول ننال غفران خطايانا، فما هى قيمة سر التوبة، لأننا به أيضاً ننال غفران الخطايا؟.

أقول، وليس فقط بسرى التوبة والتناول ننال غفران الخطايا وأنما أيضاً بسر المعمودية (١) وبسر مسحة المرضى. فعن سر المعمودية قال الروح القدس على فم القديس بطرس:

«توبوا وليعتمد كل واحد منكم على إسم يسوع المسيح. **لغفران الخطايا،** (٢). وقال على فم حنانيا الرسول: «قم فاعتمد واغسل خطاياك» (٣). وعن سر مسحة المرضى قال الكتاب المقدس «هل فيكم مريض، فليدع كهنة الكنيسة وليصلوا عليه ويمسحوه بالزيت باسم الرب، فإن صلاة الإيمان تخلص المريض. والرب يقيمه، وإن كان قد ارتكب **خطايا تغفر له** » (٤).

ذلك لأن الأسرار السبعة جميعاً قائمة على إستحقاقات ربنا يسوع المسيح الكفارية، الذى قدم نفسه مرة على الصليب ذبيحة غفران عن خطايانا. وليس كفارة عن خطايانا فقط بل وعن خطايا كل العالم (٥) أيضاً. والروح القدس ينقل إلينا عن طريق الأسرار جميعاً بركات الخلاص الذى تم فى ذبيحة الصليب والتى بها نلنا ولا نزال ننال غفران خطايانا.

لكن لكل سر عملاً خاصاً به، ينفرد به عن غيره، وإن كانت الأسرار جميعاً ينقل بها الروح القدس إلينا إستحقاقات المسيح الكفارية وعن طريقها ننال غفران خطايانا، فهى جميعاً تعمل بفعالية الروح القدس فيها، وهى جميعا قنوات لتوصيل بركات الفداء لغفران خطايانا.

ففى المعمودية ننال فضلاً عن غفران الخطايا الفعلية - إذا وجدت قبل المعمودية - غفران الخطيئة الجدية - كما ننال التبنى والميلاد الثانى من فوق وفى سر القربان لا ننال غفران خطايانا اليومية الفعلية فقط، وإنما ننال أيضاً به قوتاً لأرواحنا ينفعنا للحياة الأبدية، كما ننال ثباتاً فى المسيح واتحاداً به ومعه وحياة أبدية، وهو فى نفس الوقت ذبيحة قائمة إستغفارية عن جميع الناس لا سيما عن الذين قدمت عنهم، والذين قدمت بواسطتهم، كما أنه كذلك قربان وضحية عن الراقدين. وفى سر مسحة المرضى ننال لا غفران الخطايا الفعلية فقط بل ننال أيضاً الشفاء من أمراضنا الجسدية لا سيما المتسببة عن علل روحية ونفسية.

---

(١) أنظر الكتاب من ص ١٦ - ٢٢ ومن ص ٢٤ - ٢٦.

(٢) (أعمال ٢ : ٣٨).

(٣) (أعمال ٢٢ : ١٦) قارن (أعمال ٩ : ١٨).

(٤) (يعقوب ٥ : ١٤، ١٥).

(٥) (يوحنا الأولى ٢ : ٢).

وأما سر التوبة فهو السر المختص بفاعلية الروح القدس فى الخاطىء التائب بعد أن يظهر ندامه كاملة شاملة على خطاياه التى فعلها بنفسه، ولا سيما المميتة منها (١) وبعد أن يتعهد بعزيمة صادقة أمام الكاهن المعرِّف على أن لا يعود إلى فعلها، معترفاً علانية وصراحة أمام الكاهن بهذه الخطايا، مبرهناً على صدق توبته بقبوله التأديبات التى يفرضها الكاهن عليه، وبإستعداده التام لتصحيح أخطائه وتحمل تبعات هذه الخطايا بالنسبة للذين أساء إليهم بخطاياه فيمنحه الكاهن الحل من خطاياه بعد أن يتثبت من صدق توبته ومن أنه يرجى منه فعلاً إصلاح سيرته. فحتى يطمئن الخاطىء التائب إلى قبول الله لتوبته لابد أن يسمع من الكاهن ما يطمئنه إلى رضى الله عنه، ولذلك فإن الكاهن يمنحه الغفران باسم الله بموجب السلطان الممنوح له من الله كوكيل لله على أسراره المقدسة.

وهذا هو السبب فى أن سر التوبة يلازم جميع الأسرار الأخرى، وتلزم ممارسته قبلها. فهو عادة يسبق سر المعمودية و(الميرون) والتناول، ومسحة المرضى، والزواج، والكهنوت. لأنه هو السر الذى يتأهل به قابله لأن ينال بإستحقاق سائر الأسرار الأخرى وينال مفاعيلها الروحية النابعة كلها من إستحقاقات المسيح الكفارية.

ولهذا أيضاً يتطلب الكتاب المقدس ممن يتقدم إلى سر التناول أن يختبر نفسه، قبل التناول وإلا كان غير مستحق وبالتالى يكون مجرماً إلى جسد الرب ودمه.

«فأى من يأكل من هذا الخبز أو يشرب من كأس الرب بغير استحقاق يكون مجرماً إلى جسد الرب ودمه. ولكن فليختبر الإنسان نفسه، وهكذا فليأكل من هذا الخبز، ويشرب من هذه الكأس. لأن من يأكل ويشرب بغير إستحقاق، إنما يأكل ويشرب دينونة لنفسه، إذ لم يميز جسد الرب» (٢).

ويقول بعض العلماء إن ممارسة سر التوبة ضرورية بالنسبة للخطايا العظيمة، فبدون ممارسة سر التوبة وإستكمال شروط التوبة الحقيقية ونيل الحل عن الخطايا لا يجوز التقدم بتاتاً لسر التناول، أما بالنسبة للخطايا غير الإرادية أو العرضية أو العفوية، فيمكن أن تغفر بفاعلية سر التناول طالما أننا خطئنا بغير إرادتنا وبسبب ضعف طبيعتنا، وقد طلبنا رحمة الله بحزن عميق على خطايانا مع عزم واضح على تلافى ضعفاتنا ومواصلة جهادنا فى طريق الفضيلة.

---

(١) توجد خطيئة للموت (يوحنا الأولى ٥: ١٦).

(٢) (كورنثوس الأولى ١١: ٢٧ ـ ٢٩).

ثانياً : سر القربان ذبيحة مرفوعة عن جميع الناس لا سيما عن الذين قدمت عنهم.

والغفران الذى نناله فى سر القربان هو بإستحقاقات المسيح الذى فدانا بموته على الصليب لأن الذبيحة واحدة وهى المسيح الذى ذبح مرة واحدة على الصليب (١)، ولكن إستحقاقات هذه الذبيحة الطاهرة إستحقاقات أبدية وشاملة لأنها إستحقاقات المسيح الإله نفسه الذى بإتحاد لاهوته مع ناسوته أعطى لموته بالجسد قيمة أبدية هى قيمة اللاهوت نفسه.

ذبيحة الإفخارستيا بعينها ذبيحة الصليب:

وإذن فذبيحة الأفخارستيا هى بعينها - فى طبيعتها وجوهرها - ذبيحة الصليب (٢). كل ما هنالك أن ذبيحة الصليب ذبيحة دموية، سفك فيها دم المسيح الرب بطريقة مادية منظورة ملموسة محسوسة؛ وأما ذبيحة الأفخارستيا فغير دموية وتتم بطريقة سرية غير محسوسة ولا ملموسة أو منظورة، تتم تحت أعراض الخبز والخمر. تلك قدمت على الصليب مرة ولا تتكرر إلى الأبد، وأما هذه فتقدم فى كل يوم يقام فيه القداس: استرحاماً واستعطافاً لله عن خطايا جميع الناس ولا سيما الذين قدموها والذين قدمت بواسطتهم، كأمر مخلصنا الذى رسم إقامة هذه الذبيحة بل هذه الصناعة المقدسة بصفة متصلة بقوله لرسله ولكنيسته إلى إنقضاء الدهر: «إصنعوا هذا لذكرى». وتلك، أى ذبيحة الصليب، ساهم فى تقديمها يهود أشرار، وعسكر الرومان، بنية الإنتقام والغدر والخلاص من صوت الحق، وأما ذبيحة الأفخارستيا فيساهم فى تقديمها كهنة المسيح وخدامه وشعبه: توسلاً به وإستشفاعاً بإستحقاقاته الخلاصية والكفارية، لخلاص أرواحهم من الهلاك الأبدى. وذبيحة الصليب قبلت الألم والتعذيب والتمزيق والموت، وأما ذبيحة الأفخارستيا فلا تقبل شيئاً من هذا، لأن المسيح صلب مرة ومات مرة واحدة «ولا حاجة له أن يقرب كل يوم مثل رؤساء الكهنة ذبائح عن خطاياه أولاً، ثم عن خطايا الشعب،

---

(١) (عبرانيين ١٠: ١٢).

(٢) يقول الكاهن فى مطلع القسمة التى تقال فى أعياد السيدة العذراء والملائكة وجميع السمائيين «هوذا كائن معنا اليوم على هذه المائدة عمانوئيل إلهنا، حمل الله الذى يحمل خطيئة العالم كله»، ويقول فى الاعتراف الأخير وهو يحمل الصينية المقدسة وبها السر المقدس الطاهر «آمين، آمين، آمين. أؤمن، أؤمن، أؤمن واعترف إلى النفس الأخير: أن هذا هو الجسد المحيى الذى أخذه إبنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، من سيدتنا ملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم، وجعله واحداً مع لاهوته بغير إختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير واعترف الإعتراف الحسن أمام بيلاطس البنطى، وبذله عنا على خشبة الصليب المقدسة بإرادته وحده عنا كلنا».

لأنه فعل هذا مرة واحدة حين قرب نفسه، (١). لكن ذبيحة الأفخارستيا هى بعينها ذبيحة الصليب قائمة بصفة دائمة على مذبح (٢) الكنيسة المسيحية شفاعة متصلة.

ذبيحة الأفخارستيا شفاعة قائمة متصلة.

وبهذا المعنى نفهم إستمرار شفاعة المسيح الكفارية القائمة إلى الأبد على الرغم من أن المسيح قدم كفارته مرة بموته على الصليب بفاعلية أزلية (٣) ،فلذلك هو قادر أن يخلص على الدوام الذين يتقربون به إلى الله إذ هو حى كل حين ليشفع فيهم، (٤). لأن ذبيحة الأفخارستيا شفاعة قائمة فينا عن خطايانا الفعلية التى قد نرتكبها بعد المعمودية. يقول ماريوحنا الرسول ،أيها الأبناء إنى أكتب إليكم هذا لئلا تخطأوا. وإن خطىء أحدكم فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار، وهو كفارة عن خطايانا، وليس عن خطايانا فقط بل عن خطايا العالم كله أيضاً، (٥). وبهذا المعنى يهتف الكاهن فى القداس ويصرخ للسيد المسيح قائلاً ،فإن شعبك وبيعتك يطلبون إليك، وبك إلى الآب (الكائن) معك، (٦).

* * *

وقد علمتنا الكنيسة المقدسة أن سر الشكر هو قربان وذبيحة استغفارية لله عن كل الشعب وجميع الناس وسائر الخليقة، وخصوصاً عن الذين قدمت عنهم والذين قدمت بواسطتهم.

---

(١) (العبرانيين ٧: ٢٧). ويقول الرسول أيضاً ،إذ نعلم أن المسيح من بعد أن أقيم من بين الأموات لا يموت أيضاً، لا يسود عليه الموت من بعد. لأنه من حيث أنه مات فقد مات للخطيئة مرة، (رومية ٦: ٩، ١٠). أنظر (بطرس الأولى ٣: ١٨) وأيضاً (العبرانيين ٩: ٢٧، ٢٨)، (١٠: ١٢).

(٢) قال ماريولس الرسول ،إن لنا مذبحاً لا يحق للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه، (العبرانيين ١٣: ١٠) وهذا هو المذبح المسيحى الذى لا يباح لليهود من غير أن يؤمنوا بالمسيح أن يقتربوا إليه. وهو المذبح الذى تنبأ عنه إشعياء النبى عندما ترتد مصر من الوثنية إلى المسيحية ،فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر.. فيكون علامة وشهادة لرب الجنود فى أرض مصر.. فيعرف الرب فى مصر، ويعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم، ويقدمون ذبيحة وتقدمة، (إشعياء ١٩: ١٩ ـ ٢١) كما تنبأ ملاخى النبى عن إنتشاره فى كل أمم الأرض على عكس المذبح اليهودى الذى لا يمكن أن يقام فى غير أورشليم (ملاخى ١: ١١). راجع أيضاً (إشعياء ٥٦: ٧)، (٦٦: ٢٠، ٢١).

(٣) (العبرانيين ٩: ١٤).

(٤) (العبرانيين ٧: ٢٥).

(٥) (يوحنا الأولى ٢: ١، ٢). أنظر أيضاً (العبرانيين ٩: ٢٤ ـ ٢٨)، (إشعياء ٥٣: ١٢)

(٦) عن قداس القديس غريغوريوس.

من نصوص الكتاب المقدس:

يقول ماربولس الرسول «انظروا إسرائيل الجسدى، أليس الذين يأكلون الذبائح هم شركاء المذبح؟ فماذا أقول إن الوثن شيء أو إن ذبيحة الوثن شيء؟ بل إن الذى تذبحه الأمم إنما تذبحه للشياطين لا لله. فلست أريد أن تكونوا أنتم شركاء الشياطين. إنكم لا تستطيعون أن تشربوا كأس الرب وكأس الشياطين. ولا تستطيعون أن تشتركوا فى مائدة الرب، ومائدة الشياطين» (١). وهذه مقارنة ومقابلة الرسول بين ذبيحة إسرائيل وذبيحة الوثنيين من جهة، وذبيحة المسيحيين من جهة أخرى.

والرسول نفسه يشير بصراحة فى موضع آخر إلى ذبيحة العهد الجديد التى تقدم على مذبح الكنيسة المسيحية بقوله «إن لنا مذبحاً لا يحق للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه» (٢). وبهذا فرق مرة أخرى بين مذبح الكنيسة المسيحية ومذبح الكنيسة اليهودية، مشيراً أيضاً إلى الذبيحة التى تؤكل من فوق المذبح المسيحى والتى لا يحق لليهود بصفتهم هذه أن يأكلوا منها، لأنهم لم يؤمنوا باسم المسيح.

ومخلصنا نفسه كشف عن هذا السر ليلة آلامه، وأبان أن فصح العهد الجديد ذبيحة حقيقية لأنه أعطى جسده لتلاميذه وقال: «خذوا كلوا فإن هذا هو جسدى الذى يقسم عنكم ويبذل من أجلكم لمغفرة الخطايا، هذا اصنعوه لذكرى». وأعطاهم الكأس قائلاً: «خذوا اشربوا منها كلكم، فإن هذا هو دمى للعهد الجديد الذى يهرق عنكم ومن أجل كثيرين لمغفرة الخطايا، هذا اصنعوه لذكرى» (٣).

وما من شك فى أنه إلى هذه الذبيحة المسيحية أشار النبى ملاخى متنبئاً عندما قال لليهود غاضباً «ليست لى مسرة بكم قال رب الجنود، ولا أقبل تقدمة من أيديكم. لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها إسمى عظيم بين الأمم، وفى كل مكان يقرب لإسمى بخور وتقدمة طاهرة، لأن إسمى عظيم بين الأمم» (٤).

* * *

---

(١) (كورنثوس الأولى ١٠: ١٨ - ٢١).
(٢) (العبرانيين ١٣: ١٠).
(٣) (متى ٢٦: ٢٦ - ٢٨)، (مرقس ١٤: ٢٢ - ٢٤)، (لوقا ٢٢: ١٩، ٢٠).
(٤) (ملاخى ١: ١١).

من صلوات القداس الإلهى:

وقد ورد هذا التعبير (الذبيحة غير الدموية) مراراً فى خدمة القداس الإلهى.

ففى صلاة الحجاب فى قداس القديس باسيليوس: «نسألك يا سيدنا أن لا تردنا إلى الوراء، عندما نضع أيدينا على هذه **الذبيحة المخوفة غير الدموية**. لأننا لا نتكل على برنا بل على رحمتك».

وفى صلاة الحجاب الثانية لقداس القديس كيرلس: «اطلع على سؤالاتنا، وأعطنا قوة لهذه الخدمة المخوفة التى للسر العظيم السمائى الذى **لهذه الذبيحة غير الدموية**، الناطقة..». وفى صلاة الصلح لذات القداس «ونقدم لك هذه **الذبيحة الطاهرة الناطقة الروحانية غير الدموية**».

وفى صلاة الحجاب الأولى لقداس القديس غريغوريوس «.. وإجعلنى مستحقاً أن أقف على مذبحك المقدس، بغير وقوع فى دينونة، وأقرب لك **هذه الذبيحة الناطقة غير الدموية** بسريرة نقية، صفحاً لخطاياى وسيئاتى وغفراناً لجهالات شعبك».

وفى قداس القديس يعقوب المستعمل فى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية يقول الكاهن بعد التقديس: «نقدم لك يارب **هذه الذبيحة الرهيبة وغير الدموية** لكى لا تصنع معنا حسب خطايانا».

وفى قداس الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية يقول الكاهن: «يا كلمة الآب الذى لا نهاية له، من قبل صلاحك الذى لا يحد صرت إنساناً وأظهرت ذاتك كرئيس كهنتنا، وكسيد الكل عهدت إلينا بكهنوت هذه الخدمة، **وهذه الذبيحة غير الدموية**، (١).

وفى قداس القديس يوحنا ذهبى الفم المستعمل فى الكنيستين اليونانية والروسية يقول الكاهن: «أنت الذى عهدت إلينا أن نحتفل بهذا الطقس **وبذبيحتك غير الدموية**... فامنحنى بقوة روحك القدوس وقد توشحت بنعمة الكهنوت، أن أقف أمام مائدتك المقدسة وأقدس جسدك المقدس الذى بلا عيب ودمك الثمين..».

من قرارات المجامع المسكونية:

وقد علّمت المجامع المسكونية بأن الأفخارستيا **ذبيحة حقيقية لكنها غير دموية.**

---

(١) انظر Divine Liturgy of the Armenian Apostolic Orthodox Church, New-York 1950 P . 55 b.

فالمجمع المسكونى الأول، مجمع نيقية الذى انعقد عام ٣٢٥م يقرر **هذه الحقيقة بقوله:** «لا ينبغى أن ننظر على المائدة المقدسة إلى الخبز والكأس كأنهما مقدمان على بسيط الحال، بل يجب أن نرفع الروح فوق الحواس، ونتفهم بالإيمان أن حمل الله الرافع خطية العالم (١) يستريح **ههنا مذبوحاً من الكهنة**، وأنهم يتناولون جسد الرب نفسه ودمه الكريم نفسه» (٢).

كما يقرر هذا المجمع المسكونى أيضاً أنه : «على المائدة المقدسة يوضع حمل الله الرافع خطايا العالم (٣)، ويذبح من خدام الله **ذبيحة غير دموية**» (٤).

والمجمع المسكونى الثالث (مجمع أفسس الأول) الذى انعقد عام ٤٣١م اعتمد وثبت رسالة البابا الأسكندرى كيرلس الأول التى يقول فيها: «إننا نتمم فى الكنائس **الذبيحة غير الدموية**. وهكذا نقترب من الأسرار المقدسة».

* * *

ومن أقوال الآباء:

ولآباء الكنيسة تصريحات كثيرة فى أن الأفخارستيا **ذبيحة حقيقية، وإن كانت غير دموية**، تمييزاً لها عن ذبيحة الصليب الدموية.

من ذلك ما قاله القديس أغناطيوس المتوشح بالله (ثيئوفوروس) المستشهد نحو عام ١١٠ تقريباً: «أن للرب يسوع المسيح جسداً واحداً، وهناك كذلك كأس واحد للإتحاد بدمه، ومذبح واحد (ἓν θυσιαστήριον)» (٥).

وقال القديس **يوستينوس** الشهيد (١١٠ ـ ١٦٥)م: «نقدم بإسمه **ذبيحة** قد أمر الرب يسوع أن تقدم، وذلك فى شكر الخبز والكأس ذبيحة مقدمة من المسيحيين فى كل مكان على الأرض، **ذبيحة** طاهرة ومرضية لله» (٦).

---

(١) يوحنا ١: ٢٩.

(٢) قارن «الأنوار فى الأسرار» لجراسيموس ـ مسرة (بيروت ١٨٨٨) صفحة ١٤٥.

(٣) نفس المرجع السابق صفحة ١٧٩.

(٤) مجموعة منى (Migne) للآباء الذين كتبوا باليونانية (Patr.Gr.) الجزء ٧٧. أعمال القديس كيرلس الأسكندرى الجزء العاشر عمود ١٠٥، أنظر كتابنا هذا صفحة ٢٧٠.

(٥) رسالة القديس أغناطيوس إلى أهل فيلاديلفيا فصل ٤.

(٦) خطاب إلى **تريفون** .TRYPHON فصل ١١٧.

ويقول القديس **إيريناوس** أسقف ليون (١٢٠/ ١٤٠ ـ ٢٠٢)م: «**إن المسيح علمنا ذبيحة جديدة للعهد الجديد**. فالكنيسة تسلمتها من الرسل، وتقدمها فى كل المسكونة بحسب نبوة أحد الأنبياء الإثنى عشر وهو ملاخى حيث يقول (لا إرادة لى بكم.. إلخ) (١). وينادى بأن الشعب الأول (أى اليهود) سيكف عن أن يقدم لله ذبائح وأنه فى كل مكان ستقدم **ذبيحة طاهرة** لإسمه الممجد فى الأمم» (٢).

ويقول القديس **هيبوليطوس** (١٧٠ ـ ٢٣٥)م «إننا بعد صعود المخلص نقدم بحسب وصيته **(ذبيحة) طاهرة وغير دموية**» (٣).

ويقول القديس **كبريانوس** (المتوفى ٢٥٨)م: «إن دم المسيح لا يقدم مالم يكن فى الكأس خمر، وتقديس **ذبيحة الرب** لا يتم قانونياً ما لم يكن **قرباننا وذبيحتنا** مطابقين لآلامه... لأنه إذا كان إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ـ وهو رئيس الكهنة العظيم لله الآب ـ قد قدم أولاً نفسه ذبيحة للآب، وأمرنا أن نصنع ذلك لذكره، فلا يتمم الكاهن على الحقيقة عمل المسيح ما لم يعمل كما عمل يسوع المسيح نفسه، أعنى أن يقدم فى الكنيسة للإله الآب، الذبيحة **الحقيقية بتمامها تابعاً** فى ذلك مثال المخلص نفسه» (٤).

ويقول القديس **كيرلس الأورشليمى** (٣١٥ ـ ٣٨٦م): «**ثم بعد أن تتمم الذبيحة الروحية والخدمة غير الدموية**، نتجه نحو **الذبيحة الاستغفارية**، مبتهلين إلى الله من أجل سلام الكنيسة عامة، ومن أجل طمأنينة العالم، من أجل الملوك والجند والحلفاء، ومن أجل المرضى والمتضايقين. وبالإجمال فإننا نتوسل ونقدم هذه **الذبيحة** من أجل جميع المحتاجين إلى معونة» (٥).

ويقول القديس **أوغسطينوس** (٣٥٤ ـ ٤٣٠م): «ألم يذبح المسيح دفعة واحدة؟ لكنه فى سر الشكر ليس فى جميع أعياد الفصح فقط بل كل يوم أيضاً **يذبح عن الشعب**. والذى يسأل فيجيب **بأن المسيح سيذبح**، لا يكذب البتة» (٦).

---

(١) ملاخى ١: ١٠.
(٢) إيريناوس «الرد على الهراطقة» ٤: ١٧: ٥.
(٣) هيبوليطوس: «فى المواهب، فصل ٢٦».
(٤) رسالة ٦٢ فقرة ٢، ١٤.
(٥) فى الأسرار ٥: ٨.
(٦) رسالة ٦٨: ٩. قارن الأنوار فى الأسرار صفحة ١٨٤ حاشية رقم ٤.

ويقول القديس البابا كيرلس الأسكندرى (٣٦٦ ـ ٤٤٤م): (١) فى رسالته الثالثة إلى نسطور والتى ثبتها واعتمدها المجمع المسكونى الثالث الذى انعقد بأفسس عام ٤٣١م:

«إننا إذ ننادى بأن ابن الله الوحيد، أعنى يسوع المسيح قد مات بالجسد، ونعترف بقيامته من بين الأموات وصعوده إلى السماوات، نتمم فى الكنائس **الذبيحة غير الدموية**. وهكذا نقترب من الأسرار المقدسة ونتقدس إذ نتناول من الجسد المقدس والدم الكريم» (٢).

ويقول القديس **غريغوريوس النيسى** (٣٣٥ ـ ٣٩٤م) «لأن المدبر كل شىء بحسب سلطانه السيدى لم ينتظر الاضطرار الناتج عن الخيانة ولا هجوم اليهود اللصى، ولا محاكمة بيلاطس الخارجة عن الشريعة كى لا يكون شر هؤلاء بدءا لخلاص الناس العام وعلة له، لكنه بتدبيره قد سبق هجومهم، وهو نفسه قدم ذاته بعمل التقديس الذى لا ينطق به وغير المنظور من البشر **قربانا وذبيحة عنا**، إذ هو كاهن معاً وحمل الله الرافع خطيئة العالم. وإن سألت متى كان هذا؟ فأجيبك: أنه كان عندما جعل جسده مأكلاً بصريح العبارة وأعطاه للأكل وصارت **ذبيحة الحمل** كاملة.. فلما منح تلاميذه أن يأكلوا جسده ويشربوا دمه ضحى جسده بوجه لا ينطق به وغير منظور، مدبراً هذا السر كما أرادت سلطته» (٣). وقال هذا القديس نفسه فى بيان أن ذبيحة الأفخارستيا هى بعينها ذبيحة الصليب «نحن لا نقدم ذبيحة أخرى بل نتمم تذكار **تلك الذبيحة الخلاصية**».

وقال القديس يوحنا **ذهبى الفم** (٣٤٧ ـ ٤٠٧م): «ألسنا نحن نقدم كل يوم قرابين؟ نعم نقدم، ولكنا نصنع تذكار موته. **وهذه الذبيحة التى نقدمها كل يوم هى** واحدة لا أكثر لأنه قدم مرة واحدة.. لأننا دائماً نقدم حملاً واحدا بعينه، ولا نقدم الآن خروفاً وغداً خروفاً آخر، بل الحمل نفسه دائماً. **فالذبيحة إذن هى واحدة**. أو هل المسحاء كثيرون، لأن الذبيحة تقدم فى محلات كثيرة؟ حاشا، لأن المسيح واحد فى كل مكان وهو هنا بكليته جسد واحد. **وكما أنه يقدم فى أماكن متعددة ولا يزال جسداً واحداً لا أجساد كثيرة هكذا الذبيحة هى أيضاً واحدة**» (٤).

---

(١) توفى فى ١٠ يوليو ٤٤٤م.

(٢) مجموعة منى (Migne) للآباء الذين كتبوا باليونانية (Patr. Gr.) الجزء ٧٧. (أعمال القديس كيرلس الأسكندرى) الجزء العاشر عمود ١٠٥ وما يليه.

(٣) على قيامة المسيح خطاب ١.

(٤) على العبرانيين مقالة ١٦: ٣، ومقال ٢٤: ٤ على رسالة كورنثوس الأولى ١٠: ١٣ ـ ١٧.

ويقول أيضاً فى بيان أن ذبيحة الأفخارستيا هى بعينها ذبيحة الصليب «إن رئيس كهنتنا العظيم قدم الذبيحة التى تطهرنا». ومن ذاك الوقت إلى الآن نقدم نحن أيضاً **هذه الذبيحة نفسها. وهذه الذبيحة غير الفانية وغير النافذة** هى نفسها ستتمم إلى إنقضاء الدهر حسب وصية المخلص (هذا اصنعوه لذكرى) (١).

ويقول فى هذا المعنى غير هؤلاء من آباء الكنيسة وعلمائها مما يطول شرحه، ولا يمكن حصره فى كتاب كهذا الكتاب، كتب من أجل إثبات القيم الروحية المنطوية فى عقيدة الكنيسة الأرثوذكسية فى سر المائدة الربانية.

* * *

وذلك كله معناه أن ذبيحة الأفخارستيا ليست ذبيحة أخرى غير ذبيحة الصليب عينها، التى قدمها رينا يسوع المسيح بموته على الصليب، وبها - أى الأفخارستيا - ينقل إلينا الروح القدس (٢) بركات الصليب الخلاصية. وكما أننا بالمعمودية ننال التبرير عن خطايانا الجدية والفعلية السابقة للمعمودية، وذلك بإستحقاقات موت فادينا على الصليب، كذلك ننال بسر القربان المقدس غفران خطايانا الفعلية، وذلك بإستحقاقات فادينا نفسها التى نبعت من صلبه وموته. ولذلك فإن كانت ذبيحة الصليب ضرورية لخلاصنا من خطايانا الموروثة والفعلية، فإن ذبيحة الأفخارستيا ضرورية لنيل الغفران عن خطايانا التى نخطأها فى كل يوم لأننا بدون المسيح لا يمكن أن نخلص (٣).

فبذبيحة الأفخارستيا إذن نغترف من جديد من نبع الخلاص الذى تفجر فى الصليب. وإذا كانت ذبيحة الصليب هى نبع الخلاص، فذبيحة الأفخارستيا هى القناة التى توصل إلينا ماء الحياة الذى يجرى إلينا من ذلك النبع الحى، والماء الذى فى القناة هو من نفس الماء الذى فى النبع، ولا فرق بينهما، وهما متصلان معاً فى طبيعتهما وفعاليتهما.

---

(١) على خيانة يهوذا مقالة ١: ٦.

(٢) هو يمجدنى لأنه يأخذ مما لى (يوحنا ١٦: ١٥).

(٣) وليس لأحد بغيره الخلاص» (أعمال ٤: ١٢).

ثالثاً : سر الشكر قربان أيضاً عن الراقدين

من نصوص الكتاب المقدس:

على أن سر الشكر قربان عن الأحياء وعن الأموات أيضاً، لأن الراقدين القديسين لا تخلو حياتهم على الأرض من دنس أو خطأ(١)، ولهذا تصلى الكنيسة من أجلهم وترفع ذبيحة الأفخارستيا إستغفاراً واستمطاراً لمراحم الرب عليهم عن خطاياهم، «إن كان قد لحقهم توان أو تفريط كبشر»، كما أمرت الكتب المقدسة(٢) وكما فعل القديس بولس الرسول عن أونيسيفوروس(٣)، وكما سارت الكنيسة ابتداء من عهد الرسل الأطهار(٤). لأنه كما غفرت بدم المسيح الذى سفك على الصليب خطايا جميع الناس السالفة (٥)، للأحياء والموتى وبإستحقاقات دم المسيح أطلق سراح المقبوض عليهم فى الجحيم (٦)، كذلك بإستحقاقات دم المسيح (٧) عينه فى ذبيحة الأفخارستيا تستشفع الكنيسة المجاهدة فى سؤالها من أجل الراقدين حتى يغفر الرب لهم خطاياهم غير المميتة (٨) التى سهوا بها (٩) أمامه (١٠).

---

(١) «من هو الإنسان حتى يزكو، أو مولود المرأة حتى يتبرر» (أيوب ١٥: ١٤)، «فإنه لا يتبرر قدامك أحد من الأحياء» (مزمور ١٤٢ (١٤٣): ٢)، كل ذى جسد لا يتبرر أمامه» (رومية ٣: ٢٠)، «لأنه ليس إنساناً لا يخطأ» (الملوك الأول ٨: ٤٦)، (أخبار الأيام الثانى ٦: ٣٦)، «ليس من صنع الصلاح ولا واحد» (مزمور ١٣ (١٤): ٣)، «من يقول أنى زكيت قلبى تطهرت من خطيئتى» (أمثال ٢٠: ٩)، «ليس من صديق على الأرض يصنع الخير بغير أن يخطأ» (الجامعة ٧: ٢٠). أنظر أيضاً (أيوب ٩: ٢)، (١٤: ٤)، (٢٥: ٤)، (مزمور ٥٠ (٥١): ٥)، (٥٧ (٥٨): ٣)، (١٢٩ (١٣٠): ٣)، (رومية ٣: ٢٣)، (٥: ١٢)، (كورنثوس الأولى ٤: ٤)، (غلاطية ٢: ١٦)، (٣: ١١)، (أفسس ٢: ٨، ٩)، (تيطس ٣: ٥)، (يوحنا الأولى ١: ٨، ١٠) وجاء فى أوشية الراقدين التى تصليها الكنيسة عنهم «فإنه لا أحد طاهر من دنس الخطيئة، ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض».

(٢) (يوحنا الأولى ٥: ١٦، ١٧). قارن (متى ١٢: ٣٢).

(٣) (تيموثيوس الثانية ١: ١٦). قارن (تيموثيوس الثانية ٤: ١٩).

(٤) كورنثوس الأولى ١٥: ٢٩.

(٥) رومية ٣: ٢٥.

(٦) (بطرس الأولى ٣: ١٩)، (أفسس ٤: ٨، ٩).

(٧) (أفسس ١: ٧).

(٨) «من الخطيئة ما هى للموت، ولست من أجل هذه آمر أن يطلب... ومن الخطيئة ما ليست للموت» (يوحنا الأولى ٥: ١٦، ١٧).

(٩) «السهوات من يشعر بها» (مزمور ١٨ (١٩): ١٢).

(١٠) من أوفى كتبنا الأرثوذكسية فى الصلاة عن الراقدين كتاب «القول اليقين فى الصلاة عن المنتقلين» للعلامة سمعان سليدس أستاذ اللاهوت الأسبق بالكلية الإكليريكية (نحو ٤٦٠ صفحة).

من صلوات القداس الإلهى:

يقول الكاهن فى صلاة الحجاب من قداس القديس اغريغوريوس: «.. نعم يارب لا تردنى ذليلاً مخزياً، بل أرسل علىّ نعمة روحك القدوس وإجعلنى مستحقاً أن أقف أمام مذبحك المقدس بغير وقوع فى دينونة، وأقرب لك الذبيحة الناطقة غير الدموية بسريرة نقية، صفحاً عن خطاياى وسيئاتى وغفراناً لجهالات شعبك، **راحة وبرودة لآبائنا واخوتنا الذين سبقوا فرقدوا فى الإيمان الأرثوذكسى**».

وقد جاء فى قداس القديس باسيليوس «لأن هذا يارب هو أمر ابنك الوحيد أن نشارك فى تذكار قديسيك، تفضل يارب أن تذكر جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء، أبائنا الأطهار: رؤساء الآباء، والأنبياء والرسل، والمبشرين، والانجيليين، والشهداء، والمعترفين، وكل أرواح الصديقين الذين كملوا فى الإيمان...

اذكر أيضاً يارب **كل الذين رقدوا واستراحوا** فى الكهنوت، والذين فى كل رتبة المؤمنين، تفضل يارب أرح نفوسهم أجمعين فى حضن آبائنا القديسين إبراهيم واسحق ويعقوب.. هؤلاء وجميع الذين ذكرنا أسماءهم والذين لم نذكرهم، والذين هم فى فكر كل واحد منا، والذين ليسوا فينا، **والذين رقدوا واستراحوا فى إيمان المسيح**.. أولئك الذين أخذت نفوسهم أرحهم فى فردوس النعيم، فى عالم الأحياء إلى الأبد، فى أورشليم السمائية».

وجاء أيضاً فى قداس يوحنا ذهبى الفم المستعمل فى الكنيستين اليونانية والروسية: «ونحن نقدم لك هذه الخدمة العقلية من أجل أولئك الذين رقدوا فى الإيمان، أسلافنا وآبائنا: البطاركة، والأنبياء والرسل والمبشرين، والإنجيليين والشهداء والمعترفين، والنساك، وكل أرواح الصديقين الذين كملوا فى الإيمان».

* * *

ومن أقوال الآباء:

يقول **العلامة ترتليانوس** (١٦٠ – ٢٤٥م): «إن الذبيحة غير الدموية تقدم عن الأحياء **والأموات**، كما يقول: «إننا نصنع تقدمات فى أيام معينة من السنة **عن الأموات**» (١).

---

(١) فى الإكليل فصل ٣، و «فى وحدة الزيجة» فصل ١٠.

ويقول القديس **كبريانوس** (المتوفى عام ٢٥٨م): «إنها تقدم عن الأموات» (١). ويقول أيضا: «**إننا نقدم دائماً الذبائح عنهم كلما احتفلنا التذكار الحولى لآلام الشهداء ويوم عيدهم**» (٢).

ويقول القديس **كيرلس الأورشليمى** (٣١٥ - ٣٨٦م): «ثم نذكر أيضاً، أولاً، **أولئك الذين رقدوا من قبلنا**، البطاركة والأنبياء والرسل والشهداء، حتى يقبل الرب إبتهالنا بصلواتهم ووساطتهم. **بعد ذلك نذكر الآباء القديسين والأساقفة الذين سبقوا فرقدوا من قبلنا، وبالإجمال نذكر جميع الذين رقدوا من بيننا فى السنوات الماضية، مؤمنين أنه سيكون ثمت نفع جزيل للأرواح التى نضرع عنها، فى وقت تقديم الذبيحة المقدسة والرهيبة جداً.. فمع أنهم خطاة لكننا نقدم المسيح مذبوحاً من أجل خطايانا، مستغفرين إلهنا الرحيم من أجلهم ومن أجل نفوسنا أيضاً**» (٣).

ويقول القديس كيرلس الأسكندرى المعروف بعمود الدين (المتوفى عام ٤٤٤م) : «يليق أن نصلى لأجل الموتى، وأن نقدم لأجلهم الذبيحة السرية لنجعل الله عطوفاً عليهم» (٤).

ويقول القديس **كيرلس الأسكندرى أيضاً** «ما الذى يناقض العقل فى كون المسيح الحاضر بجسده (على المذبح) **يقبل تضرعات لأجل الذين رقدوا فى الإيمان؟... إذن تقديم الذبائح لأجل الآخرين (الذين رقدوا) فعل لا يرذله الله بل يسوغ فعله بلا ريب ولا خطأ** (٥).

ويقول الكاهن **افسطاثيوس** القسطنطينى معقباً على أقوال القديس كيرلس الأسكندرى: «إن ذلك الأب الحكيم الصالح (أى القديس كيرلس) يبرهن بإسهاب على **فائدة الذبائح والصلوات والصدقات لأجل الموتى**، مستعيناً لذلك بالكتب المقدسة وبقوانين وعوائد الكنيسة الجامعة المقدسة» (٦).

ويقول القديس **يوحنا الذهبى فمه** (٣٤٧ - ٤٠٧م) فى مقالة له على رسالة كورنثوس الأولى يخاطب المرأة التى مات رجلها: «**وقد يحتاج (الميت) المساعدة على قدر ما يكون ممكناً لا بالدموع بل بالصلوات والتوسلات والصدقات وتقدمة القرابين**،

---

(١) رسالة ٦٥فقرة ٢.
(٢) رسالة ٣٣ فقرة ٣.
(٣) فى الأسرار فصل ٥ فقرة ١٠.
(٤) أنظر كيريليانا صفحة ١٢٣.
(٥،٦) أنظر كتاب كيريليانا صفحة ١٢٤.

لأنه لم يرتب هذا الترتيب على بسيط الحال **ولا باطلاً نذكر المتوفين على الأسرار الإلهية، إذ نقدمها لأجلهم مبتهلين إلى الحمل الموضوع الحامل خطيئة العالم، ليكون لهم من ذلك نفع ما. ولا عبثاً يصرخ الواقف على المذبح عند تتميم الأسرار الرهيبة من أجل جميع الذين رقدوا بالمسيح** والذين يصنعون التذكار من أجلهم. ولو لم يقم التذكار من أجلهم لما قيلت هذه الكلمات، لأن أعمالنا ليست هى ملاعب، معاذ الله، بل هى مقامة كلها لأن الروح أمر بها **فسبيلنا إذن أن نساعدهم ونكمل من أجلهم التذكارات... لماذا تشكين إذن فى أن يصير نفع ما للأموات مما يقدم عنهم،** لأن من عادته تعالى أن يهب لأناس لأجل آخرين.. **فلا نكل إذن عن مساعدتنا الراقدين وتقديمنا الصلوات من أجلهم**.. فلماذا إذن تحزنين، إذا كان يمكن أن يصير للمتوفى نفع بهذا المقدار؟» (١).

ويقول القديس نفسه فى موضع آخر: «**لم يشرع عبثاً من الرسل إقامة تذكار الراقدين حين تتميم الأسرار الرهيبة، لأن الرسل يعرفون أن للراقدين ربحاً عظيماً ونفعاً جزيلاً من ذلك**» (٢).

ويقول القديس **أوغسطينوس** (٣٥٤ - ٤٣٠م): «ينبغى أن لا نرتاب أبداً فى أن **صلوات الكنيسة، والذبيحة الإلهية، والصدقات تسعف المنتقلين الذين تقدم لأجلهم** لكى يكثر لهم الرب رحمته غير ناظر إلى ما استحقته خطاياهم. هذا ما سلمه إلينا الآباء وتحفظه الكنيسة» (٣).

---

(١) مقال ٤١: ٨ على رسالة كورنثوس الأولى ١٥: ٣٥ - ٤٦.

(٢) مقال ٣ على رسالة مار بولس إلى فيلبى.

(٣) خطاب ١٧٢: ٢، أنظر أيضاً رسالته عن الرعاية الواجبة نحو الموتى. فصل ٢٢.

رابعاً : سر القربان ذبيحة شكر لله

وسر التناول هو ذبيحة شكر دائمة تقدمها الكنيسة تمجيداً لله وإعترافاً بآلائه ونعمائه على الخليقة عموماً، وعلى الكنيسة خصوصاً. ولهذا فإن صلاة القداس تبدأ بالإشادة بأعمال الله فى الخلق منذ إبتداء الوجود، وتستعرض آيات محبة الله للعالم وعنايته بجبلته، وإفتقاده لها بالشريعة المقدسة وبالأنبياء، وأخيراً بظهوره فى الجسد، وبصلبه، وموته وقيامته وصعوده إلى السماوات، وبإرساله الروح المعزى ليرشد كنيسته ويلهمهما ويؤازرها دائماً وفى أثناء هذا الإستعراض الشامل لأعمال الله فى الوجود، وآيات محبته ورعايته، ومجالى عنايته التى ظهرت لا سيما فى سرى التجسد والفداء تتغنى الكنيسة فى خدمة القداس بصفات الله، وتستغرق فى حالة من الوجد الصوفى، معبرة فى قوة وعمق عن تعلقها بعريسها الإلهى وساكبة ذاتها فى شكر متصل وتمجيد دائم وتسبيح لا ينقطع...

من الكتاب المقدس:

لهذا فإن سر التناول يسمى أيضاً سر الشكر وذبيحة الشكر (= الأفخارستيا εὐχαριστία)، ولعله أيضاً سمى كذلك بالنسبة لما فعله مخلصنا عند تسليمه هذا السر ليلة آلامه «وأخذ يسوع خبزاً، **وشكر**.. وكذلك أخذ الكأس أيضاً من بعد العشاء، **وشكر**...» (١).

* * *

من صلوات القداس الإلهى:

وقد رتبت الكنيسة فى جميع القداسات أن يردد الشعب والشماس كلمة «آمين» بعد أن ينطق الكاهن بما فعله رب المجد ليلة آلامه قائلاً «وشكر». ومعنى هذا أن الشعب يؤمن مصادقاً على ما يرويه الكاهن عن مخلصنا كما أنه فى نفس الوقت يعبر عن شكره وامتنانه لمخلص الأنام على آلامه ونعمائه وخيراته التى لا تستقصى.

وفى مطلع القداس ينادى الكاهن الشعب قائلاً: فلنشكر الرب فيرد الشعب ويقول: «**مستحق وعادل**»، «**مستحق ومستوجب**» ويعيد الكاهن بعد ذلك ما يقوله الشعب ثلاث مرات. وبعد أن يفرغ الكاهن من إستعراض أعمال الله فى الخليقة الأولى وأعماله فى الخليقة الجديدة، ويتلوها بتقديس الخبز والخمر ليكونا طهراً وخلاصاً ونعمة وغفرانا للخطايا، يصرخ الشعب بتمجيد الله ويقول: «**نسبحك، ونباركك، ونشكرك يارب، ونتضرع إليك يا إلهنا**».

---

(١) (متى ٢٦ : ٢٧)، (مرقس ١٤ : ٢٣)، (لوقا ٢٢ : ١٩، ٢٠)، (كورنثوس الأولى ١١ : ٢٤، ٢٥).

ومن أقوال الآباء:

وفى كتابات آباء الكنيسة إشارات واضحة إلى الدور البارز «للشكر» فى العبادة الجمهورية وفى سر القربان المسمى أيضاً سر الشكر أو «الأفخارستيا εὐχαριστία».

من ذلك ما يقوله القديس يوستينوس الشهيد فى دفاعه الشهير الذى كتبه فى سنة ١٥٠م يروى ترتيب صلوات القداس:

«وبعد أن نفرغ من الصلوات نقبل بعضنا بعضاً. ثم يؤتى إلى رئيس الإخوة(١) بخبز وكأس خمر ممزوجاً بالماء(٢). فيأخذهما ويرفع **الشكر** والتمجيد (لله) الآب، (آب) الكون باسم الابن والروح القدس، ويقدم شكراً وافراً، لأننا صرنا مستحقين أن ننال هذه الأشياء منه. فإذا فرغ من الصلوات والشكر يؤمن جميع الشعب الحاضرين قائلين: آمين...» (٣).

---

(١) وهو الكاهن (القسيس) أو رئيس الكهنة (الأسقف). (٢) أنظر حاشية رقم ٢٨ صفحة ١٣ ـ ١٥.
(٣) الدفاع ١ فصل ٦٥. (٤)، (٥) (لوقا ٢٢: ١٩)، (كورنثوس الأولى ١١: ٢٤، ٢٥).

خامساً: سر القربان ذكرى عينية بالرب إلى مجيئه الثانى.

لما كانت ذبيحة الأفخارستيا هى بعينها ذبيحة الصليب، فهى إذن ذكرى قائمة لها، وتذكار متصل لكل ما احتمله مخلصنا عنا من صلب وألم وعذاب فى سبيل فدائنا وخلاصنا، وقد تحقق هذا الخلاص. ونحن فى ذبيحة الأفخارستيا نغترف من نبع الخلاص الذى تفجر من ذبيحة الصليب، إذ أن سيدنا قوى على الموت، وقام من بين الأموات. ولولا القيامة لما كان للصليب قوة وبالتالى لما كان للأفخارستيا معنى. **لهذا فإننا إذ نصنع الأفخارستيا نصنع ذكرى صلب مخلصنا وموته وقيامته إلى أن يجىء فى مجيئه الثانى للدينونة والجزاء.** ولهذا إشتملت جميع القداسات على صلوات تتضمن الإشادة بموت المسيح مخلصنا وقيامته وما استتبع الموت والقيامة من أعمال خلاصية.

الذكرى عينية:

وهذا هو ما قاله فادينا ليلة آلامه التى صنع فيها سر القربان وأسسه «هذا اصنعوه لذكرى» (١).

والذكرى هنا ليست صورية: لأن الأفخارستيا ليست صورة منظورة لذبيحة الصليب، ولا هى ذكرى أثرية لأنها ليست شيئاً باقياً من مخلفات حادثة الصلب، ولا هى ذكرى خبرية لأنها ليست خبراً ولا رواية. ولكنها شىء يصنع **«هذا اصنعوه»** (٢) فيكون بعد أن يصنع تذكاراً لذبيحة الصليب. وإذن فذبيحة الأفخارستيا «ذكرى عينية» لذبيحة الصليب.

من الكتاب المقدس:

وذبيحة الأفخارستيا مثلها مثل قسط المن الذى كان أمر الله بأن يحفظ فى قدس الأقداس، وهو من ذات المن الذى كان يأكله بنو إسرائيل فى البرية: «خذ قسطاً واحدا واجعل فيه ملء العمر منّاً، وضعه أمام الرب للحفظ فى أجيالكم. فوضعه هرون أمام الشهادة للحفظ كما أمر الرب موسى» (٣). وسيدنا نفسه بيّن هذه العلاقة بين المَن الذى أكل منه بنو إسرائيل، والخبز السمائى الذى وعد أن يعطيه للمؤمنين فى العهد الجديد، وهو جسده المقدس ودمه الكريم، وإن كان قد أبان فى نفس الوقت أن الخبز الحى الذى سيعطيه هو أعظم من المن الذى أكل منه

---

(١)، (٢) (لوقا ٢٢: ١٩)، (كورنثوس الأولى ١١: ٢٤، ٢٥).

(٣) (سفر الخروج ١٦: ٣٣، ٣٤). وقد ردد القديس بولس فى رسالته إلى العبرانيين هذه الواقعة «وتابوت العهد المغشى بالذهب من كل جهة، فيه قسط من ذهب فيه المن» (العبرانيين ٩: ٤).

بنو إسرائيل، لأن الذين أكلوا المن ماتوا، أما من يأكل من خبز الحياة الذى يعطيه رب المجد فيحيا إلى الأبد «آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا... أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء. من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذى سأعطيه أنا هو جسدى الذى سأبذله عن حياة العالم... من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير لأن جسدى هو مأكل حقيقى، ودمى هو مشرب حقيقى.. هذا هو الخبز الذى نزل من السماء، ليس كالمن الذى أكله آباؤكم وماتوا. من يأكل هذا الخبز، يحيا إلى الأبد» (١).

وقد بر مخلصنا فى ليلة آلامه (٢) بما وعد به فى الأصحاح السادس من إنجيل القديس يوحنا فقد أعطى لتلاميذه من جسده ودمه وأمرهم أن يصنعوا هم ما صنعه هو، وفى هذه الصناعة المقدسة التى يصنعون بها الأفخارستيا، يصنعون ذكرى آلامه وموته وقيامته. وقد ردد الرسول فيما بعد ما قاله سيده مذكراً أهل كورنثوس بأنه تسلم من الرب ما سلمهم «.. **فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز، وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجىء**» (٣).

لقد كان ذبح خروف الفصح فى العهد القديم ذكرى (٤) لخلاص بنى إسرائيل من ضربة الملاك المهلك الذى رأى الدم على أبواب بيوت العبرانيين، فعبر عنهم (٥). وخروف الفصح نفسه كان رمزاً وإشارة إلى وسيط العهد الجديد فادى نفوسنا يسوع المسيح الذى سفك دمه الطاهر عنا، وبذل جسده عن حياة العالم(٦). وكما صار الأمر إلى بنى إسرائيل أن يصنعوا خروف الفصح تذكاراً لذلك الخلاص الذى تم مرة، صار كذلك الأمر إلى كنيسة المسيح من قبل الرب نفسه أن يصنعوا سر التناول، فصح العهد الجديد، تذكاراً دائماً لموت الفادى الوحيد وخلاصه العجيب، إلى أن يجىء.

* * *

---

(١) يوحنا ٦: ٤٩ ـ ٥٨.

(٢) وهذا هو السبب فى أن القديس يوحنا الرسول لم يورد فى إنجيله حديث رب المجد عندما سلم تلاميذه سر الشكر، مكتفياً بما أورده هو فى الأصحاح السادس من إنجيله، وإن كان مجرد وعد بما حققه الرب فعلاً ليلة آلامه.

(٣) كورنثوس الأولى ١١: ٢٦.

(٤) «وكلم الرب موسى وهارون.. كلما كل جماعة إسرائيل.. ويكون هذا اليوم لكم ذكرى فتعيدون عيداً للرب» (الخروج ١٢: ١، ٣، ١٤).

(٥) الخروج ١٢: ١٣، ٢٣، ٢٧.

(٦) يوحنا ٦: ٥١.

من صلوات القداس الإلهى:

وقد رتبت الكنيسة فى جميع قداساتها أنه بعد أن يتلو الكاهن كلمات المخلص فى تقديس الخبز والخمر وقوله «لأن كل مرة تأكلون من هذا الخبز، وتشربون من هذه الكأس، تبشرون بموتى وتعترفون بقيامتى، وتذكروننى إلى أن أجىء» يرتل الشعب مجيباً «آمين، آمين، آمين، بموتك يارب نبشر، وبقيامتك المقدسة وصعودك إلى السموات نعترف».

ويعود الكاهن فيقول «ففيما نحن نصنع ذكرى آلامه المقدسة، وقيامته من بين الأموات، وصعوده إلى السماوات، وجلوسه عن يمينك أيها الآب، وظهوره الثانى الآتى من السماوات، المخوف المملوء مجداً، نقرب لك قرابينك من الذى لك...».

وإذن فمع أن ذبيحة الأفخارستيا ذبيحة حقيقية كاملة (١)، وهى بعينها ذبيحة الصليب (٢) لكنها من حيث هى جديدة فى كل يوم، وتفيض منها دائماً بركات الخلاص التى تفجرت من ذبيحة الصليب (٣)، التى تمت مرة واحدة على الصليب، فهى من هذه الوجهة تذكار عينى لذبيحة الصليب.

* * *

ومن أقوال الآباء:

قال القديس **أمبروسيوس** (٣٤٠ – ٣٩٧م) «كلما تناولنا القرابين المقدسة التى تتحول سرياً بالطلبة المقدسة إلى جسد المسيح ودمه **نخبر بموت الرب**» (٤).

---

(١) صفحة ٢٦٤– ٢٦٧ .

(٢) صفحة ٢٦٤ – ٢٦٥ .

(٣) صفحة ٢٧١ .

(٤) (فى الايمان ٤ : ١٠ ـ ١٢٤) الأنوار فى الأسرار صفحة ١٤٩ .

وقال القديس **أوغسطينوس**: «هذه التى نسميها جسد المسيح ودمه هى جوهر مأخوذ من أثمار الأرض، ولكنها إذ تقدست بصلوات التقديس، فهى تناول لنا لخلاص نفوسنا، **ولتذكار آلام المخلص وموته الذى إحتمله من أجلنا**» (١).

وقال القديس **غريغوريوس النيسى** (٣٣٥ - ٣٩٤م): «إننا لا نقدم ذبيحة أخرى، بل نتمم **تذكار** تلك الذبيحة الواحدة الخلاصية».

وقال القديس **يوحنا الذهبى فمه** (٣٤٧ - ٤٠٧م): «إن رئيس كهنتنا العظيم قدم الذبيحة التى تطهرنا. ومن ذاك الوقت إلى الآن نقدم نحن أيضاً **هذه الذبيحة نفسها**. وهذه الذبيحة غير الفانية وغير النافذة هى نفسها ستتم إلى إنقضاء الدهر حسب وصية المخلص «**هذا اصنعوه لذكرى**» ... فبعملنا إذن تذكار تلك الذبيحة على الصليب **نتمم الذبيحة التى تممها رئيس الكهنة العظيم نفسها**» (٢).

ويقول **الأنبا ساويرس** أسقف الأشمونين المعروف بإبن المقفع من رجال القرن العاشر.

«قال المسيح: كل مرة تأكلون من هذا الخبز، وتشربون من هذه الكأس تذكرونني وتنادون بموتى. لأن بموته عتقنا من عبودية إبليس، وجعل لنا جسده ودمه نقربه فى كل يوم عن خطايانا، حتى إذا رأيناه وهو ملفوف من أجلنا بالخرق ومطروح فى الصينية نذكر أنه كذا كان من أجلنا، ملفوفا بالأكفان مطروحاً فى القبر وإذا رأينا دمه مهراقاً فى الكأس، نذكر أنه هكذا كان إهراقه من أجلنا لما طعن فى جنبه، ونشكره، ونعترف له على ما صنع معنا ونجاهد على العمل بمرضاته» (٣).

كما يقول فى موضع آخر من مقالة له فى «إيضاح تأنس ابن الله وصلبه»: «لأنهما (جسد المسيح ودمه) سر موته. وهو ميت عنا، ملفوفاً بالخرق فى الصينية كما كان ملفوفاً فى القبر بالأكفان. ودمه مهرق فى الكأس كما أهرق فى الجلجثة لما طعن» (٤).

---

(١) فى الثالوث، كتاب ٣ ، فصل ٤ ، فقرة ١٠ . (٢) (على العبرانيين مقالة ٢٢ : ٣). الأنوار صفحة ١٨٤ .

(٣) «الدر الثمين فى إيضاح الدين» لساويرس ابن المقفع القاهرة ١٩٢٥ صفحة ١٣٩، ١٤٠ .

(٤) نفس المرجع. المقالة الثانية صفحة ٨٠.

سادساً: سر القربان غذاء للنفس وقوت للروح

من الكتاب المقدس:

وكما أن الجسد فى حاجة دائماً إلى الطعام يغذيه ويقويه هكذا الروح أو النفس الناطقة هى أيضاً فى حاجة إلى طعام آخر(١)، طعام روحانى يناسب طبيعتها الروحانية غير المادية. هذا الطعام الروحانى هو الوسائط التقوية جميعها وعلى رأسها سر التناول المقدس فهو على حد تعبير الكنيسة فى القداس «السر العظيم الذى للتقوى» (٢). فالروح تغتذى بالصلوات والتأملات، والقراءة فى الكتب المقدسة والوعظ وسماع سير القديسين الشهية، ولكن الرب من فرط حبه للذين إفتداهم بدمه الكريم شاء حناناً ولطفاً أن لا يكتفى بتلك الوسائط، فأضاف إليها أعظم الوسائط طراً وأفعلها فى الروح، وأعظمها دلالة على عمق حبه وشدته، وهى سر التناول الذى فيه نغتذى بجسد الرب ودمه هو نفسه، وبه نحيا إلى الأبد.

فيا لعناية الرب بخليقته الجديدة. إنه يدبر لها قوتاً روحياً يغذيها ويبنيها، ويكفل لها النمو والقوة والإزدهار والبلوغ إلى الكمال.

عندما أقام السيد المسيح ابنة يايرس رئيس مجمع اليهود، من الموت، لم يشأ أن يتركها منهكة ضعيفة «فأمر بأن تعطى (طعاماً) لتأكل» (٣).

وهكذا أمر الرب بالنسبة للمؤمنين الذين دفنوا معه فى المعمودية (٤)، وقاموا معه من بين الأموات (٥) بمجد الآب ليسلكوا فى جدة الحياة (٦)، **أن يأكلوا طعاماً جديداً** مجيداً يناسب الخليقة الجديدة (٧)، وهو سر التناول الذى رسمه طعاماً وغذاء روحانياً لمن يسلكون بالروح.

قال مخلصنا «أنا هو خبز الحياة. آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا. هذا هو الخبز النازل من السماء لكى لا يموت **كل من يأكل منه**، أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء. **إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد**. والخبز الذى أنا سأعطيه هو جسدى الذى سأبذله عن

---

(١) (يوحنا ٤: ٣٢).

(٢) العبارة التى يفتتح بها الكاهن صلوات التقديس على الخبز والخمر فى قداس القديس باسيليوس.

(٣) (لوقا ٨: ٥٥)، (مرقس ٥: ٤٣).

(٤) (رومية ٦: ٤)، (كولوسى ٢: ١٢).

(٥) (رومية ٦: ٤)، (٨: ١١)، (كورنثوس الأولى ٦: ١٤)، (كورنثوس الثانية ١٣: ٤)، (أفسس ٢: ٦)، (كولوسى ٢: ١٢)، (٣: ١).

(٦) (رومية ٦: ٤)، (أفسس ٤: ٢٤)، (كولوسى ٣: ١٠).

(٧) (غلاطية ٦: ١٥).

حياة العالم. فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين: كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكله. فقال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم: **إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فلا حياة لكم فى أنفسكم**.. كما أرسلنى الآب الحى، وأنا أيضاً أحيا بالآب، فمن يأكلنى يحيا هو أيضاً بى. هذا هو الخبز الذى نزل من السماء، ليس كالمن الذى أكله آباؤكم وماتوا. **من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد،** (١).

وليس أقوى من هذه العبارات القدسية دلالة على أن الرب جعل جسده ودمه طعاماً روحانياً تغتذى به نفوس المؤمنين وأرواحهم وبه يحيون (٢) لأنه جسد حى بنفسه الناطقة وبلاهوته المحيى.

ولعله إلى هذا الغذاء العجيب، الذى يسمو سرّه على جميع الأسرار وإعجازه على كل المعجزات، يشير النبى فى المزمور «جعل لمعجزاته ذكرا. الرب حنان ورحيم. أعطى الذين يتقونه غذاء. ذكر ميثاقه إلى الأبد» (٣). فليست ثمت معجزة أعظم من تحويل الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه وليس ثمت غذاء أجدر بالذكر من هذا الغذاء السماوى الذى يمنحه الرب لأتقيائه حناناً منه ورحمة، وهو فى ذات الوقت عهد وميثاق الرب إلى الأبد.

* * *

ومن أقوال الآباء:

قال القديس الفيلسوف **يوستينوس** الشهيد: «هكذا تعلمنا أن الغذاء الذى يتقدس بألفاظ الصلوات التى نطق بها هو (أى يسوع المسيح مخلصنا)، وبه يتغذى لحمنا ودمنا بواسطة الإستحالة (٤) هو لحم ودم يسوع ذاك المتجسد» (٥).

---

(١) (يوحنا ٦: ٤٨ ـ ٥٩).

(٢) ومن العبارات الواردة فى القداس والمقتبسة من كلمات المسيح إلهنا عن سر التناول، ما جاء فى لحن التوزيع فى نهاية القداس «**خبز الحياة الذى نزل إلينا من السماء، ووهب الحياة للعالم**».

Πιωικ ντε πωνϩ ετασιεπεcht nan ebolϩen tφe aqϯ ⲙⲡⲓⲱⲛϩ ⲙⲡⲓκοcμοc.

(٣) (مزمور ١١٠ (١١١) : ٤).

(٤) يلاحظ أن تعبير «الإستحالة» فى كتاب لأحد قديسى الكنيسة كتبه فى سنة ١٥٠م أى بعد وفاة القديس يوحنا الرسول بخمسين سنة. يدل على أن عقيدة «الإستحالة» عقيدة قديمة جداً وهى عقيدة الكنيسة فى العصر الرسولى الأول.

(٥) الدفاع الأول ليوستينوس : فصل ٦٦.

وقال العلامة ترتوليانوس: «إننا نغتذى بجسد المسيح ودمه» (١)

وقال القديس **يوحنا الذهبى فمه**:

«إن الذى لا تنظر إليه الملائكة إلا بالخوف والرعدة من أجل البهاء الصادر من إقنومه **يغذينا بجوهره**.. من يتكلم بعظائم الرب ويجعل تسابيحه مسموعة؟! **أى راع يغذى خرافه بأعضائه** ؟! ومالى أذكر الراعى؟ كثيراً ما دفعت أمهات أولادهن بعد أوجاعهن إلى مرضعات أخَر. وهو لم يطق أن يفعل ذلك. بل شاء هو نفسه أن يغذينا بدمه..» (٢).

* * *

خبز الحياة، والخبز السماوى:

فسر التناول غذاء روحانى، وخبز الحياة، وقد وصفته الكنيسة فى طقوس القداس وصلواته بأنه «الخبز الحقيقى الذى نزل من السماء مانح الحياة لمن يتناول منه» (٣) تمييزاً له عن الخبز المادى الزائل، وأنه «الخبز السماوى» (٤) والطعام غير المائت السماوى (٥).

شجرة الحياة:

ومن ثم فهو شجرة الحياة (٦) يأكل منها المؤمن فيحيا إلى الأبد ولقد منع عنها آدم الأول عندما سقط لئلا «يأكل منها فيحيا إلى الأبد» (٧).

أما الذين جحدوا الشيطان وتبرروا فى دم المسيح، فصار «لهم سلطان على شجرة الحياة» (٨)، وأن «يأكلوا من شجرة الحياة» (٩).

---

(١) «فى قيامة الأجساد» فصل ٨.

(٢) عظة ٨٣: ٥ على إنجيل متى. ثم عظة ٢٤ على رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى كورنثوس.

(٣) من صلاة الكاهن قبل التناول.

(٤) جاء فى صلاة القسمة من قداس القديس اغريغوريوس التى يتلوها الكاهن وهو يقسم القربان الطاهر «يا من بواسطة تجسدك الذى لا يمكن ادراكه، أعددت لنا خبزاً سماوياً هو هذا: جسدك الطاهر، الذى هو سرى وطاهر فى كل شىء».

(٥) من صلاة الشكر بعد التناول للقداس المرقسى الكيرلسى.

(٦) (التكوين ٢: ٩). قارن (أمثال ٣: ١٨)، (١١: ٣٠)، (١٣: ١٢)، (١٥: ٤)، (الرؤيا ٢٢: ٢)، (٢: ٧).

(٧) التكوين ٣: ٢٢). (٨) (الرؤيا ٢٢: ١٤). (٩) (الرؤيا ٢: ٧).

جاء فى صلوات القداس قول الكاهن. وهو يقسم القربان الطاهر «أتيت يا سيدنا وأنقذتنا بمعرفة صليبك الحقيقية. وأنعمت علينا بشجرة الحياة التى هى جسدك الإلهى ودمك الحقيقى» (١).

ويقول الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين الشهير بابن المقفع «وفى الكنيسة شجرة الحياة الحقيقية أى جسد المسيح ودمه اللذان قال المسيح عنهما أن من يأكل جسدى ويشرب من دمى يعيش إلى الأبد» (٢).

المن العقلى:

بل سر التناول هو المن العقلى (٣). ⲡⲓⲙⲁⲛⲛⲁ ⲛⲛⲟⲏⲧⲟⲛ تمييزاً له عن المن الأرضى الذى أكله الإسرائيليون وماتوا (٤). أما المن العقلى فهو النازل من السماء الذى من يأكل منه يحيا إلى الأبد (٥). لعل إهتمام الشريعة بأن يحفظ بنو إسرائيل قسطاً من المن (٦). فى تابوت العهد، ليس فقط لمجرد الذكرى بالنسبة لما حدث لهم فى الماضى، وإنما ليكون رمزاً وإشارة إلى المن العقلى والسماوى الذى تحيا به وعليه نفوس المؤمنين وأرواحهم مدة غربتهم فى برية هذا العالم إلى أن يعودوا إلى وطنهم الحقيقى الذى ينتظرونه (٧). ولذلك فإن الرسول القديس بولس لم ينس أن يردد فى العهد الجديد الكلام عن قسط المن (٨)، وهو يتكلم عن كهنوت المسيح وسموه عن الكهنوت اللاوى.

* * *

المن المخفى:

ولعله أيضاً هو «المن المخفَى» (أو الخفى) الذى جعله الرب من نصيب الغالبين المنتصرين «من يغلب فسأعطيه أن يأكل من المن المخفَى»(٩). ولا شك أن سر التناول هو «من مخفى» لأنه مستور عن الحواس الظاهرة يتناوله المؤمنون تحت أعراض الخبز والخمر.

---

(١) صلاة قسمة سبت الفرح المسمى بسبت النور.

(٢) الدر الثمين فى إيضاح الدين، طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥، المقالة الثالثة صفحة ١٢٠.

(٣) من لحن التوزيع فى أثناء التناول. قارن (بطرس الأولى ٢: ٢).

(٤) (يوحنا ٦: ٤٩، ٥٨، ٣١).

(٥) (يوحنا ٦: ٥٠، ٥١، ٥٨).

(٦) (الخروج ١٦: ٣٣، ٣٤).

(٧) (العبرانيين ١١: ١٤)، (كورنثوس الثانية ٥: ٦ ـ ٨).

(٨) (العبرانيين ٩: ٤).

(٩) (الرؤيا ٢: ١٧).

جاء فى صلاة الحجاب للقداس المرقسى (أو الكيرلسى) قول الكاهن «... عندما أتقدم إلى قدس أقداسك، وألمس **هذا السر المخفى المقدس.»**

كما جاء فى صلاة الشكر التى يقولها الكاهن بعد التناول: «.. أنعمت علينا بالحرية، وأعطيتنا من هذا الطعام غير المائت والسماوى وأظهرت لنا كل هذا السر، **هذا المخفى** منذ الدهور والأجيال» (القداس المرقسى الكيرلسى).

ويقول ابن كاتب قيصر فى تفسيره لهذا النص من سفر الرؤيا: «يريد بالمن المخفى جسد سيدنا المسيح متحداً بلاهوته الذى يتناوله المؤمنون. والدليل على أن مراده ذلك قول هذا الرسول يوحنا فى الفصل السادس من إنجيله «أنا هو الخبز النازل من السماء ليس كالمن الذى أكله آباؤكم فى البرية وماتوا» (١) فقوله «ليس كالمن» مشعر بأنه سماه مناً. ولكن لا كالمن المأكول فى البرية فجهة المشابهة لهم فى إسم المن. ووجهة الفرق بينهما أن ذلك منّ ظاهر، باللفظ والمعنى، وقد مات آكلوه، وهذا منّ مخفى يفوز من يستحق أكله وآكله، بحلول الابن فيه فى الدنيا، مع خلوده فى الحياة الأبدية، بدليل قوله: من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد (٢) فقد ظهر أنه سماه على الترادف بالمن المخفى، وبالخبز النازل من السماء، وبخبز الحياة، كل ذلك باللغة الروحانية» (٣).

وفى هذا النص من سفر الرؤيا عن المن المخفى ما يطمئننا على أن الإغتذاء بجسد المسيح، خبز الحياة، والمن العقلى، وشجرة الحياة، وسوف لا يقتصر على الحياة الحاضرة، ولكنه سيصير أيضاً هو الغذاء الوحيد الذى سيحيا به وعليه المؤمنون فى الدهر الآتى فتكون لهم به الحياة الأبدية (٤).

خبزنا للآتى:

وهو كذلك «خبزنا للآتى» (٥)، أو «خبزنا للغد» (٥). الذى نسأل فى الصلاة الربانية أن نعطى

---

(١) (يوحنا ٦: ٤٩، ٥٠، ٥٨)

(٢) (يوحنا ٦: ٥١، ٥٨).

(٣) تفسير رؤيا القديس يوحنا اللاهوتى لابن كاتب قيصر طبعة القاهرة ١٩٣٩ صفحة ٤٦.

(٤) أنظر (الرؤيا ٢: ٧).

(٥) هكذا ترجم علماء مدرسة الأسكندرية اللاهوتية العبارة اليونانية الواردة بالصلاة الربانية كما جاءت فى (متى ٦: ١١)، (لوقا ١١: ٣) ونصها:

τὸν ἄρτον ἡμῶν τὸν ἐπιούσιον

منه اليوم أى فى الدهر الحاضر، فهو الخبز الحى السماوى الذى نتزود به للدهر الآتى.

من أقوال الآباء:

يقول القديس كيرلس الأورشليمى فى تفسيره للطِّلبة الخاصة بالخبز فى الصلاة الربية: «إن الخبز العادى ليس هو الخبز فوق المادى» (١) ولكن هذا الخبز المقدس (القربان) ἄρτος δὲ οὗτος ὁ ἅγιος هو الخبز فوق المادى أعنى المعين لجوهر النفس ἐπὶ τὴν οὐσίαν τῆς ψυχῆς . فإن هذا الخبز لا يمضى إلى الجوف، ولا يندفع

– فقد نقلوها باللسان القبطى فى (متى ٦: ١١) ⲡⲉⲛⲱⲓⲕ ⲛ̀ⲧⲉ ⲣⲁⲥⲧ «خبزنا للغد»، وذلك فى اللهجتين البحيرية والفيومية، أما فى الصعيدية فقد ورد ⲡⲉⲛⲟⲉⲓⲕ ⲉⲧⲛⲏⲩ «خبزنا الآتى». وكذلك نقلوا النص الوارد فى (لوقا ١١: ٣) ⲡⲉⲛⲱⲓⲕ ⲉⲑⲛⲏⲟⲩ «خبزنا الآتى».

يدل على أنه حتى لو كان لهذه الكلمة باللغة اليونانية أكثر من معنى كما هو الحال بالنسبة لأى كلمة أخرى، لكن المعنى الوحيد الذى أستخدمت به فى العهد الجديد، فى الصلاة الربانية، هو خبزنا للغد أى للآتى:

والمقصود «بالغد» طبعاً ليس اليوم التالى مباشرة بل «الدهر الآتى» أى الحياة الأخرى، بمعنى أن الخبز الذى نطلبه هو الخبز الحى والسماوى، الذى هو زادنا للحياة الأخرى وللدهر الآتى.

ولا يغيب عن الذهن أن علماء مدرسة الأسكندرية اللاهوتية الذين ترجموا العهد الجديد من لغة اليونان إلى لغة القبط فى القرنين الثانى والثالث للميلاد - وهى تعد لذلك أول ترجمة فى القرون الأولى المسيحية - كانوا يجيدون اللغتين اليونانية والقبطية إجادة تامة، كلاماً وكتابة فقد كان شعب مصر بصفة عامة، والأسكندرية بصفة خاصة، ولا سيما العلماء ممن يصدق عليهم أنهم «ذوو لغتين» أو «ناطقون بلغتين» (bilinguals). ولذلك فإن الترجمة القبطية تعد - ولا سيما اليوم عند الباحثين فى «نقد النصوص» (Biblical Criticsm) أهم وأدق ترجمة للكتاب المقدس ويضعها بعض علماء الغرب فى نفس درجة الأهمية للنص اليونانى الحاضر، على أساس أن كليهما - النص اليونانى والنص القبطى - أخذا عن نص يونانى أقدم عهداً. (انظر مقالاً للمؤلف فى الموضوع نشر بمجلة مدارس الأحد، السنة العاشرة، العدد السابع (سبتمبر ١٩٥٦ - توت ١٦٧٣) صفحة ٣٣).

ومما هو جدير بالذكر أن القاموس اليونانى للعهد الجديد المطبوع بأوكسفورد Oxford سنة ١٩٥٣ لواضعه A.SOUTER يعطى فى صفحة ٩٣ المعنى المقابل لكلمة ἐπιούσιος اليونانية وهو معنى واحد، «الخبز» المختص بالغد.

(belonging to the morrow) مما يدل على أنه حتى لو كان لهذه الكلمة باللغة اليونانية أكثر من معنى كما هو الحال بالنسبة لأى كلمة أخرى، لكن المعنى الوحيد الذى أستخدمت به فى العهد الجديد، فى الصلاة الربانية، هو خبزنا للغد أى للآتى:

وللمرحوم الأستاذ يسى عبد المسيح أمين المتحف القبطى والأستاذ بالكلية الإكليركية سابقاً - بحث قيم نشرته مجلة مدارس الأحد فى السنة الخامسة، العدد ٦ (يوليو ١٩٥١) صفحة ٢٣ - ٣٥.

(١) ترجمت فى الإنجليزية Super-Substantial Bread وبالعربية «الخبز الذى فوق المادة»، «فوق الجوهر»، «الخبز الفائق»، «الخبز الأعلى»، «الخبز الخالى من المادة»، «الخبز الذى بلا مادة»، وفى اللاتينية Su-persubstantialem «الخبز الذى يفوق الجوهر» وهو التعبير الوارد فى الترجمة اللاتينية المعروفة بالفولجاتا.

إلى المخرج (١)، **لكنه ينتشر فيك كذلك لفائدة الجسم والنفس،** (٢).

ويقول القديس قبريانوس الإفريقى اسقف قرطاجنة فى تفسير الخبز الوارد فى الصلاة الربانية:

«فخبز الحياة هو المسيح. وهذا الخبز ليس لأى كان، إنما هو لنا، هو خبزنا. وكما ندعو الله أبانا لأنه أبو المؤمنين، **فهكذا ندعو المسيح خبزنا لأنه خبز من يتحدون بجسده**».

«نطلب الحصول على هذا الخبز كل يوم. ولكن يجب علينا نحن الذين نقبل الخبز المقدس يومياً، غذاءً خلاصياً، ألا ننفصل عن المسيح بذنب كبير يحرمنا من أن نكون مع الآخرين ومن أن يكون لنا نصيب فى هذا الخبز السماوى: «أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى أنا سأعطيه هو جسدى الذى سأبذله عن حياة العالم(٣). ففى تصريحه بأن من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، دليل على دوام الحياة **لمن يتحد بجسده ويتناول القربان المقدس**، تناولاً لائقاً (٤).

---

(١) (متى ١٥: ١٧)، (مرقس ٧: ١٩). ولعل فى هذا جواباً على الذين يسألون عن مصير التناول فى جهازنا الهضمى.

(٢) فى الأسرار المسيحية فصل ٥ فقرة ١٥.

(٣) (يوحنا ٦: ٥١).

(٤) رسالة القديس قبريانوس فى الصلاة الربية: ١٨.

سابعاً: سر القربان يقاوم الضعف الطبيعى ويقى الروح من الأمراض.

وإذا كان سر التناول للمؤمنين طعاماً لأرواحهم وغذاء لنفوسهم، فإن للطعام بالنسبة للجسم مهمة مزدوجة. فهو:

أولاً: يقاوم الضعف الطبيعى من إستهلاك القوى البدنية فى نشاط الحياة، ويقى الجسم من الأمراض التى تتسبب عن الضعف، ويحميه من الميكروبات التى تهاجمه وتفتك به. والمعروف أنه كلما كان الجسم ضعيفاً أمسى عاجزاً عن مقاومة شر الميكروبات وضررها.

وأما ثانياً: فالطعام يقوى الجسم ويبنيه، ويجدد ما تهدم من خلاياه ويعوضه ما يستهلكه يومياً من خلايا وأنسجة ودم، ثم ينعشه، وينشطه، ويساعده على الحركة وضروب النشاط المختلفة.

هكذا سر التناول يفعل فى أرواح المؤمنين الذين يقبلونه باستحقاق. فيه نتنقى من الخطيئة، وننجو من دنس العالم وشروره، ونتخلص من الأخطار الضارة بحياتنا الروحية، فتحترق بناره الأشواك الخانقة للنفس، ونشفى من الضعف الذى ينهك قوانا الباطنية، ومن الفتور الذى يدرك حرارة النفس وأشواقها الإلهية بسبب الشهوات التى تحارب النفس. وبعبارة أخرى إن سر التناول إذا تقدمنا إليه بإستحقاق، يميت فينا تدريجياً الإحساسات النجسة، ويصلب فينا وعنا إنسان الخطيئة، ويقوى أرواحنا على مغالبة الشهوات وقهر ميول الجسد، وينصرنا على أعداء خلاصنا، ويحفظ الحياة الروحية ويصونها. هو إذن دواء يقينا من الموت، وحرز للخلاص من الهلاك الأبدى، به نطفىء جميع سهام الشرير النارية (١).

فما أجمل ما يقوله صاحب المزمور بروح النبوءة عن هذا السر العظيم الذى للتقوى: «تهيىء أمامى مائدة تجاه مضايقى.. إنما خير ورحمة يتبعاننى كل أيام حياتى» (٢).

---

(١) (أفسس ٦: ١٦).

(٢) (مزمور ٢٢ (٢٣): ٥، ٦).

فى هذا المعنى كتب آباء الكنيسة عن المائدة وأنها المائدة الربانية فى سر القربان. ومن بينهم هيزيخيوس Hesychius الأورشليمى (٤١٢ - ٤٥٠م تقريباً).

أنظر Johannes Quasten, Patrology, Vol. iii (1960) p.492

إننا نؤمن بفاعلية هذا السر المقدس فينا، لأننا نؤمن بقدرة مخلصنا على أن ينتهر فينا كل القوى الشريرة المضادة والمقاومة لنا. وإذا كان لبعض المشروبات وبعض الحبوب التى يتعاطاها الإنسان بالفم قدرة على تهدئة إنفعالات النفس وثورة الجسم وإضطرابات الهرمونات فى الدم، فكيف لا نؤمن بالأحرى بفاعلية سر القربان وقدرته على أن يسكنّ حركات الآلام، ويبطل شغب الجسم، ويهدىء حرارة الجسد، ويخمد طياشة المخيلة الحسية، وهياج الشهوة البدنية، ليس فقط بحرارة المحبة الإلهية التى يشعلها فى قوى النفس الباطنة بل وأيضاً بالقوة الذاتية الصادرة من قدرة لاهوته المتحد بناسوته والذى نقتبله فى سر التناول المقدس، «إن القوة التى كانت تخرج منه، وتشفى الجميع (١). هى هى بذاتها لا تزال معه فى سر القربان فتشفى النفس من متاعبها وجراحاتها وآلامها. وهو بذات القدرة يقف معنا ليهدىء العواصف التى تثور فينا وعلينا حتى لتكاد تجرفنا فى تيارها، فننساق مع دفعها وجذبها، ويوقف قوة الأمواج التى تضرب سفينة حياتنا حتى تكاد تدخل فيها فتملأها من محبة العالم وتغرقها فى لججه العاتية. هو نفسه يفعل فى سر الأفخارستيا فيقوم وينتهر الريح المضادة لنا، ويقول للبحر: اسكت، أبكم. فتسكن الريح، ويحدث هدوء عظيم (٢)، فإن الريح والبحر يطيعانه (٢).

من أقوال الآباء:

يقول القديس **قبريانوس**: «من الواجب أن نعطى المناولة للمضطهدين، حتى لا نترك عزلا بلا سلاح، أولئك الذين نحثهم ونحرضهم على الجهاد. بل فلنحصنهم ولنسلحهم بحماية دم المسيح وجسده.. فكيف نعلمهم وندفعهم إلى هرق دمهم إعترافاً به، إذا كنا نرفض دم المسيح عنهم؟» (٣).

ويقول القديس **أمبروسيوس**: «إتّخِذْ الرب يسوع ضيفاً لروحك: لأنه حيث المسيح فهناك جسده. فإذا رأى العدو هذا الضيف يغلق فى وجهه أبواب تجاربه، فيفر هارباً، فتقضى ليلك ناعم البال، خالى البلبال» (٤). ويقول هو نفسه أيضاً: «**كيف يموت، من كان طعامه الحياة**!» (٥).

---

(١) (لوقا ٦: ١٩)، (مرقس ٥: ٣٠)، (لوقا ٨: ٤٦).
(٢) (مرقس ٤: ٣٩، ٤١)، (لوقا ٨: ٢٤، ٢٥).
(٣) رسالة ٥٣ فقرة ٢.
(٤) (عظة ٨ على المزمور ١١٨ عدد ٤٨).
(٥) عظة ١٨ على المزمور ١١٥).

ويقول القديس **يوحنا الذهبى فمه:** «كما أنه فى الفصح اليهودى كان لحم الخروف ودمه ضروريين لنجاة الإسرائيليين من الهلاك الذى نزل بالمصريين، **كذلك لا ينجو المؤمن من هلاك الخطيئة ولا تكون له حياة فيه، ما لم يأكل جسد ابن الإنسان ويشرب دمه. وكما أن الخبز والشراب ضروريان لحياة الجسد، كذلك جسد المسيح ودمه ضروريان لحياة النفس»**، ويقول: «فلنقترب منه بإيمان نحن المرضى. فإن الذين كانوا يلمسون طرف ثوبه، كانوا ينالون موهبة هكذا عظيمة. فكم بالأحرى ينال منه الذين يحصلون عليه كله، ويتناولونه» (١).

ويقول الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين المعروف بابن المقفع (من رجال القرن العاشر للميلاد):

«المؤمن إذا شرب دم المسيح يلطخ شفتيه، وصقى أسنانه. فيكون علامة له. وإذا رآه الملاك المفسد المهلك - الذى هو الشيطان - يهرب منه ولا يدخل جسد المؤمن، ولا يفسد روحه، كما يفسد أرواح غير المؤمنين، الذين لم يتلطخوا بدم المسيح. ويحق قول الله: إنى إذا رأيت الدم على باب بيوتكم يكون لى علامة وأستركم. ولا أدع الملاك المفسد أن يدنو منكم (٢). لأن دم المسيح الذى يشربه المؤمن هو علامة المسيح بها يحفظه ويستره من هلاك الشيطان المفسد.. فإذا خرجت (نفسه) من الجسد لكى تصعد إلى الفردوس، ينظرها جند الشيطان الذين فى الهواء، مختومة بدم المسيح فلا يستطيعون أن يدنوا منها ولا يعيقوها عن الصعود، كما يعيقون غيرها» (٣).

ويقول أيضاً: «.. وفى كل يوم يذبح المؤمنون هذا الخروف (٤)، يعتقون من الأعمال الدنياوية. ومن خطاياهم الكبيرة، وينالون الخلاص من عبودية إبليس» (٥).

---

(١) (ميمر ٥٠: ٣ على إنجيل القديس متى ١٤: ٢٣، ٢٤).

(٢) الإشارة إلى (الخروج ١٢: ٧، ١٢، ١٣، ٢١ - ٢٣).

(٣) الدر الثمين فى إيضاح الدين تأليف الأنبا ساويرس «ابن المقفع» طبعة القاهرة، سنة ١٩٢٥. المقالة الرابعة صفحة ١٣٤، ١٣٥.

(٤) الإشارة إلى سر التناول.

(٥) (نفس المرجع صفحة ١٣٩). أنظر أيضاً صفحة ١٤٠.

ثامناً: سر القربان هو رأس وسائط النمو والتقدم

بيد أن لسر التناول عملا آخر وفعالية أبعد مدى. فليس هو درعاً واقياً فقط وإنما هو قوة دافعة للأمام. وبعبارة أخرى كما أنه سر الصون والحفظ هو **أيضاً سر النمو والتقدم**.

إن يوناثان بن شاول الملك كان معيى مكدوداً هزيلاً بسبب الحرب مع أعداء الشعب، فأخذ قليلاً من العسل فانجلت عيناه وإستنارتا (١). هكذا يفعل الطعام المادى بالجسد، فكم يفعل الطعام الروحى بالروح والجسد؟! وكم يفعل بالأحرى جسد الرب ودمه بالمؤمنين إذا قبلوه باستحقاق؟!.

إننا بالأفخارستيا ننال شيئاً فشيئاً صحة روحية وقوة ونشاطاً للنفس الناطقة. به يستنير الذهن إستنارة روحانية وتسترد النفس جمالها وصفاءها. وبه أيضاً نتقدس ويثبت فينا الإيمان، ويقوى الرجاء، وتضطرم المحبة نحو الله ونحو القريب. وبه أيضاً ننمو فى الفضيلة، ونسمو فى التقوى والحساسية الروحية، ونتقدم فى الحكمة والنعمة والقامة عند الله والناس، ونسلك فى طريق الكمال المسيحى، فنحيا حياة الإيمان، إيمان ابن الله الذى أحبنا وبذل ذاته لأجلنا (٢).

إن تلميذى عمّاوس، لوقا وكليوباس، لما تناولا من يد السيد المسيح الخبز الذى باركه، انفتحت أعينهما وعرفاه (٣). فلم يعد هذا الخبز العادى بسيطاً بعد أن باركه الرب، لكنه صار ذا فاعلية روحية وقدرة على الإنارة الذهنية وتوليد المعرفة.

لذلك فإن جسد المسيح إلهنا فى سر التناول ليس حياً فقط وإنما هو «**باعث الحياة**» فيمن يتناولونه باستحقاق، ومحيى للنفس والجسد والروح، بقوة اللاهوت المتحد به.

يقول مخلصنا : «لأن خبز الله هو النازل من السماء، والواهب الحياة للعالم» (٤).

ومن نصوص القداس الإلهى:

هكذا يصرخ الكاهن فى الإعتراف الأخير وهو يحمل الصينية المقدسة بكلتا يديه وبها القربان المقدس، ويقول: آمين، آمين، آمين. أؤمن، أؤمن، أؤمن، وأعترف إلى النفس الأخير. أن هذا هو الجسد المحيى الذى أخذه ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح..».

---

(١) (صموئيل الأول ١٤ : ٢٦، ٢٩، ٤٣).
(٢) غلاطية ٢ : ٢٠)، (أفسس ٥: ٢).
(٣) (لوقا ٢٤: ٣٠، ٣١).
(٤) (يوحنا ٦: ٣٣).

ويقول الكاهن أيضاً فى صلاة القسمة: «وكما طهرت شفتى عبدك إشعياء النبى، إذ أخذ أحد السارافيم جمرة بملقط من على المذبح، وطرحها فى فيه، وقال له: ها إن هذه قد مست شفتيك فتزيل آثامك، وتطهر جميع خطاياك (١). هكذا نحن أيضاً الضعفاء الخطاة، عبيدك السائلين رحمتك. تفضل طهر أنفسنا، وأجسادنا، وشفاهنا، وقلوبنا، وأعطنا **هذه الجمرة الحقيقية الواهبة الحياة للنفس، والجسد، والروح، التى هى الجسد الطاهر، والدم الكريم اللذان لمسيحك..**» (٢).

وفى صلاة الشكر التى يرفعها الكاهن بعد التناول يقول:

«.. وأنعمت علينا **بالحياة** بواسطة جسدك الطاهر ودمك الكريم، هذين اللذين جعلتنا مستحقين الآن أن نتناول منها» (٣).

ولبيان مختلف المفاعيل الروحية لسر التناول نورد كذلك بضع فقرات من صلوات القداس الإلهى.

يقول الكاهن بعد حلول الروح القدس على القربان وتحوله إلى جسد الرب ودمه: «لكى يكون لنا جميعاً نحن المتناولين منهما إيماناً بغير فحص، ومحبة بلا رياء، وصبرا كاملاً، ورجاء ثابتاً، وإيماناً وحراسة، وصحة، وفرحاً، وتجديداً للنفس والجسد والروح.. ومشاركة لسعادة الحياة الأبدية وعدم الفساد وغفران للخطايا» (٤).

وفى صلاة الخضوع التى قبل التناول يقول الكاهن سراً: «.. حتى بتناولنا من أسرارك الإلهية نصير ممتلئين من روحك القدوس، وثابتين فى إيمانك المستقيم، ومفعمين من شوق محبتك الحقيقية، وناطقين بمجدك كل حين» (٥).

وبعد التناول من الأسرار المقدسة يرفع الكاهن صلاة شكر يقول فيها: «فأنت أيها الرب الصالح محب البشر، احفظ موهبة نعمتك فينا.. للتمتع بالمجد، وإقتناء الحياة، وقيام

---

(١) (سفر إشعياء ٦: ٦، ٧).

(٢) صلاة القسمة للقداس الكيرلسى.

(٣) من القداس الغريغورى.

(٤) من القداس المرقسى الكيرلسى.

(٥) من قداس القديس باسيليوس.

النفس، وطهارة الجسد، حتى إذ نحيا فيك، ونغتذى بك، نكمل البر فى كل حين، ويتمجد إسمك القدوس فينا، (١).

ومن أقوال الآباء:

ويقول القديس **يوحنا الذهبى فمه**: «لنعد من هذه المائدة كأسود، تضطرم فينا نار المحبة، وترتعب منا الشياطين» (٢).

قال العلامة **أوريجينوس** (١٨٥ ـ ٢٥٤م): «ونأكل خبز التقدمة بعد أن يصير بالدعاء جسداً مقدساً، ويقدس الذين يأكلونه بطوية صالحة» (٣).

وقال القديس **كيرلس الكبير المعروف بالأسكندرى** فى رسالته الثالثة إلى **نسطور والتى ثبتها مجمع أفسس الأول (المسكونى الثالث) عام ٤٣١م**: «إننا نتمم فى الكنائس الذبيحة غير الدموية، وهكذا نقترب من الأسرار المقدسة المباركة، ونتقدس بإشتراكنا بالجسد المقدس، جسد يسوع المسيح، مخلص العالم كله، وبدمه الكريم» (٤).

فصل فى
وجوب تناول الأطفال

ولما كان سر التناول غذاء للنفس وقوتاً للروح وهو الذي يكفل للمؤمن الحياة الصحية من الوجهة الروحية كما يكفل لهذه الحياة النمو والتكامل، فقد حرصت الكنيسة الأرثوذكسية لهذا السبب على ألا تحرم الأطفال الصغار من أن ينالوا سر التناول بعد نيلهم سرى المعمودية والميرون مباشرة، لأنها تعلم كوصية المخلص أنهم إن لم ينالوا السر فلا حياة فيهم (٥)، ولكى تتيح لهم أيضاً أن ينالوا السر الذى يزودهم بإمكانيات التقدم والنمو الروحى مع نمو أجسادهم وقواهم العقلية والذهنية.

* * *

---

(١) من قداس القديس اغريغوريوس الثيئولوغوس. (٢) ميمر ٦٤ على يوحنا.

(٣) (الرد على كلسس، كتاب ٨).

(٤) مجموعة منى (Migne) للآباء الذين كتبوا باليونانية (Patr. grace) الجزء ٧٧، (أعمال القديس كيرلس الأسكندرى الجزء العاشر) عمود ١٠٥ وما يليه.

(٥) (يوحنا ٦: ٥٣).

ومن أقوال الآباء:

يقول القديس **أوغسطينوس** : «إن الخلاص والحياة الأبدية من دون هذين السرين (أى المعمودية والأفخارستيا) يوعد بهما الأطفال باطلاً» (١).

ويقول أيضاً : «وحقاً من يتجاسر ويقول إن هذا الرأى لا يخص الأطفال، وإنهم يستطيعون أن تكون لهم حياة فيهم من دون مشاركة الجسد والدم» (٢).

---

(١) (فى الخطايا المميتة كتاب ١ باب ١٤).

(٢) (فى الساقطين ١ : ٢٠).

تاسعاً : سر القربان هو سر الاتحاد

ليس هناك سر آخر بين جميع الأسرار يمنحنا إمتيازات أعظم من إمتيازات هذا السر الذى يمنحنا الإتحاد مع الله بتناولنا جسد المسيح الطاهر ودمه الكريم، فنصير معه واحداً.

لكن هذا الإتحاد درجة من الحب لا تعلوها درجة أخرى. هى قمة الإتفاق، وغاية الإنسجام، وتمام الإندماج والتلاشى فى الإرادة والمشيئةالإلهية. هو سقوط الرغبات والميول الإنسانية سقوطاً تاماً، وفناء الإنسان عن نفسه، فلا تبقى له رغبة بشرية أو شهوة ذاتية، بل يصير واحداً مع الله.

ولن يبلغ المؤمن إلى هذه الدرجة من الإتحاد مرة واحدة، ولكن بتواتر التناول من الأسرار المقدسة بإستحقاق، يدخل فى علاقة مع الله تنمو شيئاً فشيئاً إلى أن تصل إلى درجة الإتحاد الكامل.

(١) درجة الدخول فى عهد مع الله

وأول خطوة فى هذه العلاقة المتدرجة إلى الكمال هى الدخول فى عهد مع الله، لأن التناول هو نفسه عهد وميثاق بين المؤمن وبين الله وإذا كان الإتفاق بين طرفين يثبت عادة بطعام يأكلانه معاً (١) ويعتبرانه عهداً لا يجوز لأحدهما أن ينقضه، وإلا عد خائناً، فإن الرب شاء أن يدخل معنا فى عهد مقدس. غير أنه لم يثبت هذا العهد بطعام عادى، ولا حتى بفريضة مقدسة كفريضة الفصح القديم، ولكنه ثبت العهد الجديد بجسده هو نفسه ودمه الكريم بقوله: «خذوا كلوا هذا هو جسدى.. خذوا اشربوا من هذا كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا» (٢). ولذلك كتب الرسول بولس يبين جسامة شر الذين يدنسون العهد الجديد الذى ثبته المسيح بدمه: «فإنه من تعدى ناموس موسى، فبقول شاهدين أو ثلاثة شهود يقتل بلا رحمة. فكم تظنون يستوجب عقاباً أشد من داس ابن الله وحسب دم العهد الذى قدس به نجساً وازدرى روح النعمة» (٣).

من الكتاب المقدس:

ومن يطالع الكتاب المقدس بعهديه يجد أن الرب يجعل الدم علامة العهد بينه وبين شعبه.

ففى العهد القديم كان دم الخروف هو الذى تلطخ به قائمتا باب البيت وعتبته العليا (٤)، فيكون علامة الخلاص من ضربة المهلك(٥). ولم يكن دم الخروف ذا قيمة فى ذاته. وإنما كل قيمته فى أنه إشارة ورمزاً إلى دم الفادى، وسيط العهد الجديد الذى صار لنا بدمه الكفارة والفداء. لذلك تنبأ أنبياء العهد القديم بالروح القدس إلى العهد الجديد بدم الفادى كعهد يربط بين المؤمنين وبين الله فى المسيح، وتنبأوا عن عهد جديد يقطعه الرب مع شعبه، وليس كالعهد القديم: «ها إنها تأتى أيام، يقول الرب، أقطع فيها مع آل إسرائيل وآل يهوذا عهداً جديداً، لا كالعهد الذى قطعته مع أبائهم يوم أخذت بأيديهم لأخرجهم من أرض مصر، لأنهم نقضوا عهدى فأهملتهم أنا يقول الرب ولكن هذا العهد الذى أقطعه مع آل إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب هو: «إنى أجعل شريعتى فى ضمائرهم، وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلهاً وهم

---

(١) كما فعل مثلا يعقوب ولابان (التكوين ٣١: ٥٤).
(٢) (متى ٢٦: ٢٦، ٢٧، ٢٨)، (مرقس ١٤: ٢٢ - ٢٤)، (لوقا ٢٢: ١٩، ٢٠).
(٣) (عبرانيين ١٠: ٢٨، ٢٩).
(٤) (الخروج ١٢: ٧، ٢٢).
(٥) (الخروج ١٢: ١٣).

يكونون لى شعباً.. لأنى سأغفر آثامهم، ولن أذكر خطاياهم من بعد» (١). وقد أورد الرسول بولس فى رسالته إلى العبرانيين هذه النبوءة بنصها (٢)، وربط بينها وبين ما تم فى المسيح فى العهد الجديد، وهو (أى الرسول) فى صدد المفاضلة بين العهد الجديد والعهد القديم، مبيناً سمو العهد الجديد القائم على دم المسيح الفادى، ويعقب أخيراً قائلاً «فبقوله جديداً، جعل الأول عتيقاً» (٣).

وهذا ما حدث فعلاً فى ليلة آلام مخلصنا فقد ختم العهد القديم بإتمام الفصح القديم وبدأ بالأفخارستيا العهد الجديد. ولذلك سمى هذا اليوم عند المسيحيين «بخميس العهد» إذ قطع الرب فيه عهداً جديداً بدمه: «وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم، وقال اشربوا من هذا كلكم لأن هذا هو دمى **للعهد الجديد** الذى يسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا» (٤).

* * *

ومن أقوال الآباء:

قال القديس **يوحنا ذهبى الفم:** «إن الخروف (الفصحى) كان رمزاً لخروف آخر روحانى، وتلك النعجة كانت ترمز إلى نعجة أخرى. فكان ذلك ظلاً، وهذه هى الحقيقة. فلما ظهرت شمس العدل تقلص الظل، وزال إزاء الشمس. على مائدة واحدة، تم كل من الفصحين، الرمز والحقيقة.. كان الفصح اليهودى، فانحل وحل مكانه الفصح الروحى، الذى وضعه المسيح. فبينما هم يأكلون ويشربون، أخذ خبزاً وكسر وقال: «هذا هو جسدى إلخ..» (٥).

فيا له من عهد قطعه الرب بدمه. ويا له من ميثاق ثبّته بجسده ودمه. والمؤمن الذى يتناول من جسد الرب ودمه يدخل قطعاً فى عهد جديد مع الرب. وهو الخطوة الأولى والدرجة الأولى من درجات سلمّ الإتحاد مع الله.

---

(١) (أرميا ٣١: ٣١ ـ ٣٤)، (٣٢: ٤٠).
(٢) (العبرانيين ٨: ٨ ـ ١٢).
(٣) (العبرانيين ٨: ١٣).
(٤) (متى ٢٦: ٢٧، ٢٨).
(٥) عظة فى خيانة يهوذا.

(٢) درجة الثبات فى المسيح

وأما الخطوة الثانية فى هذه العلاقة المتدرجة التى تنتهى بالإتحاد الكامل، فهى درجة الثبات فى المسيح له المجد.

يقول المخلص، حبيب نفوسنا: «من يأكل جسدى ويشرب دمى **يثبت فىّ، وأنا أيضاً أثبت فيه**» (١).

والثبات ضد السقوط، وضد الفناء. الثبات معناه البلوغ إلى حالة من شدة ودوام الترابط والتماسك بين إثنين، مع التوطد، والتمكن، والرسوخ، بل والتداخل (٢)، والنفاذ، والتغلغل (٢) أحدهم فى الآخر.

وبعبارة أخرى إن هذه العلاقة هى من المتانة والقوة بين الإثنين بحيث لا يفارق أحدهما الآخر لأن أحدهما أصبح مشدوداً إلى الآخر برباط وثيق لا ينفك ولا ينحل ولا يسقط بل ولا يتقلقل أو يتزحزح أو يتزعزع أو يتحرك أمام أى شك من الشكوك أو صدمة من الصدمات، أو تجربة من التجارب. ولا تصل هذه العلاقة إلى هذه الدرجة من القوة بحيث تسمى ثباتاً ما لم يعرف أحدهم الآخر حق المعرفة، إذ أن نقص المعرفة وقلة الخبرة تهدد هذا الثبات. فمع التمكن والتوطد هناك أيضاً التحقق والتوكد.

هكذا تبلغ علاقة الحب والتفاهم والتعارف بين السيد المسيح وبين المؤمن الذى يتناول بتواتر من جسده الطاهر ودمه الكريم، وهو (أى المؤمن) مدرك لجلال السر، ويتقدم إليه عن تقوى حقيقية ومحبة حارة صادقة.

* * *

---

(١) (يوحنا ٦: ٥٦).

(٢) العبارة اليونانية التى ترجمت فى النسخ العربية «يثبت فىّ» ἐν ἐμοὶ μένει نقلتها الترجمات الحديثة من إنجليزية وفرنسية وألمانية وإيطالية.. بمعنى «يقيم فى». اما القبطية فاستخدمت تعبيراً أقوى دلالة على الثبات: ⲁϥⲛⲁⲩⲱⲡⲓ ⲛ̀ⲅⲣϩⲓ ⲛ̀ⲅⲏⲧⲟ لاحظ خصوصاً إستعمالها للفظى ⲛ̀ⲅⲣϩⲓ ثم ⲛ̀ⲅⲏⲧ وهذا يفيد شدة الترابط ومتانته وعمقه وقوة نفاذه والتداخل بين المسيح وبين من يتناول من جسده ودمه.

الثبات بالميرون، والثبات بسر القربان:

وليس الثبات الذى يبلغ إليه المؤمن عن طريق سر القربان هو الثبات الذى يصل إليه عن طريق سر الميرون الذى يسمى أيضاً بسر التثبيت. إنه يختلف عنه فى الدرجة، وإن كان لا يختلف عنه فى النوع.

فالثبات بسر الميرون فيض من موهبة الروح القدس يكفل للمؤمن البقاء فى حالة عدم العبودية التى أعتق منها بالمعمودية المقدسة. ولا يناله المؤمن إلا مرة واحدة فهو لا يتكرر، ولكنه قابل للنمو باستخدام وسائط التقوى المتنوعة من صوات، وتأملات، وأصوام، وقراءات، وسماع المواعظ، وسير القديسين، وإتساع دائرة الخبرات الروحية، ومن بين هذه الوسائط بل وعلى رأسها جميعاً التناول بتواتر من الأسرار المقدسة. **إن التناول من الجسد الطاهر والدم الكريم ينمو بدرجة الثبات التى حصل عليها المؤمن بسر التثبيت إلى أن يبلغ بها إلى الثبات الكامل.** ولذلك كان هذا السر من الاسرار التى يجب أن يقبلها المؤمن مراراً بينما أنه لا يقبل الميرون إلا مرة واحدة.

وإذا كان المؤمن بمثابة غصن يتطعم بالمعمودية فى الزيتونة الجيدة (١) بأن يقتلع من الزيتونة البرية (٢)، ويدخل إلى جرن المعمودية، كما يدخل الغصن المطعم فى حفرة تحفر له بالشجرة، فالميرون هو بمثابة الأربطة التى تشد الغصن إلى جزع الشجرة وتثبته فيها حتى لا يقع أو يسقط. لكن هذا الثبات يزداد ويتقوى ويتوطد منذ اللحظة التى يبدأ الغصن أن يغتذى فيها بعصارة الحياة التى فى الشجرة. وبذلك يصبح شريكاً فى أصل الشجرة ودسمها (٣).

فتسرى الحياة منها إليه. يوم ذاك يصبح الغصن حياً بالشجرة، ولن يموت مادات الشجرة حية، وما دام الإتصال قائماً بين الشجرة وغصنها.

هذا التشبيه قد إستخدمه السيد الرب ليبين لنا علاقتنا به. فالمؤمن هو الغصن. وأما فادينا فهو الكرمة الحقيقية (٤). وبتناول المؤمن من جسد الرب ودمه يثبت فيه كما يثبت الغصن فى الكرمة، ويزداد الثبات فيه بتواتر التناول من جسده ودمه، لأنه به يحيا، وبدونه لا تكون له حياة ولا يكون له ثمر. قال المسيح له المجد: «إثبتوا فىّ وأنا أيضاً فيكم. **كما أن الغصن لا يستطيع**

---

(١) (رومية ١١: ٢٤). (٢) (رومية ١١: ١٧، ٢٤).
(٣) (رومية ١١: ١٧).
(٤) تمييزاً لها عن الكرمة الذهبية التى تزين واجهة باب الهيكل انظر (يوحنا ١٥: ١، ٥، ٦).

أن يأتى بثمر من عنده إن لم يثبت فى الكرمة، كذلك أنتم أيضاً لن يمكنكم إن لم تثبتوا فىّ. أنا هو الكرمة وأنتم الأغصان. من يثبت فىّ، وأنا أيضاً فيه، فهذا يأتى بثمر كثير، لأنكم بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً. إن كان أحد لا يثبت فىّ يطرح خارجاً كالغصن، فيجف، فيجمعونه، ويطرحونه فى النار، فيحترق» (١). ويقول «فمن يأكلنى يحيا هو أيضاً بى» (٢).

ويقول مار بولس الرسول: «إن الحياة لى هى المسيح» (٣).

ويقول القديس أوغسطينوس فى هذا المعنى: «يا سر الإحسان، يا سمة الوحدة، يا وثاق المحبة! فمن أراد أن يحيا بك يغنم الحياة، فليقترب ويتناول هذا الجسد فيحيا» (٤).

هذا الثبات ليس ضرورياً للإثمار والإنتاج فقط، ولكنه كذلك مصدر سعادة للمؤمن لا يعبر عنها فالإغتذاء بجسد المسيح ودمه كما هو مصدر قوة للمتناول فهو مصدر لذة روحية له. لأنه إذا كان التناول للمؤمن غذاء وقوتاً، فالغذاء أيضاً مبعث لذة، هذه اللذة التى تنتج من إلتقاء الجسم أو عضو منه بموضوعه الذى يقوم عليه ويقوى به. كذلك يثير التناول من السر المقدس، السرور والمتعة الروحية، ويضرم الأشواق المقدسة فى نفوس المتناولين. ولذلك يرددون بمعنى روحى وحسى ما قاله النبى قديماً بروح النبوءة.

«ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب» (٥)، «حلقه حلاوة، وكله مشتهيات» (٦). «هذا حبيبى وهذا خليلى يا بنات أورشليم» (٦).

يقول الكاهن تعبيراً عن هذه المتعة الروحية ونعيم القديسين بتناولهم من جسد الرب ودمه، فى صلاة حددت الكنيسة تلاوتها بعد التناول مباشرة: «فمنا امتلأ فرحاً، ولساننا تهليلاً، لتناولنا من أسرارك غير المائتة، يارب. فإن ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، الذى أعددته يا الله لمحبى إسمك القدوس، أعلنته للأطفال الصغار (٧) الذين لبيعتك المقدسة» (٨).

---

(١) (يوحنا ١٥: ٤ - ٦).
(٢) (يوحنا ٦: ٥٧).
(٣) (فيلبى ١: ٢١).
(٤) (مقالة ٢٦ على يوحنا).
(٥)(مزمور ٣٣ (٣٤): ٨). (بطرس الأولى ٢: ٣)، (العبرانيين ٦: ٥).
(٦) (نشيد الأناشيد ٥: ١٦).
(٧) قارن (لوقا ١٠: ٢١).
(٨) من القداس الباسيلى.

ومع الثبات يتولد أيضاً الإستقرار، والإتكال، والتوكل، والتسليم وما إليها من فضائل فى مراحل الإيمان الوطيد.

لذلك يقول الكاهن فى صلاة الخضوع السابقة للتناول من السر المقدس «نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر.. من جهة تناولنا من أسرارك الإلهية، لكى نصير ممتلئين من روحك القدوس، وثابتين فى إيمانك المستقيم» (١) ويقول فى صلاة أخرى «إجعلنا مستحقين أن نتناول من جسدك الطاهر ودمك الكريم.. لننال بتناولنا من أسرارك المحيية مغفرة لخطايانا... وثباتاً على الإيمان بإسمك القدوس إلى النفس الأخير» (١).

(٣) درجة الاتحاد الكامل

وأما الدرجة الثالثة، ولعلها العليا فهى درجة الإتحاد الكامل. فيها يفنى المؤمن عن نفسه فناء تاماً، ولا تبقى له إرادة خاصة، ولا رغبة، بل يصل إلى مرتبة إختيارية يصبح مشبعاً فيها بإرادة الله ومشيئته، وملتهباً بمحبة الله إلتهاباً كاملاً مع تمام الإيمان به، والتوكل عليه، والتسليم له، والثقة بمحبته وصلاحه وخيريته وقداسته وعدالته وعمق حكمته وكمال صفاته، ثقة بغير حدود. هنا فى بهاء هذا النور وشدة لمعان هذا الضياء وكشف ما وراء الحجاب، يحتقر المؤمن إرادته الخاصة، ومشيئته الخاصة فيهملها راضياً مختاراً، مسلماً قياد حياته لله فى إيمان ورضى وسرور وفرح.

المؤمن لا يفقد بالتناول شخصيته:

ثم إن المؤمن الذى يقتبل السر المقدس بإستحقاق، ويتواتر، فيسكن فيه المسيح له المجد ويكون حقاً الملك فى بيته، حراً، وقد طرد من حضرته كل أعدائه المقاومين لإرادته الخيرة، يشرع فى أن يكشف عن مجده ويظهر ذاته للمؤمن الذى اتحد بجسده ودمه. وشيئاً فشيئاً يطلق بحرية أشعة مجده وأضواء لاهوته، على قدر ما تحتمل قوى المؤمن السعيد، وحسبما تقوى عيناه الباطنيتان على احتمال الرؤيا الطوبانية. وكلما تناول المؤمن من جديد، وبإستحقاق، تمتد أشعة النور فى قلبه. وشيئاً فشيئاً يتوهج قلبه بنور قوى كشاف، قد ينعكس بعضه على وجهه الظاهر. ولكن النور الباطنى على كل حال كاف جداً ليحيله إلى كائن من علٍ، كل ميوله مقدسة

---

(١) من القداس الباسيلى.

ورغباته طاهرة، لأن النور الذى إنبثق فى أعماقه هو من القوة بحيث أحاله إلى شىء من طبيعته، فصار المؤمن «شريكاً للطبيعة الإلهية» (١).

وليس هذا معناه أن المؤمن يفقد بسر التناول شخصيته وفردانيته وحقيقة وجوده الشخصى، وكيانه الطبيعى كإنسان. وليس معناه أن المؤمن يصبح - بسر التناول - من طبيعة الله وجوهره، كما يذهب إلى ذلك بعض الفلاسفة من أهل الصدور كالرواقية وابن جبرول ومن إليهم، الذين يزعمون أن الإنسان صادر من طبع الله وجوهره وهو جزء من هذا الجوهر خرج منه ثم يرتد إليه فى النهاية. وكأنه على زعمهم لا خلود للإنسان فى ذاته ولا وجود له مستقلاً عن وجود الله.

كلا، فلا يزال المؤمن محتفظاً بكيانه الطبيعى ووجوده الشخصى، ولكنه يتحد بالله فيصير معه إرادة واحدة، ومشيئة واحدة، ومحبة كاملة واحدة. فالإتحاد هنا إتحاد بالمشيئة لا بالجوهر.

* * *

إن التأمل فى صورة أو فى شخص، وقتاً ما، يطبع صورته فى المخيلة.. وكلما طال هذا التأمل إزدادت الصورة وضوحاً فى النفس، وزادت إنطباعاتها. فإذا صاحب هذا التأمل إعجاب ورضى، ساعد هذا على تقارب الميول والرغبات.

هذا يحدث أيضاً، وبكيفية أعظم فاعلية فى نفس المؤمن المتناول الذى يدخل المسيح الحى إلى أعماقه ومداخله ويتحد جسده ودمه بجسده ودمه، ويملأ مشاعره وإحساساته بهمسات محبته الغامرة، فيزداد الحب ويضطرم الشوق فيصبح عشقاً إلهياً. ويتحول الإنسان شيئاً فشيئاً إلى صورة ابن الله فى طهره وقداسته ومحبته وعدالته وأمانته وخيريته وكل كمالاته الإلهية: «ونحن جميعاً فننظر بوجه مكشوف كما فى المرآة، مجد الرب، فنتحول إلى تلك الصورة بعينها، من مجد إلى مجد، كما يكون من الرب الروح» (٢).

---

(١) (بطرس الثانية ١: ٤).

والتناول يجعل الإنسان شريكاً للطبيعة الإلهية من حيث أنه يوحدنا بجسد المسيح الذى نتناوله، ولما كان ناسوت المسيح متحداً بلاهوته فى طبيعة واحدة، فنصبح نحن مشاركين للطبيعة الإلهية بهذه النسبة، لا بمعنى أن نصير من طبع الله ومن جوهر لاهوته، كما يزعم فلاسفة الصدور.

(٢) (كورنثوس الثانية ٣: ١٨).

هذا هو مقام الفناء. والبقاء بعد الفناء الذى تحدث عنه مار بولس الرسول، فقال: «مع المسيح صلبت، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فىّ. فما أحياه الآن فى الجسد فإنما أحياه فى الإيمان إيمان ابن الله الذى أحبنى وبذل نفسه لأجلى» (١)، وفى هذا يعبر الرسول القديس عن مقام الفناء الذى يفنى فيه المؤمن عن نفسه إرادياً، ومن طول خبرته وعشرته الباطنية مع الله. ولكنه مع ذلك باق، ويبقى، لا بإرادته الخاصة وميوله البشرية الإنسانية الحسية، وإنما بصفات أخرى وميول أخرى، هى الميول الجديدة التى كسبها من طول عشرته الباطنية مع المسيح الساكن فيه مع الآب والروح القدس، ومن شدة فعالية النور الساطع على قلبه يكتسب قلبه نوراً من السماء، هو نور الآب والابن والروح القدس الذى اتخذ قلبه مسكناً (٢).

هذا هو الإتحاد الكامل التام الذى يسعى إليه القديسون، ويبلغ إليه الذين يتناولونه بإستحقاق، وتواتر، من الأسرار الطاهرة المقدسة.

* * *

ومن نصوص القداس الإلهى:

وتعبيراً عن هذا الإتحاد الذى يصير للمتناولين يقول الكاهن فى صلاة الخضوع قبل التناول «نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر.. **أن توحدنا معك** (حرفيا تؤلف (٣) بيننا وبينك)، عن طريق تناولنا من أسرارك الإلهية» (٤).

وفى إحدى الصلوات التى قبل التناول يقول الكاهن «... وليصيرنا تناولنا من أسرارك المقدسة **واحداً معك** إلى الأبد» (٥). وفى صلاة أخرى: «إجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا، أن نتناول من جسدك المقدس ودمك الكريم، طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا.. **لكى نصير جسداً واحداً وروحاً واحداً معك**» (٦). وفى صلاة أخرى «... طهر إنساننا الباطن كطهر ابنك الوحيد هذا الذى ننتوى أن نتناوله... حتى نتناول بطهارة من هذه الأسرار الطاهرة،

---

(١) (غلاطية ٢: ٢٠).

(٢) «ويحبه أبى، وإليه نأتى، وعنده نصنع مسكناً» (يوحنا ١٤: ٢٣).

(٣) (ΝΤΕΚΘΟΤΠΕΝΕΡΟΚ) وهذا معناه أن الإتحاد ليس إتحادا فى الطبيعة والجوهر وإنما فى الإرادة والمشيئة.

(٤) من القداس الباسيلى.

ونتطهر كلنا ونصبح كاملين فى أنفسنا وأجسادنا وأرواحنا، إذ نصير **شركاء فى الجسد** (١)، **وشركاء فى الصورة** (١) (= صورة جسد مجده) (٢)

* * *

ومن أقوال الآباء:

بقول القديس **أثناسيوس** الرسولى: «**إن إتحادنا بالمسيح**، بتناولنا من جسده ودمه، أسمى من كل إتحاد» (٣).

ويقول القديس **كيرلس الأورشليمى**، إننا بالتناول «نصبح جسداً واحدا، ودماً واحداً مع المسيح *σύσσωμος καὶ σύναιμος αὐτοῦ* (٤). ويقول هو نفسه كذلك: «بتناولك من جسد المسيح ودمه تصير متحداً معه جسداً ودماً. فإننا بهذه الكيفية نصير حاملين للمسيح فينا *χριστόφοροι* لأن جسده ودمه ينتشران (يتغلغلان) فى أعضائنا وبهذا نصبح شركاء الطبيعة الإلهية (٥) كما قال المغبوط بطرس» (٦).

ويقول القديس **يوحنا ذهبى الفم**: «إنه لم يكتف بأن يصير إنساناً، ويضرب ويذبح عنا، بل أراد أيضاً أن يمزج ذاته فينا، وأن نصير معه جسداً واحداً، ليس فقط بالإيمان بل فعلياً، وفى الحقيقة أيضاً.. فإن الذى لا تنظر إليه الملائكة إلا بالخوف والرعدة من أجل البهاء الصادر من إقنومه يغذينا بجوهره ... ونصير معه جسداً واحداً» (٧). ويقول أيضاً «كما تفعل النار بالشمع، كيف أنها تذيبه من وجهها، ولا تبقى له أثراً، هكذا آمن بأن هذه الأسرار الإلهية تتحد فى إقنوم الجسد» (٨). كما يقول كذلك «إننا نتحد بالمسيح فى الأفخارستيا لا بالمحبة ورضى الإرادة فقط، بل بالحقيقة والجوهر» (٩).

---

(٦) من القداس المرقسى الكيرلسى. أنظر أيضاً (أفسس ٣: ٦).
(٢) (فيلبى ٣: ٢١).
(٣) «كمال البرهان على حقيقة الإيمان» طبعة القاهرة ١٩٤٧ القسم الرابع، صفحة ٨٦.
(٤) فى الأسرار، المحاضرة ٤ فقرة ١.
(٥) (بطرس الثانية ١: ٤).
(٦) فى الأسرار، محاضرة ٤ فصل ٣.
(٧) عظة ٨٣: ٥ على إنجيل متى.
(٨) الدر المنتخب فى مقالات القديس يوحنا فم الذهب لناشره ناشد سركيس، القاهرة ١٩٢٨ صفحة ٢٥٩.
(٩) عظة على يوحنا ٦. انظر كتاب تفسير إنجيل القديس يوحنا البشير الثيؤلوغوس للقديس يوحنا الذهبى الفم أخرجه من اللغة اليونانية إلى العربية عبد الله بن الفضل الإنطاكى، بيروت ١٨٦٣ مسيحية، العظة ٤٦ صفحة ١٥٢.

ويقول القديس **أوغسطينوس**، بلسان السيد المسيح: «إنى مأكل عظيم. أنم، وكلنى، فإنك بذلك لا تحيلنى إليك كما تحيل الأكل إلى جسدك، بل أنت تستحيل إلىّ» (١).

ويقول القديس **إفرآم السريانى** المعروف بكنارة الروح القدس (٣٦٣ ـ ٣٧٩م): «إن جسد الرب يتحد بجسدنا على وجه لا يلفظ به، ودمه أيضاً الطاهر يصب فى شرايينا، وهو كله بصلاحه الأقصى يدخل فينا» (٢).

ويقول القديس **كيرلس الأسكندرى**: «كما أن الذى يريد أن يمزج بالشمع المذاب شمعاً آخر، يلزمه أن يذيب الثانى، وحينئذ يختلطان معاً، فيصبحان جسماً واحداً، أحدهما فى الآخر، هكذا فإن من يقبل جسد الرب ودمه، **يتحد به** شديداً، فيكون المسيح فيه وهو نفسه فى المسيح» (٣).

(١) الإعترافات، كتاب ٧، فصل ١٠. (٢) جزء ٣: ٤٢٤. (٣) كتاب ٤، فى يوحنا، فصل ١٧.

عاشراً : سر القربان هو سر الشركة

وإذا كان سر التناول يوحدنا مع المسيح له المجد، فى جسده الطاهر ودمه الكريم، فهو إذن سر **الشركة** بيننا وبينه من جهة، وفيما بيننا مع بعضنا بعضاً من جهة أخرى. قال الرسول معبراً عن هذا السر بوصفه شركة جسد المسيح ودمه: «كأس البركة التى نباركها، أليست هى **شركة** دم المسيح. والخبز الذى نكسره، أليس هو **شركة** جسد المسيح. فإننا نحن الكثيرين، خبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعاً نشترك فى الخبز الواحد». ثم يقول «لا تقدرون أن تشربوا كأس الرب وكأس الشياطين. لا تقدرون أن **تشتركوا** فى مائدة الرب، وفى مائدة الشياطين» (١).

ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم تعليقاً على هذا النص المقدس: «لماذا لم يقل مساهمة بل قال شركة؟ لأنه شاء أن يوضح ما هو أكثر، ويثبت الإنضمام والإتحاد أبلغ لأننا لا نتناوله بالمساهمة فقط بل نشاركه للإتحاد به. لأنه كما أن ذلك الجسد اتحد بالمسيح (أى باللاهوت) هكذا نحن بهذا الخبز ونتحد به» (٢). ويقول تعليقاً على قول الرسول: «نحن الكثيرين خبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعاً نشترك فى الخبز الواحد»: «كما أن الخبزة تتألف متحدة من حبات كثيرة، حتى أن الحب لا يستبان قط، إلا أنه موجود، وبالإتحاد صار فرقه غير واضح، هكذا يكون إتحادنا مع المسيح، أحدنا مع الآخر. لأنك لا تتغذى أنت من جسد، وذاك من جسد آخر، بل نتغذى كلنا من جسد الواحد نفسه..» (٣).

وعلى ذلك فبتناولنا من جسد المسيح الواحد نصير متحدين مع بعضنا بعضاً فى جسد المسيح السرى: «فنحن أعضاء جسده من لحمه ومن عظامه» (٤)، ولكن الجسد واحد «كذلك نحن الكثيرين جسد واحد «فى المسيح، وكل واحد منا عضو للآخرين» (٥).

* * *

---

(١) كورنثوس الأولى ١٠: ١٦ ـ ٢١.

(٢) مقالة ٢٤ على كورنثوس الأولى ١٠: ١٦ فقرة ٤.

(٣) مقالة ٢٤ على كورنثوس الأولى ١٠: ١٧ (فقرة ٤).

(٤) (أفس ٥: ٣٠).

(٥) (رومية ١٢: ٥). انظر أيضاً (رومية ١٢: ٤)، (كورنثوس الأولى ١٢: ١٢، ١٤، ٢٠، ٢٧)، (أفس ٤: ٤).

ومن نصوص القداس الإلهى:

وفى هذا المعنى يقول الكاهن فى القداس عقب السجود وحلول الروح القدس على الخبز والخمر لنقلهما إلى جسد المسيح ودمه: «إجعلنا مستحقين كلنا، يا سيدنا، أن نتناول من قدساتك، طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا. لنصير جسداً واحدا، وروحاً واحدا، ونجد نصيباً وميراثاً مع جميع القديسين الذين أرضوك ، منذ البدء» (١).

وفى صلاة تقدمة القسمة يقول: «.. هو أيضاً فلنسأله أن يجعلنا مستحقين لشركة وإصعاد أسراره الإلهية غير المائتة» (٢).

* * *

ومن أقوال الآباء:

يقول القديس كيرلس عمود الدين فى تفسيره لإنجيل القديس يوحنا: «إن ابن الله الوحيد لما رام أن يوحدنا مع الله ذاته وبعضنا مع بعض، وإن نكن مفترقين مختلفين بالأجساد والأرواح، قد وجد لذلك وسيلة هى ثمرة حكمته ومشورة أبيه، فقد جمع فى التناول السرى بين المؤمنين بواسطة جسد واحد هو جسده الخاص، وصيرهم جسداً واحداً معه وبعضهم مع بعض. فمن يستطيع إذن أن يفصل ويفصم عرى الإتحاد الطبيعى بين المرتبطين بوحدة يسوع المسيح بواسطة هذا الجسد السرى؟ فإذا كنا نشترك كلنا فى الخبز الواحد فنحن كلنا جسد واحد، لأن يسوع المسيح لا يمكنه أن يكون مقسماً. لذلك تسمى الكنيسة جسم يسوع المسيح، وندعى نحن أعضاءه بحسب تعليم القديس بولس. فإننا جميعاً متحدون بيسوع المسيح بواسطة جسده المقدس، إذ نقبل فى أجسادنا الخاصة ذلك الجسد الواحد غير المنقسم. ومن ثم فأعضاؤنا تخصه، وهى له أكثر مما هى لنا» (٣).

---

(١) من القداس الباسيلى.

(٢) من القداس المرقسى الكيرلسى، ومن القداس الباسيلى.

(٣) كيريليانا صفحة ١٢٢.

حادى عشر: بسر القربان نحصل على إمتياز القيامة المجيدة.

فقد قال مخلصنا «من يأكل جسدى ويشرب دمى، فله الحياة الأبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير، لأن جسدى هو مأكل حقيقى، ودمى هو مشرب حقيقى» (١).

وليست هذه القيامة بالمعنى الواسع للقيامة العامة التى لابد حاصلة لجميع الناس قبل أن يقفوا أمام منبر الديان: «لأننا جميعنا لابد من أن نظهر أمام منبر المسيح لينال كل واحد على حسب ما صنع بالجسد خيراً كان أو شراً» (٢)، والتى قال فيها رب المجد وهو ذاته الديان «تأتى ساعة يسمع فيها جميع من فى القبور صوت ابن الله. فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (٣).

هذه القيامة الموعود بها لمن يتناول جسد الرب ودمه هى قيامة للحياة الأبدية، وهى قيامة للمجد العظيم مع جمهور القديسين. وقد صارت حقاً منعماً بها على الذين اتحدوا بجسد المسيح فى سر القربان، فإنه لما كان جسد المسيح ممجداً، وغير قابل للفساد (٤) أو الموت من حيث هو أيضاً جسد القيامة (٥)، فمن يتناول منه يكتسب بتناوله منه وبفعالية الإتحاد به، عدم الموت وعدم الفساد(٦)، على الرغم من الموت الطبيعى الذى لابد أن يدرك الأجساد، لكنه بالنسبة لها لايعد موتاً بالمعنى الحقيقى ولا يعد إنحلاله فساداً، لكنه فى حقيقته تحلل مؤقت للعناصر الطبيعية إلى أن يجىء اليوم الذى عينه الرب للقيامة والدينونة (٧).

* * *

من نصوص القداس الإلهى:

ويظهر هذا الإعتقاد أيضاً فى ترتيب صلوات القداس، ففى الصلاة التالية للسجود وحلول الروح القدس على الخبز والخمر لتحويلهما إلى جسد الرب ودمه، يقول الكاهن «... لكى يكون لنا جميعاً، نحن المتناولين منهما... مشاركة لسعادة الحياة الأبدية وعدم الفساد...» (٨).

---

(١) (يوحنا ٦: ٥٤، ٥٥).
(٢) (كورنثوس الثانية ٥: ١٠)، (رومية ١٤: ١٠).
(٣) (يوحنا ٥: ٢٨، ٢٩)
(٤) (مزمور ١٥ (١٦) : ١٠)، (أعمال ٢: ٢٧، ٣١)، (١٣: ٣٥).
(٥) (كورنثوس الأولى ١٥: ٢٠) (يوحنا ٢٠: ١٩، ٢٦)، (لوقا ٢٤: ٥١، ٥٢).
(٦) (كورنثوس الأولى ١٥: ٥٠، ٥٢ ـ ٥٤).
(٧) (أعمال ١٧: ٣١)، (رومية ٢: ١٦).
(٨) من القداس المرقسى الكيرلسى.

ومن أقوال الآباء:

يقول القديس إيريناوس أسقف ليون:

«هكذا أجسادنا التى قبلت الأفخارستيا ليست بقابلة للفساد لأن فيها رجاء القيامة» (١). ويقول أيضاً «كيف يقولون: «إن ذاك الجسد الذى إغتذى من الرب ودمه، يصير إلى الفساد، ولا ينال الحياة؟! إذن فليعدلوا عن زعمهم، أو فليكفوا عن الذبيحة» (٢).

ويقول القديس غريغوريوس النيسى: «الجسد غير المائت لما يصبح داخل الذى يتناوله، إنما يحيله كله إلى طبعه غير المائت. ولكنه لا يمكن أن يكون شىء ما داخل جسدنا ما لم يختلط بأحشائنا بالأكل والشرب. فإنه تعالى من أجل وفور نعمته، قد دخل بالجسد ممتزجاً بجميع أجساد المؤمنين... لكى يشترك الإنسان **بعدم الفساد**، بإتحاده بالجسد غير المائت» (٣). ويقول أيضاً «بما أن هذا الجسد الذى اتخذه الله، قد قبل هذه النعمة (نعمة إحياء الموتى)، فليكن معلوماً أنه لا يمكن أن يشترك جسدنا **بالخلود وعدم الموت**، ما لم يصر مشتركاً بعدم الفساد بإشتراكه بذلك الجسد غير المائت» (٤).

ويقول القديس كيرلس الكبير بابا الأسكندرية المعروف بعمود الدين «أعطانا جسده الحقيقى ودمه، **لكى نتلاشى بهما قوة الفساد**، ويسكن فى أنفسنا بالروح القدس، ونصير شركاء بالقداسة، وإناساً روحيين أعلى من السماويين» (٥). ويقول أيضاً «ولو كان الموت الذى استولى علينا بسبب المخالفة قد أخضع الجسد البشرى لضرورة الفساد، فمع ذلك بما أن المسيح هو فينا بجسده، فإنا سنقوم بالتمام. **لأنه غير معقول، وغير ممكن، أن الحياة لا تُحيى الذين هى فيهم.. فكما أننا نُدْخِل شرارة النار فى التبن المجموع لتحفظ فيه مادتها. هكذا سيدنا يسوع المسيح فإنه بجسده يخفى حياته فينا، ويدخلها كأنه بذار عدم الموت، فيلاشى كل الفساد فينا** (٦)». ثم يقول هو نفسه كذلك: «كما أنه إذا ذوب أحد شمعاً بالنار ملتصقاً بشمع آخر، إنما يجعل من الإثنين شمعاً واحداً، هكذا المسيح عينه بإشتراكنا بجسده ودمه الثمين، يتحد بنا، فنستحيل إليه، ونتحد به، **ولا يمكن أن يحيا ذاك الذى من طبعه قابل الفساد ما لم يتحد جسدياً بجسد الذى هو الحياة طبعاً، أى الابن الوحيد**» (٧).

---

(١) الرد على الهراطقة كتاب ٤ فصل ١٨ فقرة ٥.
(٢) الرد على الهراطقة كتاب ٤ فصل ١٨ فقرة ٥.
(٣) خطابه التعليمى فصل ٣٧.
(٤) خطابه التعليمى فصل ٣٧.
(٥) فى (متى ٢٦: ٢٦).
(٦) فصل ٦: ٥٥ فى إنجيل يوحنا ٤: ٢.
(٧) كتاب ١٠، فصل ٢، يوحنا ١٥: ١.

ثانى عشر: سر القربان يُعدُّنا للأبدية السعيدة وللأمجاد السمائية

قال له المجد «أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز، **يحيا إلى الأبد**.. من يأكل جسدى ويشرب دمى **فله الحياة الأبدية**.. هذا هوالخبز الذى نزل من السماء من يأكل هذا الخبز، **فإنه يحيا إلى الأبد**» (١).

فما دام سر التناول هو «خبزنا للآتى» (٢) **الذى نتزود به للدهر الآتى وللحياة الأبدية، وما دام هو ذاته «شجرة الحياة»** (٣) **فإن من يأكل منه يحيا إلى الأبد.** لأن «الله أعطانا الحياة الأبدية وهذه الحياة هى فى إبنه» (٤)، «الذى فيه كانت الحياة» (٥) وهو «الطريق والحق والحياة» (٦)، **فكل من يتناول من جسده ودمه يحيا إلى الأبد.**

* * *

ولهذا يقرر الكاهن وهو يعدد فى صلوات القداس الإلهى بركات سر التناول «لكى يكون (جسد الرب ودمه) لنا نحن المتناولين منهما.. **مشاركة سعادة الحياة الأبدية**» (٧).

* * *

من أقوال الآباء:

يقول القديس **إيريناوس** «كيف يستطيعون أن يقولوا أن هذا الجسد الذى يغتذى من جسد المسيح ودمه لا يشترك بموهبة الله التى هى **الحياة الأبدية**» (٨).

* * *

ويقول القديس **أمبروسيوس** «إن المقصد الأصلى من الإشتراك بالأسرار الطاهرة هو **الإشتراك بالحياة الأبدية**» (٩).

* * *

---

(١) (يوحنا ٦: ٥١، ٥٤، ٥٨). أنظر أيضاً (يوحنا ٦: ٢٧، ٤٠، ٤٧).
(٢) انظر الكتاب صفحة ٤٠ ـ ٤٢.
(٣) انظر الكتاب صفحة ٤٧.
(٤) يوحنا الأولى ٥: ١١.
(٥) (يوحنا ١: ٤)، (يوحنا ٥: ٢٦).
(٦) (يوحنا ١٤: ٦).
(٧) الصلاة التى تلى الرشومات الثانية والسجود وحلول الروح القدس، من القداس المرقسى الكيرلسى.
(٨) الرد على الهراطقة، كتاب ٥ فصل ٢ فقرة ٣.
(٩) كتاب ١٠: ٤٩.

ويشبه الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين... الكهنة الذين يناولون المؤمنين من القربان المقدس بالجواسيس الذين ذهبوا ليتجسسوا أرض كنعان وعادوا يحملون إلى بنى إسرائيل من ثمارها (١) ليشوقوهم إلى أرض كنعان ويشجعوهم على إحتمال المتاعب فى سبيل الوصول إليها. ثم يقول: «كذلك الكهنة يأتون إلى شعب المؤمنين بلحم المسيح ودمه، ليروهم ويذيقوهم إياهما، فيشتاقون إلى ملكوت السماوات الذى فيه يعيشون حياة مؤبدة.. فالقربان هو عربون ثمار ملكوت السماوات الذى يحيى به المؤمن هناك» (٢).

* * *

وبعد، فماذا يعوزنا من خير ومن نعيم على الأرض أو فى السماء؟!

إننا بسر التناول نصير متحدين مع المسيح له المجد فى الأرض، وفى السماء. نحن فيه وهو فينا (٣). ماذا أقول «إذا كان الله معنا، فمن علينا» (٤) فماذا يعوزنا؟ «**الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شىء**». إنه لا يعوزنا معه شىء (٥). إنه لا يكون معنا فقط، بل يكون فينا. وما دام فينا ففيه لنا كل الغنى (٦).

وإذن «فمن يفصلنا عن محبة المسيح. أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف.. إنا فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا. فإنى لواثق بأنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أشياء حاضرة ولا مستقبلة، ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبه الله التى هى فى المسيح يسوع ربنا» (٧).

* * *

---

(١) سفر العدد ١٣: ٢٣.

(٢) الدر الثمين فى إيضاح الدين، طبعة القاهرة ١٩٢٥. المقالة الثالثة صفحة ١٢٢، ١٢٣.

(٣) يوحنا ٦: ٥٦.

(٤) (رومية ٣: ٣١)، (العدد ١٤: ٩)، (مزمور ١١٧ (١١٨): ٦).

(٥) رومية ٨: ٣٢.

(٦) مزمور ٢٢ (٢٣): ١.

(٧) كورنثوس الثانية ٨: ٩.

(٨) رومية ٨: ٣٥، ٣٧ ـ ٣٩.

فصل فى وجوب
التناول بتواتر من الأسرار المقدسة

تلك هى أهم القيم الروحية لسر التناول، وهى تكفى لبيان أهمية هذا السر، وأن حكمة الله رتبته لخير نفوسنا وبنيان أرواحنا.

وبالتالى يتضح لنا مما سبق أنه لا قيمة لإيماننا بهذا السر وإعتقادنا فيه، ما لم نئتفع ببركاته. بل إن إيماننا بالسر وإعتقادنا فى حقيقة الإستحالة الجوهرية، يحسب دينونة علينا، إذا أهملنا التقدم للسر وإستغلاله عملياً لفائدة أرواحنا ونفوسنا. فإهمال التناول شر وإستهتار وعدم تقدير، ولو كان بحجة نقص الإستعداد اللائق بجلاله.

* * *

إن سر الشكر هو محور عبادتنا الجمهورية، ومركزها الذى تدور حوله. وحضور القداس معناه حضور المائدة الربانية والوليمة السمائية. فما معنى حضور الوليمة إذا لم نأكل منها؟! فمن يدعى إلى وليمة ويلبى الدعوة إليها، يجب أن يكون مستعداً لأن يأكل منها، وإلا فإن حضوره يصبح لا معنى له، ويثير تساؤل الناس وإشمئزازهم، كما يعد إهانة لصاحب الوليمة ومدعويه، وإحراجاً لهم جميعاً.

إن عدداً كبيراً من المسيحيين لا يتقدمون إلى المائدة الربانية إلا فى مناسبات خاصة، وقليلة. فمنهم من لم يتناول من الأفخارستيا إلا مرة واحدة، يوم عماده. ومنهم من تناول يوم عماده ويوم زواجه ولم يتناول بعد ذلك. ومن الناس من يتقربون فى مناسبات عامة ومواسم كنسية كبيرة، كيوم خميس العهد وبعض الأعياد السيدية، أو عندما ينجح فى إنتخابه أو إختياره عضواً فى هيئة عامة.

وبعض الناس يتناولون من الأسرار المقدسة كلما كانوا إزاء مشكلة عسيرة أو موقف صعب، كبعض التلاميذ وطلبة المدارس والكليات الذين يتناولون قبيل الإمتحانات طلباً لمعونة الله ومساعدته. وبعض آخر يتناولون من السر المقدس للخلاص من مرض مستعص، أو للتغلب على صعوبة خاصة أو أزمة أو ضيقة شخصية أو عائلية أو مصلحية.

وليس الخطأ فى أن يتناول المؤمن من الأسرار المقدسة فى تلك المناسبات. ولكن الخطأ هو فى أن يكتفى بتلك المناسبات وحدها. والخطأ أيضاً فى أن يظن أن هدف التناول قاصر على تلك الأغراض الخاصة.

* * *

التناول عهد وميثاق:

إن التناول عهد وميثاق، بين المؤمن وبين الله، يجب تجديده دائماً حتى يذكره الإنسان ولا ينساه، أو يتحلل من إرتباطاته وإلتزاماته. وقد قال السيد المسيح (١): «اشربوا من هذا كلكم لأن هذا هو دمى للعهد الجديد».

التناول تذكار:

والتناول تذكار دائم لموت الرب وقيامته وعمله الفدائى. قال فادينا «اصنعوا هذا لذكرى» (٢). فهذا التذكار يجب إذن أن يكون عملياً لا نظرياً. فلا يكفى حضور القداس، والإستماع إلى الوعظ، بل يجب أن نحفظ وصية الرب ونطيع أمره. وهو يطالبنا لا بذكرى نظرية بل بصناعة عملية. ويقول: «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس، تخبرون بموت الرب إلى أن يجىء» (٣).

هذا وتذكار عمل الفداء دائماً فضيلة رئيسية فى حياتنا المسيحية. وإذن فالمواظبة على التناول ضرورة مسيحية تقوية.

التناول سر إتحادنا:

والتناول سر إتحادنا بالمسيح من جهة، وشركتنا مع بعضنا بعضاً من جهة أخرى.

«فإننا نحن الكثيرين خبز واحد وجسد واحد، لأننا جميعاً نشترك فى الخبز الواحد» (٤).

وهذه الشركة وذاك الإتحاد يقتضيان المواظبة على التناول، حتى تبقى عضويتنا فى جسد المسيح حية وقائمة دائماً.

---

(١) (متى ٢٦: ٢٧، ٢٨)، (مرقس ١٤: ٢٤)، (لوقا ٢٢: ٢٠).
(٢) (لوقا ٢٢: ١٩).
(٣) (كورنثوس الأولى ١١: ٢٦).
(٤) (كورنثوس الأولى ١٠: ١٧).

والتناول كما قلنا غذاء للنفس وقوت للروح، وكما أن الإنسان لا يكتفى بالطعام المادى مرة واحدة، وإنما يتناول منه فى كل يوم لتجديد قواه واستمرار نشاطه، وإلا أصابه الذبول والضعف، كذلك يجب التناول من الأسرار المقدسة بتواتر واستمرار لتجديد قوى النفس والذهن ومواصلة نشاطها.

* * *

من الكتاب المقدس:

وقد كان المسيحيون الأوائل منذ فجر العصر الرسولى الأول: «**يواظبون** على تعليم الرسل، **والشركة وكسر الخبز** والصلوات» (١).

* * *

ومن قوانين الكنيسة:

وفى قوانين الكنيسة وطقوسها أوامر صريحة لمختلف درجات الإكليروس والشعب بوجوب المواظبة على التناول، والتقدم إلى الأسرار المقدسة فى كل خدمة يحضرونها. وإلا فإن الحضور مع عدم التناول يعد استهتاراً من جهة، وعثرة للباقين من جهة أخرى.

ففى الدسقولية (تعاليم الرسل) أوامر صريحة بذلك. منها على سبيل المثال:

«ويتناول (الأسقف) هو أولاً من السرائر (٢) المقدسة. ثم يعطيهم **كلهم** منها على الطقس، **أى القسوس ثم الشمامسة ويعد ذلك كل الشعب: الرجال ثم النساء**».

«وبعد هذا فليكمل (الأسقف) القداس، **وكل الشعب** قيام يصلون بسكوت. وإذا فرغوا... فلتتقرب **كل رتبة وطقس** من الجسد الطاهر والدم الجليل بطقس، وخوف ورعدة، ونية، كمن يتقدم إلى جسد الملك» (٣).

ومن قوانين الرسل أيضاً...

«أيما أسقف أو قسيس أو شماس أو أحد من زمرة الكهنوت، لا يتناول عندما تصير تقدمة القربان، يجب أن يذكر السبب فى ذلك. فإذا كان سبباً مقبولاً عفى عنه. وأما إذا لم يذكر السبب،

---

(١) (أعمال ٢: ٤٢)، أنظر (أعمال ٢٠: ٧).

(٢) الدسقولية، باب ٣٦.

(٣) الدسقولية، باب ١٠.

فليفرز، لأنه صار سبب ضرر للشعب، وأثار الشك فى من رفع القربان أنه لم يقدمه على نحو سليم» (١).

«وليقترب الأسقف أولاً، وبعده القسوس والشمامسة، وبعدهم **سائر الشعب**، وبعد الذكور تتناول النساء. وليرتل إلى أن يتناول القربان **كافة** المؤمنين» (٢).

* * *

من ترتيب طقوس القداس...

هذا وفى **ترتيب طقوس القداس** ما يدل على أن جميع الحاضرين من المؤمنين يتقدمون بلا تأخير للتناول من الأسرار المقدسة، ولا يستثنى من ذلك إلا الممنوعون قانوناً من الشركة المقدسة (٣). لذلك كان محظوراً على غير المؤمنين والهراطقة، والموعوظين (الذين لم يتعمدوا بعد) أن يبقوا فى الكنيسة عند بدء قداس المؤمنين المتناولين.

وكان على الشماس (الدياكون) أن ينادى بصوت عال يأمر الموعوظين بالخروج، وكان على الإيبودياكونيين (نواب الشمامسة) أن يغلقوا الأبواب ويقوموا على حراستها ولا يسمحون لأحد بدخول الكنيسة أثناء قداس المتناولين: «ولا يفتحون الأبواب فى وقت القداس الطاهر، ولو كان على الباب، مؤمن» (٤).

ولما كان المسيحيون الحاضرون جميعاً يتقربون من الأسرار المقدسة فى كل مرة، فقد أمرت الكنيسة فى بدء القداس بقبلة المصافحة الرسولية (٥)، حتى يتأهلوا للتناول من جسد الرب ودمه. وتظهر هذه العلاقة بين القبلة الرسولية وبين التناول فى صلاة الصلح التى يقول فيها الكاهن: «وإجعلنا مستحقين كلنا، يا سيدنا، أن نقبل بعضنا بعضاً بقبلة طاهرة، لكى نتناول، بغير طرحنا فى دينونة من موهبتك غير المائتة السمائية» (٦).

---

(١) قانون ٦ من الكتاب الثانى، ويقابل القانون الثامن فى نسخة الروم. (٢) قانون ٥٢ من الكتاب الأول.

(٣) الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة للأسقف ايسيذوروس الجزء الأول، القرن الثانى ـ الرأس الرابع (طبعة القاهرة ١٩٢٣) صفحة ١٥٧.

(٤) قانون ٥٢ من الكتاب الأول من قوانين الرسل الأطهار.

(٥) (رومية ١٦: ١٦)، (كورنثوس الأولى ١٦: ٢٠)، (كورنثوس الثانية ١٣: ١٢)، (تسالونيكى الأولى ٥: ٢٦)، (بطرس الأولى ٥ : ١٤).

(٦) من قداس القديسين باسيليوس وإغريغوريوس. قارن القداس المرقسى الكيرلسى.

وعندئذ ينادى الشماس ويقول للشعب «قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة طاهرة، وطهروا قلوبكم من كل شر. وتأهلوا لموهبة الله، لكى تتناولوا من هذه الأسرار. فبها نفوز بالرحمة ومغفرة خطايانا كعظيم رحمته» (١).

من أقوال الآباء:

وكتابات الآباء فى القرون المسيحية الأولى تؤيد هذه القضية، وتثبت أن جميع المؤمنين الحاضرين بالكنيسة كانوا يتناولون من الأسرار المقدسة فى كل مرة:

وعلى سبيل المثال فقط، نذكر ما كتبه القديس الفيلسوف يوستينوس الشهيد، فى كتابه الإحتجاج الذى يرجع تاريخه إلى نحو سنة ١٥٠م، وهو بلا شك يصف ترتيب القداس فى زمن سابق على سنة ١٥٠م، لأنه يتكلم عن تقليد مسيحى مستقر:

«وبعد الفراغ من الصلوات (٢) نصافح بعضنا بعضاً بقبلة. ثم يؤتى إلى رئيس الإخوة (وهو الكاهن أو رئيس الكهنة) بخبز وكأس من خمر ممزوجة بالماء، فيأخذهما ويرفع الشكر والتمجيد.. وعند نهاية الصلوات والشكر يؤمن كل الشعب الحاضر قائلاً آمين.. فإذا قدم الرئيس الشكر، وآمن كل الشعب الحاضرين، يقوم الذين نسميهم بالشمامسة بتقديم جزء من الخبز المقدس والخمر.. لكل واحد من الحاضرين، كما يحملون جزءاً إلى الغائبين» (٣).

ويقول هو نفسه فى فصل تال:

«وفى اليوم المسمى الأحد، يجتمع فى مكان واحد جميع سكان المدن والأرياف حيث تقرأ كتابات الرسل أو أسفار الأنبياء بقدر ما يسمح الوقت.. وكما قلنا سابقاً، يؤتى بخبز وخمر وماء ويرفع الرئيس الصلوات ويقدم الشكر... ويؤمن الشعب الحاضرون قائلين: آمين. وتوزع الأسرار المقدسة ويتناول كل واحد منها، ويرسل قسم منها إلى الغائبين عن طريق الشمامسة» (٤).

ويقول القديس باسيليوس الكبير:

«**إن الإشتراك** فى جسد ودم المسيح المقدسين والتناول منهما فى كل يوم جيد ومفيد. لأنه هو (أى المسيح) يقول صريحاً (من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية) (٥) فمن

---

(١) من قداس القديسين باسيليوس وإغريغوريوس. قارن القداس المرقسى الكيرلسى.
(٢) هى الصلوات والأواشى السابقة لقداس المؤمنين. (٣) الإحتجاج ١: فصل ٦٥.
(٤) الإحتجاج ١ : فصل ٦٧. (٥) يوحنا ٦: ٥٤.

يرتاب فى أن الإشتراك فى الحياة **على وجه متواصل** ليس إلا حياة متنوعة! إنى فى الواقع أتناول من سر الشركة أربع مرات فى الأسبوع: فى يوم (الأحد)، وفى يوم الأربعاء، وفى يوم الجمعة، وفى يوم السبت، وفى الأيام الأخرى التى يكون فيها تذكار لأحد القديسين» (١).

ويقول القديس أوغسطينوس فى إحدى رسائله:

«يجب أن لا يمنع الإنسان نفسه عن **التناول يومياً** من جسد الرب لشفاء نفسه، إلا إذا كانت خطاياه عظيمة جداً بحيث تجعله مستوجباً لحكم الحرمان من الشركة المقدسة» (٢).

---

(١) رسالة ٩٣ إلى السيدة قيصرية فى عام ٣٧٢م.

(٢) رسالة ٥٤، فصل ٣: ٤.

إبتهـــــــال

أيهـا السيـد الرب يسـوع المسيح إلهنا. إنى أطأمن بقلبى، وفكرى ، وكل حـواسى البـاطنة، والظاهرة، تعبداً وشكراً، وتمجيداً، لمحبتك التى لا توسع، وغنى نعمتك الذى لا يعبر عنه.

أن تتنازل وتتجسد من أجلى، متخذاً صورتى وشكلى، وتشاركنى فى اللحم والدم، هذا حنان عظيم، أنا لا أستحقه...

وأن تتفضل فتفدينى بدمك وتذوق الموت بالجسد بدلاً عنى، لتعتقنى من عبودية إبليس ومن أسره، وتفتح لى الفردوس من جديد، فهذا حب كبير ليس له فى الدنيا مثيل. كلما تأملته وتفكرت فيه لم أجد له نظيراً فى كل تصورات بنى البشر الذين تأملوا آلهتهم وتغنوا بصفاتها.

لكنك يا خالقى لم تصنع ذلك كله فقط من أجلى. وإنما من فرط حبك أردت لى أن أحيا بك وفيك. فوهبتنى أن أجرؤ لا على الكلام معك فحسب بل أن أقترب للمس جسدك ودمك، بل أن تدخل بهما إلى جوفى، فيتحد بهما جسدى ودمى، فنصير معاً، أنت وأنا جسداً واحداً.

هذا هو سر الزواج الروحانى الذى يقرن نفسى بك، فتصبح به نفسى عروساً لك تصب فيها حبك ودمك لتحيا به وتثمر وتلد أولاداً لملكوت السماوات.

كيف لى يا إلهى أن أفهم هذا السر العميق! إنه أعلى من منسوبى، وأسمى من تفكيرى. إنى أؤمن به يارب فأعن إيمانى، وارفع عن عينى الحجاب لتبصرا مجدك وتعاينا جلالك. واسكب فىّ إيماناً بغير فحص، لأصدق وعدك وأثق فى قولك وقدرتك ثقة بغير حدود.

ارفع يا سيدى عقلى فوق إحتمال الحواس وامنحنى أن أسمو فوق الحسابيات والهندسيات والكيمائيات، وأعلو فوق مقاييس العقل المادى والمنطق البشرى..

أعطنى الرهبة التى تليق بهذا السر العظيم، والورع المناسب الذى أستقبل به موهبتك التى تعلو على الطبيعة...

هبنى فهماً أقوى من فهمى، وبصيرة أنفذ من بصيرتى الطبيعية...

اجعلنى أن أُسكب أمامك انسكاباً، وأَنطرح أمامك بالتمام، لتحل فى حلولاً حقيقياً، لا مجازياً، وتدخل إلى بيتى، إلى نفسى.

قل لى يارب: «إنه ينبغى أن أمكث اليوم فى بيتك»، اليوم قد حصل الخلاص لهذا البيت، «لأنه هو أيضاً ابن إبراهيم» بل هو ابنى الذى ولدته فى الجلجثة، ودفنته معى فى المعمودية، وأقمته معى للمجد..

تعالَ يارب وكلمنى «كلاماً به أخلص» وأحيا. ونَاجِ نفسى مناجاة العريس لعروسه التى أَخلص لها الحُبَّ وأَخلَصْتْ له الطاعة والوفاء «قل لنفسى خلاصك أنا».

ها أنت مزمع يا إلهى «أن تدخل تحت سقف بيتى»، وأنا غير مستحق، فماذا أصنع بك يارب؟ لا أدرى! لذلك أصرخ من أعماقى، وبإتضاع من لا يفهم: «يارب، ماذا تريد أن أصنع»! ولما كنت أيضاً لا أعرف كيف أرضيك كما ينبغى، فإنى أهتف مع أحد قديسيك وأقول «مر بما تريد، واصنع ما تأمر به».

هأنذا يارب. فأدخُل إلىَّ، لا على سبيل المجاز، أو الكناية، أو الإستعارة ادخل إلىَّ بكل ما فى هذه الكلمة من معنى. بل أيضاً بكل مالا يدخل فى لغة الناس من معنى ومن مبنى. ادخل إلى بيتى يارب، بالمعنى الذى تريده أنت، لا بالمعنى الذى أفهمه أنا وأتصوره.

ادخل يا مخلصىَّ، ادخل أيها الإبن الوحيد ومعك الآب والروح القدس، اصنع من بيتى مقراً ومنزلاً. لا ليوم واحد بل لجميع أيامى فى الأرض، وفى عالم الأبد.

ليكن اليوم الذى تقبل أن تدخل بيتى فيه، وأقبلك أنا فى بيتى فى سعادة لا توصف، هو يوم الدخول الذى لا خروج لك من بعده. ولتأت «ملائكة السماء فى خدمتك» فتحيط بى أيضاً من كل جهة.

* * *

ها أنا يارب أعددت بيتى وسريرى على قدر ما أفهم! نعم يا صاحب الجلالة إنه إعداد ناقص جداً، ولا يليق بتاتاً بإستقبالك يا إلهى. ولكننى أخشى أن أتباطأ عن قبولك بحجة إعداد نفسى الإعداد الكامل فأتلكأ أياماً وأتكاسل زماناً، وأحرم من وجودك معى دائماً، ولذلك فقد حزمت أمرى وقلت لنفسى: لن أتأخر عن اليوم بحجة إستعداد أكبر. ولعلك يا جابلى تكمل بنعمتك ومراحمك ما نقص من إستعدادى.

أُدخُل يارب، وافتح بيدك منافذ نفسى المغلقة لتستنشق من روحك القدوس ما يردّ إلى نفسى المتعبة «بهجة خلاصك» وتنعشها بفاعلية هذا القوت السماوى، أيها «الخبز الحى الذى نزل من السماء»، «الذى من يأكله يحيا إلى الأبد».

والآن، يارب، أريد أن أعطيك شيئاً إكراماً لدخولك فى بيتى، ولكن، ماذا أعطيك يارب! وهل أنا أملك شيئاً فى الحقيقة؟ أو هل أزعم أن شيئاً ما هو لى حتى يمكننى أمنحه لمن تحبه نفسى؟! لا، يا سيدى وملكى، كل شىء هو لك ومنك. وهذه النفس أيضاً. نفسى. هى أيضاً لك. فأنت الذى خلقتها على صورتك ومثالك. ولما بعتها للخطيئة بإرادتى وندمت وصرخت إليك، جئت أنت واشتريتها من جديد بثمن غال وغال جداً، اشتريتها بدمك. وإذن فنفسى لم تعد بعد لى. ولكنها للذى مات من أجلى، وقام.

إن كل ما أملك هو إرادتى. إرادتى هى وحدها لى. وأنت لم تشأ أن تحرمنى منها، ولا حتى أن تصيرها لك، إلا إذا أسلمتها أنا لك بإختيارى، لقد علمتنى يارب أنك تحترم إرادتى. وحتى عندما أغلق الباب دونك، تقف أنت على الباب تقرع، ولكنك لا تدخل إلا إذا فتحت أنا لك الباب!.

ومادام الأمر كذلك، فها أنا يارب أسلمك إرادتى بإرادتى، وأهبك مشيئتى بمشيئتى، حتى أصير كلى لك، بل ولكى أصير معك إرادة واحدة، فقد جعلتنا «شركاء الطبيعة الإلهية». فإننى آمنت بعد طول إختبار أنه لا خير لى إلا معك ولا سعادة لى إلا بك. «ومعك لا أريد شيئاً على الأرض». وكما قال أحد قديسيك «إن النفس تظل قلقة حتى تجد الراحة فيك».

* * *

يارب! وما دمت ستدخل بيتى، فسأشكو لك من نفسى، لكنى لست أريد أن أحزنك بأنبائى، فأنت تعرفها أكثر مما أعرفها أنا. ولست أروم أن أضايق حضورك، ولكنك لم تأت إلىّ لخير يعود عليك، بل لخير نفسى أنا «ولم تكن أنت محتاجاً إلى عبوديتى بل أنا المحتاج إلى ربوبيتك». فلا زلت أريد أن أشكو لك من نفسى، فإن دخولك إلىّ دخول الطبيب ليعالج المريض، ولابد لك أن تصنع بى خيراً حتى يزداد فرحى بك وإيمانى بمحبتك ثم بقدرتك، لأننى بدونك لا أستطيع شيئاً. وأنا أيضاً «لا أطلقك إن لم تباركنى».

ولكن بماذا أشكو يارب، وأنت لا تعلمه! أنت يا سيد «تعلم كل شىء»، ولست «محتاجاً إلى شهادة أحد عن الإنسان»، لأنك «تعلم ما فى الإنسان» وأنا لا أعرف نفسى كما يجب. إننى لم أبلغ إلى هذه الفضيلة بعد. أما أنت «يارب فقد فحصتنى وعرفتنى.. فهمت أفكارى من بعيد.. قبل أن يكون كلامى على لسانى. أنت يارب عالم به كله.. علم عجيب فوق طاقتى، أرفع من أن أدركه».

وكيف أشكو يارب، وأنا لا أعلم مم أشكو، ولا كيف أشكو! وإذا شكوت من أمر فإننى لا أحسن الشكوى، ولا أفهم مصدر الشكوى، ولا علة الداء.

* * *

يكفينى يارب، أن تدخل إلى بيتى، وبعد ذلك ستعرف أنت طريقك إلى نفسى، أنا لا أرشدك إلى نفسى، حاشا! ستدخل أنت إلىّ، بلاهوتك المتحد بجسدك ودمك. ولاهوتك كفيل بأن يكشف أغوار نفسى ويعرف طرقها وأخاديرها. وهو نار آكلة «تحرق جميع الأشواك الخانقة لنفسى» ولن تحرق فقط، بل بعد أن تحرق، تبدأ فتنير، وتنير جوانب نفسى. وبعد أن تستنير نفسى تصبح هى ذاتها نيرة وقادرة على أن تنير، وبالنور الذى دخل فيها. وسيظل يسطع عليها فيزداد توهجها ولمعانها ومن ثم يخرج النور من خارجها. فتبدأ هى أيضاً أن تنير من خارج ذاتها لأشخاصاً آخرين.

وهكذا يارب، يا «نور العالم»، تصيرنى أنا أيضاً «نوراً للعالم»، ولست أنا وحدى، بل كل الذين يقتبلون نعمتك، وتدخل أنت إلى نفوسهم، يصبحون بدورهم «نوراً للعالم» «يرى الناس أعمالهم الصالحة»، فيمجدون «أباهم الذى فى السموات».

* * *

نعم يارب «هكذا صارت المسرة أمامك» أن تدخل بيتى، وتطعمنى بيدك من جسدك الطاهر، ودمك الكريم. فلست إذن أنا المضيف. إنما أنت المضيفُ والمضيفُ معاً. وأنا لم أنفق فى ضيافتى لك شيئاً ولم أفقد شيئاً، بل لقد انتفعت وكسبت. إنما أنت الذى تنفق، ومع ذلك لا تفقد.

ها أنا يارب «أفغر فاى». وأنت تملؤه».

القيم الروحية

فى سر القربان المقدس

موضوعات وإجابات على أسئلة : ٣٢٣
١ ـ الاستحقاق للمائدة السمائية ٣٢٣
٢ ـ الخبز المختمر فى ليلة الفصح فى خميس العهد ٣٢٧
٣ ـ الروح هو الذى يحيى وأما الجسد فلا يجدى نفعاً ٣٢٩
٤ ـ متى يتحول الخبز والخمر ؟ ٣٣٣
٥ ـ ما معنى الفصح والفرق بينه وبين العشاء الرباني ؟ ٣٣٥
٦ ـ ننال الغفران بحق دم المسيح ٣٣٨
٧ ـ هل يجوز التقرب للأسرار المقدسة لمن لم ينل سر العماد؟ ٣٤٠
٨ ـ ارفع عقلك فوق الحسابيات والهندسيات ٣٤١
٩ ـ لا يتأخر المسيحى عن التناول أكثر من أربعين يوماً ٣٤٤
١٠ ـ جسد المسيح الذى نتناوله هو الذى ولد به والذى قام به ٣٤٨
١١ ـ ترتيب التناول من القربان المقدس ٣٥٠
١٢ ـ لماذا ذاق المسيح قبل أن يعطيهم الكأس؟ ٣٥٢
١٣ ـ الوضع الأمثل فى توزيع الأسرار على المتناولين ٣٥٤
١٤ ـ الغفران بدم المسيح ٣٥٦
١٥ ـ بالتناول ننال الخلاص والغفران والحياة الأبدية ٣٥٨
١٦ ـ لماذا الصوم قبل تناول سر القربان ؟ ٣٦١
١٧ ـ واجبات ما بعد التناول ٣٦٤
١٨ ـ مصير القربان فى المائدة الربانية ٣٦٦
١٩ ـ التقدم للمائدة الربانية يتطلب نظافة الروح والذهن والجسد ٣٦٨

٢٠ ـ من الذى يصلح لتوزيع الأسرار إذا توفى الكاهن أثناء الصلاة؟ ٣٦٩
٢١ ـ سر المائدة الربانية بعد عشاء الفصح بوقت غير قليل ٣٧٠
٢٢ ـ الخمر فى سر التناول ٣٧٢
٢٣ ـ ليس من اللياقة إلقاء العظة أثناء توزيع الأسرار المقدسة ٣٧٥
٢٤ ـ رحمة السلام، ذبيحة التسبيح ٣٧٦
٢٥ ـ هل يحق للدياكون أن يحمل الكأس؟ ٣٧٧
٢٦ ـ هل يجوز توزيع القربان على الناس فى مناسبات الجنازات والأكاليل؟ ٣٧٨
٢٧ ـ أكثر من صينية وكأس ٣٧٩
٢٨ ـ معنى خروج الكاهن بالصينية إلى باب الهيكل ٣٨٠
٢٩ ـ لماذا لا يقام أكثر من قداس على مذبح واحد؟ ٣٨١
٣٠ ـ فترة انقطاع الطفل الرضيع قبل التناول ٣٨٢
٣١ ـ اللوح المقدس ومتى بدأ استعماله ٣٨٣
٣٢ ـ لماذا يوضع الاسباديقون مقلوباً فى الكأس ؟ ٣٨٦
٣٣ ـ هل يضع البخور فى ملعقة الكأس ؟..... ٣٨٧
٣٤ ـ هل تغطى الصينية المقدسة باللفافة ؟..... ٣٨٩
٣٥ ـ اللفافة التى يلف بها الحمل ٣٩٠
٣٦ ـ أسئلة حول التناول من الكأس ٣٩١
٣٧ ـ هل يجوز مناولة النساء أكثر من مرة من الجسد والدم؟ ٣٩٣
٣٨ ـ هل يجوز تناول مسيحى تعرض لقتل أحد أقربائه؟ ٣٩٣
٣٩ ـ هل يحل التناول لمن طلق زوجته؟ ٣٩٤
٤٠ ـ الصوم الإنقطاعى بعد ممارسة سر التناول ٣٩٤
٤١ ـ الترتيب المتبع لمناولة أحد المرضى ٣٩٥
٤٢ ـ لماذا لا يستبقى شىء من القربان المقدس؟ ٣٩٧
٤٣ ـ لا يجوز أن يتسبب إنسان فرد فى وقف خدمة القداس ٣٩٩
٤٤ ـ مسئولية الكاهن كحارس لسر التناول ٤٠٠
٤٥ ـ لا مانع من التناول من الأسرار المقدسة ٤٠٢
٤٦ ـ لا يحق للرجل وزوجته أن يتقربان من المائدة الربانية إلا بعد الانضمام للكنيسة.. ٤٠٣
٤٧ ـ المفطرون وتناولهم الأسرار المقدسة ٤٠٤
٤٨ ـ هل يجوز التناول للمنحرفين فى العقيدة ؟..... ٤٠٦
٤٩ ـ سر التناول هو مطهرنا اليومى ٤٠٩
٥٠ ـ حقيقة إيماننا بتحول الخبز والخمر إلى جسد ودم ٤١٠

موضوعات وإجابات على أسئلة

١ ـ الاستحقاق للمائدة الربانية

سؤال : من الابن مجدى بديع لبيب المحامى: نرجو إلقاء الضوء حول المقصود من:

١ ـ التناول باستحقاق

٢ ـ التناول بدون استحقاق

الجواب :

جاء فى الكتاب المقدس:

«وإذن فمن أكل من هذا الخبز أو شرب من كأس الرب بغير استحقاق، يكون مجرماً إلى جسد الرب ودمه ولكن ليمتحن الإنسان نفسه، ومن ثم فليأكل من الخبز ويشرب من الكأس. لأن من يأكل ويشرب بغير استحقاق، يأكل ويشرب دينونة لنفسه، إذ لم يميز جسد الرب. من أجل هذا كثر فيكم المرضى والضعفاء، وكثيرون منكم يموتون. فلو أننا حاسبنا أنفسنا لتجنبنا الحكم علينا. وإذ قد حكم الرب علينا، إنما يؤدبنا الرب، حتى لا ندان مع العالم» (١ . كورنثوس ١١ : ٢٧ – ٣٢).

أما الاستحقاق لغوياً فهو الإستيجاب، والاستئهال، والأهلية. ويقال (عن استحقاق) أى (عن جدارة)، (عن أهلية)، والاستئهال للأمر.

وعلى ذلك، فعلى قول الكتاب المقدس إن من يتقدم للمائدة الربانية، وهو ليس أهلاً لها، وغير جدير بها، وغير خليق لها، فقد أوقع نفسه تحت دينونة إلهية. وأمسى مغضوباً عليه من الله، لأنه تجاسر واقتحم الأقداس بغير الأهلية التى يتطلبها الاقتراب من المقدسات. وبدلاً من البركة والنعمة يجلب على نفسه اللعنة والنقمة.

لذلك جاء فى كتاب الافخولوجيون (كتاب صلوات القداس) أن الكاهن بعد الفراغ من صلوات القداس، وقبيل التقرب من المائدة الربانية يصيح بصوت واضح «**فليدن من كان طاهراً من الأسرار المقدسة. ومن كان غير طاهر، فلا يدن منها لئلا يحترق بنار اللاهوت**»، «**إنها هذه الجمرة الحقيقية المعطية الحياة للنفس والجسد والروح**».

١ ـ ولعل أول ما ينبغى أن يتوافر فى من يتقرب إلى المائدة الربانية **أن يكون مؤمناً، مسيحياً تقياً، ومن ثم مؤمناً بحقيقة المائدة الربانية، وماهيتها، وأنها المن**

السماوى (يوحنا ٦: ٤٩ ـ ٥١) وأنها شجرة الحياة (التكوين ٢: ٩)، (٣: ٢٢)، (الجليان ـ الرؤيا ٢: ٧)، (٢٢: ٢، ١٤)، وأن يرتفع بروحه وإيمانه فوق الحسابيات والهندسيات، على ما يقول القديس يوحنا ذهبى الفم، وهذا هو المقصود من وصف من يتقرب بغير استحقاق بأنه «**غير مميز جسد الرب**» (١. كورنثوس ١١: ٢٩) ومن قول الكتاب المقدس: «ولكن ليمتحن الإنسان نفسه. ومن ثم فليأكل من الخبز ويشرب من الكأس **لأن من يأكل ويشرب بغير استحقاق، يأكل ويشرب دينونة لنفسه**» (١. كورنثوس ١١: ٢٨، ٢٩).

٢ ـ ومن ثم، مع الإيمان العميق، **يجب أن يتقدم المؤمن إلى المائدة الربانية فى رهبة، ومخافة، وخشوع، وتوقير، وأدب، وإحترام، وإجلال، وسجود، وإنسحاق، وشعور عميق بعدم الإستحقاق، وعدم الأهلية**، «ومن هو كفؤ لهذه الأمور» (٢. كورنثوس ٢: ١٦) «وكان المنظر رهيباً حتى إن موسى قال: «أنا مرعوب ومرتعد» (العبرانيين ١٢: ٢١)، (التثنية ٩: ١٩).

على أن جلال المائدة الربانية يقتضى أن يكون المتقدم إليها، **طاهراً، روحاً ونفساً، وفكراً وجسداً. والطهارة** هى النقاء، وهى الخلو من الدنس والنجاسة ومن كل تلوث، فى الروح والنفس والجسد.

وحقاً إنه ليس ثمت من يزعم أنه طاهر تماماً من كل دنس للروح والنفس والبدن. ولكن لا أقل من أن «**يمتحن الإنسان نفسه**» (١. كورنثوس ١١: ٢٨) فلا يتقرب وقلبه وفكره ملوث بالنجاسة والشهوة الرديئة، أو قلبه ملوث، وفكره مشتعل محترق بالحقد أو البغضة أو الكراهية لأحد من الناس، ولا يتقرب وجسده غير نظيف من التلوث والفساد والدنس وإلا فإنه يأخذ نقمة بدلاً من النعمة، ودينونة بدلاً من الغفران «فإن هذه هى مشيئة الله، قداستكم، فتمنعوا عن الزنا، وأن يعرف كل واحد منكم كيف يصون جسده فى القداسة والكرامة. فلا يدع الشهوة تستولى عليه كالوثنيين الذين لا يعرفون الله» (١. تسالونيكى ٤: ٣ ـ ٥).

ولا يحتج أحد بقوله: لماذا إذن يتقرب المؤمن للمائدة الربانية؟ أليس فيها التطهير مع الغفران؟ فالحق الإلهى أن مهمة المائدة الربانية **الأولى هى أنها خبز الحياة الأبدية، لمن يتقدم إليها باستحقاق، ومعها وفيها ينال الخلاص وغفران الخطايا** على أن يكون المتقدم طاهراً فى نيته وقصده، ولا يطوى قلبه أو فكره على رغبة فى شهوة رديئة، أو حقد أو حسد أو كراهية لأحد.

ولذلك يردد الكاهن أثناء خدمة القداس أن فعاليات الخبز السماوى هى أنه **يعطى خلاصاً وغفراناً للخطايا، وحياة أبدية لمن يتناول منه**. وطبعاً هذه الفعاليات هى لمن يتقدم باستحقاق، خالياً قلبه وفكره من الشهوة الرديئة ومن كل ما يلوث نيته وقصده وقلبه من الشر والخطيئة «**لأن الله لم يدعنا للنجاسة، بل فى القداسة**» (١ . تسالونيكى ٤ : ٧).

وإلا فلماذا يقول الكتاب المقدس: **ليمتحن الإنسان نفسه**، ومن ثم فليأكل من الخبز ويشرب من الكأس، **لأن من يأكل ويشرب بغير استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه،... من أجل هذا كثر فيكم المرضى والضعفاء وكثيرون منكم يموتون**» (١ . كورنثوس ١١ : ٢٨ - ٣٠).

مبيناً بذلك النقمة على الذين يتقدمون للمائدة الربانية باستهتار، وقلة إيمان وقلوبهم وأفكارهم وأجسادهم ملوثة بالنجاسة والدنس، والنقمة الإلهية تدركهم روحياً وجسدياً... أما لأرواحهم فيأخذون لأنفسهم دينونة، ويجلبون على أنفسهم الغضب الإلهى لأنهم وهم نجسون، اقتحموا المائدة الربانية. وأما لأجسادهم فيدركهم المرض والضعف، وقد يسخط الله عليهم فيموتون، حالاً أو بعد حين. من ذلك ما ورد عن عير بكر يهوذا: «وكان عير بكر يهوذا شريراً فى عينى الرب، **فأماته الرب**» (سفر التكوين ٣٨ : ٧)، (١ . أخبار الأيام ٢ : ٣).

لهذا كله يجب أن يمارس المؤمن **التوبة الصادقة عن خطاياه**، قبل أن يتقدم للمائدة الربانية.

والتوبة قوامها:

١ - الندم وانسحاق القلب والحزن على الخطيئة.

٢ - العزم الصادق على تجديد السيرة.

٣ - الرجاء فى مراحم الله وعدم اليأس.

٤ - الاعتراف العلنى بالخطايا إلى الله على يد الكاهن، وتنفيذ ما يأمره به الكاهن فيما يعرف بالتأديبات الكنسية، ومنها رد الحقوق المسلوبة لأصحابها، ورفع الظلم عمن يكون قد ظلمهم الخاطىء بالفعل أو بالفكر، ومنها الصوم والمطانيات (السجدات) والصلوات.. فإذا أقر الكاهن المسئول توبة الخاطىء منحه الحل للتقدم للمائدة الربانية، والمن السماوى لينال به (الخلاص) وغفران الخطايا والحياة الأبدية لمن يتناول منه».

وهنا، تتجلى مسئولية الكاهن الرهيبة فإنه وكيل سرائر الله ، ثم يسأل فى الوكلاء لكى يوجد الإنسان أميناً، (١ . كورنثوس ٤ : ١، ٢) .

جاء فى الوصية التى يتلوها الأسقف على القسيس يوم رسامته أو سيامته كاهناً قوله:

،والواجب عليك.. الاحتراز فى توزيع أسرار الرب المحيية.. وكن على يقين من أن الشاروبيم والسارافيم وقوف بالمخافة والارتعاد... وكن حارساً لهذه الذخيرة المقدسة كحراسة الشاروبيم لشجرة الحياة. واحترز على هذه السرائر احترازاً يخلصك من الجرائر. ولا تناوله إلا للحسن السيرة، الصالح السمعة، الطاهر السريرة . وَرُدْ من كانت طريقة شريرة، لئلا يقتل نفسه، تكون أنت السبب فى الجريرة (=الذنب والجناية) واحذر من الإهمال فتحصل المضرة، فإن العالم كله لا يساوى منه مثقالاً من ذرة...» .

٢ ـ الخبز المختمر فى ليلة
الفصح فى خميس العهد

سؤال : من الإبن نشسأت عبده ميخائيل ـ شبرا الخيمة.

يقول إن كثيرين من الآباء المعاصرين وعامة الخدام بالتربية الكنسية ينادون بأن المسيح له المجد قد احتفل قبل تأسيس الأفخارستيا ليلة خميس العهد بخروف الفصح وأكله مع تلاميذه رغم أن هذا يؤدى بنا إلى الاعتقاد بممارسة سر الأفخارستيا بالفطير وليس بالخبز الخمير.. إذ لا يجوز وجود الخمير بعد ذبح خروف الفصح.

الجواب :

نعم إن المسيح له المجد احتفل بالفصح فى مساء الخميس، المعروف بخميس العهد، ليلة الجمعة التى تم فيها الصلب.

جاء فى الإنجيل:

«وفى أول أيام الفطير، حين كانوا يذبحون الفصح، قال له تلاميذه أين تريد أن نمضى ونعد لك لتأكل الفصح؟ فأرسل إثنين من تلاميذه (بطرس ويوحنا) قائلاً لهما: إذهبا إلى المدينة، وهناك سيلقاكما رجل يحمل جرة ماء فاتبعاه وحيث يدخل قولا لرب البيت إن المعلم يقول أين المكان الذى سآكل فيه الفصح مع تلاميذى؟ ولسوف يريكما قاعة عليا مؤثثة ومهيأة فأعدا لنا هناك فخرج التلميذان وحين أتيا إلى المدينة وجدا كما قال لهما، فأعدا الفصح» (مرقس ١٤: ١٢ ـ ١٦)، (متى ٢٦: ١٧ ـ ١٩)، (لوقا ٢٢: ٧ ـ ١٣).

ومعنى ذلك أن المسيح له المجد قد باشر الفصح فى اليوم «**الذى كان ينبغى أن يذبح فيه الفصح**» (لوقا ٢٢: ٧)، وهو اليوم الرابع عشر من شهر أبيب.

غير أن رؤساء الكهنة أتخذوا قراراً خاصاً فى تلك السنة أن يؤخروا عيد الفصح يوماً ليتمكنوا من صلب المسيح، حتى إنهم فى يوم الجمعة الذى تم فيه صلب المسيح (لوقا ٢٣: ٥٤)، كما يقول الإنجيل «أما يسوع فجاءوا به فى الصباح الباكر من عند قيافا إلى دار الولاية، **ولم يدخلوا هم دار الولاية مخافة أن يتنجسوا فلا يتمكنوا من أن يأكلوا الفصح**» (يوحنا ١٨: ٢٨) أى أن أكل الفصح كان يوم الجمعة مساء، وعيد الفصح السبت (يوحنا ١٩: ٣١).

أما المسيح فقد باشر الفصح فى الخميس مساء، وهو اليوم الرابع عشر من أبيب، اليوم «الذى

كان ينبغى أن يذبح فيه الفصح، (لوقا ٢٢ : ٧)، ولذلك لم يحدث أن إعترض اليهود على المسيح أو إتهموه بأنه باشر الفصح فى غير موعده . أما هم - أى اليهود - فقد أجلوه يوماً حتى **إنهم لم يدخلوا فى صباح الجمعة دار الولاية مخافة أن يتنجسوا فلا يتمكنوا من أن يأكلوا الفصح (يوحنا ١٨ : ٢٨) .**

من هنا، وبحسب أوامر القيادات اليهودية لم يكن قد بدأ أكل الفطير، **فالمسيح له المجد باشر الفصح ثم العشاء الريانى بخبز مختمر،** ومما تجدر ملاحظته أن الكلمة اليونانية فى قوله (أخذ خبزا) . (متى ٢٦ : ٢٦)، (مرقس ١٤ : ٢٢)، (لوقا ٢٢ : ١٩) هى λαβὼν ἄρτον وباللغة القبطية ⲁϥϫⲓ ⲛⲟⲩⲧⲱⲓⲕ علماً بأن ARTOS ἄρτος هو (الخبز المختمر) وكذلك ⲱⲓⲕ بالقبطية OIK بينما أن الكلمة اليونانية التى تعنى (الفطير) هى ἄζυμος AZYMOS أى الخبز غير المختمر - أو الفطير كما فى قوله «سبعة أيام تأكلوا **فطيراً**» (سفر الخروج ١٢ : ١٥)، (١٢ : ٨، ١٧، ١٨) .

والكنيسة الأرثوذكسية لهذا السبب تباشر الأفخارستيا **بالخبز المختمر، إقتداء بالسيد المسيح له المجد الذى باشره بالخبز المختمر.**

٣ - الرُّوح هو الذى يحيى وأما الجسد فلا يجدى نفعاً

سؤال : من الإبن متياس رفائيل القس بطرس - الأسكندرية.

يقول: قال السيد المسيح له المجد «أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى سأعطيه أنا هو جسدى الذى سأبذله من أجل حياة العالم» ويقول الإنجيل. فأخذ اليهود يجادلون بعضهم بعضاً قائلين: «كيف يستطيع هذا أن يعطينا جسده لنأكله» فقال لهم يسوع: «الحق الحق أقول لكم: مالم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فلن تكون لكم حياة فى أنفسكم. من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير لأن جسدى هو طعام حقاً، ودمى هو شراب حقاً. من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى، وأنا أيضاً أقيم فيه. كما أن الآب الحى قد أرسلنى، وأنا كذلك أحيا بالآب، هكذا فإن الذى يأكلنى يحيا بى. هذا هو الخبز الذى نزل من السماء قالوا: «إن هذا الكلام عسير من يستطيع أن يستمع إليه».. قال لهم: ... «أهذا يجعلكم ترتابون؟ فماذا لو رأيتم ابن الانسان صاعداً إلى حيث كان من قبل؟ إن الروح هو الذى يحيى، وأما الجسد فلا يجدى نفعاً. والكلام الذى قلته لكم هو روح وحياة. ولكن قوماً منكم لا يؤمنون». (يوحنا ٦: ٥١ - ٦٤).

أفهل يُفهم من كلام السيد المسيح أن جسده له المجد لا يُجدى نفعاً؟ وإنما الذى ينفع هو المعنى الروحى لكلامه؟

الجواب :

فى هذا الحوار أظهر المسيح له المجد أنه هو (شجرة الحياة). عندما خلق الله آدم وجعله فى جنة عدن، أظهر له (شجرة الحياة) فى وسط الجنة (التكوين ٢: ٩). وذلك ليأخذ من (شجرة الحياة) ويأكل ويحيا إلى الأبد (التكوين ٣: ٢٢). لأنه حيث أن آدم قد خلق فى الزمان، فهو كائن قابل للفناء، ولكن الله من فيض حبه للإنسان أراد له الحياة إلى الأبد، فكان لابد أن يمنحه الله ما يكفل له الحياة إلى الأبد، فجعل له (شجرة الحياة) فى وسط الجنة، وأظهرها له كما جاء أيضاً فى القداس الإلهى، على أن آدم رغب أن يأكل من شجرة معرفة الخير والشر التى نهاه الله عن أن يأكل منها وقال له «وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت» (التكوين ٢: ١٦)، فمد آدم يده وأكل من الشجرة المنهى عنها، فمات، وبالتالى لم يعد مستحقاً لأن يأكل من (شجرة الحياة)، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن، وطرده منها، وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة، ليمنع الإنسان

من دخول الجنة التى طرد منها ومن أن يأكل من (شجرة الحياة)، إذ لم يعد مستحقاً للحياة الأبدية بعد أن أراد لنفسه الموت بأكله من الشجرة المنهى عنها.

ومنذ ذلك التاريخ لم يستطع آدم أن يعود إلى الجنة التى طرد منها، وبالتالى لم يستطع أيضاً أحد من أبناء آدم جميعاً أن يعود إلى الجنة. فقد إنتقلت إليهم، وسرت فيهم لوثة الخطيئة، ولذلك فإن جميع بنى آدم، نزلت أرواحهم بعد الموت إلى الجحيم.

وظل الأمر كذلك، فأشفق الله على آدم وبنيه وأراد أن يخلصهم من عبودية الخطيئة ومن حكم الموت ومن مصير الهلاك الأبدى فى جهنم النار الأبدية ،فإن جميع الناس قد خطئوا، فأعوزهم مجد الله، (رومية ٣: ٢٣) لهذا شاء الله أن ينزل بنفسه من السماء ويخلص آدم وبنيه. وحتى لا تحترق الأرض من بهاء لاهوته ،تخلى عن مجده واتخذ صورة العبد، وصار فى شبه البشر بهيئة إنسان، (فيلبى ٢: ٧، ٨)، وجعل ذاته بدلاً من الإنسان، وقبل الموت فى جسده ليفدى الإنسان من الموت، فكان هو الفادى والمخلص وحده ،والذى ليس بأحد غيره الخلاص، (أعمال الرسل ٤: ١٢) وبذلك جعل نفسه ،حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم، (يوحنا ١: ٢٩، ٣٦). ليفدى الإنسان.

وهذا هو المعنى من قوله له المجد ،أنا هو الخبز الحى النازل من السماء ليأكل منه الإنسان فلا يموت. أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء، (يوحنا ٦: ٥١).

ومن فيض حبه ونعمته لم يكتف لعمل الفداء والخلاص بقبول حكم الموت فى جسده بدلاً من الإنسان ليفدى الإنسان، وإنما شاء أيضاً أن يمنح الإنسان الذى فداه بموته، الحياة الأبدية التى كان قد فقدها بالخطيئة، فأعطى للإنسان أن يأكل من جسده ويشرب من دمه، ليحيا بهما إلى الأبد، وبهذا يسترد الإنسان ما كان قد فقده بالخطيئة من إمتياز الحياة إلى الأبد، بشرط أن يأكل الإنسان من جسد المسيح ويشرب من دمه ليأخذ منه الحياة، فالمسيح إذن هو شجرة الحياة التى إذا أكل منها الإنسان يحيا إلى الأبد (الجليان ـ الرؤيا ٢: ٧)، (٢٢: ٢، ١٤).

وكما أن الجنين فى بطن أمه وهو كائن ضعيف، يحيا من دم أمه الذى ينتقل إليه من خلال المشيمة، فليس له حياة من ذاته، وإنما يأخذ حياته من أمه، وكذلك بعد أن يشرب من دمها ويولد منها، بأن يرضع من لبن ثدييها، كذلك شاء المسيح الإله من فيض حبه أن يعطينا من جسده ودمه، لتكون لنا منه الحياة كما قال ،فإن الذى يأكلنى يحيا بى، (يوحنا ٦: ٥٧) فالمسيح إذن هو بحق (شجرة الحياة) التى أظهرها الله لآدم ليحيا بها إلى الأبد، ولكنه إذ فقد هذا الإمتياز

بأكله من الشجرة المنهى عنها، استرده فى العهد الجديد بالمسيح الذى نزل من السماء، بعد أن فدانا بدمه، جعلنا به مستحقين أن نأخذ منه الحياة، فنحيا إلى الأبد.

هذا هو المغزى من سر المائدة الربانية «الحق الحق أقول لكم: ما لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فلن تكون لكم حياة فى أنفسكم. من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير. لأن جسدى هو طعام حقاً، ودمى هو شراب حقاً. من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىّ وأنا أيضاً **أقيم فيه هكذا فإن الذى يأكلنى يحيا بى**» (يوحنا ٦: ٥٣ - ٥٧).

على أن ***جسد المسيح له المجد ليس هو مجرد لحم وإنما هو الجسد الإلهى المتحد باللاهوت***، والحق أن فى هذا قوة ونفع التناول من جسده له المجد، **لأن المتناولين من جسده يتحدون بالمسيح بعمل اللاهوت المتحد بجسده وفعله**. وهذا هو المعنى من قوله له المجد «إن الروح هو الذى يحيى، وأما الجسد فلا يجدى نفعاً» وفى ذلك تصحيح لفهم اليهود الذين ظنوا أن المسيح بقوله «لأن جسدى هو طعام حقاً، ودمى هو شراب حقاً» إنه يعنى بجسده مجرد لحم جسده، وكأن المسيح يبيح للمؤمنين به أن يرتدوا إلى مستوى الشعوب آكلات اللحوم البشرية، وهو الخطأ الذى وقع فيه الوثنيون فى العصور القديمة فاتهموا المسيحيين بأنهم آكلة اللحوم البشرية، وذلك بسبب سوء الفهم الذى تسرب إليهم عن سر القربان والمائدة الربانية.

وهو ما نقرأ عنه فى كتابات ورسائل المدافعين عن المسيحية من أمثال أثيناغوراس وأكليمنضس الأسكندرى واوريجانوس ممن ترد فى كتاباتهم الردود على إتهام الوثنيين للمسيحيين بأنهم من آكلات اللحوم البشرية.

وعلى ذلك، فهذا هو المعنى من قوله له المجد «أما الجسد فلا يجدى نفعاً» أى الجسد من حيث هو لحم. أما الجسد الذى يفيد فهو (الجسد متحداً باللاهوت). فبفعاليات اللاهوت يحيا المتناولون فيخلق سر القربان فيهم الحياة التى تدوم إلى الأبد.

هكذا علم آباء الكنيسة، وقال البابا كيرلس الأول عمود الإيمان والقديس أوغسطينوس إن المعنى من قول المسيح هو أن جسده مجرداً عن الروح ومن دون اللاهوت المتحد به لا يمنح الحياة والقيامة، وإنما الذى يمنح الحياة والقيامة هو الروح أى اللاهوت المتحد بالجسد، فهو الذى يحيى النفس والجسد. وبهذا المعنى يقال إن العين لا تنظر والأذن لا تسمع بل الروح هى التى تنظر بالعين وتسمع بالأذن.

وقال القديس يوحنا ذهبى الفم فى تفسير قول المسيح «وأما الجسد لا يجدى نفعاً» إذ ظننتم أنكم تأكلون جسدى فقط وتأكلونه كلحم الضأن فهو أمر لا يفيد شيئاً فى الحياة الأبدية، وإنما بالفهم الروحى تتبينون أنكم تأكلون جسدى متحداً بلاهوتى تحت أعراض الخبز والخمر وهو الذى يحيى النفس والجسد.

وقال أيضاً بعض القديسين فى فعاليات سر القربان إن دم المسيح يصب فى شرايينا، وجسده يتحد بجسدنا، وهو بلاهوته **يقيم فينا**، فنحيا به ويعمل هو فينا ويقدس طبيعتنا ويطهرنا، ويجعلنا واحداً معه. يقول المسيح له المجد «من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىّ، **وأنا أيضاً أقيم فيه فإن الذى يأكلنى يحيا بى**» (يوحنا ٦: ٥٧).

٤ - متى يتحول الخبز والخمر

سؤال : من السيد لويز اسكتندر وهبة بملبورن - استراليا.

نعلم أن الخبز والخمر لا يتحولان إلى جسد ودم إلا بعد السجود الأول «اسجدوا لله بخوف ورعدة» فلماذا إذن يقال فى مرد الشماس «قبلوا الكبيرة» ارفعوا أعينكم إلى ناحية المشرق لتنظروا المذبح وجسد ودم عمانوئيل إلهنا موضوعين عليه»؟

الجواب :

يبدو أن التقليد الذى كان سائداً منذ أقدم العصور فى الكنيسة الأرثوذكسية هو حفظ ذخيرة من الأسرار المقدسة لمنفعة المؤمنين المشرفين على الموت خصوصاً فى الأيام التى لا تقام فيها قداسات. فالمعروف أن القداس كان يقام فى العصور الرسولية الأولى فى أيام الأحد والسبت ثم الأربعاء والجمعة من كل أسبوع، ولم يكن ميسوراً ولا مألوفاً أن يقام القداس فى أيام الأسبوع الأخرى إلا إذا وقع فيها عيد أو مناسبة خاصة.

ولا زالت بعض الكنائس الأرثوذكسية الأخرى الشرقية القديمة، ومن بينها الكنيسة السريانية والكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية تحفظ هذه العادة وتحتفظ بذخيرة من الأسرار المقدسة تضيفها فى القداس التالى إلى العناصر الجديدة كخميرة مقدسة وكذلك تصنع الكنائس البيزنطية التى تسمى أيضاً بالأرثوذكسية الشرقية الخلقيدونية فهى تحتفظ بذخيرة من الأسرار المقدسة للقداس التالى ولديهم طقس يعرف «بالقداس السابق تقديسه».

أما كنيستنا القبطية فلابد أنها كانت بالمثل تحفظ ذخيرة من الأسرار المقدسة ليتناول منها من تدعو الضرورة إلى مناولته فى وقت يتعذر إقامة القداس فيه، بدليل ما يردده الشماس فى الهيكل، فى مطلع القداس وقبل حلول الروح القدس على الخبز والخمر لنقلهما إلى جسد الرب ودمه «ارفعوا أعينكم تجاه المشرق، لتنظروا المذبح وجسد ودم عمانوئيل إلهنا موضوعين عليه والملائكة ورؤساء الملائكة قيام.. الخ».

ولا يستقيم لتفسير ذلك قول من يقول أن الكلام ينصرف إلى ما سوف يكون بعد حلول الروح القدس، فالعبارة واضحة وصريحة ولا تحتمل ذلك التفسير «ارفعوا أعينكم لتنظروا المذبح وجسد ودم عمانوئيل إلهنا موضوعين عليه».

إنما هناك سببان رئيسيان حملا آباء كنيستنا المرقسية القبطية إلى وقف عادة حفظ ذخيرة الأسرار المقدسة.

الأول : هو الظروف القاسية التى عانتها الكنيسة القبطية فى مصر فى أزمنة الاضطهاد حيث كان أعداء الدين المسيحى يقتحمون كنائسنا، ويهجمون على الكهنة فى الهيكل ويهينون الأسرار المقدسة.

وقد كان الإعتداء على حرمة الأسرار المقدسة سبباً فى بعض الإجراءات التى اتخذتها الكنيسة توقياً وتفادياً لهذه الإعتداءات والإهانات.

من ذلك: تغيير إتجاه موقف الشماس الخديم مع الكاهن أثناء القداس، فصار يقف فى شرق المذبح مواجهاً للكاهن حتى يرقب من مكانه باب الكنيسة فى الغرب، فإذا رأى دخيلاً اقتحم الباب، وأدرك إنه سيعتدى على شعائر العبادة ويهين الأسرار أسرع بتنبيه الكاهن، ليتخذ حيطته.

ولذلك يلاحظ فى بعض الكنائس القديمة مخبأ للأسرار المقدسة تحت المذبح من الجهة الشرقية، وكان لهذا المخبأ أحياناً دولاب من الخشب يغلق ويحكم إغلاقه عند الإعتداء.

وفى بعض الكنائس القديمة الأخرى، نجد هذا المخبأ فى الجهة الشرقية من المذبح يتصل بسرداب تحت الهيكل حيث كان الكاهن يهرب بالأسرار المقدسة ويجعلها فى مأمن من إعتداءات المعتدين.

كان إذن لابد فى مثل هذه الظروف ولهذه الأسباب أن لا يحفظ الكاهن ذخيرة من الأسرار المقدسة خوفاً من أن يصيبها ضرر، بالإعتداء من غير المسيحيين ومن جند الحكام والولاة الظالمين الذين كانوا يعتدون على حرمة الأسرار المقدسة.

والسبب الثانى : هو أن آباء كنيستنا القبطية الأرثوذكسية كانوا يخشون من أثر حرارة الجو ولا سيما فى فصل الصيف على العناصر المقدسة فتغيرها وتفسدها.

كما كان يخشون أيضاً من تسرب الحشرات ومنها العقارب والحيات، فضلاً عن القوارض والهوام وغيرها.

لهذين السببين على الأقل، توقف آباء الكنيسة القبطية فى مصر عن حفظ ذخيرة من الأسرار المقدسة، وصار يقام القداس فى أكثر أيام الأسبوع فى كثير من كنائسنا ولا سيما فى الأصوام العامة، بل فى بعض بلادنا صار يقام القداس يومياً لا فى أيام الأصوام فقط بل على مدار السنة كما هو الحال فى الكاتدرائية المرقسية بالقاهرة، وأخذ بعض القبط يطالبون بإقامة قداسات خاصة فى غير الأيام العامة من أجل مرضاهم أو من أجل موتاهم أو لأسباب أخرى خاصة فردية أو عائلية، وصار فى معظم الكنائس يقام أكثر من مذبح، حتى يمكن أن يقام أكثر من قداس فى يوم واحد.

٥ ـ ما معنى الفصح
والفرق بينه وبين العشاء الربانى؟

سؤال : من السيد عزت ناجى ارمانيوس ـ الأسكندرية.

١ ـ ما معنى الفصح؟

الجواب :

الفصح كلمة عبرانية معناها (العبور) وسّمى كذلك لأن الرب طلب من بنى إسرائيل أن تذبح كل أسرة حملا ابن سنة ويلطخون من دمه العتبة العليا من باب البيت وكذلك القائمتين، فيرى الملاك المهلك الدم (فيعبر) عن البيت فلا يهلك من فيه (انظر سفر الخروج ١٢) وكلمة (الفصح) بالعبرانية هى كلمة (البصخة) فى القبطية πάσχα .

٢ ـ هل الفصح هو العشاء الربانى أم غيره، وفيم يختلفان؟

الجواب :

الفصح الذى أكله المسيح له المجد مع تلاميذه هو الطقس المأمور به فى التوراة: وهو ذبح حمل ابن سنة يؤكل مشوياً بالنار مع فطير على أعشاب مرة يأكلونه (الخروج ١٢: ٥ ـ ١٠). أما العشاء الربانى فقدمه المسيح له المجد بعد فراغه من الفصح، وغسل الأرجل، ففى خميس العهد مارس المسيح أولاً الفصح ثم بعد الفصح قام بغسل الأرجل، وبعد غسل الأرجل قدم العشاء الربانى.

فالمسيح له المجد ختم العهد القديم بعشاء الفصح ـ ثم بدأ العهد الجديد بغسل الأرجل (وهو يشير إلى المعمودية وهى مدخلنا إلى العهد الجديد، ثم العشاء الربانى (سر القربان والمائدة الربانية).

وهو ما تمارسه كنيستنا على وجه الدقة فى يوم خميس العهد ففى خميس العهد.

(١) نصلى صلوات البصخة إلى الساعة التاسعة.

(٢) وبعد صلوات البصخة نمارس قداس اللقان ـ غسل الأرجل.

(٣) ثم قداس القرابين، وهو سر العشاء الربانى.

٣ ـ هل المسيح اجتمع بتلاميذه مرتين الأولى لأكل الفصح والثانية للتناول؟

الجواب :

فى القاعة العليا من البيت مارس المسيح له المجد الفصح حسب طقوسه فى العهد القديم (ثم قام عن العشاء ـ عشاء الفصح ـ وغسل الأرجل (يوحنا ١٣ : ٤) ثم مارس العشاء الربانى بعد غسل الأرجل ـ أى فى نفس الليلة ثم تحدث معهم أحاديثه الوداعية (يوحنا ١٣ ـ يوحنا ١٧) ثم خرج مع تلاميذه إلى بستان جثسيمانى (يوحنا ١٨ : ١).

٤ ـ هل أكل يهوذا الفصح مع باقى التلاميذ؟

الجواب :

نعم، ولقد قال الإنجيل أيضاً (أجاب يسوع قائلاً: إنه هو الذى سأعطيه اللقمة التى أغمسها، **ثم غمس اللقمة وقدمها ليهوذا بن سمعان الاسخريوطى**، فبعد أن أخذ اللقمة دخله الشيطان. فقال له يسوع ما أنت فاعله فافعله سريعاً... أما يهوذا فبعد أن **أخذ اللقمة** خرج على الفور، وكان الوقت ليلاً) (يوحنا ١٣ : ٢٦ ـ ٣٠) **واللقمة هنا هى لقمة الفصح القديم** التى كان يغمسها كل من يأكل الفصح فى القصعة ـ وهى طبق عميق كان يملأ بماء به أعشاب مرة ترمز للمرارة التى عاناها بنو إسرائيل فى مصر ـ (انظر متى ٢٦ : ٢٣).

٥ ـ هل تناول يهوذا من الجسد والدم فى ليلة العشاء؟

الجواب :

كلا، إن يهوذا أكل من الفصح القديم وخرج للوقت قبل أن يقدم السيد المسيح العشاء الربانى (يوحنا ١٣ : ٣٠).

٦ ـ بعض الآراء تقول إن السيد المسيح أكل الفصح وفريق آخر يعترضون على ذلك، ومعنى ذلك هل أمر السيد المسيح بتجهيز الفصح ولم يأكل منه؟

الجواب :

إن السيد المسيح أكل الفصح مع تلاميذه بدليل قول الإنجيل للقديس مرقس.

(وفى أول أيام الفطير، حين كانوا يذبحون الفصح، قال له تلاميذه: أين تريد أن نمضى ونعد لك **لتأكل الفصح**؟ فأرسل إثنين من تلاميذه قائلاً لهما: اذهبا إلى المدينة وهناك سيلقاكما

رجل يحمل جرة ماء، فاتبعاه، وحيث يدخل قولاً لرب البيت إن المعلم يقول: أين المكان الذى سآكل فيه الفصح مع تلاميذى؟ ولسوف يريكما قاعة عليا مؤثثة ومهيأة فأعدا لنا هناك... وفى المساء جاء مع الإثنى عشر، وفيما كانوا جلوساً إلى المائدة يأكلون قال يسوع: الحق أقول لكم إن واحداً منكم **يا من تأكلون معى سيسلمنى**.... وقال لهم: إنه واحد من الإثنى عشر، وهو الذى **يغمس يده معى فى القصعة**) (مرقس ١٤: ١٢ - ٢٠).

وكذلك قال الإنجيل للقديس لوقا:

(ثم جاء الفطير الذى كان ينبغى إن يُذبح فيه الفصح، فأرسل يسوع بطرس ويوحنا قائلاً: اذهبا وأعدا لنا الفصح **لنأكله**. فقالا له: أين تريد أن نعده؟ قال لهما: متى دخلتما المدينة، فسيلقاكما رجل يحمل جرة ماء فاتبعاه إلى البيت الذى يدخله، وقولا لرب البيت: يقول لك المعلم: أين القاعة التى فيها **سآكل** الفصح مع تلاميذى... ولما حان الوقت جلس إلى المائدة مع الإثنى عشر. وقال لهم: **شهوة اشتهيت أن آكل فصحى** هذا معكم قبل أن أتألم) (لوقا ٢٢: ٧ - ١٥) وانظر أيضاً (متى ٢٦: ١٧ - ٢٣).

يتضح إذن مما أورده الإنجيل المقدس أن المسيح له المجد أكل فعلاً الفصح مع تلاميذه ثم بعد ذلك قام عن العشاء وغسل الأرجل، ثم قدم أخيراً مائدة العشاء الربانى.

٧ - ما هى أوجه الشبه والإختلاف فى الفصح اليهودى والفصح الذى أعده رب المجد يسوع المسيح؟

الجواب :

إن المسيح له المجد تمم الفصح على النحو الذى كان يمارسه اليهود، ولذلك لم يجد قادة اليهود سبباً لإتهامه بمخالفة ناموسهم فى ذلك.

وقد مارس المسيح له المجد الفصح على النحو الذى أمر به موسى النبى، وما أضافه الأنبياء الذين أتوا بعد موسى ومنهم النبى داود، حيث كانوا يرتلون بعد الفصح تلاوات وتسابيح من مزامير النبى داود. قال الإنجيل للقديس متى عن السيد المسيح وتلاميذه (ثم تلوا التسابيح. وبعد ذلك خرجوا إلى جبل الزيتون) (متى ٢٦: ٣٠).

٦ ـ ننال الغفران بحق دم المسيح

سؤال : من الآنسة س. ن. ب.

إن مشكلتى هى عذابى من تأنيب ضميرى الذى يبكتنى على كل كبيرة وصغيرة أنه يدعونى إلى التدقيق فى كل شىء، ويكاد يقتلنى الحزن والألم على كل خطيئة وعلى كل خطأ بحيث أعيش فى عذاب متصل. وعندما أذهب لمقابلة مرشدى فى الإعتراف، وأعود إلى البيت، وأرى أننى نسيت أن أعترف بخطيئة ما، يعاودنى الألم النفسى الممض، ويزاولنى الشك فيما إذا كنت قد نلت الغفران كاملاً، فهل هذا الشعور مجرد وسواس، هل طريقتى فى الإعتراف خاطئة؟

الجواب :

إننا ننصح لهذه الإبنة أن تضع سر الاعتراف فى مفهومه الصحيح بإعتباره جزءا من سر التوبة، وعنصراً من عناصر أربعة للتوبة الحقيقية، فالتوبة تقوم على أربع خطوات تكمل بعضها البعض، أولها ـ الندم على الخطيئة والانسحاق القلبى وتأنيب الضمير، ثانيها : العزم الصادق على تجديد السيرة، وتصحيح المسيرة. وثالثها: الرجاء فى الله والثقة فى أبوته الرحيمة وأنه يسر بعودة الخاطىء ويفرح بخلاص الخاطىء وتوبته، ورابعها: الاعتراف بالقلب وبالفم لله على يد الكاهن. والتوبة نوعان: توبة شاملة عن كل الحياة الفاسدة والشريرة، ثم التوبة اليومية.

أما التوبة الشاملة فهى لمن سار فى طريق الرذيلة طويلاً، وشرد بعيداً عن الإيمان وعن الفضيلة.

وأما التوبة اليومية فهى توبة السائرين فعلاً فى طريق السماء وهذه التوبة اليومية هى الناتجة عن مراقبة النفس كل يوم ومحاسبتها على أخطائها يوماً بيوم، والاستغفار عن كل خطيئة وخطأ أولا بأول، ومواصلة العبادة ووسائط الخلاص من صلاة وقراءة فى الكتب الروحية، وصوم وتأمل، واعتراف وتناول من الأسرار المقدسة.

وعلى المؤمن السائر فى طريق التوبة أن يتبين أن الغفران لا يتم باستحقاق الاعتراف، إنما يتم باستحقاق دم المسيح فى سر القربان المقدس. إن بسر التوبة يعود الخاطىء إلى المسيح ويتوب إلى الله، ولكن سر القربان هو دم المسيح الذى فيه يغتسل الخاطىء التائب فينال غفران خطاياه. وليست التقوى والتدين وكل ضروب العبادة إلا أعمال طاعات ودلائل على احترامنا لله ولشريعته، لكن الغفران يناله الإنسان باستحقاقات دم المسيح فى سر القربان المقدس.

لذلك ثقى أيتها الإبنة إنك طالما أنت لا ترتكبين خطيئة تمنعك من التقدم إلى سر القربان، فإن خطاياك الفعلية تغسل يومياً فى دم المسيح بسر القربان «ودم يسوع المسيح.. يطهرنا من كل خطيئة» (١ . يوحنا ١ : ٧)، (العبرانيين ٩ : ١٤)، إن الاعتراف بالخطيئة برهان على طاعتك للشريعة، ودليل على عدم تشبثك بها وعلى عدم تعلقك بها.

فإذا نسيت أو سهوتَ عن ذكر خطيئة ما، فلا تنزعجى ولا يستبد بك الشك، طالما أن النسيان لم يكن بقصد إخفاء الخطيئة. فالكاهن عندما يمنح الحل الكهنوتى بعد الاعتراف، فهو يعطيه عن الخطايا المقترفة بعلم وبغير علم، عن الخطايا التى صنعت بالفعل أو بالقول أو بالفكر، ومما هو جدير بالذكر أن جميع الخطايا ينال الإنسان عنها الغفران ليس بحق الاعتراف بل بحق دم المسيح فى سر القربان. يقول الكتاب المقدس «أيها الأبناء إنى أكتب إليكم بهذا لكى لا تخطئوا. وإن أخطأ أحدكم فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفارة عن خطايانا. وليس عن خطايانا فقط بل عن خطايا العالم كله أيضاً» (١ . يوحنا ٢ : ١، ٢) فالغفران ننناله إذن بحق دم المسيح «وليس بأحد غيره الخلاص» (أعمال الرسل ٤ : ١٢).

٧ - هل يجوز التقرب للأسرار المقدسة لمن لم ينل سر العماد على الطقس الأرثوذكسى ؟

سؤال : من الإبن رأفت شوقى فهمى.

إنسان بروتسانتى يريد أن يتناول من الأسرار المقدسة، فرفض الكاهن أن يجرى له شيئاً من ذلك ما لم يرَ دليلاً على استحقاقه لنيل تلك الأسرار فذهب إلى كاهن آخر فناوله على الفور.؟

الجواب :

نجيب بأنه من حق الكاهن بل من واجبه أن يتثبت من استحقاق الشخص لنيل الأسرار المقدسة. وإذا لم يتريث الكاهن واندفع بدون حساب للعواقب، إلى تقديم الشخص للأسرار المقدسة، فإن الدينونة عظيمة لذلك الكاهن المهمل لمقتضيات مسئوليته الكهنوتية.

إن مثل الكاهن المؤتمن على الأسرار المقدسة مثل صراف البنك. فإذا صرف مبلغاً لإنسان ما لم يتثبت من استحقاق ذلك الإنسان للمبلغ فإنه يدان عن إهماله، فضلاً عن أنه يطالب بالمبلغ الذى صرف لإنسان لا يستحقه. إن دينونة الكاهن أعظم من دينونة صراف البنك، قال الرسول بولس (فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله ثم يسأل فى الوكلاء لكى يوجد الإنسان أميناً) (١ . كورنثوس ٤: ١، ٢).

هذا ومما يجب الإشارة إليه أن هذا الأخ البروتسانتى يلزم بعد أن يتقابل مع الكاهن ويتثبت منه، أن يقبل سر العماد أولاً قبل أن يتقدم إلى سر التناول، إلا إذا كان قد سبق عماده فى الكنيسة الأرثوذكسية. فنحن لا نعترف بمعمودية البروتستانت لعدد من الأسباب.

٨ ـ ارفع عقلك فوق الحسابيات والهندسيات

سؤال : من السيد / سامى جورج ديمترى ـ مصر الجديدة.

يسأل عن مصير التناول من الأسرار المقدسة، وما إذا كان القربان المقدس يخضع للعمليات الطبيعية التى يخضع لها كل طعام، ويسأل عن سر التحفظ من البصق أو نزف الدم لمدة تسع ساعات بعد التناول؟

الجواب :

إن القربان المقدس طعام روحانى سماوى. وهو فى حقيقته وجوهره ليس كمظهره، ولذلك ينبغى أن لا نبحث عن مصيره مادياً، ولا نستطيع أن نتابع إنتقاله فى عمليات جسدية طبيعية. لأنه لا يخضع لشىء من هذا. وعلى المؤمن الذى يعى بقلبه وعقله أنه سر، بل «سر جميع الأسرار» أن يرتفع بالإيمان فوق الحسابيات والهندسيات على ما يقول القديس يوحنا ذهبى الفم. إذا كان سرا، والسر هبة خفية مستورة عن الحواس، فلا نعود نحتكم إلى الحواس فى حقيقة ترتفع وتعلو عن الحواس، وعن عالم الحس بالكلية. وإلا لم يعد فى الأمر سر ولم يعد هناك مجال للإيمان، إذ «الإيمان هو الإيقان بأمور لا ترى» (العبرانيين ١١ : ١).

اذكر ولا تنس قول المسيح له المجد «إن الريح تهب إلى حيث تشاء وأنت تسمع صوتها، ولكنك لا تعلم من أين تأتى ولا إلى أين تذهب. هكذا كل مولود من الروح» (يوحنا ٣ : ٨).

والمعنى إننا فى مجال الروحانيات لا نحتكم إلى الحواس، وإلى العقل المادى، ولا نخضع الروحيات للمكيال والمقياس والمخبار والميزان، ولا نبحث فيها عن الحجم والوزن والكتلة وما إليها من مقاييس مادية تخضع لها المادة ولا تخضع لها الروح.

ألا ترى أن هناك حقائق روحية مادية يعجز العقل المادى عن تفسيرها، كما أننا لا نستطيع أن نُخضعها للمقاييس المعروفة فى عالمنا المادى، عالم الحواس؟

من منا يستطيع أن يفسر عقلياً وحسياً الميلاد البتولى للسيد المسيح، وكيف يتكون له جسد فى بطن العذراء من غير زرع رجل؟ ثم كيف خرج من بطن العذراء وختوم البكارة مصونة؟ إن هذا الأمر مستحيل طبيعياً، ولا يمكن قبوله عقلياً وحسياً وطبياً.. ولكنه مع ذلك قد حدث بالفعل. أما تفسيره فيدخل فى دائرة الروحانيات العالية على الطبيعة، ولذلك فإن هذا الميلاد البتولى للسيد المسيح هو برهان لاهوته، لأنه قد تفرد هو به، ولم يحدث له نظير.

وبنفس التعليل والتفسير نفهم كيف قام المسيح من القبر بينما كان القبر مغلقاً، وكيف دخل إلى العلية وأبوابها مغلقة، ولذلك لما رآه تلاميذه فزعوا وارتعبوا وقد ظنوا أنهم يرون روحاً أى شبحاً (لوقا ٢٤: ٣٧) فقال لهم: «ما بالكم مضطربين، ولماذا تثور شكوك فى قلوبكم. انظروا إلى يدى وإلى قدمى. إنى أنا هو بنفسى، جسونى وتحققوا، فإنه ليس للروح لحم ولا عظام كما ترون لى» (لوقا ٢٤: ٣٨ ـ ٤١).

أيها الشاب ارفع عقلك فوق الحواس، واعلم أن الحياة المادية ذاتها بها أسرار وألغاز لا يحلها إلا الإيمان والتصديق بالواقع الذى قد يخفى تماماً عن عالم الشهادة والحواس.

هناك فى حياة النبات سرّ نسميه (سرّ الحياة): لقد عرفنا مثلاً التركيب الجزيئى لثمرة كالتفاحة أو البرتقالة أو الثوم أو البصل... ويبدو منطقياً أنه يمكن بتجميع الذرات خلق أو تكوين تلك الثمرة ولكن الثمرة مع ذلك لا تتكون بجمع الذرات، فلماذا؟ لأن هناك (سرُّ الحياة) الذى لا يمكن للعلماء أن يتوصلوا إليه أو يخلقوه بتجميع الذرات والجزئيات... ومثله (سرُّ النمو)، وأسرار أخرى فى الطبيعة وعلى قول بعض العلماء إن فى الطبيعة أسرار كثيرة لم يعرف العلماء عنها شيئاً، وأنها تند وتسمو عن ذلك، وهى تنتمى إلى دائرة أخرى غير دائرة الحسيات والماديات، دائرة الروحانيات.

عندما تكلم المسيح له المجد مع نيقوديموس عن الميلاد الثانى، الميلاد الذى من فوق، وقال له «الحق أقول لك إن الانسان ما لم يولد ثانية من فوق لا يمكنه أن يرى ملكوت الله» «فسأله نيقوديموس ببلاهة الحسيين الماديين «كيف يمكن أن يولد إنسان وهو شيخ، ألعله يقدر أن يدخل مرة أخرى فى بطن أمه ثم يولد» «فأجابه الرب يسوع: «المولود من الجسد هو جسد، والمولود من الروح هو روح لا تعجب إذ قلت لك أنكم ينبغى أن تولدوا ثانية من فوق. فإن الريح تهب إلى حيث تشاء وأنت تسمع صوتها ولكنك لا تعلم من أين تأتى ولا إلى أين تذهب. هكذا كل مولود من الروح» (يوحنا ٣: ٣ ـ ٨) ثم أضاف المسيح له المجد قائلاً: «إن كنت قد كلمتكم عن الأرضيات ولم تؤمنوا، فكيف تؤمنون إن كلمتكم عن السمائيات» (يوحنا ٣: ١٢).

إن خير تعبير عن مصير القربان المقدس فى المتناول منه هو ما قاله القديس افرآم السريانى (٣٧٣ ـ ٣٧٩) المعروف بكنارة الروح القدس «إن جسد الرب يتحد بجسدنا على وجه لا يلفظ به، ودمه أيضاً الطاهر يصب فى شرايينا ـ وهو كله بصلاحه الأقصى يدخل فينا» ويقول القديس

أوغسطينوس بلسان السيد المسيح «فإنك بذلك لا تحيلنى إليك كما تحيل الأكل إلى جسدك، بل أنت تستحيل إلىَّ» (كتاب الاعترافات - الجزء ٧، فصل ١٠).

ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم «كما تفعل النار بالشمع كيف أنها تذيبه من وجهها ولا تبقى نه أثراً، هكذا آمن بأن هذه الأسرار الإلهية تتحد فى اقنوم الجسد» (الدر المنتخب فى مقالات القديس يوحنا فم الذهب).

ويقول القديس ذهبى الفم أيضاً «إنه (أى المسيح) لم يكتف بأن يصير إنساناً، ويضرب ويذبح عنا، بل أراد أيضاً أن يمزج ذاته فينا، وأن نصير معه جسداً واحداً، ليس فقط بالإيمان، بل فعلياً، وفى الحقيقة أيضاً، فإن الذى لا تنظر إليه الملائكة إلا بالخوف والرعدة من أجل البهاء الصادر من اقنومه. يغذينا بجوهره ... ونصير معه جسداً واحداً» (عظة ٨٣: ٥ على إنجيل متى).

أما الامتناع عن البصق لمدة ٩ ساعات بعد التناول من القربان المقدس فهذه المدة اصطلحت الكنيسة على أنها أقل ما يلزم الاحتراس فيها من البصق أو نزف الدم، توقيراً للنعمة، ولفتاً للنظر إلى قداسة الموهبة والعطية التى ينالها المؤمن فى سّر القربان.

٩ ـ لا يتأخر المسيحى عادة عن التناول من المائدة الريانية أكثر من أربعين يوماً

سؤال : من الإبن إكرام برسوم جورجى ـ سوهاج.

سمعت من يقول إن من يمتنع عن التقرب من الأسرار المقدسة أكثر من أربعين يوماً يصير محروماً من شركة الكنيسة، فأنزَعَجْتُ، ولذلك أرجو توضيح هذا الأمر، والإفادة إذا كان هناك قانون كنسى ينص على ذلك.

الجواب :

إن تعليمنا الكنسى المنصوص عليه فى الكتب المقدسة أن المائدة الريانية هى الخبز الحى النازل من السماء، وهو لذلك (شجرة الحياة)،. قال المسيح له المجد إنه هو الكرمة الحقيقية، وتلاميذه والمؤمنون هم الأغصان فى الكرمة (يوحنا ١٥: ١، ٥). وإذاً إنه لا حياة للغصن من ذاته وإنما حياته يستمدها من عصارة الحياة التى فى الكرمة (يوحنا ١٥: ٤).

فلا غنى للمسيحى عن المائدة الريانية. وكما أن كل كائن حى لابد له أن يأكل ليحيا، هكذا الإنسان الروحانى لابد له أن يأكل من شجرة الحياة ليحيا (فإن الذى يأكلنى يحيا بى) (يوحنا ٦: ٥٧).

لذلك توصى الكنيسة أبناء الإيمان المسيحى بالتناول بتواتر وإنتظام من المائدة الريانية، لأنه ما لم يأكلوا منها فلا حياة لهم روحية أو أبدية من غيرها. (يوحنا ٦: ٥٣).

لذلك جاء فى كتاب القداس أو الخولاجى ما ينص على أنه بعد الإنتهاء من صلوات خدمة القداس، ويبدأون فى التناول من المائدة الريانية، ينص الخولاجى وهو كتاب القداس، نقلاً عن قوانين الرسل (قانون ٥٢) وقوانين مجمع نيقية المسكونى الأول (قانون ١٧):

(وليتقرب الأسقف أولاً، وبعده القسوس والشمامسة، وبعدهم جميع الشعب. وبعد الذكور يتناول النساء. وليرتل إلى أن يتناول القربان **كافة المؤمنين**).

وعبارة **جميع الشعب**، **وكافة المؤمنين**، تفيد أنه من المفروض أن يتقرب من الأسرار المقدسة **جميع الشعب المسيحى الحاضر**، إلا الممنوعين من ذلك بحكم كنسى.

على أن القاعدة الأساسية هى أن **القداس وليمة سمائية. وجميع المؤمنين من المسيحيين مدعوون لهذه الوليمة**، فليس من اللياقة، وقد لبوا الدعوة إلى الوليمة أن يمتنعوا عنها بغير عذر قانونى. إن إمتناعهم إهانه لصاحب الوليمة.

ولذلك نصت القوانين الكنسية على أنه إذا حضر المسيحى القداس، كاهناً كان أو شماساً أو عامة المؤمنين.. ثم امتنع عن التناول وجب عليه أن يبين سبب إمتناعه، وإلا عد إمتناعه إهانة.

جاء فى قوانين الرسل:

(أيما أسقف أو قس أو شماس أو أحد من الزمرة الكهنوتية لا يتناول من القربان المقدس عندما تصير تقدمة القربان، فليعلن عذره. فإن كان العذر مقبولاً، فليصفح عنه، وإذا لم يقل السبب فليقطع من الشركة، لأنه سبب شكاً ومعثرة للشعب، وسوء ظن فى الذى قدم القربان) (القانون الثامن من قوانين الرسل).

ويستفاد من كتابات الآباء ومن تعاليمهم الروحانية أنه يجب أن يقبل المؤمن على المائدة الربانية ليغتذى منها روحياً ويتقوّت بها للحياة الأبدية.

وكما أنه من المعروف فى حياة الجسد، أن أقصى مدة يتحملها جسد الإنسان بغير طعام هى **أربعون يوماً، فإذا زادت المدة عن الأربعين تدهورت صحة الإنسان** وتدمر شيئاً فشيئاً جسده. ولذلك فإن أقصى مدة أمكن للأنبياء أن يمتنعوا فيها عن الطعام هى أربعون يوماً.

فموسى امتنع عن الطعام **أربعين يوماً** مرتين كما نعلم (الخروج ٢٤: ١٨) (٣٤: ٢٨)، (التثنية ٩: ٩، ١٨).

وإيليا النبى امتنع عن الطعام مرة **أربعين يوماً** ولم يزد (١. الملوك ١٩: ٨).

وكذلك المسيح له المجد عندما صام بعد عماده لم يزد عن **الأربعين** يوماً، (متى ٤: ٢) مع قدرته أن يفعل ذلك بسلطان لاهوته المتحد بناسوته. لكنه لم يشأ، وذلك ليرسم أمام الإنسان الطريق المثالى والنموذجى الذى ينبغى عليه أن يسلكه، (تاركاً لنا مثالاً لنتبع خطواته) (١. بطرس ٢: ٢١)، (يوحنا ١٣: ١٥)، (متى ١١: ٢٩)، (فيلبى ٢: ٥)، (١. يوحنا ٢: ٦).

لذلك وقياساً على هذه القاعدة فى حياة الجسد، قال بعض آباء الكنيسة **إنه ينبغى أن لا يمتنع المسيحى بإرادته عن المائدة الربانية أكثر من أربعين يوماً، وإلا فإنه بهذا الإمتناع من دون حكم كنسى يعرض حياته الروحية للتدمير. وقال بعض الآباء**

أيضاً إن من يمتنع عن المائدة أكثر من أربعين يوماً بدون ضرورة، يعطى فرصة للشيطان والأرواح النجسة أن تتسلط عليه، وتنفذ إلى جسده.

جاء فى كتاب (الجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة تأليف العالم العلامة يوحنا بن زكريا المعروف بابن السباع).

(.. والحذر من التأخير.. وإذا مر عليه أربعون يوماً ولم يتناول فيها القربان بدون أمر شرعى يمنعه، فقد حرم من الحياة باختياره، وفتح للعدو بابا للسكن فيه، ولم يتوجه إلى معلم البيعة ويعرض عليه أفكاره ويعطيه القانون اللائق بخطيئته لمدة معلومة ومطانيات وصلوات كثيرة، حتى إذا عمل ما يرضى معلمه ومرشده ومتولى خلاص نفسه، فحينئذ يعطيه الإذن بتناول القربان فيتقدم ويتناول) (الباب ١١٣).

واعلم أنه لهذا السبب تعد أقسى وأكبر عقوبة كنسية توقع على مسيحى هى منعه من المائدة الربانية، وهذا هو ما يعرف بالحرم أو الحرمان من شركة الكنيسة.

وعلىّ ذلك فإن من يمتنع بإرادته عن المائدة الربانية، إهمالاً وإستهتاراً، فإنه يكون قد قطع نفسه من شركة المسيح والكنيسة، أى أنه من دون قرار أو حكم كنسى هو الذى قطع الحبل والرباط الذى يربطه بالمسيح وبالكنيسة.

وإذا كانت المائدة الربانية هى سر الشركة، وسر القربان هو شركتنا مع المسيح وشركتنا مع بعضنا بعضا فى الكنيسة، فإن من يمتنع بإرادته عن المائدة الربانية بغير ضرورة قانونية، **أكثر من أربعين يوماً فقد قطع نفسه بإرادته من شركة المسيح والكنيسة.**

ألم يقل الكتاب المقدس (كأس البركة التى نباركها أليست هى شركة دم المسيح؟ الخبز الذى نكسره أليس هو شركة جسد المسيح؟ فإننا نحن الكثيرين خبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعنا نشترك فى الخبز الواحد..) (١ . كورنثوس ١٠ : ١٦ ـ ٢١)، (أعمال الرسل ٢ : ٤٢، ٤٦)، (١ . كورنثوس ١١ : ٢٣، ٢٤) (١٢ : ٢٧) (رومية ١٢ : ٥)، (متى ٢٦ : ٢٦ ـ ٢٨).

جاء فى سيرة القديس مقاريوس الكبير (كان فى مدينة مصر رجل مؤمن وكانت له إمرأة صالحة خائفة من الله، وكانت جميلة جداً. وقد أقامت مع زوجها زماناً طويلاً بتقوى الله. فحسدها الشيطان، وأرسل إليها إنساناً فاسقاً كان الشيطان ساكناً فيه، لأنه كان يعمل أعماله الشريرة. فهذا الرجل الشرير إلتمس من المرأة الصالحة مراراً كثيرة أن يزنى معها، فلم تسمع له،

وظلت على ودها لزوجها.. فلما رأى ذلك الرجل الشرير أن المرأة المؤمنة لم تذعن له فى شىء مما إلتمسه منها، مضى إلى السحرة وعرفهم خبره، وقال لهم: إن أمكنكم أن تجعلونى أن أصل إلى غرضى من هذه المرأة، فإنى أدفع لكم فضة ليست بقليلة، وإلا فاجعلوا الشيطان يدخل فيها ويطرحها فى النار لتهلك.

فأجابه السحرة وقالوا له: نحن نعمل خيالات مطغية مخفاة عن عيون الناس تجعلهم ينظرونها شبه فرس... فإذا رآها زوجها شبه فرس أبعدها عن بيته ومن ثم يمضى فيبيعها.

وقام السحرة بعملهم. ولما دخل زوج المرأة إلى بيته رآها بغتة شبه فرس مضطجعة على الفراش ولم تنطق بكلمة لمدة ثلاثة أيام. ولما قدم لها زوجها طعاماً لم تأكل، وشراباً فلم تذقه، فصار فى حزن عظيم. وعندئذ مضى فعرف الكهنة وشيخ القرية أو الضيعة، فلما جاءوا ونظروها تعجبوا تعجباً عظيماً.

ثم قال له أحد الكهنة. إن قبلت مشورتى التى أشير بها عليك أيها الإنسان، قم وخذ زوجتك وامض بها إلى عمود النور، الأب مقاريوس، فإن الرب الساكن فيه يشفيها ويعرفك خبرها فلما ذهب بها الرجل إلى الأب مقاريوس، تناول القديس ماء فى إناء من فخار وصلى عليه، ثم رش منه على المرأة ورشمها برشم الصليب المحيى. وللوقت ظهرت كما كانت أولاً إمراة حسنة المنظر فسبح زوجها الله بارىء الخليقة كلها، ومجده معه كل من كان حاضراً. والمرأة نفسها خرت ساجدة للقديس مقاريوس، وأخذت تقبل قدميه مسبحة الله تعالى.

فقال لها القديس مقاريوس: إن هذه التجربة لم تلحق بك **إلا لأنك مكثت خمسين يوماً لم تتناولى من الأسرار المقدسة** التى هى جسد ودم ربنا يسوع المسيح ابن الله، وإنما أكلت لحماً كل تلك المدة من الأيام. فلهذا السبب قوى عليك الشيطان، لأنك أحببت اللحم أكثر من القربان، فحلت بك هذه المحنة. أما الآن فصومى إلى المساء، **وتناولى من الأسرار المقدسة دائماً**، ولا تَفْتُرى دائماً عن الصلاة أمام الله، لئلا يصيبك أيضاً شىء ردىء آخر. وعاد الزوجان إلى بلدهما مسرورين).

(عن كتاب دير السريان يُقَدِّم سير ثلاثة المقارات القديسين صفحة ٤٠ ـ ٤٣).

١٠ ـ جسد المسيح الذى نتناوله
هو الذى ولد به والذى قام به

سؤال : من الإبن بطرس سعد بطرس ـ دير البرشا ـ ملوى.

هل جسد المسيح الذى نتناوله فى المائدة الربانية، هو جسده الذى أخذه من والدته العذراء مريم، وهل هذا وحده كاف لغفران الخطايا أم هو جسده الذى قام به.. لأنه معروف أن اللاهوت نار آكلة؟

الجواب :

نعم، إن جسد المسيح الذى نتناوله فى المائدة الربانية هو بعينه الجسد الذى أخذه المسيح له المجد من العذراء القديسة مريم.

وهذا هو ما يصرح به الكاهن صراحة ويعلنه فى الاعتراف الأخير فى القداس وهو حامل الصينية إلى فوق، ومشيراً بيديه قائلاً:

(آمين، آمين، آمين، أؤمن، أؤمن، أؤمن،أؤمن. وأعترف إلى النفس الأخير، أن هذا هو الجسد المحيى الذى اتخذه ابنك الوحيد ربنا، وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، من سيدتنا وملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم وجعله متحداً مع لاهوته بغير اختلاط، ولا امتزاج، ولا تغيير وبذله عنا كلنا على خشبة الصليب المقدسة، بإرادته وحده. بالحقيقة أؤمن أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة، ولا طرفة عين يعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا، وحياة أبدية لمن يتناول منه. أؤمن، أؤمن، أؤمن، أن هذا هو بالحقيقة، آمين).

واعلم أيها الابن أن المسيح له المجد قد **قام من بين الأموات بذات الجسد الذى اتخذه من العذراء القديسة مريم**، ولذلك فإنه **احتفظ فى جسده بالثقوب فى يديه وقدميه وجنبه** برهاناً محسوساً على أنه هو بعينه الجسد الذى ذاق فيه الموت بالصليب، وقال لتلميذه... توما (**هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدى وهات يدك وضعها فى جنبى**، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً) (يوحنا ٢٠ : ٢٧)، وقال لتلاميذه مجتمعين (ما بالكم مضطربين، ولماذا تثور شكوك فى قلوبكم؟ **أنظروا إلى يدى وإلى قدمى، إنى أنا هو بنفسى. جسونى وتحققوا، فإنه ليس للروح لحم ولا عظام كما ترون لى)، وفيما كان يقول هذا أراهم يديه وقدميه)** (لوقا ٢٤ : ٣٨ ـ ٤٠).

وإذن **فجسد المسيح له المجد الذى اتخذه من العذراء القديسة مريم، هو بعينه الجسد الذى ظهر فيه** كل مدة رحلته على الأرض، **وهو ذات الجسد الذى صلب فيه، وذاق الموت، وهو بذاته الجسد الذى قام فيه من بين الأموات، ولم يعتوره تغير.** وهو ما ينص عليه القداس الإلهى أيضاً فى صلاة الحجاب (للقداس الغريغورى) والتى يتلوها الكاهن ويقول فيها (أنت الذى أتى إلينا **بجسده الغير المتغير**، وملأت الكل بلاهوتك الغير المحصور).

ونحن حينما نتناول من المائدة الربانية نتناول جسد المسيح متحداً بلاهوته.

وحقاً إن (إلهنا نار آكله) (العبرانيين ١٢: ٢٩)، (الخروج ٢٤: ١٧) على أننا إذ نتناول من المائدة الربانية (دمه يصب فى شراييننا، وجسده يتحد بجسدنا، ولاهوته المتحد بجسده يدخل فينا)، فهو الجمر الذى يحرق خطايانا ويطهرنا من كل إثم وشر وفساد ونجاسة، ثم (ينير) بصائرنا بتوهجه فينا، ويفتح عيوننا، (ويلهب) قلوبنا بمحبته، و(يشعل) فينا نار محبته ويضرمها، فتتوقد بالروح دون أن تحترق الروح فينا، وإنما نبلغ إلى الاتحاد بالروح.

وحذار أيها الابن أن تتحدث عن جسد المسيح وتميز فى المسيح - على حد تعبيرك - بين جسد ممجد وجسد غير ممجد. **إن جسد المسيح واحد، هو بعينه الجسد الذى اتخذه من مريم العذراء، وهو بذاته الذى يتناوله المؤمنون فى المائدة الربانية. وهو المتحد بلاهوته منذ التجسد بغير اختلاط ولا امتزاج، ولا تغيير ولم، ولا، ولن، يفارقه لحظة واحدة ولا طرفة عين.**

١١ ـ ترتيب التناول من القربان المقدس

سؤال: من السيد/ جميل عزمى يوسف ـ بنى عليج ـ اسيوط.

عندما أخذ المسيح له المجد الخبز شكر وباركه وكسر، وأعطى لتلاميذه (لوقا ٢٢: ١٧)، وعندما أخذ الكأس شكر وبارك ودفعها لتلاميذه وقال لهم خذوا هذه اقتسموها بينكم (لوقا ٢٢: ١٩) فهل يصنع الكاهن مثل ذلك، أى هل يعطى الشعب وجماعة المؤمنين كما أعطى السيد المسيح تلاميذه؟.

الجواب:

إن المسيح له المجد أخذ الخبز وبعد أن باركه وقدسه «قسمه وناول تلاميذه، وقال خذوا كلوا...» وبعد أن بارك الكأس وقدسها «ناولهم قائلا: اشربوا منها كلكم... فشربوا منها كلهم» (متى ٢٦: ٢٦، ٢٧)، (مرقس ١٤: ٢٢، ٢٣)، (لوقا ٢٢: ١٩، ٢٠).

أما قوله «خذوا هذه واقتسموها بينكم» (لوقا ٢٢: ١٧) فهذه العبارة قالها الرب يسوع لا عن كأس التناول بل عن كأس الفصح السابق على التناول، وقد كانوا يشربون أثناء أكل خروف الفصح أربع كؤوس من الخمر، وهم يرتلون المزامير: كأس المرارة، وكأس الفرح، وكأس البركة، وكأس التهليل وهذا طبقا للترتيب المعمول به بعد عهد داود النبى.

والدليل على أن الكأس التى تشيرون إليها فى سؤالكم هى كأس الفصح لا كأس العشاء الربانى، هو قول الإنجيل للقديس لوقا «وقال لهم: شهوة اشتهيت أن آكل فصحى هذا معكم قبل أن أتألم، لأنى أقول لكم إنى لم آكله بعد حتى يتم فى ملكوت الله ثم تناول كأساً وشكر وقال: «خذوا هذه اقتسموها بينكم فإنى أقول لكم إنى لن أشرب من عصير الكرمة بعد الآن حتى يأتى ملكوت الله، وأخذ خبزا وشكر وقسمه وناولهم قائلا: ... اصنعوا هذا لذكرى وكذلك ناولهم الكأس بعد العشاء قائلا: هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى الذى يسفك عنكم...» (لوقا ٢٢: ١٥ – ٢٠)

ولعل الكأس الأول التى يشير إليها الإنجيل للقديس لوقا هى الكأس الرابعة من كؤوس الفصح ولعلها «كأس التهليل» وقد تناولها أثناء تناول الفصح بدليل قوله «شهوة اشتهيت أن آكل فصحى هذا معكم قبل أن أتألم. لأنى أقول لكم إنى لن آكله بعد الآن حتى يتم فى ملكوت الله» (لوقا ٢٢: ١٥، ١٦) مشيرا بهذا إلى أنه يختم العهد القديم بتناوله الفصح ويتممه بتأسيس العشاء الربانى للعهد الجديد (ملكوت الله).

أما أن المسيح له المجد قال لتلاميذه بعد أن بارك كأس العهد الجديد وقدسها: «اشربوا منها كلكم.. فشربوا منها كلهم..». فقد كان الوضع الأول أن يشربوا من الكأس مباشرة... أما استخدام الملعقة (المستير) فقد أمرت به الكنيسة بعد ذلك تمثلا بما صنعه أحد السيرافيم مع إشعياء النبى كقوله «فطار إلي واحد من السيرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح، ومس بها فمي، وقال ها إن هذه قد مست شفتيك فأزيل إثمك وكفر عن خطيئتك» (إشعياء ٦: ٦، ٧).

وفى صلاة (القسمة) الواردة فى القداس المرقسى الكيرلسى، ترد الإشارة واضحة:

وكما طهرت شفتى عبدك إشعياء النبى، إذ أخذ أحد السيرافيم جمرة بالكلبتين من على المذبح، وطرحها فى فيه، وقال له: إن هذه قد لمست شفتيك، ترفع آثامك، وتطهر جميع خطاياك... هكذا نحن أيضاً الضعفاء الخطاة عبيدك الطالبين رحمتك، تفضل طهر أنفسنا وأجسادنا وشفاهنا وقلوبنا، واعطنا هذه الجمرة الحقيقية المعطية الحياة للنفس والجسد والروح التى هى الجسد المقدس والدم الكريم...».

وجاء فى صلاة التكريس للمستير (الملعقة) Myster :

يقول الأسقف: «يا الله الذى جعل عبده إشعياء النبى مستحقا لأن ينظر السيرافيم والملقط فى يده إذ أخذ بها الجمرة من على المذبح، وطرحها فى فمه، الآن، يا الله الآب القادر على كل شيء، ابسط يدك على هذه الملعقة التى يناولون بها الجسد المقدس الذى لإبنك الوحيد، ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. باركها. قدسها. امنحها قوة وكرامة الملقط الذى كان بيمين أحد السيرافيم. فإن لك القدرة والمجد والعزة، مع ابنك الوحيد يسوع المسيح ربنا والروح القدس، الآن وكل أوان.....».

ويلاحظ أن إستخدام (الملعقة - المستير) فى التناول ترتيب قديم، تشاركنا فيه الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، والكنيسة الأثيوبية الأرثوذكسية، والكنيسة الهندية الأرثوذكسية، كما تشاركنا فيه جميع كنائس الروم التى تتبع الطقس البيزنطى، ومنها كنائس اليونان وروسيا ورومانيا وبلغاريا ويوجوسلافيا... على أن المتبع فى كنيستنا الأرثوذكسية والكنائس الأرثوذكسية الأخرى، أنه إذا كان البطريرك هو خادم القداس، ومعه مطارنة وأساقفة يشاركونه الخدمة، فإنه لا يناولهم بيده من الأسرار المقدسة وإنما يدعهم يتناولون بأيديهم مباشرة من الصينية ثم من الكأس. وكذلك يفعل المطران والأسقف مع زملائه المطارنة والأساقفة، وبالمثل يصنع القمص والقسيس مع زملائه القمامصة والقسوس.

ولا يناول الكاهن الخديم بيده إلا من هم دونه فى الدرجة، كما يفعل البطريرك أو المطران أو الأسقف بالنسبة للقسوس والشمامسة والشعب، أو كما يفعل القسيس بالنسبة للشمامسة والشعب.

١٢ ـ لماذا ذاق المسيح قبل أن يعطيهم الكأس؟

سؤال: من أحد الآباء الرهبان:

لماذا نقول فى القداس الإلهى: «وذاق وأعطاه لتلاميذه القديسين» والسؤال هو: لماذا ذاق قبل أن يعطيهم الكأس؟

الجواب:

على ما أعلم هو ـ أنه على الرغم من أنه لم يرد فى رواية الأناجيل والرسائل أنه «ذاق» (متى ٢٦: ٢٧)، (مرقس ١٤: ٢٣)، (لوقا ٢٢: ٢٠)، (رسالة كورنثوس الأولى ١١: ٢٥) إلا أنه قد ورد فى قداساتنا الثلاثة المعروفة ـ القداس المرقسى أو الكيرلسى، والقداس الباسيلى، والقداس الغريغورى، وكذلك فى قداسات الكنائس الرسولية الأخرى أنه «ذاق». من ذلك قداس الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية.

Divine Liturgy Of The Armenian Apostolic Orthodox Church, New York, 1950 p. 69 b.

The Liturgy Of The Ethiopian Church, 1959 p. 201.

أقول، إن هذا الدليل على أن التقليد المتواتر هو سندنا فى أن مخلصنا قد ذاق الكأس قبل أن يعطيها لتلاميذه القديسين ليشربوا منها.

ومع أنه لم يرد عن مخلصنا أنه أخذ من الخبز الذى أعطاه لتلاميذه (متى ٢٦: ٢٦)، (مرقس ١٤: ٢٢)، (لوقا ٢٢: ١٨)، (كورنثوس الأولى ١١: ٢٣، ٢٤)إلا أن التقليد، بين، كما قلنا أنه ذاق من الكأس قبل أن يعطيها لتلاميذه.

ويبدو أن السر فى ذلك هو أن الكأس ـ فيما هى كأس دم المسيح المسفوك من أجلنا ـ هى أيضاً تشير حسيا وظاهريا إلى آلامه التى سيذوقها على الصليب فى اليوم التالى.

وهو تعبير استخدمه رب المجد فى هذا المعنى فى أكثر من موضع.

فعندما سألته أم ابنى زبدى عن إبنيها يعقوب ويوحنا أن يجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره فى مملكته الآتية، وجه الرب خطابه إلى التلميذين وقال، أفتستطيعان أن تشربا الكأس التى سأشربها أنا»، «ولما قالا له «نستطيع، قال لهما: أما الكأس التى سأشربها أنا فستشربانها...» (مرقس ١٠: ٣٥- ٣٩)، (متى ٢٠: ٢٠- ٢٣) وهو يعنى هنا بالكأس كأس الآلام بالصليب.

واستخدم أيضاً كلمة الكأس بمعنى الألم فى صلاته ليلة آلامه فى بستان جثسيمانى حيث كان يصلى قائلا «يا ابتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس» (متى ٢٦ : ٣٩) «ثم ذهب ثانية وصلى قائلا: «يا ابتاه إن لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس ولم يكن بد من أن أشربها فلتكن مشيئتك» (متى ٢٦ : ٤٢) انظر أيضاً (مرقس ١٤ : ٣٦)، (لوقا ٢٢ : ٤٢).

وعندما ضرب سمعان بطرس أذن عبد رئيس الكهنة فقطعها قال الرب يسوع لبطرس «رد سيفك إلى مكانه، الكأس التى أعطانى الآب ألا أشربها؟» (يوحنا ١٨ : ١١).

والإشارة نفسها صريحة إلى الألم وقد ورد عنه أنه قبيل الصلب «أعطوه خمرا ممزوجة بمرارة ليشرب. فلما ذاقها أبى أن يشربها» (متى ٢٧ : ٣٤).

ولذلك فإن من هنا جاء تعبيرنا الكنسى المستخدم فى الأجبية وفى مواضع أخرى «يامن ذاق الموت بالجسد...» (مطلع أولى قطع صلاة الساعة التاسعة).

والخلاصة إن ربنا يسوع المسيح قد ذاق الكأس قبل أن يعطيها لتلاميذه إشارة إلى كأس الآلام التى سيشربها. وقد شربها بالفعل.

أما الخبز فلم يأكل منه قبل أن يعطيه لتلاميذه لأن فعل الكسر فى جسده هو فعل اليهود والرومان. لافعله هو.

فالاستعارة فى الكأس واضحة وكذلك وجه الشبه بين ذوق كأس دمه وذوق كأس الآلام.

١٣ ـ الوضع الأمثل فى توزيع الأسرار على المتناولين

سؤال: من العزيز المبارك الأب الموقر القمص منسى فلتاءوس.

ما هو الوضع الأمثل والأصح فى توزيع الأسرار المقدسة على المتناولين؟ وما إذا كان يجوز فى بعض الأحيان فى كنيسة لا يوجد بها غير كاهن واحد وشيخ متقدم فى الأيام، أن يقرب الشعب من جسد المسيح ودمه معاً وفى وقت واحد، وذلك بأن يسكب من الدم المقدس على الجواهر المقدسة فى الصينية.

الجواب:

أقول إن الوضع الأمثل، بل هو الوضع الأصيل أن يقرب الكاهن المتناولين من جسد المسيح أولاً، وبعد ذلك يقربهم من الكأس المقدسة.

وغير خاف أن مخلصنا وفادينا يسوع المسيح هكذا صنع: (أخذ يسوع خبزاً وباركه وقسمه، وناول تلاميذه، وقال: خذوا كلوا، فإن هذا هو جسدى. ثم أخذ كأسا وشكر، وناولهم قائلا: اشربوا منها كلكم، فإن هذا هو دمى للعهد الجديد، الذى يسفك عن كثيرين لمغفرة خطاياهم. فشربوا منها كلهم) (متى ٢٦: ٢٦ – ٢٨)، (مرقس ١٤: ٢٢ – ٢٤)، (لوقا ٢٢: ١٩، ٢٠)، (١. كورنثوس ١١: ٢٣ – ٢٥).

وهكذا جرى التقليد فى جميع الكنائس الرسولية منذ الابتداء، كما هو واضح فى كتب الخولاجى Ευχολογιον وكما هو منصوص عليه فى كتابات الآباء فى العصور الأولى، وفى كتب التاريخ الكنسى.

ولهذا السبب، يقتضى الأمر فى أيام الآحاد والأعياد، ولا سيما فى المدن الكبرى، أن يخدم القداس أكثر من كاهن وشماس. فإن للشماس الدياكون (وهو الشماس الكامل) أن يقرب الشعب من الكأس المقدسة.

ونحن نرى إلى اليوم، فى البلاد التى يكثر فيها المسيحيون، وخصوصا فى أيام الآحاد والأعياد والمناسبات الكبيرة (مثل خميس العهد)، يقوم الكاهن الخديم أو الخادم الأساسى عند نهاية القداس، بتوزيع (الحمل) على عدد من الصوانى (جمع صينية) وكذلك يصب ما فى الكأس المقدس على عدد من الكؤوس. ثم يقوم عدد من الكهنة، وعدد من الشمامسة الدياكونيين (والدياكون هو الشماس الكامل الذى يحق له تقريب الشعب من الكأس المقدسة) بتوزيع الأسرار المقدسة، وبهذا يتمكنون من تقريب المتناولين جميعا فى زمن قصير.

وإذا كانت الكنيسة فى أزمنة ماضية قد أباحت للضرورة القصوى، فى الآحاد والأعياد وحيث يكون عدد المتناولين من الأسرار المقدسة كبيراً، ولا يوجد بالكنيسة غير كاهن واحد خديم، أن يقرب المتناولين من القربان المقدس بسكب الدم المقدس على الجواهر المقدسة من جسد المسيح، أو يغمس كل جوهرة فى الكأس ثم وضعها فى فم المتناول.

وهذا هو المسموح به والمعمول به، فعلاً، عندما يحمل الكهنة الأسرار المقدسة فى (حق الذخيرة) إلى بيوت المؤمنين المرضى، أو من هم فى المستشفيات أو فى السجون (كما كان يحدث فى الأزمنة القديمة).

وذلك كما ورد فى كتاب (الخولاجى الكبير) (١) فى نهاية القداس فى باب (ترتيب التناول)، قوله:

(وإذا ناول الكاهن الخدام وجميع الشعب، الجسد الطاهر بلا دم، يقول (الجسد الذى لعمانوئيل إلهنا. هذا هو بالحقيقة آمين... وإذ **ناول الجسد مصبوغا بالدم**، يقول: الجسد والدم الذى لعمانوئيل إلهنا هذا هو بالحقيقة آمين).

ولكن الوضع الأمثل بل الوضع الأصيل كما قلنا أن يقرب الكاهن المتناولين من جسد المسيح أولاً، وبعد ذلك يقربهم من الكأس المقدسة.

---

(١) الخولاجى المقدس - كتاب الثلاث القداسات مع صلوات أخرى - وهو مصحح ومستوفى الترتيب على يد القمص عبد المسيح صليب - ص ٤١٦ - القاهرة ١٩٠٢م - ١٦١٨ش.

١٤ ـ الغفران بدم المسيح

سؤال: من أحد الآباء الكهنة.

يقول بلسان بعض المسيحيين إذا كان عطاء المسيح له المجد فى سر القربان والمائدة الربانية هو عطاء آخر غير ذبيحة الصليب، فما هو الفرق بين الغفران الذى يناله المؤمنون بتناولهم من المائدة الربانية، والغفران الذى يناله المؤمنون من ذبيحة الصليب، أو بالأحرى لماذا كانت ذبيحة الصليب؟

الجواب:

الفرق بين الغفران الذى يناله المؤمنون فى المائدة الربانية، والغفران الذى ينالونه فى ذبيحة الصليب، **أن الغفران فى سر القربان والمائدة الربانية هو عن الخطايا الفعلية اليومية التى ارتكبها ويرتكبها الإنسان بعد المعمودية. أما فى ذبيحة الصليب فقد قبل المسيح الفادى موت الصليب فى جسده بدلاً من آدم وبنى آدم، ففداهم من** الحكم بالموت المحكوم به عدلاً على آدم وبنيه (**إن الخطيئة دخلت فى العالم بإنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، هكذا سرى الموت إلى جميع الناس لأنهم جميعاً أخطأوا فيه**) (رومية ٥: ١٢)، (التكوين ٢: ١٧)، (٣: ٣، ١٩)، (٦: ٢٣)، (يعقوب ١: ١٥)، (١. كورنثوس ١٥: ٢١)، (رومية ٥: ١٧).

إن المسيح بموته على الصليب كان كفارة عن آدم وبنيه (**فهو كفارة عن خطايانا**، وليس عن خطايانا وحدها، بل عن خطايا العالم كله) (١. يوحنا ٢: ٢)(ولكنهم نالوا البر مجانا بنعمته، **بفضل الفداء الذى قام به المسيح يسوع، والذى جعله الله كفارة فى دمه لكل من يؤمن به**) (رومية ٣: ٢٤، ٢٥) (بل هو الذى أحبنا وأرسل ابنه **كفارة لخطايانا**) (١. يوحنا ٤: ١٠)، (٢. كورنثوس ٥: ١٨، ١٩) **فإذا كنا، ونحن أعداء قد تصالحنا مع الله بموت ابنه**) (رومية ٥: ١٠)، (أفسس ٢: ١٦) (**الذى لم يضن بابنه، بل بذله إلى الموت من أجلنا أجمعين**) (رومية ٨: ٣٢).

والغفران الذى حققه المسيح الفادى بموته على الصليب بدلاً من الإنسان، يناله المؤمنون فى المعمودية، ذلك أن المعمودية هى القناة التى ينقل بها الروح القدس فى سر العماد استحقاقات المسيح الفادى الكفارية

(فمن آمن واعتمد خلص) (مرقس ١٦ : ١٦) (توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح فتغفر خطاياكم) (أعمال ٢ : ٣٨)، (أعمال ١٦ : ٣٠- ٣٣) (وكان هذا رمزا **للمعمودية التى تخلصكم** الآن أنتم أيضاً، لا بإزالة وسخ الجسد، بل بعهد صادق النية مع الله بقيامة يسوع المسيح) (١ . بطرس ٣ : ٢١) (أحب المسيح الكنيسة **وضحى بنفسه من أجلها ليقدسها ويطهرها بماء الاغتسال وبالكلمة**) (أفسس ٥ : ٢٦)، (الجليان ـ الرؤيا ١ : ٥).

أما الخطايا التى يرتكبها المؤمن بعد المعمودية، وبها يكرر من جديد خطيئة آدم الأول، الأمر الذى يحتاج إلى دم المسيح (وليس بأحد غيره الخلاص) (أعمال الرسل ٤ : ١٢)، (متى ١ : ٢١) **هذه الخطايا تغفر فى سر القربان** (ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطيئة)، (١ . يوحنا ١ : ٧)، (١ . كورنثوس ٦ : ١١)، (أفسس ١ : ٧)، (العبرانيين ٩ : ١٤)، (١ . بطرس ١ : ١٩).

من هنا فإن المائدة الربانية وسر القربان هى بعينها ذبيحة الصليب ولكن من غير سفك دم المسيح من جديد، لأنه سفك مرة واحدة على الصليب، وأما إستحقاقاته فتشمل الذين يأخذون منه فى سر القربان إلى الأبد، وهذا هو معنى قوله (**إذ هو حى كل حين ليشفع فيهم**) (العبرانيين ٧ : ٢٥)، (٩ : ٢٤)، (رومية ٨ : ٣٤)، (١ . تيموثيئوس ٢ : ٥)، (١ . يوحنا ٢ : ١).

١٥ ـ بالتناول ننال الخلاص والغفران والحياة الأبدية

سؤال: من أحد الآباء الكهنة فى المهجر.

معروف كما تعلمنا فى الكنيسة أن كل الأسرار الكنسية تستمد قوتها وفاعليتها من ذبيحة الصليب بما فى ذلك سر الأفخارستيا، سر الشكر والقربان ومعروف كتابيا أن المسيح سلم هذا السر لتلاميذه قبل أن يقدم ذبيحة نفسه على الصليب، أى فى يوم الخميس، خميس العهد. فهل ما سلمه المسيح له المجد لتلاميذه كان هو رسم هذا السر أى طريقة تقديمه أم حسب منطوق الإنجيل كان هو سر جسده ودمه بعينه... وإذا كان ذلك كذلك، فكيف نوفق بين هذا الأمر وبين إيماننا الذى تسلمناه أن كل الأسرار بما فى ذلك سر الأفخارستيا تستمد فاعليتها وقوتها من ذبيحة الصليب، التى لم تكن قد قدمت بعد؟ (متى ٢٦: ٣٦)، (مرقس ١٤: ٢٥)، (لوقا ٢٢: ١٤ – ٢٠).

الجواب:

الحقيقة الجوهرية أن المسيح له المجد هو الفادى والمخلص وهو الذى أعطى تلاميذه القديسين فى ليلة آلامه، المائدة الربانية (١. كورنثوس١٠: ٢١)، خبز الحياة (يوحنا ٦: ٣٥، ٤٨)، وهو فى الحق هو ذاته (**شجرة الحياة**) (التكوين ٢: ٩)، (٣: ٢٢، ٢٤)، (الرؤيا ٢: ٧)، (٢٢: ٢، ١٤) التى من يأكل منها يحيا إلى الأبد (التكوين ٣: ٢٢) قال له المجد (أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء. من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى أعطيه أنا هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم) (يوحنا ٦: ٥١) وهذا هو أقصى الحب.

أما الفداء بذبيحة الصليب فعطاء آخر من أجل الغفران عن الخطايا.

وإذن فالمسيح له المجد أعطى الغفران، بتقديم جسده ذبيحة حب، بأن سكب للموت نفسه، وحمل خطيئة آدم وذريته (إشعياء ٥٣: ١٢)، فصار هو الخاطىء بدلاً من الخطاة (إشعياء ٥٣: ٦، ٩)، وهذا هو المعنى من قول الوحى (ذاك الذى لم يعرف خطيئة جعله الله خطيئة من أجلنا، لنصير نحن بر الله فيه) (٢. كورنثوس ٥: ٢١)، (غلاطية ٣: ١٣)، (١. بطرس ٢: ٢٢، ٢٤)، فكان هو الحمل البرىء الذى يحمل خطيئة العالم) (إشعياء٥٣: ٦، ٧)، (يوحنا ١: ٢٩، ٣٦)، (١. بطرس ١: ١٩)، (أعمال ٨: ٣٢)،

(الرؤيا ٥: ٦- ١٢) إن عمل الفداء، عطاء عظيم من المسيح، لأنه حمل على جسده خطايانا (١. يوحنا ٣: ٥)، وصار كفارة عنا (١. يوحنا ٢: ٢) بقبوله حكم الموت بالصليب، بدلاً منا، فافتدانا بدمه (غلاطية ٣: ١٣)، (٤: ٥). من حكم الموت الذى نستحقه عدلاً (رومية ٨ : ٣).

على أن فى المائدة الربانية عطاء آخر، مضافاً إلى عمل الفداء الذى تم بالموت بالصليب.

فالمسيح له المجد، لم يقف عطاء حبه عند الفداء بقبوله حكم الموت بدلاً منا، لكنه شاء من فيض حبه أن يعطينا ذاته، غذاء، فنحيا به وفيه (قدمه يصب فى شرايينا وجسده يتحد بجسدنا) على قول بعض آباء الكنيسة.

وعلى غرار الأم التى تعطى الحياة لجنينها فى بطنها من ذات دمها الذى ينتقل منها إليه من خلال المشيمة، هكذا شاء المسيح من فيض حبه فضلا عن الفداء، والخلاص، أن يعطينا من ذاته لنحيا منه وبه، فهو وحده (شجرة الحياة) الحقيقية التى من يأكل منها يحيا إلى الأبد.

وعلى ذلك، فالمائدة الربانية بها ينال المؤمنون الآخذون منها خبز الحياة، كما جاء فى القداس الإلهى (**ربنا يسوع المسيح يعطى خلاصاً وغفراناً للخطايا ثم حياة أبدية لمن يتناول منه**).

حقا إن المعمودية ومواهب الروح القدس الأخرى لم تكتسب قوتها إلا بعد الفداء، لأنها تقوم كلها على بركات الخلاص الذى تفجر فى الصليب، فالروح القدس يأخذ من استحقاقات المسيح الكفارية فى الصليب ويعطى المؤمنين كقول المسيح إن الروح القدس (يأخذ مما لى ويعطيكم) (يوحنا ١٦: ١٤، ١٥).

أما المائدة الربانية ففيها عطاء الحياة من شجرة الحياة، وهو عطاء متميز عن عطاء الفداء.

إن المسيح له المجد فى ليلة آلامه أو خميس العهد وقبل الصلب وقبل إتمام الفداء، أعطى تلاميذه مائده حبه بأن **أعطاهم من جسده ودمه... وهذا عطاء غير مرتبط ارتباطاً جوهرياً بعمل الفداء.**

وليس من شك، **إنه أعطاهم من جسده ودمه من غير انتظار للفداء.**

وكما يقول بعض الآباء القديسين إذا كان المسيح هو ذاته قال لتلاميذه (خذوا كلوا هذا هو جسدى... فمن هذا الذى يجرؤ على أن يشك فى أنه هو جسده على الحقيقة، أو يقول إنه ليس جسده ...

أما كيف يعطى لهم من جسده وهو واقف بينهم فهذا يدخل طبيعيا فى نطاق قدرته الإلهية وسلطان عظمته الذى يعلو كثيرا على الادراكات البشرية. وهنا نستعير عبارة القديس يوحنا ذهبى الفم: ينبغى علينا أن نرتفع بالإيمان فوق الحسابيات والهندسيات. إن سر المائدة الربانية هو حقا سر جميع الأسرار، كما يرد فى صلوات القداس الإلهى.

١٦ ـ لماذا الصوم قبل تناول سر القربان؟

سؤال: من السيد الشماس جون داود نجيب ـ الأسكندرية.

يقول: لقد صنع السيد المسيح له المجد سر الشكر بعد أن احتفل مع تلاميذه بالفصح اليهودى مباشرة، أى أنهم لم يكونوا صائمين عند تناول العشاء الربانى، فلماذا إذن تشترط الكنيسة أن يكون المتقدم للتناول صائماً؟

الجواب:

للإجابة على هذا السؤال، نضع فى الاعتبار النقاط الآتية:

أولاً ـ **إن المسيح له المجد لم يصنع سر الشكر بعد أكل الفصح مباشرة** فبعد الفصح مباشرة **قام بغسل أرجل تلاميذه.** والدليل على ذلك قول الإنجيل: «قام من العشاء وخلع رداءه وأخذ منشفة وائتزر بها، ثم صب ماء فى مطهرة، وأخذ يغسل أرجل تلاميذه ويمسحها بالمنشفة التى كان مؤتزرا بها.» (يوحنا ١٣: ٤ – ١١).

وإذن فلم يصنع الرب يسوع سر الشكر بعد أكل الفصح مباشرة، إذ قام عن مائدة الفصح بعد الإنتهاء منها، وباشر غسل أرجل تلاميذه. وغسل الأرجل عملية تستغرق وقتا بين الإعداد لها وغسل أرجل اثنى عشر تلميذا، بما فى ذلك الحوار الذى جرى بين بطرس الرسول ومعلمه، إذ قال له بطرس أأنت يارب تغسل رجلى؟ «فأجاب يسوع وقال له: إن الذى أفعله أنا لا تدركه أنت الآن، ولكنك ستدركه فيما بعد. قال له بطرس: لن تغسل رجلى أبداً، فأجابه يسوع قائلاً: إن لم أغسل رجليك فليس لك معى نصيب. قال له سمعان بطرس: يارب، ليس رجلى فقط، بل يدى ورأسى أيضاً. فقال له يسوع: إن الذى استحم لا يحتاج إلا لأن يغسل قدميه، بل إنه طاهر كله، وأنتم أيضاً أطهار، ولكن لستم كلكم أطهارا. فقد كان يعلم بالمزمع أن يسلمه» (يوحنا ١٣: ٦ – ١١).

ثانيا ـ **بعد أن غسل الرب يسوع أرجل تلاميذه لم يصنع سر الشكر مباشرة، ولكنه جلس وأخذ يشرح لهم مغزى ماصنعه بغسل الأرجل.** ولابد أن يكون حديث المعلم الأعظم قد استغرق وقتا طويلا.

قال الإنجيل «وبعد أ ن غسل أرجلهم وأخذ رداءه عاد فجلس إلى المائدة متكئا وقال لهم: أتفهمون ماقد صنعت بكم؟ إنكم تدعوننى المعلم والرب، وحسنا تقولون لأننى أنا كذلك. فإن

كنت وأنا ربكم ومعلمكم قد غسلت أرجلكم فأنتم أيضاً ينبغى لكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض، لأننى أعطيتكم مثالا حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً بعضكم ببعض. الحق الحق أقول لكم أنه ما من خادم أعظم من سيده، وما من رسول أعظم ممن أرسله. إن عرفتم هذا فمباركون أنتم إن عملتم به. لست أقول هذا عنكم جميعا فأنا أعرف الذين اخترتهم...» (يوحنا ١٣: ١٢- الخ).

ثالثا - ثم انتقل المسيح له المجد فى حديثه مع تلاميذه عن غسل الأرجل ومغزاه إلى أمور أخرى، فحدثهم عن المحبة التى ينبغى أن يحبوا بعضهم بها وهى العلامة التى تميزهم كتلاميذ للمسيح، وأنبأهم عن خيانة واحد منهم له، وقد أزعجهم هذا وأخذوا ينظرون بعضهم إلى بعض حائرين لا يدرون من الذى يعنيه بقوله هذا، إلى أن غمس اللقمة وأعطاها ليهوذا الاسخريوطى ليتبينوا أنه هو الذى سيسلمه لليهود.

وبعد هذا امتد الحوار بين مخلصنا وبين تلاميذه، هم يسألونه وهو يجيبهم عن عدد من الأمور، ووعدهم بحلول الروح القدس عليهم، وجعل يطمئنهم ويهدىء من روعهم وهو يحدثهم أحاديث الوداع والمفارقة فى ليلة صلبه، وهى هذه الأحاديث التى استغرقت فصولا طويلة تقرأ عادة فى ليلة الجمعة العظيمة من أسبوع الآلام وقد ضمنها الإنجيل حسب ما كتبه القديس يوحنا فى خمسة إصحاحات كاملة هى الإصحاحات ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧ من الإنجيل.

رابعا - قصدنا مما سبق أن نبين أن مخلصنا لم يصنع سر الشكر مباشرة بعد الفصح، وإنما مرت فترة طويلة يمكن أن تقدر ببضع ساعات بين عشاء الفصح وغسل الأرجل والأحاديث الطويلة الوداعية التى تلت ذلك.

ومهما يكن من أمر **فعشاء الفصح نفسه لم يكن عشاء عاديا وإنما كان طقسا دينيا يحمل المغزى الروحى وكانت تباشر فيه التسابيح وتتلى أثناءه المزامير.**

خامسا - إذا كانت الكنيسة المسيحية قد اشترطت فيما بعد أن يكون الإنسان ممتنعا عن الطعام عددا من الساعات قبل أن يتقدم للتناول من الأسرار المقدسة، (هى فى العادة ٩ساعات على الأقل - تخفض بالنسبة للمريض إلى ٦ساعات وبالنسبة للطفل إلى ٣ساعات) فهذا ليس من قبيل الصوم بمعناه الاصطلاحى ولكن من قبيل (**الاستعداد**) للتقدم إلى السر المقدس وهو سر الأسرار والمغزى الروحى من هذا (**الاستعداد**) هو جعل الجسد فى حالة جوع وعطش يتناسب

مع جوع الروح الإنسانية وعطشها إلى الخبز السماوى، والشراب السماوى (يوحنا ٦: ٥٥- ٥٨) تمشيا مع قول المسيح له المجد وتطبيقا وتنفيذا له «سعداء هم الجياع والعطاش إلى البر فإنهم سيشبعون» (متى ٥: ٦).

سادسا - ولعلنا ندرك روحيا ومنطقياً أنه ليس من اللياقة أن يتقدم الإنسان إلى المائدة السماوية مباشرة بعد أن يكون قد تناول طعاما ماديا، فإن تقديره للمائدة الروحانية واحترامه وتقديسه لها يملى عليه أن يؤخر طعامه المادى، وأن يؤثرها هى أولا شعورا منه بأهميتها وإبرازاً لكرامتها - تمشيا مع قول المسيح له المجد وتنفيذا له «اطلبوا أولا ملكوت الله وبره» (متى ٦: ٣٣).

سابعا - ولعله ليس من اللائق روحيا أن يتقدم الإنسان إلى المائدة السماوية بعد أن يكون ممتلئا من الطعام الجسدى المادى، لأنه إذ يكون شبعان جسديا لا يتقدم إلى الأسرار المقدسة بالاشتياق اللائق بسر الأسرار.

فإن من يُدْعَى إلى وليمة عظيمة لمناسبة جليلة من شخصية جليلة لا يليق به أن يملأ معدته بالطعام مباشرة قبل أن يأتى إلى الوليمة، حتى لا يتقدم إلى المائدة العظيمة بشهية مفقودة، فيأكل متقززا متأففا، فتحصل الإهانة لصاحب الدعوة الكريمة وللآكلين معه من المدعوين، لقد كان خيرا لذلك الإنسان لو أنه اعتذر عن عدم الحضور إلى الوليمة من أن يأتى بمعدة ممتلئة فيأكل متغصباً فتحدث الإهانة.

ولقد حدث من بعض أهل كورنثوس بعض تصرفات كهذه لامهم الرسول بولس عليها فى رسالته إليهم، فمنهم من كان يأتى بطعام إلى الكنيسة ولا يطيق الانتظار للباقين قبل إنتهاء الخدمة فيأكل قبل إخوته. قال لهم «أفليس لكم بيوت لتأكلوا فيها وتشربوا أم تستهينون بكنيسة الله... ماذا أقول لكم؟ أأمدحكم على هذا؟ لست أمدحكم، لأننى تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً، إن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزا وشكر... إذن يا إخوتى حين تجتمعون للأكل (فى موائد الأغابى التى تمد بعد إنتهاء الخدمة) انتظروا بعضكم بعضاً. إن كان أحد يجوع فليأكل فى البيت كى لا تجتمعوا للدينونة» (١ . كورنثوس ١١: ٢١- ٣٤).

والخلاصة أن ترتيب كنيستنا الأرثوذكسية بالامتناع عن الطعام عددا من الساعات استعدادا للتناول من الأسرار المقدسة ترتيب حكيم يلائم التوقير اللائق بالمائدة الروحانية والوليمة السمائية.

١٧ ـ واجبات مابعد التناول

سؤال: من السيد/ دكتور جابر جرجس نخله ـ دير مواس.

ما هى الإجراءات الواجب إتباعها بعد التناول من القربان المقدس مباشرة من أمثال عدم البصق على الأرض وما إليها؟

الجواب:

هذه الإجراءات بعد التناول من القربان المقدس بعضها واجبات روحية، وبعضها واجبات جسدية.

أولا ـ أما الواجبات الروحية فهى:

١ ـ الفرح بالنعمة التى نالها المؤمن بتناوله من سر القربان المقدس، والتأمل فى جلال السر المقدس، وشرف التناول منه.

٢ ـ الحرص على جمع الذهن وعدم تشتيته بالصور والخيالات والأفكار والأخبار المثيرة للخطيئة، أو التى تبعده عن التأملات والأفكار الصالحة والطاهرة.

٣ ـ التقليل بقدر الإمكان من النشاطات التى تشتت الانتباه، والبعد عن الأماكن غير النقية والمعاشرات الرديئة.

٤ ـ تجنب الضحك والهزل وما إليها من أمور تطفىء جذوة النعمة من القلب، كما يقول الآباء الروحانيون.

٥ ـ تجنب الغضب والإنفعالات غير الروحية.

٦ ـ التقليل بقدر الإمكان من الكلام عن الآخرين وإدانتهم ولومهم، وإساءة الظن بهم.

٧ ـ حفظ اللسان من كل ما يدنسه، من الكلمات العاطلة التى لا نفع منها والتى لا تصلح لبناء النفس روحيا ـ ويجمل بالأحرى التدرب على فضيلة الصمت ـ وعدم الكلام إلا للضرورة.

٨ ـ ويحسن كلما كان ذلك ممكنا ـ قضاء بقية اليوم فى القراءة الروحية، والصلاة والترنيم، وإراحة الجسد بعض الوقت بالنوم الذى يعمل على تسكين القلب والجسم.

ثانيا ـ أما من الناحية الجسدية:

١ ـ يجمل بالمتناول من القربان المقدس عدم البصق، وعدم إدخال شيء فى الفم يضطر المتناول إلى إخراجه مثل بذور البرتقال، أو بذور الزيتون، وبذور العنب وما أشبه.

٢ ـ يجمل أيضاً بالمتناول عدم الاستحمام بعد التناول مباشرة، وعدم قص الشعر أو الأظافر قبل يوم كامل أو تسع ساعات على الأقل.

٣ ـ يجمل عدم غسل الأسنان سواء بالصابون أو بفرشة ومعجون الأسنان، والمعروف أن غسل الفم والأسنان يجب أن يكون فى الليلة السابقة على يوم التناول من القربان المقدس.

٤ ـ يجب أيضاً عدم التدخين.

وإذا اضطر المؤمن ـ جهلا أو نسياناً ـ إلى مخالفة شيء مما سبق، عليه أن يستشير الكاهن، أبى ذمته، ومرشده فى الاعتراف.

١٨ ـ مصير القربان فى المائدة الربانية

سؤال: من الإبن نادى لويز روفائيل ـ ملوى.

ماهو مصير القربان المقدس الذى يتناوله المتناولون من المائدة الربانية؟ هل مساره مسار الطعام العادى من حيث عملية الهضم وما يتبعها ويلحق بها من عمليات بيولوجية وإفراز؟

ثم ما هو مصير من يتناول من المائدة الربانية من غير استحقاق، هل هناك آثار وأعراض جسدية يصاب بها، عقابا على تناوله من غير استحقاق؟

الجواب:

أما عن **السؤال الأول وهو مصير القربان المقدس فى المائدة الربانية**، وهل يمر بعملية الهضم، مثله مثل الطعام العادى من حيث العمليات البيولوجية، نقول **كلا، وحاشا، ومعاذ الله. إن المائدة الربانية هى «شجرة الحياة»**، وهى كما يرد فى القداس وكتب الكنيسة وأقوال الآباء، إنها «سر الأسرار»، وكما يقول القديس يوحنا ذهبى الفم «إن فى فهمنا للأسرار المقدسة ينبغى **أن نرتفع بأرواحنا وعقولنا فوق الحسابيات والهندسيات**. إنها سر مقدس، مائدة ربانية، طعام وشراب روحانى، يعلو على العقل ويسمو على العمليات البيولوجية التى يخضع لها الطعام العادى. إنها كما قال المسيح له المجد لليهود «وهو ليس كالمن الذى أكله آباؤكم ثم ماتوا» (يوحنا ٦: ٥٨).

ويقول بعض القديسين فى مسار القربان المقدس فى المائدة الربانية بالنسبة للمتناولين منه «**إن دمه (دم المسيح) يصب فى شرايينا، وجسده يتحد بجسدنا وهو كله يدخل فينا**».

ولهذا يستعير المتناول فى صلاته قبل التقرب من المائدة الربانية عبارة قائد المائة **للسيد المسيح له المجد «يارب إننى لست مستحقا أن تدخل تحت سقف بيتى»** (لوقا ٧: ٦)، (متى ٨: ٨).

ويقول القديس كيرلس الأورشليمى (٣١٥ ـ نحو ٣٨٦)م.

«بتناولك من جسد المسيح ودمه تصير متحدا معه جسداً ودماً. لأننا بهذه الحالة نصير لابسى المسيح، أى بامتزاج جسده ودمه فى أعضائنا. وبهذه الواسطة نصير مشاركى الطبيعة الإلهية كما يقول بطرس المغبوط (٢ . بطرس ١: ٤)،

فلا تنظر إلى الخبز والخمر كأنهما عاديان، إذ هما جسد ودم حسب القول السيدى، لأنه وإن كان الحس يظهرهما لك عاديين لكن الإيمان يحقق لك إنهما جسد المسيح ودمه **فلا تحكم إذن بحسب الذوق الحسى** بل تحقق من الإيمان وتأكد بلا ارتياب أنك قد أهلت لجسد المسيح ودمه» (فى الأسرار ٤: ١، ٢، ٣- ٦).

أما عن مصير الذين يتناولون من المائدة الربانية من غير استحقاق، فيكفى عنه ما ورد فى الرسالة إلى كورنثوس:

«ليمتحن الإنسان نفسه، ومن ثم فليأكل من الخبز ويشرب من الكأس، **لأن من يأكل ويشرب بغير استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه** إذ لم يميز جسد الرب»

«**من أجل هذا، كثر فيكم المرضى والضعفاء وكثيرون منكم يموتون**. فلو أننا حاسبنا أنفسنا لتجنبنا الحكم علينا. وإذ قد حكم الرب علينا، إنما **يؤدبنا الرب** حتى لا ندان مع العالم» (١ . كورنثوس ١١: ٢٨- ٣٢).

ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم (٣٤٧- ٤٠٧)م

يجب أن نكون من كل جهة ساهرين، **لأن القصاص المعد للمشتركين على خلاف الاستحقاق ليس صغيرا**... فاحترس إذن من أن تصير مجرما لجسد المسيح ودمه فتقتبله بنفس دنسة...» (تفسير متى مقالة ٨٢: ٤، ٥)، ويرد فى كتاب (القوانين) - (فى القداس):

«وإذا تكاملت الصلوات كلها ... وليقل الكاهن:

«من كان طاهراً فليدن من الأسرار المقدسة، **ومن كان غير طاهر فلا يدن منها لئلا يحترق بنار اللاهوت**» (الباب الثانى عشر- فى القداس- ٢٤).

١٩ ـ التقدم للمائدة الربانية يتطلب نظافة الروح والذهن والجسد

سؤال : من العزيز الإبن الشماس برسوم شهدى برسوم ـ أرمنت.

هل الاستحمام أو غسيل الفم قبل التناول من المائدة الربانية يعتبر إفطاراً؟

الجواب :

نجيب **بأن القانون الكنسى يتطلب نظافة الروح والذهن والجسد قبل التقدم للمائدة الربانية**. فالاستحمام وهو غسل البدن كله، وغسل الفم أيضاً، يجب أن يسبق التقدم للمائدة الربانية بمدة لا تقل عن تسع ساعات. هذه المدة تسمى فى المصطلح الكنسى (احتراسا) وهو التعبير الدقيق، فإنه لا صوم فى يوم الأحد.

لذلك اعتاد المسيحيون منذ القديم على أن يغتسلوا أو يستحموا استحماما كاملاً فى اليوم السابق على التقرب من المائدة الربانية. فإذا كان التقرب يوم الأحد اغتسلوا وإستحموا يوم السبت، وكذلك يغسلون الفم غسلاً تاماً فى الليلة السابقة، ولا يدخل بعد هذا شيء من الماء أو غيره حتى يتقربوا من الأسرار المقدسة.

والأمر كما جاء فى الكتاب المقدس قبل أن يذهب المؤمن إلى بيت الله (تطهروا وأبدلوا ثيابكم) (سفر التكوين ٣٥: ٢)، (الخروج ١٩: ١٠).

أما إذا حدث (عارض) بالليل، فالاستحمام وتغيير الملابس ضرورة قبل دخول الكنيسة، أما التقرب من المائدة الربانية فلا يجوز فى هذا اليوم، أى يجب أن يرجأ إلى يوم آخر.

٢٠ ـ من الذى يصلح لتوزيع الأسرار إذا توفى الكاهن أثناء الصلاة؟

سؤال: من العزيز عادل ميخائيل عوض الله ـ طنطا.

إذا كان الكاهن الذى يقيم القداس قد توفى أثناء الصلاة وقبيل التوزيع للأسرار المقدسة، فمن الذى يصلح لتوزيع الأسرار المقدسة، فى هذه الحالة؟

الجواب:

إذا لم يكن بالكنيسة كاهن آخر شريك، يمكن الاتصال فورا بكاهن آخر لكنيسة أخرى فى البلدة لتتميم الصلوات، وتوزيع الأسرار المقدسة ـ إذا كان فى البلدة أكثر من كنيسة.

على أنه فى جميع الأحوال يلزم الاتصال فورا بأسقف الإيبارشية أو المطران للتصرف.

وفى عهود ماضية أبيح للشماس إذا كان فى درجة (دياكون) (شماس كامل)، أن يقوم فى هذه الحالة بتكميل الصلاة وتوزيع الأسرار المقدسة، على أن يبقى بالكنيسة، لا يغادرها، حتى يأتى الأسقف ويتمم رسامته قسيساً.

٢١ ـ سر المائدة الربانية بعد عشاء الفصح بوقت غير قليل

سؤال : من الإبنة منى القس تادرس مرقس ـ زفتى.

تقول ـ ما الحكمة فى الامتناع عن الطعام قبل التناول من الأسرار المقدسة، علما بأن السيد المسيح باشر سر المائدة الربانية ليلة خميس العهد بعد عشاء الفصح مباشرة؟

الجواب :

إن المسيح له المجد **باشر سر المائدة الربانية بعد مضى وقت غير قليل من تناول عشاء الفصح**، فالإنجيل المقدس يروى أنه بعد صنع الفصح قام مخلصنا بغسل أرجل تلاميذه، وبعد غسل الأرجل الذى استغرق وقتاً جلس له المجد مع تلاميذه وتحدث إليهم حديثاً طويلاً تناول فيه مغزى ما صنعه بهم، وطالبهم بأن يحبوا بعضهم بعضاً، وأن يغسلوا بعضهم أرجل بعض، بل إن حديثه فى تلك الليلة استغرق أربع إصحاحات طويلة تتلى فى ليلة الجمعة الكبيرة.

قال الإنجيل للقديس يوحنا:

(**قام عن العشاء**، وخلع رداءه وأخذ منشفة وائتزر بها، ثم صب ماء فى مطهرة، وأخذ يغسل أرجل تلاميذه ويمسحها بالمنشفة التى كان مؤتزراً بها، حتى إذا جاء إلى سمعان بطرس... الخ.

(وبعد أن غسل أرجلهم وأخذ رداءه، عاد فجلس إلى المائدة وقال لهم: أتفهمون ما قد صنعت بكم. إنكم تدعوننى المعلم والرب، وحسنا تقولون لأننى أنا كذلك. فإن كنت وأنا ربكم ومعلمكم قد غسلت أرجلكم، فأنتم أيضاً ينبغى لكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض، لأننى أعطيتكم مثالاً حتى تصنعوا أنتم أيضاً بعضكم ببعض كما صنعت أنا بكم. الحق الحق أقول لكم... الخ) (يوحنا ١٣ : ٤ – الخ) (١٧ : ١ – ٢٦).

مما تقدم يتبين:

أولا ـ أن المسيح له المجد صنع العشاء الربانى بعد فترة غير قصيرة من عشاء الفصح، صرفها فى غسل الأرجل، وفى أحاديث مستفيضة فى ليلة آلامه.

ثانيا ـ ومهما يكن من أمر فإن عشاء الفصح نفسه طقس دينى. فهو ليس ككل عشاء آخر.

ثالثا ـ كان لابد للمائدة الربانية أن تتم فى نفس الليلة بعد غسل الأرجل للعلاقة الرمزية بين عشاء الفصح وسر المائدة الربانية، لأن فصح العهد القديم كان رمزا لفصح العهد الجديد. وقد ختم المسيح العهد القديم بإتمام الفصح القديم، ليبدأ العهد الجديد بنفسه بتقديم المائدة الربانية. فكان لا بد للمائدة الربانية أن تقدم فى نفس الليلة، ولا تنتظر إلى يوم آخر، نظراً للرابطة الروحية بين العشائين، عشاء الفصح القديم، والعشاء الربانى، الذى بدأ به المسيح العهد الجديد عقب غسل الأرجل، وغسل الأرجل يشير إلى المعمودية التى تسبق فى العهد الجديد التناول من الأسرار المقدسة.

رابعا ـ هذا إلى أن ترتيب الانقطاع عن الطعام قبيل التقدم إلى الأسرار المقدسة لمدة تسع ساعات على الأقل ترتيب أمرت به الكنيسة بعد صلب المسيح وقيامته من بين الأموات.

أما **الحكمة** فى الامتناع عن الطعام لمدة لا تقل عن تسع ساعات قبيل التقدم للأسرار المقدسة فهو جعل الجسد فى حالة جوع يتناسب مع جوع الروح واشتياقاتها إلى طعام الحياة الأبدية. وهذا تطبيق عملى لقول المسيح له المجد (سعداء هم الجياع والعطاش إلى البر، فإنهم سيشبعون) (متى ٥: ٦)، (مزمور ٣٦: ١١).

٢٢ ـ الخمر فى سر التناول

سؤال:

هل هناك إشارة بين تحويل الماء إلى خمر فى عرس قانا الجليل وتحويل الخمر إلى دم المسيح فى سر القربان المقدس؟

الجواب:

إن المسيح له المجد إذ حول الماء عن طبعه، وصيره خمراً حقيقياً فقد برهن مسبقاً على قدرة لاهوته فى سر القربان المقدس. ففى ليلة آلامه (خميس العهد الجديد) «أخذ يسوع خبزاً وباركه وقسمه وناول تلاميذه، وقال: «خذوا كلوا فإن هذا هو جسدى». ثم أخذ كأسا وشكر وناولهم قائلاً: «اشربوا منها كلكم. فإن هذا هو دمى للعهد الجديد الذى يسفك عن كثيرين لمغفرة خطاياهم» (متى ٢٦: ٢٦ – ٢٨)، (مرقس ١٤: ٢٢ – ٢٤)، (لوقا ٢٢: ١٩، ٢٠).

ولقد رأى آباء الكنيسة فى معجزة تحويل الماء إلى خمر، إشارة مسبقة إلى سر القربان المقدس، ليس فقط من جهة قدرة المسيح وسلطان لاهوته على تحويل المادة من صورة إلى أخرى، بل أيضاً من حيث أن الخمر ترمز إلى الصحة والقوة، فلئن كان الماء للتنظيف والتطهير ولا غنى عنه لنظافة البدن وسلامته، لكن الخمر تعطى الصحة والحيوية والقوة (مزمور ١٠٣: ١٥)، (التكوين ٢٧: ٢٥)، وهى غذاء يبنى صحة الجسم (التكوين ٢٧: ٢٨، ٣٧)، (إشعياء ٣٦: ١٧)، (عزرا ٦: ٩)، (التثنية ٧: ١٣) وتتحول الخمر إلى دم، (القضاة ٩: ١٣)، (الجامعة ١٠: ١٩) والدم قوام الإنسان، ولذلك يقولون فى الأمثال إن الإنسان من لحم ودم (غلاطية ١: ١٦)، (متى ١٦: ١٧)، (أفسس ٦: ١٢).

لقد كان شرب الخمر جزءاً من الطقس الدينى فى العهد القديم، فكانوا يشربون أثناء تناول الفصح أربع كؤوس من الخمر (كأس المرارة، وكأس الفرح، وكأس البركة، وكأس التهليل) ثم يرتلون بتسابيح ومزامير البهجة والخلاص (مرقس ١٤: ٢٦)، (متى ٢٦: ٣٠). وجاء المسيح فى العهد الجديد فأخذ أيضاً كأساً وباركها وناول تلاميذه منها وقال لهم: اشربوا منها كلكم فإن هذا هو دمى للعهد الجديد.

ولقد أبان له المجد، فى أكثر من مناسبة، أهمية هذا الشرب السرى من دمه فقد قال: «أنا الكرمة الحقيقية... اثبتوا فىّ وأنا فيكم. فكما أن الغصن لا يمكن أن يأتى بثمر من ذاته إن لم

يثبت فى الكرمة، هكذا أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فىّ. أنا الكرمة وأنتم الأغصان، فالذى يثبت فى وأنا فيه يأتى بثمر كثير، لأنكم بدونى لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً. إن كان أحد لا يثبت فىّ فينزع كالغصن، فيجف، فيأخذونه ويطرحونه فى النار، فيحترق..». (يوحنا ١٥: ١- ٦)، ثم يعود فيقول «الحق الحق أقول لكم: مالم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، لا تكون لكم حياة فى أنفسكم... من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية... من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىّ وأنا أيضاً فيه» (يوحنا ٦: ٥٣- ٥٦).

من هذه المشابهة بين المسيح والكرمة، وبين المؤمنين بالمسيح وأغصان الكرمة، تتضح حاجة المؤمنين إلى أن يغتذوا بدم المسيح سرياً، فيكون لهم الثبات فيه وبالتالى الحياة الأبدية، فلا حياة للغصن من دون الكرمة، إن منها يستمد غذاءه وبالتالى استمراره فى الحياة وثباته فيها، ومن غير ذلك يصيبهم الذبول فالجفاف فالموت فالهلاك الأبدى.

من هنا كان مدخل الخمر فى سر القربان المقدس، غير أن هذه الخمر التى نستخدمها فى سر القربان ليست من نوع ما يسمونه بالمشروبات الروحية أو المسكرات، وهذه الأخيرة يصنعونها بالتقطير، ويستخلصون (روح) المادة لا المادة نفسها ومن هنا كلمة المشروبات (الروحية) و (الروح) فى المسكرات هى ما يسمونه (السبيرتو) وهو الكحول. والسبيرتو هو النطق الطليانى لكلمة (روح) Spirto بمعنى الكحول.

أما الخمر المستخدمة فى سر القربان فيصنعونها بشىء من التخمير وذلك بتبليل العنب الجاف بالماء وتركه بعض الوقت، فتأتى الخميرة من الهواء وتحط على العنب المبلل بالماء، وتفرز إفرازها لتحلله وتغتذى عليه، فتصير له الرائحة الخاصة بالخمر. وأمر تخمير العنب هو بعينه الأمر فى تخمير الخبز ليكون سهل الهضم إذا تناوله الإنسان. وأمر تخمير العنب شبيه بما تقوم به المعدة عندما ينزل إليها الطعام الممضوغ فى الفم، فتفرز عليه الخمائر التى تساعد على تحطيمه، فيسهل هضمه.

فهذا التخمير إذن نافع ومفيد وضرورى لصحة البدن، ولذلك فإن الأطباء يركبون هذا الخمر فى الدواء لمن أصابهم فى المعدة داء أعجزها عن هضم الطعام. ولهذا السبب نصح القديس بولس الرسول تلميذه الأسقف تيموثيئوس - الذى كان مريضاً بالاستسقاء، فيشرب الماء كثيرا ولكن الماء يتجمع فى بطنه بطريقة غير سوية، فيضخمها - نصحه قائلا: «لا تكن شراب ماء فيما بعد، بل استعمل قليل من الخمر، من أجل معدتك وأسقامك المتواترة» (١. تيموثيئوس ٥: ٢٣).

أما الخمر المسكرة وما يسمونه بالمشروبات الروحية أو الكحولية بأنواعها، فقد نهتنا الكتب المقدسة عن شربها، وهى ضارة بالصحة العقلية والبدنية، وصدقوا إذ قالوا عنها «الخمر فى المعدة كالرمل فى العدة»

قال الكتاب المقدس:

«بالخمر الدعارة، وبالمسكر الجلبة، ومن يترنح بهما فليس بحكيم» (الأمثال ٢٠ : ١).

٢٣ ـ ليس من اللياقة إلقاء العظة أثناء توزيع الأسرار المقدسة

سؤال: من السيد/ ميشيل جرجس عبد المسيح ـ مينيسوتا ـ أمريكا.

هل يصح أن تلقى العظة بعد الإنتهاء من التناول مباشرة قبل صرف ملاك الذبيحة وقفل ستر باب الهيكل؟

الجواب:

الوقت الأنسب للعظة أو تفسير الإنجيل هو بعد تلاوة إنجيل القداس مباشرة.

أما إذا كان مجموع الشعب فاترا عن حضور القداس منذ بدء الخدمة، ورأى الكاهن أن يرجىء إلقاء العظة إلى ما بعد القداس، فليكن **ذلك بعد الفراغ من توزيع الأسرار المقدسة نهائيا**، وقبل صرف ملاك الذبيحة أو بعده، **ولكن قبل البركة الختامية.**

ومهما يكن من أمر فليس من اللياقة إلقاء العظة أثناء توزيع الأسرار المقدسة. وإنما يجب أن ترتل فى هذه الأثناء الترانيم والمدائح المناسبة لجلال السر المقدس، سر التناول.

٢٤ ـ رحمة السلام، ذبيحة التسبيح

سؤال: من السيد/ ميشيل جرجس عبد المسيح ـ مينيسوتا ـ أمريكا.

ما هى الترجمة الصحيحة للعبارة ⲉⲗⲉⲟⲥ ⲓⲣⲏⲛⲏⲥ ⲑⲩⲥⲓⲁ ⲉⲛⲉⲥⲉⲱⲥ

هل هى «رحمة السلام، ذبيحة التسبيح» أم «رحمة وسلام وذبيحة التسبيح»؟

الجواب:

الترجمة الصحيحة هى:

رحمة السلام، ذبيحة التسبيح ـ وهى مرد الشعب على الشماس فى بدء قداس المؤمنين، عندما ينذرهم بأن يقفوا جيدا، ويقفوا حسنا، وبإنصات، وبسلام ومخافة الله، وخشوع.

والعبارة هى يونانية التركيب والمعنى. وقد ورت بالقبطية على النحو التالى:

ⲉⲗⲉⲟⲥ ⲓⲣⲏⲛⲏⲥ ⲑⲩⲥⲓⲁ ⲉⲛⲉⲥⲉⲱⲥ

أما باليونانية فتكتب على النحو التالى:

ἔλεος εἰρήνης θυσία αἰνέσεως

وتحليلها على النحو الآتى:

رحمة (فى حالة الفاعلية المرفوعة)= ἔλεος ـ السلام (فى حالة المضاف إليه)= εἰρήνης ـ ذبيحة (فى حالة الفاعلية المرفوعة) θυσία التسبيح (فى حالة المضاف إليه)= αἰνέσεως

والمعنى من العبارة أن **السلام رحمة** ـ لأنه يجلب رضى الله ورحمته على أهل السلام، كما أن السلام بين الناس يشيع فعل **الرحمة** بينهم.

أما **ذبيحة التسبيح** فهو تعبير ورد فى رسالة القديس بولس إلى العبرانيين:

«فلنقرب به إذن إلى الله **ذبيحة التسبيح** كل حين، وهى ثمر شفاهنا المعترفة باسمه» (العبرانيين ١٣: ١٥).

أى أن التسبيح باسم الله هو «**ذبيحة حمد وشكر**» نتقرب بها إلى الله بشفاهنا التى تعترف باسمه.

والقداس هو (ذبيحة الشكر) لله، ولذلك سمى سر التناول، بالأفخارستيا، أى الشكر. فبينما هو سر القربان، وسر التناول، وسر الشركة، وسر المائدة الربانية. هو أيضاً **ذبيحة التسبيح** بما تنطق به أفواه المؤمنين من صلوات الحمد والشكر لله، والاعتراف باسمه.

٢٥ - هل يحق للدياكون أن يحمل الكأس؟

سؤال: من الإبن ميلاد شهيد بسطا.

هل يحق للشماس الدياكون أن يحمل الكأس وأن يقرب الشعب من الكأس؟

الجواب:

أقول: نعم، إن الشماس إذا كان فى درجة (دياكون) وهو الشماس الكامل، له أن يحمل الكأس ويقرب الشعب من الدم المقدس.

وقد ورد هذا صراحة فى كتاب (ترتيب قسمة رتب الكهنوت) المستخدم فى طقس الرسامة للشماس (الدياكون) بعد رسامته.

(افهم مقدار الكرامة التى أعطيتها. إذ تحمل الدم الحقيقى المعطى خلاصاً للعالم الذى سلم ليديك مجداً لإلهنا يسوع المسيح آمين).

ثم جاء أيضاً فى الوصية التى تقرأ على الشماس (الدياكون) بعد وضع اليد عليه:

(إن الشماس يتشرف بتلاوة معانى الكتب الرسولية على أسماع الشعب، وقراءة الأناجيل... والتقديس والتسبيح فى هياكله **وحمل الكأس الإلهى الذى به سبب الغفران لمن يتناوله** من الأنقياء الأطهار والأذكياء الأبرار....).

وجاء فى طقس رسامة رئيس الشمامسة (الأرشيدياكون) يقول الأسقف (أنت الآن يا ملكنا محب البشر، اقبل سؤالنا نحن الخطاة، وأرسل نعمة روح قدسك على عبدك (فلان) الذى دعى لرياسة الشمامسة بحكم تزكية الذين قدموه فى الوسط... املأه من القوة والفهم كمثل استفانوس أول رؤساء الشمامسة فى بيعتك المقدسة بخدم غير دموية وصعائد نقية ناطقة، **وليمسك كأس الدم المكرم الذى للحمل الذى بلا عيب الذى لابنك الوحيد).**

ثم توكيدا لهذة المهمة التى صارت موكولة للشماس (الدياكون) وهى **حمل الكأس وتقريب الشعب من الدم الإلهى، يحمل الشماس الدياكون أثناء خدمة القداس (المستير) أى الملعقة، علامة ودليلاً على استحقاق الشماس (الدياكون) لهذه الكرامة المقدسة أن يحمل كأس الرب ، ويقرب الشعب من الدم الإلهى.**

جاء فى كتاب (الجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة) للعلامة يوحنا بن زكريا المعروف بابن السباع فى (رسم الشماس) **(ويناوله (رئيس الكهنة) ملعقة الكأس ليحملها من أول القداس إلى آخره دليلاً على إذنه له فى توزيع الدم)** (الباب السابع والسبعون).

٢٦ ـ هل يجوز توزيع القربان على الناس فى مناسبات الجنازات والأكاليل؟

سؤال: من السيد/ فرنسيس يعقوب القمص ـ بنها.

يقول إنه ذهب لحضور (صلاة الثالث) لأحد الناس، وبعد الصلاة قام أحد أقارب المتوفى بتوزيع السجائر على المعزين المجاملين، فأشعل بعض الناس سجائرهم. وفى هذه الأثناء قام شخص آخر يحمل على يديه صينية بها أجزاء من قربان، ومر على الموجودين، ليأخذ كل منهما نصيبا من القربان، ـ فساءنى هذا وهمست لأحد الجالسين إلى جوارى ـ وهو شقيق من قام بالتوزيع ـ قائلا إنه لا يجوز توزيع القربان على المعزين والمجاملين بهذه الصورة وفى هذه المناسبة، خصوصاً وأن من بين المجاملين أشخاصاً غير مسيحيين. فرد على قائلاً: إن هذا القربان ليس من (الحمل)، ولذلك يجوز توزيعه على الناس من قبيل المحبة (الأغابى).

ولقد تحيرت فى الأمر، ولذلك أكتب لكم برجاء الإفادة فى هذا الأمـر؟

الجواب:

الأصل فى توزيع أجزاء من القربان المقدس بعد إنتهاء خدمة القداس هو منح الذين لم يتناولوا من الأسرار المقدسة، على الخصوص (بركة) من خبزات القربان اللاتى زاملت قربانه (الحمل) ولم يقع عليها الاختيار، ولكنها قد تباركت بعلامة الصليب، إذ رسم عليها الكاهن بعد اختيار قربانه (الحمل) باصبعه، فتباركت. ولذلك فإنها تسمى بالمصطلح الكنسى (اولوجية) أو (أزمو). أما (اولوجية) فهى لفظ يونانى εὐλογία أى (بركة). وأما (أزمو) فهو لفظ قبطى ⲁⲥⲙⲟ ومعناه أيضاً (بركة).

هذه (الأولوجية) أو (الأزمو) هى (بركة) يوزعها عادة بيده الكاهن الأكبر (البطريرك أو المطران أو الأسقف) إذا كان حاضراً، وإلا فالقسيس يوزعها على المؤمنين المسيحيين من شعب الكنيسة.

وفى صلاة الثالث، وما إليها من مناسبات دينية يمكن أن يوزع الكاهن الحاضر من القربان الذى يحمله معه على سائر الحاضرين من أبناء الكنيسة المسيحيين.

وفى هذه الحالة يتقدم الراغبون فى (البركة) من الكاهن، لينالوا من يده البركة، حتى يكون التوزيع على (الراغبين).

وليس من اللائق بكرامة القربان أن يحمله أحد الناس ويطوف به على صينية على نحو ما يطوفون بالسجاير وما إليها.

٢٧ ـ أكثر من صينية وكأس

سؤال: من الدكتور بباوى دوس ـ مدينة فيصل ـ السويس.

هل يجوز استخدام أكثر من صينية فى القداس فى توزيع الأسرار المقدسة؟

الجواب:

نعم، ذلك يجوز، وخصوصا فى أيام الأعياد والمناسبات التى يكون فيها عدد المتقدمين إلى الأسرار المقدسة كبيراً.

وفى هذه الحالة يوضع الحمل فى الصينية كالمعتاد، ويمكن تجهيز أكثر من صينية، ووضعها فارغة على المذبح المقدس محيطة بالصينية الرئيسية التى بها (القربانة ـ الحمل)، وكذلك يمكن وضع أكثر من كأس إلى جوار الكأس الرئيسية، على أن توضع هذه الصوانى والكؤوس الإضافية منذ بدء خدمة القداس إلى نهايته. وعند التوزيع فى نهاية القداس، ينقل الكاهن الخديم إلى الصوانى الإضافية بعض جواهر القربان المقدس وكذلك ينقل إلى الكؤوس الإضافية من الكأس الرئيسية. ويتم التوزيع على الشعب على هذا النحو، وفى هذا إقتصاد للوقت الذى يمكن أن يطول إلى أكثر من ساعة لو كان عدد المتقربين كبيراً.

وعلى هذا النحو تسير الكنائس الأخرى الأرثوذكسية والكاثوليكية وتسير عليه كنائسنا فى القاهرة إذا كان عدد الكهنة خدام القداس الإلهى كافياً بقدر عدد الصوانى والكؤوس.

٢٨ ـ معنى خروج الكاهن بالصينية إلى باب الهيكل

سؤال: من الإكليريكى زكريا فاخورى عبد السيد ـ بكوم أومبو.

أثناء خروج الكاهن بالصينية أمام باب الهيكل فى نهاية القداس وعند بدء التوزيع، هل يجوز التوقف عن متابعة ترتيل المزمور المائة والخمسين ليهتف الشعب «مبارك الآتى باسم الرب»؟

الجواب:

الوضع الأصيل أن خروج الكاهن بالذبيحة فى الصينية، أمام باب الهيكل هو لتوزيع الأسرار المقدسة على المتناولين فى الخورس الأمامى وهو خورس المتناولين وعندئذ يهتف الكاهن بصوت مرتفع «الأقداس للقديسين» ثم يتابع قائلا: من كان طاهرا فليدن من الأسرار المقدسة ومن كان غير طاهر فلا يدن منها لئلا يحترق بنار اللاهوت» عندئذ يهتف المتناولون فى الخورس الأمامى (أمام باب الهيكل الرئيسى) قائلين «مبارك الآتى باسم الرب» ولذلك ترى فى الكنائس الأثرية طاقتين تطلان من الهيكل على الخورس الأمامى، هو خورس المتناولين، إحداهما على يمين باب الهيكل والأخرى على يساره، وعندما كانوا يستعملون قديما الطاقتين بحجاب الهيكل فى توزيع الأسرار المقدسة، كان الكاهن خادم الذبيحة يناول المتقدمين من القربان المقدس من إحدى الطاقتين المطلتين من الهيكل على خورس المتناولين، وكان الكاهن الشريك (أو الشماس برتبة دياكون) يقرب الشعب من الكأس من الطاقة الأخرى إذ لا يجوز لأحد أن يدخل إلى الهيكل مالم يكن كاهنا أو شماسا.

أما فى كنائسنا الحديثة فقد انتقل وضع خورس المتناولين من أمام باب الهيكل إلى جانب الهيكل من الجهة البحرية أو القبلية، وامتنع التناول من أمام باب الهيكل. لذلك وقد تغير وضع صف المتناولين، وجب أن لا يخرج الكاهن بالقربان المقدس إلى غير المتناولين، لأنه لا يجوز أن تكشف الأسرار لغير المتناولين. بل يلزم أن يسد ستر الهيكل من الأمام، ويكشف الستار عن خورس المتناولين من الجهة البحرية أو القبلية حيث يقف المتناولون.

وبناء على ذلك يستمر ترتيل المزمور المائة والخمسين، بغير توقف، لأن الترتيل يقوم به المرتلون الآن فى غير موضع المتناولين.

٢٩ ـ لماذا لا يقام أكثر من قداس على مذبح واحد؟

سؤال: من السيد نبيل القمص بطرس اسحق ـ بنى مزار.

يقول: لماذا لا يقام أكثر من قداس على مذبح واحد من دون التقيد بمدة زمنية بين قداس وآخر؟

الجواب:

إنه ترتيب كنسى قوامه احترام وتقديس لله، وتوقير الأسرار المقدسة، واجلال لسر القربان المقدس. فإن عدم إستخدام أوانى الخدمة بعد القداس لمدة لا تقل عن تسع ساعات، ينطوى على إحترام للأقداس وتعبير عن التوقير اللائق بها.

هذه الفترة الزمنية المصطلح عليها، وهى تسع ساعات، بوصفها الحد الأدنى لفترة (الاستعداد) السابقة على استخدام أوانى المذبح، هى بعينها الفترة الزمنية المصطلح عليها كحد أدنى (للاستعداد) عند الراغبين فى التقدم إلى سر القربان المقدس. والغاية منها بالنسبة للمتناولين جعل جسم الإنسان أو بدنه فى حالة جوع جسدانى يتواءم مع الجوع الروحانى إلى البر، عملاً بالقول الإلهى: «سعداء هم الجياع والعطاش إلى البر، فإنهم سيشبعون» (متى ٥: ٦)، (إشعياء ٥٥: ١)، (٦٥: ١٣).

ولما كانت أوانى المذبح، هى أدوات يستخدمها الكاهن فى طقوس العبادة فتعامل معاملة الإنسان المتقدم للأسرار المقدسة، من قبيل اسقاط ما يليق به على جميع الأدوات التى يستخدمها فى عبادته، وذلك فى إطار التوافق والتطابق بين الباطن والظاهر.

أما لماذا كانت هذه الفترة (تسع ساعات) على الأقل، فهى على الغالب تشير إلى (تسعة الشهور) التى حملت فيها العذراء بالمسيح قبل أن يظهر مولودا منها، وهى أيضاً نفس المدة التى تحمل فيها كل أم جنينها قبل أن يخرج إلى الوجود.

هذا إلى أن الساعة (التاسعة) هى التى أكمل فيها المسيح عمل الفداء بموته (متى ٢٧: ٤٥)، (مرقس ١٥: ٣٣، ٣٤)، (لوقا ٢٣: ٤٤)، (عاموس ٨: ٩)، وفيها طلعت الشمس بعد أن خيم الظلام على كل الأرض... كما أن الصوم الإنقطاعى عند العابدين كان يمتد من منتصف الليل إلى الساعة التاسعة من نهار اليوم التالى (أعمال الرسل ١٠: ٣، ٣٠) وفيها تجب الصلاة، وتعرف بصلاة الساعة التاسعة (أعمال الرسل ٣: ١).

٣٠ ـ فترة إنقطاع الطفل الرضيع قبل التناول

سؤال: من الإبن الإكليريكى الشماس رفعت زكى نصير ـ الأقصر.

ما هى الفترة التى ينبغى فيها إنقطاع الطفل الرضيع قبل التناول من الأسرار المقدسة؟

ماهى الفترة التى ينبغى فيها إنقطاع طفل الحضانة قبل التناول من الأسرار المقدسة؟

الجواب:

المدة القانونية بالنسبة للطفل الرضيع **هى٣ ثلاث ساعات**، وهى المدة المقررة للرضيع بين كل رضعة وأخرى. ومع ذلك فللكاهن حق التصرف إذا رأى الضرورة تقتضى إنقاص هذه المدة إلى أقل من ٣ ساعات.

أما بالنسبة **لطفل الحضانة** وهو عادة يزيد على ثلاث سنوات، فالحد الأدنى المسموح به هو ثلاث ساعات وتزيد بالتدريج إلى أن يبلغ الطفل اثنتى عشرة سنة، وهى السن التى يجب أن ينقطع فيها الطفل عن الطعام، ست ساعات على الأقل. وللكاهن حق التصرف حسب ظروف الطفل الصحية.

٣١ ـ اللوح المقدس ومتى بدأ استعماله

أسئلة : من أحد الأباء الأساقفة.

أولا ـ ما هو اللوح المقدس ـ ماذا يكتب عليه، لماذا يوضع على المذبح؟

الجواب :

اللوح المقدس، قطعة مستطيلة من الخشب توضع عادة تحت الصينية والكأس، وهى تدشن وتمسح بالميرون، ويعتبر اللوح المقدس هو المائدة المقدسة، ولذلك يمكن أن يكون بديلا عن المذبح، عند الضرورة.

فإذا لم تكن الأحوال مستقرة، وفى الأسفار والانتقالات يمكن أن يستعاض عن المذبح بهذا اللوح المقدس والمدشن ليكون هو مائدة القرابين. لذلك يستصحب الكاهن أو الأسقف هذا اللوح المقدس معه فى انتقالاته ليضعه على مذبح مدشن أو غير مدشن ليكون مائدة القرابين.

ويجمل أن يكون هذا اللوح من الخشب الممتاز والمصقول، وأن يزخرف سطحه الأعلى بعلامة الصليب فى أركانه الأربعة وفى الوسط، ويمكن أن يكتب عليه عبارة تشير إلى وظيفته.

ويحسن أن يكون له فى المذبح الثابت مكان محفور يستقر فيه، فلا يكون قلقاً.

ثانيا ـ من الذى وضع طقسه، ومتى بدأ إستعماله، وهل من إثباتات من الكتاب المقدس أو قوانين الرسل لإستعماله؟

الجواب :

هناك إجماع على أن إستعماله بدأ فى العصور الأولى مع ظروف الاضطهادات التى كانت تضطر المؤمنين إلى الهجرة والسفر ومغادرة الكنائس المقامة، وأن الأصل فى إستخدامه أن يكون بديلا عن المذبح المدشن، وليكون هو نفسه بمثابة المذبح ومائدة القرابين توضع عليه الصينية والكأس عند التقديس.

ولا محل للبحث عنه فى الكتاب المقدس أو كتابات الرسل أكثر من أنه نوع من المذبح المتنقل فى ظروف السفر أو الاضطهاد أو الانتقال إلى مكان بعيد عن الكنائس المدشنة والمذابح المقامة.

ثالثـا ـ هل يجوز أن يصلى الأسقف بدون اللوح المقدس؟

الجواب:

يجوز أن يصلى الأسقف على مذبح مدشن، من دون اللوح المقدس، لأن اللوح هو بديل عن المذبح المدشن (الملوك الأول ٨: ٦٤). وعندنا فى الأحوال المستقرة نجمع بين المذبح واللوح معا، وإن كان يمكن أن يغنى أحدهما عن الآخر بشرط أن يكون مدشنا وممسوحا بالميرون المقدس.

رابعـا ـ هل عدم وجود اللوح يمنع تحويل الأسرار؟

الجواب:

إذا كان الله قد أمر فى العهد القديم بأن يمسح المذبح وكل آنيته بدهن المسحة ليكون المذبح قدس أقداس (الخروج ٤٠: ١٠)، (اللاويين ٨: ١١) مع أن هذا المذبح كان لتقديم ذبائح حيوانية، فنحن وقد صار لنا مذبح فى العهد الجديد لا سلطان لليهود أن يأكلوا منه (العبرانيين ١٣: ١٠) يجب أن ندشن مذابحنا بالميرون وهو المسحة المقدسة فى العهد الجديد فيصير مقدساً ومخصصا ومكرسا لله، موقوفاً عليه، ولكى يحل عليه روح الرب ومجده (الخروج ٤٠: ٣٥)، (الملوك الأول ٨: ١٠).

خامسا ـ لو تصادف واكتشف الكاهن أثناء القداس عدم وجود اللوح المقدس، كيف يتدبر؟

الجواب:

إن للأسقف ثلاثة إختصاصات أساسية:

١ ـ الكرازة والتعليم.

٢ ـ التدشين والتقديس.

٣ ـ الرعاية والتدبير.

إن مهمة الأسقف أن يوفر المذابح المدشنة. وفى الكنائس الجديدة، إذا لم يكن المذبح قد تدشن بعد، فيجب أن يوضع على المذبح اللوح المقدس المدشن. ويعتبر خطأ وإهمالا وتقصيرا أن يقام القداس من دون أن تكون متطلبات الذبيحة كلها متوافرة. ولا يستطيع أحد أن يتنبأ بعد الخطأ ونتائجه لو أقيم القداس من دون أن تتوافر مسبقا كل العناصر المطلوبة لإقامته طبقاً للأوامر الإلهية وتعاليم الكنيسة المقدسة.

سادسا ـ هل يستعمل السريان والأرمن الأرثوذكسى اللوح المقدس؟

الجواب:

نعم، فالسريان يصنعونه من الحجر، واليونان من الكتان ويسمونه ἀντιμηνήσιον

سابعا ـ هل يحق إقامة قداس قبطى قبل أو بعد قداس سريانى على مذبح واحد؟

الجواب:

يجوز ذلك بعد مضى ٩ ساعات على الأقل طبقا لطقس كنيستنا.

ثامناً ـ هل هناك عقوبات كنسية لمن يصلى بدون لوح مقدس وهل هناك سابقة تاريخية لهذا الأمر؟

الجواب:

العقوبات متروكة لتقدير أسقف الإيبارشية «حسب تقويمك يا كاهن» (اللاويين ٢٧: ٢)، (العدد ١٨: ١٦).

على أنه ينبغى أن نقرر أن الكاهن الذى يقدس بدون مذبح مقدس، أو لوح مقدس، قد وقع فى مخالفة لأمر إلهى لأن الله هو الذى أمر بأن يمسح المذبح بالمسحة المقدسة. (الخروج ٤٠: ١٠)، (اللاويين ٨: ١١).

٣٢ ـ لماذا يوضع الاسباديقون مقلوبا فى الكأس؟

سؤال: من أحد الكهنة.

يقول المفروض فى الرشم الثالث والأخير قبل الإعتراف الأخير، أن يرفع الكاهن (الاسباديقون) بيده ويضعه مقلوبا فى الكأس. فلماذا ذلك، ولماذا يوضع مقلوبا ولا يوضع معدولا؟

الجواب:

لما كانت قربانة الحمل تقسم إلى ثلاثة عشر جزءا، منها الإثنى عشر جزءاً التى تمثل تلاميذ المسيح الإثنى عشر، والجزء الأوسط وهو الثالث عشر يمثل المسيح له المجد، لذلك يسمى ب (الاسباديقون) أو بالأحرى والأصح (الديسبوديقون) Despotikon وهى كلمة يونانية معناها حرفيا: (السيدى) أو (الخاص بالسيد). لذلك فإن الكاهن يضع هذا الجزء أو القسم فى الكأس مشيرا بذلك إلى حقيقة الوحدة بين جسد المسيح ودمه (وأن هذا الجسد لهذا الدم، وهذا الدم لهذا الجسد).

أما أن (الاسباديقون) أو (الديسبوديقون) يوضع مقلوبا فى الكأس، فذلك إشارة إلى أن المسيح الفادى عندما صلبوه (أرقدوه على ظهره) وسمروه فى الصليب، فأهرق دمه، ولما رفعوه ـ وظهره على الصليب ـ وطعنوه فى جنبه بالحربة، (جرى منه دم وماء وتخضب بهما جسده).

فالمسألة إذن معنوية، والحكمة روحية، لاهوتية وعقائدية.

٣٣ - هل يضع البخور فى ملعقة الكأس؟

سؤال: من أحد الكهنة.

عندما يقول الكاهن «أقدم لك ياسيدى مشورات حريتى... وذلك من صلوات القداس الغريغورى، جاء فى الخولاجى قوله «هنا يمسك الكاهن الملعقة بلفافة، ويرشم بها على درج البخور رشما واحداً. ثم يأخذ بها البخور من الدرج، ويضعه فى المجمرة، ثم يمسح الملعقة بلفافة ويضعها فى مكانها. كل ذلك وهو يقول: أقدم لك ياسيدى مشورات حريتى... فهل المقصود بالملعقة هنا هو (المستير) الخاصة بالكأس؟ أم ملعقة درج البخور العادية؟ وإذا كان المقصود هو المستير الخاصة بالكأس فما هو المعنى والمغزى من هذا الطقس؟ وهل هذا ينطبق أيضاً على القداس الباسيلى والكيرلسى؟

الجواب:

المعروف أن الملعقة المشار إليها هنا فى الطقس هى (المستير) أى ملعقة الكأس فإنه فى غير هذا الموضع يرد قوله (يضع الكاهن يد بخور) أى يأخذ البخور بيده من درج البخور. أما فى بدء التقديس فيضع الكاهن البخور فى ملعقة الكأس - المستير - مشيرا بذلك إلى ما فعله أحد السيرافيم إذ طار وبيده جمرة أخذها بملقط من على المذبح ومس بها فم النبى إشعياء وقال: ها إن هذه قد مست شفتيك فأزيل إثمك وكفر عن خطيئتك (إشعياء ٦: ٦، ٧).

وجاء فى صلاة التكريس والتدشين للملعقة - المستير - فى (كتاب تكريس أوانى المذبح) قول الأسقف:

«يا الله الذى جعل عبده إشعياء النبى مستحقاً لأن ينظر السيرافيم، والملقط فى يده، إذ أخذ به الجمرة من على المذبح ومس بها فمه. الآن يا الله القادر على كل شىء، ابسط يدك على هذه الملعقة Myster ⲙⲩⲥⲧⲏⲣⲓⲟⲛ ... باركها، قدسها. امنحها قوة وكرامة الملقط الذى كان فى يمين السيرافيم، فإن لك القدرة والمجد...».

وجاء فى صلاة (القسمة) للقداس الكيرلسى «وكما طهرت شفتى عبدك إشعياء النبى، إذ أخذ أحد السيرافيم جمرة بالملقط من على المذبح وطرحها فى فيه وقال له: ها إن هذه قد مست شفتيك، فتزيل آثامك، وتطهر جميع خطاياك...».

لذلك فإن كتاب الخولاجى ينص قائلا: «هنا يمسك الكاهن الملعقة بلفافة ثم يأخذ بها البخور من درج البخور ويضعه فى المجمرة **ثم يمسح الملعقة بلفافة ويضعها فى مكانها... ولو كان المقصود غير ملعقة الكأس - المستير - لما أمر بأن يمسح الكاهن الملعقة بلفافة المذبح، وأن يردها بعد ذلك إلى موضعها الأول.**

ناهيك بأنه فى غير هذا الموضع يأمر بوضع (يد بخور) أى من غير النص على وضعه فى الملعقة. ثم إن الملعقة فى المصطلح الكنسى فى القداس هى (**ملعقة** الكأس) وهى وحدها التى ينص عليها كتاب (تكريس أوانى المذبح) والمقابل لها بالنص القبطى هو المستير Myster ⲙⲩⲥⲧⲏⲣ.

كذلك ورد الأمر بعينه فى القداس المرقسى الكيرلسى، فقد جاء قوله عند بدء التقديس:

«هنا يمسك الكاهن الملعقة بلفافة ويرشم بها على درج البخور رشما واحدا ويضع بها البخور فى المجمرة. ثم يبخر يديه على المجمرة ثلاث دفعات كالعادة...».

ولا شك إن ما ورد فى القداس الغريغورى والقداس المرقسى الكيرلسى ينسحب أيضاً على القداس الباسيلى.

وواضح أن النص على وضع البخور فى ملعقة الكأس عند بدء (التقديس) للعناصر يلفت النظر إلى العلاقة بين ملعقة الكأس وملقط السيرافيم، والبخور العطر فى هذه الحالة يرمز إلى المسيح له المجد. جاء فى لحن العذراء الذى يرتله الشعب بعد تلاوة تحليل الخدام «المجمرة الذهب الحاملة العنبر... هى العذراء، وعنبرها هو مخلصنا...».

٣٤ ـ هل تغطى الصينية المقدسة باللفافة؟

سؤال: من أحد الكهنة.

يقول عندما يحمل الكاهن الصينية وبها الأقداس وهو يتلو الإعتراف الأخير، هل يلزم أن تكون مغطاة باللفافة الخاصة بها أم يمكن أن يحملها الكاهن وهى مكشوفة؟

الجواب:

جوابنا على ذلك بكل قطع أنه يجب أن تكون الصينية مغطاة باللفافة... فالأسرار المقدسة لا تكشف إلا عند التناول، وعندئذ كما ورد فى نهاية القداس الكيرلسى يقول الكاهن «ها قد كشفت الأسرار، فمن كان طاهراً فليدن. ومن كان غير طاهر فلا يدن منها لئلا يحترق بنار اللاهوت» انظر أيضاً كتاب القوانين لابن العسال باب ١٢ ـ قوانين القديس باسيليوس ـ قانون ٩٧.

إن تغطية الصينية لها حكمتها الروحية، وفى ذلك بيان لعمق هذا السر وغموضه وهو (سر الأسرار)، وإعلان عن عظمته وسموه وجلاله وما يحوطه من رهبة الملائكة التى تشتهى أن تطلع على معرفته ورؤيته كما ورد فى بعض القسمات.

وبهذه المناسبة نرى أنه من الخطأ خروج الذبيحة وعرضها على عامة الشعب من غير المتناولين ـ **فإن الأسرار لا تكشف لغير المتناولين**. ولما كان قديما خورس المتناولين هو الخورس الأول من الأمام أمام الهيكل، فقد كان خروج الذبيحة من الطاقتين الأماميتين الموجودتين فى حجاب الهيكل هو للمتناولين الواقفين فى الخورس الأول. أما وأنه قد تغير وضع خورس المتناولين فى كنائسنا الحديثة، فصار المتناولين يتناولون من الجانب الأيمن والأيسر للهيكل، فيجب فى هذه الحالة شد الستر الخارجى للهيكل ليحجب الذبيحة عن غير المتناولين فلا تكشف الذبيحة إلا للمتناولين فقط.

انظر أيضاً كتاب (القوانين) لابن العسال باب ١٢ ـ القداس ـ ٩٧.

وفى الأديرة والكنائس القديمة يفصل ما بين خورس المتناولين وخورس السامعين والموعوظين، وهو الخورس الثانى، حجاب آخر أو ستارة ـ وفى هذا الخورس يقوم (المنبر) لأنه خورس السامعين، وهذا يؤكد أن الأسرار لا تكشف من الأمام إلا للمتناولين فى الخورس الأول.

٣٥ ـ اللفافة التى يلف بها الحمل

سؤال: من أحد الكهنة.

يسأل عن لف القربانة فى اللفافة بعد استبراء الحمل، وبعد أن يذكر الكاهن من يريد أن يذكرهم أمام الله مصليا من أجلهم، وما إذا كانت اللفافة تصير فى وضع مقلوب بحيث يكون الوجه المطرز للفافة من الداخل وملاصقا لقربانة الحمل، وهل هذا هو الوضع الأصح؟

الجواب:

لما كانت طقوس القداس وسائط ووسائل إيضاح تعليمية صامتة، ولما كانت اللفافة فى ترتيب القداس تمثل القماط الذى لفت به العذراء مريم يسوع المسيح عند ولادته (لوقا ٢: ٧، ١٢)، فمن الأليق والأكرم أن يكون وجه اللفافة الملاصق هو الوجه المطرز بالصلبان.

٣٦ ـ أسئلة حول التناول من الكأس

أسئلة : من القس بولس القمص ميخائيل.

١ ـ هل يجوز للأب الأسقف أن يناول الكاهن المصلى من الجسد المقدس باليد مباشرة كما يناول الشمامسة والشعب. أم أن يضع له الجوهرة فى المستير ليتناولها الكاهن بنفسه؟

الجواب :

نعم، إنه يجوز للأسقف ذلك، بل هذا هو الوضع الطبيعى **(اعطوهم أنتم ليأكلوا)** فالأسقفية هى الدرجة الرسولية. وللأسقف كمال الكهنوت، وللقسيس التكميل.

إن وضع الجوهرة المقدسة من المائدة الربانية فى المستير للمتناول هو المتبع بالنسبة للمتساوين فى الدرجة الكهنوتية. فالبطريرك يعمل هكذا بالنسبة للمطارنة والأساقفة لأنهم شركاؤه فى الدرجة الكهنوتية. والقسيس يعمل هكذا بالنسبة للقسوس.

٢ ـ هل يجوز للكاهن الشريك أن يتناول من الكأس قبل مناولته للشمامسة والشعب، وقبل تناول الكاهن الخديم، من الكأس؟

الجواب :

أقول: نعم، هذا جائز.

ولعل الوضع الأفضل هو أن يقوم الكاهن الخديم بالتناول من الصينية، ومعه الكاهن الشريك ـ ثم يتناول الكاهن الخديم من الكأس، ويتناول معه الكاهن الشريك من الكأس، ثم بعد ذلك يقوما بمناولة الشمامسة والشعب رجالاً ثم سيدات.

٣ ـ هل يجوز للكاهن المصلى مع الأسقف أن يتناول الدم بنفسه من الكأس التى فى يده قبل الشمامسة والشعب، أم أنه يناول الشمامسة والشعب ثم يقدم الكأس للأسقف كى يناوله هو بنفسه؟

الجواب :

طالما أن الأسقف هو خادم القداس **فهو الذى يناول القسيس من الكأس ـ وبعد ذلك يناول الأسقف أو القسيس، الشمامسة والشعب رجالاً وسيدات.**

الوضع الأصيل أن الأسقف يتناول أولاً، ثم القسوس ثم الشمامسة ثم الشعب ـ الرجال وبعد ذلك النساء.

هذا هو الترتيب الذى يجب الحرص عليه، وهو أيضاً ما ينص عليه الترتيب المذكور فى الخولاجى الكبير.

٤ ـ من الذى يصلى (مجمع القديسين)، الكاهن الخديم أم الكاهن الشريك؟

الجواب:

ليس ثمت ما يمنع أن يصلى المجمع الكاهن الخديم أو الكاهن الشريك.

الكاهن الخديم هو الذى يستبرىء الحمل، وهو الذى يتلو صلوات التقديس للخبز والخمر وطلب حلول الروح القدس على الخبز والخمر وهو الذى يتلو صلوات (القسمة) والإعتراف الأخير، بكل مقدماته وإلى نهايته (ابتداء من اذكر يارب الذين قدموا لك هذه القرابين، والذين قدمت عنهم والذين قدمت بواسطتهم).

هذه إجابات مقتضبة، راجيا لكم كل بركة ونعمة.

٣٧ - هل يجوز مناولة النساء أكثر من مرة من الجسد والدم؟

سؤال: من القس كيرلس فرج عوض.

هل يجوزمناولة النساء أكثر من مرة من الجسد والدم؟

الجواب:

نعم، إنه جائز، وليس هناك سبب يمنع من ذلك طالما أن (الجواهر) متوافرة وعدد المتناولين والمتناولات ليس كبيرا. على أن كتب الكنيسة تنص على أن يتناول الكهنة ثم الشمامسة ومن بعد ذلك الرجال ثم النساء.

٣٨ - هل يجوز تناول مسيحى تعرض لقتل أحد أقربائه؟

سؤال: من الأب المحترم القس جبرائيل بشرى كامل - بمعصرة حجاج (المنيا).

الجواب:

إجابة على سؤالكم عن مسيحى تعرض لقتل أحد أقربائه، هل يجوز تناوله؟ نقول إن القتل خطيئة مميتة، فلا يجوز للقاتل أن يتناول من الأسرار المقدسة، إلا إذا قدم توبة كاملة بالندم والانسحاق، والدموع والإعتراف الصريح أمام الله على يد الكاهن، ولابد له من تأديب كنسى يفرضه عليه الكاهن قبل أن يسمح له بالتناول.

٣٩ ـ هل يحل التناول لمن طلق زوجته؟

سؤال: من الأب المحترم القس يوحنا اسحق يوسف ـ فاقوس شرقية.

رجل طلق زوجته لغير علة الزنى، وبموجب حكم قضائى، وتزوج بأخرى عند البروتستانت الإنجيليين، هل يجوز له التناول من الأسرار المقدسة، بموجب حل يمنحه الكاهن؟

الجواب:

لا يجوز لمن طلق زوجته التناول من الأسرار المقدسة إلا إذا أقر المجلس الإكليريكى الطلاق واعتمده، ومنحه تصريحا بالزواج.

فإذا منحه المجلس الإكليريكى التصريح بالزواج، يلزم أن تتم له مراسم الزواج طبقا لطقوس الكنيسة الأرثوذكسية. بعد ذلك يقرر أبوه فى الإعتراف إستحقاقه للتقرب من الأسرار المقدسة.

وعلى ذلك يلزم:

١ ـ إقرار المجلس الإكليريكى الطلاق ومنح التصريح بالزواج الثانى.

٢ ـ مباشرة مراسم الزواج طبقا لطقس الكنيسة الأرثوذكسية.

٣ ـ إقرار أب الإعتراف إستحقاق الرجل للتقرب من الأسرار المقدسة، ومنحه الحل بذلك.

٤٠ ـ الصوم الإنقطاعى بعد ممارسة سر التناول

سؤال: من الأب المحترم القس مينا عبد الله عبيد.

هل يجوز الصوم الإنقطاعى بعد ممارسة سر الأفخارستيا؟

الجواب:

نعم يجوز الصوم الإنقطاعى بعد التناول من الأسرار المقدسة. ولا يعد شرب قليل من الماء بعد التناول مباشرة، كما هى العادة المتبعة طقسيا، مانعا من إستمرار الصوم الإنقطاعى، سواء للكاهن أو الشماس، أو سائر المؤمنين. هذا فى الأحوال العادية.

كذلك إذا كان الكاهن سيحمل الأسرار المقدسة إلى أحد المؤمنين فى بيته أو فى المستشفى، فيلزم أن لا يشرب الماء بعد القداس، وإنما يعطى الماء بعد غسل الصينية والكأس للكاهن الشريك أو للشماس الخديم فى الهيكل.

٤١ ـ الترتيب المتبع لمناولة أحد المرضى

سؤال: من الأب المحترم القس مينا عبد الله عبيد.

طُلب منى مناولة أحد المرضى بالفراش فى المستشفى فأرجو أن أعرف طقس وترتيب الكنيسة فى هذا الشأن بعد أن أنتهى من مناولة الشعب بالكنيسة.

الجواب:

يلزم أولا بعد الإنتهاء من خدمة القداس، وبعد أن يتناول الكاهن من المائدة الربانية مباشرة، وقبل أن يشرب من الكأس، أن ينقل إلى حق الذخيرة المقدس (جوهرة) من جواهر القربان المقدس، ثم يصب عليها من الكأس ملء نصف (المستير) ـ وهى ملعقة الكأس ـ ثم يغلق حق الذخيرة بإحكام.

وبعد أن يفرغ الكاهن من مناولة الشمامسة والشعب ذكوراً، وإناثاً، وبعد أن يفرغ أيضاً من تقريب الكل من الكأس، ثم يغسل الأوانى، يقدم غسيلها للكاهن الآخر الشريك، إذا وجد، ثم إلى شمامسة الهيكل. ولا يجوز لغير الشمامسة المرسومين أن يشربوا من الصينية.

أما الكاهن الذى سيقوم بحمل حق الذخيرة لتقريب أحد المؤمنين فى البيت أو المستشفى من الأسرار المقدسة، فيمتنع عن شرب غسيل الأوانى، مرجئا ذلك إلى أن يفرغ من مناولة المريض، لأنه سيغسل حق الذخيرة، ويشرب الماء الذى فيه، كالعادة.

وعندما يصل الكاهن حامل الذخيرة إلى حيث المريض يجب أن لا يسلم على أحد من أهل البيت ثم يخلع حذاءه من رجليه، وينتعل (التليج) ويلبس الصدرة أو الصدرية الكهنوتية على صدره، ويقبل إعتراف المريض، لئلا يكون ضميرة مثقلاً بخطيئة مانعة من استحقاقه للتناول من الأسرار المقدسة ـ ثم يمنحه الكاهن (الحل الكهنوتى)، أى يقرأ على رأسه (تحليلاً) كاملاً وبصوت واضح للمريض ثم يناوله الجوهرة المقدسة المبللة بالدم الكريم.

على أن يحرص الكاهن على عدم تقديم القربان المقدس للمريض إذا كان المريض فى حالة غثيان أو قيء أو استعداد للقيء ـ كما هى حالة المصدورين المصابين بالسل الرئوى فى مرحلة متأخرة بحيث تنتابه موجة سعال (كحة) تجعله يقذف بما هو فى فمه. فإنه من الخير، فى مثل هذه الحالة، أن يعود الكاهن بالقربان المقدس فى حق الذخيرة إلى الكنيسة، أو يتناوله هو بنفسه، من أن تقع عليه مسئولية إهانة الأسرار المقدسة، بقذفها من فم المريض.

فإذا تمم الكاهن تقريب المريض من الأسرار المقدسة، يغسل حق الذخيرة، كما يفعل فى الكنيسة تماما، ويشرب غسيلها ثم يصلى الصلوات الختامية، معطيا المجد لله فى الأعالى، ويصلى الصلاة الربانية ويمنح البركة الرسولية. ثم يخلع الصدرية، والتليج، وينصرف بسلام بعد أن يبارك المريض، وأهل البيت، أو الحضور فى غرفة المريض بالمستشفى.

٤٢ ـ لماذا لا يستبقى شيء من القربان المقدس؟

سؤال: من السيد الشماس جورج داود نجيب باكوس ـ الأسكندرية.

يقول إنه فى طقوس الكنائس اليونانية الأرثوذكسية والكاثوليكية يحتفظ بما تبقى من الأسرار المقدسة فى مكان خاص للتناول منها فى الأيام التالية، على حين تحرص كنيستنا القبطية الأرثوذكسية على تناول الأسرار المقدسة بالكامل. فما تفسير ذلك فى الطقس القبطى والطقوس الأخرى؟

الجواب:

منذ بدء التاريخ المسيحى كانت الكنيسة تقيم القداس فى يوم الأحد (يوم الرب) ويوم السبت (عيد الشريعة القديمة). وفى عصور تالية أمكن مع زيادة عدد المسيحيين وعدد الكهنة ومع توافر الإمكانيات والأسباب، إقامة القداسات فى أيام أخرى أيضاً من أيام الأسبوع.

لذلك نبتت الحاجة منذ بدء التاريخ المسيحى إلى إستبقاء شيء من الأسرار المقدسة محفوظة بكل التوقير فى مكان أمين لمنفعة المؤمنين فى أيام الأسبوع التى لا تقام فيها قداسات، خصوصا للمرضى والمشرفين على الموت والراغبين فى التزود بالأسرار المقدسة فى رحلة الأبدية.

هذا ما سارت ومازالت تسير عليه الكنائس الأرثوذكسية التى تتبع الطقس البيزنطى والكنائس الرومانية الكاثوليكية، ثم الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة كالسريان الأرثوذكسى والأرمن ومن يتبعهم.

أما كنيستنا القبطية الأرثوذكسية فيبدو أنها كانت تسير على ذلك فى مبدأ الأمر، على الأقل فترة ما، ثم أوقفته بعد ذلك لأسباب ثلاثة سنذكرها بعد قليل. والدليل على أن كنيستنا القبطية الأرثوذكسية كانت فى وقت ما، فى فترة راحة من الاضطهادات العنيفة، تستبقى شيئا من الأسرار المقدسة لمنفعة المؤمنين فى الأيام التى لا يقام فيها القداسات هو ما جاء فى مرد الشماس فى بدء قداس المؤمنين، وعند رفع الأبروسفارين، وقبل حلول الروح القدس على العناصر من الخبز والخمر، قوله:... «أيها الاكليروس وكل الشعب، بابتهال وشكر، بهدوء وسكوت ارفعوا أعينكم إلى ناحية المشرق، **لتنظروا المذبح وجسد ودم عمانوئيل إلهنا** موضوعين عليه، **والملائكة ورؤساء الملائكة قيام، السيرافيم** ذوو الستة الأجنحة

والشاروبيم الممتلئون أعينا، **يسترون وجوههم من بهاء عظمة مجده غير المنظور** والذى لا ينطق به».

على أنه للأسباب الثلاثة الآتية أوقفت الكنيسة الإبقاء على شىء من الأسرار المقدسة بعد تناول المؤمنين والمرضى فى بيوتهم:

أولاً- فى عصور الاضطهاد كان أعداء الإيمان المسيحى يقتحمون الكنيسة ويهينون الأسرار المقدسة. ولهذا السبب تغير موقف الشماس، فبينما كان الكاهن، ومازال، يواجه الشرق أثناء خدمة القداس، كان الشماس فى أزمنة الإضطهاد يواجه الغرب حتى إذا رأى المضطهدين اقتحموا الكنيسة كان يسرع بتنبيه الكاهن، فيحمل المائدة بما عليها إلى مخبأ فى الجانب الغربى من المذبح، أو يمضى بها إلى مخبأ بعيد عن الهيكل، عبر سرداب طويل. مازالت توجد أثار هذه المخابىء والسراديب فى بعض الكنائس والأديرة فى الوجه القبلى (ومن بينها أديرة اسنا المشهورة بمدينة الشهداء).

ثانيا- نظرا لحرارة الجو وخصوصا فى صعيد مصر تكثر العقارب والثعابين ويمكن أن تتسرب العقارب أو الثعابين إلى آنية المذبح. وعلى مدى التاريخ حدثت بعض وقائع من هذا النوع.

ثالثا- نظراً لحرارة الجو فى مصر عموما صار يخشى على العناصر من الخبز والخمر من أن تتلف أو يلحقها تغير من أى نوع.

لهذه الأسباب الثلاثة أوقفت كنيستنا القبطية الأرثوذكسية استبقاء شىء من الأسرار المقدسة إلى اليوم التالى.

ولعله إلى هذا السبب على الخصوص صارت الحاجة ماسة إلى أن تقام القداسات فى غير أيام الآحاد والسبوت من أيام الأسبوع، فضلا عن الأعياد الكبرى والصغرى.

٤٣ - لا يجوز أن يتسبب إنسان فرد فى وقف خدمة القداس

سؤال: من الاستاذ الدكتور سليمان نسيم.

أحد الآباء الكهنة نكث وعدا كان قد تواعد به مع أحد أبنائه، ولأن هذا الوعد كان حول موضوع هام وخطير فقد اتصل به هذا الإبن وقال له تذكر يا أبى أنك خنت الوعد وكلما رفعت الذبيحة تذكر أننى لم أسامحك هل يجوز لهذا الأب أن يرفع الذبيحة بعد ذلك؟

وماذا لو جاء هذا الإبن فى أحد القداسات وحين يقول هذا الكاهن سامحونى يرد هذا الإبن: «آسف باأبى أنا مش مسامحك»؟

الجواب:

لا يجوز لإنسان فرد أن يوقف أو يتسبب فى وقف خدمة القداس.

إذا كان لهذا الإنسان شكوى ضد الكاهن، فيمكن أن ترفع شكواه إلى رئاسة هذا الكاهن أى الأسقف التابع له، ويمكن أن تنظر الشكوى فى مجلس إكليريكى.

٤٤ ـ مسئولية الكاهن كحارس لسر التناول

سؤال: من أحد الآباء الكهنة.

هل يجوز للكاهن أن يمنح الحل بالتناول من الأسرار المقدسة، لأحد المؤمنين لم يحضر القداس منذ بدء رفع الحمل، بل ولم يسمع حتى قراءة الإنجيل، مكتفيا بحضور ما مدته نصف ساعة أو ما إليه قبيل توزيع الأسرار المقدسة من المائدة الربانية؟

الجواب:

يجب أن نقرر من حيث المبدأ أولاً، أن الكاهن مسئول أمام الله وحسب مقتضيات مسئوليته الكهنوتية أن لا يقرب إلى الأسرار المقدسة إلا من يراه مستحقا لهذه الكرامة، فالكاهن فى وضع الكاروبيم الحارس لطريق شجرة الحياة (التكوين ٣: ٢٤)، وتلك هى مسئوليته التى أقيم من أجلها، ليس لأحد من الشعب أن يعترض على الكاهن الذى يقوم بمقتضيات مسئوليته كحارس للأسرار المقدسة، فإنه مكتوب «فمن أكل من هذا الخبز أو شرب من كأس الرب بدون استحقاق (أى لم يكن أهلا لهما) يكون مجرما (أى مذنبا) إلى جسد الرب ودمه.. فمن يأكل ويشرب بدون استحقاق غير مميز جسد الرب، يأكل ويشرب دينونة لنفسه». ولذلك فيكم كثيرون من الضعفاء والمرضى وكثيرون يرقدون» (١ . كورنثوس ١١: ٢٧- ٣٠).

جاء فى الوصية التى تتلى على الكاهن فى يوم رسامته «والواجب عليك (أيها الكاهن) أكثر من جميع الوصايا البيعية، وأفضل من كل ما سواه من الأوامر الرسولية: الاحتراس فى توزيع سرائر الرب المحيية... وثق أن الشاروبيم والسيرافيم وقوف بالمخافة والارتعاد. وتبين قدر من هو ذبيح بين يديك، وأنه المسيح عمانوئيل... واعلم أنك تقسم أعضاءه الناسوتية... واحرس هذه الذخيرة كحراسة الشاروبيم لشجرة الحياة... ولا تناوله إلا للحسن السيرة الصالح السمعة والطاهر السريرة، وإهد من كانت طريقته شريرة لئلا يقتل نفسه وتكون أنت السبب فى الجريرة (الجناية والذنب) واحذر الاهمال فتحصل المضرة (الضرر)، فإن العالم كله لا يساوى منه مثقال ذرة، ويكون توزيعك (للأسرار) بترتيب ونظام وهدوء وسكون وحرص وإحترس...».

وعلى ذلك فمن حق الكاهن أن يمنع من يرى كأب وكراع مسئول، أنه غير أهل للتناول من الأسرار المقدسة لأسباب روحية، ومنها عدم حضوره القداس من أوله، فإن القداس وليمة ومائدة سمائية ـ ومن آداب الوليمة أن يحضر المدعوون إن لم يكن قبل بدء الوليمة، فعلى الأقل عند بدء الوليمة.

ونحن نرى أنه من واجب الكاهن توعية الشعب فى أثناء تفسير القداس والعظة، فالكاهن معلم، وعليه أن ينبه الشعب إلى آداب الحضور فى الكنيسة، وترتيب التقرب إلى الأسرار المقدسة، حتى لا يقع الكاهن ومعه الشعب فى خطأ تجاوز القوانين الكنسية والتعدى على الشريعة الإلهية.

٤٥ ـ لامانع من التناول من الأسرار المقدسة (١)

العزيز السيد/عزت رمزى داود ـ بنى سويف.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

وصلنى خطابك وقرأته، وتبينت مشكلتك بتفاصيلها المعروضة بخطابك.

ورداً على أسئلتك أجيب بأن القرارات التى اتخذتها، هذه القرارات الأربعة، قرارات سليمة، وفيها إن شاء الله الحل المناسب.

وأما عن التناول من الأسرار المقدسة، فهذا ممكن ـ فأنت أرثوذكسى، ومعمد أرثوذكسى، وإكليلك مع زوجتك تم فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وطبقاً للطقس الأرثوذكسى، **فلا مانع من التناول من الأسرار المقدسة.**

وعليك أن تتخذ أحد شيوخ الكهنة أباً لذمتك وعن طريقه يمكن أن تتقدم للأسرار المقدسة. وإنى أقرك على قطع علاقتك بمن يعثرك، فهذا هو تعليم المسيح. وعلى المسيحى أن يكون من الشجاعة بحيث يصدر على نفسه هذا القرار أن يقطع صلته بكل إنسان يعثره أو يكون حجر عثرة فى سبيل سلامه وخلاصه الأبدى.

وأرجو أن تسير زوجتك معك، فإن الرابطة الروحية المقدسة التى ربطت بينكما، تقتضى أن تكون المرأة خاضعة لزوجها خضوع الجسم للرأس.

ونعمة الرب تشملكم...

---

(١) كتب فى ٣ من سبتمبر ١٩٨٥م ـ ٢٨ من مسرى ١٧٠١ش.

٤٦ ـ لايحق للرجل وزوجته أن يتقربا من المائدة الريانية إلا بعد الإنضمام للكنيسة (١)

سؤال: من الأب المحترم القس ى. ع. ع.

هل يجوز لرجل وإمرأته أن يتقربا من المائدة الريانية فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وهما قد تزوجا على يد قسيس بروتستانتى؟

الجواب:

إن الزواج بمعرفة قسيس بروتستانتى لا تقره كنيستنا الأرثوذكسية، وهو فى حكم الزواج المدنى. وبناء عليه لا يحق للرجل أو زوجته أن يتقربا من المائدة الريانية مالم:

١ ـ ينضم كل منهما إلى الكنيسة الأرثوذكسية وذلك بتعميد كل منهما فى الكنيسة الأرثوذكسية وطبقاً للطقس الأرثوذكسى فى سرى المعمودية، والمسحة المقدسة (الميرون).

٢ ـ فإذا كان الرجل والمرأة معمدين فى الكنيسة الأرثوذكسية وممسوحين بمسحة الميرون، فيلزمهما أن يعقد عليهما كنسيا بمباشرة كاهن أرثوذكسى.

فإذا تم ذلك يمكن أن يسمح لهما بالتناول من الأسرار المقدسة.

ونعمة الرب تشملنا جميعا...

---

(١) كتب فى ٣١ من أغسطس ١٩٩٠م ـ ٢٥ من مسرى ١٧٠٦ش.

٤٧ ـ المفطرون وتناولهم الأسرار المقدسة (١)

سؤال: من الأخ ميشيل لبيب منصور ـ بدمنهور.

إذا كنا حسب نظام الكنيسة ـ فى صوم الرسل مثلاً، وتقدم شخص «فاطر» لم يكن صائماً للتناول فهل يحق له أن يتناول أو قل رفض أن يصوم... فعلى من تقع العقوبة إذا تقدم وتناول من الأسرار؟

الجواب:

يجب على الكاهن أن لا يسمح لأحد بالتقرب إلى الأسرار المقدسة قبل أن يباشر سر التوبة أو الاعتراف أولاً، وأن لا يمنحه الحل الكهنوتى من خطاياه قبل أن يتثبت من صدق توبته ومن استعداده لحياة النعمة، ومن خضوعه لإرشاداته، ومباشرته للتأديبات الكنسية فى طاعة تامة إذا كان هناك ما يقتضى هذه التأديبات أو العلاجات الروحية. وقد تمر أيام كثيرة قبل أن يمنح الكاهن الأمين تلميذه الحل بالغفران. والصوم فضيلة من الفضائل التى ينبغى أن يمارسها من ينشد القداسة. وينبغى أن يتدرج الكاهن مع تلميذه فى الاعتراف، فى بلوغ مراتب الفضيلة درجة درجة. ولقد رتبت كنيستنا الأصوام المقدسة فى ثلاث مراتب:

جعلت صوم الأربعين وأسبوع الآلام والأربعاء والجمعة فى أول مرتبة، ثم صوم نينوى وأصوام البرامون، وفى المرتبة الثانية: صوم الميلاد، وصوم الرسل، وفى المرتبة الثالثة: صوم السيدة العذراء.

فقد يجوز أن يسمح الكاهن لتلميذه المبتدىء فى طريق الفضيلة أن يتقدم إلى التناول، إذا لم يكن قد تدرب بعد على الأصوام التى فى المرتبة الثانية أو الثالثة. وإنه يبدو لنا أيها الأخ، أن يتخذ المؤمن قاعدة التصرف والسلوك من المرشد فى سر الاعتراف لا من الكتب. فالمرشد هو الطبيب الروحانى الذى قد يجتزىء من الدواء وفقاً لقوة المريض ودرجة احتماله ولا يجوز لأحد أن يتخذ العلاج الذى يباشره المريض، قاعدة ليسير هو عليها فى زمن الصحة أو حتى فى زمن المرض، فما يصلح لشخص قد لا يصلح لشخص آخر.

من هنا يجب أن لا يدين أحد منا شخصاً، طالما أن هذا الشخص له مرشد أمين يرعاه ويقتاده إلى طريق القداسة ومن هنا أيضاً ترى خطورة المسئولية التى تقع على

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد ـ السنة الرابعة ـ العدد ٩ ـ فى نوفمبر ١٩٥٠م.

عاتق الكاهن المرشد، وإنه ينبغي أن يكون متصفاً بالفضيلة والعلم، محنكاً، حاذقاً، مجرباً، متزناً، موضع ثقة واحترام.

أما إذا كان الكاهن جاهلا بمسئوليته، ولم يردع المتجاسرين، مستهتراً بالسر المقدس، ولم يفحص المتقربين إليه فحصاً دقيقاً، فقد عرض نفسه لدينونة رهيبة. لأنه لم يكن أميناً للأسرار، وراعياً صالحاً للنفوس.

٤٨ ـ هل يجوز التناول للمنحرفين فى العقيدة؟ (١)

سؤال: من أحد قراء المجلة الكرام يسأل هل يجوز لشخص يضطهد الكنيسة ويرأس اجتماعا غير أرثوذكسى، ويحرص على عدم الذهاب إلى الكنيسة أو ممارسة أسرارها، ويعلن حربه وخروجه عليها علانية ـ هل يجوز لهذا الشخص أن يتناول من الأسرار المقدسة؟ وهل يجوز للكاهن أن يناوله؟.

وإن ناوله الكاهن، فما رأى الكنيسة فى هذا الكاهن؟! علماً بأن الرجل ما زال يضطهد الكنيسة، والكاهن يعلم بذلك..؟!

الجواب:

هذا أمر يأباه العقل والمنطق قبل أن يرفضه الدين... كيف لمن أقصى نفسه عن جماعة يعود فيشارك هذه الجماعة؟ وكيف لعدو أن يندس بين الأصدقاء؟ وإذا أمكن أن نتصور مخادعاً كهذا الرجل، يسلك ويتصرف بغير ما يؤمن، فكيف يسوغ للرقيب الحارس أن يسمح لعدو ماكر ومخادع خبيث أن يندس بين صفوف المؤمنين..؟! إما أن يكون الرقيب غافلا جاهلا، وإما أن يكون عالما، وفى الحالين يقع عليه عبء هذه الجسارة الآثمة والجريمة الشنعاء.

إن مثل هذا الشخص الذى ينكر عقائدنا ويعلن خروجه على كنيستنا، كيف يعود فيحتك بنا، ويخالط المؤمنين الأرثوذكسيين؟ كان يجب على الكاهن الأمين أن يحاول رده عن ضلاله، فإذا لم يرتدع يجب أن يقاومه ويمنعه من دخول الكنيسة، وبالتالى لا يمكن أن يسمح له بالتقرب من الأسرار المقدسة، التى لا يجوز لغير المؤمنين الأرثوذكسيين أن يتقربوا منها فى كنيستنا، وإلا لحق بالشخص المتجاسر والكاهن معاً مسئولية هذا التعدى الصارخ على الحق الإلهى وقوانين الكنيسة.

قطعاً لابد أن يكون هذا الرجل بروتستانتيا، أو ممن تشبعوا بالروح البروتستانتية، هذه الروح التى تخول المنساقين بها إلى الحيلة، والخداع، والرياء والتشكل بكل الشكول والألوان حسب الأهواء، ليكسبوا البسطاء، وما أكثر البسطاء والسذج بين الأقباط الذين قد تخدعهم مثل هذه المظاهر الماكرة!!.

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد ـ السنة الرابعة ـ العدد ١٠ من ديسمبر ١٩٥٠م.

فإذا أردت أن تعرف حكم الكنيسة فى هذه المسألة، فها هو الكتاب المقدس يأمر الكاهن بصريح العبارة: «الرجل المبتدع بعد الإنذار مرة ومرتين، **أعرض عنه**. عالما أن مثل هذا قد انحرف، وهو يخطىء محكوما عليه من نفسه» (تى ٣: ١٠، ١١) ولا شك إنك تذكر النص الذى يأمرنا فيه سيدنا أن نعتبر من لم يسمع من الكنيسة **كالوثنى والعشار** (متى ١٨: ١٧).

وها هوذا الرسول يقول «وأطلب إليكم أيها الأخوة أن **تلاحظوا** الذين يصنعون الشقاقات والعثرات خلافا للتعليم الذى تعلمتوه، **وأعرضوا عنهم**» (رو ١٦: ١٧) ثم نوصيكم أيها الإخوة بإسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذى أخذه منا» (٢ . تسا ٣: ٦) «وإن كان أحد لا يطيع كلامنا بالرسالة، فسموا هذا ولا تخالطوه لكى يخجل» (٢ . تسا ٣: ١٤) وأما الرسول يوحنا فيوصينا بقوله: «إن كان أحد يأتيكم ولا يجىء بهذا التعليم فلا تقبلوه فى البيت ولا تقولوا له سلام، لأن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة» (٢ . يو ١٠) ... الخ

ومن هذه النصوص وغيرها كثير جداً، يتضح لنا أنه يجب أن نعرض عن هؤلاء المبتدعين وأن نتجنبهم، وأن لا نخالطهم، أو ندخل بيوتهم، فمن باب أولى أن لا نسمح لهم بدخول الكنيسة أو بالتقريب من الأسرار المقدسة!!.

وقد عقدت الدسقولية (تعاليم الرسل) فصلا كاملا لتحريض المؤمنين على عدم مخالطة الهراطقة (الخوارج عن الإيمان)، والهراطقة هم المنحرفون من المؤمنين. (راجع الباب ٣٢) ثم فى نهاية الباب ٣٨ تأمر الدسقولية «ولا يقرب أحد من القربان إلا المؤمنون فقط» ثم تأمل ما جاء بقوانين الرسل:

القانون العاشر: كل من يصلى مع من كان مفروزا، وإن كان داخل البيت، فليفرز هو أيضاً.

وقد حرصت الكنيسة على هذا المبدأ، وشددت على المؤمنين اجتناب مخالطة الهراطقة، حتى لقد روى التاريخ عن ماريوحنا الرسول، أنه رأى هرطوقيا فى أحد الحمامات، فخرج مهرولا ليتبعه الذين هناك، معلما إياهم أن يهربوا من مخالطة الهراطقة!!

وفى التاريخ أيضاً نقرأ عن العلامة أوريجينوس الفيلسوف المصرى، أنه بعد أن استشهد والده ليونيدس من أجل الإيمان بالمسيح، صودرت أملاكه على ما كانت تقضى به أوامر الدولة فى

ذلك الوقت، فأصبح أوريجينوس لا يملك شرو نقير، فضمته إليها سيدة مسيحية موسرة لتنفق عليه من مالها، فما لبث أوريجينوس أن تبين أن هذه السيدة غير أرثوذكسية، وإنها كانت خاضعة لتأثير معلم غنوسي يدعى بولس من بين هراطقة زمانه، فتركها أوريجينوس مع مسيس حاجته إلى المال ،حتى لا يشارك في صلاته هرطوقية،!!.

هذه هي تعاليم كنيستنا وقوانينها، فمن التعدى على تقاليدنا الرسولية ونظمنا الروحية أن يتجاسر من لايؤمن بها على مشاركتنا في السر الإلهي. والكاهن الذى يتهاون فى منع هذا المخالف عن التناول مع علمه بفساد إيمانه ومقاومته لتعاليم الكنيسة، كاهن، أقل ما يقال في عقيدته أنها منحرفة، وهذا سر تواطئه مع مثل هذا الرجل، وهو لا يصلح أن يكون كاهنا ورقيباً، وينبغى أن يرفع أمره إلى أسقفه أو مطرانه.

٤٩ ـ سر التناول هو مطهرنا اليومى (١)

العزيزة الابنة السيدة ف. ك.

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح وأطيب التمنيات بالصحة لك ولابنتك العزيزة وللأسرة جميعاً.

قرأت أيتها الابنة خطابك، وتأثرت من لهجة خطابك وصدق اعترافك، ويقظة ضميرك. واطمئنى أيتها الابنة إلى أن الله أبونا ويسرّه إذا ندمنا على أخطائنا وخطايانا، واعترفنا بتقصيرنا وإهمالنا لوصاياه، أن يغفرها لنا ويغسلها فى دمه الكريم فى سر القربان المقدس، فسر التناول هو مطهرنا اليومى (لأن دمه يطهرنا من كل خطيئة).

لقد ندمت أيتها الابنة واعترفت بخطيئتك فى خطابك على الأقل، وعزمت على عدم العودة إلى تلك الخطيئة، وامتنعت عنها بالفعل، وقبلت بشعور الرضى والاستحقاق مرض ابنتك ومرضك كتأديب وعقاب. فليسر قلبك بالغفران الإلهى، وتقدمى إلى سر التناول بتواتر وانتظام، ولا تتأخرى عن أربعين يوماً إلا لعذر قهرى، وصلى صلواتك واقرأى فى الكتاب المقدس يوميا بانتظام، اصحاحاً على الأقل. وصلى أيضاً صلوات قصيرة أثناء عملك اليومى (ياربى يسوع المسيح اعنى ـ ياربى ارحمنى...) وعندما ترقدين على الفراش عند النوم لطرد جميع الأفكار.

وسلام الله الذى يفوق كل عقل، فليشملك. إننى أصلى أن يحفظ الله حياتك وابنتك وأسرتك فى طاعة المسيح مشمولين برضاه وعنايته وتدبيره الأبوى كل حين.

الرب يباركك....

---

(١) كتب فى ١٤ من اكتوبر ١٩٨٨م ـ ٤ من بابه ١٧٠٥ش.

٥٠ ـ حقيقة إيماننا بتحول الخبز والخمر إلى جسد ودم

العزيز المهندس عطية أنطون ـ بنى سويف.

أؤيد رأيكم فى حقيقة إيماننا بتحول الخبز والخمر فى القداس إلى جسد المسيح ودمه، ولست فى حاجة فى هذا الخطاب إلى ايراد أدلتنا التى زخرت بها كتبنا اللاهوتية والعقائدية الكثيرة، وإنما هذا أيضاً ماتنص عليه صلواتنا الطقسية أثناء خدمة القداس، ومنها مايقوله الكاهن فى أوشية حلول الروح القدس وهو ساجد «نسجد لك بمسرة صلاحك، ليحل روحك القدوس (ثم يشير بيديه إلى ذاته ثم إلى القرابين الموضوعة أمامه ويقول) علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة ويطهرها (**وينقلها**) ويظهرها قدسا لقديسيك ـ ثم يرشم الكاهن القربان خاصة ثلاثة رشوم، وهو موضوع فى الصينية ويصرخ ويقول (**وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً له**) ـ ثم يبسط الكاهن يديه ويخضع رأسه للرب ويقول (ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح يعطى لغفران خطايانا وحياة أبدية لمن ينال منه)ويرشم الكاهن الكأس أيضاً ثلاثة رشوم بسرعة ويصرخ ويقول (وهذه الكأس أيضاً **دما كريما للعهد الجديد الذى له**) ثم يبسط يديه ويخضع برأسه للرب ويقول (ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح يعطى لغفران خطايانا وحياة أبدية لمن ينال منه).

وهناك نصوص أخرى وردت فى طقوس القداس قاطعة الدلالة على حقيقة التحول، تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه ـ فهذه يقينا حقيقة إيماننا الأرثوذكسى فى سر القربان وسر الشكر، وسر المائدة الربانية.

ومن ذلك أيضاً مايقوله الكاهن فى القداس المرقسى وهو الكيرلسى أيضاً فى **سر حلول الروح القدس**.

«وأرسل إلى أسفل من علوك المقدس... **الباراقليط روحك القدوس** الكائن بالأقنوم... علينا نحن عبيدك **وعلى هذه القرابين المكرمة** (ثم يشير إلى الجسد والدم) ويقول (وعلى هذا الخبز وعلى هذه الكأس لكى يتطهرا **وينتقلا**) ـ ويصرخ الكاهن وهو يرشم على الجسد ثلاثة رشوم ويقول «**وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً للمسيح**) ـ ثم يرشم ثلاثة رشوم على الكأس وهو يقول: **وهذه الكأس أيضاً دما كريما للعهد الجديد الذى له**... ويتمم الكاهن وهو يأخذ الجسد على يديه ويقول «**الجسد المقدس والدم الكريم** اللذان لمسيحه الضابط الكل، الرب إلهنا».

وإلى أن يقول الكاهن فى (صلاة القسمة) وأعطنا هذه **الجمرة الحقيقية المعطية الحياة للنفس والجسد والروح التى هى الجسد المقدس والدم الكريم اللذان لمسيحك...**،

وبعد فإنى أحييكم على إنتباهكم وصحوتكم وعلى يقظتكم وعلى شدة استمساككم بالإيمان الأرثوذكسى فى حقيقة تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه.

ونعمة الرب تشملكم دائماً....

القيم الروحية
فى سـر التوبة

القيم الروحية فى سر التوبة

سر التوبة والاعتراف ٤١٤
ضرورة الاعتراف السرى على الكاهن ٤١٧
سلطان الربط والحل فى الطقوس الكنسية ٤٢٥

سر التوبة و الاعتراف

رُتب هذا السر فى الكنيسة المقدسة ليكون سبيلاً لرجوع الخاطئ إلى الله وتجديد سيرته، وذلك بإظهار ندامته وباعترافه لله على يد الكاهن، فيحصل منه على الحلّ والغفران بموجب السلطان الممنوح له من الله كوكيل للأسرار المقدسة، بعد أن يتحقق الكاهن من صدق توبته وانسحاق قلبه وندامته، واعتزامه على تصحيح أخطائه وإصلاح سيرته، مع إيمانه الوطيد فى المسيح يسوع ورجائه فى تحننه. ومن بين وسائط التحقق من صدق توبة الخاطئ قيامه بالتأديبات الكنسية التى يفرضها الكاهن عليه كأدوية لأمراضه النفسية والروحية، وتنفيذه لها بروح الطاعة والخضوع والاستعداد الحسن للسير فى طريق التوبة.

وواضح أن الهدف من هذا السر إتاحة الفرصة أمام الخاطئ لقبوله من جديد، بعد أن يثبت ندامة كاملة على خطاياه، ورغبة صادقة فى إصلاح سيرته، وعزيمة واضحة على سلوك طريق الفضيلة. أما الحلّ فسلطان ممنوح من المسيح إلهنا الذى أعطاه لرسله وللكهنة من بعدهم قائلاً «فإن رفض أن يسمع للكنيسة فليكن بالنسبة إليك كوثنى وعشار. الحق أقول لكم إن كل ما تربطونه على الأرض يربط فى السماوات، وكل ما تحلّونه على الأرض يحل فى السماوات» (متى ١٨: ١٧، ١٨) «كما أرسلنى الآب كذلك أرسلكم أنا. قال هذا ثم نفخ فى وجوههم وقال لهم: «اقبلوا روح القدس من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم ومن امسكتموها عليهم تمسك عليهم» (يوحنا ٢٠: ٢١ – ٢٣).

وللاعتراف على يد الكاهن بالخطيئة أهداف روحية كثيرة، منها: أن الكاهن «وكيل أسرار الله» (١)، وبهذه الصفة يكون مسئولاً عن الأسرار المقدسة فلا يقرب إليها إلا المستحقين لها، وإلا كان مقصراً فى وكالته مهملاً فى أمانته، متعدياً إرادة موكله، مستهيناً بها. ثم إنه أيضاً مسئول عن نفوس المؤمنين التى أوتمن عليها، وأقيم معلماً ومرشداً لها، فإذا أخطأت إلى الله فإنه يحمل إثمها إذا لم ينذرها ويردعها عن خطيئتها (حزقيال ٣٣: ٧ – ٩).

وعلى ذلك فإن الخطيئة التى يرتكبها المؤمن، لم يخطأ بها إلى الله وحده، وإنما أخطأ بها ضد الكاهن أيضاً لأنه مسئول عنه أمام الله، وهو يجاوب عنه، وقد يحل عليه غضب الله بسببه.

لذلك **وجب على المؤمن أن يعترف بخطيئته على يد الكاهن** الذى اتخذه له مرشداً وأباً، لأن الكاهن أصبح بهذه الصفة شريكاً له فى حياته الروحية. ومن ثم فمن حق الكاهن على تلميذه أن يكشف له قلبه ويفشى إليه سره، ويوقفه على أعماق نفسه، ليشارك معه فى تخليصه من خطاياه، ويجاهد معه فى إصلاح سيرته وتجديد ذهنه.

(١) (١ . كورنثوس ٤: ١، ٢). راجع أيضاً (١ .بطرس ٤: ١٠)، (متى ٢٤: ٤٥)، (لوقا ١٢: ٤٢)، (تيطس ١: ٧)، (متى ٢٥: ١٤، ٢١).

٢ ـ **أما من جهة المؤمن التائب نفسه، فإن الاعتراف نافع له جداً**، لأنه يتح له فرصة ثمينة **يشكو فيها نفسه** إلى كاهن أمين ومؤتمن على أسرار تلاميذه. وفى الشكوى خلاص من المتاعب وتنفيس عن الألم، حتى لو لم يوفق الشاكى أحياناً إلى دواء لمرضه العضال. ونحن نعلم كيف أن الإنسان يميل إلى صديق مخلص يكاشفه بما فى نفسه، ويفضى إليه بسره فيستريح بهذه المكاشفة، ويحس كأن صديقه قد حمل نصف همه، وأنه شاركه متاعبه فيخف عليه ثقلها. بل إن الإفضاء بالألم الممض يريح أعصابه المتعبة، ويزيل التوتر النفسى الذى يكاد يقتله لو أنه لاذ بالكتمان واعتصم الصمت، وطوى نفسه على الألم. ولعلّ هذا هو ما عناه النبى بقوله «لما سكت بليت عظامى من زفيرى اليوم كله .. تحوّلت رطوبتى إلى يبوسة القيظ» (مزمور ٣١: ٣، ٤) كما عبّر عنه الحكيم فى أمثاله قائلاً «من كتم معاصيه لم ينجح ومن اعترف بها، وأقلع عنها يرحم» (أمثال ٢٨: ١٣).

قال العلامة ترتليانس من آباء القرن الثالث «كما أن من بقى فيهم الطعام غير مهضوم، أو تثقلت معدتهم بخلط أو بلغم، إذا تقيأوا استراحوا، كذلك من أخطأوا. فإن أخفوا الإثم فيهم تضايقوا داخلاً، وخنقهم بلغم الخطيئة وخلطها. **ولكن إن شكا أحد نفسه فبشكايته واعترافه يتقيأ الإثم وتزول علة المرض كلها**».

ويقول العلامة أوريجينوس (الذى توفى سنة ٢٥٣م) «فالخاطئ الذى لا يخجل من كشف زلاته لكاهن الرب كالذين يستفرغون من المعدة الأطعمة الثقيلة المتخمة العسيرة الهضم، إنهم حالاً يشعرون بالراحة والفرج. فالخاطئ الذى يخبئ خطاياه فى داخله تأخذه لذلك كظة ويختنق بالخطيئة. ولكن **إذا شكا نفسه بها وأظهر حالته واعترف بها فإنه حالاً يستفرغ مع الخطيئة علة مرضه الداخلى**» (١).

٣ ـ على أن الاعتراف فوق أنه شكوى وتنفيس، فإنه أيضاً طبّ وعلاج: يشكو المريض علته إلى الطبيب، فيشخص الطبيب المرض ويصف العلاج . فالكاهن المفوض له سر الاعتراف هو طبيب روحانى، يسمع شكوى الخاطئ التائب ويقف على علة نفسه، ثم يصف له العلاج المناسب حتى يشفى من دائه ويسترد قوته ونشاطه بل وحياته. فإذا لم يعترف الخاطئ بخطيئته ويكشف ما فى قلبه ونفسه للكاهن ويفضى إليه بهمومه ومتاعبه، كيف يمكن للكاهن أن يصف العلاج المناسب؟ والعلاج يختلف من حالة إلى أخرى فقد يكون العلاج بالامتناع عن بعض الأفعال والعادات الضارة، وقد يكون بفرض بعض أعمال مفيدة بطريق مباشر أو غير مباشر. والمثال فى الحالة الأولى الامتناع عن الكلام، أو الامتناع عن الطعام، أو الامتناع عن الذهاب إلى الملاهى أو أماكن معينة، أو الامتناع عن التدخين أو الخمر أو عادات أخرى ضارة أو

(١) ميمر ٢ على سفر اللاويين.

نجسة.. والمثال فى الحالة الثانية، فرض صلوات كثيرة أو إضافية فى أوقات معينة، أو فرض عدد معين من المطانيات أو الركعات والسجدات، والنصح بتلاوات وقراءات، أو الخروج إلى أماكن بعيدة فى الخلاء يتوافر فيها الهدوء اللازم للتأمل، أو التردد على مقابر الموتى للاتعاظ وتنمية روح الزهد فى الشهوات الجسدانية واحتقار أباطيل العالم وما إلى ذلك مما يسمى اصطلاحياً بـ «التأديبات الكنسية» بنوعيها. وهى لا تزيد عن كونها وسائط علاجية لتأديب الخاطئ وتبكيته ولمساعدته على التخلص من خطاياه وعاداته السيئة، ولتقوية المشاعر الروحية الغضة وتنميتها نحو الكمال المسيحى.

٤ ـ هذا **وللاعتراف على يد الكاهن مرارة** يهرب منها بعض الناس أحياناً بزعم أنهم يعترفون على الله. **لكن هذه المرارة نافعة للخاطئ التائب نفعاً جزيلاً** لا يحصله بمجرد الصلاة الانفرادية لله فى المخدع. ذلك أن ما يعانيه الخاطئ التائب من شعور بالخجل والخزى وهو يسرد خطيئته، كفيل بأن يردعه عن الخطأ نفسه والعودة إلى ارتكابه من جديد. هذا الشعور بالخجل والخزى وما إليهما شعور لا يتوافر للخاطئ أمام الله كما يتوافر له أمام الكاهن، لأنه فى المراحل الأولى للتوبة لا يتصور الخاطئ التائب حضور الله كاملاً، ولذلك لا يحس بالخجل من خطاياه كما يحس به فى حضرة الكاهن الذى يراه بعينيه وهو جالس أمامه.

قال العلامة ترتليانس من آباء القرن الثالث «إن كثيرين ينتبهون إلى الخجل أكثر من الخلاص فيهربون من هذا العمل **(وهو الاعتراف)** سترة لهم أو يؤخرونه من يوم إلى يوم كمن أصابه مرض فى الأعضاء المستحى منها فأخفى على الأطباء مرضه فيباد بخجله.. فإذا أخفينا نفوسنا عن معرفة الناس هل تخفى على الله؟ وهل الأولى لنا أن نهلك وذنوبنا مخفية، من أن نحل وهى مشكوفة فى التوبة؟»

هذه هى بعض مزايا سر التوبة أو الاعتراف فى الكنيسة، أو قل أيضاً بعض فوائده الروحية فى الكنيسة بعامة وبالنسبة للخاطئ التائب بخاصة. هذه الفوائد وتلك المزايا التى جعلت علماء النفس على الخصوص يشيدون بما للاعتراف من آثار بعيدة فى شفاء النفس البشرية من أمراضها وعللها وحلّ عقدها المستعصية. وقد استخرجوا من سر الاعتراف ما يعرف بالتحليل النفسى. وليس التحليل النفسى إلا جزءاً من عمل الكاهن فى سر الاعتراف، وهو يحاول أن يكشف مرض تلميذه بما يوجهه إليه من أسئلة حينما يكون تلميذه عاجزاً عن فهم نفسه وحل مشكلاتها الداخلية المعقدة. ومع أن البروتستانت قد أخطأوا كثيراً بإنكارهم لسر الاعتراف لكننا نجد لوثيروس نفسه وهو مؤسس المذهب البروتستانتى يشهد بفوائده. قال فى كتابه سبى بابل «إن الاعتراف السرى يعجبنى كثيراً وهو نافع بل لازم».

ضرورة الاعتراف السرى على الكاهن

يسأل أحدهم:

ما الدليل الكتابى على أن الاعتراف يمارس أمام الكاهن بمفرده سراً مع أن القديس يعقوب الرسول يقول: اعترفوا بعضكم على بعض بخطاياكم؟

الجواب:

لما كان الكاهن هو الحارس المؤتمن على الشريعة ،وهو ملاك (أو رسول) رب الجنود، ،ولا تقل أمام الملاك إنه سهو، (ملاخى ٢: ٧)، (الجامعة ٥: ٦) **فإن من يرتكب خطية لا يخطئ إلى الله فقط ولكنه يخطأ إلى الكاهن أيضاً.** ومثل الكاهن فى ذلك مثل الجندى الحارس المعين للحراسة على منطقة ما والمسئول أمام الدولة عن عمله، فإذا اعتدى لص على بيت أو على شخص فى المنطقة فإن اللص لم يخطئ ضد هذا الشخص أو صاحب البيت فقط لكنه أخطأ أيضاً ضد الجندى الحارس، لأن الجندى أيضاً رجل مسئول، وهو أول من يُسأل أمام الدولة إذا كانت السرقة قد تمت بسبب إهماله، أو فى غفلة منه، ولابد من أن ينال عقابه جزاء هذه الغفلة أو ذلك الإهمال. **وكذلك الكاهن رجل مسئول لأنه أقيم من الله رقيباً وحارساً على الشريعة،** يجب أن ينذر الشرير ويحذره وإلا فإنه يُسأل عن ذلك فى دينونة اليوم الأخير.

قال الوحى ،إذا جلبت على أرض سيفاً، فأخذ شعب الأرض رجلاً من بينهم وجعلوه لهم رقيباً. فرأى السيف مقبلاً على الأرض، ونفخ فى البوق، وحذّر الشعب، فسمع السامع صوت البوق ولم يتحذّر، فجاء السيف وأخذه، فدمه يكون على رأسه. إنه سمع صوت البوق ولم يتحذّر، فدمه يكون على نفسه، لكنه لو تحذّر لخلص نفسه. فإن رأى الرقيب السيف مقبلاً ولم ينفخ فى البوق ولم يتحذّر الشعب، فجاء السيف وأخذ نفساً منهم، فهو قد أخذ بذنبه. أما دمه فمن يد الرقيب أطلبه. وأنت يا ابن آدم فقد جعلتك رقيباً .. فتسمع الكلام من فمى وتحذّرهم من قبلى. فإذا قلت للشرير، يا شرير إنك تموت موتاً، فإن لم تتكلم لتحذّر الشرير من طريقه، فذلك الشرير يموت بذنبه. أما دمه فمن يدك أطلبه. وإن حذّرت الشرير من طريقه ليرجع

عنه ولم يرجع عن طريقه فهو يموت بذنبه، لكنك تكون قد خلّصت نفسك» (حزقيال ٣٣: ٢ - ٧).

وعلى ذلك يجب على المؤمن أن يعترف بخطيئته إلى الله على يد الكاهن الذى اتخذه مرشداً وأباً ومعلماً، لأن الكاهن أصبح بهذه الصفة مسئولاً عنه، ويجيب عنه أمام الله. ومن ثمّ فمن حق الكاهن على تلميذه فى الاعتراف أن يكشف التلميذ قلبه له، ويفشى إليه بسره ويوقفه على متاعبه وآلامه، ليسهم معه فى حمل أثقاله. ويجاهد معه فى إصلاح سيرته وسريرته، وتجديد ذهنه وسلوكه، ويريحه من همومه ومتاعبه، ويمد له يد العون فى طريق الخلاص. **وبهذا يخلص المؤمن ويخلص مرشده الروحى الذى اتخذه له أباً ورقيباً. فإذا كتم التلميذ خطاياه ومتاعبه فإنه بذلك يسئ إلى نفسه فيهلكها، كما يسئ إلى معلمه الكاهن لأنه بهلاكه يهلك.**

منذ القديم:

ومنذ القديم كان الكاهن منوطاً به أن يقف على خطايا شعبه ليصلّى عنهم ويكفّر عن أخطائهم، وبناء على تصريح الخاطئ بخطيئته كان الكاهن يفرض عليه نوع الذبيحة التى يقربها للرب ليغفر الرب له.

من ذلك قوله تعالى «.. وإذا حلف أحد وفرطت شفتاه لإساءة أو إحسان من جميع ما يفرط الإنسان به فى اليمين، وخفى عليه ذلك ، ثم عرف، فهو آثم بشئ من ذلك. فإذا أثم بشئ من ذلك **فليعترف بما قد أخطأ به**، وليأت بذبيحة إثمه الذى أخطأ به.. إلى الكاهن .. فيكفر الكاهن عنه **خطيئته التى أخطأ**، فيغفر له» (اللاويين ٥: ٤ - ١٠).

وقال الرب أيضاً «أى رجل أو امرأة فعل شيئاً من جميع خطايا البشر، وغدر بالرب، فقد أثم ذلك الإنسان. فليعترف بخطيئته التى فعلها» (عدد ٥: ٦، ٧) (اللاويين ١٦: ٢١) وكان يجرى هذا الاعتراف للكاهن لأنه هو حارس الشريعة وحاميها، وهو الذى يفرض على المخطئ التصرف الذى يصنعه لتصحيح الخطأ الذى ارتكبه «وكما يقومها الكاهن تكون» (اللاويين ٢٧: ١٢، ٨)، (العدد ١٨: ١٦).

ويقول الرب أيضاً «وتأتى إلى الكاهن الذى يكون فى تلك الأيام، وتقول له: أعترف اليوم للرب إلهك» (سفر التثنية ٢٦: ٣) ويقول الرابى ابن عزرا «الاعتراف لازم، وإنهم عندما يقدمون الذبيحة، إذا لم يتوجعوا ويعترفوا اعترافاً مرتباً مبيناً الخطايا، لا تكون للذبائح قوة و فائدة لهم». وجاء فى التلمود «إنه يظهر من التقليد أن الخاطئ يلزمه أن يوضح فى الاعتراف جميع أعماله».

كيف اعترف الخطاة فى القديم:

اعتراف عخان بن كرمى على يد يشوع بن نون:

وقد قال يشوع بن نون **لعخان بن كرمى** الذى سرق من غنائم الحرب المحرمة «يا ابنى أعطِ الآن مجداً للرب.. **واعترف له وأخبرنى الآن، ماذا عملت. لا تخف عنى.** فأجاب عخان يشوع وقال: حقاً إنى قد أخطأت إلى الرب.. وفعلت كذا وكذا» (يشوع ٧: ١٩، ٢٠)، وهذا اعتراف صريح بالإثم إلى الرب وإلى خادمه يشوع. وإن قول يشوع «**اعترف له واخبرنى**» **يدل على أن اعتراف الخاطئ بخطيئته على يد خادم الله هو فى نفس الوقت اعتراف لله، لأنه قد اعترف له بصفته خادماً لله.**

اعتراف شاول الملك على يد صموئيل النبى:

وكذلك **أخطأ شاول الملك** ولم يسمع كلام الرب فى شأن الغنائم، فوبّخه صموئيل نبى الله على سوء تصرفه وعدم طاعته وقال «فالآن بما أنك رذلت كلام الرب فقد رذلك الرب من الملك. فقال شاول لصموئيل: «**قد أخطأت حيث تعدّيت أمر الرب وكلامك، .. فاغفر الآن خطيئتى وارجع معى فأسجد للرب**» (١. صموئيل١٥: ٢٣، ٢٥). ولا شك أن شاول شعر بأنه لم يخطأ إلى الرب فقط بل إلى نبى الله أيضاً. ولذلك فإنه وجه الكلام إلى صموئيل النبى قائلاً: «**فاغفر الآن خطيئتى، لأن خادم الله ونبيه وكاهنه ينوب عن الله ويمثله، فمن يعترف له يعترف لله، ومن يستغفره يستغفر الله نفسه.**

اعتراف داود الملك على يد ناثان النبى:

وبالمثل أخطأ داود إلى الرب واعترف لناثان نبى الله. قال ناثان لداود «فلماذا ازدريت كلام الرب، وارتكبت القبيح فى عينيه. قد قتلت أوريا الحثى بالسيف وأخذت زوجته لك.. **فقال داود لناثان : قد أخطأت إلى الرب.** فقال ناثان لداود: إن الرب أيضاً قد نقل خطيئتك

عنك، فلا تموت أنت» (٢ . صموئيل ١٢ : ٧-١٤). **لقد اعترف داود لناثان بأنه أخطأ إلى الرب، فكان إعترافه للنبى اعترافاً للرب فى نفس الوقت.** ولم يرجع ناثان بعد ذلك إلى الرب، وإنما أجاب داود فوراً بصفته خادم الله ونبيه «**وقال له: إن الرب أيضاً قد نقل خطيئتك عنك، فلا تموت أنت، تماماً كما يفعل الكاهن فى العهد الجديد فيعطى الحل الكهنوتى للخاطئ عندما يتبين صدق توبته.**

الاعتراف ضرورى فى العهدين:

ولايعترض أحد بأن النصوص التى أثبتناها هنا مستقاة من العهد القديم. إذ لافرق - فى هذا الموضوع - بين العهدين القديم والجديد. فالعهد الجديد لم ينقض العهد القديم بل جاء مكملاً له. وقد قال مخلصنا «لاتظنوا أنى جئت لأنقض الشريعة أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأتمم» (متى ٥ : ١٧) خاصة ونحن نتكلم لا عن رموز وإشارات، بل عن دور الكاهن باعتباره حارس الشريعة وحاميها والمكلف برعاية المؤمنين وتدبيرهم وخدمتهم.

الاعتراف فى العهد الجديد:

ومع ذلك رأينا فى العهد الجديد ما فعله الذين أقبلوا إلى نبى الله **يوحنا المعمدان الكاهن ابن الكاهن** «فلم يلبث أن خرج إليه أهل أورشليم وكل اليهودية وكل الأرجاء المحيطة بالأردن، ونالوا منه المعمودية فى نهر الأردن **معترفين بخطاياهم**» (متى ٣ : ٥، ٦).

كذلك فعل الذى آمنوا بالمسيح بكرازة الآباء الرسل «وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون فيعترفون ويقرون بأعمالهم» (أعمال ١٩ : ١٨).

سلطان ربط الخطايا وحلها:

كان الخطاة يأتون إلى الآباء الرسل ويعترفون للرب ولهم بخطاياهم، لأن الرسل هم الذين أخذوا سلطاناً من المسيح مخلصنا بأن يغفروا الخطايا للخطاة الراجعين ويحلّوهم من عقوبتها ورباطها. فقد قال الرب لماربطرس الرسول ومعه الرسل الآخرون بعد أن اعترف ماربطرس نيابة عن الرسل الاعتراف المشهور بلاهوت المسيح «**وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ماتربطه على الأرض يربط فى السماوات، وكل ما تحله على الأرض يحل فى السماوات**» (متى ١٦ : ١٩) وقال له المجد مرة أخرى يمنح هذا السلطان للرسل جميعاً ولخلفائهم فى كنيسته لكل الأجيال «**فإن رفض أن يسمع للكنيسة فليكن**

بالنسبة إليك كوثنى وعشار. الحق أقول لكم إن كل ماتربطونه على الأرض يربط فى السماوات، وكل ماتحلونه على الأرض يحل فى السماوات، (متى ١٨ : ١٧ ، ١٨) . ولابد أن يكون المقصود من سلطان الربط والحل، القدرة على سن الشرائع والأحكام واصدار القرارات فى كل مايتصل بشئون المؤمنين وأعمال الرعاية والتدبير كما فعل الرسل عندما عقدوا المجمع الرسولى العظيم فى أورشليم سنة ٥١/٥٢م واصدروا قرارهم بالروح القدس ، ...فقد ارتضى الروح القدس ونحن ألا نضع عليكم ثقلاً فوق هذه الأشياء التى لابد منها، وهى أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن دم الميتة والمخنوق... **كونوا معافين،** (أعمال ١٥ : ٢٨ ، ٢٩) . **وينطوى تحت هذا السلطان القدرة على ربط الخطايا أو امساكها وعلى حلها أو غفرانها** . وقد أيد ذلك رب المجد نفسه بعد قيامته من بين الأموات عندما ظهر لتلاميذه فى العلّية وقال «السلام لكم. كما أرسلنى الآب كذلك أرسلكم أنا. قال هذا ثم نفخ فى وجوههم وقال لهم: **اقبلوا روح القدس. من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم. ومن امسكتموها عليهم تمسك عليهم،** (يوحنا ٢٠ : ٢١ – ٢٣) .

ولا شك أن الغفران المقصود هنا هو ما يعرف بالحل الكهنوتى الذى يمنحه الرسل وخلفاؤهم للخطاة التائبين إلى الرب ، ولايعقل أن يكون هو الغفران العادى الذى يمارسه كل مؤمن إزاء من يسئ إليه ثم يستغفره - كما يزعم بعض البروتستانت - لأن هذا النوع من الغفران لايحتاج إلى سلطان خاص كالذى منحه ربنا يسوع المسيح لتلاميذه الأطهار بعد أن نفخ فى وجوههم وقال لهم «اقبلوا روح القدس... من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم ومن امسكتموها عليهم تمسك عليهم» . لأن الغفران العادى - وهو غفران الإنسان لأخيه الإنسان - لم يجعله المسيح مقيداً بسلطان الرسل على منحه للبعض دون البعض كما يتضح من قوله «من غفرتم لهم خطاياهم... من امسكتموها عليهم» وإنما جعله فضيلة مسيحية مرغوباً فيها «ومتى قمتم للصلاة وكان لكم على أحد شئ فاغفروا له، لكى يغفر لكم أنتم أيضاً أبوكم الذى فى السماوات زلاتكم» (مرقس ١١ : ٢٥) بل جعله أيضاً شرطاً لنيل الغفران الذى من الله «اغفروا يغفر لكم» (لوقا ٦ : ٣٧) «لأنكم إن غفرتم للناس زلاتهم، فإن أباكم السماوى يغفر لكم أنتم أيضاً زلاتكم، أما إن لم تغفروا للناس زلاتهم فلن يغفر لكم أبوكم زلاتكم» (متى ٦ : ١٤ ، ١٥) (مرقس ١١ : ٢٦) . **بينما أن السلطان الذى أعطاه الرب للرسل ولخلفائهم شئ آخر، فقد**

جعله فى أيدى الرسل يتصرفون فيه تبعاً لما يرونه - كوكلاء أمناء - من استحقاق الناس لهذا الغفران: «من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم، ومن امسكتموها عليهم تمسك عليهم».

كيف مارس الرسل سلطان الربط والحل:

ولابد أن الرسل قد استخدموا سلطانهم فى ربط الخطايا وحلها. ومن آيات ذلك ما فعله ماربطرس الرسول بالنسبة لحنانيا وسفيرة اللذين كذبا على الروح القدس وعلى الرسول فعاقبهما بالموت (أعمال ٥: ٥، ٦، ٩، ١٠)، وما صنعه القديس بطرس الرسول أيضاً بسيمون الساحر الذى أعطى الرسول فضة ليمنحه هو أيضاً سلطان حلول الروح القدس بوضع يديه «فقال له بطرس: لتذهب فضتك معك إلى الهلاك لأنك ظننت أن موهبة الله تقتنى بدراهم. فلا حصة لك ولانصيب فى هذا الأمر... فإنى أراك فى مرارة العلقم ورباط المعصية» (أعمال ٨ : ١٨ - ٢٣).

وقد استخدم ماربولس الرسول هذا السلطان بالنسبة لعليم الساحر المسمى بار يشوع وربطه باطناً وظاهراً: فربطه باطناً فجعله ابن ابليس (أعمال ١٣ : ١٠) وربطه ظاهراً فضربه بالعمى، «ففى الحال وقع عليه ضباب وظلمة وطفق يجول ملتمساً من يقوده بيده» (أعمال ١٣ : ١١) واستخدمه أيضاً القديس بولس الرسول بالنسبة للرجل الكورنثى الذى زنى بامرأة أبيه فأوقع عليه قرار الحرم والفرز من شركة الكنيسة «أما أنا كغائب بالجسد، ولكنى حاضر بالروح، قد حكمت كأنى حاضر على الذى فعل هذا الفعل هكذا: **باسم ربنا يسوع المسيح إذ أنتم وروحى مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح، بأن يسلم مثل هذا إلى الشيطان لهلاك الجسد** لكى تخلص الروح فى يوم ربنا يسوع المسيح» (١ كورنثوس ٥: ١ - ٥) **كما حكم عليه بأن يكون ممنوعاً من الاختلاط بالمؤمنين، معزولاً من شركتهم فلا يخالطوه ولا يؤاكلوه** (١ كورنثوس ٥ : ١١).

وكما استخدم الرسول بولس سلطانه فى فرز الكورنثى الذى زنى بامرأة ابيه عاد فاستخدم سلطانه فى حلّه من هذا الرباط، بعد أن تحقق من توبة الرجل وحزنه المفرط على خطيئته حتى كاد يقوده الحزن إلى اليأس، فكتب الرسول إلى الكنيسة فى كورنثوس يحله من خطاياه ويقول «**مثل هذا يكفيه هذا القصاص** الذى نزل به من الأكثرين (وهو فرزه من شركة المؤمنين، وعدم اختلاطهم به) حتى أنه أحرى لكم بالعكس أن

تسامحوه وتعزوه لئلا يبتلع مثل هذا من الحزن المفرط. فأسألكم أن تؤكدوا له محبتكم لأنى لهذا كتبت إليكم... فمن سامحتموه بشئ فأنا أيضاً مسامحه به **لأنى أنا إن كنت مسامحاً بشئ فإنما أنا مسامح به من أجلكم لوجه يسوع المسيح**، لئلا يطمع فينا الشيطان» (٢ كورنثوس ٢: ٦ – ١١).

فما لم يقف الرسل أو خلفاؤهم على خطايا الناس، كيف يربطونها أو يحلّونها؟ وكيف يقفون عليها أو يعرفونها ما لم يعترف بها أصحابها؟ فلا معنى إذن للسلطان الذى وهبه المسيح مخلصنا لتلاميذه القديسين ورسله الأطهار من غير أن يكون هناك اعتراف صريح من جانب الخطاة التائبين بخطاياهم حتى ينالوا عنها الحل والصفح من خدام الله بصفتهم وكلاء عنه فى استخدام السلطان الممنوح لهم لخير النفوس وسلامها. وإذا كان الكاهن بمثابة الطبيب، بل هو طبيب روحانى، فأى طبيب يمكنه أن يصف دواء لمريض من غير أن يفحصه ويعرف علته، ويقف منه على سبب شكواه وتعبه؟! وإذا كان الكاهن بمثابة قاض، بل هو قاض يحكم فى الأمور باسم الله، فأى قاض عادل يستطيع أن يفصل فى قضية لم يسمعها ولم يدرسها ولم يقف على كل تفصيلاتها، ولم يفحص بواعث الفاعل وغاياته وظروف الفعل وملابساته وزمانه ومكانه وكل مايحيط بالقضية من كافة جوانبها؟

إن السلطان الذى أعطاه المسيح للرسل يصير لا معنى له فى الواقع ما لم يكن على أساس الاعتراف الصريح من جانب الخاطئ بجميع خطاياه.

يقول يوسيبيوس القيصرى المؤرخ الكنسى المشهور «وكان تلاميذ مخلصنا أشداء يتركون فى نفوس سامعيهم مناخس تدخل تعاليمهم فى صميم أفئدتهم حتى يبرزوا الخفايا من مطاميرها، **ويعترفوا جهاراً بقبائح سيرتهم الماضية**، وما يشهد به يوسيبيوس شهد به سفر أعمال الرسل، وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون فيعترفون ويقرون بأعمالهم. وكثيرون من الذين استعملوا السحر أتوا بكتبهم وأحرقوها أمام الجميع... وهكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة» (أعمال الرسل ١٩: ١٨ – ٢٠).

الاكتفاء بالاعتراف السرى دون الاعتراف العلنى:

من هنا يتضح أن الاعتراف كان يجرى فى العصر الرسولى الأول على نحوين كما يقول مؤرخو التاريخ الكنسى: على نحو سرى بالنسبة للخطايا الخفية والخاصة، وعلى نحو علنى وجهارى بالنسبة خصوصاً للخطايا التى كان يصنعها أصحابها فى العلانية. **وفى كلا الحالين كان يتم الاعتراف أمام الكهنة**، لأنهم هم وحدهم الذين منح لهم السلطان على مغفرة الخطايا وحلها. غير أن الكنيسة رأت رفقاً بأبنائها أن تكتفى بالاعتراف السرى، نظراً لما يترتب على الاعتراف العلنى من متاعب شخصية وعائلية واجتماعية تضر بالصالح العام والخاص. ويروى المؤرخون من أمثال سقراط SOCRATES وسوزومين SOZOMEN أنه كان فى الكنيسة الأولى كهنة معينون لسماع الإعتراف(١).

(1) Faiths of the World, a dictionary of all religions and religious sects, by J. GARKNER, Vol I, P. 582.

سلطان الربط والحل فى الطقوس الكنسية

تحليل الإبن:

وحرى بالذكر أن الكنيسة المقدسة تستعين بكلمات المخلص لبيان السلطان الممنوح للكاهن ليغفر الخطايا، وذلك فى نص التحليل الكهنوتى الذى رتبته بالروح القدس لحل التائبين والمتقدمين إلى المائدة الربانية، وهو ما يعرف بـ «تحليل الابن»:

«أيها السيد الرب يسوع المسيح الابن الوحيد وكلمة الله الآب، الذى قطع كل رباطات خطايانا من قبل آلامه المخلصة المحيية. **الذى نفخ فى وجه تلاميذه القديسين ورسله الأطهار، وقال لهم: اقبلوا روح القدس من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم، ومن امسكتموها عليهم تمسك عليهم. أنت الآن أيضاً ياسيدنا من قبل رسلك الأطهار أنعمت على الذين يعملون فى الكهنوت فى كل زمان فى كنيستك المقدسة، أن يغفروا الخطايا على الأرض، وأن يربطوا ويحلوا كل رباطات الظلم**، الآن أيضاً نسأل ونطلب من صلاحك يامحب البشر عن عبيدك...».

وإعتماداً على هذا السلطان الممنوح للكهنة بالخلافة الرسولية من ربنا يسوع المسيح، رتبت الكنيسة «تحليل الخدام» و «وتحليل الكهنة» وسائر التحاليل المذكورة فى كتب الطقس الكنسى.

سر الرجعة:

ويبدو أنه إلى جانب فرص الاعتراف السرى التى تجمع بين الكاهن والمعترف فى أوقات خاصة، كان المعترفون يجدون حاجتهم إلى الاعتراف السريع بما عسى أن يكونوا قد أخطأوا فيه وهم قائمون فى الكنيسة أثناء صلوات القداس، أو فى الوقت الذى مر بعد الاعتراف السرى الأخير على أب الاعتراف، لذلك جاء فى ترتيب طقس العبادة فى رفع بخور عشية ورفع بخور باكر، وبعد بخور البولس والإبركسيس حيث ينزل الكاهن من الهيكل ويبخّر الشعب، إن الكاهن بعد عودته إلى الهيكل يصلى صلاة (أوشية) خاصة تعرف بـ «**سر الرجعة**» أو «**سر اعتراف الشعب**» يقول فيها «يا الله الذى قبل إليه اعتراف اللص على الصليب المكرم، **اقبل إليك اعتراف شعبك، واغفر لهم جميع خطاياهم** من أجل إسمك القدوس الذى دعى علينا، كرحمتك يارب وليس كخطايانا». وهذا معناه أن الكاهن أثناء نزوله فى صفوف الشعب للتبخير كان يتلقى منهم بعض الاعترافات السريعة عما يكون قد صدر عنهم أثناء الصلاة، أو

فى الفترة القصيرة التى مرت بعد الاعتراف السرّى الأخير. وهذا يؤكد مرة أخرى أهمية الاعتراف على يد الكاهن، وأصالة ترتيبه فى الكنيسة.

صفوف التائبين:

هذا والمعروف عن الكنيسة الأولى منذ القرنين الأول والثانى للميلاد كما يحدثنا القديس غريغوريوس صانع العجائب (١) والمصادر الكنسية الأخرى (٢)، أنها كانت ترتب التائبين فى أربعة خوارس (٣) أو صفوف تفصل بينها حواجز مازالت قائمة إلى اليوم فى الكنائس الأثرية القديمة وبالأديرة على النحو الآتى:

١- **صف الباكين**، وهم الممنوعون من بركة الدخول إلى الكنيسة، وكانوا يقفون ببابها فى الرواق أو الأيوان الخارجى ليكون خطاياهم التى حرمتهم من بركة المشاركة فى الصلوات الجمهورية، وكانوا يكتفون بأن يطلبوا من الداخلين أن يصلوا من أجلهم. ولعله إلى هؤلاء يشير الشماس فى الاعتراف الأخير حين يقول للمؤمنين «اطلبوا عنا وعن كل المسيحيين الذين سألونا: أن اذكرونا فى بيت الرب».

٢- **صف السامعين**، وهم المسموح لهم بدخول الكنيسة لسماع تلاوة الفصول المقدسة والعظة وبعض الصلوات، ولكنهم كانوا يخرجون مع الموعوظين قبل بدء قداس المؤمنين، عندما ينادى الشماس بصوت عال قائلاً «لايبقى هنا أحد من السامعين ولا من غير المؤمنين» وكانوا يقفون فى داخل الكنيسة فى القسم البعيد من صحن الكنيسة القريب من الأبواب.

٣- **صف الراكعين** - وهم يلازمون الصلاة راكعين، وكانوا يركعون فى صحن الكنيسة بالقرب من المنجلية أو المقرأة أو المنبر (الانبل).

٤- **صف المشاركين فى الوقوف**، وكانوا يقفون مع المؤمنين المتناولين ويحضرون القداس ولكنهم لايتناولون من الأسرار المقدسة.

هذا التقسيم للتائبين إلى أربعة صفوف يدل على أن الاعتراف بالخطيئة كان معمولاً به قديماً بالكنيسة، وإلا فمن ذا الذى يقوم بهذا التقسيم؟، وكيف يتم

---

(١) وهو من آباء القرن الثالث (٢١٣ - ٢٧٥م) وكان أسقفاً لقيصرية الجديدة.

(2) Faiths of The World, a dictionary of all religions and religious sects, by J. GARDNER, Vol.p. 258, 602,902, 956; Vol. II. P. 645, 646.

(٣) الخوارس جمع خوروس وهى كلمة قبطية Χωρος يونانية χῶρος بمعنى صف.

بدون معرفة بخطايا المعترفين؟، وكيف كان يجرى نقل التائبين من صف إلى صف إلا على أساس متابعة كهنة الاعتراف لأحوالهم ومعرفة مدى تقدمهم وطاعتهم فى تنفيذ التأديبات الكنسية التى كانت تفرض عليهم؟!

وقوانين الكنيسة:

وأما قوانين الكنيسة فقد نصت هى أيضاً على وجوب الاعتراف على الكهنة.

من ذلك ما جاء بالدسقولية (تعليم الرسل) للأسقف «يجب أن تعطى مغفرة لمن يتوب... واعرف رتبتك يا أسقف. **إنك كما نلت سلطاناً أن تربط، هكذا نلت** سلطاناً أيضاً أن تحل»(١).

وما جاء أيضاً بقوانين الرسل عن الآباء الروحيين «وقّروهُم وأكرموهم، وقدموا لهم جميع أنواع الكرامة، لأنهم **أخذوا من الله سلطان الحياة والموت بأن يحاكموا الخطأة** ويحكموا بموت نار أبدى وأن يحلوا الراجعين عن خطاياهم»(٢).

وجاء أيضاً بقوانين مجمع اللاذقية المحلى المنعقد سنة ٣٤٣م(٣) «إن الذين يخطئون خطايا متنوعة ثم يقبلون إلى الاعتراف والتوبة ويرجعون رجوعاً تاماً عن الشر بعد أن يعطى لهم وقت للتوبة **مناسب لاختلاف الخطيئة**، فليتقدموا إلى التناول من أجل رحمة الله وجوده» (القانون الثانى).

وجاء بقوانين مجمع قرطاجنة المحلى المنعقد سنة ٣٩٧ «ليعين زمن التوبة للتائبين برأى الأسقف حسب اختلاف الخطايا» (قانون ٤٦).

وأقوال الآباء:

وأما أقوال الآباء فأكثر من أن تحصى:

يقول العلامة **ترتليانوس** من آباء القرن الثانى والثالث (١٦٠ - ٢٤٥م) «وإذا لم يخجل الخاطئ من أن **يبين خطيئته لكاهن الرب**، ويستمد العلاج بحسب قوله: قلت أعترف للرب باثمى وأنت تغفر شر قلبى» (مزمور ٣١: ٥) وقال أيضاً «كما أن من بقى فيهم الطعام غير

---

(١) الدسقولية (تعاليم الرسل) الباب الرابع. (٢) أنظر أيضاً قانون من قوانين الرسل - المجموعة الثانية.
(٣) ويقول بعض المؤرخين أنه انعقد سنة ٣٤٨ وغيرهم سنة ٣٥٧ وآخرون سنة ٣٦٥م.

مهضوم أو تثقلت معدتهم بخلط أو بلغم فإذا تقيأوا استراحوا، كذلك من أخطأوا، فإن أخفوا الإثم فيهم تضايقوا داخلاً وخنقهم بلغم الخطيئة وخلطها. ولكن إن شكا أحد نفسه فبشكايته واعترافه يتقيأ الاثم، وتزول علة المرض كلها، فلا خطر يتحرز **من يلزمك أن تعترف له بخطيئتك.** وامتحن أولاً الطبيب الذى تعرض عليه مرضك». ويقول أيضاً ما الاجدر بالهالك أن يخفى خطيئته أو أن يحل منها علناً»(١).

ويقول العلامة **اوريجينوس** (١٨٥ - ٢٥٤م) «يوجد ترك آخر للخطايا مكرب جداً وصعب، وممكن الحصول عليه بالتوبة، وذلك عندما يبل الخاطئ فراشه بدموعه، وعندما تصير دموعه له خبزاً نهاراً وليلاً، وعندما لايخجل **بأن يكشف خطيئته أمام كاهن الله** طالباً منه الشفاء، أو عندما يقول بعد الخطيئة: قد عرفت خطيئتى ولم أخف إثمى. قلت أعترف للرب بذنبى. فإذا عملنا هكذا، وكشفنا خطايانا **ليس لله فقط بل للذين يستطيعون أيضاً أن يشفوا جراحنا ومآثمنا**، تمحى جهالاتنا من الله الذى قال: قد محوت كغيم ذنوبك، وكسحابة خطاياك»(٢).

ويقول اوريجينوس أيضاً «إننا ننال غفران خطايانا بالتوبة. فالخاطئ الذى لايخجل من كشف زلاته لكاهن الرب كالذين يستفرغون من المعدة الأطعمة الثقيلة المتخمة العسرة الهضم، فانهم حالاً يشعرون بالراحة والفرج. فالخاطئ الذى يخبئ خطاياه فى داخله تأخذه لذلك كظة ويختنق بالخطيئة. ولكن إذا شكا نفسه بها وأظهر حالته واعترف بها، فإنه حالاً يستفرغ مع الخطيئة علة مرضه الداخلى»(٣).

ويقول القديس **كبريانوس** (المتوفى سنة ٢٥٨م):

«إن هؤلاء قبل أن يتوبوا عن خطاياهم بانسحاق قلب وبساطة، **وقبل أن يعترفوا أمام كهنة الله العلى** ويطهروا ضمائرهم، **ويطلبوا من الكهنة علاجات خلاصية لجراحهم الروحية**، ويستعطفوا الرب على الاهانة التى أهانوا بها إيمانه العديم العيب، يتجاسرون بلا حياء أن يشتركوا بجسد الرب ودمه... فأطلب إليكم أيها الإخوة الأحباء **أن تعترفوا بخطاياكم** مادمتم فى الحياة الحاضرة، حيث الصفح عن الخطايا الممنوح من الكهنة مقبول ومرضى عند الله أيضاً»(٤). ويقول أيضاً «كم هو حىّ الإيمان... فى الذين جاءوا بكل سذاجة وتوجع القلب

---

(١) فى التوبة، فصل ١٠.
(٢) اوريجينوس تفسيره على اللاويين مقال ١٧.
(٣) ميمر ٢ على سفر اللاويين.
(٤) فى الساقطين ٢٨، ٢٩.

فاعترفوا بخطيئتهم إلى كهنة الله، وكشفوا لهم ضمائرهم، وألقوا ثقلها على أقدامهم، والتمسوا دواء خلاصياً لجراحاتهم».

ويقول **القديس أثناسيوس الرسولى** البابا العشرون من باباوات الأسكندرية (٢٩٩ - ٣٧٣م) «كما أن الإنسان الذى عمّده الكاهن يستنير بنعمة الروح القدس كذلك الإنسان **المعترف بخطاياه** فى سر التوبة، **يقبل من الكاهن المغفرة بنعمة المسيح**»(١).

ويقول **القديس باسيليوس الكبير** (٣٢٩ - ٣٧٩م) «**إن الاعتراف بالخطايا للمؤتمنين على تدبير (توزيع) أسرار الله ضرورى**. لأن الذين كانوا يندمون قديما نرى أنهم هكذا صنعوا نحو القديسين. وقد كتب فى الإنجيل أنهم كانوا يعترفون بخطاياهم ليوحنا المعمدان. وفى أعمال الرسل «إنهم كانوا يعترفون للرسل الذين كانوا يعمدون منهم»(٢). ويقول أيضاً «إذا كان الذين سقطوا فى الخطيئة قد برهنوا كثيراً على حرارة تقواهم بعد **الاعتراف**، فلا يستوجب اللوم ذاك الذى منحه الله من مجرد جوده، **سلطان الحل والربط**، إذا كان يستعمل الرحمة نحو أولئك التائبين»(٣).

والقديس **غريغوريوس النيسى** (٣٣٥ - ٣٩٤م) كان يقول للتائبين «اسكبوا قدامى دموعاً حارة وغزيرة وأنا أعمل معكم هذا العمل بعينه. **خذوا خادم** الكنيسة شريكاً أميناً لكم فى حزنكم، **وأباً روحياً**. وان الخادم يحزن على خطيئة ابنه كما حزن يعقوب عندما رأى ثوب ولده الحبيب يوسف. فينبغى إذن أن تعتبروا الذى ولدكم بالله أعلى من الذين ولدوكم بالجسد. فاكشفوا له أسراركم بجسارة أعظم. **اكشفوا له أسرار نفوسكم كما يكشف المريض جراحه الخفية للطبيب، فتنالون شفاء**»(٤).

ويقول **القديس امبروسيوس** (٣٤٠ - ٣٩٧م) «من يستطيع أن يترك خطايا إلا الله وحده، **والذين اعطاهم هو هذا السلطان**»(٥). ويقول أيضاً «**ان هذا الحق أعطى للكهنة وحدهم**»(٦) كما يقول فى موضع آخر بنفس المعنى «**إن البشر (= من الكهنة) يتممون سر التوبة لغفران الخطايا من دون أن يكون لهم سلطان فى ذلك باسمهم، وإنما يتممونه بالاسم الممجد، باسم الآب والابن والروح القدس. فهم**

---

(١) ضد نوفيسيانوس.
(٢) قوانينه المختصرة، جواب على السؤال ٢٨٨.
(٣) رسالة ٣ إلى امفيلوكيوس.
(٤) فى مقالة له ضد الذين يدينون بمرارة خطايا الآخرين.
(٥) جزء ٥: ١٣.
(٦) فى التوبة ١: ٢.

يطلبون، والله يعطى. وعلى البشر الطاعة هنا، ومن الله الهبة العظيمة»(١). كذلك يقول القديس امبروسيوس «ليس أحد يهين الله أكثر من الذين يريدون أن يقصروا وصاياه، وأن ينبذوا **المهمة التى وكلها إلى خدامه**. فبعد أن قال الرب يسوع فى إنجيله «اقبلوا روح القدس. من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم، ومن امسكتموها عليهم تمسك عليهم»، من إذن يكرمه أكثر الذى يوافق أوامره أم الذى يقاومها؟ **إن الكنيسة تحفظ الطاعة فى كلا الحالين، أى فى أن تربط الخطيئة وتحلها...**(٢).

ويقول القديس يوحنا الذهبى فمه (٣٤٧ - ٤٠٧م) «لأن ساكنى الأرض والقاطنين فيها قد خوّل لهم أن يسوسوا ما فى السماوات، **وأخذوا سلطانا لم يعطه الله لا للملائكة ولا لرؤساء الملائكة. لأنه لم يقل لأولئك قط كل ماتربطونه على الأرض يربط فى السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يحل فى السماء....** إن ملوك الأرض لهم حقيقة سلطان أن يربطوا، ولكنهم يربطون أجساداً فقط. **وأما القيود والرباطات التى هى فى سلطان الكهنة فإنها تمس النفس عينها وتمتد حتى فى السماوات. وما يعمله الكهنة تحت يثبته الله فوق، ويؤيد السيد رأى العبيد»(٣). ويقول أيضاً عن سلطان الربط والحل «أى سلطان يمكن أن يكون أعظم من هذا السلطان؟ إن الآب أعطى القضاء كله للابن (يوحنا ٥ : ٢٢)... وأرى أن هؤلاء (= الرسل وخلفاءهم) تسلموه كله من الابن.... وقد كان لكهنة اليهود سلطان أن يُطهروا برص الجسد، أو بالأحرى لم يكونوا يطهرونه بل يفحصون المعتوقين منه. وأنت تعلم كم كان سلطانهم وقتئذ مشتهى. أما هؤلاء (= كهنة العهد الجديد) فقد نالوا سلطاناً لا ليطهروا البرص الجسدانى بل أقذار النفس، ولا ان يفحصوه بعد التطهير، بل أن يطهروه تماماً»(٤)** ويقول كذلك «قد نصب عرش للكاهن فى السماء. وأصبح له سلطان أن يدير السماويات... من يقول هذا؟... ملك السماء نفسه «مهما ربطتموه...». أى شرف يمكنه أن يقابل ويساوى هذا الشرف؟! **إن السماء تأخذ من الأرض سلطاناً خاصاً على الحكم**، لأن القاضى يجلس على الأرض، **والرب يتبع العبد. ومهما حكم هذا على المرؤوسين فذاك يثبته فى الأعالى»(٥)**.

---

(١) فى الروح القدس ٣: ٨.
(٢) فى التوبة (الجزء ١، فصل ٨، عد ٦).
(٣) فى الكهنوت خطاب ٣: ٤، ٥.
(٤) فى الكهنوت خطاب ٣: ٥، ٦.
(٥) ميمر على كلام إشعياء.

ويقول القديس ايرونيموس (٣٤٢ – ٤٢٠م) «إذا كانت الحية الجهنمية (= الشيطان) قد أصابت أحداً فى الخفية بلسعة... قد ادخلت فيه سم الخطيئة، وكان هذا التاعس المسمم يصر على عدم الاقرار بها وعدم عمل التوبة، **إذا كان يصر على أن لايكشف جرحه للذى هو أخوه وسيده (أى الكاهن)، فالسيد الذى يقدر أن يشفيه بالكلمة (= الكاهن) لايستطيع أن يفيده بسهولة. لما يخجل المريض من كشف جراحاته للطبيب يصبح الطبيب غير نافع، لأن الطبيب لا يشفى ما هو جاهل له**»(١).

ويقول **القديس اوغسطينوس** (٣٥٤ – ٤٣٠م) «**لايقل أحد منا إنى أخطئ سراً، إنى اعترف أمام الله فهو يعرف قلبى فيعفو عنى وإلا فيكون إذن قد قال تعالى عبثاً ما تحلونه على الأرض يحل فى السماء. والمفاتيح لم تعط للكنيسة باطلاً**»(٢) ويقول أيضاً وهل لا توجد تلك المفاتيح فى الكنيسة حيث كل يوم تمحى الخطايا»(٣).

ويقول القديس **كيرلس الأسكندرى** البابا الرابع والعشرون من باباوات الأسكندرية (٣٦٦ – ٤٤٤م): «**ان المتوشحين بالروح القدس (= الكهنة) يتركون الخطايا أو يمسكونها** على نوعين كما أرى: إما بأنهم يدعون إلى المعمودية الذين نيلهم اياها حسن سلوكهم وخبرتهم فى الإيمان، **وإما بأنهم يمنعون البعض ويحجبونهم عن النعمة الإلهية، لأنهم لم يصيروا بعد مستحقين لها**، أو على وجه آخر أيضاً **يتركون الخطايا ويمسكونها. وذلك إما بقصاصهم أبناء الكنيسة عندما يخطأون وإما بمسامحتهم إياهم عندما يندمون**»(٤).

---

(١) على الفصل العاشر من سفر نشيد الأناشيد.
(٢) عظة ٣٩٢.
(٣) عظة ١٤٩ عد ٧.
(٤) تفسير على إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٣.

القيم الروحية
فى سـر التوبة

موضوعات وإجابات على أسئلة ٤٣٢
١ ـ اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات ٤٣٢
٢ ـ هل يعترف بجميع خطاياه ؟ ٤٣٣
٣ ـ كم من الوقت بين اعتراف وآخر؟ ٤٣٥
٤ ـ هل يذكر التفاصيل ؟ ٤٣٦
٥ ـ هل يكفى مجرد الشعور بالإثم ؟ ٤٣٨
٦ ـ هل يغفر لمريض مشرف على الموت؟ ٤٣٩
٧ ـ هل يجوز الاعتراف بالمراسلة؟ ٤٤١
٨ ـ هل يجوز الاعتراف بالتليفون؟ ٤٤٢
٩ ـ الاعتراف بالكتابة ٤٤٣
١٠ ـ هل يحال القاتل إلى القضاء ؟ ٤٤٥
١١ ـ مؤهلات أب الأعتراف ٤٤٦
١٢ ـ هل يجوز تغيير أب الاعتراف ؟ ٤٤٧
١٣ ـ ظروف تغيير أب الاعتراف ٤٤٨
١٤ ـ هل يعيد الاعتراف؟ ٤٤٨
١٥ ـ هل للراهب أن يسمع الاعتراف؟ ٤٤٩
١٦ ـ هل يجوز تأجيل الإعتراف إلى ما بعد التناول ؟ ٤٥٠
١٧ ـ هل يجوز إخفاء خطيئة أثناء الاعتراف ؟ ٤٥٢
١٨ ـ الاعتراف والنسيان ٤٥٣
١٩ ـ هل يلزم الاعتراف دائماً قبل التناول؟ ٤٥٤
٢٠ ـ فرق بين المرشد الروحى وأب الاعتراف ٤٥٥
٢١ ـ الاعتراف على يد الكاهن هو المرحلة الأخيرة من مراحل التوبة ٤٥٦
٢٢ ـ للاعتراف على يد الكاهن شق إلهى وشق إنسانى ٤٥٨
٢٣ ـ الاعتراف لله على يد الكاهن ٤٥٩
٢٤ ـ إذا حدث خلاف بين المعترف والكاهن هل يجوز الاعتراف بالمراسلة..... ٤٦٠
٢٥ ـ هل للمرشد الروحى من غير الكهنة أن يفرض تأديبات كنسية ؟ ٤٦٢
٢٦ ـ روح الأبوة فى أب الاعتراف ٤٦٣

٢٧ ـ هل يجوز الاعتراف بالمراسلة من بلد بعيد ؟ ٤٦٤
٢٨ ـ لماذا لا يجوز الاعتراف بالتليفون ؟ ٤٦٥
٢٩ ـ لا يبيح الكاهن سر فتاة لخطيبها ٤٦٧
٣٠ ـ ننال الغفران بحق دم المسيح ٤٦٨
٣١ ـ هل يعترف الزوج أو الزوجة كل منهما للآخر؟ ٤٧٠
٣٢ ـ الرهبان يعترفون على الرهبان ٤٧٢
٣٣ ـ لماذا لا نعترف على الله رأساً مكتفين من الكاهن بالحل الكهنوتى؟ ٤٧٤
٣٤ ـ عالجى النسيان بالكتابة ٤٧٧
٣٥ ـ الفرق بين سلطان المسيح بالغفران والسلطان الممنوح للكهنة ٤٧٧
٣٦ ـ اصمدى ولا ترجعى للوراء ٤٧٩
٣٧ ـ فى الاعتراف لا يشكو المعترف غير نفسه ٤٨٠
٣٨ ـ هل يعترف بالخطايا الماضية ؟ ٤٨٠
٣٩ ـ دور الكنيسة فى ميدان الصحة النفسية ٤٨١
٤٠ ـ التوبة وما بعد التوبة ٤٨٥
٤١ ـ هل بعد الموت توبة؟ ٤٨٦
٤٢ ـ التوبة المقبولة ٤٩١
٤٣ ـ لماذا لم يجد منفذا لإبليس ؟ ٤٩٢
٤٤ ـ التوبة الصادقة ترفع العقاب الأبدى لكنها لا تعفى من العقاب الزمنى ٤٩٦
٤٥ ـ هل يتزوج ابنتها؟ ٤٩٩
٤٦ ـ لشاب يصارع الخطيئة ٥٠٠
٤٧ ـ شاب يشكو ماضيه ٥٠١
٤٨ ـ نصائح لشاب ٥٠٤
٤٩ ـ الإنسان صانع مصيره ٥٠٦
٥٠ ـ يشكو نفسه بأنه عصبى المزاج ويحقد على الناس ٥٠٧
٥١ ـ للعادة السرية مضارها العصبية والبدنية ٥٠٩
٥٢ ـ هذه المتاعب من معاكسات الأرواح الشريرة ٥١٠
٥٣ ـ التوبة عزم صادق على تجديد السيرة ٥١٤
٥٤ ـ ننصح لك بالزواج ٥١٥
٥٥ ـ الصوم نافع لك ثم الهرب من المثيرات ٥١٨
٥٦ ـ اشغل وقتك بالعمل دائماً ٥١٩
٥٧ ـ الصديق يسقط سبع مرات ويقوم ٥٢١

٥٨ ـ يجب أن يمارس فعل الندامة والتوبة؟ ٥٢٢
٥٩ ـ تراوده الأفكار فى الحمام ٥٢٣
٦٠ ـ هل يجوز للمغلوب من طبيعته أن يتناول من الأسرار المقدسة ٥٢٣
٦١ ـ حرب الأفكار ٥٢٤
٦٢ ـ قد يسلم الخاطىء للشيطان لهلاك الجسد ولكن لكى تخلص الروح ٥٢٥
٦٣ ـ التدخين خطيئة وجريمة قتل ٥٢٩
٦٤ ـ صلاة الأشرار غير مقبولة ٥٣٢
٦٥ ـ الاعتراف ركن من أركان التوبة ٥٣٤
٦٦ ـ أب الاعترف مرشد يلزم طاعته فى الروحيات ٥٣٥
٦٧ ـ هل غفرت خطاياى؟ ٥٣٦
٦٨ـ أب الاعتراف يجب أن يكون حيث يكون ابنه وتلميذه ٥٣٨
٦٩ ـ أب الاعتراف يجب أن يكون كاهنا شيخاً مشهوداً له ٥٤٠
٧٠ ـ أخطاء الماضى يمكن بالتوبة تغتسل منها بدم المسيح ٥٤١
٧١ ـ الحل الكهنوتى لمن يعترف لله على يد الكاهن ٥٤٢
٧٢ ـ شروط أب الاعتراف ٥٤٤
٧٣ ـ ليكن أب الاعتراف فى البلد التى تقيم فيها ٥٤٧
٧٤ ـ عدم الراحة بعد التوبة مرده للذكريات المؤلمة ٥٤٨
٧٥ ـ شروط التوبة الصادقة ٥٥٠
٧٦ ـ مرارة الخجل فى الاعتراف جزء من العلاج ٥٥١

موضوعات
وإجابات على أسئلة
١- «اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات»

سؤال:

ما معنى قول الكتاب «اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات»؟

الجواب:

أما قول مار يعقوب الرسول «اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات» (يعقوب ٥: ١٦)، فليس معناه كما يزعم البروتستانت اعتراف بعض الناس على بعضهم الآخر، من قبيل اعتذار المسئ لمن أساء إليه، إذ أن سياق النص يقتضى معنى آخر، والقرينة تدل على هذا. فقد كان الرسول بصدد الكلام عن سر مسحة المرضى، ودعوة المريض لكهنة الكنيسة ليصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب، وصلاة الإيمان تشفى المريض، والرب ينهضه وإن كان قد فعل خطيئة تغفر له، (يعقوب ٥: ١٤ - ١٦) ثم يقول بعد ذلك مباشرة «اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات» **مما يدل على أن الاعتراف المقصود هنا هو اعتراف الخطاة التائبين لله على أيدى الكهنة.** فالبعض هم التائبون، والبعض الآخرون هم الكهنة. ومما له دلالة هنا أن كتاب طقس القنديل أو مسحة المرضى ينص أول ما ينص قبل كل شئ على وجوب اعتراف المريض بخطاياه على الكاهن قبل أن يباشر له سر مسحة المرضى.

ويقول القديس **أوغسطينوس** فى تفسير النص الذى نحن بصدده: **ليس المقصود أن يعترف الكهنة على العلمانيين كما يعترف هؤلاء لهم.** فإن هذا التعبير لا يوجب دائماً حصول المشاركة بين كل من الطرفين، أى لا يلزم منها أن يعترف الكهنة للشعب، بل هى على حد قولك: علموا بعضكم بعضاً، وعالجوا أحدكم الآخر، وليسعف الواحد منكم صاحبه، بمعنى أن العالم يعلّم الجاهل. والطبيب يعالج المريض، والقوى يشدد الضعيف. وقس على ذلك. **فقوله إذن اعترفوا بعضكم لبعض، أى ليعترف كل منكم لمن له سلطان الحل على الخطايا.**

٢ - هل يعترف بجميع خطاياه؟

يسأل أحد المسيحيين قائلاً:

«هل يعترف الإنسان - الذى لم يعترف بخطاياه من قبل بتاتاً - بجميع خطاياه، أم يرجئ بعضها لوقت آخر، نظراً إلى أن الاعتراف الشامل يحتاج إلى وقت طويل؟

الجواب:

إن إرجاء الاعتراف ببعض الخطايا إلى وقت آخر إحالة على زمن مجهول ليس ملكاً لك ولا ضمان لك فى أن تعيش إلى وقت آخر.

قيل عن الأنبا موسى الأسود إذ كان زعيماً لعصابة لصوص وكان سارقاً وقاتلاً ومن قطاع الطرق إنه إذ أفاق لنفسه ذهب - بناء على نصيحة بعض الناس - إلى أحد الأديرة البحرية فى وادى النطرون بقصد أن يسأل بعض الأسئلة الفلسفية عن الوجود وخالقه، وكان قد أثارها فى نفسه تأمله فى قبة السماء وما اشتملت عليه من نجوم موزعة فى نظام بديع وتناسق جميل مثير. ولما طرق باب الدير وسأل الدخول لم يمنعوه، وطلب رئيس الدير فقادوه إليه فى الكنيسة حيث كان يعظ الرهبان. وكانت العظة عن الدينونة الأخيرة، فاستمع موسى اللص لأول مرة لعظة مؤثرة، فارتعب جداً. وصرخ فى وجه الرئيس، وقال ماذا يصنع الخاطئ؟ فقال الرئيس: إن باب التوبة مفتوح، «ليترك الشرير طريقه والأثيم أفكاره، وليتب إلى الرب فيرحمه، وإلى إلهنا فإنه يكثر الغفران» (إشعياء ٥٥: ٧) فصرخ موسى: إنى أريد أن أتوب معترفاً بخطاياى. فأشار إليه الرئيس بيده أن ينتظر ريثما يفرغ من عظته ويختتم بالصلاة. ولكن موسى - وقد انتظر قليلاً - لذعه ضميره، فصاح يقول: ربما أموت الآن، إنى أريد أن أعترف الآن بخطاياى. فأنهى الرئيس العظة واختتم الصلاة، واختلى بزعيم اللصوص. وأخذ موسى يبكى وهو يسرد خطاياه جميعاً الواحدة بعد الأخرى.

وأفضى أحد الرهبان القديسين بعد ذلك إلى أب الدير برؤيا رآها مرأى العين. قال إنه بينما كان موسى الأسود يعترف بخطاياه أبصرت ملاكاً على مذبح الكنيسة ممسكاً بيده ورقة سوداء، وسوادها فاحم. وكلما ذكر موسى شيئاً من اعترافاته كان الملاك يمر بأصبع من يده الأخرى على جزء من الورقة السوداء فيصير لونه أبيض. وهكذا أخذ الملاك يمر بأصبعه من أول

الصفحة جزءاً جزءاً حتى فرغ موسى اللص من اعترافاته، فإذا الورقة السوداء قد صارت كلها بيضاء نظيفة ثم اختفى الملاك.

وكان هذا معناه أن موسى زعيم عصابة اللصوص قد اعترف بجميع خطاياه، فغفرت له جميع خطاياه، وانطبق عليه قول الرب «إنه ولو كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج، ولو كانت حمراء كصبغ الدود تصير كالصوف» (إشعياء ١: ١٨) ، (مزمور ٥٠: ٧).

ولما كان الاعتراف بجميع الخطايا ضرورياً لتمام الغفران، لذلك يجب أن يلجأ الخاطئ التائب إلى الكاهن الذى يتخذه له أباً، فى وقت مناسب حيث يكون لدى الكاهن فسحة من الوقت يسمع فيها اعترافاته جميعاً ويصغى إليه إصغاءً كاملاً من دون عائق.

على أنه ليس المقصود من الاعتراف الشامل بجميع الخطايا أن يسرد المعترف وقائع كثيرة بتفصيلات لا لزوم لها، وإنما يكفى أن يسرد خطاياه من دون الدخول فى تفريعات، ما لم يطلب الكاهن منه ذلك، لأسباب روحية وعلاجية.

٣ ـ كم من الوقت بين اعتراف وآخر؟

ويسأل أحد المسيحيين :

كم من الوقت يجوز أن يمر بين الاعتراف والآخر؟

الجواب:

ليس هناك وقت مرسوم. إن الخاطئ الذى تاب توبة شاملة عن حياة الخطيئة، وأدار وجهه عن سلوك الشر، يلزمه فى سيرته الجديدة أن يمارس التوبة يومياً عن كل تصرف وقول وفكر يخطأ فيه. ولذلك فإنه ـ فى بدء طريق التوبة ـ يلزمه الاعتراف بتواتر. **وقد يحتاج إليه فى كل يوم.** وكلما تقدم فى حياة التوبة وسار بسهولة فى طريق الفضيلة متخلصاً من كثير من عاداته السابقة يقل احتياجه إلى قرب فترات الاعتراف. وقد يكتفى بمرة فى كل أسبوع، وأحياناً يكتفى بمرة كل أسبوعين، مع حاجته إلى طلب الحل الكهنوتى عند التقدم إلى المائدة الربانية، ولو كان يتناول منها فى كل يوم.

٤- هل يذكر التفاصيل؟

ويسأل أحد المسيحيين:

«هل يكفى أن أعترف بأننى زنيت، أو يجب أن أقول التفاصيل فأذكر مع من زنيت، وكيف تم ذلك إلى غير ذلك؟

وهل يكفى أن أعترف بأننى سرقت أو يجب أن أصف نوع السرقة، وكيف تمت، ومتى، واسم الذى ارتكبت ضده فعل السرقة؟

وبالإجمال هل يكفى أن أعترف بأننى كسرت الوصية الخاصة بالزنى أو القتل أو السرقة، أو هل من الضرورى أن أذكر التفصيلات الخاصة بارتكاب الخطيئة؟

الجواب:

لا يليق بمن يعترف أن يذكر اسم شخص آخر، لأن الاعتراف بالخطيئة فعل من أفعال التوبة يقوم به المعترف، لخلاص نفسه، وليصالح بينه وبين الله، ويرد إلى ذاته سلامه المفقود.

ولكن الاعتراف الصحيح يقتضى أن يذكر المعترف بعض المعلومات التى لها أهمية خاصة فى تقييم فعل الخطيئة.

ففيما يتصل بالمُساء إليه فى الخطأ الذى ارتكبه الخاطئ يجب أن يشير المعترف إلى مركز المُساء إليه بالنسبة إليه، ومدى قرابته، وسنه، وجنسه، ودينه، وما إلى ذلك من معلومات...

فمن يشتم غريباً ليس كمن يشتم أباه أو أمه.

ومن يضرب إنساناً يصغره فى السن أو المقام ليس كمن يضرب شخصاً يكبره فى سنه أو مقامه.

ومن يسرق من فقير ليس كمن يسرق من غنى.

ومن يزنى بغريبة ليس كمن يزنى بقريبة تربطه بها قرابة جسدية أو روحية.

كذلك بالنسبة إلى **مكان الفعل وزمانه:**

فمن يسكر فى أماكن أعياد القديسين ليس كمن يسكر فى خمارة أو فى بيت.

ومن يسرق أو يزنى أو يقتل فى زمن الأصوام أو الأعياد المقدسة ليس كمن يفعل هذه الأفعال فى أوقات أخرى.

وهكذا يتغير وزر الخطيئة بحسب الظروف والمناسبات التى صنعت فيها، وبحسب مركز الشخص الذى أسئ إليه ومكانته الاجتماعية والعلمية ومركز قرابته وعلاقته بالمسئ.

فلئن كان المعترف لا يذكر اسم الشخص الذى أساء إليه بخطيئته لكنه يجب أن يشير إلى الملابسات التى تظهر الخطيئة فى ظروفها الحقيقية،فيقول مثلاً: إنى شتمت أبى، أو سببت أمى، أو سرقت من أستاذى، أو ضربت أخى الأكبر، أو زنيت مع ابنة عمى. ومما يضاعف من شرّى أننى فعلت هذا الشر الأثيم فى يوم الأحد أو الجمعة أو فى الصوم الكبير.. وفعلته فى البيت أو فى هذا المكان أو ذاك... إلخ.

وهناك أمور أخرى يجدر بالمعترف أن يذكرها، محدداً الأسباب الحقيقية التى دفعته إلى الفعل من دون أن يحاول تبرير ذاته، فيقول مثلاً: إننى لم أرتكب الخطيئة تحت تأثير إغراء من جانب شخص آخر وإنما أنا الذى سعيت إلى الخطيئة راغباً فيها، طامعاً فى لذة حسية أو كسب مادى...

وعليه أن يذكر **كيفية الفعل**، فيقول مثلاً إننى فعلت الخطيئة حراً مختاراً ولم أكن مقهوراً .. وإننى أشركت معى غيرى فيها.. وإننى لجأت إلى الحيلة والمكر والتغرير والخداع فى سبيل تحقيقها، وإننى فعلتها مسروراً بغير ضجر أو ضيق.. إلخ .. إلخ...

٥ ـ هل يكفى مجرد الشعور بالإثم؟

ويسأل أحد المسيحيين قائلا:

هل من الضرورى أن نذكر ـ ونحن نعترف ـ جميع خطايانا بتفاصيلها، أم يكفى مجرد شعورنا بأننا خطاة دون داع إلى الدخول فى تفاصيل الخطيئة، لاسيما أن كثيرين ـ يحجمون عن الاعتراف حينما يطلب منهم أن يعترفوا بخطاياهم بدقائقها وتفاصيلها؟ نريد رداً حاسماً.

الجواب:

إن شعور الإنسان بخطاياه لا يكفى. فالشعور بالانسحاق والندامة هو شرط من شروط التوبة، وهناك ثلاثة شروط أخرى للتوبة: هى العزم الصادق على تجديد السيرة، والرجاء الذى لا يخيب فى ربنا يسوع المسيح بقبول الخاطئ، وأخيراً الاعتراف العلنى أمام الله على يد الكاهن المؤتمن على سماع الاعتراف والموكول له أن يمنح الغفران لمن يستحقه ـ بالسلطان الموهوب له من الله ـ إذا ثبت له أن الخاطئ قد تاب فعلاً توبة صادقة غير غاشة.

وحقاً إن للاعتراف مرارة، ولكنها ضرورية للخلاص من الخطيئة وعبئها ومسئوليتها وعقوبتها الأبدية، كما أن الاعتراف بالخطيئة لازم من حيث هو شكوى النفس من النفس، وفى الشكوى تنفيس عن الآلام، كالقئ الذى يريح من يشكو تخمر الطعام فى معدته. وفى الاعتراف أيضاً علاج، لأنه كشكوى المريض التى لابد منها حتى يستدل بها الطبيب على أصل الداء، فيشخص المرض قبل أن يصف الدواء.

ولكن الاعتراف لا يتطلب أن يذكر المعترف التفاصيل التى لا داعى لها مما لا يفيد. ويكفى أن يسرد المعترف خطاياه وضعفاته ونقائصه مع ذكر الملابسات الضرورية التى لابد منها لتقييم الخطيئة والوقوف على مدى مسئوليته فيها، ولمعرفة الدوافع الحقيقية والبواعث الدفينة و الظروف المصاحبة.

وكما أنه فى حالة الأمراض الجسدية يترك الطبيب الفرصة للمريض حتى يشكو ألمه، محاولاً أن يستنبط من رواية المريض ما يعينه كطبيب فى مهمته الإنسانية، كذلك يفعل الكاهن وهو هنا الطبيب الروحانى بالنسبة للخاطئ التائب. فإذا لم يستطع المريض أن يشكو ألمه شكوى جيدة تفيد الطبيب فى مهمته، اضطر الطبيب أن يوجه إلى المريض أسئلة من عنده لعله يجد فى إجابة المريض ما يعينه على فهم علة الداء. كذلك قد يضطر الطبيب الروحانى إلى أن يسأل المعترف أسئلة موجهة ليستعين بها فى مهمته كمرشد روحى وأب نصوح، وطبيب معالج، يقود ابنه وتلميذه إلى ميناء الخلاص.

٦ ـ هل يغفر لمريض مشرف على الموت؟

ويسأل أحد المسيحيين:

«مريض بمرض شديد، بحيث أشرف على الموت، جاءه الكاهن بالقربان الطاهر، وقربه منه، ولكنه لم يتمكن منه سماع اعترافه لشدة مرضه، فهل غفرت له خطاياه؟»

الجواب:

لا يمكن الحكم فى هذه الحالة:

إن هناك بضعة أسئلة بالنسبة لهذا المريض، تفتقر إلى إجابة.

أولها: هل هذا المريض إنسان سالك فى طريق الصلاح والفضيلة وله ماض فى حياة النعمة والكمال المسيحى، أم هو إنسان بعيد عن الله، منقطع عن شركة الكنيسة وممارسات الأسرار المقدسة؟

وثانيها: هل سبق لهذا المريض أن اعترف بخطاياه من قبل، أم لم تسبق له توبة واعتراف. فمن الناس من أهمل التوبة والاعتراف كل أيام حياته أو فترة طويلة منها ثم جابهه المرض واشتد عليه قبل أن يعتزم على التوبة أو يسعى إليها. ومن الناس من تاب توبة شاملة أو كان يسلك فى حياة التقوى منذ طفولته، وقد اعترف بخطاياه مراراً كثيرة وتقدم إلى الأسرار المقدسة ثم انقطع ـ بسبب المرض ـ عن الكنيسة، ومرت فترة طويلة أو قصيرة لم يتقدم فيها إلى المائدة الربانية، ولابد أن صدرت منه أخطاء أو خطايا إرادية أو غير إرادية. بمعرفة أو بغير معرفة.

وثالثها: ماذا كان يجرى فى باطن هذا المريض من أفكار ومشاعر وإحساسات، وإن كان عاجزاً عن الاعتراف والتصريح بخطاياه؟ فالناس يختلفون فى دخائلهم اختلافات كثيرة بقدر اختلافهم فى شخصياتهم وعقولهم ونفسياتهم.

كل هذه وغيرها أسئلة ليس من السهل الإجابة عنها، بالنسبة للمريض. والإجابة عنها تختلف فى كل حالة من إنسان إلى آخر بحسب ماضيه وحاضره وما انتواه فى مستقبل الأيام لو طالت حياته. وطالما أن المريض لم يعترف ولم يصرح بشئ، فأمره سيظل مجهولاً، ولا يعرفه إلا الله الذى يفحص الدخائل والأعماق.

ولكن بصفة عامة يمكن أن نقرر أن تناول المريض من الأسرار المقدسة وهو مشرف على الموت. لا يغفر له خطاياه ما لم يكن مستحقاً لذلك، وإلا لما حدثنا الكتاب المقدس عن امتحان النفس قبل أن يتقرب الإنسان من المائدة الربانية. فقال: «فأى من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بغير استحقاق يكون مجرماً إلى جسد الرب ودمه. فليختبر الإنسان نفسه، وهكذا فليأكل من هذا الخبز ويشرب من هذه الكأس. فإن من يأكل ويشرب بلا استحقاق إنما يأكل ويشرب دينونة لنفسه إذ لم يميز جسد الرب. من أجل هذا فيكم مرضى كثيرون وسقماء، وكثيرون يرقدون» . (١ . كورنثوس ١١ : ٢٧ – ٣٠).

أما إذا كان المريض من الأتقياء المواظبين على ممارسة وسائط النعمة والخلاص، وفاجأه المرض الشديد، ولم يستطع أن يعترف - فى الفترة الأخيرة بخطاياه فحل الكاهن ينفعه، وسر التناول ينفعه، فإذا مات، فإنه أيضاً يجد منفعة بما يعمل بعده من صلوات وقداسات وأعمال التوزيع والرحمة كقول الكتاب عمن له خطايا عرضية غير مميتة، من السهوات والهفوات «إن رأى أحد أخاه يخطأ خطيئة ليست للموت فليسأل فيعطيه حياة أى للذين يخطأون خطيئة ليست للموت» (١ . يوحنا ٥ : ١٦).

٧ - هل يجوز الاعتراف بالمراسلة؟

ويسأل أحدهم قائلاً:

هل يمكن الاعتراف بالمراسلة والرسائل؟

الجواب:

نقول لا. إن هذا لا يجوز، أولاً لأن الاعتراف الصحيح هو الذى يحتمل فيه الإنسان المعترف مرارة مواجهته للكاهن المؤتمن على الشريعة ورسول رب الجنود (ملاخى ٢ : ٧) وهذه المرارة - بإقرار جميع آباء الكنيسة - ضرورية للشفاء لأنها البرهان الصحيح على صدق ندامة المعترف وخلوص نيته، واعتزامه على تغيير سلوكه.

قال العلامة ترتليانس من آباء القرن الثالث «إن كثيرين ينتبهون إلى الخجل أكثر من الخلاص فيهربون من هذا العمل (وهو الاعتراف) سترة لهم، أو يؤخرونه من يوم إلى يوم كمن أصابه مرض فى الأعضاء المستحى منها، فأخفى على الأطباء مرضه فيباد بخجله .. فإذا أخفينا نفوسنا عن معرفة الناس، هل تخفى على الله؟ وهل الأولى لنا أن نهلك وذنوبنا مخفية من أن نحل وهى مكشوفة فى التوبة؟».

قد يكون الاسترشاد بالمراسلة، ولكن فرق بين طلب الإرشاد وبين الاعتراف.

وإن سر الاعتراف طب روحانى، ولم يسمع عن أحد عالجه طبيب بالمراسلة. لابد للمريض أن يأتى إلى الطبيب، ويشكو ألمه للطبيب، بفمه ولسانه، ويضع نفسه تحت تصرف الطبيب الذى يكشف عليه فى كل عضو من أعضائه مهما كان هذا العضو خفياً ويلزم ستره عن جميع الناس.

وثانياً - لا يجوز الاعتراف بالمراسلة، لأن الاعتراف سر، والسر يجب أن يبقى مكتوماً بين التلميذ ومعلمه فى الاعتراف. والاعتراف بالمراسلة يجعله عرضة للإفشاء، نظراً لاحتمالات كثيرة لا يمكن معها ضمان سرية الاعتراف.

٨ ـ هل يجوز الاعتراف بالتليفون؟

ويسأل آخر:

هل يجوز الاعتراف بالتليفون للكاهن نفسه فى منزله فى حالة عدم وجود وقت عند الكاهن؟

الجواب:

هذا أيضاً لا يجوز، لأنه يخرج سر الاعتراف عن الوقار اللائق به. إن الاعتراف بالخطيئة يجب أن يتم بروح الصلاة والخشوع والتذلل أمام الله، والحضور شخصياً أمام الكاهن، والإنحناء أمامه للحصول على الحل الكهنوتى والبركة. وهذا كله لا يتوافر بالتليفون.

قد يمكن أن تتم الاستشارة أو الاسترشاد بالتليفون. أما الاعتراف فلابد فيه من مثول المعترف أمام الكاهن وبين يديه.

هنا نذكر قصة فتاةعذراء ـ كانت تشكو مرضاً خفياً مؤلماً وأراد أهلها أن يعرضوها على الطبيب، ولكن الفتاة العذراء أبت فى إصرار أن تسمح للطبيب أن يكشف عليها، وأخذت تبكى وهى متألمة، فاتصل أحد أفراد أسرتها بالطبيب تليفونياً يستشيره فى علاج الفتاة فغضب الطبيب جداً وقال كيف يمكننى تليفونياً أن أصف الدواء دون أن أكشف على الفتاة لأعرف مرضها؟ قال قريب الفتاة، إنها فتاة عذراء ويمنعها حياؤها أن تسمح للطبيب أن يكشف عليها. قال الطبيب فى إصرار: لا تضيع وقتى، إننى لا أستطيع بتاتاً أن أصف الدواء ما لم أعرف الداء، ولا يمكننى أن أعرف أصل الداء ما لم تحضر الفتاة أمامى وأراها بنفسى.

إن هذه القصة تسمح أن تكون جواباً مقنعاً وسديداً لم يزعم إنه يمكنه أن يمارس اعتراف خطاياه باعترافه على الكاهن تليفونياً.

٩ ـ الاعتراف بالكتابة ؟

وتسأل إحدى السيدات قائلة:

هل يجوز أن أعترف بخطيئة مخجلة صنعتها وذلك بكتابتها على ورقة وتقديمها للكاهن بنفسي ولكن دون أن أنطق بها؟

الجواب:

يجوز ذلك مبدئياً، لكن السيدة لا بد أن تجيب على أسئلة أخرى مهمة في تقييم خطيئتها، وهذا يضطرها إلى الإفصاح مع مرارة النطق بفعلتها.

فالكاهن لا يقدر أن يمنح الحل الكهنوتي للخاطئ إلا بعد أن يتثبت من صدق توبته، لأنه وكيل مؤتمن على وكالة. وليس له أن يمنح الحل إلا لمن يستحقه. وكيف يعرف استحقاق إنسان ما لم يلمس ندامته الحقيقية وتوبته. وإثبات الندامة لا يكون بالخجل وحده، بل بتحمله مرارة الاعتراف بالخطيئة، هذه المرارة التي لابد منها حتى لا يعود إلى الخطيئة مرة أخرى.

على أن الكاهن لكي يتثبت أيضاً من صدق توبة الخاطئ، يفرض على الخاطئ التائب بعض الواجبات الروحية كالصلوات والمطانيات والأصوام، وبعض التضحيات الأخرى وأعمال الندامة والتوبة، وهي ما يعرف اصطلاحياً بالتأديبات الكنسية.. والتأديبات الكنسية ليست أعمال تكفير لكنها علاجات دوائية لازمة ولا سيما بالنسبة للخطايا الكبرى المعروفة بالكبائر وما يتصل بها.

وكيف للكاهن أن يعرف الدواء المناسب ما لم يعرف:

أولاً ـ الخطيئة نفسها ونوعها: فخطيئة الزنى غير القتل غير السرقة.

ثانياً ـ كيفية الفعل: فمن يفعل بالفكر غير من يفعل بالعمل. ولا شك أن الخطأ بالعمل شر من الخطأ بالفكر من حيث نتيجة الفعل وأثره وامتداده من شخص فاعله إلى غيره.

ومن يفعل مجبراً أو مقهوراً غير من يفعل حراً مختاراً. وهذا يتضح خصوصاً في خطيئة الزنى بالنسبة إلى المرأة مثلاً.

ومن يفعل سهواً وبغير انتباه ليس كمن يفعل عمداً وبقصد وانتباه. ومن يفعل ببساطة وبراءة ليس كمن يفعل خبثاً وغدراً.

ومن يفعل جاهلاً بالنتائج المترتبة على فعله ليس كمن يفعل وهو عالم بكل ذلك.

ومن يفعل بلذة ورضى وسرور ليس كمن يفعل بتململ وتضجر وتبرم.

ومن يفعل الشر فى الخفية وهو خائف متردد ليس كمن يفعل الشر علانية وجهاراً وهو لا يخشى أحداً.

ومن يفعل الشر بوحى من نفسه ليس كمن يفعله بالاشتراك مع غيره.

ومن يفعل الشر بمفرده ليس كمن يشرك معه غيره فيه.

ومن يفعل الشر بصراحة ليس كمن يفعله بتغرير وخداع ومداهنة.

ومن يفعل الشر بطريق مباشر غير من يفعله بطريق غير مباشر.

ثالثاً - أسباب الفعل: وهى البواعث التى شدّت الخاطئ إلى الخطأ والدوافع التى حملته عليه.

فهناك من يقتل دفاعاً عن نفسه لأن لصاً أو عدواً هاجمه وأراد قتله. وهناك من يقتل دفاعاً عن شرفه. ومنهم من يقتل رداً لفعل مسئ إليه كمن يقتل قاتل أبيه أو أخيه أو قريبه.

ومن الناس من يزنى بتحريض من صديق، أو مجاراة له، أو انسياقاً لبيئة شريرة. ومنهم من يزنى إثر إغراء عارض للخطيئة. ومنهم من يزنى مندفعاً بشهوة شريرة...

رابعاً - المفعول به، ومركز قرابته، وسنه، وجنسه: فامرأة تقع فى شر مع قريب لها قرابة جسدية أو روحية أو معنوية غير من تقع فى نفس الشر مع غريب عنها.

خامساً - مكان الفعل: أين صنع الخاطئ خطيئته.

سادساً - زمان الفعل: متى صنع الخاطئ خطيئته.

لابد للكاهن أن يجد إجابة من المعترف على كل هذه الأسئلة، لأنه تبعاً لهذه الإجابات تتحدد مسئولية المعترف فى خطيئته، وتبعاً لذلك يضع الكاهن عليه التأديب الكنسى الذى يناسبه.

لهذا كله كان التصريح بالخطيئة أمراً لا مفر منه.

١٠ - هل يُحال القاتل إلى القضاء؟

ويسأل أحدهم:

هل يجوز للكاهن أن يأمر الخاطئ التائب الهارب من العدالة بأن يقدم نفسه أمام القاضى؟

الجواب:

أن يأمر الكاهن الخاطئ التائب الهارب من العدالة بأن يقدم نفسه للعدالة ليس جائزاً فقط، بل هو الواجب الذى تحتمه على الكاهن مهمته الكهنوتية والراعوية والروحية. وليس للكاهن أن يمنح الحل لمثل هذا الهارب من العدالة إلا بعد أن يسلم نفسه للقضاء. وخضوع الهارب من العدالة لأمر الكاهن هو برهان على شعور الخاطئ باستحقاقه للعقاب، واستعداده لتحمل نتائج خطيئته، وهذا دليل التوبة الحقيقية الصادقة.

وفى نفس الوقت يجب على الكاهن أن يثير ضمير الخاطئ الهارب من العدالة حتى يندم من أعماق قلبه وشعوره على أنه أغضب الله بتصرفه الأثيم ويقنعه بأن يعزم عزماً صادقاً على تجديد سيرته وتغيير سلوكه لو أتيحت له فرصة للحياة، ولا يغفل الكاهن أن يفتح أمام الخاطئ الهارب من العدالة باب الرجاء فى مراحم الله الذى «لا يسر بموت الشرير بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا» (حزقيال ٣٣: ١١) «وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل بأن يقبل الجميع إلى التوبة» (٢ . بطرس ٣: ٩).

١١ ـ مؤهلات أب الاعتراف

سؤال من أحد أبناء الكنيسة:

كيف يختار الإنسان أب اعترافه؟

الجواب:

لقد وضعت الكنيسة شروطاً أربعة يجب توافرها فيمن يصلح أن يكون مرشداً وأباً للاعتراف.

الأول: أن يكون على درجة من التقوى والروحانية مرتفعة كثيراً عن درجة من يتخذونه لهم أباً.

الثانى: أن يكون عالماً بالشريعة متفقهاً فيها، حتى يمكنه أن يفتى فى شئون الدين، ويحكم بين الحلال والحرام، وبين الصواب والخطأ، حكماً صائباً أميناً، ويجيب على أسئلة تلميذه فى الاعتراف إجابة سديدة.

الثالث: أن يكون حاذقاً متدرباً فى أمور الروحانيات، وله خبرة فى قيادة النفوس وإرشادها بحكمة وحسن تصرف.

الرابع: أن يكون فى سن الوقار، ضماناً لثبات الشخصية وقوتها ووضوح الإتجاه. فلا يحل اليوم أمراً أبرمه بالأمس عن تسرع واندفاع.

إذا توافرت هذه الشروط الأربعة فى كاهن، أمكن أن يتخذه الإنسان أباً لذمته. وذلك يمكن للمؤمن أن يتبينه مما يلمسه بنفسه فى الكاهن، ومما هو معروف عن الكاهن فى أوساط المؤمنين الراسخين.

ومما هو جدير بالنظر أن لكل كاهن سلطاناً على منح الحل الكهنوتى طالما قد رسم رسامة قانونية وتسلم كهنوته من خلافة رسولية، لكن ليس لكل من رسم كاهناً أن يسمع اعترافات المؤمنين ما لم يأخذ من أسقفه تفويضاً بذلك.

وقد اطلعنا على وثيقة قديمة، كتبها أسقف إلى كاهن يخوّل له أن يصبح أب اعتراف لشعب الكنيسة بعد سيامته كاهناً بعشرين سنة، وذلك بعد وفاة كاهن شيخ كان هو المفوض لسماع اعترافات الشعب. فلما توفى الكاهن الشيخ، كتب الأسقف تلك الوثيقة للكاهن الجديد ـ بعد عشرين سنة من تاريخ سيامته ـ يفوضه بسلطانه الرسولى أن يصير بديلاً عن الكاهن الشيخ.

١٢ - هل يجوز تغيير أب الاعتراف؟

سؤال من السيد/ نبيل إبراهيم بشارة:

هل من الجائز للإنسان أن يغير أب اعترافه برغبته الحرة؟

الجواب:

نعم يجوز، إذا كان هناك ما يبرر هذا التغيير. إن أب الاعتراف هو طبيب روحانى. ومن النافع أن يكون للإنسان طبيب بعينه يكاشفه بما فى نفسه ويعرض عليه مشكلاته وأسئلته، ويكون له أباً ومرشداً ومعلماً وطبيباً. أما الذى يتخذ له فى كل يوم طبيباً، إنما يقع فريسة للاضطراب والحيرة والقلق ولن يحصل على الفائدة المرجوة كما يحصل عليها من يخضع ذاته فى ثبات واستقرار لطبيب واحد بعينه، يدرسه دراسة فاحصة متابعاً حياته متابعة تاريخية روحية، مما يتيح له فهم شخصيته ومعرفة أصل الداء، فيشخص له المرض ويصف له الدواء. ويتابع سلوكه خطوة أثر خطوة، فيتبين فيه أسباب القوة وأسباب الضعف، ويقف على ما أدركه من تقدم ومن تأخر، وتبعاً لذلك يغير ويبدل من أساليب التطبيب والعلاج التى اتبعها معه.

ومع ذلك أباحت الكنيسة لكل مؤمن أن يبحث بنفسه عن طبيب روحانى يثق هو فيه ويخضع ذاته لمشورته. ومعنى ذلك أن الكنيسة تسمح للمؤمن أن يغير أب ذمته إذا لم يجد عنده الفائدة الروحية التى يتطلع إليها. وذلك ليس من السهل على المؤمن أن يتبينه من مرة أو مرتين. فالحكم السريع عرضة للخطأ. كما أن الميل إلى التغيير يحمل أحياناً الميل إلى الهرب من أب اعتراف صارم دقيق.

لذلك فإننا نبيح تغيير أب الاعتراف عند الاقتضاء، ولكننا ننصح بأن يكون لكل مؤمن أب وطبيب روحانى، ثابت، ولا يلجأ لغيره إلا للضرورة، وبعد أن يتبين له أنه لم يعد نافعاً له.

١٣ ـ ظروف تغيير أب الاعتراف

سؤال من أحد المسيحيين: إنى غيرت أب اعترافى بسبب ظروفى ، فبينى وبينه مسافة كبيرة يجب أن أقطعها حتى أصل إليه، وهذا يضطرنى إلى أن أصرف جهداً ووقتاً طويلاً لا يتوافران لى دائماً. ومع ذلك لا أستطيع أن أتقابل معه نظراً لمشغولياته الكثيرة. فاتجهت إلى كاهن آخر ليصير أب ذمتى بدلاً من الأول. وهو قريب منى أكثر من الأول. فهل أخطأت فى ذلك؟ أو هل أعود إلى أب الاعتراف الأول متحملاً المتاعب بسبب ظروفى؟

الجواب:

إذا كانت ظروفك الجديدة صارت تباعد بينك وبين أب اعترافك الأول، كذلك ظروف الكاهن ومشاغله المتعددة، فلا خطأ فى اتخاذك أباً آخر يسمح له وقته أن يتخذك ابناً وتلميذاً له.

ومع أنه يجمل بالمسيحى أن يختار أباه الروحى على أساس ما يتصف به هذا الأب من صفات الأبوة الروحية البانية للنفس، لكنه من المستحسن أيضاً أن يكون هذا الأب قريباً إلى تلميذه فى كل وقت يحتاج فيه إليه.

١٤ ـ هل يعيد الاعتراف؟

ويسأل أحدهم:

هل يجب ـ إذا تغير أب الاعتراف ـ أن يعترف الخاطئ بجميع الخطايا التى سبق له أن اعترف بها على أب الاعتراف الأول؟

الجواب:

لا يجوز ذلك. فكل خطيئة صنعها المؤمن وتاب عنها واعترف بها ونال عنها الحل الكهنوتى، فقد غفرت. ولا يجوز إعادة الاعتراف بها، لأن إعادة الاعتراف بخطيئة سبق غفرانها يحمل شكاً فى حقيقة مغفرتها. إلا إذا كررها صاحبها وسقط فيها من جديد. وحينئذ تكون التوبة وفعل الندامة والاعتراف عن خطيئة جديدة وإن كانت من نوع الخطيئة الأولى.

فإذا رأى أب الاعتراف الجديد أن يسأل تلميذه ما إذا كان سبق له أن وقع فى هذه الخطيئة من قبل، ففى هذه الحالة يجيبه ابنه عن ماضيه، ولكن لا يعد هذا اعترافاً من جديد، بل تعريفاً بحالته السابقة حتى يكون الكاهن على بينة من أمر هذا المعترف، وبذلك يمكنه أن يعالجه على أساس سليم. مثله فى ذلك مثل الطبيب الذى يهمه أن يطلع على ماضى المريض من حيث أن هذا المرض ينفعه فى تشخيص الداء ووصف الدواء.

١٥ ـ هل للراهب أن يسمع الاعتراف؟

ويسأل بعضهم:

هل يجوز للراهب أخذ اعترافات؟ ولماذا؟

الجواب:

نعم يجوز للكاهن الراهب أن يسمع اعتراف راهب نظيره، أو من هو فى حكم الرهبان من المتبتلين (١)، وهذا ما يجرى فعلاً فى أديرة الرهبان فالرهبان يعترفون على كهنة من الرهبان (٢).

ويجوز للكاهن الراهب إذا كان شيخاً أو فى سن الوقار أن يسمع اعتراف غير المتزوجين من المدنيين (المعروفين بالعلمانيين).

ولكن يحسن كثيراً ـ إلا للضرورة القصوى ـ أن يسمع اعترافات المتزوجين كاهن متزوج، لأنه بصفته هذه يكون أكثر فهماً لهم وقريباً بذهنه إلى ظروفهم ويعرف مشكلاتهم ولا يضيق بها، كما يكون ـ بحكم خبرته ـ أكثر عطفاً عليهم، وأنفع لهم من الكاهن الراهب.

---

(١) المتبتل من نذر البتولية دون أن يتقيد بمبدأ الاعتزال فى الدير. فالمتبتل قد يبقى فى العالم، وقد يعتزل العالم إلى الصحراء، وفى هذه الحالة الأخيرة يصير المتبتل راهباً.

(٢) وفى عصور الرهبنة الأولى، لم يكن بين الرهبان كهنة، فكان الرهبان يعترفون على كهنة متزوجين أو متبتلين، كانوا يكلفون بذلك من قبل أساقفة المدن بناء على طلب الرهبان، كما يتضح من قوانين الأنبا باخوميوس أبى الشركة.

١٦ ـ هل يجوز تأجيل الاعتراف إلى ما بعد التناول؟

ويسأل أحدهم:

هل يجوز التناول قبل الاعتراف، على أن يتم الاعتراف بعد ذلك عند أول لقاء بأب الاعتراف؟

الجواب:

يجوز التناول من دون اعتراف أحياناً، إذا لم تكن هناك خطيئة مانعة. فمن الخطايا خطيئة للموت، وخطيئة ليست للموت (١ . يوحنا ٥: ١٦، ١٧) والخطيئة المميتة هى كل خطيئة صنعها صاحبها بإرادة حرة، والخطيئة غير المميتة هى كل مخالفة صنعها صاحبها سهواً وغفلة وعن غير عمد. ومع أن السهوات «السهوات من يشعريها» (مزمور ١٨: ١٢)، (التكوين ٤٣: ١٢)، (١ . صموئيل ١٤: ٢٧) والهفوات هى أيضاً خطايا يجب أن يندم عنها فاعلها ويعترف بها إذا علم بها وتنبه لها، إلا أنه يكفى عند الضرورة القصوى أن يندم صاحبها عنها، ويطلب من الكاهن الحل عنها من دون أن يعترف بها صراحة إذا لم يكن الوقت مسعفاً للمؤمن أو للكاهن الذى يقوم بالتقديس، مرجئاً الاعتراف بها إلى وقت آخر.

يقول الرب «وإن أخطأ رئيس فعمل سهواً واحداً مما نهى الرب الإله عن فعله فأثم. ثم أعلم بخطيئته التى أخطأ ، فليأت بقربانه.. ويكفر عنه الكاهن خطيئته فيغفر له..»

«وإن أخطأ أحد من عامة الأرض سهواً، وعمل واحدة مما نهى الرب عن فعله، فأثم، ثم أعلم بخطيئته التى أخطأ، فليأت بقربانه.. ويكفر عنه الكاهن فيغفر له...».

«وإن سهت جماعة.. كلها وخفى الأمر على عيون المجمع، وعملوا واحدة مما نهى الرب عن فعله، وأثموا. ثم عرفت الخطيئة التى أخطأوها، فليقرب المجمع.. ويكفر عنهم الكاهن، فيغفر لهم...» (اللاويين ٤: ٢٢- ٣١، ١٣- ٢٠).

ويقول الرب أيضاً:

«وإن حلف أحد وفرطت شفتاه لإساءة أو إحسان من جميع ما يفرط الإنسان به فى اليمين، وخفى عليه ذلك، ثم عرف، فهو آثم بشئ من ذلك. فإذا أثم بشئ من ذلك فليعترف بما أخطأ به. وليأت. بذبيحة إثمه للرب عن خطيئته التى أخطأها ... فيكفر الكاهن عن خطيئته...»

«أى إنسان خالف مخالفة وأخطأ سهواً فى شئ من أقداس الرب، فليأت بذبيحة إثمه للرب.. فيكفر الكاهن عن خطيئته.. فيغفر له. وأى إنسان أخطأ ففعل شيئاً مما نهى الرب عن فعله، ولم يعلم بأنه قد أثم، فقد حمل وزره. فيأتى إلى الكاهن.. فيكفر عنه الكاهن سهوته التى سها ولم يعلم بها، فيغفر له» (اللاويين ٥: ٤ – ١٨) ، (العدد ١٥: ٢٢ – ٣٠).

ومعنى هذا أن السهوات هى أيضاً خطايا يجب أن يعترف بها صاحبها عندما يعلم بها.

فإذا تقدم أحد من المؤمنين إلى سر التناول، وكانت عنده خطيئة مانعة سواء من الخطايا التى صنعها بإرادة حرة (وهى الخطايا الإرادية) أو الخطايا التى صنعها سهواً وعن غفلة وتفريط (وهى الخطايا غير الإرادية) وقد علم بها، فيجب أن يؤجل تقربه من الأسرار المقدسة حتى يعترف بخطاياه وينال عنها الحل الكهنوتى.

أما الخطايا غير الإرادية التى لم يعلم بها صاحبها، ولا يخلو منها أحد، فيصفح عنها بالحل الكهنوتى، ويكفر عنها بدم المسيح فى سر القربان الذى يناله المؤمن لغفران الخطايا. (متى ٢٦: ٢٨).

١٧ ـ هل يجوز إخفاء خطيئة أثناء الاعتراف؟

ويسأل غيره:

هل يجوز لشخص أن يتناول، بعد أن اعترف بخطاياه لكنه ـ لفرط خجله ـ أخفى خطيئة منها مؤجلاً الاعتراف بها إلى فرصة أخرى بحجة أنه اعترف بخطايا أخرى كثيرة.

الجواب:

إذا خجل شخص من الاعتراف بخطاياه أو بخطيئة منها، فإن خجله سيعوقه عن خلاص نفسه. والخجل عن الاعتراف بالخطيئة علامة سيئة على الكبرياء الخفية، ودليل مضمر على الرغبة فى العودة إلى الخطيئة من جديد، لأنه لو كان الخاطئ قد ندم حقيقة على خطيئته وعزم عزماً صادقاً على تجديد سلوكه وسيرته لما تأخر عن أن يعترف بخطيئته علامة استعداده لتحمل تبعة الخطيئة، ومنها الخجل ومرارة الاعتراف.

من أخبارالقديسين أن واحداً من الكهنة الروحانيين كان مكشوف العينين، فكان يرى أحيانا خطاياً المعترفين على يديه. ومرة جاءته سيدة باكية نادمة على خطاياها، وقد اعترفت بخطاياها، ولكنه رأى أن المرأة قد خبأت عنه خطيئة كبيرة ذلك أنه أبصر حية تطل من فم المرأة ثم تغلق المرأة فمها فتدخل الحية وتختبئ فى باطنها. وسأل الكاهن المرأة إذا كانت قد فرغت من الاعتراف بجميع خطاياها، فأجابت بالإيجاب. قال الكاهن بل هناك خطيئة أخرى كبيرة لم تعترفى بها، أراها بمنظر حية تطل من فيك. كلما فتحت فمك. فذهلت المرأة، ولما لم تجد سبيلاً إلى الإنكار أقرت بخطيئتها بمرارة وصراحة. وبعد ذلك اختفت الحية من فمها، فعلم الكاهن أن المرأة قد اعترفت له بكل شئ، ولم يجد مانعاً من أن يقربها إلى الأسرار المقدسة.

إن خطيئة واحدة يتعلق بها القلب تكفى لهلاك النفس وحرمانها من فردوس النعيم ومن الدخول فى ملكوت الله.

ولذلك يجب أن لا يخجل الإنسان من أن يندم على خطاياه معترفاً بها جميعاً أمام الله على يد الكاهن ،فمن كتم معاصيه لم ينجح، ومن اعترف بها وأقلع عنها يرحم، (الأمثال ٢٨: ١٣).

١٨ ـ الاعتراف والنسيان

ويسأل غيره:

قد يتذكر الإنسان ـ بعد الاعتراف والتناول من الأسرار المقدسة ـ خطيئة نسى أن يعترف بها، فهل يعترف بها بعد التناول، أو يعتبر أنها قد غفرت؟

الجواب:

ما دام المعترف قد أغفل اعترافه بتلك الخطيئة عن نسيان وليس عن قصد، فاعترافه صحيح، وكذلك تناوله من الأسرار المقدسة. وقد شملت استحقاقات دم المسيح تلك الخطيئة مع غيرها مما ندم عنه واعترف به خاصة وإن الكاهن قد أعطاه الحل عن خطاياه التى صنعها ،بعلم أو بغير علم أو بجزع القلب، بالفعل أو القول أو الفكر.

ومع ذلك فلراحة ضميره يعترف عنها بندامة أمام الكاهن، حتى لا يكون إغفاله تلك الخطيئة ـ ولو عن نسيان وغير قصد ـ مشجعاً له على الاستهتار والاستباحة واستمراء الإثم وعدم الاكتراث به، الأمر الذى قد يقود إلى ضعف الحاسة الروحية، وتخدر الضمير.

١٩ ـ هل يلزم الاعتراف دائماً قبل التناول؟

ويسأل أحدهم:

«هل يلزم الاعتراف قبل كل مرة يتقدم فيها الإنسان من الأسرار المقدسة؟»

ويقول غيره: اعترفت وتناولت من الأسرار المقدسة، ثم أردت ـ بعد مضى أسبوع أو أكثر ـ أن أتقدم إلى سر القربان، ولم أكن قد ارتكبت فى هذه الفترة أية خطيئة، فهل يجوز لى التقدم إلى المائدة الربانية من دون اعتراف؟

الجواب:

إذا كانت هناك خطيئة فيلزم الاعتراف بها، وإذا لم تكن هناك خطيئة فيمكن التقدم إلى الأسرار المقدسة من غير حاجة إلى الاعتراف. ولكن هل حقاً يوجد إنسان يجرؤ أن يقول إنه لم يرتكب خطيئة من أى نوع؟ «إن قلنا إنه ليس فينا خطيئة فإنما نضل أنفسنا وليس الحق فينا.. وإن قلنا إننا لم نخطأ نجعله كاذباً ولا تكون كلمته فينا» (١ ـ يوحنا ١: ٨، ١٠).

قد لا يكون الخطأ بفعل الإرادة الحرة، وإنما عن تفريط أو سهو أو نسيان. وقد لا يكون الخطأ بالفعل، وإنما بالفكر أو بالشعور، فلا يخلو أحد من خطأ ولو كان خطأ عارضاً.

فإذا لم يجد الإنسان خطأ واضحاً يتوب عنه ويعترف به، فليقر أمام الله وبين يدى الكاهن أنه خاطئ، وبكل تواضع وخشوع يردد «اللهم ارحمنى أنا الخاطئ» (لوقا ١٨ : ١٣) . ثم يطأمن ويخضع ويطلب الحل الكهنوتى.

٢٠ - فرق بين المرشد الروحى وأب الاعتراف

سؤال من السيد أ. ج. م. ملوى.

هل من حق الخادم والمرشد الروحى أن يطلع على تداريب المخدومين والتى تشتمل على مقياس الحياة الروحية، ومنها أنواع الخطايا وعددها والفضائل الروحية أم يطلع على الإجابات فقط؟

الجواب:

إن الخادم والمرشد الروحى الذى يسمح لنفسه بالاطلاع على تداريب المخدومين الروحية ومنها كما تقول أنواع الخطايا وعددها.. إلخ قد تجاوز حدود اختصاصه كخادم ومرشد روحى، إلى اختصاص الكاهن وأب الاعتراف.

يجب ألا يتجاوز عمل الخادم والمرشد التوجيه العام، وليس للمرشد أن يعطى تداريب، ولا أن يطلع على خطايا المخدومين وعددها بل إن هذا التصرف ضار بعمل الإرشاد، ويفسد حكمة الكنيسة فى جعل أمثال هذه الأمور مقصورة على كاهن الاعتراف، علماً بأن نظام الكنيسة الأصيل أن لا يعطى حق سماع الاعتراف لأى كاهن بل لكاهن ذى صفات خاصة، ويفوضه الأسقف رئيسه بذلك ويتلو عليه صلاة خاصة مسجلة فى كتاب الرسامات، ويمنحه وثيقة بذلك تخوّل له أن يكون الكاهن المؤتمن على أسرار نفوس المؤمنين الذين يتخذونه أباً خاصاً لهم، يطلعونه على أسرارهم ويطلبون إرشاده وتوجيهه والصلاة من أجلهم ومنح الحل لهم ليتقدموا إلى الأسرار المقدسة بغير عائق.

٢١ ـ الاعتراف على يد الكاهن
هو المرحلة الأخيرة من مراحل سر التوبة

سؤال من فتاة.

كيف يكون الاعتراف كاملاً ومفيداً؟

الجواب:

رداً على تساؤلك بخصوص الاعتراف، أنصح لكِ يا ابنتى بأن تضعى سر الاعتراف فى مفهومه الصحيح باعتباره جزءاً أخيراً، وعنصراً رابعاً من عناصر التوبة. إن الاعتراف ليس سراً قائماً بذاته. إنه جزء من سر التوبة. والتوبة عناصرها أربعة.

أولها ـ الندم على الخطيئة.

ثانياً ـ العزم الصادق على تجديد السيرة وتصحيح المسيرة.

ثالثاً ـ الرجاء فى المسيح وأبوته، وإنه يفرح بنا وبعودتنا إليه.

رابعاً ـ الاعتراف بالقلب وباللسان لله على يد الكاهن.

على أن التوبة نوعان: التوبة الشاملة لكل الحياة وثانياً: التوبة اليومية للسائرين فى طريق السماء.

وحيث أنكِ ابنة متدينة منذ طفولتك، فالتوبة التى تناسبك هى النوع الثانى لا الأول، فالتوبة الأولى لمن سار فى طريق الرذيلة وشرد بعيداً عن الإيمان والفضيلة. أما أنتِ فتوبتك هى التوبة اليومية، والمبنية على مراقبة النفس كل يوم ومحاسبتها على أخطائها يوماً بيوم. وضعى فى اعتبارك أن الغفران لا يتم باستحقاق اعترافك، وإنما يتم بدم المسيح فى سر القربان المقدس. إن سر التوبة به يعود الخاطئ إلى المسيح، ولكن سر القربان هو دم المسيح الذى فيه نغتسل فتغفر خطايانا. وليست التقوى والتدين والاعتراف إلا دلائل طاعتنا لله ولشريعته، لكن الغفران يتم بدم المسيح فى سر القربان. لذلك اطمئنى فإنكِ طالما أنتِ لا ترتكبين خطيئة مانعة من سر التناول، فإن خطاياكِ تغسل تماماً فى دم المسيح فى سر القربان. والاعتراف هو برهان طاعة للشريعة ودليل على عدم التشبث بالخطيئة، وعدم محبتها. فإذا نسيت ذكر خطيئة فلا تنزعجى، طالما أن النسيان لم يكن بقصد إخفائها. وحينما يعطى الكاهن الحل الكهنوتى فهو يعطيه عن الخطايا

التى بعلم، وبغير علم، بالفعل أو بالقول أو بالفكر. المهم أنها جميعاً تغفر لا بحق الاعتراف بل بحق دم المسيح فى سر القربان، لأن دم المسيح يطهرنا من كل خطيئة. يقول الكتاب المقدس «إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفارة عن خطايانا» (١ . يوحنا ٢ : ١ ، ٢) إذن الغفران هو بحق دم المسيح، لأنه ليس بأحد غيره الخلاص. فليس اعترافك هو الذى يعطيك الغفران، إن الاعتراف هو برهان طاعتك وعدم عنادك، وبرهان على خضوعك للشريعة، أما الغفران فهو استحقاقات دم المسيح.

٢٢ ـ للاعتراف على يد الكاهن شق إلهى وشق إنسانى

سؤال من أحدهم:

هل من علاقة بين الاعتراف على الكاهن والتحليل النفسى؟

الجواب:

إن الاعتراف يتألف من شقين، شق إنسانى وشق إلهى. والشق الإنسانى يقوم على عنصرين هما الشكوى والعلاج، أما الشق الإلهى فيختص بالاعتراف كسر دينى مقدس.

ويهمنا هنا الجانب الإنسانى فى سر الاعتراف من حيث كونه شكوى ومن حيث هو علاج، وهو الجانب الذى استرعى انتباه العالم النفسانى «فرويد» ورأى أنه يستحق الدراسة وفحص نتائجه العملية فى حل المشكلات والعقد النفسية.

وجانب الشكوى أن يشكوى الإنسان نفسه، ويصرح بأخطائه على حقيقتها من دون أن يحاول تبرير هذه الأخطاء. ولا شك أن فى التصريح بالألم تنفيساً عنه وراحة للنفس شأن من يشكو بألم فى معدته نتيجة اختمارات لبقايا الأكل، فإذا تقيأ، ارتاح من ألمه.

كاهن حاذق:

ويشترط فى الكاهن الذى يتلقى الاعترافات أن يكون قادراً على الإصغاء الجيد بشئ كبير من العطف والاهتمام. فمجرد الإصغاء لشكوى المريض يريحه نفسياً، كما أن عليه أن يوجه إليه الأسئلة ليستطيع الكاهن أن يعرف الداء ويصف الدواء، لاسيما وإن بعض المرضى لا يسهل عليهم التعبير عما فى نفوسهم.

العلاج:

بعد ما يعرف الكاهن الشكوى، يجئ دوره فى علاج صاحبها، وهو يستطيع بمهارته وخبرته معرفة أسرار علة المريض فيعمل على راحته، وفى الوقت ذاته يحل العقد النفسية التى تكون قد غاصت إلى أعماق نفسه من دون أن يشعر بها أو يذكرها:

والكاهن بحكم طبيعة عمله وما يجب أن يتوفر فيه من مؤهلات وصفات، ومعرفة بأحوال الناس وأمزجتهم وميولهم، يستطيع أن يرشد المعترف إلى الوسائل المناسبة التى تقاوم نزعاته وتشفيه من دائه سواء بالنسبة لنفسه أو بالنسبة لغيره. فهو يعلمه كيف يتسامى بغرائزه ويعلو بها ويحاسب نفسه على أفعالها حتى لا يعود إليها، ومن جهة أخرى، عليه أن يصحح عملياً ما أحدثته خطيئته من أضرار بالغير، فمن سرق شيئاً أو ظلم شخصاً، عليه أن يعرف أنه لا مغفرة تعطى له إلا إذا أعاد الشئ المسروق لصاحبه، وأن يرفع الظلم عمن أوقعه به، وبهذا تتحقق التوبة الصادقة حتى يكون التائب قد أثبت صدق توبته بتحمله تبعات أخطائه عملياً.

٢٣ ـ الاعتراف لله على يد الكاهن

سؤال من ن. ع. ف.

هل من ضرورة للاعتراف على الكاهن؟ وأين يكون الاعتراف؟

الجواب:

الاعتراف بالخطية فى حقيقته (اعتراف لله على يد الكاهن) باعتباره الممثل للسلطة الدينية، لأن شفتى الكاهن تحفظان معرفة، ومن فمه يطلبون الشريعة لأنه رسول رب الجنود، (ملاخى ٢: ٧) ... قال يشوع بن نون لعخان بن كرمى: «يا ابنى اعطِ الآن مجداً للرب.. **واعترف له واخبرنى** الآن ماذا عملت. لا تُخف عنى، (يشوع ٧: ١٩).

ولما كان الاعتراف طقساً دينياً **فينبغى أن يمارس فى الكنيسة. ولا يمارس فى البيت إلا للمريض** الذى لا يستطيع أن يغادر فراش المرض إلى الكنيسة، كما هو الحال بالنسبة إلى سر مسحة المرضى الذى لا مفر من مباشرته فى بيت المريض بسبب مرضه وملازمته للفراش. وكذلك الحال فى المعمودية لا تجوز مباشرتها فى البيت إلا لمن هو فى خطر الموت. فيما عدا ذلك، أى فيما عدا حالة المرض، يلزم أن تباشر طقوس الكنيسة ومباشراتها، ومن بينها الاعتراف بالخطية فى الكنيسة.

ومن حيث المبدأ **يجب أن يكون أب الاعتراف شيخاً متميزاً بالروحانية، عالماً بالشريعة، محنكاً ومختبراً، ولا تقل سنه عن الخمسين ... ولا يكون أب الاعتراف راهباً إلا بالنسبة للرهبان.** أما بالنسبة لعامة المؤمنين فترتيب الكنيسة يتطلب فى الكاهن أن يكون من المتزوجين، لتكون له خبرة الحياة الزوجية، حتى يمكن أن يوجه المتزوجين وغير المتزوجين. وهذا هو السبب فى أن **الكنيسة تتطلب فى الكهنة الذين يرعون العائلات فى العالم أن يكونوا من بين المتزوجين.**

٢٤ ـ إذا حدث خلاف بين المعترف والكاهن هل يجوز الاعتراف بالمراسلة ؟

سؤال من أحد المسيحيين:

إذا كان هناك سوء تفاهم بين المعترف وبين الكاهن. ويصر كل منهما على رأيه.. ويُحس المعترف بأنه فى اعترافه هذا كأنه لم يكن؟هل يمكنه أن يعترف بالمراسلة؟

هذا السؤال لمن هم فى بلاد المهجر.

الجواب:

إذا كان سوء التفاهم بين المعترفين وبين الكاهن هو فى موضوع الاعتراف، أى فى الموضوعات التى يدور حولها الاعتراف، فليس ثمة مبرر لوقف الاعتراف، **لأن الاعتراف فى حقيقته هو شكوى النفس من النفس أمام الله على يد الكاهن** ولا مجال للخلاف، بين الكاهن والمعترف فى هذا الأمر، لأن دور الكاهن هو الإصغاء باهتمام لشكوى المعترف ممثلاً فى هذا صدر الأب الحنون وهو الله ،الذى لا يشاء موت الخاطئ بل يرجع عن طريقه ويحيا، (حزقيال ١٨: ٢٣-٣٣)، (١ . تيموثيئوس ٢ : ٤)، (٢ . بطرس ٣، ٩).

وفى الاعتراف بعد الشكوى، **علاج**، وهو النصائح التى يسديها الكاهن للمعترف، وما يدخل تحت نطاق النصائح من قوانين توبة يفرضها الكاهن على المعترف. وهذه القوانين وتلك النصائح يلزم أن يتقبلها المعترف بالإذعان والطاعة حتى لو رأى بفكره ومنطقه أنها لا تناسبه أو لا تفيده. ولا يليق أن يجعل من هذه النصائح أو قوانين التوبة مجالاً لسوء التفاهم فيما بينه وبين الكاهن المرشد فى الاعتراف.

أما إذا كان سوء التفاهم بين المعترف وبين الكاهن يرجع إلى أسباب أخرى لا تتصل بموضوع الاعتراف.. فننصح للمعترف بأن يفصل فصلاً تاماً بين موقفه كخاطئ يطلب رحمة الله لينال الخلاص من خطاياه، وليرث الحياة الأبدية، وبين سوء التفاهم بينه وبين الكاهن حتى لو كان سوء التفاهم لأسباب عامة ولبواعث الخير العام والصالح العام.. خاصة إذا لم يكن فى البلدة التى يقيم فيها المعترف غير هذا الكاهن بالذات.. وإلا حرم المعترف نفسه بسبب سوء

التفاهم هذا من سر التناول كما من سائر الأسرار الأخرى كالزيجة، إذا لم يكن متزوجاً، ومسحة المرضى، إذا كان مريضاً، فضلاً عن ممارسة الأسرار الأخرى لأبنائه مثل المعمودية والميرون وغيرهما. ومن تعاليم كنيستنا الأرثوذكسية **إن فاعليات الأسرار تقوم على استحقاقات المسيح الكفارية، لا على صلاح الكاهن**. فمفاعيل سر المعمودية هى بعينها سواء كان الكاهن صالحاً أو خاطئاً، لأنها قائمة على استحقاقات المسيح الكفارية، وليس الكاهن إلاّ واسطة لعمل الروح القدس.

أما الاعتراف بالمراسلة، فلا نقره من جهة المبدأ، وقد يجوز فيما لو كان المعترف فى مدينة لا كاهن لها.

٢٥ ـ هل للمرشد الروحى من غير الكهنة أن يفرض تأديبات كنسية ؟

سؤال من الشماس المحامى الأستاذ/ ميلاد شحاته عبد الملاك ـ أرمنت.

الجواب:

لا يجوز للمرشد الروحى إذا كان أخاً من عامة الشعب أن يفرض تأديبات كنسية لأن هذا من اختصاص الأب الكاهن وحده. والإرشاد الروحى لا يغنى بالمرة عن الاعتراف بالخطايا على الأب الكاهن. ومن الأفضل طبعاً أن يكون الاعتراف بالخطايا، والإرشاد الروحى، كلاهما على يد شخص واحد وهو الأب الكاهن. ولكن إذا تعذر على الكاهن القيام بمسئولية أو مهمة الإرشاد الروحى، فينبغى أن يقدم له المعترف اعترافاً كاملاً بخطاياه، لينال الحل والغفران عنها جميعاً. أما الإرشاد الروحى لحل المشاكل الروحية والنفسية، فيكون عن طريق شخص ناضج مختبر حكيم ومتواضع أيضاً بحيث لا يزيد دوره عن تقديم التوجيه الروحى السليم والمساهمة فى الإرشاد لحل المشكلات المختلفة. هذا هو فقط دور وواجب المرشد الروحى ـ إذا كان علمانياً ـ فى حالة الضرورة.

٢٦ - روح الأبوة فى أب الاعتراف

سؤال من فتاة:

عما إذا كان يجوز لها أن تختار لاعترافها كاهناً آخر؟

الجواب:

فى سؤالك بخطابكِ شكواك الصريحة من إنك لا تحسين فى أب الاعتراف الحالى بالأبوة الحانية. وإننى أفهم مشاعرك، وأوافقك على أن أبوة أب الاعتراف ضرورية.

لذلك أرى أنه يجوز لكِ أن تبحثى عن أب اعتراف آخر تتوافر فيه الأبوة التى تنشدينها بحق.

وإنى أنصح لكِ أن تتخذى لكِ أباً شيخاً من شيوخ الكهنة ممن **تتوافر فيه الروحانية والعلم والحذق، وسن الوقار، فلا تقل سنه عن الخمسين.**

وقد يلزم أن يكون فى المنطقة حيث تسكنين أو فى غيرها من أحياء المدينة.

لكن لابد من أب اعتراف تثقين فيه. **إن عنصر الثقة له أهميته القصوى فى تدبير النفس تدبيراً ناجحاً.** وإذا كان عنصر الثقة ينبغى أن يتوافر فى المريض نحو الطبيب، وإلا فلا جدوى على الإطلاق من العلاج، فبالأحرى ينبغى أن تتوافر هذه الثقة بدرجة أعظم فى دائرة سر الاعتراف بين التلميذ أو التلميذه وأب الاعتراف.

٢٧ ـ هل يجوز الاعتراف بالمراسلة من بلد بعيد؟

سؤال من السيد ر. ر. ت. :

يسأل إذا كان يجوز له أن يعترف على يد الكاهن معلمه فى الاعتراف وأبى ذمته، بالمراسلة، حيث أنه يقيم الآن مغترباً فى بلد بعيد ليس فيه كاهن؟

الجواب:

الاعتراف بالخطيئة من حيث المبدأ هو الحلقة الأخيرة من حلقات أربع منها يتألف فعل التوبة. **هذه الحلقات هى:**

١ ـ الندم وتبكيت النفس.

٢ ـ العزم الصادق على تجديد السيرة.

٣ ـ الرجاء فى مراحم الله وعدم اليأس.

٤ ـ الاعتراف الجهارى بالفم واللسان بمرارة من القلب.

والاعتراف بالخطيئة هو اعتراف لله على يد الكاهن بصفته رجل الله ،رسول رب الجنود، (١) (ملاخى ٢ : ٧) لذلك **يلزم أن يمارس الاعتراف بالحضور فى الكنيسة، والمثول شخصياً أمام الكاهن.**

هذا من حيث المبدأ. ولكن حيث أنك تقيم ـ على قولك ـ مغترباً فى بلد بعيد ليس فيه كاهن، فليس بد من أن يكون اعترافك بالمراسلة. وهذا وضع مؤقت إلى أن تعود إلى بلدك، وتستأنف اتصالك المباشر بالأب الكاهن، المسئول عن تدبيرك الروحى.

---

(١) ملاخى ٢ : ٧.

٢٨ ـ لماذا لا يجوز الاعتراف بالتليفون؟

سؤال من أحد المسيحيين:

يقول إن للاعتراف بالتليفون فوائد كثيرة منها: تشجيع الناس على الاعتراف، حيث أن الكثيرين يحجمون عن الاعتراف خجلاً، أو محافظة على أسرارهم وأسرار غيرهم. ولابد أن نضع فى الاعتبار قول المسيح له المجد عن الفريسيين أنهم يحمّلون الناس أحمالاً عسيرة ـ ثم أن التليفون أداة عصرية لم تكن معروفة فى أيام المسيح؟

الجواب:

قد يجوز الاسترشاد برأى الكاهن فى التليفون فى مشكلة خاصة مما لا يدخل فى دائرة الاعتراف بالخطيئة بمعناه المحدود أو الضيق.

فمن كان على عجل، أو على أهبة سفر، أو ليس لديه وقت أو فرصة لمقابلة الكاهن شخصياً ليسأله عما إذا كان يجوز له أن يفطر فى يوم صوم بناء على تعليمات الطبيب، أو ليسأله عما إذا كان يجوز لقريب أو صديق أن يتزوج بالتوكيل، أو ليسأله ما إذا كان يجوز له أو لغيره أن يتعاطى جرعة من دواء أو حقنة منه قبل أن يذهب إلى الكنيسة ويتقرب من الأسرار المقدسة .. وما إلى ذلك من استشارات روحية أو كنسية.

فى تلك الأمور وفى نظائرها يجوز استشارة الكاهن تليفونياً إذا تعذرت مقابلته شخصياً.

أما الاعتراف بالخطيئة، فلا يكفى أن يباشره المسيحى بالتليفون.

ذلك أن الاعتراف بالخطيئة هو عنصر واحد من عناصر التوبة الأربعة، بل هو العنصر الأخير أو الحلقة الأخيرة من التوبة، وتسبقه عناصر ثلاثة: هى الندم والانسحاق القلبى، ثم العزم الصادق على تجديد السيرة، ثم الرجاء فى الخلاص ـ وبعد ذلك يأتى الاعتراف لله على يد الكاهن.

هذه العناصر الأربعة لابد أن تجتمع معاً فى التوبة الحقيقية، ومن دونها لا تكون توبة صادقة، ولا يكون الاعتراف مجدياً.. ولا يكفى التليفون للتثبت منها.

ثم أن الاعتراف ذاته يقوم على عناصر ثلاثة:

فهو أولاً: **شكوى النفس من النفس، ثم علاج، ثم حل**، ينطق به الكاهن بعد أن يتثبت من صدق توبة المعترف.

وإذا جاز أن يشكو الإنسان نفسه بالتليفون أو يتلقى بالتليفون إرشاداً من الكاهن ونصحاً وعلاجاً، فلا يكفى أن يتلقى بالتليفون الحل الكهنوتى، **لأن الحل الكهنوتى نُطق يلفظ به الكاهن لإنسان معروف، معين ومحدد، ولا يجوز أن يلقى به فى الهواء لإنسان مجهول، هارب من مواجهة الكاهن.** فالكاهن مسئول أمام الله مباشرة عن الحل الكهنوتى، لأنه لا يعطيه من عنده، بل من عند سيده. والكاهن لا يملك أن يمنح الحل كمصدر أصيل، ولكنه مجرد وكيل، مثله مثل أمين المخازن، أو مثل صراف البنك أو المصرف أو صراف البريد أو صراف الخزينة فى مصلحة حكومية أو شركة.. كل مبلغ يصرفه، لا يعطيه من ماله، ولكن من مال الدولة أو الشركة أو الهيئة، فهو ليس أصيلاً فى العطاء، لكنه وكيل، مجرد وكيل. وعلى الوكيل أن يتثبت من استحقاق كل من يتقدم إليه للمبلغ الذى يعطيه له، وإلا كان مسئولاً عن المبلغ المدفوع، بغير وجه حق، فضلاً عن تقصيره فى مقتضيات وظيفته ومتطلبات مهمته أمام الأصيل الذى ائتمنه على وظيفته ومهمته.

ولكى يطمئن المؤمن المسيحى على حفظ أسراره، فقد خولته الكنيسة الحق، فى أن يتخذ أميناً لأسراره، الكاهن الذى يطمئن هو إليه ويثق فيه. فإن الثقة يجب أن تتوافر فى الكاهن المعرّف الذى يسمع الاعتراف. ولهذه الثقة أهمية بالغة فى فائدة الاعتراف وجدواه. ومثل الكاهن فى ذلك مثل الطبيب. فكما أن المريض يتوجه بنفسه إلى الطبيب الذى يثق هو فيه، وعلى الثقة يتوقف العامل النفسى فى الشفاء، كذلك يجب أن تتوافر الثقة فى الكاهن الذى يسمع الاعتراف.

أما الخجل فلا يكون عائقاً عن المكاشفة. ألا يكشف المريض نفسه للطبيب ويعرى جسده أمامه، حتى يتمكن الطبيب من تشخيص المرض ووصف الدواء؟ وإلا كيف يمكن للطبيب أن يمارس مهمته لو خجل المريض من أن يعرى نفسه أمامه؟ هكذا يجب أن لا يخجل المؤمن التائب من أن يعترف بخطيئته أمام الكاهن أبى ذمته، ويكشف ذاته أمامه بلا خجل، حتى يتمكن الكاهن من أن يعرف علته، ويصف له الدواء، وأخيراً أن يمنحه الحل الكهنوتى بعد أن يتثبت من صدق توبته.

وبهذه المناسبة، وضماناً لعنصر الثقة، لا يجوز لكاهن حديث عهد بالرسامة الكهنوتية أن يسمع اعترافات المؤمنين ما لم يأخذ تصريحاً خاصاً من أسقفه بذلك.

فمجرد الرسامة الكهنوتية لا تبيح له مباشرة حق سماع الاعتراف، ما لم يعطه الأسقف نطقاً صريحاً يخوّل له مباشرة سماع اعترافات الشعب. وفى الأحوال العادية لا ينال الكاهن هذا الحق إلا بعد رسامته كاهناً بسنوات، يكون الكاهن قد أثبت فيها جدارة وكفاءة تخوّل له أن يتولى هذه المسئولية الخطيرة التى تتطلب أهليات ومواصفات.

٢٩ - لا يبيح الكاهن سر فتاة لخطيبها

سؤال:

،ما قولكم في فتاة عاملة سقطت أكثر من مرة في خطيئة الزنا مع رئيسها ثم ندمت وتابت واعترفت على الكاهن بخطيئتها وتيقنت من بشاعة جرمها ثم طلب يدها شاب متدين وهو يثق في أخلاقها ولا يعلم بأمر سقوطها مع رئيسها لأن الفتاة لم تحمل لاستخدامها حبوب منع الحمل. وقد عرضت الفتاة نفسها على الطبيب بأمل إجراء عملية ترقيع لغشاء بكارتها فأفتى الطبيب باستحالة العملية وعدم جدواها. فما موقف الكاهن إذا جاءه الشاب الذى يريد أن يخطب الفتاة علماً بأن الفتاة اعترفت على الكاهن بخطيئتها؟

الجواب:

أولاً - إن الكاهن كأب اعتراف وكاتم أسرار لا يمكن أن يبيح لا للشاب ولا لغيره بأمر هذه الفتاة وبأمر خطيئتها.

على أن الكاهن ينبغى أن يقنع الفتاة بأنها يجب أن تكون على استعداد لمصارحة الشاب الذى يطلب يدها بالأمر، حتى يكون الشاب على بينة بالموضوع قبل الزواج، وإلا فإذا اكتشف بعد الزواج أن فتاته ليست بكراً، فقد يتطور الأمر وقد تحدث نتائج ليس فى الإمكان التنبؤ بها. ومن الخير على كل حال أن يعلم الخطيب بموضوع الفتاة قبل الزواج بها حتى يكون على بينة من الموضوع.

ولابد للفتاة أن تواجه بأنه من الخير لها أن يعلم من يتقدم لطلب يدها بالأمر، ولابد أن تعرف أن من علامات التوبة الصادقة أن يكون التائب الحق على استعداد أن يتحمل نتيجة خطيئته ولا يهرب منها.

ويمكن أخذ تعهد على الشاب بعدم إباحة الأمر الذى سيُفضى به إليه قبل أن يصارح بموضوع الفتاة. ونحن لا ننصح بتاتاً بإنكار حقيقة موضوع الفتاة على الشاب الذى يتقدم لطلب يدها فإن للإنكار نتائج ضارة بعيدة المدى لجميع الأطراف على أن تقبل الفتاة أن تُصارح فتاها بخطيئتها التى تابت عنها لعله يقبل الزواج منها.

٣٠ ـ ننال الغفران بحق دم المسيح

سؤال من الآنسة س. ن. ب. .

إن مشكلتى هى عذاب من تأنيب ضميرى الذى يبكتنى على كل كبيرة وصغيرة. إنه يدعونى إلى التدقيق فى كل شئ، ويكاد يقتلنى الحزن والألم على كل خطيئة وعلى كل خطأ بحيث أعيش فى عذاب متصل. وعندما أذهب لمقابلة مرشدى فى الاعتراف، وأعود إلى البيت، وأرى أننى نسيت أن أعترف بخطيئة ما، يعاودنى الألم النفسى الممض، ويزاولنى الشك فيما إذا كنت قد نلت الغفران كاملاً، فهل هذا الشعور مجرد وسواس، وهل طريقتى فى الاعتراف خاطئة؟

الجواب:

إننا ننصح لهذه الابنة أن تضع سر الاعتراف فى مفهومه الصحيح باعتباره جزءاً من سر التوبة، وعنصراً من عناصر أربعة للتوبة الحقيقية. فالتوبة تقوم على أربع خطوات تكمل بعضها البعض:

وأولها ـ الندم على الخطيئة والانسحاق القلبى وتأنيب الضمير.

وثانيها ـ العزم الصادق على تجديد السيرة، وتصحيح المسيرة.

وثالثها ـ الرجاء فى الله والثقة فى أبوته الرحيمة وأنه يسر بعودة الخاطئ، ويفرح بخلاص الخاطئ وتوبته.

ورابعها ـ الاعتراف بالقلب والفم لله على يد الكاهن.

والتوبة نوعان:

توبة شاملة من كل الحياة الفاسدة والشريرة، ثم التوبة اليومية.

أما التوبة الشاملة فهى لمن سار فى طريق الرذيلة طويلاً، وشرد بعيداً عن الإيمان وعن الفضيلة.

وأما التوبة اليومية فهى توبة السائرين فعلاً فى طريق السماء. وهذه التوبة اليومية هى الناتجة عن مراقبة النفس كل يوم ومحاسبتها على أخطائها يوماً بيوم، والاستغفار عن كل

خطيئة وخطأ أولا بأول، ومواصلة العبادة ووسائط الخلاص من صلاة وقراءة فى الكتب الروحية، وصوم وتأمل واعتراف وتناول من الأسرار المقدسة.

وعلى المؤمن السائر فى طريق التوبة أن يتبين أن الغفران لا يتم باستحقاق الاعتراف، وإنما يتم باستحقاق دم المسيح فى سر القربان المقدس. إن بسر التوبة يعود الخاطئ إلى المسيح ويتوب إلى الله، ولكن سر القربان هو دم المسيح الذى فيه يغتسل الخاطئ التائب فينال غفران خطاياه. وليست التقوى والتدين وكل ضروب العبادة إلا أعمال طاعات ودلائل على احترامنا لله ولشريعته، لكن الغفران يناله الإنسان باستحقاقات دم المسيح فى سر القربان المقدس.

لذلك ثقى أيتها الابنة أنك طالما أنت لا ترتكبين خطيئة تمنعك من التقدم إلى سر القربان، فإن خطاياك الفعلية تغسل يومياً فى دم المسيح بسر القربان «ودم يسوع المسيح.. يطهرنا من كل خطيئة» (١ . يوحنا ١ : ٧)، (العبرانيين ٩: ١٤). إن الاعتراف بالخطيئة برهان على طاعتك للشريعة، ودليل على عدم تشبثك بها وعلى عدم تعلقك بها. فإذا نسيت أو سهوت عن ذكر خطيئة ما، فلا تنزعجى ولا يستبد بك الشك، طالما أن النسيان لم يكن بقصد إخفاء الخطيئة. فالكاهن عندما يمنح الحل الكهنوتى بعد الاعتراف، فهو يعطيه عن الخطايا المقترفة بعلم وبغير علم، عن الخطايا التى صنعت بالفعل أو بالقول أو بالفكر. ومما هو جدير بالذكر أن جميع الخطايا ينال الإنسان عنها الغفران ليس بحق الاعتراف بل بحق دم المسيح فى سر القربان. يقول الكتاب المقدس «أيها الأبناء إنى أكتب إليكم بهذا لكى لا تخطئوا. وإن أخطأ أحدكم فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفارة عن خطايانا. وليس عن خطايانا فقط بل عن خطايا العالم كله أيضاً» (١ . يوحنا ٢ : ١، ٢) فالغفران نناله إذن بحق دم المسيح «وليس بأحد غيره الخلاص» (أعمال ٤ : ١٢).

٣١ ـ هل يعترف الزوج أو الزوجة كل منهما للآخر؟

سؤال من أ. ن. م. بنى مزار.

يقول هل يعترف الزوج للزوجة، والزوجة للزوج، كاعتراف الإنسان لأب اعترافه؟ لقد استيقظت الساعة الرابعة صباحاً، وخطر لبالى أن أكتب لكم هذا السؤال.

الجواب:

إن الفرق هائل وعظيم بين اعتراف الزوج أو الزوجة كل منهما للآخر، وبين الاعتراف لله على يد الكاهن.

إن الاعتراف على يد الكاهن هو حلقة من حلقات سر التوبة، وهو من مراسم العبادة، وطقس دينى لينال به الإنسان غفران خطاياه بالحل الذى يتلوه الكاهن على رأسه بالسلطان الممنوح له من الله. كممثل للسلطة الإلهية. «لأن شفتى الكاهن تحفظان المعرفة، ومن فمه يطلبون الشريعة إذ هو ملاك (رسول) رب الجنود» ؟ (ملاخى ٢: ٧).

والاعتراف على يد الكاهن هو أولاً وبالذات **اعتراف لله على يد الكاهن**. ولذلك يلزم أن **يمارس فى الكنيسة ـ لا فى البيت ـ** إلا بالنسبة للمريض الملازم للفراش، **وينبغى أن يمارس بروح العبادة والخشوع والسجود.**

ثم أن الاعتراف على يد الكاهن **هو شكوى النفس من النفس لتعديها على الشريعة الإلهية.**

أما اعتراف الزوج للزوجة. واعتراف الزوجة للزوج، **فهو نوع من الاعتذار عن الخطأ أو الأخطاء التى ارتكبها أحدهما فى حق الآخر.. وهى عادة الأخطاء الظاهرة التى يعلم أن شريكه قد تأذى بها أو تألم منها.**

ولكن فى بعض الأحيان لا يكون من الحكمة أو من المفيد اعتراف الزوج أو الزوجة أحدهما للآخر بنوع معين من الأخطاء مما قد يخدش الصفاء الذهنى بينهما، أو قد يترسب فى ذهن أحدهما ويشكل سابقة لخلاف يشجر بينهما مستقبلاً أو قد يتخذه أحدهما سلاحاً ضد الآخر لو أنه حدث خلاف بينهما فى المستقبل.

وهذه هى بعض الأسباب فى أن يكون **الاعتراف على يد الكاهن**، ولا يكون على أشخاص آخرين إلا بالنسبة للخطأ الموجه إلى الشخص الآخر ليكون الاعتراف بمثابة اعتذار لتصفية الجو بين الاثنين إذا حدث بينهما خلاف أو شجار ظاهر. أما الاعتراف بخطايا الماضى أو الاعتراف بالمشاعر الحاضرة فإن الإفضاء بها قد يضر، وفى أغلب الأحيان يضر.

وبهذه المناسبة، نحن ننصح لكل من الزوج والزوجة أن يكون لهما أب اعتراف واحد: أى يكون أب اعتراف الزوج هو أب اعتراف الزوجة، ليكون التدبير الروحى لحياة الزوجين تدبيراً واحداً، فلا يكون انقسام فى التدبير. فإذا أصغى الكاهن لشكوى الزوج من نفسه يمكنه أن يوجهه التوجيه المناسب والنافع له ولكيان الأسرة، باعتبار أن الكاهن هو أب اعتراف الزوجة، ويعرف طباعها ونفسيتها، فيوجه الزوج توجيهاً بانياً ونافعاً لكيان الأسرة. وكذلك عندما يصغى الكاهن لاعتراف الزوجة وشكواها من نفسها يمكنه أن يوجهها التوجيه المناسب النافع لها ولزوجها ولكيان الأسرة باعتباره أب اعتراف الزوج ويعرف طباعه وصفاته، وبذلك يوجه الزوجة التوجيه البانى والنافع لها ولزوجها وللأسرة كلها.

بل إننا ننصح أن يكون **الكاهن الذى يرتضيه الزوجان معاً أباً لذمتهما، ومرشداً روحياً لهما معاً هو بعينه أن يكون أباً روحياً ومرشداً كهنوتياً لجميع أولاد الزوجين بنين وبنات، أى بلغة أخرى يكون هذا الكاهن الشيخ طبيباً للأسرة كلها بما فيها الأب والأم وجميع أولادهما ذكوراً وإناثاً**. إن فكرة الكاهن الواحد، أب الأسرة، وطبيب العائلة، فكرة روحية عملية فى غاية الأهمية.

وبهذه المناسبة أيضاً ينبغى أن يكون هذا الكاهن الشيخ من غير الرهبان أى من المتزوجين ممن له خبرة الحياة الزوجية حتى يمكنه أن يرشد ويوجه الأسرة التوجيه السليم. وهو المبدأ الذى سارت عليه الكنيسة الأرثوذكسية منذ الابتداء أن يكون الكاهن الراعى من المتزوجين لا من المتبتلين أو الرهبان، فالكاهن الراعى هو المناسب للافتقاد فى البيوت، وسماع الاعترافات. أما الكاهن المتبتل أو الراهب فيعفى من دخول البيوت، وسماع الاعترافات، وينقطع للصلوات والوعظ والتعليم والتدبير.

٣٢ ـ الرهبان يعترفون على الرهبان

سؤال من فتاة.

الجواب:

إجابة على أسئلتك بعد أن قرأت خطاباتك نفيد بالآتى:

أولاً: ـ إن من الخطأ الاعتراف على الرهبان. إن الراهب يعترف على الراهب. وفيما عدا هذا ليس للراهب أن يسمع اعتراف العلمانيين، لا الرجال ولا النساء.

إن كنيستنا الأرثوذكسية بها النظامان: نظام الكهنة المتزوجين ثم نظام الرهبان. **وآباء الاعتراف لجمهور المؤمنين فى العالم هم عادة من الكهنة المتزوجين.** أما الرهبان فإذا خدموا فى الكنيسة أو فى العالم فيعفون من سماع الاعترافات ومن افتقاد المؤمنين فى البيوت. وفيما عدا الاعترافات وزيارة البيوت، يمكن للراهب الكاهن أن يباشر الصلوات والقداسات.

لقد تكلمنا كثيراً، وكتبنا أيضاً فى هذا الموضوع: **أن الاعتراف يجب أن يكون على كاهن الرعية وكاهن الرعية هو الكاهن المتزوج.**

ثانياً: ـ من الخطأ أن تعرض على الكاهن فى سر الاعتراف أمور لا علاقة لها بالخطيئة. إن الاعتراف جزء من عملية التوبة، وهو آخر حلقة من حلقات التوبة.

فالتوبة:

أولاً ـ ندم على الخطيئة وانسحاق فى القلب بسببها، وتبكيت للضمير.

ثانياً ـ عزم صادق على تجديد السيرة.

ثالثاً ـ ثبات الرجاء فى المسيح يسوع بصفته الأب والراعى الذى من يقبل إليه بتوبة صادقة يقبله ولا يطرده.

رابعاً ـ الاعتراف لله على يد الكاهن.

والاعتراف:

أولاً: شكوى النفس من النفس.

ثانياً: علاج وتأديب.

ثالثاً: منح الحل بالغفران إذا تبين الكاهن صدق توبة تلميذه أو تلميذته.

والآن أيتها الابنة الشابة انصح لكِ بالآتى:

أولاً - لا تيأسى من رحمة الله. فهناك دائماً طريق للخلاص مادامت هناك توبة، ورغبة فى الخلاص، واستعداد حقيقى للخلاص، وعزم صادق على عدم العودة إلى الخطيئة ومسبباتها، ومادام لديك استعداد لأن تتحملى نتائج الخطيئة باتخاذ خطوات عملية إيجابية للخلاص، وللعودة إلى تصحيح المسار، والسير من جديد فى طريق السماء. إنى أنصح لكِ بأن تمارسى الصوم الانقطاعى وبعد ذلك أن تأكلى طعاماً نباتياً غير مقلى بالزيت، وأن تؤدى عدداً من المطانيات الكاملة كل يوم.

ثانياً - إنه يمكنك أن تتحولى إلى إنسانة فاضلة طاهرة، وأن تسلكى فى طريق الخلاص وسبيل المخلصين.

إننى أشكر الله من أجل أن ضميرك حىّ، وإن النعمة لم تفارقك، والدليل على ذلك هو عدم الرضى فى نفسك عن نفسك، واهتمامك بالسؤال، ورغبتك فى أن تستردى حياة العشرة مع الله.

ثالثاً - اتخذى لك أب اعتراف لا من الرهبان، فهذا لا يجوز إطلاقاً، ولكن ينبغى أن يكون شيخاً معروفاً بروحانيته وبعلمه وبحذقه فى فن قيادة النفوس.

رابعاً - ضعى فى اعتبارك أن تتقدمى إلى سر التناول مرة كل أسبوعين، ما لم يكن هناك مانع روحى أو جسدى.

خامساً - عودى إلى الصلاة وإلى قراءة الكتاب المقدس بانتظام (فصلاً واحداً أيام الدراسة) وقراءة صفحتين مثلاً فى كتاب روحى أو من سير القديسين.

سادساً - اطلبى دائماً خلاصك الأبدى، وأن يكون لك نصيب مع القديسين فى السماء وأن تسيرى فى حياتك كإنسانة عابرة فى طريق الأرض فى رحلة نهايتها الحياة الأخرى فى فردوس النعيم وملكوت السماوات.

٣٣ ـ لماذا لا نعترف على الله رأساً مكتفين من الكاهن بالحل الكهنوتى؟

سؤال من أحد المسيحيين:

ألا يحق لنا أن نحتفظ بما عندنا من أسرار معترفين لله رأساً، مكتفين من الكاهن بسلطان الحل أو الربط أى قراءة التحليل، لاسيما وأن الإنسان لا يمكنه أن يعرف الكاهن التقى من غير التقى؟

الجواب:

لقد أباحت القوانين الكنسية للمؤمن أن يبحث عن كاهن خبير درب حاذق، وأن لا يلجأ إلا لمرشد ثقة يجد فى قوله غناء، وفى علاجه شفاء، وقد اشترطت فيه غير ذلك أن يكون: وقوراً، عارفا بالشريعة عالماً بأدواء النفوس، وأن يكون شيخاً متقدماً فى السن. يقول يشوع بن سيراخ. «ما أجمل القضاء للشيب وحسن المشورة للشيوخ. ما أجمل الحكمة للشيوخ، والرأى والمشورة لأرباب المجد. كثرة الخبرة إكليل الشيوخ، ومخافة الرب فخرهم» (يشوع بن سيراخ ٢٥: ٧، ٨).

وقد صار التقليد فى كنيستنا على أن لا يسند حق مباشرة سر الاعتراف لكل كاهن، وإنما لمن تتوافر فيه هذه الشروط، فيصدر له الأسقف راعى الإيبارشية تخويلاً بهذا، وقد اطلعنا أحد الآباء الكهنة فى إحدى مدن الصعيد على خطاب من أسقفه يخوّل له حق مباشرة سر الاعتراف بعد سيامته كاهناً بعشرين سنة. وذلك لأن الكاهن الأكبر سناً الذى كان يتولى مهمة سر الاعتراف فى هذه البلدة، قد انتقل إلى العالم الآخر، فكان لابد للأسقف أن يعين من يخلفه فى هذه المهمة، فبعث هذا الخطاب إلى أكبر كاهن فى البلد بعد ذلك الذى توفاه الله، وهو هذا الذى أطلعنا على خطاب الأسقف المشار إليه.

أما عن الاعتراف وهل يجوز أن يكون اعترافاً على الله فقط، فيتضح الجواب عليه من مراجعة هذه القضية على ضوء حوادث الكتاب المقدس، فلقد قرأنا كثيراً عن اعترافات على أيدى الكهنة والأنبياء والرسل.

فعخان بن كرمى اعترف على يد يشوع بن نون وأقر بأنه سرق رداء شنعاريا نفيساً ومائتى شاقل فضة ولسان ذهب، عندما سأله يشوع قائلاً: «يا ابنى اعطِ الآن مجداً للرب إله إسرائيل، واعترف له (١) واخبرنى الآن: ماذا عملت. لا تخف عنى» (يشوع ٧: ١٩). وهكذا اعترف داود الملك على يد ناثان النبى حين أقر بخطيئته (٢ . صموئيل ١٢: ٧- ١٤)، وهكذا كان يفعل كل إسرائيلى يخطئ فإنه كان على ما فرضته الشريعة وأمر به الله، يقر للكاهن بخطيئته (اللاويين ٦: ٥ - ٧)، (التثنية ٢٦: ٣) فيحدد له الكاهن الذبيحة الملائمة للتكفير عن خطيئته، ثم أنه يقر بخطيئته أيضاً على رأسها قبل أن تذبح وتحرق، فإذا لم يكن ثمة اعتراف بالخطيئة فكيف كان يمكن للكاهن أن يحدد له الذبيحة المناسبة ليكفر بها عن خطيئته؟

وأما فى العهد الجديد فهكذا كان يفعل اليهود حين أتوا إلى النبى يوحنا المعمدان واعتمدوا منه فى الأردن معترفين بخطاياهم (متى ٣: ٦) ومن ثم ينص لهم بالآداب التى يجب أن يلتزموا بها من توبة وندامة وعمل صالح (متى ٣: ٧ - ١٢)، (لوقا ٣: ٧ - ١٤). وبالمثل فعل الذين آمنوا بالمسيح مع الرسل الأطهار. وكان الذين آمنوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم، وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع (أعمال ١٩: ١٨، ١٩). ولقد سأل القديس بطرس رجلاً وامرأته (حنانيا وسفيرة) عما فعلاه، وقد كان هو بذاته يعلم من قبل الروح القدس بحقيقة سرقتهما واتفاقهما معاً على الشر، ولكنه أراد أن يمهد لهم بسؤاله فرصة الاعتراف بخطيئتهما، فلما أصرا على النكران سخط عليهما فنزل عليهما عقاب الموت فى الحال (أعمال ٥: ١- ١١) «لأن من يكتم خطاياه لا ينجح ومن يقر بها ويتركها يُرحم» (أمثال ٢٨: ١٣).

فلابد من الاعتراف لله على يد الكاهن، لا على الله فقط، لأن الله يعلم بقلوبنا. فليس بعد الاستغفار لله اعترافاً بالمعنى الدقيق، إذ الاعتراف معناه التصريح والإفصاح، وأن الله قد كان يمكنه فى شتى شئوننا الروحية أن يجعل صلته بنا مباشرة ولكنه لم يفعل ذلك بل إنه على العكس أراد أن يجعل للبشر سلطاناً على البشر، وأن يشعرنا بحاجتنا إلى ذوى المؤهلات والسلطان فينا لنتضع ونتحكم وننتفع ببعضنا بعضاً ، ولو أراد غير ذلك لما أرسل ملاكاً إلى كورنيليوس يخبره بأن يستدعى إليه سمعان بطرس فيخبره بكلام يخلص به هو وأهل بيته. فرجل تقى

---

(١) يلاحظ أن الاعتراف لله غير الاعتراف على الله - فالاعتراف لله هو تمجيده وحمده (راجع الكتاب المقدس ذى الحواشى).

يظهر له ملاك من السماء ينبئه بأن صلواته وصدقاته قد قبلت ثم يصمت فلا يرشده إلى الخلاص بنوع من الإرشاد المباشر، بل يضطره إلى استدعاء القديس بطرس، يظهرنا على سياسة الله فى كنيسته بأن مواهب الروح القدس وبركات السماء قد أعطيت لأشخاص وكّل إليهم أن يوزعوا على آخرين كما فعل الرب فى معجزة الأرغفة الخمسة، وهكذا افتقر فى القديم إبراهيم خليل الله إلى أن يحنى هامته لملكى صادق فيباركه لأنه كان كاهناً لله العلى (التكوين ١٤: ١٨ – ٢٠)، (عبرانيين ٧: ١ – ٧).

هذا وإن الاعتراف فى حقيقته شكوى، ثم علاج ثم غفران. أما الغفران فيناله التائب بتصريح الكاهن الذى وهب له السلطان أن يغفر الخطايا ويمسكها فينفذ صوته إلى السماء، ويثبت الرب من فوق ما يجريه الوكيل الأمين على الأرض «ويؤيد السيد رأى العبيد» كما يقول القديس يوحنا الذهبى فمه.

ولكن هذا الحل الكهنوتى والنطق بالغفران خطوة أخيرة تسبقها خطوات: من ندامة وانسحاق قلب، وعزم على تغيير السيرة وتجديد الذهن يختبرها الكاهن فى التائب بمناقشته واستخباره وإعطائه إرشادات ونصائح عملية وتدريبات روحية تعرف اصطلاحياً بالتأديبات الكنسية، فإذا ثبت للكاهن صدق توبته علم بأنه مقبول أمام الله فيسمعه التصريح السمائى بأنه محلول من دائه ، مغفورة له خطاياه، وأنه يمكنه أن يتقدم إلى سر التناول.

وإذن فالاعتراف غايته الغفران، ولكن لابد فيه من الشكوى، شكوى الخاطئ من نفسه. وفى الشكوى مرارة ولوعة، والتائب الحقيقى من يشعر باستحقاقه لهذه المرارة وهذه اللوعة، بل ويحس بنوع من الانتقام لنفسه من نفسه، فترضى بذلك نفسه لأنه أدبها فأحسن تأديبها، ولذلك يعينه الكاهن فى هذا السبيل بأنواع من الواجبات والتكاليف يتممها ليقهر بها شهواته ويخضع أهواء قلبه.

٣٤ - عالجى النسيان بالكتابة

سؤال من فتاة.

الجواب:

من جهة شعورك بتفاهة نفسك وصغرك، هذا شعور نافع لأنه يقودك إلى الطموح وإلى تكميل نفسك وتصحيح أخطائها، وهذا خير لكِ من الغرور والعجب بالذات. فاستغلى هذا الشعور لبناء شخصيتك المستقبلية.

ومن جهة نسيانك لما يجب أن تقوليه لأب الاعتراف، استحسن أن تجمعى أفكارك قبل الاعتراف وتدونى فى ورقة صغيرة النقاط التى تريدين أن تتحدثى بها إلى أب الاعتراف. علما بأن الاعتراف فى حقيقته هو شكوى النفس من النفس. لذلك تجنبى أن تشكى فى الاعتراف أحداً آخر.

٣٥ - الفرق بين سلطان المسيح فى الغفران والسلطان الممنوح للكهنة

سؤال: ما الفرق بين سلطان المسيح على غفران الخطايا، وبين السلطان الممنوح للكهنة لغفران الخطايا وإمساكها؟

الجواب:

إن الكهنة لا يمارسون الغفران بسلطان أصيل، لكنهم بصلواتهم على رأس التائب يلتمسون له الغفران. وإذا نطقوا بالغفران فبتفويض من المسيح، صاحب السلطان الأصيل.

ومثال الحالة الأولى قول القديس بولس الرسول «ليرحم الرب بيت أونيسيفوروس.. **لينعم عليه الرب أن يجد رحمة من لدن الرب فى ذلك اليوم**» (٢ . تيموثيوس ١ : ١٦، ١٧)...

ومثال الحالة الثانية قول ناثان لداود الملك بعد أن اعترف داود بخطيئته على يديه وقال قد أخطأت إلى الرب، قال ناثان لداود: «**الرب قد نقل خطيئتك عنك، فلا تموت**» (٢ . صموئيل ١٢ : ١٣).

ومن ذلك يتضح أن القديس بولس الرسول لم يجرؤ على أن يمنح الغفران لأونيسيفوروس، وإنما صلى وطلب من أجله لعل الله يمنحه الغفران. كما أن ناثان النبى لم يجرؤ على أن يمنح الغفران من عنده للملك داود، وإنما نسب ذلك إلى الله (**الرب قد نقل خطيئتك عنك، فلا تموت**).

وكذلك يصنع الكاهن بعد أن يسمع اعتراف المعترف، ويلتمس منه الحل الكهنوتى، فيصلى الكاهن عنه، ويقول فى صوت واضح «**اللهم انعم علينا بغفران خطايانا**. باركنا، طهرنا، حاللنا، وحالل عبدك (فلان)، وقومنا إلى إرادتك المقدسة الطوباوية..» ثم يقول المعترف: أخطأت حاللنى يا أبى، فيجيبه الكاهن قائلاً: «**الرب يحاللك (أى) فليغفر لك الرب**»!

بهذا المفهوم نفسر سلطان الحل والعقد الذى منحه المسيح له المجد لتلاميذه ورسله عندما «نفخ فى وجوههم، وقال لهم: اقبلوا روح القدس، من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم، ومن أمسكتم عليهم خطاياهم تمسك عليهم» (يوحنا ٢٠: ٢٢، ٢٣).

فالرسل والكهنة من بعدهم لا يغفرون خطايا المؤمنين بسلطان أصيل، ولكنهم ينطقون بالحل الكهنوتى كوكلاء أسرار الله (١. كورنثوس ٤: ١)، (٩: ١٧)، (تيطس ١: ٧).

أما المسيح له المجد فهو صاحب السلطان الأصيل فى غفران الخطايا، فإذا منح الغفران، منحه بصفته كائناً مع الآب، وفى الآب، ومالكاً لكل ما للآب، وفيه يحل الملء كله (كولوسى ١: ١٩). «أى أن الله كان فى المسيح» (٢. كورنثوس ٥: ١٩). «فإنه فيه يحل كل كمال اللاهوت جسدياً» (كولوسى ٢: ٩).

٣٦ - اصمدى ولا ترجعى إلى الوراء

سؤال من فتاة:

الجواب:

لقد قرأت يا ابنتى خطابكِ، وعرفت موضوعك وإنى أشكر الله معك على الانتقال الذى انتقلتهِ فى عشرة غنية وخصبة مع الرب فى كنيسته المقدسة. وجميل أن تشعرى بالفارق بين حياة بعيدة عن المسيح وحياة أخرى فى المسيح.

الآن أنت تصلين وتصومين وتقرأين فى الكتاب المقدس والكتب الروحية، ولكِ أب اعتراف، وتتقربين من الأسرار المقدسة فى فترات متقاربة.

أما عن القصة التى رويتها فى خطابك وأنت فى السنة السادسة الابتدائية، فقد كنت وقتها طفلة ربما لم يكن لك الإدراك الكافى لبشاعة هذا الخطأ. ولكنك لم تذكرى إذا كان الولد الذى يكبرك قد اعتدى عليك بالكامل، وهل فقدت بذلك بكارتك.

على كل حال، فما دمت قد تنبهتِ إلى هذه الخطيئة وأنتِ نادمة عليها، حزينة بسببها، وتسألين الغفران عنها، فاعترفى بها للكاهن، واذكرى له ظروفها لتنالى الحل، فيطمئن قلبك إلى الغفران الكامل عنها وعن غيرها من الخطايا التى ارتكبتها فى الماضى قبل توبتك، وتحوّلك.

على أن أنصح لك أن لا تنتظرى عودة أب اعترافك مادام مسافراً، حتى لا تتأخرى عن التقدم للأسرار المقدسة. يمكنك أن تتخذى كاهناً آخر أباً بصفة مؤقتة إلى حين عودة أبيك الأول.

أما اتجاهاتك الرهبانية، فينبغى أن تمتحنى نفسك عنها جيداً وتفحصى ذاتك مع الصلاة الدائمة حتى يكشف الرب لك حقيقة استعداداتك، وحتى لا تكون نيتك نحو الرهبنة فورة عاطفية لفتاة صغيرة لم تمتحن نفسها كما ينبغى.

وجميل أن تذهبى إلى الدير لخلوة صغيرة تكون بمثابة امتحان لرغبتك واستعدادك.

تشجعى، يا ابنتى، وسيرى فى طريق الخلاص ولا تعودى إلى الوراء، واثبتى على الطريق، وكونى فرحة بالرب الذى قبل توبتك، وهيأ لكِ وسائط الخلاص.

٣٧ ـ فى الاعتراف لا يشكو المعترف غير نفسه

سؤال : من فتاة شكت أختها إلى الكاهن وهى تعترف على يد الكاهن.

الجواب :

لقد أخطأتِ بشكواكِ من أختك. واعلمى أن فحوى الاعتراف هو شكوى النفس من النفس لا شكوى النفس من الناس. أما إذا أردت الشكوى من أختك، فأنت فى هذه الحالة تلجأين إلى الكاهن ليصالح بينكما، وحينئذ يستحضر أختك أمامك ويناقش معكما أسباب الشكوى، ليصالح بينكما. أما فى سر الاعتراف فشكواك ينبغى أن تنحصر فى نفسك، ومن نفسك، لا من أختك.

٣٨ ـ هل يعترف بالخطايا الماضية ؟

سؤال من أحد الشباب: عندى بعض الخطايا فعلتها منذ طفولتى ولم أعترف بها وقت فعلها، ولكنى تذكرتها الآن. فهل ممكن وجائز الاعتراف بها الآن على يدىّ أبى الكاهن أم هل ممكن أن أصلى إلى الله من أجلها وأكتفى بذلك؟

الجواب :

يجب أن تعترف للكاهن بكل خطيئة فعلتها طالما أنك لم تعترف بها من قبل مهما مضى عليها من زمن. ولا يزعجك الشك فى صدق توبتك الأولى إذا كنت قد غفلت عن ذكر خطيئة فى أثناء اعترافك وكان اغفالها من غير عمد. فإن الله الذى يفحص نواياك يعلم بصدق لهجتك وخلوص طويتك وإنك نادم بالحقيقة ومعتزم الرجوع إلى طريق الكمال من كل قلبك، وأنك لم تخبئ خطيئتك عن أب الاعتراف عن إصرار وتمنع بل لقد كنت على استعداد أن تعترف بها لو كنت قد تذكرتها. ولكن نسيانك للخطيئة أثناء الاعتراف لا يبرر عدم العودة إلى الاعتراف بها عندما تتذكرها، لئلا يحتسب ذلك منك استهتاراً بالخطيئة التى فعلتها.

نعم يجب أن نعترف حتى نؤدب أنفسنا على نسيانها فلا نعود إلى النسيان أو إلى الميل إليه، وحتى نزداد رقابة على أنفسنا فنكتسب بذلك عادة السهر واليقظة وفضيلة التدقيق عملاً بقول الرسول: «فتنبهوا لتسلكوا بالتدقيق لا كأناس تعوزهم الحكمة بل كأشخاص حكماء» (أفسس ٥: ١٥).

٣٩ - دور الكنيسة في ميدان الصحة النفسية

الدين عموماً وهب للإنسان لا للحيوان، وهب له ليصير به أفضل مما يكون بدونه. فهو إذن هبة من الله لخير الإنسان، يعينه على الحياة السوية التى يبلغ بها إلى التحقق من الغاية من وجوده الحى الناطق العاقل. فهو ليس قيداً على حريته، وإنما هو الحق شكيمة للحيوان الكامن فيه والذى يشده بعيداً عن الهدف من وجوده الناطق. وهذه الشكيمة فى يده ومعه، خير له ومعوان للأنا الأعلى ليحفظ به توازنه، فلا يتردى فى هاوية تنزل به عن مستوى وجوده العاقل.

والإنسان هو الكائن الوحيد بين مخلوقات الله الذى ينفرد بهذا التركيب الغريب، من عنصر سماوى وهابط من علٍ، هو الروح التى خلقت على صورة الله ومثاله، ومن عنصر أرضى من تراب الأرض أخذ وهو البدن أو الجسم. وبطبيعة هذا التركيب صار الإنسان محطاً لصراع بين قوة هابطة من فوق تشده إلى أعلى من حيث جاءت، وقوة من تحت تشده إلى أسفل، إلى الأرض التى منها أخذ بدنه. وفى نظر الدين ليس خطأ أن تشتهى الروح ما للروح فهى تنهل من مصدرها الطبيعى. وليس خطأ أو شراً للجسد أن يشتهى الترابيات والحسيات والماديات لأنه من تراب الأرض أخذ. لكن الخطأ هو أن تنحدر الروح مع الجسد وتستسلم لقيادته، فيهوى بها معاً ليغترفا معاً من الترابيات والحسيات بغير ضابط وتنسى الروح ذاتها وتتلهى مع البدن فى شهواته ومطامعه، وتفقد معرفتها بأصلها ومنبعها ووظيفتها ونسبتها إلى العالم العلوى الذى منه هبطت وإلى العالم السفلى الذى إليه نزلت. ولما كانت الروح فى حقيقتها من الله فلن تجد راحتها الحقيقية إلا فى الله. ومهما تلهت بالحسيات والماديات وشهوات البدن الترابية فلن تشعر بشبع حقيقى يسد جوعها ويروى ظمأها، بل فى جهلها تنهم من شهوات الحواس البدنية ما وسعها، ومع ذلك لا تشبع ولا ترتوى، بل تظل جائعة ظمأى لأنها أكلت من غير طعامها وعبت شراباً ليس هو شرابها، فيدركها القلق وتصير نهباً لألم داخلى، سره شعورها بأنها غريبة فى غير بلدها، وبأنها تائهة شاردة لم تجد طريقها الحقيقى، وإنما ضلت السبيل، وسارت فى طريق مسدود لم يؤد بها إلى الغاية التى تسعى أصلاً إليها، وإلى الهدف من أصل وجودها فى البلد الذى هبطت إليه.

هذا هو سر الصراع الحقيقى فى هذا الكائن العجيب الذى ما زال مجهولاً، والذى نسميه الإنسان، الذى يعذبه التعارض والتناقض والتنازع بين الدوافع المتعارضة التى تبعثر قوى النفس، وتفتت وحدتها وتهد كيانها الواحد، فيصير اشلاء متناثرة، فتئن من ألم هذا الصراع،

وتصرخ بالقلق والاضطراب، ولن تجد راحتها وسلامها إلا إذا عاد كل عضو منها إلى موضعه الطبيعي، وتستكمل وحدتها وتناسقها وتكاملها. ولن يكون هذا ما لم ترتد الروح إلى فهم ذاتها، ومعرفة طبيعتها، والاهتداء إلى أصلها ومنبعها، والتعرف على الغاية من وجودها، وتفهم وظيفتها ونسبتها إلى البدن وهو زميلها في رحلة الحياة الدنيا، وتعرف أنها بطبيعتها ووجودها هي العنصر الأسمى والأعلى، هي التي تقود البدن وتشده برفق وبغير عنف، فهي القائد لا المقود، وهي السائق لا المسوق، وهي التي تأخذ بيده لتدخله معها إلى عالمها، فيستنير بها إلى آفاق أعلى من وجوده الطبيعي الترابي، فيرتفع فوق الطبيعة ويسمو فوق المادة، ويصير متحداً بالروح منسجماً معها في الغاية والهدف، فيصلان معاً متزاملين إلى غاية تتناسب مع غاية الطبيعة في وجود هذا الكائن الإنساني الذي قصد الله بوجوده أن يكون على مثال خالقه سيد الطبيعة وإله العالم، خالقاً أيضاً وخلاقاً أيضاً، مستشرفاً على المادة، سامياً رفيعاً، ينفث في الدنيا من روحه وطبعه، يحيلها إلى وجود حيّ له معنى وله مغزى، دافق بالحياة والحركة والخلق والنمو المتصل إلى غير نهاية.

هذا هو الدين وهذه هي رسالته إلى الإنسان، يعرفه بنفسه ويعينه على نفسه ضد نفسه، ويقربه إلى نفسه التي بعد عنها تائهاً في متاهات بعيدة لن يجد فيها راحته. رسالة الدين أن يعرف الانسان بنفسه، فيفهمها ويفهم ما فيها من خير، ومن شر، ويعرف مصدر الخير فيها وعلته ومصدر الشر فيها وعلته. وهذه المعرفة هي التي تقوده إلى أن يرد كل شئ إلى أصله، ويربط المسبب بالسبب والمعلول بالعلّة، وبالتالي يفهم دوافعه وبواعثه وأهدافه وغاياته، ويتعرف على قوى نفسه وضعفاتها. وهذه المعرفة ضرورية ومهمة ومفيدة لأنها تحل ما تشابك في نفسه وما تعقد فيها، وأمسى التعقد والتشابك علة لأمراضه ومتاعبه.

وهنا يجئ دور رجل الدين المسيحي، فإنه يعين الفرد على فهم نفسه. فالإنسان عادة لا يعرف ذاته على حقيقتها، وحتى لو كان من طراز المستبطنين لنفوسهم فإنه قلما يزن نفسه بميزان دقيق، لأنه غالباً ما يتحيز لها ويعطف عليها ويدللها. فهو لذلك يكون أصدق في حكمه على غيره من حكمه على نفسه. ولهذا أيضاً يحتاج إلى غيره ليعينه على نفسه، ويشاركه في علاجها وحسن قيادتها. وهذا هو عمل رجل الدين المسيحي. إن الكاهن في المسيحية ليس هو مجرد واعظ يدعو إلى التقوى بالموعظة الحسنة. وليس هو مجرد مصلح اجتماعي ينادي بالمبادئ الدينية الرفيعة والمثل العليا يشرحها ويفسرها ويبرهن على سلامتها وقوتها للنفس

البشرية. لكنه فوق هذا كله، طبيب يقوم بدوره الحقيقى فى سر الاعتراف عندما يخلو إليه المؤمن ويعالجه على انفراد. وفى سر الاعتراف شفاء للنفس المتعبة، علاج خاص مبنى على الفروق الفردية بين إنسان وآخر. من هنا كان دور الكنيسة مزدوجاً: دور يؤديه الكاهن على المنبر، ودور آخر لا يقل أهمية عن دور المنبر وهو كرسى الاعتراف. على المنبر توعية عامة ونصح وإرشاد وتوجيه وشرح وتفسير وبيان وتعليم ودرس عام ينتفع به أكبر عدد ممكن من الناس، يتعلمون فيه قضايا عامة تناسب الإنسان بصفته إنساناً خلق على صورة الله ومثاله. ولابد أن يكون هذا النوع من الوعظ مفيداً للناس جميعاً ولكل فرد، يأخذ منه ما ينفعه ويبنيه وما يصحح مفهوماته، ويزرع فيه مفهومات جديدة تغاير مفهوماته الأولى أو تباينها أو تكملها أو تتفاعل معها. وفى هذا النوع من الإرشاد العام يتقارب الناس ويجتمعون شيئاً فشيئاً على وعى دينى وحضارى واجتماعى وإنسانى يجعلهم أقرب إلى الله وإلى المثل العليا التى رسمها لهم رجل الدين بما يأخذه من الكتب المقدسة وسيرة السلف الصالح من القديسين والصديقين.

ومهما يكن من شأن الأمور التى يلتقى فيها الناس، ومهما كان من دور رجل الدين فى توعية عامة تصير الإنسان بصيراً بطبيعته الإنسانية وبالمثل العليا التى ينبغى أن يترسمها الإنسان فى سبيل بلوغ الكمال والمثل الأعلى. إلا إن بين الناس فروقاً فردية، وفى نفس كل إنسان متاعب ومشكلات لا يقوى على حملها منفرداً، ولا يجرؤ أحياناً على أن يكاشف بها قريباً أو صديقاً مهما بلغ من قرابته إليه. لذلك فإن سر الاعتراف نافع جداً لأن فيه يمكن أن يفضى الإنسان إلى رجل الله، إلى رجل الدين، بما لا يقوى على أن يفضى به حتى إلى أبيه أو أمه أو أخته أو زوجته أو إلى أحد آخر. وفى سر الاعتراف عناصر ثلاثة: فيه أولاً شكوى، وفيه علاج، وفيه غفران. أما الشكوى فهى شكوى النفس من النفس وفيها يفرغ المعترف متاعبه، ويتقيأ آلامه، وينفّس عن نفسه. ويجد فى الكاهن الأب الحنون الذى يصغى إليه فى اهتمام واشفاق. وحتى إذا لم يكن الشخص نفسه أى المعترف يجيد الشكوى أو يعرف أمراضه وعلله، يشجعه الكاهن على شكواه بإنصاته إليه، وحتى لو لم يعط الكاهن للمعترف علاجاً، يكفيه أن يكون مجيداً لفن الإصغاء. فالإصغاء باهتمام إلى المريض يريحه ويخفف عنه ويهدئ من روعه، ويشعره أنه يجد قلباً حنوناً يرعاه ويعطف عليه، ويتعاطف معه، ويشاركه آلامه، ولو بالإصغاء إلى شكواه. وأما العلاج فيقوم به الكاهن المعرّف على مرحلتين - مرحلة التشخيص للمرض، ومرحلة وصف العلاج- أما التشخيص فيتوصل إليه الكاهن نتيجة الإصغاء لشكوى المريض

باهتمام مع محاولة ربط المرض بعلته. وهنا تفيد الكاهن خبرته وحنكته فى معرفة أدواء النفوس، كما يفيده كذلك استنباطه من شكوى المريض ما يعينه على معرفة علة المرض. وبتوجيه أسئلة جديدة يمكن أن يكشف بها ما لم يستطع المريض أن يكشفه من تلقاء ذاته. فإذا شخص الكاهن الداء وصف الدواء مما يعلمه من الكتب المقدسة، ومما درسه فى الكلية الإكليريكية اللاهوتية، ومما حصله من قراءاته ودراساته وخبراته الشخصية، وفى علاقاته مع الناس. والعلاج إما أن يكون نصحاً خاصاً وتوجيهاً وقيادة واعية، وإما أن يكون تدريبات دينية أو واجبات روحية أو ممارسات عملية يطلبها منه الكاهن. فإذا رآه متجاوباً مطيعاً ويتحقق من أنه قد انتفع بما قدمه له من نصائح وتدريبات استدل من كل ذلك على صدق توبته وعلى حسن استعداده لإصلاح سيرته، فيمنحه نطقاً كنسياً يطمئنه على أن توبته صادقة، وبالتالى مقبولة أمام الله ويصلى عنه ومن أجله يطلب له العون ليسير قدماً فى طريق النصرة والحياة الفاضلة الناجحة.

على أن الكنيسة تضيف إلى هذا كله وسيلة أخرى فى سبيل قيادة النفس البشرية وتقدمها وبنائها. وهذا هو توجيه التربية منذ الطفولة المبكرة. فالكنيسة تضع على الوالدين عند المعمودية مسئولية تربية ولدهما تربية مسيحية سليمة، وتأخذ عليهما التعهدات والضمانات، وتنذرهما بالعقوبة الأبدية التى تنتظرهما إذا هما أهملا هذا التعهد ولم يرعيا ولدهما بكل الرعاية المطلوبة للروح والنفس والعقل والبدن. ولا تتركهما عند هذا الحد بل الكاهن يجعل من أهم واجباته زيارة العائلة زيارة دورية، فضلاً عن المناسبات الطارئة. وفى زيارته يفحص وينذر ويدرس ويسأل ويتقصى عن كل ما يختص بالأسرة فرداً فرداً، ويلمس بنفسه احتياجاتهم، ويتعرف على مشاكلهم، ويكشف تقصيراتهم فى واجباتهم الدينية، ويقف على أخبارهم من كل الوجوه، فيتدخل بالنصح والإرشاد والتوجيه، ويعرف احتياجاتهم المادية ومشكلاتهم المعاشية، ويعاونهم على حلها بطريقة فردية أو جماعية. ومنذ أقدم الأيام عرفت الكنيسة ما علمه إياها السيد المسيح مؤسسها من أن واجب الكنيسة لا ينحصر فى أن تعلم وترشد وتنصح فقط، ولكن أن تطعم الجائعين وتكسو العراة، وتعاون فى حل المشاكل الاجتماعية، لذلك كانت منذ الابتداء الملاجئ والمستشفيات والمستوصفات ودور الإيواء إلى جانب دور العلم من رسالة الكنيسة، تدعو إليها، وتحث عليها، وتوحى بانشائها. وبهذا تسد الكنيسة فراغ الإنسان فى الروح والعقل والبدن وبعبارة أخرى إنها تعنى منذ الابتداء بالصحة النفسية وبالصحة البدنية.

٤٠ - التوبة وما بعد التوبة

سؤال من ت. ن.

الجواب:

رداً على خطابكِ لسنة ١٩٨٠، نقول إنه طالما أنتِ قد ندمتِ على الخطيئة من كل قلبك، وعزمت عزماً صادقاً على عدم العودة إليها، واعترفت لله على يد الكاهن، فكن مطمئناً إلى قبول الله لتوبتك، ولا تعد للتشكك فى هذا، فالرب يقول «من يقبل إلىّ لا ألقى به خارجاً» (يوحنا ٦: ٣٧) والمعنى أن من أقبل إليه بتوبة صادقة، فلن يعود الرب يذكر له خطاياه، فقد محيت وصار قلبك من هذه الجهة أبيض. قال الرب «إنه ولو كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج، ولو كانت حمراء كصبغ الدود تصير كالصوف» (إشعياء ١: ٨).

على أن ما يتعب الإنسان بعد توبته هو آثار الخطيئة فى نفسه وفى جسده، خصوصاً خطيئة الجسد. فقد يترسب الميل إلى الخطيئة والانجذاب نحوها بالخبرة والذكريات السابقة، وما تتركه العادة من شدّ وجذب إليها. لذلك يلزمك بعد التوبة أن تقاوم الميل والذكريات وأثر العادة القديمة، بأن تهرب من المثيرات والأماكن والأشخاص الذين يجلبون لك تلك الذكريات والإثارات. واحرص على القراءة فى الكتاب المقدس والكتب المفيدة التى ترفع مستواك الفكرى، وتعطيك مادة حلوة وجميلة للتفكير، وللصلاة. واملأ وقتك بالعمل والأنشطة التى تسحب كل طاقتك الفكرية والعصبية لما يبنيك روحياً وذهنياً وعقلياً.

٤١ ـ هل بعد الموت توبة؟

سؤال: من السيد جرجس شكرى ناروز ـ الأسكندرية.

يقول: إن من المسلم به أن توبة الميت لا تقبل منه، ولكن لماذا؟

فإذا كان السبب هو أنه فقد الاختيار، فما القول بالنسبة لإنسان فاجأه الموت وهو فى حالة خطيئة فتاب قبل الموت بثوان، فلماذا تقبل توبته مع أنه كان مرغماً على التوبة وقد فقد الاختيار؟

فى رأيى أن هذا الإنسان ينبغى أن لا تقبل توبته قياساً على عدم قبول توبة الخاطئ بعد موته، بسبب فقده حرية الاختيار، فما هو قولكم فى ذلك؟

الجواب:

ليس صحيحاً أن توبة الميت لا تقبل منه لأنه فقد الاختيار. ولكن لأنه هو لا يريد أن يتوب.

إذن حياة الإنسان بعد الموت هى امتداد لحياته قبل الموت.

وما اكتسبه من عادات وصفات فى حياته على الأرض لا يفقده، وإنما يتبعه فى حياته لأنه حصيلة حياته، مما رغب فيه ومال إليه، وما صنعه وبناه لنفسه وفى نفسه، بمحض اختياره ودون قهر أو الزام. يقول الكتاب المقدس «وأعمالهم تتبعهم» (الرؤيا ١٤: ١٣).

واعلم أن الإنسان منا كائن حرّ، خلقه الله حراً. ولو لم يكن حراً لما أعطاه العقل نوراً. فالمعروف أن جميع المخلوقات العاقلة حرة، وجميع المخلوقات الحرة عاقلة. وما عدا ذلك جمادات أو نباتات أو حيوانات عجماوات، تحكمها الحتمية المطلقة، وتخضع لقانون طبيعتها خضوعاً كاملاً بغير تخلف.

فالملائكة والبشر جميعهم مخلوقات عاقلة، وهى لذلك حرة فى أفعالها الأدبية غير مقيدة وغير مسيرة. ومن هنا فهى مسئولة عن أفعالها التى لإرادتها فيها مدخل، وعلى ذلك فلها عن أفعالها الأدبية ثواب إذا أحسنت، وعقاب إذا أساءت. أما الجمادات والنباتات والحيوانات العجماوات فهى موجودات أو كائنات غير مسئولة، لا ثواب لها ولا عقاب، لأنها مسيرة

ومحكومة بطبيعتها وغريزتها وبقانون الغائية التى خلقت من أجلها، والتى تتحرك لتحقيقها مدفوعة بالطاقة المودعة فيها والمرسومة لها من خالقها فى طبيعتها.

ولهذا السبب، فإن من الناس أخياراً وأشراراً، ومن الملائكة أخيار وأشرار، لأنها كائنات حرة عاقلة مسئولة، ويمكن أن يحكم على أفعالها بالخير أو الشر. أما الكائنات والموجودات الجامدة وكذلك النباتات والحيوانات العجماوات فلا يحكم على أفعالها بخير أو بشر. وجميعها تتصرف تصرفاً واحداً إذا كانت من صنف واحد وفصيلة واحدة. أما الملائكة والبشر، فبين أفعالهم اختلاف أو اختلافات بقدر أعدادهم، ولكل منهم تصرفه الخاص به. وعمله الذى يختلف فيه عن غيره، ولو كان من نفس درجته وعمله وفهمه، ولو كان توأماً له وكان من نفس بيئته وأسرته وفصيلته. ذلك لأن معنى الحرية أن يكون للكائن قدرته على التصرف بحسب ما يحلو له، ووفقاً لإرادته.

من أجل هذا كان الحساب للملائكة والبشر حساباً لا بالجملة، بل **حساباً لكل واحد على حسب عمله. ولما كان لكل واحد عمله، بحسب ما صنع هو، فإن الجزاء سيكون جزاء متبايناً، جزاء لا بالجملة ولكن لكل واحد على حدة.**

يقول المسيح له المجد «لأن ابن الإنسان سيأتى فى مجد أبيه مع ملائكته، وعندئذ سيجازى كل إنسان على حسب أعماله» (متى ١٦: ٢٧).

ويقول «هائنذا آت سريعاً وجزائى معى لأجازى كل واحد كما يكون عمله» (الرؤيا ٢٢: ١٢).

ثم إن الله قد خلق الإنسان على صورته ومثاله (التكوين ١: ٢٦، ٢٧). ولما كان الله حراً، فالإنسان على صورة الله فى الحرية. فهو بالنسبة لأفعاله الأدبية من خير وشر، حر فيها، ومسئول عنها، ولذلك فإنه يجزى عنها على حسب ما له فيها من حرية واختيار.

ولما كان الإنسان حراً، فقد يحسن الاختيار وقد يسئ. ولأنه حر يمكنه أن يصحح مسار حياته بالتوبة. والتوبة من (ثاب يثوب، أى رجع). فالتوبة معناها الرجوع إلى الطريق الصحيح، والعودة إلى التعقل والالتزام، وسبيلها مفتوح أمام الإنسان.

ومع أن التوبة نادرة لكنها ممكنة. ومفتاحها بيد الإنسان نفسه، فهو الذى يملك بإرادته واختياره أن يثوب إلى رشده، ويصلح مساره. وليس أحد يقهره على ذلك. وما عمل الوالدين والناصحين والمصلحين والواعظين ودعاة الفضيلة من رجال الدين إلا إرشاد وتوجيه وتبصير، ولكنهم لا يملكون أن يقهروا أحداً على التوبة.

بل إن الله نفسه لا يقهر أحداً على التوبة. وإلا فلماذا كانت الكتب المقدسة، ولماذا كان الأنبياء؟ ولماذا كان عتاب الله على الخطاة الذين عوجوا طريقهم وأساءوا (إشعياء ٥: ٣، ٤).

ولقد صدق القديس أوغسطينوس فى مقولته «إن الله الذى خلقك من دونك لا يمكنه أن يخلصك من دونك».

فإذا لم يستفد الإنسان فى حياته من الامكانيات المتاحة له فى الأرض قبل الموت، ويصحح مساره، فذلك مرده إليه هو، لأنه رغب فى الشر، واستمرأه وارتضى لنفسه به حراً مختاراً.

فإذا مات بغير توبة، فلسوف لا يطلب هو التوبة بعد الموت، ليس لأنه فقد الاختيار، ولكن لأنه استمرأ الشر وأحبه.

ولا تظن أنه إذا خرج من الحياة الدنيا سيقهره أحد على التوبة، ولا تظن أنه سوف يتعظ، أو يندم لا لأنه ممنوع من الندم أو الاتعاظ، ولكن لأنه من فرط تشبعه بالشر وتعلقه به سوف لا يجد فى نفسه شعوراً بالندم على الخطيئة لأنه فى حياته، وبسبب استمرائه للشر ولذات الحياة الدنيا، يفقد الإحساس بمحبة الخير، وتموت فيه الرغبة فى الخير. وبالتالى لن يطلب التوبة من تلقاء ذاته لأنه فقد الرغبة فيها والإيمان بها.

وقد أعطانا الرب يسوع المسيح هذا المعنى فى حديثه عن الغنى ولعازر الفقير.

قال: «مات الغنى أيضاً ودفن. وفى الجحيم رفع عينيه وهو يقاسى العذاب، فرأى إبراهيم من بعيد ولعازر فى حضنه» .. وبعد أن علم الغنى أنه لا يمكنه أن يجد الخلاص لنفسه مما يقاسيه من عذاب سأل إبراهيم قائلاً: «أتوسل إليك إذن يا أبتاه أن ترسله إلى بيت أبى، حيث لى خمسة أخوة، حتى ينذرهم لئلا يجيئوا هم أيضاً إلى مكان العذاب هذا. فقال له إبراهيم: إن لديهم موسى والأنبياء، فليستمعوا إليهم.

قال: كلا يا أبى إبراهيم، لكنهم إذا ذهب إليهم أحد الموتى يتوبون. فقال له: **إن كانوا لم يستمعوا إلى موسى والأنبياء، فإنهم وإن قام أحد الموتى لا يقتنعون،** (لوقا ١٦ : ٢٣ - ٣١).

والمعنى من هذا **أن التوبة فعل قلبى، يتحرك فى باطن الإنسان بعمل الإرادة الحرة والاقتناع الداخلى**، ولن يتم لا بالقهر ولا بالإلحاح من جانب الأنبياء والكتب المقدسة. إنه يتم بفعل الإحساس الداخلى والأشواق الباطنية. فإذا فقد الخاطئ الإحساس بسوء حاله، وفقد الرغبة فى التوبة، فلن يطلب هو التوبة ولن يسعى إليها لأنه فقد الرغبة فيها.

وهذا ما قاله الكتاب المقدس عن عيسو إنه «لما أراد أن يرث البركة رُفض إذ لم يجد للتوبة مكاناً، مع أنه طلبها بدموع» (العبرانيين ١٢ : ١٧) والسبب فى أنه رُفض ورُذل ولم يقبل، أنه كان مستبيحاً، وأنه لأجل أكلة واحدة، أكلة عدس، باع بكوريته. وقد باع بكوريته لأنه احتقرها. «فاحتقر عيسو البكورية» (التكوين ٢٥ : ٣٤). أما أنه بكى، فلم يكن بكاؤه ندماً على فعلته واحتقاره للبكورية، ولا كان بكاؤه حزناً على نفسه لأنه ارتكب شراً، بل كان بكاؤه من فرط غيظه من أخيه يعقوب. قال الكتاب المقدس «ورفع عيسو صوته وبكى» وبعد ذلك قال أيضاً «فحقد عيسو على يعقوب بسبب البركة التى باركه أبوه بها وقال عيسو فى نفسه: قربت أيام مناحة أبى، فأقتل يعقوب أخى» (التكوين ٢٧ : ٣٨، ٤١).

ومما يساندنا فى أنه لا توبة للخطاة بعد الموت، وذلك بفعل من إرادتهم الحرة، ما جاء فى سفر الرؤيا «ثم صب الملاك الرابع جامه على الشمس، فأبيح لها أن تحرق الناس بنار. فاحترق الناس احتراقاً عظيماً، وجدفوا على اسم الله.. ولم يتوبوا ليعطوه مجداً» (الرؤيا ١٦ : ٩). ويقول أيضاً «ثم صب الملاك الخامس جامه على عرش الوحش، فاظلمت مملكته وجعلوا يعضون على ألسنتهم من الوجع، وجدفوا على اسم إله السماء من أوجاعهم ومن قروحهم ولم يتوبوا عن أعمالهم» (الرؤيا ١٦ : ١٠، ١١). وقال أيضاً «ثم صب الملاك السابع جامه على الهواء، فخرج صوت عظيم من هيكل السماء من عند العرش، قائلاً: قد تم. وحدثت أصوات ورعود وبروق، وحدثت زلزلة عظيمة لم يحدث مثلها منذ صار الناس على الأرض زلزلة بهذه الشدة.. ونزل من السماء على الناس برد عظيم نحو ثقل وزنه فجدّف الناس على الله لضربة البرد، لأن ضربته كانت عظيمة جداً» (الرؤيا ١٦ : ١٧، ٢١).

والمعنى من هذا أن تلك الضربات كان يمكن أن تكون رادعة للناس، **فيتوبوا عن شر أعمالهم، ولكنهم مع ذلك لم يتوبوا، بل جدّفوا على اسم الله.**

* * *

أما سؤالك عن الذى يفاجئه الموت وهو فى حال الخطيئة فيتوب قبل الموت بثوان ـ مرغماً على التوبة تحت رهبة الموت ـ فاعلم أن الله وحده هو الذى يعلم إذا كانت هذه التوبة توبة صادقة، أم غير صادقة. **ولن تقبل من هذا المشرف على الموت توبة ما لم تكن توبة صادقة.** إن الله وحده هو فاحص القلوب والكلى (مزمور ٧: ٩) (إرميا ١١: ٢٠)، (١٧: ١٠)، (الرؤيا ٢: ٢٣). وإذا نجح الإنسان فى أن يضحك على نفسه أو يضحك على غيره، ببعض المظاهرالخادعة الكاذبة ولو كانت هى الدموع تحت تأثير الرهبة والخوف، فإن الله لا يُضحك عليه، وإنما على قول المزمور «الرب يضحك به لأنه رأى أن يومه آت» (مزمور ٣٦: ١٣).

أما إذا كانت التوبة صادقة، فسيكون الخاطئ التائب مقبولاً لأن المسيح يقول «ومن يُقبل إلىّ لا ألقى به خارجاً» (يوحنا ٦: ٣٧).

والتوبة الصادقة هى توبة من عمق الشعور والوجدان فيها الندم الحق على الخطيئة وحياة الشر، مصحوباً بالعزم الصادق على تجديد السيرة، بحيث لو شفى المريض وعاد إلى النشاط والحياة، فلا يعود إلى الخطيئة بل يسلك فى طريق السماء، ومنهج القداسة.

أما الذى يظن أنه تاب بلسانه، بينما يعلم الله أن توبته غير صادقة، فلو عاد إلى الصحة والحياة، فسيعود من جديد إلى الخطيئة وإلى حماقته «كما يعود الكلب إلى قيئه» (أمثال ٢٦: ١١) «والخنزيرة إلى مراغة الحمأة» (٢ . بطرس ٢: ٢٢).

٤٢ ـ التوبة المقبولة

سؤال من السيد أ. ن. س.

الجواب:

رداً على خطابكم المؤرخ ١٦/ ٧/ ١٩٨٠ أفيد:

أولاً ـ إننا نشكر الله ونحمده الذى منحكم فرصة مناسبة للتوبة الشاملة وتغيير مسيرة الحياة. وهذه نعمة ينبغى أن تشكر الله عليها، وأن تثبت فيها، وتتمسك بها، ولا ترخيها من بين يديك، فإنها تفتح لك باب الخلاص، وفردوس النعيم وملكوت السماوات.

ثانياً ـ واضح أن الحلم الذى رأيته تعبير عن قبول الله جلت قدرته لتوبتك. وبينة على أن الله يريدك للخلاص ولطريق السماء، وأنه يرعاك ويحبك، وأنه يحميك من الشر والأشرار. ولكن عليك أن تحتمى فيه، وتلجأ إليه، وتتحصن به، ولا تشرد عنه بعيداً. إنه يحبك ويريدك له، ويريد الخير الأبدى وخلاصك من الشيطان وعبودية الجحيم وجهنم.

والآن يعوزك الصمود والثبات، ويعوزك أن تعطى للعبادات وقتاً واهتماماً. والعبادات هى الصلوات اليومية والأصوام العامة، وقراءة الكتاب المقدس يومياً وبانتظام والقراءة فى سير القديسين والكتب الروحية والدينية التعليمية ثم ممارسة فحص الضمير والاعتراف بالخطيئة لله على يد كاهن تتخذه أباً لنفسك، والمواظبة على حضور القداسات مرة فى كل أسبوع على الأقل، والتناول من الأسرار المقدسة مرة كل أسبوعين بشرط أن لا تكون هناك خطيئة مانعة ـ ومهما يكن من أمر فلا تتأخر عن سر القربان أكثر من أربعين يوماً، بحال ما.

٤٣ ـ لماذا لم يجد منفذاً لإبليس؟

سؤال من السيد/ عبد الملاك جريس برايا ـ شبرا مصر.

وجد الله مخرجاً لآدم ليرجعه إلى ملكوته، بواسطة إرسال ابنه الوحيد، الأقنوم الثانى، وصلبه.. إلخ، فلماذا لم يجد مخرجاً لإبليس الذى تكبر عليه، وجعله مسخوطاً منذ تكبر إلى الآن وإلى الأبد؟

الجواب:

السبب فى ذلك أن آدم، والإنسان عموماً، طلب الخلاص، واعترف بخطيئته، وندم عليها، وسأل التوبة. أما الشيطان فلم يتب، ولا طلب الخلاص، بل استمر مكابراً، عنيداً، مقاوماً لله، وعدوا للخير، حتى إن اسم إبليس نفسه كما سماه الكتاب المقدس مأخوذ من الكلمة اليونانية، διάβολος D IABOLOS وهى تعنى حرفياً «المفترى» كما يسمى أيضاً «الشيطان». واسم الشيطان مأخوذ من العبرانية שָׂטָן Shatan ومعناه «خصم» أو «عدو»، وذلك لأن الشيطان ارتضى لنفسه هذا الوضع أن يكون معانداً لله، ومقاوماً له، إنه لم يطلب التوبة ولم يسأل فى طلب الخلاص. وهذا هو الفارق الجوهرى بين الإنسان وبين إبليس أو الشيطان.

أما أن الإنسان طلب التوبة معترفاً بخطيئته، فهذا ما عبرت عنه البشرية فى كل تاريخها الطويل، ابتداء من الأب الأول آدم، بمختلف الوسائل، بالصلوات وبالطقوس والممارسات العملية.

فأبونا آدم وأمنا حواء عندما خالفا وصية الله وعلماً أنهما عريانان، خاطاً أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر (التكوين ٣: ٧). وهذه صورة من صور الخجل، وبالتالى، الندم، لأنهما كانا الإنسانين الوحيدين، وكانا زوجين، فكيف يصنعان لأنفسهما مآزر يستران عورتيهما ولم يكن هناك إنسان آخر غيرهما فى الجنة؟ فممن استترا؟ ما لم يكن استتارهما صورة من الخجل والندم والحزن والأسى، والشعور بالخزى، والإحساس بالخطأ.

ولما «سمعا صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة عند هبوب ريح النهار، اختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة» (التكوين ٣: ٨)، وهذا الاختباء صورة أخرى من صور الشعور بالخطأ والإحساس بالذنب أمام الله، وهو أول عناصر التوبة.

ثم إذ «نادى الإله آدم وقال له: أين أنت، قال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت» (التكوين ٣: ٩، ١٠).

وهذه الإجابة من آدم على صوت الرب الإله تنطوى على الإحساس بالخطأ، والشعور بالذنب، والاعتراف بأن العرى الذى صار إليه كان بسبب خطيئته ومخالفته للوصية.

وإذ عاد الرب يسأله: «من أعلمك أنك عريان، هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها؟ قال آدم المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت» (التكوين ٣: ١١، ١٢). ولقد مهد الرب الإله له بسؤاله إياه سبيل الاعتذار. وصحيح أن آدم أحال الذنب على حواء، ولكن إجابته نفسها تنطوى على اعتراف بالجريمة. فهو لم ينكر أنه أكل من الشجرة المنهى عنها بل اعترف بجريمته صراحة إذ قال «فأكلت» كما أنه اعترف كذلك بأنه لان أمام امرأته وأمام إغرائها له بالأكل. فعلى الرغم مما يبدو فى قول آدم من إحالة المسئولية على حواء، لكنه اعتراف ضمناً وصراحة بأنه أكل، وخالف الوصية، وإنه تعرى نتيجة لذلك، ثم اختبأ من وجه الرب فى وسط شجر الجنة.

وإذ رأى الإله أن آدم أخطأ، ولكنه لم يكابر، ولم يعاند، ولم ينكر بل اعترف بخطئه، وخجل من نفسه، فتح له طريق الغفران بالوعد بالفادى والمخلص الذى سوف يجئ ويسحق رأس الحية (التكوين ٣: ١٥)، وأرشده إلى البديل المؤقت، وهو الذبيحة الحيوانية، كرمز إلى المخلص الحقيقى والفادى الحقيقى لم يأت زمانه بعد. ومن جلد تلك الذبيحة التى ذبحها آدم إطاعة لقول الله تعالى «صنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما» (التكوين ٣: ٢١)، رمزاً إلى البر الحقيقى بالمسيح الذى سيسترهما ويغطى خطيئتهما ويكفر عنها.

وهكذا صنع أولاد آدم من بعده، اعترفوا بخطاياهم وندموا عليها، ثم قدموا ما أمر به الرب ذبيحة من الحيوان تكفيراً عن خطاياهم.

فهابيل قدم ذبيحة للرب من أبكار غنمه ومن سمانها (التكوين ٤: ٤)، (العبرانيين ١١: ٤).

وبالمثل صنع نوح (التكوين ٨: ٢٠)، وإبراهيم (التكوين ١٢: ٩) واسحق، ويعقوب، وأيوب وموسى، وصموئيل، وداود وكل القديسين، اعترفوا بخطاياهم نادمين، وقدموا كفارة عن خطاياهم، ذبائح من الحيوان، طبقاً لأوامر الشريعة التى رسمت للإنسان سبيل الخلاص مؤقتاً إلى أن يأتى الذبيح الحق، والفادى الحقيقى، يسوع المسيح.

وحتى قايين عندما قتل أخاه هابيل، وأخطأ مجرماً إلى الله وإلى أخيه لم ينكر خطيئته بل اعترف بها، «وقال قايين للرب: ذنبى أعظم من أن يحتمل (أو يغفر)» (التكوين ٤: ١٣).

وإلى جانب الذبائح التى لم ينقطع تقديمها من أولاد آدم حتى جاء السيد المسيح وقدّم ذبيحته الكفارية، فإن الكتاب المقدس ملئ بنصوص الصلوات التى يعبر فيها أبناء آدم عن توبتهم وندامتهم على خطاياهم واعترافهم بها، وطلب الغفران عنها إلى الله.

ولعل سفر المزامير من أوضح الأسفار على ذلك، لأنه يشتمل على صلوات الاستغفار والاعتراف بالخطيئة والندم عليها والتوبة عنها. وكذلك صلوات الأنبياء الآخرين من أمثال إشعياء وإرميا وحزقيال ودانيال وأسفار الأنبياء الصغار.

تاهيك عن سفر اللاويين، وما اشتمل عليه من أنواع الذبائح، وطرائق التكفير التى يكفر بها الإنسان عن خطيئته، فيقدم عنها الذبيحة الملائمة حسب نوع الخطيئة، والكهنة أنفسهم يقدمون ذبائح عن نفوسهم وعن الشعب..

كل تلك بينات على أن الإنسان لم يتوقف على مدى تاريخ البشرية، عن الاستغفار وطلب الرحمة عن خطاياه، والصلوات والذبائح التى قدمها كلها ناطقة بندامة الإنسان وتوبته واعترافه وطلب الخلاص.

على العكس من ذلك الشيطان الذى لم يرد عنه شئ، ينم عن ندم أو اعتراف بالخطأ، أو طلب للتوبة أو الغفران.. وإنما كان دائماً - ولا يزال - مكابراً معانداً، وكان دائماً - ولا يزال - داعية للشر، حتى وصفه المسيح له المجد، ذاك (إبليس) الذى كان منذ البدء قتالاً للناس، ولم يثبت قط على الحق أبداً، لأنه ليس فيه من الحق شئ. متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما عنده،

لأنه كذاب وأبو الكذاب» (يوحنا ٨: ٤٤). وقال عنه القديس يوحنا الرسول «من يفعل الخطيئة فهو من إبليس، لأن إبليس من البدء يخطئ» (١. يوحنا ٣: ٨)، ووصفه السيد المسيح بأنه عدو الخير وزارع الزوان فى وسط الحنطة فى حقل الله (متى ١٣: ٢٥، ٣٩).

والخلاصة أنه لو تاب الشيطان عن خطاياه توبة حقيقية واعترف بها ورجع عنها لما تأخر الرب عن قبول توبته، «فإن الرب كثير الرحمة ورءوف» (يعقوب ٥: ١١).

٤٤ ـ التوبة الصادقة ترفع العقاب الأبدى، لكنها لا تعفى من العقاب الزمنى

سؤال من السيد/ م. ح. ذ.

أنا الآن فى سن الثامن والعشرين، ولكن لما كنت فى الثامنة عشر من عمرى كانت أمى، وهى امرأة متدينة، تحنو علىّ، ومن خوفها علىّ، كانت تعاملنى معاملة من هو أقل من سنى، مما كان يضايقنى وكنت لذلك دائم الشجار معها، وكنت أشتمها وأسبها، ولا أسمع صوتها، ولا أقبل نصائحها، فكانت هى لضيقها تدعو علىّ أحياناً، ولكنها كانت تصلى من أجلى أحياناً أخرى، ثم توفيت أمى منذ ثمان سنوات، ونزل بى عقاب شديد من الرب، ورأيت عذاباً فى حياتى، ففشلت فى دراستى الثانوية، ومرضت مرضاً خطيراً، واشتغلت بالتجارة، وأفلست خمس مرات، واستدنت حتى افتقرت لرغيف الخبز.. ولقد ندمت كثيراً على سوء تصرفاتى وعلى أعمال طياشتى، ومنذ ست سنوات، وأنا أسكب الدموع حزناً وألماً على خطاياى وعلى إساءاتى وإهاناتى لوالدتى وأطلب رحمة الله علىّ وغفرانه لخطاياى، وأتمنى لو كان فى مقدورى الآن أن أراها وأقبل تراب قدميها، وأسألها السماح والمغفرة.. وعلى الرغم من ندمى واستغفارى، فما زلت أرى غضب الله مستقراً علىّ. ولقد تحققت من صدق قول الكتاب المقدس فى سفر يشوع بن سيراخ «إن بركة الأب توطد بيوت البنين، ولعنة الأم تقلع أسسها» وأيضاً قوله «من خذل أباه فهو بمنزلة المجدف، ومن غاظ أمه فهو ملعون من الرب».

فهل هناك أمل فى أن يقبل الرب توبتى، ويرفع عنى البلية والعقاب، ويكفينى ما عانيته منذ ثمانى سنوات منذ وفاة والدتى، أم أن غضب الله سيلازمنى كل أيام حياتى وبعد مماتى، استجابة للعنة أمى ودعائها علىّ؟

الجواب:

إذا كانت توبتك عن أعمالك الأولى صادقة، فاطمئن إلى رحمة الله، ولا تفقد الرجاء فى غفران خطاياك. وعلى قول القديس يوحنا ذهبى الفم: ليست خطيئة بلا مغفرة إلا التى بلا توبة. أما العقاب الذى نزل بك، فكان نتيجة طبيعية لتصرفاتك السابقة. وحسناً قد أدركت صدق ما توعد به الرب كل ابن غير بار بوالديه، «فإن بركة الأب توطد بيوت البنين، ولعنة الأم تقلع أسسها» (يشوع بن سيراخ ٣: ١١). وأيضاً «من خذل أباه فهو بمنزلة المجدف، ومن غاظ أمه فهو ملعون من الرب» (سيراخ ٣: ١٨).

واعلم أن التوبة عن الخطيئة، إذا قبلها الرب، فإنه يرفع عقوبتها الأبدية. أما العقاب الزمنى فى الحياة الدنيا فيبقى، ولا يزول، حتى يذكر الإنسان خطيئته فلا يعود إليها، وحتى يتبين أن الله شديد العقاب، وأنه رسم للطبيعة قانوناً صارماً لا يتخلف: إن لكل فعل نتائجه. وقد قال الوحى الإلهى بفم القديس بولس الرسول «لا تضلوا. الله لا يُشمخ عليه، فإن الذى يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً» (غلاطية ٦: ٧) وإلا فكيف يتعلم الإنسان إن لم يحصد نتيجة تصرفاته. «كما قد رأيت أن الحارثين إثماً، والزارعين شقاوة يحصدونها» (أيوب ٤: ٨).

لقد أخطأ أبونا آدم وندم وتاب، وجاء السيد المسيح، وبموته بديلاً عن الإنسان، وفادياً له، رفع العقوبة الأبدية، ومع ذلك لم يُعف الإنسان من العقوبة الزمنية، فلقد صدر الحكم عليه «ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها طوال أيام حياتك. وشوكاً وحسكاً تُنبت لك.. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها» (التكوين ٣: ١٧- ١٩)، وما زال هذا الحكم الزمنى قائماً على الرغم من توبة آدم، وعلى الرغم من أن الله عفا عنه وخلصه من الهلاك الأبدى. ومثل ذلك صنع الله مع حواء «وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رجلك تنقاد أشواقك، وهو يسود عليك» (التكوين ٣: ١٦) وعلى الرغم من خلاص المسيح وعمله الكفارى الذى أعتق حواء من طلقات الموت الأبدى فى جهنم النار، لكنه بقى لها ولبنات جنسها من بعدها العقاب الزمنى، قائم كما هو، فما زالت المرأة تشقى فى حملها ووضعها للبنين. وقد قال السيد المسيح له المجد «المرأة وهى تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت، ولكنها متى ولدت الطفل لا تعود تذكر ما كانت فيه من شدة...» (يوحنا ١٦: ٢١).

وكذلك صنع الرب بداود الملك. لقد تاب داود عن خطيئته وقال نادماً لناثان النبى: «قد أخطأت إلى الرب» وأخذ يبلل فراشه بدموعه، فقبل الله توبته. وأرسل إليه ناثان يقول له: الرب أيضاً قد نقل خطيئتك عنك فلا تموت. ومع ذلك لم يعفه من العقوبة الزمنية كنتيجة حتمية لخطيئته، فقال له: «والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد، جزاء أنك ازدريتنى.. هكذا قال الرب: هأنذا أقيم عليك الشر فى بيتك.. أنت فعلت ذلك سراً، وأنا أفعل هذا الأمر أمام جميع إسرائيل، وأمام الشمس» (٢. صموئيل ١٢: ١٠ - ١٢). وقد تم لداود كل ما قضى الله به عليه من عقاب، حرفياً، ولم يعفه من نتيجة خطاياه.

والخلاصة أن التوبة ترفع العقاب الأبدى بعد الموت، ولكنها لا تعفى من العقاب الزمنى، وذلك لكى يرتدع الإنسان، ويتبين نتيجة أفعاله، فلا يعود يخطئ، ويخشى الله.

وعلى ذلك، فما دمت أنت قد تُبت إلى الله بدموع، وندمت على تصرفك من نحو والدتك، ومن نحو الله خالقك، واعترفت لله بخطاياك على يد الكاهن، وغسلتها فى دم المسيح بتناولك من الأسرار المقدسة، فالله يرفع عنك العقوبة الأبدية، أما العقاب الزمنى فلا تهرب منه، بل كلما تألمت قل فى نفسك: إنى مستحق، فبهذا الاتضاع القلبى، تمتد إليك يد الرحمة. ويتحنن الرب عليك فيحوّل لك الشر إلى خير، ويخرج لك من الآكل أكلاً، ومن الجافى حلاوة (القضاة ١٤: ١٤)، ويحسن الرب إليك، ويعطيك أكثر مما تسأل أو تفهم. واذكر قول الوحى الإلهى بفم القديس بولس الرسول «كل تأديب فى الحاضر لا يرى أنه للفرح بل للحزن وأما أخيراً فيعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام» (العبرانيين ١٢: ١١).

لا تنـــزعج بل اعمـــل بقول الرب «ادعـــنى فى وقت الضيق أنقذك فتمجدنى» (مزمور ٥٠: ١٥).

٤٥ - هل يتزوج ابنتها؟

سؤال من أحدهم:

يقول إنه زنى بامرأة ثم أراد أن يتزوج بابنتها بعد أن قدم الاثنان توبة أمام الله، فهل يجوز أن يتزوج بابنتها أم لا؟

الجواب:

إننا ننصح لك بالزواج من امرأة أخرى لا تربطها بالمرأة التى زنيت معها رابطة بنوة أو أخوة.

لأنك إذا تزوجت ابنة المرأة التى زنيت معها فلسوف ترى أمها فيها، وتلاحقك الذكريات فلا تستطيع الهرب منها. وفى هذه الحالة إما أن تحب الابنة أو تبغضها.

فإذا أحببتها فلسوف ترى فيها أمها وعندئذ تكون زانياً بالفكر والقلب، وتكون توبتك التى زعمتها، توبة غير حقيقية وغير صادقة، لأن روح الزنى بذات المرأة لم يفارقك. كل ما هنالك إنك اتخذت ابنتها بديلاً عنها حسب الظاهر. إنما قلبك مازال متعلقاً بالمرأة التى زنيت معها أولاً.

أما إذا أنت أبغضت الابنة بعد أن صارت زوجتك، فلأنك ترى فيها صورة أمها التى زنيت معها، فتلاحقك بها ذكريات خطيئتك.

افحص ذاتك إذن، فحصاً حقيقياً صادقاً، ترى أن السبب الحقيقى لاختيارك هذه الابنة للزواج منها، إنك مازلت متعلقاً بأمها فيما تظن أنك وهى قدمتما أمام الله توبة.

التوبة الحقيقية تقتضيك أن تهرب بعيداً عن المرأة التى زنيت معها، وعن كل شخص أو شئ يتعلق بها أو يذكرك بها. وإلا ستصير معذباً بالفكر كل أيام حياتك.

٤٦ ـ لشاب يصارع الخطيئة

سؤال من السيد أ. و. ج.ـ بنى سويف.

يشكو من متاعب الخطيئة وإغراءاتها.

الجواب:

إن النصر يولد نصراً، والهزيمة تلد هزيمة. لذلك احرصْ على أن تحرز النصر على الخطيئة، ولا تنتظر أن النصر ينزل عليك دون أن تسعى إليه ودون أن تطلبه، وتبذل من جانبك جهداً للوصول إليه. لا تنتظر أن الرب يستخدم قوته فى أن يمنع فكرك من أن يجتر الخطيئة والتفكير فيها ما لم تكره أنت الخطيئة من قلبك. يقول الكتاب المقدس «كونوا كارهين الشر، ملتصقين بالخير» (رومية ١٢: ٩) ويقول «الخطيئة خاطئة جداً» (رومية ٧: ١٣). فما لم تبد أمامك الخطيئة ذات رائحة كريهة عفنة، فلا تجد عندك شحنة عاطفية روحية بها تمج الخطيئة وتكرها وتطردها. إن الرب ينتظر أن يرى فيك رغبة صادقة وعزيمة حديدية للابتعاد عن الخطيئة وأسبابها ومثيراتها، وهو يتطلع إليك امتحاناً لإرادتك. فلا تلق الحمل والمسئولية كلها على الله كأنك جماد بلا إرادة ولا مشيئة. ينبغى أولاً أن تهرب من الخطيئة ومثيراتها. ولا تذهب إلى فراشك إلا وأنت متعب بحيث تنام مباشرة، ولا تدع فرصة للتفكير فى الخطيئة. ثم لا تمس بيدك مواضع حساسة من جسدك حتى لا يتحرك بالشهوة. واحشد ذهنك دائماً بأفكار صالحة بديلة. ولذلك يحسن أن تقرأ فى كتاب روحى قبل النوم ولو صفحة أو صفحتين ، وتجعل تفكيرك يدور حول معنى ما قرأت، مع التأمل فى السماء والحياة الأخرى، ولا تدع ذهنك يشرد فى أمور أثيمة خاطئة. لابد من أن تشاء الخير وتعمله بإرادتك، ولا تنتظر أن الرب يقهرك على الخير. إنه ينتظر منك ذلك امتحاناً لإرادتك.

واذكر قول الكتاب المقدس «وإن كان البار بالجهد (أى بالجهاد) يخلص فالخاطئ والفاجر أين يظهران» (١ . بطرس ٤: ١٨).

٤٧ ـ شاب يشكو ماضيه

سؤال من الشاب م.

الجواب:

قرأت خطابك المرسل بتاريخ ٢١ يناير ١٩٨٠، وساعدنى على ذلك خطك الجميل الواضح الذى أحييك من أجله، وأبارك الله من أجل هذه الموهبة فيك.

كذلك أعجبنى فيك أنك تشكو نفسك، بأسلوب يدل على فهمك لنفسك ومتاعبك، كما يدل على أنك موهوب عقلاً منظماً ومرتباً، فأنت تعرض شكواك من نفسك بصورة فيها ترتيب للأفكار، وتسلسل فى العرض، وفيها أيضاً منطق سليم.

إنى أكتب لك عما أكتشفه فيك من صفات يجب أن تشكر الله عليها، وهى يمكن أن تكون أساساً طيباً لبناء شخصيتك، فتصير إن شاء الله رجلاً متكامل الشخصية، يمكنك بعد ذلك بالتأمل، وبتهذيب إرادتك، وفحص ذاتك، أن تقود حياتك قيادة ناجحة، وبهذا تنفع نفسك، وتنفع آخرين ممن فيما بعد، يسألونك النصح، أو الإرشاد.

إنك تشكو من رواسب الماضى.. تشكو من طفولة مشاكسة وصراعات مع والديك، وما تركه كل ذلك فى نفسك من غضب وحقد وخوف، وكره، وتوتر فى العلاقات العائلية وقد امتدت الآثار إلى مرحلة الشباب والتلمذة فى المدارس وفى المرحلة الجامعية مع الزملاء والأصدقاء، وتمثل التعب عندك فى عقدة النقص التى تعذبك، والإحساس بالفشل فى العلاقات مع الناس، والتردد والترجح بين الأمل واليأس، بين العزم والنكوص، بين الانتصار والهزيمة.

قرأت فى خطابك كل هذا، ومع ذلك أرى فيك خيراً وأملاً، وأبشرك بأنك قد وضعت قدمك على أول الطريق الصحيح. وكل ما يلزمك الآن أن تتبين طريقك جيداً. وأن تتجه بجهد مقصود، وبإرادة صادقة، وحزم وعزم مع نفسك على بناء شخصيتك من جديد مستعيناً بما وهبك الله من صفات تكفل لك أن تسير فى طريق الترقى قدماً إلى الأمام، مستعيناً بخبرات الآخرين، وقبل ذلك وأثناء ذلك بما تقدمه لك الكنيسة من وسائط الخلاص، ووسائط النعمة والمعرفة.

أما الماضى، فلئن كان مؤلماً لك، وغير مرضى عندك وعند أهلك وأصدقائك، ولكنه الآن قد ترك فى عقلك وقلبك اقتناعاً واضحاً بما فيه من خطأ. هذا الاقتناع هو الخير وهو الدرس النافع

الذى استفدته من الماضى المؤلم، حتى تكون منتبهاً وصاحياً ضد أخطاء الماضى فلا تعود إليها لئلا يصيبك ما هو أسوأ.

لعلك أدركت قصدى من أن تحوّل النظر من الوجه القاتم لحياتك إلى ما يمكن أن يتحول إلى أمر نافع وبان لشخصيتك. فالحياة فيها السلبيات والإيجابيات. والإنسان بشر ذو نظر قاصر ولذلك يخطأ ويصيب. وهو ليس معصوماً من الخطأ. ولكنه عندما يخطأ ويعرف أنه أخطأ، ينبغى أن لا يفشل أو ييأس، بل يمكن أن يصحح المسار من جديد، مستفيداً من أخطاء الماضى، فنحن لا نتعلم ما لم نتألم.

أريد لك بعد هذا أن تبدأ من جديد، بأن تحزم أمرك وتجمع نفسك، على أن تقوّم شخصيتك بوعى مقصود، ولا تدع الظروف أن تحكمك، وإنما يحكمك الهدف السامى الذى تتخذه لحياتك تتطلع إليه وتحدق النظر فيه، وتصوّب نحوه جهدك وقدرات نفسك وخواصها ومواهبها. ولا يردك عن هدفك خوف من فشل أو يأس بسبب عدم نجاح المحاولة مرة أو بضع مرات، إنما سر إلى الأمام وكرّر المحاولة إلى أن تنجح، ولسوف تنجح، وستجد أن الله سيكون عوناً لك، وسيسخر لك من وما يساعدك على الطريق. وسيسخر لك ملائكة وبشراً مثلك يساعدونك ويشجذون همتك، وسيسخر لك أحداثاً خاصة وعامة ترى فيها ومنها يد الله فى عونك.

صلّ وافحص ضميرك، واعترف لله على يد الكاهن بأخطائك حتى تلفظها وتتقيأها فتستريح بإدانتك لها، مجدداً عهودك مع الله، واستعن بكل وسائط الخلاص الممنوحة لك فى الكنيسة المقدسة بالروح القدس، ووثق علاقتك كغصن بالكرمة الحقيقية، وتناول نصيبك من شجرة الحياة الحقيقية الواهبة الحياة للروح والنفس والجسد.

ولا تنسَ الصوم الانقطاعى فإنه يهذّب إرادتك وينميها. ولا تنسَ أيضاً الغذاء النباتى فإنه يزودك بالدم الهادئ، المريح للأعصاب الثائرة، متأملاً فى الفارق بين طباع الحيوانات آكلات النباتات والحبوب، وطباع الحيوانات آكلات اللحوم، فتلك هادئة وديعة، وأما هذه فشرسة معتدية.

واذكر أن القراءة فى الكتب نافعة وبانية، مثلها للعقل والروح مثل الطعام للبدن. إن فيها لذة عقلية وتغذية روحية وفكرية. وما من أحد يبتغى الكمال يمكنه أن يكون فى غنى عن القراءة فى الكتب.

على أن عليك أن تنتقى من الكتب خيرها. ومن المتعذر إن لم يكن من المستحيل فى زماننا أن يقرأ الإنسان كل شئ، فلا مندوحة من أن يختار العاقل من الكتب أهمها، بحسب موضوعها، وبحسب شهرة مؤلفيها.

وإلى جانب القراءة فى الكتب، عاشر من يفضلونك فضيلة أو علماً لتأخذ منهم، فتريح لنفسك نتائج خبراتهم. اطلب المشورة والعلم والمعرفة ممن يملكونها مهما طال بك العمر، ولو بلغت سن التسعين أو المائة. وبلغة أخرى، كن تلميذاً مدى الحياة، لا يتوقف عن التعلم والاكتساب ممن يفضلونه فضيلة أو علماً أو خبرة، بالاتصال الشخصى أو بقراءة ما كتبوا.

وفى جميع الأحوال، ليتحول العلم إلى عمل. فلا جدوى من المعرفة النظرية إذا لم تتحول إلى ممارسة تتمثلها فى روحك ونفسك، كما يتمثل جسدك الطعام فيتحول إلى دم وإلى لحم. كل منفعة استفدتها من القراءة أو السماع، فلتتحول عندك إلى عمل تمارسه، وبالعمل يتحول الاقتناع إلى فضيلة. والفضيلة فى حقيقتها هى مجموعة عادات صالحة.

تشدد وتشجع ولا تستهن بنفسك، فإنك بالعزم والاهتمام تُجمِّل نفسك بالفضائل، وتصبح صورة واضحة جلية لمن خلقك فى الأصل على صورته ومثاله، وفيك يتمجد الله، ويرى الناس فيك نور المسيح.

٤٨ ـ نصائح لشاب

سؤال من شاب:

الجواب:

أيها الابن، قرأت خطابك، وأنصح لك بالآتى:

أولاً ـ يلزمك أن تصوم صوما انقطاعياً طويلاً إلى الغروب فى كل يوم من أيام الصوم الكبير. إن الصوم الطويل الانقطاعى من أهم وسائط العلاج للانتصار على الحروب الروحية وخصوصاً فى الفترة الحاضرة التى تسمى بسن المراهقة.

ثانياً ـ عليك أن تتوقف عن خدمة مدارس الأحد وعن كل خدمة من هذا النوع لئلا يتقسى القلب بالغرور، ولئلا يفسد ضميرك.

ثالثاً ـ يلزمك أيضاً أن تمتنع عن التناول الآن حتى تتبين إنك سائر فى طريق المخلّصين بنجاح، مع المواظبة على تبكيت النفس والاعتراف لله على يد الكاهن أب ذمتك.

رابعاً ـ خصّص كل يوم وقتاً لقراءة فصل من الكتاب المقدس وبضع صفحات من كتاب روحى من طراز كتاب (طريق السماء) للقس منسى يوحنا وكتاب (يسوع المصلوب) لنفس المؤلف ـ وكتاب (الجسد) للأستاذ نجيب جرجس ـ ملوى.. وغيرها من أمثال هذه الكتب الروحية النافعة للشباب.

خامساً ـ عليك ـ كل ما أمكنك ذلك ـ زيارة مقابر الموتى ثم حضور الجنازات وتتأمل الموت وفناء الحياة الدنيا وزوال الشهوات واللذات والمسرات.

سادساً ـ امنع نفسك من كل ما يثيرك، ومن يثيرك، وعن كل مكان يذكرك بالخطايا أو يجذبك إليها (فالبعيد عن العين بعيد عن القلب).

سابعاً ـ إذا أمكن، فعجّل بزواجك من الفتاة التى ارتبطت بها أولاً ـ بشرط موافقة أسرتك وأسرة الفتاة، على أن تكمل دراستك بعد الزواج. وإذا أمكن توفير حياتكما المعيشية أثناء الدراسة، يفضل زواجكما الآن من أجل معالجة الحرب الفكرية.

ثامناً ـ لا تسمح لنفسك بالهزيمة، واذكر دائماً قول القديس يوحنا الرسول «كتبت إليكم أيها الشباب لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم، وقد غلبتم الشرير، لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى

العالم . إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد، شهوة العيون، وتعظم المعيشة ليس من الآب بل من العالم، والعالم يمضى وشهوته. أما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد» (١ . يوحنا ٢ : ١٤ – ١٧) .

تاسعاً ـ لا تقل إنى لا أستطيع. فقد قال السيد المسيح له المجد: إن كنت تستطيع أنت أن تؤمن، فكل شئ مستطاع للمؤمن» (مرقس ٩ : ٢٢) .

وقال القديس بولس الرسول «إنى أستطيع كل شئ فى المسيح يسوع الذى يقوينى» (فيلبى ٤ : ١٣) .

إذا كان نقل الجبل من مكان إلى آخر ممكناً للمؤمن فكيف تقف أمام الإنسان شهوة مفسدة ومدمرة لحياته الحاضرة والآتية. (متى ١٧ : ٢٠ ، ٢١)!

لهذا، وبعد قراءة هذا الخطاب، اسجد لله فوراً واصرخ بدموع وحرارة وصدق وإخلاص. ومن كل القلب، اطلب الرحمة واسأل الغفران، وتضرع مستغيثاً بالمسيح أن يهبك القوة والغلبة، واستشفع بالقديسين. فإذا كنت مخلصاً فى الطلب، وصادقاً فى رغبتك، وأميناً لله ولنفسك، فستنال القوة وستحتقر الشهوة وتدوسها بقدميك.

الرب يقويك إذا كنت حقاً تطلب القوة من كل قلبك ومن كل قدرتك. الرب يعينك فى الجهاد.

٤٩ ـ الإنسان صانع مصيره

سؤال من ن. ل. ر.

إجابة على سؤالك: هل يستطيع الشيطان أن يدخل الهيكل وقت التناول من الأسرار الإلهية، ويحارب الإنسان المتقدم من الأسرار المقدسة، وخاصة إذا كان هذا الإنسان يتقدم للتناول لأول مرة؟

نفيد بالآتى:

لا حاجة للشيطان إلى دخول الهيكل لمحاربة الإنسان، فالإنسان تحاربه أفكاره الخاصة.

إننا نخطئ لو نسبنا الخطايا إلى الشيطان، وكأن لا دور للإنسان فى ذلك، أو كأنه كائن يساق بغير إرداته إلى الشر، كما لو كان مسلوب الإرادة، يقاد من غير وعى منه ولا حرية، شأنه شأن الحيوانات العجماوات التى لا حرية لها ولا إرادة!

ينبغى تركيز الانتباه فى دور الإنسان، فهو حر مختار، وليس مسيراً، وهو كائن حر مريد مناط أمره بيده، وهو صاحب القرار، وصانع القرار فى مصيره وأفعاله. وليس للشيطان أكثر من دور كائن آخر صديق، يغريه بالكلام ولكنه لا يقهره ولا يسيطر عليه بغير إرادته. كذلك كان شأنه مع حواء وآدم وهكذا شأنه مع المؤمنين الممسوحين بمسحة الميرون. إنه يحاربهم من الخارج ولكن لا قدرة له عليهم حتى يسوقهم إلى شئ لا يريدونه.

لذلك إذا هاجم الإنسان المتقرب من التناول فكر شرير من أى نوع فلا داعى لإتهام الشيطان بأنه دخل الهيكل أو المواضع المقدسة ليحارب الإنسان هناك. إنما هذه الحرب، حرب الأفكار، هى من الإنسان نفسه، لأن فكره لا يتوقف عن العمل. فإذا لم يكن فكر هذا الإنسان قد تطهر بعد، فيمكن لأفكاره وميوله المترسبة فى نفسه أن تحاربه. ولكن على الرغم من ذلك، له عليها سلطان أن يطردها متى شاء.

وقد قال الأنبا باخوميوس مؤسس الرهبانية الديرية «إننا لا نستطيع أن نمنع الطيور من أن تحوم فوق رءوسنا، ولكننا نستطيع أن نمنعها من أن تعشش فى شعور رءوسنا» .

يجب أن يكون تفكيرنا متوجهاً أولاً وبالذات إلى مسئولية الإنسان عن أفعاله لأنه كائن حر ذو إرادة، وهو له حرية الاختيار.

٥٠ ـ يشكو نفسه بأنه عصبى المزاج ويحقد على الناس

سؤال من السيد/ ن. ب. غ.

يشكو نفسه بأن أمه ماتت وهو فى سن الثانية عشرة، وقضى بعد ذلك حياة شقية مشحونة بالمنازعات، فأمسى عصبى المزاج حاد الطباع، يحقد على جميع الناس، ويشك فى كل أحد.

الجواب:

فيما يختص بك أنت شخصياً، فإن نشأتك، والظروف العائلية التى اجتزتم بها، وما عانيته فى حياتك منذ طفولتك ، ثم وفاة والدتك، واضطلاعك بالمسئولية وأنت شاب صغير، وما لحق بك من متاعب ـ كل هذا لابد أن يترك أثره عليك، فأنت الآن تشكو من أنك حاد المزاج، عصبى، تغضب، وتتهور مع الآخرين، و فى نفس الوقت تحس باطنياً بضعفك وصغرك ونقصك، وهذا يولد فيك الحقد على الناس والمجتمع، كما أنك تنظر نظرة سوداوية إلى الآخرين، فتسئ الظن بهم وتدينهم.

والآن أريدك أن تضع فى اعتبارك أن هذه الصفات الضعيفة التى تشكو منها يمكن أن تتغير وتتبدل إلى صفات أخرى أجمل، بحيث تكون ظروفك القاسية التى مررت بها سبباً فى أن ترحم غيرك من الضعفاء وترثى لهم وتنتحل لهم عذراً فيما يخطأون، وتحاول بالتالى أن تساعدهم وتسندهم وتخدمهم. وبعبارة أخرى، لقد صارت لك بتجارب الماضى التى اجتزتها خبرة تنفعك فى إصلاح حياتك وفى نظرتك إلى غيرك من الناس، وفى معالجتك لصعوبات الحياة.

واعلم أيضاً أنك قد أخذت دروساً من الحياة نافعة.. فأنت الآن مثلك مثل الشوك الذى نبت فى الأرض الجرداء، يمكنه أن يتحمل يبوسة الحياة وقيظها، أفضل من النبات الرخو الذى لا قدرة له على أن يقف منتصباً، فيرتمى على غيره من نبات، متعلقاً به وعليه.

وإذن فينبغى أن تنظر إلى هذا الموضوع وتشكر الله الذى سمح بأن تكون لك مثل هذه الحياة الصعبة، حتى تخرج منها بعبر ودروس نافعة تشدّ أعصابك وتجعلك أقوى من غيرك فى مواجهة صعوبات الحياة ومشكلاتها.

إذا نظرت إلى ظروفك القديمة هذه النظرة، نظرة الشكر والعرفان ونظرة من صار بتلك الظروف عصامياً ومشدود الأعصاب، وأكثر خبرة، تنحل عقدتك، فلا تنظر إلى الآخرين بحقد وكراهية، وإنما بالأحرى ترحمهم وترثى لهم، وتحاول أن تخدمهم وتساعدهم، وتسهم معهم فى حل مشكلاتهم.

واعلم أن المشاركة الوجدانية لا تتوافر على الحقيقة إلا لمن عرك الآلام وتمرس فى التجارب وخبر الأحزان وعانى الصعوبات والمضايقات.

وأوصيك بأمرين رئيسيين: الأول أن ترفع قلبك دائماً إلى الله بالصلاة. ليس فقط فى مواعيدها، الصباحية والنهارية والمسائية ولكن أيضاً وفى أثناء اليوم، أى فى عملك، وفى الطريق، وقبل أن تُجيب على سؤال، وقبل أن تواجه موقفاً - قل يا ربى، ارحمنى وساعدنى، قونى - اسندنى فأخلص. نجنى من كل شر وشبه شر. دبر حياتى. وأعن ضعفى.

الأمر الثانى - اقرأ فى الكتاب المقدس يومياً، ثم اقرأ كتباً أخرى نافعة لك لبناء شخصيتك روحياً، وذهنياً، واجتماعياً، وليكن لك هدف من حياتك، هدف سام وعال، عالماً أن حياتنا الحاضرة مقدّمة لحياتنا الآتية. وأن طريق التقدم مفتوح إلى غير نهاية. وأنك بالتقوى وبالقراءة والعلم تنتقل من مرحلة نفسية وذهنية إلى مرحلة أخرى أرقى فى طريق صاعد وإلى الأمام، فنحن قد وعدنا المسيح له المجد بالحياة الأبدية. وإذن فنحن لم نخلق لنموت أو نفنى، وإنما خلقنا لحياة لا نهاية لها، حياة مع الله إلى الأبد.

فلا تنزعج لضعفاتك. إنها دروس تتعلم منها ما ينفعك لبناء شخصيتك وتقويمها. ولا تضيع وقتك، فهو ثمين، وإنما عليك أن تحشده بأعمال التقوى، بالدرس المستمر، وبالأعمال الصالحة لخدمة المجموع الإنسانى.

٥١ ـ للعادة السرية مضارها العصبية والبدنية

سؤال من الطالب الجامعى م. ف.. ـ القاهرة

يشكو العادة السرية ويطلب الإرشاد والتوجيه.

الجواب:

وصلنى خطابك غير المؤرخ بتاريخ، وفيه تشكو من مرارة العادة السرية وتسلطها عليك.

فإذا كنت مقتنعاً بشرها وسوء عواقبها فهذه أول خطوة على طريق الانتصار. ولكن يلزمك أن تكون حازماً وقوى الإرادة. واعلم أن كل انتصار يفيدك، ويولد انتصاراً آخر. وكل هزيمة تلد هزيمة بل هزائم. لذلك اهرب من المثيرات التى ترد إليك ذكريات هذه العادة المدمرة لطاقتك العصبية والذهنية وهى فى حقيقتها زنى وأكثر من زنى، فإن الجهد العصبى الذى تقتضيه يزيد كثيراً ـ على ما يقال ـ عن الجهد العصبى الذى تقتضيه العملية الجنسية الطبيعية لإنسان متزوج. ثم إن هذه العادة تضر الطاقة الجنسية وتضعفها، وتستهلكها قبل الزواج. ولذلك فإن نتائجها ضعف فى النسل كما أنها تكون سبب تعاسة للزوجة، لأن من يخضع لهذه العادة، تتبعه إلى داخل الحياة الزوجية.

لذلك قاوم هذه العادة «قاوموا إبليس فيهرب منكم» (يعقوب ٤: ٧) واهرب منها، ولا تسمح لنفسك أن تلمس بيدك جسمك فى منطقة حساسة لئلا يثيرك اللمس ويهيج الشهوة فى جسدك.

وضع فى قلبك أنه فى إمكانك أن تنتصر. وقل «أستطيع كل شئ فى المسيح يسوع الذى يقوينى» (فيلبى ٤: ١٣) واذكر قول المسيح له المجد «كل شئ مستطاع للمؤمن» (مرقس ٩: ٢٢).

يلزمك، الثبات وعدم التردد، والعزم الصادق من أعماق القلب على كراهة هذه الخطيئة ومقاطعتها.

٥٢ ـ هذه المتاعب من معاكسات الأرواح الشريرة

سؤال من السيد/ ص. أ. ص.

يقول: إنى أعانى من ظاهرة غريبة، بدأت عندى بإحساس يخامره الشك فى أن الآخرين يقرأون أفكارى، ثم تطور الأمر إلى أننى صرت أسمع فى غرفة نومى أصواتاً تنطق أحياناً بأغانى مبتذلة وكلمات بذيئة. ويصحب هذا إحساس بتيار كهربائى ضعيف يبدأ من عند قدمى وينتقل شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى الحنجرة، فأحس بعد ذلك باختناق وبقبضة على الحبال الصوتية ويتحكم فيها بالضم والفصل. وتطور الحال معى فصرت أسمع أصواتاً من خلال حنجرتى وعن طريق استخدام حبالى الصوتية، فأرى بنفسى وأسمع أصواتاً تتكلم من حنجرتى بينما أنا صامت ساكن، ويحدث لى أحياناً شلل فى المخ ومراكز التفكير، وأسمع أحياناً تهديدات وإنذارات وتوعدات بتدمير حياتى ـ ثم انتقلت إلى حال جديد فصرت أرى على الحائط، وفى فضاء الحجرة أفلاماً ملونة ـ وبلغ الأمر بى أن صارت الأصوات تتكلم على لسانى، ومن غير إرادتى، كلاماً سبب لى متاعب كثيرة وأوقفنى مواقف محرجة مع رؤسائى ومع شخصيات أخرى محترمة. والواقع أنى فى عذاب وآلام، أحس أحياناً بآلام فى الزور، وضغط على القفص الصدرى ومنطقة البطن وجميع مفاصلى، فإذا بمفاصلى تتفكك وأعصابى ترتجف لساعات. وأسمع فى أذنى ثرثرة وشوشرة متواصلة بالليل والنهار. ولقد تدهورت صحتى وأمسيت غير قادر على النوم ولا على تركيز الانتباه والتفكير، ولا على التذكر. إنى الآن أرجو رحمة الله علىّ، وأطلب المشورة وحلاً لمشكلتى التى تعقدت وساءت بسببها صحتى حتى صرت مثل هيكل عظمى، كما إنى فقدت فرص العمل وصرت أيضاً فى ضنك شديد على الرغم من دراساتى فى مصر وفى الخارج مدة تزيد على العشرين عاماً.

الجواب:

لقد قرأنا خطابك بإمعان، وتأثرنا بالغ التأثر لآلامك. ويبدو لنا:

أولاً ـ أن هذه الآلام حقيقية، ولست مبالغاً فيها، وهى ليست فى أكثرها أوهاماً، لكننا نعزوها إلى معاكسات ومحاربات من الشياطين والأرواح النجسة. والأرواح النجسة ليست كلها شياطين، لكن منها أرواحاً بشرية شريرة.

ثانياً ـ ربما أن تكون أنت فى وقت ما قد تعاملت بصورة ما مع هذه الأرواح الشريرة، بقصد

ساذج أو بقصد الإضرار، ولربما دخلت فى تجربة مع السحر والسحرة، أو مع العرافة والعرافين، وكلهم عملة مع الشياطين والأرواح النجسة والشريرة. وقد تكون قد اقحمت ذاتك فى هذه الدائرة سواء بقصد الدراسة أو بالاشتراك مع غيرك من هواة هذا الطريق المؤدى إلى الهلاك... ويكون هذا هو السر الحقيقى وراء متاعبك، أنك أعطيت سبيلاً للأرواح الشريرة أن تجرؤ عليك وأن تسيطر على فكرك وبالتالى على جسدك.

ثالثاً- ربما أن تكون أنت قد استهواك هذا الطريق واستمرأته وسمحت لنفسك أن تمتد فيه - ولو بالفكر- وحتى تصل إلى نتيجة ما وقد يكون أنك استملحت ذاك الطريق، ورغبت فيه، أو اقتنعت به على الأقل، وقد يكون غمرك به إحساس سار بإنك توصلت إلى كشف جديد، أو حصلت على موهبة خاصة غير عادية، بدت لك أنها موهبة نافعة، إذا صقلتها وأنميتها بلغت بك مرحلة يمكنك فيها أن تعرف أمور غيرك، وتستطيع أيضاً التأثير فيهم والتغلب عليهم.

إننا هنا نذكر لك بعض الاحتمالات، ونترك لك مراجعة نفسك لعلك تقف بنفسك على الأسباب الجذرية التى جعلت هذه الأرواح الشريرة والنجسة تتجاسر عليك، وتستغلك، وتسيطر على فكرك ثم على جسدك.

والمعروف عند الخبراء الروحانيين أن الشياطين والقوات الشريرة، ملائكية أو بشرية، تجول حولنا وتحاول أن تنال منا، ولكن الكتاب المقدس ينبهنا قائلاً: «اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو. فقاوموه راسخين فى الإيمان، عالمين أن نفس هذه الآلام تجرى على إخوتكم الذين فى العالم» (١ . بطرس ٥: ٨، ٩) ويقول الوحى الإلهى أيضاً «فاخضعوا إذن لله، وقاوموا إبليس فيهرب منكم. اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم. طهروا أيديكم أيها الخطاة ونقوا قلوبكم يا ذوى الرأيين» (يعقوب ٤: ٧، ٨) ويقول كذلك «استمع فأخبرك من هم الذين يستطيع الشيطان أن يقوى عليهم .. الذين يتفرغون لشهوتهم كالفرس والبغل اللذين لا فهم لهم، أولئك للشيطان عليهم سلطان» (طوبيا ٦: ١٦، ١٧).

رابعاً- اعلم أن لكل داء دواء، ولكل مرض علاجاً، ولكل مشكلة حلاً. وثق تماماً أن لمشكلتك حلاً، بعضه على الأقل فى يدك أنت.

إن مشكلتك كما يبدو من تفاصيل خطابك، جذورها روحية قبل أن تكون عصبية أو عقلية. وكثيراً ما تكون الأمراض العصبية والعقلية متسببة عن أمراض روحية سابقة. والإنسان روح قبل أن يكون جسداً، أو هو روح ساكنة فى جسد . فإذا مرضت الروح مرض الجسد تبعاً لها. ومع مرض الروح يمرض الذهن وتمرض الأعصاب ويمرض كل كيان الإنسان.

قد يقال لك إنك مريض فى أعصابك، وأن علاجك هو فى الصدمات الكهربائية فى المخ، أو فى حبوب مهدئة مخدرة.. ولكننا نعتقد أن وراء هذا كله مرضاً روحياً، والمرض الروحى لا تفيده الصدمات الكهربائية، ولا تقضى عليه الحبوب المهدئة والمنومة، والمخدرة، وهذه كما يقول علماء الطب لها أخطارها على القلب فضلاً عن أنها ليست علاجاً جذرياً .. المرض الروحى يظل صامداً متمنعاً ما لم تشف الروح أولاً...

وشفاء الروح والنفس هو بتصحيح مسارها، وذلك يكون بإعلان توبة صادقة بايمان من القلب، ومرارة فى الروح، وعزم صادق على تصحيح المسار، وأن يبدأ الإنسان فى طريق الخلاص.

لذلك أنصح لك أيها العزيز بأن تطرح نفسك أولاً أمام الله، وتطلب منه العفو والخلاص، وأن تختلى بنفسك، تراجع حياتك، وتحاسب ذاتك، وتحاكمها، وتعرف أخطاءك وخطاياك.

ثم بعد هذا ابحث عن كاهن شيخ وقديس، اكشف له ذاتك واعترف للرب وإليه، بكل ماضيك، تقيأ ماضيك تسترح، واعلم أن الاعتراف على يد الكاهن برهان على صدق توبتك، وأنك حقاً تريد الخلاص. والاعتراف السليم هو شكوى النفس من النفس .. لا تشكو غيرك، وإنما عليك أن تشكو نفسك، ولا تبرر ذاتك ـ ولا تدافع عن تصرفاتك، ولا تتملق ذاتك، ولا تداهنها، ولا تتحيز لها، وإنما كن صارماً على ذاتك وأنت تعترف.

وعلاجك هو فى توبتك، وعلاجك هو فى الصلاة الهادئة العميقة.. صلاتك أنت أولاً، لأنها برهان رغبتك فى الخلاص، ثم صلوات الكاهن الشيخ القديس على رأسك.. دعه يرفع الصليب على رأسك ويصلى، ويستحدر قوة الله على رأسك ومنها على جسدك.. واطلب أن يكون ذلك على مرات.. وقد يحتاج الأمر إلى عدد من المرات، فى كل مرة يشحنك بالصلاة بقوة علوية تطرد منك سلطان الأرواح الشريرة التى تصادقت معك وتجاسرت عليك، وربما عقدت معك عهداً، وربما رابطت فيك أو بالقرب من قلبك وعقلك، وربما تلامست معك، ولمست شيئا منك،

أو ربما ربطت شيئاً فيك.. فبقدر ما تلامست معك تحتاج إلى جهد مضاعف لطردها عنك، وذلك يقتضي رغبتك الصادقة فى الخلاص ثم صلوات الكاهن الشيخ على رأسك، بعد أن تكون اتخذته لك أباً لذمتك، وطبيباً روحياً يرشدك ويعالجك. ولا تنس أخيراً أن تختلى إلى أماكن القديسين الكبار من أمثال الشهيد مارجرجس المعروف بسلطانه على الشياطين والأرواح النجسة، فإن ترددك على هذه الأماكن الطاهرة ينفعك، ويزدوك بسلاح من نار.

وأخيراً، ننصح لك بأن لا تقترب من القربان المقدس إلا بعد أن تكون قد تخلصت من سلطان الأرواح الشريرة عليك، لئلا يصيبك ما هو أسوأ.

وأما من جهة الغذاء، فيناسبك أن تتجنب أكل المقليات بأنواعها فإنها ضارة بمن هو فى مثل حالتك، وتجنب المشروبات المثيرة مثل القهوة والشاى والكوكاكولا. وسائر المكيفات... واقبل على المأكولات الغنية بالفسفور، ومنها البيض المسلوق، والسمك (مسلوقاً أو مشوياً)، واللبن بكافة صوره.. ثم الفاكهة بأنواعها، والخضروات النيئة الطازجة بأنواعها.. وعسل النحل، والعسل الأسود وغير ذلك من المأكولات الطبيعية، وبصورتها الطبيعية أو القريبة من الطبيعة.

هذه بعض نصائح وتوجيهات فى الموضوع. ولكننا لا نهمل أن نلح على ضرورة الكاهن الشيخ والقديس، وأهميته كطبيب روحى يدرس الداء، ويصف الدواء.

٥٣ ـ التوبة عزم صادق على تجديد السيرة

سؤال من شاب.

الجواب:

رداً على خطابك نفيد بأنك فى حاجة إلى شجاعة مع نفسك، وقرار حاسم بإرادة صادقة بأن تمتنع امتناعاً كاملاً عن كل فعل جنسى وشبه جنسى وأن لا تسمح لنفسك حتى بما يبدو لك أنه لهو بريئ، لأنه مدخل ناعم إلى الخطيئة. ثم ضع فى قلبك أنك أيضاً بتصرفك تثير الفتاة، وتعرضها للخطيئة، وأنت تعلم قول المسيح الرب بالويل لمن يعرض للخطيئة أحداً من الصغار وغير الصغار. فاترك هذا اللهو بعزيمة صادقة، وامنع نفسك عن ذلك منعاً. واعلم أن كل نصر يولد نصراً وكل هزيمة تولد هزيمة.

ثم قل فى نفسك كيف أبيح لنفسى هذا وأنا أتقدم إلى الأسرار المقدسة، ثم كيف أسمح لنفسى بهذا وأخطئ إلى الله.

العادة تبدأ خيوطاً حريرية ولا تلبث أن تتحول إلى قيود حديدية. لذلك فإن مقاومتك للعادة التى تسلطت عليك يحتاج إلى إرادة قوية وإلى عزم وحزم وحسم مع نفسك.

وقل لنفسك: كيف أسمح لنفسى أن أصنع فى الخفاء أمراً أخجل من فعله أمام أهل البيت.

واعلم أن الإرادة تتقوى بالصوم أولاً وبالصلاة.

٥٤ ـ ننصح لك بالزواج

سؤال من الشاب ث. ف. ى.

الجواب:

بناء على ما فهمته من خطابك، ومما تتعرض له من حروب شبابية، أنصح لك بالزواج، إذا أمكن، فإن الزواج بامرأة صالحة سينفعك كثيراً ويدفع عنك شروراً، ويغلق أمامك باب حروب من بعض النواحى على الأقل.

ولا يتعارض زواجك مع ما تؤمله وترجوه من إتمام دراستك بكلية الحقوق أو غيرها، فقد تستطيع مستقبلاً أن تجمع بين هذا وذاك. وقد تمكن من قبلك آخرون من المتزوجين من متابعة الدراسة والحصول على الدرجات العلمية التى يريدونها. ولعلك قرأت أو سمعت عن رجل يدرس وهو وابنه الشاب فى وقت واحد فى مستويين متقاربين من الدراسة. فلا تيأس من المحاولة طالما أن لك طموحاً وآمالاً، وطالما أن لك عزيمة صادقة، وعلى قول الشاعر:

شبـــاب قُنّـــعُ لا خيـــر فيهـــم

وبُـــورِكَ فى الشـــباب الطامحيـــنا

وقد قال السيد المسيح له المجد «إن كنت تستطيع أنت أن تؤمن فكل شئ مستطاع للمؤمن» (مرقس ٩: ٢٢) وقال الرسول القديس بولس «أستطيع كل شئ فى المسيح يسوع الذى يقوينى» (فيلبى ٤: ١٣).

على أننى حزين لما علمته منك، عن فتورك فى حياتك الروحية، وإهمالك فى واجباتك الدينية. ألا تعلم بما قاله رب المجد يسوع المسيح «ماذا يستفيد الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطى الإنسان عوضاً عن نفسه» (متى ١٦: ٢٦)، (لوقا ٩: ٢٥)؟!

إن خلاص النفس الأبدى أهم ما ينبغى أن يسعى إليه المؤمن السائر فى طريق السماء. واعلم أن هذا السعى لا يتعارض مع العمل وقيامك بواجبك فى تجارتك ودراستك أيضاً. بل إن مسيرتك مع الله تدفعك إلى الاهتمام بعملك والقيام به بأمانة واتقان، وتكون هى الرقيب على قلبك وعقلك وسلوكك فتكون تاجراً نظيفاً طاهر اليد والنفس من كل ما يخدش طهارة الإنسان ونظافته.

ولا تهمل الذهاب إلى الكنيسة فى يوم الأحد من كل أسبوع، فهو يوم الرب، وليس من حقك أن تحوله ليكون يوم عمل للناس أو للعالم. اعطه كله لله، ولكل أنشطة الخدمة للآخرين وللقريب.

ولابد لك فى غير هذا اليوم المقدس للرب، أن يكون لك فى صباح كل يوم، ومسائه، فرصة عبادة، تسجد لله وتصلى، و«وتطلب ملكوت الله وبره» (متى ٦: ٣٣)، وأن تكون لك فرصة لقراءة فصل من الكتاب المقدس، وبضع صفحات قليلة من كتاب روحى منعش أو كتاب من سير وتراجم القديسين.

وبعد رجوعك من عملك، ارفع أيضاً صلاة وطلبة. وإذا أمكنك أيضاً أن ترتل ترنيمة روحية منعشة. وإذا كان لك أن تستيقظ مبكراً حتى تقوم بواجباتك الروحية قبل أن تخرج لعملك، فمن حقك أن تنام مبكراً لتأخذ نصيبك من راحة الجسد، فى حدود ثمانى ساعات يومياً.

وأما عن متاعبك الصحية من الجيوب الأنفية فعالجها ولا تهملها. اذهب إلى الطبيب الأخصائى واعمل بنصائحه. ولعله يرشدك إلى بعض النصائح الطبيعية بأن تأخذ نصيبك الأوفر من الطبيعة أكثر مما تأخذه من المركبات الكيميائية.

وأخيراً، ننصح لك بالتناول بتواتر من القربان المقدس، مرة كل أسبوعين، ومهما يكن من أمر فإن أقصى مدة لا ينبغى أن تتجاوزها هى أربعون يوماً، ما لم يكن عليك حكم كنسى بسبب خطيئة مانعة.

والمهم والضرورى والعاجل أن تجعل نفسك تحت تدبير كاهن شيخ فاضل وعالم ومحنك، تتخذه أباً روحياً ومرشداً، ويتخذك ابناً له يرعاك ويدبرك.

أما الصوم، فضرورى ونافع لك. إن الصوم نافع جداً ومهم للشباب على الخصوص. فإنه سلاح للنصرة على خطايا الشباب، **وهو أول تمرين عظيم لتقوية الإرادة.** والإرادة هى قوام الحياة الشبابية الناجحة.

والصوم لا يتعارض مع الصحة، بل على العكس إن الصوم ضمان للصحة الشاملة.

إذا عرفت أن تصوم صوماً سليماً، فسيوفر لك الصوم، إلى جانب الصحة الروحية، صحة البدن، وصحة الذهن.

والصوم فى مفهومه السليم بما يحقق جميع أغراضه الروحية والبدنية والذهنية هو بالامتناع التام عن الطعام فترة كافية يأكل بعدها الصائم طعاماً نباتياً طازجاً (كالفاكهة والخضروات الطازجة) أو مطبوخاً بالماء.

وعند الأكل تصب عليه شيئاً من الزيت وشيئاً من عصير الليمون. هذا هو الطعام المثالى بعد فترة الانقطاع التام، وهو يناسب صحة السليم والمريض بأى نوع من الأمراض، بل هو الطعام الوحيد المناسب لجميع المرضى بكل أنواع المرض.

ومعنى ذلك أن يتجنب الصائم المقليات بصورها المختلفة، ويتناول الطعام غير مقلى بالزيت، ثم يضيف إليه كما قلنا الزيت النيئ.

هذه النصائح والتوجيهات لا جدوى منها ما لم تمارسها. وهكذا كل نصيحة تقرأها أو تسمعها يجب أن تتحول عندك إلى ممارسة وإلى عمل، إذا أردت أن تسير فى خط صاعد وإلى الأمام لحياة ناجحة فى الدنيا والآخرة.

٥٥ ـ الصوم نافع لك ثم الهرب من المثيرات

سؤال من شاب .

الجواب:

رداً على خطابكم بتاريخ ٣/ ١٢/ ١٩٧٩ بخصوص الشهوة التى تحاربك وهى على ما تقول شهوة الشذوذ الجنسى.

ننصح **أولاً** ـ أن تقرأ كل ما يتصل بالموضوع فى الكتاب المقدس ولا سيما سفر رسالة رومية، الأصحاح أو الفصل الأول.

ثانياً ـ يجب أن تفرض على نفسك صوماً انقطاعياً طويلاً أى تصوم إلى الغروب كل يوم ثم تأكل طعاماً نباتياً مسلوقاً عليه شئ قليل من الزيت الذيئ والليمون مع تجنب البقول الجافة والزيت المقلى والمخللات والشطة.

ثالثاً ـ لا تذهب إلى الفراش إلا إذا كنت متعباً جداً، حتى تنام فوراً وبدون أن تعطى فرصة للأفكار.

رابعاً ـ اهرب من جميع المثيرات التى تثيرك للخطيئة سواء كان شخصاً أو شيئاً أو مكاناً.

خامساً ـ تجنب أن تنفرد بشخص على حدة.

سادساً ـ امتنع مؤقتاً عن التناول من سر القربان إلى أن تحصل أولاً على الانتصار.

سابعاً ـ اقرأ كثيراً فى الكتاب المقدس والكتب الدينية لتعطيك مادة للصلاة وللتفكير.

ثامناً ـ لا تسمح لنفسك أن تلمس بيدك جهازك التناسلى، اعتبره قدس أقداس جسدك.

تاسعاً ـ اعلم أن النصر يولد نصراً، والهزيمة تولد هزيمة. فكلما انتصرت أضاف هذا إلى رصيدك فى الانتصار.

عاشراً ـ اتخذ لك أب اعتراف من شيوخ الكهنة المتزوجين.

٥٦ ـ اشغل وقتك بالعمل دائماً

سؤال من شاب.

الجواب:

قرأت خطابك المؤرخ ١٣/ ٧/ ١٩٧٩ وانصح لك لكى تمر فى فترة المراهقة التى تجتازها الآن، بسلام، بأن تقرأ إلى جانب الكتاب المقدس.

١ ـ كتاب (طريق السماء) للقس منسى يوحنا. اقتن هذا الكتاب فإنه نافع لك. وكثيرون استفادوا منه فى فترة الشباب.

٢ ـ كتاب (يسوع المسيح) للقس منسى يوحنا.

٣ ـ كتاب (الجسد) للأستاذ نجيب جرجس.

هذه الكتب إذا لم تتمكن من شرائها يمكنك أن تستعيرها من مكتبة الكنيسة ومدارس التربية الكنسية.

ثانياً ـ يعوزك أن تحضر الجنازات فإن التأمل فى الموت خير معلم يعلم الإنسان الزهد واحتقار أباطيل العالم.

ثالثاً ـ إذا رأيت امرأة عجوزاً، تأملها لترى فيها بطلان الشهوات، وتتحقق من زيف الشهوة والرغبات الجسدية.

رابعاً ـ قلل من أكل اللحوم، ومن الأطعمة المقلية بالسمن ـ وأكثر من الخضروات والفواكة، ولا تنم بعد الأكل مباشرة، وانعش قلبك بالترانيم والتراتيل المؤثرة التى تحبها، واشغل وقتك بالقراءة المفيدة، وبالاندماج فى اجتماعات الكنيسة، ولا تظن أن الفترة التى تجتازها الآن أنها ستبقى معك. إنها فترة محدودة بسبب خبرتك المحدودة. ولكنها سوف تزول لأنك ستجد أموراً أخرى ستحتل تفكيرك أهم من هذه التى تحاربك الآن.

خامساً ـ لا تستسلم للأفكار المثيرة، بل اطردها وانهض فوراً وتحرك، وغيّر مكانك، واعمل عملاً ما، فالشاب الذى يشتغل يحاربه شيطان واحد أما الذى لا يشتغل فتحاربه شياطين كثيرة.

سادساً ـ يلزمك الصمود مع الصلاة، وعدم الاستسلام للأفكار الشريرة. وصلّ عندما تحارب بهذه العبارة القصيرة «يا ربى يسوع المسيح، أعنى».

سابعاً ـ العب فى الصباح بعض الألعاب الرياضية، أمام نافذة مفتوحة، والعب مع بعض الزملاء الأتقياء بعض الألعاب الأخرى مثل البنج بونج، أو كرة السلة أو غيرها ـ فإن الألعاب البدنية تصرف الطاقة الشبابية الزائدة، وتنفس عن الطاقة المحبوسة. وهذا خير لك يساعدك على أن تنتصر على الأفكار الشريرة.

وخذ حماماً بارداً فإنه ينعشك وهذا أيضاً ينفعك ويقويك، وإذا أمكن فليكن هذا الحمام البارد يومياً.

ولا تنس أخيراً أن تمارس التوبة فى كل يوم، وأن تمارس الاعتراف والتناول من الأسرار المقدسة.

وأن تملأ وقتك بالقراءة، والترنيم، والصلاة والعمل، ولا تترك نفسك دقيقة واحدة عاطلاً.

٥٧ ـ الصديق يسقط سبع مرات ويقوم

سؤال:

ما هو المقصود بقول الجامعة: «الصديق يسقط سبع مرات ويقوم» (أمثال ٢٤: ١٦)؟

الجواب:

المفهوم من السقوط هنا سقوط الزلل (ميخا ٧: ٨)، (أيوب ٥: ١٩)، (مزمور ٣٣: ١٩). أما السقوط العمد فهو سقوط لا عن جهل أو توان أو تفريط، ولكن عن حب فى الخطيئة وتعلق بها.

على أن العدد ٧ هنا ليس مقصوداً لذاته وإنما هو عدد من أعداد الكمال. يكنى به عن أى رقم فى عدد الزلات.. وهذا يفتح باب الرجاء خصوصاً أمام الإنسان فى المراحل الأولى للتوبة، فإن الإنسان عند ذاك يكون عرضة لكثرة الزلل لأن قدميه ليستا ثابتتين بعد، ولأن الأرض من تحته زلقة.

٥٨ ـ يجب أن يمارس فعل الندامة والتوبة

سؤال:

عن رجل متزوج ترك دينه المسيحى وندم على تصرفه، ورغب فى العودة إلى دينه، أفهل تعاد معموديته عند عودته؟ وما هو موقف الزوجة فى الحالتين؟ وما موقف الكنيسة منه ؟

الجواب:

إذا كان الرجل قد نال العماد من قبل، فلا تعاد معموديته عند توبته ورجوعه إلى المسيحية. فالمعمودية تطبع سمة فى النفس لا تُمحى، ولذلك لا يجوز إعادتها، ونحن نقول فى قانون الإيمان: «نعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا».

أما الزوجة فهى زوجته. كانت وما زالت زوجته ولا يحتاج إلى أن يعقد عليها من جديد، بعد عودته إلى المسيحية.

كنسياً وروحياً يجب أن يمارس الرجل فعل الندامة والتوبة عن خطيئته بخيانته للمسيح، ويقبل تأديباً كنسياً من الكاهن. فإذا كانت توبته صادقة يمنحه الكاهن الحل ثم يناوله من الأسرار المقدسة ليباشر حياته المسيحية كمؤمن سائر فى طريق السماء.

أما الزوجة فإذا خرج زوجها عن دينه المسيحى، فلا تسرع بالزواج من غيره، وإنما تنتظر عودته، محاولة من جانبها أن تزيل أسباب الجفوة التى أدت به إلى ترك دينه والتى ربما يكون لها دور فيها، وتصلى من أجله وتطلب الرحمة له ولنفسها.

فإذا تبينت بعد مرور فترة كافية تقررها الكنيسة أنه لا أمل فى عودته فيمكنها أن تطلب من الكنيسة التصريح لها بالزواج.

٥٩ ـ تراوده الأفكار فى الحمام

سؤال من شاب:

إنسان تراوده الأفكار الشريرة دائماً فى الحمام.. هل يحل له تلاوة بعض المزامير والترانيم حتى يتغلب على هذه الأفكار؟

الجواب:

أقول: نعم، إن ذلك يحل، وأقول أيضاً أنه مفيد ونافع. وهو صورة من الهذيذ فى كلام الله حتى ينصرف الذهن عن الأفكار الشريرة، إلى المعانى الروحية التى تنطوى عليها نصوص المزامير والترانيم. ولربما يكون من الخير أيضاً تلاوة المزامير والترانيم بأنغامها الحلوة، فإن الترتيل يثير العاطفة الدينية ويغذيها، ويذكيها.

على أنه يلزم أن يكون الترتيل، والتلاوة، كلاهما مصحوباً بذهن يتأمل المعانى الروحية، ويجترها، فيذوق حلاوتها، فكلما كان الذهن يتفكر فى معانى الكلمة والقلب يتحسسها ويتلامس معها، كان الترتيل وترديد المزامير مطهراً للفكر، طارداً للشر من قلب الإنسان وفكره، ويشد انتباهه إلى السمائيات والروحانيات.

يقول الرسول القديس بولس «أصلى بالروح وأصلى بالذهن أيضاً أرتل بالروح وأرتل بالذهن أيضاً» (١ . كورنثوس ١٤: ١٥)، (أفسس ٥: ١٩)، (كولوسى ٣: ١٦).

ثم أن الترتيل والهذيذ فى كلام الله يطرد الشياطين والأرواح النجسة، ويجذب الملائكة والأرواح المقدسة. فقد قال الكتاب المقدس إن شاول بغته روح شرير، فكان داود يأخذ العود ويضرب بيده، «فكان يرتاح شاول ويطيب، ويذهب عنه الروح الشرير» (١ . صموئيل ١٦: ٢٣).

٦٠ ـ هل يجوز للمغلوب من طبيعته أن يتناول من الأسرار المقدسة

يسألون عما إذا كان يمكن لمن يُغلَبون من ضعف طبيعتهم أن يتقدموا للأسرار المقدسة؟

الجواب:

نقول إنه لا يجوز للكاهن أن يقرب للأسرار المقدسة شخصاً أخطأ خطيئة مانعة. فإنه حينئذ يكون تناوله من غير استحقاق، وبالتالى يصير مجرماً إلى جسد الرب وإلى دمه. (١ . كورنثوس ١١: ٢٧).

٦١ ـ حرب الأفكار

سؤال من شاب.

الجواب:

رداً على خطابك المؤرخ ١٩٨٠/٥/٢٤ أفيد بالآتى:

أولاً: إن حرب الأفكار هى ناجمة عن العادة السرية التى كنت تباشرها لمدة سنتين على ما تقول ـ فالعادة ـ أى عادة ـ تبدأ خيوطاً حريرية، فلا تلبث بعد حين أن تصبح قيوداً حديدية تشد من ارتبط بها زمناً ما إلى أن يتخلص منها ومن آثارها بعد فترة من الصمود والمقاومة.

لذلك يلزمك أن تصمد، ولا تلين إذا شدتك الرغبة إلى ممارستها. فإذا نجحت فى الثبات ولم تخر، فإنك بعد مدة ستنساها، ويسقط عنك أثرها فى نفسك.

فلا تسمح لنفسك أن تميل إليها أو تفتر عن الصمود أمامها، وإنما يلزمك الثبات فى حياة الفضيلة، ومواصلة الجهاد. وقد تحتاج إلى الجهاد فى الصلاة وإلى الصوم الانقطاعى الطويل.

فإذا كانت أخطاء المؤمن عرضية أى من قبيل السهو أو التوانى، فيمكن إذا قدم عنها توبة أن يغتسل منها فى دم المسيح فى سر التناول. أما إذا كانت خطاياه من نوع تعلق بها قلبه، فيجب أن يمنعه أبوه الكاهن إلى فترة تأديبية يمتحن فيها ذاته. فإذا تقدم فى الحياة الروحية، سمح له بالتقدم إلى الأسرار المقدسة.

٦٢ ـ قد يُسلَّم الخاطئ للشيطان لهلاك الجسد، ولكن لكى تخلص الروح

سؤال من أ. ش.

هل يفهم من (١ . كورنثوس ٥: ٥) أن المؤمن الزانى يخلص ويرث السماء، إذ يقول الرسول «أن يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكى تخلص الروح فى يوم ربنا يسوع المسيح»؟

الجواب:

كلا، لأن هذا الحكم الذى أصدره الرسول على هذا الزانى إنما هو عقوبة تأديبية حتى إذا تاب، كان له الخلاص فى يوم الدين.

على أن هذه العقوبة شملت ناحيتين: إحداهما روحية اجتماعية والأخرى جسدية مادية.

أما العقوبة الروحية، فهى الحكم عليه أن يعزل من وسط المؤمنين (١ . كورنثوس ٥: ١٣) وأن يحرم من مخالطتهم، والاجتماع بهم فى الكنيسة، وخارجها، ومن مؤاكلتهم، ومعاملتهم بالكلية، كما يتضح من قول الرسول: «نقوا منكم الخميرة العتيقة.. لا تخالطوا الزناة.. لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا.. اعزلوا الخبيث من بينكم (١ . كورنثوس ٥: ٧، ٩، ١١، ١٣). وهذا هو قرار «الحرمان من شركة الكنيسة» الذى أصدره القديس بولس غيابياً على هذا المؤمن الزانى، ليقضى بتجريده وقطعه من شركة الكنيسة، بموجب السلطان الرسولى الذى ناله كرسول للمسيح، فقد قال السيد المسيح لرسله الأطهار: فإن رفض (المخطئ) أن يسمع للكنيسة، فليكن بالنسبة إليك كوثنى وعشار. الحق أقول لكم إن كل ما تربطونه على الأرض يربط فى السماوات، وكل ما تحلونه على الأرض يحل فى السماوات (متى ١٨: ١٨)، (متى ١٦: ١٨) «كما أرسلنى الآب كذلك أرسلكم أنا. قال هذا ثم نفخ فى وجوههم. وقال لهم: اقبلوا الروح القدس: من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم، ومن أمسكتموها عليهم تمسك عليهم» (يوحنا ٢٠: ٢١ – ٢٣).

ولا شك أن المؤمنين فى كورنثوس خضعوا للسلطان الرسولى، وقطعوا شركتهم بهذا الرجل، واعتزلوه، ولم يخالطوه أو يؤاكلوه أو يشاريوه أو يعاملوه، وقد أثمر هذا التأديب فى نفس الخاطئ وأتى بنتائج طيبة، حتى أصابه حزن شديد، وكاد أن يبتلع من الحزن المفرط ولذلك كتب الرسول إلى كنيسة كورنثوس مرة أخرى فى رسالته الثانية يفيدهم بأنه كما حكم عليه بالحرمان

كذلك يحكم له بالغفران بعد أن ثبت له أنه قد تاب توبة صادقة، وأمرهم أن يُعيدوه إلى شركة الكنيسة وأن يمكنوا له الحب، لئلا يختطفه الشيطان إذا يئس من رحمة الله ومن عودته إلى شركة الكنيسة به، قال «يكفى هذا الرجل ذلك العقاب الذى من الأكثرين، حتى إنه أحرى لكم بالعكس، أن تسامحوه وتعزوه لئلا يبتلع مثل هذا من فرط الغم. فأناشدكم أن تؤكدوا له المحبة.. لئلا يطمع فينا الشيطان فإننا لا نجهل أفكاره» (٢ . كورنثوس ٢ : ٦ - ١١).

وهذا هو السلطان الذى عناه الآباء الرسل حين أمروا الأسقف فى الدسقولية «إذا رأيت واحداً لا يتوب، بل ... بقساوة تمرد يدمن على جهله، فأخرجه وأقطعه من الكنيسة بألم قلب وحزن لأن عضواً لم يقبل العلاج، .. «إذا وجدتم إنساناً.. قاسياً سئ الخلق.. فانتهروا الظالم وأخرجوه، واحكموا عليه.. وإذا ندم وتاب فاقبلوه..» (١).

وأما العقوبة الثانية، وأعنى بها العقوبة الجسدية والمادية، فهى أن يُسلم ذلك الزانى للشيطان فيصيبه فى جسمه بأمراض، وفى أمواله بخسران، حتى يفيق من ضلاله، ويدرك شر أفعاله.. ومع أن هذه الآلام المادية والجسدانية، قد أصابت الرجل بالسلطان الرسولى الإلهى، لكن أمر تنفيذ الشرور يقوم به الشيطان الذى يفرح بهذه الفرص التى تتخلى فيها عناية الرب عن الإنسان:

١ ـ والمثل على أن الشيطان يصيب الإنسان بشرور الأمراض والبلايا، أيوب الصديق الذى أسلمه الله إلى الشيطان فترة ما ليجعل منه عينة على الصبر، «فقال الرب للشيطان: ها إن كل شئ له فى يدك، ولكن إليه لا تمدد يدك» (أيوب ١ : ١٢) ففرح الشيطان بهذه الفرصة، وأصاب أيوب فى كل أمواله وفى كل عياله، ولم يقنع بهذا كله إلى أن سمح الله له بأن يصيبه بالأمراض والقروح «فقال الرب للشيطان ها إنه فى يدك، ولكن احفظ نفسه (أو حياته) .. فخرج الشيطان من حضرة الرب، وضرب أيوب بقرح ردئ من باطن قدمه إلى هامته..» (أيوب ٢ : ٦، ٧).

٢ ـ وبولس الرسول نفسه يشهد عن شر أصابه من قبل الشيطان ولكنه كان لخيره لأن الله هو الذى سمح به «ومخافة أن أتكبر بسمو المكاشفات، أعطيت شوكة فى جسدى: ملاك الشيطان ليلطمنى لئلا أتكبر. ولهذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقنى...»

---

(١) الدسقولية ـ الباب ٨.

(٢ . كورنثوس ١٢ : ٧، ٨) ولعل هذه الضربة كانت قروحاً أصيب بها فى جسده ،حتى إنهم كانوا يأخذون عن جسده مناديل أو مآزر إلى المرضى، فتزول الأمراض عنهم، وتخرج منهم الأرواح الشريرة، (أعمال ١٩ : ١٢) وقد أشار هو إليها مرة أخرى قائلاً: ،وتجربتى التى فى جسدى لم تزدروا بها ولا كرهتموها، بل قبلتمونى كملاك من الله، كالمسيح يسوع، (غلاطية ٤ : ١٤) .

٣ ـ ومثل ذلك أيضاً ما أورده داود النبى فى مزاميره منبئاً عن يهوذا الاسخريوطى: ،فأقم أنت عليه شريراً، وليقف شيطان عن يمينه.. إذا حوكم فليخرج مذنباً، ولتكن صلاته خطيئة. لتكن أيامه قليلة واسقفيته ليأخذها آخر، (مزمور ١٠٨ : ٦، ٧) .

٤ ـ ومثله كذلك، ما قاله السيد المسيح نفسه عن امرأة كان بها روح ضعف ثمانى عشرة سنة ،وهذه ابنة ابراهيم وقد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة.. ، (لوقا ١٣ : ١٦) .

٥ ـ ومثل ذلك أيضاً ما يرويه النبى العظيم زكريا ،وأرانى يهوشع الكاهن العظيم واقفاً أمام ملاك الرب، والشيطان قائم عن يمينه ليقاومه، (زكريا ٣ : ١) .

٦ ـ ومثله كذلك فى العهد الجديد ما يشير إليه القديس بولس فى رسالته الأولى إلى تلميذه تيموثيوس ،أستودعك هذه الوصية أيها الابن تيموثيوس على حسب النبوات .. لكى تحارب فيها المحاربة الحسنة، ولك إيمان.. الذى نبذه قوم فانكسرت بهم السفينة.. الذين منهم هيمينايس والإسكندر اللذان **أسلمتهما إلى الشيطان لتأديبهما** حتى لا يجدفا، (١ . تيموثيوس ١ : ١٨ – ٢٠) .

ولا شك أن التأديبات الجسدية والمادية تفعل فعلها فى أصحاب المشاعر الحساسة، فيثوبون إلى رشدهم. وقد سمح الرب بها لكثيرين غير من ذكرناهم مثل عليم الساحر الذى أصيب بالعمى بدعاء القديس بولس (أعمال ١٣ : ٩ – ١١)، ومثل حنانيا وسفيرة اللذين سقطا ميتين بدعاء القديس بطرس (أعمال ٥ : ٥ – ١٠)، ومثل بعض المؤمنين الذين يتناولون من السرائر المقدسة بغير استحقاق فتصيبهم شرور جسدية كثيرة ،لأن من يأكل ويشرب وهو على خلاف الاستحقاق إنما يأكل ويشرب دينونة لنفسه إذ لم يميز جسد الرب. **ولذلك فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى، وكثيرون يرقدون**، لأننا لو كنا ندين أنفسنا، لما كنا ندان. ولكن إذ قد حكم علينا يؤدبنا الرب لكى لا ندان مع العالم، (١ . كورنثوس ١١ : ٢٩ – ٣٢) .

ومازلنا إلى اليوم نشهد بين الحين والآخر، تأديبات قاسية ومريرة يعانيها بعض الناس ممن يدعو عليهم كاهن أو قديس. فيصابون بخسائر مادية أو أمراض جسدية، أو يقعون فى مصائب متنوعة، وهى تصيبهم بسماح من الله لتأديبهم. ولكن الذى يصيبهم هو الشيطان لأنه هو المشتكى على إخوتنا، الذى يشتكى عليهم عند إلهنا نهاراً وليلاً (الرؤيا ١٢: ١٠).

فالخطاة إذن يسلمون للشيطان عندما يخطئون إلا أن الرسول قد أبان أن هذه التأديبات - جسدية كانت أو مادية - هى لخير الخاطئ، حتى إذا ما أفاق وتاب، غفر له، وحل من خطاياه، فتخلص بذلك روحه فى يوم الرب يسوع، أى فى يوم الدينونة والحساب.

٦٣- التدخين خطيئة وجريمة قتل
الوصية السادسة (لا تقتل)

سؤال من الأب المحترم القس متى وديع سامى - الكاهن بسفلاق - ساقلته.

هل يجوز لمدخن السجائر أن يتناول من الأسرار المقدسة؟

الجواب:

فى وقت مضى كنا ننظر إلى مدخن السجائر كما ننظر إلى من يحتسى الشاى أو القهوة، فكان الكاهن يسمح له بالتناول من الأسرار المقدسة بشرط أن يكون ممتنعاً عن التدخين بوقت كاف قبل التناول بتسع ساعات على الأقل، وكان يجب أن يمتنع عن التدخين بعد التناول بعدد مماثل من الساعات، حيث لا يجوز بعد التناول أن يدخل شيئاً فى فمه ثم يخرجه، لأن الفم واللعاب فيه صار مقدساً بسر القربان المقدس.

أما وقد ثبت لنا اليوم ببراهين قاطعة وأدلة دامغة أن التدخين ضار بصحة الإنسان ومدمر لجسده، وأنه يوذى كل عضو من أعضائه: فيضر بالعينين، والأذنين، والزور، والحبال الصوتية، والحنجرة، والمرئ، والمعدة، والصدر، والقلب، والشرايين، والجهاز الدموى، والجهاز التنفسى، والجهاز الهضمى، والجهاز الغدّى، والجهاز البولى، والجهاز التناسلى ثم أيضاً الجهاز العصبى.

أما وقد ثبت بالبرهان القاطع مسئولية التدخين عن سرطان الرئة، وسرطان الفم...

أما وقد ثبت علمياً شر التدخين أيضاً على بذور الرجل المتزوج، فيضر نسله، فينشأ نسله ضعيفاً متخلفاً، صحياً وذهنياً - قليل المناعة ضد الأمراض، وبذلك يمتد أثره الضار إلى أجيال آتية.

أما وقد ثبت قطعياً ضرره على الجنين إذا كانت الأم أيضاً مدخنة، وعلى الرضيع إذا كانت الأم أثناء فترة الرضاعة تدخن السجائر.

بعد كل هذا الذى ثبت علمياً، والذى صارت هيئة الصحة العالمية تنادى به محذرة من التدخين وأضراره.

وبعد أن صارت بعض الدول والحكومات تلزم شركات السجائر أن تسجل على علب السجائر هذه العبارة « التدخين يدمر صحتك»، تنبيهاً وتحذيراً للناس من ويلات التدخين - ومن بين هذه

الدول انجلترا وكندا والولايات المتحد الأمريكية وألمانيا وهولندا وبعض الدول العربية مثل الكويت.

وبعد أن منعت بعض الدول ومن بينها بلاد الاتحاد السوفيتى التدخين فى الأماكن العامة.

بعد كل هذا ينبغى على الكنيسة أيضاً أن تنبه أبناءها إلى خطر التدخين، وتحذرهم من شروره.

وتكرر لهم بأن التدخين قاتل، وإن الرجل الذى يدخن يقتل نفسه، ويقتل أولاده، ويقتل زوجته.

وإن المرأة المدخنة قاتلة: تقتل نفسها، وتقتل الجنين فى أحشائها، وتقتل الرضيع الذى ترضعه من لبنها المسمم بالنيكوتين الذى فى السجائر.

يقول الخبراء إن كمية النيكوتين الموجودة فى سيجارة واحدة بيضاء تكفى لقتل رجلين لو حقنا بها فى الوريد، أى أن كمية النيكوتين الموجودة فى نصف سيجارة واحدة بيضاء تكفى لقتل رجل لو حقن بها فى الوريد.

يقول الدكتور إبراهيم فهيم فى كتابه «عش سليماً بغير مرض» إن مادة النيكوتين التى فى التبغ «فى حالة التركيز تعد من أقوى السموم المعروفة. فنقطة مركزة واحدة منه توضع على لسان خنزير، أو فوق جلد أرنب فى موضع أزيل منه الشعر تكفى لأن تقتلهما» (١)

وإذا كانت الوصية السادسة تقول «لا تقتل» (الخروج ٢٠: ١٣).

فالتدخين إذن مخالفة لوصية كبيرة من الوصايا العشر. والمدخن إنسان يرتكب خطيئة كبيرة، وهى خطيئة القتل.

وقال الكتاب المقدس أيضاً «لم يبغض أحد جسده قط، بل يقوته ويربيه» (أفسس ٥: ٢٩) لأن الجسد وكالة وأمانة.

هذا عن أضرار التدخين لصحة الإنسان. ولكن له أضراراً أخرى اقتصادية ففيه إتلاف للمال، والمال أمانة، والمدخن يحرق بالنار مالاً هو مؤتمن عليه، وهو من حق الله أولاً، ومن حق عياله وبيته، وهذه جريمة أخرى ضد الله وضد مال الله وضد الأسرة والأهل، وضد المجتمع.

---

(١) كتاب (عش سليماً بغير مرض) للدكتور إبراهيم فهيم صفحة ٨٤، ٨٥.

والمدخن لا يضر فقط نفسه وأولاده وزوجته وصحته وماله، ولكنه أيضاً يضر كل من يكون إلى جانبه من غير المدخنين، لأنه يضطره إلى أن يستنشق النيكوتين فيدخل النيكوتين إلى رئتيه عن طريق التنفس. ولقد تبين علمياً أن غير المدخن يناله ضرر بالغ لو أنه جلس إلى جانب إنسان مدخن. يقول الدكتور أسامة سليمان أستاذ مساعد جراحة الأورام بمعهد السرطان بجامعة القاهرة عن التدخين «إنه يؤثر على المحيطين بالمدخن نفسه. فالمواد الناتجة عن الدخان تؤدى إلى إصابة المحيطين بالمدخن بسرطان الرئة».

لهذه الأسباب جميعها، اجتمعت الأدلة على إدانة المدخن، وعلى أنه قاتل ومرتكب خطيئة كبيرة.

لذلك كان ينبغى أن يُمنع المدخن عن التناول من الأسرار المقدسة كما يُمنع القاتل والسارق سواء بسواء.

ولكن نظراً لأن كثيرين من عامة الناس ليس لهم وعى كاف بأضرار التدخين، ومدى ما فيه من جريمة ومدى ما ينطوى عليه من خطيئة ومخالفة لوصية مهمة من الوصايا العشر.

لذلك نرى أن يتولى الكاهن على منابر الوعظ وفى البيوت، توعية شعب الكنيسة بأضرار التدخين ومدى ما فيه من مخالفة لوصية إلهية، وبعد فترة كافية من التوعية الدينية، يتولى آباء الاعتراف مساءلة كل من يعترف لله على أيديهم ما إذا كان المعترف يدخن. فإذا كان يدخن يفرض عليه الكاهن مرشد الاعتراف تأديباً كنسياً قوامه أساساً منعه من التناول، وتدريبه على الإقلاع عن التدخين، فإذا نجح سمح له بعد ذلك بالتناول من الأسرار المقدسة.

٦٤ ـ صلاة الأشرار غير مقبولة

سؤال من السيد/ مرزوق سليمان ـ القاهرة ـ عين شمس.

هل صلاة الخاطئ مكرهة أمام الرب؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف يتفق هذا مع ما نعلمه من أن الله جاء من أجل الخطاة، وأن السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب؟

الجواب:

نعم إن صلاة الخاطئ مكرهة للرب. وقد قال الكتاب المقدس «**ذبيحة الأشرار مكرهة الرب**، وصلاة المستقيمين مرضاته» (الأمثال ١٥: ٨) وأيضاً «**ذبيحة الشرير مكرهة، فكم بالحرى حين يقدمها بغش**» (الأمثال ٢١: ٢٧).

أما أن المسيح له المجد قد جاء من أجل الخطاة فهذا أيضاً حق. قال له المجد «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، بل المرضى.. فما جئت لأدعو أبراراً بل خطاة للتوبة» (مرقس ٢: ١٧)، (متى ٩: ١٢، ١٣)، (لوقا ٥: ٣٢).

وأما أن السماء تفرح بعودة الخاطئ إلى الله وتوبته عن طريقه الرديئة فهذا يؤيده قول المسيح له المجد «إنني أقول لكم: إنه هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر مما يكون بتسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة» (لوقا ١٥: ٧) وقوله «إنني أقول لكم إنه هكذا يكون فرح أمام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب» (لوقا ١٥: ١٠)، (متى ١٨: ١٣).

على أنه ليس بين كل تلك النصوص تعارض. فالسماء تفرح بالخاطئ إذا تاب «فإنها ليست مشيئة أبيكم الذي في السماوات أن يهلك أحد» (متى ١٨: ١٤) «لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون» (١. تيموثيئوس ٢: ٣، ٤) «وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة» (٢. بطرس ٣: ٩). وقال الرب على فم حزقيال النبي «حيّ أنا يقول السيد الرب إني لا أسر بموت الشرير بل بأن يرجع ويحيا» (حزقيال ٣٣: ١١).

أما إذا كان الخاطئ مصراً على خطيئته، غير نادم عليها، فخطيئته باقية، وبالتالي تكون صلاته مرفوضة وذبيحته مكروهة، لأن قلبه غير مستقيم أمام الله. وكأنه يحاول أن يرتضي الله بقلب غاش فهو يخدع قلبه، ظاناً أنه يضحك على الله. قال المسيح له المجد لليهود «أتيت أنا دينونة للعالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون. فسمع هذا قوم من الفريسيين

... فقالوا له: ألعلنا نحن أيضاً عميان؟ قال لهم يسوع: لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطيئة، ولكنكم الآن تقولون إننا نبصر، فخطيئتكم لهذا باقية» (يوحنا ٩: ٣٩ ـ ٤١).

وقال الرب على فم حزقيال النبى «أقليل لبيت يهوذا عمل الرجاسات التى عملوها هنا، لأنهم قد ملأوا الأرض ظلماً ويعودون لإغاظتى.. فأنا أيضاً أعامل بالغضب لا تشفق عينى ولا أعفو. وإن صرخوا فى أذنى بصوت عال لا أسمعهم» (حزقيال ٨: ١٧، ١٨).

وجاء فى سفر نبوءة زكريا «هكذا قال رب الجنود قائلاً: اقضوا قضاء الحق واعملوا إحساناً ورحمة، كل إنسان مع أخيه. ولا تظلموا الأرملة ولا اليتيم ولا الغريب ولا الفقير. ولا يفكر أحد منكم شراً على أخيه فى قلبكم. فأبوا أن يصغوا وأعطوا كتفاً معاندة، وثقلوا آذانهم عن السمع.. لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذى أرسله رب الجنود بروحه عن يد الأنبياء الأولين. فجاء غضب عظيم من عند رب الجنود. فكان كلما نادى هو فلم يسمعوا كذلك ينادون هم فلا أسمع قال رب الجنود..» (زكريا ٧: ٨ ـ ١٣).

والخلاصة أنه إذا تاب الإنسان توبة صادقة قبله الرب بفرح. أما إذا كان مصراً على خطيئته فصلاته غير مقبولة وذبيحته مكروهة.

٦٥ ـ الاعتراف ركن من أركان التوبة (١)

العزيز الابن مدحت وفقى توفيق ـ أسيوط.

سلام ونعمة وبركة.

رداً على أسئلتكم خاصة بسرّ التوبة والاعتراف، نقول إن الاعتراف على يد الكاهن بالخطيئة أو الخطايا التى صنعها المؤمن التائب هو ركن واحد من أركان التوبة الأربعة.

وأول ركن فى التوبة هو الندم على الفعل وانسحاق القلب وتبكيت الضمير.

والركن الثانى فى التوبة هو العزم الصادق على تغيير السيرة. وإذا كان فعل التوبة هو من (تاب ـ يتوب ـ توبة إلى الله أى رجع عن معصيته إليه)، فلا يُحسب قد تاب توبة حقيقية من عاد إلى خطيئته مرة أخرى حتى لو اعترف بها وأقر للكاهن بأنه نادم عليها.

والركن الثالث من أركان التوبة **هو الرجاء فى الغفران من الله.** أما من ينقطع رجاؤه، فلا توبة له، لأن انقطاع الرجاء من رحمة الله هو جحود وإنكار لرحمة الله التى تتسع للغفران إذا كانت هناك توبة صادقة، ومن القلب. وقد قال المسيح له المجد تعبيراً عن رحمته الواسعة «ومن يقبل إلىّ لا أُلقى به خارجاً» (يوحنا ٦ : ٣٧). وهذا هو السبب فى أن يهوذا الإسخريوطى الذى خان معلّمه لم تكن له توبة على الرغم من أنه ندم على خطيئته واعترف بها قائلاً: «إنى قد خطئتُ إذ سلّمت دماً بريئاً» (متى ٢٧ : ٤) ذلك لأنه فقد رجاءه ومضى وشنق نفسه (متى ٢٧ : ٥).

والركن الرابع من أركان التوبة **هو الاعتراف الصريح بالفم على يد الكاهن، بصفته ممثلاً للسلطة الإلهية.** فالاعتراف بالخطيئة فى سر التوبة هو **اعتراف لله على يد الكاهن.** (يا ابنى اعطِ الآن مجداً للرب... **واعترف له وأخبرنى الآن ماذا عملتَ لا تخفِ عنى**» (يشوع ٧ : ١٩).

أما الكاهن فهو بصفته خادم الله ووكيل أسراره (١ . كورنثوس ٤ : ١) **فمخوّل له باسم الله أن يمنح الحلّ والغفران للمؤمن التائب بشرط أن يتثبّت من صدق توبته، فهو أمين المخازن، له حق التصرف فى حدود إرادة موكّله وإلا فإنه إذا منح الحل لمن لا يستحقه كان مسئولاً أمام سيده، وسيحاسب عن تصرفه.** ومن هنا كان

(١) كتب فى ١٢ من مايو ١٩٨٩م ـ ٤ من بشنس ١٧٠٥ش.

من حق الكاهن ومن واجبه أن يؤجل منح الحل حتى يتثبت من استحقاق المؤمن التائب للحل والغفران.

فإذا كان المؤمن لا يستحق الغفران، ومع ذلك منحه الكاهن الحل، فليس معنى هذا أن المؤمن قد نال الغفران كاملاً عن خطاياه. إنما حل الكاهن يعطيه الحق فى التقدم إلى المائدة الربانية، **ولا يعطيه الغفران كاملاً عن خطاياه إلاّ إذا كان مستوفياً شروط التوبة بأركانها الأربعة**، «لا تخدعوا أنفسكم، فإنّ الله لا يسخر منه» (غلاطية ٦ : ٧). فإذا كانت توبة المؤمن صادقة أمام الله، فإنّ توبته تؤهله لأن ينال الغفران الحقيقى بدم المسيح فى المائدة الربانية «لأن ليس لأحد بغيره الخلاص» (أعمال ٤ : ١٢). أمّا صوت الكاهن بالحلّ، فهو صوت الله «لأن شفتّى الكاهن تحفظان العلم، ومن فمه يطلبون الشريعة، إذ هو ملاك رب الجنود» (ملاخى ٢ : ٧) هكذا بقوله له «إن الرب قد نقل خطيئتك عنك فلا تموت أنت» (٢ . صموئيل ١٢ : ١٣).

وعلى ذلك فالغفران الكامل والحق، يتم بدم المسيح فى المائدة الربانية. أما حلّ الكاهن فهو إقرار بصوت مسموع باستحقاق المؤمن التائب للغفران، فإن الكاهن هو حارس الشريعة، المؤتمن على المخازن الإلهية، والمسئول عن منح البركة لمستحقيها. ونعمة الرب تشملكم.

٦٦ - أب الاعتراف مرشد يلزم طاعته فى الروحيات

الابنة الشابة....

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

إجابة على خطابك، أفيد بأن أب الاعتراف هو مرشد، يلزمك طاعته فيما يتصل بالروحانيات والعبادات. أما فيما يتصل بالدراسة العلمية فهو ناصح لك. فإذا كان لك رأى آخر يمكنك دراسته معه، فتنفيذ النصيحة من الناحية العلمية يكون فى حدود قدرتك، وهو لا يلزمك فى هذا كأنه أمر إلهى.

ونعمة الرب تشملك.

٦٧ ـ هل غفرت خطاياى؟ (١)

سؤال: بعث إلينا أحد الإخوة يقول:

كنت فى القديم خاطئاً جداً، ولكنى الآن رجعت وندمت، ولكن لازالت تأتينى أفكارى الأولى، وتقول لى إن خطيئتك باقية ولن تغفر أبداً، فلا تتعب نفسك؟!

الجواب:

إذا كنت قد رجعت إلى الله بندامة وانسحاق، واعترفت بخطاياك على الكاهن واعتزمت عدم العودة إلى الخطيئة، وصممت على تجديد السيرة، فيلزمك بعد ذلك أن تتكل على نعمة الله ومراحمه فإنها متسعة لتقبل الخاطئ. إذا كان حقاً قد تاب توبة صادقة: فقد قال السيد المسيح «من يقبل إلى لا أخرجه خارجاً». وقال الوحى أيضاً «ليترك الشرير طريقه، و رجل الإثم أفكاره، وليتب إلى الرب، فيرحمه، وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران» (إش ٥٥: ٧).

وقال أيضاً «اغتسلوا، تنقوا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عينى، كفوا عن فعل الشر، تعلموا فعل الخير، اطلبوا الحق، انصفوا المظلوم، اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة، هلم نتحاجج يقول الرب، إن كانت خطاياكم كالقرمز، تبيض كالثلج. إن كانت حمراء كالدودى تصير كالصوف» (إش ١: ١٦ – ١٨). وقال «قد محوت كغيم ذنوبك، وكسحابة خطاياك ارجع إلىّ لأنى فديتك» (إش ٤٤: ٢٢).

وقال كذلك «فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التى فعلها، وحفظ كل فرائضى، وفعل حقاً وعدلاً، فحياة يحيا، لا يموت، كل معاصيه التى فعلها لا تذكر عليه، فى بره الذى عمل يحيا» (حز ١٨: ٢١، ٢٢، ٢٧)، (حز ٣٣: ١٦).

«من يكتم خطاياه لا ينجح، ومن يقر بها ويتركها يرحم» (أم ٢٨: ١٣).

«إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم» (١. يو ١: ٩).

وقال القديس كبريانوس «فأطلب إليكم أيها الأحباء أن تعترفوا بخطاياكم، ما دمتم فى الحياة الحاضرة، حيث الصفح عن الخطايا الممنوح من الكهنة. مقبول ومرضى عند الله أيضاً» (فى الساقطين).

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد ـ السنة ٦ ـ عدد ٢ ـ فى فبراير ١٩٥٢م.

وقال القديس يوحنا ذهبى الفم «أخطئتَ؟ فادخل الكنيسة وامح خطيتك.. كلما خطئت تب عن الخطية، ولا تيأس من ذاتك. وإن خطئت ثانية، فتب توبة ثانية أيضاً، ولا تسقطن من الرجاء بالخيرات الموعود بها سقوطاً كاملاً بسبب إهمال.. وإن كنت فى غاية الشيب وخطئت، فادخل واندم. لأن هذا المكان (الكنيسة) هو مستشفى وليس محكمة، وهو لا يطلب مجازاة على الخطايا» (فى التوبة ٣: ٤).

وإذن فهناك غفران. وغفران تام، عن كل الخطايا مهما عظمت، طالما تاب الخاطئ عنها واعترف بها بندامة حقاً. فلا تيأس، ولا تدع الشيطان يشككك فى مواعيد الله، واعلم أنه ما أكثر القديسين الذين نلتمس اليوم بركاتهم لعلو ما بلغوه من مراتب التقوى، وكانوا قبلاً خطاة ومجرمين، تابوا فغفرت خطاياهم.

٦٨ ـ أب الاعتراف يجب أن يكون حيث يكون ابنه أو تلميذه

العزيز الابن جورج حلمى لطف الله.

سلام لك أيها الابن، ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، أرجو لك من كل قلبى كل صحة وكل توفيق وكل خير.

قرأت أيها الابن خطابك أكثر من مرة، وأحسست بمشكلتك ومشكلة الأقباط الذين يقيمون فى الكويت بعيداً عن بغداد. وفى نفس الوقت أقدر موقف الكاهن ومسئوليته عن ألوف وربما عشرات الألوف من أبناء الكنيسة فى بغداد، والموصل، وكركوك والسلمانية، وغير ذلك. فإن العبء ثقيل جداً على كاهن واحد يقوم بكل الخدمات والقداسات والعماد، والمصالحات، والاعترافات لعدد كبير وفى مدن متباعدة.

ويبدو لنا أنها مشكلة معقدة، وليس من السهل إبداء رأى قاطع فيها، لأنها متشابكة، ولأنها مرتبطة بظروفكم من جهة حيث تقيمون بعيداً عن بغداد وبالتالى عن الكنيسة مسافة كبيرة تقتضى أيضاً وقتاً كبيراً، ووقتكم مرتبط بظروف العمل.

ومع أن ممارسة الاعتراف، يجب من حيث المبدأ أن تكون على يد الكاهن ممثلاً للسلطة الإلهية، وفى مبنى الكنيسة، بيت الله، ولذلك فإن الاعتراف بالمراسلات لكاهن فى بلد بعيدة عن إقامة المعترف، أمر غير طبيعى وغير كافٍ، وإن كان الاسترشاد بالمراسلة مقبولاً. قلت الاسترشاد وليس الاعتراف. وقال الكتاب المقدس «لكم ربوات من المرشدين فى المسيح، لكن ليس آباء كثيرون» (١ . كورنثوس ٤ : ١٥).

إن أب الاعتراف يجب، من حيث المبدأ، أن يكون حيث يقيم ابنه وتلميذه لذلك نرى أنه يجب عرض المشكلة على الأب المحترم القمص ميساك، ليتصرف بما يراه، فقد يرى أن يحدد لكم أنتم الذين بالكويت ـ بعيداً عن بغداد ـ موعداً خاصاً ويبدأ بكم قبل الآخرين المقيمين بصفة ثابتة فى بغداد، أو يحدد موعداً لزيارتكم بالكويت ـ إذا أمكنه ذلك. ولا مانع من أن تطلع الأب المحترم القمص ميساك على خطابى هذا، فإنى أثق باهتمامه، وأثق أنه يمكنه أن يرتب لكم موعداً، ولو فى فترات متباعدة.

---

(١) كتب فى ٢٦ من يونيه ١٩٨٩م ـ ١٩ من بؤونه ١٧٠٥ش.

إنى أقول هذا مع كل تقدير، لظروفكم ولظروف الكاهن، فإنه حقاً مثقل بواجبات كثيرة ومسئول عن أعداد غفيرة من الأقباط.

ومهما يكن من أمر، فإننى أرجو أن يكون هناك حلّ لهذه المشكلة.. ولو كان حلاً جزئياً، على الأقل.

ونعمة الرب تشملكم. وتحيات البركة للابن عماد ميلاد جرجس ـ كما أطلب توصيل تحياتى وإعزازى للأب المحترم القمص ميساك.

٦٩ ـ أب الاعتراف يجب أن يكون كاهناً شيخاً مشهوداً له (١)

سؤال: من الابنة الآنسة/ ت. ا. س.

فيما إذا كان يمكنك اختيار أب اعتراف آخر غير أب اعترافك الحالى الذى كما تقولين أنك لا تستفيدين منه كما ينبغى.

الجواب:

إن الكنيسة تجيز وتبيح لك ذلك، ولا داعى لمواجهة أب الاعتراف بذلك لما يسببه ذلك من الحرج له ولك.

ونصيحتى لك أن ـ تتخذى لسماع الاعتراف **كاهناً شيخاً (ولا يكون من الرهبان)** على أن يكون أيضاً من **المشهود له** فى تقواه وفضيلته ـ على أن يكون أيضاً فى المدينة التى تقيمين فيها (أى الأسكندرية) ولكن يمكن أن يكون من غير الحى أو القسم الذى تقيمين فيه، أى يمكن أن يكون فى سيدى بشر أو فى غير سيدى بشر من أحياء الأسكندرية.

تماماً كما أن من حق المريض أن يذهب إلى الطبيب الذى يثق فيه بناء على شهرته وسمعته فى فنه، كذلك تبيح الكنيسة للمؤمن أن يتخذ أى كاهن شيخ أباً لذمته طالما أنه تتوافر فيه الشروط التى تجعله موضع ثقة ابنه أو ابنته.

ونعمة الرب تشملك .

---

(١) كتب فى ٩ من مارس ١٩٨٣م ـ ٣٠ من أمشير ١٦٩٩ش.

٧٠ ـ أخطاء الماضى يمكن بالتوبة تغتسل منها بدم المسيح (١)

الابن ا. ث.

سلام ونعمة وبركة.

رداً على خطابك أرى أنك طالما أنت مهتم بخلاص نفسك، وقد وضعت نصب عينيك أن تهتم بحياتك الأبدية، وأن تحفظ نفسك من دنس الجسد والروح، فأنت لست بعيداً عن ملكوت الله. لذلك يلزمك أن تصون نفسك من كل ما يدنس قلبك وفكرك وجسدك. وأن تجاهد حتى ترتفع فوق الميول الحسية والشهوات البدنية، وأن تحرص على طهارتك.

إن أخطاء الماضى يمكن بالتوبة الصادقة أن تغتسل منها فى دم المسيح بالتناول من الأسرار المقدسة. ولا تهمل القراءة فى الكتاب المقدس يومياً حتى لو كان ما تقرأه إصحاحاً أو نصف إصحاح. فهو خير من عدم الالتزام بالقراءة اليومية، ثم إن القراءة فى الكتب الروحية المناسبة لمستواك وقامتك الروحية تعطيك مادة لتصحيح الفكر، ولشغل الفكر بما يفيدك ويبنى حياتك الروحية على أساس سليم.

أما عن الزواج، فاجتهد أن تتزوج بفتاة تجد أنه يتوافر فيها التوافق النفسى والفكرى بينكما، فالزواج المسيحى شركة حياة. فما لم يتوافر التوافق الفكرى والنفسى بين الفتى والفتاة لا تدوم الحياة الزوجية السعيدة.

طالما أنت قد اعترفت بخطاياك وتناولت من الأسرار المقدسة، يجب أن تنسى الماضى، وانظر إلى ما يبنى حياتك بالإيجابيات النافعة. فالحياة الشخصية كأنها عمارة تبنى مدماكاً مدماكاً، طابقاً فوق طابق إلى أن تصير بناء شامخاً.

الرب يقويك، ونعمته تشملك...

---

(١) كتب فى ٢٣ من أبريل ١٩٨٧م ـ ١٥ من أغسطس ١٧٠٣ش.

٧١ ـ الحِل الكهنوتى لمن يعترف لله على يد الكاهن (١)

سؤال: من الابن يوحنا لبيب حناوى ـ جرجا.

يقول: هل إذا اعترفت بخطاياى إلى الله على يد الكاهن أب اعترافى ومنحنى الحِلّ بموجب السلطان الممنوح له من الله كوكيل للأسرار المقدّسة، أفهل أطمئن إلى أن الله بالفعل قد غفر لى خطاياى، وأنه محاها محواً تاماً، فلا أُدان عنها؟

الجواب:

نعم، إن الكهنة بإقامتهم فى درجة الكهنوت صار لهم الاختصاص أن يقبلوا توبة التائبين، ويسمعوا اعتراف المعترفين، بوصفهم خدّام المسيح ووكلاء أسرار الله (١ . كورنثوس ٤ : ١)، ولهم لذلك سلطان الحل والعقد، كقول المسيح له المجد « من غفرتم لهم خطاياهم تُغفر لهم، ومن أمسكتموها عليهم تُمسك عليهم» (يوحنا ٢٠ : ٢٣)، (متى ١٦ : ١٩)، (١٨ : ١٨)، (١ . كورنثوس ٥ : ٤، ٥).

فالكاهن بصفته «وكيلاً لأسرار الله»، عليه أن يمارس خدمة كرامته فى حدود إرادة موكّله، ولا يتجاوز مشيئة سيّده، وإلا استحق فى يوم الحساب غضب ربّه وسيّده، لأنّه لم يكن صالحاً للوكالة، وخان الأمانة ولم يحفظ الوديعة، فيشطره نصفين، ويجعل نصيبه مع المرائين (متى ٢٤ : ٥١).

لذلك وجب على الكاهن قبل أن يمنح الحِلّ للتائب المعترف أن يتثبّت من صدق توبة الخاطئ واستحقاقه للحِلّ والغفران. وللتوبة الصادقة علاماتها. وكما لا يجوز لصرّاف البنك أو البريد أن يصرف لشخص مبلغاً من المال، ما لم يتقدم هذا الشخص بما يثبت استحقاقه للمبلغ، وإلا كان الصراف فى البنك مطالباً بالمبلغ الذى صرفه لمن لا يستحقه، فضلاً عن أنه يُعدُّ مُهملاً فى مقتضيات وظيفته التى توجب عليه أن يكون دقيقاً فى عمله ولا يتسامح أو يتساهل فى شئ لا يخصّه شخصياً، وإنما يخصّ الدولة أو الهيئة التى أقامته للعمل ممثلاً لها.

من هنا يجب على الكاهن أن لا يُسرع بمنح الحل الكهنوتى قبل أن يفحص الخاطئ ويستوثق من استحقاقه للحل الذى يمنحه للخاطئ، لا بصفته الشخصية، وإنما بصفته ممثلاً للسلطة الإلهية.

---

(١) كتب فى ٥ من يوليو ١٩٨٨م ـ ٢٨ من بؤونه ١٧٠٤ش.

فإذا تثبّت الكاهن من صدق توبة ابنه فى التوبة، وتبيّن ندامته وعزيمته فى الرجوع عن خطيئته، وإصلاح طريقه، وقبوله بكل الرضى والاتضاع التأديبات التى يفرضها عليه الكاهن أبوه فى الاعتراف كبرهان على شعوره بخطئه وإقراره بخطيئته، ثم منحه بعد ذلك الحل، يجب على الابن فى الاعتراف أن يطمئن إلى أنه قد غُفرت له خطيئته، لأن الذى منحه الحلّ عنها صاحب حق فى ذلك.

ولا يليق به بعد ذلك أن يعاود الاعتراف بتلك الخطيئة مرة أخرى إلا إذا كان قد سقط من جديد فى خطيئة مماثلة.

وعلى وجه الإجمال، فإنّ الحل مسئولية الكاهن. وأمّا الخاطئ التائب فعليه أن يكون صادقاً وأميناً، فإنه إذ يعترف بخطيئته إنما يخاطب الكاهن بصفته «كاهن الله العلى» (التكوين ١٤: ١٨). واعترافه بخطيئته هو «**اعتراف لله على يد الكاهن، بصفته ممثلاً للسلطة الإلهية**»: «يا ابنى اعطِ الآن مجداً للرب.. **واعترف له واخبرنى الآن: ماذا عملت؟ لا تخف عنى**» (يشوع ٧: ١٩).

ولما كان الاعتراف بالخطيئة كنسياً هو فى الحقيقة **اعتراف لله على يد الكاهن** بصفته «خادم الله ووكيل أسرار الله»، **فإن الاعتراف لذلك ينبغى أن يُمارس فى الكنيسة بيت الله**، إلا فى حالة المريض الملازم الفراش، كما هو الحال فى ممارسة خدمة سر مسحة المرضى أو القنديل - ولكن فيما عدا ذلك **يجب أن يُباشر الاعتراف بالخطايا فى مبنى الكنيسة بيت الله.**

وفى الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية يلتحف الكاهن بزىّ الخدمة وهو (الصُدارية) (الصُدرة - الصُدريّة) على الأقل، وهو يسمع الاعتراف، وذلك برهاناً على أنه يُمارس عملاً كنسياً وبصفته الكهنوتية.

٧٢ ـ شروط أب الاعتراف (١)

سؤال: من الابن يوحنا لبيب حنّاوى ـ جرجا.

يقول: أريد أن أعرف ما هى شروط أب الاعتراف؟

الجواب:

من تعاليم الكنيسة أن أب الاعتراف أو مرشد الاعتراف ينبغى أن تتوافر فيه على الخصوص أربعة شروط أساسية:

الشرط الأول: أن يكون تقياً، وروحانياً. فهو مُعلّم الفضيلة ومرشد فى الحياة الروحية. (وفاقد الشئ لا يعطيه). قال المسيح له المجد «ليس التلميذ أرفع من معلمه» (متى ١٠: ٢٤)، (لوقا ٦: ٤٠).

إن الكاهن المرشد هو من تميّز بالتقوى والفضيلة والسلوك الذى «يزيّن تعليم مخلصنا الله فى كل شئ» (تيطس ٢: ١٠) بحيث يصير لتلاميذه الذين يتبعونه نوراً يضئ لهم الطريق (متى ٥: ١٦)، (فيلبى ٢: ١٥).

وللمؤمن أن يختار مرشده الروحى ويبحث عنه أين هو، كما يبحث المريض عن الطبيب. فلا يستفيد المريض من طبيبه ما لم تتوافر ثقة المريض فى الطبيب بحيث يجد فيه ما لا يجده فى نفسه.

وما لم يتوافر فى أب الاعتراف رصيد غنى من التقوى والفضيلة، فإنه سريعاً ما يفتقر ويُفلس، لأنّ من يعطى وليس له رصيد يفقد ما عنده. وخدمة الاعتراف فيها الكثير من الفقد.

الشرط الثانى: أن يكون الكاهن المرشد، أب الاعتراف، **عالماً بالشريعة.** والعلم المقصود هنا هو العلم بحقائق الديانة وتراث الكنيسة، فإذا أرشد تلميذه فى الاعتراف أرشده عن دقةعلم، وسعة معرفة بالكتاب المقدس، وتعاليم الكنيسة. وإذا سأله ابنه فى الاعتراف عن أمر، أجابه عن علم راسخ.

والشرط الثالث فى أب الاعتراف أن تكون له خبرة وحذق فى القيادة الروحية. وهنا معنى **الذكاء الروحانى** ـ وهو يختلف عن الذكاء العقلى، أو قل هذا هو **ذكاء القلب والروح**، وهو غير ذكاء الذهن والفكر.

(١) كتب فى ١٢ من يوليو ١٩٨٨م ـ ٥ من أبيب ١٧٠٤ش.

والخبرة هنا نتيجة لممارسات طويلة للحياة الروحية مع النفس، وبملاحظة الأغيار من الناس.

وهى حاسة روحية يمكنه بها أن يفهم تلميذه فى الاعتراف، وأن يُشخِّص أمراضه كما يُشخص الطبيب المرض، وأن يصف له العلاج المناسب، لحالته.

وحقاً إنه يختلف الأطباء فى التشخيص، وبالتالى يختلفون فى التوجيه والعلاج، لكن لبعض الأطباء حاسّة طبية يتميزون بها، كما يتميز بعض الناس بأذن موسيقية، وغيرهم بحاسة فنية كما هو الحال عند الشعراء والرسّامين والنحاتين ومن إليهم، وكذلك الأمر فى آباء الاعتراف، فمنهم من يتميز بحاسة روحية يدرك بها على نحو واضح سر المرض، وطرق العلاج.

وطالما أن أب الاعتراف يجب أن يتميز بالخبرة، **فلا يصلح أب الاعتراف لمؤمن متزوج أن يكون راهباً**، لسبب بسيط هو أن الراهب، وهو غير متزوج، ليست له خبرة الحياة الزوجية، فكيف يصلح مرشداً فى أمر لا خبرة له فيه كافية.

وفى الكنيسة الأرثوذكسية، من حيث المبدأ، الكهنة نوعان: كهنة بتوليون أو رهبان، وكهنة متزوجون. وفى الكنائس الأرثوذكسية التى تتبع الطقس البيزنطى كهنة بيض وكهنة سود، والكهنة المتزوجون هم كهنة الرَعية ومنهم آباء الاعتراف للرجال والنساء، للشبان والشابات. أما الكهنة البتوليون والرهبان فيُعفون من سماع اعترافات الرعية، ولكن فى الأديرة يمكن أن يكون منهم آباء الاعتراف للرهبان.

الشرط الرابع - هو أن يكون أب الاعتراف **فى سن الوقار:**

وسن الوقار فى المصطلح الكنسى بالنسبة لآباء الاعتراف هو الخمسون وما فوقها. ولسن الوقار حكمته وفائدته، لأب الاعتراف نفسه، ولتلميذه فى الاعتراف أيضاً.

سن الخمسين وما فوقها هو السن المناسب للقيادة الروحية فى مجال الاعتراف بالذات، بل كلما كان أب الاعتراف مُسناً كانت سنه الكبيرة أنسب وأصلح له شخصياً ليقوم بمهمته بنجاح، وأنسب وأصلح لتلميذه فى الاعتراف، لأنه بتقدم السن تزداد الحكمة والخبرة والحنكة والحذق والعلم والعرفان، فتكون الكلمة الواحدة أفضل من ألف.

«قلة الأيام تتكلم، وكثرة السنين تظهر حكمة» (أيوب ٣٢: ٧).

* * *

وهنا يجدر بنا أن نقرر بكل الوضوح أنه **ليس كل كاهن بمجرد رسامته يصلح أن يكون أباً للاعتراف..**

إنه بحق رسامته كاهناً يمكنه أن يُعمّد وأن يمسح بالميرون، وأن يخدم القداس، وأن يعقد الزواج، وأن يمارس سر مسحة المرضى أو القنديل، وغير ذلك من الخدمات الكنسية.

أما بالنسبة لسماع الاعتراف للرعية فلابد أن تمر فترة كافية بعد رسامته تتوافر له فيها شروط أب الاعتراف الذى يمكنه أن يسمع اعترافات الرعية.

ومن تقاليد الكنيسة وتراثنا الروحى أن **أسقف الإيبارشية هو المسئول الأول عن تعيين آباء الاعتراف فى كل قرية ومدينة تتبعه، يختارهم من بين الكهنة الذين يتميزون بالأشراط التى ينبغى أن تتوافر فى أب الاعتراف لتكون الخدمة الروحية بلا لوم، ويمنحهم تفويضاً كتابياً بذلك.**

وقد كان الآباء الأساقفة فى الإيبارشيات منذ القديم يسلّمون للكهنة الذين تتوافر فيهم شروط أب الاعتراف، براءة بذلك مكتوبة وممهورة بتوقيع أسقف الإيبارشية.

هذه البراءة (أو الإجازة) المكتوبة أو الوثيقة الرسمية من أسقف الإيبارشية تخوّل للكاهن أن يمارس سماع الاعتراف، وأن يكون مرشداً لمن يشاء من المؤمنين أن يتخذه أباً لذمته، دون ضغط لا من الكاهن ولا من الأسقف. **فلكل مؤمن أن يختار أب اعترافه، أو أب ذمته، كما يختار المريض طبيبه.** فمن دون ثقة المريض فى الطبيب لا جدوى من عمل الطبيب، كذلك لابد أن تتوافر ثقة التلميذ فى الكاهن الذى يختاره أباً لذمته دون قهر أو إلزام من أحد.

٧٣ - ليكن أب اعترافك فى البلد التى تقيم فيها (١)

العزيز الابن منسى حبيب صداق.

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، أرجو لكم موفور الصحة والتوفيق.

رداً على سؤالكم بخصوص أب الاعتراف، أقول حيث أنكم الآن تقيمون فى العراق، وبكنيستنا القبطية فى بغداد كاهن، فنحن دائماً ننصح فى مثل هذه الأحوال أن يتخذ المسيحى المقيم فى بلد، أب ذمته فى البلد التى يقيم فيها. وأمّا الكاهن الأول فى القوصية فلا تقطع صلتك به. وليكن لك أيضاً مرشداً، خصوصاً لو أنك عدت إلى القوصية. أما الآن فاتخذ كاهن كنيستنا فى بغداد أب اعترافك فهو القريب إليك. ومنه تتخذ قاعدة التصرف. فما ينصح به لك، اعمل به. ولست أجد فى النظام الذى رسمه لك الأب ميساك ما يتعارض مع ما رسمه لك كاهن القوصية. إنه وضع لك نظاماً أكثر تقدّماً، يتناسب مع تقدمك الروحى.

أمّا عن العمل بالعراق، فإننى أعلم أنك ستجد إن شاء الله عملاً مناسباً فالعراق من أفضل البلاد العربية تشجيعاً للأقباط. وعليك السعى والبحث والاستشارة من أصحاب الاختصاص.

ونحن نصلّى أن يباركك الرب ويوفقك بالخير ويدبر أمورك وأمور والديك المسنين، ويحفظكم بموفور الصحة والسلامة.

مع تحياتى للأب المحترم القس ميساك ولمن يسأل عنا وندعو للجميع بالخير والبركة،،،

---

(١) كتب فى ١٤من أكتوبر ١٩٨٨م - ٤ من بابه ١٧٠٥ش.

٧٤ ـ عدم الراحة بعد التوبة مرده للذكريات المؤلمة (١)

الابن العزيز أ. ن.

سلام لك أيها الابن، ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح أرجو لك النمو فى معرفة ربّنا يسوع المسيح.

قرأت خطابك وفرحت بتوبتك، وبعد ٢٢ عام من مسالك الخطيئة وجدت من قادك إلى التوبة والاعتراف وتجديد السيرة.

واعلم أيها الابن أنه من محبة الله لك أن أتاح لك هذه الفرصة، ووجدت هذا الصديق الذى قادك لطريق الخلاص.

إنى أشكر الله من أجلك، وأنت أيضاً يجب أن تشكر الله على أنه سمح أن تطول حياتك إلى هذا الوقت، ولتطلب الخلاص، وقد وضعت قدمك على العتبة الأولى فى الطريق المؤدى بك إلى الحياة الصالحة والأبدية.

أما أنك ينتابك شعور بالخوف والتعب والقلق فهذا مرده إلى شعورك بالإثم الذى ارتكبته، وهو أحد عناصر التوبة.

إن عناصر التوبة على وجه الإجمال أربعة ـ الأول تبكيت الضمير، وانسحاق القلب والندم.

الثانى: العزم الصادق على تجديد مسيرة الحياة.

الثالث: الثبات والرجاء فى محبة الله وطول أناته.

الرابع: الاعتراف والإقرار على يد الكاهن بصفته الممثل للسلطة الإلهية.

وأما عدم الراحة فمرده إلى الذكريات المؤلمة. فإنّ مخ الإنسان أعظم (ريكوردر) وأدق مُسجّل. كل شئ يصنعه الإنسان، بل كل ما تراه العين، وكل ما تسمعه الأذن، وكل انفعال وعاطفة وكل حدث من أحداث الحياة، يطبع فى المخ أثراً وآثاراً لا تُمحى. فهذه الذكريات القديمة تتحرك، أمامك، فتُسبب لك القلق وعدم الراحة وربما أيضاً تثيرك عاطفياً، وهذا مردّه إلى سلطان العادة. فالعادة كالتدخين مثلاً أو شرب الخمر وما إليها من عادات ضارة ومن بينها العادة السرية، وأفعال النجاسة، تبدأ كما يقولون خيوطاً حريرية وتنتهى إلى قيود حديدية.

---

(١) كتب فى ١٣ من نوفمبر ١٩٩١م ـ ٣ من هاتور ١٧٠٨ش.

لذلك يلزمك أيها الابن، الثبات على ما قد صرت إليه، لا ترجع إلى الوراء، ولا تستسلم لأفكار الشر، ولا تخف، «فإنه بثباتكم تكسبون أنفسكم» (لوقا ٢١: ١٩) فاثبت فى الرب بعزم القلب ولا تدع الشك أو الخوف يرتد بك إلى الوراء.

وإن الله الذى دعاك ورعاك منذ طفولتك سيقويك ويسندك بيمينه. فقط يلزمك أن تثبت، وأن تقرأ فى الكتاب المقدس وفى الكتب الروحية والتاريخية وتشغل فكرك بالروحيات، وتصلى وتصوم وتتناول من الأسرار المقدسة.

ونعمة الرب تشملك إلى الأبد،،،

٧٥ ـ شروط التوبة الصادقة (١)

الابنة و ـ س.

إجابة على سؤالك هل يقبل الرب توبتك عن خطيئة فعلتها، وندمت عليها، ولكنك لم تعترفى بها على يد الكاهن ـ فهل يكفى الندم بدون اعتراف؟

أقول إن الندم شرط أساسى وجوهرى للتوبة الصادقة.

ثانياً ـ لابد من العزم الصادق على ترك الخطيئة وتجديد السيرة.

ثالثاً ـ لابد من أن يكون لك رجاء فى مراحم الرب القائل «من يقبل إلىّ لا ألقى به خارجاً» (يوحنا ٦) .

إن يهوذا الإسخريوطى، ندم، وردّ الثلاثين من الفضة ثم **اعترف** قائلاً: أخطأت إذ سلّمت دماً **بريئاً** ولكنه لم يجد للتوبة مكاناً لأنه فقد رجاءه ومضى وخنق نفسه يأساً من مراحم الله.

رابعاً ـ لابد من الاعتراف العلنى **على يد الكاهن**.

والاعتراف على **يد الكاهن** هو فى حقيقته اعتراف لله، ولكن **على يد الكاهن بصفته الممثل للسلطة الإلهية** وفى الكتاب المقدس أمثلة على ذلك ، فقد جاء فى الإنجيل أن أهل أورشليم وكل اليهودية وكلّ الأرجاء المحيطة بالأردن خرجوا إلى يوحنا المعمدان (معترفين بخطاياهم) (متى ٣: ٦) ، (مرقس ١: ٥).

كذلك مبدأ الاعتراف مقرر كما جاء فى سفر يشوع بن نون (٧: ١٩) ـ وكذلك اعترف الملك داود بخطيئته على النبى ناثان وقال له: أخطأت إلى الرب، فقبلت توبته وأعطاه النبى الحلّ بقوله: «الرب نقل عنك خطيئتك فلا تموت» (٢ . صموئيل ١٢: ١٣).

نعم، قد يكون الخجل منعك من الاعتراف على يد الكاهن، ولكن كما يقول الآباء الروحانيون لا تدعى الخجل يمنعك من التصريح للكاهن بصفته (رسول رب الجنود) المؤتمن على منح الحلّ، ممثلاً للسلطة الإلهية.

ونعمة الرب تشملك.

---

(١) كتب فى ٢٣ من فبراير ١٩٩٤م ـ ١٦ من أمشير ١٧١٠.

٧٦- مرارة الخجل فى الاعتراف جزء من العلاج

سؤال: من الابن هـ . ف.

يقول: إنى أحسّ وأنا اعترف أنّى فى خجل مع أنى قرأت عن الاعتراف، وكيفية الاعتراف. وفى بعض الأحيان أنفّذ هذه التعاليم، لكنى أجد أب اعترافى غير متمشى معى، فيجعلنى أخجل من نفسى، وأنا أعترف أمامه، وأحياناً أقوم من أمامه دون إتمام الاعتراف - فماذا أفعل كى أصل بنفسى إلى الاعتراف الكلى؟

الجواب:

إن مرارة الخجل جزء من العلاج، فلا تحزن لهذا الخجل، فإن الخجل مطلوب ليكون رادعاً لك حتى لا تعود إلى الخطأ أو الخطيئة. ولابد لك إذا كنت تائباً على الحقيقة من أن تكون مستعداً لهذا الخجل، ولا تهرب منه، **فإنه دواء مفيد ونافع.** ألا ترى إلى أن الإنسان المريض يكشف للطبيب الأعضاء المستحى منها، وهو يضطر إلى ذلك لكى يجد عند الطبيب العلاج لمرضه. ولو امتنع بسبب الخجل عن أن يكشف جسده للطبيب، فكيف يتسنّى للطبيب أن يشخّص الداء، وبالتالى أن يصف له الدواء المناسب لحالته؟

لقد قال آباء الكنيسة، لا يليق بالخاطئ أن يمنعه الخجل من أن يكاشف الكاهن مرشده فى التوبة والاعتراف بأمراضه وأدوائه، إذا كان حقاً راغباً فى الشفاء منها. وبدون ذلك لا يكون هذا الخاطئ جاداً فى توبته.

واعلم أيها الابن أن الاعتراف فى سر التوبة ليس هو اعترافا على إنسان بصفته الشخصية، **إنما الاعتراف فى مفهومه الصحيح، هو اعتراف لله على يد الكاهن، بصفته ممثلاً للسلطة الإلهية لا بصفته الشخصية.**

وإذا كنت تشكو من أن الكاهن (غير متمشى معك) على حد تعبيرك فلربما يكون السبب فى ذلك أنك تتحدث مع الكاهن فى أمور لا تتصل بالتوبة. لذلك أريدك أن تفهم **أن الاعتراف الصحيح هو شكوى النفس من النفس**، فلا تنتهز فرصة وجودك مع الكاهن لتشكو إليه شخصاً آخر حتى لو كان أباك أو أمك أو أخاك - **يجب أن تقتصر فى الاعتراف على شكواك من نفسك.**

أما إذا أردت أن تشكو إلى الكاهن شخصاً آخر غير نفسك. ففى هذه الحالة يكون وضع الكاهن قضائياً. وعندئذ لابد له كقاضٍ أن يستدعى الشخص الآخر، ويسمع منك ومنه، حتى يمكنه أن يحكم بعدل وحقٍ بينكما.

أما فى ممارسة سر التوبة والاعتراف، **فيكفى فيه أن تشكو نفسك ولا تشكو غيرك.**

كذلك فيما يختص بسؤاليك الأخيرين الواردين فى خطابك، عن لاهوت المسيح ننصح لك بقراءة الكتب الآتية، وهى من منشورات أسقفية البحث العلمى:

- أنت المسيح ابن الله الحىّ - تسعة أجزاء أو حلقات.

- موجز الاعتقاد فى وحدانية الإله.

- عيد التجلى.

هذا بالإضافة إلى كتب أخرى فى الموضوع بأقلام مؤلفين آخرين تجدها فى المكتبات العامة أو مكتبات الكنائس.

أما عن الفتاة التى أحببتها وأحبّتك وهى جارة لك، ولكنها ليست من دينك كما تقول، فاحذر من هذا المنزلق الخطير الذى يمكن أن يقودك إلى خطايا وأخطاء تذهب بك إلى الجحيم وإلى جهنم. إن هذه العلاقة يجب أن تقف فوراً، فإنها رأس الحبل الذى يمكن أن يجرّك به الشيطان، بعيداً عن المسيح وعن الكنيسة إلى الهلاك الأبدى. أذكّرك بما قاله الرب قديماً لقايين يحذره قبل أن يسقط فى جريمته «إن لم تحسن فعند الباب خطيئة رابضة وإليك اشتياقها، وأنت تسود عليها» (التكوين ٤ : ٧) أى على الرغم من اشتياقك إليها، فأنت يمكنك أن تمتنع عنها، لو أردت، وهذا فى سلطانك.

ونعمة الرب فلتشملك.

القيم الروحية
فى سر مسحة المرضى

القيم الروحية فى سر مسحة المرضى

وظيفة سر مسحة المرضى واختصاصه ٥٥٤
الرابطة بين المرض والخطيئة ٥٥٥

القيم الروحية
فى سر مسحة المرضى

سر مسحة المرضى، ويسمى أيضاً «سر الزيت المقدس» أو «سر القنديل» من بين أسرار الكنيسة، ومن مواهب الروح القدس فيها، القائمة على استحقاقات دم المسيح الفادى، وعمله الكفارى - يمارسه الكهنة **للمرضى بالأمراض الجسدانية المتسببة عن علل روحية ونفسية**، بالصلاة على الزيت، فيتقدس باستدعاء الروح القدس، ثم يمسحونهم بالزيت المقدس لشفائهم روحاً وجسداً.

قال الوحى الإلهى:

هل فيكم مريض؟ «فليدع كهنة الكنيسة وليصلوا عليه ويمسحوه بالزيت باسم الرب. وصلاة الإيمان تخلص المريض، والرب ينهضه. وإن كان قد ارتكب خطايا تغفر له» (يعقوب ٥: ١٤، ١٥).

وقال الإنجيل إن مخلصنا أمر تلاميذه بعد أن أقامهم رسلاً وليكونوا معه: «اشفوا المرضى» (متى ١٠: ٨)، (مرقس ٣: ١٣، ١٥)، (لوقا ٩: ٢، ٦)، «وأية مدينة دخلتموها وقبلوكم.. اشفوا المرضى الذين فيها...» (لوقا ١٠: ٨، ٩).

وقد فعل الآباء الرسل كأمر معلمهم وسيدهم «ومسحوا بالزيت كثيراً من المرضى فشفوهم» (مرقس ٦: ١٣).

وظيفة سر مسحة المرضى واختصاصه:

أما أن هذا السر قد رتب فى الكنيسة **لشفاء الأمراض الجسدانية المتسببة عن العلل الروحية**، فهو ما يتضح من قول الكتاب المقدس «وصلاة الإيمان تخلص **المريض**، **والرب ينهضه**» (يعقوب ٥: ١٥)، وقوله عن الرسل «مسحوا بالزيت كثيراً من المرضى فشفوهم» (مرقس ٦: ١٣). أما شفاء الروح المرتبط بالمرض الجسدانى فيتبين من قول الوحى الإلهى «وإن كان قد ارتكب خطايا تغفر له» (يعقوب ٥: ١٥).

فإذا لم يشف من مرضه الجسدانى كان ذلك مرده إما إلى عدم استحقاق المريض أو إلى عدم الإيمان، بدليل قول الوحى الإلهى «**وصلاة الإيمان تخلص المريض**».

الرابطة بين المرض والخطية:

والجميل فى أمر هذا السر، «سر مسحة المرضى» أنه يجعل شفاء الروح أساساً لشفاء الجسد، وذلك بحكم الرابطة القوية بين الروح والجسد. فإذا مرضت الروح مرض الجسد معها لارتباطهما الوثيق معاً، وبالتالى لا يشفى الجسد إلا إذا شفيت الروح أولاً. وأما مرض الروح فهو الخطية، فإن الخطية تفعل فى الروح فعل القنبلة، إنها تفتت قوى النفس وتبعثر قدراتها، فتفقد سلامتها وراحتها، فتمرض، وقد يشتد بها المرض فتمسى وكأنها فى حكم الموتى، ألم يقل الكتاب المقدس عن الخطية إنها «طرحت كثيرين جرحى، وكل من قتلته كان من الأقوياء. إن بيتها طرق الجحيم، محدرة إلى أخادير الموت» (الأمثال ٧: ٢٦، ٢٧)؟ ألم يقل عن المدينة الخاطئة الشريرة: «ليس قتلاك هم قتلى السيف، ولا موتى الحرب» (إشعياء ٢٢: ٢)؟ ألم يرثى إرميا النبى أورشليم قائلاً: «من لرأسى بمياه وعينى ينبوع دموع، فأبكى نهاراً وليلاً على قتلى بنت شعبى» (إرميا ٩: ١).

لذلك يتطلب الرب من هؤلاء المرضى الذين حصدوا فى أجسادهم نتائج خطاياهم، فمرضوا فى أجسادهم، أن يتوبوا أولاً عن خطاياهم، لشفاء الروح قبل أن تشفى أجسادهم، لذلك يأمرهم صراحة بالاعتراف على الكاهن. **والاعتراف المطلوب هو شكوى النفس من النفس أمام الله، على يد الكاهن باعتباره ممثلاً للسلطة الإلهية.**

يقول الوحى الإلهى، فى صدد بيان سر مسحة المرضى، «**اعترفوا بعضكم لبعض بخطاياكم**، وصلوا بعضكم لأجل بعض لكى تشفوا» (يعقوب ٥: ١٦) ولا شك أن المقصود هنا هو **الاعتراف على يدى الكاهن**. يقول القديس أوغسطينوس فى تفسير هذا النص: «ليس المقصود أن يعترف الكهنة على العلمانيين كما يعترف هؤلاء لهم. فإن هذه العبارة لا توجب دائماً حصول المشاركة بين كل من الطرفين، أى لا يلزم منها اعتراف الكهنة للشعب، بل هى على حد قولك: علموا بعضكم بعضاً، وعالجوا أحدكم الآخر، وليسعف الواحد منكم صاحبه، بمعنى أن العالم يعلم الجاهل، والطبيب يعالج المريض، والقوى يشدد الضعيف، وقس على ذلك...، فقوله إذن اعترفوا بعضكم لبعض، أى ليعترف كل منكم لمن له سلطان الحل على الخطايا، وهم الكهنة (يوحنا ٢٠: ٢٢، ٢٣).

ومن هنا، فقد نص كتاب الكنيسة الخاص بترتيب مسحة المرضى، على وجوب توبة المريض واعترافه بخطاياه، قبل أن يمارس الكهنة له سر مسحة المرضى، ومسحه بالزيت.

والعلاقة الوثيقة بين الخطيئة وبين المرض، وبين التوبة والشفاء قد أوضحها الرب يسوع المسيح فى أكثر من مناسبة.

فعندما شفى الرجل العليل منذ ثمان وثلاثين سنة والمطروح مخلعاً على بركة بيت حسدا، قال له: ها أنت قد برئت، فلا تعد إلى الخطيئة لئلا يصيبك ما هو أسوأ (يوحنا ٥: ١٤)، مما يدل على أن مرض الرجل مرده إلى خطيئته، أى أنه سلك طريق الإثم والفساد، ونتيجة لذلك تدمر جسده وأصابه المرض. فأنذره المسيح له المجد بأنه إذا عاد إلى الخطيئة عادت إليه نتائجها فى روحه وجسده معاً.

وعندما جاءوا إليه - له المجد - بمخلع دلوه أمامه من سقف البيت الذى كان الرب يعلم فيه الجماهير المزدحمة عليه، قال له - وهو يعلم أنه قد ندم على خطيئته التى جرت عليه كل هذا البلاء والشقاء: «اطمئن يا بنى، مغفورة لك خطاياك» ثم أعقب ذلك بقوله للمفلوج: «لك أقول قم، احمل فراشك واذهب إلى بيتك» (متى ٩: ٢، ٦)، (مرقس ٢: ٥، ١١)، (لوقا ٥: ٢٠، ٢٤). وبذلك كشف الرب يسوع عن العلاقة بين مرض هذا الرجل وبين خطيئته، كما كشف أيضاً هذه الحقيقة أنه لابد من شفاء الروح بالتوبة قبل شفاء البدن من المرض، مادام أن مرض الجسد متسبب عن مرض الروح بالخطيئة.

ونفس الحقيقة توكدت فى حادثة شفائه - له المجد - للمرأة المصابة بمرض منذ ثمانية عشر عاماً جعلها منحنية الظهر حتى لم تكن تستطيع أن تنتصب البتة، فلقد قال الرب يسوع عنها «هذه ابنة إبراهيم قد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة» (لوقا ١٣: ١٦) مبيناً بهذا أن مرض المرأة فى ظهرها يرجع إلى علة روحية هى سيطرة الشيطان عليها، وربطه لظهرها.

وهكذا صنع المسيح بالأعمى والأخرس، فبمجرد أن أخرج الشيطان منه، «أبصر وتكلم» (متى ١٢: ٢٢)، (لوقا ١١: ١٤) مؤكداً العلاقة بين مرض الروح ومرض الجسد.

من أقوال الآباء عن سر مسحة المرضى:

يقول **العلامة الأسكندرى أوريجينوس** (١٨٥ - ٢٥٤)م فى بيان وظيفة سر مسحة المرضى وأهميته وقيمته (١) وهنا يتم ما قيل من يعقوب الرسول: «هل فيكم مريض، فليدع كهنة الكنيسة، فيضعوا عليه الأيدى، ويمسحوه بالزيت باسم الرب. وصلاة الإيمان تخلص

---

(١) مقال ٢: ٤.

المريض، والرب ينهضه. وإن كان قد ارتكب خطايا تغفر له». وفى قول أوريجينوس «فيضعوا عليه الأيدى» بيان للعادة الجارية منذ القديم وإلى اليوم فى تتميم سر الزيت المقدس وهى وضع الكاهن يده على المريض حين يصلى عليه.

ويقول **القديس كيرلس الأورشليمى** (٣١٥ - ٣٨٦) (١): «أما أنت فإذا كنت موجعاً فى أجزاء جسدك، وآمنت بالحقيقة أن دعاءك باسم رب الصباؤوت وسائر أنواع الدعاء التى ينسبها الكتاب الإلهى لله بحسب طبيعته تحل مصيبتك، فصلّ هذه الكلمات، وادع بها عن نفسك، لأنك تعمل عملاً أفضل من أولئك المؤمنين بالسحر.. وإننى لمتذكر الكتاب الإلهى حيث يقول: «هل فيكم مريض، فليدع كهنة الكنيسة، وليصلوا عليه، ويمسحوه بالزيت باسم الرب. وصلاة الإيمان تخلص المريض، والرب ينهضه. وإن كان قد ارتكب خطايا تغفر له».

أما **القديس غريغوريوس** فيشرح فى كتابه (فى الأسرار) كيفية تتميم سر الزيت مع كل صلواته وتراتيله، ويذكر أن الكاهن يمسح المريض بالزيت على اسم الآب والابن والروح القدس، ويقول له «لا يبق فيك الروح النجس مختفياً، بل فلتسكن فيك قوة المسيح الإله والروح القدس لكى تشفى بتتميم هذا السر وبمسحة الزيت المقدس وبصلواتنا بقوة الثالوث القدوس، وتعود إلى الصحة التامة». (٢).

ويقول **القديس يوحنا ذهبى الفم** (٣٤٧ - ٤٠٧)م: «وأما هؤلاء (الكهنة) فكثيراً ما خلّصوا نفساً مريضة وقريبة من الهلاك.. لأن سلطانهم فى غفران الخطايا لا ينحصر فى البرهة التى يلدوننا فيها بالمعمودية، بل يمتد إلى ما بعدها أيضاً. لأنه يقول: «هل فيكم مريض، فليدع كهنة الكنيسة، وليصلّوا عليه ويمسحوه بالزيت باسم الرب، وصلاة الإيمان تخلص المريض. والرب ينهضه. وإن كان قد ارتكب خطايا تغفر له» ... لكن الكهنة يسترضون لهم لا رئيساً ولا ملكاً أرضياً، بل الله ذاته الذى يغضبونه مراراً كثيرة» (٣).

ويقول موسهيم المؤرخ البروتستانتى: إن المسيحيين الأولين عندما كانوا يمرضون مرضاً مخطراً، كانوا يدعون شيوخ الكنيسة (أى الأساقفة والقسوس). وبعد أن يعترف المريض بخطاياه يستودعه الشيوخ لله بالتضرعات الخشوعية، ويدهنونه بالزيت» (٤).

---

(١) فى كتابه «فى العبادة بالروح والحق». كتاب ٤.
(٢) الجزء ٣: ٢٣٥.
(٣) فى الكهنوت، خطاب ٣: ٦.
(٤) الفصل ١: ف ٢ قسم ٤.

ابتهـــال

أيها الرب، ربى ومخلصى، أمام عظمتك أركع وأسجد وأخضع، بقلبى وفكرى وروحى وبدنى وكل ما فى باطنى وظاهرى، ممجداً وشاكراً ومبتهلاً، فإن رحمتك معى أوسع من السماوات، وأرحب من الكون. ومحبتك لى غمرتنى وغطتنى وشملتنى، كلاً وجزءاً، حتى غرقت بها وفيها، فلم أعد قادراً على أن أزيح عن نفسى شعورها بالخجل، إذا حاولت أن تقيس محبتها لأبوتك بإزاء محبتك أنت أيها الحب الخالص، والخير المطلق، والحق الكامل.

سيدى وخالقى وربى، هل أستطيع أن أحصى أو أعدد أو أردد دلائل عنايتك بى، ورعايتك لى، دون أن أقهر كبشر بعجزى عن التذكر الشامل الجامع عن أن أحصى جميع أو حتى بعض احساناتك لى: لقد قال واحد من رجالك وهو يردد ويذكر حتى لا ينسى، فألفى نفسه أخيراً عاجزاً بالحقيقة، فأنشأ يخاطب نفسه قائلا: «باركى يا نفسى الرب، وكل ما فى باطنى ليبارك اسمه القدوس. باركى يا نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته» (مزمور ١٠٢: ١، ٢).

ها أنا يا سيدى، ويا فادى روحى وكيانى، أهتف بما هتف به أحد قديسيك وأقول مثل ما قال: «صغير أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التى صنعت إلى عبدك» (التكوين ٣٢: ١٠).

أنا أيضاً دون أن أستحق جميع ما صنعت إلى عبدك من المراحم والوفاء. فاغفر لى ضيق نفسى الضحلة وجهلى ونسيانى وقلقى، وفتور إيمانى. لأننى لو كنت حقاً جديراً بك، وجديراً بمحبتك، لكنت دائماً منسحق القلب أمام هذه المحبة التى لا توسع وهذه الرعاية الكاملة التى لا تتقيد بوفاء الإنسان أو جحوده ... أنا يا ربى أسيرك وعبدك فاحسبنى أهلاً لحبك وحدبك حتى لو كنت ترانى - كما أرى نفسى - دون أن أستحق جميع ما صنعته بى وما لا تزال تصنعه بى من المراحم والألطاف.

* * *

لقد قلت ما قلت من ابتهال، وأنا أتأمل ما صنعت معى من خير ومن إحسان فى منحى سر المعمودية الذى به اغتسلت من خطاياى السابقة (أعمال ٢٢: ١٦) وتطهرت (العبرانيين ١٠: ٢٢) وبه ولدت ثانية ولادة من فوق، ولادة من الماء والروح (يوحنا ٣: ٣، ٥)، وبه مت عن إنسانى العتيق، ولبست الجديد، الرب من السماء «لأنكم كلكم الذين اعتمدتم فى المسيح قد لبستم المسيح» (غلاطية ٣: ٢٧) «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الإنسان الجديد، ذلك

الذى يتجدد فى المعرفة على صورة خالقه» (كولوسى ٣: ٩، ١٠). نعم، بالمعمودية قد لبست «الحلة الأولى» (لوقا ١٥: ٢٢) وتجلببت بـ «ثوب العرس» السماوى (متى ٢٢: ١٢)، فصار لى، بفضلك أنت يا مخلصى، حق الدخول إلى ملكوت السماوات، كابن للملكوت.. ابن لا بحق الطبيعة، وإنما بفضل التبنى (رومية ٨: ١٥)، (أفسس ١: ٥). هذا فضلك أنت يا سيدى، وأما أنا فيلزمنى الجهاد الروحى، وأن أظل حارساً لثيابى نظيفة غير مدنسة، وأن أبقى أميناً إلى الممات حتى أنال أكليل الحياة الأبدية (الرؤيا ٢: ١٠).

* * *

ولم تكتف يا سيدى بهذا، إذ أنت تعلم ضعفى كإنسان وتعرف عدم قدرتى على الثبات طويلاً كبشر، فخفت على أن أفقد ما منحتنى إياه، فأسرعت ومنحتنى فيضاً جديداً من فيوضات روحك القدوس، ليسند ضعفى، لكى أثبت فى نعمتك، ولا أتزعزع، وبعد أن أبرأتنى من دينى لا أعود فأستدين من جديد. فأمرت لى بمسحة مقدسة من روحك، فضمخ كهنتك جسدى فى طفولتى بدهن مقدس، هو الميرون، لأمتلئ بروح القدس (أعمال ٩: ١٧)، (٢: ٤)، (٨: ١٧)، وبه تدشنت أعضائى وتقدست، وتكرست لك ربى، وصار حراماً على أن أدنسها لأنها صارت «أعضاء المسيح» (١ . كورنثوس ٦: ١٥)، وأصبح الجسد كله للمسيح (كولوسى ٢: ١٧) «أما الجسد فليس للزنى، بل هو للرب. والرب للجسد» (١ . كورنثوس ٦: ١٣).

هذا فضلك أنت يا سيدى، وأما أنا فيلزمنى كإنسان، الجهاد الروحى «لأضرم» (٢ . تيموثيئوس ١: ٦) بالعبادات موهبة الله التى نلتها فى هذا السر وأذكيها وأشعلها وأوقدها، «ولا أطفئ الروح»، (١ . تسالونيكى ٥: ١٩)، ولا أخمدها. فإذا أنا أضرمت وألهبت بالعبادات موهبة الروح، أقوى ولا أضعف، أمتلئ بالروح ولا أفرغ، فيشتعل النور فى قلبى وروحى، فلا يحجبه عنى جسدى، ويزداد النور وضوحاً فى حياتى، فيضئ لى (الماضى) «فيذكرنى» بكل شئ (يوحنا ١٤: ٢٦)، ويضئ لى (الحاضر)، «فأتعلم» به (يوحنا ١٤: ٢٦)، علماً من السماء (١ . يوحنا ٢: ٢٧، ٢٠) ويضئ لى (المستقبل) «فيخبرنى بأمور آتية» (يوحنا ١٦: ١٣) هذا فضلاً عن توليده لمواهب الإيمان الذى بلا فحص، والرجاء الذى لا يخيب، والمحبة التى بغير حدود، ثم مواهب أخرى كثيرة هى مواهب الروح (رومية ١٢: ٦)، (١ . كورنثوس ١٢: ٤، ٢٨)، (العبرانيين ٢: ٤).

* * *

لكنك يا مخلصى، أيها الحب الخالص، أردت بى شيئاً آخر، فضلاً زائداً عن كل ما صنعت معى. أردتنى أن أثبت فيك ثبات الغصن فى الكرمة (يوحنا ١٥: ١، ٢، ٤، ٥، ٦)، خفت علىّ من الجوع والعطش، فكفلت لى غذاء دائماً لا ينضب. وليس هذا الغذاء الروحانى إلا منك أنت: من جسدك ودمك: «فجسدك يتحد بجسدى، ودمك يصب فى عروقى»، فيضمن لى «أن أحيا ولا أموت» ... (يوحنا ٦: ٥٥ – ٥٨).

يا لعظمة حبك يا رب! من من الناس، ملكاً كان أو أباً أو راعياً يغذى عبيده أو أبناءه أو رعيته من جسده ودمه!. لقد كان السادة من الرومان قديماً يغذون السمك الذى يقيمونه فى بيوتهم من لحوم عبيدهم: يذبحون العبيد: ويقطعون لحومهم، ويقدمون للسمك وجبات من لحوم العبيد.. أما أنت يا سيدى، فمن جسدك تطعمنى ومن دمك تسقينى، فأى حب أعظم من هذا؟ وأى ضمان لدوام شبعى وارتوائى أكبر من هذا الضمان الكفيل بأن يجعلنى لن أجوع، ولن أعطش أبداً ما دمت آخذ من خبز الحياة (يوحنا ٦: ٣٥، ٥١) ؟!

يتحدثون عن «نقل الدم» إلى من يحترق دمهم بفعل سرطان الدم أو بغير ذلك من أمراض، وها أنت يا سيدى تقدم لى دمك تعويضاً عما احترق فىّ من طاقة روحية بسبب حروب الجسد، أو حروب الناس، أو حروب الشياطين. وها إنك فى سر القربان المقدس، سر التناول والشركة، هو «سر الأسرار» «دمك يصب فى شرايينى، وجسدك يتحد بجسدى»، وأنت كلك تشرفنى وتباركنى، «تدخل تحت سقف بيتى» (متى ٨: ٨)، (لوقا ٧: ٦) لا.. فبماذا أرد لك من أجل كل حسناتك لى». (مزمور ١١٥: ١٢) ؟!...

هل لى أن أستحق هذا الشرف؟ وهل لى أن أتصور مقدار خطيئتى إذا استقبلتك فى بيتى بغير ما أنت جدير به من حب خالص نقى، وروح طاهر، وفكر طاهر، وجسد طاهر؟ لقد قال أحد قديسيك (الأنبا فريج - رويس): إن من يتقدم إلى سر المائدة الروحانية ينبغى أن يكون أولاً فى طهارة مريم العذراء عندما حل الله الكلمة فى أحشائها.

* * *

وإذ أنك تعلم بضعفى أمام الحروب غير المنظورة فضلاً عن المنظورة مما أحتاج معه إلى تصحيح المسار إذا أخطأت وانحرفت عن جادة الصواب وتغافلت عن وصاياك، فقد أعددت لى «سر التوبة» الذى يرد إلىّ «بهجة خلاصك» (مزمور ٥٠: ١٢)، وبدموع التوبة يغتسل ثوبى، لا

باستحقاق ندامتى ولا بإصرار عزيمتى، وإنما باستحقاقاتك أنت يا مخلصى، يعود إلىّ ثوبى، فأسترده أبيض ناصعاً كما لم يمسسه قذر خطاياى.. إنه بعينه «الحلة الأولى»، وهو بعينه «ثوب العرس» لم يتغير، وهذا فضل نعمتك أيها الفادى.

* * *

فإذا مرضت، مرضاً روحياً وجسدياً، فلا تنسانى، ولا تتركنى لنتائج خطاياى، وتجاوزاتى للقوانين الإلهية، فأحصد فى جسدى (١ . كورنثوس ٦ : ١٨) ما زرعته بيدى (غلاطية ٦ : ٨) من تعديات وتحديات وإهمال وكسر لنواميس الحياة والصحة... رتبت لى سراً آخر هو «سر مسحة المرضى» يمسح به جسدى بعد أن أتوب معترفاً بخطاياى. فلهذا السر فعالياته القوية لأنه فيه تنحدر نعمة الروح القدس فتنسكب على الزيت المقدس «لأنه يقدس بكلمة الله والصلاة» (١ . تيموثيوس ٤ : ٥) فيتم به الشفاء من الأمراض الجسدية المتسببة عن العلل الروحية والخطيئة.

إذن أنت يا سيدى، ويا ربى، مع أنك «روح» (يوحنا ٤ : ٢٤) لكنك ترعانى روحاً وجسداً.. ليس إذن جسدى شيئاً تافهاً، لكنه ذو قيمة فى ذاته لأنه خليقتك، وبه وفيه اشترك أنا مع سائر الكائنات الجسدانية من الحيوانات العجماوات والحشرات والنباتات، وسائر الجمادات والموجودات المادية وكل الكون بما فيه من نجوم وكواكب وأقمار.

هذا الجسد منك لأنك أنت الذى خلقته وجبلته من تراب الأرض (التكوين ٢ : ٧)، وتراب الأرض هو أصلاً من السماء .. كان من النور ثم احترق، ونزل إلى الأرض.. ثم نزلت أنت من السماء (يوحنا ٦ : ٣٣، ٤١، ٤٢، ٥٠، ٥١)، واتخذت منه جسداً (١ . يوحنا ٤ : ٢)، (٢ . يوحنا ٧) اتحد بلاهوتك، فصار هذا الجسد شريكاً للطبيعة الإلهية (٢ . بطرس ١ : ٤)، إذ «قد حل فيه كل ملء اللاهوت» (كولوسى ٢ : ٩) ولم يفارق لاهوتك لحظة واحدة ولا طرفة عين، حتى عندما دفن فى القبر (أعمال ٢ : ٢٧، ٣١) ولم يلبث أن قام من بين الأموات فى اليوم الثالث، وبه ظهرت بعد قيامتك المجيدة مدة أربعين يوماً، ثم صعدت به إلى السماء، وجلست به على العرش.. فتمجد بك وفيك جسدى هذا الذى من التراب، واكتسب باتحاد اللاهوت به مجداً وشرفاً حتى جلست به فى السماء وجاءت الملائكة ورؤساء الملائكة وخضعت (١ . بطرس ٣ : ٢٢)، (أفسس ١ : ٢٢) وسجدت أمامك.. هذا الجسد الذى به صار الإنسان أقل من الملائكة (مزمور ٨ : ٥) تمجد إذ اتحد بلاهوتك، وأصعدته إلى السماء، وأجلسته على العرش السماوى، فصرنا نحن فيك جالسين الآن على العرش. (أفسس ٢ : ٦).

من هنا صار لجسدنا كرامة مضاعفة، لأنه صار جسدك واتحد بلاهوتك فتكرم، وتقدس، وصرنا به «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢ . بطرس ١ : ٤) .

فإذا مرض، تحزن معى لمرضه، وإذا تألم وتضايق، تتضايق معى فيه (إشعياء ٦٣ : ٩)، ولا ترضى به مريضاً، بل تريد له الشفاء، ومن أجله رتبت هذا السر من بين أسرار الكنيسة «سر مسحة المرضى» .

فشكراً لك يا إلهى، شكراً بغير حدود، فأنت المعتنى بأرواحنا وأنفسنا وأجسادنا، وأنت تريد أن نكون مقدسين تقديساً كاملاً، وأن تكون «أرواحنا وأنفسنا وأجسادنا سالمة بغير لوم عند مجئ ربنا يسوع المسيح» (١ . تسالونيكى ٥ : ٢٣) .

لك المجد والسجود دائماً أبدياً أمين .

القيم الروحية
فى سر مسحة المرضى

موضوعات وإجابات على أسئلة ٥٥٨
١ ـ ليس بالطب البشرى وحده يشفى المريض ٥٥٨
٢ ـ سر مسحة المرضى ينبغى أن يمارس كاملاً ٥٦٦
٣ ـ هل يلزم أن يكون المريض والكاهن صائمان قبل ممارسة سر مسحة المرضى،
وهل تقال الصلوات السبع جميعاً ؟ ٥٦٩
٤ ـ مريضة بالاكتئاب النفسى ٥٧٥
٥ ـ يهملون أوشية المرضى ٥٧٨

موضوعات وإجابات على أسئلة

١ ـ ليس بالطب البشرى وحده يشفى المريض
الدين والطب يتعاونان ولا يتعارضان

سؤال: من السيد ـ نبيل لبيب سعيد.

يقول ما هى نظرة المسيحية للطب والأطباء؟ وهل للمريض أن يصلى طالباً الشفاء من رب المجد بدلاً من أن يذهب إلى الطبيب؟

الجواب:

١ ـ **الطب علم وفن وروح.** ومن حيث هو علم، **هو علم من علوم الطبيعة. هدفه رد الإنسان إلى حالته الطبيعية السليمة** التى خلقه الله عليها. ومن هنا كان معنى اسم **(الطبيب) هو الإنسان المختص أو الأخصائى فى طبيعة** الإنسان Physician.

٢ ـ **والطب طب للروح والنفس والبدن.** فليس من الطبيعى أن نفصل بين مكونات الإنسان. إن الإنسان كُلٌّ واحد: روح ونفس وبدن.

والطب علاج للمرض وللمريض.

والمرض مرض للروح والنفس والبدن. والمرض عادة يصيب الروح والنفس قبل أن يصيب البدن.

والعلاج الحقيقى علاج للإنسان ككل، علاج للروح والنفس والبدن.

ومن هنا كان العلاج الطبيعى والناجح للإنسان المريض هو **شفاؤه روحياً ونفسياً وبدنياً.**

ولما كانت الروح أقوى من البدن، وأهم منه.

كان الشفاء للمريض هو **شفاء للروح قبل أن يكون شفاء للبدن، فإذا شفى المريض روحياً، صار من السهل شفاء البدن، بتأثير الروح على البدن.**

لذلك كان من المتعذر شفاء البدن إذا لم تشف الروح والنفس أولاً. ولذلك يطول الأمر بوسائل العلاج للبدن ما لم يبدأ الإنسان بعلاج الروح والنفس أولاً.

يقول الفيلسوف أفلاطون: إن أكبر أخطاء الأطباء أنهم يحاولون علاج الجسد دون العقل (أو النفس)، فى حين أن العقل (أو النفس) والجسد وجهان لشئ واحد. فلا ينبغى أن يعالج أحد الوجهين على حدة أو يفصل بين النفس والبدن.

فكم من مريض يعالجه الأطباء سنوات طويلة ويستخدمون كل وسائط العلاج، ومختلف أنواع الأدوية ولا يتقدم نحو الصحة خطوة واحدة، لأن روحه ونفسه لم تشف أولاً. بينما تفلح أبسط الوسائل عند مريض آخر، مرتفعة روحه المعنوية، لأنه قد بدأ بعلاج الروح والنفس أولاً.

٣ - وليس معنى هذا أن جميع أمراض الإنسان روحية أو متسببة عن علل روحية. فهناك بلاشك **أمراض بدنية بحتة** كتلك الأمراض الناجمة عن الإصابات والحوادث، ومنها الكسور لعضو أو أكثر، ثم الأمراض العضوية البحتة الناجمة عن استهلاك القوى الطبيعية والإجهاد البدنى والعصبى.

على أن العامل الروحى والنفسى له أثره فى سرعة العلاج أو تعطيله.

وقد يكفى بالنسبة للأمراض العضوية البحتة، أو تلك الناجمة عن استهلاك القوى الطبيعية والإجهاد البدنى والعصبى - مجرد الراحة والتوقف عن بذل الجهد، والاسترخاء، والنوم، وتوافر الهواء النقى، والسكون، والمناظر الطبيعية من خضرة وماء وجبال وأنهار وبحيرات - إن مجرد الراحة والاسترخاء والسكون والنوم تعمل على استرداد البدن صحته، أحياناً من دون دواء، طبقاً للمبدأ القائل عن البدن «**ما أعجبها آله ترمم نفسها بنفسها**».

٤ - أما إذا كان المرض البدنى متسبباً عن علل روحية، وهى الخطيئة فى أية صورة من صورها الظاهرة أو الخفية، أو علل نفسية وأخصها الخوف والقلق، فلا علاج للبدن قبل أن تشفى الروح والنفس أولاً.

لهذا رأينا المسيح له المجد قال للمفلوج المدلى من السقف «يا بنى مغفورة لك خطاياك» قبل أن يقول له «لك أقول قم، احمل فراشك واذهب إلى بيتك» لأنه يعلم أن علة مرضه كانت الخطيئة. ولما رآه، بواسع علمه الإلهى، نادماً وتائباً توبة صادقة، قَبِل منه توبته وغفر له

خطاياه بما له من سلطان إلهى على أن يغفر الخطايا، ثم شفاه بعد ذلك من مرض جسده (مرقس ٢: ١ – ١٢)، (متى ٩: ١ – ٨)، (لوقا ٥: ١٨– ٢٦).

ولهذا أسس المسيح له المجد سر مسحة المرضى، وأعطى لتلاميذه ورسله وللكهنة السلطان أن يشفوا المرضى، وقد باشر التلاميذ ذلك فى وجود سيدهم ومعلمهم «ودهنوا بالزيت كثيراً من المرضى فشفوهم» (مرقس ٦: ١٣)، وقد صار هذا السر، سر مسحة المرضى، من بين أسرار الكنيسة السبعة «هل فيكم مريض، فليدع كهنة الكنيسة، وليصلوا عليه، ويمسحوه بالزيت باسم الرب، وصلاة الإيمان تخلص المريض، والرب ينهضه، وإن كان قد ارتكب خطايا تغفر له» (يعقوب ٥: ١٤، ١٥).

هذا عن الأمراض الجسدية المتسببة عن علل روحية ونفسية مما يدخل فى اختصاص سر مسحة المرضى.

٥ ـ لكن هناك أمراض جسدية بحتة أو متسببة عن استهلاك طبيعى للطاقة البدنية من فرط الإجهاد الجسمى والبدنى والذهنى والعصبى. فلهذا النوع من الأمراض ينبغى استشارة الطبيب البشرى للعلاج، والطبيب البشرى يحاول بخبرته الطويلة فى هذا النوع من الأمراض وخبرة الأجيال المتجمعة فى الدراسات الطبية والمراجع العلمية التى درسها الطبيب، أن يرد الجسم إلى طبيعته، فيأمر المريض أولاً بالراحة والتوقف عن العمل، والاسترخاء والنوم، وأن يأخذ نصيبه من الغذاء المناسب له، وأن يحيطه بالرعاية وأسباب الهدوء والنظافة ـ وأن يقدم لجسده ما ينقصه من الفيتامينات والأملاح المعدنية التى تلزمه.

يقول الكتاب المقدس «المرض الشديد يذهبه النوم» (يشوع ابن سيراخ ٣١: ٢) ويقول «السهاد والهيضة والمغص للرجل الشره. رقاد الصحة لقنوع الجوف. يقوم باكراً وهو مالك نفسه» (سيراخ ٣١: ٢٣، ٢٤) «لا تشره إلى كل لذة، ولا تنصب على الأطعمة. فإن كثرة الأكل تهيض الآكل، والشره يبلغ إلى المغص. كثيرون هلكوا من الشره. أما القنوع فيزداد حياة» (سيراخ ٣٧: ٣٢ – ٣٤) «رأس ما تحتاج إليه حياة الإنسان: الماء والنار والحديد والملح وسميذ الحنطة والعسل واللبن ودم العنب والزيت...» (سيراخ ٣٩: ٣١).

٦ ـ على أن الطبيب النطاسى هو من يعامل مريضه معاملة إنسانية خاصة قبل أن يصف له العلاج، فيبتسم فى وجهه، ويحنو عليه، ويهتم به، ويصغى إلى شكواه فى اهتمام، ويعطيه من وقته وهدوئه ما يجعل المريض ينطلق فى حديثه معه على سجيته، يشكو إليه متاعبه، والطبيب ينصت إليه بغير تبرم، ويسأله، والطبيب يجيبه.

إن الطبيب الذى يدخل على مريضه بهذا الأسلوب وبهذه الروح ينفعه أكثر مما يفيده بالدواء مهما كان هذا الدواء. وكم من مرضى اختفى مرضهم كله أو أكثره بزيارة الطبيب الإنسان قبل أن يستخدموا الدواء الذى وصفه لهم. وهذا بينة على أثر العوامل الروحية والنفسية فى صحة الجسم والبدن، لأن الإنسان روح ونفس قبل أن يكون بدناً، أو قل هو روح ونفس تسكن فى بدن.

٧ ـ من ثم فلا تعارض بتاتاً بين الدين والطب، ولا تعارض بين علاج الروح والنفس وعلاج البدن. إنهما يسيران معاً فى خط واحد.

فليس خطأ أن يلجأ الإنسان إلى الطبيب البشرى ويستشيره فى علاج مرضه، وينتفع بعلمه وخبرته، وخبرة الأجيال كلها متجمعة فى علم الطبيب وخبرته.

ولكنه من منطلق الإدراك لقيمة العوامل الروحية والنفسية وأثرها فى صحة البدن، ينبغى للمريض أن يتجه أولاً إلى علاج روحه وإلى شفاء نفسه، بالصلاة، وممارسة التوبة والاعتراف ووسائط الخلاص المرتبة فى الكنيسة لمنفعة الإنسان روحاً ونفساً وبدناً ـ وبعد ذلك يلجأ إلى الطبيب البشرى لينتفع بخبرته وعلمه ونصائحه.

٨ ـ وقد جاء فى الكتاب المقدس ما يفيد بمدح عمل الطبيب، وما يشجع المريض على الذهاب إلى الطبيب.

يقول المسيح له المجد «**لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، بل المرضى**» (متى ٩: ١٢)، (مرقس ٢: ١٧)، (لوقا ٥: ٣١).

وقديماً قال الرب على فم النبى إرميا «أليس بلسان فى جلعاد أم ليس هناك طبيب، فلماذا لم تعصب بنت شعبى» (إرميا ٨: ٢٢).

وقد اختار المسيح له المجد أحد رسله السبعين طبيباً، وهو لوقا الطبيب، وكان يمارس الطب فى أنطاكية سورية، على ما يقول يوسابيوس القيصرى (١)، والقديس إيرونيموس أو جيروم (٢). وقيل عنه إنه قبل تلمذته للمسيح كان تلميذاً لأكبر علماء الطب فى زمانه ومن المعروف أنه لم يكن يسمح لأحد أن يمارس مهنة الطب فى عهد الرومان قبل أن يجتاز امتحانات على جانب كبير من الصعوبة والدقة. وقيل في سبب اهتدائه إلى المسيح إنه سمع بأنباء ظهوره فى بلاد فلسطين، وبأنه يشفى جميع الأمراض بغير دواء أو عقار، فظن فى مبدأ الأمر أن ذلك وهم وخداع، فقصد إلى حيث المسيح ليتحقق الخبر بنفسه، فرأى المسيح وآمن به، وتتلمذ عليه، وبعد أن صار رسولاً وتلميذاً للمسيح ورفيقاً للقديس بولس الرسول فى خدمته وأسفاره، لم يحرمه الرسول بولس من لقبه كطبيب، فقد ذكره صراحة فى رسالته إلى أهل كولوسى بأنه «**لوقا الطبيب الحبيب**» (٤: ١٤)، بل إننا نرى أنه لابد أن يكون القديس لوقا الطبيب وراء النصائح الطبية التى أوردها الرسول بولس فى بعض رسائله، ومنها قوله إلى القديس تيموثيئوس الرسول: «لا تكن فيما بعد شراب ماء، بل اشرب قليلاً من الخمر، من أجل معدتك وأمراضك الكثيرة» (١ . تيموثيئوس ٥: ٢٣)، وقوله «فإن الرياضة البدنية فيها بعض النفع» (١ . تيموثيئوس ٤: ٨).

وورد فى الكتاب المقدس عن يعقوب أبى الأسباط أنه بعد أن توفى حنطه الأطباء: «وأمر يوسف عبيده الأطباء أن يحنطوا أباه. فحنط الأطباء إسرائيل. وكمل له أربعون يوماً، لأنه هكذا تكمل أيام المحنطين» (التكوين ٥٠: ٢، ٣).

٩ ـ وهكذا ترى أنه لا تعارض بين الطب والدين. والإنسان التقى يصلى لله ثم يستدعى الطبيب.

جاء فى الكتاب المقدس فى سفر يشوع بن سيراخ: «**أعط الطبيب كرامته لأجل فوائده، فإن الرب خلقه. لأن الطب آت من عند العلى.. علم الطبيب يعلى رأسه.. الرب خلق الأدوية من الأرض، والرجل الفطن لا يكرهها ... إن العلى ألهم الناس العلم**

---

(١) يوسابيوس القيصرى فى كتابه «تاريخ الكنيسة»، الجزء الثالث فصل ٤، ٦.

(٢) مجموعة منىMigne للآباء اللاتين المجلد ٢٦ عمود ١٨.

لكى يمجد فى عجائبه. **بتلك يشفى ويزيل الأوجاع، ومنها يصنع العطار أمزجة، وصنعته لا نهاية لها.** فيحل السلام من الرب على وجه الأرض. **يا بنى إذا مرضت فلا تتهاون بل صل إلى الرب فهو يشفيك. أقلع عن ذنوبك، وقوم أعمالك، ونق قلبك من كل خطيئة، قرب رائحة مرضية وتذكار السميذ واستسمن التقدمة كأنك لست بكائن. ثم اجعل موضعاً للطبيب فإن الرب خلقه، ولا يفارقك، فإنك تحتاج إليه. إن للأطباء وقتاً فيه النجح على أيديهم.** لأنهم يتضرعون إلى الرب أن ينجح عنايتهم بالراحة والشفاء لاسترجاع العافية. من خطئ أمام صانعه فليقع فى يدى الطبيب، (يشوع بن سيراخ ٣٨: ١ – ١٥).

١٠ - **ثم إن الطبيب التقى يصلى لله قبل أن يمارس عمله كطبيب،** يلتمس من الله الفهم والإرشاد حتى لا يخطئ فى تشخيص المرض، وحتى يلهمه الله الرشاد فى وصف العلاج ثم لكى يصحب الله بنعمته وسائط العلاج فيباركها الرب، فتؤتى ثمرها بالنجاح والتوفيق والشفاء. لأنه إن لم يبن الرب البيت فباطلاً يتعب البناءون، وإن لم يحفظ الرب المدينة فباطلاً يسهر الحارس، (مزمور ١٢٦: ١).

يقول الكتاب المقدس: «إن للأطباء وقتاً فيه النجح على أيديهم، لأنهم يتضرعون إلى الرب أن ينجح عنايتهم بالراحة والشفاء لاسترجاع العافية» (سيراخ ٣٨: ١٤).

١١ - **وملاك القول أنه لا المريض يرتكب خطأ أو خطيئة باستشارة الطبيب، ولا الطبيب بممارسته عمله وخبرته يرتكب خطأ يتعارض مع الإيمان بالله وقدرته.**

أما المريض، فإذا صلى لله أولاً ومارس التوبة ووسائط الخلاص الروحية لشفاء الروح والنفس، ثم لجأ بعد ذلك إلى الطبيب البشرى، لم يرتكب بلجوئه إلى الطبيب خطأ يتعارض مع إيمانه بالله، **لأن الطبيب ليس هو الذى يشفى المريض، إنما هو الله الطبيب الشافى الحقيقى، لكن الطبيب البشرى يعرف بعلمه وخبرته وخبرة الأجيال مالاً يعرفه المريض من وسائط طبيعية** يسترد بها الجسم نشاطه ويجدد حيويته، ويحصل على ما كان ينقصه، ويعود إليه ما يعوض به ما استهلكه البدن من قوته بالإجهاد البدنى أو العصبى أو بحرمانه من الغذاء المناسب المتكافئ الذى يلزم لقيام الجسد بعمله فى صحة كاملة.

جاء فى الكتاب المقدس عن **حزقيا الملك** وقد كان ملكاً تقياً، وكان من خير الملوك تديناً، واستقامة قلب أمام الله:

«فى تلك الأيام مرض حزقيا للموت. فجاء إليه إشعياء ابن آموص النبى، وقال له: هكذا يقول الرب: أوص بيتك لأنك تموت ولا تعيش. فوجه حزقيا وجهه إلى الحائط، وصلى إلى الرب، وقال: آه يا رب، اذكر كيف سرت أمامك بالأمانة وبقلب سليم، وفعلت الحسن فى عينيك. وبكى حزقيا بكاء عظيماً.

«ولم يخرج إشعياء إلى المدينة الوسطى حتى كان كلام الرب إليه قائلاً: ارجع وقل لحزقيا رئيس شعبى، هكذا قال الرب إله داود أبيك. قد سمعت صلاتك، قد رأيت دموعك. ها أنذا أشفيك. فى اليوم الثالث تصعد إلى بيت الرب. وأزيد على أيامك خمس عشرة سنة...» (٢. الملوك ٢٠: ١ - ٦)، (إشعياء ٣٨: ١ - ٢٠).

ومع أن الرب قبل صلاة حزقيا الملك، واستجاب لدموعه، ووعده بأن يشفيه وأن يضيف إلى أيامه خمس عشرة سنة - لكنه أمر له **بعلاج طبيعى للقرحة التى كان يعانى منها** والتى بسببها تعرضت حياته للموت. قال الكتاب المقدس «وكان إشعياء قد قال: **ليأخذوا قرص تين ويضمدوه على الدبل فيبرأ. فأخذوها ووضعوها على الدبل فبرئ**» (إشعياء ٣٨: ٢١)، (٢. الملوك ٢٠: ٧)، (٢. أخبار الأيام ٣٢: ٢٤).

١٢ - **بيد أنه يخطئ المريض إذا لجأ إلى الطبيب البشرى قبل أن يلجأ إلى الله**، كما فعل حزقيا الملك بالصلاة. **ويخطئ المريض إذا جعل اعتماده على الطب والأطباء**، جاحداً بقلبه الله وقدرته، ظاناً أن شفاءه بيد الطبيب كما لو كان الطبيب البشرى ذا قدرة على الخلق والشفاء.

فى هذا الخطأ الجسيم وقع الملك آسا من ملوك يهوذا، ومع أنه كان صالحاً ومستقيماً، لكن لقد غضب الرب عليه لحماقته وتعديه أوامر الرب ووصاياه عن طريق نبيه حنانى الرائى، فمرض، **وفى مرضه طلب الأطباء ولم يطلب الرب**، فلم ينفعه الأطباء شيئاً فمات مغضوباً عليه من الله والناس. قال الكتاب المقدس «ومرض آسا فى السنة التاسعة والثلاثين من ملكه فى رجليه، حتى اشتد مرضه. **وفى مرضه أيضاً لم يطلب الرب بل الأطباء**. ثم اضطجع آسا مع آبائه ومات» (٢. أخبار الأيام ١٦: ١٢، ١٣)، (١. الملوك ١٥: ٢٣، ٢٤).

كذلك المرأة المصابة بنزف دم منذ اثنى عشر عاماً، قبل أن تأتى إلى الرب يسوع وتلمس طرف ردائه ،قد عانت كثيراً من أطباء كثيرين، فلم يستطع أحد شفاءها، وأنفقت كل ما تملك على الأطباء، فلم تجد أى فائدة، وإنما بالأحرى ازداد حالها سوءاً، (مرقس ٥: ٢٥، ٢٦)، (لوقا ٨: ٤٣).

كذلك الطبيب يخطئ إن ظن فى نفسه أنه ذو العلم العليم، متكلاً على معرفته، مستنداً بقلبه إلى طرائق الطب المادية، والعقاقير والوصفات الطبية، مغروراً بأبحاثه وعلمه وخبرته، صادفاً بقلبه عن الله.

ألا ليت المريض والطبيب، كل منهما، يعلم، **أنه ليس بالطب البشرى وحده يشفى المريض، وأن شفاء الروح والنفس هو الفاعل فى شفاء البدن.**

٢ ـ سر مسحة المرضى ينبغى أن يمارس كاملاً

سؤال: من الأب المحترم القس متى وديع سامى ـ الكاهن بسفلاق ـ ساقلته ـ أخميم.

يقول: إن صلوات سر مسحة المرضى، (القنديل) كما هى مدونة فى كتاب طقس القنديل سبع صلوات. ولما كان الكاهن يدعى لإقامة هذا السر فى عدة منازل، فهل يجوز نظراً لضيق وقت الكاهن واستجابة لرغبة الكثيرين، أن يكتفى الكاهن بالصلاة الأولى والأخيرة؟

الجواب:

لكى نجيب على هذا السؤال يجب أن تكون هناك توعية لشعبنا بما يأتى:

أولاً: إن سر مسحة المرضى سر أسسه المسيح له المجد لشفاء الأمراض الجسدية المتسببة عن علل روحية ونفسية، فقد أمر تلاميذه القديسين أن يشفوا المرضى (متى ١٠: ٨)، (لوقا ١٠: ٩)، (مرقس ٣: ١٥)، (لوقا ٩: ١) وحدث فعلاً أن تلاميذ المسيح ورسله «مسحوا بالزيت كثيراً من المرضى فشفوهم» (مرقس ٦: ١٣).

وعلى ذلك فلا ينبغى أن يباشر هذا السر إلا إذا كان هناك مرض حقيقى. إن لكل سر من أسرار الكنيسة السبعة اختصاصاً وعملاً يتميز به، ووظيفة تختلف عن وظيفة غيره. وإلا فلماذا كان لهذا السر اسم خاص به؟

فسر مسحة المرضى هو السر الخاص **بشفاء الأمراض الجسدية المتسببة عن علل روحية ونفسية**. فإذا لم يكن هناك مرض جسدى، فلماذا يطلبون مباشرة هذا السر؟

إن كثيرين من شعبنا يدعون الكاهن لا سيما فى موسم الصوم الكبير لإقامة سر مسحة المرضى، لا لأن هناك مريضاً بالفعل، بل من أجل أن ينال بركة الصلاة فى بيته.. لكن يجب أن يعرف شعبنا **أن لتبريك المنازل صلاة خاصة**، وهى غير صلوات مسحة المرضى. أما صلوات مسحة المرضى فينبغى أن تباشر عندما يكون هناك مرض حقيقى.

قال الكتاب المقدس «هل فيكم مريض، فليدع كهنة الكنيسة وليصلوا عليه ويمسحوه بالزيت باسم الرب» (يعقوب ٥: ١٤).

ثانياً: طالما أن مسحة المرضى سر لشفاء الأمراض الجسدية المتسببة عن علل روحية ونفسية، فقد ترتب عليه أنه إذا كان هناك مرض روحى، فالسر المختص بالشفاء من الأمراض الروحية هو سر التوبة والاعتراف، ويتبعه سر التناول من الأسرار المقدسة.

وإذا كان هناك مرض جسدى بحت فلا يدخل هذا النوع من الأمراض الجسدية البحتة فى اختصاص سر مسحة المرضى. فمن أصيب فى حادث فانكسر ذراعه أو قدمه، فعلاجه عند الطبيب المختص بجبر الكسور. ومن دخلت فى عينه حصاة، فليذهب إلى الطبيب الأخصائى لإخراج الحصاة من عينه، وهكذا قل عن كل مرض عضوى أو جسدى بحت.

ومع ذلك فلا غنى لإنسان عن الصلاة، ولا غنى لمريض بمرض جسدانى عن الصلاة. لكن الصلاة هنا هى غير صلوات مسحة المرضى التى هى سر خاص له وظيفة خاصة واختصاص ينفرد به وهو الأمراض الجسدية المتسببة عن علل روحية ونفسية، ومنها مثلاً أكثر أنواع الحميات. ولعل من بين الأمراض المذكورة فى الإنجيل مرض الفالج أو الشلل الذى كان مصاباً به المفلوج المدلى من السقف (مرقس ٢: ١ – ١٢) والمفلوج الآخر الذى كان مطروحاً على بركة بيت حسدا (يوحنا ٥: ١ – ٩) فإن هذا المرض فى هذين الرجلين كان متسبباً عن الخطيئة، بدليل أن المسيح له المجد قال لمفلوج بركة بيت حسدا «ها أنت قد برئت، **فلا تعد إلى الخطيئة** لئلا يصيبك ما هو أسوأ» (يوحنا ٥: ١٤). وقال للمفلوج المدلى من السقف «اطمئن يا بنى **مغفورة لك خطاياك**» (متى ٩: ٢)، (لوقا ٥: ٢٠)، (مرقس ٢: ٥). قبل أن يقول له «لك أقول قم، احمل فراشك واذهب إلى بيتك» (متى ٩: ٦)، (مرقس ٢: ١١)، (لوقا ٥: ٢٤).

وعلى ذلك فإذا تبين لشعبنا **أولاً أن سر مسحة المرضى ينبغى أن يباشر أولاً لمريض بمرض حقيقى، وثانياً أن يكون المرض مرضاً جسدياً متسبباً عن علل روحية ونفسية**، فإن الكاهن:

١ ـ سوف لا يستدعونه ليباشر مسحة المرضى بهدف تبريك البيت أو أهله، **وإنما لأن فى البيت مريضاً معاقا بالفعل وملازماً الفراش ولا يستطيع أن يذهب إلى الكنيسة.**

٢ ـ وسوف لا يستدعون الكاهن ليباشر مسحة المرضى لمريض بكسر فى ذراعه أو قدمه أو ظهره أو عينه أو أذنه وما إليها من أمراض عضوية وجسدية بحتة.

٣ ـ وسوف لا يستدعون الكاهن لإجراء مسحة المرضى فى البيت لإنسان متعب نفسياً أو روحياً من غير مرض جسدانى، إذ أن هذا يدخل فى اختصاص آخر وهو سر التوبة والاعتراف.

بناء عليه إذا اقتصرت مباشرة سر مسحة المرضى على مرض جسدانى حقيقى تسبب عن علة روحية ونفسية، وبسببه لازم المريض الفراش فى بيته لا يستطيع أن يغادره، ففى هذه الحالة يجب على الكاهن أن يباشر طقوس السر وصلواته السبعة كاملة، ولا يجوز له أن يجتزئ منها أو يقتطع البعض دون البعض الآخر، فإن هناك ضرورة ملحة فى عدم إهمال شئ من الصلوات حتى تؤدى ثمارها ونتائجها المرجوة كاملة. ولا ننسى أن الرقم ٧ هو من أعداد الكمال. فكمال صلوات مسحة المرضى، وكمال فعالياتها، يقتضى أن تباشر الصلوات السبعة جميعاً، ولا يهمل منها شئ، لأنه ليس عبثاً رتبت الصلوات سبعة فى مسحة المرضى، على قول الوحى الإلهى «سباعيات سهام كلمتك» (حبقوق ٣: ٩) وقال المسيح له المجد فى وجوب اللجاجة فى الصلاة «ينبغى أن يصلوا كل حين ولا يفتروا» (لوقا ١٨: ١)، (١١: ٥)، (٢١: ٣٦)، ويقول الرسول القديس بولس «مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت فى الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة» (أفسس ٦: ١٨)، (رومية ١٢: ١٢)، (كولوسى ٤: ٢)، (١. تسالونيكى ٥: ١٧).

٣ - هل يلزم أن يكون المريض والكاهن صائمان قبل ممارسة سر مسحة المرضى؟ وهل تقال الصلوات السبع جميعاً؟

سؤال: من أحد الكهنة يسأل عن سر مسحة المرضى ويثير مسألتين، الأولى: هل يلزم أن يكون الكاهن صائماً قبل إجراء سر القنديل؟ وما هو القول بالنسبة للمريض نفسه، هل يلزم أن يكون هو الآخر صائماً عند إتمام السر؟

والثانية: هل يلزم أن تقال الصلوات السبع جميعاً، أم يمكن أن يكتفى بصلاة واحدة كما يفعل البعض؟

الجواب:

لمباشرة كل سر من الأسرار السبعة يلزم أن يكون الكاهن صائماً، وكذلك المؤمن الذى يقبل السر المقدس. والصوم هنا امتناع عن الطعام فترة لبضع ساعات، خصها القانون الكنسى فيما يتصل بمباشرة سر القربان المقدس بتسع ساعات، وعند المرض بست ساعات. والغرض منه إعداد الجسد فى حالة من الجوع تتناسب مع جوع النفس للبر، تطبيقاً لقول المسيح له المجد «سعداء هم الجياع والعطاش إلى البر، فإنهم سيشبعون» (متى ٥: ٦) إذ لا يليق بالمؤمن أن يتقدم إلى سر من الأسرار المقدسة وهو فى حالة شبع من الطعام، لا توافق الأشواق الروحية والجسدية التى ينبغى أن تتوافر فى قابل السر.

لذلك ينبغى أن يراعى الكاهن عند إجراء سر مسحة المرضى أن يكون ممتنعاً عن الطعام لفترة بضع ساعات. ومن المعروف أن الوقت الأكثر مناسبة لإجراء هذا السر هو الصباح الباكر.

ومن جهة المريض، يراعى من حيث المبدأ أن يكون ممتنعاً عن الطعام فترة ست ساعات. ويمكن تخفيضها عن ذلك للضرورة، بحل من الكاهن.

أما عن المسألة الثانية، فمن المقرر أن يصلى الكهنة جميع الصلوات السبع المنصوص عليها فى كتاب طقس القنديل. والعدد ٧ من أعداد الكمال، بل لعله أهم وأبرز أعداد الكمال جميعاً، وهذا واضح فى أسفار الكتاب المقدس جميعاً، وواضح أيضاً فى نظام الطبيعة جميعاً. وليس يليق بنا أن نخطأ بتجاوزنا عن حكمة الترتيب الإلهى فى هذا السر، كما نصّت عليه كتب الكنيسة.

ولعل الإهمال الحاضر فى مباشرة الصلوات السبع جميعاً، عند بعض الناس، مردّه إلى خطئين أساسيين:

الخطأ الأول: هو خلط عدد من الناس اليوم بين سر مسحة المرضى، وبين صلوات تبريك البيوت والمنازل.

إن سر مسحة المرضى أسسه الرب يسوع المسيح لشفاء الناس من أمراضهم. أما تبريك البيوت فله صلوات أخرى. لكن كثيرون من بين شعبنا صاروا يدعون الكهنة ليباشروا فى بيوتهم سر مسحة المرضى لا لأنهم مرضى بالفعل، بل لأنهم يريدون من الكهنة أن يباركوا بيوتهم وأعضاء أسراتهم. وهذا خلط واضح يقع فيه كثيرون. والمفروض أن الكهنة لا ينساقون وراء رغبات الناس، بل يجب أن يقوموا بتوعية كافية للناس، حتى لا يطلبوا إجراء سر مسحة المرضى إلا عندما يكون هناك مريض يحتاج إليه. وقد قال الكتاب المقدس «هل فيكم مريض؟، فليدع كهنة الكنيسة، وليصلوا عليه، ويمسحوه بالزيت باسم الرب. وصلاة الإيمان تخلص المريض، والرب ينهضه. وإن كان قد فعل خطايا تغفر له» (يعقوب ٥: ١٤، ١٥). أى أن سر مسحة المرضى ترتيب إلهى لشفاء المرضى، وليس لتبريك البيوت...

ويتبع هذا الخطأ، ويتفرع عليه، أن يكون عند بعض الناس موسم خاص لإجراء هذا السر فى بيوتهم، هو أيام الصوم الكبير، وخصوصاً النصف الأخير منه، مما يدل على أن هذا الطقس صار فى نظر البعض فرصة بركة يطلبها الناس لنفوسهم مرة فى العام، بغض النظر عما إذا كان هناك مرض يقتضى إجراء هذا السر..

وإمعاناً من هذا البعض فى تحويل هذا الطقس إلى غير مناسبة المرض، وأنه صار عندهم مجرد صلاة يقوم بها الكهنة فى بيوت المؤمنين على سبيل البركة لنفوسهم، أن بعضهم يستدعى الكاهن لمباشرة سر القنديل فى بيته فى يوم جمعة ختام الصوم، مع أنه هو اليوم الذى رتبت فيه الكنيسة إجراء مسحة المرضى فى الكنائس حتى يدهن بالزيت جميع المرضى ممن يمرضون فى فترة أسبوع الآلام إلى عيد القيامة. فمن مرض من المؤمنين فى هذا الأسبوع مسحوه بالزيت المقدس فى يوم جمعة ختام الصوم إذ قد منعت الكنيسة إجراء القنديل فى أسبوع الآلام، حتى تنصرف إلى صلوات الأسبوع الكبير، وتنقطع للتأمل فى آلام المسيح وبركات سر الفداء وعمل الخلاص. تماماً كما تقيم الكنيسة عقب قداس أحد الشعانين، تجنيزاً عاماً عن جميع الراقدين ممن يموتون فى فترة أسبوع الآلام.

والخطأ الثانى: الذى يقع فيه بعض المسيحيين هو إغفال الهدف الأساسى من مسحة المرضى، فيستدعون الكهنة لإجراء هذا السر فى بيوتهم، لأى نوع من المرض أيا كان. ويقولون

إن كان إنسان مريض. فلا يخلو أحد من أى نوع من المرض، سواء كان مريضاً بعينيه، أو بأذنيه، أو بأسنانه، أو بضعف عام وإنهاك، أو لأنه يشكو سوء الهضم أو الإمساك أو الإسهال... وما إلى ذلك من أمراض، حتى ليكاد أن يكون جميع الناس مرضى بنوع أو بآخر. وبناء على ذلك يجد هؤلاء الناس تبريراً لدعوة الكهنة لمباشرة سر مسحة المرضى فى بيوتهم، حتى لو كانوا يمارسون أعمالهم اليومية فى خارج بيوتهم، ويخرجون ويدخلون...

قلنا إن هذا خطأ آخر يقع فيه عدد من الناس، إذ يغيب عنهم الغرض الأساسى من إقامة هذا السر بين أسرار الكنيسة السبعة.

إن لكل سر من أسرار الكنيسة اختصاصاً قائماً بذاته يختلف عن الآخر.. وفى كل سر يعمل الروح القدس ويعطى لقابل السر نعمة أو هبة خاصة بهذا السر. وكما يقول الكتاب المقدس «فأنواع مواهب موجودة، ولكن الروح واحد.. ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه...» (١ . كورنثوس ١٢: ٤ - ١١).

أما سر مسحة المرضى فقد رتبه الرب، أساساً للشفاء من الأمراض الجسدية المتسببة عن العلل الروحية والنفسية، وذلك للرابطة الطبيعية بين الروح والجسد. فإذا مرضت الروح مرض الجسد معها، لأن الروح والجسد مرتبطان معاً ارتباطاً طبيعياً، فما تنفعل به النفس ينفعل به الجسد تبعاً لذلك.

وقد أبان الرب يسوع فى كثير من المواقف، العلاقة بين مرض الروح - وهو الخطيئة - ومرض الجسد أو البدن...

فعندما شفى المفلوج الذى حمله أربعة رجال ودلوه من السقف أمامه، قال للمفلوج «اطمئن يا بنى مغفورة لك خطاياك»، قبل أن يقول له: «قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك» (متى ٩: ٢- ٦)، (مرقس ٢: ٣ - ٩)، (لوقا ٥: ١٨ - ٢٤). مما يشهد بالعلاقة الوطيدة بين مرض الروح بالخطيئة، ومرض الجسد.

كذلك عندما شفى المفلوج الآخر الذى كان مطروحاً على بركة بيت حسدا مريضاً منذ (٣٨ سنة) ثمانية وثلاثين عاماً، قال له الرب يسوع بعد أن شفاه: «ها إنك قد برئت. فلا تعد إلى الخطيئة لئلا يصيبك ما هو أسوأ» (يوحنا ٥: ١٤) مما يدل على أن الخطيئة كانت هى العلة الأساسية فى مرض الفالج الذى أصيب به ذلك الشقى.

ثم إن الكتاب المقدس ينص على هذه العلاقة بين الخطيئة والمرض، في قوله بصدد سر مسحة المرضى: «هل فيكم مريض؟ فليدع كهنة الكنيسة، وليصلوا عليه، ويمسحوه بالزيت باسم الرب. وصلاة الإيمان تخلص المريض.. وإن كان قد فعل خطايا تغفر له. اعترفوا بعضكم لبعض بخطاياكم» (يعقوب ٥: ١٣ - ١٦). وإذن هذا النوع من المرض، الذى يباشر لشفائه سر مسحة المرضى، مرض يتصل بالخطيئة، ويقتضى الأمر أن يعترف المريض بخطاياه حتى يتم له الغفران، ثم يتم له الشفاء من مرضه الجسدى المتسبب عن مرض روحه بالخطيئة.

ولذلك أيضاً رتبت الكنيسة أن يباشر سر مسحة المرضى، بعد أن يباشر المريض عمل التوبة عن خطاياه التى سببت له المرض، ويعترف بخطاياه، فينال الحل عنها، كقول المسيح له المجد «مغفورة لك خطاياك» قبل أن يباشر له سر مسحة المرضى - تماماً كما غفر المسيح للمفلوج خطاياه، قبل أن يقول له: «قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك»...

ولقد نص كتاب (القنديل) الذى رتبته الكنيسة، على وجوب توبة المريض واعترافه بخطاياه، قبل إجراء سر مسحة المرضى والقنديل له.

وإذن عمل هذا السر هو بالنسبة للأمراض الجسدية المتسببة عن علل روحية ونفسية. أما الأمراض الجسدية البحتة فلها علاج آخر.. على أن المريض فى حاجة دائماً إلى الصلاة، ولن يكون فى غنى عنها. ولكن الصلاة المطلوبة ليست دائماً هى ممارسة سر مسحة المرضى.

فمثلاً من أصيب فى حادث فانكسر ذراعه أو رجله أو بعض عظامه فليس لمثل هذا النوع من الأمراض رتب الروح القدس سر مسحة المرضى فى الكنيسة. وعلى المريض فى هذه الحالة أن يلجأ إلى الطبيب، مع الصلاة إلى الله.. وليكن من دون الحاجة إلى القنديل.

ومن سار فى الطريق فهبت عاصفة فأثارت التراب والغبار، فدخل فى عينيه وأذنيه شئ من ذلك.. فلا حاجة له ماسة إلى سر مسحة المرضى، بل إلى غسيل للعينين والأذنين والأنف والحلق... وقد يلزمه أن يذهب إلى الطبيب الأخصائى لإخراج ما عساه أن يكون قد دخل فى عينيه أو أذنيه من تراب وغبار وجسم غريب.

وهكذا نقول عمن أصابه مرض فى أسنانه أو جيوبه الأنفية أو لوزتيه.. أو سقط على جسمه ماء ساخن أو جسم ساخن فاحترق بالحرارة جلده.

نقول إن هذا أو ذاك من أمراض عضوية بحتة ينبغى أن يلجأ الإنسان فى علاجها إلى وسائل التطبيب المعروفة عند الأخصائيين. وليس لمثل هذه الأمراض العضوية تأسس سر مسحة المرضى، وإنما كما قلنا، للأمراض الجسدية المتسببة عن علل روحية ونفسية...

ومع ذلك ففى جميع الأمراض يلزم للمريض أن يصلى، وأن يصلى عنه الذين يريدون له الشفاء.. وحتى الطبيب يلزمه أن يصلى قبل أن يمارس العلاج أو القيام بالعمليات الجراحية... ومن هنا التعاون بين الدين والعلم.. بين الكاهن والطبيب.. بين الوسائط الروحية - ومن بينها الصلاة - والوسائل الطبية العلاجية.

ويقول الكتاب المقدس فى سفر يشوع بن سيراخ «اعط الطبيب كرامته لأجل فوائده، فإن الرب خلقه. لأن الطب آت من عند العلى.. الرب خلق الأدوية من الأرض، والرجل الفطن لا يكرهها.. يا بنى إذا مرضت فلا تتهاون، بل صل إلى الرب فهو يشفيك. اقلع عن ذنوبك، و قوم أعمالك ونق قلبك من كل خطيئة: قرب رائحة مرضية .. ثم اجعل موضعاً للطبيب، فإن الرب خلقه ولا يفارقك، فإنك تحتاج إليه. إن للأطباء وقتاً فيه النجح على أيديهم» (يشوع بن سيراخ ٣٨: ١ - ١٣).

أما الأمراض التى يلزم لشفائها سر مسحة المرضى، وقد أسسه الرب يسوع من أجلها، **فهى الأمراض الجسدية التى ترجع إلى أسباب روحية ونفسية**، وهى كثيرة جداً. وتزيد نسبتها كثيراً على نسبة الأمراض العضوية البحتة. إذ قد تبين للباحثين فى العلوم الإنسانية أن ٨٩٪ من الأمراض التى يظهر أنها جسدية متسببة عن علل روحية ونفسية، ومنها على الخصوص: الحميات بأنواعها.. وأمراض البول السكرى، وضغط الدم العالى والواطى أو المنخفض وتصلب الشرايين، وأمراض القلب... والقرح المعدية.. وغيرها، مما يسمونه بالأمراض النفس جسمية (سيكوسوماتيك).

جاء فى كتاب (دع القلق وابدأ الحياة) (١): «اتضح من دراسة أكثر من ١٥,٠٠٠ مريض عولجوا من اضطرابات المعدة فى مستشفى (مايو) الشهير أن أربعة من كل خمسة مرضى ليس لمرضهم أساس عضوى على الإطلاق بل أساسه الخوف والقلق والبغضاء والأنانية المستحكمة، وعدم مقدرة الشخص على الملاءمة بين نفسه والحياة».

ومجمل القول: إن شعبنا تلزمه توعية كافية، ليتبين أن سر مسحة المرضى سر ذو اختصاص، وأن الرب يسوع قد أسسه فى كنيسته ليكون لشفاء الأمراض الجسدية الروحية أى المتسببة عن علل روحية.

---

(١) كتاب (دع القلق وابدأ الحياة) لمؤلفه (ديل كارنيجى) الترجمة العربية صفحة ٥٨.

وبناء على ذلك، يجب لممارسة السر أن يكون هناك مرض حقيقى، وأن يرجع هذا المرض إلى علة روحية.

إذا تبين المسيحيون هذه الحقيقة، عرفوا أن لا يخلطوا بين سر مسحة المرضى وبين صلوات تبريك المنازل والبيوت .. وعرفوا أن لا يقتصروا فى استدعاء الكهنة لمباشرة القنديل فى أيام الصوم الكبير .. وإنما يستدعون الكهنة فى أى وقت، طالما أن هناك مرضاً حقيقياً، خصوصاً إذا كان هذا المرض ليس من الأمراض العضوية البحتة .. بل من الأمراض التى يحتمل أن ترجع لأسباب روحية، على أن يصحب ذلك توبة المريض، واعترافه بخطاياه، على ما يقول الوحى الإلهى فى الكتاب المقدس.

وإذا تبين المسيحيون هذه الحقيقة، لم يعد هناك ضغط على الكهنة فى أيام الصوم الكبير.. وأمكنهم فى الأحوال التى يكون فيها مرض حقيقى، أن يباشروا السر مباشرة كاملة، ويصلوا جميع الصلوات السبع المنصوص عليها فى كتاب القنديل، ولا يهملوا منها شيئاً، فتحل البركة على المريض «والرب ينهضه، وإن كان قد ارتكب خطايا، تغفر له».

٤ - مريضة بالاكتئاب النفسى

رداً على خطابك أرى أن حالة الاكتئاب النفسى الشديد الذى تشعرين به هو نتيجة لعوامل مختلفة بعضها شخصى وبعضها عائلى وبعضها روحى...

فتفكيرك فى مشاكلك الشخصية والعائلية، ومشاكلك فى العمل كمدرسة وعدم ترقيتك مع إحساسك بأنك مظلومة، ومسئوليتك نحو أولادك، وإحساسك بالندم على قسوتك مع أولادك، والندم على ما يصدر منك من تصرفات أو كلمات تنطلق منك بغير وعى كاف نحو من تعاملينهم من أقارب وأغراب ونحو رجال الدين، كل هذا زاد من عمق شعورك بمشكلتك التى أمست أمامك معقدة - ثم إنك غير سعيدة روحياً ويعذبك الشعور بالإثم لتقصيرك فى واجباتك الروحية وإحساسك بأنك فى حالة غير مرضية لله والناس وغير مرضية لك أنت أيضاً.

وحيث أنك عندما تصلين تتعبين، وكذلك عندما يصلى على رأسك كاهن تتعبين وتتلفظين بألفاظ خارجة - على حد تعبيرك - تندمين عليها كثيراً فيما بعد، ثم إذا تناولت من الأسرار المقدسة تمرضين أشد المرض على حد ما جاء بخطابك.

فيبدو أنه بسبب تفكيرك الشديد، وحزنك المفرط، فرح بك الشيطان فلمسك روح نجس.

على أننى أطمئنك أن لكل مشكلة حلاً، ولا يأس لإنسان راغب فى إصلاح حاله، ويطلب أن يصحح مساره، ويسلك فى طريق الصالحين.

أما أولاً - فمشكلتك تحل روحياً، وليس بالحبوب التى تتعاطينها والتى يقدمها لك الطبيب النفسانى. فأنت على حد تعبيرك تتعاطين هذه الحبوب منذ ٣ سنوات، وليس هناك تقدم. إن علاجك ليس فى الحبوب المنومة أو البرشام الذى تتناولينه منذ ٣ سنوات، وبه تنامين ساعات طويلة على ما تقولين.

وأؤكد لك أن هذه الحبوب أو البرشام لو أنك واظبت على أخذه واستمررت على تناوله فلسوف تصابين بالبلادة الروحية والنفسية والبدنية وأخيراً لسوف تؤثر هذه الحبوب على القلب. واعلمى أن هذه الحبوب التى يسمونها مهدئات هى فى حقيقتها (مخدرات)، ونتائجها عليك وخيمة، وستضرك أضراراً بليغة ولسوف تضر أخيراً الجهاز العصبى والقلب بعد أن تكون قد أضرت جميع أجهزة الجسم.

ونحن ننصح بأن تنقصى الكمية التى تأخذينها بالتدريج إلى أن تتوقفى عنها نهائياً.

واستعيضى عنها بالغذاء الطبيعى وقوامه:

١ ـ نصيب وافر من الهواء النقى باستنشاقه من الأنف صباحاً أمام نافذة مفتوحة مع بعض الألعاب الرياضية الصباحية، ومثلها فى المساء قبل النوم.

٢ ـ كوب ماء يشرب صباحاً على الريق، وآخر مساء قبل النوم.

٣ ـ كوب زبادى صباحاً قبل الأكل وآخر مساء قبل النوم (فى غير أيام الصوم) مع تحليته بقليل من العسل الأبيض.

٤ ـ ابدئى كل وجبة من الوجبات الثلاثة بطبق سلطة خضراء كبير.

٥ ـ اهتمى بأن تتناولى نصيباً وافراً من الفاكهة الطازجة ويحسن أن تبدئى وجبتك بالسلطة وبالفاكهة وبعد ذلك الطعام الآخر.

٦ ـ تجنبى المقليات بأنواعها بالسمن أو بالزيت ـ وكلى جميع الوجبات مسلوقة بالماء ويمكنك أن تضعى عليها قليل من الزيت النيئ ثم عصير الليمون.

٧ ـ استخدمى كثيراً العسل الأبيض والعسل الأسود فى تحلية كل المشروبات بدلاً من السكر الأبيض.

٨ ـ تجنبى الخبز الأبيض بقدر الإمكان وليكن طعامك من الخبز الأسمر ـ وليكن الخبز مقدداً أى جافاً أو محمصاً ولا يكون طرياً.

٩ ـ أكثرى من شرب السوائل أثناء النهار، ولكن بعد الأكل بساعتين.

١٠ ـ تجنبى من السوائل: الشاى والقهوة والكوكاكولا وأخواتها.

١١ ـ خذى نصيباً من اللبن محلى بالعسل الأسود أو الأبيض.

١٢ ـ استخدمى خميرة البيرة من عند الخباز.

١٣ ـ استخدمى أيضاً بليلة القمح، وضعى عليها اللبن (فى أيام الفطر) مع تحليتها بالعسل الأسود.

١٤ ـ يعوزك من وقت لآخر رحلة إلى أماكن خلوية حيث الهدوء والخضرة والماء، أى اخرجى إلى حيث الطبيعة.

على أنك تحتاجين من الناحية الروحية ـ وهذه أهم من كل ما قلناه ـ إلى كاهن شيخ طويل الأناة يجيد فن الإصغاء، يسمع شكواك ويصلى على رأسك عدداً من المرات، وقد يلزمك زيارة بعض الكنائس حتى يطرد الروح الشرير الذى يعاكسك.

لا أنصح لك بالتناول من الأسرار المقدسة إلى أن تطمئنى إلى طرد الروح الذى يعاكسك.

فإذا عملت بهذه النصائح ولم تهمليها، فاطمئنى إلى أنه سيعود إليك سلامك، وتستردين بالتدريج صحتك الروحية والنفسية والبدنية.

٥ - يهملون أوشية المرضى

سؤال : من السيد/ حلمى إلياس عطية - بالمعادى.

لاحظت أن بعض الآباء الكهنة عند الصلاة على الموتى يهملون أوشية المرضى، وكذلك الشمامسة لا يتلون التسابيح الخاصة بصلاة التجنيز كما هو مدون بكتاب الصلوات المستعمل فى الكنائس القبطية الأرثوذكسية.

الجواب:

إهمال أوشية المرضى فى الصلاة على الموتى تقصير فى أداء الطقس على صورته الأصلية. إن تلاوة أوشية المرضى فى مناسبة الصلاة على الميت استغفار عن الأحياء لئلا يكون الموت فى الشعب صورة من صور الغضب الإلهى. قال الرسول القديس بولس «ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز، ويشرب من الكأس لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق، يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب. من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون. (١ . كورنثوس ١١ : ٢٨ - ٣٠).

وفكرة الصلاة عن المرضى، فى وقت الموت فكرة مأخوذة من الكتاب المقدس:

«قال موسى لهرون: خذ المجمرة، واجعل فيها ناراً من على المذبح، وضع بخوراً، واذهب بها مسرعاً إلى الجماعة، وكفر عنهم لأن السخط قد خرج من قبل الموت. قد ابتدأ الوباء. فأخذ هرون كما قال موسى، وركض إلى وسط الجماعة، وإذا الوباء قد ابتدأ فى الشعب. فوضع البخور، وكفر عن الشعب. ووقف بين الموتى والأحياء، فامتنع الوبأ» (سفر العدد ١٦ : ٤٦ - ٤٨).

إن طقوس كنيستنا الأرثوذكسية مرتبة بالروح القدس، ترتيباً روحانياً عميقاً. فما أحوجنا إلى معرفة سليمة بطقوسنا، وأدائها بكل أمانة ودقة وروحانية، فإن ذلك يرفع أرواحنا إلى السماء، ويجلب علينا رضى الله ورحمته.

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسوعة الأنبا غريغوريوس

٩ـ اللاهوت العقيدى «الجزء الرابع»
فى أسرار الكنيسة السبعة (٢)

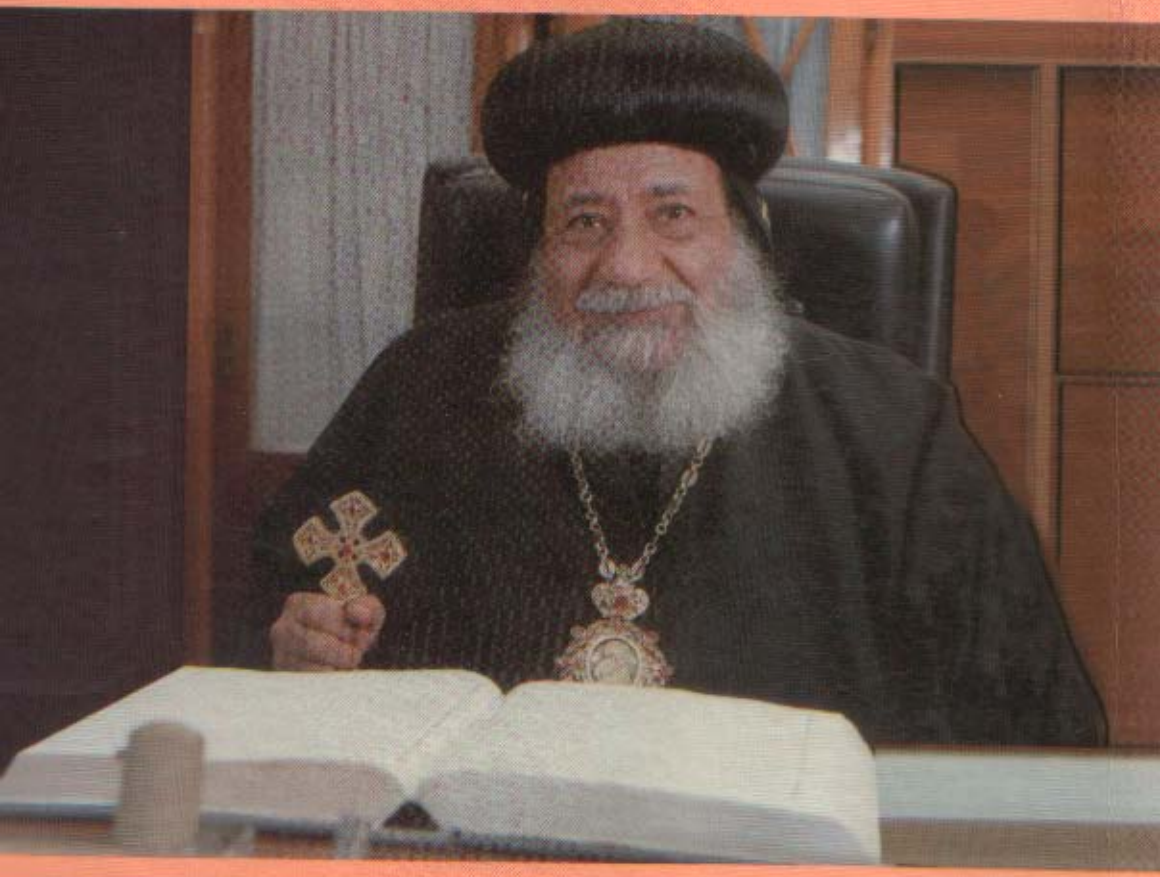

للمتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسـوعة الأنبا غريغوريوس

٩ - اللاهوت العقيدى «الجزء الرابع»

أسرار الكنيسة السبعة

(٢)

بقلم

المتنيح الأنبا غريغوريوس

أسقف عام

للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية

والبحث العلمى

كتاب : موسوعة الأنبا غريغوريوس ـ ٩ ـ اللاهوت العقيدى ـ الجزء الرابع.

تأليف : المتنيح الأنبا غريغوريوس.

إعداد : الإكليريكى منير عطية.

الناشر : مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس.

دير الأنبا رويس بالعباسية مصر ت : ٦٨٢٤٩٦٢ ـ ٤٨٨٢٥٢٢.

المطبعة : شركة الطباعة المصرية ـ العبور ت : العبور ٦١٠٠٥٨٩.

الجمع والغلاف : شركة فاين للطباعة والتوريدات ت : ٤٨٢٠٩٠٣

رقم الإيداع بدار الكتب : ٣٣٤١ / ٢٠٠٥

حقوق الطبع محفوظة لمكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس.



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث



نيافة الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس

مقـــدمة

هذا هو الجزء التاسع من موسوعة الأنبا غريغوريوس، وقد سبقه ثمانية أجزاء، كان الجزء الأول فى اللاهوت المقـارن، والثـانى فى اللاهوت الأدبى، والثـالث فى الرهبنة، والرابع فى الدراسات الفلسفية، والخامس فى اللاهوت الطقسى، والسادس فى لاهوت السيد المسيح، والسابع فى سرّى التجسد والفداء، والثامن فى الجزء الأول من أسرار الكنيسة السبعة ويشمل المعمودية والميرون والقربان والتوبة وسر مسحة المرضى.

أما هذا الجزء فهو الجزء الثانى من الأسرار ويشمل سرّى الزيجة والكهنوت والإجابات على الأسئلة التى قدمت إليه حول هذه الموضوعات.

هذه هى الثمرة التاسعة وهى من نتاج العالم والمعلم الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس، الذى قال عنه قداسة البابا شنوده الثالث.

«حياة أنبا غريغوريوس تتلخص فى كلمتين «التكريس والعلم» ... وكان العلم يشغل كل وقته.. بهذا التكريس للخدمة، وبهذا العلم كان بإستمرار معتكفاً فى مسكنه، يقابله الناس وهو مشغول بين الكتب والكتابة..

«كان الأنبا غريغوريوس يتميز بالشمولية فى العلم.. كان فى أساتذة الإكليريكية من هو متخصص بالكتاب المقدس، ومن هو مختص بالعقيدة، ومن هو مختص بالقانون. أو فى الطقس إلى آخره...، ولكنه كان يشمل كل هذه العلوم معاً.. وفى الواقع كان معلماً قديراً.. له معلومات كثيرة.. هو موسوعة من المعلومات... كان مثلاً من الأمثلة التى لا تتكرر كثيراً فى العلم الكبير..».

وسنفرد أجزاء من هذه الموسوعة لتشمل كل ما كتبه فى اللاهوت العقيدى، وسير من شخصيات الكتاب المقدس ومن القديسين، وستكون هناك أجزاء أخرى للموضوعات الكنسية والروحية والموضوعات العامة، بعد تبويبها، بحيث تشمل أجزاء هذه الموسوعة كل كتابات المتنيح الأنبا غريغوريوس التى لم تنشر أو نفذت بعد نشرها.

والرب وحده قادر أن يكمل مشروعنا هذا ويكلله بالنجاح، بصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث، أدام لنا الرب حياة قداسته، ومتعنا الرب برئاسته للكنيسة ولنا أباً وراعياً، وحفظ الله قداسته بكل سلامة متمتعاً بكامل الصحة والعافية، ونفعنا الرب ببركة صلوات غبطته.

الإكليريكى

منير عطية

إهـــــــداء

إلى القديس العظيم بطل الأرثوذكسية الأشهر

البابا أثناسيوس الرسولى

إليك يا سيدى البابا نهدى سلسلة المباحث اللاهوتية والعقائدية، لأنها من وحيك وإلهامك، وبفضل توجيهك وإرشادك، وثمرة لكفاحك وجهادك!

فيك رأينا أرثوذكسية الإيمان وأرثوذكسية السيرة معاً!

ومنك تعلمنا كيف يكون الوفاء للحق، والاستمساك بالتقوى، والحرص على وديعة الإيمان.

ولقد وهبك الرب عقلاً شاخصاً فى الإلهيات، فكان تعليمك سليماً كل السلامة، وكان تعبيرك دقيقاً غاية الدقة!

ولم يكن طريقك سهلاً ... كان قولك مؤذياً لمسامع المنحرفين، وكان شخصك ثقيلاً على أنفاسهم الفاسدة، فكرهوك ولعنوك ... ومع ذلك لم يقووا على أن يقاوموا النعمة الساكنة بجنانك، أو يناقضوا الحكمة الناطقة على لسانك!

أثاروا عليك حرباً شعواء وطاردوك ونفوك، ولكنك صمدت وقاومت وأخيراً غلبت ونجحت، لأن الحق الذى فيك أعظم من الباطل الذى فيهم !

لولاك يا سيدى البابا لكان الإيمان الذى عندنا غير الإيمان الذى تسلمته أنت من أسلافك أيها البطريرك الرسولى!

لهذا نحييك تحية للفضيلة فى شخصك، ونطأمن رأسنا أمام عظمة أبوتك، تقديراً لتاريخك، وإقتداء بسيرتك فى الإيمان، يا حامى الإيمان!

من ابنك

غريـغوريـــوس

باخوم المحرقى - وهيب عطا الله

القيم الروحية
في سر الزيجة

فهرس الموضوعات (٢)

صفحة

مقدمة ٧

إهداء ٨

القيم الروحية فى سر الزيجة ٩

سر الزيجة فى الكنيسة الأرثوذكسية ١٠

غايات الزواج ٢٧

الغاية الأولى : التعاون بين الرجل والمرأة ٢٧

الزواج البتولى ٣٢

الغاية الثانية : الإنسال وولادة الأولاد ٣٩

الغاية الثالثة : الحصانة من الزنى والنجاسة ٤٤

خصائص الزيجة المسيحية ٤٨

١ ـ وحدانية الزيجة المسيحية ٤٨

٢ ـ عدم انحلال الزيجة ٥٤

الزيجة الثانية ٦١

الزيجة الثالثة ٦٩

مابعد الزيجة الثالثة ٧١

الزواج فى المفهوم المسيحى ٧٢

شروط الزواج المسيحى ٧٤

خصائص الزواج المسيحى ٧٩

سرّ الزيجة فى الكنيسة الأرثوذكسية

سر الزيجة فى الكنيسة الأرثوذكسية **هو هذه الرابطة الروحية المقدسة التى تتم بفعالية نعمة الروح القدس التى تنحدر من السماء بناء على استدعاء الكاهن، فتؤلف بين العروسين، الرجل والمرأة، وتوحّد بينهما، وتصيّرهما جسداً واحداً، فيكون كل منهما ملكاً للآخر، وقفاً عليه وحراماً على غيره، وذلك لإقامة أسرة طاهرة تحيا بالتعاون والحب، ولإيلاد أولاد طاهرين، وإنماء الكنيسة وملكوت الله** على الأرض.

يقول السيد المسيح له المجد (١) «يترك الرجل أباه وأمه ويرتبط بزوجته فيصير الإثنان **جسداً واحداً**. فلا يكونان بعد إثنين إذن وإنما جسداً واحداً، ومن ثم **فما جمعه الله** لا ينبغى أن يفرقه الإنسان» (متى ١٩: ٥، ٦)، (مرقس ٧: ٧- ٩) وجاء على فم القديس بولس الرسول فى الرسالة إلى أفسس «يترك الرجل أباه وأمه ويرتبط بزوجته، **فيصير الإثنان جسداً واحداً. إن هذا السر لعظيم**» (أفسس ٥: ٣١، ٣٢).

فالزيجة المسيحية ليست مجرد عقد أو اتفاق يبرم بين رجل وإمرأة يريدان أن يعيشا معاً ويشارك أحدهما الآخر الحياة كلها أو فترة منها، كما هو **الحال فى العقد المدنى، أو ما هو فى حكمه. إنما هو رباط إلهى بل (إتحاد) مقدّس يعقده الروح القدس، بطريقة روحية، وفاعلية سرية غير منظورة**، إذ تنحدر فيه على العروسين الرجل والمرأة، **نعمة الروح القدس بصورة سرية غير منظورة**، فيصيران بها جسداً واحداً على الرغم من تمايزهما الظاهر. **وبهذا يصير جسد المرأة للرجل كجسده تماماً، ويصير جسد الرجل للمرأة كجسدها تماماً**. وعلى هذا الأساس يصبح للرجل سلطان على جسد المرأة لأنه صار بفعالية السرّ الإلهى جسد الرجل أيضاً، ويصبح للمرأة سلطان على جسد الرجل لأنه صار بفعالية سرّ الزيجة جسد المرأة أيضاً. فقد جاء على لسان الرسول بولس قوله «لا سلطة للزوجة على جسدها فإنما هو لزوجها، وكذلك الزوج لا سلطة له على جسده فإنما هو لزوجته» (١. كورنثوس ٧: ٤).

---

(١) يقرأ هذا الفصل من الإنجيل فى قداس الإكليل.

يقول العلامة القديس أكليمنضس الأسكندرى (نحو ١٥٠ – ٢٢٠م) «من هما الاثنان أو الثلاثة الذين يشرعون فى الاجتماع معاً باسم المسيح، وفى وسطهم الرب؟ أليس الثلاثة هم الرجل والمرأة والطفل، حيث **أن المرأة يربط الله بينها وبين الرجل**» (١).

ويقول العلامة أوريجينس (١٨٥ – ٢٥٣م): «**يقيناً إن الله هو الذى يجعل الاثنين واحداً. فإذا زوج الله المرأة بالرجل**، فلا يكونان بعد اثنين. وحيث **أن الله هو الذى جمع بينهما، فإن فى هذا الجمع نعمة من الله تجمع بينهما...** وقد عرف بولس ذلك. ولذلك يقول: كما أن العزوبة نعمة كذلك الزواج بحسب كلمة الله هو أيضاً نعمة. إنه يقول (٢) «أريد أن يكون جميع الناس مثلى، لكن لكل واحد موهبته من الله...» (٣).

ويقول القديس باسيليوس الكبير (نحو ٣٣٠ – ٣٧٩م): (الزواج المقرون بالبركة يجمع المتباعدين». (٤).

ويقول القدديس امبروسيوس أسقف ميلانو (٣٣٩ – ٣٩٧م): «نحن لا ننكر **أن الزواج قد قدّسه المسيح**، حيث أنه يقول (٥) مقولته المقدسة «**ويصير الاثنان جسداً واحداً**» (٦).

ويقول أيضاً «إننا نعترف **بأن الله هو سيد الزواج وحارسه**» (٧).

ويقول القديس أوغسطينوس (٣٥٤ – ٤٣٠م): «**ثمة رباط سرّى للزواج** يربط بين المؤمن والمؤمنة فى الزيجة، إذ يقول الرسول: أيها الرجال أحبّوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة (٨) ولا شك **أن جوهر السرّ هو هذه الرابطة**» (٩)

---

(١) أكليمنضس: كتاب المتنوعات STROMATEIS (٣، ١٠، ٦٨، ١)
W. A. JURGENS, THE FAITH OF THE FATHERS, Vol. I. P. 182.

(٢) ١. كورنثوس ٧: ٧.

(٣) أوريجينس فى تفسيره على إنجيل متى ١٤: ١٦. W. A JURGENS, vol. 1, P. 211

(٤) فى شرح ستة أيام الخليقة، مقال ٧: ٥.
BASILE DE CÉSAREE, HOMÉLIES SUR L'HEXAEMÉRON, SOURCES CHRÉTIENNES, 26, SEPTIÉME HOMÉLIE, 5- 68A., P. 416- 479.

(٥) (متى ١٩: ٥، ٦)، (مرقس ١٠: ٨).

(٦) امبروسيوس فى خطاب له إلى البابا سيريكيوس. SIRICIUS W.A. JUBGENS, vol. 2. P. 148. ٤٢ : ٣

(٧) امبروسيوس «فى إبراهيم» ١: ٧
انظر كتاب «الأنوار فى الأسرار» للشماس جراسيموس مسرة صفحة ٣٠٥.

(٨) (أفسس ٥: ٢٥، ٢٨، ٢٩، ٣٣)، (كولوسى ٣: ١٩).

(٩) أوغسطينوس فى كتابه عن «الزواج والرغبة الجنسية» De nuptiis et concupiscentiae ١: ١٠، ١١.
W.A. JURGENS,vol. 3, P. 135.

إذ كان ذلك كذلك، فقد انبنى عليه:

أولاً - أن ينظر المسيحى إلى الزيجة المسيحية على أنها رباط إلهى وعقد مقدس، لأن الروح القدس هو الذى يصنع الاتحاد السرّى بين الرجل وزوجته ويصيّرهما جسداً واحداً. والروح القدس ينحدر على العروسين، الرجل والمرأة، **بإستدعاء الكاهن. والكاهن فى سّر الزيجة هو الممثل الشرعى للسلطة الإلهية،** وعندما يبارك بالصليب العروسين، ويضم يمين العروس إلى يمين العريس وينطق بالبركة وكلمات التقديس وهو بكامل ملابسه الكهنوتية، وأمام المذبح المقدس فى الكنيسة، إنما يمثل الجانب المنظور الذى تنحدر عن طريقه ومن خلال نعمة الروح القدس غير المنظورة.

وهنا ينبغى أن نشير إلى الحكمة فى إجراء قداس الإكليل فى الكنيسة، وأمام الهيكل المقدس، والكاهن ملتحف **بكامل ملابس الخدمة الكهنوتية (١)** وقد خلع حذاءه من قدميه، لأنه يباشر خدمة قداس كامل، وذلك لإبراز كرامة سّر الزيجة، وبيان أنه رابطة إلهية. ولئن كان حقاً أن الكنيسة قد أجازت فى ظروف خاصة إجراء طقوس الإكليل فى بيوت المؤمنين، نظراً لما كانت تتعرض له مواكب العرسان فى بعض العهود من إعتداءات بعض الأشرار، لكن هذه الإجازة استثناء على القاعدة، مثلها مثل المعمودية التى قد تباشر فى البيت لإنسان مشرف على الموت، ومثل مسحة المرضى الذى قد يباشر فى بيت عليل على فراش المرض. **أما القاعدة العامة الواجبة التطبيق فهى مباشرة طقوس الزواج فى الكنيسة وأمام الهيكل المقدس، والكاهن ملتحف بملابسه الكهنوتية كاملة. لأن الزواج سر مقدس، ورباط سماوى.**

لذلك، وتوكيداً لهذه النظرة العالية لسّر الزيجة وأنها رباط إلهى، ينادى الكاهن فى مطلع قداس الإكليل، وقد أمسك بخاتمى (٢) الذهب الخاصين

---

(١) الصدر والبرنس (اللآلى النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة للقمص يوحنا سلامة، الجزء الثانى صفحة ١٤٠.

(٢) يقول القديس يوحنا ذهبى الفم (٣٤٧-٤٠٧م) «أن الخاتم علامة الختم المسيحى وإشارة الخطبة وعربون العرس» (فى تفسيره على لوقا ١٦).
ويقول القديس أكليمنضس الأسكندرى (نحو ١٥٠- ٢٢٠م) «ينبغى للعريس أن يعطى عروسه خاتماً من ذهب، وذلك لا لتفتخر به، بل لتختم به الأشياء البيتية التى تسلّم إليها. على أن خاتم العرس لا يرمز إلى الامانة الزوجية فقط، بل ويشير أيضاً إلى الحقوق الخاصة بالزوجة التى هى ربة البيت وأم العائلة» ويدل أيضاً على الكرامة التى نالتها المرأة لدى رجلها كما يقول الكتاب بما يمدح زربابل، «يقول الرب: وأجعلك كخاتم لأنى قد اخترتك يقول رب الجنود» (حجى ٢: ٢٣)، (إرميا ٢٢: ٢٤)، (إشعياء ٤٩: ١٦). ويدل عدا

بالعروسين. أو الدبلتين (١) مع الإكليلين (٢)، وجميعها تلف مع اللمط (٣) (أو الشملة) الذى يوضع على رأسى العروسين.

وبعد تلاوة الصلاة الربانية، يقول الكاهن: «باسم ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح، مشرّع شريعة الفضل والكمال، نعقد عقد إملاك وقران الابن المبارك الأرثوذكسى البكر (فلان) على مخطوبته الابنة المباركة الأرثوذكسية البكر (فلانة)». ويعقد برسم الصليب قائلاً (بالقبطية أو العربية): «باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، تبارك الله الآب القادر على كل شىء، آمين». ويجاوبه المرتلون قائلين ثلاثاً: (آمين) ... ويصلّى جميع الحضور الصلاة الربانية... ثم يقول الكاهن للمرة الثانية: «باسم ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، مشرّع شريعة الفضل

= ذلك جميعه على أنها زينة فى يده، وأنها ساعده الأيمن فى تدبير المنزل وتربية البنين، والتعاون على كل أمور الحياة. والمرأة تلبسه دلالة على أنها فى طاعة رجلها أو كأنه مالك عليها كشىء فى قبضة يده، وأنها صارت فى حوزته. انظر كتاب «اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة» ـ للقمص يوحنا سلامة ـ الجزء الثانى صفحة ١٤١.

أما كون الخاتم من ذهب فهو للتدليل على قيمة الرابطة الزوجية وامتيازها، ذلك لأن المعروف عن الذهب أنه أصفى المعادن، وأنقاها، وأجملها، وأغلاها قيمة، وكذلك رابطة الزواج المقدسة، تقول العروس فى سفر نشيد الأناشيد «إجعلنى كخاتم على قلبك، كخاتم على ساعدك، فإن المحبة قوية...» (نشيد الأناشيد ٨: ٦). انظر (التكوين ٢٤: ٢٢، ٤٧، ٥٣، ٦٠).

(١) (الدبلة) بمعنى الخاتم غير عربية الأصل، هى فى الغالب مأخوذة عن الكلمة الفرنسية DOUBLÉ أى الملتبس بالذهب أو الفضة، أو عن DOUBLET بمعنى (صنو) وهو أحد شيئين متماثلين، أو زوج مؤلف من شيئين متماثلين.

(٢) الإكليلان مثنّى (الإكليل) وهو التاج. يقال فى العربية «كلل الكاهن العروسين فتكللا»، لأنه يضع على رأسيهما إكليلين فى أثناء صلاة الزواج، (المنجد، ومحيط المحيط، والمعجم الوسيط...) والإكليل أو التاج رمز الجلال والكرامة والمجد... الرجل يصير بالزواج ملك الأسرة والمرأة ملكة الأسرة.

جاء فى سفر نشيد الأناشيد «اخرجن يا بنات صهيون وانظرن الملك سليمان بالتاج الذى توجته به أمه فى يوم عرسه، وفى يوم فرح قلبه» (٣: ١١) وجاء فى سفر الأمثال «المرأة الفاضلة إكليل لرجلها» (١٢: ٤) وجاء فى الرسالة إلى كورنثوس «رأس المرأة هو الرجل... أما المرأة فهى مجد الرجل» (١. كورنثوس ١١: ٣، ٧) انظر (إشعياء ٢٨: ٥).

(٣) اللمّط ـ قطعة من القماش الحرير طولها ١٥٠ مائة وخمسون سنتيمتراً، وعرضها أربعون سنتيمتراً، مطرز بها صليبان ـ بمثابة وشاح توضع على رأس العروسين. قال عنها القديس إيرونيموس «انها علامة النقاوة والعفاف». ولذلك فانها، فى الغالب، ترجع إلى الكلمة اليونانية λάμματος وهى عصابة للرأس يلبسها الأبكار العذراى، رمزاً للعفة. جاء في سفر إشعياء «فرحا افرح بالرب، تبتهج نفسى بإلهى، لأنه قد ألبسنى ثياب الخلاص، وشملنى برداء البر مثل عريس يتزين بالتاج، وكالعروس التى تتحلى بزينتها» (إشعياء ٦١: ١٠). انظر (التكوين ٢٤: ٦٥)، (أفسس ٥: ٢٥، ٢٧)، (الرؤيا ١٩: ٧، ٨).

ثم انظر كتاب O. H.E. BURMESTER, THE EGYPTIAN OR COPTIC CHURCH, A DETAILED DESCRIPTION OR HER LITURGICAL SERVICES, CAIRO, 1967 P. 139.

والكمال، نعقد عقد إملاك وقران الابنة المباركة الأرثوذكسية البكر (فلانة) على مخطوبها الابن المبارك الأرثوذكسى البكر (فلان)». ثم يرسم الصليب للمرة الثانية وهو يقول بالقبطية أو العربية «تبارك ابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا، آمين». فيجاوبه المرتلون قائلين ثلاثا (آمين). ويصلّى الجميع مرة أخرى الصلاة الربانية. ثم يقول الكاهن ثالثة (بالقبطية أو العربية): «باسم ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، مشرّع شريعة الفضل والكمال، نعقد عقد إملاك وقران الابن المبارك الأرثوذكسى البكر (فلان) على عروسه الابنة المباركة الأرثوذكسية البكر (فلانة)»، ويرسم الصليب وهو يقول (بالقبطية أو العربية): «تبارك الروح القدس المعزى، آمين». فيجاوبه المرتلون قائلين ثلاث مرات: (آمين)، ويصلى جميعهم الصلاة الربانية، ثم يكمل الكاهن قائلاً (بالقبطية أو العربية): «مجداً وإكراماً، إكراماً ومجداً للثالوث القدوس: الآب والابن والروح القدس، آمين».

وهذا كله توكيد لكرامة سّر الزيجة، وأنه رباط إلهى مقدس، ولذلك **يعقد باسم الثالوث القدوس، ويقوم به الكاهن ممثلاً للسلطة الإلهية وهو مرتدٍ كامل ملابس الخدمة الكهنوتية، ويباشره فى الكنيسة، بيت الله المقدس، وقدام هيكله المقدس والمذبح الإلهى** ويقول الكاهن فى وصيته الختامية للعروسين: «والآن، قد حضرتما فى هذه الساعة المباركة **قدام هيكل رب الجنود الصباؤوت، وأمام مذبحه المقدس فى** هذا المحفل الأرثوذكسى، وجمعتكما هذه الزيجة المباركة والإكليل الشريف...».

ثانياً - على المسيحى، رجلاً وإمرأة، أن يوقر الزواج، ويقبل عليه إقباله على سّر مقدس، ويعد نفسه لاقتباله بذهن نقى، وجسد طاهر ومحبة ورغبة صادقة فى قبول نعمة الروح القدس، لتكوين أسرة مسيحية مثالية، تكون لبنة طاهرة فى بناء ملكوت الله على الأرض.

وترى الكنيسة المقدسة **فى حضور المسيح له المجد، للعرس فى قانا الجليل** (يوحنا ٢: ١- ١١) أمراً له دلالته المعنوية السامية بالنسبة لسّر الزيجة. ولذلك فانها تشيد مزاراً فى صلوات الإكليل بحضور المسيح وتعده تكريماً للزواج وتبريكاً للرابطة الزوجية.

من ذلك ما يرد فى الطلبات التى تصلّى بعد الانتهاء من تلاوة فصل الإنجيل المقدس فى قداس الإكليل:

«**يا من حضر فى عرس قانا الجليل، بارك هذا الزواج كمثل ما باركت ذاك الزواج!... يا من حلّ فى قانا الجليل، وبارك ذاك العرس**، وحوّل الماء إلى خمر حقيقى بسلطان لاهوته، بارك هذا العرس الذى لعبديك (فلان وفلانة)... وصنه بالسلام والوحدانية والمحبة...».

وفى صلاة التزويج الثانية يُصلّى الكاهن قائلاً: «أنت أيها السيد الرب باركت يواقيم وحنة، وصنعت منهما التابوت العقلى، والدة الإله مريم، التى تجسد منها ابنك الوحيد، وجاء إلى العالم، **وبارك عرس قانا الجليل**، بارك عبديك (فلان وفلانه)...».

وفى ختام الوصية للعروسين يقول الكاهن «كذلك يبارك الرب عليك أيها الأخ (أو الابن) وعلى زوجتك... **وبركة الرب - جلّ اسمه - الحالة فى بيت العرس بقانا الجليل تحل عليكما**، وفى منزلكما، وتوفق بينكما، وتجعل المحبة الروحانية فى قلبيكما، وتدر أرزاقكما، وتعمر منزلكما...».

* * *

ويقول البابا القديس كيرلس الكبير (٤١٢- ٤٤٤م): «عندما احتفل بالزواج فى قانا، كان واضحاً أنه تم بلياقة تامة. فإن والدة المخلص كانت هناك حقاً، ودعيت مع تلاميذ المخلص. **والمخلص نفسه كان هناك حاضراً**، وقد صنع المعجزات، وليس لمجرد الاستمتاع بالوليمة. **وقد كان حضوره على الخصوص بداءة ميلاد الناس بالجسد**» (١).

ويقول القديس أوغسطينوس (٣٥٤- ٤٣٠م) «عندما دعي الرب يسوع **حضر إلى العرس حتى يؤكد طهارة الزواج، وليبين أن الزواج سر مقدس**» (٢).

ويقول القديس ابيفانيوس أسقف سلاميس بقبرص (٣١٥- ٤٠٣): هناك سببان يشرحان لماذا كان الزواج قد احتفل به احتفالاً ظاهرياً فى **قانا الجليل**. ولماذا تحول الماء إلى خمر حقيقى، حتى إن تيار الاحتفالات الباخوسية فى العالم **تتحول إلى العفة وإلى الوقار فى الزواج**، وحتى يتحول كل شئ آخر **ويصير على وجه قويم**، فيصير استمتاعاً بخمر خال من التعب، وله حلاوته، فتصمت على كل حال أفواه الثائرين على الرب، وحتى يتبين أنه هو الله مع الآب والروح القدس» (٣).

---

(١) فى تفسيره لإنجيل يوحنا (٢: ١) W.A. JURGENS, Vol.3p.222.

(٢) فى عظاته على إنجيل يوحنا (٩: ٢) W.A. JURGENS, Vol.3p.116.

(٣) ابيفانيوس: الرد على الهرطقات ٥١: ٣٠ W.A. JURGENS, Vol.2p.72,73.

ويقول يوحنا الدمشقى (نحو ٦٧٥- ٧٤٩م) : «إذا قلنا إن البتولية هى مسلك الملائكة، خاصية الطبيعة غير الجسدانية، لكننا لا نقول هذا احتقاراً للزيجة، حاشا ! لأننا نعلم أن الرب بارك الزواج بحضوره» (١).

ويقول ثيودوريتوس THEODORETOS أسقف قورش (٣٩٣- ٤٦٦م) «إن الرب ليس فقط لم يمنع الزواج، **وإنما قبل الدعوة لحضور الزواج** (فى قانا)، وقدّم هدية الزواج: الخمر الذى حوّله من الماء. **فهو إذن وثّق شريعة الزواج بحضوره**» (٢)

* * *

فللزواج المسيحى كرامته «ليكن الزواج مكرماً فى كل شئ» (العبرانيين ١٣ : ٤) . وقد رأت الكنيسة المقدسة أن تكرم الزواج، فجعلته من بين أسرارها المقدسة ضداً لتعليم المانويين (اتباع مانى (٣) بن فاتك) وبعض الغنوسيين الذين علموا بأن الزواج كالزنى وحسبوه نجاسة ودنسا. هؤلاء الذى أنبأ عنهم الوحى الإلهى بقوله «والروح يقول صريحاً إن قوماً سيرتدون عن الإيمان، فى الأزمنة الأخيرة، ويتبعون أرواحاً مضلة وتعاليم شيطانية .. **يمنعون عن الزواج**..» (١. تيموثيئوس ٤ : ١- ٣).

* * *

وقد جاء فى قوانين مجمع غنغرة GANGARA الذى انعقد فى غنغرة عاصمة بفلاجونيا PAPHLAGONIA فى آسيا الصغرى نحو سنة ٣٤٠م أكثر من قانون يدافع عن كرامة سر الزيجة ويشجب نظرة بعض الهراطقة الذين نادوا بتحريم الزواج والعلاقات الزواجية بين الرجل وزوجته.

---

(١) يوحنا الدمشقى: «نبع المعرفة» الجزء ٣، فصل ٤: ٢٤ . W.A. JURGENS, Vol.3p.341.

(٢) ثيودوريتوس: «خلاصة خرافات الهراطقة» الجزء ٥، فصل ٢٥ .W.A. JURGENS, Vol.3p.245

(٣) مانى بن فاتك (٢١٥- ٢٧٦م) مؤسس مذهب المانويه القائل بمبدأين: مبدأ الخير ومبدأ الشر، النور والظلمة، وإليه مرجع اليزيدية. والناس عند مانى إما صديقون، أو سماعون أو خطأة. أما الصديقون فلا يتزوجون، ... وتصعد نفوسهم تواً إلى النعيم. وأما السماعون فقد يتزوجون، وإذا تزوجوا يجب عليهم الاكتفاء بزوجة واحدة، وليجتهدوا أن لا يعقبوا منها نسلاً.. وأما الخطأة فهم أهل الأديان الأخرى..
أنظر أيضاً كتاب ROY W. BATTENHOUSE, A COMPANION to the study of St. Augustine, Michigan, 1979,p. 161.

جاء فى **القانون الأول** من قوانين مجمع غنغرة «**إن كل من يطعن فى الزواج** ويحتقر المرأة المؤمنة التقية ويذمها لأنها تنام مع زوجها، ويزعم أنها لا تستطيع أن تدخل إلى الملكوت، فليكن مُبْسَلاً (١) (محروماً) (٢). والخلاصة القديمة لنفس هذا القانون تقرأ «لِيُبْسَلْ (ليحرم) كل من لا يوقر الزواج الشرعى (٢).

وجاء فى **القانون الرابع** من قوانين مجمع غنغرة: «كل من يدعى أنه لا يجوز له شرعاً أن يتناول من القربان عندما يناوله إياه قس متزوج، فليكن مُبْسَلاً (محروماً) (٢) والخلاصة القديمة لنفس هذا القانون الرابع تقرأ «**لِيُبْسَلْ (ليحرم) كل من يتردد فى قبول سر الشكر من القسوس المتزوجين**» (٢).

وجاء فى **القانون التاسع** من قوانين مجمع غنغرة «**إن كل من يبقى عازباً حافظاً العفة وممتنعاً عن الزواج لأنه يكرهه ويزدريه، وليس لما فى البتولية من جمال وقداسة، فليكن مُبْسَلاً (محروماً)** (٢).

والخلاصة القديمة لهذا القانون التاسع تقرأ «كل من حفظ البتولية، لا لجمالها، بل لأنه **يكره الزواج ويزدريه**، فليكن مُبْسَلاً (محروماً)» (٢).

وجاء فى **القانون العاشر من قوانين مجمع غنغرة**: «**أى شخص** من حافظى البتولية لأجل الرب **ينظر إلى المتزوجين بعين الاحتقار والكبرياء، فليكن مُبْسَلاً (محروماً)**» (٢). والخلاصة القديمة لهذا القانون بعينه تقرأ «من يعامل المتزوجين بكبرياء وإزدراء، فليكن مُبْسَلاً (محروماً) (٢).

وجاء فى **القانون الرابع عشر** من قوانين غنغرة: «**إذا تركت امرأة زوجها**، وصممت على أن تبرح مسكنه **لأنها تكره الزواج وتحتقره، فلتكن مُبْسَلَةً (محرومة)**» (٢). والخلاصة القديمة لهذا القانون ذاته تقرأ «لتبسل (لِتُحْرَمْ) النساء اللواتى يهجرن أزواجهن لارتعادهن من الزواج كأنه شر» (٢).

---

(١) البسلْ والإبسال في اللغة العربية هو المنع، والحبس والتحريم. فيقال: (أبْسَلَ) الله الشئ أى حرمه، و(البَسْل) هو الحرام، (والمُبْسل) هو المحروم أو الممنوع من شركة الكنيسة.

(٢) انظر THE RUDDER OF THE ORTHODOX CHRISTIANS OR ALL THE SACRED AND DIVINE CANONS CANONS, by D. CUMMINGS, CHICAGO, 1957, p. 521-531.

وجاء فى الخاتمة أو **القانون الواحد والعشرين** لقوانين غنغرة «إننا نكتب هذه الأشياء، لا لنقطع من كنيسة الله الذين يرغبون أن يسيروا سيرة نقية عفيفة حسبما تعلم الكتب المقدسة، بل أولئك الذين يتجاوزون فى إدعائهم النقاوة والزهد إلى حد العجرفة الباطلة، مترفعين على العائشين بأوفر بساطة، ومحدثين آراء مناقضة للكتب المقدسة وقوانين الكنيسة **(فإنهم بسبب تقبيحهم للزواج تقبيحاً فائق الحد، ولاعتقادهم أن لا أمل لأحد المتزوجين لدى الله، قد أضلوا بذلك نساء كثيرات، فهجرن أزواجهن، كما هجر عدد من الرجال نساءهم)**. إننا ولا شك نعجب بفضيلة البتولية بتواضع، ونكرم العفة فى رزانة ومخافة الله... على إننا فى الوقت نفسه نكرم المساكنة الزوجية المحتشمة... وخلاصة القول، إننا نصلى على رجاء أن كل ما تسلمناه فى الكتب المقدسة والتقاليد الرسولية يبقى مرعياً فى الكنيسة (٢).

بل جاء فى **القانون الخامس من قوانين الرسل القديسين: «لا يجوز لأسقف أو قس أو شماس أن يصرف عنه زوجته (يطلقها) بحجة الورع، فإن أبعدها فليقطع** من الشركة، وإن أصر على غيه فليسقط» (٢).

وجاء فى **القانون الواحد والخمسين** من قوانين الرسل القديسين: «**أى أسقف أو قس أو شماس أو أى شخص آخر من السلك الكهنوتى يمتنع عن الزيجة... ليس تنسكاً بل لأنه يشمئز منها ويعتبرها نجسة، وقد نسى أن الله قد خلق كل الأشياء حسنة جداً (٣)، وأنه خلق الإنسان ذكراً وأنثى (٤) فهو بمسلكه هذا يجدف على عمل الخليقة. فليصلح أمره، أو فليسقط ويطرد من الكنيسة. ويمثل ذلك يعاقب العامى (٥) أيضاً (٦).**

- ثم كتاب «مجموعة الشرع الكنسى أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة، ترجمة الأرشمندريت حنانيا إلياس كساب - بيروت ١٩٧٥، صفحات ١٥٥ - ١٧٠.
قارن أيضاً كتاب (المجموع الصفوى) للشيخ ابن العسال، طبعة جرجس فيلوثاوس عوض - الباب الرابع والعشرون، صفحة ٢٢٠ حاشية ٤ وتتمتها فى صفحة ٢٢١.

(٣) سفر التكوين (١: ٣١، ١٠، ١٢، ١٨، ٢١، ٢٥، ٣١)، (مزمور ١٠٣: ٢٤، ٣١)، (رومية ١٤: ١٤، ٢٠)، (١. كورنثوس ١٠: ٢٥)، (تيطس ١: ١٥).

(٤) سفر التكوين (١: ٢٧)، (٢: ٥)، (ملاخى ٢: ١٥)، (متى ١٩: ٤)، (مرقس ١٠: ٦).

(٥) العامى هو المؤمن المعمد فى المسيح، من غير حملة الدرجات الكهنوتية.

(٦) انظر «مجموعة الشرع الكنسى، صفحات ٨٥١، ٨٦١، ٨٦٢. THE RUDDER, P.7,91.

ويقول القديس أكليمنضس الأسكندرى (١٥٠- ٢٢٠م): «إذا كان الزواج الذى أمرت به الشريعة يعد خطيئة، فإنى أسأل كيف يجرؤ إنسان يزعم أنه يعرف الله ومع ذلك يقول إن الله يأمر بالخطيئة؟!... **فإذا كانت الشريعة مقدسة فالزواج مقدس أيضاً**» (١).

ويقول القديس كيرلس الأورشليمى (٤١٥- ٣٨٦ م):

«إذا كنت تلتزم العفة التامة (أى البتولية) فلا تنتفخ فى غرور باطل على الذين يسلكون بزواجهم طريقاً أكثر تواضعاً، لأنه كما يقول الرسول «**ليكن الزواج مكرماً فى كل شئ، وليكن فراش الزوجية طاهراً** (غير نجس)» (٢). فأنت ذاتك الذى تحفظ عفتك، ألم تولد من متزوجين؟ فإذا كنت تمتلك الذهب (البتولية) فلا تحتقر من يمتلك الفضة (= الزواج). فليطب نفساً أولئك المتزوجين الذين يستخدمون الزواج كما ينبغى، أعنى الذين يتزوجون وفقاً للشريعة الإلهية لا من أجل المتعة الجنسية وإشباع الشهوة، الذين يراعون فترات للتعفف عن العلاقات الجنسية حتى يتفرغوا للصوم والصلاة، فيأتون إلى الكنيسة بأبدان طاهرة كما يأتون بملابس نظيفة» (٣).

ويقول القديس أثناسيوس الرسولى (٢٩٩-٣٧٣م): «**فالزواج غير نجس بل هو طاهر**، وإن كانت البتولية (وهى فضيلة ملائكية لا يمكن أن يسمو عليها شئ) تفضل على الزواج» (٤).

* * *

ثالثاً - يبدو فى الزواج المسيحى الفارق الهائل بين عقد دينى يجرى للرجل والمرأة بمعرفة الكاهن كممثل للسلطة الإلهية، وتنحدر فيه نعمة الروح القدس على العروسين فتربط بينهما ربطاً إلهياً مقدساً، فيصيران بفعالية روح القدس المنحدر من السماء، جسداً واحداً - **وبين الزواج المدنى، وما هو فى حكم الزواج المدنى** (٥)

(١) كتاب «المتنوعات» STROMATEIS ٣:١٢، ٤٨:٢.

(٢) العبرانيين (١٣:٤). W.A. JURGENS, Vol. 1.p 182.

(٣) «محاضرات فى التعليم المسيحى». ٤:٢٥ W.A. JURGENS, Vol. 1.p 351.

(٤) «أثناسيوس فى رسالته إلى الراهب عمون». THE RUDDER, P.758-760.
مجموعة الشرع الكنسى، صفحة ٨٨٢ THE NICENE AND POST - NICENE FATHERS, sec- ond series, Vol. XIV, p. 602,603.

(٥) يعد «فى حكم الزواج المدنى» الزواج الذى يعقد بحضور رجل دين أو عالم دينى لا يقوم بمراسم دينية وطقوس وصلوات. وإنما يكون حضوره بمثابة (شاهد) على صحة الزواج وأنه لا يدخل فى نطاق المحارم.

الذى ينعقد أمام سلطة زمنية مدنية بغير طقوس دينية ومن غير الكهنة، بحيث يصير أشبه ما يكون بعقد تجارى بين اثنين أو أكثر فى عمل تجارى، أو اتفاق اجتماعى.

يقول القديس أغناسيوس الأنطاكى الشهيد، الشهير بالنورانى أو المتوشح بالله (المستشهد نحو ١١٠ م): «**يجب على الرجال والنساء الذين يرغبون فى الزواج، أن يعقدوا اتّحادهم بموافقة الأسقف**، حتى يكون زواجهم وفقاً لإرادة الرب، وليس بدافع الشهوة. وليعمل كل شىء لأجل مجد الله» (١).

ويقول العلامة ترتوليانوس TERTULLIANUS (حول ١٦٠ – نحو ٢٢٠م)، يخاطب زوجته: «كيف يمكننا أن نعبّر عن سعادة **الزيجة التى تعقدها الكنيسة، ويثبتها القربان، وتختتمها البركة** (من الكاهن)، وتعلنها الملائكة، ويصدّق عليها الآب السماوى» (٢)

ويقول القديس امبروسيوس AMBROSIUS (٣٣٩– ٣٩٧م): «**من الواجب أن يعقد الزواج بحلة كهنوتية، وبركة الكاهن**» (٣).

ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم (٣٤٧– ٤٠٧م) «لماذا تهتك أسرار الزيجة الموقرة؟ فإنه ينبغى أن... **تدعو الكهنة، وتعقد اتحاد الأزواج بالصلوات والبركات**، لكى ينمو شوق العريس، وتزداد عفة العروس، ويدخل عمل الفضيلة فيما بينهما بكل وجه» (٤).

ويقول غريغوريوس الكبير (٥٩٠– ٦٠٤م): «ألم تقترن بالجسد بعد؟ لا تخف من تتميم ذلك. **فأنت طاهر**، والمسئولية علىّ، لأنى **أنا عقدته، وأنا أعطيتك العروس**» (٥).

* * *

وجاء فى (المجموع الصفوى) للشيخ الصفى ابن العسال قوله: «**وعقد التزويج لا يتم ولا يكون إلا بحضرة كاهن، وصلاته عليهما، وتقريبه لهما القربان المقدس فى وقت**

(١) رسالته إلى بوليكاريوس، فصل ٥: ٢. W. A. JURGENS, Vol. I. P. 26
«مجموعة الشرع الكنسى» صفحة ١٦٣.
«الآباء الرسوليون» عربه عن اليونانية البطريرك الياس معوض، صفحة ١٤٠.
«القديس أغناطيوس الأنطاكى ورسائله» عربه الدكتور الأب فيليب السمّرانى، صفحة ٥٨.
«آباء الكنيسة ـ الرسوليون والمناضلون» للدكتور أسد رستم مؤرخ الكرسى الأنطاكى صفحة ٢٨.

(٢) ترتوليانوس «إلى زوجتى» ٢: ٩. ANCIENT CHRISTIAN WRITERS, Vol. X111
Translated by W.P. LE SAINT, LONDON, 1951, P. 35. W. A. JURGENS, Vol. 1.P. 133.

(٣) امبروسيوس «رسالة إلى الأسقف ويجيليوس VIGILIUS (فصل ١٩، ٢٣: ٧) W.A. JURGENS, Vol. 2, P. 147.

(٤) على سفر التكوين مقالة ٤٨: ٦. انظر حبيب جرجس ـ أسرار الكنيسة السبعة ١٩٢، ١٩٣.

(٥) فى خطاب عن المعمودية فصل ١٨. انظر حبيب جرجس ـ أسرار الكنيسة السبعة ١٩٢.

الإكليل الذى به يتحدان ويصيران جسداً واحداً كما قال الله سبحانه **وعلى خلاف ذلك لا يعد لهما تزويجاً، فإن الصلاة هى التى تحلل النساء للرجال، والرجال للنساء،** (١).

* * *

رابعاً- كذلك يتضح **الفرق بين الزواج المسيحى الذى يعقد فى الكنيسة بمعرفة الكاهن كممثل للسلطة الإلهية، وبين أنواع أخرى من الزواج التى تباشر فى سائر بلاد المعمورة،** مما تقره تلك المجتمعات، ومنها **الزواج العرفى، والزواج بالخطف، والزواج بالتراضى الثنائى بين الرجل والمرأة** - وأنواع أخرى من الزواج قد تُعْلَن، أو لا تُعْلَن، أمام شهود قليلين أو كثيرين، من بينهم أحياناً رجل دين، ولكن إذا حضر فيكون حضوره بمثابة (شاهد)، فلا يمارس طقوساً وصلوات كالتى يمارسها الكاهن فى طقس الزيجة المسيحى...

كل تلك الأنواع من الزواج زيجات يقرها المجتمع ويعترف بها، ولذلك فهى زيجات شرعية فى المجتمع الخارجى. **أما فى نظر الكنيسة الأرثوذكسية فهى زيجات** وإن كان لها احترامها من حيث هى أوضاع إجتماعية مشروعة لكنها **لا ترقى إلى مرتبة السرّ المقدس** الذى تنحدر فيه نعمة الروح القدس لتربط ربطاً إلهياً مقدساً بين الرجل والمرأة لتجعل منهما جسداً واحداً. **وبهذا الربط المقدس وحده تحل المرأة للرجل، ويحل الرجل للمرأة، فى الكنيسة الأرثوذكسية، ومن دونه لا تكون العلاقة بين الزوجين مشروعة كنسياً وإلهياً.**

* * *

خامساً- ولما كان الزواج فى الكنيسة الأرثوذكسية سراً مقدساً، ورباطاً إلهياً، **فإن هذا الاعتقاد يحل فى ذهن المسيحى وضميره مشكلة الوصال الجنسى بين الرجل وزوجته، فقد أحلّ لهما هذا الوصال فى دائرة الحياة الزوجية، بفعل الربط الإلهى بين الرجل وزوجته،** هذا الربط الذى جعل جسديهما جسداً واحداً (متى ١٩: ٥، ٦)، (مرقس ١٠: ٨)، (أفسس ٥: ٣١)، فصار جسد المرأة لزوجها واحداً مع جسده تماماً، وصار جسد الرجل لزوجته واحداً مع جسدها تماماً. **ومن ثم صار لكل منهما سلطة على جسد**

(١) المجموع الصفوى، طبعة جرجس فيلوثاؤس عوض، الباب الرابع والعشرون، الفصل الخامس: ٨٠.

الآخر (١ . كورنثوس ٧ : ٤)، وبالتالى **صار الوصال بين هذين الجسدين حلالاً مباحاً، لأنهما لا يكونان بعد اثنين إذن وإنما جسداً واحداً**. وهذا يفسر للضمير المسيحى: لماذا يكون الوصال الجنسى مباحاً بين الرجل وزوجته، وحراماً عليهما خارج نطاق الزوجية. **فكل امرأة أخرى غير الزوجة حرام على الرجل، وكل رجل آخر غير الزوج حرام على المرأة. (١) أما الوصال الجنسى بين الرجل وزوجته فهو مباح حلال، والذى جعله مباحاً هو الربط الإلهى المقدس بفيض الروح القدس الذى ربط بين الجسدين برباط سرّى، فصيرهما جسداً واحداً.**

* * *

سادساً ـ ولما كان سّر الزيجة يجعل من الرجل وزوجته جسداً واحداً فهذا الاعتقاد **يدفع كلا منهما إلى محبة الآخر محبة روحانية إلهية غير تلك المحبة الجسدية الطبيعية الغريزية الجنسية التى لا تلبث أن تنطفىء بتحقيق غايتها الطبيعية وحاجتها البيولوجية**. وهذه المحبة الإلهية الروحانية هى على غرار محبة المسيح للكنيسة التى بذل نفسه عنها. فهى **محبة روحانية**، ولأنها روحانية فهى **محبة غيرية لا أنانية**، محبة عميقة **دافعة لكل بذل وتضحية فى سبيل إسعاد الزوج وإرضائه**.

يقول الكتاب المقدس على فم القديس بولس الرسول: (١) «**أيها الرجال، أحبّوا نساءكم كما أحبّ المسيح الكنيسة وبذل نفسه عنها ليقدّسها...** وكذلك **يجب على الرجال أن يحبّوا نساءهم حبّهم لأجسادهم. من أحب امرأته أحبّ نفسه. فما من أحد يبغض جسده، بل يغذيه ويعتنى به كما فعل المسيح بالكنيسة**. فإننا نحن أعضاء جسده، من لحمه ومن عظامه. ولذلك يترك الرجل أباه وأمه ويرتبط بزوجته فيصير الاثنان جسداً واحداً. **إن هذا السر لعظيم**، وأعنى به سّر المسيح والكنيسة. وأنتم أيضاً **فليحبّ كلّ واحد منكم امرأته مثلما يحبّ نفسه**» (أفسس ٥ : ٢٥ – ٣٣). انظر أيضاً (كولوسى ٣ : ١٩): «**أيها الرجال، أحبّوا نساءكم**».

---

(١) يقول القديس امبروسيوس «إننا نعترف بأن الله هو سيّد الزواج وحارسه. وهو لا يطيق أن يدنس فراش الزوجية. فمن يخطىء خطيئة كهذه يخطىء ضد الله، وإذ يخالف شريعته، ويسىء استغلال نعمته. ومتى أخطأ ضد الله لا يستطيع أن يشترك فى السرّ الإلهى» (فى إبراهيم ١ : ٧).
انظر أيضاً كتاب «الأنوار فى الأسرار» للشماس جراسيموس مسرة صفحة ٣٠٥.

(٢) يتلى هذا الفصل فى قداس الإكليل.

وجاء فى رسالة القديس بطرس الأولى «كذلك أنتم أيها الرجال، ساكنوهن على مقتضى الفطنة، عالمين أن النساء إناء ضعيف، **وأكرموهن** كالوارثات معكم لنعمة الحياة، حتى بذلك لا تعاق صلواتكم» (١ . بطرس ٣ : ٧).

على أنه وإن كان الرجل وزوجته يصيران بسرّ الزيجة جسداً واحداً، ولابد للجسد من رأس، فالرجل هو رأس هذا الجسد. والمرأة الحكيمة، وهى المرأة السعيدة، والسعيدة هى التى لا تنسى وضع زوجها بالنسبة لها، ووضعها بالنسبة له. **إنهما جسد واحد، رأسه هو الرجل، على غرار المسيح والكنيسة**، إذ المسيح هو رأس الجسد أى الكنيسة.

يقول الكتاب المقدس على فم الرسول القديس بولس: (١)

«أيتها النساء، اخضعن لأزواجكن خضوعكن للرب. لأن الرجل رأس المرأة كما أن المسيح رأس الكنيسة، وهو نفسه مخلّص الجسد. وكما تخضع الكنيسة للمسيح، فلتخضع النساء لأزواجهن فى كل شىء... وأما المرأة فلتتهيب زوجها» (أفسس ٥ : ٢٢- ٢٤، ٣٣).

وجاء فى الرسالة الأولى إلى كورنثوس: «وأريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح، **وأما رأس المرأة فهو زوجها**» (١ . كورنثوس ١١ : ٣).

وجاء فى الرسالة إلى كولوسى: «**أيتها النساء، اخضعن لأزواجكن** كما يليق فى الرب» (كولوسى ٣ : ١٨).

وجاء فى الرسالة إلى تيطس أن على النساء «**أن يكن محبّات لرجالهن... خاضعات لأزواجهن**» (تيطس ٢ : ٤، ٥).

وجاء فى رسالة القديس بطرس الرسول «وكذلك أنتن **أيتها النساء، اخضعن لأزواجكن**» (١ . بطرس ٣ : ١). انظر أيضاً (١ . كورنثوس ١٤ : ٣٤)، (١ . تيموثيوس ٢ : ١١، ١٢)، (١ . بطرس ٣ : ٥، ٦)، (التكوين ٣ : ١٦)، (١٨ : ١٢).

ولما كان الرجل وزوجته يصيران بسرّ الزيجة جسداً واحداً، لذلك وإن يكن الرجل رأس المرأة «إلا أنه **ليست المرأة من دون الرجل، ولا الرجل من دون المرأة فى الرب، لأنه كما أن المرأة هى من الرجل كذلك الرجل أيضاً هو بالمرأة**، والكل من الله» (١ . كورنثوس ١١ : ١١، ١٢).

---

(١) يتلى هذا الفصل فى قداس الإكليل.

ومادام الرجل وزوجته قد صارا برباط الزيجة المقدس جسداً واحداً، وجب على كل منهما أن يعمل على إرضاء زوجه أو قرينه.

يقول الكتاب المقدس على فم القديس بولس الرسول «وأما المتزوج فيهتم... **كيف يرضى امرأته**... وأما المتزوجة فتهتم... **كيف ترضى زوجها**» (١. كورنثوس ٧: ٣٣، ٣٤).

* * *

وجاء فى الوصية التى تتلى على العروسين فى وقت الإكليل:

«**إنما خلقت المرأة من ضلع الرجل لتكون تحت حوزه وأمره، وليكون هو أيضاً حنوناً عليها (١)، وشفوقاً بها، ولا يهملها، ولا ترتفع هى أيضاً عليه، بل ينبغى أن تكون مطيعة له، وليكونا كلاهما متفقين بالعقل والمحبة والرأى السديد**، ولا ينفرد أحدهما برأى دون صاحبه، لتكون ذريتهما صالحة مباركة... فيجب عليكما أن يعرف بعضكما حق بعض ويخضع كل منكما لشريك حياته...».

وتخص الوصية العريس الرجل فى نهاية الإكليل بالقول:

«يجب عليك أيها الابن المبارك والأخ الحبيب المؤيد بنعمة الروح القدس أن تستلم زوجتك فى هذه الساعة المباركة بنية خالصة ونفس طاهرة وقلب سليم، **وأن تجتهد فيما يعود لصالحها، وأن تكون حنوناً عليها، وأن تسرع إلى ما يسرّ قلبها...**».

وتخص الوصية العروس بالكلمات الآتية:

«وأنت أيتها الابنة المباركة، العروس السعيدة، لقد سمعت ما أوصى به رجلك، **فيجب عليك أن تكرميه وأن تهابيه، ولا تخالفى أمره ولا رأيه، بل ينبغى أن تزيدى فى طاعته أكثر مما أوصى به زوجك أضعافاً. فأنت اليوم قد صرت منفردة معه، وهو الرئيس عليك أكثر من والديك. فيجب عليك أن تتلقيه بالرّحب والسعة، وأن لا تتضجرى فى وجهه، وأن لا تهملى فى شىء من جميع حقوقه عليك**. واتقّى الله فى سائر أمورك معه، **فإن الله تعالى قد قدمه عليك، وأمرك بطاعته أكثر من والديك**. فكونى معه كما كانت أمنا سارة مطيعة لأبينا إبراهيم وتخاطبه يا سيدى، فنظر الله تعالى إلى طاعتها له، فبارك فيها وعليها، ومنحها محبته، ورزقها إسحق بعد الكبر، وجعل نسلها

(١) ولهذا لم تخلق حواء من رجلي آدم أو قدميه حتى لا يدوسها أو يحتقرها بل من «ضلعه» حتى يحنو عليها، فالضلوع دائماً مركز الحنان والحماية والرعاية.
انظر كتاب «علم اللاهوت» للقمص ميخائيل مينا، الجزء الثانى صفحتى ٥١٠، ٥١١.

مثل نجوم السماء ومثل الرمل الذى على شاطىء البحر. فإذا أنت سمعت ما أوصيتى به، واتّبعت ما أمرت به أخذ الرب بيدك، ووسّع فى رزقك، وحلّت البركات فى منزلك، ورزقك أولاداً مباركين يقر الله بهم عينيك».

* * *

ويقول القديس ايرونيموس (٣٤٢- ٤٢٠): «فإن كان المسيح يحب الكنيسة فى قداسة وعفة، ومن دون دنس، **فليحب الرجال زوجاتهم فى عفة**، (١) وأن يعرف **كل واحد** منكم كيف يصون إناءه (٢) فى القداسة والكرامة، لا فى فجور الشهوة كالوثنيين الذين لا يعرفون الله... لأن الله لم يدعنا إلى النجاسة، بل إلى القداسة» (٣).

سابعاً - وطالما أن الزواج المسيحى سرّ مقدس ورباط إلهى جمع بين العروسين، الرجل والمرأة، فصارا متحدين بجسد واحد بفعل نعمة الروح القدس التى تنسكب عليهما فى صلوات الإكليل، فإن هذه الرابطة المقدسة الإلهية **أبدية ولا تقبل الانحلال**.

ومن هنا فإن **الزيجة المسيحية لا تقبل الانفصال. ولا تبيح الديانة المسيحية الطلاق لا بالإرادة المنفردة لأى من الزوجين، ولا بالإرادة المتفقة بين الزوجين معاً**، لأن الزيجة المسيحية من حيث هى سرّ مقدس **أصبح الله فيها طرفاً ثالثاً** إذ هو الذى يجمع بين الزوجين كقوله له المجد «**وما جمعه الله ينبغى أن لا يفرقه الإنسان**» (متى ١٩: ٦)، (مرقس ١٠: ٩). فكيف يجوز التفريق بين الرجل وزوجته من دون أن يستأذن الله أولاً؟ ولما كان الكهنوت هو الممثل للسلطة الإلهية، لذلك **لا يباح الطلاق فى المسيحية إلا بإذن من السلطة الدينية** ممثلة فى المجلس الإكليريكى.

والمجلس الإكليريكى مقيد بالإرادة الإلهية التى لا تسمح بالطلاق إلا لسببين رئيسيين:

الأول هو الزنى، وما هو فى حكم الزنى:

قال الرب يسوع المسيح «إن كل من طلّق زوجته لغير **علة الزنى**، وتزوّج بأخرى، فقد زنى. وكل من تزوج بمطلقة فقد زنى» (متى ١٩: ٩). وقال له المجد فى عظته على الجبل «إن كل من طلّق زوجته إلا **لعلة الزنى** فقد جعلها تزنى. وكل من تزوج بمطلقة فقد زنى» (متى ٥: ٣٢). انظر (مرقس ١٠: ١١، ١٢)، (لوقا ١٦: ١٨).

---

(١) القديس إيرونيموس: «الرد على جوفنيان JOVINIAN (نحو ٣٩٣)، الكتاب الأول: ١٢، ١٦.
THE NICENE & POST NICENE FATHERS - VoI, P. 355, 359.

(٢) إناءه هو جسده الخاص به ثم هو جسد زوجته (١. بطرس ٣: ٧).

(٣) ١. تسالونيكى ٤: ٤-٧.

أما لماذا كان الزنى سبباً أقره المسيح له المجد للطلاق، وفصم العلاقة الزوجية، **فلأن الزنى نجاسة والنجاسة تتعارض مع قداسة الله**، فالله القدوس (اللاويين ١١: ٤٤، ٤٥)، (٢٠: ٢٦)، (لوقا ١: ٣٥)، (١ . بطرس ١: ١٦) كيف يقبل فعل الدنس والنجاسة؟ إن روح الله القدوس يفارق (١ . صموئيل ١٦: ١٤)، (١٨: ١٢)، (٢٨: ١٥) . ومن ثم يجوز عندئذ طلب الطلاق بالإرادة المنفردة لأحد الزوجين أو بالإرادة المتفقة منهما معاً.

الثانى هو الموت، وما فى حكم الموت:

يقول الكتاب المقدس على فم الرسول القديس بولس:

«فإن المرأة تظل مقيدّة شرعاً بزوجها مادام حياً، فإن رقد رجلها عادت حرة تتزوج من تشاء، ولكن زواجاً فى الرب فقط» (١ . كورنثوس ٧: ٣٩).

ويقول أيضاً «**فالمرأة المتزوجة تربطها الشريعة بزوجها مادام حياً، فإذا مات زوجها حُلّت من شريعة الزوج. فمن ثم مادام رجلها حياً فإنها تدعى زانية إن صارت إلى رجل آخر. أما إذا مات زوجها فقد تحررت من الشريعة التى تربطها حتى إنها لا تدعى زانية إن صارت إلى رجل آخر**» (رومية ٧: ٢، ٣).

ويدخل فى حكم الموت، اعتناق دين آخر، والغيبة المنقطعة.

ومن غير هذين السببين الأساسيين وما هو فى حكمها، نقرر أن الرابطة الزوجية فى المسيحية **رابطة أبدية**. ومعنى أنها أبدية أنها تمتد طوال الحياة، فكل من الرجل وزوجته **شريك للآخر مدى الحياة**. بل إن فعالية سرّ الزيجة تمتد إلى ما بعد الحياة الدنيا إلى الحياة الأخرى. نعم «إنهم فى القيامة لا الرجال يتخذون زوجات ولا النساء يتخذن أزواجاً، وإنما يكونون كملائكة الله فى السماء» (متى ٢٢: ٣٠) أى ليس هناك فى الحياة الأخرى الأبدية زواج جسدانى، لكن «المحبة لا تسقط أبداً» (١ . كورنثوس ١٣: ٨) . إن المحبة بين الرجل وزوجته لا تفنى ولا تزول.

ويقول الكتاب المقدس على لسان القديس بولس الرسول:

«وأما المتزوجون فأوصيهم، ولست أنا الموصى، بل الرب **بأن لا تفارق المرأة زوجها**، وإن فارقته فلتبق غير متزوجة أو فلتصالح زوجها، **وعلى الرجل أن لا يطلق زوجته**» (١ . كورنثوس ٧: ١٠، ١١) ويقول أيضاً «هل أنت مرتبط بامرأة؟ إذن **لا تطلب الإنفصال عنها**» (١ . كورنثوس ٧: ٢٧).

غايات الزواج

على ما نعلم يمكن أن نحدد غايات الزواج فى ثلاث:

الغاية الأولى: التعاون بين الرجل والمرأة

فقد جاء فى الكتاب المقدس قوله: «وقال الرب الإله لا يحسن أن يكون آدم وحده، **فأصنع له معيناً نظيره**» (التكوين ٢: ١٨). وآدم نفسه أحس بحاجته إلى معين نظيره أى من جنسه «وأما آدم فلم يجد معيناً نظيره» (التكوين ٢: ٢٠). ويقول الرسول بولس «ولم يُخلق الرجل من أجل المرأة، بل **خُلقت المرأة من أجل الرجل**» (١. كورنثوس ١١: ٩).

لقد خلق الله آدم أولاً، ولم يخلق معه إنساناً آخر معه، حتى يكتشف آدم حاجته إلى الإنسان الآخر. فلما جاء الإنسان الآخر رحب به آدم وفرح به لأنه رغب فيه، وجاء استجابة لحاجته، وتحقيقاً لرغبته. وهذا ما حدث بالفعل: فإن آدم رحب بحواء بعد خلقها عندما أتاه الله بها «وقال آدم ها هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى» (التكوين ٢: ٢٣).

وإذن فحواء خلقت معينة لآدم، وصارت زوجته. لقد خلق الله آدم «ووضعه فى جنة عدن ليفلحها ويحرسها» (التكوين ٢: ١٥) فكان آدم هو الفلاح الأول للأرض، وخلق له حواء «**معينة نظيره**» (التكوين ٢: ١٨، ٢٠). ومعنى أنها نظيره أنها **إنسان مثله، من صنفه ومن جنسه، فهى إذن مساوية له فى إنسانيته وكل صفاتها**. أما أنها «معينة» **فليس بالضرورة أن تقوم معه بنفس عمله**. فقد يكفى أن تكون مكمّلة له، ومساعدة له فى عمله وفى كل حياته.

وهذا يفسره أن حواء خُلقت بتركيب جسمانى مختلف عن تركيب آدم الجسمانى. وواضح فى الطبيعة الفروق الجسمانية التشريحية بين الرجل والمرأة، وكذلك الفروق النفسية، والميول والاستعدادات الذهنية الطبيعية التى تجعل **المرأة مكمّلة للرجل**، وفى هذا التكميل تظهر الحكمة من خلق الله لها «معينة» للرجل.

الفروق التشريحية

«**والفروق التشريحية**، كثيرة منها (١) **أن الرجل أضخم من المرأة إذا** كان فى مثل سنها، **وأكثر طولاً، وأكبر وزناً، وعظامه أسمك وأضخم وأطول وأخشن** من عظام **المرأة والعضلات المحيطة بهذه العظام أسمك وأغلظ وأطول** فى الرجل عنها فى المرأة.

ومخ الرجل أكبر من مخ المرأة، ويزيد عنه فى الوزن بنحو ١٢٥ جراماً هذا ويزن **قلب** الرجل العادى ما بين ٢٨٠ جراماً إلى ٣٤٠ جراماً، بينما يتراوح قلب المرأة فى وزنه بين ٢٣٠ إلى ٢٨٠ جراماً.

كما أثبتت الدراسات المتخصصة أن **وزن عضلات** الرجل يعادل ٤٠ فى المائة تقريباً من وزن جسم الرجل، على حين لا يزيد وزن عضلات المرأة عن ٢٤ فى المائة من وزن جسمها، كما أن **قوة عضلات** المرأة تقل عن قدرة عضلات الرجل بنسبة ٢٥ فى المائة.

وأثبتت الدراسات المتخصصة أن **التركيب الفسيولوجى للمرأة** لا يساعدها على القدرة على تحمل المسئوليات والقيام بمجهودات مثل الرجل... وتظهر **الاضطرابات العصبية** بين السيّدات المتعلمات بنسبة أكبر، وذلك نتيجة الأعباء المزدوجة ومسئولية العمل والبيت بالإضافة إلى التركيب الفسيولوجى للمرأة.

ويضيف الإخصائيون بأن **كمية الدم** الموجودة فى جسم الرجل البالغ تقدر بنحو خمسة لترات، وفى جسم الأنثى البالغة من نفس السن ونفس البيئة ونفس الظروف الاجتماعية، تقدر بنحو أربعة لترات ونصف، أى أن الأنثى تقل عن الذكر بمقدار نصف لتر بما يحتويه هذا الفرق من **الأوكسجين اللازم للطاقة الحرارية اللازمة** للنشاط العقلى والفكرى والبدنى والحيوى.

وقد أجريت عدة تجارب للوصول إلى أساس التفرقة بين الجنسين، وثبت أنها تفرقة جوهرية لدرجة أن **كل خلية فى جسم الرجل تختلف عن مثيلتها فى جسم المرأة، فى تركيب أهم جزء حيوى فيها المسمّى بالنواة.**

ومن هذا كله يتضح أن **الرجل أقوى وأصلب من المرأة، وأقدر منها بدنياً على الصمود أمام المتاعب والمشاق بزيادة كبيرة**، سواء كان ذلك فى الحروب أو فى تحمل

(١) انظر كتابنا عن «الدرس الأول للمرأة» الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٣ صفحة ٣٤.

قسوة الطبيعة من حر لافح إلى برد قارس، إلى وعورة الصخور والجبال العاتية. كذلك ما يمكن أن يتحمله من متاعب العمل بالمناجم تحت الأرض، وبجوار آبار البترول في وسط الصحارى، وقذائف الصخور عند إنشاء السدود، وفى ميادين العمل المختلفة القاسية، ولمدد طويلة.

الفروق النفسية:

تلك بعض الفروق التشريحية الظاهرية والباطنية. **وأماالفروق النفسية**، ففى الميول، والنزعات، والصفات، والخصائص.

وواضح أن **المرأة تتميز بالعاطفة الغنية**، فهى مخلوق عاطفى من خصائصه **الحب والحنان والرقة**، ولذلك كانت المرأة تغمر الطفل بحبها وحنانها بصورة لا يجدها فى الأب ولا فى مخلوق آخر. ومن هنا كان الطفل المحروم من الأم ينشأ ناقصاً، ولا يستطيع الأب وحده أن يسد فراغ الأم، لأن الأب يتميز بالحزم وبالشدة. والطفل يلزمه حنان الأم وحزم الأب، وبالاثنين معاً ينشأ تربية سليمة بغير عقد. **وهذا هو سر الفارق فى التكوين النفسى بين الرجل والمرأة، وهدف الطبيعة من هذا الفارق حتى تتكامل شخصية الطفل بما يأخذه من أبيه وأمه معاً.**

وإذا تكلمنا عن الفروق النفسية فلا ننسى أن **المرأة تتميز عن الرجل بحاسة الجمال** التى نراها فيها واضحة. وهذه خاصية نافعة لها كأم، وكزوجة، وكربة بيت. فبهذه الخاصية يتحول البيت الذى تعيش فيه المرأة إلى جنة يبدو فيه التناسق والنظام والنظافة، فيصير البيت فعلاً مكاناً يسكن إليه الرجل، وينعم بالاً، ويحيا فيه الأطفال سعداء، بما يتوافر لهم من حسن الهندام ومذاق الطعام، ونظافة المسكن وحسن ترتيبه وجمال نظامه.

ولمّا كانت المرأة عاطفية ورقيقة، فعاطفتها تجعلها **سريعة الانفعال**، وبالتالى تضعف أمام بعض المواقف المؤلمة والصعبة، فتلين أمامها وتنثنى، **ولا تقوى كثيراً على الصمود كما يقوى الرجل. لذلك فالشجاعة والجرأة والبسالة والإقدام فى الرجل متوقعة ومطلوبة.** وإذا وجدوا رجلاً جباناً قالوا إنه ليس برجل! وأول من يعيره بذلك امرأته، **لأن المرأة لا تحترم إلا الرجل القوى، الشجاع الجرىء الذى يصمد أمام المواقف، ويثبت ولا يتراجع ولا ينثنى.**

فإذا قالوا عن النساء إنهن ضعيفات، ووصفهن الكتاب المقدس بأنهن «**الإناء الأضعف**» (١ . بطرس ٣: ٧) بالقياس إلى الرجال، فليس الضعف المقصود هنا ضعفاً فى الصحة. **فالمرأة**

عادة تتمتع بحصانة صحية ومناعة بدنية ضد الأمراض العضوية والنفسية والعصبية تزيد كثيراً على الرجال فى مثل سنّها. ولذلك فإن المرأة تعيش غالباً أطول مما يعيش الرجل. وهذا يصدق على الأطفال أيضاً. فمن الثابت من إحصاءات الوفيات أن الأطفال الذكور يتعرضون لأمراض فى سن النمو (بين الخامسة والثامنة) تعرض حياتهم للموت أكثر من الأطفال الإناث.

إنما الضعف المقصود فى المرأة هو ضعفها أمام عاطفتها ومشاعرها وإحساساتها، وسرعة انفعالها، وتأثرها الشديد بالفرح والحزن والخوف والخجل مما يجعلها تلين وتضعف أمام المواقف، فلا تقوى على الصمود طويلاً...

وهذا هو السبب فى أن الرجل أصلح من المرأة فى المواقف القيادية، نظراً لما يتميز به عن المرأة من قوة إرادة وعزيمة وتصميم ومقدرة على الصمود وسائر الصفات اللازمة للقيادة، ومنها القدرة على التصرف فى المواقف الحرجة والمؤلمة والقاسية، فلا يخور أمام العواصف، ولا يفقد صفاء فكره فى مواقف الإثارة العاطفية والانفعالية، كما تفعل المرأة.

والمرأة بطبيعتها تشعر بأن الرجل يتميز عنها فى صلابته وإرادته وحسن قيادته، وتتوقع منه دائماً أن يكون القائد لها والمرشد والدليل، والسند القوى الذى تحتمى فى رجولته فى المواقف العاصفة.

* * *

فإذا كانت هذه هى بعض الفروق بين الرجل والمرأة، الفروق التشريحية الظاهرة والباطنة، والفروق النفسية فى الخصائص والصفات، فقد تعيّن علينا أن ندرك حكمة الله فى أن يخلق المرأة لتعين الرجل.

وتعينه لا بمعنى أنها تنتزع إختصاصاته ووظائفه التى يتميز بها منذ الابتداء والتى تعيّن له دوره فى الحياة، ولكنها تعينه على القيام بأعبائه وأعماله بما تقدمه له من عون ومساعدة، مستغلة خصائص الأنوثة، وصفاتها التى تتميز بها كامرأة، والتى يفتقر إليها الرجل... وبها تعينه على التغلب على صعوبات الحياة ومشاكلها، وعلى أن

يتسلط على الحيوان والطيور والدواب، وأن يُخْضِعَ الأرض ويحقق للمجتمع البشرى الخير كاملاً.

* * *

يقول القديس أوغسطينوس فى بيان «ميزة الزواج»:

«إن الرب، فى الإنجيل، قد أكد على أن الزواج طاهر، ليس فقط بمنعه طلاق الزوجة إلا لعلة الزنى ولكن لأنه عندما دُعِيَ إلى الزواج ضيفاً قَبِلَ الدعوة وحضر العرس. ومن الجدير أن نتساءل لماذا كان الزواج طاهراً؟ ويبدو لى أن الزيجة طاهرة ليس فقط من أجل إنجاب الأطفال، ولكن أيضاً من أجل الصحبة الطبيعية بين الجنسين، الرجل وزوجته» (١) ويضيف أوغسطينوس قائلاً: «ليست الزيجة هى فقط لأجل إنجاب الأطفال، وإنما هى **أيضاً لأجل التعاون الاجتماعى... بين الزوجين**» (٢).

(١) القديس أوغسطينوس: كتاب «ميزة الزيجة» De bono coniugali فصل ٣: ٣ W.A. JURGENS, Vol. 3.P, 70

(٣) ميزة الزيجة De bono coniugali ٣: ٧

الزواج البتولى

لما كانت الغاية الأولى من الزواج هى التعاون، ولكى يتحقق هذا التعاون شاء الله أن يكون خلق حواء بعد خلق آدم حتى يكتشف آدم حاجته إلى مخلوق نظيره يعينه ويساعده، ويكمّله... لذلك جاء خلق حواء بصورة يمكن أن يتحقق بها **التعاون والتكامل لآدم** بأن يكون **تركيبها التشريحى وتكوينها الفسيولوجى والنفسى مغايراً لتركيب آدم، وتكوينه تشريحياً وفسيولوجياً ونفسياً، فيجد فيها آدم ما لا يجده فى نفسه، فيتكامل بها ويتحقق بهما معاً ما لا يتحقق بآدم وحده، ومالا يتحقق به لو خلق الله لآدم رجلاً نظيره.**

فكان آدم حقاً كاملاً بحواء ليحكم الجنة والأرض، وليفلحها ويحرسها ويثمر فيها وينتج، ويعمل العمل الذى خلق الله الإنسان من أجله فى الأرض كلها.

كان إذن آدم وحواء زوجين. والله هو الذى أزوجهما، لأنه خلق حواء من ضلع استلها من آدم «وأتى بها آدم» (التكوين ٢ : ٢٢) فلم يخلقها لتذهب إلى مكان بعيد عن آدم، بل بعد أن خلقها تعالى أحضرها بنفسه إلى آدم (١) ولماذا أتى بها لآدم وأحضرها إليه إلا لتكون معه زوجة له، «ومعينة» (التكوين ٢ : ١٨ ، ٢٠)؟ والزواج هو القران بين اثنين والجمع بينهما. والذى جمع بين آدم وحواء كان هو الله.

إذن كان آدم وحواء زوجين فى الجنة، وكان كل منهما يكمل الآخر، لأنه يجد فى قرينه مالا يجده فى نفسه وحده، وبالتالى ما يكمّله. ولعلّ هذا ما يدعم الرابطة بين الاثنين، لأن الاختلاف بينهما يبرر حاجة الواحد منهما إلى الآخر، وبالتالى تكون العلاقة بينهما كالعلاقة بين الموجب والسالب، أى علاقة تجاذب لا تنافر. ولذلك قال الله لحواء «إلى رجلك تنقاد أشواقك» (التكوين ٢ : ١٦).

على أن هذا الزواج أو القران بين آدم وحواء كان زواجاً من أجل **التعاون** فى تحقيق الغاية التى خلق الله الإنسان من أجلها، **للعمل، والإنتاج وتسخير الطبيعة وإمكاناتها، لكل خير، للأرض وللإنسان. ولم يكن عبثاً أن يذكر الكتاب المقدس عن آدم وحواء «وكان كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لايخجلان»** (التكوين ٢ : ٢٥).

---

(١) فى طقس الإكليل يؤتى بالعروس أولاً بالتراتيل الكنسية ثم يأتى عريسها وتجلس هى عن يمين العريس. (اللآلئ النفيسة) - الجزء الثانى صفحة ١٥١ وكتاب (الخطبة والإكليل).

هنا نتساءل: لماذا اهتم الكتاب المقدس بأن يذكر عن آدم وحواء أنهما **كانا عريانين وهما لا** يخجلان، بينما أنهما بعد أن أكلا من الشجرة المنهى عنها «**انفتحت أعينهما، فعلما أنهما عريانان**، فخاطا من ورق التين وصنعا لهما منه مآزر» ؟ (التكوين ٣: ٧).

أليس هذا معناه أن آدم وحواء، وهما زوجان، **قبل الأكل من الثمرة المنهى عنها كانت أعينهما مغلقة عن عورتيهما، فلما انفتحت أعينهما بالخطيئة، تحركت الرغبة الجنسية فيهما**، فعملا على ستر عورتيهما بورق التين، ولم تكن هذه الرغبة موجودة قبلاً، إنما أيقظتها الثمرة المنهى عنها؟

وإذن كان آدم وحواء قبل أن يمدا أيديهما إلى الثمرة المحرمة يعيشان معاً، وهما زوجان، لكن ببراءة الطفولة ونقاء الفكر، من غير رغبة جنسية بدليل أنهما «كانا كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان».

وهذا هو ما يعرف **بالزواج البتولى. هو زواج وقران بين رجل وامرأة يعيشان معاً يكمل أحدهما الآخر، ويتعاونان فى الحياة. لكن من دون وصال جنسى، كأنهما أخوان**، وهو ما عَبر عنه الرسول بولس مرة بقوله «أما لنا سلطان أن تصحبنا **أخت زوجة** كسائر الرسل» (١ . كورنثوس ٩: ٥) ؟ هى زوجة لكنها أخت، كانت تصحب الرسول المتزوج بها، وتجول معه بمثابة أخت، لأن المتزوجين من الرسل قد تركوا من بين ما تركوا من أجل دعوتهم، العلاقات الزواجية الجنسية بزوجاتهم (متى ١٩: ٢٧)، (مرقس ١٠: ٢٨)، (لوقا ١٨: ٢٨).

وعن هذا **الزواج البتولى** جاء على لسان الرسول القديس بولس «فليكن الذين لهم نساء **كأنهم لا نساء لهم**» (١ . كورنثوس ٧: ٢٩). وقال أيضاً «وأما من أقام راسخاً فى قلبه، وكان غير مضطر، بل له سلطان على إرادته، وعزم فى قلبه على أن يحفظ بتولته، فنعم ما يفعل!... ومن لا يتزوج يفعل أحسن» (١ . كورنثوس ٧: ٣٧، ٣٨). وقال «هل أنت غير مرتبط بزوجة؟ إذن لا تطلب زوجة» (١ . كورنثوس ٧: ٢٧).

وإذن كان آدم وحواء فى الجنة وقبل الأكل من الثمرة المنهى عنها يعيشان زوجين، **لكن زواجهما كان زواجاً بتولياً**، غايته التعاون والتكامل، فلمّا أكلا من الثمرة المنهىّ عنها وانفتحت أعينهما واشتعلت فيهما الرغبة الجنسية، طُرِداَ من الجنة (التكوين ٣: ٢٣، ٢٤)، فتمما الوصال الجنسى بعد الطرد من الجنة «**وعرف آدم حواء امرأته فحملت وولدت**» (التكوين ٤: ١).

يقول القديس إيرونيموس (٣٤٢- ٤١٩ أو ٤٢٠م): «أما بالنسبة إلى آدم وحواء ينبغى أن نقرر بوضوح **أنهما كانا فى الفردوس بتولين وذلك قبل السقوط، ولكن بعد أن سقطا فى الخطيئة وطردا من الفردوس، تزوجا بعد ذلك مباشرة»** (١) (وهو يعنى الزواج الجسدانى بالوصال الجسمانى).

* * *

١- ومن قبيل الزواج البتولى **زواج العذراء مريم ويوسف النجار**، فقد باشر الكهنة عقد زواجهما فى الهيكل، ومنحوهما بركة الزواج، وأخذ يوسف مريم إلى بيته، ومع ذلك عندما ظهر لها الملاك جبرائيل ليبشرها بحبلها وولادة يسوع المسيح منها، ابتدرته فى عجب مدهوشة مذهولة، وقالت له «كيف يكون لى هذا **وأنا لا أعرف رجلاً؟**» (لوقا ١: ٣٤). وعاشت مريم مع يوسف فى بيته بتولاً طاهرة قبل الحبل بيسوع المسيح وبعده.

يقول القديس أوغسطينوس: «... فلم يكن خداعاً من الملاك أن يقول ليوسف «لا تخف أن تستبقى مريم **زوجتك**» (متى ١: ٢٠) فقد سميت (مريم) **زوجته** منذ توثيق العقد بينهما، **على الرغم من أنه لم يحدث بتاتاً أنه عرفها معرفة المعاشرة الجنسية، ولا يمكن أن يكون عرفها فيما بعد بهذا المعنى.** (٢)

ويقول القديس إيرونيموس (٣٤٢- ٤١٩ أو ٤٢٠م) فى رده على هيلفيديوس فى إثبات دوام بتولية القديسة مريم العذراء: «نحن نؤمن بأن الله ولد من عذراء... ونحن لا نؤمن أن مريم تزوجت بعد أن ولدت ابنها... ولا نقول هذا لنشجب الزواج (أو نحرمه)، فإن البتولية ذاتها هى ثمرة الزواج... أما من جهتى، فإنى أعتقد أن يوسف نفسه كان بتولاً، عن طريق مريم، حتى يكون الابن البتول مولوداً من **زواج بتولى**» (٣).

---

(١) انظر كتاب ايرونيموس «الرد على جوفينيان كتاب ١، فقرة ١٦.
THE NICENE & POST NICENE FATHERS, Second Series, Vol. VI, P. 359 (b).

(٢) القديس أوغسطينوس «الزواج والشهوة الجنسية» De nuptiis et concupiscentiae الكتاب الأول: ١١، ١٢.
W.A. JURGENS, Vol. 3. P. 135.

(٣) إيرونيموس: فى الرد على هيلفيديوس HELVIDIUS لاثبات دوام بتولية القديسة العذراء مريم ١٩- ٢١.
DE PERPETUA VIRGINITATE BEATAE MARIAE ADVERSUS HELVIDIUM, (19 al. 21)
W. A. JURGENS, Vol. 2.P. 191.

وفى تاريخ الكنيسة عرفنا عدداً من رجال ونساء جمع رباط الزوجية الرسمى بينهم، ومع ذلك عاشوا معاً عذارى وبتوليين.

٢- ولعل من أبرز الأمثلة على هذا النوع من الزواج البتولى، بعد زواج مريم العذراء ويوسف النجار، **الأنبا ديمتريوس الكرام** البطريرك الثانى عشر من بطاركة الكرسى الأسكندرى (١٨٨- ٢٣٠م)، فقد كان قبل رسامته بطريركاً متزوجاً، وأقام مع زوجته ٤٧ سبعة وأربعين عاماً، إلى أن اختير بطريركاً للكرسى المرقسى، ولم يعرف أحدهما الآخر معرفة الأزواج، بل لبثا طوال هذه المدة وهما فى بكوريتهما وطهارتهما، ولم يكن أحد من الناس يعرف ما هما عليه. ولما صار بطريركاً، أرسل زوجته إلى (بيت العذارى)، وبعد مرور زمن فى بطريركيته، ثار عليه بعض الناس وقالوا عنه: إنه رجل متزوج، فكيف صار بطريركاً؟ فلما كثر كلام الناس ظهر له ملاك الرب وقال له: ياديمتريوس، لا تطلب خلاصك وتترك غيرك يهلك فى شكه. فلما استوضحه الأنبا ديمتريوس، قال له الملاك: يجب أن تكشف للشعب السرّ الذى بينك وبين زوجتك حتى يزول عنهم الشك. وفى الصباح وبعد أن أقام خدمة القداس الإلهى أمر الشعب بعدم الخروج من الكنيسة، ثم استدعى زوجته من خوروس (صف) العذارى، وأخذ من الجمر الذى فى المجمرة ووضعه فى إزار زوجته، ثم فى بللينه هو، وطاف الاثنان الكنيسة كلها ولم تحترق ثيابهما. فتعجب الشعب من هذه المعجزة - ثم عرفهم هو أنه لولا أن ملاك الرب أمره بأن يكشف السرّ بينه وبين زوجته منعاً للشك لما كان قد باح بهذا الأمر، وأفادهم أنه وزوجته لم يعرف أحدهما الآخر معرفة الأزواج إلى اليوم (١).

* * *

٣- ومن بين الأمثلة على الزواج البتولى أيضاً، **القديس الأنبا امونيوس المتوحد** (٢٩٤- ٣٥٧م) فقد تزوج بفتاة خطبت له على الرغم منه. فأقنعها على أن يقبلا عقد زواجهما وهما مصممان على أن يعيشا معاً كأخ وأخت لا كزوج وزوجة. وقبلت منه ذلك راضية، وظلا بعد زواجهما سبع عشرة سنة حتى انتقلت زوجته إلى دار الأبدية، وهما بتوليان. ثم ترهب هو بعد أن ظهر له القديس أنطونيوس فى حلم يدعوه إلى لبس أسكيم الرهبنة (٢).

---

(١) انظر (السنكسار) تحت اليوم الثانى عشر من شهر بابه.
(٢) انظر (السنكسار) تحت اليوم العشرين من شهر بشنس.

٤ ـ ومن الأمثلة أيضاً على الزواج البتولى **أنبا كيره** من جوجر، كان قد تزوج منذ صباه وعاش مع زوجته زماناً كثيراً، وبلغ مائة وخمس سنين، وهما بكران طاهران، وكانا ينامان على فراش واحد كل زمانهما الطويل، وطعامهما خبز شعير وملح، بعبادة عظيمة، وكانا يتصدقان بكل مالهما على الفقراء. فلما بلغا السنّ، سلّم أنبا كير زوجته البكر الطاهرة إلى دير الراهبات (١).

* * *

٥ ـ ومن الأمثلة على الزواج البتولى ما نراه فى سيرة القديس **الأنبا يوحنا كاما** وهو من أهل شبرا منتو من أعمال صا. وكان أبواه مسيحيين خائفين من الله، ولم يكن لهما ولد سواه فزّوجاه، ولأن هذا الأمر بغير إرادته، فإنه لما دخل إلى خدره وقف وصلّى كثيراً. ثم تقدّم إلى الصبيّة وقال لها: يا أختى، أنت تعرفين أن العالم يزول وكل شهواته، فهل لك أن توافقينى على حفظ جسدينا طاهرين؟ فأجابته قائلة: ياأخى، حىّ هو الرب، إن هذه هى الرغبة التى بفكرى. والآن قد أعطانى الرب سؤل قلبى. فاتفقا على هذا الرأى، وهو أن يلبثا محتفظين ببتوليتهما. وكان إذا رقدا ينزل ملاك ويظلل عليهما بجناحيه. ولكثرة فضائلهما أنبت الرب كرمة لم يزرعها أحد. فنمت وظللت خدرهما علامة على طهرهما وقداستهما، لأن هذا مما يفوق الطبيعة البشرية، أن ينام شابان بجانب بعضهما ولا تثور فيهما الطبيعة إلى الشهوة. ومن هو الذى يدنو إلى النار ولا يحترق لولا أن العناية الإلهية كانت تحفظهما. «ولما رأى أبواهما أنهما أقاما زمناً طويلاً ولم يرزقا نسلاً، ظنا أنه لأجل صغرهما. وفى ذات يوم قال يوحنا (كاما) لزوجته: ياأختى، أنا أشتهى الذهاب إلى البرية للترهب، ولا أستطيع ذلك إلا برضاك، فأجابته إلى ما أراد، بعد أن أدخلها أحد أديرة العذارى. وهناك صارت أماً فاضلة، وعملت عجائب كثيرة أهّلتها لأن تعيّن رئيسة على الدير».

«أما القديس يوحنا (كاما) فانه لما خرج من بلده، ظهر له ملاك الرب وأرشده إلى طريق برية شيهيت، فذهب إليها وترهب هناك... (٢)».

٦ ـ ومن بين الأمثلة على الزواج البتولى ما ورد عن **القديس كونن** من بلاد سورية، فقد «أراد والداه أن يزوجاه فأبى، ولكنهما أرغماه على ذلك، وأزوجاه. فلم يكن يهوى أن يعرف امرأته (معرفة الأزواج) فمكث الإثنان على ذلك الحال أبكاراً (٣)».

---

(١) انظر كتاب (تاريخ البطاركة)، الجزء الأول، تحت بطريركية الأنبا خائيل الأول البابا الـ ٤٦ صفحة ٢٠٤.
(٢) انظر (السنكسار) تحت اليوم الخامس والعشرين من كيهك.
(٣) انظر (السنكسار) تحت اليوم التاسع من شهر برمهات.

٧- ومن بين الأمثلة على الزواج البتولى **بطرس أسقف سبسطية** شقيق القديس باسيليوس الكبير (٣٣٠- ٣٧٩م) وكان متزوجاً وحدث بسببه سجس، فحضر القديس باسيليوس وكشف سرّه للشعب وعرّفهم أن بطرس وزوجته مازالا بتولين وأعلمهم أنه رأى ملاك الرب يظلل عليهما (السنكسار تحت اليوم السادس من طوبة).

* * *

يقول العلامة ترتليانوس (حول ١٦٠- نحو ٢٢٠م) «ما أكثر الذين نذروا البتولية من ذات اللحظة التى نالوا فيها العماد، وما أكثر المتزوجين الذين منعوا أنفسهم، باتفاق مشترك، عن ممارسة المعاشرة الجنسية (١) وكأنهم «خصيان خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السماوات» (٢).

ويقول القديس أوغسطينوس (٣٥٤- ٤٣٠م) «**هل تنحل الرابطة الزوجية بين الذين يتفقان - بالرضى المتبادل بينهما - على الامتناع الدائم عن تحقيق الشهوة الجنسية الجسدية؟ كلا البتة**. على العكس من ذلك، إنها تصير أكثر قوة بسبب عهود المحبة التى ارتبطا بها معاً، والتى ينبغى أن تستمر بالإعزاز الخاص والألفة بينهما، **لا باللقاءات الشهوانية بين جسديهما. وإنما بعاطفة الحب الاختيارى بين روحيهما** (٣).

ويقول القديس أوغسطينوس أيضاً «لقد تتبع متى (الإنجيلى) النسب الإنسانى للمسيح، بذكر أسلافه إبتداء من إبراهيم إلى ما بعده حتى يوسف زوج مريم التى ولد منها المسيح. وذلك حتى لا يظن أنه بعيد عن زواج مريم، مع أنها حملت بالمسيح لا بطريق المعاشرة الزوجية بل حبلت به وهى عذراء. **وبهذا المثال ينصح بشدة للمتزوجين من المؤمنين بأن الزوجين عندما يعيشان معاً بالعفة، بالاتفاق المتبادل بينهما، فإن زيجتهما تظل مع ذلك قائمة ومستمرة، ولا تزال تدعى زيجة، على الرغم من أنها ليست بالوصال الجسدانى بينهما، وإنما بالمحافظة على المحبة والعاطفة الروحية بينهما** (٤).

---

(١) كتاب ترتليانوس «إلى زوجتى» (١: ٤).
TERTULLIAN, TREATISES ON MARRIAGE & TO MY WIFE... (ANCIENT CHRISTIAN WRITERS, Vol X 111, P. 18.

(٢) متى ١٩: ١٢.

(٣) أوغسطينوس: «الزواج والشهوة الجنسية» De nuptiis et concupiscentiae الكتاب الأول: ١١، ١٢.
W.A. JURGENS Vol. 4, P. 135

(٤) أوغسطينوس: «اتفاق البشيرين» الكتاب الثانى: ١، ٢.
W.A. JURGENS Vol. 3. P. 61

صعوبة الزواج البتولى

وعلى الرغم من بعض الأمثلة التى تذكرها كتب الكنيسة عن الزواج البتولى، فالكنيسة لا تشجع اليوم أولادها على هذا الزواج لما فيه مشقة وصعوبة. فإن الأمثلة التى تمت فى الأزمنة القديمة دعت إليها الضرورة، فقد كان الولد أو البنت يجبران على الزواج، ولم يكن الوالدان يقيمان وزناً لرغبة الابن أو الابنة إذا رفض أحدهما أو الاثنان الزواج، وكان الحياء أو الطاعة يمنعان الولد أو البنت عن مخالفة الأمر الصادر إليهما من والديهما بالزواج.

ويظهر أنه حدث فى القرون الأولى أن اندفع بعض الشباب من الجنسين إلى تحبيذ الزواج البتولى، لا عن إضطرار كما حدث فى بعض الحالات التى أشرنا إليها من قبل، وإنما رغبة فى ممارسة العفة الكاملة فى الزواج والامتناع التام عن المعاشرات الجنسية، وليكون الزواج من أجل التعاون فى الحياة العائلية، أو من أجل التعاون فى الخدمة العامة. وأخذ بعض الأتقياء من الرجال والنساء يسكنون معاً، تحت سقف واحد، مع الارتباط بعهد العفة التامة والتعفف عن العلاقات الزواجية الجسدية، مما حدا بالقديس يوحنا ذهبى الفم (٣٤٧- ٤٠٧م) أن ينبه إلى خطر هذا الاتجاه، ويحذر من متاعبه، وما قد ينجم عنه من إشكالات وعثرات. فكتب رسالتين رعويتين فى الموضوع: (١)

الرسالة الأولى وجهها إلى الإكليريكيين، يشجب فيها هذه العادة التى اتبّعها بعض الكهنة الذين رسموا راهبات، وجعلوهن يقمن معهم فى بيوتهم بحجة أنهم يعيشون معهن كإخوة وأخوات من أجل العبادة والخدمة (٢).

والرسالة الثانية (٣) يؤكد فيها ويلح على عدم جواز إقامة رجال مع راهبات فى مسكن واحد وتحت سقف واحد. ومع أنه يقر بأنه لم تحدث أخطاء جسيمة بالفعل، لكنه ينبه إلى خطر هذا الاتجاه، وما يثيره من شكوك، وما يسببه من عثرات.

وفى الرسالتين الرعويتين يستخدم القديس يوحنا ذهبى الفم لهجة شديدة ونغمة صارمة فى وجوب منع هذه العادة التى أخذت فى الانتشار فى زمانه.

ومهما يكن من أمر، فان الزواج البتولى مع وجوده وإمكانيته، وحدوث أمثلة عليه فى التاريخ القديم، لكنه لم يعد له تبرير، فى زماننا تقتضيه الضرورة التى تقتضيه فى أزمنة سالفة.

---

(١) انظر PATROLOGY. by JOHANNES QUASTEN, VoI 111, P. 464.

(٢) انظر MG 47, 495- 514

(٣) انظر MG 47, 513- 532

الغاية الثانية: الإنسال وولادة الأولاد

ومع أن الإنسال هو الغاية الأولى من الزواج فى عالم الحيوان والنبات، لكنه بالنسبة للإنسان يجىء فى الترتيب التاريخى والمعنوى تالياً للغاية الأولى وهى التعاون والتكامل. نقول إن الإنسال هو الغاية الثانية من الزواج عند الإنسان، ذلك لأنه لم **يظهر موضوع الإنسال فى عالم الإنسان إلا بعد أن دخل الموت إلى العالم. ولم يدخل الموت إلى العالم إلا بعد أن أكل الإنسان من الثمرة المنهىّ عنها عقاباً له على مخالفته للوصية الإلهية** ،وأوصى الرب الإله آدم قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، فإنك يوم تأكل منها تموت موتاً، (التكوين ٢: ١٦، ١٧). فلما أكل الإنسان صدر الحكم الإلهى عليه بالموت، وأن يعود إلى الأرض التى أخذ منها ،لأنك تراب وإلى التراب تعود، (التكوين ٣: ١٩) ثم أخرجه الرب الإله من جنة عدن، ،فطرد الإنسان... وأقام شرقىّ جنة عدن، الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة، (التكوين ٣: ٢٣، ٢٤)، وذلك ليمنعه من أن يمد يده فيأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد (التكوين ٣: ٢٢) لأنه لم يعد مستحقاً للحياة الأبدية بعد أن عصى الوصية الإلهية فصار مستحقاً للموت.

فلما دخل الموت إلى العالم (سفر الحكمة ٢: ٢٤) كانت الشهوة الجنسية قد تولدت فى حواء وآدم، وانفتحت أعينهما على عريهما حتى سترا عورتيهما بورق التين (التكوين ٣: ٧)، وأضاف الرب على ذلك بأن ،صنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وكساهما، (التكوين ٣: ٢١).

ونتيجة لذلك **عرف آدم وحواء الوصال الجنسى بينهما بعد خروجهما من الجنة**، وكان هو طريقهما إلى الإنسال ،وعرف آدم حواء امرأته فحملت وولدت قايين، فقالت قد رزقت رجلاً من عند الرب، (التكوين ٤: ١) ،ثم عادت فولدت أخاه هابيل، (التكوين ٤: ٢). ومعنى قول حواء ،قد رزقت رجلاً من عند الرب، **أن الرب قد أباح لآدم وحواء الوصال الجنسى ليكون واسطة للإنسال بعد أن دخل الموت إلى العالم وصار الإنسان مهدداً بالفناء**. وهذا يتفق مع ما صارت تسمّى به الغريزة الجنسية إلى اليوم من أنها ،**غريزة حفظ النوع**،. **وإذن فالوصال الجنسى جاء فى تاريخ الإنسان بعد أن دخل الموت إلى العالم بالخطيئة**. ولعل هذا يفسر مقولة النبى داود فى المزمور ،هاأنذا بالآثام حبل بى،

وبالخطايا اشتهتنى أمى» (مزمور ٥٠: ٥)، بل إنه معنى قول المسيح له المجد «إن أبناء هذا الدهر يتزوجون ويتزوّجن. أما الذين استحقوا أن ينعموا بالدهر الآتى وبالقيامة من بين الأموات، فلا الرجال يتزوجون ولا النساء يتزوجن، ذلك أنهم **لا يمكن أن يموتوا ثانية**» (لوقا ٢٠: ٣٦). أى أنهم فى الحياة الأخرى **لا يتزوجون ولا يتزوجن لأنه ليس هناك موت**. وإذن فالوصال الجسدانى هو للحياة الحاضرة فقط حيث الموت يهدد بقاء النوع الإنسانى. ويقول القديس إيرونيموس «البتولية هى الوضع الطبيعى، **والزواج (الجسدانى) لم يأت إلا بعد السقوط**»(١).

وإذن، فقد صار الوصال الجسدانى بين الرجل وزوجته مباحاً بعد أن دخل الموت إلى العالم، من أجل بقاء النوع الإنسانى، وقال الله «اثمروا واكثروا واملأوا الأرض» (التكوين ١: ٢٨). ولابد أن هذا التصريح الإلهى قد جاء متأخراً بعد أن دخل الموت إلى العالم وصارت البشرية فى حاجة إلى النمو والتكاثر لحفظ النوع الإنسانى الذى صار يتهدده الموت، خصوصاً وأنه قد جاء بصيغة الجمع «اثمروا واكثروا واملأوا الأرض»، لأنه لو كان هذا التصريح الإلهى موجهاً إلى آدم وحواء بعد أن خلقهما الله مباشرة لورد فى صيغة المثنى «انميا واكثرا واملأا الأرض...

ويقول القديس إيرونيموس (٣٤٢- ٤٢٠): «**إن الأمر بالإثمار والإكثار لم يتم تحقيقه إلا بعد الطرد من الفردوس، بعد العرى وبعد ورق التين الذى يعبّر عن الشهوة الجنسية**» (٢) وقد ورد هذا التصريح الإلهى مرة أخرى لنوح وبنيه بعد الطوفان. قال الكتاب المقدس «وبارك الله نوحا وبنيه، وقال لهم: انموا واكثروا واملأوا الأرض» (التكوين ٩: ١). ثم «وأنتم، فانموا واكثروا وتوالدوا فى الأرض، واكثروا فيها» (التكوين ٩: ٧). وجاء فى سفر المزامير قوله: «إن البنين ميراث من الرب، وثمرة البطن ثواب منه. أبناء الشبيبة كسهام بيد جبار. طوبى للرجل الذى يملأ جعبته منهم» (مزمور ١٢٦: ٣- ٥)، وقوله «وتكون زوجتك مثل

---

(١) الرسالة ٢٢ إلى يوستوخيوم EUSTOCHIUM: ١٩

A SELECT LIBRARY OF THE NICENE AND POST - NICENE FATHERS OF THE CHRISTIAN CHURCH, Second Series, MICHIGAN, 1954 Vol. VI, P. 29 (b).

JEROME, AGAINST JOVINIANUS, BOOK 1, 29.

THE NICENE AND POST - NICENE FATHERS, SECOND SERIES, Vol. VI., P. 368, a, b.

(٢) انظر رسالة إيرونيموس رقم ٢٢ إلى يوستوخيوم EUSTOCHIUM : ١٩.

THE NICENE AND POST - NICENE FATHERS, SECOND Series, Vol. VI, P. 29 (a).

كرمة مثمرة فى أرجاء بيتك. وبنوك مثل غراس الزيتون حول مائدتك. هكذا تحل البركة على الرجل الذى يتقى الرب... ليباركك الرب... وترى بنى أبنائك» (مزمور ١٢٧: ٣- ٦) (١).

وجاء فى سفر طوبيا قول الملاك رافائيل لطوبيا عن زوجته سارة «استمع فأخبرك من هم الذين يستطيع الشيطان أن يقوى عليهم: إن الذين يتزوجون فينفون الله من قلوبهم ويتفرغون لشهوتهم كالفرس والبغل اللذين لا فهم لهما، أولئك للشيطان عليهم سلطان. فأنت إذا تزوجتها (سارة) ودخلت المخدع فامسك عنها ثلاثة أيام، ولا تتفرغ معها إلا للصلوات و... وبعد انقضاء الليلة الثالثة تتخذ البكر بخوف الرب، **وأنت راغب فى البنين أكثر من الشهوة**، لكى تنال بركة ذرية إبراهيم فى بنيك» (طوبيا ٦: ١٦- ٢٢).

انظر أيضاً (التكوين ٣٣: ٥)، (٤٨: ٩)، (التثنية ٧: ١٣)، (٨: ٤)، (مزمور ١١٢: ٩)، (١٤٣: ١٢).

* * *

وجاء فى **صلوات سرّ الزيجة**:

«فإنك أنت إلهنا الذى جبل الإنسان من الأرض، وأعطيته معينة نظيره، صنعتها منه لتكون له زوجة وشريكة ومساعدة، **ولتلد بنين وبنات، ولنمّو جنس البشر**... (٢).

«فإنك أنت منذ البدء خلقت ذكراً وأنثى، وجعلت المرأة مرتبطة بالرجل، وعوناً له، **وخِلافَة لجنس البشر**... (٣).

«أيها الرب إلهنا خالق كل الطبائع، الذى جبل الإنسان من الأرض، ووفقت له معينة، من الضلع التى أخذتها منه، وألّفتَ بينهما بشركة الزيجة فى الحياة، **وللنمو الدائم فى جنس البشر**، وقلت لهما: «**اثمروا واكثروا واملأوا الأرض، وتسلطوا**»... بارك اقتران عبديك... **وليكثرا** كما باركت آباءنا الأولين... **أكثرهما** كما أكثرت يعقوب وزرعه... **أكثرهما** كما أكثرت ألقانه وحنة اللذين باركتهما، **وأنعمتَ عليهما بصموئيل النبى الأمين**. اجعلهما أهلاً لبشارة رئيس الملائكة الطاهر، كمثل زكريا وأليصابات **اللذين أنعمت عليهما بولادة العظيم فى مواليد النساء، يوحنا...**» (١)

---

(١) هذا المزمور يتلى فى قداس الإكليل قبل فصل الإنجيل.

(٢) الصلاة الثانية للإملاك (الإملاك هو عقد الزواج. ويقال فى اللغة: أملكه الشىء جعله ملكاً له - أملكه المرأة زوجه إياها).

(٣) الصلاة الثالثة للإملاك.

«هب لهما فرحاً وسروراً، ليظهرا لك يا الله الحى، **ثمرة الحياة من البطن...**». (٢).

«اطرح مخافتك فى قلبهما. دبّر حياتهما... **واجعلهما يفرحان بنظر البنين والبنات. والذين سيلدانهم ايتِ بهم نافعين فى كنيستك الواحدة الوحيدة المقدسة** الجامعة الرسولية، ثابتين فى الإيمان الأرثوذكسى...» (٣).

ويرد فى الوصية التى تقرأ على العروسين فى نهاية الإكليل قوله:

«... **وقد أحلّ الله الزيجة الروحانية** فى العهدين، وأكدّ ذلك بما شهد به الإنجيل الطاهر، إذ قال: «يترك الرجل أباه وأمه ويرتبط بزوجته فيصير الاثنان جسداً واحداً». وقال أيضاً فى الإنجيل المقدس: «فما جمعه الله ينبغى أن لا يفرقه الإنسان (= لا يفرقنّه الإنسان)». وقال داود النبى فى المزمور «طوبى للرجل الذى يتقى الرب... وتكون **زوجتك مثل كرمة مثمرة فى أرجاء بيتك. وبنوك مثل غراس زيتون حول مائدتك**... هكذا تَحِلّ البركة على من يتقىّ الرب... وترى الخيرات طوال أيام حياتك. **وترى بنى أبنائك**».

«والآن، وقد حضرتما فى هذه الساعة المباركة قدّام هيكل رب الجنود، وأمام مذبحه المقدس فى هذا المحفل الأرثوذكسى، وجمعتكما هذه الزيجة المباركة والإكليل الشريف. فعلى هذا الرسم، وهذه السنّة، هكذا اتخذ سائر الآباء المؤمنين، إمرأة (زوجة) واحدة، بطهر ونقاوة، **لطلب الذرّية وإيجاد الخلف...**».

وكل ذلك لبيان **الغاية الثانية من الزيجة، وهى الإنسال والذرية وإيجاد الخلف، وولادة الأولاد...**

* * *

يقول الفيلسوف المسيحى أثيناغوراس فى كتابه «الدفاع عن المسيحيين» الذى كتبه نحو سنة ١٧٧م: شارحاً طهارة المسيحيين فى نظرتهم إلى الزواج وأنه لغاية الإنسال:

«لهذا - ونحن نترجى الحياة الأبدية - نزدرى شئون هذه الحياة الحاضرة، بل ومسرات النفس البشرية. فكل منّا - نحن المسيحيين - ينظر إلى زوجته التى ارتبط بها ارتباطاً شرعياً، وغايته من الزواج هى إنجاب الأطفال فقط. وكما أن الفلاح يلقى البذار فى الأرض وينتظر الحصاد،

(١) من الصلاة الثانية للتزويج بالإكليل.
(٢) من الصلاة الثالثة للتزويج بالإكليل.
(٣) من (الصلاة على الأكاليل).

فلا يبذر من جديد، هكذا نحن المسيحيين **نضبط شهوتنا فلا نسمح لها إلا من أجل إنجاب الأولاد**، (١).

ويقول القديس أكليمنضس الأسكندرى (١٥٠– ٢٢٠م) «الزيجة هى أول رابطة بين الرجل وزوجته **لإنجاب أطفال شرعيين**». (٢).

ويقول القديس كيرلس رئيس أساقفة أورشليم (٣١٥– ٣٨٦م): «فليطب نفساً أولئك المتزوجون الذين يمارسون الزواج كما ينبغى، أعنى الذين يتزوجون وفقاً للشريعة... الذين يدخلون الحياة الزوجية، **من أجل إنجاب الأطفال**، لا من أجل الانغماس فى المتعة الحسية وإطلاق العنان للشهوة». (٣)

ويقول القديس أوغسطينوس (٣٥٤– ٤٣٠م) رداً على بدعة جوفنيان JOVINIAN «إن رابطة الزيجة... ربطت **بغاية إنجاب الأطفال**». (٤).

ويضيف فى موضع آخر قوله: إنه لا يحل للمرأة أن تتزوج رجلاً آخر غير زوجها، ولو كان ذلك من أجل **إنجاب الأطفال**، مع أن هذا هو **السبب الوحيد للزواج**». (٥).

ويقول القديس أوغسطينوس أيضاً «ليس فى الزواج خطيئة، فإنه ليس مؤسساً من الله فقط، وإنما هو بركة ونعمة أيضاً، فإن الزوجين قد ارتبطا بالزيجة معاً، شرعاً وقانوناً، **من أجل إنجاب الأطفال**». (٦).

---

(١) الدفاع عن المسيحيين، فصل ٣٣.

THE ANTE - NICENE FATHERS, 1951, Vol. 11, P. 147 (p).

(٢) فى كتابه «المتنوعات» (الجزء الثانى: ٢٣)، الجزء السابع فصل ١٢، فقرة ٧٠: ٤).

CLÉMENT D'ALEXANDRIE, LES STROMATES, STROMATE II, CH. 23, 1 (SOURCES CHRÉTIENNES No. 38,) paris, 1954, P. 138. JEAN ` PAUL BROUDÉHOUX, MARIAGE ET FAMILLE CHEZ CLÉMENT D'ALEXANDRIE, THÉOLOGIE, HISTORIQUE II, paris, 1970, P. 9. CLEMENT OF ALEXANDRIA, MISCELLANIES, BOOK VII, C.XII, 70, (The GREED TEXT with Translation), London, 1902, P. 123.

(٣) كتاب «التعليم المسيحى» محاضرة ٤: ٢٥، ٢٦. W.A. JURGENS Vol. 3. P. 351.

(٤) كتاب «ميزة الزيجة» ٧: ٣ – انظر أيضاً «ميزة الزيجة» (٣: ٣). W.A. JURGENS Vol. 3. P. 70.

(٥) ميزة الزيجة ٢٤: ٣٢ DE bono Coniugali

W.A. JURGENS Vol. 3. P. 70, 71.

(٦) كتاب «الزواج والشهوة الجنسية» De nuptiis et concupiscentiae الكتاب ٢: ٢٦، ٤٣ – انظر أيضاً نفس المرجع كتاب ١: ١٠، ١١، (كتاب ١: ١٧، ١٩).

W.A. JURGENS Vol. 3. P. 137, 135.

الغاية الثالثة: الحصانة من الزنى والنجاسة

ولقد أوضح الكتاب المقدس هذه الغاية الثالثة على لسان القديس بولس الرسول فى قوله: «خير للرجل أن لا يمس امرأة. **ولكن خوفاً من الزنى، فليكن لكل رجل امرأته ولكل امرأة زوجها**. وعلى الزوج أن يوفى امرأته حقها، كما على المرأة أن توفى زوجها حقه. لا سلطة للزوجة على جسدها فإنما هو لزوجها، وكذلك الزوج لا سلطة له على جسده فإنما هو لزوجته. لا يمتنع أحدكما عن الآخر إلا على اتفاق بينكما وإلى حين، حتى تتفرغا للصوم والصلاة ثم عودا واجتمعا مخافة أن يجرّبكما الشيطان لعدم ضبط نفسيكما» (١ . كورنثوس ٧: ١ – ٥) ثم يقول أيضاً «وأقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه يحسن بهم أن يبقوا على هذه الحال، مثلى. **فإذا لم يطيقوا ضبط أنفسهم فليتزوجوا، فإن التزوج أفضل من التحرق**» (١ . كورنثوس ٧: ٨، ٩) ويقول «فإنى أرى أنه من الخير، نظراً إلى ما فى الوقت الحاضر من ضيق، أن يبقى الإنسان على حاله... هل أنت غير مرتبط بزوجة؟ إذن لا تطلب زوجة. لكنك إن تزوجت فأنت لم تخطىء، وإذا تزوجت العذراء فلا تخطىء. ولكن سيكون لمثل هؤلاء مشقة فى الجسد. وأما أنا فإنى أشفق عليكم» (١ . كورنثوس ٧: ٢٦ – ٢٨).

ويتحدث الرسول بولس إلى تلميذه الأسقف تيموثيوس عن الأرامل الشابات اللاتى يتعرضن لفساد السيرة بسبب انسياقهن وراء الشهوات وينصح لهن بالزواج فإنه صيانة لعفافهن «أما الأرامل الشابات فارفضهن، لأنهن متى بطرن على المسيح يردن أن يتزوجن ولهن دينونة... ومع ذلك أيضاً يتعلمن أن يكنّ بطالات يطفن فى البيوت، ولسن بطالات فقط بل مهذارات أيضاً وفضوليات يتكلمن بما لا يجب. فأريد أن تتزوج الأرامل الشابات ويلدن الأولاد، ويدبرن البيوت، ولا يعطين علة للمقاوم من أجل الشتم، فإن بعضهم قد انحرفن وراء الشيطان» (١ . تيموثيوس ٥: ١١ – ١٥).

* * *

وقد جاء فى أعمال مجمع نيقية وهو المجمع المسكونى الأول المنعقد سنة ٣٢٥م والذى وضع قانون الإيمان، أن الأنبا بفنوتيوس أسقف طيبة العليا فى صعيد مصر أعلن فى المجمع بصوت جهْورِىّ: «فإن الزواج مكرّم ومضجعه بلا دنس. **فلا يجوز إنزال الأذى بالكنيسة باتباع**

خطة الصرامة القصوى (فرض البتولية على الجميع) إذ لا يستطيع كل الأشخاص أن يعيشوا فى الإمساك التام. وهكذا (أرى بعدم تحريم المضاجعة الزوجية) تحفظ فضيلة الزوجة بصورة أضمن سلامة، لأنه إذا وضعت الشريعة الصارمة وامتنع زوجها لذلك عن مضاجعتها فقد تندفع فى طريق الإثم خارج حرم الزوجية. إن مضاجعة الرجل لامرأته الشرعية طاهرة. ولذلك فحسبنا مراعاة التقليد القديم فى الكنيسة، (١).

* * *

ويقول العلامة أوريجانس (١٨٥– ٢٥٣م) «**إن الرجل الذى يمنع نفسه عن زوجته كثيراً ما يكون سبباً فى أن يجعلها تزنى إذا لم يشبع رغباتها**، حتى لو كان يمنع نفسه عنها متظاهراً بالوقار ومقدرته على ضبط نفسه، بل ربما يكون هذا الرجل بعمله هذا، يجعل زوجته تزنى **بسبب عدم إشباع رغباتها. وبذلك يرتكب جرماً أكبر** ممن يطلّق زوجته لأسباب أخرى غير الزنى، كالسمّ أو القتل أو أى من الخطايا العظيمة جداً، (٢).

ويقول القديس امبروسيوس (٣٣٩– ٣٩٧م): فى خطاب مجمعى مصدّر منه ومن سابينوسSABINUS وباسيان BASSIAN وآخرين إلى البابا الرومانى سيريكيوس SIRICIUS نحو سنة ٣٨٩: «**الزواج علاج للضعف البشرى، (٤٢ : ٣) (٣)**.

ويقول القديس أوغسطينوس (٣٥٤– ٤٣٠م) فى مزايا الزواج وفوائده «لقد ثبّت الرب أن الزواج طاهر... ليس فقط بمنع الطلاق إلا لعلة الزنى، بل أيضاً بحضوره الزواج (فى قانا الجليل) عندما دُعى إليه ضيفاً. ويجدر بنا أن نبحث لماذا كان الزواج طاهراً... إنه كذلك ليس فقط لإنجاب الأطفال ولكن **لأنه رفقة طبيعية بين الجنسين... إن للزواج هذه الميزة... فالرغبة الجنسية الجسدية أو الشبابية حتى ولو كانت نجسة لكنها تتحول إلى مهمة جليلة بإنجاب الذرّية. ولذلك فإن المعاشرة الزواجية تخرج من الشهوة الشريرة شيئاً صالحاً...** » (٤).

---

(١) مجموعة الشرع الكنسى صفحة ١٠٩.

(٢) تفسير (إنجيل) متى، الكتاب الأول ١٤: ٢٤. W.A. JURGENS, Vol. 1, P. 211, 212

(٣) انظر W.A. JURGENS, THE FAITH OF THE EARLY FATHERS, Vol. 2, P. 148

(٤) ميزة الزواج De bono coniugali (٣:٣) W.A. JURGENS, Vol. 3, P. 70

ويقول القديس أوغسطينوس أيضاً فى نفس الكتاب «ميزة الزيجة» إن الزيجة «ليست فقط من أجل إنجاب الأطفال، وإنما أيضاً **بسبب الضعف (البشرى) وعدم ضبط النفس**» (١). ويضيف قائلاً: إن المعاشرة الجنسية بين الزوجين من أجل إنجاب الأطفال ليس فيها خطيئة. أما التى من أجل إشباع الشهوة - وإن كانت بين الزوج وزوجته وبأمانة لفراش الزوجية ففيها خطيئة عرضية « Venialem habet culpam». أما الزنى والنجاسة فهى خطيئة مميتة» (٢).

ويؤكد القديس أوغسطينوس على نفس المعنى بوضوح إذ يقول «ومن الجدير أن نتساءل لماذا كان الزواج طاهراً؟ ويبدو لى أن الزيجة طاهرة ليس فقط **من أجل إنجاب الأطفال، ولكن أيضاً من أجل الصحبة الطبيعية بين الجنسين، الرجل وزوجته**» (٣).

ويقول أوغسطينوس كذلك: «ميزة الزيجة هى أنها من أجل إنجاب الذرية، **وحفظ العفة**» (٤).

ويقول فى موضع آخر فى نفس الكتاب: «ليست الزيجة هى فقط من أجل إنجاب الأطفال وإنما من أجل التعاون الاجتماعى (بين الزوجين)... بل **إن الشهوة الجنسية بين الزوجين يلطف من حدتها** (حدة إشباعها - وهو الضعف البشرى وعدم ضبط النفس) مشاعر الأبّوة والأمومة (٥).

---

(١) كتاب «ميزة الزيجة» De bono coniugali : ٦ ثم
St. Augustine Sermons for Christmas and Epiphany, Vol. XV, London, 1952. Sermon 1, 24 P. 54, 55.

(٢) نفس المرجع ٦
St. Augustine Sermons for Chistmas and Epiphany, Ancient Chrisitian Writers, Vol. XV, London, 1952, P. 196, 195 Sermon I. 22. P. 50, 51.
St. Augustine Faith, Hope and Charity - Ancient Chrisitian Writers, Washington, 1947, No. 3. Ch. 78, P. 77, 78, P. 135.
Roy W. BATTENHOUSE, A Companion to the Study of St. Augustine, Michigan, 1979, P. 65.,. 221, 222, 223, 382- 386.

(٣) ميزة الزيجة De bono coniugali فصل ٣: ٣. W.A. JURGENS, Vol. 3, P. 70

(٤) ميزة الزيجة De bono coniugali ٣٢، ٢٤ W.A. JURGENS, Vol. 3, P. 70, 71

«الزواج والشهوة الجنسية» الكتاب (١: ١٠، ١١)، (١: ١٧، ١٩). W.A. JURGENS, Vol. 3, P.135
DE nuptiis et concupiscentiae

(٥) ميزة الزيجة De bono coniugali ٧: ٣.

أما القديس قيصر CAESAR أسقف أرليس ARLES (٤٧٠- ٥٤٢م) فيذكر أن «من بين الخطايا العرضية أن يعرف الرجل زوجته، **ليس بغاية إنجاب الأطفال**، (١) أى أن يمارس المعاشرة الجنسية **إشباعاً للشهوة الجنسية** وذلك تمييزاً لها عن الخطايا الأخرى الثقيلة».

(١) عظة ١٧٩ (١٠٤): ٢ انظر
W.A. JURGENS, THE FATHERS OF THE EARLY FATHERS, Vol. 3, P. 283.

خصائص الزيجة المسيحية

للزيجة المسيحية خاصيتان أساسيتان:

١- وحدانية الزيجة المسيحية (الزواج بقرين واحد)

أولى خصائص الزيجة المسيحية، وحدة الزيجة بمعنى أن الأسرة المسيحية قوامها: **رجل واحد لامرأة واحدة، وامرأة واحدة لرجل واحد، فلا تبيح المسيحية تعدد الزوجات للرجل، ولا تعدد الأزواج للمرأة.** وبعبارة أخرى **لا تجيز المسيحية للرجل أن يقترن بأكثر من امرأة، كما لا تجيز للمرأة أن تقترن بأكثر من رجل.** فإذا مات الرجل جاز لامرأته من بعده أن تتزوج رجلاً آخر، كذلك إذا ماتت المرأة جاز لرجلها أن يتزوج بعد حياتها بامرأة أخرى. **إنما لا يجمع الرجل بين أكثر من امرأة، ولا تجمع المرأة بين أكثر من رجل.**

وهذا هو الوضع الأصيل الذى خلق الله على أساسه **الأسرة الأولى:**

فقد خلق الله آدم ثم خلق له حواء معينة له، «وأتى الله بها آدم» (التكوين ٢ : ٢٢) وجعلها له زوجة (١). فلم يخلق لآدم غير حواء واحدة. ولو شاء لفعل، خصوصاً وكان ثمة ما يبرر أن تكون لآدم أكثر من امرأة حتى يتكاثر النسل وينمو الجنس البشرى.

وقال الله فى سفر التكوين «لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويرتبط **بزوجته** فيصير الاثنان جسداً واحداً» (التكوين ٢ : ٢٤).

وقد صادق المسيح له المجد على وحدة الزيجة فى العهد الجديد شارحاً أنه الوضع الأصيل الذى بنى الله عليه منذ البدء الأسرة الأولى. قال له المجد: «أما قرأتم (٢) أن الذى خلقهما فى البدء جعلهما ذكراً وأنثى؟ وقال: لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويرتبط **بزوجته** فيصير الاثنان جسداً واحداً، فلا يكونان بعد اثنين إذن وإنما جسداً واحداً، ومن ثم فما جمعه الله لا ينبغى أن يفرقه الإنسان» (متى ١٩ : ٤- ٦)، (مرقس ١٠ : ٦- ٩)، (أفسس ٥ : ٣١). ويلاحظ فى كل هذه

---

(١) انظر الصلاة الثالثة التى تتلى فى عقد الإملاك للزواج - والصلاة الثالثة فى قداس الإكليل.

(٢) يتلى هذا الفصل فى قداس الإكليل.

النصوص أن الزوجة يرد ذكرها بالمفرد لا بالجمع «**زوجته**» مما يؤكد مبدأ **وحدة الزيجة** «**رجل واحد لامرأة واحدة**». وفى كل مرة يتحدث المسيح له المجد عن الأسرة يورد اسم الرجل وزوجته **بالمفرد** فيقول: «إن كل من طلّق **زوجته** إلا لعلّة الزنى فقد جعلها تزنى» (متى ٥: ٣٢)، «كل من طلق **زوجته** وتزوج أخرى فقد زنى» (لوقا ١٦: ١٨) «وكل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو **زوجة** أو أبناء أو حقولاً من أجل اسمى، فسيأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية» (متى ١٩: ٢٩)، (لوقا ١٨: ٢٩، ٣٠)، (مرقس ١٠: ٢٩، ٣٠) حيث يذكر له المجد **الأب والأم والزوجة** بالمفرد، أما الإخوة والأخوات والبيوت والحقول بصيغة الجمع، مما يؤكد **أن الوضع الطبيعى والأصيل أن تكون للرجل زوجة واحدة كما يكون له أب واحد وأم واحدة.**

كذلك جاء فى رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى كورنثوس قوله:

«**فليكن لكل رجل امرأته ولكل امرأة زوجها**» (١ . كورنثوس ٧: ٢)، وقوله «لا تفارق المرأة **زوجها**... وعلى الزوج أن لا يطلّق **امرأته**» (١ . كورنثوس ٧: ١١)، وقوله «والمتزوج يهتم بأمور العالم، وكيف يرضى **امرأته**... وأما المتزوجة فتهتم بأمور العالم وكيف ترضى **زوجها**» (١ . كورنثوس ٧: ٣٣، ٣٤)، وقوله «إن المرأة تظل مقيّده شرعاً **بزوجها** مادام حياً، فإن رقد **رجلها** عادت حرّة تتزوج من تشاء، ولكن زواجاً فى الرب فقط» (١ .كورنثوس٧:٣٩).

وجاء فى الرسالة إلى رومية على يد القديس بولس الرسول: «**فإن المرأة المتزوجة تربطها الشريعة بزوجها مادام حيّاً، فإذا مات زوجها حلّت من شريعة الزوج. وإن صارت إلى رجل آخر وزوجها حَى، فإنها تدعى زانية. ولكن إذا مات زوجها تحررت من الشريعة، فلا تكون زانية إن صارت إلى رجل آخر**» (رومية ٧:٢، ٣).

وجاء فى الرسالة إلى أهل أفسس على يد القديس بولس (١) أيضاً، قوله: «**لأن الرجل رأس المرأة** كما أن المسيح رأس الكنيسة، وهو مخلّص الجسد» وقوله «فليحب كلّ واحد منكم **امرأته** مثلما يحب نفسه، ولتوقر المرأة **زوجها**» (أفسس ٥: ٢٣، ٣٣).

انظر أيضاً (١ . كورنثوس ١١: ١١)، (أفسس ٥: ٢٨).

---

(١) يتلى هذا الفصل من (البولس) فى قداس الإكليل.

وجاء فى ختام الوصية التى يتلوها الكاهن فى ختام قداس الإكليل:

«والآن وقد حضرتما فى هذه الساعة المباركة قدام هيكل رب الجنود، وأمام مذبحه المقدس... وجمعتكما هذه الزيجة المباركة والإكليل الشريف. فعلى هذا الرسم وهذه السُنّة هكذا اتخذ سائر الآباء المؤمنين **امرأة واحدة** بطهر ونقاوة، لطلب الذّرية وإيجاد الخلف... فيجب عليكما أن يعرف كل منكما حق الآخر، ويخضع كل منكما لشريك حياته...».

جاء فى قوانين مجمع أنقرا (انقيرة) ANCYRA قاعدة غلاطية المنعقد سنة ٣١٤م.

«أفترى **من جمع بين امرأتين** تقبل له توبة إلا بعد ترك الثانية» (قانون ١٨) (١).

وجاء فى قوانين المجمع الإكليريكى العام المقدس فى عهد البابا كيرلس الثالث:

«ولا يتزوج مؤمن بغير مؤمنة... **ولا يجمع (المؤمن أو المسيحى)، بين زوجتين أو أكثر...** (٢).

وجاء فى كتاب «المجموع الصفوى» للصفىّ ابن العسال قوله:

«**وأما الجمع بين زوجتين أو أكثر فلا يجوز** لأنه زنا ظاهر مستمر» (٣).

وجاء فى قوانين القديس باسيليوس الكبير (نحو ٣٣٠- ٣٧٩م)، المتضمنة فى رسالته الثالثة إلى امفيلوخيوس AMPHILOCHIUS :

«لم يقل الآباء شيئاً عن تعدد الزوجات لاعتبارهم أن هذا من طبائع الوحوش، ولا يليق بالبشر. ونحن نرى أن **تعدد الزوجات خطيئة أفظع من الزنى**. فليفرض إذن العقاب القانونى على من يقع فيها...» (القانون رقم ٨٠) (٤).

ويقول الفيلسوف المسيحى أثيناغوراس فى كتاب الدفاع نحو سنة ١٧٦م: «**أن الله، فى البدء، خلق رجلاً واحداً وإمرأة واحدة**» (٥).

---

(١) انظر كتاب «المجموع الصفوى» لابن العسّال، طبعة جرجس فليوثاؤس عوض، الباب العاشر، الفصل التاسع، فقرة ٧٢ صفحة ١٠٠.

(٢) انظر كتاب «المجموع الصفوى» لابن العسّال، طبعة جرجس فليوثاؤس عوض، صفحة ٤٤١.

(٣) الجزء الثانى - الباب ٢٤، الفصل الأول رقم ١٣ طبعة جرجس فيلوثاؤس صفحة ٢٢٣.

(٤) مجموعة الشرع الكنسى... صفحة ٨٩٧، ٧٩٨

THE RUDDER, P. 836;

THE NICENE AND POST - NICENE FATHERS, SECOND SERIES, Vol. XIV, P. 609.

(٥) الدفاع عن المسيحيين، فصل ٣٣.

THE ANTE - NICENE FATHERS, 1951 Vol. II, P. 147 (a).

ويقول العلامة ترتليانوس (حوالى ١٦٠ - نحو ٢٢٠م) عن الزواج فى تدبير الله الأصيل «إن النشأة الأولى للجنس البشرى تمدّنا بالدليل على شريعة **وحدانية الزيجة (الزواج بقرين واحد)** حيث أنها تقدم لنا بيّنة كافية على ما رسمه الله منذ البدء نموذجاً لتحتذيه الأجيال المقبلة. فإنه بعد أن خلق الله الرجل ورأى أنه لابدّ أن يكون له معين نظيره، إستلّ واحدة من أضلاعه وصنع منها **امرأة واحدة**، على الرغم من أنه من الواضح أنه لم تكن تعوزه المادة لصنع نساء أخريات. ولم يكن الصانع ذاته عاجزاً عن صنع أكثر من امرأة. فقد كان لآدم أضلاع كثيرة كما أن يدى الله لم تكونا كليلتين، إلا أن الله مع ذلك **لم يخلق لآدم أكثر من زوجة واحدة**. وعلى ذلك فإن الرجل الذى خلقه الله، وأعنى به آدم، والمرأة التى خلقها الله، وهى حواء، قد عاشا معاً فى **وحدانية الزيجة**، وبذلك ثبتّا **وحدانية الزيجة شريعة للجنس البشرى لا تنتهك، شريعة مؤسسة على أمر الله** وحكمه الأصيل السابق الذى رسمه منذ البدء.

«ثم إنه يقول «**فيصير الاثنان جسداً واحداً**» لا ثلاثة أو أربعة. ولو كانوا ثلاثة أو أربعة فلايصيرون حقاً جسداً واحداً أو اثنين فى جسد واحد. إنهما لا يكونان كذلك إلا إذا كان **اتّحادهما قد صار مرة واحدة فقط وإلى الأبد**.

«وعندما يفسر الرسول النص القائل «فيصير **الاثنان** جسداً **واحداً**»، بالنسبة إلى المسيح والكنيسة فهو يعبر عن الإرتباط الزيجى الروحى بين المسيح والكنيسة، وفيه **المسيح واحد والكنيسة واحدة**. ولذلك ينبغى أن نرى فى هذا مرسوماً آخر لشريعة **وحدانية الزيجة (الزواج بقرين واحد)**، وقانوناً ثابتاً راسخاً لا يستقى فقط من النشأة الأولى للمجتمع البشرى، وإنما أيضاً من سرّ المسيح الخاص. ومن كلا المثالين نستخلص مبدأ الاتحاد المتضمن فى **وحدانية الزيجة**: نستخلص الاتحّاد الجسدانى من آدم، والروحانى من المسيح. **هناك إذن شريعة واحدة لوحدانية الزيجة** نستخلصهما من هاتين النشأتين. على كل حال **فإن الانحراف عن وحدانية الزيجة معناه الإنحلال والفساد**» (١).

---

(١) كتاب «الحض على العفة» فصل ٥

انظر- ANCIENT CHRISTIAN WRITERS Vol. XIII. TERTULLIAN, TREATISES ON Marriage and Remarriage.... AN EXHORTATION TO CHASTITY, Translated by W.P. LE SAINT, London, 1951, P. 51, 51.

ويقول القديس ثيوفيلوس الأنطاكى، (نحو سنة ١٨١م) فى كتابه «إلى أوتوليكوس AUTOLYCUS «إن المسيحيين... يلتزمون بالاعتدال، يمارسون ضبط النفس، **يراعون وحدانية الزيجة (الزواج بقرين واحد)**، ويحافظون على العفة...» (١).

ويقول القديس إيرونيموس (٣٤٢- ٤٢٠) «من خلق الإنسان الأول نتعلم أن نرفض تعدد الأزواج والزوجات، فإنه لم يكن غير آدم واحد، وحواء واحدة» (٢).

ويضيف إيرونيموس قائلاً «إن الأحاديّ الزواج، هم الذين كان يسمح لهم فى مصر القديمة أن يشاركوا فى الطقوس المقدسة المتصلة بعجل منفيس، العجل أبيس» (٣).

ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم (٣٤٧- ٤٠٧م) فى تفسيره لإنجيل متى «ما جمعه الله لا ينبغى أن يفرقه الإنسان»... انظر حكمة المعلم فقبل أن يعطى قراره... أبان أن قوله لا يتعارض مع قول موسى وإنما يتفق معه تماماً... والآن لقد وضّح المسيح سواء بأسلوب الخلق أو بنمط التشريع أن **رجلاً واحداً ينبغى أن يعاشر امرأة واحدة على الدوام، ولا يفترقان عن بعضهما أبداً** (٤).

* * *

ومما له دلالة هنا القصة الشهيرة (٥)، قصة الطبيب جورجيس بن جبرائيل بختيشوع الذى عالج الخليفة العباسى الثانى، المنصور (واسمه عبد الله بن محمد، أبو جعفر المنصور (٧٥٤-

(١) إلى أوتوليكوس، الكتاب الثالث، فصل ١٥.

THÉOPHILE D'ANTIOCHE, TROIS LIVRES A AUTOLYCUS, SOURCES CHRÉTIENNES, PARIS, 1948, No. 20, P. 145.

W. A. JURGENS, Vol. 1, P. 186.

(٢) القديس إيرونيموس، الرسالة رقم ١٢٣. إلى اجيروشيا AGERUCHIA فقرة ١٢.

THE NICENE AND POST - NICENE FATHERS, SECOND Series, Vol. VI, P. 234 (a).

(٣) نفس المرجع: فقرة ٨.

(٤) فى تفسيره على إنجيل متى، عظة ٦٢: ١.

W. A. JURGENS, THE FAITH OF THE EARLY FATHERS, Vol. 2, P. III, 112.

(٥) ذكرها الأرشيدياكون حبيب جرجس فى كتابه «أسرار الكنيسة السبعة» طبعة ١٩٣٤ صفحة ٢٠٤، نقلاً عن جمال الدين القفطى فى «تاريخ الحكماء» (صفحة ١٥٩) وابن أبى أصيبعة فى كتابه «طبقات الأطباء «الجزء الأول صحيفتى ١٢٤، ١٢٥، وأبى الفرج غريغوريوس الشهير بابن العبرى فى كتابه «تاريخ مختصر الدول» (صحيفة ٢١٤).

(٦) انظر قاموس (المنجد فى الأعلام - بيروت، الطبعة الحادية والعشرون، سنة ١٩٧٣ صفحات ١١، ١١٩، ٦٨٧.

٧٧٥م) (٦)، فقد سأله الخليفة: «من يخدمك ههنا؟ قال جورجيس: تلامذتي. قال المنصور: سمعت أنه ليس لك امرأة. قال جورجيس: لي زوجة كبيرة ضعيفة، لا تقدر على النهوض من موضعها، فلما انصرف جورجيس من الحضرة، أمر الخليفة المنصور خادمه سالماً أن يختار من الجواري الروميات الحسان، ثلاثا، ويحملهن إلى جورجيس مع ثلاثة آلاف دينار. ففعل ذلك. فلما عاد جورجيس إلى منزله عرّفه تلميذه عيسى بن تهلافا، بما جرى، وأراه الجواري، فأنكر جورجيس أمرهن، وقال لتلميذه عيسى يزجره: «يا تلميذ الشيطان، لِمَ أدخلْتَ هؤلاء إلى منزلي؟ أأردت أن تنجسني؟ امض وردهنّ إلى أصحابهن». ثم ركب جورجيس ومعه عيسى مع الجواري، ومضى إلى دار الخليفة، وردّهن على الخادم. فلما اتصل الخبر بالخليفة أبي جعفر المنصور أحضر جورجيس، وقال له: لِمَ رددت الجواري؟ قال جورجيس: لا يجوز أن يكون مثل هؤلاء في منزلي، **لأنا معشر النصارى لا نتزوج أكثر من امرأة واحدة. ومادامت المرأة حيّة لا نأخذ غيرها**. فحسن موقع هذا مع الخليفة أبي جعفر المنصور. وأمر في الوقت أن يعالج جورجيس حظايا الخليفة وحرمه، وزاد موضع جورجيس عند الخليفة. وهذا ثمرة العفة».

٢- عدم انحلال الزيجة

فالزيجة فى المسيحية **رابطة مقدسة إلهية، وهى سرّ مقدس** تهبط فيه من السماء، باستدعاء الكهنة، قوة إلهية، من مواهب الروح القدس، تحلّ على العروسين الماثلين أمام الهيكل المقدس والمذبح الطاهر فى بيت الله المقدس، وعلى يدى الكاهن كممثل للسلطة الإلهية، **فتربط بين الرجل والمرأة**، وتجعل من جسديهما **جسداً واحداً**، وبذلك يحل الواحد منهما للآخر بعد أن صار جسد قرينه، بحلول نعمة الروح القدس عليه، كجسده تماماً. وإذن فعطية الروح القدس التى تحل على العروسين لا تباركهما فقط بل أيضاً **تربط بينهما برباط إلهى**، وبذلك يكون **هو الله الذى يجمع بينهما فى رباط الزيجة المقدس**، ويجعلهما جسداً واحداً، فتصير لكل منهما سلطة على جسد الآخر كما له سلطة على جسده تماماً. وبعبارة أخرى تصير رابطة الزوجية موثقة بالرباط الإلهى. ومن هنا تصير الرابطة مثلثة: **الرجل والمرأة، وثالثهما هو الله الذى جمع بينهما.**

وإذا كان ذلك كذلك فقد صار الربط بين الرجل والمرأة، بسرّ الزيجة المقدس، رباطاً إلهياً أبدياً، **ومن ثمّ لا يقبل الانحلال أو الانفكاك**. وذلك أن سرّ الزيجة، وحلول نعمة الروح القدس على العروسين، يرفع الرابطة بين الرجل والمرأة ويسمو بها إلى **رابطة إلهية لا يحل لأحد من الناس فكها، لا بالإرادة المنفردة لأى من الزوج أو الزوجة ولا بإرادتهما المتفقة معاً**. لأن العقد المقدس فى سر الزيجة ليس نظير أى عقد أو إتفاق بشرى بين اثنين، كما هو الحال فى أى عقد تجارى بين اثنين، إذ قد دخل الله فيه **طرفاً ثالثاً، فلا يمكن فك هذا العقد من غير أن يستأذن فى ذلك الطرف الثالث، وهو الله، الذى جمع بين العروسين**. وفى هذا يبدو واضحاً الفرق بين الزواج المسيحى الذى يتم بفاعلية الروح القدس فى سرّ الزيجة وبين الزواج المدنى الذى يتم باتفاق الرجل والمرأة أمام السلطة المدنية.

وعلى ذلك **فلا طلاق فى المسيحية.**

هذا هو المبدأ العام، والقاعدة الأساسية: **أن المسيحية لا تبيح الطلاق بين الزوجين بعد أن يكون الله قد جمع بينهما.** فالرابطة بينهما مبدئياً، هى رابطة إلهية، ومن ثم فهى أبدية.

ولكى يجمع الله بين الرجل والمرأة فى الزيجة المسيحية لابد أن تتوافر أشراط: ومن بين هذه الأشراط أو الشروط:

أولاً - شرط القبول والرضا من كل من الرجل والمرأة. فليست موهبة من مواهب الروح القدس إلا ويشترط لحلولها مبدأ القبول ممن ينالها.

ومن بين هذه الشروط **أن يتم العقد بين رجل وامرأة.** فلا زيجة فى المسيحية لرجل ورجل، أو امرأة وامرأة. ولما كانت غاية الزواج الطبيعية هى الإنسال وإنجاب الأطفال، فلابدّ أن يكون الرجل رجلاً كامل الرجولة، والمرأة امرأة كاملة الأنوثة لتحقيق الإنسال والإنجاب.

ثم لكى يتم السرّ، **لابد أن يعقد على يد كاهن.** شأنه فى ذلك شأن جميع الأسرار الكنسية الأخرى التى لابد فيها من الكاهن كممثل للسلطة الإلهية.

فإذا لم يتوافر أحد هذه الشروط الواجب مراعاتها وتوفرها قبل مباشرة صلوات الإكليل صار العقد باطلاً، وجاز التطليق بالبطلان لعدم توافر أشراط الزواج اللازمة لحلول الروح القدس.

فإذا تم السرّ متوافراً لأشراط إتمامه **فلا يجوز فكه أو حله بعد ذلك إلا باستئذان السلطة الإلهية ممثلة فى الكهنوت المسيحى** الذى تحكمه الإرادة الإلهية التى لا تبيح التطليق بعد إتمام مراسم الزواج إلا **لسببين أساسيين:**

الأول هو موت أحد الزوجين، وما هو فى حكم الموت (مثل الخروج عن الدين المسيحى إلى دين آخر - الغيبة المنقطعة - الفرز من الكنيسة بحكم كنسى...).

الثانى - هو الزنى، وما هو فى حكم الزنى. ذلك لأن الزنى نجاسة ودنس، ومن تدنس بالزنى، فارقه روح الله، لأن الله القدوس اسمه (إشعياء ٥٧: ١٥) «لم يدعنا إلى النجاسة بل إلى القداسة» (١ . تسالونيكى ٤: ٧) «القداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب» (العبرانيين ١٢: ١٤).

ومن غير ذانكما السببين: الموت وما هو فى حكم الموت، الزنى وما هو فى حكم الزنى، لا يجوز فى المسيحية طلاق أو تطليق. فالرابطة بين الزوجين تصير بسرّ الزيجة، **رابطة أبدية لا تقبل الانحلال.**

جاء فى الإنجيل المقدس:

«وجاء إليه (= إلى المسيح له المجد) فريسيون أيضاً يجربونه قائلين له: أيحل للرجل أن

يُطلِّق زوجته لكل سبب؟ فأجاب وقال لهم: أما قرأتم أن الذى خلقهما فى البدء جعلهما ذكراً وأنثى؟ وقال: لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويرتبط بزوجته **فيصير الاثنان جسداً واحداً. فلا يكونان بعد اثنين إذن وإنما جسداً واحداً، ومن ثم فما جمعه الله لا ينبغى أن يفرقه الإنسان** (١). فقالوا له: لماذا إذن أوصى موسى بإعطائها وثيقة طلاق وإخلاء سبيلها؟ فقال لهم: إن موسى بسبب قسوة قلوبكم قد سمح لكم بتطليق زوجاتكم، أما فى البداية فلم يكن الأمر هكذا. وأنا أقول لكم **إن كل من طلق زوجته لغير علة الزنا وتزوج بأخرى فقد زنى. وكل من تزوج بمطلقة فقد زنى،** (متى ١٩: ٣- ٩)، (مرقس ١٠: ٢- ١٢)، (لوقا ١٦: ١٨) «**وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر فقد زنت،** (مرقس ١٠: ١٢).

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل رومية (روما): «**فإن المرأة المتزوجة تربطها الشريعة بزوجها مادام حياً، فإذا مات زوجها حُلَّت من شريعة الزوج. وإن صارت إلى رجل آخر وزوجها حَى، فإنها تدعى زانية. ولكن إذا مات زوجها تحررت من الشريعة، فلا تكون زانية إن صارت إلى رجل آخر**» (رومية ٧: ٢، ٣).

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى كورنثوس: «**وأما المتزوجون فوصيتى لهم، وهى من الرب لا منى، أن لا تفارق المرأة زوجها**، وإن فارقته فلتبق بغير زوج أو فلتصالح زوجها، **وعلى الزوج أن لا يطلق امرأته**» (١. كورنثوس ٧: ١٠، ١١).

* * *

ومع أن الطلاق قد أبيح فى العهد القديم، كما قال السيد المسيح له المجد، وفى حدود ضيقة، تجنباً لشر أعظم، وهو أن يغدر الرجل بزوجته فيقتلها «إن موسى **بسبب قسوة قلوبكم قد سمح لكم بتطليق زوجاتكم**» (متى ١٩: ٨)، (مرقس ٥: ٥)، لكن الله أعلن صراحة فى العهد القديم **كراهيته للطلاق**:

جاء فى نبوءة النبى إرميا «إذا طلق رجل امرأته فذهبت من عنده وصارت لرجل آخر، فهل يرجع إليها من بعد، **ألا تتدنس تلك الأرض تدنساً**» (إرميا ٣: ١). وجاء فى نبوءة النبى ملاخى قوله تعالى: «فاحذروا لروحكم، ولا يغدر أحد بامرأة شبابه. **لأنه يكره الطلاق، قال الرب إله إسرائيل**» (**ملاخى** ٢: ١٥، ١٦). **انظر أيضاً (التثنية** ٢٤: ١- ٤)، (**متى** ٥: ٣١).

---

(١) يتلى هذا الفصل فى قداس الإكليل.

وجاء فى صلوات سرّ الزيجة ما يؤكد على أن الرابطة الزيجية بين العروسين **رابطة ثابته لا تنفك، رابطة أبدية.**

من ذلك ما جاء فى **صلاة الشكر للإملاك:**

«نشكرك أيها الرب الإله القادر على كل شيء... **الذى جمع المتفرقين إلى مجمع واحد، وصيّر الاثنين واحداً.** الآن أيضاً يا سيّدنا نسأل عن عبديك (فلان وفلانة) لكى يستحقا **السمة التى تطبعها كلمتك فيهما بواسطة رباط الزيجة، قائمة فيما بينهما محبة بغير افتراق**، وذلك **بقوة ثبات الرابطة بينهما.** ابنهما على أساس كنيستك المقدسة لكى يسلكا بترتيب واتفاق حسب رباط الكلام الذى التزما به معاً، فإنك **أنت هو رباط المحبة، والآمر بشريعة قرانهما، إذ جعلت الوحدة قائمة بينهما بارتباط كليهما بكلمتك. وبهذا تكمل يارب وصية ابنك الوحيد يسوع المسيح ربنا...**».

كذلك يرد فى الوصية التى يتلوها الكاهن فى ختام الإكليل:

«فإنكما من الآن لستما اثنين بل جسد واحد، كما قال سيدنا المسيح فى إنجيله المقدس. **ولا يحلّ لكما** بعد هذا الارتباط المسيحى، **افتراق ولا انفصال** بمشيئة الله. لأن ما جمعه الله لا ينبغى أن يفرقه الإنسان».

* * *

وجاء فى القانون ٤٨ من قوانين الرسل (على يد إكليمنضس).

«**كل من طلق امرأته وتزوج بأخرى، وكل من يتزوج مطلقة رجل آخر، فليقطع من الشركة**» (١).

وجاء فى القانون رقم ١٠٢ من قوانين مجمع قرطاجة CARTHAGE الذى انعقد سنة ٤١٩م:

«قد استحسن المجمع أنه حسب التعليم الإنجيلى الرسولى **أى رجل افترق عن امرأته، أو أية امرأة انفصلت عن رجلها، لا يجوز لأحدهما أن يتزوج شخصاً آخر، بل يجب أن يبقى على الحالة التى هو فيها إذا لم يتصالحا.**

(١) مجموعة الشرع الكنسى صفحة ٨٦٠.

THE RUDDER, P. 76.

THE NICENE AND POST - NICENE FATHERS, Second Series, Vol. XIV, P. 597.

ومن يخالف هذه الشريعة يرغم على الإقامة مع التائبين».

والخلاصة القديمة للقانون ذاته تقرأ «إذا انفصل الزوجان يجب أن يتصالحا. ولا يسمح لأيهما بالزواج، والمخالف يوضع مع التائبين» (١).

وجاء فى القانون رقم ٩ من قوانين القديس باسيليوس الكبير (ضمن رسالته الأولى إلى أمفيلوخيوس أسقف أيقونية):

«إن الرب إلهنا ساوى بين الرجل والمرأة فى المنع من الطلاق إلا لعلة الزنى» (٢).

وجاء فى القانون رقم ٧٧ من قوانين القديس باسيليوس الكبير (ضمن رسالته الثالثة إلى أمفيلوخيوس):

«من طلّق امرأته وتزوج بأخرى يعتبر زانياً» (٣).

وجاء فى القانون رقم ٣١ من قوانين القديس باسيليوس الكبير (نحو ٣٣٠- ٣٧٩) ضمن رسالته الثانية إلى أمفيلوخيوس:

«المرأة التى تساكن فى غياب زوجها وانقطاع أخباره عنها رجلاً آخر قبل أن تتحقق تماماً من أنه قد مات، تعد زانية» (٤).

* * *

ويقول القديس أكليمنضس الأسكندرى (١٥٠- ٢٢٠م) «إن نصائح الكتاب المقدس عن الزواج، وأنها **لا تسمح مطلقاً بفك هذا الاتحاد**، مقررة بكل وضوح فى الشريعة. «لا تطلق زوجتك إلا لعلة الزنى» «**ويعد زانياً من تزوج بينما قرينه لا يزال حياً**»... «من تزوج

---

(١) مجموعة الشرع الكنسى صفحة ٧٢٧.

THE RUDDER, P. 670.

THE NICENE AND POST - NICENE FATHERS, Second Series, VoI. XIV, P.493, 494.

(٢)، (٣) مجموعة الشرع الكنسى صفحة ٨٨٧، ٨٩٧.

THE RUDDER, P.797, P. 835, 836.

THE NICENE ect. VoI. XIV, P. 605, 609.

(٤) مجموعة الشرع الكنسى صفحة ٨٩١، صفحة ٦٠١

THE RUDDER, P. 816.

THE NICENE AND POST - NICENE FATHERS, Second Series, VoI. XIV, P.606 (b).

بمطلقة يزنى»، وتقول «إن من طلّق امرأته جعلها تزنى» أى أنه يحملها على أن ترتكب الزنى. ومن يطلقها لا يصير فقط سبب ذلك، بل أيضاً إن من يتزوج المرأة يتيح لها فرصة لتخطىء، لأنه إن لم يتزوجها عادت إلى زوجها» (١).

ويقول العلامة أوريجينوس (١٨٥- ٢٥٣)م: «**وكما أن المرأة تعد زانية إذا تزوجت برجل طالما كان زوجها الأول حياً، كذلك الرجل إذا تزوج بامرأة طالق من زوجها يعد، تبعاً لتصريح مخلصنا، زانياً**» (٢).

ويقول القديس أمبروسيوس أسقف ميلان (٣٣٩- ٣٩٧م) ليس مسموحاً لأحد أن يعرف امرأة أخرى غير زوجته... «**هل أنت مرتبط بامرأة، فلا تطلب الإنفصال عنها**» (٣) **إذ أنه لا يجوز لك، وزوجتك حية أن تقترن بغيرها. لأن اقترانك بزوجة أخرى، وأنت مقيّد بزوجة لهو زنى حقيقى**» (٤).

ويقول القديس أوغسطينوس (٣٥٤- ٤٣٠م): «ثمة رباط سرى مقدس يربط بين المؤمن والمؤمنة فى زواجهما يتضح من قول الرسول «أيها الرجال أحبّوا نساءكم كما أحبّ المسيح الكنيسة» (٥). ولا شك أن جوهر السرّ المقدس هو فى هذا الرباط، حتى **إن الرجل والمرأة إذا ارتبطا بالزواج يجب أن يظلا معاً بغير افتراق مدى الحياة، إذ ليس مسموحاً لأحد الزوجين أن يفترق عن الآخر إلا لعلة الزنى، كمل هو الحال بين المسيح والكنيسة، فما دام الرجل حياً والمرأة حيّة فلا طلاق ولا انفصال بينهما، إلى الأبد. هذا الرباط يجب أن يظل محفوظاً تماماً... فى كنيسة المسيح من جميع المؤمنين المتزوجين**، الذين هم بغير شك أعضاء المسيح. ومع أن النساء يتزوجن والرجال

(١) كتاب «المتنوعات» كتاب ٢: ٢٣، ١٤٥، ٣.

W.A. JURGENS, THE FAITH OF THE FATHERS, VOI. 1, P. 182 .

JEAN - PAUL BROUDÉHOUX, MARIAGE ET FAMILLE CHEZ CLÉMENT D'ALEXANDRIE, P. 9, 46, 79, 89.

(٢) فى تفسيره على إنجيل متى ١٤: ٢٤.

W.A. JURGENS, VoI 1, P. 211, 212.

(٣) ١. كورنثوس ٧: ٢٧

(٤) كتاب عن إبراهيم كتاب ١ فصل ٧، ٥٩

W.A. JURGENS, VoI, 2. P. 169.

(٥) أفسس ٥: ٢٨.

يتزوجون بهدف إنسال الأطفال، لكن **لا يجوز للرجل أن يطلق زوجته إذا كانت عاقراً ليتزوج بأخرى لتلد له أطفالاً. فإن من يصنع هذا صار فى شريعة الإنجيل زانياً، وكذلك إذا تزوجت المرأة رجلا آخر غير زوجها لنفس الغرض.** وليس الأمر كذلك بالنسبة لشريعة هذا العالم، حيث يمكن أن يتم الطلاق بدون ذنب، وذلك عندما يريد أحد الطرفين أن يتزوج بالآخر، وحتى القديس موسى منح هذا الترخيص للإسرائليين كما شهد الرب، بسبب قسوة قلوبهم... وعلى ذلك فثمة **رابطة زوجية** تظل قائمة بين الزوجين **لا تقبل الانفصال طالما كانا على قيد الحياة، ولا تقبل أن يرتبط أحدهما بغير قرينه،** (١).

ويقول القديس أوغسطينوس فى موضع آخر: «**إن المرأة لا يحل لها، مادام زوجها حياً، أن تتزوج بآخر حتى من أجل غاية إنجاب الأطفال**، ومع أن هذا هو السبب الوحيد للزواج، لكن **رباط الزيجة لا ينحل إلا بموت الزوج**» (٢).

---

(١) الزواج والشهوة الجنسية.
كتاب ١: ١٠، ١١.
وكتاب «ميزة الزواج».
انظر أيضاً

De nuptiis et Concupiscentiae

De bono coniugali

W.A. JURGENS, VoI, 3, P. 135.

St. Augustine Sermons for Christmas and Epiphany, Ancient Christian Writers, London 1952, VoI. XV, P. 209

(٢) «ميزة الزيجة ٢٤، ٣٢» De bono coniugali

W.A. JURGENS, VoI, 3, P. 70

الزيجة الثانية

إن المسيحية تمدح البتولية أكثر من الزواج (١ . كورنثوس ٧ : ١ ، ٧ ، ٨ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٨) ، وهى حالة البهاء الأولى التى خلق الله عليها الأبوين الأولين آدم وحواء . ولكنها أيضاً تُعلّم بأن «**الله أحل الزيجة الروحانية** فى العهدين» (١) . ولقد رُفع الزواج فى الكنيسة المسيحية إلى درجة سرّ مقدس ورباط إلهى يُباشَر فى بيت الله وأمام المذبح المقدس ويعقده الكاهن ممثلاً للسلطة الإلهية . ولذلك رسمت الكنيسة أن يكون الكاهن أثناء مباشرة قداس الإكليل مرتدياً كامل ملابسه الكهنوتية ، لأنه فيه يُباشر خدمة دينية كهنوتية .

جاء فى الكتاب المقدس «**ليكن الزواج مكرّماً فى كل شىء ، وليكن فراش الزوجية طاهراً (حرفياً : غير نجس)**» (العبرانيين ١٣ : ٤) .

وتمشياً مع منطق المسيحية فى مدح البتولية وإبراز سموّها على الزواج ، ميّزت بين الزواج فى ذاته وبين فراش الزوجية وما يتبعه من علاقات زواجية ومعاشرة جنسية . وهذا يتضح من منطق القول «ليكن الزواج مكرّماً فى كل شىء» ثم «وليكن فراش الزوجية طاهراً (غير نجس)» . وبعبارة أخرى إن الزواج فى ذاته مكرّم من كل وجه ، وفى كل شىء ، ولذلك يُباشَرُ فى الكنيسة ويعقده الكهنة بملابس الخدمة الكهنوتية ، وهو سرّ مقدس ورباط إلهى . أما فراش الزوجية والعلاقات الزواجية والمعاشرة الجنسية بين الزوجين ، فهى طاهرة وغير نجسة بمعنى أنها مباحة وشرعية وغير محرّمة ، ومسموح بها ، على أنها بالطبع لا تباشر فى الكنيسة ، وإنما على فراش الزوجية ، فى مقرّ النوم .

هذه التفرقة بين الزواج فى ذاته (وهو مكرّم فى كل شىء) وبين فراش الزوجية (وهو طاهر ، أى غير نجس ، ومن ثَمّ فهو مباح ، ومسموح به ، ومشروع ، وغير محرّم) تفرقة تتمشى من منطق المسيحية فى رفع البتولية مرتبة عليا فوق الزواج . ولذلك فإن آدم خُلق أولاً ولم تُخلَقْ له حواء إلا بعد أن رغب هو فى أن يكون له معين أو معينة نظيره (التكوين ٢ : ٢٠) .

---

(١) من الوصية التى تتلى على العروسين فى ختام قداس الإكليل .

والزواج فى المسيحية أكثر من مرتبة.

فهناك «**الزواج البتولى**» (١) الذى غايته «التعاون» والتكامل بين الرجل والمرأة، من دون علاقات جنسية، كما كان الحال أولاً مع آدم وحواء قبل أن يسقطا فى خطيئة الأكل من الشجرة التى نهاهما الله عن الأكل منها بل حتى عن مسّها أيضاً (التكوين ٢ : ٣) ولذلك «كان كلاهما عريانين، آدم وامرأته، وهما لا يخجلان» (التكوين ٢ : ٢٥).

وبعد أن طرد الله آدم وحواء من الجنة (التكوين ٣ :٢٣ ، ٢٤)، سمح لهما بمباشرة العلاقات الزواجية. «وعرف آدم حواء امرأته فحملت وولدت» (التكوين ٤ : ١).

وإذن فالبتولية هى الحالة الأسمى وهى المرتبة الملائكية (٢) (متى ٢٢ : ٣٠). ومن بعدها يأتى الزواج. والزواج ذاته مراتب بحسب غاياته. فالزواج البتولى (متى ١٩ : ١٢)، (١ .كورنثوس ٧ : ٢٩) يجىء فى المرتبة الأولى لأن غايته التعاون والتكامل بين الرجل والمرأة. ومن بعد الزواج البتولى يأتى فى المرتبة التالية «**الزواج للإنسال**» وهو مسموح به ومباح، وقد شاء الله أن يقدّسه فى أنظار المؤمنين القديسين بأن يفيض على الزوجين نعمة روحه القدوس ليربط بين الزوجين، فيصير جسداهما **جسداً واحداً** (متى ١٩ : ٥، ٦)، وبهذا يصير للرجل سلطة على جسد المرأة كما على جسده تماماً، ويصير للمرأة سلطة على جسد الرجل كما على جسدها تماماً، **فيحل الواحد منهما للآخر** (١ . كورنثوس ٧ : ٤) ويتحول ضعف الطبيعة إلى خير، بالإنسال وإنجاب الأطفال (١ . تيموثيوس ٢ : ١٥).

ومع أن المعاشرة الجنسية بين الزوجين صارت مباحة وطاهرة وغير نجسة وغير محرّمة (العبرانيين ١٣ : ٤)، ولكن الكتاب المقدس ينصح للزوجين أن يتعففا عن هذه المعاشرة بعض الوقت، وأن يصوما عنها أحياناً، ليتفرغا للصلاة والصوم (١ . كورنثوس ٧ : ٥) ولكى يتدربا على العفة فى حياتهما الأرضية فيتهيئا لحياة العفة الكاملة فى الحياة الأخرى الأبدية «لأنهم فى القيامة لا الرجال يتخذون زوجات، ولا النساء يتخذن أزواجاً، وإنما يكونون **كملائكة الله فى السماء**» (متى ٢٢ : ٣٠).

* * *

---

(١) انظر الكتاب صفحة ٦٢٦ – ٦٣١.

(٢)انظر القديس إيرونيموس فى رسالته رقم ٤٨ إلى باماخيوس و PAMMACHIUS ١٤
NICENE AND POST - NICENE FATHERS, Vol. VI, P. 73 (b).

ومع أن المسيحية تعد الزيجة رباطاً أبدياً لا يقبل الانحلال، ومن ثم تمنع الطلاق والتطليق إلا لسبب الموت وما هو فى حكمه، ولسبب الزنى (أو الخيانة الزوجية) وما هو فى حكمه، لذلك توصى المترمّلين والمنفصلين عن زوجاتهم بعلة الزنى، أن يكتفوا بالزواج الأول، ويقنعوا به، **فالترمل مع التعفف حالة أسمى من الزيجة الثانية بعد الترمل.**

على أن الكنيسة **لا تمنع مع ذلك الزيجة الثانية للمترملين، غير القادرين على ضبط أنفسهم والعاجزين عن أن يحفظوا عفتهم من غير زواج.**

جاء فى الرسالة الأولى إلى كورنثوس على يد القديس بولس الرسول:

«وأقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه يحسن بهم أن يبقوا على هذه الحال مثلى، فإذا لم يطيقوا (ضبط أنفسهم) فليتزوجوا، فإن التزوج أفضل من التحرّق» (١ . كورنثوس ٧ : ٨، ٩) (١).

ويقول أيضاً «خير للرجل أن لا يمس امرأة، لكن **خوفاً من الزنى**، فليكن لكل رجل امرأته، وليكن لكل امرأة رجلها...» (١ . كورنثوس ٧ : ١، ٢)، ثم يقول «هل أنت غير مرتبط بزوجة؟ إذن لا تطلب زوجة. **لكنك إن تزوجْتَ فأنت لم تخطىء**» (١ . كورنثوس ٧ : ٢٧، ٢٨).

وفيما يتصل بالمرأة المترملة يقول «فإن المرأة المتزوجة تربطها الشريعة بزوجها ما دام حياً، **فإذا مات زوجها حلّت من شريعة الزوج.** وإن صارت إلى رجل آخر وزوجها حىّ، فإنها تدعى زانية. ولكن **إذا مات زوجها تحررت من الشريعة فلا تكون زانية إن صارت إلى رجل آخر**» (رومية ٧ : ٢، ٣). ثم «**إن المرأة تظل مقيّدة شرعاً بزوجها مادام حياً، فإن رقد رجلها عادت حرّة تتزوج من تشاء**، ولكن زواجاً فى الرب فقط. **غير أنها تكون أكثر غبطة إن بقيت على ما هى عليه**» (١ . كورنثوس ٧ : ٣٩، ٤٠).

والمعنى من هذا كله **أن الكنيسة تجيز الزيجة الثانية ولا تمنعها، لكنها لا تستحسنها**، وإنما تبيحها لغير القادرين على ضبط أنفسهم، والعاجزين عن حفظ عفافهم.

* * *

(١) يقرأ هذا الفصل فى صلوات الزيجة الثانية - كذلك يرد مقتبساً فى صلاة الكاهن بعد ذلك.

جاء فى الكتاب «المجموع الصفوى» للشيخ الصفّى ابن العسال قوله:

«وأما الزيجة الثانية فدون الأولى. ولهذا رُسِمَ فى القوانين أن لا يكون لها بركة إكليل، بل صلاة استغفار» (١).

«وإن كان أحد المتزوجين بكراً، فليبارَكْ وحده. وهذه السُنّة للرجال والنساء جميعاً» (٢).

جاء فى كتاب (الراعى) لهرماس (نحو ١٤٠/ ١٥٥م):

ثم سألته (= الراعى) قائلاً: مادمتَ يا سيّدى قد احتملت أسئلتى، فاسمح لى أن أسألك هذه المرة أيضاً. قال: تكلم. قُلت: **لو فرضنا يا سيدى أن الزوجة قد توفيت، أو توفى زوجها، أيا كان الأمر، ثم تزوج الباقى منهما على قيد الحياة، أفهل يخطىء من تزوج منهما؟ قال: كلا، إنه لا يخطىء. ولكن إذا بقى بدون زواج، فإنه يحوز على شرف غير عادى ومجد عظيم مع الرب. على أنه إذا تزوج فإنه لا يخطىء.** وفى جميع الأحوال، احفظ العفة والقداسة، وأنت تحيا لله (٣).

ويقول العلامة ترتوليانس TERTULLIAN (نحو ١٦٠– ٢٢٠م) فى كتابه «الحض على العفة» (٤).

---

(١) الجزء الثانى - الباب ٢٤ الفصل الأول - طبعة جرجس فيلوثاؤس صفحة ٢٢٣ - رقم ١١.

(٢) الجزء الثانى - الباب ٢٤ فصل ٥ رقم ٨٧ صفحة ٢٤١.

وجاء فى كتاب «مجموعة الشرع الكنسى» صفحة ١٣٧: «أما فى الشرق فكانت تعمل صلاة بركة الإكليل فى عقد الزيجة الثانية وتتلى عوضها صلوات توبة واستغفار... إن الأرامل أو الأرملة يباح لهما أن يتزوجا زيجة ثانية، ولكن لا تمنح لهما بركة الإكليل التى تمنح مرة واحدة فى الزيجة الأولى».

(٣) الوصية الرابعة، فصل ٤.

أنظر THE APOSTOLIC FATHERS (THE LOEB CLASSICAL LBRARY), Vol. 2, London, 1950 P. 85, 86, 87

«الآباء الرسوليون» عربه عن اليونانية البطريرك إلياس معوض - منشورات النور بالاشتراك مع رابطة الدراسات اللاهوتية فى الشرق الأوسط، بيروت ١٩٧٠- صفحة ١٩٨.

W.A. JURGENS, Vol , 1, P.34, 35

ثم كتاب «أقدم النصوص المسيحية» سلسلة النصوص اللاهوتية - راعى هرماس - تعريب الأب جورج نصور - رابطة الدراسات اللاهوتية فى الشرق الأوسط - الكسليك ١٩٧٥ - التعليم الرابع صفحة ١٢٨، ١٢٩ - فقرة ٣٢: ١ – ٤.

(٤) انظر

ANCIENT CHRISTIAN WRITERS, Vol. XIII,
AN EXHORTATION TO CHASTITY, London, 1951 P. 55.

«الزيجة الثانية أجيزت خوفاً من عدم القدرة على العفة»...

«والإجازة عادة هى امتحان للسلوك، لأن فى مقاومة الإغراء إثباتاً لعلو الهمة، ولأن الإجازة كثيراً ما تكون هى فى ذاتها، إغراء».

ويقول القديس كيرلس الأورشليمى (٣١٥- ٣٨٦م) «والذين تزوجوا مرة لا يليق بهم أن يحتقروا أولئك **الذين تزوجوا للمرة الثانية**. إن العفة شىء جميل ورائع، ومع ذلك فإن **الزيجة الثانية جائزة حتى لا يسقط الضعيف فى الزنى**، إذ قال الرسول: إن التزوج أفضل من التحرق (١).

وجاء فى القانون ٤١ من قوانين القديس باسيليوس (نحو ٣٣٠- ٣٧٩م) ضمن رسالته الثانية إلى أمفيلوخيوس «**إن الأرملة هى ولية أمرها، ولها بحسب رغبتها أن تتزوج بمن تشاء**، إذ قال القديس بولس «إن رقد رجلها عادت حرّة تتزوج من تشاء، لكن زواجاً فى الرب فقط» (٢).

ويقول القديس أبيفانوس أسقف سلاميس (٣١٥- ٤٠٣م):

«إنه بسبب ضعف الشعب وعدم مقدرتهم على الاكتفاء بالزوجة الأولى **يمكن السماح لهم بالزواج بامرأة ثانية بعد وفاة الزوجة الأولى. على أن الرجل الذى يكتفى بزيجة واحدة يعد أفضل وأولى بالكرامة، كما تجمع على ذلك كل أقوال آباء الكنيسة**... وليس معنى هذا أن يسمح لأحد أن يتخذ زوجتين أو يتخذ زوجة ثانية بينما تكون زوجته الأولى حية. **أما إذا افترق من الأولى فيمكنه، إذا شاء، أن يتخذ الثانية شرعاً**» (٣)

ويقول القديس أمبروسيوس أسقف ميلان (٣٣٩- ٣٩٧م):

«إن ما نشير به على سبيل النصيحة لا نأمر به بمثابة قانون... **فنحن لا نمنع الزيجة**

---

(١) «محاضرات فى التعليم المسيحى ٤: ٢٦».
THE FAITH OF THE EARLY FATHERS, by W. A. JURGENS, Vol. 1, P. 351.
THE RUDDER P. 820, .

(٢) انظر «مجموعة الشرع الكنسى صفحة ٨٩٢.
THE NICENE AND POST - NICENE FATHERS, Second Series, Vol. XIV, P. 607.

(٣) كتابه «الرد على جميع الهرطقات» ٥٩: ٤.
PANACEA AGAINST ALL HERESIES W. A. JURGENS, Vol. 2. P. 73.

الثانية، ومع ذلك لا ننصح بها. إن مراعاة الضعف شيء، لكن فضل العفة شيء آخر. مرة أخرى أقول، **إننا لا نمنع الزيجة الثانية، ولكننا لا نستحسن تعدد الزيجات، فما** يسمح به لا يكون بالضرورة لائقاً. يقول الرسول (١) «كل الأشياء قد تحل لي، لكن ليست كل الأشياء توافقني» (٢).

ويقول القديس إيرونيموس (٣٤٢- ٤٢٠م) في رسالته إلى أجيروشيا AGERUCIA (وتاريخها ٤٠٩م):

«فماذا إذن؟ **هل نشجب نحن الزيجة الثانية؟ كلا، البتة، ولكننا نمدح الزيجة الأولى. هل نطرد نحن من الكنيسة الذين يتزوجون الزيجة الثانية؟** حاشا! ، وإنما نحض من تزوج الزيجة الأولى على العفة وضبط النفس» (٣).

ويقول في كتابه «الرد على جوفينيان JUVINIAN (تاريخه ٣٩٣م):

«لقد تزوج آدم الأول مرة واحدة، وأما آدم الثاني (= المسيح) فلم يتزوج بتاتاً. **فليرنا أنصار الزيجة الثانية آدم ثالثاً تزوّج الزيجة الثانية.** حقاً إن بولس أجاز الزيجة الثانية... **وأنا أيضاً لا أشجب الزيجة الثانية...**» (٤)

---

(١) ١ . كورنثوس ٦ : ١٢

(٢) كتابه عن «الأرامل» (٣٧٧/ ٣٧٨م) . ١١ : ٦٨

W.A. JURGENS, VoI, 2, P. 171

انظر أيضاً «مجموعة الشرع الكنسي، صفحة ١٣٧ .

(٣) الرسالة إلى اجيروشيا ١٢٣ : ٩ . W. A. JURGENS, VoI. 2. P. 186.

(٤) الرد على جوفينيان، الكتاب الأول، فصل ١٥ W. A. JURGENS, VoI. 2. P. 198, 199.

THE NICENE & POST - NICENE FATH ERS, VoI VI, P. 359 (a).

ويقول القديس إيرونيموس أيضاً إن القديس بولس الرسول «يقارن بين وحدانية الزيجة (الزواج بقرين واحد) وبين الزيجة الثانية. وكما أنه وضع الزواج فى مرتبة أدنى من البتولية، كذلك **جعل الزيجة الثانية فى منزلة أقل من الزيجة الأولى**، إذ يقول «إن المرأة تظل مقيّدة شرعاً بزوجها مادام حياً، فإن رقد رجلها عادت حرّة تتزوج من تشاء، ولكن زواجاً فى الرب فقط. غير أنها تكون أكثر غبطة إن بقيت على ما هى عليه» فهو إذن **لا يصرّح بالزيجة الثانية إلا للذين يرغبون ذلك ممن لا يطيقون العفة**» (١).

ويقول القديس أوغسطينوس (٣٥٤- ٤٣٠م): «**إن الزيجة الثانية غير ممنوعة على أنها تعد دون الزيجة الأولى كرامة**» (٢).

ويقول القديس إيرونيموس أيضاً تعقيباً على قول القديس بولس الرسول فى رسالته الأولى إلى تيموثيئوس «فأريد أن تتزوج الأرامل الشابات ويلدن الأولاد، ويدبرن البيوت ولا يعطين المقاوم سبباً للطعن، فإن بعضاً منهن قد انحرفن وراء الشيطان»... إنه كما يسمح للعذارى أن يتزوجوا، خوفاً من أن يسقطوا فى شر الزنى، ولهذا يبيح لهم الزواج، مع أنه غير مرغوب فى ذاته، كذلك **يصرح للأرامل بالزيجة الثانية تجنباً أيضاً للزنى**» (٣).

ويضيف القديس إيرونيموس فى بيان فضل الترمل على الزيجة الثانية، إن بعض الحيوانات والطيور لا تقبل أن تتزوج بقرين آخر بعد موت قرينها الأول، ومن ذلك - على سبيل المثال، اليمام «إذا فقد اليمام قرينه لا يتخذ قريناً آخر. ومن ذلك نفهم أن الزيجة الثانية ترفضها حتى الطيور البكماء» (٤).

---

(١) فى الرد على جوفنيان، الكتاب الأول، فصل ١٤.

THE NICENE & POST - NICENE FATHERS, Second Series VoI VI, P. 358.

(٢) انظر «مجموعة الشرع الكنسى» صفحة ١٣٧.

(٣) فى الرد على جوفينيان، الكتاب الأول: ١٤. THE NICENE etc. VoI VI, P. 358 (b).

(٤) JEROME, AGAINST JOVINIANUS, BOOK I, 30, THE NICENE AND POST - NICENE FATHERS, SECOND EDITION, VoI. VI. P. 368, b.

جاء بالسنكسار عن القديسة أوفيمية أنها ترملت، فحسدها الشيطان وأتاها فى شكل راهب وأشار عليها أن تتزوج لترزق أولاداً، فأجابته قائلة إننى قد قررت مع نفسى عهداً بأن لا أرتبط برجل آخر بعد زوجى. وزادت بقولها: إذا كانت الطيور البكماء والغربان لا تعرف ذكراً آخر بعد الأول، فأولى بالبشر الذين خُلقوا على صورة الله ومثاله أن يكونوا هكذا (تحت اليوم الثانى عشر من بؤونة).

أما القديس غريغوريوس الثيئولوغوس (نحو ٣٢٩- ٣٩٠م) فقد دعا الزيجة الثالثة خرقاً للشريعة (١).

ويقول القديس إيرونيموس (٣٤٢: ٤٢٠م) «كل الأشياء قد تحل لى، لكن ليست كل الأشياء توافقنى، **إنى لا أشجب الذين يتزوجون الزيجة الثانية، بل ولا الذين يتزوجون الزيجة الثالثة...**» (٢).

---

(١) مجموعة الشرع الكنسى صفحة ١٤٤ب.

(٢) «فى الرد على جوفنيان JOVINIAN (والكتاب يرجع إلى سنة ٣٩٣) الجزء الأول: ١٥.

W. A. JURGENS, Vol. 2. P. 198, 199.

الزيجة الثالثة

إذا كانت الزيجة الثانية مكروهة فى المسيحية، ومع ذلك تجيزها الكنيسة لغير القادرين على ضبط أنفسهم، لئلا يقعوا فى الخطيئة «فإن التزوج أفضل من التحرّق» (١ . كورنثوس ٧: ٩)، **فالزيجة الثالثة غير مندوب إليها، بالأحرى، وغير منصوح بها، إلا لغير القادرين على التعفف ممن مات قرينهم الأول ثم الثانى.**

جاء فى الدسقولية (تعاليم الرسل):

«والزيجة الثالثة هى علامة الغواية لمن يقدر أن يضبط نفسه» (١).

وجاء فى القانون الخمسين من قوانين القديس باسيليوس الكبير (٣٣٠- ٣٧٩م):

«إننا نحسب الزيجة الثالثة عاراً فى الكنيسة، ولكننا لا نحكم حكماً جازماً ضد من يعقدها، فهى أفضل من الزنى فى الخفاء» (٢).

ويقول القديس إيرونيموس أيضاً فى رسالته إلى باماخيوس PAMMACHIUS (وترجع إلى نحو سنة ٣٩٢ أو ٣٩٣م): «**أنا لا أشجب الزيجة الثانية أو حتى الثالثة...** مع ذلك، لا يحسبنى أحد، على ما أعتقد، صارماً أو متشدداً إذا ما قرأ لى ما قلته **إن الأماكن المعدة للعذارى والمتزوجين (الزيجة الأولى) تختلف عن تلك المعدّة للمتزوجين الزيجة الثالثة...**» (٣).

ويقول القديس أوغسطينوس (٣٥٤- ٤٣٠م)

«يثير الناس عادة السؤال عن الزيجة الثالثة... وعليه أجيب بالإيجاز: **إنى لا أجرؤ أن أشجب أى عدد من الزيجات**، كما أننى لا أقلل من عيوب كثرتها، ولا أستطيع أن أحدد ما

---

(١) الباب ١٩ – لأجل الأرامل والعذارى.

انظر أيضاً «المجموع الصفوى» للصفىّ ابن العسال - الجزء الثانى - الباب ٢٤، الفصل ٥ - رقم ٩٠ - طبعة جرجس فيلوثاؤس صفحة ٢٤١.

(٢) ضمن رسالة القديس باسيليوس الثانية إلى أمفلوخيوس، انظر مجموعة الشرع الكنسى... صفحة ٨٩٤.

THE RUDDER, P. 825 - THE NICENE & POST - NICENE FATHERS, SECOND SERIES, Vol. XIV. P. 607 b.

(٣) رسالته إلى باماخيوس ٤٨: ٩ ثم فى كتابه «الرد على جوفنيان، كتاب ١، فقرة ١٥.

W.A JURGENS, VOL. 2. P. 184.

THE NICENE & POST - NICENE FATHERS. Vol VI, P. 359 (b).

لم يحدده الرسول نفسه، فإنه يقول، **إن المرأة تظل مقيدَة شرعاً بزوجها مادام حياً، فإن رقد رجلها عادت حرّة تتزوج من تشاء، ولكن زواجاً فى الرب فقط، غير أنها تكون أكثر غبطة إن بقيت على ما هى عليه**... فهل يمكن أن يُزاد شيء على هذا الحكم أو يُنْقص منه شيء فيما يتعلق بهذا الأمر؟. إنى لا أعلم، (١).

(١) كتاب «مزايا الترمل» (ويرجع إلى سنة ٤١٤م) ١٢: ١٥.

W. A. JURGENS, Vol. 3. P. 110.

ما بعد الزيجة الثالثة

إذا كانت الكنيسة تجيز الزيجة الثانية وإن كانت لا تستحسنها، وإن كانت أيضاً تعد الزيجة الثالثة مكروهة وإن كانت لا تمنعها مادام أحد الزوجين ممن مات قرينه لا يستطيع أن يضبط نفسه، أو لا يطيق التعفف، فإنها لا تسمح بما بعد الزيجة الثالثة مهما كانت الأسباب والمبررات...

جاء فى الدسقولية (تعاليم الرسل):

«والزيجة الثالثة هى علامة الغواية لمن لا يقدر أن يضبط نفسه، **وأما أكثر من الثالثة فهى علامة الزنا الظاهر والنجاسة التى لا تذكر.** لأن الله من البدء خلق ذكراً وأنثى، ولأجل هذا يكون الاثنان جسداً واحداً» (١).

وجاء فى «المجموع الصفوى» للصفىّ ابن العسّال: «**ومن جسر على أن يصير إلى التزويج الرابع الذى ليس هو تزويجاً، فلا يحتسب مثل هذا زواجاً، ولا المولودون منه بنين مختصين يعرفون، ويلقى فى عقاب المتدنسين بأوساخ الزنا، ويفرق بعضهم من بعض**» (٢).

---

(١) الدسقولية، الباب ١٩.

(٢) المجموع الصفوى - الجزء الثانى - الباب ٢٤، الفصل الخامس، ٩١، ٩٢ - (طبعة جرجس فيلوثائوس عوض، صفحة (٢٤١ - ٢٤٢).

الزواج فى المفهوم المسيحى (١)

الإنجيل المقدس فصل من الإصحاح التاسع عشر من إنجيل معلمنا متى البشير بركاته علينا آمين.

«وجاء إليه فريسيون ليجربوه قائلين له : هل يحل للرجل أن يطلق إمرأته لكل سبب، فأجاب وقال لهم: أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثي، وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الإثنان جسدا واحدا، إذا ليسا بعد إثنين بل جسد واحد. فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان. قالوا له فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق. فتطلق. قال لهم إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هكذا. وأقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزنى. والذى يتزوج بمطلقة يزنى. قال له تلاميذه إن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج. فقال لهم ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطى لهم. لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم. ويوجد خصيان خصاهم الناس. ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات. من استطاع أن يقبل فليقبل».

والمجد لله دائماً.

الزواج رباط مقدس ورابطة إلهية:

الزواج المسيحى ليس هو مجرد عقد بين رجل وامرأته، وهو ليس كعقد تجارى بين اثنين يمكن أن ينحل فى أى وقت من الأوقات بإتفاق الطرفين، فالزواج المسيحى ليس مجرد عقد. الزواج المسيحى فى مفهومنا أن هناك طرفاً ثالثاً غير الرجل والمرأة، هذا الطرف الثالث هو الله الذى يجمع بين الرجل والمرأة ويربط بينهما بالروح القدس، ويجعلهما على قول سيدنا ومخلصنا له المجد «جسدا واحدا» وبناء عليه يحل الواحد للآخر، ويصيران بفاعلية الروح القدس جسداً واحدا، فبعد أن جمع الله بينهما وربط الروح القدس بينهما، هذا الرباط المقدس لم يعد فى مقدورهما بإرداتهما حتى لو اتفقا أن يحلا هذا الرباط، من غير إذن الله لأن الله قد دخل فى هذا الرباط، والروح القدس جمع بينهما.

---

(١) محاضرة ألقيت فى اجتماع أسرة القديس الأنبا بولا (طلبة كلية المعلمين جامعة عين شمس) بمبنى الأنبا رويس بالعباسية فى ٣ من يوليو ١٩٧٥م - ٦ بؤونه ١٦٩١ ش.

نقول هذا الكلام لكى نبين أن الزواج المسيحى ليس مجرد رابطة، ولا هو مجرد عقد، إنما هو أعلى من هذا وأسمى من هذا، وأيضاً ليس هو مجرد رباط يربط بين اثنين معا. لكن هناك طرفاً ثالثاً وهو الله الذى جمع بينهما.

الفرق بين الاثنين هو الفرق بين الزواج المدنى والزواج المسيحى، وفى الزواج المدنى يتم هذا الترابط وهذا التعاقد بين الإثنين، يرتبط الإثنين معا على أن يكون هذا الترابط لفترة معينة، أو طوال مدة بقائهما على قيد الحياة إذا شاءا أن يحفظا هذا الرباط معا، هذا هو الزواج المدنى. وهذا ينبنى على إتفاق الطرفين الرجل والمرأة، ويتم التعاقد بينهما على أوراق حكومية، وفى هذه الحالة تقر الدولة ويقر المجتمع بهذا الزواج ويسمى بالزواج المدنى. هذا الزواج من وجهة الدولة ومن وجهة المجتمع زواج مشروع تحميه الدولة لأنه مسجل فى سجلاتها، ومع ذلك لا تسمى هذا الزواج المدنى زواجاً إلهياً بالمعنى الذى نفهمه فى حياتنا الجسدية وفى الكنيسة الأرثوذكسية، الزواج فى الكنيسة الأرثوذكسية هو سر مقدس، ومعنى كلمة سر هنا أن هناك نعمة غير منظورة. شىء غير منظور، شىء خفى، بركة لا تُرى ولا تمس نازلة وهابطة من فوق من عند الله، هذه البركة أو هذه النعمة غير المنظورة، هى ما نسميه فى مصطلحنا الكنسى بحلول الروح القدس على الرجل والمرأة، ليربط بينهما رباطا مقدساً، «ما جمعه الله لا يفرقه الإنسان» جمعه الله، هنا يجمع الله ويربط بين الرجل والمرأة بهذا الرباط، ولأن الله غير منظور وهذه النعمة غير منظورة لذلك يسمى سر الزيجة.

إذن الزواج ليس مجرد عقد ولا مجرد اتفاق بين رجل وامرأة. إنه أعظم من هذا، إنه رباط مقدس يربطه الله، هو سر مقدس يحل فيه نعمة غير منظورة وهى نعمة الروح القدس، التى تجمع بين الرجل والمرأة وتربط بينهما وتجعل منهما جسدا واحدا. وهنا فاعلية السر، كلمة تجعل منهما جسدا واحدا، هنا تعريف السر، كما يحل الروح القدس على مياه المعمودية فيكسبها قوة خلاقة، تخلق الإنسان خليقة جديدة وتجعله ابنا لله، وتدخله إلى ملكوت السموات، تطهره من خطاياه وتغسله من آثامه الجدية والفعلية السابقة على المعمودية، وكما يحل الروح القدس فى سر القربان على العنصرين الخبز والخمر ويحولهما ينقلهما إلى جسد الرب ودمه، وهذا هو معنى السر فى الزيجة، أن هناك نعمة الروح القدس التى تحل على الرجل والمرأة، وتعطى نعمة غير منظورة، هذه النعمة السرية غير المنظورة، هى فاعلية الروح القدس لتجعل الرجل والمرأة جسدا واحداً، من هنا صعوبة الفصل بالإرادة البشرية، الإرادة المنفردة أو الإرادة المتفقة. صعوبة

الفصل بين الزوجين لأن هناك الله الذى ربط بينهما فكيف يمكن للرجل والمرأة أن ينفصلا الواحد عن الآخر بالإرادة المنفردة أو حتى بالإرادة المتفقة، دون أن يعمل حساب الإرادة الإلهية الداخلة كطرف ثالث جمع بينهما ووحد بينهما وجعل منهما جسدا واحدا،

شروط الزواج المسيحى

أولاً: أن يكون كل من الزوج والزوجة مسيحى:

لكى يكون الله طرفاً فى هذا السر، لابد أن يكون الرجل والمرأة نالا سر العماد ونالا مسحة الروح القدس فى سر الميرون، وأن يكونا قد تناولا من الأسرار المقدسة، وأن يكونا عائشين فى حياة التوبة، أى يكون كل من الرجل والمرأة قد حصل على الأسرار المقدسة اللازمة للمسيحى الحقيقى، المعمودية والميرون والتوبة والتناول، وهذه هى الأربعة الأسرار الضرورية التى بدونها لا يكون الإنسان مسيحيا.

لابد أن يكون كل من العروسين الذى يبغى أن يتم له سر الزواج أن يكون حائزاً على صفة المسيحى، وهذا هو السبب أن كنيستنا لا تقر أبدا أن يكون طرف مسيحى والآخر غير مسيحى، كما نسمع أحياناً يقولون «كل واحد على دينه» لا نستطيع أن نقبل هذا الأمر.

أرسل إلينا شخص من استراليا سؤال: يقول فيه رجل وامرأة اتفقا معا على الزواج، واحد مسيحى والثانى غير مسيحى، ونص الاتفاق على أن يكون الأولاد البنين يتبعون دين الأب والبنات يتبعن دين الأم، طبعا لا يمكن أن نعتبر هذا زواجا دينيا أو زواجا مسيحيا، ولا يمكن أبدا أن يعقد الإكليل أو الرباط المقدس فى الكنيسة، هناك شروط معينة يجب أن تتوافر فى الزواج المسيحى، وهو أن يتولى الله تقديسه وحلول نعمة الروح القدس على الرجل والمرأة، وذلك لأن الله طرف ثالث فى الموضوع، والله لا يكون طرفاً ثالثاً فى الموضوع إلا إذا توافرت شروط معينة، تجعل حضور الله ضرورة ليجمع بين الرجل والمرأة، ولذلك الكنيسة تشترط شروطاً معينة لكى تقر الزواج قبل أن يباشر الكاهن سر الزيجة باسم الله.

ففى الطقس الدينى الذى به يستدعى الروح القدس ليحل على الرجل والمرأة، لابد أن تتوافر هذه الشروط فى هذا الزواج، وهى التى يتطلبها الله لحلول الروح القدس ولحضوره فى هذا الزواج.

والشرط الأول من هذه الشروط هو أن يكون كل من الزوجين مسيحيا، وهذا شيء طبيعي، فمادام الله طرفاً في الموضوع، فلابد أن تتوافر في هذا الزواج هذا الشرط في كل من الرجل والمرأة حتى يحضر الله ويبارك العروسين، ولذلك لكي يباشر الكاهن هذا السر كممثل في السلطة الدينية ولحضور الله لا يمكن أن تقرر الكنيسة زواجاً بين مسيحي وغير مسيحية أو بين غير مسيحي ومسيحية.

لذلك نقول أنه لابد لحضور الله كطرف ثالث بين الزوجين، أن يكون كل من الزوجين مسيحيا مكتملاً من كل شرائط الإنسان المسيحي الذي يقبل حلول الروح القدس، فحلول الروح القدس على الرجل والمرأة يشترط أن يكون كل منهما مسيحيا ممارسا الحياة المسيحية، ونال سر المعمودية وسر المسحة وسر التوبة وسر القربان.

ثانياً: صلاحية كل من الرجل والمرأة للزواج:

المفروض أن يكون الزواج بين رجل وامرأة، ولابد أن يكون الرجل مكتملاً بصفات الرجولة، وأن تكون المرأة مكتملة بصفات الأنوثة ولا يجوز غير ذلك.

وأهمية ذلك للزوجين قد لا تكون واضحة إلا بعد أن تحدث بعض المشاكل، مثل ما يحدث بعد الزواج عندما يتضح أن الرجل ناقص الرجولة، أو المرأة ناقصة الأنوثة، وفي هذه الحالة يعتبر الزواج غير قائم، وبالتالي نضمن أن الروح القدس لم يكن موجودا في هذا الزواج، فالله لا يخدع، وإذا فصل بين هذا الرجل وهذه المرأة لا يعتبر الفصل بينهما طلاقا، بل يعتبر أن الزواج لم يكن قائماً لأنه فقد شرطاً من شروط قيام الزواج، وهو أنه يجب أن يكون الرجل كامل الرجولة والمرأة كاملة الأنوثة.

وأعتقد أنكم تسمعون أحياناً عن حوادث أن رجلاًيتحول إلى إمرأة، وإمرأة تتحول إلى رجل، وهذا معناه أن هناك نقصا تشريحياً بالنسبة للرجل أو بالنسبة للمرأة، فيترتب على هذا النقص التشريحي أنه من الممكن أن ينقلب الرجل إلى إمرأة، والمرأة إلى رجل، فما قولنا في هذا الزواج؟ يعتبر هذا الزواج غير قائم إطلاقاً، ولا يعتبر أن الله طرف في هذا الموضوع، ولا يعتبر أن الروح القدس جمع بينهما أو كان موجوداً للجمع بينهما.

هذا إلى جانب أن يكون السن لكل منهما سنا مناسباً وسنا قانونياً، السن التي تليق والتي بها يمكن أن يكون كل منهما صالحاً للزواج، أي أن يكون الرجل في سن اكتمال الرجولة، والمرأة تكون في سن اكتمال الأنوثة.

طبعا من الخطأ أن يكون الزواج فى سن صغير أقل من اللياقة، الزواج فى هذا السن الصغير غير معقول، اليوم على ضوء الدراسات الإنسانية والعلوم الإنسانية نعرف أن أنسب سن للزواج بالنسبة للرجل سن الثلاثين، لأنه فى سن الثلاثين يكتمل الرجل جسميا وعقليا وعاطفيا ونفسيا، وقبل سن الثلاثين لا يكون الرجل مكتملا فى صفات الرجولة، ولذلك يكون أحياناً خطر على النسل إذا تزوج الرجل قبل سن الثلاثين. وذلك بالنسبة لصحة النسل، فيولد أولاد يكونون غير أصحاء. وبالنسبة للبنت يكون من سن العشرين إلى الخامسة والعشرين، طبعاً ممكن الزواج قبل هذه السن لكن نحن نتكلم عن السن النموذجية بالنسبة للرجل والمرأة.

ثالثاً: أن يكون كل منهما قابلا للآخر:

فلا يصح أن يكون هذا الزواج مفروضاً عليهما، وأن يكون هناك ضغط عليهما (أو على أحدهما) لكى يتزوج، فلابد أن يكونا راضيين عن هذا الرباط بينهما، وهذا هو السبب أن يؤخذ اعتراف كل من الرجل والمرأة قبل الزواج خصوصاً البنت لأنه عندها نوع الحياء أكثر، وأحياناً يكون مضغوطاً عليها بأن تتزوج برجل معين، لأن الأسرة حكمت بهذا، وعلى مدى التاريخ الطويل للبشرية هناك كثير من الزيجات تمت عن غير رضى البنت، فلابد أن يكون الزواج برضى الطرفين، ولذلك يؤخذ الاعتراف سابقا على الزواج وخصوصاً بالنسبة للبنت، الكاهن يأخذ البنت على حدة لكى يضمن أنها تعترف له فعلا، ويسألها عن هذا الزواج راضية أو غير راضية، لكى يتأكد أنه غير مضغوط عليها، ثم يؤكد هذا أثناء طقس الزواج، ففى أثناء مباشرة طقس الزواج وعند عقد الاكليل، الكاهن بعد أن يبارك الدبلتين يلبس الكاهن الدبلة للعريس، ثم يعطى الكاهن للعريس دبلة العروس، لكى يقوم بتلبيس الدبلة للعروس، فإذا مدت يدها وقبلت هذا الوضع أن العريس يلبسها الدبلة، كان هذا اعترافا علنياً بأنها قبلت الزواج منه، فهنا يوجد حجتين لتوكيد حرية المرأة وموافقتها على هذا الزواج، وأنه غير مضغوط عليها من أبيها أو من أمها أو من الأسرة أو تحت أى ظرف من الظروف، هذا الشرط من الشروط الأساسية لإتمام الزواج، أن يكون هناك رضى لكلا الطرفين. وأن كلا منهما يريد أن يتحد بالآخر.

رابعاً: أن يتم الزواج بمعرفة الكاهن فى الكنيسة:

أن يتم العقد بمعرفة الكاهن، وكون أن الكاهن يباشر الزواج هو فى نفس الوقت إعلان عن أن هذه الرابطة مقدسة، وأن الزواج مكرم وأن الزواج رباط مقدس، لأنه يباشر بمعرفة الكاهن ممثل

السلطة الدينية للوجود الإلهى وللحضور الإلهى، ويتبع هذا أن يكون الزواج فى الكنيسة، فلا يتم الزواج فى بيت أو فى قاعة، لابد أن يتم الزواج فى الكنيسة، فى أى سر من أسرار الكنيسة وأى عمل مقدس لابد أن يباشر فى الكنيسة، فالكنيسة هى المكان المدشن والمخصص للعبادة، وهذا توكيد أكثر لرضى الله عن رباط الزواج، وتوكيد أكثر لقدسية الزواج وإعلان أن الزواج أمر مقدس، يباشر فى الكنيسة بمعرفة الله، وأمام الهيكل المقدس فى الكنيسة الأرثوذكسية، ويشترط أن يكون العهد المقدس الذى يربط بين الاثنين هو تناولهما من الأسرار المقدسة، الناس يقولون: «نأكل عيش وملح حتى لا يخون أحد الآخر» ففى الزواج لا نأكل عيشاً وملحاً، ولكن العهد المقدس بيننا هو ربنا يسوع المسيح هو جسد الرب ودمه، والكنيسة تشترط هذا الشرط أن الزواج إلى جانب الرباط الدينى المقدس وإلى جانب مباشرة الطقس الدينى، لابد أن يكون هناك عهد يربط بينهما هو جسد الرب ودمه، وفى ترتيب الكنيسة قديماً وهو الترتيب الأصيل كان الزواج عادة يتم مساء يوم السبت أو صباح الأحد بعد رفع القربان وقبل القداس، فإذا كان ذلك مساء يوم السبت يقيم العروسان بالكنيسة حتى الصباح لكى يحضرا القداس ويتناولا من الأسرار المقدسة، وفى مصر القديمة يوجد مقصورة اسمها مقصورة العرسان، يُقيم الرجل وأهله فى مكان، وتقيم العروس وأهلها فى مكان آخر حتى الصباح، ويتناولون من الأسرار المقدسة معا، إذن الزواج يتم إما مساء السبت ليتناولا صباح الأحد أو أن الزواج والاكليل يتم فى الصباح بعد رفع بخور باكر أى بين بخور باكر وبين القداس وطبعا يحضرون القداس ويتناولون من الأسرار المقدسة، اليوم نلاحظ أن معظم الأكاليل فوق التسعة والتسعين فى المائة من الزواجات الحديثة تتم مساءً فى أى يوم من أيام الأسبوع، ومع الأسف الشديد نجد بعض الأكاليل مساء الثلاثاء أو مساء الخميس ويكون اليوم التالى أربعاء أو جمعة، وهذه أيام صوم، هذه أمور تدل على جهل شعبنا للأصول، وشعبنا يحتاج إلى توعية فى هذه الناحية، ومن أفضل الزيجات ما يتم مساء السبت أو الأحد أو يوم الأثنين.

قلنا أن الزواج لابد أن يتم فى الكنيسة وبمعرفة الكاهن وأمام المذبح المقدس، لأن الكاهن يسلم العروسين لبعضهما فى حضرة الله، ويربط بينهما فى حضرة الله، وأمام المذبح المقدس يركعان وينالان البركة، إذن الزواج لا يتم إلا فى الكنيسة، فى بعض الظروف التى كان فيها اضطهادات، كانت بعض الزيجات تتم بإذن خاص فى المنازل، هذه حالات تعتبر شذوذ عن القاعدة، مثل المعمودية لابد أن تكون فى الكنيسة، ولكن يحدث فى بعض الأحيان أن طفل

يشرف على الموت، ففى هذه الحالة يجوز استثناء أن يتم تعميده فى البيت، سر القربان يتناول فى الكنيسة لكن فى حالات استثنائية وهى حالات المرض، تنقل الأسرار المقدسة إلى المريض فى البيت أو فى المستشفى، مسحة المرضى بطبيعته يكون فى المنزل لأنه سر خاص بالمريض.

فالأسرار عادة تتم فى الكنيسة إلا فى حالات استثنائية، إذا كانت توجد أسباب وظروف اجتماعية ضاغطة، كأن يتعرض بعض الناس للقتل فتتحول الأفراح إلى مآتم. فبناء على ذلك أبيح فى تلك الظروف استثناءاً أن تقام الزواجات فى البيوت، على أن هذه الظروف لا وجود لها الآن، فلا داعى لأن يصبح الاستثناء قاعدة. وكل هذا ضمان أكثر لقدسية الزواج، وبيان أنه رابطة إلهية مقدسة، وأن الرجل والمرأة استلم كل منهما الآخر فى حضرة رب الملوك وفى هيكله المقدس وبمعرفة الكاهن، ولذلك أيضاً الكاهن يجب أن يكون بملابسه الكهنوتية، لأن الاكليل هو سر مقدس، ويجب أن يباشره الكاهن بملابسه الكهنوتية، ومن الخطأ الذى يقع فيه بعض الكهنة، أن يقوم بصلاة الإكليل بملابسه السوداء الخاصة بالخروج، هذا خطأ لأن هذا سر مقدس ولابد أن يخلع الكاهن حذاءه ويلبس التليك.

وهناك حاجة صغيرة لا مانع أن نقولها، قد تكون زائدة بالنسبة لشروط الزواج، لكن حتى لا ننساها، وهى أنه كان بعد صلاة الاكليل صباح الأحد، وبعد التناول من الأسرار المقدسة، كان الرجل والمرأة يربطان بزنار، ومعنى هذا الرباط أنهما مربوطان برباط مقدس، ومعناه أيضاً أنهما لا يحلان لبعضهما البعض قبل أن يحل الكاهن هذا الزنار، وفى الأزمنة القديمة كان حل الزنار يتم بمعرفة الكاهن عادة يوم الاثنين بعد الظهر، يذهب الكاهن إلى المنزل وفى حفلة صغيرة وصلاة يعطيهم الحل الكهنوتى الذى لم يأخذوه ساعة الإكليل، إنما يأخذونه يوم الاثنين بعد الظهر فيما يعرف بصلاة حل الزنار، وهذه لها حكمتها المأخوذة من سفر طوبيا، أن الملاك نصح طوبيا أنه تبعاً لوصية الزواج يمتنع أحدهما عن الآخر إلى اليوم التالى، وكنيستنا الأرثوذكسية تبنت هذا المبدأ فأخذت منذ القديم بهذه القاعدة، أنها لا تعطى الحل للعروسين فى أثناء عقد الإكليل إنما الحل يُعطى فى يوم الاثنين بعد الظهر، وحينئذ يحل الزنار وبالتحليل أصبح لكل منهما حلا على الآخر. اليوم مع الأسف يعطى الحل فى نفس الليلة عقب الزواج أو عقب مباشرة الاكليل، لكن هذا لم يكن القاعدة التى تتم بالنسبة للمسيحيين الأوائل. وحتى عهد قريب أنا قرأت كتاباً كتبه واحد أجنبى من الناس الذين كانوا يزورون بلادنا، وفيه تكلم عن عوائد الأقباط، ومن ضمنها كتب هذا الموضوع بالذات وهو موضوع حل الزنار يوم الاثنين بعد

الظهر بالنسبة للعروسين. هذا الكلام يحلو لنا أن نقوله لأن شعبنا فى حاجة إلى توعية، لأن هناك أموراً كثيرة فى تراثنا تندثر مع الأسف على الرغم من أننا مشهورون بأننا محافظون، وكنيستنا كنيسة محافظة مرتبطة بتقليدها، لكن مع الأسف هناك جهالة كثيرة فى نواحى متعددة ومنها هذه الناحية، لذلك يحلو لنا من وقت لآخر أن نشير إلى هذه العادات الطيبة التى كانت تعيش معنا حتى فى الربع الأول أو النص الأول من القرن العشرين، ولكن شيئاً فشيئاً يحدث إهمال من جانب الشعب من جهة، وأحياناً من جانب الكهنة التى لا تعطى التوعية الكافية لشعبنا فى هذه الموضوعات. هناك نقطة ثانية أحب أن اتكلم فيها وبهذا نختم حديثنا عن الموضوع.

خصائص الزواج المسيحى

إذا كان الزواج المسيحى زواجاً إلهياً ورابطة مقدسة، والله فيه طرف ثالث وهو الذى جمع بين العروسين بالإشراف الذى تكلمنا عنه منذ قليل، فالزواج المسيحى يتميز بخاصتين أساسيتين:

أولاً: وحدانية الزيجة:

أى رجل واحد لامرأة واحدة، كنيستنا المسيحية الأرثوذكسية لا تسمح إلا بزواج رجل واحد لامرأة واحدة، فشريعتنا لا تبيح بتعدد الأزواج ولا بتعدد الزوجات. رجل واحد لامرأة واحدة، وسيدنا له المجد قال هذا: «من البدء لم يكن هكذا لأنه من البدء خلقهما رجلاً وامرأة، أى أن الله من الأول خلق آدم ثم خلق له حواء، لا يوجد أكثر من آدم ولا يوجد أكثر من حواء، رجل واحد وامرأة واحدة، فالكنيسة المسيحية لا تبيح تعدد الأزواج ولا تعدد الزوجات، فهذا الرباط الذى يكون الله فيه هو الطرف الثالث يربط هذا الرجل والمرأة برباط مقدس، ومن هنا تصبح كل امرأة حرام على أى رجل غير زوجها، وكل رجل حرام على أى زوجة فيما عدا زوجته، رجل واحد لامرأة واحدة، هذا موضوع هام جداً لأن به تتميز المسيحية عن أى ديانة أخرى، حتى اليهودية أباحت أن يتزوج الرجل بامرأتين أو أكثر من امرأة، إنما فى العهد الجديد ردنا المسيح إلى الصورة الأولى، صورة الخلقة التى خلق الله تعالى الإنسان الأول عليها، المسيح يصحح الأخطاء، لا أقول الأخطاء التى نتجت من الشريعة لا...، إنما نتيجة رغبات البشر حصل أن تزوج رجل أكثر من امرأة فى العهد القديم، مثل يعقوب عندما أخذ امرأتيه ليئه وراحيل، أو مثل ألقانا عندما أخذ امرأتين حنة وفننه.... إلى آخره... هذا طبعاً هو الذى يخلق تفتت الأسرة،

حتى التعبير يقول عن المرأة الثانية تسمى ضُرة بالنسبة للزوجة، ماذا تعنى ضُرة؟ كلمة ضُرة من الضرر أى التى تسبب لها ضررا، طبعاً لأنها تتقاسم معها زوجها، فالعاطفة والشعور والإهتمام مقسوم بين اثنين، حتى القرآن قال: «ولن تعدلوا...» أى لا يمكن أن يكون هناك عدل، مستحيل...، هو نفسه القرآن الذى أباح ثلاثاً وأربعاً قال لن تعدلوا، لذلك تسمى ضرة من الضرر، وفعلاً عادة تنشأ بين المرأتين عداوة مستمرة، وهذا طبعاً يفتت الأسرة ويقسم مشاعر الزوج، ويوجد العداوة والخصومة فى داخل الأسرة، وبالتالى بين الأولاد، بين أولاد هذه وأولاد تلك، وتعدد الزوجات يُكثر الأولاد ويكون فيه إهمال فى التربية وفى التعليم وفى الثقافة وفى الصحة، هذا نتيجة تعدد الزوجات، لكن فى وحدة الزيجة يكون الأب عنده اثنين أو ثلاثة أو أربع أولاد، فى الحقيقة هذه مأثرة لشعبنا فتجد الأب يهتم بابنه وبتربيته، والأم تبذل دمها وتتعب وتشقى فى سبيل أنها تربى أولادها وتعلم أولادها، فتجد الوالد فرحان أن ابنه يصبح أحسن منه سواء فى العلم أو فى الوظيفة أو فى الدرجة...، وذلك لأن عنده ولدين أو ثلاثة أو أربعة أولاد فيكون حريصاً عليهم وحريصاً على مستقبلهم وحريصاً على حياتهم، فعندما يمرض أحدهم تجد الأم والأب مثل المجانين لمرض ابنهم، وطبعاً لازم يبذلوا كل جهدهم فى سبيل أنهم ينقذوا ابنهم، فوحدة الزيجة تجعل الأسرة متماسكة، وتجعل الأب يعتنى بأولاده والأولاد بأبيهم وأمهم والمرأة بزوجها وأولادها، فوحدة الزيجة تعمل التماسك والترابط والإتحاد فى الأسرة، وتزلل أى نوع من التفكك الذى قد يوجد بسبب أو لآخر، هذه هى الميزة الأولى للزواج المسيحى وهى وحدة الزيجة رجل واحد لامرأة واحدة، والكنيسة لا تبيح أكثر من هذا أو لا تسمح به إطلاقاً.

ثانيا: عدم إنحلال الزواج:

عدم إنفكاك الزيجة، فالزيجة المسيحية هى رابطة أبدية، ولذلك تسمى المرأة شريكة الحياة ويسمى الرجل شريك الحياة، معاً طول الحياة، وهذا يجعلنا نشعر فى المسيحية بأهمية التدقيق فى اختيار الشريك الآخر، وأنه ينبغى أن يكون هناك إهتمام بالرابطة الفكرية التى تربط بين الرجل والمرأة، والتى ممكن أن تكون هذه الرابطة أبدية لا تنفك. وأهم شىء خبرة الأجيال التى تعلمنا أن أهم شرط فى الزواج المسيحى أن الإنسان يجب أن يفتش عن الشريك الذى تربط بينهما رابطة فكرية، أى يجب أن يكون هناك توافق فكرى بين العروسين قبل أن يُقبلا على الزواج، ماذا يعنى الترابط الفكرى؟ يعنى التوافق النفسى، والتوافق الفكرى لا يعطى أى مجال للنفور

الفكرى، كما أنه يجب على الشاب المسيحى عندما يبحث على شريكة الحياة، لا يضع عشرين شرطاً لأنه كل ما أكثرنا فى الشروط نفشل فى الوصول، لأن إمكانية أن الإنسان يجد إنسانة فيها هذه الشروط مستحيل، وكذلك العكس بالنسبة للمرأة التى تضع شروطا كثيرة بالنسبة للشخص الذى ترغب أن تتزوج به، لابد أن نرتب هذه الشروط نرتبها فى الأهمية، فهناك شرط يعد أهم من غيره من الشروط، بمعنى أن هناك شروطاً ثانوية أقل أهمية.

هناك شروط تافهة لا يفكر فيها إلا الإنسان التافه، مثل المال وخلافه، الزواج المسيحى والزواج السعيد المفروض أنه يكون زواجا إلى الأبد، شريك حياة إلى الأبد، لابد أن يكون هناك أولاً التوافق النفسى والفكرى، وهذا شرط ينبغى أن يضعه الشاب بالنسبة للفتاة التى يرغب فى الزواج بها، والشابة بالنسبة للرجل الذى تتزوجه، أهم شىء هو التوافق النفسى والفكرى، الجمال درجة ثانوية، الدرجة العلمية ثانوية، الأسرة الغنية وما إلى ذلك ثانوية، فالشرط الأول وهو أهم من جميع الشروط، والذى ينبغى أن نهتم به قبل أن نهتم بأى شرط آخر هو التوافق النفسى والفكرى، يكون واثقاً أن هناك تقابلاً فكرياً، والخطوط العامة الرئيسية للحياة لا يكون فيها تناقض، أنا أعرف بعض الزيجات فشلت بعد أسبوع واحد، شىء محزن، الرجل كان لا يصدق نفسه، بعد أسبوع واحد، بعد ما كان هذا الرجل سيطير من الفرح، وأحس بأن السعادة كلها فى هذه المرأة، نجد أنه بعد أسبوع تحدث أشياء كثيرة وجرائم، أحياناً المرأة يعتدى عليها الرجل ويرغب فى قتلها، الرجل الذى تعب واستمر يجرى ويربح ويصرف لكى يتزوج، وقال خلاص هى كل سعادتى فى الدنيا، ما الذى حدث؟ ما الذى قلب الموضوع رأساً على عقب؟ ما الذى دعاه أن ينقلب مثل الوحش ويرغب فى قتلها؟ كيف حدث هذا التحول من أسبوع واحد؟ صدقونى أحياناً من أسبوع واحد، وأحياناً نجد امرأة تشكى وتقول يمكن بعد يوم واحد أو يومين، وبدأ الخصام ينشأ بينهما فما السبب؟ السبب أنهما لم يضعا أمامهما الشرط الأساسى لقيام الحياة الزوجية، وهو الترابط والتوافق النفسى والفكرى، نصيحتى إلى كل الشبان وإلى كل الشابات قبل الزواج، أنه يفكر فى هذه النقطة لأنها النقطة الدائمة إلى الأبد، إنما كل الأشياء الأخرى ثانوية، كل الكلام الذى يفكر فيه الشباب هذه الأيام ثانوى، فكرة أنها تكون متعلمة، فكرة أنها تكون حاصلةعلى.... ، هذه الأمور بالنسبة للمختبرين الذين من قبلكم يقولون أن هذه كلها حاجات ثانوية، لأنه لن يستطيع أن يحفظ كيان الحياة الزوجية مع وجود الجمال، ومع وجود الدرجة العلمية، وغيرها، ومع وجود كل هذه الأشياء وجد الشقاء ووجد الشقاق ووجد النزاع ووجدت

الخصومة الشديدة بين الزوجين، ووجد الكره، كل ذلك وجد لأنه لا يوجد التوافق النفسى والفكرى. إذن رقم واحد لكل من يريد أن يتزوج، أن يضع أمامه أن يتزوج الإنسانة التى يجد فيها التوافق النفسى والفكرى، والخطوط العامة للحياة، فلا يكون هناك تناقض بل توافق نفسى وفكرى، إذا وجد هذا التوافق فى إنسانة وفى درجة حب عشرة أو عشرين فى المائة ستنمو هذه النسبة مع الأيام ومع العشرة ومع الإخلاص، وهذا ما يحدث بالنسبة للزواجات الناجحة، أن درجة الحب تسير فى تصاعد وفى سلم صاعد لفوق، عندما نرى رجل وامرأة فى سن الشيخوخة وهما فى أشد علاقات الحب الوثيق بينهما، ورباط مقدس وعلاقة روحية، لدرجة أنه عندما يموت الواحد، نجد الطرف الثانى حتى لو كان صحته طيبة نجدها تنحدر بسرعة وقد تصل به إلى الموت، لأن الحب الشديد بينهما جعل الترابط والتلاحم بينهما رباطاً روحياً مقدساً فى درجة تصاعد إلى فوق، ولكن فى عدم وجود التوافق نجد أن الحب بينهما تناقص بدرجة كبيرة جداً، بعد أن كان كل منهما متعلق بالآخر ولا يرى فى الحياة غيره، وبعد أسبوع أو ثلاثة أو خمسة يجد الحياة كلها ظلام حوله. والإنسان منا يكون غير قادر أن يصدق كيف ينقلب الإنسان من الحب الكبير إلى الخصومة والعداوة والنفور، كل هذا بسبب عدم وجود التوافق النفسى والفكرى، فلو حرصنا فى مبدأ الأمر على مبدأ التوافق النفسى والفكرى قبل ما ندخل فى رابطة الزواج، نجد أن الزواج ينمو والحب ينمو شيئاً فشيئاً، ويبقى فى درجة تصاعد لدرجة أن الاثنين يزداد التلاحم والترابط والاتحاد بينهما، ويبقى الروح القدس فى فاعلية سر الزواج، وتنمو هذه الفاعليات التى أخذوها فى سر الزواج، وتشيع فى روحيهما ونفسيهما وفكريهما وتجعل منهما ليس فقط جسدا واحدا ولكن أيضاً روحاً واحدة.

لإلهنا المجد دائماً أبدياً آمين.

القيم الروحية
في سر الزيجة

موضوعات وإجابات على أسئلة ٨٣
١ ـ الميل الجنسى عند آدم وحواء ومتى تولّد ٨٣
٢ ـ مفهوم التعاون بين آدم وحواء فى الجنة ٨٨
٣ ـ كيف كان آدم وحواء عريانين وهما لا يخجلان ؟ ٩٤
٤ ـ الزواج رابطة مقدسة باركها الله ٩٩
٥ ـ سر الزواج مقدس، وفراش الزوجية غير نجس ١٠٦
٦ ـ الاختلاط الجنسى بين الرجل وزوجته باركه الله ١١٣

٧ ـ أين ومتى أدان الله الرغبات الجنسية ؟..... ١١٩
٨ ـ هل للمسيحى أن يتزوج أكثر من واحدة ؟ ١٢٦
٩ ـ هل تبيح المسيحية تعدد الزوجات؟ ١٢٩
١٠ ـ هل تحل المعاشرة الزوجية قبل عقد الإكليل أو من دون الإكليل؟ ١٣٢
١١ ـ هل يجوز للرجل، إذا زنت زوجته أن يتزوج بأخرى؟ ١٣٣
١٢ ـ هل حرّم الله الزواج ؟ ١٣٤
١٣ ـ سر الزواج وسر الكهنوت ١٣٦
١٤ ـ وحدانية الزيجة فى المسيحية ١٤٥
١٥ ـ يجب أن يكون العروسان أرثوذكسيين ١٤٨
١٦ ـ يجب أن يكون للزوجان بيت مستقل ١٥٠
١٧ ـ يجب أن تهربى من كل لقاء به ١٥١
١٨ ـ هل يجوز للمرأة المطلقة أن تتزوج ؟ ١٥٣
١٩ ـ هل يجوز للأهل أن يجبروا إبنتهم على الزواج من رجل بعينه؟ ١٥٥
٢٠ ـ هل يجوز الطلاق ؟ ١٥٦
٢١ ـ هل يجوز الزواج فى الصوم؟ ١٥٨
٢٢ ـ ترك الزوجة لزوجها خمس سنوات ١٥٩
٢٣ ـ هل لقائمة الزواج سند كنسى ؟ ١٦١
٢٤ ـ من حق الإبنة الشابة أن يكون لها رأيها فى إختيار شريك حياتها ١٦٢
٢٥ ـ زواج المطلق أو المطلقة ١٦٣
٢٦ ـ ما جمعه الله لا يفرقه الإنسان ١٦٤
٢٧ ـ لا يجوز إجبار الفتاة على الزواج ١٦٥
٢٨ ـ لا تنتظر فى أمر الزواج حلما أو رؤيا ١٦٦
٢٩ ـ لا تخرج المرأة على طاعة زوجها ١٦٧
٣٠ ـ لا تتوقع أن يتوافر فى فتاتك كل صفات الكمال المطلق ١٦٩
٣١ ـ فى صلوات الإكليل والزواج ١٧٠
٣٢ ـ عند الزواج يجب أن يتبع الزوجان شريعة واحدة ١٧٣

٣٣ ـ أنت مقترن بإمرأة فلا تطلب الانفصال ١٧٥
٣٤ ـ عقم الزوجة ليس سبباً شرعياً للطلاق ١٧٦
٣٥ ـ سمو الرابطة الزوجية ١٧٧
٣٦ ـ صلوات الاكليل فى الكنيسة ضرورية لشرعية الزواج المسيحى ١٧٩
٣٧ ـ زواج أرملة ابن الأخ المتوفى غير جائز ١٨٠
٣٨ ـ رأى فى التصريح بزواج رجل ترفض امرأته مصالحته ١٨٠
٣٩ ـ ثناؤك لها شهادة على استحقاقها كل تكريم ١٨٥
٤٠ ـ تشكو من تسلط حماتها ١٨٦
٤١ ـ تأخر زواج الفتاة ليس دليلاً على عمل سحرى ١٨٨
٤٢ ـ بدعة القرعة الهيكلية فى اختيار الزوجة ١٩٠
٤٣ ـ ليحرص كل منكما على أن يرضى رفيقه ١٩٥
٤٤ ـ كثرة الأسفار الطويلة مدمرة للحياة الزوجية ١٩٧
٤٥ ـ امتحن مشاعرك وادرس سيرة الفتاة ١٩٩
٤٦ ـ لا تتراجعى عن هذا الخط الروحى ٢٠١
٤٧ ـ الكشف الطبى للمقبلين على الزواج ٢٠٣
٤٨ ـ الزوجة تكسب محبة زوجها برقتها وحنانها وتفانيها فى خدمته ٢٠٥
٤٩ ـ الزوجة الحكيمة مع شريك حياتها ٢٠٧
٥٠ ـ الزواج مسألة شخصية تتم بكامل حرية الإنسان فى الاختيار. ٢٠٨
٥١ ـ الزواج لا يتعارض مع البتولية ٢١٠
٥٢ ـ مسئولية الزواج المسيحى ٢١٢
٥٣ ـ الزواج العرفى لا تبيحه المسيحية ٢١٥
٥٤ ـ الزواج المسيحى هو أولاً وقبل كل شىء مسئولية روحية ٢١٧
٥٥ ـ مدة الخطبة قبل الاكليل ٢١٨
٥٦ ـ التوافق النفسى والفكرى ٢٢٠
٥٧ ـ الأسباب الرئيسية لإنحلال الرابطة الزوجية ٢٢٢
٥٨ ـ أقوى سلاح عند المرأة هو ضعفها أمام زوجها ٢٢٦

٥٩ ـ أعتقد أن الزواج يناسبك ٢٢٧
٦٠ ـ اطلبى إحالة موضوعك على المجلس الاكليريكى ٢٢٨
٦١ ـ أسئلة عن الزواج ٢٢٩
٦٢ ـ إذا غاب الزوج غيبة منقطعة ٢٣١
٦٣ ـ اختيار الزوجة يكون بناء على التوافق النفسى والفكرى ٢٣٢
٦٤ ـ تعدد الزوجات فى اليهودية ٢٣٣
٦٥ ـ تعليق على مقال القول الفصل ٢٣٥
٦٦ ـ متى لا يجوز المعاشرة الزوجية ؟ ٢٤٥
٦٧ ـ هل يجوز إجراء الاكليل مساء الثلاثاء أو مساء الخميس؟ ٢٥٣
٦٨ ـ هل يجوز عقد الاكليل فى يوم الأربعاء أو الجمعة؟ ٢٥٥
٦٩ ـ هل يجوز الزواج فى يوم رفاع الصوم؟ ٢٥٦
٧٠ ـ الاختلاط بين الطلبة والطالبات ٢٥٧
٧١ ـ الأفضل أن تعالج عند طبيبة امرأة ٢٥٩
٧٢ ـ الامتناع بالاتفاق ٢٦٠
٧٣ ـ انحلال الرابطة الزوجية بالبطلان ٢٦٢
٧٤ ـ التطليق بالبطلان ٢٦٣
٧٥ ـ الحكم فى رجل متزوج زنى بفتاة بكر ٢٦٤
٧٦ ـ الزواج توافق بين روحين ٢٦٥
٧٧ ـ الزواج رابطة إلهية مقدسة وتعقد فى الكنيسة ٢٦٦
٧٨ ـ الزواج رابطة مقدسة، فلا تحتقره بحجة الرهبنة ٢٦٧
٧٩ ـ الزواج رسالة ورسالتك زوجك وإبنتك ٢٧٠
٨٠ ـ الطلاق لا يجوز فى المسيحية إلا بسبب الزنى أو الموت ٢٧٢
٨١ ـ المانويون وليس المسيحيون هم الذين ينهون عن الزواج ويحرمون أكل اللحوم ٢٧٨
٨٢ ـ المرأة الحكيمة ترضى زوجها وبهذا تشده إليها ٢٨٣
٨٣ ـ تريد طفلاً تتبناه ٢٨٥
٨٤ ـ العلاقة الجنسية نتيجة طبيعية لنمو المحبة والمودة والألفة ٢٨٧

٨٥ ـ شاء لفضيلته أن يستر خطيئتها ٢٩٠
٨٦ ـ فى سر الزواج ٢٩٢
٨٧ ـ قديسون من المتزوجين ٢٩٧
٨٨ ـ لا يترك الرجل زوجته ولا تفارق المرأة رجلها..... ٣٠٠
٨٩ ـ مشكلة الزوج إذا فارقته زوجته ٣٠١
٩٠ ـ نصيحة إلى شاب فى اختيار زوجته ٣٠٤
٩١ ـ هل الزواج قسمة ونصيب ؟ ٣٠٥
٩٢ ـ هل تجوز القبلة بين الخطيبين؟ ٣٠٩
٩٣ ـ هل كل إنسان مطالب بأن يتزوج ؟..... ٣١٠
٩٤ ـ هل يجوز الزواج من شاب هو ثمرة الزواج الثانى بعد الطلاق؟ ٣١٢
٩٥ ـ يشكو زوجته ٣١٣

موضوعات وإجابات على أسئلة

١- الميل الجنسى عند آدم وحواء، ومتى تولد؟ (١)

سؤال : من السيد الدكتور موريس تاوضروس الأستاذ بالكلية الإكليريكية لدراسات العهد الجديد.

يقول إذا كانت الرغبات الجنسية لم يكن لها وجود فى الإنسان الأول عند بدء الخليقة، وأنها تولدت فيما بعد عندما سقط آدم وحواء فى الخطيئة وانحرف فكرهما عن روحانيته الأولى، فماذا كانت علاقة آدم وحواء فى بدء الخليقة وقبل السقوط؟

ثم يضيف قائلاً: حقاً إن الاختلاط الجنسى بالصورة الشهوانية أمر لا نتصور وجوده فى الجنة... إن هذه الصورة الشهوانية تمت بعد السقوط، لكن الغريزة الجنسية ذاتها هى غريزة صالحة وخيرة، خلقت مع الإنسان وتزودت بها طبيعته. فهناك ميل طبيعى جنسى من آدم نحو حواء ومن حواء نحو آدم. إن الخطيئة لم تخلق هذا الميل الجنسى ولم يخلق آدم وحواء بدون هذه الرغبة الجنسية المتبادلة بينهما، لأن الرغبات الجنسية ذاتها رغبات مقدسة وهدفها واضح وهو المساهمة فى تحقيق هذا التعاون والترابط بين آدم وحواء والذى يتم عن طريق إنجاب النسل... إن الخطيئة أضافت عنصر «اللذة الشهوانية» على الغريزة الجنسية ولكنها لم تخلق هذه الغريزة.

الجواب :

جميل قولكم «حقاً إن الاختلاط الجنسى بالصورة الشهوانية أمر لا نتصور وجوده فى الجنة. إن هذه الصورة الشهوانية تمت بعد السقوط». إن عبارتكم هذه تتمشى مع تعليم الكتاب المقدس وهى كافية فى نفى الرأى القائل (إن الله هو الذى طبع فينا الرغبات الجنسية القوية لتكون علاقة ممتعة...) وهو الرأى الذى نفيناه ورددنا عليه فى كتابنا «الرأى المسيحى فى تحديد النسل» (من صفحة ١٤٣- ١٥٤).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٧ من أغسطس - آب لسنة ١٩٧٧م - أول مسرى لسنة ١٦٩٣ ش.

أما قولكم (إن الغريزة الجنسية ذاتها هى غريزة صالحة وخيرة) فهذه قضية أخرى. إن الغريزة الجنسية شأنها شأن جميع الغرائز الأخرى، صالحة فى ذاتها، ولكن الإنسان هو الذى يحسن أو يسيء استغلالها. ولكن يبقى السؤال قائماً: متى انغرزت الغريزة الجنسية فى الإنسان، وبأية صورة غرزت؟ هل انغرزت فيه بالصورة الأولية البسيطة التى توجد بالأطفال الرضعان وبالأطفال الصغار قبل سن الثالثة، أم بالصورة التى تظهر فى سن المراهقة؟

أما عن السؤال الأول: متى انغرزت الغريزة الجنسية فى الإنسان، فهذا سؤال صعب، يعسر على الناس بعامة، والعلماء منهم بخاصة، أن يجيبوا عليه، فلا علماء الأحياء، ولا علماء النفس، يزعمون أنهم بقادرين على الإجابة على مثل هذا السؤال، فليست لديهم مادة علمية يمكنهم أن يحددوا بها الزمن على وجه الدقة الذى انغرزت فيه الغريزة الجنسية فى الإنسان الأول آدم وحواء. لذلك يدهشنى حقاً أن تكون لديكم الجرأة الكافية فى أمر كهذا وتحسموا الأمر بعبارة قاطعة، فتقولون (لكن الغريزة الجنسية... خلقت مع الإنسان وتزودت بها طبيعته) إننى أتخوف كثيراً من إصدار حكم فى مسألة لا دليل لنا عليها. فلا دليل من الكتب المقدسة على أن الغريزة الجنسية خلقت مع الإنسان وتزودت بها طبيعته، ولا دليل أيضاً من علم الأحياء أو من علم النفس، لأن العلوم الوضعية لا تستطيع أن تتوصل للبحث فى الإنسان الأول آدم وحواء، إلا من قبيل الاستنباط بما ظهر فى الجنس البشرى بعد آدم. على أن جميع العلوم إذا تناولت بالبحث أو الكلام فى الغريزة الجنسية فإنها تتناول هذه الغريزة بعد أن صارت بالفعل غريزة فى الجنس البشرى كله. أما المرحلة السابقة على صيرورتها غريزة فى الجنس فتخرج عن دائرة العلم البشرى بكافة تصنيفاته. ونحن هنا نتكلم عن هذه الغريزة الجنسية فى آدم، أى قبل أن تصبح فى الجنس البشرى بعامة.

وعندما نتكلم عن آدم وحواء يجب أن لا نتكلم عما نسميه اليوم بالغريزة الجنسية فالمعروف عند العلماء اليوم، بالمصطلح العلمى الدقيق، أن الغرائز عموماً، بما فيها غريزة الجنس، هى حصيلة خبرات النوع الإنسانى على مدى تاريخ البشرية، وأن للوراثة أثراً كبيراً فى ذلك. ومثل الغرائز فى ذلك مثل كافة الميول والاستعدادات لدرجة أن جمهور علماء النفس صار يستبعد

استخدام كلمة (غريزة) حتى لا يظن أنها مطبوعة أصلاً فى النفس البشرية، وصار يستعيض عنها بتعبير آخر مثل «حاجة» أو «ميل فطرى» ولذلك يقول الدكتور يوسف مراد أستاذ علم النفس بجامعة القاهرة سابقاً «عدل جمهور علماء النفس عن استعمال لفظ الغريزة لما يتضمنه من معان فلسفية، ولما يثير من مشكلات لفظية» (١).

أما قولكم (فهناك ميل جنسى من آدم نحو حواء ومن حواء نحو آدم. إن الخطيئة لم تخلق هذا الميل الجنسى ولم يخلق آدم أو حواء بدون هذه الرغبة الجنسية المتبادلة بينهما، لأن الرغبات الجنسية ذاتها رغبات مقدسة وهدفها واضح وهو المساهمة فى تحقيق هذا التعاون والترابط بين آدم وحواء والذى يتم عن طريق إنجاب النسل... إن الخطيئة أضافت عنصر «اللذة الشهوانية» على الغريزة الجنسية ولكنها لم تخلق هذه الغريزة) ... فهو قول يفتقر إلى إثبات. وفيه الكثير من إسقاط النظرة الشخصية على تاريخ الإنسان الأول. من أين أتاكم أن (هناك ميل جنسى من آدم نحو حواء ومن حواء نحو آدم) ؟ وما هو دليلكم على أنه «لم يخلق آدم أو حواء بدون هذه الرغبة الجنسية المتبادلة بينهما» ؟ ومن أين لكم القول إن (الرغبات الجنسية (عند آدم وحواء) هدفها الواضح هو المساهمة فى تحقيق هذا التعاون والترابط بين آدم وحواء، والذى يتم عن طريق إنجاب النسل) ؟ ومن أين الدليل على قولكم «إن الخطيئة لم تخلق هذه الغريزة» ؟.

إن الأمانة الروحية والأمانة العلمية تقتضينا أن نقول إنكم فى هذه التعبيرات أسقطتم رأيكم الشخصى على آدم وحواء، وفرضتم عليهما رأيكم، وألزمتموهما بما ترونه فى ذهنكم مقبولاً ومعقولاً، وليس هناك دليل واحد على أن الحقيقة هى ما رأيتم. إن من حق الإنسان أن يعبر عما يراه فى نفسه، ولكن ليس من حقه أن يحكم على غيره بما يراه فى نفسه إذا لم يكن له دليل على صحة هذا الحكم أو قرينة تؤيده.

إننا بكل الأمانة والصدق، ليس لنا دليل واحد فى الكتاب المقدس على أنه كان هناك، قبل إغراء الحية لحواء بالأكل من الشجرة المنهىّ عنها، (ميل جنسى من آدم نحو حواء ومن حواء نحو آدم). وليس هناك نص واحد فى سفر التكوين يؤيد وجود هذا الميل الجنسى المتبادل بين آدم وحواء. وليس هناك بالتالى دليل واحد فى الكتاب المقدس (على أن الخطيئة لم تخلق هذا الميل الجنسى) وعلى أنه (لم يخلق آدم أو حواء بدون هذه الرغبة الجنسية المتبادلة بينهما) وعلى أن

---

(١) كتاب «مبادىء علم النفس العام» للدكتور يوسف مراد - القاهرة ١٩٦٦ - الفصل الخامس صفحة ١٠٠ حاشية رقم ٢.

(الرغبات الجنسية هدفها (عند آدم وحواء) كان هو المساهمة فى تحقيق هذا التعاون والترابط بين آدم وحواء والذى يتم عن طريقه إنجاب النسل).

إنما على العكس من كل ذلك تماماً، يقول لنا الكتاب المقدس بعد خلقة حواء مباشرة من آدم «وكانا كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان» (التكوين ٢: ٢٥) ويقول لنا أيضاً إنهما بعد أن أكلا من الشجرة المنهى عنها «فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان، فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر» (التكوين ٣: ٧).

وإذن فعندما خلق الله آدم، وخلق منه حواء، لم يكن هناك اختلاط جنسى بينهما، بل لم يكن ثمت ميل جنسى من آدم نحو حواء ومن حواء نحو آدم، فقد (كان كلاهما عريانين آدم وامرأته، وهما لا يخجلان) فكان مثلهما مثل طفلين صغيرين لا يعرفان عن الجنس شيئاً، وليس لهما ميل جنسى بدليل عدم وجود الخجل، بينما وجد هذا الخجل فى المرحلة التالية للأكل من الشجرة المنهى عنها. إذ يقول الكتاب المقدس «فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان» وهذا معناه أن المعرفة بالجنس لم تكن موجودة لأن أعينهما لم تكن مفتوحة للإدراك الجنسى، وبالتالى إذا كانت المعرفة الجنسية غير موجودة، فلا يكون الميل الجنسى موجوداً، ولكنه تولّد فيما بعد، أى بعد أن أكلا من الشجرة المنهى عنها والتى سميت لذلك بشجرة معرفة الخير والشر.

ثم هنا سؤال: ما معنى أن يهتم الكتاب المقدس بأن يذكر موضوع عرى آدم وحواء، وأنهما قبل الأكل من الشجرة، لم يكونا يخجلان، وأنه بعد الأكل من الشجرة انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان؟ أليس لفتاً لنظرنا أن بالأكل من الشجرة المنهى عنها حدث اختلاف بين مرحلتين - فى المرحلة الأولى لم يكن الخجل موجوداً، وأما فى المرحلة الثانية اللاحقة للأكل من الشجرة المنهى عنها، صار للخجل وجود، ويعزو الكتاب المقدس الخجل إلى انفتاح الأعين (فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان). وإذن فالخطيئة حدثت أولاً، وعنها تولدت المعرفة والإدراك بالجنس، وعن المعرفة تولد الميل الجنسى، وبسبب الميل الجنسى كان الخجل... والدليل على ذلك أيضاً قول الله لآدم: «من أعلمك أنك عريان. هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها» (التكوين ٣: ١١).

وسؤال آخر: يقول الكتاب المقدس إن الأبوين بعد أن انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان «خاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر».

والسؤال هو: لماذا خاط الأبوان آدم وحواء أوراق تين وصنعا لنفسيهما مآزر ليسترا عورتيهما...؟ كيف لرجل وزوجته أن يستر كل منهما عورته عن الآخر، ولم يكن هناك إنسان آخر غيرهما يمكن أن يسترا عورتيهما منه؟ لو كان الميل الجنسى موجوداً منذ الابتداء ومنذ الخلق، فلماذا بعد أن عرفا أنهما عريانان يستران عورتيهما بأوراق التين، ويصنعان لهما مآزر... وهما فى نفس الوقت زوجان ولا ثالث بينهما؟ أليس هذا دليلاً على أن الميل الجنسى وبالتالى الغريزة الجنسية لم يكن لها وجود عند آدم وحواء منذ الابتداء، أى منذ الخلق، وأن هذا الميل قد تولد فيما بعد، أى بعد الأكل من شجرة معرفة الخير والشر، وهو السبب المباشر لتولد الخجل، وبالتالى لأن يسرع كل منهما فيخيطا أوراق تين ويصنعا لأنفسهما مآزر؟

وهنا نجيب على ما قلتموه فى مطلع السؤال: إذا كانت الرغبات الجنسية لم يكن لها وجود فى الإنسان الأول عند بدء الخليقة وأنها تولدت فيما بعد، عندما سقط آدم وحواء فى الخطيئة وانحرف فكرهما عن روحانيته الأولى، فماذا كانت علاقة آدم وحواء فى بدء الخليقة وقبل السقوط؟

وجوابنا **هو أن آدم وحواء عاشا معاً قبل السقوط، كأخ مع أخته. وكان الزواج بينهما زواجاً من نوع الزواج الذى سمى فيما بعد بالزواج البتولى - أى الجمع بين رجل وامرأة كأخ مع أخته بدون اختلاط جنسى، والهدف من هذا الزواج هو التعاون بينهما على أساس أنهما يكمل أحدهما الآخر**، فالرجل آدم يتميز بصفات فيه لا تجدها حواء فى نفسها، وتتميز حواء بصفات لا يجدها آدم فى نفسه، وبهذا التمايز فى الصفات النفسية والذهنية يتعاونان فى الجنة ويعملان معاً متعاونين ولكن دون اختلاط جنسى، أما الاختلاط الجنسى فقد صار بينهما فيما بعد، بعد الطرد من الجنة. قال الكتاب المقدس بعد أن ذكر نبأ الطرد من الجنة فى الأصحاح الثالث من سفر التكوين، يقول فى مطلع الأصحاح الرابع «وعرف آدم امرأته فحبلت وولدت قايين، لكن الميل الجنسى تحرك فيهما فى الجنة، فلما طردهما الله تحقق الاختلاط الجنسى الذى أثمر بولادة قايين أول أولادهما.

يقول القديس إيرونيموس (٣٤٢- ٤١٩و ٤٢٠م): «أما بالنسبة **إلى آدم وحواء ينبغى أن نقرر بوضوح أنهما كانا فى الفردوس بتولين، وذلك قبل السقوط. ولكن بعد أن سقطا فى الخطيئة وطردا من الفردوس، تزوجا بعد ذلك مباشرة**» (١) (وهو يعنى الزواج الجسدانى بالوصال الجسمانى).

---

(١) انظر كتاب القديس ايرونيموس: «الرد على جوفينيان» كتاب ١ فقرة ١٦.

THE NICENE & POST - NICENE FATHERS, SECOND SERIES, VoI. VI. P. 359(b).

٢- مفهوم التعاون بين آدم وحواء فى الجنة (١)

سؤال : من السيد الدكتور موريس تاوضروس الأستاذ بالكلية الإكليريكية لدراسات العهد الجديد.

يقول إنى أتساءل: لماذا خلق الله رجلاً وامرأة، آدم وحواء، إذا كانت الرابطة بينهما تهدف أساساً وأولاً إلى التعاون معاً على العمل؟ وفى ظنى أن حواء لا تستطيع أن تعين آدم على العمل بقدر ما يستطيع ذلك رجل آخر مثل آدم. ما هو المقصود بعبارة «التعاون فى العمل» هل تعنى أن آدم كان يعجز بمفرده عن أن ينجز ما تطلبه الجنة من عمل؟ وأن ما كُلِّف به من عمل يعجز وحده عن القيام به؟ وهل إلى هذا الحد كان شقاء العمل فى الجنة، وإلى هذا الحد أيضاً كانت مطالب العمل ومستلزماته؟ هل المقصود بالتعاون هنا، حاجة الجنة إلى أكثر من شخص واحد يعمل فيها؟ لقد قلتم نيافتكم فى موضع آخر: «التعاون فى الحياة، والتعاون فى العمل، والتعاون فى حمل الأعباء والمسئوليات» (الرأى المسيحى فى تحديد النسل صفحة ٩٠) على أن مفهوم التعاون فى نظرى هو أوسع من هذا، وإلا كما قلت كان من الأفضل أن يتحقق هذا التعاون بخلق رجل آخر لآدم وليس بخلق امرأة، إن التعاون هنا فيما أرى يتصل بكيان آدم ووجوده أكثر مما يتصل بأرض الجنة وأشجارها إنه تعاون لا يتحقق بين رجل ورجل أو ذكر وذكر، ولكنه يتحقق بالضرورة بين ذكر وأنثى، بين رجل وامرأة، بين آدم وحواء «ذكراً وأنثى خلقهم» (التكوين ١ : ٢٧). هذه حقيقة يجب أن نقرّ بها، وهى أن الكيان الإنسانى منذ البداية هو رجل وامرأة أو ذكر وأنثى أو آدم وحواء؟

الجواب :

الواضح من الكتاب المقدس أن آدم وهو الإنسان الأول رأى نفسه وحيداً فى الجنة، ولم يكن معه أحد آخر من جنس الإنسان، يؤنس وحشته، ويتحدث إليه، ويسمع له إذا هو تكلم، ويتفاهم معه... لقد رأى أن هناك حيوانات وطيوراً ودواجن... ولكن لم يجد كائناً آخر من صنف الإنسان يزامله الحياة ويتبادل معه الفكر والكلام. قال الكتاب المقدس «فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء. وأما لنفسه (أى آدم) فلم يجد معيناً نظيره» (التكوين ٢ : ١٨). أى أن آدم قد اكتشف بنفسه حاجته إلى إنسان آخر نظيره، من جنس الإنسان ومن صنفه، يكون له معيناً.

(١) نشر بجريدة وطنى فى عددها الصادر صباح الأحد ٢١ من أغسطس- آب لسنة ١٩٧٧م- ١٥ من مسرى لسنة ١٦٩٣ش.

والمفهوم من هذه المعونة التى احتاجها آدم الإنسان الأول، أنها المعونة التى يمكن لإنسان من صنفه أن يقدمها له. إذن ليست هذه المعونة هى من نوع حمل الأثقال، أو جلب الأشياء البعيدة وما إليها من خدمات بدنية جسدية ... فإن مثل هذه الخدمات يمكن أن توفرها له سائر الحيوانات جميعها طيعة له، تستجيب لندائه ولا تخالف أمره ... فقد كان هو سيّدها والمتسلط عليها (التكوين ١ : ٢٦، ٢٨).

لقد كان أبونا آدم هو الفلاح الأول ،وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنة عدن ليفلحها ويحفظها، (التكوين ١ : ١٥). كان إذن عمل آدم فى الجنة، هو الفلاحة ثم الحراسة والصيانة...

وأما عمل آدم فى الفلاحة فلم يكن عمل الغرس والإنبات، فقد تولاه الله عنه قبل أن يخلقه ،وغرس الرب الإله جنة فى عدن شرقاً ووضع هناك آدم الذى جبله. وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل،... ، (التكوين ٢ : ٨، ٩) كذلك بالنسبة إلى الأرض كلها خارج الجنة لم يقم آدم بغرسها وإنباتها، بل سبق الله فغرسها وأنبتها قبل ذلك بثلاث حقب جيولوجية، لأن آدم خلق فى الحقبة السادسة أو اليوم السادس (التكوين ١ : ٢٤-٣١). أما الله فخلق من الأرض النباتات فى الحقبة الثالثة أو اليوم الثالث ،وقال الله لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه بزره فيه على الأرض. وكان كذلك. فأخرجت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً كجنسه، وشجراً يعمل ثمراً بزره فيه كجنسه، (التكوين ١ : ١١، ١٢).

لم يكن إذن عمل آدم فى الجنة هو عمل الغرس والإنبات، فقد أعفاه الله منه، وقام به عنه فى الأرض من قبل أن يخلقه فى الوجود وقام به عنه فى الجنة من قبل أن يضعه فيها...

كانت إذن الفلاحة بالنسبة إلى آدم فى الجنة، عملاً غير شاق... ولربما كان عليه أن يشذب الأغصان ويهذب نموها، وأن يزيل من أمام الأشجار والنباتات ما يعوق نموها من الطفيليات، وأن يمهد الطرق لوصول المياه إلى جذورها... وما إليها من أعمال خفيفة... وإذا لزمه شىء آخر غير ذلك، فقد كان يمكنه أن يستعين بالحيوانات العجماوات وهى كثيرة ومتعددة الفوائد والقدرات: فمن بينها الأسود والنمور والضباع والذئاب والكلاب... ومن بينها البقر والجاموس والكباش والنعاج والخراف والماعز وسائر المواشى... ومن بينها الدواجن بأنواعها، والطيور بأصنافها...

هذا عن الفلاحة... أما عن الحراسة والصيانة. فقد كان آدم الحارس الأول للجنة، ورئيس أعمال الصيانة... ونحن نفهم اليوم ماذا يقصد بالصيانة، فصيانة المبانى مما يتساقط عليها من مطر أو من تراب، وعلى أبوابها ونوافذها من عوج والتواء وكسر نتيجة الحرّ أو البرد أو لفحة الشمس أو التآكل بسبب طول الإستعمال أو سوء الإستخدام أو الإهمال... وعلى مغاليقها ومفاتيحها من صدأ أو قذر... إلى غير ذلك.

كذلك يمكن أن نفهم عمل الصيانة بالنسبة إلى شجر الجنة... مما يصنعه عمال الحدائق من إزالة الأتربة، وتنظيف الطرقات، وكنس الأوراق والثمار الساقطة، وتشذيب الأغصان، وقصّ الزوائد الضامرة والتالفة، وصيانتها كذلك من الطفيليات الخانقة والحشرات الضارة والحيوانات القارضة وغير ذلك.

أما عمل الحراسة، فواضح أن المقصود منه على الخصوص هو المحافظة على شجر الجنة ونباتاتها من الحيوانات العجماوات والحشرات المتلفة، ومن بينها الجراد والقوارض وما إليها من حيوانات يمكنها من كثرة عددها أن تدمر وأن تتلف وأن تهلك... فكان عمل آدم أن لا يسمح لهذه الحيوانات بالدخول إلى الجنة، مكتفية بأن تأكل من نباتات الأرض التى أنبتها الرب الإله خارج الجنة. ولابد أنه كان للجنة أبواب، ومنها الباب الذى خرج منه آدم بعد أن طرده الرب الإله من الجنة بسبب سقوطه فى الخطيئة (التكوين ٣: ٢٣) وكان على آدم أن يحكم أبواب الجنة، فلا يفتحها إلا عند الحاجة.

ولقد يمكن أن يقال إن آدم كان يمكنه بمفرده أن يقوم بتلك الأعمال سواء منها ما يختص بالفلاحة أو ما يختص بالحراسة، ولولا ذلك لما خلقه الله وحيداً من غير أن يكون معه فى الخلق أحد، بينما أن الله خلق الأسماك والطيور، والحيوانات البرية والوحوش والمواشى، بالجملة والكثرة، ولم يخلق منها واحداً بمفرده كما فعل بالنسبة للإنسان... مما يدل على أن الإنسان كان متفرداً بخصائص، تميزه، حتى فى هدف وجوده، ووظيفته فى الكون... عن كل أنواع الحيوانات غير الناطقة.

لم يكن إذن آدم فى حاجة ماسة إلى كائن آخر من جنس الإنسان، من أجل عمل الفلاحة أو الصيانة أو الحراسة... ولكنه كان فى حاجة إلى هذا الكائن من جنسه ليمارس معه حياة الكائن العاقل والمفكر... **إن آدم كان فى حاجة إلى إنسان آخر من جنسه**

يؤنس وحدته (١)، يتحدث إليه ويسمع له... يبادله الفكر والرأى... يمارس معه الحب والتفاهم والتعاطف والأخذ والعطاء وما إليها من فضائل الكائن العاقل المفكر الحرّ المريد المخلوق على صورة الله ومثاله.

فحاجة آدم إلى إنسان آخر لم تكن حاجة إلى جسد آخر أو إلى كائن آخر من نوع آدم تماماً، وإلا رأى فيه آدم كائناً منافساً له جاء يقاسمه الوجود وينازعه حقه المطلق فى السيادة على سائر الموجودات والحيوانات.

وإنما كانت حاجة آدم إلى كائن من جنسه لكى يجد فيه ما لا يجده فى نفسه من خصائص وصفات... كائن آخر يأخذ منه ويعطيه... كائن ينقصه فى صفات ويزيد عنه فى صفات... ولذلك يشعر بأهميته بالنسبة له... كائن يكمّله... ولا ينافسه... كائن يمكن أن يمارس معه الفكر والعاطفة معاً... يُفضى إليه بفكره ثم يرشده ويوجهه ويدبره ويقوده، ويمارس معه خاصية القيادة والسيادة بالفكر، هو يأمر وذاك يطيع... هو يقود ويسود، وذاك ينقاد لطاعته وسيادته، فإذا أطاعه فبالطاعة يرضيه ويشبع فيه خاصيته التى خلقه الله عليها،وهى السيادة والقيادة لكل الطبيعة، لأنه هكذا خلق الله آدم سيداً متسلطاً على كل الخليقة، وحتى على حواء أيضاً «وهو يسود عليك» (التكوين ٣: ١٦). وهذا هو معنى قول الوحى دائماً (لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة... وكما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن فى كل شىء» (أفسس ٥: ٢٢- ٢٤)، (١ .كورنثوس١١ :٣)، (١٤: ٣٤)، (كولوسى ٣: ١٨)، (١ . تيموثيوس ٢: ١١، ١٢)، (تيطس٢ :٥)، (١ . بطرس ٣: ١، ٥، ٦).

---

(١) جاء فى الوصية التى تتلى على العروسين فى قداس صلوات الإكليل «قال الله فى التوراة على لسان موسى النبى لما خلق آدم «لا يحسن أن يكون آدم وحده» عناية به ومحبة له «بل نخلق له معيناً يؤنسه. فألقى على آدم سباتاً فرقد، وأخذ من جنبه الأيمن ضلعاً، وجعل عوضاً عنها لحماً، وخلق من تلك الضلع امرأة وسماها حواء، فلما انتبه آدم من نومه ونظر إلى حواء، أنس إليها وقال هذه الآن عظم من عظامى، ولحم من لحمى» (عن كتاب رتبة الإكليل الجليل حسب ترتيب الكنيسة القبطية الأرثوذكسية).

لذلك رأى الله أن يكون هذا الكائن الجديد من جنس آدم فى نوعه وصنفه، أى هو إنسان نظيره يتبادل معه الفكر والمشورة ويمارس معه التفاهم، لكنه ينقاد فى آخر الأمر لطاعته، فيرضى خاصية القيادة والسيادة التى خلقها الله فيه، لخير الطبيعة والوجود، ... ثم هو كائن رقيق يجد فيه آدم الرقة والحنان والحب، ويمارس معه العطف والرعاية والحماية وما إليها من خصائص الرجولة التى خلقها الله فيه... لذلك رأى الله أن يكون هذا الكائن الجديد هو حواء، وهو أنثى، من خصائصها الرقة والحنان والحب ولكنها لرقتها وضعفها (١ . بطرس ٣ : ٧) تحتاج إلى عطف آدم وحمايته ورعايته وسيادته وقيادته... ولهذا «قال الرب الإله لا يحسن أن يكون آدم وحده، فأصنع له معيناً نظيره» (التكوين ٢ : ١٨) ... «فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام. فاستل واحدة من أضلاعه، وملأ مكانها لحماً وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم... فقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى. هذه تدعى امرأة لأنها من امرؤ أخذت». (التكوين ٢ : ٢١ – ٢٣).

والمعنى من كل هذا أن حواء خُلقت من أجل آدم (١ . كورنثوس ١١ : ٨، ٩) لكى تكون معينة له، ولكن التعاون هنا فى المرحلة الأولى للوجود، وقبل أن يسقطا فى الخطيئة، **كان هو التعاون النفسى والذهنى والعاطفى بين كائنين يجد أحدهما فى الآخر ما يكمله نفسياً وذهنياً وعاطفياً، وذلك بتباين الخصائص والصفات بين الرجل والمرأة، وهو ما يمكن أن نجد له نظيراً إلى اليوم بين أخ واخته يسكنان معاً فى بيت واحد.**

هما أخوان يجد الأخ فى أخته صفات الرقة والحنان والحب بصورة يفتقدها فى نفسه فلا يجدها لأنها فى أخته أكثر منه وضوحاً وخصوبة، وأخته أيضاً تجد فيه صفات القيادة والرعاية والحماية بصورة تفتقدها فى ذاتها فلا تجدها، ولكنهاتجدها فى أخيها لأن تلك الصفات والخصائص توجد فى أخيها وهو رجل، أكثر وضوحاً وقوة...

وهذا هو مفهوم **الزواج البتولى** الذى عرفه آدم وحواء قبل أن يعرفا **الزواج بالاختلاط الجنسى الذى عرفاه بعد الطرد من الجنة** ،وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين، (التكوين ٤ : ١) . وهو زواج طاهر أيضاً لكنه فى ترتيب الأحداث جاء متأخراً عن الزواج البتولى الذى عرفه الأبوان فى الجنة...

وأما التعاون العملى، أو فى العمل، فعلى نظير ما نجده اليوم فى حياة الفلاح فى الحقل ومعه زوجته، تذهب معه إلى هناك وتقوم بالأعمال التى تتناسب مع طبيعتها، فإذا كان هو يضرب الأرض بالفأس ويعزقها، ويسقى الأرض (بالشادوف) (١)، وما إلى ذلك من أعمال تحتاج إلى عضلات الرجل وقوته، تقوم هى بالتقاط الحبوب، أو الصار من الطفيليات، وحلب اللبن والغزل، والخياطة، وإعداد الطعام، وأمثال ذلك...

والخلاصة، أننا إذا أردنا ترتيب غائيات الزواج بحسب معطياتنا فى الكتاب المقدس، وبترتيب الأحداث تاريخياً، **تبينا أن الهدف الأول من الزواج هو التعاون بين الرجل وزوجته نفسياً وذهنياً وعاطفياً وعملياً، والهدف الثانى هو الإنسال وولادة الأولاد.**

---

(١) الشادوف كلمة قبطية ⲯⲁⲧϥⲱⲓ وهى آلة لسحب الماء من الينبوع لرىّ الأراضى، تتألف من مقطعين -ⲯⲁⲧ- أى ينزح، يستفرغ ثم ϥⲱⲓ بمعنى قناة أو نبع أو مجرى.

CRUMM (W. E.), A COPTIC DICTIONARY, P. 594 (b), 623 (a).

٣ـ كيف كان آدم وحواء عريانين وهما لا يخجلان؟ (١)

سؤال : من السيد الدكتور موريس تاوضروس الأستاذ بالكلية الإكليريكية لدراسات العهد الجديد.

يقول: «إذا كانت الرغبات الجنسية قد تولدت فيما بعد عندما سقط الأبوان (آدم وحواء) فهل نفهم من ذلك أن الأعضاء التناسلية التى عن طريقها تتحقق هذه الرغبة، قد أضيفت إلى الخلقة فيما بعد، وهل معنى ذلك أن الجسد ليس من خلقة الله وحده، بل اشتركت الخطيئة فى تكوينه...؟ مع أن تكوين الإنسان منذ بدء الخليقة معد لهذا الإكثار والإثمار، إلا إذا اعتقدنا أن تكوين الإنسان قد تغير بعد السقوط عما كان عليه قبل السقوط، وأن أعضاء التناسل بالذات قد أضيفت للإنسان فيما بعد؟ على إننا لا نستطيع أن نتقبل هذا الاستنتاج منطقياً، لأنه كيف يمكن أن تثور الرغبة الجنسية بدون الجهاز التناسلى؟ وما هو الخطأ فى أن يقال إن الرغبة الجنسية طبعها الله فى الطبيعة البشرية؟ وأنها وجدت مع الإنسان منذ بداية خلقته؟ وأن الاختلاط الجنسى بين آدم وحواء وُضع أصلاً لكى يتم بطريقة غير شهوانية وأن عمل الخطيئة لم يكن خلق الرغبة الجنسية بل إضافة عنصر الشهوة إلى هذه الرغبة الجنسية بين آدم وحواء؟ إن الرغبات الجنسية ليست خطيئة ولا شراً وليست هى أيضاً من ثمار الخطيئة، ولكن الخطيئة أدخلت عليها هذا العنصر الشهوانى فأفسدت طهارتها ونقاوتها وقداستها. ما أقسى علينا أن نربط بين الرغبات الجنسية وبين الخطيئة؟.

الجواب :

تتكلمون عن الرغبة الجنسية عند آدم وحواء كما لو كانت شيئاً آخر غير الشهوة الجنسية... حقاً إن لفظ (الرغبة) فى اللغة يختلف قليلاً عن لفظ (الشهوة) أما بالنسبة إلى الجنس، فالرغبة والشهوة ظاهرتان نفسيتان موصولتان بحيث يصعب الفصل بينهما فى واقع الاختلاط الجنسى...

تقولون: (ما هو الخطأ فى أن يقال إن الرغبة الجنسية طبعها الله فى الطبيعة البشرية، وإنها وُجدت مع الإنسان منذ بداية خلقته، وأن الاختلاط الجنسى بين آدم وحواء وُضع أصلاً لكى يتم بطريقة غير شهوانية، وأن عمل الخطيئة لم يكن خلق الرغبة الجنسية بل إضافة عنصر الشهوة

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٤ من سبتمبر- أيلول لسنة ١٩٧٧ م- ٢٩ من مسرى لسنة ١٦٩٣ش.

إلى هذه الرغبة الجنسية بين آدم وحواء. إن الرغبات الجنسية ليست خطيئة ولا شراً وليست هى أيضاً من ثمار الخطيئة، ولكن الخطيئة أدخلت العنصر الشهوانى).

وجوابنا على سؤالكم، هو بدوره سؤال لكم: من أين لكم الدليل على قولكم إن الرغبة الجنسية طبعها الله فى الطبيعة البشرية وأنها وجدت مع الإنسان منذ بداية خلقته؟ كيف أجزتم لنفسكم أن تنسبوا إلى الله شيئاً لم يقل الله به؟ هل جاء هذا التعليم فى سفر التكوين؟ هل جاء فى سفر آخر من أسفار العهد القديم أو العهد الجديد تصريحاً أو تلميحاً أو تلويحاً؟ إن شيئاً من هذا الكلام لم يرد فى سفر التكوين أو فى أى سفر آخر من الكتاب المقدس، وليس هناك دليل واحد، ولا حتى قرينة، مجرد قرينة تساند هذا الرأى...

إنكم تتساءلون «ما هو الخطأ فى أن يقال إن الرغبة الجنسية طبعها الله فى الطبيعة البشرية، وأنها وجدت مع الإنسان منذ بداية خلقته؟» وجوابنا هو أن قولكم هذا هو مجرد رغبة منكم فى ذلك، لكن ليست لهذه الرغبة ما يؤيدها فى الكتاب المقدس... وإذا كنتم تتساءلون عن الخطأ... فالخطأ هو أن تنسبوا إلى الله كلاماً لم يقل الله به... وإنها لخطيئة، بل وكبيرة، أن يتكلم الإنسان باسم الله، ونيابة عنه، ناسباً إليه قولاً لم يقل الله به... إن هذا لأمر مرعب وفظيع، وليس فى قدرة بشر أن يتحمل تبعة هذا التصرف ومسؤوليته... يقول العلامة ترتليانوس TERTULLIANUS من آباء الكنيسة (حوالى ١٦٠- نحو ٢٢٠م) فى ختام كتابه عن وحدة الزيجة (الزواج بقرين واحد) «اخجل أيها الجسد، الجسد الذى لبس المسيح... عد إلى مثال آدم الأول، على الأقل، إذا كنت عاجزاً عن أن تحاكى آدم الثانى. **إنه مرة واحدة فقط ذاق من الشجرة، ومرة واحدة فقط شعر بالشهوة الجنسية، ومرة واحدة ستر عريه، ومرة واحدة أدركه الخجل أمام الله**، وأخفى نفسه خجلاً، ومرة واحدة طُرِد، ونفى فى فردوس العفة، وبعد ذلك تزوج مرة واحدة...».

أما تساؤلكم عن (الأعضاء التناسلية التى عن طريقها تتحقق هذه الرغبة الجنسية، وهل أضيفت إلى الخليقة فيما بعد، وهل معنى هذا أن الجسد ليس من خلقة الله وحده، بل اشتركت الخطيئة فى تكوينه) فجوابنا عنه أن الأعضاء التناسلية جزء من تركيب الإنسان الطبيعى، ولا يعقل أن يقال إنها زرعت فيه بعد الخطيئة، إذ الواقع أنه كان لها دور مصاحب للخطيئة عندما نشأت، ولقد أشار الكتاب المقدس إلى وجودها فى الأبوين قبل الخطيئة وبعدها. فقبل الخطيئة قال الوحى الإلهى: «وكان كلاهما عريانين، آدم وامرأته، وهما لا يخجلان» (التكوين ٢: ٢٥). وأما

بعد الخطيئة فقد قال الوحى أيضاً «فرأت المرأة أن الشجرة جيدة... فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل، فانفتحت أعينهما، وعلما أنهما عريانان، فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر» (التكوين ٣: ٦، ٧).

على أن الأعضاء التناسلية الخارجة بالنسبة للرجل تقوم باخراج البول فليست وظيفتها قاصرة على التناسل، ولكن لها أيضاً وظيفة إخراج البول، ومادام الأمر كذلك فلابد أنها كانت موجودة مع الإنسان الأول منذ ابتداء التكوين والخلق، ليس معناه وجود الرغبة الجنسية... فالأعضاء الجنسية يولد الأطفال بها، ومع ذلك لا تتولد الرغبة الجنسية إلا فى زمن متأخر، بعد أن تدخل (المعرفة) الجنسية إلى ذهن الفتى أو الفتاة. ويمكن تصور حالة الأبوين الأولين قبل الخطيئة وهما عاريان، أشبه بطفلين صغيرين، ذكر وأنثى، فى المرحلة السابقة على (المعرفة). فآدم وحواء فى المرحلة السابقة على الخطيئة كانا عاريين، ولكنهما كانا مشمولين بثوب البرارة والطهارة، متوشحين بالبرّ والروحانية، يكسوهما ستر من قداسة الفكر، وسمو المشاعر، فلم يشعرا بعريهما، ولم ينتبها إلى أعضائهما... وهذه مسألة من السهل فهمها فى الإنسان، كل إنسان، حتى فى زماننا الحاضر. فكلما كان ذهنه مشغولاً بالروحانية العالية كان منصرفاً عن الجنس إنصرافاً تاماً، بل يكون منصرفاً حتى عن جسده وما يحيط بكيانه المادىّ... ولقد عبرّ القديس يوحنا اللاهوتى فى رؤياه عن هذه الحالة التى يغيب فيها وعى الإنسان عن كيانه المادى ووجوده الحسىّ فقال: «**كنت فى الروح**» (الرؤيا ١: ١٠)، ومعنى قوله (كنت فى الروح) أنه قد استغرق فى الروحانيات استغراقاً تاماً، فلم يعد يدرى بوجوده المادى، فصار داخلاً (فى الروح) دخولاً إلى الأعماق، فاختفى عن حواسه كيانه المادى، وكأنه لم يعد له جسد، أو كأنه قد خرج من الجسد.

وقد عبرّ القديس بولس الرسول عن هذا النوع من الاستغراق الروحانى، والإنجذاب العقلى، والاختطاف الروحى، عندما وصف ما أدركه من المناظر الربانية والرؤيا العقلية الروحانية، وما بلغه من المكاشفات السمائية فى هذه الحالة الروحية العالية. قال «إنه لا يوافقنى أن أفتخر، فإنى آتى إلى مناظر الرب ومكاشفاته. أعرف إنساناً فى المسيح، قبل أربع عشرة سنة، **أفى الجسد لست أعلم، أم خارج الجسد، لست أعلم. الله يعلم.** اختطف هذا إلى السماء الثالثة. وأعرف هذا الإنسان **أفى الجسد أم خارج الجسد، لست أعلم. الله يعلم.** إنه اختُطف إلى الفردوس، وسمع كلمات لا يُنطق بها، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها. من جهة هذا أفتخر. ولكن من جهة نفسى لا أفتخر إلا بضعفاتى» (٢. كورنثوس ١٢: ١-٥).

إن الرسول بولس يصف ذاته عندما أدركته الإشراقات السماوية، أنه كان فى حالة لم يدر من أمر وجوده **الجسمانى** شيئاً، بدليل قوله (**أفى الجسد لست أعلم، أم خارج الجسد، لست أعلم. الله يعلم.** اختُطِفَ هذا إلى السماء الثالثة). ويكرر نفس المعنى مرة أخرى فى العبارة التالية (وأعرف هذا الإنسان، **أفى الجسد أم خارج الجسد، لست أعلم. الله يعلم.** إنه أختُطِف إلى الفردوس). إذن لقد كان الرسول مستغرقاً استغراقاً كلياً فى المناظر الربانية والإشراقات العليّة، بحيث لم يكن يعلم إذا كان لا يزال موجوداً فى جسده، أم أنه خرج من الجسد تماماً. وهو لا يعلم. ولكن الله وحده يعلم. ذلك لأن الرسول يدرى شيئاً واحداً أنه كان فى حالة اختطاف إلى السماء الثالثة، وإلى الفردوس... وأنه لذلك لم يرَ من حوله شيئاً، ولم يسمع من حوله شيئاً، لأن حواسه كانت معطلة، أو غائبة، ولذلك أمكنه أن يرى ما لا عين رأت، وأن يسمع ما لا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ما أعده الله للذين يحبونه (١ كورنثوس٢ :٩)، فقد «سمع كلمات لا ينطق بها، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها» تلك هى بعينها الحالة التى وصفها الرسول بولس نفسه فى موضع آخر حينما قال عن نفسه «وحدث لى بعد ما رجعت إلى أورشليم... وكنت أصلى فى الهيكل، **أنى حصلت فى غيبة**. فرأيته (الرب يسوع المسيح) قائلاً لى: أسرع واخرج عاجلاً من أورشليم، لأنهم لا يقبلون شهادتك عنى» (أعمال٢٢ : ١٧، ١٨). والمقصود (**بالغيبة**) كما هو واضح، **الغيبة عن الحسّ، وسقوط عالم الشهادة**، فلا يدرى الرسول الرائى «أفى الجسد، لست أعلم. أم خارج الجسد، لست أعلم: الله يعلم» فهو لا يرى شيئاً مما حوله مادياً، ولا يسمع صوت أحد من الناس من حوله، لأنه يكون مشدود الانتباه إلى السماء، ومنجذباً بعقله كله إليها، بل تكون روحه فى حالة اختطاف بالرؤيا الطوبانية، فيسقط عنه تماماً إحساسه بوجوده المادى، وتكون حواسه الخمس جميعها معطلة، فلا يرى ولا يسمع ولا يشم ولا يذوق ولا يلمس شيئاً من وجوده المادى أو وجود ما حوله من بشر أو أشياء.

وحالة الغيبة عن الوجود الحسىّ، حدثت أيضاً للقديس بطرس الرسول فبينما هو يصلى «**وقعت عليه غيبة**». فرأى السماء مفتوحة وإناء نازلاً عليه مثل ملاءة عظيمة... وصار إليه صوت: قم يابطرس...» (أعمال الرسل ١٠ : ١٠ – ١٣). وقد روى القديس بطرس مرة أخرى رؤياه لليهود فى أورشليم وقال «أنا كنت فى مدينة يافا أصلى، **فرأيت فى غيبة رؤيا**» (أعمال١١ : ٥). أى أنه عندما رأى الرؤيا السمائية، والسماء مفتوحة، وسمع صوتاً من السماء يكلمه، لم يكن فى حالة وعى بوجوده المادى، مع أنه كان متيقظاً يصلى ولم يكن نائماً، لكن الرؤيا تمت وهو فى غيبة الحواس الخمس، (أفى الجسد أم خارج الجسد، لست أعلم. الله يعلم).

على هذا النحو يمكننا أن نفهم حالة الأبوين الأولين آدم وحواء وهما فى حالة النعمة، وكانت البرارة والطهارة تكسوهما، فلا يدريان بأعضائهما الجنسية مع أنها «كانا كلاهما عريانين، آدم وحواء» لأنهما لم يكونا يدريان بأعضائهما الجنسية بسبب حالة البر التى كانت تكسوهما إذ كان عقلاهما شاخصين فى الروحانيات والسمائيات، فقد **كانا فى (غيبة) عن أعضائهما الجنسية**. لذلك كانا «**لا يخجلان**». ولعل هذا هو السبب فى أن الشجرة المنهى عنها سميت «**بشجرة معرفة الخير والشر**» (التكوين ٢: ٩، ١٧). أما قبل الأكل من الثمرة المحرّمة فكانا لا يدريان ولا يعرفان، ولذلك كانا لا يخجلان. وأما بالأكل من الشجرة فقد انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان. جاء فى كتاب الدر الثمين فى شرح سفر التكوين، وهو من الكتب التى كان مأموراً من السلطات الكنسية باستخدامها فى الكنائس المسيحية «**كان آدم مع امرأته عريانين ولا يستحيان لكون عقلاهما لم يكونا إلى أسفل، ولا عند جسديهما، بل كانا متعلقين مشغولين بالروحانيات التى كانا بها يتنعمان ويتلذذان، ولا يدريان بجسديهما، عريانين أم لابسين**» ... ويقول «**الشجرة الجسدانية التى أسماها شجرة معرفة الخير والشر، نهى آدم عن أكلها والتقرب منها لكى لا ينحط عقله من اللذات الروحانية اللاهوتية إلى الأمور الجسدانية، فيستوجب الموت، فبتعلق عقله وعقل امرأته، وانشغالهما باللذات الروحانية، لم يدريا أنهما عريانان**» (١).

ومن الحقائق المعروفة للباحثين فى علم النفس أن الفكر يتعارض مع الانفعال، فإذا كان الإنسان مستغرقاً فى الفكر فلا ينفعل. فإذا انفعل، توقف عن التفكير الصافى. ومن هنا يقول الخبراء بشئون الشباب، أن التسامى بالفكر يساعد الشباب على الخلاص من الشهوات الجنسية الرديئة، فكلما حشد الشاب ذهنه بأفكار صالحة سامية، وارتفع فوق الشهوات وتسامى عنها، لم تعد تشده إليها أو تجذبه نحوها، إلا إذا نزل هو عن هذا التسامى، فينزل بفكره إلى الجسدانيات، فتثور رغبته الجنسية وتشتعل فيه الشهوة. وهذا يفسر لماذا تضعف الرغبة الجنسية عند الروحانيين، لأن عقولهم مشدودة إلى فوق، إلى السماء، فلا يدرون بأجسادهم، إلا إذا نزلوا عن روحانيتهم إلى (المعرفة) بكيانهم المادى والحسى... لذلك فإنه مما لا يمكن قبوله علمياً أو روحياً قولكم (إن الاختلاط الجنسى بين آدم وحواء وضع أصلاً لكى يتم بطريقة غير شهوانية). فالمعروف أن الاختلاط الجنسى غير ممكن من غير شهوة. إنه مستحيل.

---

(١) كتاب الدر الثمين فى شرح سفر التكوين - منقول عن نسخة قديمة كتبت سنة ١٤٠٩ للشهداء - طبع القاهرة سنة ١٨٩٥م صفحة ٦٨.

٤- الزواج رابطة مقدسة باركها الله (١)

سؤال : من السيد الدكتور موريس تاوضروس الأستاذ بالكلية الإكليريكية بالقاهرة لدراسات العهد الجديد.

يقول: «لقد كان من أهداف الزواج التى أشار إليها سفر التكوين الإنجاب، فلقد قال الله لآدم وحواء «أثمروا، واكثروا، واملأوا الأرض» (التكوين ١ : ٢٨) ومهما قيل من أن هذا الهدف كان هو الهدف الثانى من الزواج، وجاء ترتيبه فى سفر التكوين بعد الهدف الأول، وهو التعاون، ومهما قيل أيضاً من أن هذا الهدف الثانى لم يبرز إلا بعد الأكل من الثمرة المحرمة والطرد من الجنة إلى الأرض، فإن الأمر الواضح أن أهداف الزواج بين آدم وحواء لا تخضع لهذا الترتيب الزمنى حتى يقال إن الهدف من الإنسال جاء بعد السقوط، وبعد أن صار الإنسان مهدداً بالموت (الرأى المسيحى فى تحديد النسل صفحة ٩٣، ٩٤). إن الهدف أو الأهداف من الزواج ترتبط معاً فى وقت واحد حتى وإن كان تحقق هدف من الأهداف يمكن أن يتأخر زمنياً عن تحقيق هدف آخر. إننا لا نستطيع أن نفهم كيف يكون الهدف الثانى من الزواج وهو الإنسال كان متوقفاً فى ظهوره على الحكم بالموت على الإنسان. تقول نيافتكم «المعروف أن الغريزة التناسلية أو الجنسية تسمى علمياً بغريزة «حفظ النوع». إذن هى غريزة جاءت فى ترتيب الخليقة وفى وجود الإنسان بعد أن صار الإنسان مهدداً بالموت، مثله فى ذلك مثل الأحياء الأخرى من نبات وحيوان. ولما كان الموت قد أدرك الإنسان بعد الخطيئة عقاباً له على مخالفته الوصية بعد الأكل من الشجرة المحرمة. فالإنسال جاء إذن تصريحاً وقائياً للإنسان ليحفظه من انقراض نوعه بعد أن زحف الموت إليه (الرأى المسيحى فى تحديد النسل صفحة ٩٤). لست أفهم كيف يمكن تصور الأمر على هذا النحو؟ إن معنى ذلك أن الإنسال والإنجاب لم يكن هدفاً أساسياً فى الخليقة، فلو لم يخطىء آدم لما كانت هناك كثرة من البشر، ولما كان هناك أبناء لآدم وحواء، وكان الوجود سوف يقتصر على آدم وحواء. الإنسال يصبح عملية وقائية لحفظ الإنسان من الانقراض، وليس عملية بناءه ليثمر الجنس البشرى ويكثر ويملأ الأرض، مع أن تكوين الإنسان منذ بدء الخلقة معد لهذا الإكثار والإثمار، إلا إذا اعتقدنا أن تكوين الإنسان قد تغير بعد السقوط عما كان عليه قبل السقوط، وأن أعضاء التناسل بالذات قد أضيفت للإنسان فيما بعد. على أننا لا نستطيع أن نتقبل هذا الاستنتاج منطقياً، لأنه كيف يمكن أن تثور الرغبة الجنسية بدون الجهاز التناسلى؟.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٢٥ من سبتمبر - أيلول لسنة ١٩٧٧م - ١٥ من توت لسنة ١٦٩٤ش.

الجواب :

أنتم تجدون صعوبة كبيرة فى تقبل أن يكون الإنسان هو الهدف الثانى من الزواج، وأنه يجىء فى ترتيب الأحداث فى تاريخ الإنسان الأول آدم وحواء، بعد الهدف الأول من الزواج وهو التعاون. وحجتكم فى ذلك قول الله لآدم وحواء منذ الابتداء «اثمروا واكثروا واملأوا الأرض».

وجوابنا على ذلك بسيط. فلنتتبع أحداث الخليقة. إن قول الله «اثمروا واكثروا واملأوا الأرض» جاء فى الأصحاح الأول من سفر التكوين ١ : ٢٨. لكننا نعلم من نفس الموضع الذى جاءت فيه هذه العبارة، أن كلام الله لم يكن لآدم وحده، وإنما كان للأبوين معاً بدليل قول الكتاب المقدس «فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، **ذكراً وأنثى خلقهم**. وباركهم الله، وقال لهم: اثمروا، واكثروا واملأوا الأرض...» (التكوين ١ : ٢٧، ٢٨) ألا ترى معى، أيها العزيز، **أن عبارة «اثمروا واكثروا واملأوا الأرض، قالها الله تعالى بعد أن خلق الله حواء لآدم، وبعد أن أحضرها إليه**؟ إذ يقول فى نفس الموضع «ذكراً وأنثى خلقهم، ثم يضيف قائلاً «**وباركهم الله**». فلم تكن البركة للاثنين فقط، وإلا لقال الكتاب المقدس «وباركهما» أى بالمثنى لا بالجمع. إذن قول الله «اثمروا واكثروا واملأوا الأرض» وكلها أفعال جاءت بصيغة الجمع، لا بصيغة المثنى - يدل على أن العبارة التى تذكرونها «**اثمروا واكثروا واملأوا الأرض، جاءت متأخرة فى الزمن عن وقت وزمن خلق حواء من ضلع آدم على الرغم من أن العبارة جاءت فى الأصحاح الأول، وعملية خلق حواء جاءت فى الأصحاح الثانى** (١٨- ٢٥). وإذن فالكتاب المقدس لم ينهج فى هذا الأمر منهجاً تاريخياً. فلابد أن تكون عبارة «اثمروا واكثروا واملأوا الأرض» جاءت فى ترتيب الأحداث متأخرة عن خلق حواء على الرغم من إيرادها فى الأصحاح الأول.

وإذا راعينا أن الله استخدم فى عبارته صيغة الجمع «اثمروا واكثروا واملأوا الأرض» تبين لنا **أن هذه العبارة لم يقلها الله لآدم وحواء، إلا بعد أن برز الهدف الثانى من الزواج وهو الإنسال**، وصار واضحاً فى شعور آدم وحواء، ولابد أن يكون هذا قد جاء متأخراً، أى فى المرحلة التالية للمرحلة الأولى التى كان فيها آدم وحواء بمثابة أخ مع أخته وكان كلاهما عريانين آدم وامرأته، وهما لا يخجلان، **لأن طهارة الفكر كانت تكسو عقليهما وقلبيهما، فلم يكونا فى المرحلة الأولى السابقة على الخطيئة يشعران بجسديهما وبعريهما وبعورتيهما.**

وإذن فكلام الله فى الأصحاح الأول من سفر التكوين (**اثمروا...**) **بصيغة الجمع** بيان على أن هدف **الإنسال** كان قد برز إلى الشعور.

ثم تعالَ معى إلى الأصحاح الثانى. يقول الكتاب المقدس «وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنة عدن ليفلحها ويحرسها... وقال الرب الإله لا يحسن أن يكون آدم وحده، فأصنع له معيناً نظيره... فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام، فاستل واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً. وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة، واحضرها إلى آدم...» (التكوين ٢: ١٥-٢٢). ترى إذن **أن قصة خلق حواء من ضلع آدم جاءت فى الأصحاح الثانى، مما يدل بوضوح على أن عبارة «اثمروا واكثروا واملأوا الأرض» التى جاءت فى الأصحاح الأول، كانت عبارة مجملة**، القصد منها بيان عمل الله فى خلق الجنس البشرى كما خلق أيضاً الطبيعة الكونية، والنباتات وسائر الحيوانات البرية والبحرية. أما عملية الخلق ذاتها للإنسان فقد جاء تفصيل القول فيها فى الأصحاح الثانى، فبالنسبة لآدم قال «وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ فيه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية» (التكوين ٢: ٧) وبالنسبة إلى حواء قال: «فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام، فاستل واحدة من أضلاعه...» (التكوين ٢: ٢١-٢٥).

ثم إن قول الكتاب المقدس «وقال الرب لا يحسن أن يكون آدم وحده، فأصنع له معيناً نظيره» (التكوين ٢: ١٨) وقوله عن آدم «وأما لنفسه فلم يجد معيناً نظيره (٢: ٢٠) دليل على أن الهدف الأول من خلق حواء لآدم هو أن تكون حواء له معيناً. إذن، **فمن الكتاب المقدس نتعلم أن الهدف الأول من الزواج هو التعاون. وأما الإنسال فهو الهدف التالى، على الرغم من أن عبارة «اثمروا واكثروا واملأوا الأرض» جاءت فى الأصحاح الأول.**

على أننا نتقدم خطوة أخرى لنقول إن عبارة «اثمروا واكثروا واملأوا الأرض» وهى بصيغة الجمع - لا بصيغة المثنى - لابد أن تكون قد قيلت بعد أن دخل الموت إلى العالم وصار وجود الإنسان مهدداً بالفناء. ولم يدخل الموت إلى الناس إلا بعد أن حدث التعدى، كعقاب جزائى على مخالفة الإنسان للوصية بأن لا يأكل من ثمر شجرة معرفة الخير والشر، ولا يمساه، لئلا يموتا (التكوين ٢: ١٦، ١٧)، (٣: ٣). قال الكتاب المقدس «بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس» (رومية ٥: ١٢)، (١. كورنثوس ١٥: ٢١).

وجاء فى **قوانين المجمع المنعقد فى قرطاجنة** فى شمال أفريقيا سنة ٤١٧ للتجسد:

«من قال بأن آدم الإنسان الأول قد خُلِق قابلاً للموت سواء أخطأ أو لم يخطأ، وأنه كان سيموت بأسباب طبيعية لا بسبب الخطيئة، فليكن محروماً».

والمعروف طبيعياً وعلمياً **أن التكاثر والتوالد والإنسال هو بالنسبة للكائنات القابلة للموت**، ولذلك فإن غريزة الجنس فى عالم الأحياء بما فيها الإنسان يسمونها **بغريزة (حفظ النوع)**. إذن هى **غريزة امتداد الحياة فى الكائنات القابلة للموت**. ولذلك فإنه سوف لا يكون فى العالم الآخر تكاثر وتوالد، لأنه سوف لا يكون هناك موت. قال المسيح له المجد «إن أبناء هذا الدهر يتزوجون ويتزوجن. أما الذين استحقوا أن ينعموا بالدهر الآتى، وبالقيامة من بين الأموات، فلا الرجال يتزوجون، ولا النساء يتزوجن. **ذلك أنهم لا يمكن أن يموتوا ثانية**، لأنهم مساوون للملائكة» (لوقا ٢٠: ٣٤- ٣٦)، (متى ٢٢: ٣- ٣٢)، (مرقس ١٢: ٢٥).

وهنا نسأل، لماذا يقول المسيح له المجد «فإنهم حين يقومون من بين الأموات لا الرجال يتزوجون ولا النساء يُتَّخَذْنَ زوجات، وإنما يكونون كالملائكة فى السماء» (مرقص ١٢: ٢٥)؟ **وإذن فالزواج فى عالم الإنسان بين رجل وامرأة، بين ذكر وأنثى، للإنسال هو قاصر على العالم الحاضر الذى دخل فيه الموت. أما الذين إستحقوا أن ينعموا بالدهر الآتى، وبالقيامة من بين الأموات، فلا الرجال يتزوجون، ولا النساء يتزوجن ذلك لأنهم لا يمكن أن يموتوا ثانية** (لوقا ٢٠: ٣٥، ٣٦).

أما فى العالم الآخر، عالم ما بعد الموت، فليس فيه زواج بالاختلاط الجنسى بين رجل وامرأة، بين ذكر وأنثى، لأنه لا موت هناك يهدد الناس بالفناء، كما يتهددهم هنا بسبب الخطيئة التى جبلت معها الموت.

ألا ترى، بذلك، **أن الدين والعلم يتفقان معاً ويجمعان على أن غريزة الجنس هى غريزة حفظ النوع من الانقراض بعد أن دخل الموت إلى العالم.**

على أن هذا النص الإلهى تكرر بعد ذلك كلما تهدد بقاء الإنسان فى العالم بكوارث الفناء.

فبعد الطوفان الذى فنى به وفيه، «كل قائم كان على وجه الأرض، الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء، فانمحت من الأرض، وتبقى نوح والذين معه فى الفلك فقط» (التكوين ٧: ٢٣). يقول الكتاب المقدس بعد أن خرج نوح وامرأته وبنوه ونساء بنيه معه «وبارك الله نوحاً وبنيه،

وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الأرض، (التكوين ١:٩) وهى العبارة نفسها التى نطق بها الله إلى آدم وحواء، وهذا يؤكد من جديد **أن قول الله إلى آدم وحواء «اثمروا واكثروا واملأوا الأرض»** (التكوين ١:٢٨)، **كان إليهما بعد أن دخل الموت إلى الجنس البشرى، أى فى المرحلة التالية.**

وثمت دليل آخر، قال المسيح له المجد «لأنهم فى القيامة لا الرجال يتخذون زوجات ولا النساء يتخذن أزواجاً، وإنما **يكونون كملائكة الله فى السماء»** (متى ٢٢:٣٠) ومعنى هذا **أن الملائكة لا يتزوجون، ولكن لماذا لا يتزوج الملائكة؟**

ذلك لأن الملائكة لا يموتون. وهذا ما قاله رب المجد «**إنهم لا يمكن أن يموتوا ثانية**» (لوقا ٢٠:٣٦) **وإذن فالزواج من أجل الإنسال هو للكائنات القابلة للموت.**

وملاك القول أن الهدف الطبيعى من الزواج الجسمانى بالاختلاط الجنسى هو الإنسال، وهذا معروف ومقرر بالنسبة لجميع الكائنات القابلة للموت من الحيوانات والطيور والأسماك. وصار كذلك بالنسبة إلى الإنسان بعد أن دخل الموت إلى طبيعته.

ترى إذن أيها العزيز لماذا قلنا **إن الهدف الأول من الزواج هو التعاون، وذلك فى المرحلة الأولى السابقة على الخطيئة، والهدف الثانى هو الإنسال، وذلك بعد أن دخل الموت إلى الناس. ولم يدخل الموت إلى الناس إلا نتيجة وعقاباً على الخطيئة والتعدى.**

أما تساؤلكم بأنه إذا كان الإنسال لهدف حفظ الإنسان من الانقراض، (فليس عملية بناءه ليثمر الجنس البشرى، ويكثر ويملأ الأرض، مع أن تكوين الإنسان منذ بدء الخلقة معد لهذا الإكثار والإثمار إلا إذا اعتقدنا أن تكوين الإنسان قد تغير بعد السقوط عما كان عليه قبل السقوط وأن أعضاء التناسل بالذات قد أضيفت للإنسان فيما بعد) فجوابنا على تساؤلكم هو **أن أعضاء**

التناسل كانت مخلوقة فى الإنسان منذ الابتداء، وذلك مرده إلى معرفة الله السابقة. فالله زود الإنسان منذ الابتداء بكل ما يلزمه، ولكل الاحتمالات. ومما يقوله وليم جيمس عالم النفس الشهير إن الإنسان مزود بطاقات وقدرات لا يستغل إلا بمقدار ١/٨ الثُمن منها، وتظل سبعة الأثمان منها معطلة إلى أن تجد ما يثيرها.

وعلى ذلك، **فإن الإنسان قد خلق مزوداً بالأعضاء التناسلية، لأن الله يعلم منذ الابتداء بحاجة الإنسان إليها، عندما يزحف الموت إليه، ويهدد بقاءه.**

لكن وجود الأعضاء التناسلية منذ بدء الخليقة ليس معناه استخدام الأعضاء التناسلية للإنسال. **لقد كان وجودها فى آدم وحواء كوجود سائر الطاقات والقدرات غير المستعملة وغير المستغلة.** ومثل آدم وحواء فى ذلك مثل الأطفال الرضعان أو الأطفال فى المرحلة السابقة على تيقظ غريزة الجنس، ومثل وجود الأعضاء التناسلية فى المتبتلين والعذارى. إنها موجودة فيهم، ولكنهم لا يستخدمونها. وفى هذا قول المسيح له المجد «ويوجد خصيان خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السماوات. فمن استطاع أن يقبل فليقبل» (متى ١٩: ١٢). وقال الرسول القديس بولس «الوقت منذ الآن مقصر، **لكى يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم**» (١. كورنثوس ٧: ٢٩).

ولعلك بعد هذا تعود من جديد لتقول (إن معنى ذلك أن الإنسال والإنجاب لم يكن هدفاً أساسياً فى الخلقة، فلو لم يخطىء آدم لما كانت هناك كثرة من البشر ولما كان هناك أبناء لآدم وحواء، وكان الوجود سوف يقتصر على آدم وحواء).

وجوابنا على ذلك هو ما قاله الوحى الإلهى بفم القديس يعقوب الرسول «معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله» (أعمال الرسل ١٥: ١٨). إن الله عندما خلق آدم وحواء خلقهما ذكراً وأنثى ليتعاونا، ويكمل أحداهما الآخر، بالصفات والخصائص الذهنية والنفسية التى يتميز بها كل منهما، والتى تبرز فى الواحد وتنقص فى الآخر. ولكنه كان يعلم منذ الابتداء أن آدم وحواء سوف لا يحفظان الوصية، وسوف يتعريان من ثوب البرارة، وسوف تنفتح، بالأكل من ثمر

شجرة معرفة الخير والشر، عيونهما، ولسوف يتجه فكرهما إلى عريهما، فتتحرك الرغبة الجنسية فيهما ويشتهيان الاتصال الجنسى، الذى لم يسمح الله به إلا بعد طردهما من الجنة، فأكملاه خارج الفردوس «وعرف آدم امرأته فحبلت وولدت قايين» (التكوين ٤: ١) كل هذا معلوم ومعروف عند الله مسبقاً، ومنذ الابتداء، بل منذ الأزل.

وإذن فلماذا التخوف من عدم التكاثر لو لم يخطىء آدم وحواء؟ **إن التكاثر كان يمكن أن يتم بغير الاتصال الجنسى. ألم يخلق الله الملائكة بكثرة هائلة، وعدداً لا يحصى، ومع ذلك فلا تزاوج بين الملائكة؟** لقد كان فى قدرة الله، لو أراد، أن يخلق من البشر ملايين الملايين، كأعداد الملائكة، من دون حاجة إلى الإتصال الجنسى بين ذكر وأنثى... بل كان فى قدرة الله أن يخلق أولاداً لآدم بنفس الطريقة التى خلق بها حواء من آدم، بأن يوقع على آدم أو على حواء سباتاً، ويخلق منه أو منها ولداً، ثم من هذا الولد يخلق ولداً آخر وهكذا... هذا أيضاً ممكن.

لكنه لم يلجأ إلى هذه الوسيلة، أو تلك، بل استغل رغبة الأبوين حتى إذا أنجبا ولداً، كان إنجابه برغبتهما واتفاقهما. فيحبانه ويحيطانه بالرعاية والاهتمام، إذ هو ثمرة حبهما، ومن نتاج اتّحادهما، واختلاط دم الواحد بالآخر فهو قطعة من كيانهما وامتداد لوجودهما. وهو الهدف العظيم من الزواج. ونتيجة لهذا صار الزواج الجسدانى بالمفهوم الذى أباحه الله وأجازه وباركه، أساساً لامتداد الجنس البشرى وتكاثره. ومن الأسرة الأولى نشأت أسرات، ومن الأسرات، تكون المجتمع الإنسانى على الصعيد العالمى. وهذا هو سرّ الترابط والتكافل الاجتماعى، ثم الالتزام الاجتماعى، لأن الله، من خلال قانون الزواج يكون قد «صنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على وجه كل الأرض» (أعمال ١٧: ٢٦).

٥ ـ سر الزواج مقدس، وفراش الزوجية غير نجس (١)

سؤال : من السيد الدكتور موريس تاوضروس الأستاذ بالكلية الإكليريكية بالقاهرة لدراسات العهد الجديد.

يقول «تقول نيافتكم: نعم إن الزواج مكرم، وهو فى المسيحية سرّ مقدس. الزواج فى ذاته من حيث هو رابطة روحية تربط الرجل وزوجته... أما عندما تناول الرسول موضوع المضجع أو فراش الزوجية، فقال عنه إنه «غير نجس» (AMIANTOS) والمعنى فى قوله «غير نجس» أنه «مباح» وجائز، ومسموح به، ولا إثم فيه. قال هذا وهو يفرّق بين الاختلاط الجنسى المشروع، والاختلاط الجنسى عند العاهرين والزناة» (الرأى المسيحى فى تحديد النسل صفحة ١٤٧). على أنى لا أجد ما يبرر وضع هذا التقابل بين عبارة «غير نجس وبين كلمة «مقدس» بل قد وردت عبارة «غير نجس» فى معنى مرادف لكلمة قدوس عندما تحدث الرسول بولس عن السيد المسيح كرئيس كهنة. قال الرسول بولس «لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس AMIANTOS A'UIAVTOC قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السماوات» (العبرانيين ٧: ٢٦)، ووردت عبارة «غير نجس أو غير دنس» مرتين أخريين ترجمة للكلمة اليونانية ἀμίαντος وهى لا تعطى هذا المفهوم الذى يضعها فى معنى أقل من معنى مقدّس. قال الرسول يعقوب «الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى هذه افتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم» (يعقوب ١: ٢٧) ويقول القديس بطرس «لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السماوات لأجلكم» (١. بطرس ١: ٤). فمن أين لنا القول بأن عبارة «غير دنس» عندما تستعمل عن «المضجع» لا تعنى أنه مقدس؟ لذلك يلزم أن نقول إن المضجع مقدس وأن الاختلاط الجنسى مقدس، ولا نكتفى فقط بالقول بان المضجع أو الاختلاط الجنسى «مباح» وجائز ومسموح به ولا إثم فيه، ولكنه غير مقدس... إن المتزوجين يمارسون الإختلاط الجنسى ليس لأنه فقط مباح ومسموح به بل لأنه مقدس، وإلا لكانت ضمائرهم تتعبهم. إذا كان يغضبكم يا صاحب النيافة ما (نقوله) من أن الله طبع الرغبات الجنسية، فإن المتزوجين يغضبهم أيضاً القول بأن هذه الرغبات الجنسية ليست أصيلة فى حياة الإنسان. ولكنها تولدت فيه بسبب الخطيئة، لأن العهد الجديد يشير إلى الزواج كسر مقدس. ولسنا

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عدديها الصادرين صباح الأحد ١٣ من نوفمبر ـ تشرين ثان لسنة ١٩٧٧م ـ ٤ من هاتور لسنة ١٦٩٤ش ـ وصباح الأحد من نوفمبر ـ تشرين ثان لسنة ١٩٧٧م ـ ١١ من هاتور لسنة ١٦٩٤ش.

نجد لا فى تعاليم العهد القديم ولا فى تعاليم العهد الجديد ولا فى تعاليم السيد المسيح هذه التفرقة بين الزواج «من حيث هو رابطة روحية تربط الرجل وزوجته» وبين «المضجع» أو فراش الزوجية فتجعل الزواج مقدساً. وأما المضجع فهو «غير دنس» لكنه ليس مقدساً!!!

الجواب :

نعم، لقد قلنا إن الزواج مكرم، وهو فى المسيحية سر مقدس، الزواج فى ذاته من حيث هو رابطة روحية تربط الرجل بزوجته... فقد قال الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول «ليكن الزواج مكرماً فى كل شىء»... أما عندما تناول الرسول نفسه، وفى نفس الموضع، موضوع المضجع أو (فراش الزوجية) قال عنه إنه «غير نجس» AMIANTOS (العبرانيين ١٣ : ٤)... والمعنى من قوله إنه «غير نجس» أنه «مباح» و «جائز» و «مسموح به» و (لا إثم فيه).

وقلنا فى موضع آخر: لقد قال الرسول بولس: «وأقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه يحسن بهم أن يبقوا على هذه الحال مثلى (متبتلين)، فإذا لم يطيقوا ضبط أنفسهم فليتزوجوا، «فإن التزوج أفضل من التحرق» (١ . كورنثوس ٧ : ٨). إن عبارة الرسول تشرح موقف المسيحية الصحيح بالنسبة إلى الزواج. إن البتولية أفضل. وأما الزواج فحسن. الزواج فى ذاته حسن من حيث هو أولاً رابطة روحية تجمع بين الرجل وزوجته ليتعاونا معاً على حمل أعباء الحياة فى رحلتهما على الأرض. وأما اختلاطهما الجنسى فلا إثم فيه. إنه مباح، ومسموح به (الرأى المسيحى فى تحديد النسل صفحة ١٤٦ – ١٤٨).

وقلنا مرة أخرى «وإذن فالعلاقات الجنسية بين الزوجين مباحة ومشروعة ولا إثم فيها، بل هى عاصم من الزلل» (الرأى المسيحى فى تحديد النسل صفحة ٩٨)، كما قلنا أيضاً «وإذن فالعلاقة الجنسية بين الزوجين مباحة وغير ممنوعة. على أن تنظيم هذه العلاقة وضبطها لا يتعارض مع إباحتها، لأن هذا التنظيم نافع وضرورى لخير الزوجين الروحى والفكرى والبدنى» (صفحة ١١٦، ١١٧).

وعندما نقول إن الإختلاط الجنسى بين الزوجين مباح وجائز ومشروع ولا إثم فيه، فقولنا مؤسس على قول الوحى الإلهى على يد القديس الرسول «وفراش الزوجية غير نجس» (العبرانيين ١٣ : ٤).

لكنكم تريدون أن تجعلوا «غير نجس» مرادفاً لكلمة (مقدس) وهذا ممكن إذا وضعتم فى الاعتبار (أن المترادفات غير متساويات) كما هو معروف فى جميع اللغات. فالمقدّسات متفاوتة الدرجات فى قداستها، فمنها ما له نصيب فى القداسة أكثر من غيره. ولذلك فإنه ليس عبثاً أن يستخدم الوحى الإلهى تعبيره «غير نجس» فى ثلاثة النصوص التى أوردتموها من العهد الجديد.

النص الأول، قوله: «لأنه كما يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس، بلا شر ولا دنس -AMI ANTOS قد انفصل عن الخطاة، وصار أعلى من السماوات» (العبرانيين ٧: ٢٦). وفى هذا النص نلاحظ أن المسيح، من حيث هو رئيس كهنة العهد الجديد، يوصف بأنه «قدوس» كما يوصف بأنه «بلا دنس». والصفتان مختلفتان فى النوع وفى الدرجة. فالمسيح (قدوس) من حيث هو الله وهو «بلا دنس» من حيث هو إنسان، إذ المسيح يجمع بين كونه إلهاً وبين كونه إنساناً. فالله وحده يوصف بأنه «قدوس»، أما الإنسان فلا يقال له (قدوس) وإنما يقال إنه (قديس). فالمسيح بصفته إلهاً هو قدوس، وبصفته إنساناً فهو (بلا دنس)، ولم يقل عنه الوحى إنه (مقدس)، لئلا يظن فيه أنه اكتسب القداسة من آخر، وفى نفس الوقت أراد الوحى أن يبرز تفرده عن سائر الناس، من حيث هو إنسان شابههم فى كل شىء إلا فى خلوّه من كل دنس (العبرانيين ٤: ١٥)، فقال عنه إنه «بلا دنس AMIANTOS»، وقد كان لابد للكتاب المقدس أن ينفى عن المسيح كل دنس، لأنه أخذ صورة عبد صائراً فى شبه الناس (فيلبى ٢: ٧).

وبهذا المعنى جاء عن المسيح فى مواضع متفرقة أنه «بلا خطية» (العبرانيين ٤: ١٥)، (٩: ٢٨).

«وليس فيه خطية» (١. يوحنا ٣: ٥).

«ولم يفعل خطية» (يوحنا ٨: ٤٦)، (١. بطرس ٢: ٢٢)، (إشعياء ٥٣: ٩).

«ولم يعرف خطية» (٢. كورنثوس ٥: ٢١).

النص الثانى: قوله: «الديانة الطاهرة النقية (حرفياً- التى بلا دنس) AMIANTOS عند الله الآب هى هذه: افتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقتهم، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم» (يعقوب ١: ٢٧).

هنا أيضاً كان لابد أن يستخدم الوحى الإلهى (النقية: حرفياً، التى بلا دنس) AMIANTOS

بمعناها السلبى غير الإيجابى، للدلالة على أن روح الشر التى فى العالم لا تلحق نجاسة أو دنساً بالأفاضل السائرين فى طريق السماء. لذلك ورد فى النص قوله (بلا دنس) ولم يرد قوله (مقدس). ومن ذلك نرى أن اللفظين غير متساويين فى المعنى، وإن كان يبدو أحياناً وفى مواضع أخرى أنهما لفظان مترادفان.

والنص الثالث: قوله عن ميراث القديسين فى السماء، أنه «ميراث لا يفنى ولا يتدنس -AMI ANTOS ... محفوظ فى السماوات» (١ . بطرس ١ : ٤) ...

وفى هذا النص أيضاً كان يمكن للوحى الإلهى على يد القديس بطرس الرسول أن يصف ميراث القديسين فى السماء بأنه ميراث (مقدس)، ومع ذلك لم يستخدم هذا اللفظ، وإنما استخدم لفظاً آخر أكثر دلالة على المعنى الذى يريد إبرازه، وهو أنه «لا يتدنس»، وهو تعبير فى الواقع أشد وضوحاً، وأكثر قوة، فى بيان أن هذا الميراث لا يقبل النجاسة أو الدنس... ولا شك أن التعبيرات السلبية فى بعض المواضع أكثر وضوحاً من التعبيرات الإيجابية، لأن التعبيرات الإيجابية فيها شمول بينما التعبيرات السلبية فيها إقصاء وطرد للمعانى غير المشتملة فى اللفظ. وبعبارة أخرى إذا صدق على التعبيرات الإيجابية أنها «جامعة» يصدق على التعبيرات السلبية أنها «مانعة». لذلك فإن لفظ (مقدّس) لم يكن هو اللفظ الأفضل بالنسبة لما أراده الوحى فى وصف ميراث القديسين فى السماء، ولكنه آثر لفظ «لا يتدنس» لأنه أكثر وضوحاً فى إقصاء واستبعاد كل ما ينجس هذا الميراث أو يدنسه...

ومما تقدم يتضح لنا أن للوحى الإلهى قصداً فى كل تعبير، وفى كل لفظ، وأنه لحكمة عالية، يستخدم لفظاً دون آخر، حتى لو ظهر لبعض الناس أن هذه الألفاظ متساوية المعانى. والحق أن المترادفات فى جميع اللغات مثلها مثل الألوان المتقاربة الظلال، فنحن نعلم أن اللون الأخضر يشتمل على الأخضر الغامق والأخضر الفاتح. وبين الأخضرين توجد ظلال أخرى للون الأخضر تتدرج بين القوة والضعف... وكذلك قل فى اللون الأحمر... واللون الأزرق... وجميع ألوان الطيف...

ومثل ذلك كلمة «مقدس» فقد ترد أحياناً، وعلى سبيل التجوز - بمعنى سلبى، أى بمعنى «غير نجس - أو غير دنس» ولكن لفظ (مقدّس) يرد فى الغالب الأعم بمعنى أكثر إيجابية من «غير دنس - غير نجس».

من ذلك قولنا عن كتاب الله إنه «الكتاب المقدس» وعن أسفار الأنبياء والرسل أنها «الكتب المقدسة» (رومية ١ : ٢)، (٢ . تيموثيوس ٣ : ١٥) ولا شك أن كتاب الله «مقدس» بمعنى أعظم كثيراً من أن يكون فقط «غير نجس - غير دنس».

وكذلك يقول الوحى الإلهى عن الشريعة الإلهية «الناموس مقدّس»، والوصية مقدسة» (رومية ٧: ١٢)، (٢ . بطرس ٢ : ٢١) بمعنى أكثر إيجابية فى القداسة. ووصف اسم الله تعالى بأنه «الاسم المقدّس» (حزقيال ٣٩: ٧)، ووصف عهد الله بأنه «العهد المقدّس» (دانيال ١١: ٢٨، ٣٠)، وجبل الله الذى حلّ عليه وتجلى فوقه بإنه «الجبل المقدّس» (إشعياء ٣٧: ١٣)، (إرميا ٣١: ٢٣)، (حزقيال ٢٨: ١٤)، (زكريا ٨: ٣)، (٢ . بطرس ١: ١٨)...

وبهذا المعنى الإيجابى لكلمة «مقدس» نقول عن أسرار الكنيسة إنها مقدّسة» ومنها سر الزواج إنه «مقدس» لأن فيه يحل روح القدس. أما فراش الزوجية فقال الوحى الإلهى عنه إنه «غير نجس» (العبرانيين ١٣: ٤).

ولعل فى ذلك بياناً كافياً لإثبات حكمة الوحى الإلهى على يد القديس بولس الرسول فى قوله: «ليكن الزواج مكرماً فى كل شىء، وفراش الزوجية غير نجس. وأما العاهرون والزناة فسيدينهم الله» (العبرانيين ١٣: ٤) أى إنه إذ يقارن العلاقات الجنسية النجسة عند الزناة والعاهرين، بالعلاقات الجنسية بين المرتبطين بالزيجة المسيحية المقدسة، فوصف فراش الزوجية المسيحى بإنه «غير نجس»... ومن هذا التعبير يبدو غاية فى الوضوح لماذا لم يصف الرسول فراش الزوجية بأنه مقدس، وإنما وصفه بأنه «غير نجس»... ومهما يكن من أمر، فالمحصلة واحدة، والنتيجة بالنسبة للمتزوجين هى بعينها: أن الاختلاط الجنسى بين الرجل وزوجته المرتبط برباط الزيجة المقدس، لا إثم فيه ولا دنس، وبالتالى فهو مباح، وجائز، ومشروع، ولا خطأ فيه، هو أيضاً أمر حلال، ومسموح به.

على أن الأستاذ الدكتور موريس تاوضروس لا يرضيه أن تكون العلاقات الزوجية (أو فراش الزوجية) مباحة فقط، وحلالاً فحسب، لكنه يطمع فى تعبير أقوى وهو «مقدس» فيقول «إن المتزوجين يمارسون الاختلاط الجنسى ليس لأنه فقط مباح ومسموح به بل لأنه مقدسٌ وإلا لكانت ضمائرهم تتعبهم... إن المتزوجين يغضبهم أيضاً القول بأن الرغبات الجنسية ليست أصيلة فى حياة الإنسان، ولكنها تولدت فيه بسبب الخطيئة، لأن العهد الجديد يشير إلى الزواج كسر مقدس، وإذ أنه يخشى غضب المتزوجين، فلا مانع عنده من أن يرضيهم بقوله (لقد وردت عبارة «غير نجس» فى معنى مرادف لكلمة قدوس).

وجوابنا على هذا، بالإضافة إلى ما قلناه سابقاً فى هذا المقال، وفى المقالات الأربعة السابقة، أن الزواج فى الكنيسة المسيحية سر مقدس، ورابطة إلهية بين رجل وامرأة خُلقا مختلفين ليكمّل

الواحد منهما الآخر بما يتميز به كل منهما روحياً ونفسياً وذهنياً وعاطفياً، **والهدف الأول من الزواج، كما يتضح من تعليم الكتب المقدسة، هو التعاون بين الاثنين فى مسيرة الحياة. أما الاختلاط الجنسى بينهما فلم يكن هو الهدف الأول، لكنه صار هدفاً بعد أن أكل الأبوان الأولان من ثمر الشجرة المحرمة، ولقد أباح الله هذا الاختلاط وأجازه وباركه للإنسال أولاً، وللعصمة من الوقوع فى خطيئة الزنا، ثانياً. وصار بذلك للزواج أهداف ثلاثة: أولاً - التعاون، وثانياً: الإنسال وإيلاد الأولاد وثالثاً - العصمة من الوقوع فى خطيئة الزنا.**

ولكن بقى مع ذلك أن للمسيحى طريقاً أفضل، إذا كان ممكناً له، وهو طريق التبتل، «لكى يكون مقدساً جسداً وروحاً» (١ . كورنثوس ٧: ٣٤) وقد قال رب المجد يسوع المسيح مخلصنا، جواباً على سؤال تلاميذه له إذا كان خيراً للرجل أن لا يتزوج «**ليس الجميع يقبلون هذا الكلام، وإنما الموهبون فقط**، لأنه يوجد خصيان ولدوا على هذا النحو من بطون أمهاتهم، ويوجد خصيان خصاهم الناس، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السماوات. **فمن استطاع أن يقبل فليقبل**» (متى ١٩: ١٠- ١٢).

ويقول الوحى الإلهى على يد القديس بولس مبيناً أن البتولية هى طريق الكمال للقادرين عليه، فضلاً عن أنها الحالة الأولى التى خلق الله عليها الأبوين الأولين، قبل أن يأكلا من الشجرة المنهى عنها: «وأما من جهة الأمور التى كتبتم لى عنها **فخير للرجل أن لا يمس امرأة. ولكن خوفاً من الزنى، فليكن لكل رجل امرأته، وليكن لكل امرأة رجلها**» (١ . كورنثوس ٧: ١، ٢).

هنا يشرح الرسول بولس **أن البتولية هى طريق الكمال، ولكن، من أجل العصمة من الوقوع فى خطيئة الزنا، فالزواج خير، وحسن.**

ولقد كرر الرسول هذا المعنى وألح عليه بقوله: وأقول لغير المتزوجين وللأرامل، إنه يحسن بهم أن يبقوا على هذه الحال، مثلى (متبتلين غير متزوجين) **فإذا لم يطيقوا ضبط أنفسهم، فليتزوجوا، فإن التزوج أفضل من التحرق** (١ . كورنثوس ٧: ٨).

ويقول أيضاً «هل أنت غير مرتبط بزوجة؟ إذن لا تطلب زوجة. **لكنك إن تزوَّجْتَ فأنت لم تخطىء، وإذا تزوجت العذراء لم تخطىء**» (١.كورنثوس ٧: ٢٧، ٢٨).

ويقول أيضاً «فأقول هذا، أيها الإخوة... لكى يكون الذين لهم نساء كالذين لا نساء لهم... لأن هيئة هذا العالم تزول. فأريد أن تكونوا من دون همّ، **فإن غير المتزوج يهتم فى ما للرب كيف يرضى الرب. وأما المتزوج فيهتم فى ما للعالم كيف يرضى امرأته، فهو منقسم. إن بين الزوجة والعذراء فرقاً. غير المتزوجة تهتم فى ما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً، وأما المتزوجة فتهتم فى ما للعالم كيف ترضى رجلها. أقول هذا لخيركم، ليس لكى ألقى عليكم وهقاً، بل لأجل اللياقة والمثابرة للرب من دون ارتباك**» (١. كورنثوس ٧ : ٢٩- ٣٥).

ويقول كذلك «إن كان أحد يظن أنه يعمل بدون لياقة نحو عذرائه إذا تجاوزت الوقت، وهكذا لزم أن يصير، فليفعل ما يريد. **إنه لا يخطىء، فليتزوجا. وأما من أقام راسخاً فى قلبه، وليس له اضطرار، بل له سلطان على إرادته وقد عزم على هذا فى قلبه، أن يحفظ عذراءه، فحسناً يفعل. إذن من زوج فحسناً يفعل، ومن لا يزوّج يفعل أحسن**» (١. كورنثوس ٧: ٣٦- ٣٨).

والخلاصة أن حياة البتولية طريق الكمال، وهى الطريق الأفضل للقادرين عليه، سواء عاشها كل من الرجل والمرأة منفصلين، أو متحدين برباط الزواج المقدس، لهدف التعاون وحده، أى بدون اختلاط جنسى وهو ما يعرف بالزواج البتولى - ويجىء بعده فى المرتبة، الزواج مع الاختلاط الجنسى، فتصير أهداف الزواج بالنسبة للمتزوجين ثلاثة - التعاون أولاً - ثم الإنسال وولادة الأولاد ثانياً، ثم العصمة والحصانة من الوقوع فى خطيئة الزنا، ثالثاً.

٦- الاختلاط الجنسى بين الرجل وزوجته باركه الله (١)

سؤال : من السيد الدكتور موريس تاوضروس الأستاذ بالكلية الإكليريكية لدراسات العهد الجديد.

يقول (قلتم نيافتكم إن عقد الزواج الدينى يتم فى الكنيسة وأمام مذبح الله، وبمعرفة الكاهن، رجل الله، وهو مرتدٍ كامل ملابسه الكهنوتية، لأنه يقيم «قداس الإكليل» - أما المضجع أو فراش الزوجية أى الاختلاط الجنسى بين الزوجين، فلا يجوز أن يكون فى الكنيسة - (كتاب الرأى المسيحى فى تحديد النسل صفحة ١٤٨).

(ولكنى أقول يا سيدى، إذا كان الاختلاط الجنسى بين الزوجين لا يجوز أن يكون فى الكنيسة، فذلك لأن الكنيسة أصلاً مكان لعبادة الله وليس بيتاً للزوجية ليباح فيها المضجع. إن الأمر لا يتصل بقداسة المضجع أو بعدم قداسته، ولكن الأمر يتصل بالكنيسة من حيث أنها مكان يخصص فقط للعبادة. وشبيه بهذا أشار إليه الرسول فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس عندما زجر المؤمنين الذين حولوا كنيسة الله إلى موائد، فقال لهم «فحين تجتمعون معاً ليس هو لأكل عشاء الرب لأن كل واحد يسبق فيأخذ عشاء نفسه فى الأكل، فالواحد يجوع والآخر يسكر. أفليس لكم بيوت لتأكلوا فيها وتشربوا، أم تستهينون بكنيسة الله وتُخجلون الذين ليس لهم. ماذا أقول لكم أأمدحكم على هذا؟ لست أمدحكم» (١. كورنثوس ١١: ٢٠- ٢٢). كذلك إذا كانت القوانين الكنسية فيما أشرتم نيافتكم قد أمرت الزوجين بأن يتناولا من الأسرار المقدسة أثناء عقد الإكليل، وفى هذه الحالة أمرت بأن يحترسا من الاختلاط الجنسى مباشرة تقديساً لسرّ التناول. فإن هذا لا يعنى أن الكنيسة تنظر إلى الزواج من حيث هو رابطة روحية نظرة تكريم وتقديس، بينما لا تقدس الاختلاط الجنسى تقديس عقد الزواج ... إننا نمتنع قبل التناول ليس عن الاختلاط الجنسى فقط، بل وأيضاً عن الأكل لأن المؤمن يجب أن يقترب إلى التناول وهو صائم. فهل يمكن أن نستنتج من هذا أن الأكل ليس مقدساً ولكنه مسموح به ومباح!!! هل نظم الله عندما نقول إنه طبع فينا الرغبات الجنسية!! وأنه هيأ للزوجين علاقة طيبة قوية عندما نرفع عن الرغبات الجنسية الإحساس بدنسها ووضاعتها؟... أما كلمة القوية، فانها لا تعنى الشهوانية، وإنما شدة الارتباط الطبيعى بين الرجل والمرأة).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ١١ من ديسمبر- كانون أول لسنة ١٩٧٧م- ٢ من كيهك لسنة ١٦٩٤ش.

الجواب :

نعم، قلنا إن عقد الزواج الدينى يتم فى الكنيسة، وأمام مذبح الله وبمعرفة الكاهن، كرجل الله. وهو مرتدٍ كامل ملابسه الكهنوتية المقدسة... أما فراش الزوجية أى الاختلاط الجنسى، فلا يجوز أن يكون فى الكنيسة... قلنا هذا لندلل على فارق فى الاعتبار، بين قداسة سرّ الزواج من حيث هو عمل مقدّس ينحدر فيه روح القدس على العروسين ليربط بينهما رابطة مقدسة إلهية، «فيصير الاثنان جسداً واحداً، فلا يكونان بعد اثنين إذن وإنما جسداً واحداً» (متى ١٩: ٥، ٦)... وبين شريعة الاختلاط الجنسى بين الرجل وزوجته... والمسئول عن هذه التفرقة فى الاعتبار هو الوحى المقدس على يد الرسول بولس إذ يقول «**ليكن الزواج مكرماً فى كل شىء، وفراش الزوجية غير نجس**» (العبرانيين ١٣: ٤). **مميزاً فى الاعتبار بين سر الزواج فى ذاته، وبين فراش الزوجية، فقال عن فراش الزوجية إنه «غير نجس». ومعنى «غير نجس» أنه جائز، ومباح، وشرعى، ولا إثم فيه ولا دنس...**

أما أن يقال إن الرسول بولس زجر بعض المستهترين من أهل كورنثوس عن الأكل فى الكنيسة، على الرغم من أن الأكل فى ذاته مقدس، وأنه على نفس القياس لا يجوز الاختلاط الجنسى بالكنيسة - فهذا المنطق مردود عليه بأن الرسول وبخ المستهترين من أهل كورنثوس على تصرفّهم نظراً لتسرعهم وعدم انتظارهم لإخوتهم الممتنعين عن الطعام استعداداً للتناول من الأسرار المقدسة. فالرسول هنا يدين الإخلال بواجبات اللياقة نحو الله ونحو الناس، ولذلك يختم الرسول تقريعه لأولئك المستهترين بقوله «إذن يا إخوتى متى اجتمعتم للأكل، فلينتظر بعضكم بعضاً. وإذا جاع أحد، فليأكل فى البيت» (١ . كورنثوس ١١: ٣٣، ٣٤). فالقضية المعروضة فى هذا الموضوع - قضية أهل كورنثوس - قضية بعيدة عن موضوعنا، ولا تصلح لاتخاذها تشبيهاً بموضوع الاختلاط الجنسى وأنه لا تجوز مباشرته فى الكنيسة، بينما أن الزواج فى ذاته سرّ مقدس يباشره رجال الدين فى الكنيسة وأمام الهيكل المقدس، وبكامل ملابسهم الكهنوتية...

أما الأكل أو فعل الأكل، فنحن نباشره فى الهيكل، وفى المذبح المقدس، ذلك أن القربان المقدس يؤكل فى الكنيسة، وفى الهيكل، وفى المذبح، وفى كل المقادس، **فهل يمكن أن يشبه الأكل بالاختلاط الجنسى...؟ وهل هذا التشبيه يمكن قبوله وإساغته بمنطق الروح أو العقل أو المادة؟**

وإذا لم يكن من الأمر بدّ، فنحن نتساءل: هل حقاً أن المانع من أن يتم الاختلاط الجنسى بالكنيسة، هو «لأن الكنيسة مكان مخصص للعبادة فقط كما تقولون؟»... فلنخرج قليلاً عن دائرة المعبد إلى فناء الكنيسة أو إلى القاعة الملحقة بالكنيسة التى يمكن أن تمدّ فيها موائد الطعام بكافة أنواعها، وهى التى يسمونها «بموائد المحبة»، هل يمكن أن يتم فيها الاختلاط الجنسى بين الرجل وزوجته؟!

إذا قلتم لا، ولابد أن يكون الجواب لا، قلنا إذن هناك فرق بين الأكل وبين الاختلاط الجنسى... الأول يمكن أن يتم فى المقادس، إذا كان من القربان المقدّس... وفى القاعة الملحقة بالكنيسة أو دارها الخارجية إذا كان من الطعام العادى... أما الاختلاط الجنسى فلا يجوز لا فى المقادس، ولا فى الدار الخارجية.

إن فى مصر الوثنية، وقبل المسيحية، كان يجوز للكهنة أن يقيموا فى المعابد، فإذا تزوجوا أقاموا بزوجاتهم خارج المعابد.

وفى اليهودية أيضاً كان للكهنة نوبات خدمة بحسب فرقهم، وكان من لهم قرعة الخدمة يقيمون فى الهيكل كل أيام خدمتهم (لوقا ١ : ٨)، وينامون فى الغرفات الملحقة بالهيكل (سفر الملوك الأول ٦ : ٥- ١٠)... **ولا يجوز لهم أن يصحبوا زوجاتهم إلى الهيكل (زكريا ٧ : ٣)**.

كذلك من يُمْسَحُ كاهناً تأمر الشريعة أن يقيم فى الهيكل لا يغادره سبعة أيام كاملة «ومن لدن باب خيمة الاجتماع لا تخرجوا سبعة أيام إلى تمام أيام تكريسكم... وعند باب خيمة الاجتماع تقيمون نهاراً وليلاً، سبعة أيام، وتحفظون شعائر الرب، فلا تموتون لأنى هكذا أمرت» (اللاويين ٨: ٣٣- ٣٥).

وكان للنساء فى الهيكل رواق خاص بهن يسمّى (رواق النساء)، يدخلنه للعبادة ولتقديم القرابين... وقد كان للبنات قبل سن البلوغ أماكن مخصصة فى الهيكل لإقامتهن ولمبيتهن إذ كن نذيرات، ومن بينهن العذراء مريم إلى أن بلغت الثانية عشرة من عمرها، حيث أخرجوها من الهيكل وعقدوا عليها وعلى يوسف خطيبها عقداً رسمياً فأخذها إلى بيته... وكذلك النساء

المترملات أو العجائز اللواتى تعدّين سن الحيض كان يمكنهن البقاء فى الهيكل، فى الغرفات المخصصة لإقامة النساء ومبيتهن، كما كان الحال بالنسبة إلى حنة النبية بنت فنوئيل التى ذكر عنها الإنجيل أنها «كانت طاعنة فى السن... ثم ظلت أرملة نحو أربع وثمانين سنة، لا تبرح الهيكل، متعبدة بالصوم ليلاً ونهاراً» (لوقا ٢: ٣٦، ٣٧).

ومع ذلك لم يكن مباحاً للكهنة أو لغير الكهنة أن يقيموا بزوجاتهم فى الهيكل، فى الغرفات التى كانوا يبيتون فيها ويأكلون أثناء مدة خدمتهم (لوقا ١: ٨).

وهكذا فى المسيحية أباحت الكنيسة للرهبان والكهنة غير المتزوجين أن يقيموا وأن يبيتوا فى المقادس ومحيطها أى فى القاعات والغرفات الملحقة بها، ولكنها لا تسمح بذلك للكهنة المتزوجين، إلا إذا كانوا فى خلوة روحية وبعيدين عن فراش الزوجية...

ولعل هذا هو السبب الرئيسى فى التقليد الذى جرت عليه الكنيسة فى العصور الأولى، بإقامة الكنائس بعيداً عن المساكن... وكان الأقباط قديماً يرفضون السكن بجوار الكنيسة إيماناً منهم بأن مساكنهم لا تكون فى درجة القداسة اللائقة بمجاورة الكنيسة وكانوا يخافون غضب الله عليهم. ولابد أنهم استوحوا هذا الخوف من الكتاب المقدس، لأنه عندما أراد الله أن يظهر بمجده فى برية سيناء ليعطى موسى وبنى إسرائيل شريعته «قال الرب لموسى: اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغداً، وليغسلوا ثيابهم، ويكونوا مستعدين لليوم الثالث، فإنه فى اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء، واجعل للشعب حدوداً من كل ناحية قائلاً: احذروا من أن تصعدوا الجبل أو تمسوا طرفه، فإن كل من مسّ الجبل يُقتل قتلاً لا تمسه يد... فنزل موسى من الجبل إلى الشعب، وقدّس الشعب وغسلوا ثيابهم. وقال للشعب: كونوا مستعدين لليوم الثالث **ولا تقربوا امرأة...** فقال الرب لموسى: انحدر حذّر الشعب لئلا يقتحموا إلى الرب، لينظروا، فيسقط منهم كثيرون. وليتقدّس أيضاً الكهنة الذين يقتربون إلى الرب كيلا يبطش الرب بهم...» (الخروج ١٩: ١٠- ٢٤).

واستوحوه أيضاً مما فعله تابوت العهد فى مساكن الفلسطينيين. يقول الكتاب المقدس «وثقلت يد الرب على الأشدوديين، وأخرجهم وضربهم بالبواسير فى أشدود وتخومها. وهاجت القرى

والصحارى فى وسط أرضهم وتولدت الفئران وحدث اضطراب، موت شديد فى المدينة. فلما رأى أهل أشدود ذلك، قالوا: لا يمكث تابوت إله اسرائيل عندنا، لأنه يده قاسية علينا، وعلى داجون إلهنا. فأرسلوا وجمعوا إليهم كل أقطاب الفلسطينيين وقالوا: ماذا نصنع بتابوت إله إسرائيل فقالوا: ليُنْقَل تابوت إله إسرائيل إلى جت فنقلوا تابوت إله اسرائيل. وكان من بعد ما نقلوه أن يد الرب كانت على المدينة باضطراب عظيم جداً، وضرب أهل المدينة من الصغير إلى الكبير، ونفرت لهم البواسير فأتمر أهل جت وصنعوا لهم مقاعد من جلد ثم أرسلوا تابوت الله إلى عقرون. فكان لما دخل تابوت الله إلى عقرون أن صرخ أهل عقرون قائلين: قد نقلوا إلينا تابوت إله اسرائيل لكى يميتونا نحن وشعبنا، (١ . صموئيل ٥: ٦- ١٠).

ونزيد على ذلك بأن نتساءل، إذا كان على قولكم إن الامتناع عن الاختلاط الجنسى قبل التناول هو من قبيل الامتناع عن الأكل لأن المؤمن يجب أن يقترب إلى التناول وهو صائم، فلماذا - تمشياً مع هذا المنطق - لا يباح الاختلاط الجنسى فى الأماكن العامة، وفى المطابخ والمطاعم والأسواق والشوارع حيث أن الأكل مباح ومقبول ولائق فى كل تلك الأماكن؟!...

وإذا كان الأمر كما تقولون، فلماذا لا يباح الاختلاط الجنسى بين الرجل وزوجته فى البيت أمام أعضاء الأسرة الآخرين... أى أمام الأب والأم والجد والجدة والإخوة والأخوات والأولاد؟، وحيث أن الأكل يمكن أن يتم أمام أعضاء الأسرة جميعاً، بل إن بهجة الأسرة تزيد حينما يجتمع أعضاؤها حول مائدة واحدة ويأكلون معاً بمحبة وسرور وبهجة قلب؟!

وإذا كان الأمر كما تقولون، وأن الاختلاط الجنسى مثله مثل الأكل فلماذا لا يسير الناس فى الشوارع عرايا، ماداموا أيضاً يأكلون فى الشوارع والطرقات؟. ولماذا يُجيزون لأنفسهم أن يكشفوا أمام الناس كل شىء من أبدانهم إلا عوراتهم؟. ولماذا يكتفى اللاعبون فى الملاعب بالقليل من الملابس، ولكنهم يحرصون على أن يستروا عوراتهم؟ لماذا؟ وحتى أصحاب مذهب العراة لا يستطيعون أن يمارسوا العرى إلا فى أماكن مخصوصة محجوبة عن عيون الناس، بينما يمكنهم أن يأكلوا فى كل مكان؟ لماذا؟.

وأخيراً، وليس آخراً، لماذا خاط آدم وحواء - بعد أن علما بأنهما عريانان - من ورق التين وصنعا لهما منه مآزر (التكوين ٣: ٧)؟. بل لماذا صنع الرب نفسه لآدم وامرأته أقمصة من جلد وكساهما (التكوين ٣: ٢١)؟.

نحن لم نقل، ولا، ولن نقول، بدنس الاختلاط الجنسى بين الرجل وزوجته، بل قلنا إنه مباح، ومشروع، ولا دنس فيه ولا إثم، ولكن يجب أن نفرق بين شرعية الاختلاط الجنسى بين الرجل وزوجته وبين قداسة رباط الزوجية الذى يتم فى الكنيسة من حيث هو عقد إلهى ورباط سماوى، فيه يحل روح القدس ويربط ربطاً سرياً خفياً إلهياً بين العروسين فيجعلهما جسداً واحداً، مثله فى ذلك مثل قداسة سر المعمودية، وسّر المسحة بالميرون، وسّر التناول، وسّر الكهنوت... ولا شك أن القداسة بهذا المفهوم الإيجابى الممتلىء بفعاليات الروح القدس، شىء أكثر سمواً وعلواً وارتفاعاً وطهارة من فعل الاختلاط الجنسى بين الرجل وزوجته، وإن كان الاختلاط الجنسى سمح الله به وأباحه وأجازه وباركه، ولكن فى دائرة محدودة هى دائرة الرجل وزوجته، وإلا فإنه خارجاً عن هذه الدائرة يصير علاقة زنى وفسق، علاقة غير شرعية وغير مشروعة.

٧- أين ومتى أدان الله الرغبات الجنسية؟ (١)

سؤال : من السيد الدكتور موريس تاوضروس الأستاذ بالكلية الإكليريكية لدواسات العهد الجديد.

يقول (قلتم نيافتكم وإذن فالله لم يطبع فينا الرغبات الجنسية القوية، لأنه إذا كان الله هو الذى طبعها فينا، فلماذا يدينها؟ فأين ومتى أدان الله هذه الرغبات الجنسية طالما كانت مشروعة؟).

الجواب :

نعم، قلنا إن الله لم يطبع فينا الرغبات الجنسية القوية، فإن الله صنع الإنسان مستقيماً (الجامعة ٧: ٢٩)، وخلقه على صورته ومثاله (التكوين ١: ٢٧)، سامياً فوق الرغبات الجنسية، وعالياً على كل شهوة وكل ألم مماثل، وليس عبثاً قال الوحى الإلهى فى الكتاب المقدس «**وكان كلاهما عريانين، آدم وامرأته، وهما لا يخجلان**» (التكوين ٢: ٢٥) وليس عبثاً أن يقول الكتاب المقدس نفسه إن احساسهما بالعرى والخجل جاء نتيجة لأخذهما من ثمرة الشجرة المحرمة «فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل... وأن الشجرة شهية... فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضاً معها، فأكل. **فانفتحت أعينهما، فعلما أنهما عريانان**» (التكوين ٣: ٦، ٧).

ومما يؤكد أن الاحساس بالعرى جاء نتيجة طبيعية للأكل من الثمرة المنهىّ عنها قوله الله تعالى لآدم «**فمن أعلمك أنك عريان. هل أكلت من الشجرة التى نهيتك عن أن تأكل منها**»؟ (التكوين ٣: ١٠، ١١).

ومما يثير التأمل حقاً أن آدم وزوجته حواء عندما علما أنهما عريانان «خاطا من ورق التين وصنعا لهما منه مآزر» (التكوين ٣: ٧). إن آدم وامرأته كانا معاً ولم يكن فى الجنة، أو فى الأرض كلها، إنسان ثالث، «**فممّن كانا يستحيان أو يخجلان**»؟! أليس هذا معناه أنهما اكتشفا فى نفسيهما علامات ظاهرة للإحساس بالعرى، فخجلا من تلك العلامات الظاهرة فى عريهما؟!

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٢٩ من يناير (كانون ثان) لسنة ١٩٧٨م - ٢١ من طوبة لسنة ١٦٩٤ ش - وعددها الصادر صباح الأحد ٥ من فبراير - شباط لسنة ١٩٧٨م - ٢٨ من طوبة لسنة ١٦٩٤ش.

والغريب، بل الأشد غرابة، أن الله نفسه، بعد أن وبخ آدم وحواء، وعاقب كلاً منهما بالعقوبة المناسبة، صنع لكل منهما قميصاً من جلد وألبسه.

«وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وكساهما» (التكوين ٣: ٢١)؟!

فلماذا هذه الأقمصة من الجلد؟ ولماذا يستتر الرجل من زوجته، ولماذا تستتر المرأة من زوجها، ولم يكن فى الجنة أو خارجها إنسان ثالث؟!!

لماذا هذا؟ وما معنى كل ذلك، سواء فى تصرف آدم وحواء تلقائياً، ومن غير أن ينبههما أحد لذلك، أو فى تصرف الله تعالى الذى صنع لهما بنفسه أقمصة من جلد، ثم ألبسهما إياها؟.

أليس كل ذلك دليلاً على اختلاف واضح بين الأبوين قبل الأكل من ثمرة الشجرة المحرمة، وبينهما بعد أن أكلا من ثمرها؟.

بل وأليس ذلك دليلاً أيضاً على أن الاحساس بالعرى له علاقة مباشرة بالأكل من الثمرة المنهىّ عنها، وأنه نتيجة طبيعية نجمت عن الأكل من تلك الشجرة؟

إذن الإحساس بالعرى، وما صاحبه من علامات حسية ظاهرة رآها آدم فى جسده، ورأتها حواء فى جسدها، جعل كلا من آدم وحواء يخجل من نفسه، ومما ظهر فى جسده، فشرع يغطى عريه بإزار من ورق الشجر، ورأى الله أن الإزار من ورق لا يكفى، فصنعه من جلد، وألبسهما!!!

أما أن الله أدان الرغبات الجنسية القوية، فهذا أمر واضح من محاسبته لكل من آدم وحواء.

فلقد أنزل الله العقاب بحواء قبل أن ينزله بآدم... إن حواء هى التى انفعلت بالرغبة واشتعلت بالشهوة قبل آدم **«فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر»**، ولم تقف خطيئتها عن مجرد «النظرة» و «الانفعال» و «الاشتهاء»، ولكنها تعّدت إلى ما هو أكثر **«فأخذت من ثمرها وأكلت»**، ولم تنحصر «نظرتها وانفعالها واشتهاؤها» فى نفسها، **وإنما أشركت (معها) رجلها، وأثارته بل أعطته «وأعطت رجلها أيضاً (معها) فأكل»** (التكوين ٣: ٦). ولقد شهد آدم عن امرأته أنها (**أعطته**) فقال لله خالقه «المرأة التى جعلتها معى هى (**أعطتنى**) من الشجرة، فأكلت» (التكوين ٣: ١٢).

والعقاب الذى أنزله الله بحواء يدل على الخطيئة التى أدانها الله فى حواء، أو أدان حواء من أجلها. «وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رجلك تنقاد أشواقك، وهو يسود عليك» (التكوين ٣: ١٦).

وهنا سؤال: **لماذا عاقب الله المرأة بأتعاب الحبل، وبأوجاع الولادة؟ ألا يدل هذا على العلاقة بين الخطيئة والجزاء، طبقاً للمبدأ الطبيعى (الجزاء من جنس العمل)** ؟ وتبعاً لقول الكتاب المقدس فى الزرع والحصاد «لا تضلوا. فإن الله لا يشمخ عليه. فإن الذى يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً. لأن من يزرع لجسده، فمن الجسد يحصد فساداً» (غلاطية ٦: ٧، ٨)؟. ولقد صارت أتعاب الحبل، وأوجاع الولادة، قانوناً طبيعياً فى حياة المرأة تخضع له كل امرأة، كما أصبح تشبيهاً وتعبيراً يكنى به عن الضيقة الشديدة. قال الرب بفم النبى إشعياء «يرتاعون. تأخذهم أوجاع ومخاض يتلوون كوالدة» (إشعياء ١٣: ٨) وقال أيضاً «كما أن الحبلى التى تقارب الولادة تتلوى وتصرخ فى مخاضها، هكذا...» (إشعياء ٢٦: ١٧) وقال أيضاً «امتلأت حقواى وجعاً، وأخذنى المخاض كمخاض التى تلد. تلويت...» (إشعياء ٢١: ٣) وقال المسيح له المجد «المرأة وهى تلد تحزن، لأن ساعتها قد جاءت، ولكنها متى ولدت الطفل لا تعود تذكر ما كانت فيه من شدة» (يوحنا ١٦: ٢١). (انظر مزمور ٤٧: ٦)، (إرميا ٤: ٣١)، (٦: ٢٤)، (١٣: ٢١)، (٣٠: ٦)، (٤٨: ٤١)، (٤٩: ٢٢، ٢٤)، (٥٠: ٤٣)، (هوشع ١٣: ١٣)، (ميخا ٤: ٩).

ثم لماذا عاقب الله المرأة بقوله «**وإلى رجلك تنقاد أشواقك**، وهو يسود عليك»؟ ولقد شرح الكتاب المقدس مبدأ سيادة الرجل على المرأة وربطه بخطيئة حواء التى كانت هى البادئة فيها. قال الله على يد القديس بولس الرسول «لتتعلم المرأة وهى ساكتة بكل خضوع. ولست أبيح للمرأة أن تعلم، ولا أن تتسلط على رجلها،... فقد جُبل آدم أولاً ثم حواء. ولم يكن آدم الذى أغوى **لكن المرأة أغويت، فوقعت فى التعدى**» (١. تيموثيئوس ٢: ١١- ١٤)، (٢. كورنثوس ١١: ٣). انظر أيضاً (١. كورنثوس ١١: ٣)، (١٤: ٣٤)، (أفسس ٥: ٢٢- ٢٤)، (كولوسى ٣: ١٨، ٢٠، ٢٢)، (تيطس ٢: ٥)، (١. بطرس ٣: ١، ٥، ٦).

ولقد أكد الله دور حواء فى الخطيئة الأولى، دور الغواية والإغراء لآدم، مؤيداً شكوى آدم، ولكنه تعالى لم يعفه من العقوبة، حيث أنه استجاب لإغراء حواء وعطائها له «وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك فأكلت من الشجرة التى نهيتك قائلاً: لا تأكل منها، فملعونة

الأرض بسببك. بمشقة تأكل منها طول أيام حياتك... بعرق وجهك تأكل خبزاً...» (التكوين ٣: ١٧- ١٩) أى أن العقاب الذى أنزله الله بآدم كان فى الواقع تأديباً علاجياً، بصرف طاقته وتحويلها إلى مزيد من عمل وكفاح متواصل مع الأرض .

* * *

وامتداداً لهذه النظرة الإلهية، نرى الوحى الإلهى يتعقب الوصال الجنسى بين الرجل والمرأة، فإذا تمّ هذا الوصال الشرعى وجب على كل منهما أن يستحم بالماء استحماماً كاملاً، ومع ذلك يظل كل من الرجل والمرأة نجساً حتى المساء.

يقول الكتاب المقدس «واذ حدث من رجل اضطجاع زرع، فليغسل جميع بدنه بالماء. ويكون نجساً حتى المساء. وأى ثوب أو جلد يكون عليه اضطجاع زرع، فليغسل بالماء، ويكون نجساً إلى المساء. وأى امرأة يضطجع معها رجل اضطجاع زرع، فليرتحضا بالماء، ويكونا نجسين إلى المساء» (اللاويين ١٥: ١٦- ١٨).

وهنا نسأل، لماذا يتطلب الكتاب المقدس من الرجل والمرأة إذا كانا متزوجين، وكان وصالهما شرعياً، أن يرحض كل منهما جسده بالماء؟ ولماذا على الرغم من شرعية هذا الوصال، واستحمام كل من الرجل وزوجته، يبقى كل منهما نجساً إلى المساء؟.

ألا يدل هذا على أن الوصال الجسدى بين الزوجين، له علاقة بالخطيئة الأولى، وأنه لذلك بقيت النظرة إليه تختلف اختلافاً واضحاً عن النظرة إلى الأكل من شجرة من الفاكهة أو النبات؟

ترى لو كانت الخطيئة الأصلية هى الأكل من شجرة تفاح أو تين، هل كان يمكن أن لا يدخل التفاح أو التين بين المحرمات والممنوعات، التى يتنجس من يأكل منها؟ والحال أننا لا نجد نصاً واحداً فى الكتاب المقدس يمنع أكل التفاح أو التين، بينما نجد أنه إذا تمّ الوصال الجنسى بين الزوجين، وهو وصال مشروع ولا إثم فيه، لكن مع ذلك توجب الشريعة على الزوجين أن يستحما ومع ذلك يبقيان غير طاهرين بحيث لا يستطيعان أن يدخلا المقادس أو يأكلا من الخبز المقدس...

كذلك إذا حبلت المرأة وولدت، فإن الشريعة تأمر أن تبقى بعيدة عن المقادس أربعين يوماً إذا كان ولدها ذكراً، وثمانين يوماً إذا كان مولودها أنثى.

«وكلم الرب موسى قائلاً: كلم بنى إسرائيل وقل لهم: أية امرأة حبلت فولدت ذكراً **فلتكن نجسة سبعة أيام، كحكم أيام طمثها يكون حكم نجاستها...** ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوماً فى دم تطهيرها، **لا تلامس شيئاً من الأقداس، وإلى المقدس لا تجىء، حتى تتم أيام تطهيرها**، فإن ولدت أنثى فلتكن نجسة أسبوعين كحكم طمثها ثم تقيم ستة وستين يوماً فى دم تطهيرها. ومتى كملت أيام تطهيرها... تأتى بخروف حولىّ محرقة، وبفرخ حمام أو بيمامة ذبيحة خطيئة، إلى باب خيمة الاجتماع، إلى الكاهن، فيقربهما بين يدى الرب **ويكفر عنها**، فتطهر من سيلان دمها» (اللاويين ١٢: ١-٧).

إذن **الطامث تظل نجسة سبعة أيام لا تقترب من المقادس، ولا تمسها. أما النفساء فتظل بعيدة عن بيت الله مدة أربعين يوماً إذا كان مولودها ذكراً، وثمانين يوماً إذ كان مولودها انثى. فلماذا تُعامل الطامث والنفساء هكذا ما لم يكن هناك فى هذه الأحوال أمر له صلة بخطيئة الأبوين الأولين؟** وهل لو كانت الخطيئة أكلاً من شجرة تفاح أو تين، كان من يأكل منها يعد نجساً، أو ممنوعاً من الاقتراب من المقادس، ولا يصرح له بأن يلمس المقدسات؟!

ثم لماذا تقرّب المرأة الوالدة، متى كملت أيام تطهيرها ذبيحة، وصفها الوحى الإلهى بأنها «ذبيحة خطيئة»؟!! لماذا؟!

وجاء أيضاً فى الكتاب المقدس: «وأى امرأة كان بها سيلان يسيل دم من جسدها، فلتقم سبعة أيام فى طمثها، **وكل من لمسها يكون نجساً إلى المساء. وجميع ما تضطجع عليه فى طمثها يكون نجساً، وجميع ما تجلس عليه يكون نجساً. وكل من لمس مضطجعها يغسل ثيابه ويستحم بالماء، ويكون نجساً إلى المساء. ومن لمس شيئاً مما تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بالماء، ويكون نجساً إلى المساء. وإن كان على الفراش أو على ما هى جالسة عليه شىء، فإن لمسه يكون نجساً إلى المساء، وإن ضاجعها رجل بحيث يصير طمثها عليه يكون نجساً سبعة أيام. وكل فراش يضطجع عليه يكون نجساً.**

«وأى امرأة سال دمها أياماً كثيرة فى غير وقت طمثها، أو إذا سال بعد طمثها فلتكن فى جميع أيام سيلان نجاستها كما فى أيام طمثها. **إنها نجسة. وكل فراش تضطجع عليه كل أيام سيلانها فليكن لها كفراش طمثها. وكل ما تجلس عليه يكون نجساً كنجاسة طمثها. وكل من لمس شيئاً منها يكون نجساً، فيغسل ثيابه ويستحم بالماء، ويكون نجساً إلى المساء...**» (اللاويين ١٥: ١٩- ٣٢).

ثم لماذا فرضت الشريعة على المرأة الطامث أى الحائض، إذا طهرت من طمثها أن تقرّب من اليوم الثامن لتطهيرها «ذبيحة خطيئة، ومحرقة، ليكفر عنها الكاهن أمام الرب ؟! قال الكتاب المقدس «وإذا طهرت من سيلانها فلتحسب لها سبعة أيام وبعد ذلك تطهر. وفى اليوم الثامن تأخذ لنفسها يمامتين أو فرخى حمام، وتأتى بهما إلى الكاهن... **فيعمل الكاهن أحدهما ذبيحة خطيئة والآخر محرقة، ويكفر عنها الكاهن أمام الرب** من سيلان نجاستها (اللاويين ١٥: ٢٨- ٣١).

وهذا التحذير ينسحب بالأحرى على الكهنة «**كل إنسان من جميع نسلكم اقترب إلى الأقداس التى يقدسها بنو إسرائيل للرب ونجاسته عليه تقطع تلك النفس من أمامى**... أى إنسان من نسل هرون... **لا يأكل من الأقداس إلى أن يطهر. ومن مسّ شيئاً نجساً... لإنسان حدث منه اضطجاع زرع... كل من مس شيئاً من ذلك يكون نجساً إلى المساء، ولا يأكل من الأقداس**، بل يرحض جسده بالماء. فإذا غابت الشمس طهر **وبعد ذلك يأكل من الأقداس**». (اللاويين ٢٢: ٣- ٧).

ولذلك، فإن الله أمر موسى النبى، عندما شاء أن ينزل على جبل سيناء ليعطى بنى إسرائيل شريعته، أن يكون الشعب طاهراً، لئلا يبطش بهم الرب ويقتلهم لنجاستهم «وقال الرب لموسى: امض إلى الشعب وقدّسهم اليوم وغداً. وليغسلوا ثيابهم. ويكونوا مستعدين لليوم الثالث. فإنه فى اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء... فانحدر موسى من الجبل إلى الشعب، وقدس الشعب وغسلوا ثيابهم. وقال للشعب: كونوا مستعدين لليوم الثالث **ولا تقربوا امرأة...**» (الخروج ١٩: ١٠- ١٥).

إن الرب لم يطلب هنا من بنى إسرائيل أن يصوموا عن الطعام، ولكنه طلب منهم أن يمتنعوا عن العلاقات الزواجية، وبهذا الامتناع وبنظافة ثيابهم يكونون لائقين بالاقتراب من الجبل المقدس، الذى نزل الرب عليه.

ولهذا السبب أيضاً أوضح الكتاب المقدس أن داود النبى جاء إلى نوب، إلى أخيمالك الكاهن وكان هو وغلمانه جائعين، فسأل داود الكاهن أن يعطيه خبزاً ليأكل هو والذين معه ،فأجاب الكاهن وقال لداود: ليس تحت يدى خبز مباح. إنما **عندى خبز مقدّس، إذا كان الغلمان قد صانوا أنفسهم لاسيما من النساء.** فأجاب داود وقال للكاهن: **إن النساء قد منعت عنا** منذ أمس فما قبل من حين خروجى،... **فدفع إليه الكاهن من الخبز المقدس** لأنه لم يكن هنالك خبز إلا خبز الوجوه المرفوع من أمام الرب (١ . صموئيل ٢١ : ١- ٦).

وهنا سؤال أيضاً: **لماذا قال الكاهن لداود النبى أنه لا يباح له ولغلمانه أن يأكلوا من الخبز المقدس إلا إذا كانوا ،قد صانوا أنفسهم لاسيما من النساء،** ؟ فلما اطمأن الكاهن إلى تحقيق هذا الشرط، سمح لهم فأكلوا من الخبز المقدس؟.

ولقد أورد الرب يسوع المسيح هذه الحادثة نفسها، واستشهد بها فى تعليمه. قال له المجد ،أما قرأتم قط ما فعل داود حين احتاج وجاع هو والذين كانوا معه، كيف دخل بيت الله فى عهد أبياثار رئيس الكهنة، وأكل خبز التقدمة الذى لا يحلّ أكله إلا للكهنة فقط، وأعطى كذلك للذين كانوا معه؟» (مرقس ٢ : ٢٥ ، ٢٦)، (متى ١٢ : ٣ ، ٤)، (لو ٦ : ٣- ٥).

وبهذه المناسبة نقول إن المسيح له المجد لم ينقض العهد القديم فقد قال له المجد ،**لا تظنوا أنى جئت لأنقض الشريعة أو الأنبياء.** ما جئت لأنقض بل لأتمم. الحق أقول لكم إنه إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الشريعة حتى يتم كل شىء» (متى ٥: ١٧ ، ١٨).

ولذلك فإن الكنيسة المسيحية تأمر أبناءها من المتزوجين أن يمتنعوا عن الوصال الجسدى الشرعى، قبل وبعد أن يتناولوا من القربان المقدس، وقبل أن يدخلوا المقادس، وقبل أن يعمّدوا أطفالهم (١) . (انظر كتابنا: الرأى المسيحى فى تحديد النسل، صفحات ١٢ ، ٩٩ ، ١٢٠ ، ١٤١). كما تأمر النساء أن يمتنعوا عن دخول الكنيسة والمقادس عموماً، فى أيام الحيض، وفى مدة النفاس، وهى أربعون يوماً إذا كان المولود ذكراً، وثمانون يوماً إذا كان المولود أنثى (٢) . (انظر كتابنا: ،أحد التناصير أو المولود أعمى، صفحات ٥- ١٠).

---

(١) انظر كتابنا ،الرأى المسيحى فى تحديد النسل، صفحات ١٢ ، ٩٩ ، ١٢٠ ، ١٤١.

(٢) انظر كتابنا ،أحد التناصير أو المولود أعمى، صفحات ٥-١٠.

٨ ـ هل للمسيحى أن يتزوج أكثر من واحدة؟

زوجة واحدة للمسيحى... (١)

شكراً جزيلاً لجريدة الجمهورية لنشرها على الملأ الحُكْم الذى أصدرته محكمة استئناف القاهرة ـ دائرة الأحوال الشخصية ـ فى ٢١ مارس ١٩٧٨ بأن من حق المسيحى الزواج بأكثر من واحدة، وأن للزوج أن يجمع بين أربع زوجات فى عصمته. قلت، شكراً لجريدة الجمهورية على نشرها لهذا الخبر فى عددها الصادر صباح الخميس ٦ من أبريل الحالى، لأنه لولا هذا لكان الحكم يمرّ ببساطة وسهولة، دون أن يعلم به من يعنيهم الأمر.

هل غاب عن محكمة استئناف القاهرة أن المسيحية لا تبيح للرجل أن يتزوج أكثر من إمرأة واحدة إلا إذا ماتت زوجته، ولا تبيح للمرأة أن تتزوج أكثر من رجل واحد إلا إذا مات زوجها، وفى هذا الأمر إجماع عند جميع المسيحيين فى كل زمان وفى كل مكان؟ هل غاب عن محكمة استئناف القاهرة هذا الأمر الواضح المستقر، أم أن المحكمة أرادت أن تكسب جولة جديدة فى التيار الزاحف الضاغط بتطبيق الشريعة الإسلامية على المسيحيين؟

إن الحكم الذى أصدرته محكمة استئناف القاهرة حدث خطير لا يمكن أن يقبله المسيحيون فى مشارق الأرض ومغاربها، وهو إساءة إلى سمعة مصر، وإتهام صارخ للقضاء المصرى بتطبيقه على المسيحيين شريعة غير شريعتهم، وهذا يخدم العنصرية المقيتة التى تحاربها بلادنا فى مصر وخارج مصر، ويفتت كيان الوحدة الوطنية ويهز الضمير الوطنى، فليس أغلى على الإنسان من دينه وعقيدته، وكيف ينتهك قضاء الأحوال الشخصية لغير المسلمين، فى محكمة استئناف العاصمة، قاعدة أولية من قواعد الدين المسيحى؟!

إن المسيحية أقامت (وحدة الزيجة ـ الزواج بقرين واحد) أساساً ضرورياً لقيام الأسرة المسيحية، أى (زوجة واحدة لرجل واحد)، فلا يباح فى المسيحية تعدد الزوجات ولا تعدد الأزواج. وقد قال المسيح له المجد «أما قرأتم أن الذى خلقهما فى البدء **جعلهما ذكراً وأنثى؟**» وقال «لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويرتبط **بزوجته**، فيصير الاثنان **جسداً واحداً**، فلا يكونان بعد اثنين إذن، وإنما **جسداً واحداً**. **«وأنا أقول لكم إن كل من طلق زوجته لغير علة الزنا وتزوج بأخرى فقد زنى»** (متى ١٩: ٤-٦، ٩).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ١٦ من أبريل ـ نيسان لسنة ١٩٧٨م ـ ٨ من برمودة لسنة ١٦٩٤ش.

«وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر فقد زنت» (مرقس ١٠ : ٦- ٨ ، ١١ ، ١٢).

والمعنى أن المسيح له المجد لفت النظر إلى الوضع الأول الذى كان منذ بدء الخليقة عندما **خلق الله لآدم حواء واحدة ولم يَخلُقْ له غيرها**، على الرغم من أن الحاجة إلى التكاثر كانت أكثر إلحاحاً فى نشأة الجنس البشرى. ولقد أكد المسيح له المجد على هذا المعنى، ببيانه للرابطة المقدسة بين الرجل **(وزوجته)** ، **ولم يقل (زوجاته)** ، وقال: «فيصير الاثنان **جسداً واحداً**» مشدداً على أن رابطة الزيجة هى بين اثنين فقط، **الرجل وزوجته**، وليس بين ثلاثة أو أربعة، وزاد على ذلك مؤكداً نفس المعنى «فلا يكونان بعد اثنين إذن وإنما **جسداً واحداً**» وعلى الرغم من هذا الوضوح الذى لا يقبل الجدل، فإنه له المجد **منع الفصل والطلاق بين الرجل (وزوجته) بغير علة الزنا، وجعل الزواج (بأخرى) غير زوجته التى فى عصمته، زنا. فلا تحلّ له أخرى إلا إذا طلّق الأولى لعلة الزنا.**

النصوص إذن واضحة وصريحة فى **أن المسيحية لا تبيح تعدد الزوجات، كما لا تبيح تعدد الأزواج.** وقد لفت المسيح له المجد النظر إلى الوضع الأول فى الخليقة: **امرأة واحدة هى حواء، لرجل واحد هو آدم. وقد رفع المسيح الرابطة الزوجية إلى مرتبة السرّ الإلهى الذى يصيّر الرباط الزيجى اتحاداً. «فيصير الإثنان جسدا واحد، فلا يكونان بعد إثنين إذن وإنما جسدا واحدا»** ثم أضاف بياناً لقدسية هذه الرابطة وهذا السرّ الإلهى «ومن ثم فما جمعه الله ينبغى أن لا يفرقه الإنسان» (متى ١٩ : ٦)، (مرقس ١٠ : ٨، ٩).

تلك قضية معروفة فى المسيحية، ولكن محكمة استئناف القاهرة دائرة الأحوال الشخصية لغير المسلمين، أصدرت حكما يعد سابقة خطيرة، وأحدثت أمراً جديدا لم يسبق إليه من قبل...

«ومن أحداث التاريخ فى عهود حكام المسلمين الرواية الآتية التى ذكرها جمال الدين القفطى فى تاريخ الحكماء» (صحيفة ١٥٩) وابن أبى أصيبعة فى «طبقات الأطباء» «الجزء الأول، صحيفة ١٢٤، ١٢٥) وابن العبرى فى كتابه «تاريخ مختصر الدول» (صحيفة ٢١٤) أن أبا جعفر المنصور قال لجورجيس، (أو جرجس) ابن بختيشوع الطبيب الشهير (سنة ٧٧٠): من يخدمك ههنا؟ قال جورجيس: يخدمنى تلامذتى «فقال المنصور: «سمعت أنه ليس لك امرأة» فقال جورجيس «لى زوجة كبيرة ضعيفة، لا تقدر على النهوض من موضعها». ثم انصرف جورجيس من الحضرة، ومضى إلى الكنيسة. فأمر المنصور خادمه، ويدعى «سالما» أن يختار من الجوارى

الروميات الحسان، ثلاثا، ويحملهن إلى جورجيس مع ثلاثة آلاف دينار. ففعل ذلك. فلما انصرف جورجيس إلى منزله، عرفه عيسى بن تهلافا تلميذه، بما جرى، وأراه الجوارى. فأنكر جورجيس أمرهن، وقال لعيسى تلميذه: «يا تلميذ الشيطان، لماذا أدخلت هؤلاء إلى منزلى؟ أردت أن تنجسنى؟ امض، وردهن إلى أصحابهن». ثم ركب جورجيس ومعه عيسى مع الجوارى ومضى إلى دار الخليفة، وردهن إلى الخادم سالم. فلما اتصل الخبر بالمنصور أحضر جورجيس، وقال له: «لماذا رددت الجوارى؟» قال جورجيس: «لا يجوز أن يكون مثل هؤلاء فى منزلى، لأننا معشر النصارى لا نتزوج أكثر من امرأة واحدة. ومادامت المرأة حية لا نأخذ غيرها». فحسن موقع هذا مع المنصور. وأمر فى الوقت أن يعالج جورجيس حظاياه وحرمه، وزاد موضعه عنده، وهذا ثمرة العفة.

إننا نطلب ونطالب بمواجعة الحكم الذى أصدرته دائرة الأحوال الشخصية لغير المسلمين، بمحكمة استئناف القاهرة، وننبه إلى وجوب أن يكون القضاة فى دوائر الأحوال الشخصية لغير المسلمين، من المسيحيين الذين يعرفون شريعتهم. لقد جأر المسيحيون بالشكوى من إلغاء المحاكم الملية، وأن يكون القضاة فى أحوالهم الشخصية من المسيحيين، وإن قيل لهم فى ذلك الوقت أن القضاة سيكونون مسيحيين... وشيئا فشيئا وصلنا إلى هذا الوضع المؤسف، أن يتجاهل القضاء شريعة المسيحيين ويحكم فى قضية مسيحية على غير أحكام الشريعة المسيحية.

إننا ننبه إلى خطر هذا الحكم، وأضراره بسمعة مصر أمام العالم كله شرقا وغربا. والله ولىّ التوفيق،،،،

١٠ من أبريل (نيسان) ١٩٧٨م.

٩ ـ هل تبيح المسيحية تعدد الزوجات؟
وهل للرجل أن يطلق زوجته بارادته المنفردة؟
وماذا عن شريعة العقد؟ (١)

إننى أريد أن أؤكد ـ ونحن فى صدد مناقشة التشريع المسيحى لقانون الأحوال الشخصية ـ أن موضوع «وحدانية الزيجة ـ أى الزواج بقرين واحد» فى المسيحية، موضوع هام وخطير. وأى مساس بهذا المبدأ المسيحى يهدم ركناً أساسياً من أركان ديانتنا. وكل تشريع لأحوالنا الشخصية يجب أن يضع مبدأ «وحدانية الزيجة ـ الزواج بقرين واحد» فى قمة الاعتبار. ويجب أن ينص عليه فى عبارة واضحة، وصياغة دقيقة محدودة ومحددة، لا تفسح مجالاً لأى تفسير أو تأويل منحرف يبعد بنا عما تواضع عليه المسيحيون منذ القديم. وليس هنا أدنى خلاف بين المسيحيين فى هذا الموضوع أرثوذكساً كانوا أو كاثوليك أو بروتستانت.

يجب أن ينص فى التشريع على أن المسيحية لا تبيح تعدد الزوجات، ولا تعدد الأزواج. فإذا اتضح أن مسيحياً تزوج امرأة أخرى بارادته المنفردة وزوجته حية، صار زواجه الثانى باطلاً، وتكون المرأة الأخرى حراماً عليه، وتمسى علاقته بها علاقة أثيمة غير شرعية، منذ نشأت هذه العلاقة الجديدة، ومهما مَرّ عليها من زمن، ولا يصح التذرع بفترة زمنية معينة كما يقال أحياناً، حتى لو قبلت الزوجة الأولى هذه العلاقة الجديدة الناشئة بين زوجها والمرأة الأخرى، أو صمتت عنها بعد أن عَلِمَتْ بها.

فما دامت المسيحية لا تقر تعدد الزوجات ولا تعدد الأزواج، **وتقرر أن كل زواج أو عقد يتم بين رجل وامرأة أخرى فى حياة زوجته الأولى من دون حكم كنسى، زنى وحرام.** فرضى الزوجة أو صمتها إلى فترة زمنية محددة لا ينقض مبدأ مسيحياً أساسياً، وقاعدة شرعية، ولا يغير من بطلان الزواج الثانى.

---

(١) مقال بتاريخ ١٥ من أبريل ـ نيسان لسنة ١٩٦٧م.

الطلاق والتطليق

ومسألة أخرى يجب أن توضع مع شريعة «وحدانية الزيجة ـ الزواج بقرين واحد» فى قمة الاعتبار أيضاً، وفى بؤرة الشعور كذلك هى أنه «**لا طلاق فى المسيحية**» ... **فالمسيحية لا تقر حق الرجل أو المرأة فى فصم الرابطة الزوجية بالارادة المنفردة أو حتى بالارادة المتفقة بين الرجل والمرأة**. والمسيحيون جميعاً على اختلاف مذاهبهم مجمعون على أنه ليس فى المسيحية طلاق من هذا النوع. **إن المسيحية قد تسمح بالتطليق بحكم كنسى**. والتطليق هو الفصل بين الزوجين بناء على حكم محكمة **ولأسباب تقرها الكنيسة**.

وإذا كان ذلك عليه فقد تعيّن عليه أن ينص فى التشريع والقانون المزمع صدوره على أنه **طبقاً للشريعة المسيحية لا يجوز الطلاق بالارادة المنفردة، وأن التطليق يتم بمعرفة القضاء إذا توافرت أسباب التطليق التى تنص عليها الشريعة المسيحية**.

وعليه يجب أن يوضع حد للتحايل الذى يلجأ إليه بعض الأزواج للنكاية بزوجاتهم، فيغير مذهبه الكنسى أو ملته، فينضم مثلاً إلى كنيسة الأروام أو السريان الأرثوذكس، **حتى يخول له هذا الانضمام أن يطلّق زوجته ـ لاختلاف الملة ـ بإرادته المنفردة، علماً بأنه لا الأروام ولا السريان ولا الأقباط، ولا أية طائفة أو ملة أخرى مسيحية تبيح لتابعيها حق الطلاق بالإرادة المنفردة**. فكيف إذن يحدث هذا التحايل ويحميه القانون؟ وهو يتعارض مع الشريعة المسيحية عند جميع المسيحيين على اختلاف مذاهبهم؟ من أين يجوز لزوج مسيحى سواء كان قبطياً أو سريانياً أو رومياً، وسواء كان أرثوذكسياً أو كاثوليكياً أو بروتستانتياً أن يطلق زوجته بإرادته المنفردة؟

إن القانون يجب أن يكون فى نطاق المبدأ المسيحى العام الذى يُقِرُه جميع المسيحيين على اختلاف مذاهبهم: **إنه لا طلاق عند المسيحيين عموماً بالإرادة المنفردة. واعتناق الزوج أى مذهب آخر من المذاهب المسيحية أو انضمامه إلى أية ملة أخرى مسيحية لا يبيح له بتاتاً أن يطلق زوجته بالإرادة المنفردة**. وقد حكمت بهذا المعنى محكمة استئناف القاهرة فى حكم أصدرته دائرة رئيسها فى القضية رقم ١٦٦ لسنة ٧٣ قضائية تاريخه ٦ من مارس ـ آذار لسنة ١٩٥٧.

شريعة العقد:

وهذه نقطة ثالثة أساسية فى كل تشريع. فكل عقد تمّ بين اثنين فى ظل تشريع معيّن، يخضع لأحكام هذا التشريع الذى ارتضى به الاثنان عند إبرام العقد بينهما. وهو مبدأ مقرر فى كل تشريع تحت السماء، وهى قاعدة قانونية معروفة معمول بها فى كل مكان، وهى كالبدهيات والقضايا البينّة بذاتها والتى لا تحتاج إلى برهان أو دليل.

وبناء عليه يجب أن يُنص فى تشريع الأحوال الشخصية على احترام شريعة العقد التى تم عقد الزواج فى ظلها مادام الزوجان عند الزواج قد ارتضياها، ويكون قانونها هو الحكم بينهما فى حالة الخصومة أو الخلاف.

وبهذا يوضع حدّ لتحايل آخر يلجأ إليه الزوج عادة للحصول على الطلاق من زوجته التى ارتبط معها بعقد زواج مسيحى تم فى ظل شريعة مسيحية لا تبيح الطلاق.

وباطلاً يزعم بعض الناس بأنه لا قدرة لهم على معرفة نوايا الشخص، وللتحقق من أنه غيّر ديانته لقصد الحصول على الطلاق، أو محبة منه للدين الجديد الذى اعتنقه وإيماناً بعقائده، **فمن الواضح أن هذا التغيير قد تمّ بعد نشوب الخلاف بين الزوجين، ولنيّة فصم العلاقة الزوجية القائمة. وإذا كان القضاء الجنائى لا يغفل ركن القصد الجنائى بل يحاول استقصاء نية المتهم، أفليس حريا بالأولى بقاضى الأحوال الشخصية أن يتقصى السبب الذى يحدو بأحد الزوجين إلى تغيير دينه ليهرب من أحكام شريعة العقد إلى شريعة أخرى يبيح له نظامها الخلاص من الرابطة الزوجية؟!**

إن القانون يجب ألا يحمى أمثال هؤلاء المتحايلين، كما يجب ألا يغضّ الطرف عن نية الخداع والغش الواضحة عند هؤلاء الناس. على العكس فإن القانون إذا نص على احترام شريعة العقد عند حدوث أى خلاف بين الزوجين فإنه يشكم بذلك كل أسباب التحايل وفنون التدليس والغش والخداع التى يلجأ إليها أصحاب الأغراض الفاسدة.

بهذا، وبهذا وحده يكون التشريع مُنْصِفاً وعادلاً، ومحققاً الخير والحق والعدل لجميع المواطنين من دون تحيّز أو تشيع لفريق على حساب الفريق الآخر.

ولسنا فى هذا نطلب منة أو وضعاً شاذاً، وإنما نطلب حقاً مشروعاً يقره كل عقل وكل منطق فى كل مجتمع راق متحضر.

١٠- هل تحل المعاشرة الزوجية قبل عقد الإكليل أو من دون الإكليل؟

سؤال : من السيد ل. أ. و. بملبورن - استراليا (١) يقول:

مهاجر تزوج بالتوكيل. وعندما حضرت زوجته إلى بلاد المهجر عاشرها معاشرة الأزواج دون إتمام المراسيم الدينية. فهل يتفق هذا مع الكتاب المقدس والشريعة المسيحية؟

وإذا كان الأب الكاهن، بعد أن علم بذلك، طلب من الزوجين إتمام المراسيم الدينية تصحيحاً للوضع، ووافق الزوجان، فما هو موقف الكاهن من عقد العقد؟ وما هو موقف الشهود؟

الجواب :

الزواج عندنا نحن المسيحيين ليس مجرد عقد بين رجل وامرأة، وإنما هو سرّ مقدس يباشره الكاهن كخادم الله قدام الهيكل وأمام المذبح المقدس فى الكنيسة طالباً انحدار نعمة الروح القدس على العروسين ليربط الله بينهما رباطاً روحياً سمائياً، فيصيران بموجب هذا الطقس الروحانى جسداً واحداً، ومن ثم يصير كل منهما حلالاً للآخر كجسده. ومن دون هذا الطقس الدينى والإكليل المقدس بمعرفة الكاهن كخادم الله، وممثل للسلطة الإلهية، لا يحل الرجل للمرأة، ولا تحل المرأة للرجل.

فإذا تمّ اتصال جنسى بينهما، ولم يكن سرّ الزيجة والإكليل المقدس قد ربط بينهما، وأحل أحدهما للآخر، أمسى هذا الاتصال الجنسى بينهما، حراماً، شأنه فى ذلك شأن أى اتصال جنسى يتم بين خطيبين قبل الإكليل.

والواجب فى هذه الحالة أن يتبين كل من الرجل والمرأة خطأه وخطيئته، وتعدّيه على الشريعة الإلهية. وعلى الكاهن أن يفرض على الرجل والمرأة قانون توبة ثم يزوجهما بعد ذلك زواجاً كنسياً. ويلزم أن يمتنع أحدهما عن الآخر فى الفراش، أى يمتنعا عن العلاقات الجنسية، فى فترة التوبة، حتى يتمما قانون التوبة المفروض عليهما.

---

(١) التاريخ ١٠ من مايو - أيار لسنة ١٩٧٣م - ٢ من بشنس لسنة ١٦٨٩ش.

١١- هل يجوز للرجل، إذا زنت زوجته أن يتزوج بأخرى؟

سؤال : من السيد ل. أ. و. بملبورن - استراليا.

إنسان هجرته زوجته وسافرت مع الذى تحبه إلى بلاد بعيدة. حاول زوجها أن يثنيها عن السفر بشتى الطرق، ولكنها صرحت له بأنها لا تحبه، وأنها ذاهبة مع الذى تحبه. هل يمكن لهذا الرجل أن يطلق امرأته ويتزوج بأخرى؟

الجواب :

نعم، فإن التطليق فى هذه الحالة من حق الرجل، وذلك بسبب زنى الزوجة، وهى العلة التى أباح مخلّصنا له المجد الطلاق بسببها بقوله: «**وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر فقد زنت،** (مرقس ١٠: ١٢)، (متى ٥: ٣٢)، (١٩: ٩). وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى كورنثوس «وأما المتزوجون فوصيتى لهم، وهى من الرب لا منى، **أن لا تفارق المرأة زوجها، وإن فارقته فلتبق بغير زوج أو فلتصالح زوجها،** (١. كورنثوس ٧: ١٠، ١١) وجاء فى الرسالة إلى رومية «**فإن المرأة المتزوجة تربطها الشريعة بزوجها مادام حياً. فإذا مات زوجها حلّت من شريعة الزوج. وإن صارت إلى رجل آخر. وزوجها حىّ، فإنها تدعى زانية،** (رومية ٧: ٢، ٣). انظر أيضاً (١. كورنثوس ٧: ٣٩، ٤٠).

وعلى ذلك يمكن للرجل أن يطلب تصريحاً بالزواج من الرئاسة الدينية أو المجلس الاكليريكى، بطلب رسمى مؤيداً دعواه بالأسانيد.

---

(١) التاريخ ١٠ من مايو - أيار لسنة ١٩٧٣م - ٢ من بشنس لسنة ١٦٨٩ش.

١٢- هل حرّم الله الزواج؟

سؤال : من ا. ر. ب بشبرا مصر.

يقول: أريد أن أكون راهباً، ولكن عندما أجلس إلى نفسى، أفكر فى الموضوع وأقول: هل حرّم الرب الزواج، فلماذا لا أتزوج؟ إذن كيف أعرف إذا كان الله يريد لى أن أكون راهباً أم لا؟

الجواب :

إن الرب لم يحرّم الزواج، بل أحلّ الزواج وأباحه وقال للأبوين الأولين: «اثمروا واكثروا واملأوا الأرض» (التكوين ١: ٢٨)، (٩: ١، ٧)، (مزمور ١٢٦: ٣- ٥) وقال «**لا يحسن أن يكون آدم وحده، فأصنع له معيناً نظيره**» (التكوين ٢: ١٨) بل إن المسيح له المجد رفع من مكانة الزواج،وجعله سراً مقدساً على نظير الرابطة بين المسيح والكنيسة. يقول الرسول بولس: «**إن هذا السر لعظيم**. وأقول ذلك بالنسبة للمسيح والكنيسة» (أفسس ٥: ٣٢).

أما الرهبنة فليست ضد الزواج. بل اعلم أن الرهبنة هى فى حقيقتها زواج أيضاً... نعم إن الرهبنة زواج روحانى بين المسيح والنفس البتول الطاهرة.

فالزواج رابطة إلهية مقدسة، لكن الزواج المسيحى أنواع ثلاثة:

أولاً: زواج روحانى، وهو أسمى مرتبة فى الزواج، وهو حال المتبتلين والرهبان ممن ينحلّون عن الكل للإرتباط بالواحد، وهو الله. هذه الرابطة الروحانية هى زواج... لأن الزواج جمع بين اثنين، والبتوليون والرهبان حققوا رابطة الزواج بين نفوسهم وبين الله. هؤلاء الذين يحيون على الأرض كأنهم خصيان، خصوا أنفسهم لأجل ملكوت الله (متى ١٩: ١٢)، خصوا أنفسهم لا بأيديهم بل بسلطان الإرادة عاشوا ويعيشون كما لو كانوا خصياناً لكنهم فى نفس الآن ارتبطوا بخالقهم إرتباطاً روحياً مقدساً وإلهياً.

هذا النوع من الزواج يمكن أن نسميه بزواج المستوى الأول، وزواج المستوى الملائكى، أى مستوى الذين ارتادوا الطريق الأفضل، طريق الذين ارتفعوا بأرواحهم وأفكارهم فوق مستوى الطبيعة البشرية. ولذلك قالوا عن الرهبان إنهم ملائكة أرضيون أو بشر سمائيون.

ثانياً: أما النوع الثانى من الزواج:

فهو زواج المستوى الثانى، مستوى الطبيعة البشرية فى صورتها الراقية المثالية والذين يتزوجون زواجاً يجمع بين رجل وامرأة، ويجعلون هدفهم الأول من الزواج **التعاون بينهما**

على الحياة، والهدف الثانى عندهم **إنجاب البنين الصالحين**. هؤلاء يضبطون رغبتهم فى المعاشرات الزواجية فى حدود الرغبة فى إنجاب البنين، فلا يزرعون إلا إذا أرادوا الحصاد.

ثالثاً: وأما النوع الثالث من الزواج:

فهو زواج الذين يضيفون إلى الهدفين السابقين هدفاً ثالثاً هو **الحصانة ضد إغراءات الخطيئة حتى يظل المسيحى طاهراً من كل دنس**، نقياً من المحارم والمحرّمات، فالرجل لا يستحل لنفسه غير زوجته، وكل امرأة أخرى تصير حراماً عليه، والمرأة لا تستحل لنفسها غير زوجها وكل رجل آخر يصبح حراماً عليها.

تلك هى الأنواع الثلاثة من الزواج المعروفة فى الحياة المسيحية السليمة.

فإذا كنت متردداً بين الرهبنة والزواج بمفهومه الطبيعى، فخير لك أن تتزوج... خاصة وأنك تتساءل فيما بينك وبين نفسك، وتقول هل حرّم الله الزواج، فلماذا لا أتزوج...؟ هذا التردد والتساؤل هو الدليل الواضح على أن طريقك الأفضل هو أن تتزوج بامرأة، تناسبك وتناسبها لتكوين أسرة مسيحية مثالية ترضى الله، وتحيا طبقاً لمبادىء الإنجيل... **ولا يصلح للبتولية أو الرهبنة إلا إنسان امتلأ قلبه باليقين أن له رسالة روحية من طراز آخر، طراز يحتل حياته كلها، فلا يبقى له اهتمام بتكوين أسرة محدودة تحتكر كل جهده ووقته، وإنما يشاء عن طواعية وحب، وبشعور غامر بالمحبة الإلهية، أن يهب حياته كلها لله ولخدمته بحيث يكون كله قرباناً ومُحرقة تامة، يحترق كله على مذبح الحب الإلهى الذى احتواه بالكمال.**

١٣- سر الزواج وسر الكهنوت(١)

وصلتهما بتشريعات الأحوال الشخصية لغير المسلمين

نص المحاضرة التى ألقاها حضرة الأغنسطس وهيب عطا الله بكنيسة مارجرجس بجزيرة بدران يوم الجمعة ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٦ بخصوص مشروعات الأحوال الشخصية

الفرق بين الزواج المسيحى وغير المسيحى:

ما أدق وأبعد الفرق بين الزواج المسيحى فى كنيسة الله المقدسة الجامعة الرسولية وبين الزواج غير المسيحى الذى يتم خارج نطاق الكنيسة المقدسة. فالزواج غير المسيحى عملية ازدواج طبيعى أو قل هو جمع عادى بين رجل وامرأة، أو أكثر من امرأة، جمعاً أو ارتباطاً ظاهرياً خارجياً.

أما الزواج المسيحى، أو قل، الزواج الذى تعقده الكنيسة المقدسة، فليس ازدواجا طبيعيا ولا جمعاً عاديا، وإنما هو اتحاد روحى سرى إلهى سماوى بموجبه يأتلف روحاهما ويرتبط جسداهما فيصبحان جسداً واحداً، رأسه الرجل وجسمه المرأة.

ولن يتم هذا الاتحاد السرى بين الرجل وزوجه بمجرد الجمع بينهما فى منزل واحد أو بمجرد تسجيل وثيقة العقد، فهذه كلها لا تغنى فتيلا ولا تحمل أية قوة حقيقية فى الزواج المسيحى، ولكن اتحاد العروسين فى ديانتنا يتم بفاعلية باطنية مصدرها الروح القدس، روح إلهنا الذى تنحدر موهبته من السماء فتحل وتنسكب على العروسين، فيربطهما ويؤلف بينهما ويصيّرهما واحداً، بطريقة خفية عن حواسنا المادية، وهو ما يرمز إليه خارجياً بوشاح أو برنس واحد يلتف به العروسان معاً إشارة إلى الوحدة الباطنية السرية التى جمعت بينهما.

والفرق بين الزواج الطبيعى، والاتحاد الروحى والسرى فى الزواج المسيحى كالفرق بين الفكر الطبيعى وهو نتاج العقل الطبيعى، وبين الوحى أو الالهام عند الأنبياء وهو فكر سماوى ونداء عالى يهبط على العقل الطبيعى الذى قد يفهمه وقد لا يفهمه ولكنه فى كلا الحالين هابط من السماء بطريقة لا تراها العين الباصرة وإن كان الإيمان يؤكدها.

---

(١) نشر بمجلة الإيمان- السنة ١٦ العدد ٦ – فبراير ١٩٤٧م.

مميزات الزواج المسيحى:

الزواج المسيحى إذن اتحاد عال عن الطبيعة أو هو ارتباط روحى سرى سماوى.

وإذا كان اتحاداً يصير به الاثنان واحدا، فمن هنا كان اتحاداً بين اثنين كما أنه اتحاد لا تنفصم عراه إلا بالموت، ومن ثم تميز الزواج المسيحى لا بأنه اتحاد عال عن الطبيعة فقط بل وبأنه:

زواج موحد: أى لا يقبل فى نطاقه إلا رجلا واحداً وامرأة واحدة، قال السيد المسيح «كل من طلق **امرأته** وتزوج **بأخرى** يزنى، وان طلقت امرأة **زوجها** وتزوجت **بآخر** تزنى» (لو١٦: ١٨)، (مر١٠: ١١) فقال من طلق «امرأته» ولم يقل إحدى نسائه، كذلك قال، إن طلقت امرأة زوجها ولم يقل أحد أزواجها مما يدل على أن الرجل واحد والمرأة واحدة، كما أن قوله «وتزوج بأخرى يزنى» وقوله «وتزوجت بآخر تزنى» يدل قطعا على أن زواج المرأة برجل غير زوجها يعد زنى، وزواج الرجل بغير امرأته زنى، فالرجل واحد والمرأة واحدة.

ثم هو **زواج مؤبد**، لأنه كاتحاد الروح والجسم لا فرقة بينهما إلا بالموت، قال الرسول «المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيا، ولكن إن مات رجلها فهى حرة لكى تتزوج بمن تريد (لكن) فى الرب فقط» (١ . كو٧: ٣٩)، (رو٧: ٢)

فإذا خانت المرأة رجلها جاز له أن يطلقها (من طلق امرأته إلا بسبب الزنى...).

وكأن الشرع المسيحى أبان بموقفه هذا أن الزواج المسيحى رباط لا ينحل إلا بالموت ولكنه قد يفسخ بخطيئة الخيانة الزوجية وحدها.

وقد أجمع مفسرو البيعة المقدسة ورجال المسيحية الأوائل الذين رضعوا ألبان التعليم الصحيح صافية طاهرة من كل زيغ وانحراف، وقد استقوها عن مصادرها الأصلية على أن السيد المسيح وإن أباح الطلاق للخيانة الزوجية لكنه لم يسمح بزواج المرأة الطالق. وان عقد الزواج أبدى، فإذا احتدم الخلاف بين الزوجين فلا يجوز تطليقهما وفسخ عقدهما السماوى، وليس من حل لهذا الاشكال إلا بالمصالحة والموافقة أو الصبر على العذاب أو بموت أحد الزوجين.

هذا هو الفهم السليم الذى حرص عليه الآباء الأولون وفقا لروح ونصوص الانجيل، فإذا انحرفنا عن هذا الفهم الدقيق، صرنا أمام نوع جديد من المسيحية يسير على منهج آخر غير المنهج الذى ارتضاه فادينا وربنا يسوع المسيح.

وهكذا رأينا المسيحيين فى كل العصور ينظرون إلى الزواج المسيحى باعتباره رابطة مقدسة، وقد روى التاريخ عن طبيب مسيحى يدعى جورجيوس بن بختيشوع أن الخليفة أبا جعفر المنصور أرسل إليه ثلاثاً من الجوارى الروميات الحسان عندما علم أن زوجته مريضة وعجوز لا تقدر على النهوض من موضعها، فزجر تلميذه عيسى لأنه قبلهن وأعادهن إلى الخليفة وكان يقول لتلميذه: يا تلميذ الشيطان، لم أدخلت هؤلاء إلى بيتى؟ هل تريد أن تنجسنى؟ فلما سأله الخليفة قائلا لِمَ أرددت الجوارى؟ فقال لا يجوز أن يكون مثل هؤلاء فى منزلى لأننا معشر النصارى لا نتزوج أكثر من امرأة واحدة ومادامت حية لا نأخذ غيرها.

ويقول القديس أكليمنضس الأسكندرى من رجال القرن الثانى «لا تهجر امرأتك إلا لعلة زنى، ويعتبر زواجا زنائيا كل زواج يعقده أحد المفترقين ما دام الآخر فى قيد الحياة».

ويقول هرماس فى القرن الثانى «إذا علم الرجل بأن امرأته قد زنت فليطلقها وليبق وحده. أما إذا تزوج بامرأة أخرى فقد زنى».

سرية الزواج المسيحى :

الزواج المسيحى اتحاد، ولكنه اتحاد سرى. إذ أن الزواج سر من أسرار الكنيسة السبعة، والسر معناه هنا أن فى الزواج المسيحى نعمة غير منظورة تنسكب على العروسين بطريقة لا تراها العين ولا يلمسها الحس وإنما هى موهبة تنحدر من أعماق السماء فتربط العروس بعروسه فيتحدان بالروح والجسد لا اتحاداً خارجياً، إذ هما يبقيان فى الخارج رجلا وامرأة، بل اتحاداً باطنيا يصيران به واحداً «إذن ليسا بعد اثنين بل جسد واحد».

على أن هذا الاتحاد السرى يتم باستدعاء الكاهن للروح القدس، وكما أن المؤمن بالمسيح لا يستفيد من بركات الخلاص ما لم يعتمد بالماء والروح بمعرفة الكاهن، هكذا فى سر الزواج لا يحتسب الزواج رباطاً قانونياً وإلهياً سماوياً وسراً مسيحياً مالم يباشره كاهن شرعى سلمت له مقاليد الرعاية الروحية والسلطة الدينية فيربط بنطقه الكهنوتى العروس بعروسه فيؤيده الرب من فوق، إذ قد وهب رسله الأطهار وفى صلبهم جميع خلفائهم فى الخدمة الرسولية سلطاناً لم يهبه الله للملائكة ولا لرؤساء الملائكة لأنه لم يقل لأولئك «ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء، وما تحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء».

ما أعجب حكمة الله فى منحه الكهنة هذا السلطان، لأن الرسول بولس (وكان اسمه أولا شاول) قد تلقى من المسيح رأساً دعوة للخدمة، وقد تحدث الروح القدس إلى الرسل قائلا «إفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه» ولكن الوحى لم يعتبر هذه الدعوة ذات سلطان ما لم يدمغها الرسل بوضع أيديهم على برنابا وشاول ليتسلما السلطان الرسولى وفقا للنظام الذى رسمه رب الكنيسة لسياسة وتدبير كنيسته: قال الكتاب «فحينئذ صاموا وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى واطلقوهما» (راجع أعمال الرسل ١٣: ١ – ٣).

وهكذا نرى كورنيليوس هذا القائد الرومانى الذى بلغ من تقواه ووفرة تعبده أن ملاكا نزل إليه من السماء ولكنه لم يستطع أن يفعل له أكثر من أن أرشده إلى أن يلجأ إلى بطرس الرسول فيسمع منه كلاما يخلص به هو وأهل بيته (راجع أع ١٠).

وهذه عظة أبدية لكل إنسان أنه مهما بلغ من الفضل والتقوى لا يمكن أن يكون فى غنى عن الكاهن لنوال أسرار ملكوت السموات.

وهذا هو المعنى الذى عبر عنه القديس بولس الرسول حين أنشد يقول «هكذا فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله» (١ . كو ٤: ١).

فالكاهن إذن وكيل مؤتمن من الله على الأسرار المقدسة (تى ١: ٧) وعلى ذلك فالزيجة وهى سر مقدس لا يجوز لغير الكاهن أن يباشره، وكل زواج يتم بغير الكاهن الشرعى يعتبر فى نظر الكنيسة زواجا غير شرعى، وبالحرى أن كل مسيحى يتمم عقد زواج بغير الكاهن فلا تعترف كنيستنا بزواجه.

* * *

ثم إن الزواج المسيحى سر يعقد فى الكنيسة وأمام الهيكل المقدس، وله طقوس دينية غاية فى الروعة والجمال، يشترك فى أدائها كهنة الكنيسة والشمامسة، وقد التحف الجميع بملابسهم الكهنوتية وقد خلعوا أحذيتهم رهبة أمام السر المقدس ويبتهلون إلى الله بصلوات الاكليل، ومما يجدر ملاحظته أن العروسين يقفان أو يسجدان أو يجلسان ووجههما إلى الشرق تعبداً وتخشعا واستعداداً لعمل الروح القدس الذى يحل عليهما ليباركهما ويؤلف بين روحيهما وجسديهما.

هذا وإن الطقس فى كنيستنا القبطية يقتضى لا أن يباشر الزواج فى الكنيسة فقط بل وأنه أثناء الاكليل يقدم العروسان إلى سر القربان فيتناولان من الأسرار الربانية فيكون التناول، وهو عهد مقدس، سراً آخر يعمل على اتحاد قلبيهما لأنهما يشتركان فى الجسد الواحد (أف ٤ : ٤).

وبهذا الطقس القبطى والاجراء الكهنوتى الرهيب يتم سر الزواج المقدس، فيمنحهما الكاهن بعد ذلك الحل فيصير الواحد منهما بموجب ذلك كله ملكا للآخر (راجع ١ . كو ٧: ٣، ٤).

ولقد شهد لروعة هذا الطقس وأنه كان يؤدى منذ أقدم العهود على هذه الصورة الدينية البحتة، كثير من المؤرخون نذكر منهم وليم لين، والفرد بوتلر، ومدام بوتشر، ودائرة المعارف الفرنسية. وقد نصت عليه أيضا قوانين الأنبا كيرلس ابن لقلق البطريرك، وتدل عليه أيضا قاعة العرسان وهى أثر حسى ملموس فى كنيستى أبى سرجة ومارجرجس بمصر القديمة.

* * *

فإذا كان الزواج سراً دينياً مقدساً يجريه الكهنة فى الكنيسة ويتممه باحتفال دينى بحت، فهو إذن إجراء كنسى بحت ولا يجوز لأية سلطة حكومية أن تتدخل فيه بتشريع يعرض قدسيته للهوان ويخرج به عن حدوده الدينية المرسومة. كما لا يمكن لقبطى أن يتصور زواجاً يتم بغير هذه الطقوس والإجراءات التى هى وحدها تصيره زواجاً كنسياً شرعياً.

* * *

وإذا كان الزواج سراً دينياً مقدساً يعقده الكهنة موكلين من الله، فلا يحق لغير السلطة الدينية الكنسية أن تفسخ هذا العقد لأنه قائم بفاعلية السر التى لا يستطيع غير الكاهن أن يوقفها بموجب السلطان الممنوح له من الله فى الحدود المرسومة لوظيفته الكهنوتية فى قوانين الكنيسة.

وعلى ذلك فكل إجراء تتخذه الحكومة أو غير الحكومة لتشكيل محكمة للفصل فى قضايا الأحوال الشخصية دون أن تسند رياسته للكهنة بوصفهم المنوطين بالربط والحل فى الزواج، يعتبر إجراءً هادماً ومناقضاً لعقيدتنا وطقوسنا الدينية، وتعديا صارخاً ومؤلما على أعز ركن يقوم عليه صرح العائلة القبطية والأسرة المسيحية. ولسنا نستطيع أن نحصى الأضرار الجسيمة التى تعود علينا من جراء مثل هذه التشريعات، ويكفى أنها تهدر بكرامة الدين وتدوس قدسية طقوسه وتدعو إلى انهيار كياننا الكنسى والعائلى بل وتقذف بمجتمعنا القبطى إلى هوة سحيقة من الشر والفساد بما يدرك أولادنا من تبديد وتشريد بمثل هذه التشريعات التى ستؤدى إلى ضياع قدسية الزواج المسيحى التى يعزى لها كل ما يمتاز به زواجنا من مميزات تحفظ للنسل جواً سابغاً يحقق لهم أحسن وأرقى سبل التربية والتهذيب.

إصلاح الموقف :

ولإصلاح الموقف الحاضر يجب أن نعالجه من وجهتين، إحداهما داخلية والأخرى خارجية أما الداخلية فعلينا أن نحرص فيها على ثلاثة أمور :

أولاً: إتمام الزواج المقدس وفقاً لطقوس الكنيسة: وذلك بأن نرفض كل محاولة ترمى إلى فصل الزواج عن الدين، حريصين على ذلك بأرواحنا، وعلى ذلك فواجب الأقباط جميعا كهنة ومعلمين وشعبا أن لا يفرطوا فى هذا الطقس الدينى الجليل الذى تغبطنا وتحسدنا عليه جميع الشعوب والأمم.

بل يجب أن نباشره على الطريقة التى درجنا عليها منذ أقدم العصور وهى أن نتممه فى الكنيسة لا خارج الكنيسة وبمعرفة الكاهن، وعلينا أن نحرص أيضاً على إتمام جميع طقوسه ومراسيمه كاملة كما أمرت بها كنيستنا المجيدة هذا ولو حافظنا نحن على تراثنا وأسرارنا فإن أية قوة فى العالم لا تقوى على النوال من معتقداتنا وطقوسنا.

ثانياً: يجب أن يمنع الطلاق منعاً باتاً إلا لعلة الزنا: أما إذا حرصنا على هذا الوضع السليم الذى ارتآه مخلصنا، ولم نخرج عن حدوده المرسومة لنا، فإننا بهذا نوصد الباب أمام أولئك الذين يحتالون على الطلاق بتغيير الدين عندما رأوا أننا أقحمنا على علة الطلاق الوحيدة علة تغيير الدين وهو وضع جديد خلقناه نحن ولذلك زقنا بسببه آلاما مريرة هى نتيجة طبيعية لمحاولاتنا الآثمة للتعدى على شريعة الله المقدسة.

وهكذا قل فى سائر الأسباب الأخرى التى لم تكن من وضع الكنيسة بل من وضع بعض الملوك المسيحيين فى تشريعاتهم المدنية أو هى تعليلات رسمتها أشخاص تمشيا مع أفكار الناس خوفاً عليهم من المروق عن الدين.

ولكن متى كان مخلصنا يداهن الناس على حساب الحق والمبدأ؟ إنه وقف مرة فى حزم ونادى «هل تريدون أن تمضوا (عنى)؟ فليمض من يمضى وليبق من يبقى، أما الشريعة فلا يضحى بها من أجل فرد أو أفراد، إذ الشريعة من أجل الجميع ولا يجوز أن يضحى بالجميع من أجل الفرد، على أننا نعتقد أننا بالتعليم والنصح والارشاد والتدقيق فى اختيار الزوجة أو الزوج، يمكننا أن نحل إشكالات الزواج، أما الطلاق فلا يحل إشكالا وإنما يهوى بقدسية الزواج المسيحى ويفقده رابطته الأبدية التى امتاز به فى جميع عصور التاريخ.

وثالثاً: علينا أن نحل مشاكل الزواج بالأساليب الروحية وليس بالنصوص القانونية:

ما أبعد الفرق بين الأسلوب الروحى والأسلوب القانونى فى حل مشاكل الزوجين.

إن الاحتكام إلى هيئة قضائية علمانية، يسود فيها القانون وليس روح الحب المسيحى، يؤدى

إلى تفاقم الخصام لا إلى الصلح والسلام. لأنه مادام الاحتكام إلى القانون، فسيبذل كل من الزوج والزوجة جهده فى تقديم أسباب ومبررات لمطالبه، وهذا يقتضى تشهير كل منهما بالآخر وإباحة أسرار العائلة، مما يؤدى حتما إلى زيادة التحامل واحتدام الغيظ وشدة الحقد واتساع شقة الخلاف.

أما الاحتكام إلى الكنيسة، إلى رجال الدين، فيؤدى إلى فصل النزاع بالعواطف المسيحية ومقتضيات الرباط المقدس، ولا شك أن هيبة الكاهن وصفته الدينية وشخصيته الكهنوتية وكلماته الروحية تؤثر على قلبى الزوجين، فينتصحان ويصطلحان دون حاجة إلى أساليب القانون الحادة الجافة وبذا يعود السلام إلى العائلة من جديد.

ومهما يكن من أمر فقد دلتنا التجارب العملية على أن الكهنة يوفقون غالبا فى حل مشاكل الزواج بالنظر إلى القضايا التى تحال عليهم، أما المحاكم التى يحكم فيها باسم القانون فإنها لم تؤد مرة واحدة إلى خير للعائلة إذ القانون فى صرامته يفصل ولا يصل، يفرق ولا يجمع.

حدثنا أحد الآباء المطارنة قال: دب خلاف بين رجل وزوجته وظل نحو خمسة عشر عاما وعقدت لهما جلسة ملية للفصل بينهما بالطلاق وأدلى كل من الطرفين بحديثه عن طريق محام، وبعض المحامين من غير بنى الإيمان المسيحى، ولكننى طلبت من أعضاء المجلس ومن المحامين وجميع الكتبة أن يخرجوا إذ أردت أن اختلى بالرجل وزوجته، وأخذت أحدثهما بحديث روحى ثم قلت، ياولدىّ، إذا فصل بينكما الآن، ففى لحظة واحدة ستفترقان إلى الأبد، وسيتطلع الأولاد إذا أصبحوا فى حيازة والدهم، إلى أمهم فإذا هى ليست أمهم، أو إذا كانوا فى حيازة الأم، إلى والدهم فإذا هو ليس بوالدهم لأنه قد انفصل عنهم وأصبح زوجاً لامرأة أخرى وأبا لأولاد آخرين. تأملا ياولدىّ فى هذه الجهة وفكرا فى أن يتنازل كل منكما بحقه للآخر فى سبيل أولادكما...

وهكذا كنت أحدثهما وقد أعطى الرب نعمة للكلام فى فمى فإذا أرى كلا من الرجل وزوجته وقد تطلعا إلىّ فرأيت فى عينهما الدامعتين إرادة المصالحة فوقفت وقلت ربما لخطيئة الكاهن الذى أزوجكما أو لخطيئتى حدث هذا النزاع، سأنهض الآن وأصلى إلى الله أن يكلأ حياتكما برعايته، ثم صليت وأخيراً تصافحا بعد خمسة عشر عاماً.

ثم سمحت لهيئة القضاء أن تدخل، وإذا بالمحامى يقول: ثم هناك نقطة أخرى، فقلت لا داعى فقد تصافحا، فدهش المحامى جداً (وكان من غير المسيحيين) وقال أبعد هذه المدة الطويلة يكون سلام؟ حقا إننى أدرك أن فى الزواج المسيحى سراً؟!!!

* * *

أرأيت إذن إلى الفرق بين حل مشاكلنا بالأساليب الروحية وحلها بالطرق القانونية من أجل هذا أمر الكتاب بأن مشاكلنا الروحية يُقضى فيها بشريعة السماء لا بشريعة الأرض، وقضاتها هم كهنة الله بالسلطان الموهوب لهم من الله فإذا كنت فى شك فاسمع ما يقوله الرسول:

«أيجسر أحد بينكم، وقد اختلف مع آخر، أن يرفع دعواه إلى غير المؤمنين وليس إلى القديسين؟ ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم؟ فإذا كنتم تدينون العالم، أفلستم جديرين بأن تحكموا فى الأمور الصغرى؟ ألا تعلمون أننا سندين الملائكة، فكم بالأولى (يكون فى مقدورنا أن نحكم) فى أمور هذه الحياة» (راجع رسالة القديس بولس الأولى إلى كورنثوس ٦: ١-١٠).

* * *

أما إصلاح الموقف من الوجهة الخارجية فذلك بالأمور الآتية معاً.

١- رفع صوتنا عالياً إلى ملك البلاد وإلى حكومة جلالته، محتجين على تشريعات الأحوال الشخصية لغير المسلمين، لما فيها من التعدى على معتقداتنا وطقوسنا وتقاليدنا. ومن حقنا أن نحتج لأنه كيف نرضى بتشريع ينقض شريعة السماء وكيف نطيع الناس ونعصى الله؟

ان المسيحية وادعة ولكنها أيضا قارعة، والمسيحى يجب أن يكون كسيده حملا وأسداً، فلا يكون كالأسد فى حديثه ولا كالحمل فى الدفاع عن قضايا الإيمان والذود عن حياضه بكل ما أوتى من حول وطول وبكل ما فى وسعه من مرتخص وغال.

٢- أن يتفضل غبطة البابا المعظم بطريرك الكرازة المرقسية بوصفه حامى الإيمان بإذاعة منشور عام يعلن فيه بأن كل زواج أو طلاق يتم بغير سلطان الكنيسة فهو زواج باطل وطلاق باطل، ويعتبر أمام الكنيسة وكأنه لم يكن.

٣- أن يعنى حضرات أصحاب النيافة الآباء المطارنة بأن يعلنوا كتابة وشفاها أن الزواج يجب أن يتم فى الكنيسة ويعقده الكاهن وإلا كان باطلا، وعلى الآباء الكهنة والشمامسة (الوعاظ) أن يعلموا الشعب بذلك وينيروه بعظاتهم ومباحثهم من فوق منبر الكنيسة حتى ينتشر هذا التعليم ويعرف الشعب حقيقة الموقف السليم الذى يجب أن يقفه من سر الزواج المسيحى.

٤- وأخيراً أن نلجأ إلى الله بالصلوات العميقة الحارة أن يرفع هذه التجربة عن الكنيسة وأن ينقذها من هذه المحنة وأن يخلصها من محاولات الأعداء الخفيين والظاهرين.

ولنذكر أن صلوات الأقباط هى التى ذكرها الرب فانتقل جبل المقطم من تل الكبش إلى الفسطاط فى زمن الخليفة المعز لدين الله الفاطمى، وأن صلوات الأقباط قد رفعت البلاء عن مصرنا فلم تبل بما بلى به سائر العالم من ويلات الحروب.

أيها الأقباط:

إن من يحارب الكنيسة يحارب الله ذاته لأنه رب الكنيسة وحاميها الأعظم وهو لن يترك عصا الأشرار تمتد إلى نصيب الصديقين لئلا يمد الصديقون أيديهم إلى الإثم.

فليتمجد اسمه فينا ولنكن راسخين فى الحق إلى التمام، وقد قال الكتاب: «الذى عندكم تمسكوا به إلى أن أجئ.. كن أمينا إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة.

لإلهنا الكرامة والمجد إلى الأبد آمين،

١٤- وحدانية الزيجة فى المسيحية

- رجل واحد لإمرأة واحدة -

- أما حلّ الرابطة الزوجية أو الطلاق فهو لا يجوز إلا لعلة الزنا أو الموت وما هو فى حكم الموت -(١)

سؤال : من الابن المهندس ميلاد صبحى قلدس - شبرا الخيمة.

لقد قال السيد المسيح «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الشريعة أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأتمم» (متى ٥:١٧) بينما أن شريعة العهد القديم كانت تسمح بالطلاق بالإرادة المنفردة، وكذلك تعدد الزوجات. أما المسيح له المجد فلا يجيز الطلاق إلا لعلة الزنى، كما أنه لا يجيز تعدد الزوجات؟

الجواب :

لابد أن نفرق ونميز بين **القاعدة والاستثناء.**

أما المبدأ فهو كما قال المسيح له المجد ردا على سؤال الفريسيين «أيحل للرجل أن يطلق **زوجته** لكل سبب؟ فأجاب وقال لهم: «أما قرأتم **أن الذى خلقهما فى البدء جعلهما ذكراً وأنثى؟**» ، وقال: «لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويرتبط **بزوجته** فيصير **الاثنان جسداً واحداً**، فلا يكونان بعد اثنين إذن وإنما جسداً واحداً، ومن ثم فما جمعه الله لا ينبغى أن يفرقه الإنسان» (متى ١٩: ٣ - ٦).

عادوا بعد ذلك يسألونه «لماذا إذن أوصى موسى بإعطائها وثيقة طلاق وإخلاء سبيلها» (متى١٩:٧).

فقال لهم : «إن موسى **بسبب قسوة قلوبكم قد سمح لكم بتطليق زوجاتكم**، أما فى البداية فلم يكن الأمر هكذا» (متى ١٩: ٨).

وأنا أقول لكم إن كل من طلق **زوجته** لغير علة الزنا وتزوج بأخرى فقد زنى. وكل من تزوج بمطلقة فقد زنى» (متى ١٩: ٧ - ٩).

وإذن فقد أجاب السيد المسيح له المجد على السؤال فيما يتعلق بإجازة الطلاق فى العهد القديم - بالتنبيه إلى **التمييز بين المبدأ أو القاعدة وبين الإستثناء.**

---

(١) كتب فى ٢٣ من سبتمبر ١٩٩٣م - ٣ من توت ١٧١٠ ش.

فمن حيث **المبدأ** قال «أما قرأتم أن الذى خلقهما فى البدء **جعلهما ذكرا وأنثى**» وهما آدم وحواء، امرأة واحدة لرجل واحد. ويضيف له المجد موضحا «فيصير الاثنان جسداً واحداً» فلا يكونان بعد اثنين إذن وإنما جسداً واحداً، وهذا توكيد واضح لوحدانية الزيجة: رجل واحد لإمرأة واحدة، وإمرأة واحدة لرجل واحد. ونكرر القول «**وحدانية الزيجة، وليس فقط وحدانية الزوجة**.

هذا من حيث المبدأ والقاعدة. أما **الطلاق فليس قاعدة**، وانما هو **إستثناء**، ولا بد أن تكون للطلاق مبرراته. «ومن ثم **فما جمعه الله لا ينبغى أن يفرقه الإنسان**» (متى ١٩: ٦).

وإذن فالطلاق غير مسموح به بالإرادة المنفردة.

ولما عاد الفريسيون إلى سؤال السيد المسيح «لماذا إذن أوصى موسى بإعطائها وثيقة طلاق وإخلاء سبيلها» أجاب له المجد قائلاً إن موسى **بسبب قسوة قلوبكم قد سمح لكم بتطليق زوجاتكم. أما فى البداية فلم يكن الأمر هكذا**»

وهنا يتبين من إجابة المسيح الرب:

أولا: إن الطلاق شئ مستحدث، وليس هو الوضع الأصيل الذى ارتضاه الرب الإله منذ بدء الخليقة.

ثانياً: إن الطلاق ليس حقاً طبيعياً ثابتا للعلاقة الزوجية.

ثالثاً: إن الطلاق **سمح به النبى موسى من قبيل الرخصة أو الإجازة.**

رابعاً: إن النبى موسى أجازه فى حالات خاصة وهى التى عبر عنها المسيح الرب بقوله «إن موسى بسبب قسوة قلوبكم قد سمح لكم بتطليق زوجاتكم» مبينا بهذا أن هذه الرخصة أو الإجازة لها تبريرها وهى **أن موسى سمح بها تفاديا لشر أعظم**، فقد كانت المرأة عرضة لإيذاء الرجل لها، بل وقتلها. وهذا هو المعنى من قوله له المجد «**إن موسى بسبب قسوة قلوبكم قد سمح لكم بتطليق زوجاتكم**».

خامساً: إن الإجازة بالطلاق ليست هى بالشريعة، **وإنما هى قرار من النبى موسى، أو هو (تفسيح) وتصرف فى حالة خاصة جداً**، وهو تعرض المرأة لإيذاء زوجها لها أو قتلها.

سادساً: إن تعرض المرأة لايذاء زوجها لها، وهو التبرير الذى أجاز به النبى موسى أن يطلق الرجل زوجته، هو دليل ضمنى على أن **الطلاق ليس شريعة وإنما هو (رخصة أو إجازة)**، لأنه لو كان الطلاق شريعة وحقا ثابتا للرجل، فلماذا تتعرض المرأة لإيذاء الرجل إلا لأنه يراها عقبة فى سبيل زواجه بامرأة أخرى. وبالتالى فهو دليل ضمنى على **أن الشريعة لا تسمح بتعدد الزوجات..**

سابعاً: إن تصريح السيد المسيح له المجد وتعقيبه بقوله «**أما فى البداية فلم يكن الأمر هكذا**» بيان واضح على أن الطلاق فى العهد القديم **ليس قاعدة وليس شريعة، إنما هو (إجازة) ممن خولت له مكانته النبوية والكهنوتية أن يسمح بفسخ العلاقة الزوجية.**

وهو ما تسير عليه الكنيسة المسيحية فى تفويض **المجلس الإكليريكى فى إقرار الطلاق وانحلال الرابطة الزوجية.**

لأنه كما أن ارتباط الرجل والمرأة فى الزيجة المسيحية يتم فى الكنيسة وأمام الهيكل المقدس، وبمعرفة الكاهن وهو ملتحف بكامل ملابسه الكهنوتية ممثلاً للسلطة الإلهية، **كذلك لا تجيز الكنيسة المسيحية حل الرابطة الزوجية التى ربطها الروح القدس باستدعاء الكاهن فى قداس الإكليل إلا بأمر الله وإجازته، وهو ما يدخل فى اختصاص المجلس الإكليريكى وحده، فهو الممثل للسلطة الإلهية التى ربطت، وهى وحدها التى تحل هذه الرابطة لسببين أساسيين:** هما: الزنا وما هو فى حكم الزنا، والموت وما هو فى حكم الموت.

أما تعدد الزوجات فلم يكن شريعة فى العهد القديم. إنه أيضاً **استثناء، لا قاعدة**، وقد أجيز لظروف خاصة جداً، وقد **أبيح من قبيل الإذن، لا من قبيل الأمر.**

وعلى ذلك يتبين من هذا كله صدق مقولة المسيح له المجد لا تظنوا أنى جئت لأنقض الشريعة أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأتمم (متى ٥: ١٧).

١٥- يجب أن يكون العروسان أرثوذكسيين (١)

العزيز الدكتور.....

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

رداً على خطاب سيادتكم بتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٩٧٣ وبه تستفسرون عن الاجراءات الكنسية الواجب اتباعها بالنسبة لعريس كاثوليكى تقدم لخطبة كريمتكم الأرثوذكسية والزواج منها.

نفيد بأن كنيستنا الأرثوذكسية تشترط عند الزواج أن يكون العروسان أرثوذكسيين يتمتعان بعضوية وبنوة الكنيسة الأرثوذكسية. فإذا كان أحدهما غير أرثوذكسى، وجب أن ينضم إلى الكنيسة الأرثوذكسية.

والانضمام يقتضى **الاعتراف بالإيمان الأرثوذكسى** والاعتماد **بالمعمودية الأرثوذكسية وحسب الطقس الأرثوذكسى، والتناول من الأسرار المقدسة فى الكنيسة الأرثوذكسية**، كل هذا يتم كاملا قبل إتمام الزواج، ولا يكفى الانضمام دون التعميد والتثبيت بالميرون، لأنه طالما أنه لا يجوز حتى الآن تناول الأرثوذكسى فى كنيسة كاثوليكية والكاثوليكى فى كنيسة أرثوذكسية، فيجب أن يتم العماد أرثوذكسيا على الإيمان الأرثوذكسى.

والحكمة فى هذا الانضمام الرسمى الكامل الشامل، تشمل الناحيتين الروحية والقانونية.

أما من الناحية الروحية، فالحكمة هى اتفاق الزوجين إتفاقاً فى الإيمان والاعتقاد والفكر، وهذا أساسى جداً لفعاليات سر الزواج من جهة، ولدعم روح التوافق الذهنى والنفسى والقلبى بين الزوجين، مما يبنى حياتهما الزوجية ويكفل لهما دوام الرابطة بينهما من جهة أخرى. فالاختلاف العقائدى يهدد مستقبلا حياة الزوجين ويغذى أسباب الخلاف والشجار بينهما.

كذلك فإن إتفاق الزوجين عقائدياً وإيمانياً ذو أهمية قصوى بالنسبة لأولادهما وتنشئة الأولاد على أساس واضح راسخ من الإيمان الواحد المشترك بين الأب والأم. أما الاختلاف العقائدى بين الوالدين فله مستقبلا أسوأ الأثر فى تنشئة الأولاد الدينية، ويدع مجالاً لزعزعة الإيمان فى نفوس البراعم الناشئة، وتشتت أفكار الصغار بين مذهبين مختلفين للأب والأم.

---

(١) كتب فى ٣١ من مايو لسنة ١٩٧٣ م - ٢٣ من بشنس لسنة ١٦٨٩ ش.

أما من الناحية القانونية - فإن إتفاق الزوجين فى الإعتقاد وإنضمامهما رسمياً للكنيسة الأرثوذكسية التى يجرى عقد الزواج فى ظل شريعتها يحفظ للزوجين ولأولادهما منهما، كل الحقوق القانونية والشرعية، فيما لو شجر مستقبلاً خلاف بين الزوجين.

وأن ما يجرى على مرآنا ومسمعنا كل يوم من أحداث الخلافات الزوجية يزيدنا إيماناً بضرورة أن يكون الزوجان أرثوذكسيين عند الزواج.

وعلى الطرف غير الأرثوذكسى أن ينضم رسمياً إنضماماً تاماً، شكلاً وموضوعاً روحاً وطقساً، للكنيسة الأرثوذكسية. فالتساهل فى هذا الشرط الأساسى من شروط الزواج يبدو فى مبدء الأمر خلقاً مسيحياً تبرره مقتضيات المحبة المسيحية بين الكنائس والمعتقدات، وتغرى عليه مشاعر المودة بين العروسين الراغبين فى إتمام الزواج على الرغم من كل العوائق... ولكن لا يلبث الزواج أن يتم حتى تبدأ رواسب الاختلاف العقائدى المختفية تحت ستائر الرغبة المبدئية فى الزواج، أن تصعد إلى السطح شيئاً فشيئاً فتظهر بوضوح، ولكن بعد أن يصير من العسير علاجها.

ليس هذا الجواب عن كراهية أو عن تعصب ولكن يجب أن تكون كل أمورنا فى محبة ووضوح وتدبير.

ونعمتة تعالى تشملكم وبركته تحل عليكم، راجيا لكريمتكم الخير والتوفيق.

١٦- يجب أن يكون للزوجان بيت مستقل (١)

العزيز الأبن ر . م . ج.

سلام ومحبة وأطيب التمنيات.

رداً على خطابكم ومضمونه الخصومة القائمة بينكم وبين زوجتكم وعائلتها، وأنت تقول أنك قد كرهتها حتى إنه على حد تعبيرك (إن جاء رب المجد وأمرنى بأن أرجعها فلن أسمع كلامه لأنى لا أطيقها - لا أطيق منظرها ولم أنسى ضابط الشرطة ولا الأحداث التى حدثت).

وإذ أنك تريد المشورة، فنحن دائماً ننصح بما أمر به الرب الإله فى الكتاب المقدس أنه يجب أن يكون الرجل والمرأة - الزوجان - فى بيت مستقل، أو مسكن بعيداً أو منفصلاً عن الأب والأم (يترك الرجل أباه وأمه ويرتبط بزوجته).

نعم، إننى أقدر ظروف الزمن الحاضر، وخصوصاً بالنسبة للأم إذا لم يكن لها أحد آخر تسكن معه منفصلة عن إبنها وزوجته، لكن لابد أن نعترف أن من حق الزوجة أن يكون لها مسكن مع زوجها مستقلاً عن حماتها وأسرة زوجها.

هذا إلى أننا دائماً ننصح فى حالة قيام نزاع بين زوجين أن يتدخل **أولاً** الكاهن الذى عقد الاكليل فهو الأب للزوجين.

ثم إننا دائماً ننصح للزوجين أنه بمجرد زواجهما أن يكون لهما معاً أب اعتراف بعينه لهما معاً، ولأولادهما فيما بعد، فيكون بمثابة طبيب العائلة، وليكون تدبير الأسرة واحداً، أب اعتراف واحد للاثنين معاً، يخضعان لتوجيهه وتدبيره.

ليتك تلجأ الآن للكاهن الذى عقد الزواج ثم لأب الاعتراف الذى تخضع أنت وزوجتك لتدبيره ونحن ندعو لكم بالخير، ونعمة الرب تشملكم.

---

(١) كتب فى ٩ من ديسمبر لسنة ١٩٩٢ م - ٣٠ من هاتور لسنة ١٧٠٩ ش.

١٧- يجب أن تهربى من كل لقاء به (١)

العزيزة الابنة.....

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، أرجو لكِ موفور الصحة.

اليوم فقط فتحت خطابك المؤرخ ١٩٩١/١٢/٥ وقرأته، وتأثرت كثيراً بلهجة خطابك، مدركاً ما يجيش فى نفسك من مشاعر، ومن حيرة، خصوصاً وأنتِ إبنة وشابة سائرة فى طريق السماء، وتحرصين على خلاص نفسك.

ومع إحساسى بمشاعرك، وتعاطفى مع مشكلتك، مع ذلك أكتب لك كأب ويروح الأبوة لإبنة شابة.

بكل الوضوح يا ابنتى أنتِ متعلقة عاطفياً بهذا الشاب لأنك كنتِ ترغبين فى الزواج منه. وعشتِ فى هذا الحلم أياماً وسنين. والمرأة بطبيعتها عاطفية ورقيقة وحساسة وضعيفة أمام انفعالاتها ومشاعرها، ولكن حيث أن والدك رفض ارتباطك به لاعتبارات مادية، وأصر على ذلك، واضطر هذا الرجل أن يتزوج بأخرى.

فلا مفرّ بالنسبة لكِ من أن تخضعى للأمر الواقع. ولما كان قلبك لازال متعلقاً به. ولابد أن تمر فترة طويلة حتى تهدأ عاطفتك الشبابية نحوه.

وحتى لا تشتعل من جديد، أو تزداد عنفاً تبعاً للمبدأ «كل ممنوع مرغوب فيه» فلا مفر لك، حتى لا يعثرك لقاؤك به، ولقاؤه بك، وحتى لا تعثريه أنتِ بلقائك به، أن تتجنبى هذا اللقاء مهما كانت بواعثه ومبرراته.

فالنصيحة لكِ، تجنباً للخطأ والخطيئة من جانبك أو من جانبه يلزم أن تهربى من كل لقاء به حتى تنحل مع الزمن خيوط التعلق الذى تعلقتِ به، تبعاً للمبدأ القائل «البعيد عن العين بعيد عن القلب».

قد تكون هذه النصيحة قاسية فى تنفيذها، ولكنها مع الصلاة هى الواجب الأول بالنسبة لكِ فى هذه الفترة، منعاً من الخطيئة أو الخطأ بالفكر.

---

(١) كتب فى ٢٥ من مارس لسنة ١٩٩٢ م - ١٦ من برمهات لسنة ١٧٠٨ ش.

وذكرى نفسك بأن قصتك مع هذا الرجل ليست القصة الأولى من نوعها. فكم حدث ويحدث لامرأة أن تتعلق برجل بعاطفة الحب، ولأسباب عائلية أو لعوائق إجتماعية أو مادية، لا تتواصل هذه العلاقة إلى غايتها الطبيعية وهى الزواج.

إننى بكل عاطفة الأبوة نحو إبنة شابة، أصلى أن يحفظك الرب وأن يعينك حتى تتحذرى من كل خطأ، لتبقى طاهرة ومقدسة جسداً وروحاً... ونسأله تعالى أن يدبر أمورك، ويرعاكِ ويحميك بعنايته، ويهيئ لك الإنسان المناسب الذى يسعدك وتسعديه فى تقوى الله ومخافته، فى طريق الكمال المسيحى.

ونعمته تعالى تشملك كل أيام حياتك.

١٨- هل يجوز للمرأة المطلقة أن تتزوج؟

سؤال : من الابن أنيس القس يسطس ويصا - الفاروقية - مركز بنى مزار.

يقول المسيح له المجد (الذى يتزوج بمطلقة يزنى، فلماذا تسمح الكنيسة للزواج بمطلقات؟

الجواب :

لا تجيز الكنيسة المسيحية طلاق الرجل من زوجته أو طلاق الزوجة من رجلها بالإرادة المنفردة لأى منهما، من حيث أن الزواج **رابطة مقدسة. فمن طلق امرأته بإرادته المنفردة، وتزوج بأخرى، فقد زنى لأنه انفصل عن زوجته الشرعية بإرادته المنفردة، من دون أن تقره السلطة الكنسية على طلاقه من الأولى، وعلى زواجه من الثانية.**

وبهذا المعنى نفهم مقولة المسيح له المجد (أقول لكم إن كل من طلق زوجته إلا لعلة الزنى فقد جعلها تزنى. **وكل من تزوج بمطلقة فقد زنى)** (متى ٥:٣٢) لأن هذه الزوجة المطلقة لغير علة الزنى مازالت مرتبطة بزوجها الذى ارتبط بها، فمن تزوجها فقد سقط معها فى علاقة محرمة. فهو زان وهى زانية.

ومرة أخرى يقول المسيح له المجد (أقول لكم إن كل من طلق زوجته لغير علة الزنا وتزوج بأخرى فقد زنى، **وكل من تزوج بمطلقة فقد زنى)** (متى ١٩ :٩) **أى أن من تزوج بإمرأة طلقها زوجها بالإرادة المنفردة، فهى حرام عليه لأنها مازالت مرتبطة بزوجها الذى عقد عليها أولاً.**

وجاء فى الإنجيل للقديس مرقس قول المسيح له المجد (إن طلق رجل زوجته وتزوج بأخرى فقد زنى فى حقها، وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر فقد زنت) (مرقس ١٠:١١، ١٢) **فالطلاق بالإرادة المنفردة لا تجيزه الشريعة المسيحية، وبالتالى لا يجوز بعد هذا الطلاق الزواج بأخرى، فإن هذه العلاقة الجديدة علاقة محرمة**، وهى زنى صريح. الطلاق والزواج، كل منهما بالإرادة المنفردة لا بتصريح من السلطة الكنسية.

وبالمثل ما جاء فى الإنجيل للقديس لوقا (كل من طلق زوجته وتزوج أخرى فقد زنى، **وكل من تزوج التى طلقها زوجها فقد زنى)** (لوقا ١٦:١٨).

وجاء فى الكتاب المقدس على لسان القديس بولس الرسول (فإن **المرأة المتزوجة تربطها الشريعة بزوجها مادام حياً، فإذا مات زوجها حلت من شريعة الزوج. وإن صارت إلى**

رجل آخر، وزوجها حى، فإنها تدعى زانية. ولكن إذا مات زوجها تحررت من الشريعة، فلا تكون زانية إن صارت إلى رجل آخر) (رومية ٧: ٢، ٣).

وكذلك جاء فى الرسالة إلى كورنثوس قوله (وأما المتزوجون فوصيتى لهم، وهى من الرب لا منى، أن لا تفارق المرأة زوجها، وإن فارقته فلتبق بغير زوج أو فلتصالح زوجها، وعلى الزوج أن لا يطلق امرأته) (١. كورنثوس ٧: ١٠، ١١).

أما إذا أقر المجلس الإكليريكى الرجل على طلاقه من زوجته لأسباب شرعية، فيصرح له بالزواج من أخرى إذا توافرت لهذا الزواج الثانى مقدماته الشرعية.

وقد يصرح المجلس الإكليريكى بزواج امرأة مطلقة إذا اتضح بعد إتمام الزواج أن رجلها ناقص فى رجولته بعيب خَلْقِى (بفتح الخاء وسكون اللام) **أى أنه ليس رجلاً كامل الرجولة بيولوجياً أو فسيولوجياً مما لا يتحقق معه الهدف الطبيعى من الزواج فى عالم الأحياء.** فقد تظل المرأة بعد الزواج عذراء كما كانت قبل الزواج. وفى بعض الأحيان ينقلب الرجل إلى امرأة بعملية جراحية.

ومن الرجال من يتضح بعد زواجه أنه يمارس الشذوذ الجنسى. والشذوذ الجنسى أنواع، بحيث يكون من الظلم للمرأة أن تبقى مرتبطة بمثل هذا الرجل، كما أنه يعرضها للخطيئة والإثم.

ومن الرجال من يتضح بعد زواجه أنه كان ولا يزال مريضاً بمرض معدٍ للزوجة، ينتقل إليها بالمعاشرة، بحيث يكون من الظلم للزوجة أن تظل مرتبطة بهذا الزوج المريض مرضاً معدياً.

لهذا يكون من الصواب **تطليق المرأة من رجلها، ولا يعد هذا التطليق طلاقاً. إن مثل هذا التطليق يعد إلغاء لزواج لم تتوافر فيه الأشراط التى يجب أن تتوافر للزواج الشرعى الصحيح.** ويسمى الحكم بالتطليق فى مثل هذه الحالات **(التطليق بالبطلان)**.

فإذا كان مثل هذا الزواج يعد باطلاً، واعتباره كأنه لم يكن. فزواج مثل هذه المرأة بعد ذلك يعد بالنسبة لها **الزواج الأول**، لأن زواجها من ذلك الرجل قد صار باطلاً.

١٩- هل يجوز للأهل أن يجبروا ابنتهم على الزواج من رجل بعينه؟

سؤال: من المحاسب ح. ف. ح.

يقول هل يجوز للأهل أن يجبروا ابنتهم على الزواج من رجل لا تحبه وحجتهم فى ذلك أنه دكتور طبيب، ويضربون برغبتها عرض الحائط علما بأنها فتاة فاضلة متدينة عاقلة متزنة مثقفة؟

الجواب :

الآن فتحت خطابك غير المؤرخ بتاريخ، وقرأت شكواك وهى بخصوص رغبتك فى الزواج من إبنة شابة ترى فيها صفات الزوجة الكاملة، وقد أحببتها حباً طاهراً وأحبتك. لكن الأهل على الرغم من معرفتهم بك، يريدون تزويجها بآخر عمله طبيب، وهم مصممون على إتمام الزواج على الرغم منها - وأنت تريد النصيحة.

وردنا على خطابك والمشكلة كما عرضتموها.

أولا - أن الزواج لا يجوز إتمامه بغير رغبة المرأة. وأن على المرأة أن تعلن رغبتها بالرضى أو الرفض على الكاهن. ولا يجوز للكاهن أن يعقد زواج امرأة بغير رضاها أو موافقتها. وطقوس مباشرة الزواج تفرض على الكاهن أن يسمع اعتراف الزوجة ويطمئن إلى موافقتها على الزواج. وإلا فإن الكنيسة لا تقر زواجاً يتم بالاكراه.

وأكثر من هذا فإن من أشراط إتمام سر الزواج، وحلول الروح القدس على العروسين للربط بينهما أن يكون بينهما الرضى المتبادل لهذا الزواج.

وفى عقد الاكليل يلزم أن يضع الكاهن (دبلة) الزوج فى يد الزوج بعد مباركتها ثم يسلم (دبلة) العروس إلى العريس ليضعها العريس فى يد العروس - فإذا مدت العروس يدها للعريس وقبلت من العريس أن يضع (الدبلة) فى يدها، كان تصرفها هذا إعلاناً أمام جميع الحاضرين وأمام الكنيسة على الخصوص بأنها راغبة فى هذا الزواج، وأنها تريد العريس زوجاً لها. ونحن اليوم عندما نعقد الاكليل نباشر هذه المسألة وهذا الطقس علنيا مع شرح هذا الأمر للعروسين جهاراً وهما على كرسى الاكليل، ونوجه الخطاب إلى العروس ونراقب تصرفها ليكون شهادة أمام الكنيسة وأمام الحضور برضاها عن الزواج وبقبولها للعريس.

٢٠- هل يجوز الطلاق؟

سؤال : من قارئة.

قال رب المجد فى إنجيله المقدس «إن طلق رجل زوجته وتزوج بأخرى، فقد زنى فى حقها، وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر فقد زنت» (مرقس ١٠: ١١، ١٢) فهل معنى هذا أنه إذا زنت إمرأة وطلقها زوجها فإذا تزوجت بآخر تكون زانية؟

الجواب :

المعنى الواضح من هذا النطق القدسى أن الزواج فى المسيحية رباط إلهى مقدس وسر سماوى، يربطه الله ويعقده الروح القدس الذى يحل على العروسين فى قداس الاكليل باستدعاء الكاهن أو الكهنة، أى أن الله ليس غائباً عن هذا الزواج مادامت شروطه متوافرة، وإنما الله فيه هو الذى يربط ويجمع ويعقد وبذلك يكون الزواج فى المسيحية ليس مجرد إتفاق وعقد بين طرفين اثنين هما الرجل والمرأة، وإنما الله فيه طرف ثالث، لأنه هو الذى يربط ويجمع، وبروحه القدوس «يصير الاثنان جسداً واحداً، فلا يكونان بعد اثنين إذن وإنما جسداً واحداً، ومن ثم فما جمعه الله لا ينبغى أن يفرقه الإنسان» (متى ١٩: ٥، ٦)، (مرقس ١٠: ٨، ٩).

من هنا لا يجوز للرجل أن يطلق زوجته بإرادته المنفردة، وكذلك لا يجوز للمرأة أن تطلق زوجها بإرادتها المنفردة، بل لا يجوز لهما هما الاثنان أن يطلق أحدهما الآخر بإرادتهما المتفقة، لأنه حيث أن الزواج قد تم برباط إلهى وسر مقدس سماوى، فقد صارا مرتبطين برباط لا ينحل إلا بإرادة الله الذى عقد بينهما بروحه القدوس فى الإكليل.

فإذا طلق الرجل زوجته بإرادته المنفردة، وتزوج بإمرأة أخرى، كان زواجه بالمرأة الأخرى زنا لأنه مازال مرتبطاً بزوجته التى عقد عليها، فهو إذا عاشر إمرأة معاشرة الأزواج بينما زوجته على قيد الحياة، فقد خان زوجته كما أنه دنس رباط الزوجية المقدس، فزواجه بإمرأة أخرى زنى واضح. أما طلاقه من زوجته فلا يعتد به أمام الشريعة لأنه بإرادته المنفردة، وحيث أن الزواج سر مقدس ربطه الروح القدس «فمن ثم فما جمعه الله لا ينبغى أن يفرقه الإنسان».

يقول المسيح له المجد «كل من طلق زوجته وتزوج أخرى فقد زنى، وكل من تزوج التى طلقها زوجها فقد زنى» (لوقا ١٦: ١٨) «كل من طلق زوجته لغير علة الزنا وتزوج بأخرى فقد زنى. وكل من تزوج بمطلقة فقد زنى» (متى ١٩: ٩) ويقول مرة أخرى «إن كل من طلق زوجته إلا لعلة الزنى فقد جعلها تزنى. وكل من تزوج بمطلقة فقد زنى» (متى ٥: ٣٢).

وما يقال عن الرجل ينسحب بنفس القوة على أى امرأة متزوجة برباط الاكليل المقدس، فلا تستطيع بإرادتها المنفردة أن تطلق زوجها، فإذا طلقته ظاهراً وتزوجت بآخر، كان زواجها بالآخر زنى، لأنها مازالت مرتبطة بزوجها الذى عقدت معه زواجها بالروح القدس الذى ربط وجمع بينهما. يقول الوحى الإلهى «المرأة تظل مرتبطة شرعاً بزوجها مادام زوجها حيا، ولكن إن مات رجلها فهى حرة لكى تتزوج بمن تريد فى الرب فقط» (١ . كورنثوس ٧ :٣٩) .

وإذن فالحكم بالزنى يقع على الرجل وعلى المرأة إذا تزوج أى منهما بإرادته المنفردة بعد طلاق بإرادته المنفردة. أما إذا تم الطلاق بحكم شرعى، أمام الكنيسة بإعتبارها ممثلة للسلطة الإلهية وبموجب ما نصت عليه الشريعة المسيحية: وهو الزنى وما هو فى حكم الزنى، والموت وما هو فى حكم الموت... ففى هذه الحالة يمكن أن تصرح الكنيسة بزواج المطلق إذ أنه بالطلاق الشرعى أمام الكنيسة تنحل رابطة الزواج، فلا يعتبر زانيا من يتزوج بتصريح شرعى من الكنيسة بإعتبارها الممثل الشرعى للسلطة الإلهية التى عقدت الزواج.

٢١- هل يجوز الزواج فى الصوم ؟

سؤال : من السيد / يوسف بانوب عوض - طنطا.

هل يجوز أن يتم زفاف عروسين فى فترة الصوم ؟

الجواب :

منذ القديم منعت الكتب المقدسة ذلك، والأوامر الكنسية أمرت بعدم الزفاف فى الأصوام.

يقول الرب بفم النبى يوئيل: «قدسوا صوما، نادوا بإعتكاف... ليخرج العريس من مخدعه، والعروس من حجلتها» (يوئيل ٢ : ١٥، ١٦).

وقال الإنجيل :

«وكان تلاميذ يوحنا والفريسيون يصومون، فجاءوا إليه وقالوا له: «لماذا يصوم تلاميذ يوحنا والفريسيون، وأما تلاميذك فلا يصومون؟». فأجاب يسوع وقال لهم: «هل يمكن لبنى العرس أن يصوموا والعريس معهم؟ مادام العريس معهم لا يمكنهم أن يصوموا. ولكن ستأتى الأيام، حين يرفع العريس من بينهم، فعندئذ سيصومون فى تلك الأيام» (مرقس ٢ : ١٨- ٢٠)، (متى ٩ : ١٤، ١٥)، (لوقا ٥ : ٣٣- ٣٥).

والمعنى واضح أن هناك تعارضا بين الصوم وبين الزفاف والعرس.

انظر سفر دانيال (٦ : ١٨)، (١ . كورنثوس ٧ : ٥).

وكذلك قالت الأوامر الرسولية والقوانين الكنسية.

جاء فى القانون ٥٢ من قوانين مجمع اللاذقية الذى انعقد سنة ٣٦٤م:

«ولا يجب فى (صوم) الأربعين أن يصنعوا عرسا...».

وجاء فى قوانين البابا عبدالمسيح (خرسطوذولو) (١٠٤٦ - ١٠٧٧) «والأربعون يوماً الصوم تصام بالزهد والتواضع وتجنب الشهوات، ولا يكون فيها تزويج».

(تاريخ البطاركة - المجلد الثانى - الجزء الثالث - صفحة ١٦٦).

ويأمر القانون الكنسى بمعاملة الأربعاء والجمعة معاملة الصوم الأربعينى المقدس وأسبوع الآلام، ولذلك لا يجوز الزواج أو الزفاف فى يومى الأربعاء والجمعة.

٢٢- ترك الزوجة لزوجها خمس سنوات(١)

السيد .....

سلام ومحبة فى ربنا يسوع المسيح .

رداً على خطابكم بخصوص ابنتكم السيدة ..... المتزوجة من ..... المقيم .....، وقد أنجب منها طفلين أحدهما سنه عشرة سنوات والآخر ست سنوات، ثم حضرت عندكم ابنتكم ... إلى بلدتكم ومعها ولداها من دون أن يكون هناك خلاف بينها وبين زوجها - على قولكم - وأقامت عندكم بعيدة عن زوجها مدة خمس سنوات وعند حضور الزوج إلى بلدتكم عند أهله، رفض أخذ زوجته وولديه، فطلبتم تدخل كاهنى البلدة، ومع ذلك أصر على ترك زوجته وأولاده، فتقدمتم بشكواكم إلى نيافة مطران الجيزة فكلف نيافته كهنة كنيسة بالجيزة بالتدخل فى الأمر فتهرب منهم - وإذا بكم تفاجأون باعلان للحضور أمام محكمة الجيزة الابتدائية للأحوال الشخصية لغير المسلمين لتوقيع الطلاق على الزوجة.

وسؤالكم هو : هل للزوج إذا ترك زوجته لمدة خمس سنوات أن يلجأ إلى المحكمة لطلب الطلاق من زوجته التى أنجب منها طفلين بإرادته المنفردة؟

الجواب :

(١) هل حقاً - أن امرأة تحضر إلى بيت أبيها مع ولديها ويتركها زوجها عند أهلها لمدة خمس سنوات دون أن يطلبها - من دون أن يكون هناك أسباب عند الزوج لهذا الترك؟

(٢) ثم كيف لم تتحركوا - وهذا طبقا لما ورد فى خطابكم - لرد الزوجة إلى زوجها إلا بعد أن حضر زوجها بنفسه إلى ...، وعندئذ طلبتم تدخل كاهنى البلدة - ثم أخيراً مطران الجيزة؟

يبدو من خطابكم أن إجراءاتكم لحل المشكلة جاءت متأخرة جداً، لأنها - على قولكم - بدأت بعد خمس سنوات من ترك الزوجة طرفكم - وبهذا مكنتم الزوج أن يحتج أمام المحكمة بأن هناك خلافاً دام بينه وبينها لمدة خمس سنوات. وفى هذه الحالة يمكن أن تكون القوانين المعمول بها الآن أمام محكمة الأحوال الشخصية لغير المسلمين تسمح للرجل أن يطلب الطلاق من زوجته بحجة الانفصال بينهما لأكثر من ثلاث سنوات. ويمكن أن يدّعى هو من طرفه أن الخلاف كان مستحكماً بينهما بدليل هذه الفرقة بينهما لمدة خمس سنوات، على الرغم من تدخل الكهنة - كما جاء بخطابكم -

---

(١) كتب فى ٣٠ من سبتمبر ١٩٨٢م - ٢٠ من توت ١٦٩٩ ش.

ونصيحتنا لكم وللزوجة بعد أن وصل الأمر إلى القضاء بهذه الصورة المحزنة:

إذا كنتم من جانبكم قد فشلتم فى إقناع الزوج فى أن يسترد زوجته، وهى فى نفس الوقت ابنة خالته، وفشلت هى أيضاً فى إقناع زوجها بأن يسترد علاقته بها - ثم فشل الكهنة فى ....، وفشل الكهنة أيضاً فى الجيزة بعد تدخلهم فى الأمر.

فيبدو لنا بعد هذا كله أن الوقت قد أصبح فى صالح الزوج، حجة يمكنه أن يحتج بها أمام المحكمة بأنه لا يستطيع كرجل أن يبقى بعيداً عن زوجته هذا العدد من السنين دون أن يتعرض لتجربة الزنى بأخرى.

وعلى ذلك فنصيحتنا إليكم أن تحاولوا من طرفكم - وخصوصاً إبنتكم وهى زوجته - أن ترضوه بالطرق الودية وأن تسترضيه زوجته بمحبتها ورقتها ووداعتها من غير تدخلكم أنتم كوالد للزوجة. فتدخلكم أنتم يضر وقد يثير روح العناد، والكبرياء.

وكم يكسب الإنسان المواقف بالوداعة والاحتمال والاتضاع؟

وكم يخسر بالتشدد والتصلب والاصرار؟

إننا نصلى أن تبذل الزوجة من جانبها جهداً مضاعفاً فى أن تسترضى زوجها وتستعيد محبتها خصوصاً وبينها وبين زوجها رباط ثمين وهو رباط الأولاد الذين أثمرهم الزواج وهو رابطة إلهية مقدسة - ثم الرابطة العائلية كإبنة خالته.

الرب يوفقكم، ونعمته تعالى تشملكم ،،،،

٢٣- هل لقائمة الزواج سند كنسى ؟

سؤال : ما قيمة قائمة الزواج التى تؤخذ على الزوج المسيحى وما حكمها وما سندها الكنسى والشرعى وهل يمكن للزوج أن يتخلص منها فيما بعد وهى كما تعلم مثار مشاكل مستمرة فى الصعيد.

الجواب :

إذا كان المقصود بقائمة الزواج التى تؤخذ على الزوج المسيحى هو بيان رسمى بحق الزوجة فى أثاثات البيت كلها أو بعضها فليس لهذه القائمة سند كنسى روحى لأن بموجب الرابطة المقدسة التى ربطها الروح القدس بين الزوجين بسر الزيجة قد صار الزوجان جسداً واحداً «فليسا هما اثنين بعد ولكنهما جسد واحد» (متى ١٩ :٥، ٦) ومادام جسداً واحداً فكل ما لكل منهما من مقتنيات قد صار لهما معاً بلا تفريق.

وإذا كان الكتاب المقدس يقرر أنه «ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل وكذلك الرجل ليس له تسلط على جسده بل للمرأة» (كورنثوس الأولى ٧ :٤) فبالأحرى تصير ممتلكات الزوجة ملكاً للرجل كما تصير ممتلكات الرجل ملكاً للزوجة. وعلى هذا يجب أن يحتسب الرجل مرتبه الشهرى وكل دخوله وإيراداته ملكاً مشتركاً بينه وبين زوجته وأولاده وكذلك الأمر فيما يتصل بالزوجة فكل ما تملك من إيراد بالارث أو بالعمل هو أيضاً ملك مشترك بينهما وبين زوجها وأولادها.

هذا وضع طبيعى فى الزواج المسيحى الذى لا ينحل مدى الحياة «وما جمعه الله لا يفرقه إنسان» ومن هنا فإن الزوجة تسمى شريكة للحياة لزوجها وكذلك الزوج شريك الحياة لزوجته.

ولكن يبدو أن سبب هذه القائمة هو ما صار يهدد الأسرة المسيحية من محاولات الطلاق. وإذ أن بعض الأزواج على ما يبدو قد طلقوا نساءهم فخرجت المرأة من عش الزوجية طريدة بائسة تعانى هى وأولادها شظف الحياة أو لربما يحدث هذا لإمرأة مات زوجها فاستبد بها أهله وأخرجوها مظلومة بلا شئ تقاوم به أكلاف الحياة. من أجل هذا يلجأ بعض الناس إلى مثل هذه القائمة لتحفظ للمرأة حق الحياة الكريمة إذا مات زوجها أو طلقها. هذا هو التبرير الوحيد لقائمة الزواج وهو أمر قائم لا على أساس معنى الزواج فى مفهومه المسيحى الأصيل بإعتباره سراً مقدساً يربط بالروح القدس بين الزوجين فيصيران به جسداً واحداً وإنما قوامه الخوف من حدوث انفصال بين الزوجين بالموت أو بالطلاق فى بعض الأحيان النادرة.

ونعمة الرب تشملكم.

٢٤- من حق الإبنة الشابة
أن يكون لها رأيها فى اختيار شريك حياتها (١)

الابنة العزيزة..... فم الخليج

سلام أيتها الإبنة ودعاء إلى الله أن يحفظ شبابك طاهراً، متمتعة بالصحة والتوفيق فى حياتك أمام الله والناس.

قرأت خطابك، وفهمت مشكلتك، وأدعو الله أن يتدخل ويرشدك إلى التصرف الحكيم.

وفى مثل موضوعك، أرى أنك على حق فى اختيارك للرجل الذى ترينه مناسباً لك فى أخلاقياته وروحياته وإتجاهاته الفكرية، حتى تكونى وهو معك متوافقين مما يسهل مسيرتكما نحو حياة موفقة سعيدة. أما رفض الوالد وإصراره فهو أمر طبيعى يمارسه عادة كل أب يريد أن يطمئن إلى مستقبل ابنته المادى - لذلك يلزم يا إبنتى أن لا تدخلى فى جدل مع والدك الأمر الذى قد يقوده إلى شدة التشدد، لأنه لا يقبل منك أن تعارضيه، فالأوفق كما نرى أن تهدئى وتظهرى له طاعتك. وفى الوقت نفسه تتجهين إلى الله. فى صلاة هادئة لكن متكررة وبإلحاح أن يتدخل بفضل نعمته ويدبر حياتك تدبيراً سماوياً.

ويمكن أن تتركى لأحد شيوخ الكهنة أن يتولى هو التفاهم مع والدك فى الأمر من دون أن يبرز دورك أو رأيك فى الأمر - أى تجنبى الجدل والمناقشة فى الأمر مع والدك، واظهرى له طاعتك. ثم احيلى الأمر إلى الله واطلبى معونة القديسين، العذراء مريم ورئيس الملائكة ميخائيل والشهداء والقديسين وإنى أؤمن وأثق أن الله سيتولى الأمر، وسيسخّر الملائكة والقديسين ليكونوا فى مساعدتك.

على أننى أكرر القول أن تكونى هادئة، وتظهرى طاعتك لوالدك، ثم تبذلى جهدك فى صلوات هادئة متكررة أمام الله ليحول الأمر إلى خيرك الأبدى والزمنى، ونعمة الرب تشملك،،،

---

(١) كتب فى ٧ من يوليو لسنة ١٩٩١م - ٣٠ من بؤونة ١٧٠٧ ش.

٢٥- زواج المطلق أو المطلقة

سؤال: ما قولكم فى تزويج كل من المطلق والمطلقة اللذين صدر حكم طلاق بينهما من المحكمة وصادقت عليه البطريركية أو المطرانية وصدر منها تصريح زواج لكل منهما بعد الطلاق؟

الجواب :

من الكهنة من يرفض تزويج المطلقين على الإطلاق.

ولكن فى هذا قسوة شديدة على الطرف المجنى عليه.

والمعقول والمقبول أن يسمح بزواج المجنى عليه. أما الطرف الذى زنى وبسبب زناه تم الطلاق فلا يجوز تزويجه عقاباً له، وحتى لا تسهل الكنيسة بتصريحها فعل الخيانة الزوجية.

وبهذه المناسبة نقول أنه لا يكفى صدور حكم من المحكمة بالطلاق، بل المفروض أن تعرض القضية على الرياسة الدينية المختصة ولابد من صدور نطق كنسى من الرئيس الدينى للإيبارشية (البطريرك أو المطران أو الأسقف) بالطلاق وحينئذ يعطى التصريح بالزواج للطرف المجنى عليه.

٢٦- ما جمعه الله لا يفرقه الإنسان(١)

سؤال : من الابن أنيس القس يسطس ويصا - الفاروقية - بنى مزار.

يقول : إن المسيح له المجد يقول (ما جمعه الله لا يفرقه الإنسان) (متى ١٩ :٦) فما هو قولكم إذن فى الحكم الذى تصدره المحكمة بالطلاق؟

الجواب :

إذا توافر للزواج المسيحى جميع أشراطه التى يقوم عليها، فلا طلاق. إن الزيجة المسيحية سر مقدس، واتحاد بين الزوجين بفاعلية روح القدس الذى يربط بينهما، **فلا يجوز انحلال الزيجة المسيحية لا بالإرادة المنفردة لأى من الزوجين على حدة، ولا بالإرادة المتفقة بينهما، لأن الله طرف ثالث جمع بروحه القدوس بين الزوجين، فلا يجوز حل هذه الرابطة المقدسة من دون أن يستأذن الطرف الثالث، وهو الله. ولما كان الطرف الثالث تمثله السلطة الكنسية، فلا يجوز الطلاق أو الحكم بانحلال الرابطة الزوجية من دون رأى السلطة الكنسية، وهى المجلس الإكليريكى.**

وعلى ذلك فإذا حكمت المحكمة الوطنية بالطلاق، فلا تمنح الكنيسة التصريح بالزواج لأحد الطرفين قبل أن يقر المجلس الإكليريكى فى الأسباب التى حكمت بموجبها المحكمة الوطنية بالطلاق. فإذا أقرها شرعاً وفقا للتعليم المسيحى، أجاز الزواج، فإذا لم يقرها امتنع. وقرار المجلس الإكليريكى ملزم لأبناء الكنيسة.

والكنيسة لا تجيز الطلاق إلا فى حالة واحدة وهى الزنى، وماهو فى حكم الزنى. ذلك لأن الزنى نجاسة، لا يقبلها روح الله القدوس، فإذا تحقق الزنى، فروح الله يفارق.

على أن الكنيسة تجيز الزواج الثانى لمن مات قرينه - وهذا هو السبب الثانى الرئيسى لانحلال الرابطة الزوجية - ويجرى مجراه الغيبة المنقطعة، وتحول أحد الزوجين عن دينه إلى دين آخر.

---

(١) كتب فى ٩ من ديسمبر ١٩٨٧م - ٢٩ من هاتور ١٧٠٤ ش.

٢٧- لا يجوز إجبار الفتاة على الزواج(١)

العزيز الشاب المبارك هـ . ع.

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

رداً على إستفساركم هل تتزوج شقيقتكم من إبن عمها، وهى - على قولكم - مصرة على عدم الزواج منه لدرجة أنها تؤثر الإنتحار على هذا الزواج، نظرا للخلافات القديمة منذ الطفولة بينهما.

نجيب بأنه يجب إرجاء هذا الزواج عن الموعد المحدد له، حتى تقتنع الفتاة.

فإذا لم تقتنع الفتاة، فلا يجوز إجبارها على ذلك. فإن إجبار الفتاة مبرر لإبطال الزواج إذا طلبت الفتاة ذلك.

فالزواج فى المسيحية سرّ مقدس ورابطة إلهية لا تنفك ولا تنحل. وكل سر ينبغى أن يقبل بالرضى والاختيار، ولا يجوز قبوله بالقهر.

ومن جهة أخرى يحسن أن نتوقف عن الزواج بأبناء العمومة وأبناء الخؤولة نظرا لأن القرابة تمهد سريعا لظهور مرض وراثى على ما يقول الأطباء والعلماء، فيشقى الأبناء.

وفى جميع الأحوال لا يجوز ممارسة الضغط على الفتاة لحملها على الزواج بإبن عمها على الرغم منها.

لنصلّ، والرب يهدى إلى الخير خطاكم،،،

---

(١) كتب فى ٢٢ من يوليو لسنة ١٩٨٢م - ١٥ من أبيب ١٦٩٨ ش.

٢٨- لا تنتظر فى أمر الزواج حلماً أو رؤيا

الإبن ن . ح . ت - القاهرة.

أما عن ارتباطك بفتاة للزواج فلا تنتظر حلماً أو رؤيا كما تقول بخطابك. إن أهم ما ينبغى أن يتوافر فى الزواج الناجح هو التوافق النفسى والروحى بين الرجل والمرأة. ومادمت مخلصا وأمينا مع الله ومع نفسك، وتريد زواجا ناجحا، فابحث عن الفتاة التى تتوافق معك روحيا ونفسيا وذهنيا، ولابد أن تعرفها عن قرب، وستجد إجابة الصلاة فى راحة القلب.

إن الزواج أمره متروك للإختيار الشخصى، ومن الخطأ أن يتنصل الإنسان من مسئوليته فى هذا الإختيار وينسبه إلى القدر، فإذا تبين له فيما بعد أو بعد الزواج أنه لم يكن موفقا فى زواجه شتم القدر، وتجاسر فنسب إلى الله الشر والظلم.

الإنسان هو صاحب الحق فى الإختيار، ولا يجوز له أن يتنصل من مسئوليته فى هذا الإختيار. لذلك نقول ونكرر القول: لا تنتظر فى أمر الزواج أن يكشف الله لك بالحلم أو بالرؤيا عن إرادته. أنت كائن حرّ مريد مسئول. فباشر حقك فى الحرية والمسئولية، فابحث عن الفتاة التى تتوافق معك ذهنيا ونفسيا وروحيا، فإن الزواج هو فى حقيقته تلاقى روحين ليسيرا معاً رحلة الحياة فى تعاون وإنسجام. ابحث وامتحن وافحص وادرس، وتحمل المسئولية، واسأل قلبك وعقلك وابحث عن راحة قلبك. واعلم أن الله يريد لك الخير ويرقب من السماء أمانتك فى إختيارك المخلص لشريكة الحياة التى تتقاسم معك جهادك ومسيرتك فى طريق الحياة المزّينة والمفعمة بالقيم الروحية والأبدية.

ثانياً- نحن لا ننصح لك بالزواج من إبنة عمك التى يريد أهلك أن تتزوج بها، فإن الزواج بأقارب الدرجة الأولى ليس مستحباً لصحة النسل، وحتى يجئ النسل قويا وسليما من الأمراض، ومن احتمالات ضعف المناعة للأمراض، أو البلادة الذهنية والجسمانية.

٢٩- لا تخرج المرأة على طاعة زوجها (١)

العزيز الأستاذ الدكتور أ . س.

سلام ومحبة ونعمة وبركة.

تلقيت خطابكم وبه شكواكم من السيِّدة زوجتكم التى تُسيطر عليها والدتها، كما تقول فى خطابكم، فضلاً عن تدخلها فى كل أمر يخص بيتكم وأولادكم، وإصرار زوجتكم على إيداع كل مجوهراتها الخاصة بها عند والدتها منذ يوم زواجكم وحتى الآن، وقد آل بكم الأمر إلى عملية سطو فقدتم بها أشياء لا تقل قيمتها فى الوقت الحاضر عن عشرين ألف جنيه - على حد قولكم - على الرغم من تحذيركم للسيدة قرينتكم من ذلك، ورفضكم هذه العلاقة، فإن زوجتكم على حد قولكم لا تقتنع برأيكم مما جعل حياتكم جحيما لا يطاق.

وقد يكون للسيدة قرينتكم بعض العذر فى الإغداق على والدتها بنصف راتبها الشهرى، من منطلق الإهتمام بوالدتها التى قد تكون فقيرة وفى إحتياج إلى رعايتها مادياً.

مع ذلك نحن لا نقر الزوجة أن تخرج على طاعة زوجها، وأن تصنع شيئا من غير رضاه.

لقد أمرت الشريعة صراحة وبكل وضوح أنه إذا نذرت إمرأة متزوجة نذرا لله أو ألزمت نفسها بلازم قسم. وسمع زوجها فإن سكت ولم ينهها ثبتت كل نذورها، وكل لازم ألزمت نفسها به ثبت. **أما إذا نهاها زوجها فى يوم سماعه فقد فسخ نذرها الذى جعلته عليها ولفظ شفتيها الذى ألزمت به نفسها والرب يصفح عنها.** كل نذر وكل يمين إلزام.. زوجها يثّبته وزوجها يفسخه (سفر العدد ٣٠: ٦- ١٣) فإذا كان الأمر كذلك فيما يتصل بالنذر لله، فبالأحرى **يجب على المرأة أن لا تخرج على طاعة زوجها.**

ونحن مع تقديرنا للظروف والملابسات والضرورات التى قد تضغط على المرأة لمساعدة والدتها مادياً، **فالكنيسة لا تقر للمرأة أن تخرج على طاعة زوجها، إذا لم يكن زوجها مقتنعا بذلك.**

يقول الكتاب المقدس:

على المرأة **(أن ترضى زوجها)** (١. كو٧: ٣٤).

---

(١) كتب فى ١من مايو لسنة ١٩٩٠م - ١٠ من بشنس ١٧٠٦ش.

(أيتها النساء **اخضعن لأزواجكن خضوعا للرب**. لأن الرجل رأس المرأة كما أن المسيح رأس الكنيسة.. وكما تخضع الكنيسة للمسيح **فلتخضع النساء لأزواجهن فى كل شئ... وأما المرأة فلتتهيب زوجها) (أفسس ٥ : ٢٢- ٢٤)**.

ونحن نوصى بأن يكون الوفاق هو رائد المتزوجين حتى تسير مركبة الحياة الزوجية فى سلام... ومع ذلك **فإذا أصر الزوج على رأى، فعلى الزوجة أن تتمشى معه وتخضع لرأى زوجها**، حتى تصون حياتهما الزوجية، ولا تدمرها بتشدّدها فى موقفها مهما كان إقتناعها بصواب رأيها.

إن المرأة الحكيمة تتميز بالمرونة وبالليونة، وبحكمتها ورقتها يمكن أن تكسب زوجها لرأيها... ومهما يكن من أمر فإن شريعتنا لا تقر لإمرأة أن تخرج على طاعة زوجها، أو أن تستبد برأيها، وتلزمه بأمر عن غير إقتناع منه.

ونعمة الرب تشملكم،،،

٣٠- لا تتوقع أن يتوافر فى فتاتك كل صفات الكمال المطلق (١)

الإبن العزيز السيد ف . ر . س.

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، أرجو لك أيها الإبن موفور الصحة وكل التوفيق.

قرأت خطابك بإمعان، ويبدو من حديثك عن نفسك أنك تعانى من الخوف، نظرا لما تسمعه عن آخرين من فشل فى الزواج، واعلم أيها الإبن أنّ علاج الخوف هو جرعة إيمانية. فإذا وجدت الفتاة التى تتوافق معك فكريا ونفسياً وروحيا، فتقدم نحوها واطلب يدها من أهلها ولا تخشَ شيئا. واعلم أن الزواج فى المسيحية ليس مجرد متعة، وإنما هو أيضاً مسئولية.

بعبارة أخرى لا تتوقع أن يتوافر فى فتاتك كل صفات الكمال المطلق أو حتى الكمال النسبى. المهم أن تجد الفتاة التى تتوافق معك فكريا ونفسيا، ولا تتطلب أن تجد فيها جميع الصفات التى تتوافر فى الإنسان الكامل وإلا فلن تتزوج، وإذا تزوجت فلن تعيش سعيدا. توقع أن تجد فى أى فتاة نقصاً أو آخر، ومع ذلك فستكون هذه فرصتك فى مساندة هذه الفتاة، حتى تتساند معها لحمل مركبة الحياة. وإذا كان فى الفتاة بعض النقص فى ناحية أو فى أخرى، فهذه فرصتك لخدمة هذه الفتاة، والعمل معها لخلاص روحها، ويكون بذلك لك أجر، وتكون أنت سبباً فى خيرها الأبدى والزمنى.

واعلم ما يقوله الكتاب المقدّس «إثنان خير من واحد، لأن لهما أجرة لتعبهما صالحة» (الجامعة ٤: ٩).

واذكر أن السيد المسيح له المجد عندما أرسل تلاميذه للخدمة «أرسلهم إثنين إثنين» (مر ٦: ٧)، (لو ١٠: ١). فتشجع أيها الإبن، وأقبل على الزواج بفتاة ترى فيها التوافق معك فى الأفكار، واحتمل ضعفها، وتساندا معا فى مسيرة الحياة لتبلغا معاً إلى الحياة البانية للروح والنفس، ولتكوين أسرة مسيحية، فى عبادة صادقة، وخدمة مرضية. وتعاونا معاً على خدمة الله فى أسرة تحيا فى مخافة الله، وصلّيا معاً واطلبا معاً مرضاة الله ومسرته.

فأقبل على الزواج، ولا تتردد، ولا تيأس من العقبات. إنها إمتحان لصلابتك وصمودك، وإمتحان لروح النضال فيك.

ونعمة الرب تشملك،،،

---

(١) كتب فى ١٧ من مارس لسنة ١٩٩٣م - ٨ من برمهات ١٧٠٩ ش.

٣١- فى صلوات الإكليل والزواج

سؤال من أحد الكهنة:

يلاحظ إختصار بعض الكهنة لطقوس سر الزيجة، وصلوات الإكليل، التى يجب أن تتم كاملة طبقاً لما هو منصوص عليه فى كتب الكنيسة. ويعتقد - ومع عدد كبير من الروحيين - أن إهمال بعض صلوات الإكليل وعدم أدائها على الصورة التى رتبها الروح القدس فى الكنيسة، ضار بالعروسين. ولهذا الإهمال نتائجه الظاهرة فى الفشل الذى يدرك الحياة الزوجية لعدد من الناس، الذين يتعجلون إتمام الزواج من دون الإهتمام بعمل الروح القدس، واستدعائه بالصلوات والإبتهالات العميقة.

والجواب:

إن هذه الظاهرة تمتد مع الأسف البالغ، حتى لقد صارت صلوات سر الزيجة قاصرة على أقل القليل، وصارت الطقوس تؤدى ناقصة، والصلوات يكتفى منها ببعضها ويهمل الباقى بحجة أن بعضها تكرار وإعادة. ولم تعد صلوات الإكليل تستغرق عند بعض الكهنة، غير ثلاثة أرباع الساعة، وعند البعض، نصف ساعة فقط. وفى بعض الكنائس الفاخرة التى تزدحم فيها الزيجات قد تستغرق صلوات الاكليل أقل من نصف ساعة، خصوصا إذا جاءت العروس متأخرة عن الموعد، وهى عادة تجيء متأخرة بسبب الإعدادات الكثيرة لتجهيزها لساعة الزفاف وتصفيف شعرها وغير ذلك... ولما كان لابد للكنيسة أن تنتهى من طقوس الإكليل فى الموعد المحدد لإنتهائه، حتى تستعد لموعد الإكليل التالى له. كان لا مفر أيضاً من إختصار أكثر صلوات الإكليل حتى يتقبل العروسان التهانى وينصرف المدعوون مزودين بهدية تذكارية يستغرق توزيعها وقتا آخر. كل هذا الوقت يقتضب من صلوات الإكليل... وهكذا لم يعد لصلوات الإكليل فى بعض الكنائس متسع حتى لنصف ساعة، علما بأن قداس الإكليل، يستغرق فى العادة وقتا لا يقل عن ساعة ونصف ساعة إذا باشره الكهنة على الصورة المرجوة، والمنصوص عليها فى كتب الكنيسة.

وهنا العجب، فإن العروسين يستعدان للزفاف شهورا، وربما سنة أو أكثر من سنة ويبخلان على صلوات الإكليل بالوقت الكافى لأهم لحظة فى حياتهما تتوقف عليها بركة الرب وعمل الروح القدس الذى يربط بينهما رباطاً أبدياً. إن صلوات الإكليل لا تتكرر بالنسبة للعروسين معا، هى تجرى مرة فى العمر لتربط بينهما مدى الحياة لشركة روحية أبدية تمتد طوال حياتهما فى

الدنيا، فكيف يبخلان على نفسيهما بوقت كافٍ لإستدعاء الروح القدس فيهبط عليهما ويجعل من جسديهما الإثنين جسدا واحدا (متى ١٩: ٥، ٦)، (مر ١٠: ٨).؟

إن الزواج عندنا نحن المسيحيين ليس مجرد عقد يربط بين رجل وإمرأة إرتضيا أن يسكنا معاً ويعيشا معاً... إنه أسمى من ذلك جداً، إنه سر مقدس، تنزل فيه موهبة من مواهب الروح القدس غير منظورة ولا ملموسة، هذه الهبة السماوية من قبل الروح القدس تحل على العروسين ليجمع الله بينهما فى رباط إلهى مقدس، ويحيل جسديهما الإثنين إلى جسد واحد، وبهذا يحل أحدهما للأخر، ويصير لكل منهما سلطان على جسد الآخر (١ . كو ٧: ٤) ... تماما كما يحل الروح القدس على مياه المعمودية فيغير من طبعها ويجعل الماء مكهربا بالروح القدس، وبالتالى قادرا على أن يخلق فينا الطبيعة الجديدة، فنصير بالروح القدس خليقة جديدة (١ . كو ٥: ١٧) وبهذا يصير الإنسان مولودا من جديد، مولودا من فوق، الولادة الثانية من الروح القدس... وتماما كما يحل الروح القدس على الخبز والخمر فى سر القربان ويجعل منهما غذاءً سماويا للروح، وقوتا أبديا للنفس الناطقة... هكذا نؤمن، وهكذا نصدق، وهكذا نعترف أنه بإستدعاء الكهنة للروح القدس فى سر الزيجة، ينحدر الروح القدس على العروسين فيربط بينهما رباطا سريا إلهيا ويجعل من جسديهما جسدا واحدا... إذن هو الله الذى يربط وليس إنسان، ولذلك قال المسيح له المجد «فما جمعه الله لا ينبغى أن يفرقه الإنسان» (متى ١٩: ٦) (مر ١٠: ٩).

من هنا كانت أهمية الطقس الدينى فى عقد الزواج المسيحى... لأن به يصير الله طرفا ثالثا فى الزواج يجمع بين الزوجين، وهذا هو الفرق بين الزواج المسيحى والزواج المدنى... ولهذا كان الزواج المسيحى رباطا أبديا لا ينحل، لأن الله هو الذى ربطه.. وما يربطه الله لا يفرقه الإنسان..

بل هذا هو السبب فى أهمية الكاهن فى عقد الزواج المسيحى، لأنه يمثل الحضور الإلهى فى الزواج المسيحى، أى أن وجود الكاهن منظورا يمثل وجود الله خفيا ومستورا... والكاهن إذ يعقد الإكليل إنما يعقده بإسم الله وممثلا له.

ولذلك وجب على الكاهن أن يؤدى صلوات الإكليل بكل الورع والتقوى، وبكل التذلل والإنسحاق أمام الحضرة الإلهية، لتسيطر على العروسين موهبة الروح القدس كاملة، ويبارك زواجهما باسم الله.

ولذلك أيضا يجب على الكاهن أن يستعد لقداس الإكليل روحيا وجسديا.... روحيا بالإعداد الذهنى والفكرى للعمل المقدس الذى سيقوم به... وجسديا بالإمتناع عن الطعام وقتا كافيا يليق بالسر المقدس الذى سيباشره... وعليه أيضاً أن يرتدى كامل ملابسه الكهنوتية التى يباشر بها كل قداس... سواء بسواء... لأن الإكليل أيضا قداس وسر مقدس، وخدمة كهنوتية فى حضرة الرب الإله.

بل هذا أيضا هو السبب فى أن طقوس الإكليل يجب أن تباشر فى الكنيسة، بيت الله المقدس والمدشن والمكرس والمخصص لخدمة الله وعبادته.. وهذا علامة وبيّنة على أن الزواج المسيحى رباط إلهى، وسر عظيم (أفسس ٥: ٣٢) وبرهان على أن الزواج فى المسيحية مكرم (العبرانيين ١٣: ٤) إذ أنه يباشر فى الكنيسة وأمام الهيكل المقدس، وبمعرفة الكهنة خدّام الله ووكلاء أسراره المقدسة (١ . كو٤: ١، ٢) . جاء فى قوانين بعض المجامع « أما ما سوى ذلك من الزواج فمباح، بشرط تكليل الكاهن لهما ظاهرا فى الكنيسة... وجاء فى كتاب الإكليل عن الوصية التى يوصى بها الكاهن العروسين فى ختام طقس الإكليل :

«والآن قد حضرتما فى هذه الساعة المباركة قدام هيكل الرب الصباؤوت (رب الجنود) ومذبحه المقدس...».

إذا كان الأمر كذلك.. فيجب أن تأخذ صلوات الزواج المقدس، الوقت الكافى لها... ويجب أن تمارس الصلوات والطقوس كاملة ، ولا يهمل منها شئ... فإن إهمالها إهمال فى عمل إلهى. ولابد أن يكون لهذا الإهمال عقابه وجزاؤه وآثاره على العروسين، كما على الكهنة الذين يباشرون الزواج باسم الله وفى حضرته.

إكليل لأكثر من عروسين فى وقت واحد:

وتجنبا للإرهاق الذى يتعرض له الكهنة خصوصا فى المدن الكبرى... وحتى لا يحدث إهمال فى أداء الطقوس يمكن أن يباشر إكليل الزواج لأكثر من عروسين فى وقت واحد... تماما كما يعمد عدد من الأطفال فى يوم واحد.. فى جرن معمودية واحدة. فالصلوات تباشر لتقديس مياه المعمودية مرة واحدة. ثم يعمد الأطفال فيما بعد تقديسها، الواحد بعد الآخر... وكما يتناول عدد كبير من المؤمنين من سر القربان فى يوم واحد، بعد تقديس العناصر.. وكما يمكن رسامة أكثر من شماس... وأكثر من أسقف... فى يوم واحد... تؤدى الصلوات التى يشترك فيها جميعهم ثم يخصّ كل منهم بالرشوم الخاصة به على حدة...

هكذا وبنفس الدرجة يمكن أن يعقد الإكليل لأربعة عرسان، أو ستة، أو ثمانية أو عشرة فى وقت واحد... وبذلك تؤدى الطقوس كاملة بغير نقص ولا يهمل شئ من الصلوات، وتكون البهجة أعظم، والفرح أشمل... وعدد الحاضرين أكثر ولا يكون إرهاق لا للكهنة الخدام، ولا للمدعوين الذين يكونون مدعوين لأكثر من إكليل فى يوم واحد، وربما فى وقت واحد فى أكثر من كنيسة. وليس هذا بدْعا، بل هذا ما كان يجرى منذ قديم الزمان فى المدن والقرى.

٣٢ ـ عند الزواج يجب أن يتبع الزوجان شريعة واحدة

سؤال : من فتاة.

تقول أنه تقدم لخطبتها ابن خالتها لتكون شريكة حياته وهو يحبها وهى تحبه كثيراً، وتعتقد أنها ستكون سعيدة معه، غير أنه هو كاثوليكى، وهو يريد أن تتم مراسم الزواج على يد أحد كهنة الأقباط الكاثوليك، لأن المرأة تتبع الرجل، ويعدها بأن تكون لها كامل الحرية بعد الزفاف فى حضور القداسات وبالتالى مباشرة الاعتراف والتناول فى الكنيسة الأرثوذكسية، لأنه هو غير متعصب، وهو على قوله لها لا ينحاز لأى طائفة، ولكنه يريد أن يتمم الزواج على الطقس الكاثوليكى لأنه هو ينتمى لعائلة كاثوليكية... ثم تقول فما رأيكم فى ذلك. إنى أرجو الرد راحة لضميرى؟

الجواب :

إننا ننصح، لأسباب كثيرة روحية وعائلية، أن يكون العروسان عند عقد الزواج على شريعة واحدة ويتبعان كنيسة واحدة، أى أن يكون الزوجان إما أرثوذكسيين معاً أو كاثوليكيين معاً، ولا ننصح بالزواج المختلط.

إن العقيدة الدينية غالية عند كل إنسان. ومهما بدا قبل الزواج متساهلا فيها، تعبيراً عن رغبته فى إتمام الزواج وحباً فى قرينه الذى سيقترن به، لكن بعد إتمام الزواج وهدوء العواطف يطفو على سطح العلاقات العائلية من جديد ما اختفى فى الباطن تحت تأثير الرغبة فى الزواج... وغالبا ما يكون الاختلاف العقائدى سببا واضحاً أو خفيا فى فتور العلاقات، إن لم يكن فى إثارة الخلافات، بين الزوجين، أو على الأقل عاملا مساعداً على عدم التوافق الروحى والانسجام الفكرى والترابط الذهنى بين الزوجين.

ثم أن هذا الاختلاف العقائدى سيبرز واضحاً جليا بعد ولادة الأولاد. وسيخلق روح التنافس بين الأب والأم فى ضم بعض الأولاد إلى مذهبه، مما يساعد على حدة الخلاف بين الزوجين، فضلا عما يخلقه بين الأولاد من حيرة فى إرضاء أى الطرفين. ولما كان الأولاد فى سن مبكرة لا يستطيعون أن يدخلوا فى أسباب الخلاف العقائدى، فينحاز أحدهم لعقيدة الأب أو لعقيدة الأم لأسباب جانبية شخصية، مما يخلق فى الجو العائلى مبررات للتشيع والإنقسام، والتحيز، وما يتبعها من أسباب للحب والكراهية وما إليها من مشاعر وإحساسات تزيد من أسباب الاختلاف الفكرى والذهنى والعاطفى وتنمى روح الانقسام بين أفراد العائلة الواحدة.

فمن أجل سلام الأسرة، ومن أجل صحة الأولاد الروحية والنفسية، وحتى يتهيأ لهم جو من الاستقرار الروحى والفكرى والنفسى، ننصح بأن يكون الزوجان عند الزواج على توافق فكرى وإيمانى وعقائدى. فإذا كان أحد الزوجين يتبع إيمانياً وكنسيا مذهبا غير الذى يتبعه الآخر، ينصح بأن ينضم أى الطرفين لمذهب الآخر إنضماماً كاملاً، عقائدياً وطقسياً. ولا يكفى فى ذلك الانضمام الشكلى بالوعود والكلام، إنما الانضمام الكامل الحى فى جسم الكنيسة التى ينعقد الزواج فى ظلها، ووفقاً لأحكامها وبحسب مراسمها وطقوسها.

ولكى نضع النقط فوق الحروف، ننصح لكما إما بأن ينضم خطيبك إلى الكنيسة الأرثوذكسية إنضماماً كاملا، أو تنضمين أنت إلى الكنيسة الكاثوليكية إنضماماً كاملاً. على أن يتم ذلك قبل إتمام الزواج، فإذا أجريت لكما مراسم الزواج تتم لكما معاً إما فى الكنيسة الأرثوذكسية بصفتكما ابنين فيها بكامل العضوية الكنسية. وإما فى الكنيسة الكاثوليكية بصفتكما ابنين فيها بكامل العضوية الكنسية.

ومن غير هذا الانضمام الكامل يخلق زواجكما لكما ولأولادكما فيما بعد سلسلة من المتاعب أنتما وهم فى غنى عنها.

٣٣- أنت مقترن بإمرأة فلا تطلب الإنفصال (١)

العزيز الابن السيد / ص.ج.

سلام ومحبة ونعمة - أرجو لكم موفور الصحة -

رداً على خطابكم بخصوص الخلاف الذى شجر بينكم وبين زوجتكم التى تزوجتها منذ نحو ثلاث عشرة سنة وأنجبت منها ثلاثة أولاد أكبرهم نحو ١٢ سنة وابنة عمرها ٩ سنوات والأصغر طفل عمره ٤ سنوات، وشكواك كما عبرت عنها بخطابك، أنها لا تتعاون معك فى شئون المنزل، وأنك كرهتها لهذا السبب ولغير ذلك، وقد رأيتم بيع التركة التى تركها لكم والدكم، وأن تقسمها بينكم وبين إخوتكم وأولادكم وزوجتكم ثم تمضى إلى سبيلك فى أرض الله الواسعة كما تقول فى خطابك.

ونحن نرى أنه من المحزن حقاً أن تنحل رابطة الزوجية التى جمعت بينك وبين زوجتك مدة ثلاث عشرة سنة، وقد أثمرت هذه الرابطة ثلاثة أطفال أكبرهم سنه نحو ١٣ سنة وأصغرهم ٤ سنوات.

إن رأيكم فى حل الرابطة الزوجية، رأى فيه ظلم كبير، على الأقل، يقع على أطفال صغار أنت أوجدتهم، ثم تتركهم للضياع حتى لو ظننت أنك تحفظ حقوقهم المادية بتوزيع التركة بينك وبين زوجتك وأولادك، لِم تظلمهم...

أرجو أن تراجع نفسك فى هذا القرار القاسى المجحف بأولادك، وهؤلاء فى صميم مسئوليتك أمام الله، ويحتاجون إلى رعايتك الروحية ولن يمكن أن تفلت من تبعة هذه المسئولية، ولن يقرك أحد فى الهرب من مسئوليتك تجاه أطفالك.

إن الزيجة المسيحية هى فوق كل اعتبار هى مسئولية. والمسئولية تقتضى التضحية بالمتعة الجسدية بين الرجل وزوجته فى سبيل صالح الأبناء، فى حاضرهم ومستقبلهم.

والآن، فإننا ننصح أولاً بأن يحال الموضوع على الكاهن الذى عقد الزواج كنسياً، ليتدخل، وبنفوذه الروحى يضع خطوط المصالحة بينك وبين زوجتك من أجل أولادكما.

وثانياً- يجب عرض الموضوع على المجلس الإكليريكى فى حالة عدم توصل الكاهن الذى عقد الزواج إلى إتفاق فى الصلح.

---

(١) كتب فى ٢٩ من مارس لسنة ١٩٩٠ م- ٢٠ من برمهات لسنة ١٧٠٦ ش.

جاء فى الكتاب المقدس:

(وأما المتزوجون فوصيتى لهم، وهى من الرب لا منى، أن لا تفارق المرأة زوجها. وإن فارقته فلتبق بغير زوج أو فلتصالح زوجها. وعلى الزوج أن لا يطلق امرأته) (١ . كورنثوس ٧: ١٠).

ويقول أيضاً: **(هل أنت مقترن بامرأة؟ فلا تطلب الانفصال عنها)** (١ .كورنثوس٧: ٢٧).

لو لم يكن لك أولاد من زوجتك، لكان يمكن أن تفارقها بالجسد، أما ولك أولاد فحرام أن تترك أولادك بحثاً عن راحتك. من أجل أولادك يجب أن لا تنفصل عن زوجتك، إن أولادك الصغار هم من صميم مسئوليتك، فلا تتخلى عنهم. ولا تتركهم مشردين.

والآن اطلب من الكاهن الذى عقد الاكليل أن يتدخل فإذا تعذر ذلك، فليكن أب الإعتراف، وإلا فالمجلس الإكليريكى...

ونعمة الرب تشملكم،،،

٣٤ ـ عقم الزوجة ليس سبباً شرعياً للطلاق (١)

الأب المحترم القس بنيامين شفيق ـ اطسا.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح أرجو لكم موفور الصحة والتوفيق.

وأشكركم على تعزيتكم الرقيقة فى إنتقال السيدة شقيقتنا.

وإجابة على استفساركم بخصوص السيدة التى تزوجت منذ ١٢ اثنتى عشرة سنة، ولم ترزق بنسل نهائياً، وذكرتم أنه بعد رحلة طويلة مع العلاج والأطباء أثبتت التحاليل أنها غير قادرة على الإنجاب وأن عقمها نهائى وغير قابل للعلاج، وذكرتم أن الزوج يريد أن ينفصل عن هذه الزوجة، لكى ينجب نسلا، فهل يحق له الانفصال، ويتزوج بأخرى؟

نجيب بأن عقم الزوجة، وعدم الإنسال لا يعد فى حد ذاته سبباً شرعياً للطلاق، **إلا إذا كان فى الزوجة عيب خلقى يمنع إمكانية الاتصال الشرعى بين الرجل وزوجته، كأن يكون جهازها التناسلى ناقصاً خلقياً.**

---

(١) كتب فى ٢٥ من أكتوبر لسنة ١٩٩٠ م ـ ١٥من بابه لسنة ١٧٠٧ ش.

٣٥ ـ سمو الرابطة الزوجية

سؤال : من السيد الدكتور سمير دانيال الزردقى ـ جراح عظام ـ ملوى.

هل صحيح أنه حفاظا على قدسية سر الزواج المقدس الذى يرتبط به الزوجان، يجب ألا يجتمعا جسديا إلا بعد مرور ثلاثة أيام على الأقل بعد عقد الإكليل، وأنه لا تجوز المعاشرة الجسدية قبل ذلك، هل هذا صحيح؟

الجواب :

إنه أمر مستحب، وهى عادة حميدة اعتاد عليها الأقباط منذ القديم، وقد كتب عنها الأجانب من السائحين الذين زاروا مصر، وكتبوا عن عادات الأقباط فى الحياة وفى الزواج ـ وهى عادة تدل على سمو النظرة المسيحية الأرثوذكسية إلى الزواج، وإن العلاقة بين الزوجين تسمو وتعلو عن أن تكون مجرد علاقة جنسية جسدية شهوانية، وأما الوصال الجسدى فلا بأس أن يتأخر بعض الوقت، حتى يجئ تعبيراً طبيعياً عن محبة الزوجين أحدهما للآخر، وإمتداداً للتوافق الروحى والنفسى والذهنى بينهما لحياة زوجية سعيدة مثمرة بالإنسال للبنين والبنات.

هذه العادة الصالحة نجد جذورها وأصولها فى الكتاب المقدس، وخصوصا فى نصيحة الملاك رافائيل ـ أحد رؤساء الملائكة السبعة ـ لطوبيا الشاب قبل زواجه:

(قال له الملاك رافائيل: استمع فأخبرك، من هم الذين يستطيع الشيطان أن يقوى عليهم. إن الذين يتزوجون فينفون الله من قلوبهم ويتفرغون لشهوتهم كالفرس والبغل اللذين لافهم لهما، أولئك للشيطان عليهم سلطان، فأنت إذا تزوجتها ودخلت المخدع، **فأمسك عنها ثلاثة أيام، ولا تتفرغ معها إلا للصلوات**... وفى الليلة الثالثة تنال البركة حتى يولد لكما بنون سالمون. وبعد إنقضاء الليلة الثالثة تتخذ البكر بخوف الرب، وأنت راغب فى البنين أكثر من الشهوة) (طوبيا ٦: ١٦ – ٢٢).

وقد عمل طوبيا الشاب بالنصيحة التى أسداها إليه الملاك رافائيل، فبعد أن تم عقد الزواج الدينى رسمياً بينه وبين سارة عروسه، دخل الاثنان مخدعهما ثم أخذا يصليان معاً (ووعظ طوبيا البكر، وقال لها: يا سارة قومى نصلى إلى الله، **اليوم وغداً وبعد غد، فإنا فى هذه الليالى الثلاث نتحد بالله. وبعد إنقضاء الليلة الثالثة نكون فى زواجنا**، لأنا بنو القديسين فلا ينبغى لنا أن نقترن اقتران الأمم الذين لا يعرفون الله. فقاما معاً وصليا كلاهما بحرارة) (طوبيا ٨ : ٤ – ٦).

لذلك كان من بين التقاليد القبطية فى الزواج، أنهم يفضلون إتمام عقد الزواج كنسيا فى مساء السبت، عشية الأحد (أو يوم الأحد صباحا بعد رفع بخور باكر) - وهذا ينطوى على إيمان أعمق بقدسية الإكليل أن يتم فى يوم عشية الأحد، وهو عيد القيامة، وهو أقدس أيام الأسبوع، ثم يتناول العروسان من الأسرار المقدسة فى يوم الأحد صباحاً بعد الإكليل، أو أثناء الإكليل، حتى يكون العهد بينهما على المائدة الربانية، ليعيشا معاً فى قداسة ورباط المحبة، والعفة - (المجموع الصفوى - الباب ٢٤ الفصل ٥ : ٨٠).

والعادة التى كانت متبعة قديماً أنه إذا تم عقد الإكليل للعروسين فى عشية الأحد، وتناول العروسان من الأسرار المقدسة فى يوم الأحد، كان على العروسين أن يحفظا نفسيهما من الملامسة الجسدية، إلى أن يمنحهما الكاهن الحل فى يوم الاثنين، أى فى اليوم الثالث لعقد الزواج فى الكنيسة.

هكذا ينص القانون (وعقد التزويج لايتم ولا يكون إلا بحضرة كاهن وصلاته عليهما، وتقريبه لهما القربان المقدس فى وقت الإكليل الذى به يتحدان ويصيران جسداً واحداً، كما قال الله سبحانه. وعلى خلاف ذلك لا يعد لهما تزويجاً، فإن الصلاة هى التى تحل النساء للرجال، والرجال للنساء).

(كتاب القوانين للصفى ابن العسال - الباب الرابع والعشرون - الفصل الخامس - المادة ٨٠).

على أن خبراء الحياة الزوجية - فى طب الجسم والنفس - أخذوا يلاحظون أن كلا من الزوج والزوجة يكون عادة فى ليلة الزفاف مرهقاً متعباً، جسدياً ونفسيا، ويعانى توترا عصبيا مما يتسبب عنه أحياناً فشل فى العلاقة بينهما قد يؤثر كثيراً على مستقبل حياتهما الزوجية، ولذلك ينصحون اليوم بإرجاء الوصال الجنسى بين الزوجين يوماً أو أياماً حيث يتهيأ لكل منهما الهدوء النفسى والعصبى، لمواصلة مسيرتهما معاً فى توافق وانسجام.

وهذا يؤكد على حكمة الكتاب المقدس فى سفر طوبيا، وعلى قيمة العادة التى كان يحفظها الأقباط منذ القديم.

٣٦ ـ صلوات الإكليل فى الكنيسة
ضرورية لشرعية الزواج المسيحى (١)

الإبن مرزق كامل ميخائيل العدوة ـ القايات ـ المنيا.

سؤال : هل الإكليل والصلوات الكنسية شرط من شروط إتمام سر الزواج المقدس بعد كتابة محضر الزواج، وثيقة الزواج.

الجواب :

نعم، إن صلوات الإكليل فى الكنيسة أمام المذبح المقدس، وبمعرفة الكاهن وهو ملتحف بملابسه الكهنوتية ممثلاً للسلطة الإلهية ـ هى التى تُحل المرأة للرجل، وتُحل الرجل للمرأة، وتجعل لكل منهما الحق والسلطان على جسد الآخر، كجسده، كقول الكتاب المقدس (لا سلطة للمرأة على جسدها، فإنما هو لزوجها. وكذلك الزوج لا سلطة له على جسده فإنما هو لامرأته) (١ . كورنثوس ٧:٤).

إن التوثيق، وكتابة المحضر ووثيقة الزواج هى عملية تنظيمية، ضرورية، فى كل دولة متحضرة لصيانة الكيان الاجتماعى، ولحفظ حقوق كل من الرجل والمرأة، وحفظ حقوق نسلهما من الأولاد والبنات، فى المعيشة، وفى الإرث، وجميع الحقوق المدنية المترتبة على الزواج كنظام اجتماعى دينى تقره الدولة وترعاه.

أما العقد الدينى والطقوس الكنسية فهى، فى ديانتنا المسيحية، هى التى تعطى للزواج شرعيته الدينية أمام الله وأمام الكنيسة.

ومن دون هذا العقد الكنسى، لا تكون العلاقة بين الزوجين علاقة شرعية أمام الله وأمام الكنيسة، وإن كانت هى أمام الدولة وأمام المجتمع علاقة شرعية.

على أن العقد الدينى الكنسى هو الذى يشكل الفارق الكبير بين الزواج الكنسى، وبين ما يعرف بالزواج المدنى الذى يجرى تسجيله فى الشهر العقارى، شأنه شأن العقد التجارى الذى ينعقد بالإتفاق بين طرفين أمام الموظف العمومى كممثل للدولة.

---

(١) كتب فى ٦من يوليو لسنة ١٩٨٨ م ـ ٢٩من بؤونة لسنة ١٧٠٤ ش.

٣٧- زواج أرملة ابن الأخ المتوفى غير جائز (١)

العزيز المحترم ع . ج .

سلام ومحبة وبركة من ربنا يسوع المسيح، راجياً لكم الصحة والعمر الطويل.

رداً على خطابكم الودى بتاريخ ١٦ نوفمبر، يسرنى أن أفيد بالآتى :

أولا - من جهة صديقكم الذى يود أن يتزوج أرملة ابن أخيه المتوفى، أنه غير جائز، وهذا الزواج من المحارم الممنوعة. وقد جاء النص بمنعه ضمن غيره من الممنوعات، فى القانون الكنسى.

٣٨- رأى فى التصريح بزواج رجل ترفض امرأته مصالحته(٢)

لما كان الزواج المسيحى رابطة أبدية تنعقد بفعالية الروح القدس فى سر الزواج باستدعاء الكاهن أو الكهنة خدام السر المقدس، وما جمعه الله لا يفرقه إنسان.

لذلك كان من غير الممكن أن يفك هذا الرباط المقدس إلا فى نطاق الشريعة الإلهية، وطبقاً لمبادئها.

أن الشريعة المسيحية توجب أن يكون لعقد الزواج المسيحى شروط أهمها وأبرزها:

أولاً : أن يكون كل من الرجل والمرأة المعقود عليهما مكتملا لخصائص الرجولة بالنسبة للرجل، ولخصائص الأنوثة بالنسبة للمرأة بحيث يكفل الزواج بينهما إمكانية إيجاد النسل وهو غاية الزواج الأساسية.

فإذا كان بالرجل أو بالمرأة عيب خلقى يحول دون التواصل الجنسى، أو دون الإنسال، اختل شرط أساسى من شروط قيام الزوجية وبهذه الحجة يمكن التطليق بين الاثنين دون أن يكون فى التطليق هدم للمبدأ المسيحى فى «أن الزواج رابطة أبدية لا تنفك».

---

(١) كتب فى ١١ من ديسمبر لسنة ١٩٧٩ م- أول كيهك لسنة ١٦٩٦ ش.

(٢) كتب فى ١٢ من مايو ١٩٧٤م- ٤ من بشنس ١٦٩٠ ش

ثانيا: أن يكون الزواج برضى الطرفين المعقود عليهما شخصياً. فمواهب الروح القدس لا تمنح لأحد على الرغم منه، بل أن الكتب المقدسة تشترط أن يكون إنسكاب الروح القدس إستجابة لطلب من يقبل النعمة، وتلبية لرغبته وإلحافه في الطلب. «الآب الذى من السماء يعطى الروح القدس للذين يسألونه» (لوقا١١: ١٣) «اسعوا فى طلب المواهب الروحية» (رسالة كورنثوس الأولى ١٤: ١) اسعوا للمواهب الفضلى (رسالة كورنثوس الأولى ١٢: ٣١).

ولذلك اشترطت القوانين الكنسية فى الزواج أن يؤخذ اعتراف كل من الزوج والزوجة قبل الزواج كشرط أساسى لإتمام العقد.

وفى مراسم الزواج يوجب الطقس الكنسى أن يقدم الكاهن أثناء إتمام الزواج، خاتم الزوجة إلى الزوج ليقدمه لعروسه، فإذا مدت يدها له كان هذا علامة صريحة على قبولها الزواج منه. وجاز بعد ذلك المضى فى إجراءات الإكليل.

هذا بالاضافة إلى شهادة الشهود من جانب كل من الزوج والزوجة هذه جميعها بينات على أهمية الرضى النفسى والرغبة الشخصية فى كل من الزوجين نحو الآخر، كشرط أساسى لإتمام رباط الزوجية.

فإذا لم يتوافر عند الزواج شرط الرضى النفسى والرغبة فى الزواج، بل وأن يطلب كل من الزوج والزوجة نعمة الروح القدس لتنحدر عليهما مع صلوات الكهنة، فقد اختل شرط أساسى من شروط إتمام الزوجية وفاعلية السر المقدس.

وبناء عليه:

فإن زواجاً يتم بين رجل وامرأة، ثم لا يلبث أكثر من ستة أشهر حتى تهرب الزوجة من كنف زوجها، وتصر على عدم العودة إليه، معلنه إنها «هجرة بلا عودة» مع بذل الجهود المتواصلة لإيجاد الصلح والسلام بينهما بتوسط أفراد كثيرين بغير جدوى، حتى مع استخدام الوسائط الأقوى فعالية مثل تدخل كهنة كثيرين، وعلى رأسهم أسقف الايبارشية وهو الراعى الأكبر ورئيس كهنة الايبارشية.

بل أن الزوجة حضرت بنفسها إلى المحكمة «ووافقت المدعى (وهو زوجها) فى طلبه تطليقها».

لذلك يبدو لنا :

١- إما أن يكون سبب إصرار الزوجة على هجرة زوجها بغير عودة يرجع إلى عيب خلْقى فيها أو فى زوجها يمنع من إمكانية الوصال الجنسى أو من إمكانية الإنسال وهو الغاية الأساسية من الزواج.

٢- أو أن يكون الزواج قد تم بغير رضى الزوجة، تحت ضغط مثلا من أحد أفراد أسرتها أو ما إليه - وقد استسلمت فى مبدأ الأمر على أمل أن يتبدل شعورها بعد الزواج إلى رضى، ولكن حدث عكس ذلك إذ نما الشعور بعدم الرضى وإستحال إلى نفور شديد «بما لا يستطاع دوام العشرة بينهما» على حد تعبير المحكمة.

والحال يقتضى بالنسبة للسبب الأول.

أ- مساءلة الزوجة عما إذا كان سبب إصرارها على هجرة زوجها بغير عودة يرجع إلى أنها تطعن فى رجولته وعدم إمكانه القيام بواجباته الزوجية نحوها.

ب- أو أن ذلك يرجع إلى قسوته معها فى أثناء الوصال الجنسى من قبل أو من بعد كما يحدث هذا من بعض الأزواج.

ج- أو إلى ممارسة الزوج العادة السرية كما يفعل أحياناً بعض الأزواج.

د- أو إلى عدم ملاطفة الزوج لزوجته وممارسته الوصال الجنسى معها بأسلوب أحست معه أنه يهين إنسانيتها ويعاملها معاملة تجرح أنوثتها، كما يفعل بعض الأزواج أحياناً ممن يعاملون زوجاتهم معاملة حيوانية لا إنسانية، وكأن المرأة وعاء بغير عاطفة إنسانية يصبون فيه شهواتهم الدنسة.

ومن جانب الزوجة :

هذا من جانب الزوج. أما من جانب الزوجة فقد يرجع إصرار الزوجة على هجرة زوجها بغير عودة إلى :

أ- اقتناعها بوجوب عيب خلقى فيها، اكتشفه زوجها فيها، وربما صار يعيرها به أو يذلها به، فهربت من بيت الزوجية لأنها رأت فيه إذلالا لها.

ب- إقتناعها بأنها غير قادرة على الإنسال وولادة الأولاد لسبب أو لآخر مع رغبة زوجها فى ذلك مما سبب حدوث النفور بينهما.

ومن حيث السبب الثانى وهو عدم توافر الرضى والرغبة:

فهو واضح فى الزوجة، وغير واضح فى الزوج، لأن الزوج برهن على أنه سعى فى طلب زوجته، وأنه على حد تعبيره استعان فى طلب ردها إلى بيت الزوجية بعدد من الناس «أخوة من شعب الكنيسة وأيضاً آبائنا الكهنة لاقناعها بالعودة والمعيشة معى فلم تقبل. وأخيراً تكرم نيافة الأسقف وذهب لمنزل والدتها المقيمة فيه لاصلاحها والعودة لمنزل الزوجية، فرفضت ولم تقبل. ولما لم أجد محبة أو قبول للمعيشة معى، وقبلت الهجر مدة ثلاثة سنوات وأكثر اضطريت لرفع دعوى تطليق منها. ومن أول جلسة حضرت ولم تقبل الصلح وطلبت التطليق أمام القاضى «وقالت المحكمة الكلية للأحوال الشخصية لغير المسلمين فى قرارها بالتطليق الصادر بجلسة ١٩٧٣/١١/٢٤: «إن هذه الفرقة نتيجة كراهية المدّعى عليها للمدّعى وليس لسبب يرجع إليه، مما تضحى معه استقامة الحياة الزوجية بينهما أمراً مستحيلاً.

* * *

ونحن نرى أن هذا العامل النفسى فى الزوجة، بهذه الصورة القوية، إذا لم يكن مبعثه والمثير له السبب الأول وهو السبب الخلْقى فى عدم إمكانية الوصال الجنسى والإنسال بصورة مرضية للزوجين معا، يبقى أن يكون سبباً سيكولوچياً بحتاً له جذوره قبل الزواج، وساعدت عوامل أخرى بعد الزواج فى إمتداده حتى تحول إلى نفور مستحكم.

ومن بين هذه العوامل أحياناً: قسوة الزوج الشديدة أو ضعفه الشديد.

بحيث صارت إمرأته تحتقره وتكرهه ولا تجد فيه ما يدعوها إلى إحتمال البقاء معه.

خاصة إذا كانت الزوجة مقتدرة أو غنية أو تجد من عطف والديها وإخوتها ما يعوضها عن هجر زوجها.

أو ربما كانت للزوجة رغبة رهبانية سابقة على الزواج، فعاد إليها حنينها إلى حياة الرهبنة خصوصاً بعد أن اكتشفت أن حياتها الزوجية لا تعطيها الرضى النفسى الذى يشجعها على إحتمال صعوباتها ومسئوليتها.

والآن

فبالنسبة للسبب الأول، نرى فى حالة توافره بعد البحث والاستقصاء جيداً، أن يكون مبررا لفصم الحياة الزوجية، حتى لو لم يكتشف ذلك إلا بعد إتمام الزواج بوقت، بدون أن يكون فى ذلك هدم للمبدأ المسيحى فى عدم إنحلال الرابطة الزوجية إلا لعلة الزنى أو ما فى حكمها أو للموت أو ما هو فى حكم الموت.

وبالنسبة للسبب الثانى وهو عدم توافر الرضى النفسى والرغبة فى الزواج قبل الزواج نرى أيضاً **أنه مبرر كاف لفصم العلاقة الزوجية** لأنه كما قلنا أنه يعتبر في الكنيسة شرطا أساسيا للزواج الصحيح، بل وشرطاً ضروريا لنيل مواهب الروح القدس.

فإذا كان عدم الرضى قد نشأ بعد الزواج فلابد إنصافاً للمرأة من فحص أسباب استحكام النفور بهذه الدرجة القوية، ومعالجة الأسباب الحقيقية. ولا يكفى لذلك محاولة الصلح بالترغيب أو الإرهاب. فقد تكون هناك مبررات لتصرف الزوجة، عميقة فى نفسها، ولم تستطع لسبب أو لآخر أن تصرح بها لأولئك الذين تقدموا إليها لاقناعها بالعدول عن موقفها.

فليس من المعقول أن إمرأة فاضلة تهرب من بيت زوجها وتصر على هجره بغير عودة من دون أن تكون هناك أسباب جوهرية وجيهة تحدوها أن تتخذ هذا الموقف الصعب الذى يظهرها أمام الجميع على إنها مخطئة وشريرة.

* * *

فإذا تبين مع ذلك أن المرأة هى المخطئة، وإنها رفضت البقاء مع زوجها بغير مبرر معقول، وأنها رفضت الإذعان لحكم الكنيسة، فقد صارت كالوثنية... وجاز لرجلها أن يطلقها بحكم من الكنيسة.

وإذا كان وضع الزوج بسبب تصرف زوجته، وإصرارها على هجره بغير عودة يعرضه للخطيئة، فللكنيسة وهى صاحبة سلطان فى الربط والحل، أن تصرح له بالزواج من إمرأة أخرى وتنبهه، إلى الشروط التى ينبغى توافرها فى الزواج المسيحى، قبل إتمام عقد الزواج وبعده.

أما المرأة الأولى، وهى الزوجة الطالق، فتنذرها الكنيسة بالحكم الصادر عليها - فى حالة ثبوت خطئها، وإصرارها مع ذلك على عدم العودة إلى زوجها - بحكم كنسى عليها، بحرمانها من تناول الأسرار المقدسة، وبفرزها من الكنيسة، وبالتالى بعدم التصريح لها مستقبلا بالزواج مدى الحياة.

ونعمة الرب تشملنا جميعا، وليرحمنا برحمته ويغفر لنا حتى نطلب خلاصنا الأبدى، ولعظمته تعالى السجود والعبادة والإكرام الآن وكل آوان آمين.

٣٩- ثناؤك لها شهادة على إستحقاقها كل تكريم

العزيز المهندس م.خ.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، راجياً لكم موفور الصحة، وعمق العزاء الروحانى والسلام الذى يفوق كل عقل فى وفاة الابنة العزيزة السيدة البارة.

والحق أننى سعدت كثيراً بمدحك لها وثنائك على صفاتها الجميلة - ذلك أن الثناء على المرأة الزوجة من زوجها وشريك حياتها، برهان جميل على إستحقاقها للثناء عليها، فمن أقدر من الزوج على فهم زوجته، فإذا أثنى عليها فثناؤه شهادة صادقة على إستحقاقها كل تكريم.

حقيقة إننى فى الوقت الذى حزنت على افتراقها عنكم، بوفاتها، سعدت سعادة روحية ونفسية بثنائك عليها، ومدحك لصفاتها الجميلة. وهذا عزاء كبير، وشهادة مدعمة تنفعها فى آخرتها، وهى شفاعة قائمة أمام الرب من رفيق حياتها.

والحق أننا نؤمن بحق أن زواجاً مسيحياً كزواجكم مع هذه السيدة، هو علاقة أبدية، فأنتما لم تنفصل علاقتكما بانتقالها وسفرها إلى عالم البقاء لأن الروح القدس الذى ربط بينكما هو قائم فيكما ومعكما وهو ثابت فيكما. فهى هذه السيدة العظيمة روحك مرتبطة بها رباطاً روحياً، وإن يكن قد انفصلت عنك جسدياً. وأؤكد لك أنها مرتبطة بكم روحياً، إرتباطاً ثابتاً، وما نسميه بالموت هو فى الحقيقة مجرد سفر ورحيل، ولابد بعد وقت من اللقاء، أطال الله حياتكم بموفور الصحة.

وإنى أثق فيك وفيها، فهى تذكرك وتصلى معك وعنك، وأنت أيضاً تصلى عنها وتشفع فيها كما تشفع هى فيك. إننى حقاً أشكرك بخطابك ومدحك لزوجتك وقد أسعدتنى، وطمأنتنى - وأؤكد لك أن علاقتك بهذه السيدة الكريمة المفضالة علاقة أبدية، وأن روحيكما مرتبطان معاً، وفى هذا عزاؤنا كمسيحيين، وإيماننا العميق بسر الزيجة المقدس الذى يربط فيه الروح القدس بين الرجل وزوجته رباطاً روحياً وجسدياً، فيصير الاثنان جسداً واحداً، وكياناً واحداً ملتحما بالمحبة الروحانية الأبدية.

لقد فاجأتنى بعدم وصول تعزيتنا لكم، وأعتقد أن برقية العزاء قد فقدت. وليست هذه هى المرة الوحيدة التى لا تصل فيها برقية العزاء فهذه مسألة تكررت قبل ذلك.

وإننى أترحم على زوجتك المباركة البارة، أكرر العزاء، ونعمة الرب تشملكم،،،،،

٤٠- تشكو من تسلط حماتها(١)

العزيزة الإبنة السيدة .....

سلام أيتها الإبنة، ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح راجياً لك موفور الصحة، وكل التوفيق للتغلب على التجربة الصعبة التى تجتازينها.

لقد قرأت أيتها الأبنة خطابك أكثر من مرة. وعرفت منك أنك تشكين من تسلط حماتك، بحيث ضاقت مساحة الحرية أمامك.

وتقولين إنها مسيطرة على زوجك بصفته إبنها. وتريدين حلاً لهذه المشكلة.

وأول خطوات الحل بالنسبة لك، هو أن تعرفى أن سيطرة الحماة مسألة قديمة وليست حديثة. فالأم عادة من فيض وعمق محبتها لأبنها، تريده أن يلازمها ولا يفارقها أبداً، فإذا خرج عن رأيها فى أمر ما حتى لو كان صغيراً أو تافهاً فإنها تحس بالألم عميقاً فى نفسها لأنها بقدر تعبها ومعاناتها فى إعداده وتربيته حتى يصير رجلاً، تريده أن يرتبط بها فى كل فكر أو رأى؛ وتتألم كثيراً لو أنه خالفها فى شئ.

الأمر الثانى أن الأم لا ترضى بتاتاً، إذا تزوج إبنها أن تحتل إمرأة إبنها مكانها. بل تريد من إمرأة أبنها أن تكون أكثر خضوعاً لها من إبنها، وتحزن إذا شعرت أو لمست أو حتى توهمت، أن إبنها يحب زوجته أكثر منها، وأنها صارت رقم ٢ بعد زوجته فى شغل عاطفته.

ومع أنها تدرك نظرياً أن الزوجة من حقها الطبيعى أن يحبها زوجها، وتشغل مركزاً عميقاً وسامياً فى قلبه وعاطفته، لكن الأم لا ترضى بتاتاً أن تحتل إمرأة إبنها مكانها الأول فى عاطفته وشعوره.

لذلك أقول: يجب أن تدركى أيتها الإبنة هذه الحقائق هى ليست جديدة، فإن هذه المعرفة هى فى غاية الأهمية، حتى تزول من قلبك الغرابة التى تشعرين بها كشابة تركت أمها وأباها وأسرتها لتكون فى كنف رجل، المفروض أنه يعوضها ما تحس بحاجتها إليه من محبة الأم والأب والأشقاء والأسرة.

---

(١) كتب فى ٨ من أغسطس ١٩٩١م - ٢ من أبيب ١٧٠٧ ش.

الأمر الثالث- إذا كنت غير متقبلة لسيطرة حماتك على زوجك وعليك، فحاولى بقدر المستطاع، وبشئ كبير من الحذر والحكمة أن تتجنبى الاحتكاك بها أو حتى معاتبتها، فإن هذه المعاتبة غالباً ما تؤدى إلى إزدياد الشر والكراهية، فستدافع عن حقوقها كأم ولن تخطئ نفسها.

أما إذا انتهجت طريق الحكمة - وهذا سيكون دائماً لسعادتك وسعادة زوجك وسعادة حماتك - فكونى أنت البادئة بالاعتذار لحماتك. وامنحيها تقديرك واحترامك تكسبينها، وحاولى أن تكتشفى فى حماتك صفاتٍ طيبة تمدحينها عليها، فإن هذا المدح من جانبك وتقديرك لها يسعدها ويسعد زوجك ويسعدك أنت أيضاً. حاولى دائماً أن تتراجعى عن رأيك، ولا تتشبثى بموقفك حتى لو كنت أنت محقة وكنت ترين حماتك مخطئة. حاولى أن تسلمى لها، وبرضا ونفس مستريحة، وقولى لها: إن رأيك يا أمى هو الصواب. وحاولى أن تخضعى رأيك لرأيها. فهذا الإسقاط لرغباتك أمام حماتك هو عين الحكمة، وسيجلب لك خيراً وللأسرة السعادة.

أرجو أيتها الإبنة أن لا تغضبى من هذه النصائح، فإنها أولاً وأخيراً ستعود عليك أنت بالذات بالخير والسعادة.

ونعمة الرب تشملك،،،

٤١- تأخر زواج الفتاة ليس دليلاً على عمل سحرى (١)

الإبنة....

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، أرجو لك ولشقيقتك موفور الصحة وكل التوفيق، وللأسرة جميعاً.

شكراً لك أيتها الابنة على اهتمامك بأختك، وبأمر زواجها. على أننى لا أؤيدك فى استنتاجك واستنتاج الوالدة كما تقولين، أن تأخرها فى الزواج هو بسبب عمل سحرى. فهناك عديد من الأسباب الأخرى فى تأخر أى فتاة عن الزواج. منها ما يرجع إليها، فقد يتقدم لها أحد الشباب، ولا تراه هى الشخص المناسب. أو قد تؤجل هى أمر الزواج لأسباب شخصية أو عائلية، أو لعدم استقرارها فى دراستها العلمية ثم أيضاً بسبب العمل المناسب، وبالمثل يقال بالنسبة للشاب أو الفتى، هناك عديد من الأسباب - ولا سيما فى زماننا الحاضر، تدعو الشاب إلى التردد أو التأخر أو تغيير رأيه... فلماذا تتجهون إلى تعليل تأخر زواج شقيقتك إلى السحر والعمل وما إلى ذلك؟

واعلمى أيتها الابنة أنه إذا كان الإنسان المسيحى محصنا بالصلوات، والتناول من الأسرار المقدسة باستحقاق، فلا يقوى عليه السحر. إن السحر يقوى على غير المحصنين بالصلوات والأسرار المقدسة.

إننى احذركم من الإلتجاء إلى السحرة، حتى لو لفكّ العمل السحرى، إن السحرة هم عملاء الشيطان فى الأرض، والإلتجاء إليهم إلتجاء إلى أعداء الله. ولذلك فإن اللجوء إلى السحرة، يعد أشر من عبادة الأوثان كما تقرر القوانين الكنسية.

إن ما ننصح به هو استدعاء الكاهن فى البيت ليصلى صلاة (تبريك البيوت)، وصلاة تبريك البيوت هى غير صلاة القنديل. فيصلى الكاهن على وعاء من الماء - صلاة تبريك البيوت، وبعد تقديس المياة يرشها على أعضاء الأسرة، ويرش الماء أيضاً فى كل الحجرات. هذه الصلاة ذات فعالية ضد الشيطان، وأعمال السحر. فهى صلاة طاردة للأرواح الشريرة التى قد تكون ساكنة فى البيت، ومبطلة للسحر - والأعمال السحرية...

ويمكن بل يحسن أن تُمارسَ صلاة تبريك البيوت، أكثر من مرة على مدد متقاربة أو متباعدة...

---

(١) كتب فى ٩ من أكتوبر ١٩٩٢ - ٢٩ من توت ١٧٠٩ ش.

هذا إلى جانب الصلاة على رأس كل أعضاء الأسرة.

إن الاحتماء بالله وبوسائط الخلاص فى الكنيسة هى سلاح المسيحيين ضد أعمال الشياطين ومنها أعمال السحر وما إليها.

وأخيراً نصلى وندعو للابنة بالتوفيق فى زواج سعيد، يسعدها ويسعد بها أيضاً من يتزوجها لتكوين أسرة مسيحية مثالية.

ونعمة الرب تشملكم،،،

٤٢- بدعة القرعة الهيكلية فى اختيار الزوجة

سؤال : من السيد/ م. ح. د. دشنا.

يقول كنت أود أن اقترن بإحدى الفتيات وطلبت مشورة الله بقرعة هيكلية فكتبت على إحدى الورقتين (نعم) وعلى الورقة الأخرى كتبت (لا)، فسحبت إحداهما فاذا النتيجة (لا). ثم تعرفت بفتاة أخرى وطلبت مشورة الله عن طريق القرعة الهيكلية،كتبت على إحدى الورقتين اسم الفتاة الأولى، وعلى الورقة الثانية كتبت اسم الفتاة الثانية، وسحبت إحدى الورقتين، فاذا بها الورقة الأولى التى كانت نتيجتها فى المرة الأولى (لا) ... أمام هذا الموقف المتناقض عدلت عن الزواج بالفتاتين، علماً بأن الفتاتين من بنات الكنيسة المشهود لهن بالفضيلة والعفة وحسن السيرة والتقوى... لذلك اطلب مشورتكم فى الأمر، راجياً إرشادى، ماذا أعمل؟.

الجواب :

لسنا ندرى من ابتدع بدعة القرعة الهيكلية فى اختيار الزوجة أو الزوج، ولا نعلم على أى أساس أقام الذين ابتدعوا هذه البدعة دعواهم فى معرفة إرادة الله، جلّ اسمه، فى اختيار شريكة الحياة.

حقاً أنه جاء فى الكتاب المقدس «القرعة تلقى فى الحضن، ومن الرب كل حكمها» (الأمثال ١٦: ٣٣) وجاء فيه «القرعة تزيل المنازعات، وتفصل بين الأقوياء» (الأمثال ١٨: ١٨).

وحقاً أن الرب أمر بنى إسرائيل بعد أن دخلوا أرض كنعان أن يقتسموا الأرض بينهم بالقرعة (العدد ٣٣: ٥٤)، (أعمال ١٣: ١٩) وذلك لتحديد نصيب كل سبط (قبيلة) من أسباط بنى إسرائيل، بقسمة عادلة، فلا تترك لإختيار سبط بعينه دون الباقين حتى لا يكون ثمت مجال لطمع الواحد فى نصيب أكثر أو أفضل لسبب أو لآخر. فلم تكن هناك وسيلة أخرى تطمئن إليها جميع الأسباط أنها وسيلة يرتضيها الكل، ولا انحياز فيها لسبط على الآخر، إلا القرعة. قال الرب «فتقتسمون هذه الأرض لكم لأسباط إسرائيل. ويكون أنكم تقتسمونها بالقرعة ميراثاً لكم...» (حزقيال ٤٧: ٢٢)، (يشوع ١٣: ٦)، (١٥: ١)، (١. أخبار الأيام ٢٤: ٥)، (إشعياء ٣٤: ١٧).

وقد أمر الرب باستخدام القرعة أيضاً فى تعيين أى التيسين من المعز المقدّمين ليكون للرب ذبيحة خطية. جاء فى سفر اللاويين أن هرون الكاهن «يأخذ تيسين من المعز لذبيحة خطية...

ويأخذ التيسين ويوقفهما أمام الرب لدى باب خيمة الاجتماع. ويلقى هرون على التيسين، قرعتين قرعة للرب، وقرعة لعزازيل. ويقرب هرون التيس الذى وقعت عليه القرعة للرب ويعمله ذبيحة خطية. وأما التيس الذى وقعت عليه القرعة لعزازيل، يوقف حياً أمام الرب ليكفرّ عليه ليرسله إلى عزازيل إلى البرية، (اللاويين ١٦: ٥ – ١٠).

وهنا أيضاً فى أمر إختيار أحد التيسين أيهما يقرب للرب وأيهما يرسل إلى البرية حياً، ليس سبيل إلى الإختيار إلا بالقرعة حيث أن التيسين متساويان فى النوع والجودة ولا امتياز ظاهر لأحدهما على الآخر.

كذلك استخدام نحميا وقادة بنى إسرائيل القرعة فى تعيين فرق الكهنة واللاويين لخدمة الهيكل على مدار السنة وفى السبوت والأهلّة والمواسم، وتعيين التقدمات من قربان الحطب وباكورات الأرض وثمار الأشجار والبهائم والبقر والغنم والخمر والزيت والعشور وكل أنواع القربان المقدمة من الكهنة واللاويين والشعب لأجل إدخاله إلى بيت إلهنا بحسب بيوت آبائنا فى أوقات معينة سنة فسنة... على مذبح الرب إلهنا كما هو مكتوب فى الشريعة (نحميا١٠: ٣٤–٣٧)، لأن القرعة هى الوسيلة المناسبة لتكافؤ الفرص بين الناس، وممارسة العدل فى مجتمع الناس، بدون تمييز أو تفريق بينهم فى الحقوق والواجبات.

وقد استمر هذا النظام وتوزيع الكهنة واللاويين على فرق، يتألف كل منها من عدد منهم يرأسها كبير فيهم، ونسب إلى داود النبى أنه قسّم عدد الكهنة إلى أربع وعشرين فرقة تتناوب إقامة شعائر العبادة فى هيكل أورشليم فى الموعد المحدد لكل منها، كل فرقة منها أسبوعاً، وجعل لكل فرقة رئيساً تنتسب الفرقة إليه، وتحمل اسمه. (سفر أخبار الأيام الأول ٢٤: ٣ –١٩)، (٢. أخبار الأيام ٨ : ١٤)، (٣١ :٢) وقد جاء عن زكريا الكاهن والد النبى يوحنا المعمدان ،كان زكريا يقوم بمراسم الكهنوت أمام الله فى نوبة فرقته، أصابته القرعة على مقتضى نظام الكهنوت لأن يقوم بالتبخير، فدخل هيكل الرب، (لوقا ١: ٨، ٩) وكان زكريا من فرقة أبيا (لوقا١: ٥) وهى الفرقة الثامنة من بين الفرق الأربع والعشرين (١. أخبار الأيام ٢٤: ١٠).

وبهذا النظام يمتنع التذمر والشكوى، فلا يكون إيثار لواحد على آخر، ولا تمايز ولا تقدم لواحد دون آخر، إنما ينال كل واحد نصيبه كما للآخر، فتتوافر العدالة، ويحل الوئام والسلام والنظام ويندحر الخصام.

ويبدو أن القرعة كان معمولاً بها فى التقسيم بين الإخوة أبناء الأب الواحد تجنباً للخصام والمنازعات بينهم فى الميراث. يقول الكتاب المقدس «ألست مخلفا أتعابك لآخر وما جهدت فيه للاقتسام بالقرعة» (يشوع بن سيراخ ١٤: ١٥).

ويبدو أن القرعة كانت معروفة فى العالم القديم كوسيلة مناسبة لفض المنازعات على الأنصبة، ولفك الاشتباكات بين المتخاصمين على شىء أو أشياء. هكذا صنع الجند الرومان بملابس السيد المسيح. قال الإنجيل «ولما صلب الجند يسوع، أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام، لكل جندى منها نصيب، واقترعوا عليها. وأخذوا القميص أيضاً، وإذ كان بغير خياطه منسوجاً كله من أعلاه إلى نهايته، قالوا بعضهم لبعض: لا نشقه بل فلنقترع عليه لمن منا يكون، كى يتم قول الكتاب «اقتسموا ثيابى بينهم، وعلى قميصى اقترعوا. وهذا ما فعله الجند». (يوحنا ١٩: ٢٣، ٢٤)، (متى ٢٧: ٣٥)، (مرقس ١٥: ٢٤)، (لوقا ٢٣: ٣٤)، (مزمور ٢١: ١٨).

ولقد تمادى الوثنيون فاستخدموها لإثبات الإدانة على إنسان عندما لا تتوافر الأدلة الظاهرة. فعندما هبت ريح شديدة وزوبعة عظيمة على السفينة التى نزل فيها يونان النبى وأشرفت السفينة على الانكسار، خاف الملاحون «وقال بعضهم لبعض هلموا نلق قرعاً لنعرف بسبب من هذه البلية. فألقوا قرعاً فوقعت القرعة على يونان» (يونان ١: ٧).

وهكذا صنع هامان بن همداتا الاجاجى عدو اليهود دبّر على اليهود ليهلكهم، وألقى فوراً أى قرعة ليفنيهم ويبيدهم (استير ٩: ٢٤)، (٣: ٧)، انظر أيضاً (يوئيل ٣: ٣)، (ناحوم ٣: ١٠).

وقد فعل شاول الذى هو بولس بالمسيحيين ذلك عندما كان يضطهدهم ويكيد لهم لإبادتهم وكان مفوضاً إليه السلطان من رؤساء كهنة اليهود، وهكذا كان يصدر رأيه بقتلهم. قال فى خطابه أمام أغريباس الملك «إنى كنت قد ارتأيت فى نفسى أنه من الواجب علىّ أن أسعى بشدة فى مقاومة اسم يسوع الناصرى. وقد صنعت ذلك فى أورشليم. فحبست فى سجون كثيرين من القديسين آخذا السلطان من قبل رؤساء الكهنة. ولما كانوا يقتلون ألقيت قرعة بذلك» (أعمال الرسل ٢٦: ٩، ١٠).

أما فى العهد الجديد، فقد استخدم الآباء الرسل القرعة فى تعيين الرسول الثانى عشر، بدلاً من يهوذا الأسخريوطى الذى كان من الإثنى عشر وخان سيده ومعلمه ثم مضى وخنق نفسه. جاء فى سفر الأعمال أن القديس بطرس الرسول وقف فى وسط المؤمنين بالمسيح وكانوا آنذاك مائة وعشرين من بينهم الأحد عشر والرسل السبعون وقال «فينبغى أن يعين واحد من الرجال

الذين اجتمعوا معنا فى كل الزمان الذى فيه دخل وخرج الرب يسوع بيننا منذ معمودية يوحنا إلى اليوم الذى فيه ارتفع عنا ليكون شاهداً معنا بقيامته. فقدموا اثنين يوسف المسمى بارسابا الملقب يوستوس ومتياس. وصلوا وقالوا أيها الرب العارف قلوب الجميع عيّن أنت من هذين الاثنين أياً اخترته. ليأخذ قرعة هذه الخدمة والرسالة التى تعدّاها يهوذا ليذهب إلى مكانه. ثم ألقوا القرعة بينهما. فوقعت القرعة على متياس، فحسب مع الأحد عشر رسولاً، (أعمال ١: ٢١-٢٦).

لم يكن أمام الرسل لتعيين واحد ليكون بديلاً عن يهوذا الاسخريوطى ولكى يكمل عدد الاثنى عشر إلا أن يختاروا عن طريق القرعة واحداً من بين السبعين.

أما فى اختيار الزوجة فلا نلجأ إلى القرعة الهيكلية. إن تعبير (القرعة الهيكلية) لم يرد إلا فى قوانين اختيار البطريرك، وفى حالة واحدة لا غير هى إنه إن تنازعها متساويان من كل وجه أو تنازعها لهما غيرهما رجع أمرهما إلى القرعة الهيكلية». وهذه حالة نادرة وتكاد أن تكون متعذرة إن لم تكن مستحيلة. فليس يمكن أن يتساوى شخصان فى كل شىء. والمعنى من المساواة أن تكون الكنيسة عاجزة عن أن تفاضل بين المرشحين الأثنين لأنهما فى درجة واحدة من الفضيلة والعلم والفطنة والحذق وحكمة التدبير، وتجد الكنيسة نفسها أنها سعيدة باختيار أى منهما وسعادتها فى ذلك واحدة بلا فرق.

أما فى اختيار الزوجة فلا يمكن أن يكون الأمر كذلك أى لا يمكن أن يجد العريس الرجل فتاتين تتساويان فى نظره فى كل شىء فإنه فى الغالب يجد فى كل من الفتاتين صفات لا يجدها كلها أو بعضها فى الأخرى، وإذا وجد فى الفتاتين صفات مشتركة لكنه لا يجدهما فى الاثنتين بدرجة واحدة، فإذا لجأ إلى القرعة الهيكلية فإنه يلوذ بها لعلها تنقذه من حيرته، ولكنها لن تنقذه من تلك الحيرة، لأنه ذهنياً وقلبياً يأخذ فى المفاضلة بين الفتاتين ولسوف ترهقه المقارنة بين الفتاتين، ويخشى أن يتخذ القرار الحاسم لئلا يقع صريع الندم.

ونحن نعرف بضع حالات لجأ فيها شخص إلى القرعة الهيكلية لعله يتخلص من حيرته وتردده فى اختيار واحدة من فتاتين، شريكة لحياته... فوضع اسم كل فتاة على ورقة بمفردها، وطلب إلى الكاهن أن يضع الورقتين على المذبح، وفى نهاية الصلاة سحب إحدى الورقتين، فإذا بها مثلاً (أ)، فاتجه مبدئياً إلى الزواج بالفتاة (أ) فلم يلبث إلا قليلاً حتى تردد، وعاد اسم الفتاة الأخرى (ب) يلمع فى عينيه، وأخذ يذكر لها محاسنها ومميزاتها فإذا بها كثيرة، فأحس بالأسى

والحسرة والخسارة إذا لم يتزوجها، وعلى الرغم من القرعة... تزوج بالفتاة الأخرى (ب) ومع ذلك لاحقة الشعور بالاثم ونحسب أنه قد يلاحقه كل أيامه، خصوصاً إذا ظهر فى حياتهما الزوجية شيء من الكدر... فهو عادة سيعزوه إلى مخالفته للقرعة...

إننا لا ننصح باللجوء إلى القرعة الهيكلية فى اختيار الزوجة إلا فى حالة واحدة وهى أن يكون الشاب قد درس الفتاتين دراسة كاملة شاملة، وتبين فضائل كل منهما ومميزاتها، وصارت الفتاتان بالنسبة له فى درجة واحدة بحيث أصبح قلبه مستعداً تماماً لقبول حكم القرعة الهيكلية فلا يندم ولا يعود إلى الارتباك والحيرة من جديد.

فإذا لم يكن ذلك ميسوراً، وهو على ما نعلم فى حكم المستحيل، فما ننصح به لك، ولكل شاب فى مثل حالتك أن يدرس الفتاة ويتبين من دراسته لها عن قرب أنهاتصلح لتكون شريكة حياته إلى الأبد، وأن هناك بينه وبينها توافقاً نفسياً وفكرياً يسمح لهما أن يعيشا فى شركة زوجية أبدية متوافقين - ولا أقول متطابقين تماماً - غير متنافرين - على الأقل فى الخطوط الأساسية للحياة. أما النظرة السطحية المتعجلة للزواج، والانبهار بجمال الفتاة وأناقتها ورشاقتها أو بالدرجة العلمية الحاصلة عليها، أو بدخلها من مرتبها وميراث والديها وما إلى ذلك من أسباب لها قيمتها ولا شك، ولكنها ليست هى كل مؤهلات شريكة الحياة التى تحيا معك إلى الأبد معينة فى الروح والفكر والقلب وحمل أعباء الحياة. ومن الخطورة بمكان أن يتسرع الإنسان ويندفع فى اختيار شريكة حياته، ولكى يغطى تسرعه واندفاعه يستعين بما يسميه بالقرعة الهيكلية... علماً بأنك فى القرعة الهيكلية المفروض أن تضع أمام الله اسمين لفتاتين قد درستهما دراسة كاملة ووجدت أن أيا منهما تصلح فعلا زوجة لك، وأنت بعد ذلك مستعد أن تقبل حكم القرعة أنه من الله. ولكن حذار من أن تضع أمام الله فتاة غير صالحة وإلا فإنك بذلك تقع فى خطيئة (تجربة روح الرب). والكتاب المقدس ينهانا عنها بقوله: «لا تجرب الرب إلهك» (متى ٤ : ٧)، (التثنية ٦ : ١٦) فليس من اللائق بإنسان يعبد الله أن يطلب من الله أن يختار له بين خير وشر.

والخلاصة إننا لا ننصح بتاتاً باستخدام القرعة الهيكلية فى اختيار شريكة الحياة، إن القرعة لا تستخدم إلا عندما يكون أمامنا أن نختار بين شخصين فاضلين صالحين، وصلاحهما فى درجة واحدة بحيث أن أيا منهما يصلح، ونحن بالقرعة ننهى الخلاف عليهما. ثم أنه يلزم لمن يلجأ إلى القرعة أن يكون قبل استخدام القرعة مؤمناً بها ومستعداً أن يطيع حكمها طاعة مطلقة، بغير تردد ولا ندم، وإلا لزمته خطيئة تجربة روح الرب.

٤٣ - ليحرص كل منكما على أن يرضى رفيقه (١)

العزيز السيد/ أ. و. ن.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، عليكم وعلى السيدة قرينتكم راجياً لكما حياة سعيدة مباركة.

سرنى نبأ زواجكم، وارتباطكم بهذا الرباط المقدس والإكليل السماوى، وإنى أكتب لكم مهنئاً ومباركاً ومصلياً أن يحفظ الرب حياتكم، ويقدسكم وينميكم فى كل فضيلة ومعرفة روحية، وأن يوطد بنعمته حياة النعمة فى قلبيكما، لتزداد بينكما مشاعر الترابط الروحى والنفسى والفكرى.

إنى دائماً أرى أن أهم ما ينبغى أن يكون بين الزوجين منذ البداءة هو التفاهم النفسى والفكرى، وشيئاً فشيئاً تنمو بينهما بفاعليات سرّ الزواج وسرّ التناول، فضيلة هذا التفاهم والترابط النفسى والفكرى.

وإن أول ما أنصح لكما به فى أول عهدكما بالزواج هو أن يحرص كل منكما على أن يرضى رفيقه قبل أن يرضى نفسه: فالرجل يرضى زوجته، والمرأة ترضى زوجها. وأن يحرص كل منكما على شعور شريكه. ومن الخطأ الشائع أن ينسى الرجل فيعامل زوجته كما لو كانت رجلاً مثله، وأن تنسى المرأة فتعامل زوجها كما لو كان إمرأة مثلها، إن للرجولة صفات نفسية، وللأنوثة صفات نفسية. والزوج الناجح هو الذى يدرس خصائص النساء بصفة عامة، وصفات إمرأته بصفة خاصة. والزوجة الناجحة هى التى تدرس صفات الرجال بعامة ثم صفات وخصائص زوجها بخاصة.

وأنصح لكما أن يكون لكما أب اعتراف واحد. بعد الزواج يجب أن يكون أب اعتراف الرجل هو أب اعتراف الزوجة، وذلك لوحدانية التدبير،ولسياسة الحياة الزوجية برأى واحد. وكذلك يكون الأفضل هو أب اعتراف الأولاد فيما بعد. لذلك أنصح باختيار أب اعتراف روحانى وعالم ومحنك ومن جهة السن يكون فوق الخمسين، ويكون هو أب اعتراف العائلة: الزوج والزوجة والأولاد.

---

(١) كتب فى ٢١ من بؤنه ١٩٧٧م - ١٤ من بؤونه ١٦٩٣ ش.

وينبغى التناول بتواتر مع الاستعداد له. ولا تزيد مدة بعدكما عن التناول بحال ما عن أربعين يوماً كحد أقصى. وأستحسن دعوة الكاهن فى البيت ليصلى صلوات تبريك البيوت، وبخاصة فى بدء حياتكما الزوجية وأن يرش أنحاء البيت بالماء المصلى عليه.

أنصح لكما بقراءة الكتاب المقدس يومياً، وبانتظام، ولو أصحاحاً واحداً فى كل يوم، وأن تمارسا الترتيل والترنيم فإنه يجلب الملائكة ويستدعى الأرواح المقدسة ويطرد الشياطين. وصليا بالمزامير، ولو صلاة موجزة، مزموراً أو اثنين من كل ساعة مع بعض القطع.

لا تستخدم الزوجة حبوب منع الحمل، فإن لها أضرارها الكثيرة بالنسبة للمرأة. وأنصح بقراءة كتبنا الآتية:

(١) الدرس الأول للمرأة.

(٢) الأم.

(٣) الرأى المسيحى فى تحديد النسل.

وكذلك أنصح بقراءة بعض كتبنا الأرثوذكسية فى سر الزواج، ومنها كتاب (أسرار الكنيسة السبعة) للمتنيح الأرشيدياكون حبيب جرجس، وكتاب اللآلىء النفيسة فى معتقدات وطقوس الكنيسة للقمص يوحنا سلامة، وكتاب علم اللاهوت الجزء الثانى للقمص ميخائيل مينا.

الرب معكم يحميكم من كل شر، ويحفظكم غير عاثرين، وينمى فيكم روح التوافق النفسى والفكرى، ويمنحكم أولاداً مباركين.

ونعمة الرب تشملكم،،،

٤٤- كثرة الأسفار الطويلة قنبلة مدمرة للحياة الزوجية (١)

الابن العزيز السيد م. غ.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح داعياً لكم بموفور الصحة وكل التوفيق والنجاح.

قرأت أيها الإبن خطابك أكثر من مرة، وأشفقت عليك من مشاعر الألم لسبب الخطاب الذى قرأته من زوجتك.

على أن هذا الخطاب قديم منذ أكثر من سنة ونصف، وغالباً كَتَبَتهُ وهى منفعلة ومتأثرة بإهانات لحقتها منك وشتائم. كَتبتهُ وهى مجروحة، والإنسان عادة إذا تكلم وهو منفعل لابد أن يخطىء التعبير، والمرأة على الخصوص سريعة الانفعال أكثر من الرجل لأنها بطبيعتها رقيقة وحساسة وعاطفية، وتستجيب سريعاً للانفعال، ولذلك قد تشتم ابنها أو ابنتها وربما تدعو عليهما دعاء مراً وقاسياً. ويبدو كما لو كانت تكره ابن بطنها وتتمنى له سوءاً، وليس كذلك على الحقيقة.

ولكن الحقيقة ليس ما تنطق به المرأة وهى منفعلة. إنها فى انفعالها تفقد أعصابها، وتقول كلاماً يمكن أن تنكره وتتنكر له فى وقت آخر، عندما يهدأ انفعالها.

لذلك أقول لك: لا تحاسب زوجتك على قول كتبته وهى منفعلة، ومن مدة تزيد على سنة ونصف. ولابد أن تقول غيره، أو ضده تماماً فى وقت آخر. إذا كان الرجل يمكن أن يتغير قوله ويتبدل بتبدل مشاعره فى أى وقت، فالمرأة بالأحرى يمكن أن تتغير وتتبدل، وتتناقض مع نفسها وتغير أقوالها، بحسب تغير مشاعرها.

ولستُ أريدك أن تنسى أنك لابد أن قسوت عليها وأسأت إلى مشاعرها، وإن كنت لا تذكر هذا، إما لأنك نسيته أو لأنك كنتَ منفعلاً فأهنتها، ومع ذلك تضخم عملها فى عينيك فاستفظعته. أما أقوالك أنت فبدت لك باهته وضعيفة. أما زوجتك فلضعفها ولأنها لم تستطع أن تشفى غليلها وقت انفعالها، فحبست مشاعرها، وعبرت عنها فى خطابها إلى شقيقها.

لذلك أرجو أيها الإبن ألا تحقد على زوجتك، بل على العكس أرجوك أن ترثى لضعفها، وتقدر مشاعرها، فهى إنسانة رقيقة وحساسة، ولابد أن تعبر عن ضيقها بانفعالها ولكن ليس معنى هذا أنها ستظل كذلك... خصوصاً بعد زمن طويل يكفى لأن تتغير مشاعر الإنسان فيه مرات...

---

(١) كتب فى ٢٠ من أبريل ١٩٨٨م- ١٢ من برموده ١٧٠٤ ش.

هذا، وإن أسفارك الكثيرة، وبعدك عنها، يتركها فى ضيق شديد وألم، مع أولادكما، فتحمل الحمل وحدها. والمرأة لضعفها تزداد همومها ببعد زوجها عنها وتركه لها مع المتاعب.

اسمح لى أيها الابن أن أصارحك أنه مهما كان عذرك فى هذه الأسفار ومهما كانت التبريرات والمسوغات والأعذار لكن تركك لزوجتك وأولادك، لا أقول إنها فقط غلطة كبيرة، بل أقول إنها قنبلة مدمرة للحياة الزوجية والعائلية.

إن المرأة وهى ضعيفة إذا تركها زوجها، حتى لو كان ذلك بحجة قوية يجعلها فى ضيقة عظيمة، ويضطرها أمام مشاكل الحياة وهى منفردة معها أن تضيق بحياتها، وتندم على زواجها وتعيد حساباتها لتتساءل مع نفسها: لماذا تزوجت؟ ولماذا شقيت بزواجها؟ وليس المال - إذا توافر للمرأة - هو الذى يُسعدها. إنما الذى يُسعدها بالأولى محبة زوجها لها وقربه منها ومشاركته لها حياتها، وحمله همومها معها.

أيها الابن، إنى أراك أنت المخطىء أكثر منها، خصوصاً فى بعدك عنها. لابد أن تصحح هذا الخطأ إما بأن تعود إليها، أو بأن تسافر هى لتكون معك إلى جوارك. أنت متزوج ومرتبط بزوجة وأولاد، فلابد أن تكون زوجتك إلى جانبك ومعك حيثما تكون وحيثما تقيم.

والآن وبصفة مؤقته. اكتب لها وكلّمها تليفونياً بكلمات الحب الصادقة من قلبك، كلمات تعبر عن دفء العاطفة الصادقة وعن أشواقك إليها شخصياً غير أشواقك إلى أولادك منها. كلمها برقة وحنان وعطف واهتمام. ثم فكر كيف تعود إليها أو تعود هى إليك. لابد من عودتكما معاً لأسرة متحابة.

وإنى أصلى أن يبارك الرب حياتكما، ويدبر أموركم ويجمع شملكم ويُسهل بنعمته كل عقبة.

ونعمته تعالى تشملكم،،،

٤٥- امتحن مشاعرك، وادرس سيرة الفتاة

سؤال : من السيد/ و. أ. ش.

رداً على خطابكم بتاريخ ٨/ ٨/ ١٩٧٩ بخصوص الفتاة التى عرفتها فى طفولتها يوم أن كنت تستذكر معها دروسك، وقد تخرجت هى من مدرسة الممرضات، وتريد أنت أن تتزوج بها، ولكن جميع الأقارب والمعارف نصحوك بعدم الزواج بها بحجة أنها ممرضة، ومع ذلك فإنك تريد هذه الفتاة من كل قلبك لأنه تشأت بينك وبينها علاقة حب تصفه بأنه حب نقى وشريف.

الجواب :

أولاً: نحن لا نرى أن ترفض الزواج بتلك الفتاة لمجرد أنها ممرضة، فهذه الأحكام السريعة، أحكام متعجلة ظالمة حتى لو كان هناك ما يبررها من سلوك بعض الممرضات. فقد تكون هذه الممرضة ذات خلق جميل، وقد تكون على حياة روحية عالية. ولا يفوتك أن الراهبات التقيات يقمن فى عدد من المستشفيات بأعمال التمريض، وهن يباشرن عملاً روحياً وإنسانياً ممتازاً.

ثانياً: أن تفحص ذاتك، فقد تكون هذه العاطفة التى تكونت عندك بسبب عشرتك للفتاة، لأنها كانت جارتك، وكنت تقوم بالاستذكار معها، فاستلطفتها وأحببتها فى السن الصغير، ولهذا السن وللزمالة أيضاً أثرهما فى طبع أثر فى النفس كبير.

وهنا نسألك:

هل أنت الآن وبعد انفصال الفتاة فى سكن بعيد، وبعد إتمام دراستها الإعدادية ودراستها بمدرسة الممرضات، هل أنت على علم ومعرفة ودراية بهذه الفتاة وسلوكها وحياتها ومشاعرها نحوك، ومدى سلامة سيرتها وتدينها واستقامة سيرها.

هذه وتلك أسئلة لابد أن تجيب عليها بأمانة وتعقل وعدم اندفاع عاطفى ولابد أن تستقصى جيداً عن هذه الفتاة وسيرتها وتدينها، ومدى التوافق النفسى والفكرى بينك وبينها الآن، فى هذه السن.

ثالثاً - أن رفض الأقرباء والمعارف لزواجك من هذه الفتاة يفيدك بمضاعفة الاهتمام بتقصى الحقيقة عن سيرة الفتاة ومدى تدينها، وعدم ارتباطها عاطفياً بشخص آخر.

فاذا رأيت أن هذه الفتاة على خلق جميل وأنها متدينة تديناً حقيقياً وصادقاً، وأنها مستقيمة السيرة وأنها غير مرتبطة عاطفياً بغيرك، وأنت أيضاً لم تجد فى كل هذه الفترة من هو أصلح لك منها، وأن بينك وبين الفتاة توافقاً نفسياً وفكرياً يصلح لحياة زوجية هانئة، فى زواج مسيحى يدوم للحياة كلها.

فلا بأس من أن تتقدم لطلب يد الفتاة. ولكننا ننصح أنك منذ الآن تصلى إلى الله أن يكشف لك الأمر، وأن يعينك على أن توفق إلى الإنسانة التى تصلح لك وتصلح أنت لها لبناء حياة زوجية سعيدة، وأسرة مسيحية مثالية. ولا تستخدم القرعة، ولكن الإجابة تجد صداها فى قلبك، وفى أدلة عملية يرسلها الله إليك.

٤٦- لا تتراجعى عن هذا الخط الروحى

العزيزة الابنة السيدة .....

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، ارجو لك ولزوجك وابنتك موفور الصحة والنجاح والتوفيق.

قرأت أيتها الابنة والسيدة خطابك أكثر من مرة وتألمت لمأساتك وأدركتُ صدق روايتك، فقد شرحتِ تجربتك بدقة، وبتقوى. وإنى أحييك أيتها السيدة على احتمالك، وعلى أنك أيضاً استعنتِ بالصلاة وبالأصوام طالبة الرحمة لك ولزوجك وابنتك.

والحق أننى أشعر بأنك ابنة وسيدة تقية، وقلبك مع الله، وإنى أصلى معك طالباً من الله أن يبارك حياتك كابنة سائرة فى طريق السماء. وأؤمن أنك بهذه الروح الجميلة أنت متعبدة لله. فاستمرى أيتها الابنة ولا تترددى ولا تتراجعى عن هذا الخط الروحى. وأومن أن لك جزاء صالحاً فى السماء وعلى الأرض، «وطوبى لمن يحتمل التجربة لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة الذى وعد به الرب للذين يحبونه» (رسالة يعقوب ١: ١٢).

على أننى مع إيمانى بأنك احتملتِ الكثير، أطمع لك فى أجر مضاعف إذا بذلتِ جهداً جديداً فى أن تكسبى زوجك للمسيح ولحياة التقوى والقداسة التى بدونها لن يعاين أحد الرب.

وأؤمن أنك بنعمة الله ومعونته قادرة على أن تقومى بهذه الخدمة لزوجك «لأنه كيف تعلمين أيتها المرأة هل تخلّصين الرجل» (١ . كورنثوس ٧: ١٦).

وثقى أيتها الابنة أنك أنت بالذات أقدر إنسان على أن تقومى بهذه المهمة، بل بهذه الخدمة المباركة التى ستكسبين عنها أجراً.

وليس بخافٍ عليك أن المرأة - والزوجة - لها أسلحتها التى يمكن بها أن تصنع مالم ولا يقدر عليه عشرة من الكهنة.

جربى أن تُخطِىء نفسك، وقولى لابد أننى أنا التى تسببت فى تدهور حال زوجى.

واعلمى أيتها الابنة **أن المرأة الحكيمة هى التى تُرضى زوجها** وتتمشى مع مطالبه وأوامره مهما رأت فى نفسها أنها هى المصيبة وزوجها هو المخطىء.

المرأة الحكيمة والمتدينة يمكن أن تكون هى الطبيب لزوجها، إذا استخدمت أسلحتها الموهوبة لها من الله. إن المرأة الحكيمة هى التى ترضى زوجها، وتعتذر له كأنها هى المخطئة حتى لو

كانت تعتقد فى نفسها أنها لم تخطىء - إن اعتذار المرأة لزوجها يُرضى رجولته ويُرضى كبرياءه. فالرجل دائماً عنيد لفكره، ويحتاج لمن يرضى كبرياءه، بكلمات التقدير والإعزاز ولا سيما من زوجته.

اعلمى أيتها الابنة أنك بنعمة الله قادرة على أن تشفى زوجك. فأنت الطبيب - ولقد أثبتت التجربة أن الممرضات من النساء أصلح عشرات المرات من الرجال فى التطبيب، وذلك لما للمرأة من رقة وحنان وعاطفة وإمكانية الخدمة بغير تعب، ولذلك فإن المرأة أقدر على تربية الأطفال من الرجل زوجها، وهى يمكنها أن تحمل الطفل ٢٤ ساعة فى اليوم وهى سعيدة وتضمه إلى صدرها فى حنان، الأمر الذى تتفوق فيه المرأة على الرجل أضعافاً.

وعلى ذلك فأثق أنك قادرة على أن تصالحى زوجك، أنت التى تصالحينه، اتصلى به مباشرة، وعندما تلتقين به اعتذرى له وقولى له - ومن قلبك، أنك أنتِ المخطئة، واحتملى جفاءه وكلماته وشتائمه، وابتسمى فى وجهه، ومارسى دور المرأة فى رقتها وحنانها وعاطفيتها، وابذلى جهداً مضاعفاً فى خدمته، واستخدمى ذكاءك فى أن ترضيه فى كل شىء، وتستجيبى لرغباته، بصبر ومحبة صادقة. وكونى مطمئنة أنك ستكسبينه، وسيكون لك أجر مضاعف. إنسى أنك موظفة كبيرة، وأن مرتبك قد يكون أكبر من مرتبه. عامليه على أنه هو رأسك، وأنك فى حاجة إليه وإلى رعايته، وارضى رجولته، واستخدمى كل أسلحة المرأة: رقتها وحنانها وابتسامتها وعاطفيتها، ولا تعتبرى هذا إذلالاً لك. إنما بروح الخدمة، ارضى رجولته وكبرياءه وحدثيه عن اعجابك بفضائله وتقديرك واحترامك لشخصيته. وستكسبينه لكِ وللسماء.

ومع استخدام أسلحة المرأة، صلى أيضاً فى كل كلمة تقولينها وفى كل خدمة تخدمينه بها، حتى تنجحى نجاح السماء.

أيتها الابنة، إنى أدعوك من كل قلبى أن تبدأى أنتِ بمصالحة زوجك، وتلتقى به، دون وسيط، وابدأى معه بالاعتذار، ولا تعاتبيه، ولا تعتبى عليه فى شىء. ولا تذكرى له أخطاءه، وإنما على العكس، أنتِ المخطئة وهو المصيب، وأطيلى أناتك حتى لو نهركِ أو زجرك أو شتمك.

والرب سيعينك على أن تخلصيه، وتشديه إليك من جديد وتجذبيه نحوك، ونحو الله، ونحو الكنيسة.

وأصلى أن ينجح الرب حياتكم ونعمته تشملكم،،،

٤٧ـ الكشف الطبى للمقبلين على الزواج

الابن م. ف.

سلام ونعمة وبركة.

رداً على استفساركم عن رأى الكنيسة فى موضوع الكشف الطبى على المقبلين على الزواج، وهل فى الكتاب المقدس أو التقليد الكنسى ما يبرر هذا القرار؟

نجيب بأن هذا القرار له ما يبرره فى الوقت الحاضر بعد أن تبين فى عدد من الحالات أن هناك أمراضاً خِلقِيَة فى الرجل أو المرأة تعوق الحياة الزوجية الطبيعية، أو تعوق إمكانية الإنسال. وقد لا تظهر هذه العيوب الخِلقِّية إلا بعد الزواج. ولما كان الزواج المسيحى رابطة مقدسة لا يجوز إنحلالها إلا لعلّة الزنى وما هو فى حكم الزنى، أو الموت أو ما هو فى حكم الموت، فيكون من الخير ومن الحكمة أن يتم الكشف الطبى على كل من الرجل والمرأة، قبل الزواج، للتأكد من صلاحية كل منهما للزواج تحسباً لما يمكن أن يتحول إلى مشكلة بعد الزواج...

فمن الرجال من يكون عقيماً، ولا يصلح للإنسال بتاتاً لنقص خِلقِىّ فى تكوينه الجسمانى، لا تفلح معه وسائل العلاج.

ومن النساء من لا تصلح للزواج لنقص فى تركيبها الجسمانى أو فى جهازها التناسلى، وقد يموت الجنين فى بطنها بسبب ضيق الرَحِم أو لغير ذلك من الأسباب.

وثمَت أمراض فى الرجل أو فى المرأة، تهدد حياتهما أو حياة أطفالهما، ومن بينها: مرض البول السكرى الوراثى، ومرض الربو، والالتهاب الرئوى، أو الدرن وما إليه. فإذا لم يشفَ منه المريض تماماً قبل الزواج، فإنه يكون خطراً على صحة الرجل أو المرأة، بل وعلى حياتهما، ولذلك فينصحون بمرور نحو خمس سنوات على شفاء المريض قبل أن يصير مؤهلاً للزواج.

ومن الأمراض فى الرجل والمرأة ما يهدد صحة النسل أو حياته. فمن الأطفال من يصاب بتهتك أو تحطم صفائح الدم فى سن الطفولة أو الصِّبوة، بسبب عدم توافق دم الأب مع دم الأم...

---

(١) كتب فى ٢٤ من مايو ١٩٨٩م ـ ١٦ من سبتمبر ١٧٠٥ش.

لذلك يكون من الخير توقيع الكشف على كل من الرجل والمرأة قبل إتمام الزواج تحسباً للنتائج التى تكشفت فى العصر الحديث مع التقدم العلمى، والبحوث الطبية التى تقدمت بشكل ملحوظ، لم يكن معروفاً فى العصور القديمة والأزمنة الخوالى.

ونعمة الرب تشملكم،،،

٤٨- الزوجة تكسب محبة زوجها برقتها وحنانها وتفانيها فى خدمته (١)

الابنة العزيزة السيدة.....

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

قرأت أيتها الابنة خطابك، وتألمت معك. ومشكلتك هى زوجك الذى تصفينه بأنه سكير ومقامر وبخيل وطباعه شديدة، وهو يشتم بأفظع الألفاظ، وغير متدين، ولكنك تقولين إنه أصيب بضغط الدم العالى، وبعد ذلك تاب عن سكره وإن لم يتوب عن طبعه الساخن، وأنتِ بعد زواج دام ٢٠ سنة تفكرين فى ترك البيت لأنك يئست من حياتك على قولك.

وهنا أقف معك متعجباً كيف تتركين بيتك وقد صار لك أربعة أولاد كبروا وهم يحتاجون إلى رعايتك وإلى أن تتممى مشوارك معهم حتى يتخرجوا ويثمروا، ويريحوك على الأقل، ويعاونوك فى حمل أثقال البيت ونفقاته فى ظروف غلاء المعيشة؟ أقول كيف الآن وبعد ٢٥ سنة من حياة زوجية احتملتِ فيها الكثير وعانيت من متاعب ومشقات فى الحمل والوضع وتربية الأولاد حتى كبروا وأوشكوا على إتمام دراساتهم، واقتربوا من موعد الإثمار، كيف تتركينهم؟ إننى أقدر أيتها الابنة مشاعرك. فأنتِ مرتبطة عاطفياً على الأقل بأولادك وهم مدينون لك بالكثير حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه من علم وتجارب وخبرة وحياة روحية، خصوصاً وقد ذكرتِ أن من بين أولادك، الابن الثالث وهو شماس وتقولين إنه مشهود له بتقواه وتدينه وأنتِ فخورة به.

أرجو أيتها الابنة أن تراجعى نفسك وأن تتممى فضل نعمة الله عليك، فأنتِ قد كافحت كثيراً، وقد أثمرتِ، فلا تيأسى ولا ترجعى إلى الوراء بل كمّلى مشوارك، ولابد أن يكافئك الله، ويضع حداً لالآمك ومتاعبك، ويبارك فى أبنائك وفيك، فيعوضك الرب فيهم، فيريحوكِ من أتعابك. وأما زوجك، فصل من أجله واطلبى له الرحمة والخلاص، والشفاء من المرض، وعامليه بحنان المرأة ورقتها، وكأنه طفلك الكبير. واعلمى أن الرجل مهما كان كبيراً يحتاج إلى حنان زوجته الوفية وإلى رقتها وإلى صلواتها عنه، كما يحتاج إلى خدمتك له فى مرضه وفى سنه الكبير. ومن يدرى فقد تكونى أنتِ سبب خلاصه، وتكسبينه للحياة الأبدية السعيدة. وبهذا تقدمين لأولادك المثل الأعلى والنموذج للزوجة التقية الوفية، فيزداد أبناؤك تقديراً لك واحتراماً

---

(١) كتب فى ٢٠ من أبريل ١٩٨٨م - ١٢ من برموده ١٧٠٣ ش.

ويتنافسون على محبتك.

ربما تحتاجين إلى رحلة، ترفه عنك، إلى مكان هادىء، فالحياة الرتيبة تسبب الملل أحياناً. فانتهزى فرصة العطلة الصيفية، وسافرى إلى مكان مع أولادك لتغيير الهواء وتنقية الأجواء، وضاعفى من حنانك لزوجك، فقد تكسبينه بحنانك. ومهما يكن من أمر فلا تضيعى أجرك، لأنك احتملت والله سيكافئك بالخير. يقول الكتاب المقدس (لا نفشل فى عمل الخير، لأننا سنحصد فى وقته إن كنا لا نكل) (غلاطية ٦: ٥)، أعرف امرأة فاضلة كانت زوجة لرجل بعيد عن الدين بعداً تاماً، وكان فاسد السيرة، أما هى فكانت امرأة قديسة. وأخيراً كسبته بصبرها واحتمالها وصلواتها من أجله، فتاب توبة صادقة، وبعد توبته قدر لها صبرها، فصار يحبها جداً، وتعلق أكثر بمحبتها. وعندما مات ودفنوه شهد الحفار نوراً على قبره. وصار النور فى قبره يراه آخرون، وكانت هى سعيدة بأنها كسبته للمسيح، وكان لها فضل رجوعه وتوبته وخلاصه الأبدى. كما أنه لهذا كله، حسب الله لها صبرها براً وقداسة. ويوم الدينونة والحساب سوف يجزيها الرب بملكوته السماوى، لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عمل الأبرار وتعب محبتهم... (العبرانيين ٦: ١٠).

فجاهدى وتممى خلاصك، وسينظر الله إليك فى الوقت المناسب، وسيكافئك بالخير عن صبرك واحتمالك وطول أناتك.

ونعمة الرب تشملك وأولادك وزوجك،،،

٤٩ - الزوجة الحكيمة مع شريك حياتها (١)

الابنة العزيزة السيدة أ. ب.

سلام أيتها الابنة، ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح أرجو لكِ ولابنك ولأسرتك موفور الصحة ومزيداً من التوفيق.

سرني أيتها الابنة أن يكون لك ابن شاب له ميول نحو الرهبنة وتكريس حياته للمسيح، إني أرجو مع ذلك أن يتريث وأن يمتحن نفسه وقتاً كافياً قبل أن يقدم على نذر نفسه حتى لا يندم فيما بعد. يجب أن يتريث ويختبر هذا الاتجاه في نفسه حتى يتأكد من أن هذا الطريق طريقه الذي يصلح له.

أما عن والده، وهو زوجك، فأرى لكي تكسبيه للمسيح ولطريق السماء أن تضاعفي له محبتك وتعطيه من حنانك، وأن تخدميه، وأن لا تتضجري في وجهه، فالمرأة الحكيمة هي التي تتوقف عن وعظ زوجها، وتوبيخه أو إظهاره معيباً خصوصا أمام أبنائه - المرأة الحكيمة تظهر لزوجها - أنها تحبه وتحترمه وتقدره، ولاتؤنبه. حاولي أن تكتشفي فيه الصفات الطيبة التي تمدحينه عليها فالرجل - كل رجل - يميل إلى أن يرى زوجته تقدره وتحترمه، وأنها معجبة به، وتراه خير الرجال وخير الأزواج. وبهذا تجذبه إليها وتشده نحوها، فيسعد بها وتسعد به. أما المرأة التي تعاتب زوجها، وتؤنبه، وتظهر عيوبه، فإنها تعمل على إنطفاء محبته لها، وبالتالي تخلق لنفسها أسبابا لنفور زوجها منها. فإن غريزة الرجل أنه يميل إلى أن يرى زوجته تقدره وتحترمه وتعجب به وترى فيه خير الرجال.

أما الوعظ، فاتركيه للكاهن على الخصوص. أرجو أن يكون لك وله **أب اعتراف واحد** - ويكون بمثابة طبيب للعائلة لكما أنتما ولأولادكما. دائما ننصح **بأن أب الاعتراف يجب أن يكون واحدا بعينه للزوج والزوجة معاً ولأولادهما - ليكون التدبير واحداً فهو طبيب العائلة الروحي. على أن يكون الكاهن شيخاً فوق الخمسين من عمره، وأن لا يكون راهبا، لأنه ليس للراهب خبرة الحياة الزوجية.**

اتركي للكاهن أن ينصح زوجك. أما أنتِ فكوني معه متوافقة بالحب والخدمة، والتفاهم. ولا تؤنبيه حتى لو كان هناك ما يدعو إلى ذلك.

ونعمة الرب تشملكم جميعاً.

---

(١) كتب في ١٢ من يوليو ١٩٩١م – ٥ أبيب ١٧٠٧ش.

٥٠ ـ الزواج مسأله شخصية
تتم بكامل حرية الإنسان فى الاختيار (١)

الإبن ع. ع. ن.

سلام ونعمة وبركة.

قرأت خطابك جيداً، وعرفت مشكلتك وشكواك من زوجتك، وهى ابنة خالتك، وتقول إنك لم تجدها بكراً، ولم تصارحك بحقيقة الأمر، وأنها لا تصدقك، فقد علمت منها ومن أهلها أنها حاصلة على الشهادة الإعدادية، واتضح لك بعد الزواج أنها لا تحمل أى مؤهل دراسى، حتى الشهادة الابتدائية لا تحملها، وعلمت منها ومن أهلها أنها تصغرك بستة شهور، واتضح لك بعد الزواج أنها تكبرك بثلاث سنوات ونصف...

وبدلاً من أن تلوم نفسك على أنك أسرعت بالزواج قبل أن تتحقق من معلوماتك عن الفتاة التى خطبتها لنفسك بارادتك، وقد استرحت لفتاتك كما تقول بخطابك، أراك تعتب على الله، وتتنحل من مسئوليتك، وتحيلها على الله، وتقول (لماذا يرضى الله بأن يربطنى بمثل هذه الإنسانة وهو أعلم بداخلى وضميرى) ؟.

اعلم أيها الابن، أن الزواج مسألة شخصية تتم باختيار الإنسان بكامل حريته فى الاختيار. فالإنسان كائن عاقل حر مريد، مناط أمره بيده. فأنت المسئول أولاً وأخيرا فى اختيار الفتاة التى تريدها. إن الله لم يغصبك، ولم يقهرك على اختيار هذه الفتاة. أنت بمنطوق لسانك، قد عرفتها، وتزاورتم أسريا، وتقول بنفسك (لم أسأل عنها أو عن إمكانياتها أو مؤهلها أو سنها أو عملها أو ماضيها. وكل ما قلته لها إننى قررت أن أرتبط بك، فإن كنت لست مشغولة فسأكون سعيدا بذلك. وأجابت هى فرحة : موافقة طبعاً. وكان يكفينى شعورى بالارتياح إليها لمجرد أنها ابنة خالتى، ومن المؤكد أنها ستكون مثلنا : الإنسانة الطيبة الخيرة ذات الصفات الحميدة).

أيها الابن ـ لا تتهرب من مسئوليتك فى اختيار زوجتك. فأنت صاحب القرار. ولابد أن تكون من الشجاعة بحيث تتحمل تبعات القرار الذى أصدرته باختيارك، ولم يقهرك عليه أحد.

---

(١) كتب فى ٢١ من أكتوبر ١٩٨٦م – ١١ من بابه ١٧٠٣ ش.

والآن، يا ولدى، وبعد أن ربط عقد الزيجة المقدس بينك وبين فتاتك، وهى ابنة خالتك، لا تتلف أعصابك بالندم، والحسرة، ولا تهلك نفسك وتدمر زوجتك معك بمشاعر القلق والضيق والحقد والكراهية، واللوم.

وأعلم أن الزواج المسيحى ليس مجرد متعة ولكنه أيضاً مسئولية روحية. خذ فتاتك وزوجتك الشرعية وهى ابنة خالتك، على أنها مسئوليتك، أن تتوافق معها، حتى تسيرا معا جنبا إلى جنب تحملان مركبة الأسرة الصغيرة كالحصانين اللذين يجران المركبة جنبا إلى جنب متجاورين متعاونين يحملان على عنقهما النير، وبهذا يصلان إلى هدفهما. فإذا إختلفت خطواتهما تنقلب المركبة بهما وعليهما.

ولا داعى، أيها الابن، للأسف والحسرة. إن زوجتك الآن هى مسئوليتك حتى لو كانت تكبرك سنا. أنت مسئول عن خلاصها الأبدى. فتكيف معها، وكن حنونا عليها، شفيقا بها، واعمل على ما يسر قلبها، وتفاهما معاً، بالصلاة معاً، والقراءة معا فى الكتاب المقدس، والذهاب إلى الكنيسة معاً، واتخذا لكما أباً واحداً للاعتراف، كاهنا شيخاً (ولا يكون راهبا). قلت: ليكن لكما أنتما الاثنان أب اعتراف واحد، حتى يكون التدبير واحداً، ويكون هذا الأب أيضاً أبا لأولادكما، فيكون بمثابة طبيب العائلة. ثم احتمل ضعفات زوجتك، وتجاوز عن تصرفاتها إذا كانت لا ترضيك فكلما كنت غفوراً لها، فإن هذا التجاوز يزيل الجفوة بينكما، ويسهل طريقكما فى حياة زوجية هادئة هانئة.

ولربما، إذا عملت بهذه النصيحة، يتحول كل شر إلى خير. وتنمو محبتكما أحدكما للآخر.

وأعلم أن لك أجراً سمائيا إذا عاملت زوجتك على أنها مسئولة منك روحياً، وكنت بحق قائداً حكيماً لمسيرة أسرتك الصغيرة. وقد تصير حياتك الزوجية مثالية أكثر مما تراها الآن.

أسأل الرب أن يفتح ذهنك، وأن يشملك وزوجتك برعايته ويبارك ثمرة البطن منكما.

ونعمة الرب معكم،،،

٥١ ـ الزواج لا يتعارض مع البتولية (١)

الإبن العزيز....

سلام ونعمة وبركة.

قرأت خطابك أكثر من مرة، وإنى أفهم مشكلتك، وأعطف على معاناتك.

إن زواجك من الفتاة التى خطبتها ليس خطيئة. أنتَ صنعتَ بزواجك منها خيراً للفتاة، وخيراً لنفسك.

فزواجك لا من أجل إشباع شهوة، فقد عشتما بتولين مدة تزيد على ثمانية شهور بعد عقد إتمام الزواج، فى بيت واحد وتحت سقف واحد كل منكما فى حجرة منفصلة فضلاً عن حياتكما الطاهرة البتول قبل عقد الزواج.

إنك صنعتَ خيرا بالفتاة، وأنقذتها بزواجك منها، من متاعب كثيرة، وهى فتاة ضعيفة وظروفها قاسية، ولم يكن لها أحد يحميها أو يرعاها.

فلا تندم على ما فعلتَ، وإلا فإن هذا الندم يطفئ جذوة الفضيلة التى أملأتْ عليك الرحمة بالفتاة. لقد خرجتَ بالزواج منها عن إنّيّتك وأنانيتك. فلا تندم على ما فعلتَ من غيرية وإيثار، وإلاّ فإن هذا الندم سيكون نكوصا منك وبك إلى الأنانية.

وما دام هناك عقد رسمى كنسى بينكما قد تم أمام الله، وفى حضرته، وعقده الكاهن ممثلا للسلطة الإلهية فأنتَ قد صرتَ مرتبطاً بزوجتك برباط مقدس، وقد جمع الروح القدس بينكما، وبموجب هذا الرباط الإلهى صار الزواج لك مكرما وفراش الزوجية مباحاً، لإيجاد نسل، وهو الهدف الطبيعى للزواج (العبرانيين ١٣ : ٤).

إنّ الزواج لا يتعارض مع البتولية فإن المتبتلين يدخلون أيضاً فيما يعرف بالزواج الروحى بينهم وبين المسيح.

إننى أبشّرك بأن زواجك من هذه الفتاة خدمة لكما أنتما الاثنان معاً، فأنتما بهذا الزواج تتعاونان على حمل مركبة الحياة معاً فى طريق السماء. على أن هذه الرابطة المقدسة بينكما هى رابطة أبدية. فزوجتك هى شريكة حياتك لا فى هذه الحياة الدنيا فقط، بل وفى الأخرى

---

(١) كتب فى ٢٣ من أغسطس ١٩٨٦م – ١٧ من مسرى ١٧٠٢ ش.

وحقاً أنه ليس فى الحياة الأخرى بعد الموت علاقات جسدية بين الرجل وزوجته، ولكن هناك المحبة الروحانية التى جمعت بينهما فى المسيح، «والمحبة لا تسقط أبداً» (١ . كورنثوس ١٣ : ٨).

إننى أدعوك أن لا تفسد سعادتك الروحية مع زوجتك بالندم على الخير الذى صنعته بزواجك منها. فأنت ربما لم تفهم نفسك على حقيقتها حينما قررت الرهبنة، أو لأنك تمثلت الرهبنة هى الحياة المثلى لكل إنسان بغض النظر عن موهبته أو دعوته، ولكنك لأنك إنسان مخلص وخيِّر، فلقد هيمن الله عليك، ووجه الأحداث لخيرك الأبدى الذى أنت كنت تجهله، وخير هذه الفتاة الأبدى أيضا، حتى تقودك الأحداث المتلاحقة إلى ما هو أفضل لحياتها وحياتك مما لم يكن فى حسبانك، ولم يكن ميسورا لك أن تدركه فى مبدأ الأمر.

وهنا أذكر لك قول المسيح له المجد «إن الذى أفعله أنا، لا تدركه أنت الآن، ولكنك ستدركه فيما بعد» (يوحنا ١٣ : ٧).

أيها الابن - إنى أهنئك بالقرار الذى اتخذته بزواجك من الفتاة التى جعلها الرب فى طريقك بأسلوب أفضل مما تكون قد رسمته بنفسك.

عش سعيدا مع هذه الزوجة «اثنان خير من واحد... إذا سقط أحدهما أنهضه صاحبه. والويل لمن هو وحده لأنه إذا سقط فليس آخر ينهضه» (الجامعة ٤ : ٩، ١٠).

ولتكن سيرتكما العملية معاً، متحدين بالروح، متفقين بالفكر، متعاونين على طريق الكمال، سيرة مقدسة تليق بالقديسين الذين ولدوا ويلدون لملكوت السماوات قديسين.

ليحفظ الرب محبتكما، وليحفظكما متفقين متوافقين فى الفكر والروح - فى مخافة الله وتقواه ومحبته كل الأيام وإلى الأبد.

ومن القلب نبارككما ببركة الرب لحياة زوجية سعيدة.

٥٢ ـ مسئولية الزواج المسيحى (١)

الابنة .....

سلام ونعمة وبركة.

قرأت خطابك المؤثر وتألمت كثيراً لقصتك ورحلة حياتك.

لقد كان فى إمكانك فى مبدأ الأمر أن ترفضى الارتباط بهذا الزوج الذى تصفينه بأنه (يحمل كل الصفات السيئة) على حد تعبيرك. فإن للبنت الحرية فى أن ترفض الزواج برجل لا تحبه ولا تحترمه ولا تقبله، وكان يمكنك أن تفضى برأيك لأهلك وللكاهن الذى عقد الزواج قبل أن يعقده.

وقد تكون هناك أسباب خولت لك قبول الزواج، وقد تكون ثمت ضغوط من والدتك، وقد يكون هناك تسرع واندفاع فى إتمام الزواج. وهذه كلها أخطاء..

أما الآن وبعد مضى سنوات من هذا الزواج الذى أنجب ابنا وصل فى مراحل التعليم إلى الصف الأول الثانوى، وإن كان مريضا بالقلب مرضاً خطيراً، قال الطبيب الفرنسى الخبير إنه مرض نادر، بنسبة واحد فى المليون، هذا إلى أنه على قولك شاب معقد، وهو ما يسبب لك غصّة وآلاما نفسية مرة تدعوك إلى مداومة البكاء والحزن، ثم السخط والتبرم بنصيبك فى الحياة، مما يزيد مشكلتك تعقيداً وحياتك تعكيرا ـ وقد فقدت كل عاطفة نحو زوجك وازداد سخطك على أهلك الذين تسببوا فى متاعبك بتزويجك لهذا الرجل.

أقول، أيتها الابنة، ليس فى مقدور أحد الآن وبعد أن تم الزواج بسنوات وأثمر هذا الزواج، أن يحمل عنك أعبائك ومتاعبك النفسية. هناك بعد الله إنسان واحد هو الذى يمكنه أن يعينك على مشكلتك.. وهذا الإنسان هو أنتِ، وأنتِ فقط.

كونى واقعية. لقد تم الزواج ومرت على إتمامه سنوات. وليس فى إمكان أحد أن يعيد عقرب الساعة إلى الوراء سنينا أو حتى أياما. وعلى قول الشاعر :

أمس الذى مر بقربه يعجز أهل الأرض عن ردّه

فلا داعى الآن للبكاء والندم والحسرة، ولا جدوى من إلقاء اللوم على والدتك أو أسرتك.

---

(١) كتب فى ٦ من سبتمبر ١٩٨٦م – ١ من نسئ ١٧٠٢ ش.

إنك الآن لا تستطيعين أن تعالجى مشكلتك علاجا جذريا أو علاجاً كاملاً. إنما قد يمكنك أن تخففى من أعبائك النفسية على الأقل لو نظرتِ من جديد نظرة واقعية وروحية إلى الزواج على أنه مسئولية لا على أنه متعة أو سعادة كتلك السعادة التى تحلم بها الفتاة المراهقة عندما تحلم بفارس الأحلام.

تقبلى الواقع برضى وتسليم. وقولى لنفسك إن زوجى هو رسالتى فى الدنيا، وكذلك ابنى، والواجب علىّ أن أكرس حياتى لخدمتهما.

يقول الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول :

(لأنه كيف تعلمين أيتها المرأة هل تخلّصين الرجل.. غير أنه كما قسم الله لكل واحد، كما دعا الرب كل واحد هكذا فليسلك. ... ويقول أيضاً (والذين يبكون فليكونوا كأنهم لا يبكون، والذين يفرحون فكأنهم لا يفرحون، والذين يشترون فكأنهم لا يملكون. والذين يستعملون هذا العالم فكأنهم لا يستعملونه. لأن هيئة هذا العالم تزول. فأريد أن تكونوا بلا هم) (١ . كورنثوس ٧ : ١٦، ١٧، ٣٠ – ٣٢).

انظرى من جديد أيتها الابنة نظرة أخرى إلى الزواج على أنك بزواجك من رجل تشعرين أنه غير كفء لك، قد وضعه الله تحت مسئوليتك لتهتمى به وتتعاونى معه على خلاصه الأبدى وخلاصك معه، وكذلك ابنك وفلذة كبدك.

ألا تعلمين أيتها السيدة أن مرض ابنك فى القلب هذا المرض الخطير على حد تعبيرك قد تكونى أنت ببكائك المستمر أثناء الحمل به، وأثناء إرضاعك له باللبن المعكر بالانفعالات، وقبل ذلك وبعد ذلك، قد تسببت فى متاعبه وفى مرضه، وهذا أمر طبيعى، فانفعالات الأم أثناء الحمل والرضاعة تضر بالجنين فى بطنها، وبالطفل الذى يرضع من لبنها.

لست أريد بذلك أن أزيد آلامك. ولكننى أريدك أن تواجهى واقعك الآن بجدية واهتمام. فالبكاء على الماضى لا يفيدك، إنما يفيدك أن تنتبهى إلى مسئوليتك نحو زوجك ونحو ولدك.

واعلمى أنه يمكن أن يكون لك أجر عظيم..

أجر عن احتمالك لمتاعبك بشكر لله. والشكر يزيد النعم.

يقول الوحى الإلهى (طوبى لمن يحتمل التجربة لأنه متى تزكى ينال إكليل الحياة الأبدية الذى وعد به الرب للذين يحبونه) (يعقوب ١ : ١٢).

قولى وأقنعى نفسك بأن زوجك هذا بواقعه لو لم يتزوج بامرأة، أو لو أنه تزوجته امرأة أخرى لهلك فى الدنيا والآخرة. وقد جعله الرب فى طريقى لأنال بخدمته واحتماله أجراً صالحاً سمائياً.

وكذلك ابنى أيضاً، فلأحمل أنا نيره، لأنه ليست امرأة أخرى يمكنها أن تحبه وتحنو عليه وتهتم به أكثر منى. فلتكن رسالتى فى الحياة، زوجى وابنى، وقد تقبلتها من الله، وهى رسالتى التى أحيا من أجلها، وأنال عنها الجزاء الصالح إذا قمت بها راضية شاكرة عاملة مع الله.

ونعمة الرب تشملك،،،

٥٣ ـ الزواج العُرفى لا تبيحه المسيحية (١)

سؤال : من س. ع.

يسأل عن الزواج العرفى، وهل يجوز لرجل مسيحى أن يتزوج بامرأة أخرى بعقد عرفى بينما أن زوجته حية؟

الجواب :

إن شريعتنا المسيحية لا تجيز تعدد الزوجات، ولا تعدد الأزواج. إن ديانتنا المسيحية تبيح الزواج بين رجل وامرأة يربط بينهما الروح القدس فى الكنيسة وأمام الهيكل المقدس والكاهن ملتحف بكامل ملابس الخدمة الكهنوتية ممثلاً للسلطة الإلهية، (فيصير الاثنان جسدا واحداً، فلا يكونان بعد اثنين إذن، وإنما جسداً واحداً. ومن ثم فما جمعه الله لا ينبغى أن يفرقه الإنسان) (متى ١٩ : ٦).

فالزواج الذى تقره ديانتنا المسيحية **هو الربط بين رجل واحد لامرأة واحدة، وامرأة واحدة لرجل واحد، ولا يباح فى شريعتنا التعدد لا للرجال ولا للنساء، أى لا يجوز أن يجمع الرجل بين امرأتين أو أكثر فى وقت واحد، ولا يجوز للمرأة أن تكون لرجلين أو أكثر فى وقت واحد.**

ولا يجوز الطلاق فى شريعتنا إلا لسببين أساسيين :

١ ـ الموت وما هو فى حكم الموت.

٢ ـ والزنى وما هو فى حكم الزنى.

ولا يجوز الطلاق بين الزوج وزوجته، بالإرادة المنفردة لأى منهما، ولا بالإرادة المتَّفقة بينهما، لأنّ الزواج المسيحى الذى تعقده الكنيسة يكون الله فيه طرفاً ثالثا، فهو عقد إلهى وليس عقدا تجاريا. **لذلك لا يجوز الفصل بين الرجل وزوجته، بإرادتهما المتفقة معا، من دون تصريح من السلطة الكنسية يصدره المجلس الإكليريكى برئاسة أسقف الإيبارشية، ذلك لأن المجلس الإكليريكى برئاسة أسقف الإيبارشية هو الذى يمثل شرعاً السلطة الإلهية التى تربط بين الزوجين فى الزواج المسيحى.**

---

(١) كتب فى ٢٨ من نوفمبر ١٩٩٠م – ١٩ من هاتور لسنة ١٧٠٧ ش.

أمّا الزواج العرفى فهو اتفاق بين رجل وامرأة بمحضر شهود يوقعون على وثيقة كتابية، وبموجبها يتم الزواج والذى يمكن انحلاله بتمزيق هذه الوثيقة باتفاق الأطراف. **فهو زواج غير كنسى، وبالتالى فهو زواج غير شرعى فى الكنيسة المسيحية، لأنه عقد لا تتمثل فيه السلطة الإلهية برجل الدين، وهو الكاهن بصفته رجل الله.**

أما أن يتم زواج عرفى، والزوجة حية لم تمت، ولم يتم طلاقها من زوجها طلاقا شرعيا بقرار من المجلس الإكليريكى، **فالزواج العرفى عندئذ هو علاقة محرمة، وهو زنى صريح وشر فاضح، ونجاسة، عقابها الهلاك الأبدى فى جهنم، إلا إذا تاب الرجل توبة حقيقية صادقة، وهجر المرأة التى تزوجها بعقد عرفى، ورجع إلى زوجته الأولى التى هو مرتبط بها شرعاً.**

والخلاصة إن ديانتنا المسيحية لا تقر الزواج العرفى فى ذاته من حيث المبدأ حتى لو أن الرجل (أو المرأة) لم يسبق له زواج. أما إذا كان الرجل مرتبطا بامرأة لا تزال حية، أو غير مطلقة طلاقا شرعيا يقره المجلس الإكليريكى، فيكون الرجل فى هذه الحالة قد ارتكب شراً فاضحاً. وعلى ذلك يجب فرزه من الكنيسة، وبالتالى يُحرم من المائدة الربانية، ومن دخوله إلى الكنيسة.

٥٤ ـ الزواج المسيحى هو أولا وقبل كل شئ مسئولية روحية

الابن المهندس أ. ب. ت.

سلام ونعمة وبركة.

قرأت خطابك، وأجيب بأنه لا داعى للتردد بعد كل الخطوات التى خطوتها. واعلم أنّ الزواج المسيحى هو أولاً وقبل كل شئ مسئولية روحية، والزواج الناجح هو فى أن يشعر كل من الزوجين ويرى نفسه مسئولاً عن الآخر يقوده إلى الخير وإلى الصلاح وإلى الخلاص الأبدى. واعلم أن تفوقك على فتاتك التى تخطبها علما، وسناً، يتيح لك فرصة أوفر، لطاعتها لك، واحترامها لك، ولسوف تزداد هى طاعة واحتراما لك كلما أثبت لها عمليا أنك غير أنانى، وأنك تحبها لشخصها حبا صادقاً، وأنك حكيم فى تصرفاتك وأنك تخاف الله، وأنك حقا تريد أن تبنى بها وبأولادك منها أسرة مسيحية مثالية، كما يحق لإنجيل المسيح فى كل تقوى ووقار.

٥٥ ـ مدة الخطبة قبل الإكليل (١)

الابن ب. م. ش.

المسيح قام حقاً قام .

سلام ونعمة وبركة.

سؤال : هل للخطبة السابقة على الزواج مدة معينة لابد وأن يلتزم بها المخطوبان خصوصا إذا سافر أحد الخطيبين إلى إحدى البلاد الخارجية ـ ثم على أى أساس فى الإنجيل المقدس تحدد الخطبة بموعد معين ـ وإذا كان لهذه الخطبة حد أقصى، فماذا لو أن أحد الخطيبين لم يلتزم بالموعد لظروف خارجة عن إرادته ؟

الجواب :

إن (الخطبة) هى وعد بالزواج. والوعد ميثاق له احترامه. ومع ذلك قد يعترض العمل بهذا الوعد أو الميثاق وتنفيذه سبب أو أسباب عند الرجل أو عند المرأة.

ولذلك، فإنه إذا أراد أحد الطرفين أن يتنصل من ارتباطه بالوعد، فيجب كنسياً أن يرفع الأمر للمجلس الإكليريكى فى الجهة التى تمت فيها الخطبة، ويفحص المجلس هذه الأسباب، مراعيا رغبة الطرف الذى يبتغى فسخ الخطبة. وفى هذه الحال يحكم المجلس الإكليريكى بمقابل مادى وتعويضى ضد هذا الطرف الراغب فى فسخ الخطبة، ولصالح الطرف الآخر، بموجب الاتفاق المنصوص عليه فى ميثاق الخطبة، من جهة قيمة (المهر) ولأى الطرفين يرد، وكذلك الهدايا المقدمة وما إلى ذلك. وعلى ذلك فالمجلس الإكليريكى هو هيئة قضائية كنسية وله أن يحكم بفسخ الخطبة بناء على طلب أحد الخطيبين أو طلب الإثنين معاً، مع توقيع الجزاءات المادية المنصوص عليها فى ميثاق الخطبة.

ولما كان احتمال فسخ الخطبة وارداً، وخصوصاً فى العواصم والمدن الكبرى أكثر منه فى الأقاليم والمدن الصغرى، لذلك رؤى أن يمر مدة أسبوعين على الأقل بين الخطبة وبين عقد الزواج أو الإكليل، على أن يعلن عن هذه الخطبة فى لوحة الكنيسة للعلم، ولتكون هذه المدة فرصة لمن شاء الإعتراض على إتمام الزواج من أحد الطرفين، أو من غيرهما من الأقارب والمعارف، لسبب أو لآخر.

---

(١) كتب فى ٢٤ من مايو ١٩٨٩م – ١٦ من بشنس ١٧٠٥ ش.

والمعروف أن مدة الأسبوعين هى حد أدنى، وعلى ذلك يمكن زيادة هذه المدة حسب رغبة الخطيبين، وبموجب الاتفاق بينهما، ووفقا للظروف الطارئة أو الضاغطة. وليس ما يمنع كنسيا أن تطول فترة الخطبة إلى شهور أو إلى سنة أو أكثر.

أما فى الكتاب المقدس، فمبدأ الخطبة السابق على الزواج فمنصوص عليه فى كثير من النصوص.

فمثلا (سفر الخروج ٢١ : ٨، ٩) ، (٢٢ : ١٦) ، (اللاويين ١٩ : ٢٠) ، (التثنية ٢٠ : ٧)، (٢٢ : ٢٣) ، (٢٨ : ٢٠) ، (نشيد الأناشيد ٨ : ٥، ٨) ، (١. المكابيين ٣ : ٥٦) ، (متى ١ : ١٨)، (لوقا ١ : ٢٧) ، (٢ : ٥) ، (٢. كورنثوس ١١ : ٢).

أما المدة المحددة بين الخطبة وعقد الزواج أو الإكليل، فليس هناك أمر أو وصية فى ذلك. فالأمر متروك لرغبة الخطيبين وظروفهما.

ولسنا فى حاجة بعد أن عرفنا الخطبة أنها (وعد بالزواج)، إلى أن نضيف بأن هذا الوعد لا يعطى للخطيبين حقاً فى الملامسات الجسدية، **لأن العقد الدينى أو ما يسمى بقداس الإكليل هو الرباط المقدس الإلهى الذى يجعل المرأة حلاً للرجل والرجل حلاً للمرأة**، ذلك أن العقد المقدس بمعرفة الكاهن بصفته ممثلاً للسلطة الإلهية هو الذى بموجبه يدخل الله طرفاً ثالثا مع الرجل والمرأة طبقا لقول الإنجيل : (وما جمعه الله لا ينبغى أن يفرقه الإنسان) (متى ١٩ : ٦) . أما قبل استدعاء الروح القدس فى قداس الإكليل فلا يجوز للرجل أو المرأة أن يلامس أحدهما الآخر.

ونعمة الرب تشملكم،،،

٥٦ ـ التوافق النفسى والفكرى (١)

العزيز الابن ك. أ.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

رداً على خطابكم بتاريخ ١٩٨٨/٦/٨ بخصوص كريمتكم الوحيدة، حفظها الله، التى تقدم إليها عدد من العرسان وأنتم فى حيرة.

والحق أنه من الصعب الحكم فى هذه المسألة وهى شخصية، من بُعد، وبتبادل الخطابات...

ونحن نريد أن نقرر من **جهة المبدأ** أولا ـ يجب أن نضع فى قائمة الاعتبارات : **التوافق النفسى والفكرى بين الولد والبنت أى بين الرجل والمرأة**، قبل أى اعتبار آخر.

ومن هنا، فإنه على الرغم من محبتكم لابنتكم الوحيدة وإعتزازكم بها، وإعزازكم لها ـ وهذه مشاعر طيبة نحييكم عليها، فإننا ننصح بأن يكون للابنة نفسها رأيها فى العريس الذى تجد فيه الصفات المناسبة للزوج الذى هو شريك حياتها، فمحبتكم لابنتكم يجب أن لا تتحكم فى مصير الابنة، فتتزوج برجل لا تتوافق معه نفسيا وفكريا وروحيا.

لذلك أرجو أن تدع لابنتكم أن يكون لها رأيها، فالزواج طابعه شخصى، ودور الأب فيه مشورة لا تحكم.

بعد ذلك يمكن أن ننصح ولا نحكم بمراعاة بعض المبادئ :

١ ـ فنحن ننصح من حيث المبدأ باستبعاد ابن خالتها، وذلك بناء على قاعدة صحية، أى لصحة النسل.

٢ ـ وننصح من حيث المبدأ أن لا يتجاوز فارق السن بين الرجل والمرأة أكثر من عشر سنوات إلاّ إذا كانت فى الرجل مميزات أخرى تغطى على هذا الفارق.

٣ ـ وننصح من حيث المبدأ أن تعيد النظر فى العريس الخادم حتى لو كان شكله أو منظره غير جميل، فإذا كانت له مميزات تغطى على صورة وجهه ـ ولعل من أهم الصفات التى

---

(١) كتب فى عيد العذراء حالة الحديد ٢٨ من يونيه ١٩٨٨م ـ ٢١ من بؤونه ١٧٠٤ش.

تتطلبها المرأة فى الرجل أن يكون قوى الشخصية، قادراً على تحمل المسئولية، يفى بما يعد، ذا خلق كريم، جاداً غير هازل، يخاف الله، صاحب مبادئ، ويحترم القيم الروحية والأدبية، يتوافق مع المرأة، ليسيرا معاً فى انسجام يقودان مركبة الحياة الزوجية فى توافق طويل المدى..

ومع ذلك إذا لم تستطع أن تتغلب الابنة الشابة نفسيا على نفورها من شكل وجهه، فلا ضغط عليها فى هذا، لاسيما أنها صغيرة السن ومازالت طالبة، وباقى على تخرجها سنتان.

أما عن العريس، ابن خالة زوجتكم وهو مدرس صنائع وترى أن مرتبه ومرتب ابنتكم بعد تخرجها لا يكفى، ولابد أن يعمل عملاً آخر إضافيا لمواجهة الحياة..

فنحن نرى أيضا من جهة المبدأ، أن تبدى الابنة رأيها فى ذلك أولاً من جهة أنه مدرس صنائع، فالمرأة من حيث المبدأ لا تحيا سعيدة إلاّ مع رجل ترى هى، أنه يفضلها ويتفوق عليها. أما إذا كانت تحس أو ترى أنه أقل منها فى درجته العلمية أو مكانته الاجتماعية، فنحن نرى من الأفضل أن تبدى هى رأيها حتى لا تتزوج رجلاً تعتقد أنه أقل منها. وإلا فإنها لا تسعده ولا تكون هى سعيدة فى نفسها، معه.

أما أن مرتبه ومرتبها لا يكفى لحياة كريمة، فهذه المسألة من جهة المبدأ ينبغى أن لا تكون عائقاً فى طريق الزواج إذا كان الزوجان يتوافقان، ويعرفان - باقتناع بينهما - أن بناء عش الزوجية يقتضى الصمود والصبر وتحمل مسئولية الحياة، خصوصاً وأننا لا نعرف مستقبل الأيام فقد تتغير الظروف، ولابد أن تتغير. المهم قبل كل شئ أن يتوافق الرجل والمرأة روحيا ونفسيا وفكريا. وأما ماعدا ذلك فهو مع التوافق النفسى يمكن أن يتذلل مع القناعة والرضى والصبر والصمود ومواصلة الكفاح والنضال.

وفى نهاية الأمر يجب عليكم كأب وعلى الابنة الشابة الصلاة إلى الله بالتوفيق، مع عدم التحكم والتشدد والاهتمام بالتوافق النفسى والفكرى بين الولد والبنت، قبل أى شروط أخرى مهما كانت أهميتها.

الرب يباركم ويوفقكم، ونعمته تعالى تشملكم،،،

٥٧ ـ الأسباب الرئيسية لإنحلال الرابطة الزوجية (١)

الابن المبارك موريس مرقس ابسخرون ـ الطالب بكلية الحقوق.

شارع المطرانية ـ أسيوط.

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

رداً على خطابكم بخصوص أسباب الطلاق فى الكنيسة الأرثوذكسية وما جاء عنها فى مجموعة الأقباط الأرثوذكس ومدى تطابقها مع ما ورد فى إنجيل (متى ٥ : ٣١، ٣٢) ـ (متى ١٩ : ٩) ـ (مرقس ١٠ : ٧ – ١٢) ـ (لوقا ١٦ : ١٨).

أرى أن هناك ثلاثة أسباب رئيسية لإنحلال الرابطة الزوجية :

الأول ـ علة الخيانة الزوجية أو الزنى : وهى المذكورة فى كلام مخلصنا له المجد فى الأناجيل والمنصوص عنها فى (متى ٥ : ٣٢) و (متى ١٩ : ٩) و (مرقس ١٠ : ١١، ١٢) و (لوقا ١٦ : ١٨).

الثانى ـ موت أحد الطرفين : وقد ذكره مار بولس الرسول فى إحدى رسائله بقوله «المرأة مرتبطة بالناموس مادام رجلها حيا ولكن إن مات رجلها فهى حرة لكى تتزوج بمن تريد فى الرب فقط» (كورنثوس الأولى ٧ : ٣٩).

وبقوله «فإن المرأة التى تحت رجل هى مرتبطة بالناموس بالرجل الحى ولكن إن مات الرجل فقد تحررت من ناموس الرجل فإذن مادام الرجل حيا تدعى زانية إن صارت لرجل آخر ولكن إن مات الرجل فهى حرة من الناموس حتى أنها ليست زانية إن صارت لرجل آخر» (رومية ٧ : ٢ و ٣).

الثالث ـ إعتناق أحد الطرفين دينا آخر غير الدين المسيحى الذى ارتبط الزوجان فى ظل شريعته وهذا يبنى على أساس ما قاله الرسول أيضاً.

«إن كان أخ (مسيحى ـ صار مسيحيا بعد زواجه) له امرأة غير مؤمنة (تزوجها قبل أن يصير مسيحيا) وهى ترتضى أن تسكن معه (على الرغم من أنه صار مسيحيا وهى لاتزال

---

(١) كتب فى ٣ من يوليو ١٩٧٠م ـ ٢٦ من بؤونه ١٦٨٦ش.

غير مسيحية) فلا يتركها. والمرأة (المسيحية - كانت غير مسيحية وصارت مسيحية بعد الزواج) التى لها رجل غير مؤمن (غير مسيحى) وهو يرتضى أن يسكن معها فلا تتركه.. **ولكن إن فارق غير المؤمن فليفارق. ليس الاخ (المسيحى) أو الأخت (المسيحية) مستعبدا فى مثل هذه الأحوال،** (كورنثوس الأولى ٧ : ١٢ - ١٥).

على أن هناك أحوالا أخرى تندرج تحت سبب أو أكثر من الأسباب الثلاثة المذكورة فى الكتب المقدسة وإن لم ترد نصا فى أقوال السيد المسيح أو الآباء الرسل وهى أسباب تُعد «فى حكم» الأسباب السالفة وإن لم تكن هى عينها.

فإذا كان الزنى يعد سببا لانحلال الرابطة الزوجية فإنه إن دفع أحد الزوجين قرينه إلى الزنى سواء بالحض والاغراء أو بالضغط والإكراه فهذا الدفع هو فى «حكم الزنى».

وإذا كان المرض الطويل الذى لا يرجى منه شفاء أو الغيبة المنقطعة التى لا يرجى منها عودة هى أيضاً من الأسباب التى تغرى أحد الطرفين على الزنى لأنه لا يقدر أن يضبط نفسه طاهرا - فإن هذين السببين يعدان أيضاً «**فى حكم الزنى**».

غير أن الطرف المجنى عليه - رجلا كان أو امرأة - إذا كان تقيا وروحانيا يلزمه أن يحتمل ظروف قرينه المانعة من اتصاله به وله عن ذلك أجر جزيل. ولكننا لا نستطيع أن نتطلب هذا المستوى الروحى فى جميع الناس لأن العلاقات الجنسية المشروعة حلال، والكتاب المقدس لا يتطلب الامتناع عن هذه العلاقات إلا فى حدود مرسومة وبشرط أن يكون ذلك باتفاق الطرفين (كورنثوس الأولى ٧ : ٥) وقد قال الكتاب صراحة «كل واحد له موهبته الخاصة من الله الواحد هكذا والآخر هكذا» (٧ : ٧) وقال «إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن التزوج أصلح من التحرق» (٧ : ٩).

وقال «ولكن إن كان أحد يظن أنه يعمل بدون لياقة نحو عذرائه إذا تجاوزت الوقت وهكذا لزم أن يصير فليفعل ما يريد أنه لا يخطئ فليتزوجا. وأما من أقام راسخا فى قلبه وليس له اضطرار بل له سلطان على إرادته وقد عزم على هذا فى قلبه أن يحفظ عذراءه، فحسنا يفعل. إذن من زوج فحسنا يفعل ومن لا يزوج يفعل أحسن» (كورنثوس الأولى ٧ : ٣٦ - ٣٨).

كذلك إذا كان موت أحد الطرفين سببا من اسباب انحلال الرابطة الزوجية فيمكن اعتبار ما هو «فى حكم الموت» مندرجا تحت بند «الموت» ومن ذلك الغيبة المنقطعة التى لا يرجى منها

عودة أو المرض الطويل الذى لا يرجى منه شفاء كالشلل الكلى مثلا - أو العنة (أى العجز الجنسى) ثم الجنون المطلق الذى لا يرجى منه شفاء - أو إيذاء أحد الطرفين للآخر إيذاء جسمانيا عنيفا يهدد حياته، هذه كلها أسباب وإن كانت ثانوية لكن يمكن اعتبارها داخلة فى نطاق علة «الموت» أو ما هو فى **حكم الموت**.

رابعا - وهناك سبب رابع لم تنص عليه الكتب المقدسة ويمكن اعتباره سببا ضمنيا للتطليق (ولا أقول للطلاق) وهو عدم توافر أشراط الزواج الصحيح سواء كانت هذه الأشراط شرعية أو جسدية.

فإذا تزوج رجل من اخته (سواء كانت شقيقته أو أخته فى الرضاع أو أخته فى المعمودية) أو عمته أو خالته أو امرأة أبيه... وما يدخل فى محارم الزواج جهلا كان هذا الزواج أو عمدا - وجب حل الزواج واعتباره غير قائم أصلا.

وإذا تزوج رجل من امرأة غير كاملة الأنوثة (بها عيب خلقى أو تشريحى يمنع الإتصال الجنسى أو يجعله مستحيلا أو مصابة بمرض سرى كالزهرى أو السيلان أو كانت خنثى.. أو مصابة بالجنون المطبق أو العنه واكتشف هذا العيب بعد الزواج جاز التطليق فى هذه الأحوال على أساس أن الزواج الصحيح هو زواج رجل متوفر الرجولة من امرأة متوفرة الأنوثة.

وما يقال عن المرأة ينسحب أيضاً على الرجل. فإذا تزوجت امرأة من رجل خنثى أو عنين (عاجز عن الإتصال الجنسى) أو به عيب خلقى أو تشريحى مانع من الإتصال الجنسى أو مريض بمرض سرى خبيث أو مصاب بالجنون المطبق أو العنه واكتشف هذا العيب بعد الزواج جاز تطليقهما على أساس أن هذا الزواج غير صحيح ويمكن اعتباره كأن لم يكن لأن الزواج الصحيح هو زواج رجل متوفر الرجولة بامرأة متوفرة الأنوثة.

وفى بعض الأحوال التى يرضى فيها الزوج بقرينه على الرغم من هذه العيوب أو بعضها ويقنع بنصيبه ولا يتذمر به ويعتبر أن الزواج مسئولية وليس متعه جسدية فله عند الله أجره وله أجر المتبتل أو الراهب.

أما لمن لا يحتمل هذا الزواج على عيوبه هذه فلا إلزام عليه من الشريعة أو من أحد لأن الزواج منحة وحق مشروع أعطاه الله وقدسه لمن لا يقدر على ضبط نفسه على حياة البتولية أو الرهبنة أو العزوبة.

بيد أنه فى جميع الأحوال يجب أن يكون الطلاق أو التطليق بحكم كنسى تصدق عليه محكمة كنسية يرأسها من له كمال الكهنوت وهو الأسقف ،لأن ما جمعه الله لا يفرقه إنسان، (متى ١٩ : ٦) (مرقس ٩ : ٩) فلابد أن ما يربطه الكاهن بصفته نائبا عن الله لا يحله إلا كاهن وكيل عن الله وهو الأسقف بصفته وكيل الله (تيطس ١ : ٧) (كورنثوس الأولى ٤ : ١، ٢).

هذه هى بعض المبادئ الهامة فى شريعة الزواج حسب تعليمنا الأرثوذكسى.

ونعمة الرب تشملكم.

٥٨ ـ أقوى سلاح عند المرأة هو ضعفها أمام زوجها (١)

العزيزة الابنة السيدة .....

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح وأطيب الدعوات إلى الله من أجل سلامك النفسى والروحى.

قرأت أيتها الابنة خطابك وتألمت كثيرا للخلاف بينك وبين زوجك، والشكوك التى نشبت على قولك فى زوجك ـ وانى أرى أنه لابد ـ مبدئيا ـ من تدخل الكاهن الذى عقد الإكليل ثم الكاهن الذى هو أب الاعتراف بالنسبة لك ولزوجك.

وقد يقتضى الأمر تشكيل مجلس من الكاهن ومن بعض رجال العائلتين لإنقاذ الأسرة من الإنهيار. ومن جانبنا سنوالى الصلاة عنكما، عنك وعن زوجك.

إنما أنت أيضاً يجب أن تصلى، وتطلبى الارشاد ولا تتشددى مع زوجك، ولا تيأسى أيضاً ـ بل اسعى ولا تفشلى فى إرضائه، فإنه نصفك الثانى وخضوعك له يبنى حياتك وحياة أطفالك. واعلمى أيتها الابنة أن أقوى سلاح عند المرأة هو ضعفها أمام زوجها، فإنها بهذا الضعف ترضيه وتجذبه نحوها وتشده إليها. جربى أن تنسى أنك مثله وأنك موظفة لها كرامتها ولها مرتبها الكبير الذى يمكنها به أن تستغنى عن زوجها.

إننى أصلّى أن يرد الرب الإله بنعمته قلبكما ويزيد رابطة الحب والتفاهم بينكما لحياة زوجية سعيدة.

ونعمة الرب تشملك،،،

---

(١) كتب فى ٢٧ من نوفمبر ١٩٨٤م ـ ١٨ من هاتور ١٧٠١ش.

٥٩ ـ اعتقد أن الزواج يناسبك (١)

الابنة أ. ر. ف.

سلام ونعمة وبركة.

بين يدى خطاب منك له مدة تزيد عن سنة.

عندما كتبت هذا الخطاب كنت بالسنة الثالثة كلية الزراعة احسب أنك على الغالب قد أتممت دراستك وحصلت على البكالوريوس.

ولا أعلم بعد ما صارت به الأمور بالنسبة لزميلك الذى أعجبَ بك وأعجبتِ به.

أعتقد أولاً وبالذات أن الزواج يناسبك فلا تشغلى بالك بالرهبنة. تقولين فى خطابك «أمنيتى فى الحياة أن أصبح راهبة» أنه يتبين بوضوح من خطابك أن الرهبنة ليست طريقك. وأن الزواج أصلح لكِ.

أما تعلقك بالشاب الزميل فهذا أمر طبيعى نتيجة لطول العشرة والزمالة وكثرة المقابلات التى صارت عادة. وللعادة سلطانها، على أنه لا بأس من اتجاهك للزواج بهذا الشاب طالما أنك تمدحينه وترينه كما تقولين بخطابك أنه متدين وعاقل جداً وله قدرة كبيرة على وزن الأمور ومعرفة ما هو الخطأ وما هو الصواب.

ومع ذلك تريثى إلى أن تتأكدى من أنه إنسان صادق ونبيل، ويتحمل المسئولية، ثم طاهر السيرة، وليست له عادات سيئة مثل التدخين والخمر وما إلى ذلك.

ويحسن أن تستشيرى فيه والديك وأب اعترافك فإذا وافقوك فلا بأس من زواجك به.

والرب يوفقك، ويسعد حياتك ونعمة الرب تشملك.

---

(١) كتب فى ١٣ من مايو ١٩٨٣م – ٥ من سبتمبر ١٦٩٩ ش.

٦٠ ـ اطلبى إحالة موضوعك على المجلس الإكليريكى

الابنة السيدة م. ف.

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، وأطيب التمنيات.

بخصوص مشكلتك مع زوجك، وأنه ترك بيت الزوجية، ويقيم مع أمه بصفة تكاد أن تكون دائمة على حد قولك، ننصح بأن تطلبى إحالة موضوعه على المجلس الإكليريكى فى بنى سويف برئاسة نيافة المطران الأنبا أثناسيوس. وللمجلس الحق فى استدعاء كل من الزوج والزوجة، ويفصل فى القضية بعد التحقيق، بقرار. هذا القرار يكون ملزما للاثنين أى للرجل والمرأة. فإذا خالف أى الطرفين، فينفذ على المخالف قرار المسيح له المجد (من لم يسمع من الكنيسة فليكن كالوثنى والعشار) (متى ١٨ : ١٧).

وعندئذ يحق للطرف المعتدى عليه والمظلوم من الطرف المخالف لقرار المجلس الإكليريكى برئاسة نيافة المطران، أن يطلب الانفصال.

هذه نصيحتنا إجابة على استفسارك.

ونعمة الرب تشملكم،،،

٦١ ـ أسئلة عن الزواج (١)

العزيز الابن نجيب يوسف سليمان.

سلام ونعمة ودعاء بالبركة من ربنا يسوع المسيح.

أحال علىّ قداسة البابا كيرلس السادس خطابكم المؤرخ ١٩٦٩/٦/١ للإجابة على الأسئلة التى تضمنها خطاب بنوتكم.

السؤال الأول : هل يجوز للقبطى الأرثوذكسى المصرى الزواج بسيدة مطلقة؟ مذكور بإنجيل متى ١٩ : ٩ ،ومن تزوج مطلقة فقد زنى،

الجواب : لا يجوز لقبطى أرثوذكسى الزواج بسيدة مطلقة لعلة الزنى لأنها زانية.

كما لا يجوز له الزواج بسيدة مطلقة لسبب آخر غير الزنى لأنها طبقا للشريعة المسيحية مرتبطة بزوجها الأول ،المرأة مرتبطة بالناموس مادام رجلها حيا، (كورنثوس الأولى ٧ : ٣٩).

السؤال الثانى : هل يجوز للقبطى الأرثوذكسى المصرى الزواج من سيدة أو آنسة تدين بملة غير الأرثوذكسية (إنجيلية أو كاثوليكية أو بروتستانتية) وأن تبقى الزوجة على ملتها قبل الزواج وبعده؟

الجواب : لا يجوز للأرثوذكسى أن يتزوج بغير أرثوذكسية. إن الكنيسة الأرثوذكسية تشترط على الزوجين أن يكونا أرثوذكسيين ليجرى لهما عقد أرثوذكسى فإذا كان أحدهما غير أرثوذكسى تعين عليه أن ينضم أولاً للكنيسة الأرثوذكسية قبل أن يتقدم لعقد الزواج الأرثوذكسى.

والإنضمام إلى الكنيسة الأرثوذكسية يتضمن الاقتناع بالإيمان الأرثوذكسى وأن ينال سر العماد المقدس فى الكنيسة الأرثوذكسية إذا لم يكن له سابق عماد فيها.

ولا يجوز بتاتا استمرار الزوجة على عقيدتها غير الأرثوذكسية.

السؤال الثالث : هل تعترف الكنيسة الأرثوذكسية المصرية وتعتبره زواجا شرعيا إذا ما تزوج القبطى الأرثوذكسى خارج الكنيسة الأرثوذكسية لدى موثق

---

(١) كتب فى ١٣ من سبتمبر ١٩٦٩م ـ ٣ من توت ١٦٨٦ش.

العقود أو أمام موثق الأحوال الشخصية.. وهل يعتبر عقد الزواج خارج الكنيسة الأرثوذكسية عقدا قانونيا؟

الجواب : الزواج المسيحى فى الكنيسة الأرثوذكسية سر مقدس وهو ليس مجرد عقد بين رجل وامرأة ولكنه اتحاد بفعالية الروح القدس الذى ينحدر على العروسين ليجعل منهما جسدا واحدا وذلك باستدعاء الكاهن نائبا عن الله فى هذا الرباط الروحانى المقدس.

وعليه فإن التوثيق لدى موثق العقود إجراء مدنى بحت تطلبه الدولة لحفظ الحقوق المادية من إرث ونفقة وما إليها. ولكن هذا التوثيق ليس له قيمة دينية بالنسبة للكنيسة الأرثوذكسية. ولا يحل لأرثوذكسى أن يتخذ إمرأة زوجة له حلالا ما لم يتم قرانه بها وتكليله عليها دينيا بمعرفة الكاهن نائبا عن الله.

ونعمة الرب تشملكم وتقويكم وتحفظكم كاملين فى الروح والنفس والجسد. ولعظمته تعالى الشكر دائماً.

٦٢ ـ إذا غاب الزوج غيبة منقطعة (١)

الأب المحترم الراهب القس أغاثون.

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

سؤال : ابنة للكنيسة تزوجت ثم انفصل عنها زوجها لمدة ١١ سنة، أحد عشرة سنة ولم يُعثر له على مكان وجود خلال هذه المدة.

ما هو حكم الكنيسة فى هذه القضية لراحة الزوجة ؟

الجواب :

إذا كان حقا أن الزوج قد انفصل عن هذه الزوجة لمدة ١١ أحد عشرة سنة ولم يُعثر له على مكان وجود خلال هذه المدة.

فيمكن احتساب هذه المدة، (غيبة منقطعة) ، (والغيبة المنقطعة) هى فى (حكم الموت)، الذى يجيز انحلال الرابطة الزوجية، وبالتالى يمكن للزوجة، إذا أرادت، أن تتزوج بمن تريد فى الرب فقط.

(فإن المرأة المتزوجة تربطها الشريعة بزوجها مادام حيا، **فإذا مات زوجها حلت من شريعة الزوج** وإن صارت إلى رجل آخر وزوجها حى، فإنها تدعى زانية، **ولكن إذا مات زوجها تحررت من الشريعة، فلا تكون زانية إن صارت إلى رجل آخر)** (رومية ٧ : ٢، ٣)

ثم (إن المرأة تظل مقيدة شرعا بزوجها مادام حياً، **فإن رقد رجلها عادت حرة تتزوج من تشاء، ولكن زواجا فى الرب فقط)** (١. كورنثوس ٧ : ٣٩، ٤٠).

وعلى ذلك يجب عرض المشكلة على المجلس الإكليريكى لإثبات (الغيبة المنقطعة)، ولمنح الزوجة تصريحاً بالزواج الثانى.

ونعمة الرب تشملنا جميعا،،،

---

(١) كتب فى ٩ من أبريل ١٩٨٤م ـ أول برموده ١٧٠٢ش.

٦٣ ـ اختيار الزوجة يكون بناء على التوافق النفسى والفكرى (١)

العزيز ر. ح.

سلام ومحبة ودعاء إلى الله أن يحفظ حياتك، ويحميك من كل شر، ويهديك إلى الخلاص الأبدى.

أيها العزيز ـ ابعد نهائيا عن تلك الفتاة المتزوجة. لا تتصور أن الخطأ يُصلَح بخطأ آخر، أو أن إمكانية سقوط تلك الفتاة مع غيرك يبرر لك أن تقع أنت معها فى الخطيئة.

كذلك ابعد عن أختها تماما لأن زواجك بأختها يفتح أمامك هوة أخرى للخطيئة معها، فتخطئ أيضاً إلى أختها بخيانتك لها مع شقيقتها.

التوبة الحقيقية تقتضى أن تهرب لحياتك، «ولا تعد إلى الخطيئة لئلا يصيبك ما هو أسوأ» (يوحنا ٥ : ١٤) ، (٨ : ١١) ، (متى ١٢ : ٤٥).

هذا إلى أن اختيار الزوجة لا يكون عن طريق القرعة.

من الذى علم أن اختيار الزوجة يكون بالقرعة.. إن اختيار الزوجة يكون بناء على ما تجده فى الفتاة من صفات التوافق النفسى والفكرى بينها وبينك. واعلم أن من الخطأ استخدام القرعة فى اختيار الزوجة.

كذلك ننصح لك باستبعاد ابنة عمتك فإن شدة القرابة ليست لصالح النسل. خصوصا إذا كان فى الأسرة أمراض عصبية أو بدنية، فإنها تظهر بسرعة فى الأطفال ـ لا مانع أن تكون زوجتك قريبة لك، ولكن لا تكن ابنة عم أو عمة أو إبنة خال أو خالة.

أدعو الله أن يوفقك إلى الفتاة المناسبة التى تسعدك وتسعدها، وأن تكون متوافقة معك نفسيا وفكريا، حتى تمر حياتكما معا سهلة، وأن تكون زوجتك معينة لك بكل معنى الكلمة.

ونعمة الرب تشملك،،،

---

(١) كتب فى ٥ من يونيه ١٩٨٥م ـ ٢٨ من بشنس ١٧٠١ش.

٦٤ ـ تعدد الزوجات فى اليهودية (١)

سؤال : لماذا رضى داود أن يتزوج امرأة غريبة غير زوجته أثناء مرضه الأخير، مع أن زوجته بتشبع كانت على قيد الحياة. ألا يعتبر هذا زنى؟

الجواب :

إنه يعد زنى فى الشريعة المسيحية وحدها. أما فى الشريعة اليهودية فكان يباح ـ ولا سيما للملوك ـ أن يتخذ الرجل أكثر من زوجة واحدة. ألم يكن ليعقوب زوجتان : ليئة وراحيل، وسريتان فوق زوجتيه وهما زلفة وبلهة. وقد أنجب من الأربع جميعاً أولاده الإثنى عشر؟! كما أن لامك «اتخذ لنفسه امرأتين : إسم الواحدة عادة وإسم الأخرى صلة» (تك ٤ : ١٩) ولقد ذكر الكتاب المقدس عن ألقانه أبى صموئيل النبى أنه كان «له امرأتان : إسم الواحدة حنه وإسم الأخرى فننه، وكان لفننه أولاد، وأما حنه فلم يكن لها أولاد» وقد ذكر فى نفس الموضع عن حنه «وكانت ضرتها تغيظها لأن الرب أغلق رحمها» (١ . صم ١).

جاء فى كتاب (الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للإسرائيليين) تأليف م. حاى ابن شمعون المطبوع بمطبعة كوهين وروزنيال بمصر سنة ١٩١٢ فى باب الزواج مادة ٥٤، أنه :

«لا ينبغى للرجل أن يكون له أكثر من زوجة، وعليه أن يحلف يميناً على هذا حين العقد، **وإن كان لا حجر ولا حصر فى متن التوراة**. ثم يقول فى المادة التالية (مادة ٥٥) : «إذا كان الرجل فى سعة من العيش، ويقدر أن يعدل أو كان له مسوغ شرعى، **جاز له أن يتزوج** بأخرى».

فالزواج بأكثر من امرأة مشروع عند اليهود، ومما يؤيد هذا أيضاً فضلا عن كل ما أوردناه، ما جاء فى سفر التثنية للنبى موسى : «إذا كان لرجل إمرأتان : إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكراً على ابن المكروهة البكر» (تث ٢١ : ١٥، ١٦). وهذا معناه أن الشريعة أجازت أن يجمع الرجل بين أكثر من امرأة فى عصمته، فما فعله لامك ويعقوب قبل شريعة موسى، أو ما فعله القانه (أبو صموئيل) بعد شريعة موسى. لم يكن معارضاً لنصوص الشريعة وروحها.

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٤ ـ عدد ١٠ ـ ديسمبر ١٩٥٠م.

وإذا كان الزواج بأكثر من امرأة جائزاً لأفراد الشعب اليهودى، فقد كان يجوز بالأحرى للملوك أن يتخذوا نساء كثيرات : فداود تزوج بنسوة وسرارى ذكر الكتاب المقدس بعض أسمائهن، ولعل أشهرهن ميكال (١ . صم ١٨ : ٢٧) وابيجايل، واخينوعم (١ . صم ٢٥: ٤٢، ٤٣) ، (٢ . صم ٢: ٢)، وبتشبع إمرأة أوريا (٢ . صم ١١ : ٢٧) . راجع أيضاً (٢ . صم ٥ : ١٣ – ١٦) ، (٢ . صم ١٢ : ٨، ١١) ، (١ . أى ٣ : ١ – ٩) ، (١ . أى ١٤: ٣ – ٦) . وفيها يدل على أن عددهن كبير.

وسليمان بن داود ،كانت له سبع مائة من النساء السيدات، وثلاثة مائة من السرارى، (١ . مل ١١ : ٣) .

راجع أيضاً ما قيل عن رحبعام بن سليمان (١ . أى ١١ : ١٨) .

فاتخاذ داود امرأة فى آخر أيامه لا يحسب زنى، لأنه أمر جائز ومشروع فى الشريعة اليهودية أن يتخذ الأفراد، وبالأحرى الملوك، أكثر من زوجة.

٦٥ ـ تعليق على مقال القول الفصل (١)

نشرت مجلة مدارس الأحد مقالا للمحرر تحت عنوان «الرأى... والرأى الآخر والقول الفصل فى العلاقة الزوجية فى ضوء المسيحية» ـ وذلك فى عددها السابع والثامن الصادر فى سبتمبر ١٩٧٥، صفحة ٣٢.

واقتبس المحرر فقرتين من كتاب للعزيز الدكتور ..... عن «الزواج المسيحى» ثم أضاف المحرر قائلا: للمجلة رأى: حين يكتب فى هذا الموضوع طبيب نفسى، يتردد على عيادته مئات المرضى وطالبى المشورة، وهو فى الوقت نفسه زوج وأب، يتميز بمسيحيته النقية، فإن رأيه يعتبر الرأى الفصل».

ولنا نحن تعليق على هذا التعليق:

١ ـ لموضوع العلاقة الزوجية فى ضوء المسيحية جانب دينى، وجانب نفسى. **فإذا جاز للطبيب النفسى أن يبدى رأيه فى الجانب النفسى، فليس له أن يبدى بصفته هذه، رأى الدين فى موضوع لابد أن يكون للدين فيه رأى. ألا يعلم كاتب المقال أن للدين أيضاً رجاله المختصين؟**

إن محرر المجلة وضع عنوان مقاله «الرأى والرأى الآخر، والقول الفصل» **ولم يقل ما هو الرأى ولا ما هو الرأى الآخر**، ولكنه عرض ببساطة لرأى الطبيب النفسى، وقال أنه القول الفصل!

كيف هذا يا كاتب المقال، ويا مجلة مدارس الأحد؟.. كيف هذا..؟!!

٢ ـ **إن العزيز الدكتور ..... طبيب نفسى يلجأ إليه المرضى**، ولذلك يرى فيما يرى أن يعالج المرضى بأن يقول لهم «إن الله هو الذى طبع فينا الرغبات الجنسية القوية لتكون علاقة ممتعة تقوى الرابطة بين الزوجين، وتزيد تعلقهما ببعضهما وتصونهما من الفتور ومن الزلل وليس فقط للإنجاب».

إنه هنا وهو طبيب نفسى. دخل إلى ميدان الدين كإخصائى فى الدين أيضاً، وزاد على ذلك بأن جعل يتكلم فى الدين باسم الدين، بل باسم الله نفسه.

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد ـ السنة الثلاثون ـ الأعداد ١، ٢، ٣ ـ فى يناير وفبراير ومارس ١٩٧٦م.

ونحن لا نريد هنا أن نناقش من الوجهة الدينية صحة هذا الكلام مناقشة مستفيضة، فلنا عليه تعليق ليس هذا مجاله. لكننا قصدنا هنا أن نبين أن المجلة التى تبنت رأى الطبيب النفسى واعتبرته «القول الفصل» قد أزالت الفاصل بين اختصاص الطب النفسى، واختصاص الدين. وحكمت بأن الطبيب النفسى قوله هو «القول الفصل» فى موضوع له جانبه الدينى الأهم.

٣ - إن ما يقوله طبيب نفسى، يزوره المرضى - والمرضى ليسوا هم القاعدة العريضة للبشر - ليس حتما أن يكون رأيه هو الرأى الصحيح الذى يجب أن يعمم على جميع الناس.

إن الأطباء قد يختلفون فى تشخيص المرض، وبالتالى لابد أن يختلفوا فى وصف العلاج. وما يقترحه الطبيب النفسى للعلاج قد لا يوافقه عليه طبيب آخر، فكيف يفتى الطبيب النفسى فى مسألة دينية يبنى فيها إفتاءه على حالات مرضية يمكن تشخيصها بأكثر من سبب ويمكن أن تعالج بطريق آخر غير الذى يراه هو ؟

إذا كان الطبيب النفسى، قوله هو «القول الفصل» فى العلاقة الزوجية فى ضوء المسيحية، فمن الأطباء النفسيين من يفتى بأن الدين بالنسبة للبعض من مرضاه هو سر تعبهم النفسى، فينصح لهم بالانحلال عن الدين وعن أخلاقيات الدين... إنها أيضا وجهة نظر طبيب نفسى يرى أن الدين يطالب الإنسان بأخلاقيات يعجز عنها، فتسبب له أزمات نفسية. فعلاجا لهذا المريض أو ذاك، ينصح له الطبيب النفسى بأن يفعل ما يشاء، وأن يترك نفسه على سجيتها، وأن يعب من شهواته ورغباته ما يشاء، حتى يشفى غليله، وبالتالى يشفى من مرضه...! وهذا ما أفتى به فعلا بعض الأطباء النفسيين، فساعدوا بعضا من الشباب على الفساد وإنحلال الأخلاق.

أفهل يرى كاتب مقال مجلة مدارس الأحد أن ما يراه الطبيب النفسى هو «القول الفصل» فى مسألة دينية..؟

إن رأى الطبيب النفسى، لم يكن ولا ولن يكون يوما ما هو «القول الفصل» فى مسألة جانبها الأهم دينى.

فكيف تتهم الله بأنه هو الذى طبع فينا الرغبات الجنسية القوية ؟

٥ ـ لقد أوردتم ما قاله القديس بولس «ليوف الرجل المرأة حقها الواجب، وكذلك المرأة أيضاً الرجل» (١ . كورنثوس ٧ : ٣).

هذا هو النص الوحيد فى كل الكتاب المقدس الذى اعتمدتم عليه فى اصدار فتواكم «أن الله هو الذى طبع فينا الرغبات الجنسية القوية».

على أن الرسول نفسه لم يجرؤ على أن يقول أن الله هو الذى طبع فينا الرغبات الجنسية القوية. كل ما قاله هو نصح بأن لا يمنع الواحد قرينه عن نفسه، ما لم يكن ذلك عن اتفاق بينهما كتدريب روحى على ضبط النفس، وخصوصا فى الأصوام.

ولا تنس أنه قبل أن يورد الرسول عبارته تلك استهلها بقوله : **وأما من جهة الأمور التى كتبتم لى عنها، فحسن للرجل أن لا يمس امرأة. ولكن لسبب الزنا فلتكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها،** (١ . كو ٧ : ١).

فكيف فصلتم عبارة الرسول الثانية عن الأولى الواردة قبلها مباشرة.

إذن رسول المسيح يضع البتولية ـ وهى العفة الكاملة ـ الصورة المثلى للإنسان، وأما الزواج فلمن يخشى عليه من خطر الزنى.

وهذا يؤيده مرة أخرى قوله : «أقول لغير المتزوجين وللأرامل أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا (متبتلين) ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا. فإن التزوج أصلح من التحرق» (١ .كو٧:٨).

إذا كان حقا ما يقوله عزيزنا الدكتور ..... أن «الله هو الذى طبع فينا الرغبات الجنسية القوية» فقد ترتب عليه أن يكون ضبط النفس عنها هو مخالفة لأمر الله!

وبالتالى تتحول الفضيلة الكبرى فى المسيحية ـ فضيلة العفة ـ إلى مخالفة لله، وتصير الفطرة ـ كما يسمونها ـ هى الشريعة البديلة عن شريعة الزواج كما علم بها العهد القديم والعهد الجديد؟!.

٦ ـ إن الرسول القديس بولس أوصى باحترام الزواج فى قوله، «ليكن الزواج مكرما عند كل واحد، والمضجع غير نجس. وأما العاهرون والزناة فسيدينهم الله» (العبرانيين ١٣ : ٤).

نعم أن الزواج مكرم، وهو فى المسيحية سر مقدس، الزواج فى ذاته من حيث هو رابطة روحية تربط الرجل وزوجته... أما عندما تناول الرسول موضوع «المضجع» وهو فراش الزوجية، فقال عنه أنه «غير نجس» (AMIANTOS) ولم يقل أنه مقدس.. والمعنى من قوله «غير نجس» أنه «مباح» وجائز ومسموح به، ولا إثم فيه. قال هذا وهو يفرق بين الاختلاط الجنسى المشروع والاختلاط الجنسى عند العاهرين والزناة.

إن عبارة الرسول فى العبرانيين تشرح موقف المسيحية الصحيح بالنسبة إلى الزواج. أن البتولية أفضل، وأما الزواج فحسن. والزواج في ذاته حسن من حيث هو رابطة روحية تجمع بين رجل وامرأته ليتعاونا معا على حمل أعباء الحياة فى رحلتهما على الأرض. وأما اختلاطهما الجنسى فلا اثم فيه. أنه مباح، ومسموح به..

لذلك فإن عقد الزواج الدينى يتم فى الكنيسة وأمام مذبح الله، وبمعرفة الكاهن، رجل الله، وهو مرتد كامل ملابسه الكهنوتية، لأنه يقيم «قداس الاكليل» - أما «المضجع» أو فراش الزوجية أى الاختلاط الجنسى بين الزوجين فلا يجوز أن يكون فى الكنيسة!! ثم أن القوانين الكنسية أمرت الزوجين بأن يتناولا من الأسرار المقدسة أثناء عقد الإكليل، وفى هذه الحالة أمرت بأن يحترسا من الاختلاط الجنسى مباشرة تقديسا لسر التناول. وهذا يريكم المنطق الروحى فى تعليم الكنيسة عن الزواج من حيث هو عقد ورابطة، فهو مكرم ومقدس، وأما المعاشرات الجنسية فليست مقدسة كعقد الزواج نفسه، لكنها مباحة ومسموح بها ولا إثم فيها، وهى حلال ولا حرام فيها.

أين إذن تعليمكم ذاك «أن الله هو الذى طبع فينا الرغبات الجنسية القوية» من تعاليم الإنجيل والرسائل والكتاب المقدس، وتعاليم آباء الكنيسة؟ كيف يجرؤ الإنسان على أن يتهم الله إتهاما ظالما كهذا؟.

وإذا كان هذا القدر كافيا لمناقشة الموضوع من الوجهة الدينية، فلنتناول الموضوع أيضاً من الناحيتين البيولوجية والسيكولوجية.

٧ - إنى أولاً أسألك : لماذا يسمون الغريزة الجنسية بغريزة حفظ النوع؟ إذن التسمية نفسها تنطوى على اعتراف ضمنى بأن هذه الغريزة نشأت فى الإنسان بعد أن دخل الموت إلى الإنسان وصار مهددا بالفناء. ومعروف أن الموت بدوره دخل إلى العالم، بسبب الخطيئة

«بإنسان واحد **دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت** وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس بالذى جميعهم خطئوا فيه» (روميه ٥ : ١٢).

وإذن فليس «الله هو الذى طبع فينا الرغبات الجنسية القوية»، «لأن الله صنع الإنسان مستقيما، أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة» (الجامعة ٧ : ٢٩).

٨ ـ ولا شك أنك تعرف جيدا ما يقوله علماء النفس من أن الغرائز عموما، بما فيها غريزة الجنس، هى حصيلة خبرات النوع الإنسانى على مدى تاريخ البشرية، وأن للوراثة أثرا كبيرا فى ذلك. ومثل الغرائز فى ذلك مثل كافة الميول والاستعدادات، لدرجة أن أكثر علماء النفس صار يستبعد استخدام كلمة «غريزة» حتى لا يظن أنها مطبوعة أصلا فى النفس البشرية، وصار يستعيض عنها بتعبير آخر مثل «حاجة» أو «ميل فطرى». يقول الدكتور يوسف مراد «عدل جمهور علماء النفس عن استعمال لفظ الغريزة لما يتضمنه من معان فلسفية ولما يثيره من مشكلات لفظية» (مبادئ علم النفس العام، الفصل الخامس بصفحة ١٠٠ حاشية ٢) وإذن «الرغبات الجنسية القوية» لم يطبعها الله فينا، ولكنها بعد أن مال الإنسان إليها واشتهاها لأول مرة ـ وهذا ما تم فى سقوط الإنسان الأول ـ صار يكررها تبعا لما صاحبها من لذة، وهذه اللذة اجترها الإنسان بالفكر، فزاد فيها، فقويت لديه، وأخذت تقوى جيلا بعد جيل بالوراثة، وبالممارسة، وبحكم العادة «أيضا بعد أن دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا... رأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير فى كل يوم. فحزن الرب أنه عمل الإنسان، وتأسف فى قلبه. فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته» (التكوين ٦ : ٤ – ٧) وفعلا أنزل الرب طوفانا أغرق به جميع الناس ماعدا ثمانية أنفس، ومع ذلك صارت هذه الرغبات الجنسية القوية، تتفاقم شرورها فى الجنس البشرى حتى انحط الإنسان إلى قباحات وأعمال فجور، لا تعرف فى عالم الحيوان ولذلك أرسل الله الأنبياء ليعلن غضبه الإلهى على تصرف بنى آدم واندفاعاتهم فى إشباع ميولهم الجنسية، ويحثهم على أن يكون ذلك الاشباع مباحا فى داخل الزواج، مقصورا بين الرجل وزوجته، وممنوعا فى غير ذلك. وكل هذا لكى يضع الرب حدا للفساد الذى استشرى فى البشرية بسبب «الرغبات الجنسية القوية».

٩ ـ وإذن فالله لم يطبع فينا الرغبات الجنسية القوية، لأنه إذا كان هو الذى طبعها فينا. فلماذا يدينها؟.

وكيف يطبع الله فينا رغبات جنسية قوية، ويأمر مع ذلك المتزوجين أن يمتنعوا عن هذه العلاقات الجنسية المشروعة كلما كانوا فى صوم أو فى توقع لملاقاة الرب (الخروج ١٩ : ١٥) أو إذا تقدموا لينالوا من الخبز المقدس (١ . صموئيل ٢١ : ٤، ٥) ، (متى ١٢ : ٤) ؟.

إذن لقد اتهمتم الله اتهاما ظالما إذ نسبتم إليه أنه «هو الذى طبع فينا الرغبات الجنسية القوية».

١٠ ـ وزدتم على ذلك بالقول «لتكون علاقة ممتعة تقوى الرابطة بين الزوجين، وتزيد تعلقهما ببعضهما وتصونهما من الفتور، ومن الزلل، وليس فقط للإنجاب».

إنه محزن حقاً أن يقال هذا الكلام باسم الله، ومنسوبا إليه تعالى، وهو كلام من طبيعة الأرض، ولا يمكن أن يقبل فى مفهوم الزواج المسيحى إلا من قبيل الإجازة والسماح والإباحة لغير القادرين على ضبط نفوسهم عن العلاقات الجنسية، كلفا بالعفاف، أو شغفا بالروحانية العالية.

إن المسيحية عرفت فى كل تاريخها رجالا أفاضل ونساء فضليات، تساموا وتسامين بغريزة الجنس، وبعد أن ولدوا أولادا وبنات كفوا باختيارهم عن العلاقات الجنسية المشروعة، كلفا بالعفاف وهياما بالروحانية، ومع ذلك لم تفتر علاقتهم ببعضهم بعضا بل ازدادت علاقة الزوجين، وتوطدت محبة الواحد للآخر، وتعلق كل منهما بصاحبه كأخوين وصديقين وزميلين فى رحلة الحياة، يعيشان معا نحوا من أربعين أو خمسين سنة، وهما تحت سقف واحد تجمعهما حياة عائلية مشتركة.

١١ ـ أما محاولتكم فى أن تنسبوا إلى الله أنه «طبع فينا الرغبات الجنسية القوية لتكون علاقة ممتعة تقوى الرابطة بين الزوجين... وليس فقط للإنجاب» فهو كلام ليس فى مقدوركم إثباته دينيا، ولا علميا. أما دينيا فلأن تعبير المسيحيين الأوائل «إننا نضبط شهواتنا فى حدود إنجاب البنين فقط» هو تعبير آبائى نطق به بعض آباء الكنيسة يعبرون به عن سمو النظرة المسيحية إلى الزواج وأنه عندهم ليس للإشباع الجنسى وحده. وهو تعبير سليم يتمشى مع نظرة المسيحية إلى الزواج. وعلى العكس لن تجد من آباء الكنيسة من يساند وجهة نظرك فى أن «الله طبع فينا الرغبات الجنسية القوية لتكون علاقة ممتعة تقوى الرابطة بين الزوجين... وليس للإنجاب فقط».

وكأنك تريد أن تقول أن الله طبع هذه الرغبات الجنسية القوية لمجرد الاشباع الجنسى فقط، وهذا كلام لا يمكن قبوله علميا.

١٢ - إن العالم النمساوى اليهودى فرويد الذى ابتكر نظرية اللذة الجنسية وأنها غاية لذاتها، لم يعد له عند علماء النفس من يحترمه. إنهم يقولون الآن عنه أنه أهان الإنسان. وأنزله إلى مرتبة دون الحيوان - ولقد كان المرحوم الأستاذ الدكتور يوسف مراد كبير أساتذة علم النفس بمصر يقول : إن نظرية فرويد نظرية خاطئه. إن اللذة شعور يصاحب الطبيعة للبلوغ إلى غايتها، **وغاية الطبيعة ليست اللذة الجنسية وإنما هى الإنسال، كما هو المعروف فى عالم الحيوان، وفى النبات.**

وكان الأستاذ الدكتور مصطفى زيور، يقول إن آراء فرويد سقطت، ولا يعتد بها أحد، ولا فرق عندنا الآن بين ما كان يقوله فرويد، وما يقوله «عم سيد» الخادم الواقف أو الجالس عند باب قسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة القاهرة!

وأضيف أخيرا ما حدثنى به الأستاذ الدكتور عطا الله خلف الدوينى وكان يشغل أستاذ كرسى علم سلوك الحيوان بجامعة القاهرة، ومازال أستاذا بها متفرغا : إن ملاحظاتنا على الإنسان البدائى أنه كان بالنسبة لغريزة الجنس مثله فى ذلك مثل الحيوانات، أى أن لإختلاطه الجنسى موسما معينا، فإذا حملت زوجته منه، وانقضى موسم الاختلاط انطفأت الرغبة الجنسية فى كل منهما، وكأن زوجته بالنسبة له رجل آخر... هذا الإنسان البدائى مازال يمثله بعض شعوب أفريقيا الوسطى وآسيا واللابيون سكان القطب الشمالى. أما ما نراه فى المجتمعات المتحضرة والمتمدينة من اشتعال الرغبات الجنسية القوية، فهو كما يبدو من صنع المدنية نفسها، التى خلقت للإنسان مثيرات جديدة ألهبت وأذكت فى جسده شهوات لم يعرفها عندما كان على صورته البدائية، ومنها شرب الخمر، ثم الرقص المثير بين الجنسين مع تلاحم بعض أعضاء الجسمين على نغمات موسيقى العواطف الصاخبة، كما يسميها أفلاطون، ومنها أيضا الروائح الخاصة التى تتعطر بها المرأة الحديثة، وتبرجها وإهتمامها بالمكياج، ومحاولة إبراز أنوثتها فى ملابس ضيقة تكشف عن جزء هام من مساحة جسدها، وتستر الجزء الباقى مما يثير الرجل أكثر مما يثيره إذا رآها عاريه تماما.

هكذا يقول الأستاذ الدكتور عطاالله خلف الدوينى، وهى ملاحظة قيمة من عالم كبير وأستاذ للأحياء بما فيها الإنسان.

ثانياً : على أن كاتب مقال المجلة برهن من دون أن يقصد على انحيازه وهو على منصة القضاء، «بالقول الفصل» فألمع إلى موضوع آخر كبير، وحكم فيه حكما سريعا متعجلا فقال وما يصدق فى موضوع العلاقة الزوجية ينطبق أيضا على موضوع **استخدام حبوب منع الحمل فالرأى فيه يجب أن يكون للأطباء المتخصصين** الذين لا يقفون عند حد الكتب فقط وإنما يمارسون العلاج ويتعاملون مع الخبرة الحية المباشرة.

وما أعظم الفرق بين الكتاب والخبرة. بذلك نتجنب البلبلة والعثرة.

ولابد أن يكون فى ذهن المحرر، مقالاتنا التى نشرناها فى جريدة «وطنى» عن حبوب منع الحمل.

وهنا أريد أن أقول :

١ - إن ما كتبناه عن أضرار حبوب منع الحمل، هو ما قرره الأطباء أنفسهم فى الشرق وفى الغرب.. وقد أسندنا كل كلام قلناه إلى قائله بكل أمانة ودقة. ونحن أتينا بآراء كبار المختصين فى الطب، من المشرفين على مراكز تنظيم الأسرة فى مصر وانجلترا وبلاد أوروبا وأمريكا، والاخصائيين فى طب النساء والتناسل، ومن بينهم أسماء عالمية ضخمة، كل فى موقعه.

٢ - إن مقالاتنا عن أضرار حبوب منع الحمل. قرأناها قبل نشرها فى جريدة وطنى على عدد من الأطباء الإخصائيين، والطبيبات الإخصائيات، فى القاهرة، فوافقوا عليها وأيدوا كل ما جاء فيها كلمة بكلمة، وحرفا بحرف.

٣ - لقد إلتقينا - بعد نشر مقالاتنا تلك عن أضرار حبوب منع الحمل - بعدد آخر من الأطباء والطبيبات، فى عدد من بلاد جمهوريتنا المصرية، فأثنوا على ما كتبناه وأيدوه.... وقال لنا البعض منهم ممن له خبرة فى الطب تزيد على الثلاثين والأربعين عاما : «إن ما كتبتموه فى جريدة وطنى يستحق الاعجاب حقا.. إنه لو طلب إلى طبيب واحد أن يكتب فى الموضوع لما استطاع أن يجمع كل هذه المعلومات التى جمعتموها فى مقالاتكم» قلت : وهل ما كتبناه حق؟ قالوا : «كله حق، وكله صدق، وقد كتبتموه بكل الأمانة والدقة».

ولقد إلتقينا بعدد كبير من رجال وسيدات، مثقفين ومثقفات، ممن قرأوا وقرأن، مقالاتنا فى جريدة «وطنى» عن أضرار حبوب منع الحمل، فأيدوا وأيدن، كل كلمة قلناها، وأضافوا

وأضفن، من خبراتهم وخبراتهن العملية، أضرارا جديدة لم ترد بعد فى المصادر الطبية العلمية.

ولقد جاءنى رجل مع إمرأته يطلب الصلاة من أجل زوجته التى ستجرى فى اليوم التالى عملية جراحية، وبسؤالهما علمت أن الطبيب قرر ضرورة استئصال المبيض لأنه قد تحجر، وقد تحجر بسبب استخدام حبوب منع الحمل.. لقد حزنت لأمر هذه السيدة فأنه بإستئصال المبيض قد فقدت الأمل نهائيا فى أن تحمل بجنين مع أنها ما تزال شابة...!

وقد قال لى أخيرا أحد شيوخ الأطباء : أن حبوب منع الحمل لم يكتشف إلا بعض أضرارها، ولكن لابد أن هناك أضرار أخرى ستكتشف فيما بعد.

* * *

إذن فهل فيما كتبنا عن حبوب منع الحمل واضرارها على نسائنا «بلبلة وعثرة» كما يقول محرر المجلة؟

ليست «البلبلة والعثرة» فيما كتبنا.. وليس فيما قلنا ضلال أو تضليل للقراء من شعبنا.. «لأن وعظنا ليس عن ضلال ولا عن دنس ولا بمكر، بل كما إستحسنا من الله أن نؤتمن على الإنجيل. هكذا نتكلم لا كمن يرضى الناس بل كمن يرضى الله الذى يختبر قلوبنا فإننا لم نستعمل قط كلام التملق كما تعلمون ولا علة للطمع. الله شاهد. ولا التمسنا مجدا من الناس لا منكم ولا من غيركم» (١ . تسالونيكى ٢ : ٣ – ٦).

٦٦ ـ متى لا تجوز المعاشرة الزوجية؟؟ (١)

جاءنا السؤال الآتى من الأخ رفلة تاوضروس :

هل يقرر القانون الكنسى قواعد معينة للإمتناع عن المعاشرة الزوجية.

الجواب :

أن القانون الكنسى يقرر وجوب الامتناع :

أولا : فى ليالى وأيام الأصوام وخاصة الصوم الكبير المقدس، ولا سيما أسبوع الآلام.

يقول الوحى : «انفخوا فى البوق فى صهيون، وقدسوا الصوم، ونادوا باعتكاف.. **وليخرج العريس من مخدعه والعروس من حجلتها»** (٢)

ويقول ماريولس الرسول : «لا يمنع أحدكما الآخر عن ذاته إلا على موافقة إلى حين **لكى تتفرغا للصوم والصلاة** ثم عودا إلى ما كنتما عليه، لئلا يجربكما الشيطان لعدم عفتكما» (٣)

وجاء فى القانون السابع عشر من قوانين القديس باسيليوس :

«ولا يقرب الرجل زوجته فى أيام الصوم» (٤) . وجاء فى القانون الثلاثين منها : «أنه شئ خارج عن الزيجة أن يلتصق أحد بفراشه (أى يعاشر زوجته معاشرة جنسية) **فى الأربعين يوما كلها من أولها إلى آخرها... والويل لمن يفعل هذه الخطيئة فى أيام البصخة المقدسة** (٥) ، (٦).

---

(١) نشر بمجلة الكرازة السنة الثانية العدد ١ ، ٢ فى يناير وفبراير ١٩٦٦م.

(٢) يوئيل ٢ : ١٥ ، ١٦.

(٣) رسالة كورنثوس الأولى ٧ : ٥.

(٤) كتاب المجموع الصفوى للشيخ الصفى ابن العسال لناشره جرجس فيلوثيئوس عوض، الباب ١٥ ، الطبعة الأولى صفحة ١٧٦.

(٥) البصخة المقدسة πασχα أى الفصح وهو تعبير يطلق اصطلاحيا على أسبوع الآلام.

(٦) أنظر كتاب قوانين القديس باسيليوس لناشره دير السيدة العذراء الشهير بالسريان، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٠ صفحة ٣٥٥.

كذلك ينص القانون الحادى عشر منها على الأيام التى ينبغى فيها الامتناع عن المعاشرة الزوجية ومنها «الأيام المقدسة التى للصوم» (١).

ويلاحظ أن الأربعاء والجمعة من كل أسبوع (فيما عدا أيام الخمسين المقدسة، أو إذا وقع فيهما عيد الميلاد أو الغطاس) يعاملان معاملة أسبوع الآلام، ويعتبران مع أسبوع الآلام والأربعين المقدسة من أصوام المرتبة الأولى (قوانين الرسل، قانون ٦٤ من المجموعة الأولى، وقانون ٤٩ من المجموعة الثالثة)، وكتاب المجموع الصفوى لابن العسال لناشره جرجس فيلوثيئوس عوض، الطبعة الأولى، الباب ١٥، صفحة ١٧١.

ومع ذلك تتم مع الأسف، مراسم سر الزيجة لبعض الناس فى ليلة الأربعاء (مساء الثلاثاء) أو ليلة الجمعة (مساء الخميس) من دون اكتراث لقدسية هذين اليومين اللذين هما فى مرتبة أسبوع الآلام (قانون ٥٢ من قوانين مجمع اللاذقية). أنظر أيضاً.

The Rudder by D.Cummongs Chicago, 1957 P. 897. foot note 1.

وجاء فى قوانين البابا كيرلس الثالث المعروف بابن لقلق فى (فصل فيما بعد الزواج) ولا يجوز (للزوجين) امتناع أحدهما عن الاجتماع بالآخر بلا ضرورة قاطعة فى غير الأوقات الممنوع فيها ذلك وهى أيام الصوم المفروض، لا سيما جمعة البصخة...» (٢).

ويقول القديس يوحنا الذهبى فمه «لأنه إذا كان المتزوجون حديثا الذين لهم رغبة قوية وشباب فتى وشهوة عنيفة، يجب أن يمتنعوا عن المباشرة الجنسية، فكم بالأحرى يصدق هذا على المتزوجين الآخرين، وهم أقل عنفا فى ميلهم لشهوات الجسد، أن يمتنعوا عن المباشرات الجنسية (٣).

---

(١) قوانين القديس باسيليوس نفس المرجع صفحة ٣٤٣، كتاب المجموع الصفوى للشيخ الصفى ابن العسال لناشره جرجس فيلوثيئوس عوض، الطبعة الأولى، الباب ٢٤، صفحة ٢٤٤.

(٢) أنظر كتاب المجموع الصفوى للشيخ الصفى ابن العسال، لناشره جرجس فيلوثيئوس عوض، الطبعة الأولى، صفحتى ٤٤١، ٤٤٢.

(٣) خطابه عن البتولية.

The Rudder by D.Cummings Chicago, 1957 P. 126

وفى بعض المصادر «وأما الامتناع فى أيام الأصوام فلكى يتم الغرض بالصوم، وهو منع النفس الحيوانية من شهواتها البهيمية لتتوفر النفس الناطقة المتحدة بها على ما يخص طبيعتها الروحانية... وفى جمعة الآلام لأنها أيام حزن وصوم وصلوات كثيرة ليلية ونهارية، فأما باقى الأصوام فمن غلب عليه توقد الشهوة غلبة لا يقدر على مجاهدتها، فله أن يخمدها (١) ويدفع محذور ضررها فى الأوقات من الليل التى يجوز له فيها الطعام والشراب».

ويقول العلامة الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين الشهير بابن المقفع : «فليس الصوم الامتناع عن الأكل والشرب اللذين ليس فيهما خطيئة قط، وإنما الصوم الامتناع عن شهوة النكاح التى صارت لنا من الخطيئة أيضا... لذلك أمرنا أن نصوم عن هذه الشهوة فى أوقات مفروضة، لكى لا نكون مفرطين أبداً بغير صوم فى هذه الشهوة كل الأوقات فنتشبه بالبهائم التى لا عقل لها... هذا جميعه وصفته لك يا حبيب لكى تعلم أن الصوم ليس هو الصوم عن الأطعمة فقط بل إنما نحن نصوم عن الأطعمة لكى نضعف أجسادنا عن شهوة الزواج » (٢).

ثانيا : ثلاثة أيام قبل التناول من الأسرار المقدسة (أو على الأقل : الليلة التى يكون تناول القربان المقدس فى غدها، وكذلك النهار والليلة التالية).

فقد أوصى الرسول القديس بولس الزوجين بالامتناع عن المعاشرة الجنسية، إلى حين، ليتفرغا للصلاة (٣).

وأما تحديد وقت الامتناع بثلاثة أيام فقد استدل عليه أيضا من أحوال مماثلة ورد ذكرها فى أسفار الكتاب المقدس، نذكر منها على الخصوص حالتين واضحتين :

الأولى : عندما أراد الله أن ينزل إلى جبل سيناء ليمنح شعبه شريعته المقدسة أمر موسى نبيه أن ينبه الشعب أن يكونوا مستعدين لحضرته الإلهية بالطهارة والنظافة وأن يغسلوا ثيابهم وأن يمتنعوا عن الاتصالات الجنسية ثلاثة أيام سابقة «فنزل موسى من الجبل إلى الشعب،

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٢٤٤، ٢٤٥.

(٢) الدر الثمين فى إيضاح الدين للأنبا ساويرس أسقف الأشمونين، المقالة الثامنة طبعة القاهرة ١٩٢٥، صفحات ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٣١.

(٣) رسالة كورنثوس الأولى ٧ : ٥.

وقدسهم، «وغسلوا ثيابهم، وقال للشعب : **كونوا مستعدين لليوم الثالث، ولا تقربوا امرأة**» (١).

والحالة الثانية : عندما جاع داود ورجاله وجاءوا إلى اخيمالك الكاهن، وسألوه خبزا ليأكلوا، فلم يكن لديه خبز عادى مباح، وإنما كان عنده خبز مقدس وهو خبز الوجوه الذى لا يحل أكله لغير الكهنة، (٢) وقد أجازه لهم بشرط أن يكونوا صائمين ولا سيما عن النساء، فقال داود : أنهم كانوا كذلك مدة ثلاثة أيام «فأجاب داود وقال للكاهن : إن النساء قد منعت عنا منذ أمس فما قبل.. فدفع إليه الكاهن من الخبز المقدس» (٣).

ويقول القديس ايرونيموس من آباء القرن الرابع (٣٤٢ - ٤٢٠م) تعقيبا على الحالة الثانية : «إن داود والذين كانوا معه ما استطاعوا أن يأكلوا من خبز الوجوه حتى قالوا أنهم من ثلاثة أيام لم يباشروا نساؤهم». كما يقول فى موضع آخر : «إن كان خبز الوجوه لم يكن يحل أكله لمن ضاجع زوجته، فكم بالحرى الخبز الذى نزل من السماء (٤) لا يجوز الدنو منه للذين يباشرون نساءهم». ولسنا نقول هذا احتقارا لسر الزواج.

كذلك يعقب القديس ايرونيموس على عبارة ماربولس الرسول للمتزوجين : «لا يمنع أحدكما الآخر عن ذاته إلا على موافقة إلى حين لكى تتفرغا للصوم والصلاة.. الخ» بقوله : «إن كانت مضاجعة الزوجة تمنع عن الشئ الأدنى، فكم بالحرى عما هو أفضل وأعز» ويعنى بذلك أنها إن كانت تمنع عن الصلاة والصوم فبالحرى تمنع عن تناول الأسرار الإلهية.

ويقول البابا تيموثيوس بابا الأسكندرية الثانى والعشرون : إن الرجل وزوجته إذا تجامعا فى الليل فلا يجوز لهما أن يتناولا من الأسرار المقدسة فى اليوم التالى، لأن الرسول يقول فى شدة: «لا يمنع أحدكما الآخر عن ذاته إلا على موافقة إلى حين لكى تتفرغا للصوم والصلاة» (٥).

---

(١) الخروج ١٩ : ١٤، ١٥.

(٢) متى ١٢ : ٤.

(٣) صموئيل الأول ٢١ : ٤ - ٦.

(٤) وهو سر التناول (يوحنا ٦ : ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٨).

(٥) انظر القانون الخامس من قوانين القديس تيموثيوس.

The Rudder by D.Cummings Chicago, 1957, P. 892, 893.

وأنظر أيضا القانون الثالث من قوانين البابا ديونيسيوس الأسكندرى. The Rudder P. 720.721.

ويروى مار اسطفان الدويهى بطريرك أنطاكية ما ذكر فى كتاب الأمثال عن رجل غنى أنه عاشر زوجته فى ليلة عيد القيامة المقدسة قبل أن يتقرب من الأسرار الإلهية، ولكنه ما تناول الجوهرة حتى طارت من فيه وعادت إلى الكأس فندم على اجترائه، واعترف بذنبه (١).

ويقول الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين الشهير بابن المقفع (وهو من رجال القرن العاشر) عن المعاشرة الجنسية : «**أنها ليست نجاسة بل فطر. والذى يفطر لا يمتنع عن الصلاة من أجل أنه فاطر، ولاعن دخول الكنيسة، ولا عن حضور القداس، بل عن تناول القربان فقط...**».

«ويستحب أن يمتنعا (الزوجان) عن بعضهما بعضا ثلاثة أيام قبل تناول القربان، كما أمر الله بنى إسرائيل، وعلى الأقل ليلة واحدة التى يكون (تناول) القربان فى غدها.. ومن بعد فراغ ذلك اليوم الذى يتناولان فيه القربان، يمتنعان الليلة الأخرى التى هى بدء يوم آخر، ثم يجتمعان معا بعضهما إن أرادا، ولا خطأ عليهما» (٢).

ثالثا : ليالى وأيام الآحاد والأعياد السيدية..

يقول البابا تيموثيئوس البابا الثانى والعشرون من باباوات الأسكندرية فى القانون الثالث عشر من قوانينه : «يجب أن يمتنع الزوجان عن المعاشرات الجنسية فى يومى السبت والأحد، لأن فيهما ترفع للرب الذبيحة الروحية» (٣).

---

(١) منارة الأقداس للدويهى، الفصل الثامن، الطبعة الأولى (سنة ١٨٩٥) الجزء الأول صفحة ٢٧٧.

(٢) الدر الثمين فى إيضاح الدين، المقالة الثامنة، طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥ صفحة ٢٢٥، وصفحة ٢٢٨. أنظر أيضا المقالة الرابعة من نفس الكتاب صفحتى ١٣٦، ١٣٧. انظر أيضاً المجموع الصفوى للشيخ الصفى ابن العسال، لناشره جرجس فيلوثيئوس، الطبعة الأولى ص ٢٤٥ ثم

The Rudder by D.Cummings Chicago, 1957, p. 306, Foot note 1 and p. 307 p. 897, Foot note 1.

وكتاب اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة للقمص يوحنا سلامة، الجزء الأول، الطبعة الثانية صفحات ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣.

(٣) The Rudder by D.Cummings P. 897.

ويقول القديس أوغسطينوس : «كلما أقبل عيد الميلاد أو غيره من الأعياد، كما أوصيتكم مرارا كثيرة، امتنعوا قبل ذلك بأيام... عن نسائكم».

ويقول الأنبا ميخائيل أسقف اتريب ومليج (من آباء القرن الثالث عشر) : «يجب على المؤمنين الامتناع عن نسائهم فى ليالى الآحاد والأعياد السيدية» (١).

وجاء فى صلاة مار سابا حساى ستار للسريان الأرثوذكس : «هب للمتزوجين أن يحفظوا الفرائض اليومية فى الأعياد والآحاد وفرائض الجمعة والأصوام، **ولا يقتربوا فى هذه الأيام إلى المضاجع، لأنهم يشتركون فيها فى الأسرار الإلهية** (٢).

رابعا : الليلة التى سيقدم الوالدان فى غدها على تعميد طفلهما، ونهار ذلك اليوم، (يوم التعميد)، وذلك «توقير الروح القدس» ولأن المرأة سترضع ولدها بعد العماد وتحمله على يديها وعليه الميرون المقدس (٣).

خامسا : الليلة التى يتم فيها سر الزواج المقدس، ولا سيما أن الزوجين يتناولان من الأسرار المقدسة أما قبل الزواج أو بعده مباشرة. فالإمتناع هو لتوقير الأسرار.

سادسا : فى أيام حيض الزوجة أو طمثها وأيام نفاسها..

ومدة الحيض سبعة أيام، ومدة النفاس أربعون يوما إذا كان المولود ذكرا وثمانون يوما إذا كان المولود أنثى (٤).

جاء فى القانون الحادى عشر من قوانين القديس باسيليوس الكبير خاصا بالأيام التى لا يقرب الرجل امرأته فيها «الأيام المقدسة التى للصوم لا تدنسها، **وأيام حيضها ونفاسها لا تقربها** لئلا تصير زيجتك بما لا يجب (أو لئلا تنضر وتضر زوجتك). اذكر ما أمرك به الرب من جهة موسى، قال : كلم جماعة بنى إسرائيل وقل لهم إذا دخل واحد إلى امرأة وهى طمثة،

---

(١) الطب الروحانى، الباب العاشر، الفصل الثالث.

(٢) كتاب منارة الأقداس للدويهى بطريرك أنطاكية طبعة سنة ١٨٩٥ صفحة ٢٧٧.

(٣) الطب الروحانى للأنبا ميخائيل أسقف أتريب ومليج، الباب العاشر، الفصل الثانى.

(٤) (سفر اللاويين ١٢ : ٢ – ٥)، (١٥ : ١٩).

فبهلاك يهلك، أو يموتان بغير ولد» (١) لأنهم لا يوقرون حين يلقون زريعة طاهرة فى دم. فلأجل هذا السبب المخزى يموت الإنسان بلا ولد (٢).

وجاء فى قوانين البابا كيرلس الثالث، بابا الأسكندرية المعروف بابن لقلق : «ولا يجوز (للزوجين) امتناع أحدهما عن الاجتماع بالآخر بلا ضرورة قاطعة فى غير الأوقات الممنوع فيها ذلك، وهى أيام الصوم المفروض... وأيام حيضها (حيض المرأة) ونفاسها» (٣).

وأما حكمة الشريعة فى ذلك فهى تحقيق الخير للإنسان ومنع الأضرار الصحية التى تعود عليه وعلى نسله أيضا لو أنه أقدم على الاختلاط الجنسى بالزوجة فى أيام حيضها ونفاسها.

جاء فى وصايا الرسل الكتاب السادس، والفصل الخامس : «يمنع اختلاط الرجال بنسائهم أثناء الظواهر الطبيعية، من أجل سلامة ذريتهم» (٤).

يقول الأنبا ميخائيل أسقف أتريب ومليج : «وكذلك الرجال يحرم عليهم من الله التقدم إلى نسائهم عند حدوث الطمث، وذلك حكم الله تعالى على الرجال والنساء حتى لا يكون فى أبدانهم علة الجذام ولا البرص. ولا يكون ذلك فى أولادهم. لأن ذلك الدم هو فساد الأبدان للأولاد» (٥).

---

(١) الإشارة إلى ما جاء فى سفر اللاويين «وإن ضاجع أحد امرأة طامثا فكشف سوءتها وعرى مسيلها وهى كشفت مسيل دمها، فليقطعا كلاهما من بين شعبهما» (اللاويين ٢٠ : ١٨) أنظر أيضا (اللاويين ١٢ : ٢ –٥) ، (١٥ : ٢٤) ، (حزقيال ١٨ : ٦) ، (٢٢ : ١٠) ، (صموئيل الثانى ١١ : ٤).

(٢) انظر كتاب قوانين القديس باسيليوس لناشره دير السيدة العذراء بالسريان، القاهرة ١٩٦٠ صفحة ٣٤٣ وكتاب الطب الروحانى للأنبا ميخائيل أسقف أتريب ومليج، الباب العاشر، الفصل الأول.
وكتاب المجموع الصفوى للشيخ الصفى ابن العسال لناشره جرجس فيلوثيئوس عوض، الطبعة الأولى، صفحة ٢٤٤.
أنظر أيضا كتاب قانون الكنيسة القبطية (أو الخلاصة القانونية فى الأحوال الشخصية لكنيسة الأقباط الأرثوذكسيين) للأيغوميئوس فيلوثيئوس إبراهيم، القاهرة ١٩٣٣ صفحة ٢٧ (وحاشية ٢)، وصفحة ٢٨ (وحاشية ١).

(٣) انظر المجموع الصفوى السابق ذكره صفحتى ٤٤١، ٤٤٢.

(٤) انظر التعليقات والشروح على القانون الثانى من قوانين البابا ديونيسيوس بابا الأسكندرية الرابع عشر فى كتاب The Rudder, by D.Cummings, Chicago, 1957, p. 719 and 720.

(٥) فى «الطب الروحانى»، الجزء الأول، الباب العاشر، الفصل الأول.

ويقول الشيخ الصفى ابن العسال : «أما الامتناع فى أيام دم الطمث والنفاس، فلما يحصل لعضو التناسل من الفساد، وما يعرض للأولاد المجبول بهم فى تلك الحال من الجذام والبرص... و... **فينبغى لكل أحد الامتناع فى أيام الدم الفاسد حفظا لجسده وأولاده**» (١).

وتأييدا لهذه الحقائق، وأثر الاختلاط الجنسى على صحة الإنسان النفسية والجسمية نورد هنا ما ذكرته مجلة «الدكتور» ردا على سؤال لأحد القراء :

س. م. أ. ر. زوجته وضعت حديثا، ويسأل عن الميعاد الذى يمكنه فيه الإتصال بزوجته بعد الوضع.

الجواب : **الاختلاط الجنسى لا يكون إلا بعد ٤٠ يوما** للأسباب الآتية :

١ ـ الاختلاط الجنسى فى الأسابيع الثلاثة الأولى بعد الوضع قد يلوث الجهاز التناسلى للأنثى بميكروبات قد يتسبب عنها حمى النفاس.

٢ ـ فى أثناء الأربعين يوما الأولى بعد الوضع تكون المسالك متسعة وتحتوى على افرازات كثيرة من مخاط ودم مما يجعل الاتصال الجنسى شيئا كريها (٢).

ويتصل بالموانع الصحية البحتة والتى لا ترقى إلى درجة القوانين الروحية الكنسية منع الاختلاط الجنسى بين الزوجين فى **أيام الحسوم**.

وأيام الحسوم ومدتها نحو عشرة أيام تبدأ بأول برمهات من كل عام، وقد تنتهى بالسابع أو الثامن أو التاسع منه،

ويقال أن **الاخصاب الجنسى فى هذه الأيام ضار بالنسل، فلا يكون مكتمل الخلقة لعدم ملاءمته الجو المناخى**. وهذه قاعدة تسرى على الاخصاب فى كل الكائنات الحية. من نبات وحيوان وإنسان.

تلك هى المناسبات التى يمنع فيها الإتصال الجنسى بين الزوجين. وذلك لخير الزوجين الروحى والصحى والنفسى ولخير النسل أو الذرية.

---

(١) المجموع الصفوى سالف الذكر صفحتى ٢٤٤ ، ٢٤٥.

(٢) مجلة «الدكتور» السنة الخامسة عدد ٥٦ (يناير ١٩٥٢) باب الدكتور فى خدمة الجميع، صفحة ٥٠٥.

٦٧ - هل يجوز إجراء الإكليل فى مساء الثلاثاء أو مساء الخميس ؟

سؤال : يسأل أحد الكهنة عما إذا كان من الجائز أن يتم الزواج وعقد الإكليل مساء الثلاثاء ومساء الخميس من أيام الأسبوع.

الجواب:

كان الأقباط قديما ولا يزالون يفضلون أن يتم عقد الإكليل السبت مساء، أو فى صباح الأحد قبل بدء القداس وبعد رفع بخور باكر. وعند الضرورة فى مساء الأحد أو مساء الأثنين.

أما أن يتم الإكليل مساء الثلاثاء أو مساء الخميس فهذا عمل يجب وقفه، احتراما وتقديسا لصوم يومى الأربعاء والجمعة، وهو من أصوام المرتبة الأولى، شأنه شأن الصوم الكبير، وأسبوع الآلام. فيوم الجمعة من كل أسبوع يمثل يوم الجمعة العظيمة، والأربعاء يمثل أربعاء البصخة، كما أن يوم الأحد فى كل أسبوع يمثل عيد القيامة المجيد. فكيف يليق بالمسيحيين أن يكسروا صوم يومى الأربعاء والجمعة بإجراء عقد الزواج فيه، إذ أن يوم الأربعاء يبدأ فعلا من مساء الثلاثاء، كما أن يوم الجمعة يبدأ من مساء الخميس؟ والمعروف عندنا نحن المسيحيين، أن شريعتنا المسيحية تمنع العلاقات الزواجية فى أثناء الصوم.

هذا إلى أن هناك سببا آخر لتفضيل إتمام عقد الزواج والإكليل فى يوم السبت مساء أو فى صباح الأحد هو أن العروسين، حسب ترتيب كنيستنا الأرثوذكسية، يتناولان من الأسرار المقدسة أثناء أو بعد عقد الإكليل مباشرة حتى يكون العهد بينهما على سر القربان المقدس، فيعيشان معاً بأمانة وإخلاص وقد أكلا معا، لا خبزا وملحا كما يفعل الناس عادة فى حالة الارتباط بعهد بينهم (التكوين ٣١ : ٤٦، ٥٤)، بل ما هو أسمى جدا من الخبز والملح، أى القربان المقدس.

جاء فى القانون الكنسى «أما ما سوى ذلك من الزواج فمباح بشرط تكليل الكاهن لهما ظاهرا فى الكنيسة بمحضر جماعة، ويقربهما وقت الإكليل» (قوانين المجمع الإكليريكى العام المقدس المنعقد سنة ٩٥٥ للشهداء (١٢٤٠م).

وقد كانت عادة الأقباط قديما، أن يتم عقد الإكليل مساء السبت، ثم يبيتان متباعدين فيما يعرف بقاعة العرسان، وفى الصباح يحضران القداس ويتناولان من الأسرار المقدسة. وكذلك الأمر إذا تم عقد الإكليل فى صباح الأحد بعد رفع بخور باكر وقبل بدء القداس، فإنهما

يحضران القداس ويتناولان معا من القربان المقدس، توطيدا لرباط المحبة والوفاء والإخلاص بينهما.

ولذلك لم يكن الكاهن يعطى الحل الكهنوتى للعروسين بعد عقد الإكليل مباشرة - كما يحدث فى كثير من الزواجات التى تتم اليوم - بل كان الكاهن يربط كلا من العروس والعريس بزنار أى برباط رمزى، ولا يعطيهما الحل مباشرة، وإنما كان يؤجل منح الحل، إلى بعد ظهر يوم الأثنين فى بيتهما، فيما يعرف بطقس حل الزنار (أى الرباط) ومنح الحل. وذلك كله توقيرا لسر الزيجة وسر القربان اللذين نالهما العروسان، بالامتناع أو الاحتراس الروحى من الملامسة الجسدية بينهما ثلاثة أيام كما أوصى الكتاب المقدس (سفر طوبيا ٦ : ١٨ - ٢٢) ، (٨ : ٤) ، (سفر الخروج ١٩ : ١٠، ١١، ١٥) ، (١ . صموئيل ٢١ : ٤ - ٦).

أنظر أيضاً ما كتبه بعض الأجانب عن عادات الأقباط فى الزواج مثلا ما كتبه :
EDWARD W. LANE, "The Manners & Customs of the Modern Egyptians, London 1915 p. 551.

كذلك كان الأقباط ولا يزالون يوقفون إتمام الزواج فى الأصوام العامة الأخرى المعروفة، وفى الأيام القليلة السابقة عليها، وهى الصوم الكبير، وصوم الميلاد، وصوم الرسل، وصوم السيدة العذراء، وصوم يونان، وصوم البرامون السابق على عيد الغطاس.

وقد كان وكيل عام البطريركية يوقف اصدار تصاريح الزواج، قبل بدء الصوم بأسبوع وكذلك يجرى الحال فى المطرانيات والاسقفيات وسائر الإيبارشيات.

٦٨ - هل يجوز عقد الإكليل في يوم الأربعاء أو الجمعة ؟

سؤال : من الأب المحترم .....

يطالبنا بعض الناس بعقد الإكليل فى يوم الأربعاء أو الجمعة، وإذ نرفض ذلك يغضبون، فنريد منكم جوابا واضحا وصريحا نواجه به أولئك البعض ممن يغضبون.

الجواب:

الأربعاء والجمعة من كل أسبوع على مدار السنة (فيما عدا أيام الخمسين المقدسة وعيدى الميلاد والغطاس) هما من أصوام المرتبة الأولى، لأنهما من أسبوع الآلام : فيوم الجمعة من كل أسبوع هو ذكرى يوم الجمعة العظيمة حيث صلب ربنا يسوع المسيح. ويوم الأربعاء يمثل يوم حبك المشورة والمؤامرة عليه بالصليب. فلا يجوز فيهما الزواج مثلهما مثل أسبوع الآلام.

ولما كان يوم الجمعة يبدأ طقسيا بعد الساعة السادسة من مساء الخميس، فلا يجوز عقد الزواج في يوم الجمعة ابتداء من الساعة السادسة من مساء الخميس. كذلك الحال بالنسبة ليوم الأربعاء فإنه يبدأ طقسيا فى الساعة السادسة من مساء يوم الثلاثاء.

لذلك لا يجوز إقامة الإكليل بعد الساعة السادسة من مساء يوم الثلاثاء أو الخميس.

٦٩ - هل يجوز الزواج فى يوم رفاع الصوم ؟

سؤال : من السيد صفوت داود يؤنس - اخميم.

هل يجوز الزواج فى يوم رفاع الصوم ؟

الجواب:

لا يجوز الزواج فى يوم رفاع الصوم.

قال الكتاب المقدس «قدسوا الصوم، ونادوا بالاعتكاف... وليخرج العريس من مخدعه والعروس من حجلتها. ليبك الكهنة خدّام الرب... ويقولوا اشفق يارب على شعبك» (يوئيل ٢ : ١٥ - ١٧).

ويقول الوحى على فم القديس بولس الرسول «وليقض الزوج امرأته حقها الواجب وكذلك المرأة أيضا حق زوجها... لا يمتنع أحدكما عن الآخر إلاّ على اتفاق بينكما وإلى حين كى تتفرغا للصوم والصلاة. ثم عودا إلى الاجتماع معا. مخافة أن يجربكما الشيطان» (١. كورنثوس ٧ : ٣ - ٥).

انظر أيضا (سفر الخروج ١٩ : ١٥) ، (١. صموئيل ٢١ : ٤، ٥) ، (طوبيا ٦ : ١٨)، (دانيال ٦ : ١٨).

وجاء فى القوانين الكنسية «ولا يقرب الرجل زوجته فى أيام الصوم» (قوانين القديس باسيليوس ١٧ - والمجموع الصفوى، الباب ١٤).

وعلى ذلك لا يجوز أن يعقد زواج فى يوم رفاع الصوم.

والمعروف أن تمتنع البطريركية والمطرانيات عن إعطاء تصاريح بعقد الإكليل قبل بدء الأصوام العامة بأسبوع.

٧٠ - الاختلاط بين الطلبة والطالبات

سؤال : من الابنة .....

تقول إنها فتاة جامعية، طالبة بالسنة الأولى بإحدى الكليات، تواجه مشكلة الاختلاط بين الطلبة والطالبات، وكانت قد سمعت أحد الكهنة يحذر البنات من الكلام مع الشباب، وتتساءل هل يمكنها أن تتجنب الكلام مع زميل لها. إنها تريد أن تتبين طريقها، وتعرف الممكن وغير الممكن، فى هذه المسألة التى تواجهها فتاة فى بدء حياتها الشبابية ؟

الجواب :

الاختلاط الجامعى صار ضرورة لا مفر منها، وهو صورة للاختلاط فى المجتمع الكبير، فى العمل، وفى طرق المواصلات، وفى المنتديات والمحافل العامة، وفى دور العبادة، وفى قاعات الاستماع للمحاضرات العامة والندوات... لذلك فإن من واجب الشباب أن يتكيف مع ظاهرة الاختلاط، ويحاول أن يفيد منها، وأن يحترس من أضرارها.

إن المربين ينصحون بالإختلاط بين الأولاد والبنات فى مرحلة التعليم الإبتدائى. وأكثرهم ينصح بالفصل بين الجنسين فى مرحلة التعليم الثانوى، وهى عادة مرحلة المراهقة، فيها تكون غريزة الجنس قد تفتحت، وقد لا يكون الفتى والفتاة قد بلغا بعد إلى درجة كافية من المقدرة على التحكم فى الغريزة بصورة ناجحة، فيخشى عادة من وقوعهما فى انحرافات وأخطاء. أما فى المرحلة الجامعية فيرحب المربون بالإختلاط مع الحذر من مخاطر الإختلاط، لأن الفتى والفتاة قد بلغا إلى سن وإلى درجة من النضوج الذهنى والنفسى يمكن معها التحكم فى الإنفعالات والعواطف. وعلى الرغم من ذلك فقد تحدث بعض الانحرافات، وقد حدثت بالفعل، ولو أنها محدودة، بتأثير التعاليم الدينية والتقاليد الاجتماعية.

وعلى ذلك نرى أنه لا مانع من الاختلاط الجامعى بين الطلبة والطالبات بشرط الحذر من الإنحرافات.

وننصح بأن لا يجتمع الفتى والفتاة على إنفراد، وأن يكون اختلاطهما فى قاعة الدرس، يجمع بينهم التفكير العلمى، ولا ينزلقان إلى الأحاديث المثيرة. وأن يحرص الفتى على إلتزام الأدب مع زميلته، وأن يحترمها كأخته، ولا يخدش حياءها بتعبير خارج عن اللياقة أو بتصرف شاذ. وعلى الفتاة بالمثل

أن تحرص على إلتزام الإحتشام فى كلامها وفى مظهرها. وعلى الاثنين أن يحرصا على عدم تجاوز الحدود فى علاقتهما الواحد بالآخر.

وهنا الأهمية القصوى للوازع الدينى، فهو الكفيل بأن يقى الفتى والفتاة شر الزلل والخطأ.

لذلك يجب تنمية العاطفة الدينية الروحية فى كل من الفتى والفتاة. ولعل الأسرات الجامعية التى تألفت لتجمع بين الشباب من الجنسين فى كل كلية جامعية ومعهد عال، علاج ضرورى لأخطاء الإختلاط وعيوبه. ففى كل أسرة جامعية يجتمع الطلبة والطالبات، ومعهم الخريجون والخريجات، يستمعون إلى درس دينى، يذكرهم بواجباتهم الروحية وينبههم إلى أهمية الأخلاق القويمة، ويبصرهم بحاضرهم ومستقبلهم، ويحل مشكلاتهم، ويجيب على أسئلتهم الحائرة، ويعرفهم بطريق الصلاح والحق. وهو أمر نافع ومفيد، ووقاية لهم من الأخطاء والإنحرافات.

٧١ ـ الأفضل أن تعالج عند طبيبة إمرأة (١)

العزيز م. أ.

سلام ونعمة وبركة.

ردا على استفساركم ما إذا كان لزوجتكم أن تعالج عند طبيب أمراض نساء وولادة مما يقتضى الكشف عليها، وأنتم تفضلون علاجها عند طبيبة امرأة.

نجيب بأنه **فعلاً من الأفضل أن تعالج زوجتكم عند طبيبة إمرأة، خصوصا إذا كانت هذه الطبيبة إخصائية فى أمراض النساء والولادة**، فليس من اللياقة أن تنكشف إمرأة على غير زوجها إلا عند الضرورة التى لا مفر منها. وفى بعض الأحيان تطلب الطبيبة نفسها، الطبيب الرجل فى أحوال خطيرة تجد نفسها فى حاجة إلى رأيه أو إلى تدخله.

ونعمة الرب تشملكم.

---

(١) كتب فى ٢٣ من اغسطس ١٩٨٦م ـ ١٧ مسرى ١٧٠٢ش.

٧٢ ـ الإمتناع بالإتفاق

سؤال : من السيد / م. ص. ع.

ويطلب أن تكون الإجابة على صفحات (وطنى).

الجواب :

إن رغبتكم فى التعفف عن العلاقات الزواجية بعد أن بلغتم من السن الكبر ينبغى أن تتقابل مع رغبة الزوجة التى تصغركم كقولكم، بعشر سنوات... إن الزوجين مرتبطان برابطة الزوجية التى تتطلب من كل منهما أن يرضى صاحبه ولا يرضى نفسه.. فليس يليق بأحد الطرفين أن يتعفف على حساب الطرف الآخر، مما قد يجعله يخطئ.

وعلى ذلك فطالما أن الزوجة غير راضية كما تقول، وكما يتضح من بعض تصرفاتها، فالواجب يقتضيك أن تسقط رغبتك من أجل إرضاء زوجتك، وتوفيرا لسلام الحياة الزوجية التى يعكر صفاءها تعارض الرغبات بين الزوجين.

يقول الكتاب المقدس صراحة فى الموضوع :

«يحسن بالرجل أن لا يمس إمرأة، ولكن لسبب الزنى، فليكن لكل رجل امرأته، وليكن لكل امرأة زوجها. وليوف الزوج امرأته حقها، وكذلك المرأة حق زوجها. لا سلطة للمرأة على جسدها، فإنما هو لزوجها. وكذلك الزوج لا سلطة له على جسده فإنما هو لامرأته. لا يمتنع أحدكما عن الآخر إلا على اتفاق بينكما، وإلى حين كى تتفرغا للصوم والصلاة. ثم عودا إلى الاجتماع معا مخافة أن يجربكما الشيطان لعدم عفتكما» (١. كورنثوس ٧ : ١ – ٥).

ويقول أيضا «لا يطلب أحد ما هو لنفسه، بل كل واحد ما هو للآخر» (١. كورنثوس ١٠ : ٢٤).

«فليرض كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنيان» (رومية ١٥ : ٢).

«المحبة لا تطلب ما لنفسها» (١. كورنثوس ١٣ : ٥).

«لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضا» (فيلبى ٢ : ٤).

«أيها الرجال أحبوا نساءكم، ولا تكونوا قساة عليهن» (كولوسى ٣ : ١٩) راجع أيضاً (١ كورنثوس ٧ : ٣٣، ٣٤) ، (١٠ : ٣٣).

على أنه يمكن إقناع الطرف الآخر بالتعفف عن هذه العلاقة فى بعض المناسبات الروحية، مثل ليالى الآحاد، والأصوام، وعند التقرب من القربان المقدس.

وإننى أخيرا أحيلكم على كتابنا «الرأى المسيحى فى تحديد النسل» وقد صدر ضمن منشورات أسقفية البحث العلمى فى مارس لسنة ١٩٧٦، ففيه إجابات على عدد من الأسئلة التى تتصل بالعلاقات الزواجية.

٧٣ - انحلال الرابطة الزوجية بالبطلان (١)

الابنة العزيزة.....

سلام لك أيتها الأبنة، لعلك بصحة جيدة، نفسية وروحية وجسدية.

لقد قرأت خطابك الأخير أكثر من مرة، وتابعت بإهتمام وعطف وإشفاق الأب، رحلتك الطويلة مع الظروف التى مررت بها ومرت بك، وهى مؤلمة بالنسبة لشابة صغيرة مثلك. ولكن لابد أن أقول لك أيتها الابنة أنك لست وحدك فى هذا الأمر، لقد حدث مثله لكثيرات غيرك، ويحدث، وسيظل يحدث أمثاله. وهو جزء من مسيرة الحياة الزوجية.

ولقد قرأت كذلك قصة حصولك على قرار المحكمة بإنحلال الرابطة الزوجية بالبطلان، وهو حكم لصالحك روحيا ونفسيا وجسديا، ويبرئك من كل إتهام أمام الجميع، فلا مجال لأحد بعد هذا الحكم الموثق طبياً أن يعترض على حقك الطبيعى فى الانفصال، أمام المحكمة المدنية وأمام السلطة الكنسية.

إن هذا الحكم الشرعى والموثق بشهادة الطبيب، يبرئك من المسئولية أمام الله والناس، ويخول لك الحق فى الزواج. ومادام زواجك ذاك قد صار باطلاً لإنعدام شرط أساسى لقيام الرابطة الزوجية، فإن من حقك الزواج من جديد، وهذا يعد بالنسبة لك الزواج الأول، لأن ذاك عد باطلاً وكأنه لم يكن.

أسأل الله يا ابنتى أن يوفقك وأن ينجح حياتك، ويحفظك بنعمته، سعيدة، ويمسك بيمينك، ويسخر كل الأشياء وكل ما حدث لخيرك الأبدى والزمنى.

أرجو يا ابنتى أن لا تتشاءمى، وأن لا تفترى عن الصلاة الدائمة، والقراءة فى الكتاب المقدس والكتب الروحية، وأن لا تنقطعى عن التناول من الأسرار المقدسة، وأن تطلبى نعمة الله لتحل عليك وتعينك، وتقويك، لتظلى صامدة ثابتة، لا يتزعزع إيمانك فى أن الله قادر أن يمنحك معونته ومساندته لتسيرى فى طريق السماء بغير عوج أو انحراف، عاملة بمرضاته تعالى.

سلام لك أيتها الابنة وسلام لوالديك. وقد وصلنى خطاب السيدة والدتك، وهى تؤيدك فيما قلتيه. وسلام لوالدك العزيز - الرب يباركك جميعا، ونعمته فلتشملكم.

---

(١) كتب فى ١من فبراير ١٩٨٩م - ٢٤ من طوبه ١٧٠٥ش.

٧٤ ـ التطليق بالبطلان (١)

الابن الشماس ب. ب. سلام ومحبة ونعمة وبركة.

رداً على سؤالكم عن التطليق بالبطلان وهل يتم هذا عن طريق الكنيسة أو عن طريق المحكمة ؟

نقول إن (التطليق بالبطلان) مصطلح قانونى يستخدم للدلالة على عقد زواج لا تتوافر فيه الشروط الأساسية القانونية للزواج الصحيح.

فإذا كان الرجل ناقص الرجولة لعيب خلقى فى تكوينه البدنى أو فى جهازه التناسلى.

أو إذا كانت المرأة ناقصة الأنوثة لعيب خلقى فى تكوينها البدنى أو فى جهازها التناسلى.

فإن مثل هذا العقد لو أنه تم، فإنه يعد باطلاً لأن شرط الزواج الأساسى غير متوافر. وفى هذه الحالة يمكن حل الرابطة الزوجية بحجة (البطلان). ولا يعتبر الفصل بالبطلان طلاقا، وإنما الأصح أن يسمى (تطليق) أى الفصل بين الرجل والمرأة واحتساب الزواج غير قائم أصلاً. وعندئذ يصرح للمرأة إذا كان الرجل هو الناقص فى رجولته ـ أن تتزوج بآخر. ويعد الزواج الأخير بالنسبة لها هو الزواج الأول ـ أما زواجها من ذلك الرجل فيعد باطلاً، وكأنه لم يكن.

وكذلك الحال بالنسبة للرجل لو أنه اتضح أن المرأة التي تزوجها ناقصة الأنوثة، فيمكن التفريق بينهما بالبطلان، ويمكن للرجل عندئذ أن يتزوج أخرى، ويعد زواجه بهذه الأخيرة هو زواجه الأول.

وعلى سبيل المثال، قد يعقد زواج بين رجل وامرأة، وتظل المرأة عذراء عددا من السنين ـ فى هذه الحالة يمكن للمرأة أن تطلب (التطليق بالبطلان)، بشكوى ترفعها أمام المحكمة الوطنية.. وفى هذه الحالة يلزم تقرير طبى من الطبيب الشرعى بعد الكشف على الزوجة والتحقق من أنها لاتزال بكرا بسبب عجز الرجل، أما النقص فى بذور الرجل فلا يعد سبباً للطلاق طالما أن اللقاء بين الزوجين ممكن.

فالحكم بالتطليق يصدر من المحكمة الوطنية. أما الكنيسة أو المجلس الإكليريكى فيمنح المرأة التصريح بالزواج من رجل آخر مكتمل الرجولة.

ولابد فى جميع الأحوال من شهادة من الطبيب الشرعى، حتى يمكن للمحكمة أن تصدر حكمها بالتطليق بالبطلان، بناء على تقرير من الطبيب الشرعى.

---

(١) كتب فى ١٩ من مايو ١٩٩٠م ـ ١١ من أبيب ١٧٠٦ش.

٧٥ - الحكم فى رجل متزوج زنى بفتاة بكر

سؤال : من السيد / ن. ب. غ.

يقول ما حكم الدين المسيحى فيما إذا زنى رجل متزوج بفتاة بكر فحملت منه، وأراد أن يتزوجها شرعيا فلم يسمح له، فضمها إلى بيته لتقيم مع زوجته ؟

الجواب :

أن مثل هذا الرجل - إذا وجد - هو زان ويعيش الآن حياة زانية، وفتاته أيضاً زانية تعيش حياة عاهرة داعرة. فإذا أراد الخلاص، حرصا على أبديته، فلا خلاص له إلا إذا تاب توبة صادقة. وهذا يقتضيه الندم الحقيقى على ما صدر منه، كما يقتضيه الإمتناع عن هذه العلاقة الآثمة بتلك الفتاة، ويعود إلى زوجته، فهى وحدها زوجته لأن المسيحية لا تبيح الزواج بغير واحدة.

أما الفتاة التى زنى بها فيتركها، ولكنه يجب أن يتحمل وزر جريمته معها.

فالابن (أو الابنة) نتيجة العلاقة الآثمة صار هو مسؤولا عنه يربيه كأولاده من الزوجة الشرعية وينفق عليه.

أما الفتاة، فعليه أيضاً أن يرضيها بالانفاق عليها فى بيت والديها إلى أن تتزوج. فإذا لم تتزوج وجب أن ينفق عليها إلى نهاية الحياة.

إن التوبة الحقيقية تقتضى أن لا يتنصل الإنسان من تبعة خطيئته، بل بالأحرى أن يتحمل نتيجة أخطائه وخطاياه.

وكذلك الأمر فى شأن الفتاة. فإنه لا خلاص لها بغير توبة صادقة.

والتوبة الصادقة تقتضى الندم الحقيقى، كما تقتضى تصحيح الخطأ، بالإمتناع عن حياة الزنى وتفارق الرجل الذى زنى معها، وتتركه لزوجته الشرعية، وتغادر بيته إلى بيت والديها، وتتحمل نتيجة خطيئتها بأن تبقى غير متزوجة، أو إلى أن تجد لها زوجا يرتضيها ويتزوجها زواجا شرعيا.

٧٦ ـ الزواج توافق بين روحين

العزيزة المحترمة السيدة ك. أ.

سلام أيتها الابنة، ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح أرجو لكِ موفور الصحة والسلام الروحانى والعزاء السماوى.

لقد تأثرت كثيرا لوفاة زوجك المرحوم ..... والفراغ الذى تركه بوفاته، فى حياتك والمسئولية الكبيرة التى تحملها إمرأة لها عدد من الأبناء ـ الرب يعينك على هذه المسئولية الكبيرة، روحيا وماديا.

وإننى مع تقديرى لمشاعرك وظروفك أجد أن اعتراضك على زواج ابنك، من الفتاة التى تعلق بها، يجب أن يتوقف بل يتبدل إلى موافقة وإلى مباركة منك، وبهذا تكسبين ابنك وتربحين زوجته كابنة لك. ولا شك أنك بوصفك امرأة ناضجة وحكيمة تعلمين أن الزواج توافق بين روحين، فاعتراض الأم لا يفيد، وإنما على العكس يثير روح العناد فى الشاب. وفى بعض الأحوال قد يسافر الابن إلى بلد بعيد مع عروسه ليتمم زواجه بها، فضلاً عما يتولد عن اعتراض الأم من عدم التوافق وسوء العلاقات.

لذلك ننصح لخيرك وخير أسرتك وخير ابنك أن تباركى هذا الزواج، وبروح الأمومة التى تبتغى دائماً كل العطف والحنان على الابن والابنة أن تستثمرى حنانك وأمومتك بأن تستدعى ابنك وزوجته وتبدى لهما موافقتك على هذا الزواج، لأنك تريدين لها السعادة والهناء ـ وبذلك تكسبين مودتهما وطاعتهما ومساندتهما لك وللأسرة وللبنات الأخريات.

إنى أصلى أن يبارك الله حياتك ويعينك على التصرف الحكيم وأن يقويك على تحمل أعباءك ومسئولياتك،

ونعمة الرب تشملك.

٧٧ - الزواج رابطة إلهية مقدسة وتعقد فى الكنيسة، بيت الرب والكاهن ملتحف بملابسه الكهنوتية

سؤال : من الابن س. ل. ر.

يلح علىّ سؤال هام. أرجو الإجابة عليه بصحيفة وطنى، وسؤالى : هل يصح عقد القران، (إكليل سر الزواج) فى مكان خارج الكنيسة، إذ أننى دعيت لحضور مراسم عقد قران أحد زملائى باحدى المراكب السياحية بعرض النيل، ويقوم به لفيف من الآباء الكهنة؟ هل يعتبر هذا الإكليل صحيحاً من وجهة نظر الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ؟

الجواب :

من حيث المبدأ، وكقاعدة عامة، يجب عقد الإكليل فى الكنيسة، بيت الرب، وقدام هيكل رب الجنود، والكهنة ملتحفون بملابسهم الكهنوتية، وذلك إعلانا وتوكيدا على أن الزواج سر مقدس، ورابطة إلهية يربطها ويعقدها الرب الإله وهو بروحه القدوس يحل على العروسين فيصيران بفعل الروح القدس جسداً واحداً، وبفاعلية هذا الحلول يصير جسداهما جسداً واحداً، وبناء عليه يحل أحدهما للآخر، فيكون جسد كل منهما كجسده تماما، وعليه يصير لكل منهما سلطان على جسد الآخر. وفى هذا يقول المسيح له المجد «يترك الرجل أباه وأمه ويرتبط بزوجته، فيصيران الاثنان جسداً واحداً، فلا يكونان بعد اثنين إذن، وإنما جسداً واحداً» (متى ١٩ : ٥، ٦).

فمن حيث المبدأ ومن أجل هذه الحقيقة فى فاعلية سر الزواج وأن الله هو الذى يربط بين الزوجين، ويوحد بين جسديهما، فيصيران جسداً واحداً، رسمت الكنيسة أن يتم عقد الزواج فى الكنيسة بيت الرب، وقدام الهيكل المقدس، والكاهن أو الكهنة ملتحفون بملابسهم الكهنوتية.

على أنه قد حدث فى فترات الاضطهاد، أنه كان يعتدى على موكب العروسين فى طريقهما إلى الكنيسة، فأجازت السلطة الكنسية آنذاك وفى تلك الظروف التاريخية، أن يباشر عقد الإكليل بمعرفة الكاهن فى البيوت، محافظة على حياة العروسين وحماية لهم من اعتداءات المشاغبين.

أما وقد زالت تلك الظروف التاريخية فينبغى العودة إلى المبدأ القديم والأصيل وهو مباشرة عقد الزواج فى الكنيسة، وقدام هيكل رب الجنود وأمام مذبحه، والكهنة ملتحفون بملابس الخدمة الكهنوتية.

٧٨ ـ الزواج رابطة مقدسة، فلا تحتقره بحجة الرهبنة

سؤال : من السيد ب. ن. أ.

يقول أنه تزوج على الرغم منه مجبرا، وقد كان يرغب فى الرهبنة، فلما تزوج أصابته أمراض نفسية، فماذا يفعل ؟

الجواب :

ردا على خطابك بتاريخ ٧٩/٩/١ أفيد بأن مرضك النفسى كما ذكرت أنت متسبب عن رغبتك فى الرهبنة، وإحساسك أنك تزوجت على الرغم منك.

وأريدك أن تعلم أيها الابن أنه يمكنك وأنت متزوج أن تكون أفضل من راهب، لو عرفت أن تقتنى إناءك بقداسة وبر. أنه يمكنك أن تعيش قديسا وأنت متزوج، وأن تكون عائلة مسيحية مثالية، وأن تكون أبا لأولاد منهم رهبان وغير رهبان.

إن طريق القداسة ليس وقفا على الرهبان. فما أكثر القديسين من المتزوجين. إن إبراهيم أبا الآباء صار بالزواج أبا لأمة كبيرة، وفى أحضانه تلتقى أرواح القديسين من الرهبان والمتزوجين.

وكذلك الأمر بالنسبة لأبينا اسحق، ويعقوب أبى الأسباط من بنى إسرائيل، وكذلك أعاظم الأنبياء من أمثال يوسف الصديق، وموسى، وصموئيل وداود وغيرهم عشرات الألوف من القديسين.

واعلم أن الزواج فى المسيحية ليس مجرد متعة جسدية مباحة وإنما هو أولا وبالذات مسؤولية كبيرة ضخمة. فلقد صرت بالزواج مسؤولا عن امرأة يمكنك أن تسير بها ومعها فى طريق السماء، ويمكنك أن تكون سببا فى خير كبير يعود عليها فى الحياة الدنيا والأخرى، فأنت بزواجك منها وبحنوك عليها واهتمامك بها ترضيها، وتسعدها، وتبهج قلبها، فتكون لها أبا وزوجا وأخا، وفى ذلك خدمة روحية تؤديها أنت لله وللإنسانية المعذبة التى تحتاج إلى رجال ذوى مروءة يكونون أسرات مثالية وعائلات نموذجية، يعرفون كيف يخلصون المرأة مما قد تتعرض له من متاعب ومضايقات وإنحرافات.

لو كان فى ذهنك أن الرهبنة عندك لخلاص نفسك، فاعلم أن الزواج لا يمنعك من خلاص نفسك إذا سرت فى طريق الفضيلة، وبالأحرى يعطيك فرصة لأن تحمل معك فى طريق

الخلاص امرأة، هى نصفك الثانى، وهى جسدك، برابطة سر الزيجة الطاهر. قال الوحى الإلهى «كيف تعلم أيها الرجل هل تخلص المرأة» ؟.

ألم يقل الكتاب المقدس «أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الإنفصال..» «ولا يترك الرجل زوجته».

ألم يقل أيضا «وإن تزوجتَ لم تخطئ» ؟ (١ . كورنثوس ٧ : ١١، ١٦، ٢٧، ٢٨).

فالزواج يا ابنى رابطة مقدسة، فلا تهمله ولا تحتقره. أنه يعطيك فرصة لابراز فضائل روحية كثيرة، والتدرب عليها وممارستها، ومنها : الإهتمام بغيرك قبل الإهتمام بنفسك، إحترام مشاعر الآخرين، التضحية، الحب المخلص الطاهر، التعاون، الإحتمال، الصبر، وضبط النفس، وضبط الإنفعال، وبذل النفس من أجل الغير، العمل والكفاح المتواصل فى كافة المجالات الروحية والعلمية والعملية من أجل الأسرة، وبالتالى من أجل المجتمع.

أيها الابن، دع عنك الأفكار المثبطة لهمتك. ولا تضيع وقتك، ولا تتلف أعصابك بالأسى والأسف على أنك تزوجت على الرغم من إرادتك، بحجة أن طريق الرهبنة أفضل.

إن طريق الرهبنة طريق الكمال، ولكن لأولئك الذين لهم الإستعداد له، وهو طريق صعب. بينما أن طريق الزواج هو الطريق الوسط. وقد قال الآباء الروحانيون أن طريق الوسط يخلص كثيرين.

فاقبل برضى طريقك، وهو طريق فى ذاته صالح وخير، وقد سار فيه كثيرون جدا من أعاظم القديسين، ليتك تكون واحدا منهم. وتتوافر بروح الشكر والحمد لله على أن تكون زوجا مثاليا، وأبا صالحا لأولاد تنشئهم فى مخافة الله وطاعته، شاعرا بأن الزواج مسؤولية خطيرة، فيجب أن تعمل بروح التقوى والإيمان والصبر، لتكون أهلا لهذه المسؤولية، حتى إذا انتهت فترة إقامتك فى الدنيا، ودخلت إلى الحياة الأخرى، وقفت أمام الرب سيدك وخالقك تقول بإتضاع العبيد الأمناء «هاأناذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب» (إشعياء ٨ : ١٨)، (العبرانيين ٢ : ١٣) وأعلم أن زوجتك أيضا هى من أولادك لأنها مسؤوليتك وهى أيضاً أم أولادك.

أريدك أن تسلك بحسب دعوتك الحاضرة كزوج مسؤول عن زوجة مرتبطة بك إرتباطا مقدسا إلهيا، برباط الزيجة الطاهر الذى جمعك الله فيه وبه مع شريكة حياتك لولادة أولاد صالحين. وليكن شعارك منذ الآن وإلى يوم الدينونة ،الذين أعطيتنى حفظتهم، ولم يهلك منهم أحد، (يوحنا ١٧ :١٢).

٧٩ - الزواج رسالة ورسالتك زوجك وابنتك (١)

العزيزة السيدة .....

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

ردا على خطابك بتاريخ أول يناير ١٩٨٠ أفيد الآتى :

أولا - بما أنك قد تزوجتى، طاعة لوالدك ولأسرتك، وخضوعا لنصيحة أب اعترافك، فقد صنعت حسنا. والآن عليك أن تقبلى الزواج على أنه ليس متعة كما يقولون، لكنه رسالة. ورسالتك الآن هى فضلا عن نفسك، هى زوجك، وابنتك، ومن يعطيهم الرب لك مستقبلا. يقول الكتاب المقدس «الدعوة التى دعى فيها كل واحد، فليلبث فيها» (١ . كورنثوس ٧ : ٢٠) «لأنه كيف تعلمين أيتها المرأة هل تخلصين الرجل» (١ . كورنثوس ٧ : ١٦) «كذلك أيتها النساء كن خاضعات لرجالكن، حتى وإن كان البعض لا يطيعون الكلمة يربحون بسيرة النساء بدون كلمة، ملاحظين سيرتكن الطاهرة بخوف» (١ . بطرس ٣ : ١، ٢).

ذكرت أن زوجك قال لك أنه عصبى. ولم تذكرى أخطاءك معه. لذلك وجب أن تتكيفى معه، وتحاولى أن ترضيه (١ . كورنثوس ٧ : ٣٤).

وقال الكتاب المقدس «ليوف الرجل المرأة حقها الواجب، وكذلك المرأة أيضا الرجل. ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل... لا يسلب أحدكم الآخر حقه إلا أن يكون على إتفاق بينكما...» (١ . كورنثوس ٧ : ٣ - ٥).

ويقول أيضا «لا تفارق المرأة رجلها. وأن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها» (١ . كورنثوس ٧ : ١٠، ١١).

ويقول «الدعوة التى دعى فيها كل واحد، فليلبث فيها».

ربما بسبب رغبتك السابقة فى الرهبنة، تقصّرين فى واجباتك نحو زوجك، ولا تمنحينه الإهتمام الواجب. وأعلمى أن الرجل - ولا سيما العصبى - يحتاج إلى حنان المرأة كأنه طفل كبير.

---

(١) كتب فى ١٣ من مايو ١٩٨٠م - ٥ من بشنس ١٦٩٦ ش.

ربما صببت كل همك فى إبنتك، وتركت الإهتمام بزوجك - ربما بسبب عملك ولكثرة خروجك لسبب أو لآخر، بحجة الخدمة أو ما إليها، شعر زوجك بأنك تهملينه، لذلك عليك أن تبحثى عن أسباب تعبه قبل أن تبحثى عن أسباب تعبك أنت معه. أنت كخادمة عليك أن ترضيه، وأن تعطيه الصورة الحسنة للزوجة المسيحية. وإلا كنت سبب عثرة له، وربما يهلك بسببك فى الدنيا والآخرة. إن المرأة الحكيمة يجب أن تبذل جهدها لتكسب إليها زوجها، بلطفها، وحلمها، وكياستها، وردودها الرقيقة، وكلماتها الحلوة، وإبتسامتها، وعدم الرد على إساءات زوجها، وأن تظهر أمامه نظيفة جميلة، ولا تتشاغل عنه عندما يكون فى البيت، بل تمنحه وقتها وعواطفها وترضيه أكثر مما ترضى نفسها.

لا تكثرى الشكوى منه، فإن هذه الشكاوى تضايقه لأنها تسئ إلى سمعته. اصبرى واصمدى وخطئى نفسك، وحاولى أن ترضيه، وكونى ذكية فتفهمى ما يريده بدون أن يقول لك ذلك صراحة.

أنصح لك أيضاً بأن تقرأى كتابنا عن «الأم» ثم «الدرس الأول للمرأة».

الرب يتولى بنعمته حياتكم بسلامه الدائم،،،

٨٠ - الطلاق لا يجوز فى المسيحية
إلا لسبب الزنى وما هو فى حكم الزنى
أو الموت وما هو فى حكم الموت (١)

سؤال : من أحد الآباء الكهنة.

جاء فى الإنجيل للقديس متى (وجاء إليه فريسيون أيضاً يجربونه قائلين له : أيحل للرجل أن يطلق زوجته لكل سبب؟ فأجاب وقال لهم : (أما قرأتم أن الذى خلقهما فى البدء جعلهما ذكراً وأنثى؟) وقال : (لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويرتبط بزوجته، فيصير الاثنان جسداً واحداً، فلا يكونان بعد اثنين إذن، وإنما جسداً واحداً. ومن ثم فما جمعه الله لا ينبغى أن يفرقه الإنسان). فقالوا له : (لماذا إذن أوصى موسى بإعطائها وثيقة طلاق وإخلاء سبيلها). فقال لهم: (إن موسى بسبب قسوة قلوبكم قد سمح لكم بتطليق زوجاتكم. أما فى البداية فلم يكن الأمر هكذا. وأنا أقول لكم إن كل من طلق زوجته لغير علة الزنا وتزوج بأخرى فقد زنى، وكل من تزوج بمطلقة فقد زنى) (متى ١٩ : ٣ - ٩).

هذا النص المقدس يثير سؤالين :

السؤال الأول : هل كان فى سلطة موسى النبى أن يخالف أمرا إلهيا بعدم الطلاق من أجل قسوة قلوبهم ؟.

والسؤال الثانى : هل يصلح هذا السبب (قسوة قلوب الناس) أن يكون سبباً للطلاق فى أيامنا هذه إذا تعذر الوصول إلى حلول سلمية للمشاكل الزوجية بسبب قسوة قلب أحد الزوجين أو كليهما ؟

الجواب :

لاشك أن النبى موسى عندما أجاز للرجل أن يطلق زوجته، وإذا طلقها فليكتب لها (كتاب طلاق ويدفعه إلى يدها ويصرفها من بيته) (سفر التثنية ٢٤ : ١). لم يكن ذلك منه مخالفة لله، ولابد أنه لم يتصرف من تلقاء نفسه، وإنما بصفته نبياً لله وكليم الله. وقد قال عنه الرب لهارون (وأما عبدى موسى... هو أمين فى كل بيتى **فماً إلى فم أخاطبه**، وعيانا أتكلم

---

(١) كتب فى ١٩من نوفمبر ١٩٩١م - ٩ من هاتور ١٧٠٨ش.

معه لا بالألغاز وشبه الرب يعاين) (سفر العدد ١٢ : ٧ ، ٨). وجاء عنه فى سفر الخروج **(ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه)** (الخروج ٣٣ : ١١).

وعلى ذلك فإن إجازة الرجل فى طلاق زوجته لا يمكن أن تكون من غير أمر إلهى بذلك. فإذا قال المسيح له المجد (إن موسى بسبب قسوة قلوبكم قد سمح لكم بتطليق زوجاتكم) فالمفهوم ضمنا **أن موسى قد سمح بذلك بناء على تفويض من الله الذى كان يتكلم معه فما لفم**، ولذلك فإن الشريعة الإلهية فى العهد القديم سميت فى غير موضع بأنها **شريعة موسى** ذلك لأن موسى هو الذى تلقاها من الله، ومن ثم أبلغها موسى لبنى إسرائيل. فلم يكن موسى هو صاحب الشريعة، لكنه هو النبى الذى نقل للشعب ما أمر الله به. جاء فى سفر العدد قوله (كما كلم الرب موسى هكذا فعل بنو إسرائيل) (العدد ٥ : ٤).

جاء فى سفر الملوك الأول قوله (ولما دنا يوم وفاة داود أوصى سليمان ابنه وقال : أنا ذاهب فى طريق أهل الأرض كلها فتشدد وكن رجلاً. واحفظ شعائر الرب إلهك واسلك فى طريقه واحفظ رسومه ووصاياه وأحكامه وشهاداته على ما هو مكتوب فى شريعة موسى لكى تفلح فى كل ماتعمل) (١. الملوك ٢ : ١، ٢).

وجاء فى سفر نحميا (واجتمع الشعب كله كرجل واحد فى الساحة التى أمام باب المياه وتكلموا مع عزرا الكاتب أن يأتى بسفر **شريعة موسى** التى أمر بها الرب إسرائيل) (نحميا ٨ : ١).

وجاء فى صلاة النبى دانيال (فتعدى جميع إسرائيل شريعتك، وزاغوا غير سامعين لصوتك، فسكبت علينا اللعنة والحلف المكتوب فى **شريعة موسى** عبد الله لأننا أخطأنا إليه فأقام كلامه الذى تكلم به علينا وعلى قضاتنا.... كما كتب فى **شريعة موسى** حل علينا جميع هذا الشر...) (دانيال ٩ : ١١ - ١٣).

وجاء فى سفر ملاخى (اذكروا **شريعة موسى** عبدى التى أوصيته بها فى حوريب إلى جميع إسرائيل، الفرائض والأحكام) (ملاخى ٤ : ٤).

وجاء أيضا فى الإنجيل كما كتبه القديس لوقا : (ثم لما تمت أيام التطهير على مقتضى **شريعة موسى**، صعدوا به إلى أورشليم ليقدماه للرب، عملاً بما هو مكتوب فى شريعة الرب من أن كل فاتح رحم من الذكور يدعى مكرسا للرب) وليقدما الذبيحة التى تفرضها شريعة الرب وهى زوجا يمام أو فرخا حمام) (لوقا ٢ : ٢٢ - ٢٤).

والخلاصة، إن إباحة الطلاق لبنى إسرائيل لا يمكن إلا أن تكون بتصريح من الله إلى نبيه موسى الكليم بعد أن أساء بعض الرجال من بنى إسرائيل إلى زوجاتهم، وأهانوهن أو ضربوهن أو ربما قتلوهن. فكان هذا التصريح وهذه الإباحة بالطلاق، هى لدرء شر أثقل، بالسماح بارتكاب شر أخف وهو الطلاق.

جاء فى سفر التثنية (إذا اتخذ رجل امرأة وتزوج بها، فإن لم تجد نعمة فى عينيه لعيب أنكره عليها، فليكتب لها كتاب طلاق ويدفعه إلى يدها ويصرفها من بيته) (سفر التثنية ٢٤ : ١). ومع ذلك أوضح الكتاب المقدس أن الطلاق وإن أبيح دفعاً لضرر أكبر واتقاء لشر أعظم، لكنه أمر مكروه من الله قال (فاحذروا لروحكم ولا يغدر أحد بامرأة شبابه، **لأنه يكره الطلاق قال الرب إله إسرائيل**) (ملاخى ٣ : ١٥، ١٦).

ولقد وبخ الرب مراراً شعب بنى إسرائيل على قسوتهم وعنادهم ووصفهم فى غير موضع بأنهم (شعب صلب الرقبة) (وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب قساة الرقاب) (الخروج ٣٢ : ٩)، (٣٣ : ٣، ٥) ، (٣٤ : ٩) ، (التثنية ٩ : ٦ ، ١٣) ، (١٠ : ١٦) ، (٣١ : ٢٧) ، (٢ . الملوك ١٧ : ١٤).

وعلى ذلك فلا يؤخذ كلام المسيح له المجد على أن موسى النبى خالف الوضع الإلهى فى الزواج، بل على العكس، إن إباحة الطلاق كانت استثناء اقتضته الضرورة بسبب قسوة قلوب بعض الرجال على النساء.

ثم أضاف المسيح له المجد ما يؤكد على هذه الحقيقة، أن إباحة الطلاق استثناء على قاعدة، وهو استثناء تطلبته رحمة الله بإزاء شر بعض الناس ثم أردف يقول (أما فى البداية فلم يكن الأمر هكذا).

وعلى ذلك فلم يكن فى كلام المسيح له المجد تناقض مع شريعة العهد القديم، وإنما أراد أن يرد الناس إلى الأصول القديمة منذ بدء الخلق (أما قرأتم أن الذى خلقهما فى البدء جعلهما ذكراً وأنثى) ففى هذا القول الإلهى تصحيح لأخطاء الناس فى تطبيقهم لشريعة الزواج، وردهم إلى الصورة الأولى التى خلق الله الإنسان عليها (الذى خلقهما جعلهما ذكراً وأنثى) وبيان بأن الطلاق لم يسمح الله به قديماً إلا من قبيل العلاج وتفاديا لشر بعض الناس، وإنقاذا وخلاصاً للمرأة من قسوة الرجل وتجبره.

ومع ذلك أباح المسيح له المجد الطلاق، لعلة واحدة هى (الزنا) فقال (وأنا أقول لكم إن كل من طلق زوجته لغير علة الزنا، وتزوج بأخرى فقد زنى) (متى ١٩ : ٩) (إن كل من طلق زوجته إلا لعلة الزنى فقد جعلها تزنى. وكل من تزوج بمطلقة فقد زنى) (متى ٥ : ٣١) فالطلاق فى المسيحية ممنوع من حيث المبدأ، ولا يجوز للرجل أن يطلق زوجته بالإرادة المنفردة، ولا بالإرادة المتفقة بين الرجل والمرأة، (لأن ما جمعه الله لا ينبغى أن يفرقه الإنسان) (متى ١٩ : ٦) ، (مرقس ١٠ : ٩) وقال (إن طلق رجل زوجته وتزوج بأخرى فقد زنى فى حقها، وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر فقد زنت) (مرقس ١٠ : ١١، ١٢) (كل من طلق زوجته وتزوج أخرى فقد زنى، وكل من تزوج التى طلقها زوجها فقد زنى) (لوقا ١٦ : ١٨).

وهنا يتضح وضع الزواج فى الشريعة المسيحية :

أولاً : إنه رباط إلهى مقدس، يجمع الله فيه بين الرجل والمرأة ومن هنا لابد أن يتم هذا الربط بمعرفة الكاهن، بوصفه ممثلاً للسلطة الإلهية. ولذلك يجب أن يكون الكاهن ملتحفاً بملابسه الكهنوتية، لأنه يعقد الزواج ممثلاً للسلطة الإلهية.

ثانيا : ومادام الله هو الذى يربط ويجمع بين الزوجين بمعرفة الكاهن ممثلاً للسلطة الإلهية، فلا يجوز حل رباط الزيجة المقدس لا بالإرادة المنفردة لأى من الرجل أو المرأة، ولا بإرادتهما المتفقة معاً، وإنما يجب أن يكون ذلك بمعرفة السلطة الكنسية. من هنا يكون الطلاق بالإرادة المنفردة أو المتفقة لا يكفى لإنحلال الزيجة، ولذلك فإن الرجل إذا طلق زوجته من دون السلطة الكنسية، وتزوج بأخرى يعد زانيا، لأنه فى الواقع لايزال مرتبطا روحيا بالمرأة حتى لو طلقها بإرادته. وهذا هو معنى قول المسيح (كل من طلق زوجته وتزوج بأخرى فقد زنى، وكل من تزوج التى طلقها زوجها فقد زنى) (لوقا ١٦ : ١٨).

أما إذا أقرت السلطة الكنسية انحلال الزيجة بسبب الزنا، أو ما هو فى حكم الزنا، أو بسبب الموت وما هو فى حكم الموت، فإن زواج الرجل بامرأة أخرى أو زواج المرأة برجل آخر جائز ومشروع ولا يعتبر زنا.

(وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب، أن لا تفارق المرأة زوجها. وإن فارقته فلتبق بغير زوج أو فلتصالح زوجها، وعلى الزوج أن لا يطلق زوجته) (١. كورنثوس ٧ : ١٠، ١١).

(فالمرأة المتزوجة تربطها الشريعة بزوجها مادام حياً. فإذا مات زوجها، حلت من رباط شريعة زوجها. فإذن إن صارت إلى رجل آخر وزوجها حى، تدعى زانية، ولكن إذا مات زوجها تحررت من الشريعة، فلا تدعى زانية إن صارت إلى رجل آخر) (رومية ٧ : ٢، ٣).

* * *

أما عن **السؤال الثانى**، وهل يصلح هذا السبب (قسوة قلوب الناس) أن يكون سببا للطلاق فى أيامنا هذه إذا تعذر الوصول إلى حلول سلمية للمشاكل الزوجية بسبب قسوة قلب أحد الزوجين أو كليهما.

والجواب :

إن على السلطة الكنسية، وهى المجلس الإكليريكى، أن ينظر فى أسباب الخلاف بين الرجل وزوجته.

لقد صرح المسيح له المجد بأن الزنا أو الخيانة الزوجية سبب كافٍ لإنحلال الزيجة. (وأنا أقول لكم إن كل من طلق زوجته لغير علة الزنى، وتزوج بأخرى فقد زنى) (متى ١٩: ٩). ذلك لأن الزنا نجاسة. والنجاسة تتعارض مع القداسة، فكيف يظل روح الله يجمع بين الزوجين، وقد ارتكب أحدهما فعلاً يتعارض مع (القداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب) (العبرانيين ١٢ : ١٤). ويقول الوحى الإلهى (نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة) (١. بطرس ١ : ١٥).

أولا - على أن المجلس الإكليريكى أن يقرر ويحكم فى أمور أخرى تندرج تحت ما هو فى حكم الزنى.

من ذلك العيوب الخلقية فى الرجل أو فى المرأة مما يجعل اللقاء بينهما متعذرا أو مستحيلا مما يمكن أن يدخل فى نطاق ما يسمى بالبطلان أى بطلان الزواج، ويعرض أحد الزوجين للزنى.

كذلك إذا ترك أحد الزوجين رفيقه مدة طويلة ورفض أن يعود إليه، على الرغم من محاولات الكاهن أو الكهنة فى ذلك لمدة طويلة مما يعرض الطرف الآخر للزنا.

ومن ذلك أيضاً رجل يترك بيت الزوجية ويختلف ويتعلق بامرأة أخرى أو امرأة تتعلق برجل غير زوجها، على الرغم من عدم إمكانية اثبات واقعة الزنى بالفعل ـ مما يدخل فى نطاق الزنى الحكمى وفقاً لما صرح به المسيح له المجد وهو رب الشريعة (أما أنا فأقول لكم إن كل من نظر إلى امرأة لكى يشتهيها فقد زنى بها فعلاً فى قلبه) (متى ٥ : ٢٨).

ثانيا ـ وإذا كان موت أحد الزوجين يحل الرابطة الزواجية بين الرجل والمرأة، فثمت أمور أخرى قد يرى المجلس الإكليريكى أنها فى حكم الموت. من ذلك **اعتناق أحد الطرفين دينا آخر**، أو خروجه عن الدين المسيحى الذى تم العقد فى ظله.

ومن ذلك أيضا **الغيبة المنقطعة لأحد الزوجين** مما يعد فى حكم الموت، ومما قد يعرض أحد الزوجين للفتنة والخطيئة..

ومنها أيضا **إيذاء أحد الزوجين للآخر بما يهدد حياته** ويعرضه للموت.

* * *

ومجمل القول إن الزيجة المسيحية رباط مقدس لا يقبل الإنحلال إلا لعلتين أساسيتين : هما الزنا وما هو فى حكم الزنى والموت وما هو فى حكم الموت.

على أن للمجلس الإكليريكى وهو محكمة كنسية، أن ينظر فى الخلافات الزوجية، وله أن يحكم ويقرر ما يدخل تحت هذين السببين الأساسيين وهما الزنى والموت من فروع وتخريجات تدخل في نطاق ما هو فى حكم الزنى من أشكال وسلوكيات، وما هو فى حكم الموت من أشكال وسلوكيات. فالمجلس الإكليريكى يمثل السلطة الإلهية التى لا يجوز حل الرابطة الزواجية من غير قرار منه.

والمجلس الإكليريكى محكمة دينية كنسية يجب أن تتوافر فى تشكيله وأعضائه كل مؤهلات العدل والرحمة والحكمة مع سعة المعرفة الدينية، والعلمية والقضائية، وهى مسئولية خطيرة ورهيبة أمام الله وأمام الكنيسة فى كل الأجيال.

٨١ ـ المانويون وليس المسيحيون
هم الذين ينهون عن الزواج ويحرمون أكل اللحوم

سؤال : من الابن أ. ح. ص ـ اطسا ـ الفيوم.

يقول : عند قراءتى فى الكتاب المقدس وبالتحديد فى رسالة معلمنا القديس بولس الرسول الأولى إلى تيموثيئوس فوجئت بكلام غريب (إن بعض الناس يرتدّون عن الإيمان فى الأزمنة الأخيرة، ويتبعون أرواحا مضلله وتعاليم شيطانية لقوم مرائين كذابين كويت ضمائرهم، ينهون عن الزواج وعن أنواع من الأطعمة خلقها الله ليتناولها ويحمده عليها الذين آمنوا وعرفوا الحق) (١ . تيموثيئوس ٤ : ١ – ٣) أفليس فى هذا النص المقدس إدانة للرهبان والمتبتلين الذين يمتنعون عن الزواج ؟

أو ليس فيه أيضا إتهام صريح بخطأ الذين يصومون فيمتنعون عن اللحوم ومستخرجاتها الحيوانية من الألبان والجبن والبيض وما إليها ؟ إنى أرجو تفسيراً مقنعا لهذا النص المقدس الذى أزعجنى وأقلقنى، والذى يستغله بعض الناس لمحاربة الرهبنة، ولمهاجمة الإمتناع عن اللحوم فى فترات الأصوام العامة.

الجواب :

كيف يمكن أن يتصور أحد أن يدين الوحى الإلهى طريق الرهبنة وحياة التبتل بينما أن المسيح له المجد يصفها بأنها (طريق الكمال) ؟

ألم يقل المسيح له المجد (أتريد أن تكون كاملاً يعوزك شئ واحد : اذهب بع كل ما تملك وأعطه للفقراء فتقتنى لك كنزا فى السماء، وتعال اتبعنى واحمل الصليب) (مرقس ١٠ : ٢١) ، (متى ١٩ : ٢١).

ولما قال له تلميذه سمعان بطرس (ها نحن أولاء قد تركنا كل شئ وتبعناك، فماذا عسى أن يكون نصيبنا؟ فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم... كل من ترك بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو زوجة أو أبناء أو حقولاً من أجل اسمى، ومن أجل الإنجيل، إلا ويأخذ مائة ضعف ينالها الآن فى هذا الدهر بيوتا وإخوة وأخوات وأمهات وآباء وأبناء وحقولاً مع اضطهادات. أما فى الدهر الآتى فحياة أبدية) (مرقس ١٠ : ٢٨–٣٠)، (متى ١٩ : ٢٧ – ٢٩) ، (لوقا ١٨ : ٢٨ – ٣٠).

وهنا نلاحظ أنه له المجد أحصى من بين تضحيات طريق الكمال أن يترك الإنسان **(الزوجة) أى حياة الزواج**، ولكن لما تحدث عن نتائج هذا الترك وما يجده السائرون فى طريق الكمال من العوض قال إنه (يأخذ مائة ضعف ينالها الآن فى هذا الدهر، بيوتا وإخوة وأخوات وأمهات وآباء وأبناء وحقولا مع اضطهادات) **ولكنه لم يذكر الزوجة العوض عن الزوجة التى تركها من أجل الله ومن أجل الإنجيل**. والمعروف أن المتزوجين من الآباء الرسل مثل سمعان بطرس **رافقتهم زوجاتهم فى الخدمة، كأخت لا كزوجة**. قال الرسول بولس (أما لنا حق مثل سائر الرسل وإخوة الرب وبطرس **أن نستصحب زوجة** أختا ⲩⲟⲩⲥⲱⲛⲓⲛⲥⲁⲣⲁ؟) (١ . كورنثوس ٩ : ٥).

ألم يقل المسيح له المجد ردا على مقوله تلاميذه : خير للرجل ألا يتزوج... **(ليس الجميع يقبلون هذا الكلام** وإنما الموهوبون فقط. لأنه يوجد خصيان ولدوا على هذا النحو (خصيانا) من بطون أمهاتهم، ويوجد خصيان خصاهم الناس، **ويوجد خصيان خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السماوات**. فمن استطاع أن يقبل فليقبل (بفتح الياء وسكون القاف) (متى ١٩ : ١٠ – ١٢) ؟

ففى تعليم المسيح إنه **يمكن للإنسان أن لا يتزوج حتى يحيا حياة مقدسة جسداً وروحاً، وهذا سبيل أفضل، للراغبين فى طريق الكمال، لكنه منهج اختيارى، لا يقهر عليه، إنهم خصوا أنفسهم بالتسامى والإعلاء للغريزة الجنسية، ومن أجل ملكوت الله**. إنها موهبة يمنحها الله للراغبين فيها والساعين إليها من أجل حياة أفضل.

وفى هذا المعنى يقول الوحى الإلهى على فم النبى إشعياء **(لا يقل الخصى ها أنا شجرة يابسة**. لأنه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتى، ويختارون مايسرنى، ويتمسكون بعهدى، أنى أعطيهم فى بيتى وفى أسوارى **نُصُباً** (بضم النون والصاد) **واسما أفضل من البنين والبنات. أعطيهم اسما أبديا لا ينقطع)** (إشعياء ٥٦ :٣ – ٦).

وفى هذا المعنى جاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى كورنثوس **(يحسن بالرجل أن لا يمس امرأة**، ولكن، خوفا من الزنى، فليكن لكل رجل امرأته ولكل امرأة زوجها... **وأقول لغير المتزوجين.. إنه يحسن بهم أن يظلوا مثلى (غير متزوجين)** فإذا لم يطيقوا العفاف فليتزوجوا، فالزواج أفضل من التحرق بالشهوة.. **إن بين المتزوجة**

والعذراء فرقاً. فغير المتزوجة والعذراء تهتم بما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحا. وأما المتزوجة فتهتم بأمور العالم وكيف ترضى زوجها) (١ . كورنثوس ٧: ١- ٣٤).

فالبتولية الطاهرة والعفة الكاملة هى طريق الكمال، وهى تقديس للجسد والروح فى حياة تعبدية ملائكية، وفى خدمة رسولية، لكنها **اختيارية وليست جبرية (من استطاع أن يقبل فليقبل)** (متى ١٩ :١٢).

أما الذين أنبأ عنهم الكتاب المقدس بأنهم ينهون عن الزواج) فهم أتباع بدعة مانى MANI ابن فاتك (٢١٥ - ٢٧٦) م الذى ظهر فى القرن الثالث للميلاد. وقال (مانى) بمبدأين : مبدأ الخير ومبدأ الشر، النور والظلام، الله وديمون، ونادى **بتحريم الزواج**، والمناداة بأن الزواج نجاسة ودنس، وكذلك دعا إلى **تحريم أكل اللحوم** وبعض المأكولات الأخرى تحريما قطعيا. وعنده أن من يتزوج ومن يأكل اللحوم فهو من أتباع إله الشر، ومصيره إلى جهنم والنار الأبدية.

لقد دعا (مانى) بن فاتك وأتباعه إلى الإعتقاد بإلهين اثنين يتقاسمان الوجود : إله للخير، وإله للشر.

والناس عند (مانى) صديقون مختارون ELECT ثم سماعون Hearers ثم خطاة. أما الصديقون المختارون فهم أتباعه بالقول والعمل، لا يتزوجون ولا يحاربون، **ولا يذبحون الحيوان ولا يأكلونه ولا يأكلون مستخرجاته من بيض وحليب وجبن، ولا يشربون الخمر**، بل يكتفون بالخبز والحبوب والبطيخ، لأنها كما يقول (مانى) من صنع إله النور، **وأما اللحوم ومستخرجاتها والخمر فهى من صنع إله الظلمة**. والصديقون المختارون تصعد نفوسهم فوراً إلى النعيم.

وأما السماعون Hearers فيشتركون مع الصديقين المختارين فى جميع الشعائر، ولكنهم لا يقوون على سائر التكاليف. **فإذا تزوجوا فهم مجبرون على الإكتفاء بزوجة واحدة، وليجتهدوا أن لا يعقبوا نسلا**، وأن يحسنوا إلى الصديقين المختارين. والسماعون عند (مانى) تبقى نفوسهم بعد الموت فى العالم، ولكنها تدخل جسما آخر ثم آخر، وهكذا حتى تستقر فى جسم صديق، وبعد ذلك تصعد إلى النعيم.

وأما الخطاة عند (مانى) فهم أهل الأديان الأخرى، وهم يهلكون فى جهنم.

وعلى ذلك، فما جاء برسالة القديس بولس إلى تيموثيئوس هو **نبوءة عن ظهور بدعة (مانى) بن فاتك ومن تبعه فى هرطقته.**

وواضح أن الكنيسة المسيحية مع دعوتها إلى شرف البتولية وكرامتها ومدح الحياة الرهبانية النسكية ووصفها بأنها طريق الكمال، **لا تنهى عن الزواج ولا تمنعه، فالزواج فى الكنيسة المسيحية رباط إلهى وسر مقدس، واتحاد سماوى بين الرجل والمرأة بفعل الروح القدس الذى يحل على العروسين ويجمع بينهما** وقد قال المسيح له المجد (فلا يكونان بعد اثنين إذن وإنما جسداً واحداً، ومن ثم فما جمعه الله لا يفرقنه الإنسان) (متى ١٩ : ٦). ولذلك فإنه يباشر فى الكنيسة، وأمام الهيكل المقدس، ويعقده الكاهن وهو ملتحف بكامل ملابسه الكهنوتية، ممثلاً للسلطة الإلهية، فهو يباشر عملاً مقدساً، وإلهيا.

لقد قال الكتاب المقدس : **(ليكن الزواج مكرما عند جميع الناس، وليكن فراش الزوجية طاهراً)** (العبرانيين ١٣ : ٤)، ويقول أيضا **(إن هذا السر لعظيم)** (أفسس ٥ : ٣٢).

فالكنيسة المسيحية لا تنهى عن الزواج، بل تقدسه وتكرمه، وتنادى به رابطة إلهية وسراً مقدساً. وأما فراش الزوجية فطاهر ويرئ من الدنس.

أما الذين ينهون عن الزواج فهم مانى وأتباعه.

جاء فى القانون ٥١ من قوانين الآباء الرسل :

«أى أسقف أو قس أو شماس أو أى شخص آخر من السلك الكهنوتى يمتنع عن الزيجة واللحم والخمر، ليس تنسكا، بل لأنه يشمئز منها ويعتبرها نجسة، وقد نسى أن الله قد خلق كل الأشياء حسنة جداً، وأنه خلق الإنسان ذكرا وأنثى، فهو بمسلكه هذا يجدف على عمل الخليقة، **فليصلح أمره أو فليسقط ويطرد من الكنيسة. ويمثل ذلك يعاقب العامى (من غير الاكليروس) أيضا».**

وجاء فى القانون الأول من قوانين مجمع غنغرة المكانى (المنعقد نحو ٣٦٥) م :

(لِيبسل (= ليُحرم) كل من لا يوقر الزواج الشرعى).

وجاء فى القانون التاسع من قوانين مجمع غنغرة :

(إن كل من يبقى عازباً حافظاً العفة وممتنعا عن الزواج، لأنه يكرهه ويزدريه، وليس لما فى البتولية من جمال وقداسة فليكن مبسلا (= محروما).

كذلك القانون الخامس من قوانين الرسل، والقانون ١٤ والقانون ٢١ من قوانين مجمع غنغرة.

* * *

وأما الصوم فهو فضيلة وعبادة لله، **فيمتنع العابد عن الطعام امتناعاً تاما لفترة من الوقت قد تمتد إلى غروب الشمس كما هو الحال فى الصوم الكبير وقد تقصر إلى الساعة الثالثة بعد الظهر، بعدها يتناول الصائم طعامه من نباتات الأرض.**

على أن الإمتناع فى فترة الأصوام عن اللحوم ومستخرجاتها الحيوانية هو للحصول على الفوائد الروحية التى ينالها الصائم. فالكنيسة المسيحية فى دعوتها للصوم والإمتناع عن اللحوم ومستخرجاتها، فمن قبيل التنسك والعبادة، **ولكنها لا تمنع أكل اللحوم ومستخرجات الألبان فى غير أوقات الصوم** كما يفعل المانويون أتباع بدعة (مانى) بن فاتك.

ولذلك فإنه تمشيا مع هذا المبدأ، ورفضاً لبدعة (مانى) فى تحريم أكل اللحوم، نصت القوانين الكنسية على حرم من يمتنع عن أكل اللحوم بدعوى أنها نجسة أو أنها من صنع إله الظلمة أو الشر.

جاء فى القانون ٥٣ من قوانين الرسل :

(أى أسقف أو قس أو شماس لا يأكل فى أيام الأعياد لحما ولا يشرب خمرا، لا عن نسك، بل لأنه يشمئز منهما، فليسقط، لأن ضميره مكوى، وصار معثرة لكثيرين).

كذلك القانون ١٤ من قوانين مجمع أنقرة (انقيرة) فى سنة ٣١٤م، والقانون ٨٦ من قوانين القديس باسيليوس الكبير.

٨٢ ـ المرأة الحكيمة ترضى زوجها وبهذا تشده إليها

سؤال : من سيدة.

تشكو علاقة زوجها بامرأة أخرى متزوجة يهتم بها زوجها أكثر من سائر الموظفين والموظفات اللائى تحت رئاسته، وهى أى هذه المرأة الأخرى تتصل به تليفونيا دائماً فى المنزل لتوقفه على سير العمل وعلى تصرفات الآخرين من الموظفين والموظفات، وهو أيضاً يتصل بها من منزله ويتحدث معها كثيراً. فلما ضاق صدر زوجته بهذه العلاقة وأظهرت له ضيقها من كثرة هذه المكالمات، غضب جداً وقاطعها ما يقرب من عشرة أيام واتهمها بسوء الظن به وبضيق الأفق.

وتقول هذه السيدة إنها ساخطة جداً على تصرف زوجها، ومن فرط سخطها تصب غضبها على أطفالها الصغار، وقد ساءت صحتها، فزادت ضربات قلبها وفقدت شهيتها نحو الطعام، وأخذت تصلى إلى الله أن يبعد هذه المرأة الأخرى عن زوجها بنقلها إلى جهة أخرى، ولكنها لاحظت أن زوجها متمسك بها، وحريص على علاقته بها وهى حائرة، وتتساءل إذا كان غضبها وسخطها من منطلق محبتها لزوجها، أم أنها أمست مريضة وغير سليمة.

ولولا أن هذه السيدة طلبت إلينا أن أكتب شكواها بجريدة (وطنى) لكنت اكتفى بخطاب خاص، إذا أفادت بعنوانها على الدقة..

ولهذه السيدة نقول إن مشكلتك ليست جديدة إنها الغريزة فى كل امرأة، إذا تزوجت تريد أن يكون إهتمام زوجها بها وفيها وحدها، ولذلك تغار عليه من كل امرأة أخرى حتى لو كانت أمه أو شقيقته. وهى مشكلة فى كل بيت، وفى كل بلاد العالم، فى مصر وفى الهند واليابان والصين وروسيا..

فإذا كان الأمر كذلك، وكانت مشكلتك هى مشكلة كل امرأة متزوجة، فعليك أن تتكيفى مع زوجك، وأن تزيدى من إهتمامك بزوجك، وأن تضفى عليه مزيدا من الحنان والحب والرعاية، وأن تبتسمى فى وجهه وأن ترضيه فى كل شئ، وأن تغدقى عليه من حنانك. وليس خافيا عليك أن المرأة غنية فى حنانها وعواطفها ورقتها أكثر من الرجل أضعافاً. ولذلك فإن المرأة مزودة فى طبيعتها بما يؤهلها لأن تكون مربية لأطفالها أكثر من الرجل أضعافا، وهى تصلح للتمريض فى المستشفيات أكثر من الرجال، وذلك لغنى عاطفتها ورقتها وحنانها.

وعلى ذلك قدمى لزوجك مزيداً من الحنان والرقة والعاطفة، وامدحيه ولا تعاتبيه، واظهرى له إعجابك به وتقديرك لفضائله. فإن الرجل يسر بالتقدير والإعجاب وخصوصا من زوجته، وبهذا يزداد حبه لك وانجذابه نحوك.

جربى أيتها السيدة أن ترضى زوجك فى كل شئ، ولا تتشددى فى رأيك مهما كان اعتقادك فى رأيك أنك مصيبة وزوجك هو المخطئ. أساليه رأيه واعملى برأيه حتى لو كان اعتقادك أنك أنت المصيبة وهو المخطئ. ولا يخفاك أن الذى يجذب الرجل إلى المرأة دائما هو صوتها الخفيض ورقة أسلوبها وابتسامتها. وأرجو أن لا تعتبرى هذا إذلالا لك، فهذه، كما لا يخفاك هى أسلحة المرأة الموهوبة لها من الله، وبها يمكنها أن تشد رجلها إليها وتجذبه نحوها، وتكسبه لها ولأولادها. أنه المنهج الرابح لكى تكسبى محبة زوجك، وإرتباطه بك بشدة، وهذا يرتد عليك بالسعادة، لك ولأولادك، فضلاً عن إسعادك لزوجك. واعلمى أن لك عن كل هذا أجراً صالحا فى السماء وفى الأرض «لأنه كيف تعلمين أيتها الزوجة. أنك ستخلصين زوجك» (١ . كورنثوس ٧ : ١٦) «كذلك أنتن أيتها النساء (المتزوجات) اخضعن لأزواجكن، حتى إذا كان بعضهم لا يذعنون للكلمة، استمالتهم سيرة نسائهم بدون كلمة» (١ . بطرس ٣ : ١).

٨٣ ـ تريد طفلا تتبناه

سؤال : من السيدة ع. ف. أ

تقول : إنى موظفة فى إحدى الوزارات، وعلى درجة كبيرة وأتقاضى مرتبا كبيرا ومع ذلك فإنى محرومة من حنان الأمومة... وإنى أود احتضان طفل أو طفلة ممن فقدوا والديهم أو ذويهم، لأعوضه ما حرم منه، ولسوف يرثنى من بعد حياتى... يرثنى فى معاشى، ويرث أرضا أمتلكها ويرث مبلغا أودعته أحد البنوك... وكل ما أريده أن يكون هذا الطفل أو الطفلة سندى فى اليوم الذى أحتاج فيه إلى سند.

الجواب :

إننا نحييك أيتها السيدة على هذه الرغبة المشروعة والكريمة، ونتمنى لكل سيدة فى مثل ظروفك، أن تتبنى طفلا أو طفلة تعوضه بحنانها ورعايتها ما حرم منه فى حياته من حنان ورعاية الوالدين، وهى فى نفس الوقت تشبع غريزة الأمومة فيها بتبنى طفل يكون لها ابنا تربيه تربية روحية وذهنية وبدنية، فتبنى شخصيته. وتنقذه من الضياع والإنحراف والفساد، فيسعد فى حياته، ويصير عضوا صالحا فى الأسرة، وبالتالى فى المجتمع الكبير.

إننا فى المسيحية لا نبيح الطلاق بسبب عقم الزوجة أو الزوج، فإذا كان الزوجان أو أحدهما عقيما، فلماذا لا يتبنيان طفلا أو طفلة، فيجدان فى تبنيه حلا لمشكلة العقم، وهو حل سليم وشريف وكريم، كما أنه عمل إنسانى نبيل وشجاع، به يخرج الإنسان عن أنانيته إلى إسهام عملى وإيجابى فى حل مشكلة إجتماعية بتبنى طفل محروم من الحنان والرعاية.

لو أن كل امرأة عقيم تبنت طفلا أو طفلة أشبعت به وفيه غريزة الأمومة، وأحاطته برعايتها وحنانها، وربت فيه الروح والنفس والبدن، لأنقذت نفسها من الحزن والسخط، والحقد والغيرة والخوف والغيظ والتجديف على الله وما إليها من مشاعر تقع فريسة لها المرأة العقيم التى تستهلك طاقتها وأعصابها فى أفكار سوداء ومشاعر قاتمة مدمرة لصحتها ولسعادتها فى الحياتين الحاضرة والآتية.

ولو أن كل إمرأة عقيم تبنت طفلا أو طفلة، لما احتاجت أى إمرأة عالية الخصوبة إلى تحديد النسل بوسائل غير طبيعية تضرها صحيا كما تعرضها للخطيئة والإثم سواء بوسيلة الاجهاض الجنائى أو بإستخدام حبوب منع الحمل الشريرة المدمرة أو ما إليها من وسائل مماثلة.

أما أين تجدين أيتها السيدة مطلوبك، فإننا نحيلك مبدئيا على الملاجئ وبيوت الإيواء وهى غير قليلة، ومنتشرة فى عدد من أحياء القاهرة، وفى الأقاليم، ويمكنك الاستدلال على أسمائها وأماكنها فى دليل التليفونات.

وثانيا - إننا بنشر رغبتك على صفحات (وطنى) نتيح لكل قارئ كريم، يحب الخير أن يتقدم بمساعدتك وإرشادك إلى طفل أو طفلة يسعد بأمومتك له وبما ستغدقينه عليه من حب وحنان ورعاية وإهتمام بحاضره ومستقبله. الرب الإله يوفقك.

٨٤ ـ العلاقة الجنسية نتيجة طبيعية لنمو المحبة والمودة والألفة (١)

العزيز السيد .....

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع.

ردا على أسئلتكم المرسلة إلينا بخطابكم المؤرخ ١٨/٥/١٩٧٤ يسرنى الإفادة :

السؤال الأول :

إمتناع الزوجة عن تمكين زوجها من معاشرتها المعاشرة الجنسية من بداية الزواج، ورفضها لذلك رفضا باتا.

أ ـ إذا لم تعلن عن أى سبب لهذا الرفض.

ب ـ إذا كان رفضها للمعاشرة بسبب عقد الزواج بدون رضاها «باكراه أدبى من والدها».

الجواب :

إن الزوجة التى تمتنع عن تمكين زوجها من معاشرتها المعاشرة الجنسية إما مقهورة على الزواج برجل لا تميل إليه، أو ربما لا تريد الزواج أصلا لسبب فى نفسها. والمفروض أن الكاهن يأخذ اعتراف الزوجة قبل عقد الزواج ليطمئن إلى أن الزواج سيتم بناء على رغبتها ومحبتها للرجل الذى ستتزوجه وإلا وجب على الكاهن أن لا يسمح بإتمام هذا الزواج.

ثم أن هناك خطأ يقع فيه الأزواج خاصة فى بلادنا وهى أن يبدأوا حياتهم الزوجية منذ الإبتداء بالعملية الجنسية. وهذه العملية تؤدى بطريقة وحشية تجعل البنت تخشاها وتفزع منها، وهى تختلى برجل لأول مرة فى حياتها. وبعض البنات يصاب لأول وهلة بفزع وخوف وصدمة نفسية وعصبية هذا فضلا عن خدش الحياء.

وكان المفروض أولاً أن تكون للمتزوجين حديثا تمهيد سابق على ليلة الزواج من الوالدين لتهيئة الذهن لهذا الجو الجديد حتى لا تكون العملية الجنسية أمرا مفاجئا.

ثم على الزوج واجب هام بأن لا يبدأ حياته الزوجية بالمطالبة بالعملية الجنسية كحق يجب أن يؤدى فى الحال... بل ينبغى أن يبدأ أولا بتنمية المحبة بينه وبين عروسه وملاطفتها وإظهار الحنان عليها والرعاية لها، وتوفير جو المودة بينهما، وإذكائه رويدا رويدا حتى تأتى

---

(١) كتب فى ٢٢ من أغسطس ١٩٧٤م – ١٦ من مسرى ١٦٩٠ ش.

العملية الجنسية كتعبير عن قوة الرابطة التى تلاحمت بالعاطفة والحب والفكر قبل أن تتلاحم بالجسم ومن بين الناس العقلاء من قال إنه لم يتصل بزوجته إلا بعد أكثر من أسبوع من زواجهما حتى تهيأ الجو النفسى بينهما فلم يكن هناك ما يشبه الإغتصاب كما هو الحال عند الأكثرية من الناس.

وفى بعض الأحيان قد يرجع سبب رفض المرأة المعاشرة الجنسية اكتشافها لأول مرة بعجز زوجها الجنسى، كما ظهر فى بعض الحالات فلما أصر الزوج على المحاولة أصرت هى على الرفض لأنها أدركت أنها ستفقد مستقبلها مع هذا الزوج العنين. خاصة وأن بعض الأزواج لم يكن حكيما فرأى أن يستعين بآلة، وبعضهم رأى أن يستعين بالطبيب لإجراء عملية...

وفى بعض الأحيان يرجع سبب رفض المرأة إلى أنها فقدت بكارتها قبل الزواج كرها أو حبا، فهى تخشى أن يفتضح أمرها أمام زوجها احتفاظا بسمعتها، وخوفا من أن يصدم بالحقيقة فى الليلة الأولى للزواج...

ويلاحظ أن المرأة التى تزوجت برجل لم تحبه أو أُقهرت على الزواج منه ترى فى العملية الجنسية عملية ستسلبها سلاحها فى الدفاع عن نفسها يوم تريد أن تحفظ حقها فى التطليق منه..

والخلاصة أن المشكلة فيما أرى تقوم أصلا على خطأ كبير فى فهم العلاقة الجنسية إنها نقطة الإبتداء فى ليلة الزفاف، بينما أن الواجب أن تجئ بالتدريج، نتيجة طبيعية لنمو المحبة والمودة والألفة والملاطفة بين الاثنين ولابد أن تكون طلبا للاثنين معا وفى وقت واحد.

فإذا كانت طلبا من الزوج وحده، وعلى الزوجة أن تطيع ومن غير أن تكون فى قلبها عاطفة تصير المسألة فى نظرها اغتصابا تمتنع عنه احتفاظا بكرامتها وحرصا على مستقبلها... ويجب أن يتمهل الزوج حتى تصير هذه العملية استجابة لرغبة الزوجة نفسها، أو بعد أن يكون قد تحقق بينها وبين زوجها الصفاء النفسى والإنسجام العاطفى والفكرى.

السؤال الثانى :

هل يعتبر الرفض فى إحدى الحالتين سببا لفسخ العقد.

وإننى أعلم أن لكل حالة ملابساتها الخاصة فقد يظن شخص أن زوجته ترفض معاشرته، ولكن لا يكون هناك رفض حقيقى. ولذلك فإن سؤالى عن هذه الافتراضات فى حالة حدوثها فعلا وبغض النظر عن الأشخاص.

الجواب :

إذا كانت الزوجة ترفض المعاشرة الجنسية بدون أن تبدى سببا للرفض، فليس معنى هذا أنه ليس هناك سبب. قد ترفض أن تبدى الأسباب لزوجها. ولكن لابد أن يكون هناك شخص يمكنها أن تبدى له سبب رفضها... ربما يكون هو والدتها.. وربما يكون الكاهن أباها فى الإعتراف، أب ذمتها، إذا لم تكن بالفعل قد أبدت الأسباب للكاهن الذى باشر الزواج أو المفروض أنه أخذ اعترافها ليطمئن إلى قبولها للزوج.

فإذا كانت قد رفضت إبداء سبب ذلك للجميع، فيكون عدم إبدائها الأسباب يرجع إلى خوفها من أسرتها.

على كل حال لا يمكن لهذا التصرف أن يصدر من غير سبب.

ومهما يكن من أمر، فإذا فشلت كل المحاولات فى إقناع الزوجة بالعدول عن رفضها المعاشرات الجنسية لزوجها بعد علاج أسباب هذا الرفض، جاز فسخ العقد. ولا يعتبر الفسخ فى هذه الحالة طلاقا، لكن يعتبر زواج غير قائم لأن إحدى أشراط الزواج الأساسية لم تتوافر فى هذا الزواج.

ونعمة الرب تشملكم،،،

٨٥ - شاء لفضيلته أن يستر خطيئتها (١)

الابن العزيز ى. م.

سلام ونعمة وبركة.

ردا على خطابكم بخصوص الأخ العزيز عليكم الذى اعترفت له زوجته بأنه قد أُعتدى عليها - ثم علم أن الدورة الشهرية انقطعت عنها منذ ٧ شهور ثم فوجئ بعد شهر من الزواج بوضعها لجنين.

نفيد بأن الواقعة ثابتة، وقد اعترفت بها الزوجة - ولكن الزوج لكرم أخلاقه وبرارته رأى أن يستر على الزوجة وأن يقبل اعتذارها.

وإذا كان حقاً أنها تابت توبة صادقة، فيمكن أن يكمل مشواره معها بأن يحتمل ضعفها وأن يحنو عليها.

هكذا ينصح آباء الكنيسة الروحانيون أنه فى مثل هذه الحالة، إذا اعترفت الزوجة وتابت عن خطيئتها، فإنه أى زوجها يكون أكثر غبطة لو أنه قبل توبتها، وسينال عن ذلك أجراً من الله، لأنه ستر خطيئة إنسان فى ضعفه. لقد كان يملك أن يشهر أمرها، ويمارس حقه فى الطلاق منها لكنه شاء لفضيلته أن يستر خطيئتها ويقبلها زوجة.

على أننا ننصح بالآتى :

أن يكون للزوج والزوجة أب اعتراف واحد، حتى يكون التدبير الروحى لهما واحد.

ثانيا - يمكن لأب الاعتراف هذا، أن يضع على الزوجة **قانون توبة**، تؤديه تأديبا لها عن فعلتها، وعن إنكارها وعدم تصريحها لزوجها قبيل زواجه منها.

ثالثا - على الزوج أن يقوم بواجب الزوجية نحو زوجته فلا يهملها ولا يعذبها، فلا يعرضها بإهماله لها، للتجارب الروحية، وإنما يعوضها بالحنان وأن لا يكون بخيلا عليها فى سد احتياجاتها وإرضائها.

---

(١) كتب فى ٥ من يوليو ١٩٨٨م - ٢٨ من بؤونه ١٧٠٤ ش.

فإن مثل هذه الزوجة تفتقر إلى الحنان وإلى أن يرضيها زوجها.

وفوق هذا كله يجب عليهما معاً أن يرعيا حياتهما الروحية بالصلاة معاً فى البيت وقراءة الكتاب المقدس ثم بالذهاب إلى الكنيسة مرة على الأقل فى الأسبوع، والتناول من الأسرار المقدسة مرة كل أسبوعين مثلاً بحيث لا ينقطعان عن التناول من الأسرار المقدسة أكثر من أربعين يوما.

ويجب أن يكون لهما أب اعتراف واحد، حتى يعرف أن يجمع بينهما بتدبير حكيم، ويكون شيخا ومتزوجاً (أى لا يكون من بين الرهبان) وأن يكون الأب لهما ولأولادهما - بمثابة طبيب العائلة.

ونعمة الرب تشملكم.

٨٦ ـ فى سن الزواج

أ. ى. أ . شابة جامعية، مشكلتها مع عائلتها، أنه تقدم لخطبتها شباب من زملائها فى الدراسة أو فى العمل، فى مثل سنها، ولكنها لم تقتنع بواحد منهم، لأنها تحترم الرجل الناضج فكريا وعقليا، وتعجب بصاحب الرأى الراجح والمثقف، وهو عادة من تخطى سن الشباب، إلى الرجولة الناضجة ممن يتميزون برجاحة الفكر، وقوة الشخصية. أما أهلها فيصفونها بأنها مجنونة، ويتعجبون من أنها ترفض الزواج من شباب صغير يقترب من سنها وترحب بزوج يكبرها بعشر سنين أو خمس عشرة سنة، وينذرونها بأنها، إذا تزوجت برجل يكبرها بهذا القدر من السنين فإنها ستندم، ولذلك فهى فى حيرة، لأنها غير مقتنعة بمشورة أهلها، وتؤمن أنها لن تعيش سعيدة إلا مع رجل ناضج حكيم يكبرها عقليا وفكريا، وتطلب أن نسدى لها النصيحة.

الجواب :

الرأى عندى أنك محقة فى نظرتك إلى الزواج، وهى نظرة نادرة من فتاة فى مثل سنك، وهذا يدل حقاً على أنك فتاة جادة غير عابثة، وأنك تريدين حياة زوجية معمرة، قائمة على قواعد راسخة قوية.

إنها فرصة يا ابنتى أن أتحدث إليك حديثا يمكنك أن تفهميه، ومن خلالك إلى كل فتاة شابة فى مثل ظروفك.

فالرأى السائد والمنتشر بين الناس عموما، وأهلك من بينهم، أن الفتاة السعيدة هى التى تتزوج فتى فى مثل سنها، فإنهما بطبيعة تقارب سنهما يكونان أقرب إلى التفاهم والتعايش، وأبعد عن الإختلاف الفكرى الذى ينشب عادة بين أى شخصين، ولو كانا من أسرة واحدة، بل ولو كانا شقيقين أو شقيقتين ولدا أو ولدتا من بطن واحدة، أو حتى لو كانا توأمين تكونا معاً وولدا معا فى ساعة واحدة.

ذلك هو الرأى السائد بين أكثر الناس وهو رأى سطحى مبنى على تجارب المراهقين من الشباب الذين يغريهم على الزواج وسامة الوجه، وجمال القوام، ورشاقة القد، وخفة التصرف، وبريق العينين، وطفولة حركة البدن ـ وما إليها من مؤهلات الجاذبية الجنسية، ولكنها غالباً ما تنطفئ بطول العشرة. وسرعان ما يدرك هذا النوع من الزواج، الملل والرتابة، فيشتهى كل منهما التجديد والتغيير، ويرنو إلى الحلو والمثير.

ذاك هو الرأى السائد بين الناس، ولا أقول إنه خطأ من كل وجه. إنه يرد بسرعة، أسباب الخلافات الزوجية إلى سبب واحد هو إختلاف السن، ويركز عليه النظر، ويتجاهل أسبابا أخرى أبعد أثراً وأكثر أهمية.

ولسنا نريد هنا أن ندخل فى تفاصيل هذه الأسباب التى تحتاج إلى دراسة شاملة.

ولكننا هنا نعالج فارق السن بين الرجل والمرأة، بين الفتى والفتاة.

ونبدأ بالقول بأن علماء التربية وخبراء الزواج، يرون أنه من أجل صحة النسل، يحسن أن يكون سن الفتاة بين العشرين والخامسة والعشرين، وأما الرجل، فالأفضل أن يكون سنه بين الثلاثين والخامسة والثلاثين.

ويقولون بالنسبة للرجل إنه - لكى يتجب نسلاً سليما وصحيحاً - ينبغى أن لا تقل سنه عن الثلاثين عند الزواج. فسن الثلاثين بالنسبة للرجل هو سن إكتمال الرجولة، وفيه يصل إلى نضوجه الذهنى والبدنى والعاطفى.

أما بالنسبة للفتاة، فلكى تنسل نسلاً سليما، ينبغى أن لا يكون سنها عند الزواج أقل من العشرين. وكقاعدة عامة - لا تخلو بالطبع من شذوذ، يقال إنها إذا تخطت سن الخامسة والثلاثين عند الزواج، فقد لا تنسل، وإذا أنسلت، فقد لا يكون نسلها سليما، هذا إلى أنها فى الغالب تعانى أتعاباً فى جهازها التناسلى بعد الوضع، ومنها انقلاب الرحم أو سقوط الرحم وما إلى ذلك...

وإنى أرجو أن لا يكون هذا التفصيل مخيفا لأحد، وإنما هى النصيحة التى ينصح بها الخبراء من أجل صحة النسل. أما الزواج فى ذاته فممكن أن يتم فى أى سن بالنسبة للرجل أو بالنسبة للمرأة. إننا هنا نتكلم عن القاعدة العامة، ولكن معروف أن لكل قاعدة شواذاً. وبالإجمال هذا هو الرأى العلمى الذى ينصح به علماء التربية وخبراء الزواج للحصول على نسل صحيح سليم بدنيا وعصبيا ونفسيا.

ومهما يكن من أمر، فالواضح مما يقوله الخبراء أن الرجل يجب أن لا تقل سنه عند الزواج عن الثلاثين من أجل الحصول على نسل قوى وسليم. وإذا كانت المرأة ينبغى لتحقيق هذا الهدف عينه أن يكون سنها بين العشرين والخامسة والعشرين، فقد كان من الطبيعى للحصول على نسل سليم أن يكون بين الرجل والمرأة فارق فى السن لا يقل عن خمس سنوات.

هذا من حيث صحة النسل. على أن الحياة الزوجية ذاتها بين رجل وامرأة يعيشان معاً شريكين للحياة كلها، خصوصا فى ديانتنا المسيحية التى تعلم بأن الزواج رابطة مقدسة أبدية لا تنحل إلا بالموت (رومية ٧ : ٢، ٣) تتطلب منا أن نضع فى قمة الإهتمام المقومات الأساسية للحياة الزوجية التى تكفل للرجل والمرأة أن يعيشا معاً بهذه الرابطة المقدسة كل الحياة لأنهما بسر الزيجة يصيران جسداً واحداً، لا اثنين (متى ١٩ : ٥، ٦)، (أفسس ٥ : ٣١).

وواضح أنه منذ بدء الخليقة كان ومازال وسيظل دائما، من مقومات الزواج السعيد والدائم أن يكون الرجل أكبر من المرأة سنا.

فنحن نعرف من الكتاب المقدس أن الله خلق آدم أولاً - ولم يخلق له حواء إلا بعد فترة من الزمن، وإن كنا لا نعرف على اليقين كم كان سن آدم يوم أن أتاه الله بحواء، وكم كان فارق السن بينهما (التكوين ٢ : ٢١ – ٢٤).

أما أبونا إبراهيم فقد كان سنه يزيد على سارة بعشر سنين، حتى إنه عندما وعده الله بابن ينجبه فى سن الكبر (سقط إبراهيم على وجهه وضحك، وقال فى قلبه هل يولد لابن **مائة سنة**، وهل تلد سارة وهى بنت تسعين سنة) (التكوين ١٧ : ١٧)، (رومية ٤ : ١٩)، وقد كان فارق السن سببا طبيعيا ليحيا إبراهيم وسارة حياة زوجية سعيدة ولذلك كانت سارة خاضعة لإبراهيم وتدعوه سيدى، فلما وعدهما الله بابن (ضحكت سارة فى باطنها قائلة أبعد فنائى يكون لى تنعم **وسيدى** قد شاخ) (التكوين ١٨ : ١٢). قال الرسول القديس بطرس فى رسالته الأولى «أيتها النساء كن خاضعات لرجالكن... هكذا كانت قديما النساء القديسات أيضا المتوكلات على الله يزين أنفسهن **خاضعات لرجالهن، كما كانت سارة تطيع إبراهيم داعية إياه سيدها**» (١. بطرس ٣ : ١، ٥، ٦).

أفهل لو كانت سارة فى مثل سن زوجها هل كان يسهل عليها أن تدعوه (سيدى) ؟

ونحن لا نعرف بالضبط سن رفقة عندما تزوجها إسحق، ولكن من الكتاب المقدس نعلم (وكان إسحق ابن **أربعين سنة** لما اتخذ لنفسه زوجة، رفقة) (التكوين ٢٥ : ٢٠) ولكن لابد أن رفقة كانت تصغر زوجها كثيرا حتى إن الكتاب المقدس يروى عن إسحق أنه عندما شاخ وكلت عيناه عن النظر، كانت رفقة فى قوتها وصحتها وهى التى دبرت حيلة لابنها يعقوب لينال البركة بدلاً من أخيه عيسو (التكوين ٢٧ : ١ – ٤٤).

كذلك موسى النبى عندما تزوج صفورة كانت سنه **فوق الأربعين** (أنظر أعمال الرسل ٧ : ٢٣) . أما صفورة فكانت أصغر منه كثيراً.

إن فارق عشر سنوات بين الرجل والمرأة أمر مألوف فى القديم والحديث، فى الشرق والغرب، وقد كان ومازال عاملاً واضحا ورئيسياً فى كل زيجة ناجحة ودائمة.

فالرجل الذى يكبر المرأة بفارق عشر سنوات يكون عادة ناضجاً وعاقلاً وحكيما ورزينا، وسنه يقيه ويحميه من طيش الشباب، ونزقه ورعونته، ويجعله أكثر إخلاصاً وارتباطا بزوجته التى أحبها وارتبط بها. وإذا لاحظنا أن الكتاب المقدس أوصى الرجل بأن يحب زوجته وقال، أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة (أفسس ٥ : ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٣)، (كولوسى ٣ : ١٩) ولم يوصِ المرأة بذلك، وذلك لأن المرأة عاطفية، فالحب فى طبيعتها تماما كما أن الله لم يوصِ الأم بمحبة أبنائها لأن المحبة فى طبيعتها، إذ أن أبناءها قطعة من كيانها. لكنه أوصى المرأة بالخضوع لزوجها، وإحترامه وأن تهابه. وقال (أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب. لأن الرجل هو رأس المرأة، كما أن المسيح رأس الكنيسة) (أفسس ٥ : ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٣)، (كولوس ٣ : ١٨) .

وإذن فلماذا أوصى الله الرجل بالمحبة ؟ ذلك لأن الرجل مهيأ أكثر من المرأة لأن تضعف محبته لها، خصوصا إذا لم ترضِ رجولته بخضوعها له، وإحترامها لرأيه، وإنقيادها لرئاسته. (التكوين ٣ : ١٦) هذا الرجل كلما تقدمت به السن عند الزواج عاشت زوجته سعيده معه لأنه يكون أكثر حكمة وإتزانا، وأبعد عن الطياشة والنزق، وعن الأخطاء التى قد يقع فيها الشباب الطائش وأكثر إستعدادا لتحمل مسئولية الأسرة، وبهذا يعفى زوجته من أن تخالف قوله، وتحتقر رأيه، فترضى كبرياءه بخضوعها لرأيه (تيطس ٢ : ٥) فيحبها جداً، فيسعدان أحدهما بالآخر. هو يسعد بخضوع زوجته له إرضاء لكبرياء رجولته، وهى تسعد معه بإزدياد محبته لها وزيادة إرتباطه بها. وهكذا يكون عامل السن سببا جوهريا لقيام الحياة الزوجية السعيدة واستقرارها وثباتها. ولما كانت المرأة ضعيفة بطبيعتها (١ . بطرس ٣ : ٧) وتحتاج دائماً إلى الرجل ليحميها ويرعاها، لذلك لا تكون سعيدة إلا مع رجل قوى الشخصية وقادر على تحمل المسئولية (١ . تيموثيئوس ٣ : ١٢)، وهذا يتوافر عادة فى رجل بلغ عند الزواج السن التى يتمكن معها من أن يكون بحق ربان السفينة وقائدا لمسيرة الحياة الزوجية

(١ . كورنثوس ١١ : ٣)، يعفى زوجته من تحمل أخطائه إذا كان شابا يافعا صغير السن وقليل الخبرة، ومع ذلك يشاء أن يمارس رجولته بخضوع زوجته حتى لأخطائه.

وعلى الرغم من أنه قد يبدو أمراً قاسيا على إمرأة شابة أن تتزوج برجل يكبرها بعشرين سنة أو خمسة وعشرين، لكن مدرسة الحياة العملية علمتنا أن مثل هذه الزوجة تعيش سعيدة سعادة مضاعفة لا تحلم بها إمرأة شابة فرحت بزواجها من شاب فى مثل سنها. والأمثلة على ذلك كثيرة فى الشرق وفى الغرب وعلى طول التاريخ من يوم أن خلق الله آدم إلى اليوم، وأعتقد إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

٨٧ ـ قديسون من المتزوجين (١)

سؤال : من الابن إميل قلته غبريال ـ أبو تيج.

يقول : هل يوجد قديسون من الآباء الكهنة المتزوجين حيث أن جميع عظات الآباء الأساقفة دائما عن القديسين من الرهبان والبتوليين، وهذا يدفع بالشباب إلى الرهبنة وبالتالى ضاعت بناتنا فى هاوية العالم. أن الوعاظ وحتى الآباء الكهنة يغفلون فى عظاتهم ذكر القديسين من غير الرهبان.

الجواب :

إننى أشكرك أيها الابن وأحييك على إثارة هذا الموضوع. فإننى من زمن طويل نبهت فى وضع مناهج مدارس التربية الكنسية إلى وجوب تقديم نماذج لحياة القداسة من رجال الدين المتزوجين ثم نماذج أخرى للمؤمنين من عامة الشعب من غير الرهبان ومن غير رجال الدين.

إنك أيها الابن على حق، فى أن أكثر النماذج التى نقدمها للفضيلة والقداسة، هى من الرهبان، بل تكاد أن تكون جميعها من الرهبان فيما عدا بعض الشهداء من أمثال الشهيد مارجرجس، والشهيد مرقوريوس أبى سيفين، ومارمينا العجائبى...

ونتيجة لهذا الإلحاح على إبراز الرهبنة والرهبان صار عدد كبير من شبابنا المتدين يتجه إلى الرهبنة كهدف أسمى يطمح إليه، وربما، لو راوده فكر الزواج، رأى فى الزواج عائقا يعطله عن مسيرة القديسين. وهذا خطأ فى الفهم. وأعترف أنه يجب علينا أن نتنبه له وأن يقوم الكهنة ورجال الدين بالتوعية الكافية، حتى تكون لشبابنا مفاهيم متزنة متوازنة عن القداسة.

وهنا أجد الفرصة المناسبة لنروى ما جاء فى تاريخ القديس مكاريوس الكبير المعروف بـ (أبو مقار) أبى رهبان وادى النطرون، أنه ذات يوم فكر فى نفسه عما إذا كان بلغ نهاية الكمال المسيحى، فناداه صوت قائلاً له : إنك لم تبلغ بعد يامكاريوس إلى الكمال الذى بلغت إليه إمرأتان متزوجتان وعائشتان معاً فى منزل واحد بمدينة الأسكندرية. فتناول هذا الشيخ القديس لوقته عصاته ومخلته وقصد إلى الأسكندرية وسأل حتى وصل إلى منزلهما. ولما وصل إلى ذلك المنزل قرع بابه، ففتحت له إحداهما، فسألها عن الثانية العائشة معها. ولما دخل رحبتا به

---

(١) كتب فى ١٤ من أبريل ـ نيسان لسنة ١٩٨٧م – ٦ من برموده لسنة ١٧٠٣ ش.

وغسلتا قدميه بماء دافئ. ثم طفق يحدثهما بقوله : إننى جئت من داخل القفر لأراكما، ولكى أعلم ماذا تصنعان، وما هو نوع عيشتكما، فأجابتاه قائلتين : إننا قد اقترنا بسر الزواج مع رجلين أخوين من منذ خمس عشرة سنة، وعمل رجلينا رعاية الغنم. ونحن فى عيشة واحدة، من دون أن يخرج من فم إحدانا كلمة خلاف أو مناقضة فى كل هذه المدة على الإطلاق، بل كانت وحدة الرأى رائدنا، واتحاد القلوب غايتنا. وكنا نرغب فى الانفراد بأحد أديرة العذارى. ولكننا إذ لم نقدر أن ننال من رجلينا هذه النعمة، تعاهدنا معاً أمام الله، أن نقضى حياتنا بالصوم إلى المساء والصلوات الكثيرة. وقد رزقت كل منا بولد، فمتى بكى أحدهما تحتضنه الواحدة وترضعه وإن لم يكن ولدها. ونحن فقراء نكتفى بقوت يومنا، وما تبقى نوزعه على المساكين.

فحينما سمع القديس مكاريوس هذا الكلام هتف قائلا : حقا إن الله ينظر إلى استعداد القلوب، ويمنح نعمة روحه القدوس لجميع الذين يريدون أن يعبدوه من أية دعوة كانوا- فودعهما، وانصرف راجعا إلى البرية. (عن السنكسار- تحت اليوم السابع والعشرين من شهر برمهات).

ومغزى هذه القصة واضح وجميل، ومعناه أنه، وإن كانت البتولية طريقا أفضل، لبعض الموهوبين، لكن الزواج رابطة مقدسة، والقداسة ليست وقفاً على الرهبان. فقد كان، ومازال إلى اليوم، كثيرون من القديسين من بين المتزوجين، الذين كونوا أسرات نموذجية، وربوا أولادهم فى مخافة الله وطاعته، فأفادوا العالم، وصنعوا خيرات كثيرة، وأدوا لعائلاتهم وأوطانهم وللإنسانية بأسرها خدمات، وخففوا آلام المتألمين واطعموا الجياع، وكسوا العراة، وأضاءوا الطريق أمام الشباب، وقدموا فى حياتهم نموذجا للحياة النافعة والمثمرة والمنتجة لجميع الناس، فلم يعيشوا لأنفسهم، بل وهبوا حياتهم لخدمة المجموع الإنسانى ولعل من أشهر الأسماء المعروفة فى القديم من الآباء : إبراهيم، وإسحق، ويعقوب، وأيوب، وموسى، وصموئيل، وداود... وغيرهم كثيرون.

وفى تاريخ كنيستنا القبطية لمع على مدى التاريخ الطويل أناس كثيرون من المتزوجين فى مجالات : الدين، والعلم، والفن، والأدب، والطب، والهندسة، والموسيقى، والإقتصاد، ومعرفة اللغات، والبحث العلمى.

واعلم أن المبدأ العام الضرورى الذى يجب أن نركز عليه إهتمامنا فى توعية الشباب والأطفال، أن يكتشف الواحد استعداداته، ومواهبه، ويسلك فى الحياة، الطريق التى تناسب مواهبه واستعداداته وميوله. وهذا هو المنهج الأفضل فى مسيرة الحياة، حتى يبلغ الإنسان إلى حياة نافعة مثمرة أجدى عليه وعلى غيره ممن يعايشونه.

٨٨ - لا يترك الرجل زوجته ولا تفارق المرأة رجلها (١)

العزيز الابن س. ع. ف.

سلام ومحبة ونعمة وبركة.

وصلنى خطابك. وإنى أعتذر عن تأخيرى فإننى لم أفتح خطابك إلا الآن فقط، وذلك بسبب كثرة مشاغلى وأسفارى.

تألمت لفقد أطفالكم الثلاثة ولابد أن يكون هناك سبب، لوفاتهم فى هذه السن المبكرة. وهو أمر يحتاج إلى فحص طبى لك ولزوجتك.

أما عن موضوع الرهبنة، فحيث أنك متزوج فأنت مرتبط بامرأة، فلا يسمح لك بالرهبنة بدون موافقة زوجتك. على أن تقرر هى أيضا الرهبنة فتذهب إلى دير للنساء. هذا ما كان دائما يفعله كل من يرغب فى الرهبنة، من المتزوجين. هذا المبدأ مقرر فى الكتاب المقدس وفى تعاليم الآباء القديسين. (**لا تفارق المرأة رجلها**. وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها. **ولا يترك الرجل زوجته**) (١. كورنثوس ٧ : ١٠، ١١) (**أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الإنفصال**) (١. كورنثوس ٧ : ٢٧).

وكذلك قوانين الرهبنة تنص على أنه لا يجوز لرجل متزوج أن يترهب إلا بموافقة زوجته، على أن تكون هى راغبة فى الرهبنة لا مضطرة، وإلا فإن هذا الفصل يعرض كلا من المرأة والرجل للخطيئة والإثم.

أما عن الدير الذى تريد أن تترهب فيه، وهو دير مارمينا العجائبى بمريوط، فينبغى أولاً أن يزكيك الكاهن أب اعترافك الذى أنت تتبعه. ويمكنك أن تذهب مع عشرات الذاهبين من كل كنيسة تقوم برحلات إلى هذا الدير. ويمكنك كذلك أن تتصل وتذهب بنفسك إلى كنيسة مارمينا بمصر القديمة. فالكاهن وهو من رهبان الدير يقودك ويرشدك.

ونعمة الرب تشملك،،،

---

(١) كتب فى ١٠ من أغسطس ١٩٨٧م - ٤ من مسرى ١٧٠٣ ش.

٨٩ ـ مشكلة الزوج إذا فارقته زوجته

إلى السيد أ. ل. أ.

وصلنى خطابك المؤرخ فى ٨٠/٣/١٧ وبه شكواك من زوجتك التى فارقتك منذ ثلاث سنوات كاملة ورفضت العودة، على الرغم من أنك قد استعنت بالأهل والأقارب واستخدمت جميع الوسائل فى سبيل عودتها إلى منزل الزوجية ولكن محاولاتك قد باءت بالفشل..

وفاجأتك منذ عامين بطلب النفقة وقد حكم لها بذلك بحكم إبتدائى منذ يونيه ١٩٧٨ ـ واستأنفت أنت الحكم :

وقد أقمت على زوجتك قضية طلاق.

وأنت تسأل ما إذا كان الطلاق فى مثل هذه الحالة حراما، وإن الإصرار على أنه لا طلاق إلا لعلة الزنى وتغيير الدين، يؤدى إلى تشجيع الطرف الذى يأتى منه الإيذاء على المضى فى طريقه...

وجوابنا على أسئلتك على النحو الآتى :

أولا ـ ذكرتم فى خطابك أن زوجتك لم يدم استقرارها معك بعد الزواج إلا أسابيع معدودة، ثم رفضت العودة على الرغم من المحاولات.

وهنا سؤال لك : لماذا تركت الزوجة بيت الزوجية ؟

لابد أن هناك أسبابا عندها.

أنت تقول أنها بدأت فى إثارة المشاكل لأتفه الأسباب.

إذن هناك أسباب، وإن كانت تبدو لك أنت كرجل أنها تافهة. وقد لا تكون تافهة بالنسبة لها كإمرأة.

والمعروف أن المرأة لا تترك زوجها إلاّ إذا كانت هناك أسباب قوية بالنسبة لها.

على كل حال : إننا لا نستطيع أن نحكم فى قضية خلاف بين زوجين، بالإصغاء إلى طرف واحد.

من أجل ذلك لابد من إحالة القضية إلى مجلس اكليريكى، لدراستها أولا، ثم تقرير ما ينبغى عمله بعد ذلك. لذلك ننصح بالإلتجاء أولاً إلى المجلس الإكليريكى الخاص

بإيبارشية .....، فإذا لم يكن حل، فالإلتجاء إلى المجلس الإكليريكى بالقاهرة، عاصمة الكرازة المرقسية.

طبعاً من جهة المبدأ، الكنيسة لا تقر ما يعرف بحكم المحكمة بالطاعة، ولكنها تأمر المرأة بأن تطيع زوجها، ولابد من أن يصدر إليها هذا الحكم من سلطة دينية، ولكن بعد أن تصغى الكنيسة إليها وتدرس شكواها وشكوى زوجها.

ومن جهة المبدأ، الكنيسة لا تقر الطلاق بعد أن ربط الروح القدس بين الزوجين، فأصبح (الله) طرفا ثالثا. لذلك لا تكفى الإرادة المنفردة لأحد الزوجين، ولا إرادة الزوجين معا للطلاق، لأن (الله) صار فى الزواج المسيحى الذى يتم فى الكنيسة وبمعرفة الكهنة كممثلين للسلطة الإلهية، طرفا ثالثا «وما جمعه الله لا ينبغى أن يفرقه الإنسان» (متى ١٩ : ٦).

على أن التفريق بين الزوجين لا يتم إلا فى الأحوال الرئيسية الآتية :

أولا - إذا لم تتوافر الأشراط الضرورية لقيام الزواج المسيحى.

(أ) والمقرر أن الزواج فى المسيحية يتم لرجل مكتمل الرجولة وامرأة مكتملة الأنوثة. فإذا إتضح أن هذا الشرط غير متوافر، فيتم التفريق بين الاثنين على أساس ما يعرف بأنه «زواج باطل» لأن شروط الزواج الأساسية لم تتوافر فى هذا الزواج.

(ب) كذلك يشترط فى قيام الزواج الرغبة والقبول فى الزوجة وفى الزوج قبل الزواج أو عند الزواج، لأن أسرار الكنيسة لا تتم فعالياتها إلاّ بناء على الرغبة والقبول.

(ج) أضف إلى ذلك إتمام الزواج بمعرفة رجال الكهنوت وبالصلوات والطقوس والمراسم المرتبة فى الكنيسة لإتمام سر الزيجة.

إذا لم يتوافر هذا يمكن الطلاق والتطليق على أساس ما يعرف (ببطلان الزواج) أى أنه لم يكن الزواج قائما أصلا.

ثانيا - بعد الكلام عن أشراط قيام الزوجية، يبقى أن إنحلال الزيجة القائمة لا يجوز إلا فى حالتين أساسيتين :

الأولى : الزنى، وماهو فى حكم الزنى.

ذلك لأن الزنى نجاسة، (والله) وهو طرف ثالث يمقت النجاسة ويبغضها، فروحه تفارق.

الثانية : الموت، وماهو فى حكم الموت.

ومادام (الله) هو الطرف الثالث فى الزواج المسيحى. فلا ينحل هذا إلا بإرادة الله. ولما كان الله تمثله الكنيسة على الأرض. فلا يحل (إنحلال الزيجة) إلا بحكم (الكنيسة).

وعلى ذلك لابد من عرض الإشكال أو الخلاف بين الزوجين على المجلس الإكليريكى. فالمجلس يفحص الخلاف ويحكم فيه بحكم كنسى ملزم للزوج والزوجة.

وفى مثل حالتكم، إذا حكمت الكنيسة على الزوجة بعد الدرس والفحص، بأن تعود الزوجة إلى زوجها ثم خالفت حكم الكنيسة، ولم تطعه، صارت فى حكم الوثنية أى (خارجة عن شركة الكنيسة)، وهذا طبقا للمبدأ الإنجيلى «فإن رفض أن يسمع للكنيسة فليكن بالنسبة إليك كوثنى وعشار» (متى ١٨ : ١٧).

وبهذا تصير الزوجة فى (حكم الميتة). حينئذ يمكن أن يقع عليها الحكم بالفصل (أو الطلاق).

والخلاصة إننا ننصح أولا برفع شكواكم إلى المجلس الإكليريكى أولاً بإيبيارشية ..... ثم إلى المجلس الإكليريكى بالقاهرة.

٩٠ ـ نصيحة إلى شاب فى اختيار زوجته

سؤال : من السيد ن. ب. غ.

ردا على استفساراتكم بخصوص اختيار الزوجة شريكة الحياة أنصح لك بأن أهم ما ينبغى أن تضعه نصب عينيك هو أن يكون بينك وبين الفتاة، توافق نفسى وفكرى فى الخطوط العامة للحياة. وإذا قلنا، «التوافق النفسى والفكرى» فنحن لا نقصد «التطابق» فهذا التطابق مستحيل بين اثنين ولو كانا شقيقين من أب واحد وأم واحدة. وإنما المقصود أن يكون هناك تقابل وإنسجام نفسى وفكرى، فلا يكون هناك تعارض أو تنافر فى الميول والمزاج.

وإذا قلنا التوافق النفسى والفكرى، فلا نقصد مجرد «التدين» فليس كل متدين يتوافق نفسيا وفكريا معك. التدين جميل فى ذاته، ولكنه ليس الشرط الوحيد لسعادة الحياة الزوجية. أنه أساسى وضرورى، ولكنه ليس العامل الوحيد فى نجاح مسيرة الحياة الزوجية.

أما كيف تعرف أن هذا الاختيار من السماء فلا تنتظر حلما أو رؤيا، ولست أنصح لك بالقرعة. إنما صل أولا، وانظر إلى كل من الفتاتين المعروضتين أمامك، وتأمل، واسأل ضميرك وقلبك هل هذه هى الأكثر توافقا معى فى الفكر والنفس ؟ هل هذه هى الأصلح بالنسبة لى لمسيرة الحياة كلها ؟

أجب على هذا السؤال بأمانة. ولا تخدع نفسك. يجب أن تأخذ رأى والديك ورأى آخرين، ولكن لا تنس أنك أنت أولا وأخيراً صاحب القرار، وأنك أنت هو الذى ستتحمل مسئولية هذا القرار لكل الحياة.

من أجل هذا أنصح لك بأن تصلى، ولكن راقب الإجابة على الصلاة فى قلبك وشعورك، وأنت تتأمل الفتاة كمن ستحيا معك كل الحياة. لا تنظر إلى الجمال بمفرده، ولا إلى التعليم بمفرده، ولكن انظر أولا وقبل كل شئ، هل هى الفتاة التى تصلح لك لمسيرة الحياة بأسرها. هل بينك وبينها توافق فكرى ونفسى، أم إذا تقابلت معها بعض الوقت رأيت من كلامها وتصرفها ما يكشف عن تعارض بينكما فى الميول والإتجاهات.

إذا لم تصل إلى قرار بعد، فلا تندفع بل ارجئ الموضوع مصليا، ثم كرر على نفسك السؤال، وتقابل مع كل فتاة، ليس على إنفراد، ولكن فى عائلتها، وأجب على نفسك أسئلتك بكل أمانة وإخلاص، من غير خداع الحواس، أو الغريزة أو الإستحسان العارض.

والرب الإله يرشدك الطريق لإتخاذ القرار الحكيم، فإن الزواج ليس مجرد متعة، إنما هو مسئولية وتعاون على مسيرة الحياة الأبدية،،،

٩١ ـ هل الزواج قسمة ونصيب

سؤال : من الابن الاغنسطس چورچ منز فهيم ـ الزيتون ـ القاهرة.

يقول البعض أن الزواج قسمة ونصيب فهل هذا صحيح، وأن فلان هذا لفلانه، وفلانه هذه لفلان؟ وهل ربنا له تدبير فى الزواج ؟ وما رأى نيافتكم فى الزواج الفاشل الذى لا ينجح فى معظم الأحيان، هل الله له ترتيب فى ذلك ؟

الجواب :

إن الجواب على هذا السؤال يتوقف على المعنى فى ذهن صاحب السؤال.

ففى اللغة يقولون : قسم الشئ أى جزأه وفرقه.

أما النصيب فهو الحظ، أو هو الحصة من الشئ. فيقول أحدهم : **هذا نصيبى أى حظى.**

على أن عامة الناس يستخدمون هذا التعبير ليتنصلوا به من مسئوليتهم فى كل ما يقع لهم من أحداث، ولينتحلوا لأنفسهم العذر فى أى نوع من الفشل يصيبهم، وذلك ليريحوا ضمائرهم، وليتهربوا من معرفة الأسباب الحقيقية للأحداث. وبهذا التعبير يلقون المسئولية كلها على القدر أو الأقدار. وعندهم أن الله هو الذى يرسم كل شئ، وليس للإنسان أى دور فى كل ما يحدث.

الزواج المقسوم

ولقد سرى سم هذه النظرية القاتلة، نظرية (القدرية) بهذا المفهوم السقيم العقيم إلى الرابطة الزوجية. فالزواج عند المؤمنين بالقدرية قسمة ونصيب، فالزواج الناجح قدر من الله، والزواج الفاشل قدر من الله. ولا يد للإنسان فى اختيار شريكه أو قرينه، لكن الله هوالذى حكم على الرجل أن يتزوج بهذه المرأة، وحكم على المرأة أن تتزوج بهذا الرجل. لقد ساقهما القدر إلى هذا المصير المحتوم الذى لا خيار لأحدهما فيه، ولا يملك هو أو هى أن يعدل منه أو يغير من قدره. فعليه أن يرضخ للقدر ويستكين لحكم الله. فإذا كان هذا الزواج فاشلاً فالمسئولية كلها على القدر أو على الله. ومن ثم فلا مفر من أن يشتم الواحد منهم القدر الأعمى، وبالتالى أن يجدف على الله وينسب إليه الظلم لأنه أراد له الشر والشقاء وقدّره عليه.

الزواج فعل اختيارى

وأما الذين يقولون إن الزواج قسمة ونصيب، متعللين بقول الكتاب المقدس (البيت والثروة ميراث من الآباء. **أما الزوجة المتعقلة فمن عند الرب)** (سفر الأمثال ١٩ : ١٤) فهم يخطئون الفهم والتأويل، ويتنصلون من مسئوليتهم فى اختيار الزوجة.

فإذا كانت الزوجة المتعقلة أو العاقلة من عند الرب، أفهل يكون معنى هذا أن الزواج الناجح قدر من الله، والزواج الفاشل قدر من الله ؟

هل يفهمون من قول الكتاب المقدس **(الزوجة المتعقلة أو العاقلة من عند الرب)** . أن الله هو الذى حكم على كل رجل بأن يتزوج امرأة بعينها وحكم على كل امرأة أن تتزوج برجل بعينه ؟.

وما قولهم فى المرأة غير المتعقلة أو غير العاقلة فهل هى أيضا من عند الرب؟

كيف يصل الأمر عند بعض الناس أن ينكروا حريتهم فى اختيار الزوجة إلى هذا الحد حتى يتنصلوا من مسئوليتهم فى هذا الاختيار مع أن كل رجل يعلم أنه بكامل حريته يختار المرأة التى يستحسنها هو متأثرا بجمالها أو أناقتها ورشاقتها، أو لحسبها ونسبها، أو لثروتها، أو لسمو أخلاقها... أو ما إلى ذلك من أسباب عنده مبرراتها فى هذا الإختيار.

إن الزوجة فى الواقع لا يرسلها الله إليه من كوكب آخر، وإنما هى عادة من أرضه. وقد تكون من أهله وبلده التى عاش فيها، فرأى المرأة واستحسنها، وقد تكون زميلة له فى الدراسة رآها فأحبها، وقد تكون زميلة له فى العمل، أو قد تكون جارة له فى الشارع الذى يسكنه أو فى البيت الذى يقطنه. فإختياره للزوجة عملية شخصية بحته، لا قهر فيها ولا إلزام، ولا جبر، فهو الذى يطلب يدها بناء على استحسانه لها ومعرفته بها، وهو يعلم أنه يمكنه أن يرفضها، وأن يعدل عن رأيه فيها، وأن يتجه إلى اختيار غيرها إذا اتضحت له أسباب تجعله يؤثر هذه عن تلك. فإذا تزوج بهذه أو بتلك واتضح له أنه أخطأ الاختيار تولاه الندم. والندم دليل شعوره بحريته فى الإختيار. ولذلك يعمد إلى تصحيح هذا الخطأ بأن يطلب الإنفصال عن زوجته بحجة أو بأخرى، وقد يصل إلى غرضه.

ولو كان الزواج قسمة ونصيبا من الله لما أمكن لرجل أن يغير قدره أو قسمته بالطلاق أو الإنفصال أو بغير ذلك من وسائل يعلم أنه حر فى إختيارها.

والواقع أنه ما من رجل فشل فى زواجه يقتنع فى أعماق نفسه بأن الزواج قسمة ونصيب من الله، بدليل أنه يعترض ويحتج ولا يتوقف عن محاولة الخلاص من زوجته إلا إذا رأى نفسه عاجزا عن الخلاص من هذه الزوجة. عندئذ فقط يحاول أن يقنع نفسه ويغالط ذاته بالقول إن (الزواج قسمة ونصيب). ولو أنه وجد وسيلة للخلاص لنسى هذا القول وأنكره وجحده، وقال لمن يخاطبه به : إن هذه المقولة كاذبة، إنى لا أؤمن بها ولا أقبلها. وإذا زعم له أحد أن هذه قسمته من الله لما تورع عن أن يجدف على الله ويتهم الله بأنه قد ظلمه.

إن قول الكتاب المقدس المرأة المتعقلة من عند الرب معناه **أن التعقل فى المرأة هبة من عند الرب**. وهذا قول حق، **فإن العقل عطية من الله للإنسان** وما أسعد الإنسان المتعقل الذى يسلك بالعقل ولا يندفع وراء نزواته وشهواته بغير عقال يربطه ويرده إلى السلوك المستقيم.

إن هذا القول الإلهى هو **لكى يحض كل رجل على أن يتطلب فى المرأة التى يختارها لتكون له زوجة أن تكون عاقلة.**

لكن ليس معنى قوله (المرأة المتعقلة من الرب) أن كل امرأة عاقلة أو غير عاقلة تساق على الرغم منها لتتزوج برجل بعينه على الرغم من إرادتها وعلى الرغم من إرادته.

والخلاصة

والخلاصة إن قول بعض الناس من المؤمنين بمبدأ القدرية، إن كل شئ مقسوم على الإنسان ولا يملك أن يختار غيره قول يتعارض تعارضاً جذريا مع مبدأ حرية الإختيار والمسؤولية التى تعلم بها ديانتنا المسيحية وكتابنا المقدس.

جاء فى الكتاب المقدس (**لأن الخاطئ لم يرسله الرب**. إنما ينطق بالحمد ذو الحكمة، والرب ينجحه. **لا تقل إنما ابتعادى عنها (عن الحكمة) من الرب، بل امتنع عن عمل ما يبغضه. لا تقل هو أضلنى فإنه لا حاجة له فى الرجل الخاطئ... هو صنع الإنسان فى البدء وتركه فى يد اختياره. وأضاف إلى ذلك وصاياه وأوامره. فإن شئت حفظت الوصايا ووفيت مرضاته. وعرض لك النار والماء، فتمد يدك إلى ما شئت. الحياة والموت أمام الإنسان فما أعجبه يُعطى له.** إن حكمة الرب عظيمة. هو شديد القدرة ويرى كل شئ. وعيناه إلى الذين يتقونه ويعلم كل أعمال الإنسان.

لم يوصِ أحداً أن ينافق، ولا أذن لأحد أن يخطأ. لأنه لا يحب كثرة البنين الكفرة الذين لا خير فيهم) (سفر يشوع بن سيراخ ١٥ : ١٠ – ٢٢) وجاء فيه أيضاً (**أربعة تصدر من القلب : الخير والشر، والحياة والموت.** والمتسلط على هذه فى كل حين هو اللسان) (٣٧ : ٢١).

ثانيا - إنها مقولة يكذبها الواقع العملى فى العديد من الحالات التى يفشل فيها الزواج نتيجة لسوء الإختيار.

ثالثا - إنه قول لا يصلح لتفسير عشرات ومئات الزواجات التى تتم تحقيقاً لشهوة أو جريا وراء نزوة، أو طمعا فى ثروة، وما إلى ذلك من بواعث جسدية أو مادية لا يمكن أن يكون الله مسئولا عنها أو له يد فيها.

رابعا - إنه قول يتمثل فيه التنصل من المسئولية والهرب من التبعات المترتبة على حق الفرد فى الاختيار.

جاء فى الكتاب المقدس (خلق الرب الإنسان من الأرض.. جعل لهم وقتا وأياما معدودة، وآتاهم سلطاناً على كل ما فيها، وألبسهم قوة بحسب طبيعتهم وصنعهم على صورته... خلق منه عونا بإزائه، **وأعطاهم اختيارا** ولسانا وعينين وأذنين **وقلبا يتفكر.** وملأهم من معرفة الحكمة، **وأراهم الخير والشر...** وقال لهم : **احترزوا من كل ظلم.** وأوصاهم كل واحد فى حق القريب... **وبعد ذلك يقوم ويجازيهم، يجازيهم جزاءهم على رؤوسهم... فتب إلى الرب وأقلع عن الخطايا.** تضرع أمام وجهه وأقلل من العثرات. ارجع إلى العلى، واعرض عن الإثم، وابغض الرجس أشد البغض) (سفر يشوع بن سيراخ ١٧ : ١ – ٢٣).

ومع ذلك، وبدلاً من أن يلوم الإنسان نفسه ينحى باللائمة على الله، مما يقوده إلى التجديف على الله، وإتهام الله بالظلم، وبالتالى يمتلئ قلب هذا الإنسان بالكراهية لله والحقد عليه. مما يوقعه فى مجموعة خطايا مميتة تؤدى به إلى الهلاك الأبدى.

ومهما يكن من أمر فنحن نرفض تماما أن يكون الزواج (قسمة ونصيب) بالمعنى الذى يريده بعض الناس المتمذهبين بمذهب القدرية ليتنصلوا من مسئوليتهم فى إختيار الزوجة أو الزوج، وتهرباً من أوامر ووصايا الكتب المقدسة التى تأمر الناس أن يحترموا حريتهم الممنوحة لهم من الله، وأن يحسنوا توظيفها فيما ينفعهم لحاضرهم ومستقبلهم، الزمنى والأبدى.

٩٢ ـ هل تجوز القبلة بين الخطيبين ؟

سؤال : من السيد أ. و. ن ـ أسيوط.

يقول أنه خطب فتاة، وفى الشهور الأولى لم يسمح لنفسه أن يمسك بيدها أو يلمسها. ولكن بعد مدة تزيد على ثلاثة شهور، وكان يخرجان معا، وقد نما الحب بينهما حاول أن يقبلها، فرفضت الفتاة بشدة، وقالت له إنهما خطيبان ولا تجوز لهما القبلة إلا بعد الزواج وحاول مرة أخرى، فأصرت الفتاة على الرفض، فهل كانت الفتاة على حق ؟

الجواب :

نعم، إن الفتاة على حق فى رفضها القبلة وكل أنواع الملامسات. إن الخطبة بين اثنين هى وعد بالزواج وحيث أن الزواج لم يتم بعد، ولم يربط الروح القدس بينهما بعقد الزواج الكنسى، فلا يحل أحدهما للآخر ولا سلطان لأحدهما على جسد الآخر. (١ . كورنثوس ٧ : ٤) . فالقبلة وكل أنواع الملامسات غير جائزة.

ثم أن القبلة مدخل خطر لسلسة من الأخطاء قد تتتابع وتتلاحق بشعور غير واضح، وقد ينزلق إليها الخطيبان كما ينزلق النازل من سلم زلت قدمه فى أول العتب.

إن من الخير أن يغلق الإنسان بابا تأتيه منه ريح عاتية.

٩٣ ـ هل كل إنسان مطالب بأن يتزوج ؟

سؤال : هل كل إنسان مطالب بأن يتزوج ؟

الجواب :

لقد رفعت المسيحية البتولية أو العزوبة الطاهرة درجات فوق الزواج، وجعلت الزواج شرعة لغير القادرين على العفة الكاملة، ووقاية من الفساد والإنحلال والزنى. (ليكن لكل رجل امرأته وليكن لكل امرأة رجلها).

قال المسيح له المجد (يوجد خصيان ولدوا على هذا النحو من بطون أمهاتهم، ويوجد خصيان خصاهم الناس، **ويوجد خصيان خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السماوات. فمن استطاع أن يقبل فليقبل)** (الإنجيل للقديس متى ١٩ : ١٢). **والذين خصوا أنفسهم هم البتوليون والعزاب أو الأعزاب الذين لم يتزوجوا، وهم خصوا أنفسهم أى لم يتزوجوا حباً وكلفا بحياة الطهارة التامة والعفة الكاملة وليكونوا مقدسين روحا وجسداً.**

ولما كانت المسيحية لا تبيح للإنسان أن يقتل جسده أو أى عضو من أعضائه (أفسس ٥ : ٢٩)، **فالذين خصوا أنفسهم هم الذين أعلوا غريزة الجنس وتساموا بها، وبسلطان الإرادة عاشوا أطهاراً ورهبانا.**

يقول الكتاب المقدس (**خير للرجل أن لا يمس إمرأة**، ولكن خوفاً من الزنى، فليكن لكل رجل امرأته، وليكن لكل امرأة رجلها). (أقول لغير المتزوجين وللأرامل **إنه يحسن بهم أن يبقوا على هذه الحال (غير متزوجين) فإذا لم يطيقوا ضبط أنفسهم، فليتزوجوا، فإن التزوج أفضل من التحرق بالشهوة...**).

هل أنت غير مرتبط بزوجة؟ إذن لا تطلب زوجة. **لكنك إن تزوجت فأنت لم تخطئ، وإذا تزوجت العذراء لم تخطئ.. (وأما من أقام راسخا فى قلبه، وكان غير مضطر، بل له سلطان على إرادته وقد عزم فى قلبه على أن يحفظ عُذرته (بكارته)، فنعم ما يفعل. إذن من تزوج فحسنا يفعل، ومن لا يتزوج يفعل أحسن)** (١ . كورنثوس ٧ : ١ – ٣٨).

على أنه يجب أن يلاحظ أن للزواج فى المسيحية أشراطا يجب توافرها قبل عقد الزواج دينيا وكنسيا.

ولما كانت غاية الزواج الطبيعية هى الإنسال وإنجاب الأطفال، فلابد أن يكون الرجل كامل الرجولة، والمرأة إمرأة كاملة الأنوثة حتى يتحقق الإنسال والإنجاب. فإذا لم يتوافر هذا الشرط قبل مباشرة صلوات الإكليل صار العقد باطلاً، وجاز التطليق بالبطلان لعدم توافر هذا الشرط الضرورى.

وإذا كان فى الرجل - أو المرأة - عيب خلقى، بيولوچى (فى بنيته الطبيعية) أو فسيولوچى (وظيفى) يعوق إمكانية الوصال الجنسى بينهما، أو يمنع إمكانية الإنسال...

وإذا كان الرجل - أو المرأة - مصابا بمرض معد يجعل الوصال الجنسى بينهما يضر بأى منهما.

فلا يباح الزواج فى مثل هذه الأحوال وإذا تم عقد الزواج، عن جهل أو عن علم، جاز التطليق بالبطلان.

٩٤ ـ هل يجوز الزواج من شاب هو ثمرة الزواج الثانى بعد الطلاق؟

سؤال : من الآنسة م. ج. م.

تقدم لخطبتى شاب مثقف يتمتع بكامل الأخلاق الحسنة والصفات الطيبة وله بنا صلة قرابة، ويريد الزواج منى، ولكن والدى رفض أن يزوجنى به نظرا لأن والده سبق وتزوج قبل الزواج من أم هذا الشاب بزوجة أولى وقد طلقها لسوء أخلاقها ثم تزوج من أم هذا الشاب وأنجب منها خمسة أولاد من بينهم هذا الشاب ؟

الجواب :

ليس من مانع شرعى يعوق زواجك من ذلك الشاب، خصوصا وأنه ابن زواج شرعى. فوالده قد طلق زوجته الأولى لسوء أخلاقها كما تقولين، وتزوج من أم هذا الشاب. فإذا كان الزواج الثانى قد تم بتصريح كنسى، وبمعرفة الكنيسة وطقوسها، فالشاب هو ثمرة زواج شرعى، وزواجه منك حلال.

إن طلاق الزوجة الأولى لا يمنع شرعية الزواج من شاب هو ثمرة الزواج الثانى، أيا كان سبب طلاق والده من زوجته الأولى.

٩٥ - يشكو زوجته

سؤال : من قارئ.

يشكو زوجته أنها مسرفة، بينما أن دخله متواضع ومرتبه ضئيل. يقول أنه فى مبدأ الأمر كان سعيدا بها سعادة غامرة. وعلى الرغم من أنه يشهد لزوجته بأن سلوكها طيب، ولم يستطع أحد أن يتناول سيرتها بسوء، كما أنها مطيعة، ولاتتفوه بكلمة اعتراض أبداً، لكنها عمليا لاتنفذ ما أطلبه منها فاضطررت أن أمد يدى عليها بالضرب... تطالبنى بما لا طاقة لى به، وتشكونى إلى الجيران.... صرت أضربها كثيرا... وفى إحدى المرات ضربتها وذهبت دون عشاء لأنام، وبعد لحظات كانت هى فى الشارع يشتعل جسدها بالنار وكاد الجيران يمزقوننى ونقلتها إلى المستشفى ، وهى الآن تحت العلاج، وأنى أزورها وأطعمها بيدى لأن يديها احترقتا.... وأنا نفسى مريض بعدد من الأمراض، أشكو الدوار لإصابة عصب التوازن بأذنى، وأكاد أفقد أعصابى، وأفكر فى الانتحار، فبماذا تنصحنى؟

الجواب :

قرأت خطابك، وتألمت لآلامك، وأسفت كثيرا للمحاولة الخاطئة من جانب زوجتك إذ أشعلت النار فى جسدها بقصد الانتحار.

وهذا معناه أنها هى الأخرى متعبة نفسيا، حتى يئست من الحياة، ورأت أن تنتحر تخلصا من الحياة وهذا فقدان للإيمان والرجاء.

ومع ذلك لاتقسو عليها، فالمرأة ضعيفة ورقيقة، وسريعة الانفعال، ولذلك تجأر بالشكوى سريعا، وتحس أنها مظلومة خصوصا إذا كان زوجها يضربها كمثل ما تفعل أنت. فضربك لها يزيد من فزعها وارتباكها، ولا سيما أنك ضربتها على مايبدو كثيرا.

أيها العزيز - أنت مسيحى. والمسيحية تقتضى منك أن ترضى بزوجتك التى اخترتها بنفسك، وأن ترضيها من أجل الله، ومن أجل خلاصك الأبدى، ومن أجل طفليك منها، ومن أجلها هى كإنسانة خلقها الله على صورته ومثاله، وقد صارت بالزواج مسؤولة منك روحيا أولا قبل أن تكون هى مسؤولة عنك. فأنت الرجل. المفروض فيه أنه يقود الأسرة، وهو على رأسها مسؤول عنها. أنه يلزمك أن تكون صبورا، وعطوفا عليها. ولقد طلب الله من

الرجال أن يحبوا نساءهم. ولم يطلب ذلك من النساء، وإنما طالب النساء بالطاعة لرجالهن. (أفسس ٥ : ٢٥ - ٣٣، ٢٢ - ٢٤).

صحيح أن دخلك على ماتقول محدود ولك متاعب صحية. ومع ذلك فالضريبة الموضوعة على رجولتك أنك مسؤول عن كيان الأسرة كلها. راجع نفسك، وخطئ نفسك. ولاتعذر نفسك، ولكن اعط العذر بالأحرى لزوجتك. لاتقل أنها تشكوك. هذا طبع فى كل امرأة. فلا تملك أنت أن تغيره. واضبط انفعالك، وغير نظرتك إلى زوجتك أنها نصفك الثانى. وقد ربط الله فى سر الزواج بينكما فأصبح هو طرفا ثالثا. فأنت لاتملك أن تنفصل عنها بارادتك المنفردة، ولاتملك وأنت معها أن تنفصلا بارادتكما المتفقة، لأن هناك طرفا ثالثا هو الله الذى ربط بينكما بالروح القدس فى سر الزواج. «فما جمعه الله لاينبغى أن يفرقه الإنسان» (متى ١٩ : ٦). إذن فلتخضع لمشيئة الله، وابدأ من جديد أن تعامل زوجتك بحنان ومحبة. حاول أن تنظر إلى فضائلها وتترك جانبا أخطاءها. فإن نظرتك إلى النواحى الطيبة فيها تقربك إليها. واعلم أنه ليس إنسانا كاملا. وأنت ذاتك لك أخطاؤك وإن كنت لاتشعر بها. وكما أنك تشكو من زوجتك فلزوجتك أسباب تشكو منها فيك. فإذا كنت أنت بذاتك تحت الضعف فلا تحكم بقسوة على غيرك. هى زوجتك وأم أولادك، اذكر كيف كنت سعيدا معها فى مبدأ الأمر - عندما تشفى اصحبها معك إلى الكنيسة، وصليا فى البيت معا، ورتلا تراتيل روحية منعشة، واجعل الأولاد رابطتكما الوالدية. من أجل الأولاد اطرح خلافاتك مع زوجتك جانبا، لئلا يتعقد الأولاد، وينحازوا إما إليك وإما إلى أمهم فيفقد الأولاد محبة أى منكما - ثم قد يتعقد الأولاد فيكرهون الزواج، ويحسبونه شقاء بعد أن ذاقوا مرارة العشرة بين والديهما.

من أجل المسيح استرد محبتك لزوجتك، وراجع نفسك، واضبط انفعالك، واستغفر الله عما مضى. واشرع بداءة جديدة. ولسوف يعوض الله تعبك، ويرد لك السعادة الروحية والعائلية ويبارك فى أولادكما. الرب يعينك.

القيم الروحية
فى سر الكهنوت

القيم الروحية فى سر الكهنوت ٣١٥
الكهنوت ومعناه ٣١٦
كهنوت العهد الجديد ٣١٩
مهمة الكهنوت على الأرض ٣٢٣
رتب الكهنوت ٣٤٤
كرامة الكهنوت المسيحى ٣٤٨
وأعطانا خدمة المصالحة ٣٥٤

الكهنوت ومعناه

وهو سر الدرجة، أو سر السيامة أو وضع اليد، به ينال المسيحى هبة غير منظورة يصبح بها خادماً مفرزاً لله ومكرساً لخدمته، قادراً على مباشرة الخدمة التى تُعَينها درجة الكهنوت التى يقام فيها، وهى الشماسية أو القسيسية أو الأسقفية. **فإذا كان المؤمن يصير بالمعمودية مواطنا فى مملكة المسيح. فإن المدعوين للكهنوت من المؤمنين يصيرون قادة فى خدمة تلك المملكة وسيدها. والقادة فى رتبهم درجات.**

وكلمة (الكهنوت) من أصل عبرانى. **والكاهن من له معرفة الأسرار وأحوال الغيب.** والهبة غير المنظورة التى يحصل عليها المدعو إلى إحدى درجات الكهنوت هى:

أولاً: الوسم الذى لا يمحى والسمة الدائمة التى تطبع سر الكهنوت فى روح من يقبل تلك الدرجة. وبموجب هذه السمة وذلك الوسم يصير له سلطان مباشرة خدمة الكنيسة التى نيطت به، كما يصير له أيضاً سلطان على نفوس المؤمنين فى حدود إختصاص درجته، وحتى لو حُرم من الكنيسة وجرد من درجته، وحط من وظيفته، فإنه يبقى محتفظاً بالوسم الذى صار له بقوة سيامته الأولى، ولذلك فلا توضع عليه اليد مرة أخرى إذا أعيد إلى وظيفته وارتفع عنه الحرم الكنسى.

جاء فى الكتاب المقدس فى تأييد السلطان الممنوح لأصحاب الدرجات الكهنوتية (فإن كل رئيس كهنة يؤخذ من بين الناس ويقام من أجل الناس فيما هو لله، ليقدم قرابين وذبائح تكفيراً عن الخطايا) (العبرانيين ٥: ١) وقال ربنا يسوع المسيح لرسله الأطهار ولخلفائهم من بعدهم (إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس) (متى ٢٨: ١٩)، (من غفرتم لهم خطاياهم تُغفر لهم، ومن أمسكتموها عليهم تمسك عليهم) (يوحنا ٢٠: ٢٣).

وثانياً: ينال المتقدم إلى الكهنوت نعمة روحية جديدة، وهى غير النعمة المبررة الأولى التى ينالها المؤمن فى سرّ المعمودية، **هى النعمة المفاضة على من ينال درجة الكهنوت لتنموه فى الفضيلة والروحانية المناسبة لتتميم خدمته التى دُعى إليها،** وهى الهبة التى عناها الوحى الإلهى فى الخطاب الموجه إلى الأسقف تيموثيئوس (ولا تهمل **الهبةَ التى هى فيك التى أُوتيتها بالنبوة مع وضعِ جماعة الكهنة**

أيديهم عليك) (١ . تيموثيئوس ٤ : ١٤) والتى أشار إليها مرة أخرى بقوله إليه: (فلهذا السبب أُذكّرك أن تُضرِم النعمة التى منحك الله والتى هىّ فيك بوضع يدىّ) (٢ . تيموثيئوس ١ : ٦).

وهى هى النعمة التى قال القديس بولس إنها قد وُهبت له من الله، والتى نالها ليباشر بها خدمة الكهنوت. وقد تحدث عنها فى رسالته إلى كنيسة رومية فقال (غير أنى كتبتُ إليكم فى بعض ما كتبتُ أيها الإخوة، بشئ من الجرأة، لأذكّركم بالنعمة التى منحها الله لى، لأكون خادما للمسيح يسوع عند الأمم غير اليهودية وأباشر الكهنوت فى خدمة إنجيل الله، حتى يكون قربان الأمم غير اليهودية مقبولاً عند الله ومقدّسا بروح القُدس) (رومية ١٥ : ١٥، ١٦).

ولِسرّ الكهنوتِ فوائد روحية جزيلة:

أولاً: بالنسبة إلى صاحب الدرجة نفسه.

ثانياً: بالنسبة إلى المسيحىّ المؤمن....

أولاً: بالنسبة إلى صاحب الدرجة:

فإنّه فضلاً عن الوسم أو السلطان الممنوح له من الله لمباشرة إختصاص وظيفته والنعمة المفاضة عليه لنّموه فى الفضيلة والروحانية المناسبة له للقيام بمقتضيات خدمته بنجاح خدمة مرضيّة أمام الله ومقبولة أمام الناس – نقول فضلاً عن هذا كلّه **فإنّ خادم الكهنوت يشعر بجلال الخدمة المقدسة التى أُنتدب إليها والولاية الروحية التى أقيم فيها وأُنيط** بها، لأنه لم يتقّدم إليها بنفسه ولا إختارها بإستحسانه، وإنّما دُعِى إليها من الله كما دُعِى هرون (العبرانيين ٥ : ٤). وإذا كان الله قد منحه بهذه الدرجة سلطانا روحيا على نفوس المؤمنين، ولأداء مراسم الخدمة، سلطانا ميّزه به عن سائر المؤمنين حتى لو كانوا من الأتقياء والقديسين، فإن **هذا السلطان عظيم، لكنه أيضاً رهيب لأنه يحمل فى ذاته تبعات جساما، ومسئوليات جد خطيرة، فإنه سلطان الرب منحه للخدّام ليستعينوا به على بُنيان نفوسِ المؤمنين، فالويل لمن يحمله بغير استحقاق، ولمن يستهين به أو يستعين به على إذلال المؤمنين والإضرار بأرواحهم. والويل أيضاً لمن يطمر وزنة سيده فى الأرض ولا يتاجر بها ويربح وزنات أخرى** (متى ٢٥ : ٢٦ – ٣٠)، (لوقا ١٩ : ٢٣ – ٢٦).

والكهنوت ليس وسماً أو سلطاناً فقط، **وإنّما هو نعمة أيضاً يجب أن تُضرَمَ وتُذكَى**، والنّعمة المفاضة على قلب صاحب الدرجة إنسكبت عليه بفعالية الروح القدس، وبناء على إستحقاقات المسيح، فكيف لا يمتلئ قلب الخادم خشوعاً وخضوعاً وإتضاعاً؟ أو كيف لا تضرم فيه المحبة نحو الله الذى سكب نعمته عليه؟ وكيف لا يتفانى بعد ذلك فى خدمة المؤمنين الذين إفتداهم الربُ، بدمه، تعبيراً عن إمتنانه لله وشكراً له على آلائه ونعمائه؟.

ثانياً: بالنسبة للمسيحى المؤمن:

أما بالنسبة للمؤمن العادى، فإنه يزداد توقيراً لحدود الله، ويعلم أنه **مهما بلغ من التّقَى، فتقواه لا تؤهله لأن يقترب إلى أعمال الكهنوت، أو يباشر إختصاصات أصحاب هذا السرّ، وبذلك يتمرس عملياً على مفهوم الطاعة للشريعة، كما يتعلّم أن يحترم إختصاصات الذين نالوا كرامة الكهنوت، ويقنع بمباشرة الأعمال التى تجوز له كمؤمن**، دون تلك التى تدخل فى نطاق من وُضِعت عليهم اليد لدرجة من درجات الكهنوت الثلاث، وهذا كله درس متكامل فى التواضع المسيحى بمعناه الدقيق.

فما أبعد الفارق بين شعور مسيحى يبلغ به إحساسه بنفسه أن يكون فى غنى عن أصحاب الدرجات الكهنوتية، وبين مسيحى يرى ذاته فى حاجة إلى من أقامهم الله فى درجات الكهنوت، وهو لهذا يوقّرهم ويستعين بالسلطان الممنوح لهم، ويلتمس فى بركتهم ورضاهم، بركة الله ورضاه، لأنهم رسل ربِّ الجنود. (ملاخى ٢: ٧).

كهنوت العهد الجديد (١)

المسيح كاهن : -

١ - أعلن إرادة الله للبشر :

الكاهن يسمّى كذلك لأنه ينبئ بإرادة الله للناس، والمسيح أنبأ بإرادة الله للناس.

الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو خبر (يوحنا ١ : ١٨).

ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم (يوحنا ٨ : ٢٦).

أتكلم بهذا كما علّمنى أبى (يوحنا ٨ : ٢٨).

أنا أتكلم بما رأيت عند أبى (يوحنا ٨ : ٣٨).

لم آتِ من نفسى بل ذاك أرسلنى (يوحنا ٨ : ٤٢).

أنى أعلمتكم بكل ما سمعت من أبى (يوحنا ١٥ : ١٥) لأن الكلام الذى أعطيتنى قد أعطيتهم (يوحنا ١٧ : ٨).

وعرّفتهم اسمك وسأعرّفهم (يوحنا ١٧ : ٢٦).

٢ - لأن الكاهن هو مانح الأشياء المقدسة.(Sacerdos) :

والمسيح قدّم ذبيحة نفسه.

قدّم ذاته ذبيحة كفارية فى الصليب، ويقدم ذاته ذبيحة كفارية فى كل يوم فى سرّ القربان، فهو المقدَّم، وهو المقدِّم، هو الكاهن وهو الذبيحة.

٣ - المسيح كاهن إلى الأبد :

لضمان إستمرار كهنوت المسيح «إلى الأبد».. كهنوت لا يزول» (عبرانيين ٧ : ٢٤).

أقام المسيح رسلاً، وضع يديه عليهم، نفخ فيهم من روحه «نفخ فى وجوههم وقال لهم اقبلوا الروح القدس» (يوحنا ٢٠ : ٢٢).

---

(١) عناصر محاضرات ألقيت بمطرانية الروم الكاثوليك فى بعلبك بلبنان من ٧ إلى ٩ اكتوبر ١٩٦٩م.

وأعطاهم سلطانا «ها أنا أعطيكم سلطانا أن تدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو، ولا يضركم شيء» (لوقا ١٠ : ١٩).

٤ ـ الخلافة الرسولية :

المسيح جاء بكهنوت جديد، لا على رتبة هرون بل على رتبة ملكيصادق، قبله بمسحة الروح القدس له ناسوتيا فى نهر الأردن.

وصار المسيح بهذا الحلول كاهنا على طقس ملكيصادق.

هنا كهنوت جديد، كهنوت عهد جديد، أخذه المسيح من السماء، وبدأ يسلمه لا بالوراثة بل بوضع اليد، ونفخة الروح القدس.

ووضع اليد له أصوله فى العهد القديم، فقد أمر الله موسى أن يضع يديه على يشوع بن نون ويعطيه من روحه.

«ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة، إذ وضع موسى عليه يديه، فسمع له بنو إسرائيل (التثنيه ٣٤ : ٩).

المسيح وضع يديه على التلاميذ وباركهم (لوقا ٢٤ : ٥٠). الرسل وضعوا أيديهم على شاول وبرنابا.

«فصاموا وصلّوا ووضعوا عليهما الأيادى ثم أطلقوهما» (أعمال ١٣ : ٣).

«لأننى تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضا (١ . كورنثوس ١١ : ٢٣) ووضع ماربولس الرسول يديه على تلميذه تيموثيوس عند رسامته أسقفا.

«أذكرك أن تضرم أيضا موهبة الله التى فيك بوضع يدى» (٢ . تيموثيوس ١ : ٦).

«لا تهمل الموهبة التى فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدى الكهنة» (١ . تيموثيوس ٤ : ١٤).

وقال لتلميذه الأسقف تيطس الرسول «من أجل هذا تركتك فى كريت لكى تكمل ترتيب الأمور الناقصة، وتقيم فى كل مدينة قسوسا (كهنة) كما أوصيتك» (تيطس ١ : ٥).

وقال لتلميذه الأسقف تيموثيوس الرسول «لا تضع يداً على أحد بالعجلة ولا تشترك فى خطايا الآخرين» (١ . تيموثيوس ٥ : ٢٢).

وقال لتلميذه الأسقف تيموثيوس :

«وما سمعته منى بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء، يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضا» (٢ . تيموثيوس ٢ : ٢) .

الخلافة الرسولية تسليم من يد إلى يد، هى سلسلة تتألف من حلقات مترابطة تصل بين بعضها، ومعنى هذا أن الكنيسة يجب أن تكون على يقين من إستمرار الخلافة الرسولية، فى سلسلة واحدة لم تنكسر منها حلقة واحدة.

هذه قيمة الكنيسة أن فى مقدورها أن تثبت أن الكهنوت فيها متصل، وأنه لم تنكسر حلقة الخلافة فيه منذ أن بدأ بالسيد المسيح وتسلمه منه الرسل، وسلموه أيضا للآباء الرسوليين، وهؤلاء للذين خلفوهم وهكذا إلى زماننا الحاضر.

٥ ـ المسيح كاهن لضمان استمرار الكهنوت وبقائه:

أقام الرسل ليكونوا نيابة (نوابا) عنه، الصورة المنظورة للمسيح الذى صار بصعوده إلى السماء الكاهن (رئيس الكهنة) غير المنظور.

هذا معنى الكهنوت، وهذا تبرير إقامة الرسل والكهنة ورؤساء الكهنة.

فالرسول وكيل عن المسيح، والوكيل غير الأصيل، الوكيل هو من له حق التصرف كاملا.

ولكن فى حدود إرادة موكله «الأصيل» والوكيل له أمام الأصيل حساب عسير دقيق، له سلطان التصرف، ولكن من دون تخطٍ لحدود إختصاصه كوكيل.

ليس له أن يتصرف كما لو كان هو السيّد أو الأصيل.

ولو تصرف كما لو كان هو الأصيل فله عقاب صارم ينتظره.

يقول المسيح : فمن هو الوكيل الأمين الحكيم، الذى أقامه سيّده على عبيده ليعطيهم الطعام فى حينه.

«طوبى لذلك العبد (الوكيل) الذى إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا. الحق أقول لكم أنه يقيمه على جميع أمواله، ولكن إن قال ذلك العبد الردئ فى قلبه، سيدى يبطئ قدومه، فيبتدئ يضرب العبيد رفقاءه، ويأكل ويشرب مع السكارى. يأتى سيد ذلك العبد (الوكيل) فى يوم لا ينتظره وفى ساعة لا يعرفها. فيقطّعه (يشقه من وسطه) ويجعل نصيبه مع المرائين، هناك يكون البكاء والصرير على الأسنان» (متى ٢٤ : ٤٥ – ٥١) .

وفى مثل الكرامين :

«فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرّامين. قالوا له : أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا، ويسلّم الكرم إلى كرّامين آخرين، يعطونه الأثمار فى أوقاتها» (متى ٢١ : ٤٠، ٤١)، (مرقس ١٢ : ٩).

وفى مثل وكيل الظلم :

كان إنسان غنىّ له وكيل، فوشى به إليه بأنه يبذر أمواله. فدعاه وقال له : ما هذا الذى أسمع عنك. أدِّ حساب وكالتك لأنك لا تقدر أن تكون وكيلاً بعد. (لوقا ١٦ : ١، ٢).

هكذا فليحسبنا الإنسان كخدّام المسيح، ووكلاء سرائر الله. ثم يسأل فى الوكلاء لكى يوجد الإنسان أمينا. (١ . كورنثوس ٤ : ١، ٢).

لأنه يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل لله (تيطس ١ : ٧).

أمثلة - يوحنا ذهبى الفم - يوحنا المعمدان، أثناسيوس الرسولى.

مهمة الكهنوت على الأرض

واجبات الكهنوت : (مرقس ٣ : ١٣ ـ ١٥)

«ثم صعد إلى الجبل، ودعا الذين أرادهم، فذهبوا إليه. وأقام إثنى عشر ليكونوا معه، وليرسلهم ليكرزوا. ويكون لهم سلطان على شفاء الأمراض وإخراج الشياطين...».

١ ـ ليكونوا معهُ :

التلمذة وفضائلها :

الفرق بين Pupil تلميذ صغير (ننى العين)، و Student باحث ـ دارس ـ طالب علم، وdisciple تلميذ ملازم للمعلم فى كل حياته. يلازمه فى غير أوقات الدرس والتعليم، فى كل وقت، يلازمه فى أكله وشرابه ونومه وراحته، وعندما ينصرف عنه الناس. يراه وهو صامت وهو يتكلم، وهو ساكن وهو يتحرك، يراه كيف يتصرف فى المواقف المختلفة، فى الفرح، فى الحزن، فى الفرج، فى الضيق، فى كل الظروف، يمتص حياته وشخصيته، ولذلك يكون خير من يفهمه ويعرفه وخير من يخلفه.

أمثلة ـ أليشع تلميذ إيليا ـ يشوع بن نون تلميذ موسى ـ أفلاطون تلميذ سقراط ـ أرسطو تلميذ أفلاطون ـ تلميذ البطريرك أو المطران أو الأسقف...

قيمة التلمذة فى الكنيسة :

يوحنا الرسول «الذى رأيناه بعيوننا، شاهدناه، سمعناه بآذاننا، لمسته أيدينا».

بطرس الرسول «كنا معاينين عظمته...».

المسيح لم يكن معه كتاب يوم أن قال «توبوا وآمنوا بالإنجيل».

المسيح لم يترك كتاباً بل ترك سيرة وتلاميذ.

المسيح لم يطلب من تلاميذه أن يكتبوا كتبا بل قال «اذهبوا وأكرزوا بالإنجيل... اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم».

التلمذة وقيمتها فى المسيحية :

المسيحية تقوم على أساس التلمذة.. والتلمذة الطويلة... وليس هناك شرف أعظم من شرف التلمذة.

تلاميذ المسيح الإثنى عشر كانوا صيادى سمك، ولكن فخرهم أنهم دخلوا الإكليريكية الأولى، وتتلمذوا على المعلم الأعظم، ومعلم المعلمين.

لا نقبل فى إعداد رجال الدين للدراسة فى الإكليريكية بالمراسلة، لابدّ من التلمذة.

«ما سمعته منى بشهود كثيرين، أودعه إناسا أمناء يكونون أكفاء، أن يعلموا آخرين أيضاً» (٢ . تيموثيئوس ٢ : ١، ٢).

تفرغ رجال الكهنوت :

وكما انقطع التلاميذ للخدمة الكهنوتية، هكذا يجب على جميع رجال الكهنوت فى كل العصور، أن لا يشتغلوا بعمل آخر بل بصناعة الكهنوت فقط.

٢ - وليرسلهم ليكرزوا :

الكرازة وقيمتها.

الكرازة مهمة الكهنوت الأولى.

الكرازة أولى صفات الأسقف ومؤهلاته وواجباته «صالحا للتعليم» (١ . تيموثيئوس ٢ : ٣).

لما رأى الرسل أن الخدمة الإجتماعية ستعطلهم عن الكرازة قالوا «لا يُرضى أن نترك نحن كلمة الله، ونخدم موائد... فانتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال منكم... فنقيمهم على هذه الحاجة.. وأما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة» (أعمال ٦ : ٢ - ٤).

وبهذا خلقوا درجة الشماسية فى الكنيسة.

قال ماربولس : «أشكر الله إنى لم أعمد أحداً منكم إلاّ كريسبس وغايس.. وعمدت أيضا بيت اسطفانوس... لأن المسيح لم يرسلنى لأعمد بل لأبشر» (١ . كورنثوس ١ :١٤-١٧).

«النعمة التى وهبت لى من الله، حتى أكون خادما ليسوع المسيح لأجل الأمم، مباشرا خدمة إنجيل الله الكهنوتية (مباشرا لإنجيل الله ككاهن)، ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدسا بالروح القدس» (رومية ١٥ : ١٥، ١٦).

الوعظ والتبشير والتعليم أولى واجبات الكهنوت، وهى لذلك أولى واجبات أعظم الدرجات الكهنوتية (الأسقف).

مفهوم الخدمة الرسولية

لا يجوز لغير حامل الدرجات الكهنوتية أن يعظ فى الكنيسة.

كانت هذه إحدى أخطاء أوريجينوس التى من أجلها حرم من الكنيسة، وعظ أمام جمهور المؤمنين فى الكنيسة، وكان قانون كنيسة الأسكندرية شديداً لا يسمح لغير حملة الدرجات الكهنوتية بالوعظ أمام المؤمنين - كان يجوز له أن يعظ الموعوظين فقط..

٣ - وأعطاهم قوة وسلطانا على جميع الشياطين :

قال مار لوقا الرسول «ودعا تلاميذه الإثنى عشر وأعطاهم قوةً وسلطانا على جميع الشياطين» (لوقا ٩ : ١).

ويقول مارمرقس الرسول «ويكون لهم سلطان على شفاء الأمراض، وإخراج الشياطين» (مرقس ٣ : ١٥).

ثم دعا تلاميذه الإثنى عشر وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسة حتى يخرجوها (متى ١٠ : ١). هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا... اخرجوا شياطين (متى ١٠ : ٨).

إن قوة الشيطان مهولة، بحيث أن الإنسان الأعزل من قوة الله لا يستطيع بتاتا أن يثبت أمام قوة الشيطان.

إن الشيطان ملاك، وملاك واحد قتل من جيش سنحاريب ملك أشور ١٨٥,٠٠٠ رجلاً فى ليلة واحدة.

وملاك واحد قتل جميع أبكار المصريين «من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذى فى السجن (إلى بكر الجارية التى خلف الرّحى)، وبكر كل بهيمة» (الخروج ١٢ : ٢٩)، (١١ : ٥) فقط.

قال الأنبا أنطونيوس للشياطين مرة وهى تهجم عليه «إن واحداً منكم فقط يكفى لتدميرى».

قصة دانيال ورئيس مملكة فارس.

«فى تلك الأيام أنا دانيال كنت ناتحاً ثلاثة أسابيع أيام، لم آكل طعاما شهيا ولم يدخل فى فمى لحم ولا خمر، ولم أدّهن حتى تمت ثلاثة أسابيع أيام. وفى اليوم الرابع والعشرين من

الشهر الأول إذ كنت على جانب النهر العظيم هو دجلة. رفعتُ ونظرت فإذا برجل لابس كتانا... وقال لى يا دانيال أيها الرجل المحبوب إفهم الكلام الذى أكلمك به.. لأنى الآن أرسلتُ إليك.. فقال لى لا تخف يا دانيال لأنه من اليوم الأول الذى فيه جعلت قلبك للفهم ولإذلال نفسك قدّام إلهك، سمع كلامك وأنا أتيت لأجل كلامك. ورئيس مملكة فارس وقف مقابلى واحداً وعشرين يوما، وهوذا ميخائيل واحد من الرؤساء الأولين جاء لإعانتى... وجئت لأفهمك ما يصيب شعبك فى الأيام الأخيرة، (دانيال ١٠ : ٣ - ١٤).

فالشيطان أقوى من الإنسان وأحكم منه، وأقدر منه على الوصول إلى مقاصده، وأسرع فى الوصول إليها.

فكيف يترك المسيح تلاميذه، ويجعلهم فى مواجهة قوة كبيرة تعاديهم وتعادى الكنيسة كلها. إذ الكنيسة مؤسسة أسسها المسيح لتحطيم ملكوت الشيطان فى الأرض، وإمتداد ملكوت المسيح.

كيف للرسل وهم بشر، أن يقفوا أمام قوة الشيطان وجبروته وهو فى مملكته (رئيس هذا العالم).

إن المسيح زوّد رسله بقوة الكهنوت فقط، وليس لهم سلاح آخر.

فلابدّ إذن أن تكون قوة الكهنوت عظيمة، حتى يستطيع التلاميذ بها أن يهدموا مملكة الشيطان، وينشروا ملكوت السماوات.

وفعلاً كان «فخرجوا وصاروا يكرزون أن يتوبوا، وأخرجوا شياطين كثيرة» (مرقس ٦ : ١٢، ١٣).

«واجتمع جمهور المدن المحيطة إلى أورشليم، حاملين مرضى ومعذّبين من أرواح نجسة، وكانوا يُبرأون جميعهم» (أعمال ٥ : ١٦).

«لأن كثيرين من الذين بهم أرواح نجسة كانت تخرج صارخة بصوتٍ عظيم» (أعمال ٨ : ٧).

وكان الله يصنع على يدى بولس قوات غير المعتادة، حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى.. وتخرج الأرواح الشريرة منهم. (أعمال ١٩ : ١١، ١٢).

وفى كل العصور كانت قوة الكهنوت قادرة على طرد الشياطين والأرواح النجسة، بجميع أنواعها.

وإلى اليوم يطرد الكهنة بقوة الكهنوت التى فيهم كل الأرواح الشريرة.

حقا إن هناك بعض أتقياء المؤمنين من غير الكهنة، إستطاعوا فى أحوال خاصة طرد الشياطين، وذلك بقوة الميرون وفعاليات سرّ المسحة الذى نالوه.

لكن الكاهن الذى نال ليس سّر الميرون فقط بل سرّ الكهنوت أيضا، يقوى على الشيطان وعلى أن يطرده.

٤ ـ وأعطاهم قوة وسلطانا على شفاء الأمراض :

بلايا البشرية كثيرة.

والأمراض من أعظم بلايا البشر.

ولابّد للكنيسة من أن تخفف من بلايا الناس، ليست رسالة الكنيسة روحية فقط، بل وجسدية أيضا، والمسيح نفسه كان يعظ، وكان يشفى الأمراض.

والأمراض منها أمراض جسدية بحتة، ككسر فى عظام اليد أو الرجل، أو حصوة تدخل فى العين أو الأذن.

لكن هناك أمراضاً روحية.

والأمراض الروحية على قول علماء النفس كثيرة، قالوا: إن ٩٨ ٪ من الأمراض التى يبدو إنها جسدية هى متسببة عن علل روحية ونفسية.

المسيح له المجد بين لنا هذا، قال للمفلوج المخلع منذ ٣٨ سنة «ها أنت قد عوفيت، فلا تخطأ أيضا لئلا يصيبك أشر» (يوحنا ٥ : ١٤).

وقال للمخلع الذى دلوه من السقف «ثق يابنى مغفورة لك خطاياك» (متى ٩ : ٢)، (مرقس ٢ : ٥)، (لوقا ٥ : ٢٠).

وقال عن المرأة المنحنية منذ ١٨ سنة والتى لم تقدر أن تنتصب البته «هذه هى إبنة إبراهيم قد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة» (لوقا ١٣ : ١٦).

فالعلاقة بين المرض والخطيئة مؤكدة لذلك رتب الرب سرّ مسحة المرضى.

«ويكون لهم (للإثنى عشر رسولا) سلطان على شفاء الأمراض» (مرقس٣:١٥).

«ثم دعا تلاميذه الإثنى عشر وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسة حتى يخرجوها، ويشفوا كل مرض وكل ضعف» (متى ١٠: ١).

هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا: «... اشفوا مرضى» (متى١٠ : ٨).

«ودعا تلاميذه الإثنى عشر، وأعطاهم قوة وسلطانا على جميع الشياطين وشفاء أمراض، وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى» (لوقا ٩ : ١، ٢).

«وبعد ذلك عيّن الرب سبعين آخرين أيضا وأرسلهم إثنين إثنين أمام وجهه إلى كل مدينة... فقال لهم... واشفوا المرضى الذين فيها» (لوقا ١٠: ١ – ٩).

وهذا هو سرّ مسحة المرضى :

«كانوا يحملون المرضى خارجاً فى الشوارع، ويضعونهم على فرش وأسِرّةٍ حتى إذا جاء بطرس يخيم ولو ظلُّه على أحدٍ منهم. واجتمع جمهور المدن المحيطة إلى أورشليم حاملين مرضى ومعذّبين من أرواح نجسة، وكانوا يبرأون جميعهم» (أعمال ٥ : ١٥، ١٦).

«وكثيرون من المفلوجين والعرج شفوا» (أعمال ٨ : ٧).

«وحدث أن بطرس وهو يجتاز بالجميع نزل أيضا إلى القديسين الساكنين فى لُدَّة. فوجد هناك إنسانا إسمه إينياس مضطجعا على سرير منذ ثمانى سنين وكان مفلوجاً. فقال له بطرس يا إينياس يشفيك يسوع المسيح. قم وافرش لنفسك. فقام للوقت، ورآه جميع الساكنين فى لُدَّة وسارون الذين رجعوا إلى الرب» (أعمال ٩ : ٣٢ – ٣٥).

«وكان الله يصنع على يدى بولس قوات غير المعتادة، حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى، فتزول عنهم الأمراض» (أعمال ١٩: ١١، ١٢).

وكان هذا هو سرّ مسحة المرضى، لأن الرسل كانوا يدهنون المرضىَ بزيت.

«ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم» (مرقس ٦ : ١٣).

ويقول فى هذا مار يعقوب الرسول «أمريض أحد بينكم فليدعُ كهنة الكنيسة فيصلُّوا عليه ويدهنوه بزيتٍ باسم الرب. وصلاة الإيمان تشفى المريض، والربُّ يقيمه، وإن كان قد فعل خطيئة تغفر له. إعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلُّوا بعضكم لأجل بعض لكى تشفوا» (يعقوب ٥: ١٤ – ١٦).

وفى هذا يتضح العلاقة بين المرض وبين الخطيئة ،وإن كان قد فعل خطيئة تغفر له، ولذلك فإن كتاب سر مسحة المرضى يتطلب قبل بدء طقس صلاة السرّ، أن يتوب المريض عن خطاياه وأن يعترف بها على الكاهن، لأن شفاء الجسد يتوقف على شفاء النفس والروح.

وسرّ مسحة المرضى رتب لأجل شفاء الأمراض الجسدية المتسببة عن علل روحية ونفسية.

٥ ـ طَهِّروا بُرْصاً :

هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا: .... طَهِّروا برصاً (متى ١٠ : ٨).

والبرص من بين الأمراض.

وإذا كان روحيا فيقصد به الخطيئة.

وإذا كان مرضاً جسدياً، فهو من بين الأمراض التى منح المسيح رسله ،الكهنوت، ليكون لهم سلطان على شفاء جميع الأمراض ومنها البرص الذى يعد من أخبث هذه الأمراض ومن شرها، وهو لنجاسته يشبه عادة بالخطيئة.

وهذا يدل على فعالية سّر الكهنوت وقوته على شفاء جميع الأمراض المستعصية وبالتالى سائر الأمراض.

٦ ـ أقيموا موتى :

،ثم دعا تلاميذه الإثنى عشر وأعطاهم سلطانا، هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا: ،... أقيموا موتى، (متى ١٠ : ١، ٥، ٨)

ولإقامة الموتى معنيان ـ الموتى روحيا والموتى جسديا.

أما القيامة من الموت الروحى فهى التوبة، وأما القيامة من الموت الجسدى فهى رد النفس أو الروح إلى الجسد، كقيامة لعازر من بين الأموات، وإقامة إبنة يايرس رئيس المجمع اليهودى، وإقامة إبن أرملة نايين.

وكما أقام إيليا إبن إمرأة صرفة صيدون (الملوك الأول ١٧ : ١٧ – ٢٤)

وكما أقام أليشع إبن المرأة الشونمية (الملوك الثانى ٤ : ٣٢ – ٣٧)

وأما القيامة بالمعنى الروحى فهى التوبة من الخطيئة. والخطيئة هى الموت، والتوبة هى القيامة الأولى.

مبارك ومقدّس من له نصيب فى القيامة الأولى، هؤلاء ليس للموت الثانى سلطان عليهم (الرؤيا ٢٠ : ٦).

وأمّا القيامة الثانية فهى قيامة الأجساد، وتتم فى نهاية العالم.

قال المسيح له المجد فى التمييز بين القيامتين «الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامى، ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية ولا يأتى إلى دينونة، بل قد إنتقل من الموت إلى الحياة. الحق الحق أقول لكم إنه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون» (يوحنا ٥: ٢٤، ٢٥).

هذه هى القيامة الأولى.

ثم قال فى القيامة الثانية «تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته. فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يوحنا ٥: ٢٨، ٢٩)

هذه هى قيامة الأجساد.

وقد قال السيد المسيح يفرق بين موت الجسد وموت الروح، رداً على من إعتذر عن دعوته له بقوله «إئذن لى أن أمضى أولاً وأدفن أبى» قال: «دع الموتى يدفنون موتاهم» (لوقا ٩: ٦٠) أى دع الموتى بالروح يدفنون موتاهم بالجسد.

وقد أخذ الرسل سلطانا على إقامة الموتى بالمعنيين.

فبالمعنى الجسدى أقاموا أمواتا: من ذلك مار بطرس الرسول فقد أقام تلميذة أسمها طابيثا أى غزالة التى كانت «مرضت وماتت فغسّلوها ووضعوها فى علية.. فأخرج بطرس الجميع خارجاً وجثا على ركبتيه وصلّى، ثم إلتفت إلى الجسد، وقال ياطابيثا قومى. ففتحت عينيها. ولما أبصرت بطرس جلست. فناولها يده وأقامها، ثم نادى القديسين والأرامل وأحضرها حيّة. فصار ذلك معلوما فى يافا كلها، فآمن كثيرون بالرب» (أعمال ٩: ٣٦ – ٤٢).

وأقام بعض الرسل أمواتا، وأقام بعض الأساقفة أمواتا.

وبالمعنى الروحى أقام الرسل أمواتا بالمعمودية ثم بسرّ التوبة.

وأقام رجال الكهنوت فى كل العصور بسرّ المعمودية وبسّر التوبة أيضاً.

«أم تجهلون إننا كل من إعتمد ليسوع المسيح إعتمدنا لموته. فدفنّا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جّدة الحياة. لأنه إن كنا صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضا بقيامته» (رومية ٦: ٣ - ٥).

٧ ـ عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (متى ٢٨: ١٩) :

فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (متى ٢٨: ١٩).

من كرامة الكهنوت، أنه هو الذى يعّمد، فيلد الإنسان مرة ثانية من الماء والروح القدس.

فالكاهن يصلى فيحدر الروح القدس على مياه المعمودية فيكسبها القدرة الخلاقة على أن تلد الإنسان من جديد.

وكما كان يرف روح الله على وجه المياه قديما (التكوين ١: ٢) فأكسبها قدرة على الخلق، ومنها خلقت الزحافات والتنانين البحرية العظيمة كأجناسها والطيور كأجناسها (التكوين ١: ٢٠ - ٢٣) كذلك روح الله يرف على مياه المعمودية بصلوات الكاهن فينحدر ويخلق من ينزل إلى المياه خلقاً جديداً فيصير فى المسيح خليقة جديدة (غلاطية ٦: ١٥).

وفى الطقس السريانى يحركون على مياه المعمودية ستراً يتموج ليشير إلى رفرفة روح الله ويولد ميلاداً جديداً «الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله.. «الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله» (يوحنا ٣: ٣، ٥).

وكلمة الملكوت فى الكتاب المقدس لها ثلاثة معانٍ فملكوت الله بمعنى السماء، مقّر الله مع الملائكة والقديسين «تعالوا إلّى يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعّد لكم منذ تأسيس العالم» (متى ٢٥: ٣٤).

وملكوت الله هو قلب الإنسان وروحه بعد أن صار ملكاً لله «ملكوت الله داخلكم» (لوقا ١٧: ٢١).

لأننا فى المعمودية جحدنا الشيطان. وفى جحد الشيطان يعلن الإنسان قبل أن ينزل إلى المعمودية إستنكاره للشيطان، وإنفصاله عن مملكة إبليس وإنضمامه لملكوت المسيح. فيصير

عضوا فى المملكة الجديدة بالمعمودية ويصير المسيح له ملكا والصليب له علماً للمملكة الجديدة (يمّد يده اليسرى بعد أن يتجه إلى الغرب وهو يقول أجحدك أيها الشيطان وكل أعمالك الشريرة، أجحدك أجحدك، ثم يلتفت إلى الشرق ويمد يده اليمنى ويقول «بالحقيقة نؤمن بإله واحد» ... الخ).

وبذلك يدخل فى الملك الألفى، إذ يصير فى مملكة المسيح، ويقول عن المسيح «ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا ...».

وإذن فبالمعمودية يصير الإنسان المعمد ملكا للمسيح، ويصير قلبه وروحه ملكا لسيده.

«إنكم لستم لأنفسكم» (١ . كورنثوس ٦ : ١٩).

«وهو مات لأجل الجميع كى يعيش الأحياء فيما بعد، لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام» (٢ . كورنثوس ٥ : ١٥).

ومعنى ذلك ملكوت الله هو الكنيسة، لأنها مملكة السماء على الأرض، أسسها المسيح لتكون له فى مملكة الشيطان وهى الأرض، وهى التى عناها بقوله يشبه ملكوت السماوات زرعاً (جيداً ورديئا)، أو شبكة مطروحة فى البحر وجامعة من كل نوع (جيد ورديئ) (متى ١٣ : ١٨ - ٣٠، ٤٧ - ٥٠).

وهذا هو السبب فى أن المعّمد ينزل إلى جرن المعمودية وقد نزع كل شئ إشارة إلى خلع الإنسان القديم وكل أعماله (أفسس ٤ : ٢٢).

ثم يلبس الجديد «لأن كلكم الذين إعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غلاطية ٣ : ٢٧).

ولهذا يلبس المعمد ملابس بيضاء جديدة، تشير إلى الطبيعة الجديدة التى قد لبسها بمعمودية المسيح فقد ولد من جديد.

ولما كانت المعمودية ميلادا ثانيا، فالكاهن المعّمد يسّمى أباً لأنه ولد ولدا جديداً، والمعمودية تسمّى أمّا. فنقول عن الكاهن أب، ونقول المعمودية أمنا، ونحن أبناء المعمودية..

هذا سبب جديد يدعو الكاهن أن ينسحق بالخشوع، لأنه نال بالكهنوت شرفاً وكرامة جزيلة، فصار هو الذى يستحدر الروح القدس بصلاته على جرن المعمودية. وعندما يقول للطفل أو للكبير «أعمدك باسم الآب والابن والروح القدس»، يخلق بين يديه مولود جديد، ذو طبيعة

جديدة، ويتغير الإنسان العتيق إلى إنسان جديد .. المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق (أفسس ٤: ٢٤).

٨ - وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار :

«الحق أقول لكم أن كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا فى السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء» (متى ١٨: ١٧، ١٨).

سلطان الكهنوت فى الربط والحلّ، يشرح سلطان الكنيسة ممثلا فى رجال الكهنوت فى سنّ الشرائع والنواميس والقوانين، ويمنح للكنيسة الحرية فى وضع قواعد جديدة بالنسبة للمواقف الجديدة.

بهذا تمتد الكنيسة مع الزمن، وتحدد موقفها بازاء المستحدثات والمبتدعات والمخترعات والظروف الجديدة، وتجيب على المشكلات والمسائل التى تعرض أمام المؤمنين فى الزمان والمكان.

ولئن كانت الكنيسة مرتبطة بماضيها وبمبادئها القديمة المقررة، لكنها تستطيع إعتمادا على السلطان الممنوح لها فى الربط والحل، أن تبدى رأيها فى المسائل الجديدة المعروضة أمامها، مستوحية مبادئها الأولى وسائرة فى خط مستقيم مع تعاليمها وتقاليدها وتراثها، ولا تنقضها.

يقول الرسول بولس لتلميذه الأسقف تيموثيئوس «هذا أكتبه إليك راجيا أن آتى إليك عن قريب. ولكن إن كنتُ أبطئ، فلكى تعلم كيف يجب أن تتصرف فى بيت الله الذى هو كنيسة الله الحّى، عمود الحق وقاعدته» (١ . تيموثيئوس ٣: ١٤، ١٥).

إن سلطان الحل والربط سلطان شامل، والمهم إن المسيح وهب الكنيسة ممثلة فى سلطتها الكهنوتية هذا السلطان، بحيث تنفذ قوة هذا السلطان إلى ما وراء العالم المنظور، وما تصنعه الكنيسة على الأرض يثبته الرب فى السماء. وهو سلطان ليس له نظير بين سلطات الأرض على إختلافها وتنوعها، وهذا من شأنه أن يؤكد جلال الكهنوت وشرفه وقيمته التى تمتد وتنفذ إلى السماء عينها.

يقول يوحنا ذهبى الفم «إن الله أعطى الكهنة سلطانا لم يعطه لا للملائكة ولا لرؤساء الملائكة، لأنه لم يقل لأولئك «كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا فى السماء...».

غفران الخطايا وإمساكها :

ويدخل تحت سلطان الحل والربط، سلطان غفران الخطايا وحلّها. ومع أن سلطان الغفران للخطايا هو حق الله وحده لأنه «من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده» (مرقس ٢ : ٧)، (لوقا ٥ : ٢١) إلا أن المسيح الذى له «سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا» (مرقس ٢ : ١٠)، (لوقا ٥ : ٢٤) أعطى هذا السلطان عينه للآباء الرسل كوكلاء عنه إذ «نفخ فى وجوههم وقال لهم اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت» (يوحنا ٢٠ : ٢٢، ٢٣).

فللكاهن أن ينطق بالحلّ الكهنوتى نيابة عن الله، بشرط أن يتثبت من صدق توبة الخاطئ وإستحقاقه للغفران، وإلا فهو مسئول عن إستخدامه هذا السلطان فى غير موضعه أو لغير أهله.

مثل الكاهن فى ذلك مثل صراف البريد أو البنك، يجب أن يتثبت من شخصية المدّعى للمبلغ واستحقاقه له. وإلا إذا أخطأ فإنه يصير مسئولاً عن المبلغ الذى صرفه من غير حق، ويصير مطالباً به أمام الجهات المسئولة، ويكون كذلك وفضلاً عن ذلك قد أثبت عدم كفاءته فى عمله، ولابّد لذلك من أن يحاسب عن هذا الاهمال فى مقتضيات وظيفته، ولا يعفيه دفع المبلغ من عقاب يناله جزاء إهماله.

فالكاهن وكيل، وللوكيل حق التصرف وسلطان التصرف، ولكن فى حدود إرادة الأصيل الذى وكله على إختصاصاته الكهنوتية.

إن له أن يمنح الغفران، ولكن بعد أن يتثبت من إستحقاق التائب للحل الذى يمنح إياه.

كذلك للكاهن أن يمسك خطايا شخص أخطأ. وله أن يحرمه وأن يفرزه من شركة الكنيسة. وشركة الكنيسة تتمثل أعظم ما تتمثل فى سّر الشركة وهو القربان المقدس، ولكن الحرمان من شركة الكنيسة معناه أيضا عزل المخطئ من وسط الكنيسة فلا يسمح له بدخولها، ولا بمخالطة المؤمنين أو مؤاكلتهم أو مشاربتهم، مثله فى ذلك مثل المريض الذى يعزل من وسط الناس، فلا يختلط بهم ولا يختلطوا به إتقاء للعدوى منه.

وقد استخدم مار بولس الرسول هذا السلطان فى حرم وفرز المسيحى الذى زنى بإمرأة أبيه فى كورنثوس (١ . كورنثوس ٥ : ١)، فقد أصدر ضده قرار حرمان.

أفأنتم منتفخون بالحرى لم تنوحوا حتى يرفع من وسطكم الذى فعل هذا الفعل. فإنى أنا كأنى غائب بالجسد، ولكن حاضر بالروح قد حكمتُ كأنى حاضر فى الذى فعل هذا هكذا.

«باسم ربنا يسوع المسيح، إذ وأنتم وروحى مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح، أن يُسلَّم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكى تخلص الروح فى يوم الرب يسوع».

ثم يقول «ألستم تعلمون أن خميرة صغيرة تخمر العجين كله، إذن نقوا منكم الخميرة العتيقة ...».

كتبت إليكم فى الرسالة... أن لاتخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا... ألستم أنتم تدينون الذين من داخل. أمّا الذين من خارج، فالله يدينهم. فاعزلوا الخبيث من بينكم» (١ . كورنثوس ٥: ٢ – ٥، ٦، ٧، ٩، ١١ – ١٣).

وقد استخدم الرسول القديس يوحنا هذا السلطان نحو الهراطقة بصفة عامة ـ فقال: «إن كان أحد يأتيكم ولا يجئ بهذا التعليم، فلا تقبلوه فى البيت ولا تقولوا له سلام، لأن من يسلّم عليه يشترك فى أعماله الشريرة» (٢ . يوحنا ١٠، ١١).

على أن الكنيسة توصى الأسقف فى الدسقولية وفى قوانين الرسل أن لا يتسرع فى استخدام هذا السلطان، ومن أقوالهم «إياك يا أسقف أن تسرع إلى هذا المنشار الكثير الأسنان.. الحرم الذى تصدره على أحد من غير إستحقاق يرتد من فمك على رأسك».

وتوصى الدسقولية الأسقف فى مواضع متفرقة أن يعامل الخاطئ كمريض يعالجه أولاً بالمراهم والأدوية الملينة، وبعد ذلك يستخدم التنظيف بالأدوية القوية، وأخيراً إذا لم تصلح كل تلك الوسائل تقول «اقطع بحزن العضو المريض لئلا يفسد سائر الأعضاء» (الدسقولية باب ٨).

إن هذا السلطان فيه حزم لكن فيه رحمة، فيه قوة ولكن فيه محبة، إنه أعطى للكنيسة لا للتحكم بل للعلاج والتأديب لبنيان النفوس، وحماية الكنيسة من المارقين والشاردين والمفسدين...

وقد رأينا مار بولس الرسول الذى استخدم سلطانه الكهنوتى فى فرز الرجل الذى زنى بإمرأة أبيه وحكم بأن يسلّم للشيطان لهلاك الجسد، وأمر المؤمنين أن لا يخالطوه ولا يؤاكلوه، وأن يعزلوه من بينهم كخبيث، عاد يطلب منهم بعد حين، وبعد أن أفلحت وسيلة فرزه فى

إنسحاق قلبه بالتوبة والحزن على خطيئته، ودعاهم أن يترفقوا به وأن يمكنوا له المحبة، لئلا يبتلع من الحزن المفرط معلنا قبوله فى شركة الكنيسة مرة أخرى.

،مثل هذا يكفيه هذا القصاص الذى من الأكثرين، حتى تكونوا بالعكس تسامحونه بالحرىّ وتعزونه لئلا يبتلع مثل هذا من الحزن المفرط، لذلك أطلب أن تمكنوا له المحبة. لأنى لهذا كتبت لكى أعرف تزكيتكم، هل أنتم طائعون فى كل شئ. والذى تسامحونه بشئ فأنا أيضا، لأنى أنا ماسامحتُ به إن كنت قد سامحت بشئ فمن أجلكم بحضرة المسيح، لئلا يطمع فينا الشيطان لأننا لا نجهل أفكاره، (٢ . كورنثوس ٢ : ٦ – ١١) .

وأخيرا ما أجمل النظرة التى ينظر بها الرسول بولس إلى هذا السلطان.

لذلك أكتب بهذا وأنا غائب لكى لا أستعمل جزما وأنا حاضر، حسب السلطان الذى أعطانى إياه الرب للبنيان لا للهدم (٢ . كورنثوس ١٣ : ١٠)

٩ ـ اصنعوا هذا لذكرى : (لوقا ٢٢ : ١٩) أعطوهم أنتم ليأكلوا (متى ١٤ : ١٦) (مرقس ٦ : ٣٧) (لوقا ٩ : ١٣) .

هذا هو سرّ الأسرار، وهو تاج الكهنوت، وهو شرف ما بعده شرف أن يستحضر الكاهن الرب، ويستحدر الروح القدس على الخبز والخمر فيصيران إلى جسد الرب ودمه.

ولو كشف عن عيوننا لرأينا الرب مثل حمل مذبوح فى الصينية ودمه المهراق فى الكأس، ولرأينا الملائكة ورؤساء الملائكة وقوفاً فى خشوع وتعبد، والشاروبيم والسيرافيم وكل الجمع غير المحصىّ الذى للقوات السمائية.

لو كشف عن عيوننا لارتعبنا وارتعدنا ولما تجاسرنا على الخدمة المقدسة ولهربنا منها.

يقال عن الأنبا رويس وهو القديس فريج أنه كان عندما يتقدم إلى الأسرار المقدسة، ويمد الكاهن إليه يده بالجوهرة المقدسة كان يتراجع إلى الخلف فيسبب اضطرابا للكاهن الذى كان ينهره خوفاً من وقوع الجوهرة من يده. وذلك لأن الأنبا فريج كان يرى المسيح مذبوحاً، والجواهر فى حقيقتها من جسد المسيح.

وكان الإيغومينوس ميخائيل البحيرى أحد قديسى دير المحرق، يرى السرّ أحياناً مكشوفاً.

وفى أحد الأيام كان يصلى القداس شريكا مع أحد الكهنة (لأنه كان قد عمى فى العشر السنوات الأخيرة من حياته)، وبعد حلول الروح القدس، كان يصلى أحد الأواشى ثم توقف قليلاً إذ رأى الأسرار مكشوفة فأمسك بلفافة وغطى بها الصينية المقدسة، فرأى الكاهن زميله ذلك، فظنه قد أخطأ ترتيب الطقس وأراد أن يمنعه من ذلك، فأشار إليه بيده وهو صامت أن يتركه يغطى القربان المقدس، ثم ظل فترة من الوقت عاجزا عن متابعة الصلاة إلى أن اختفى المنظر، ثم أكمل الأوشية وترك المذبح لزميله ثم إنتحى ناحية فى الهيكل وظل يبكى حتى نهاية القداس.

وقال لى أحد المؤمنين الأتقياء إنه إلتقى بواحد من غير الأرثوذكس أخذ يناقشه فى موضوع إستحالة الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه، والرجل يحاول أن يثبت له حقيقة هذه العقيدة، وهو ينفيها حتى تعب من المناقشة، خاصة وأنه رجل بسيط وليس لاهوتيا أو رجل دين. أو مختصاً فى مسائل الجدل العقيدى، وقال الرجل المؤمن الأرثوذكسى أنه بعد ذلك ذهب لحضور القداس فى الكاتدرائية المرقسية الكبرى بالأزبكية حيث اعتاد أن يصلى. وفى لحظة السجود وحلول الروح القدس رأى الأرثوذكسى أن العمود الذى كان منزويا عنده قد إرتفع من أمام ناظريه والعمود الأخر ثم الحجاب (حامل الإيقونات) وكأن روحه قد أشرفت من فوق المذبح فرأى المسيح حملاً مذبوحاً، فإنسحق قلبه بالخشوع وسجد إلى الأرض وقال «المجد لك يارب».

قال بعد ذلك امتلأ قلبى بيقين كامل وإيمان راسخ فى حقيقة السّر المقدس، وأدركت مدى خطأ الآخرين وكفرهم بالحق المقدس.

وفى أسيوط كان المرحوم الأستاذ تادرس إقلاديوس المحامى من كبار الشخصيات بأسيوط، فعرضت مناسبة حضر فيها الأستاذ تادرس خدمة القداس بكنيسة المطرانية وكان الأنبا مكاريوس، مطران أسيوط يصلى القداس، وكان المحامى قريباً من الهيكل، فرأى المسيح على المذبح حملاً مذبوحاً فوقع فى الحال مغمى عليه، فحملوه خارج الكنيسة ولما أفاق من إغمائه، قال إنى منذ اليوم أرثوذكسى، فقد رأيت بعينى رأسى حقيقة سّر التناول المقدس. وظل أرثوذكسيا مخلصاً إلى يوم وفاته. وزوجته كذلك من بعده عاشت أرثوذكسية أمينة إلى أن فارقت الحياة بعده بسنوات.

ويروى التاريخ عن كثير من القديسين كانوا فى بعض الأحيان يرون الأسرار المقدسة مكشوفة.. ومنهم يوحنا الذهبى فمه وغيره.

والذى يتأمل كلمات القداس الرهيبة، وهو يتأمل سرّ القربان، ويصفه بالمن العقلى والمن المخفى، وشجرة الحياة الحقيقية، والذبيحة غير الدموية، ويتفكر فى التعبيرات العميقة التى يعبر بها القداس الكيرلسى عن حقيقة سرّ القربان، ويشبه الجواهر المقدسة بجمرة النار التى إلتقطها أحد السرافيم من على المذبح بملقط ولمس بها شفتى إشعياء النبى، وقال إن هذه قد مست شفتيك فأُنتُزِعَ إثمك وكُفِّرَ عن خطيئتك (إشعياء ٦ : ٥ – ٧).

من يتأمل كل هذا يفطن إلى كرامة الكهنوت وشرفه، ويرتعب من هول المسئولية الرهيبة، ويتحقق من أنه نال شرفا لا يستحقه، وعلى قول الرسول بولس «ومن هو كفوءٌ لهذه الأمور» (٢ . كورنثوس ٢ : ١٦).

إن الشعب الذى يُقبّلُ يد الكاهن، فيُقبّلها لهذا السبب لأنها شرفت بحمل جسد المسيح ودمه.

وهنا نذكر مقال أحد القديسين :

«اليد التى تطهر كم ينبغى أن تكون طاهرة، اليد التى تقدس كم ينبغى أن تكون مقدسة».

يقول القديس يوحنا ذهبى الفم :

«لذلك يجب أن يفوق (الكاهن) من يصلى عنهم بمقدار ما يفوق المحامى المحامى عنه. وأى نقاوه تُطلب منه حين يستدعى الروح القدس ويكمل الذبيحة الإلهية الرهيبة، ويلمس سيد العالم، بل يضعه فى قلبه. وأى نقاوة يجب أن تحويها تلك الأيدى التى تخدم ذلك. وكيف يجب أن يكون اللسان الذى يفوه بكلمات التقديس، وكم تكون مقدسة النفس التى تقتبل الروح الكلى قدسه، فإن الملائكة وكل الطغمات السماوية تقف إذ ذاك أمام الكاهن على المائدة المقدسة متهللة ...».

ويقول القديس غريغوريوس النزينزى «يجب أن نكون أطهارا لكى نطهر غيرنا، وأن نتعلم لكى نُعلّم، وأن نكون أنوارا للنير، وأن نقترب من الله لنحمل غيرنا على الإقتراب منه، وأن نقدس أنفسنا لتقدسهم».

١٠ ـ الكاهن يربط بين العروسين فى سرّ الزواج :

والكاهن أيضاً يربط بين الرجل والمرأة، ويستحدر الروح القدس فيحل على العروسين فيصيران جسداً واحداً.

إن الزواج المسيحى ليس مجرد تعاقد بين رجل وإمرأة كما يتعاقد إثنان فى صفقة تجارية، وإنما هو إتحاد بين الإثنين يجعل منهما جسداً واحداً ،ويكون الإثنان جسداً واحداً. إذن ليسا بعد إثنين بل جسد واحد، (متى ١٩: ٦) .

فكيف يصير الإثنان جسداً واحداً بغير عمل إلهى غير منظور، بغير فعاليات الروح القدس الذى ينحدر على العروسين بإستدعاء الكاهن.

وإذا كان المسيح له المجد يقول ،وما جمعه الله لا يفرقه إنسان، (متى١٩: ٦) .

فإن الكاهن هو الذى ينوب عن الله فى أن يجمع بين العروسين ويربط بينهما فى إتحاد إلهى مقدس فأى شرف للكاهن أن يكون نائباً عن الله فى هذا العمل المبارك لتأسيس أسرة مسيحية.

إن حلول الروح القدس فى سرّ الزيجة العظيم (أفسس ٥: ٣٢) هو الذى يجعل الفارق كل الفارق بين الزواج المسيحى الكنسى والزواج المدنى، أوما هو فى حكم الزواج المدنى. فالزواج المدنى وما هو فى حكم الزواج المدنى هو نوع من التزاوج الذى ليس فيه إتحاد سرّى أو إتحاد إلهى كما هو الحال فى الزواج الكنسى الذى هو سرّ مقدس.

لذلك فإن حلول الروح القدس هو الذى يجعل الجسدين واحداً، وبناء عليه يكون للرجل سلطان على جسد المرأة، (١ . كورنثوس ٧: ٤) فقد صارت جسده (أفسس ٥: ٢٢، ٢٨، ٢٩)، وصار له عليها سلطان كما على جسده، وكذلك صار للمرأة تسلط على جسد الرجل..

أليس هذا بيِّنة جديدة على فعاليات الكهنوت، إن الكاهن، بسرّ الكهنوت، يستحدر الروح القدس فيصنع ويخلق ويربط رابطة سرية فى إتحاد حقيقى ويصير الإثنين واحداً.

فما أعظم الكهنوت وما أقدر الكاهن على عمل المعجزات. وغير المستطاع لدى الناس مستطاع لدى الله، ولدى الذين نالوا سرّ الكهنوت.

١١ ـ الكاهن وسرّ المسحة :

ولما كان هذان السران ينالان بوضع اليد ووضع اليد من سلطان الأساقفة وحدهم، فالأسقف هو الذى له الحق فى منح هذين السّرين.

بسرّ المسحة ينال المؤمن فيضاً من مواهب الروح القدس، يثبته فى حال العتق التى نالها بالمعمودية المقدسة، ويدشن أعضاءه فتصير مقدسة للمسيح، وبه يصير المؤمن مسيحاً لله، ونبيا وملكاً وكاهناً. والكهنوت هنا هو الكهنوت العام الذى لجميع المؤمنين، يقدم به المؤمن جسده ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله (رومية ١٢ : ١) ويقدم ذبيحة الصلاة والعبادة العقلية (رومية ١٢ : ١) ويقدم فعل الخير والتوزيع لأنه بذبائح مثل هذه يسرّ الله (العبرانيين ١٣ : ١٦).

هذا الكهنوت العام هو غير الكهنوت الخاص.

١٢ ـ سرّ الكهنوت :

وأمّا سرّ الكهنوت بالمعنى الخاص وبمعناه الدقيق فهو والد جميع الأسرار، لأنه هو الذى يلد جميع الأسرار الأخرى.

ولما كان الأسقف له كمال الكهنوت، فهو الذى يضع يده أو يديه على المرشح لإحدى درجات الكهنوت، فينحدر الروح القدس على المرشح ويمنحه الوسم والسمة التى بها يصبح صاحب سلطان فى الدرجة التى أقيم فيها.

والأسقف بهذا المعنى هو مستودع أسرار الروح القدس يوزع منها على المؤمنين لبنيان الكنيسة ونموها وإزدهارها، وهو بمثابة الرأس المفكر لكل الجسم، فهو للكنيسة رأسها وعقلها الذى يدبر بالحكمة التى عنده من الله سائر الأعضاء، ويشرف على عملها ويحكمها ويوجهها وينسق بين إختصاصاتها فى نظام متكامل يحفظ للجسم سلامته وصحته، ويحقق له الحياة المتزنة المثمرة.

١٣ ـ ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو، ولا يضركم شئ : (لوقا ١٠ : ١٩)

لكى يحمى المسيح كهنته ورسله زوّدهم بسلطان لكى يدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو، هذا السلطان يشمل الحيات والعقارب حرفيا ومعنوياً.

أما الحيات والعقارب وكل قوة العدو بمعناها الحرفي فقد أعطى الرب سلطاناً لرسله أن يدوسوها.

فمار بولس الرسول عندما كان في جزيرة مالطة أو مليطة ،جمع كثيرا من القضبان ووضعها على النار، فخرجت من الحرارة أفعى ونشبت في يده. فلما رأى البرابرة الوحش معلقا بيده، قال بعضهم لبعض لابد أن هذا الإنسان قاتل لم يدعه العدل يحيا ولو نجا من البحر. فنفض هو الوحش في النار، ولم يتضرر بشئ رديئ. وأما هم فكانوا ينتظرون أنه عتيد أن ينتفخ أو يسقط بغتة ميتا. فإذ إنتظروا كثيرا، ورأوا أنه لم يعرض له شئ مضرّ، تغيروا وقالوا هو إله، (أعمال ٢٨: ١، ٣ – ٦).

ومار متى الرسول وهو يكرز ببلاد الحبشة أهاج عليه السحرة ثعبانين هائلين، فصلّب عليها بعلامة الصليب وانتصر عليهما.

والقديس مرقس الرسول أيضا كان مع أبيه ارسطوبولوس يسيران في البرية، فالتقيا بأسد، وانتصر عليه.

وهكذا حدث مع كثيرين من الرسل والكهنة في كل العصور.

القمص ميخائيل البحيرى، كان معه في قلايته ثعبان كبير نحو ثلاثة أمتار طولاً فصلّب عليه القديس بعلامة الصليب فصار أليفاً. وكان القديس يأكل عادة في الساعة الثالثة بعد الظهر، واعتاد الثعبان أن يخرج من شقه وكان يأكل مع القديس في طبقه، وكان القديس يأكل من جهة والثعبان يأكل في نفس الطبق من الجهة الأخرى. وكان القديس يمسّ عليه ليطمئن إلى وجوده وليعطيه الأمان..

وهكذا صار الثعبان خاضعاً للقديس وفي يوم وفاة القمص ميخائيل البحيرى انفجر الثعبان ومات في القلاية.

وفي جبل البلينا كان راهب كاهن يتعبد. تعرف عليه مؤمن مدنى، ثم أخذ يتردد عليه. وفي يوم ذهب إلى مغارته فلم يجده، لأن الراهب الكاهن كان قد نزل إلى بطن الجبل ليملأ جرته ماء وليجمع بعض الأعشاب لطعامه. فأخذ المؤمن المدنى مكانه في المغارة ينتظر عودة الراهب الكاهن. لكن الراهب تأخر جداً، وبغته رأى الرجل المدنى ضبعا كبيراً يجرى لاهثا في إتجاه باب المغارة، فارتعب الرجل جداً وتصبب عرقا وصار يرتعش واختفى في

داخل المغارة وهو فزع جداً يتوقع هجوم الضبع عليه. لكن الضبع جلس عند باب المغارة، وعند الساعة الرابعة أو يزيد عاد الراهب الكاهن إلى المغارة، وعند دخوله ارتمى عليه الرجل المدنى وصار يجهش بالبكاء وهو مرتعب، يرتعد خوفاً، فطمأنه القديس، وقال لا تخف هذا ضبع مبارك لا يؤذيك. ولكنك لا تستطيع أن تغادر الجبل الآن، فابقَ معى إلى الصباح. وفعلاً قضى الليل مع الراهب يصليان ويسبحان الله. وعند الفجر سمع صوت الضبع يخدش بقدميه على باب المغارة فأجابه الراهب الكاهن وقال له : امضِ بسلام، فمضى الضبع في طريقه. فتعجب الرجل وسأل الراهب الكاهن عن معنى هذا كله. فقال القديس : إن الله أشفق علىّ وأرسل إلىّ هذا الضبع لحراستى من سائر الضباع والوحوش، ففى كل يوم يأتينى قبل الغروب فى هذا الموعد بالذات، ويرابط على باب المغارة ليمنع أى وحش آخر من الإقتراب إلىّ والإضرار بى.

فقال الرجل المدنى : وما معنى هذه الخربشة التى أحدثها الضبع على باب المغارة، قال إنه يستأذننى فى الإنصراف للسعى وراء قوته، لأنه لا يستطيع الإنصراف مالم أسمح له بذلك.

إن الضبع من أشرس الحيوانات وأخبثها، لكنه صار خاضعاً لهذا الكاهن القديس وصار أليفا وتابعا له.

وهكذا أعطى الرب لكهنته السلطان لكى يدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو، ولا يضرهم شئ.

أما الحيات والعقارب وكل قوة العدو، بمعناها الروحى فهم الأعداء الظاهرون والخفيون الذين يخلقون المتاعب والأشواك للرسل ولكهنة الله.

وقد يتصور هؤلاء الناس أنهم مخلصون فى عدائهم لرجال الدين، أو أنهم على حق فى هذا العداء ولا يعلمون أن الشيطان قد إستغلهم فى التنغيص على رجال الدين، ومرمرة حياتهم، وخلق المتاعب فى طريقهم.

وقد شكا الرسول بولس من أمثال هؤلاء - وقال عن نفسه مرة :

«حاربت وحوشا فى أفسس» (١ . كورنثوس ١٥ : ٣٢) وما قصد الرسول بولس وحوشا من الحيوانات العجماوات، وإنما قصد إناسا من البشر قاوموه بشدة وشراسة كالوحوش الضارية.

وكان يشكو من «الإخوة الكذبة المدخلين خفية الذين دخلوا إختلاساً ليتجسسوا حريتنا التى فى المسيح كى يستعبدونا» الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة ليبقى عندكم حق الإنجيل» (غلاطية ٢ : ٤، ٥)

ويقول للغلاطيين عنهم «يغارون لكم ليس حسنا بل يريدون أن يصدّوكم لكى تغاروا لهم» (غلاطية ٤ : ١٧).

وشكا من كثيرين ممن كان يذكرهم مرارا فصار يذكرهم باكيا لأنهم صاروا أعداء صليب المسيح. (فيلبى ٣ : ١٨).

وشكا من اسكندر النحاس «اسكندر النحاس أظهر لى شرور كثيرة. ليجازه الرب حسب أعماله، ... لأنه قاوم أقوالنا جدا» (٢ . تيموثيوس ٤ : ١٤، ١٥).

ويقول «فى احتجاجى الأول لم يحضر أحد معى بل الجميع تركونى. لايُحسب عليهم. ولكن الرب وقف معى وقوّانى.. فأنقذتُ من فم الأسد» (٢ .تيموثيوس ٤ : ١٦، ١٧).

هؤلاء وغيرهم ممن يقاومون رجال الله، هم كالحيات والعقارب، قد أعطى الرب عبيده سلطانا ليدوسوهم ويقهروهم ويكسروا شوكتهم، وقد يغيروهم فيهتدوا إلى الإيمان، وإذا لم يهتدوا فالرب يسحق كبرياءهم وغرورهم، ويكسر قوتهم عن خدّامه فلا يؤذوهم ولا يضروهم.

وهنا نذكر رجالاً آخرين غير الرسل من رجالات الكنيسة وأبطالها، ممن وجدوا فى طريقهم أشواكا، وجند الشيطان خدامه لإقلاق راحتهم.

على أن هناك وجها مشرقاً لهذه المضايقات.

رتب الكهنوت

أقام المسيح فى الكنيسة خداماً لنمو الشعب وبنيان جسد المسيح. على أن جميع المؤمنين هم فى دائرة الخلاص، أما الخدام فقد منحوا سلطاناً يخدموا به إخوتهم المؤمنين.

وكما أرسل الآب الابن، أرسل المسيح رسله الإثنى عشر ليكرزوا ويقدسوا المؤمنين وجعلهم رعاة ومدبرين، وقد أراد أن يكون خلفاؤهم أيضاً رعاة ومعلمين إلى نهاية الدهر.

هؤلاء الإثنى عشر إختارهم المسيح وأرسلهم أولاً إلى بنى إسرائيل ثم إلى جميع الأمم حتى يصّيروا جميع الشعوب تلاميذ للمسيح ويقدسوهم ويرشدوهم ويدبروهم فجميع المؤمنين مبنيون على أساس الرسل والأنبياء والرب يسوع هو حجر الزاوية.

الأساقفة :

والأساقفة هم خلفاء الرسل لتثبيت الكنيسة وقيادتها.

ومهمتهم مثلثة، **تعليم شعب الله، وتقديسه، وقيادته.**

وهم أباء للمؤمنين ورعاة للقطيع.

فالأسقفية سرّ مقدس تخلع على صاحبها أعظم درجة فى الكهنوت، فهى كما علّم أباء الكنيسة وكما تعلمنا الطقوس المقدسة، «الكهنوت الأعظم وأوج الخدمة المقدّسة».

والمسيح حاضر فى الأساقفة بصورة فريدة ليحيى كنيسته بكلمة الإيمان وبالأسرار المقدسة، وليضم أعضاء جديدة إلى جسده السرّى، ولكى يقود شعب العهد الجديد بحكمتهم وفطنتهم نحو السعادة الأبدية.

القسوس والشمامسة :

يتألف الكهنوت من **الأساقفة والقسوس والشمامسة.**

يرسم الأساقفة القسوس لمساعدتهم فى العمل الرعوى والكهنوتى.

بعمل الرسامة ينال القسوس من النعمة التى نالها الأساقفة من قبل، لنشر الحق وتوزيع نعم الروح القدس على المؤمنين.

مع أن القسوس لا ينالون ملء الكهنوت الذى للأساقفة، لكنهم مع ذلك كهنة لله بكل معنى الكلمة وإن كانوا فى المرتبة الثانية، يتعاونون مع الأساقفة ويعاونونهم.

ويقدم القسوس الذبيحة المقدسة ويخدمون الأسرار، باسم المسيح نفسه وهو ذاته الفاعل بهم وفيهم.

والقسوس يُعلّمون المؤمنين الصلاة الحقيقية ويرشدونهم إليها، ويوجهونهم ويغذونهم بكلمة الله فى مختلف صورها، ويقودونهم إلى الإشتراك فى ذبيحة القدّاس، وفى الكنيسة فى طاعة كاملة ومحبة. وهم مكلفون بالنفوس فى حدود المسئوليات المعينة لهم من البابا، أو الأسقف المختص، وهم يمثلونه فى رعاية قطيع المسيح وخدمة الشعب.

الشمامسة

الشمامسة إحدى درجات الكهنوت والخدمة المقدسة، وهى أصغرها جميعاً.

الشمامسة يساعدون القسوس والأساقفة.

الشمامسة يخدمون الذبيحة المقدسة وفى سر المعمودية، والخدمة الإجتماعية، ويعظون ويؤدون سائر الخدمات التى يأمرهم بها أو يكلفهم بها الرئيس المختص.

والشماسية كانت ويجب أن تظل دائماً درجة ثابتة فى الكنيسة لخدمة النفوس.

مجمع الأساقفة:

كما كان للآباء الرسل مجتمعين سلطان على الكنيسة كلها كذلك للأساقفة مجتمعين برياسة البابا سلطان على المؤمنين وعلى الكنيسة، ولا سيما فى المجامع بصفة خاصة.

ومن إختصاصات البابا أنه يدعو الأساقفة إلى عقد المجامع، ويرأس هذه المجامع ويثبت قراراتها.

علاقة الأساقفة فى المجمع :

كما أن البابا هو مبدأ الوحدة ومركزها بالنسبة للكنيسة كلها، كذلك الأسقف هو مبدأ الوحدة ومركزها بالنسبة لإيبارشيته.

فالأسقف يمثل كنيسته فى إيبارشيته، لكن الأساقفة جميعاً مع البابا على رأسهم يمثلون معاً الكنيسة كلها فى رباط السلام وجامعة المحبة.

وسلطان الأسقف الرعوى لا يمتد لغير الشعب الذى عهد به إليه، فلا يمتد إلى كنائس أخرى ولا إلى الكنيسة الجامعة كلها.

لكن على الأسقف من حيث هو عضو فى مجمع الأساقفة، واجب الإهتمام بالكنيسة الجامعة والمشاركة فى شئونها العامة لا الإدارية. فعلى الأساقفة مجتمعين أن يرعوا ويحموا وحدة الإيمان الرسولى، وأن يظهروا المحبة نحو جميع المؤمنين أعضاء جسد المسيح السرّى، ولا سيما الفقراء والمتألمين والمضطهدين من أجل البرّ، وأخيرا أن يهتموا بنمو الإيمان وإنتشار نور الإنجيل إلى جميع الناس، فى كل الأرض.

وفضلاً عن إهتمام الأساقفة بالعمل التبشيرى ومعاونة البابا فى ذلك، عليهم أيضاً أن يعاونوا بمحبة أخوية الكنائس الأخرى التى لا تقع فى حدود إيبارشياتهم، لا سيما الصغيرة منها والقريبة إليهم كما كان الحال فى العصور القديمة.

نال الأساقفة من المسيح عن طريق الآباء الرسل، سلطانا لتعليم جميع الأمم والكرازة بالإنجيل لكل الخليقة، حتى ينالوا الخلاص بالإيمان والمعمودية وتتميم وصايا الله، وقد حلّ الروح القدس على الرسل، وزوّدهم لمهمتهم بألسنة من نار. على أن هذه المهمة هى أولاً وقبل كل شىء خدمة رسولية.

مسئولية الأساقفة فى التعليم:

الأساقفة هم الذين يبشرون بالإيمان، ويكونون للمسيح تلاميذ جديدين. وهم علماء الكنيسة ومعلموها الذين أخذوا من المسيح سلطاناً لتعليم الناس الذين عهد بهم إليهم فى العقيدة والسلوك، بإلهام الروح القدس، كما أن عليهم أن يقاوموا الأخطاء والضلال الذى يفسد رعيتهم.

وإن لم يكن الأسقف فى ذاته معصوماً من الخطأ، لكنه كعضو فى مجمع الأساقفة إذا اجتمع المجمع على أمر يتصل بالعقيدة أو الأخلاق فقرارهم الذى يصلون إليه يجب قبوله بكل إحترام، إذ المجمع يتمتع بالعصمة فى أحكامه. (إذا اجتمع طبقاً للقوانين).

مسئولية الأساقفة فى التقديس:

الأسقف هو الكاهن الأكبر، والوكيل المؤتمن على نعمة الكهنوت العظمى، ولا سيما بالنسبة إلى ذبيحة الافخارستيا التى يقدمها بنفسه أو يقدمها الكهنة بتفويض منه.

والأساقفة هم القائمون بواجب تقديم العبادة لله، حسب وصايا الله والكنيسة.

والأساقفة هم خدّام سرّ وضع اليد للدرجات الكهنوتية.

وهم خدّام سرّ التثبيت.

سلطان الأساقفة فى التدبير:

للأساقفة سلطان التدبير فى كنائسهم التى أقيموا عليها.

يجب أن يستخدموا هذا السلطان لبنيان رعيتهم.

سلطانهم باسم المسيح سلطان مباشر ومشروع.

لكنه مع ذلك خاضع لسلطة الكنيسة العليا، ويمكن أن يُحد على نوع ما نظراً لمصلحة الكنيسة أو المؤمنين.

ليس الأساقفة نوابا عن البابا لأن سلطانهم لهم من المسيح وقد دعوا بحق أساقفة للشعب الذى يرعونه، إن سلطان الأساقفة لا تبطله سلطة الكنيسة العليا، بل على العكس تثبته وتؤيده وتحميه.

ولكن على الأساقفة أن يخدموا الشعب بالمحبة، ويقدموا للمؤمنين فى أشخاصهم المثل الحىّ للراعى الصالح الذى يبذل نفسه عن الخراف.

وعلى المؤمنين أن يسمعوا للأسقف ويطيعوه ويكرموه كأب حتى يكون الجميع فى وفاق تام ووحدة كاملة.

كرامة الكهنوت المسيحى

من رسالة معلمنا بولس الرسول إلى العبرانيين (لأن ملكى صادق هذا ملك ساليم.. الخ) (العبرانيين ٧: ١ – ٣).

هذا الفصل من أقوى فصول العهد الجديد الذى يتحدث عن كرامة الكهنوت المسيحى، وتمجيده عن الكهنوت الهارونى أو اللاوى، والرسول يعقد هذه المقارنه ليبين أن الفارق عظيم بين كهنوت قائم على الذبائح الحيوانية، وكهنوت قائم على ذبيحة من طراز آخر. كهنوت لم يجد فيه تعبيراً أعظم من أنه قائم على كهنوت ملكى صادق. وملكى صادق هذا إنسان نقرأ عنه فجأة فى الإصحاح الرابع عشر من سفر التكوين، يوصف بأنه ملك، وأيضاً بأنه كاهن الله العلى، ويوصف بأنه خرج لإستقبال إبراهيم عند إنتصاره على الملوك الذين دخلوا معه فى حرب، وإبراهيم يقابل ملكى صاق ويقدم لملكى صادق العشور، ويبارك ملكى صادق إبراهيم وبركته يرن صداها ويصل إلى العهد الجديد (التكوين ١٤: ١٨– ٢٠).

ملكى صادق يوصف بأنه كاهن، ولكن كهنوت ملكى صادق ليس له أساس من جهة البشر، وهذه نقطة الإختلاف بينه وبين كهنوت هرون القائم على التوريث. ملكى صادق نعلم أنه كاهن ولكننا لا نعلم من أين تسلّم ملكى صادق كهنوته، وكل ما نعلمه وهو خير ما نعلمه أن ملكى صادق كاهن لله العلى. لم يكن كاهناً للبعل ولا كاهناً لإله مجهول، ولكنه كان كاهناً لله العلى. فكهنوته إذاً فى وضع الكتاب المقدس كهنوت قانونى، ولا نريد دليلاً على قانونية هذا الكهنوت أكثر من أن كهنوت إبن الله العلى يشابه كهنوت ملكى صادق. ويصبح كهنوت ملكى صادق رمزاً لكهنوت المسيح، ويتشرف كهنوت ملكى صادق بأن المسيح وكهنوته يأتى على رتبة ملكى صادق، ولا زلنا إلى اليوم فى كنيستنا المقدسة حين نتجه فى صلواتنا إلى كهنوت المسيح فى شخص أساقفتنا وكهنتنا إنما نتكلم ونردد عبارة الكتاب: أنت الكاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق، الكهنوت الأول يقوم على الذبائح الحيوانية وكهنوت ملكى صادق يقوم على ذبيحة من خبز وخمر، والرسول يقطع فى أن كهنوت الخبز والخمر أرقى وأسمى من كهنوت الذبائح الحيوانية، بدليل إن إبراهيم وفى صلبه الكهنوت اللاوى والهارونى يأخذ البركة من ملكى صادق كاهن الله العلى، والأصغر كما يقول الرسول يبارك من الأكبر.

إذا فكهنوت إبراهيم وفى صلبه كهنوت هارون هو الكهنوت الأصغر أمام كهنوت ملكى صادق وفى صلبه كهنوت المسيح. الأصغر يبارك من الأكبر. فكيف يمكن أن يُقبل أن يكون

كهنوت هارون أصغر من كهنوت ملكى صادق. ونحن نعرف فى سلم الوجود أن الحيوان أرقى من النبات، إلا إذا كان النبات (الخبز والخمر) منظوراً إليهما لا على أنهما نبات ولا على أنهما خبز وخمر، ولكن على أنهما فى عهد المسيح وبقوة المسيح لا يبقيان – خبزاً ولا خمراً وإنما يتحولان إلى جسد المسيح وإلى دمه، بهذا المعنى يصبح حقاً الكهنوت الذى على رتبة ملكى صادق أرقى من الكهنوت الذى على رتبة هارون ولاوى.

هذا هو الكهنوت الذى لنا فى العهد الجديد. هذا هو الشرف العظيم الذى أصبح لأولئك الذين استحقوا هذه الكرامة العظمى، لو نعلم كرامة الكهنوت، ولو نعلم هذه الهبات فائقة الطبيعة التى تعطى لأولئك الذين اختارهم الله ودعاهم لخدمته، لكان لنا شكر دائم أمام الله لأنه شَرَّفَ البشر بهذه الكرامة، وبهذا الشرف العظيم. كيف للكاهن كإنسان أن يقف على مذبح يلتهب بالنار، مذبح وصف بأنه ناطق سمائى لأن عليه ذبيحة ناطقة سمائية. كيف للكاهن وهو بشر أن يجرؤ أن يقترب من هذه النار الملتهبة، ولو كشف عن عينية وعينى البشر المحيطين به لرأى الملائكة ورؤساء الملائكة واقفين فى رعدة وخشوع، كما يردد الشماس وتردد الكنيسة فى صلواتها، لأن طغمات الملائكة على مختلفى رتبهم يقفون خاشعين، وقفة كلها جزع وكلها رهبة، وأجنحتهم على عيونهم تستر هذه العيون، من بهاء هذا الجالس على المذبح. وهذا الحمل الذى فى دمه الخلاص للبشر أجمعين، قيمة هذا الدم قيمة أزلية أبدية، قيمه لا نهائية فيها الخلاص. ملء الخلاص لكل البشر فى كل العصور، لأنه ليس فى حاجة أن يموت مرة أخرى، وإنما قد مات مرة واحدة، وتكفى هذه المرة لأن يكون فيها البركة وأن يكون فيها الخلاص للبشر أجمعين لأن دمه ثمين، ودمه فى كرامته لا يُثَمَّن لأنه دم إبن الله، أو كما قال الرسول للأساقفة وللكهنة الذين اجتمع بهم فى أفسس، أنتم الذين أقامكم الروح القدس أساقفة لترعوا كنيسة الله التى إقتناها بدمه، وباليونانية بدمه هو نفسه، فالدم إذاً منسوب إلى الله فما قيمة هذا الدم؟ قيمة أزلية أبدية قيمة لانهائية، لأنه دم الله نفسه دمه هو نفسه، لهذا كله، يكون شرف الخدمة الكهنوتية شرف عظيم، وكرامة الكهنوت كرامة كبرى. لانقول هذا لنفخر بين الناس فخرا جسديا، لأنه فى مقابل هذه الكرامة وفى مقابل هذا الشرف، هناك ألم المسئولية وهناك ثقلها، وهناك عذابها، إذا لم يكن الكاهن طاهراً ومقدساً ولائقا بهذه الكرامة التى شرفه الله بها. كرامة الكاهن إذاً من كرامة الذبيحة التى يقدمها. كرامة الكاهن من كرامة العمل الذى يقوم به. شرفه من شرف المهمة التى أُوكل أن يقوم بها، ليس لنا شرف من

الأرض ولا شرف بالجسد، وليس لنا أن نفخر بهذا الفخار المادى، وإنما لنا أن نمجد الله وأن نشكره، الذى أعطى للساكنين على الأرض سلطاناً لم يعطه للملائكة ولا لرؤساء الملائكة. والملائكة ورؤساء الملائكة يشتهون أن يطلعوا على هذه الأسرار، أما البشر فقد وهب لهم أن يُحضِّروا المسيح، وأن يأتوا به بصلواتهم ليستقر على المذبح مذبوحاً من الكهنة كما يقول ذهبى الفم. ولكن للكاهن مهمة بالنسبة للبشر. مهمة الكاهن بالنسبة للبشر مهمة شفيع ووسيط، لأنه يحمل الذبيحة ويقدمها ويرفعها عن جهالاته وخطاياه وعن جهالات الشعب أيضاً. فهو يصلى من أجل شعبه، ويصلى من أجل العالم، وهو يحمل الذبيحة يترضى بها وجه الله، ووجه العدالة الإلهية والذبيحة هى المسيح، لأنه هو ذبيحنا ووسيط العهد الجديد، ولكن الكاهن إذا لم يكن كاهناً طاهراً مقبولاً أمام الله. فصلواته لا تكون مقبولة لأن ذبيحة الأشرار مكرهة للرب. الذبيحة لا تنقص قيمتها لأنها قيمة المسيح هى أزلية أبدية لانهائية، ولكن موقف الكاهن كشفيع ووسيط، هذا الموقف هو الذى يتأثر بحياته وإستحقاقه.

من هنا يبدو الفارق بين كاهن وكاهن. يبدو الفارق بين إنسان فى الكهنوت مقبولة صلواته أمام الله، وبين كاهن فى الكهنوت صلواته كإنسان غير مقبولة أمام الله، فما أدق موقف الكاهن لو أنه كان جديراً بالشفاعة التى يقوم بها. ولكن الكاهن فوق ذلك مُعلَم. مُعلَم لأنه ينبئ شعبه بإرادة الله، وكلمة الكاهن فى إشتقاقها اللغوى تفيد هذا المعنى: الكاهن هو من ينبئ بسر خفى أو بالغيب المحجب، ومنه فى اللغة العربية والعبرية أيضاً أن التكهن هو الإنباء بالأمور المستورة والمخبأة عن العاديين من الناس، ذلك لأن الكاهن أصلاً هو الوسيط بين الله وبين الشعب، فيأخذ من الله العلم ليقدمه إلى الناس، فالناس بغيره جهلة ولكنه هو الذى يَعلَم إرادة الله ويبلغ هذه الإرادة للناس، من هنا سمى بالكاهن، ولكن الكاهن فى بعض اللغات الأخرى مثلاً باللاتينية ساسردوس معناه مانح الأشياء المقدسة. وكذلك باليونانية إيرفس: مانح الأشياء المقدسة. فهو عنده شئ يمكن أن يمنحه، ولكن الذى عنده ليس له وضعه كوسيط بين الله والناس، وكوكيل للأسرار المقدسة كما جاء فى العهد الجديد، نحن وكلاء سرائر الله، ويسأل فى الوكيل أن يكون أميناً. فالكاهن بوضعه مضطلعاً وواقفاً ووكيلاً للأسرار المقدسة، بهذه المهمة وبهذه الصفة يمنح الأشياء المقدسة ويعطيها لغيره. وسيدنا رتب هذا فى كنيسته ولا ننس لفتته الكريمة حين أعطى التلاميذ. والتلاميذ أعطوا الجموع، وفى العهد الجديد مثلان رائعان جداً يدلنا على الكرامة التى أعطاها الله للكهنة، باعتبار المهمة التى أسندها إليهم لكى يقوموا بها نيابة عنه خاصة بعد صعوده إلى السماء.

المثل الأول:

نجده فى العاشر من سفر الأعمال عن كرنيليوس. كرنيليوس قائد مائه كما تعلمون رجل وثنى، صلواته قبلت أمام الله وصدقاته صعدت تذكاراً أمام الله، وجاءه ملاك من السماء لينبئه بأن صلواته مقبولة. ومع ذلك الملاك لم يستطيع أن يقدم شيئاً لكرنيليوس إنما أحاله على القديس بطرس، وقال له استدع سمعان الملقب بطرس ويكلمك كلاماً به تخلص أنت وأهل بيتك (١٠: ١-٨). فلا يحتج شخص ما على الأرض، ولا يقل أحد إنى فى حالة من التقوى وفى حالة من السمو الروحانى بحيث أكون فى غنى عن الكاهن. هذا مثل جميل يدلنا على أن كرنيليوس أنه مع أصوامه وصلواته التى صعدت تذكاراً أمام الله والتى هزت السماء، والتى جعلت ملاكاً يأتى إليه خصيصاً ليبلغه برضى الله عنه، لكن الملاك لم يستطيع أن يصنع لكرنيليوس شيئاً يخلصه، إنما أحاله على الكنيسة. أحاله على سمعان بطرس. أحاله على رجل الكهنوت، حتى لا يشعر كرنيليوس أنه بتقواه يمكن أن يكون فى غنى عن الكنيسة وعن الكهنوت.

المثل الثانى:

شاول. شاول الذى إضطهد كنيسة الله بإخلاص، والذى كشف له السيد ذاته فى رائعة النهار. شاول الذى ظهر له المسيح رأساً، والذى كلمه بشخصه كلاماً رائعاً يحسد عليه، المسيح لا يكلم بولس كلاماً مباشراً مع أنه نفسه رب الخلاص. إنما لأنه سيدنا دخل السماء وترك عنه وكلاء على الأرض، فأراد أن يحترم مهمة هؤلاء الوكلاء، وأراد أن يحترم كلمته هو وشريعته هو، فلم يتكلم المسيح مع بولس كلاماً مباشراً يغنيه عن الكنيسة. بالعكس أحاله سيدنا إلى الكنيسة وقال له ادخل المدينة، وهناك يقال لك ما ينبغى أن تفعل (أعمال ٩: ١-٦)، ما أعجب هذه القصة. سيدنا بنفسه يظهر ويكلم بولس الرسول. ومع ذلك لا يتكلم مع بولس كلاماً فى صميم الخلاص، وإنما يحيله إلى الكنيسة. وهذا معناه أن مخلصنا إحترم وعده وإحترم كلمته مع تلاميذه ومع رسله، ومع الكهنة من بعدهم، أوكل إليهم مهمة، تركهم لهذه المهمة ولم يسمح بجلاله أن يتدخل ليوقف هذه المهمة، لأنه الآن فى السماء وتركهم ليكونوا بالنيابة عنه، وليس هذا فقط، إنما بولس هذا الذى عمده حنانيا وأدخله الكنيسة وغسله من خطاياه. بولس هذا فى الأصحاح ١٣ من سفر الأعمال نقرأ أن الروح القدس يقول إفرزوا لى برنابا

وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه. أيوجد دليل أعظم من هذا على الدعوة التى جاءت من السماء. الدعوة من قبل المسيح. المسيح هو الذى دعاه فى التاسع من سفر الأعمال، والروح القدس يقول صريحاً إفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه. ومع ذلك لا يصبح بولس رسولاً إلا بعد أن يضع الرسل المعتمدون فى الكنيسة أعمدة أيديهم عليه، فيقول الكتاب فى نفس الأصحاح ١٣ بعد التصريح بكلام الروح القدس إفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه. يقول مباشرة حينئذ صاموا (يتكلم عن الرسل والكهنة) حينئذ صاموا وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى وأطلقوهما (أعمال ١٣: ٢، ٣) إذا بولس لم يصبح رسولاً لا بدعوة المسيح نفسه ولا بدعوة الروح القدس، إلا بعد أن تأيدت هذه الدعوة بنفس السلطان الذى منحه الله هو نفسه لوكلائه أن يضعوا أيديهم، ويقيموا للكنيسة كهنة يتحملون عبء الرسالة نيابة عنه.

هذه القصة الأخرى مثل آخر يرينا أن المسيح له المجد، قصد وتعمد وأصر على أن إنساناً ما، بتقواه وبكرامته الخاصة وبروحانيته العالية. هذا كله لا يؤهله لأن يصبح فى الكنيسة خادماً ورسولاً وكاهناً لمذبحه، إلا إذا تسلم هذا السلطان من أصحاب السلطان.

إبراهيم أبو الآباء خليل الله، وليس أعلى من ذلك لقب، لأنه من جهة التقوى يقول الكتاب عن إبراهيم، هل أُخفى عن إبراهيم ما أنا فاعله. وهذا تعبير يدل على إن إبراهيم صار مؤتمناً على أسرار الله، حتى إن الله لا يخبئ عن إبراهيم شيئاً ومع ذلك إبراهيم يخضع لملكى صادق. يقدم العشور لملكى صادق. يأخذ البركة من ملكى صادق.

هذه كلها أدلة واضحة عديدة على كرامة الكهنوت لا من الناحية البشرية. فليس هناك شخص كفؤ لهذه الأمور كما يقول الرسول «ومن هو كفؤ لهذه الأمور» فليست المسألة من جهة كفايتنا ككهنة، ولكن من جهة نعمة الله التى شاءت ورتبت أن يكون فى الكنيسة كهنة، وأن يكون هؤلاء الكهنة مؤتمنين على هذه الأسرار العظيمة، أن يهبوها وأن يعطوها، حتى المسيح نفسه لا يشاء أبداً أن يعطى هذه المواهب إلا عن طريق الذين رتبهم، ليأخذوا هذه المواهب ويعطوها أيضاً للآخرين. إننا نرى هذه المعانى ونرددها وسوف نرددها لنتعزى ونبتهج ونفرح ونتعلم. وأيضاً لنتضع وأيضاً لنشعر بحقارتنا، وبضآلتنا وبنقصنا وبفتورنا، وبعدم إستحقاقنا وأهليتنا لهذه الكرامة العظيمة، والذين ساروا فى الطريق قبلنا، كم شعروا وأحسوا بنقصهم

وضعفهم، وكم أحسوا بأنهم ليسوا بشئ، والغريب أنه على قدر روحانية هؤلاء الأباء، على قدر شعورهم بعدم إستحقاقهم لكرامة الكهنوت، على العكس إذا أصاب الكاهن فتور أصابه بعد الفتور صلف وكبرياء وأصابه غرور، وأصابه إهمال بنفسه، ونسى مهمته، فى الوقت الذى يعلو فى الوقت الذى تكون السماء غاضبة على هذا الوكيل، لأنه ليس هو الوكيل السليم، إنما هو الوكيل الظالم الذى يتصرف فى مال سيده من غير أن يأخذ إذن سيده .

وأعطانا خدمة المصالحة (١)

«ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا» (الله الآب وأنا) (أيوب ٩: ٣٣) «نفتخر... بربنا يسوع المسيح الذى نلنا به الآن المصالحة» (رومية ٥: ١١) «الله... صالحنا لنفسه بيسوع المسيح... الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه» (٢. كورنثوس ٥: ١٨، ١٩).

«لأنه هو سلامنا الذى جعل الإثنين واحداً، ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة، مبطلاً بجسده ناموس الوصايا فى فرائض لكى يخلق الإثنين فى نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً. ويصالح الإثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به. فجاء وبشركم أنتم البعيدين والقريبين لأن به لنا كلينا قدوماً فى روح واحد إلى الآب» (أفسس ٢: ١٣- ١٨).

«لأنه فيه (يسوع المسيح) سر أن يحل كل الملء، وأن يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته، سواء كان ما على الأرض أم ما فى السماوات. وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء فى الفكر فى الأعمال الشريرة، قد صالحكم الآن فى جسم بشريته بالموت، ليحضركم قديسين، وبلا لوم ولا شكوى أمامه» (كولوسى ١: ١٩ - ٢٢).

قديماً، وقبل الفداء والخلاص، شكا أيوب الصديق من أنه فى حالة خصومة وعداوة بينه وبين الله الآب، ولما كان أيوب بشراً ضعيفاً ولا قدرة له على أن يتحمل طويلاً متاعب هذه العداوة والخصومة، ونتائجها وعواقبها على نفسه فى الحياتين الحاضرة والآتية، إذ الكفتين غير متعادلتين، كفته هو كإنسان ضعيف، وكفة الله كخالق وسيد ورب، لذلك صرخ يطلب المصالحة، ويطلب وسيطاً يتدخل بينه وبين الله، ليصالح بينهما. قال أيوب الصديق «ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا» (أيوب ٩ : ٣٣).

وظلت صرخة أيوب تدوى، وتتجاوب أصداؤها عبر القرون، فقد صرخ يعقوب أبو الأسباط كما صرخ أيوب، وقال «لخلاصك إنتظرت يا رب» (التكوين ٤٩: ١٨)، وصرخ بمثلها داود، وقال «رجوت خلاصك يا رب» (مزمور ١١٨ (١١٩): ١٦٦)، وبمثلها صرخ رجل وثنى فى فيلبى يقول «ماذا ينبغى أن أفعل لكى أخلص» (أعمال الرسل ١٦: ٣٠).

---

(١) ألقيت بالجمعية العمومية الثانية لمجلس كنائس الشرق الأوسط - روانا - لبنان فى ١/ ٣/ ١٩٧٧م.

وجاء «مشتهى كل الأمم» (حجى ٢ : ٧)، جاء الذى إشتهاه جميع الناس بنى آدم، جاء النسل الذى سحق رأس الحية (التكوين ٣ : ١٥)، «وبه وفيه تتبارك جميع قبائل الأرض، وكل الأمم» (التكوين ٢٢ : ١٨)، (٢٦ : ٤)، (٢٨ : ١٤)، (أعمال ٣ : ٢٥)، (غلاطية ٣ : ٨).

جاء الفادى بالألف واللام، وأتى المخلص الواحد والوحيد «لأنه ليس بأحد غيره الخلاص». «لأن ليس اسم آخر... به ينبغى أن نخلص» (أعمال ٤ : ١٢).

جاء الوسيط الذى إشتهاه أيوب، وطلبه يعقوب، وتمناه داود وكل بنى آدم، طلبوه كلهم ليضع يده على الله الآب، والإنسان، ويصالح بينهما ويهدم حائط السياج بينهما، وينقض العداوة التى إستحدثها آدم أبونا بخطيئته، فمات، ومتنا فيه جميعنا (١ . كورنثوس ١٥ : ٢٢). وأبطأ فى مجيئه «فرأى أنه ليس إنسان وتحيّر من أنه ليس شفيع، فخلصت ذراعه لنفسه... فلبس البر كدرع، وخوذة الخلاص على رأسه» (إشعياء ٥٩ : ١٦، ١٧). نعم من هو المخلص والفادى غير يسوع المسيح وحده، الله فى صورة إنسان، الرب فى شكل العبد... لقد أخلى نفسه من صورة الرب، وأخذ صورة العبد، صائراً فى شبه الناس (فيلبى ٢ : ٦، ٧).

هذا هو الوسيط الواحد الذى إفتقده أيوب (٣٣ : ٢٣) ليقوم بعمل المصالحة بين الله والإنسان، «لأنه يوجد إله واحد ووسيط بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح» (١ . تيموثيوس ٢ : ٥). هو خصمنا الذى خاصمناه وصنعنا معه العداوة، وهو بعينه الذى سعى ليصالحنا. وقد صالحنا بالفعل... إن الذى قام بعمل المصالحة هو فادينا يسوع المسيح، إذن بربنا يسوع المسيح نلنا المصالحة (رومية ٥ : ١١). ولكن من هو يسوع المسيح غير الله الظاهر فى الجسد؟ (١ . تيموثيوس ٣ : ١٦) إذن هو الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح... وبعبارة أخرى «الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه» (٢ . كورنثوس ٥ : ١٨، ١٩). إذن يسوع المسيح هو الوسيط الوحيد بين الله والناس. ولكن حيث أنه هو الله فى صورة إنسان، متأنساً متجسداً، فهو وسيط لا بصفته اللاهوتية لأنه واحد مع الآب فى الجوهر (يوحنا ١٠ : ٣٠)، ولكنه وسيط بصفته الناسوتية، ولذلك قال الكتاب «لأنه يوجد إله واحد، ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح» (١ . تيموثيوس ٢ : ٥). وبهذه الصفة الناسوتية أو الإنسانية، كان نائباً عنا وفى جسده وهو من طبيعة جسدنا قبل الموت بالصليب، تنفيذاً لحكم الله الآب وقضائه، فوفى العقوبة الأبدية، ولما كان نائباً عنا فى جسم بشريته، فقد صار بموته بديلاً عنا وفاديا لنا. ولكن الإنسان كإنسان لا يفدى بالكاد إلا إنساناً واحداً. (رومية ٥ : ٧) إنما الذى

أعطى الفداء قيمته الأبدية، وقيمته الشاملة لجميع الناس هو إتحاد اللاهوت بالناسوت، وبهذا الإتحاد صار دم يسوع المسيح هو دم الله ذاته (أعمال ٢٠ : ٢٨). لهذا كان الفادى للجنس البشرى واحداً، «والوسيط واحداً، «وليس بأحد غيره الخلاص». وهذا هو معنى عبارة الرسول «الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه».

مع أن الله فى يسوع المسيح هو الوسيط الذى وضع يده على كلينا أى على الله الآب وعلى الإنسان، وبالتالى فهو وحده المصالح، وليس غيره مصالح، لكنه بعد أن تمم الصلح بنفسه، وصنع الخلاص بذراعه، وقام بالفداء بذاته من دون إنسان، إلا إنسانيته هو، التى إتحدت بلاهوته، لكنه بعد ذلك «أعطانا خدمة المصالحة» (٢ . كورنثوس ٥ : ١٨) ثم يقول الرسول بولس «واضعاً فينا كلمة المصالحة» (٢ . كورنثوس ٥ : ١٩).

لنا إذن دور فى المصالحة، بعد أن تصالحنا نحن مع الله الآب، أن نقوم نحن بمصالحة الله الآب مع الذين ما زالوا فى خصومة ولم يتصالحوا بعد معه. وإذن فبالمسيح إرتفعت عنا العقوبة الأبدية.

ولكن ما هو دورنا؟ هل نقوم نحن بدور المصالح بالمعنى الذى تم فى المسيح وبالمسيح يسوع؟ حاشا! لأنه ليس بأحد غيره الخلاص، ... المصالح واحد والوسيط واحد... إنما نحن علينا أن نقوم بما سماه الرسول بالخدمة «المصالحة». وعاد يقول بعبارة أخرى «واضعاً فينا كلمة المصالحة» إذن دورنا بعد المسيح، ليس هو دور المصالح الفادى والمخلص، وإنما دورنا هنا هو دور «خدمة» المصالحة.

وخدمة المصالحة تبدأ أولاً بـ «كلمة المصالحة» هو خدمة «الكلمة» هو خدمة الكرازة والتبشير، ولقد شرح الرسول بولس ذلك بقوله «إذن نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح، تصالحوا مع الله». فالكنيسة سفارة الله على الأرض، ورجال الله، وخدامه هم سفراء عنه، لا يطلبون شيئاً لأنفسهم أو عن أنفسهم، إنما هم سفراء عن المسيح، يطلبون عن المسيح ويكلمون الناس ويقولون: تصالحوا مع الله.

لكن المصالحة لا تتم بالكلمة وحدها، وإلا هل إستطاعت كرازة الكلمة وحدها أن تخلص البشرية من دون عمل الكفارة والفداء الذى قام به المسيح يسوع. لو كان الأمر كذلك، فلماذا كانت الحاجة إلى مجئ المسيح من السماء، ولماذا كانت الحاجة إلى «موت المسيح بالصليب، أى لماذا كان الصليب؟ إذن علينا، أى على رجال الله، خدام الله، أولاً، أن يكرزوا ويبشروا،

ويعظوا عن المسيح: تصالحوا مع الله، ولكن ليس بالكرازة وحدها يخلص الناس ويصطلحون مع الله... لابد إذن من «خدمة المصالحة»، لابد من «ليتورجية المصالحة». وليتورجية المصالحة بها تتم المصالحة بحيث يكون المصالح هو المسيح يسوع وليس السفير أو الخادم أو رجل الدين. فى ليتورجية المصالحة يأخذ الروح القدس من إستحقاقات يسوع المسيح، الفادى الوحيد، ويعطينا، عمل الروح القدس هنا هو أنه ينقل ويغترف من بحر الخلاص الذى تفجر فى الصليب، ولما كان عمل الروح القدس أثناء ليتورجية المصالحة ليس منظوراً، فهو إذن سر، ولما كانت مواهب الروح القدس متنوعة، لذلك كانت أسرار الروح القدس فى كنيسة المسيح متنوعة. هذه الأسرار هى قنوات الخلاص التى ينقل بها الروح القدس، ويغترف من بحر الخلاص والفداء الذى تفجر فى الصليب، ويعطينا عن طريقها المصالحة والغفران والتبرير والفداء. وإذن فالمسيح فى أسرار الكنيسة هو المصالح وهو الوسيط وهو المخلص. وليس دور الكاهن غير دور الخادم فى ليتورجية المصالحة.

مطلوب منا أن نقوم بـ «خدمة المصالحة»... ولقد شرَّفنا الله بذلك «واضعاً فينا كلمة المصالحة. إذن نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله» (٢ . كورنثوس ٥: ٢٠).

كيف نقول للخارجين، ولغير المؤمنين «تصالحوا مع الله» ونحن متخاصمون؟ نعم نحن متخاصمون، ومنقسمون على الرغم من تلاقينا، ومن السلام بأيدينا، وعلى الرغم من إجتماعاتنا وبياناتنا... نحن منقسمون ومتخاصمون... والدليل على ذلك إننا غير مشتركين فى الخبز الواحد أى فى الجسد الواحد، ومن المذبح الواحد. لو كنا حقاً متصالحين، فلماذا لا نشترك فى الخبز الواحد وعلى مائدة واحدة؟ والمائدة هنا، هى مائدة الرب، والخبز هو جسد الرب. يقول الرسول القديس بولس «إن لنا مذبحاً لا يحق للذين يخدمون المسكن (وهم اليهود) أن يأكلوا منه» (العبرانيين ١٣: ١٠) والمذبح واحد وليس عدة مذابح. والخبز الذى يأكله المسيحيون بروح واحد، هو واحد، لأن جسد الرب واحد، وليس لنا غير رب واحد يسوع المسيح، كما نقول فى قانون الإيمان.

إننا يجب أن نخجل من أنفسنا بل يجب أن نصمت عن كلمة المصالحة لأن فاقد الشئ لا يعطيه، وقد قال المسيح «فإن قدمت قربانك إلى المذبح..، اذهب أولاً صالح أخاك وحينئذ تعال وقدم قربانك» (متى ٥: ٢٣، ٢٤).

إن رسالة المسيح إلى العالم معطلة وعدد الوثنيين يزيد على عدد المسيحيين بالإسم، وغير المسيحيين من أتباع الديانات الأخرى يزيد كثيراً على ثلثى تعداد العالم. وأما الوثنيون من المسيحيين، أى الذين يعبدون آلهة أخرى غير الإله الواحد وحده الحقيقى، فهم الغالبية العظمى بين المسيحيين بالإسم. إذن على الرغم من كلمة المصالحة فى أفواهنا، لكنها ضائعة وكأنها نزح ماء فى قربة مقطوعة. ذلك لأن ربنا يسوع قال «ليكون الجميع واحداً... ليعلم العالم أنك أرسلتنى» (يوحنا ١٧ : ٢١). فكيف يعلم العالم برسالة المسيح والمسيحيون منقسمون؟ هذا مستحيل. إذن، بانقسامنا تعطلت رسالة المسيح بل إختفى المسيح!.

ما قصدت بهذا أن نتوحد فى المسيح من أجل هدف خارجى، كأننى أنادى بوحدة مصطنعة أو بوحدة شكلية، أو بوحدة نظامية، لا، ليست هذه هى الوحدة التى ننشدها فى المسيح. إنما الوحدة فى المسيح هى وحدة الإيمان، وحدة الفكر، وحدة الرأى. يقول الرسول القديس بولس «أطلب إليكم أيها الإخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تقولوا جميعكم قولاً واحداً، ولا يكون بينكم إنشقاقات، بل كونوا كاملين فى فكر واحد ورأى واحد» (١ . كورنثوس ١ : ١٠).

يكفينا ما مضى من إجتماعات نعقدها، نتكلم فيها عن وحدة إجتماعية، وعن التعاون الإجتماعى والتكافل الإجتماعى، لقد سرحنا بعيداً، أو بالأحرى لقد هربنا من أنفسنا، أو هربنا من الله، بدلاً من أن نذهب إلى نينوى ذهبنا إلى ترشيش، ثم نمنا فى السفينة مثقلين بنوم عميق. والعجيب أن الوثنيين من حولنا يصرخون كل واحد إلى إلهه، ونحن نائمون على وسادة، ثم يطول بنا النوم حتى يضطر الوثنيون من حولنا أن يوقظونا بكلام موجع وسياط تقرع ضمائرنا «ما لك نائماً. قم اصرخ إلى إلهك عسى أن يفتكر الإله فينا، فلا نهلك» (يونان ١ : ٦).

إن مجئ المسيح الثانى، على الأبواب، ولا أقول أنه قد اقترب، كما قال الآباء الرسل من قبل، ولكنه على الأبواب فعلاً، كل الدلائل تجتمع وتقترن لتشير إلى مجيئه فى الزمن القريب، قال القديس بولس: «من جهة مجئ ربنا يسوع المسيح وإجتماعنا إليه... لا يأتى إن لم يأت الإرتداد أولاً» (٢ . تسالونيكى ٢ : ١ - ٣) ولقد أتى الإرتداد، وإستفحل، وإستشرى ولم يعد مجال لمزيد.

وإسرائيل، بكيانها وتكوينها والصهيونية، بأهدافها ومراميها، دليل آخر قوى وواضح يشير بإصبعه إلى ظهور الدجال «إنسان الخطيئة ابن الهلاك، المقاوم والمرتفع على

كل ما يُدعى إلهاً أو معبوداً حتى أنه يجلس فى هيكل الله كإله، مظهراً نفسه أنه إله» (٢ . تسالونيكى ٢ : ٣، ٤) . ولسوف تنفجر فى الشرق الأوسط حرب لا ككل الحروب، حرب بقيادة الدجال ضد مسيحنا، المسيح الفادى، ولسوف يستيقظ المسيحيون المنقسمون على صوت إنفجار المعركة الكبرى، معركة هرمجدون، وقتال ذلك اليوم العظيم، يوم الله القادر على كل شئ. «حينئذ يبيد الرب يسوع مسيحنا الحقيقى، المسيح الدجال بنفخة فيه ويبطله بظهور مجيئه» (٢ . تسالونيكى ٢ : ٨) .

إن ظهور العذراء فى الزيتون فى سنة ١٩٦٨، وظهورها كله ظهور حزين، ثم ظهور فى وضع الصلاة الراكعة، العذراء تركع وتصلى وكأنها تقول أن هناك أحداثاً ستجرى فى الشرق تحتاج إلى الصلاة الخاشعة، وها أنا أصلى لكى لا يضيع إيمانكم، أصلى لكى تنجوا من التجربة ومن الضيقة العظيمة المزمعة أن تقع لكل المسكونة. أنا أصلى ولكن أطلب منكم أن تصلوا معى، صلوا، وها أنا أركع أمامكم أصلى، لأن الموقف صعب ويحتاج إلى صلاة لأن إبليس نزل إليكم، وبه غضب عظيم، عالماً أن له زماناً قليلاً (الرؤيا ١٢ : ١٢) .

إن الإرتداد عن الدين، والإلحاد، والإباحية، والإستهتار، والفساد فى كافة صوره، يتحدانا لنسعى نحو الوحدة الحقيقية القائمة على وحدة الإيمان والفكر والرأى.

إسرائيل فى وجودها وكيانها والصهيونية بأهدافها ومطامعها تتحدانا لنسعى إلى الوحدة الحقيقية ونطلب ونركز جهودنا نحوها.

والإسلام أيضاً فى حركة زحف شديد ومد عال وقوى فى كل الإتجاهات، وعلى كل الأبعاد، فى مصر وبلاد الشرق الأوسط، فى أفريقيا، وبلاد آسيا، يكاد يجرفنا ونحن نيام. لقد آمنا بالوحدة إنها قوة، ولكنها سريعاً ما تحولت عندنا إلى نوع من التعاون، والتضامن الإجتماعى والتكافل الإجتماعى، وتهنا بعيداً عن الوحدة الحقيقية القائمة على الرأى الواحد والفكر الواحد.

من الشرق نبعت الروحانية، ومن أرض الشرق ظهر كل نبى لله. فتشوا وتحققوا هل ظهر نبى من الغرب؟ لست أقصد أن أنكر فضل الغرب، فللفكر الغربى مميزاته من حيث التنظيم والتنسيق، ولكنى أقصد أن أُذكّر نفسى والذين يسمعوننى أن الدين دخيل على الغرب وليس أصيلاً فيه، ولذلك لا يعيش الدين فيه طويلاً كما يعيش فى الشرق، ولقد بدأت من الغرب نفسه

أضواء تسقط اليوم على الشرق. أكثر من أى وقت مضى، لأنهم آمنوا أن الشمس تشرق من الشرق وتغرب فى الغرب... وها نحن نواجه التحديات بصورة توجب علينا أن نرجع إلى منابعنا وإلى تراثنا، نستلهم منه الفهم لحاضرنا والإعداد لمستقبلنا. إن الوحدة المسكونية يجب أن تبدأ من الشرق وبالشرق وفى الشرق. ولا ننتظر فى ذلك الغرب. هنا نحن المسيحيين فى الشرق، يجب أن نتوحد، وليأخذ الغرب بعد ذلك عنا، كما أخذ عنا من قبل. «وإلى الشرق انظروا».

القيم الروحية
فى سر الكهنوت

موضوعات وإجابات على أسئلة ٣٦١
١ ـ ما هى درجات الكهنوت؟ ٣٦١
٢ ـ رجل الدين كطبيب وأب ٣٦٣
٣ ـ معنى (بطريرك) ثم (بطريركية) ٣٦٦
٤ ـ هل بابا الأسكندرية هو أسقف الأسكندرية؟ ٣٦٧
٥ ـ أساقفة الإيبارشيات وكيف يختارونهم ٣٧٠
٦ ـ الأسقف العام ٣٨٦
٧ ـ الأسقف والبتولية ٣٩١

٨ ـ الفضائل الإثنا عشرة ٣٩٧
٩ ـ عصا الرعاية للأسقف ٤١٢
١٠ ـ هل كان مطارنة الأقباط يُختارون من المتزوجين ؟ ٤١٨
١١ ـ الفرق بين السيمونية والشرطونية ٤٢٠
١٢ ـ اختيار الشعب لرجال الكهنوت مسئولية خطيرة ٤٢٢
١٣ ـ ملابس الكهنة ٤٢٥
١٤ ـ قواعد التقدم بين الكهنة آداب عامة ٤٢٨
١٥ ـ هل يحمل رجل الله سيفاً ؟ ٤٣١
١٦ ـ هل يجوز للكهنة فقط الوعظ والتعليم؟ ٤٣٨
١٧ ـ هل يجوز للكاهن أن يتزوج بعد وفاة زوجته؟ ٤٤١
١٨ ـ هل يجوز لزوجة الكاهن إذا ترملت أن تتزوج بآخر؟ ٤٤٣
١٩ ـ زواج الكاهن غير الأرثوذكسى ٤٤٦
٢٠ ـ رسامة إكليريكى بتول قسيساً ٤٤٧
٢١ ـ هل يجوز رسامة ابن الزوجة الثانية كاهناً ؟ ٤٤٨
٢٢ ـ مفهوم الحوار مع الأسقف والكاهن ٤٥٠
٢٣ ـ الكاهن يتخذ بكراً عذراء زوجة له ٤٥٣
٢٤ ـ تقدم إلى أب الإعتراف وهو يحلك من النذر ٤٥٦
٢٥ ـ لا يجوز رسامة كاهن من كان ابن إمرأة راجع ٤٥٧
٢٦ ـ مسئولية الكاهن تجاه الأسرار المقدسة ٤٥٩
٢٧ ـ السلطان الممنوح للكهنة ليس مجالاً للتفاخر ٤٦١
٢٨ ـ تهنئة للرسامة الكهنوتية ٤٦٣
٢٩ ـ رسالة إلى كاهن ٤٦٥
٣٠ ـ لماذا الخلوة الأربعينية للكاهن؟ ٤٦٦
٣١ ـ أحييك على طاعتك للكاهن ٤٦٧
٣٢ ـ هل يجوز له الوعظ ؟ ٤٦٨
٣٣ ـ هل للشماس أن يصلى على ميت؟ ٤٦٩

٣٤ ـ زى الكاهن إذا جرد ٤٧٠
٣٥ ـ هل تجوز رسامته شماساً ؟..... ٤٧١
٣٦ ـ درجة الشماسية ٤٧٢
٣٧ ـ رسامة الأطفال شمامسة ٤٧٣
٣٨ ـ الشماس أو رئيس الشمامسة إذا توفت زوجته ٤٧٤
٣٩ ـ الشماس الدياكون طقسه وواجباته ٤٧٦
٤٠ ـ الإيبودياكون له أن يتزوج قبل رسامته أو بعد رسامته ٤٨٢
٤١ ـ مبادىء عامة ٤٨٣
٤٢ ـ إيضاح ٤٨٥
٤٣ ـ الأرمل ورتب الكهنوت ٤٨٨
٤٤ ـ الملابس البيضاء والملابس السوداء للكهنة ٤٨٩
٤٥ ـ لماذا تغيير الأسماء ؟ ٤٩٠
٤٦ ـ فى حالة حدوث مكروه للكاهن أثناء القداس ٤٩١
٤٧ ـ هل يجوز للكاهن أن يمسك عصا الرعاية ٤٩٢
٤٨ ـ مخالفات كنسية (١) ٤٩٤
٤٩ ـ مخالفات كنسية (٢) ٤٩٧
٥٠ ـ كيف يختار الأسقف ؟ ٥٠٠
٥١ ـ هل يجوز الزواج الثانى لأصحاب الرتب الشماسية الصغيرة؟ ٥٠٣
٥٢ ـ يسمح للكاهن أن يعظ فى كنيسة بروتستانتيه ولكن لا يسمح العكس ٥٠٤
٥٣ ـ وظيفة الأسقف وأهلية الأستاذ الأرشيدياكون حبيب جرجس للأسقفية
وموافقة ترشيحه للقوانين الكنسية ٥٠٦

موضوعات وإجابات على أسئلة

١ ـ ما هى درجات الكهنوت؟

سؤال : وُجِّه إلينا فى مناسبة ما من بعض إخوتنا وعلمائنا من غير المسيحيين : ما هى درجات الكهنوت؟

الجواب :

وجوابنا هو كما نعلم من كتابنا المقدّس ومن تراثنا الكنسى وتقليدنا وكتب آباء الكنيسة.

إن الكهنوت فى الكنيسة درجات، على مقتضى الموهبة ومسئولية الخدمة الدينية.

ودرجات الكهنوت بحسب سلّم المسئولية فى الخدمة الرّوحية، ثلاث درجات أساسية، ولكل درجة رتب تنشعب منها لتحديد مسئولية الخدمة فى كل رتبة.

الدرجة الأولى هى الأسقف :

١ ـ وهى العليا فى درجات الكهنوت، ومسئولية الخدمة الروحية والكنسية، وكلمة (أسقف) كما وردت فى الكتاب المقدّس والقانون الكنسى هى ترجمة لكلمة Episcopos أى (الناظر) للإيبارشية (أو المقاطعة) كما هو الحال بالنسبة للمدرسة التى يتولى الإشراف عليها الناظر وهو المسئول الأول، فيها، وعنها وهو بمثابة الرأس للجسم.

٢ ـ رتبة (**المطران**) ـ (**الميتروبوليس**) وهو أسقف (المحافظة) أو المدينة الكبيرة ـ أو الأم ـ بالنسبة للمدن الأصغر منها والتى تتبعها إداريا.

٣ ـ رتبة (**البطريرك**) Patriarches أى (رئيس الآباء) وهو (رئيس الأساقفة) أو (الأسقف الأول) ـ والمقدّم بين إخوته الأساقفة Primus Inter Pares.

الدرجة الثانية هى القسيسية :

١ ـ **القسيس** هو (شيخ فى الدين أو الكنيسة) أى أنه (عالم) و (كبير فى شئون الدين).

٢ ـ ويعلوه فى الرتبة (**القُمُص أو الإيغومينوس**) أى مدبّر الكنيسة المحلّية، وهو القسيس الأول بين قساوسة الكنيسة المحلّية ومدبرها، وهو بمثابة المعلّم الأول فى مدرسة ما والمسئول عن مجموعة بعينها من مواد الدراسة فى مدرسة ما.

٣ - ويعلوه فى الرتبة (**الخورى ابيسكوبوس**) وهو رئيس القساوسة فى جميع القرى التابعة للمدينة. أما الرئيس الدينى للمدينة نفسها فهو الأسقف.

الدرجة الثالثة هى الشمّاسيّة :

١ - **والشماس** أو الدياكون يقابلها بالعربية (الخادِم).

٢ - **الأرشيدياكون** - أى رئيس الشمامسة، أو الشماس الأول أو الأكبر بين الشمامسة.

٣ - **الإيبودياكون** - (نائب الشماس)، وله اختصاصاته فى الخدمة الكنسية.

٤ - **الأناغنوستيس**، وهو (القارئ) للفصول المقدّسة.

٥ - الأبصلتِس، أى (المرتّل).

٦ - **المرأة الشمّاسة** - وهى لخدمة النساء فى الكنيسة، ولمعاونة الكاهن فى تعميد النساء والفتيات البالغات.

٧ - **خادم الكنيسة** الذى يخبز القربان، والذى يقوم على نظافة مبنى الكنيسة من الداخل، ويُسمّى أيضا (القرابنى).

٢ - رجل الدين كطبيب وأب

سؤال : هل مهمة رجل الدين حراسة الشريعة؟

الجواب :

إن رجل الدين ليس مجرد قاض يحكم فى قضية، دون مراعاة للعوامل الإنسانية. وبعبارة أخرى ليست مهمة رجال الكهنوت محصورة فى حراسة الشريعة والذود عن حياضها ضد المعتدين عليها. لكن بالإضافة إلى هذا وفضلا عن هذا، رجل الدين هو رجل الله الذى يعالج أدواء الناس وأمراضهم بمثابة أب، وطبيب.. أنه يرى المخالفات الصادرة عن الناس بعين رحيمة وشغوفة، وهى عين الطبيب الإنسان الذى يريد خلاص المريض من مرضه، ويبذل جهده وعلمه وفنه ومهارته فى سبيل شفاء المريض، إن هدفه هو فائدة المريض وعلاجه، وخلاصه من دائه.

رجل الدين لا يَدِين :

رجل الدين إذن ليس رجل شرطة يتعقب المجرم ليخلص المجتمع من شره. لا إنه ينظر إلى الجريمة على أنها مرض، وإلى المجرم على أنه سقيم مريض، يحتاج إلى العلاج، وتائه ضل الطريق، أو أخطأ الهدف وأصابه المرض، ورجل الدين يمسك به لا ليدمره إنتقاما وثأرا منه، إنما يمسك به ليفحصه جيدا، ويعرف بالفحص العميق سر مرضه، ويتتبع حالته ويسعى جاهدا لشفائه وخلاصه فى الحياة الحاضرة والآتية.

إن رجال الكهنوت هم رجال الله. والله كما أنه قاض هو أيضا أب وطبيب وراع. فهم على غرار سيدهم وربهم، رجال رحمة ورسل سلام وخير، يعملون مع سيدهم وربهم على نشر الخير بين الناس، هم لا يتعقبون الأشرار ليبيدوهم، ويلاشوهم من الوجود، ولكنهم يترفقون بهم، ويعالجونهم حتى يحولوهم إلى أصحاء نافعين لنفوسهم وللناس. وبهذا يتحولون إلى أدوات خير وبركة ونفع لأنفسهم وللآخرين، أى يصيرون عملاء لله فى نشر الخير وعاملين فى ملكوته.

لقد قال ربنا يسوع المسيح عن نفسه، أنه جاء هنا إلى هذا العالم لا ليَدِين الناس بل ليخلص الناس.

ومن بين أقواله له المجد :

«فإن الله لم يرسل إبنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم» (يوحنا ٣ : ١٧).

«أما أنا فلا أدين أحدا» (يوحنا ٨ : ١٥ ، ١١).

«ومن سمع أقوالى ولم يحفظها، فأنا لا أدينه، لأنى ما جئت لأدين العالم، بل لأخلص العالم». (يوحنا ١٢ : ٤٧).

فإذا كان المسيح له المجد لا يدين أحدا الآن قبل اليوم المعين للدينونة، فرجال الكهنوت، وهم رجال الله، لا يدينون الناس أى لا يقضون على الناس، وإن كانوا يقضون بين الناس. فإذا عاقبوا، فهذا العقاب هو للتأديب والتهذيب وليس للدينونة. هو علاج وتطبيب ونصح وزجر وتأنيب، ولكنه لا يخرج عن دائرة العلاج. فقد تختلف وسيلة التطبيب عند الطبيب بالنسبة لحالة المريض. فقد يكتفى بوضع مرهم مرطب، وقد يتطور المرض ويمسى خطرا فيعالجه الطبيب بالدواء الحارق، وقد يعالجه بالنار، وقد يعالجه باستئصال العضو وبتره. ولكنه فى جميع الأحوال هو الطبيب الإنسان، حتى لو قسا على المريض وآلمه، لكنه يبغى شفاءه وخلاصه من دائه. فهو أداة رحمة، ورسول خير وبركة، وهكذا وبالأحرى جدا رجل الدين، رجل الله إنه طبيب - لا يدين كسيده، ولكنه يعالج. وحتى لو زجر أو نهر أو عاقب، فلأن العلاج يقتضى ذلك، لكنه لا يفصل بروح الإنتقام أو للهلاك والقضاء والدينونة. وإنما بروح الأبوة الرحيمة، وبروح المعلّم الصالح الذى قد يضرب تلميذه لمنفعته وإصلاح سيرته فيتقوم ويستقيم، ويصير صالحا لحاضره ومستقبله، صالحا لنفسه ولأسرته ولوطنه وللمجتمع البشرى والإنسانى.

إن رجل الدين إذا ظن أنه قد منح سلطانا يدين به الناس حماية لنفوذه وتوكيدا لسلطته ورئاسته، فقد أساء فهم السلطان الذى منحه إياه سيده، بل لقد أساء إلى سيده، لأن سيده يقول عن نفسه : «لأنى ما جئت لأدين العالم بل لأخلص العالم».

وهنا فى هذا المعنى يقول رب المجد، ورئيس الرعاة الأعظم :

«فمن تراه ذلك العبد الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على عبيده ليعطيهم طعامهم فى حينه. ما أسعد ذلك العبد الذى متى جاء سيده وجده يفعل هكذا. الحق أقول لكم أنه يقيمه على كل أمواله. أما إن قال ذلك العبد الشرير فى قلبه إن سيدى سيبطئ فى مجيئه، وراح يضرب

العبيد رفاقه... فان سيد ذلك العبد يأتى فى يوم لم يكن يظنه، وفى ساعة لم يكن يعرفها. فيشطره نصفين ويجعل نصيبه مع المرائين. هناك يكون البكاء والصرير على الأسنان» (متى ٢٤ : ٤٥ – ٥١).

جاء فى الدسقولية وهى تعاليم الرسل، الخطاب موجها إلى الأسقف :

«اشف الذين ضلوا فى الخطيئة، كطبيب حاذق وشريك فى الألم، لأنه «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، بل المرضى». قال : «لقد جاء إبن الإنسان ليخلص الضالين». أنت أيضا طبيب لكنيسة الرب. أدخل بعقاقير تليق بكل واحد، فتشفيهم بكافة الوسائل وتصيرهم أصحاء وسالمين وتثبتهم فى الكنيسة».

«ارع الماشية لا بضجر ولا بهزؤ كمن لك عليهم السلطان، بل كراع صالح تجمع الخراف إلى حضنك... كن طبيبا صالحا، باشًا، بلا دغل ولا كذب. ولا تكن قاسيا، ولا محابيا ولا صارما، ولا بغير رحمة، ولا متعالى القلب. ولا تراءِ الناس، ولا تكن خائفا، أو ذا قلبين، ولا تهزأ بالشعب الذى تحت يدك، ولا تستر عنهم نواميس الله، أو كلام التوبة. ولا تكن مستعداً أن تخرج بخفّة أحدا من الكنيسة، بل تثّبت جيدا، ولا تكن محبا للسعاية...» (باب ٤).

٣ - معنى (بطريرك) ثم (بطريركية)

كلمة (بطريرك) كلمة من أصل يونانى πατριάρχης (Patriarches)

وتعنى : «رئيس العائلة» - «رأس أو رئيس القبيلة أو العشيرة» - «رئيس الأباء».

أطلقت فى الكتاب المقدس على رؤساء العائلات أو القبائل، ومنهم على الخصوص إبراهيم الخليل، واسحق، ويعقوب أبو أسباط بنى إسرائيل، ومنهم داود...

ومنذ القرن الخامس لميلاد المسيح بدأوا يطلقونها أولا على أساقفة الكراسى المسيحية الكبرى فى المسيحية، وهى أربعة : الأسكندرية وانطاكية، وأورشليم، وروما. ومن بعد ذلك ضُمت القسطنطينية أيضا إلى الأربعة الكراسى الكبرى.

وتطلق الآن على عدد أكبر من رؤساء الأساقفة فى بلاد أوربا وآسيا، منها رومانيا، وبلغاريا، وروسيا، وأرمينيا ...

أما كلمة (بطريركية) فهى مشتقة من كلمة (بطريرك)، وقد أطلقت أولا معنويا على الكراسى الأربعة الأولى والعظمى فى العالم المسيحى، وصار لكل بطريركية نفوذ روحى على المناطق التابعة لها. فبطريركية الأسكندرية مثلا تخضع لها كل بلاد مصر والنوبة وخمس المدن الغربية، وليبيا وأثيوبيا (الحبشة) وبعض أقاليم أفريقيا وآسيا، وبعض أقاليم أوربا وبلاد المهجر.

وهكذا بالنسبة للبطريركيات الأخرى تخضع لنفوذها الروحى البلاد والأقاليم المجاورة لها.

وثانيا - صارت كلمة (بطريركية) تطلق أيضا على مقر البطريرك فى عاصمة كرسيه.

٤ ـ هل بابا الأسكندرية هو أسقف الأسكندرية؟

سؤال : هل بابا الأسكندرية هو أسقف الأسكندرية؟

الجواب :

نقول : هذا هو طراز السؤال الذى نجيب عليه بنعم ثم لا.

نقول نعم. إن بابا الأسكندرية هو أسقف الأسكندرية، تاريخيا. وذلك إن الأسكندرية كانت أولا هى المدينة الأولى فى مصر التى جاء إليها القديس مرقس الرسول، وكرز فيها بإنجيل المسيح، وأسس فيها كنيسة، ورسم لها حنانيا (أو إنيانوس) أسقفا، ورسم معه كهنة وشمامسة، وفيها صلّى القدّاس، وفيها أنشأ المدرسة الإكليريكية الأولى، وسلم رياستها للقديس يسطس، الذى أصبح فيما بعد الأسقف السادس فى سلسلة بطاركة الكرسى المرقسى. وفى الأسكندرية أستشهد القديس مرقس، وفيها أودع جثمانه، وفيها إمتدت المسيحية وترعرعت وإزدهرت، ومنها إمتدت إلى سائر أنحاء بلاد مصر وسائر أقاليم أفريقيا والشرق...

وحتى عندما رسم أساقفة آخرون لبعض بلاد مصر، ظل أسقف الأسكندرية هو أبرز الأساقفة شأنا، لأن مركزه هو أول مركز لأول أسقف فى كل بلاد مصر وسائر أفريقيا. وثانيا لأنه أسقف العاصمة، إذ كانت الأسكندرية فى ذلك الوقت عاصمة كل بلاد مصر، كما كانت أبرز وأهم بلد فى كل أفريقيا، بل كانت الأسكندرية مدينة ذات أهمية بارزة فى العالم كله، من كافة الوجوه الثقافية والعلمية، والتجارية والسياسية.

وفى القرن الثالث للميلاد تمكن القديس ياراكلاس IERAKLAS وهو الخليفة الثانى عشر للقديس مرقس، والأسقف الثالث عشر فى سلسلة الخلافة المرقسية (٢٣٠ ـ ٢٤٦)م من سيامة عشرين أسقفا لبلاد مصر، والبلاد التابعة لكنيسة الأسكندرية فى أفريقيا والشرق. ولذلك صار هو المتقدم على جميع الأساقفة فى كل أنحاء الكرازة المرقسية، وأطلقوا عليه لقب «بابا»، ولو أن بعض المؤرخين ومنهم المقريزى يقولون أن «بطريرك الأسكندرية كان يقال له بابا من عهد انيانوس» ولم يطلق هذا اللقب «الأبوى» على أساقفة روما إلا إبتداء من القرن السادس لميلاد المسيح، أى إن أسقف الأسكندرية حمل لأول مرة لقب «بابا» الأسكندرية، قبل أن يحمله أسقف روما بثلاثة قرون على أقل تقدير «وكلمة «بابا» PAPA تفيد حرفيا لقب «أب» كما يناديه إبنه أو طفله الصغير. والمعنى أن أسقف الأسكندرية صار هو «الأب» لجميع المسيحيين الذين ينطوون تحت لواء كنيسة المسيح.

وفى القرن الخامس للميلاد صاروا يلقبون «أسقف» الأسكندرية، و«بابا» الأسكندرية بلقب «بطريرك» PATRIARCH بمعنى «الأب الأول» أو «رئيس الآباء» ثم «رئيس العشيرة» مثله فى ذلك مثل البطاركة المعروفين فى الكتاب المقدس، من أمثال آبائنا القديسين إبرهيم وإسحق ويعقوب، فإن كلا منهم صار أبا لجمهور كبير من الأمم (التكوين ١٧ : ٥). وأطلقت فى العهد الجديد على داود النبى والملك (أعمال ٢ : ٢٩) وعن أبناء يعقوب الإثنى عشر (أعمال ٧ : ٨، ٩) وعن إبراهيم (العبرانيين ٧ : ٤) كما أطلقت فى الترجمة السبعينية اليونانية على رؤوس الأباء أو رؤساء الأباء عموما (أخبار الأيام الأول ٢٤: ٣١)، (أخبار الأيام الثانى ١٩ : ٨)، (٢٦ : ١٢)

وظل أسقف الأسكندرية مع ذلك يحتفظ بلقب «رئيس أساقفة» الأسكندرية... حتى بعد أن سمى بـ «بابا» الأسكندرية، وحتى بعد أن صار يسمى «بطريرك» الأسكندرية.. ومن أثار ذلك مازال واردا فى نداء شماس الهيكل إلى اليوم «صلوا من أجل رئيس كهنتنا البابا أنبا... بابا وبطريرك ورئيس أساقفة المدينة العظمى الأسكندرية...»

وإذن فالمفهوم من «رئيس أساقفة الأسكندرية» كما هو وارد فى نداء الشماس، لم يعد قاصرا على الأسكندرية وحدها بصفتها كذلك، أى بصفتها مدينة الأسكندرية، وإلا لأكتفى بالقول «أسقف الأسكندرية»، بل لقد اتسع المفهوم ليشمل كل كنائس الأسكندرية وتوابعها من أقاليم الكرازة المرقسية، أى باعتبارها علما على الكرازة المرقسية كلها، فى داخل بلاد مصر وخارجها... وهذا هو المعنى الذى صار ثابتا ومعروفا ومقررا عند جميع الناس شرقا وغربا. إن «كنيسة الأسكندرية» هى الكنيسة القبطية كلها التى عاصمتها الروحية وقاعدتها، مدينة الأسكندرية... تماما كما نقول «كنيسة روما» بمعنى جميع الكنائس التى تخضع إيمانيا وروحيا لكنيسة روما... وكما نقول كنيسة «إنطاكية» أى جميع الكنائس التى تخضع للكرسى الإنطاكى والكنيسة السريانية التى قاعدتها الروحية التقليدية فى إنطاكية.

إذن لم يعد المفهوم من لقب «بابا الأسكندرية» محصورا فى المفهوم الضيق القديم من أسقف الأسكندرية، كما هو الحال بالنسبة لأسقف مدينة بذاتها مثل طنطا أو أسيوط أو أسوان... بل أخذ المعنى يتسع شيئا فشيئا، على مر التاريخ وعلى قياس إمتداد الكرازة المرقسية. فصارت الأسكندرية فى المفهوم الكنسى العام هى الكنيسة القبطية المرقسية كلها، فى كل البلاد التى إمتدت إليها الكرازة المرقسية، والتى صارت تخضع روحيا لرئاسة أسقف الأسكندرية،

وهو الأسقف الأول فى الكرازة المرقسية تاريخيا، وهو أسقف العاصمة روحيا ومدنيا... تماما كما يفهم جميع الناس من لقب أسقف روما، أو بابا روما، أنه ليس أسقفا لمدينة روما بالمعنى المحدود بل هو أسقف الكنيسة الكاثوليكية التى تخضع روحيا لنفوذ روما وكنيسة روما... وكذلك نقول عن المفهوم الحالى لأسقف إنطاكية أو بطريرك إنطاكية، إنه لا يقتصر على نطاق مدينة إنطاكية وإنما يتسع ليشمل جميع الكنائس الخاضعة للنفوذ الروحى لأسقف أو بطريرك إنطاكية..

إذا لم يعد المفهوم الحقيقى للقب «بابا» الأسكندرية محصورا فى المعنى المحدود لكلمة «أسقف» لمدينة الأسكندرية بمعناها الضيق، من حيث هى مدينة بين مدن مصر، وإنما صار بابا الأسكندرية هو الرئيس الأعلى للكنيسة المرقسية كلها فى بلاد مصر والشرق.

٥ ـ أساقفة الإيبارشيات وكيف يختارونهم (١)

سؤال : ما هى الأسس التى يتم على أساسها إختيار أساقفة الإيبارشيات؟

الجواب :

لقد عالجنا هذا الموضوع فى مقال سابق منذ بضع سنوات، نشرته مجلة الكرازة فى عددها الثانى والثالث من السنة الأولى، الصادر فى فبراير ١٩٦٥، وقلنا أنذاك ـ ولا زلنا نقول ـ أنه طبقا لتعاليم كنيستنا الأرثوذكسية وقوانينها يجرى إختيار الأسقف بمعرفة ثلاثة أطراف:

الطرف الأول: هو البابا البطريرك، لأنه هو الذى يضع على رأس المنتخب اليد الأولى وهو المسئول الأول أمام الله وأمام الكنيسة بصفته البطريرك ورأس الكنيسة المنظور.

والطرف الثانى : هو مطارنة الكنيسة وأساقفتها أعضاء المجمع الإكليريكى العام المقدس، وبصفتهم المجمعية، لأنهم هم والبابا البطريرك على رأسهم «يمدّون» للأسقف الجديد «يمين الشركة» (غلاطية ٢ : ٩). وبهذا يصبح الأسقف الجديد زميلا لهم وللبطريرك، وأخا، «وشريكا فى الخدمة الرسولية» له ما لهم من حقوق، وعليه ما عليهم من واجبات.

والطرف الثالث: هو إكليروس الإيبارشية وشعبها، لأن الأسقف هو رئيسهم الدينى المباشر، وراعيهم. هو رئيس كهنة الإيبارشية وكبير رعاتها، وشيئا فشيئا يصير أبا للجميع، كهنة وشمامسة وشعبا، بقدر ما يلد فى الإيمان من أولاد روحيين وبقدر ما يظل على كهنة الإيبارشية وشعبها من مراحم أبوته ورعايته، ويجمعهم من حوله ويحنو عليهم ويجمعهم «كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها» وتحميهم (لوقا ١٣ : ٣٤).

جاء فى كتاب «مجموع القوانين» للشيخ الصفّى ابن العسّال، والباب الخامس، «الأسقف يكون برضاء بطركه، وأهل إيبارشيته ويحضر لتصييره أسقفان أو ثلاثة» (المجموعة الرسولية الثالثة رسطب)

إذا كان الأمر كذلك، فلابد للأطراف الثلاثة المعنية أن يكون لها فى إختيار الأسقف الجديد، دور حقيقى، إيجابى وفعّال، لأن الأمر يعنيهم جميعا، وبدرجة واحدة.

---

(١) كتب فى ١٩ ديسمبر (كانون أول) ١٩٧٤م ـ ١٠ كيهك ١٦٩١ ش.

وللقانون الكنسى فى ذلك حكمته البعيدة، التى تتخطى حدود الزمان والمكان، وتعلو فوق الأشخاص، تحقيقا للخير العام، وإرتفاعا إلى سيادة المبادئ فوق وجوه الناس.

وهنا نتناول كل طرف من الأطراف الثلاثة بكلمة مستوحين فى ذلك تعاليم كنيستنا الأرثوذكسية وقوانينها.

الطرف الأول وهو البابا البطريرك:

واضح أنه المسئول الأول أمام الله، وأمام الكنيسة فى إختيار الأسقف، وهو بحكم مسئوليته يحرص على أن يقدم للأسقفية قربانا «من أبكار الغنم ومن سمانها» (التكوين ٤ : ٤) فضيلة، وعلما وحنكة، وحكمة، وخبرة، ووقارا. ويقول الوحى الإلهى للأسقف: «أناشدك أمام الله والمسيح يسوع والملائكة المختارين أن تحفظ هذا بدون غرض، ولا تعمل شيئا بمحاباة. لا تَعْجَل فى وضع يديك على أحد، ولا تكن شريكا فى خطايا آخرين، احفظ نفسك طاهرا» (١ تيموثيئوس ٥: ٢١، ٢٢).

ولقد قلنا من قبل، فى مقالات سابقة نشرتها مجلة «مدارس الأحد» فى الأربعينات، أى منذ نحو ثلاثين سنة، «أن للبطريرك أن يرفض، وليس له أن يفرض». أى أن له أن يرفض رسامة أحد يراه غير جدير بكرامة الأسقفية، على أن يكون له على هذا الأحد مآخذ مانعة تمنع نيله للدرجة الكهنوتية العظمى، وهى الموانع المنصوص عليها فى القانون الكنسى، لكن المفروض أن يكون حق البطريرك فى الرفض ليس إلى غير نهاية، وإلا تحّول حق «الرفض» إلى «الفرض».

ومن هنا كانت حكمة القانون الكنسى فى أن يكون إختيار الأسقف الجديد موضوع مسئولية أطراف ثلاثة: البابا البطريرك، وأعضاء المجمع المقدس، وإكليروس الإيبارشية وشعبها. فإذا كان المرشح للإسقفية مؤيدا برأى أعضاء المجمع المقدس وإكليروس الإيبارشية وشعبها، وليس للبابا البطريرك إعتراض بارز عليه، فيمكن تقديمه للرسامة بغير عائق.

هذا إلى أن البابا البطريرك بصفته الحارس الأول للكنيسة وتقاليدها ونظمها، والساهر الأول على تنفيذ قوانينها، بل هذه مسئوليته الأولى التى يتقدم بها كبطريرك على جميع إخوته مطارنة الكنيسة وأساقفتها منفردين، أن يرعى تنفيذ القانون الكنسى فى إختيار الأسقف، ويتطلب إشتراك أعضاء المجمع المقدس مجتمعين وإكليروس الإيبارشية وشعبها فى مسئولية

الإختيار وينبه كل الأطراف إلى واجبها فى تحمل المسئولية معه، ولا يسمح لطرف منها أن يتخلى عن مسئوليته فى ذلك، حتى لا يكون شريكا فى خطايا آخرين ،كما يقول الكتاب المقدس. وحتى إذا تنازل له أحد الأطراف عن حقه فى ذلك فهو كحارس أول للقوانين، يرفض هذا التنازل ولا يقبله.

أما الطرف الثانى الآباء المطارنة والأساقفة:

وهم أعضاء المجمع الإكليريكى العام المقدس بصفتهم مجتمعين لا منفردين ،الله قائم فى مجمع الله، فى وسط الآلهة يقضى، (مزمور ٨١ : ١).

ومن المعروف والمقرر فى كنيستنا الأرثوذكسية أن المجمع المقدس هو السلطة الروحية الأعلى فى الكنيسة، تشريعيا وقضائيا، وأن البابا البطريرك - وهو عادة رئيس المجمع - من أخص مهامه البطريركية تنفيذ قرارات المجمع وما سبق من قرارات مجمعية وقوانين كنسية منذ بدء تاريخ الكنيسة.

ولن ندخل هنا تفصيليا فى أهمية المجمع المقدس وسلطته وضرورة إنعقاده فى دورات نظامية (نصت عليها قوانين الكنيسة) ودورات أخرى إستثنائية. إنما نريد هنا أن نقصر الكلام عن مسئولية المجمع المقدس وحقه فى إختيار الأساقفة.

وقد بدأ هذا التقليد منذ عهد الآباء الرسل، وهو من وضع رب المجد يسوع المسيح الذى أعطى مجمع الرسل شرعيته فى الحل والعقد، إذ قال ،الحق أقول لكم إن كل ما تربطونه على الأرض يربط فى السماوات، وكل ما تحلونه على الأرض يحل فى السموات، (متى ١٨ : ١٨). والمعروف أن هذا السلطان ليس مقصورا على حل الخطايا وإمساكها كما فاه به الرب صريحا فى قوله للرسل الوارد فى (يوحنا ٢٠ : ٢٢، ٢٣)، وإنما يشمل أيضا فيما يشمل سلطان ،التقنين والتشريع، . وهو ما أعطاه الرب لخلفاء الرسل من أساقفة الكنيسة مجتمعين (متى ١٨ : ١٧، ١٨).

ولقد نفذ الآباء الرسل تعليم سيدهم ومعلمهم فى إختيار الرسول الثانى عشر الذى حل محل يهوذا الإسخريوطى الذى خان سيده ومعلمه ثم خنق نفسه. فلم ينفرد بهذا الإختيار القديس بطرس مثلا، مع أنه كان أكبر الرسل سنا، بل على العكس فإن القديس بطرس كان هو أول من احترم سلطة مجمع الرسل، إذ وقف فى وسطهم ودعاهم أن يمارسوا حقهم فى إختيار إثنين،

ألقوا بعد ذلك القرعة بينهما، فأصابت القرعة متياس، فضموه إلى الرسل الأحد عشر (أعمال الرسل ١: ١٥ – ٢٦).

وكذلك جرى الحال فى ضم الرسول الثالث عشر إلى مجمع الرسل، وأعنى القديس بولس، الذى على الرغم من أنه تلقى الدعوة الرسولية من الرب يسوع نفسه، حين تراءى له وهو فى طريقه إلى دمشق (أعمال ٩: ٢٢، ٢٦) لكنه صار معدودا بين الرسل عندما «مدّوا» له مجتمعين «يمين الشركة» (غلاطية ٢: ١).

ومرة أخرى لم ينفرد القديس بطرس بوصفه أكبر الرسل سنا بهذا الأمر بل شاركه فيه الرسل الآخرون «المعتبرون أنهم أعمدة» (غلاطية ٢: ٩، ٦، ٧).

ذلك هو تقليد الكنيسة كما جرى منذ الإبتداء، وهذا هو السر فى أن طقس رسامة الأسقف فى جميع الكنائس الرسولية، يتم بوضع اليد من ثلاثة أساقفة، وعند الضرورة القصوى من أسقفين. وهذا من قبيل التحوّط إذا حالت ظروف قهرية دون حضور جميع الأساقفة. جاء فى الدسقولية (تعاليم الرسل): «نأمركم أن يُقْسَم الأسقف من ثلاثة أساقفة، وإن كان للضرورة فمن أسقفين. وليس يمكن أن يقسم لكم أسقف من أسقف واحد» (باب ٣٤).

والدليل على أهمية مجمع الأساقفة فى تكريس الأسقف الجديد، وفى إختياره قبل سيامته، ما يقوله القديس بولس الرسول لتلميذه الأسقف تيموثيئوس «لا تهمل الموهبة التى هى فيك، هذه التى قد نلتها بالنبوة وبوضع أيدى مجمع شيوخ الكهنة عليك» (١ تيموثيئوس ٤: ١٤). أى أنه فى تكريس القديس تيموثيئوس أسقفا إشترك مع القديس بولس فى وضع اليد مجمع الأساقفة أيضا (وهم الكهنة الذين يحق لهم وضع اليد للرسامة الكهنوتية) ولابد بالتالى أن يكونوا قد إشتركوا مع القديس بولس فى إختيار تيموثيئوس والموافقة على رسامته الأسقفية، وأعطوه تأييدهم بوضع أياديهم عليه مع القديس بولس.

ومن بين ما جاء فى قوانين الكنيسة خاصا بحق مجمع الأساقفة فى إختيار الأسقف الجديد، ما ورد فى القانون الثانى من قوانين المجمع الإكليريكى العام المقدس الذى إنعقد فى عهد البابا كيرلس الثالث وبرئاسته سنة ١٥٧ للشهداء، وهو:

«لا يكرس من الآن أسقف على كرسى، إلا من يكون قد كملت فيه الشروط المتفق عليها، ويعمل على الشروط الواجبة فى حال تقدمته، ويوافق عليه الأساقفة، وأهل كرسيه، أو أكثرهم، والمشايخ والأراخنة» (أنظر كتاب «مجموع القوانين للشيخ الصفّى ابن العسّال ـ الملحق).

والملاحظ فى هذا القانون من قوانين مجمع كيرلس الثالث أنه يتطلب موافقة الأساقفة، فضلا عن أهل الكرسى أو أكثرهم والمشايخ والأراخنة، قبل الرسامة ووضع اليد.

على أن هذا هو التقليد المرعى عند جميع الكنائس الأرثوذكسية القديمة، والكنائس الأرثوذكسية الشرقية التى تتبع الطقس البيزنطى، كلها تشترط موافقة المجمع المقدس على إختيار الأسقف قبل تكريسه ورسامته.

وهذا ما يجرى عليه الحال فى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية الشقيقة. وقد أكد لنا نيافة الأخ المطران ساويرس زكا عيواز، مطران بغداد للسريان الأرثوذكس، أنه عند التفكير فى رسامة مطران أو أسقف جديد، يجتمع المجمع المقدس لهذا الغرض، وللإتفاق على المرشح. وحتى المطارنة والأساقفة المقيمون فى أقطار بعيدة، مثل تركيا أو أمريكا ممن قد لا يتيسر لهم الحضور، لابدّ أن يتلقى البطريرك موافقتهم كتابيا على المرشح قبل أن يتحدد موعد الرسامة.

وروى لنا نيافة المطران الياس زغبى الذى كان يشغل منصب النائب البطريركى لبطريركية الروم الكاثوليك بالقاهرة، أنه عندما شغر منصب مطران بعلبك بلبنان للروم الكاثوليك، إنعقد مجمعهم المقدس وقرر تعيين سيادة المطران زغبى - بعد موافقته - مطرانا لبعلبك، وبذلك صار سيادة المطران زغبى مطرانا لإيبارشية بعلبك بقرار مجمعى.

وهكذا يجرى الحال فى الكنائس الشرقية الأرثوذكسية التى تتبع الطقس البيزنطى، وعددها خمس عشرة كنيسة مستقلة برئاستها البطريركية، مع إحترامها لأولوية البطريرك المسكونى فى اسطنبول، الذى يعتبرونه «المتقدم بين الإخوة»، ففى الكنيسة الروسية مثلا «مجمع مقدس دائم» ويتألف من البطريرك رئيسا ومن سبعة آخرين من كبار المطارنة، يجتمعون أسبوعيا لتصريف الأمور. وهذا «المجمع المقدس الدائم» يختاره «المجمع المقدس الكبير» الذى يتألف من مجموع المطارنة والأساقفة والذى يجتمع مرتين فى العام على الأقل طبقا للقوانين الرسولية.

وبالمثل فى كنيسة بلغاريا «مجمع مقدس دائم» يتألف من البطريرك رئيسا ومن عدد محدود من المطارنة والأساقفة (سبعة فى العادة) يجتمع مرتين فى الأسبوع بصفة منتظمة (يومى الأثنين والخميس) من كل أسبوع. وهذا «المجمع المقدس الدائم» مشكل بقرار من «المجمع المقدس الكبير» لتصريف الأمور العاجلة التى لا تنتظر.

وفى بلغاريا «لجنة مجمعية» مشكلة من «المجمع المقدس الكبير» مهمتها الترشيح للدرجة الأسقفية. وهى مهمة قائمة ودائمة وليست موقوته بظروفها، تعد وتجهز عددا من المرشحين تجهيزا مسبقا، حتى إذا دعت الحاجة إلى أسقف جديد، كانوا مستعدين للموقف بعدد من المرشحين الصالحين يختارون أحدهم للمنصب الشاغر.

وعند إخوتنا الأرمن الأرثوذكس يُعْد المجمع المقدس عددا من المرشحين إعدادا مسبقا. فإذا خلت مطرانية أو أسقفية أرسلوا إليها أحد هؤلاء المرشحين، بمثابة نائب أسقف لمدة قد تطول أحيانا إلى سنة أو أكثر، فإذا أثبت صلاحيته للمنصب، ورضيت به جميع الأطراف، تقررت رسامته وتحدد موعد تكريسه أسقفا.

والخلاصة أن المجمع الإكليريكى العام المقدس هو طرف هام فى إختيار الأسقف الجديد والموافقة على رسامته. بما تقضى التعاليم الرسولية، وهكذا جرى التقليد القديم لكنيستنا الأرثوذكسية، وعليه أيضا تسير جميع الكنائس الرسولية الأخرى، الأرثوذكسية القديمة والأرثوذكسية البيزنطية.

فكلما دعت الحاجة إلى رسامة أسقف جديد، وجهت الدعوة إلى المجمع المقدس للإنعقاد، لإختيار عدد ممن يرى المجمع، مجتمعا، صلاحيتهم لترشيحهم لأهل الإيبارشية من الكهنة والشعب ليختاروا من بينهم واحدا يحصل على موافقة الأكثرية منهم.

وتتم رسامة الأسقف جهرة وعلانية فى يوم الأحد، أو فى يوم عيد بمحضر الجميع، وتبدأ مراسم السيامة مباشرة بعد قراءة فصل من سفر أعمال الرسل، بينة على مكانة الأسقف فى الكنيسة، وأن مهمته مهمة رسولية وأنها إمتداد لمهمة الآباء الرسل، وأن درجته الكهنوتية هى الدرجة الرسولية الأولى والعظمى ذاتها. ويشترك مع البابا البطريرك فى طقوس الرسامة جميع المطارنة والأساقفة الحاضرين، فى الصلوات وسائر تلاوات الرسامة إشتراكا فعليا كاملا لا رمزيا و «يضعون أياديهم» على المختار، ويشتركون فى قداس الرسامة وسائر الإجراءات السابقة واللاحقة. ويقول الآباء الرسل فى الدسقولية «ويضع الأساقفة أيديهم عليه» (باب ٣٦).

وإن إشتراك جميع الآباء المطارنة والأساقفة فى طقوس الرسامة ووضع اليد، لهو برهان رضاهم على المختار، وتأييدهم العلنى لرسامته، وإعتراف بمسئوليتهم أمام الله وأمام الكنيسة عن إختياره وتكريسه.

بل إن الآباء المطارنة والأساقفة أعضاء المجمع المقدس هم الذين يقومون بتجليس الأسقف الجديد على كرسيه فى قاعدة إيبارشيته. وطقوس «التجليس» لا تقل فى مراسمها وتلاواتها عن طقوس الرسامة ذاتها. ولهذه الطقوس كتاب خاص، تستغرق قراءته وأداء المراسم التى ينص عليها فيه، وقتا أطول مما تستغرقه طقوس الرسامة فى الكاتدرائية الكبرى بالقاهرة عاصمة الكرازة المرقسية. ويقوم بالتجليس أكبر عدد ممكن من المطارنة والأساقفة. وعند الضرورة القصوى (كما فى أوقات الحروب وما إليها) لا يقل عدد المطارنة والأساقفة الذين يقومون بتجليس الأسقف عن الحد الأدنى لعدد من يقومون برسامته (وهو ثلاثة أو إثنين). ولا يجوز بحال من الأحوال أن يقوم أسقف واحد، بتجليس الأسقف الجديد. جاء فى قوانين الرسل «ويجلسه الأساقفة على كرسى يصلح له. فإذا قبله كلهم قبله الرب» (المجموعة الرسولية الثانية رسطب ٥٢).

وقد كشف الأستاذ الدكتور بلاملى PLUMLEY رئيس قسم الدراسات المصرية والقبطية بجامعة كيمبردج CAMBRIDGE، ورئيس بعثة جامعة كيمبردج فى حفريات بلاد النوبة، عن جثة أسقف نوبى، فى ابريم، وعلى كل من جانبيه الأيمن والأيسر تقليد رسامته، أحدهما باللغة القبطية البحرية، والآخر باللغة العربية، طول كل منهما خمسة أمتار وعرضه أكثر من نصف متر، وهما من ورق سميك جيد ملفوف بطريقة الدرج أو المدرجة، وقد نقلها الأستاذ بلاملى إلى المتحف المصرى بالقاهرة. وقد زارنى فى مكتبى بدير الأنبا رويس، ودعانى إلى مشاهدة هذا التقليد فى صورتيه القبطية والعربية، وذهبت معه لمعاينته.

ويتضح من النص المكتوب باللغتين، أن رسامة هذا الأسقف النوبى، وقد تسمى باسم تيموثيوس، قد تمت رسامته أولا قمصا ثم أسقفا، بكنيسة العذراء الشهيرة بالمعلقة بمصر القديمة فى يوم الأحد ١٩ من هاتور سنة ١٠٨٨ للشهداء أى نحو ١٣٧٢م وفى عهد حبرية الأنبا غبريال الرابع البابا السادس والثمانين.

ويتضح من هذا التقليد أيضا أنه بعد رسامة الأنبا تيموثيوس أسقفا على كرسى أبو كراس وابريم، قد صحبه إلى إبريم فى بلاد النوبة أربعة من الأساقفة لتجليسه على كرسيه هناك. وقد استغرقت الرحلة ومراسم «التجليس» ثمانية أيام. فالرسامة بمصر القديمة قد تمت فى ١٩ هاتور، بينما أن التجليس قد تم فى يوم الأحد ٢٧ من هاتور وهذا ظاهر من توقيعات الأساقفة الأربعة، الذين سجلوا على التقليد بصورتيه القبطية والعربية شهادتهم بأنهم اشتركوا مع البابا

البطريرك وسائر الأساقفة فى رسامة الأنبا تيموثيئوس كما قاموا بتجليسه على كرسيه فى إبريم، وهذه هى أسماؤهم بحسب ترتيب توقيعاتهم:

١ ـ (الأنبا) أثناسيوس خادم كرسى (أى أسقف) قوص والنائب على أرمنت وتوابعها.

٢ ـ (الأنبا) بطرس خادم كرسى (أى أسقف) الأشمونين.

٣ ـ (الأنبا) مرقس خادم كرسى (أى أسقف) قفط.

٤ ـ (الأنبا) ميخائيل خادم كرسى (أى أسقف) كنيسة السيدة (العذراء) باتريب.

والمستفاد من هذه الوثيقة أن الذين قاموا بتجليس أسقف إبريم وأبو كراس فى بلاد النوبة أربعة أساقفة، غير من صحبهم من الكهنة والشمامسة، سافروا خصيصا من مصر إلى النوبة، مع ما كان يتعرض له المسافر فى تلك الأيام (أواخر القرن الرابع عشر) من متاعب ومشقات ليست بالقليلة. وهذا يدل على أهمية طقس «التجليس»، وأنه يجب أن يقوم به أكبر عدد ممكن من المطارنة والأساقفة. وفى أسوأ الظروف ينبغى أن لا يقل عدد الأساقفة عن ثلاثة. ومهما يكن من أمر فلا يجوز بحال من الأحوال أن يقوم بالتجليس أسقف واحد، كما لا يجوز أن يقوم برسامة الأسقف الجديد، أسقف واحد.

تلك بينات على أهمية مشاركة المطارنة والأساقفة أعضاء المجمع الإكليركى العام المقدس مع البابا البطريرك، فى مسئولية إختيار الأسقف الجديد، فضلا عن تكريسه وسيامته.

الطرف الثالث: إكليروس الإيبارشية وشعبها:

وله دور هام جدا، وخطير جدا، على كل وجه. ذلك لأنهم هم، قبل أى طرف آخر، أصحاب المصلحة المباشرة فى رسامة الأسقف، وهم أول من يسعد به إذا كان راعيا صالحا. وأول من يشقى به إذا لم يكن رجل الله بالحقيقة. إن الأسقف الجديد هو رئيسهم المباشر، وكبير رعاتهم، ورئيس كهنتهم، وأبو أسرة الإيبارشية كلها. هو وحده بين كهنة الإيبارشية الذى يحمل عصا الرعاية = الحية النحاسية ـ مما يدل على أنه القائد والراعى الأول الحقيقى للإيبارشية، فكل الكهنة فى الإيبارشية يستمدون منه سلطانهم فى تدبير المؤمنين ورعايتهم، وتحت عصا رعايته يجتمع كل كهنة الإيبارشية وشمامستها وشعبها، كالرئيس الروحانى الأول بينهم. كل المطارنة والأساقفة الآخرين بالنسبة لكهنة الإيبارشية وشعبها هم رؤساء لأسرات أخرى غير أسرتهم هم. فالمطارنة والأساقفة الآخرون هم أخوة لأبيهم ووالدهم الروحى

المباشر. أما أبوهم الحقيقى فهو أسقفهم. ومركز الأب فى الأسرة شئ مختلف عن مركز أخوة الأب. وحتى البابا البطريرك بالنسبة لكهنة الإيبارشية وشعبها رئاسته عامة، وأبوته عامة، على جميع الإيبارشيات. أما أسقف الإيبارشية فله عليهم رئاسة خاصة مباشرة، وأبوة خاصة مباشرة. ولذلك فإن البابا البطريرك يتعامل مع كهنة أية إيبارشية وشعبها عن طريق أسقفها ولا يتخطاه، إلا إذا رقد الأسقف فى الرب، أو جرد من كهنوته بقرار مجمعى. وفيما عدا ذلك فالبابا البطريرك يحترم إختصاص الأسقف «شريكه فى الخدمة الرسولية» فلا يصدر أمرا لكاهن تابع لأسقف إيبارشية ما من غير أسقفه. ولا يمس أحدا من الكهنة أو الشمامسة بخير أو شر من غير أسقفهم، ولا يوقف أو يجرد أو يحرم كاهنا أو شماسا منهم من دون أسقفهم، كما لا يمنح حلا لكاهن أو شماس أو أحد المؤمنين حرمه أسقفه. كل أسقف فى إيبارشيته هو رئيسها المباشر. على أن للبابا البطريرك على المطارنة والأساقفة حق التوجيه والإشراف. أما إدانة الأسقف فمن سلطان المجمع الإكليريكى العام المقدس برئاسة البابا البطريرك.

من هنا كانت أهمية دور إكليروس كل إيبارشية وشعبها فى إختيار أسقفهم الجديد.

وقد أعطاهم القانون الكنسى الحق بغير منازع فى إختيار أسقفهم، بل إن القانون الكنسى أعطى لهم الحق فى أن يقبلوا الأسقف أو يرفضوه «فإذا قبلوه كلهم فقد قبله الرب».

جاء فى الدسقولية (تعاليم الرسل): «ليقم الأسقف باختيار الشعب كله إياه كمشيئة الروح القدس» (باب ٣٦).

ويقام (الأسقف) فى يوم الأحد، وكل الناس متفقون على إقامته. وكل الشعب والكهنة يشهدون له». (الدسقولية باب ٣٦).

وجاء فى القوانين الرسولية: «وإذا رضيه الكل، فليجتمع كل الشعب والقسوس والأساقفة فى يوم الأحد. وليسأل الكبير فيهم القسوس والشمامسة، ويقول: هذا الذى ارتضيتموه أن يكون رئيسا لكم؟ فإذا قالوا نعم، فليسألهم أيضا، ويقول: هذا يستحق هذه التقدمة الجليلة، وقد أقام سيرته صحيحا، ولم يوجد عليه شئ؟ فإذا أجابوا كلهم معا وقالوا: أنه هكذا بحق وليس بمراءاة، فليسألهم أيضا دفعة ثالثة: هل هو مستحق هذه الرئاسة بحق؟... فإذا قالوا فى ثالث دفعة: أنه مستحق، فليصافحوه بأيديهم كلهم... ويجلسه الأساقفة على كرسى يصلح له. فإذا قبله كلهم قبله الرب» (قوانين الرسل - المجموعة الأولى (رسطب)، قانون ٥٢) أى أن قبول الرب

للأسقف الجديد يتوقف على قبول أهل إيبارشيته له، من الاكليروس والشعب، وقبول كبير الأساقفة (البابا البطريرك) وقبول الأساقفة الآخرين. على أن السؤال الذى يوجهه كبير الأساقفة إلى أهل الإيبارشية ثلاث مرات، يوجهه إليهم فى مقر كرسى إيبارشية الأسقف الجديد حيث «يجتمع كل الشعب والقسوس والأساقفة»، وحيث يقوم «الأساقفة بتجليسه على كرسيه».

ومن هنا كانت الأهمية الكبرى التى تعطيها الكنيسة لطقس تجليس الأسقف فى قاعدة كرسيه، وإستقبال إكليروس الإيبارشية وشعبها له، بالمجامر والبخور وسعف النخل وأغصان الزيتون، وبالألحان الكنسية، ومصاحبتهم له فى موكب رسمى من وسط المدينة إلى داخل الكاتدرائية - كنيسة كرسيه - وتسليم رئيس القسوس ورئيس شمامسة الكاتدرائية مفتاح الكاتدرائية له، فيفتح باب الكاتدرائية بنفسه مرددا قول المزمور «إفتحوا لى أبواب البر...» ثم تجليس المطارنة والأساقفة له على كرسيه بالكاتدرائية المرفوع ثلاث درجات. وهناك يقرأ بصوته إنجيل الراعى الصالح، ويردد ثلاث مرات قول المسيح له المجد «أنا هو الراعى الصالح» فيجيبونه جميعهم «اكسيوس» أى «مستحق». ويقرأ كبير المطارنة تقليد الأسقف الجديد، وبعد قراءته يوقع عليه المطارنة والأساقفة الذين جلّسوا الأسقف بأسمائهم - كل هذه وغيرها من طقوس تجرى فى كاتدرائية الأسقفية، بحضور جميع الإكليروس والشعب لتكون شهادة وإقرارا علنيا من أهل الإيبارشية، على قبولهم له وإعتمادهم إياه أبا لجميعهم، ورئيسا لكهنتهم، وراعيا لرعاتهم برضاهم وإختيارهم. وكل من التجليس بمراسمه فى كاتدرائية الأسقفية ثم السيامة بمراسمها فى الكاتدرائية الكبرى بالبطريركية بالقاهرة، عملان يكمل أحدهما الآخر. وهما معا شرط لقبول الرب للأسقف الجديد: «إذا قبلوه كلهم قبله الرب».

فإذا كان حق إكليروس الإيبارشية وشعبها مقررا فى إختيار أسقفهم، ولا جدال فى ذلك، فلابد من أن يمارسوا حقهم الطبيعى الذى يخوله لهم القانون الكنسى بكل وضوح.

وهنا ينبت السؤال: كيف يمارس أهل الإيبارشية من الإكليروس والشعب حقهم فى إختيار أسقفهم؟

فى الأزمنة الماضية كان الإختيار يجرى بما يعرف بـ «التزكية» الشفاهية أو التحريرية. على أن ذلك كان مقبولا فى زمن كان بين الشعب «أراخنة» كبار يحملون عبء المسئولية عن سائر الشعب.

والأراخنة هم رؤساء العائلات. وكان هؤلاء عددهم محدودا فى كل مدينة وفى كل بلدة وقرية. ويتبع كل أرخن فى الشعب جميع أفراد أسرته الكبيرة لأنه أبوهم ورئيسهم. ولذلك كان لكل أرخن وزنه وثقله بين أهل بلدته. ولهذا كان الأرخن يستطيع أن يبدي رأيه بكل شجاعة وقوة، ولا يخشى أحداً، ويسانده فيه جميع أفراد أسرته الكبيرة. فإذا عُلّقت للمرشح للأسقفية تزكية شفاهية أو تحريرية، موقعا عليها من الأراخنة كانت صورة صادقة لإجماع رأى مجموع العائلات فى الإيبارشية.

أما اليوم فقد أصبح الحال غير الحال. لقد تشتتت العائلات وتبعثرت، ولم تعد متمركزة - كما كانت قديما - فى مدينة واحدة أو قرية واحدة، ولم يعد للأسرة الكبيرة كيانها الكبير فى المدينة، بسبب تنقلات أعضائها إلى مدن وبلدان أخرى متفرقة.. وتبعا لذلك صار كل فرد منها يمثل شخصه فقط، وبالتالى فقدت التزكية فى زماننا فعاليتها ولم تعد صورة صادقة لرأى مجموع الشعب. خاصة وأن نظام التزكية أمسى يسبب لكثيرين نوعا من الحرج والضغط الأدبى، وجعل كثيرين يوقعون على التزكية عن مجاملة أو تجنبا للحرج.

وعلى ذلك صارت الحاجة ماسة إلى نظام آخر يكفل لمجموع الشعب أن يُبدوا رأيهم فى المرشحين عن إيمان، لا عن مجاملة أو تجنبا للحرج، ولقد كتبنا فى هذا الموضوع مقالا نشرته مجلة «الكرازة» فى عددها الثانى والثالث من السنة الأولى، الصادر فى يناير وفبراير سنة ١٩٦٥ تحت عنوان «لم تعد التزكية طريقة مناسبة لزماننا».

ولا شك إن النظام الأمثل الذى يصلح وحده لزماننا طريقا سليما لمعرفة رأى الاكليروس والشعب هو نظام «الإقتراع السرى».

والإقتراع السرى ليس هو القرعة، بل هو النظام الذى يكفل لكل ناخب أن يسجل اسم المرشح الذى يرتضيه ضميره، فى ورقة إنتخاب يضعها بنفسه فى صندوق عام تشرف عليه لجنة إنتخاب محايدة. وبعد الفراغ من الإقتراع السرى فى موعد محدد، تجمع الأوراق وتصنف. ومن فاز من المرشحين بثلثى الأصوات على الأقل، فهو الذى حصل على موافقة الأغلبية. وإلا أعيد الإنتخاب بالإقتراع السرى بين الإثنين الحائزين على أكبر الأصوات. فإذا تعادلا تماما جازت بينهما القرعة الهيكلية.

وقد ورد فى السنكسار الكنسى ما يبين الطريقة التى كانوا يباشرون بها فى الأزمنة القديمة، القرعة الهيكلية: فيقيم الأباء المطارنة والأساقفة القداسات لمدة ثلاثة أيام، وبعد ذلك يكتبون

على كل ورقة اسم المرشح ثم يختارون طفلا صغيرا ليسحب الورقة التى يريدها. وبعد أن يقرأوا الاسم المكتوب فيها يردونها إلى مكانها. ويكررون هذا العمل مرتين أخريين. وفى كل مرة يختارون لسحب الورقة طفلا غير الأول. فإذا سحب الأطفال الثلاثة الورقة عينها فى كل مرة، تحققوا إنها إرادة الله (السنكسار تحت يوم ١٦ طوبة).

وهنا نثير سؤالا يتردد على أفواه الكثيرين: كيف يمكن لأهل الإيبارشية أن يبدوا رأيهم فى أشخاص من الرهبان الديريين لا يعرفون عنهم شيئا، أو يكادون أن لا يعرفوا عنهم إلا القليل الذى لا يكفى لإصدار حكم؟.

نجيب بأن هذا التساؤل فى موضعه، وحيث أن القانون الكنسى أعطى لأهل الإيبارشية الحق فى إختيار أسقفهم الجديد، فمن حقهم الطبيعى - بالتالى - أن تكون لهم معرفة مباشرة بالمرشحين، حتى يمكنهم أن يفاضلوا بينهم لإختيار الأصلح فيهم.

وتفاديا لهذه الثغرة فى طريقة إختيار الأساقفة، وإصلاحا لهذا الوضع نرى:

أولا - أن يدعى المجمع الإكليريكى العام المقدس للإنعقاد برئاسة البابا البطريرك، لدراسة ظروف الإيبارشية الشاغرة، ولإختيار عدد من الأسماء يرى المجمع المقدس إنهم صالحون لترشيحهم وتقديمهم لأهل الإيبارشية، ويترك لأهل الإيبارشية حق إختيار أحدهم، بنظام «الإقتراع السرى» بعد فترة زمانية يتدارسون فيها فيما بينهم صلاحية هؤلاء المرشحين.

ثانيا: يشكل المجمع الإكليريكى العام المقدس لجنة مجمعية دائمة من بين أعضائه - (واللجنة تسمى مجمعية إذا شكلها المجمع المقدس من بين أعضائه فى إجتماع قانونى، ويرأسها أحد المطارنة أو الأساقفة من بينهم) - تكون مهمتها الدائمة تجهيز وإعداد أسماء من المرشحين للإحتمالات المقبلة، مع البدء فورا فى تعيينهم فى بعض المسئوليات الكنسية التى تصقل مواهبهم، وتبرز إستعداداتهم، وتظهر مدى أهليتهم للمسئوليات الكبرى فى الكنيسة. «ومن كان أمينا فى القليل، أقيم على الكثير».

ثالثاً: توسيع دائرة الاختيار للدرجة الأسقفية، فلا تقصر على الرهبان الديريين، بل يضاف إلى هؤلاء الرهبان، كهنة وشمامسة واكليريكيون من المتبتلين أوالمترملين الأطهار ممن بلغوا فى الفضيلة سن الوقار، وغيرهم من الخدام المتبتلين ممن لهم أهليتهم لنيل الدرجات الكهنوتية، على أن يتدرجوا فيها وفقا للقانون الكنسى، درجة بعد درجة.

بهذا نصل شيئا فشيئا إلى ما يجعل حق أهل كل إيبارشية شاغرة فى إختيار راعيهم وأسقفهم، عملا يمكن بالفعل ممارسته بما يحقق الخير والصالح العام الذى يهدف إليه الشرع الكنسى.

إن أية وسيلة أخرى غير «الاقتراع السرى» من جمعية عمومية يتم تشكيلها من اكليروس الأيبارشية وشعبها، لا تصلح لزماننا هذا سبيلا فعالا لتحقيق قاعدة سليمة لاختيار أساقفة الأيبارشيات.

كذلك فإن تفويض أهل الأيبارشية لشخص واحد، أيا كانت قداسته، وأيا كان عمله، وأيا كانت ثقتهم فيه، ليقوم بالنيابة عنهم فى اختيار أسقفهم، مبدأ خاطئ فى ذاته، كما أنه سابقة خطيرة يمكن أن تصير قاعدة للمستقبل.

أنه مبدأ خاطئ لأنه إلغاء وتقويض وتعطيل للقانون الكنسى الذى يجعل حق اختيار الأسقف مسئولية مشتركة بين أطراف ثلاثة، كما تقدم القول. كما أنه مبدأ خطر لأن نظرة رجل واحد - مهما كانت روحانيته ومعرفته - محفوفة بالخطأ، فكل إنسان بشر غيرمعصوم. والمعروف والمقرر عموما أن رأى الجماعة فى تدبيرها أصلح عادة من رأى الفرد. لهذا أخذت الكنيسة منذ تأسيسها بالاشتراكية فى اختيار أصحاب الدرجات الكهنوتية حتى فى الأزمنة القديمة التى عرف الناس فيها حكم الرجل الفرد أو ما يعرف بالأوتوقراطية أى السلطة المطلقة، وما يعرف بالديكتاتورية وهى حكم المستبد الطاغية.

ولو كان التفويض مبدأ سليما لسارت عليه الكنيسة فى نشأتها حيث كان المسيحيون قلة، وكانت الكنيسة تجتاز ظروفا قاسية، وتعانى الضغط ويهددها الإضطهاد. ففى اختيار الرسول الثانى عشر ليحل محل يهوذا الاسخريوطى لم يطلب الرسول بطرس تفويضا لهذا الاختيار مع أنه كان أكبر الرسل سنا، ومن أبرزهم كذلك مكانة ومقاما، بل أنه على العكس من ذلك تماما هو الذى وقف بين زملائه الرسل العشرة، والرسل السبعين، وعدد من المؤمنين بلغوا جميعا نحو مائة وعشرين إسما، كانت من بينهم السيدة العذراء الطاهرة مريم، وعرض عليهم جميعا الحاجة إلى أن يعين واحد من «الرجال الذين اجتمعوا معنا فى كل الزمان الذى فيه دخل بيننا الرب يسوع وخرج منذ معمودية يوحنا إلى اليوم الذى فيه ارتفع عنا... فأقاموا إثنين...» ثم ألقوا بعد ذلك القرعة بينهما، فأصابت القرعة متياس، فضموه إلى الرسل الأحد عشر (أعمال الرسل ١ : ١٥ - ٢٦).

إن تفويض أهل الإيبارشية لشخص واحد فى اختيار الأسقف مبدأ يتعارض تعارضا أساسيا وجذريا مع جوهر تعاليمنا الدينية والكنسية، روحيا وعقائديا وطقسيا وقانونيا.

أما روحيا فلأن التفويض معناه التنصل من مسئولية الاختيار. وأما عقائديا فلأن درجة الأسقفية هى الدرجة الرسولية الأولى والكبرى فى الكنيسة. ولما كان الأسقف خليفة للرسل وله كمال الكهنوت، وكهنوته قائم إلى الأبد، فلم تسمح تعاليم الكنيسة أن يتم اختياره أو رسامته بمعرفة رجل واحد، لأن الروح القدس إذ يحل على الأسقف بوضع الأيدى عليه - أيدى مجمع شيوخ الكهنة - (١ . تيموثيئوس ٤ : ١٤) إنما يحل عليه من السماء من خلال الكنيسة كلها كجسم كامل رأسه البابا البطريرك وأعضاؤه الأخرى هم المطارنة والأساقفة وسائر الإكليروس والشعب المسيحى والممسوح بالميرون مسحة الروح القدس.

وأما طقسيا، فلأن التفويض لرجل واحد مبدأ لا وجود له بتاتا فى طقسنا الكنسى الذى يتطلب اشتراك جسم الكنيسة كله فى الرسامة، معلنا بهذا أن المسئولية مشتركة بين الجميع، فلا محل للتفويض لرجل واحد.

وأما قانونيا، فلأن القانون الكنسى يستوجب أن يكون اختيار الأسقف حقا مشتركا بين أطراف ثلاثة هم البابا البطريرك والمطارنة والأساقفة أعضاء المجمع الإكليريكى العام المقدس بصفتهم المجمعية لا الفردية، وأهل الإيبارشية من الإكليروس والشعب.

وفى الكتاب المقدس درس عظيم فى هذا الشأن. فقد أمر الله نبيه العظيم صموئيل أن يمسح لبنى إسرائيل ملكا خلفا لشاول ملكهم. ومع أن صموئيل كان نبيا مكشوف العينين حتى سموه بالرائى، وكان الناس يتوافدون عليه لينبئهم عن الغيبيات والمخفيات والمستقبلات فى حياتهم العامة والخاصة، ومع أنه كان مكلفا من الرب نفسه باختيار الملك الجديد وكان بالتالى من المتوقع أن يكون ملهما من الله فى هذا الإختيار، لأن الله هو الذى كلفه بهذه المهمة وفوّضه لها، ومع ما كان لصموئيل النبى من قداسة السيرة وطهارة النية والقصد، ونزاهة الحكم... مع هذا كله أخطأ النبى صموئيل، وهو «الرائى» واختار للملك رجلا استحسنه هو، لكن الرب رفضه. قال صموئيل عندما رأى اليآب بن يسى «إن أمام الرب مسيحه»... «فقال الرب لصموئيل : لا تلتفت إلى منظره وطول قامته. فإنى قد رفضته. لأنه ليس كما ينظر الإنسان، فإن الإنسان إنما ينظر إلى العينين، وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب (١ . صموئيل ١٦ : ٦، ٧).

إن الذى فوض النبى صموئيل فى اختيار الملك الجديد لبنى إسرائيل هو الرب نفسه. ومع ما كان للنبى من قداسة السيرة ونقاوة السريرة والبعد عن الهوى، ومع ما كان له من العلم الروحانى الذى كان يكشف الخفيات والمستورات حتى ذكر عنه الوحى الإلهى «وكان الرب معه، ولم يدع شيئا من جميع كلامه يسقط على الأرض. وعرف جميع إسرائيل.. أنه قد أؤتمن صموئيل نبيا للرب» (١ . صموئيل ٣ : ١٩، ٢٠) وكان معروفا أنه «رجل الله» (١ . صموئيل ٩ : ٦)، وأنه «الرائى» (١ . صموئيل ٩ : ٩، ١١، ١٨، ١٩).. مع هذا كله أخطأ صموئيل، واختار رجلا رفضه الرب...

وهنا سؤال : لماذا ترك الرب نبيه صموئيل يخطأ... ولماذا لم يعصمه من الخطأ حتى كاد يمسح اليآب ملكا؟ لماذا لم يتدخل منذ الابتداء حتى لا يدع نبيه الرائى صموئيل يتردى فى الخطأ ؟

لعل الرب أراد بهذه الواقعة أن يعطى درسا ثمينا لشعبه فى كل زمان ومكان... درسا خالدا وأبديا.. أراد أن يعلمهم أن فردا أيا كانت قداسته وعلمه وروحانيته ونزاهته.. يمكن أن يخطأ فى اختيار الرجل المناسب حتى لو كان هو النبى صموئيل الرائى الذى شهد الوحى عنه قائلا «موسى وهرون بين كهنته، صموئيل بين الذين يدعون باسمه. كانوا يدعون الرب فيستجيب لهم» (مزمور ٩٩ : ٦) وقال عنه أيضا «وإن وقف موسى وصموئيل أمامى...» (أرميا ١٥ : ١) مما يدل على مكانة صموئيل عند الرب، وأنه أثير لديه.

لابد أن صموئيل النبى قد أخذ من هذه الحادثة درسا نافعا له ولكل الأجيال : إن حكم رجل واحد محفوف بالخطأ والخطر... وأن الروحانى لا يقبل أن يتحمل مسئولية الاختيار بمفرده.

هذا وإن انتقال البابا البطريرك إلى مقر كرسى الإيبارشية ليستمع إلى بعض وجوه النظر لا يكفى لإعطاء البابا صورة صادقة لرأى الإكليروس والشعب، وذلك لما للبابا البطريرك بحكم مركزه من احترام وهيبة تحجزان حرية الإكليروس والشعب فى إبداء رأيهم فى غير حرج وفى غير مجاملة.

كذلك توجيه البابا البطريرك السؤال فى يوم رسامة الأسقف لبعض من الإكليروس ونفر قليل من الشعب الذين يأتون إلى القاهرة لحضور سيامة أسقف لهم بعد أن تكون قد تقررت رسامته، وأعلنت رسميا وأبلغت إلى الجميع : «هل هذا الذى اخترتموه؟» فيجيب هذا النفر :

بنعم، لا يعطى صورة صادقة حقيقية عن رأى اكليروس الإيبارشية كلها وشعبها فى المنتخب. إنها قد تعبر- بعض التعبير- عن رأى الذين يشهدون مراسم الرسامة وهم قلة قليلة تمكنوا- معنويا وماديا- من حضور الرسامة. قد كان يمكن أن يكون سؤال البابا البطريرك مجديا وفعالا لو أن البابا البطريرك أناب عنه كبير المطارنة فمضى إلى أهل الإيبارشية مجتمعين فى مركز كرسى الإيبارشية وسألهم رأيهم فى المرشح للرسامة قبل أن تتقرر سيامته رسميا بوقت كاف، كما كان يحدث فى العصور القديمة كما ينص القانون الرسولى الذى أوردناه فى صدر هذا المقال. فإذا كانت إجابة أهل الإيبارشية بالنفى تأجلت الرسامة إلى وقت آخر حتى تفحص أسباب الرفض. أما أن الرسامة تتم عادة فى الكاتدرائية المرقسية بالقاهرة، والسؤال يوجه إلى قلة من الحاضرين من أهل الإيبارشية، وبعد أن تكون الرسامة قد تقررت، فإن توجيه السؤال لهذه القلة القليلة لم يعد فى عصرنا الحالى إجراءً كافيا. وبالتالى فإن إعلان هذا البعض لموافقتهم العلنية لا تعبر فى الواقع تعبيرا صادقا عن رأى أهل الإيبارشية من الإكليروس والشعب، كما يعبر عنه «الاقتراع السرى».

والخلاصة أنه لا بالتزكية ولا بالتفويض، يختارون أساقفة الإيبارشيات، بل بالإقتراع السرى فى قاعدة كرسى الإيبارشية بين عدد من المرشحين يقدمهم المجمع الإكليريكى العام المقدس برئاسة البابا البطريرك. وتتألف جمعية الناخبين من كهنة الإيبارشية وشمامستها ومن عدد مختار من المدنيين أى العلمانيين المؤمنين الأرثوذكسيين المواظبين على حضور القداسات، الذين يمارسون الإعتراف والتناول من القربان المقدس بانتظام والذين يساهمون فى احتياجات الكنيسة بعشورهم أو على الأقل بنصيب منها- خصوصا من لهم نشاط فى خدمة الكنيسة مثل أعضاء مجالس الكنائس وأعضاء المجلس الملى وأعضاء الجمعيات والهيئات العامة.

٦ ـ الأسقف العام (١)

سؤال : من الإبن مينا بديع عبد الملك ـ الأسكندرية .

يقول : ما هو مفهوم الأسقف العام ؟

الجواب :

الأسقف العام هو أسقف من غير كرسى، وغير مرتبط بإيبارشية جغرافية. والأصل فيه أنه أسقف معاون للبابا البطريرك فى عاصمة الكرازة المرقسية، فى واحد أو أكثر من إختصاصاته.

ولعل أول من يتجه إليهم فكرنا ونحن نتحدث عن (الأسقف العام) هم آباؤنا الرسل الإثنا عشر، ومن بعدهم الإثنان والسبعون رسولا ـ فأولئك وهؤلاء أقامهم المسيح له المجد أساقفة عامّين وأرسلهم إلى العالم أجمع للتبشير بالإنجيل. قال لهم : (إنى أنا الذى اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا) (يوحنا ١٥ : ١٦)، (٦ : ٧٠)، (١٣ : ١٨)، (لوقا ٦ : ١٣)، (مرقس ٣ : ١٤) وقال وهو يفارقهم عند صعوده إلى السماء (**اذهبوا إلى العالم أجمع**، وبشّروا بالإنجيل كل الخليقة) (مرقس ١٦ : ١٥) (فاذهبوا إذن، وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلّموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به) (متى ٢٨ : ١٩، ٢٠).

فكان الرسول يذهب إلى مدينة يبشر فيها بالانجيل، ويتلمذ للمسيح إناسا، فيصيروا بالإيمان مسيحيين، ثم يقيم من بينهم، وباختيارهم، أسقفا، وقسوسا، وشمامسة ـ ثم يترك هذه المدينة إلى غيرها يبشر فيها بالإنجيل ويُتلمذ المؤمنين للمسيح، ويدعوهم أن ينتخبوا منهم القيادة الدينية التى تتولى المسئولية من بعده : الأسقف والقسوس والشمامسة، ويغادر المدينة إلى غيرها من مدن الإقليم أو البلد ثم يذهب إلى بلد أو إقليم آخر... وهكذا نقل الآباء الرسل ـ وهم هذا العدد المحدود ـ إنجيل المسيح إلى كل المسكونة حتى قيل عنهم إنهم (فتنوا المسكونة) (أعمال الرسل ١٧ : ٦).

فالآباء الرسل، الإثنا عشر، ثم السبعون، أُقيموا أساقفة عامّين على المسكونة كلها.

وهكذا بالمثل كان شأن القديس بولس الرسول الذى لم يكن من بين الإثنى عشر، ولا من بين السبعين، فلقبوه بثالث عشر رسل المسيح...

---

(١) كتب فى ٢٨ من يونية لسنة ١٩٨٥م ـ ٢١ من بؤونه لسنة ١٧٠١ش.

فالرسول القديس بولس أُقيم أسقفا عاما ولم يرتبط بإيبارشية جغرافية.. وإنما كان رسولاً إلى الأمم غير اليهودية (غلاطية ٢ : ٩، ٢، ٧)، (أعمال الرسل ١٣ : ٤٦)، (١٥ : ١٢)، (١٤ : ٢٧)، (١٨ : ٦)، (٢٨ : ٢٨). وبناء عليه فقد بشّر الرسول بولس بالإنجيل فى إنطاكية، وفى روما، وفى كورنثوس وفيلبى، وتسالونيكى... وغيرها من بلاد المعمورة، ولم يتقيد بإيبارشية جغرافية، وقد قال (إنى أقول لكم أيها الأمم... إنى أنا رسول للأمم) (رومية ١١ : ١٣)، (أعمال ٩ : ١٥)، (١٣ : ٤٦)، (١٤ : ٢٧)، (١٥ : ١٢)، (٢٢ : ٢١)، (٢٦ : ١٧)، (رومية ١ : ٥)، (١٥ : ١٦)، (غلاطية ١ : ١٦)، (٢ : ٢، ٨)، (أفسس ٣ : ٨) (١. تيموثيئوس ٢ : ٧)، (٢. تيموثيئوس ١ : ١١)، (٤ : ١٧).

ولعل أول نص بالعهد الجديد يظهر فيه الرسل أنهم أساقفة أى (نُظّار) أو (وكلاء) أو (مشرفون) على كنائس الله، هو ما قاله القديس بطرس الرسول فى حديثه عن يهوذا التلميذ الخائن أحد الإثنى عشر، مستعينا فيه بما جاء عنه فى سفر المزامير (لأنه مكتوب فى سفر المزامير : لتصر داره خرابا، ولا يكن فيها ساكن. وليأخذ **أُسقفيته** آخر) (أعمال الرسل ١ : ٢٠). وأما المزمور الوارد فيه هذا النص منبئا عن يهوذا الإسخريوطى فهو المزمور ١٠٨ حيث يقول (وأُسقفيته ليأخذها آخر) (مزمور ١٠٨ : ٨). فقد وردت كلمة (الأسقفية) فى هذين النصّين، بلفظها اليونانى **ἐπισκοπή** (Episcoph) وكذلك وردت فى الترجمة القبطية. **ⲙⲉⲧ-ⲉⲡⲓⲥⲕⲟⲡⲟⲥ**.

على أن الرسول القديس يعقوب بن حلفى (متى ١٠ : ٣)، (لوقا ٦ : ١٦)، (أعمال الرسل ١ : ١٣) المعروف بيعقوب البار، ويعقوب أخى الرب (غلاطية ١ : ١٩) هو الوحيد فيما نعلم الذى تحوّل بمعرفة الرسل إلى أُسقف كرسى، فصار يعرف بـ (أُسقف أورشليم)، كما تدلنا على ذلك مصادر التاريخ الكنسى (أنظر كتاب (تاريخ الكنيسة) ليوسابيوس القيصرى، كتاب ٢ فصل ١ : ٢، ٣ - كتاب ٢ فصل ٢٣ : ١ - كتاب ٣ فصل ٥ : ٢ - كتاب ٧ : ١٩).

ثم كتاب أكليمنضس الأسكندرى : (المجمل) (Hypotyposeis) ك ٦. وبهذه الصفة رأس المجمع الرسولى الذى انعقد بأورشليم سنة ٥١/٥٢م وقد جاء ذكره فى سفر أعمال الرسل (١٥ : ١٣)، (١٢ : ١٧).

وجاء فى السنكسار أن القديس باسيلاؤس الأسقف رُسم أسقفا عاما مع آخرين على غير كراسى، وذلك فى سنة ٢٩٨م على يد القديس هرمون بطريرك أورشليم الذين أرسلهم يكرزون

ببشارة الملكوت فى البلاد التى ليس فيها مؤمنون. فكرز هذا القديس فى بلاد كثيرة، ثم مات شهيداً (السنكسار تحت اليوم الحادى عشر من شهر برمهات القبطى).

كذلك ورد فى السنكسار أيضا خبر القديسين أوجانيوس، وأغاتودرس، والبديوس، ووالنديوس، وكانوا مسيحيين سالكين فى طريق الله، وحاصلين على جانب عظيم من العلوم الدينية، فرسمهم القديس هرمون بطريرك أورشليم أساقفة على غير كراسى ليجولوا كارزين ومعلّمين، فذهبوا وكرزوا فى مدن كثيرة، واستشهدوا أخيرا (السنكسار تحت اليوم الرابع عشر من شهر برمهات القبطى).

وفى تاريخ كنيستنا القبطية جاء إلى بلادنا القديس مارمرقس الرسول أحد السبعين، وبشر بالإنجيل فى الأسكندرية وبلاد ليبيا وأفريقيا وتلمذ كثيرين وانضموا إلى الايمان المسيحى. ولما كان يتنقل بين أورشليم وأنطاكية وقبرص وكولوسى وأكويلا، والأسكندرية وليبيا وخمس المدن الغربية وروما وأفسس (أعمال الرسل ١٢ : ١٢، ٢٥)، (١٣ : ٥، ١٣)، (١٥ : ٣٩)، (كولوسى ٤ : ١٠) ، (٢ . تيموثيئوس ٤ : ١١) ، (فليمون : ٢٤) ، (١ . بطوس ٥ : ١٣)، فقد أقام من بين الذين آمنوا بالمسيح فى الأسكندرية (حنانيا) المعروف أيضا باسم (إنيانوس) أول أُسقف للأسكندرية ومصر، وأقام معه ثلاثة قسوس وسبعة شمامسة.

فالقديس مرقس الرسول كاروز بلادنا المصرية وهو من بين السبعين رسولاً، كان أيضاً (أُسقفا عاما)، لم يقم بصفة ثابتة مستديمة فى إيبارشية الأسكندرية ومصر. فالمعروف أنه بعد أن جاء إلى الأسكندرية لأول مرة وكرز فيها باسم المسيح، إستدعاه القديس بولس الرسول إلى روما عندما كان مأسورا هناك (كولوسى ٤ : ١٠)، واشترك معه فى أتعابه (فليمون : ٢٤) ثم ذهب إلى أفسس لمعاونة تيموثيئوس الرسول (٢ . تيموثيئوس ٤ : ١١) ومنها إلى روما. وبعد إستشهاد الرسولين بطرس وبولس فى روما سنة ٦٧ م عاد إلى الأسكندرية للمرة الثانية، حيث مات شهيدا فى عام ٦٨م.

كذلك جاء فى تاريخ كنيستنا القبطية أن القمص داود الأنطونى، والذى عرف فيما بعد بالبابا كيرلس الرابع الشهير بأبى الإصلاح (١٨٥٤ – ١٨٦١)م قد رُسم فى مبدأ الأمر (مطرانا عاما) فى البطريركية بالقاهرة (الأزبكية) فى أبريل سنة ١٨٥٣ . وظل كذلك مطرانا عاما لمدة سنة وشهرين، يباشر مسئولياته العامة، ثم نصب بعد ذلك وتوّج بطريركا فى ٧ من يونيه لسنة ١٨٥٤م.

فلما رُسم القمص مينا المتوحد بطريركا فى ١٠ من مايو لسنة ١٩٥٩م (٢ من بشنس لسنة ١٦٧٥ش) باسم البابا كيرلس السادس، كلفنى قداسته بعد أيام من رسامته بإعداد مشروع فى (تنظيم الكرسى المرقسىّ، وتنظيم علاقة الكرسى الأسكندرى بكرسى أثيوبيا وغيره من الكراسى التابعة لأقطار الكرازة المرقسية).

وفى نفس الشهر الذى رُسم فيه البابا كيرلس السادس، أى فى مايو ١٩٥٩ كتبت مذكرة بالمشروع المقترح، وقدمتها لقداسته.

ومن بين ما اقترحناه فى المشروع، رسامة أربعة أساقفة عامّين، مساعدين للبابا البطريرك فى القاهرة قاعدة الكرازة المرقسية، يوزع عليهم البابا البطريرك بعض إختصاصاته الكثيرة، لأن مهامه العامة كبطريرك تحول دون قيامه بواجباته، بوصفه أسقف الأسكندرية أو القاهرة. فلم يعد بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية فى الزمن الحاضر مجرد أسقف لمدينة بعينها، كما هو الحال بالنسبة مثلاً لأسقف إخميم أو البلينا أو طهطا أو طما.. إن بابا الأسكندرية اليوم هو رئيس أساقفة الكرازة المرقسية جميعا، أبو الآباء، وراعى الرعاة ورئيس رؤساء الكهنة، ... فمن العسير، بل من المستحيل عمليا أن يباشر مسئولياته الأسقفية بصفته أسقف مدينة كرسيه فقط. لذلك لابدّ أن يكون معه فى القاهرة أساقفة مساعدون له فى إختصاصاته، وكذلك الأمر فى الأسكندرية. أما البابا البطريرك نفسه، فيتفرغ لمهام الرئاسة العامة وهى كثيرة جداً، وإلاّ كانت أى مدينة أخرى مثل البلينا أو طما أو إخميم أو ملوى أسعد حظا من القاهرة أو الأسكندرية، لأن لها أسقفها الخاص بها، الذى يمكنه أن يكون (الناظر) عليها فعلاً.

قلنا لقد إقترحنا رسامة أربعة أساقفة عامّين على النحو الآتى :

(١) أسقف عام للتعليم الإكليريكى والتربية الكنسية.

(٢) أسقف عام للخدمات والعلاقات العامة والشئون الإجتماعية.

(٣) أسقف عام لشئون الأقباط فى الخارج.

(٤) أسقف عام للطقوس والرسومات.

وبعد أكثر من ثلاث سنوات، وعلى الدقة، فى ٣٠ من سبتمبر لسنة ١٩٦٢م (٢٠ من توت لسنة ١٦٧٩ ش) قام البابا كيرلس السادس برسامة أسقفين عامّين، هما :

* القمص أنطونيوس من دير العذراء بالسريان، أسقفا عاما للتعليم الإكليريكى والتربية الكنسية باسم (الأنبا شنوده).

* القمص مكارى من دير العذراء بالسريان أسقفا عاما للخدمات والعلاقات العامة والشئون الإجتماعية باسم (الأنبا صموئيل).

فلما نُصِّب نيافة الأنبا شنوده بطريركا ورئيسا لأساقفة الكرسى الأسكندرى، فى ١٤ من نوفمبر لسنة ١٩٧١ باسم البابا شنوده الثالث، رسم قداسته عددا من الأساقفة العامّين فى القاهرة ولشئون أفريقيا وغيرها.

٧ ـ الأسقف والبتولية (١)

سؤال : من الإبن بشاى سيف حنا البدارى ـ العقال البحرى.

يقول : ما سبب منع الأسقف عن الزواج رغم التصريح الكتابى به؟

الجواب :

لعلّ صاحب السؤال يشير إلى ما جاء فى الكتاب المقدّس: (ينبغى أن يكون الأسقف مُنزّهاً عن اللوم، **زوج إمرأةٍ واحدةٍ**) (١ . تيموثيئوس ٣ : ٢).

على أن المعنى من قوله (**زوج إمرأةٍ واحدةٍ**) أن يكون **متزوجاً مرةً واحدة، ولا يجوز أن يُقام أسقفا من تزوّج مرةً أُخرى بعد موت زوجته**، وإلاّ فما هو فضل الأسقف عن أى مسيحىٍ آخر، فإنّ كلّ مسيحى له أن يرتبط بزوجة واحدة، ولا يجوز لمسيحىّ أن يرتبط بأكثر من إمرأة واحدة فى زيجة واحدة. قال المسيح له المجد (أَما قَرأتُم أنّ الذى خلقهما فى البدء جعلهما ذكراً وأُنثى ؟، وقال : لذلك يترُكُ الرّجُلُ أَباهُ وأُمّهُ ويرتبطُ **بزوجتِه، فيَصيرُ الإثنانِ جسَداً واحداً، فلا يكونانِ بَعدُ إثنينِ إذَن وإنّما جسَداً واحداً**. ومِن ثَمّ فما جمعَهُ اللهُ لا ينبغِى أن يُفرّقهُ الإنسانُ) (متى ١٩ : ٤ – ٦).

إن (**وحدة الزيجة**) مبدأ عام لكلّ مسيحى ومسيحية. **فالمسيحية لاتُجيز ولا تُبيح تعدّد الزوجات ولا تعدّد الأزواج. إنما القاعدة المسموح بها فى المسيحية هى : رجل واحد لإمرأة واحدة، وإمرأة واحدة لرجل واحد**، وهى الحالة الأولى التى خلق الله عليها الأسرة البشرية الأولى : آدم وحواء. **إمرأة واحدة لرجل واحد. (فليكن لكل رجل إمرأته، وليكن لكل إمرأة رجلها)** (١ . كورنثوس ٧ : ٢).

ولقد أجازت المسيحية **الزواج الثانى** لمن مات قرينه. فإذا ماتت الزوجة جاز للرجل أن يتزوّج بأخرى. وإذا مات الرجل جاز للمرأة أن تتزوج بآخر.

(إنّ المرأة تظلّ مقيّدة شرعا بزوجها مادام رجلها حيا. فإن رقد رجلها عادت حرة تتزوج من تشاء، ولكن زواجا فى الرّب فقط، غير أنها تكون أكثر غبطة إن بقيت على ما هى عليه) (١ . كورنثوس ٧ : ٣٩، ٤٠).

---

(١) كتب فى ٨ يوليو ـ تموز لسنه ١٩٨٩ م ـ أول أبيب ١٧٠٥ ش.

(فإنّ المرأة المتزوجة تربطها الشريعة بزوجها مادام حيا، فإذا مات زوجها حُلت من شريعة الزوج. وإن صارت إلى رجل آخر وزوجها حيّ، فإنها تُدعى زانية. ولكن إذا مات زوجها تحرّرت من الشريعة، فلا تكون زانية إن صارت إلى رجل آخر) (رومية ٧: ٢، ٣).

فليس صحيحاً أنّ الكنيسة تمنع الأُسقف من الزواج، ولكنّ الصحيح أن **الكنيسة تختار الأسقف من بين البتوليين أو من بين المترملين، أى ممن تزوج مرة واحدة.** والفارق بين العبارتين كبير. فإنّ الزواج مُكرّم فى المسيحية، وهو رابطة مقدسة يعقدها الرّوح القدس، الذى يحلّ على العروسين، باستدعاء الكاهن، أو الكهنة، فى صلوات (قُدّاس الإكليل) الذى يُعقد فى الكنيسة، بيت الله، وأمام الهيكل المقدّس، والكاهن ملتحف بملابسه الكهنوتية ممثلاً للسُّلطة الإلهية التى تربط بين الرجل والمرأة لتجعل منهما جسداً واحداً. وبهذا الإكليل، وقُدّاس الإكليل، تَحِلُّ المرأة للرجل، ويَحِلُّ الرجل للمرأة (وما جَمَعَهُ الله لا ينبغى أن يُفرّقه الإنسان) (متى ١٩: ٦) ويقول الكتاب المقدّس (ليكن الزواج مُكرّماً عند كل واحد، وفراش الزوجية طاهراً) (العبرانيين ١٣: ٤).

قلنا إنّ الكنيسة **تختار الأُسقف من بين البتوليين، ممن لم يسبق لهم زواج، أو من بين المترملين الذين تزوجوا مرة واحدة، أى تزوّجوا زيجة واحدة، ولكنها لا تُبيح إختيار الأسقف ممن تزوجوا مرة أخرى بعد موت الزوجة، وذلك كَلَفاً بالعِفّة التى تليق بالأسقف أكثر مما تليق بالمسيحيين وسائر المؤمنين.**

يقول الكتاب المقدّس فى بيان سبب إيثار البتولية أو الترمل على الزيجة (**غير المتزوج يهتَم فى ما للربّ وكيف يُرضى الربّ. وأمّا المتزوج فيهتم بأمور العالم، وكيف يرضى إمرأته**) (١ . كورنثوس ٧: ٣٢، ٣٣).

ولذلك فإذا أراد القَسّ أو القسيس (وهو فى الدرجة الكهنوتية الثانية تحت الأُسقف) أن يتزوّج بعد وفاة زوجته، فلا تمنعه الكنيسة من الزواج إذا أراد، ولكنّه فى هذه الحالة، **عليه أن يترك خدمة الكهنوت**، لأنه إذا كان من اللائق بالمسيحىّ، من غير الكهنة، أن يقنع بالزيجة الواحدة، ولا يقدم على الزيجة الثانية ـ متى مات قرينه ـ إلاّ إذا كان غير قادر على التعفف (أقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه يحسن بهم أن يبقوا على هذه الحال مثلى، **فإذا لم يطيقوا ضبط أنفسهم فليتزوجوا**، فإنّ التزوّج أفضل من التحرق بالشهوة) (١ . كورنثوس ٧: ٨، ٩) ـ نقول إذا كانت الزيجة الثانية غير مستحبة للمسيحىّ

من عامة المؤمنين، إلا إذا كان غير قادر على ضبط نفسه بالتعفف، **فإنَّ الزيجة الثانية لا تليق بالكاهن إذا ماتت زوجته.** لذلك فإنه إذا أراد القسيس والشماس الدياكون (وهو الشماس الكامل) أن يتزوج بعد موت زوجته، فالكنيسة لا تمنعه من الزواج **ولكن عليه أن يترك خدمة الكهنوت، وينزل إلى مرتبة المؤمن المسيحى الذى ليس بكاهن.**

وعلى ذلك فالمقصود من قول الكتاب المقدَّس ينبغى أن يكون الأسقف ... **(زوج إمرأة واحدة)** هو أنه إذا كان الأسقف قد أختير من بين المتزوِّجين، **فيجب أن يكون متزوجا مرة واحدة فقط، ولا يجوز أن يقام أسقفا من تزوج مرة أخرى بعد موت زوجته.**

وعلى ذلك يمكن أن يُختار الأسقف من بين المتزوجّين على أن يكون من أصحاب (الزيجة الواحدة) ولا يكون من بين من تزّوجوا للمرة الثانية بعد وفاة زوجته.

هكذا كان الأمر بالنسبة لبعض الآباء الرسل ومن بينهم القديس بطرس الرسول وهو الأول فى قائمة التلاميذ (متى ١٠ : ٢) . وعنهم قال الرسول القديس بولس الرسول (أما لنا حق، مثل سائر الرُسل وإخوة الرب، وصفا (بطرس) **أن تصحبنا أُختٌ زوجة ؟)** (١ . كورنثوس ٩ : ٥) أى أنَّ المتزوجين من الآباء الرسل بعد أن تبعوا المسيح له المجد وصاروا من تلاميذه لم يقطعوا صلتهم بزوجاتهم، وإن كانوا قد أوقفوا العلاقات الزواجية، فكان الرسول تصحبه زوجته فى خدمته بمثابة (أخت) أى بغير التواصل الجسدى المباح للمتزوجين. وعن هذا الأمر قال الرسول القديس بطرس لسيده ومعلمه الرب يسوع، تعقيباً على تصريح المعلّم الصالح عن (الخصيان الذين خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السماوات) (متى ١٩ : ١٢) : (فأجاب بطرس وقال له : (ها نحنُ أُولاء **قد تركنا كُلَّ شئ وتبعناك**، فماذا عسى أن يكون نصيبنا؟) .

فقال لهم يسوع : (الحقَّ أقول لكم ... كُلُ من ترك بيوتاً أو إخوةً أو أخواتٍ أو أباً أو أُمّاً أو زوجة أو أبناء أو حقولاً من أجل اسمى، فسيأخذُ مائة ضعف ويرثُ الحياة الأبدية) (متى ١٩ : ٢٧ – ٢٩) (إلاَّ ويأخذُ مائة ضعف ينالها الآن فى هذا الدهر بيوتاً وإخوةً وأخواتٍ وأُمهاتٍ وآباء وأبناء وحقولاً مع إضطهادات. أمّا فى الدهر الآتى فحياة أبدية) (مرقس ١٠ : ٢٨ – ٣٠)، (لوقا ١٨ : ٢٨ – ٣٠) .

ويلاحظ فى هذا النص قول رب المجد إنّ من ترك **زوجة** من أجل اسمه، وفقا لمقتضيات الخدمة والدعوة الرسوليّة لا يأخذ عنها **زوجة**، عوضاً عن التى تركها، لكنه يأخذ بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أمّا أو أبناء أو حقولاً، مائة ضعف. فكلّ بيوت المؤمنين تصير بمثابة بيت له، وكلّ المؤمنين يصبحون له إخوة وأخوات، وآباء وأمهات، وأبناء. فالشباب منهم يصبحون إخوة له. وأخوات، والكبار منهم أى الشيوخ والعجائز يصبحون له آباء وأمهات، والصغار منهم يصبحون له أبناء وبنات. ومهما يكن من أمر فهذا يشير إلى ترك الوصال الجنسى. وبهذا تصير الزوجة بمثابة (**الأخت**) على ما جاء فى (الرسالة الأولى إلى كورنثوس ٩: ٥) عن المتزوّجين من الآباء الرسل. إنهم لم يخرجوا زوجاتهم، ولم ينفصلوا عنهن بتطليقهن، وإنما ساروا فى الخدمة تصحبهم زوجاتهم، وتتبعنهم كأخوات.

وفى تاريخ الكنيسة، أُختير للأُسقفية وللبطريركية رجال من المتزوجين منهم القديس (ديمتريوس) (١٨٨ - ٢٣٠)م الذى عاش **مع زوجته** ثمانية وأربعين عاما قبل إختياره بطريركا، على أنه وزوجته عاشا كل تلك المدّة حافظين لبتولتهما. فكانت زوجته معه كل تلك السنوات (**أختا**) ولم يعرفها معرفة الأزواج. (انظر السنكسار تحت اليوم الثانى عشر من شهر برمهات - ثم تحت اليوم الثانى عشر من شهر بابه).

وتمشياً مع هذا المنطق فى إمكانية إختيار الأساقفة من بين المتزوجين من طراز البابا ديمتريوس الكرّام، لم تمنع الكنيسة إختيار الأساقفة من بين **المترملين**، أى ممن سبق لهم الزواج، وماتت الزوجة، ولم يتخذ له زوجة أخرى بعد موت زوجته.

مرة أخرى نقول إنّ المفهوم الصحيح من قول الكتاب المقدّس (**ينبغى أن يكون الأسقف .. زوج إمرأة واحدة**) **هو أنه لا يجوز أن يقام أسقفا من تزوّج مرة أخرى بعد موت زوجته**. وعلى ذلك فالوجوب - أو عدم التيسير - وهو المعنى من قوله (ينبغى) ينصبُّ لا على الزواج مطلقا بل إنما على **وحدة الزيجة**، أى أنه **لا يتيسّر لمن يقام أسقفا أن تكون له أكثر من زيجة واحدة**. إذ لا يمكن أن يكون المقصود هو وجوب زواج الأسقف ... كما لو كان الأسقف ملزما بالزواج فى حين أنّ الزواج من حيث المبدأ، هو لكل إنسان آخر قضية إختيارية، لا جبر فيها ولا إلزام، **فكيف تكون للأسقف إلزامية وقهرية ؟؟؟ وإذا كانت البتولية فى المسيحية حالة فى الفضيلة أسمى من الزواج، فكيف تكون ممنوعة على الأسقف**، كما لو كانت رذيلة ينبغى للأسقف أن يكون منزها عنها ؟

وما القول فى الآباء الرسل الذين اختاروا البُتُولِيَّة، طريقا أسمى للحياة النقية الطاهرة، والعفة الكاملة، ليكونوا مقدّسين، جسدا وروحا (١ .كورنثوس ٧: ٣٤) ومن بينهم **القديس يوحنا الرسول** الذى وصفه الإنجيل بأنه (التلميذ الذى كان يسوع يحبُّه) (يوحنا ٢١: ٧، ٢٠) ، (١٣: ٢٣) ، (١٩ : ٢٦) ، (٢٠ : ٢)، ومن بينهم **القديس بولس الرسول** الذى يقول بكل وضوح (أقول لغير المتزوجين وللأرامل، إنه يحسن بهم أن يبقوا على هذه الحال، مثلى) ويقول أيضا (**فأريد أن تكونوا من دون همّ. فغير المتزوج يهتم فيما للرب وكيف يرضى الربّ**. وأمّا المتزوّج فيهتم بأمور العالم وكيف يرضى إمرأته. إنّ بين الزوجة والعذراء فرقاً. فالمرأة التى لا زوج لها والعذراء تهتم فيما للرب، **لتكون مقدسّةً، جسداً وروحا**. وأمّا المتزوجة فتهتم بأمور العالم وكيف ترضى زوجها .. **وإذَن مَن زوج إبنته العذراء فعل حسنا. ومن لم يُزوّجها فعل الأحسن**) (١ . كورنثوس ٧: ٨، ٣٢ – ٣٤، ٣٨).

لهذا كله، سارت الكنيسة، على مبدأ حرية الإختيار بالنسبة لقضية الزواج، سواء بالنسبة للمؤمنين المسيحيين بعامة، أو بالنسبة لأصحاب الدرجات الكهنوتية بخاصةٍ.

فلعامة المؤمنين الحق فى إختيار البُتُولية أو الزواج، كُلُّ واحدٍ بحسب إستعداده ورغبته. (١ . كورنثوس ٧: ١، ٢، ٧، ٨، ١٧، ٢٧، ٢٨، ٣٢، ٣٧، ٣٨).

كذلك الأمر بالنسبة لأصحاب الدرجات الكهنوتية. فمن رجال الكهنوت من يختارون البُتُولية طريقهم، ومنهم من يختارون الزواج.

على أنّ الذين يختارون الزواج طريقهم، يتزّوجون قبل الرسامة الكهنوتية. **فإذا ماتت الزوجة فلا يجوز له أن يتزّوج مرة أُخرى وهو كاهن**. فإذا أراد الزواج مرة ثانية فهو حرّ فى ذلك على أن يترك خدمة الكهنوت، لأنّ هذه الخدمة الإلهية تقتضى أسمى درجة من الطهارة والنقاء فى الروح وفى الجسد (١ . كورنثوس ٧: ٣٤) كما فعل المتزوجون من الآباء الرسل بعد قبولهم دعوة الكهنوت، فقد تركوا العلاقات الزواجية كلفا بالعفة الكاملة.

جاء فى القانون ١٧ من قوانين الرسل :

(إن كلٌ من تزوّج مرتّين بعد المعمودية ... لا يجوز له أن يصير أُسقفا أو قسيسا أو شمّاسا) .

وجاء فى قوانين القديس باسيليوس الكبير

قانون ١٢ - (يُمنع من تزوج زيجة ثانية من القبول فى إحدى الدرجات الكهنوتية) .

٨ ـ الفضائل الإثنتا عشرة (١)

من بين الألحان والترانيم الكنسية التى يرتلها المرتلون فى أثناء خدمة القدّاس، هذا اللحن المسمّى (لحن الفضائل)، ويقولونه عادة فى حضور البابا البطريرك، أو الأسقف، بعد إختيار واحدة من القربان وتبريكها لتكون فى المصطلح الكنسى قربانة (الحمل) المرفوع ذبيحة عن الأحياء والراقدين، ومايتلو ذلك من صلوات طقسية، وبعد قراءة الفصل الأول من فصول القراءات، وهو (البولس)، الفصل المأخوذ من رسائل القديس بولس الرسول الأربع عشرة.

هذا اللحن الذى يتلوه المرتلون فى حضور البابا البطريرك، أو فى حضور المطران أو الأسقف، والمعروف بلحن (الفضائل الإثنتا عشرة)، المقصود منه أن يكون صلاةً وضراعةً إلى الله عن البطريرك أو المطران، أو الأسقف، لتكتمل له فى نفسه، هذه الفضائل، خاصة وقد صار (مشهداً للعالم والملائكة والناس) (١ . كورنثوس ٤ : ٩) يرى فيه المؤمنون قدوة ومثالاً يحتذونه ويتمثلون به، على ما يقول الرسول بولس (**إقتدوا بى مثلما أقتدى أنا بالمسيح**) (١ . كورنثوس ١١ : ١) (**فأناشدكم أن تقتدوا بى**) (١ . كورنثوس ٤ : ١٦) (**إقتدوا بى أيها الإخوة**. وأنظروا الذين يسيرون على مثالنا) (فيلبى ٣ : ١٧) واعملوا بما تعلمتموه منىّ، وأخذتموه عنى وسمعتموه منى ورأيتموه فىّ) (فيلبى ٤ : ٩). اقرأ أيضا (١ . تسالونيكى ١ : ٦)، (٢ . تسالونيكى ٣ : ٧، ٩).

هذا اللحن هو صلاة وإبتهال إلى الله من الكنيسة متمثلة فى الإكليروس وكل الشعب، يسألون الله من أجل البطريرك أو المطران أو الأسقف أن يسكب الله عليه موهبة الروح القدس فيتحلى بهذه الفضائل الإثنتى عشرة، حتى يصير بها قدوة للمؤمنين، وليكون صورة للكمال الذى يزيّن الكهنوت الذى منه وعنه يأخذ سائر المؤمنين مواهب الروح القدس. فالبطريرك أو الأسقف فيه (كمال الكهنوت)، ومنه يأخذ أصحاب الدرجات الكهنوتية الأخرى نعمة الله عليهم، ومنه ينال المؤمنون مواهب الروح القدس بوصفه وكيل الله (لوقا ١٢ : ٤٢)، (تيطس ١ : ٧) و (وكيل أسرار الله) (١ . كورنثوس ٤ : ١). لذلك يضرعون إلى الله أن يكون البطريرك أو الأسقف متحليا بالفضائل الإثنتى عشرة، متلبسا بها مثل الثوب، فيصير كفؤا للقيام بمهام رسالته الخطيرة، نائباً عن المسيح فيها. وإذا كان المسيح هو رأس الكنيسة غير المنظور،

---

(١) كتب فى ١١ من أبريل ـ نيسان لسنة ١٩٨٦م ـ ٢ من برموده لسنة ١٧٠٢ش.

فالبطريرك أو المطران أو الأسقف فى إيبارشيته هو رأس الكنيسة المنظور. ولذلك فإن ملابس الخدمة الكهنوتية التي يرتديها البطريرك أو الأسقف هى على غرار الحلّة التى ظهر فيها المسيح له المجد فى الرؤيا للقديس يوحنا الرسول، كما يتضح على الخصوص من الأصحاح الأول من هذا السفر النبوىّ الإلهى (الرؤيا ١: ١٣، ١٤).

ولماذا كانت الفضائل إثنتى عشرة فضيلة ؟

ذلك لأن **الرقم ١٢ هو من أعداد الكمال، وهو عدد رسل المسيح وتلاميذه الإثنى عشر** (مرقس ٣: ١٤)، (لوقا ٦: ١٣)، (متى ١٩: ٢٨)، (الرؤيا ١٢: ١) (٢١: ١٤).

وإذا كانت الكنيسة على الأرض هى طاقة تطل على السماء، وهى ملكوت الله على الأرض، وهى أورشليم فى الأرض، فإن أورشليم السمائية التى نتطلع إليها، يصفها سفر الرؤيا بأنه (لها سور عظيم شامخ، **له إثنا عشر بابا**، وعلى الأبواب **إثنا عشر ملاكا**، وفيها أسماء مكتوبة هى أسماء أسباط بنى إسرائيل الإثنى عشر..) (**وأما الأبواب الإثنا عشر فهى إثنتا عشرة لؤلؤه**، كل باب منها لؤلؤة) (ويقوم سور المدينة على **إثنى عشر أساسا**، على كل واحد منها إسم من أسماء رسل الحمل الإثنى عشر) (سفر الرؤيا ٢١ : ١٢ – ١٤).

أما هذا اللحن الكنسى الذى يقال فى حضور البابا البطريرك أو المطران أو الأسقف، فنصّه كالآتى :

(الإثنتا عشرة فضيلة التى للروح القدس، والمكتوبة فى الكتب المقدسة، والآتية أسماؤها، فلتحلّ على رأس أبينا الطاهر رئيس الكهنة (البابا أنبا ..) وشريكه فى الخدمة الرسولية أبينا المطران أو الأسقف (أنبا ...).

(فليثبته إله السماء على كرسيه سنين كثيرة وأزمنة سلامية. وليُخضِع أعداءه جميعا تحت قدميه سريعا.

أطلب من المسيح عنّا ليغفر لنا خطايانا بسلام، كعظيم رحمته).

هذه الفضائل الإثنتا عشرة، ترتلها فرقتان من المرتلين : كل فرقة منهما تذكر من أسماء الفضائل، ثلاثا منها فقط، وتتلوها بالدعاء .... (هذه الفضائل، فلتحلّ على رأس أبينا الطاهر .. الخ).

ثم تتناوب معها الفرقة الأُخرى من المرتلين فتتلو أسماء **ثلاث الفضائل الأخرى** التى تجئ فى الترتيب بعد الثلاثة الأولى، وتعقّب عليها بالدعاء عينه :

(هذه الفضائل، فلتحلّ على رأس أبينا الطاهر .... الخ).

وهكذا يرتلون أسماء الفضائل الثلاثة التالية **من السابعة إلى التاسعة** ومن بعدها الدعاء (هذه الفضائل فلتحل على رأس أبينا الطاهر ... الخ).

وأخيراً يأتى دور **الفضائل من العاشرة إلى الثانية عشرة**، ومن بعدها الإبتهال والدعاء بأن تحل جميع تلك الفضائل على رأس أبينا الطاهر ... الخ.

على أنه بعد كل مرة من ترتيل إحدى الفرقتين، تردّ الفرقة الأخرى قائلة : **آمين**. أما بعد الفراغ من تلاوة جميع الفضائل الإثنتى عشرة، تردد الفرقتان معاً، ومعهما كل الشعب **(آمين) ثلاث مرات.**

هذه الفضائل الإثنتا عشرة ترتلها الفرقتان على النحو التالى :

١ ـ الأولى : المحبة الثانية : الرجاء الثالثة : الإيمان

٢ ـ الرابعة : الطهارة الخامسة : البتولية السادسة : السلام

٣ ـ السابعة : الحكمة الثامنة : البر التاسعة : الوداعة

٤ ـ العاشرة : الصبر الحادية عشر : طول الروح

الثانية عشرة : النسك.

الفضيلة الأولى : المحبة ⲧⲁⲅⲁⲡⲏ **باليونانية** ἀγάπη .

أما ثلاث الفضائل الأولى : **المحبة، والرجاء والإيمان** فهى مذكورة فى الكتاب المقدس أنها أعظم جميع الفضائل.

جاء فى رسالة القديس بولس الأولى إلى كورنثوس (والذى يثبت الآن **هو الإيمان والرجاء والمحبة، هذه الثلاثة. وأعظمهن المحبة)** (١٣:١٣).

ولما كانت المحبّة هى أعظم جميع الفضائل فقد شغلت المركز الأول بين الفضائل الإثنتى عشرة التى تضرع الكنيسة أن تحل على رأس البابا البطريرك أو المطران أو الأسقف، وأن يتحلّى بها، ويتلبّس بها مثل الثوب. وهى وصيّة الرب يسوع التى جمع فيها الوصايا

العشر: **محبة الله ومحبّة القريب** (أن تُحبّ الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك. هذه هى الوصية العظمى والأولى. والوصية الثانية التى تماثلها هى أن **تُحبّ قريبك حبّك لنفسك**. فبهاتين الوصيّتين تتعلق الشريعةُ كلّها وأقوال الأنبياء. فما من وصية أخرى أعظم من هاتين) (متى ٢٢: ٣٧ - ٤٠)، (مرقس ١٢: ٣٠، ٣١)، (لوقا ١٠: ٢٧). وقال له المجد لتلاميذه (وصية جديدة أنا أُعطيكم **أن تُحبُّوا بعضكم بعضاً**. كما أحببتكم أنا **تحبون أنتم أيضا بعضكم بعضاً**. بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إن كان لكم حبّ بعضا لبعض) (يوحنا ١٣: ٣٤، ٣٥) (**هذه هى وصيّتى أن تُحبُوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا**) (يوحنا ١٥: ١٢)، (١. يوحنا ٣: ٢٣) (٤: ٢١)، (٢. يوحنا ٥:)

وقال الرسول بولس (**المحبة هى رباط الكمال**) (كولوسى ٣: ١٤) وقال (وأمّا غاية الوصية فهى **المحبة** من قلب طاهر، وضمير صالح. وإيمان بلا رياء) (١. تيموثيئوس ١: ٥).

وقال الرسول بولس يطالب الأسقف (كن قدوة للمؤمنين .. **فى المحبة**) (١. تيموثيئوس ٤: ١٢).

الفضيلة الثانية - الرجاء ⲧⲉⲗⲡⲓⲥ **وباليونانية** ἐλπίς .

وأمّا عن فضيلة الرجاء، فيقول فيها الرسول بولس (فلنصحُ لابسين درع الإيمان والمحبّة وخوذة هى **رجاء الخلاص**) (١. **تسالونيكى** ٥: ٨). وجميل أن يجمع هذا النصّ بين الفضائل الثلاثة الأولى **الإيمان والمحبّة والرجاء**.

ويقول أيضا (ألقينا **رجاءنا** على الله الحىّ الذى هو مخلّص جميع الناس ولاسيما المؤمنين) (١. تيموثيئوس ٤: ١٠) (منتظرين **الرجاء** المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلّصنا يسوع المسيح) (تيطس ٢: ١٣)، (٣: ٧)، (١: ٢) وقال أيضا (لنمسك **بالرجاء** الموضوع أمامنا) (العبرانيين ٦: ١٨).

أنظر أيضا (أعمال ٢٤: ١٥)، (رومية ٥: ٤)، (١٥: ٤)، (١. كورنثوس ١٥: ١٩)، (٢. كورنثوس ٣: ١٢)، (٢. تسالونيكى ٢: ١٦)، (أفسس ١: ١٢)، (كولوسى ١: ٢٧)، (١. بطرس ١: ٣، ١٣، ٢١)، (٣: ١٥).

الفضيلة الثالثة : الإيمان ⲧⲡⲓⲥⲧⲓⲥ **وباليونانية** πίστις .

وأما عن فضيلة **الإيمان**.

فقد قال المسيح له المجد (جوهريات الشريعة هى العدل والرحمة والإيمان) (متى ٢٣ : ٢٣) وقال الرسول بولس (حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذى به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة) (أفسس ٦ : ١٦) وقال (فلنصحُ لابسين درع الإيمان) (١ . تسالونيكى ٥ : ٨) وقال أيضا (بدون الإيمان لا يمكن إرضاؤه) (العبرانين ١١ : ٦).

ولأهمية الإيمان، يشترط الوحى الإلهى فى الأُسقف أن يكونَ (غير حديث الإيمان) (١ . تيموثيوس ٣ : ٦). أنظر أيضا (العبرانيين ١٠ : ٢٢)، (١ . بطرس ٥ : ٩).

وأما **المجموعة الثانية من الفضائل** التى ينبغى أن يتحلى بها البطريرك أو الأسقف فهى : **الطهارة، ثمّ البتولية، ثمّ السلام.**

الفضيلة الرابعة : الطهارة ⲡⲓⲧⲟⲩⲃⲟ **وباليونانية** ἁγνότης .

أما عن الطهارة، فهى مطلوبة للمؤمنين بعامةٍ وللبطريرك أو الأسقف بخاصةً. يقول الرسول بولس (فى كل شئ نظهر أنفسنا كخدّام الله ... فى **طهارة**، فى علم فى أناة) (٢ . كورنثوس ٦ : ٦) (أنتم شهود، والله شاهد أيضا كيف **بطهارة** وبر وبلا لوم، كنا بينكم أنتم المؤمنين) (١ . تسالونيكى ٢ : ١٠) ويقول للأسقف (كن قدوة للمؤمنين ... **فى الطهارة**) (١ . تيموثيوس ٤ : ١٢).

الفضيلة الخامسة :البتولية ⲧⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲓⲁ **وباليونانية** παρθενία .

وأما **البتولية**، فإذا كانت مندوبا إليها للمؤمنين بعامة، **فهى بالأحرى أن تكون متوفرة فى البابا البطريرك والأسقف**. يقول المسيح له المجد (يوجد **خصيان خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السماوات**. فمن استطاع أن يَقبل فليَقبل) (متى ١٩ : ١٢). ويقول الرسول بولس (أقول لغير **المتزوجين** وللأرامل **إنه يحسن بهم أن يبقوا على هذه الحال، مثلى**. فإذا لم يُطيقوا ضبط أنفسهم فليتزوّجوا) (١ . كورنثوس ٧ : ٨). (إنى أريد أن تكونوا من دون همّ، فإن **غير المتزوج يهتم فيما للرب وكيف يرضى الربّ**، وأما المتزوج فيهتم بأمور العالم وكيف يرضى إمرأته، فهو منقسم) (١ . كورنثوس ٧ : ٣٢، ٣٣).

الفضيلة السادسة : السلام ⲧⲥⲓⲣⲏⲛⲏ **وباليونانية** *εἰρήνη* .

وأما عن فضيلة **السلام**، فهى مطلوبة فى البطريرك أو الأسقف على الخصوص. قال المسيح له المجد (**سعداءُ هم صانعو السّلام**، فإنهم أبناء الله يُدعون) (متى ٥: ٩) . ويقول الرسول بولس (ما أجمل أقدام المبشرين **بالسلام**، المبشّرين بالخيرات) (رومية ١٠: ١٥) ويقول (فلنعكف إذن على ما هو **للسلام** .... بعضنا لبعض) (رومية ١٤: ١٩) ويقول أيضا (عيشوا **بالسلام**. وإله المحبة **والسلام** سيكون معكم) (٢ . كورنثوس ١٣: ١١) ثم (اتبعوا **السلام** مع الجميع) (العبرانيين ١٢: ١٤) وأيضا (ثمر البرّ يُزرع فى **السّلام** للذين يعملون من أجل السلام) (يعقوب ٣: ١٨) كذلك (من أراد أن يُحب الحياة ويرى أياما صالحة ليطلب السلام ويسعى إليه) (١ . بطرس ٣: ١١) .

وأما المجموعة الثالثة من الفضائل الإثنتى عشرة **فهى الحكمة، ثمّ، البرّ، ثمّ الوداعة.**

الفضيلة السابعة : الحكمة ⲧⲥⲟⲫⲓⲁ **وباليونانية** *σοφία* .

أمّا (**الحكمة**) فهى فضيلة لا غنى للبطريرك أو المطران أو الأُسقف عنها، فهى ضرورية لحسن التصرف فى معاملة المؤمنين وغير المؤمنين، وإلاّ فإنه يضرُّ نفسه ويضرُّ الكنيسة، وقد يتسبب فى هلاك الناس وتجديفهم على الله. أما الحكيم فيربح الناس لملكوت الله. جاء فى الكتاب المقدس (ورابح النفوس **حكيم**) (أمثال ١١: ٣٠) . وقال المسيح له المجد لتلاميذه ورسله عندما أرسلهم للبشارة باسمه : (هاأنذا أُرسلكم كخراف بين ذئاب، **فكونوا حكماء** كالحيّات وودعاء كالحمام) (متى ١٠: ١٦) وقال الرب (فمن تراه ذاك العبدُ الأمين **الحكيم** الذى يُقيمه سيّده على عبيده ليعطيهم طعامهم فى حينه) (متى ٢٤: ٤٥) . (لوقا ١٢: ٤٢) . وقد وعد المسيح تلاميذه بأن يهبهم الحكمة لأنهم سيكونون فى حاجة ماسة إليها فى خدمتهم ومعاملتهم للناس، حكاما ومحكومين (لأننى سأُعطيكم طلاقة فم **وحكمة**، لن يستطيع كلُّ خصومكم أن يُقاوموها أو يناقضوها) (لوقا ٢١: ١٥) وعندما أراد الرسل أن يقيموا السبعة الشمامسة طالبوا المؤمنين أن ينتخبوا هم من المشهود لهم، وعلى أن يكونوا (**ممتلئين من** الروح القدس **والحكمة**) (أعمال الرسل ٦: ٣) وقال الرسول بولس (**أنظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء**) (أفسس ٥: ١٥) (كونوا **حكماء** فى معاملة الذين هم

من خارج) (كولوسى ٤ : ٥) . وقال الرسول يعقوب (من هو **حكيم** وعالم بينكم فليرِ أعماله بالتصرف الحسن فى وداعة **الحكمة**) (يعقوب ٣ : ١٣) .

والحكمة من مواهب الروح القدس (١ . كورنثوس ١٢ : ٨) ، (أفسس ٣ : ١٠)، (١ : ٨) .

وقد قال الكتاب المقدس عن يوسف الصديق إنّ الله (أتاه حظوة **وحكمة** عند فرعون ملك مصر) (أعمال ٧ : ١٠) وعن سليمان بن داود (أتى الله سليمان حكمة وفهماً... ففاقت **حكمة سليمان** حكمة جميع أهل المشرق، وكل حكمة مصر) (١ . الملوك ٤ : ٢٩ ، ٣٠) ، واسطفانوس رئيس الشمامسة وأول الشهداء تصدّى له أُناس وأخذوا يجادلونه (فلم يستطيعوا أن يقاوموا **الحكمة** والروح اللذين ينطقان بلسانه) (أعمال ٦ : ٩ ، ١٠) . وقد شهد القديس بطرس بالحكمة التى وهبها الله للقديس بولس الرسول، يقول (كما كتب إليكم بذلك أخونا الحبيب بولس على قدر ما منحه الله من **الحكمة**) (٢ . بطرس ٣ : ١٥) . هذه الحكمة التى يقول فيها الرسول بولس (بحسب نعمة الله المعطاه لى **كبناء حكيم** قد وضعت الأساس وآخر يبنى عليه) (١ . كورنثوس ٣ : ١٠) .

إقرأ أيضا (متى ٢٣ : ٣٤) ، (لوقا ١٦ : ٨) ، (رومية ١٦ : ١٩) ، (كولوسى ١ : ٩، ٢٨)، (٢ : ٢٣) ، (٣ : ١٦)

الفضيلة الثامنة : البر †ⲇⲓⲕⲉⲟⲥⲩⲛⲏ **وباليونانية** δικαιοσύνη .

والبر Dikaiocyn هو الصدق، والعدل، والحق، والصلاح، والإحسان، والطاعة، فمن (برّ) الله، أطاعه.

ومن (برّ) والدَه، أحسن معاملته عن حبّ.

ومن (برّ) فى قوله، صدق فيه.

ومن (برّ) الناس، أحسن إليهم.

وفضيلة (البرّ) فى البطريرك والمطران والأسقف هى طاعته لله، والعمل بوصاياه، وسلوكه بالحق والعدل والإستقامة فى مسيرته أمام الله والناس، وصلاحه وخيريته وإحسانه للناس بالقول والفعل، ورحمته بالفقراء منهم.

وعن (البرّ) بمعنى (الطاعة) لله ولأحكام الشريعة.

قال المسيح له المجد (يليق بنا أن نُتمِّ كل برّ) (متى ٣ : ١٥). وقال زكريا الكاهن فى تسبحته للرب : (فنعبده بلا خوف، فى قداسة و(برّ) أمامه كل أيام حياتنا) (لوقا ١: ٧٤ ، ٧٥).

وقال القديس بطرس (الذى يتقيه ويصنع **البرّ** مقبول عنده) (أعمال الرسل ١٠ : ٣٥).

وقال القديس بولس (فآمن إبراهيم بالله فحسب له برا) (رومية ٤: ٣، ٥، ٩، ٢٢)، (غلاطية ٣: ٦) ، (يعقوب ٢: ٢٣).

وعن (البرّ) بمعنى (العدل) :

يقول الرسول بولس (لأنه قد عيّن يوما فيه يدين العالم بـ **(العدل)** (أعمال ١٧ : ٣١). (لأنه متمم أمرٍ وقاضٍ **بالبرّ**) (رومية ٩: ٢٨).

وجاء فى سفر الرؤيا (ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا فرس أبيض، والجالس عليه يدعى أمينا وصادقا و (**بالعدل**) يحكم) (الرؤيا ١٩: ١١).

وعن (البر) بمعنى (الحق) :

قال المسيح له المجد (سعداء هم المضطهدون من أجل **الحق**، فإن لهم ملكوت السماوات) (متى ٥: ١٠).

(اطلبوا أولاً ملكوت الله **وبرّه**، (متى ٦: ٣٣).

(لأنه قد جاء إليكم يوحنا فى طريق (**الحق**) فلم تؤمنوا به) (متى ٢١ : ٣٢).

ويقول الرسول بطرس (إن تألمتم من أجل **البرّ** فطوباكم) (١ . بطرس ٣: ١٤).

وعن (البر) بمعنى (الصلاح) :

قال المسيح له المجد (سعداء هم الجياع والعطاش إلى **البر**) (متى ٥: ٦).

وقال الرسول بولس لعليم الساحر، (أيها الممتلئ كل غش، وكل خبث، يا إبنَ إبليس، يا عدو كل **برّ**) (أعمال ١٣: ١٠).

وقال سفر الأعمال عن القديس بولس (كان يتكلم عن **البرّ** والتعفف والدينونة العتيدة) (أعمال ٢٤ : ٢٥).

ويقول القديس الرسول بولس (قدموا أعضاءكم عبيدا **للبرّ** للقداسة) (رومية ٦ : ١٩).

وقال (وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى (**البرّ**) وقداسة الحق) (أفسس ٤ : ٢٤).

وقال الرسول القديس بطرس (حفظ نوحا ثامنا كارزا **للبر**) (٢ . بطرس ٢ : ٥).

وعن (البر) بمعنى (الإحسان، وصنع الخير) :

قال المسيح له المجد (**إن لم يزد برّكم على برّ** الكتبة والفريسيين، لن تدخلوا ملكوت السماوات) (متى ٥ : ٢٠).

وقال الرسول بولس (قدّموا ذواتكم كأحياء من بين الأموات، أعضاءكم آلات برّ لله) (رومية ٦ : ١٣).

وعن القديسين (بالإيمان قهروا ممالك صنعوا **برا**) (العبرانيين ١١ : ٣٣).

وقال الرسول يوحنا (إن علمتم أنه **بار** هو، فاعلموا **أن كل من يصنع البرّ مولود منه**) (١ . يوحنا ٢ : ٢٩)، (٣ : ٧، ١٠).

الفضيلة التاسعة : الوداعة †ⲙⲉⲧⲣⲉⲙⲣⲁⲧⲱ **وباليونانية** πραότης .

والوداعة هى السكينة والطمأنينة والوقار وهى أيضا اللطف والدماثة والرقة والحِلم والهدوء والرَزَانَة.

والبطريرك والأسقف ينبغى أن يكون **متصفا بالوداعة** التى اتصف بها المسيح له المجد، إذ قال (وتعلّموا منى أنا **الوديع**) (متى ١١ : ٢٩)، (متى ٢١ : ٥) و (زكريا ٩ : ٩).

وقال المسيح أيضا (سعداء هم **الودعاء**، فإنهم سيرثون الأرض) (متى ٥ : ٥).

وقال الرسول بولس (أطلب إليكم **بوداعة** المسيح وحلمه) (٢ . كورنثوس ١٠ : ١).

وقال (وأما ثمر الروح فهو المحبة والفرح والسلام ... **والوداعة**) (غلاطية ٥ : ٢٢، ٢٣).

وقال (أيها الإخوة إذا سقط أحد فى زلة، فأصلحوا أنتم الروحيين مثل هذا بروح **الوداعة**) (غلاطية ٦ : ١).

وقال (فأطلب إليكم أنا الأسير فى الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم بها، بكل تواضع **ووداعة** وأناة، محتملين بعضكم بعضا بالمحبة) (أفسس ٤: ١، ٢).

وقال للأسقف تيموثيئوس (وأما أنت يا رجل الله **إتبَع** البرّ والتقوى والإيمان والمحبة والصبر، **والوداعة**) (١. تيموثيئوس ٦: ١١).

وقال القديس يعقوب الرسول (من هو حكيم وعالم بينكم فليرِ أعماله بالتصرف الحسن فى **وداعة** الحكمة) (يعقوب ٣: ١٣).

وقال الرسول بطرس (قدسوا الرب الإله فى قلوبكم مستعدين دائما لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذى فيكم، ولكن **بوداعة** ومهابة) (١. بطرس ٣: ١٥، ١٦).

أنظر أيضا واقرأ (١. كورنثوس ٤: ٢١)، (تيطس ٣: ٢)، (يعقوب ١: ٢١)، (يشوع بن سيراخ ٣: ١٩)، (٤: ٨)، (٣٦: ٢٥).

وأما **المجموعة الرابعة** من الفضائل الإثنتى عشرة فهى: الصبر، وطول الروح، والنسك.

الفضيلة العاشرة: الصبر ⲧⲉⲙⲡⲟⲙⲟⲛⲏ **وباليونانية** ὑπομονή.

والصبر هو التجلد وعدم الشكوى من ألم البلوى، وهو أيضا الإحتمال والثبات.

ولاشك أن الأُسقف أو البطريرك ينبغى أن يتصف **بفضيلة الصبر**، حتى يتجلّد ويحتمل متاعب الخدمة والمخدومين من الإكليروس والشعب.

يقول المسيح له المجد (وأما ما سقط فى الأرض الجيّدة فهم الذين يسمعون الكلمة بقلب أمين صالح، ويحفظونها، ومع **الصبر** يثمرون) (لوقا ٨: ١٥) (فبثباتكم تكسبون أنفسكم) (لوقا ٢١: ١٩).

ويقول الرسول بولس (فى كل شئ نظهر أنفسنا **كخدام الله فى صبر** كثير فى شدائد) (٢. كورنثوس ٦: ٤).

(إن علامات الرسول صُنعت بينكم، فى كل **صبر**) (٢. كورنثوس ١٢: ١٢) ويقول للقديس تيموثيئوس الأسقف (وأما **أنت يارجل الله ... إتبع** البرّ والتقوى ... **والصبر**) (١. تيموثيئوس ٦: ١١).

(وأما أنت فقد تبعت تعليمى وسيرتى وقصدى وإيمانى وأناتى ومحبتى وصبرى) (٢ . تيموثيئوس ٣: ١٠).

ويقول ماريعقوب الرسول : ها نحن نُطوِّب الصابرين. قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب) (يعقوب ٥: ١١).

ويقول القديس يوحنا الرائى (أنا يوحنا أخوكم وشريككم فى الضيقة وفى ملكوت يسوع المسيح وصبره) (الرؤيا ١: ٩).

وجاء فى سفر الرؤيا قول المسيح له المجد إلى أسقف أفسس : (أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك .... وقد إحتملتَ ولك صبر وتعبتَ من أجل إسمى ولم تكِلّ) (الرؤيا ٢: ٢، ٣).

وإلى أسقف الكنيسة التى فى ثياتيرا (أنا عارف أعمالك ومحبتك وخدمتك وإيمانك وصبرك، وأن أعمالك الأخيرة أكثر من الأولى) (الرؤيا ٢: ١٨، ١٩).

أنظر أيضا وإقرأ (رومية ٢: ٧) ، (٥: ٣، ٤) ، (٨: ٢٥) ، (١٥: ٤، ٥) ، (٢ . كورنثوس ١: ٦) ، (كولوسى ١: ١١) ، (١ . تسالونيكى ١: ٣) ، (٢ . تسالونيكى ١: ٤) ، (٣: ٥)، (تيطس ٢: ٢) ، (العبرانيين ١٠: ٣٦) ، (١٢: ١) ، (يعقوب ١: ٣، ٤) ، (٢ . بطرس ١: ٦)، (الرؤيا ٣: ١٠) ، (١٣ : ١٠) ، (١٤: ١٢).

الفضيلة الحادية عشرة : طول الروح ⲧⲙⲉⲧⲣⲉϥⲙⲟⲩⲛⲉϩⲏⲧ

وباليونانية *μακροθυμία* .

وطول الروح، معناه طول الأناة، والتمهل، والإنتظار، والتأنى، والإبطاء، وعدم التعجل فى الأمور، والبطء فى الغضب، والصبر على الأذى، والإحتمال، والحلم.

ولابد للأسقف أو البطريرك أن يكون طويل الروح، فلا يتعجل الأمور، ولا يسع إلى الغضب. وإنما على العكس ينبغى أن يتصف بالتمهل، والإنتظار، وطول الأناة، والتأنى، وإحتمال الأذى بصبر.

يقول الرسول بولس (أفتظن هذا أيها الإنسان... أنك تنجو من دينونة الله. أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته) (رومية ٢: ٤).

(الله .... احتمل **بأناة كثيرة** آنية غضب) (رومية ٩: ٢٢).

ويقول أيضا (فى كل شئ نُظهر أنفسنا **كخدام الله** فى صبر كثير ... **فى أناة**، فى لطف) (٢. كورنثوس ٦: ٦).

(وأما ثمر الروح فهو المحبة، والفرح، والسلام، **وطول الأناة**) (غلاطية ٥: ٢٢).

(فأطلب إليكم أنا الأسير فى الرب، أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم إليها، بكل تواضع وداعة **وبطول أناة**، محتملين بعضكم بعضا فى المحبة) (أفسس ٤: ١، ٢).

ويقول لتلميذه الأُسقف (وأما أنت فقد تبعتَ تعليمى وسيرتى وقصدى وإيمانى **وأناتى**) (٢. تيموثيوس ٣: ١٠).

(وبّخ انتهر عظ **بكل أناة**) (٢. تيموثيئوس ٤: ٢).

ويقول القديس يعقوب الرسول : (خذوا يا إخوتى مثالاً لإحتمال المشقات **والأناة**، الأنبياء الذين تكلّموا باسم الرب) (يعقوب ٥ : ١٠). (ونطلب إليكم أيها الإخوة .... شَجّعوا صغار النفوس. إسندوا الضعفاء تأنوا على الجميع) (١. تسالونيكى ٥ : ١٤).

إنظر وإقرأ (لوقا ١٨: ٧) ، (أعمال الرسل ٢٦: ٣) ، (١. كورنثوس ١٣: ٤)، (كولوسى ١: ١١) ، (٣: ١٢)، (١. تيموثيئوس ١: ١٦) ، (العبرانيين ٦: ١٢، ١٥)، (يعقوب ٥: ٧، ٨) ، (٢. بطرس ٣: ٩، ١٥).

الفضيلة الثانية عشرة : النسك †εγκρατια **وباليونانية** *ἐγκράτεια* .

والنسك بالعربية هو التزهد والتقشف تعبدا لله، وتحقيق الصفاء للنفس والتطهر من الدنس.

وبالقبطية واليونانية **هو ضبط النفس وتمالكها، والتعفف، والإعتدال، وهو أيضا كبح جماح النفس عن الشهوة الجنسية بخاصة، وفى سبيل ذلك يمارس العابد فضيلة الصوم التى بها يروّض غريزة الطعام**، وهى غريزة الحياة الأولى، فإذا روّضها أمكنه أن يروّض الغرائز الأخرى، وبالتالى يتمالك نفسه ويكبح جماح شهواته، فيصير عفيفاً.

هذه الفضيلة، فضيلة النُسك، أو ضبط النفس، والعفاف، والإعتدال، من أهم الفضائل التى ينبغى للأسقف أو البطريرك أن يتحلى بها.

يقول الرسول بولس فى مؤهلات الأسقف (وإن الأسقف وهو وكيل الله، يجب أن يكون منزها عن اللوم، غير معجب بنفسه، ولا سريع الغضب، **ولا مدمن الخمر**، ولا سريع الضرب، ولا طامع فى الربح القبيح بل مضيفا للغرباء، محبا للخير، عاقلاً، باراً، تقياً، عفيفاً) (تيطس ١: ٧، ٨).

ويقول الرسول بولس (كل من يجاهد **يضبط نفسه فى كل شئ**. أما أولئك فلكى ينالوا إكليلا يفنى وأما نحن فإكليلا لا يفنى) (١ . كورنثوس ٩: ٢٥).

ويقول أيضا (وأقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه يحسن بهم أن يبقوا على هذه الحال، مثلى، فإذا لم يطيقوا **ضبط أنفسهم** فليتزوجوا) (١ . كورنثوس ٧: ٨، ٩).

ويقول أيضاً (وأما ثمر الروح فهو المحبة، والفرح، والسلام، وطول الأناة، واللطف، والصلاح، والإيمان، والوداعة، **والعفاف**) ... والذين هم للمسيح قد صلبوا أجسادهم مع الأهواء والشهوات) (غلاطية ٥: ٢٢ - ٢٤).

ويقول ماربطرس الرسول (وزيدوا على إيمانكم الفضيلة، وعلى الفضيلة التعقل، وعلى التعقل **العفاف**، وعلى **العفاف** الصبر) (٢ . بطرس ١: ٥، ٦).

أنظر وأقرأ (أعمال الرسل ٢٤: ٢٥).

١ ـ تلك هى الفضائل الإثنتا عشرة التى ينبغى أن تكون متوفرة فى البابا البطريرك أو الأسقف والمطران، والتى بها يتأهل لمسئوليته الكبيرة بوصفه الراعى الأكبر لقطيع المسيح، والقائد الأعلى لجيش الخلاص، ومن دونها لن يكون جديراً بمسئوليته الرعائية، ولن يكون خليقا بمكانته القيادية فى الروحانية العالية.

٢ ـ وليس معنى هذا أن البابا البطريرك أو الأسقف والمطران، ينبغى أن يكتفى بهذه الفضائل الإثنتى عشرة إنّما هذه الفضائل الإثنتا عشرة هى أهم الفضائل المسيحية وأبرزها. أما الفضائل المسيحية الروحية والقيادية فكثيرة ومتعددة. فإذا إمتلك البطريرك والأسقف الإثنتى عشرة فضيلة، فإنه يمكنه بعد ذلك أن يقتنى غيرها من الفضائل التى تتولد منها، فإنّ الفضيلة إذا ملكت القلب، ونفذت إلى النفس واتّحدت بالدم، فلا تلبث أن تنمو وتمتد

وتتوالد وتتكاثر، كما يحدث لنبتة إذا زُرعت، فإنها بقدر ما تمتد فى الأرض جذورها، تخرج وتمتد طولاً وعرضاً، وتعلو وتنمو، وتثمر وتتوالد وتتكاثر.

خذ مثلاً لذلك فضيلة (المحبة) إذا نمت فى إنسان، فإنها تتسع عرضاً فتجعل القلب رحباً فيتسع لجميع الناس، أصدقاء وأعداء، وتتسع عمقا، فتجعل صاحبها يحتمل كلّ أحد، ويحتمل كل شئ، ولا يحقد على أحد، ولا يظن السوء فى أحد، ويرجو الخير لكل أحد.. بل وبنمو المحبة، تقوى وتشتد الرغبة فى العطاء والبذل بسخاء حباً فى القريب والبعيد. فالمحبة العميقة المتسعة هى الأُمَ الرءوم لكل أعمال الرحمة وكل ضروب الخير العام والخاص.

٣ ـ ثم إنّ الرقم (١٢) هو من أرقام الكمال. فالفضائل الإثنتا عشرة ترمز إلى جميع الفضائل الأخرى.

٤ ـ على أن هذه الفضائل الإثنتى عشرة تتميز بأنها **(منصوص عليها فى الكتب المقدسة)** أى أنها واردة ومذكورة ومكتوبة فى الكتب المقدسة، ومن ثَمّ فهى فضائل مطلوبة للسائرين فى طريق الله، وبالأحرى للقيادة الروحية التى تتمثل أوضح ما تتمثل فى البابا البطريرك، وفى الأسقف والمطران.

٥ ـ ثم إنها تتميز فضلاً عن ذلك بأنها **(فضائل الروح القدس)** لأنها من ثمار عمل الروح القدس، فى المؤمنين المعمّدين والممسوحين بمسحة الروح القدس. وبالتالى تعمل بغزارة فى الذين نالوا بعد سرّ المسحة سرّ الكهنوت المقدس. إنها تتجلى فيهم بأكبر وضوح وتسرى منهم إلى غيرهم ممن يتعامل معهم ويقتدى بهم ، لأنها من مواهب الروح القدس، فتجرى منهم أنهاراً.

٦ ـ ومهما يكن من أمر، فإنه مما يجدر ذكره أن هذا اللحن الذى يتلوه المرتلّون ويرنمونه فى حضور البابا البطريرك والأسقف والمطران **هو صلاة وضراعة إلى الله من أجله**، وطلب من مانح المواهب المقدسة أن يوشح بهذه الفضائل البطريرك والأسقف، ويسكب على رأسه وقلبه وروحه من مواهبه، فيصير ملتحفا بالفضائل الإثنتى عشرة المكتوبة فى الكتب المقدسة، وسائر الفضائل التى تتولد منها، وعنها. وبها يَنْشحَن روحاً ونفسا وجسداً.

وإذن فهذا اللحن، لحن الفضائل، **هو صلاة من أجل البابا البطريرك والأسقف والمطران** وهو من قبيل ما قاله الرسول بولس للمؤمنين فى إحدى رسائله (أيها الإخوة صلّوا

لأجلنا) (١ . تسالونيكى ٥ : ٢٥) **(مصلّين فى ذلك لأجلنا نحن أيضا** ليفتح الربُ لنا بابا للكلام لنتكلم بسرّ المسيح) (كولوسى ٤ : ٣) **(صلوا لأجلنا** لأننا نثق أنّ لنا ضميرا صالحاً، راغبين أن نتصرف حسنا فى كل شئ) (العبرانيين ١٣ : ١٨) .

٧ ـ هذا اللحن صلاة، ولكنه أيضا فى نفس الوقت **تذكير للبابا البطريرك والأسقف والمطران**، بأن درجته الروحية العالية تتطلب منه أن يكون ملتحفاً بهذه الفضائل الإثنتى عشرة، وبجميع الفضائل الأخرى التى تنطوى عليها، وتتولد منها. وكأن الكنيسة تنادى البابا البطريرك والأُسقف بكلمات الرسول بطرس (لذلك لا أهمل أن أذكّركم دائما بهذه الأمور، وإن كنتم عالمين ومثبتين فى الحق الحاضر. ولكنى أحسبه حقاً مادمتُ فى هذا المسكن **أن أُنهضكم بالتذكرة)** (٢ . بطرس ١ : ١٢، ١٣) .

هذا اللحن هو صلاة، وهو أيضا نوع **من تذكير البابا البطريرك والأسقف بما يجب عليه أن يكون متصفاً به من فضائل**، وذلك لينفع نفسه، والذين يسمعونه ويقتدون به.

٩ ـ عصا الرعاية للأسقف

سؤال : من السيد جميل عزمى يوسف ـ أسيوط ـ بنى عليج.

يقول لماذا يحمل الأساقفة والكهنة عصا. بينما أنّ السيِّد المسيح قال لتلاميذه عندما أرسلهم ليكرزوا بالإنجيل لا تحملوا شيئاً للطريق، ولا عصا. (لوقا ٩: ٢).

الجواب :

العصا التى نهى المسيح له المجد، رسله عن حملها، هى (**عصا القتال**)، العصا التى كان يحملها كلُّ سائر فى الطريق لكى يحمى بها نفسه من أي إعتداء من حيوان أو إنسان يعترض طريقه أو يهاجمه ليسلبه ما معه..

... فلقد كان حمل العصا نوعاً من التسلّح ضد قُطّاع الطرق وضد الحيوانات الكاسرة، وما فى حكمها.

وكان تلاميذ المسيح فقراء، ولقد أوصاهم سيّدهم ومعلّمهم أن لا يحملوا معهم شيئاً للطريق يعطل مسيرتهم «لا تحملوا ذَهَباً ولا فضّةً ولا نُحاساً فى أحزِمَتِكُم، ولا حقيبةَ زادٍ للطّريق، ولا ثَوبَينِ ولا حِذاء» (متى ١٠: ٩، ١٠)، (لوقا ٩: ٣) بل وأمرهم «فلا يأخُذوا خُبزاً، ولا مالاً فى أحزِمَتِهِم» (مرقس ٦: ٨) ولا حذاءً بل «أن ينتعلوا نِعالاً، ولا يرتدوا ثَوبَين» (مرقس ٦: ٨، ٩) فقد كان منطقياً إذن أن لا يحملوا معهم عصاً يُشهرونها فى وجوه اللصوص وقُطّاع الطرق، فيخافونهم..... لأنهم مادام قد أوصاهم سيِّدهم أن يتجرّدوا من كلّ شيء يطمع فيه اللّصوص وقُطّاع الطريق، فلا حاجة بهم إلى تلك العصا التى تعوق مسيرتهم وتبطيء حركتهم، وتشغلهم عن إستخدام اليدين معا فى كل عمل يقتضى جهداً باليدين معاً.... ثم إنهم بتركهم تلك العصا يطمئن الناس إليهم، فيقبلون عليهم، ولا يخافون منهم.

لقد كان يعقوب أبو الأسباط يحمل للطريق عصا يتوكأ عليها ويحمى بها ذاته من هجوم عدو من إنسان أو حيوان، وبها عبر الأردنّ (التكوين ٣٢: ١٠)، (العبرانيين ١١: ٢١).

وكذلك كان موسى يحمل عصاً...، وهى التى طرحها على الأرض فصارت حيّة بهر بها فرعون والمصريين جميعاً (الخروج ٤: ٤، ١٧)، (٩: ٣)، (١٠: ١٣)، (١٤: ١٦)، (١٧: ٥).

وهرون أيضاً كان يحمل للطريق عصا، وقد صنع بها العجائب أمام فرعون وكل جنوده وشعبه (الخروج ٧: ٩، ١٠، ١٢، ١٩، ٢٠)، (٨: ٥، ١٦، ١٧)، (العبرانيين ٩: ٤)....

بل لقد كان كلّ رجل يحمل عصا للطريق، وقد كان هذا أمرا مألوفاً عند الجميع (التكوين ٣٨ : ١٨، ٢٥)، (الخروج ١٢ : ١١)، (حزقيال ٣٧ : ١٦، ١٩)، (زكريا ٨ : ٤).

ولقد صارت العصا في يد الرجل، كلّ رجل، لازمه له، لا يسير بغيرها... وشيئاً فشيئاً صارت من خصائص الرجولة، وبالتالى رمزاً لسلطانه وسيادته. (الرؤيا ١٢ : ٥)، (١٩ : ١٥) وتسمىّ لذلك بـ «عصا الجلال» (ارميا ٤٨ : ١٧).

وكان، لذلك يضرب بها عبيده وخدمه، تأديباً وإرهاباً لهم، وتذكيراً لهم بسيادته والإلتزام بطاعته (الخروج ٢١ : ٢٠)، (الأمثال ١٠ : ١٣)، (إشعياء ٩ : ٤)، (١٠ : ٢٤)، (٢٨ : ٢٧).

ثم يضرب بها أيضاً أولاده لتأديبهم وردعهم عن طياشتهم، وإصلاحاً لنفوسهم....

يقول الحكيم «من يمنع عصاه يمقت ابنه، ومن أحبه يطلب له التأديب» (الأمثال ١٣ : ٢٤) ويقول «الجهالة مرتبطة بقلب الولد. عصا التأديب تبعدها عنه» (الأمثال ٢٢ : ١٥) ويقول «لا تمنع التأديب عن الولد، لأنك إن ضربته بعصا، لا يموت، تضربه أنت بعصا، فتنقذ نفسه من الهاوية» (الأمثال ٢٣ : ١٣، ١٤) «العصا والتوبيخ يعطيان حكمة، والصبى المطلق إلى هواه يخجل أمه» (الأمثال ٢٩ : ١٥).

ولقد اتخّذ المؤمنون منها رمزاً لتأديب الله لأولاده بالآلام والتجارب والأحزان التى يسمح بها، يردهم بها إلى التوبة والخلاص.

يقول أيوب الصديق ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا. ليرفع عنى عصاه، ولا يبغتنى رعبه (أيوب ٩ : ٣٤) ويصف الأشرار الذين تخلّت عنهم عناية الله «بيوتهم آمنة من الخوف، وليس عليهم عصا الله» (أيوب ٢١ : ٩) ويقول النبى داود «لا أخاف شراً، لأنك معى، عصاك وعكازك هما يعزيانني» (مزمور ٢٢ : ٤). ويقول الرب «وجدت داود عبدى.. إلى الدهر أحفظ له رحمتى.. إن ترك بنوه شريعتى ولم يسلكوا بأحكامى... أفتقد بعصا معصيتهم، وبضربات إثمهم» (مزمور ٨٨ : ٢٠ ـ ٣٢).

انظر (إشعياء ١٠ : ٥، ١٥)، (حزقيال ٢٠ : ٣٧)، (٢١ : ١٠، ١٣)، (هوشع ٤ : ١٢).

أما بالنسبة للأشرار المُصرين على خطيئتهم ولأعداء الله المقاومين له، فتصير عصا الله عليهم للإنتقام (إشعياء ٣٠ : ٣٢)، (حزقيال ٧ : ١٠، ١١)، (١٩ : ١٤)، (هوشع ١١ : ٦).

ولكنها أيضاً كانت للرجل سلاحاً، يضرب به أعداءه....

فلقد حملها داود فى حربه مع جليات الفلسطينى (١ . صموئيل ١٧ : ٤٠ ، ٤٣)، (٢ . صموئيل ٢٣ : ٧ ، ٢١)، (١ . أخبار الأيام ١١ : ٢٣) .

ولقد حملها جند الهيكل عندما جاءوا ليقبضوا على الرب يسوع. قال الإنجيل «وفيما هو يتكلم إذا يهوذا أحد الاثنى عشر قد أقبل ومعه جمع عظيم بسيوف وعصيّ من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب..... وفى تلك الساعة قال يسوع للجموع: «كأنكم على لصّ خرجتم بسيوف وعصيّ لتأخذونى» (متى ٢٦ : ٤٧ ، ٥٥)، (مرقس ١٤ : ٤٣ ، ٤٨)، (لوقا ٢٢ : ٥٢)

وبالتالى صارت فى أيدى الأشرار أداة إنتقام للتنكيل بالأخيار والأبرار.

فلقد خرج بها الأشرار مع يهوذا التلميذ الخائن ليقبضوا على الرب يسوع، وليضربوه بها.

وقد ضرب الولاة بالعصيّ، القديسين بولس وسيلا (أعمال الرسل ١٦ : ٢٢) . ويبدو أنّ هذه الإهانة تكررت فى حياة الرسول بولس حتى إنه قال مرة «ضُربت بالعصيّ ثلاث مرات» (٢ . كورنثوس ١١ : ٢٥) .

وقد سميت العصا فى يد الأشرار: (عصا الأشرار) . قال صاحب المزامير «لا تستقر عصا الأشرار على نصيب الصدّيقين لكيلا يمدّ الصدّيقون أيديهم إلى الإثم» (مزمور ١٢٤ : ٣)، (الأمثال ٢٢ : ٨)، (إشعياء ١٤ : ٥) .

فإذا كان المسيح له المجد قد نهى تلاميذه عن أن يحملوا عصا، فهى هذه العصا التى كان يحملها الرّجال جميعاً للطريق، يتوكأون عليها رمزاً لرجولتهم وسيادتهم وتوكيداً لسلطانهم، وبها يتسلحون ضد من يهاجمهم من الحيوانات الكاسرة، ومن يعتدى عليهم من قُطّاع الطرق، وهى بذلك سلاحهم يشهرونه، معلنين قوتهم واستعدادهم لضرب من يعترضهم، وقد كانت عصا القتال تسمى عند اليهود بالعبرانية שֵׁבֶט SHEBETT (شبط) .

على أنّ المسيح له المجد قد نهى تلاميذه عن حمل تلك العصا بإعتبارها سلاحاً لمحاربة الأعداء، وبالتالى رمزاً للعداوة والإستعلاء، ودليلا على الملكية... مظهراً لهم أنهم وقد تجرّدوا من كلّ شىء، فلا حاجة بهم إلى مثل تلك العصا التى تخيف الناس منهم وتقصيهم عنهم. وقد قال الرسول بولس عن هذا النوع من العصا المخيفة وهو يكتب لأهل كورنثوس «أيّما تؤثرون؟ إن أجىء إليكم بالعصا أم بالمحبة وروح الوداعة»؟ (١ . كورنثوس ٤ : ٢١) .

لكنه له المجد قد سمح لتلاميذه بأن يحملوا **عصا الرعاية : وهى ترمز للحب والحنان والحدب، كما ترمز إلى المسئولية التى يضطلع بها الرّاعى نحو رعيته.** يقول الإنجيل للقديس مرقس «وأوصاهم ألاّ يأخذوا شيئاً لرحلتهم **إلاّ عصاً فقط،** (مرقس ٦: ٨) وهذه العصا تعرف بالعبرانية (مقل) מַקֵּל MAKEL .

وهذا هو جوابنا على الذين وجدوا فيما ورد بالأناجيل تناقضاً فيما يختص بموضوع هذه العصا. فبينما يرد فى (متى ١٠: ٩، ١٠) قوله «لا تحملوا.... ولا حذاء **ولا عصا،** يرد فى (مرقس ٦: ٨) «وأوصاهم ألاَ يأخذوا... **إلاّ عصا فقط.** **لأنّ العصا المنهىّ عنها هى عصا القتال، بينما أنّ العصا المأمور بها لهم: هى عصا الرعاية.**

لقد أمر الله موسى فى القديم قائلاً: «كلّم بنى إسرائيل وخُذ منهم عصاً عصاً لكُلّ بيت أبٍ من جميع رؤسائهم على حسب بيوت آبائهم، إثنتى عشرة عصا. واكتبْ اسم كُلّ واحدٍ على عصاه. واسم هرون تكتبه على عصا لاوى. لأنّ عصا واحدة تكون لكل رأس من بيوت آبائهم. وضعها فى خيمة الإجتماع أمام الشّهادة حيث أجتمع بكم... «فكلّم موسى بنى إسرائيل فأعطاه جميع رؤسائهم عصاً عصاً لكل رئيس على حسب بيوت آبائهم، إثنتى عشرة عصاً. وعصا هرون فيما بين عصيهم. فوضع موسى العصىّ أمام الربّ فى خيمة الشّهادة..» (سفر العدد ١٧: ١ – ٧) .

ولا شك أنّ العصا هنا فى هذا النص طبقاً للأمر الإلهى إلى موسى نبيه، **كل عصا ترمز إلى الرئاسة** لأنها ليست لكلّ رجل، بل لرجل واحد فقط هو رئيس السبط أو القبيلة، فهى ترمز إذن لأُبوّته ولرئاسته وبالتالى لمسئوليته عن القبيلة التى هو أبوها ورئيسها الأعلى.....

بهذا المعنى حمل كل رسول من الرسل الإثنى عشر «عصا»، وليست هى عصا القتال، وإنما هى «**عصا الرعاية**»... وهى رمز أبوته ومسئوليته، **وعلامة على أنه الرّاعى للخراف الناطقة**..... وراعى الغنم لا يحمل العصا ليقتل بها الغنم، **ولكن ليقودها بها إلى المراعى الخضراء وليهُشّ بها عليها، ويردّها إذا شردت عن القطيع.....**

وقد كانت العصا التى حملها داود، ونزل بها إلى جليات هى عصاه التى كان يرعى بها الغنم، ويطرد بها عنها الذئاب (١ . صموئيل : ١٧: ٤٠ – ٤٣) وقال عنها «عصاك وعكازك هما يعزيانني» (مزمور ٢٢: ٤)

وقال الله بفم ميخا النبى «**إرعَ بعصاك شعبك، غنَمَ ميراثك**» (ميخا ٧ : ١٤).

ولذلك تُسمَى هذه العصا بـ «عصا الله» (الخروج ١٧ : ٩). هكذا دعاها النبىّ موسى حين صعد بها إلى الجبل، ثم رفع يديه بمثال الصليب وكان يصلّى، فهزم يشوع عماليق وقومه (الخروج ١٧ : ١٣).

«وهذا المفهوم الرعائى والراعوى مأخوذ من مثال رب المجد يسوع المسيح الذى قال «أنا هو الراعى الصالح. والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف.... **أنا هو الراعى الصالح، وأعرف خرافى التى هى لى، وخرافى التى هى لى تعرفنى..... وسأبذل نفسى عن خرافى**. ولى خراف أخرى ليست من هذه الحظيرة، ينبغى أن أجىء بها هى أيضاً فتسمع صوتى، ويكون ثمة رعية واحدة وراع واحد. لذلك يحبنى أبى، **إذ أبذل نفسى، كى استردها**» (يوحنا ١٠: ١١ – ١٧)

وتمثلاً بالسيد المسيح «راعى الخراف العظيم» (العبرانيين ١٣ : ٢٠) وهو «راعى نفوسنا وأسقفها» (١ . بطرس ٢ : ٢٥) يحمل كل أسقف «**عصا الرعاية، رمزاً لمسئوليته عن النفوس التى أقيم راعياً عليها**.

قال الرب يسوع للرسول بطرس «**ارعَ حملانى.... ارعَ خرافى.... ارعَ غنمى**» (يوحنا ٢١ : ١٥، ١٦، ١٧). وهو ما يقوله المسيح له المجد، **لكل رسول، ولكل أسقف وشريك فى الخدمة الرسولية**.

قال القديس بولس للأساقفة فى أفسس «احترزوا إذن لأنفسكم ولجميع الرعية التى. أقامكم الروح القدس فيها أساقفة، **لترعوا كنيسة الله التى إقتناها بدمه**» (أعمال الرسل ٢٠ : ٢٨).

وقال الرسول القديس بطرس «أمّا شيوخ الكهنة الذين بينكم فأناشدهم أنا الكاهن الشيخ رفيقهم، والشاهد لآلام المسيح وشريك المجد الذى سيتجلى ارعوا رعية الله التى وكلت إليكم، واحرسوها طوعاً لا كرهاً، كما يريد الله لا رغبة فى مكسب خسيس بل بحماسة، ولا تتسلطوا على الميراث، **بل كونوا قدوة للرعية**. ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذى لا يذوى» (١ . بطرس ٥ : ١ – ٤).

جاء فى الدسقولية (تعاليم الرسل) :

«وقد علّمنا كل واحد أن يثبت فيما قسم له الرب بشكر، **الأسقف كراع**، والقسوس كمعلّمين والشمامسة كخدّام» (المقدمة).

«لأجل هذا، يا أسقف، أقم نفسك طاهراً فى كل أفعالك، واعرف منزلتك ورتبتك، فإنك **الرّاعى الصالح** بين الناس.....» (الباب ٣).

«كن أيضاً يا **أسقف** قبولاً هكذا تسأل عن الهالك وتعيده، وتسعى خلف الضال، وترد الذى افترق..... **ارعَ الماشية** ليس بضجر ولا بهزء، مثلما أن لك عليهم سلطاناً بل **كراع صالح** تجمع الخراف إلى حضنك.....» (الباب ٤).

لذلك جرى فى التقليد الرسولى والكنسى **أنّ كل من يسام أسقفاً، يُقَدَّم له البابا البطريرك - وهو رئيس الأساقفة - (عصا الرعاية) أو «قضيب الرعاية»** (بى اشبوت انتى بى ما إن امونى)

pieshbot ente pimaenamoni ⲡⲯⲃⲱⲧ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲙⲁ̀ⲛⲁⲙⲱⲛⲓ

فى نهاية مراسم التكريس الأسقفية، **إعلاناً لرئاسته الكهنوتية، ومسئوليته الرسولية، وبإعتباره الراعى الأول للإيبارشية التى أُقيم عليها** (انظر كتاب الجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة للعلامة يوحنا بن زكريا المعروف بابن السباع) (باب ٨٠ صفحة ١٢٨).

وأما البابا البطريرك ففى يوم سيامته أو تنصيبه رئيسا للأساقفة، يضعون له عصا الرعاية فوق المذبح «من تحت الصينية، بدون ما يناوله له أحد من المطارنة أو الأساقفة، وكذلك أيضاً الصّليب.... وذلك يعنى أنه قد تسلّم هذه العصا أو القضيب... من الراعى الصالح الحقيقى صاحب هذا المذبح وهذه المائدة أو الصينية، يسوع المسيح له المجد، كقول داود النبى «وترعاهم بقضيب من حديد» (الجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة باب ٨٤ صفحة ١٣٢) حتى إذا فرغوا من مراسم إلباسه ملابسه الحبرية يناديه كبير المطارنة والأساقفة قائلاً: «**تَسلّم قضيب الرعاية من يد راعى الرعاة الأعظم، يسوع المسيح ابن الله الحىّ الدائم الأبدى، لترعى شعبه، وتغذيهم بالتعاليم المحييّة، مؤتمنا على نفوسهم، وسيطلب دمها من يديك**» (من كتاب تكريس البطاركة - ملحق ٢).

وجاء فى كتاب (الجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة) للعلامة يوحنا بن زكريا المعروف بابن السباع: «وليس لأحد حق أن يحمل عكازا فى الكنيسة غير الأب البطريرك أو الأسقف أو المطران، لأنهم رعاة عموم الأغنام الناطقة....» (الباب ٤٨ صفحة ٩٢).

١٠ ـ هل كان مطارنة الأقباط يختارون من المتزوجين؟ (١)

سؤال : من الأب الدكتور جيوفانى فانتينى مدير مكتب استعلامات مطرانية اللاتين فى الخرطوم:

هل كان مطارنة الأقباط يختارون من المتزوجين؟ ـ أحد العلماء M. MARTIN KRAUSE المتخصص فى العلوم القبطية، يؤكد أن نظام البتولية لم يكن إلزامياً للمطارنة الأقباط قبل القرن الثانى عشر والثالث عشر؟

الجواب :

إن معلوماتنا أنه من جهة المبدأ العقائدى والطقسى والكنسى، ليس ما يمنع أن يختارالبطريرك وكذلك المطارنة والأساقفة من بين المتزوجين. فإن البتولية فى المسيحية إختيارية وليست إجبارية. إنها مفضلة ولكنها ليست إضطرارية. بمعنى أنه إذا لم يوجد بين المتبتلين من يصلح لهذه الكرامة، فيمكن أن يختار البطريرك أو المطران أو الأسقف من بين المتزوجين.

هذا من جهة المبدأ المسيحى العقائدى، بإعتبار أن الزواج فى الكنيسة الأرثوذكسية سّر مقدس، ورباط إلهى.

أما من جهة الواقع، فالبطريرك أو المطران أو الأسقف يختار عادة من بين المتبتلين ـ وفى أحوال قليلة نادرة أختير بعض البطاركة والمطارنة من بين المتزوجين، ولكن هذا الزواج، هو من ذلك النوع الذى يسمّى بـ (الزواج البتولى) بمعنى أنه من نوع الزواج الذى كان بين سيدتنا العذراء مريم ويوسف النجار البار ـ أى أنه زواج بعقد رسمى شكلى، ولكن مع إحتفاظ كل من الزوجين ببتولته، وليس هناك إختلاط جسدى أو جنسى بينهما.

وعادة كان مثل هذا الزواج يتم قبل الإختيار للدرجات الكهنوتية وبنوع من القهر أو الإلزام من قبل الوالدين ولم يكن الأبوان يأخذان رأى ولدهما أو إبنتهما فى الزواج، ـ ويحدث أن يتم الزواج والعقد والإكليل ويمضى العروسان إلى بيت الزوجية ثم يكاشف الواحد منهما قرينه برغبته فى التبتل، ويتفق أن تجد هذه الرغبة قبولاً عند الطرف الآخر فيتفقان على حفظ بتولتهما، ويتعهدان على ذلك أمام الله، ويعيشان معاً تحت سقف واحد، مدى الحياة.

---

(١) كتب ٢ من أكتوبر ١٩٧٨ م ـ ٢٢ توت ١٦٩٥ ش.

وفى عهود الرهبنة إبتداء من القرن الرابع الميلادى، كان يتفق الزوجان بعد فترة من الحياة معاً، بغير وصال جسدى، أن يترهبا، فيمضى الرجل إلى دير الرجال، وتمضى المرأة إلى دير للنساء.

ويذكر التاريخ الكنسى عن القديس ديمتريوس الكرام الذى صار البطريرك الثانى عشر فى سلسلة باباوات الأسكندرية (١٨٨ – ٢٣٠)م أنه كان متزوجاً لمدة ٤٨ (ثمانية وأربعين) عاما قبل إختياره للبطريركية، ولكنه كان هو وإمرأته محتفظاً كل منهما ببتوليته. ولما صار بطريركاً أرسل إمرأته إلى مقّر العذارى، فقد كان نظام العذارى معروفاً فى العصور الأولى قبل عهد الرهبنة، والمعروف أن السيدة العذراء مريم هى التى أنشأت هذا النظام، فقد تبعها عدد من البنات الأبكار كن يتخذنها رائدة لهن ويتمثلن بها، وكن يعرفن بإسم (عذارى جبل الزيتون).

كذلك فإن عدداً من المطارنة والأساقفة إختيروا من بين الكهنة المترملين، وهم الذين تزوجوا ثم ماتت نساؤهم ولبثوا مترملين فلم يتزوجوا ثانية.

والخلاصة :

١ ـ أنه من جهة المبدأ العقائدى يمكن عند الضرورة إختيار البطاركة والمطارنة والأساقفة من بين المتزوجين (الزيجة الأولى) ـ فالبتولية إختيارية وليست إجبارية وإن كانت البتولية أفضل من الزواج.

٢ ـ من جهة الواقع التاريخى :

أ ـ حدث أن من إختيروا بطاركة أو أساقفة من بين المتزوجين، كان زواجهم هو (الزواج البتولى) أى مجرد عقد رسمى ولكن من غير إختلاط جسدى بين الزوجين، مثله زواج العذراء مريم ويوسف النجار.

ب ـ حدث أيضاً أن أختير عدد من المطارنة والأساقفة من بين الكهنة المترملين ـ تزوجوا ثم ماتت زوجاتهم فترملوا.

وقد عرف فى تاريخ كنيستنا القبطية الأرثوذكسية بطريرك واحد، كان كاهناً مترملاً قبل إختياره للبطريركية هو الأنبا يوحنا السادس البابا الرابع والسبعون من باباوات الكرسى الأسكندرى (١١٨٩ ـ ١٢١٦)م.

١١ ـ الفرق بين السيمونية والشرطونية (١)

العزيز الأستاذ الدكتور ف. ر. ف.

المسيح قام ـ حقاً قام.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، راجياً لكم موفور الصحة والتوفيق.

تسلّمت الآن فقط خطابك المؤرخ ٧ / مارس / ١٩٨٥ وفيه تطلب أن يكون الرد فى موعد أقصاه ٥ من أبريل بينما أن اليوم هو ٢٧ من أبريل. لذلك رأيت أن أبادر بالكتابة إليك بمجرد أن إنتهيت من قراءة الخطاب.

أما المقصود من (الشرطونية) التى اشترط المؤمنون بالأسكندريةعلى البابا شنوده الثانى البطريرك الخامس والستين عدم أخذها ـ فهو المبالغ المالية التى قد يطلبها من المرشح لرسامته أسقفاً أو قسيساً، والتى كان يبررها، باضطراره إلى دفع المبلغ الذى كان الخليفة الحاكم يطلبه من البطريرك، وهو ستة آلاف دينار يدفعها البطريرك للخليفة نقداً، أو يكتب بها على نفسه صكا ليدفعه فى موعد محدد (انظر كتاب تاريخ الكنيسة القبطية للشماس منسى القمص ـ طبعة سنة ١٩٢٤ صفحة ٥٠٩).

أما لفظ (الشرطونية) فى ذاته فمعناه الإشتقاقى مختلف تماماً عن معناه الإصطلاحى المستخدم فى سيرة البابا شنوده الثانى. فالمعنى الاشتقاقى هو (وضع اليد) وهو مأخوذ من الكلمة اليونانية KHEIROTONIA χειροτονία وتعنى (وضع اليد) للرسامة الكهنوتية. وأما حرفياً فتتألف من مقطعين kHEIR χείρ أى (يد) hand ثم TONIA وهى من فعل TEIN τείνω وتعنى to Stretch, Spread (مد اليد) للرسامة. وعلى ذلك فالكلمة (شرطونية) أو χειροτονία تعنى Stretching forth of the hand (مدّ اليد) للرسامة أو (وضع اليد) وجاء إستخدامها فى العهد الجديد فى سفر أعمال الرسل ١٤ : ٢٣ ثم فى ٢. كورنثوس ٨ : ١٩.

---

(١) كتب فى ٢٧ من أبريل ١٩٨٥م.

ومهما يكن من أمر فإن الكلمة (شرطونية) أستخدمت فى تاريخ البابا شنودة الثانى بغير معناها الحقيقى، ولكن بمعنى (السيمونية) وهى الواردة فى الكتاب المقدس وكتب الكنيسة بمعنى إشتراط مبلغ من المال يدفعه المرشح لإحدى الدرجات الكهنوتية، وهى خطيئة عظيمة، عقابها الحرم والقطع من شركة الكنيسة، وقد كانت هى العقوبة التى إستحقها رجل اسمه سيمون جاء ذكره فى سفر أعمال الرسل (فلما رأى سيمون أنه بوضع أيدى الرسل يعطى الروح القدس قدم لهما (للرسولين بطرس ويوحنا) دراهم. قائلاً: أعطياني أنا أيضاً هذا السلطان حتى أى من وضعت عليه يدىّ يقبل الروح القدس. فقال له بطرس: لتكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننتَ أن تقتنى موهبة الله بدراهم. ليس لك نصيب ولا قرعة فى هذا الأمر، لأن قلبك ليس مستقيماً أمام الله. فتب من شرك، واطلب إلى الله عسى أن يغفر لك فكر قلبك لأنى أراك فى مرارة المر ورباط الظلم (أعمال الرسل ٨ : ١٨ – ٢٣).

ومن ثمّ عُرفت خطيئة (الرشوة) فى سبيل الحصول على الدرجة الكهنوتية بالسيمونية نسبة إلى (سيمون). وصارت قوانين الكنيسة بعد ذلك تحذر منها وتتوعد من يدفع ومن يُؤدىً إليه المال بالحرم والقطع من شركة الكنيسة.

جاء فى قوانين الرسل:

(من يأخذ الأسقفية برشوة أو بجاه أو بحيلة أو يعطيها برشوة، سقط من درجته وقطع من رتبته) (قانون ٦٦).

(أسقف أو قسيس أو شماس يملك هذه الدرجة برشوة فليقطع. وليقطع الذى قسمه..... كما فعِلَ بسيمون الساحر. من جهتى أنا بطرس) (قانون الرسل ٢٠).

١٢ ـ إختيار الشعب لرجال الكهنوت مسئولية خطيرة

سؤال : من الإبن جرجس شاكر مرجان ـ بنى عديات ـ منفلوط.

هل يجوز سيامة الكاهن بدون تزكية وبدون علم الشعب ؟

الجواب :

المعروف من حيث المبدأ أنّ سيامة رجال الكهنوت عملية كنسية، تشغل إهتمام الكنيسة كلّها. ولما كانت الكنيسة بمثابة الجسم، له رأس واحدة ولكن أعضاء كثيرون، فإنّ جميع المسيحيين المعمّدين والممسوحين بالمسحة المقدسة فى سرّ الميرون لهم جميعا ـ إكليروسا وشعبا ـ دوراً طبيعياً وضرورياً فى (إختيار) رجال الكهنوت، وعليهم جميعا (مسئولية) إنتخاب وإختيار الإنسان المناسب لهذه الكرامة الإلهية، كرامة الكهنوت المقدّس.

وإذن ليس على الأساقفة وحدهم، وعلى رأسهم البابا البطريرك، تقع المسئولية كلّها فى إختيار ورسامة الكهنة، وإنّما على الشعب أيضا تقع المسئولية. ولعلّ من أروع النصوص الواردة فى القانون الكنسى فى هذا الخصوص، هذا النص البالغ الأهمية **(إذا قبله الشعب قبله الرب)**.

فعلى الشعب تقع (مسئولية) تقديم الكهنة لخدمة الرب المقدسة. **فليس دور الشعب فى رسامة الكهنة دوراً سلبيا، وليس دورهم فى إنتخاب الكهنة وإختيارهم وتقديمهم للرب مجرد حق طبيعى ممنوح لهم من الله فى شريعته، وإنما هو أيضاً وبكل الأبعاد مسئولية مقدسة حيال الله تعالى، ونحو خدمته ولخير كنيسته ورسالته فى العالم المسيحى وغير المسيحى.**

ولذلك حرصت الشريعة المسيحية منذ الإبتداء على إبراز حق الشعب بل ومسئوليته فى إنتخاب وإختيار رجال الكهنوت.

فالآباء الرسل عندما شَغَر أى فَرَغَ مكان الرسول الثانى عشر فى مجمع الرسل بسقوط يهوذا الاسخريوطى وخيانته وموته، وأرادوا تقديم الثانى عشر ليحل محل يهوذا، لم يستأثروا بهذا الحق والسلطان على الرغم من أنهم هم أصحاب الحق والسلطان الأول والأعظم فى كنيسة المسيح بموجب السلطان الممنوح لهم من المسيح له المجد : (الحق الحق أقول لكم إنّ كلّ ماتربطونه على الأرض يُربط فى السّماوات، وكلّ ماتحلّونه على الأرض يُحلّ فى السّماوات)

(متى ١٨ : ١٨) وهو السلطان الشامل للحل والعقد، وللتقنين والتشريع، وتدبير الكنيسة فى كل شئ.. وإنما فى هذا الأمر كما فى غيره طلبوا من جماعة المؤمنين بأسرها، بما فيهم من الإكليروس والشَّعب، وكانوا نحو مائة وعشرين إسماً (أعمال الرسل ١ : ١٥) أن يستخدموا حقهم ولا يستعفوا من مسئوليتهم فى إختيار الرسول الثانى عشر الذى يُضمّ إلى مجمع الرسل ليكون مجمعهم كاملاً، إثنى عشر رسولاً.

فقام بطرس فى وسط الإخوة، فقال : (أيها الرجال إخوتنا ... فينبغى أن يُعيَّن واحد من بين أُولئك الذين رافقونا كُلَّ الوقت الذى كان فيه الرَّبُّ يسوعُ يدخلُ ويخرجُ بيننا، إبتداءً من معمودية يوحنا حتى اليوم الَّذى ارتفع فيه عنَّا إلى السَّماء، ليكونَ شاهداً معنا بقيامته. ومن ثَمَّ أَقاموا إثنين هما يوسُفُ المسمَّى برسابا والملقَّب يسطس، ومتياس. وصلَّوا ... ثم ألقوا القُرعةَ بينهما، فأصابت القرعة متياس، فاحتُسِبَ مع الأحد عشر رسولاً..) (أعمال الرسل ١ : ١٦ – ٢٦).

نقول مرة أخرى إنَّ الآباء الرُّسل الأحد عشر لم يستأثروا بحق إختيار الثانى عشر على الرَّغم من سلطانهم العظيم الممنوح لهم من المسيح رأساً، وإنَّما أشركوا جماعة المؤمنين كلَّها، إكليروسا وشعبا، فى تحمل مسئوليتهم فى هذا الإختيار.

كذلك فى إختيار وتعيين الشمامسة السبعة لم يستأثر الرُّسل الإثنا عشر على الرغم من أنهم يُمثِّلون السلطة الكنسية العليا، بهذا الحقّ فى ذلك، وإنَّما طلبوا من جماعة المؤمنين بأسرها، إكليروساً وشعباً، أن يتحمَّلوا مسئوليتهم فى هذا الإختيار والإنتخاب. يقولُ سفرُ الأعمال : (فدعا الرُّسُلُ الإثنا عشر جماعةَ التَّلاميذ) والتلاميذ هنا هم جميع المؤمنين المسيحيين (وقالوا لهم : لا يليق بنا أن نترك نحن خدمة كلمة الله لنخدم الموائد.. **فاختاروا أيُّها الإخوةُ** سبعةَ رجالٍ منكم مشهوداً لهم بحسن السمعة وممتلئين من روح القدس والحكمة فنقيمهم لهذه المهمّة... **فاستحسنت الجماعةُ كلها هذا القول.** فاختاروا من بينهم اسطفانوس وهو رجل ممتلئ من الإيمان وروح القدس... **فأقاموهم أمام الرسل**، فصلَّوا ووضعوا عليهم الأيدى) (أعمال الرسل ٦ : ١ - ٦).

والمعنى من كل ذلك أنَّ الآباء الرُّسل، أصحاب السلطة الكنسيّة والكهنوتية العليا هم الذين وضعوا الأيدى على الرجال السَّبعة وساموهم شمامسة. **أمّا الذين إنتخبوهم فهم جماعة الكنيسة كلّها بما فيهم من الشعب.. جمهور المسيحيين جميعا.. هم الذين**

إنتخبوا وهم الذين أتوا بهم وأقاموهم أمام الرسل، فوضع الآباء الرسل أيديهم عليهم ورسموهم شمامسة بسلطان الكهنوت الممنوح لهم من المسيح له المجد.

إنَّ دور الآباء الرسل هو دور التوجيه لجماعة المؤمنين للقيام بدورهم فى (**إنتخاب الرجال وإختيارهم**) وفقاً للمواصفات التى طلبها الآباء الرسل (فاختاروا أيُّها الإخوة، سبعة رجال منكم مشهودا لهم بحسنِ السُمعَة، وممتلئين من روح القُدُس والحكمة) وبعد أن قام جماعة المؤمنين بالإنتخاب والإختيار للسبعة الرجال... أتوا بهم وأقاموهم أمام الرسل الإثنى عشر، فوضع الآباء الرسل أيديهم عليهم للرسامة والتعيين فى مرتبتهم الكهنوتية، شمامسة..

ومعنى (**الإنتخاب**) للأشخاص هو (**إنتقاء**) **الأفضل والأصلح من بين الناس**، وخيارهم ،ومعنى (**الإختيار**) للأشخاص هو (**إنتزاع**) **الأفضل والأصلح** من بين الناس.

ولما كان رجال الكهنوت هم خدّام الله فى مقادسه والذين يرفعون لله الذبائح المقدّسة، بأنواعها، فينبغى أن يكونوا هم أنفسهم (**مُختارين**) من شعبِ الله للقيام بمهامهم الإلهية. **وعلى شعب الله أن ينتقى أفضل من فيه والأصلح والأكمل من بينهم**، تعبيراً عن توقيرهم لله وتعبدهم له وإجلالهم لشرف خدمته تعالى.

ليست إذن عملية (إختيار) الشعب للكهنة مجرد (حق) مكفول له من قبل الله وبمقتضى الحقوق الكنسية والقوانين والشرائع والفرائض المرسومة لسياسة الكنيسة وتدبير الخدمة الإلهية، ولكنها قبل ذلك وفوق ذلك، **هى (مسئولية) خطيرة، لا يليق بشعب الله أن يتخلّف عنها أو يتنصّل منها، وإلاّ فإنَّ الشعب الذى يتقاعس عن مسئوليته فى (إختيار) الكهنة، قد أهانَ الله** وأخطأ إليه وإستهان به لعدم قيامه بواجبه من نحوه فى إختيار الكهنة خدّام الله، اللائقين بخدمته.

لقد جاء عن هابيل الصدّيق (وقَدَّمَ هابيلُ من أبكارِ غنَمِهِ ومن سِمانِها. فنَظرَ الرَّبُّ إلى هابيلَ وقُربانِهِ) (سفر التكوين ٤ : ٤).

١٣ ـ ملابس الكهنة (١)

سؤال : من ص . ف.

يقول إنه سئل من ذوى الحساسيات الذين يعمل معهم سؤالاً لم يعرف له جواباً، فأرسله إلينا:

(هل هناك تطور فى ملابس الكهنة، ففى الخمسينات والستينات والسبعينات كان الكاهن لا يخرج من منزله إلاّ وهو مرتدٍ كامل ملابسه ومن فوقها الجبة وهى ماتسمّى بالفراجية، وتلك الملابس تكسبه هيبة ووقارا أمام الجميع. وكان الأسقف أيضا لا يخرج من المطرانية إلاّ بملابس كاملة، ومن فوقها الجبة أو الفراجية بأكمامها الواسعة. أما الآن ففيما عدا مطرانية أسيوط المحافظة على التراث القديم اختفت الفراجية من الكهنة، وهى فى طريقها إلى الإختفاء والزوال من عند الأساقفة. وقد سألتُ أحد الكهنة : لماذا تخرج يا أبانا من غير الفراجية؟ فأجاب قائلا : مادام الأسقف نفسه لا يلبس الفراجية، فهل يمكنه أن يلزمنى بإرتدائها؟ وسؤالى، وسؤال آخرين معى : هل حدث تطور فى ملابس الكهنة؟).

الجواب :

ربما نشأ التخفف من إرتداء الجبة أوالفراجية بسبب حرارة الجو فى الصيف، خصوصا فى بعض بلاد الصعيد حيث تصل درجة الحرارة إلى درجات عالية. ولعلّه لهذا السبب رأينا رجال الدين فى بلاد الهند وفى بلاد الحبشة (أثيوبيا) يلبسونها فى الصيف بيضاء.

أما فى غير الهند والحبشة فنحن نرى أن رجال الدين جميعا وبغير إستثناء، أساقفة وقسوسا، يرتدون الفراجية المشقوقة من الأمام ويظهرون بها فى داخل الكنائس وفى خارجها. فرجال الدين فى جميع الكنائس الأرثوذكسية القديمة، والكنائس الأرثوذكسية التى تسير على الطقس البيزنطى، وهى فى بلاد اليونان وقبرص وبلغاريا ورومانيا وروسيا وغيرها فى كل بلاد أوربا وآسيا وأفريقيا وأمريكا، يرتدون الفراجية المشقوقة فى داخل كنائسهم وخارجها.

فالفراجية المشقوقة من الأمام هى الخاصة برجال الدين منذ القديم، لأنها زى العلماء والفلاسفة.. ولذلك كانت الأرواب الجامعية وهى زى العلماء دائما مشقوقة من الأمام، وكذلك

---

(١) كتب فى ١٤ من اكتوبر ـ تشرين أول ١٩٨٦م ـ ٤ من بابة ١٧٠٣ش.

أرواب المحامين ووكلاء النيابة ورجال القضاء. وفى الكنائس الانجليكانية بانجلترا، يرتدى الفراجية المشقوقة من الأمام الشمامسة الذين يقرأون الفصول المقدسة، والذين يقومون بالإشراف على النظام وذلك فى داخل الكنيسة.

وقد رأينا فى أوكسفورد وكيمبريدج بانجلترا أنه محظور حتى على الطلبة (فضلاً عن أعضاء هيئة التدريس) أن يسير طالب فى الشارع أو يدخل مطعما فى المدينة من غير الروب الجامعى المشقوق من الأمام. ولو فعل لوقع تحت طائلة المساءلة عن تصرف لايليق بشرف أسرته الجامعية.

وبهذه المناسبة، نقول إن الفراجية المشقوقة من الأمام هى الزى الرسمى للكاهن والأسقف والشماس (الدياكون). أما (الزعبوط) المغلق من الأمام فهو زى عامة الشعب فى الريف، من غير الكهنة. وقد صار يرتديه الرهبان فى الأديرة من الوبر أو الصوف البنىّ اللون. وعندما كنا نزور الأديرة فى الثلاثينيات والأربعينيات كنا نرى الرهبان يرتدون هذا الزعبوط البنىّ اللون صيفا وشتاء.

والخلاصة أن الفراجية السوداء والمشقوقة من الأمام هى زى رجال الدين، جميعا، أساقفة وكهنة، يرتدونها فى داخل الكنيسة وخارجها.

أما رجال الدين الذين يتخففون عن هذه الفراجية بسبب حرارة الصيف أو بسبب ركوب الحافلات (الأتوبيسات) أو ما إلى ذلك، فهم يتنازلون عن شرف عظيم بإرتداء هذه الفراجية التى تظهرهم فى زى العلماء والفلاسفة.

على أن الفراجية السوداء والمشقوقة من الأمام خاصة برجال الدين كزى يتميزون به، ويظهرون به خارج بيوتهم.

أمّا فى أثناء الخدمة، خدمة القداس والأسرار الكنسية الأخرى والخدمات الدينية، أى فى التعميد وعقد الإكليل ورفع البخور فى عشية وباكر، وفى الجنازات فيرتدون الملابس الخاصة بالخدمة الكهنوتية، وهى الملابس البيضاء المطرزة بالصلبان، وهذا تمثلاً وإقتداءً بالسيد المسيح له المجد الذى عندما صعد إلى جبل التجلى تغيّرت هيئته وصارت ملابسه متألقة ناصعة البياض كالثلج، متألقة بالنور (متى ١٧ : ٢)، (مرقس ٩ : ٢)، (لوقا ٩ : ٢٩)، (سفر الرؤيا ١ : ١٣).

ومن المناظر المحزنة والمؤسفة فى هذه الأيام أن نرى كاهنا يتلو صلوات الإكليل بالملابس السوداء، أو يرفع بخور عشية أو باكر أو يصلى على الموتى، من غير أن يرتدى ملابس الخدمة الكهنوتية.

إنها ظاهرة رديئة استشرت فى هذه الأيام الأخيرة، وتحتاج إلى تنمية الوعى بطقوسنا الدينية، وإلى إحكام العمل بالنظام الكنسى المأمور به فى الكتب المقدسة وكتب الطقس الكنسى.

١٤ ـ قواعد التقدّم بين الكهنة هى آداب روحية

سؤال : من الأب المحترم القس جرجس ميخائيل.

رزقة دير المحرق.

هل هناك قوانين كنسيّة أو مجمعيّة أو تقاليد ثابتة توجب تَقَدُّم الأب الراهب لخدمة القدّاس، على كاهن شيخ متزوج؟.

وهل هناك قوانين تؤيد تَقَدُّم الكاهن الشيخ على الكهنة الذين يصغرونه سِنّاً أو أقدمية فى الرسامة الكهنوتية ؟.

الجواب :

أمّا عن السؤال الأول، فجوابنا عليه هو، أنه ليس هناك قانون ينص صراحة أو تضميناً على أفضلية الكاهن الرّاهب على الكاهن المتزوج فى إقامة القُدّاس.

فالكاهن، بتولاً أو متزوجاً، إذا كان مستعداً بطهارة الروح والفكر والجسد للخدمة فإنه يصير مستحقاً لهذه الكرامة، بحق الرسامة الكهنوتية والدرجة التى أُقيم فيها.

إنّ الزّواج سِرٌ مقدّس، ورابطة إلهية. ويقول الكتاب المقدس (لِيكُن الزّواج مُكَرّما فى كل شئ) (العبرانيين ١٣ : ٤).

وعندنا من قوانين الكنيسة وقوانين المجامع مايُحَذّر من هذه التفرقة بين كاهن بتول وكاهن متزوج فى خدمة القُدّاس والأسرار المقدسة.

من ذلك ماجاء فى قوانين مجمع غنغره Gangara الذى إنعقد فى غنغرا عاصمة بفلاجونيا Paphlogonia فى آسيا الصغرى نحو سنة ٣٤٠م أكثر من قانون يدافع عن كرامة سرّ الزيجة.

جاء فى القانون الرابع من قوانين مجمع غنغره :

(كل من يدّعى أنّه لا يجوز له شرعاً أن يتناول من القربان عندما يناوله إياه قسيس متزوج، فليكن مُبسلاً (أى محروما من شركة الكنيسة). والخلاصة القديمة لنفس هذا القانون الرابع تقرأ : (لِيُبسَل (= لِيُحرَم من شركة الكنيسة) كل من يتردد فىّ قبول سرّ الشكر من القسوس المتزوجين).

وجاء فى القانون العاشر من قوانين مجمع غنغره :

(أىّ شخص من حافظى البتولية لأجل الرب ينظر إلى المتزوجين بعين الإحتقار والكبرياء، فليكن مُبسلاً (محروما من شركة الكنيسة) . والخلاصة القديمة لهذا بعينه تقرأ : **(من يُعامل المتزوجين بكبرياء وإزدراء، فليكن مُبسلاً** (محروما من شركة الكنيسة) .

ويقول القديس كيرلس الأورشليمى رئيس أساقفة أُورشليم (٣١٥ – ٣٨٦)م:

(إذا كنتَ تلتزم العفّة التامة (أى البتولية) فلا تنتفخ فى غرور باطل على الذين يسلكون بزواجهم طريقا أكثر تواضعاً، لأنه كما يقول الرسول : ليكن **الزواج مكرّما فى كل شئ**، وليكن فراش الزّوجيّة طاهرا (غير نجس) . **فأنت ذاتك الذى تحفظ عفّتك، ألم تولد من متزوجين** ؟ ... فليطب نفساً أولئك المتزوّجون الّذين يستخدمون الزواج كما ينبغى، أعنى الذين يتزوّجون وفقاً للشريعة الإلهية، لا من أجل المتعة الجنسيّة وإشباع الشهوة، **الذين يُراعون فترات للتعفّف عن العلاقات الجنسية حتى يتفرّغوا للصوم والصلاة، فيأتون إلى الكنيسة بأبدان طاهرة كما يأتون بملابس نظيفة)** (محاضرات فى التعليم المسيحى ٤ : ٢٥ – W.A. Jurgens, Vol.I.P.351 .

أمّا عن **السؤال الثانى**، وهل هناك قوانين تؤيد تقدُّم الكاهن الشيخ على الكهنة الذين يصغرونه سنّاً أو أقدمية فى الرسامة الكهنوتية ؟

نجيب بأنّ **تقدُّم الكاهن الشيخ هو من مقتضيات الأدب اللائق نحو الشيوخ**. وهو قانون عام فى تراث الإنسانية كلّها، وتراث الكنيسة منذ وُجِد الإنسان على كوكب الأرض، أن يهاب الشاب، الشيخ ويحترمه ويرعى حرمته .

جاء فى سفر اللاويين وهو سفر الأحبار والكهنوت :

(من أمام الأشيب تقوم، وتحترم وجه الشيخ، وتخشى إلهك، أنا الربّ) (سفر اللاويين ١٩ : ٣٢) .

(فخر الشبان قوتهم وبهاء الشيوخ الشيب) (سفر الأمثال ٢٠ : ٢٩) .

(تهابون كلُّ إنسان أُمّه وأباه) (اللاويين ١٩ : ٣) .

(وكذلك أنتم الشُّبَّان، اخضَعوا للشيوخ والبسوا كُلكم ثوبَ التَّواضُع فى مُعاملة بعضكم لبعض،.. فاتضعوا تحت يد الله القادرة ليرفعكم عندما يحين الوقت) (ا.بطرس ٥: ٥، ٦). انظر أيضا (أيوب ١٢ : ١٢).

والقاعدة المرعيّة بالنسبة لرجال الكهنوت هى على النحو التالى :

أولا - الأعلى كهنوتيا فى الدرجة يتقدَّم غيره من الكهنة حتى لو كان هذا الغير أكبر منه سنا أو أقدم رسامة.

فالبطريرك يَتَقَدَّم الأساقفة وسائر الكهنة حتى لو كان بينهم من هم أقدم منه رسامة أو أكبر منه سِنا.

كذلك الأُسقف يَتَقَدَّم القسوس حتى لو كان بين القسوس من هو أقدم من الأُسقف رسامة أو أكبر منه سِنّاً.

ثانيا - بين أصحاب الدرجة الكهنوتية الواحدة يتقدَّم الأقدم رسامة على الباقين حتّى لو كان بينهم من هو أكبر منه سِنًا.

فالأُسقف الأقدم رسامة يتقدَّم غيره من الأساقفة حتى لو كان بينهم من هو أكبر منه سِناً.

وكذلك القسيس الأقدم رسامة يَتَقَدَّم غيره من القسوس حتى لو كان بينهم من هو أكبر منه سِناً.

ثالثا - بين أصحاب الدرجة الكهنوتية الواحدة متى تساووا فى أقدمية الرسامة الكهنوتية، يَتَقَدَّم الأكبر سِنًا غيره ممن هم دونه فى السنّ.

وعلى وجه الإجمال، فإنّ هناك إعتبارين :

الإعتبار الأول : الدرجة الكهنوتية الأعلى لها وضعها الخاص، وهذا من منطلق إحترام الكهنوت، بوصف المسيح هو رئيس كهنة العهد الجديد (العبرانيين ٨ : ١)، (٩ : ١١)، (٣ : ١) ومنه يأخذ رؤساء الكهنة فى الكنيسة كهنوتهم.

والإعتبار الثانى : هو السنّ، وهذا من **منطلق الأدب الإنسانى اللائق بالشيوخ** (قلتُ الأيام تتكلّم، وكثرة السنين تُظهر حكمة) (أيوب ٣٢ : ٧).

١٥ ـ هل يحمل رجل الله سيفا ؟

سؤال : من السيد/ عبد الملاك جريس عبد الملاك برايا ـ شبرا مصر.

يعلمنا الكتاب المقدس والتاريخ الكنسى أن بعض القديسين، ومنهم بطرس الرسول، ومارجرجس، وأبو سيفين كانوا يحملون أسلحة، فهل هذه الأسلحة هى للدفاع عن أنفسهم من الحيوانات المفترسة أم من البشر ؟ ونحن نعلم أن فى أيامنا هذه على الأخص، قد يفوق الإنسان فى وحشيته الحيوان المفترس. كمثل ما حدث فى لبنان وغيرها، من بلاد العالم.

الجواب :

إن بعض القديسين ممن ذكرتهم الكتب المقدسة، والتواريخ الكنسية كانوا أصلا من المحاربين المقاتلين، ومن هؤلاء فى العهد القديم يشوع بن نون الذى دخل ببنى إسرائيل إلى أرض الموعد..

ومنهم فى العهد الجديد بطرس الرسول، وفى تاريخ الكنيسة يرد اسم الشهيد العظيم مارجرجس، ثم الشهيد مرقوريوس الشهير بأبى سيفين، والأمير تادرس وغيرهم.

أما يشوع بن نون، فهو خليفة النبى موسى الكليم الذى عبر ببنى إسرائيل نهر الأردن، بأمر الرب، ليمتلكوا أرض كنعان، وكان لابُدّ أن يحارب الأمم التى اعترضت طريقهم والبلاد التى قاومتهم وحاربتهم. فحاربوا أريحا، وعاى وسيحون ملك حشبون وعوج ملك باشان والمديانيين، والأموريين وغيرهم، كما حاربوا عماليق من قبل فى زمن موسى النبى (الخروج ١٧ : ٨ –١٦)، (التثنية ٢٥ : ١٧).

فى تلك الحروب حمل يشوع بن نون السيف، كما حمله غيره من الرجال القديسين من أمثال إبراهيم الخليل الذى حارب الملوك الذين سبوا ابن أخيه لوط (التكوين ١٤ : ١١ – ١٦) لكن هذه الحروب كانت مشروعة لأن الله أمر بها (العدد ٢٥ : ١٦)، (العدد ٣١ : ١ – ٣)، (التثنية ٢ : ٢٤)، (٣٣ : ٢٩)، (القضاة ٧ : ١٨ ـ ٢٣) (أخبار الأيام الأول ٥ : ٢٢)، (إشعياء ٩ : ١١)، (١٣ : ٣) ، (٣٤ : ٢)، (حزقيال ٢٥ : ١٢)، (٣٥ : ٥) ، (عاموس ١ : ١١، ١٢) و (زكريا ١٣ : ٧).

وقد أمر الرب أحيانا بتلك الحروب عقابا على شر تلك الشعوب، مثلها فى ذلك مثل الأوبئة المهلكة، والنار المحرقة التى تنزل من السماء، فتبيد وتفنى، كما نزلت نار الله من السماء

وأحرقت سدوم وعمورة، والمدن التى حولهما، وكل الدائرة المحيطة بهما عقابا على شرور ساكنيها (التكوين ١٩ : ٢٤، ٢٥)، (رسالة يهوذا : ٧). لأن الرب بالنار يعاقب، وبسيفه على كل بشر، ويكثر قتلى الرب، (إشعياء ٦٦ : ١٦)، ويقول أيضا «وأجلب عليكم سيفا ينتقم نقمة، (اللاويين ٢٦ : ٢٥)، (التثنية ٣٢ : ٢٥، ٤١)، (عزرا ٩ : ٧) (أخبار الأيام الأول ٢١ : ٩ -١١)، (المزمور ٧٧ : ٦٢)، (إرميا ٤٧ : ٦)، (حزقيال ١٤ : ٢١).

قال النبى موسى لبنى إسرائيل :

«اسمع يا إسرائيل. أنت اليوم عابر الأردن لكى تدخل وتمتلك شعوبا أكبر وأعظم منك، ومدنا عظيمة ومحصنة إلى السماء. قوما عظاما وطوالا.. فاعلم اليوم إن الرب إلهك هو العابر أمامك نارا آكلة. هو يبيدهم ويذلهم أمامك، فتطردهم وتهلكهم سريعا كما كلمك الرب. لا تقل فى قلبك حين ينفيهم الرب إلهك من أمامك قائلا : لأجل برّى أدخلنى الرب لأمتلك هذه الأرض... ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم، بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك، ولكى يفى بالكلام الذى أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم واسحق ويعقوب (التثنية ٩ : ١ - ٥).

إذن لقد أباح الرب لشعبه وخدامه حمل السلاح والسيف لقتل أعداء الرب من الأشرار والعصاة والمتمردين، من بين الأمم الوثنية، بل لقد أباحه أيضا فى قتل الخطاة والفجار من بين شعبه. فقد ورد عن فينحاس بن العازر بن هرون الكاهن أنه أخذ رمحا بيده ودخل وراء الرجل الإسرائيلى (الزانى) إلى القبة، وطعن كليهما الرجل الاسرائيلى والمرأة فى بطنها. فامتنع الوباء عن بنى إسرائيل، (العدد ٢٥ : ٦ - ٨).

وهكذا صنع نحميا عندما تحالف الأعداء كلهم يدا واحدة على أن يأتوا ويحاربوا أورشليم وينزلوا بها شرا، قال نحميا : «ونظرت وقلت للعظماء والولاة ولسائر الشعب لا تخافوهم. اذكروا الرب العظيم الرهيب، وقاتلوا عن إخوانكم وبنيكم وبناتكم ونسائكم وبيوتكم.. ومن ذلك اليوم كان النصف من غلمانى يعملون العمل، والنصف الآخر متسلحين بالرماح والتروس والقسىّ والدروع... وكان الباقون فى السور وحاملوا الأثقال والمحملون يعملون باليد الواحدة وقد أخذوا الحراب باليد الأخرى، (نحميا ٤ : ١٣ - ١٨).

أما فى العهد الجديد، فالأمر مختلف.. فقد جاء المسيح الرب إلينا، وبمجيئه حلّ «على الأرض السلام» (لوقا ٢ : ١٤) ولمّا حمل القديس بطرس السيف، وقطع به أذن ملخس خادم رئيس كهنة اليهود، نهره مخلصنا قائلا : «رد سيفك إلى مكانه لأن كل من يأخذ بالسيف، بالسيف يهلك» (مت ٢٦ : ٥٢).

ومعنى هذا إن الرب يسوع لم يشأ أن يدافع عن نفسه بالسيف، ولم يشأ لتلميذه أن يتذرع بالسيف للدفاع عن معلمه. إن معلمه ليس فى حاجة إلى من يدافع عنه بالسيف. وقد أردف قائلا لبطرس «أتظن إنى لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبى فيقدّم لى فى الحال أكثر من إثنى عشر جيشا من الملائكة» (متى ٢٦ : ٥٣).

قال النبى إشعياء متنبئا عن عهد المسيح ملك السلام.

«فيقضى بين الأمم، وينصف لشعوب كثيرين، فيطبعون سيوفهم سككا، ورماحهم مناجل، لا ترفع أمة على أمة سيفا، ولا يتعلمون الحرب فيما بعد» (إشعياء ٢ : ٤). وقال النبى ميخا عنه «فيقضى بين شعوب كثيرين، وينصف لأمم قوية بعيدة، فيطبعون سيوفهم سككا، ورماحهم مناجل. فلا ترفع أمة على أمة سيفا، ولا يتعلمون الحرب فى ما بعد» (ميخا ٤ : ٣).

حقا لقد قال مخلصنا الرب يسوع :

«لا تظنوا إنى جئت لأحمل سلاما إلى الأرض. ما جئت لأحمل سلاما، بل سيفا» (متى١٠ : ٣٤). وفى موضع آخر يقول «أتظنون إنى جئت لأجلب على الأرض سلاما؟ أقول لكم كلا، بل إنقساما. فإنه منذ الآن سيكون خمسة فى بيت واحد منقسمين، ثلاثة ضد إثنين، وإثنان ضد ثلاثة. فيعادى الأب ابنه، والإبن أباه، وتعادى الأم إبنتها، والإبنة أمها، والحماة زوجة إبنها، وزوجة الإبن حماتها» (لوقا ١٢ : ٥١ – ٥٣).

غير أنه ليس السيف المقصود هنا فى هذا النص هو السيف المستخدم فى الحروب للقتال. إنما السيف هنا سيف رمزى معنوى، يشير إلى الحرب الروحية التى لابدّ أن تنشب بين من يقبلون تعاليم المسيح ومن يرفضونها (إشعياء ٤٩ : ٢) وهذا ما حدث ويحدث دائما من خلاف وإنقسام وتعارض وتضاد، ومناقشة حامية بين الفريقين، وهى فى الواقع حرب المبادئ بين الناس. وقد تصل أحيانا هذه الحرب الفكرية الروحية إلى حد الإقتتال فى سبيلها. إلا إن القتل فى هذه الحالة يكون من طرف واحد، أى من جانب خصوم المسيحية وتعاليم المسيح. وهو ما

جرى بالنسبة للمسيحيين على مرّ العصور إذ اضطهدهم أعداؤهم وأعملوا السيف فى رقابهم. وبهذا المعنى يعتبر المسيح ذاته مسئولا عن هذه الحرب ضد تلاميذه، وأتباعه، لأنه بسببه ومن أجله ومن أجل مبادئ الإنجيل عانى المسيحيون ويعانون الإضطهاد الذى قد يصل إلى استخدام السيف فى رقابهم، وهو ما احتمله الشهداء من أجل المسيح فى كل التاريخ.

وإذن لم يحمل المسيح سيفا ماديا، لكنه بتعاليمه ومبادئه ثارت الحرب على تلاميذه وأتباعه. وبعبارة أخرى صار المسيح علة وسببا لإضطهاد أتباعه، وقتلهم بسيف الأعداء. من هذه الجهة يمكن أن نفهم كيف حمل المسيح على الأرض سيفا، لا سلاما : سيفا ضد الشر والخطيئة والفساد، بمقاومته للشرور وإعلان الحرب عليها، وسيفا ضد أتباعه وتلاميذه بما أثارته تعاليمه من حرب عليهم.

المسيح إذن لم يحمل سيفا بمعناه المادى. وعلى الرغم من ذلك، فلم تنكر المسيحية على الحكام والملوك أن يحملوا السيف لمعاقبة الأشرار والمجرمين والخارجين على القانون. فقد قال الرسول بولس : «أتريد ألا تخاف السلطة ؟ افعل الخير تنل ثناءها، ... فأما إن فعلت الشر فخف، فإنها لم تتقلد السيف عبثا، لأنها فى خدمة الله كيما تنتقم لغضبه من فاعل الشر» (رومية ١٣ : ٣، ٤).

ومن هنا فلا اعتراض على الحاكم أن يحمل السيف لعقاب المجرمين والأشرار. وقياسا على هذا فلا اعتراض على حمل السلاح فى الحرب، إذا كانت دفاعية، أى دفاعا عن الأهل والوطن، وأرض الوطن ضد المعتدى والغاصب من الأعداء.

وقد جاء فى نصوص الصلوات الكنائسية، طلبات من أجل رئيس الدولة ورجال الجيش والجند، أى أن الكنيسة تصلى من أجل سلامتهم، ومن أجل نصرتهم على جيوش الأعداء. فقد جاء فى أوشية (طلبة) السلام الكبيرة :

«... الرئيس والوزراء، والمحافظون، ورجال الأمن والجيش، وجماهير شعبنا.. والشعوب المجاورة لنا أرشدهم بكل سلام...» وجاء أيضا فى أوشية رئيس الدولة :

«رئيس أرضنا، عبدك، احفظه فى سلام وعدل وقوة. ولتخضع له كل الشعوب الذين يثيرون الحروب علينا طمعا فى كل ثروات بلادنا».

أما الشهداء من أمثال أمير الشهداء القديس مارجرجس، والشهيد مرقوريوس أبى السيفين، والأمير تادرس... وغيرهم.. فهؤلاء حملوا السلاح قبل أن يصيروا شهداء، فقد كانوا من المحاربين والمقاتلين، وكانوا من بين قادة الجيوش والضباط. وبعد استشهادهم صاروا يحاربون الشياطين ويطردون الأرواح النجسة من المرضى، ويقاتلون أعداء الله، لا بسيوف مادية بل بأسلحة روحية حتى لو بدت فى صورة مادية.

هذه الأسلحة الروحية والسيوف النارية، أشارت إليها الكتب المقدسة فى العهد الجديد، ونصت عليها.

قال الرسول القديس بولس :

قد تناهى الليل وتقارب النهار، فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور (رومية ١٣ : ١٢).

«فى كل شئ نظهر أنفسنا كخدّام الله فى صبر كثير.. فى كلام الحق، فى قوة الله، بسلاح البر لليمين ولليسار» (٢ . كورنثوس ٦ : ٤ – ٧).

«لأننا وإن كنا نسلك فى الجسد لسنا حسب الجسد نحارب. إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون، هادمين ظنونا وكل علو يرتفع ضد معرفة الله، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح، ومستعدين لأن ننتقم عن كل عصيان» (٢ .كورنثوس١٠ : ٣ –٦).

«تقووا فى الرب وفى شدة قوته. البسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس. فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السماويات. من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تقاوموا فى اليوم الشرير. وبعد أن تتمموا كل شئ أن تثبتوا. فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق، ولابسين درع البر، وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام، حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذى به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة. وخذوا خوذة الخلاص، وسيف الروح الذى هو كلمة الله، مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت فى الروح» (أفسس ٦ : ١٠ – ١٨).

« وأما نحن الذين من نهار فلنصح لابسين درع الإيمان، والمحبة وخوذة هى رجاء الخلاص، لأن الله لم يجعلنا للغضب بل لإقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح» (١ . تسالونيكى ٥ : ٨، ٩).

لذلك عندما يمسح الكاهن بالميرون على أعضاء المعمدين باسم الآب والابن والروح القدس، يقول فى الرشم الخامس الذى يرشم به مفصل الورك الأيمن والحالب الأيمن ومفصل الركبة اليمنى ومثناه، ومفصل عرقوب الرجل اليمنى وأعلاه : «كمال نعمة الروح القدس، ودرع الإيمان والحق، آمين».

وعلى ذلك فإذا رأينا بعض القديسين يصورون فى إيقونات على حجاب الهيكل، أو على حوائط الكنيسة، يحملون سيوفا. فهذه السيوف وإن بدت فى الصورة جسدية مادية لكنها فى حقيقتها معنوية روحية، ترمز إلى قوتهم وشجاعتهم وصلابتهم فى الحق ومقاومتهم للشر، وحربهم للشيطان وللأرواح النجسة ولأعداء الله، وأعداء الإيمان والكنيسة.

هكذا يصور القديس بولس الرسول دائما يحمل سيفا، هو فى الواقع سيف الروح الذى طالما تحدث عنه فى رسائله وتعليمه (أفسس ٦ : ٨ - ١٠).

وبالمثل يظهر القديس الشهيد مارجرجس وأبو سيفين والأمير تادرس وغيرهم... فمع أنهم كانوا بالفعل محاربين ومقاتلين بسيوف مادية، فى ماضى حياتهم، لكنهم بعد إستشهادهم صارت أسلحتهم روحية، وسيوفهم معنوية، ترمز إلى حرارتهم الروحية، وسرعتهم فى تلبية نداء من يستغيث بهم. على إن البعض يرونهم فى أحلامهم أو فى رؤى، فى صورة محاربين يمتطون صهوة حصان، وبيدهم سيف أو رمح يطعنون به الشيطان، أو الروح النجس، يدركون بعد حين أن هذا الرمح وذلك السيف ليس من طراز الحراب المادية، ولكنه سلاح من نار ونور، فهو سلاح بتار لكنه روحانى، ومن طراز أسمى، وأقوى من أى سلاح مادى.

هكذا ظهر الملاك الكروبيم فى طريق شجرة الحياة بعد سقوط الأبوين الأولين فى خطيئة الأكل من الثمرة المحرمة ومعه «لهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة» (التكوين ٣ : ٢٤).

وهكذا ظهر رئيس الملائكة ليشوع بن نون فى مقابل أريحا، وسيفه فى يده مسلولا حتى أن يشوع أقبل عليه وقال له : «ألنا أنت أم لأعدائنا؟ فقال كلا، بل أنا رئيس جند الرب. الآن جئت» (يشوع ٥ : ١٣، ١٤).

لهذا يظهر رئيس الملائكة ميخائيل فى الفن الكنسى ممسكاً بسيف بيده، ويضرب به الشيطان فى صورة تنين، ويسحقه تحت قدمية. ولعل الفن المسيحى فى هذا التصوير متأثر بما

جاء فى سفر الرؤيا : «وحدثت حرب فى السماء : ميخائيل وملائكته حاربوا التنين، وحارب التنين وملائكته، ولم يقووا، فلم يوجد مكانهم بعد ذلك فى السماء. فطرح التنين العظيم، الحية القديمة، المدعو إبليس والشيطان، الذى يضل العالم كله، طرح إلى الأرض وطرحت معه ملائكته» (الرؤيا ١٢ : ٧ – ٩). ويؤيد هذه الصفة لرئيس الملائكة ميخائيل كمحارب للشيطان، القديس يهوذا الرسول فى رسالته حيث يقول «وأما ميخائيل رئيس الملائكة. فلما خاصم إبليس محاجا عن جسد موسى، لم يجسر أن يورد حكم إفتراء، بل قال : لينتهرك الرب» (رسالة يهوذا : ٩).

ويؤيدها أيضاً ما جاء فى سفر دانيال النبى : (دانيال ١٠ : ١٣ – ٢١)، (١٢ : ١). والخلاصة أن رجل الله لا يحمل سيفا ماديا، لكن سيفه روحانى، يحمله لطرد الشياطين والأرواح النجسة، ولا يحمله لإذلال الأتقياء من شعب الله. ولقد حذر القانون الكنسى بكلمات مرعبة، الكاهن أو الأسقف من أن يرفع سيف الحرمان على إنسان، من دون فحص ودرس، ومحاكمة عادلة، وإستشارة أطباء روحانيين حاذقين فى علاج الخطاة، وإلاّ فإن سيف الحرمان يرتد بالقطع والحرم على من لفظه بغير حق. (الدسقولية - تعاليم الرسل - باب ٤، باب ٨).

١٦ ـ هل يجوز للكهنة فقط الوعظ والتعليم؟

سؤال : هل قانون الكنيسة يمنع التعليم والوعظ من على المنبر إلا للكهنة فقط؟

الجواب :

لما كان الوعظ والتعليم فى الكنيسة من إختصاصات الكهنوت، ودعاه الرسول بولس «خدمة إنجيل الله الكهنوتية» (١) . ولذلك كان الوعظ والتعليم هو أول إختصاصات الأسقف، باعتباره حاملاً لأكبر درجة كهنوتية، وله كمال الكهنوت، وفيه يقول الرسول:

«فينبغى أن يكون الأسقف... قادراً على التعليم» (٢)

«إن الأسقف وهو، وكيل الله، يجب أن يكون بريئاً من اللوم..... يلازم الكلام السليم الموافق للعقيدة ليكون قادراً على الوعظ فى التعليم الصحيح» (٣) ولذلك أيضاً رسم الآباء الرسل شمامسة ليقوموا بالخدمة الإجتماعية إذ رأوا أن هذه الخدمة ستعطلهم عن مهمتهم الأولى وهى الكرازة والتعليم وخدمة الكلمة (٤)، وهى المهمة التى أقامهم المسيح لأجلها (٥) وكلفهم بها (٦) .

ويجئ الكاهن أى القسيس، بعد الأسقف، فى هذا الإختصاص، وله أيضاً حق التعليم وواجب التعليم لأن شفتى الكاهن تحفظان المعرفة، ومن فمه يطلبون الشريعة، إذ هو رسول رب الجنود (٧) .

وقد أجيز للشماس الكامل، وهو الدياكون، والأرشيدياكون أن يعظ ويعلم كما صنع القديس اسطفانوس رئيس الشمامسة وأول الشهداء الذى دون له سفر الأعمال خطابا (٨) روحانياً، مات على أثره شهيداً (٩)، وكما فعل القديس فيلبس الشماس الذى إنحدر من أورشليم إلى السامرة وأخذ يكرز هناك وفى غزة واشدود وجميع المدن المجاورة حتى بلغ إلى قيصرية (١٠) .

---

(١) (رومية ١٥: ١٦) .
(٢) (١ . تيموثيلوس ٣: ٢)، (٢ . تيموثيلوس ٢: ٢٤) .
(٣) (تيطس ١: ٩) .
(٤) (أعمال الرسل ٦: ٢ – ٤) .
(٥) (متى ١٠: ٥ – ٧)، (مرقس ٣: ١٤)، (لوقا ٩: ٢) . (٦) (متى ٢٨: ١٩) .
(٧) (ملاخى ٢: ٧) .
(٨) (أعمال الرسل ٧: ٢ – ٥٣) .
(٩) (أعمال الرسل ٧: ٥٤ – ٦٠) .
(١٠) (أعمال الرسل ٨: ٥ – ٤٠) .

ولكن يبدو أن الكنيسة لم تعتبر التعليم من حق الشماس، إلا تجاوزاً نظراً لأن درجة الشمامسة أقيمت فى الكنيسة إبتداء من أجل الخدمة الإجتماعية. أما التبشير والوعظ والتعليم، فقد أجيز للشمامسة لا كإختصاص أول، وأخذ يضيق شيئاً فشيئاً مع زيادة عدد الأساقفة والكهنة، إلى أن صار التعليم لا يباح للشمامسة إلا فى أضيق الحدود، وللضرورة، وحيث لا يكون الأسقف أو القسيس موجوداً أو قادراً على مباشرة إختصاصه لمرض أو تعب وما إليه.

ولذلك جاء القانون صريحاً:

«ليس لشماس سلطان أن يعلم أو يعمد أو يقدس، أو يبارك الشعب (١) وهذا هو السبب فى أنه إذا كانت الضرورة تقتضى أن يعظ الشماس فى حضرة الأسقف أو القسيس، فإنه يمضى أولاً ليستأذن الأسقف أو القسيس وينال بركته ويقبل الصليب بين يديه، مدللاً بهذا على أنه ليس من حقه أن يعلم إلا بتكليف من الأسقف صاحب الإختصاص الأصيل فى التعليم، ومن بعده الكاهن القسيس».

أما عامة المؤمنين، وأفراد الشعب ممن يسمونهم بالعلمانيين فليس لهم أن يعلموا فى الكنيسة أو يعظوا فيها.

وقد سارت الكنيسة الأرثوذكسية منذ الإبتداء على هذا المبدأ الإلهى الرسولى أن لا يباشر عمل التعليم والوعظ خصوصاً فى الكنيسة غير حملة الدرجات الكهنوتية، وهذا المبدأ الذى عبر عنه الروح القدس فى العهد الجديد «وكيف يبشرون إن لم يرسلوا» (٢). والإرسالية هنا هى إرسالية الكنيسة المقدسة للخدام، وهى سيامتهم بوضع أيدى رؤساء الكهنة من الأساقفة والمطارنة والبطاركة.

وهذا هو السبب فى حرم العلامة أوريجينوس وفرزه بمعرفة بابا الأسكندرية، لأن أوريجينوس وعظ المؤمنين فى الكنيسة، ولم يكن فى ذلك الوقت كاهناً على الرغم من أنه كان رئيساً للمدرسة اللاهوتية فى الأسكندرية، وقد كان قانون كنيسة الأسكندرية فى ذلك الوقت صارماً، ولا يسمح لغير الكهنة أن يعظوا فى الكنيسة أمام المؤمنين. لقد كان أوريجينوس يعلم

---

(١) الدسقولية باب ٣٤ – أنظر أيضاً المجموع الصفوى للشيخ الصفى ابن العسال = طبعة جرجس فيلوثاؤس عوض الباب السابع ص ٧٢ – بند ثالث – ١٦ وطبعة الأنبا ايسيذوروس سنة ١٩٢٧ الباب ٧ ص ٦٦.

(٢) (رومية ١٠: ١٥).

فى المدرسة اللاهوتية، ولم يكن جائزاً له حتى وهو مدير للمدرسة اللاهوتية أن يعظ فى الكنيسة، طالما أنه لم يكن كاهناً. ولم يجرؤ أحد أن يخطئ القديس ديمتريوس الذى أوقع عليه الحرم، لأن القانون كان صريحاً، وقد تخطى أوريجينوس القانون. ولذلك - ونظرا لقوة حجة القديس ديمتريوس وسلامة موقفه - لم يملك الأسكندر أسقف أورشليم إلا أن يقر موقف البطريرك ديمتريوس، فرسم أوريجينوس كاهناً.

والخلاصة أن قانون الكنيسة يجعل التعليم من سلطان الأساقفة والكهنة إختصاصاً أصيلاً، ولا يجيزه للشماس الكامل إلا فى حدود ضيقة وبتكليف من الأسقف أو القس. أما من هو أقل مرتبة من الشماس الكامل (وهو الدياكون) فلا يجوز له التعليم فى الكنيسة. يمكن أن يعلم فى مدرسة أو فى بيت أو فى قاعة، أما فى الكنيسة وأمام جمهور المؤمنين فلا يجوز التعليم والوعظ لغير حملة الدرجات الكهنوتية.

١٧ ـ هل يجوز للكاهن أن يتزوج بعد وفاة زوجته ؟

سؤال : من السيد الدكتور فكرى نجيب يوسف ـ سمالوط.

هل يجوز زواج الكاهن بعد وفاة زوجته ؟ ولماذا لا ؟

الجواب :

الكاهن الذى تموت زوجته، لا تجيز له قوانين الكنيسة الزواج وهو كاهن. فإذا شاء الزواج، فالزواج ممكن ولكن بشرط أن يتنحى عن خدمة الكهنوت. وفى هذا يسرى عليه القانون الخاص بعامة المؤمنين، من غير أصحاب الدرجات الكهنوتية: «إن لم تكن مرتبطا بامرأة، فلا تطلب إمرأة. لكنك إن تزوجت لم تخطأ» (١ . كورنثوس ٧: ٢٧، ٢٨) «وأقول لغير المتزوجين وللأرامل أنه يحسن بهم أن يظلوا مثلى (غير متزوجين)، فإذا لم يطيقوا العفاف فليتزوجوا» (٧: ٨، ٩).

ولقد سارت الكنيسة الأرثوذكسية منذ البدء على هذا المبدأ، أن تختار كهنتها وكذلك شمامستها (فى درجة الدياكون) ممن كان متزوجا بزوجة واحدة (١ . تيموثيئوس ٣: ٢، ١٢)، (تيطس ١: ٦) بمعنى أن لا يكون متزوجا غير مرة واحدة، أى أن للكاهن والشماس الحق فى زوجة واحدة مدى الحياة، وليس له غيرها إلا إذا ترك خدمة الكهنوت، وصار كأحد المؤمنين. ففى هذه الحالة يمكنه كمسيحى أن يتزوج بإمرأة أخرى بعد وفاة زوجته.

وجاء فى الدسقولية (تعاليم الرسل) تفسيراً لقول الرسول بولس «متزوجا بزوجة واحدة» قولهم «زيجة واحدة» (الباب الثالث) وجاء أيضاً فى موضع آخر قولهم «وإن كان ليس له زوجة فحسن، وإن لم يكن هذا فليكن متزوجا زوجة واحدة» (باب ٣٦).

وكذلك ورد فى كتب القوانين الكنسية من بين مؤهلات الكاهن والشماس «من كانت له إمرأة واحدة» و «أقاموا مع زوجة واحدة». والمفهوم أن هذه الزوجة «واحدة لكل الحياة»، لأنه ما هو فضل الكاهن على عامة المؤمنين إذا كان المقصود أن لا يجمع بين زوجتين معا، فكل مسيحى لا يجمع بين زوجتين معا، وهو ما يعرف بوحدة الزيجة عند المسيحيين.

جاء فى قوانين الرسل : «وحسن أن لا تكون له زوجة، فإن كان قد تزوج بواحدة من قبل أن يكون أسقفا (أو قسيسا) فليقعد معها» (قانون ١٣: ١ من الكتاب الأول).

وجاء فى قوانين الرسل أيضاً : «ومن تزوج ثانية من بعد المعمودية... فلا يمكن أن يصير أسقفا ولا قسيسا ولا شماسا، ولا يعد جملة من الإكليروس» (القانون ١٣: ٢ من الكتاب الثانى).

وجاء فى القانون الأول من قوانين مجمع قرطاجنة «وأى كاهن تزوج بعد قبوله درجة الكهنوت، فليقطع من درجته».

وجاء فى القانون الأول من قوانين مجمع (قيصارية الجديدة) المنعقد سنة ٣١٥م «أيما قسيس تزوج فليجرّد».

وجاء فى القانون ٤٢ من قوانين القديس باسيليوس الكبير «أسقف أو قسيس أو شماس (دياكون) إذا تزوج من بعد زواجه الأول فلا يقف فى طقسه كل أيام حياته، بل يكون فى آخر الطقوس»، كذلك أيضاً القانون العاشر من قوانين مجمع (أنقرة) المنعقد سنة ٣١٤م.

ومما تجدر ملاحظته أن هذه القاعدة فى مسألة الزواج بالنسبة لأصحاب الدرجات الكهنوتية، مرعية ومتبعة بالمثل عند جميع الكنائس الشرقية القديمة ومنها الكنائس السريانية والأرمنية والأثيوبية، بل وعند جميع الكنائس الشرقية الأخرى المعروفة بالبيزنطية الأرثوذكسية كالروم والروس والبلغار والرومان وغيرهم فضلا عن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية فى مختلف طقوسها: فالجميع لا يبيحون زواج الكاهن بعد وفاة زوجته، فإذا أراد الزواج كان عليه أن يترك خدمة الكهنوت.

والسبب الجوهرى فى ذلك هو إحترام قداسة الكهنوت، وسموّه، وأنه يتطلب درجة عالية فى العفة والروحانية، عبّر عنها الرسول القديس بطرس فى قوله لسيّده ومعلمه المسيح له المجد «ها نحن أولاء قد تركنا كل شئ وتبعناك، فماذا عسى أن يكون نصيبنا؟» فقال لهم يسوع: «الحق أقول لكم... كل من ترك بيوتا أو أخوة أو أخوات... أو زوجة... من أجل إسمى، فسيأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية» (متى ١٩: ٢٧ – ٢٩)، (لو ١٨: ٢٨ –٣٠) ويلاحظ فى جواب المسيح له المجد أنه قد وعد الرسل بأن يعوضهم أضعافا عما تركوه من أجله فى كل شئ، فيما عدا الزوجة «... يأخذ مائة ضعف ينالها الآن فى هذا الدهر بيوتا أو أخوة أو أخوات وأمهات وآباء وأبناء وحقولا مع إضطهادات. أما فى الدهر الآتى فحياة أبدية» (مرقس ١٠: ٢٨ –٣٠).

وهناك سبب آخر له اعتباره فى الموضوع، هو أن الكاهن وقد صار بالكهنوت أبا لجماعة المؤمنين، لا يجوز له بصفته هذه أن يتزوج واحدة من بناته (إذ لا يجوز للرجل أن يتزوج إبنته، فهذه الحالة تدخل فى نطاق المحارم). فإذا ترك خدمة الكهنوت صار ذلك جائزا، كما يجوز لأى رجل من عامة المؤمنين.

١٨ ـ هل يجوز لزوجة الكاهن إذا ترملت أن تتزوج بآخر؟

سؤال : من السيد الدكتور فكرى نجيب يوسف ـ سمالوط.

هل يجوز زواج إمرأة الكاهن بعد وفاة زوجها الكاهن، خصوصا إذا كانت صغيرة السن، ولم تنجب بعد أطفالا، أو إذا أنجبت أطفالا صغارا يحتاجون إلى رعاية، وليس لها من أسرتها أحد يمكن أن يرعى الأطفال ويتكفل بهم؟

الجواب :

إن المرأة التى تتزوج بكاهن تصير مباركة ومقدسة أكثر من أية إمرأة أخرى، فمن المكروه أن تتزوج إمرأة الكاهن بأى رجل آخر إلا إذا كان كاهنا. لقد أمرت الشريعة أن يتخذ (الكاهن) عذراء من قومه إمرأة (اللاويين ٢١ : ١٣) . وليس لهذه الوصية الإلهية إلاّ إستثناءٌ واحد، وهو أن تكون المرأة أرملة لكاهن توفى. يقول الكتاب المقدس عن الكهنة (ولا يتزوجون أرملة ولا مطلقة، زوجة، بل يتخذون عذارى من نسل بيت إسرائيل، أو أرملة التى كانت أرملة كاهن) (حزقيال ٤٤ : ٢٢) .

جاء فى القانون ٤١ من قوانين القديس باسيليوس الكبير.

«وإذا تزوجت زوجة قسيس بآخر بعد موته، فإن ذلك يكون عارا عليها إذ إستهانت بفضل الدرجة الأولى» .

ويقول القمص فيلوثاؤس إبراهيم رئيس الكنيسة المرقسية الكبرى فى عهد البابا كيرلس الخامس، مؤلف كتاب «قانون الكنيسة القبطية» تعقيبا على عبارة القديس باسيليوس الكبير «إذ صارت تحت المرؤس بعد الرئيس» (الفصل الأول، المسألة الثامنة عشر، حاشية ٣) .

وجاء فى قوانين المجمع المنعقد برئاسة البابا كيرلس الثالث :

«وأما الزيجات المكروهة المستقبحة... فمنها.. زيجة إمرأة القسيس بعد وفاته» (فصل الزواج نفسه) .

فإذا لم تتزوج أرملة الكاهن المتوفى برجل مرشح للكهنوت، أى عتيد أن يكون كاهنا، فعلى الكنيسة أن تتولى أمرها، وتتكفل بالإنفاق عليها، وعلى صغارها، إذا كان لها صغار. وهذا هو أقل الواجب نحو زوجها الذى خدم الكهنوت وكنيسة الله، ونحوها هى أيضا كإنسانة لها على الكنيسة واجب الإهتمام بها.

لقد أوصى الآباء الرسل فى الدسقولية (تعاليم الرسل) أن يهتم كل أسقف بأمر البنات العذارى (الباب ١٣) فبالأحرى أرامل الكهنة الذين رقدوا فى الرب.

ولقد رأيت فى بلاد اليونان أن إمرأة الكاهن المترملة تصير شماسه فى الكنيسة تخدم فى داخل الكنيسة وخارجها. وهى ترتدى عادة زياً أسوداً شبيها بزى الراهبات.

والمعروف فى الكنيسة الأرثوذكسية أن الشماسة الإمرأة لها ثلاثة إختصاصات أساسية:

(١) مساعدة الكاهن فى تعميد السيدات أو البنات البالغات.

(٢) خدمة النساء فى خورس (صف) النساء فى الكنيسة...

وذلك(أ) بتوفير الهدوء والنظام بين النساء ولاسيما فى خوروس المتناولات.

(ب) خدمة البنات فى مدارس التربية الكنسية.

(ج) الإشراف على أعمال النظافة.

(٣) خدمة النساء فى الخارج، بإفتقاد المريضات، وتعزية الحزينات، وتوزيع الصدقات وأعمال الرحمة على الفقيرات...

هذا بالإضافة إلى الإشراف على نشاط البنات والنساء فى كل ما يلزم للكنيسة ومرافقها من أعمال الخياطة والتطريز، لتوفير الستائر واللفائف وملابس الأطفال المعمدين، وغير ذلك من أنشطة تصلح لها المرأة أكثر من الرجل.

جاء فى الدسقولية (تعاليم الرسل):

«وليختر الأسقف نسوة قديسات، وليقسمهن شماسات، من أجل خدمة النساء، لأنه لا يمكن أن ينفذ شماسا إلى بيت النساء. فالحاجة داعية إلى الشماسات من أجل ذلك، ومن أجل إمرأة تعمد... لأنه يجب أن لا يتأمل الرجال النساء ولا يلمسوهن إلا بوضع اليد لا غير (باب ٣٤).

وجاء فى الدسقولية أيضا «والشماسة فلتؤدب النساء، ولترحهنّ، ولتعنهن» (باب ٣٤).

وفى تعاليم الرسل (الدسقولية) أيضا قولهم: «ولتكن الشماسة جليلة عندكم. ولا تقل شيئا من الكلام، ولا تعمل شيئا إلا بأمر الشماس، ولا تأتى إمرأة إلى الشماس أو إلى الأسقف لتسأل عن شئ إلا مع الشماسة» (باب ٦).

وجاء فى (قوانين الرسل) قولهم: «والشماسات النساء لايباركن، ولا يفعلن شيئا مما يفعله القسوس أو الشمامسة، بل يحفظن الأبواب لا غير، ويخدمن القسوس فى موضع يعمدون النساء» (القانون ٥٨: ١ من الكتاب الأول).

ومن بين النساء الخادمات كثيرات ذكرهن الإنجيل المقدس (لوقا ٨: ٢، ٣)، (متى ٢٧: ٥٥، ٥٦)، (مرقس ١٥: ٤٠، ٤١)، (١٦: ٩).

وفى العصر الرسولى الأول ذكر العهد الجديد صراحة إسم «فيبى شماسة الكنيسة التى فى كنخريا» (رومية ١٦: ١)، وأخريات (أعمال الرسل ١٦: ١٤، ١٥، ٤٠)، (١٨: ٢، ١٨، ٢٦)، (رومية ١٦: ٣، ٥)، (١. كورنثوس ١٦: ١٩)، (رومية ١٦: ١٢، ١٣، ١٥).

١٩ - زواج الكاهن غير الأرثوذكسى

سؤال : هل يجوز زواج كاهن غير أرثوذكسى قبل إنضمامه للكنيسة الأرثوذكسية؟

الجواب :

إذا أراد كاهن غير أرثوذكسى الإنضمام إلى الكنيسة الأرثوذكسية، فبعد فحص صدق رغبته فى هذا الإنضمام، وبعد الإطمئنان إلى صدق وسلامة عقيدته، يمكن حسب رغبته أن يسمح له بالزواج قبل أن يسام كاهنا فى الكنيسة الأرثوذكسية.

قد كان يمكن أن يكون ثمت إعتراض على زواجه لو أنه قبل كهنوته الأول.

أما أنه بالإنضمام إلى الكنيسة الأرثوذكسية ستعاد من جديد رسامته على الطقس الأرثوذكسى، فلا ضير أن يترك حراً ليتزوج إذ أراد، خصوصا إذا لم يكن قد دخل فى طقس الرهبنة ولم يعطِ نذورا رهبانية.

إننا لا نمنع راهبا أرثوذكسيا من أن يتزوج إذا أراد، بشرط أن يؤدى قانون توبة. فإذا كان غير أرثوذكسى، ولم يؤدِ نذورا رهبانية ويريد الإنضمام إلى الكنيسة الأرثوذكسية، فبعد إنضمامه روحيا وطقسيا وإيمانيا تمارس له جميع الرسامات بعد زواجه، أى يرسم شماسا (دياكون) ثم قسيسا بعد ذلك.

٢٠ ـ رسامة إكليريكي بتول قسيسا

سؤال : من أحد الأباء :

هل يجوز رسامة إكليريكى بتول قسيسا؟

الجواب :

إن هذا جائز طبعا وقد كان معروفا فى كل عصور الكنيسة، وكثيرون منهم رسموا أساقفة وبطاركة قبل عهد الرهبنة، بل وفى أثناء إزدهار الرهبنة والأديرة وإلى وقت قريب، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، وهو الوضع الذى يجب أن نصير عليه بالنسبة للبتوليين، ممن لا تسمح لهم ظروفهم بالترهب بالأديرة نظرا لمسئولياتهم العائلية أو إرتباطاتهم بالخدمة فى العالم

على أنه يجمل أن يشترط فيمن يرسم كاهنا من البتوليين أن يكون :

أولاً: قد بلغ سن الأربعين وهى السن التى يكون فيها قد استقر نفسيا وعاطفيا.

ثانياً: أن يعفى من سماع الإعترافات، ومن زيارة البيوت، ويتفرغ للصلوات وسائر الخدمات الكنسية، وللوعظ والتعليم.

٢١ ـ هل يجوز رسامة إبن الزوجة الثانية كاهناً؟ (١)

سؤال : من الأب المحترم القس لوقا هلال سعيد الكاهن بكنيسة القديس مار يوحنا الحبيب بنجع حمادى.

شخص إبن الزوجة الثانية يتمتع بسيرة طيبة وسلوك حميد مشهود له من الجميع. هل يصلح أن يكون كاهنا. والمقصود بإبن الثانية أن والده كان متزوجا، وماتت إمرأته، فتزوج بثانية، وأنجب من الزوجة الثانية إبنا، فهل هذا الإبن ـ إذا كان يصلح للكهنوت ـ تجوز سيامته كاهنا أم لا؟

الجواب :

إن القانون الكنسى **يمنع إبن المرأة الراجع أن يصير فى أى درجة من درجات الكهنوت.**

والمرأة الراجع هى المرأة التى مات زوجها فرجعت إلى أهلها. **فإذا تزوجت ثانية فلا يجوز لنسلها من زواجها الثانى أن يرسم كاهناً.**

جاء فى قوانين المجمع الإكليريكى العام فى عهد البابا كيرلس الثالث:

(ومن تزوج بامرأة راجع، فلا كهنوت له ولا لأولاده منها)

وجاء أيضا:

(أولاد النساء الرواجع... لايُقدَّمون فى شئ من درج الكهنوت. وكذلك أولاد الزوجة الثالثة، ولو كانت بكرا، لا يُقدَّم أيضا فى شئ من درج الكهنوت)

(التذييل الخامس) من كتاب (مجموع القوانين ـ الذى جمعه العلامة القبطى الشيخ الصفى إبن العسال)

وعلى ذلك فالقانون الكنسى لا يجيز لابن الزوجة الثانية إذا كان قد سبق زواجها، أن يصير، كاهناً.

---

(١) كتب فى ٥ من مارس ١٩٨٦م ـ ٢٦ من أمشير ١٧٠٢ ش.

أمّا إذا كانت المرأة بكراً وتزوجت رجلاً أرمل، فلا يوجد نص قانونى يمنع إبنها من أن يصير كاهناً، بدليل قوله (كذلك أولاد الزوجة الثالثة، **ولو كانت بكرا**، لا يقدّم أيضا فى شئ من درج الكهنوت، فهذا النص فى حالة الزوجة الثالثة **(ولو كانت بكراً)**، قد يدل ضمنا على أن إبن الزوجة الثانية إذا كانت بكراً يمكن عند الضرورة أن لا يمنع من الكهنوت.

وقد ورد فى كتاب تاريخ بطاركة الكنيسة القبطية أن الأراخنة الأقباط عاتبوا البابا كيرلس الثالث الخامس والسبعين من بطاركة الكرسى الأسكندرى (١٢٣٥ – ١٢٤٣)م على أنه (يُكرز أولاد التوانى) أى أنه يجيز رسامة أبناء الزيجة الثانية، فأجابهم (أرونى قانونا قد منعوا فيه من الكهنوت؟ قالوا له: إنها **عادة كنيستنا، وماجرت به سُنّة آبائنا)** قال إنى أوافقكم على هذا، على أنها عادة عندكم، لا شرع أو ناموس. قالوا: فنريد كتباً إلى الوجهين القبلى والبحرى بمنع الشرطونية وقطع تكريز أولاد من تزوجت رجلاً ثانيا. قال: (أنا أكتبها وأسيرها لكم) (تاريخ بطاركة الكنيسة القبطية طبقا للمخطوط العربى رقم ٣٠٢ المحفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس من ورقة رقم ٢٨٧ ظ إلى ٣٥٥ج) المجلد الرابع - الجزء الثانى - ورقة ٣٢٣ (ج) صفحتى ٧٥، ٧٦)

والخلاصة، إن العادة المتبعة فى كنيستنا القبطية وتقاليدنا الكنسية لا تجيز رسامة إبن الزوجة الراجع (أو الأرملة)، ولكنها لا تمنع منعا قاطعاً إبن الزوجة الثانية إذا كانت أُمه بكرا. أما إبن الزيجة الثالثة فلا يجوز له أن يصير كاهنا حتى لو كانت أُمهَ بكراً.

ويبدو أن **إجلال الكهنوت** هو المنطلق الرئيسى لهذه العادة الكنسية. فى منع رسامة إبن الزوجة الثانية.

فالمسيحية ترفع البتولية فوق الزواج، **وترفع الزواج الأول فوق الزواج الثانى**. (وأقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه يحسن بهم أن يبقوا على هذه الحال مثلى. **فإذا لم يطيقوا (ضبط أنفسهم) فليتزوجوا**، فإن التزوج أفضل من التحرق) (١كورنثوس ٧: ٨، ٩) ثم (إنّ المرأة تظل مقيّدة شرعا بزوجها مادام حياً، فإن رقد رجلها عادت حرة تتزوج من تشاء ولكن زواجا فى الرب فقط **غير أنها تكون أكثر غبطة إن بقيت على ما هى عليه)** (١. كورنثوس ٧: ٣٩، ٤٠)

٢٢ ـ مفهوم الحوار مع الأسقف والكاهن

سؤال : من الأب المحترم يوسف مظلوم صاحب ورئيس تحرير جريدة الميساجى «**مفهوم الحوار فى الحياة الدينية بين الأسقف والكاهن**» وبين الكاهن والرعية، وبين الراهب ورئيس الدير... وهل يمكن مع مفهوم الإنفتاح إلى العلم والعالم أن نحفظ للحوار سماته الإنجيلية؟.

الجواب :

المسيحية دين يقوم على إقناع العقل وإلهاب القلب بمحبة الله ومحبة القريب... ومن هنا كانت أهمية الكرازة والتعليم، لأنها وسيلة رجل الدين إلى عقول الناس وقلوبهم... وهذا ينطوى على إحترام للعقل الإنسانى وعلى إيمان بحرية الإنسان فى قبول الحقائق الدينية، وحق الإنسان فى أن يؤمن بما يقال له، أو يرفض ما يعرض عليه، فإن الإنسان كائن حر مريد وبالتالى فهو مسئول عن أفعاله، مسئول عن القبول والرفض، لأنه حر، فحيثما توافرت الحرية للكائن صارت له المسئولية، بقدر ما له من الحرية.

وقد قال المسيح له المجد لتلاميذه القديسين «فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم وعلّموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به» (متى ٢٨ : ١٩، ٢٠) «إذهبوا إلى العالم أجمع، وبشروا بالإنجيل كل الخليقة، فمن آمن وإعتمد خلص، ومن لم يؤمن أدين» (مرقس ١٦ : ١٥، ١٦).

هذا وعلاقة المسيح بتلاميذه كانت تقوم على أساس الإقناع الفكرى والقلبى، فى كل ما علمهم به... وهكذا كانت علاقته بجماهير الناس الذين كان يعلمهم ويعظهم ويبشرهم بملكوت الله.

لم تكن علاقته بأحد من الناس قط علاقة إرهاب.. ولم يحمل سيفا يُحْمل به أحداً على طاعته والإذعان لكلمته... وإنما كان سلاحه هو الكلمة ذاتها، بما يصحب الكلمة من فاعلية روحية فى إشباع العقل والقلب معا.

وهكذا صنع تلاميذه من بعده، فى علاقتهم بالناس فى كل البلاد التى ذهبوا إليها وكرزوا فيها... لم يقهروا أحدا على قبول تعليمهم، ولم يحملوا معهم سيفا أو عصا للضرب (متى ١٠ : ١٠) وإذا كانوا قد حملوا عصا (مرقس ٦ : ٨) فقد كانت عصا للطريق يتوكأون عليها أو كانت عصا الراعى، مجرد رمز لمهمتهم الروحية ومسئوليتهم الراعوية.

إذا كان الأمر كذلك، فإن الحوار الفكرى ليس غريبا على روح المسيحية، إنما الحوار هو جوهر الكرازة المسيحية، وقوامها وأسلوبها وطريقها. ولسنا نعرف فى ديانتنا غير الحوار المقنع، سبيلا إلى نقل الحقائق الإيمانية.

لماذا إذن لا يكون الحوار منهج التعامل بين الأسقف والكاهن، وبين الكاهن والرعية، وبين رئيس الدير والراهب؟ إن الفرق بين الأسقف والكاهن، هو الفرق بين الأب وإبنه، وكذلك الكاهن والرعية وبين رئيس الدير وراهب الدير... إن الجميع أخوة لأب كبير هو الله... وقد يكون بين الإخوة فروق نسبية.. هى بين أخ أكبر وأخ أصغر، ولكنهم مع ذلك جميعهم إخوة لأب واحد هو الله.. ومع التجاوز يمكن أن يكون الأخ الأكبر بمثابة أب لإخوته الأصغر سنا... هذه الإبوة أو الإخوة لا تمنع الحوار ولكنها تقتضيه.

إذا كان المسيح له المجد دعا تلاميذه «إخوة»، فكان «هو البكر بين إخوة كثيرين» (رومية ٨ : ٢٩) ودعاهم أيضا «أبناء» وكان يناديهم «يا أولادى» (يوحنا ١٣ : ٣٣) كما دعاهم «أحباء» (يوحنا ١٥ : ١٤، ١٥) كذلك الآباء الرسل دعوا تلاميذهم من الأساقفة والكهنة إخوة (أعمال الرسل ٢٠ : ٣٢).

فالقديس بطرس قال عن الأساقفة والكهنة أنه «رفيقهم والشاهد لآلام المسيح وشريك المجد العتيد أن يعلن» (١ . بطرس ٥ : ١) ودعاهم تارة إخوته (١ . بطرس ٥ : ١٢) وتارة «أبناء» (١ . بطرس ٥ : ١٣).

والرسول القديس يوحنا دعا تلاميذه من الكهنة «أولادى» (٣ . يوحنا : ٤).

والرسول القديس بولس دعا تلميذه الأسقف تيموثيوس «الإبن الصريح فى الإيمان (١ . تيموثيوس ١ : ٢)، «الإبن تيموثيوس» (١ . تيموثيوس ١ : ١٨) «والإبن الحبيب (٢ . تيموثيوس ١ : ٢) وخاطبه «يا ابنى» (٢ . تيموثيوس ٢ : ١) وفى موضع آخر دعاه تيموثيوس الأخ» (٢ . كورنثوس ١ : ١)، (كولوسى ١ : ١)، (فليمون : ١)، (العبرانيين ١٣ : ٢٣).

كذلك دعا الرسول القديس بولس تلميذه تيطس أسقف كريت «الإبن الصريح حسب الإيمان» (تيطس ١ : ٤).

كما دعا فيبى شماسة كنيسة كنخريا «إختنا فيبى» (رومية ١٦ : ١).

وإذا كان الرسل قد دعوا تلاميذهم من الأساقفة والكهنة إخوة، وأبناء، وأحباء، فإن الأساقفة فى كل تاريخ الكنيسة دعُوا الكهنة بل والشمامسة إخوة وأبناء،... وإذن فالحوار بين الأسقف والكاهن، وبين رئيس الدير والراهب، ضرورى ولازم، بين أب وإبن، أو بين أخ أكبر وأخ أصغر... وليس الإحترام الواجب على الأخ الأصغر نحو أخيه الأكبر، أو بين الإبن وأبيه يمنع أن يكون هناك حوار بينهما، حوار جوهره التفاهم.. حتى لا تكون طاعة الإبن للأب مجرد طاعة عمياء بغير إقتناع.

على أنه قد تقتضى ضرورات العمل أن يصدر الرئيس الروحانى، أمرا يتطلب من الكاهن المرؤوس أو من الراهب أو من المؤمن العادى، طاعة بغير حوار فى أمر لا تسمح ظروفه المحيطة بالحوار... لكن هذا لا يمنع أن يأتى الوقت الذى يتبين فيه المرؤوس مسوغات هذا الأمر فيما بعد.

قال الرب يسوع لتلميذه القديس بطرس، عندما أراد أن يمانع فى أن يغسل الرب رجليه: «إن الذى أصنعه أنا لا تعرفه أنت الآن، ولكنك ستعرفه فيما بعد» (يوحنا ١٣: ٧).

٢٣ ـ الكاهن يتخذ بكرا عذراء زوجة له

سؤال : من الابن ج. ا. س. ب.

فى إجابة سابقة قلتم نيافتكم إن من تزوج بأرملة ولو كان هو بكراً لا يجوز رسامته كاهناً.

وسؤالى ذو شقين :

أولهما: ما ذنب هذا الشخص خصوصا إذا كان زواجه هذا حلاً لمشكلة كبيرة تختص بسيرة هذه الأرملة وابنها اليتيم.

ثانيهما: لم يضع الكتاب المقدس أى تحريم لهذه المرأة من الزواج بل إنّ الرب أمر أحد أنبياء العهد القديم بالزواج من إمرأة زنا، وطبعا الأرملة أفضل بكثير من المرأة الزانية؟.

الجواب :

لقد أمر الله حفظاً وصيانة لكرامة الكهنوت أن يتخذ الكاهن عذراء زوجةً له، وليس فى هذا الأمر الإلهى منع من زواج الأرملة لأى رجل آخر. ولكن هو أمر فقط بالنسبة للكاهن، فمن اللياقة بالنسبة لمكانة الكاهن الروحية أن يتزوج بإمرأة لم يسبق لها زواج، أى عذراء بتول لم تكن زوجة لأحد آخر.

وعلى ذلك فالمسألة منظور إليها من حيث كرامة الكهنوت، وليس من جهة مشكلة المرأة التى ترملت، والطفل المولود منها. إنه يمكن حلاً لمشكلتها أن يتزوجها رجل آخر غير الكاهن. أما الكاهن فيجب أن يتزوج بفتاة عذراء لم يسبق لها زواج.

وقد جاء هذا الأمر الإلهى بالنسبة للكاهن منصوصاً عليه فى سفر اللاويين:

«وقال الرب لموسى: كلّم (مُر) الكهنة بنى هرون وقل لهم... **وبإمرأة مطلقة من زوجها لا يتزوجوا**، لأنهم مقدّسون لإلههم، فتعدّونهم مقدّسين، لأنهم يقرّبون خبز إلهك، مقدّسين يكونون عندك، لأنى قدّوس، أنا الرب مُقدّسكم،.. والكاهن الأعظم.. هذا **يأخذ إمرأة**

---

(١) كتب فى ٥ من مارس ١٩٨٦م ـ ٢٦ من أمشير ١٧٠٢ ش.

عذراء. أما الأرملة والمطلقة... فمن هؤلاء لا يأخذ، **بل يتخذ بكراً عذراء من قومه** إمرأة..» (سفر اللاويين الأحبار ٢١: ٧، ١٣، ١٤).

وجاء فى سفر نبوءة حزقيال قول الرب الإله «أمّا الكهنة... **لا يتزوجون أرملة ولا مطلّقة بل يتخذون أبكارا عذارى.. أو أرملة التى كانت أرملة لكاهن**» (نبوءة حزقيال ٤٤: ١٥، ٢٢). وإذن فقد أجاز الله للكاهن **أن يتخذ أرملة فقط إذا كانت قد ترملت عن كاهن**، وفيما عدا ذلك يجب أن **يتخذ الكاهن عذراء بكرا لتكون زوجة له**.

أما عن قولك إنّ الرب أمر أحد أنبياء العهد القديم بالزواج من إمرأة زنا، فالزنا فى هذا القول له معناه الرمزى أى عبادة إله آخر غير إله بنى إسرائيل، وهو المعنى الذى غاب عن ـ أحمد ديدات ـ الذى زعم أنه إكتشف سببا لمهاجمة الكتاب المقدس ظنا منه أن الزنا هو فعل النجاسة، بينما أن المقصود هو عبادة إله آخر غير إله بنى إسرائيل وهو ما بيّنه الوحى الإلهى فى موضع من نفس السفر المقدس (سفر هوشع).

جاء فى سفر هوشع النبى «قال الرب لهوشع: اذهب فاتخذ لك إمرأة زنى وأولاد زنى فإنّ الأرض قد **زنت زنى عن الرب تاركة الرب**» (هوشع ١: ٢).

وجاء فى موضع آخر من نفس السفر هوشع «وقال الرب لى اذهب أيضا وأحبب إمرأة حبيبة صاحب وزانية كمحبة الرب لبنى إسرائيل، وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى... بعد ذلك يعود بنو إسرائيل ويطلبون الربّ إلههم وداود ملكهم ويفزعون إلى الرب وإلى جوده فى آخر الأيّام» (هوشع ٣: ١ ـ ٥).

فالزنى المقصود هنا ليس هو فعل النجاسة أو إرتكاب الفحشاء، إنما هو عبادة إله آخر غير إله بنى إسرائيل. جاء فى المزمور قوله «لأنه هوذا البعداء عنك يبيدون. تهلك كل من **يزنى عنك**» (مزمور ٧٢: ٢٧).

فالزنى المقصود هنا هو عبادة إله آخر... بمعنى أن علاقة الله ببنى إسرائيل وبمن يعبدونه كعلاقة رجل بعروسه أو زوجته فإذا هم عبدوا إلها آخر، صاروا أُمّة زانية لأنها صارت خائنة للربّ، وعبدت إلها آخر من الأوثان والأصنام والآلهة الأخرى.

وجاء فى رسالة القديس يعقوب:

«أيها الزناة والزوانى أما تعلمون أنّ محبة العالم عداوة لله، فمن أراد أن يكون محبا للعالم فقد صار عدوا لله» (يعقوب ٤ : ٤).

على العكس من ذلك تماما فقد منع الرب الكاهن أن يتخذ له إمرأة زانية لتكون له زوجة.

«قال الرب لموسى كلّم الكهنة بنى هرون وقل لهم... إمرأة **زانية** أو مدنسة لا يأخذوا.. أما الأرملة أو المطلقة **والمدنسة والزانية** فمن هؤلاء لا يتخذها» (اللاويين ـ الأحبار ٢١ : ٧، ١٤).

٢٤ ـ تقدم إلى أب الإعتراف وهو يحلك من النذر (١)

سؤال : من الإبن س. ج. ح.

نَذَرْتُ نذرا للرهبنة ولكنى أعانى من العادة السرية هل الزواج خيانة للوعد؟.

الجواب :

إجابة على سؤالكم عن نذركم الرهبنة وما إذا كان زواجكم خيانة للوعد.

أقول لقد كان من الخطأ أن تنذر الرهبنة، وأنت تمارس العادة السرية الشريرة. وعلى ذلك، يجب أن تُحلَّ من هذا النذر.

ونحن ننصح بأن تتقدم إلى أب الإعتراف، وتبيح له بأمر هذا النذر، وهو يحلك من النذر بعد أن يضع عليك قانون توبة، وليكن مثلاً عددا من المطانيات. وبعد ذلك يحل لك الزواج.

وعلى ذلك فكن مطمئناً ضميريا أن تتزوج كما تشاء فأنت فى حلّ من نذر الرهبنة.

---

(١) كتب فى ٣٠ من أغسطس ١٩٩٢م ـ ٢٤ مسرى ١٧٠٨ش.

٢٥ ـ لا يجوز رسامة كاهن من كان ابن إمرأة راجع (١)

الأخ الحبيب صاحب النيافة الحبر جزيل الإحترام .

بعد المصافحة الأخوية والقبلة الرسولية أرجو لنيافتكم موفور الصحة والقوة.

ردا على خطاب نيافتكم المؤرخ ٣٠ ديسمبر ١٩٧٥ بخصوص القمص ..... التابع لايبارشيتكم العامرة ولرئاستكم.

وموضوعه أن زوجته كانت متزوجة قبل زواجها منه، ولم تنجب من زوجها الأول. وبعد وفاته تزوجها هو وأنجب منها ولدا رزق به بعد رسامته كاهنا، وهو يطلب رسامته كاهنا مع والده.

يبدو لى يا صاحب النيافة:

أولا ـ لقد كان خطأ أن يتزوج رجل بامرأة أرملة ثم يرسم كاهنا. فالكتب المقدسة والقوانين الكنسية كذلك، تأمر أن يتزوج الكاهن بفتاة عذراء لم يسبق لها زواج.

قال الرب فى سفر اللاويين «والكاهن يأخذ إمرأة عذراء. أما الأرملة والمطلقة... فمن هؤلاء لا يأخذ، بل يتخذ عذراء من قومه إمرأة» (اللاويين ٢١: ١٠ – ١٤).

وجاء فى سفر حزقيال ٤٤: ٢١، ٢٢.

«ولا يشرب الكاهن خمرا عند دخوله إلى الدار الداخلية.. ولا يتزوجون أرملة ولا مطلقة، بل يتخذون عذارى أو أرملة التى كانت أرملة كاهن».

ثانيا ـ أما الإبن الذى يقدم للكهنوت فقد اشترط القانون الكنسى فيه أن لا يكون إبن إمرأة راجع.

من ذلك ما جاء فى قوانين المجمع الإكليريكى الذى انعقد فى عهد البابا كيرلس الثالث:

«ومن كان إبن جارية عاهرة غير مكللة فلا يقدم فى شئ من درج الكهنوت. **وكذلك أولاد النساء الرواجع، لا يقدمون فى شئ من درج الكهنوت. وكذلك أولاد** الثالثة ولو كانت بكرا لا يقدّمون أيضا فى شئ من درج الكهنوت».

---

(١) كتب فى ٢٧ من فبراير ١٩٧٦م ـ ١٠ من أمشير ١٦٩٢ش.

والرواجع - جمع راجع وهى المرأة التى ترجع إلى أهلها بعد وفاة زوجها (المعجم الوسيط - وقاموس المنجد فى اللغة والإعلام - ومختار الصحاح - والمصباح المنير... إلخ).

يا صاحب النيافة:

بحسب منطوق القانون الكنسى لا يجوز أن يرسم كاهنا من كان إبن إمرأة مات زوجها فرجعت إلى أهلها ثم تزوجت بآخر.

هذا ما أعرفه، ولنيافتكم التصرف. أن القمص المذكور يروى أن زوجته لم تبق مع زوجها الأول غير ستة شهور، وأنه - على قوله - عندما تزوجها وجدها بكرا. وهى رواية تفتقر إلى إثبات.

وفى الختام أطلب صلواتكم داعيا لنيافتكم بالصحة والعمر الطويل.

ونعمة الرب تشمل جميعنا،

من أخيكم فى الرب

٢٦ ـ مسئولية الكاهن تجاه الأسرار المقدسة

سؤال : هل يجوز للكاهن أن يمنح الحلّ بالتناول من الأسرار المقدسة، لأحد المؤمنين لم يحضر القداس منذ بدء رفع الحمل، بل ولم يسمع حتى قراءة الإنجيل، مكتفيا بحضور ما مدته نصف ساعة أو ما إليه قبيل توزيع الأسرار المقدسة من المائدة الربانية؟.

الجواب :

يجب أن نقرر من حيث المبدأ، أولا، أن الكاهن مسئول أمام الله وحسب مقتضيات مسئوليته الكهنوتية أن لا يُقَرِّب إلى الأسرار المقدسة إلاّ من يراه مستحقا لهذه الكرامة. فالكاهن فى وضع الكاروبيم الحارس لطريق شجرة الحياة (التكوين ٣: ٢٤). وتلك هى مسئوليته التى أقيم من أجلها، وليس لأحد من الشعب أن يعترض على الكاهن الذى يقوم بمقتضيات مسئوليته كحارس للأسرار المقدسة، فإنه مكتوب. فمن أكل من هذا الخبز أو شرب من كأس الرب بدون إستحقاق (أى لم يكن أهلا لهما) يكون مجرما (أى مذنبا) إلى جسد الرب ودمه .. فمن يأكل ويشرب بدون إستحقاق غير مميز جسد الرب، يأكل ويشرب دينونة لنفسه. ولذلك فيكم كثيرون من الضعفاء والمرضى وكثيرون يرقدون (١. كورنثوس ١١: ٢٧ – ٣٠).

جاء فى الوصية التى تتلى على الكاهن فى يوم رسامته : والواجب عليك (أيها الكاهن) أكثر من جميع الوصايا البيعية، وأفضل من كل ماسواه من الأوامر الرسولية : **الإحتراس فى توزيع سرائر الرب المحيية** .... وثق أن الشاروبيم والسيرافيم وقوف بالمخافة والإرتعاد. وتبّين قدر من هو ذبيح بين يديك، وأنه المسيح عمانوئيل ... واعلم أنك تُقسم أعضاءه الناسوتيه ... **واحرس هذه الذخيرة كحراسة الشاروبيم لشجرة الحياة ... ولا تناوله إلاّ للحسن السيرة، الصالح السمعة والطاهر السريرة، واهد من كانت طريقته شريرة لئلا يقتل نفسه وتكون أنت السبب فى الجريرة (الجناية والذنب) وإحذر الإهمال فتحصل المضرّة (الضرر)، فإن العالم كله لا يساوى منه مثقال ذرة**،.. ويكون توزيعك (للأسرار) بترتيب ونظام وهدوء وسكون وحرص وإحتراس ...

وعلى ذلك فمن حق الكاهن أن يمنع من يرى كأب وكراع مسئول، أنه غير أهل للتناول من الأسرار المقدسة لأسباب روحية، ومنها عدم حضوره القداس من أوله، فإن القداس وليمة

ومائدة سمائية - ومن آداب الوليمة أن يحضر المدعوون إن لم يكن قبل بدء الوليمة، فعلى الأقل عند بدء الوليمة.

ونحن نرى أنه من واجب الكاهن توعية الشعب فى أثناء تفسير القداس والعظة، فالكاهن معلّم، وعليه أن ينبه الشعب إلى آداب الحضور فى الكنيسة، وترتيب التقرب إلى الأسرار المقدسة، حتى لا يقع الكاهن ومعه الشعب فى خطأ تجاوز القوانين الكنسية والتعدى على الشريعة الإلهية.

٢٧ ـ السلطان الممنوح للكهنة ليس مجالاً للتفاخر (١)

الإبن العزيز القس : ج.م.ب.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح مع أشواق إلى بنوتكن، داعيا لكم بموفور الصحة، شاكرا لله ولكم دعواتكم وصلواتكم بروح التقوى والوفاء، معتزا بكم، وإنى أحمل لكم فى قلبى محبة غامرة، فأنت إبنى الذى أحبّه بالحق، ولقد أثارنى خطابك المفعم إخلاصاً ووفاء، وألهب عاطفتى شوقا وحبا لك.لقد أذهلنى كثيرا ما رويته فى خطابكم عن كاهن يعلن من فوق المنبر أنه أعظم من الشهيد مارجرجس وأعظم من مارمينا، ومن السيدة العذراء والدة الإله ويعزو سرّ هذه العظمة إلى الكهنوت، ويزعم كما تقول فى خطابكم أنه بسلطان الكهنوت يمكنه حرمان مارجرجس ومنع العذراء من التناول، وذلك لأن سلطانه أعظم من القديسين.

إننى فى الواقع لأول مره أسمع عن كاهن أرثوذكسى يقول ذلك عن نفسه :

حقاً إن الكهنوت عظيم جداً، والكاهن يصير بالكهنوت وكيل سرائر الله ،هكذا فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله. ثم يُسأل فى الوكيل لكى يوجد الإنسان أمينا، (١ . كورنثوس ٤ : ١ ، ٢) ،أما الكاهن كإنسان فتتوقف عظمته الروحية على تقواه وجهاده وأمانته لسيّده. لقد رجع يهوذا الإسخريوطى مع الرسل الذين قالوا للرب ،حتى الشياطين تخضع لنا باسمك، (لوقا ١٠ : ١٧) ومع ذلك كان مصيره كما قال عنه مخلّصنا ،كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد، (مرقس ١٤ : ٢١).

أما الشهيد مارجرجس فإن لم يكن كاهناً لكنه نال من المسيح له المجد شرف تلقيبه بأمير الشهداء. وجزاؤه بالتالى أعظم من كثير من الكهنة ورؤساء الكهنة الذين قد ينفون فى اليوم الأخير من حضرة المسيح، عقابا على خطاياهم وإهمالهم فى واجباتهم ومسئولياتهم الكهنوتية والرعوية.

فالعظمة ليست لشخص الكاهن، العظمة للسرّ المقدس. أما الشخص فتقييمه حسب جهاده وعمله، ولنتأمل قول المسيح له المجد ،فمن تُراه ذلك العبد الأمين الحكيم الذى يقيمه سيّده على عبيده ليعطيهم طعامهم فى حينه. ما أسعد ذلك العبد الذى متى جاء سيّده وجده يفعل هكذا ... أما إن قال ذلك العبد الشرير فى قلبه إن سيّدى سيبطئ فى مجيئه، وراح يضرب

---

(١) كتب فى ٢٣ من سبتمبر ١٩٨٧ م ـ ١٢ من توت ١٧٠٤ ش.

العبيد رفاقه ويأكل ويشرب مع السكارى فإنّ سيد ذلك العبد يأتى فى يوم لم يكن يظنه ... فيشطره نصفين ويجعل نصيبه مع المرائين (متى ٢٤: ٤٥ – ٥١).

إنّ السلطان الممنوح للكهنة ليس مجالاً للتفاخر، إنه مسئولية مرعبة، ووزنات ثقيلة لها حسابها العسير. أما القديسون والشهداء الذين عبروا بنجاح فقد فازوا بإكليل الغلبة والإنتصار.

أما العذراء والدة الإله، فهى الملكة أم الملك. إنّ كرامتها فوق كرامة الكاروبيم والسيرافيم إنها سيّدة السمائيين والأرضيين وهى ملكة الجميع، وهى أُمّنا وفخر جنسنا وشفيعتنا العظمى.

الرب يرحمنا بشفاعاتها وسؤالات وصلوات الشهداء مارجرجس ومارمينا وسائر القديسين.

٢٨ ـ تهنئة للرسامة الكهنوتية (١)

العزيز المبارك الأب المحترم القس : ب. ب.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

أرجو لكم وللسيدة قرينتكم ولنجليكم موفور الصحة، والنجاح والتوفيق فى خدمتكم وجهادكم الرعوىّ فى بلدة ..... ، البلدة التى شاء الله أن تكون دعوتكم الكهنوتية للخدمة على مذبحها، وقيادة المؤمنين فيها.

قد تكون بلدة .... صغيرة، وشعبها قليل العدد، ومع ذلك، فإنّ الخدمة فى بلدة صغيرة أو قرية، لها ميزتها، والكاهن فيها يمكن أن يعمل عملاً، وينتج ثمراً، يستطيع به أن يرضى الله، وضميره، أكثر كثيرا من الخدمة فى المدينة الكبيرة حيث تتنازعه شواغل كثيرة يضيع معها الثمر المطلوب.

وبهذه المناسبة أذكر أننى عندما كنتُ طالبا بالإكليريكية فى السنة الأولى أو الثانية كتبت فى مذكرة خاصة : لو شاء الله ودعانى للكهنوت، فأرجو أن يكون ذلك فى قرية محدودة، قلتُ هذا لأننى كنتُ ولا زلت أؤمن أنّ الخدمة فى القرية والبلدة المحدودة لها جمالها وجاذبيتها، حتى لا يتوه الخادم فى توزيع الجهود ... وأذكر أننى عندما تخرجت فى الكلية الاكليريكية فى عام ١٩٣٩ رحبت بدعو الخدمة فى قرية (الدوير) مركز صدفا وأبو تيج، وعلى الرغم من أننى لم أكن أعرفها من قبل لكنى أحببت الخدمة فيها، وأمام مشاعر أهلها قلت لهم عند مفارقتى لهم : ما لم يشأ الله لى شيئا آخر، فإننى سأعود إلى الدوير، والدوير ليس إلا ـ ومع أن الدعوة كانت لمدة شهر واحد، لكنى خضوعا وإمتثالاً لمشاعر أهلها بقيت مدة شهرين ونصف إلى عيد القيامة المجيد.

لذلك أهنئك قلبيا، للعمل فى بلدة صغيرة، حيث يمكنك بنعمة الله وتقوى الله فيك، أن تثمر فيها أكثر من بلدة كبيرة، وليس عملك قاصراً على المسيحيين الأرثوذكسيين وحدهم، وإنما أنت راعٍ أيضا لغير الأرثوذكسيين، بل ولغير المسيحيين، بزيارتهم وإفتقادهم فى المناسبات المفرحة والحزينة، وإقترابك بروحك إليهم، فتنقل محبة المسيح إليهم فيروا فيك المسيح، ويروا

كتب فى ٢٥ من يناير ١٩٩١م ـ ١٨ طوبه ١٧٠٧ش.

فيك النور الذى يضئ حياتهم، ويهديهم إلى الخير والسلام والوئام والمودة، خصوصا ونحن مقبلون على فترة مهمة وخطيرة فى تاريخ مصر والشرق وتاريخ العالم. إذ نحن كما تعلم فى نهاية الدهر الحاضر، وسيستقبل العالم أحداثا جساما، يأتى بعدها المسيح له المجد فى مجيئه الثانى للدينونة.

فليبارك الرب خدمتك وأسرتك وشعبك، وليشملكم بنعمته ومعونته،

٢٩ ـ رسالة إلى كاهن (١)

الإبن العزيز المبارك القس : ج.م.ب.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح ودعاء إلى الله أن يحفظك فى صحة وسلام وتوفيق ولك نعمة وقبول أمام الله والناس.

لكم أسعدنى كثيرا وملأ قلبى حبورا روحيا غير عادى أن رأيتكم كاهنا ممتلئا نعمة، وقد لمستم ولمست عمل الله فى رسامتكم، وبعد رسامتكم مما يطمئنكم على دعوة الله التى بلا ندامة.

إنى أعتبر الظروف التى عاقتكم فى الماضى قد خدمتكم وأفادتكم روحيا، وقد كانت إمتحانا لخضوعكم وتسليمكم لإرادة الله ورأى الرؤساء. وجميل أن نفسيتكم كانت ومازالت هادئة ومستريحة، مبنية على أساس أن الله إذا أراد فكل الناس بما فيهم الرؤساء والمرؤسون سيكونون خدّاما مطيعين لإرادة الله، يتحركون دون أن يدروا فى طريق يخدم فى النهاية مقاصد الله الصالحة من نحوك.

إنى أرجو الله مصليا بضراعة أن يحفظك فى الإيمان والتقوى راسخا لا تتزعزع ثابتا لا تتراجع عالما أنك سائر فى طريق السماء خادما لسيد واحد هو رئيس جميع السيادات، ومن بعده الرؤساء من خدامه.

وأؤكد لك أنك تصنع حسنا إذا خصصت كل يوم ثلاث ساعات على الأقل لتدرس فيها عاكفا على الكتاب المقدس وعلى كتب الكنيسة من لاهوتيات وعقائد وتفسير، وروحيات، وتاريخ وقانون ـ فضلا عن دراسة متتابعة للغة القبطية واللغة العربية ـ وبعد ذلك تعطى وقتا للإفتقاد المنظم مع تسجيل كل أسرة وكل أعضائها، وتسجيل المعترفين والمتناولين، وتسجيل المعمدين، والمتزوجين وأن تكون لك يوميات ـ تسجل كل يوم مذكراتك لمنفعتك الخاصة وتأملاتك.

وإلى أن ألقاك أرجو لك موفور النعمة وسلام الله الذى يفوق كل عقل. والرب معك دائما.

---

(١) كتب فى ١٤ من مايو ١٩٨٠ م ـ ٦ من بشنس ١٦٩٦ ش.

٣٠ ـ لماذا الخلوة الأربعينية للكاهن ؟ (١)

سؤال : من يوسف جرانت چورچ ـ أسيوط.

لماذا يذهب الكاهن بعد رسامته إلى الدير لمدة أربعين يوما ؟

الجواب :

يذهب الكاهن بعد رسامته مباشرة إلى البرية، طلبا للهدوء والسكون بعيدا عن الناس والضوضاء، لتكون له فرصة خلوة روحية يقضيها فى الصلاة والتسبيح والتأمل مع الصوم، ليضرم موهبة الله فيه والتى نالها برسامته كاهنا، ولكى يعطى فرصة لنمو مفاعيل السرّ المقدس الذى ناله بوضع اليد عليه.

قال الرسول القديس بولس لتلميذه الأسقف تيموثيئوس أذكرك **أن تضرم أيضا موهبة الله التى فيك بوضع يدىّ** (٢ . تيموثيئوس ١ : ٦)

وإضرام الموهبة هو إشعالها حتى تصبح لهيبا ونارا ويكون بالعبادة الحارة فى سكون البرية وهدوئها حيث تتاح الإمكانيات للرياضات الروحية والصلوات الطويلة التى بلا إنقطاع (١ . تسالونيكى ٥ : ١٧).

وقدوة الكاهن ومثله الأعلى فى ذلك وفى كل شئ، ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح رئيس كهنة العهد الجديد (العبرانيين ٤ : ١٤، ١٥) ، (٥ : ٥، ١٠) ، (٦ : ٢٠) ، (٧ : ٢٦) ، (٨ : ١)، (٩ : ١١).

فماذا صنع يسوع المسيح بعد أن مُسح بالروح القدس، فى نهر الأردن بعد عماده من يوحنا المعمدان؟ إنه انطلق إلى البرية، وهناك صام أربعين يوما وأربعين ليلة، ولم يأكل شيئا فى تلك الأيام (متى ٤ : ١، ٢) ، (مرقس ١ : ١٢، ١٣) ، (لوقا ٤ : ١، ٢).

هكذا رسمت الكنيسة المقدسة، أن يصنع كل كاهن يرسم جديدا، إقتداء برب المجد يسوع المسيح رئيس الكهنة ورئيس الرعاة الأعظم (١ . بطرس ٥ : ٤)، أن يمضى إلى البرية بعد سيامته مباشرة صائما مصليا متعبدا ليضرم موهبة الله التى نالها بوضع اليد، ولينمى بالعبادة فعاليات سرّ الدرجة بالروح القدس الذى انسكب عليه فى يوم رسامته كاهنا لله إلى الأبد.

---

(١) كتب فى ٩ من أكتوبر ١٩٨٠ م ـ ٢٩ من توت ١٦٩٧ ش.

٣١ ـ أحييك على طاعتك للكاهن (١)

الإبن العزيز الأستاذ ص. ج. ح.

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، راجياً لكم موفور الصحة.

قرأت خطابك وتألمت معك لحرمانك من التقرب من الأسرار المقدسة، بسبب أنك تقدمت بين المتناولين وكنت مرتدياً قميصاً بنصف كم، طاعة منك لأمر الكاهن الذى أمرك بهذا.

وإنى أريد أولاً أن أحييك على طاعتك للكاهن، على الرغم من عدم إقتناعك الباطن، أن التقرب للأسرار المقدسة يتطلب أن يكون المتقدم مرتدياً قميصاً بكم كامل تعبيراً عن توقيره للأسرار المقدسة.

وقد تذكرتُ بمناسبة هذه الواقعة، أن قداسة البابا كيرلس السادس كان ينهر حتى الأطفال من الأولاد والبنات من التقرب للأسرار المقدسة إذا كان مرتدياً نصف كم.

وتذكرت أيضاً بهذه المناسبة ما رواه لى أحد الشباب، وقد دخل على مطران أسيوط (وكان هو الأنبا مكاريوس الذى صار فيما بعد البابا مكاريوس الثالث ـ البابا ١١٤ دخل إلى المطران فى أسيوط عارى الرأس ـ بغير طربوش ـ فوبخه المطران الأنبا مكاريوس على ذلك متهماً إياه بالاستهتار وعدم إحترام المطران، وذلك حسب تقاليد ذلك الوقت، وربما تذكر أنه قبل عهد الثورة كان من واجبات اللياقة أن الإنسان إذا دخل على رئيسه يجب أن يكون واضعاً على رأسه الطربوش الأحمر ـ ويجب أن يكون سترته (چاكتته) مقفولة أزرارها وإلا أعتبر تصرفه قلة إحترام منه للرئيس أو لإستاذه.

لقد قلت لك هذا لأخفف عليك صدمتك النفسية، بسبب منع الكاهن لك من التناول إذ حسب أنك ـ وأنت مرتدٍ نصف كم ـ ليس فى اللياقة ـ التى تتناسب مع إحترام الأسرار المقدسة.

لذلك كما قلتُ لك إنى أحييك على طاعتك للكاهن وتمشيك مع منطقه على الرغم من عدم إقتناعك الباطن بهذا.

---

(١) كتب فى ٣١ من أغسطس ١٩٩٤م ـ ٢٥ من مسرى ١٧١٠ ش.

وقد كان جميلاً منك تصرفك، بأن أخضعت نفسك لمنطق الكاهن، الذى كان يرى أنه توقيراً لسرّ القربان ينبغى أن يكون المتقدم بلباس الحشمة، ولا سيما أن هذا هو المطلوب على الخصوص بالنسبة للسيدات والفتيات الشابات والبنات الصغيرات.

لقد كان تصرفك روحياً، ولائقاً، وجميلاً، وضع فى إعتبارك أنك وأنت مدرس أخذت درساً من الكاهن، تمشياً مع منطقه فى مظهر لباس اللياقة بسرّ القربان.

٣٢ ـ هل يجوز له الوعظ ؟

سؤال : من السيد هنرى عوض الله ـ طنط الجزيرة القليوبية.

يقول : شماس توفيت زوجته، وتركت له أطفالا صغاراً، ولذلك اضطر إلى أن يتزوج ثانية بعد وفاة زوجته الأولى. فهل يجوز له مباشرة الوعظ فى داخل الكنيسة وخارجها، علما بأنه كان قبل وفاة زوجته الأولى يلازم الوعظ والإرشاد فى داخل الكنيسة وخارجها ؟

الجواب :

إذا كان الشماس فى رتبة أناغنوستيس (قارئ) أو ابصلتس (مرتل) أو ايبودياكون (نائب شماس) فيجوز له الزواج بعد حصوله على رتبته.

فإن كان الشماس فى درجة (دياكون) أى شماس إنجيلى، وهو الشماس الكامل، فقانونه فى الزواج قانون القسيس سواء بسواء، وذلك طبقا للقاعدة الكهنوتية المقررة والمستقرة فى الكنيسة المقدسة (الزواج يسبق الكهنوت، ولا زواج بعد الكهنوت).

فإذا اضطر الشماس الدياكون أو القسيس، لسبب أو لآخر إلى الزواج، أنزل من درجته الكهنوتية، ولكنه يبقى محتفظا بشركته فى الكنيسة، عضوا فيها، لأن الزواج رباط مقدس.

أما الوعظ فى داخل الكنيسة وخارجها، فيكون بإذن وتصريح من أسقف الإيبارشية.

٣٣ ـ هل للشماس أن يصلى على ميت ؟

سؤال : من السيد / حلمى الياس عطية ـ المعادى.

هل يجوز للشماس الصلاة على الميت فى حالة عدم وجود كاهن فى الأرياف ؟

الجواب :

إذا لم يتوافر وجود الكاهن، فليس للشماس أن يصلى الصلوات المقررة للكاهن.

يمكن للشماس فى هذه الحالة أن يصلى بعض الصلوات التى يحل له كشماس أن يتلوها، ومنها المزامير، والتسابيح الواردة فى الأبصلمودية، وثلاثة التقديسات، وقراءة المزمور السابق على الإنجيل، والإنجيل. أما ماعدا ذلك من الأواشى. فيتوقف عن تلاوتها لأنها من اختصاص الكاهن.

٣٤ ـ زى الكاهن إذا جرد

سؤال : من السيد / عبده غطاس دانيال المقيم فى مدينة أوفينباخ بألمانيا الغربية.

يقول أنه يتتبع بإهتمام ما ننشره فى جريدة وطنى من التعاليم الروحية والعقائدية والطقسية والقوانين الكنسية التى تنير أذهان كل من يطلع عليها.

ويسأل عما اذا كان من الجائز للكاهن المشلوح أن يحتفظ بملابسه الكهنوتية، وما إذا كان من المفروض أن يجرد منها جميعا. ويقول أن الملك إذا أنزلوه عن الملك خلع التاج والنياشين، والجندى إذا عزلوه من الجندية خلع ملابسه الرسمية، فكذلك يجب أن يصنعوا بالكاهن إذا جرد من درجته الكهنوتية.

الجواب :

قد يوقف الكاهن عن عمله الدينى لفترة محدودة، يعود بعدها إلى استئناف خدمته، ولذلك يبقى محتفظا بزيه الخارجى ولا يغيره، لأنه لا زال كاهنا، لكنه يتوقف عن ممارسة أعماله الكهنوتية والراعوية، وبالتالى يتوقف عن إرتدائه ملابس الخدمة الكهنوتية التى يرتديها فى الكنيسة وعند أداء الخدمة الدينية، أما الملابس السوداء التى يرتديها خارج الكنيسة فلا يخلعها.

فإذا شلح الكاهن، أى جرّد من كهنوته ـ وهذا لا يتم إلا بعد محاكمة كنسية قانونية أمام مجلس إكليريكى تثبت فيها مؤاخذته وإدانته وتعديه على مقتضيات واجباته الكهنوتية كما هو منصوص فى القوانين الكنسية ـ فإن قرار الشلح أو التجريد يعلن له بنطق صريح، وفى محضر رسمى، ويقرأ علانية فى الكنيسة، ويبلغ إلى كل كنائس الإيبارشية، وإلى كل من يعنيهم الأمر. ثم يبلغ القرار رسميا إلى الجهات المختصة فى الدولة لتغيير بطاقته الشخصية.

وقد جرت مكاتبات رسمية فى هذا الشأن بين البطريركية والجهات المسئولة فى الدولة فى عهد قداسة البابا الراحل كيرلس السادس، وتم الإتفاق على أن يحمل كل كاهن أو راهب بطاقة تصدر من البطريركية، إلى جانب بطاقته الشخصية، يوضح بها صفته الدينية.

وقد أوجب القانون ٢٦٠ لسنة ١٩٦٠ المعدل بالقانون ١١ لعام ١٩٦٥ بشأن الأحوال المدنية: أن تتضمن البطاقة الشخصية أو العائلية ضمن بياناتها، بيان الوظيفة أو المهنة، وعند تطبيق هذا القانون أثير بحث طلب رجال الدين المسيحى إضافة الاسم الكنسى بالبطاقة، ووافقت وزارة الداخلية على ذلك، على أن تقدم شهادة معتمدة من الجهة الدينية الرئيسية

التابع لها رجل الدين، وتتضمن الاسم الكنسي والميلادي والمنصب الديني الذي يشغله. وإذا طرأ تغيير على هذه البيانات فيقدم طلب لتغييرها، ومعه شهادة جديدة بالتغيير. لذلك فإن البطاقات العائلية أو الشخصية تدون بها صفة رجل الدين. ويمكن تغيير البيانات التي بها بناء على طلب البطريركية أو حاملها.

وعلى ذلك فإنه في حالة تجريد الكاهن من درجته، تقوم البطريركية بتبليغ وزارة الداخلية بقرارها عن تجريد الكاهن. وفي هذه الحالة تسحب الداخلية من الكاهن المشلوح بطاقته الشخصية، وتقوم بشطب لقبه الكهنوتي من البطاقة. وعليه هو تبعا لذلك، أن يخلع زيه الخارجي المعروف، ويتولى رجال الأمن مراقبته، تنفيذا لقرار البطريركية.

وقد أرسل قداسة البابا كيرلس السادس إلى جميع الآباء المطارنة والأساقفة ورؤساء الأديرة خطابا بهذا المعنى، بتاريخ ٣ نوفمبر ١٩٦٧.

٣٥ - هل تجوز رسامته شماسا ؟ (١)

العزيز السيد منير عياد عبد الملاك.

سلام ومحبة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

ردا على استفساركم بخصوص رجل مسيحي تزوج بعقد زواج غير أرثوذكسي، هل تجوز رسامته شماسا.

نقول : لا يجوز رسامة شخص تزوج زواجا بعقد غير أرثوذكسي، شماسا. أنه يلزمه أولاً أن يعيد الزواج في الكنيسة الأرثوذكسية قبل أن يرسم شماسا.

ونعمة الرب تشملكم،،،

---

(١) كتب في ٢٤ من يونيه ١٩٨١م - ١٧ من بؤونه ١٦٩٧ش.

٣٦ ـ درجة الشماسية

سؤال : من السيد اندراوس فلسطين ـ الأقصر.

كم درجة للشماسية وما هى الخدمات التى توكل لكل درجة منها فى نطاق الكنيسة ؟

الجواب :

رتب الشماسية سبعة ١) قيم ٢) مرتل ٣) قارئ ٤) ايبودياكون ٥) نائب الشماس ٦) شماس كامل (دياكون) بوضع اليد ٧) أرشيدياكون (رئيس شمامسة).

والمرتل هو المعلم أو العريف الذى يقود الترتيل ـ ومعه الشمامسة المرتلون (الخوروس).

والأناغنوستيس هو القارئ الذى يقرأ الفصول الكنسية من العهدين القديم والجديد فيما عدا الإنجيل وله أن يلمس الأوانى.

والإيبودياكون ـ فهو نائب الشماس (الدياكون) ومهمته حفظ أبواب الكنيسة، وتعمير المجامر، واستخراج فصول القراءة.

وأما الشماس (الدياكون) فهو الشماس الكامل، وهو الذى يخدم مع الكاهن فى الهيكل، وينذر الشعب بالصلاة، وله أن يقرأ الإنجيل، وأن يقرب الشعب من الكأس المقدس. وله مهمة أخرى أن يكون عينا للأسقف وأذنا له، ينقل إليه احتياجات المؤمنين، ومن إختصاصاته الخدمة الاجتماعية وهى التى أقام الرسل شمامسة من أجلها، وهى المسماه خدمة التوزيع على المساكين والمحتاجين من المؤمنين.

وأما رئيس الشمامسة (الأرشيدياكون) فهو رئيس لكل طغمة الشمامسة. وهو دائما يعاون الأسقف فى رسامات الكهنة والشمامسة، وهو الذى ينادى وينذر ويكون إلى جانب الأسقف وعلى ذلك لا يكون فى الإيبارشية إلا أرشيدياكون واحد، ويكون مقره فى الكاتدرائية أى الكنيسة التى بها الأسقف. وأما الكنائس الأخرى غير الكاتدرائية فلا داعى لوجود أرشيدياكون بها.

وعند رسامة الأسقف أو المطران أو البطريرك يحمل الأرشيدياكون مفاتيح الكنيسة ليسلمها للأسقف أو المطران أو البطريرك ليدخل إلى الكنيسة كصاحب سلطان فى درجة الأسقفية.

٣٧ ـ رسامة الأطفال شمامسة

سؤال : هل تجيز القوانين الكنسية رسامة شمامسة دون سن الرشد وإن أجازت ذلك بصفة استثنائية فما هو عمله فى خدمة القداس؟.

الجواب :

إذا كان القسيس يقام قسيسا فى سن الثلاثين على الأقل، فإن الشماس الدياكون يمكن أن يقام فى سن الخامسة والعشرين، والايبودياكون في سن ٢١ سنة، والأناغنوستيس فى أقل من ذلك. وأما رسامة الأطفال فيجب وقفها، لأن البركة شئ، والرسامة شئ آخر. والمفروض أن يكون المرسوم فى سن يفهم فيها مسئولية الرتبة التى ينالها.

وأما خدمة القداس فالأصل والوضع الأمثل فى الشماس الذى يدخل الهيكل وينذر الشعب من الهيكل أن يكون فى درجة شماس كامل دياكون. وكتاب الخولاجى ينص على أن يكون شماس الهيكل فى درجة الدياكون. وأما اليوم فقد تجاوزنا فصار من يخدم فى الهيكل إما شماس أو إيبودياكون، أو قارئ (أناغنوستيس) وهذا خطأ يجب تصحيحه، والعودة إلى الوضع الأصيل الذى أشرنا إليه، ونرجو أن نعود إليه فى المستقبل القريب إن شاء الله.

٣٨ ـ الشماس أو رئيس الشمامسة إذا توفت زوجته (١)

قداسة الأب الموقر القمص زخارى حنين.

سلام لروحك، وأشواق، ومحبة وتقدير واحترام لشخصك ولكهنوتك ولخدمتك، أرجو لكم البركة من ربنا يسوع المسيح عليكم وعلى الأسرة جميعا، وأصلى أن يمنحكم الرب موفور الصحة وكمال العافية والقوة.

اعتذر كثيرا عن تأخيرى فى الرد على كتاب أبوتكم، فقد حول إلىّ من القاهرة إلى برلين بألمانيا حيث أقيم فيها منذ ١١/أكتوبر ١٩٧٨ لإلقاء محاضرات عن الكنيسة القبطية وتاريخها ولاهوتها.

والآن رداً على سؤال قدسكم.

بخصوص شخص حائز على رتب الشماسية إلى رتبة رئيس شمامسة وكان متزوجا، وتوفيت زوجته، وتزوج مرة أخرى، فهل تسقط درجاته كلها وهل يحرم من التناول، وهل يستطيع أن يرد مردات الكنيسة داخل الهيكل أو خارجه بدون لبس ملابس الشمامسة، أم لا ؟

والجواب :

الشماس أو رئيس الشمامسة إذا تزوج مرة أخرى بعد وفاة زوجته ينزل إلى الرتبة التى هى أقل من رتبته ـ أى أنه يصير فى رتبة ايبودياكون (نائب الشماس) والايبودياكون له أن يتزوج إذا توفيت زوجته بعد رسامته.

ويمكنه أن يتقرب من الأسرار المقدسة إذا لم تكن لديه موانع روحيه ـ أى إذا مارس الاعتراف مثله فى ذلك مثل غيره من الايبودياكونيين والأناغنوستسيين (قراء الفصول المقدسة). والأبصلتسيين (المرتلين).

ويمكنه أيضا بصفته ايبودياكون أن يخدم خدمة الشماسية داخل الهيكل وخارجه وبملابسه الشماسية.

---

(١) كتب فى ٧ مارس ١٩٧٩م ـ ٢٨ أمشير ١٦٩٥ش.

كل ما فى الأمر أنه بزواجه للمرة الثانية ينزل فى رتبته من رتبة أرشيدياكون (رئيس شمامسة) ودرجة دياكون (شماس كامل) إلى رتبة ايبودياكون (نائب شماس) ولكن له أن يمارس التناول والخدمة، ولا يتعطل عنهما إلا إذا كانت هناك موانع روحية أى خطايا مانعة.

هذا هو جوابنا بالإيجاز. وأذكر أننى سبق أن أجبت على هذا السؤال على صفحات جريدة (وطنى) التى تصدر كل يوم أحد، وفى باب (سؤال وجواب) الذى ننشر فيه إجابات على أسئلة متفرقة. ولا أعلم إذا كانت جريدة (وطنى) تصلكم أو لا.

وإنى أبدى أسفى مرة أخرى عن عدم الرد فى حينه على خطابكم بتاريخ ٧٨/١٢/٢٧ للأسباب التى ذكرتها فى صدر الخطاب.

أرجو دعواتكم وصلواتكم عنى.

مصليا إلى الرب أن يطيل عمركم إلى سنوات كثيرة، متمتعا بالصحة والقوة، ونجاح شعبكم فى الفضيلة ومعرفة ربنا يسوع المسيح.

٣٩ ـ الشماس الدياكون طقسه وواجباته (١)

سؤال : من الابن الدياكون فوزى لوندى ـ إمبابة.

ما هى شروط وواجبات طقس الشماس المكرس ؟

الجواب :

فى ترتيب كنيستنا، إن الشماسية سبع رتب للخدمة، على رأسها **الشماس الدياكون**، وفوقهم جميعا فى المسئولية، الأرشيدياكون، وهو أول الشمامسة، أو رئيس الشمامسة على نظير القديس (اسطفانوس) المذكور فى الكتاب المقدس.

١ ـ **والشماس الدياكون، وهوالشماس الكامل أو الشماس الإنجيلى** يُقام بوضع يدى الأسقف أو المطران، فيصير حاملاً للدرجة الأولى من درجات الكهنوت الثلاثة، ويعلوه القسيس، ثم الأسقف.

٢ ـ والشماس (**خادم**) لله وللكنيسة المقدسة. نعم إن جميع حملة الدرجات الكهنوتية من القسوس والأساقفة خدام أيضا، لكن الشماس الدياكون هو (**الخادم**) تحديداً، بكل ماتحمل الكلمة من معنى. (هيبوليتوس ٥).

والكلمة نفسها (**شماس**) كلمة مصرية قبطية، وقد عرفت فى مصر القديمة وسجلت على الآثار المصرية بلفظها (**شمسو**) أى (خادم)، كما أنها كذلك فى اللغة السريانية.

وفى الدسقولية (تعاليم الرسل) يوصف الشماس بأنه (**تابع**) للكاهن أو القسيس أو الأسقف، يخضع له ويأتمر بأمره، ويتمم إرشاداته وتعليماته.

وقد جاء فى الكتاب المقدس أن الشمامسة يختارون بالانتخاب من جماعة المسيحيين، على أن يكون مشهوداً لهم، أى يتمتعون بسمعة حسنة بين جمهور المؤمنين المسيحيين، وأن يكونوا ممتلئين من روح القدس والحكمة (أعمال الرسل ٦ : ٣) ثم يسامون بوضع الأيدى ممن لهم سلطان وضع اليد وهم الأساقفة أصحاب الدرجة الرسولية العظمى.

---

(١) كتب فى يوم السبت ١٩ من يونيه ـ حزيران لسنة ١٩٩٣م ـ ١٢ من بؤونه لسنة ١٧٠٩ش. عيد رئيس الملائكة ميخائيل.

٣ ـ ولما كان الشماس الدياكون بوضع اليد يحمل أولى درجات الكهنوت فى سلم المسئولية، فيلزم أساسا **أن يكون متفرغا للخدمة** شأنه شأن القسيس والأسقف. وهكذا كان بالنسبة للشمامسة السبعة الذين أقامهم الآباء الرسل فى الكنيسة الأولى، وقد أجمعت المصادر الآبائية على أنهم ـ على الأكثر ـ كانوا من بين الرسل السبعين الذى عينهم الرب يسوع المسيح نفسه وأرسلهم أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع كان مزمعا أن يذهب إليه» (لوقا ١٠ : ١).

ولقد نصت القوانين الكنسية على أن يكون الشمامسة سبعة **يرتزقون من الهيكل** (نيقية ٦٧) مما يؤكد على أهمية **أن يكون الشماس متفرغا للخدمة، منقطعا لها.**

جاء فى الكتاب المقدس «من تجند قط بنفقة نفسه. ومن يغرس كرما ومن ثمره لا يأكل، أو من يرعى رعية، ومن لبن الرعية لا يأكل... فإنه مكتوب فى الناموس لاتكم ثورا دارسا... ألستم تعلمون **أن الذين يعملون فى الأشياء المقدسة من الهيكل يأكلون.** الذين يلازمون المذبح يشاركون المذبح. هكذا أيضا **أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل، من الإنجيل يعيشون»** (١ . كورنثوس ٩ : ٧ – ١٤).

٤ ـ ولما كان الشماس الكامل، وهو الدياكون، «**مخولا له أن يقرأ الإنجيل فى الكنيسة** (الدسقولية باب ١٠)، **وأن يعظ ويعلم، إذا لم يكن الأسقف موجوداً**، وقد ذكر الكتاب المقدس عن (اسطفانوس) رئيس الشمامسة أنه كان يكرز ويعلم (أعمال الرسل ٦ : ١٠ – ١٥) ، (٧ : ١ – ٥٣) وكذلك (فيلبس) الشماس أيضا أنه كان يكرز ويعلم (أعمال الرسل ٨ : ٥ – ١٤، ٢٦ – ٣٥).

ولعله من المناسب واللائق أن يكون الشماس الدياكون هو الخادم المتفرغ لخدمة تعليم الأطفال والشباب فى الكنيسة، فى مقام (**أمين الخدمة**) بالمفهوم السائد اليوم فى مدارس الأحد والتربية الكنسية واجتماعات الشباب، وإعداد الخدام، ويعمل معه وتحت قيادته خدام آخرون فى فصول الخدمة المتنوعة وفقاً لسن الطفل أو الشاب، وتبعا للمستوى الدراسى والعلمى.

إن الشماس الكامل، الدياكون، هو المسئول المناسب مع الكهنة بمثابة (**أمين الخدمة**) للصغار والشباب.

لذلك يجب أن يكون الشماس الكامل، الدياكون، قد تهيأ بالعلوم الدينية التى تؤهله للخدمة الناجحة. ومن هنا فقد وجب أن يكون الشماس الكامل حاملا للمؤهلات اللاهوتية والكنسية المناسبة لخدمته.

ونحن نلاحظ ونرى فى الكنائس الأرثوذكسية التى تدعى بالقديمة ومنها كنائس الأرمن الأرثوذكس والسريان الأرثوذكس، ثم أيضا الكنائس الأرثوذكسية التى تتبع الطقس البيزنطى، ومنهم اليونان والروس وكنائس رومانيا وبلغاريا ومن إليهم، أنه يراعى فى الشماس الكامل **أن يكون مؤهلا لاهوتيا وإكليريكيا لخدمته ودرجته.**

ولهذا، وتوكيدا لمبدأ التفرغ التام للشماس الكامل أو الدياكون، **«يلزم أن يتزيا بالزى الخاص بخدمته، فى الكنيسة وخارجها، مثله مثل القسيس والأسقف».**

٥ ـ على أن الشماس الكامل وهو الدياكون **اختصاصه الأول هو الخدمة الاجتماعية،** وهى المهمة الرسولية والكنسية التى أقام الآباء الرسل الشمامسة السبعة الأوائل من أجلها.

جاء فى الكتاب المقدس :

«وفى تلك الأيام إذ كان عدد التلاميذ قد تكاثر، تذمر الذين من اليونانيين منهم على العبرانيين بحجة أن أراملهم لا ينلن إهتماما فى خدمة الموائد اليومية. فدعا الرسل الأثنا عشر جماعة التلاميذ وقالوا لهم : لا يليق بنا أن نترك نحن خدمة كلمة الله لنخدم الموائد. فاختاروا أيها الإخوة، سبعة رجال منكم مشهودا لهم بحسن السمعة، وممتلئين من روح القدس والحكمة فنقيمهم على هذه المهمة. وأما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة. فاستحسنت الجماعة كلها هذا القول. واختاروا من بينهم اسطفانوس، وهو رجل ممتلئ من الإيمان وروح القدس وفيلبس.. ثم أقاموهم أمام الرسل فصلوا ووضعوا عليهم الأيدى» (أعمال الرسل ٦ : ١ – ٦).

وجاء فى الوصية التى يتلوها الأسقف على الشماس الدياكون كما هو مدون بكتاب (ترتيب قسمة رتب الكهنوت) :

«هذا عمل خدمة قد أؤتمنت عليه يابنى. يجب عليك أن تكمل ما قد رسم لك. وتصنعه، إذ أنت معدود من أولاد اسطفانوس أول الشمامسة : **تفقد شعب الرب، الأرامل والأيتام المتضايقين. وتعين من تقدر أن تعينه، وتسد فاقتهم، وتكون لهم مثالاً،** لكى ينظروا أعمالك الحسنة ويتمثلوا بك، وتكون تابعاً للأسقف والقسيس، وتعرفهم بالمتضايقين

ليتفقدوهم كالحد القانونى، وتكرم الذين هم أعلى منك فى الرتبة، الذين هم القسوس..، (الدسقولية الباب العاشر) ، (الباب ٣٤).

لذلك ينبغى أن يكون **الشماس الكامل متفرغاً لهذه الخدمة الاجتماعية**، وهو ما يقتضى أيضا **(أن يكون مقيما فى الكنيسة أكثر وقته)**.

فالقسيس خدمته تقتضيه أن يجول فى غير مكان خارج مبنى الكنيسة، فالحاجة تقتضى أن يكون الشماس الدياكون مقيما دائما فى الكنيسة، وله مكتب ومقر يمكن أن يقصده فيه من له احتياج لأمر ما، روحيا أو معنويا، أو ماديا.

ويلزم بالتالى أن تكون لديه سجلات لمقتضيات الخدمة ومن بين هذه السجلات :

١ ـ سجل بأسماء المعمدين.

٢ ـ سجل بأسماء المتزوجين.

٣ ـ سجل بأسماء الفقراء والمعوزين والمعونات المقررة لهم.

٤ ـ سجل **بالموجودات الكنسية** وهى ما يتقدم به أبناء الكنيسة من عطاء : من شمع، وزيت، وبخور، ودقيق، من كل نوع..

٥ ـ وأن يكون معه وتحت مسئوليته (الخزائن) المعدة للموجودات الكنسية على إختلافها وتنوعها.

٦ ـ أن يكون تحت يده دفتر (كراسة)، لتدوين طلبات أبناء الكنيسة فى العماد، والزواج، والقداسات الخاصة، وصلوات التجنيز للمتوفين، والثالث، والأربعين، والسنة وما إلى ذلك، لتحديد المواقيت بعلم الكهنة.

وبالإجمال **فإن الشماس الكامل الدياكون هو الشماس المقيم والسكرتير الدائم للكنيسة المحلية فى القرية والمدينة.**

٧ ـ ثم إن الشماس الدياكون هو خادم الهيكل، الذى ينذر الشعب أثناء الصلاة للوقوف والسجود ورفع الدعوات إلى الله.

وهنا نلاحظ أن الشماس الدياكون هو المنوط به مردات شماس الهيكل. وفى كتب الطقس الكنسى، يُنصُّ صراحة وتحديدا على أن مردات الشماس فى القداس وسائر الخدمات الكنسية

من عماد وزواج وغير ذلك، هى من اختصاص ومسئولية الشماس الدياكون، ففى كل مرد للشماس يرد باللغة القبطية صراحة أنه (الدياكون) DIAKON.

وفى هذه المناسبة يجوز لنا أن نذكر من تاريخنا الحديث أننا فى ديسمبر لسنة ١٩٥٢م كان لنا حديث مع البابا الراحل يوساب الثانى، البابا ١١٥ – فى هذا الشأن، بالإشارة إلى ضرورة أن يكون شماس الهيكل فى درجة (دياكون)، فأجاب بابتسامة وسعادة ورضى بتأييده التام للقضية من حيث المبدأ.

ومع البابا الراحل كيرلس السادس ظفرنا بتأييد مطلق مع التنفيذ، فى رسامة خريجى الكلية الاكليريكية مبدئيا فى رتبة (إيبودياكون) بمجرد حصول الطالب على شهادة إتمام دراسته اللاهوتية والكنسية من الكلية الاكليريكية، ذلك لأن قانون (الدياكون) هو قانون القسيس من حيث الزواج (أى أن الزواج يسبق الرسامة الكهنوتية لمن أراد الزواج) وظفرنا كذلك بتأييده المطلق لارتداء الخريجين وطلبة السنتين النهائيتين لزى الشماسية، وكان يسعد برؤيته لهم فى زيهم الخاص، وبحماس بالغ وحرارة كان يؤيد رسامتهم قساوسة، وقد أصدر قرارا بعودة جميع الرهبان ممن كانوا يخدمون فى كنائس المدن والقرى، إلى أديرتهم، فأتاح الفرصة لرسامة خريجى الإكليريكية كهنة لشغل المناصب الكهنوتية فى القاهرة والأسكندرية وغيرهما من بلاد مصر وخارجها. ولابد أن نذكر هذا الأمر للبابا كيرلس السادس توكيداً وتأييداً منه لرسالة الكلية الاكليريكية بصورة أضافت جديدا على ما صنعه الباباوات السابقون، ونحن نذكرهم جميعا بالخير مترحمين، ونرجو صلواتهم عنا جميعاً.

٧ ـ والشماس الدياكون مخول له أن يحمل الكأس ويقرب الشعب من كأس الرب، (قوانين الرسل ٣٤).

جاء فى الوصية التى يتلوها الأسقف على الشماس (الدياكون) كما جاء فى كتاب ترتيب قسمة رتب الكهنوت :

«... تفهم مقدار الكرامة التى دفعت لك لتحملها، الذى هو الدم الحقيقى المعطى خلاصا للعالم الذى يسلم فى يديك، مجدا لإلهنا يسوع المسيح...».

ثم يقول الأسقف :

«أعلم أيها الابن المبارك المسيحى الحبيب، الخير الأرثوذكسى اللبيب، الكرامة التى نلتها **بقراءة الإنجيل، والتقديس والتسبيح فى هيكله، وحمل الكأس الإلهى** الذى به سبب الغفران لمن يتناوله من الأنقياء الأطهار، والأزكياء الأبرار...».

تلك هى أهم واجبات الشماس الكامل (الدياكون)، وأكثر اختصاصاته ومسئولياته، بوصفه خادم الله والهيكل والكنيسة وشعب الله، اختصاصاته ومسئولياته الروحية والكنسية والاجتماعية..

لذلك، وحتى لا يتيه الشماس تيهانا بعيدا عن نفسه بشواغل الخدمة ومسئولياتها، ينبغى أن يرجع إلى نفسه، من وقت إلى آخر، يحاكمها ويحاسبها ويعاتبها بتدقيق وبغير مداهنة أو مجاملة «لأنه لو حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا» (١ . كورنثوس ١١ : ٣١) «لأنه ماذا يستفيد الإنسان لو أنه ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطى الإنسان عوضا عن نفسه» (متى ١٦ : ٢٦) ، (مرقس ٨ : ٣٦، ٣٧) ، (لوقا ٩ : ٢٥).

٤٠ ـ الإيبودياكون له أن يتزوج قبل رسامته أو بعد رسامته

سؤال : من الابن نادى لويز روفائيل ـ ملوى.

يقول هل يشترط لترقية الأناغنوستيس (القارئ للفصول المقدسة) إلى رتبة الإيبودياكون أن يكون الأناغنوستيس غير متزوج ؟

الجواب :

الإيبودياكون (= نائب الشماس) رتبة من رتب الشماسية يمكن أن يحصل عليها المسيحى **قبل الزواج أو بعد الزواج.**

لكن الشماس الدياكون أو الشماس الكامل أو الإنجيلى، قانونه قانون القسيس، يمكن أن يتزوج **قبل رسامته**، شماساً.

أما الإيبودياكون والأناغنوستيس، فلا مانع من الزواج بعد رسامته، فى رتبته.

جاء فى قوانين الرسل :

(الأناغنوستسيون والمرتلون إذا دخلوا وأرادوا أن يتزوجوا فليتزوجوا) (رسطج ١٧).

وجاء أيضا فى القوانين المعروفة بقوانين القديس باسيليوس الكبير (القانون رقم ٥٥).

وإذا ماتت زوجة أغنستس (أناغنوستيس) أو مرتل أو قيم، فهم محلولون أن يتزوجوا) (بس ٥٥).

٤١ ـ مبادئ عامة (١)

العزيز الابن السيد / .....

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

الأسئلة التى ارسلتموها إلىّ فى خطابكم الأخير يبدو منها واضحا الشكوى من تصرفات أشخاص كهنة وغير كهنة يحتاج فحصها إلى مواجهة ومقابلة وإلى حديث شفاهى فهو أجدى أحيانا من الكتابة.

وسوف اقتصر فى هذا الخطاب على الإشارة إلى مبادئ عامة.

وأولا ـ المعروف عن سلطان الحل والربط أنه أعطى لرجل الكهنوت لتدبير الكنيسة ولتدبير المؤمنين ولوضع القوانين وسن الشرائع ثم أيضا لعقاب المخالفين الذين خرجوا عن تعليم الكنيسة وطاعتها.

وفى الدسقولية وصايا كثيرة للأسقف والكاهن ونصائح توجيهية فى كيفية استغلال هذا السلطان وأنه ينبغى أن يلجأ الكاهن أولاً إلى الأدوية المهدئة كالمراهم ولا يلجأ إلى سلطان الربط إلا أخيرا عندما تعييه كل الحيل فى معالجة الخاطئ وحتى لا يفسد بقية أعضاء الكنيسة.

ثانياً ـ ليس يجوز رسامة أناغنوستيس (قارئ) قبل سن ١٥ سنة ويجب أن يكون معروفا بتدينه واستعداده الروحى واحترامه للكنيسة وبحفظه لطقوس الكنيسة والمردات، ويجب أن يرتدى التونية البيضاء إذا كان سيخدم فى الهيكل، ولا يليق الاستهتار برتبة الشماس حتى تعطى للأطفال الصغار فإن هذا مهانة للكنيسة ولرتبة الشماس، وأعلم أن الناس أصبحوا يخلطون بين أخذ البركة وبين الرتب الكنسية، فالطفل يمكن أن يأخذ بركة عادية بوضع يد الكاهن على رأسه والصلاة من أجله. أما نيل الرتبة الكنسية فهذا غير جائز إلا عندما يصل الطفل إلى سن يفهم فيه معنى هذه الرتبة ومسئوليتها.

---

(١) كتب فى ٩ من مارس ١٩٧٠م ـ ٣٠ من أمشير ١٦٨٦ش.

ثالثا ـ تسأل قائلا إذا قال أحد الشعب للكاهن الخديم أنى لست مسامحك فما هو موقف الكاهن وما الذى يجب اتباعه ـ وذلك عندما يقول الكاهن أخطأت سامحونى..

إجابة على هذا السؤال أقول أن هذا الطقس طقس استسماح الكاهن للشعب المقصود منه تنفيذ كلام سيدنا فى الإنجيل وهو طلب الغفران ممن يكون قد أخطأ إليهم والمفروض أن هذا الاستسماح كاف لأن يخجل كل واحد من الشعب قد يكون الكاهن أخطأ إليه.

وليس لأحد من الشعب أن يصيح فى الكنيسة ويقول للكاهن «أنى لست مسامحك» وإلا ترتب على ذلك أن يكون لكل فرد الحق فى أن يوقف خدمة القداس ويمنع الشعب كله من بركة القداس. فضلا عن أنه لو صار هذا مبدأ لكان يمكن لكل فرد من الشعب أصدر الكاهن ضده قرارا يمنعه من التناول أو ما أشبه أن يصير لهذا الفرد سلطان أن يوقف الكاهن عن الصلاة وهذا معناه الفوضى بعينها وقلب الأوضاع وضياع هيبة الكهنوت والرياسة الدينية وتصير الكنيسة فى كل يوم مجالا لمناقشات علنية فيمن أخطأ ومن أصاب الأمور التى يحتاج البت فيها إلى مجالس إكليريكية.

فإذا كان لفرد شكوى على كاهن فيمكنه أن يقدم الشكوى إلى الرياسة الدينية وتأخذ الشكوى مجراها بعيدا عن القداس وخدمات الكنيسة وبعيدا عن الصلاة الجمهورية.

وفى نهاية الأمر كله أعتقد أن ابنا مخلصا للكنيسة إذا كانت له أى ملاحظات على مخالفات كنسية تجرى داخل الكنيسة يمكنه أن يفاتح بشأنها كاهن الكنيسة أو رياستها الدينية **على انفراد** بينه وبين الكاهن **وفى غير وقت العبادة وبروح الاتضاع** كابن يكلم أباه دون إدعاء بالعلم أوالمعرفة ودون تمرد أو تهديد. هذا هو الأسلوب البناء أماغير ذلك فأسلوب هدام يضر ولا ينفع ويحدث سجساً واضطرابا فى الكنيسة وفيه إعتداء على كرامة الكهنوت وتخطى لعمل الكاهن وإختصاصه. فإذا لم يقبل الكاهن الملاحظة وكان هذا الشخص يعتقد أنه على حق فى ملاحظته من جهة الأصول الكنسية والطقوس الدينية فيمكنه أن يرفع الأمر إلى جهة الإختصاص وهى الرياسة الدينية المباشرة فالرياسة العليا للكنيسة إذا لم تستطع الرياسة الدينية أن تصنع شيئا يرد الأوضاع إلى أصولها.

هذه بعض المبادئ العامة أسوقها تعليقا على أسئلتكم المرسلة إلينا.

ونعمة الرب تشملكم.

٤٢ - إيضاح (١)

كنت قد كتبت مقالاً نشر بجريدة مصر فى عددها الصادر بتاريخ السبت ٢٣ يونيو ١٩٦٢ بعنوان «الأجراس تدق» عرضت فيه لمأساة كاهن عظيم من خير كهنتنا سقط تحت وطأة مرض ثقيل جاء نتيجة لكفاح متواصل، واعتبرت هذه المأساة إنذارا لمجتمعنا القبطى لأنها يمكن أن تكون مأساة كل كاهن قبطى نشيط يذوب شيئا فشيئا نتيجة للعمل المتواصل والمرهق بين أفراد شعب يبلغ عددهم أحيانا نحو عشرين ألف نفس أو يزيد. وقلت أنه يعوزنا التخطيط بحيث لا يرهق الكهنة ولا يهمل الشعب، وعلى ذلك لابد من أن تراعى نسبة فى التخطيط بين عدد الخدام وعدد الشعب، ورأيت أن هذه النسبة يمكن أن تكون مثلا فى حدود ١/ ١,٠٠٠ بحيث يكون عدد الخدام من كهنة وشمامسة إكليريكيين متفرغين بالنسبة إلى عدد أفراد المؤمنين فى إيبارشية ما ١/ ١,٠٠٠.

وقد تفضل نيافة الحبر جزيل الإحترام الأنبا يؤانس مطران الجيزة والقليوبية ومركز قويسنا فعقب على المقال تعقيبا، له احترامه عندى، وله كل التقدير. وإنى أشكر نيافته كل الشكر على إهتمامه بالمقال والتعقيب عليه، مما زادنى اعتقادا فى يقظة نيافته وحرصه على تناول المشكلات بتؤدة وروية، وقدم آراء قيمة جديرة بالإعتبار والدرس.

وأريد للإيضاح أن أقدم بعض ملاحظات :

أولا - إننى حين تناولت موضوع كاهننا المريض - أتم الله شفاءه -، قصدت أن اتخذ من قصته عبرة ونذيراً، بل إننى كتبت ما كتبت بروح الإشفاق والحب والعطف، وكنت متأثرا بمحبته، وكتبت كل حرف من أعماق نفسى حتى لا يقع لغيره من الكهنة الأمناء النشيطين ما وقع لسيادته نتيجة إرهاقه المتواصل فى العمل.

وتدليلاً على قضية كبرى بتنا اليوم فى حاجة إلى توكيدها وقد لا يكون كل ما نقوله فيها عمليا، وقد لا نصل فى سبيل توكيدها والإلحاح عليها إلى كا مانتمناه، ولكننا سنصل حتما إلى بعض ما نرجوه على الأقل. هذه القضية الكبرى هى أن الخدمة الرعائية الدينية فى المدن الكبرى كالقاهرة والأسكندرية مثلاً تحتاج إلى تخطيط.

وقد أيد نيافة الأنبا يؤانس فى مقاله هذه القضية بقوله «فكل بلد أو مركز أو قرية فى جميع الأبروشيات لها راعيها أو رعاتها يعرفون واجباتهم نحو شعبهم يهتمون بأمرهم.. ماعدا القاهرة فليست فيها رعاية بالمعنى المعروف لجميع الشعب.

---

(١) كتب فى يوليو ١٩٦٢م - برمهات ١٦٧٨ ش.

ثانيا - إننى حين اقترحت أن تكون النسبة بين عدد الخدام من الكهنة والشمامسة الإكليريكيين المتفرغين، وعدد الشعب ١/ ١,٠٠٠ ما قصدت أن يحدث هذا بجرة قلم، وبين يوم وليلة.

وإنما قصدت أن يكون للكنيسة تخطيط للمستقبل، وتحقيقه يمكن أن يتم بالتدريج وفى سنوات.

ثالثا - ليست هذه هى المرة الأولى التى دعوت فيها إلى الأخذ بمبدأ التخطيط فى الخدمة، فقد تكلمت فيه فى حفل الكلية الإكليريكية (لمرور ٦٦ سنة على إنشائها وذلك فى ١٥ ديسمبر ١٩٥٩، وهو الحفل العظيم) الذى شرفه قداسة البابا كيرلس السادس وعدد كبير من أصحاب النيافة المطارنة والأساقفة واتخذت على سبيل المثال مدينة القاهرة مثلاً، لأنها الآن عاصمة الكرازة المرقسية ولأن عدد الأقباط فيها كبير.

ولابد أن أذكر هنا أن قداسة البابا كيرلس السادس، يؤمن بالتخطيط ويؤمن بأن عدد الكهنة يجب أن يزيد وقد تفضل فرسم فعلا لإيبارشية القاهرة والأسكندرية عددا محترما من الكهنة الشباب الإكليريكيين، وهو يعمل شيئا فشيئا على زيادة عدد الكهنة والشمامسة المتفرغين.

ولهذا السبب رأيت أن أكتب مقالاً فى صحيفة قبطية سيارة وهى جريدتنا مصر، وأنا مطمئن إلى رغبات قداسة البابا، فكان لابد أن نوجه الكلام إلى الشعب وإلى لجان الكنائس حتى يعملوا من جانبهم على توفير الإمكانيات المادية لهذه الزيادة المطردة من الخدام المطلوبين.

رابعاً - حقاً أن عدد الذين يتخرجون فى الكلية الإكليريكية عدد محدود يتراوح بين العشرين والخمسة والعشرين فى كل عام، وأن هذا العدد لا يكفى لاحتياجات الكرازة المرقسية.

لذلك دعوت إلى التخطيط حتى تقبل الكلية فى كل عام عددا من الطلاب يتناسب مع إحتياجات الكنيسة بعد خمس سنوات.

وحقا إن إمكانيات البطريركية والمجلس الملى العام محدودة كما يقول نيافة الأنبا يؤانس فى مقاله ولكننا إذ نكتب عن هذه الموضوعات فى صحيفة سيارة ننبه الرأى العام - وهذا هو الهدف الأول من الصحافة فقد تتحمس بعض الهيئات القبطية والمجالس الملية الفرعية وأبناء الكنيسة المخلصين فيساهموا مع البطريركية والمجلس الملى العام فى الإنفاق على عدد من الطلبة يزيد عن العدد المحدود الذى تقبله الكلية فى كل عام.

أفهل كثير على جمعية قبطية أو مجلس ملي فرعي أو بعض أفراد الشعب أن يعلّموا طالبا واحداً على نفقتهم بخمسين جنيها فى العام أو حتى تدفع خمسة وعشرين جنيها فقط قيمة المصروفات الغذائية للطالب فى العام الدراسى ؟.

خامسا : إننى حين تحدثت فى مقالى السابق عن كاهننا المريض تكلمت عنه بكل توقير واحترام وتقدير.

وقد قلت بالحرف الواحد أنه «كاهن عظيم» وقلت «إنى أذكر اسم هذا الرجل وانحنى إجلالاً لشخصيته القوية وكفاءته الممتازة من كل وجه. فهو الكاهن الأمين والواعظ المقتدر المؤثر، مواعظه مقنعه مشبعة فيها عمق وقوة وبلاغة، كان مرشدا للمئات وراعيا للألوف».

قلت هذا فى مقالى، وقلته عن إيمان ومن كل قلبى وشعورى، لأننى أرى هذا الكاهن هو حقا رجل ثمين ويستحق كل تقدير واحترام. وقلته وفاءً لصداقته ومحبته التى اعتز بها.

وإننى أمجد الله على العطف والحب الذى حباه به صاحب النيافة الأنبا يؤانس مطرانه، فقد رعاه كأب صالح ورئيس ساهر.

وشكرا لجمعية السلام بشبرا البلد ولشعب الكنيسة ولإخواته الكهنة من أعضاء الرابطة الروحية للإيبارشية ولأصدقائه الكثيرين من الأحباء والشعب الكريم فى القليوبية والجيزة والإسماعيلية والسويس وسوهاج والقاهرة وشكرا لأطباء القاهرة ولاسيما الدكتور صادق أنطونيوس.

شكرا لهؤلاء جميعا ممن ذكرهم نياقة الأنبا يؤانس فى تعقيبه على مقالى.

وهذا كله يدل على يقظة رياستنا الدينية وعلى وفاء شعبنا القبطى العظيم، ولاسيما لخدامه الأمناء ورعاته الصالحين.

وإنى أرفع يدى بل اسكب قلبى بين الآلاف من المحبين لهذا الكاهن الجليل المحبوب، لندعو له بسرعة الشفاء حتى يستأنف من جديد كفاحه المبرور لخدمة شعبه الوفى الكريم.

بقلم الأرشيدياكون وهيب عطا الله جرجس

وكيل الكلية الإكليريكية

٤٣ ـ الأرمل ورتب الكهنوت (١)

ورد السؤال التالى من الأخ م. كيرلس.

هل فى قوانين الكنيسة ما يمنع الأرمل من أن يأخذ من رتب الكهنوت سواء كانت القسيسية أو الأسقفية ؟

الجواب :

أقول لا. ليس هناك أى مانع قانونى من سيامة الأرمل من الزيجة الأولى، شماسا أو قسيسا أو أسقفا.

وكنيستنا أباحت فى كل العصور سيامة الأرامل من الزيجة الأولى قسوسا وأساقفة. وإلى وقت قريب كان هذا الأمر مألوفا. وهناك أسماء معروفة لبعض أساقفة كانوا قسوسا أو قمامصة متزوجين ثم ترملوا، ونظرا لصلاحهم وصلاحيتهم رسموا أساقفة بعد ترملهم.

قلت ليس من مانع قانونى من سيامة الأرمل من الزيجة الأولى قسيسا أو أسقفا. أما الأرمل من الزيجة الثانية فلا يجوز له أن يصير أسقفا أو قسيسا أو شماسا كاملا (دياكون). فالكنيسة لا تبيح الزيجة الثانية بالنسبة لأصحاب الدرجات الكهنوتية الثلاث. وبصفة عامة لا تسمح بالزواج بعد نيل الكهنوت. فالرسول يقول فى هذا الموضوع «يجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة» (٢). وما ينطبق على الأسقف ينطبق أيضا على القسيس، بل وعلى الشماس الكامل (الدياكون) «ليكن الشمامسة كل بعل امرأة واحدة» (٣). ولما كانت المسيحية لا تبيح أن يجمع المسيحى بين أكثر من امرأة واحدة فى زيجة واحدة، كان كلام الرسول عن الأساقفة والقسوس والشمامسة بمعنى أن لا تكون لهم غير زوجة واحدة مدى الحياة. وبعبارة أخرى ليس لهم إلا زيجة واحدة كما تنص على ذلك الدسقولية (٤) (وهى تعاليم الرسل) أى أنه لا يجوز أن يصير أسقفا أو قسيسا من تزوج للمرة الثانية. ولا يجوز أن يستمر أسقفا أو قسيسا من تزوج للمرأة الثانية.

---

(١) نشر بمجلة الكرازة ـ السنة الأولى ـ العدد ٧ ـ سبتمبر ١٩٦٥م.

(٢) (تيموثيوس الأولى ٣ : ٢) ، (تيطس ١ : ٦).

(٣) (تيموثيوس الأولى ٣ : ١٢).

(٤) الدسقولية، الباب الثالث. انظر أيضا المجموع الصفوى لابن العسال، الباب الخامس.

٤٤ ـ الملابس البيضاء والملابس السوداء للكهنة (١)

سؤال : لماذا يلبس للكهنة الملابس السوداء ـ أما فى أثناء الخدمة فيلبسون الملابس البيضاء؟

الجواب :

اللون الأسود فى الملابس يشير إلى الزهد ثم إلى الحشمة والوقار.

أما الملابس البيضاء فى الهيكل فيلبسها الكهنة تمثلاً بالمسيح له المجد الذى عندما تجلى على جبل تابور صارت ثيابه بيضاء كالنور (متى ١٧ : ٢) (متألقة كالبرق) (لوقا ٩ : ٢٩) (ناصعة البياض كالثلج) (مرقس ٩ : ٣) كذلك ظهر المسيح له المجد فى الرؤيا للقديس يوحنا اللاهوتى (الرؤيا ١ : ١٣، ١٤).

---

(١) كتب فى ٧ من مايو لسنة ١٩٨٥م ـ ٢٩ من برموده لسنة ١٧٠١ ش.

٤٥ ـ لماذا تغيير الأسماء ؟

سؤال : لماذا تغيير أسماء الآباء الكهنة أو الأساقفة أو المطارنة عند سيامتهم ؟

الجواب :

الاسم الجديد الذى قد يتخذه القسيس أو الأسقف أو الشماس لا يبطل اسمه الذى تسمى به بالميلاد، إنما بالأحرى يضاف إلى اسمه الأول ولا يلغيه.

فيعقوب أبو الأسباط تسمى بـ (إسرائيل) لأنه جاهد مع الله وغلب (التكوين ٢٢ : ٢٧، ٢٨)، ومع ذلك لم يسقط عنه اسمه القديم فصار ينادى بالاسمين معاً. أى باسم إسرائيل (التكوين ٣٧ : ٣، ١٢)، وباسم يعقوب (التكوين ٣٥ : ٢٧) ، (٣٧ : ١، ٢) ، (٣٧ : ٣٤).

وكذلك الرسول بطرس، كان يحمل اسم سمعان ثم سماه المسيح باسم بطرس ومع ذلك لم يسقط عنه اسم سمعان، وإنما صار يعرف باسم سمعان (يوحنا ٢١ : ١٥، ١٦، ١٧) ، (أعمال الرسل ١٥ : ١٤) وكذلك باسم سمعان بطرس (يوحنا ٢١ : ٢، ٣، ٧، ١١، ١٥).

ويراعى عادة فى الاسم الجديد أن يكون من الأسماء القبطية. فإذا كان اسم المرشح للدرجة الكهنوتية (عادل) فيمكن أن يترجم إلى (يسطس) وإن كان اسمه (سعيد) فيمكن أن يترجم إلى (مكاريوس ـ مقار ـ مغاريوس، وإن كان اسمه (عوض) فيمكن أن يترجم إلى (انطونيوس) وهكذا.

وقد يختار الاسم الجديد، باسم قديس اليوم، الذى تمت فيه الرسامة، وقد يختار اسم قديس الكنيسة (المدشنة باسمه الكنيسة المحلية).

وقد يختار الأسقف للقسيس اسما آخر إذا لاحظ أن بالكنيسة. أو بالبلدة قسيسا آخر يحمل نفس الاسم.

وكذلك الأمر فيما يختص بالأساقفة، فقد يختار للأسقف اسم جديد منعاً من التكرار، وحتى لا يسمى أكثر من أسقف بذات الاسم.

٤٦ ـ فى حالة حدوث مكروه للكاهن أثناء القداس (١)

سؤال : فى حالة حدوث أى شئ للكاهن أثناء تقديسه الذبيحة ما هو التصرف فى الذبيحة؟ خصوصا إذا حدث فى بلد من البلاد البعيدة كبلاد المهجر مثلا وقداستكم تعلم أنه لا يوجد كاهن شريك أو حتى كاهن آخر فى المدينة كلها؟

الجواب :

إذا مرض الكاهن مرضا شديدا أثناء القداس بحيث صار عاجزا عن إتمام الصلوات أو إذا مات فى خلال تأديته لمراسم القداس فكرامة الذبيحة وجلال القداس يقتضى التصرف.

والتصرف كما يبدو لنا فى مفهومنا الكنسى يكون على الصورة الآتية :

إذا كان الكاهن لم يتل بعد صلوات التقديس ولم يحل بعد الروح القدس على الذبيحة (وهو ما يتم أثناء السجود الأول المطلوب بنداء الشماس اسجدوا لله بخوف ورعدة) فالخبز والخمر لم يتحولا بعد إلى جسد الرب ودمه. وعلى ذلك يمكن وقف إتمام القداس وتناول القربان الذى يكون بمثابة قربان الحمل وهو مبارك. لكنه لم يتقدس بعد، ولم يتحول بعد إلى جسد الرب ودمه.

أما إذا حدث مرض الكاهن أو وفاته بعد التقديس وحصول التحول بحلول الروح القدس فى أى وقت بعد السجود الأول ففى هذه الحالة يمكن للشماس وللشعب اكمال تلاوة ما يخص الشماس والشعب فقط وعدم تلاوة ما يخص الكاهن إلى نهاية القداس. ويجوز للشماس الأكبر (فى رتبة الشماسية) أن يقرب الشعب من الأسرار المقدسة على أنه فى هذه الحالة لا يغادر الكنيسة حتى يحضر الأسقف الأرثوذكسى ويتمم سيامته كاهنا. ولا يجوز للشماس الذى قرب الشعب من الأسرار المقدسة (وبعد تحولها بصلوات الكاهن الذى توفى أثناء القداس) أن يباشر خدمة القداس إلا بعد تتميم سيامته كاهنا بيد الأسقف الذى يرسله قداسة البابا الأسكندرى أو ينتدبه خليفة مارمرقس من أساقفة الكنائس الشرقية القديمة (من الأثيوبيين أو من السريان الأرثوذكس أو الأرمن الأرثوذكس).

ونعمة الرب تشملكم وبركته تحفظكم. ولله المجد دائما.

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٢٩ العدد ٧، ٧ أغسطس وسبتمبر ١٩٧٥م.

٤٧ ـ هل يجوز للكاهن أن يمسك عصا الرعاية (١)

ذكرت بعض المجلات القبطية أنه قد أهدى إلى أحد الآباء الكهنة فى حفلة تكريمية عصا وأسمتها «عصا الرعاية» فهل هذا يجوز ؟

الحق أن «عصا الرعاية» لا تكون لغير الأسقف إذ هو راعى الخراف الناطقة. ثم أن الكنيسة لا تخلع على القسيس لقب راع بل على الأسقف وحده. وأما القسيس فيسمى كاهنا أو معلما(٢). جاء فى الدسقولية تأييدا لهذه الحقيقة : وقد علمنا كل واحد أن يثبت فيما قسم له الرب بشكر : الأسقف كراع، والقسوس كمعلمين، والشمامسة كخدام. (مقدمة كتاب الدسقولية أو تعاليم الرسل).

وقد ميز الآباء الرسل بين وظيفتى الأسقف والقس أو القسيس فى الوصية، فقالوا فى باب الأسقف «ارع الخراف لا بضجر ولا بهزؤ، بل كمن لك عليهم سلطان، وكراع صالح. تجمع الخراف إلى حضنك» (الدسقولية باب ٤) (راجع أيضا باب ٣).

وأما عن القسوس فقالوا «والقسوس فليكونوا عندكم **معلمين**.. وتقبلوا منهم كلام الأمانة المستقيمة، والتعليم الصحيح الذى يبشرونكم به من قبلنا» (دسقولية باب ٦)، «للقسيس سلطان واحد وهو أن **يعلم** ويعمد، ويقدس ويبارك الشعب» (دسقولية باب ٣٥).

يؤيد هذا أن الكتاب المقدس يقرن دائما وظيفة الأسقف بالرعاية «أقامكم الروح القدس أساقفة لترعوا كنيسة الله» (أع ٢٠ : ٢٨) راجع أيضا قوله «**راعى** نفوسكم **وأسقفها**» (١. بط ٢ : ٢٥).

ولما كان الراعى هو الذى يحمل العصا (راجع سفر الرؤيا) حيث يقول «وهو سيرعاهم بعصا» (رؤ ١٩ : ١٥) رمزاً للسلطان والمسئولية العظمى، فقد صرح السيد المسيح له المجد لتلاميذه الإثنى عشر وحدهم أن يحملوا عصا الرعاية، «وأوصاهم ألا يحملوا معهم شيئا فى

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٣ العدد ١ فى أبريل ١٩٤٩م.

(٢) على أن الأسقف كذلك يجب أن يعلم (١. تى ٣ : ٢) ، (تى ١ : ٩) ، (دسق باب ٣، ٣٤، ٣٨) ولكن له فوق واجب التعليم سلطان الرعاية.

الطريق سوى عصا فقط، (مر ٦ : ٨) (١) ولكنه لم يسمح بذلك للسبعين الذين لم يكونوا فى ذلك الوقت فى مرتبة الإثنى عشر (راجع إنجيل مار لوقا ص ١٠ : ١- ١٢).

ولهذا جرى التقليد فى كنيستنا على أن يحمل الأسقف عصا الرعاية إذ أن وظيفته هى الوظيفة الرسولية الأولى، يقدمها له البطريرك مع الصليب ليتسلم معها سلطان الرعاية فى طريق الصليب. أما البابا البطريرك فيتسلم العصا من المذبح رأساً لأنه لا يعلوه فى المرتبة غير المسيح. ولكن القسيس لا تمنح له عصا لأنه ليس بالراعى. فإذا كان شيخاً وحمل بيده عصا فلا يدخل بها إلى الكنيسة كما يدخل بها الأسقف أو المطران أو البابا البطريرك، ولا يظهر بها فى حضرة الأسقف أو البابا، كما أنها لا تسمى عصا الرعاية.

---

(١) يلاحظ أن نص الوصية السيدية للإثنى عشر تلميذا فى إنجيلى القديسين متى ولوقا خلافا لنصها فى إنجيل مارمرقس «أن لا يحملوا ولا عصا» (مت ١٠ : ١٠) ، (لو ٩ : ٣) ولكن هذا الاشكال يحل على أساس التفريق بين العصا التى يتوكأ عليها وهى فى لغة اليهود (ميشخن)، وبين عصا القتال وتسمى عند اليهود (شفط). فالأولى هى التى صرح بها كما فى إنجيل مرقس؛ والثانية نهى عن حملها كما فى إنجيلى متى ولوقا.

وفضلا عن ذلك فإن كلمة عصا الواردة فى (مت ١٠ : ١٠) قد قرئت فى بعض النسخ «عصيا» وكأن النهى هو عن حمل أكثر من عصا (راجع كتاب البشائر الأربع ترجمة الكلية الإكليريكية قبطيا وعربيا). والخلاصة أن السيد المسيح أعطى لتلاميذه الإثنى عشر؛ وهم فى الدرجة الكهنوتية العظمى، أن يحملوا عصا واحدة فقط؛ وهى عصا الرعاية لا عصى القتال.

٤٨ ـ مخالفات كنسية (١)

(١)

إلى صاحب القداسة البابا الجليل، والسادة المطارنة والأساقفة.

١ ـ ليس يخفى على سيدى قداسة البابا المعظم وأصحاب النيافة المطارنة والأساقفة، أن القوانين الكنسية تأمر بأن يرقى المختار للكهنوت فى مراتبه درجة درجة. وهانحن فى كثير من الأحيان أنه يرقى فرد من الشعب إلى مرتبة القسيسية مباشرة، أو بعد حصوله على درجة أناغنوستيس أو ايبودياكون فقط. مع أن كتاب السيامة يأمر بأنه فى هذه الحالة، ترجأ سيامة مثل هذا الشخص قسيسا إلى يوم أحد آخر، وأما فى هذا الأحد فيقدم لنوال درجة الشموسية أولا، **والشموسية هنا يقصد بها درجة دياكون على الأقل**، أما الدرجات التى هى أقل من ذلك كالأناغنوستيس والابصلتس والإيبودياكون فلا تمكن صاحبها من نوال درجة القسيسية قبل أن ينال درجة الشموسية أولا. وفى الأحد التالى يمكن أن يمثل المرشح للقسيسية ـ ولكن بملابس الشموسية الكهنوتية ـ أمام الله خاضعا للأسقف ليضع يديه عليه لسيامته قسيسا. فهلا نطمع فى إهتمام الآباء بهذه الناحية الجوهرية فى طقوسنا الكنسية، **فلا يضعون اليد على شخص لترقيته قسيسا قبل أن يتثبتوا من أنه نال درجة دياكون، وأنه كان أميناً فى درجته، وأن لا يمثل أمام الأسقف إلا وهو متشح بلباس الشموسية (الدياكونية)** ؟؟.

٢ ـ كذلك نلحظ فى هذه الأيام ظاهرة هى من الغرابة بمكان، هى سرعة ترقية القسيس إلى درجة الايغومانوسية وبغير مبرر، مع أن الايغومانوس أو القمص فى الوضع الكنسى الأصيل هو مدبر الكنيسة وأول القسوس، وهذا يقتضى **ألا يكون بالكنيسة الواحدة أكثر من ايغومانوس واحد هو المسئول عن التدبير، وهو الذى يوزع الخدمات على القساوسة الذين يخضعون له. أما أن يكون بالكنيسة الواحدة أكثر من قمص واحد، فهذا يدل على انحراف عميق فى فهم الحكمة البالغة من تمايز الدرجات الكهنوتية، كما أنه كثيراً ما يؤدى إلى فوضى فى الخدمة نتيجة الإرتباك وتنازع الاختصاص، وعدم وجود الرئيس الذى تخول له درجته حق توزيع الخدمات على الكهنة، فينصرف كل كاهن إلى العمل الهادئ المنظم الذى يؤول إلى بنيان الكنيسة وسلامتها.**

إن القمص أو الإيغومانوس هو مدبر الكنيسة كما قلنا، وهو أول القسوس كما أسلفنا كذلك، وهو وكيل الشريعة فى البلدة، وهو نائب الأسقف ووكيله فى كنيسته، وهو الذى ترفع إليه كل

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة الثانية عدد ٦ فى نوفمبر ١٩٤٨م.

احتياجات الشعب المتنوعة، فيسند كل نوع من الخدمة إلى القسيس الذى يلائمها بحسب موهبته واستعداده وصفاته، ودرجة علمه، وخبرته، وسنه.

إن العود إلى فهم حكمة التقليد والطقس الكنسى ومحاولة إتمامه بدقة تحقق لنا خيراً جزيلا، وأملا نرنو إليه فى إصلاحاتنا الكنسية.

٣ - وهل لى أيضاً أن أسأل عن سبب سيامة جميع أساقفة الكنيسة تقريبا مطارنة، لدرجة أننا لا نكاد نسمع عن أسقف فى كنيستنا إلا نادراً؟ إننى لست أرى حكمة فى هذا النوع الجديد من الإنحراف عن أوضاعنا القديمة!! فالمطران درجة فى كنيستنا تعادل درجة رئيس أساقفة. ذلك أن معنى المتروبوليت أى المطران هو «أسقف أم المدائن» وبحسب الاصطلاح الكنسى هو الأسقف الرئيس أو الأكبر فى كبرى المدن، الذى تخضع له أساقفة المدن الأخرى، وقد خلع هذا اللقب فى مجمع نيقية على رئيس الأساقفة (١) قبل أن تخلع عليه لفظة البطريرك (رئيس العشيرة - رئيس الآباء) وهكذا نلحظ أن كلمة المطران إذا ترجمت إلى اللغات الأجنبية فهى بالإنجليزية Archbishop وبالفرنسيةArchevêque ، وهى فى الحالتين ترجمة دقيقة لكلمة (رئيس أساقفة).

أفما كان الأجدر والأليق أن يكتفى بدرجة المطران لأورشليم بفلسطين، وأديس أبابا بأثيوبيا والخرطوم بالسودان، بإعتبار أن هذه المدن عواصم كبرى فى أقطار أخرى غير القطر المصرى، وأنه يمكن أن يكون تحت رياسة هؤلاء الثلاثة فى هذه الأقطار أو الحكومات الثلاثة أساقفة كثيرون يخضعون لمطرانهم، والمطارنة بدورهم يخضعون للبابا البطريرك فى الأسكندرية ؟.

إنه ليخيل إلىّ، أننا لو سارعنا بهذا من زمان طويل لكنا قد حللنا بسهولة أكبر جزء من المشكلة الأثيوبية. ذلك أنه يمكننا أن نفهم وجهة نظر الأثيوبيين الذين وهم فى أوج شعورهم باستقلالهم وعظمة امبراطوريتهم، يحسون بإهانة بالغة تدركهم حين يسوى فى الدرجة بين رئيسهم الدينى الذى تخضع له امبراطورية بتمامها وبين الرئيس الدينى فى مدينة صغيرة كالبلينا أو جرجا أو أبو تيج وما إليها. قد لا يكون هذا كل شئ فى المشكلة الحبشية، ولكننى اعتقد أن هذا هو السبب النفسانى الذى كمن وراء المشكلة، وجعلها تظهر بهذه الصورة التى عرفت بها فى تاريخنا الحديث.

---

(١) جاء فى القانون السادس من قوانين مجمع نيقية «... وبالإجمال إنه لأمر واضح أن من يصير أسقفا بدون رأى المتروبوليت فقد حدد المجمع العظيم إنه لا ينبغى أن يكون أسقفاً...» راجع أيضاً قانون ٤.

(٢) ويسند لمطران القاهرة فى مصر أن يكون وكيل الكرازة المرقسية فى كل أفريقيا.

إننى ألتمس بأن يعاد النظر فى هذه المسألة بأن لا يسام من بعد مطران إلا للقاهرة فى مصر (٢) ولأورشليم فى فلسطين ولأديس أبابا فى أثيوبيا وللخرطوم فى السودان، حيث يمكن أن يكون للمطران عدد كبير من الأساقفة يخضعون له فى إيبارشيته. وسلطان المطران بالنسبة للأسقف كنسبة سلطان الايغومانوس أو القمص بالنسبة إلى القسيس فى المدينة. فهو الناظر الأكبر للإيبارشية أو القطر الذى يسوسه ويرعاه، وهو رئيس مجمع الإيبارشية الأقليمى، وعضو المجمع الإكليريكى العام المقدس تحت رياسة البابا الأسكندرى.

هذه نظرات خاطفة سريعة عنّ لنا أن نطرحها على بساط البحث أمام أنظار صاحب القداسة بابا الأسكندرية وكل أفريقيا وأصحاب النيافة السادة المطارنة والأساقفة، لعلها تلقى من عنايتهم ما هى جديرة به من إهتمام ورعاية، سائلين الله أن يسندهم ويؤيدهم ويقويهم للجهاد العظيم الذى تقتضيه وظائفهم الرسولية الجليلة.

٤٩ ـ مخالفات كنسية (١)

(٢)

إلى صاحب القداسة البابا الجليل، والسادة المطارنة والأساقفة.

يا قداسة البابا وياسادتى المطارنة والأساقفة، ألا يقضى القانون الكنسى والطقس القبطى بأن يقوم الشماس بمساعدة الكاهن فى خدمة الذبيحة أثناء القداس، فمن هو هذا الشماس؟.

إن الكتب الطقسية ومنها كتب الخولاجى والمعمودية والأكليل والقنديل.. تضع أمام كلمة الشماس فى مرداته كلمة «الدياكون» فكيف نتهاون اليوم ونسند هذه المهمة الجليلة لغير حامل هذه الدرجة الكهنوتية؟!.

أوضح الكتاب المقدس فى مؤهلات الشمامسة الذين اختارهم الشعب المسيحى فى الكنيسة الأولى أنهم **رجال**، ممتلئون من الروح القدس والحكمة وتحدث معلمنا القديس بولس الرسول عن هذه المؤهلات فقال «يجب أن يكونوا **ذوى وقار... ولهم سر الإيمان بضمير طاهر**، وإنما هؤلاء ليختبروا أولا ثم يتشمسوا **إن كانوا بلا لوم**... ليكن الشمامسة كل **بعل إمرأة واحدة مدبرين أولادهم وبيوتهم حسنا**» (١. تى ٣ : ٨ – ١٣).

ومن هنا فقد حدثنا التاريخ سواء فى الكتاب المقدس أو فى كتب المؤرخين عن شمامسة للكنيسة، كانوا رجالا قديسين فاضلين، اكتملت فيهم مؤهلات روحية وثقافية وقانونية كاسطفانوس وفيلبس ومن إليهما فى سفر الأعمال، وكأثناسيوس الذى كان شماساً، وقد سمح له نظراً لعلو كعبه فى العلوم الدينية، وعظم فصاحته ورسوخ قدمه فى علوم الكنيسة أن يحضر مجمع نيقية وهو المجمع المسكونى الأول، وكان يدافع عن الحقيقة الأرثوذكسية فى صعيد من الأساقفة الممتازين والمنتدبين عن كل العالم المسيحى، حتى لقد بهت من بلاغته كل الحاضرين، ودهش الملك قسطنطين من نصوع حجته، وسلامة منطقه، وقوة عارضته، إذ فضح أريوس وأظهر حقيقة موقفه، وقد كاد أن يخفى عن الجميع، فلم يتمالك الملك قسطنطين نفسه ـ وقد كان حاضراً هذا المجمع ـ أن هتأه مرة وشهد له وقال «أنت بطل كنيسة الله»، وقرأنا فى التاريخ كذلك، عن تيموثيوس الشماس فى عصر الإستشهاد الذى مات شهيداً هو وزوجته فى سبيل أن يحفظ كتب الكنيسة فلا يسلمها ليد العابثين والمستهترين!!، وقرأنا كذلك عن أبى شاكر الراهب شماس كنيسة المعلقة الذى من تأليفه كتاب «الشفا فيما استتر من لاهوت المسيحى وما اختفى»، وقرأنا عن غير هؤلاء فى مختلف عصور الكنيسة. كأوريجانوس وفيلبس وكثيرين من مديرى وأساتذة إكليريكية الأسكندرية، أنهم كانوا رجالا ـ متزوجين أو

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٣ ـ العدد ٤ ـ فى يولية ١٩٤٩م.

بتوليين - وأنهم كانوا عارفين بالكتب المقدسة متضلعين فى العلوم اللاهوتية والكنسية، أكفاء فى التعليم والوعظ والإقناع والتأليف، موقوفين على هذه الخدمة - خدمة الشموسية - كما هو الحال تماماً بالنسبة للقسيس والأسقف، لا يشتغلون بأى عمل آخر لينقطعوا لهذه الرسالة العظيمة.

ألا يسلم معنا سيدى صاحب القداسة وأصحاب النيافة المطارنة والأساقفة، أن درجة الشموسية فى كنيستنا الآن درجة مهملة وأنه كان يمكن أن يعود على كنيستنا خير عظيم لو أعدنا النظر على ضوء تقاليدنا وطقوسنا وأوقفنا أناساً خصيصين لهذه الخدمة كما نوقف للقسيسية والأسقفية؟؟.

فى كنيستنا اليوم طبقة من الخدام يسمون بالوعاظ، وأظن أننا لا نعترف بالوعاظ من هذا الطراز، لأن مهمة الوعظ وهى مهمة الكرازة تقتضى الإرسال «كيف يسمعون بلا كارز، وكيف يكرزون إن لم يرسلوا» والإرسال هنا فى النظام المسيحى، والطقس الكنسى يتم طبقا لمبدأ الدعوة من الله، والاختيار من الشعب، ووضع اليد من الرئاسة الدينية، لأننا كنيسة تقليدية نحتفظ بالخلافة الرسولية منذ البدء حتى اليوم. فكيف يقف على المنبر ليعلم الشعب شخص من غير درجات الكهنوت، والكتاب يقول «من فم الكاهن يطلبون الشريعة لأنه رسول رب الجنود» ؟ وكيف نكون منطقيين مع أنفسنا إذا كنا نؤمن بسر الكهنوت، ونسمح أن يتولى التعليم، وهو من صميم اختصاص الكهنوت (١) إنسان من غير الحاصلين على إحدى الدرجات الكهنوتية، شماسا أو قسيسا أو أسقفا ؟.

إن كنيستنا لا تعترف بواعظ من غير الحاصلين على إحدى درجات الكهنوت، ولذلك فالوعاظ من هذا الطراز يلاقون الكثير من التعب، والإهمال وعدم المبالاة.

وليست خدمة المنبر لذاتها، منعزلة عن مباشرات الكنيسة وطقوسها، وسائر احتياجات الخدمة، هى العمل المثمر فى كنيستنا اليوم. ولقد كان الرسل قديما، والأساقفة الذين ساموهم فى البلاد، وخلفاؤهم من بعدهم، يقومون بطقوس العبادة ومراسيمها إلى جانب التبشير والوعظ - كإقامة الصلوات العامة والقداسات، وطقوس العماد ووضع اليد والاعتراف والتزويج ومسحة المرضى، وسائر الأسرار السبعة، كما نعلم من الكتاب المقدس وكتب المؤرخين والقديسين، وما تدلنا عليه الآثار القديمة، والتقليد الكنسى.

* * *

(١) يقول الرسول فى شروط الكاهن «يجب أن يكون صالحا للتعليم» ١ . تى ٣ : ٢ .

فإذا كانت الطقوس الكنسية، ومباشرتها فى الهيكل أثناء الذبيحة، وفى تتمة جميع أسرار الكنيسة تقتضى قطعا درجة الشموسية، وإننا نعلم من القانون الكنسى ومن الكتاب المقدس وكتب البيعة أن الشماس الخديم فى هذه المباشرات هو الدياكون فقط (١) وأنه يجب أن يكون فى السن الذى يسمح له بالإرشاد، والتعليم كما كان الحال مع اسطفانوس وفيلبس وأثناسيوس وتيموثيئوس، وأن لا يسمح له بالزواج بعد نواله هذه الدرجة.

ومن هذا كله يتضح أن الشماس الذى ينذر الشعب أثناء الخدمة، ويدعو إلى الصلاة ويلازم الهيكل ويساعد الكاهن هو الدياكون أو الأرشيدياكون، ولا أقل من هاتين الدرجتين، ولذا يجب أن يكون متزوجا قبل دعوة الكهنوت، وإلا ظل بتولا كل أيام حياته، فإذا تزوج بعد ذلك سقطت عنه درجة الشموسية، وصار إلى ما هو دونها.

وإذا كان الوعاظ فى كنيستنا يجب أن يكونوا من ذوى المراتب الكهنوتية، أفليس من الأوجب أن نجد حلا لهذه الاشكالات بأن يسام الواعظ بمجرد تعيينه بالكنيسة، شماسا بها (بدرجة دياكون)، فيقوم بمهمة الواعظ كشماس قانونى نال أولى مراتب الكهنوت، ويتزى فى الكنيسة وخارجها بزى الكهنوت، فيصبح من بين طغمة الكهنوت، موقوفا للخدمة مفرزاً لها، ويقوم بخدمة الشموسية فى الهيكل، فيلازم الكاهن فيه ويساعده فى إقامة سائر الأسرار، ويعهد إليه من قبل ايغومانوس الكنيسة ببعض الخدمات الروحية والإجتماعية خارج الكنيسة، فيكون عضداً قويا مع الكهنة لبنيان الكنيسة ونموها؟؟.

هذا ولم لا يسام كبير الوعاظ فى إيبارشية الأسقف أو المطران رئيسا للشمامسة يكون منوطا بالإشراف على سائر وعاظ الإيبارشية، لتقدم الخدمة ونمو الكلمة ورد الضالين، وافتقاد المؤمنين، ومساعدة الكهنة فى تعزية الحزانى والخدمة بين المسجونين؟؟

وطبعا يمكن للكنيسة مؤقتا أن تستعين بعدد من المتطوعين للخدمة فى درجات الأناغنوستية والمرتلين والإيبودياكونيين والشماسات. لكننى أترك هذه المسألة الآن وأكتفى بالدعوة إلى وجوب سيامة الوعاظ شمامسة (دياكونيين) وأن يتزيوا بزى الكهنوت الخاص بالشموسية.

وبعد فمتى يأتى اليوم الذى نرى فى شوارع المدينة رأيا يختص بالشماس، فنشعر حقا أن درجات الكهنوت فى كنيستنا ثلاث وليست إثنتين فيبدأ فى نهضتنا عهد جديد للعمل المنتج والخدمة المصلحة المثمرة التى «تضم أبناء الله المتفرقين».

---

(١) درجات الشموسية سبعة منها الدياكون (الشماس) والأرشيدياكون (رئيس الشمامسة) ثم الإيبودياكون (نائب الشماس) ويقوم بحفظ الأبواب وإنارة الكنيسة، وتعمير المجامر واستخراج فصول القراءة، والأناغنوستيس (القارئ للفصول)، والابصلتس (المرتل)، والقيم (ومهمته عمل القربان وتنظيف الكنيسة) والشماسه وهى أرملة فى الستين من عمرها مهمتها مساعدة الكاهن فى عماد السيدات غير المؤمنات، وحفظ النظام فى صفوف السيدات.

٥٠ ـ كيف يختار الأسقف ؟ (١)

لم تعد التزكية هى الطريقة المثلى لمعرفة رأى الشعب فى اختيار أسقفه أو راعيه.

لقد كانت التزكية طريقة مناسبة فى الأزمنة الخوالى حيث كان أراخنة الشعب بارزين واضحين لضمير الأمة كلها. وكان رؤساء العائلات يقيمون مع عائلاتهم فى بلد واحد بل ربما فى بيت واحد كبير أو بيوت متجاورة تضم الأب وأولاده وأحفاده والأسرات المتكونة من أولاده وأحفاده وأولاد أحفاده إلى عدة أجيال متلاحقة. وكان رأى الأب الكبير ورئيس العائلة محترما عند جميع أولاده وأسراتهم. وكان الأولاد والأحفاد يتبنون رأى أبيهم الأكبر أو هو الأرخن بينهم ويدافعون عن رأيه لأنه فى نفس الوقت رأيهم.

أما اليوم فأصبح الزمان غير الزمان الذى ولى. ولم تعد رابطة الرأى تجمع بين رؤساء العائلات وعائلاتهم لأن العائلات الكبيرة قد تفتتت فى كثير من المدن، وتفرقت إلى أسرات صغيرة حسب ظروف الحياة وانتقالات الموظفين من بلد إلى آخر مراعاة لمصالح الأمة والنظام العام الذى يقتضيه خير البلاد.

وتبعا لهذه الظروف الجديدة صار لكل فرد فى المجتمع الكبير رأيه الخاص الذى يكونه لنفسه تبعا لثقافته وتمشيا مع فهمه للدرجة الكهنوتية ومسئولياتها العامة والخاصة وللأشخاص الذين يراهم أهلا لحمل تبعاتها.

لم يعد الأراخنة وحدهم بالمعنى القديم لكلمة الأرخن الرأى المعلى فى ترشيح أصحاب الدرجات الكهنوتية. ولم يعد الناس اليوم يرضخون لرأى أكابرهم، فقد صار لكل فرد رأيه الذى يعتز به مهما خالف رأيه رأى الأكابر والرؤساء. وصار كل فرد يشعر فى نفسه بأنه جدير بأن يؤخذ برأيه لأن له وجهة نظر ليس من مصلحة الجماعة تجاهلها.

فنظام التزكية كما كان يجرى قديما وإلى اليوم لم يعد النظام الذى يحقق الخير للمجموع البشرى لأنه غالبا يتجاهل رأى أفراد كثيرين من غير البارزين فى المجتمع العام. فالتزكية تكتب ويوقع عليها عدد من الناس قد يكون كبيرا وقد يكون صغيرا ولكنه لا يعبر بدقة عن الرأى الحقيقى لمجموع الشعب كله، ولا يستند إلى إحصاء شامل للموافقين وغير الموافقين على ما جاء فى التزكية، بالنسبة لعدد الناس الذين يجب أن يعتد برأيهم فى الموضوع.

هذا إلى أن للتزكية عيبا آخر كبيرا. فالتزكية يكتبها عادة شخص أو إثنان يوصف فيها المرشح بصفات كثيرة قد يكون مبالغا فيها إلى حد كبير، ويطوف بها شخص أو أكثر من ذوى الحيثيات يسأل الناس أن يوقعوا عليها. **وما أكثر الذين يوقعون على مثل هذه التزكية**

---

(١) نشر فى مجلة الكرازة السنة الأولى ـ العدد الثانى والثالث ـ يناير وفبراير ١٩٦٥م.

مجاملة لحامل التزكية، أو تجنبا للاحراج، أو تخلصا مما قد يترتب على الرفض من مشاكل أو متاعب حاضرة أو مستقبلة. وما أكثر الذين يوقعون وهم يجهلون شخصية المرشح، وبالتالى مدى أهليته للدرجة الكهنوتية، ولكنه يجد نفسه مضطرا إلى التوقيع لاعتبار أو لآخر، وأحيانا يوقع على أكثر من تزكية فى وقت واحد لنفس الاعتبارات.

لهذه الأسباب مجتمعة معا لم تعد التزكية هى الطريقة السليمة التى يعبر بها الشعب عن رغباته الحقيقية فى اختيار أسقفه أو راعيه.

فإذا كان مقررا فى قوانين كنيستنا أن للشعب حقا يجب أن يستعمله فى اختيار أصحاب الدرجات الكهنوتية فيجب أن توضع لائحة تتمشى مع القانون الكنسى من جهة، ومع ظروف العصر من جهة أخرى ولاسيما أن القوانين نصت على الاختيار ولكنها لم تحدد التزكية وسيلة لهذا الاختيار. ومهما يكن من أمر **فإن للكنيسة سلطانا أن تضع من اللوائح والترتيبات حسب الظروف والاحتياجات بشرط أن لا تتعارض مع الأصول والمبادئ العامة وتعاليم الكنيسة وعقائدها.**

يجب وضع لائحة لانتخاب الأسقف :

يجب إذن أن توضع لائحة تنظيم الكيفية التى يعبر بها أهل الاختيار عن رأيهم فى المرشح للأسقفية والقسيسية أيضا حتى تتم الرسامة وفقا للرأى العام لأهل الإيبارشية جميعا، وتجنبا لكل صور النزاع التى تظهر عادة على مسرح الحياة العامة فى كل رسامة تتم بغير تعبير صريح وكامل لرغبات أهل الإيبارشية.

الطريقة الأفضل :

ولابد هنا أن نقرر أن رسامة أى أسقف تعنى فى الواقع أطرافا ثلاثة :

أولا : البابا البطريرك لأنه الرئيس الأعلى المؤتمن على شئون الكنيسة كلها ورعايتها وتدبيرها، وهو أول من يضع يده على رأس المنتخب لرسامته خليفة للرسل وشريكا له فى الخدمة الرسولية. فمن حقه أن يكون راضيا عن المنتخب لأنه مسئول عن رسامته ومشترك مع أهل الاختيار فى تحمل تبعات هذه الرسامة. وقد قال الكتاب المقدس : «لا تبادر إلى وضع يديك على أحد، ولا تشترك فى خطايا غيرك» (١). وجاء فى قوانين الرسل : «الأسقف يكون برضاء بطركه وأهل أبرشيته» (٢).

ثانيا : الآباء المطارنة والأساقفة لأن المنتخب سيكون زميلا لهم. وهم أيضا يشتركون فى رسامته ويضعون أيديهم عليه. فلابد أن يكونوا هم أيضا موافقين على قبوله فى شركتهم الرسولية.

يقول ماربولس بعد أن دعاه السيد المسيح الذى ظهر له فى رؤيا فى وضح النهار (٣) ليكون رسولا وكارزا بإنجيل ملكوته : «ولما عرفوا النعمة الموهوبة لى مد يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون كأعمدة إلىّ وإلى برنابا يمناهم للشركة» (٤).

ثالثا : أهل الاييارشية فإن المنتخب سيكون راعيهم بالذات، ولابد أن يكون المنتخب برضاهم هم. والقوانين الكنسية صريحة فى تقرير حق الشعب فى اختيار راعيه، بل أن القانون الكنسى ينص على أن قبول الله للمنتخب موقوف بقبول الشعب له. فيقول القانون بصدد اختيار الأسقف : «إذا قبلوه كلهم قبله الرب» (٥).

وأهل الاييارشية هم الإكليروس والشعب. فالأسقف هو رئيس وأب للكهنة والشمامسة وكل الشعب، فلابد أن يكون اختياره برأيهم جميعا.

من حق الشعب أن يختار راعيه :

ولكن كيف يعبر أهل الايبارشية عن رأيهم بحيث يكون واضحا لضمير الكنيسة كلها؟.

قلت إن التزكية لم تعد الطريقة المثلى، فلابد من الاختيار بطريقة الاقتراع السرى، بحيث يجمع أهل الاختيار من الكهنة والشعب بالاتفاق مع الرياسة الدينية على اختيار ثلاثة أسماء من الكهنة المتبتلين ويجتمعون فى مكان واحد وفى يوم واحد ويضع كل منهم اسم المرشح الذى يختاره على ورقة ويضعها فى صندوق الانتخاب. والمرشح الذى ينال ثلثى أصوات الناخبين على الأقل، يكون هو المنتخب المرضى عنه من الغالبية العظمى من أهل الاييارشية. وبذلك نضع حدا لكل المتاعب ونتجنب الاعتراضات والمشاكسات ونتوقى الانقسامات بين الناس. فإذا لم ينل أحد المرشحين الثلاثة ثلثى الأصوات، أعيد الانتخاب بين الاثنين الحائزين على أكثر الأصوات، ومن فاز منهما بالأغلبية المطلقة يكون هو المنتخب الذى تحق رسامته أسقفا.

وأما أهل الاختيار فى الاييارشية فهم أولا رجال الدين، وثانيا جمعية من الشعب يتوافر فيهم شروط خاصة من حيث العقيدة والعلم والسن بموجب لائحة يضعها المسئولون بما يتمشى مع تعاليم الكنيسة وقوانينها الأصيلة.

---

(١) تيموثيوس الأولى ٥ : ٢٢.

(٢) رسطج ١ (انظر المجموع الصفوى لابن العسال، الباب الخامس مادة ٨).

(٣) أعمال الرسل (٩ : ٣ - ١٦) ، (٢٢ : ٦ - ١٥).

(٤) غلاطية ٢ : ٩ (قارن أيضا أعمال الرسل ١٣ : ٢، ٣).

(٥) قوانين الرسل المجموعة الثانية (رسطب ٥٢). المجموع الصفوى، الباب الخامس مادة ٢١.

٥١ ـ هل يجوز الزواج الثانى لأصحاب الرتب الشماسية الصغيرة؟ (١)

سؤال : من الابن ل. د.

يقول أنه رُسِمَ وهو صغير شماسا فى رتبة أناغنوستيس أى قارئ للفصول المقدسة، وقد انفصل عن زوجته، بحكم كنسى، وتزوج للمرة الثانية بإقرار من المجلس الإكليريكى، فهل يجوز له أن يباشر خدمته كشماس.

الجواب :

نقول، يجوز لأصحاب الرتب الشماسية الصغيرة وهى الأناغنوستيس (القارئ) والأبصلتس (المرتل) والإيبودياكون (نائب الشماس)، وهى الرتب التى هى أصغر من درجة (الدياكون) وهو الشماس الكامل، أن يبقى فى رتبة خدمته إذا تزوج للمرة الثانية. أما الشماس الكامل، وهو الدياكون، فإذا تزوج للمرة الثانية فينبغى أن يمتنع عن ممارسة خدمته. ذلك أن الدياكون، وهو الشماس الكامل قانونه قانون (القسيس)، فلا يجوز إذا تزوج للمرة الثانية أن يبقى فى درجته الكهنوتية.

---

(١) كتب فى ٢٣ / يناير ـ كانون ثان لسنة ١٩٩٢ ـ ١٤ / طوبه لسنة ١٧٠٨ ش.

٥٢ ـ يسمح للكاهن أن يعظ فى كنيسة بروتستانتية ولكن لا يسمح العكس

الابن العزيز المبارك الأرشيدياكون دكتور ملاك صادق ـ صاحب أجزخانة الاسعاف ـ بميت غمر.

سلام ومحبة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

ردا على استفساركم بتاريخ ٣١ يناير ١٩٧٠ خاصا بموضوع أسبوع الصلاة العالمى من أجل الوحدة المسيحية وهل يسمح لكهنتنا أن يدخلوا المعابد البروتستانتية لإلقاء كلمات.

أقول أنه يجوز للكاهن القبطى أن يدخل إلى المعابد البروتستانتية لكن العكس غير صحيح. إنى أقر أن يدخل كاهن قبطى معبدا بروتستانتيا يعظ فيه فهذا غزو مسيحى مطلوب لنشر الأرثوذكسية.

ولكن لا أقر لكاهن قبطى أن يدخل جمعية خلاص النفوس، ولو أعلنت جمعية خلاص النفوس عن بروتستانتيتها صراحة وكشفت عن حقيقتها كجماعة بروتستانتية لقلت أنه يجوز للكاهن القبطى أن يقبل دعوة هذه الجماعة للوعظ فيها.

على أن ما يجوز للكاهن أن يصنعه، لا يجوز للشعب الأرثوذكسى أن يتبعه فيه. فالطبيب يجب أن يخالط المريض لأن هذه هى مهمته ولكن ما يجوز للطبيب لا يجوز للجمهور لئلا تنتشر العدوى بين الناس من المريض إلى السليم.

على هذا الأساس كان ماريولس الرسول وهو رسول للمسيح يدخل المجامع والمحافل اليهودية ليحاج اليهود وليبين لهم أن يسوع هو المسيح.

وعلى هذا الأساس يجوز للقادة الكنسيين فينا أن يحضروا المؤتمرات العالمية التى تتألف من ممثلين من رجال دين مختلفين فإن حضور هذه المؤتمرات يعد كسبا لكنيستنا عظيما وهو فرصتنا للتبشير بعقيدتنا وطقوسنا فى وسط رجال الدين من شعوب أخرى وعقائد أخرى.

على إننى من وجهة نظرنا الأرثوذكسية إذا سمحت لكاهن قبطى أن يقف على منبر معبد بروتستانتى فلا أسمح لرجل بروتستانتى أن يقف ليعظ على منبر أرثوذكسى أمام جمهور المؤمنين الأرثوذكسيين لأننى أكون قد منحت حق التعليم لرجل منحرف وخارج على الكنيسة ليعلم الشعب الأرثوذكسى على منبر كنيسة أرثوذكسية.

هذا هو المفهوم الذى أسعى لنشره فى مجال الحديث عن أسبوع الصلاة العالمى.

وبهذه المناسبة أذكر لكم أن جمعية الشبان المسيحيين بالقاهرة طلبت من سيدنا قداسة البابا حضور ممثل له فى الجمعية فى أسبوع الصلاة العالمى فانتدبنى قداسة البابا ولما علمت إننى سألقى الكلمة ورجل بروتستانتى سيصلى وآخر كاثوليكى سيصلى رفضت وقلت لهم مادام الأسقف موجوداً فهو الذى يصلى أولا وأخيرا، وشرحت الأمر لسيدنا البابا فوافقنى، وقلت للجمعية إما أن أحضر على هذا الوضع أو لا أحضر، وقبلت الجمعية واضطر رجل الدين البروتستانتى إلى عدم الحضور وأما الكاثوليكى فلم يصلِ وإنما ألقى تعقيبا قصيرا فى بضع دقائق، وأما الروح المسيطرة على الاجتماع فكانت ارثوذكسية بحته وخوروس المعهد العالى للدراسات القبطية خدم بألحاننا القبطية وبدأنا الاجتماع بصلاة الشكر من الأسقف والصلاة الربانية ثم ألقى الأسقف الخطاب وألقى القس الكاثوليكى تعقيبا فى نحو ٣ دقائق ثم رتل الخوروس الألحان وبعد ذلك صلينا صلوات البركة الختامية طبقا لطقسنا الأرثوذكسى. وكان درس للجمعية قبلوه بصعوبة ولكنه كان درسا نافعا.

ختاماً انتهز هذه الفرصة لأهنئكم برتبة الأرشيدياكون راجيا لكم قوة وبركة على حياتكم وعلى خدمتكم وأعتذر لإننى لم استطع أن أكتب لكم قبل الآن.

وإنى أرجو بركة الرب على حياتكم.

ونعمته تعالى تشملكم.

٥٣ ـ وظيفة الأسقف
وأهلية الأستاذ الأرشيدياكون حبيب جرجس للأسقفية
وموافقة ترشيحه للقوانين الكنسية (١)

نص الكلمة التى ألقاها الأستاذ وهيب عطا الله بالمؤتمر الذى دعا إليه شعب الجيزة والقليوبية ومركز قويسنا والمنعقد بجمعية التوفيق القبطية بتاريخ ٢١ يناير سنة ١٩٤٩.

قبلت دعوة المؤتمر للكلام فيه، بعد أن علمت أن مهمتى فى ذلك مهمة علمية. وبعد أن تحققت من أن الدعوة وجهت إلىّ بصفتى الشخصية، لا بصفة الإكليريكية.

مع أننى من ناحية أخرى، يمكننى أن أبدى رأيى بوصفى واحداً من خريجى الجامعة المصرية بالجيزة (ولازلت طالبا بها) وهى الصفة التى أعتقد أنه بها يخول، لكل من تخرج فى الجامعة أو يدرس بها. أن يبدى رأيه فى الراعى للايبارشية التى تضم طلبة الجامعة وأساتذتها وهم رجال الكنيسة لا فى الجيزة وحدها بل رجالها الذين يعملون فى جميع بلاد القطر المصرى والسودان وليبيا والحبشة وكل أفريقيا.

وظيفة الأسقف :

الأسقف راع.. ومعلم.. وشفيع. هو راعى الإيبارشية المسئول أمام الله عن تدبيرها وسياستها وحسن قيادتها، هو الذى يوجه القسوس والشمامسة ويقود الشعب.

وهو المعلم الأكبر، الذى تطلب الشريعة من فمه، والمرجع الأعلى لشئون الدين فى شعبه، والذى تنتقش كلماته وتصريحاته فى أذهان شعبه وقلبه، كأنها كلمات الله وشريعة السماء.

وهو الشفيع فى كهنته وشعبه يصلى من أجلهم، ويباركهم ويدفع عنهم بدعائه وابتهاله غضب السماء، ويستمطر عليهم البركات الروحية والخيرات الزمنية.

المؤهلات القانونية :

وإذا كانت تلك وظيفة الأسقف فإن القوانين الكنسية قد اشترطت فى المرشح لهذه الدرجات شروطا، نذكر منها :

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة الثانية ـ العدد التاسع ـ فى فبراير ١٩٤٩م.

أولا - قداسة السيرة وطهارة الحياة، والغيرة الدينية على مجد الله وبنيان الكنيسة : وقد طالبت القوانين الرسولية أن يكون «بلا لوم كوكيل الله» إذ هو الصورة المقروءة والمنظورة من جميع الناس، والذى يمثل فى حياته وتصرفاته السيد الذى يخدمه والدين الذى يدعو اليه.

ثانيا - العلم الدينى والكنسى: فيجب أن يكون فقيها فى علوم الكنيسة وطقوسها وتقاليدها، وهو أمر طبيعى أن يكون راعى الكنيسة عالما بكل صغيرة وكبيرة فيها.

قال الكتاب المقدس (يجب أن يكون الأسقف صالحاً للتعليم» (١ . تى ٣ : ٢) ومعنى هذا إذن أنه لا يكفى أن يكون متعلما مثقفا فقط بل يجب أن يكون صالحا للتعليم أى معلّما أيضاً، وبعبارة أخرى قادراً على أن يعلم ويقنع، ويجادل، ويرد، ويدفع ولن يتوافر هذا كله إلا لرجل ضليع عالم فقيه، درب، حاذق، حتى لا يعثر فى تعليمه أو يخطئ، أو يزل، وحتى يكون دقيقاً فى تعبيره، سليما فى تعليمه.

وإذا كان الكاهن يصلى كل يوم على المذبح من أجل البابا البطريرك، فإنه أيضاً يذكر شركاءه فى الخدمة الرسولية «الذين يفصلون معه كلمة الحق بالإستقامة»، وهى عبارة ممعنة فى الدلالة على أن الأساقفة يجب أن يكونوا علماء بالشريعة، ليتمكنوا من التعليم المستقيم.. وتأمل إذن هذا التعبير الموفق.. «يفصلون» وكأن التعليم يحتاج إلى دقة فى تخير الألفاظ وانتقاء التعبير ليكون الأسقف كخياط ماهر «يفصل الملبوس على مقاس لابسه.. وهل يتوافر هذا فى غير أسقف عالم؟.

ويقول الآباء الرسل فى الدسقولية عن الأسقف «ويكون مملوءا **من كل تعليم**، ويكون أديباً، درب اللسان» (باب ٣) «ويعلم فى الكنيسة، ويتكلم بثبات» (باب ٣٨).

وجاء فى قوانين الرسل، والكتاب الثانى «وأسقف راض بقلة العلم»، ليس هو أسقفاً بل هو اسم كاذب عليه، وليس هو من قبل الله بل من قبل الناس» (رسطب ٥١).

وجاء فى المجموعة الأولى من قوانين الرسل «ولا يرأس فى النصرانية، ولا يختص بتدبيرها، إلا من يعرف شرائعها وسننها، ويعمل بها، فإن كان مخالفا لذلك فليعزل عن الرياسة مقهورا» (رسطا ١٤).

ثالثا ـ البتولية : ولقد اشترطت الكنيسة فى المجمع المسكونى الأول المنعقد بنيقية بناء على تفضيل البتولية فى الكتاب المقدس على رباط الزواج (راجع ١ . كو٧) أن يكون الأسقف من المتبتلين لا لأن الزواج محروم إذ هو رباط وسر مقدس، وإنما كلفاً بالعفاف الذى تقتضيه هذه الوظيفة الرسولية الخطيرة، وانصرافا إلى معبوده ومحبوبه الأعظم، بعقله وشعوره وفكره، هو الراعى الذى يقود ايبارشية بتمامها فيها من كهنته وشعبه رجال وكهول وشيوخ، ولاشك أن مهمته تكون أيسر لو بلغ السن التى يشعر أمامها رجال الشعب وشيوخه أنها سن الوقار، فيخضعون له ولأوامره ولا يتهمونه بالطياشة ونزق الشباب.

هذه هى الشروط والمؤهلات القانونية وليست مهمتى فى كلمتى أن أتكلم عن انطباق هذه المؤهلات على الأستاذ الأرشيدياكون حبيب جرجس، وإنما أدع هذا لكم. وأتركه مهمة للضمير فى كل إنسان ليبحث فيما إذا كان الأرشيدياكون حبيب تقياً طاهراً وبلا لوم أم لا، وما إذا كان عالماً بعقائد الكنيسة وتقاليدها وطقوسها أم لا، وما إذا كان بتولا طاهراً أم لا، وما إذا كان شيخا وقوراً جليلا أم لا؟!.

الموانع القانونية :

إذا تحدثنا عن المؤهلات القانونية فلابد بالتبعية من أن نتكلم عن الموانع التى يجب أن يحرم بسببها من نوال الأسقفية.

أولا : الرشوة أو الجاه أو قوة الحكومة : فقد منعت القوانين الكنسية منعاً باتا من أن تنال هذه الوظيفة الإلهية «برشوة، أو بجاه، أو بحيلة»، وهذه هى بعض تلك القوانين :

جاء فى قوانين الرسل «أسقف أو قسيس أو شماس، يملك هذه الدرجة **برشوة فليقطع وليقطع الذى قسمه، ولا يشارك جملة**، كما فعل بسيمون الساحر من جهتى أنا بطرس» (رسطج ٢٠).

«وإذا استعان برؤساء هذا العالم، وتملك على الكنيسة من جهتهم، فليقطع، ويطرد، هو وكل من شاركه».

«أو وعد برشوة حتى يصير إلى ذلك بالمكر، فلا تقبل رياسته. فإن هو غلب عليها بالحيل فهو **مقطوع. وليكن عندكم بمنزلة الوثنى ولينف من كنيسة الله**، ويجتنب كلامه وخلطته، كما اجتنبت أنا بطرس خلطة سيمون الساحر، ونفيته عن كنيسة الله بأمر الروح القدس» (رسطج ٢١، ٢٨).

«وأى أسقف استجار فى تدبيره بالبرانيين (بغير المسيحيين) أو برؤساء العالم (الحكومة أو البوليس) حتى يعينوه على تدبير البيعة، ويطلب بذلك ذلة شعب الله والاستعلاء عليهم بما لا يجب.. **فهو محروم وليقطع هو وجميع من أعانه على ذلك»** (رسطا ٢٩).

ثانيا : أن يسام بغير اجماع الشعب كله لا يجوز أبداً أن يقام أسقف بغير إرادة الشعب الذى يقتبل رعايته، **والبطريرك الذى يجرؤ على هذه المخالفة القانونية الصريحة يضع نفسه تحت طائلة العقاب الكنسى والحرمان الإلهى.**

اسمعوا ماذا تقول الدسقولية :

«فليقم الأسقف باختيار الشعب كله» (باب ٣٦).

واسمعوا أيضاً :

«ويقام فى يوم الأحد، وكل الناس متفقون على إقامته، وكل الشعب والكهنة يشهدون له» (باب ٣٦).

واسمعوا أيضا ما تقوله قوانين الرسل «وإذا رضيه الكل، فليجتمع كل الشعب والقسوس والأساقفة فى يوم الأحد، وليسأل الكبير الذى فيهم (رئيس الأساقفة أى البطريرك) القسوس والشمامسة، ويقول : أهذا الذى ارتضيتموه أن يكون رئيساً لكم؟ فإذا قالوا نعم، فليسألهم أيضا ويقول أهذا يستحق التقدمة الجليلة. وأقام سيرته صحيحاً لم يوجد عليه شئ؟. فإذا أجابوا كلهم وقالوا، أنه هكذا بحق، وليس رياء. فليسألهم أيضا ثالث دفعة «هل هو مستحق بحق هذه الرياسة، لكى تثبت كل كلمة من فم اثنين أو ثلاثة؟. فإذا قالوا فى ثالث دفعة إنه مستحق فليصافحوه كلهم.. فإذا قبله كلهم، قبله الرب» (الكتاب الأول قانون ٥٢).

ثم انصتوا أيضاً لما جاء فى كتاب الجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة تأليف العلامة يوحنا بن زكريا المعروف بابن السباع فى طقس سيامة الأسقف.

«ثم فى صباح يوم الأحد يقف الأسقف الجديد، فى إحدى زوايا الكنيسة وشمعة متقدة أمامه.. ثم يلتفت البابا البطريرك إلى الغرب، ويرسل مطرانا وأسقفا متقدما (كبير فى سنه، أو قديم فى درجته) وأسقفا آخر إليه - فالأسقف المتقدم يمسكه بيده اليمنى، والأسقف الآخر يمسكه بيده اليسرى والمطران يجذبه بالبطرشيل الذى يكون على كتفه وعنقه، ويدورون به

الكنيسة كلها من ابتداء الزاوية التى كان واقفاً بها إلى أن يقدموه للبابا البطريرك **حتى ينظره كل شعب الكنيسة ليعرفه. وإن كان أحدهم يعرف بأن عليه شيئاً رديئاً أو عليه قضية تمنعه عن تتميم الرسامة فمعه إذن بأن يعرضها فى الحال حتى يرجع إلى الحق، أفضل له من الإستمرار على الضلال.**

«ومتى ظهر عدم وجود شئ عليه، فيوصلونه إلى هيكل الله، ويضع البابا يده عليه» (الباب الثمانون).

واصغوا أيضا لما تقوله القوانين: «فإن تعرض له أحد، وذكر عنه أنه لا يصلح للأسقفية، **فليؤخر أمره ثلاثة أشهر ويكشف عنه فيها بمحضر من خصمه أو فى غيبته، فإن ثبت عليه سبب يمنع من تقدمته منع، وإلا فليقدم.** أما خصمه الذى فرقه ولم يثبت عليه ما ذكره، إن كان كاهنا فليبعد من البيعة، وإن كان من الشعب فليؤدب كما يجب» (ص٢٨).

هل تمنع القوانين من لم يكن راهبا أن يصير أسقفاً ؟

إنى أقرر تحت مسئوليتى أنه لا يوجد فى الكتاب المقدس، أو فى الدسقولية أو قوانين الرسل أو التقليد أو أقوال القديسين نص واحد يمنع أن ينال علمانى درجة الأسقفية أو حتى البطريركية، ما دام هذا العلمانى بتولا طاهراً، عالما، غيوراً، وشيخاً وقوراً.

وإنما على العكس من ذلك، نلتقى بنصوص **نفهم منها، أنه يجوز أن يختار الأسقف من العلمانيين**، من ذلك ما جاء بالمجموع الصفوى «ولا يصلح علمانى إلا بعد ضرورة، وبعد أن يشترط على نفسه حفظ القوانين المقدسة» وهو نص أجاز لأهل الاختيار، أن يختاروا علمانيا للأسقفية **وذلك إذا اقتضت الضرورة كأن لم يكن بين المرشحين خير من هذا العلمانى فى تقواه وعلمه ولباقته».**

ولقد سجل التاريخ الكنسى أسماء أربعة وثمانين بطريركا فضلا عن عدد لا حصر له من أساقفة ومطارنة، كانوا جميعا علمانيين، منهم أراخنة أو من رجال الحكومة، أو من التجار، أو من رجال الأعمال، أو من الفلاحين، أو من الأغنياء الخ.

ولم يقع هذا الاختيار على أمثال هؤلاء قبل عهد الرهبنة فقط بل وإبان ازدهارها أيضا ويكفى للتدليل على ذلك أن نذكر على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر، أن الأنبا ابرآم

بن زرعة البابا الثانى والستين من بطاركة الكرسى الأسكندرى، كان تاجراً من حيث مهنته وكان سوريا (سريانيا) من حيث جنسيته. وكان هذا البطريرك فى القرن العاشر الميلادى، أفلم يوجد فى الأديرة، وقد كانت عامرة بالرهبان وكانوا يعدون بالآلاف، واحد فقط يصلح لأن يكون بطريركا، بدلا من هذا التاجر السوريانى الجنس؟ أم هو البحث عن الأصلح (راهباً أو غير راهب) كان هو وحده رائد آبائنا فى تلك العصور الجميلة؟!!!.

* * *

ومع أن القوانين لا تمانع فى أن يكون المرشح للأسقفية أو البطريركية علمانيا فى بعض الأحوال الاضطرارية، ومع أن التاريخ يشهد بأن أمثلة كثيرة من أساقفة وبطاركة كانوا من العلمانيين إلا إننا نعود فنتساءل :

هل الأستاذ الارشيدياكون حبيب جرجس علمانى ؟

من هو العلمانى؟ **هو المشتغل بمهمة أو بمهنة عالمية**، كالمهندس والطبيب، والمحامى أو القاضى، والتاجر، والصانع، والأرخن أو العيّن فى البلد أى الغنى الثرى.

فهل الأرشيدياكون حبيب علمانى بهذا المعنى؟ أليس يشتغل بالدين وحده؟ وهل له عمل آخر؟ أليس منصرفاً إلى خدمة الله بكل جهده ووقته؟ بل وألم يكرس حياته بأكملها لله والكنيسة؟ أليس هو نذيراً لله؟ ألم يقطع عهد البتولية على نفسه بقبوله درجة الشموسية ورياستها، التى لا يمكن أن تسقط عن كل من قبلها إلا وتزوج بعد ذلك كما هو الحال تماما فى القسيس؟ أفهل يقال بعد ذلك أنه علمانى؟ ويسوى بينه وبين العلمانيين المشتغلين بمهام العالم والحياة المادية ؟

وما يذكر عن المتنيح طيب الذكر الأنبا كيرلس الخامس، نفعنا الله ببركاته، أنه كان يقول للآباء المطارنة «نادوا حبيبا ليحضر معنا فى المجمع، أليس راهبا مثلنا، أليس مكرساً لله مثلنا؟!».

ثم أن العلمانى يذكر فى القوانين فى مقابل الكاهن، إذ يقال لذوى المراتب الكهنوتية أنهم اكليروس (أى من نصيب الله) أما المشتغلون بالوظائف العالمية، فيقال لهم «علمانيون» نسبة إلى «العالم».

أما الأستاذ حبيب جرجس فهو من طغمة الاكليروس لأنه رئيس لأول رتبة من رتب الكهنوت الثلاثة إذ هو رئيس شمامسة.

ترى لو كان الشمامسة ورؤساء الشمامسة المنقطعون لخدمة الله، يلبسون الزى الأسود كما يلبسه القساوسة والأساقفة، أفهل كان يعترض مطلقا على أهلية الأرشيدياكون للأسقفية؟ بالطبع لا. وإذا كان الأمر كذلك أفهلا يكون محزنا أن تأخذ رياستنا الدينية بهذه المظاهر الخارجية، ويصير الزى وحده هو المانع من أن يرقى مثل هذا العالِم لمرتبة الأسقفية؟

ثم.. ثم إن المتنيح الأنبا كيرلس الخامس قد عرض عليه مرات أن يرسمه أسقفا، فهل كان ذلك البابا العظيم جاهلا بالتقاليد؟!!.

ومن هو الأستاذ حبيب جرجس ؟

هو مدير الكلية الإكليريكية. ولقد كان مدير الإكليريكية فى كل العصور، هو الرجل الثانى فى مرتبته الاجتماعية فى الكنيسة، لأنه معلم المعلمين وأستاذ الأساتذة. وهو أول من كانت تتجه الأنظار إليه لاختياره بطريركا عند خلو الكرسى.

فالقديس يسطس (البطريرك السادس)، والقديس أومانيوس (البطريرك السابع)، والقديس مركيانوس (البطريرك الثامن)، والقديس ياروكلاس (البابا الثالث عشر)، والقديس ديونيسيوس (البابا الرابع عشر)، والقديس بطرس خاتم الشهداء (البابا السابع عشر)، والقديس ارخيلاوس (البابا الثامن عشر).. كل هؤلاء ممن **ثبت قطعاً أنهم كانوا مديرين للإكليريكية الأسكندرية، قبل أن يعتلوا عرش الكرازة المرقسية.**

ثم أن القديس ألكسندروس (البابا التاسع عشر) والقديس أثناسيوس الرسولى (البابا العشرين)، والقديس تيموثيئوس (البابا الثانى والعشرين)، والقديس ثيئوفيلس (البابا الثالث والعشرين). والقديس ديوسقوروس (البابا الخامس والعشرين - بطل الأرثوذكسية) ... كل هؤلاء - على الأقل - ممن ثبت قطعاً أنهم من خريجى الإكليريكية الأسكندرية وأنهم لم يكونوا من طغمة الرهبان.

ومما يلاحظ بعين الاعتبار أن هؤلاء البابا‌وات الأعلام رفعوا منار كنيستنا عاليا على كل ربوع المسكونة حتى لقبت كنيستنا بمعلمة المسكونة، وعهد إلى بطاركتنا دائماً برياسة المجامع المسكونية نظراً لما توافر لهم من العلم والعرفان، وكان يعهد إليهم بحل المشاكل اللاهوتية العويصة.

جميع هؤلاء اختيروا من مديرى الإكليريكية أو خريجيها النوابغ، فى زمن كان يعاصرهم كبار الرهبان وهم الأنبا بولا، والأنبا أنطونيوس. والأنبا باخوميوس، والأنبا بيشوى، والأنبا مكاريوس، والأنبا شنوده رئيس المتوحدين.. أى فى العصر الذى كان فيه كواكب البرية الذين لم تكن الأرض وما عليها تستحق وطأة أقدامهم.

ولكن هؤلاء الآباء القديسين كانوا حريصين على أن تحفظ الغاية من الرهينة بعيدة عن كل هوى فى مراتب الكهنوت. كما أن رجال كنيستنا فى تلك الأيام كانوا يحسون بتفرقة دقيقة بين أن يكون الإنسان تقيا وقديساً تلتمس بركته وصلواته، وبين أن يكون عالما لاهوتيا وحجة الكنيسة الذى يقنع ويفحم ويعظ ويشبع، ويرد على البدع والأضاليل ومن أجل هذا كان الأساقفة والباباوات فى تلك العصور يختارون من الأعلام المتبتلين، وكانوا فى الآن نفسه يزورون الأديرة يلتمسون بركات الرهبان القديسين، ليصلوا عنهم ويؤيدوهم بشفاعاتهم وضراعاتهم كما كان يفعل البابا أثناسيوس الرسولى مع الأنبا انطونيوس، والبابا كيرلس والبابا ديوسقورس مع القديس لوقا والأنبا شنوده رئيس المتوحدين.. الخ.

أفهل إذا سيم الأستاذ الأرشيدياكون أسقفا للجيزة والقليوبية يعد هذا مخالفاً للتقاليد أو مطابقا لها؟!!.

المجمع الإكليريكى العام :

نما إلى علمنا عن طريق بعض الصحف أن غبطة البابا البطريرك، قد دعا المجمع الإكليريكى العام إلى الإنعقاد، لبحث مسألة جواز ترشيح الأستاذ الأرشيدياكون حبيب للأسقفية ومع أن هذه مسألة مبتوت فيها كما رأينا، على ضوء القوانين والحقائق التاريخية، وأنه لا داعى مطلقا لأن ينعقد بسببها مجمع إكليريكى عام وإلا احتسب التاريخ لغبطة الجالس على عرش مارمرقس، تجاهله لكل هذا التاريخ الطويل، ولصراحة النصوص القانونية.

إلا أننا نؤكد، علاوة على هذا، أن هناك شروطاً ينبغى ألا يتجاهلها رجال الكنيسة بالنسبة لإنعقاد المجمع الإكليريكى العام.

أولها - أن المجمع الإكليريكى العام ينعقد من **جميع** المطارنة **وجميع** الأساقفة برياسة البطريرك وبعض الممتازين من الكهنة، ومن تدعو الحاجة إليهم (كما هو الحال فى مثل هذه الحالة) من الشمامسة والأراخنة الذين **«يوثق فى كثرة علمهم ودينهم»** على حد تعبير القوانين الكنسية. وأظن أن التاريخ يشهد بأن الصفى العسال، ولم يكن راهبا ولا كاهنا، كان

حاضراً المجمع الذى عقده الأنبا كيرلس بن لقلق البابا الخامس والسبعون، هذا المجمع العظيم الذى دل على حيوية الأساقفة ويقظة الشعب فى ذلك الزمان، حيث أجبروا البطريرك على الخضوع لرأيهم وألزموه بأن يضع حداً لتعدياته الصارخة على القوانين وقبوله السيمونية والرشوة فى سيامة الأساقفة والكهنة، فهبوا فى وجهه وأرغموه عقد مجمع إكليريكى، فأذعن لمشورتهم وعقده فى ١٣ سبتمبر سنة ١٢٣٨م وكان من بين القوانين التى أصدرها هذا المجمع العظيم قوله :

«لا يقسم أسقف من الآن إلا من كان **عارفا... ورضى به شعبه الذى يقدم عليه...** ولا تؤخذ منه (رشوة) ولا تبع (مواهب) الروح القدس ولا تشتر. فمن فعل ذلك منى أو من أساقفتى أو تحيل فى أخذها بوجه من وجوه التحيلات، كان ممنوعاً من منح الكهنوت التى أخذها من الروح القدس...» وترى من هذا القرار أنه اشترط :

أولا ـ المعرفة والعلم كما أنه لم يشترط الرهبنة فضلا عن أنه قطع بحرمان الراشى والمرتشى.

وأما القرار الآخر الذى يهمنا بصدد الكلام عن عقد المجامع فهو «عقد مجمع إكليريكى عام سنويا، فى الأسبوع الثالث بعد العنصرة من الأساقفة، وفضلاء الشعب».

وهذا هو ما ورد أيضاً بقلم الأب الأسقف أنبا يوساب أسقف فوه، فى تاريخ هذا المجمع الذى انعقد فى يوم السبت ١١ توت سنة ٩٥٧ ش «.. حضر الأب البطريرك أنبا كيرلس بطريرك المدينة العظمى الأسكندرية وما معها، ومن ثبت خطه فى هذا المسطور من الأساقفة والقسوس ومشائخ الرهبان، والرؤساء المشائخ الأراخنة، وتقرر فى أمر البيعة المقدسة الرسولية القبطية بكرسى الأسكندرية، أن يجرى الأمر فيه على ما يأتى بيانه»..

وثانيا ـ يجب أن يكون جميع أعضاء المجمع على علم بموضوعات البحث فى الاجتماع ليتأهب كل منهم بالصلوات، ولتكون له فرصة للدرس والبحث ولكيما يتجه الاتجاه الذى يرشده الله إليه ويلهمه ضميره بعد أن يكون قد تفكر وأحاط بالموضوع علما، فلا يأتى رأيه مرتجلا أو طارئا.

وثالثا ـ تقام قبل انعقاد المجمع وأثناء انعقاده قداسات يحضرها جميع الأعضاء يسألون الله أن يؤازرهم، فإذا التأم مجمعهم وضعوا الكتاب المقدس ومن فوقه الصليب أمامهم، ليكون شاهداً على ضمير كل منهم.

إذا كان ذلك كذلك فإن قراراً يصدر من بعض أفراد المجمع وليس منهم جميعاً لا يكون قرارا مجمعيا.

وإذا وضع القرار فرد أو أكثر وطلب إلى الآخرين أن يوقعوا عليه بدون أن يكونوا مجتمعين معاً وفقا لتقاليد المجمع، فهو قرار غير مجمعى وهو إذن باطل من حيث هو كذلك. وهو ما يعرف بالقرار الدورى أو ما أشبه، الأمر الذى هو بدعة مستحدثة فى أساليب المجامع مما لم نقرأ أو نسمع عنه من قبل.

هذا والمجمع **مقيد فى قراراته بأن تكون موافقة للكتاب المقدس وللتقليد الذى جرى فى كل عصور الكنيسة، بل وبقرارت المجامع المسكونية والإقليمية السابقة عليه**، حتى أن كل مجمع كان ينعقد قديما كان يفتتح قراراته بقرار يؤيد فيه جميع القرارات السابقة فى المجامع القانونية التى تعترف بها الكنيسة. والحكمة فى كل هذا الاحتفاظ بوحدة التعليم المسيحى، وهى الصفة البارزة في الكنيسة الأرثوذكسية.

* * *

من أجل هذا أثق من كل قلبى أن مجمع كنيستنا لا يمكن أن ينعقد لبحث مسألة جواز ترشيح الأرشيدياكون حبيب جرجس لكرسى الأسقفية، لأنها مسألة لا تحتاج إلى بحث من جديد، ولن يستطيع المجمع أن يخرج فيها عن التقاليد الكنسية والنصوص القانونية. وهى كما رأينا تتفق تماما وجواز هذا الترشيح.

كما أن المجمع لا يستطيع أن يقيد مبدأ الترشيح لكراسى الأسقفيات فى هيئة معينة بالذات وهى طغمة الرهبان لأنه بهذا يكون قد حكم على الرهبنة بأن تفسد إلى الأبد إذ تصبح لا كما هى فى نشأتها غاية فى ذاتها وإنما وسيلة لإرتقاء مراتب الكهنوت مع أن الرهبنة لا ترتبط فى حقيقة الأمر بالكهنوت ارتباطا أصيلا.

ويكون بهذا أيضا قد أفسد على الكنيسة خطة جميلة تجرى عليها فى اختيار أساقفتها، **وهى أنها لا تتقيد بالهيئة التى يختار منها، وإنما تتقيد بالمؤهلات ذاتها التى ينبغى أن** تتوافر فى الأسقف وهى الطهارة والعلم والبتولية والخبرة والغيرة وسن الوقار.

فمع أن الكنيسة فى العصور الأولى وقبل أن تغلق الإكليريكية الأسكندرية، كانت تجرى فى الغالب على اختيار مدير الإكليريكية أو أحد خريجيها للأسقفية إلا أنها لم تتقيد أبداً بهذه الخطة حتى فى عصر ازدهار الإكليريكية ذاتها، فلقد شاءت إرادة الله أن يختار القديس ديمتريوس

بطريركا، وقد كان فلاحا أو كراما أميا. كما أنه قد اختير كثير من الأساقفة من غير الرهبان فى عصر ازدهار الرهبنة نفسها. ومن آيات ذلك غير ماذكرنا الأنبا غبريال ابن تريك البطريرك السبعون والذى كان فى القرن الثانى عشر الميلادى. فإن هذا الأب الجليل كان من أعيان الأقباط كما كان من كبار الكتاب المعدودين فى الديوان السلطانى (ديوان بيت المال)؛ وكان بتولا ولم يكن راهباً ومع ذلك صيروه بطريركا. وقد تأيد هذا الاختيار بعلامات من الله.

* * *

حقاً إن اخشى ما نخشاه أن ينزلق رجال كنيستنا إلى هذا الخطأ وتجاهل هذه الخطة الحميدة التى تسير عليها كنيستنا من حيث أنها تتقيد بالمؤهلات ولا تتقيد بالفئة التى يختار منها الأسقف أو المطران أو البطريرك.

* * *

وأنا مضطر بعد هذا كله أن أصرح بأنه إذا فرضنا مستحيلا وصدر قرار مثل هذا فى يوم ما ليقيد الهيئة التى يختار منها البطريرك فإنه يكون قراراً باطلا. ولست فى هذا أخرج عن تعليم كنيستنا. وعن حكم التاريخ الكنسى على كل مجمع يخرج عن الأوضاع الصحيحة لانعقاد المجامع بأنه مجمع باطل وغير قانونى.

* * *

وبعد، فإنى أرجو الله بإتضاع قلبى، أن أكون قد وفقت فى خدمة المبادئ الكنسية وفى التنبيه إلى خطر الإنحرافات عن الأوضاع الأصلية القديمة.

والله وحده الذى أعبده، هو الذى يدينني إن كنت لا أنوى من هذه الكلمة غير إعلان الحقيقة الكنسية فى ذاتها، بغض النظر عما يترتب على ذلك من نتائج.

إيضاح وبيان
للمبادئ العامة الأساسية
فى موضوع
انتخاب البطريرك
أو
كتاب مفتوح
للمجلس الملى بالأسكندرية

تصدير وابتهال

«قبل أن أصورك فى البطن عرفتك» (إرمياء ١ :٥).

من أجلك، يا إلهى - وأنت العليم بما فى ذات الصدور - وخدمة للحق لجميع الخلق، ولخير كنيستنا الأرثوذكسية فى كل الأجيال، كتبت هذا الكتاب.

أنت تعرف، ياسيدى الرب، كم ترددت فى أن أكتب هذا الكتاب. وقبل كل أحد آخر فى هذا الوجود، أنت وحدك الذى تعلم كيف ألح على ضميرى واحساسى بواجبى كأسقف مسئول، وخصوصا عن الثقافة القبطية والبحث العلمى، فلم أحتمل أن أقف متفرجا وكثيرون يتكلمون ويكتبون باسم كنيستك، كلاما يجرح سلامة تعليمها، ولاشك عندى فى أنهم يكتبون عن غيرة وإخلاص ومحبة وتفان. فإذا صمت، وأنا فى موقع المسئولية، فلا تبرير لى عندك، مهما كانت مسوغاته.

لذلك، وبكل إتضاع أمامك، أرجو أن تتفضل فتقبل كتابى هذا، قربانا بين يديك.

لك المجد، ولك السجود من كل أحد.

من عبدك وبنعمتك

إغريغوريوس

نص الخطاب الذى أرسله المؤلف
إلى نيافة قائممقام البابا البطريرك
بتاريخ ١٣/٣/١٩٧١

صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا أنطونيوس مطران سوهاج والمنشاة وتوابعهما وقائم مقام البابا البطريرك.

بعد تحيات المحبة والإحترام مع القبلة الرسولية، أرجو لنيافتكم موفور الصحة، كما أطلب من الله أن يوفقكم فى مهمتكم الجليلة والخطيرة كقائم مقام البطريرك.

علمت من قبيل الصدفة والإتفاق أن نيافتكم دعوتم أعضاء المجمع المقدس إلى الإنعقاد فى جلسة تحدد موعدها الساعة السابعة من مساء يوم الجمعة ١٢ مارس الجارى.

ويبدو أن هناك تعجلا فى إجراءات انتخاب البطريرك الجديد ولذلك رأيت من واجبى المسيحى والكهنوتى أن أكتب لنيافتكم كلمة صغيرة موجزة راجيا أن تعرض على المجمع المقدس بتكوينه الضيق أو بتكوينه الواسع.

إنى أرى أن اللائحة الحالية لإنتخاب البطريرك لائحة خاطئة من ألفها إلى يائها، خاطئة أصلا وفرعا. وأصارحكم بأننى أجد من العار على كنيستنا معلمة المسكونة أن تكون لها فى النصف الثانى من القرن العشرين لائحة كهذه جانبت الصواب من كل وجه.

وتحت مسئوليتى أقرر أن هذه اللائحة ليست إنجيلية لأنها تعارض الكتاب المقدس نصا وروحا.

وليست كنسية لأنها تعارض القانون الكنسى نصا وروحا.

وليس هنا مجال الكلام بالتفصيل عن مدى ما فى هذه اللائحة من أخطاء جوهرية وأساسية.

ولكننى أجدنى غير قادر على أن أصمت عن إعلان ما يراه ضميرى كإنسان مسئول أنه حق، حتى لو أنكم أهملتم هذا الرأى. ولو أننى أرجو فى جميع الأحوال أن تحفظوا خطابى هذا فى سجل أعمال المجمع المقدس للتاريخ.

ولقد سمعت أن هناك كلاما يتردد أن اللائحة لا يجوز تعديلها فى غياب البطريرك. وهذا كلام لا أساس له من عقيدة أو طقس أو قانون كنسى.

فللمجمع المقدس فى غياب البطريرك أن يتصرف فى تدبير الكنيسة وإلا، فإن كل إجتماع للممجمع بعد وفاة البطريرك أو فى حالة مرضه الطويل يصير أيضا باطلا، وبالتالى تبطل كل إجراءاته.

ولو صدق هذا المنطق لكانت المجامع المسكونية أيضاً باطلة لأنه لم ولا تشترط لقانونية قراراتها حضور بطريرك كل إقليم. والمعروف أن بابا روما مثلا عاقته ظروفه الصحية أو العملية عن حضور مجمع نيقية ومجمع أفسس الأول، ولكنه أرسل أساقفة وكهنة ينوبون عنه، وغيابه أو غياب غيره من البطاركة لم يبطل قانونية المجمع.

ومن عجب أن يقال هذا عن لائحة هى نفسها وضعت بعد وفاة البطريرك، (وضعت فى عام ١٩٥٧ بعد وفاة البابا يوساب الثانى) !!.

ومن عجب أيضا أن يقال هذا فى وقت تغير جامعاتنا لوائحها بين وقت وآخر، وتغير الدولة كل القوانين. وفى هذا الوقت بالذات تدرس وزارة التربية تغيير نظام التعليم من أساسه.

إنى أضع هذا كله أمام نظركم وأمام أنظار الأجلاء أعضاء المجمع المقدس، وأطلب التريث وعدم الإسراع فى إجراءات الإنتخاب قبل أن تغيروا اللائحة.

وأصلى أن يتفضل الرب الإله، فيمد يده الإلهية باللطف والرحمة إلى الكنيسة المقدسة، ويضمد جراحها، ويجبر كسرها، ويعينها فى مهمتها الثقيلة المقبلة عليها لتؤدى واجبها فى أخطر مرحلة ستمر بها.

والله ولى التوفيق.

وتفضلوا بقبول خالص الإحترام.

الأنبا غريغوريوس

خطاب آخر حرره المؤلف ولم يرسله

صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا أنطونيوس مطران سوهاج والمنشاة وتوابعهما وقائم مقام بابا وبطريرك الكرازة المرقسية.

بوافر الصحة والإحترام مع القبلة الرسولية، أرجو لنيافتكم كامل الصحة والقوة لتحمل أعباء مسئوليتكم التاريخية والمصيرية كقائم مقام البابا البطريرك.

بتاريخ ١٣ مارس ١٩٧١ (٤ برمهات ١٦٨٧) كتبت لنيافتكم خطابا رجوتكم قراءته على المجمع المقدس وعلى الاجتماع الموسع الذى يضم المجمع المقدس وأعضاء هيئتى الأوقاف القبطية وإدارة أوقاف البطريركية وطلبت فى هذا الخطاب العمل على تغييراللائحة الحالية لإنتخاب البطريرك والتى صدرت فى عام ١٩٥٧ لأنها تعارض الكتاب المقدس والقانون الكنسى وتجانب التعليم الرسولى فى كنيستنا الأرثوذكسية سواء فيما يتصل بشروط المرشح للكرسى البطريركى أو فيما يتصل بالناخبين أو فيما يتصل بعملية الانتخاب وما سمى خطأ بالقرعة الهيكلية.

على أننى وقد علمت من الصحف العامة أنكم قد قررتم العمل باللائحة الحالية لا أملك إلا أن أظهر دهشتى.

أولا - لأننى لم أعرض رأيا خاصا يمكن اعتباره مجرد رأى لفرد من أعضاء المجمع وإنما نبهت إلى مخالفة هذه اللائحة للكتاب المقدس وللقانون الكنسى ولتعاليم كنيستنا الأرثوذكسية.

ثانيا - أنى أعلم أن عددا من أعضاء المجمع المقدس يعارض فى هذه اللائحة ولقد كان لهم نشاط سابق فى عام ١٩٥٧ ضد هذه اللائحة.

ثالثا - أن تصريحات السيد رئيس الجمهورية - حفظه الله - أتاحت لكم فرصة ثمينة نادرة لتغيير اللائحة وتعديلها لم تتوافر فى وقت آخر وكان يمكنكم انتهازها خدمة للحق وللقانون الكنسى.

رابعا - أن تغيير اللائحة أو تعديل بعض بنودها على الأقل لا تحتاج إلى أكثر من جلسة واحدة من لجنة يشكلها المجمع من الراسخين فى القانون الكنسى من أعضائه ومن غيرهم ذلك لأن القانون الكنسى لم يعد مجهولا.

وقد يقال بعد ذلك لقد سبق السيف العزل ولا فائدة من هذا الكلام بعد أن تقرر العمل باللائحة الحالية.

ولكننى لابد إرضاء لضميرى على الأقل أن أكتب لكم هذا الخطاب لتسجيل موقفى فى هذه المرحلة التاريخية المصيرية ودهشتى مما قررتموه من العمل باللائحة الحالية على ما فيها من أخطاء جوهرية وأساسية.

وأرجو أن يطلع على خطابى هذا كل من يعنيهم الأمر من الآباء أعضاء المجمع المقدس والآباء والسادة أعضاء لجنة الترشيحات.

كما أرجو أن يحفظ خطابى هذا فى سجل أعمال المجمع المقدس للتاريخ.

مرة أخرى أشكر نيافتكم طالبا لكم وللجميع التوفيق حتى تتم بكم مشيئة الله الطوباوية.

وتفضلوا نيافتكم بقبول خالص الإحترام.

الأنبا غريغوريوس

السيد المستشار وكيل المجلس الملى بالأسكندرية.

والسادة سكرتير وأعضاء المجلس الملى للأقباط الأرثوذكس بالأسكندرية.

سلام فى ربنا يسوع المسيح، ودعاء لكم بالبركة.

أرسلتم إلينا صورة من القرار الذى أصدرتموه بالاجماع بجلستكم المنعقدة بقاعة المجلس بالدار البطريركية بالأسكندرية بعد ظهر يوم الثلاثاء ٢٠ أبريل ١٩٧١ الموافق ١٢ برمودة ١٦٨٧ خاصا بالترشيح للكرسى البطريركى، ونصه :

«إنه وفقاً لقوانين وتقاليد كرسى القديس مرقس بالأسكندرية، فإن البابا البطريرك يختار من الرهبان الذين لا تعلو رتبتهم عن درجة القمص - وهو المبدأ المعمول به فى سائر الكرازة المرقسية».

وجاء فى بيانكم المطبوع نفسه أن من بين الحيثيات التى استلهمتم فيها قراركم المشار إليه «... الاتفاقية (بروتوكول) الخاصة بتنسيق العلاقة بين كنيسة القديس مارمرقس بمصر وأثيوبيا المنعقدة فى ٢٥ من يونية سنة ١٩٥٩ .. والتى أعلن فيها قداسة البابا (كيرلس السادس) ... باسم الكنيسة وكذا المجمع المقدس قاعدة جوهرية أساسية **بوجوب** أن يكون اختيار البطريرك من بين الرهبان الذين لا تعلو رتبتهم عن درجة القمص...».

وعلى الرغم من أن نص القرار الذى اتخذه المجلس الملى بالأسكندرية لم يرد فيه بوضوح «**وجوب**» أن يختار البطريرك من بين الرهبان، إلا أن السياق العام يدل على أنكم تؤكدون ذلك، خاصة وقد ذكرتم ذلك صراحة فى الفقرة السابقة على القرار وهى المتضمنة اتفاقية كنيسة مارمرقس بمصر وأثيوبيا.

ومما سبق يتضح أنكم ترون :

١ - وجوب اختيار البطريرك من بين الرهبان.

٢ - أن الرهبان الذين يختار منهم البطريرك، لا تعلو رتبتهم الكهنوتية عن درجة قمص.

٣ - أن قراركم فى وجوب اختيار البطريرك من بين الرهبان الذين لا تعلو رتبتهم عن درجة القمص.. هو مبدأ عام أو قاعدة عامة يجب اتباعها دائما... وفقا للقوانين وتقاليد كرسى القديس مرقس بالأسكندرية.

ذاك هو ما قررتموه، ولا ألومكم عليه كمدنيين وعلمانيين غير متفرغين للعلوم الدينية، بل أعلم فى يقين أنكم أصدرتم قراركم عن إخلاص وغيرة، ومحبة الله ولكنيستكم الأرثوذكسية، وبناء على ما وصل إليكم من آراء وأفكار ومعلومات ترددت فى الكتابات الحديثة المستقاة سريعا من كتاب (ابن العسال (١)) المعروف **بالمجموع الصفوى** والذى يسمى أحيانا بـ (القوانين)، **وهو كتاب لم يعد له عند الباحثين فى القانون الكنسى واللاهوتيين المدققين، قيمة تزيد على كشكول من قوانين كنائس مختلفة، بعضها من قوانين كنيستنا الأرثوذكسية، وبعضها من قوانين الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وبعضها من قوانين الكنيسة البيزنطية، مضافا إليها بعض قوانين دولة بيزنطة المدنية المعروفة بقوانين الملوك.**

ولم يصنع (ابن كبر (٢)) فى كتابه «مصباح الظلمة فى إيضاح الخدمة» أكثر من أنه ردد فى إيجاز شديد ما كتبه ابن العسال فى تفصيل واسهاب، بحيث يصير من الممتنع على الباحث أن يميز فى كتاب (ابن كبر) بين المعلومات التى استقاها من القوانين التى تعترف بها كنيستنا الأرثوذكسية وبين المعلومات التى استقاها من غيرها. وقد اعترف هو نفسه بهذا الإيجاز فى الباب العاشر من كتابه، وأحال القارئ على كتاب أبى اسحق ابن العسال.

وأما الاتفاقية (بروتوكول) الخاصة بتنسيق العلاقة بين كنيسة القديس مارمرقس بمصر وأثيوبيا المنعقدة فى ٢٥ يونية سنة ١٩٥٩ والتى وقع عليها البابا المتنيح كيرلس السادس باسم الكنيسة والمجمع المقدس - كما تذكرون فى بيانكم - والتى استلهمتم نصوصها فى قراركم، والتى أعلنت فيها - على حد قولكم - «قاعدة جوهرية أساسية **بوجوب** أن يكون اختيار البطريرك من بين الرهبان...» ووصفت ذلك بأنه «المبدأ المعمول به فى سائر الكرازة المرقسية»... نقول بوضوح **أن هذه الاتفاقية لم تضع قاعدة، ولم تناقش مناقشة جادة أصالة المبدأ الذى سجلته. والحق أن الذين صاغوا هذه الاتفاقية التى وقع عليها البابا - وأكثرهم لازالوا أحياء يعيشون فى نفس عالمنا الحاضر - قد صاغوا ما شاءوا أن يصيغوا أخذا عن معلومات ترددها الكتابات الحديثة**

---

(١) واسمه الكامل : الشيخ الصفى أبى الفضائل بن العسال.

(٢) وهو القس شمس الرياسة أبو البركات المعروف بابن كبر.

المستقاة سريعا من كتاب بن العسال المشار إليه، وهو كتاب كما قلنا لا يزيد فى قيمته عن كشكول من قوانين كنائس مختلفة من بينها كنيستنا المرقسية، ومن بينها قوانين الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، والكنيسة البيزنطية الخلقيدونية، وقوانين الدولة البيزنطية المعروفة بقوانين الملوك.

على أن تلك الاتفاقية التى تشيدون بها وتشيرون إليها والتى حرصت كما تقولون على تقرير قاعدة ضرورية وأساسية بوجوب اختيار البطريرك من بين الرهبان **قد قضت على القاعدة التى قررتها فى يوم اعلانها، إذ كيف أجازت ترقية المثلث الرحمات الأنبا باسيليوس كبير أساقفة أثيوبيا إلى رتبة بطريرك جاثليق، ولم تحترم القاعدة التى وصفتها بأنها «المبدأ المعمول به فى سائر الكرازة المرقسية»؟!.**

على أى حال، لم نقصد من بيان هذا التخلخل بين القاعدة وتطبيقها فى يوم إعلانها، وفى اتفاقية رسمية، إلا أن نؤكد لكم مرة أخرى أن الذين صاغوا تلك الاتفاقية التى وقع عليها البابا الراحل، إنما صاغوا ما صاغوا بناء على معلومات سطحية ليست لها أصالة كنسية روحية، معلومات ترددها الكتابات الحديثة المستقاة سريعا من كشكول ابن العسال، وموجز ابن كبر... وهما لا يمثلان (مع الأسف) تعليما أرثوذكسيا نقيا، ولا يعبران تماما عن نظرة قبطية أصيلة (١).

* * *

وأنى أقرر تحت مسئوليتى أمام الله، وأمام الكنيسة المجاهدة والمنتظرة، وأمام التاريخ.

أنه يجوز عند الاقتضاء أن يؤخذ البطريرك من بين الرهبان.

أما القول بوجوب قصر اختيار البطريرك على فئة الرهبان أو أية فئة أخرى، فقول خطأ وتعليم غير مستقيم.

---

(١) وإلا فلماذا يورد ابن العسال فى كتابه «المجموع» القوانين المنحولة على مجمع نيقية مع أن المعروف عند جميع الكنائس الأرثوذكسية أنها قوانين مزورة؟! والغريب أن ابن العسال لم يورد هذه القوانين المزورة فحسب لكنه رمز إليها برمز «نيقية» بكامل حروف اسم مجمع نيقية، بينما رمز إلى القوانين الحقيقية برمز «نيق»، وكأنه أعطى للقوانين المزورة الإعتبار الأعظم !!!

أما (ابن كبر) فقد اشتمل كتابه فى مواضع متفرقة على آراء غير أرثوذكسية اختلطت مع الآراء الأرثوذكسية.

الاختيار للكرسى البطريركى يرتبط بأهلية المرشح واستحقاقه للدرجة الرسولية

فكنيسة الأسكندرية وهى الكنيسة المرقسية الأرثوذكسية المعروفة بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية لم ولا ولن ترتبط أو تتقيد بالفئة التى يختار منها البطريرك. إنما الاختيار للكرسى البطريركى يرتبط أولا وبالذات بأهلية المرشح واستحقاقه للدرجة الرسولية العظمى بغض النظر عن الفئة التى هو منها والجماعة التى ينتمى إليها. ومن ينادى بغير هذا يعارض تعاليم كنيستنا الأرثوذكسية لاهوتيا، وعقائديا، وطقسيا، وقانونيا، ورهبانيا، وتاريخيا.

أولا - لاهوتيا

أما لاهوتيا فالقول بقصر الترشيح للكرسى البطريركى على الرهبان قول خاطئ وتعليم غير سليم وغير مستقيم.

ذلك أن الكهنوت فى المسيحية لا يورث من أحد، ولا يورث لأحد، بعلاقة جسدية أو برابطة لحمية، أو طبقية. **والكهنوت كرامة لا توقف على فئة أو جماعة أو أسرة، ولا يمكن أن يحتكر لطبقة أو لجماعة أو لفئة أيا كانت. وإنما يرتبط أولا وبالذات بأهلية المرشح للدرجة واستحقاقه لها شخصيا**، بالتقوى، والعلم، والمؤهلات الروحانية والقيادية وسائر الفضائل والكمالات والصفات اللازمة لهذا المنصب الجليل.

«لأنه من الواضح أن ربنا خرج من يهوذا، من السبط الذى لم يتكلم عنه موسى شيئا من جهة الكهنوت (١)».

«وليس أحد يأخذ بنفسه هذه الكرامة، إلا من دعاه الله كما دعا هرون (٢)».

«وما سمعته (يا تيموثيئوس) منى بمحضر شهود كثيرين، استودعه أناسا أمناء جديرين أن يعلموا الآخرين» (٣).

---

(١) رسالة ماربولس الرسول إلى العبرانيين ٧ : ١٤.

(٢) العبرانيين ٥ : ٤.

(٣) رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى تلميذه الأسقف تيموثيئوس ٢ : ٢ أنظر أيضا (١. تيموثيئوس ٣ : ١ - ٧)، (تيطس ١ : ٥ - ٩).

ولم يرد فى أسفار العهد الجديد كلها شئ يلزم الكنيسة بإختيار أحد من رجال الدين، من أسرة معينة أو من فئة خاصة أو من جماعة بعينها. وإنما الوحى المقدس يشترط فى من يختارونه للكهنوت أن تكون له المؤهلات التى تجعله جديرا بالدرجة التى يتقدم إليها، وكلها مؤهلات روحية وعلمية، وقيادية.

ولم يرد فى الدسقولية (تعاليم الرسل)، وكتب الكنيسة القديمة والأصيلة ما يفيد بقصر الترشيح لأى درجة من درجات الكهنوت على فئة أو طغمة معينة.

ومن هنا كان الخطأ الشنيع الذى سقطت فيه اللائحة الحالية الصادرة فى عام ١٩٥٧ التى اشترطت أن يكون المرشح للكرسى البطريركى من طغمة الرهبان المتبتلين الذين لم يسبق لهم زواج (١).. وبذلك **أغلقت اللائحة الحالية الباب على فئة واحدة بعينها دون غيرها. وحبست الاختيار فى جماعة أو طغمة بالذات دون سواها، الأمر الذى لم يحدث فى أزهى عصور الرهبنة يوم أن كان بالأديرة عشرات الألوف من الرهبان، وقيدت الكنيسة بأغلال لم تعرفها فى كل تاريخها، وربطت إلى الأبد مستقبل الكهنوت بمستقبل الرهبنة صعودا وهبوطا، مما أساء إلى فلسفة الرهبنة وهى فى جوهرها نظام صوفى تعبدى بقدر ما أساء إلى الكهنوت نفسه.**

إن قصر الترشيح للكرسى البطريركى على الرهبان معناه أننا سنضطر إلى التساهل فى الأشراط التى تشترطها الكتب المقدسة وقوانين الكنيسة فى المرشح، وهى مؤهلات الروحانية السليمة، والأهلية العلمية والقيادية التى يجب أن تتوافر فى رئيس الكنيسة الأعلى. والذين ينادون بقصر الترشيح على الرهبان الديريين يريدون أن يقيدوا كنيستهم فى اختيارها لرياستها العليا، وأن تحد من طموحها، وتضيق دائرة اختيارها فى فئة محدودة لها ظروفها فى الزمان والمكان. لأنه لو وجد من هو أصلح كهنوتيا وروحيا وعلميا وتدبيريا وقياديا، ولم يكن من طغمة رهبان الأديرة، أقصوه وأبعدوه لا لعدم صلاحيته، وإنما لأنه لم يكن من طغمة الرهبان!! وهذا منطق ضار بالكهنوت، يجعل مستوى الرياسة الدينية مرتبطا إلى الأبد بمستوى رهبان الدير روحيا وثقافيا وقياديا. فإذا قل عدد الرهبان فى الأديرة أو نزل مستواهم لسبب أو لآخر صارت الكنيسة - تبعا لهذا المنطق الغريب - مضطرة لأن تختار لرياستها واحدا من هؤلاء بغض النظر عن أهليته للدرجة الرسولية العظمى، ما دام من فئة الرهبان.

---

(١) اللائحة الحالية لترشيح وانتخاب البطريرك الصادرة فى سنة ١٩٥٧ - الباب الثانى، مادة ٢ - ب .

ولو أخذت الكنيسة بهذا المنطق الضيق لكان معناه قطعا أن كل من دخل الدير فسيأتى دوره حتما أن يصير يوما ما أسقفا أو مطرانا أو بطريركا، بغض النظر عن أهليته الشخصية للمنصب السامى، خاصة وأن الكنيسة فى حاجة مستمرة إلى زيادة عدد الأساقفة بإمتداد عمل الكرازة وأنشطتها، بينما أن عدد الرهبان محدود جدا بالنسبة إلى ما كانت عليه الرهبنة فى عصورها الزاهية. وأما اليوم فما أقل الذين يتمكنون من الشباب المثقف المؤهل من الإنضمام إلى سلك الرهبنة نظرا لظروفهم الشخصية أو العائلية أو الاجتماعية. وقد صارت الشكوى واضحة من قلة الدعوات الرهبانية، فى جميع الأديرة عند جميع الكنائس شرقا وغربا.

ومعنى منطق الحصر أيضا، حرمان درجات الكهنوت العليا فى الكنيسة من أصحاب المؤهلات الروحية والعلمية والقيادية ممن لا تمكنهم ظروفهم الشخصية أو العائلية أو الاجتماعية من الإنتظام فى سلك الرهبنة، بالأديرة.

ثانيا ـ عقائديا

وأما عقائديا فالقول بقصر الترشيح للكرسى البطريركى على الرهبان قول خاطئ، وتعليم غير سليم وغير مستقيم.

١ ـ ذلك لأن الكهنوت نظام إلهى ضرورى لابد منه لقيام الكنيسة ومن دونه فلا توجد كنيسة، أما الرهبنة فنظام بطبيعته اختيارى فكيف يمكن أن نتصور ربط نظام ضرورى للكنيسة بنظام اختيارى ؟

إن البتولية أسمى من الزواج، ومع ذلك فالبتولية اختيارية. قال المسيح له المجد «ليس الجميع يقبلون هذا الكلام، وإنما الموهوبون فقط... فمن استطاع أن يقبل فليقبل (١)». ويقول القديس بولس الرسول «فإنى أود لو كان جميع الناس مثلى (متبتلين) ولكن كل إنسان ينال من الله موهبة مخصوصة به، فبعضهم هذه وبعضهم تلك (٢)». فإذا كانت البتولية اختيارية، فبالأحرى أن تكون الرهبانية اختيارية، لأنها أضيق نطاقا من البتولية كما سنرى.

---

(١) انجيل القديس متى ١٩ : ١١، ١٢.

(٢) كورنثوس الأولى (٧ : ٧) انظر أيضا ٧ : ٨، ٩

الفرق بين الرهبنة والبتولية

ولذلك يجب أن نفرق بين مفهوم الرهبنة ومفهوم البتولية، إذ أن هناك أناسا يخلطون بينهما، ويقولون عن كل شخص غير متزوج أنه راهب، وهو خطأ شائع. والصحيح أنه ليس كل راهب بتولا، وليس كل بتول راهبا.

أما الرهبنة فهى نذر العفة لله قبل الزواج أو بعده مع اختيار الفقر طوعا، واعتزال العالم للتعبد.

وأما البتولية فهى نذر العفة قبل الزواج، وترك الزواج مدى الحياة، لربط الحياة بالله وحده، رغبة فى تكريس النفس والجسد معا لله.

وعلى ذلك فهناك أكثر من فرق بين الرهبان والمتبتلين :

١ ـ الفارق الأول من حيث **الزواج**. فالراهب من نذر العفة ابتداء من وقت دخوله الدير. وقد يكون :

١ ـ أما أعزب لم يسبق له زواج.

٢ ـ أو أرمل توفيت زوجته.

٣ ـ أو مرتبط بزوجة لكنه اتفق معها على الرهبنة بعد مضى فترة من الحياة الزوجية، طويلة أو قصيرة، فيذهب هو إلى دير للرجال، وتمضى هى إلى دير للنساء.

أما البتول أو المتبتل فهو من نذر العفة الكاملة كل أيام حياته منذ الإبتداء، وقد عقد العزم منذ شبابه المبكر على حياة البتولية التامة، فلا يرتبط بحياة زواجية وإنما يحيا بكرا كل أيامه وإلى الموت.

٢ ـ الفارق الثانى هو بالنسبة إلى الإعتزال عن العالم إلى الحياة فى الصحراء أو فى الدير.

فالراهب لا يحسب راهبا ما لم يعتزل العالم للتعبد، تاركا عمله وأهله وعشيرته وبيت أبيه ليحيا فى عزلة تامة عن العالم، ويسكن الدير أو المغارات فى الصحارى والقفار، وهناك يضع نفسه تحت تصرف رياسة الدير فى طاعة مطلقة بلا قيد ولا شرط، وقد ارتبط وارتضى بحياة الفقر المطلق، فلا يملك شيئا، ولا يرث ولا يورث، بل يحيا مما يقدمه له الدير أو مما يصنعه

هو بيده، بحيث لو كانت له أموال أو مقتنيات قبل الرهبنة، وجب عليه عند الرهبنة أن يبيعها ويوزع أثمانها على الفقراء أو على أعمال الخير قبل دخوله إلى الدير.

أما البتول فلا يرتبط بمبدأ اعتزال العالم والإنصراف الكلى لحياة الخلوة التامة فى الصحراء. إنما يعيش البتول فى العالم، مرتبطا بمبدأ العفة الكاملة وتكريس حياته لله روحا وجسدا.

وعلى ذلك يمكن القول أن كل راهب ترك حياة الدير، ونزل إلى العالم ليقيم فيه كخادم، قسيسا كان أو أسقفا أو بطريركا، فبقبوله لدرجة الكهنوت فى العالم، قد انتقل من طقس الرهبان إلى طقس الخدام المتبتلين، لأن طقس الرهبنة بالمفهوم القبطى الأصيل يشترط أساسا الخروج من العالم والبقاء بالدير.

وهذا ما كان يقوله بإصرار آباء الإسكيم الكبار من أمثال القديس أنطونيوس الكبير أبى جميع الرهبان، والقديس باخوميوس المعروف بأبى الشركة من أن حياة الراهب يجب أن تقوم فى الدير، بل «أن مصير الراهب خارج ديره، مصير السمك خارج الماء». ولهذا أصدر البابا كيرلس السادس فور سيامته بطريركا عام ١٩٥٩م قرارا بوجوب عودة جميع الرهبان المقيمين بكنائس العالم إلى أديرتهم، وهكذا فعل سابقه البابا يوساب الثانى، وفعل غيرهما من الباباوات السابقين.

ومن هنا أيضاً كان الخطأ الذى وقعت فيه اللائحة الحالية لانتخاب البطريرك الصادرة فى عام ١٩٥٧ التى اعتبرت الأساقفة والمطارنة من طغمة الرهبان، فقالت «يشترط فيمن يرشح للكرسى البطريركى أن يكون من طغمة الرهبان المتبتلين.. سواء كان مطرانا أو أسقفا أو راهبا (١)»، فإذا أردنا الدقة فى التعبير قلنا أن الأساقفة والمطارنة قد تحولوا برسامتهم وإقامتهم فى العالم لخدمة المؤمنين، وانتقلوا من طقس الرهبان إلى طقس الخدام المتبتلين.

٣ ـ والفارق الثالث بين الراهب والبتول هو فى النظرة إلى **الخدمة** التى يقدمها كل منهما لله.

---

(١) الباب الثانى ـ مادة ٢ ـ ب.

فالراهب هو من يخدم الله بالعبادة الدائمة، ممارسا حياة «الصلاة بغير انقطاع» (١). وكلما تقدم الراهب فى حياة الرهبنة ازدادت فترات وأوقات عبادته حتى تشغل وقته كله، وتصير حياته كلها شخوصا فى الله منتقلا من درجة إلى درجة من درجات الرهبنة السبعة ومن مقام إلى مقام إلى أن يصل أخيرا إلى ما يعرف «بالمشاهدة الطوباوية».

هذه المقامات أو المراحل أو الدرجات الرهبانية السبعة هى على التوالى.

١ - **تلميذ رهبنة** (٢)، ويسمى الأخ المؤمن، وبالقبطية ⲡⲓⲥⲧⲟⲥ (Pistos) وهو الراغب فى الرهبنة والذى لم يلبس شكل الرهبنة بعد.

٢ - **راهب** وفى هذه المرحلة يلبس من انتظم فى سلك الرهبان، شكل الرهبنة وزيها الخاص متميزا بالقلنسوة، والمنطقة من الجلد، والجلباب الخاص، مع قيامه بصلوات المزامير المقررة بالأجبية (٣) وعدد ٣٠٠ مطانية فى اليوم، وعدد آخر من القراءات، مع الخضوع التام لمرشد يعينه الدير لتوجيه حياته فى كل كبيرة وصغيرة تتناول سلوكه التقوى فى الصلاة والصوم والاعتراف والتناول، والأعمال اليدوية التى يطلب إليه القيام بها.

٣ - **عابد** وهو الراهب الذى ينمو باطنيا وروحيا تحت توجيه مرشده، فتزيد فترات اعتكافه بالقلاية (٤)، ويزداد هذيذه وصلواته وتأملاته وقراءاته فى الكتب المقدسة وكتب العباد والنساك والزهاد.

٤ - **ناسك** وهو راهب قد بلغ درجة لباس «الاسكيم» ⲥⲭⲏⲙⲁ (Ckhéma) وهو ما يسمى بالنذر الكبير تمييزا له عن النذر الصغير، (وصاحب النذر الصغير هو الراهب البسيط أو العادى أو المبتدئ أو اللابس شكل الرهبنة الأولى - والذى بلغ المرحلة الثانية).

---

(١) رسالة تسالونيكى الأولى ٥ : ١٧.

(٢) ويسمى فى الرهبانات الغربية novice.

(٣) تشتمل الأجبية ⲧⲁⲅⲡⲓ (tiagpi) وهى كتاب (سبع الصلوات اليومية) المقررة لصلاة كل يوم على ٧٧ مزمورا فقط (فيما عدا الطلبات والإبتهالات الأخرى المعروفة بالقطع).

(٤) القلاية تحريف للكلمة اليونانية القبطية ⲕⲉⲗⲗⲁ (Kella) وهى غرفة الراهب أو صومعته.

والناسك ليس مجرد راهب، ولا هو عابد فحسب، بل هو راهب دخل مرحلة النسك فى طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه ونظام صلواته وأصوامه وعبادته. فهو أكثر عكوفا من العابد على الصلوات والقراءات والتهجد أناء الليل وأطراف النهار، ولذلك يقنع بالقليل من الطعام والشراب والنوم، ويمتنع نهائيا عن أكل اللحوم ليكون أكثر قدرة على السهر (١)، وليبلغ إلى الزهد الذى يؤدى به إلى الصفاء النفسى، وهو يؤدى من الصلوات الكثير ولا يكتفى بصلوات الأجبية، بل يزيد على ذلك بتلاوة المائة والخمسين مزمورا (٢)، والتسبحة اليومية، كما يطالع فى الكتاب المقدس كثيرا ويؤدى من السجدات عدد ٥٠٠ خمسمائة مطانية يوميا (بدلا من الـ٣٠٠ مطانية التى يكتفى بها الراهب المبتدئ صاحب النذر الصغير، لابس الشكل الرهبانى البسيط). وبالنسبة إلى هذا الفريق من النساك سميت برية وادى النطرون «بالإسقيط» وهى مأخوذة عن الكلمة اليونانية القبطية ⲁⲥⲕⲓⲧⲏⲥ (askites) أى الناسك، التى أطلقت أولا على القديس مقاريوس، وهو أبو (٣) مقار، ثم أطلقت بعد ذلك على البرية كلها.

٥ ـ **المتوحد** وهو الراهب الكامل الذى وصل إلى درجة الرهبنة الكاملة بمعناها الدقيق، إذ أن الكلمة القبطية اليونانية ⲙⲟⲛⲁⲭⲟⲥ (monachus) التى يترجمونها عادة بالكلمة العربية «راهب» هى فى الواقع تفيد حرفيا كلمة «متوحد» مما يدل على أن هدف الرهبانية الحقيقى هو «**التوحد**» المطلق، وليس هو الخدمة فى العالم. والمتوحد هو طراز من الرهبان صار يحب الوحدة والعزلة التامة عن الناس، وحتى عن زملائه الرهبان فى الدير. ويسمى أحيانا الراهب «الحبيس» لأنه يحبس نفسه فى قلايته أو صومعته أو غرفته، عن حب ورغبة صادقة عارمة فى الوحدة والإنفراد والإختلاء التام بالله، أياما قد تصل أحيانا إلى أسبوع أو أكثر، ولا يكاد الرهبان يرونه إلا نادرا. وقد يترك الدير نهائيا بإذن من مرشده إلى مغارة فى الجبل ليمارس فيها حياة العزلة التامة، وقد يعود إلى الدير فى فترات متباعدة، وقد لا يعود. ثم يزداد شيئا فشيئا فى نسكه وتقشفه واكتفائه بأقل القليل من الطعام والشراب والنوم، كما ينمو فى حياة السكون والصلاة التى بلا انقطاع، وتزداد نفسه وقلبه صفاء ونقاء.

---

(١) الدسقولية ـ الباب ٢٣، الباب ٣٨.

(٢) أى أنه يتلو سفر المزامير بأكمله، كل يوم.

(٣) (أبو) مقار تحريف عن الكلمة القبطية (أبا) مقار أى (الأب) مقار والتى تنطق أحيانا «أنبا» مقار.

٦ ـ **سائح** وهنا يبلغ الراهب العابد الناسك المتوحد إلى درجة السياحة بمعنييها الروحى والمادى.

فالسائح راهب قد سما روحيا فصار من فرط تعبده وهذيذه الدائم فى الصلاة هائما فى الله، سائحا فيه، منصرفا بروحه وذهنه وقلبه عن الوجود الحسى إلى حالات الغيبة (١) عن الحس والإنجذاب الروحى (٢) والاختطاف العقلى (٣)، والشخوص الدائم فى الله.

وأما جسديا وماديا، فالسائح ناسك قد بلغ درجة التجرد التام من القنية، وانحل عن كل رابطة بالمكان. فليس له شئ يملكه، وليس له ما يقتنيه، حتى الضرورات التى لابد لكل راهب منها لا يكون لها عند السائح ضرورة أو لزوم، وليس له تعلق بها أو حرص عليها. أنها تتبع المكان الذى هى فيه، ولا تتبع السائح الذى لم تعد له رابطة أيضا بالمكان، فهو سائح «تائه»(٤) فى البرارى والجبال والمغاور وكهوف الأرض (٥)، ليس له مقر ثابت يحرص عليه وليس له مكان يقيده، وإنما هو روح هائم فى الله حبا له، محمول بالروح، غير مثقل بالجسد، ينتقل متى شاء إلى حيث يشاء بإرادة الروح إنتقالا سريعا، يقرب شيئا فشيئا من الاختطاف (٦).

٧ ـ والمرحلة السابعة والأخيرة هى امتداد لمرحلة السياحة ونمو لها ومنها وفيها. بها يصل السائل إلى **المشاهدة الطوباوية**، وفيها يرى الله رؤيا عيانية إذ يبلغ من صفائه روحا وجسدا أن يصير قلبه قادرا على المشاهدة الطوباوية، وتصير عيناه مكشوفتين على الروحانيات، لأنهما تكتسبان بقوة الروح درجة اهتزاز معينة تقربها من عالم الروح الصرف،

(١، ٢، ٣) يقول ماربولس «فبينما أنا أصلى فى الهيكل غبت عن الحس» (أعمال الرسل ٢٢ : ١٧). والغيبوبة عن الحس أو الاختطاف العقلى حالة عبر عنها الرسول أيضا بقوله «أنى أعرف رجلا فى المسيح اختطف إلى السماء الثالثة.. أبجسده، لا أعلم أم بغير جسده، لا أعلم. الله يعلم. وأعرف أن هذا الرجل، أبجسده أم بغير جسده، لا أعلم، الله يعلم، اختطف إلى الفردوس» (رسالة كورنثوس الثانية ١٢ : ٢ – ٤).

(٤، ٥) العبرانيين ١١ : ٣٨.

(٦) على غرار ما حدث للقديس فيلبس «فخطف روح الرب فيلبس.. أما فيلبس فوجد فى اشدود» (أعمال الرسل ٨ : ٣٩، ٤٠) أى أنه اختطف بالروح من برية غزة إلى أشدود. وهكذا يصنع روح الرب بالرهبان السواح.

فتصبح قادرة على أن ترى ما لم تكن قادرة عليه من قبل. ويسمى صاحب هذه المرحلة الأخيرة من المشاهدة الطوباوية بـ «ناظر الإله» وهو ما تسمى به قلة قليلة من القديسين، من بينهم مثلا ماربولس الرسول (١)، ومارمرقس الرسول، والقديس فريج أو تيجى المعروف بالأنبا رويس.

* * *

تلك طريق الرهبنة بدرجاتها السبعة. وهنا التعارض بين الرهبنة كطريق تعبدى تصوفى ينزع إلى التوحد المطلق، وبين الخدمة الدينية فى العالم وهى عمل الكاهن والأسقف والبطريرك. فالقانون الكنسى يقول عن الأسقف وبالتالى البطريرك «**أنه يجب ألا يكون متشاغلا بالعبادات** (٢)» وإلا كيف يمكن للبطريرك أن يهتم بمسئوليات رئاسته وواجباته الراعوية الضخمة إذا كان سيحيا وهو بطريرك حياة العباد والمتوحدين والسواح؟!.

لابد لكل أسقف أو بطريرك من الرهبان، إذا أراد أن يقوم بخدمته الرسولية بفعالية وجدية أن يضطر على الرغم منه إلى أن يوقف حياة التوحد المطلق التى كان يحياها فى الدير وينتقل إلى طقس الخدام المتبتلين..

وإلا فإن الأسقف أو البطريرك الذى يصر على أن يجمع بين حياة الراهب العابد وحياة الأسقف الخادم أو البطريرك العامل لابد أن يفضى به هذا الجمع بين الحياتين إلى واحدة من ثلاث :

١ ـ أما أن يجمع البطريرك جمعا اسميا بين الحياتين لكنه **يؤثر عمليا حياة الراهب العابد على حياة الأسقف العامل** فيتجه على الأكثر إلى مواصلة العبادة الرهبانية ولا يترك إلا مجالا صغيرا لواجبات الأسقفية. وهذا ما جرى عليه معظم الآباء الأساقفة والبطاركة الذين أخذوا من بين الرهبان المتعبدين. ولابد لهذا الفريق من البطاركة أو الأساقفة أن يشعر فى نفسه بشئ من عدم الرضى على حياته لأنه لم يستطع أن يقوم بواجبات الأسقفية كاملا.

---

(١) الذى اضطر مرة أن يتحدث عن نفسه قائلا «فإنى انتقل إلى رؤى الرب ومكاشفاته» (كورنثوس الثانية ١٢ : ١).

(٢) كتاب «المجموع» طبعة المرحوم جرجس فيلوثاؤس عوض صفحة ٢٨ مادة ٢٩ / ٥.

٢ ـ أو يجمع جمعا اسميا بين الحياتين **لكنه يؤثر عمليا حياة الأسقف العامل على حياة الراهب العابد المتوحد**، فيعطى أكثر اهتمامه ووقته لواجباته الراعوية، ولا يترك إلا القليل لحياة الراهب التعبدية. ولابد لهذا الفريق من الأساقفة والبطاركة أن يشعر فى نفسه بشئ من عدم الرضى على سلوكه لأنه أهمل عبادته ولم يعد يعطيها من وقته ما كان يعطيها عندما كان راهبا متعبدا بالدير أو بالمغارة.

٣ ـ أو يجمع جمعا اسميا بين الحياتين لكنه يقع فريسة لصراع شديد بين الاتجاهين، صراعا ينتهى به إلى الفشل.

* * *

فإذا استبعدنا من حسابنا واعتبارنا النوع الثالث على الرغم من أنه كان له ضحايا فى بعض الأوقات التى أخذت كنيستنا بطاركتها وأساقفتها من بين الرهبان، فإن النوعين الأولين يمثلان الأغلبية العظمى من أساقفتنا وبطاركتنا الذين أخذوا من بين الرهبان.

١ ـ فهناك من عاشوا منهم رهبانا على الغالب، متشاغلين بالعبادات. ونتيجة لذلك أهملوا كثيرا فى واجباتهم الرعائية التى شغلت من كتاب الدسقولية (تعاليم الرسل) ٣٦ ستة وثلاثين بابا من مجموع أبوابه التسعة والثلاثين مما يدل على ضخامة مسئوليات الأسقف أو البطريرك. فإذا صلى فى كل يوم قداسا، ورفع البخور فى عشية وباكر، وأدى صلوات التسبحة اليومية والمزامير والمطانيات التى يؤديها النساك (وهى ٥٠٠ مطانية يوميا) ثم القراءات الأخرى المفروض عليه أداؤها كراهب عابد ناسك متوحد، إلى جانب الصلوات الأخرى الإنفرادية التى يؤديها الراهب فى الدير أو المغارة، فماذا يتبقى من ساعات النهار للرعاية والتدبير ومواجهة المشاكل العامة والخاصة واعداد الخطابات العامة والرسائل الرعائية

---

(١) أن أعظم وأهم اختصاصات الأسقف أو البطريرك هى التعليم : وأولى مؤهلات وواجبات الأسقف أو البطريرك هى أن يكون صالحا للتعليم، وهذا معناه أن لا يكون متعلما فقط بل قادرا على التعليم. يقول ماربولس الرسول «فينبغى أن يكون الأسقف بغير عيب. **قادرا على التعليم**» (رسالة تيموثيئوس الأولى ٣ : ٢) «**قادرا على التعليم**» (تيموثيئوس الثانية ٢ : ٢٤) «إن الأسقف وهو، وكيل الله، يجب أن يكون بريئا من اللوم.. **يلازم الكلام السليم الموافق للعقيدة ليكون قادرا على الوعظ فى التعليم الصحيح والرد على المخالفين**» (تيطس ١ : ٧ – ٩) لكن بينما يقول الرسول هذا يقول كاتب النشرة «إلى شعب الأسكندرية اليتيم» التى يزعم محررها أنها من أبناء أسقفية الأسكندرية (أن شعب الأسكندرية لا يهمه شكل الراهب ولا مؤهلاته) يهمه أن يكون راهبا فقط، أيا كان هذا الراهب!! وليكن.. وليكن.. وليكن جاهلا، ومع ذلك يجلس على كرسى «معلم المسكونة»، و «قاضى المسكونة» وهى ألقاب بابا الأسكندرية يوم أن كان يؤخذ من أساتذة جامعة الأسكندرية اللاهوتية أعظم جامعة لاهوتية فى العالم فى ذلك الوقت، أو على الأقل من بين نوابغ خريجيها.

والمواعظ والتعاليم (١)، فضلا عن المقابلات الهامة والأسفار الراعوية الافتقادية - التى لابد له منها كرئيس أعلى للكنيسة - لسائر إيبارشيات الكرازة المرقسية وبلاد المهجر. الخ زيادة على الإشراف على مرافق الكرازة المرقسية وأجهزتها ولجانها ومسئولياتها وما يتطلبه كل ذلك من دراسة وبحث وتوجيه بعد أن يقتطع منها أيضا أوقاتا للراحة والنوم والأكل.. لا تتبقى فى الواقع إلا أويقات قليلة لا تكاد تكفى لشئ ولا يبقى له إلا ذهن مكدود يفتقر إلى الراحة وإلى النوم، فيزحف إليه المرض والضعف، والفشل النفسى والروحى، ولا يقوى على أن يصنع شيئا فكريا أو عمليا فعالا ذا بال أو خطر.

٢ - وهناك من عاشوا منهم بطاركة أو أساقفة ناجحين، لأنهم اضطروا أن يصارحوا أنفسهم بمسئولياتهم، فأوقفوا على الرغم منهم حياة الراهب العابد الناسك المتوحد ليحيوا حياة الراعى الساهر اليقظ الصالح المكافح والمناضل والمجاهد.

كان هذا ضرورة لا مفر منها، ألزموا أنفسهم بها، ولابد أنهم كانوا آسفين على حرمانهم من حياة التوحد المطلق التى كانوا قد أرادوها لأنفسهم وعاشوا لها فترة ما، ثم قطعوها ولم يتابعوها إلى نهايتها، فكانوا بمثابة الباحث أو العالم الشاب الذى مات والده فجأة، فاضطر أن يوقف دراساته وأبحاثه التى كان قد تفرغ لها تفرغا تاما، ويواجه مسئولياته نحو أمه وإخوته وأسرته.

* * *

هذا كله يرينا أن هناك تعارضا بين حياة الرهبنة بمعناها القبطى الأصيل وبين حياة الخدمة المتبتلة فى العالم، فآباء الرهبنة الأوائل لم يفهموا الرهبنة كمدرسة تعد للكنيسة خداما، بل فهموا للرهبنة رسالة أخرى، فهموها ووجهوها على أنها طريق تصوفى نسكى تعبدى ورياضات روحية تشغل حياة الراهب كلها. **وكل الذين سلكوا طريق الرهبنة بمفهومها القبطى الأصيل أحسوا بهذا التعارض**، ولذلك كانوا يهربون من درجات الكهنوت هربا متواصلا لدرجة أن بعضهم عندما كانوا يطلبونه ليصير أسقفا أو بطريركا كان يهرب إلى الجبال ويختفى فى القفار، وبعضهم كان يصيب نفسه بعاهة حتى ينفض عنه الذين يطلبونه بإلحاح.

والذين يقرأون هذه الأخبار أو يسمعون بها يعجبون بها ويعجبون لهذا التواضع، ويزدادون اقتناعا بصلاحية هؤلاء المتواضعين لدرجة الأسقفية أو البطريركية، ويقولون : هذا هو الرجل الصالح حقا لهذه الدرجة لأنه هارب منها، فلا نتركه لحياة الهدوء، فقد برهن بهربه على زهده فى المناصب وبالتالى على صلاحيته لأن يصير أسقفا أو بطريركا! ولا شك أن هرب هؤلاء العباد والزهاد فضيلة حقيقية، لكن هربهم ليس فى حد ذاته برهانا على صلاحيتهم للأسقفية أو للبطريركية. أنه برهان على تواضعهم، لكن التواضع كما يعرفه بعض القديسين ليس معناه أن ينزل الإنسان عن مستواه، بل أن ينزل إلى مستواه، وبعبارة أخرى المتواضع هو من فهم نفسه على حقيقتها. فإذا طالبوا رجلا بأن يحمل على كتفيه حملا ثقيلا جدا يعلم أنه سيقصم ظهره، فهرب منه، فلا يقال له أن هربك دليل على أهليتك لحمل هذا النير الثقيل. ان هربه دليل على تواضعه لكنه ليس دليلا على أهليته. إن كثيرين من العباد هربوا من الأسقفية أو البطريركية لأنهم بفضيلة التواضع التى فيهم لم يصبهم الغرور فى نفوسهم وأدركوا أن الأسقفية أو البطريركية يجب أن يتوافر لمن يرقى إليها ليس التقوى ومخافة الله فقط، وإنما يجب أن تجتمع له مؤهلات أخرى ذهنية وعرفانية وتدبيرية وقيادية، لا تتوافر دائما فى جميع الأتقياء حتى لو كانوا من صانعى المعجزات ومجترحى العجائب. أن مثل هؤلاء العباد من الرهبان الذين هربوا من مناصب الأسقفية والبطريركية مثل رجل لم يدرس الطب ولا فن الجراحة وليست له خبرة فى ذلك، فرآه بعض الناس فى قرية ليس فيها طبيب، فتوسموا فيه المقدرة على إجراء عملية جراحية خطيرة لمريض يحتاج إليها ضرورة لإنقاذ حياته، فنادوه لينقذ مريضهم فاعتذر بجهله بعلم الطب وفن الجراحة، فقالوا بل هو متواضع! فجروا فى أثره وطاردوه، وقالوا أنك رجل مشهور فى قريتنا تصنع الخير للمحتاجين إليه، فقال الرجل : أما أن أصنع الخير للآخرين المحتاجين أو أكلم الناس بكلمات معزية مشجعة فهذا شئ، أما أن أجرى عملية جراحية خطيرة كهذه لرجل مريض، فهذا ما لا قدرة لى عليه. قالوا : بل أنت متواضع. ثم اشتد إلحاحهم عليه. وقد ينجحون فى حمله تحت الضغط والإكراه على أن يجرى العملية الجراحية الخطيرة، وقد يصنع الله المعجزة على يديه ويشفى مريضهم مرة. ومع ذلك لا يستطيع هذا الرجل الخير الجاهل بالطب وفن الجراحة أن يجرى فى كل يوم معجزة «لأن الله يسوس العالم بالقوانين لا بالمعجزات» على ما يقول القديس أوغسطينوس، وإلا صارت المعجزات هى القانون، وهذا قلب للمفاهيم، وضرب من المحال.

أفهل جاء الزمن الذى يفهم فيه الأقباط هذا الدرس البسيط الذى سبق فعلّموه للعالم كله قبل غيرهم يوم أن كانوا أساتذة العالم؟ لكنهم فى عصر التخصص الذى انتظم الدول والمجتمعات، حتى المتأخرة منها، لا زال بعض الأقباط اليوم فى حاجة إلى هذا الدرس الأولى. ومن عجب أن صار اليوم يقف على منابر الوعظ أو الخطابة، أناس مثقفون ينادون بأن لا يعلو الكرسى الرسولى العظيم إلا راهب، أيا كان هذا الراهب. يكفى أن تكون كل مؤهلاته أنه راهب (١)، وأنه آت من الدير، آت من عالم المجهول !. أما عقلية هذا الراهب، ودرجة معرفة هذا الراهب بعلوم الكنيسة وتعاليمها فضلا عن ثقافته العامة ودرجة إلمامه بعلوم الدنيا، ودرجة حزمه ومؤهلاته القيادية، وحكمته وخبرته التدبيرية، وأما سلامته العقلية وسلامته النفسية وشخصيته الروحية، فكل هذا لا يعنى هذا الفريق من الدراويش الذين صاروا اليوم يصيحون صياحا ويصرخون صراخا غطى على صوت الحكمة والرزانة والتعقل، وصار الدين عندهم خرافات وأحاجى أقرب إلى حكايات الغول والعنقاء التى تحكيها العجائز لتخويف الأطفال حتى يخلدوا إلى الهدوء والسكون، فتستطيع العجوز بهذا أن تحكمهم وتسيطر عليهم!.

* * *

قلنا أن القول بقصر الترشيح للكرسى البطريركى على الرهبان قول خاطئ وتعليم غير سليم وغير مستقيم من الوجهة العقائدية لأن الكهنوت نظام إلهى ضرورى لقيام الكنيسة بينما أن الرهبنة نظام اختيارى، وأوضحنا أن هناك تعارضا فى المنهج بين طريق الرهبنة بمفهومها القبطى الأصيل باعتبارها طريقا تعبديا تصوفيا لممارسة الرياضيات الروحية العليا مرتبطا بالحياة الديرية فى الصحراء، وبين طريق الخدمة المتبتلة فى العالم التى يقوم بها رجال الكهنوت.

٢ ـ ونضيف هنا أن هناك سببا آخر لهذا التعارض فى منهج الحياة **هو أن مؤهلات الكهنوت هى غير مؤهلات الرهبنة**. فليس كل من يصلح للرهبنة يصلح للكهنوت، وليس كل من يصلح للكهنوت يصلح للرهبنة بل **أن التكوين النفسى للراهب هو غير التكوين**

---

(١) كتب بعضهم نشرة صدرها «إلى شعب الأسكندرية اليتيم» لم يشأ أن يذكر اسمه حتى لا يتحمل مسئولية ما يكتب لكنه أخفى نفسه تحت اسم كبير «أبناء اسقفية الأسكندرية» قال فيها «أن شعب الأسكندرية لا يهمه شكل الراهب ولا مؤهلاته» هل يعلم كاتب هذه النشرة مبلغ ما أساء به إلى كنيسته معلمة المسكونة بهذا التعبير؟ هل هذا هو مفهوم درجة الباباوية عنده؟!

النفسى للخادم الكاهن. وما دام الكهنوت نظام خدمة فى العالم فللمرشح للكهنوت صفات ومؤهلات نفسية وذهنية وعقلية وقيادية وتدبيرية غير الصفات والمؤهلات النفسية التى تتوافر فى الراهب المتعبد فى الدير.

* * *

والخلاصة أنه **يجوز عند الاقتضاء** أن يختار البطريرك من بين الرهبان ساكنى الأديرة والصحارى، ولكن من الخطأ عقائديا أن يقال بقصر الترشيح للكرسى البطريركى على الرهبان، أو ينادى بوجوب اختيار البطريرك من بين الرهبان.

ثالثا ـ طقسيا

وأما طقسيا، فالقول بقصر الترشيح للكرسى البطريركى على فئة الرهبان قول خاطئ، وتعليم غير سليم وغير مستقيم، ذلك لأن طقس درجة البطريركية، هو طقس لترتيب إقامة الحبر الأعظم للكنيسة، رئيس الرؤساء، وأبى الآباء، وراعى الرعاة، وهو ترتيب لا علاقة له أصلا بالرهبنة.

فالرهبنة مسلك تعبدى وطريق اعتزال وانفراد فى الصحراء، **ولها طقس مستقل، ولها مراتب ودرجات روحية مستقلة عن درجات الكهنوت**. ولذلك فإن من يقول بقصر الترشيح للكرسى البطريركى على الرهبان والعباد، يخلط بين الطريقين، ويمزج بين درجات الكهنوت ودرجات الرهبنة، **مع أن هناك فاصلا أساسيا بين الطريقين**، فقد يصل الراهب إلى قمة درجات الرهبنة الروحية دون أن يحمل أى درجة من درجات الكهنوت، ومن ذلك آباء الرهبنة العظام ومن يسمونهم بآباء الاسكيم ⲛⲉⲛⲓⲟ† ⲙⲡⲓⲥⲭⲏⲙⲁ (nenioti empieskhema) من أمثال القديس أنطونيوس الكبير أبى جميع الرهبان، والأنبا بولا السائح والأنبا باخوميوس أبى الشركة، والأنبا مقاريوس (أبو مقار)، والأنبا بيشوى، والأنبا شنوده رئيس المتوحدين.. وغيرهم فقد أصروا إصرارا كاملا على عدم الدخول فى سلك الكهنوت، **وذلك حرصا منهم على حفظ الرهبانية طريقا للتعبد صرفا من كل علاقة بالكهنوت، وضمانا لصون فكرتها الأصلية نقية طاهرة من كل هدف للبلوغ إلى مراتب الكهنوت.**

لا يشترط فى البطريرك أن يكون راهبا

وقد يحتج بعضهم بأنه يرد فى طقس صلوات تكريس الأسقف أو البطريرك ما يدل على أن المرشح راهب. يقول النص «فبمنحه علوية وفعل الروح القدس واتفاق منا كلنا وطيب قلب، واتفاق رأى الجماعة على فلان المتعبد لله القسيس الراهب الذى للدير البهى الفلانى» (١). نقول ردا وإيضاحا وبيانا أن هذا النص الذى يحتج به عادة يرد فى **التزكية** للمرشح. **لا فى طقس الرسامة نفسه**. ولابد فى التزكية من أن يشار إلى ماضى المرشح المتقدم للدرجة الأسقفية أو البطريركية، فإذا كان راهبا فلابد أن ينص من قبيل تقرير الواقع على أنه راهب متعبد من الدير الفلانى.. **لكن ورود هذا النص فى «التزكية» ليس معناه أن الكنيسة مرتبطة من حيث المبدأ بأن يكون المرشح للكرسى البطريركى راهبا.**

إلباس الأسكيم الرهبانى (٢)

وهذا هو الأصل فى إلباس الأسكيم الرهبانى للمرشح للأسقفية أو البطريركية ممن يختارون من بين الرهبان، أن عددا من الأساقفة أو البطاركة قد اختيروا فيما مضى من الرهبان العباد النساك لابسى الاسكيم الرهبانى الكبير. فإذا كان راهبا لم يبلغ بعد مرتبة النساك، أو إذا كان من غير الرهبان (شماسا أو كاهنا، أو علمانيا) ألبسوه الاسكيم قبيل رسامته أسقفا أو بطريركا أسوة بالأساقفة أو البطاركة الذين اختيروا من بين النساك لابسى الاسكيم، مع أن لبس الاسكيم درجة رهبانية لا كهنوتية بل أن للاسكيم إلتزامات روحية صارمة يعسر على الأسقف أو البطريرك أن يلتزم بها (ومنها صلواته الطويلة التى تستغرق وقتا طويلا. فيتلو سفر المزامير (١٥٠ مزمورا) بأكمله يوميا، ويتلو التسبحة اليومية، ويؤدى من السجدات ٥٠٠ مطانية، ويمتنع نهائيا عن أكل اللحوم، ويلزم السكون والصمت بحيث لا يتعدى ٧ كلمات يوميا، هذا غير التلاوات الأخرى من الكتاب المقدس وكتب الآباء... الخ. وكل هذا كما رأينا

---

(١) أنظر كتاب «مصباح الظلمة فى إيضاح الخدمة للقس شمس الرياسة أبو البركات المعروف بابن كبر- الباب العاشر فى تقدمة البطاركة، بعنوان «نسخة التزكية».

(٢) الاسكيم رباط من الجلد يحيط بالصدر والظهر به صليبان كبيران أحدهما للصدر وآخر للظهر ثم ١٢ صليبا صغيرا وكلها من الجلد. وهو كما قلنا سابقا لا يلبسه إلا من بلغ فى درجات الرهبانية مرحلة النسك وهى مرحلة لها إلتزامات وواجبات روحية صارمة. انظر صفحة ١١٢٧ وما بعدها.

يتعارض مع واجبات الأسقف أو البطريرك الذى يوجب عليه القانون الكنسى كما رأينا أن لا يكون متشاغلا بالعبادات، حتى يتوفر على واجباته الرعائية وإلتزامات الخدمة الرسولية).

من هنا نفهم لماذا قال ابن كبر في «ترتيب تكريز البطريرك» (إن كان لابسا شكل الرهبان، وإلا فليصل عليه أولا جميع الصلوات التى للاسكيم ويلبسوه جميع اللباس الملائكى التاج والقلنسوة والاسكيم الجلد والمنطقة الجلد على حقويه وبعدها المزرة ثم يترك إلى يوم الأحد» (١). ولماذا قال يوحنا بن زكريا المعروف بابن السباع «فإن كان راهبا فبالاسكيم وإلا رهبنوه بالاسكيم أولا» (٢). إن أمثال هذه النصوص من ابن كبر، وابن السباع **لا تقرر قاعدة ولا تؤصل مبدءا، وإنما تروى واقعا تاريخيا كان يحدث فعلا** تحت تأثير عدد من البطاركة أخذوا من الرهبان لابسى الاسكيم فصار سابقة، يؤخذ بها إلى اليوم. على أن ابن السباع يتم حديثه فى نفس الموضع قائلا: «وإن كان شماساً فليقدموه قسيسا، وإن كان قسيسا فليقدموه إلى رتبة ايغومانس» مما يدل على أنه يجوز للشماس وللقسيس أن يرشح للبطريركية.

على أن الربط بين طقس سيامة البطريرك وإلباسه الاسكيم ربط عرضى، وليس ربطا أصيلاً، لأن الاسكيم درجة رهبانية لا كهنوتية حتى أن البابا كيرلس السادس، البطريرك الراحل، لم يلبسوه الاسكيم فى عشية سيامته بطريركا لأنه كان قد لبسه من قبل وهو راهب متوحد قبل رسامته بطريركا بسنوات عدة، مما يؤكد ماقلناه سابقا من أن لبس الاسكيم درجة رهبانية نسكية لا علاقة لها أصلا بدرجة الأسقفية أو البطريركية... وهكذا صنعوا قديما بجميع البطاركة والأساقفة الذين اختيروا من بين الرهبان أى أنهم لم يكونوا يلبسوهم الاسكيم عند رسامتهم أساقفة أو بطاركة إذا كانوا سابقا من لباس الاسكيم، أو كانوا قد بلغوا فى النسك الرهبانى درجة تسمح لهم قوانين الرهبنة بلبس الاسكيم بغض النظر عن الدرجة الكهنوتية التى يحملونها. بل **إن فى أوائل عهد الرهبانية كان لباس الاسكيم لا يحملون أى درجة كهنوتية**، ولا حتى درجة شماس، أو نائب شماس (ايبودياكون).

---

(١) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة للقس شمس الرياسة أبو البركات المعروف بابن كبر، الجزء الأول – الباب العاشر – طبعة ١٩٧١ صفحة ٣٨٢.

(٢) الجوهرة النفسية فى علوم الكنيسة، تأليف يوحنا ابن زكريا المعروف بابن السباع – الباب ٨١ صفحة ١٣٠ (طبعة القاهرة).

وأما رتبة «قمص الدير» أو «ايغومينوس الدير» فالمعروف من دراسة تاريخ الرهبنة ومخطوطات الأديرة (١) القديمة ووثائقها ان «ايغومينوس الدير» هو مدبر الدير أو «رئيس الدير» أو «أب الدير» ، أو «الأبا» أو «الأنبا» الذى لم يكن يحمل فى الغالب حتى درجة شماس. فرتبة «قمص الدير» أو «ايغومينوس الدير» هى رتبة أبوة للرهبان ورياسة للدير، وليست درجة كهنوتية. ولذلك فهى تختلف فى مدلولها ومعناها عن رتبة «ايغومينوس» أو «قمص» التى ينالها «رئيس القسوس » أو «القسيس الأول» فى المدينة أو القرية، بكنائس العالم.

رابعاً ـ قانونياً

وأما قانونيا، فالقول بقصر الترشيح للكرسى البطريركى على فئة الرهبان قول خاطئ، وتعليم غير سليم وغير مستقيم، ذلك لأن القانون الكنسى يشترط فى المرشح أن يشهد له الذين فى خارج الكنيسة شهادة حسنة (٢) ، وأن يكون مختاراً من الشعب (٣) ، «فإذا قبلوه كلهم قبله الرب» (٤) .

وهنا نتساءل، كيف يتسنى للشعب الذى فى العالم أن يعلم علم اليقين عن راهب يسكن الصحراء؟ ؛ ربما يسمع عنه شائعات وأقوالاً لا يستطيع أن يتحققها الإنسان بنفسه، فكيف يمكن له أن يبدى رأيا فى شخص لايعرفه معرفة حقيقية؟ وكيف يتحمل أمام الله مسئولية هذا الرأى؟ **وكيف يمكن للشعب أن يمارس حقه الممنوح له فى**

---

(١) أنظر على سبيل المثال

CRUM (W.E.), Koptische Rechtsurkunden des Achten Jahrhunderts Aus Djeme (Theben). Texte und Indices, Leipzig, 1912.

CRUM (W.E.), winlock (H.E.), The Monastery of Epiphanius at Thebes. (2 parts). Publication of the Metropolitan Museum of Art. Egyptian Expedition.

CRUM (W.E.), Theological Texts from Coptic Papyri. (edited with an appendix upon the Arabic and Coptic Versions of the life of Pachomius). Oxford, 1913.

CRUM (W.E.), Varia Coptica, Texts and Translations, Indexes. Aberdeen, 1939.

(٢) رسالة تيموثيوس الأولى ٣ : ٦ أنظر (أعمال الرسل ٢٢ : ١٢).

(٣) قالت الدسقولية (تعاليم الرسل) «فليقم الأسقف باختيار الشعب كله إياه كمشيئة الروح القدس» (باب ٣٦) «... وكل الناس متفقون على إقامته. وكل الشعب والكهنة يشهدون له» (باب ٣٦).

(٤) قوانين الرسل ـ المجموعة الثانية ـ قانون ٥٢.

القانون الكنسى، فى تزكية المرشح للبطريركية أو للاسقفية إذا كان لا يعرفه معرفة حقيقية.

على أنه إذا كانت سمعة الراهب سمعة طيبة فهى فى الغالب سمعة مبنية على تقواه ونسكه. ولكن حتى لو كان هذا الراهب تقيا ويصنع المعجزات، فليست تقواه ولا صنعه للمعجزات دليلا على أنه يصلح للقيادة الروحية والفكرية كرئيس أعلى للكنيسة كلها، ما لم يكن إلى جانب تقواه صفات أخرى أساسية يجب توافرها فى الحبر الأعظم.

إن التقوى أولى شروط الكاهن والشماس والأسقف والبطريرك، لكنها صفة عامة لكل مسيحى أيضا، وليس لرجال الدين فقط، وإن كان يجب أن تكون فى رجل الدين أعمق وأعظم مما هى فى عامة المؤمنين. **لكن التقوى مع ذلك، ومع أهميتها، ليست هى الشرط الوحيد الذى يجب أن يتوافر فى راعى الرعاة وأبى الآباء ورئيس الرؤساء.** يجب أن يكون إلى جانب التقوى الحقيقية، والروحانية السليمة (غير المريضة) بحيث «لا يناله لوم» (١)، عالما على أسمى درجة ممكنة من العلم الدينى (٢) والمدنى (٣)، كقائد أعلى للكنيسة كلها، وقادراً على التعليم الصحيح (٤) بل ويجب أن يكون أيضاً حكيماً يحسن التدبير والتصرف والقيادة، وحازما، وصاحيا وعاقلا (٥).

لهذا، فمن التناقض الواضح والتعارض البين أن ينادى بعض الناس بقصر الترشيح على الرهبان، بينما **أن القانون الكنسى يوجب أن يكون المرشح معروفا لضمير الناخبين (وهم أهل الاختيار) من الاكليروس والشعب حتى يمكنهم أن يشهدوا له وعنه شهادة صحيحة مبنية على معرفة يقينية بشخصيته، وبأهليته للمرتبة الرسولية السامية.**

---

(١) (تيموثيوس الأولى ٣ : ٢) - (تيطس ١ : ٧).

(٢) «ولا يرأس فى النصرانية أو يخص بتدبيرها إلا من يعرف شرائعها وسننها، ويعمل بها. فإن كان مخالفا لذلك فليعزل عن الرئاسة مقهورا» (المجموع - الباب ٥ - مادة ٨٩ / ١٤).

(٣) «وأسقف راض بقلة العلم.. ليس هو أسقفا، بل هو اسم كاذب عليه، وليس هو من الله بل من قبل الناس» (قوانين الرسل - المجموعة الثانية - قانون ٥١)

(٤) (١. تيموثيوس ٣ : ٢)، (٢. تيموثيوس ١ : ١٣)، (٢ : ٢٤)، (تيطس ١ : ٩).

(٥) وفى بعض الترجمات «رزينا» (١. تيموثيوس ٣ : ٢).

خامساً - رهبانيا

وأما رهبانيا، فالقول بوجوب اختيار البطريرك من بين الرهبان، قول خاطئ، وتعليم غير سليم وغير مستقيم، ذلك لأن الرهبنة نظام تعبدى روحانى قصد به أصلا أن ينعزل الراغب فى هذه الحياة إنعزالاً تاماً عن العالم، وليس لفترة محدودة بل مدى الحياة، ويموت عن وجوده فى العالم نهائيا. ولذلك فإذا قبلوه فى سلك الرهبنة صلوا عليه صلاة الموتى.

وليس المقصود من صلاة الموتى بالنسبة للراهب فى يوم قبوله راهبا، وقبيل ارتدائه شكل الرهبان، هو مجرد فعل الإماتة الروحية الارادية عن الشهوات الجسدية المطلوب من كل مسيحى (١)، **وإنما المعنى الحقيقى بالنسبة للراهب هو أنه برهبنته قد خرج من العالم فعلا** كما يخرج من مات بالجسد من العالم الحاضر سواء بسواء. وكل الفارق هو أن من مات بالجسد قد خرجت روحه بإرادة الله إلى مقر الإنتظار وأودع جسده القبر. أما الراهب فقد خرج من العالم بإرادته، وشوقه إلى أن يحيا بذهنه وقلبه فى السماء وهو على الأرض، فهو بإنضمامه إلى سلك الرهبنة قد تعجل الحياة الأخرى وعاش فيها قبل أن يصعد الملاك بروحه إلى السماء بمدة كافية ليبلغ فيها إلى الكمال الروحانى. فالرهبان ملائكة أرضيون وبشر سمائيون، **والراهب الحق قد خرج برهبنته من العالم فلا يعود إليه.**

ولذلك يقال أحيانا مدحا فى بعض الرهبان المتعبدين الذين قصدوا إلى الدير **من أجل الرهبنة فى ذاتها** كطريق للكمال : «هذا الراهب.. لم ير باب الدير منذ أربعين سنة أو خمسين» أى إنه منذ ذهب إلى الدير لم يخرج منه. ولهذا أيضا كان بعض الرهبان الأوائل إذا تقدموا فى الحياة النسكية، يدخلون إلى أعماق الصحراء أو ما يعرف «بالبرية الجوانية» أى

---

(١) يقول الكتاب المقدس عن فعل الإماتة المفروض فى كل مسيحى «نحن الذين متنا عن الخطية، كيف نحيا فيها من بعد؟» (رومية ٦ : ٢). «فإذا كنا قد متنا مع المسيح، فإنا نؤمن بأننا سنحيا معه» (رومية ٦ : ٨) «فأما وقد متم مع المسيح.. عن أركان العالم فما بالكم، كما لو كنتم عائشين فى العالم» (كولوسى ٢ : ٢٠).

وجاء فى إحدى قطع صلوات الساعة التاسعة التى يصليها سائر المؤمنين قول المصلى «أمت حواسنا الجسمانية أيها المسيح إلهنا» (الأجبية).

البرية الداخلية التى تبعد بعدا نائيا عن الأديرة المعروفة نفسها. وهكذا صنع كبار الرهبان الذين رسموا الطريق أمام جميع الرهبان من أمثال القديس الأنبا أنطونيوس أبى جميع الرهبان، والأنبا بولا السائح، والقديس أبو مقار (الأنبا مكاريوس)، والأنبا صموئيل صاحب الدير المعروف باسمه فى جبل القلمون... وغيرهم، فقد كانوا يغيرون من وقت إلى آخر مكان إقامتهم، وينتقلون مع تقدم حياتهم النسكية إلى صومعة أو مغارة فى جوف الصحراء، بعيدا.. بعيدا.. حتى لا يدعوا فرصة لنفوسهم للعودة إلى العالم، وحتى يزدادوا إنصرافا إلى عبادتهم وانقطاعا لحياة التوحد المطلق، وحتى يقطعوا على الراغبين فى الوصول إليهم كل سانحة فى إحتمال الإلتقاء بهم، إلا فى أحوال قليلة نادرة.

هذا المفهوم القبطى الأصيل للرهبنة الحقيقية هو المفهوم الذى عاش به وله مؤسسو الرهبانية الأوائل ورواداها الذين حرصوا تماما على أن يظل هو المفهوم الذى يحيا به وله أبناؤهم الذين أخذوا عنهم تلاميذهم الذين تتلمذوا عليهم.

ولذلك فإنهم لم يعتزلوا العالم إلى الأماكن النائية فى أعماق الصحراء فقط، ولكنهم **كانوا يصرون على عدم قبول الدرجات الكهنوتية لهم ولأولادهم**، حتى أنهم فى مبدأ الأمر، عندما أصبحوا جماعات، كانوا يطلبون من أساقفة المدن والقرى أن يرسلوا إليهم كاهنا ليقربهم من الأسرار المقدسة. وقد جاء فى قوانين (١) الأنبا باخوميوس صاحب نظام الشركة.

- لا يكون كاهن بين الرهبان.

- الكاهن الذى يعينه لنا آباؤنا الأساقفة الذين فى العالم لخدمة الأسرار نقبله بلا فحص.

* * *

ونحن لا نقصد هنا إلى أن نمنع الرهبان من أن يصيروا كهنة فى الأديرة، ولا نقصد إلى أن نمنع الرهبان عن مباشرة أعمال الكهنوت فى العالم، إذا كانت مصلحة الكنيسة تقتضى ذلك وإذا كانت الأديرة أو الرهبنة لا تضار بذلك.

---

(1) LEFORT (L.TH.) "La Règle de S. Pachôme" dans **Biblothèque de la Revue d'Histoire Ecclésiastique**. (Fasc. 7).. (Pachomiana Latina). Louvain, 1932. P. 155 - 162.

وإنما قصدنا إلى أن نبين :

أولا - أن الرهبانية فى نظامها الأصيل، كما بينه آباء الرهبنة الأوائل، ورواده الذين وضعوا أسسها الأولى، وكما قرروا بوضوح تام، **نظام تعبدى مكانه الطبيعى هو الصحارى والقفار والمغارات فى الجبال والبرارى وكهوف الأرض.**

وهذا يفسر أيضا القرار الذى أصدره البابا الراحل كيرلس السادس، والباباوات السابقون عليه، بضرورة عودة الرهبان المقيمين بكنائس العالم فورا إلى أديرتهم فى الصحارى (١).

ثانياً - أن أباء الرهبنة العظام ورواده الأوائل اعتذروا بإصرار عن قبول درجات الكهنوت (٢)، وأوصوا أبناءهم من بعدهم أن لا يقبلوا خدمة الكهنوت. **وكانت حكمتهم فى ذلك أن يحفظوا فكرة الرهبانية نقية صافية حتى لا تمسى يوما ما طريقا إلى الكهنوت**، فتفسد غاياتها وتنهار فلسفتها **من حيث هى طريق للرياضات**

---

(١) جاء فى الأمر البابوى بعودة الرهبان إلى أديرتهم الصادر من البابا كيرلس السادس فى ٢٠ أغسطس ١٩٦٠ / ١٤ مسرى ١٦٧٦ «يعلن المقر البابوى للكنيسة القبطية الأرثوذكسية أن قداسة البابا **يدعو جميع الرهبان المقيمين خارج أديرتهم للعودة كل إلى ديره فى موعد لا يتجاوز** ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٦٠ باستثناء وكلاء الأديرة والمطرانيات.. ومن يتأخر عن تنفيذ هذا القرار البابوى يقع تحت طائلة القانون الكنسى، ويعتبر مجردا من رتبه الكهنوتية ومن طقس الرهبنة» «وقداسة البابا يناشد الآباء المطارنة عدم السماح لأى كاهن راهب بتأدية أى نوع من الشعائر الدينية..».

وجاء فى نفس البيان من المقر البابوى فى التاريخ المذكور «يعلن المقر البابوى أن قداسة البابا كيرلس السادس محافظة منه على قوانين الكنيسة وتقاليدها، ومراعاة لنظمها قد أصدر **قراره البابوى الخاص بتنفيذ قوانين الرهبنة فى منع إقامة الرهبان خارج أديرتهم...**».

(٢) المعروف فى المراجع التاريخية عن الأنبا باخوميوس صاحب الشركة أنه اعتذر مرارا عن قبول درجة الكهنوت عندما حاول الأنبا سرابيون أسقف دندرة وضع يده عليه لسيامته كاهنا، ولما قام القديس أثناسيوس الرسولى بزيارة أديرة الأنبا باخوميوس وعلم الأخير بأن البابا أثناسيوس يعتزم رسامته قسيسا هرب، فلما عرف البابا بهربه ترك له رسالة شفوية عند الرهبان : «سلموا لى على أبيكم وقولوا له بلسانى : لقد هربت من المجد الباطل الذى كثيرا ما يثير الحسد فى النفوس، فليمنحك الله سؤال قلبك.. لذلك أعدك بأننى لن أضع اليد عليك قسرا» ولما علم الأنبا باخوميوس بإنصراف البابا خرج من مكمنه آمنا (انظر كتاب قصة الكنيسة القبطية بقلم ايريس حبيب المصرى - الجزء الأول - فقرة ٣٥٣ صفحة ٢٨٨ - عن مخطوط عربى / ٤٠ تاريخ عثر عليه فى كنيسة مارمرقس برشيد ومحفوظ الآن بالكاتدرائية المرقسية بالأسكندرية).

الروحية العليا وليست سبيلا للخدمة فى العالم، ولأنهم يدركون أن مؤهلات الرهبنة تختلف نوعا وكيفا عن مؤهلات الكهنوت، من حيث هى طريق خاص بذاته، له فلسفته الخاصة، وكيانه الخاص، ومقوماته الخاصة، ولا يقوم على الكهنوت ولا يرتبط به. بل أن عددا من الكهنة والأساقفة ورؤساء الأساقفة تركوا خدمتهم الرعائية فى العالم وانخرطوا فى سلك الرهبنة، وغيروا طريقهم، وإن كانوا قد باشروا خدمة الكهنوت فى الأديرة. وهذا - فيما نعتقد - منشأ الربط بين الكهنوت والرهبنة. أعنى أن هذا الطراز من الكهنة الذين تركوا **العالم وذهبوا إلى الأديرة** رغبة فى التعبد والتوحد والتنسك قد أغنوا الأديرة عن اللجوء إلى الكهنة الذين يجيئون إليها من الخارج، أى من العالم، لخدمة الأسرار المقدسة، وبالتدريج صار للرهبان كهنة من بينهم، وشيئا فشيئا، خاصة بعد غلق المدرسة اللاهوتية بالأسكندرية، صار يؤخذ البطاركة والأساقفة أحيانا، أو غالبا، من بين الرهبان، وصار هؤلاء البطاركة والأساقفة يرسمون للرهبان كهنة من بينهم، وتدريجيا صارت الأديرة ذاخرة بالكهنة الرهبان.

ثالثا - هذا المفهوم القبطى الأصيل لفكرة الرهبنة وفلسفتها الحقيقية بإعتبارها نظاما للتعبد والتنسك والتزهد وممارسة الرياضات الروحية العليا، **لا نظاما للإعداد لخدمة الكهنوت**، هو الذى أخذته عنا بعض النظم الرهبانية الغربية التى تلتزم بمبدأ عدم قبول الدرجات الكهنوتية، وبعضها لا يسمح به إلا فى حدود ضيقة جدا، وبإذن خاص من رئيس الرهبنة ومن رياسة الكنيسة العليا، ولابد من ضرورة قصوى تقتضيها مصلحة الكنيسة العليا.

وهذه الرهبانات الغربية تصرح بأنها تلتزم بهذا المبدأ عملا بما استنه الأنبا باخوميوس أبو الشركة، وآباء الرهبنة الأوائل مؤسسو النظام الرهبانى الديرى على أنه نظام تعبدى ينأى عن درجات الكهنوت ويقوم على ممارسة الرياضات الروحية بأمل البلوغ إلى المراتب الروحانية العالية.

رابعا - أن آباء الرهبنة الأوائل من لباس الاسكيم كانوا أخوف ما يكون من دخول الكهنوت إلى الرهبنة لئلا تُمسى الرهبنة يوما ما طريقا إلى الكهنوت عند الطامعين فى الكهنوت.

رؤيا الأنبا باخوميوس أبى الشركة

ولقد رأى الأنبا باخوميوس أبو الشركة رؤيا مفزعة عن مستقبل الرهبنة التى سيدخلها أناس يتخذونها طريقا إلى رياسة الكهنوت، وعن طريقهم تفقد الرهبانية جمالها وصفاءها وطابعها الأصيل، الأمر الذى فزع له جدا القديس باخوميوس، ولذلك أخذ يهيل التراب على رأسه، ويبكى بسببه بمرارة، ويشد شعر رأسه ولحيته، خاصة عندما أعلمته الرؤيا عن هذا الفريق من الرهبان الطامع فى رياسة الكهنوت، انهم (١) «... إذ يماحكون ينالون مرادهم بموازرة (٢) الشيطان إياهم، ولعدم استحقاق الشعب أن يرؤس عليهم (أن يكون رئيسهم) إنسان من صلحائهم وأخيارهم. فإذا نالوا الرئاسة على هذه الصفة الذميمة والحال المنكرة، فأى منفعه ترجى منهم؟ وأى علم يستفاد عنهم فالحصول منهم على مثال فارغ لا يؤدى إلى فعل حميد، ولا يهدى إلى أمر رشيد. ثم أنهم يتمردون على ذوى العلم والمعرفة... وفى أيام هؤلاء الآخذين الرئاسات والسياسات عنوة وتمردا وقسرا وغصبا، يضطهدون الأخيار من الأشرار، ولا يبقى للصلحاء دالة ولا وجاهة» (٣).

ويقول صاحب الكتاب «ولما تحقق الطوباوى (باخوميوس) هذه الأمور هتف إلى الله بندب وعويل قائلا : «أيها الرب الضابط الكل، إذا كان هذا عتيد (٤) أن يكون، وإليه تنتهى الأمور فى أواخر الدهور... أما قد ذكرت فى محكم كتابك : وإذا قاد ضرير (٥) لضرير حصل كلاهما فى بئر، لقد ضاع تعبى باطلا، وصار نصبى عاطلا، وذهب حرصى ضائعا، واجتهادى مجان. اذكر يارب غروسك، وكافة الإخوة (الرهبان) الذين مسكنوا أنفسهم من كلية (٦) قلوبهم، من أجل اسمك. اذكر يارب عهدك لى أن زرعى الروحانى لن يفنى إلى إنقضاء الدهر..» (٧).

(١، ٣) أنظر الرؤيا بالتفصيل فى كتاب «القديس أنبا باخوميوس أب الشركة» نقحه جناب الفاضل الناسك القمص عبد المسيح المسعودى أب رهبان دير البرموس وطبع على نفقة جمعية التعليم المسيحى الأرثوذكسية بالقاهرة سنة ١٨٩١ مسيحية قبطية صفحة ٤٦ وما بعدها.

(٢) الصحيح : بموازرة.

(٤) الصحيح : عتيدا .

(٥) إذا قاد ضرير ضريرا.

(٦) أى من كل قلوبهم.

(٧) نفس المرجع (١، ٣).

ويقول الكتاب فى موضع آخر «وعندما تكاثر أخوة الدير يومئذ وبلغوا إلى ما به من العدد، رتب (الأنبا باخوم) من الأقوياء فيهم أقواما أولين (١) وناظرين فى أشغال الدير.. وفى هذه الكثرة من الرهبان **ما كان فيهم قسيس يكهن لهم. ولقد استمر هذا القانون أى عدم اسامة (٢) قسوس بأديرة الأب باخوميوس نيف (٣) من مائة سنة. وحين كانت الحاجة تدعو إلى خدمة القداس فى أيام الآحاد والأعياد الضرورية السيدية، كان الأب يستدعى قسيسا ما من البيع المصاقبة (٤) لهم، يصلى بهم، ويعيد لهم، ويقدم لهم الضحية السرية (٥). وكان القديس يرى أن لا يكون لهم قسيس** على ما ذكر هو لهم فيما بعد. قائلا : **ما يجب أن يكون فى كنوينون (٦) مجد وترأس، لئلا يقدح من ذلك بين الإخوة مرة وغيرة (٧) وحسد خارج من مشيئة الله وإرادته** وحينئذ تحصل الخبطات (٨) وتنجم الانشقاقات. وكما أن شرارة النار التى هى فى أوائلها صغيرة حقيرة إذا وقعت فى بيدر ولم تطفأ وشيكا تصير كثيرة وتهلك أتعاب السنة كلها وتبيدها، هكذا درجة الكهنوت التى هى فاتحة محبة الترأس. فالأولى بنا نحن الرهبان ألا نلتمس مرتبة، لا سيما كهنوتية، ولا ندع أفكارنا تجنح إليها، بل نخضع لبيعة الله بوداعة. والذى يقيمه آباؤنا الأساقفة كاهنا، وقتا بعد وقت، نقبله بإذعان وطاعة (٩، ١٠)».

---

(١) أى مدبرين.

(٢) أى رسامة أو سيامة.

(٣) الصحيح : نيف على - زيادة على...

(٤) ربما المصاحبة أى المجاورة.

(٥) الضحية السرية هى ذبيحة القداس.

(٦) كنوينون أى شركة أو دير.

(٧) ربما (غيرة مرة).

(٨) الخبطات جمع خبطة أى ضربة والمقصود هنا من الخبطات أى الضربات الشيطانية.

(٩) أنظر صفحة ١١٤١.

(١٠) أنظر كتاب «القديس أنبا باخوميوس أب الشركة» سالف الذكر صفحة ١٩.

ومن هذه الرؤيا يتضح حرص الأنبا باخوميوس على عدم الخلط أو المزج بين الرهبنة والكهنوت، وكيف كان واضحا فى النظام الرهبانى الباخومى، وهو النظام الديرى، ونظام الشركة الذى تسير الآن عليه جميع الأديرة شرقا وغربا، الفصل الحاسم بين الرهبنة والكهنوت، والتشدد على عدم دخول الكهنوت إلى الرهبنة حتى تحتفظ الرهبنة بأصولها وأهدافها نقية من كل غرض آخر يتلف غاياتها أو يجعلها وسيلة للبلوغ إلى الكهنوت فتتحول من طريق التعبد إلى أن تصير مدرسة لاهوتية تعد للكنيسة خداما.

خامسا - لقد حرص آباء الرهبنة الأوائل على عدم قبول الدرجات الكهنوتية لهم ولأولادهم خوفا من تسلل الراغبين فى الدرجات الكهنوتية إلى الرهبنة، فإذا صاروا كهنة وأساقفة وبطاركة، فلا تفقد الرهبنة بذلك طريقها التعبدى فقط بل **تفقد الرهبانية حريتها أيضا.** فالرهبان الذين يصيرون أساقفة وبطاركة من بين الرهبان يتدخلون - بحكم كونهم رهبانا، وبحكم رياستهم الكهنوتية - فى حياة الرهبان وفى مصيرهم، طورا لمساعدتهم، وطورا لتدبيرهم وقيادتهم، وطورا للتحكم فيهم. وهذا ما حدث فعلا منذ أن صار بعض الرهبان أساقفة وبطاركة. ولذلك فقدت الرهبنة حريتها، وصارت خاضعة خضوعا تاما ومطلقا لرياسة الكنيسة العليا، لا روحيا فقط بل وإداريا وتدبيريا أيضا. وبدلا من أن تكون الرهبنة - كما يجب أن تكون دائما - قوة وراء الكنيسة تحميها وتشد من أزرها خفيا بصلواتها وكتاباتها، تحولت الرهبنة - مع الأسف إلى منظمة كنسية، ففقدت بذلك استقلالها الروحى وكيانها الرهبانى الخاص.

ولم يكن الأمر كذلك فى أيام القديس أنطونيوس، والقديس مقاريوس، والقديس باخوميوس، وسائر الآباء الكبار من لُباس الاسكيم، وشيوخ الطريق، ورواده الأوائل، فكان لكل دير رئيس، وللرهبنة وللأديرة جميعا رئيس عام منهم. وهو النظام الذى أخذه عنا إخوتنا الأثيوبيون، ولا زالوا متمسكين ومحتفظين به، فللرهبنة وللأديرة كلها رئيس عام يسمونه (الاتشجى). وكذلك يسير الحال فى الرهبانات الغربية على إختلاف نظمها.

ولقد استغل البطاركة نفوذهم على الرهبان فلم تعد للرهبان الحرية والقوة والشجاعة لتوجيه رجال الكنيسة روحيا.

واستغل البطاركة نفوذهم فجذبوا الرهبان، وألزموهم ترك حياة الوحدة والإنفراد والرياضات الروحية العليا ليرسموهم أساقفة. وشيئا فشيئا أقفرت الرهبنة من شيوخها القديسين. ولم يعد فى الأديرة ذلك العدد الوافر من شيوخ الرهبان الذين يمكن أن يتتلمذ عليهم الراغبون فى الرهبنة، المبتدئون فى أول الطريق. وأمست أديرتنا، فى الغالب، أمكنة يأوى إليها، فترة من الزمن، الراغبون فى الحياة الروحية من الشباب ومن الخدام، ممن تسمح لهم ظروفهم بترك أعمالهم ومسئولياتهم العائلية. ولا يكاد يصبح لأحدهم فى الدير بضع سنوات تعد على أصابع اليد حتى يطلبوه لرسامته أسقفا أو يشدوه لخدمة فى إحدى كنائس العالم، قبل أن تتاح له فرصة طويلة كافية لأن يغترف طويلا من كنوز الحياة الرهبانية.

ولئن كان لهذا الأمر تبريره لسد فراغات الخدمة فى العالم، لكن له أثره الهدام على الرهبنة نفسها كنظام تعبدى لابد لنموه وازدهاره أن يكون له رجاله وشيوخه المتفرغون له، والذين يعطون حياتهم كلها للرهبنة من أجل الرهبانية نفسها، وحتى يجد الراغبون فى الرهبنة والمبتدئون فيها من الشباب، شيوخا فى الطريق الرهبانى يأخذون عنهم، ويتتلمذون لهم، ويمتصون شخصياتهم، ويصيرون هم بدورهم معلمين لآخرين يأخذون عنهم، ويتتلمذون عليهم، وبهذا تمتد الرهبنة وتزدهر، روحا وجسما، كيفا وكما، إعدادا وعددا

إن الذين ينادون بوجوب اختيار البطريرك من بين الرهبان لا يعلمون مدى الأضرار الروحية والعملية التى تعود على النظام الرهبانى نفسه، وعلى الرهبنة والرهبان، من هذه المناداة. وشكرا لله أن مؤسسى الرهبنة قاوموا هذا الاتجاه منذ الإبتداء، وكانوا يخشونه جدا، ويفزعون منه، وهو عندهم يعتبر هدما للرهبنة، وإفسادا لأهدافها، وإنحرافا بها، وتحويلا لها عن الطريق السوى السليم الذى يحقق أغراضها، والذى سارت فيه أولا (١).

ونحن لا نريد من هذا العرض أن نمنع منعا باتا أن يصير الراهب أسقفا أو بطريركا، إذا كانت الصلاحية والروحانية السليمة، والمؤهلات الذهنية والعلمية والصفات النفسية والقيادية والتدبيرية التى تؤهله للمنصب الجليل، ولكننا نريد

---

(١) أنظر رؤيا القديس باخوميوس صفحة ١١٤٤ وما بعدها.

أن نقرر من جهة المبدأ أنه من الخطأ أن يمسى هذا الأمر الجائز عند الضرورة، قاعدة عامة بحيث يصير من المحتم - كما ينادى بعض الذين يظنون فى أنفسهم بأنهم متحمسون للرهبنة - أن يكون الترشيح للكرسى البطريركى قاصرا على الرهبان. إن هذا التعميم وهذه المناداة بمبدأ خطر وخطأ كهذا، شر لا على الكنيسة فقط بل شر أيضا على الرهبنة نفسها كما فهمها آباء الرهبنة الأوائل.

سادساً - تاريخيا

وأما تاريخيا فالقول بوجوب اختيار البطريرك من بين الرهبان قول خاطئ، وتعليم غير سليم وغير مستقيم لأن الكنيسة على مدى التاريخ لم تأخذ به كمبدأ عام بل ارتبطت بإستمرار بإختيار الأصلح من أى فئة كان.

فالمعروف تاريخيا أن الكنيسة لم تلتزم بفئة بعينها فى اختيار بطاركتها، وإنما طبقا لظروفها فى الزمان، اتجهت إلى اختيار الأصلح بقدر ما وصل إليه علمها.

فكان من بين بطاركتها من كان قبل دعوته للبطريركية متزوجا مثل انيانوس (ثانى البطاركة بعد مرقس الرسول)، وكان لانيانوس زوجة وأولاد (١)، ومثل ديمتريوس الكرام (ثانى عشر البطاركة) غير أنه كان محتفظا هو وزوجته ببكارتهما، ومثل البابا مينا الثانى (الواحد والستين من البطاركة) الذى امتدت حبريته فى القرن العاشر من عام ٩٥٦ - ٩٧٥ وكان أيضا هو وزوجته محتفظين ببتولتهما.

وكان من بين بطاركتها من كان قبل رسامته **أرملا ماتت زوجته** مثل البابا يوحنا السادس (وهو البطريرك الرابع والسبعون) وامتدت حبريته من سنة ١١٨٩ - ١٢١٦م. جاء فى كتاب تاريخ الكنيسة القبطية «ومع أن القانون يحتم أن الذى ينتخب بطريركا لابد أن يكون أعزب من بدء حياته (أى بتولا) إلا أن علم أبى المجد (وهو اسم البابا يوحنا السادس قبل رسامته) **الواسع وفضيلته الزائدة أكسباه الأفضلية على جميع المرشحين لذلك المركز السامى**. ولم تكن له رغبة فى نيل هذا المركز» (٢).

---

(١) أنظر السنكسار الجامع لأخبار الأنبياء والرسل والشهداء والقديسين، تحت اليوم الثلاثين من شهر برمودة.

(٢) كتاب «تاريخ الكنيسة القبطية» تأليف الشماس منسى القمص، القاهرة ١٩٢٤ صفحة ٥٣٧، ٥٣٨.

وكان من بين بطاركة كنيستنا من كانوا قبل رسامتهم **كهنة** (١) **أو شمامسة متبتلين** (٢)، ولو يكونوا من طغمة الرهبان، على الرغم من وجود كبار عمالقة الرهبنة من أمثال القديس أنطونيوس أبى جميع الرهبان، والأنبا بولا السائح، والأنبا باخوميوس صاحب نظام الشركة، والأنبا مقاريوس (أبو مقار)، والأنبا بيشوى حبيب مخلصنا الصالح الذى غسل قدمى المسيح فادينا، والأنبا شنوده رئيس المتوحدين وغيرهم من كبار الرهبان وآباء الاسكيم.

والمعروف مثلا أن **الأنبا أنطونيوس** وهو أبو جميع الرهبان قد عاصر سبعة بطاركة، إذ أن حياته امتدت إلى ١٠٥ سنة أى من سنة ٢٥١ م إلى سنة ٣٥٦م، وقد عاصر جزءا من حياة الأنبا ديونيسيوس البابا الرابع عشر (٢٤٦ – ٢٦٤)م، ثم عاصر البابا مكسيموس (من ٢٦٤ – ٢٨٢)م، والبابا ثاؤنا (من ٢٨٢ – ٣٠١) م، والبابا بطرس خاتم الشهداء (من ٣٠٢ – ٣١١) م والبابا ارشلاس (من ٣١١ – ٣١٢)م، والبابا الكسندروس (من ٣١٢ – ٣٢٨)م والقديس أثناسيوس الرسولى البابا العشرين (من ٣٢٦ – ٣٧٣) م. ولم تتجه الكنيسة فى كل هذه الفترة إلى اختيار القديس أنطونيوس بطريركا، علما بأن القديس أنطونيوس كان قد بلغ قمة الروحانية، وكانت شهرته تطبق الآفاق، شرقا وغربا. وكان الجميع يلتمسون بركاته،

---

(١) من بين من كانوا كهنة متبتلين قبل رسامتهم بطاركة الأنبا يوليانوس (البطريرك الـ ١١)، والبابا ياراكلاس (البطريرك الـ ١٣)، والبابا ديونيسيوس (البطريرك الـ ١٤)، والبابا مكسيموس (البطريرك الـ١٥) والبابا ثاؤنا (البطريرك الـ ١٦)، والبابا بطرس خاتم الشهداء (البطريرك الـ ١٧)، البابا ارشلاس (البطريرك الـ ١٨)، والبابا الكسندروس (البطريرك الـ ١٩)، والبابا بطرس الثانى (البطريرك الـ ٢١)، والبابا تيموثيئوس الأول (البطريرك الـ ٢٢)، والبابا ثيئوفيلوس (البطريرك الـ ٢٣)، والبابا بطرس الثالث (البطريرك الـ ٢٧)، والبابا أثناسيوس الثانى (البطريرك الـ ٢٨)، والبابا تيموثيئوس الثالث (البطريرك الـ٣٢)، والبابا انستاسيوس (البطريرك الـ ٣٦)، والبابا أغاثو (البطريرك الـ ٣٩)، والبابا زخارياس (البطريرك الـ ٦٤)، والبابا يؤانس الحادى عشر (البطريرك الـ ٨٩)..

راجع كتاب «تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة المقدسة» لساويرس بن المقفع، الذى قام على نشره يسى عبد المسيح، واسولد برمستر، (مطبوعات جمعية الآثار القبطية) المجلد الثانى - القاهرة ١٩٤٣ – ١٩٥٩ والمجلد الثالث - القاهرة ١٩٦٨ – ١٩٧٠.

(٢) ومن بين من اختيروا بطاركة من بين الشمامسة المتبتلين البابا أثناسيوس الرسولى (البطريرك العشرون)، والبابا اندرونيقوس (البطريرك السابع والثلاثون).. أنظر كتاب تاريخ البطاركة السالف الذكر..

وكان البابا أثناسيوس الرسولى نفسه يفخر معتزا بأنه فى شبابه تتلمذ على روحانيته. لكن لم يخطر ببال أحد أن ينتزع القديس أنطونيوس من خلوته ووحدته ليصيروه بطريركا، ولا خطر لبال الأنبا أنطونيوس نفسه أن يصنع هذا الأمر الذى كان يعتبره أمرا مضادا لمفهوم الرهبانية كما عاش له، وكما أراده لجميع تلاميذه الرهبان.

والقديس باخوميوس أبو الشركة امتدت حياته من سنة ٢٨٨م وإلى سنة ٣٤٨م وعاصر خمسة من البطاركة، هم : البابا ثاؤنا (البطريرك السادس عشر) والبابا بطرس خاتم الشهداء، والبابا ارشلاس، والبابا الكسندروس، والقديس أثناسيوس الرسولى البابا العشرين، ولم يخطر لباله ولا لبال رجال الكنيسة فى كل تلك الفترة التى عاشها معلما للروحانية وأبا للرهبان ورئيسا عاما لهم ولأديرة الشركة، أن يرشحوه بطريركا، بل أنه - كما مر بنا - اعتذر عن قبول درجة القسيسية التى عرضت عليه بإلحاح من البابا أثناسيوس الرسولى، وقبل ذلك من أسقف دندرة (١).

والقديس مقاريوس المصرى (أبو مقار) عاش من سنة ٣٠٠ إلى سنة ٣٩٠ م تقريبا وعاصر سبعة من البطاركة هم البابا بطرس خاتم الشهداء (البطريرك السابع عشر) والبابا ارشلاس، والبابا الكسندروس، والبابا أثناسيوس الرسولى والبابا بطرس الثانى، والبابا تيموثيوس الأول، والبابا ثيئوفيلوس (البطريرك الثالث والعشرين) ومع ذلك لم يرشحوه ليصير بطريركا على الرغم من روحانيته العليا وشهرته فى النسك والفضيلة.

والأنبا شنوده رئيس المتوحدين، عاش من سنة ٣٤٣ إلى ٤٥٢م وعاصر ستة من البطاركة هم : أثناسيوس الرسولى، والبابا بطرس الثانى، والبابا تيموثيوس الأول، والبابا ثيئوفيلوس، والبابا كيرلس الكبير المعروف بعمود الدين، والبابا ديوسقورس البطريرك الخامس والعشرين، ولم يرسم الأنبا شنوده فى فترة حياته التى بلغت ١٠٩ سنة بطريركا مع أنه كان يجلس على عرش الروحانية ملكا على مصر كلها بمواعظة وكتاباته ومعجزاته التى شابه فيها إيليا النبى وكان يختطف فى السحب، وبسببه صارت اللهجة الأخميمية هى اللهجة السائدة فى اللغة القبطية فى بلاد مصر كلها إلى خمسة قرون متوالية بعد حياته أى من القرن الخامس إلى القرن العاشر للميلاد.

---

(١) أنظر صفحة ١١٤٢ حاشية رقم ٢.

وهكذا نقول عن الأنبا بيشوى حبيب مخلصنا الصالح، والأنبا صموئيل المعترف رئيس الدير المعروف باسمه بجبل القلمون، وجميع آباء الاسكيم من كبار الروحانيين الذين عطروا برارى مصر والمسكونة بأريج صلواتهم وطهارة حياتهم ونسكياتهم المذهلة، **ذلك لأنهم جميعا لم ينظروا إلى الرهبنة كأنها طريق لإعداد رجال الكهنوت، فقد كان هؤلاء الأخيرون يختارون عادة من بين رؤساء الجامعة اللاهوتية بالأسكندرية أو أساتذتها أو خريجيها** إلى أن أغلقت تلك الجامعة فى أواخر القرن الخامس للميلاد وتشتت أساتذتها وتلاميذها بسبب اضطهاد ملوك بيزنطة للأقباط، ومحاولتهم فرض عقيدة مجمع خلقيدونية وطوموس ليون بابا روما عليهم، الأمر الذى اضطر معه أساتذة الجامعة اللاهوتية وطلبتها إلى الهرب إلى دير أبو مقار، وبذلك صار دير أبو مقار الوريث الشرعى للمدرسة اللاهوتية بالأسكندرية. وهذا هو السبب الذى من أجله اتجه آباؤنا بعد ذلك إلى دير أبو مقار فى إختيار بطاركتهم.

وقد بلغ عدد البطاركة الذين أختيروا من بين الرهبان ٧٣ بطريركا من المجموع الكلى لباباوات الكرازة المرقسية البالغ عددهم ١١٦ بطريركا، أخذ من رهبان دير أبو مقار بالذات ٢٩ بطريركا وهى أعلى نسبة أخذت من أى دير آخر، إذ لم يزد عدد من أخذ من أى دير آخر عن ١٢ بطريركا مع أنه كانت لنا على طول الوادى مئات الأديرة، **مما يدل على أن آباءنا قد اتجهوا إلى دير أبو مقار بالذات لأنه قد صار بعد غلق المدرسة اللاهوتية بالأسكندرية الملاذ الأول للمتضلعين فى العلوم اللاهوتية والكنسية.**

وحتى مع اضطرار كنيستنا الأرثوذكسية إلى إختيار بطاركتها من بين رهبان الأديرة، بعد القرن الخامس، للأسباب اللاهوتية والعقائدية والسياسية التى أدت إلى غلق الجامعة اللاهوتية بالأسكندرية، لكنها لم تلتزم بذلك كمبدأ ثابت. وإنما على الرغم من أنه كان بالأديرة عشرات الألوف من الرهبان الأتقياء، كانت الكنيسة تتجه فى الترشيح للكرسى البطريركى إلى اختيار الأصلح من بين الخدام الذين فى العالم من الكهنة أو من الشمامسة، وأحيانا من بين العلمانيين (المدنيين) لأنها كانت تؤثر الأصلح للمنصب البابوى بغض النظر عن الفئة التى ينتمى إليها. وحتى بالنسبة لمن اختيروا من بين الرهبان، كان معظمهم من الرهبان الذين نزلوا من الأديرة، ومارسوا الخدمة فى العالم فترة ما برزت فيها مواهبهم وتكشفت استعداداتهم أمام رياسة الكنيسة العليا، وسائر الاكليروس والشعب.

ففى القرن العاشر (١) للميلاد كان لنا مئات الأديرة، وكان يسكنها عشرات الألوف من الرهبان الأتقياء، ومع ذلك اختير للكرسى البطريركى رجل **علمانى** تقى، لم يكن من رجال الدين، لكنه كان **تاجرا** مجملا بالفضائل والمؤهلات التى رشحته لأن يصير البابا ابرآم، الثانى والستين فى تعداد البطاركة (٩٧٥ – ٩٧٨)م، الذى تم فى عهده تحويل جبل المقطم. وهنا نسأل : أما كان يوجد بين عشرات الألوف من الرهبان راهب واحد يمكن أن يختار بطريركا؟ **ألا يدل هذا على أن كنيستنا حتى فى أزهى عصور الرهبنة، لم تكن تلتزم بالرهبان دائما، وإنما كانت تؤثر الخدام المتبتلين الذين فى العالم كلما كان ذلك متوفرا. ولو كان من بين العلمانيين، حتى تترك الرهبان لوحدتهم وعزلتهم ومسلكهم التعبدى.**

وفى القرن الثانى عشر، وكان بالأديرة عشرات الألوف من الرهبان، ومع ذلك اختاروا للكرسى البطريركى **علمانيا** تقيا كان **كاتبا بالديوان** متميزا بالكفاءة والغيرة والنشاط، فصار البابا غبريال الثانى المشهور بابن تريك (وهو البطريرك السبعون (١١٣١ – ١١٤٥)م.

وكذلك كان **علمانيا تقيا** من صار البابا مرقس الثالث وهو البطريرك الثالث والسبعون (١١٦٦ – ١١٨٩) م فقد كان **تاجرا** معروفا يسمى مرقس أبو الفرج.

وكان أيضا **علمانيا تقيا** من رسموه بطريركا باسم البابا يوحنا السادس وهو البطريرك الرابع والسبعون (١١٨٩ – ١٢١٦)م وكان أيضا **تاجرا** معروفا اسمه أبو المجد.

فكيف نفسر هذه الظاهرة ؟

لو كان اختيار البطريرك من بين الرهبان مبدءا حتميا أو ضروريا كما يذهب اليوم بعض الناس ممن يعتقدون فى نفوسهم أنهم متحمسون للرهبان، فكيف جاز لآبائنا اختيار أمثال أولئك البطاركة من بين العلمانيين أو المدنيين بينما كانت الأديرة عامرة بعشرات ومئات الألوف من الرهبان الأتقياء والعلماء؟!

---

(١) وقبل القرن العاشر اختير كثير من العلمانيين كان من بينهم انيانوس (حنانيا)، وهو البطريرك الثانى، وديمتريوس الكرام (وهو البطريرك الثانى عشر)، وآخرون.

أنظر كتاب «سير تاريخ البطاركة الأسكندرانيين» لساويرس ابن المقفع طبعة سنة ١٩١٢.

إن دل هذا على شئ، فإنما يدل على :

أولا - أنه ليس هناك اضطرار أو الزام باختيار البطريرك من بين الرهبان.

ثانياً - أن كنيستنا كانت تؤثر اختيار بطاركتها من بين الخدام المتبتلين الذين فى العالم، حتى لو كانوا من بين العلمانيين أو المدنيين، وترك الرهبان فى أديرتهم لمنهجهم التعبدى صونا للرهبنة ودعما لرسالتها الروحية التعبدية، مما يثريها برجالها الذين يتفرغون لها وينقطعون لرسالتها. وهذا لا يمنع من اختيار بعض رجالها أحيانا للخدمة فى العالم، فترة ما، تمتحن فيها مواهبهم وتصقل فيها استعدادتهم، قبل اختيارهم للدرجات الكهنوتية العليا، وبذلك ينتقلون من طقس الرهبان المتعبدين إلى طقس الخدام المتبتلين.

* * *

مما سبق، يتضح خطأ القول بوجوب اختيار البطريرك من بين الرهبان، أو قصر الترشيح للكرسى البطريركى على الرهبان وحدهم، وقد برهنا على أن هذا القول وهذه المناداة تغاير وتعارض تعليمنا الكنسى فى اختيار البطريرك، لاهوتيا، وعقائديا وطقسيا، وقانونيا، ورهبانيا، وتاريخيا.

والقول الصحيح أن كنيستنا لم ولا ولن تلتزم باختيار البطريرك من فئة الرهبان أو من أى فئة أخرى، وإنما تلتزم بالأحرى، أولا وبالذات بأهلية المرشح واستحقاقه للكرسى البطريركى بغض النظر عن الفئة التى هو منها والجماعة التى ينتمى إليها.

القاعدة العامة

بعد هذا نرى من الضرورى أن نجيب على من يريد أن يعرف القاعدة العامة التى يجب أن يجرى ترشيح البطريرك على أساسها. نقول :

القاعدة العامة أن يكون المرشح للكرسى البطريركى من بين رجال الدين المتبتلين الخدام فى العالم (سواء كانوا من الكهنة أو من الشمامسة).

العلمانيون أو المدنيون

يجوز عند الاقتضاء (عند الضرورة) اختيار البطريرك من بين العلمانيين (المدنيين) المتبتلين، وذلك بشرطين أساسيين نص عليهما القانون الكنسى.

الأول - «أن يشرط على نفسه حفظ القوانين المقدسة».

الثانى - «أن ينقل فى مراتب الكهنوت مرتبة مرتبة على التدريج. فإذا ثبت من سيرته فى كل مرتبة استحقاقه، حينئذ يقدم».

الرهبان الديريون (١) أو المتوحدون (٢)

يجوز عند الاقتضاء (عند الضرورة) اختيار البطريرك من بين الرهبان الديريين أو المتوحدين.

والأفضل أن يعطى الراهب الديرى مسئولية محدودة فى العالم تمتحن فيها مواهبه، فإذا نجح فيها كان نجاحه تزكية له ليتسلم مسئولية أكبر.

* * *

وعبء المسئولية كله أمام الله وأمام التاريخ، فى اختيار البطريرك يقع على من يسميهم القانون الكنسى بـ «أهل الإختيار» ويتمثلون فى «لجنة الترشيحات» و «جمعية الناخبين من الإكليروس والشعب».

---

(١) الرهبان الديريون هم المقيمون بالأديرة.

(٢) الرهبان المتوحدون أو الصومعيون هم المقيمون بالصوامع أو المغارات أو الكهوف.

يقول ابن العسال فى «المجموع» :

«البطركية خلافة مسيحية فى الدنيا على حراسة الدين وسياسة المؤمنين سياسة شرعية روحانية، **وتقليدها لمن يقوم بها فرض على المؤمنين واجب بالإجماع**» (١) ويقول فى موضع آخر «وأصحاب الاختيار يلزمهم تقليد هذه الرئاسة لمستحقها، فإن توقفوا لزمهم الإثم (٢).

هل يختار البطريرك من بين الرهبان الذين لا تعلو رتبتهم عن درجة قمص

على أنه يجب أن نقول رأينا فيما قرره المجلس الملى بالأسكندرية فى الفقرة الأخيرة من بيانه وهى : «.. فإن البابا البطريرك يختار من الرهبان الذين لا تعلو رتبتهم عن درجة القمص، وهو المبدأ المعمول به فى سائر الكرازة المرقسية». وبعبارة أخرى فإن المجلس الملى بالأسكندرية يرى أن الرهبان الذين يختار منهم البطريرك يجب ألا تعلو رتبتهم الكهنوتية عن درجة القمص، وأن هذا الرأى عنده هو المبدأ المعمول به فى سائر الكرازة المرقسية، وهو أيضا على قوله «وفقا لقوانين وتقاليد كرسى القديس مرقس بالأسكندرية».

وهنا نتساءل : من أين استقى المجلس الملى بالأسكندرية هذا القرار ؟!

والجواب أننا لا نجد شيئا من هذا القبيل فى قانون أصيل من قوانين كنيستنا الأرثوذكسية، ولا حتى فى ما كتبه ابن العسال فى كتابه المعروف «بالمجموع الصفوى» على الرغم من أن كتابه هذا كما قلنا ونكرر القول، لا يزيد فى قيمته القانونية عن كشكول جمع بين قوانين كنيستنا وقوانين كنائس أخرى، فضلا عن قوانين الدولة البيزنطية.

راجع ما شئت من القوانين التى أوردها ابن العسال فى الباب الرابع من كتابه وهو الباب الموسوم بـ «البطاركة»، فلا تجد فيما كتبه عن البطاركة لا نصا ولا روحا ولا حتى مجرد إشارة إلى أن (البطريرك يختار من بين الرهبان الذين لا تعلو رتبتهم عن درجة قمص).

---

(١) المجموع الصفوى للشيخ الصفى بن العسال، طبعة جرجس فيلوثاؤس عوض، الجزء الأول، الباب الرابع - صفحة ٢٧ مادة ١٩.

(٢) نفس المرجع - صفحة ٢٨ مادة ٢٥.

فمن أين جاء هذا الرأى الذى يتحمس له بعض الناس ؟

لعله جاء مما كتبه ابن العسال نفسه فى الباب الخامس من كتابه (المجموع)، الموسوم بعنوان «الأساقفة» وهو الباب الذى يورد فيه ابن العسال مجموعة من القوانين الخاصة بالأساقفة، فيذكر فى الفصل الذى يتناول الشروط الموجبة استحقاق المرشح للأسقفية تحت بند (خامسا) ما يلى :

«**الخامس أن يكون راهبا أو ممن له بعض مراتب المذبح ولا يصلح علمانيا إلا بعد ضرورة**، وبعد أن يشرط على نفسه حفظ القوانين المقدسة. وهذا على ما ورد فى قوانين أثناسيوس بطرك القسطنطينية (١)، وهو مستقر فى بيعتنا، أعنى أن يكون راهبا أو كاهنا» (٢).

هذا هو النص الوحيد الذى يمكن أن يساند رأى القائلين بأن البطريرك يختار من بين الرهبان الذين لا تعلو رتبتهم عن رتبة قمص.

على أننا نلاحظ هنا عدة ملاحظات.

أولا - أن هذ النص لا يختص بالبطريرك بل بالأسقف، وهو لم يرد فى باب البطاركة بل فى باب **الأساقفة**. ولا شك أنه من الطبيعى بالنسبة لمن يقدم لدرجة الأسقفية أن لا يكون حاملا إلا ما هو دون الأسقفية أعنى أن يكون كاهنا أو ممن له بعض مراتب المذبح التى هى أقل من أسقف.

ثانيا - أن هذا النص نفسه لا يوجب أن يكون المرشح للأسقفية راهبا، بل يجعل ذلك من قبيل الاختيار «أن يكون راهبا أو ممن له بعض مراتب المذبح». وفى ختام الفقرة نفسها يكرر العبارة قائلا : «وهو مستقر فى بيعتنا أن يكون راهبا أو كاهنا». وما دام الأمر على سبيل الإختيار بين الراهب أو الكاهن **فليس هناك تحتيم بوجوب أن يكون المرشح للأسقفية راهبا.**

---

(١) وهو غير أثناسيوس بابا الأسكندرية المعروف بأثناسيوس الرسولى.

(٢) المجموع الصفوى للشيخ الصفى ابن العسال - طبعة جرجس فيلوثاؤس عوض - الجزء الأول - الباب الخامس صفحة ٣٢.

ثالثا - أن الراهب فى هذا النص هو غير الكاهن. وإنما الراهب من ليس له بعض مراتب المذبح، وهو المفهوم الأصيل للراهب كما مر بنا.

ومن هنا يظهر واضحا خطأ اللائحة الحالية لإنتخاب البطريرك لأنها وضعت شرطا غريبا، فاشترطت فى المرشح للكرسى البطريركى «أن يكون من طغمة الرهبان المتبتلين الذين لم يسبق لهم زواج سواء كان مطرانا أو أسقفا أو راهبا» (١) ذلك أن المطران أو الأسقف هو كاهن أو رئيس كهنة، أما الراهب فإذا قبل درجة كهنوتية فى العالم فقد خرج من طقس الرهبان إلى طقس الخدام المتبتلين إلا إذا عاد مرة أخرى إلى الدير.

رابعا - أن قول ابن العسال فى النص المذكور سابقا، أن من رشح للأسقفية يكون راهبا أو كاهنا معناه **أن هناك كهنة متبتلين**. والكاهن المتبتل هو من يرقى إلى درجة القسيسية بعد حصوله على درجة الشماسية من غير ارتباط بالرهبنة وما تتطلبه من وجوب اعتزال العالم للتعبد. ونظام الكهنوت المتبتل نظام كان معروفا فى كنيستنا الأرثوذكسية وكان ولازال معروفا فى الكنائس الأرثوذكسية الأخرى الشرقية غير الخلقيدونية، وكان ولازال معروفا فى الكنائس البيزنطية والرومانية الكاثوليكية شرقية وغربية (٢)، وهو نظام يقوم على مبدأ عزوبة الكاهن وتبتله من غير ضرورة الحياة الديرية بنظامها المعروف. والمعروف أن عدد بطاركتنا من مارمرقص الرسول إلى البابا الراحل كيرلس السادس قد بلغ ١١٦ بطريركا، اختير من بين الرهبان منهم ٧٣ بطريركا، وأما الباقون فكانوا من الكهنة المتبتلين أو من الشمامسة المتبتلين أو من العلمانيين (المدنيين) المتبتلين.

* * *

من هذه المناقشة لما قاله ابن العسال، يتضح أن ما قرره المجلس الملى بالأسكندرية فى بيانه من (أن البطريرك يختار من بين الرهبان الذين لا تعلو رتبتهم عن درجة قمص) مستقى مما كتبه ابن العسال فى كتابه «المجموع» عن **الأسقف** لا عن البطريرك.

---

(١) لائحة ترشيح وانتخاب بطريرك الأقباط الأرثوذكس، الصادرة عام ١٩٥٧ - الباب الثانى - مادة ٢ - ب.

(٢) أكثر أساقفة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية (بنسبة تزيد على ٩٠ ٪ من الكهنة المتبتلين الذين لم ينتظموا فى أى نظام رهبانى، وإنما تخرجوا من المدارس اللاهوتية الكاثوليكية مباشرة، ولم ينضموا إلى أى جماعة رهبانية من الجماعات الرهبانية الكثيرة التى يبلغ عدد رهبانها عشرات الألوف.

ثم أن تعبير ابن العسال ذاته ينفى ويبطل دعوى القائلين بوجوب قصر الترشيح للكرسى البطريركى على الرهبان، لأن ابن العسال **قد أباح بالنسبة للأسقف أن يختار من غير الرهبان، أى من الكهنة المتبتلين. وإذا جاز هذا بالنسبة للأسقف، فيجوز أيضا بالنسبة للبطريرك** لأن الدرجة الكهنوتية واحدة بالنسبة لكليهما، وإن كان البطريرك أعلى فى الرتبة (لا فى الدرجة) (١) باعتباره رئيس أساقفة.

(١) يجب أن نميز بين الدرجات الكهنوتية والرتب الكهنوتية. فالدرجات الكهنوتية هى ثلاث درجات فقط وهى : ١ ـ الشماس الدياكون (أو الشماس الإنجيلى، أو الشماس الكامل) ٢ ـ القسيس ٣ ـ الأسقف. وكل درجة من هذه الدرجات الثلاثة تشتمل على عدد من الرتب الكهنوتية. فالقسيس درجة كهنوتية، لكن القمص (الإيغومينوس) رتبة كهنوتية. والأسقف درجة كهنوتية لكن المطران رتبة أعلى والبطريرك هو أعلى رتبة كهنوتية لكنه فى نفس الدرجة الكهنوتية التى للأسقف والمطران.

جدول عام للفئات المختلفة التى اختير منها باباوات الكرازة المرقسية

الفئة		عدد البطاركة	
١	من رؤساء وأساتذة وعلماء مدرسة الأسكندرية اللاهوتية	٢٢	من بينهم البطاركة الباباوات : يسطس (الـ ٦)، أومانيوس (الـ ٧)، مرقيانوس (الـ ٨)، يوليانوس (الـ ١١)، يارا كلاس (الـ ١٣)، ديونيسيوس (الـ ١٤)، مكسيموس (الـ ١٥)، بطرس خاتم الشهداء (الـ ١٧)، ارشيلاس (الـ ١٨)، تيموثيئوس الأول (الـ ٢٢)،
٢	من سكرتيرى وتلامذة الباباوات السابقين		من بينهم البطاركة الباباوات : بطرس خاتم الشهداء (الـ ١٧)، ارشيلاس (الـ ١٨)، الكسندروس (الـ ١٩)، أثناسيوس (الـ ٢٠)، بطرس الثانى (الـ ٢١)، تيموثيئوس الأول (الـ ٢٢)، ثيئوفيلوس (الـ ٢٣)، كيرلس الكبير (الـ ٢٤)، ديوسقورس (الـ ٢٥)، تيموثيئوس الثانى (الـ ٢٦)، بطرس الثالث (الـ٢٧)، ديوسقورس الثانى (الـ ٣١)، أغاثو (الـ ٣٩)، مرقس الثانى (الـ ٤٩)،
٣	من الكهنة المتبتلين (من غير الرهبان)		من بينهم البطاركة الباباوات : يسطس (الـ ١٦)، أومانيوس (الـ ٧)، مرقيانوس (الـ ٨)، أغريبينوس (الـ ١٠)، يوليانوس (الـ ١١)، ياراكلاس (الـ ١٣)، ديونيسيوس (الـ ١٤)، مكسميوس (الـ ١٥)، ثاؤنا (الـ ١٦)، بطرس خاتم الشهداء (الـ ١٧)، ارشيلاس (الـ ١٨)، الكسندروس (الـ ١٩)، تيموثيئوس الأول (الـ ٢٢)، ثيئوفيلوس (الـ ٢٣)، بطرس الثالث (الـ ٢٧)، أثناسيوس الثانى (الـ ٢٨)،

الفئة		عدد البطاركة	
			تيموثيوس الثالث (الـ ٣٢)، ثيودوسيوس (الـ ٣٣)، انستاسيوس (الـ ٣٦)، اغاثو (الـ ٣٩)، زخارياس (الـ ٦٤)، يؤانس الحادى عشر (الـ ٨٩)،
٤	من الشمامسة المتبتلين (من غير الرهبان)	٤	من بينهم البطاركة الباباوات : أثناسيوس الرسولى (الـ ٢٠)، ديوسقورس (الـ٢٥)، ديوسقورس الثانى (الـ ٣١)، اندرونيقوس (الـ ٣٧)،
٥	من الرهبان	٧٣	بعد غلق المدرسة اللاهوتية بالأسكندرية من دير أبو مقار (الوريث الشرعى للمدرسة اللاهوتية بالأسكندرية) ..... ٢٩ من دير الأنبا أنطونيوس ..... ٩ من دير البرموس ..... ٥ من دير الزجاج ..... ٤ من دير المحرق ..... ٤ من دير أبو يحنس ..... ٢ من دير شهران ..... ٢ من دير القلمون ..... ٢ راهب من كل دير من أديرة الأنبا بيشوى، والسريان وجبل طرا، وطمنورة بمريوط، والفيوم، وقبريوس والأنبا بولا، وتابور، وأبوفانة ..... ٩ من أديرة مجهولة ٧
٦	من العلمانيين المتزوجين	١	البطريرك انيانوس (الـ ٢)

الفئة		عدد البطاركة	
٧	من العلمانيين المترملين	١	البابا يوحنا السادس (الـ ٧٤)
٨	من العلمانيين المتبتلين	٤	من بينهم البطاركة الباباوات : ديتمريوس الكرام (الـ ١٢)، ابرآم (الـ ٦٢)، غبريال الثانى - ابن تريك (الـ ٧٠)، مرقس الثالث (الـ ٧٣)
٩	من المطارنة والأساقفة (ممن كانوا قبلا من بين الرهبان)	٥	البطاركة الباباوات : بطرس السابع - الجاولى (الـ ١٠٩)، كيرلس الرابع (الـ ١١٠)، يؤانس التاسع عشر (الـ ١١٣)، مكاريوس الثالث (الـ ١١٤)، يوساب الثانى (الـ ١١٥)
١٠	من الأساقفة المتبتلين (ممن لم يكونوا قبلا من بين الرهبان)	٢	القديس مرقس الرسول البابا بطرس الثانى (الـ ٢١)
١١	من المتبتلين (ولكن من غير المعروف يقينا إذا كانوا كهنة أو شمامسة أو علمانيين متبتلين)	٤	البطاركة الباباوات ميليوس (الـ ٣)، كردونوس (الـ ٤)، ابريموس (الـ ٥)، كالاوتيانوس (الـ ٩) .
	المجموع	١١٦	

الفهارس

١ ـ فهرس النصوص المقتبسة من الكتاب المقدس (١)

سفر التكوين :

(١ : ١ ، ٢) ، (١ : ٢) ، (١ : ٢، ٢٠ – ٢٢) ، (١ : ٣ ، ١٠، ١٢ ، ١٨، ٢١، ٢٥، ٣١)، (١ : ١١، ١٢) ، (١ : ١٥) ، (١ : ٢٠ – ٢٢) ، (١ : ٢٠ – ٢٣) ، (١ : ٢١) ، (١ : ٢٤– ٣١)، (١ : ٢٦، ٢٧) ، (١ : ٢٧) ، (١ : ٢٧، ٢٨) ، (١ : ٢٨) ، (٢ : ٣) ، (٢ : ٧) ، (٢ : ٨، ٩)، (٢ : ٩) ، (٢ : ٩، ١٧) ، (٢ : ١٥) ، (٢ : ١٥ – ٢٢) ، (٢ : ١٦) ، (٢ : ١٦، ١٧) ، (٢ : ١٧)، (٢ : ١٨) ، (٢ : ١٨، ٢٠) ، (٢ : ١٨ – ٢٥) ، (٢ : ٢٠) ، (٢ : ٢١ – ٢٣)، (٢ : ٢١– ٢٤)، (٢ : ٢١– ٢٥) ، (٢ : ٢٢)، (٢ : ٢٣) ، (٢ : ٢٤) ، (٢ : ٢٥) ، (٣ : ١) ، (٣ : ١، ٣، ٦، ١١، ١٧)، (٣ : ٣) ، (٣ : ٣، ١٩) ، (٣ : ٦) ، (٣ : ٦، ٧) (٣ : ٦، ١٢) ، (٣ : ٧) ، (٣ : ٨) ، (٣ : ٩)، (٣ : ٩، ١٠) ، (٣ : ١٠، ١١) ، (٣ : ١١) ، (٣ : ١١، ١٢)، (٣ : ١٢) ، (٣ : ١٥)، (٣ : ١٥– ١٩)، (٣ : ١٦) ، (٣ : ١٧– ١٩) ، (٣ : ١٩) ، (٣ : ١٩، ٣)، (٣ : ٢١) ، (٣ : ٢٢)، (٣ : ٢٢، ٢٤)، (٣ : ٢٣) ، (٣ : ٢٣، ٢٤) ، (٣ : ٢٤) ، (٣ : ٣١) ، (٤ : ١) ، (٤ : ٢) ، (٤ : ٤) ، (٤ : ٧)، (٤ : ١٣)، (٤ : ١٧)، (٤ : ١٩) ، (٥ : ٢) ، (٥ : ٣) ، (٦ : ٤ – ٧) ، (٦ : ٢٣) ، (٧ : ٢٣) ، (٨ : ٢٠)، (٩ : ١)، (٩ : ١، ٧) ، (٩ : ٧) ، (١٢ : ٩) ، (١٤ : ١١ – ١٦) ، (١٤ : ١٨) ، (١٤ : ١٨–٢٠)، (١٧ : ٥)، (١٧ : ٩، ١٠، ١٢) ، (١٧ : ١٠ – ١٤) ، (١٧ : ١٢–١٤) ، (١٧ : ١٤) ، (١٧ : ١٧)، (١٨ : ١٢)، (١٩ : ٢٤، ٢٥) ، (٢٢ : ١٨) ، (٢٢ : ٢٧، ٢٨) ، (٢٤ : ٢٢، ٤٧، ٥٣، ٦٠)، (٢٤ : ٦٥)، (٢٥ : ٢٠) ، (٢٥ : ٣٤) ، (٢٦ : ٤) ، (٢٧ : ١ – ٤٤) ، (٢٧ : ٢٥) ، (٢٧ : ٢٨، ٣٧)، (٢٧ : ٣٨، ٤١) ، (٢٨ : ١٤) ، (٣١ : ٤٦، ٥٤)، (٣١ : ٥٤) ، (٣٢ : ١٠) ، (٣٣ : ٥) ، (٣٥ : ٢)، (٣٥ : ٢٧) ، (٣٧ : ١ ، ٢) ، (٣٧ : ٣، ١٢) ، (٣٧ : ٣٤) ، (٣٨ : ٧)، (٣٨ : ١٨، ٢٥)، (٤٣ : ١٢)، (٤٨ : ٩) (٤٨ : ١٦) ، (٤٩ : ١٦ – ١٨) ، (٤٩ : ١٨) ، (٥٠ : ٢، ٣).

---

(١) هذا الفهرس لجميع الأسرار السبعة للكنيسة القبطية الأرثوذكسية المدونة فى الجزءين الثامن والتاسع من موسوعة الأنبا غريغوريوس.

سفر الخروج :

(٤ : ٤، ١٧) ، (٧، ٩، ١٠، ١٢، ١٩، ٢٠) ، (٧ : ٢٢) ، (٨ : ٥، ١٦، ١٧) ، (٩ : ٣)، (١٠ : ١٣) ، (١١ : ٥) ، (١٢ : ١، ٣، ١٤) ، (١٢ : ٥ – ١٠) ، (١٢ : ٧، ١٢، ١٣، ٢١ – ٢٣)، (١٢ : ٨، ١٧، ١٨) ، (٢ : ١١) ، (١٢ : ١٣) ، (١٢ : ١٣، ٢٣، ٢٧) ، (١٢ : ١٥) ، (١٢ : ٢٩)، (١٤ : ١٣، ١٤) ، (١٤ : ١٦) ، (١٤ : ٣٠) ، (١٥ : ١٩) ، (١٦ : ٣٣، ٣٤) ، (١٧ : ٥)، (١٧ : ٨ – ١٦) ، (١٧ : ٩) ، (١٧ : ١٣) ، (١٩ : ٦) ، (١٩ : ١٠، ١١، ١٥) ، (١٩ : ١٠ – ١٥)، (١٩ : ١٠ – ٢٤) ، (١٩ : ١٤، ١٥) ، (١٩ : ١٥) ، (٢٠ : ٥) ، (٢٠ : ١٣) ، (٢١ : ٨، ٩)، (٢١ : ٢٠) ، (٢٢ : ١٦) ، (٢٤ : ١٧)، (٢٤ : ١٨) ، (٢٩ : ٣٧) ، (٣٠ : ٢٦ – ٢٨) ، (٣٠ : ٢٩)، (٣٢ : ٩) ، (٣٣ : ٣، ٥) ، (٣٣ : ١١) ، (٣٤ : ٦، ٨) ، (٣٤ : ٩) ، (٣٤ : ٢٨) ، (٤٠ : ١٠)، (٤٠ : ٣٥).

سفر اللاويين :

(٤ : ٢٢ – ٣١، ١٣ – ٢٠) ، (٥ : ٤ – ١٠) ، (٥ : ٤ – ١٨) ، (٦ : ٥ – ٧) ، (٨ : ٣٣ – ٣٥)، (١١ : ٤٤ : ٤٥) ، (١٢ : ١ – ٥) ، (١٢ : ١ – ٦) ، (١٢ : ١ – ٧) ، (١٢ : ٢ – ٥) ، (١٥ : ١٦ – ١٨)، (١٥ : ٩) ، (١٥ : ١٩ – ٣٢) ، (١٥ : ٢٤) ، (١٥ : ٢٨ – ٣١) ، (١٦ : ٥ – ١٠) ، (١٩ : ٣)، (١٩ : ٢٠) ، (١٩ : ٣٢) ، (٢٠ : ١٨) ، (٢٠ : ٢٦) ، (٢١ : ٧، ١٣، ١٤) ، (٢١ : ٧، ١٤)، (٢١ : ١٠ – ١٤) ، (٢١ : ١٣) ، (٢٢ : ٣ – ٧) ، (٢٦ : ٢٥) ، (٢٦ : ٤٠) ، (٢٧ : ١، ٨)، (٢٧ : ٢) ، (٢٧ : ١٢، ٨).

سفر العدد :

(٥ : ٤) ، (٥ : ٦، ٧) ، (٦ : ٢٤) ، (١٢ : ٧، ٨) ، (١٣ : ٢٣) ، (١٤ : ٩) ، (١٤ : ١٨)، (١٥ : ٢٢ – ٣٠) ، (١٦ : ٣، ٢٠ – ٣٥) ، (١٦ : ٤٦ – ٤٨) ، (١٧ : ١ – ٧) ، (١٨ : ١٦)، (٢٤ : ٧) ، (٢٥ : ٦ – ٨) ، (٢٥ : ١٦) ، (٣٠ : ٦ – ١٣) ، (٣١ : ١ – ٣) ، (٣٣ : ٥٤).

سفر التثنية :

(١ : ١٦) ، (٢ : ٢٤) ، (٥ : ٩) ، (٦ : ١٦) ، (٧ : ١٣) ، (٨ : ٤) ، (٩ : ١ – ٥) ، (٩ : ٦، ١٣)، (٩ : ٩، ١٨)، (٩ : ١٩) ، (١٠ : ١٦) ، (٢٠ : ٧) ، (٢١ : ١٥، ١٦) ، (٢٢ : ٢٣)، (٢٤ : ١)، (٢٤ : ١ – ٤) ، (٢٥ : ١٧) ، (٢٦ : ٣) ، (٢٨ : ٦) ، (٢٨ : ٢٠) ، (٣٠ : ٦) ، (٣١ : ٢٧)، (٣٢ : ٢٥، ٤١) ، (٣٣ : ٢٩) ، (٣٤ : ٩).

سفر يشوع بن نون :

(٥ : ١٣)، ١٤) ، (٧ : ١٩) ، (٧ : ١٩، ٢٠) ، (١٣ : ٦) ، (١٥ : ١).

سفر القضاة :

(٧ : ١٨ – ٢٣) ، (٩ : ١٣) ، (١٤ : ١٤).

سفر صموئيل الأول :

(٣:١٩، ٢٠) ، (٥:٦–١٠) ، (٩:٦) ، (٩:١١، ١٨، ١٩) ، (١١:٤) ، (١٤:٢٦، ٢٩، ٤٣)، (١٤ : ٢٧) ، (١٥ : ٢٣ – ٢٥) ، (١٦ : ٦، ٧) ، (١٦ : ١٤) ، (١٦ : ٢٣) ، (١٧ : ٤٠، ٤٣)، (١٨ : ١٢) ، (١٨ : ٢٧) ، (٢١ : ١ – ٦) ، (٢١ : ٤، ٥) ، (٢١ : ٤ – ٦)، (٢٥ : ٤٢، ٤٣)، (٢٨ : ١٥).

سفر صموئيل الثانى :

(٢:٢) ، (٥:١٣– ١٦) ، (١١:٢٧) ، (١٢:٧ – ١٤) ، (١٢:٨، ١١) ، (١٢:١٠ – ١٢)، (١٢ : ١٣) ، (١٦ : ١١) ، (٢٣ : ٧، ٢١).

سفر الملوك الأول :

(٢ : ١، ٢) ، (٤:٢٩، ٣٠) ، (٦:٥ – ١٠) ، (٨:١٠) ، (٨:٤٦) ، (٨:٦٤) ، (١١ : ٣)، (١٥ : ٢٣، ٢٤) ، (١٧ : ١٧ – ٢٤) ، (١٩ : ٨).

سفر الملوك الثانى :

(٤ : ٣٢ – ٣٧) ، (١٧ : ١٤) ، (٢٠ : ١ – ٦) ، (٢٠ : ٧) ، (٢٥ : ٢٣).

سفر أخبار الأيام الأول :

(٢:٣) ، (٣ : ١ – ٩) ، (٣:١٥، ٢٤) ، (٥:٢٢) ، (٦:٩، ١٠) ، (١١:١٨) ، (١١:٢٣)، (١٢:٤، ١٢) ، (١٤:٣ – ٦) ، (٢١ : ٩ – ١١) ، (٢٤ : ٣ – ١٩) ، (٢٤ : ٥) ، (٢٤ : ١٠)، (٢٤ : ٣١) ، (٢٦ : ٣).

سفر أخبار الأيام الثانى :

(٤ : ٣٢ – ٣٧) ، (٦ : ٣٦) ، (١٦ : ١٢، ١٣) ، (١٩ : ٨) ، (٢٠ : ٢٧) ، (٢٣ : ١)، (٢٦ : ١٢) ، (٢٨ : ١٢) ، (٣١ : ٢) ، (٣٢ : ٢٤).

سفر عزرا :

(٦ : ٩) ، (٨ : ١٢) ، (٩ : ٧) ، (١٠ : ٦، ٢٨).

سفر نحميا :

(٤ : ١٣ –١٨) ، (٦ :١٨) ، (٨ :١) ، (١٠ : ٣٤ – ٣٧) ، (١١ : ١٣، ٤٢) ، (١٢ : ٢٢، ٢٣).

سفر طوبيا :

(٨ :٤) ، (٨ : ٤ – ٦) ، (٦ : ١٦، ١٧) ، (٦ : ١٦ – ٢٢) ، (٦ : ١٨) ، (٦ : ١٨ – ٢٢).

سفر استير :

(٣ : ٧) ، (٩ : ٢٤).

سفر أيوب :

(١ :٧) ، (١ :١٢) ، (٢ :٦، ٧) ، (٤ : ٨) ، (٥ : ١٩) ، (٩ : ٢) ، (٩ : ٣٣) ، (٩ : ٣٤)، (١٢ : ١٢) ، (١٤ : ٤) ، (١٥ : ١٤) ، (٢١ : ٩) ، (٢٥ : ٤) ، (٣٢ : ٧) ، (٣٣ : ٢٣).

سفر المزامير :

(٧ : ٩) ، (٨ : ٥) ، (١٣ : ١ – ٣) ، (١٣ : ٣) ، (١٥ : ١٠) ، (١٨ : ١٢) ، (٢١ : ١٨)، (٢٢ : ١) ، (٢٢ : ٤) ، (٢٢ : ٥، ٦) ، (٢٦ : ١١) ، (٢٧ : ٩) ، (٣١ : ٣، ٤) ، (٣١ : ٥)، (٣٢ :٥) ، (٣٣ : ٨) ، (٣٣ : ١٩) ، (٣٦ : ١١) ، (٣٦ : ١٣) ، (٤٧ : ٦) ، (٤٩ : ١٤، ٢٣)، (٤٩ : ١٥) ، (٥٠ : ٥) ، (٥٠ : ٦) ، (٥٠ : ٧) ، (٥٠ : ١٢) ، (٥٢ : ١ – ٣) ، (٥٧ : ٣)، (٥٨ :٣) ، (٧١ :٢) ، (٧٢ :٢٧) ، (٧٧ : ٦٢) ، (٨١ : ١) ، (٨٥ : ١١) ، (٨٨ : ٢٠ – ٣٢)، (٩٨ : ٤) ، (٩٨ : ٦) ، (١٠٢ : ١، ٢) ، (١٠٣ : ١٥) ، (١٠٣ : ٢٤، ٣١) ، (١٠٥ : ١٠)، (١٠٦ : ١٠، ١١) ، (١٠٦ : ٢٢) ، (١٠٨ : ٦، ٧) ، (١٠٨ : ٨) ، (١١٠ : ٤) ، (١١٠ : ٩)، (١١٢ : ٩) ، (١١٥ : ١٢) ، (١١٥ : ١٧) ، (١١٦ : ١٧) ، (١١٧ : ٦) ، (١١٨ : ٣٠) ، (١١٨ :١٦٦) ، (١١٨ :١٧٤) ، (١٢٦ :١) ، (١٢٦ : ٣ – ٥) ، (١٢٧ : ٣ – ٦)، (١٢٤ : ٣)، (١٢٩ : ٣) ، (١٤٢ : ٢) ، (١٤٣ : ١٢) ، (١٤٤ : ١٨).

سفر الأمثال :

(٢ : ٨) ، (٣ : ١٨) ، (٧ : ٢٦، ٢٧) ، (٨ : ٨) ، (٨ : ٢٠) ، (١٠ : ١٣) ، (١١ : ٣٠) ، (١٢ : ٤) ، (١٢ : ٧) ، (١٣ : ١٢) ، (١٣ : ٢٤) ، (١٥ : ٤) ، (١٥ : ٨) ، (١٦ : ٣٣) ، (١٧ : ٢٢)، (١٨ : ٤) ، (١٨ : ٨) ، (١٩ : ١٤) ، (١٩ : ٢٨) ، (٢٠ : ١) ، (٢٠ : ٩) ، (٢٠ : ٢٩)، (٢١ : ١٥)، (٢١ : ٢٧) ، (٢٢ : ٨) ، (٢٢ : ١٥) ، (٢٢ : ٢١) ، (٢٣ : ١٣، ١٤) ، (٢٤ : ١٦)، (٢٦ : ١١) ، (٢٨ : ١٣) ، (٢٩ : ١٤) ، (٢٩ : ١٥).

سفر الجامعة :

(٤ : ٩) ، (٤ : ٩، ١٠) ، (٥ : ٦) ، (٧ : ٢٠) ، (٧ : ٢٩) ، (٨ : ١٠) ، (١٠ : ١٩).

سفر نشيد الأناشيد :

(٣ : ١١) ، (٥ : ١٦) ، (٨ : ٥، ٨) ، (٨ : ٦).

سفر الحكمة :

(٢ : ٢٤).

سفر يشوع بن سيراخ :

(٣ : ١١) ، (٣ : ١٨) ، (٣ : ١٩) ، (٤ : ٨) ، (١٤ : ١٥) ، (١٧ : ١ – ٢٣) ، (١٥ : ١٠ – ٢٢)، (٢٥ : ٧، ٨) ، (٣١ : ٢) ، (٣ : ٢١) ، (٣١ : ٢٣، ٢٤) ، (٣٦ : ٢٥) ، (٣٧ : ٢١) ، (٣٧ : ٣٢ – ٣٤)، (٣٨ : ١ – ١٣) ، (٣٨ : ١ – ١٥) ، (٣٨ : ١٤) ، (٣٩ : ٣١).

سفر نبوءة إشعياء :

(١ : ٨) ، (١ : ١٦ – ١٨) ، (١ : ١٧) ، (١ : ١٨) ، (٢ : ٤) ، (٦ : ١ – ٧) ، (٦ : ٥ – ٧)، (٦ : ٦، ٧) ، (٥ : ٣، ٤) ، (٨ : ١٨) ، (٩ : ٢) ، (٩ : ٢، ٣) ، (٩ : ٤) ، (٩ : ١١) ، (١٠ : ٥، ١٥)، (١٠ : ٢٤) ، (١١ : ٢) ، (١٢ : ٣) ، (١٣ : ٣) ، (١٣ : ٨) ، (١٤ : ٥) ، (١٩ : ١٩ – ٢١)، (٢١ : ٣) ، (٢٢ : ٢) ، (٢٦ : ١٧) ، (٢٧ : ١٣) ، (٢٨ : ٥) ، (٢٨ : ٢٧) ، (٣٠ : ٣٢)، (٣٣ : ١٥) ، (٣٤ : ٢) ، (٣٤ : ١٧) ، (٣٦ : ١٧) ، (٣٨ : ١ – ٢٠) ، (٣٨ : ٢١) ، (٤٠ : ١٤)، (٤٢ : ٧) ، (٤٤ : ٣) ، (٤٤ : ٢٢) ، (٤٨ : ٨) ، (٤٩ : ٢) ، (٤٩ : ١٦) ، (٥٣ : ٤ – ١٢)، (٥٣ : ٦، ٧) ، (٥٣ : ٦، ٩) ، (٥٣ : ٩) ، (٥٣ : ١٢) ، (٥٥ : ١) ، (٥٥ : ٧) ، (٥٦ : ٣ – ٦)، (٥٦ : ٧) ، (٥٨ : ١١) ، (٥٩ : ١٦، ١٧) ، (٦١ : ١٠) ، (٦٣ : ٧ – ٩) ، (٦٣ : ٩) ، (٦٥ : ٧)، (٦٥ : ١٣) ، (٦٦ : ٢٠، ٢١) ، (٦٦ : ١٦).

سفر نبوءة إرميا :

(١:٥) ، (٣:١) ، (٤:٤) ، (٤:٣١) ، (٦:٢٤) ، (٨:٢٢) ، (٩:١) ، (٩:٢٥، ٢٦)، (١١:٢٠) ، (١٣:٢١) ، (١٥:١) ، (١٧:١٠) ، (٢٢:٣) ، (٢٢:٢٤) ، (٣٠:٦)، (٣١:٢٣) ، (٣١:٣١ – ٣٤) ، (٣٢:١٨) ، (٣٢:٤٠) ، (٤٠: ٨ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦)، (٤١:١١، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦) ، (٤٢:١، ٨) ، (٤٣:٢، ٤، ٥) ، (٤٧:٦) ، (٤٨:١٧)، (٤٨:٤١) ، (٤٩:٢٢، ٢٤) ، (٥٠:٤٣).

سفر نبوءة حزقيال :

(٧:١٠، ١١) ، (٨:١٧، ١٨) ، (١٤:٢١) ، (١٦:٧– ١٤) ، (١٨:٦) ، (١٨:٢١، ٢٢، ٢٧)، (١٨:٢٣، ٣٢) ، (١٩:١٤) ، (٢٠:٣٧) ، (٢١:١٠، ١٣) ، (٢٢:١٠) ، (٢٥:١٢)، (٢٨:١٤) ، (٣٣:٢ – ٧) ، (٣٣:٧ – ٩) ، (٣٣:١١) ، (٣٣:١٤) ، (٣٣:١٦) ، (٣٥:٥)، (٣٧:٦، ١٩) ، (٣٩:٧) ، (٤٤:١٥، ٢٢) ، (٤٤:٢١، ٢٢) ، (٤٤:٢٢) ، (٤٧:١، ٢)، (٤٧:١٢).

سفر نبوءة دانيال :

(٦:١٧) ، (٦:١٨) ، (٩:١١ – ١٣) ، (٩:٢٤) ، (١٠:٣ – ١٤) ، (١٠:١٣ – ٢١)، (١١:٢٨، ٣٠) ، (١٢:١) ، (١٢:١٠).

سفر نبوءة هوشع :

(١:٢) ، (٣:١ – ٥) ، (٤:١٢) ، (١١:٦) ، (١٣:١٣) ، (١٤:٢).

سفر نبوءة يوئيل :

(٢:١٥، ١٦) ، (٢:١٥ – ١٧) ، (٢:٢٨) ، (٣:٣) ، (٣:١٨).

سفر نبوءة عاموس :

(١:١١، ١٢) ، (٨:٩).

سفر نبوءة يونان :

(١:٦) ، (١:٧).

سفر نبوءة ميخا :

(٤ : ٣) ، (٤ : ٩) ، (٦ : ٨) ، (٧ : ٨) ، (٧ : ١٤).

سفر نبوءة ناحوم :

(٣ : ٩).

سفر نبوءة حبقوق :

(٣ : ٩).

سفر نبوءة حجى :

(٢ : ٧) ، (٢ : ٢٣).

سفر نبوءة زكريا :

(٣ : ١) ، (٧ : ٣) ، (٧ : ٨ – ١٣) ، (٧ : ٩) ، (٨ : ٣) ، (٨ : ٤) ، (٨ : ١٦) ، (٨ : ١٩) ، (٩ : ٩) ، (٩ : ١١) ، (٩ : ١١ ، ١٢) ، (١٢ : ١٠) ، (١٣ : ٧) ، (١٤ : ٨).

سفر نبوءة ملاخى :

(١ : ١٠) ، (١ : ١١) ، (٢ : ٧) ، (٢ : ١٠) ، (٢ : ١٥) ، (٢ : ١٥ ، ١٦) ، (٣ : ١٥ ، ١٦) ، (٤ : ٤).

سفر المكابيين الأول :

(٣ : ٥٦).

إنجيل رينا يسوع المسيح للقديس متى :

(١ : ١٨) ، (١ : ٢٠) ، (١ : ٢١) ، (٣ : ١) ، (٣ : ٥ ، ٦) (٣ : ٦) ، (٣ : ٧ – ١٢) ، (٣ : ١١) ، (٣ : ١٣) ، (٣ : ١٣–١٥) ، (٣ : ١٥) ، (٣ : ١٦) ، (٤ : ١ ، ٢) ، (٤ : ٢) ، (٤ : ٧) ، (٤ : ١٥ ، ١٦) ، (٤ : ١٦) ، (٥ : ٥) ، (٥ : ٦) ، (٥ : ٩) ، (٥ : ١٠) ، (٥ : ١٢) ، (٥ : ١٦) ، (٥ : ١٧) ، (٥ : ١٧ ، ١٨) ، (٥ : ١٨) ، (٥ : ٢٠) ، (٥ : ٢٣ ، ٢٤) ، (٥ : ٢٨) ، (٥ : ٣١) ، (٥ : ٣١ ، ٣٢) ، (٥ : ٣٢) ، (٥ : ٤٨) ، (٦ : ١١) ، (٦ : ١٤ ، ١٥) ، (٦ : ٣٣) ، (٧ : ١١) ، (٧ : ١٦) ، (٧ : ٢١) ، (٧ : ٢٢) ، (٨ : ٨) ، (٩ : ١ – ٨) ، (٩ : ٢) ، (٩ : ٢ – ٦) ، (٩ : ٦) ، (٩ : ١٢) ، (٩ : ١٢ ، ١٣) ، (٩ : ٢٢) ، (٩ : ٢٧ – ٣١) ، (١٠ : ١) ، (١٠ : ١ ، ٥ ، ٨) ، (١٠ : ٢) ، (١٠ : ٣) ، (١٠ : ٥ – ٧) ،

(٨:١٠) ، (٩:١٠، ١٠) ، (١٠:١٠) ، (١٦:١٠) ، (١٩:١٠، ٢٠) ، (٢٢:١٠) ، (٢٤:١٠)،
(٣٤:١٠) ، (٢٩:١١) ، (٣:١٢، ٤) ، (٤:١٢) ، (١٣:٢٢، ٣٢) ، (١٨:١٢) ، (٢٢:١٢)،
(٣٢:١٢) ، (٣٣:١٢) ، (٤٣:١٢ – ٤٥) ، (١٨:١٣ – ٣٠، ٤٧ – ٥٠) ، (٢٥:١٣، ٣٩)،
(١٦:١٤) ، (١٧:١٥) ، (١٧:١٦) ، (١٨:١٦) ، (١٩:١٦) ، (٢١:١٦) ، (٢٦:١٦)،
(٢٧:١٦) ، (٢:١٧) ، (٥:١٧) ، (٢٠:١٧، ٢١) ، (٢٣:١٧) ، (١٠:١٨) ، (١١:١٨)،
(١٣:١٨) ، (١٤:١٨) ، (١٧:١٨) ، (١٧:١٨، ١٨) ، (١٨:١٨) ، (٣:١٩ – ٩)،
(٤:١٩) ، (٤:١٩ – ٦) ، (٤:١٩–٦، ٩) ، (٥:١٩، ٦) ، (٦:١٩) ، (٧:١٩) ، (٧:١٩ – ٩)،
(٨:١٩) ، (٩:١٩) ، (١٠:١٩) ، (١٠:١٩ – ١٢) ، (١١:١٩، ١٢) ، (١٢:١٩)،
(١٤:١٩) ، (٢١:١٩) ، (٢٧:١٩) ، (٢٧:١٩ – ٢٩) ، (٢٨:١٩) ، (٢٩:١٩) ، (١٩:٢٠)،
(٢٠:٢٠) ، (٢٣:٢٠) ، (٢٩:٢٠ – ٣٤) ، (٥:٢١) ، (٢٢:٢١) ، (٤٠:٢١، ٤١)،
(٣٢:٢١) ، (٢:٢٢، ١٢) ، (١١:٢٢، ١٢) ، (١٢:٢٢) ، (١٣:٢٢) ، (١٦:٢٢)،
(٣٠:٢٢) ، (٣٠:٢٢ – ٣٢) ، (٣٧:٢٢ – ٤٠) ، (١٩:٢٣) ، (٢٣:٢٣) ، (٣٤:٢٣)،
(١٣:٢٤) ، (٣٥:٢٤) ، (٤٥:٢٤) ، (٤٥:٢٤ – ٥٠) ، (٤٥:٢٤ – ٥١) ، (٥١:٢٤)،
(١٤:٢٥، ٢١) ، (٢٦:٢٥ – ٣٠) ، (٣٤:٢٥) ، (١٧:٢٦ ـ ١٩) ، (١٧:٢٦ – ٢٣)،
(٢٣:٢٦) ، (٢٦:٢٦) ، (٢٦:٢٦، ٢٧) ، (٢٦:٢٦ – ٢٨) ، (٢٧:٢٦) ، (٢٧:٢٦، ٢٨)،
(٢٨:٢٦) ، (٣٠:٢٦) ، (٣٣:٢٦) ، (٣٦:٢٦) ، (٣٩:٢٦) ، (٤٢:٢٦) ، (٤٧:٢٦، ٥٥)،
(٥٢:٢٦) ، (٥٣ : ٢٦) ، (٥٦:٢٦) ، (٧٤:٢٦) ، (٧٥:٢٦) ، (٤:٢٧) ، (٥:٢٧)،
(٣٤:٢٧) ، (٣٥:٢٧) ، (٤٥:٢٧) ، (٥٥، ٥٦:٢٧) ، (٦٦:٢٧) ، (١:٢٨) ، (١٩:٢٨)،
(١٩:٢٨، ٢٠).

إنجيل ربنا يسوع المسيح للقديس مرقس :

(٤:١) ، (٥:١) ، (٨:١) ، (٩:١) ، (١٠:١) ، (١٢:١، ١٣) ، (١:٢–١٢) ، (٣:٢ – ٩)،
(٥ :٢) ، (٥ :٢، ١١) ، (٧ :٢) ، (١٠ :٢) ، (١١ :٢) ، (١٧ :٢) ، (١٨ :٢ – ٢٠)،
(٢٥:٢، ٢٦) ، (٣:٣، ١٥) ، (١٣:٣ – ١٥) ، (١٤:٣) ، (١٥:٣) ، (٢٩:٣) ، (٣٩:٤، ٤١)،
(٥:٣) ، (٥ :٥) ، (٢٥:٥، ٢٦) ، (٤٣:٥) ، (٧:٦) ، (٨:٦) ، (٨:٦، ٩) ، (١٢:٦، ١٣)،
(١٣ :٦) ، (٣٧ :٦) ، (٧ :٧ – ٩) ، (١٩ :٧) ، (٣١ :٨) ، (٣٦:٨، ٣٧) ، (٢ :٩)،
(٣:٩) ، (٩:٩) ، (١٤:٩، ١٥) ، (٢٢:٩) ، (٢:١٠ – ١٢) ، (٦:١٠) ، (٦:١٠–٨، ١١، ١٢)،

(١٠ : ٦ – ٩) ، (١٠ : ٧ – ١٢) ، (١٠ : ٨) ، (١٠ : ٨، ٩) ، (١٠ : ٩) ، (١٠ : ١١، ١٢)،
(١٠:١٢) ، (١٠:١٤) ، (١٠:١٦) ، (١٠:٢١) ، (١٠:٢٨) ، (١٠:٢٨–٣٠) ، (١٠:٢٩، ٣٠)،
(١٠ : ٣٥ – ٣٩) ، (١٠ : ٣٨، ٣٩) ، (١١ : ٢٤) ، (١١ : ٢٥) ، (١١ : ٢٦) ، (١٢ : ٩)،
(١٢:١٤) ، (١٢:٢٥) ، (١٢ : ٣٠، ٣١) ، (١٢:٣٢) ، (١٣ : ١١) ، (١٣:١٣) ، (١٣ : ٣١)،
(١٤:١٢ – ١٦) ، (١٤:١٢ – ٢٠) ، (١٤:١٦) ، (١٤ : ٢١) ، (١٤:٢٢)، (١٤:٢٢ – ٢٣)،
(١٤ : ٢٢–٢٤) ، (١٤:٢٣)، (١٤:٢٤) ، (١٤:٢٥) ، (١٤:٢٦)، (١٤:٣١) ، (١٤ : ٣٣، ٣٨)،
(١٤ : ٧١) ، (١٥ : ٢٤) ، (١٥ : ٣٣، ٣٤) ، (١٥ : ٤٠، ٤١) ، (١٥ : ٤٣) ، (١٦:١)،
(١٦:٥–١٨) ، (١٦:٩) ، (١٦:١٥) ، (١٦ : ١٥، ١٦) ، (١٦:١٦) ، (١٦:١٧)، (١٦ : ١٨).

إنجيل ربنا يسوع المسيح للقديس لوقا :

(١:٥) ، (١ : ٨) ، (١ : ٨، ٩) ، (١:١٣) ، (١:٢٧) ، (١:٣٤) ، (١:٣٥) ، (١ : ٤١ – ٤٤)،
(١ : ٦٨) ، (١ : ٧٤، ٧٥) ، (٢:٥) ، (٢ : ٧، ١٢) ، (٢ : ١١) ، (٢ : ١٤) ، (٢ : ٢١ – ٢٥)،
(٢ : ٢٢ – ٢٤) ، (٢:٢٥) ، (٢ : ٢٧ – ٣١) ، (٢ : ٢٨ – ٣١) ، (٢ : ٣٦ – ٣٨) ، (٢ : ٣٨)،
(٢:٣٨، ٢٥) ، (٣ : ٢، ٣) ، (٣ : ٧ – ١٤) ، (٣:١٦) ، (٣:١٦، ١٧) ، (٣:٢١) ، (٣:٢١، ٢٢)،
(٣:٢٣) ، (٤:١) ، (٤ : ١، ٢) ، (٥ : ١٨ – ٢٤) ، (٥ : ١٨ ـ ٢٦) ، (٥ : ٢٠) ، (٥ : ٢٠، ٢٤)،
(٥ : ٢١) ، (٥ : ٢٤) ، (٥ : ٣١) ، (٥ : ٣٢) ، (٥ : ٣٣ – ٣٥) ، (٦ : ٣ – ٥) ، (٦ : ١٣)،
(٦ : ١٦) ، (٦ : ١٩) ، (٦ : ٣٦) ، (٦ : ٣٧) ، (٦ : ٤٠) ، (٦ : ٤٣ ، ٤٤) ، (٦ : ٤٦)،
(٦ : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٨) ، (٧ : ٦) ، (٧ : ٢٩) ، (٧ : ٥٠) ، (٨ : ٢ ، ٣) ، (٨ : ١٥)،
(٨:٢٤، ٢٥) ، (٨:٤٣) ، (٨:٤٦) ، (٨:٥٥) ، (٩:١) ، (٩ : ١، ٢) ، (٩:٢)، (٩ : ٢، ١٦)،
(٩:٣) ، (٩:١١) ، (٩:٢٢) ، (٩:٢٥) ، (٩:٢٩) ، (٩:٦٠) ، (١٠ : ١) ، (١٠ : ١– ٩)،
(١٠:١ – ١٢) ، (١٠ : ٨، ٩) ، (١٠:٩) ، (١٠:١٧) ، (١٠:١٩) ، (١٠:٢١) ، (١٠:٢٧)،
(١١:٣) ، (١١:٥) ، (١١:١٣) ، (١١:١٤) ، (١١:٢٤ – ٢٦) ، (١٢:١٠) ، (١٢ : ١١، ١٢)،
(١٢:٤٢) ، (١٢ : ٥١– ٥٣) ، (١٢:٥٧) (١٣ : ١٦) ، (١٣ : ٢٤) ، (١٥ :٧) ، (١٥ : ١٠)،
(١٥ : ٢٠) ، (١٥ : ٢٢) ، (١٥ : ٢٢، ٢٤) ، (١٦ : ١، ٢) ، (١٦ : ٨) ، (١٦ : ١٨)،
(١٦:٢٣–٣١)، (١٦:٢٧– ٣١) ، (١٧:١٩) ، (١٧:٢١) ، (١٨:١) ، (١٨:٧) ، (١٨:١٣)،
(١٨ : ١٦) ، (١٨ : ٢٨) ، (١٨ : ٢٨ – ٣٠) ، (١٨ : ٢٩ – ٣٠) ، (١٨ : ٤٢) ، (١٩ : ١٠)،
(١٩:٢٣ –٢٦) ، (٢٠ : ٢١) ، (٢٠ : ٣٤–٣٦) ، (٢٠:٣٥، ٣٦) ، (٢٠:٣٦) ، (٢١:١٤، ١٥)،

(٢١ : ١٥) ، (٢١ : ١٩) ، (٢١ : ٣٣) ، (٢١ : ٣٦) ، (٢٢ : ٤ – ٢٠) ، (٢٢ : ٧) ، (٢٢ : ٧ – ١٣)، (٢٢ : ٧ – ١٥) ، (٢٢ : ١٥، ١٦) ، (٢٢ : ١٥ – ٢٠) ، (٢٢ : ١٧) ، (٢٢ : ١٨) ، (٢٢ : ١٩)، (٢٢ : ١٩، ٢٠) ، (٢٢ : ١٩ – ٣٠) ، (٢٢ : ٢٠) ، (٢٢ : ٤٢) ، (٢٢ : ٥٢)، (٢٢ : ٥٧)، (٢٣ : ٣٤) ، (٢٣ : ٤٣) ، (٢٣ : ٤٤) ، (٢٣ : ٥٤) ، (٢٣ : ٥٦) ، (٢٤ : ١)، (٢٤ : ٢١)، (٢٤ : ٣٠، ٣١) ، (٢٤ : ٣٧) ، (٢٤ : ٣٨ – ٤٠) ، (٢٤ : ٣٨ – ٤١) ، (٢٤ : ٤٩)، (٢٤ : ٥٠)، (٢٤ : ٥١، ٥٢).

إنجيل ربنا يسوع المسيح للقديس يوحنا :

(١ : ٤) ، (١ : ٦) ، (١ : ٩) ، (١ : ١٢، ١٣) ، (١ : ١٣) ، (١ : ١٨) ، (١ : ٢٣) ، (١ : ٢٩)، (١ : ٢٩، ٣٦) ، (١ : ٣١ – ٣٤) ، (١ : ٣٣) ، (٢ : ١ – ١١) ، (٣ : ١ – ٥) ، (٣ : ٣) ، (٣ : ٣، ٥)، (٣ : ٣، ٧) ، (٣ : ٣ – ٨) ، (٣ : ٥) ، (٣ : ٥، ٦، ٨) ، (٣ : ٦) ، (٣ : ٦، ٨) ، (٣ : ٨)، (٣ : ١٢) ، (٣ : ١٧) ، (٣ : ٢٢) ، (٣ : ٢٢، ٢٦) ، (٣ : ٢٦) ، (٣ : ٢٨ – ٣٢) ، (٤ : ١)، (٤ : ١، ٢) ، (٤ : ٢) ، (٤ : ١٠) ، (٤ : ٢٢، ٢٣) ، (٤ : ٢٤) ، (٤ : ٢٦) ، (٤ : ٣٢) ، (٥ : ١ – ٩)، (٥ : ١٤) ، (٥ : ٢٢) ، (٥ : ٢٤، ٢٥) ، (٥ : ٢٦) ، (٥ : ٢٨، ٢٩) ، (٦ : ٢٧، ٤٠، ٤٧)، (٦ : ٣٢) ، (٦ : ٣٣) ، (٦ : ٣٣، ٤١، ٤٢، ٥٠، ٥١) ، (٦ : ٣٥، ٥١) ، (٦ : ٣٧) ، (٦ : ٤٥)، (٦ : ٤٨ – ٥٩) ، (٦ : ٤٩، ٨، ٣١) ، (٦ : ٤٩، ٥٠، ٥٨) ، (٦ : ٤٩–٥٨) ، (٦ : ٥٠، ٥١، ٥٨)، (٦ : ٥١) ، (٦ : ٥١، ٥٤، ٥٨) ، (٦ : ٥١، ٥٥) ، (٦ : ٥١، ٥٨) ، (٦ : ٥١ – ٦٤) ، (٦ : ٥٣)، (٦ : ٥٣ – ٥٦) ، (٦ : ٥٣ – ٥٧) ، (٦ : ٥٤) ، (٦ : ٥٤، ٥٥) ، (٦ : ٥٥ – ٥٨) ، (٦ : ٥٦)، (٦ : ٥٧) ، (٦ : ٥٨) ، (٦ : ٧٠) ، (٧ : ٤) ، (٧ : ٣٨، ٣٩) ، (٧ : ٣٩) ، (٨ : ١١) ، (٨ : ١٥، ١١)، (٨ : ٢٦) ، (٨ : ٢٨) ، (٨ : ٣٨) ، (٨ : ٤٢) ، (٨ : ٤٤) ، (٨ : ٤٦) ، (٨ : ٥٦) ، (٩ : ١ – ٤١)، (٩ : ٥) ، (٩ : ٦) ، (٩ : ٧، ١١) ، (٩ : ٣٤) ، (٩ : ٣٩) ، (٩ : ٣٩ – ٤١) ، (١٠ : ٩)، (١٠ : ١٠) ، (١٠ : ١١ – ١٧) ، (١٠ : ٢٨، ٢٩) ، (١٠ : ٣٠) ، (١٢ : ١٦) ، (١٢ : ٢٧)، (١٢ : ٤٦) ، (١٢ : ٤٧) ، (١٣ : ٤) ، (١٣ : ٤ – ١١) ، (١٣ : ٤ – ألـــــخ) ، (١٣ : ٧) ، (١٣ : ٧ – ١١)، (١٣ : ٨) ، (١٣ : ٩) ، (١٣ : ١٢ – ١٧) ، (١٣ : ١٢ – ألخ) ، (١٣ : ١٥)، (١٣ : ١٨) ، (١٣ : ٢٣) ، (١٣ : ٢٦ – ٣٠) ، (١٣ : ٣٣) ، (١٣ : ٣٤ – ٣٥) ، (١٤ : ٦)، (١٤ : ١٦) ، (١٤ : ١٦، ١٧) ، (١٤ : ١٦، ٢٦) ، (١٤ : ١٧) ، (١٤ : ٢٣) ، (١٤ : ٢٦)، (١٥ : ١، ٢، ٤، ٥، ٦) ، (١٥ : ١، ٥) ، (١٥ : ١، ٥، ٦) ، (١٥ : ١ – ٦) ، (١٥ : ٤) ، (١٥ : ٤–٦)،

(١٥:٧) ، (١٥:١٢) ، (١٥:١٣) ، (١٥:١٤، ١٥) ، (١٥:١٥) ، (١٥ : ١٦) ، (١٥ : ٢٦)،
(١٦: ٧، ١٣) ، (١٦: ٨) ، (١٦: ١٣) ، (١٦: ١٤، ١٥) ، (١٦: ١٥) ، (١٦: ٢١)،
(١٧:١-٦)، (١٧ : ٣) ، (١٧ : ٨) ، (١٧ : ١٢) ، (١٧ : ٢١) ، (١٧ : ٢٦) ، (١٨ : ١)،
(١٨ : ١١) ، (١٨ : ٢٦، ٢٧) ، (١٨ : ٢٨) ، (١٨ : ٣٧) ، (١٩ : ٢٣، ٢٤) ، (١٩ : ٢٦)،
(١٩ : ٣١) ، (١٩ : ٣٤) ، (١٩ : ٣٥) ، (١٩ : ٤٠)، (٢٠ : ١) ، (٢٠ : ٢) ، (٢٠ : ١٩)،
(٢٠:١٩، ٢٦) ، (٢٠: ٢١ – ٢٣) ، (٢٠:٢٢) ، (٢٠:٢٢، ٢٣) ، (٢٠ : ٢٣) ، (٢٠ : ٢٧)،
(٢٠ : ٣٠، ٣١) ، (٢١ : ٢، ٣، ٧، ١١، ١٥) ، (٢١ : ٧، ٢٠) ، (٢١ : ١٥، ١٦، ١٧).

أعمال الرسل :

(١ : ٢ – ٥) ، (١ : ٥) ، (١ : ٨) ، (١ : ١٥) ، (١ : ١٥ ، ٢٦)، (١ : ١٦ – ٢٦) ، (١ : ٢٠)،
(١ : ٢١ – ٢٦) ، (٢ : ١ – ٤) ، (٢ : ٤) ، (٢ : ١٧، ٣٣، ٣٨)، (٢ : ٢٢ – ٤١) ، (٢ : ٢٧)،
(٢ : ٢٧، ٣١) ، (٢ : ٢٩) ، (٢ : ٣٣) ، (٢ : ٣٧) ، (٢ : ٣٧، ٣٨)، (٢ : ٣٧، ٣٩) ، (٢ : ٣٨)،
(٢ : ٣٩) ، (٢ : ٤١) ، (٢ : ٤٢) ، (٢ : ٤٢، ٤٦) ، (٣ : ١)، (٣ : ٦، ١٦) ، (٣ : ٢٥) ، (٤ : ٨)،
(٤ : ٨ ، ٣١) ، (٤ : ٨ – ٣٣) ، (٤ : ١٠ ، ٣٠) ، (٤ : ١٢) ، (٤ : ٣١) ، (٥ : ١ – ١١)،
(٥ : ٥، ٦، ٩، ١٠)، (٥ : ٥ – ١٠) ، (٥ : ١٥، ١٦) ، (٥ : ١٦)، (٥ : ٢٧ – ٣٢) ، (٥ : ٣١)،
(٦ : ١-٦) ، (٦ : ٢-٤) ، (٦ : ٣) ، (٦ : ٣، ٥) ، (٦ : ٥)، (٦ : ٨) ، (٦ : ٩، ١٠) ، (٦ : ١٠ – ١٥)،
(٧ : ١ – ٥٣) ، (٧ : ٢، ٥٣) ، (٧ : ٨، ٩)، (٧ : ١٠)، (٧ : ٢٣) ، (٧ : ٥٤ – ٦٠) ، (٧ : ٥٥)،
(٧ : ٥٩، ٦٠) ، (٨ : ٥ – ١٤، ٢٦ – ٣٥)، (٨ : ٥ – ٤٠) ، (٨ : ٧) ، (٨ – ١٢) ، (٨ : ١٣)،
(٨ : ١٤ – ١٧) ، (٨ : ١٧) ، (٨ : ١٨ – ٢٣)، (٨ : ٣٢) ، (٨ : ٣٦) ، (٨ : ٣٦ – ٣٩)،
(٨ : ٣٩) ، (٨ : ٣٩، ٤٠) ، (٩ : ١ – ٦) ، (٩ : ٣ – ١٦)، (٩ : ١٥) ، (٩ : ١٧) ، (٩ : ١٨)،
(٩ : ٢٢، ٢٦) ، (٩ : ٣١) ، (٩ : ٣٢ – ٣٥) ، (٩ : ٣٦ – ٤٢)، (١٠ : ١ – ٨) ، (١٠ : ٣، ٣٠)،
(١٠ : ١٠ – ١٣) ، (١٠ : ٢٤ – ٤٨) ، (١٠ : ٣٥) ، (١٠ : ٤٣)، (١٠ : ٤٥، ٤٦) ، (١٠ : ٤٧، ٤٨)،
(١١ : ٥) ، (١١ : ١٦) ، (١١ : ٢٤) ، (١١ : ٢٧)، (١٢ : ١٢، ١٥) ، (١٢ : ١٥) ، (١٢ : ٧)،
(١٣ : ١) ، (١٣ : ١-٣) ، (١٣ : ٢، ٣) ، (١٣ : ٣)، (١٣ : ٥، ١٣) ، (١٣ : ٩) ، (١٣ : ٩ – ١١)،
(١٣ : ٩، ٥٢) ، (١٣ : ١٠) ، (١٣ : ١١)، (١٣ : ١٩) ، (١٣ : ٢٣، ٣٨) ، (١٣ : ٣٥) ، (١٣ : ٤٦)،
(١٣ : ٥٢) ، (١٤ : ٢٧) ، (١٥ : ١٢)، (١٥ : ١٣) ، (١٥ : ١٤) ، (١٥ : ١٨) ، (١٥ : ٢٨، ٢٩)،
(١٥ : ٣٢) ، (١٥ : ٣٩) ، (١٦ : ١٤، ١٥)، (١٦ : ١٤، ١٥، ٤٠) ، (١٦ : ١٨) ، (١٦ : ٢٢)،

(١٦: ٢٥-٣٥) ، (١٦: ٣٠) ، (١٦: ٣٠-٣٣)، (١٦: ٣١) ، (١٦: ٣٢، ٣٣) ، (١٦ : ٣٢ - ٣٤)، (١٧ : ٦) ، (١٧ : ٢٦) ، (١٧ : ٣١)، (١٨ : ٢، ١٨، ٢٦) ، (١٨ : ٦) ، (١٩ : ١ - ٦)، (١٩: ١ - ٧) ، (١٩: ١، ١٢) ، (١٩: ٣ - ٥)، (١٩: ٥ - ٧) ، (١٩: ١٢) ، (١٩ : ١٣)، (١٩ : ١٨) ، (١٩ : ١٨، ١٩) ، (١٩ : ١٨ - ٢٠)، (٢١: ٤، ٩، ١٠) ، (٢٢ : ٦ - ١٥)، (٢٢: ١٢) ، (٢٢: ١٤ - ١٦) ، (٢٢: ١٦) ، (٢٢: ١٧)، (٢٢ : ١٧، ١٨) ، (٢٢ : ٢١)، (٢٤: ١٥) ، (٢٤: ٢٥) ، (٢٦: ٣) ، (٢٦: ٩، ١٠) ، (٢٦: ١٧)، (٢٦: ١٨) ، (٢٨: ١، ٣ - ٦)، (٢٨ : ٨) ، (٢٨ : ٢٨).

رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل رومية :

(١: ٢) ، (١: ٥) ، (١: ١١) ، (٢: ٤) ، (٢: ٧) ، (٢ : ٨) ، (٢ : ١٢ - ١٦) ، (٢ : ١٥)، (٢: ١٦) ، (٢ : ٢٥ - ٢٩) ، (٢ : ٢٩) ، (٣ : ٢٠) ، (٣ : ٢٣) ، (٣ : ٢٤) ، (٣ : ٢٤، ٢٥)، (٣: ٢٥) ، (٣: ٢٥، ٢٦) ، (٣: ٣١) ، (٤: ٣، ٥، ٩، ٢٢) ، (٤: ١١) ، (٤: ١٩) ، (٥: ٣، ٤)، (٥ : ٤) ، (٥ : ٥) ، (٥ : ٦، ١٠) ، (٥ : ٧) ، (٥ : ٨) ، (٥ : ٩) ، (٥ : ١٠) ، (٥ : ١١)، (٥ : ١٢) ، (٥ : ١٥، ١٧، ١٨) ، (٥: ١٧) ، (٥ : ١٧، ١٨) ، (٥ : ١٧ - ٢١) ، (٥ : ١٨)، (٦: ٢) ، (٦: ٢ - ١٢) ، (٦: ٣ - ٥) ، (٦: ٤) ، (٦: ٤، ٥) ، (٦: ٤، ٦)، (٦: ٦) ، (٦: ٨)، (٦: ٩) ، (٦ : ٩، ١٠) ، (٦ : ١٢) ، (٦ : ١٣) ، (٦ : ١٣، ١٦، ١٩)، (٦ : ١٩) ، (٦ : ٢٣)، (٧: ٢) ، (٧: ٢، ٣) ، (٧: ٦) ، (٧: ١٢) ، (٧: ١٣) ، (٨: ١)، (٨: ٢) ، (٨ : ٣) ، (٨ : ٩)، (٨: ١١) ، (٨ : ١٣) ، (٨ : ١٤، ١٦، ١٧، ١٩) ، (٨ : ١٥)، (٨: ١٨) ، (٨: ٢٣) ، (٨: ٢٥)، (٨: ٢٦، ٢٧) ، (٨: ٢٧) ، (٨: ٢٩) ، (٨: ٣٢) ، (٨: ٣٤)، (٨: ٣٥، ٣٧، ٣٩) ، (٩ : ٨)، (٩ : ٢٢) ، (٩ : ٢٨) ، (١٠ : ٤) ، (١٠ : ١٥) ، (١١ : ١٣)، (١١: ١٧) ، (١١: ١٧، ٢٤)، (١١: ٢٤) ، (١٢: ١) ، (١٢: ٣) ، (١٢: ٤) ، (١٢: ٤ - ٨)، (١٢ : ٥) ، (١٢ : ٦) ، (١٢: ٩)، (١٢: ١٢) ، (١٢: ١٣) ، (١٣: ٣، ٤) ، (١٣: ١٢)، (١٤: ٩) ، (١٤: ١٠) ، (١٤: ١٤، ٢٠)، (١٤: ١٥) ، (١٥: ٢) ، (١٥ : ٤) ، (١٥ : ٤، ٥)، (١٥: ١٤) ، (١٥: ١٥، ١٦) ، (١٥: ١٦)، (١٦ : ١) ، (١٦ : ٣، ٥) ، (١٦ : ١٢، ١٣، ١٥)، (١٦ : ١٦) ، (١٦ : ٧) ، (١٦ : ١٩).

رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس :

(١ : ٥) ، (١ : ١٠) ، (١ : ١٤ – ١٧) ، (١ : ٣٠) ، (٢ : ٩) ، (٣ : ١٠) ، (٣ : ١٦)، (٣: ١٦، ١٧) ، (٤: ١) ، (٤: ١، ٢) ، (٤: ٤) ، (٤: ٩) ، (٤ : ١٥) ، (٤ : ١٦) ، (٤ : ٢١)، (٥ : ١) ، (٥ : ١ – ٥) ، (٥ : ٢ – ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١١ – ١٣) ، (٥ : ٤ ، ٥) ، (٥ : ٥)، (٥: ٧، ٩، ١١، ١٣) ، (٥: ٨) ، (٥: ١١) ، (٥: ١٣) ، (٥ : ١٧) ، (٦ : ١ – ٣) ، (٦ : ١١)، (٦ : ١٢) ، (٦ : ١٣) ، (٦ : ١٣ ، ٢٠) ، (٦ : ١٤) ، (٦ : ١٥) ، (٦ : ١٨) ، (٦ : ١٩)، (٦ : ١٩ ، ٢٠) ، (٧ : ١) ، (٧ : ١ ، ٢) ، (٧ : ١ – ٥) ، (٧ : ١ – ٣٤) ، (٧ : ١، ٢، ٧، ٨، ١٧ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٣٨) ، (٧ : ١، ٧، ٨، ٢٦، ٢٧، ٣٢، ٣٤، ٣٨) ، (٧ : ١ – ٣٨)، (٧ : ٢) ، (٧ : ٣) ، (٧ : ٣، ٤) ، (٧ : ٣ – ٥) ، (٧ : ٤) ، (٧ : ٥) ، (٧ : ٧) ، (٧ : ٨)، (٧ : ٨ ، ٩)، (٧ : ٨، ٣٢ – ٣٤، ٣٨) ، (٧ : ٩) ، (٧ : ١٠) ، (٧ : ١٠، ١١) ، (٧ : ١١)، (٧ : ١١ ، ١٦)، (٧: ١٢–١٥) ، (٧:١٦) ، (٧:١٦، ١٧، ٣٠–٣٢) ، (٧:٢٦–٢٨) ، (٧:٢٧)، (٧ : ٢٧ ، ٢٨)، (٧ : ٢٩) ، (٧ : ٢٩ – ٣٥) ، (٧ : ٣٢، ٣٣) ، (٧ : ٣٣، ٣٤) ، (٧ : ٣٤)، (٧:٣٦–٣٨)، (٧:٣٧–٣٨) ، (٧:٣٩) ، (٧: ٣٩، ٤٠) ، (٨: ١١) ، (٩:٥) ، (٩ : ٧ – ١٤)، (٩ : ١٧)، (٩: ٢٥) ، (٩: ٢٥ – ٢٧) ، (١٠: ١٦ – ٢١) ، (١٠: ١٧) ، (١٠ : ١٨ – ٢١)، (١٠ : ٢١)، (١٠: ٢٤) ، (١٠: ٢٥) ، (١١ : ١) ، (١١ : ٣) ، (١١ : ٣، ٧) ، (١١: ٣، ٧، ٨)، (١١ : ٣ –٩)، (١١: ٣، ٢٠–٢٢) ، (١١ : ٨، ٩) ، (١١ : ٩) ، (١١ : ١١) ، (١١: ١١، ١٢)، (١١: ٢١–٣٤)، (١١: ٢٣) ، (١١: ٢٣، ٢٤) ، (١١: ٢٣– ٢٥) ، (١١: ٢٣– ٢٦) ، (١١ : ٢٤)، (١١ : ٢٤، ٢٥)، (١١: ٢٥) ، (١١: ٢٦) ، (١١ : ٢٧) ، (١١ : ٢٧ – ٢٩) ، (١١: ٢٧ – ٣٠)، (١١: ٢٧–٣٢)، (١١: ٢٨) ، (١١: ٢٨، ٢٩) ، (١١ : ٢٨–٣٠) ، (١١ : ٢٨–٣٢) ، (١١: ٢٩:١١)، (١١ : ٢٩–٣٢)، (١١ : ٣١) ، (١١ : ٣٣، ٣٤) ، (١٢ : ٣) ، (١٢ : ٤) ، (١٢ : ٤ – ١١)، (١٢ : ٤ – ١٣)، (١٢: ٤، ٢٨) ، (١٢: ٨) ، (١٢: ٩، ٢٨، ٣٠) ، (١٢: ١٠، ٢٨، ٣٠)، (١٢: ١٢، ١٤، ٢٠، ٢٧)، (١٢ : ١٣) ، (١٢ : ٢٧) ، (١٢ : ٢٨) ، (١٢ : ٣١) ، (١٣ : ١)، (١٣: ٢) ، (١٣: ٤)، (١٣: ٥) ، (١٣: ٦) ، (١٣: ٨) ، (١٣ : ١٣) ، (١٤ : ١، ٦، ٢٩، ٣١)، (١٤: ١، ٣٧)، (١٤: ٢، ٤–٦، ٩، ١٣، ١٤، ١٨، ١٩، ٢١ – ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٢٩) ، (١٤: ١٥)، (١٤ : ٢٩)، (١٤: ٣٤) ، (١٥ : ١٩) ، (١٥ : ٢٠) ، (١٥ : ٢١) ، (١٥ : ٢٢) ، (١٥ : ٢٩)، (١٥ : ٣٢)، (١٥ : ٤٨) ، (١٥ : ٤٩) ، (١٥ : ٥٠، ٥٢ – ٥٤) ، (١٦ : ١٩) ، (١٦ : ٢٠).

رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس :

(١ : ١) ، (١ : ٦) ، (١ : ٢١، ٢٢) ، (٢ : ٦، ٧) ، (٢ : ٦ – ١١) ، (٢ : ١٥) ، (٢ : ١٦)، (٣ : ٦) ، (٣ : ١٢) ، (٣ : ١٧) ، (٣ : ١٨) ، (٤ : ٢) ، (٤ : ٧) ، (٤ : ١٣) ، (٥ : ٥) ، (٥ : ٦ – ٨)، (٥ : ١٠) ، (٥ : ١٥) ، (٥ : ١٧) ، (٥ : ١٨) ، (٥ : ١٨، ١٩) ، (٥ : ١٩) ، (٥ : ٢٠) ، (٥ : ٢١)، (٦ : ٢) ، (٦ : ٤) ، (٦ : ٤ – ٧) ، (٦ : ٦) ، (٦ : ٧) ، (٦ : ١٤ – ١٦) ، (٦ : ١٦) ، (٦ : ١٨)، (٧ : ٩ – ١١) ، (٨ : ٧) ، (٨ : ٩) ، (٩ : ١٢، ١٣) ، (١٠ : ١) ، (١٠ : ٣ – ٦) ، (١١ : ٢)، (١١ : ٣) ، (١١ : ٢٥) ، (١٢ : ١) ، (١٢ : ١ – ٥) ، (١٢ : ٢ – ٤) ، (١٢ : ٦) ، (١٢ : ٧، ٨)، (١٢ : ١٢) ، (١٣ : ٤) ، (١٣ : ١٠) ، (١٣ : ١١) ، (١٣ : ١٢).

رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل غلاطية :

(١ : ١٦) ، (١ : ١٩) ، (٢ : ١) ، (٢ : ٢) ، (٢ : ٢، ٨) ، (٢ : ٤، ٥) ، (٢ : ٩) ، (٢ : ٩، ٦، ٧)، (٢ : ٢٦) ، (٢ : ٢٠) ، (٣ : ١) ، (٣ : ٢، ٥) ، (٣ : ٥) ، (٣ : ٦) ، (٣ : ٨) ، (٣ : ١١)، (٣ : ١٣) ، (٣ : ٢٦، ٢٧) ، (٣ : ٢٦ – ٢٨) ، (٣ : ٢٦ – ٢٩) ، (٣ : ٢٧) ، (٤ : ٥) ، (٤ : ٦)، (٤ : ١٤) ، (٤ : ١٧) ، (٤ : ١٩) ، (٥ : ١) ، (٥ : ٥) ، (٥ : ٧) ، (٥ : ١٧) ، (٥ : ٢٢)، (٥ : ٢٢، ٢٣) ، (٥ : ٢٢–٢٤) ، (٥ : ٢٤) ، (٦ : ١) ، (٦ : ٥) ، (٦ : ٦) ، (٦ : ٧) ، (٦ : ٧، ٨)، (٦ : ٨) ، (٦ : ١٥).

رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل أفسس :

(١ : ١) ، (١ : ٥) ، (١ : ٧) ، (١ : ٨) ، (١ : ١٢) ، (١ : ١٣) ، (١ : ١٣، ١٤) ، (١ : ٢٢)، (٢ : ٣) ، (٢ : ٦) ، (٢ : ٨) ، (٢ : ٨، ٩) ، (٢ : ١٣ – ١٨) ، (٢ : ١٣، ١٩ – ٢٢) ، (٢ : ١٥)، (٢ : ١٦) ، (٣ : ٦) ، (٣ : ٨) ، (٣ : ١٠) ، (٤ : ١ – ١٢) ، (٤ : ٤) ، (٤ : ٥) ، (٤ : ٨)، (٤ : ٨، ٩) ، (٤ : ٩) ، (٤ : ١٣ – ١٥) ، (٤ : ٢١) ، (٤ : ٢٢) ، (٤ : ٢٢ – ٢٤) ، (٤ : ٢٤)، (٤ : ٢٨) ، (٤ : ٣٠) ، (٥ : ٢) ، (٥ : ٩) ، (٥ : ١٥) ، (٥ : ١٨) ، (٥ : ١٩) ، (٥ : ٢٢ – ٢٤)، (٥ : ٢٢، ٢٨، ٢٩) ، (٥ : ٢٢، ٢٣، ٣٣) ، (٥ : ٢٢ – ٢٤، ٣٣) ، (٥ : ٢٥، ٢٦) ، (٥ : ٢٥، ٢٧)، (٥ : ٢٥، ٢٨، ٢٩، ٣٣) ، (٥ : ٢٥ – ٣٣) ، (٥ : ٢٥ – ٣٣، ٢٢ – ٢٤) ، (٥ : ٢٦) ، (٥ : ٢٨)، (٥ : ٢٩) ، (٥ : ٣٠) ، (٥ : ٣١) ، (٥ : ٣١، ٣٢) ، (٥ : ٣٢) ، (٦ : ٨ – ١٠) ، (٦ : ١٠ – ١٨)، (٦ : ١٢) ، (٦ : ١٦) ، (٦ : ١٨).

رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل فيلبى :

(١ : ٢١) ، (٢ : ٤) ، (٢ : ٥) ، (٢ : ٦، ٧) ، (٢ : ٧) ، (٢ : ٧، ٨) ، (٢ : ١٢) ، (٢ : ١٥)، (٢ : ١٦) ، (٢ : ٢٥) ، (٣ : ٣) ، (٣ : ٩) ، (٣ : ١٤) ، (٣ : ١٧) ، (٣ : ١٨) ، (٣ : ١٨، ١٩)، (٣ : ٢١) ، (٤ : ٩) ، (٤ : ١٣) ، (٤ : ١٨).

رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل كولوسى :

(١ : ١) ، (١ : ٩) ، (١ : ٩، ٢٨) ، (١ : ١١) ، (١ : ١٧) ، (١ : ١٩) ، (١ : ١٩ – ٢٢)، (١ : ٢٧) ، (١ : ٢٨) ، (٢ : ٩) ، (٢ : ١٠) ، (٢ : ١١، ١٢) ، (٢ : ١١ – ١٤) ، (٢ : ١١ – ١٥)، (٢ : ١٢) ، (٢ : ١٢، ١٣) ، (٢ : ١٧) ، (٢ : ٢٠) ، (٢ : ٢٣) ، (٣ : ١) ، (٣ : ٥) ، (٣ : ٩)، (٣ : ٩، ١٠) ، (٣ : ١٠) ، (٣ : ١٢) ، (٣ : ١٤) ، (٣ : ١٦) ، (٣ : ١٨) ، (٣ : ١٨، ٢٠، ٢٢)، (٣ : ١٩) ، (٤ : ٢) ، (٤ : ٣) ، (٤ : ٥) ، (٤ : ١٠) ، (٤ : ١٢) ، (٤ : ١٤).

رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكى :

(١ : ٣) ، (١ : ٦) ، (٢ : ٣ – ٦) ، (٢ : ١٠) ، (٣ : ٥) ، (٤ : ٣ – ٥) ، (٤ : ٤ – ٧)، (٤ : ٧) ، (٤ : ١٤) ، (٥ : ٦ – ٨) ، (٥ : ٨) ، (٥ : ٨، ٩) ، (٥ : ١٤) ، (٥ : ١٧) ، (٥ : ١٩)، (٥ : ٢٣) ، (٥ : ٢٥) ، (٥ : ٢٦).

رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى أهل تسالونيكى :

(١ : ٤) ، (٢ : ١ – ٣) ، (٢ : ٣، ٤) ، (٢ : ٨) ، (٢ : ١٣) ، (٢ : ١٦) ، (٣ : ٥) ، (٣ : ٦)، (٣ : ٧، ٩) ، (٣ : ١٣).

رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى القديس تيموثيوس :

(١ : ٢) ، (١ : ٥) ، (١ : ١٦) ، (١ : ١٨) ، (١ : ١٨ – ٢٠) ، (٢ : ١ – ٤) ، (٢ : ٣)، (٢ : ٣، ٤) ، (٢ : ٤) ، (٢ : ٥) ، (٢ : ٥، ٦) ، (٢ : ١١، ١٢) ، (٢ : ١١ – ١٣) ، (٢ : ١٣، ١٤)، (٢ : ١٤) ، (٢ : ١٥) ، (٣ : ١ – ٧) ، (٣ : ٢) ، (٣ : ٢، ١٢) ، (٣ : ٦) ، (٣ : ٨ – ١٣)، (٣ : ١٢) ، (٣ : ١٤، ١٥) ، (٣ : ١٥) ، (٣ : ١٦) ، (٤ : ١ – ٣) ، (٤ : ٥) ، (٤ : ١٠)، (٤ : ١٢)، (٤ : ١٤) ، (٥ : ١١ – ١٥) ، (٥ : ٢١، ٢٢) ، (٥ : ٢٢) ، (٥ : ٢٣) ، (٦ : ١١) ، (٦ : ١٢).

رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى القديس تيموثيئوس :

(١ : ٢) ، (١ : ٦) ، (١ : ٩) ، (١ : ١١) ، (١ : ١٣) ، (١ : ١٦) ، (١ : ١٦، ١٧) ، (٢ : ١)، (٢ : ١، ٢) ، (٢ : ٢) ، (٢ : ٣، ٤) ، (٢ : ٥) ، (٢ : ١٥) ، (٢ : ١٩) ، (٢ : ٢٤) ، (٢ : ٢٥)، (٣ : ٧) ، (٣ : ١٠) ، (٣ : ١٥) ، (٤ : ٢) ، (٤ : ٧) ، (٤ : ١٠) ، (٤ : ١١) ، (٤ : ١٤، ١٥)، (٤ : ١٦، ١٧) ، (٤ : ١٧) ، (٤ : ١٨) ، (٤ : ١٩).

رسالة القديس بولس الرسول إلى القديس تيطس :

(١ : ١) ، (١ : ٢) ، (١ : ٤) ، (١ : ٥) ، (١ : ٥ – ٩) ، (١ : ٦) ، (١ : ٧) ، (١ : ٧، ٨)، (١ : ٧ – ٩) ، (١ : ٩) ، (١ : ١٥) ، (٢ : ٢) ، (٢ : ٤، ٥) ، (٢ : ٥) ، (٢ : ١٠) ، (٢ : ١٣)، (٣ : ٢) ، (٣ : ٤، ٥) ، (٣ : ٥) ، (٣ : ٥، ٦) ، (٣ : ٦) ، (٣ : ٧) ، (٣ : ١٠، ١١).

رسالة القديس بولس الرسول إلى القديس فليمون :

(: ١) ، (: ٢) ، (: ١٠) ، (: ٢٤).

رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانيين :

(١ : ٢) ، (٢ : ٤) ، (٢ : ١٠) ، (٣ : ١) ، (٤ : ١٤، ١٥) ، (٤ : ١٥) ، (٥ : ١) ، (٥ : ٤)، (٥ : ٥، ١٠) ، (٦ : ٤ – ٦) ، (٦ : ٥) ، (٦ : ١٢، ١٥) ، (٦ : ١٠) ، (٦ : ١٨) ، (٦ : ٢٠)، (٧ : ١ – ٣) ، (٧ : ١ – ٧) ، (٧ : ٤) ، (٧ : ٦) ، (٧ : ١٤) ، (٧ : ٢٤) ، (٧ : ٢٥) ، (٧ : ٢٦)، (٧ : ٢٧) ، (٨ : ١) ، (٨ : ٥) ، (٨ : ٨ – ١٢) ، (٨ : ١٠) ، (٨ : ١٣) ، (٩ : ٤) ، (٩ : ١١)، (٩ : ١٢) ، (٩ : ١٤) ، (٩ : ٢٤) ، (٩ : ٢٤ – ٢٨) ، (٩ : ٢٧، ٢٨) ، (٩ : ٢٨) ، (١٠ : ١)، (١٠ : ٦) ، (١٠ : ١٢) ، (١٠ : ١٤) ، (١٠ : ١٦) ، (١٠ : ٢٢) ، (١٠ : ٢٦) ، (١٠ : ٢٦ – ٢٩)، (١٠ : ٢٨، ٢٩) ، (١٠ : ٣٢) ، (١٠ : ٣٦).

رسالة القديس يعقوب الرسول :

(١ : ٣، ٤) ، (١ : ٤) ، (١ : ١٤، ١٥) ، (١ : ١٥) ، (١ : ١٧) ، (١ : ١٨) ، (١ : ٢١)، (١ : ٢٧) ، (٢ : ٢٣) ، (٣ : ١٢) ، (٣ : ١٣) ، (٣ : ١٨) ، (٤ : ٤) ، (٤ : ٧) ، (٤ : ٧، ٨)، (٥ : ٣ – ١٦) ، (٥ : ٧، ٨) ، (٥ : ١٠) ، (٥ : ١١) ، (٥ : ١٤) ، (٥ : ١٤، ١٥) ، (٥ : ١٤ – ١٦)، (٥ : ١٥) ، (٥ : ١٦) ، (٥ : ٢٠).

رسالة القديس بطرس الرسول الأولى :

(١ : ٢) ، (١ : ٣، ٤) ، (١ : ٣، ١٣، ٢١) ، (١ : ٣، ٢٣) ، (١ : ٤) ، (١ : ٦) ، (١ : ١٥)، (١ : ١٥، ١٦) ، (١ : ١٦) ، (١ : ١٩) ، (١ : ٢٢) ، (١ : ٢٣) ، (٢ : ٢) ، (٢ : ٣) ، (٢ : ٥)، (٢ : ٥ – ٩) ، (٢ : ٢١) ، (٢ : ٢٢) ، (٢ : ٢٢ ، ٢٤) ، (٢ : ٢٤) ، (٢ : ٢٥) ، (٣ : ١)، (٣ : ١، ٢) ، (٣ : ١، ٥، ٦) ، (٣ : ٥، ٦) ، (٣ : ٧) ، (٣ : ٨) ، (٣ : ١٤) ، (٣ : ١٥) ، (٣ : ١٥، ١٦)، (٣ : ١٨) ، (٣ : ١٨، ١٩) ، (٣ : ١٩) ، (٣ : ٢٠) ، (٣ : ٢٠، ٢١) ، (٣ : ٢١) ، (٣ : ٢٢)، (٤ : ٢) ، (٤ : ٦) ، (٤ : ٩، ١٠) ، (٤ : ١٠) ، (٤ : ١٠، ١١) ، (٤ : ١٨) ، (٥ : ١) ، (٥ : ١ – ٤)، (٥ : ٤) ، (٥ : ٥، ٦) ، (٥ : ٨) ، (٥ : ٨، ٩) ، (٥ : ٩) ، (٥ : ١٠) ، (٥ : ١٢) ، (٥ : ١٣).

رسالة القديس بطرس الرسول الثانية :

(١ : ٤) ، (١ : ٥، ٦) ، (١ : ٦) ، (١ : ١٢، ١٣) ، (١ : ١٨) ، (٢ : ٤) ، (٢ : ٥) ، (٢ : ٩)، (٢ : ٢٠، ٢١) ، (٢ : ٢١) ، (٢ : ٢١، ٢٢) ، (٣ : ٩، ١٥) ، (٣ : ١٥).

رسالة القديس يوحنا الرسول الأولى :

(١ : ٧) ، (١ : ٩) ، (١ : ٨، ١٠) ، (٢ : ١) ، (٢ : ١، ٢) ، (٢ : ١، ١٢، ٢٨) ، (٢ : ٢)، (٢ : ٦) ، (٢ : ١٤ – ١٧) ، (٢ : ١٦) ، (٢ : ٢٠، ٢٧) ، (٢ : ٢٠ – ٢٨) ، (٢ : ٢١) ، (٢ : ٢٧)، (٢ : ٢٩) ، (٣ : ١، ٢، ١٠) ، (٣ : ٥) ، (٣ : ٧، ١٠) ، (٣ : ٧، ١٨) ، (٣ : ٨) ، (٣ : ٩)، (٣ : ١٦) ، (٣ : ١٨) ، (٣ : ٢٠، ٢١) ، (٣ : ٢٣) ، (٣ : ٢٤) ، (٤ : ١) ، (٤ : ٢) ، (٤ : ٤)، (٤ : ٦) ، (٤ : ١٠) ، (٤ : ٢١) ، (٥ : ٦) ، (٥ : ١١) ، (٥ : ١٦) ، (٥ : ١٦، ١٧) ، (٥ : ١٨)، (٥ : ٢٠) ، (٥ : ٢١).

رسالة القديس يوحنا الرسول الثانية :

(: ١) ، (: ٤) ، (: ٥) ، (: ٧) ، (: ١٠) ، (: ١٠، ١١).

رسالة القديس يوحنا الرسول الثالثة :

(: ١) ، (: ٣، ٤، ٨) ، (: ٤).

رسالة القديس يهوذا الرسول :

(: ٣) ، (: ٦) ، (: ٧) ، (: ٩).

(١:٥) ، (١:٦) ، (١:٩) ، (١:١٠) ، (١:١٣) ، (١:١٣، ١٤) ، (٢:٢، ٣) ، (٢:٧)،
(٢:١٠) ، (٢:١١) ، (٢:١٧) ، (٢:١٨، ١٩) ، (٢:٢٣) ، (٣:٤) ، (٣:٥، ١٨)، (٣:١٠)،
(٣:١١) ، (٣:١٢) ، (٣:١٨) ، (٣:٢١) ، (٥:٦ – ١٢) ، (٥:١٠) ، (٧:٣) ، (٧:٩، ١٣)،
(٧:١٤) ، (٩:١٤) ، (١٢:١) ، (١٢:٥) ، (١٢:٧ – ٩) ، (١٢:٧ – ١٠) ، (١٢:٩، ١٥)،
(١٢ : ١٠) ، (١٢ : ١٢) ، (١٣ : ١٠) ، (١٣ : ١٦) ، (١٤ : ١) ، (١٤ : ٩) ، (١٤ : ١٢)،
(١٤ : ١٣) ، (١٦ : ٩) ، (١٦ : ١٠، ١١) ، (١٦ : ١٧، ٢١) ، (١٩ : ٧، ٨) ، (١٩ : ٨)،
(١٩ : ١١) ، (١٩ : ١٥) ، (١٩ : ٢٠) ، (٢٠ : ٢) ، (٢٠ : ٤) ، (٢٠ : ٦، ١٤) ، (٢٠ : ٦)،
(٢٠ : ٩) ، (٢١ : ٧) ، (٢١ : ١٢ – ١٤) ، (٢١ : ١٤) ، (٢٢ : ٢) ، (٢٢ : ٢، ١٤) ، (٢٢ : ٤)،
(٢٢ : ٥) ، (٢٢ : ١٢) ، (٢٢ : ١٤).